عدد ممتاز

ربيع الآخر ١٤٠٦هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦

العربي



وجهاً لوجه مع :

محمد حسنين هيكل

الصحافة .. والسلطة .. والحرية

- نتيجة مسابقة القصة القصيرة
- هدية بالألوان : المعادن والأحجار الكريمة

١٠٠ جائزة قيمة تنتظر طفلك شهرياً في مسابقة "العربي الصغير"

نيبال

سقف العالم
ومجمع المعابد
والأساطير..




فكرة عظيمة اخرى.
في عام ١٩٣٧، خطرت على بال رجل إسمه أڤيري فيشر فكرة عظيمة. فقد إخترع أول نظام هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الافكار التي تبعتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة التي مازالت تتتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشأها.
مثال عظيم على ذلك: نظام فيشر PH-463K هاي فاي المركب النقال بقوة ٥٠ واط (P.M.P.O.) المبين في الصورة أعلاه. بالرغم من حجمه الخفيف المدمج فإنه يستعمل مزايا تقنية متعددة تضعه في مصاف الأنظمة السمعية المركبة ذات الحجم الكبير. على سبيل المثال، لايعتمد الكاسيت المزدوج الدبلجة السريعة وحسب، ولكن أيضا الدولاب الثقيل لتنظيم السرعة من أجل ضبط أكثر دقة لسرعة الشريط، وبذلك يخفف من التفاوت الدوري والتشويش في درجة الصوت المسجل ويعطي مستوى أعلى لصوت الهاي فاي. أما الغرافيك أكواليزر، الذي يعتمد ٥ موجات بدلاً عن الثلاث موجات المعتادة فإنه يسمح بالتركيز الدقيق أو عدم التركيز على الصوت الخافت أو الإلقاء أو الآلات الموسيقية للأوركسترا على مدى واسع وديناميكي.
فيشر إسم يُعتمد لتحديد المستويات القياسية لأنظمة الهاي فاي المركبة النقالة.
لاتقبل بالأقل وقدّم لنفسك فكرة عظيمة. قدّم لنفسك فيشر.
PH 405K 22W
PH 418K 24W
PH 416K 22W
أنظمة أخرى من فيشر للهاي فاي المركب النقال
فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العدد ٣٢٦ السنة التاسعة والعشرون يناير ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. : 326 Jan. 1986 P. O. Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

١٥ يناير

موعدك مع كتاب العربي



هل هي مصادفة ان يأتي كتابنا العاشر من سلسلة كتب العربي حاملا تجربة الكويت الانسانية والتنموية وهي تحتفل بمرور ربع قرن على استقلالها الحديث ؟

ليس بالضرورة أن يكون ذلك مصادفة بحتة ، فالكويت منذ ذلك الزمن ـ أي زمن الاستقلال ـ اخذت على عاتقها أن تقدم ، بجانب الانجازات الداخلية المهمة التي بناها الانسان الكويتي العربي على هذه البقعة العربية من الأرض ، تجربة ثقافية رائدة ايضا .

واحدى نتائج هذا التفاعل واللقاء هو إصدارنا هذا الكتاب الذي نقدمه للقارىء العربي ، كي يطلع على عمق هذه التجربة واصالتها .

عزيزي القارئ

في مطلع هذا العام الذى نرجو ، نحن أسرة العربي - أن يكون عاما مختلفا عن الأعوام القليلة الماضية التى سبقته ، من حيث توحيد كلمة العرب والمسلمين ، وتماسك صفوفهم ضد أعدائهم ، في هذا العام نقدم لك حدثين : الأول هو أسماء جديدة أسهمت العربى في إضافتها إلى ملف الثقافة العربية المتجددة ، منها : سحاب محمد نورى الصمصام ، وفاروق حسان السيد وفاضل محمد مشالي، نذكر فقط ثلاثة أسماء من عدد كبير من الأسماء التى شاركت في مسابقة القصة العربية القصيرة وفازت . ونحن اذ نقدم القصة الفائزة الاولى في هذا العدد فإننا بذلك نضيف جهدا ونفتح بابا ونرتاد اتجاها صحيحا لاثراء الابداع العربى المعاصر ، وسوف نقوم بتقديم القصص القصيرة الفائزة تباعا في أعدادنا القادمة ان شاء الله .

وهذا العام لم نقتصر في إسهامنا الثقافي على استحداث مسابقة القصة ، فقد بلغ مشروعنا في إصدار مجلة للفتيان والفتيات العرب مرحلة الاكتمال والنضوج بعد أن بذلت له أسرة العربي جهدا أسعدها جميعا أن تقدمه لهذا المشروع الجليل ، فقد جاءت الأصداء إيجابية على عدد الصفر (رقم واحد) وعندما طبعنا عدد الصفر (رقم اثنين) في منتصف نوفمبر بعد أن أخذنا بمعظم الملاحظات الجادة على التجربة الاولى ، كانت الاصداء على عدد الصفر الثانى رائعة في استجابتها ، فريدة في تميزها .

لذلك فإننا نزف لأبنائنا وبناتنا خبر الاصدار الجديد الذى سيصافح عيونهم وقلوبهم حينما يوزع مع بداية فبراير من هذا العام ، وهو بذلك يحقق إسهاما آخر في مسيرة الثقافة العربية الجادة ، يصدر من الكويت - التى احتضنت كثيرا من مشاريع الثقافة العربية - في وقت تحتفل هذه الأرض وشعبها بالعيد الخامس والعشرين لاستقلالها ، مستقرة آمنة طموحة إلى غد أفضل يجمعها في عقد منتظم مع أشقائها من الأقطار العربية ، حتى تتوهج أمتنا العربية بأنبل معانى العزة والمعرفة لصالح الانسان العربى في كل مكان .

ومنه التوفيق والسداد

المحرر

محتويات العدد



فتاة من نيبال . . سقف العالم ومجمع المعابد والاساطير . . ان ابتسامتها تحكى قصة شعب . . « طالع الاستطلاع ص ٣٦ »

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● جمال العربية :

● من مكتبة العربي :

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

العربي - العدد ٣٢٦ - يناير ١٩٨٦

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أخطار الحرب
وفرص السلام في العام الجديد

- أكثر القضايا الساخنة بعد الحرب الثانية لم تحل ولا يبدو أنها ستحل على مستوى القمة.
- واشنطن: التدخل السوفيتي في العالم الثالث يسبب التوتر.
- لينين: الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، وسقوط النموذج الرأسمالي يبدأ بخلاص المستعمرات.

هذا العام هو العام الدولي للسلام، تلك الكلمة المحببة لقلوب البشرية جمعاء، فقد أصبح السلام والأمن أمنية غالية يعيش العالم - كل العالم - على تمنيها وانتظارها.

ولعل الاجتماع الذي عقد في نهاية شهر نوفمبر الماضي بين زعيمي أكبر قوتين في العالم اليوم: رونالد ريجان وميخائيل جورباتشيف، لعل ذلك اللقاء هو مقدمة منطقية لمحاولة إحلال السلام على الأرض، وطمأنة البشرية أنها لن تصحو فجأة في صباح أحد الأيام القريبة، لتصدم بأن العالم الذي نعيش فيه قد أصبح - أو كاد - هباء منثورا.

ولكن قصة السلام قصة طويلة ، والوصول اليه في كل بقاع العالم محاولة شبه مستحيلة ، وهي أقرب في استحالتها ـ في تقديري ـ الى إمكان أن يقفز الانسان منا على ظله .

لا أدري لماذا شعرت ـ أنا وربما ملايين غيري ـ ونحن نتابع التمهيد للقاء الزعيمين العالميين ، ثم وقائع لقائهما ، ومن بعد ذلك التحليلات الكثيرة التي انهمرت في الصحافة العالمية تفسر وتبرر ما وصلا اليه وما تعثرا فيه من قضايا العالم . . . .

لا أدري لماذا شعرت وأنا أتابع كل ذلك ، أن الزعيمين ـ في محاولتهما لحل مشكلات العالم ـ كانا في الحقيقة يحاولان التقفز على ظلهما .

ولكن لنبدأ القصة من البداية .

اثنتا عشرة قمة

□ القصة تبدأ هنا أيضاً بسؤال منطقي : ـ

هل يشعر العالم حقيقة بالخطر الماثل أمامه ، وهو خطر جائح يتهدده بالفناء عن بكرة أبيه نتيجة هذا المخزون الهائل من السلاح النووي ، أو أن العالم يعيش في صراعاته الجانبية دون الالتفات بشكل جدي لذلك الخطر وكأنه غير قائم ، هذا الخطر مرتهن في وقت ما بحسابات بضعة رجال هنا أو هناك ـ قابعين في احدى الحجرات الموغلة في التحصين الى أمتار كثيرة تحت الأرض ـ وفي حساباتهم واقتناعهم بها يمكن الخيار بين استمرار الحياة والحضارة على كوكبنا ، أو شلها على أقل تقدير شللاً قد لا تشفى منه .

والسؤال الأكثر تحديداً ودقة : هل يشعر القادة الكبار ومعاونوهم ـ خاصة قادة الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ـ بأن هذا الخطر المحدق بالانسانية قائم ومؤكد الوقوع أو أن المصالح الآنية والقومية الضيقة نسبياً هي التي سوف يكون لها الكلمة العليا ، كما كان لها دائماً الكلمة العليا في تاريخ البشرية الحزين والمليء بالمآسي ؟

لقد كانت قمة جنيف في نهاية نوفمبر الماضي هي القمة الثانية عشرة في سلسلة لقاءات الزعماء الغربيين ، وقد أسهمت في بعض منها قوتان أخريان بجانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هما بريطانيا وفرنسا ، ومع مرور الزمن وتضاؤل فعالية القوتين الأخريين على المستوى الدولي ، أصبحت القمة تعني على الأرجح لقاء زعيم الولايات المتحدة مع زعيم الاتحاد السوفيتي فقط لا غير .

إحدى عشرة قمة خلت منذ أن توقف التحالف بين الاشتراكية والرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأصدقاء الأمس أعداء اليوم يبحثون عن طرق مقبولة لكلا المعسكرين لتثبيت السلام بينهما ، أو على الأقل لعدم التورط في حرب شاملة ، وان تسربت بين فترة وأخرى حروب صغيرة هنا وهناك سواء أكانوا طرفاً مباشراً فيها أم غير مباشر .

بين التفاؤل والتشاؤم

□ تلك القمم الإحدى عشرة ـ ومعها القمة الأخيرة ـ لم تكن كلها ايجابية كما لم يكن طريق التفاهم فيها سهلاً مذللاً ، بل أفرز بعضها نتائج سلبية أدخلت العالم في خوف دائم ، ولكن كل تلك القمم ـ عدا الأولى والثانية ثم الأخيرة ـ كانت لقاءات جرت تحت تهديد المجابهة بين الشرق والغرب . كان اللقاء الأول في يوليو ١٩٤٥ في بوتسدام

وكان الغرض هو تقسيم المانيا بعد الحرب ، وكان اللقاء الآخر بعد عشر سنوات في يوليو ١٩٥٥ في جنيف والذي حضرته القوى الأربع : بريطانيا وفرنسا بجانب الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وقتها تفاءل العالم هذا التفاؤل الذي انعكس على الاعلام والرأي العام العالمي في المؤتمر وسمي هذا التفاؤل « بروح جنيف » حيث بدا للعالم وقتها أن القوى الكبرى مقدمة على فترة استرخاء ، خاصة بعد تعادل ميزان القوى ووقوف الاتحاد السوفيتي موقف الند للولايات المتحدة ، فقد سقطت الحصانة الاستراتيجية للولايات المتحدة بعد ان طور الاتحاد السوفيتي قوته النووية . هذا التفاؤل ما لبث أن تلاشى ، فدخل العالم في أزمة سميت وقتها « قضية برلين »عقد من أجلها ثلاث قمم في سبتمبر ١٩٥٩ في « كامب ديفيد » بين أيزنهاور وخروتشوف ، ثم في مايو ١٩٦٠ في باريس ثم في يونيو ١٩٦١ في فيينا .

وبعد مشكلة برلين انتظر العالم ست سنوات تقريباً ليشهد قمة أخرى هذه المرة بسبب قضية الشرق الأوسط واشتعال أزمته ونتائج « حرب الأيام الستة » بين العرب واسرائيل وهي القمة التي عقدت في يونيو ١٩٦٧ بين جونسون وكوسيجين في جلاسبورو-نيوجيرسي في الولايات المتحدة . وبعد ست سنوات أخرى انعقدت القمة التاسعة هذه المرة في موسكو بين نيكسون وبريجنيف في مايو ١٩٧٢ وكان من نتائجها الاتفاق على المعاهدة الأولى للحد من الأسلحة الذرية . وأعقب ذلك في السنة التي تليها في يونيو ١٩٧٣ لقاء نيكسون وبريجنيف في واشنطن وهي القمة التي وضعت فيها معاهدة الانفراج الدولي . وفي يونيو ويوليو ١٩٧٤ تم لقاءان بين نيكسون وبريجنيف أيضاً في موسكو ويالطا وكانت المحادثات تدور حول الحد من الأسلحة الذرية ، وفي نفس العام في نوفمبر عقدت قمة أخرى في فلاديفستـــك في الاتحاد السوفيتي - وبعد خروج نيكسون من الحكم في الولايات المتحدة - وكانت بين جيرالد فورد وبريجنيف . ثم جاءت القمة الحادية عشرة بين جيمي كارتر وبريجنيف في فيينا في يونيو ١٩٧٩ . وأخيراً قمة « مدفأة النار » في جنيف بين ريجان وجورباتشيف في نوفمبر الماضي .

قمة "مدفأة النار"

□ لم يتابع العالم قمة من قمم اجتماع الزعماء الكبار كما تابعها في اجتماعات جنيف الأخيرة ، والتي أعادت الى البعض ذكرى روح جنيف المتفائلة قبل ثلاثين سنة على وجه التقريب (قمة يوليو ١٩٥٥) .

فقد كانت هذه القمة - كما كانت قمة جنيف الأولى - قد عقدت دون وجود أزمة حادة يراد حلها بشكل سريع ، بل كانت لاستطلاع آفاق سلام ممتد بعد قطيعة طويلة ، وفي أجواء توازن دولي .

لقد استمر اللقاء بين الجانبين في محادثات طويلة الى ما يقارب الخمس عشرة ساعة ، كان من بينها ستة اجتماعات خاصة لم يرافق الزعيمين فيهما غير المترجمين المعتمدين ، وبلغ مجموع ساعاتها خمس ساعات . أي أن ثلث وقت الاجتماع قد قضاه الزعيمان يتحدثان الى بعضهما بعضاً دون جدول أعمال مسبق .

سبق هذا الاجتماع في جنيف حملات اعلامية متبادلة أحيط فيها ميخائيل جورباتشيف بهالة الرجل القوي ذي المظهر الممتاز الذي استطاع أن يشق طريقه الى



قمة السلطة في بلاده ، في وجه مزاحمة حادة وفي سن صغيرة نسبياً ، بنجاح غير مسبوق ، مستنداً الى فهم واسع لمشكلات العالم ، تسبقه تصريحاته للصحافة الأمريكية التي لم تخف إعجابها الشديد بطريقته في معالجته لمشكلات بلاده الاقتصادية والسياسية ، مشيدة بمرونته وصدق نواياه . كما أن رونالد ريجان نفسه - الذي كان البعض يتخوف من أن غريمه سوف يسيطر عليه وهو بمعزل عن مستشاريه وبرغم تقدمه في السن ، وانصراف اهتمامه الى تصفح القضايا الشاملة دون تفاصيلها - استطاع أن يشن حملة اعلامية مضادة مظهراً التشدد في كل القضايا المحتمل طرحها للنقاش .

وبعد يومين من المناقشات والاجتماعات أسفر الاتفاق بينهما - في حدود ضيقة - عن اتفاقية مكتوبة للتبادل الثقافي وتصريح للصحافة قالا فيه : اننا أصبحنا على درجة من الفهم المتبادل أكثر مما كنا في السابق !

ولكن هذا ما ظهر على السطح أما ما ترسب في الأعماق فقد ظهرت منه مؤشرات قليلة سوف يتلاحق ظهورها على مر الأيام ، فإن لم يكن أحد يستطيع أن يقفز على ظله ، فلا بد اذن من التعايش مع هذا الظل وللتقفز على ظل الآخرين !!

الرجلان فقط ريجان وجورباتشيف ومعهما مترجمان مؤتمنان . . هؤلاء الأربعة فقط يعرفون على وجه الدقة كيف سارت الأمور وما على الجميع - قريبين وبعيدين - الا قراءة النتائج التي تظهر شيئاً فشيئاً ، وكل ما نعرفه الآن ليس سوى تلك التفاصيل الظاهرة لما سوف يكشفه التاريخ في وقت لاحق عن قمة مدفأة النار في جنيف .

القضايا المرئية

☐ ثلاث قضايا رئيسية دار حولها النقاش ، وربما صار اليها اتفاق اذا وضعت بين أيدي الخبراء في أوقات لاحقة ، تلك القضايا في خطوطها العريضة هي : سباق التسلح وخاصة تسليح الفضاء الخارجي (المبادرة الدفاعية الاستراتيجية) أو ما يسمى

شعبيا « بحرب النجوم » ، ثم موضوع حقوق الانسان ، وأخيراً الصراعات في العالم الثالث - التي يقف كل من الطرفين حيالها إما مؤيداً وإما معارضاً .

ومن الملفت للنظر أن القضية الأولى (سباق التسلح) والقضية الثانية (حقوق الانسان) هما القضيتان الأسهل معالجة رغم كل الضجة الاعلامية والتهويل حولها .

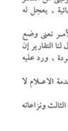
فالقضية الأولى « سباق التسلح » خاضعة لحقيقة عرفها الطرفان منذ مدة طويلة وعلى وجه التحديد منذ اغسطس ١٩٤٩ ، عندما فجر الاتحاد السوفيتي أول قنبلة نووية ، وامتلك بذلك التوازن الاستراتيجي . عندها أصبحت القضية قضية كمّ أكثر منها قضية كيف ، فقد حكمت العلاقة بين القوتين حقيقة انه لا الاتحاد السوفيتي ولا الولايات المتحدة يستطيع أي منهما مهاجمة الاخر دون أن يواجه البادىء بالعدوان انتقاما مؤثرا ، كما أن أيا منهما لا يملك القدرة على توجيه الضربة الاولى وأن يأمن دمار الضربة المضادة .

تلك الحقيقة هي التي جعلت لقاء القوتين ممكنا وأصبحت محاولة الوصول الى اتفاق بهذا الشأن هي الشغل الشاغل لكلتيهما .

المبادرة الدفاعية الاستراتيجية الامريكية أو « حرب النجوم » وفكرتها هي الوصول الى قدرة تحطيم أية قوة معادية هجومية وهي في الفضاء قبل وصولها الى هدفها ، وبالتالي ابعاد تأثيرها عن أهدافها الأرضية ، هي بمثابة مظلة فضائية لحماية الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من البلايين من الدولارات التي سوف تنفق على هذا البرنامج شبه الخيالي فإن الاتحاد السوفيتي الذي يتخوف في الأساس من الدخول من جديد في سباق تسلح باهظ التكاليف ، قد قدم اقتراحه الذي درس في القمة الأخيرة ، وهو انه في مقابل وقف مبادرة الدفاع الاستراتيجية (برنامج حرب النجوم) يجرى خفض خمسين بالمائة من المخزون النووي الاستراتيجي . وفي حقيقة الأمر فإن الموضوع المعروض هو تخفيض امكانية تدمير العالم عشرين مرة الى عشر مرات فقط !

أي أن القوة على التدمير ستبقى كبيرة ، والمطلوب فقط هو الاكتفاء بما أهدر حتى الآن من ميزانية القوتين وتوجيه الجهود للانماء .

ساسة الولايات المتحدة لهم رأي آخر ، فهم أولا مقتنعون بنجاح برنامج « حرب النجوم » ، وهم فوق ذلك يعتقدون أن تمكين الاتحاد السوفيتي من النمو الاقتصادي وتحويل مبالغ أكبر من ميزانيات السلاح الى الميزانية الاغاثية ، يعجل له بقدرة اقتصادية أكبر !



أما القضية الثانية (قضية حقوق الانسان) فهي في حقيقة الأمر تعني وضع اليهود السوفيت وتمكينهم من الهجرة الى الغرب أو الى اسرائيل . تقول لنا التقارير إن رونالد ريجان قد ذكر ذلك لميخائيل جورباتشيف في أحد لقاءاتهما المنفردة ، ورد عليه الأخير بأن حقوق الانسان في أمريكا مازالت بحاجة الى عناية أكبر .

وهكذا انتهت القضية الى أن تصير مجرد استعراض شفوي لخدمة الاعلام لا أكثر .

ولكن بيت القصيد انما هو في القضية الثالثة وهي حروب العالم الثالث ونزاعاته والتي ليست ببعيدة عنا نحن العرب .

التجارب السابقة

□ حتى نعرف كيف ستسير الأمور في اطار النزاعات في العالم الثالث ، لا بد أن نعرف كيف سارت الأمور في المنازعات السابقة .

قضية برلين مثلا ، التي عقد حولها ثلاثة لقاءات قمة ، وكانت قاب قوسين أو أدنى من التفجر ، حلّت عن طريق ترك الشرق يسور برلين الشرقية مع ترك برلين الغربية مفتوحة على المانيا الغربية ثم يأتي فيلي برانت بمبادرته السياسية « الاتجاه الى الشرق » (أوست بوليتك) في الستينيات وبداية السبعينيات ، لتخمد الجذوة من بعد ذلك وتتحول بؤر الصراع الى أماكن أخرى . وهذا السيناريو بشيء من الاختلاف ، ينطبق على مناطق صراع سابقة مثل كوريا ، وفيتنام ، وانجولا ، وكمبوديا .

في معظم هذه المناطق الساخنة السابقة والتي كان يبدو لأول وهلة أن مشكلاتها غير قابلة للحل ، حلّت بشكل أو بآخر من خلال استخدام المناصر النشيطة المحلية عن طريق السياسة أو عن طريق السلاح .

ولكن الحقيقة الأخرى البادية للعيان هي أن الخلاف بين القوتين ظهر أكثر ما يكون بروزا في مناطق العالم التي تسمى بالعالم الثالث ، هذه الدول وشعوبها قدمت عددا من الضحايا في حروبها المحلية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، يعتقد المراقبون أنه يفوق عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية .

ففي الأربعين سنة الماضية بين ١٩٤٥ والعام الذي ودعناه قبل أيام شهد العالم حوالى مائة وعشرين حربا محدودة معظمها فيما بين الدول النامية أو على أرضها ، وحتى اذا كانت الأرقام المعلنة غير دقيقة فاننا نتحدث هنا عن عشرات الملايين من الضحايا في مناطق مختلفة من العالم ، هذه الحروب والمنازعات أضرمتها أو شجعتها بلاد مثل الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل ، او كانت حروبا اهلية أو مقاومة شعبية كانت نتيجة لتدخل دولة كبيرة مثل الاتحاد السوفيتي كما في افغانستان اليوم . هذه الحروب بمجملها استخدمت فيها جميع المعدات الحديثة للحرب ، ومن جرائها سقط ملايين القتلى والجرحى - وحتى السلاح النووي فقد هدد باستخدامه تكتيكيا من قبل كل من اسرائيل وجنوب افريقيا في وقت من الأوقات .

والمشكلة أن الأطراف المتداخلة في هذا النزاع تبرر هذا التدخل تبريرا أيديولوجيا وهو في حقيقته تسابق على اكتساب المواقع في العالم الثالث .

تبريرات التدخل

□ ستظل الاتهامات بالتدخل في منازعات العالم الثالث متبادلة بين القوتين الامريكية والسوفيتية ، كل تتهم الأخرى بالتوسع وبسط نفوذها على دول العالم الثالث ، ساحة الصراع الحقيقي ومجال المناورة وتحقيق الانتصارات أو الهزائم ، ولعل الساحة الاعلامية قد شهدت أهمية هذا النوع من الصراع ، فقد صدرت في العامين السابقين مجموعة كتب من الجانبين تدلل على أن هذا التدخل أو ذاك في العالم الثالث مدفوع من هذه القوة أو تلك .

وفي كتابين صدرا أخيرا - من جملة كتب كثيرة - أحدهما سوفيتي ألفه الكاتب السوفيتي ف . أ . كريمنيوك وعنوانه « أمريكا وحركات التحرر الوطني (١٩٨٣) » . والآخر بعنوان « الاتحاد السوفيتي وصراعات العالم (١٩٧٤) » من تأليف بروس بورتر ، يدلل الكاتبان على اشتداد حدة الاتهامات من جهة وتبرير

التدخلات من جهة أخرى .

منذ ١٩٤٥ وحتى اليوم شهدت استراتيجية القوتين العظميين في العالم ، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، تواجدا متصاعدا على أراضي العالم الثالث وأقطاره ، فالقاعدة الايديولجية التي ينطلق منها الاتحاد السوفيتي في مساعداته للعالم الثالث هي أفكار لينين قائد ثورة البولشفيك المنتصرة في ١٩١٧ ومؤسس الدولة السوفيتية الحديثة . وقبل أشهر من انتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ أصدر لينين مؤلفا غدا مشهورا بعد ذلك بعنوان « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » أضاف فيه لينين اضافات أخرى الى نظرية كارل ماركس حول تطور الرأسمالية وذكر فيه أن الاحتكارات الضخمة التي تسيطر على النظام الاقتصادي الرأسمالي ستدفع بالدول الرأسمالية الى البحث عن مناطق جديدة لتكون منافذ للاستعمار والربح ، وأن هذه (الامبريالية) يمكن أن تؤجل الى حد ما سقوط النموذج الرأسمالي في الانتاج من خلال التدفق الاقتصادي الجديد من تلك المستعمرات والذي يؤخر بدوره انتشار حدة الصراع بين الطبقات المختلفة في تلك الدول الرأسمالية ، لذلك فاذا كان من الصعب مواجهة الامبريالية في عقر دارها فلماذا لا نواجهها في مستعمراتها الجديدة ؟ !

على هذه القاعدة الايديولجية سارت الدولة السوفيتية خاصة بعد أن أيدت بعض الحوادث التاريخية صحة المقولة ، فقد فشلت بين ١٩١٩ و ١٩٢٤ مجموعة من الانتفاضات الاشتراكية العمالية في مناطق مختلفة من أوروبا ، لأنها دول كبيرة وقوية نسبيا .

الدولة السوفيتية الوليدة نشطت في البداية في محاولة الالتفاف على (الامبريالية) المتوسعة بتشجيع الحركات الثورية المعادية للتوسع الاستعماري ، وكانت الخطوات الاولى هي تسليح كمال أتاتورك بعد معاهدة مارس ١٩٢١ بينه وبين الاتحاد السوفيتي ثم تلا ذلك الدعم الذي أعطي لحركة الصين الوطنية (صن يات صن) بين ١٩٢٣ - ١٩٢٧ . الا أن هذا الخط الايديولوجي لم يتطور بل انتكس أثناء حكم جوزيف ستالين في الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن ، وقد عكس ستالين القاعدة بعد أن شهد الدعم السوفيتي لبعض الحركات الثورية انتكاسات متعددة كما حدث على سبيل المثال في اسبانيا ابان الحرب الاهلية ونتيجة أيضا لانشغاله في برنامج اقتصادي داخلي للتطوير ، ظهر جوزف ستالين في تلك الفترة بوجهة نظر تقول « إن العالم يتكون من معسكرين فقط : المعسكر الاشتراكي والمعسكر الامبريالي ، وان الدول حديثة الاستقلال في العالم الثالث ليست سوى « مخلب قط » للاستعمار وأن قادتها البرجوازيين هم أعداء لحركة التحرر ولا يستحقون دعم الاتحاد السوفيتي !

هذه السياسة أدت الى تضييق حركة الاتحاد السوفيتي في دول العالم الثالث حتى دخوله الحرب العالمية الثانية .



بعد الحرب - وخاصة بعد انتصارات الحزب الشيوعي في الصين ١٩٤٩ والتي أشعلت بدورها سلسلة من الحركات الوطنية في جنوب شرق آسيا - رجع الاتحاد السوفيتي الى مقولة لينين من جديد حول زيادة التناقض لدى الامبريالية عن طريق تقليص ممتلكاتها في الخارج .

ولكن أضيف الى تلك المقولة بعد آخر هو أن الاستغلال الامبريالي لهذه الدول في العالم الثالث زاد من حدة الصراع الاقتصادي والاجتماعي في مجتمعاتها ، وبالتالي فإنه من الطبيعي أن تطلب الانعتاق من هذه التبعية ، وما الاتحاد السوفيتي الا صديق ومعاون لتلك الشعوب ، وهي الفكرة تقريبا التي قيل إن جوور باتشيف قد استخدمها في رده على ريجان عندما أثار الاخير موضوع تدخل الاتحاد السوفيتي في مناطق الصراع الحديثة ، خاصة أمريكا الوسطى وأفغانستان . لقد ذكر أن جورباتشيف قال ان مشكلة العالم الثالث ليست في تدخل الاتحاد السوفيتي في شؤونه ، فهناك قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية خلف ما يجري هناك ، ومن يرى أن يد موسكو خلف المشكلات الاقليمية فإن هذا الرأي غير مسئول ، ومن الطبيعي أن يوصف أصحاب هذا الرأي بتهمة الغباء !!

أطروحات الولايات المتحدة

□ ومنذ منتصف الخمسينيات أصبحت قوى التحرر في العالم الثالث قوى جديدة محبة للسلام ، وتبع ذلك ظهور فكرة الحياد لدى تلك الدول بين المعسكرين الشرقي والغربي . ومنذ ذلك الوقت فإن مناطق النزاع تتغير ، ولكن القوى الفاعلة هي هي ، ولعل قمة التصعيد كانت حرب فيتنام التي منيت فيها الولايات المتحدة بهزيمة منكرة أجبرتها على التراجع وتغيير تكتيكاتها بشكل جذري .

وعلى قاعدة أيديولوجية مشابهة سارت الولايات المتحدة ، فهي حتى الحرب العالمية الاولى في ركن قصي من العالم ، وكانت اهتمامات قيادتها في ذلك الوقت لاتتعدى القارة الاوروبية منبع المهاجرين الامريكان على أقصى حد ، كما أن نقاط ولسون الأربع عشرة ابان الحرب الاولى كانت تدعو لتقرير المصير وتحرير المستعمرات وأصبح لها صدى ايجابي لدى كثير من زعماء العالم الثالث ، الا أن الحرب العالمية الثانية وبعد التوسع الشديد الذي شهدته المؤسسة العسكرية الأمريكية تهيأ لأمريكا دور جديد في العالم ، فقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها انعاش أوروبا التي خرجت من الحرب شبه خربة عن طريقين : اقتصادي وعسكري ، فبجانب التزام الولايات المتحدة بحلفائها في حلف شمال الأطلسي أصبح لها حتى الآن أكثر من خمسين التزاما لمساعدة حلفاء مختلفين بين أنحاء العالم ، بعض هذه الالتزامات مات ميتة طبيعية (كما في حلف بغداد) وبعضها مازال قائما ، وكان « النضال ضد الخطر الشيوعي » هو القاعدة الايديولجية المشتركة لكل تلك الالتزامات . نظرت الولايات المتحدة بعد الحرب الى كثير من حركات التحرر الوطني في العالم الثالث على أنها ثورات تخريبية - خاصة تلك التي تعتبرها أمريكا ثورات متطرفة . ونجد أن جون فوستر دلاس - أحد أشهر وزراء الخارجية الامريكان في الخمسينيات (٥٣ - ٦١) وحتى قبل تعيينه في وزارة الخارجية عام ١٩٥٣ - أعد مذكرة خاصة للحكومة الامريكية ومجلس الشيوخ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٠) وقد أوصى في تلك المذكرة بالنظر الى جميع الأحداث (الثورية) دون استثناء بما في ذلك حركات التحرر الشعبية سواء في بلدان أوروبا أو الصين أو جنوب شرق آسيا أو أفريقيا على أنها (فصول في برنامج أعمال التخريب المستقل الذي توجهه موسكو) . وكان هذا التحول ابتعادا عن أطروحات الولايات المتحدة الليبرالية فيما بين الحربين ، التي كانت تدعو الى الغاء الاستعمار ، وعلى أقل

تقدير كانت تقف موقفا ترقبيا من حركات التحرير الوطنية ، هذا الموقف الترقبي تحول الى معاد ابان حكم ايزنهاور ـ دلاس ، والاستثناء الوحيد هو موقف الولايات المتحدة من الاعتداء الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ ، أما بعد ذلك فقد أعيدت الأمور الى سيرتها الأولى .

من الاستجابة المرنة إلى حرب النجوم

□ وفي بداية الستينيات عندما وصل جون كيندي الى سدة الرئاسة الاولى في الولايات المتحدة وشهد نتائج السياسة الخاطئة في الدعم المتواصل للأنظمة المتسلطة في العالم الثالث ، وان تلك السياسة تعود على الولايات المتحدة بالخسران قرر اعادة النظر في العلاقات القائمة مع البلدان المتحررة وعدم مساواة حركات التحرر في المستعمرات في العالم الثالث مع « الدول الاشتراكية » فتلك (غلطة سياسية كبيرة) . يمكن أن يدفع بتلك الحركات التحررية الى (احضان الشيوعية) ، وحلت في حكم كيندي سياسة « دعم التطور » بدلا من سياسة « دعم الأمن » التي تبناها جون فوستر دلاس سابقا من منظور « الهراوة الغليظة » .

وقد وضع كيندي برنامجا نشيطا لدعم السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة ، لهذا الغرض أعيد تنظيم نشاط وكالة الاعلام الامريكية (USIA) وتزايد استخدام الذراع الاقتصادي وتوسيع برامج المواد الغذائية ، ولم تكن الآلة العسكرية بعيدة عن اطار هذا البرنامج فأعلن البرنامج العسكري (الاستجابة المرنة) ويعني عدم التدخل العسكري المباشر ، ولكن المرن غير الملحوظ ، وقد كان درس الفشل في كوبا هو أحد الدوافع لكيندي لوضع ذاك البرنامج .

مقتل كيندي المبكر ووصول جونسون الى الرئاسة والتطورات العالمية الأخرى جعل جونسون يفرط في استخدام برنامج (الاستجابة المرنة) ثم تحول هذا البرنامج الى « تدخل شامل » منذ منتصف الستينيات ، الامر الذي أدخل الولايات المتحدة ـ وبعض حلفائها ـ في نزاع مسلح وبشكل مباشر على أرض بلد من بلدان العالم الثالث « فيتنام » ، وكان المشهد المركزي لسياسة الولايات المتحدة طوال عقد كامل (٦٥ ـ ١٩٧٥) هو مشهد الجندي الامريكي في فيتنام .

هزيمة أمريكا في فيتنام هي مفصل مركزي جعلت الولايات المتحدة تعيد النظر في التنافس التاريخي للنظامين العالميين ومن هنا شهد العالم لقاءات مكثفة على مستوى القمة (بين ٧٢ ـ ٧٤ أربعة لقاءات قمة) وأعلنت سياسة « الانفراج الدولي » . الا أن هذا الانفراج لم يلبث أن شهد حملة ضده ـ وزعم مناهضو الانفراج في الولايات المتحدة أن السوفيت استخدموا الانفراج للتدخل في شؤون البلدان المتحررة حديثا في العالم الثالث ـ فهو ـ أي الانفراج ـ كما وصفه أحد الكتاب الأمريكان (شارع ذو اتجاه واحد يسمح للاتحاد السوفيتي بتحقيق أهدافه في الدول المتحررة حديثا دون التخوف من ردة فعل جوابية من الولايات المتحدة) . عقدة فيتنام هي التي حكمت هذه الفترة ـ خوفا من التدخل الامريكي المباشر ـ استبدل بها مبدأ نيكسون القائل بدعم قوي للحلفاء الاقليميين المحليين ثم جاء بعد ذلك تشكيل قوات « الانتشار السريع » التي قال بها كارتر سنة ١٩٧٧ .



وجاءت أحداث أفغانستان (ديسمبر ٦٩ - يناير ١٩٨٠) لتوقف قطار الانفراج ورفض الكونجرس التوقيع على المعاهدة الثانية للحد من الأسلحة النووية الموقعة بين كارتر وبريجنيف في فيينا يونيو ١٩٧٩ ، وقاطعت الولايات المتحدة الألعاب الاولمبية التي أقيمت في موسكو صيف ١٩٨٠ ، وقبل ذلك بقليل أقامت علاقات مع الصين وقررت تزويدها بصفقات من الاسلحة الامريكية كما تصاعدت الحرب الكلامية والضغوط المختلفة حتى وصل ريجان الى السلطة في الولايات المتحدة بسياساته الجديدة التي أدخلت العالم في مفاهيم عسكرية وسياسية جديدة سُمِّيَ بعض منها « بحرب النجوم » و « ارهاب الارهاب » . وانطبقت على ذلك الى حد لا يصدق كلمة الفيلسوف الامريكي ب . اندروس عندما كتب : (عندما يبدأ مجتمع بالشعور بأنه منهك بسبب بعض النذر الشريرة . . سيظهر شخص بنظرة زائغة في العيون اللامعة ويقول ها هو المخرج ! وسيتبعه العديد منا طالما انه يخيل لنا أنه يعرف الى أين يسير) .

يبدو أن البحث عن بطل لإزالة آثار هزيمة فيتنام قد وجده الأمريكيون في شخص رونالد ريجان الذي انتخبوه مرتين والذي جعل أحد دهاة السياسة الامريكية المعاصرين وهو كيسنجر يصفه بالقول : (انه ليس مفكرا ولكن من جهة أخرى نراه يسيطر على كل عملية سياسية شارك فيها ، وغالبا ما يقدم مقترحات غير مرضية من الناحية العملية ، ولكن غالبا ما يتضح ان هذه المقترحات صحيحة !) .

ماذا نحن فاعلون؟

□ من أي منظور ننظر في علاقاتنا - نحن العرب - بالقوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، فإن مصالحنا ليست بالضرورة هي من أولويات أعمال الجبارين ، والصراع الذي خلفه خروج الاستعمار من آسيا وأفريقيا والشرق الاوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية برز الى الوجود بعد ظهور الدول الصغيرة والضعيفة التي فتحت شهية التوسع الاستعماري ، وكان أفظع أشكال التوسع هو التوسع الاستيطاني في فلسطين .

كما أنه من غير المنطقي ألا نهتم بالعلاقات بين القوتين العظميين لأن موقفهما يؤثر بدرجة كبيرة على الموقف العام في العالم ، وعلى تطور العلاقات الدولية اجمالا ونحن جزء من هذا العالم .

الموقف الصحيح هو أن نعرف بالضبط أن حلول مشكلاتنا يكمن فينا أولا ، في رغبتنا وقدرتنا على رص صفوفنا ، وعلى فهم صحيح لرغبة شعبنا العربي الذي رفض في السابق ، ويرفض في الوقت الحالي ، أن يقع تحت أي من النفوذين خارج علاقات التعامل المتكافىء . واذا كنا كعرب نريد أن نسهم اسهاما حقيقيا في سنة السلام هذه . . فلا بد أن نبدأ بأنفسنا . . قبل كل شيء . □

محمد الرميحي

مؤتمر دولي للمسيحيين الصهاينة أيضاً .. !

بقلم : يوسف الحسن
- واشنطن -

فى المؤتمر الأول للحركة الصهيونية المنعقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وصل القس البروتستانتى (وليام هشلر) الى قاعة المؤتمر بصحبة هيرتزل . وهتف بحياة الزعيم الصهيونى المؤسس قائلا « يحيا الملك » ، وخطب فى المؤتمرين مطالبا بأن « استفيقوا يا أبناء اسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة الى وطنكم القديم فى فلسطين » .

كان القس هشلر من أوائل دعاة الصهيونية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وجمع الأموال لمساعدة اليهود على الاستيطان فى فلسطين ، وألقى المواعظ الدينية المسيحية . وكان أول من قدم الى هيرتزل « خريطة فلسطين داود وسليمان الموعودة بحدودها من الفرات الى النيل » .

وبعد ٨٨ عاما . . . وفى نفس المدينة بازل ، وفى نفس القاعة ، انعقد فى أواخر أغسطس ١٩٨٥ أول مؤتمر صهيونى مسيحى دولى ، ضم أكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكر مسيحى . وقد هتفوا بحياة اسرائيل الكبرى ، وصلوا من أجل « عاصمتها الموحدة الأبدية » . . . القدس . وقرروا الانتشار فى الأرض - تنظيما وحركة وفكرا - لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيونى . . . . ومن أجل « ارضاء الرب » أيضا . !

شيء من التاريخ

قلة من المتصدرين للعمل العربى العام وخصوصا العمل الفكرى منه يعرفون أن أول من رفع الشعار القائل عن فلسطين «إنها ارض بلا شعب . . لشعب

بلا أرض » هم قيادات مسيحية أصولية أوروبية وأمريكية ، وكان ذلك قبل بلوغ هيرتزل نفسه سن الرشد . وأن أول جماعة ضغط (لوبى) صهيونية بهدف دعم اقامة دولة لليهود فى فلسطين قد أسسها كنسيون أصوليون فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٧ ، بزعامة القس (وليام بلاكستون) ، حينما أنشأ فى شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن اسرائيل) ، ودعا لأول مؤتمر دولى لمناقشة (أوضاع الاسرائيليين ومطالبهم فى فلسطين كوطن تاريخى لهم) . وقدم لهيرتزل نسخة من (العهد القديم) واضعا خطوطا وعلامات تحت النصوص التى تشير الى استعادة فلسطين ، ولقد حفظت هذه النسخة فى ضريح هيرتزل بالقدس .

لقد استمدت الصهيونية مقوماتها منذ نشوئها حتى الآن من مصادر متنوعة يهودية وغير يهودية ، وجمعت بين بواعث عديدة : **سياسية**، واستراتيجية ، وعنصرية ، واستعمارية ، ودينية . . . الخ . ولقد كتب الكثير حول هذه المقومات والبواعث ، لكن ميدانا هاما من الصهيونية ظل غائبا ومجهولا ، ألا وهو دور فكر ومؤسسات الأصولية المسيحية (أو ما تسميها بعض المدارس الكنسية الأمريكية بالصهيونية المسيحية) فى فتح الطريق وتمهيد الجو النفسى والفكرى الملائمين لولادة الحركة الصهيونية ، ودعمها فى تنفيذ مشروعها وحمايته ، ودعم تحقيقه وتوسيعه وهيمنته ، بالاضافة الى تعميق النزعة المتحيزة « لاسرائيل » لدى بعض شعوب أوروبا وأمريكا ، التى تجاوزت المسائل السياسية والاستراتيجية ، لتصبح « التزاما اخلاقيا وروحيا وثقافيا » . والتى تدفع بالعقل الثقافى الشعبى وأحيانا الرسمى ـ وخصوصا فى الساحة الامريكية ـ لأن يتحدث عن « اسرائيل » المعاصرة ، على أنها « اسرائيل » العهد القديم وبعبارات دينية سياسية ، وأن يؤمن بتشابه تجربة مطاردة مهاجرى الغرب لهنود أمريكا الحمر ، مع تجربة مطاردة اليهود للكنعانيين فى الماضى وللفلسطينيين فى الحاضر ، لتصبح هاتان التجربتان فلسفة وقناعة أمريكية ـ اسرائيلية مشتركة . وأن يعتبر المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة « ليست غير شرعية » .

فالاستيطان تجربة مشتركة أنتجت وجدانا أمريكيا اسرائيليا واحدا .

الصهيونية أنشودة مسيحية

ولم يكن (كينين) أحد أبرز القيادات الصهيونية اليهودية الأمريكية المعاصرة مبالغا حينما كتب فى كتابه (خط الدفاع الاسرائيلى) يقول :ـ **كانت الصهيونية أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية** » ، وقد استمرت هذه الأنشودة الأصولية المسيحية طوال القرون الثلاثة الماضية ، وتجسدت بأشكال مختلفة ، كان من أبرزها مرحلة « تهويد » المسيحية البروتستانتية فى أوروبا ، حيث فسر الأصلاحيون الحرفيون مسألة ذهاب اليهود الى فلسطين بعد النفى ، الواردة فى التعاليم الأولى للكنيسة ، على أنها « عودة اليهود كأمة الى أرض فلسطين من أجل التحضير « **للعودة الثانية** للمسيح » .

كما ساعد كثيرا فى منتصف القرن السابع عشر ، وخصوصا فى عهد كروموبل ، الاتجاه العام الذى ساد فيه المذهب البيوريتانى والمتعلق **بفكرة «اعادة** فلسطين لأسلافها العبرانيين » وذهب البعض الى اعتبار أن « العبرية » هى اللغة الملائمة للصلاة فى الكنائس ولقراءة الكتاب المقدس .

وفى مطلع القرن التاسع عشر ظهرت مجموعات كنسية أوروبية ، تنادى « بضرورة استعادة اليهود للأرض المقدسة » وأن اليهود هم « مفتاح الخطة الالهية للعودة الثانية للمسيح **المنقذ»**. وخلقت الصلوات والمواعظ والمؤلفات جوا نفسيا ملائما فى أوروبا ، لولادة الصهيونية السياسية فى أواخر القرن التاسع عشر .

وقد كان التأثير الفكرى والدينى وخصوصا عقيدة « الحركة البروتستانتية المؤمنة بعودة المسيح » كبيرا على مستقبل الموقف البريطانى السياسى نحو الصهيونية ، واقامة دولة اليهود فى فلسطين ، حتى أن بلفور صاحب الوعد المشئوم ، وبرغم اعجابه وقناعته السياسية باقامة دولة لليهود فى فلسطين ، فإن أطروحات « شعب الله المختار » ، و « حقه فى أرض الميعاد » و « تحقيق النبوءة التوراتية بتجميع اليهود فى

دولة اسرائيل بفلسطين » كانت من أبرز معتقداته التي ورثها في طفولته ، وتربى ونشأ عليها في احدى الكنائس الانجيلية السكوتلاندية .

ويقول عنه (بيتر جرونز) في كتابه : (اسرائيل في العقل الأمريكي) : « لقد كان بلفور أكثر فهما من هيرتزل لطموحات الصهيونية » وتقول عنه ابنة أخته ومؤرخة حياته (بلانش دوغديل) : **« لقد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس »** .

الغيمة وعمود النار

ولقد انتقلت الدعوة الصهيونية المسيحية من بريطانيا الى الولايات المتحدة الأمريكية . وأسس العديد من الحركات والمؤتمرات التي أصدرت الكتب والمطبوعات التي تنشر الدعاوى الصهيونية ، وتركز على « عودة اليهود الى فلسطين » .

ويبدو أن روح الصهيونية المسيحية في أمريكا قد سبقت هذه الدعوات ، فهي موجودة منذ بدايات تأسيس الدولة الأمريكية ، فقد كانت المواعظ خلال الحرب الأهلية تشبه أمريكا « بالشعب اليهودي الذي يسعى لدخول الأرض الموعودة » . كما أن بعض المبشرين البروتستانت أعلنوا في ذلك الوقت « أن الله اختار الشعب الأمريكي كشعب مختار لقيادة العالم وتحضيره » ومن خلال هذه التعبيرات تبدو « العبرنة » واضحة ، الى الدرجة التي أدت بأن يقوم الرئيس جيفرسون باقتراح « أن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية على شكل « أبناء اسرائيل » تقودهم في النهار غيمة ، وفي الليل عمود من النار .... بدلا من النسر » . وهذ الغيمة هي السحاب الأبيض الذي ظلّل الله به قوم موسى في التيه ، ليقيهم حر الشمس كما ورد في الآية الكريمة (وظللنا عليكم الغمام) (البقره : ٥٧) كما أن الشكل الذي اقترحه الرئيس الأمريكي رمزا لأمريكا يتفق والنص الوارد في سفر الخروج الذي يقول :

« وكان الرب يسير أمامهم نهارا ، في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضيء لهم » .

وكان الرئيس ولسون مثالا لهذه الصهيونية المسيحية منذ طفولته ، فقد نشأ وترعرع في بيئة كنسية ، فجدّاه كانا من رجال الكنيسة الانجيلية المسيحية ، ورأى نفسه - من خلال خطبه العديدة - **« بأنه قد أعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبات الله بتحقيقه للبرنامج الصهيوني »** . **وكان التزامه بالصهيونية ودعمه لوعد بلفور عميقا جدا** .

وبرزت في النصف الأول من القرن العشرين العديد من المنظمات الصهيونية المسيحية ، وقد كان لها دور كبير في السياسة الخارجية الأمريكية ، وخصوصا فيما يتعلق بقضية فلسطين ، واقامة دولة لليهود فيها . ففلسطين عند التيار الأصولي المسيحي وخصوصا التيار الرئيسي البروتستانتي الأمريكي ، الذي يصل تعداده اليوم لأكثر من ٧٥ مليون نسمة هي **« الأرض المقدسة التي كانت مسرحا لأحداث العهد القديم » .... « وان إنشاء « اسرائيل » واستعادة اليهود للقدس هما اشارتان رئيسيتان لتحقيق النبوءة بنهاية الأزمنة ، وبرهانا على صلاحية وصحة التوراة »** ....

ومع مطلع السبعينيات ، واستخدام الكنيسة ومنظماتها الأصولية لوسائل الاعلام الحديثة وخصوصا الاذاعة المسموعة والتلفزة والكمبيوتر والنشرة والمنبر سجلت ولادة جديدة لحركتها ، ووصلت الى أن يكون عام ١٩٧٦ هو عامها ، كما أطلقت عليه مجلة (التايم) بادئة مرحلة نشطة منظمة ومؤثرة في الحياة السياسية الأمريكية . وقد أثر في تطوير وتنامي حركة الصهيونية الميسحية صعود مناحم بيغن الى السلطة في « اسرائيل » ، وحرصه باستمرار على استخدام التعابير التوراتية في حركته السياسية ، ونجاحه في اقامة علاقات شخصية عميقة مع قيادات الحلف المسيحي الأصولي في أمريكا ، وتحول هذا التيار الصهيوني المسيحي في الثمانينيات ليصبح أبرز وأسرع القوى الصاعدة المتنامية في الحياة السياسية الامريكية في القرن العشرين ، طارحا شعاره بأن **« الوقوف ضد « اسرائيل » هو وقوف ضد الرب »** وبمختلف وسائل التأثير على الرأى العام وصنع القرار وبقوة ، وبمقدمات فاشية خطرة ساعية لأن تكون « **تيار المستقبل** » الحاكم في الولايات المتحدة .

السفارة المسيحية الدولية

وتعتبر منظمة (السفارة المسيحية الدولية) التى نظمت مؤتمر بازل الأخير هى أكثر التنظيمات والقوى الصهيونية المسيحية المعاصرة انتشارا ونفوذا فى الساحة الدولية .

وقد ولدت هذه المنظمة فى نهاية سبتمبر ١٩٨٠ ، حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دين مسيحى ، جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة ، فى مؤتمر بمدينة القدس المحتلة ، تعبيرا عن الدور المركزى لهذه المدينة المقدسة ، في فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة . وقد جاء تأسيسها اثر رفض المجتمع الدولى لقرار الحكومة الاسرائيلية اعتبار القدس « عاصمة موحدة أبدية « لاسرائيل » وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس الى تل أبيب .

وافتتحت مكاتبها فى القسم الغربى من القدس بحضور عمدة المدينة وكبار قادة الكيان الصهيونى . وفى الوقت نفسه أعلنت عن افتتاح (قنصليات) لها فى أكثر من ٣٧ دولة فى أوروبا وآسيا وافريقيا وكندا واستراليا ، وأخذ يدير هذه المكاتب رجال دين مسيحيون متعصبون للصهيونية ، وممن يحملون مشاعر العداء تجاه المسلمين والعرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص .

وقد اتخذت السفارة ولاية كارولينا الشمالية مقرا لها ، وافتتحت فروعا لها فى عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية ، وتقوم هذه المراكز بجمع التبرعات لأسرائيل ، وعقد المؤتمرات وتسيير المظاهرات وحشدها ، وبيع المنتجات الاسرائيلية ، وتنظيم الرحلات السياحية اليها ، وممارسة الضغوط السياسية على صانعى القرار فى دول العالم لصالح « اسرائيل » ، ويؤمن أعضاء وأنصار هذه السفارة بأن « الله قد وهب أرض فلسطين لابراهيم وأبنائه من بعده » كما يعارضون بشدة فكرة ممارسة الضغوط على « اسرائيل » للانسحاب من الأرضى العربية المحتلة ، ويؤمنون بأنه « على « اسرائيل » أن تمتد من نهر الفرات الى النيل » . ويقول زعيم هذه المنظمة وهو رجل دين هولندى ان « اسرائيل » بحاجة الى الضفة الغربية وغزة لتوفير أماكن ليهود الاتحاد السوفيتى للاستيطان فيها » .

وقد حددت هذه المنظمة ـ السفارة أهدافها فى منشور أصدرته لهذه الغرض فى عام ١٩٨٠ على الشكل التالى :

١ ـ الاهتمام البالغ بالشعب اليهودى ودولة « اسرائيل » .

٢ ـ تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة ، من أجل القدس وأرض « اسرائيل » وتحريضهم لممارسة التأثير فى بلادهم لصالح « اسرائيل » .

٣ ـ انشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية فى « اسرائيل » .

صهاينة أكثر من الاسرائيليين

وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله « **اننا صهاينة أكثر من الاسرائيليين أنفسهم** » . ويدير الآن عددا من المشروعات والبرامج فى « اسرائيل » والخارج ، وتصل موازنة منظمته الى أكثر من مائة مليون دولار ، وملايين من الأتباع ، وعشرات الآلاف من الأعضاء فى جميع أنحاء العالم ، وقد نظمت هذه السفارة على مدى الأعوام الماضية مهرجانات ومسيرات حاشدة فى شوارع القدس ، احتفالا بتأسيس « اسرائيل » ، وبالأعياد الدينية الاسرائيلية مثل (عيد العريش) الذى يعتبره اليهود عيدا للحصاد . ونجحت السفارة بحشد الآلاف من رجال الدين المسيحيين للمشاركة فى هذه المهرجانات سنويا . ويحرص قادة الكيان الصهيونى على حضور هذه الاحتفالات ودعم تنظيمها وتشجيعها .

ففى احتفالات عام ١٩٨٣ التى استمرت لأكثر من أسبوع ، شارك فيها أكثر من ثلاثة آلاف مسيحى أصولى ، وتنوعت خلالها البرامج وشملت زيارات للمستوطنات ، وزراعة الأشجار ، وتلقي دروس اللغة العبرية . . . الخ ، بالاضافة الى اقامة الصلوات المسيحية التى يقول عنها زعيم هذه المنظمة فى منشور لها وزع عام ١٩٨٢ :

« ان الصلاة الحقيقية من أجل « اسرائيل » تتطلب

الدفاع عنها .... وسواء كنا نصل للقدس الموحدة تحت الحكم اليهودي ، أو من أجل الافراج عن اليهود السوفييت ، فإننا يجب أن نملك الشجاعة للتحدث بصوت عال أمام حكوماتنا ، وكل رسالة نبعث بها الى قيادات دولنا ستعود بالفائدة على الشعب الاسرائيلي » .

وفي احتفالاتها في اكتوبر ١٩٨٤ ، حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحي جاءوا من أكثر من ٥٠ دولة ، وقد تجمعوا في القدس وزاروا المستوطنات وسيروا المظاهرات تأييداً « لاسرائيل » ودعماً لها .

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٩٨٤ :

« لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء « اسرائيل » وقادتها ، وكان عنوانها « القدس كعاصمة أبدية « لاسرائيل » .... و « أقيمت الصلوات المسيحية من أجل هذا الهدف » .

فرقة أغاني صهيون

وتستخدم السفارة شبكة واسعة من أجهزة الاعلام لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها في كيفية خدمة القضايا الاسرائيلية . فهي تصدر مجلة اخبارية ربع سنوية اسمها (المراجعة) بالاضافة الى عشرات من الأوراق والنشرات والبيانات الدورية ، وانتجت فيلما صهيونيا ، وشكلت لجانا للعمل السياسي ، ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية الى صانعي القرار في عدد من دول العالم ، وصارت تدعى لجلسات الاستماع في الكونجرس الأمريكي ، وفي نفس الوقت رتبت حملات لجمع الدم دعماً لجنود « اسرائيل » اثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢ ، وأنشأت فرقة للغناء أسمتها (فرقة أغاني صهيون) وجمعت المساعدات المالية ، وشجعت بيع السندات الاسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية .

ويستشعر مسيحيو فلسطين المحتلة مدى خطورة هذه السفارة ، ففي مؤتمر صحفي عقده المطران (ايليا خوري) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (الذي أبعدته سلطات الاحتلال عام ١٩٦٩) في نوفمبر ١٩٨٤ قال :

« ان وراء قيام هذه السفارة مجموعة من المسيحيين المهووسين ، وباعتراف من القيادة الصهيونية ، وبتشجيع منها بدعاوى الحفاظ على المصالح المسيحية في فلسطين ، وانني أؤكد ان المسيحيين هم براء من هذه السفارة وعلى رأسهم المسيحيون العرب » .

ولعل أبرز نشاطات هذه **السفارة مؤخراً، ذلك** المؤتمر الدولي الذي حرصت على عقده في نفس المكان الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية في مدينة بازل بسويسرا ، وقد عقد مؤتمر بازل الجديد في ٢٧ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥ م بحضور أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية ، قدموا من ٣٧ دولة ، اضافة الى أكثر من هذا العدد من المراقبين ، حضروا من الصين والهند وسريلانكا ونيجيريا وجنوب افريقيا واليابون وساحل العاج وزائير . بخلاف ممثلين عن المنظمات الصهيونية اليهودية والمؤسسات الاسرائيلية . كما لوحظ مشاركة عدد من رجال الدين الكاثوليك الذين هاجموا موقف الفاتيكان من عدم اعترافه « باسرائيل » .

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر يوم ١٩٨٥/٨/٣١ على لسان القس (ديفيد لويس) أحد أبرز القيادات الصهيونية المسيحية الأمريكية :

« ستشهد الكنائس العالمية في المرحلة القادمة أعظم نقاش شهده العالم المسيحي » حول موقف الكنيسة من « اسرائيل » .

اعلان بازل الجديد

وقد تركزت قرارات هذا المؤتمر على عدد من القضايا الرئيسية التي أبرزها :

١ - الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولي « باسرائيل » كدولة لليهود ، ودعم عمليات تجميعهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصا من الاتحاد السوفيتي ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات الى النيل ، تحقيقا للنبوءات التوراتية .

٢ - مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية الحكومية والخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الاسرائيلية ، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات اذا ما طردت منها « اسرائيل » .

٣ ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية « لاسرائيل » ، وبالتالى نقل سفاراتها اليها .

٤ ـ ادانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٥ ـ مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .

٦ ـ تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين (يسميهم المؤتمر اللاجئون من « اسرائيل ») فى الوطن العربى ، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب فى « اسرائيل » .

٧ ـ دعم ومساندةالاقتصاد الاسرائيلى وانشاء « صندوق استثمار مسيحى دولى » لهذه الغاية مقره فى أمستردام وبرأسمال مبدئى قدره مائة مليون دولار ، ويخصص للصناعات التقنية والسياحة فى « اسرائيل » .

٨ ـ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية « لاسرائيل » .

٩ ـ تعبئة الكنائس لنصرة « اسرائيل » وانشاء تنظيمات بجذور شعبية لهذه الغاية ، ومطالبة مجلس الكنائس العالمى بالاعتراف بالرابط التوراتى بين الشعب اليهودى وأرضه الموعودة ودولته « اسرائيل » .

١٠ ـ الصلاة انتظارا للمجىء الثانى للمسيح ومملكته القادمة فى القدس .

ما العمـــــل ؟

لا بد ان يشكل انتشار الصهيونية المسيحية الأصولية ، وصعودها على المسرح السياسى والثقافى والاعلامى ، وتأثيرها فى عقل المجتمع المدنى المؤسسى الدولى بشكل عام والأمريكى بشكل خاص ، خطورة وقلقا بالغين .

فهذا التيار يشكل « **هرطقة** » دينية تسىء الى المسيحية الصحيحة ، وستؤدى الى فتح امكانيات حدوث صدام دينى فى القادم من السنين ، خصوصا مع تصاعد وتنامى الابتعاث الدينى فى الوطن العربى والعالم الاسلامى ، وانتشار الاقتتال الطائفى فى أنحاء متفرقة من العالم . وتزايد الدعم الأمريكى « لاسرائيل » وخصوصا فى استكمال مشروعاتها التهويدية وتدمير الأماكن المقدسة في القدس ، وما تلعبه المنظمات الصهيونية المسيحية من أمثال السفارة المسيحية الدولية ، ومنظمة بناء المعبد ومنظمة (الاغلبية الاخلاقية) ، وغيرها الكثير في تدعيم السياسات التوسعية والتهويدية الاسرائيلية ، وما تمارسه هذه المنظمات من استفزاز للمشاعر الوطنية والقومية والدينية للعرب والمسلمين في شوارع المدن العربية المحتلة أو في الساحة الدولية .

كل ذلك مدعاة للمتصدرين للعمل العام الرسمي والشعبي في الوطن العربي وخارجه لاقتحام هذا الميدان ، والتعامل معه والحيلولة دون استمرار استغلال الصهيونية للكنيسة سياسياً ودينياً .

ان مقترحات عديدة ومثمرة يمكن طرحها في هذا المجال ، ابتداءً من انشاء مؤسسة لحوار اسلامي ـ مسيحي دائم ، وزيارات متبادلة ، وجسور مستمرة من اللقاءات والأعمال المشتركة يلعب فيها مفكرون ورجال دين مسيحيون عرب يعون ويدركون هذه المسائل دوراً أساسياً ، وانتهاء بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة السوداء ، وبعض الطوائف البروتستانتية ، ممن ترفض « صهينة » الكنيسة المعاصرة في أوروبا وأمريكا . والوعي بهذا الميدان هو الخطوة الأولى نحو التعامل معه .

ان الصهيونية الأصولية المسيحية ليست مجرد صلوات كنسية تدعو لخدمة « اسرائيل » وسياساتها كجزء من تحقيق « رضاء الله » كما يقولون ، بل تشكل تياراً رئيسياً وبثقل شعبي لا يجوز معالجته بالتجاهل أو بالتقليل من تأثيره وقوته . فقد وصلت رسالة الصهيونية المسيحية بفعل ما ملكته وأدارته من وسائل اعلامية وخصوصا التلفزيون ، الى عقول وجيوب الملايين من الأمريكيين ، مستثمرة بفعالية عالية ما اتسمت به الثقافة الأمريكية في عصر الصناعة من صبغة « شخصية » و « تقنية » ، ونفذت الى خارج حدود الكنيسة الى التأثير في الفكر والثقافة الشعبية وسارت مع اليمين السياسي التيار الحاكم في الثمانينيات من هذا القرن وفي أقوى دولة على الأرض . ويخطيء من يعتقد أن الكنيسة في أمريكا لا دور لها ، بسبب ما يقال عن علمانية المجتمع الأمريكي . والصحيح أنها تحظى بدرجة عالية من الثقل والتأثير . □

المستشار موقف

*

بقلم : الدكتور عبدالوهاب حومد

الشخصيات العامة كانت وما زالت محل خلاف . . . مع ذلك فإن التاريخ يقول كلمته في النهاية .

هنا في هذه الأوراق جانب جزئي عن موقف شخصية عامة ، لعبت دورا كبيرا في حياة الأمة حول قضية تتعلق بحياة أو موت بعض الأفراد !

فما الذي تحتويه الأوراق ؟

حين تقرر اعلان قيام الوحدة الثنائية عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريةشعرت براحة نفسية غامرة ، لاعتبارات داخلية خاصة بأوضاع بلدنا ، ولأنني كنت على ثقة راسخة بأننا - نحن السوريين - وضعنا عبء الأمانة القومية ، على ثقله وخطورته ، فوق كتف القائد القوي ، وأرسينا الأساس المتين للصرح القومي الشامخ ، الذي طالما حلمنا بقيامه ، وعملنا له منذ أن كنا أحداثاً في المدرسة الثانوية ، نلقي بالحجارة على جنود الاحتلال الفرنسي .

واستقبلت الوحدة في المحافل الرسمية بالمشاعر الملتهبة ، كحدث جليل من أحداث التاريخ الكبرى ، كما استقبلتها الأوساط الشعبية ، على مختلف شرائحها الاجتماعية بالأهازيج والمسيرات المتفجرة ، مما لم تشهده عين على امتداد العشرينيات الى الستينيات،فقد كانت أول وحدة تتم بين قطرين عربيين على أساس من التفاوض والرضا المتبادل ، تنازلت فيها سوريا ، راضية مرضية ، عن مظاهر

* وزير العدل في وزارة الوحدة ، استاذ ورئيس قسم القانون الجنائي في جامعات دمشق والرباط والكويت ما بين ١٩٤٦ - ١٩٨٣ .

الدولة ، لتصبح الشقيق الأصغر في الدولة الكبرى ، المتشامخة .

وبقيام هذه الوحدة ، برئاسة الرئيس عبدالناصر ، تنامت هيبة القائد الخالد في المصطرع العالمي ، وأدرك العدو الصهيوني أنه أصبح بين فكي كماشة ، قادرة على أن تطبق عليه ذات يوم ، من الشمال والجنوب ، بعد أن كان يستفرد كل جهة على حدة فيوجعها ويثخنها جراحا ، فيما تنتظر الجبهات الأخرى دورها .

ومن حق التاريخ أن أقول ان هذه الوحدة ، اذ جاءت تلبية لنداءٍ قومي كامن في النفس العربية منذ الأزل ، فإنها ظلت حبيسة في الضمائر ، مشاعرَ جيّاشة وأمنياتٍ متوثبة . . حتى جاء عبدالناصر وأطلقها من محبسها ، فاندفعت تتدفق كالسيل العرم ، لا يقف في وجهه ، لا المؤلفةُ قلوبُهم ولا المتربصون في أوكار التآمر . . . لذلك كانت هذه الوحدة نصرا شخصيا له توج بها انتصاراته الباهرة ، في اخراج الانكليز من مصر ، وتأميم القناة ، وسحق العدوان على السويس ، وتساقط الحكومات المعادية ، من غي دى موليه في فرنسا ، الى انطوني ايدن في بريطانيا .

مظروف غامض

وفي هذه الأجواء المعبقة بالأمجاد القومية الخالدة ، دعاني مفجرُها الى تولي مقاليد وزارة العدل في دولة الوحدة الفتية . ولقد أحسست ، وأنا أقبل التكليف ، بشعور غامض من العزة بهذا التكريم الشخصي ، ولكني ، للأمانة ، شعرت أيضا بكثير من الحرج ، لأن القيادة الجديدة ستعمل بزعامة رئيس كان اسمه يَرِنُّ في أسماع الدنيا كلها ، حتى أنه اذا أراد زعزعة كيان منحرف ، كان يكفيه أن يصرح على أجنحة الأثير ، بأنه يتركه لشعبه . . ولقد عرف عبدالإله ونورى السعيد ما يعنيه هذا القول على الطبيعة .

وكنا مازلنا في أجواء النشوة الغامرة ، حين دخل علي مديرُ مكتبي ، ذاتَ صباح ، يحمل الي مظروفاً كبيراً ، أصفر اللون ، مختوما بالشمع الأحمر ، ومكتوبا عليه (سري ويفتح باليد) . .

وربما جال في خاطري ، وأنا أفتحه ، كلُّ احتمال ، الا احتمالَ ما وجدته فيه . . . . فقد كان يضم بين جانحتيه على أربعة ملفات كئيبة المنظر والمخبر ، تتضمن تصديق رئيس الجمهورية على خمسة أحكام صادرة عن القضاء السورى ، بإعدام خمسة من المجرمين . . . ولم يكن ما قرأت بالنبأ المبهج ، لأنه يعني أن علي أن أصدر الأمر الى النيابة العامة بنصب خمس مشانق في الساحات العامة ، لانتزاع أرواح خمسة من التعساء . . . . . وإنها لمهمة شاقة ، ينقبض لها الصدر ، وتضيق بها النفس ، لأن الحياة بذاتها مكرمة ، ولو كان القضاء عليها مبرراً في كتاب الله ، وبنص القانون وحكم القضاء . . وفي المساء حملت المظروف الى بيتي ، دون أن يكون أحد قد عرف بمضمونه . . . فقد علمتني أحداث الحياة ، أن من المفضل أن يتكتم المرء بعض الأمور الصعبة والدقيقة ، لعله يستطيع أن يحوِّل مجراها الى ما هو خير وأبقى .

وجلست في مكتبي المنزلية أقرأ الملفات ، في هدأة الليل . . . ومن نافلة القول ، أن أعترف بأنني لا أملك حيال هذه الحالة المفاجئة أي سلطة . فحق التصديق على أحكام الاعدام أو الامتناع عن التصديق عليها ، يعود الى رئيس الجمهورية وحده ، باعتباره المرجع الأعلى والملاذ الأخير لكل محكوم عليه بالموت ، بموجب أحكام الدستور (المادة ٧٣ من دستور ١٩٣٠ والمادة ٨١ من دستور ١٩٥٠ والمادة ١٠٥ من دستور ١٩٧٣) . وحين يستريح ضميره الى إعدام المجرم ويوقع على المرسوم ، يكون آخر باب للحياة ، قد أغلق في وجهه ، ولم يعد من حق أي مسئول أن يفعل شيئاً ، لا سيما اذا كان هذا المسئول هو الذي أوصى بإصدار هذا المرسوم . صحيح أنني لم أكُنْ ، شخصيا ، قد أوصيت بشيء ، لأن هذه الأحكام صدرت قبل قيام الوحدة ، وأُرسِلتْ الى رئاسة الجمهورية السورية إذ ذاك ، واحتفظ بها الرئيس السابق في مكتبه ، فقد كان المعروف عنه أنه كان لا يحب اتخاذ هذا النوع من القرارات بل كنت أجهل وجودها بالمرة . . . . فقد أُرسِلتْ من قِبَلِ وزراء سابقين للعدل ، غير أن من شأن الدولة أن تساس أمورها من قبل الأجهزة الثابتة ، جرياً على

قاعدة غير مألوفة ، مفادها أن ما جرى صحيحا قبلا ، يظل كذلك الى أن يلغى . . .

ثارات العائلات

ولقد استقر في روعي أن ثلاثة من الخمسة يستحقون أن يموتوا جزاء ما اقترفت أيديهم من إزهاق أرواح بريئة حرم الله قتلها الا بالحق . . . وهؤلاء قتلوا ضحاياهم في ظروف دنيئة ، بعيدة عن الحق . . . فكان اصدار الأمر الى النيابة بإعدامهم ، تنفيذا لحكم الله فيهم « ولكم في القصاص حياة » ، حدثاً عادياً . . لم ترتجف له يدي . . ومع بواكير الفجر في اليوم التالي ، اهتزت ثلاثة أجسام ، عدة هزات عنيفة ، ثم همدت ، ليلاقي أصحابها وجه ربهم يوم العرض عليه في الحياة الأخرى . .

ولكني وقعت في حيرة كبرى أمام تنفيذ الموت في المحكومين الاثنين الباقيين . . . ومصدر الحيرة طبيعة جريمتهم التي ارتكباها معا ، والظروف الشاذة التي أحاطت بإرتكابها . فهما من أسرة بينها وبين أسرة تجاورها في الحي عداوة قديمة ، من جراء تنافس موروث على الزعامة . وتعد كل أسرة بضع عشرات من شباب أشداء ، لقنوا صباح مساء ، أن الثأر حق ، مبطن بواجب . . . وأن الكرامة الجريحة ، لا تستعاد الا بدم مراق . . . . وقد حدث أن قتل واحد من الأسرة الأولى ، أحد كبراء الأسرة الثانية ، وتدخل أهل الاصلاح في الخلاف ، وحلوه صلحا ، بدية متعارف عليها . . . ولكن كان معروفا لكل ذى بصيرة أنه صلح هش ، ليس في مقدوره أن يطفىء جذوة الحقد . . . وظل الناس يترقبون بكثير من التوتر ، قتل شخص يكافىء المقتول الأول في مقامه واعتباره . . . لهذا لم يفاجأ أحد بإزهاق روح أخٍ للقاتل بعد فترة قصيرة . . وعاد المصلحون يتدخلون ـ على عادتهم ـ لاطفاء النار . . . وتم صلح جديد ، على دِيةٍ في حجم الدية التي دفعها ذووه . . . واستدعي الشهود لأداء الشهادة فأقسموا جميعا على أنهم لم يروا شيئاً ، وفصلت المحكمة في الدعوى بأدنى ما يمكن من الأضرار القانونية ، لعلها تساعد في ذلك على ترسيخ السلام . وقنع الناس بالحكم ظناً منهم أن كل جانب حصل على ترضية حفظت كفتي التوازن الزعامي متماثلتين . غير أن ولدي المقتول الثاني بيّتا أمراً في النفس ، وراحا يتربصان بوالد من قتل أباهما . . . وحين وضعه القدر ذات يوم في مرمى نيرانهما ، صاحا به ينذرانه ـ على عادة الفرسان الذين لا يقتلون غدراً ـ وفتحا عليه فوهتين من أبواب جهنم ، فمزق الرصاص جسده بإحدى عشرة رصاصة نافذة . ولكن الله كان لطيفاً به فأنقذه بفضل تقدم الجراحة الطبية . . . . وقبض على الفاعلين ، فانكرا علمهما بشيء مما حدث ، وأحيلا الى محكمة الجنايات ، بقرار اتهام محكم التعليل من قبل قاضي الاحالة . . . وحاكمتهما المحكمة على جريمتهما المنكرة ، وأدانتهما بجريمة الشروع في القتل وحكمت عليهما بالاعدام . . فطعنا بالحكم لدى محكمة النقض ، فنقضته الغرفة الجنائية من ناحيةٍ شكلية ، وأعيدت القضية إلى المحكمة التي أصدرته بتشكيلها السابق ، لأن القانون يقتضي ذلك ، وأصرت على حكمها السابق باعدامهما . وصدقت الغرفة الجنائية في محكمة النقض على هذا الحكم بإجماع أعضائها ، ورفعته النيابة العامة الى وزير العدل . ومن أسف أنه ليس في التشريع السوري ما يوجب على محكمة الموضوع أخذ رأي المفتي على غرار التشريع المصري ، ولو كان القضاء المصري لا يعتبر هذا الرأي ملزما ، ولكنه قد يرجح جانب اللين في عاطفة الرئيس قبل إصدار الحكم بالموت حين اتخاذه قراره الأخير . . كذلك ليس في قانوننا ما يوجب اصدار الأحكام بالإعدام بإجماع أعضاء المحكمة ، وهذه ضمانة اخرى وأن كانت موضع نظر ، الا أنها قد تكون مفيدة في بعض الحالات [1] .

لم تأخذه العزة بالاثم !

ولكن القانون يشترط عرض الحكم على لجنة من القضاة في وزارة العدل ، مؤلفة من خمسة قضاة من المرتبة الأولى يعينون بمرسوم (المادة/ ٤٥٩/ أصول جزائية) ، لتبدي رأيها فيه قبل أن يرفع الى مكتب

(١) المادة/ ٣٨١/ من مجموعة الاجراءات الجنائية ، المعدلة بالقانون رقم/ ١٠٧/ لسنة ١٩٦٢ التي تشترط الاجماع .

الرئيس . كذلك فإن مكتب الرئيس يضم مستشارين قانونيين يعاودون دراسة هذه الأحكام الخطيرة ، وينصحون الرئيس بما انتهى اليه رأيهم . . . وتعود الكلمة الأخيرة للرئيس ، فإن شاء صدق عليه ، وإن شاء أبدل بالاعدام عقوبة أخرى ، دون أن يكون ملزماً بأي تعليل . . . ولقد اتخذ الرئيس قراره بالتصديق على الحكم ، وبذلك تكون القضية قد ختمت نهائياً - ويقضي التعامل أن يظل هذا القرار سرياً الى أن ينفذ ، رحمة بالمحكوم عليه ، وإشفاقاً على ذويه ، ومراعاة لحاجات الأمن العام . . . وبالتالي لم يعرف به أحد سواي . وظني أنه نبأ لو تسرب خارج مكتبي ، لكان للموضوع وضع أكثر صعوبة ، لأن التلكؤ في تنفيذه ، سيفسر بأنه نوع من الاعتراض غير المألوف على رأس الدولة ، وصاحب الحق . . . وقد يزين له بعض أعوانه بأنه تطاول على مقامه وعرقلة لأحكام القضاء ، بل ومساس بمبدأ فصل السلطات ، كما أن أصحاب الثأر يسهرون على متابعة أنباء التنفيذ ، بأعين يقظة ، ويحصون على المسؤولين حركاتهم وسكناتهم لارواء غليلهم . وفي مثل هذا الجو ، كان الأسهل عليّ أن أنفذ الحكم . ولكن المشكلة أنني اذا كنت مقتنعاً بسلامة الاجراءات القانونية من الناحية الشكلية ، فإني لم أكن مقتنعاً بسلامة الحكم من الناحية الموضوعية ، اي أنني إذا كنت مقتنعاً كقاضٍ للقضاة ، فإني لم أكن مقتنعاً كإنسان ، كما كانوا يقولون في مرحلة القناعة القانونية . وبقيت طوال الليل في صراع بين واجبي كمسئول وبين حقي كإنسان . . وكان أكثر ما يحز في نفسي هذا التطبيق الجامد للمساواة القانونية بين الشروع وبين الفعل الناجز ، على الرغم من أن القانون نفسه أجاز للمحكمة أن تخفض عقوبة الشروع في القتل الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، أو الى الشاقة المؤقتة مدة تتراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة ، ولكن القضاء جنح في هذه القضية الى التشبث بالعقوبة الأكثر شدة ، ربما لأنه ظن أن الشدة المتناهية تمنع اندلاع الفتن ، وتجتث جذور الشر . وكان هذا مذهباً غير صائب في ظني . أولا لأن الذي اعتديا عليه لم يمت ، ثم لأنهما في العرف المحلي موتوران يطلبان ثأراً ، ومجتمعهما ظالم ، لا يتسامح معهما في تقاعسهما عن الأخذ بثأر والدهما . . ولذلك فإنهما مجرمان من نوع خاص ، فكان من الانصاف أن يكون ظرفهما سبباً في نظرة عطف .

وثالثة الأثافي أن إعدامهما . . سيكون سبباً لاشعال نار ، سيكون وقودها الجثث والهام . . . ومن الجائز أن تستمر الأعمال الثأرية ، جيلاً بعد جيل ، حتى يرتقي المستوى الثقافي ، الى درجة يقنع فيها كل إنسان بقول الله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . وواقع الحال ينبىء بكل بلاغة ، بأن هذا اليوم ليس بقريب مع الأسف . . واتخذت قراري الذي اطمأنت اليه نفسي بالتوقف عن تنفيذ الحكم ، وبتوجيه رسالة سرية مباشرة الى الرئيس بينت له فيها رأيي ، بضعف شرعية هذا الحكم من الناحية القانونية ، وبالذيول الخطيرة التي سوف تترتب على تنفيذه ، ونصحته باعتباري مستشاره على مسائل العدل ، أن يعيد النظر في قراره ، ويبدل بهذا الحكم عقوبة حاجزة للحرية ، مهما كانت مدتها . . . ولم يمض على هذه الرسالة عشرون يوماً ، حتى أعاد الي مكتب الرئاسة الملف وفيه قرار جديد يتضمن عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بدلاً من الاعدام . . وهذا يعني أن الحياة كتبت لهما من جديد . وكنت فرحاً حقا ، لأني ساهمت في إنقاذ شخصين لا يستحقان الموت في نظري . وكنت أكثر فرحاً لأن الرئيس لم تأخذه العزة بالاثم ، فلم يصر على قراره السابق حفاظاً على هيبة موهومة . . . فرجع ، بوحي من ضميره ، الى جانب الحق والرحمة .

وحين قابلته بعد فترة ، أشار الى الموضوع إشارة أثلجت صدري ، وأقنعتني أن النصيحة البريئة تلقى الترحيب الجميل ، من أصحاب القلوب الكبيرة . . .

ولقد كان الله في عوننا ، نحن الاثنين . فقد أثبتت السنوات التالية ، أننا كنا على صواب ، فيما اجتهدنا ، فقد ساد الصلح بين الأسرتين المتناحرتين ، واستفاد المحكوم عليهما من قانوني عفو شامل ، صدرا تباعاً ، ثم أفرج عنهما لثبوت حسن سلوكهما وعادا الى ذويهما ، منهكين من سنوات ما وراء القضبان ، الا أنهما عادا مواطنين سويين . . وحتى يومنا هذا ، لا يعرفان ، ولا يعرف غيرهما ، كيف فك الله برحمته من عنقيهما حبلاً من الليف مُعار القتل . . □

حمام زاجل

شعر:
يوسف
عبدالعزيز



حائرٌ فيكَ ،
فى شغبِ الولدِ الفوضويّ
وفى سَفرِ النّسر للقممِ العالية
كيفَ بدّلتَ سترتَك البالية
بقميصٍ أنيق
وغادرتَنا
تاركاً في (الشّهرزاد) (١)
عُلبةَ التّبغِ ، والقهوةَ الساخنةَ ؟
كيفَ أسلمتَ قلبَكَ للذّئبِ ،
والشّعرَ للموجةِ الخائنة !!
انّنى حائرٌ
حائرٌ في الصّديق
حائرٌ فى الرّفيق
حائرٌ فى الذى كانَ يبكى
خرابَ الفضاء
وذبولَ الحريقْ
حائرٌ فى طعينِ الرصيفِ
وبرجِ الحمامِ
أين تمضى ؟
لقد أولموا دمنا للسّلامْ



أين تمضى ؟
الى فندقٍ فى أقاصىِ المياهِ
وما أنتَ بالسَّائحِ الأجنبى
أيُّها الولدُ الفوضوى
انتَ نصفكَ طينٌ ونصفكَ
بجزرةٌ وسهام
أنتَ من نسلِ قُبَّرةٍ فى شقوقِ
المخيَّم ،
سوفَ أعودُ الى (الجلزونِ) (٢)
وأسألُهُ :
عن فتى كانَ يجمعُ ماءَ الوطنْ
فى ثنايا النَّشيدْ
عن شبيه الدّوالي ،
وقوس الحديدْ .
عن أميرِ الصعَّاليكِ ،
عن نجمةٍ ساهرة
في ظلامِ المقاهى
وعنِ ثعلبِ حائمٍ فى الشَّوارعِ
يبحثُ عنِ خصرِ سيِّدةٍ
ويرى أنَّ أيامَهُ
دفترٌ طافحٌ بالجنون
أيُّها الولدُ الفوضوى
من تكونُ !؟
مُهرَ هذي الشّعابُ
أم طيوراً بعيدة ؟
شاعراً أم بقايا قصيدة ؟؟

---

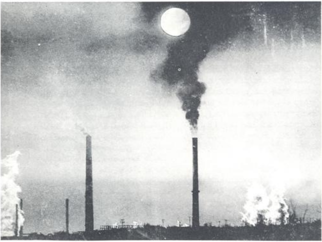
١ ـ الشهرزاد : مقهى فى مدينة عمان .
٢ ـ الجلزون : مخيم فلسطينى بالقرب من مدينة رام الله المحتلة .

تلوث البيئة ناقوس خطر جديد في العالم الثالث !

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

يبدو أن كارثة مصنع شركة يونيان كاربايد في مدينة بوبال الهندية في أواخر عام ١٩٨٤ ، التي توفي فيها أكثر من ألفي شخص ، وأصيب مائة ألف آخرين بإصابات بالغة ستكون بداية عملية مراجعة شاملة لموقف الدول النامية من قضية حماية البيئة ، التي شغلت الدول الصناعية منذ عقد الستينيات حتى الآن .

بدأ الاهتمام الملحوظ على المستوى العالمي بقضية حماية البيئة في دول الشمال الصناعية في الستينيات ، عندما ثارت مسألة الأمطار الحمضية التي سمّمت مصادر المياه العذبة في السويد وأثّرت على غاباتها ، وعندما تبين من الدراسة أن مصدر هذا التلف البيئي هو الغازات المنبعثة من مداخن المحطات والمصانع في أمريكا الشمالية ، على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي . وبهذا اكتسبت المسألة بعدا عالميا يتجاوز الحدود السياسية للدول والاعتبارات الجغرافية المحلية . ولقد سبقت هذا بسنوات قلائل ظواهر « محلية » لتدهور البيئة نتيجة أنشطة التنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية ، وعلى رأسها التصنيع المكثف والتجمعات الحضرية التي غزت الريف وغيّرت معالمه . وكان لكتاب واحد لمؤلفة أمريكية أثر درامي في إثارة اهتمام الجماهير العريضة بقضية الحفاظ على البيئة . ونتج عن هذا الاهتمام



غيوم من دخان احدى اخطار هذا الزمان .

المتزايد أن قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد مؤتمر عالمي عن البيئة في ستوكهولم في صيف عام ١٩٧٢ . وفي إطار الاعداد للمؤتمر عقدت عدة لقاءات تمهيدية في الأشهر السابقة لانعقاده . وكان من بينها اجتماع ، يعتبر الآن علامة تاريخية في تطور حركة الحفاظ على البيئة ، في مدينة فونيه بالقرب من جنيف في سويسرا . ففي هذا الاجتماع برزت فروق جوهرية بين موقف دول الشمال الصناعية من الموضوع ، وموقف الدول النامية التي ما زالت تسعى لتطوير مجتمعاتها وتحسين نوعية الحياة لمواطنيها . فقد كانت وجهة نظر هذه الأخيرة أن المشاكل التي وردت ليست مشاكل الدول الآخذة بسبيل النمو ، وأن القضية بالصورة التي تطرح بها ليست من بين أولويات اهتمامات هذه الدول ، التي ما زالت تخطو خطواتها الأولى في التصنيع . وأبرزت المناقشات وجها آخر جديدا تماما للقضية ، ركز على أهمية اتساع مفهوم البيئة ، ليشمل البيئة الاجتماعية ، إلى جانب البيئة الطبيعية . ورُفع لأول مرة الشعار القائل بأن « الفقر هو أكبر ملوث للبيئة » . وعلى هذا الفهم الجديد شاركت الدول النامية في المؤتمر بفعالية واضحة . وفي الساعات الأخيرة للمؤتمر تفجرت أزمة داخلية قادتها الصين التي كانت ترى أن انتشار الملاريا بشكل وبائي اشد خطرا وفتكا مما يمكن أن يحدثه استخدام المبيد (DDT) من آثار بيئية ضارة وأخطار صحية ، وإن أمكن في نهاية الأمر تجاوز الأزمة . وانتهى المؤتمر إلى تأسيس « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » ليُكَوِّن أول منظمة من منظمات الأمم المتحدة تتخذ من إحدى عواصم العالم الثالث ، نيروبي ، مقرا لها . وانتخب عالم عربي ، هو الدكتور مصطفى كمال طلبة ، نائبا لأول مدير تنفيذي للبرنامج ، ثم أصبح بعد سنوات قلائل مديره التنفيذي حتى يومنا هذا .

البيئة والعوامل الاجتماعية

ومع بدء نشاط البرنامج باعتباره عاملا وسيطا ، أو عنصرا حفّازا ، لمختلف أجهزة الأمم المتحدة للتعاون في الحفاظ على البيئة ، كل في مجال عمله ، تبلورت عدة مفاهيم جديدة وجرى العمل في عدد من البرامج الطموحة لمتابعة الأحوال البيئية على المستوى العالمي ، ولسعي متواصل لفهم أفضل للأخطار البيئية ، طبيعتها ومصادرها وطرق درئها . وتلاحمت الاعتبارات البيئية مع هموم العالم الثالث التنموية ، في رباعية مشهورة هي « الناس - البيئة - الموارد - التنمية » . وخلال سنوات معدودات عُقد مؤتمر الأمم المتحدة عن التصحر ، وتزامن عقده مع مأساة الجفاف في منطقة الساحل بغرب إفريقيا . وتأكدت من واقع الممارسة الفعلية صحة أخذ العوامل الاجتماعية في الاعتبار ، وصدق مقولة أن الفقر مدمر للبيئة . وبرزت أيضا مشكلة الخلل البيئي الذى نجم عن بناء السد العالي في جنوب مصر ، دون اتخاذ بقية الاجراءات الكفيلة ، بمواجهته في الوقت المناسب وبالأسلوب الأمثل . وغدا واضحا أن كثيرا من الآثار البيئية للأنشطة التنموية لا يتضح مباشرة بكل أبعاده ، وأننا لا نتقن بعد أساليب تحديدها ، وأنه عندما تكتمل الصورة في شأنها ، يكون الضرر قد وقع فعلا ، وتكون فرص تداركه قد تضاءلت كثيرا ، بينما تكون تكلفة درئها - لو كان هذا ممكنا - باهظة . وما زلنا حتى الآن نسعى لبلورة منهجيات موثوق بها لتقييم وقع الأنشطة التنموية ، والتقنيات المستحدثة بالذات ، على البيئة ، وبمعايير اقتصادية - اجتماعية متفق عليها بحد أدنى من إجماع الآراء . وبدأنا نتحدث عن « الحدود القصوى » لقدرة البيئة على استيعاب الملوثات والنفايات وتدويرها في عجلة التحولات الطبيعية ، لنعيد استخدامها لغرض أو لآخر ، وعن البديل الآخر ، ألا وهو عزل تلك المواد التي لا سبيل للبيئة باستيعابها بطرق مأمونة ، كما يجرى في حالات التخلص من النفايات النووية أو الكيماوية السامة .

مشاكل الشمال الصناعي

أما في الشمال الصناعي ، فقد تركز الاهتمام على تلوث البيئة وهدر الموارد الطبيعية المحدودة نتيجة للنشاط الصناعي المكثف ، والتطورات التقنية المتسارعة ، التي تدخل حيز التطبيق ، قبل أن نستبين بوضوح وقعها على البيئة . وتواترت أمثلة في الشرق والغرب لتجاهل الصناعات - والكيماوية بالذات - لاعتبارات حماية البيئة ، فكانت مأساة التسمم بالمعادن الثقيلة في اليابان التي هزت ضمير الشعب الياباني بقوة ، وكارثة تسرب مادة كيماوية سامة من مصنع في مدينة سيفيزو في شمال إيطاليا ، ومشكلة العطب الذى أصاب محطة الطاقة النووية في ثرى مايل أيلاند شرق الولايات المتحدة وغيرها كثير . ونشطت الحكومات في إقامة أدوات ضبط الأحوال البيئية والرقابة عليها ، وفي إصدار التشريعات التي تحدد مستويات التلوث المسموح بها وإجراءات الرقابة والعلاج . وأصبح الاستثمار في معدات درء الأخطار البيئية من أكثر الأنشطة الاقتصادية إدرارا للربح ، وزيادة في تكلفة تشييد وتشغيل المنشآت الصناعية . وكان من الطبيعي ألا يحظى هذا التوجه برضا رجال الصناعة ، الذين انتهزوا فرصة المد الرجعي في الولايات المتحدة ، مع انتخاب ريجان رئيسا ، فكادوا أن يقضوا كلية على وكالة حماية البيئة ، وإن نجحوا في تقليص نشاطها وتقليم أظافرها .

الدول النامية والبيئة الصناعية

وفي هذه الأثناء اندفعت الدول النامية ، في سعيها للتنمية المتسارعة ، إلى التصنيع كسبيل لتحقيق هذا الهدف . وحظيت المشروعات الصناعية بأولويات متقدمة في الخطط الانمائية لغالبية هذه الدول ، بينما لم تلق الاعتبارات البيئية اهتماما كبيرا في تخطيط وتنفيذ المنشآت الصناعية ، انطلاقا من أن الأخطار البيئية الناجمة عن التصنيع ليست ملحة ، في واقع دولة نامية تخطو خطواتها الأولى في هذا الطريق . وفي العقد الماضي ظهرت نغمة جديدة تدعو إلى إعادة توزيع الصناعات على الصعيد العالمي ، بما يساعد الدول النامية على أن تحظى بنصيب عادل من إجمالي الانتاج الصناعي في العالم . وحدد مؤتمر عالمي للتنمية الصناعية عقد في مدينة ليما عاصمة بيرو عام ١٩٧٥ هدفا لنصيب العالم النامي من إجمالي الانتاج الصناعي

قدره ٢٥٪ منه ، يتحقق بحلول عام ٢٠٠٠ . وفي خضم الاندفاع نحو تحقيق هذا الهدف ، تكشفت تدريجيا توجهات لتوطين الصناعات الملوّثة في الدول النامية ، وتركيز الصناعات المعتمدة على التقنيات الحديثة كثيفة رأس المال ، قليلة العمالة ، في الشمال ، باعتبار أن هذا هو التوزيع الراشد للنشاط الصناعي في العالم . ورويدا رويدا بدأت آثار التلف البيئي الناتج عن الصناعة في الظهور في العالم الثالث . وتحولت مثلا ضاحية حلوان جنوبي القاهرة ، - التي كانت منذ أيام قدماء المصريين منتجعا صحيا ، ويؤمه الناس من مختلف بقاع العالم منذ منتصف القرن الماضي - للاستشفاء بمياهه المعدنية ، والاستمتاع بهوائه النقي ، وسمائه الصافية ، وحديقته « اليابانية » الشهيرة ، التي جعلته مقرا لأكبر مصحة للمصدورين مثلا ، تحولت إلى « قلعة صناعية » فيها أعلى نسبة لتلوث الهواء وتدهور البيئة الطبيعية من ناحية ، بينما تعاني في نفس الوقت من ازدحام سكاني وتدهور في مرافقها الأساسية وارتفاع حاد في نسبة الأمراض والجرائم ، أى من تدهور البيئة الاجتماعية أيضا . وبعد ذلك بقليل ، ومع تطوير منطقة الشعيبة ، في جنوب الكويت إلى « قلعة صناعية » أخرى ، فيها كثير من الصناعات الكيماوية ، بحكم كون الكويت دولة نفطية تسعى لتصنيع النفط بدلاً من تصديره خاما غير مصنّع ، برزت مشكلة تلوث الهواء وآثاره الصحية الضارة بشكل حاد ، واتخذت الحكومة إجراءات سريعة لوقف تسرب الملوثات . إلا أنه يمكننا القول بشكل عام أن الأضرار البيئية الناجمة عن التصنيع لم تلق اهتماما كبيرا حتى الآن في دول العالم الثالث ، تأسيسا على موقفها في أوائل السبعينيات ، أثناء الاعداد لمؤتمر ستوكهلم وانعقاده ، واعتبارها أن هناك أضراراً بيئية أكبر وأولى بالاهتمام من أضرار الصناعة الناشئة ، التي توفر فرص العمل وزيادة الناتج القومي . وحتى في أواخر العام الماضي ، صرح وزير العمل في الهند بأن على مكتب العمل الدولي في جنيف أن يعيد النظر في توجهاته ، آخذا في الاعتبار واقع الحال في كثير من الدول الأعضاء فيه ، بحيث لا تكون لمتطلبات الحماية البيئية آثار سلبية على التنمية الاقتصادية ، وبحيث لا تنجم عنها توترات اجتماعية .

الكارثة التي هزت ضمير العالم

ثم وقعت كارثة بوبال بعد هذا التصريح بأقل من شهرين !! وكانت نتيجة تسرب مادة ميثيل الأيزوسيانيت هي وفاة ما بين ألفين وثلاثة آلاف شخص ، وإصابة زهاء مئة ألف آخرين ، وتلف المحاصيل ، ونفوق المواشي في مساحة عريضة حول المصنع ، الذى أنشأته شركة يونيان كاربايد الأمريكية ، لانتاج المبيدات الحشرية في هذه المدنية بالهند . وكان من الطبيعي إغلاق المصنع وتوقفه عن العمل ، الأمر الذى أدى إلى تعطل قوة العمل فيه ، وإلى فقدان أعداد غفيرة من العمالة الطارئة والمؤقتة ، التي كانت تكسب قوت يومها وتقيم أود عيالها من عائد عملها في المصنع أو حوله .

ولم يكن غريبا ، إذن ، وبعد أن تكشفت أبعاد الكارثة التي هزت ضمير العالم ، شماله وجنوبه ، أن ينادى من بقى حيا معافى من أهل المدينة بإعادة تشغيل المصنع ، وأن يمارسوا ضغطهم على الحكومة لتحقيق ذلك رغم هول المأساة وحجم الكارثة .

وكشفت هذه الكارثة عن وجه جديد وخطير لاشكالية الحفاظ على البيئة في العالم النامي . هو الخطر البيئي للنشاط الصناعي ، كمسألة مختلفة في هذه الاشكالية المعقدة عن مسألتي التلوث وهدر الموارد الطبيعية . والخطر البيئي وضع كامن في النشاط الصناعي ذاته ، أو في إحدى مكوناته ، لا ينتج عنه عادة ضرر في ظروف التشغيل الطبيعية ، بينما يؤدى الخلل في هذه الظروف إلى كارثة تتعدى محيط المنشأة الصناعية ، وتمتد إلى البيئة المحيطة بها . فقد تبين من التحقيقات أن إجراءات الوقاية من الأخطار البيئية في مصنع الهند دون مستواها في مصنع مناظر له تملكه نفس الشركة ، مقام في مقاطعة فرجينيا الجنوبية في الولايات المتحدة . ففي المصنع الأمريكي نظام يعمل بالحاسب للانذار المبكر بوقوع أية انحرافات في عمليات التصنيع تهدد البيئة ، بينما المصنع الهندى يكتفي بنظام بدائي يدوى لمواجهة مثل هذه الأخطار . وحتى في هذا النظام ، تبين أنه من بين ثلاثة أجهزة للسلامة يحترق فيها الغاز المتسرب حتى لا يسبب ضررا ، كان أحدها معطلا كلية ، والاثنان الباقيان لا يعملان بشكل مرض . وثار بهذا

جدل ، ظل يدور بصوت خافت حول دور الشركات المتعددة الجنسية في التنمية الصناعية في الدول النامية ، إلى مستوى جديد من الحدة ، واتضحت حقائق جديدة ، بل علا الأصح برزت إلى السطح ووصلت إلى وسائل الاعلام الجماهيرية ، وبحيث أصبحت المسألة الآن هي تحديد مسئولية كل من الدولة النامية التي تنشأ فيها المصانع ، وبين الشركات متعددة الجنسية التي تقيم هذه المصانع . ولقد غدا واضحا الآن أن يونيان كاربايد ليست الشركة متعددة الجنسية الوحيدة التي تمارس مثل هذا الأسلوب ، وأن هناك أمثلة أخرى كثيرة لشركات بريطانية وألمانية وأمريكية ويابانية ، بل ربما كانت الشركات اليابانية أسوأ الجميع في تجاهلها للاعتبارات البيئية في سعيها المحموم ـ بعد فضيحة تسمم الزئبق في اليابان ذاتها التي أشرنا إليها آنفا ـ لنقل الصناعات الملوثة إلى دول أخرى من بينها حتى كوريا الجنوبية !!

عبر وعظات كثيرة

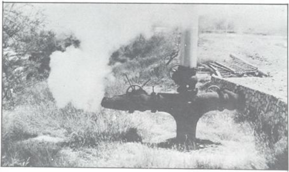
وفي الجدل الدائر حول هذا الأمر عِبَر وعظات كثيرة للدول النامية في الجنوب في تعاملها مع الدول المصنعة ، والشركات المتعددة الجنسية بالذات ، في الشمال . ولنذكر بداية أن هذه الشركات هي صاحبة التقنيات المطلقة في المنشآت الصناعية ، التي تسعى الدول النامية لاقامتها على أراضيها ، وهي العالمة بأسرارها ، وبما يكمن فيها من مخاطر ، بحكم التعريف . ولنذكر أيضا أن التقنية في عالم اليوم ، وكل يوم ، سلعة تباع وتشترى ، ويحافظ على أسرارها ، كي تحقق الربح المنشود من الاستثمار في الانفاق على تطويرها وتطبيقها وبيعها للراغبين في الاستفادة منها . والشركات صاحبة التقنية تقول إنها ملتزمة دوما بالاشتراطات الصحية والبيئية التي تضعها الحكومات النامية ، بل تضيف إلى هذا ملاحظة أخرى تبدو لأول وهلة وكأنها طعنة في الصميم لهذه الحكومات . فالشركات تشير إلى أن ما تسببه أنشطتها من أضرار أقل مما تسببه الأنشطة التنموية المختلفة المحلية والتي ليست هي طرفا فيها .

ولكن إعمال الفكر ، ولو قليلا ، يكشف عن أن هذه الشركات مطالبة بتطبيق اشتراطات للوقاية من الأخطار البيئية في الدول النامية ، أكثر صرامة ودقة مما تطبقه حاليا ، وبمراعاتها بحزم أكبر وانضباط داخلي أشد لا تفرضه تعليمات الحكومات وأجهزتها الرقابية ، وذلك لسببين رئيسيين . أولهما أنها تطبق هذه الاشتراطات في بلادها والبلاد الأخرى المصنعة . وهي بهذا لا تفعل أكثر من مجرد الكيل بنفس الكيل ، بدلا من الكيل بكيلين ، أحدهما للعالم « المتقدم » والثاني للعالم « المتخلف » . ولقد اتضح من دراسات هيئات إقليمية في الشمال ذاته ، وأخرى دولية ، أنه لا توجد معايير مقننة تلتزم بها أفرع هذه الشركات في الدول النامية فيما يختص بالاعتبارات البيئية . بل إن شركة يونيان كاربايد في دفاعها عن نفسها ، ومحاولتها إبعاد المسئولية عنها ، ألقت باللوم على الادارة الهندية لمصنع بوبال متهمة إياها بالاهمال المتعمد ، أو حتى التخريب ! وكان رد الحكومة الهندية أن الشركة مطالبة ، بل ملزمة ، بتدريب مديريها المحليين والرقابة على أدائهم ، لأنها صاحبة المعرفة التقنية ، والعالمة بحقيقة وحجم الأخطار البيئية .

ضرورة المراجعة

ومن هنا يجيء السبب الثاني لتحميل الشركات المتعددة الجنسية المسئولية كاملة . فهي صاحبة التقنية ، وهي التي تعتبرها أسرارا صناعية لا يمكن الافصاح عن دقائقها وتفاصيلها للعاملين المحليين ، بل إن جميع تعاقدات الحصول على المعرفة الفنية تتضمن مواداً خاصة بالحفاظ على سرية أساليب التشغيل وإجراءاته . فإنّ للمديرين المحليين أو





هل يمكن ان يبقي اي شيء حي في ظل هذا الدخان ؟

السلطات المحلية ، إذن ، المعرفة والقدرة على صياغة الاشتراطات البيئية الكفيلة بدرء أخطار لا يعرفون كنهها بوضوح ، ولا تستبين حقيقتها ، دع عنك سبل مواجهتها ، والطرق السليمة لمعالجة الطوارىء الناجمة عن خلل في المنشآت . إلا أن الأمانة تقتضينا هنا أن ننبه إلى أن ما تضعه الدول الصناعية من اشتراطات في مصانع مناظرة ليس سرا ، ولا هو مما يصعب التعرف عليه والحرص على تطبيقه . بل إن الواقع المرّ هو أن الدول النامية ، بشكل عام ، قد نَحَتْ نحو تجاهل الأضرار البيئية المحتملة لاقامة صناعات معروفة خطورتها ، في سعيها لاجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية ، والشركات متعددة الجنسية صاحبة التقنية المطلوبة لاقامتها . ولقد كشفت تحقيقات بوبال عن أنه قد سبقت الكارثة الكبيرة في نهاية العام الماضي عدة حوادث أقل خطورة ، لم تتخذ حيالها الحكومة أو الشركة إجراءات رادعة .

وهناك اليوم العديد من الدراسات التشخيصية والعلاجية لعدد من منظمات الأمم المتحدة حول هذا الموضوع ، يحتل برنامج الأمم المتحدة للبيئة مركز الصدارة بينها . ومنها أيضا مكتب العمل الدولي ، ومركز الأمم المتحدة للشركات متعددة الجنسية . والغريب في الأمرّ ، أن نشاط هذا المركز الأخير ، المتواضع في حجمه ، والبالغ الأهمية في مغزى نشاطه ، غير معروف على نطاق واسع في العالم النامي ، وأن حكومات الدول النامية لا تهتم كثيرا بعمله . وأذكر أن المركز ، الذى كان قد جمع قدرا ضخما من البيانات التفصيلية عن هذه الشركات في دولها الأم ونَشَرَها أملا في أن تستفيد منها الدول النامية ، وبالذات تلك التي لم تكتسب بعد خبرة كافية في التعامل معها ، قد شكا منذ بضع سنوات من أن محاولاته للحصول على حد أدنى من المعلومات عن ممارسات الشركات الفرعية في الدول النامية لم تحقق نجاحا كبيرا .

فهل يكون من المقبول ، بعد هذا كله ، أن يظل موقف الدول النامية من قضية البيئة على ما كان عليه في مطلع العقد الماضي ، وأن يقوم هذا الموقف على مقولة أن الاهتمامات البيئية رفاهية لا قبل للدول النامية بالتمتع بها ، وهى الساعية للتنمية ، اللاهثة وراء فرص العمل لأهليها ، ومن ثم ، الاستثمارات الأجنبية والتقنية الصناعية ؟ يبدو أننا ، في العالم الثالث ، قد صحونا الآن إلى ضرورة مراجعة هذا الموقف ، وأنا على عتبة مرحلة جديدة ، تكتسب فيها قضية البيئة أولوية متقدمة في مشروعات التنمية بشكل عام ، والتنمية الصناعية بشكل خاص . □

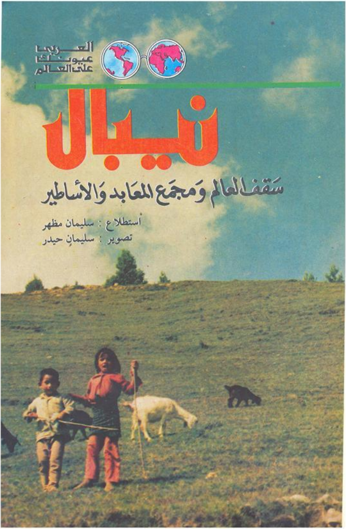
العربي عيونك على العالم

نيبال

سقف العالم ومجمع المعابد والأساطير

استطلاع : سليمان مظهر

تصوير : سليمان حيدر





● سهول وادي كاتمندو .. وقمم جبال الهيمالايا .. يلتقيان في وقت واحد في نيبال .. وينصب المتسلقون خيامهم كلما هبط عليهم الليل وهم ينطلقون نحو قمة ايفرست ومعهم حمالو الشيرباس .



يقولون .. ثلاثة في حكم المستحيل : الغول .. والعنقاء .. والخل الوفي ! ولكن اذا كان هذا الحكم مازال ينطبق على المستحيلين الاخيرين .. الا أن الأول لم يعد مستحيلا بعد ؟

أهل نيبال يؤكدون لك ذلك ، فالغول ، - وهو بالنسبة لهم « الجيتي » أو « اليتي » كما ينطقونه ويعني « انسان الثلج الوحشي » - ما زال يعيش في أعالي جبال الهيملايا . وهم ينسجون حوله الاساطير ، ويتناقلون عنه الحكايات ، خلال جلوسهم حول نيران المدفأة في ليالي الشتاء ، يملأون بها أسماع متسلقي الجبال المرهقين ، والفلاحين الذين يؤمنون بالخرافة والأوهام . ولم يكن هؤلاء وحدهم من يحكون ويصدقون ، ولكن حتى الذين كتبوا عن نيبال وجبال الهيملايا تحدثوا في كتبهم عن أوصاف « الوحش البشري ذي الشعر الأشعث » الذي التقى به جندي أوروبي عام ١٤٠٠ قبل حوالي ستمائة سنة ، تماما كما رآه عام ١٩٢٠ المستكشفان البريطانيان الميجور واديل والكولونيل هوارد بري حيث كانا برأسان حملة من المتسلقين في الجانب الشمالي من قمة افرست . وذكر الاثنان انهما تبعاه وتوقفا عند آثار اقدامه البشرية الضخمة على ثلوج السفح . ويقول عنه النيباليون ان جسده الضخم يغطيه شعر كثيف من قمة الرأس الى أخمص القدمين ، وانه يسير معتدل القامة ، وأن أظفار أصابع كفيه وقدميه لاتختلف عن مخالب الوحوش .

ويقولون أن الجبل كان مليئا بعدد كبير من هذه الوحوش البشرية ،وان رهبان التبت تآمروا للتخلص منهم ، فاتفقوا على أن يقيموا حفلا على السفح حيث يختفي المئات من هذه الوحوش خلف المغارات . وخلال الحفل راحوا يتظاهرون بتناول الخمر المصنوع من منقوع الارز ، وحين بدا كأنهم سكروا حتى الثمالة ، راحوا يتبادلون الطعان بسكاكين زائفة . ومع انتهاء الحفل بدأوا يبتعدون واحدا وراء الآخر متسترين . وهنا خرجت الوحوش البشرية من جحورها ، وراحوا يقلدون الرهبان في اكتراع كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا ، ثم راحوا يضربون بعضهم بالسكاكين الحادة الحقيقية التي تركها الرهبان عن قصد . وكانت المعركة من العنف والشدة بحيث تساقط الجميع قتلى ، ولم ينج منهم سوى واحد فقط ، هو الذي ما يزال يجوب سفوح الهيملايا ويشاهده الناس بين الحين والحين !!

حكى لنا أحد الحمالين من قبائل « الشيرباس » الذين يرافقون المتسلقين أسطورة أخرى عن « انسان الثلج الوحشي » قال : ان أحد تجار الفيروز كان يعبر الممر الجبلي ، حين فوجىء بالوحش الرهيب يوقفه ويرغمه على الذهاب معه الى مغارة في عمق الجبل ، حيث كانت انثاه تستلقي وهي تصرخ بعد أن سدت حلقها قطعة كبيرة من العظم حتى تعذر عليها التنفس . وطلب الوحش من التاجر أن يشفيها والا قتله . وفي رعشة الخوف مد الرجل قبضة يده المرتجفة ليضرب الأنثى على ظهرها بقوة ، فانقذفت قطعة العظم من حلقها وتنفست الصعداء . ومكافأة له أعطاه الوحش كيسا أغلقت فوهته ، وطلب منه الا يفتحه الا بعد أن يصل الى داره . واذ فتح الكيس وجده مليئا برؤوس بشرية ، ومن كل شعرة تتدلى حبة فيروز . وكانت الحصيلة هائلة كسب التاجر من ورائها ثروة ضخمة . ومن أجل الحصول على ثروة

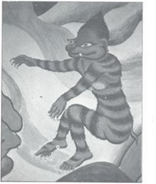
مماثلة يجوب رجال « الشرباس » سفوح الجبل حاملين أحمال المتسلقين ، على أمل أن تتاح لهم فرصة مماثلة بلقاء انسان الثلج .. وأن تكون أنثاه قد أصابها ما أصيبت به من قبل !!

ومازال عدد من المغامرين يستهدفون من رحلات تسلق الهيملايا البحث عن انسان الثلوج ، حتى أن أحدهم أعلن عن اعتزامه القيام بحملة مسلحة للقبض عليه حيا أو ميتا . وقد أثار ذلك سكان الجبل الذين أعلنوا أنهم سيتصدون بكل قوة لأي انسان يحاول ارتكاب هذه الجريمة !!

التشكيلة السكانية :

كل ذلك بعض من الاساطير التي يتداولها الناس في نيبال ، التي تستلقى على السفوح الجنوبية الشرقية لجبال الهيملايا ، وتقع الى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية ، وتحدها الصين وهضبة التبت من الشمال ، وسيكيم وبنجلادش من الشرق ، بينما تحدها الهند من جنوبها وكشمير من غربها . وبذلك فان نيبال بحكم موقعها الجبلي الداخلي ليس لها حدود تشرف على البحار ، وتمتد أراضيها الجبلية على شكل سلاسل عريضة من المرتفعات العالية . ويفصل بين السلاسل التي تمتد من الغرب الى الشرق اما مناطق مستنقعية مثل مستنقعات تيراي ، أو مناطق غابية مثل غابات مرتفعات سواليك . وتبلغ مساحة المملكة حوالي ١٤٥ ألف كم ، وعدد سكانها حسب احصاء (١٩٨٤) حوالي ١٦,٥ مليون نسمة ، نصفهم من الذكور والنصف الأخر من الاناث ، أغلبهم جماعات قبلية يتحدث ٥٨٪ منهم اللغة النيبالية وهي اللغة الرسمية و ٣٪ بالنوارية و٢٠٪ باللغات واللهجات الهندية ، بالاضافة الى لغات ولهجات أخرى متباينة . وهم ينقسمون حسب العقيدة الى ٩٠٪ من الهندوس و٨٪ من البوذيين و٢٪ من المسلمين ، وان كانت الاحصاءات التقديرية الأخيرة تقلل من نسبة الهندوس وترفع من نسبة البوذيين .

يتشكل سكان نيبال من مجموعات مختلفة من القبائل ذات الاصول البدائية ، يبلغ عددها أكثر من ٢٥ قبيلة .. وينتسب السكان الى أصول من الجنس



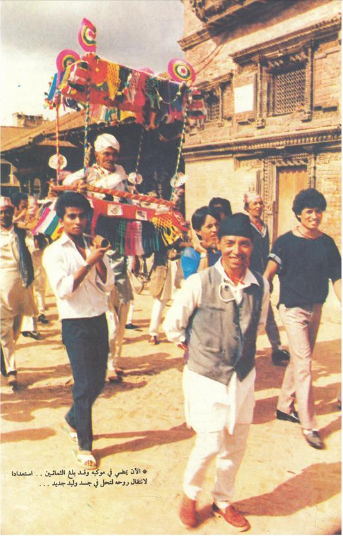
• هكذا تخيل الرسام « الجيتي » إنسان الثلوج .. أو الوحش البشري ذا الشعر الاشعث .. على ضوء الوصف الذي أدلى به المغامرون الذين تبعوه على سفوح الهيمالايا .

الهندو آرى والجنس المغولي اللذين امتزجا على مدى القرون .

ينتمي البرهميون الى الهندوآريين الذين جاءوا البلاد في القرن الرابع عشر مع الراجبوتيين، تماما كما فعل المنتسبون الى طائفة الاكشترية المحاربين الذين جاءت منهم أسرة رانا التي حكمت طوال مائة سنة انتهت مع عام ١٩٥١ . أما مختلف القبائل النيبالية الأخرى فقد جاءت من الهند ، بالاضافة الى البوذيين الذين ينتمي اليهم عدد آخر من سكان نيبال .

الجوركا من السكان الذين ينتمون الى أصول قبلية . وكانت لهم شهرتهم الواسعة كجنود مرتزقة يسمون « أشجع الشجعان » في القوات البريطانية . وكان القسم الرئيسي من الموارد المالية « الخارجية » لنيبال يأتي مما يحصل عليه جنود الجوركا من أجور عالية .

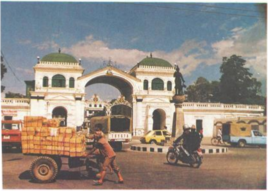
واذا تتبعنا السكان في مختلف الاقاليم الرئيسية في نيبال ، فسنجد أن سكان الوادي الأوسط بعاصمته كاتمندو ينتمون الى البورميين التيبتيين والهندوآريين ، وهؤلاء هم البراهمة والاكشترية والنور . وبينما



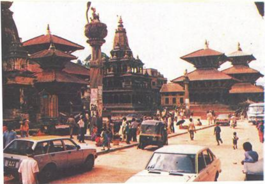
● الآن يمضي في موكبه وقد بلغ الثمانين .. استعدادا
لانتقال روحه لتحل في جسد وليد جديد ...



● المسجد . . . في الطريق الرئيسي . . المسلمون في نيبال يمثلون ٢٪ من السكان .



● القصر الملكي . . . مقر الملك بيرندرا ماهندرا . . الحاكم المطلق في نيبال .



● غابة المعابد في ساحة دربار . . وتمثال الملك مالـلا يتجه بأنظاره نحو غرفة العبادة في معبده الخاص . .

البراهمة والاكشترية ينتشرون في جميع انحاء البلاد فان النور يتركزون في وادي كاتمندو والمدن والقرى المحيطة . أما سهول الدون ومستنقعات التيراي فيسكنها البراهمة والراجبوت والتارو وآخرون بينهم المسلمون .

أما « الشيرباس » . . أفراد أشهر القبائل التي تسكن جبال الهيملايا فهم ينتمون الى الجنس المغولي مثل قبائل النور الذين يسكنون في كاتمندو وتنتمي أصولهم الى مغول التبت .

هؤلاء الشيرباس هم أشهر من يلتقي به القادمون الى نيبال ، والراغبون في رحلة تسلق للصعود الى سقف العالم . . جبال الهيمالايا . . .

الصعود الى القمة :

رحلة التسلق الى قمم الهيملايا لايقدر عليها الا من جاء خصيصا لهذا الغرض ، ولديه من الوقت ما يزيد على شهر ، ويتمتع باستعداد جثماني يمكنه من احتمال تقلبات الجو وقلة الاكسجين والحياة وسط الثلوج . أما نحن ـ وبصرف النظر عن الشروط الأخيرة ـ فليس أمامنا سوى أيام قليلة لاتتيح لنا الوصول الى القمة على الاقدام . . بينما الفرصة متاحة للطيران فوق القمم كلها على متن طائرة سياحية تطير لمدة ساعة فوق السلاسل الجبلية جميعا . ولم نكن نملك أن نرفض العرضْ حتى يمكننا التحليق فوق جبال الهيملايا بكل قممها ، وارسال نظرة على الأرض من فوق سطح العالم .

الطائرة تئن وهي تبسط جناحيها كأنها تناشد القمم الثلجية أن تكون رفيقة بنا . . فالهبوط الاضطراري هنا لايترك مجالا للعودة الى حياة ثانية فوق سطح الأرض . . وخلال الرحلة يسمح قائد الطائرة بدقيقة واحدة لكل راكب لالتقاط الصور من الكابينة الامامية . . وهو مكان يتمناه زميلي المصور . . فهي فرصة لاتتكرر مرتين . .

المشهد رائع رائع . . القمم الشاهقة تخترق مسيرة السحب وهي تواصل زحفها وكأنها زبد الصابون يغسل سقف العالم . العيون كلها مشدوهة مصوبة بحثا عن قمة افرست حيث أعلى نقطة على سطح الارض .

يعتقد الشيرباس أن جبال الهيملايا هي مقر الآلهة » . وهم يتصورون أن قمة افرست انما هي الاله « شومولونجما » يركب أسدا ثلجيا يخترق به موكب السحب الزاحفة . ومنذ مئات السنين والنيباليون يعتقدون أن الآلهة تطل من قمم الهيملايا لمراقبة شئون العباد . . فتثيب المحسنين وتعاقب المسيئين وتنزل غضبها بالمفسدين . وهم يتطلعون دائما الى « قمة شنكار » حيث يقيم الاله « شيفا » وزوجته « برافاتي » وابنه الاله الفيل « جانيش » وابنته ربة الخير « أنا بورنا »

وهنا أيضا ـ وكما يبدو المشهد من الطائرة ـ ترتفع أعمدة الجليد بطريقة لايوجد لها مثيل في العالم . . ايفرست أعلى قمة في العالم (٨٨٤٨ مترا) وحولها قمم لوتس (٨٥٠١ م) ونوبتسي (٧٩٠٦م) وأمادابلام (٦٨٦٣م) وشاملانج (٧٣١٩م) وما كابوا(٨٤٧٥ م) وكانشين جونجا (٨٥٩٨ م) . .

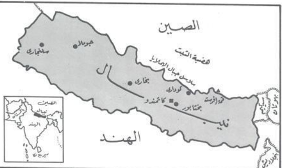
مشهد لايمكن للانسان أن ينساه . . .

لقاء مع المتسلقين :

التحليق فوق قمم الهيملايا لايمنعنا من الانطلاق مرة اخرى الى احدى المناطق على سفوح الجبال حيث يبدأ المتسلقون رحلة الصعود .

كانت البداية عندما دعتنا السيدة فيجاي فايديا مديرة وكالة ييتي للسياحة ـ بعد جولة لنا في أنحاء كاتمندو ـ للذهاب الى أحد المراكز التي تبدأ منها رحلات التسلق . وكان العرض مغريا لاتاحة الفرصة لنا للقاء مع المتسلقين وهم يبدأون رحلة الصعود الى القمة .

قطعنا الطريق من كاتمندو بالطائرة الى منطقة الهبوط في « سولوخومبو » الواقعة على السفح على ارتفاع لايقل عن ٣٩٠٠ متر . واستغرقت المسافة سيرا على الاقدام من مهبط الطائرة الى فندق افرست حوالي ساعة . الفندق بني بأموال يابانية بتكلفة عالية في أوائل السبعينيات ، ويكاد يكون أعلى فندق في العالم . . وهذه هي مشكلته الرئيسية مع الزائرين والسواح . . فهؤلاء أغلبهم من سكان المدن كبار السن والعجائز ومتوسطي العمر الذين لم يجيئوا بهدف



● خريطة نيبال . . يتوسطها وادي كاتمندو . . بينما سلسلة جبال الهيمالايا تحدها على طول المنطقة الشمالية . . وهي تبدو معزولة عن البحار من كل الجوانب .

التسلق ولكن لـلاقامه على سفـوح الهيملايا طالما يستطيعون دفع مصاريف الاقامة البـاهظة . . وهم بـالـطبيعـة غـير مؤهلين لاحتمـال البـرد القـارس والارتفـاعات الكبيرة ، فهم معـرضـون لامـراض المرتفعات وضيق التنفس . ولمواجهة هذه المشكلة زود الفندق كل الغرف بالأوكسجين . وكانت تعليمات الفندق لنا حين قررنا السير قليلا على ممرات الصعود مع المتسلقين أن نصعد ببطء شديـد حتى لا نصاب بـالدوار وامـراض المـرتفعـات التي يصـاب بهـا من يتسلقون بسرعة كبيرة . . فـأمراض المـرتفعات قـد تكون مهلكة .

في الصباح انطلقنا الى قرية « نامس بازار » موطن قبـائل « الشيـرباس » ـ اشهـر الحمالـين المـرافقـين لحملات التسلق ـ حيث اتخذوا لهم مقرا لاستقبال من يقصدونهم للاتفاق معهم على حمل حاجاتهم في رحلة التسلق .

على مدى البصر كانت تحيط بنا صور بانوراميـة رائعـة . سفوح جميلة خـلابة ولكنهـا لاتكاد تصلح لاقامة الانسان . وغير بعيد يخترق السـفح ممر كان منذ القدم طريقا للتجارة مع التبت قبل أن تقفل الحدود مع نيبال . وكان الانطلاق عـلى هذا الممـر بالنسبـة للشيـرباس اختبـارا للجلد والقوة يجب أن يمـارسـه الشباب قبل أن يصبحوا في عداد الرجال .

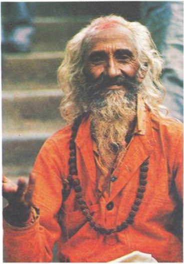
حدثنا مرافقنا ونحن جلوس في مقر الشيرباس عن مسيرة الحياة كما يعيشونها فقال : كان الشيرباس في الاساس تجارا ورعاة . وكانت هذه المنطقة كما يدل اسمها سوقا ومدينة تجارية حيث يتبادل الشيـرباس وتجار التبت البضائع الاساسية التي يحتاجهـا سكان المنطقة ، مثل الملح والاصواف والحبوب من المناطق الأكثر اعتدالا في الجنوب .

وكان الناس هنا يربون الثيران المهجنة ويبيعونها لمزارعي التبت الجبليين . ولكن التجارة توقفت قبل جيل كامل عندما دخل الصينيون بلاد التبت واضطر الشيـرباس للبحث عن مصـادر اخـرى للتجـارة . وحاول الشيرباس بجهد كبير الحصول على مستوى معيشي يفـوق مصـادرهم الضئيلة الى أن جـاءتهم الفرصة عندما تحول كثير منهم من التجارة الى تسلق الجبال ومرافقة المتسلقين . فطوال عشرات السنين جاء الكثير من فرق التسلق الى منطقة خومبو لصعود ايفرست وغيرها من القمم . وكانوا جميعا يحتاجون الى حمالي الشيرباس الذين يملكون ميزة وراثية يتفوقون بها على من يعيشون على مستوى سطح البحر.



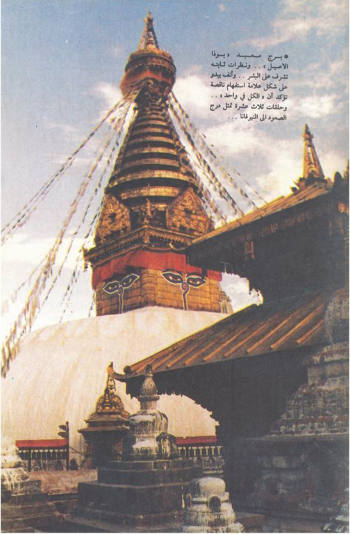
● مذبحة القرابين . . . في معبد كالي . . . وأصحاب النذور ينطلقون حاملين قرابينهم ليسفحوا دمها على مذبح الربة التى لاترضى بغير الدم القاني على جدران معبدها لترضى عن البشر . . !

● راهب المعبد . . . يصب عليك لعناته اذا لم تعطه . . . ويدعو لك إذا منحته . . ببركة كالي . . . !



● الإلهة الحية . . الكوماري . . . ثقل ما تتزين به وترتديه وتضعه على رأسها يكاد يكون أكثر من ثقل جسدها .





● برج معبد «بوذا الاصيل» .. ونظرات ثابته تشرف على البشر .. وأنف يبدو على شكل علامة استفهام ناقصة تؤكد أن «الكل في واحد» .. وحلقات ثلاث عشرة تمثل درج الصعود الى النيرفانا ...

محاولات تسلق ايفرست :

قدم لنا مرافقنا قائد الشيرباس في المنطقة واسمه « انج تسيرنج » . انه واحد من مئات الشباب الذين يكسبون عيشهم من العمل الخطر بحمل المؤن لحملات التسلق . قال لنا انج : منذ بدأ تسلق جبال الهيمالايا كان للشيرباس دور في هذا العمل . وكانت أول محاولة ناجحة لتسلق ايفرست هي التي قام بها نيوزلندي وشيرباسي يدعى تينزنج نورجاي . . وهو من تعلمت منه حرفة التسلق . كان والدي حمالا ومرشدا في الثلاثينيات عندما كانت حملات التسلق البريطانية تبدأ من « دار جيلنج » في الهند . وكان الدخول الى نيبال ممنوعا في تلك الأيام . فكانوا يتسلقون ايفرست من الناحية الشمالية في التبت . ومازال أبي العجوز يتذكر أمجاد وكوارث الايام المثيرة .

ونواصل الاستماع الى ذكريات الفتى الذي أصبح الآن في الاربعين ، من خلال حديثه يبدو أن لديه طموحات أكبر . فهو يريد الوقوف على قمة ايفرست مرتين أخريين على الاقل . وهو يقول في ذلك : « في هذه الايام وبعد أن وصل الكثيرون الى هذه القمة فان مرافقتهم لم تعد تحقق الكثير من الشهرة والغنى كما كان يحدث في البدايات ، برغم أن الاخطار لم تتغير : العنف والرياح العاتية والانهيارات والعواصف الثلجية . ومع هذا فان على الشيرباس القبول بالعيش في كل الأحوال والاعتياد على هذه الحياة » .

جاء الشرباس من التبت قبل ثلاثة قرون ، ولم يكن لديهم سبب يدعوهم لتحدي الجبال وتسلق القمم الشاهقة . فعبور ممر مرتفع بقصد التجارة شيء . . وتسلق الجبال شيء آخر .

على كل الأحوال فان الجبال - بالنسبة لهؤلاء السكان الذين يعود أصلهم لقبائل بوذية قديمة - تسكنها الآلهة والأرواح والعفاريت . وقد جاء الرهبان البوذيون الى هذه الأماكن البعيدة ليمارسوا عباداتهم بعيدا عن صخب العالم في خضم المادة وبين أمواج العواطف والرغبات . وقد أقاموا في هذا المكان معبد « ثاي انجيوش » على مقربة من ايفرست حيث تساعدهم طبيعة الجبل على تركيز الفكر في نظرية الخلود . .

وكان الشيرباس في غاية الفقر قبل عشرات السنين . . ولم تتغير الصورة بالنسبة لمواردهم الزراعية الا حين اهداهم احد الرحالة البريطانيين تقاوى البطاطس مما ضمن لهم محصولا زراعيا وافرا وأرباحا مكنتهم من بناء معابدهم . واعتادت الأسر البوذية أن تهب ابنها الثاني لبوذا فترسله قبل سن المراهقة ليصبح راهبا . وكان البعض يرسلون بناتهم أيضا ليصبحن راهبات ، وتدفع هذه الأسر جميع نفقات المعيشة .

مزيد من حملات التسلق :

نتوجه مع الفتى الشيرباسي الى المعسكر الذي يبدأ المتسلقون عنده رحلاتهم ، حيث يجري فحص أحوال الثلوج ويحدد أفضل مكان لاقامة المركز الرئيسي للحملات القادمة . ونمر في الطريق على نصب لستة من الشيرباس قتلوا في انهيار جليدي وهو على صورة شلال مائي متجمد منحدرا من قمة ايفرست . وكان هؤلاء الحمالون يرافقون حملة يابانية عام ١٩٧٠ عندما اخذ التهور بأحد المتسلقين فراح يتزلج بطريقة مبالغ فيها . وعندما حدث الانهيار أنقذ الرجل بمعجزة بينما مات الحمالون تحت الجليد .

ومثل كل الرجال المغامرين فان انج المؤمن بالخرافات رفض ان يقترب من النصب التذكاري حتى لايقاسمهم حظهم العاثر .

والذي لاشك فيه أن الشيرباس - كونهم بوذيين - لايهابون المخاطر ويتملكون صفات تجعلهم يواجهونها وهم يبتسمون ويمزحون دون حدة أو غضب أو ضيق صدر وهم بعيدون عن أي صفات عدوانية أو أنانية .

ويقول الفتى ان أعظم يوم في حياته هو وصوله الى القمة عام ١٩٧٥ ففي ذلك العام وبعد عودة الحملة الناجحة جرى استقبال كبير للمتسلقين في كاتمندو ، وأجريت مقابلات صحفية ، وسردت قصص كثيرة نشرت في عدد كبير من الصحف في جميع أنحاء العالم ، وقد تلقى بعضا منها وهي تحمل صورته فزادت من سعادته . يعترف انج صراحة بأنه يشعر بالخوف والرهبة في الوقت الذي يكون فيه صاعدا على الجبل ولكنه يعتقد ان الأمر يستحق المجازفة .

ان الاعتراف بالخوف جزء من الشجاعة . . والشيرباسي مشهور بعناده وشجاعته وتصميمه على النجاح .

مجمع المعابد والاساطير :

الآن عودة الى الوادي . .

الى كاتمندو . . العاصمة . . مجمع المعابد ومنبع الاساطير . . كان لابد في البداية من زيارة لوزارة السياحة لنتعرف على نيبال الحديثة . . وعاصمتها كاتمندو . .

قال لنا وزير السياحة بالنيابة « شيلندرا راج شارما » عندما استقبلنا في مكتبه : نيبال مملكة مستقلة وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تعلن الهندوسية دينا رسميا للدولة . الملك بيرندرا ماهندرا بريكام شاه يحكم البلاد بمعاونة الجمعية الوطنية . ولا توجد في البلاد أحزاب سياسية برغم أنه قبل عام ١٩٧٥ كانت هناك خطوات أولى لقيام نظام حزبي . والايجابيات الرئيسية للنظام البرلماني القائم الآن انه يتيح الفرصة لمشاركة أكبر عدد ممكن من الجماهير لتكون لها كلمتها في أمور الحكم . ويجري تشجيع التمثيل الشعبي في الجمعية الوطنية حيث يختار الوزراء من بين أعضائها البالغ عددهم ١٤٠ عضوا يتم اختيار ١١٢ منهم بالانتخاب بينها يعين الملك ٢٨ عضوا ، وتبدأ العملية الانتخابية بالتصويت الشعبي لاختيار مجالس القرى ، وينتخب اعضاء هذه المجالس مجالس الاحياء الذين يختارون من بينهم أعضاء مجالس الاقاليم . وهؤلاء هم الذين ينتخبون أعضاء الجمعية الوطنية . ويختار الملك رئيس الوزراء من بين أعضاء الجمعية وكذلك الوزراء الذين يكونون مسئولين أمامها . ومع حظر الأحزاب شكل مجلس الدولة عام ١٩٧٥ ليتولى الشئون السياسية والتخطيط وإبداء المشورة للملك .

وحين نسأل الوزير عن الموقف الاقتصادي في نيبال يقول : « ان البلاد تعتمد على مصدرين رئيسيين للدخل القومي هما الزراعة والسياحة . اما التصنيع فما يزال في مراحله الأولى . ان ٨٥٪ من النيباليين يعملون في الزراعة سواء زراعة الارز أو الذرة وغيرها وكذلك في زراعة التبغ والجوت ، كما أن مناطق التيراي تزرع القطن والفلفل والفاكهة الاستوائية . ولان نيبال بلد مغلق لايطل على البحار فانه يعتمد على علاقاته الطيبة مع جيرانه . وما بين ٨٠ و ٩٠٪ من تجارته يمر عبر الهند وخاصة ميناء كلكتا . وصادرات البلاد أغلبهما الأرز والجوت الى جانب المشغولات اليدوية والهدايا المعدنية . أما دخل الفرد فهو منخفض جدا حيث لايتجاوز ٦٦ دولارا في السنة . وكل محاولات النهوض بالبلاد انما هي سعي لتحسين مستوى الدخل والمعيشة لابناء الشعب الذي عاش تاريخه كله من خلال المعاناة . . ولكن في عزة وكرامة واستقلال .» .

ان ذلك في الحقيقة تاريخ يحتاج الى متابعة . . ويمكن معرفة الكثير منه عندما ترجعون الى رئيس قسم الاعلام السياحي . . . وستجدون انه دائرة معارف حية . . »

أساطير كاتمندو :

ما الذي سنسمعه وكيف سننشهد التفاصيل ؟

قال لنا السيد « أمادير » الذي يؤكد عن نفسه أنه دائرة معارف يرجع اليها المسئولون في كل مناسبة : نقطة البداية تبدأ مع ما تحكيه الاساطير القديمة من أنه قبل آلاف السنين كان وادي كاتمندو عبارة عن بحيرة فيروزية . وفي وسط البحيرة كانت هناك زهرة لوتس كبيرة رائعة . . ينبثق منها لهب أزرق مهيب يبعث الرهبة في النفوس . . انها الصورة المرئية « لوسوايامبو » . . البوذا الأول الاصيل . ماكان أروع البحيرة وأقدس الشعلة . لقد كان الناس يأتون من جميع الانحاء ليقيموا أكواخا لسكناهم على ضفاف البحيرة . . يتعبدون ويحصلون على البركة المقدسة .

ومن الصين جاء زاهد صيني هابطا من سفح الجبل اسمه « مانشوسري » ومن أجل أن يؤدي العبادة عن قرب امام شعلة اللهب المقدسة . . فقد ضرب بسيف حكمته الصاعق جدار البحيرة فشقه ، مما أدى الى تسرب ماء البحيرة الى أعماق الأرض واستقرار زهرة اللوتس على قاع البحيرة التي جفت وتحولت الى واد اطلق عليه اسم « وادي كاتمندو » . وفي نفس المكان أقام الزاهد هيكلا للعبادة ظل يتنامى بعد ذلك ليصبح معبد « سوايامبونات » أي معبد بوذا



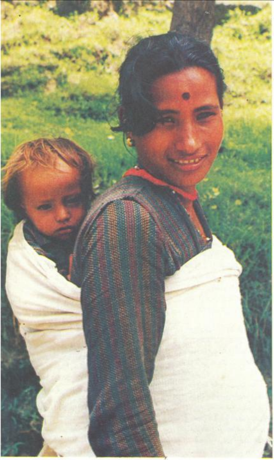
● البحيرة والجبل .. في بخاري .. القوارب ليست للصيد وإنما لنزهة السواح ..

● غرس شتلات الارز قبل هطول الامطار الموسمية .





● في الطريق الى القمة في أحد الممرات الجبلية الصاعدة من مدينة بخارى .





انها حياة الناس في نيبال .



● هل يمكن لهذا الصغير تصور معاناة أمه وهي تحمله في الطريق الى مزرعة الارز .

الاصيل . . وغير بعيد من المعبد أقام مدينة من الخشب والطين سماها « مانجوباتان » ونصب واحدا من أتباعه المخلصين ملكا على الوادي .

وهناك أسطورة اخرى ، مماثلة ، ولكنها تنسب الأمر كله الى الاله كرشنا الذي قذف صاعقة على جدار البحيرة ليزيح ماءها . وسواء كان السيف أو الصاعقة هو الذي شق الجدار ، فما من شك في أن هذا الشق يمثل حتى اليوم ممرا طبيعيا على طريق شوبار ، وهو يبدو ضيقا متخذا شكل شق ناشيء عن ضربة سيف ضخم . . وأسفل هذا الممر يقبع حجر ضخم يشبه الى حد كبير شكل جانيش . . الاله برأس فيل . ويعتقد الناس أنه هو الصاعقة التي قذفها كرشنا .

وفي الحقيقة ان كلتا الاسطورتين تكادان أن تكونا مقبولتين علميا . . وقد اثبت الجيولوجيون أن وادي كاتمندو كان مغمورا بالماء ذات يوم . .

ويقال ان كرشنا أسكن بالوادي جماعات الجوبال من رعاة البقر الذين شيدوا مدينتهم ليبدأ عصر السلالة الحاكمة الجوبالية . وبعد الجوباليين جاءت موجات متلاحقة من المهاجرين من بورما والتبت كما جاءت جماعات أخرى من مناطق البنغال الشمالية لتتابع عصور الحكم . وفي القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد جاءت جماعات الكيرات غازية من الشرق وأقاموا مملكتهم في وادي كاتمندو .

تولى الحكم من الكيراتيين ٢٨ ملكا . وخلال حكم الملك السابع يعتقد أن جاوتامابوذا ـ وهو البوذا السابع اذ سبقه ستة آخرون الى بلوغ النيرفانا ـ جاء لزيارة الوادي ومعه حواريه أناندا . وهناك حكايات تروى حول اقامة بوذا في مدينة باتان حيث قام بتحويل طبقة الحدادين الى طبقة الصياغ ، وأطلق عليهم اسم الطبقة التي جاء منها . . الساكيا . .

بين الماللا . . والرانا :

تعرض آخر الملوك الكيراتيين للغزو من الراجبوتيين الزاحفين سنة ٣٠٠ ميلادية من بيهار وأوتار براديش فى الهند . ومع الغزاة الجدد بدأ العصر الذهبى للفن فى نيبال . . ولكن بدأ معهم أيضا التقسيم الطبقى للمجتمع حسب ما تقوم عليه العقيدة الهندوسية .

تتابعت العصور الملكية المختلفة على وادى كاتمندو حتى كان عام ١٢٠٠ حين تولى الحكم الملك « آرى ديفا » الذى اطلق على نفسه بعد ذلك اسم « ماللا » اى المصارع . وأقام ديفا مملكة قوية موحدة ليتوالى من بعده سلسلة الملوك الذين حملوا اسم « ماللا » واستمر حكمهم من القرن ١٣ حتى ١٨ م . . وهى فترة تسمى بالعصر الوسيط لنيبال .

ثم جاء التوسع الانجليزى الزاحف عام ١٨١٤ فى آسيا ، مما أدى الى وقوع الحرب بين نيبال والجيوش الانجليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية . وانتهت الحرب بتوقيع اتفاقية تنازلت نيبال بمقتضاها عن بعض أراضيها . وفى خضم الموقف الضبابى الذى تلا ذلك استطاع بهادور رانا ان يصبح صاحب النفوذ الاول عندماتولى رئاسة الوزارة التى استمرت وراثية فى اسرته فيما بين عامى ١٨٤٦ و ١٩٥٠ بينما كان الملك يحكم بالاسم فقط .

وفى نوفمبر ١٩٥٠ قاد الملك تريبوان ثورة شعبية ضد أسرة رانا ، مما أدى الى سقوطها بعد ١٠٤ سنوات من السيطرة والنفوذ . وبعد وفاة الملك تريبوان عام ١٩٥٥ خلفه ابنه الملك ماهندرا ليتولى العرش من بعده عام ١٩٧٢ ابنه الملك الحالى بريندارا شاه ، وقد ظلت مملكه نيبال باستمرار مملكة مستقلة لم تقع ابدا فى براثن الاستعمار . .

كومارى . . الآلهة الحية :

ونبدأ جولتنا فى شوارع كاتمندو . . ولعل أغرب بداية هى لقاؤنا مع الآلهة الحية . . التى تعيش على الارض . . !

الآلهة الحية يسمونها هنا . . « كومارى » . . اى العذراء . . وحين رأيناها لم نصدق ان تلك التى امامنا يمكن ان يعبدها قوم يعيشون فى أواخر القرن العشرين فى عصر بلغ قمة العلم والتقدم والمعرفة ، ولكنهم لم يأخذوا من نوره الا قبسا واحدا . .

الديمقراطية . . فهم يختارون إلهتهم . . لفترة واحدة . . بالانتخاب . . !!

اما طريقةانتخاب الكومارى فلها طقوس لابد من تنفيذها بدقة لدى هذه الطائفة من طوائف

الهندوس . فهم يعتقدون ان « كومارى » تجسيد حى للالهة برافاتى زوجة الاله شيفا . .

سار بنا مرافقنا الى حيث تقيم الآلهة الحية . باب القصر الخشبى يحيط به من الجانبين تمثالان لأسدين يكشران عن انيابهما . وصعدنا الدرجات القليلة المؤدية الى الساحة الداخلية حيث يقوم بناء من ثلاث طبقات كل جدرانه مزينة بتماثيل منحوتة لمختلف آلهة الهندوس . النوافذ الخشبية التاريخية التى تطل من كل طابق على الساحة تعلوها تماثيل لحمائم يتوسطها طاووس .

وقفنا وسط الساحة وعيوننا متجهة الى نوافذ الطابق الثانى . ونادى مرافقنا على طفل كان يطل من النافذة ، واستعطفه أن يخبر الكومارى أن فى الساحة زوارا جاءوا من بلد بعيد على أمل أن تمنحهم بركتها . ومضت فترة . . أطلت علينا بعدها من النافذة طفلة لا يتجاوز عمرها خمس سنوات . . رافعة الرأس فى اعتداد من يعرف قدر نفسه . . على رأسها تاج مثقل بالمجوهرات الذهبية . . وعلى صدر ردائها الزاهى الالوان نقوش مشغولة بالذهب . . وحول عنقها قلادة ثقيلة يتوسطها هلال ذهبى تزينه مجموعة من الأحجار الكريمة . نظرنا اليها بإمعان وهى تشرف علينا من موقعها لتنال شرف رؤية وجهها . . وأشارت الصغيرة بيدها فى حركة مليئة بالثقة بالنفس ، ثم تراجعت وراء النافذة بعد أن منحتنا بركتها الالهية . . !

هذه الطفلة إذن هى الآلهة الحية . . وقد نصبت فى مكانها هذا العام بعد ان نحيت الآلهة السابقة إذ بلغت سن الحلم وجردت من القداسة .

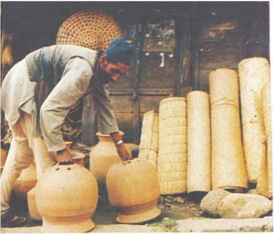
كيف تنتخب الآلهة ؟ !

قال لنا مرافقنا ان من النادر ان تستجيب الكومارى لمن يجيئون فى انتظار أن تطل عليهم وتمنحهم بركتها . . فالعادة أنها تطل من الشرفة لتبارك أتباعها مره واحدة كل عام . . فيهتفون وينحنون إجلالا واحتراما بينما يلتصق بعضهم بالارض تقديسا وتعظيما . . فتلك بعض الطقوس التى تمارسها منذ اختارها الرهبان لتكون آلهة .

تجرى عملية انتخاب الكومارى من بين مجموعة من الاناث من عائلة بوذية معينة بشرط ان يكونوا من طبقة الساكيا ويعمل آباؤهن فى صناعة الذهب . البنات المختارات يشترط الا تتجاوز أعمارهن الرابعة او الخامسة ويكن متميزات بالذكاء والشجاعة والفطنة . ويختار الكاهن الهندوسى الاكبر وخمسة من مساعديه من بين الفتيات من تنطبق عليهن مجموعة شروط منها التميز بالجمال والخلو من أية عيوب جسدية بالاضافة الى علامات قدسية معينة . وتتعرض الفتيات المختارات لاختبار فى غاية القسوة يتم فى الظلام الداكن بالقاعة المقدسة ، حيث يجرى إثارة فزعهن بوجوه وحوش مخيفة وجماجم ينطلق من عيونها الشرر وشياطين وعفاريت يتظاهرون بالانقضاض عليهن . وحين ينتهى الاختبار المثير يقع اختيار الكهنة على الطفلة التى بدت أكثر ثباتا وثقة وشجاعة لتكون هى التجسيد الحى للآلهة برافاتى ، باعتبار ان هذه الميزات لا تكون إلا فى طفلة تليق بالروح الألهية المقدسة ان تتجسد فيها .

تخضع الطفلة بعد ذلك لامتحان آخر عسير ، لمعرفة مقدار طهارة روحها وسلامة طويتها ، وللتأكد من أن احدا لم يدفعها الى ذلك السلوك . وحين يثبت أحقيتها بالمهمة المقدسة تجرى احتفالات ضخمة لتنصيبها إلهة . فيسير موكب دينى ترتفع خلاله دقات الطبول والاهازيج فى الطريق حتى القصر الذى ستقيم فيه طالما استمرت قداستها وطهارتها . وتنتهى هذه القدسية إذا بلغت سن الحلم وخرج من جسدها دم الطمث أو لو حدث ان تعرضت لاصابة دامية . فعندئذ تنحى عن الألوهية وتسقط قدسيتها ويتجهون الى اختيار من تؤهلها صفاتها لتكون إلهة أخرى حية . . كومارى . . وتذهب الالهة السابقة بعد تنحيتها الى بيت اسرتها محملة بالهدايا والعطايا . ولكن حظها يكون سيئا بعد ذلك . . إذ انها تعجز عن الحصول على زوج لانها ستكون شؤما على الرجل الذى يتزوجها إذ سيكون اقرب الى الموت .

ويقول لنا مرافقنا ان هناك حكايات كثيرة تدور حول الكومارى ، فيقال انه حدث فى القرن الثامن الميلادى ان ادعت احد فتيات الساكيا ان روح الآلهة برافاتى قد تجسدت فيها . فأمر الملك بنفيها وطردها من البلاد . ولكن الملكة ثار غضبها وأصابتها علة لم



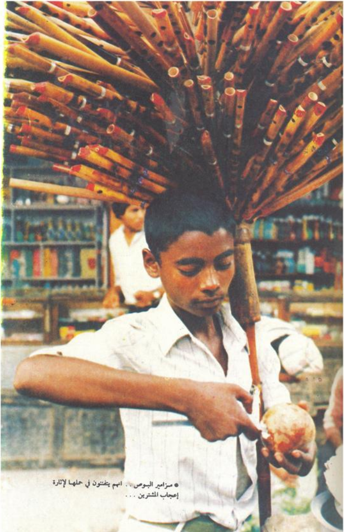
● انهم يصنعون الفخار . . في بختابور . . الاواني من كل صنف تصنعها الايدي الماهرة المدربة .

● متسلقان في طريقهما الى القمة . . انهما لايحتاجان الى حمالي الشيرباس . . .

● المعاناة لاتستطيع أن تمحو من وجهها البسمة برغم الحمل الذي على ظهرها . . . والرباط على رأسها .







● مزامير البوص .. انهم يتفننون في حلها لإثارة إعجاب المشترين ...

تبرأ منها إلا بعد أن أمر الملك باعادة الفتاة ووضعها مغلقا عليها داخل المعبد .

وهناك حكاية أخرى تقول ان احد ملوك « الماللا » تعود أن يلعب النرد مع الالهة « تاليجو » التي كانت تبدو في هيئة بشرية . وذات ليلة حاول الملك اغتصابها لكنها تملصت منه واقسمت ألا تعود الى البلاد ثم اختفت وكأنما تبخرت في الهواء . وأدرك الملك أنها لم تكن امرأة عادية بل كانت إحدى الآلهات ، فأعلن توبته وندمه ورغبته في التكفير عما ارتكبه . وجافاه النوم طوال شهور . . واستجابت الآلهة في النهاية لتوسلاته ، ورضيت بتوبته ، فأسلمت عينيه للنوم ثم ظهرت له في الحلم ، وقالت له انها ستعود ولكن في صورة طفلة لتختبره وترى الى اى مدى كان صادقا في توبته .

وهكذا أصبحت الآلهة تتجسد في طفلة عذراء صغيرة تطمئن الى طهارتها ونقائها . . وتقوم بمباركة الملك في احتفال ديني مرة كل سنة . . وهو تقليد مازال مستمرا حتى الآن ، حيث تذهب في ذلك اليوم - وقد تحلت بأجمل الثياب وغطت رأسها وعنقها بالحلى والمجوهرات - الى قصر الملك في موكب مهيب ، تركب فيه عربة تجرها جياد مزينة بالذهب والورود ويتقدمه الكهنة ، ويستقبلها الملك لتضع على جبهته علامة « التيكا » الحمراء المقدسة رمز البركة الإلهية . . !

غابة من المعابد :

نغادر قصر الآلهة الحية . . ونحن نتنفس الصعداء . . ونطل حولنا . نحن في اعماق غابة زاخرة بالمعابد المختلفة الاشكال والالوان والطقوس والرهبان والتماثيل . .

انها ساحة « دربار » . .

في وسط الساحة يقوم معبد نارايان الذي بني عام ١٦٧٠ وهو اكبر معبد من الخمسين معبدا التي تتناثر بارتفاعات واشكال متباينة . . تختلف باختلاف العبادات والعقائد والطوائف والآلهة . . اما ارصفة الساحة فيتزاحم فيها باعة الخضراوات والفاكهة والعاديات والتماثيل والملابس والاحذية والزهور . سوق غريب يختلط فيه الحابل بالنابل . . . الباعة والمشترون والسياح والرهبان والمتعبدون والزهاد والنساء والعجائز والاطفال والمتسولون . . حتى شرفات المعابد يحتل طبقاتها واركانها وافاريزها نساء يمارسن حياكة الملابس واصلاح الاحذية وجدل السلال وحفر الخشب وكل ما يمكن تصوره من الصناعات والمشغولات اليدوية . وبين هؤلاء واولئك تتنقل الفلاحات حاملات سلال جوز الهند والبنجر والبطاطس والبصل والسمك المملح والفواكه والحلويات وهن يبحثن عن مكان خال يبسطن عليه بضاعتهن ويبدأن تنسيقها والنداء عليها لاجتذاب المشترين والمتجهين الى المعابد لتقديم النذور والقرابين . .

في هذا الزحام ، وكل شيء هنا في زحام ، غرقنا في دوامة من الالوان والروائح المنبعثةمن الاجساد المتلاحمة بعضها ببعض . . وتهنا بين الوجوه التي تختلط فيها الملامح الهندية والمغولية والصينية والتبتية .. **واضطربت خطواتنا لتفادى روث مئات** الابقار التي تفتح الأرض بمخلفاتها على اتساع الطرقات دون ان تحفل بالجالسين والسائرين .. فهى تعلم انها هنا آمنة مطمئنة مقدسة باعتبارها رمز الخصوبة والحياة . لهذا تسير في دلال تتبختر في سعادة وتتردد أى شيء يطيب لها من سلال الباعة دون ان يجرؤ اى انسان على إبعادها او المساس بقدسيتها .

فجأة تضج من بعيد طبول وصنوج وموسيقا صاخبة . ونطل الى بعيد فاذا موكب عرس كبير تتقدمه فرقة موسيقية وراقصون يتمايلون على الانغام وهم يهزون اعلاما ملونة يرفعونها فوق الرؤوس . ويستعد زميلي المصور ، ولا يكاد يصوب عدسته الى العريس الذى يتربع فوق محفة محمولةعلى الاكتاف ، حتى يفاجأ بعجوز يحيى الجماهير عن يمين وشمال ، وقد توج رأسه بالورود والرياحين وأحاط عنقه بعقود كبيرة من الزهور ، والفرحة الغامرة تملأ وجهه وعينيه . ولا يكاد العجوز يقترب على محفته حتى يشير بيديه لحامل المحفة ورجال الموكب ليتوقفوا حتى يلتقط المصور صورته ويرد على تحيته في سعادة . وكان لا بد من تساؤل : وأين العروس ؟

ويجيء الجواب : العجوز لا يحتاج الى عروس . فالموكب الاحتفالي ليس موكب عرس ، ولكنه احتفال

وداعي للرجل وقد بلغ سن الثمانين . فبعد ذلك الاحتفال ستنطلق روحه بعيداعن جسده ، لتتقمص جسد طفل وليد لتواصل معه مسيرة الحياة . . !

أما هو . . فلا أحد يدرى كيف سيواصل الحياة بغير روح ، بعد ان تكون روحه قد تقمصت سواه ، كل ما يدرونه أن دور الرجل قد انتهى ، وان حياة جديدة ستبدأ داخل جسد جديد . . !

ويواصل الموكب طريقه . ونلتفت نحن الى عمود طويل من حجر يشبه المسلة ويتوسط الساحة . وحين ترتفع أبصارنا الى قمته نجد تمثال الملك « بارتاب ماللا » الذى شيدت فى عهده غابة المعابد فى ساحة دربار . ان وجه الملك يتجه نحو غرفة العبادة التى كان يؤدى فيها صلواته فى الطابق الثالث من معبد « ديجوتيلاحو » حيث يقوم تمثال كرشنا فى الركن الايمن ينسدل فوقه ستار يخفى وجهه عن العيون . والستار لا يتزاح الا خلال المهرجان الدينى الكبير المسمى « اندراجاترا » . ففى ذلك اليوم يكشف النقاب عن الوجه القاسى للاله وهو محاط بباقات وعقود الورود والازهار وسنابل الارز . ومنذ اللحظة الاولى تنطلق من بين شفتى التمثال نافورة من العصير المسكر ينساب من خزان يقبع وراء الرأس ، ويتزاحم المتعبدون لينهلوا من السائل الخمرى حتى يرتوى الجميع . . !

باتان . . والقصر الملكى القديم :

ونترك دربار لنتجه الى ساحة باتان . . هنا نجد انفسنا فى مواجهة القصر الملكى القديم . عند مدخل القصر يقوم تمثال الاله القرد هانومان الذى يقدسونه لأنه أنقذ الأميرة سيتا زوجة الأمير راما من ملك الشر رافنا كما جاء فى الرامايانا الهندية المقدسة . التمثال أقيم فى عام ١٦٧٢ عند مدخل القصر وتحوطه عباءة حمراء لا تخلع عنه الا فى ايام المهرجانات الدينية والمناسبات الرسمية . ويعتبر « هانومان » رمزا للتفاؤل والخير والنصر . وحينما كنا وقوفا نطل اليه كنا نرى المتعبدين يقدمون اليه قرابين الارز ويلقون تحت قدميه النقود المعدنية ويشعلون اعواد البخور ، كما يلقى اليه البعض رسائل مكتوبة على قطع صغيرة من الورق تحمل أمنياتهم او تعبر عن توبتهم .

بوابة القصر الملكى التى يقف امامها جنود « الجوركا » بملابسهم السوداء يقوم على جانبيها تمثالان لاسدين من الحجر . الاول يعتليه شيفا ، والاخر تمتطيه زوجته برافاتى . وفوق بوابة القصر تماثيل مجموعة من الآلهة يتوسطها تمثال كرشنا والى جواره الملك بارتاب ماللا . . وهما معا تجسيدان للاله فشنو . وفشنو عند الهندوس واحد من ثالوث الآلهة الذين يسيطرون على الكون ، وهم براهما الخالق ، وفشنو الحافظ ، وشيفا المدمر . . اما براهما فهو القوة الخالقة فى الطبيعة وان كانت عبادته مهملة . واما فشنو فهو الاله الحب الذى ينقلب كثيرا الى انسان يقدم العون للبشر ، وأعظم مايتجسد فيه هو شخصية كرشنا البطل الاسطورى الذى ولد فى السجن واتى بكثير من اعاجيب البطولة ومغامرات الغرام . . وكان يشفى الصم والعمى ويذود عن الفقراء ويبعث الموتى من القبور . ويرسم الواحد من أتباعه على جبهته كل صباح بالرماد الاحمر علامة الفشنو . وهى شوكة ذات اسنان ثلاث ، بينما الشيفى المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته برماد من روث البقر . وينظر الأتباع الى شيفا على أنه إله **القسوة والتدمير** وانه تجسيد للقوة الكونية التى تعمل على تخريب جميع الصور التى تتبدى فيها حقيقة الكون .

يقول لنا مرافقنا : اليوم سبت وهى فرصتكم لتذهبوا الى معبد الآلهة كالى زوجة شيفا . . ولتشهدوا احتفالات تقديم القرابين وذبائح الدم . .

وتنطلق بنا السيارة لأكثر من ساعة جنوبى العاصمة ، وخلال الطريق نتوقف عند الممر الضيق الذى يذكر الجميع بضربة سيف بوذا الاول او صاعقة كرشنا التى شقت جدار البحيرة لتغيض المياه ويظهر وادى كاتمندو . وبعد مسيرة حوالى عشرين كيلو مترا نصل الى معبد كالى . ونتحدر سيرا على الاقدام فى طريق طويل لنهبط فى نهايته على درجات لا يقل عددها عن مائة . ونفاجأ بزحام شديد يمتد على مرمى البصر . طوابير طويلة من اتباع كالى يحملون الاضحيات والقرابين التى نذروها لها . . مئات من الماعز والخراف والخنازير والبط والاوز والدجاج

وغيرها من الحيوانات والطيور كلها ذوات رؤوس سوداء . يحملها او يجذبها اصحاب النذور وفى اعماق كل منهم الامنية التى سيبتهل بها الى الآلهة كالى اثناء تدفق دم الذبيحة ، بعد ان يكون قد همس فى أذنها لتكون مستعدة للتضحية بنفسها قربانا لارضاء زوجة شيفا . ويتقدم الجميع واحدا وراء الآخر الى فتحة تنتهى بدرجات قليلة ، تنحدر الى ساحة تشبه البئر الواسع تحت اقدام تمثال كالى . على ارض الساحة يقف رجال تعرت سيقانهم الغارقة فى بحر من دم القرابين التى يتلقونها من أصحاب النذور ليقوموا بذبحها بطريقة غريبة .. فهم يدفقون كمية من الماء على رأس الضحية ، ويتبعون ذلك بضربة على الرأس بمطرقة ، يليها الذبح بسكين حاد بينما العنق المذبوح يستند الى الجدار الذى تحول الى اللون الاحمر القانى لتتدفق عليه الدماء بقوة ، بينماصاحب النذر يهمس بأمنيته ونذره متجها بوجهه ناحية التمثال الاسود للالهة كالى القائم فى صدر الساحة

يحكى لنا احد اصحاب النذور ماوراء اعتقادهم فى كالى . انها زوجة شيفا الاله المدمر . تركزت فى جسدها قوة الألهة لتصبح مصدر القدسية والعظمة لكل المخلوقات . وعندماتكون كالى غاضبة فانها ترقص فى وحشية وترتعش فوق شيطان وتصب نقمتها على المذنبين . أما عندما تكون راضية فهى تبدوشابة جميلة تمنح الحب والتسامح والخير

ونطل من بعيد متأملين وجه كالى .. وجه بشع وفم فاغر ولسان متدل ، وهى تزدان بالافاعى وترقص على جثة ميتةبينما اقراطها رءوس رجال موتى ، وعقدها سلسلة من الجماجم ، والدم يلطخ وجهها وثدييها ، ومن بين ايديها الاربعه يدان تحملان سيفا ورأسا مبتورا ، بينما الاخريان ممدودتان رحمة وحماية . ذلك انها ايضا ربةالأمومة الى جانب انها رمز الدمار والموت . وفى وسعها ان تبتسم كما ان فى مقدورها ان تقتل . ويقال انها هى وزوجها شيفا اتخذا ابشع صورةممكنة ليلقيا الرعب فى قلوب المفسدين فيرتدعوا ، وقد تكون هذه البشاعة كلها قد أريد بها ان تلقى الرعب فى نفوس العباد فيجودوا للكهنة بالعطاء الكثير !!

الانوف المقطوعة والشفاه والممزقة :

فى طريق العودة من معبد كالى دارت فى رؤوسنا افكار كثيرة .. اذ كيف يفكر هذا الخضم البشرى ممن يعبدون ويقدسون عشرات الالاف من الآلهة فى بلاد كثيرة من هذه الارض ؟ وكيف يؤمنون بكل هذه الألهة وهم يعيشون فى أواخر القرن العشرين بعقلية دينية ما تزال تعبد التماثيل وتقدس الابقار وتنحنى امام بشر وأوثان من دون الله . بينما بلغ عدد كبير منهم قمة التعليم وذروة التقدم وشاركوا بفكرهم وجهدهم فى كل مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع .. بل والوصول الى الفضاء ..!

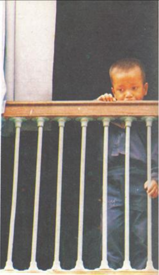
وانتبهنا فجأة من هذا الاستغراق فى التفكير الى ان السيارة قد توقفت بنا عند قرية « كيريتبور » . ونزلنا من السيارة عند بدايةسطح التل لنصعد على الاقدام وندخل القرية التى تشتهر فى كل انحاء نيبال بانها مدينة « ذوى الانوف المقطوعة » .

التسمية لها قصة .. حقيقية هذه المرة ..

فعندما انقضت جيوش الجوركا بقيادة الملك « بريدفى شاه » لغزو وادى كاتمندو ، فوجئوا بمقاومة عنيفة من سكان قريةكيريتبور . واضطرت جيوش الجوركا الى الالتفاف من وراء القرية والانحدار الى الوادى بعد ان ترك الملك قوة ضخمة ظلت تحاصر القرية ثلاث سنوات قبل ان تضطرها الى الاستسلام . وفرض الملك عقوبة رهيبة على سكان القرية الذين قاوموه باستبسال كبير . فجمع كل الرجال فى الساحة وأمر قواته بجدع انوفهم التى شمخوا بها فى مواجهته ، وتمزيق شفاهم التى شجعوا بها بعضهم بعضا . وهكذا التصق اسم اصحاب الانوف المقطوعة بالقرية التاريخية التي ما تزال قائمةبمبانيها الشامخة وسكانها الذين يعتزون بماضيهم وعنف مقاومتهم ، رغم أن القريةتركت منذ ذلك الحين بعيدة عن عجلةالتطور حيث تبدو حياة السكان كما شهدناهم وكأنهم ما زالوا يعيشون فى ظلمات القرون الوسطى .

هنا .. ولد بوذا :

الآن ثمةزيارة لا بد من القيام بها لكل من يزور وادى كاتمندو .. فهنا .. كان مولد البوذية .





● إطلالة الطفل من نافذة البيت .. ونظرة حزينة الى المستقبل .

● وجه معبر .. لنيبالية حسناء .. ونظرة الى بعيد ..



● خليط من الوجوه يؤكد تباين الاجناس التي يتكون منها شعب نيبال . . .

والواقع أن نيبال أرض مقدسة عند البوذيين . . ففيها ولد جاوتاما بوذا . . وعلى سفوحها تلقى الحكمة ، وفى ظل اشجارها اكتسب استنارته ، والى واديها كانت زيارته الاخيرة قبل الصعود الى النيرفانا .

نحن الآن على مسافة قصيرة من مدينة « لومبينى » فى المنطقة الغربية من تيراى ، نقف ومن حولنا الحجاج والرهبان البوذيون ، فى نفس الموقع الذى شهد مولد جاوتاما بوذا حوالى عام ٥٤٣ قبل الميلاد . .

فى وسط هذا الخضم البشرى من الرهبان والحجاج البوذيين نتوقف عند معبد « مايادیفى » أم البوذا . . وهو معبد تجدد عدةمرات للاحتفاظ به كأثر دينى وتاريخى يشير الى مولد الحكيم الذى لم يدع أبدا أنه إله ، ولكنهم بعد موته بسنين ألهوه وعبدوه من دون الله .

ويحكى الرهبان هنا قصة ميلاد جاوتامافى اسلوب اسطورى مثير .

فبينما الملكة مايا نائمة على فراشها إذ رأت فى الحلم أربعة من الملائكة فى ثياب بيض ، يتقدمون منها ويحملونها بكل محتويات غرفة نومها ويطيرون بها : الى أعلى قمة فى جبال الهيمالايا ، حيث تقوم شجرة باسقة خضراء وضعوها تحت ظلها .

واقتربت من الملكة أربع ملكات أدخلنها حماماوألبسنهاثيابا جميلة وعطرنها بعطور زكية الرائحة ، ثم حملنها الى منزل آخر شيد كله من الفضة ووضعنها على فراش آخر يشع بالنور . وهناك هبط فيل ابيض من فوق جبل ذهبى وتقدم منها وفى خرطومه غصن من نبات البشنين ، ودار الفيل حول الفراش ثلاث دورات ، ثم مس جانب الملكة الايمن ودخل فى رحمها واضطرب الملك وهو ينصت الى زوجته . وارسل يستدعى حكماء الساكيا للحضور الى قصره فى كابيلافيستا ليفسروا له الحلم .

قال الحكماء : لا يشغلن بالك شىء ايها الملك السعيد . . فالملكة قد حملت بغلام سيصبح ملكا على البلاد إذا استقر فى بيته . أما إذاغادره هائما على وجهه فى الارض ، فعندئذ سيصبح هوالبوذا كاشف نقاب الجهل عن وجه هذا العالم . .

ولم تمض ايام حتى تحقق ما قاله الحكماء ، وأحست الملكة بالحمل . وكان هناك شىء عجيب ، فقد كان الجنين يبدو واضحا وهو قابع القرفصاء فى رحم أمه ، وظل على هذه الصورة حتى اقترب موعد الوضع . وطلبت الملكة أن تسافر الى اهلها لتضع مولودها هناك . واذ هى فى الطريق فوجئت بالمخاض وهى تحت شجرة سال فى بستان يسمى « لومبينى » . وتحت الشجرة الوارفة الظلال جلست الملكة القرفصاء بعد ان حجبها الخدم عن الانظار .

ولما ارادت النهوض مدت يدها الى غصن الشجرة فانحنى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها . ولم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته ايدى اربعة من البراهمة فى شبكة نسجت خيوطها من اسلاك الذهب . ووقف المولود فجأة وتقدم الى الامام سبع خطوات ثم صاح فى صوت عذب : « انا سيد هذا العالم . . وهذه الحياة هى آخر حياة لى . . »

شجرة الحكمة ومعبد البرج :

موقع آخر له قدسيته عند البوذيين انطلقنا اليه ونحن فى طريق العودة . هناغير بعيد من اقليم ببهار الهندى وفى داخل منطقة باتان ، وتحت شجرة لم يبق منها سوى رمز مكتوب على لافته امامه « تحت شجرةبو المقدسه ـ شجرةالحكمة ـ بلغ الامير جاوتاما فى مملكة الساكيا مرتبة البوذا . . واصبح المستنير » .

وعندما هجر الامير قصر ابيه ليصبح راهبا متسولا وهو فى سن التاسعة والعشرين ، راح يتجول فى الغابات والقرى باحثا عن الحكمة وحقيقة الحياة . وعندمابلغ منه الجهد جلس تحت شجرةوهو يقول لنفسه « هنا سأجلس وافكر فى كل ما تعلمت ، وفى كل ما رأيت فى حياتى ، ومن كل هذا سأكسب الحكمة . فليجف جلدى وتضمر عضلاتى ويهن العظم منى كما يشاء . . ولكنى سوف لا ابرح مكانى هذاقبل ان تنكشف لى الحقيقة وأحيط باسرار الحياة » .

واستمر جاوتامامنقطعا الى حياة التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة . وفجأة تألق وجهه ابتهاجا وهو يقول : « اخيرا وجدت مفتاح الحكمة . إنه اول قانون للحياة . . من الخير يجب ان يأتى الخير . . ومن الشر يجب ان يأتى الشر » .

وتبين جاوتاما انه اوشك على نهاية بحثه الطويل عن الحكمة وانه الان اصبح البوذا المستنير .

تلك هى حكمة بوذا .. نتذاكرها ونحن نلهث على درجات السلم الحجرى الطويل الصاعد على السفح الشرقى للجبل للوصول الى معبد البرج ..

بوذا الاصيـــل :

البرج يطلق عليه اسم معبد « سوايامبونات » .. وهو احد أروع المنشئات فى كل نيبال ، وواحد من اقدم المعابد البوذية فى العالم . على الدرجات الصاعدة الثلاثمائة التقينا باحد الدارسين البوذيين ، لمحناه يقرأ كتابا بالانجليزية ، وأقنعناه ان يسمح لنا بمرافقته خلال جولتنا بين انحاء المعبد ..

ووقفنا امام البرج الرباعى الغريب الذى لاتخطئه العين من أى مكان من وادى كاتمندو . على كل جانب من الجوانب الاربعة للبرج التاريخى الذى ترتفع فوقه قمة هرمية ، تطل نظرتان ثاقبتان من عينين رسما باتقان بحيث تتجه نظرات بوذا الى قلب وادى كاتمندو . النظرات المشرفة على العالم من كل اتجاه تمتزج فيها الرحمة باتساع مدى الرؤ ية تحت حاجبين اسودين كثيفين . وبين العينين رسمت عين ثالثة غامضة تعبر عن الحكمة الصادقه . اما الانف الذى يبدو فى شكل علامة استفهام ناقصة ـ وهى تشبه رقم ١ فى اللغة النيبالية ـ فهو يعبر عن ترابط البلاد وان « الكل فى واحد » .. قال لنا الراهب البوذى :

لقد اتبعت فى تشييد البرج قواعد دقيقة حتى ليعد نموذجا بارزا من نوعه . وكل جزء او قطعه منه لها معناها . فلون الجدران الناصع الباهر يمثل العناصر الاربعة فى العالم : الارض والنار والهواء والماء ، والحلقات الثلاث عشرة التى تحيط بقمة البرج هى درجات المعرفة الثلاثة عشر ، وتمثل درج الصعود الى النيرفانا التى تمثلها المظلة القائمة فوق ذروة البرج . وحول قاعدة البرج تبرز عجلة الصلاة المستديرة التى كلما أدارها أحد الاتباع المخلصين على مدار الساعة ، تمثلت دورة الحياة والموت على الارض .

وهناك طقوس يتبعها البوذيون كلما جاءوا الى المعبد . فالأب يأتى وقد أحاط رقبته بمنديل احمر . ويخلع حذاءه ثم يركع على ركبتيه امام الهيكل الرئيسى عدة مرات . وتتبعه زوجته وابناؤه الذين ارتدوا ازهى الملابس والمجوهرات . ثم يتجه الجميع ليضع الراهب على جباههم علامة التيكا الحمراء رغم انها علامة هندوسية .. كل ذلك بينما مئات القرود تقفز هنا وهناك بين الزائرين وتخطف من ايديهم كل ما يسهل اختطافه ، وخاصة إذا كانت فاكهة لذيذة ..

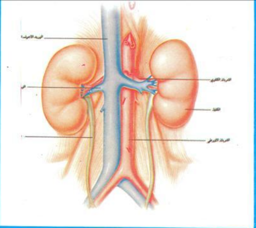
ثم ماذابعد ؟

ليس من الممكن تجاهل الجهود الحثيثة التي يبذلها الملك وحكومته لرفع مستوى حياة الشعب ، وتطوير المجتمع المتعدد الاعراق المتباين العبادات المغرق فى الفقر الذى يستعين عليه الغالبية العظمى بالخرافات والاساطير .

ولكن هذه المحاولات لا تحول دون قيام حركات معارضة تطالب بالمزيد من الاصلاح وبذل الجهد من اجل نهضة اجتماعية واقتصادية وسياسية شامله فى البلاد ..

وبرغم ان الاحزاب ممنوعة فى نيبال ، الا ان الجماعات المعارضه تظهر على السطح فى كثير من الاحيان . وتشتد المعارضة ضد الحكومة ورئيس وزرائها حول الاصلاح الاقتصادى ، وقد كان سقوط رؤ ساء الحكومات يتو الى تحت ضغوط المعارضة التى تستطيع فى كثير من الاحيان أن تستقطب جماهير الشعب للمطالبة بتغيير الوزارات حتى ان الملك اضطر قبل ثلاث سنوات الى إقالة الحكومة .. وهى اول اقالة فى تاريخ الحكم فى نيبال .

وليس أدل على فاعلية هذه الحركات المعارضة من اننا فوجئنا ونحن فى طريقنا الى المطار لمغادرة كاتمندو ، بثلاثة تفجيرات عنيفة تمت فى وقت واحد ظهرا ... كان اولها انفجارا على مدخل الجمعية الوطنية بينما كان موكب الملك بيرندرا فى الطريق لحضور حفل افتتاح الدورة الجديدة والاستماع الى بيان الحكومة ، وكان الانفجار الثانى وسط الميدان الرئيسى فى قلب العاصمة .. اما القنبلة الثالثة فقد فجرت بالقرب من القصر الملكى .. برغم ان الملك هو نفسه تجسيد للاله فشنو .. موضع تقديس الجميع ..! □



الحصيات الكلوية

حصاة واحدة .. نوبة واحدة ..

بقلم : الدكتور غسان حتاحت،

تأتي النوبة الكلوية على غير موعد ، وتذهب فجأة دون وداع .. لكن آلامها لا توصف اذا جاءت وتمكنت ، وحتى وقت قريب كانت الجراحة وشق البطن لاستئصال الحصاة الكلوية هي العلاج الوحيد ..

اما الآن ، ومع تقدم الطب فقد أصبحت العملية سهلة سريعة ، وأصبحت النوبة الأولى هي الأخيرة .. فما الذي حدث ؟

الحصيات الكلوية ـ وما ادراك ما الحصيات الكلوية ـ ذلك المرض الشائع الذي يسبب النوب (القولنجات) بآلامها الاشتدادية المبرحة ، تبدأ من الخاصرة وتنزل على مسير الحالب ، مسببة لما دونه كل ألم ، يتزايد حتى ليتمنى المصاب لو كان ترابا . ويترافق مع الغثيان والقيء ، وينعكس الى مناطق أخرى قريبة وبعيدة . يبكي المريض ويصيح ، ويتقلب في سريره ، ينطوي وينثني في وضعيات لا يستطيع الخيال أن يتصورها ولا القلم أن يصفها . ويضنى المريض ، ويزيد الألم ويزيد ، يخف بالدواء حينا ، ثم يعود من جديد حتى يأذن الله بزواله ، يأتي غير مدعو على غير موعد ، ويذهب فجأة دون وداع ، لابارك الله فيه اذ جاء ولا رده اذ مضى .

ويذكرني ذلك الألم الذي عرفته تكرارا ـ مريضا وطبيبا ، بنكتة قرأتها مرة عن صحفي سأل راقصة عمن علمها الرقص فقالت : النوبة الكلوية !!

ونستبشر خيرا ونحن نقرأ في المجلات الطبية عن العمليات الحديثة في استخراج الحصاة ، عمليات سهلة لا تقتضي ـ كالسابق ـ شق البطن جرحا يزيد على الشبر قليلا او كثيرا (عرفته مريضا هذه المرة لا طبيبا) . بل كل ما تتطلبه جرحا يسيرا ثم ادخال منظار الى الكلية بعد تحديد موضعها وموضع الحصاة فيها بالاشعة والأمواج فوق الصوتية . وتستخرج الحصاة ويخرج المريض من المستشفى بسرعة ، بعد ايام قليلة ، ويعود الى عمله وكأن ما كان لم يكن .

ونقرأ عن المباديء الجديدة ان النوبة الأولى يجب ان تكون النوبة الاخيرة ، وان الحصاة لا ينبغي لها أن تتشكل ثانية .

ولئن كانت النوبة الأولى أتت على غير ما موعد ، ولا سبيل الى توقع حدوثها او الوقاية منها فان طرق الوقاية من عودة تشكل حصاة جديدة غدت ممكنة تطالعنا الابحاث الطبية بالجديد عنها كل يوم .

وتشير الدراسات الى ان احتمال تكرر حدوث الحصيات لدى من كانت لديه حصاة واحدة هو ٢٠٪ خلال خمسة اعوام . بينما ترتفع هذه النسبة لدى من تشكل لديه حصاتان الى ٨٠٪ خلال عامين .

ويقف الطب اليوم امام التحدي ، فلا يكفي استئصال الحصاة كما كان يُفعل في الماضي ، بل لابد من معرفة سبب تشكلها اولا . ومنع تكرر حدوثها ثانية .

وفي هذا المجال تنشأ العيادات المتخصصة في الحصيات الكلوية في المراكز الطبية الهامة ، يؤمها الناس من اقطار الدنيا بحثا عن الدواء والشفاء .

ولمنع تكرار حدوث هذه الحصيات لابد من دراسة مستفيضة وخطة محكمة . تبدأ اولا بالحصول على قصة مرضية مفصلة ، خصوصا فيما يتعلق بعادات التغذية كتناول الحليب ومشتقاته (الغنية بالكلس بكثرة) . واللحوم والسواقط (الكبد والنخاعات وما اشبه) التي تزيد من كمية حمض البول في الجسم ، والخضار والفواكه غير الناضجة خصوصا (التي تزيد من كمية الاوكسالات) .

ثم لابد من الاستفسار عن السوابق المرضية العائلية ، كوجود حالات وراثية يحصل فيها فرط امتصاص الكلس في المعى ، أو فرط اطراحه في البول ، أو وجود داء النقرس او فرط نشاط في الغدد المجاورة للدرق ، او آفات كلوية وراثية .

ولابد من السؤال عن الادوية المتناولة ، فبعض الادوية تمهد لحدوث الحصيات ، ومن الجديد في هذا المجال ان تناول الفيتامين C بكثرة ، وهو الذي يعتبره بعضهم دواء كل داء ، قد يؤدي لدى ٢٥٪ من الناس الى تشكل الحصيات اذ يتحول في اجسامهم الى أوكسالات ، لذلك يجب على هؤلاء الناس الامتناع



عن تناوله دوائيا بأي شكل من الاشكال عندما تكون لديهم زيادة في طرح الاوكسالات .

تتشكل الحصيات بصورة رئيسية من الكلس والاوكسالات وحمض البول والنشادر والفوسفات بعضها او كلها . وبالتالي فان الوقاية منها يجب ان تتركز على هذه المواد . وأن أية اضطرابات ولو جزئية في زيادة هذه المواد او تغير نسبها قد تؤدي الى تشكل الحصيات .

وان ٩٠٪ من الحصيات تحوي الكلس ، بينما جزء قليل منها يحوي الفوسفات الثلاثية (الكالسيوم والأمونيوم والماجنزيوم) وهذه الحصيات الاخيرة تنشأ بسبب تكرر حدوث الانتانات البولية الناجمة غالبا عن وجود انسداد في المجاري البولية .

ان فحص كافة الحصيات سواء النازلة تلقائيا او المستخرجة جراحيا يساعد على تبين نوعها وتركيبها ، ولابد من اجراء فحوص اخرى .

ويأتي في مقدمة هذه الفحوص تحري مقدار كلس الدم ، وقد ظهر ان ٣ - ٥٪ من الحصيات تنشأ عن زيادة في كلس الدم سببها فرط نشاط الغدد المجاورة للدرق واستئصال هذه الغدد يمنع تكرر حدوث الحصيات .

ولابد من فحص كلس البول واوكسالات البول وحمض البول ، وذلك في البول المجموع خلال ٢٤ ساعة بينما المريض على حمية عادية .

فاذا كان حمض البول مرتفعا فيمكن له ان يشكل نواة يتوضع عليها الكالسيوم ، وباعطاء مذيبات هذا الحمض وبعض المدرات يمكن منع تشكل الحصاة .

اما من يطرح الكلس في البول بكثرة ، وتشاهد هذه الحالة لدى ٥٠٪ ممن لديهم حصيات ، فهنا نميز ثلاث حالات ، فاذا كان مقدار الكلس في الدم مرتفعا ايضا كان لابد لنا من التفكير في حالات فرط نشاط مجاورات الدرق كما اسلفنا ، اما اذا كان مقدار الكلس في الدم طبيعيا ، يكون الاطراح البولي ناجما اما عن زيادة الامتصاص المعوي للكلس ، او زيادة الاطراح الكلوي بسبب آفة كلوية ، ويتم التفريق بين هاتين الحالتين بمنع المريض عن الطعام لفترة معينة يعاير الكلس في البول بعدها فاذا كانت الزيادة ناجمة عن اضطراب في الامتصاص في المعي نقص مقداره ، بينما اذا كانت ناجمة عن فرط اطراح في الكلى لم ينقص المقدار ، ومثل هذا التمييز ضروري جدا ، اذ يجب في الحالة الاولى تحديد تناول الكلس بينما لا يجوز ذلك في الحالة الثانية اذ يؤدي الى نقص مخزون الكلس في العظام .

توصيات وقائية عامة :

ثمة وصايا هامة ينصح بها للوقاية من الحصيات الكلوية :

أولها واهمها هو شرب الماء بكثرة ، فالماء يغسل المجاري البولية غسلا ميكانيكيا ويذيب الاملاح التي يمكن ان تترسب .

وثانيها اتباع حمية مناسبة ، فمن كانت حصياته او رماله كلسية يستفيد من الامتناع عن الحليب ومشتقاته ، ومن كان في حصياته اوكسالات لابد له من الامتناع عن تناول كل ما يحوي هذه المادة كالخضار والفواكه غير الناضجة والبندورة والسبانخ والكرز والخوخ وما اشبه . وعدم تناول الفيتامين C دوائيا كما اسلفنا .

اما من كان في رماله او حصياته حمض البول فلا بد له من الامتناع عن تناول اللحوم والسواقط بكثرة وهنا تفيد أيضا مذيبات حمض البول وبعض المدرات الخاصة .

واشير الى ان اهمية الحمية في هذه الحالات في تذبذب بين صعود وهبوط لكن الدراسات الحديثة توحي بارتفاع أسهمها .

ثم لابد من الوقاية من التهابات المجاري البولية ، واصلاح أي تشوه في الكلية او المجاري يمكن ان يؤهب لحدوث الحصيات .

وان الحياة النشيطة الحافلة بالحركة ، واللجوء الى التمارين الرياضية اللطيفة تؤدي الى الوقاية من تشكل الحصيات .

ونستبشر خيرا ، فالابحاث الطبية مستمرة ، ومن كان يظن أنه سيأتي يوم تستخرج فيه الحصيات من شق لايكاد يزيد عن قطرها الا قليلا ؟ .

ونتطلع بأمل الى ما يعدنا به طب عام ١٩٨٥ والمستقبل ، من أن النوبة الأولى ينبغي أن تكون النوبة الاخيرة ، وان الحصاة الأولى يجب ان تبقى الحصاة الوحيدة ، وان اقتضت الحصاة جراحة فالجراحة سهلة هينة . □

هدية العربي

المعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية

مع هذا العدد الممتاز تقدم « العربي » لقرائها « هدية العدد » ، وهى لوحة بالألوان للمعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية . . وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن ننشر المعلومات عن كل معدن أو حجر كريم فى المساحات التى تتناسب معها . . ورغم ذلك فقد ضاقت المساحة عن كل المعلومات التى كان علينا تقديمها للقارىء ، . . . .

وهنا نورد بعض الايضاحات عن معيار القيراط وقياس صلابة الأحجار . . وأسماء المراجع التى استعان بها الكاتب فى تقديم هذه المعلومات .

القيراط

القيراط معياران مختلفان لامعيار واحد . فهو معيار وزن فيما يتصل بالماس والأحجار الكريمة ، ويساوى القيراط المترى ، وهو الذى أقروه دوليا سنة ١٩٣٢ ، خُمس الغرام أى ٢٠٠ ملغرام . والقيراط معيار نقاء فيما يختص بالذهب . فيقال ذهب ٢٤ قيراطا اذا كان الذهب خالصا ١٠٠٪ ، ويقال ذهب عيار ١٨ اذا كان مخلوطا بمعدن آخر بنسبة ١٨ قيراطا ذهبا و٦ قراريط من المعدن الآخر .

الصلابة

الصلابة هى خاصية الأحجار الكريمة المميزة . . وتعنى لغة القسوة والصلابة وبالانجليزية hardness وتعنى اصطلاحا مقاومة الحك أو التآكل او الانسحاج (abrasion) . . ويجرى قياس الصلابة بجهاز اسمه (Sclerometer) وهو يقيس مقدار الضغط اللازم لحك المعدن المراد معرفة صلابته . . ويتم ذلك وفقا لمعيار أو جدول موه Moh's scale . . ويعطى هذا الجدول مقدار صلابة المعادن الرئيسية كالتالى :

١ ـ بودرة تلك ٢ ـ الجبس ٣ ـ الكسيت ٤ ـ الفلورايت ٥ ـ الاباتيت ٦ ـ أورثوكليز ٧ ـ الكوارتز ٨ ـ توباز ٩ ـ الياقوت ١٠ ـ الماس .

فالتلك اذن هو أقل المعادن صلابة ، وتقدر صلابته برقم (١) والماس هو أصلبها بلا نزاع وتقدر صلابته برقم (١٠) ، ويفحص المعدن الذى يراد تحديد صلابته بحكه بهذه المعادن العشرة ، فاذا استطاع المعدن حك الفلورايت بلغت صلابته (٥) أى أكثر من الفلورايت بمرتبة .

المراجع

المراجع التالية هى التى اعتمدناها شاكرين فى تحديد أسماء ومصطلحات المعادن الكريمة فى اللغة العربية . .

* موسوعة بهجة المعرفة ـ دار المختار جنيف
* معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، احمد الخطيب ، مكتبة لبنان ـ بيروت .
* لسان العرب ، دار اللسان بيروت وخصوصا المعجم الملحق به ، وهو مجلد رائع اعداد يوسف خياط . . . فهذا معجم قيم يورد المصطلحات العلمية العربية وما يقابلها فى اللغات الأجنبية ، ويعتمد فيها يعتمد وفيها يختص بالأحجار الكريمة ، كتاب الجماهير فى معرفة الجواهر المعروف ، وكتاب نخب الذخائر فى معرفة الجواهر (للتيفاشى) . □

وجهاً لوجه



محمد حسنين هيكل و محمود المراغي

* لا حرية صحفية في غيبة الوقائع !
* على الصحفي أن يختار أين يقف : قريبا من رأس السلطة أم . . من ذيلها
* الخبر هو المعرفة . . والرأي هو التوجيه
* برحيل عبد الناصر . . انتهت الثورة . . وبقيت السلطة
* المشاركة في صنع القرار . . تهمة لا أدفعها . وشرف لا أدعيه .

لا يحتاج محمد حسنين هيكل الى تعريف ، فهو الأبرز بين الصحفيين العرب،وهو من أبرز الكتاب الصحفيين في العالم . ولكن . . لأن الحوار يختار جانبا من الشخصية ، فإننا نستطيع القول اننا نحاور شاهدا على العصر .

بدأت شهادته من موقع الأحداث الكبرى في الاربعينيات وبداية الخمسينيات : الحرب الكورية ، الثورة الايرانية التي قادها مصدق ، حرب فلسطين ، ما صنعته من تفاعلات في القاهرة انتهت الى الثورة ، ونقلت موضع الشاهد ليصبح أكثر التصاقا بالأحداث . بل . . أكثر اندماجا في فصولها بحكم قربه من زعيم الثورة جمال عبد الناصر .

لكن . .

محمد حسنين هيكل مشاهد غير عادي ، كان دائما في الدائرة السياسية ، لكنه رفض الاشتغال فيها ، دخل الوزارة ورفض الاستمرار ، حاول الكثيرون جذبه الى مجالات العمل الحزبي والنقابي ، لكنه آثر أن يكون بالدرجة الأولى كاتبا صحفيا . . يرى . . ويسمع . . يقرأ ويكتب ويقول .

من خلال ذلك كله أصبح أحد أعمدة التحديث في الصحافة العربية ، وأحد رواد مدرسة يمكن أن نسميها . . . . . « مدرسة صحافة المعلومات » .

وهي نفس المدرسة التي يعتقد محاوره ـ محمود المراغي ـ أنه ينتمي اليها ، مع فارق بسيط . . أنه بينما كان المدخل عند هيكل . . السياسة والحرب . كان مدخل محمود المراغي ومنذ أن بدأ عمله الصحفي عام ١٩٥٧ هو . . . الاقتصاد والأرقام وعالم المال .

وبينما كان هيكل عازفا عن أن يلعب السياسة بشكل مباشر ، شارك المراغي في قيادة وتأسيس أحد أحزاب المعارضة المصرية في السبعينيات ، كما شارك منذ الستينيات في العمل النقابي كعضو ، ووكيل نقابة للصحفيين المصريين لعدة دورات ، وكأمين مالي لاتحاد الصحفيين العرب في دورة واحدة .

وأخيرا ، فبينما كانت التجربة العريضة لمحمد حسنين هيكل في بلاط صاحبة الجلالة . . الصحافة اليومية مخبرا ومحررا ورئيسا لتحرير أكبر صحيفة عربية وهي الأهرام .

كانت التجربة الرئيسية للمراغي في الصحافة الاسبوعية كمخبر ومحرر اقتصادي ـ ونائب لرئيس تحرير روز اليوسف ، مع انطلاقة صغيرة بالصحافة اليومية كمدير لتحرير جريدة الوطن الكويتية .

المراغي . . . ٢٨ عاما من العمل الصحافي و ٦ كتب في الاقتصاد والادارة يحاور محمد حسنين هيكل (٤٠) عاما من العمل الصحفي و (أكثر من ٣٠ كتابا . . . . . .

وجها لوجه . . . . يبدأ الحديث .

الصحفي والسلطة

المراغي : فلنبدأ حيث تتجه الانظار الى محمد حسنين هيكل . صحفي كبير أتيحت له الظروف أن يكون قريبا من السلطة ، وكانت معظم التجربة مع عبد الناصر ، وهو زعيم من طراز خاص ، وكانت السلطة في عهده أقوى ما تكون السلطة .

والسؤال : هناك وجهتا نظر . . . . واحدة تقول ان الاقتراب من السلطة ضروري للصحفي ، لأنها مصدر المعلومات ، والثانية ترى أن الاقتراب منها يلغي حرية الصحفي ، ويؤثر على رأيه . أستاذ هيكل . . على ضوء التجربة

ماذا تقول ؟

يجيب هيكل . . . .

أولا لا يجب أن تتكلم عن الصحفي بالوصف الشائع الذي يشمل كل العاملين في المهنة . لابد أن نفرق بين ثلاثة أنواع من الصحفيين . . . .

×× **مخبر صحفي .**

×× **صاحب الرأي وهو المقصود من السؤال .**

××ثم الفنيون .

وايضا . . عندما نتكلم عن المخبر الصحفي فلا بد أن نتكلم عن ثلاث مهام . . . .

×× جمع الأخبار .

××**تقديم الأخبار بحيث تصل الى فهم القارىء** وادراكه .

×× **التعليق على الأخبار . . أي مجال ابداء الرأي والسؤال ـ ومازال الكلام للاستاذ هيكل ـ من يملك المعلومات ، من هو صانع الخبر ؟**

بالطبع هو الذي في موقع السلطة أيا كان-من هنا لابد للمخبر الصحفي أن يكون على علاقة وثيقة بمصادر الأخبار . الصحفي من وجهة نظري ليس الا مجموعة مصادر ، أنا لا أتكلم عن مخبر يزين الخبر أو يحوره أو يختلقه ، لكني اتحدث عن المخبر الصحفي كما ينبغي أن يكون .

أي المخبر الذي مهمته الرئيسية هي العثور على الخبر الصحيح ، هنا . . **لابد أن يكون للصحفي علاقة وثيقة بالسلطة . وهي علاقة بين طرفين ، أحدهما وهو صاحب القرار** ، يريد أن يحتفظ بالخبر ، ولو أن مصلحته في أن يصل الخبر الى الناس بشكل معين .

والطرف الثاني ، وهو الصحفي ، . يريد الوصول الى الحقيقة ، كل الحقيقة ، وأن ينشرها كما هي .

أنا أقول ليس هناك صحفي يستطيع أن يبتعد أو يعادي من يحكم أو يصنع القرار .

من تجربتي الخاصة التي هي في نفس الوقت تجربة الصحافة في العالم الثالث يمكن القول . . إنه كلما اقترب الصحفي من السلطة اقترب من صنع القرار .

وعندما تكون السلطة وطنية والموضوعات لاخلاف عليها ،لايكون التناقض عميقا بين الصحفي وصانع القرار .

نعم . . يوجد خلاف لكنه بسيط .

هذا النوع من العلاقة ، وهذا النوع من الصحفيين وكتاب الرأي البارزين ، موجودون في العالم كله ، بشكل أو بآخر بجوار من يصنع القرار .

حتى أصحاب الرأي . . .لابد أن يكونوا حريصين على اقترابهم من السلطة ، اذا أرادوا أن يقدموا رأيهم في قضية ما . هذا . . الا اذا كنا نتكلم عن مخبر صحفي في صحيفة معارضة ، وهنا يتأثر عمله بحكم وجوده الحزبي ، وبحكم تأثره بعملية توظيف الواقع من خلال هذا الحزب ـ فهو . . يهتم بأخبار معينة ، ويهتم باتجاهات معينة .

وبصفة عامة لايمكن فصل السياسة عن الصحافة ، لأن الصحافة هي جزء من العمل السياسي .

الاستاذ هيكل مازال يتحدث . .

ان تجربة العالم الثالث بصفة عامة ، بل تجربة العالم كله تؤكد على أن الصحافة جزء من الحياة السياسية ، وبالتالي اذا كانت هناك تعددية في الحياة الاجتماعية ، سواء كان ذلك عن طريق اعادة توزيع الثروة أو الوصول ، لكن . . في مجتمع يمر بمرحلة نمو معينة ، أو لم يكتمل فيه نمو طبقاته ، لانجد فيه تعدد سلطات ، بل سلطة واحدة ، في العالم الثالث لايمكن أن تقول بوجود تعدد السلطات ، ومهما تعددت المؤسسات فالسلطة في النهاية واحدة . . أي لاتوجد صحافة حرة .

حتى في انجلترا . . لاتوجد صحافة حرة . لاأحد يقول رأيه في المطلق . . فكل رأي ينتمي الى شيء ، سواء كان هذا الشيء تنظيما أو حزبا .

بعد ذلك يعود الأستاذ هيكل الى الحديث عن الصحفي وعلاقته بالسياسة ، فيسأل أو يتساءل . . . .

من الذي كتب اعلان ويلسون بنقاطه الـ ١٤؟ انه والترليبمان . اذن منذ أول القرن وحتى في المجتمع الامريكي ، حيث الصحافة المتقدمة والمتنوعة والصحفيون الكبار في مواقع صنع القرار . ولقد وجد « ليبمان » نفسه ليس فقط قريبا من مواقع صنع القرار ، بل يكتب للرئيس نقاطه الاربع عشرة

ويفاوض في فيتنام ، أو على الأقل يحضر لصلح فيتنام .

المشكلة في وطننا العربي أننا نملك ألفاظا كبيرة . نتكلم عن حرية الصحافة وحرية المعلومات وكأننا نتكلم في المطلق ، ذلك انه عندما يعجز الانسان عن الفعل يعوض هذا العجز باللفظ . ابتعاد الصحفي عن مصدر صناعة الخبر غير عملي ، والمهم هو ألا يزيف أو يكون أداة في يد صانع الخبر .

والحقيقة انه في العالم الثالث ، حيث نمر بمراحل من التطور السياسي ، يكون فيها الخلاف بين المخبر الصحفي وصانع الخبر ليس كبيرا ، والتناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس حادا . والصحفي يجد نفسه مشدودا الى مجال صنع القرار ، وهنا عليه أن يختار أين يقف . . . هل يقف قريبا من ذيل السلطة أم من رأسها .

سلطتان مختلفتان

المراغي : ليسمح لي الاستاذ هيكل بوقفة قصيرة .

تقول ان التناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس كبيرا ، ومن هنا فالاقتراب لايشكل قيدا على الصحفي ، ولكن ماذا اذا كانت السلطة غير وطنية ، أو غير متوافقة في الاتجاه مع ما يعتقده الصحفي .

أقول ذلك وعيني على تجربتين خاضهما محمد حسنين هيكل : الأولى . . مع سلطة وطنية تمثلت في عبد الناصر . والثانية . . مع طراز آخر هو أنور السادات ، وفي الفترتين عمل صحفيا وشارك بدرجة أو بأخرى ، ولفترة أو أخرى في اتخاذ الكثير من القرارات الهامة .

هيكل : بالنسبة للنقطة الأولى . . نعم كنت مشاركا ، فعندما تكون في مجال صنع القرار لايمكن أن تكون أبكم . . . صانع القرار الوطني يتكلم مع كل من حوله ، والحصول على الأخبار ليس فقط جلب الخبر ، ولكنه أيضا بالدخول طرفا في الحوار .

وعمق هذا الحوار هو الذي يحدد مدى مشاركتك ، وكلما كنت مهتما بالقضايا المطروحة تعمقت درجة المشاركة بالضرورة .

وعندما تقول . . اني شاركت في صنع القرار ، أقول كما قال سعد زغلول **تهمة لا أدفعها ، وشرف لاأدعيه .**

نعم . . كنت موجودا . . وكنت سعيدا بذلك .

لكن . . عندما تقول سلطة وطنية وأخرى غير وطنية . . .

أقول . . . . عندما تبين لي ، **أو عندما شعرت بالشك في نوايا أنور السادات . . اختلفت وابتعدت عنه .**

أنا لا أعتبر أن السلطة قد تغيرت في ١٤ مايو ١٩٧١ لم تتغير السلطة لا في الشكل . . ولا في الجوهر ، ذلك **أن أفرق بين الثورة . . والسلطة والاتجاه .**

انتهت ثورة يولية ١٩٥٢ برحيل عبد الناصر . اي في تمام الساعة الخامسة وعشر دقائق من الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠ . . . توقفت الثورة ، أكره أن أقول هذا ، لكنها الظروف .

انتهت الثورة وبقيت السلطة . . فاختلفت عناصرها التي تركها عبد الناصر . لايجب أن يقول أحد ان هذا قد حدث بأثر رجعي ، ولأسباب لا علاقة لها بالاتجاه ، وكان ١٤ مايو هو الفيصل . وما يثبت بعد ذلك ليس دليلا.

في البداية . . **أيد الجميع ١٤ مايو ، حتى خالد محيي الدين** الذي أسس حزبا معارضا فيما بعد ، أيد ما حدث في ١٤ مايو ، وطبعا لا أستطيع أن أحكم بالنوايا أو الاتجاهات الخفية .

يكفيني من أنور السادات حتى ٦ اكتوبر . ثم اختلفنا معه بعد ذلك .

بعد فصل القوات قلت إننا نسير الى الكارثة ، وإننا نسير الى صلح منفرد . كتبت ذلك في مقالات نشرت بالاهرام ، وكانت سبب الانفصال النهائي بيننا .

اذن ، شاركت في صنع القرار مع سلطة وطنية لاشك فيها ، وحتى الآن اعتقد أنى مازلت مخبرا نشيطا .

شاركت مع عبد الناصر وبعده ، لأني كنت أعتقد أن الحرب هدف لا يحتمل أي لعب . كنت أتصور أن

الحرب هدف يجمع بين كل الناس ، **قمت بكتابة أمر القتال للمشير أحمد اسماعيل ، كتبت خطبة أنور السادات التي القاها في مجلس الشعب ، اشتركت في وضع الخطة الاعلامية والسياسية لحرب اكتوبر وموقفنا في مجلس الأمن .**

كان ذلك آخر ما فعلته في عهد السادات . **ثم اختلفت الاتجاهات فاختلفت الطرق** . فاصبحت لاأشارك ولا أعبر عنه ولا حتى كمخبر صحفي .

أعلنت خلافي أكثر من مرة . بعد حرب اكتوبر كتبت مجموعة مقالات بعنوان « **عند مفترق الطرق** » ثم قلت رأيي في كتاب ـ **الطريق الى رمضان** ـ وهكذا أعلنت الخلاف بيني وبين السادات .

الصحفي .. والوزير

المراغي : قبل أن ننتقل من قضية الصحفي والسلطة أقول .. لقد مررت بتجربتين في هذا المجال .

تجربة أطول وأعرض وهي .. التجربة الصحفية .

تجربة قصيرة لم تستمر عاما ، وهي تجربة الوزير المشارك في السلطة مشاركة مباشرة من خلال التجربتين . أيهما أكثر تأثيرا في رأيك .. الصحفي ومهمته القول . أم الوزير ووظيفته الفعل ؟

هيكل : أقول : الصحفي أكثر تأثيرا .

كوثيقة يجب العودة الى خطاب الاعتذار عن الوزارة بعنوان « ايضاح » ففي هذه الوثيقة وضعت أسباب ترددي في قبول الوزارة ، حدث ذلك أربع مرات ..

الأولى في عام ١٩٥٦ ، وكانت في أول وزارة شكلها عبد الناصر .

الثانية .. في وزارة الوحدة عام ١٩٥٨ .

وكانت **الثالثة** عام ١٩٦١ بعد الانفصال ، **وأخيرا** في عام ١٩٦٧ بعد الحرب ، في كل ذلك **قلت .. لا .**

حتى كان عام ١٩٧٠ ، حيث أعلنت الوزارة ، وعلمت بها من الراديو ولم أكن أعرف .



جمال عبد الناصر

بعد رحيل عبد الناصر بأربعة أيام كتبت خطاب اعتذار عن الاستمرار ، وكان ذلك في يوم الجمعة ٢ اكتوبر . وكانت مناقشة طويلة قبل اجتماع مجلس الوزراء ، ويومها قال لي وزير الدولة سامي شرف .. ماذا تريد للناس أن تقول ؟ .. واحد فقط عنده وفاء ، ولا يستطيع العمل بعد عبد الناصر ..؟

وكان ردي .. لا .. أنتم تقومون دائما بأعمال تنفيذية ، أما أنا فقد قبلت الوزارة بشروط ، والى شخص معين ، أما وقد حدث ما حدث فأنا في حل من وعدي . أنا عائد الى مكاني الأصلي .

المهم .. أعود الى اجابة السؤال فأقول

ان الصحفي أكثر أهمية من الوزير .

لأن أي قرار يفقد أهميته اذا لم يفهمه ويستوعبه الناس . وقد قلت من قبل ان مهمة الصحفي هي جلب الخبر .. وعرضه بطريقة مفهومة .... وتحليل خلفيته ، أي أن يضع الصحفي القارىء في موقع الخبر على الخريطة العامة . من هنا أؤكد على أن أي تصرف لاقيمة له الا اذا استوعبه الناس ، ووضع الجماهير في كامل أجواء الخبر والصورة .

المراغي : هل أفهم من ذلك .. أنك تعتقد أن الرأي العام أكبر من السلطة ؟

هيكل : حتى اذا لم أقل هذا .. أعتقد أن الرأي العام ليس أكبر من السلطة بهذا التصور . أنا ضد الثنائيات المتعسفة .. الرأي العام والسلطة .. لابدمن تكامل بين الفعل والقول . وقضية الصحافة ليست الكلمة وحدها ، ولكن قضيتها هي كلمة قادرة على الفعل . الكلمة الانشائية تنتهي في لحظتها ، والاستمرار للكلمة المعبرة عن حقيقة واقع هو جزء من تصور الناس

حرية الرأي وحرية التوجيه

المراغي : نعود الى الأصل .. الصحفي والسلطة .. الى أي حد يمكن أن تكون علاقة الصحفي المشتغل بالرأي مع السلطة قيدا عليه ؟

هيكل : القيود موجودة داخل كل الناس .. وبالتالي فهي قائمة في العمل الصحفي أيضا . ورغم أي صداقة أو ود بين الصحفي والسلطة فالصراع بينهما موجود ، والتناقض قائم ، وهذا طبيعي ، بسبب وجود ضرورات تقتضي في مجال السلطة عدم القول بكل شيء . بينما يريد الصحفي أن يقول الحقيقة ، أي يقول كل شيء .

أروي لك تجربتي في هذا المجال ..

لقد ظللت أقاوم في مصر فكرة تنظيم الصحافة حتى عام ١٩٦٠ . وكنت أعتبر التأميم خطوة الى الوراء . وان ملكية الدولة أمر غير مستحب ، لذا فقد تم اختيار صيغة أخرى أقرب الى الصيغة التعاونية . حينذاك صدر قرار تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠ ، وهو ينص على أن نصف العائد للعاملين في الصحيفة ، والنصف الآخر ، للاصلاح والتجديد ، بينما يحتفظ المالك - الاتحاد الاشتراكي - بالرخصة فقط .

وتقدمت بفكر الصحافة العربية المتحدة ، لأوائم بين صيغة الملكية وفكرة الاستقلال . ولم يكن ذلك نكوصا عما كنت اعتقد .

ملكية الصحافة في العصر الحديث أمر غير مجد ، ليس في مصر وحدها بل في العالم كله . جريدة الأوبزرفر البريطانية تعبير مباشر عن مصالح صاحبها .

جريدة « **التايمز** » ظلت حتى عام **١٩٤٠** متمسكة بفكرة مهادنة المانيا . وظلت افتتاحياتها الى ما بعد الحرب تعبر عن ذلك ، مخالفة الاتجاه العام ومعبرة عن أصحابها .

في مصر ، كانت معركتي مع الاتحاد الاشتراكي ، من أجل تجنب الوضع الآخر ، وهو سيطرة الدولة أو التنظيم السياسي الرسمي للدولة ، هم يريدون ملكية الصحافة وتنظيمها ، وأنا أطالب بالتعاونية كحل وسط بين التأميم والملكية الفردية . وأظن أن البحث عن حل وسط ظل هاجسا لدى الكثيرين ، من بعد محاولتنا في مصر . كانت هناك تجربة « **الموند** » التعاونية ، وجاءت مناقشات اليونسكو التي ثبتت عن طريق آخر غير التأميم وغير الملكية الفردية .

على أي حال ان ما أريد التأكيد عليه **هو أن الرأي يتصل بالملكية** . وأن الرأي في الجريدة اضافة . فالجوهر الحقيقي في الجريدة هو الخبر .. هو ما جرى .

المخبر رجل يحصل على خبر ، وهذا هو صميم الديمقراطية ، جوهر الصحافة هو الخبر ، أنت تقول مخبر صحفي ، أستطيع أن أعيش اذا قلت لي كل ما يجري وبدون آراء ، لكن كيف أعيش بالآراء وحدها دون أن أعرف ما جرى ؟!

ان ما يحدث الآن في الصحافة هو آراء .. آراء لكن لم يقل أحد ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟ حتى يمكن التعليق عليه .

حرية الصحافة هي حق الناس في أن تعرف حقيقة ما جرى ، وقد تقدمت هذه القضية في العالم كله ما عدا العالم المتخلف . هذا العالم لا يمنع الآراء ، ولكنه يحجب الأخبار أي يحجب معرفة ما يجري .

ان كتابة الرأي في الجريدة يساعد على الحكم على ما يجري ، لكن ما أكون به رأيا فيما يجري هو حقيقة أن أعرف ، لذلك فإن حرية الصحافة متعلقة بمهمة المخبر الدقيق ، الذي يقول لقارئه ما يجري . ولكن

مع الاسف:ان النظم حتى التعسفي منها لاتمانع في ابداء الرأي . لكنها تتحكم في حجب الأخبار . والرقابة الحقيقية في العالم كله هي اخفاء الأخبار وليس في الحذف . لهذا فالحرية في تصوري هي حرية المعرفة وليست حرية التوجيه .

المراغي : بهذا المقياس أين تضع الصحافة العربية ؟

هيكل : كلها آراء : **غير مسموح في العالم العربي كله بتداول المعلومات ، أو معرفة ما يجري** ، ولكن المسموح هو إبداء الرأي في كل شيء من المريخ .. حتى أصغر الاشياء والسبب ببساطة .. أن الآراء لا تخيف أحداً ، لأنها مرتبطة بمن يبديها . أما الخبر فأخطر ما فيه هو المعرفة . الخبر هو المعرفة - والرأي هو التوجيه .

الثورة .. والثروة .. والصحافة

المراغي : استاذ هيكل لننتقل من العام الى الخاص ، لأوضاع الصحافة ، من النظرية الى التطبيق ، الى قضايا محددة في أوضاع الصحافة العربية .. ولنأخذ الثروة ، والثورة وتأثيرها على الصحافة خلال ثلث القرن الماضي .

لقد كانت أبرز وقائع هذا الثلث من القرن .. العديد من الثورات التي تميزت على الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكان من أبرز الملامح أيضاً .. نمو في الثروة في العديد من البلدان ، وهو نمو مفاجيء ، ترك بصماته على الحياة العربية كلها من المحيط الى الخليج .

في رأي الاستاذ هيكل أيهما كان أشد تأثيراً على الصحافة العربية الثروة أم الثورة ؟

هيكل : الثورة بلا شك كانت أكثر تأثيراً ، فالثورة صاحبة مصلحة في تحريك ناسها ، حتى وان تعسفت أحياناً في مجال ابداء الرأي ، أو حجبت بعض الأخبار ، لأن تدفق المعلومات يظل دائماً .

فالثورة كما قلت صاحبة مصلحة في كسب الجماهير . مثال على ذلك ، **كان جمال عبد الناصر يخطب في الجماهير بالأخبار** ، كل خطبته أخبار ، لأنه يريد من جماهيره أن تقف معه .

الثروة تريد العكس .. الثروة تريد أن تقف بمفردها ، والسبب واضح . فالفرق بين الثورة والثروة كبير . الثورة تريد المشاركة ، بينما الثروة تريد الانفراد .

الثورة تبعات ومسؤوليات والثروة غنائم . لهذا تطلب الأولى المشاركة .. وتحاول الثانية الانفراد .

المراغي : .. لكن الصورة تبدو غير ذلك ؟

هيكل : الصورة العامة غير ذلك ، لكنها واضحة جدا في مجال ابداء الرأي ، فحيث يكون التوجه الى المجال الانشائي ودون تعرض لجوهر ما يجري .. حينها يحدث هذا تقل المعلومات ، وهذه هي أزمة العالم العربي وعجزه عن الفعل .

الصحافة العربية مليئة بالآراء والوعظ والارشاد ، ولأن احدا لايعرف مايجري .. انعزلت الجماهير فاتجهت الى السلبية .

المراغي : في المنطقة العربية هل نبالغ فيما يسمى بأسرار الدولة ؟

هيكل : في العصر الحديث لايوجد أسرار . بعد أن أصبح كنيدي رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية صرح بقوله الشهير انه كان يعرف .. عندما أصبح رئيسا لم تضف اليه الرئاسة إلا ٥٪ من المعلومات عن طريق الأجهزة السرية .

جزء من زعامة عبد الناصر كان قائما على اذاعة كثير مما يسمى بأسرار الدولة . والسؤال هو .. **ماهي الأسرار الآن ؟** خصوصا في ظل الأوضاع الراهنة ، والأسطول السادس يحل كل شفرة .

ثم يضرب الاستاذ هيكل المثل بتجربته قائلا ..

أنا عملت صحفيا . ليس عندي الا ما أقرؤه في الصحف ، واقتربت من السلطة فقرأت كل التقارير السرية لوزارة الخارجية والمخابرات ، وأنا الآن بعيد لكني ما زلت متابعا . والأخطر أن التقارير لاتحوي شيئا هاما . **وأقول ان هناك مبالغة فيما يسمى بأسرار الدولة** ، انه جزء من **كهنوت الدولة الضعيفة** .

المراغي : أعتقد أن قضية المعلومات التي تواجهها الصحافة العربية هي جزء من قضية أكبر . هناك تخلف عربي عام . وأحد سمات هذا التخلف عدم ادراك أهمية المعلومات ، سواء في الحصول عليها أو تدقيقها ، أو في اتخاذ القرارات على أساسها ، أو اطلاع الرأي العام عليها ، من المعلومات لدينا الشخصي هو الأهم ، وما يتصل بالافراد قد يكون أكثر استحواذا على اهتمام الحاكم . ألست معي في أن ما تعانيه الصحافة جزء من مشكلة أكبر وليس مجرد قضية صحفية ؟!

هيكل : أتفق في ذلك ، وأقول انه عندما تكون أكبر أسلحة السلطة أن تخفي عن الناس ، فإن منطق الاخفاء يمتد ولا يعرف أين يقف .

لابد أن يكون هناك وعي بأهمية المعلومات ، فأنت لا تستطيع أن تتابع شيئا متابعة حقيقية ، الا اذا وضعته في اطاره ، وهو ما لايتوافر الا بمتابعة المعلومات .

انت لاتستطيع أن تضع تكتيكا ، الا اذا كانت هناك استراتيجية ، وأهمية المعلومات أن الجديد فيها يرتبط بنسق ما قبلها . وتكون صورة متكاملة . فاذا لم أقبلها كنسق تصبح المعلومات شراذم .. وشظايا متناثرة .

الثروة وتقنية الصحافة

المراغي : لنعد قليلا الى قضية الصحافة العربية بين الثورة والثروة . وأقول .. انه اذا كان للثروة سلبيتها فإن لها ايجابياتها أيضا . هناك نقله تقنية واسعة شهدتها الصحافة العربية في الأونة الأخيرة ، وكان أساس هذه النقلة وفرة المال .. الا ترى أن لذلك التطور التقني أثره الايجابي على الصحافة العربية .؟!

هيكل : التقنية أداة محايدة .. تخدم معلومات . فالأساس هو المعلومات ، ونحن في استخدامنا للتقنية لعبنا فقط على اختصار الوقت الضائع ، اختصرنا المساحة الزمنية اللازمة لنقل الأخبار وللطباعة وللتوزيع ، ولكن .. ماذا اضفنا للمضمون ، وماذا أضفنا للقارىء غير الوصول اليه مبكرا ؟ !

المراغي : .. هناك نقطة أخرى ، وهي ان التقنية سلاح ذو حدين ، فكما أنها تضيف تسهيلات للعمل الصحفي ، فأنها تضع عليه قيدا ، ذلك أن ما تكلفه من أموال تحتاج لاقامة مؤسسات اقتصادية . وحين يكون الأمر متعلقا بمؤسسة ورأسمال كبير ، تكون فرصة الخلاف مع السلطة أقل ، والرغبة في أرضائها أكبر ، خوفا على المصالح الاقتصادية للمؤسسة .

هيكل : في ذلك أيضا أعود الى قضية الملكية ، فوسائل الاعلام العربية في معظمها مملوكة لتنظيم ، وهذه تخص الأشخاص من الذين يشترون التقنية ، وليس لزيادة مساحة حرية الرأي .. ان التقنية لمن يستعملها .

صحافتنا العربية .. الى أين ؟ !

المراغي : .. على ضوء ذلك كله .. هل نستطيع الاجابة على سؤال يقول .. الى اين تتجه الصحافة العربية ؟ !

هيكل : قبل أن نقول ذلك لا بد أن نسأل الى أين تتجه السياسة العربية ؟ الصحافة جزء من السياسة ، كل مجتمع متحرك ، وأزمة العالم العربي هي السياسة ولا أظنني أبالغ حين أقول انه لن يحدث جديد هام في الصحافة العربية ، ما لم تتغير السياسة العربية ، يوجد بها ما ليس موجودا الآن .

وأقول .. انني لا يمكن أن أفصل بين الأشياء ، فنفترض أن الجامعة تتطور بمفردها .. والقانون أو الاقتصاد يتطور بمفرده ، والصحافة تتطور بمفردها ، وفي معزل عما حولها ، هذا مستحيل .

المراغي : هل يفسر ذلك ما يقال عن أزمة الثقة بين الصحافة والرأي العام ؟

هيكل : لأن الصحافة جزء من الحياة السياسية ،

ولأن الحياة السياسية في العالم الثالث سلطة . . سلطة احتلال . . أو متعاونة مع الاحتلال . . أو سلطة مجتمع رأسمالي . . فالقارىء العادي يشعر أن الأخبار التي تقدمها الصحافة أقرب لجهة ما ، وهذا احساس صادق . فالقارىء يثق بقدر ما يعرف عن طريقك . أنا هنا أتكلم عن الصحافة بشكل عام ، لاعن الصحافة الحزبية أو الدينية .

أقول ـ ان أحدا لايريد الآراء والتوجيهات . . أو ليّ المسائل . . القارىء يريد أن يعرف أولا ، « ماذا جرى » وقد كانت تجربتي في ذلك أن القارىء ينتهي من مقالي « بصراحة » وهو يتساءل « ماذا يريد هيكل أن يقول » ، وردى أنني لاأريد ان أقول شيئا ، لكنني أريد احاطة القارىء علما بما يجري ، وأساعده على الفهم والتحليل ، انني أحترم عقلي وعقله .

مصر والتعدد السياسي

المراغي : يكاد حديثنا يقتصر على قضية أساسية واحدة ، هي « الحرية » حرية الصحافة في مواجهة السلطة ورأس المال . حرية المعلومات . . وحرية ابداء الرأي والتطور التقني .

أظن أنه قد حان الوقت لتأمل تجربة محددة ، هي تجربة الصحافة العربية المصرية في الآونة الأخيرة .

لقد تعددت المنابر والأحزاب السياسية وتعددت معها فرص ابداء الرأي ، ألا ترى معي أن ذلك يمثل خطوة للأمام ونحن بصدد الحديث عنه ؟ . . أليس التعدد السياسي على أي حال سندا لحرية صحفية أكبر ؟ .

هيكل : . . مصر تسبق ما حولها ، تسبق بقية أمتها بسبب طبيعة ظروفها . . والناس . . حتى مالاتكتبه . . حجم ما هو متداول همسا ، أكبر من حجم ما هومنشور . نحن أحسن حالا من آخرين في العالم الثالث . لكني لاأستطيع أن أسلم بحرية الصحافة الا بمعرفة كامل ما يجري أو على الأقل أكبر قدر منه . . في غيبة الوقائع لاحرية صحافة .

الصحافة المطبوعة هل تندثر ؟

المراغي : . . سؤال أخير . هناك رأي يقول . . ان التطور الصحفي في العالم مواجه بتحد أكبر ، هو تحدي تقدم وسائل المواصلات والاتصالات . . ويقولون أنه قد يأتي يوم . . يستغني فيه القارىء عن الصحيفة المطبوعة ، ويلجأ للصحيفة المرئية التي يستدعي معلوماتها حين يشاء . . وحيث يشاء بواسطة جهاز في منزله أو سيارته ، ستتراجع الكلمة المطبوعة وتتقدم الكلمة المرئية . . وتتوسع في تقديم المعلومات والآراء والصور بما يمثل صحيفة كاملة في متناول القارىء دون قراءة . . ما رأيك ؟

هيكل : بالتأكيد حجم ما هو مرئي أكبر مما هو مسموع أو مقروء ، لكنه لم يسحب من رصيد الصحافة المقروءة ، سيظل ما هو مقروء يرسم بالتصور أكثر مما تعطيه الصورة في التحليل مثلا . . الصورة تعطي ظاهر موقف معين . وقد يستطيع مخبر صحفي تلفزيوني أن يكمل الصورة بالكلمة . . لكن . . تبقى الكلمة المقروءة مهمة جدا . في عديد من بلدان العالم لم يؤثر التلفزيون على الصحافة،بالعكس



يزيد عدد القراء في العالم كله . فقد خلق التلفزيون الاهتمام الأوسع . نقل العالم الى جهاز لم يكن يصل اليه فخلق اهتمامات متعددة .

ان توزيع الصحف العالمية والعربية يزيد ، لأن **التلفزيون أوجد اهتمامات بما يجري** ، ودفع الناس الى أن تستكمل المعرفة ، **الأزمة في الصحافة هي** عندما **تكرر الصورة** ... عندما تعالج سطح ما يجري فإنك تكرر الصورة بطريقة باهتة . خذ مثلا .. أخبار الرؤساء .. سافر الرئيس ، وذهب الى المطار ، واستعرض حرس الشرف .... كل هذه المعلومات قدمها التلفزيون بالصورة . وهنا يأتي دور الصحافة ، وهو الانتقال من سطح الاحداث الى عمقها .. وذلك بالاخبار ..

حتى لو استدعيت المعلومات بأجهزة منزلية خاصة .. فهي في النهاية أرسلت بالتلفزيون ، ولا يتوفر لها الاستمرار ، فهناك وقت محدد .. أما الكلمة المكتوبة فهي تحت تصرفك . وأنت مسترخ أو مستريح . في أمريكا مثلا يوجد ٢٤ ساعة اخبار تلفزيونية .. لكن ذلك لم يغن عن الجريدة ، وتوزيع الصحف يزيد . الناس تريد أن تقرأ .. وان تختار وقتها ، « الجورنال » ما زال أقرب جليس ورفيق يقول لك ماحدث .

انتهى الحوار ....

أصبحت الصورة أكثر وضوحا . أصبحت الصحافة أكثر استحقاقا للبراءة ، وأصبحت قضية الحرية الصحيفة معلقة برقاب آخرين .

انتهى الحوار .. واستأنف، هيكل عمله في كتابه الجديد « السويس »بمناسبة مرور ثلاثين عاما على معركتها الشهيرة ، عاد هيكل الى أوراقه التي آثر الالتزام بها ، عاكسا أزمة الصحفي العربي .. فالأبرز بين الصحفيين العرب غير راغب في الاشتغال بالصحافة السيارة . ومنذ أحد عشر عاما وصناعته الكتاب .. فقط أو الادلاء بآرائه على شكل أحاديث بين وقت وآخر . □

قياس الشخصية
بين التسلية والعلم

بقلم : الدكتور
كاظم ولي اغا

« تستهوى البشر جميعا اختبارات تحديد الشخصية وتتبارى الصحف والمجلات في تقديم اسئلة واختبارات للتعرف على المعالم الغامضة والمجهولة في مختلف الشخصيات .

تطالعنا من حين لآخر ، صحف ومجلات وكتب تحمل عناوين كبيرة ، تدغدغ مشاعر الناس وعواطفهم ، وتستغل تلهفهم لاستطلاع الجوانب المجهولة من نفوسهم ، وتفسير الأنماط المختلفة من سلوكهم ، كمثل« اعرف نفسك ، تعرف على شخصيتك ، من أى الطراز أنت ، أى نمط من الناس أنت » الى آخر هذه السلسلة من العناوين تتبعها بضع عشرات من العبارات أوالاسئلة أو الصفات . من اجاب على عدد منها يتمتع بشخصية قوية مسيطرة ، أو مرحة بسيطة أو حساسة منطوية ، وغيرها من التوزيعات التى تعود بنا الى الاجواء الاولى لنظريات الشخصية .

بين الكهانة والعلم

قد يكون الغرض من هذه الاشكال من الاستفتاءات التسلية وتمضية الوقت ، واضفاء لون من الدعابة والمرح في جو اجتماعى معين ، لكنها لاترقى لان تكون اختبارات علمية يعتمد عليها في تحديد شخصية الافراد ، وابراز السمات الاساسية التى تميز كلا منها ، أو تكشف عن الاضطرابات والامراض النفسية والعقلية ، اضافة الى الخطورة التى تتأتى عنها ، حين يتسلم كل فرد هويته النفسية ، فيتصرف تبعا لها وكأنها كشف أو استبصار لم يكن يعلمه في ذاته ، وما يتصف به من صفات ، ويتخذ اساليب من السلوك قد يؤذى بها نفسه ويؤذى غيره من الناس ، وان جاءت تلك الصفات على غير ما يهوى كانت بمثابة احباط لعزيمته ومعنوياته ، يتحول بعدها إلى نوع من الانطواء أو التمركز على الذات وغيرها من الصفات ، نكون قد اسهمنا في توجيه الفرد اليها عن غير قصد منا ، وتسببنا في تثبيت أوتنمية مجموعة من الصفات لديه .

ان كل هذه الممارسات وان اختلفت مسمياتها لاتعدو ان تكون نوعا من المحاولات اللاعلمية لتفسير السلوك الانسانى وكشف اللبس والغموض اللذين يكتنفان شخصية الافراد ومناحى تصرفاتهم ومناشطهم ، وهو ما سعى اليه البشر منذ اقدم العصور عن طريق الكهان والعرافين والعلماء مستعينين بأساليب معرفية متنوعة شملت التنجيم والفراسة والفرينولوجى (وهى دراسة شكل الجمجمة للاستدلال منها على شخصية الفرد وملكاته العقلية) والغرائز وطرز الشخصية وانماطها ، وغير ذلك من البحوث والدراسات وهى وان تخبطت احيانا ، وجنحت ونأت احيانا اخرى عن المنهج العلمى الصحيح ، لكنها مالبثت أن وصلت الى توضيح كبير لمعالم الشخصية ، وتحليل النشاط الانسانى بالدأب والاستمرار وسلوك طريق البحث العلمى الصحيح ، من استعانة بأسانيد ومعطيات وادوات يستخدم كل في مجاله وضمن ظروفه وتحت الشروط المصاحبة وبالايدى المدربة الخبيرة التى تنأى عن الارتجال وتتمتع بالنزاهة والموضوعية .

الشخصية القوية والشخصية الضعيفة

قد يقول قائل ، ان بعض تلك الاختبارات أو العبارات التي تندرج تحتها مأخوذ عن مثيلات لها في لغات حية اخرى ، وقد صدرت نتيجة دراسات علمية قام بها باحثون مشهود لهم في عالم البحث العلمي ، واتبعت في وضعها التقنيات العلمية المطلوبة . والرد على ذلك « ان الاختبار حتى يكون علميا صالحا للقياس ، ينبغي أن تتوفر فيه شروط معينة تكون ما يسمى بتقنين الاختبار ، تطبق حين اعداد الاختبار ـ وكذا حين اعادة تطبيقه على مجتمعات مغايرة » .

كان ومايزال الكثير من الناس يحكمون على شخصيات بعضهم في الحياة اليومية احكاما عامة نتيجة ما يتكون لديهم من انطباعات في اثناء تعاملهم وممارستهم العملية ، أو ملاحظاتهم غير المنتظمة ، فيقال عن فلان انه ذو شخصية قوية ، وعن فلان انه ذو شخصية ضعيفة مهزوزة ، وعن آخر أن له شخصية مرحة محببة وأن فلانا ذكي ، وفلانا داهية ، وطبعا لاتعدو تلك الانطباعات والاحكام أن تكون سطحية عامة ، تدخل ضمن مفهوم الفراسة الذي سارت عليه البشرية لفترة طويلة من تاريخها . وقد تخلى علم النفس عن هذا المفهوم وعن غيره ، وعني بدراسة السلوك الانساني دراسة علمية معتمدة على القياس والتجريب ، وشاملة لجوانب مختلفة من شخصية الافراد عن طريق تتبع السمات المكونة لهذه الشخصية والتي تتميز بها عن غيرها . وسمات الشخصية يكاد الايكون لها حصر وقد احصى منها أولبورت واودبرت ١٧٩٥٣ صفة . وقد حدا هذا بعلماء النفس الى القول بوجود عدد من السمات الاولية الاساسية التي يتكون منها بناء الشخصية الاساسي ، والتي تكون ثاوية وراء العديد من السمات السطحية ، وكل تلك السمات أو الصفات تشكل وحدة متكاملة يكمل بعضها بعضا ويتفاعل بعضها مع بعض . وبذلك تعرف الشخصية بأنها « جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تمييزا واضحا ، وتحدد اسلوب تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها » وتبعا لـذلـك اتبـع علماء النفس التجريبيون طرق الاختبارات والاستبيانات وموازين التقدير للحكم على الشخصية وقياسها ، معتمدين على بروز عدد من السمات لدى المفحوصين التي تظهر بصماتها في شخصياتهم والتي يستدل عليها من الاجابة عن مجموعة من الاسئلة أو العبارات أو المواقف ، وتحليل تلك الاجابات تحليلا عدديا وكميا مستخدمين الاساليب الاحصائية المناسبة .

اختبارات واستبيانات

هنـا بيت القصيـد ، تلك الاستبيانـات أو الاختبارات أولا وضعت من اجل غاية وبهدف التوجيه التربوي أو المهني ، أو تشخيص المشكلات . وتبين اسباب عدم التوافق ، والتعرف على مضطربي الشخصية ، ونوع الاضطراب النفسي والعقل الذي يعانون منه لامكان علاجهم ، وثانيا ، اتبعت في صياغتها تقنيات خاصة ، فليست كل مجموعة من الاسئلة أو العبارات تشكل اختبارا نفسيا .

والاختبار المتقن ماتوضحت تعليماته ، وتوحدت اسئلته وطريقة اجرائه ، ومكان الاجراء وزمنه ، هذا اضافة الى تحديد معنى السمات التي يراد الحكم عليها اجرائيا حتى لايفهمها كل فرد فهما خاصا ، وتثبيت جميع العوامل والظروف التي يمكن ان تؤثر في نتيجة الاختبار اضافة الى تحديد المعايير التي تنسب اليها نتيجة الافراد ، ويكون كل ذلك بعد التجربة على عينات استطلاعية ريادية ، ثم يعقب ذلك التأكد من صدق الاختبار « اي انه يقيس فعلا السمة التي يراد منه قياسها » وأنه قادر على التنبؤ والتمييز ، وكذا التأكد من ثباته باعادة اجرائه أو مقارنة نتائجه بنتائج اختبار مكافىء له على نفس الافراد .

هذا ولا ينبغي أن يغيب عن اذهاننا أن تكون الاختبارات متفقة مع الهدف الذي تستخدم من أجله ، وألا تستخدم نتائجها في غير الغرض الموضوع لها والا يجرى التعميم من نتائج الاختبار لاكثر مما تسمح به طبيعته ، اضافة للاشارة الى ان نتائج الاختبار لا ينبغي ان تعتمد لوحدها وخصوصا في أمر التوجيه والتشخيص ، اذ لابد من أدوات اخرى مصاحبة كالملاحظة والمقابلة ودراسة تاريخ الحالة ، وغير ذلك مما له دلالته وأهميته . □

الإسلام والتعدد الحضاري المعاصر

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

ما المقصود بالتعدد الحضاري المعاصر ؟ وما المراحل الحضارية التي سبقته ؟ وما وضع الاسلام كحضارة في هذا المسار ؟ ثم : كيف يستطيع الاسلام - في عالمنا المعاصر - أن يجمع بين مقوماته التي بها يتميز ، وتفاعلاته التي يستطيع بها أن يشارك في الحياة ويبدع ؟

ولنبدأ بتقسيم ثلاثي أو مراحل ثلاث للحضارة الانسانية تكون لنا عونا في أمر التعدد الحضاري .

المرحلة الاولى :

من فجر التاريخ الى نهاية القرن الخامس عشر .

وكان فيها أفقان حضاريان ، بينهما المحيط الاطلسي ، وكان وقتئذ حاجزا حضاريا ، أطلقوا عليه اسم « بحر الظلمات » وحدثت محاولات لعبوره ، أو الاتصال بجزائر قريبة منه ، كان للمسلمين محاولات في عروضه الوسطى ، وللفايكنج محاولات في عروضه العليا ، ولكنها كانت محاولات لم تصل الى أهدافها الكبيرة : وهي كشف أرض ، واتصال انسان بانسان . . .

ومع أن التراكم العلمي في الاندلس ، والابداع الفكري فيها ، جعل منها منارة حضارة اسلامية تشع على أوروبا . . الا أن جانبا كبيرا من هذه الحيوية **استنزفته الصراعات الداخلية من ناحية ، وما** وراءها من تأييد أوروبي من ناحية أخرى .

ولم يكن هناك من تعاون بين قوتين اسلاميتين في القرن الخامس عشر : قوة زاحفة صاعدة ، هي الدولة العثمانية ، التي استطاعت فتح القسطنطينية

عام ١٤٥٣ ، وقوة منسحبة ، هي الاسلام في الاندلس ، وكان غروب شمسه هناك عام ١٤٩٢ ، ولتدع الآن الدولة الصفوية في ايران ، والمغول في الهند ، في مشكلات البناء الداخلي والدفاع عن الذات .

وقبل أن ينتهي هذا القرن كان الاسبان والبرتغال قد اكتشفوا العالم الجديد والطريق الى الهند حول رأس الرجاء الصالح . ومع انتهاء الربع الاول من القرن السادس عشر تمت الرحلة الاولى البحرية حول العالم والتي بدأها ماجلان عام ١٥٢١ .

في هذه المرحلة الاولى كانت الحضارات الانسانية « جزائر » متباعدة أو متقاربة . ولكل منها خصوصيتها ونموها الداخلي . وعلى الخريطة العالمية نرى مواطن الحضارات الصينية والهندية والاوروبية (البيزنطية والرومانية في دورها الوثني ثم المسيحي) والحضارة الاسلامية ، وقد امتدت من مهد الجزيرة **العربية بجناحين فوق أرض فارس والهند والروم ،** ووصلت الى شواطىء المحيط الهندي ، وكونت هلالا اسلاميا يمتد قرناه في أوروبا من الشرق والغرب ، وأطلت على المحيط الاطلسي ، وامتدت في قلب آسيا وجزائرها الشرقية ، وفي قلب أفريقيا وغربها . .

كانت الروابط الداخلية في كل من هذه الحضارات أقوى من الروابط الخارجية التي تربط بينها ، من هذه الحضارات ما حصرتها توزيعات اليابس والماء في مواطنها كالهند ، ومنها ما أعطتها مجالا للامتداد كحضارات الشرق الاوسط وعالم البحر المتوسط ووسط آسيا . . ولكن هذا الامتداد أيضا كانت له عوائقه على الاطراف أولا ، حيث صعبت السيطرة عليها ، وأدى الامتداد الى تفكك الدولة وقيام وحدات حضارية محلية ، لكل منها عمقها التاريخي ، وان ربط بينها جميعا رباط حضاري مرن ، والنموذج الاسلامي والمسيحي هنا واضحان .

هذا هو « التعدد الحضاري » الأول ، وهو تعدد نرى فيه مستويين : مستوى الحضارة الشاملة . ومستويات الحضارات المحلية أو الأقليمية في اطار الحضارة الشاملة .

المرحلة الثانيـــــة :

وتبدأ مع عهد الكشوف الجغرافية وقد أخذت **القيادة العالمية فيها تتركز شيئاً فشيئاً في غرب أوروبا :** لقد دمر طريق الرجاء الصالح اقتصاديات تجارة العبور في العالم الاسلامي ، وكان وسيطا بين الشرق الأقصى وأوروبا . . وتراجعت أهمية موانىء الخليج ، والبحر الأحمر ، والبحر المتوسط . وبدأ مركز الثقل يتحول الى المحيط الأطلسي . واندفعت الدول والشركات التجارية للسيطرة على هذه الثروات الجديدة والأرض الجديدة . .

واكتسحوا في طريقهم حضارات ، لم تبق منها الا آثار محدودة وخصوصا في العالم الجديد : حضارات المايا والانكا والازتك . . ولم يكن أمام الأسبان والبرتغال في العالم الجديد الا نهب الثروات وتدمير الآثار ، واقتلاع السكان من الأرض . . وجاء الانجلو ساكسون واللاتين فأخذوا في ابادة الهنود الحمر ومطاردتهم ، واصطياد حيواناتهم . . ولم تبق منهم الا بقايا « تاريخية » تدل على آثار مجد قديم . .

واصطلت أفريقيا وآسيا بنفس النيران ، وان ظلت المقاومة هنا أشد ، والحجم السكاني أكبر من أن يباد ، ونقل الأمريكيون الملايين من الافريقيين ليكونوا زراعاً وعمالاً في العالم الجديد ، لا يطالبون بحق في الأرض ، ولا في الحكم . . واستطاعت التجارب الأوروبية في الحرب والفتح والصراع والكشف الجغرافي ، والشعور بالخطر العثماني من ناحية وبالرغبة في التوسع الاستعماري من جهة : استطاع هذا كله أن يضع أوروبا في مركز القيادة العالمية في القرن التاسع عشر ، وأن تمسك بيدها الزمام الذي يحرك زراع غرب أفريقية ، ورعاة بتاجونيا في أمريكا الجنوبية ، ووزراع وأمراء الصين ، وراجات ومهراجات وزراع الهند ، ومنتجي القطن في مصر ، وشعوب ثوار شرق أوروبا في وجه العثمانيين . . وأن تدفع بالتقنية الأوروبية الى ميادين الحرب سلاحاً ، والى خطوط المواصلات قطارات ، وعبر المحيطات سفناً ، وفي الحياة اليومية إبداعاً وانتاجاً ومواد مصنوعة ، وأن تجعل من بقية العالم حقولاً ومناجم ومراعي للمواد الخام ، وأسواقاً

لتصريف الانتاج .

وتحول النمط من « جزائر » حضارية الى « هرم » حضاري قمته أوروبا . .

المرحلـــة الثالثـــة :

وجاء القرن العشرون وبدأت تتفكك فيه المكانة الأوروبية ، وتفسح المجال لصورة جديدة من « التعددية الحضارية » .

ولم تعد الحضارة الأوروبية ، ولا غرب أوروبا ، أو الحضارة الغربية ، النموذج الوحيد أو الأمثل . .

وظهرت بدائل حضارية تمتد على جبهة من أقصى اليابان شرقاً الى الولايات المتحدة وكندا غرباً . بدائل تتعدد فيها الخصوصيات الحضارية والعقائدية . وتتباين في الحجم والتوجه : الرأسمالية المعدلة في الولايات المتحدة وكندا . المجتمعات التي تمثل مزاجاً بين الرأسمالية والاشتراكية في غرب أوروبا . تنويعات الاشتراكية في شرق أوروبا وشرق آسيا . . . صور من المجتمعات النامية التي استطاعت أن تشق لنفسها طريقاً ، من قلب العالم الثالث ، صاعدة الى العالم المتقدم . .

هذه التعددية ظاهرة جديدة وصحية ، وهي تختلف عن التعددية الأولى التي سبقت القرن السادس عشر في نظامها « الجزائري » الأول ، وعن الصورة « الهرمية » التي شهدناها فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر . .

من التعددية المعاصرة أوجه تشابه وأوجه تباين :

١ - وأبرز أوجه الشبه أن الاتصال بينها أصبح ميسراً : براً وبحراً وجواً . سلكياً ولاسلكياً . الاذاعات . الأقمار الصناعية . المؤتمرات العلمية العالمية . الرحلات . الاعلام . . عشرات الوسائل التي أصبح بها العالم « **قرية عالمية** » كما يقولون . انتهت العزلة القديمة وحل بينها الاتصال . فنحن نعيش « عصر الاتصال » أو « ثورة الاتصال » .

وأصبحت حرية المعلومات وتدفقها قضية عالمية ، ومجالاً للصراع بين الدول التي تملك أقوى أجهزة الاتصال وقدراته ، وبين من دونها من الدول . فالاتصال قوة وتأثير وتوجيه . . والتحكم فيه تحكم في جبهة لها خطرها من جبهات الاستقلال والمحافظة على الذاتية الحضارية .

٢ - وأصبحت معايير التقدم العلمي والتقني ، من أدق المقاييس على قوة الدول ، والتقدم العلمي هدفه الابداع . ولا ابداع دون تكوين قاعدة علمية ، قادرة أولاً على الاستيعاب ، ثم المشاركة ، ثم الانطلاق . ولا تستطيع أي قاعدة علمية الآن أن تعيش بمعزل عن القواعد الأخرى . ذلك أن الابداع العلمي الآن أصبح تعاوناً وتنافساً في نفس الوقت ، وتسجيلاً وسباقاً ، والذين خارج الساحة متفرجون ، لا أكثر .

٣ - وهذا الابداع العلمي له اخلاقياته : من الايمان به ، والتنظيم الذي يقوم عليه ، وتوزيع الأعباء ، والصبر والدقة ، وأدب الحوار ونكران الذات ، والنظر الى صالح الجماعة أو الانسانية ، حسب أفق **البحث** الذي تعمل فيه مجموعة الباحثين .

٤ - أما التباين فيبدو في الخصوصيات الحضارية لكل من هذه الجزائر أو القارات الحضارية .

ويبدو هذا - كمثال - حين نقارن بين الأنماط الصينية واليابانية والسوفيتية وغرب أوروبا ، على فروق بينها ، وتطور ذاتي لكل منها . وهي مقارنة تتعدى أقدار الابداع العلمي من الناحية « الكمية والنوعية » الى « كيفية » الحياة و « أهدافها » . وأخذت تتخطى سؤال « كم عندي وماذا **عندي** ؟ » الى « ماذا تريد من الحياة ؟ » .

٥ - وأخذت أشواق الروح وخدمة الآخرين والسعادة بذلك ، **ترفرف في** آفاق ، ظلت الى قريب ، أسيرة أرصدة البنوك وحساب الربح والخسارة ، والمتعة السريعة الزائلة . واتخذ تحقيق الذات صورة أسمى . . عندما أحس الانسان أن « الآخرين » هم أيضاً وجود وكيان واحترام . .

لا ننكر انتشار العنف ، ولا اهدار حقوق شعوب العالم الثالث ، ولا انتشار الجوع والفقر وزحف الصحراء . وانتشار التلوث .

ولا ننكر الصراعات الدامية والحروب المدمرة بين أبناء الوطن الواحد والعقيدة الواحدة والجيران رغم مضي القرون . .

ولكن يبدو من النماذج التي عرضناها على امتداد الحضارة الانسانية زماناً ومكاناً ، ومن الصورة التي نحياها : أن التعددية الحضارية حقيقة قائمة ، وأنها ثمرة جهود تفاعلت مع العوامل الطبيعية والبشرية التي تحيط بها من قريب ، أو تتصل بها على الصعيد العالمي .

ان هذا النمط هو صورة من « صناعة التاريخ » . وان الواقع الذي يعيشه أي مجتمع ليس حتميا،وإنما له فكاك منه ، واننا نستطيع أن نتصور ، ثم نصور الغد ، في عالم تعددت فيه التصورات والصور . .

ملامح الحضارة الاسلامية :

والآن ما أهم ملامح الحضارة الاسلامية في عصر التعدد الحضاري ؟

فلنأخذ أولاً العناصر الاساسية التي يمكن أن نلتقي عليها ، ولنبدأ فيها بأربعة أساسية :

الربانية ، الاخاء الانساني ، الشمول ، المنهجية العلمية بمفهومها الاسلامي الذي يجمع بين الوحي والعقل .

ولو عدنا الى القرون الاسلامية التي شهدت قيام الحضارة الاسلامية وازدهارها ، لوجدنا هذه العناصر أو الركائز الأربعة الاساسية متعاونة إيجاباً ، وبها وعليها قامت حضارة الاسلام :

- فالربانية صلة بين الانسان وربه .
- والاخاء صلة بين الانسان والانسان .
- والشمول صلة بين الانسان والكون ومكونات البيئة .
- والمنهجية العلمية طريق للتعامل بنورين من الوحي والعقل ، مع الكون والانسان .

واذا انتقلنا الى المرحلة الثانية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر وجدنا بعض هذه العناصر تعمل ايجاباً ، وبعضها قد شوهته مفاهيم أو شروح غير سليمة :

ظلت العقيدة في شمولها قائمة . ولكن تعددت المراكز الحضارية ، وليتها مع تعددها تعايشت . . وانما دخلت في صراعات استنزفت الكثير من طاقة الاسلام . وكنموذج تستطيع في هذه القرون أن ترجع الى الصراع المرير بين الدولتين العثمانية والصفوية ، والدور الذي قامت به بعض الدول الأوروبية عن طريق الخبراء الاداريين والعسكريين في اذكاء هذا الصراع .

ثم الصراع في الأمبراطورية العثمانية بين الأتراك والعرب ، وخصوصا في المشرق العربي ، حيث ارتفعت موجات القومية العربية ، تقابلها ـ في نفس الوقت ـ موجات القومية في شرق أوروبا .

لا نستطيع اذن أن نقول إن الركائز الأربعة كانت تعمل ايجاباً على الصعيد الاسلامي في المرحلة الثانية والا : فكيف نفسر هذه الحروب العنيفة بين قوميات العالم الاسلامي : المغول . الصفويين . الأتراك العثمانيين . العرب . . . فعنصر الاخاء أخلى الطريق للعصبيات العنصرية ، والشمول حلت محله اهتمامات ضيقة تستهدف السيطرة والتمتع،والمنهجية العلمية تراجعت أمام الأحقاد والثارات والمطامع . .

. . وجاءت المرحلة الحالية من التعددية الحضارية . . ولكن هل اختفت العصبيات القديمة ؟ هل اختفى الصراع بين العثمانيين والصفويين ؟ أو استمر تحت أسماء جديدة . وقيادات جديدة ، وشعارات جديدة ؟

فلنعترف أن العالم الاسلامي الآن يعاني من مواريث التمزق السابقة ، يضاف اليها نفوذ الاستعمار الجديد بعد أن انحسر الاستعمار التقليدي . .

وأصبحت مناطق التبعية تحمل اسماً جديداً : « العالم الثالث » وما مفهوم العالم الثالث ، وعالمنا الاسلامي جزء منه ؟

لعل أقرب تعاريفه ـ عملياً ـ أنه الأقطار أو الأقاليم التي تسهم بشروط غير متكافئة فيما أصبح«السوق الاقتصادية العالمية». واذاكان أهم ما يميز أكثر أقطار العالم الثالث ، هو انخفاض مستوى المعيشة عن المستوى السائد في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية واستراليا ونيوزلنده ، الا أن عناصر أخرى أساسية تدخل في قياس التنمية ، وكسر الطوق الذي يعوق التقدم : وهي قدرة القوى البشرية المحلية على استغلال الموارد المادية استغلالاً منتجاً . بعبارة أخرى : القدرة على تغيير الواقع المادي والبشري ، وممارسة ذلك بنجاح ، للوصول الى مستويات أعلى.

تصور وتصوير :

وهذا ينقلنا الى الأهداف المتوخاة من التقدم الاسلامي المعاصر ، والعودة مرة أخرى الى الركائز الأربع لنحاول الافادة منها مادياً وبشرياً . ويقتضي هذا :

١ ـ أن نعترف بالوحدة والتعددية الحضارية في اطار الوجود الاسلامي ، وأن ندع التفكير الوحدوي الآحادي ... هناك اطار عام من الايمان بالله والاخاء الانساني والتعامل مع الكون والبيئة بمنهجية علمية . فلنجعل هذه العوامل تتفاعل ايجاباً .

٢ ـ ولنضع أمامها التحدي الحضاري الكبير الذي يقابل العالم الاسلامي الآن : وهو التخلف . فليس الاستقلال السياسي وحده ، ولا الاستقلال الاقتصادي معه يكفيان ، وانما العالم الاسلامي في حاجة الى « الاستقلال العلمي » .. الاستقلال ، لا الانعزال ، ولا التبعية . ولا يتوافر هذا الا بتكوين القواعد العلمية المتعاونة على الصعيد الاسلامي فيما بينها أولاً ، ومع الدوائر العلمية العالمية آخراً . والاستقلال قدرة على الاختيار ، وعلى تنفيذ القرار .

٣ ـ ونحن محتاجون الى تأكيد مفهوم « التعايش » في الحياة الاسلامية ، كما تعايش المسلمون الأوائل ، وكما تتعايش المذاهب في اطار العالم المسيحى المعاصر بغرب أوروبا وسوقه المشتركة وبرلمانه نموذج أمامنا .. لتنصرف جهودنا الى التحدي العلمي .

٤ ـ هل نستطيع تصور مناطق حضارية متعددة ومتكاملة داخل نطاق الحضارة الاسلامية الكبيرة ؟ . تصوُّر نكتبه ونتحاور فيه ، ونحاول اقناع بعضنا بعضاً به ، ثم نحاول تصويره ..

وان المفكر لا يملك الا قلمه . فلنحرك الأقلام نحو هذا الهدف . والطريق اليه ليس سهلاً ..

٥ ـ هذه المناطق الحضارية الاسلامية لكل منها خصوصيتها التي تبرز ـ كمثال ـ في الانتاج الأدبي والفني والزي والعمارة .. ولها تعاونها الوثيق في مجال البحث العلمي ، وهو بطبيعته عالمي النزعة واللغة والهدف ، وإن من قدر الأرض التي يسود فيها الاسلام أن اختصت كل منها بناحية أو أكثر من نواحي القوة ، ولم تتوافر جميع العناصر او أكثرها في واحدة منها ، كما نجد في الصين والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، حيث حجم السكان كبير ، والتخصصات المتنوعة المتكاملة متوافرة وموارد البيئة الطبيعية بحكم الامتداد والتكوين الجيولوجي وموارد الماء متوافرة .. ومن أجل ذلك كان قدر العالم الاسلامي التعاون ، ولا يزال .

٦ ـ يأتي بعد ذلك ـ أو قبله ـ عامل تاريخي عميق الأثر ، وهو التنوع الحضاري في الأقليم : وتعدد السلالات البشرية والأديان والمذاهب . ومن الممكن ـ عن طريق التعايش ـ أن تكون هذه مصدر إثراء فكري وحضاري ، ومن الممكن عن طريق التنافر والصراع أن تصبح نزفاً دائماً لحيوية أقطار الاسلام . ولقد جربنا ومازلنا نجرب الصراع والحروب ، وتخطاها غيرنا وأصبح الميزان عندهم الكفاية واعطاء الفرصة للموهبة في اطار الوحدة الوطنية .. فما ننادي به ليس معجزة ولا خيالاً ، وانما هو أمر مارسه غيرنا ونجحوا فيه وعلينا أن نمهد له ونمارسه ، وننجح فيه اذا أردنا لأنفسنا ولأبنائنا أن نضع تاريخاً جديداً ، وحضارة اسلامية متقدمة ، في اطار التعدد الحضاري الذي تعيشه الانسانية في مرحلتها الحالية . □

العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : العقل رأس الأشياء فيه قوامها ، وبه تمامها ، وهو سراج ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجد ، وزينة كل أحد ، لاتستقيم الحياة الا به ، ولا تدور الأمور الا عليه .

العرب.. البترول.. والسينما



بقلم : أحمد رأفت بهجت

اذا كان التاريخ يؤكد أن الاحتكارات البترولية بمساندة الصهيونية العالمية كانت وراء العديد من الأحداث السياسية والانقلابات والعمليات المشبوهة . . . فهو يؤكد ايضا أنها لعبت دورا بالغ الخطورة منذ بداية الثلاثينيات ، في جعل السينما تواكب أهدافها الاقتصادية والسياسية .

يأتي فيلم (زيت من أجل مصابيح الصين) الذى انتجته شركة (وارنر) عام ١٩٣٥ واخرجه (ميرفن ليروي) ليلعب دورا رائدا في مساندة الاحتكارات البترولية الأمريكية في الصين ، في وقت كانت فيه ضروب السياسة والمنازعات والحروب تزداد اشتعالا في المنطقة الصينية .

ودون ان نصور الأشياء في غير أحجامها

الطبيعية ، فان من الواضح موضوعيا أن الأفلام التي صورت موضوع العرب والبترول كانت تضع في مقدمة أهدافها طبيعة كل مرحلة ، ففي مرحلة ما قبل ١٩٧٣ كانت صورة الشخصية العربية في الأفلام تعكس الى حد كبير الآراء المعاصرة للمستشرقين ، التي تطغى - على حد تعبير المفكر ادوارد سعيد - على الصحافة والعقل الشعبي الأوروبي والأمريكي . فالعرب شهوانيون شرقيون تمثل ثروتهم التي لا يستحقونها اهانة للحضارة الحقيقية، وثمة افتراض متربص بأن المستهلك الغربي ، رغم كونه ينتمي الى أقلية عددية . . ذو حق شرعي ، إما في امتلاك معظم المواد الطبيعية في العالم او في استهلاكها او في كليهما !!

بعد أكتوبر :

ثم كان من شأن الصدمة المفاجئة لحرب ١٩٧٣ وزيادة أسعار البترول ، وتحول العرب الى قوة لها شأنها أن شجعت السينما الغربية الانتقال الى مرحلة أخرى ، الأفلام فيها أقل اهتماما بالظواهر التقليدية في المجتمع العربي بالمقارنة الى الاهتمام بالبطل الغربي وهو في وضع المحرض الذي يتفحص بيد خبيرة مدمرة كل القوى المقوضة لأركان الشخصية العربية ، والارتباطات الاقتصادية في المعاملات العربية الدولية ، وفي النهاية يوجه نداء قويا يدعو فيه الى تحقيق كرامة الفرد الغربي ، بعيدا عن تسلط العرب وثرواتهم البترولية !!

ومن البيانات والاحصائيات المستقاة من جامعة الدول العربية ، حول الأفلام التي حظر عرضها في الدول العربية لأسباب سياسية ، منذ عام ١٩٥٥ وحتى نهاية ١٩٦٧ نرى ان مجموعها بلغ ٣٥٢ فيلما ، منها ٧٨ فيلما عام ١٩٦٧ فقط .

وليس من شك في أن ظهور الافلام المناهضة للشخصية العربية المذكورة ، كان يتوافق مع الانعكاسات السياسية الغربية تجاه الأمة العربية - خصوصا بالنسبة للصراع العربي - الاسرائيلي ، ودور البترول كعامل محرك للتيارات السياسية العالمية ، في المنطقة العربية المشحونة بالامتيازات الاحتكارية ، المؤمنة بأن استمرار السيطرة على الموارد البترولية لا يكون امرا سهلا في ظل عدم الاستقرار السياسي .

وعندما ننظر الى ملامح الخريطة السينمائية العالمية ، سنكتشف أن ما بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ظهرت أغلب الأفلام التي تحدثت عن البترول العربي ، وهاجمت بشراسة الشخصية العربية ، وهو ما يتوافق أيضا مع قوائم الجامعة العربية ، فأفلام هذه الفترة كما سنوضح في الفقرات التالية لم تقدم بشكل عفوي وبدون تخطيط مسبق ، وعندما نربطها بطبيعة الأوضاع السياسية التالية لظهورها ندرك انها كانت تمهد بشكل مدروس لحرب الأيام الستة ، وهي الحرب التي كان من أهدافها بالاضافة الى مشروع « اسرائيل » الكبرى ، استغلال طبقات البترول التي اكتشفت في سيناء عام ١٩٥٦ ، وموقع شرم الشيخ الاستراتيجي المهيمن على البحر الأحمر في مجموعه وعلى بترول المملكة العربية السعودية .

وقد كشفت أفلام الستينيات عن الدور الخطير الذي لعبته الصهيونية ، في حشد الرأي العام تجاه الحكام العرب ، وصورت كيف أن هؤلاء الحكام يستغلون ثروات البترول لمصالحهم الذاتية على حساب شعوبهم المعدمة . . ويأتي فيلم « هروب من الظهران » (١٩٦١) ليمثل بداية في هذا المجال ، فبطله المتمرد العربي المطارد من نصف قوات الجيش في بلده ، يؤمن بأن اعداءه يخافونه ، لأنهم يعلمون أنه على حق ، لأن ما يهمه هو الناس المتضورة جوعا وقذارة وجهلا ، رغم أنهم يعيشون في بلد غني بالبترول .

ومن الطبيعي أن يشاطر المتفرج هذا المتمرد ، ويلعب دوره الممثل الشهير « يول براينر » في سخطه ورغبته في البحث عن قضية ، وتصويره في صورة الشخص الذي اضطهده حكامه ، فدفعته رغبة حقيقية لعمل الخير لشعبه ، وبذلك يتجاهل الفيلم عدة حقائق مؤكدة ، أهمها ان ما كانت تحصل عليه البلدان العربية في فترة احداث الفيلم عن كل برميل بترول يستخرج من اراضيها - الى ١٠٪ فقط من السعر الذي يدفعه المستهلك ، وأن العمال العرب كانوا يعملون في ظل أقسى شروط الاستخدام والتعسف من قبل الاحتكارات البترولية ، وان أجورهم لا تزيد على ٧٪ من أجور العمال الأجانب في نفس الموقع .



لقطة من فيلم « حفلة تنكرية » ١٩٦٦م

وهذا التزييف في الوقائع المادية وصل الى مداه في بعض الأفلام الصهيونية ، التي حاولت الغاء الفواصل الزمنية والمكانية بين أحداث التاريخ ، وجعل الأمكنة والأزمنة والشخصيات تتحد وتتداخل حسب مقتضيات الفكر الدعائي الصهيوني المراد توجيهه ضد الأمة العربية .

منطقة مضطربة

وعندما نتأمل أفلام فترة ما قبل حرب ١٩٦٧ ، فإننا سنجدها تردد دون ملل ، نغمة الحكام والأثرياء العرب الذين لايسهمون في تحسين حال البشرية ، او في ارضاء حاجات العصر الجديد ومطالبه ، ومنها (جولد فارب .. عد لوطنك) ١٩٦٥ ، (حفلة تنكرية) ١٩٦٥ ، (مناورة) ١٩٦٦ (موديستي بليس) ١٩٦٦ (ارابيسك) ١٩٦٦ .. وغيرها .

وليس في هذه الأفلام أعماق يستطيع المتفرج الواعي أن يسبر أغوارها ، فهي تركز على شخصية البطل الغربي - وغالبا ما يكون يهوديا اما بوصفه ضحية لشخصية الثرى العربي ، واما كمغامر ماكر يستخدم مواقفه الحاذقة كمعين للهجاء والتعليقات الساخرة .

وتحليل الملامح الرئيسية لابطال فيلمي (حفلة تنكرية) لبازيل ديردين و(ارابيسك) لستانلي دونين يلقي ضوءا على سمة من سمات السينما اليهودية العالمية ، ومظهرا هاما من مظاهر الانتاج السينمائي ، نميل نحن ميلا متزايدا الى اغفاله واسقاطه من حسابنا ، وهو عدم التفريق بين البطل اليهودي والبطل الأمريكي أو الأوروبي العادي . فقد كان - ولايزال - الاثنان بالنسبة لنا شيئا واحدا ، وهذا يرجع في الواقع الى جهلنا بملامح البيئة اليهودية ، والأسماء اليهودية والموضوعات المفضلة لكتاب اليهود ، والعلاقة بين الموضوعات اليهودية والموضوعات التي تعالج مشاكل الأقليات في أمريكا وأوروبا ، وأشياء أخرى ترتبط أساسا بطبيعة الدعايات اليهودية والصهيونية .

ان اليهوديين دافيد فرازر بطل الفيلم الأول ، ودافيد بولاك بطل الفيلم الثاني خبيران من النوع النادر فيما يخص امور الشرق الأوسط ، وهما شديدا الوعي والشعور بكل الخصائص التي يمتازان بها ، فالأول كان خبيرا في شئون الشرق الاوسط

السياسية ، درس ما يدور فيه من أحداث ، وتعرف على سمات الشخصية العربية بعمق ودقة ، بالاضافة الى دوره العسكري الهام خلال الحرب العالمية الثانية . اما الثاني فكان استاذا للغات الشرقية في جامعة اوكسفورد ، وخبيرا في اللغة الهيروغليفية .

كان تاريخ حياة كل منهما من الناحية المهنية خصبا مثمرا . . بحيث يصبح وجودهما في الشرق الأوسط له اهمية قصوى للاخبار عن أنباء هذه المنطقة ، فالأول يستدعيه الكولونيل دركستل المستشار الانجليزي في ولاية حضرموت الغنية بالبترول ، لكي يحمي الأمير العربي جميل ، المساند للسياسة الانجليزية ، في استغلال البترول ، بعد أن ثارت العناصر المناوئة للانجليز بقيادة الشيخ الشرير أحمد بن فايد على الاتفاقية البترولية بين انجلترا وحضرموت . . والثاني يحضر الى الشرق الأوسط بناء على دعوة من رئيس وزراء احدى الدول النفطية العربية ، ليفك رموز رسالة غامضة باللغة الهيروغليفية لها علاقة بثروات المنطقة .

وفي سبيل انجاز المهام الموكلة اليهما يواجه الاثنان دوامات لاتنتهي ، يتساقط خلالها القتلى والضحايا . . فالعصابات تختطف الأمير العربي جميل قبل اسبوعين من بلوغه السن القانونية لحكم بلاده . . ومن ثم يبدأ البطل اليهودي في صراعه من أجل انقاذ الامير الصغير . . والاستاذ الأمريكي يجد نفسه معرضا للموت في الصراع المميت بين رجال رئيس الوزراء ومنافسيه .

ويدخل البطلان اليهوديان في صراعات العلاقات العربية والدولية المتشابكة ، ويتطلعان الى سياسات تتميز بالتشاحن والخصام والبغضاء ، والميل الى السلب والنهب والجشع والاستغلال . . انها منطقة مهمة . . ولكنها ترتكز على قاعدة من الصراعات ، ورغم دورهما الايجابي في تحقيق المهام التي أوكلت اليهما . . الا انهما عجزا عن مسايرة المفاهيم والمعتقدات التي يتعلق بها معظم الناس في المنطقة العربية !

الأبوة الزائفة

وفي عام ١٩٧٢ أثيرت ضجة حول الفيلم الايطالي « قضية ماتيه » بعد فوزه بالجائزة الكبرى في مهرجان كان عام ١٩٧٢ . . واعتبره بعض نقادنا العرب ارتكازة قوية للأفلام الغربية المناصرة للقضايا العربية . . على اعتبار الأفكار المطروحة من خلال تداعي قصة رجل البترول الايطالي (أنريكوماتيه) رئيس مؤسسة ايني الايطالية للبترول ، الذي لقي مصرعه عام ١٩٦٢ ، تعتمد على شعاره الشهير : « سوف أحارب الاحتكار في كل مكان . . وان لم أنجح فسوف تنجح الشعوب التي تمتلك البترول .

والواقع ان مواقف ماتيه سواء من العرب او من غيرهم . . كانت مواقف انتهازية تتلاءم مع مواقفه السياسية،فقد كان في تعامله مع العرب . . يحاول زعزعة شركات البترول الأمريكية في البلاد العربية ، من منطلق « أن ايطاليا في حاجة الى البترول العربي ، وعلى هذا الأساس تحدد سياستها » . ويعطي الجزائريين السلاح ليحاربوا القوات الفرنسية « انني ايطالي ولست فرنسيا . انتم لا تحبون العرب لأن هناك نفطاً في الجزائر ، ان وجهات نظرنا مختلفة » . . وعندما يجعل شركته تدفع نسبة الحكومات العربية من عائد بترولها اكثر مما تفعل الشركات الأمريكية ، تكون حجته « أن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي نتجنب ابعادنا جميعا في يوم ما . . ان نعاملهم كبشر وليس ككائنات اقل !! » .

١٩٧٣ . . وأزمة الطاقة

وبعد حرب ١٩٧٣ اقترن تعبير « أزمة الطاقة » بالشخصية العربية . . وانقلبت هذه الأزمة بشكل أو بآخر الى سلاح أكيد المفعول في يد الصهيونية ، فقد حققت لهم وللمرة الأولى التحاما ماديا حقيقيا مع مشاكل الانسان الأوروبي والأمريكي نتيجة ارتفاع اسعار البترول . . وبدأ مزيد من البحث عن الأساليب المؤثرة في الهجوم على العرب . . وتطلب ذلك ان يتم الانتاج في مناطق من العالم . . لا لمجرد توزيع العمل بين السينمائيين الأمريكيين والأوروبيين ، ولكن للقيام بعملية خلق ما يمكن تسميته « رأي عام سينمائي » . . بحيث اصبح عنصر المكان في احداث بعض الأفلام يفصح عن جانب مضلل من مكونات الأفكار المناوئة للعرب .

وبدون استثناء رفعت اغلب الأفلام راية



وجوه مصبوغة وازياء مستعارة .. والتشويه هو الهدف احيانا .

التحريض على الانتقام من العرب على كل المستويات .. الحكومي (أيام الكوندور الثلاثة) ١٩٧٥ ، الشعبي (شبكة التلفزيون) ١٩٧٦ ، الفردي (ملف الذهب الأسود) ١٩٧٨ والاقتصادي (رجوع) ١٩٨١ ، العالمي (الخطأ والصواب) ١٩٨٢ .. الخ .

وفي سبيل ذلك تم تغيير أحداث مؤلفات أدبية شهيرة عند تحويلها الى السينما ، وكتبت افلام للشاشة مباشرة بواسطة اهم كتاب السينما الأمريكية ، واستغلت امكانيات مجموعة من المخرجين الأمريكيين الكبار من أمثال سيدني بولاك وسيدني لوميت ، ألان باكولا ، ريتشارد بروكس .. وجميعهم من اليهود الذين جندوا لتعميق مشاعر السخط ضد العرب .

في فيلم (أيام الكوندور الثلاثة) تتبدل أحداث الرواية التي أخذ عنها الفيلم ، ويقول مخرجه سيدني بولاك « .. توصلنا الى حبكة جديدة تغلب عليها السياسة وعلى الأخص احداث الشرق الأوسط »

واذا كان فيلم (الكوندور) يتستر خلف مبادىء يحاول ظاهرها ادانة عمليات المخابرات الأمريكية .. فهو من ناحية اخرى يؤكد الحتمية المنطقية لهذه العمليات لصالح المواطن الأمريكي العادي !! .. ويتخذ فيلم « شبكة التلفزيون » نفس المنطق .. فهو يهاجم شبكات التلفزيون التجارية ، ويكشف تسلطها على الانسان الأمريكي ، الى ان يظهر المذيع المتمرد « هوارد بيل » الذي يقوم بدوره بيتر فيش) على الهواء ليحذر الجمهور من تسلط البترول العربي على مقدرات الحياة الأمريكية ، ومن خلال المزج بين لقطات عن أخبار اجتماعات الأوبك لرفع اسعار البترول ، ولقطات لمسئول عربي له شهرته في مجال البترول : يتردد صدى صراخات هوارد بيل « لست في حاجة الى ان اقول لكم ان موجة كساد تنتشر الدولار ينهار ... ولا احد يعرف ماذا يفعل ».

جرائم القتل تزيد .. كل شيء مخبول .. والعالم مخبول ، أريد أن أعيش وحدي .

لا أريد منكم احتجاجا أو تمردا ،

أريد منكم ان تنهضوا وترفضوا قبول هذا .

وحينئذ ، سنفكر في الكساد وأزمة البترول .

اخرج وقل لن أقبل هذا بعد الآن !» .

ويحقق تحريض هوارد بيل نتائجه .. وتخرج الجماهير وسط الأمطار وبرد الشتاء القارص ، في ظل أزمة الطاقة .. وهي تردد في صوت واحد : لن نقبل هذا بعد الآن !!

ومع تجاوب الجماهير مع بيل يتشجع في فضح تسلط العرب على الشركات الأمريكية .. وكيف أن الأثرياء العرب أصبحوا يتحكمون في اقتصاد أمريكا ، مما يعني ان تحدى العرب يعد كارثة اقتصادية .. وتواجه كلمات بيل بالسخرية من رئيس الهيئة المشرفة على التلفزيون .. فهو يفسر له طبيعة العلاقات الجديدة في ظل المتغيرات التى فرضها رجال

البترول العرب !

ويستكمل المخرج ألان باكولا في فيلمه « رجوع » الأفكار التي طرحها فيلم « شبكة التلفزيون » فالحضارة الغربية يتعقد كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي امام ازدياد الثروات العربية البترولية ، ويحدد الفيلم في تفصيل اكبر الأخطار الناتجة عن تضخم الثروات العربية البترولية في البنوك الغربية . ويصف افتراضا خياليا عن حال المجتمع الغربي ، لو قرر العرب سحب ثرواتهم فجأة من البنوك الأمريكية والأوروبية . . ومن خلال علاقة بين أرملة ثرية (جين فوندا) وأحد رجال المال في وول ستريت (كريس كريستوفرسون) نكتشف ان زوج هذه الأرملة قتل في ظروف غامضة . . وانها معرضة هي الأخرى للقتل ، لأن زوجها اكتشف كيف أن أصحاب الثروات من رجال البترول العرب قرروا سحب ثرواتهم من وول ستريت .

ويعدد ألان باكولا من خلال هذا الحدث البوليسي تلك المسائل الملحة بالنسبة لأغلب الدول في العالم الغربي ، المرتبطة اوثق الارتباط بالبترول العربي مثل : الافلاس الذي يهدد بعض اجزاء العالم الغربي . . القوة المالية العربية غير المسئولة !! التعاون الدولي . . الحفاظ على موقف موحد تجاه العرب . . ويحاول ان يلم بكافة التفاصيل التشريعية والمالية والأدلة الزائفة ، ليثبت الخطر العربي ، وكيف ينبغي على الانسان الغربي مواجهته ومقاومته .

نغمة جديدة

وعندما خفت حدة ازمة الطاقة ، بدأت في الأفق نغمة جديدة ، حاولت ان تربط بين الثروات العربية والارهاب . . وجاء فيلمهم « الخطأ والصواب » لريتشارد بروكس ليساهم بدوره في هذه الحملة . . فقصة الفيلم تدور حول الارهابيين العرب المتعصبين بزعامة احد القادة العرب . . يقتلون واحدة من نساء المخابرات الأمريكية ، في اللحظة التي اكتشف فيها ان واحدا من كبار مهربي الأسلحة على وشك ان يبيع قنبلتين ذريتين الى قائد عربي يعيش بلده فوق بحيرة من النفط !!

ويقتل القائد العربي . . ويتهم الارهابيون رئيس الولايات المتحدة بأنه وراء الاغتيال . . يدخل الحادث في لعبة الانتخابات الأمريكية ، ويظهر شون كونري - جيمس بوند سابقا - ليلعب دور مخبر صحفي يجري وراء الاحداث ، ويحاول ان يعرف الحقيقة وان يكشف مغزى الصراع بين المخابرات الأمريكية والروسية . . ودور منظمة الاوبك . . والارهابيين العرب . . وازمة الرهائن ، وواقعة موت « بوبي ساندز » اول ضحايا الرهائن الأمريكيين . . في ايران .

والدور الذي يلعبه شون كونري في هذا الفيلم يقترب من دور بيتر فيش في شبكة التلفزيون . فهو واحد من كبار مذيعي التلفزيون الأمريكي ، يحاول من خلال تحقيقاته الميدانية ان يكشف مدى تعرض محطات التلفزيون للضغوط العربية في توجيه الاعلام الأمريكي !! وبطبيعة الحال يتجاهل الفيلم الحقيقة الأزلية التي تؤكد ان هذا الاعلام تهيمن عليه الصهيونية بشكل كامل وان اموال العرب غالبا ما تكيف كي تخدم اغراض الاتجاهات الاعلامية والسياسية والاقتصادية !!

العودة الى التهكم

ومع تشبع سوق البترول العالمي . . وقلة الطلب على النفط دوليا لم يعد منطق التهويل والاثارة والتحريض في مواجهة العرب سينمائيا له فعاليته السابقة . . وبقي الهجوم المغلف بالتهكم والسخرية هو الوسيلة الفعالة للعودة الى النيل من الشخصية العربية . فالدول النفطية قد تملك المال لشراء الأسلحة المتطورة ، ولكنها تفتقد القدرة على استعمالها (افضل دفاع) ١٩٨٤ ، وهم رغم ثروتهم مازالو يعيشون في ظل الحياة البدائية ، التي لا يقدر عليها الانسان الغربي المتحضر (سياحة مع الريح) إيطاليا . . ونزواتهم هي التي تتحكم في اتخاذ قراراتهم الاقتصادية (بترول . . بترول) فرنسا . . الخ .

واخيرا ، فإن هذه الأفلام وغيرها تمثل ملامح حرب نفسية مخططة ومدروسة بعناية وذكاء . . والمطلوب من الأقطار العربية المنتجة للبترول . هو اكثر ما يمكن من الحكمة والصبر الجميل . . وأقل ما يمكن من المبالاة بدعايات الحرب النفسية التي تروج لها مختلف عناصر الاعلام الغربي . □

العلم والتعليم



في الأرض المحتلة

بقلم : توفيق أبو بكر

عند افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٤ ، قال الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن « الآن تم بناء الدولة »

وبالطبع فإن من يعرف هذه الحقيقة عن أهمية العلم والتعليم بالنسبة لنفسه يفعل كل ـافي وسعة لحرمان عدوه من أهم عناصر التقدم . فكيف تخطط الدولة الصهيونية لابقاء عرب الأرض المحتلة حطابين وسقائين « كما يقول أحد مستشاري تلك الدولة ؟» المقالة التالية محاولة للاجابة عن هذا التساؤل .

ان المحتلين الصهاينة لديهم وعي كامل بخطورة المؤسسات التعليمية والجامعية في أوساط الشعب الفلسطيني وعلى أرضه . وحين شيدوا جامعتهم العبرية في القدس سنة ١٩٢٤ م . قال حاييم وايزمن : أحد مؤسسي الصهيونية السياسية : « الآن تم بناء الدولة اليهودية »والبرنامج الصهيوني الأول الذي صدر في مدينة بازل بسويسرا في أغسطس سنة ١٨٩٧ تحدث في البند الثاني من ضمن البنود الأربعة التي تناولها الاعلان الصهيوني عن ضرورة حماية الثقافة اليهودية والتعليم اليهودي . جاء ذلك بعد التأكيد في البند الأول على بناء وطن قومي لليهود مباشرة . ولذلك فهم يعرفون من تجربتهم المباشرة والتاريخية المعاصرة ، أهمية هذه المدارس والمعاهد العليا، والجامعات التي تنتشر في كل مكان داخل الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . لهذا بالضبط فهم يعملون بوعي كامل وتخطيط طويل

المدى ، على تخريب معاقل العلم في فلسطين المحتلة ، حتى لايصبح الميدان الاول الذي تتخرج فيه القيادات السياسية والثقافية والفكرية للشعب الفلسطيني . وبدون مثل هذه القيادات ، يصبح المجتمع الفلسطيني في الداخل منزوع الأسنان ، ويسهل عندها ترويضه ، والتحكم فيه بشكل كامل .

حطابون وسقاءون

عندما ، بدأت مأساة شعب فلسطين ، قال أول مستشار للشئون العربية لدى رئاسة الوزارة الصهيونية : أورين لوبراني (الذي يعمل الآن مستشارهم لشئون لبنان) وكان ذلك في مطالع الخمسينيات :

لو بقي العرب حمالي حطب وسقائين لكان الوضع خيرا وأبقى ، لكن الأمور لاتخضع للرغائب دائما .

وبعد أكثر من ثلاثة عقود مرت على تلك الأمنية الصهيونية التي لم تتحقق ، رغم كل سياسة التجهيل التي بذلوا فيها جهدا كبيرا ، قال المستشار الحالي للشئون العربية لدى الحكم العسكري الصهيوني (وبعد أن فشلت سياسة التجهل) :

« ان الهدف الأساسي للجامعات الفلسطينية في الداخل هو تنمية طبقة من المثقفين ، وذلك لخدمة احتياجات الدولة الفلسطينية القادمة » . وحين أغلقت جامعة بير زيت لمدة طويلة في بداية الثمانينيات ، قال مناحم ميلسون البروفيسور في الأدب العربي ومسئول ما كان يسمى بالادارة المدنية لوفد من الاكاديميين الأمريكيين ، جاء يحتج على اغلاق الجامعة ، لأسباب علمية صرفة ، « ان هذه الجامعة وأمثالها خطر علينا ، لانها النواة الاولى للدولة الفلسطينية التي يحلم بها هؤلاء الشباب : شباب الجامعة » .

ان اسرائيل تتبنى سياسة محكمة طويلة النفس في مواجهة مسيرة العلم الفلسطيني في الداخل منذ السنة الدراسية الأولى ، هذه السياسة بمقاييس الجهد المبذول فيها ، لم تحقق كل النجاحات لكنها تمكنت بالتأكيد من منع عملية التعليم الفلسطيني أن تأخذ مداها ، لاكمال الدورة الحضارية للشعب الفلسطيني ، وللمساهمة في التنمية الفلسطينية العامة .

العلم والتحديات

الحقائق والأرقام المنشورة تقول انه مازالت هناك تحديات كبيرة تواجه التعليم والمعلمين في بلادنا .

هناك أولا : النزيف البشري المتواصل الذي يتعرض له الشباب في داخل وطننا ، ويندفعون معه للهجرة للخارج . في العام الماضي على سبيل المثال كان عدد خريجي التوجيهية في الضفة والقطاع ١٧٥٠٠ طالب . والجامعات الفلسطينية في الداخل ، تستوعب حسب احصاءات مجلس التعليم العالي في الضفة الغربية ٢٥ - ٣٠٪ من هؤلاء الطلاب ، وتستوعب المعاهد المتوسطة التسعة الرئيسية : وهي معاهد الزراعة والفندقة والبوليتكنيك وتدريب المعلمين ، تستوعب ألف طالب تقريبا . وتبقى هناك مشكلة لحوالي عشرة آلاف طالب سنويا يلتحق جزء منهم بسوق العمالة الصهيونية ، وينضم الى جيش البطالة المتزايد في الضفة والقطاع ، بينما يغادر بعضهم للدراسة في الخارج .

وسلطات الاحتلال بدأت منذ عامين بفرض اجراءات قاسية لوضع أكبر العراقيل الممكنة في وجه عودة هؤلاء المغادرين ، حيث تمنع عودتهم قبل ستة شهور من تاريخ المغادرة ، وهذا له أثر نفسي ومادي على الطلاب وعائلاتهم . كما تعمد هذه السلطات الى التحقيق المتواصل والسجن الاحترازي للعائدين منهم لقضاء اجازات الصيف،في محاولة لدفعهم لعدم العودة نهائيا . تقول محامية اسرائيلية تقدمية في حديث نشرته مؤخرا واحدة من كبرى الصحف الايطالية ، انه منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن حققت اسرائيل مع مايقارب ٣٠٠ الف طالب وشاب فلسطيني .

في فلسطين المحتلة ، يأخذ الأمر طابعا أكثر قسوة . إذ من النادر ان يصل أكثر من ١٠٪ من الطلاب الثانويين للحصول على الشهادة الثانوية

(البحروت) «ومن النادر أن يسمح لهم بدخول الجامعات الصهيونية . اذ أن عدد الطلاب العرب في جامعات اسرائيل حسب احصاء عام ١٩٨٠ - ١٩٨١ م ، هو ٢٦٧٤ طالبا فقط ، يدرس أغلبهم الانسانيات ، ويعيشون حالة عزلة ، وتمييز قاتل عن الطلاب اليهود . وهذه النسبة لاتشكل ١٪ من طلاب الجامعات ، رغم ان العرب داخل الكيان الاسرائيلي يصلون الى نسبة ١٤٪ حسب الاحصاءات غير الرسمية .

خيرة الحركة القومية

كان (اسرائيل كينج) حاكم لواء الشمال الذي تتبع له منطقة الجليل حيث التمركز العربي الفلسطيني الكثيف قد اقترح منذ أواسط السبعينيات دفع الطلاب العرب من الجليل والمثلث والنقب للدراسة في الخارج ، ثم وضع العراقيل أمام عودتهم ، وقال في وثيقة تسربت للصحافة . . . ان مجتمع الطلبة المثقف في أوساط العرب يشكل الخميرة لكل حركة قومية ، وان على المسئولين في اسرائيل حسب زعمه توقع هذا الاحتمال والتخطيط الدقيق له بين الأجهزة المختلفة .

ولذلك منعت اسرائيل قيام جامعة في الناصرة ومنعت قيام جامعة في نابلس للطلاب العرب من داخل «اسرائيل» فقط ، وردت على ذلك بتنشيط الاقتراح الداعي لاقامة جامعة صهيونية في المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، تكون مشابهة في مناهجها لجامعة اكسفورد وجامعة كمبردج .

ولذلك فإن الرقم المنشور حديثا والذي يقول ان ٤٠٪ من الطلاب العرب ليس في الضفة والقطاع فحسب ، وانما من داخل اسرائيل ، يدرسون الآن في الخارج أمر مذهل حقا،وهذا يعني أننا سنواجه منذ الآن فصاعدا مشكلة النزيف البشري من مناطق جديدة لم تكن تعاني من هذه المعضلة .

ان نسبة السكان ، من تقل أعمارهم عن عشرين سنة في الضفة والقطاع ، تصل الى ٥٠ - ٦٠٪ حسب احصاءات مختلفة ، وهي من أعلى النسب في العالم وتشير الى فقدان جيل الشباب من سن ٢٠ - ٤٥ سنة ، كفوة يجب أن تحتل نسبة عالية من سكان المجتمع ، كما هو الحال لدى غالبية العالم .

هناك أيضا الاجراءات المباشرة في سلك التعليم الذي تم اغراقه بأعداد كبيرة من غير المؤهلين ، ولاعتبارات تتصل بالولاء للسلطة العسكرية وتتصل بخطط التجهيل للفلسطينيين .

الأرقام المنشورة عن مجلس التعليم العالي في الضفة والقطاع تقول ان ٢٤٪ من معلمي المرحلة الابتدائية ، ٨٪ من مدرسي المرحلة الاعدادية ، ٤٣٪ من مدرسي المرحلة الثانوية بحاجة الى رفع المؤهلات الاكاديمية والتربوية وبحاجة الى دورات تأهيلية . ويتعرض المعلمون للنفي القسري والابعاد وانهاء العمل ، دون مبرر سوى المبرر الأمني الذي لا تقوم السلطات بتقديم أي تفسير له . وقد تعرض مئات المدرسين لمثل هذه الاجراءات التعسفية على امتداد سنوات الاحتلال .

وتبقي السلطات الصهيونية مستوى دخل المدرس متدنيا على الدوام حتى تدفعه الى ترك عمله والالتحاق بسوق العمالة الصهيونية ، أمام عدم قدرته على الوفاء بالتزاماته الأسرية والعائلية ، أو تدفعه للهجرة وقد نشرت هذا العام اللجنة العامة للمعلمين في الضفة الغربية جدولا لرواتب المعلمين ، وكانت فيه أرقام مرعبة حقا ففي عام ١٩٨٣ - حسب هذه الجداول ، كانت الرواتب المتوسطة أو نسبة الرواتب ١٢٥ دينارا اردنيا . رغم انخفاض قيمة العملة الصهيونية وارتفاع الأسعار وازدياد التضخم،ورغم الزيادات المحدودة في الرواتب التي انتزعتها اللجنة ، فقد كان متوسط الرواتب مع بدء العام الحالي هو ٨٧ دينارا ، أي بنقص قدره ثمانية وثلاثون دينارا . وهذا يعطي فكرة واضحة عن وضع المعلم داخل الارض المحتلة .

ووضع المعلمين داخل فلسطين المحتلة ، أسوأ كثيرا من وضعهم في الضفة والقطاع ، حيث تزداد نسبة محاولات التجهيل في صفوفهم ، وتزداد محاولات دفع الطلاب للالتحاق بسوق العمل.وبناء عليه فان رابطة المعلمين العرب في « اسرائيل » تقول أن ٣٧٪ من الطلاب من سن ١٤ - ١٧ يغادرون المدارس ، بينما لاتتجاوز هذه النسبة ١٠٪ لدى الطلاب اليهود .

والمضايقات في الوسط الجامعي أكثر حدة ، وأشد قسوة ، وخصوصا في جامعات بيرزيت ونابلس وبيت لحم والخليل وغزة والقدس ، فهي القلاع الوطنية الشامخة في مواجهة الاحتلال . وعبر التاريخ المعاصر للبشرية ، فقد شكلت معاهد العلم في مواجهة الاحتلال النازي لأوروبا المنارات والقلاع الحصينة التي أقضت مضاجع المحتلين .

لذلك قامت السلطات الصهيونية ، ومازالت تقوم باغلاق هذه الجامعة الفلسطينية أو تلك لأتفه الأسباب . آخر هذه المرات كان اغلاق جامعة النجاح في الثلاثين من يوليو الماضي . ولمدة أربعة شهور ، بسبب عرض نماذج أسلحة بلاستيكية في معرض للتراث أقامته الجامعة .

والأمر الملفت للنظر ، ان اسحق رابين الذي يعتبر أقل رموز حزب العمل تطرفا ، والمسئول عن المناطق المحتلة ، باعتباره وزيرا للحرب ، أعلن أنه سيتبنى سياسة ليبرالية في المنطقة . لكنه رفض كل النداءات الصادرة من كل المؤسسات الاكاديمية في العالم لاعادة فتح جامعة النجاح الوطنية ، لأنه يعرف أن أكثر أشكال القمع قسوة يجب أن تتوجه نحو الجامعات .

أشكال من التضييق

وفي العام الماضي تم اغلاق نفس الجامعة قبيل الامتحانات النهائية مباشرة لتعطيل عملية تخريج الطلاب والطالبات . والأمر تكرر بصورة مختلفة مع كل جامعات الداخل .

اضافة الى ذلك فان القانون رقم ٨٥٤ المعروف ، الذي مازال مجمدا بسبب الضجة العالمية حوله ، يمثل أقوى محاولات شل المؤسسات الجامعية في المناطق المحتلة ، وفرض أقسى القيود عليها ومنع تماسكها ، وانه يحظر نقل طالب من منطقة لأخرى ، ونقل مدرس من منطقة لأخرى ، الا بموافقة السلطات العسكرية ، وباجبار الجامعات على الحصول على تصريح سنوي للعمل .

ثم جاء نموذج الاقرار الذي رفضه المدرسون الجامعيون العرب والاجانب ، وأدى لابعاد عدد من مدرسي الجامعات في الضفة والقطاع ، وهو اقرار يتعهد بموجبه الاستاذ الجامعي بعدم ممارسة نشاط قد يكون في النهاية معاديا لاسرائيل وبعدم السكوت عليه .

وانعكس هذا الوضع على ظروف التعليم الجامعي . اذ انه من بين ٥٩٧ محاضرا في جامعات الداخل ، فإن نسبة الحاصلين على الدكتوراة تتراوح حسب احصاءات متباينة لسنوات متعددة بين ١٨١ - ٢٢٠ ، أي ٣٠٪ فقط من هيئة التدريس وهي من أقل النسب الموجودة في الجامعات،فهناك حامل دكتوراه واحد لكل ٥٠ طالبا في جامعات الداخل ، وهي أيضا نسبة متدنية جدا ، وفق المعايير العصرية ، وخصوصا في الكليات التقنية والفنية .

والصعوبات تنطبق على التدخل لمنع استيراد الكتب والتدقيق في مضمونها ، وعلى نقص المباني . اذ يقول مدير الجامعة الاسلامية في غزة في تصريح رسمي نشرته صحيفة القبس الكويتية ، ان الجامعة هناك تستخدم عشر خيام كقاعات للدراسة بسبب نقص الأبنية ، الأمر الذي لم يسبق أن حصل في العالم من قبل .

كل هذه المشكلات : مشكلات النزيف البشري المتواصل،ومشكلات النزوح،ومشكلات مضايقة وارهاب المعلمين ومشكلات دفع الطلاب للتسرب والدخول الى سوق العمالة الصهيونية ، ومشكلات مضايقة التعليم الجامعي واقفال الجامعات المستمر ، أضيف اليها مؤخرا مشكلة جديدة سبق أن درسها مجلس التعليم العالي في الضفة ، والمجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم التابع لمنظمة التحرير ، والذي عقد آخر دورة له في عمان في يوليو الماضي

وهي ازدياد البطالة في أوساط الخريجين ـ حيث قال د . حنا ناصر انه يوجد في الضفة الآن ٣٥٠٠ خريج عاطل عن العمل ، وفي القطاع ٤٥٠ خريجا . وهو عدد كبير قياسا بعدد السكان ، وسيكون احتياطيا جاهزا للنزوح متى ماشعر هؤلاء الشباب ان من الممكن توفر العمل في الخارج .

كل هذه المشكلات ، لايمكن لها أن تلغي صورة المواجهة الباسلة التي يقودها قطاع المثقفين في مواجهة سلطات الاحتلال . فرغما عنهم تحولت جامعة صغيرة

هي بيرزيت عام ١٩٦٧م الى جامعة كبيرة نشأ معها ورافقها نشوء وتأسيس خمس جامعات أخرى تضم الان ١٢٧٠٠ طالب وطالبة ، وأقيمت معاهد عديدة للتعليم المتوسط ، وخفت حدة تسرب الطلاب لسوق العمل في السنوات الأخيرة ، وازداد تمسك الفلسطينيين بالعلم ، كواحد من السبل الأساسية لمقاومة الاحتلال،واضراب المائة يوم ، الذي قام به المعلمون في أوائل الثمانينات مازال شاهدا على التحدي والصمود .

لكن ذلك يضع على عاتق المؤسسات الفلسطينية كل في موقعها دراسة هذا الوضع ، دراسة ثورية ووضع الحلول الممكنة في اطار التصدي الشامل للاحتلال .

ان دعم المؤسسات التعليمية في الداخل ، هو الذي يعطي لدعوات الصمود مضمونها الحقيقي . وهو الذي يوقف الى أقصى حد ممكن هذا النزيف البشري المتواصل ، ويمكن هذه الجامعات من توسيع امكاناتها وامكان قبولها لأعداد جديدة من الطلاب . وهو يتطلب مساهمة طوعية من الجامعيين حملة الدكتوراة من الشباب الفلسطيني .

وان بناء المؤسسات الانتاجية ، وتوفير امكانات صمودها هو الذي يوفر الاساس الموضوعي للانزراع في الأرض ، وتخفيف البطالة بعيدا عن صيحات الصمود العاطفية والعامة .

ولابد من سياسة مركزة لقبول الطلاب الفلسطينيين في جامعات الخارج وتوفير كل السبل أمامهم للعودة للوطن .

ولابد من فلسفة وطنية متماسكة تخضع لها التعليم الفلسطيني في الحدود الممكنة ، وتأخذ في الاعتبار جامعات الشعب الفلسطيني أولا وقبل كل شيء . وهذه مسئولية كبيرة لابد أن تنهض منظمة التحرير الفلسطينية لأدائها . ذلك أن المنظمة تقوم بحكم ظروف خارجة عن ارادتها بمهام الدولة والثورة في وقت واحد والى حد كبير .

ان الفلسطينيين يشكلون ٢,٥٪ من سكان الوطن العربي ، ويقدمون له ١٠٪ من الخريجين ، ونسبة التعليم العالي فى أوساطهم تتجاوز النسبة المنشورة للعديد من الدولة الأوروبية المتقدمة . لكن هذا الكم الواسع يجب أن يكون فى خدمة معركة التحرر الوطنى الفلسطينى ، وفي خدمة التنمية الفلسطينية ، أولا وقبل كل شيء .

يقول تقرير منشور لوكالة الغوث ، حول هذا الموضوع « ان هدفنا من تعليم الفلسطينيين هو تمكينهم من متابعة حياة مفيدة ومنتجة ، بغض النظر عن المكان الذى يمكن أن يعيشوا فيه ، كما تهدف لتعزيز الاستقرار العام في الشرق الأوسط ، وهذا بدوره سوف يؤدى لخلق مناخ يمكن من القوى التى تعمل على تشكيل مستقبل الشرق الأوسط من العمل بشكل أكثر انتظاما .

ان الاستثمار فى الانسان ومن الانسان هو هدف التنمية التعليمية والاجتماعية في العالم . والمعركة الشاملة مع العدو لا يمكن أن يتم فيها النصر دون تقدم حضارى شامل ، وتلعب فيه البندقية والسياسة والتنمية الشاملة علميا واجتماعيا ، أدوارا متكاملة □

أكبراه ومعظماه

كان العتابي شاعرا من كبار شعراء الدولة العباسية ، وقد قضى حياته زاهدا لايهتم بهندام ، ولا يركن الى ناعم العيش ، مع أنه اتصل بكبار رجال الدولة العباسية وخلفائها ، حكي أن يحيى بن خالد البرمكي عاتبه على لباسه فقال : أبعد الله رجلا همته أن يكون جماله في لباسه وعطره ، انما ذلك حظ النساء وأهل الاهواء ، حتى يرفعه أكبراه : همته ولبّه ، ويعلو معظماه : لسانه وقلبه .

نتيجة

مسابقة العربي للقصة القصيرة

استجابة لمسابقة القصة القصيرة التي أعلنت عنها مجلة «العربي» في عددهاالصادر في شهر يناير - كانون الثاني - من سنة ١٩٨٥ .

فقد وصل الى المجلة حتى نهاية شهر نيسان - ابريل - من سنة ١٩٨٥ ، ٢٩٨٥ قصة قصيرة من جميع أقطار الوطن العربي .

وقد تم تشكيل لجنة فرز أولية في مجلة «العربي» تكونت من : -

سليمان الشيخ ، حسن عباس ، محمود عبد الوهاب ، ريم الكيلاني .

وقد قامت هذه اللجنة بقراءة جميع القصص التي وصلت الى المجلة ، بحيث أتيح لكل قصة مشتركة أن تقرأ من كل عضو من أعضائها ، واستبعدت اللجنة القصص التي لاتتوفر فيها مقومات القصة القصيرة ، وأنهت مهمتها باختيار ١١٨ قصة كي تعرض على لجنة التحكيم الأساسية المكونة من : - **ابو المعاطي أبو النجا ، اسماعيل فهد اسماعيل ، عبد العزيز السريع ، سليمان الخليفي ، ليلى العثمان . سليمان الشيخ - مقررا -** .

وقد قامت لجنة التحكيم الأساسية بقراءة جميع القصص المختارة من قبل لجنة الفرز الأولية واعطائها درجة من عشرة وبمقارنة جميع الدرجات المعطاة من كل عضو من أعضاء اللجنة لكل قصة تبين أن القصص التالية قد حصلت على أعلى الدرجات وفقا لشروط الجوائز التي تم الاعلان عنها من قبل .

والقصص هي : -

- «تيمو» لسحاب محمد نوري الصمصام وفازت بالجائزة الأولى .
- «الجرذان» لفاروق حسان السيد وفازت بالجائزة الثانية .
- «العرس» للدكتور فاضل محمد مشالي وفازت بالجائزة الثالثة .



سحاب محمد نوري الصمصام
الاولى



فاروق حسان السيد
الثانية

- « الخوف » لمحمد رضا محرم وفازت بالجائزة الرابعة .
- « أغنية للخريف » لعاطف فتحي حسن وفازت بالجائزة الخامسة .
- « وجهها خلف الجدار » لفردوس فتحي ندا وفازت بالجائزة السادسة .
- « الضريح » لأحمد محمد على وفازت بالجائزة السابعة .

وقد حصلت القصص الأربع التالية على تقديرات متساوية ، مما أهلها للحصول على الجوائز الباقية وهي : -

* « عملية استثمار » (أ . ش) لسعد الدين ابراهيم محمد .
* « القمر يرحل عن المخيم » لأمين يوسف عودة .
* « السيدة العجوز » لخميس محمد بدر .
* « عشق » لأكرم عز الدين الصغير . □



الدكتور فاضل محمد المشالي
الثالثة

القصّة الفائزة بالجائزة الأولى
في مسابقة العربي للقصّة القصيرة

تيمو

بقلم : سحاب محمد نوري الصمصام

سيدي القاضي :

لم يكن يخطر لي ابدا على بال ، أني سأقف بين يدي القضاء .. فأنا أحتكم دائما الى ضميري .. أعطى كل ذي حق حقه ، وأعامل الناس بالحسنى .

يمكنك أن تسأل عني تجار المدينة ، وكل فقرائها ، وكل المتسولين فيها .. ولابد أن يكون جوابهم : أن الحاج عبد الصبور ، رجل مستقيم وشريف .

وأحمد الله الذي أعطاني وأنعم علي ، لكي أستطيع أن أعطى الناس وأعينهم ... أرحم من في الأرض ، ليرحمني من في السماء .

لقد ضحك زميلي الحاج أحمد ـ وأكد الشهود ذلك ـ ضحك عندما سمع بمثولى بين أيديكم متهما بالسرقة !!

السرقة ـ ياسيدي القاضي ـ تهمة كبيرة لا أستطيع أن أتحمل ثقلها ووزرها .. وسرقة ماذا ؟ عيادة طبيب بيطري !! ...

لا أعتقد أن اللص المحترف نفسه يقدم على سرقة عيادة طبيب بيطري ، وماذا يسرق منها ؟ حقنة ؟ .. مبضع ؟ .. شريط لاصق ؟ لا .... لا أعتقد أن أحدا يفكر ـ ولو مجرد تفكير ـ فيها .

تقول أن الحارس الليلي فاجأني وأنا أحاول فتح باب العيادة .... هذا صحيح .. أعترف به .. ولكني لم أكن أسرق .. وأستغفر الله أن يكون ذلك قد جال في خاطري ولو للحظة واحدة .

ساشرح لك قصتي من بدايتها .

تزوجت منذ عشرين عاما ، وقدر الله أن تكون زوجتي عاقرا ، فلم تنجب أطفالا .. عرضتها على عشرات الأطباء .. هنا وفي فرنسا ، والمانيا ، و ... ولكن الطب أعجز من أن يطول قدرة الله سبحانه وتعالى ..

وكنا نرغب بولد .. اؤكد ياسيدي أن زوجتي لاتستطيع أن ترى طفلا دون أن تبكي .. أو تتحسر .. طفلا يضحك أو يبكي أو يلعب أو ينام ، أي طفل كان وفي أية حالة .. وقلبي يتفطر ألما عندما أرى زوجتي تبكي أو تتحسر .

كنت أستطيع أن أتبنى طفلا من ملجأ الأيتام .. ولكني لم أيأس من رحمة الله تبارك وتعالى ، وبعد عشرين عاما من العيش على أمل .. أمل أن نرزق بطفل .. تبنيت كلبا صغيرا .. أرى سيادتك تبتسم ... لابأس .. لابأس .. ربما كان الأمر مضحكا فعلا .

وتعلقت زوجتي بالكلب .. كان صغيرا .. أسود اللون ، ذا شعر أجعد ولكنه أنيق .. حسنا .. حسنا .. !

سأختصر .. ولكني مضطر الى الحديث عن تيمو .. و(تيمو) هو اسم الكلب .. هكذا خطر لزوجتي أن تسميه . أقول انني مضطر الى الحديث عنه لأنه هو السبب الذي أوصلني الى عيادة الدكتور عبد الفتاح ، تعهدناه بالرعاية والحنان ، وكأنه ابن لنا تماما .. مواعيد طعامه



منتظمة . . وفراشه في الصالون مرتب ونظيف . . ونزهته اليومية ، وحمام مرتين في الأسبوع ودرسه اليومي . . نعم درسه اليومي . . كنا نعلمه كيف يتصرف ، كيف يفتح الباب ، وكيف يغلقه ، وكيف يشتري الخضار والفواكه واللحم . . كنت أعلق على رقبته سلة صغيرة ، وأرسله الى دكان عبدو اللحام بعد أن اوصيه بما أريد هاتفيا .

سل عبدو يخبرك . . كان يضع اللحم في السلة ، مع كمية من العظام كطعام لتيمو ، فيعود بها الى البيت دون أن يمسها ، مع علمه ـ وأوكد ذلك ـ بأن هذه العظام له . . لم

يحدث أبدا أن أخذ نصيبه بنفسه ، . . كان ينتظر حتى نقدمه له بأيدينا .

أرجوك ياسيدي القاضي . . دعني أكمل . . ان تيمو هو صلب الموضوع ، ولن تفهم دافعي مالم تعرف حقيقة تيمو . . شكرا . . شكرا ياسيدي .

ومرض تيمو . . مرض منذ حوالي سنة . . لم يعد يأكل . . ولم يعد يذهب الى دكان عبدو اللحام أو يفتح الباب . . انزوى في المطبخ . . يئن ويتوجع ، ولعلك ياسيدي القاضي - تقدر مدى الألم الذي شعرنا به أنا وزوجتي .

أصبح هزيلا . . شاحبا يعوي بين الفينة ، والفينة بصوت ضعيف متقطع ، وكأنه يتوسل الينا أن نعالجه !

وأخذته الى عيادة الطبيب البيطري - الدكتور عبد الفتاح . . ذهبت بتيمو اليه وأغلقت دكاني وكأني أطرد رزقي . . ان التجارة تفرض عليك أن تعامل الناس بالأدب وبالرقة وبالهدوء ، وبابتسامة لاتختفي من شفتيك . . ولقد شعرت بأني لا أستطيع أن أعامل الناس بالأدب وبالرقة وبالهدوء ، ولا أستطيع أن ابتسم طالما أن تيمو مريض . . ولعل توجعي عليه سيحكم تصرفاتي فأخطيء مع الناس . . وأنا لا أريد أن أخطيء ، لأني أخاف الله الجبار القدير .

وعاينه السيد الطبيب ووصف له دواء ، فذهبت الى الصيدلية لأشتريه . صيدلية الحكمة باعت آخر علبة منذ اسبوع . . صيدلية الشفاء لاتبيع أدوية للحيوانات . . صاحب صيدلية الأمل لم يسمع باسم الدواء من قبل . . مخزن الأدوية مغلق بسبب التصليحات وتغيير الديكور ! ذهبت الى جميع الصيدليات في المدينة . والى مركز الطب البيطري ، وأرسلت الى حلب ، وحمص ودير الزور وكل المحافظات ، ولم أجد الدواء !

فعدت الى الدكتور عبد الفتاح ، لعلي أجد عنده ماأريد أو يصف لي دواء آخر متوفرا في السوق ، فقال لي - وهو هنا يسمع كل كلمة أقولها . . قال لي : - لدي علبتان منه ، ولكني لا أستطيع أن أعطيها لك ، لأني أحتفظ بها لقطة ابنة العقيد موسى الأزهري !

وقطة ابنة العقيد موسى الأزهري - ياسيدي القاضي - لم تكن وقتها مصابة بالمرض ، بل انها مازالت صحيحة سليمة حتى هذه اللحظة .

وحاولت ان اشتريه . . دفعت خمسين ليرة . . وسبعين ومائة ومائتين . . تصور . . مائتي ليرة سورية ثمنا لعلبة دواء واحدة !

والدكتور عبد الفتاح يرفض . . أليس كذلك يا دكتور ؟ حسنا . . حسنا ياسيدي القاضي . . فهمت . . سأوجه كلامي اليك ولا علاقة لي بغيرك .

عدت الى البيت . . حزينا مهموما ألعن الطب والدواء والصيدليات والكلاب ، ولكني لم ألعن الدكتور عبد الفتاح . . والله لم ألعنه .

ورأيته . . رأيت تيمو . . الوقت ليل . . وزوجتي تبكي وتنتف شعرها . . كان متمددا على الأرض ، والزبد يملأ شدقيه ، وصدره يعلو ويهبط في حركة عنيفة . . وتوسلت الى زوجتي أن أفعل شيئا . وماذا أستطيع أن أفعل ؟ انها مشيئة الله عز وجل ، ولا اعتراض على مشيئته . . (فاذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون) .

ولكن منظر تيمو يؤلمني ، أن تتصور - ياسيدي القاضي - كيف كان شعوري . . ماهو شعور الأب الذي يراقب ابنه وهو يموت ؟ . . نعم ابنه . . كان تيمو ابني . . أراك تضحك ياسيدي القاضي . . ولكني برغم كل شيء أفتخر بأبوتي لتيمو .

وقمت الى غرفتي فصليت ركعتين ، وبقيت أستغفر الله وأدعوه وقتا طويلا لم أشعر به يمضي . . وعندما فرغت كان الليل قد انتصف .

وسمعت عواء ضعيفا ، وكأنه بكاء طفل جائع ، يستجدى أمه لترضعه وسمعت زوجتي تشهق . . فخرجت . . خرجت من البيت . . لم أستطع أن احتمل أكثر من ذلك . . وهمت على وجهي . . .

قلت انه لااعتراض على مشيئة الله ، ولعل مشيئة الله هي التي دفعت بي الى شارع (الحريقة) وأمرتني بطرْق عيادة الطبيب البيطري .

لااعتقد أنك تصدقني . . اليس كذلك ياسيدي القاضي ؟ ولكني أقسم لك بأني لم أفكر لحظة واحدة باقتحام العيادة . . أبدا . . وكنت كالطفل الذي يرابط أمام شاشة التلفاز قبل بدء البرامج لانه يعلم أن افلام الكارتون التي ينشدها موجودة في هذا الجهاز الذي أمامه . . أو كنت . . لاأدري ماذا يسمون وضعي في علم النفس ، ولكني لم أكن أفكر بالسرقة . . وبطفولة حقيقية . . حاولت ادارة أكرة باب العيادة علها ينفتح وأجد الدواء أمامي . . أجد صحة ولدى تيمو . . وفي تلك اللحظة ، جاء الحارس الليلي وأمسك بي . أعتقد أن كل أب سيتصرف مثلما تصرفت لوحدث له ماحدث لي . . هل كنت لتفعل غير ذلك لو كنت مكاني ياسيدي القاضي ؟

اعرف أنه لابد من عقوبة توقعها علي ، وأنا مستعد لها . . مستعد لأية عقوبة . . للسجن والغرامة وكل شيء . . ولكني أرجوك . . أرجوك أن لاتحكم بها علي بتهمة السرقة . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد فبراير ١٩٨٦

ملف خاص بالألوان

حافل بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمناسبة مرور ربع قرن على استقلال الكويت

الكويت والبعد العربي	كويت الكلمة الطيبة	مأزق النمو الحضري في العالم الثالث
عبدالعزيز حسين	عبدالرحمن سالم العتيقي	د. فضل الأيوبي

- وهم بالبوصلة مهتدون / د. عبدالمحسن صالح
- في رحاب المغرب العربي / د. صالح الخرفي
- وجهاً لوجه : الفريد فرج وعبد العزيز السريع
- السياسة الخضراء / جمال وردة
- أطفال العالم يغنون للسلام في بلغاريا / استطلاع : حسن عباس
- البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية .

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. فؤاد زكريا - عبدالعزيز جعفر
د. عبدالرؤوف لولو - د. حكم المأمون - محمود الرماوي - عبدالملك عبدالرحيم

قاموس العربي

ح

حِوارُ الشَّمالِ والجنوبُ

تعبير سياسى واقتصادى تجاوز معنى اسمه ومناسبة اطلاقه ، ليستخدم كتعبير عن أزمة النظام الاقتصادى الدولى الحالية ، وضرورة البحث عن نظام اقتصادى جديد .

ولقد كانت مناسبة اطلاق الاسم هى « عقد مؤتمر باريس حول التعاون الاقتصادى الدولى من أجل الحوار بين الشمال والجنوب » ويقصد هنا بالشمال دول الغرب الرأسمالية والدول الأوروبية الاشتراكية ، وبالجنوب دول العالم الثالث الفقيرة النامية .

ورغم أن الدعوة الى حوار الشمال والجنوب تبلورت فى أوائل السبعينيات ، وكثرت حولها المؤتمرات والدراسات - برغم هذا - الا أن فكرة الحوار نفسها تعود الى زمن أبعد من ذلك ، فالظلم والغبن اللذان يصيبان اقتصاديات دول العالم الثالث من نظام اقتصادى عالمى يحتكر التقنية والاختراعات ، ويستنزف الموارد الأولية ، ويسوق أردأ السلع بأغلى الأسعار ، ويكرس التخلف والتبعية ، ويعوق خطط التنمية والتطور ، هذا الظلم هو الذى دفع العديد من القادة الوطنيين فى العالم الثالث الى المطالبة بانتهاج سياسات مستقلة عن التبعية ، الى الكتلتين الأعظميين فى العالم ، وجاء مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) ليؤكد هذا المعنى وماتتج عنه من ظهور تكتل مجموعة عدم الانحياز ، ولقد ظلت هذه المجموعة تمثل موقفا سياسيا لايؤدى الى نتائج اقتصادية وسياسية ملموسة ، رغم أن المؤتمر قد أعلن فى توصياته عن ادانة النظام الاقتصادى الذى أفرزته الحرب العالمية الثانية ، وطالب بضرورة اعادة النظر فى هذا النظام الذى ألحق الظلم باقتصاديات البلدان النامية كلها .

وأثمرت دعوات القادة الوطنيين عقب مؤتمر باندونج - فى فترة المد الوطنى فى العالم الثالث - وأدت الى ظهور تكتل الدول النامية فى القارات الثلاث لمواجهة الدول الغربية ، عندما انعقد مؤتمر الامم المتحدة الاول حول التجارة والتنمية « أونكتاد » عام ١٩٦٤ . ويعد هذا المؤتمر بمثابة جرس الانذار الذى دفع الامم المتحدة الى الاهتمام بمشكلات وقضايا التنمية والتخلف فى العالم . وقد ظلت الدول النامية تحافظ على هذا التكتل ، الذى أصبح وسيلة ضغط ومساومة لدى الدول النامية ، الأمر الذى أضفى على المفاوضات بين الجنوب والشمال طابعا جماعيا ، ومع استمرار انعقاد دورات مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية ، أخذت دول المجموعة الـ ٧٧ التى شاركت فى أول مؤتمر ، والتى تزايد عددها بعد ذلك الى ١١١ بلدا ، أخذت فى طرح وتناول قضايا اقتصادية خطيرة مثل دور الشركات المتعددة



مؤتمر حوار الشمال والجنوب عام ١٩٧٧

الجنسية ، اصلاح نظام النقد الدولى ، نقل التقنية ، ولكن ظلت هذه القضايا وأمثالها فى دور النقاش والدراسات وأوراق العمل عديمة الجدوى .

وعقب زيادة أسعار النفط فى أوائل السبعينيات ، نشط الغرب فى الدعوة الى حوار عربى أوروبى وحوار بين منتجى ومستهلكى النفط ، ولكن توصيات مؤتمر عدم الانحياز الرابع دفعت بالأمم المتحدة الى عقد دورة استثنائية لمناقشة مشكلة التنمية والحوار بين الشمال والجنوب ، وقدمت دول الجنوب فى هذا المؤتمر برنامجا يحتوى على مجموعة مبادىء ينبغى على النظام الاقتصادى العالمى الجديد أن يحترمها ، وكان أهم مافى البرنامج مطالبته بـ : تنظيم دور الشركات متعددة الجنسية ، ونظام علاقات عادلة ومنصفة بين أسعار المواد الخام والمنتجات الصناعية ، واصلاح النظام الاقتصادى المالى ، وحل المشكلات المترتبة عليه ، كما قدم البرنامج تصوره لمشكلات التجارة والتنمية والتصنيع وتمويل التنمية وتنظيم الشركات المتعددة الجنسية ، وقد عارضت الدول الغربية البرنامج ، وبدأت سلسلة سياسات وتصريحات تهدف الى الالتفاف حول فكرة الحوار ، ونسفها من خلال اتهام دول الأوبيك ، بأنها سبب أزمة العالم النامى ، وبالفعل فشلت محاولات توفيقية للقاء بين بعض دول الشمال وممثلين لدول الجنوب ، وانتهى الحوار الى إصرار دول الشمال على ضرورة اتباع الدول النامية لسياسات اقتصادية منفتحة على الغرب والسوق العالمية لتحقيق الازدهار للطرفين !! .

وبرغم هذه المغالطة الواضحة التى لن تزيد الجنوب الا مزيدا من التبعية والفقر والاستنزاف ، فإن الغرب مازال يصر عليها ، ورغم أزمة الديون العالمية وعجز كثير من الدول النامية عن سداد قروضها ، ورغم عجز النظام الاقتصادى العالمى الحالى فى حل مشكلات النمو للشمال ومشكلات التنمية للجنوب ، فإن دول الغرب تصر على تجميد الحوار ، أو السير به فى طريق مسدود . □

●

الرجال حيوانات غريبة ، انهم يعلمون أن حصانا ما يستطيع ان يركض أسرع من حصان آخر ، ومع ذلك فإنهم يبعثرون الملايين من الدولارات والدنانير سنويا ليروا هذه الحقيقة البسيطة تتكرر المرة تلو الأخرى .

-العربي - العدد ٣٢٦ - يناير ١٩٨٦

تحولات ابن خلدون

من قصور الحكام إلى كهوف العلماء

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب*

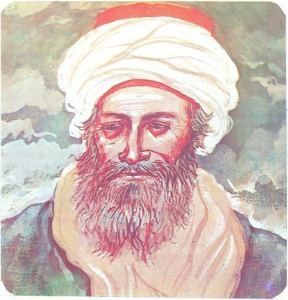
هل كان العلم .. هو غايه ابن خلدون .. أم كانت غايته هي علم الحياة ؟ وهل عشق الأسفار نفسها لا كتابتها كان الدافع الى رحلته الى المشرق والمغرب .. أم أنه لم يجد سبيلا بعد ذلك الا التفرغ للفكر والتأليف ، طالما ترددت فى الصدر أنفاس .. ؟

تتجدد الملتقيات التى تعقدها وزارات الثقافة والمراكز العلمية فى أقطار المغرب العربى الثلاثة باستمرار حول العلاّمة العربى « ابن خلدون » . والدافع الى هذا التجدد المستمر هو انتماء العلامة العربى اليها ، والدور الذى لعبه على مسرح أحداثها التاريخية فى عصره . فهو ينتمى بالمولد الى تونس التى كانت تعرف بالمغرب الأدنى ، وبالمقام والمصاهرة الى الجزائر ، وكان يطلق عليها المغرب الأوسط ، كما كتب فيها مقدمته . أما المغرب الأقصى فقد عرفته فاس العاصمة القديمة فى مختلف المناصب التى تولاها . بالاضافة الى علاقته الوثيقة بالاندلس التي كانت امتدادا للمغرب ، وفى رحابها تنقل بين عاصمة وأخرى فى عصر ملوك الطوائف ، مواصلا نشاطه السياسى والوظيفى .

وآخر المؤتمرات التى نظمت فى الوطن العربى حول فكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، هو الملتقى العلمى والثقافى الدولى الذى نظمته ولاية تيهرت ، الواقعة على مسيرة ثلاثمائة كيلومتر تقريبا من عاصمة القطر الجزائرى .

وقد وقع الاختيار على عقد الملتقى فى هذه المنطقة نظرا لاهميتها فى حياة ابن خلدون العلمية ، إذ تضم أطلال قلعة بنى سلامة التى اتخذها مقرا لخلوته بضع سنين قضاها فى تأليف المقدمة . فكانت بذلك منعطفا حاسما فى تلك الحياة الخصبة ، ومتجولا من السياسة

* استاذ مادة القانون في جامعة وهران ، كاتب وشاعر



الى العلم ، ثم منطلقا بعد أن فرغ من كتابة المقدمة الى المشرق .

واذا كان لمقدمة ابن خلدون فضل اجتذاب الأنظار الى منطقة تقزوت وتيهرت ، فإن لها من المكانة التاريخية ما يجعلها جديرة بالذكر ، إذ كانت تيهرت عاصمة للرستميين . وهم من الخوارج الاباضية الذين انتشروا فى المغرب العربى ، بعد أن ذاع مذهبهم الدينى والفكرى . فأسس زعيمهم عبد الرحمن بن رستم دولة قاعدتها **تيهرت** ، **وقد** استمر حكمها منذ ١٤٤ هـ ـ ٧٦١ م حتى ٢٩٦ هـ ـ ٩٠٨ م تمكنت خلالها من السيطرة على معظم المغرب الاوسط (من جبال أوراس الى وهران) وعلى نصف تونس الجنوبى وأغلب ليبيا ، وانتهت بقيام الدولة الفاطمية .

وتحتوى تقزوت على معالم تاريخية تمثل شواهد على الحضارات التى تعاقبت عليها . والمعالم الوحيدة الباقية منها بعد اندثارها هى الكهوف المحفورة فى أحشاء الصخور ، ومنها المغارة أو الكهف الذى أوى اليه ابن خلدون عام ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٨ م ، ليخلو فيه الى التأمل والبحث ، وكتابة **مقدمة** كتابه التاريخى الكبير ، الذى اطلق عليه اسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) .

لقد كانت خلوة ابن خلدون على مدى أربعة أعوام

(١٣٧٤ - ١٣٧٨) فى قلعة بنى سلامة - حيث أبدع تلك الدراسة التى أحدثت ثورة علمية وفلسفية ، تميزت ببعدها وطابعها الفكرى العالمى - ختاما للمرحلة الاولى من مسيرة طويلة ، طَوّف فيها بمعظم الممالك التى قامت فى عصره شرقا وغربا ، تطواف سياسى ودبلوماسى يمتاز بالقدرات العقلية النادرة ، والمرونة فى السلوك ، والطموح الى بلوغ أعلى مراتب السلطة . كما يتصف بقوة الارادة والعمل الدؤوب وسعة الحيلة ، والمغامرة فى كثير من الأحوال فى سبيل تحقيق تطلعاته ، التى لم يثنه عنها حتى السجن الذى ألقى فيه ، بعد فشل احدى المؤامرات التى اشترك فيها بتهمة العمل على قلب نظام الدولة ، والاستيلاء على الحكم بالقوة أو الخديعة أو كلتيهما ، كما يسمى فى مصطلح عصرنا . ولولا ما قدر من حظ عظيم للانسانية عامة وللحضارة العربية خاصة لكان هذا العلامة النابغة ، ورجل الدولة الطموح قد لقى حتفه فى احدى مغامراته ، وما كان أكثرها ، مثلما كان مصير كثير من الزعماء واصحاب السلطان فى ذلك العصر وفى غيره من العصور .

واذا كان من المسلم به أن ابن خلدون قد سبق زمانه بعبقريته وابداعه المتمثلين فى مقدمته اكثر منهما فى تاريخه ، بالنظر الى عدم التزامه فى بعض الأحوال بالمنهج والأفكار والقوانين التى جاء بها فى المقدمة ، لأسباب لا محل لمناقشتها فى هذا المقال ، فإنه من الصحيح أيضا أنه كان ابن عصره ، فيما اتسم به من تحولات من موقف سياسى الى آخر ، دون مراعاة الجانب الاخلاقى أحيانا ، وخصوصا الوفاء للصديق أو صاحب الفضل ، الأمر الذى يأخذه عليه كثير من الباحثين . وكأنه - من هذه الوجهة - مرآة انعكست عليها صورة ذلك العصر المتقلب المتفجر قلقا واضطرابا . فما تكاد أن تنشأ سلطة وتقوى حتى تثب عليها قوة معادية فتمحقها ، ثم تدور الدائرة على الغالب ، والويل دائما للمغلوب والمعاناة للشعوب . ويستمر الصراع فى دوامة من الأحداث العنيفة ، حتى يستشرى الوهن فى المغرب العربى وفى الأندلس ، وينتهى الأمر بتلك المنطقة المعروفة بتفاعلها الحضارى الى التردي فى هاوية التفكك والتخلف بعد مجد دام عدة قرون .

رحلة مذهلة حقاً تلك التى قطعها ابن خلدون فى ذلك الزمن البعيد ، الذى لم يكن فيه المسافر يملك غير جواده أو راحلته ، ليقطع بهذه الدابة الفيافى والسهول والبرارى الشاسعة ، وقد يعوزه ما يكفى من الزاد والماء والمتاع . لقد استقبل الحياة ، وتفتحت عيناه على العالم فى تونس ، اذ كان مولده بها سنة ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م ، وودعها فى مصر اذ مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م . وبين هذين التاريخين أمضى عمره الحافل بالتجارب المثيرة ، والعبر المستخلصة ما بين مغرب الوطن العربى ومشرقه ، من أقصاه على المحيط الى ادناه قريبا من الخليج . فاتسمت حياته بكثرة التنقل والترحل ، مما يصدق فيه قول الشاعر القديم (ما آب من سفر الا الى سفر) ، وذلك مثلما تميز مجراها بكثرة التحولات . ولما كان المجد والمعرفة رائديه ، فلا غرو أن كان مشاركا فى الحياة العامة أينما استقرت به النوى .

لم يطل مقامه فى تونس ، اذ هاجر منها الى بكرة بالمغرب الوسيط (الجزائر) ، وتحول عن بكرة ليلقى عصا الترحال فى تلمسان ثم فاس بالمغرب الاقصى ، متقلبا فى هذه البلدان جميعا ، بين مختلف الملوك والحكام ، عاملا فى الوظائف الادارية والسياسية والدينية والعلمية من كتابة للسر والانشاء والتدريس والخطابة والامامة والقضاء والسفارة والادارة - خبيرا بأساليب الاعلام والدعاية لمن يوليه من هؤلاء ثقته فيوليه منصبا مرموقا ، معرضا عمن يأفل نجمه ، أو منقلبا عليه محرضا ومؤلبا للزعماء والشيوخ ، حتى تخلعه عن عرشه وتدين بالولاء لخصمه الذى توسم فيه ابن خلدون القوة ، وتطلع الى العلا فى ركابه ، فدبر معه تدبيرا . فاذا قال قائل معرضا بالرجل : (شنشنة نعرفها من أخزم) ، فإن الرد على ذلك أن العصر كان فى جانبه السياسى المظلم عصر سوء ، فنضح بعض من معينه على شخصية ابن خلدون كما أسلفنا ، وليس هو بنسيج وحده فى هذا التناقض بين العلم والخلق فى بعض الأحيان ، وان ظل حتى الآن متفردا بما حصّله من معرفة متنوعة الآفاق ، وما كشفه من قوانين تحكم الجماعات

البشرية . وكم من عالم بلغ القمة بعطائه الفكرى وانحدر بسلوكه الشخصى الى السفح ، بل الى الحضيض أحيانا ، ولا سيما اذا كان قد ربط حياته مثل ابن خلدون ببلاط السلطان وصار من حاشيته ، أو كان له مثله من الأمال الكبار ، ما يجعله لا يبقى على أحد فى سبيل تحقيقها ، مهما لقى من عناء ومحن . لقد كان هذا المفكر العبقرى يعرف قدر نفسه معرفة الواثق والمعتد بمواهبه وقدراته ، فأراد أن يجد له مكانا لائقا ، فأخطأه الطريق حينا فالزمن كان صعباً وقد خلق الانسان ضعيفا ، والواقع أقوى من المثال فى نفوس الكثرة الغالبة من الرجال . وتلك احدى المعادلات التى استعصى حلها على علماء النفس البشرية ، وذلك العالم الصغير الذى انطوى فيه العالم الأكبر كما قال شاعر قديم حكيم :

أتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

ونتابع تحولات ابن خلدون ، فنراه يشد الرحال معجلاً من مدينة فاس التى كانت تحتل مكان الصدارة بين مراكز الاشعاع الحضارى العربى قاصدا الاندلس ، بعد أن خابت آماله فى السلطان الذى تولى بمؤازرته العرش . ولم تكن الاندلس عنده بالبلد الغريب ، اذ ينحدر من أصلاب أسرة يمانية حضرمية ، نزح فرع منها قديما الى الحجاز ، ومنها الى بلاد المغرب فى أثناء فتح الأندلس أو بعده ، ثم الى اشبيلية ، وذلك فى القرن الثالث الهجرى ، طبقا لأرجح الروايات التاريخية ، بالاضافة الى ما قاله ابن خلدون فى سيرته الذاتية ، التى ضمنها كتابه التاريخى ، اذ عدد فروع شجرة النسب التى ينتمى اليها . وما لبث أجداده أن عادوا الى تونس ، بعد أن انحسر مجدهم فى أشبيلية ، وكانوا قد تقلدوا فيها مراكز رفيعة فى قمة السلطة .

هجرة الى ارض جديدة

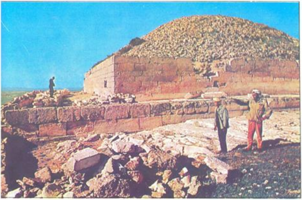
فلم يكن رحيل ابن خلدون اذن الى الاندلس ابتغاء العودة الى الجذور ، أو بدافع الحنين الى وطن الأسلاف والاستقاء من ينابيعه وميادلته العطاء ، بل كان هجرة الى أرض جديدة تسع أحلامه المجنحة . وهكذا نلتقى بالعالم السياسى الذائع الصيت فى مدينة (سبتة) المغربية الواقعة على البحر الأبيض (استولت عليها اسبانيا ، وكذلك على مدينة مليلة الساحلية ، بعد اضمحلال الدولة العربية بالمغرب وتمزقها ، ومازالت تحتلها الى اليوم) عابرا منها الى غرناطة . فى عصر ملوك بنى الأحمر ، والوزير لسان الدين بن الخطيب صاحب الموشح المشهور .

جادك الغيث اذا الغيث همى
يازمان الوصل بالاندلس

وأبى طموح ابن خلدون الا أن يودع الفردوس الأندلسى عائدا الى بجاية احدى العواصم الزاهرة فى المغرب الوسيط ، حيث بلغ مأمنه ومطمحه معاً ، اذ استوزره أميرها الحفصى . وكانت الوزارة أخطر المناصب وأجلها قدرا ، وكانت تسمى أيضا الحجابة وصاحبها الحاجب ، وهو من نسميه اليوم الوزير الأول . بيد أن استيلاء والى (قسنطينة) على بجاية كان ايذانا بفرار ابن خلدون الى (بسكرة) . ثم هرب الى ثغر هنين من أعمال ولاية تلمسان ، وتحول عنها مرة أخرى الى بسكرة ، وكأنه الفارس المحاصر ، فلا سبيل له غير الكر والفر ، حتى يجد مخرجا ثم مستقرا . ومن أين لابن خلدون أن يعرف الاستقرار ، وهو يحمل بين ضلوعه فؤاداً متمرداً جسوراً ، وأعباء عالم حّول قُلّبٍ فى فورانه لا يقر له قرار ، وغليانه لا يخمد له أوار .

لقد أمضى فى بسكرة حينا من الزمن عاملا فى مناصرة سلطان المغرب الاقصى . ولكن المقام لم يطب له لكثرة ما جرته عليه المؤامرات وتعاقب الانقلابات من هموم ، وما جلبه عليه اشتراكه فيها من خصومات . وكان رحيله ـ عودا على بدء ـ الى فاس ثم الى غرناطة ، التى كان قد حل بها ثم فارقها منذ سنوات .

وضاقت به السبل فى الحاضرة الأندلسية المتألقة على رحابتها ، حين ضاق به سلطانها ، وتنكر له بعد أن وشى به الواشون ، وأفلحوا فى سعايتهم ، فولى مدبرا الى تلسمان ، وقد فاضت نفسه بالسأم من العمل السياسى ، وما ترتب عليه من اضطراب حياته ، وتغربه الدائم فى آفاق الأرض . فأعمل فكره فى البحث عن موطن يكفل له السكينة ، ويتيح له أن يتفيأ بعض ظلال الأمن النفسى الذى يفتقده ، ولا سيما أن التفرغ للتعبير عن خلاصة تجاربه وما اكتسبه



ضرائح في منطقة اعتكاف ابن خلدون

من معرفة بالمجتمعات وطبائع الحاكمين والرعية أصبح هاجسه وشغله الشاغل . ولم يكن ذلك التعبير أو التأليف المنشود ليشق عليه اذا توافر له مقام هادىء . فقد اطلع على نظم الحكم المختلفة وأساليب الادارة والسفارة ، وعرف ماكان يحاك فى القصور من دسائس ، بل تمرس بهذه الأساليب جميعا . كما أتاح له عمله فى القضاء الوقوف على شتى المشكلات الاجتماعية ، من خلال القضايا التى نظر فيها .

انقطاع عن الحياة

واسعفته الذاكرة اللمامة والألمعية والخبرة ، فقصد خفية أصدقاء له يسمون بنى عريف ، كانوا أصحاب قلعة تسمى قلعة بنى سلامة ، وتقع فى منطقة تقزوت التى أشرنا اليها آنفا ، فأكرموا وفادته ، وأنزلوه بينهم ، وهنالك فى قبوبتلك القلعة كانت نهاية مطاف مضى فى عالم السلطة ، وبداية رحلة تأمل وتدوين فى عالم الفكر ، أكسبت العالم الجليل نفسه بعد أن كادت تشرد عنه فى متاهات السياسة ، كما أكسبت العلم والثقافة والانسانية ذخيرة قيمة كان ومازال لها أثرها فى تطور الفكر . وفى هؤلاء الذين أسدوا فضلا الى ابن خلدون باستضافتهم إياه واعتذارهم الى السلطان أبى حمو موسى الزيانى فى تلمسان نيابة عنه ، اذ كان قد وعده بالبقاء فى بلاطه ريثما يرتب له بعض المهام ، يقول ابن خلدون فى سياق سيرته الذاتية .

« وأحسنوا العذر الى السلطان منى فى العجز عن قضاء خدمته ، وانزلوى بأهلى فى قلعة ابن سلامة من بلاد توجين ، فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل ، وشرعت في تأليف هذاالكتاب ، وأنا مقيم بها ، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذى اهتديت اليه فى تلك الخلوة » .

وفى شأن تاريخ تلك القلعة وأصحابها يحدثنا المؤرخون القدامى أن بنى سلامة الذين بنوها هم بطن من بطون قبيلة توجين الزناتية فى المغرب ، استقروا فى عهد عبد القوى التوجينى . واختط زعيمهم « سلامة بن على » تلك القلعة فى عهد محمد بن عبد القوى . وقاوم أبناؤه من بعده سلاطين بنى

عبد الواد ، المعروفين بالزيانيين ، وعاصمتهم تلمسان ، الى أن اعترفوا بهم ، فدخل بنو سلامة فى طاعتهم . وآلت القلعة أثناء الاحتلال المرينى الى قبيلة سويد التى أقطعها اياه السلطان أبو عنان ، والحق سليمان بن سعد بن سلامة بجيشه . ثم عادت القلعة بامتيازاتها الى أصحابها فى عهد السلطان أبى حمو موسى الثانى . وأصبحت فى نهاية الأمر لبنى عريف ، اذ خصهم بها هذا السلطان مقابل مؤازرتهم له وما قدموه اليه من خدمات .

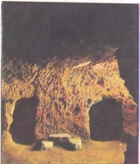
لقد استكمل ابن خلدون (المقدمة) وشرع فى كتابة سفره التاريخى ، ولكنه يفاجئنا كعادته بقطع رحلته العقلية ، قبل أن يتم تاريخه فيستأنف الرحيل ، كأنما يستأنف الحياة ، أو كأنما لم يكفه عالم الفكر الذى يعدل الحياة ويستحق أن يبذل فى سبيله العمر كله . ورحيله هذه المرة كان الى عالم جديد لم يكن له به عهد فقد أراد المزيد من التجارب ليكتمل علمه ،وعيا منه بأن المعرفة بحر لا ساحل له ، وأن المجتمعات التى أولع بدراستها لا تقف عند حدود المغرب العربى والاندلس ، بل هناك مجتمعات أخرى فى المشرق منها ما ينتمى اليه أجداده الأقدمون .

الرؤية الشاملة

انها شعلة الحياة التى لا تنطفىء فى نفسه ، والرغبة العارمة فى التماس الجديد ، والنزوع الى الرؤية الشاملة ، تلك هى العوامل التى لم تترك له مجالا للاختيار . لا شك أنه يضاف اليها شغفه بالسياسة ، وطموحه الى تبوّء المناصب الرفيعة ، فهو كما تدلنا سيرته ـ لم يكن يجد نفسه الا فى التجربة بل المغامرة ، وهو ابن الحياة المتجدد بتجددها،العاشق لمسراتها وآلامها ، فهدفه هو الحياة ذاتها ، ولا علم عنده الا من خلال الحياة ، منها لا من الابراج العاجية ، التى يلوذ بها بعض المفكرين والمتصوفين بقبس المعرفة والحقيقة . ولولا ذلك لما جاءت المقدمة على هذا المستوى المتفرد من الابداع وسداد الفكر ، ولما حدث بها ثورة علمية وفلسفية ما زالت تستقطب الباحثين فى العالم حولها ، لاستيعاب جوانبها المختلفة والارتواء من معينها الذى لا ينضب . ولولا ذلك أيضا لما بزغ هذا الشهاب الساطع فى ظلمات العصور الوسطى ، وظل من حداة قافلة الثقافات الانسانية ، وهداتها ، حتى نهايات القرن العشرين ، وربما تبقى كثير من أشعته الوضاءة لتنير الطريق لمن بعدنا، اذا قدر لاهل هذه الكرة الأرضية أن ينجوا من لعبة الجحيم النووى ، التى يلهو بها العابثون من أعداء الحياة والانسان والعدالة والتقدم .

على أن هذا الدرس الذى يقدمه لناابن خلدون فى فهمه للعلاقة بين العلم والحياة ليس هو القول الفصل المستفاد من مسيرة حياته ، فثمة عبرة بالغة الأهمية نستخلصها من هذه السيرة . فلقد عاصر مرحلة تاريخية اتسمت بفرقة الملوك والحكام ، وتصفيتهم بعضهم لبعض ، حتى فى الأسرة الواحدة بين الأخ وأخيه والولد وعمه فى سبيل الاستحواذ على السلطة . ولكن الشعوب العربية الاسلامية التى حكمتها الفرق والأسر والعروش المتصارعة ، لم تعرف فيما بينها الانقسام والتفكك ، فى ظل الدويلات التى تحولت الى فسيفساء من فرط تشرذمها ، حتى استقل كل حاكم بمدينة ، ونصب عليها نفسه ملكا ، وولاها أولاده من بعده حتى جاء الطوفان . والظاهرة الخلدونية فى التنقل شرقا وغربا بين أفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى والأندلس كأنها تشكل دولة واحدة لا عديدا من الممالك ، ثم السفر منها الى مصر ثم دمشق تمثل شاهدا على هذه الحقيقة التاريخية ما أجدرنا أن نستوعب عبرتها الآن وقبل أن نعود القهقرى لنتحول الى فسيفساء عربية يغمرها الطوفان مرة أخرى ، وهذا درس التاريخ وعبرته . □

الغار الذي يعتقد ان ابن خلدون اعتكف به





البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) النحل ١٢٥ - ١٢٧ .

هزم جيش المسلمين في وقعة أحد ، وشرعوا في حمل قتلاهم لدفنهم ، وشُغلتْ النساء بسقاية الجرحى ومداواتهم ، وجاءت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم الى أبيها تداوي جرحا أصاب وجهه ، وتنثر الرماد عليه حتى يستمسك الدم . فاذا به يهتف فجأة : « ما فعل عمي ؟ ما فعل عمي حمزة ؟ » .

فمضى علي بن أبي طالب يبحث عنه ، حتى وجده مقتولا في بطن الوادي ، وقد بُقر بطنه عن كبده ، وجدع أنفه وأذناه . فلما قدم الى رسول الله بالخبر ، مشى الى مكان الجثة حتى وقف عليها ، فأجهش بالبكاء . ثم قال : « ما وقفت موقفا قط أغيظ الي من هذا الموقف ، ولن أصاب بمثله أبدا . لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم ! » كذلك فانه لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم من تبقير البطون والمثلة السيئة ، قالوا : « لئن أظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعلن ونفعلن » .

فأنزل الله على رسوله هذه الآيات الكريمة تبين أنه مما لا يليق بالمؤمنين أن يحذوا حذو المشركين في سلوكهم الهمجي ، وتنهى عن المثلة ، وتأمر بالصبر على الأذى ، والتجلد عند النوازل .

بل ان الآيات لتمضي الى ما هو أبعد وأخطر من ذلك . فالنبي صلى الله عليه وسلم محنق غاضب ، كما لم يحنق أو يغضب من قبل ، والمسلمون قد ملأ صدورهم الغيظ مما صنع أعداؤهم من أهل مكة ، والجميع قد غلبت عليهم الرغبة في الانتقام ، مما أصاب أحباءهم وأقرباءهم واخوانهم في الدين ، ثم

تأتي الآيات لتذكرهم ان كانوا قد نسوا بأن الأحقاد الشخصية لا ينبغي أن يكون لها مكان ، وهم في سبيل تحقيق الهدف الأسمى الذي حدده سبحانه وتعالى لهم ، وهو نشر مبادىء الدين القويم ، ولا ينبغي أن تنسى المؤمنين - مهما بلغ غيظهم وضيقهم بمكر الكافرين - أن خير طرق الدعوة الى هذا الدين هو الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن .

وقد نسي مسلمو زماننا هذا ، من بين ما نسوه مما أمرنا به الله عز وجل ، ورغم تلاوتهم القرآن غدوة وعشية ، وما تضمنته هذه الآيات الكريمة من تعاليم ، لا تجاه من يخالفهم في الدين فحسب ، بل وتجاه غيرهم من المسلمين أيضا . فما من خلاف في الرأي يثور حول مسألة تتصل بالدين ، الا كان من الصعب على عامة الناس عندنا وعلى علمائهم وفقهائهم على السواء أن يناقشوا الأمر في هدوء ، ودون انفعال ، ودون سباب وتخوين ، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن . وقد أضحى من النادر أن يصبر مسلم على الاستماع الى وجهة نظر دينية من مسلم يخالفه ، وأن يعرض قضيته عرضا موضوعيا نقديا . وغدا الأسلوب الشائع عندنا في الجدال والنقد هو أن يتهم الكاتب صاحب الرأي بأنه جاهل أو مبتدع أو كلاهما . أو يتهمه بأنه يحاول الكيد لهذه الأمة في دينها وعقيدتها وأنه يعمل على تمكين الأعداء من النيل من المسلمين ، وتدمير كيانهم واستباحة أوطانهم وحرماتهم . .

لقد استقر في المجتمعات المتحضرة منذ أمد بعيد ، مفهوم يرى المفكر ونقاده شركاء في مهمة واحدة ، هي توسيع مدارك القراء وفهمهم وتنمية معارفهم ، وتمكينهم من تكوين نظرة سليمة الى الأمور . والمفكر في تلك المجتمعات يدرك عادة - ما لم يكن مفرط الحساسية - أن عليه أن يكون شديد الامتنان للمساعدة التي يقدمها النقاد له ، بتنبيههم اياه الى اخطاء وقع فيها ، أو أوجه قصور تعتور فكره ، كذلك يدرك الناقد أن الافتقار الى الموضوعية في مجال الفكر أمور كفيلة بأن تهدم سمعته لا سمعة موضوع النقد . أما في بلادنا فان القاعدة التي لا يستثنى منها غير القليلين ، فهي أن الناقد المادح مأجور ، والناقد القادح مسحور . فأما المدح الناجم عن اعتراف بفضل جاء أو توقع لفضل قد يجيء ، فأمره يسير العزم .وأما القدح المسحور ، والسباب غير المأجور ، والتشنج ازاء الفكرة الجديدة ، والمبادرة الى الاتهام بفساد العقيدة ، والانتقال من تسفيه الفكرة الى الطعن الشخصي دون مبرر ظاهر غير اختلاف الرأي ، فأمر يتعذر فهمه الا على ضوء طبيعة تكويننا ، واغفالنا لمقاصد القرآن الكريم ، وعصياننا لوصيته تعالى أن ندعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نجادل من يخالفنا في الرأي بالتي هي أحسن .

لقد سبق للشيخ محمد عبده أن وصف الأوروبيين بأنهم قوم غير مسلمين ، قد الزموا أنفسهم بما أوصى الاسلام به ، ووصف أهل اقطارنا بأنهم مسلمون قد حادوا عن تعاليم الاسلام . وما أحسبه الا كان مصيبا فيما ذهب اليه . □

لاتشاور هؤلاء

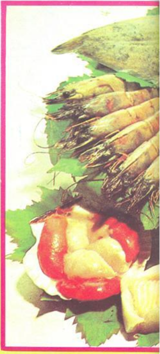
قال قس بن ساعدة الايادي

لاتشاور مشغولا وان كان حازما ، ولا خائفا وان كان فهما ، ولا مذعورا وان كان ناصحا .



الثروة السمكية
وقانون البحار

كانت الشركات الأجنبية توهم الدول النامية بأن مواردها من الثروات السمكية غير محدودة ولا تتأثر بالاستغلال ، وتقوم تبعا لذلك بالتمركز على سواحلها وممارسة الصيد دون رقابة تذكر ، فهل حقا ان الثروة السمكية غير ناضبة ؟ والى أي مدى يصدق هذا الافتراض ؟



بقلم : علي عبد الأمير*

* باحث في علوم الأسماك ومصادر الثروة البحرية بوزارة الثروة السمكية ـ عدن

ان ما شهدته السنوات الماضية أثبت عدم واقعية هذا الافتراض ، وذلك من خلال انخفاض معدلات الصيد في الكثير من المناطق ، وتدهور مخزونات بعض الموارد البحرية بشكل كبير ، بحيث وضعها على حافة الانهيار .

استهلاك . . وافراط

ان هذا الانخفاض في معدلات الصيد السنوية يأتي انعكاسا لسببين رئيسيين هما :

- التركيز على اصطياد الأسماك التقليدية ، وعدم البحث عن أنواع جديدة أخرى ، بحيث ان اجمالي الكمية المصطادة سنويا من الأسماك التقليدية تقدر بحوالي (٥٠) مليون طن من اجمالي الانتاج السنوي الكلي ، الذي يبلغ حوالي (٧٣) مليون طن ، أي أن نسبة الأسماك التقليدية المصطادة تساوي (٧٠٪) من اجمالي الانتاج الكلي .
- تجاوز الكميات الثابتة السنوية ، بحيث يتم تكثيف الاصطياد على مناطق محددة ، وبالتالي ينتج تدهور مراعي الأسماك وتعرية بيئتها ، نتيجة استخدام قوارب الجر الحديثة والكبيرة .

وعلى سبيل المثال انخفض انتاج منطقة شمال غرب المحيط الاطلسي ، من ذروته عام ١٩٧٣ ، حيث بلغ (٤,٥) مليون طن الى (٣) ملايين طن عام ١٩٧٧ .

وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ، انخفض اجمالي الانتاج من (١,٣) مليون

طن عام ١٩٧٦ الى (١,٢) مليون طن عام ١٩٧٧ وبنسبة (٩٪) .

وفي منطقة شمال غرب المحيط الهادي تكالبت الشركات الاحتكارية لاصطياد ـ بلوق الاسكا ـ والذي ازدادت كميته المنتجة بشكل انفجاري ، من (مليون) طن عام ١٩٦٥ الى (أربعة) ملايين طن عام ١٩٧٣ ، ويعتبر ذلك أقصى استغلال لهذه المسامك ، حيث تدهور الانتاج في السنوات اللاحقة لعام ١٩٧٣ .

وهناك نموذج واضح للاستغلال المفرط ، وهو ما جرى في مصايد ـ الروبيان ـ على طول سواحل الخليج العربي ، حيث قدر محصول ـ الروبيان ـ في المنطقة الذي ازداد زيادة كبيرة بعد عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ من (٣) آلاف طن الى (٣٠) ألف طن في عام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، وبسبب كثافة عمليات الاصطياد فقد انخفض اجمالي المحصول الى (١٣) ألف طن (الوزن مع الرأس) وذلك لزيادة عدد قوارب الصيد ، وتجاوز الحد الاقصى الممكن اصطياده ، ونتيجة لهذا التدهور في الانتاج فقد اضطرت القوارب العاملة الى الاصطياد في مناطق بعيدة ، وصفّت بعض الشركات أعمالها نتيجة الخسائر الناجمة ، عن تدني الانتاج .

ان هذا التدهور في مخزونات معظم الأسماك والأحياء المائية وبالأخص التجارية منها كان نتيجة طبيعية للاستغلال الجائر الذي لم يراع بناء المخزونات ، أو التأثير السلبي على الاحتياطي عند تجاوز الحد الاقصى المقرر اصطياده ، وهذا يتسق مع الزيادة السنوية السريعة للفترة ما بين ١٩٥٠ ـ ١٩٦٩ حيث بلغت الزيادة السنوية حوالي (٧٪) ، أما في الفترة من عام ١٩٧٠ حتى الآن فإن الزيادة السنوية لا تتجاوز (١ ـ ٢٪) فقط ، بل وتتأرجح في هذه الحدود .

ان هذا الوضع يعطي مؤشرا واضحا على أنه لم تعد هناك مخزونات كبيرة غير مستغلة استغلالا كاملا من الأصناف التي اعتيد صيدها بسهولة ، وتسويقها بطرق ملائمة ، والتي كانت تتيح فرص التوسع السريع في الخمسينيات والستينيات .

ان التوسع الحالي في أساطيل الصيد الحديثة يطرح بشدة ضرورة التوسع في مجالات الأبحاث والتنقيب عن أنواع أخرى من الأحياء البحرية ، واستغلال ما هو غير مستغل ، اضافة الى ضرورة تنمية مشاريع تربية الاسماك .

بين البحار والأنهار

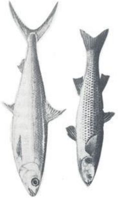
وعند تفحص طبيعة الانتاج السمكي في العالم ، يتضح أن حوالي (٨٥٪) من الانتاج يتم الحصول عليه من البحار ، وتشكل الأسماك السطحية مثل (الانشوجة ، الرنجة ، الماكريل ، التونة) حوالي الثلثين ، أما الأسماك التي تعيش في الأعماق ، والتي تسمى بالأسماك الراقدة مثل : (القد ، السمك المفلطح .. الخ) فتشكل الكمية المتبقية من الانتاج ، مع نسبة حوالي (٨٪) من اللافقريات ، كالرخويات (الحبار) و (الأخطبوط) و (الصيدج) ، والقشريات (الجمبري ، اللوبستر والسرطان البحري) .

وتوجد معظم الموارد السمكية البحرية ضمن نطاق (٢٠٠) ميل من الشاطىء ، غير أن القليل من الموارد الحية في المحيطات هو الذي يستغل ، ومعظمها من التونة والحيتان ، كما يوجد بعض من هذه الموارد ضمن حدود الـ (٢٠٠) ميل أيضا ، ويبلغ الانتاج من المياه الداخلية كالأنهار وروافدها والبحيرات والخزانات حوالي (١١) مليون طن سنويا ، وهو لا يزيد الا بشكل بطىء جدا ، لأنه يتأثر كثيرا من استخدام أحواض الأنهار في توليد الطاقة ، وبناء السدود وأغراض الري .

وقد شهدت سنوات ما قبل عام ١٩٧٠ توزيعا غير عادل لكميات الانتاج السنوية ، ضمن اجمالي بلدان العالم المنتجة للأسماك ، والبالغة (١٦١) بلدا ، فإن هنالك بضعة بلدان تحتكر الكمية الأكبر من الانتاج ، ومعظمها من البلدان الصناعية .

ـ على سبيل المثال ـ بلغ نصيب البلدان النامية من اجمالي الانتاج نسبة (٢٧٪) ، أما مساهمة البلدان الصناعية (التي لا تتجاوز سبعة بلدان) والتي تحترف الصيد تقليدا فقد شكلت نسبة (٦٣٪) وذلك عام ١٩٧٠ .

ومنذ مطلع عام ١٩٧٧ بدأت الفجوة تتقلص



الاسماك .. ثروة وغذاء !



صيد الأسماك بالتحليق أثبت جدواه في البلدان النامية .

بشكل تدريجي ، ففي عام ١٩٧٧ كان نصف البلدان العشرة الأولى في مجال صيد الأسماك من البلدان النامية ، وتحصل البلدان المتقدمة بصيد الأسماك على نسبة (٥٤٪) من اجمالي متوسط الانتاج العالمي من الأسماك ، رغم أن الفجوة ما زالت قائمة نسبيا ، وذلك عند المقارنة بين انتاج الاتحاد السوفيتي واليابان مع البلدان الأخرى ، حيث يحصل الاتحاد السوفيتي واليابان على أكثر من (٢٧٪) من الانتاج العالمي .

وعند مقارنة بيانات (الجدول رقم ١) مع اجمالي انتاج العالم من الأسماك والأحياء المائية ، تتضح مرة أخرى اختلافات التوزيع ، حيث بلغ مجموع انتاج تسعة عشر بلدا الموضحة فى (الجدول رقم١) (٥٤,٧)مليون طن ، أي بنسبة تزيد عن (٧٦٪)من اجمالي الانتاج العالمي ، والبالغ لنفس العام حوالي (٧٢) مليون طن ، وتساهم البلدان الأخرى والبالغة (١٤١) بلدا بمقدار (١٤) مليون طن ، وبنسبة أقل من (٢٠٪) من اجمالي الانتاج العالمي ، ومعظمها من البلدان النامية .

تجارة الأسماك

يتم اصطياد اجمالي المحصول العالمي بواسطة (٢٠) ألف سفينة صيد ، يتراوح اجمالي الوزن المسجل لكل منها ما بين (١٠٠) و (٤٠٠٠) طن ، ويبلغ اجمالي الأطنان المسجلة (١٢) مليون طن .

وتشكل السفن التي تتراوح حمولتها من (١٠٠) الى (٤٩٩) طنا نسبة (٨٠٪) من الأسطول العالمي ، ويتألف الباقي من حوالي (٣) ملايين سفينة وزورق صغير ، يقل الوزن الاجمالي المسجل لمعظمها من خمسة أطنان ، وأغلبها غير مزودة بمحركات .

وتوفر مصايد الاسماك في العالم فرصا للعمل لحوالي عشرة ملايين صياد ، وليس ذلك فحسب ، بل هنالك العديد من النشاطات المتصلة بصيد الاسماك - كالتصنيع والتسويق - التي تمتص أعدادا كبيرة من العمالة ، خصوصا في المناطق الساحلية .

وتتبع معظم سفن صيد الأسماك التي يتراوح وزن كل منها بين (١٠٠) و (٤٠٠٠) طن الى البلدان الصناعية ، أما البلدان النامية فإن نصيبها الجزء الأكبر من القوارب الصغيرة التي تكون غالبا بدون محركات .

كما أن البلدان المتقدمة بصيد الأسماك لا تسيطر على مناطق الانتاج في العالم فحسب ، وانما على التجارة الدولية للأسماك ومنتجاتها ، ففي عام ١٩٨٠ اصبحت كندا أكبر الدول المصدرة لمنتجات الاسماك ، اذ اقتربت قيمة صادراتها من (١٠٠٠) مليون دولار أمريكي ، تلتها الولايات المتحدة الامريكية التي زادت صادراتها بنسبة (٧٧٪) عن عام ١٩٧٩ ، وتحتل اليابان المرتبة الرابعة بعد النرويج .

وتصدر بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية ما قيمته (٢٠٠٠) مليون دولار من منتجات الاسماك سنويا .

وفي نطاق الواردات فإن اليابان تتربع على المركز الأول في العالم ، حيث أنفقت عام ١٩٨٠ ما قيمته (٣٠٠٠) مليون دولار على واردات الأسماك ومنتجاتها . وتلتها الولايات المتحدة الامريكية في المرتبة الثانية . كما استوردت بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية (٣٧٠٠) مليون دولار من منتجات الأسماك للعام ذاته .

ويبدو من خلال هذا العرض الموجز أن بضعة بلدان تحتكر انتاج الأسماك ، وتسيطر على تجارتها الدولية .

قانون البحار

من المتوقع في السنوات القادمة أن يرتفع الانتاج لدى البلدان النامية ، بينما يتأرجح انتاج البلدان التي تعمل أساطيلها في المياه المفتوحة وسواحل البلدان النامية .

وانسجاما مع ذلك فإن انتاج الأساطيل الأجنبية التي تعمل على سواحل البلدان النامية سوف يهبط بشكل ملحوظ ، بعد أن كان هذا الانتاج يعادل حوالي (٩٪) من اجمالي المحصول السمكي العالمي .

فقد بلغ اجمالي الكمية المصطادة من الأسماك والأحياء المائية لجميع بلدان العالم (٦٣٫١) مليون طن ، وذلك عام ١٩٧٢ ، منها حوالي (١٦٫٥) مليون طن ، تم الحصول عليها من مصادر غير محلية ، أي خارج المناطق الاقليمية للبلدان المنتجة ، وبلغت الكمية التي تم اصطيادها من سواحل البلدان النامية (٥٫٥) مليون طن (وهذا يعادل حوالي أربعة أمثال انتاج البلدان العربية مجتمعة في الوقت الحاضر) .

ان ذلك يوضح بشكل لا يقبل الشك مدى النهب الذي تمارسه الشركات الأجنبية لثروات البلدان النامية ، وهو جزء من الموقف الاستعماري الاستغلالي ، سعيا لاستنزاف المزيد من موارد البلدان النامية وتجويع شعوبها .

وتسعى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٥٨ لايجاد تسوية عادلة بشأن استغلال الموارد المائية الحية على النطاق العالمي ، وحماية سواحل وثروات البلدان النامية .

وكان أول مؤتمر للأمم المتحدة حول قانون البحار هو المؤتمر الذي عقد في (جنيف) عام ١٩٥٨ ، وأسفر عن عقد خمس معاهدات ، تشكل عنصرا هاما في قانون البحار الحالي ، وتتعلق هذه المعاهدات بما يلي :

١ - المياه الاقليمية .
٢ - أعالي البحار .
٣ - الصيد .
٤ - حماية الثروات الحية لأعالي البحار .
٥ - الجرف القاري .

اضافة الى معاهدة سادسة حول التسوية الالزامية للمنازعات .

الا أن هذه المعاهدات لم تجد الأرضية الصالحة للتطبيق ، بحكم التبعية التقليدية للبلدان الاستعمارية ، واشتداد حدة السعار بين الشرق والغرب .

الا أن مفترق الطرق برز بوضوح في الستينيات من القرن الحالي ، حيث حصلت العديد من البلدان النامية المستعمرة على استقلالها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ففي مطلع السبعينيات أصبحت مشكلة نقص امدادات الأغذية من أهم المشاكل التي تطرح في المؤتمرات واللقاءات الدولية ، نتيجة تحكم حفنة من البلدان في انتاج وتسويق المواد الغذائية ، ورفع الاسعار بشكل جنوني ، سعيا للضغط وارضاخ البلدان النامية ، في هذا الصدد قال وزير الزراعة

الامريكي بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين البلدان العربية والكيان الصهيوني « ان الغذاء هو السلاح الأكثر فعالية بيد الدبلوماسية الامريكية ، ولا يستطيع العرب أن يقاوموه » !

وإزاء هذا الوضع المتأزم ، وانتهاء بالمصادمات وتوتر بعض العلاقات الدولية ، بسبب الانتاج السمكي ، وأبرزها الحرب التي نشبت بين بريطانيا وايسلندا ، التي سميت بـ (حرب السمك) ، في هذا الوقت بالذات ، اجتمع مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار في (كاركاس) عام ١٩٧٤ ، واستمرت المفاوضات للتوصل الى معاهدة بشأن قانون البحار ، لضمان الوصول المتكافيء الى الثروات الواسعة في البحار والمحيطات ، التي تشكل الثروة السمكية احدى مكوناتها الأساسية .

وفي عام ١٩٧٧ تكللت الجهود بصدور قانون البحار ، الذي أصبح معترفا به من جميع بلدان العالم تقريبا .

ولقانون البحار أهمية كبيرة من خلال اتاحة الفرص للبلدان النامية ، لاستغلال ثروتها المائية الحية بنفسها .

وقد أشار الأمين العام للأمم المتحدة في خطابه الافتتاحي ، للدورة السادسة لمؤتمر قانون البحار ، المنعقد بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، الى أنه (ينبغي النظر الى المؤتمر ، باعتباره جزءا من النشاطات الجارية في منظمة الأمم المتحدة ، لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، والبحث عن نظام اقتصادي أكثر انصافا على النطاق العالمي) .

ومنذ صدور قانون البحار وقف العديد من البلدان النامية في وضع تحد أمام استغلال الموارد السمكية في مياهها الاقليمية بنفسها ، فبعضها لا تمتلك في الوقت الحاضر لا القدرات الفنية ولا الخبرات اللازمة للاستفادة من الفرص المتاحة أمامها بشكل كامل ، حيث تعاني من النقص الشديد في المعلومات المرتبطة بأهم المجالات ، وبالأخص تقدير المخزونات وأساليب وطرق الصيد الحديثة ، وكذلك النقص الشديد في الخبرات المرتبطة بادارة المصايد ، اضافة الى افتقار بعضها الى الرأسمال اللازم لبناء أساطيل الصيد الحديثة ، ومعامل التصنيع والمنشآت السمكية







في الآونة الأخيرة بدأت صناعة تعليب الأسماك تشق طريقها في البلدان النامية

الأخرى ، أي عدم القدرة على بناء القاعدة المادية الضرورية للتطور اللاحق .

حذار من الشركات الأجنبية

وفي خضم هذه الأوضاع اتجهت البلدان التي تملك أساطيل الصيد في المياه البعيدة للدخول في نشاطات مشتركة ، أو للحصول على تراخيص للاصطياد على سواحل البلدان النامية .

الا أن طبيعة وأبعاد هذا الاستغلال الجديد لا تنفصل عن النهج السياسي ، وطبيعة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدى أي من البلدان النامية .

فالبلدان التي تنتهج طريق التغييرات الاقتصادية والاجتماعية لصالح شعوبها ، استطاعت ادارة واستغلال مواردها بشكل رشيد ، وحققت وتائر مرتفعة في الانتاج السنوي ، انسجاما مع نهجها في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية .

كما أن العديد من البلدان النامية ذات النهج الجذري في الاستفادة من مواردها السمكية ، غير قادرة لهذا السبب أو ذاك على الاستفادة من جميع الموارد الحية المتاحة في سواحلها ، وطالما أن هذه الموارد تتجدد باستمرار فهي تحقق الاستفادة من منح تراخيص للاصطياد للبلدان الأخرى ، للعمل على سواحلها ، أو العمل المشترك في المرحلة الراهنة على الاقل ، وللأنواع السمكية غير المستغلة ، أو التي لم تستغل بشكل كامل ، وتسعى دائما الى ايجاد السبل الكفيلة لتنمية مصايدها المحلية وقدراتها الذاتية ، من أجل الاستغناء عن تلك البلدان أو الشركات .

الا أن بعض البلدان النامية التي لا تمتلك الرؤية السليمة لتحديد مسارها السياسي والاقتصادي ، فتحت سواحلها كاملة أمام الشركات ، ويجري استغلال ثروتها المائية الحية بشكل أشد ضراوة من السابق مقابل عوائد بسيطة لا تكاد تذكر .

كما تحاول هذه الشركات استغلال الموارد السمكية على سواحل بعض البلدان النامية تحت واجهات وحجج مهلهلة ، منها ـ على سبيل المثال ـ أن هذه البلدان لم توسع نطاق حمايتها على سواحلها الاقليمية لمسافة (٢٠٠) ميل .

ان هذه الشركات ذات الطبيعة الأخطبوطية قادرة بسبل مختلفة على النفاذ والتغلغل الى العديد من البلدان النامية ، بما فيها المتحررة سياسيا بأشكال ووجهات مختلفة ومتنوعة .

وهي تستهدف بأي حال من الأحوال تحقيق أقصى الأرباح على حساب الغير ، وتحت ستار تقديم بعض القروض والمشاريع العقيمة للبلدان النامية ، من أجل استمرار نشاطها وتوسعها ، وبقاء البلدان النامية بشكل خاص في قبضتها . وتريد الشركات الاستغلالية عبر فروعها المتعددة والمنتشرة في معظم أنحاء العالم على تركيز نشاطها واستغلالها للموارد السمكية في بلدان أميركا اللاتينية ، بحكم موقعها على مشارف المحيط الهادي ، الذي يعتبر أغنى محيطات العالم اكتنازا بالموارد السمكية ـ حيث يساهم المحيط الهادي بنسبة (٥٠٪) من اجمالي الانتاج العالمي سنويا .

الأسماك والتغذية

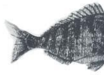
لا تشكل الأسماك في الوقت الحاضر سوى دور ضئيل في اقتصاديات معظم البلدان ، ولكنها تسهم بدرجة كبيرة في امدادات الأغذية ذات القيمة الغذائية العالية ، وأيضا في عمالة سكان المناطق الساحلية ، وايرادات النقد الأجنبي .

واذا كانت البحار والمسطحات المائية تشكل حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، فان الأغذية المستخرجة من هذه البحار لا تساوي سوى (١٠٠٠/١) من كمية الأغذية المستخرجة من اليابسة .

ويبلغ متوسط الزيادة السنوية لانتاج الأغذية في العالم خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ حوالي (١،٦٪) أي أقل بكثير من معدل نمو السكان .

ان هذا لا يعني بأي حال من الأحوال انعدام امكانية انتاج المزيد من الغذاء ، بل هناك امكانيات كبيرة جدا تسخر لأغراض أخرى غير أغراض انتاج الغذاء وأهمها سباق التسلح .

وبالمقابل فقد أشار المسح الغذائي العالمي الرابع



الذي أجرته منظمة الأغذية والزراعة العالمية ، على أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية في بلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى والأدنى قد واصل ارتفاعه من حوالي (٣٦٠) مليون انسان في الأعوام ١٩٦٩ - ١٩٧١ الى (٤١٠) ملايين في الفترة ما بين ١٩٧٢ - ١٩٧٤ والى (٤٢٠) مليونا في الفترة ما بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ، ويلاحظ أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية (الجوع الظاهر) يزداد بشكل مطّرد سنويا ، وأشار هذا المسح أيضا الى أن نسبة هؤلاء السكان تشكل (٢٢٪) من مجموع سكان تلك البلدان ، أما بالنسبة الى السكان الذين يعانون من سوء التغذية فيشكل عددهم نسبة أكثر خطورة .

وتخفي هذه الأرقام في طياتها الفجوة الواسعة داخل كل بلد على حدة ، حيث يوجد جزء كبير من السكان محروم من الغذاء ، بسبب عدم تعادل توزيع الحصص الغذائية وتفاوت الدخل ، كما يزداد خطر الجوع الظاهر والجوع المستتر مع زيادة حجم الأسرة ، ويتناسب عكسيا مع دخل الفرد .

ان المواصفات الغذائية الفريدة التي تتمتع بها الأسماك أكسبتها أهمية خاصة في مكافحة سوء التغذية ، والافتقار الى البروتين والطاقة ، لا سيما في فترات الطفولة . وقد قدرت بعض الدراسات أن جسم الانسان يحتاج الى حوالي (١٨) كيلو غراما سنويا من البروتين الحيواني ، لكي يحافظ على صحته البدنية والعقلية ، ولهذا السبب يلاحظ أن العديد من البلدان المتقدمة تعطي اهتماما كبيرا لزيادة توفير الأسماك للمستهلكين .

وتعد الأسماك المصادر البروتينية المهمة في تغذية الانسان .

وتساهم الأسماك في بعض البلدان بنسبة (٥٠٪) الى اجمالي البروتين المستهلك في الغذاء ، وتقدم الأسماك حوالي (٦٪) من امدادات البروتين في العالم ، وحوالي (٢٤٪) من امدادات البروتين الحيواني ، مقابل (٤٠٪) من البروتين الذي يتوفر في جميع أنواع اللحوم على النطاق العالمي .

وتختلف مساهمة بروتينات الأسماك باختلاف البلدان ، حيث تبلغ (١٦٪) من البروتين الحيواني في البلدان الاشتراكية ، وحوالي (٣٦٪) في بلدان الشرق الاقصى ، وحوالي (٢٢٪) في بلدان التخطيط المركزي في آسيا .

وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من البروتين تتراوح بين (٢٠٪) الى (٩٠٪) من الوزن الجاف ، وبذلك تحتل الأسماك مركز الصدارة في ارتفاع كمية البروتين في محتواها ، عند مقارنتها بمصادر البروتين الأساسية ، ففي كل (١٠٠) غرام من لحوم الأسماك تحتوي على (١٨,٥٪) بروتين ، وفي لحوم الأبقار (١٦,٥٪) ، وفي البيض (١٣,٥٪) ، أما اللبن فيحتوي على (٣,٨٪) من البروتين .

ويعتبر بروتين الأسماك ذا قيمة حيوية عالية نظرا لاحتوائه على الأحماض الأمينية ، التي تحتوي على نسبة عالية من الليزين والكبريت الأساسيين في تغذية الانسان ، وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من الدهون تتراوح بين (٠,٣٪) الى (٢٥٪) ، وهي تختلف تبعا لنوعية الأسماك ، فمثلا تشكل نسبة الدهن في الساردين حوالي (٧٪) ، وفي القرش (٩٪) وفي الرنجة (١١٪) .

وفي دهن الأسماك نسبة عالية من الأحماض المتعددة غير المشبعة ، ومن مميزات هذه الدهون كونها لا ترفع كمية (الكولسترول) في دم الانسان .

وتحتوي دهون الأسماك وكبدها على كميات مهمة من الفيتامينات الضرورية لجسم الانسان ، كفيتامين (أ) و (د) و (ب) ، كما تعتبر لحوم الأسماك من المصادر الغنية بالعناصر المعدنية ، وخاصة الكالسيوم والفوسفور والحديد وغيرها .

ومع هذه الأهمية الغذائية التي تكتسبها الأسماك ، فقد ازدادت الكمية المخصصة للغذاء البشري ، على حساب الصناعات الأخرى ، وهي بشكل أساسي صناعة مسحوق وزيت الأسماك .

فقد ازدادت الكمية المخصصة للاستهلاك البشري من الأسماك من (٣٢) مليون طن عام ١٩٦٠ م ، الى (٤٠) مليون طن عام ١٩٧٠ ، والى (٤٩) مليون طن عام ١٩٧٩ ، وأخيرا (٥٠,٥) مليون طن كمعدل للسنوات الثلاث الاخيرة . □



بـوق (أوليفان) من العـاج صنـع في صقلية .

عام للفنون والحضارة الإسلامية في السويد

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

« في أقصى الشمـال .. في بلاد الحرية والصقيـع والتقدم .. في السـويد .. أقيم مهرجان كبير للاحتفال ببدء عام الفنون والحضارة الاسلامية . ولماذا الاحتفاء به ، وكيف كان الاحتفال ، وماذا قدم فيه ؟

كل ذلك يعرضه كاتب هذا المقال .

ما الذي نعرفه عن السويد وما الذي تعرفه السويد عن حضارتنا وفننا ؟ :



مدخل المعرض الرئيسي ، وترى أعلام الدول العربية والاسلامية تغطي سماء المدخل .

ما الذي نعرفه عن السويد . . ؟ سؤال لابد أن يطرح ، وقد يكون الجواب مرتبطا بما علق بذهننا من ذكريات الدراسة التاريخية أو الجغرافية .

ما الذي نعرفه عن السويد التي تعد واحدة من أهم أعضاء المجموعة السكندنافية ، المؤلفة من خمس دول ، والتي بلغ عدد سكانها ثمانية ملايين ونصف ، وتبلغ مساحتها ٤٥٠ الف كم مربع ، وعاصمتها استوكهولم المؤلفة من عدد من الجزر الكبيرة والصغيرة .

ما الذي نعرفه عن السويد منذ بداية تاريخها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين . . ؟
عندما أقام فيها « الفايكنغ البرابرة » ، ثم عندما ظهرت فيها بعد قرن الكتابة المأخوذة عن الالمانية ، وظهر الدين المسيحي الذي انتشر عن طريق انجلترا .

حديث طويل لابد من متابعته عبر المصادر والكتب ، ولكن السويد الحضارة ترى واضحة أمام من زارها : شعب دمث يحترم الواجب والقانون ، ويهتم بالثقافة والفنون والرياضة . وبلد يتمتع بطبيعة رائعة ، الماء فيها أكثر من اليابسة ، والاشجار فيها أكثر من البشر ، والثلج والصقيع يغطي الأرض والماء أكثر أيام السنة ، والشمس عزيزة مكرمة لاترى الا في صيف قصير .

هكذا السويد بكلمات متقاطعة سريعة ، نستطيع أن نتبعها دون اكتفاء ، ونستمر نسأل ماذا عن السويد ؟ تماما كما يسأل السويديون ماذا عن العرب وماذا عن الاسلام ؟ ماذا عن الحضارة التي يحتفظون منها بآثار مهمة ؟ ماذا عن الفن الاسلامي الذي عرف جيدا في الغرب الأوروبي ، ولم يعرف بما فيه الكفاية في الشمال الأوروبي ، كان هذا السؤال هو الدافع الى اقامة مهرجان كبير في استوكهولم العاصمة يستمر من أيار ١٩٨٥ حتى حزيران ١٩٨٦ .

لم تكن فكرة الاحتفال بالثقافة الاسلامية والفنون ، مجرد تخطيط سياسي أو اقتصادي سويدي رسمي ، يهدف الى تقوية العلاقات مع الدول العربية والاسلامية ، بل كانت وليدة الشعور بضرورة سد

ثغرة كبيرة في الثقافة الشعبية السويدية ، وافساح المجال للتعرف على الاسلام والحضارة الاسلامية من خلال الآثار الموجودة في المتاحف وفي المجموعات الخاصة السويدية ، ولم يكن المتحف التاريخي في استوكهولم الذي بادر الى هذا الاحتفال قد تصور الابعاد التي يمكن أن يصل اليها ، ولكن وقد أقدم على قرع أبواب حضارة ضخمة ، كان لابد أن يتسع مشروعه ويصبح مظاهرة ثقافية متنوعة ، هي واحدة من أضخم المظاهرات التي شهدتها استوكهولم عاصمة السويد .

ذروة الاحتفال هو معرض الحضارة والفنون الاسلامية الذي اقيم في المتحف التاريخي .

ويقول مدير المتحف السيد « ايزاكسون » ان هذا المعرض هو أكبر معرض أقمناه على الاطلاق ، ولقد كان واحدا من أصعب المهام ، وخلال عشرين عاما من عملي رئيسا لهذا المتحف التاريخي أعترف أن عملية اعداد هذا المعرض كانت أكثر اثارة واهمية من اي مرة أخرى .

لقد قوبلت مبادرتنا في السويد بترحاب كبير فاق ما توقعناه ، تم ذلك من السلطات والهيئات والأفراد على حد سواء ، وانه ليسعدني أن يسهم في هذه المظاهرة لفيف كريم من الباحثين السويديين المختصين في فروع الحضارة العربية والاسلامية ، في توضيح معالم هذه الحضارة ضمن حدود اختصاصهم ، فيقدموا أبحاثا أغنت معارف الشعب ، وقد تداولها من خلال كتب ومجلات ومحاضرات .

« وثمة خمسون الفا من المواطنين السويديين يدينون بالاسلام ، كان من حقهم أن يسهم المتحف الوطني التاريخي في التعريف بتراث الاسلام . ان هذا التعريف يعزز دورهم في تقويم علاقة السويد مع العالم الاسلامي ، كما يعزز دورهم في المجتمع السويدي نفسه الذي اكتشف لأول مرة أن هذا التراث الانساني له عمق تاريخي متصل بهم ، وان الواقع العربي الاسلامي أضخم بكثير مما حفظته الذاكرة ، فثمة ما يقرب من مليار مسلم في انحاء العالم ، في آسيا وافريقيا ، بل في أوروبا وأمريكا واستراليا ، وثمة مئة وخمسون مليون عربي تسيّر حكوماتهم أحداث السياسة والاقتصاد التي أصبحت تمس العالم أجمع . »

الآثار الاسلامية في السويد :

لقد عرف السويديون أن في خزائنهم وثائق تؤكد الصلات التاريخية الوثيقة مع العالم العربي والاسلامي . ان المكتشفات الاثرية قد أبانت أنه منذ عهد الفايكنغ (القرنين التاسع والعاشر) ، كان العرب قد وصلوا الى السويد ، وكانت لهم علاقات تجارة وتعاون ، ان ثمانين الفا من القطع النقدية المحفوظة في دار المسكوكات الملكية ومتحف الآثار ، والتي تم اكتشافها في موقعي بيركاو وهيلغو مع غيرها من التحف الاسلامية تبقى دليلا قاطعا على حقيقة هذا الاتصال ، وعلى قوة التعاون ، كذلك أمر الوثائق المكتوبة والتحف التي عثر عليها في السويد ، وقد انتقلت مع القادمين الأوائل منذ الف عام ، هي شاهد بليغ على الأواصر التاريخية بين الشعوب الشمالية والشعوب الاسلامية .

ولقد استمرت العلاقات الثقافية قائمة باشكال مختلفة ، وها هي آثار هذه العلاقات متمثلة في قطع أثرية مهمة انتقلت الى السويد ، كالجرة الرائعة التي انتقلت من قصر الحمراء في غرناطة الى المتحف الوطني للفنون الجميلة في استوكهولم ، أو السجادة الحريرية الشهيرة التي تعود الى القرن السادس عشر ، والتي انتقلت من ايران الى المجموعات الملكية ، ولقد تجمعت حصيلة طيبة من الآثار جمعت من المتحف الوطني التاريخي ، ومن المتحف الوطني للآثار ، ومن متحف آثار حوض البحر الأبيض المتوسط ، وآثار دار المسكوكات الملكية وغيرها ، لتصبح نواة لمعرض كبير .

لقد انتقلت المجموعات الاثرية الى المتاحف السويدية خلال الف عام عن طريق الديلوماسيين ودارسي اللغات ، وتحفل مكتبة جامعة « أوبسالا » العريقة ، بمجموعات مهمة من المخطوطات والمنمنمات التي تحوى مصاحف منمقة ودواوين شعر مزينة بالمنمنمات وكتب علوم مرفقة بصورة ايضاحية

ومن كبار جامعي الآثار الاسلامية والسويدية ، العالمان « فريدريك مارتان » و « كارل جون لام » اللذان أغنيا بدورهما الثقافة بدراساتها العربية والاسلامية .

والسيد مارتان (١٨٦٨ ـ ١٩٣٣) أسهم مع العالم (ساره) في تنظيم أضخم معرض اسلامي في ميونخ، وأصدر كتابه الشهير عن «تاريخ السجاد الشرقي» ١٩٠٦. ثم كتابه عن «المنمنمات والمنمنمين الفرس والاتراك والهنود». والكتابان مازالا مرجعين للباحثين، ولقد انتقل مارتان عبر اسطنبول والقاهرة وآسيا الوسطى، واقتنى مجموعات من التحف المعدنية والخزفية والسجاد والنسيج التي نراها اليوم في متحف آثار حوض البحر الابيض المتوسط، ومتحف الفن الحديث، ومتحف التقاليد الشعبية في استوكهولم.

أما (لام) (١٩٠٢ ـ ١٩٨٢) فلقد عرف عالميا من خلال كتابه بالالمانية عن «الزجاج الاسلامي» (١٩٣٠) ثم كتابه عن «الزجاج في ايران» وكتب دراسات كثيرة عن المجموعات الاسلامية في المتاحف السويدية، وقدم محاضرات خلال ثلاثة أعوام عن الفن الاسلامي في جامعة القاهرة، وخلالها استطاع الحصول على مجموعة من الأقمشة النادرة.

ان المتاحف السويدية حافلة بالآثار التي وردت اليها عن طرق مختلفة. اما عن طريق التنقيب كالمسكوكات التي اكتشفت في (بيركا). والمجموعة البرونزية التي اكتشفت في أحد المواقع الأثرية، والمحفوظة في المتحف الاقليمي في (غاقل) والتي تعود الى القرن التاسع الميلادي واما عن طريق الجمع من الكنائس والأديرة، ومنها أثواب تركية وفارسية وقطع من البروكات والمخمل والحرير الطبيعي، جاءت الى السويد في بداية القرن السابع عشر.

من أبرز الآثار المحفوظة في متحف الأثار سجادة ماربي في القرن الخامس عشر صنع الأناضول. والبوق العاجي صنع صقلية في العهد الاسلامي، وهو من روائع الصناعات العاجية الاسلامية، ومن مجموعة القصر الملكي سجادة من الحرير صنع قاشان، القرن السادس عشر.

وفي مجموعة متحف السلاح الملكي أكثر من الف قطعة أثرية اسلامية هي من أثمن المجموعات السويدية. وفي قلعة سكوكلستر مجموعة من السجاد الذي يعود الى القرن السابع عشر، وثمة ثلاث خيمات تركية من نفس العهد، ومن أهم المقتنيات السويدية الجرة التي تسمى «جرة الحمراء» والمصنوعة في مالقا في القرن الرابع عشر.

وفي المتحف الوطني للفنون الجميلة مجموعة من المنمنمات الفارسية، التي تشكل مع غيرها من المنمنمات في المجموعات السويدية معرضا كاملا للمنمنمات الفارسية والهندية المغولية.

ومن أظرف القطع المحفوظة في المكتبة الوطنية، كتاب صغير فيه رسوم وصور بالالوان المائية لنماذج شعبية تركية، كان السفير السويدي لدى الباب العالي قد أحضرها من استانبول عام ١٦٥٨.

وفي دراسة معمقة قامت بها بعثة المتحف الاسلامي في متحف الآثار في استوكهولم، عرض واسع للمجموعات الاسلامية الموجودة في المتاحف السويدية، والمكتبات ودور ـ الوثائق، تقدم بعدا عميقا جدا لهذه المظاهرة الثقافية الناجحة.

آثار اسلامية من متاحف عالمية

ان ما بين أيدي أمناء هذه المتاحف السويدية قد لايكون كافيا لتوضيح معالم حضارة ضخمة توزعت آثارها في جميع أنحاء العالم، لذلك اتجهت آراء القائمين على هذا المعرض نحو الكنوز الاسلامية في المتاحف الكبرى وفي المجموعات الخاصة الشهيرة.

ولأول مرة يوافق الاتحاد السوفياتي ممثلا بمتحف الايرميتاج في لينتغراد، باخراج خمسين قطعة رائعة من كنوزه الاسلامية لتعرض خارجا، كذلك أسهم المتحف البريطاني باعارة المعرض مجموعة مهمة من الآثار الاسلامية، ولم يتردد المتحف الوطني في مدريد باعارة السويد بعض الآثار الاندلسية الرائعة التي زينت معرضا للفنون والحضارة الاسلامية.

قدم متحف الكويت ـ دار الآثار الاسلامية ـ مجموعة من القطع الجميلة التي تعود الى مجموعة الصباح، بلغ عددها ست قطع، منها ابريق نحاسي من صنع ايران يعود الى عام ١٠٠٠ ميلادي، ومنها الوعاء البرونزي المزخرف ـ العصر المملوكي صنع مصر أو سورية ١٣٠٠ م، قبعة الدراويش الايرانية ١٦٠٠ م وبعض الصور ومجموعة جاسم الحميضي في الكويت، وقد زين المعرض بقطع جميلة تقرب من عشر قطع، من أبرزها الصندوق العاجي المزخرف

بكتابة ورقش وهو من صقلية ١١٠٠ ـ ١٢٠٠ ، وثمة صندوق معدني مزخرف بكتابة نسخية وطيور ورقش هو من صنع مصر في العصر الفاطمي ، وشمعدان صنع شمالي العراق ١١٠٠م مصنوع من معدن مضغوط ، واستعيرت من دول الخليج الأخرى صور ووثائق تاريخية وشواهد شعبية .

ولقد برزت في المعرض القطع الفنية الاسلامية التي أعارها متحف الايرميتاج في لينينغراد ، ومن هذه القطع تمثال فضي رائع يمثل بقرة يرضع منها عجل صغير ، وقد بدا من الكتابة المنقوشة أنها من صنع محمد بن أبي القاسم النقاش من ايران ، وهي مؤرخة في ٦٠٣ / ١٢٠٦ م ، والمزهرية المحززة المشغولة ١٣٠٠ م ، والمزهرية المصرية المملوكية ، والشمعدان المملوكي ، أيضا ، والمزهرية الخزفية الايرانية الصفوية ١٦٠٠ م ، ومن أبرز المعروضات طائر عليه كتابة ونقوش من صنع المعلم سليمان (١٨٠هـ / ٧٩٦ م) ، وابريق برونزي يعود الى نهاية العصر الأموي من صنع العراق ، والاناء الزجاجي المصري (١٠٠٠م) الذي اضيفت له زخارف معدنية سويدية (١٦٠٠م) .

كذلك أغنى المتحف بقطع شهيرة من مقتنيات المتحف البريطاني ـ كالرصيعة البرونزية الاناضولية ١١٠٠ ـ ١٢٠٠م ، والاناء النحاسي الفارسي (١٣٠٠م) ، والكرة البرونزية الشهيرة الشامية ١٢٦٨ م ، والصندوق الشامي ١٢٠٠م عدا مجموعة من المنمنمات .

ومن المتحف الوطني في مدريد عرض عشر قطع من أبرزها مخطوطات قيروانية فاطمية ٩٥٢ م .

وتعتبر مجموعة ساملينغ في كوبنهاجن من أغنى المجموعات الاسلامية الدنمركية في كوبنهاجن ، ولقد استعير منها أربعون قطعة تعود الى كارل واخيه دافيد . والقطع الأخرى المعروضة هي من مقتنيات المتاحف السويدية ، في استوكهولم وفي غوتبورغ ومالمو .

الثقافة الشعبية والحياة في البلاد العربية :

تحت هذا العنوان نستطيع أن نرى صورة من الحياة للمجتمع العربي ، فلقد استعيرت من متحف قطر غرفة كاملة تعبر عن (المجلس) ، ولقد أضيف الى ذلك صور فوتوغرافية عن الحياة في عمان وصور عن البحرين وتاريخه .

وثمة قاعة أخرى تبين العلاقة التاريخية التي كانت قائمة بين أجداد السويديين وهم الفايكنغ وبين المسلمين في عهد الخلافة خلال القرنين التاسع والعاشر ، وفي هذا الجناح بعض القطع والنقود التي اكتشفت في مغائر سويدية .

وفي جناح مستقل عرضت بعض المخطوطات والمصاحف والمنمنمات ، وهي من الاعمال الفنية المهمة ، حملت من أطراف العالم الاسلامي ، وفي هذه القاعة مصحف يعود الى القرن العاشر ، هو واحد من أقدم المصاحف التي كتبت بالخط الكوفي .

ومن بين المخطوطات نوادر المنمنمات الفارسية التي تحكي قصة الشاهنامة (تاريخ الملوك) والتي كتبها الفردوسي خلال القرن العاشر .

ولقد خصص جناح مستقل لعرض النسيج الرائع الصنعة ، والذي جاء الى السويد مع الدبلوماسيين والجنود العائدين من البلاد الاسلامية ، وثمة مجموعة من السجاد الشرقي الذي يعود الى القرن السابع عشر والتاسع عشر عرضت مع بعض القطع الرائعة من البروكار صنعت في تركيا خلال القرن السابع عشر .

لقد نجح مصمم المعرض في تخصيص بناء مستقل تابع لابنية المتحف لكي يكون سوقا مستطيلة مؤلفة من واجهات مفتوحة على جانبي الزائر ، مخصصة لعرض الصناعات التقليدية والبضائع الشرقية والافاوية ، والتوابل والعطور ، وينتهي السوق بقاعة ضخمة رتبت لكي تكون حرما لمسجد اسلامي ، وقد حلي بمحراب ومنبر رمزيين .

المنظمة العربية ومعرض الحضارة :

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كانت ذات حضور واضح في مظاهرة الفن والثقافة الاسلامية في السويد ، وتحت عنوان (الكسو) وهو الاسم المختصر للمنظمة افتتح جناح خاص واسع لألواح كبيرة تحمل صورا ملونة أحسن اختيارها ، توضح معالم الحضارة العربية بمختلف وجوهها ،



● طائر برونزي صنع
المعلم سليمان العراق
٧٩٦ هـ متحف الايرميتاج .

ورافق هذا المعرض دليل باللغة السويدية أعدته المنظمة لهذه المناسبة .

ويعتمد المعرض على ابراز مبادىء الاسلام وتطوره ومظاهر الفن الاسلامي ، وقد قام مصمم مختص بتنظيم المعرض ، فجاء معبرا عن الحياة في المجتمع الاسلامي بشكل تعليمي جذاب ، ولزيارة المعرض لابد أن نبتديء بهو الدخول الذي يحمل عنوان « عبر مكة المكرمة » ، وهو القسم المخصص لاعطاء فكرة عن الدين الاسلامي والقرآن الكريم والصلاة ، وثمة لوحات ضخمة وصور فوتوغرافية مأخوذة من القمر الصناعي تحدد موقع الكعبة في مكة المكرمة والعالم الاسلامي ، وهي أول صورة من نوعها .

ونجتاز بهو الدخول من أحد بابين لندخل الى غرفة مخصصة لبيان حياة الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين ، ويلي ذلك لوحة ضخمة مقسمة الى مربعات كل مربع عليه اسم سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها مائة وأربع عشرة سورة والغرفة التي تلي مخصصة للتعريف الرمزي عن مدى انتشار الاسلام في زمن الخلفاء الراشدين .

ثم تصل الى القاعدة الاساسية المخصصة للفن الاسلامي ، وقد عرضت القطع الفنية مرتبة بحسب تواريخها ، وأول قطعة هي نسر برونز مستعار من متحف الايرميتاج صنع في ايران عام ٧٩٦ م . وتمتد قطع أخرى تعود الى العهد الاموي والعباسي عرضت بشكل فني في مواجهة دائرية طويلة يقابلها عرض مفتوح لقطع أخرى ، وتنتهي المعروضات بقطع تعود الى عهود متأخرة (القرن التاسع عشر) .

عام لم ينته بعد

وما زال عام الفنون والحضارة يتألق اشعاعه في استوكهولم عاصمة السويد منذ أن افتتحه « أولف بالم » رئيس وزراء السويد وشاركت فيه غالبية المؤسسات الثقافية والمتاحف والجامعات والمكتبات العامة ودور المسكوكات ولم يكن كما اسلفنا معرضا للحضارة الاسلامية عبر الف عام فقط بل الى جانب هذا المعرض ، اقيمت معارض أخرى هي :

- معرض الخزفيات المكتشفة في الفسطاط - مصر ، وبعض القطع الفخارية التي جمعت من مصادر أخرى ، وأقيم هذا المعرض في متحف حوض البحر المتوسط .

معرض المسكوكات الاسلامية في المتحف الملكي للمسكوكات ، وفيه عرضت مجموعة المتحف الى جانب مجموعات مستعارة من مصادر سويدية ومن لندن ولينينغراد والكويت .

- معرض الكنوز الملكية . وفيه عرضت الهدايا الثمينة التي قدمت الى ملوك السويد ، كالمطرزات والبوركار والأسلحة والسروج المرصعة .

- وفي المتحف الوطني للفنون الجميلة أقيم معرض خاص للسجاد التركي من القرن العاشر والخامس عشر ، كانت من مقتنيات الملك « كارل الثاني عشر » .

- وفي أنحاء السويد سيتجول معرض في المدارس الرسمية يضم معروضات مختاره من المتاحف السويدية ، مع شرح عن الحياة الاجتماعية الاسلامية .

وفي خريف ١٩٨٥ افتتح معرض عربي - اسلامي للعلوم الفلكية في القرون الوسطى ، مع بيان أثرها وأهميتها بالنسبة للعلوم الفلكية الحديثة .

- وينظم المتحف الوطني تحت عنوان « الاسلام والموسيقا » برنامجا للحفلات الموسيقية تقدمها عدة فرق من مختلف الدول الاسلامية .

وينظم المركز الثقافي في استوكهولم معرضا عن الحياة التقليدية في قرية تركية ومعرضا عن الحياة وأسباب الهجرة .

وهكذا كان - وما يزال - احتفاء علميا بحضارة اسهمت في تنوير العالم وقفوا أمامها ليناقشوا اسهاماتها بالعقل والتحليل بعيدا عن فوران العاطفة وممارسة الوجدان . □

■ اننا نستهلك ثمرات الكون ونحن أول ثماره . (عبد العزيز البشري)

العلم والمال

قيل للخليل بن أحمد : أيهما أفضل . . العلم أم المال ؟

قال : العلم

قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الأغنياء ، والأغنياء لايزدحمون على أبواب العلماء ؟

قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الأغنياء ، وجهل الأغنياء بحق العلماء .

نوادر ابى العيناء

□ من نوادر أبي العيناء وكان ضريرا . . . .

قال له المتوكل يوما : هل رأيت طالبيا حسن الوجه قط ؟

قال : يأمير المؤمنين . . هل رأيت أحدا قط يسأل ضريرا هذا السؤال ؟

ويروى أن رجلا على حماره زحمه أبو العيناء على الجسر ، فضرب أبو العيناء بيده على أذن الحمار قائلا له : يافتى . . قل للحمار الذى فوقك ينبه من في الطريق .

وسأله أحدهم عندما سرق حماره ، ياأبا العيناء كيف سرق حمارك ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . !

****

نعوذ بالله

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامة بجحا ، رجلا فاضلا فيه دعابة وفيه عقل . وكان يحلو له دائما أن يخلط بين المزاح والجد ، ويصارح محدثه برأيه فيه في فكاهة مستملحة . وذات يوم التقى بالطاغية تيمورلنك فقال له :

يانصر الدين ، انى شديد الاعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التى تختتم دائما باسم الله ، كالواثق بالله والمظفر بالله ، والمستنصر بالله . . وأريد أن تختار لى اسما من هذا النوع . فالتفت اليه جحا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وقال « اختار لك . . نعوذ بالله »

فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام . . !



كرم الكريم

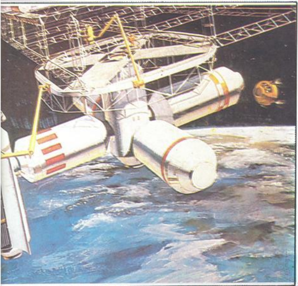
من دعاء الحسين بن على رضى الله عنهما :

« الهى . . نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة بترك الصبر . : الهى مايكون من الكريم الا الكرم » .

حسن الاستماع

□ تعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام ، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضى حديثه ، والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم ، والوعى لما يقول .

« ابن المقفع »



أسلحة الفضاء

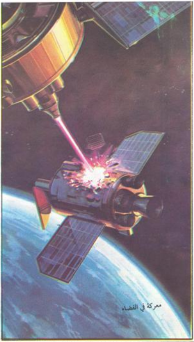
رعب القرن الحادى والعشرين



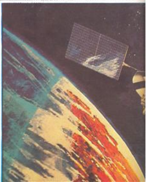
بقلم رؤوف وصفى

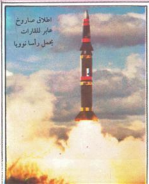


محطة فضاء حربية



معركة في الفضاء





اطلاق صاروخ
عابر للقارات
يحمل رأسا نوويا

أطلق الخبراء العسكريون اصطلاح « حرب النجوم » على مبادرة نظام الدفاع الاستراتيجي الأمريكي الذي يهدف الى استخدام أسلحة الفضاء ، لاعتراض الصواريخ العابرة للقارات ، والاقمار الصناعية المعادية وتدميرها ، قبل أن تصل الى أهدافها . .

ان ما كان يعتبر خيالا علميا منذ سنوات أصبح اليوم حقيقة واقعة ، فقد أخذ العلماء في تصميم أسلحة فضاء ذات قوة تدميرية مروعة . .

أسلحة الليزر . . الأقمار الصناعية القاتلة . . أسلحة الجسيمات الذرية . . أسلحة الطاقة الحركية . . محطات الفضاء الحربية . .

هذه بعض أسلحة الفضاء التي يتوقع الخبراء استخدامها في المستقبل القريب . عندما تنتقل العمليات الحربية الى طبقات الجو العليا . . حيث يتلوث نقاء الفضاء وطهارته . .

ما هي أسلحة الفضاء ؟ وكيف تعمل في معارك الفضاء ؟

القمر الصناعي .. عبارة عن أجهزة متطورة ، تطلق الى الفضاء بواسطة صواريخ ضخمة ، وما ان يصل الى الفضاء عند ارتفاع محدد حتى يتخذ له مدارا ، وليس له محرك نفاث يسيره ، بل انه يعمل وفق الجاذبية الأرضية . . لقد بدأ عصر الفضاء في عام ١٩٥٧ ، عندما أطلق أول قمر صناعي « سبوتنيك » ، ومنذ هذا التاريخ أطلق الى الفضاء ما يزيد عن ٢٠٠٠ قمر صناعي حربي ، وهذا يعني أنه بين كل أربعة أقمار صناعية يوجد ثلاثة منها للأغراض العسكرية .

ويطلق كل عام حوالى ١٠٠ قمر صناعي حربي ، منها حوالى ٨٥ قمرا صناعيا سوفيتيا ، وحوالى ١٥ قمرا صناعيا أمريكيا ، والفرق الكبير بين العددين يرجع الى أن الأقمار الصناعية الأمريكية تبقى في الفضاء عادة لمدة أطول من الأقمار الصناعية السوفيتية . فالقمر الصناعي الأمريكي (بيج بيرد) على سبيل المثال - يمكث في الفضاء حوالى ٢٠٠ يوم ، بينما يبقى نظيره السوفيتي (كوزموس) حوالى ٣٠ يوما فقط .

وتقوم الأقمار الصناعية بالعديد من المهمات الحربية ، منها الاستطلاع والارصاد الجوية والملاحة والاتصالات .

وتعتبر أقمار الاستطلاع بالتصوير بمثابة « عيون لأسلحة الفضاء ، بينما تعتبر أقمار الاستطلاع «الالكتروني» آذان هذه الاسلحة ، حيث انها مزودة بأجهزة الكترونية متطورة لتقتفي أثر اشارات رادارات العدو ، واتصالاته اللاسلكية ، وحتى اتصالاته الهاتفية ، وتعتبر مهمات أقمار الاستطلاع الألكتروني ، أكثر المهمات سرية في حروب الفضاء .

كما قد تحمل الأقمار الصناعية قنابل تصيب بها الأهداف الاستراتيجية للأعداء ، بهجوم خاطف قد لا تتمكن أجهزة الدفاع من صده ، ويطلق على هذه الأقمار (فوبز Fobs)وهذه الحروف اختصار لعبارة (Fractiand Orbitat Bombardment System) وتعني بالعربية نظام القنابل المدارية .

وتعتمد القوتان العظميان على الأقمار الصناعية الحربية في أي حرب فضاء في المستقبل ، ومن ثم تنظر

كل منها الى الأقمار الصناعية للطرف الآخر كأهداف حربية ، ومن ثم يعكفون على تصميم الأسلحة الكفيلة بتدميرها بدقة وفي أقصر وقت ممكن . وهذا النوع من الأسلحة يطلق عليه أسات (Asat) وهذه الحروف اختصار لعبارة (- Anti Satellite) تعني بالعربية الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية .

وتتضمن هذه الأسلحة الأقمار الصناعية القاتلة Hunter Killer التي تعترض وتدمر الاقمار الصناعية المعادية ، وهي في المدار - وأسلحة الليزر ذات الطاقة العالية التي تنطلق من محطات فضاء حربية تدور في الفضاء .

جواسيس في الفضاء

تعتمد الدولتان العظميان على أقمار الاستطلاع بالتصوير للتجسس والتعرف على الأهداف الاستراتيجية ، وتدور هذه الأقمار في مدارات على بعد حوالى ٢٠٠ كيلو متر من سطح الأرض . وحتى وقت قريب كانت تلك الأقمار مصممة بحيث توضع الأفلام - بعد تصويرها - داخل كبسولات مغلقة ، ثم تلقى الى مناطق محدودة فوق المحيط ، وما ان تقترب الكبسولة من سطح المياه حتى تفتح مظلة لتخفيض سرعة الهبوط ، ثم ترسل طائرة حربية خاصة لالتقاط الأفلام قبل أن تهبط في المحيط . وكانت هذه العملية تستغرق وقتا طويلا .

وحدث تطور في أجهزة أقمار الاستطلاع بالتصوير ، بحيث أمكن أن يحمض الفيلم آليا داخل القمر الصناعي ، ثم يتم فحصه الكترونيا ، وترسل المعلومات باشارات لاسلكية الى محطات المراقبة فوق الأرض ، تتحول هذه الاشارات الى صور مرة أخرى . وتتميز هذه العملية بالسرعة الفائقة الى حد أنه يتم فحص الصور بعد أن تلتقط مباشرة .

وتستخدم هذه الأقمار نوعية من آلات التصوير، الأولى ذات مدى واسع ، وتلتقط صورا لمناطق شاسعة قد تتمركز فيها معدات أو حشود عسكرية ، أما أقمار النوع الثاني فتلتقط صورا دقيقة محددة مثل سلاح عسكري متطور .

وليست أقمار الاستطلاع بالتصوير هي الوحيدة التي تقوم بالتجسس ، فهناك التفتيش والبحث عن الأهداف الحربية في المحيطات مثلا ، وهي التي تختص بمراقبة السفن الحربية بالمحيطات ، وتستخدم هذه الأقمار الرادار المزود بمفاعل نووي صغير يزوده بالطاقة .

التنصت على الأعداء

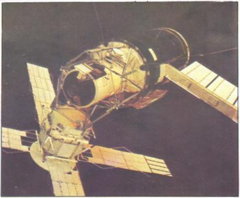
تعتبر أقمار الاستطلاع الاليكتروني من أكثر الأقمار الصناعية تقدما ، فهي تحوي معدات الكترونية متطورة ، وتختص بجمع وتحليل الاشارات اللاسلكية المتعلقة بالقوات المسلحة ، ومن أهمها تلك التي يتم تبادلها بين الوحدات العسكرية ، وكذلك تلتقط هذه الأقمار كافة اشارات الرادار الخاص بنظم الدفاع الجوي ، ومن السفن الحربية ، ومن نظم التحكم في القذائف الموجهة ، ومن نظم الانذار المبكر وغيرها .

ويكمن الهدف من اطلاق أقمار الاستطلاع الالكترونية ، في اكتشاف مصادر هذه الاشارات الالكترونية الصادرة عن القوات العسكرية المعادية ، ولتحليل المعلومات التي تحتويها . وتفيد هذه المعلومات في تصميم أسلحة للتغلب على خطوط دفاع العدو .

وتدور أقمار الاستطلاع الالكتروني على بعد حوالى ٥٠٠ كيلو متر ، ومنها أقمار (فيلا) Vila الأمريكية ، التي تقوم بمهمة اكتشاف الانفجارات النووية في الغلاف الجوي للأرض ، وهي تدور عاليا في أعماق الفضاء .

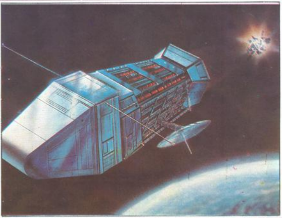
الأقمار الصناعية . . القاتلة

أطلق الاتحاد السوفيتي الى الفضاء أقمارا صناعية قاتلة ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تقترب من القمر الصناعي المعادي ثم تنفجر بالقرب منه فتدمره . ويقترب القمر الصناعي القاتل من هدفه بعد أن يكمل دورتين حول الأرض ، وعندئذ يتلقى تعليمات من مركز المراقبة فوق الأرض ، فيقترب من هدفه ثم يستخدم راداره للاقتراب الى حد معين ، ثم تتم « قبلة الموت » ويتفجر القمران معا . وقد قام



نموذج
في الفضاء
لسلاح الليزر

سلاح
الجسيمات
الذرية



السوفييت بتجربة ناجحة للأقمار الصناعية القاتلة فى يونيو ١٩٨٢ بالقمر الصناعي (كوزموس ١٣٧٩) .

أما الخبراء العسكريون فى الولايات المتحدة فقد صمموا أسلحة مضادة للأقمار الصناعية تختلف عن الاسلحة السوفيتية . ويتمثل السلاح الأمريكي بقذيفة صغيرة ، تحملها طائرة مقاتلة نفاثة متطورة (ف ـ ١٥ ايجل) وتطير على ارتفاع ٢١ كيلو مترا ، ثم تطلق القذيفة التى تحمل رأسا نوويا نحو القمر الصناعى المعادى ـ وبعد فترة ينفصل الرأس النووي ، ويتجه نحو الهدف ، حيث يستخدم جهاز استشعار فى مقدمته ، يكون قادرا على اقتفاء أثر الأشعة تحت الحمراء ، التى تصدر عن القمر الصناعى المعادى ، وهو اما ينفجر فيدمره ، أويصيبه بشكل مباشر ، وفى هذه الحالة الأخيرة قد لا يحتاج لمواد متفجرة ليحقق هدفه ذلك ، ان الأقمار الصناعية يمكن أن تفقد فاعليتها اذا اصطدم بها أى جسم معدني بسرعة كبيرة . وقد طور الأمريكيون سلاحا بهذه المواصفات ، أطلقوا عليه « الاسلحة الدقيقة المضادة للأقمار الصناعية » .

عصر الصواريخ العابرة للقارات

بدأ عصر الصواريخ قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما اخترع الألمان سلاحا مروعا هو الصاروخ ف ـ ٢ ، الذى كان يطلق على أهداف محددة داخل انجلترا وفرنسا . وكان هذا الصاروخ يرتفع الى حوالي ١٠٠ كيلو متر فى الفضاء .

وكان نجاح الصاروخ ف ـ ٢ حافزا للقوتين العظميين فى تطوير صواريخ عابرة للقارات تحمل رؤوسا نووية ، وهى قذائف ذاتية الدفع ، ويطلق عليها IBM وهذه الحروف اختصار لعبارة تعني بالعربية الصواريخ العابرة للقارات . وبينما كان مدى الصاروخ ف ـ ٢ حوالي ٣٠٠ كيلومتر ، فإن مدى الصواريخ العابرة للقارات حوالى ١٣٠٠٠ كيلومتر ، وهى ترتفع فى الفضاء الى مدى يبلغ ١٦٠ كيلو مترا .

وهذه الصواريخ منتشرة فى قواعد بالمعسكرين الشرقي والغربي . ويقدر الخبراء العسكريون عددها فى العالم اليوم بأكثر من ٤٠٠٠ صاروخ .

الليزر أشعة الموت

الليزر مجرد شعاع من الضوء . ان المصباح الكهربى عندما يضىء تتوزع أشعته فى كل الاتجاهات ، وينير الحجرة كلها ، أما الضوء الذى ينتج عن جهاز الليزر ، فهو ينطلق فى اتجاه واحد فقط ، ومن ثم توجد طاقة هائلة فى شعاع الليزر حتى أنه يكفى لثقب لوح من الصلب سماكته عدة سنتيمترات .

واذا أمكن لشعاع الليزر أن يصطدم بقذيفة عابرة للقارات أو برأسها النووى ، فإنه يتمكن من أن يفجرها أو يجعلها غير ذات فاعلية ، كما يمكن لشعاع الليزر أن يدمر قمرا صناعيا للعدو وهو يدور فى الفضاء ، كما تزود محطات الفضاء الحربية بأشعة الليزر ليكون سلاحا فعالا ضد أى هجوم بالصواريخ أو بالأقمار الصناعية .

وقد اقترح بعض العلماء الأمريكيين نظاما للدفاع ضد الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات باستخدام أشعة الليزر .

ويتلخص هذا النظام فى اقامة سلاح ليزر على قمة جبل ، يرتفع عن سطح الارض بحوالى خمسة كيلومترات أو اكثر ، وتطلق الى الفضاء ـ على قمر صناعى ـ مرآة هائلة تعكس أشعة الليزر الصادرة من قمة الجبل ، لتوجه الى الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات فتدمرها ، وذلك عند حدوث أى معركة فضائية .

ولكي يمكن لأشعة الليزر أن تؤثر فى الهدف المعادى ، يجب أن تكون شديدة التركيز ، حتى تصبح طاقتها عالية ومدمرة ، ومن ثم يحتاج الأمر الى معدات ثقيلة لتوليد مثل هذه الأشعة المركزة . ولن يكون اطلاق هذه المعدات الى الفضاء أمراسهلا ،وستكون التكاليف باهظة .

ووضع سلاح الليزر على قمة جبل فوق الأرض سيكون أكثر سهولة وأقل تكلفة ، كما انه بالطبع يمكن صيانة واصلاح الأجهزة بشكل أفضل ، ومن المشكلات التى تصاحب استخدام أشعة الليزر كسلاح فى المعارك الحربية هو أن هذه الأشعة عندما تنطلق خلال الهواء الجوى تتشتت ، ومن ثم تصبح أقل فاعلية فى تدمير أهدافها ، ولهذا يفضل العلماء

وضع أسلحة الليزر في محطات فضاء حربية ، ذلك انه لا يوجد هواء في الفضاء ، فتبقى لاشعة الليزر قوة تركيزها وطاقتها المدمرة .

وربما كان وضع هذه الأسلحة فوق قمة جبل مرتفع يخفف من تشتتها بسبب تأثرها بالهواء الجوي .

أسلحة الجسيمات الذرية

تعتمد هذه الأسلحة على تدفق تيار من الجسيمات الذرية المشحونة كهربيا [1] بسرعة هائلة من مدفع خاص ، فتخترق أهداف العدو وتدمرها ، ويطلق على هذا المدفع (المسرِّع) (Accelerator) وفي المختبرات أمكن زيادة سرعة هذه الجسيمات الذرية الى أكثر من ٩٩٪ من سرعة الضوء ، [2] بواسطة أجهزة ضخمة قد يبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلو مترات ، ومحيطها حوالي ستة كيلومترات .

أما الأجهزة التي يمكن أن تسارع بالجسيمات الذرية الى نصف سرعة الضوء فقد يبلغ وزنها حوالي خمسمائة طن ، ومن ثم يكون من الصعب وضع مثل هذه الأسلحة في الفضاء .

كما أن الجسيمات الذرية تتأثر بالمجالات المغناطيسية والكهربية ، ومن ثم تنصرف عن أهدافها ، وحيث انه تحيط بالكرة الأرضية مجالات مغناطيسية هائلة ، فقد وجد العلماء أنه من غير العملي وضع مثل هذه الأسلحة في مدارات حول الأرض ، ولكنهم ما يزالون يجرون التجارب للتغلب على هذه الصعوبات ، ومن أهم أسلحة الجسيمات الذرية المشحونة شعاع الالكترونيات ، حيث يمكن أن يعمل في طبقات الجو العليا ، ولو في نطاق قصير المدى ، وتقوم فكرة العلماء حاليا على وضع مدفع هائل فوق سطح الأرض بالقرب من الأهداف الاستراتيجية المطلوب حمايتها ، وعند اقتراب الصواريخ النووية للعدو تطلق الاشعة الالكترونية فتدمرها ، قبل أن تصل الى أهدافها .

ويخطط الخبراء العسكريون لاستخدام مدافع تطلق أشعة كهرومغناطيسية على الأهداف المعادية فتدمرها ، خصوصا تلك المدافع التي تستخدم الموجات الدقيقة المعروفة بالمايكروويف .

أسلحة الطاقة الحركية [3]

تتكون تلك الأسلحة من قذائف سريعة جدا ، تطلق على الصواريخ النووية المعادية فتدمرها لمجرد الاصطدام بها ، وهي ذات فاعلية سواء عند اطلاق هذه الصواريخ من أراضي العدو أو عند الرجعة ، أي العودة الى جو الأرض بعد رحلة في الفضاء الخارجي ، ويتوقع الخبراء العسكريون أن يتم استخدام هذا النوع من الأسلحة في التسعينيات من هذا القرن .

ولكن يعاب على هذه الأسلحة بأن مداها لا يتعدى الكيلومترات ، كما أن سرعتها لا تتجاوز أربعين كيلومترا في الثانية ، وبالمقارنة بسرعة أشعة الليزر أو أسلحة الجسيمات الذرية ، فإن أسلحة الطاقة الحركية بطيئة جدا .

ويمكن استخدام هذه الأسلحة بواسطة أقمار صناعية ذات مدارات منخفضة ، حيث تطلق صواريخها على القذائف النووية المعادية ، وتتسارع تلك الصواريخ لتصل الى قرب الأهداف المعادية ، حيث تطلق قذائف يتم توجيهها بواسطة أجهزة استشعار (Sensors) لتصطدم بالقذائف النووية وتدمرها .

كما يمكن اطلاق صواريخ من قواعد فوق الأرض الى طبقات الجو العليا ، ويمكن لكل صاروخ اطلاق سيل من القذائف يطلق عليها اسم « الصخور الذكية

---

(١) الذرة/أصغر جزء من المادة وهي تتكون عادة من نواة مركزية تتضمن بروتونات (ذات شحنة كهربية موجبة) ونيوترونات (متعادلة الشحنة) وحول النواة تدور الكترونات (ذات شحنات كهربية سالبة) أما الجسيمات الذرية فيقصد بها محتويات الذرة ، أي الالكترونات والبروتونات والنيوترونات .

(٢) سرعة الضوء حوالي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية ، وبالتحديد (٢٩٩٧٩٢ كيلو مترا) .

(٣) الطاقة الحركية هي الطاقة التي يكتسبها الجسم بسبب سرعته .

Smartrocks ذلك أنها عبارة عن قذائف صغيرة مزودة بأجهزة دفع نفاثة ـ وتوجهها أجهزة استشعار دقيقة جدا لتدمر الصواريخ عابرة القارات المعادية ، كما يمكن اطلاق الصخور الذكية من مدافع ضخمة مثبتة فوق محطات الفضاء الحربية .

محطات الفضاء الحربية

يقوم السوفييت منذ عدة سنوات بانشاء عدة محطات فضائية ، مستخدمين الأقمار الصناعية فى نقل رواد الفضاء والمعدات بين الأرض والفضاء ، وهذه المحطات الفضائية . . اطلق عليها اسم سويوز .

وتفكر الولايات المتحدة فى بناء محطة فضاء ضخمة بواسطة معدات يتم نقلها فى رحلات للمكوك الفضائي .

ويمكن أن تستخدم محطات الفضاء للأغراض الحربية ، حيث يتم فيها تطوير أسلحة الفضاء وتخزينها ، بالاضافة الى اقامة أفراد القوات المسلحة ، ويتوقع الخبراء العسكريون أن تصبح محطات الفضاء الحربية منتشرة فى طبقات الجو العليا . . فى القرن الحادى والعشرين .

مكوك الفضاء . . العسكرى

يتوقع الخبراء أن تستخدم رحلات مكوك الفضاء فى أغراض عسكرية ، حيث يمكن أن ينقل مكوك الفضاء أفراد القوات المسلحة الى الفضاء لأداء مهمات حربية معينة فى طبقات الجو العليا ، كما قد يستخدم فى نقل المعدات الى مدارات محددة لبناء محطات الفضاء الحربية ، ثم توصيل الأسلحة المتطورة اليها فيما بعد .

ويطير مكوك الفضاء الأمريكي فى مدار يرتفع حوالى ٢٥٠ كيلو مترا فى الفضاء ، وهو مجهز بحيث يمكنه أن ينتزع الأقمار الصناعية المعادية من مداراتها ، كما يتمكن من اصلاح وصيانة الأقمار الصناعية الأمريكية وهى فى مداراتها .

وحيث ان مكوك الفضاء الأمريكى يمكنه أن يختطف قمرا صناعيا سوفيتيا ، فاذن يمكن اعتباره أفضل سلاح للأقمار الصناعية ، الا اذا فطن السوفييت الى هذا الأمر فوضعوا قمرا صناعيا ضخما أو كما يطلق عليه « لغم فضائى » فبمجرد أن تمتد الذراع الآلية لمكوك الفضاء نحو القمر الصناعي لاختطافه ، سينفجر فيتمزقان معا وتتناثر اشلاؤهما فى الفضاء .

حرب الفضاء

تقوم حرب الفضاء على استخدام الأسلحة المختلفة فى ثلاثة خطوط للدفاع ، تمتد من سطح الكرة الأرضية حتى أعماق الفضاء .

وتبدأ المعركة على سبيل المثال برصد صاروخ سوفيتى عابر للقارات ، يحمل رأسا نوويا ، ويتجه الى هدف فى الفضاء ، يصدر أوامره الى خطوط الدفاع العليا فى أعماق الفضاء (خط الدفاع الأول) بمهاجمة هذا الصاروخ بمجرد اطلاقه من القاعدة السوفيتية ، أى وهو مازال فى الغلاف الجوى ، قبل أن يصل الى الفضاء الخارجي ، واذا استطاع هذا الصاروخ النجاة من اسلحة خط الدفاع الأول ، فإن أسلحة خط الدفاع الثانى تهاجمه ، وان لم تتمكن من تدميره ، فإن خط الدفاع الثالث ـ المتمركز على الأرض ـ يهاجمه ويدمره عندما يهبط الصاروخ من الفضاء الخارجي الى الغلاف الجوى ، محاولا الوصول الى أهدافه .

وتتكون الأسلحة في خطي الدفاع الأول والثاني من محطات فضاء حربية تحمل أسلحة الليزر ، أما خط الدفاع الثالث فيتكون من أسلحة متطورة مضادة للصواريخ عابرة القارات ، ويجب أن تكون الاسلحة ذات سرعة فائقة حتى تتمكن من تدمير الصواريخ المعادية ، قبل أن تصل الى أهدافها فى الولايات المتحدة .

وخلال هذه المعركة الفضائية ، يتم رصد كل تحركات الصاروخ السوفيتى بواسطة أجهزة رادار متطورة تعمل بالكمبيوتر ، كما أنها ستقوم بتوجيه اطلاق الأسلحة بدقة بالغة .

هذه ملامح بعض أسلحة ومعارك الفضاء . . . كلنا أمل الا تحدث وقائعها . . وأن يسود السلام فوق الأرض . . وفى الفضاء . . . □



طقوس بيع وزير سابق

بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل

كانت الأندلس إبان الحكم العربي - على أمجادها - مسرحا لمآسي الحاكمين والطامعين في ملكهم ، ومن هؤلاء المنافسين من كان على قدر كبير من الدهاء والمضاء في مصانعة الملوك ، والتسلل إلى تحقيق مآربه ، وفي هذه السبيل قد تتعثر خطواته ، ويعاجله حتفه من يد طالما التصق بها ، وتصرف في أمورها .

وبأسلوب شيق نتبين ذلك في هذا الموضع .

لم تكن هناك ريح تهب في الاندلس الا وتحمل خبر بيع ابن عمار . . عبر السهول المنبسطة كالحلم ، والحصون التي ضاعت بلا ثمن ، والممالك التي تفتتت ثم هوت كالشهب المحترقة ، والتلال التي تخفي مقابرها تحت زهور النرجس ، والجبال الصامدة تحت رذاذ المطر . كانت الريح تحمل الخبر . . فمن الذي يرغب في شرائك يابن عمار . . ومن الذي يملك ثمنك ؟

مشتر حقيقي . . ولكن . . !

وصل الخبر الى ذي النون حاكم طليطلة وهو في مجلس حكمه . . حدق في الرسول مندهشا وهو يستمع الى كلماته :

ابن عمار وقع أسيرا في يد أصحاب حصن شقورة وسوف يبيعونه لمن يدفع الثمن ، قال ذو النون على الفور . . ما دام أسيرا فهو لا يساوي خردلة . . ثم

صمت قليلا قبل أن يتساءل . .
ـ كم يطلبون ؟ . .
قال الرسول :
ـ سوف يعقدون مزادا في الحصن . . ومن يدفع اكثر فهو له . . ضحك ذو النون في سخرية . .
ـ مزاد . . يالها من نهاية لا تليق الا بابن عمار . .
اما المعتمد بن عباد فقد كان نائما ، وكان اليهوديّ الذي حمل اليه الخبر مفوضا بالدخول اليه في اي وقت مادام يحمل خبرا عن ابن عمار ، وكان المعتمد اسير كابوسه اليومي . . وعندما استيقظ ورأى اليهودي على رأس فراشه حسب انه امتداد لهذا الكابوس . صرخ فيه :
ـ انت تلاحقني . .
قال اليهودي بهدوء
ـ احمل خبرا عن ابن عمار . .
وقبل ان يفيق ابن عباد كان اليهودي يواصل كلماته . . اضطجع ابن عباد وظل ينظر الى وجه اليهودي وهو يتحدث بنوع غريب من التشفي . .
ـ حاول ان يخدع اهالي « شقورة » كما خدع اصحاب حصن « سرقسطة » ولكنهم اوقعوه في الفخ . فاقت حيلتهم حيلته . .
وفوجيء ابن عباد بنفسه وهو يقول في أسى :
ـ هناك اذن من هو اذكى من ابن عمار !
رفع عينيه وقال لليهودي . .
ـ كنت انت ايضا الذي احضرت القصيدة التي يهجوني فيها ابن عمار ويهتك عرض زوجتي . . اليس كذلك ، لماذا كنت تكرهه الى هذا الحد . ؟
انحنى اليهودي . .
ـ انني اكره كل اعدائك يا مولاي . .
قال ابن عباد كمن يحدث نفسه . .
ـ كلا . . انت دائما تكرهه . . اما انا . . فقد احببته ذات يوم . . احببته كثيرا ، قال اليهودي . . هل اشتريه ؟ . .
قال المعتمد : اشتر الحصن كله اذا لزم الامر . .
ووصل الخبر متأخرا الى قرية « شلب » ، ولم يخطر ببال احد ان في تلك القرية النائية غرب الاندلس من يهتم بمصير الوزير ابن عمار . . ولكن المرأة العجوز التي تسكن بيتا صغيرا في اسفل التل لم تنسه لحظة واحدة ، كانت جالسة تحيك ثوبا له . . وعندما سمعت الخبر انحدرت من عينيها دمعة وهي تتمتم : كنت اعرف . .
ذهبت الى السوق . . . حملت كل الثياب التي قضت السنين في حياكتها . وآخر ما بقي من حليها ، وسيف الاب الذي رحل وسرج حصانه . ومصباحا عتيقا وشالا مزركشا . واحذية ودواة واقلاما مقصوفة وعمائم موشاة وعباءة وسجادة للصلاة . . وابرا للغزل . . وظلت جالسة ثلاثة ايام متواصلة حتى باعت كل هذه الاشياء ، ولم يبق الا ثوب واحد كانت واثقة من انه سيرتديه ، وسارت الى حصن « شقورة » .

الدموع لا تشتري شيئا . .

بدأ المزاد ذات صباح بارد . وكان الحصن رابضا فوق تل صخري لاتؤدي إليه إلا طريق وعرة يصعد فيها المسافر وحيدا . اما بوابة الحصن الرئيسية فلا يدخلها احد الا مصعدا بالحبال . .
وقد تقرر عقد المزاد اسفل الحصن ، فلم يكن اهل الحصن يريدون اي غرباء بأية صفة ، وكان الحضور كثيرين . . ثلاثة ملوك من ملوك الطوائف ، ومبعوث من ملك الفرنج ، وسمسار متجول ، ويهودي صامت ، وحارس سجن ينفق في سخاء ، وقائد عسكري مرتزق ، وثلاثة من البربر ، ونخاس واحد ، وبعض التجار الذين يريدون استبدال بضائعهم في مقابل اي سلعة ، وامرأة عجوز حضرت متأخرة قبل بداية المزاد بقليل ، وظلوا جميعا واقفين في الجو البارد والريح تهب بعنف لتلف الحصن اليتيم بصوت اشبه بالنحيب . .
في البداية هبط اصحاب الحصن في قفص خشبي ، ثم اجتازوا الممر واحدا تلو الآخر . . ثم هبطوا الى المجتمعين ، كانوا ثلاثة اخوة من بني سهيل ، متشابهين تماما ، رحبوا اولا بالحكام ثم بالقادة ولم يعيروا التفاتا للبقية بعد ذلك ، ثم اشاروا للحراس ان يهبطوا « بالبضاعة » .
وتدلى ابن عمار من اعلى الحصن وهو مربوط من قدميه ، ورأسه الى اسفل ، وشهقت المرأة شهقة عالية . . وتمتمت : « ياولدي . . ياكبدي » . . ولم يلتفت اليها احد ، كانوا مشغولين به وهو يهبط مثل

ظل طويل نحيف . . وسمعوا بوضوح صوت ارتطام رأسه بالممر الصخري ، ثم تلقفه الحراس وفكوا قيوده وقادوه الى اسفل .

رغم الدم الذي كان يغطي وجهه كان هو ابن عمار دون شك ، هزيلا اشعث اللحية نتن الرائحة ، حين تركه الحراس لم يستطع الوقوف وحده فانهار على الأرض وانكشفت ساقاه فبدت فيهما آثار القيد واضحة ، وتقدم واحد من اخوة بني سهيل وهو يقول :

- ها هو ابن عمار عدو الجميع وقد اوقعه الله بين ايدينا .

وكانت المرأة العجوز هي اول من افتتح المزاد . . فقد اسرعت وارتمت تحت اقدام ابن سهيل وهي تهتف :

- دعه لي ياولدي . . اليك كل ما تطلبه . . مائتا درهم هي كل ما املك . . سوف آخذه معي الى « شلب » ولن يسمع احد منكم عنه بعد الآن . .

وفتح ابن عمار عينيه بصعوبة . وصوت المرأة يرن في اذنيه . يالله . . مازلت على قيد الحياة . . حاول ان ينهض . . ان يتحرك ، ولكنه كان متعبا مقهورا ، وسمع ابن سهيل وهو يضحك ، ثم بقية الضحكات وهي تتصاعد . . قال ابن سهيل :

- لقد افتتحت هذه المرأة المزاد دون ان تدري . . ها قد بدأنا . . مائتا درهم . . وتقدم المأمون حاكم طليطلة فقال :

- عشرة اضعافها . . بل . . مائة ضعف .

وقبل ان يفكر أحد فيما يزايد به عن هذا المبلغ ، تقدم حاكم سرقسطة وقال في صوت صارخ متوتر . .

- الف ضعف .

وتلاقت عيناه بعيني ابن عمار في نظرة خاطفة ، وانتفض صاحب سرقسطة كأن ابن عمار يحاصره من جديد تماما كالمرة الاولى عندما جاء بجيوش ابن عباد وفرض عليه حصارا قاسيا حتى ارغمه على ان يشرب بوله ، من يومها ورائحة النجاسة لا تفارق فمه . .

وتقدم الحاكم الثالث وضاعف الثمن ، ووجد النخاس ان الصفقة سوف تكون ناجحة فتدخل في المزاد . . وظل يتصاعد والمرأة العجوز حائرة ، كانت قد قالت منذ اللحظة الأولى آخر رقم لديها ، كذلك تدخل الحارس وبدأ عليه التوتر الشديد ، وشارك قائد الافرنج بتحفظ وبدا كأنه يريده بلا ثمن .

وصرخ للمرة الاولى انه قد خدع الملك ذات مرة حين اعطاه الجزية ذهبا مزيفا ، وقال لهم الحارس المتوتر . . انه يحمل وصية رجل يحتضر امنيته الاخيرة ان يخنق ابن عمار بيديه قبل ان يموت ، وعاد اليهودي يزيد المبلغ ، وانسحب النخاس بعد ان اخذ مقابلا مناسبا ، وكشف البربر لأول مرة اللثام عن وجوههم واخذوا يطالبون بثأر المرابطين ، وتدخل واحد من اخوة بني سهيل فجأة في المزاد واعلن انهم احق بقتله لانهم آخر من عانوا من مؤامراته . . واحضر اليهودي صفا من البغال محملة بصناديق الدراهم الفضية ، وانتهز القائد المرتزق فرصة الفوضى وتسلل الى داخل الحصن . . كذلك انتهزت المرأة العجوز الفرصة ولمست جبهة ولدها وحاولت ان تعطيه بعضا من الماء ، ولكن حارسه دفعها في خشونة . وثار ملوك الطوائف الثلاثة وقالوا انهم سيعلنون الحرب على بني سهيل . . وصرخ فيهم اليهودي . . :

من منكم احق بقتله من ابن عباد . .

فصمتوا جميعا . ورفع ابن عمار رأسه ببطء ، وتقدم اليهودي وفك الصناديق في حركة سريعة فسقطت على الارض وتناثرت الدراهم وصاح بصوت عال :

- هـذا هـو الثمن . . اكبـر من قيمـة حصن « شقورة » بكل ما فيه . .

زمن البراءة والخوف . .

كان ابن عباد واقفا بحيث يرى بوابات قرطبة ، وحين جاءوا به لمست اعتماد الرميكية ذراعه وقالت في رفق . .

- انت ترتعد يا مولاي . .

هتف في ضيق . .

- لم اكن اتوقع ان اراه هكذا أبدا . .

كان ابن عمار مربوطا من قدميه ومن يديه . . ومعلقا مثل صيد نتن ، وقرطبة كلها خرجت الى الشـوارع . . نفس الشـوارع التي شهـدت مجـد انتصاراته ، شهدت كل الذين تسابقوا للسير في ركابه او لمس ذيل ثوبه او القاء التحية بين يديه ، كانوا يصيحون في همهمات غاضبة ويقذفونه بالحصى والطين والقاذورات . . لا ورود . : عندما تحل اللعنة علينا فلا ورود . .

كم لطمة اخذها على وجهه . كم بصقة . . كانوا اكثر غضبا من ابن عباد نفسه كأنه خانهم هم . . وهجاهم هم ، المدينة كلها في سعار غريب ، ثلاث سنوات مرت منذ ان جاءها فاتحا . . منذ ان دانت له اسوارها ونودي عليه باسم سيده ابن عباد حاكما لقرطبة واشبيلية وما يتأتى من المدن المفتتة . . وسمعته الرميكية وهو يقول من بين اسنانه :

ـ لماذا خنتني يابن عمار ؟ لماذا خلعت طاعتي ؟ . .

حين افترقا للمرة الأخيرة . . كان ابن عمار على رأس جيش ضخم . . اضخم جيش جهزه ابن عباد طوال غزواته . . كان في طريقه لفتح مرسية ، وحين وقفا وجها لوجه رأى في عينيه نظرة غريبة ووجد نفسه يقول له :

ـ ان الجيش كبير يابن عمار . . اكبر من مرسية وحصونها . . واني لمخدوع . وقال ابن عمار وهو يبتسم في صرامة :

ـ انت لست مخدوعا . . انت مضطر . .

كان يجب ان يعرف انهما وصلا معا الى نهاية الطريق ، كان يجب ان يعرف انه حين خلع طاعته بعد فتح « مرسية » كان هذا امرا طبيعيا ، لقد تباعدت الطرق كثيرا يابن عمار . .

امير أفّاق . . وأفّاق يطمح للامارة . . وكان توافق الانجم غريبا ، والاندلس نزوة . . ومغامرة . . كل مدينة مملكة . . وكل والٍ ملك . . وكل من على ارضها مغلوب ، ولا غالب إلا الله ، وعندما توجه ابن عباد وهو مازال وليا للعهد ليفتح قرية « شلب » كان قدره ان يقابل ابن عمار ويرتبط مصيرهما معا . . تركا الجيش وضربا في الأرض معاً . . وضلا الطريق حتى اوشكا على الموت جوعا ، وعبرا النهر فقبض عليهما الحراس وتظاهرا أنهما شاعران صعلوكان ، أحبا جارية واحدة . . وناما على فراش واحد في حانة منزوية . . وتبادلا طريقهما على جواد أعرج ، وتقاسما درهما مزيفا وألّفا قصيدة واحدة ، وحين وصلا الى أسوار اشبيلية كانا قد أصبحا شيئا واحدا ، وصرخ فيه أبوه :

ـ أنت ولي عهدي وسوف ترث عرشي فابتعد عن هذا الافاق . . . .

فلم يقدر ، وتجولا ليلة كاملة في المدينة يكتشفان



مواقع الايام المقبلة ، وفي الصباح أصدر « عباد » أمرا بنفي ابن عمار عن المدينة حتى لا يفسد ابنه . .

وكانت ايام المنفى طويلة على الاثنين معا ، وزهد ابن عباد في العرش حتى أوشك ان يتركه لولا ان الموت عاجل الاب العجوز ، وعاد ابن عمار الى اشبيلية وزيرا . . ونامت اشبيلية وهي تتحدث عن عشق ابن زيدون لولادة ، واستيقظت وهي تتحدث عن مجد ابن عمار . . وغارت انجم وتألقت انجم واحضر ابن عباد وسادة من حرير وقال له :

ـ نم بجانبي على نفس الوسادة ليكون رأسك لصيق رأسي . . .

كانت المودة صافية . . والزمن مليئا بالبراءة ، ولكن لعن الله الخوف ، نام ابن عباد ولم يستطع ابن عمار النوم . . صاح فيه هاتف مجهول :

ـ لا تغتر ايها المسكين . . سيقتلك ولو بعد حين . .

يا لها من نبوءة مريرة أيها الهاتف الاندلسي ، وحاول ابن عمار ان يطرده ولكن بلا جدوى ، مات النوم على الوسادة الحريرية ، وقرر ابن عمار

الحرب .. لو أنه نجح لتغير كل شيء ولما اصبحت النهاية بهذه المرارة ، تجرد من ملابسه والتف في حصير فقير ، وعزم التسلل من بوابات القصر .. ولكن ابن عباد استيقظ ولم يجد وزيره فنادى الحرس وانتشروا في القصر يبحثون عنه .. وأمسك ابن عباد شمعة وقادته المصادفة أو الغريزة الى الحجرة التي كان يختبيء فيها ابن عمار ملفوفا بالحصر .. ووقف يتلفت حتى سمع أنفاس ابن عمار اللاهثة وقال :

ـ اني أعرف انك مختبيء في هذا المكان .. نفسي قادتني الى هنا .. ولم يجد ابن عمار بدا من الخروج عاريا وقال دون مواربة :

ـ حلمت انك سوف تقتلني بيديك ..

نظر ابن عباد الى عريه والى ارتجافه فقال وهو يضحك ..

ـ يابن عمار .. هذه أضغاث أحلام .. (ثم حدق فيه قليلا وقال في جدية)

ـ كيف أقتلك .. أرايت أحدا يقتل نفسه ؟

وها هي النفس قد انقسمت على نفسها يابن عمار .. فمن الذي غدر؟ أي شق في هذه النفس المسكينة يراقب .. وأي شق يتلقى اهانات الغوغاء ... ؟

دخل الوزير ابن زيدون وقال :

ـ جئنا بالخائن يا مولاي .. هل تريد ان تراه

قال ابن عباد دون ان يلتفت اليه حتى لا يلمح اختلاجات وجهه :

ـ ليس الأن .. احملوه على هذه الحالة الى اشبيلية .. دورة أخرى من دورات العذاب . عندما دخل نفس المدينة ليتسلم الوزارة ، فرش الطريق من بواباتها حتى القصر بالورود والرياحين ، وخرجت أجمل الفتيات يلوحن له .. وقالت له اعتماد الرميكية ضاحكة :

مرحبا أيها الوزير .. ظل زوجي يحدثني عنك حتى ظننت أني تزوجتكما معا .. فانظريني الأن يا اشبيلية . انظري اهانتي وموتي المتكرر .. فمتى تنتهي دورة العذاب ؟

من الذي يقتل .. ؟

كان السجن مظلما ـ مثل كل السجون ـ ولكن كل واحد منهما كان يرى الأخر بوضوح . لم يكن معهما أحد .. وعندما نظر ابن عباد في عينيه .. أدرك انه طوال هذه الايام الماضية لم يكن يزيد في عذاباته بقدر ما كان يخشى لقاءه ، لقد اختار ان يهبط اليه في هذا المكان ، في هذه الساعة من الليل ، بعد ليال طويلة من الارق .. حتى إن الرميكية قالت له :

ـ اقتله ونم ..

ولكنه لم يقتله ولم ينم ، أخيرا أراد ان يراه في السجن ، في أشد حالات الاهانة ، أخيرا صرخ في وجهه بالسؤال الذي آلمه طويلا :

ـ لماذا خنتني .. لماذا تمردت على .. لقد اعطيتك كل شيء .. ؟

ونهض ابن عمار حاول ان يكسب وقفته بعضا من الاعتداد وان ينفض عن كتفيه اهانات الأيام الماضية ، أدرك ان ابن عباد لن يقتله .. الليلة على الاقل .. قال :

ـ أنا ايضا أعطيتك الكثير .. المملكة التي تحكمها .. والمرأة التي تحبها .

أهوى ابن عباد على رأسه بالعصا التي يتوكأ عليها فشج رأسه .. جرح جديد آخر لم يتأوه منه ولكنه سقط على الارض .. وتردد ابن عباد قليلا ثم جلس بجانبه ومد يده يتحسس الجرح ..

ـ هل كانت مؤلمة ..

ـ جرح فوق جرح .. لا ادري ايهما اشد ايلاما ..

قال ابن عباد وقد انكسرت نفسه :

ـ أكانت « مرسية » مغرية الى هذا الحد ؟

قال ابن عمار :

ـ لم تفرقنا مرسية يا مولاي .. ولكننا افترقنا قبل ذلك .. تحت اسوار قرطبة .

ما أبعدك يا قرطبة . كان الاستيلاء على قرطبة هو حلم المعتمد ، وحلم أبيه .. ولكنهما مثل غيرهما من ملوك الطوائف وقفا عاجزين أمام اسوارها ، كانت المدينة قد تخلصت من أمثال هؤلاء الملوك واختارت من بينهم أفضل القضاة والفقهاء ليحكموها . وعندما جاءها ابن عمار أدرك ان هذه المدينة يجب ان تخترق من الداخل أولا ، وبدأت رحلة الوقيعة بين الذين يحكمون .. والذين يملكون .. وعندما استولى على المدينة رجل واحد أدرك ان لحظته قد حانت .. ذهب

الى ذي النون حاكم طليطلة وأغراه بغزو المدينة ، وذهب الى حاكم قرطبة وأغراه بطلب المساعدة من ابن عباد ، وفي وقت واحد جاء الجيش الذي يريد الغزو . . والجيش الذي ينوى الانقاذ . وتلاقيا أمام أسوار المدينة المغلقة . . وابتلع ذو النون الطعم أولا حين جمع جيوشه وقرر الانسحاب والتراجع . . فاذا بالجيش ينثني ويقتحم المدينة الآمنة على غرة . . وابتلعت قرطبة .

لم يكن ابن عباد يتصور انه ينال قرطبة بهذا الثمن الرخيص . وعندما قال لابن عمار . . لقد انتصر جيشي . . رد عليه مصححا :

ـ بل انتصرت حيلتي وانتصر عقلي . .

وصمتا . . كانا سعيدين لدرجة لا تسمح لهما بالتناقض . . وكانت المدن تتهاوى بين ايديهما كأوراق الخريف . . والمملكة تتسع . . وكان هناك ثمن يترقبه ابن عمار مع كل غزوة ناجحة . . واصبح ابن عباد الرجل الاول في الاندلس . . وظل ابن عمار الرجل الثاني . . دائما الثاني . .

هتف ابن عباد في مرارة :

ـ كنت تريد ان تصبح ملكا . .

قال ابن عمار :

ـ ولم لا . . لقد جربت عقلي . . أهو من عقول الرعاع ؟؟

عاشا معا عصرا غريبا يحتاج الى مهارة خاصة . . مهارة تجعلهما يدفعان فدية من ذهب مزيف لينقذا ابن المعتمد من أسر الفرنجة ، ظروف جعلته يلعب الشطرنج حول مملكة ، ومهارة تجعلهما يوقعان المعاهدات بصدق ويتحليان بنفس العزيمة ، وكان ابن عمار يفكر دائما . . ما دامت هذه الرقعة الصغيرة من الارض ممتلئة بالملوك الى هذا الحد فلماذا لا أكون ملكا أنا الآخر . . مثلهم

قال ابن عباد :

ـ لكنك أهنتني . . مثلت بعرضي . كتبت القصائد تهجوني فيها أنا وزوجتي . . !

قال ابن عمار :

ـ كانت حربا بيننا يا مولاي . . وطوال عمرنا معاً لم نخض حربا شريفة واحدة .

ورفع ابن عباد العصا مرة أخرى وأهوى بها على رأسه :

ـ بل أنت الذي جررتني الى ذلك . . حروبي كلها كانت شريفة قبل ان أراك .

تأوه ابن عمار وانسال خيط جديد من الدم . وهذه المرة لم يسأل ابن عباد بل وقف غاضبا وهو يقول :

ـ كف عن اثارتي . . لن اقتلك الليلة مهما حاولت . . عليك ان تعتذر وان تبدى قليلا من الندم . .

قال ابن عمار :

ـ وهل كنت ستتراجع عن قتل . .

قال : لا أعرف . . لا أعرف . .

واسرع يغادر الزنزانة . . وبينما يصعد الدرج فكر في انه غير قادر بالفعل على قتله .

طقوس مقتل وزير سابق . .

في صباح اليوم التالي أصدر ابن عباد أوامره فأعد السياف سيفه واخرجوا ابن عمار مقيد اليدين ومزقوا الثياب حول رقبته . ثم غير ابن عباد رأيه في اللحظة الاخيرة ، لا يدري كيف تذكر فجأة تلك الليلة التي نام فيها وإياه على وسادة واحدة ، صعد الى غرفة الرميكية ونام في حجرها وكان يرتعد . . تذكر رحلات الصيد . . وكل القصائد التي ألفاها بيتا بيتا . . وكل المؤامرات والنزوات الصغيرة . . قال للرميكية في صوت مشحون بالأسى :

ماذا أفعل . . ؟ انني عاجز عن قتله . . وعن العفو عنه . .

قالت الرميكية فجأة :

ـ من الصعب ان تجد صديقا يا مولاي . .

نظر اليها في دهشة وتساءل :

انت تنصحينني بالعفو عنه . . لقد كنت تغارين منه . . تتهمينه بأنه يأخذني منك دائما .

قالت الرميكية : ربما لأنني لم أرك ترتجف من قبل يا مولاي . .

كان ابن عباد عاجزا عن التفكير ؟ ذات لحظة اعتقد انه ملك كل شيء . . المرة الاولى حين تبعه ابن عمار . . والمرة الثانية حين قال بيتا من الشعر عجز الشعراء عن اتمامه حتى جاءت اعتماد الرميكية واكملت البيت وسلبت لبه . وخيل اليه انه قد ملك

الحب والصداقة والعرش . . غير اسمه الى « المعتمد » من أجلها . . وغير كل طموحاته الشخصية من أجل ابن عمار . .

والآن ماذا يفعل ؟ . . أعيان اشبيلية وعلى رأسهم الوزير الشاعر ابن زيدون يلحون في قتله ، ذو النون أرسل له رسالة ساخرة يقول له فيها اذا كنت عاجزا عن قتله أبعث لك خادماً يقتله ، حتى الافرنج يهددون . . وعندما يخرج الى الاسواق يسمع همهمات الناس كلها تحرضه . . اقتله . . اقتله . . ولكنه لم يعد يستطيع . .

بدأ ابن عمار يرسل له قصيدة كل يوم . . كل صباح يستيقظ على قصيدة جديدة . . لا يدري كيف يحصل على الورق والاقلام داخل السجن ولا هذه الكلمات المؤثرة داخل ظلمة السجن . . لا يخاطب الملك . . ولا الصديق . . انما يخاطب ذلك الشاعر الحائر الموجود في داخل ابن عباد . . القصائد تحاصره . والآخرون يلحون عليه . والسياف يسمع أمر القتل ونقيضه في لحظة واحدة . . قصيدة في الصباح . . وكوابيس في الليل . .

من الصعب ان يكون لك صديق صدوق في هذا الزمان الخائن ، كانت الرميكية تلح عليه أن يراه مرة أخرى ، ولم يستطع مقاومتها فأخرجه من السجن . وجاء به الى مجلسه مقيدا . نفس المجلس الذي تعود أن يدخله وزيرا ومستشارا ، الشيء المدهش أنه بكى . . تحطمت البقية اللعينة من كبريائه ، لم يكن لديه رد حاضر ولا إجابة ذكية . . ونظر الى وجه الرميكية فوجدها أيضا وقد اغرورقت عيناها بالدموع . ولم يتمالك ان قال له عدة كلمات . . كلمات قصيرة ولكنها ودودة . . لعلها كلمات الود الوحيدة التي سمعها ابن عمار منذ بداية محنته ، وأمر برده الى حبسه في الصباح ، وعندما التفت الى الرميكية للمرة الثانية أدرك كلاهما ان ابن عمار قد أفلت بحياته .

في اليوم التالي تأخر ابن زيدون في المجيء الى القصر . . لم يأت الا بعد ان ارسل اليه المعتمد وسأله عن سبب تأخيره فانحنى قائلا :

ـ حسبتك قد استغنيت عن خدماتي يا مولاي . .

قال ابن عباد في دهشة . .

ـ ماذا تعني . ؟

قال ابن زيدون :

ـ المدينة كلها تتحدث عن أنك سوف تفرج عن ابن عمار وتعيد اليه كل مناصبه .

ـ من الذي قال هذا . . من الذي أشاع الامر . ؟

ـ كتب بذلك ابن عمار لأحد أعوانه . .

واخرج ابن زيدون رسالة من جيبه . نفس الخط . ونفس ورق القصائد . كانت الرسالة تروى تفاصيل ما حدث في المجلس ليلة أمس . . ويأمر تابعه بأن يجهز قصره وجواده وملابس الوزارة . كان يروى له كيف سعت الرميكية في رجوعه لأنها ترد بذلك ديناً قديما . . حين وضعها في طريق ابن عباد . . وحين زودها ببيت الشعر الذي تكمل به بيته .

يا لله . . خديعة أخيرة . . الا تنتهي تلك الخدع أبدا يابن عمار . ؟ حتى الحب . . الوهم الذي عاشه . . نزواتها الصغيرة التي أسرت قلبه ، كانت خططا مدبرة . عندما اشتاقت للمشى حافية في الطين كالفلاحات . . عجن لها المسك بماء الزعفران وتركها تسير فيه . . وكان هذا اقتراحا من ابن عمار . . حين اشتاقت لتساقط الثلوج . . زرع لها اشجار اللوز على الجبال المواجهة للمدينة وبدت الازهار البيضاء وهي تتساقط أشبه بندف الثلج .

اقتراح آخر من ابن عمار . . يا لله . . أي شيء آخر لم يكن خدعة .

كان يلهث وهو يهبط درج السجن الحجري وفي يده مطرقة ذهبية ، وقف أمامه للمرة الاخيرة . . ما أكثر اكاذيبك يا بن عمار . . حتى الشعر . . لم تبق شيئا . . أهوى على رأسه . . وحاول ابن عمار ان يتحرك . . ان يقبل قدميه . . أهوى على رأسه . تفجر الدم . أهوى . . ضربة للخداع . . وضربة للخيانة . وضربة لفقدان الثقة في كل شيء . وصرخ ابن عباد :

ـ اقذفوه خارجا . .

كان الجسم ساكنا . والملامح مشوهة مكسوة بالدم . وكانت المرأة العجوز في انتظاره . تحمل الثوب الذي غزلته بيديها . ضمت جسده . ومسحت الدم الغزير . . ولفته في الثوب . . وعانت حتى حملته على حمارها الهزيل وسارت بعيدا . . . عن اشبيلية . □

حكايات شرق وغرب



صحوة الضمير

عندما اقتحم اللص بيت السيدة العجوز التي اقتربت من عامها التسعين ، شعر لأول مرة بأن القدر قد أراد أن يعوضه عن الحرمان الذي عاش فيه طفولته التعسة ، فقد كانت الثروة التي خرج بها من مغامرته تربو على المليون دراخما يونانية . أي ما يوازي عشرة آلاف دولار أمريكي تقريبا .

وكانت المشكلة الوحيدة التي واجهت اللص أوديسوس فومفاس (١٩ سنة) هي أين يخفي هذه الثروة حتى تهدأ العاصفة ، ولم يجد أمامه الا أن يضعها في لفافة يريح عليها رأسه ، في ظلال شجرة باحدى الحدائق العامة في أثينا .

ونام أوديسوس فوق الكنز الذي يحمله دون أن يشعر بأي عطف على السيدة العجوز ، التي جردها من كل ما تملك ، فقد كانت أيام معاناته من الفقر والوحدة تعيش معه ، وهو يرى مظاهر الثراء التي تمر أمامه في موكب الحياة مع صباح كل يوم .

ولكن ما كادت شمس النهار تشرق في اليوم التالي حتى كان أوديسوس يجلس تحت شجرته يبكي . . فقد أحس وهو يقرأ صحف الصباح التي كانت تحمل نبأ السرقة ، بأنه ارتكب أبشع جريمة يمكن أن يقدم عليها بشر .

كان قد قرر أن ينعم بوجبة غنية في أحد مطاعم المدينة ، وأن يشتري لنفسه بدلة جديدة ، ثم يخرج في نزهة بحرية يزور فيها جزر اليونان التي كان يتمنى أن يراها وهو صبي صغير فقير . . ولكنه لم يفعل شيئا من هذا . فقد بقي في مكانه حتى غابت الشمس ، ثم حمل اللفافة التي تحوي النقود ، وأسرع الى بيت العجوز التي سرق منها أموالها ، ووضعها هناك فوق الدرج ، ثم راح ينتظر في الظلام بعيدا عن البيت ، حتى اذا ما رأى الباب يفتح ، ويد العجوز تمتد الى اللفافة وتفتحها ثم تعود بها الى الداخل ، أسرع يبتعد عن البيت بهدوء دون أن يشعر به أحد .

ماذا حدث ؟ ماذا قرأ اللص في الصحيفة ؟ كيف استيقظ ضميره فجأة ؟

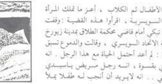
قال أوديسوس لرجال الشرطة الذين تمكنوا من القاء القبض عليه بعد أن اطلعوا على رسالة الاعتذار التي بعث بها الى صاحبة المليون دراخما : « أحسست برأسي يدور عندما قرأت في الصحيفة أن هذا المبلغ كان من المقرر أن تنقله السيدة العجوز الى أحد ملاجىء الايتام في المدينة . . وقرأت اسم الملجأ فاذا بي أكتشف أنه نفس الملجأ الذي دخلته طفلا صغيرا منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، عندما قتل والداي في حادث سيارة ، ولم يقبل أحد من أسرتي أن يؤويني ويرعاني . . لقد كان هذا الملجأ بيتي الذي وجدت فيه الدفء والحنان وسط مئات الأطفال من أمثالي . . ولم أحتمل مجرد التفكير في حرمانهم من مال كان من الممكن أن أنعم به معهم » .

وقدم أوديسوس للمحاكمة واطلع القاضي على

اعترافاته كاملة ، ثم انتقل ببصره الى حيث كان اللص التائب يقف في قفص الاتهام ، وقد تهلل وجهه بابتسامة تحمل كل معاني الرضا والارتياح ، وقال القضاء كلمته : « ان صحوة ضميرك يا بني قد شفعت لك ، ولذلك سوف نعاقبك لمدة ستة أشهر ، ولكن مع وقف التنفيذ » .

وفي الخارج ، كانت مديرة الملجأ تنتظر أوديسوس ، لتعرض عليه وظيفة سكرتير للملجأ الذي دخله طفلا جائعا يتيما .

عندما رق قلب القاضي



الأطفال ثم الكلاب ، أعز ما تملك المرأة السويسرية ، اقرأوا هذه القضية : وقفت الزوجة تبكي أمام قاضي محكمة الطلاق بمدينة زيورخ عاصمة الاتحاد السويسري ، وقالت والدموع تسبق كلماتها : لم أعد أحتمل الحياة مع هذا الرجل . انه يعاملني بقسوة ، انه رجل مريض ياسيدي القاضي . . انه لايريد أن أنجب له طفلا يملأ حياتنا ، لأنه يخاف المستقبل »

وحكم القاضي لوتز ستام للزوجة بالطلاق . . ولكنه ماكاد يترك قاعة المحكمة في طريقه الى مكتبه حتى فوجىء بالزوج « رولف ماير » يجلس على مقعد صغير في الردهة ، واقترب منه فاذا به يجده يبكي ، كما يبكي الأطفال . وتوقف القاضي ليقول للزوج الحزين : « اذا كنت تحبها بهذا القدر فلماذا تسيء معاملتها ؟ » .

وكانت مفاجأة عندما قال الزوج : « لاياسيدي ، انني لاأبكي من أجلها . . وانما أبكي حزنا على « ريكي » الصغير الذي حكمت بحضانتها له . . انى لاأحتمل فراقه ، فقد كنت أجد فيه دائما الصديق الوفي » .

ولم يكن ريكي هذا سوى الكلب المدلل الذي عاش مع الزوج وزوجته رحلة زواجهما القصيرة التي لم تدم لاكثر من أربع سنوات .

وراح القاضي يربت على كتف الزوج الحزين ، ويحاول أن يخفف عنه ، ثم مضى في طريقه الى مكتبه .

وفي اليوم التالي تلقى الزوج مكالمة تليفونية من مجهول يعرض فيها عليه قبول هدية صغيرة قد يجد فيها ما يعوضه عما فقده ، وقبل «رولف ماير» الهدية . . وانقضت بضع ساعات قبل أن يسمع طرقا على باب بيته ، وعندما ذهب ليفتحه فوجىء برسول يحمل سلة صغيرة ، بداخلها كلب من نفس النوع الذي حكم للزوجة بحضانته .

ولم يكن صاحب الهدية سوى القاضي نفسه الذي رق قلبه للزوج الذي حرم من صديقه وجلس يبكيه !

حدث ذات يوم منذ ٤٢ عاما

لم تعرف جلاديس بري يوما لماذ وضعوها في هذا المكان الذي كان بالنسبة لها سجنا بلا قضبان . . كانت وقتها شابة في التاسعة والعشرين من عمرها ، وكانت تعيش مع اسرتها في احدى مدن ولاية كونكتيكت بأمريكا ، عندما قرر الأطباء أنها مصابة باضطراب عقلي ، وأنها متخلفة ذهنيا . .

وحملوها الى احدى دور رعاية المعوقين التي تشرف عليها الدولة ، وهي تضم بين اقسامها مدرسة

للمتخلفين عقليا . . وفي هذه الدار عاشت جلاديس ٤٢ عاما . .

وخلال هذه الأعوام الطويلة كتبت الفتاة عدة رسائل ، تستعطف فيها المسؤولين ، ملتمسة اطلاق سراحها . . وكانت كلها تحمل صرخة انسانة تشعر بالظلم الواقع عليها ، ويقول محاميها : « لقد كانت بعض رسائلها قطعا أدبية رائعة ، يعجز عن كتابتها أديب موهوب » ومع ذلك لم تستطع المسكينة أن تحرك ضمير أحد من المسؤولين عن هذا السجن الذي وضعوها فيه ، حتى عندما كتبت مرة بدموعها تشكو الضرب والتعذيب الذي تتعرض له بلا سبب واضح !

ومضت الأعوام والمحامي الذي يقف بجانبها لايكف عن محاولاته لاطلاق سراح موكلته من سجنها المظلم ، الى أن جاء عام ١٩٧٨ ، عندما اكتشف المسؤولون في الولاية بعد ٤٢ عاما أن جلاديس المسكينة لم تكن في يوم من الايام مضطربة عقليا ولا متخلفة ذهنيا ، وقرروا أن يعيدوا اليها حريتها ، ويعيدوها الى الحياة الطبيعية التي حرمت منها . . ومع هذه الحرية حكم لها القضاء بتعويض قدره ٢٣٥ الف دولار عن السنوات التي حرمت فيها من حقها في الحياة .

ولكن المحامي لم يعجبه هذا الحكم الجائر ، لقد رفع دعوى ضد حاكم الولاية يطالبه فيها بتعويض لموكلته قدره ١٢٥ مليون دولار ، لحرمانها من حقوقها المدنية ، وتعريضها لابشع الوان العبودية والاذلال . وقال في دعواه : « لايجب أن تنسوا أيها السادة أنكم حرمتم هذه الفتاة من أن تعيش أجمل سني عمرها . . ترى من الذى يستطيع أن يعيد لها اليوم اثنين وأربعين عاما أمضتها موكلتي في هذا السجن الكئيب . . ثم انها كانت فتاة جميلة ، وكان من الممكن الآن أن تكون أما وجدة لعدد كبير من الاطفال والاحفاد . . لقد قتلتم جلاديس بير . . قتلتم روحها وشبابها . . وحريتها » .

والدعوى تجد تأييدا كاسحا من مواطني الولاية . . والقضاء في حيرة أمام أغرب حادث من نوعه في أمريكا .

روميو وجولييت

أحبها فأعطته قلبها . . وكان حبا بريئا ، فقد كان الحبيبان مازالايخطوان أولى خطواتهما في الحياة . . بدأت قصة حبهما مع بداية الربيع ، قبل أن يبلغا العام الخامس عشر . . وكانا يعدان الايام التي ستظل تقف بينهما حاجزا قبل أن يجمعهما عش الزوجية . . فلابد أن ينتهيا من دراستهما أولا . . ولا بد أن يجد الشاب عملا حتى يستطيع أن يستقل بأسرته الصغيرة . . الى آخر الطريق الذي يسير فيه كل الشباب قبل الزواج . .

ثم حدثت المفاجأة عندما علمت أسرتاهما بما يحمله كل منهما في قلبه نحو الأخر . . وكانت الأسرتان متخاصمتين وتكررت قصة روميو وجولييت ، ولكن النهاية جاءت مختلفة تماما .

لقد افترق الحبيبان الصغيران . . وذهب كل في طريقه ، ولكنه لم يكن وحده ، كان يحمل معه وفي قلبه صورة حبيبه ، وقصة الأحلام التي قتلها الخصام والنزاع بين أسرتيهما .

وانقضى الربيع ومرت السنون . . ثم كان اللقاء في خريف العمر بعد خمسة وستين عاما . . وعرفها من اسمها فقط ، فقد كان هو الشيء الوحيد الباقي الذي يؤكد له أنها هي الفتاة الصغيرة التي ما زال يحمل صورتها في جيبه . . وعرفته أيضا من اسمه . . انه سير رونالد جولد الرئيس الأسبق لاتحاد نقابات المعلمين في بريطانيا . . وكان لقاء حارا . .

وفي حفل صغير وقف الحبيبان يحتفلان بزواجهما الذي تأخر نصف قرن من الزمان . . احتفلا به مع الكعكة الكبيرة التي كانت تحمل ثمانين شمعة ، هي عدد سني عمرهما الآن قال العريس : « غدا سوف نسافر لنقضى شهر العسل ، ونبحث في هدوء مشروعاتنا للمستقبل ، بعيدا عن زحام المدينة وضوضائها . . »



الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

لقاء بين قمر صناعي أمريكي والمذنب جاكوبيني - زنر

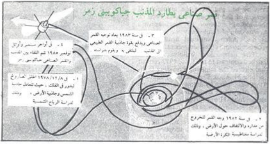
المذنبات في الفضاء كثيرة ولا سبيل الى حصرها .. منها مذنب هالى الذى يزداد اقترابا من الأرض يوما بعد يوم ، والذى سيلتقى في شهر مارس القادم بخمس سفن فضاء .. اثنتين باسم فيجا Vega اطلقها الاتحاد السوفيتى .. واثنتين يابانيتين .. والخامسة اوروبية باسم جيوتو (Giotto) اطلقتها وكالة الفضاء الاوروبية ، ايسا ESA ، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة ليست بين الدول المستقبلة لمذنب هالى ... ذلك أن السلطات المعنية في واشنطن حرمت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) المخصصات المالية التى يتطلبها الاعداد لاستقبال هالي .. وهى كبيرة أصلا .. وقد بدت اكبر بكثير مما هى نظرا لان طلبها جاء في اعقاب (العشرة آلاف مليون دولار) التى انفقتها ناسا على صنع مكوك الفضاء !

وصعب على (ناسا) أن تكون متخلفة في نفس المجال الذى طالما تزعمت غزوه وريادته .. مجال الفضاء .. وذكر أحد مهندسيها أن ثمة مذنبا آخر غير هالى آخذاً بالاقتراب من الارض ، هو مذنب جياكوبينى - زنر Giacobini- Zinner فهذا المذنب الذى يقترب من الارض مرة كل ٦,٥ سنوات والذى صادف اقترابه منها شهر سبتمبر ١٩٨٥ الماضى أى قبل اقتراب هالى من الأرض بستة شهور .. أضف الى ذلك أن مذنب (جياكوبينى زنر) هذا أصغر بكثير من مذنب هالى ، وانه يقترب كثيرا من الارض حتى لاتزيد المسافة التى تفصله عنها على (٤٤) مليون ميل .. اى نحو نصف المسافة التى ستفصل بين هالى والارض في شهر مارس القادم ..

وذكر مهندس وكالة الفضاء الأمريكية واسمه روبرت فركوهار (Farquhar) احد الاقمار الصناعية الامريكية العاملة في الفضاء واسمه الجديد : ICE .. فهذا قمر صناعى جرى اطلاقه في ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٨ مع قمرين اخرين وذلك للقيام بدراسة الرياح الشمسية واثرها على مجالات الارض المغناطيسية .. وذكر أيضاً أن هذا القمر الذى اطلقوا عليه اسم (ISEE-3) في السابق قد قطع نحوا من ٣٠ بليون ميل .. وانه صغير الحجم ولا يزيد على ٥ اقدام طولا و ٥,٥ أقدام قطرا .. وذكر المهندس ان محاولة اعادة توجيه القمر الصناعى بحيث ينطلق في مسار جديد ليلتقى بمذنب جاكوبينى في شهر سبتمبر محاولة عسيرة للغاية ، وقد لايكتب لها النجاح نظرا للوهن الذى حل بأجهزة القمر الصناعى ، وقد مضى على اطلاقه نحو ثمانى سنوات .. ولكنه قرر في النهاية



القمر الصناعى ICE





قبول التحدى والقيام بتلك المحاولة . .

وكانت الخطوة الاولى فى حزيران سنة ١٩٨٢ . فقد عمد فركوهار وزملاؤه الى اطلاق بعض الصواريخ الصغيرة التى يحملها القمر الصناعى ICE وذلك بأوامر أصدرها اليها بالكمبيوتر . . واحدثت تلك الصواريخ تحركات فى مسار القمر الصناعى قربته من القمر الطبيعى ٥ مرات (انظر الرسم) . . ولم تزد المسافة التى فصلته عن القمر الصناعى فى شهر ديسمبر ١٩٨٣ على ٧٥ ميلا فقط . . وهكذا نجح مهندس الفضاء الامريكى فى استغلال جاذبية القمر الطبيعى لمضاعفة سرعة القمر الصناعى ICE حتى بلغت ٤٥٠٠٠ ميل فى الساعة فأصبح فى مقدوره التوجه الى مذنب جاكوبينى والالتقاء به . . . .

وتم اللقاء فى حوالى منتصف شهر سبتمبر الماضى . . . . . ولكن كيف جرى وما هى حصيلته . . . ؟

تسلل القمر الصناعى عبر موجة قوسية (bow wave) وهى احدى موجات الصدمات التى يطلقها المذنب لدى تغلغله فى الرياح الشمسية وكان القمر على بعد ١٧٠٠٠ ميل من نواة المذنب حين اقتحم تلك الموجة .

وراح القمر الصناعى بعد ذلك يخترق مقدمة المذنب حتى اصبح على بعد ٥٠٠٠ ميل فقط من النواة . . حينئذ اكتشف القمر فيما اكتشف أن عرض ذنب المذنب بلغ ٣٠٠٠ ميل لا ستمائة كما سار الاعتقاد سابقا . وتبين له وجود ذرات من الماء وغاز أول اكسيد الكربون وان تلك الذرات مشحونة بالكهرباء . . وأخيرا وليس آخراً ثبت للقمر الصناعى ICE أن المذنب لايعدو كونه كرة ثلجية قوامها الغازات والغبار . .

والطريف أن مهمة هذا القمر لم تنته بعد . . وانه سيواصل رحيله حتى يقترب من مذنب هالى فى شهر مارس القادم ثم ينطلق فى فلك حول الارض ليقترب منها ثانية بعد ٣٠ عاما ٠٠ وعندئذ يجرى استرداده الى سطح الارض فى ٢ اغسطس من سنة ٢٠١٢ على وجه التحديد ، وذلك لكى يفحص العلماء الغبار الذى لا بد وان يكون علق بسطح القمر الصناعى لدى اختراقه المذنب . . فهذا الغبار هو بيت القصيد من اهتمام العلماء بالمذنبات عامة ، ومذنب جاكوبينى وهالى خاصة . . فهم يعتقدون انه من الغبار الذى ساد الفضاء بادىء ذى بدء ، وقبل ان يتم خلق المجموعة الشمسية .

مكتشفون ومخترعون

الأخوان رايت Wright واختراع الطائرة

ولد ولبور رايت سنة ١٨٦٧ في مدينة ملفيل في ولاية أنديانا . . وولد أخوه أورفيل بعد ذلك بأربع سنوات سنة ١٨٧١ ، وذلك في مدينة دايتون بولاية أوهايو . . وكان أبوهما قسيسا ، وقد الحقهما باحدى المدارس ، ولكنهما سرعان ما طردا منها . . ولم يلتحقا بأية مدرسة أخرى بعدها . . الا أنهما واصلا المطالعة والدراسة بالاعتماد على جهودهما الذاتية ، ودون مساعدة من عالم أو معلم . ولعل ما نجحا في غرسه في أنفسهما من شغف بالمعرفة واقبال على طلب العلم ليضاهي كل ما تتمنى غرسه في النفوس شتى المدارس والجامعات . .

أضف الى ذلك ما فطر عليه الأخوان من دأب وجلد . . فقد كانا على استعداد لإعادة تجربة ما مئات المرات ، حتى يتخطيا ما وقعا فيه من خطأ . . وتيسر لهما استكمال ما بدأ صنعه أو اختراعه على أكمل وجه .

وقد فطر الاخوان أيضا على الميل الى صنع الألات والأدوات . . وفكها وتركيبها . . واصلاحها في حالة تلفها ، لا عجب اذن ان كانت صناعة آلات المطابع هي العمل الأول الذي مارساه . . وصناعة الدراجات ـ فضلا عن الاتجار بها ـ هو العمل الثاني الذى احترفاه سبيلا الى طلب الرزق .

ثم كان التحول الجذرى عن الدراجة الى الطائرة . . وعن صنع الدراجة الى اختراع الطائرة . . فقد حقق العلماء الفرنسيون نجاحا في اختراع البالون ، وهويقوم على مبدأ الطيران في الهواء بما هو اخف من الهواء . . ونجح الالمان في اختراع الطائرة الشراعية التي تطير بدون محرك معتمدة على الهواء وضغطه . . وأولى الأخوان رايت هذه الطائرة الشراعية جل اهتمامهما ، فانصرفا الى الاحاطة بأعمال أوتو ليلنتال وتجاربه . . اذ كان هذا العالم الالماني المعاصر هو رائد الطيران الشراعي ، وقد صنع ما يزيد على ألفى طائرة شراعية ، تحطمت احداها به ، فاودت بحياته سنة ١٨٩٦ .

واتفق أن ظهر في أمريكا في تلك الاثناء كتاب بعنوان التقدم في صنع الآلات الطائرة Progress in Flying Machine . . وكان مؤلفه العالم الأمريكي المعاصر أيضا أوكتاف شانوت . . وقد بلغ من اهتمام هذا العالم بأعمال أوتو ليلنتال ومنجزاته أن ضمن كتابه تفاصيل ما نجح في تحقيقه العالم الألماني ، وتفاصيل ما أخفق في تحقيقه أى الطائرة ذات المحرك . .

وأقبل الاخوان رايت على التهام ذلك الكتاب وهضم محتوياته ، واتصلا بمؤلفه ، وطلبا منه المزيد من المعلومات . . حتى اذا فرغا من ذلك الكتاب اتخذا قرارهما الخطير . . قرار اختراع الطائرة ذات المحرك . . تلك التى عجز عن صنعها الكثيرون ، والتى مثلت حلم البشرية المنشود .

وفطن الاخوان الى ضرورة الافادة من معلم آخر غير ليلنتال وشانوت . . ولم يكن ذلك المعلم سوى الطيور . . والصقور منها على وجه التعيين . وهكذا انطلق أحد الاخوين (ولبور) يراقب الصقور في طيرانها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر . . وذلك سنة ١٨٩٩ . وظل يتابع مراقبتها ودراسة حركات أجنحتها حتى أدرك السر في قدرة الصقور على الاحتفاظ بتوازنها في الهواء .

وعمد الاخوان بعد ذلك الى العمل على تنفيذ قرارهما الخطير . . وقد اتضح لهما منذ البدء أن ذلك





العمل ينقسم الى مرحلتين . . مرحلة الطيران ، مجرد الطيران واستيفاء شروطه بحيث يتسنى لهما صنع طائرة شراعية متقنة (بدون محرك ومروحة) ، ومرحلة المحرك والمروحة اللذين يضافان الى تلك الطائرة ، فيضمنان لها الاندفاع فى الاتجاه الذى تريد ، والسفر وقطع المسافات حسبما تشاء .

واستغرقت المرحلة الأولى بضع سنوات (١٩٠٠ ـ ١٩٠٢) ، وقد نجح الاخوان فى نهايتها بصنع طائرة شراعية مجهزة بأجنحة مزدوجة ، تكفل لها الاقلاع والهبوط ، ومزودة بدفة فى الذيل تضمن للطائرة الانحراف أو الاستدارة ذات اليمين وذات اليسار ، هذا الى جانب الرفراف فى الأجنحة الذى يساعد الطائرة على التحكم بتوازنها فى الهواء .

ثم كانت المرحلة الثانية . . وقد بادر الاخوان الى صنع المحرك والمروحة المناسبين ، وقد تعذر العثور عليها في الأسواق . . وتكللت تلك المرحلة بصنع الطائرة الاولى التى سمياها (فلاير ١) Flyer I والتي طار بها أحد الأخوين فى كيتى هوك فى كارولينا الشمالية بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ .

ومن طريف ما يذكر عن تلك الطائرة الرائدة أن وزنها لم يزد على ٧٤٥ رطلا انكليزيا ، وقوة محركها لم تجاوز ١٢ حصاناً . . وان ارتفاعها في الجو لم يبلغ اكثر من (١٠) أقدام ، وان المساقة التى قطعتها بلغت ١٢٠ قدما فحسب . . وكانت كالطائرة الشراعية التى سبقتها ، ذات أجنحة مزدوجة علوية وسفلية وبلا دواليب .

ومهما يكن من أمر فقد كانت (الفلاير ١) هى نواة الطائرات المحسنة التى صنعها الاخوان رايت بعد ذلك ، وسمياها (فلاير ٢) و (فلاير ٣) ، وكذلك نواة الطائرات النفاثة والصواريخ وسفن الفضاء والأقمار الصناعية ، ولو ذكرنا أن تقنية الطيران لم تكن بحاجة الى أكثر من ٦٦ عاما ليتمكن الانسان من الهبوط على سطح القمر سنة (١٩٦٩) لادركنا مدى التقدم الهائل الذى أحرزته تلك التقنية .

وتجدر الاشارة الى أن بيع طائرات الأخوين تأخر حتى سنة ١٩٠٨ ، حين وقعا عقود الشراء مع سلاح الجو الأمريكى واحدى الشركات الفرنسية . . ولعل أهم العوامل التى أدت الى ذلك التأخر كان حرص الأخوين على التكتم على سر اختراعهما ، والامتناع عن عرض طائراتهما قبل ضمان بيعها ، ومات ولبور رايت بحمى التيفوئيد سنة ١٩١٢ ، ومات أخوه أورفيل سنة ١٩٤٨ . □



سلامة البشرية من سلامة البيئة

البيئيون من رجال (الجرين بيس) والتجارب النووية الفرنسية في المحيط الهادى

منذ العاشر من شهر يولية الماضي والمجابهة قائمة بين السلطات الفرنسية وبين أنصار البيئة .. فهؤلاء يصرون على ضرورة وقف التجارب الذرية والنووية ، الفرنسية وغير الفرنسية سواء كانت في المحيط الهادى .. أو في سائر المحيطات والقارات .. وأولئك يصرون على حقهم باجراء التجارب التى يشاءون ، حيثما يشاءون من المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي .. دون السماح لأي كان بمراقبة تلك التجارب ..

وقد أدت تلك المجابهة الى غرق سفينة (وورير WARRIOR) أي المحارب ، وموت أحد ملاحيها وكان مصورا هولندى الجنسية .. وتبين أن غرق السفينة في مياه نيوزيلندة الاقليمية ، وفي اوكلاند احدى موانئها بالذات كان نتيجة القنابل والمتفجرات التى وضعها في السفينة بعض رجال الاستخبارات الفرنسية .. والقت السلطات النيوزيلندية القبض على أولئك العملاء (وكانوا رجلين وامرأة) بتهمة القتل والتآمر والتخريب .. وترتب على تلك الأحداث أزمة سياسية كبيرة في العاصمة الفرنسية شبهوها بأزمة ووترجيت الأمريكية ، وأدت تلك الأزمة الى استقالة وزير الدفاع الفرنسي ، وطرد رئيس المباحث والمخابرات الفرنسية ، وتردد اسم (جرين بيس) (Green peace) او السلام الأخضر منذ نشوب تلك الأزمة ومازال يتردد .

فما هو هذا السلام الأخضر ؟؟

انه الاسم الذي يطلق على احدى المنظمات البيئية التى لاهمّ لها الاحماية البيئة .. وبذل الجهود في سبيل وقف صيد الحيتان ومنع التجارب الذرية والنووية .. ومكافحة التلوث بكافة صوره .. على أن منظمة الجرين بيس تتجنب العنف ، ولاتسعى الى تحقيق أهدافها بالقوة .

والمنظمة بريطانية ومقرها الرئيسي قائم في بلدة لويس في انكلترا .. وقد تم تأسيسها قبل ١٥ سنة في كولميا البريطانية وفي مدينة فانكوفر بالذات .. وبلغت ميزانيتها (١٦) مليون دولار لهذه السنة (١٩٨٥) وهى تعتمد على التبرعات ، تبرعات الأفراد ، الى حد كبير ، وتعتمد أيضا وبقدر محدود ، على ماتجنيه من بيع السلع التى تصنع لحساب المنظمة وتحمل اسمها (الجرين بيس) ، وللمنظمة فروع عديدة منتشرة في ١٥ دولة من دول العالم .. منها الولايات المتحدة ، وهي التي تمد منظمة السلام الأخضر بتبرعات تقدر بنحو ثلث ميزانيتها .. .

وتملك المنظمة حاليا ست سفن .. كانت سبعا ، حتى العاشر من شهر يوليه الماضي ، حين أغرقت السلطات الفرنسية سفينة المحارب السالفة الذكر. ذلك أن أهداف المنظمة تكاد تكون محصورة بالبحار والمحيطات .. فهى تسعى من أجل وقف تلوث البحار عامة ، وتلوثها بالمواد الكيمياوية السامة ، بصفة خاصة .. وهى تعمل أيضا من أجل حماية الأحياء البحرية وخصوصا الحيتان ، وقد تعرضت



قارب مطاطي تابع لمنظمة جرين بيس في مجابهة ودية مع احدى السفن الحربية الفرنسية .

للابادة والانقراض في مناطق عديدة في المدة الأخيرة ، وذلك بسبب صيدها العشوائي الجائر .

وتهدف منظمة السلام الأخضر كذلك الى وضع حد للاسلحة النووية ووقف تجاربها في شتى البحار والمحيطات . .

أما الجهود والأجراءات العملية التى بذلتها هذه المنظمة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية فكثيرة جدا ، ولا سبيل لحصرها . . وحسبنا الاشارة العابرة الى بعض تلك الجهود والأعمال .

● سنة ١٩٨٣ هبط فريق من أعضاء الجرين بيس في سيبيريا ، وذلك بقصد لفت النظر على نطاق عالمي الى أعمال صيد الحيتان العشوائية في تلك المنطقة التى هبطوا فيها . . وقد اعتقلتهم السلطات السوفياتية لدخولهم البلاد بصورة غير شرعية . . ثم أخلت سبيلهم بعد احتجازهم طوال ٥ أيام .

● وفي سنة ١٩٨٣ أيضا حاول بعض أعضاء المنظمة منع تصدير ٢٤ طنا من الخامات النووية ، وذلك في ميناء شيربورغ في فرنسا . والقت السلطات الفرنسية القبض على القارب المطاطي الذي قام بتلك المحاولة .

● وأوقفت السلطات الأمريكية (الولايات المتحدة) احدى سفن الجرين بيس في فصل الربيع الماضى (١٩٨٥) وعند شواطىء (بوينت بلزانت) في ولاية نيوجرزي . . ومنعت رجال المنظمة من القيام باغلاق أحد الأنابيب الذي كان يحمل النفايات ويقذفها في البحر فيسبب تلوثه . .

● وفي سنة ١٩٨٢ أطلقت احدى سفن المنظمة ٢٠٠٠ بالون ، وذلك أثناء رسوها في ميناء لنينجراد ، وبقصد الاحتجاج على التجارب النووية التى كان السوفيات يقومون بها . . ومازالوا . .

● والآن (اي بين شهري اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥) تقف بعض سفن وقوارب منظمة الجرين بيس في عرض المحيط الهادى . . وعلى بعد ١٢ ميلا من الجزر المرجانية (موررورا وفانجتوفا) الخاضعة للنفوذ الفرنسي ، والتى تنوي السلطات الفرنسية اجراء تجاربها النووية الجديدة فيها ، جريا على عادتها . . ولايعرف بالضبط متى ستجري هذه التجارب ، ولا ما قد يترتب على هذه المجابهة الجديدة بين الفرنسيين والبيئيين . . وأغلب الظن أن السفن الحربية الفرنسية الموجودة في المنطقة لن تتعرض لقوارب المنظمة وسفنها بسوء ، مادامت هذه السفن والقوارب لاتتجاوز حدود المياه الاقليمية الفرنسية ، ولاتقترب من الجزر المرجانية أكثر من ١٢ ميلا . . وتجدر الاشارة الى أن البيئيين والفرنسيين تبادلوا الزيارات ، وقد قدم الضباط الفرنسيون لرجال السفن والقوارب البيئية بضعة صناديق من النبيذ الفرنسي . . □

رسالة المغرب الثقافية

أصوات روائية مغربية جديدة

بقلم : علاء الدين محسن

عام ١٩٨٥ هل هو عام الرواية فى المغرب ؟ لقد صدر أكثر من عشر روايات الى الآن « اكتوبر ١٩٨٥ » وهكذا فبعد افتتان طويل بالقصة القصيرة ، والنقد والتنظير وفق أحدث المدارس الغربية ، يظهر أن هوس الرواية قد استبد بالكتاب المغاربة .

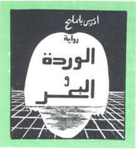
ان الكم لايعنى دائما مؤشرا صحيحا على حيوية مسار الحركة الثقافية وغناها ، وتنوع اتجاهاتها فى بلد ما ، الا أن اللافت للانتباه أن نسبة الأعمال الجيدة وسط هذا الكم الروائى المغربى الذى صدر هذا العام ، هى نسبة هامة ، واللافت للانتباه أكثر أن أغلب الأعمال الروائية جودة تعود لكتاب يقدمون رواياتهم الاولى . وهو أمر يحيلنا مباشرة الى التساؤل : هل بدأت اذن ملامح الجيل الروائى المغربى الجديد بالتبلور أو التشكل ؟ ويستتبع ذلك تساؤل آخر عن تفاصيل هذه الملامح .

يمكن اعتبار عبدالجبار السحيمى ومحمد زفزاف وادريس الخورى ومحمد شكرى وعز الدين التازى وأحمد بوزفور الأسماء التى ظلت الأكثر اشعاعا وتمثيلا طوال الخمسة عشر عاما الماضية ، لجيل القصاصين والروائيين المغاربة ، الذين ظهروا بعد عبدالكريم غلاب وعبدالمجيد بنجلون والحبابى ومبارك ربيع ، الذى يمكن الحاقه بهم دون خوف من مجازفة . هذه الأسماء الجديدة التى جاءت لتبحث عن كتابة روائية وقصصية جديدة ، مغايرة لكتابات أولئك الرواد ، ظهرت بعد استقلال المغرب « ١٩٥٦ » وكانت انطلاقتها أساسا من الصحافة الثقافية ، ويمكن لمؤرخ أدبى مدقق أن يلاحظ كيف كان ملحق جريدة العلم الثقافى خلال الستينيات ولغاية منتصف السبعينيات يجمع على صفحاته هذه الأسماء الجديدة كلها . فقد كانوا فى هذه المرحلة موحدين فى هموم ابداعية وثقافية متشابهة ، ولم يتشتتوا ثقافيا وسياسيا الا بعد ذلك ، عندما عرفت الساحة السياسية فى المغرب استقطابات جديدة ، وتحديدات لم تكن موجودة من قبل لليمين

واليسار ، استدعت ظهور استقطابات ثقافية جديدة ، فقد ظهر ملحق جريدة المحرر الثقافى ، ومجلات ثقافية ذات توجه يسارى ، ووجد عدد كبير من هذه الأسماء أنفسهم أكثر قربا من هذه المنابر الجديدة فالتحقوا بها ، حتى أصبح لكل مجلة ثقافية ، وملحق ثقافى كتابه . نخلص من هذا الاستطراد الى القول ان عبدالجبار السحيمى مثلا عندما أصدر مجموعته الاولى « مولاى » عام ١٩٦٥ من القاهرة ، ومجموعته الثانية « الممكن من المستحيل » عام ١٩٦٩ من الرباط ، لم يكن اسما ظهر فجأة أو لاتاريخ له ، فهو قد بدأ بالنشر عام ١٩٥٧ فى جريدة العلم « مغربيا » والأديب والآداب البيروتيتان « عربيا » ، والملاحظة ذاتها يمكن ايرادها بصدد محمد زفزاف الذى صدرت مجموعته « حوار فى ليل متأخر » من دمشق عام ١٩٧٠ .

أما الأسماء التى شكلت أعمالها ملامح ١٩٨٥ الروائية ، فهى أسماء فى غالبها ليس لها حضور ثقافى قبل اصدارها لأعمالها الاولى هذه . هل هو اذن جيل ثقافى لاتستوعبه المنابر الثقافية المغربية الموجودة حاليا ، والمعبرة فى العمق عن اختيارات سياسية ، أم هو جيل لاترضيه هذه المنابر واختياراتها الثقافية والسياسية ؟ من السابق لأوانه ـ ونحن ازاء ظاهرة كهذه لاتزال فى طور التشكل ـ تقديم اجابة قاطعة عن هذه الأسئلة ، فقد أصدر « نور الدين عامر » روايته « لعنة الأرض دون أن يكون اسمه قد ظهر أو تردد فى الحياة الثقافية المغربية ، و « أيام من عدس » هى الرواية الاولى لكاتب لم ينشر فى الصحافة الثقافية من قبل هو بهوش ياسين ، والحمدوش عبدالإلاه » الذى كتب « الحالم » هو الآخر اسم يتقدم الى الساحة دون مقدمات ، وكذلك ادريس بلمليح الذى صدرت له رواية « الوردة والبحر » .

ان هذه الملاحظة قد توحى بأن هناك نوعا من القطيعة بين جيلين اختارا طريقتين مختلفتين للظهور . ولكن هذا الايحاء هو مجرد وهم ، فالقراءة المتأملة لأعمال هذه الأسماء الجديدة الروائية تكشف عن استمرارية ، مثلما تكشف فى بعض الأعمال عن ظلال أسماء لاتزال حاضرة من الجيل السابق ، كمحمد زفزاف وادريس الخورى . وبالطبع ، فهذه الاستمرارية وهذا التأثر ليس بالاكتشاف ولا بالأمر



المدهش ، نظرا لحداثة الابداع المغربى المكتوب بالعربية بمجمله .

ان قراءة روايات ـ هى الاعمال الاولى لكتابها ـ تكاد تشكل مغامرة ، فنحن هنا إزاء شخصية كتابية لاتزال فى طور التشكل ، الأمر الذى يجعل من اصدار احكام نقدية عملية محفوفة بالمحاذير ، الا أن ضرورة اضاءة مختلف التفاعلات والمستجدات والظواهر الفاعلة على الساحة الثقافية المغربية اليوم تدفع الى خوض مثل هذه المغامرة .

لقد اخترنا هنا قراءة روايتين لكاتبين جديدين ، ورواية أخرى لكاتب ثالث ، هو محمد صوف ، سبق له أن أصدر عددا من المجاميع القصصية والروايات من قبل ، كشفا للمشترك والمتغاير فى كتابة جيلين ، وينبغى الاشارة هنا الى أننا ـ نظرا للتحفظات والأسئلة التى وردت سابقا ،وكانت تصعب الاجابة عنها ـ سنكون فيما يلى بصدد انطباعات طموحها أن تتبلور من بعد الى تحليل وبحث .

الوردة والبحر

يمكن لعنوان هذه الرواية لادريس بلمليح أن يذكرنا بعنوان رواية « المرأة والوردة » ـ ١٩٧٢ ـ لمحمد زفزاف ، الا انه تشابه يظل محصورا فى اطار العنوان فقط . فبلمليح يختار كتابة روائية مختلفة عن

كتابة زفزاف . كتابة تبتعد عن مجرد الوصف الخارجى والرصد الفوتغرافى لأحداث وشخصيات بلغة محايدة باردة ، وتجنح نحو كتابة أصعب تعيد بناء الواقع الروائى ، وتشغل بتركيب التفاصيل ، لترقى بالفضاء الروائى عن ملامسة الواقع البسيط . ولغة ادريس بلمليح متأملة وموحية وذات ايقاع ونفس شعورى .

ان الثنائية التى يحملها عنوان « الوردة والبحر » تتحول فى الرواية الى ثنائية نقيضة : « الضحية والجلاد » . فنحن ازاء رواية تتركب من قصة شخصيتين تلتقيان فى لحظة ذروة التصعيد الروائى ، وتتوزع من حولهما عدة شخصيات أخرى ثانوية ، تعمق من دلالة هذا اللقاء ، عندما نكتشف أن كلا من السجين والسجان ، الضحية والجلاد ، هما فى سجن أكبر .

فى الرواية ثنائية أخرى معتادة فى الأعمال الروائية المغربية ، هى ثنائية الريف والمدينة . فالخمار يهاجر من أرضه الى المدينة مع زوجته فاطمة ، التى تجهض بجنين مشوه بسبب ماء ملوث تبركت به . المدينة تفترس الخمار ، وعلى اتساعها ورحابتها وازدحامها يعجز عن العثور على عمل ، وفى النهاية وعن طريق زبائن مومس من أقربائهم ، يعثر على عمل كحارس فى السجن ، عمله يعيد اليه حريته التى استلبتها منه البطالة . ولكن المفارقة أن عمله سيكون على حساب حرية آخرين « السجناء » يجيد إدريس بلمليح استغلال هذه المفارقة وتصعيدها دراميا : ففى صبيحة عثور الخمار على عمله الجديد تصاب زوجته - الذكرى الباقية من ماضيه - بالشلل ، وللترميز الى هذه القطيعة مع ماضيه يغير الخمار اسمه الى بالحسن . الا ان هذه القطيعة مع الماضى تظهر كطموح مستحيل ، فبلحسن لايمكنه الا أن يكون سجانا مختلفا فى تعامله مع مسجونيه ، فهو يتعاطف معهم ، يستمع اليهم ويتعلم منهم ، ويرتبط بعلاقة حميمة مع أحدهم ، سيكون مكملا لثنائية الجلاد والضحية التى تنهض عليها الرواية . انه سجين مبهم الاسم ، جذوره فى الريف ايضا . فأبوه يبيع أرضه ليوفر له امكانية دراسة الحقوق . لكنه يُشغل عن دراسته باشتغاله بالسياسة ، التى تؤدى به الى السجن ، حيث يتعرف على سجانه بلحسن . حبيبته عائشة تنتهى أحلامها أيضا ، وتدخل الى سجن ظلام الحانات الليلية ، حيث تعمل ساقية ، صديقه يفقد احدى عينيه خلال مشاركته بتظاهرة ، وفى غمرة هذه الانكسارات تظل امه وأخته خديجة ومضة الضوء الوحيد الآتية من عالم فيه مسحة من النقاء . ويكرس بلمليح خديجة اخت السجين رمزا لأمل ينبثق من الظلمة التى تدور فيها أحداث روايته ، فهى تلتقى بفاطمة زوجة السجان ، وتكون بالنسبة لها بشارة ولادة طفل جديد لها بدل طفلها الذى مات مشوها . انه طفل يوحى بالتغيير ، فنحن ازاء شخوص كالعنقاء تنبعث من رمادها ، أو كما تقول خديجة « كتب علينا أن ننهار ونبعث لننهار ثم نبعث » . دورة حياة الشخوص هذه هى نفسها دورة حياة الرواية ، التى تتخذ نسقا تركيبيا متداخلا ، حيث تقضي نهاية كل فصل من فصولها الى بدايتها التى تنتهى بدورها الى نهاية مفتوحة على فضاء الحياة ، والرموز التى اعطاها بلمليح القدرة على استنشاق هواء واقعى محسوس .

الحالم

وبقدر ما كانت الوردة والبحر رواية متعددة الشخصيات وغنية بالاتجاهات ، تتقاطع فيها مستويات الروائى وتتعدد ، يختار الحمدوشى عبد الإلاه فى عمله الأول « الحالم » كتابة رواية أحادية الشخصية ، تتوالى فصول حكايتها بتسلسل وسلاسة ، اضافة الى بساطة موضوعها . ان ضمير المتكلم فيها كأداة للسرد ، وحميمية العديد من تفاصيلها يجعلها أشبه بسيرة ذاتية .

تتحدث الحالم عن « مجيد » الذي يعمل أبوه عاملا فى مقهى ، « فى رأسه أحلام ، وعيناه تتطلعان الى حياته التى يتصورها ، تكمن فى مكان آخر غير حياته اليومية التى يعيشها . انه يحلم بدور عظيم سيلعبه ويغير العالم وقوانينه وعاداته البالية . الا أن موت أبيه يجعله يعيش قسوة الواقع ، ويترك أحلام الزعامة ليذهب للدراسة فى « تطوان » فى مركز لتكوين المعلمين .

وفى هذه المدينة يعيش تجربته العاطفية الأولى التى يغادرها خائبا ، عندما تتزوج زميلته التى لاتأبه بحبه



من أستاذها . وتستغرق قصة حبه هذه عددا كبيرا من صفحات الرواية القليلة العدد فى الأساس وذات القطع الصغير ، وبعد تخرجه يشتغل مجيد معلما في قرية منعزلة عن العالم ، على قمة جبل ، يقول له المدير وهو يسلمه قرار تعيينه : « بينى وبينك مائة كلمة : ثلاثون منها بين جبال شاهقة ، هاهى حصتك من الطباشير لمدة سنة . لايمكن أن أزورك أبدا ، وضميرك هو مديرك . انت أول معلم فى التاريخ سيصل الى قبيلة « بنى هرطيق » .

ويشكل هذا الجزء من الرواية الذى يتناول تفاصيل حياة بطلها فى قريته المنعزلة الجزء الأكثر جمالية وغنى فى رواية الحالم . انه يتحدث بمثل هذه التلقائية عن سكان العالم الجديد الذى دخله : « كانت علاقتى بسكان القبيلة تتميز بنوع من الجفاء والقطيعة ، ولم يكن ذلك ناتجا عن عداوة أو حقد ، وانما لكونى أشعر بالملل ، وأنا أجاريهم احاديثهم المضجرة المتكررة ، التى تنتهى عادة بالرجاء المعبق باليأس . كنت أجد دائما عذرا لأمارس عزلتى ، حيث أتيه بين الجبال ، أخاطب الأشجار والأحجار والطيور ، أبثها لوعتى وعذابى ، وكان الفراغ الهائل الذى يجثم على حياة الجبل يجعلنى متلهفا لمقابلة أى شخص متمدن ، وبما أن هذا الشخص غير موجود ، فقد توجب على خلقه . الا أن علاقته السلبية بمحيطه الذي يبعد مائة كيلو متر عن أقرب حضري متمدن ، تتحول نحو الايجاب ، عندما يمرض ويحس بعواطف سكان القرية المتعاطفين معه فى أزمته . فيبدأ بالاندماج فى حياة القبيلة ، يحل مشاكلهم البسيطة ، ويقدم لهم ارشادات صحية ، يفتح صفا لمحو أمية الأباء والبنات . وتثير شعبيته وسط السكان حقد شيخ القبيلة الذى يدبر له مؤامرة يحال بسببها على التحقيق ويوقف عن عمله ، يعود الى تطوان مفلسا ، ليتبع امرأة يعتقدها حبيبته القديمة ، تصحب طفلا « أحس مجيد أن ذلك الطفل كان يجب أن يكون طفله . بل اعتبره فعلا ـ طفله الذى سرق منه ، كما سرقت أحلامه فى أن يكون زوجا صالحا . وبلا شعور وبحركات متهورة هرول نحو الطفل ورفعه من عربته واحتضنه بقوة مدهشة ، حتى أن أمه من فرط الصدمة صرخت صرخة مدوية ، جعلت جحافل المتأنقين تهب مسرعة متدافعة لتحيط بالمرأة التى تبكي بحرقة ، وتحاول نزع طفلها من حضن رجل غريب ، يبدو كمجنون فار من « المرستان » . وعند هذا المشهد تنتهى رواية « الحالم » .

انها رواية بسيطة وسلسة . ولعل فى هذا يكمن تميزها . فهى تحمل عبق الاعترافات التى تتابع بتلقائية ، وينبغى أن توجه اشادة خاصة الى لغة الحالم التى حافظ عليها الحمدوشى عبد الإلاه ، وهو يلخص احباطات الجيل المغربى الشاب بعد الاستقلال متألقة ونقية .

السنوات العجاف

طبعت رواية « السنوات العجاف » عام ١٩٨٤ ، الا انها وزعت خلال الأشهر الاولى من عام ١٩٨٥ . وولد مؤلفها محمد صوف عام ١٩٥٠ ، وبدأ النثر أواخر الستينيات ، الا أن أول مجموعاته القصصية صدرت عام ١٩٦٨ بالدار البيضاء ، وكان عنوانها « تمزقات » ثم أصدر بعدها مجموعتين قصصيتين وروايتين . نحن اذن امام كاتب غزير الانتاج ،

ومتمرس فى الكتابة القصصية والروائية ، « والسنوات العجاف » هى روايته الثالثة . الا ان المثير للانتباه أن اعماله نادرا ما حظيت باهتمام النقاد والدارسين المغاربة ، لدرجة أنه يكاد أن لايكون معروفا خارج المغرب ، رغم أنه من مجايلى أسماء أصبحت نجوما الى حد ما ، كمحمد شكرى وزفزاف والخورى والمدينى ، والمثير للانتباه أكثر أن هذا التجاهل أصابه رغم تميزه بين مجايليه المغاربة ، على صعيد تقنيات الكتابة والموضوعات التي تشكل عالم قصصه ورواياته .

يفتتح محمد صوف سنواته العجاف بمشهد ولادتين : فى كوخ الضاوية تولد مسعودة التى يأخذها عمها لتربيها زوجته التى لاتنجب ، وفى منزل خديجة تولد ابتسام التى تغمرها الهدايا والزغاريد ، وتسير الرواية فى متابعة هاتين الولادتين فى عالمين مختلفين طبقيا : مسعودة تتعذب على يد زوجة العم ، وابتسام تدرس الفرنسية وتسافر لاكمال دراستها فى باريس ، نحن الآن فى مغرب ماقبل الاستقلال . عم مسعودة يعمل مع الوطنيين ضد الاستعمار . المدينة تشتعل بدوى الرصاص ، وتتعلم الصغيرة أول دروس الوطنية عندما يعود العم من معتقله وقد فقد احدى عينيه . تترك المدرسة ويزوجها أهلها من معلم لاتحبه ، فيما تعيش ابتسام حياة الطبقة الراقية الحافلة بعلاقات من نوع آخر . مسعودة تمزقها علاقة ثلاثية : تحب الحسين شقيق زوجها ، ومصطفى الشقيق الآخر للزوج يحبها . الا ان الحسين يرحل الى فرنسا ، أما مسعودة فتقرر أن تتعلم القراءة والكتابة ، فى باريس تلتقى ابتسام بالحسين الذى يبدأ بالعمل من أجل التعريف بقضية استقلال المغرب . ان العالمين الذين ظهرا منفصلين وسارا فى الرواية بتواز الى ان يأخذا بالالتقاء . وقد استقل المغرب الآن ، ويموت زوج مسعودة فى موجة التصفيات التى سادت بين فرق الوطنيين اثر الاستقلال ، فيقرر الحسين مغادرة باريس والعودة للوطن لإعالة عائلته ، وهو بذلك يغادر وقصة حبه مع ابتسام فى بدايتها . فى وطنه يعيش الحسين وضعا كافكويا ، فهو مطالب بالثأر لأخيه الذى لايعرف لماذا قتل ومن قتله ؟ ، ولكن انصار أخيه يريدون منه الانتقام بتصفية أحد خصومهم . وفى وطنه أيضا يتعرف على « اشراق »



التى يتحول حبه اليها بدلا من ابتسام التى تعود فى زيارة للمغرب مع اصدقائها ، على أمل اللقاء بالحسين الذى لايجدونه فى استقبالهم بالمطار : لقد ذهب للثأر لأخيه ، ذلك الثأر الذى لايريده ، ولكنه وجد نفسه محاصرا بمن يدفعه للقيام به ، والا اعتبر خائنا وصُفِّىَ . غيابه يعنى الموت الحتمى الذى لا تصرح به الرواية ، ولكن نهايتها المفتوحة توحى به .

السنوات العجاف التى يتناولها محمد صوف روائيا اذن هى تلك السنوات التى تلت استقلال وطنه ، وحفلت بتصفيات سياسية لم تقدم حولها وجهه نظر محايدة الى الآن . وهى بذلك تنضم الى مجموعات روايات مغربية تناولت المرحلة والموضوع نفسه . وتميز صوف هنا هو فى اجادته التعامل الروائى مع موضوع صعب وسهل فى نفس الآن . سهل لانه يتناول مرحلة قريبة من تاريخ المغرب ، غنية بالاحداث والتفاصيل ، وصعب لأنه موضوع يتضمن جوانب سياسية لاتخفى ، يمكن أن تذهب بالعمل الروائى باتجاه معالجة ايديولوجية مباشرة . الا أن السنوات العجاف عبر قصص حب شفافة ومتداخلة قدمت بأصوات متعددة استطاعت الاحاطة فنيا باشتغالات شخوص هذه المرحلة الحساسة فى تأريخ المغرب المعاصر ، دون السقوط فى لغة افتتاحيات الصحف أو فى مجرد التوثيق . □

قضيّة

الكِتابة فنّ
ولكنّها أنبل الفُنون وأخطَرُها

بقلم : الدكتور أديب نصور

جاء في قول سقراط قبل أن يتجرع كأس السم : « ان حياة لا تنتقد ولا تمتحن غير جديرة بأن تعاش . . وأنا كالذبابة التي تلسعكم ، وهذه اللسعات ضرورية لخيركم ولخير المدينة » .

فهل الكتابة لسع فقط ؟ لنقرأ معا هذه القضية .

« عندما كنت شابا ، كنت اكتب لاعيش . والآن اكتب لكي لا اموت . مثل شهرزاد ، أستمر في الحياة ما دامت لديّ قصة اخرى لتروى . »

ذلك اعتراف الكاتب البرازيلي كارلوس فونتس . هناك الكتابة كعمل لتحصيل الرزق ، وهناك الكتابة من اجل الحياة ، أو كمبرر للبقاء على قيد الحياة .

ولنفرغ ، منذ البدء ، من الدافع المادى . والعنصر المادى في الموضوع ينطبق اكثر ما ينطبق على الكاتب المحترف . مثل ممارسة الطب او الهندسة ، قد تكون الكتابة صناعةً او احترافاً . واذا كان الكاتب يتقاضى أجرا كبيرا على عمله فذلك مما يدفعه الى الكتابة ويشجعه على الانتاج .

بعد الحرب العالمية الثانية كان ونستون تشرشل يتقاضى دولارا على كل كلمة تنشر له في الصحافة الاميركية ، مما دعا الزعيم العمالي موريسن ان يقول في مجلس العموم ، جادا في المداعبة « ان الجنتلمان المحترم - زعيم المعارضة يومذاك - هو أكبر محصل للنقد النادر في بريطانيا » . وان بعضا من الشخصيات السياسية في الولايات المتحدة اليوم يأخذ نحو أربعة عشر الف دولار على محاضرة واحدة لساعة من زمان . ذلك هو أجر كيسنجر ، وزير الشؤون الخارجية للرئيس نكسون وللرئيس فورد ، وذلك فوق ما تدرّ عليه مذكراته من ملايين .

أما الكتابة للادب والفن والجمال ، أما الكتابة

● أستاذ قانون وكاتب عربي سوري له العديد من المؤلفات منها : وطنيون واوطان ، قبل فوات الأوان« النكسة والخطأ ، رجل الدولة وغيرها .

للحق والخير ، أما الكتابة للحياة وللقضايا الحسان في الحياة ، فذات شأن آخر .

الكاتب أسير فنّه

ويخيل اليّ أن الكاتب الأصيل ليس مطلق الحرية في ان يكتب أو لا يكتب . انه لا يملك وحده كل أمره ، وانما الموهبة و« الحالة » هي التي تملك عليه الأمر كله ، وتتدرف به ، وربما قضت عليه وهو يؤدي دوره المحتوم . على الكاتب أن يكتب كما على الطائر أن يطير بجناحيه ، وكما على النحل ان يجني الجنى. وفي الحديث الشريف :

« كل مُيسّر لما خلق له » .

أرسل مكيافللي ، صاحب كتاب « الامير » و المطارحات» ، رسالة الى صديق يقول فيها ، بعد أن صرفته حكومة فلورنسا من خدمتها والسفارة لها : « اني لا اهتم بتجارة الصوف أو الحرير ، فاما أن أكتب في السياسة أو أختنق » .

ثم انه في كل زمان جو فكري أو روحي يغشى البلاد ، وفكرة كبرى أو فكرة رئيسية تهيمن على العصر . في هذه الحالة لابد للفكرة الدافقة من ان تجد لها تعبيرا ، ومن يمهد لها أو يشرحها للناس . فكرة الحرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا وأميركا ، والديمقراطية البرلمانية أو التمثيلية ، وفكرة القومية ، والدستور المكتوب ، وسيادة القانون : فكر ومبادىء تطوعت لها أقلام كبار المفكرين السياسيين ، من لوك الانكليزي ، الى جفرسن الاميركي الى جان جاك روسو مواطن جنيف الفرنسي .

تلك الأفكار سبقت ، أو رافقت ، الثورات الثلاث الكبرى في انكلترا وأميركا وفرنسا .

وقد يكون الكاتب أكثر من معبر بليغ عن أفكار العصر . في المنعطفات التاريخية الكبرى يكون مفكرا مبدعا أو مجتهدا رائدا ، يعالج قضايا العصر ومشاكل البلاد ، كأنه أول من فكر أو عالج أو كتب . ويسهم في نقل الحالة الاجتماعية من طور الى طور ، والوضع السياسي العام من مرحلة الى مرحلة ، متقدمة أو متخلفة . . .

وفي بعض الأحيان يبدو الكاتب وكأنه ضمير الشعب أو الأمة ، وينبىء عن « أفكار قلوب كثيرة » يحلل ويقيم ويوجه ويقود بالرأي والبيان .

في أيام نابليون بونابرت والهيمنة الفرنسية على القارة الأوروبية ، وجد في المانيا مفكر سياسي - استراتيجي أسمه فردريك فون غانتز كان يعد من أحسن العقول وأقدر الكتاب في أوروبا . وكان يمثل الرأي العام السائد عند الخاصة من الأوروبيين . وقد سجّل هو نفسه ما يلي : « أود أن أقول ، وأستطيع القول بدون خيلاء ، اني واحد من الذين يمثلون العقل العام في القرن الحاضر . . . » .

بروسي الاصل ولد في بريسلو سنة ١٧٦٤ وبدأ دراسته في برلين وأنهاها في جامعة كونيغزبرغ حيث تتلمذ على الفيلسوف (كانت) ، وقد غضب للانتصارات العسكرية التي أحرزتها الثورة الفرنسية ، وأقام في فيينا منذ سنة ١٨٠٢ احتجاجا على سياسة بروسيا المتسامحة مع فرنسا . ويرز بكتاباته ضد امبراطورية نابليون ، كواحد من أقدر الكتاب السياسيين في أوروبا كلها ، ان لم يكن أقدرهم على الاطلاق . وقيل في أدبه انه رفع تأليف الرسائل السياسية والتعليقات الصحفية الى مستوى الفن ، وقيل انه كان يصوغ ويصقل التقارير أو المذكرات السياسية كما لو كانت قصيدة شعر .

و مصير دول عصره

لم يكن لغانتز سلطان سياسي ، ولا كان يحتل في الدولة منصبا قياديا . أقصى ما بلغه في الحكومة النمساوية أنه كان سكرتيرا للمستشار الشهير مترنيخ . انما استطاع تلميذ (كانت) أن يحلل تحليلا عميقا الواقع الأوروبي ، ويقدر تقديرا صحيحا خطر نابليون والامبراطورية الفرنسية على حريات أوروبا واستقلال دولها . وكان يرى أن فرنسا الثورة وسيفها نابليون قد قلبا ميزان القوى في أوروبا ، وأن على دول أوروبا أن تتحالف ضد العدو المشترك لترد التوازن الدولي الى نصابه . وقام بحملة فردية متواصلة الى ان تألف الحلف الكبير الذي هزم نابليون . ولم يخف امبراطور الفرنسيين حنقه على « هذا الشقي ومنشوراته . . » .

وفي مؤتمر فيينا (١٨١٤ - ١٨١٥) غدا مفكر

أوروبا أمينا عاما لمجمع الدول ، وعرف بسكرتير أوروبا . ونال أعلى وسام روسي مع كتاب من القيصر اسكندر الأول أطلق عليه فيه لقب (فارس أوروبا) . واقترح مرة الوزير الفرنسي تاليران ان تؤسس أمانة أوروبية دائمة في فيينا ، وان يعهد الى غانتز بادارتها . وكتب عنه مؤلف معروف يقول : « غانتز فكّر أفكار زمانه ـ كانت له مسحة من العظمة ، وربما من العبقرية . هنا كان ديموستين الأوروبي وهذه كانت ساعته . »

ولعب غانتز ذلك الدور الخطير دون تكليف من أحد،كانت للقلم عنده نبالة تلزم صاحبها كنبالة الفرسان أو نبالة الرهبان ـ أصحاب السيف وأصحاب الوشاح . الم يتحدث المتحدثون عند العرب عن أرباب السيف وأرباب القلم !

بهذا المعنى كان على الكاتب واجب ومسؤولية مثل واجب الطبيب نحو المرضى والجندى على حدود الوطن يدافع عن الأرض والاهل والكرامة .

وعلى الكاتب أن يمضي في أداء الواجب فلا يهرب من القيام بما خلق له . فان المواهب لا تُعطى لكي تهدر . وتأتي عندما تأتي بتَقْنين شديد ، لتقوم بوظيفة اجتماعية لا بد منها ، كأنها القدر .

حرية النقد . . في أثينا

عندما رأت أثينا (المدينة ـ الدولة) أن أسئلة سقراط تحدث اضطرابا في المدينة و « تفسد الشباب » وتنال من آلهة الدولة ، أرادت أن يرحل عنها سقراط أو ينفي نفسه ، فلما أبى اشترطت عليه الصمت ، فلما أبى أتاحت له فرصة الهرب من السجن ، فلما أبى ذلك حكمت عليه بالاعدام . وشرب سقراط السمّ مختارا ، اطاعة للقوانين . قال لقضاته : « ان حياة لا تُنتقد ولا تمتحن غير جديرة بان تعاش ، والموت أحب اليّ من الهجرة الى بلد غريب . واذا كنتم أنتم أهل مدينتي العظيمة لا تطيقون كلامي فكيف يتقبله الآخرون ؟ وأنا كالذبابة التي تلسعكم ، وهذه اللسعات ضرورية لخيركم ولخير المدينة . » وبقي سقراط أياما أمام محكمة الشعب ينتقد حكومة أثينا ويسخر من رجالها ، في معرض الدفاع عن آرائه . . كان ذلك سنه ٣٩٩ ق م .

الكاتب شاهد على عصره وشهيد . ليس له أن يصمت في موضع الكلام . ليس له أن يتجنب الخطر ويغيب عندما يكون الحضور قضية موت أو حياة ، حرفيا ، بالنسبة الى قومه وبلاده .

هناك من يأثم أو يخون بالصمت،وهناك من يأثم أو يخون بالقعود . (اذهب انت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون) .

في سنة ثلاثمائة وثلاثين قبل الميلاد القى ديموستين خطبة التاج أمام الجمهور الأثيني صاحب السيادة في الدولة مدافعا عن سياسته في مقاومة الملك فيليب المكدوني ، ومهاجما منافسه آختين،وكان الخطيب الثاني بين خطباء أثينا الذى خطب ليحرم ديموستين من تقدير الشعب الأثيني . ويعتبر النقاد خطبة التاج لديموستين خطبة لأعظم خطيب في التاريخ .

وكان الخطيب عند الاغريق رجل دولة ، مثل (المدره) عند العرب (سيد القوم وخطيبهم) .

وكانت الخطابة تدرس عندهم كما يدرس القانون وعلم السياسة في زماننا ، وموضوعها الأجلّ هو الدولة والشأن العام . وحجة ديموستين انه بينما كان يجمع المدن اليونانية ضد توسع فيليب ، وبينما كان يحشد الجيوش للدفاع عن حرية أثينا واليونان ، كان آختين غائبا متواريا أو متفرجا يترقب » : أهناك أمر جار فيه الخير للشعب ؟ آختين أخرس أبكم أعمى . أهناك خطأ ، أزمة ، أو كارثة ؟ الى الأمام يتقدم آختين ، شأنه شأن الجراثيم تنشط عندما يضعف جسم الانسان . »

وبعد انتصار فيليب النهائي ، انتحر ديموستين لكي لا يقع في يد الاعداء .

الكتابة . . سبيل الى البناء والبقاء

ويعلم الكاتب ان كلامه المفعم بالمسؤولية ، المليء بالمعنى ليس بمجرد كلمات . وانما هو فعل من الأفعال . كان كلام شارل ديغول مقدمة للعمل ، او هو الفعل التاريخي ، أو وسيلة رجل الدولة في الحرب والسلم جميعا . ورجل الدولة العصري يخطب ويكتب ويقود ويسوس مثلما كان يفعل تشرشل في الحرب العالمية الثانية ، وهو رئيس الوزراء في بريطانيا ، ومثل جواهرلال نهرو في الهند بعد

استقلالها .

وهناك دائما أكثر من طريقة واحدة لقول الشيء الواحد . وعند العرب أرفع الآداب هي المناظرة والجدل ، وتلك القواعد القرآنية الخالدة ، والحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة و « جادلهم بالتي هي أحسن . » ولعل أول تعليمات « دبلوماسية » معروفة ، وقد ورد فيها نص ، اعطيت لموسى وهرون أخيه : « اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى . »

وتعرف الفلسفة ، وتعرف الآداب العالمية ، كُتّابا لم تتح لهم فرصة العمل في الحياة العامة ، أو لم يكن لهم سلطان ، أو انهم لم يجدوا دولة ، فلجأوا الى الوسيلة المتبقية لهم وهي الكتابة والتأليف . يمثلهم جان جاك روسو حيث كتب : « يقولون لي أأنت ملك أم أنت أمير حتى تكتب في السياسة ، وأجيب لو كنت أميرا لما أضعت وقتي في الكتابة ، ولكنت فعلت قبل أن أقول . »

وفي القرن الرابع قبل الميلاد وجد أفلاطون أن أحوال أثينا لا تناسبه ، بعد اعدام معلمه سقراط ، فانصرف عن السياسة ، ترفعا وضنا بنفسه ، وأنشأ الاكاديمية ، نواة أول جامعة في التاريخ ، وراح يكتب ويعلّم .

ثم لاننسى أن فريقا من الكتاب والشعراء ، في عصور مختلفة ومن حضارات شتى وجدوا في الكتابة طريقة للتغلب على الموت بالأثر الباقي ، ونوعا من الخلود .

وفي المثل اللاتيني القديم « الكلمة المكتوبة تبقى وتدوم » وقد تردد هذا المعنى في الشعر العربي بصيغ مختلفة ، مثل قول أحدهم :

وقافية مثل حدّ السنان
تبقى ، ويذهب من قالها

لكن المتنبي تخطاهم جميعا على عادته :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وأخيرا ، أليس في الكلمات المكتوبة تحملها الصحف ، وفي الكلمات المسجلة المحكية تحملها موجات الأثير ، صفة مثل النسيم العليل وريح الصبا الذى كان يُحمل التحيات والأشواق عبر المسافات والحدود ، ليبلّغ أهل الحي أن المحب « هنا » وأنه مازال « على العهد . »

ان الذى كان يحدّث بحق : « اوتيت جدلا » « وأعطيت جوامع الكلم » ، هو الذى استطاع في خطبة الوداع أن يرسل الكلمات الهائلة المدوية في التاريخ : « ألا هل بلّغت ؟
... اللهّم فاشهد » . □



منتدى العربي
تعقيبات

قسطنطين الافريقي ١٠٢٠ ـ ١٠٨٧م

قرأت مقال : « ساليرنو ... جسر عبرته المعارف الطبية الاسلامية الى أوروبا » بقلم الدكتور حسن فريد أبو غزالة في العدد ٣١٩ من « العربي » لشهر حزيران ١٩٨٥ (ص ١١٩ـ١٢١)

وقد استغربت كيف أن الاستاذ الباحث لم يف قسطنطين الافريقي حقه في تأسيس مدرسة ساليرنو الطبية ، مع أنه كان العمدة في تأسيسها ، ولولاه لما كانت مدرسة طبية في ساليرنو ، واستغربت كذلك

من اضطراب وغموض النبذة التي أوردتها الموسوعة البريطانية عنه فلم يكن « مغامرا » بالمعنى الذي قصدته الموسوعة علماً بأن هناك بعض الاساتذة والباحثين في الجامعات البريطانية ممن يرفضون قبول « الموسوعة البريطانية » كمرجع في الدراسات العلمية وكتابة البحوث للدرجات الاكاديمية، وربما كان السبب هو عثورهم على امثال هذه المغالطات في ثناياها !.

لقد كان قسطنطين رجلا عربيا من تونس ، اشتغل بالتجارة ، وقيل انه كان في الأصل مسلما ، فاعتنق المسيحية ، وتسمى بقسطنطين الافريقي ، ولم نعثر على اسمه الحقيقي يوم كان مسلما ، وربما كان « عبد الله » أو « عطاء الله » على ما ورد في بعض الروايات ، وكلا الاسمين شائع في الشمال الافريقي ، وانخرط قسطنطين في سلك الرهبان البندكتيين .

واعتكف في ديرهم في « مونتي كاسينو » وبقي هذا الدير الى الحرب العالمية الثانية ، حيث هدمته قنابل الألمان ، أثناء المعارك التي جرت في المنطقة ، مع ذلك فأنا أشك في أنه مرتد عن الاسلام ، كما يحلو للمستشرقين أن يزعموا ، بل انه في الأصل من مسيحيي العراق المهاجرين الى الشمال الافريقي ، وجرفه تيار التجارة الى جنوب ايطاليا ، ولكنه استبدل باسمه العربي اسما افرنجيا لترويج أعماله في الغرب ، على نحو ما يفعل بعض العرب الذين هاجروا الى الولايات المتحدة فتأمركوا « وتأمركت » معهم أسماؤهم العربية ، وعندما استبدل قسطنطين باسمه العربي اسما لاتينيا ذهب الوهم بالباحثين الغربيين الى أنه كان مسلما فتنصر !.

ولما وجد قسطنطين أن الاوروبيين متخلفون طبيا ، عاد الى الشرق العربي فدرس الطب لسنوات في بغداد وحلب وجمع العديد من المخطوطات الطبية ، وقفل راجعا الى ساليرنو ، وفي طريقه اليها هبت أعاصير أتلفت العديد من كنوز المخطوطات التي جمعها ، مع ذلك فإن ما تبقى منها كان كافيا لايجاد نهضة طبية في جنوبي ايطاليا ، وبالتالي في اوروبا برمتها ، وقيل انه ترجم ٦٧ كتابا الى اللاتينية التي كان يتقنها ، بالاضافة الى اليونانية ، وقد نسب اليه الكثير مما ترجمه من مؤلفات ابن سينا والرازي خاصة ، وقد عاش فترة في صقلية ، وتقول بعض الروايات أنه من مواليد قرطاجنة بتونس ، وهو ما نستبعده ، ونرجح كونه من مسيحيي المشرق أصلا ، وربما مولدا أيضا ، وان كانت ثمة روايات مضادة كما سنذكر فيما بعد .

ولعل ما وقع فيه الدكتور أبو غزالة من استصغار شأنه بعض الشيء يرجع الى المستشرقة زيغفرد هونكة ، التي جعلته رابع أربعة في تأسيس المدرسة الطبية بساليرنو ، مع أنه كان شيخهم ومرشدهم جميعا .

وكان بودي لو أن الاستاذ الباحث ذكر الاسم الكامل لمؤلف كتاب « كامل الصناعة » الذي ترجمه قسطنطين الافريقي ، وهو علي بن العباس وليس مجرد « المجوسي » مما يوحي للقارىء انه لم يكن مسلما ، وقد اعطى الاستاذ أبو غزالة ـ سامحه الله ـ روجرز الساليرنى أهمية أكبر من قسطنطين في المرتبة ، من حيث الاطلاع وتدريس الموضوعات السريرية .

وقد أشار المستشرق العلامة ادوارد براون بذكر قسطنطين الافريقي في كتابه الشهير « الطب العربي » .

(المطبوع بكمبرج سنة ١٩٢١) فقال في الصفحة ٦٨ ما يلي :

« عندما كان ابن سينا في ذروة شبابه ولد في شمالي افريقيا وربما في تونس ، رجل لا نعرف الا القليل من تاريخ حياته ، ولكنه قيض له أن يصبح مشهورا باسم قسطنطين الافريقي ، كأول من عرَّف أوروبا الغربية على علوم العرب عن طريق اللغة اللاتينية ، وقد التحق بمدرسة طب ساليرنو الشهيرة ، وتوفي في مونتي كاسينو بعد حياة حافلة بالفعالية العلمية ، وذلك حوالى سنة ١٠٨٧ ، قبل ظهور المترجم جيراردو كريمونا بقرن كامل بالضبط ، والى هذين الاثنين والى الطبيب فرج بن سالم الذي أكمل ترجمة (الحاوي) للرازي سنة ١٢٧٩ ، تدين أوروبا في القرون الوسطى بصورة خاصة بمعلوماتها عن الطب العربي » .

وباعتقادي أنه بقدر ما يمكننا أن نقول ان الحضارة العربية مدينة لترجمة حنين بن اسحق للطب اليوناني الى العربية فإن الحضارة الأوروبية مدينة لترجمة قسطنطين الافريقي للطب العربي الى اللاتينية .

وقد أشار اليه الدكتور عبد اللطيف البدري في

كتابه القيم « الطب عند العرب بما يلي :

وقيل ان تاجرا من قرطاجنة موهوبا في الطب وفق لتوثيق اتصاله بأمير ساليرنو ، أكمل دراسته في الطب في وطنه ، وجمع كتبا كثيرة تتعلق بفنه » . . . . ولا ندرى بالضبط ما يقصده الدكتور البدرى بلفظة - « وطنه » .

هل يقصد « قرطاجنة » التي قيل أنه ولد فيها ، أو بغداد التي (على الأرجح) هاجر أبوه منها ، لأن قرطاجنة يومذاك لم تكن مشهورة بالطب قدر بغداد وحلب اللتين درس فيهما قسطنطين ، ولعله يقصد بالكتب الكثيرة تلك المخطوطات التي ابتاعها من بغداد وحلب ويستأنف البدرى كلامه ليقول :

« ثم أبحر الى جنوب ايطاليا آخذا معه الشحنة النفيسة من المخطوطات ، الا ان عاصفة هوجاء صادفته في البحر فأغرقت قسما من كنوزه الأدبية ، فلما قدم الى ساليرنو اعتكف في الدير البندكتي في مدينة مونتي كاسينو ، وسمى نفسه قسطنطين ، وانهمك في ترجمة ما تبقى معه من العربية الى اللاتينية وقدمه للأمير . ولا شك في أن عمل هذا التاجر كان نواة لمدرسة ساليرنو الطبية ، التي اتجهت فجأة الى دراسة الطب العربي ، فحصلت بسببه على شهرة أكبر من ذى قبل ، ودفعت جميع مدارس الطب الأخرى الى التجديد » .

لم تكن مدرسة ساليرنو الطبية موجودة في اعتقادنا قبل قدوم قسطنطين الى ايطاليا ، فهو الذى وضع أسسها ، وأنشأها من العدم ، لذلك بدأت بداية عربية ، ولم تتجه فجأة الى دراسة الطب العربي ، ونستبعد جدا وجود مدارس طب أخرى يومذاك في أوروبا لتندفع معها الى التجديد ، بل نشأت بعدها وعلى غرارها .

ويستأنف الدكتور البدرى بحثه القيم فيقول /

« لقد ذكر أن قسطنطين ترجم قسما » كبيرا من (الكتاب الملكى) لعلى بن العباس ، وكتاب (المسافرين) لابن الجزار ، وكتاب (طب العيون) لحنين بن اسحق ، وكثيرا من كتب اسحق في (البول) و (الحُمّيات) والحِمْيَة و (الادوية المفردة) ، كما ترجم من العربية كتبا ذات أصل يونانى ، مثل تقدم المعرفة والصناعة الكبيرة والاثارة ، وذكر بطرس دياكونس ٢٤ كتابا طبيا آخر من ترجمة قسطنطين .

وقد أثر قسطنطين في أحد تلامذته (يونس الفاسى) وهو من أصل عربي أيضا ، فساعده في ترجمة (الكتاب الملكى) وفي يوحنا بلاتوريوس الأصغر ، فصنف كتابي (الصناعة الصغيرة) و (تدبير البول) .

ومن تأثير العرب في مدرسة ساليرنو الطبية اعتماد كتاب (العرض التشريحى للحيوان) وكتاب (التشريح) وهما من ترجمة قسطنطين أيضا .

لقد مضينا في ذكر رأينا ورأى الآخرين في قسطنطين الافريقى ، مع ابداء بعض الملاحظات والتعليقات ، وما ذلك الا لقرب حلول ذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاته ، وذلك في سنة ١٩٨٧ ، ويعود الفضل في ذلك الى الدكتور حسن فريد أبو غزالة ، الذى حفزنا بمقاله القيم على التعليق والنقاش . □

الدكتور صفاء خلوصى

العجلة أم الندامة

قال بعض الحكماء : اياك والعجلة ، فان العرب كانت تكنيها أمّ الندامة ، لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد الاصحب الندامة واعتزل السلامة

قصة قصيرة



فرح أخير

للكاتب الليتواني*: جيوزاس بالتوسيس

ترجمة: المحامي سهيل أيوب

كانت قد بلغت من الكبر عتياً، واستوت هنالك جالسة على مقعد مريح بسطت يديها فوق مسنديه، واستفسرت في عذوبة:

- ماذا يمكن أن أفعل من أجلك؟

أخبرتها أني أصبت بمرض عضال منذ زمن مديد، وأني عرفت أن هنالك في الحقيقة أملاً ضعيفاً في نجاتي، وأني سمعت عنها الكثير الكثير، هي التي مارست الطب على مدى ستين عاماً، وأني وددت استشارتها.

قالت:

- كففتُ عن ممارسة الطب. انقطعتُ عن ذلك من طويل زمن. أنا اليوم متقاعدة. أفما عرفتَ ذلك؟

- بلى. عرفتُ، أيتها الطبيبة. ولكنني لا أرغب في الموت، لا أرغب فيه وأنا عارف أن هنالك من يمكن أن يمدَّ لي يد العون.

افترت شفتاها عن بسمة. واسترسلت، وقد غلب على صوتها الوقار:

- ثمة وفرة من الأطباء هذه الأيام. وثمة عدد كبير من العيادات والمستشفيات والمستوصفات. ولكنك

* ليتوانيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي تقع على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة فيلنوس.

جئت لرؤيتي أنا . لماذا ؟

جهلتُ ما أقول ، وكيف أشرح لها الأمور . وجنحتْ ، هي الأخرى ، الى الصمت ، ويداها على مسندي مقعدها . كانت لها جبهة بارزة شامخة ، وشعر أبيض كالثلج ، وعينان زرقاوان صافيتان لم تمسسهما الشيخوخة ، وهي أشياء أُضيفت الى وقار مظهرها . ليس ثمة غطرسة بل وقار . أرغمت نفسي في جهد على النهوض ، وانعطفت ناحية الباب .

نبرت :

ـ حسبك من تعجل . قل لي ماذا كان تشخيص الداء .

ـ ذبحة صدرية حادة .

ـ حادة ؟

ـ نعم ، أيتها الطبيبة .

أهنفت ضاحكة :

ـ يشدهني عدد الناس المتضلعين في أمور الطب هذه الأيام . هلاّ ناولتني عصاي ، رجاءً .

كانت العصا في زاوية الغرفة ، ثخينة كثيرة العقد مصنوعة من خشب التفاح . اتكأت عليها متثاقلة ورمتني بنظراتها .

ـ تفضل بخلع قميصك .

راحت تدور حواليَّ ، مستندة على عصاها ، قارعة بها الأرض مع كل خطوة من خطواتها . أصغت الى قلبي ، ورئتي ، ونقرت على صدري وظهري ، وجسّت نبضي ، وجعلتني أقف ، وأجلس ، وأستلقي ، وأنهض من جديد ، وأشدُّ من قامتي ، وأسترخي .

ـ في مقدورك ارتداء قميصك الآن .

اختفت في غرفة مجاورة وهي تضرب الأرض بعصاها ، وغسلت يديها ونقلت بعض الأواني الفخارية هنا وهنالك . وقفلت عائدة متشحة بالغموض مثلها قبلاً .

قلت ، وأنا أحاول التظاهر باللامبالاة :

ـ أيتها الطبيبة . . . لن أموت ، أليس كذلك ؟

ـ بلى ، ستموت .

ـ أأموت ؟

ـ نعم .

كنت أعرف أنني لو كنت في برهة أخرى فقد أصاب بنوبة ، نوبة أخرى من تلك النوبات الرهيبة التي لا تطاق ، والتي تحملني الى شفير الموت . وشعرت في الوقت ذاته بغضب متفاقم ضد هذه المرأة . أفلم تكن تعرف ، وهي الطبيبة الخبيرة ، أن



المريض يرغب في كتم الحقيقة المريرة عنه ؟ ما أهمية أن أكون مصاباً بمرض عضال ميؤوس منه ، والموت نفسه يشحذ منجله وراء ظهري ؟ وأنت ، أيتها الطبيبة ، ينبغي على الدوام أن تقولي انني سرعان ما تتحسن حالي من جديد ، وان عمري سيكون مديداً . وبعد هذا كله ، فيا أسهل أن تموت وأنت مؤمن الايمان كله الى آخر لحظة أنك ستبقى على قيد الحياة . أفلا تعرف هي هذا ؟

أعادت القول ، وكأنما خمّنت مـا يطوف في خلدي :

ـ بل ، لسوف تموت .

ـ لكن ، أيتها الطبيبة . . .

ـ جميعنا صائرون الى الموت .

رجعت الى مقعدها ، ومدت يديها على مسنديه مرة أخرى :

ـ ليس هنالك من يموت بدلاً منك ، أو بدلاً مني .

لجأت الى الصمت برهة ، ثم أضافت :

ـ اذهب الآن وارجع اليَّ بعد أسبوع . أحتاج الى وقت للتفكير .

ـ للتفكير ؟

ـ نعم . فالأطباء يفكرون أحياناً . والمرء يحتاج الى زمن يفكر فيه . لا تنس أن تحضر معك جميع التحاليل وتخطيط القلب . أريد أن ألقي عليها نظرة . الأطباء لا يفكرون وحسب . أحياناً هم يلقون النظر أيضاً .

ـ لكن ، أيتها الطبيبة ، أفلا تؤمنين بأطبائي الآخرين ؟

ـ أمؤمن أنت بهم ؟

وابتسمت ، وهي تشاهد ارتباكي .

ـ كل ما أعرف هو أنني لا أعرف شيئاً ، كما قال ذات مرة سقراط أو حكيم آخر . يجب أن ألقي نظرة بنفسي . فالطبيب انسان أيضاً . وهو بدوره ، يمكن أن يرتكب الأخطاء .

على هذا الغرار تعارفنا . بعيد أسبوع درست جميع وصفاتي الطبية دراسة متمعنة ، وقرأت جميع نتائج الاختبارات مرات عديدة ، وفي النهاية كوّمتها بعضها فوق بعض ، وأبانت :

ـ تستطيع أخذها الى بيتك وغسلها بالأسلوب الذي يطيب لك .

ـ لكن ، يا دكتورة . . .

أعلنت ، وهي ترفع اصبعها :

ـ تمهل لحظة . لنوضحنَّ بجلاء شيئاً واحداً منذ البداية . ففي ممارستنا الطبية نجد على الدوام مثلثاً : المريض ، ومرضه ، والطبيب . اذا وحّد المريض والطبيب قواهما يتغلبان على المرض . أما حين يعارض المريض الطبيب وينحاز الى جانب مرضه ، فلسوف يبقى الطبيب وحيداً . وعندها تذهب موهبته كلها هباء . وما أطلب معرفته هو في جانب من تقف أنت . في جانبي ، أم في جانب مرضك ؟

ـ يا له من سؤال ! تكلمي وحسب ، سأفعل كل ما تبغين مني .

ـ رائع ـ لنتناولنَّ جرعة اذن .

ـ جرعة ؟

وذهبت بي الأفكار مذاهب شتى .

ـ هذا أول شرط من شروطي قبل أن نشرع في علاجنا .

لم أستطع أن أصدق أذنيَّ .

كان هنالك مجموعة من اثنتي عشرة درجة توصل الى شقتها في الطبقة الثانية من بناء خشبي من طابقين ، وكان عليَّ أن أتوقف أربع مرات خلال صعودي ألتمس أنفاسي اللاهثة ، وقد هدني الضنى ، وجعلت دوائر سود تسبح أمام عينيَّ .

ـ أتريدينني أن أموت ، أيتها الطبيبة ؟

ـ أبداً لا أحبّ سماع مثل هذا الحديث .

نهضت ، وضربت الأرض بعصاها ، ودلفت الى الحجرة الأخرى . وسرعان مـا انثنت عائدة تحمل قدحين طويلين من البلور الصافي ، ثم جاءت بزجاجة من الخمرة وقليل من البسكوت في طبق . صبت السائل المخرخر في القدحين ، ورفعت أحدهما ، وقالت :

ـ والآن ، لنقرعنَّ قدحينا ونشرب .

ـ أيتها الطبيبة ، أواثقة أنت أن ما نفعل هو عين الصواب ؟ لا بدّ أن أقع مغشياً عليَّ كلما نهلت جرعة .

ـ اشرب ما في قدحك .

بدا أن قرقعة قدحينا تتدلى معلقة في الهواء . وألقيت الى حافة القدح فمي .

من دون ريب بقيت حياً ! انتشر في جسدي دفء

لذيذ ، وما أسرع أن طافت في ذهني مرة يوم كنت لا أبرح في أحسن حال ، حين ألفت قضاء أيام العطلة مع أصدقائي ، أشرب نخب المستقبل ، نخب حياة طويلة ، رائعة ، عامرة بالفرح والمغامرة . وشعرت عندها ، على حين غرة ، أن هاتيك الأيام لم ترحل بعيداً أو يمكن تعويضها .

ـ أيتها الطبيبة ، ساحرة أنت !

ـ والان ينبغى أن تعشق !

ـ ماذا ؟

ـ هذا هو ثاني شرط من شروطي قبل أن تبدأ علاجنا .

تحدثت في هدوء ، وشككت أن بسمة طفيفة ارتسمت على شفتيها ، لكنها لم تكن تمزح . كانت عيناها الصافيتان تنظران اليّ باستقامة . ولم تكن هيئتها تنطق بما يثير الريبة في كلماتها .

ـ لكنني ، أيتها الطبيبة ، لكنني رجل متزوج .

ـ لا علاقة لزواجك بالموضوع . هذا ما كان ينبغي أن يكون . لكنه ينبغي أن تعشق من جديد .

واسترسلت قائلاً :

ـ ولديَّ أطفال ، أيتها الطبيبة . ثلاثة أطفال .

ـ هذه أول مرة أسمع فيها أن الأطفال يكونون حجر عثرة في طريق سقوط المرء في الحب .

فقدت كل قدرة على الكلام . فهذه المرأة لا تشبه في شيء أي طبيب عرفت . أو أي انسان آخر . ووسائلها في العلاج لم تكن أبداً غير قويمة .

ـ وفضلاً عن ذلك ، فإن قلبي ضعيف . ولا يفترض فيّ أن أُثار عاطفياً . لا يحقّ لي ذلك .

ـ ليس قلبك ما يوجعك .

ـ ليس قلبي ؟ ولكنني مصاب بذبحة صدرية .

طافت على شفتيها بسمة .

ـ يشدهنى عدد الناس المتضلعين في الطب هذه الأيام !

لم أستطع الامتناع عن الابتسام لسماعي هذه الكلمات .

ـ لنكن صريحين ، يا دكتورة .

فقالت :

ـ هذا هو السبيل الوحيد الذي يتيح لنا متابعة العمل .

ـ لنفترض أني اتبعت نصيحتك وعشقت .

ـ أجل ، افعل هذا .

ـ لكن من هي الفتاة التي يمكن أن تعشقني ؟ قطّ لم أكن وسيم الطلعة ، وهذا أنا الآن مريض وهزيل العود . وقد تخطيت سن الشباب وتجاوزت الخمسين كما تعرفين .

ـ لا أفهم بالضبط أي فتاة تقصد ؟

ـ حسناً ، لنقل اني عثرت على . . . . لنقل أني عملت بنصيحتك وعثرت على من تستهويني . لكن ، ماذا بشأنها ؟ أيمكن أن تحبني هي أيضاً ؟

ـ لكنني لم أشر الى فتاة معينة .

ـ لم تفعلي ذلك ؟

ـ تحدثت عن الحب وحسب . يجب أن تعشق .

ـ ومن اعشق ؟

ـ تلك هي مشكلتك .

ـ أوه !

ـ ولا يحتاج عشقك أن يجد من يبادله وداً بودّ . يا للطريقة الجشعة في النظر الى الأمور : أعطيك شيئاً ، ويجب أن تعطيني شيئاً لقاءه . أنت من ينبغي أن يعشق . وهذا كاف .

وهكذا بدأ علاجها طريقه . كان مذهلاً لا يصدق . وكلما تقدمنا فيه ازدادت الوصفات اذهالاً . أدّبت الفوضى في أسلوب حياتي ، وعاداتي ، وجدول أعمالي . وألقت من النافذة بنظام حميتي .

ـ كُلْ ما تشتهي وتستطيب ، وبقدر ما يروق لك أن تأكل .

قالت انه يجب أن أكون حيوياً قدر المستطاع ، وأن أعمَلْ قدر ما أشعر أن العمل في طوقي . طبيعي أنه وجب عليّ أن ألجأ الى الراحة بين حين وحين ، وأن أقوم بجميع التمرينات في الهواء الطلق . يجب أن أستنشق هواء نقياً على مدى ست ساعات في كل يوم . وأن أنام والنوافذ مفتوحة .

ـ ولكن النوافذ تقفل في الشتاء .

ـ اذن افتحها . هل تقوم بالألعاب الجمبازية في الصباح ؟

ـ لا يمكن أن تكوني جادة ؟

ـ سيكون لدينا متسع من الوقت للمزاح فيما بعد ، وفي هذه الأثناء ينبغي أن تقوم بالتمرينات كل صباح . تبدأ بخمس دقائق وتزيدها تدريجياً الى عشر . وسأخبرك بالتمرينات التي تقوم بها .

ـ لكن ، يـا دكتورة ، لا يفتـرضنّ فيّ ان ارفـع ذراعيّ أعلى من كتفيّ .

ـ هذا صحيح تماماً . يجب أن ترفعها أعـلى من ذلك . ستشرع في ذلك بإشرافي . وتتابـع ذلك في مستوصف العلاج الجسدي في فيلينوس . واثقة أنا أنك سمعت به .

تحـدثت في صوت لا يمكن الاعتـراض عليـه أو الارتياب فيه . لم تعطني أي وصفات ، ولكنها دأبت عـلى زيـادة جـرعـات الأدويـة التي وصفهـا أطبـاء آخرون . قالت :

ـ الجسـد البشري يعرف كيف يدافع عن نفسه ضد المرض . لكن الجسـد يجب أن يُمَدّ بالعون . ان يمدّ بالعون ، لا أن يصعق بجرعات صاعقة من الأدوية ، على ما يبدو أن بعض الأطباء يرونه ضرورياً . فهم يعالجون أحد الاعضاء ويدمرون دستة أخرى !

ـ لكن هذا ما يقوله « المداوون المثليون » ، أليس كذلك ؟

فقاطعتني قائلة :

ـ وهكذا فإن أفواجاً كبيرة من الناس متضلعون في الـطب هـذه الأيـام ! لا تتعجـل انتقـاد « المـداواة المثلية » . فثمة شيء جيد في هذا العلم القديم .

ـ أنا آسف .

ـ على المرء أن يلتمس أعذاراً لمرضاه .

كانت ، في كل مرة أزورها ، تعمد الى فحصي فحصـاً شـامـلاً ، وتتمشى حواليّ ، قـارعة الأرض بعصاها . وتبادرني عند الفراق :

ـ ارجع في غضون أسبوع .

رجعت . وفي كـل مرة كنت أجـد تلك العجوز الوحيدة الشـائبة جـالسة في هـدوء على مقعـدها ، ويداها على مسنديه . كانت الغرفة بسيطة الأثاث . وثمة رفوف ملأى بالكتب على الجدران ، ومنضـدة وطـاولـة للقهـوة تنـوءان بصحف ومجـلات محلية وأجنبيـة . فهي تجيد عـدة لغـات ، مثـل كثـير من الأطباء ، كما أنها قارئة نشيطة ، متأهبة لمناقشة الكتب التي قرأت . وفي العشية تصغي الى المذياع أو تشاهد التلفاز ، وقد حملت في يدها ليثاً يابانياً من العاج . كان مخلوقاً غريب الطلعة : صغير الحجم ، له طلعة حيوان ضخم مرعب ، وأنيابه الحادة تبرز من فمـه المفتوح ، في حين انقذف ذيله الى الوراء .

سألتني مرة ، وقد رأتني أطيل النظر اليه :

ـ أيضايقك هذا الليث ؟

أجبت في شيء من ارتباك :

ـ أبداً ، على الاطلاق !

ـ يسرني أنه لا يضايقك .

وأضافت بعد برهة من صمت :

ـ انه ليث ثمين ثمين .

ران عليهـا الصمت مرة أخـرى ، ومـا لبثت أن أعلنت في شيء من غضب مكتوم :

ـ ما أقل ما يستوعب ذهنك !

ثم باغتني سؤالها :

ـ هل عثرت على فتاة ؟

ـ فتاة ؟ لكن ، يا دكتورة ، أنت لم تقولي . . .

ـ قلت ينبغي أن تعشق .

وأضافت في حدة :

ـ ان لم تستطع العثور على امرأة مناسبة ، فاعثر على فتاة في مقتبل العمر .

وأضاءت وجهها ابتسامة بعد هنيهات :

ـ ينبغي أن أستسلم لمرضاي بين فترة وأخرى .

وهكذا انقضى شهر كـامل ، وأعقبـه أسبوعـان آخران . وذات يوم حملقت في عيني بعد أن فحصتني فحصاً شاملاً دون أن تنبس بحرف ، فـرأيت ذقنها يرتجف ارتجافة خفيفة ، ودمعة تتجمع في أهدابها .

قالت بلطيف نغمة :

ـ ثمة تبدل نحو الأفضل .

كنت أحسست بذلك . انه تبدل طفيف ، ولكنه موجود . ففي مكـان مـا من أعماقي ، ولعله في لا وعي ، ثمة شيء جديد يتحرك ويشرع في التطور ، شيء غير عادي يصعب وضعه في كلمات . كان أشبه بفرح سري ، أشبه بهاجس من سعادة مقبلة . وهبّت في داخلي رغبة في الحـركة ، في العـمل ، رغبة قوية في الاختلاط بالناس ومخاطبتهم من جديد .

نهضت ، وضربت عصاها الأرض ضربة قوية ، وأطالت التحديق في عينيّ من جديد . نبرت :

ـ ارجع في غضون أسبوع .

ورجعت . مكثت على هذه الحال أسابيع طويلة . كنت أصعد كل مرة الدرج الخشبي أسرع مني قبلاً . وبدا أن دماً جديداً يتدفق في شراييني ، وأن قلبي

ينبض بصورة منتظمة ، وأن عيني ازدادتا إشراقاً ولمعانا .

ـ أيتها الطبيبة ، أنا في أحسن حال تقريباً !

ـ ارجع بعد أسبوع .

ـ ولكنني أتحسن ، أيتها الطبيبة . ألا تفهمين ، اني أتحسن !

ـ وهكذا فإن أفواجاً كثيرة من الناس متضلعون في أمور الطب هذه الأيام .

ومهما يكن الأمر ، فقد أشرق أخيراً اليوم الذى بدت فيه ، بدورها على شيء من شجاعة . قالت :

ـ لنشربنّ قدحاً من القهوة .

ـ بكل سرور . لكن ، هل يفترض فيّ تناول القهوة ؟ انها تسيء الى قلبي .

ـ أوه ، أهي كذلك ؟ قط . . لم ألحظ هذا الأمر . كنت أشربها طوال حياتي ، غير أنني لم ألحظ هذا الأمر قبلاً .

وما أسرع أن وُضع قدحان من القهوة على المنضدة ، صبت لي قدحاً وصبت لنفسها قدحاً . لحظت أنها ترتدي بلوزه بيضاء لم يسبق أن ارتدتها ، وأن شعرها الأبيض جُمّ بصورة مختلفة أمسك به جميعاً مشط منحوت . صبت القهوة في قدحينا وأمالت وجنتها على يدها وابتسمت لي ابتسامة فاتنة يصعب على المرء أن يصدق معها أن ههنا امرأة ذرفت على الثمانين،ودعت منذ زمن طويل جميع أصدقائها الى قبورهم ، وأنها تعرف أن اليوم الذى سترحل فيه الى الأبد عن هذا العالم لم يعد بعيداً . وبدا أن ما ينشر النور في كل مكان ليس قميصها الأبيض وابتسامتها وحدهما ، بل عيناها الزرقاوان الصافيتان ، وجسدها بأسره صارا منبعاً للضوء . بدت فتية الطلعة ، جميلة السيماء ، خجولاً كصبية في ريعان الشباب .

ـ ارجعْ بعد أسبوع . لا تنسني .

مرت سنة كاملة . نسيت تماماً أني اضطررت مرة للتوقف والتقاط أنفاسي على درجها الخشبي . لقد ذهب قلق الماضي الرهيب حيث كل نوبة تصيبني بالذعر ، وتعرُّفني أنه ليس أمامي من مفر ، وأن الموت يتربص بي في كل مكان ، وأنني أحمله في داخلي . وهذا كله بسبب من هذه المرأة ، هذه المرأة الغريبة الوحيدة الغامضة .

قالت مبتسمة :

ـ هذا ليس صحيحاً . أنت نفسك رغبت في الحياة . هذا هو الجواب .

ـ أفلا يرغب كل انسان في الحياة .

ـ لا .

ـ أنا لم ألتق ، مرة واحدة من لم يرغب في الحياة .

ـ وأنا التقيت . وأعداداً كبيرة أيضاً .

مرت سحابة على وجهها . أراحت خدها على يدها وغرقت في لجة من الصمت .

استرسلت تقول مستغرقة في التفكير ، وكأنها تخاطب نفسها :

ـ ما ان يشبوا عن الطوق حتى يعجلوا بتقصير حياتهم .

ـ من يفعل ذلك ؟

قالت في أسى :

ـ الناس . يدخنون ويشربون أكثر من المألوف ، ويعملون في الليل ، وينامون في النهار ، ويأكلون بسرعة ، ولا يبالون بما يأكلون ، يكفيهم أنه مجرد طعام . وينتحرون جميعاً !

ـ لكن . . .

قالت ، باترة حديثي ، وفي صوتها رنة الغضب :

ـ وأنت واحد منهم . بل أنت أسوأ واحد فيهم .





أنت رفضت أن تعيش .

ـ هذا ليس صحيحاً .

ـ عد بفكرك الى الماضي . يوم جئت اليَّ للمرة الأولى كنت هزيلاً مرعوباً ، وأسوأ من هذا كله لم يكن قد تبقى لديك شيء من الحب لأقرانك البشر ، بل لنفسك . وكان من الجلي أنك ـ إنْ لم تتبدل ـ صائر الى الموت ، وفي خلال فترة قصيرة من الزمن .

أتعبها حديثنا ، فجلست في صمت زمناً طويلاً ، وذراعاها ، مثلها أبداً ، يرتاحان على المقعد . وأخيراً أضافت في نبرة رقيقة :

ـ الموت يفتش دائماً عن أمثال هؤلاء الناس ، يفتش عن أولئك الذين فقدوا الرغبة في الحياة . هذا هو الوقود الذي يدفعه الى التحرك .

وأضافت في شبه توسل لا في صوت آمر على مألوف عادتها :

ـ زرني بين حين وحين . مرتين في الأسبوع ان أتيح لك ذلك .

ـ أفعل هذا بكل سرور . ولكنني كنت أشعر بالتحسن فخطر لي أنه لم تبق هنالك حاجة لإضاعة مزيد من أوقاتك .

ـ أنت لاتضيع أوقاتي . طبيعي اذا تعذر ذلك عليك ، فلا ضرورة له .

ورمتني بأنظارها .

نهضت من بعد ، وهبطت عصاها على الأرض بضربة قوية .

في كل مرة كنت أزورها أجد غلاية القهوة تغلي برفق تحت غطاء كثيف من القماش . وأجد هنالك طبقاً صغيراً من البسكوت وطبقاً آخر من الفواكه . وأجدها جالسة الى المنضدة وقد ارتدت أبهى ثيابها ، وارتسم الخجل في سيماها . لم تكن تنظر اليَّ مباشرة ، بل تشرع في صب القهوة . وكنا نتبادل الحديث . فقد كان ثمة أمور كثيرة نتحدث عنها . وكائناً ما كان موضوع الحديث فهي تعلن عن وجهات نظرها بخصوصه بصورة مقنعة . وكان هنالك موضوع واحد لم تتطرق اليه على الاطلاق . حياتها الخاصة ، ماضيها . كانت تدعى ناتاليا تولفايشين . وناتاليا اسم روسي . وسألتها مرة :

ـ أروسية أنت ؟

ـ وهل لهذا أهميته ؟

وحين لمحت ارتباكي ، أضافت :

ـ اشرب قليلاً من القهوة . والبسكوت لذيذ . سأنتظرك يوم الثلاثاء أيضاً . هل تجيء ؟

كان العثور على وقت أزورها فيه يزداد صعوبة بالنسبة اليّ . لقد اشتد عودي الآن ، انقطعت عن أسلوبي القديم نصف المعتل في العمل ، ووجدت أشياء كثيرة ينبغي انجازها في هذه الأيام ، أشياء كثيرة لها أهميتها . ودخل حياتي أشخاص جدد وعاود أصدقاء قدامى ظهورهم . واضمحلت حاجتي لزيارة الطبيب تدريجياً وبصورة ملحة . وتأكدت مرة أخرى والخجل يغمرني أن أول ما يخطر على بال المريض المتعافي الدَّين المترتب بذمته تجاه الطبيب الذى أبلّه من مرضه . ولكنها تترقب زورتي . في صمت ، وفي صبر . وهي على الدوام ترتدى أبهى لبوسها ، وتجلس الى جانب غلاية القهوة وطبقي البسكوت والفواكه .

قالت مرة بعد أن تغيبت عنها زمناً طويلاً :

ـ نسيت عني كل شيء . وقد بردت القهوة الآن مرة أخرى .

لم نستطع تبادل الحديث في ذلك النهار . ومر أسبوع ، وأسبوع آخر ، وأسبوع ثالث ، دون أن يتاح لي الوقت لزيارة تلك المرأة ، التي أنارت لي طريق العودة الى الحياة مجدداً .

في النهاية حلّ الربيع . وتغطت أشجار الزيزفون كلها في فيلنوس بأوراق خضر لطيفة . وتغطت الحدائق والساحات بضباب رقيق أخضر . وراح الحمام يهدل في الساحة المركزية ، وبدت السماء سامقة سامقة فوق المدينة . وبدت النسوة جميعاً جميلات في ثيابهن الربيعية . وكان الربيع يتخطر عبر الشوارع والساحات ، يمسح كل ما كان موحشاً وكئيباً ، وينادي طالباً ضحكات الأطفال وابتسامات الشيوخ ، موقظاً في فؤاد كل انسان موجات من الفرح .

في مثل ذلك النهار طرقت بابي امرأة غريبة . وقفت في منتصف الغرفة ، وأسامت نظرها اليّ مربدة الوجه ، وقالت :

ـ تطلب اليك ناتاليا تولفايشين أن تزورها ان استطعت .

يقع أحياناً أنك تلتقي شخصاً لم تقع عليه عيناك

زمنا طويلاً ، ويتأكد لديك على حين بغته أنك تنظر الى غـريب ، الى شخص لا يـربـطه أى ربـاط بـالشخص الـذى تعرفـه ، الشخص الـذى كـان صديقك ، الشخص الذى جئت لرؤ يته . وهذا ما جرى معي .

صعدت الدرج الخشبي فرأيت امرأة عجوزاً يحمل وجههـا ظلال المـوت السوداء . حملقت فيّ بعينيهـا المربدتين الجامدتين وهمست :

ـ شكراً .

غمغمتُ ، وقد هزني منظرها :

ـ أيتها الطبيبة ، أرجو أن تصفحي عني .

انعصرت أصابعها وكأنها تقول : لا ضرورة لأي تفسيرات .

تناولت صفحتين من الورق عن المنضدة . كانتا مغطاتين بـالكتابـة . وقالت ، وشفتـاها لا تكـادان تتحركان خلال حديثها :

ـ كتبتُ هنا كل شيء . ان وجدت نهزة من وقت فاقرأهما فتعرف ما ينبغي أن تفعل .

آه ، لا ، أيتها الطبيبة . لست في حاجة الى هذه التعليمات . سوف أجيء بصورة منتظمة لرؤ يتك واستشارتك .

غمغمت بهذه الكلمات مسرعاً خائفاً من النظر في عينيها الحزينتين اللتين لمحت فيهما ما ينذر بالسوء .

ـ لن تأتي مرة أخرى .

ـ لماذا ؟ لماذا لا آتي ؟

صمتت كمن يـطيـل التفكـيـر في شيء ، كمن يصغي الى هاتف داخلي ، واستوضحت في خجل :

ـ أتستطيع . . . أن تقبلني ؟

انحنيت وقبلت جبهتها ووجنتيها ويديها اللتين أغرقتاني حناناً ولطفاً .

قالت ، وقد أشرقت طلعتها على غير انتظار :

ـ اذهب الآن ، وشكـراً لك . شكـراً على كـل شيء .

ـ أتشكرينني ؟

ـ اذهب .

لم يكن المرء يقوى عـلى عصيان أمرها . حينما وصلت الى الوصيد شعرت أن عليّ أن أعود . كانت ناتاليا تولقايشين تنظر الي ، وحاولت بسمة طفيفة أن تشق لنفسهـا طريقـاً خـلال الـظل الأشهب المـنـذر بالوعيد المتربص على وجهها . صرخت :

ـ دكتورة !

ـ اذهب !

هبطت عن الدرج ، هذا الدرج ذاته الذى ما أكثر ما عانيت من الصعود عليه في المرة الأولى . وتوقفت فجأة ، وقد سيطر عليّ ضعف غريب ، وجهلت ما اذا كان عليّ الاستمرار في الهبوط أم العودة اليها .

دلف اليّ صوت واهن ضعيف من الأعلى :

ـ لا أستطيع سماع خطواتك . أريد أن أسمع خطوات رحيلك . اذهب .

فذهبتُ .

في ذلك النهار عينه ، النهار المشبع برائحة الكرز المزهر والنسـائم المنحدرة عن التـلال ، زارتني تلك المرأة الغريبة زورة أخرى . نظرت اليّ في جهمة مثلها قبلا ودون أن تنطق بحرف ، ثم ناولتني رزمة صغيرة وقالت :

ـ هذه لك .

فتحت الرزمة وأجفلت . كانت عبارة عن ليث . ذلك الليث الياباني العاجي النـاتيء الأنياب القـوى الذيل . وكانت معه رسالة بخط مألوف لديّ .

« أعطاني هذا الليث قبل ستين عاماً رجل شيخ . عجوز مثلي الآن . ناداني فرحه الأخير . وطلب اليّ أن أعطيه الى فرحي الأخير ، الشخص الذي ألتقيه عندما أبلغ العمر الذي بلغـه . ولديّ الآن سؤلـة أرتجيهـا . خـذ هـذا الليث ، وعش سعيـداً الى شيخـوخة مكتنـزة ، ومن بعـد أعـطه الى فـرحـك الأخير ، الى آخر شخص في حياتك يجعلك ترغب في الحياة ، والعمل ، والحب . وليرافقنا مثل هذا الفرح من جيل الى جيل مثلما ترافقنا الشمس ونسائم الربيع والأنهار والجبال » .

رفعت عيني . كانت المرأة الغريبة قد ذهبت . ولم يبق أمامي غير الليث ، ليث غريب ، هادىء ، قوي البأس .

وعندها عرفت أنى سأنفذ رغبة ناتاليا ، وأن في يوم من الأيام سأعطي الليث الى شخص آخر . لسوف يكون هنالك من أعطيه اياه ، ذلك أن الحياة لا تبرح مديدة أمامي ، بخيرها وشرها ، بسعادتها ومرارتها ، وبأحزانها .

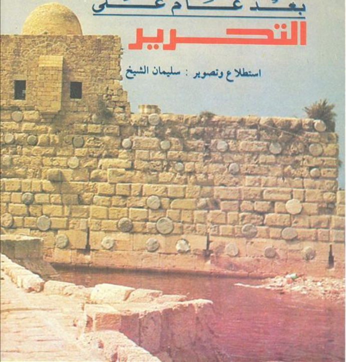
كل شيء لا يبرح مديداً أمامي . □

قصة
مدينة
ومخيم

صيدا..

بعد عام على التحرير

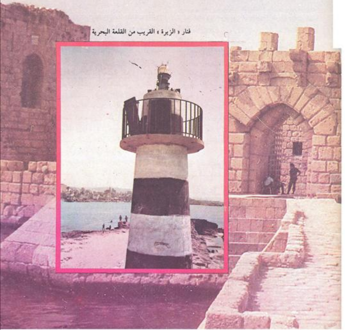
استطلاع وتصوير : سليمان الشيخ



فى السادس من شهر حزيران - يونية من سنة ١٩٨٢ .. غزت القوات الاسرائيلية لبنان ، وبعد ان خاض المقاومون معها معارك عديدة فانها استطاعت احتلال الجنوب اللبنانى ، الا ان المقاومة لم تستكن .. واخذت تطارد الاسرائيليين اينما حلوا ، الى أن اجبرتهم على الانسحاب من منطقة مدينة صيدا فى الشهر الثانى من سنة ١٩٨٥ .

فكيف عاش الناس تحت كابوس الاحتلال ؟

وكيف كانت المقاومة ؟



فنار «الزيرة» القريب من القلعة البحرية

« مايبقى فى الوادي الا حجارهُ »

أى لايبقى فى الأودية بعد السيل الا حجارتها .

هكذا اختزل الأمر ، وكثفه الكاتب الجزائري (الطاهر وطار) فى روايته الشهيرة « اللاز »

وهذا القول يفيد بأنه مهما تجبر المستعمر وظلم ومارس كل صنوف الارهاب ، فإنه سيجلو عن الأرض مهما طال الزمان ، وانها ستبقى لأبنائها .. وحجارتها ومداميك بنيانها وأديم أرضها . وان سيله مهما تعاظم وخرب ودمر ، فإنه سيمضى ويزول بعكس حجارة الوادى التى تبقى وتستمر !

تذكرت الرواية ، وهذه الجملة بالذات وأنا فى قلب « وادى جهنم » فى بقايا معسكر (أنصار) الذى كان مدرسة للكثيرين من مناضلى الشعب اللبنانى والفلسطينى وغيرهم . (تم الانتهاء من اقامة المعسكر أو السجن على أرض بلدة أنصار ، بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢٨ ، وأنصار تقع فى محافظة النبطية فى الجنوب اللبنانى ، وتبعد عن بيروت ٨٠ كم . وقد أزيل المعسكر بتاريخ ١٩٨٥/٤/٣) .

لم يبق من آثارهم الا الأسلاك الشائكة ، وكتابات عبرية على بعض الصخور والمبانى ، وأرض حرثتها الجرارات « والبلدوزرات » . كى يتم اخفاء معالم المعسكر المرعب ، الذى حشر فيه آلاف المناضلين ، منذ الغزو الصهيونى للبنان فى شهر يونيو ـ حزيران من عام ١٩٨٢ الى نهاية الربع الأول من سنة ١٩٨٥ م .

● نسأل خضر مكيتى ، المسؤول العسكرى فى التنظيم الشعبى الناصرى ، الذى يتخذ من مدينة صيدا قاعدة له ، عما تبقى من الغزو الاسرائيلى .

- فيجيب . .

لقد تركوا بضعة جواسيس وبصمات تعذيب على أجساد آلاف الشبان ، وقهرا وغيظا واصراراً على المقاومة فى نفوسنا ، وخراباً فى الاقتصاد ، وارهاباً مقيما يلوحون به ـ كالفزاعة كل يوم اسمه « جيش لبنان الجنوبى » عميلهم ومنفذ مخططاتهم . وتركوا أيضا كتابات على بعض المبانى ومفارق الطرق ، كى ترشد قوافلهم خوفا من أن يضلوا الطريق ويقعوا فى كمائن المقاومة .

● وغير ذلك ؟

- ايمانا أكيداً بتحرير كل شبر احتلوه ويحتلونه .

لقد مضى على انسحاب الاسرائيليين حوالى سنة من مدينة صيدا والمنطقة التى تحيط بها (انسحبت القوات الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٨ من المدينة) .

ومن حق صيدا عاصمة الجنوب اللبنانى علينا متابعة رحلة نضالها وكفاحها ضد الغزاة ، ومحاولة استرجاع أيام وأشهر السنوات الثلاث التى أمضاها الناس تحت كابوس ونير الاحتلال .

نزهة لم تستمر !

اعتقدوا فى البداية أنها نزهة . . . لكنهم ذاقوا أهوالا من الرعب ، وتوالت طائرات « الهليوكبتر » لتنقل قتلاهم وجرحاهم ، صحيح انهم احتلوا صيدا . لكنهم دفعوا ثمناً غالياً ، واضطروا أخيرا للخروج منها .

هكذا قال لنا الدكتور نبيل الراعى سكرتير اللجنة المركزية للتنظيم الشعبى الناصرى فى صيدا .

وأضاف : اقرأ جيدا شهاداتهم ـ وستجد

اعترافاتهم لاتنقصها الصراحة والوضوح . جاء فى كتاب « أطفال الأربى جى » من اعداد خليل السواحرى مايلى :

« الرائد « بينى » من سلاح الدروع أصيب بجروح خطيرة فى صيدا ، يعلق على المعارك بقوله : معارك الشوارع التى دارت داخل صيدا كانت معارك عنيفة جدا ، أقول ذلك وأنا واثق تماما مما أقول ، لقد شاركت فى عدة حروب وأعمال عسكرية فى السابق ، لكن هذه كانت أول حرب أخوض فيها قتالا فى مناطق مأهولة »

ويعلق الدكتور الراعى فيقول :

صحيح أن القوات المشتركة الفلسطينية واللبنانية أبدى بعضها استبسالا فائقا ، الا أن المدينة سقطت أخيرا فى قبضة العدو ، وسيق الكثير من شبانها وفتياتها وشيبها الى المعتقلات ، واضطر بعضهم الى مغادرة المدينة .

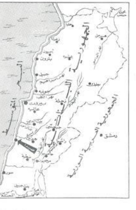
تحرك الاسرائيليون فى الأيام التالية براحة ، وأخذوا فى تمشيط المدينة ، وتابعوا حصارهم للمخيمات الفلسطينية التى بقيت فيها بعض المقاومة ، بل ان الاسرائيليين المدنيين جاءوا بالسيارات الكبيرة كسياح ، وأخذوا يتنقلون من مكان أثرى الى آخر ، معتقدين أن الأمر قد استتب لهم تماما . . .

لكن الصدمة ، أعنى صدمة الاحتلال وقوته وجبروته ، كان هناك من يحاول تجاوزها ، ويلتقط الأنفاس من جديد . . .

جاء فى كتاب « المقاومة الوطنية فى الجنوب اللبنانى » لمجموعة من الكتّاب مايلى :

« فى ٨ تموز نقل مراسل وكالة رويتر ديفيد روجرز تقريرا من صيدا حول « معاناة » جنود الاحتلال من السكان المحليين ، جاء فيه : « بعد شهر من احتلال الجنوب تجد القوات الاسرائيلية المقاتلة أن وجودها كجيش احتلال فى هذه المنطقة التى تتواجد فيها فئات مختلفة ، هو أمر مرهق ، بل انه محطم للأعصاب .

ويروى روجرز حادثة يقول إنه شاهدها بأم العين هى : عندما كان الرقيب الاسرائيلى يقود شاحنة خفيفة من دون أبواب أصيب بحجر بينما كان يمر الى جانب احدى محطات المحروقات ، وعندما سأل عن سبب رجمه ومن فعل ذلك ؟ أجيب : أما عن السبب



صيدا عاصمة الجنوب اللبناني في خريطة مليئة بالصراعات

فيكفى أن تكون اسرائيليا . . . . أما الفاعل « فهو نحن جميعا » .

الحرق لا التسليم !

تعتبر صيدا من اهم المدن الفينيقية ، ولعبت دورا مهما في التاريخ القديم ، ويقال انها اول مدينة أسسها الفينيقيون سنة ٢٨٠٠ ق.م .

والفينيقيون من الشعوب السامية التى أخذت تتوالى هجراتها من اليمن والجزيرة العربية والجزر القريبة منها ، ابتداء من ٣٥٠٠ ق . م

وقد تقلبت على صيدا خلال حقب التاريخ قوى كثيرة ، فتارة كان الفينيقيون وحكام صيدا بالذات يفرضون قوتهم وسطوتهم على غيرهم من مدن وشعوب ، وفي أحيان أخرى فانهم كانوا يخضعون للقوة الصاعدة ، ويوظفون مهاراتهم التجارية والبحرية في خدمة تلك القوى .

لكن التاريخ يسجل للمدينة موقفاً يجدر بنا ذكره .

الزمان زمان القوة الفارسية المنطلقة من الهضبة الايرانية في القرن السادس قبل الميلاد . والفينيقيون خضعوا كغيرهم لهذه القوة المندفعة التي وصلت سيطرتها الى مصر .

الا أن بعض ولاة الفرس أساءوا معاملة الشعوب التي حكموها .

والفينيقيون كانوا من بين تلك الشعوب ، كما أن الفرس أخذوا يسترييون بالشعوب التي حكموها ، ومنهم الفينيقيون الذين شكوا بهم ، واتهموهم بأنهم لم يلعبوا الدور المناسب في حربهم ضد أثينا فشددوا الخناق عليهم وساموهم سوء العذاب .

وقد أعلن ملك صيدون استراتون الأول استقلاله التام عن الدولة الفارسية سنة ٣٦٢ق.م وشكل قوة حربية أطلق عليها اسم « جيوش التحرير » .

كما أعلنت مصر استقلالها أيضاً ، مما دفع الفرس الى تجريد حملة لاخضاع الولايات الثائرة . فترأس ملك الفرس ارتحشستا الثالث الحملة ، ونوى الانتقام من صيدا شر انتقام .

وبينها كان الصيداويون يتدربون ، ويدربون حتى فتيانهم الصغار على فنون القتال ، فإن مليكهم كان يعد عدة الاستسلام ، الا أن الملك الفارسي لم يقبل استسلام المدينة ، وقتل خمسمائة من رجالها ، جاءوا يتفاوضون لأجل تقديم الطاعة .

عند ذلك ، عندما رأى الصيداويون الخطر المحدق بهم وأن خيانة مليكهم جعلتهم فريسة لأعدائهم . أحبوا الموت بأيديهم وفضلوه على الموت بيد المنتصر العاتي « فبادروا باحراق سفنهم حتى لا يتمكن أحد منهم أن يهرب فيها ، ثم اجتمعوا ودخل كل بيته بنسائه وأولاده وأمواله ، وأشعلوا النار ، فماتوا بها حرقاً بعد أن صارت أتونا من النار المتقدة ، واحترق فيها زهاء اربعين ألف نسمة مع كنوزهم وأموالهم ، فكانت هذه الحادثة الانتحارية أعظم ما دونه التاريخ في صفحاته المجيدة لبطولة شعب»،كما جاء في كتاب منير الخوري « صيدا عبر حقب التاريخ » .

حصلت هذه الواقعة سنة ٣٥٠ ق.م وبعدها لم يعمر الفرس في البلاد ، فجاءهم غاز آخر هو الاسكندر المقدوني ، فسقطت دولة الفرس أمام جحافله ، ودانت له الولايات التي كانت تابعة لها .

وموجات أخرى

ويختزل حمزة عليان في كتاب « المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني » تاريخ المدينة اللاحق على تلك الفترة فيقول :

استسلمت للاسكندر المقدوني الكبير سنة ٣٣٣ ق.م ، ثم حكمها السلوقيون والرومان والبيزنطيون .

استولى عليها يزيد بن أبي سفيان بلا عناء ، وفتحها العرب سنة ٦٣٨م ، وألحقوها بجند دمشق ، وكانت الميناء العسكري لهذا الأقليم .

استولى عليها الصليبيون عام ١١١١م . واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م ، ثم استولى عليها الصليبيون ثانية سنة ١٢٢٨م . وفي سنة ١٢٥٢م ملكها لويس التاسع ملك فرنسا ، وحصن قلاعها وحصونها ، (أطلق اسم لويس على القلعة البرية بعد أن رممها ، وكانت فيما مضى تعرف باسم قلعة المعز نسبة الى المعز لدين الله الفاطمي ، الذي حصن القلعة ورممها في زمن سابق) .

استعادها المسلمون عام ١٢٩١ لآخر مرة بعد سقوط مدينة عكا ، ودمروا تحصيناتها وجعلوها على الأرض تماماً .

أعاد بنائها الأمير فخر الدين الثاني المعني الكبير (بعد أن سيطرت على الشرق الدولة العثمانية ، اعتباراً من سنة ١٥١٦م) .

وفي هذا القرن

ويضيف حمزة عليان في اختصاره لتاريخ المدينة فيذكر سيرة بعض رجالاتها فيقول :

« شهدت صيدا في بداية القرن العشرين مواقف وطنية وقومية ازاء الهزات التي تعرضت لها السلطنة العثمانية ودخول الانتداب الفرنسي ، وبرز فيها رجال وطنيون عرفوا بمواقفهم واسهاماتهم العلمية



خضر السكيني



د ـ نبيل الراعي

والوطنية ، نذكر منهم توفيق البساط (الذي شنقه جمال باشا السفاح في ساحة البرج مع غيره من وطنيي بلاد الشام الذين طالبوا بحرية واستقلال العرب عن الدولة العثمانية سنة ١٩١٦م) .

والشيخ أحمد عارف الزين الذي انشأ فيها مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ (ما زالت تصدر حتى الآن) وكان من الذين نشروا الوعي العربي واليقظة الوطنية من خلال كتاباته ، ورضا الصلح وولده رياض أول من رفع العلم العربي على سارية الحكومة الموالية لقائد الثورة العربية الشريف حسين أمير مكة (رأس حكومة الدولة العربية في المدينة حوالي ٨ أيام قبل أن يسيطر عليها الفرنسيون وأصبح رئيساً لوزراء لبنان بعد الاستقلال) وقامت فيها مظاهرات وطنية تهتف احتفالاً باستقلال سوريا وبتتويج فيصل ملكاً عليها وتطالب بجلاء الفرنسيين عن البلاد . وأثناء إعلان الجنرال غورو دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ وضم الأقضية الأربعة الى الدولة ، رفضت صيدا مع بقية الأقضية هذا الالحاق مطالبة بالعودة للوحدة السورية .

وقامت المظاهرات الصيداوية في الأعوام ١٩٢٦ و ١٩٢٩ تجاوباً مع الشعب الفلسطيني ، ودليلاً على مواقفها القومية ، حيث خرجت المسيرات تهتف وتؤيد الشعب العربي وانتفاضته ضد الانجليز واليهود .

وتابعت صيدا مواقفها القومية والوطنية ، فشارك بعض رجالاتها وعلى رأسهم معروف سعد في ثورة سنة ١٩٣٦ ، عن طريق منع الشاحنات من التوجه من لبنان لنجدة اليهود ، وفي حرب ١٩٤٨ شارك سعد في معركة المالكية مع الشهيد محمد زغيب وغيره من المقاتلين .

وتابعت المدينة وأبناؤها بعد ذلك تجاوبها مع كل معارك العرب التحريرية ، في قناة السويس ، وحروب التحرير الجزائرية ، واحتضان الثورة الفلسطينية ، وسقط قائدها الشعبي معروف سعد شهيداً بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ ، بعد أن أطلقت عليه النار قبل ذلك بحوالي ثمانية أيام ، أي بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٦ . وهو على رأس مظاهرة لصغار الصيادين ، كانت تحتج على منح احتكار شركة البروتين لصيد السمك ، ومصادرتها لأرزاقهم (أصحابها من كبار المتمولين في لبنان) .

وقد كانت الرصاصات التي أطلقت على هذا القائد هي الشرارة الأولى لقيام الحرب الأهلية ، التي لم يخمد أوارها حتى الآن في لبنان .

رحلـــة في المكان

تقع مدينة صيدا خلف رأس ممتد في البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وتبعد عن مدينة بيروت حوالي ٤٥ كيلومتراً ، وتشتهر ببساتينها الغنية بالبرتقال والليمون والأسكيدنيا والموز والخضروات ، وتشتهر بصناعة الحلويات وماء الزهر والمفروشات ، وتعليب الفاكهة وتصديرها ، وصناعة السفن الصغيرة ، كما يشتهر ميناؤها بتصدير الحمضيات والزجاج والفخار والأسماك وغيرها من منتوجات الجنوب ، ويكرر البترول السعودي في ميناء الزهراني الذي يبعد حوالي عشرة كيلومترات عن المدينة ، ويستقبل ميناء صيدا مواد البناء والسيارات والقمح وغيرها ، وقد أخذ الميناء بعد أن تحررت مدينة صيدا ، باستقبال السفن متوسطة الحجم ، بعد أن تم بناء جزء من كاسر للأمواج قرب القلعة البحرية ، والحركة ناشطة لبناء ميناء ثان جنوب المدينة .

من أشهر الأماكن الأثرية في المدينة ، القلعة البرية والقلعة البحرية ، ويوجد بالقرب من الأخيرة جزيرة صغيرة يطلق عليها اسم « الزيرة » أي تصغير جزيرة .

بُني عليها فنار المدينة ، وهي غير مسكونة وتعتبر مقصداً لبعض صائدي الأسماك وعشاق السباحة أيام الصيف .

وتذكر المصادر أن القلعة البحرية يعود بناؤها الى عصور قديمة ، قام مكانها في الماضي هيكل الاله ملكارت الفينيقي ، وقد أقام عليها الصليبيون قلعة سنة ١٢٢٧ .

ورممها بعد ذلك المماليك سنة ١٣٥٠م ، وأضافوا اليها البرج الذي ما زال قائماً حتى الآن ، وأصلحها الأمير فخر الدين المعني ، وأضاف اليها مسجداً في القرن السابع عشر ما زالت قبته قائمة حتى الآن أيضاً .

شوارع المدينة القديمة ، وعلى الأصح سكيكها ضيقة وملتوية ، ويتداخل بعضها مع البعض الآخر ، وتفضي الى بعض الساحات المكشوفة ، وهي مغطاة قلما تنفذ اليها الشمس ، وبيوتها متلاصقة ومتشابكة ومدعمة بقناطر وعقود ، عجز الاسرائيليون عن إحكام سيطرتهم عليها في البداية ، الا أنهم وظفوا جواسيسهم لمراقبتها ، ومع ذلك فان المقاومة الوطنية عندما اشتد ساعدها ، سيطرت على هذا القطاع من المدينة خصوصاً في الليل .

يحد المدينة من الشمال نهر الأولى ، وينبع من مرتفعات جبال الباروك ، وطوله ٣٥ كيلومتراً ، ويحدها من الجنوب نهر سينيق ، وهو من الأنهار الصغيرة التي تجف في الصيف ، وهناك أنهار أو جداول صغيرة في شمال المدينة وجنوبها مثل « البرغوث والقملة » . عدد سكانها يصل الى حوالي مائتي الف نسمة .

عــودة الى الزمــان

يقول الدكتور نبيل الراعي : هل تصدق أن العدو كان يخشى حتى أعشاش الطيور على رؤوس الأشجار بل يخشى الأشجار نفسها ، لقد كان يخشاها مخافة أن تكون مملوءة بالقنابل !

وهل تصدق أنه كان يخشى أية كومة تراب ، خوفاً من أن تكون كميناً .... لذلك فإنه كان .. وبالغرابة الاجراء يبدأ صباح كل يوم باطلاق النار على طول شارع معروف سعد .... وقد ذهب بعض الضحايا من جراء هذا الاجراء الغريب ، كما أنه جرف الكثير من البساتين وخربها ، كي لا تكون مأوى لرجال المقاومة . ومع أنه جند القوى الانعزالية في المنطقة - واشترى بعض ضعاف النفوس في المدينة ، وجندهم تحت اسم الحرس الوطني ، واعتقل آلاف الشبان وفرزهم على شاطيء البحر ، وحقق معهم في معمل صفا ثم نقل الكثير منهم الى معتقل أنصار ، أو حتى الى فلسطين المحتلة ، مع ذلك فإن دورياته كانت هدفاً سهلاً لرجال المقاومة .

لقد ركزت المقاومة على ضرب أفراد الجيش الاسرائيلي ، لأنهم هم العصب الموجع في آلتها ، وأبقت حسابها مع العملاء الى ما قبل خروج الاسرائيليين بأشهر قليلة .

وبما أنها الحرب ، لذلك فإن العدو أو عملاءه أرادوا حرمان صيدا من قيادتها وأركانها ، خصوصاً أنهم أطلقوا العنان للقوات الانعزالية بشن حربها على المدينة بعد خروجهم منها . فوضعوا سيارة مفخخة أمام بيت الأمين العام للتنظيم الشعبي الناصري المهندس مصطفى معروف سعد ، بعد أن أزعجوه كثيراً باستدعاءاتهم وتحقيقاتهم المتكررة هو ومعظم القيادات الصيداوية التي كانت متواجدة في المدينة أثناء الاحتلال ، ففجروا السيارة قبل خروجهم بأسابيع قليلة (في ١٩٨٥/١/٢١ أي قبل خروجهم بحوالي شهرين) .

صحيح أن عيني القائد أصيبتا واستشهدت ابنته ناتاشا ، وأصيبت زوجته .. لكن الله سلم وها هو قد عاد الى ممارسة أعماله النضالية ضمن تنظيمه وضمن المجلس السياسي لمدينة صيدا ، الذي يرأسه نائب صيدا الدكتور نزيه البزري ، والذي يضم كل القوى والتنظيمات الفاعلة في المدينة .

وهذه التجربة ، أي تجربة المجلس السياسي للمدينة ، ووجود جيش موحد لها ، من التجارب التي تفخر بها مدينة صيدا ، وهي التي جنبتها حتى الآن المعارك الداخلية ، وجعلت جيشها ، جيش التحرير الشعبي - قوات الشهيد معروف سعد يتفرغ

لمعاركه مع القوى الانعزالية التي هجمت على شرق صيدا في نهاية شهر آذار مارس وبداية شهر ابريل نيسان سنة ١٩٨٥ ، وقد استطاع دحرها بمساعدة الحلفاء ليتوقف عند حدود قريتي لبعا وعين المير بمواجهة القوى الانعزالية والصهيونية المتمركزة في كفر فالوس ، وقد تم التوقف عند هذه المواقع لاتاحة الفرصة لحل مشكلة بلدة جزين وجوارها سلمياً ، إلا أن الانعزاليين ومن ورائهم الاسرائيليين ، لا يودون حل الأمور بالطرق السلمية .

بعض الوقائع

■ في ١٩٨٢/٩/٢٦ أي بعد الاحتلال بحوالي ثلاثة أشهر وعشرين يوماً شهدت مدينة صيدا تظاهرة نسائية هي الثانية منذ الاجتياح ، انطلقت من مخيم عين الحلوة ، وضمت أمهات وزوجات المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين في معتقل أنصار ، وقد حاولت اختراق الحواجز الاسرائيلية .. فيا كان من عناصرها - أي عناصر الحواجز - الا أن أطلقت تجاههن القنابل المسيلة للدموع ، واعتدت بالضرب على من استطاعت القبض عليهن .

■ في ١٩٨٣/٣/١٧ انطلقت داخل شوارع صيدا تظاهرة ضمت ألف امرأة وطالب ، وعدداً من الشيوخ رددوا شعار « لا اله الا الله يبغض عدو الله » وقد أطلق جنود الاحتلال النار على المتظاهرين ، مما أوقع سبعة جرحى من بينهم .

■ نقلت وكالة فرانس برس الفرنسية أن القوات الاسرائيلية اعتقلت أكثر من مئة لبناني وفلسطيني ، بالاضافة الى اعتقال ٥٠ امرأة في سجن النساء في النبطية ، وقد ربطت الوكالة بين حملة الاعتقالات ، وتصاعد العمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال التي اعترفت بتعرضها لثلاث وثلاثين عملية عسكرية خلال شهر مايو « أيار » من سنة ١٩٨٣ ، وأدت الى مقتل ٨ جنود وجرح ٢٣ آخرين .

■ بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٣ ، ورداً على الاجراءات القمعية التي تمارسها قوات الاحتلال ، وتعبيراً عن الرفض المطلق لوجودها ، أعلن الاعتصام العام في صيدا والجنوب ، واستمر لمدة يومين ، وانتهى بمهرجان خطابي أكد على مقاومة الاحتلال .

■ بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٩ نفذت مدينة صيدا إضراباً عاماً شجباً للاعتقالات وتدنيس مراكز العبادة ، وحداداً على شهداء ملحمتها البطولية ، الشهداء حبال والشريف وزهرة الذين سقطوا في معركة خاضوها وجهاً لوجه مع قوات الاحتلال في أحد شوارع مدينة صيدا الرئيسية .

والجدير بالذكر أن مدينة صيدا عاشت منذ ١٢/٢٣ وحتى ١٩٨٣/١٢/٣١ حالة غليان شديدة ، كما شهدت عدة عمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال .

■ ظهر يوم ١٩٨٤/١/١٩ وفي شارع رئيسي من شوارع صيدا تصدى الفتى نزيه القبرصلي (١٤ سنة) برشاشه لقوات الاحتلال فقتل منها وقُتل .

■ أعلنت جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية أن مجموعاتها المقاتلة في الجنوب والبقاع الغربي نفذت خلال شهر آذار - مارس - من سنة ١٩٨٤ ، ٣٩ عملية فدائية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي ، أدت الى إصابة ٥٧ جندياً بين قتيل وجريح ، اعترف العدو بـ ٣٦ منهم .

■ اعترف الناطق الرسمي باسم العدو الاسرائيلي أن المقاومة الوطنية قامت بـ ٨٩٢ عملية عسكرية ضد مواقعها في الجنوب اللبناني ، وذلك في سنة ١٩٨٤ ، أما عدد القتلى الاسرائيليين منذ الغزو حتى خروجها من منطقة صيدا فقد بلغوا ٧٣٢ قتيلاً اسرائيلياً .

شهادات حية

الشيخ يوسف مسلماني أمين سر لجنة معتقلي أنصار في مدينة صيدا الذي اعتقلته القوات الاسرائيلية مرتين : الأولى بعد غزوها مباشرة ، وأمضى حوالي سنة وأربعة أشهر في معتقل أنصار .

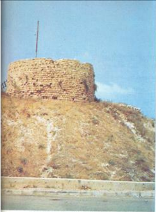
وأطلق سراحه مع الآف المعتقلين الذين تم تحريرهم بعد عملية تبادل الأسرى التي تمت بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤ .

ثم تم اعتقاله بعد ذلك وأمضى في المعتقل حوالي سنة وشهرين ، وأفرج عنه بتاريخ ١٩٨٥/٤/١٨ من معتقل عتليت في فلسطين المحتلة .

كتب الشيخ في إحدى رسائله التي وصلت الى أهله وذويه عن طريق الصليب الأحمر والمؤرخة في



تمثال الشهيد القائد معروف سعد



القلعة البرية هاجمتها الطائرات الاسرائيلية اكثر من مرة . . وبقيت صامدة .



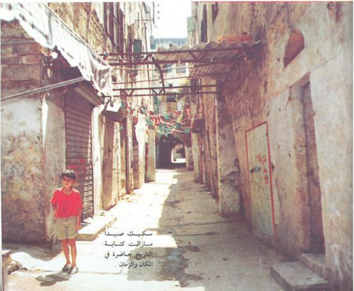
شارع « الكورنيش » الجديد في صيدا استعادة لهدوء وجمال اصبحا مطلبا وضرورة .



كتابات عبرية .. وصخور مجروفة .. هذا ما تبقى من معسكر انصار



معمل صفا للحمضيات .. كان مركزا لاعتقال المناضلين .



سكيك صيدا مازالت كتابة التاريخ حاضرة في المكان والزمان .

٢٨/٦/١٩٨٣ ما يلي :

« أيها الأحبة ، ان الدم الذي سال ويسيل من أبناء شعبنا هو المحرقة التي ستحرق الخونة والعملاء والمتساقطين ، وهو النور الذي يضيء الطريق للأجيال القادمة . لقد تحول معتقل أنصار الى مدرسة لرفض الذل والهوان ، وجميع الشبان في أنصار معتقل الكرامة والشرف قد ازدادوا قوة في إيمانهم ، وصلابة في مواقفهم ، وسموا في معنوياتهم .

ان طريقنا التي نسير عليها مليئة بالأشواك ، وطريق النضال والكفاح والتحرير كانت هكذا على مر التاريخ » .

سألت الحاج خليل صاحب محل الكهربائيات المواجه لمقبرة صيدا عما حدث بالضبط . . . . قال :ـ

هي أيام تذكر . . وأرجو أن لا تعاد . . . . كانوا كالكابوس . . . . . وأيامهم كانت أيام رعب حقيقي . . . . لا أذكر متى حدثت العملية الفدائية بالضبط ، لكنها ربما حدثت قبل خروجهم بأسابيع . . . .

لم نره . . . . وربما كانوا أكثر من واحد ، المهم أنه في ظهيرة ذلك اليوم خرج أو ربما خرجوا من بين القبور المواجهة . وأطلقوا النار على دورية اسرائيلية فوقع أحدهم من السيارة مضرجا بدمه ، وبقي الثاني قتيلا فيها . . أما الثالث فإنه اخذ يصيح من خلال جهاز يحمله . أصيبت المنطقة برعب وارتباك . . . . واخذ الاسرائيلي الثالث يطلق النار كيفما اتفق ، . . . لم أستطع لحظتها اغلاق المحل خوفا من تهمة ما . . فبقيت مسمرا في زاوية المحل ، الى أن جاء مجموعة من الجنود الاسرائيليين فجمعوا كل من وجدوه في المنطقة ، وأركعونا وأيدينا الى فوق بالقرب من جدار المقبرة الذي تراه . . . اعترض طبيب أعرفه يعاني من مرض في القلب ، فما كان من الجنود الا أن أوسعوه ركلا وشتما ، وأجبروه على الركوع في منتصف الشارع . . . كانوا مرعوبين وعصبيين ومستفزين . . . لكنهم . . . . . خرجوا وأيامهم تُذكر . . . لكن أرجو ألا تعاد .

هكذا تتابعت العمليات الفدائية ، وتتابعت ثورات القرى في الجنوب واحدة اثر الأخرى ، أو مع بعضها البعض ، وهكذا فان حجارة الأرض قاومت سيول جيش الاحتلال فذهب السيل وبقيت الحجارة !

عين الحلوة . . وطائر الفينيق

طائر الفينيق هو طائر خرافي . . . . تقول عنه الحكايات إنه كلما احترق ، فان رماد موته يجدد حياته من جديد .

وعين الحلوة . . أعني مخيم عين الحلوة فيه بعض صفات طائر الفينيق .

لقد دكته الطائرات والزوارق البحرية والدبابات الاسرائيلية ، اعتبارا من يوم ٦/٦/١٩٨٢ بآلاف الأطنان من القنابل . وتذكر المصادر أن أكثر من ٨٠٪ من بيوت المخيم لم يبق فيها حجر على حجر .

مع ذلك فان هذه الحمم لم تفت في عضد بعض الفتيان الذين ردوا للاسرائيليين بعض النار التي كانوا يقذفون بها المخيم .

وقد بثت اذاعة الجيش الاسرائيلي بتاريخ ١٦/٦/١٩٨٢ الخبر التالي . . حسب ما جاء في كتاب أطفال الآربي . جي الوارد ذكره من قبل .

« العريف اسحق » وهو مصاب بجروح وحروق يقول معلقا على المعارك التي دارت قرب صيدا .

« في البداية قيل لنا بأنهم يجلسون في عشرات الملاجيء المقامة داخل المخيم ـ المقصود مخيم عين الحلوة ـ كان ذلك خلال القصف العشوائي على المخيم من الجو والأرض ، ولم يكن أحد منا يعلم بالضبط كم كان عدد رجالهم ، الا أن بعض رفاقي الجنود سمعوا من القائد بأن هناك ما يزيد على الالف فلسطيني مسلح ما زالوا يتمترسون داخل الملاجيء ، ولكن حين دخلنا المخيم واصطدمنا معهم وجها لوجه كان عددهم يقل كثيرا عما قيل ، اذا كنت تسألني اذا كان هؤلاء الفلسطينيون قد قاتلوا فأعلم أن قتالهم كان رائعا ، لقد كانوا جميعا من المحاربين الجيدين ، وكل الاحترام للمحارب الجيد ! » .

واستمر الكر والفر . . . . وتبادل الحمم غير المتكافئة حتى تاريخ ٢٤/٦/١٩٨٢ .

أرسلوا من يتوسط بالاستسلام ، أو حتى الخروج من المخيم دون استسلام ، المهم أن يخرجوا . . . .

فكان الجواب : « لولا أنكم كبار فى السن . . لكُنا أبدناكم كما نبيدهم » .

استعملوا الحروب النفسية بواسطة المناشير ومكبرات الصوت . . . . . . ، الا ان ذلك لم يفدهم فى شىء ، ضاق الحصار وشح زاد البشر والسلاح ، فبلعتهم الأرض فى شقوقها وشعابها . . فدخلوا بعد ذلك ليجدوا أن المخيم مجرد ركام تساقط على الكثير من الجثث !

ومن بين الشقوق والركام نبتت مع الأيام أياد تتحسس بقايا الحطام . . . . . . وتقاوم ، ساقوا جميع من تبقى حياً الى شاطىء البحر ، وبدأت عمليات الفرز . . . هذا « مخرب » من هذا التنظيم . . . ومن ذلك . . . ومن غيره . . . هكذا كانت هزة رأس المقنع العميل تذهب بمئات وآلاف الشبان والكهول الى المعتقلات والسجون . فى أحد الأيام . . . . يقول محدثي . . . كان العميل جالساً بين الاسرائيليين ليتولى فرز الناس وهو مقنع ، فما كان من امرأة من المخيم بعد أن غلى الدم فى عروقها الا أن هجمت عليه وكشفت قناعه وبصقت عليه . صحيح أنه نالها رفس وشتم . . . . لكن العميل سقط مضرجا بدمه بعد أيام .

اعطوهم خياماً فأحرقها الأطفال والنساء

قالت امرأة من عين الحلوة لأحد الصحفيين .

« يريدون منا العودة الى الخيام كالحيوانات . . حتى الحيوانات لا تقبلها اليوم ، نريد منازل كمنازلنا التى دمرت ، لقد شيدناها بعرق وكد رجالنا وأبنائنا » .

شىء من الجغرافيا والتاريخ

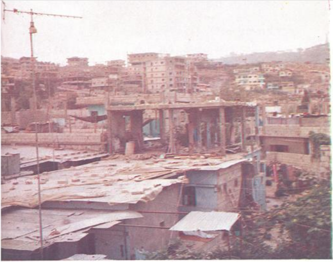
يقع مخيم عين الحلوة جنوب شرق مدينة صيدا على مسافة لا تتجاوز ٥ كيلو مترات ، ويبلغ عدد سكانه حوالى أربعين الفا ، خاصة وانه استقبل بعض سكان المخيمات الفلسطينية اثر مجازر تل الزعتر وصبرا وشاتيلا ، أو الاعتداءات الاسرائيلية على المخيمات الفلسطينية بالقرب من مدينتي النبطية وصور . انشىء المخيم سنة ١٩٤٩ ، ومعظم سكانه من قرى وبلدات الشمال الفلسطينى ، الذين أجبرتهم القوات الصهيونية على النزوح من أرضهم ودورهم . تولت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة الاشراف على المخيم ، ووزعت الوكالة الخيام على الناس فى البداية وسكنوها فترة .

الا أن الخيام كانت قلما تصمد فى مواجهة حر الصيف أو قر الشتاء . فلجأ سكانه الى بناء بيوت من طين ، وصولا الى البناء بحجر الباطون وسقفها بالواح « الزينكو ، ثم لجأ البعض الى سقف بيوتهم بالباطون ، فجاءت القوات الاسرائيلية لتدمره على رؤوسهم . جاء فى صحيفة علهمشمار بعد ان رافق محررها القوات الصهيونية أثناء الغزو سنة ١٩٨٢م ما يلى : « من يعرف كم من أطنان القنابل القيت على هذا المخيم يقدر حجم الكارثة ! والآن أشاهد أيضا الجرافات والبلدوزرات العبرية الضخمة تكمل هدم ما تبقى من مخيم عين الحلوة ، انها عملية دمار وابادة منظمة » .

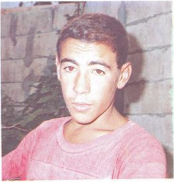
لكن ذلك زمن مضى وانقضى ، صحيح أنه يمكنك أن ترى بعض البيوت المدمرة حتى الآن فى المخيم ، خاصة وأن القوات الانعزالية استمرت فى قصفه ، بل حاولت اقتحامه بعد انسحاب الاسرائيليين فى ١٩٨٥/٢/١٨ . مع ذلك فان « طائر الفينيق » خرج من رماد دماره وانقاضه وأعاد بناء الكثير مما تم تدميره .

عمل الكثير من سكانه فى المرحلة الاولى من لجوئهم فى البساتين المجاورة أو فى البناء ، ثم عملوا بشتى الورش الصناعية الصغيرة فى مدينة صيدا .

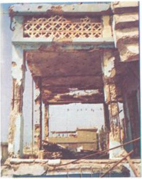
شارك سكان المخيم فى شتى النضالات الوطنية والقومية . وقامت فى المخيم تنظيمات وطنية فلسطينية ، أو فروع لتنظيمات عربية لعبت دورها فى شتى مراحل حياة المخيم . وتبنت مطالب سكان المخيم الحياتية وصولا الى امتشاق السلاح ، والمشاركة في العمل الفدائي ، خصوصا وان اتفاقية القاهرة المعقودة سنة ١٩٦٩م . بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية ـ التى ولدت فى مؤتمر القمة العربى الاول الذى انعقد في القاهرة سنة ١٩٦٤ ـ قد نصت فى بنودها على تنظيم العلاقة بين الطرفين ، وتنظيم حمل السلاح خاصة .



جانب من مخيم عين الحلوه (لاحظ حضارة الدمار التي جاء بها الاسرائيليون)



ابو حيط ـ نموذج لجيل ما بعد الغزو



ما زال الدمار شاهدا على وحشية ما حدث



قادة وشهداء . . رموز المرحلة

بعد الغزو

قال لى الكثير من سكان المخيم الذين التقيت بهم من النساء والأطفال والرجال : كان كل شيء على الأرض ، ولم يبق فى المخيم أحد ، معظم الرجال فى المعتقلات (حوالى ٥ آلاف شاب وفتاة) ومن بقى حياً من النساء والأطفال والشيوخ توزعوا على المناطق المحيطة ، كقرية الغازية ، ومدينة صيدا وحارة صيدا ، ومخيم المية ومية . . . . . . وصولا الى قرى اقليم الخروب أو الشوف . . . . اللبنانيين .

ضاعت معالم المخيم وغطاها الركام ، لكن طائر الفينيق نفض الركام . . . . تدريجيا .

عادت بعض النسوة الى المخيم . . . . والأطفال والشيوخ وبعض الكهول من الرجال . . . .

أحضروا لهم بعض الخيام ، فأحرقها الأطفال والنسوة ، قالوا نريد رجالنا وشبابنا .

أحضروا لهم بيوتا خشبية جاهزة . . رفضوها هى أيضا . ثم انطلقوا الى مدينة صيدا يضجون بالهتاف : « نريد شبابنا لحمايتنا » فأطلقت على بعضهم النيران .

وسلط عليهم العدو الصهيونى القوات الانعزالية ، فحرموا على بعضهم العمل ، ومنعوهم من مبارحة المخيم ، وطلبوا من كل الفلسطينيين فى المنطقة العودة الى المخيم حتى لو كانت لهم أملاكهم الشخصية خارجه ، بل تم قتل من لم يستجب للأوامر :

جاء فى تقرير نشر فى شهر آذار ـ مارس ـ من سنة ١٩٨٣ « انه تم العثور على ١٥ جثة لفلسطينيين من أبناء عين الحلوة ، وجدوا مقتولين فى مناطق تحيط بالمخيم فى شهر شباط ـ فبراير ـ من عام ١٩٨٣ » .

ونصب العدو أيضا حرسا وطنيا من بين ضعاف النفوس من الفلسطينيين واللبنانيين داخل المخيم . . فاعتقل كل من وجد فيه أدنى بادرة للمقاومة ، ثم لجأ الى النهب والسلب . . . وحتى الاعتداء على الأعراض !

انتفض طائر « الفينيق » فألقيت قنبلة يدوية على

دورية اسرائيلية راجلة .... فتم استدعاء من عاد من شبـان وكهـول المخيم للتحقيق وتم اعتقـال بعضهم .

في ليل الخامس والعشرين من شهر تموز - يوليو - من سنة ١٩٨٢ اطلق الرصاص على فيصل أبو سليم المعروف بأبي عصام .. ووزع بيان يومها جاء فيه أن أبا عصام كان عميلا للاسرائيليين .

تحسس العمـلاء رؤ وسهم ... وزادوا من تسليحهم ، وازدادت دوريـات الانعـزاليـين والصهاينة .

اطلق ملثمون النار على دورية اسرائيلية في جهة المخيم الشرقية . ثم تم تفجير عبوة ناسفة موجهة لاسلكيا أثناء مرور دورية للعدو عند مـدخل عين الحلوة ....

ازدادت العمليـات .. وكثـرت المظـاهـرات والاضرابات .

خرج أفراد الحرس الوطني « عملاء الصهاينة » من المخيم ليبدأوا بمهاجمة أهدافهم في الليل .

نشط بعض الجواسيس السريين لنقل أخبار حركة المقاومة في الداخل .

ثم تم قتل الأول والثاني والثالث من العملاء .... وتوالى بعد ذلك قتلهم .

ليل المقاومـة

أصبح الليل ليل المقاومة .... في النهار اختفاء وتخطيط ، وعمليات قليلة أو نادرة .. نظرا لكثافة الدوريات الاسرائيلية . وفي الليل .. ما أروع تلك الليالي .. هكذا قال لي الكثير من الذين التقيت بهم .

- لماذا هي رائعة ؟

هل تُصدق أننا كنا نتجمع في حي معين حسب أوامر المقاومة التي كانت تعلنها « بالميكروفونات » لنبدأ بالغناء وترديد الأهازيج ونعقد الدبكات .

عدم التصديق يظهر في عينيك ... صدقني أن ذلك حدث وعشرات الناس على ذلك شهود ومشاركون .. هكذا أكد محدثي .

كان أفراد المقاومة يلبسون أزياء غربية ويتقنعون ، ويغيرون أصواتهم ومشيتهم ، قسم منهم كان يشاركنا الغناء والدبكة ، وآخرون كانوا يرصدون أية حركة غريبة وبسلاحهم الواضح !

والاسرائيليون والانعزاليون والعملاء ؟

كانوا لا يجرءون على التدخل . والا فان معركة كبيرة ستقع !

وقد إزدادت قوة المقاومة بعد ان خرج معتقلو أنصار بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤ ... وعاد الشبان ليعاودوا سيرة الكفاح والنضال .

لقد قمنا بمظاهرات حاشدة يحرسها المسلحون أي مسلحو المقاومة الملثمون في المخيم بمناسبات كثيرة .. منها :

- المطالبة باعتاق المعتقلين .
- رفض الخيام ومباني الخشب الجاهزة .
- الاحتجاج على ممارسات العملاء والخونة .
- المطالبة بتأمين ما يكفي من مؤ ن .
- وأخيرا الاحتفال بمناسبة انطلاق الثورة . أو ذكرى وعد بلفور ، أو ذكرى التقسيم ، أو حتى الذكرى المشؤ ومة الأولى والثانية للغزو الاسرائيلي .

لكنني قرأت أن الأهل كانوا ينكرون أبناءهم اذا ما استشهدوا ؟

لـطمت أذني الأصوات المحتجـة ... قـائلة صارخة :

تلك أيـام الأشهـر الأولى مـن الاحتـلال .. ولنضرب لك مثلا :-

دوى انفجار كبير في احدى ليالي الشتـاء ... لم يجرؤ أحد على الوصول الى المكان ... وفي صباح اليوم التالي ... كانت جثة مطروحة قرب أحدى السيارات ... بقيت على وضعها لمدة تزيد على ست ساعات .... والاسرائيليون يحققـون ، والعملاء يستقصـون ، يـريـدون معلومـات عن الشـاب

● ما هي حكاية ذلك الشاب ؟

- تلك قصة يمكن أن نرويها الآن لكنها بقيت غامضة في تلك الأيام .

وملخصها ذهب الشاب مع أحد زملائه لتفخيخ سيارة أحد العمـلاء ، الا أن المتفجرة انفجرت بالشاب فقتلته واختفى زميله . إلا انه في صباح اليوم التالي .. شوهدت امرأة متوسطة العمر ..... تروح وتجيء بالقرب من ذلك المكان ، كانت تختلس النظر الى حيث تقبع الجثة .. ولا تقوى على الاقتراب منها !

يومها كان الرعب والموت ينشران ظلهما على المخيم .... وأية اشارة الى أن أحدا له علاقة بالمقاومة فان البيت كان ينسف ، ويتم اعتقال أهله للتحقيق ثم يسوقونهم الى السجن .

لقد عرفنا فيها بعد ... أنها كانت أمه ... فتصور مأساوية الحدث والمنظر والواقعة !

أبو حيط

جعلت منه وكالات الأنباء الأجنبية أسطورة ، صوّرته وصوّرت مجموعاته .... وهم يزحفون ويتدربون ، بل وهم ملثمون أيضا وبيدهم « الكلاشنكوفات » .

لم يكن ذلك في زمن ما قبل الغزو ، ولا في زمن ما بعد الانسحاب الاسرائيلي ، بل كان في زمنهم زمن الاحتلال ، فكيف حدث ذلك ؟ ولماذ ؟ وهل هو عميل ومتعاون مع القوات الاسرئيلية أم هو حالة جديدة من حالات الانبعاث التى يتميز بها « طائر الفينيق » ؟

جاء وعلى ثيابه بقع من تراب البناء ... وعلى محياه عرق وغبار ، فقى لوحت بياضه وشقرته الخفيفة شمس المخيم ، فأعطته لونا فيه مسحة البرونز ، جلس خجولا ! رحبت به وتمعنت فيه مليا .... فيه شقاوة وقسمات الهم الذي يجعل ملامح الرجولة تأتي مبكرة ، قال : انى أساعد بعض أقاربي فى بناء ما هدمه الأعداء .

سألت :

هل قرأت ما كتبته عنك الصحافة الأجنبية ، وما ترجمته الصحافة العربية عنها ، وهل رأيت صورك وصور مجموعاتك ؟

ازدادات ملامح الخجل على محياه وتكاثف العرق .

- قال : لم أقرأ ذلك ... بل قبل لي .

- ولماذا : لم تقرأ ؟

- ارتبك ثم قال : لقد انتهت علاقتى بالمدرسة بعد الصف الثالث ابتدائى ، وها أنا آكل يدي ندما على ذلك ، عملت مصلحا للسيارات ولحام أوكسجين فى ورش عدة .

تبدو صغيرا !

أنا من مواليد سنة ١٩٧٠ .... واللقمة تحتاج الى كد .

● لماذا لم تلتحق بالمقاومة قبل الغزو .

- كنت صغيرا !

- ما هى حكايتك مع المجموعات التى كنت تدربها فى قلب المخيم أو خارجه ، مع أن الاسرائيليين والعملاء موجودون ؟

حاول اللف على السؤال ، حرك الكرسى الذى يجلس عليه،شبك كفيه على مؤخرة رأسه ، وتحدث فى شؤون أخرى،ازداد عرقه وخجله .. كان يريد التملص وعدم الاجابة ، كررت السؤال .... وبدأ بعض الحضور يذكرونه ببعض الأفعال .

سرح قليلا .... تململ .... ثم قال :-

- كنت صبياً .

● ضحكت .. وعلقت : لا زلت كذلك !

- قال ... نعم لكننى كنت أصغر .. كان عمرى ١٢ عاما عندما حدث الغزو الاسرائيلى ....

- قطعت عليه ما كان ينوى قوله وسألته : ما هى حكاية اسم « أبو حيط .. هذه » ؟

- قال : اسمى جمال مفلح علاء الدين من قرية صفورية فى الشمال الفلسطينى .

● وأين ابو حيط فى هذا الاسم ؟

- أجاب : كانت أمى متزوجة قبل أبي من رجل آخر ينتمى الى عائلة « أبو حيط » وعندما توفى ، تزوجها والدي فجاءت ومعها ولد من زوجها السابق ، وعندما ولدت أنا وكبرنا معا أنا وأخى من أمي فانه التحق بالمقاومة ، وبعد الغزو الاسرائيلى قتل ، فبقى اسم عائلته عالقا بي لأننا كنا دائما معا ، وعرفنا نحن الاثنين باسم عائلته .

● وحكايتك مع المجموعات ؟

- اخذ الاسرائيليون شبان المخيم الى السجون ، ولم يبق الا القليل منهم فى المخيم ، بيوت المخيم تهدمت ، والقليل منها بقى صامدا ، ونشروا الخوف والرعب فيه .. يومها .. فكرت .... وتمعنت فى حالنا فبكيت عليها .. ثم قررت أن أفعل شيئا ...

وجدت لعبة كبيرة فدهنتها وأخذت أدور فيها بالمخيم جامعا حولى صبيانه وفتياته الصغيرات .... أرفه عنهم وأنكت . الحزن ، والخوف كانا سيفا مسلطاً على الرقاب .... فقلت فى نفسي : لماذا لا

أرفه عن الناس وأعيد لهم البسمة ؟!

عزيزي القارىء .... ان ما أسجله قاله ذلك الفتى حقيقة ، وانا هنا لم أتدخل الا في صياغة الجمل والالفاظ فقط .

المقنعون الصغار

● وبعد ذلك يا جمال ؟

- وجدت بين الأنقاض رشاشات كثيرة معطوبة وخربة ، فأصلحت بعضها ودهنتها .. ثم وزعت ما وجدته على بعض أطفال حينا ، وأخذت أدربهم عليها .

● هل أصبحت الرشاشات صالحة ؟

- لا .. كانت خشبا وحديدا معطلاً .

● لماذا فعلت ذلك ؟

- كما قلت لك ... أريد أن أعيد بعض الثقة للناس .

- أعدت السؤال كي أتأكد من الجواب .

● فأعاد التوكيد على الجواب وأضاف .. ثم بدأت أخرج بالأطفال والفتيان الى شارع السوق .. فيتجمع الناس ويضحكون . وبعضهم كان ينصحني بألا أفعل ذلك خوفاً من أذى الاسرائيليين وعملائهم .

● ماذا فعلت بعد ذلك ؟

- لبست القناع ولبسه أطفال غيري .... وخرجنا نتدرب خارج المخيم .

● والاسرائيليون ؟

- جاءوني في احدى الليالي .. طرقوا الباب وسألوا والدي عني فأجاب: هو صبي نائم .. أزاحوه من دربهم ، وكشفوا عني الغطاء فقمت مرتعبا ، وسألوني عن اسمي .. فذكرته لهم .

- ثم سألوني : الست أنت ابو حيط ؟

● قلت : نعم هو انا .

- نظر بعضهم إلى بعض ... وقال أحدهم هو طفل .... ومضوا .

● وماذا فعلت أيضاً ؟

- اتصل بي بعض رجال المقاومة ، وأصبحوا يطلبون مني المساهمة في الدعوة الى الاضرابات والمظاهرات في أيام يحددونها لي .

● والعملاء والاسرائيليون .. ألم تكن تصلهم التقارير عنك ؟

- جاءوني مرة ثانية وفي الليل أيضاً .. وكرروا نفس ما فعلوه في المرة السابقة .... فوجدوني طفلاً أيضاً .

● كم عدد الأطفال الذين كنت تتعامل معهم ؟

- عشرة وربما عشرين أو ثلاثين ... وفي أحيان أخرى أكثر من ذلك .

● هل اقتصر نشاطكم على ما ذكرت فقط ؟

- كنا نتقنع ونخيف العملاء في الليل ، الى درجة أننا إصطدمنا في احدى الليالي بدورية اسرائيلية ، فأطلقت النار علينا وقتلت احد الفتيان .

● وغير ذلك ؟

- كنا نقوم بتوزيع المنشورات وتخريب بعض المنشآت للعدو ، أو نوصل بعض الرسائل لرجال المقاومة ، وغيرها من أعمال .

ولقد ساهمنا في رد هجمة الانعزاليين التي قصدوا فيها احتلال المخيم بعد خروج الاسرائيليين ، صحيح أن السلاح كان قليلا أيامها بين أيدينا . لكن الشبان والفتيان خرجوا بكل ما ملكوه لمواجهة القوة المعتدية . وكنا من بينهم ، فأندحرت القوة الغازية وتخلص المخيم من كابوسهم .

● ما هي حكاية الحمار الذى ركبته بالمقلوب ودرت فيه بالمخيم ؟

- ضج الحضور بالضحك .... شاركهم جمال ، ثم قال ...

● أحببت ان أفرّج عن هموم الناس .... فأمتطيت الحمار بالمقلوب وكتبت على يافطة وضعتها عليه : قوات الأعداء .... فضج الناس بالضحك وتبعني أطفال كثيرون .

● والآن يا جمال ؟ .... ماذا تفعل .. بعد أن كبرت ؟

● إنني أسعى لاستعادة ما فاتني من تعليم ، كما أنني أصبحت عضوا في احدى المنظمات الفدائية .

● عزيزي القارىء .... في الأساطير حكاية ... عن طائر ينفض جناحي الانبعاث والحياة اذا ما احترق ... تماما كما هي حكاية المخيم الفلسطيني الذي لو رأيته في هذه الأيام فانك لن تصدق انه ومنذ سنتين فقط كان ركاما وانقاضا ! ..... □


تجميد سريع.
مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.
TOSHIBA
DIRECT COOL
GR-1205
GR-1005
GR-1205
سعة كبيرة • برّاد/ فريزر ببابين مع نظام تبريد مباشر للعائلات الكبيرة
GR-1005
سعة كبيرة • برّاد/ فريزر ببابين مع نظام تبريد مباشر
نظافة مستمرة.
مع غسالة Toshiba الكبيرة جداً.
Swing NEW
VH-1300
VH-3300
VH-S450
VH-1300
غسالة بحوضين
VH-3300
غسالة بحوضين
VH-S450
غسالة أوتوماتيكية بحوضين
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN



وتسألني ؟

شعر : جهاد السالم



وَتَسألُني طفلةٌ حلوةٌ   أتعشقُ - مثلَ الصِّغار - الصَّدَى

وَتَتْبَعُ مِثلى فَراشَ الحُقول   وتضحكُ كالطَّيْرِ لو غَرَّدا

وتكتبُ اسمى بصدرِ الجدار   وتَرسُمُنِي جَيِّدا جَيِّدا

وَشَعرُكَ يرعَى صراعَ البقاء   وقد أخرجَ الأبيضُ الأسودا

كأنَّك قلبانِ : قلبُ الهوى   وقلبُ الهموم وجسمٌ سُدى

فقلتُ أنا مثل هذا الوجود   بهِ الحلوُ والمرُّ قد عَرْبَدا

ولَسْتُ أرى المرَّ أشقاهما   ولا الحلوَ أحلى ولا أحمدا

فكم أصْلَحَ المرُّ بعضَ النفوس   وكم أفسدَ الحلوُ كم أفسدا

اذا الدَّهْرُ ألقى عنانَ الصِّعابِ   مَددْتُ لذاك العنانِ اليدا

وإن هُوَ أهدى إلىَّ الرَّداءَ   رداءَ المحبِّ قبلتُ الرَّدا

بعيدٌ عن المرءِ كرهُ الحياةِ   اذا كانَ كُرهُ الورَى أبْعَدا

وكلٍّ سعيدٍ بهذا الوجودِ   يكونُ الوجودُ به أسْعَدا

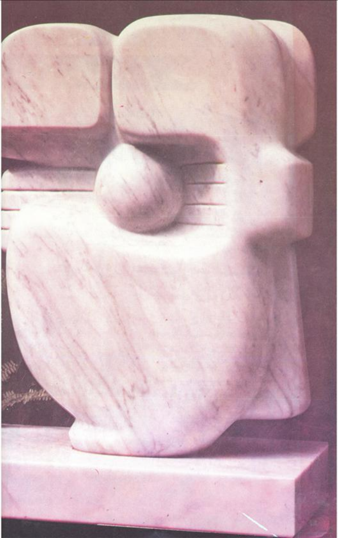
نهايةُ أجسامِنا حفرةٌ   ظلامُ الليالى لديها هُدَى

غداً إنْ غدَوْنا إلى جوفها   سيخنقُ فيها الظَّلامُ الغَدا

أنيروا مصابيحَ هذى القلوبِ   بحُبٍّ وأذكوا بها الموقدا

اذا ما مضَى الحبُّ من كونِنا   فقدْ قاربَ المنتهى المُبتدا







منى السعودي:
الفنانة التى كشفت سر الحجر

بقلم : صلاح حزين

منذ عشرين عاما غادرت منى السعودي الى باريس لبلورة هوية فنية خاصة بها . وهناك بدأت علاقة منى الحارة مع الحجر . ومن خلال هذه المادة الصلبة الارضية صاغت منى أعمالها النحتية الجميلة وامتلكت شخصيتها الفنية التى يحاول هذا المقال القاء ضوء عليها .

هنالك الكثير من عناصر الدهشة فى أعمال الفنانة منى السعودى ، فمن حجم المنحوتة الصغيرة الذى تتوزع فوقه وخلاله الخطوط المنحنية أو الدائرية أو نصف الدائرية ، الى تناسق الخطوط وبلاغتها وامتدادها البسيط دون صرامة أو تحفظ ، الى القدرة على انطاق الأحجار الصلبة الجامدة المتعددة الألوان . وهى هنا تتجمع لتعطى المادة الحجرية الجامدة حرارة وحميمية كبيرتين .



نمو - ١٩٨٣ - غرانيت - ارتفاع ٢,٧٥
الدوار السادس - عمان

ويدهش مشاهد منحوتات منى السعودي من محدودية مفرداتها الفنية والتشكيلية وغناها الفني في الوقت نفسه . أما قصة العلاقة بين الفنانة والحجر الذي تصوغ منه أعمالها النحتية فتعود الى عشرين سنة مضت ، عندما ذهبت منى السعودي الى باريس لتدرس الفن وتكشف سر الحجارة .

في معظم معارضها تحرص الفنانة منى السعودي أن تعرض بعض لوحاتها الى جانب أعمالها النحتية التي تنتشر بانتظام قدسي داخل قاعة المعرض ، وعند النظر الى مجموع تلك الأعمال يتكون لدى المشاهد الانطباع الفوري بأنه أمام نحات ، فحتى اللوحات المعروضة تبدو كأنها تخطيطات لأعمال نحتية قادمة .

الفجر الأسود :

ومن بين أعمالها جميعا يلفت النظر ذلك العمل النحتي المصنوع من الرخام الاسود بحجمه الصغير الذي يميز أعمال الفنانة كما ذكرنا ، وبتلك الخطوط البسيطة التي تخترق الجسم الأملس المحدب بخفة . وقد أعطت الفنانة لذلك المزيج الفني اسم (الفجر الأسود) .

تدور معظم أعمال منى السعودي حول فكرة مركزة واحدة هي فكرة الأمومة التي تشمل أفكارا فرعية أخرى مثل النماء والاخصاب والانبلاج ، وهي تعتقد بأن أسماء اللوحات لا تعني الكثير بالنسبة للعمل الفني ، الا أنها تعرف أن الأسماء التي تتراوح بين الأمومة وأمومة الارض هي تنويعات على فكرة الخصب التي هي أصل كل شيء . وهي في هذا نموذجية الى حد كبير من حيث محدودية مفرداتها ، فهذه المفردات الكلامية المختصرة هي جزء من محاولات منى لاختزال العالم المحيط الى مفردات فنية ينطقها العمل الفني ، فتخرج على شكل خط منحنٍ أو دائري ، ولكن ليس متعرجا . وهذه الخطوط تأخذ أشكالها المختلفة المحدودة في الوقت نفسه ، وتتوزع على جسم العمل ، ثم تتبادل أمكنتها واتجاهاتها وأدوارها على أجسام الأعمال الأخرى ، وهكذا تتمكن منى من اختزال العالم عبر مفرداتها الفنية هذه بحيث يبقى محافظا على تناسقه وانسجامه وغناه .

وتفسر منى السعودي ذلك بقولها : « ان لكل فنان مفرداته الخاصة وعناصره التشكيلية ، التي قد يعمل عليها طوال حياته . قد تتجدد ، وقد تختلف بطريقة ما ، لكنها تبقى لتعطي الفنان خصوصيته وشخصيته » .

الدائرة والخط المنحني

ولكن لماذا الخط المنحني والدائرة ، وليس الزوايا أو الخطوط المستقيمة المباشرة الحادة ؟ تجيب منى « الخط المنحني ، الذي تحول في أعمالي الأخيرة الى دائرة مكتملة هو محاولة من جانبي للوصول الى مطلق

الاختصار ، ومطلق البساطة ، وهذا لا يكون الا من خلال الخط البسيط » .

والخطوط المنحنية وأنصاف الدوائر والدوائر المكتملة التى تبدو وكأنها تلملم جسم المنحوتة بدل أن تطلقه فى الفضاء الرحب ، تتكامل وتتناسق مع الحجم الصغير لمعظم تماثيل منى السعودى . لكن الوحدة والتداخل بين انحناء الخطوط وبساطتها المطلقة وبين حجم المنحوتة هى اختصار آخر لمفهوم الشكل والمضمون ، المظهر والجوهر وما الى ذلك من أسماء تطلق على هذه المشكلة الفنية ، وليس انكفاء على الذات وتقوقعا وعودة الى الرحم ، رغم أن أي تفسير لتلك الخطوط لا يمكن أن يهمل هذه الجوانب ، وتدرك منى مغزى التساؤل الذى لم يوجه اليها مباشرة ، وتجيب « الانحناءة فى الأعمال الصغيرة الحجم نتيجة منطقية للطابع الحميمى لتلك الأعمال ، انها ليست من تلك الأعمال الضخمة الكبيرة ، التى تنصب فى الشوارع والساحات والحدائق العامة . بل ربما كان أفضل مكان لها هو



تكوين - ١٩٨٤ - حجر اردني

حديقة خاصة ، تشعر المتردد عليها بالراحة والاسترخاء » ، وتضيف « لحن تطورا حدث أخيرا على أعمالى استدعى تغيرا فى الأسلوب نفسه . وقد بدأ ذلك عندما خرجت أعمالى الى الشارع ، ووضعت فى أماكن أخرى . وطبيعة المكان الذى تعرض فيه الأعمال مهم جدا فى التكوين الفنى للعمل النحتى » .

وهكذا ويمثل بساطة أعمال منى السعودى ، ومن خلالها نجد انفسنا ننتقل من تلك الملاحظة العابرة لندخل فى محاولة لحل المشكلة الأزلية لفن النحت ، مشكلة تناسب حجم المنحوتة مع الفراغ . الفضاء فسيح ممتد ، والمنحوتة عالم مختصر ضمن هذا الفضاء المترامى .

ليس هناك أبلغ من العبارة الشهيرة القائلة (كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة) هذا ما قالته منى وهي تعلق هذه الجملة في مكان بارز من مرسمها في عمان بالاردن .

بين الساحات العامة والمتاحف

ورغم اعتزاز منى بأعمالها النحتية الصغيرة هذه ، فانها ترى فيها ما يشبه المقدمات لأعمال كبيرة الحجم ، تنتصب فى الساحات والشوارع والأماكن العامة . وقد كان أحد أحلامها على الدوام أن ترى أعمالها تلك فى الأماكن التى ذكرتها . وعلى أى حال فان هذا فى الواقع هو مفهومها لفن النحت ، أى أن يكون العمل نصبا كبير الحجم ، يسهم بخلق نوع من التواصل مع المشاهد الذى قد يكون عابرا أو متأملا أو طالبا لبعض الراحة ، « اعتقد أن أفضل معرض للأعمال النحتية هو الشارع ، وليس المتحف أو المعرض الذى قد يضفى على الأعمال الفنية نوعا من القداسة ، لكن وجودها فى الأماكن العامة يعطى نوعا من تعميم الجمال والفن ويمنح غنى نفسيا وجماليا أكبر » .

وترى منى أن هذا الانتقال من مرحلة الأعمال الصغيرة الحميمة ذات الأنحناءات الدائرية السائرة باتجاه مركز العمل ، الى الأعمال الكبيرة تتطلب تغيرا فى الأسلوب وفى المعالجة . لقد بدأت مرحلتها الجديدة منذ نحو عامين ، عندما نصب العمل الأول

لها في الدوار السادس في العاصمة الأردنية كما قالت ، ولم يكن صدفة ان هذا العمل كان تكبيرا لنموذج صغير من أعمالها الأولى . وكأن في ذلك تأكيدا لعنصر الاستمرارية ، ونفيا لأي انقطاع بين المرحلتين .

لكن التغيير في الأسلوب والمعالجة يتطلب بدوره تغييرا في المفردات اللغوية والفنية . وهكذا نخرج من اطار اللوحات الحميمة الصغيرة ذات الأسماء الموحية مثل (أمومة) و (أمومة الأرض) الى أعمال مثل (النهر) و (نمو) التي تأخذ فيها الخطوط المنحنية أبعادها ، وتشكل أجزاؤها البارزة مشروع حوار مع الفضاء ، منطلقة من حالة الالتئام التي تميز معظم أعمالها .

سر الحجر

لقد كشفت منى السعودي سر الحجر ، بعد أن اكتشفت سر النحت ، واعتبرته هو الاساس ، فليس في الحجر أسرار كما تقول « السر في النحت ، وعندما تكتشف سر النحت تتكشف أمامك أسرار الحجر بمختلف أنواعه » .

وربما كان من عناصر المفارقة أن هذا الفن الذي يتعاظم دوره في حياتنا ، كلما تقدم الزمن وتطورت الحياة أمكن الوصول اليه من خلال أقدم الأدوات التي



منى السعودي ... وقلك سر الحجر

اخترعها الانسان ، وهي الازميل والمطرقة ، أما مادة ذلك الفن فهي الحجر القديم نفسه . الذي صنع منه المصريون تماثيلهم وأهراماتهم ، كما صنع منه الأشوريون والكلدان آلهتهم ذات الرؤوس الحيوانية والأطراف المجنحة . تقول منى السعودي « الازميل والمطرقة اليدوية والحجر هي عناصر النحت الاساسية ، وحتى المطرقة الحديثة التي تعمل بقوة الضغط تقوم على فكرة المطرقة اليدوية القديمة ، أما عوامل الحفر الأخرى فكلها عوامل مساعدة ، ويحدث أحيانا أن أصنع عملا نحتيا بكامله مستخدمة الازميل نفسه دون أن أغيره » .

علاقة حارة مع الجماد

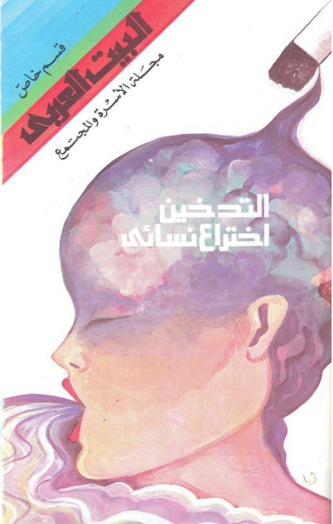
وألاحظ في أثناء حديثي مع الفنانة منى السعودي أنها تتحدث عن تلك المادة الصماء الصلبة بحرارة غريبة . وأسأل عن سر تلك العلاقة وريتها لها . وتتحدث منى بمعرفة عن مادة عملها الحجرية ، « الحجر هو أقدم مادة وأغناها ، ورغم اختلاف الحجارة فان لكل منها خصوصيته وجماله ، وعندما يأخذ الفنان تلك المادة الأرضية التي يمكن العثور عليها في أي مكان يبدأ بينهما نوع من العلاقة الحميمة . فقد يضع الفنان الحجر في مكان ما من مرسمه فترة من الزمن يمر به ويراه ويتأمله كل يوم قبل أن يبدأ العمل به . وعندها تبدأ مرحلة جديدة من العلاقة مع الحجر نفسه . يأخذه الفنان ويضع فيه كل تجربته الفنية والفكرية السابقة ، وربما القادمة ، ويصبح للحجر قيمة خاصة به ويبدأ له تاريخ جديد » ونضيف منى » ولا تنتهي العلاقة هنا ، بل يصبح الحجر جسرا للتواصل بين الفنان والناس من خلال عيونهم التي تراه بمنظارات مختلفة ، وتعيد اكتشافه كل يوم وتتكرر عملية الخلق الفني هذه الى مالا نهاية) .

هكذا تحدثت منى السعودي ، الفنانة التي ولدت في عمان بالاردن ، ثم رحلت الى باريس لتدرس فن النحت ، وعاشت في بيروت سنوات حرب لبنان ، ودخلت تجربة الحصار عام ١٩٨٢ ، وبعدها عادت الى عمان ، الى حيث انطلقت قبل عشرين سنة لتصنع التماثيل من الحجارة التي فتحت لها مغاليقها فكشفت سرها الخبيء . □

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



التدخين

اختراع نسائي

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

أسهل شيء في الدنيا هو أن تترك التدخين ، لقد تركته مائتي مرة على الأقل .. هذا ماقاله بين-الجد والسخرية-الكاتب الكبير مارك توين ، ليدلل على صعوبة اتخاذ القرار بالحرمان من مرافقة السيجارة التي يصفها العلماء بلقب « القاتلة »

ومشاهير العلماء يؤكدون اليوم على أن التدخين يسبب سرطان الرئة والشفاه والفم والبلعوم والمريء ، وحتى المثانة البولية . كذلك فإصابات القلب والأوعية الدموية الناجمة عنه قد وصلت الأن لمعدلات تثير القلق .

ثم إن قرحة المعدة والاثنى عشر ، والتهاب القصبة ، والأضرار التي تصيب العيون ، الى جانب الخسائر الأخرى الكثيرة ، أجبرت جميعها الاتحاد الطبي البريطاني على شن حملة واسعة النطاق ، مطالبا حكومة بلاده بوقف جميع أنواع الدعاية للتدخين .

وقد أكد الاتحاد في رسالته التي بعث بها لوزير الصحة والضمان الاجتماعي ، على أن اكثر من ٢٧٠ شخصا يموتون كل يوم بشكل مبكر بسبب الأضرار الناجمة في صحتهم من التدخين .

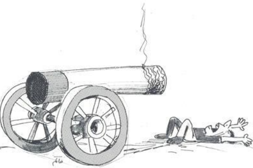
لكن حين تقرر ترك التدخين فما عليك الا أن تلقى بسجائرك ، وتوقف القهوة والمشروبات الروحية « ان كنت من الشاربين » كما يقول السيد بيرانيس مسئول منظمة حملة مكافحة الدخان الدولية ، الذي يعد بأن باستطاعة الشخص أن يضع نهاية لهذه القصة خلال سبعة أيام ويقول : -

قبل النوم عليك بأخذ حمام دافيء ، وأن تستلقى على فراشك مبكرا في هذه الليلة عما كنت قد اعتدت عليه كي تريح أعصابك . وفي اليوم الثاني (اليوم الاول) انهض في الصباح وخذ « دوشا » قبل تناول الوجبة .

وخلال الوجبات عليك تناول الكثير من الفاكهة (الطازجة) ، وعصير الفواكه التي تحتوى على نسبة عالية من فيتامين ج (الطماطم والحمضيات) وان تتجنب الفلفل والأطعمة التي تحتوى على البهار والخل والطرشي ، واللحوم التي تحتوى على البهار كذلك وكل أنواع الحلوى الثقيلة التي تصنع بكثير من البيض والزبدة .

واذا شعرت بالحاجة للطعام أكثر من الفاكهة والساندويش ، فيمكنك تناول الشوربا الخفيفة والسلطة مع قليل من الزيت والليمون او حتى من غير ذلك .

واذا ثنى عزمك ودخنت بعض السجائر فهذا لايعنى أنك لاتستطيع ترك التدخين ، فمن اليوم الثاني وحتى السابع يمكنك تقليل السوائل واضافة أطعمة أخرى لوجباتك . لكن عليك أن تتجنب اللحم والأطعمة الثقيلة ، وأن تلجأ أكثر



للخضراوات وكثير من الفاكهة .

وخلال تلك الأيام التى ستحاول فيها ترك التدخين ستشعر بالعصبية ، القلق ، الملل والاغماء ، الدوخة ، القىء وتغير النكهة .

كذلك فقد تشعر بالتخدير وألم العضلات ، التعب ، الارهاق ، النعاس ، والرغبة فى التدخين .

والشىء الذى يجب أن يثير قلقنا هو نتائج الاحصائيات والاستفتاءات الأخيرة التى أثبتت أن النساء يتفوقن على الرجال فى عادات التدخين (بينما فى الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ كانت نسبة المدخنات منهن ١٠ ـ ١٥٪ بينما كانت نسبة المدخنين من الرجال ٥٥٪) وهنا علينا ان لاننسى أن لعنة التدخين هى اختراع نسائى . وقد قدرت بعض الأبحاث أن كمية مايستنشقه المدخن من سيجارة واحدة تعادل نفس كمية المواد الكيميائية السرطانية التى كان يمكن أن يستنشقها لأسبوع أو أسبوعين فى احدى المدن الكبرى الملوثة ، وهو أمر يعنى أن من يدخن ٤٠ سيجارة يوميا يستنشق يوميا منها مايستنشقه خلال عام كامل فى احدى المدن الملوثة .

ويحتوى دخان السيجارة الذى يستنشقه المدخن على اكثر من ٢٠٠ اتحاد كيماوى وسرطانى سام مثل « أول أكسيد الكربون ، النيكوتين ، أكاسيد النتروجين ، الفينول وغيرها .

وفى اليونان فقد ارتفع معدل تدخين الفرد من ١٧٠٠ سيجارة سنة ١٩٦٠ (لمن هم فوق سن الخامسة عشرة) ليصل الى ٣٦٠٠ سيجارة سنة ١٩٨٣ . أما فى النرويج وبعد عشر سنوات من تنظيم حملات المكافحة فقد هبط استهلاك السجائر بمعدل ٢٥٠٠ سيجارة للفرد الواحد ، ونفس الأمر يسري على الولايات المتحدة حيث هبطت نسبة المدخنين من ٤١٪ سنة١٩٦٥ الى ٣٢,٦٪ سنة ١٩٨٠ ، بينما سجل هبوط عام في الاستهلاك بمعدل ١٥٪ كذلك ثبت بأن احتمال تدخين الابناء فى حالة تدخين أحد الأبوين يصل الى ٥٠٪ ، بينما يرتفع حتى ٧٠٪ فى حالة تدخين كلا الأبوين .

وهكذا فلم تكن مضحكة العبارة التى يمكنك قراءتها فى سيارات الأجرة فى الولايات المتحدة ، والتى تقول « حريتك تنتهى حيث يبدأ أنفي » .

وقد أثبتت الأبحاث بأن التدخين السلبى أو الثانوى أى الاستنشاق غير الارادى لدخان المدخنين يمتلك كذلك عواقب سلبية وخيمة على الصحة تصل حتى حدود سرطان الرئة .

وحتى لايكون قولنا مبالغا فيه نوضح هنا بان المدخن يستنشق خلال تدخينه لسيجارة واحدة فقط ما

مجموعه ٢٠ ثانية ، لكن الدخان ومحتوياته تتجول فى الهواء لعشر دقائق كاملة ، وهو أمر يعنى أن الدخان المتسرب يفوق الممتص بكثير .

وقد أثبتت أبحاث أجريت فى اليونان ، بان الدخان السلبى يحتوى على كمية أكبر من المواد التى تعتبر ضارة ، وخصوصا النتروسامين التى تعتبر أكثر مادة مسببة للسرطان ، حيث يزداد تركيزها فى الدخان السلبى بمقدار ٥٠ مرة لمن يعملون أو يعيشون مع المدخنين » .

وبالطبع فذلك يعتمد على عوامل أخرى مثل المسافة التى يبعدها الشخص المعرض للدخان ومعدل تهوية المكان . ونفس الأبحاث تقريبا قد أكدتها دائرة حماية البيئة فى واشنطن التى قدرت بأن ٥٠٠ - ٥٠٠٠ شخص من غير المدخنين يموتون سنويا فى الولايات المتحده من سرطان الرئة الذى يسببه التدخين غير المباشر ، بينما يموت ١٠٠٠ شخص وبنفس السبب سنويا فى بريطانيا ، كما أعلن ذلك البروفيسور مايكل راشيل .

وقد أكد بحث أجرى فى بريطانيا على أن خطر الاصابة بالسرطان يزداد لكل شخص بازدياد أعضاء العائلة الذين يدخنون فى منزله . وبالنسبة للأطفال فالتدخين يسبب عندهم أمراضا تنفسية وأخطاراً بالاصابة بأورام الأطفال وسرطان الرئتين .

كذلك فالخطر كبير على البالغين للاصابة بنفس الأمراض ، لتعرضهم خلال سنين طفولتهم لتدخين أعضاء عائلتهم . كذلك فمن الجدير بالملاحظة هنا ذكر القابلية الكبيرة للاصابة بهذه الأمراض للأجنة ، ممن كانت أمهاتهم يدخن خلال فترة الحمل ، وذلك لأن المواد السرطانية يمكنها اختراق المشيمة .

وقد خلصت هذه الأبحاث للقول : « اذا كان المدخن السلبى يستقبل كميات أقل من الدخان من تلك للمدخن الفعال الا أنه مع ذلك يمتص نوعيا مواد دخانية أكثر . وقد عثر على بعض مشتقات الدخان فى دم ولعاب وبول الأطفال والبالغين والأجنة ممن تعرضوا لدخان الآخرين » .

وبالطبع فالشقاق بين المدخنين وغير المدخنين يعتبر حتميا ، فى الوقت الذى يدافع فيه الأولون عن حقهم في تسميم أنفسهم ، يرفض الآخرون النيكوتين وعواقبه . ولاحل لهذه المشكلة حتى الآن ، وأحد المواقف غير المعتادة بهذا الشأن كان ذلك الذى نشرته الصحافة حول قيام احدى طائرات « ايستيرن » بهبوط اضطرارى خلال رحلة لها بين نيويورك وواشنطن ، بسبب خلاف دب على متنها بين الركاب ، وقد ابتدأ الاشكال حين اضطر أحد الراكبين ممن لم يعثر له على مقعد « ممنوع التدخين » للجلوس مع المدخنين ، حيث طالبهم بعدم اشعال سجائرهم فكان ما كان .

وأحد المواقف الأخرى ، أن الامريكى فيرنر بيتركى طلب من مكتب الموظفين الفيدراليين تعويضا له على اضرار لحقت بعيونه ، وميل للقىء لديه ، واضطرابات فى الرئة بسبب أدائه لعمله بين موظفين جميعهم من المدخنين ، ولأول مرة فى التاريخ فقد دفع المكتب مبلغ ٧٨٠ دولارا عن الخمسة عشر يوما .

ومثل هذه المحاكمات قد أجريت فى السويد ، لدرجة أن الخطوط الجوية السويدية قد نظمت رحلات داخلية خصوصا لغير المدخنين ، كذلك فالحكومة السويدية هى الأولى فى العالم التى وصفت التدخين بانه خطر عام ، وبالطبع فقد سنت القوانين الصارمة بحق من يدخنون فى الأماكن العامة ، وكان من نتائج الاجراءات فى السويد هبوط نسبة المدخنين من ٧٠٪ سنة ١٩٦٣ الى ٣٠٪ الآن .

ولنفس السبب تقوم بعض الشركات الأمريكية بتقديم « بريم » لموظفيها الذين يقلعون عن التدخين ، بينما تحتوى المطاعم على قاعات خاصة بغير المدخنين ، ومن المعروف أن نقطتين من النيكوتين تكفيان لموت الانسان ، بسبب شلل تحدثه فى مركز التنفس ، وأن دخان المائة سيجارة يحتوى على غرام واحد من النيكوتين ، يبقى منه ٢٦٪ فى عقب السيجارة ، بينما يمتص المدخن ٢٨٪ منه ، ويتوزع الباقى ٤٦٪ فى الهواء الجوى .

وهذا الأمر دليل على أن التدخين لايسبب مشكلة لمن يختارونه بارداتهم فقط . □

البدانة

صحة .. أم مرض ؟

بقلم: الدكتور سامي محمود علي

« مشكلة . . لايخلو حديث عن آخر أخبارها . . والكل يسأل ويبحث عن علاج : ترى ماهي أسباب السمنة وهل هي صحة أم مرض ؟ »

هل يمكننا اعتبار البدانة مرضا ؟ . . واذا كانت مرضا فكيف يمكن للمرء أن يشفى من أعراضه التي تثير اشمئزاز وقلق الكثيرين ؟ . . في الواقع أن هناك جانباً ضئيلاً من البدانة يمكن اعتباره مرضيا ، ولكننا دون أي مغالاة نقول ان الجانب الأكبر من البدانة لايعدو أكثر من كونه استعمالا غير صحيح لآلة الجسم ، بالاضافة الى الفوضى الكاملة لطرق التغذية . . ومن الأبحاث التي أجراها « بريبل » وجد أن نسبة الوفيات قبل سن الخامسة والعشرين تكون متساوية عند البدينين وغير البدينين ، ولكنها تزداد عند البدينين الذين تتراوح أعمارهم مابين ٢٥ و ٥٠ سنة . . اذن يمكن وضع النتيجة بتلخيص شديد ، ان ازياد الوزن بعد سن الخامسة والعشرين ينذر بالخطر ، فكلما تقدم الانسان في السن زاد الخطر من ازدياد وزنه . . كما أن البدين عرضة أكثر من غيره للاصابة بمرض السكر . . بالطبع نحن لن نستطرد في ذكر هذه الحقائق التي مفادها أن البدانة شر لابد من التخلص منه . . ولكن نتساءل ماهي البدانة وما هي أهم أسبابها ؟ . . وما هي طرق معالجتها ؟ . . وماذا عن الوصفات الشعبية التي تعالج البدانة . . ؟ . . الحقيقة أنها أسئلة كثيرة تتردد لدى الكثيرين ، وسنحاول هنا الاجابة عنها جميعا . .

أسباب البدانة

البدانه هي زيادة في شحوم البدن ، خصوصا في النسيج الخلوى تحت الجلد ، وكما يبدو ذلك واضحا في تراكم الدهون تحت جلد البطن ، فيما نسميه « الكرش » كذلك تزداد الشحوم في المسافات بين الحشوية وحول أعضاء الجسم الداخلية كالكلية والقلب . .

أما أسباب البدانة فقد ظهرت في الأونة الأخيرة عدة بحوث تعدد الأسباب التي تنجم عنها الاصابة بالبدانة ، ولعل من أبرز هذه الدراسات تلك الدراسة التي قام بها دكتور « جون هوبكنز » بالاشتراك مع الدكتورة « ماريا سيمونسون » صاحبة كتاب « علاقة الصحة بالوزن » . . وفي هذه الدراسة نلمح بوضوح الأثر النفسي الذي يدفع البعض الى

تناول الطعام بشراهة ، فيؤدي بالتالي الى زيادة الوزن .. فالمرأة الحامل التي تتناول المزيد من الطعام ، خوفا من اصابة الجنين بالضعف ، وكذلك المرأة في سن اليأس التي تعاني من اضطرابات نفسية نتيجة انقطاع الدورة الشهرية ، فتلتهم الطعام بشراهة كنوع من التعويض .. أيضا الرجال الذين يفرطون في تناول الأطعمة في فترة حمل زوجاتهم ، كنوع من أنواع التعبير عن الاستياء والاهمال من جانب الزوجات .. كذلك أوضحت هذه الدراسة أن المرض وبعض حالات الحوادث التي تدفع البعض الى الراحة لمدد طويلة تقلل من نشاطهم ، في الوقت الذي يزيد فيه التهامهم للطعام ، مما يصل بهم في النهاية الى الاصابة بالسمنة ، وهناك البعض الذي يقبل على تناول الأطعمة في أثناء الليل أو قبيل النوم أو في فترة الاسترخاء أمام التليفزيون في المساء .. هذه هي الأسباب التي أوردتها هذه الدراسة كأسباب للبدانة ، الا أننا يجب ألا ننسى الأثر الوراثي في البدانة ، فالبعض بدين لأنه من عائلة كل أفرادها من أصحاب الأوزان الثقيلة ، أضف الى ذلك البيئة ، فبعض العائلات تهتم بأمور الطعام وتعطيها أهمية كبرى ، فينشأ أفراد هذه العائلات وهم يعانون من البدانة .

اذن يمكننا وضع كل هذه الأسباب في جملة واحدة هي .. أن السبب الجوهري للبدانة هو افراط شديد في تناول الطعام ، خصوصا الأطعمة النشوية والسكرية ، وذلك في مقابل نشاط أقل وفترات راحة طويلة .

قبل أن تبدأ العلاج ..

أولا قبل أن نشرح طرق علاج البدانة علينا أن نعرف أن العلاج لن يتأتى في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة وكفاح مستمرين .. ان انقاص الوزن سوف يهبط في بداية العلاج بسرعة ، ولكنه سيبقى ثابتا لفترة طويلة قبل أن يبدأ مرة أخرى في الانخفاض ، لذلك علينا ألا نصاب باليأس فنقلع عما بدأناه ، ونحن نشير بالمناسبة الى أن قياس وزن الجسم في أثناء العلاج يجب أن يكون كل أسبوع لا كل يوم كما يفعل البعض .. وفي الحقيقة أن العلاج يقوم أساسا على التغذية ونوعية الطعام ، وهو لا يهدف فقط الى انقاص وزن الجسم ، ولكن أيضا الى تعديل العادات الغذائية للمريض .. وهناك نصائح عامة نقولها لكل بدين ..

- يجب أن يكون الانسان البدين نشيطا لكي يحرك جسده ، ويجب عليه أن يمشي مسافة معينة في كل يوم .
- تحديد أوقات الطعام وتحديد كمية الطعام في كل مرة .
- يستحسن عدم النوم بعد الطعام مباشرة .
- تخفيض نسبة السكريات والنشويات وملح الطعام في الغذاء .. مع ملاحظة أن الامتناع التام عن تناول السكريات والنشويات وملح الطعام له ضرره النفسي ، وهو شيء غير مرغوب فيه ، فالمطلوب اذن التقليل فقط من هذه المواد .
- الأغذية البروتينية كاللحوم والأسماك يمكن أن يتناول منها حتى ٢٠٠ جرام يوميا ، فهي أقل الأطعمة تحولا الى شحوم .

كيف تتخلص من البدانة ..؟

ان علاج البدانة والتخلص منها يعتمد في الأساس على طريقة التغذية ونوعية الطعام ، فهناك نظام تغذية يشمل وجبات الطعام في الافطار والغداء والعشاء وهو كالآتي ..

الافطار : عصير الجريب فروت من أجل فيتامين ج ، وفنجان قهوة ، وعند الشعور بالجوع تناول بيضة نصف مسلوقة .

وفي منتصف النهار يتناول البدين قطعة من الجبن المنزوع الدسم وكوب زبادي .

الغداء : سلطة خضراء ، شوربة خضار بدون ملح ، ومضاف اليها عصير الليمون .. كما يمكن تناول كوب من الزبادي عند السادسة مساء .

العشاء : فرخة كاملة مسلوقة مع الجزر والبصل بدون ملح أو أي مادة دسمة ، ويمكن تناول بدلا من ذلك كيلو ونصف من السمك ، أو ما يعادل ذلك من



أي نوع من البروتين (البقوليات كالفول والعدس يمكنها أن تحل محل اللحوم ، بشرط عدم استخدام الملح ، أو اي مادة دسمة كالزيت أو السمن) .

● قبل النوم : كـوب من اللبن ٤ مرات في الأسبوع .

كما يمكن ملاحظه الآتى :

- تناول كوب من الماء كل نصف ساعة .

● - يجب أن يخصص يوم للصيام مرة شهريا ، ويومين أو ثلاثة يتناول فيها الفاكهة فقط . . كما يمكن تناول ملعقة عسل نحل خلال أيام تناول الفاكهة فقط .

أما اذا كان الشخص يريد انقاص عدد قليل من الكيلوات فقط من وزنه ، فيمكن اضافة الفاكهة الى وجبة الأفطار او الغذاء ، لكن بشرط تناولها بعد ثلاث ساعات من تناول وجبة البروتين ، وانتظار ساعتين قبل تناول أى نوع من أنواع الأطعمة الأخرى .

وصفات شعبية تعالج البدانة . .

حاول الانسان أن يجد من الطبيعة ما يعالج به ما أفسده هو بافراطه ونهمه على الطعام ، وركونه الى الكسل والدعة . . والحقيقه أن الطبيعة أم رحيم لا تبخل على الدوام بتقديم ما يمكنها به مساعدة الانسان وشفائه . . وهنا يمكن أن نذكر الوصفتين التاليتين كوسائل لمعالجة البدانة ونكرر القول بأن العلاج لن يؤتي ثماره في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة ومداومة ، فكما أن البدانة لم تظهر فجأة بل تراكمت يوما بعد يوم ، فإن العلاج كذلك سوف يستغرق وقتا للتخلص منها . . والوصفتان هما . .

● ورق العنب : ينقع ٥٠ جراما من الأوراق اليابسة في لتر من الماء البارد ، ثم يوضع على النار حتى يغلي لمدة نصف دقيقة ، ثم يترك لمدة ١٥ دقيقة قبل أن يصفى ويحلى ، ويؤخذ بمعدل ثلاثة فناجين في اليوم قبل الطعام ، ويمكن تناول كمية محدودة من العنب في الصباح حتى يرتفع تدريجيا ، وخلال أسبوعين الى كيلو واحد .

● خل التفاح : يستخدم خل التفاح لانقاص الوزن ، وذلك بشرب ملعقتين صغيرتين من الخل في كوب ماء مع كل وجبه طعام ، أما اذا تعذر شرب مزيج الخل مع كل وجبه طعام لاي سبب يتعلق بالعمل اليومي ، فيمكن شرب كوبين من المزيج يوميا . . الأول في الصباح بعد النهوض من الفراش والثانى مساء قبل الذهاب الى النوم . . فالخل هنا يحرق الدهن الزائد في الجسم ويمنع تراكمه . . أما طريقة اعداد خل التفاح فيصنع بتقطيع ثمار التفاح دون نزع البذر ، ثم وضعها في اناء وتركها عدة أيام الى أن يتم التخمر ، ثم تصفى ، ويستخدم الخل الناتج من التصفية بالطريقة التى شرحناها . . . □

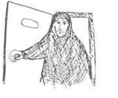
هو ....
بلا أسرار

أصبحت حياتي جحيما ، وصارت أيامي دارا منهوبة وسترا مفضوحا ، العيون تنتهك أسرارها وتفقدها خصوصيتها ، الأنوف تندس تبحث عن أخباري ، كل الألسنة تشاركني مشكلاتي وحياتي .

صعب أن أحدد البداية ، ولكنني فتحت بابا لم أكن أظن أنه سيصعب اغلاقه ، وأن نتائجه ستكون بهذه الآثار التي تقلب حياتي وتفسدها .

كنت صغرى شقيقاتي الثلاث لأم هي أكبر شقيقاتها ، ومن هنا فقد كنا نحن الشقيقات الثلاث بمثابة الصديقات لخالاتنا ، نشأنا معا وتربينا معا ، كانت بيننا علاقة أقرب الى الصداقة منها الى القرابة .

وتزوجت .. وكانت فرحتهن بي لاتوصف ، وبدأت حياتي مع زوجي ، وبدأت زيارتهن لي .. شقيقاتي وخالاتي .. ولأنني أنا الصغرى .. المحبوبة والحمد لله - فقد كانت الاستشارات المجانية تقدم لي دون طلب ... والمساعدات تنهال على .. واحدة



تعد لي طعاما وترسله .. وأخرى تدخل المطبخ وتقف مكاني .. وثالثة ترتب معي المنزل .. وعندما نجلس تبدأ الأسئلة والنصائح والملاحظات ، واعترف بأني كنت سعيدة غاية السعادة بهذه القلوب التي تحيط بي .. فرحة بأن الآخرين يقدمون خبراتهم ورصيد تجاربهم مجانا،ويكشفون لي نتائج وعقبات حياتهم كي اتجنبها .. ولكن بعد فترة اكتشفت أنني أحيا كعروس في مسرح عرائس .. فهن يعرفن دخلنا .. كم ننفق وكم ندخر .. وكم علينا من ديون .. وكم لنا .. وماذا سنشتري ، ومن أين ، وبكم ، وماذا نأكل ، وماذا نحب وماذا نكره .. ولماذا نؤجل الانجاب الآن ، وأي وسيلة منع حمل استخدم .. اكتشفت أن حياتي منتهكة .. وسري مذاع .. وخصوصيتي مفتقدة .. وجدت أنني لم استطع ان أوقف هذا التدخل .. وأنا في منتصف البحر لااستطيع العودة .. ولا أستطيع ان اتخذ موقفا حادا .. فهم أهلي .. ولا أشك في حبهم لي ... وأنا حريصة على علاقتي معهم ، ولكني أحيا في جحيم من الانتهاك ، أعرف أن الحل الوحيد هو أن أقف يوما وأطلب منهم جميعا أن يكفوا عن نصائحهم وتدخلهم ، ولكن هذا موقف لاتسلم عواقبه .

الأزمة أن زوجي طرف في اللعبة ، وكثيرا ما يثور النقاش .. هم يدافعون عن آرائهم ووجهةنظرهم ، وهو يبرر ويشرح أفكاره ، ولماذا فعلنا كذا .. ولم نفعل كذا،راح حلم الاستقلال والخصوصية والحياة الآمنة .. صارت الحياة مشاعا وملكا لكل العيون والأنوف .

هي

هيَ ....

إقتحام

منذ أول يوم وأنا أدرك خطورة الاقتراب الشديد ، وحاولت أن أدافع عن حياتنا دون أن أمس مشاعرها أو أسبب لها احساسا بأن هناك موقفا من أهلها .

وكانت فكرتي ببساطة أن كل علاقة انسانية لها قانونها الخاص ، وان التجارب الانسانية ليست متماثلة ، ولو وضعنا شخصين في نفس الظروف والبيئة ، وعرضناهما لذات العلاقات ، والمواقف ، لجاءت النتائج مختلفة لأننا في النهاية بشر ، بيننا فروق واختلافات ، ولا يوجد في هذا العالم اثنان متطابقان في العقل والثقافة والبواعث النفسية والوجدان والوعي . . وعديد من التفاوت بيننا نحن البشر .

وقلت لها طالما أنت آمنة معي ، وتثقين في أننا لدينا الرغبة الصادقة ، في أن نصوغ حياتنا بنوايا طيبة



فدعينا ننسج أيامنا وفق ما نرى ، ستكون هناك أخطاء . . فليكن ، ولكنها ستظل أخطاءنا نحن . . وسنتعلم منها ، ونستفيد ، فلاشيء يعلمنا قدر تجاربنا وأخطائنا . . وأسوأ ما في الحياة نصائح البعض للبعض ، فالنصائح كشمس الشتاء تشع نورا ولكنها لاتمنح دفئا ، وحاولت كثيرا . . دعينا من آرائهم ، والتزمي بقدر من الصمت وقدر من الذكاء في توجيه النقاش بعيدا عما لاتحبين ، وكان نصحي لها رقيقاليّنا ولكن دون جدوى . فتركت الأمور تتعاظم . . الشورى تصبح تدخلا . . والنصح يصير اقتحاما . . ووجدت نفسي في وسط لعبة أرفضها واتحفظ عليها . . صارت المناقشات تمتد معي لماذا لم تفعل كذا ، لِمَ لَمْ تشترِ كذا ، لماذا لاتبيع كيت وكيت و . . . .

وغير منطقي أن ألوذ بالصمت ، وسيل الكلمات يحيط بي ، وهذا خطأ وذاك صواب . . تحاصرني . . ولم يكن من اللباقة أن أرد ردا جافا ، وهكذا استدرجت الى اللعبة وصرت طرفا فيها . .

صارت الحياة مشتركة بيننا ، زوجتي وأنا وأقاربها . . ومن يعلم ؟! فقد تمتد لتشمل الأصدقاء والصديقات والمعارف . . ولإدراكي لعذاب أن يكون الانسان بلا خصوصية وبلا ذاتية ، حاولت كثيرا مع زوجتي أن تتخذ موقفا حاسما تنقذ به حياتنا من هذا الاقتحام وتلصق بي كل أسباب الموقف من ضيق أو رفض أو . . ولكنها رغم ضيقها تخشى على أحاسيسهم ومشاعرهم وصلتها بهم . . . . قبل أن تخشى على حياتنا من التصدع .

هوَ

من الحياة

وَخفقَ قلبُهُ بِحُبِّ الدّنيا وَالنّاسِ!

بقلم : منير نصيف

امتلأ قلبه بالحقد .. كان يحقد على الناس وعلى المجتمع .. ثم اكتشف فجأة أجمل وأعظم عاطفة في الحياة .. اكتشف الحب !

نحن نعيش فى عالم امتلأ بالاحقاد .. لقد أصبح الحقد مرضا من أمراض هذا العصر .. فنحن نحقد اذا تخلى عنا الحظ .. ونحقد اذا فاتنا قطار الحياة .. ونحقد اذا شعرنا بأن الناس الذين يعيشون قريبين منا لايقدرون « التضحيات » التى نبذلها من أجلهم .. ونحقد اذا أساء الينا صديق ، أو اغتابنا فى غيابنا .. ونحقد بعد هذا لأى سبب ولأتفه سبب . وأسوأ أنواع الحقد هو الذى يملأ صدر المرء رجلا كان أو امرأة ، بلا سبب ، أو ربما لأنه يشعر بأنه ما زال صغيرا !

وهذه قصة زوج عرف الحقد وتعلم الحب

***

كان يعيش وحده بعد أن هجرته زوجته التى شاركته حياته سنوات طويلة ، فى معاناة مستمرة مع ذلك الشعور الغريب بالحقد ، الذى كان يملأ قلبه .. الحقد على الناس وعلى الحياة ، وعلى كل رجل يعرفه أو لا يعرفه لمجرد أنه يعلم أنه سعيد فى حياته ، وأنه حقق قدرا من النجاح فى عمله ..

ولم يكن هو فاشلا .. كان موفقاً فى حياته وفى عمله .. وكانت زوجته الشابة تتألم وهى ترى الحقد فى عينيه ، وفى صوته وفى تصرفاته ، كلما جلس اليها يحدثها عن هؤلاء الذين يلقاهم ويلقونه خلال رحلته فى الحياة .. ولكنها كانت تشفق عليه ، فقد كانت تراه يحترق أمامها ، ولكن لا كما تحترق الشموع التى تضىء الطريق ! كانت تحس أنه يذوب فى بحر من الظلام الذى يسبح فيه وحده ، مع تلك الانفعالات التى يمتلىء بها صدره خلا ساعات النهار .. فإذا جاء الليل تحولت الى كابوس يعلن عليه الحرب فى نومه !!

وعبثا حاولت الزوجة أن تنتزع هذا الشعور من رأسه المضطرب وتفكيره المريض ، الذى كان يصور له



العالم كله ، كما لو كان جيشا من الأعداء الذين يتربصون به ، ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه ، رغم أن أحدا من كل هؤلاء الذين عرفهم لم يحاول مرة واحدة أن يسيء اليه ، أو يقف فى الطريق الذى يسير فيه ، والذى اختاره لنفسه وحده !

وحملت الزوجة المسكينة متاعبها ، وقصدت طبيبا فى الأمراض النفسية تسأله النصح والمشورة ، وكانت قد انتوت أمرا .. لا بد أن تغيب عن حياته فترة ، تتركه فيها يعيش وحده ، فربما ينجح فى اكتشاف أسباب المرض الذى يعانى منه ، بعد أن عجزت تماما عن أن تضع اصبعها على موطن هذا الداء !

وجلست الزوجة تتحدث : « ماذا أفعل يا سيدى .. ؟ لم أطق الحياة مع رجل يحقد على الناس والدنيا وعلى كل ماحملته وتحمله له .. ! اننا لسنا فقراء ، ولا يعوزنا المال ، وهو يشغل وظيفة محترمة ، ولكنه غير قانع برزقه ، انه يتعجل الثراء ، ويحقد على كل رجل ناجح استطاع أن يصل الى هدفه بعرقه وجهده ! انه لا يحتمل أن يرى انسانا سعيدا مبتسما ، فهو يجد الراحة الكبرى فى الاستماع الى شكاوى التعساء ومآسيهم !!

وقال الطبيب : « ان زوجك مريض يا سيدتى ، أو انه يعانى من عقدة نفسية لازمته منذ طفولته .. ربما يكون قد نشأ فى جو ملىء بالحقد والكراهية عندما كان طفلا صغيرا ، لم يتمكن معه من رؤية الجانب الآخر للحياة .. الحياة التى تمتلىء بالحب والتعاطف مع الآخرين ..

وان الشعور بالحقد لايأتى هكذا بغتة ، لأنه نتاج لحمل ثقيل من الضغينة ، يذكر المرء بصورة دائمة بما سبق أن تعرض له من اذلال ومهانة !

قد تدهشين يا سيدتى اذا قلت لك ان الباحثين أحصوا حوادث الطلاق فى عام واحد ، فوجدوا أن أكثر من نصفها كان نتيجة لأن الزوج لا يريد ولا يستطيع أن يطرد من ذهنه الأحداث التى أدت الى وقوع الخلاف بينه وبين زوجته ، رغم رغبة الزوجة الصادقة فى تناسى ما حدث ، ومحاولتها رأب الصدع الذى أصاب حياتها مع زوجها ، من أجل أطفالهما الذين تحبهم ، وبيتها الذى لا تريد أن تفترق عنه !

زوجك يا سيدتى يضيع حياته فى التفكير فى أحداث ومشاكل ما زالت بصماتها محفورة فى رأسه ، ولو أنه طواها كما يطوى المرء صفحات الكتاب الذى فرغ من قراءته ، لاستطاع أن يتخلص من هذا الشعور الذى يحترق معه طوال ساعات يومه ! » .

وماذا أصنع اذن ؟

اتركيه مع نفسه بعض الوقت ، خذى أطفالك واذهبى معهم بعيدا .. فقد يكتشف من وحدته أنه يحترق ، وربما ينجح فى تحويل تلك الطاقة الضخمة التى يبذلها فى الحقد على الناس ، الى مسار آخر قد يلتقى فيه بالحب الذى افتقده !!

* * *

ومرت بضعة أعوام والزوج يعيش فى وحدته مع هذا الشعور الذى يلازمه فى كل تصرف يصدر عنه .. فى كل عمل يقوم به مع نفسه ومع الآخرين ..

الى أن جاء يوم سقط فيه الرجل مريضا .. وحملوه الى المستشفى لاسعافه بالعلاج .. كان فى غيبوبة عندما وصل الغرفة التى أعدوها له .. وعندما فتح عينيه وبدأ يستعيد وعيه .. نظر حوله فوجد مجموعة من أطباء المستشفى والممرضات يحيطون بفراشه .. وأجفل واستبد به الذعر .. ما هذا ؟ من كل هؤلاء .. لماذا جاءوا به الى هذا المكان ، وكيف عرفوا بمرضه الذى أخفاه عن كل من له علاقة به ؟ .

وعرف القصة .. لقد كانت الصدفة وحدها التى أنقذت حياته ، فقد ذهب فى غيبوبة منذ ثلاثة أيام .. وحاول زملاؤه فى العمل الاتصال به تليفونيا ، للاطمئنان عليه .. فقد كانوا يعلمون أن الرجل يعيش فى أزمة منذ أن تركته زوجته ورحلت ، لتعيش بعيدا عنه مع صغارها .. وعندما لم يتلقوا ردا ، ذهبوا اليه فى بيته ، وكان الباب موصدا ، فاستعانوا برجال الشرطة ، وفتحوا باب البيت ، وفى غرفة نومه وجدوه راقدا على فراشه بلا حراك !

* * *

وبدأت رحلته الجديدةمع الحياة .. كانت رحلة صعبة مليئة بالشكوك والحيرة .. انه لا يشعر بالاطمئنان على نفسه بين هذه الأيدى الممدودة اليه ، وهو راقد على فراش المرض .. وكيف يطمئن اليها وهو الذى ازدحم قلبه بالحقد على كل الناس ! ؟

كان ينظر الى الأطباء الذين يشرفون على علاجه نظرته الى الأعداء الذين يتربصون به للقضاء عليه .. حتى الممرضات بملابسهن البيضاء كان يصرفهن عنه ، ويأمرهن بالابتعاد عن فراشه . ! ولكنهن كن يستقبلن تصرفاته الشاذة بابتسامة لا تخلو من العطف المشوب بالحيرة .

وعندما قرر الأطباء فى نهاية الأمر اجراء العملية الجراحية وفيما كانوا يعدونه لها ، صرخ فى ذعر : لا .. لن أسمح لأحد منكم بأن يقترب منى . لن أسلم نفسى لكم ، لكى تمزقوا جسدى بمشارطكم .. أريد أن أعود الى بيتى لأموت على فراشى فى هدوء !

ولكنهم لم يتركوه .. كانوا يدركون أنهم أمام حالة شاذة لا بد من علاجها بحكمة .. وانتظروا حتى ذهب فى اغفاءة ثم حقنوه بالمخدر ونام ، وحملوه الى غرفة العمليات .. وأجريت له الجراحة بنجاح ..

وبقى الرجل تحت تأثير المخدر ثلاثة أيام .. فقد حرص الأطباء على ألا يتركوه يعود الى حالته الطبيعية قبل أن يطمئنوا على الجرح حتى لا تحدث أية مضاعفات .. كانوا يخشون أن يقدم المريض على حماقة قد تؤدى الى عدم التئام جراحه ..

وصحا الرجل من نومه أخيرا .. وعاد ينظر حوله من جديد .. ولكن بوجه آخر وبعينين تحملان معانى جديدة لم يروها من قبل ، ولم يعهدها هو فى نفسه .. وراح يتفحص الوجوه التى أحاطت به وهو راقد فى فراشه .. لقد ذهبت الآلام التى كانت تزعجه فى صحوه وتؤرقة فى نومه .. بدأ يشعر بالحياة تدب فى أوصاله من جديد .. قلبة المريض بدأ يخفق بمشاعر لم يألفها قبل اليوم ..

وسأله الطبيب : كيف حالك اليوم ؟ .

ولم يجب .. أسرع يقترب بشفتيه محاولا أن يلثم اليد التي كانت قريبة منه .. ثم قال فى همس : « أشكرك يا سيدى .. أنا لا أعرف كيف أرد لكم هذا الصنيع . لقد أعطيتمونى أكثر مما أستحق ، أرجو أن تصفحوا عنى ، فأنا واثق أننى قد أسأت اليكم جميعا . أين زوجتى .. أين أبنائى الصغار .. أتوسل اليك يا سيدى أن ترسل فى استدعائهم .. اننى فى لهفة على لقائهم !

وجاءت الزوجة تحمل صغارها الى المستشفى .. جاءوا لزيارة الزوج والأب الذى استعاد صحته واستعاد معها ثقته بالحياة ..

قال وهو يدعوها الى الاقتراب منه ويطبع قبلة على يدهاالتى راحت تداعب بها رأسه :

« سامحينى يا حبيبتى .. اصفحى عنى ، فقد أسأت اليك وعذبتك !

وبكت .. ولكنها أحست أنها تبكى فى هذه المرةفرحا ، لأنها استعادت زوجها !

وخرج الأب والزوج من المستشفى .. خرج وقد امتلأ قلبه بحب الدنيا والناس .. كل الناس ! □



طبيب الأسرة

الصّيدليّة المنزليّة
محتوياتها وتنظيمها ورعايتها

بقلم : الدكتور عبدالكريم ابو شويرب

« لا يخلو بيت من خزانة للدواء . . أو على الأقل من بعض الأدوية والمطهرات » ورغم أهمية الصيدلية في المنزل الا أن أحداً لم يقل ماذا يجب أن تحتوي ؟ وكيف ترتب ؟ وهذا ما يحاول هذا الموضوع الاجابة عنه ؟

لايوجد فى الموسوعات المتداولة أية معلومات حول الصيدلية المنزلية وبالتالى فنحن لانعرف أول من أنشأ صيدلية منزلية ، أو وضع لها شروطا ومواصفات ، ولكن ربما كان الأمر مجرد شكل من العادات المتعارف عليها وتقاليد كل اسرة أن يخصص ركن فى المنزل للأدوية التى يستعملها الكبار والاطفال فى تلك البيوت .

والخطوة الطبيعية التى تلى ذلك هي تخصيص خزانة أمينة ذات أرفف أنيقة لوضع الأدوية والمعدات الطبية بداخلها ، أما اذا قام صاحب البيت بتوزيع هذه المحتويات حسب أنواعها : اى ركن للحبوب وآخر للمراهم أو الاشربة أو القطرات مثلا ، فان ذلك يدل على ذوق رفيع واهتمام خاص من رب أو ربة البيت .

وربما أدرك قيمة صيدلية المنزل كل من ألم به مغص مفاجيء في احدى الليالي أو وجد أحد أطفاله يشكو من سخونة وهو في الهزيع الاخير من الليل وغيرها من الحالات الطارئة الفاجئة ، أو حتى الامراض العادية التى لاتستلزم استدعاء الطبيب ، وفى هذه الحالات تبرز لنا أهمية صيدلية المنزل ، ومايجب أن تضم من أدوية واسعافات أولية حتى يتسنى مراجعة أو حضور الطبيب .

انشاء الصيدلية المنزلية وتنظيمها :

اذا قام رب البيت بجولة عامة فى بيته وجمع خلالها كل مايصادفه من أدوية مهما كان نوعها بدءا من حجرة النوم والمكتب وحجرة الجلوس والمطبخ وحتى خزانة

أدوات الحلاقة ، فإن الحصيلة تكون مجموعة لاباس بها من الأدوية التى تحتاج لفرز واستخلاص الصالح منها للاستعمال ، وهو ماسيكون نواة لصيدلية المنزل .

وطبعا لابد من رمى الأدوية المجهولة الاسم أو القديمة ، أو تلك التى لانعلم استعمالاتها ، ويلى ذلك أن يعد صاحب البيت خزانة متوسطة الحجم ويجد لها مكانا مناسبا فى المنزل ، اى بعيدا ومرتفعا عن متناول الأطفال وأقرب الى حجرات الكبار فى المنزل .

يفضل توزيع ارفف صغيرة داخل هذه الخزانة وترتيب الأدوية بها حسب نوعها : حبوب ، اشربة ، مراهم ، قطرات ، تحاميل ، حقن .... الخ وتوضع المعدات الطبية كالقطن والضمادات فى اسفل الرف ، كما توضع المواد السامة كالكحول وصبغة اليود مثلا فى أعلى هذه الارفف لتفادى استعمالها من قبل الاطفال .

ويستطيع رب البيت كتابة بعض التسميات على زجاجات الادوية نفسها وتضم هذه التسميات : اسم الدواء ، اسم صاحب الدواء ، تاريخ الصرف ، وعدد الجرعات فى اليوم ومدة استعماله . كما توضع بطاقة حمراء عليها العلامة الدولية للسموم ، وتلصق على الزجاجات أو علب الأدوية السامة أو الخطيرة .

ونفهم من ذلك أن استعمال هذه الصيدلية سيكون من قبل الابوين او الاخوة الكبار ممن يستطيعون القراءة ، وذلك لتمييز علاج كل فرد فى الاسرة عن الآخر ، ونود الاشارة الى أن كثيرا من شركات الادوية تستخدم ألوانا وخطوطا معينة على كل منتجاتها مما يحدث ارباكا عند من لايستطيع قراءة اسم كل علاج على حدة ، ويحتفظ كثير من كبار السن بأدويتهم فى حقائب صغيرة قرب أسرّتهم وهذا أمر بديهىّ لأنهم يستعملونها كل بضع ساعات من اليوم ، وربما تحتوى أدوية عاجلة حسبما تستوجب حالتهم ويمكن أن تقوم صيدلية المنزل بدور تخزين الاحتياطى من ادوية كبار السن حتى توفر لهم مايلزمهم عند الضرورة .

محتويات الصيدلية المنزلية :

قد تختلف المحتويات من بيت لآخر أو حتى من منطقة لاخرى ولكن عموما يمكن أن نقسم كل المحتويات الى نوعين :

أولا : الادوية التى تستعمل للحالات الطارئة كالسخونة او القىء او السعال او مغص البطن او الامساك الحاد او وجع الرأس او أوجاع المفاصل ، ومعظم هذه الأدوية يمكن أن تشترى من الصيدلية حتى بدون وصفة طبية ، ولكننا نعلم جميعا أننا قد نحتاج الى استشارة الطبيب فى حالة عدم تحسن الحالة فى اليوم التالى .

يجب أن ننبه هنا الى أن هذه الأدوية رغم كونها عامة وشائعة الاستعمال ، ولكن يجب أن نفرق بين أدوية الكبار وتلك المخصصة للاطفال حتى لو كانت لنفس الاعراض كالسعال مثلا . وكذلك التفريق بين الادوية الخاصة بالآلام : كألم المعدة ومغص الكلية ووجع المفاصل حيث ان الاخيرة قد تزيد آلام المعدة اذا أخذت خطأ لتسكن الأم المعدة .

وتعتبر تحاميل الاطفال التى تستعمل لعلاج ارتفاع حراراتهم من ضروريات الصيدلية المنزلية ، ولكن يفضل حفظها فى الثلاجة نظرا لتلين هذه التحاميل اذا بقيت مدة طويلة خارج الثلاجة .

ثانيا : الادوية التى تستعمل للحالات المرضية الخاصة والتى تستوجب من المريض تناولها بجرعات معينة وتحت اشراف طبى مستمر ، كالادوية التى يتناولها مرضى القلب والمصابون بقرح المعدة أو الاثنى عشر أو داء السكر او ارتفاع ضغط الدم وغيره من الامراض المزمنة .

وتقوم صيدلية المنزل هنا بوظيفة حفظ وتخزين الاحتياطى اللازم لمدة اسبوع او شهر من هذه الأدوية وكذلك لتوفير كمية جديدة اذا لاحظنا انها قاربت على الانتهاء .

وكذلك تعتبر بعض المعدات الطبية من مستلزمات صيدلية المنزل نظرا للحاجة لها في الحالات العاجلة كالجروح والحروق وغيرها من الاصابات المنزلية ،

ومن هـذه المعدات نـذكر : القـطن ، الضمـادات والشـاش المعقم ، أو من الآلات : المقص والملقط وجهاز قياس درجة الحرارة (ترمومتر) وحقن اللدائن المعقمة .

ولتطهير الجروح والحروق الجلدية نحتاج لبعض السوائل المطهرة كالكحول وصبغة اليود ، بالاضافة الى المراهم المخصصة لهذه الحالات .

وظائف أخرى لصيدلية المنزل :

تعتبـر أهم وظيفة لصيـدلية المنـزل هي تقـديم الاسعاف الاولى اللازم للحالات الطارئة كحوادث المنزل وأهمها جروح الجلد بالآلات الحـادة والقروح وتـوقيف النـزيف او رعـاف الانف او الفتـح عـلى الـدمامل والخراجـات الصغيـرة . ومن الـوظـائف الاخرى المهمة لها هي اسعاف الاصـابات المفـاجئة كأزمات القلب أو الربو الصـدرى او الذبحـات أو التشنجات العصبية .

كما انها مكان لتجميـع كـل أدويـة البيت والتى تستعمل باستمرار كحبوب منع الحمل مثلا أو تلك الخاصة بمرضى الصرع أو العصاب .

طرق العناية بصيدلية المنزل :

الدواء كالغذاء هناك فترة زمنية لتناوله ثم يصبح بعدها عديم الفائدة ، وربما ضارا ، ولذا يجب تفقد الصيدلية المنزلية من فترة لاخرى وفرز مابداخلها علبة علبـة ، ورمى مافسـد منهـا ، وذلـك بقـراءة مـدة صلاحية استعمال العلاج كما هو موضح على غلافه ، كذلك التخلص من زجاجات أشـربة الادويـة التى استعملنا جزءا منها (واحتفظنا بالباقي .

وخلال هذا الكشف الدورى على صيدلية المنزل يمكن أن نتعـرف عـلى الادويـة التى استهلكت ، والضرورية اللازمة منها ، وذلك للتعويض بغيرهـا والاحتفاظ به لحين الحاجة .

☆☆

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة :

* السيد أ . ب . ج . الزرقاء - الاردن .

ـ ان قصر القامة يعود الى أسباب وراثية أصلا ، وربما كان للتغذية والنشاط دور فيها ، أما اضطراب الغدد يصاحبـه أعراض أخـري لا تخفى على عـين الـطبيب ، فلا حـاجة بـه الى علاج هـرموني نـظرا لخطورته .

* السيد أبو أيمن - عُمان - حلالة :

ـ من الأجدر عرض الأمـر على طبيب مختص في الأمراض الجلدية للأهمية .

* السيد ممدوح مغايرى - حلب :

ـ اذا كـان البيض والمعجنات يؤلمـان المعدة فـلا تأكلهـا ، والنصيحة هي اجراء فحص للمعدة .

* السيد م . م . س . القاهرة :

ـ لا بد من معرفـة السبب في التهاب الخصيـة ، وهـذا يتـأتى بـالفحص الـطبى والتحليـلات ، والمختصـون في الأمراض التنـاسلية عـديـدون في القاهرة ، وننصحك بمراجعة أحدهم بسرعة .

* السيد عبدالعالي محمد - مدينة الرشيد - المغرب :

ـ من الأفضـل عرض أذنيك على طبيب مختص آخر ، ما دام طبيبك الأول قد فشل في العلاج بالرغم من مرور ثلاث سنوات على علاجه . □

أصدقاء المقعد

شق طريقه في الحياة بسرعة غير عادية ، اجتاز كل الحواجز والعقبات . بدأ مشوار الحياة العملية مع عدد من زملائه وأبناء جيله ، ولكنه تفوق عليهم جميعا ، وأثبت تمايزا مهنيا وفنيا غير عادى ، بالاضافة الى موهبة متوقدة لامعة .

ولم يكن تمايزه على مستوى عمله فقط ، بل امتد ليشمل صفاته الاخلاقية ، فقد كان أمينا . . عفيفا . . شهما . . ذا مواقف متميزة مع أصدقائه يتحمل معهم وعنهم .

وكان حضوره فى أى مكان كفيلا بأن يضفى عليه وعلى الجميع الكثير من المرح والبهجة . وكان ذكاؤه رغم صغر سنه علامة فارقه .

مجمل القول ان تمايزه كان على كل المستويات . ومن تمايزه هذا بالذات بدأت مشكلاته ، فقد بدأ كل الفاشلين والعجزة وأنصاف الموهوبين فى اطلاق سيل من الشائعات وطوفان من الهجوم عليه ، وتفاوتت الاتهامات بدءاً من تحميل غيره مسئولية تفوقه ولمعانه ، وانتهاء بنقد كل ما يتمتع به من صفات ومواهب وتجريده منها .

وظلت الحياة تسير به . كثير من الهجوم وقليل من الصدق ، الى ان جاء يوم أصبح مسئولا في جريدة عربية يومية متخصصة . يومها كأن الدنيا انقلبت رأسا على عقب فقد ازداد عدد المهاجمين . . وكثر عدد المنافقين ، وتبرع كثير منهم بأن يصبحوا عيونا له وآذانا على الاخرين ، وتطوع كثير ليوقعوا بينه وبين أصدقائه القدامى . . وكلما ازداد تألقه ولمعانه ، زاد العاجزون من نقدهم وشائعاتهم ، وزادت بطانة السوء فى عرض خدماتها ، إلا انه على الرغم من كل شيء . . . كان يقول : اننى ازداد نجاحاً كلما زاد العاجزون من نفث سمومهم ، وكلما تطوع ـ أصدقاء المنصب ـ وليس أصدقائى من تقديم سوء مشورتهم لى !! والمضحك اننى أفهم عجز هؤلاء ومرض أولاء وأصبر وأرضى . . لكن الى متى ؟ . . قلت له : هذه فاتورة يجب أن تسددها . . انها فاتورة نجاحك وتفوقك ، ولن يكف الناس عنك حتى تنضم اليهم الى طابور العجزة والفاشلين ! وقتها فقط سيكفون عنك . . وسيتخلى عندها عنك كل اصدقاء المنصب . لكن طالما انك متألق وناجح ، فإن عليك ان تدفع ثمن النجاح والتميز والتفوق !

محمود عبد الوهاب



النفس الأخرى

بقلم : الدكتور عبد الرؤوف ثابت

جاءتني سيدة فاضلة ، وشكت لي من حال زوجها . . قالت : « منذ عام وأنا لا أدري ما جرى له . نغص عيشتي وحيرني حاله ، لم يتغير في ظاهره ، ولكن في داخله شيء فيه تغير ولا أتبينه ، هو زوجي الذي عهدته منذ ثلاثين عاماً . ولكن . . ليس هو زوجي الذي نعمت به حياتي ، قريب وفي نفس الوقت بعيد ، حاضر وغائب . لا يبدو عليه مرض أو هم ولا شكا علة . لم يهن نشاطه أو اضطرب نومه .

ولم يهمل عمله ، بل على العكس زاد اهتماماً به ، خشيت أن تكون في حياته امرأة . ولكني واثقة أنه لا توجد امرأة غيري .

وبعد أن أخبرتني بحال زوجها ثم طلبت مني أن أزوره لأتبين ما جرى له .

وتقابلنا في بيته . . كنت أسمع عنه ، فهو مشهور في مهنته ، وله مكتب معروف بحسن سمعته .

رحب بي في ود غير متكلف . قال انه يسمع عني ويكاد يعرفني : أنت الدكتور الكاتب ، وشكرته على مجاملته وبادلته مزاحه : أعالج مجاناً . . . . وأبيع الكلام بفلوس .

وضحكنا . .

ثم دخلت في الموضوع وشرحت له السبب من زيارتي . ولم يعترض ولم يبد تحرجاً من صراحتي . قال :

أنا مقدر لشعور زوجتي . ولكني أؤكد لك أنه لا أساس لمخاوفها ، وأشفقت عليه فلم أكثر حتى لا أمس شعوره ، فمثله يتحرج من اظهار عواطفه ، وخصوصا عاطفة الحزن .

سألته اذا كان مكتئباً ؛ فمتوسطو العمر أحياناً يصابون بنوع من الاكتئاب فلا يحسون به . . وبالتالي لا يشكون منه ؛ داء دفين . . شديد الخفاء ، وبعض الأطباء جزاهم الله على اجتهادهم يطلقون على من يصاب به ، المكتئب المبتسم .

قال : إنه لا يعتقد .

وابتسم . . ولكن ابتسامته لم تتناسب مع وجهه أو عينيه .

أنهيت زيارتي بهذا القدر . . واستأذنت منه راجياً أن يزورني اذا شاء ، ومر شهران ثم فوجئت به في العيادة .

قال ان زوجته تتألم . . ولكن . . صدقني أني لست مريضاً ولا أشكو من علة أو هم . ولست في حاجة الى علاج .

أصدقك . . فاذا كان ذلك كذلك « فلماذا تطلب زوجتك معالجتك » ؟

ضحك . ثم قال مسترسلاً !

ـ وما هو المطلوب مني اذن حتى تتحقق من مرضي . هذا اذا كنت مريضاً حقاً .

ـ أن تفتح لي قلبك . وتعبر عما في نفسك . هذا اذا أمكنك .

ـ التحليل النفسي ؟

ـ نعــم .

واتفقنا على العلاج .

الجلسة الرابعــة .

قال ملخصاً الجلسات السابقة :

عجيب أن تعالج الناس بالتحليل النفسي لكي تصل الى سر مرضهم . وكأنه الوسيلة التي تبرر الغاية ، والأعجب منه كيف تعينهم على فهم رموز ما يعتمل في نفوسهم ، وهو العلاج النفسي ، ليس كما يظن الكثير خضوع واستسلام ، بل هو اسلوب في الصداقة والحب غير المشروط ، ليقول المريض لطبيبه أي شيء يخطر على باله ، دون تردد أو مقاومة . .

والحب كما تقول ، أعلى مراتب الصداقة . وليس أن تتحد الميول وتتوافق الأمزجة فغالباً ما يتجاوب نقيضان . . ويتنافر شبيهان .

وأنت تعتقد أن في كل انسان نفسين . يعرف عن واحدة ويجهل تماماً عن الأخرى ، وأن النفس الخافية



تحمل خصالا هي عكس خصال النفس الظاهرة ، لـذلك يحب المرء في غيره نفسه الأخرى . . وان أنكرها منه أو اعترض عليها قلت : هو ذاك . . تقريباً .

وسألته : كيف حالك ؟ قال :

المفروض أن أسألك أنا عن حالي !

وضحكنـــا .

في تلك الجلسة عرفنا سر شفائه ، قال :

كان لي صديق ملء الحياة ، ومنذ أكثر من عام ، رحل عن الدنيا فجأة ، فأحسست من وقتها بفراغ في دنياي . كنا صديقين بالمعنى الذي عنيته بالصداقة ، لم تتفق مشاربنا أو تتحد ميولنا .

جمعتنا منذ الصغر جيرة في المسكن . كنا ـ ونحن طفلان ـ نلعب ونمرح معاً نتعقب الأراجوز في الحارات . ونتحلق ونقلد الأولاد الكبار . كنا نسرق الفاكهة من حدائق الجيران في الصيف ، فيحميني من غلظة البوابين الأجلاف .

كان شجاعاً وكنت جباناً . . أخاف من خيالي .

ذهبنا الى مدرسة واحدة . . ابتدائي وثانوي . . فلما بلغنا مرحلة المراهقة والشباب كنت المتأمل الجاد ، وكان الضاحك اللاهي . كنت قصير النظر ، شديد الحساسية ، وكان حاد النظر واسع الصدر . كنت منطوياً على نفسي ، وكان هو منبسطاً ودوداً . كنت أخجل من البنات وأتحاشاهن ، وكان يغرم بهن فيأنسن له .

كان دليلي اذا أعوزني الدليل الى ساحات الرياضة وأماكن اللهو . وباعدت الجامعة بيننا ؛ اختار كلية ظريفة خفيفة ، واخترت أخرى جافة مملة ، ولم نبتعد . وان ظل يتلمس التسلية والمرح ، وأتلمس القراءة والجد ، اذا اجتمعنا والشلة ذكرت (لامبروزو) وما سلف وما خلف . وقال هو نكتة أو ملحة أو إشاعة .

وتخرجنا في الجامعة فلم يفرق بيننا العمل . واتصلت صداقتنا وتعمقت ، لم أعرف في حياتي امرأة غير زوجتي . وكانت في حياته نساء كثيرات ، تزوج من واحدة آخذاً بمشورتي ، ثم لم يلبث أن طلقها ، غارت عليه من حياته ومن الشلة .

وكنت لا أسعى الى الشلة لأرى الأصحاب الا نادراً . فكان ينقل اليهم أخباري ، وينقل الي أخبارهم ، كان كل يوم في بيت صديق . . وما أكثر البيوت وأكرمها معه . حتى صار يلمع من البدانة والشياكة ، وقد اعتاد حياة الترف والأبهة ، زين لي شرب الخمر ولم أشربها ، حبب لي لعب القمار ولم ألعبه .

نصحني بالحرص على المال وأنا صاحب عيال ، فلم أحرص عليه .

وشرب هو ، وقامر ، جمع مالاً وبدده على ملذاته . . ولم يقتصد . أحب مني ما لم احبه في نفسي . . وألفت منه ما لم يألفه في نفسه ، وكبرنا وتمرسنا لصروف الحياة . وكبر رصيد صداقتنا وان قلت لقاءاتنا ، كان كل منا يسعى الى الآخر لسويعات قليلة متباعدة نختلسها من الزمن ، قدر ما تسمح به شواغلنا . ومن العجيب أننا كنا نتصالح . . ونتخاصم لنتصالح ، كان ينصحني فلا أعمل بنصائحه ، وإن وددت أن أعمل بها . وأنصحه ليعتدل في حياته وقد كبر وترهل ، وأصيب بالضغط والسُّكر ، وكان يحتد عليَّ وقد أصبح سريع الغضب فيقول :

ـ من عينك وصياً علي ؟

وظل هذا حالنا حتى جاءني خبره . وكنت أترقب زيارته .

وهنا بكى المريض ـ لم يبك أبداً . ثم قال :

ـ كان مرآة نفسي . . وكان واقعي الذي وددت أن أكونه ، فلما رحل فقدت نفسي بعده .

ثم قال معقباً :

الويل لمن مات له عزيز . . وكان نفسه الأخرى .

واستمرت الجلسات . . ولكنها لم تطل . □

بالقراءة والمطالعة



يقول اندريه موروا الكاتب الفرنسي : ان الحضارة الانسانية إنما هي مجموعة المعارف والذكريات التي تجمعت وتراكمت على مرّ الأجيال ، وان الانتماء اليها والاسهام فيها لايكون الا بالتفاعل بها والتجاوب معها ، والتزود بما تنطوي عليه الحضارة من أفكار السلف .

وإن السبيل الوحيد الى ذلك الانتماء وذاك الاسهام وهذا التفاعل والتجاوب انما هو القراءة والمطالعة .

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

تمييز الفاعل من المفعول

تمييز الفاعل من المفعول سهل غالبا ، وندر أن يقع بينهما اشتباه ، فالفاعل يدل على من فعل الفعل ، أو من وقع منه الفعل ، كقول شاعر كان يطارده حاكم ظالم ، فهرب الى الصحراء خوفا على نفسه :

عوى الذئبُ ، فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوَّت إنسانٌ ، فكدت أطير

فالفاعل هنا « الذئب » و « إنسان » .

وقد يدل الفاعل على من اتصف بالفعل ، مثل : « هلك الذئبُ » ، « طلع القمرُ » ، «وأزهر البستان » ، و « أينع الثمرُ » ، فالفاعل ، هنا « الذئب » لأنه اتصف بالهلاك ، و « القمر » لأنه اتصف بالطلوع وهكذا « البستان » و « الثمر » .

وأما المفعول فهو الذي يقع عليه فعل الفاعل كما في قولنا « يكرمُ العربُ الضيفَ » ، فالمفعول هنا « الضيف » لأن الاكرام واقع عليه ، ولم يقع منه .

ولا بد في تمييز الفاعل من المفعول حين يقعان في جملة واحدة أن تقوم قرينة عقلية ، وقد يحتاج معها إلى قرينة أو أكثر سواها ، كما في الآية « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » فالفاعل « هنا العلماءُ » والقرينة عقلية ، لأن العلماء - بفضل علمهم - هم الذين يخشون الله ، أو تقع منهم الخشيةُ له ، وهو - لكماله - منزهٌ عن خشية أحد .

وكذلك الآية « وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ ، فأتمهنّ » فالمفعول هنا « إبراهيم » لأن الابتلاء (الامتحان) واقع عليه ، و « ربُّه » فاعل مؤخر ، لأن الابتلاء واقع منه ، وهو منزه عن أن يمتحنه أحد .

ومن المجازفات اللغوية في العربية الاعتمادُ على القرينة العقلية مع إهدار الاعراب ، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، ولكن قد يعكس بعض العرب ذلك شذوذا ، ومن أمثلة ذلك قولهم « خرق الثوبُ المسمارَ » مع أن المسمار هو الخارق ، والثوب هو المخروق . ومن شعر الفرزدق في هجاء قوم قوله :

مثلُ القنافذ هدّاجون ، قد بلغت
نجرانُ ، أو بلغت سوءاتهم هجرُ

وعلة ذلك ما قاله العلامة ابن جنى « القوم كانوا يعتبرون المعاني ، فإذا حصّنوها تساهلوا في العبارة عنها » ، واعتبار المعاني هو القرينة العقلية . ومثل هذا لا تخلو منه لغتنا الدارجة ، فنحن نقول مثلا : « وضعت القفازَ في يدي » «ووضعت الجورب في رِجْلي » مع أن اليد هي التي توضع في القفاز ، والرِّجل هي التي توضع في الجورب ، بل هما يدان توضعان في قفازين ، ورِجْلان توضعان في جوربين ، ولكن المفرد في عبارتنا الدارجة وفي الفصحى يستعمل كالمثنى ، فيفهم المقصود .

وهناك أفعال المشاركة التى تقع بين طرفين أو أكثر ، مثل « صَاحَبَ » في قولنا « صاحب محمودٌ سعيدا في الرحلة » ، فكلٌ منهما صاحَبَ الآخرَ ، فهو فاعل ومفعول ، ولهذا يجوز أن نقدم أيَّ واحد منهما أو نؤخره ، مع رفع أحدهما ونصب الآخر ، اعتماداعلى قرينة الاعراب ، وهي واضحة ، فالمرفوع هو الفاعل ، والمنصوب هو المفعول ، فالاعراب هنا صنعة شكلية ، لمجاراة نظام اللغة نحويا .

وقد يكون أحد الطرفين أرفع أو أفضل مقاما ، فمن اللائق أن نجعل المفضول فاعلا ، والفاضل مفعولا ، مثل : « صاحب الوزيرُ الأميرَ » أو « صاحب الابنُ الأب » سواء تقدم في الكلام أو تأخر ، لأن الفاعل تابع ، والمفعول متبوع .

وقد ينعكس وضع الطرفين لنكتة بلاغية متعمدة ، كما فى القصة الاتية : فى نحو سنة ١٩٣٠ قام أحمد فؤاد ملك مصر برحلة الى اوربا ، ومعه ـ كما ينبغى ـ وزير خارجيته محمد محمود باشا الذى كان يعتز بنفسه ، وبجاه اسرته ولاسيما ابوه محمود سليمان باشا الذى كان الانجليز قد عرضوا عليه ملك مصر فرفضه قبل تمليكهم احمد فؤاد ، وعند السفر من الاسكندرية سأل صحفى بريطانى الوزير : « هل ستصاحب الملك فى الرحلة ؟ » فأجابه : بل سيصاحبنى الملك » .

وقد يتساوى الطرفان في الفعل ، فأيّهما جعلناه فاعلا صلح لذلك ، ويكون الطرف الثاني مفعولا ، مثل « تزوج حاتم هندا » أو « تزوج هندا حاتم » ولكن قد تأتي قرينة لفظية فتحدد الفاعل والمفعول ، مثل « تزوجت هند حاتما » أو « تزوجت حاتما هند » لاقتران الفعل بتاء التأنيث .

ولكن قد يقع الاشتباه بين الطرفين في غير أفعال المشاركة ، ومن أمثلة هذه الأفعال : سرّ ، وأفرح ، وهمّ (وأهمّ) وأسعد ، وشاقَ ، وأعجب ، ووَسِعَ ، وعاود ، وساء . فإذا قلنا : « سرّ الرجل الفوز » أو « سرّ الفوز الرجل » حدث الاشتباه ، فأيّها الفاعل ، فيكون الآخر مفعولا ؟

إن أيّا من الطرفين يمكن أن نضع مكانه أحد ضمائر النصب المتصلة ، فيستقيم المعنى معه ـ يكون هو المفعول ، ويكون الطرف الآخر هو الفاعل ، فنقول في الجملة السابقة مثلا : « سرّني الفوزُ » أو « سرّهُ الفوز » أو « سرّهم الفوزُ » فالفاعل هو « الفوزُ » ، وهكذا مع بقية الأفعال السابقة ، فنقول « أفرحني النصرُ » و « همّني الأمرُ » و « أسعدني النجاحُ » ، و « شاقني البستانُ » « وأعجبني الكتابُ » ، « ووسعني الكرسي » و « عاودني المرض » ، و « ساءني الفشل » .

ولكن إذا عكسنا الوضع ، فجعلنا بدلا من هذا الطرف ضميرَ رفع متصلا لم يستقم المعنى ، فلا يصح حينئذ جعل هذا الطرف فاعلا ، ولذلك لايجوز أن نقول : « وسعتُ الكرسيَّ » ولا « عاودتُ المرضَ » ولا « سُؤتُ الفشلَ » .

وهناك أفعال مثل : أدرك ، وأصاب ، وأخطأ ـ يصلح أن نضع معها مكان أحد الطرفين ضميرَ نصب متصلا ، فيستقيم المعنى ، فنقول « أدركني الحظ » و « أصابني الفوز » ـ و « اخطأني الصواب » ، كما يصلح أن نضع مكان هذا الطرف ضميرَ رفع متصلا ، فيستقيم المعنى أيضا ، فنقول : « أدركت الحظَّ » و « أصبتُ الفوزَ » و « اخطأتُ الصوابَ » .

ونقول أخيرا ـ مما يدخل في نطاق موضوعنا هذا ـ إن العرب يستعملون أحيانا صيغة الفاعل للمفعول فيقولون « بيْتٌ عَامِرٌ » أو « مَكَانٌ آهِلٌ » أي مَعْمُورٌ ، ومَأْهُولٌ ، وفي القرآن الكريم « عيشة راضية » أي مرضية ، و « لا عاصم اليوم من أمر الله « أي لا معصوم . وقد يستعملون صيغة المفعول للفاعل ، كما في القرآن « إنهُ كان وعده مأْتِيا » أي آتيا ، و « حجاباً مستورا » بمعنى ساترا . □

شعر

جمال العربية

رثاء الأندلس

« لأبي البقاء الرندي »

ابيات هذه القصيدة الاندلسية ٤٢ فى الأصل (نفح الطيب للمقرى) ، وهى اشهر القصائد العربية فى رثاء الدول ، وبها وحدها اشتهر صاحبها ، وهو ابو البقاء او ابو الطيب الرندى (٦٠١ - ٦٨٤ هـ) (نسبة الى رندة من بلاد الاندلس ، وبها ولد ونشأ ، وقد عاش فى عصر اضطراب وفتنة ، اذ تمزقت فيه الاندلس دولا ، ووثب على كل منها احد المغامرين تهالكا على التسلط ، ولذلك سموا فى التاريخ « ملوك الطوائف » وكان بعضهم - وكلهم عرب مسلمون - يقاتل بعضا لانتزاع ملكه منه ، ولا يبالى أن يحالف بعض ملوك القوط المسيحيين ضد اخيه العربى المسلم ، حتى سقطت كلها فى يد القوط بعد أن ملكها المسلمون اكثر من ثمانية قرون (٩٢ - ٨٩٨ هـ) ، وكان آخرها سقوطا مملكة غرناطة فى الجنوب ، ومن مدنها رندة ، وفيما بين سنة ٦٢٥ وسنة ٦٤٦ سقطت من قواعدها الكبرى قرطبة واشبيلية وبلنسية ومرسية وشاطبة ودانية وجيان وغيرها . . . . والشاعر يصور فى ابياته محنة الاندلس الاسلامية قبيل سقوطها نهائيا .

لكل شيء ، اذا ماتمَّ ، نُقصانُ ... فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هى الأمور كما شاهدتُها دولٌ ... من سرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لاتُبْقِى على احدٍ ... ولايدومُ على حالٍ لها شانُ

اين الملوكُ ذَوُو التيجانِ من يَمنٍ ... وأين منهمْ اكاليلٌ وتيجانُ

وأين ماحازه قارونُ من ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدادٌ وقحطان

دار الزمانُ على «دارا» وقاتله   وأمَّ «كِسْرَى» فما آواهُ إيوانُ
أتى على الكل أمرٌ لامردَّ لهُ   حتى قضوا فكأن القوم ماكانوا
وصار ماكان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ   كما حكى عن خيال الطَّيف وسنانُ
فجائعُ الدهر أنواع مُتنوعةٌ   وللزمانِ مسرَّاتٌ وأحزانُ
وللحوادثِ سُلوانٌ يسهِّلُها   وما لِما حلَّ بالاسلامِ سُلْوانُ
دهى الجزيرةَ أمرٌ لاعزاءَ لهُ   هَوَى لهُ أُحُدٌ، وانهدَّ ثهْلانُ(1)
اصابها العينُ فى الاسلام فارتزأت   حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسيةً ماشأنُ مرسيةٍ   وأينَ شاطبةٌ ام أين جَيَّانُ
وأين قرطبةُ دارُ العلومِ، فكم   من عَالِمٍ قد سما فيها، لهُ شأنُ
وأين حمصٌ وماتحويه من نُزَهٍ   ونهرُها العذبُ فيَّاضٌ وملآنُ
قواعد كنَّ اركانَ البلاد، فما   عسى البقاءُ اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفيَّةُ البيضاء من اسفٍ   كما بكى لفراقِ الألْفِ هَيمانُ
على ديارٍ من الاسلام خاليةٍ   قد اقفرتْ، ولها بالكُفْرِ عُمرانُ
حيث المساجدُ قد صارت كنائس ما   فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
حتى المحاريبُ تبكى وهىْ جامدةٌ   حتى المنابرُ تَرثِي وهْى عِيدانُ
ياغافلاً، وله فى الدهر موعظةٌ   ان كنت فى سِنَةٍ فالدهر يقظانُ
وماشياً مرحاً يُلْهيه موطنُهُ   أبعد حمص تغر المرء اوطانُ
تلك المصيبة أنست ماتقدمها   وما لها مع طول الدهر نِسيانُ
ياراتعين وراء البحر فى دعة   لهم باوطانِهِمْ عزٌّ وسلطانُ
اعندكُم نبأٌ من أهل اندلسٍ ؟   فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث صناديدُ الرجالِ وهم   قَتلَى وأسرى، فما يهتزُّ إنسانُ
ماذا التقاطعُ فى الاسلام بينكمُ   وانتمْ ـ يا عبادَ الله ـ إخوانُ
الا نفوس أبِيَّاتٌ لها هِمَمٌ   أما على الخيرِ انصارٌ وأعوانُ
يامَنْ لِذلَّةِ قومٍ بعد عزِّهِمُ   احالَ حالَهُمُ جورٌ وطغيانُ
بالامس كانُوا ملوكًا فى منازلهم   واليومَ، همْ فى بلاد الكفرِ عُبْدانُ(2)
فلو تراهم حيارَى، لادليل لهم   عليهمُ من ثيابِ الذل الوانُ
ولو رأيت بكاهُمْ عند بيعِهِمُ   لهالك الأمرُ، واستَهْوتْك احزانُ
يارُبَّ امٍّ وطفلٍ حِيلَ بينهما   كما تُفرَّقُ ارواح وأبدان
وطَفلةٍ مثلِ حسنِ الشمس اذ طَلعتْ   كأنما هى ياقوت ومَرْجانُ(3)
يقودها العِلْجُ عند السبى مكرهةً   والعينُ باكيةٌ، والقلب حيران (4)
لمثلِ هذا يذوبُ القلب من كمدٍ   إن كان فى القلب إسلامٌ وإيمانُ

---

(1) أحد وثهلان : جبلان بالحجاز ٢ ـ عبدان : عبيد . ٣ ـ طفلة : فتاة ناعمة . ٤ ـ العلج : الاعجمى



إنهم يخطفون الأدباء!

آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي

بقلم : عبدالقادر عقيل

هل عرفت آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي الكاتب الأرجنتيني المخطوف ؟ ماذا حدث له ؟ وكيف كانت نهايته ؟ وهل استطاع - كإنسان - أن يختار بنفسه مصيره ؟

يقول الاديب الارجنتيني جابرييل جارسيا ماركيز الذى تابع موضوع هارولدو كونتي انه تلقى منه وهو فى بوغوتا بكولومبيا رسالة يصف فيها حالته المتوترة فى تلك الفترة ويقول فيها : « عمليا نعيش - مارثا وأنا - كاللصوص . . نخفى تحركاتنا ، وأماكن اقامتنا ، ونتكلم بالرموز » . وذكر فى نهاية رسالته : « ان بقيت حيا فعنوانى مدون أدناه » والعنوان كان ١٢٠٥ كالى فتزروى ، فيللا كريسبو . وهو البيت الذى استأجره ليواصل العيش فيه دون أية حراسة حتى اقتحم بواسطة ستة من المغاوير المسلحين فى منتصف الليل بعد مضى تسعة شهور من التحذير الاول . أخذوه معهم معصوب العينين ، موثوق اليدين والرجلين ، وجعلوه يختفى الى الأبد .

كان هارولدو كونتي آنذاك يناهز الحادية والخمسين من العمر . وخلال هذه السنوات أصدر سبعة كتب ممتازة ، ولم يكن يخجل أبدا من اظهار حبه الكبير للحياة . بيته فى المدينة كان ذا طابع ريفى : يحب القطط والحمام والكلاب والاطفال ، ويزرع الخضروات والزهور فى قطعة أرض صغيرة . ومثل كثير من كتاب جيلنا كان قارئا متواصلا لهيمنغواى الذى تعلم منه الكثير . تفكيره السياسى كان واضحا ومعروفا ، سواء عبر عنه بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة فى « لابرنيسا » (كبرى الجرائد اليومية الارجنتينية) ، أما تعاطفه مع الثورة الكوبية فلم يكن سرا يخفى على أحد .

الانسان يختار مصيره

منذ أول تحذير تلقاه حصل على دعوة للذهاب الى الاكوادور ، ولكنه فضل ان يبقى فى وطنه . وكتب الى صديقه جابرييل جارسيا قائلا : « ان الانسان هو الذى يختار مصيره » . وقد كانت حجته الرئيسية ان مارثا حامل فى شهرها السابع ولن يسمح لها بصعود الطائرة . ولكن الحقيقة هى أنه لم يرد ان يخرج من

بلاده : « سأبقى ماظللت حيا ، وبعد ذلك سيكون الامر بيد الله » « وسأتوقف عن كل شيء ما عدا الكتابة ـ وأخشى ألا أكون مجيدا فيها ـ فانني لا أعرف كيف أعمل شيئا آخر » .

في فبراير ١٩٧٦ أنجبت مارثا طفلا أسمياه أرنستو ، وبعد ولادته وضع هارولدوكونتي ملاحظة في مواجهة مكتبه تقول : « هنا مكان المقاومة ، ولايمكن ان أتزحزح من هنا » . لكن الذين اختطفوه لم يعرفوا أبدا ماتقوله الملاحظة لأنها كتبت باللغة اللاتينية .

في ٤ مايو ١٩٧٦ يمضي هارولدو كونتي الصباح في حجرة الدراسة منهيا قصة « الى اليمين » التي كتبها في اليوم السابق . يرتدي معطفه وربطة عنقه ليذهب لاعطاء دروس في مدرسة محلية . يعود الى البيت قبل الساعة السادسة . يغير ملابسه في حين يبدأ الظلام في الانحدار . يساعد مارثا على وضع ستائر جديدة في حجرة الدراسة . يلعب مع ابنه البالغ ثلاثة شهور . يساعد مريام ، احدى بنات مارثا من زوجها السابق ، في أداء واجباتها المدرسية . في التاسعة يتناول مع مارثا قطعة من اللحم المشوي . يذهبان لمشاهدة فيلم « الأب الروحي » ـ الجزء الثاني ـ ، وكانت تلك هي المرة الاولى التي يذهبان فيها الى السينما منذ ستة شهور . أما الطفلان فقد تركا في رعاية صديق كان قد وصل في تلك الظهيرة من قرطبة .

وتم الاختطاف

عندما رجعا ، في الثانية عشرة وخمس دقائق ، وجدا رجلا مسلحا يرتدي ثيابا مدنية يفتح لهما الباب . ووجدا بالداخل خمسة رجال آخرين ، مسلحين أيضا . وبدأوا في ضربهما باعقاب البنادق حتى سقطا على الارض فاقدي الوعي . صديقهما كان مرميا على الارض فاقد الوعي ، معصوب العينين ، موثق اليدين ، ووجهه كان قد تشوه بفعل الضربات التي تلقاها . أما الطفلان فقد كانا في حجرة نومهما لايعرفان شيئا عما حدث لأنهما خدرا

هارولدو ومارثا أخذا الى حجرتين منفصلتين ، بينما نهب المغاوير كل شيء ذي قيمة في البيت ، ومن ثم قاموا باستجوابهما بطريقة وحشية . مارثا ، التي لاتزال تتذكر تلك الليلة المرعبة بكل تفاصيلها الدقيقة ، كانت تصغي الى الأسئلة التي تطرح على زوجها في الحجرة الثانية . كل الأسئلة كانت تدور حول رحلتين قام بهما الى هافانا . وهو بالفعل كان قد سافر الى هناك مرتين ـ في١٩٧١ و ١٩٧٤ ـ انما في كلتا المناسبتين كان مشاركا كعضو في لجنة التحكيم الخاصة بمنح جوائز « كاسا دي لاس امريكاس » الأدبية ، ولكن الذين كانوا يحققون معه أرادوا استخدام هاتين الرحلتين كذريعة لاثبات ان هارولدو كونتي كان عميلا كوبيا .

كان زوجها قد ضرب حتى فقد القدرة على الوقوف ، وفقد العديد من أسنانه ، وبدا كما لو أنه معصوب العينين فقد [illegible]ن يقوده أحدهم من ذراعه بينما كان آخر يراقبه ويتساءل ساخرا : « هل أنت ذاهب للرقص مع [illegible]يدة ؟؟ » . قبّل هارولدو مارثا قبلة الوداع ، وحين فعل ذلك أدركت مارثا أنه لم يكن معصوب العينين ولكن الاحساس الذي ارعبها هو انها كانت تعرف بأن هؤلاء الذين سيرسلون للموت يسمح لهم بمشاهدة وجوه معذبيهم . لقد كانت تلك هي المرة الاخيرة التي يكونان فيها معا .

بعد مرور ستة شهور على الاختطاف ، والانتقال من مكان سري الى آخر مع طفلها الصغير ، التجأت مارثا الى السفارة الكوبية وهناك أمضت عاما ونصف بانتظار حصولها على جواز المرور . ولم يتحقق لها ذلك الا بتدخل الجنرال البنمي عمر كوريجوس الذي التمس من الادميرال اميليو ماسيرا السماح لها بمغادرة البلاد .

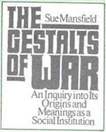
بعد أسبوعين من الاختطاف دعا الجنرال جورج فيديللا أربعة من كبار الكتاب الارجنتينيين لمأدبة غداء في قصره ، وقبل هذه الدعوة كل من جورج لويس بورجيس ، وارنستو ساباتو ، وارنستو راي (رئيس رابطة الكتاب الارجنتينيين) ، والقس ليوبولد كاستيلاني . وهؤلاء الاربعة تسلموا ، كل بطريقة مختلفة ، طلبات لاثارة مأساة هارولدو كونتي مع فيديللا .

الا أن التوضيح الرسمي الأول الذي جاء على لسان الجنرال فيديللا هو أن كونتي قد مات !! □

مكتبة العربي

كتاب الشهر

مفاهيم الحرب



دراسة في أسباب الحرب ومغزاها كمؤسسة اجتماعية
في ضوء نظريات "الجشطلت"

تأليف : سومانسفيلد

عرض وتلخيص : بيومي قنديل

كثيرون كتبوا ضد الحرب باعتبارها آلة تطحن البشر ، وحاول آخرون التنظير لها باعتبارها فعلا بشريا ملازما لتاريخ الانسان ، أو باعتبارها فنا له قواعده وأصوله ، لكن هذا الكتاب ينطلق من نقطة أخرى ترى الحرب مؤسسة ظهرت في مرحلة محددة من مراحل النشاط الانساني ، وهو نشاط منظم يحظى بقبول اجتماعي وله أهدافه المحددة . فماذا يقول هذا الكتاب ؟

تبدأ البروفيسورة « مانسفيلد » بتحديد معنى الحرب كمصطلح محدد فتقول : الحرب نشاط ، منظم متعمد ، مقبول اجتماعيا ، تقوم به جماعات معينة من الرجال ، في اطار عمليات معقدة نسبيا من الهجوم والدفاع ، وتستمر فيه بشكل منطقي لاحراز أهداف معينة . ولكن هذا لايعني أن الحرب لاتنطوي على اخطاء ، مثلما هو الحال في سائر أشكال الأنشطة الانسانية ، بيد أن الاتجاه العام ينحو بكل تأكيد نحو شن الحرب بشكل منطقي وظيفي ، بغية رفع فرص احراز هدف الحرب المنشود الى أقصى حد ممكن .

وتمضي البروفيسورة « مانسفيلد » فتقول ان القبول الاجتماعي العام الذي يكتنف الحرب بصفة تقليدية هو حقيقة تاريخية . وهذا القبول ينطوي على اهمية بالغة ، حيث انه يحدد مايعد ومالا يعد حربا ، ولهذا السبب على وجه الخصوص لم يكن الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون يقصد المعنى الحرفي من لفظ الحرب في وصفة لبرامجه الداخلية بأنها « حرب على الفقر » بل كان يعول على القبول العام الذي يصاحب اللفظ في كسب التأييد لهذه البرامج على الصعيدين السياسي والاجتماعي . وتضيف « مانسفيلد » ان القول الذي يذهب الى أن الحرب ليست سوى « قتل جماعي » يغفل أمرا أساسيا الا وهو هدف الحرب الذي لايعدو أن يكون فرض ارادة طرف على طرف آخر ، وليس مجرد التقتيل في حد ذاته .

فطرة . . . أم غريزة

وحول موضوع حتمية الحرب تقول « مانسفيلد » انه يثير مشاكل عديدة ، على رأسها بطبيعة الحال ما اذا كان الانسان مفطورا على شن الحرب « فلفظ » فطرة غامض للغاية ، ويستخدم عادة بطريقة معيارية ، ثم تتناول « مانسفيلد » لفظ « غريزة » وتصفه بأنه أكثر تحددا ، فضلا عن أنه مصطلح « وصفي » محض ويحمل في طياته هالة الحجية العلمية وجدارة الاحترام ، ومع ذلك تقف « مانسفيلد » موقف النقد من استخدام هذا اللفظ في مجال الحرب ، تقول : حقا مكن « كونرادلورنز » العالم الكبير في طبائع الشعوب لدى قاعدة واسعة من القراء للقول بوجود « غريزة عدوانية » (بمعنى نزعة أو دافع) ورثها الجنس البشري عن ماضيه في سلسلة التطور . ويؤكد « لورنز » أن مثل هذه النزعة تلقائية ، وتسعى بصفة دائمة الى الانطلاق والتحقق ـ وتشتمل على مايسميه « بالحماس اللؤوب » الذي يعد أقوى دافع غريزي يحمل الانسان على خوض غمار الحرب . الا أنها تضيف : رغم أن أغلبية الحضارات في الأزمنة التاريخية خاضت الحروب ، فإن أغلبية السكان في تلك الحضارات لم تشترك في الحرب . وتقارن « مانسفيلد » بين نسبة الجنود ونسبة الذين « يعانون » ويلات الحرب ، وتؤكد أن نسبة الذين تزيوا بأزياء الجندية منذ عام ١٩٤٥ ، أي منذ غداة الحرب العالمية الثانية حتى الآن لم ، تتجاوز على نطاق العالم واحدا في المائة على أكثر تقدير .

الحرب والبورصة والكنيسة

وتناقش « مانسفيلد » العلاقة بين غريزة العدوان والحرب ، تقول مامن حيوان كان ليستطيع البقاء على سطح المعمورة سواء كفرد أو كنوع بدون القدرة على العدوان ، مادامت هذه القدرة ضرورية ، على الاقل ، في تأمين مأكله (حفاظا على الذات) وتزاوجه (حفاظا على النوع) ، فضلا عن أن عدوانية الجنس البشري ، سيرا على هدى أسلافه الأولين ، كانت في الأصل ، شفاهية ويدوية : التقاط الأكل وقضمه واصطياد الرفيق الأخر ، والدفاع عن النفس ضد سائر الحيوانات الأخرى . وبمرور الوقت ، ومع ذلك ، تعلم الجنس البشري أن يفتت الهياكل النباتية والصخرية ، في سبيل تشكيل الأدوات ، مثلما تعلم أيضا أن يفتت كتلة المعلومات غير المميزة ، التي تنقلها الحواس الى مخه في سبيل خلق الرموز وأنماط المفاهيم المختلفة . وأدت هاتان الخطوتان الجبارتان الى توسيع نطاق قدرته على الخلق والتربيط (اكتشاف علاقات جديدة بين الأشياء والظواهر) ، وبناء عليه فإنه على الرغم من أن النوع البشري ليس أكثر الأنواع عدوانية من الناحية

كتاب الشهر

الجسمية ، فإن بني الانسان هم الذين استحدثوا ، على وجه اليقين ، وأوسع نطاق من الوسائل المتنوعة التي يتوصلون خلالها الى العدوان . وتقول البروفيسورة ان الثابت أنه مامن أحد يرغب في استئصال القدرات العدوانية للجنس البشري ، والا فإنه لن يستطيع عندئذ أن يبني المعابد أو يقاوم الأمراض أو يصوغ النظريات العلمية ، ولكن الطرق التي استخدم بها الانسان هذه القدرات في الوصول الى مايريد أو الكيفية التي حدد بها مايريد هي التي لاتزال موضع جدل . فالطاقة العدوانية لدى الانسان يمكن استخدامها في شق قناة في قلب الصخر ، مثلما يمكن تسخيرها لبناء مصنع ، أو شن حرب ضروس . بيد أن البروفيسورة « مانسفيلد » تلاحظ أن قوننة الطاقة العدوانية والانسانية نحو مجال الاقتتال لم يكن عملا سهلا في كافة الأحوال ، حتى باعتراف القادة العسكريين أنفسهم . ولما كان البشر مختلفين عن الكائنات الدنيا ، فإن الهم الأكبر لأي جيش هو تدريب الجنود على الانضباط الذي يصل حد الطاعة العمياء . ولكن جماعات البشر تظل باستمرار غير أسراب النمل ، فهم يعرفون أن القتل خطيئة ، وفي هذا الصدد يشير البريجادير جنرال اس . ال . مارشال في كتابه « الانسان والنار » الى أن الجندي العادي يميل الى اطلاق الرصاص على حائط أو شجرة أكثر من ميله لاطلاقه على انسان ، وذكر أطباء نفسانيون شهدوا الحرب العالمية الثانية ، أن خوف الجنود من ازهاق الروح الانسانية وليس خوفهم من الموت هو الذي يقف وراء خسارة المعارك . وتخلص البروفيسورة « سو » من وراء ذلك الى هذه النتيجة : **قد يكون البشر عدوانيين بالقوة والاحتمال ، ولكنهم ليسوا محاربين بالفطرة والضرورة .**

والحرب ليست ، في واقع الأمر ، حاجة ، بل قدرة،وبعبارة أخرى مؤسسة لاشباع حاجات يحددها المجتمع سلفا ، وهي في هذا تتشابه مع سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالدولة والبورصة والكنيسة .

طقوس الحرب

يتعين على كل محاولة جادة لفهم أسباب الحرب ، ومغزاها أن تبدأ بالاعتراف بأن هذه المؤسسة (الحرب) ظهرت في مرحلة محددة من مراحل التطور الانساني ، وفي اطار بيئي معين ، فرغم أن البشر حازوا ودون جدال « القدرة على قتل كل الآخر بسهولة نسبية ، بعد أن اخترعوا في مطلع العصر البلستوفيني الأوسط (منذ حوالي ١٠٠ ألف عام) أدوات الصيد مثل البلط اليدوية والعصي ، ورغم انهم امتلكوا القدرة كل على قتل الآخر بقدر من الأمان والسهولة ، بعد أن اخترعوا خلال المراحل المتأخرة من العصر البلستوفيني الأعلى (أي منذ حوالي ٣٥ ألف عام) القوس والسهم والحراب ذات الرؤوس الحجرية المدببة ، فإننا لانملك دليلا حاسما على أنهم كانوا قد شرعوا في ذلك الحين في صنع الأسلحة بصورة عمدية (أي أدوات مصنوعة ومصممة بشكل خاص للاستخدام ضد بني البشر) ، وبعبارة أخرى حاز الانسان - الصياد لمدة تصل الى ١٩٠ ألف عام على الاقل القدرة التقنية لصنع (أسلحة الالتحام) ، كما حاز لمدة تصل الى ٢٦ ألف عام القدرة على صنع (أسلحة القذف) ولكن فصيلة البشر لم تصنع - في ضوء مااتحت أيدينا من معلومات أيا من هذه الأدوات بصورة عمدية لشن الحرب خلال تلك العهود الطويلة من فجر التطور الانساني ، رغم امكانية استخدام أدوات الصيد هذه في بعض الاحيان في قتل الغرماء .

على أن أقدم دليل يقدمه لنا علم الآثار (الاركيولوجيا) والانثروبولوجيا يكشف لنا أن الحرب لم تبدأ في التحول الى مؤسسة اجتماعية الا

عندما هجرت قطاعات بشرية القنص والجمع كنمط للحياة ، وتحولت الى البستنة والفلاحة ، ولكن الحرب ظلت في تلك العهود الضاربة في أعماق الزمن ، بمثابة معارك « يخوضها محاربون لاجنود » على حد تعبير المؤرخ الروماني الشهير « تاسيتوس » ، فلقد افتقرت معظم المجتمعات البستانية للهياكل الاقتصادية والسياسية التي تعطي الحرب خصائصها المحددة كمؤسسة اجتماعية : قيادة هرمية ، تجنيد اجباري . انضباط صارم واعالة منتظمة .

وتضيف « سو » أن الحرب لم تستهدف أهدافا سياسية في معظم مجتمعات العصر الحجري الحديث (النيوليثي) فلم تكن تلك المجتمعات لتملك أي هيكل سياسي ، من أي نوع فضلا عن هيكل سياسي تستطيع فرضه على الجماعات البشرية التي تلحق بها الهزيمة ، وفي نفس الوقت لم تكن الحرب لتستهدف أهدافا اقتصادية . وليس أدل على ذلك من أن الأطفال والنساء الذين كانوا يقعون في الأسر ، كانوا يواجهون مصيرين اثنين لاثالث لهما ، اما القتل واما التبني داخل القبيلة الغالبة ، بمعنى أنهم لم يكونوا يواجهون عملية التحويل الى عبيد منتجين ، مثلما حدث في عهود لاحقة ، ولكن لماذا تحولت الحرب الى مؤسسة اجتماعية ؟

تقدم « سو » وصفا لحرب بدائية ، تقول انه قبل الاقدام على أي عمل من أعمال العنف ، تقيم القبيلة احتفالا طقسيا يشمل تقليد المحاربين أنواع مختلفة من الزينات ، وأداء رقصات معينة مصحوبة بالغناء ، ويبدأ عند هذه النقطة التزام أبناء القبيلة المعنية بعدد من التحريمات على بعض أنواع الطعام والشراب ، وقد تمتد هذه التحريمات في غالب الأحيان لتشمل اتصال الرجال بالنساء . وعندئذ يتوجه المحاربون الى ميدان القتال ، يتقدمهم شيء مقدس وفي وقت لاحق قائد عام . أما الموقعة ذاتها فلا تزيد عن غارة أو كمين أو التحام وجها لوجه ، وما أن يقتل المحاربون أحد الأعداء بصرف النظر عما اذا كان رجلا أم امرأة ، عجوزا أم صبيا ، يقفلون عائدين الى ديارهم - وهنا تنخرط القبيلة التي « تكبدت » الموت في طقوس الحداد التقليدية ، بينما تقيم القبيلة التي - الحقت - الموت احتفالا شعائريا حول الجسد المسجي ، قد يتضمن التحديق طويلا فيه ، أو أكله أو تحويل جمجمته الى موضوع شعائري .

وتخلص « مانسفيلد » من هذا الوصف الى أن الحرب كانت لدي البدائيين طقسا من الطقوس ، وتقول أن مغزي هذا الطقس يكمن في موضوعين « الموت و الخصب » حيث يسيطر الموضوع الأول على الخطوات الأولى والوسطى من الطقس ، ثم ينمو الموضوع الثاني - الفرعي ليسيطر على النهاية .

انتقام العصر الحجري

لايسطيع البدائيون أن يفرقوا بين النشاطات الطقسية وغير الطقسية ، فالبدائيون لاينهمكون في التفكير فيما يحيط بهم من واقع ، ولايؤسسون عنه النظريات ، ويكتفون بممارسة النشاطات الطقسية لانهم تقليديون طبيعيون ، بمعنى أنهم غير منفصلين عن الطبيعة . وهم لايتفكرون في هذه النشاطات بل يحسونها . . . ويرجعون هذه الظاهرة « الحرب » الى غضب الموتى والحاجة الى الانتقام اطفاء لهذا الغضب ، وبذلك يمزجون - كما يذهب علماء الانثروبولوجيا بين الأسباب الايديولوجية والطقسية ، والوظائفيون من هؤلاء العلماء يميلون الى تفسير هذه الحروب بصفتها وسائل لفرض القانون ، بالمقارنة مع النظم القضائية التي تعرفها المجتمعات المتحضرة ، ومن هذا المنظور تعد الحرب بمثابة جزء من النظام القانوني ، أي الوسيلة الوحيدة لفرض القواعد التي يتبناها مجتمع لايزال يفتقر الى سلطة مركزية قوية .

ولكن هذا التفسير ينطوي على أن الانتقام يعادل العقاب أو الرادع ، وهو بذلك يتجاهل فروقا جوهرية بين هذا وذاك ، فالرادع بادىء ذي بدء يتضمن نهجا وظيفيا وعلى وجه التحديد نفعيا . اذ يتحتم على رد الفعل ازاء فعل سيء أن يكون الحاق تكدير كاف ، أو قل تعزيز كاف بالمخالف الفعلي ، وأي مخالف محتمل آخر ، حتى يمنعهما من العودة اليه . أما الانتقام فيولي جل اهتمامه للارتياح الشخصي الذي ينبغي لمن لحقه الأذى أن يستشعره خلال استعادة التوازن المختل بين الغبطة والألم . وفي المقام الثاني نجد أن المجتمعات البدائية نادرا ماتهتم لفكرة الرادع أو تلقين الطرف الآخر أي درس من الدروس .

كتاب الشهر

تدمير الفوضى

تضع الأساطير التى ينسجها القبليون حول الحرب، بصورة ضمنية، عامل الثأر موضع الاهتمام، والحقيقة أن العاطفة والعقل والحدث القصصى تكشف جميعا عن وحدة شديدة التماسك بين أبناء القبيلة الواحدة، تحسدهم عليها سائر المجتمعات الأكثر تقدما والأكثر ديمقراطية وجماعية فى العصر الحديث.

يحكى شعب «يانومامو» وهو شعب معروف بعدوانيته الشديدة، يعيش فى أمريكا اللاتينية، أحال الحرب الى مؤسسة، وجعل منها محورا رئيسيا لحياته الاجتماعية، هذه القصة حول نشأة هذا الشعب ذاته، ونشأة الحرب فى آن واحد.

فى البدء لم يكن هناك سوى كائنات أصيلة، وهى التى انتجت معظم النباتات والحيوانات والأشياء. وبعد أن اكتسح الفيضان معظم هذه الكائنات الأصيلة لم يبق سوى «بيربور» الذى قرر الهبوط الى الأرض، كى يتغذى على الأجزاء الروحية من الأطفال، وكان قد أكل طفلا لدى أول هبوط له، وذلك بأن وضع روحه بين شطرتين من خبز «الكاسافا» وابتلعه، وعاد فى المرة الثانية ليأكل طفلا آخر بنفس الطريقة السابقة، وأخيرا وفى المرة الثالثة استبد الغضب بكل من «أوديما» و «سوهيرنا» وهما شقيقان، وصمما على قتله. بدأ «أوديما» أضعف الاثنين بارسال سهامه، ولكنها أخطأته، ثم ثنى «سوهيرنا» فالتقط سهما مدببا برأس من قصب البوص وأطلقه نحو «بيربور» فى اللحظة التى كان يطير فوق رأسه تماما فأصابه فى بطنه، اخترق طرف السهم جسم «بيربور» بالكاد، ولكن الدم تدفق بغزارة وساح حول «هوثيرى» بالقرب من الجبال المعروفة باسم «نيو» وسرعان ما تحولت قطرات الدم الى اناس يدبون ويسعون بمجرد امتزاجها بالتراب، الأمر الذى أدى الى انبثاق عدد هائل من البشر هم شعب «يانومامو».

وتعلق البروفيسورة «سو» قائلة ان الأسطورة تذهب الى أن الحياة الانسانية بدأت بعمل من أعمال العنف، وبواسطة هذا العمل تمت السيطرة على الفوضى أو الموت غير الطبيعى وغير المنطقى معا. واذا كان لأحد أن يبحث فى هذه القصة عن مغزى تاريخى - موضوعى أو بيولوجى، فإن بحثه يعد ضربا من ضروب العبث، ولكنها تنطوى مع ذلك على تصوير شعرى - أسطورى لحقيقة مدركة. فالأسطورة تشير الى ايمان شعب «يانومامو» بالاعتماد المتبادل بين الحياة والموت، والاعتقاد بأن أفعالا طقسية معينة يأتيها البشر، تستطيع السيطرة على الاحتمال الفوضوي لهذا الاعتماد المتبادل. وتضيف «سو» ان هناك أسطورة مماثلة سائدة فى قارة أخرى بعيدة هى قارة أفريقيا بين شعب «هو نيتوت» وهو شعب رعوى محارب فى منطقة أفريقيا الجنوبية. وتستطرد «مانسفيلد» ان كل هذا يعنى، دون شك، أن الانسان صاغ نمط الحرب الطقسية منذ وقت طويل - وان الانسان هو بطل الحضارة الأول الذى قام بتفكيك بنية الفوضى والتدمير، وجعلها خادمة لحاجياته، ومن خلاله انبثقت المؤسسات والقواعد الاجتماعية لحياته.

وتمضى «سو» الى القول بأن الرومان أحالوا الأساطير الى تاريخ، وبذلك قادوا الفكر الانسانى، من الزمن غير المحدود الى الزمن المحدد. وتؤكد «سو» أنه فى اللحظة التى انطلقت فيها الحرب. من حدودها الطقسية واكتسبت هدفا ماديا مباشرا، أصبح من المستحيل أن تقتصر على نمط غير متغير. ولم تعد نتائجها تنطوى على خسائر ضخمة فى الارواح والممتلكات فحسب، بل انطوت على تغيرات فى التنظيم الاقتصادى والسياسى، بالاضافة الى نزوح شعوب جديدة وثقافات جديدة، ولم تعد الحرب، من ثم، تأكيدا مكررا على الطابع الرجعى اللازمنى

للواقع ، بل أصبحت عوضا عن ذلك واحدة من أعظم تجارب الانسان الأشد حيوية من التحول والتغير والانقلاب .

حدود القوة

كافة الحيوانات بما فيها فصيلة البشر، تملك قدرات عدوانية ثمينة كوسائل فى سبيل اطراد البقاء وازدهار الفرد والنوع . . . وعلاوة على هذا فإن البشر على وجه الخصوص ، وبسبب طول مرحلة الطفولة لديهم ، والنزعة الى الخلق ونقل الثقافة ، وهى نزعة قائمة على عوامل وراثية ، قادرون على فصل هذه القدرة العدوانية عن اشباع الحاجات الفسيولوجية البسيطة . . والواقع ان كافة المجتمعات البشرية تفرض تحريمات على بعض أنواع الاطعمة ، والعلاقات الجنسية وتوزيع السلع ، وبالتالى تكبح بشكل رئيسى ، اطار التلقائية الجسدية للبالغين ، وفى نفس الوقت تخلق هذه المجتمعات ، صورا كلية « جشطلتات » محددة تقود القدرة العدوانية نحو قنوات رمزية ونفعية ترى هذه المجتمعات انها تحقق صالحها ككل . ولأن الطفل الانسانى قابل للتعلم من الناحية الوراثية ، ويستمد راحة كبيرة من ممارسة قدرته على التقليد ، فإن ميلنا لدمج التحريمات الاجتماعية بالاهداف التى تحددها الثقافة السائدة كجزء من بنائنا النفسي الأساسى ليعتبر جزءا لا يتجزأ من قدرة النوع الانسانى على البقاء . وفى حالة تقنين الطاقة العدوانية فى بناء سد ضخم ، أو الزام الناس بالامتثال لمثال من التقشف والزهد وإلحاق بعض الضرر بالفرد ، فإنه يكون وظيفيا بالنسبة للجماعة .

ولعله أمر مثير للدهشة حقا أن معظم المجتمعات تعتبر الحروب مشاريع بناءة اجتماعيا ، رغم المخاطر التى تنطوى عليها بالنسبة للأفراد . ومثل هذا الحكم على الحرب يستند الى سمتين نفسيتين من سمات النوع الانساني ، ففى المقام الأول ، نرى أن الوعى الانسانى ينطوى على استعداد كامن ، لكى يخلق من المعلومات المتنوعة التى تنقلها الحواس عن الحياة اليومية ، أنماطا تفرض النظام أو البناء المعني على فوضى الواقع المعاش . فالاحلام والطقوس والرموز واللغة والأسطورة (بما فى ذلك الفن والأدب والموسيقا والنظريات العلمية) كل ذلك يشهد على قوة هذا الاستعداد والأغراض الجميلة والنافعة التى يخدمها .

ويبدو أن الحرب ليست واحدة من هذه الحاجات الأكثر الحاحا والاوسع قسمة بين البشر ، أى الحاجة لخلق « الجشطلت » النمط واشباعه فحسب ، ولكنها أيضا واحد من الاعمال التى استطاع الانسان أن يواجه بها وبصورة محددة الرعب وعدم التوازن الرئيسيين ، اللذين ينجمان عن الموت والدمار اللذين يحلان دون سابق انذار . فالانسان ينظر الى الحرب منذ بدايتها الأولى فى العصر الحجرى الحديث باعتبارها طقسا حاسما فى سبيل اعادة التوازن الى العلاقات بين البيئة غير البشرية والجماعة الانسانية .

ففى عالم يتعرض فيه البشر ، سواء أكانوا أفرادا أو أعضاء منتظمين فى مجتمعات لضربات الأحداث الأليمة التى تبدو مفتقرة للنمط وخلوا من المعنى ، نهضت الحرب كمحاولة فذة لاقامة نمط محدد انسانيا عن طريق رد هذه الضربات ، وبناء عليه فإن الطابع الناقص بالقوة ، غير المتوازن بالاحتمال ، والفوضوى بالكمون للتجربة الحية بات يكتسب تناسقا واكتمالا وتوازنا . وقد لا ينتهى الموت والتدمير ، ولكنهما يثيران بالقسر ، نمطا أو « جشطلتا » منظما يستطيع الوعى الانسانى أن يحيط بهما .

أبيدوكليس وفرويد

يتساءل العالم « جلين جراى » عما اذا كان الحق قد حالف كلا من الفيلسوف الاغريقي « ابيدوكليس » (القرن الخامس ق . م) و « سيجموند فرويد » فى تصورهما أن الصراع والموت يبلغان من القوة والالحاح مبلغ الحب والجنس لدى البشر . والجواب من الناحية البيولوجية : نعم . ولكن نفسية الجندى - القاتل ليست نفسية متوازية ، اذ تكشف عن شخصية مركبة ، تهيمن فيها القدرة العدوانية والتدميرية على قدرة الخلق والتواصل مع الآخربل تزيحها كلية . وفى ضوء نظرية « الجشطلت » فإن الدوافع العدوانية لمثل هؤلاء الجنود القتلة قد انكفأت وارتدت ضد الذات ، بحيث تحرمهم من القدرة على - ناهيك عن أن يجد أدنى متعة فى - أن يكون تلقائيا عطوفا أو

كتاب الشهر

متوحدا مع الآخر . هؤلاء الجنود يريدون ، فى حقيقة الأمر ، أن تحيق بهم الهزيمة ، فالرغبة فى تدمير كافة المخلوقات ليست سوى انعكاس غير واع لكراهية الذات الراسخة فى الأعماق . ومثل هذا الجندى ليس سوى رجل انتحارى عاجز عن توليد احساس مناسب بالحدود التى تفصل ذاته عما يحيط به من بيئة بشرية » . . ومثلما يكون بعض الأفراد انتحاريين تكون أيضا بعض المجتمعات . وعند هذا الحد الذى يبدأ فيه العدوان الاجتماعى فى التهديد بالرجحان على الخلق الاجتماعى يكف العصاب الانسانى ، دون جدال ، عن أن يكون شكلا من أشكال التعديل التكيفى ، ويصبح مرذولا ودون قيمة اجتماعية أو بيولوجية . ولسنا نعرف على وجه اليقين عدد المجتمعات الانسانية التى أوقعت نفسها فى مثل هذه المعضلات المميتة فى الماضى ، ولكن ثمة ما يدل دلالة واضحة على أن ذلك حدث فعلا ، ومع الأسف يبدو أن مجتمعنا المعاصر القائم على التقنية قد ولد مثل هذا الاتجاه الانتحارى ، فى وقت بلغت فيه قدرتنا التدميرية مبلغا هائلا ، يتمثل فى استطاعتنا أن ندمر الجنس البشرى ، بل وان نقضى على كافة أشكال الحياة على ظهر المعمورة فى كارثة بيئية مروعة .

وتردف البروفيسورة « سو » أن كافة طقوس الحرب التى تناولتها بالتحليل فى كتابها هذا تنطوى على محاولة - سواء على صعيد عدم الوعى أو الوعى الكامل - للسيطرة على الطبيعة فى سبيل سعادة الانسان ، واطراد البقاء ، وبناء عليه فإن أجدادنا الذين عاشوا فى العصر الحجرى الحديث اعتقدوا انهم يستطيعون خلال الحرب أن يعيدوا بناء الفاعلية المنظمة لزمن الحلم الأصلي . ومن ثم يستطيعون قسر الموت على لزوم قنواته المرغوبة ، المناسبة .

ولعل ما يدعو للأسف أن انهيار الحوار يؤدى الى فقدان أى احساس بالحدود ، وبالتالي بحقيقة الواقع المحيط بنا . وهكذا يتصور « صاموئيل بيكيت » الكاتب المسرحى الشهير ، الانسان كأسير للانتظار اللانهائي على مسرح خال ، حيث لم يعد للارادة الانسانية أو الكون الحى أى وجود حقيقى . وفى ضوء مصطلح الفسيولوجيا ثمة دائما حدود من ناحية للكيان العضوى ، وتداخل من ناحية اخرى بين هذا الكيان ، والبيئة المحيطة ، فالفرد فى نفس الوقت ، كيان ذو حدود جسدية واضحة وعملية نابضة ، تأخذ الانعكاسات الحسية والهواء والغذاء ، وتخرج المشاعر والزفير والفضلات ، وبدون هاتين العمليتين تغدو الحياة بصفتها المعروفة مستحيلة .

جنود . . ام محاربون

وفى ختام الفصل الأخير تتوقف البروفيسورة « سو » لتقول : اذا كان تحليل التاريخى صحيحا ، وكان كذلك المنهج الجشطلتى ، فإن مطلبا غاضبا اخلاقيا ، سوف يطرح نفسه مع ذلك ، وكرد فعل ، فى سبيل نزع السلاح النووى . فحقيقة الأمر أن الرجال والنساء الذين يبنون ويمولون تلك الترسانات النووية الضخمة ما هم الا أفراد يستشعرون الخوف فى أعماقهم ، ويبحثون عن الأمان خلف هذا الدرع الدفاعى ، وكلما شعروا باقتراب الهجوم فإنهم يتحصنون على وجه الاحتمال بدفاعهم الذى يتخيلونه ضد رؤيا مخيفة ، هى رؤيا التمزق ، وفقدان معنى الأشياء ، واذا كنا لا نستطيع أن نأمل فى تفكيك الرؤوس النووية فورا . فينبغى لنا ان نحاول على الأقل اعادة تنظيم الجيش ، بصورة تسمح لمثل هذه المخاوف أن تعالج بأسلوب أكثر واقعية ، أسلوب يقوم على تحويل الجنود مرة أخرى الى محاربين بدلا من الوجود المخيف للغواصات النووية التى تملأ البحار والمحيطات من حولنا . ولكن البروفيسورة « مانسفيلد » تستدرك الى القول بأن العمل الأهم ليس نزع السلاح النووى في حد ذاته ، بل كيفية ازالة المؤسسات والايديولوجيات العسكرية التى استقرت فى أعماق ثقافتنا وأغوار نفوسنا . □

من المكتبة العربية



حكايات من مصر

صلاح عيسى

عرض وتعليق : عبد الرحمن أبو عوف

حكايات من مصر وهوامش المقريزي جزءان من كتاب واحد ، حمل اسم الجزء الاول المؤرخ الفنان صلاح عيسى . وقد اختار المؤلف من تاريخ مصر الثري الطويل ما رأته عينا الفنان فيه ، وصاغها بطريقة تمزج بين جلال التاريخ وجمال العمل الفني .

حكايات من مصر ، الجزء الاول و (هوامش المقريزى) ، وهي المجموعة الثانية من(حكايات من مصر) للمؤرخ الفنان (صلاح عيسى) ، عمل تاريخى أدبى له تفرده وصوته الخاص ، يثير قضية علاقة التاريخ بالفن ، كيف يصبح المؤرخ قادرا على استعادة الحدث التاريخى من الماضى نظريا ، كما كان تماما أو قريبا مما كان ، وبقدر ما يتمكن المؤرخ من تقديم أو اعادة لتركيب الصورة التاريخية للحدث التاريخى كما حدثت تماما بقدر ما يكون علميا ، أي بمعنى أن المؤرخ عليه دائما أن يردد ذلك السؤال الذي يخالج فكر المؤرخ الألماني الكبير (ليبولدرانكا) كيف ؟ فمنهج البحث التاريخى مهمته أن يوصل الباحث بالأدوات العلمية التى يقدمها الى الاجابة عن هذا السؤال : كيف حدث التاريخ بالفعل ؟ .

ولكننا هنا أمام ـ مؤرخ وفنان ـ اختار في السرد لغة روائية ، تبعث في الحدث الحياة ، وترسم الشخصيات بتعدد جوانبها ، وتستلهم من جزئياته سريان القانون العام ، وهو قانون الصراع بين الشعب والطغاة ، والكشف عن أصالة المقهورين

وقدراتهم التى لا تنفد في الدفاع عن حقوقهم ، مهما سقط منهم الشهداء ، وهزمتهم شراسة قوانين الصراع الطبقى والاستعمارى .

الرواية الوثائقية

لقد ساهم صلاح عيسى في تقديم شكل من الرواية الوثائقية ، ربما كان أبرزها روايته (مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا) وهي تستحق تقييما خاصا .

يعترف (صلاح عيسى) ، أنه وفق تكوينه ، كان التاريخ بؤرة اهتمامه ومثار شوقه ، فيه انغمس وقرأ . قرأ لمؤرخى مصر الكبار : ابن تغربردى ، وابن اياس والجبرتى خاصة ، وغيرهم كثيرون . وحينما عثر في تلك الأيام على كتاب أحمد بهاء الدين (أيام لها تاريخ) التهمه في ليلة شتوية (كان التاريخ في هذا الكتاب شيئا آخر تماما ، غير الذي كان يستفزنى لقص الصور من كتبه وتعليقها على جدران حجرتى الناحلة ، كنوع من العقوبة لمؤلفيها ، كان تاريخا حيا ونابضا ودافئا . . أحببت رجالا لم أعرفهم قطّ ، وبكيت على مصير بعضهم ، ولبثت خوفا وقلقا واشفاقا ، وأنا أتابع الآخرين وهم يواجهون الخطر ويتحدونه ، ويصدون الزمن ويعانون التشريد في المنافى والسجون) ، ان صلاح عيسى من جيل عاصر انهيار النظام الملكى في سنواته الأخيرة ، ووعى بالغريزة وتربيته الأسرية مكانة حزب الوفد ، ثم قامت الثورة ، وعاش أزماتها وتناقضاتها وانتصاراتها وانهزاماتها ، ودفع من حريته ثمنا غاليا ، ليدرك قانون التوحد بين الكاتب والمؤرخ،والمناضل السياسي الملتزم برؤية فكرية تنتمى للشعب والتقدم . كان التاريخ يكتب من وجهة نظر المحتلين ، كاللورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة) ، أو أنصارهم ، ثم يكتب من وجهة نظر الموظفين ، ثم اطلع على موسوعة المؤرخ الكبير (عبدالرحمن الرافعي) ولكنه لاحظ تحيز تاريخ الرافعى وعلى الأخص في أحداث الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ الى وجهة نظر الحزب الوطنى ، وظل يمارس الاطلاع على مدارس أخرى كشفيق غربال (مدرسة التاريخ الوثائقى) ثم (مدرسة التاريخ الاجتماعي العلمي) لمحمد أنيس ، ثم استقر على وجهة نظر الاشتراكية العلمية في تفسير التاريخ وتغييره ، وقدم عملا متكاملا يعتبر انجازا جديدا في تفسير العرابية وتوثيقها ومرجعا موثقا عن هذه الثورة الخطيرة في حياتنا .

ثم اكتشف نفسه في كتابيه (حكايات من مصر) الجزء الأول سنة ١٩٧٣ و (هوامش المقريزى) ، حكايات من مصر الجزء الثاني سنة ١٩٨٣، وقد كتب الكتابين بين ١٩٧١ - ١٩٧٥ واضطر الكاتب للتوقف فترة قهرا في الجزء الثاني .

لكن المجموعتين تختلفان من حيث الشكل ، فقد اختارت المجموعة الأولى لحظات أكثر تفجرا وأطول نسبيا ، بينما تلتقط الثانية ومضات تاريخية قصيرة ومركزة ومكثفة تبرق بسرعة ، ولكنها لا تنطفىء قبل أن تضىء عقل من يقرؤها بوعى بكل دلالات عصرها ، ولكن كلتا المجموعتين موضوعهما واحد ، فهما تتقصيان تلك الجزئيات الصغيرة التى تصب فى مجرى التاريخ ، وتتبلور فيها قوانين تطوره .

حكايات من مصر

وتتميز المجموعة الأولى بحوادث غريبة ربما يسرقها تراكم الزمن ، غير أنها أثرت فى مجرى أحداث تاريخ مصر المعاصر أبلغ تأثير ، وهى تقدم بشكل روائى فى نبرة شاعرية تدفع الحدث ، وتتقصى دلالته ومغزاه ، وتكشف عن عمق فى دراسة كتب نادرة ووثائق مدفونة ، عانى صاحبها حتى يضعها أمام القارىء والأحداث هى عن .

الأمير سيف الذى يحاول اغتيال أحمد فؤاد ، مقتل المليونير على فهمى برصاص زوجته الفرنسية ، ست جوار يثرن أزمة فى السياسة المصرية ، مؤامرة ضد زعيم الأغلبية مصطفى النحاس ، مغامرات عبد الله بالمر فى سيناء ، مأساة ابراهيم الهلباوى جلاد دنشواى ، البطريرك فى المنفى ، السلطان والزنا وقضاة الشرع ، مقتلة الأحد الدامى .

انها ملحمة تراجيدية وكوميدية ، فيها تختلط الفضيلة بالرذيلة ، العفة بالنذالة ، الخيانة بالوطنية ، الشهامة بالجبن ، مناخ صنعه الاحتلال فى سنواته الأولى ، وعاشه الشعب المصرى بصبر وقدرة على الصمود ، تبهر القارىء وتؤكد ان معدن الشعب

الوطنى تصهره المآسى ، وتصلبه الأحزان ، وتجعله دائما ناظرا الى أمام فى انتظار الخلاص .

زيادة على ذلك فالاشياء مركبة ، فمجموعة الوثائق تحقق حجما من الدلالة لا ينفد لانها تشكل عددا غير محدود من الاسئلة تنهض هذه الوثائق للاجابة عنها . كذلك سيقوم الابتكار عند المؤرخ على اكتشاف الانحراف الذى تكون عليه مجموعة معينة من الوثائق من قبل اعتقد الانتفاع بها جيدا يمكن ان يكون متدفقا من نشوء سؤال جديد .

وسنختار من الحكايات أبرزها تمثيلا لهذا الجو التاريخى الفنى ، ودلالته السياسية على تطور الحركة الوطنية المصرية .

مأساة جلاد دنشواى

كانت حياة ابراهيم الهلباوى - وهو واحد من أعظم المحامين الذين أنجبتهم مصر ان لم يكن أعظمهم على الاطلاق - تراجيديا مصرية فاجعة ، نموذج للبطل الذى يخطىء مرة واحدة فتودى به خطيئته ، ويظل يجاهد العمر كله لكي يحصل على الغفران ، فيوصد الشعب قلبه دونه ولا يرق له . رغم طيبة الشعب الذى طالما غفر لكثيرين ، وكانت خطيئته التاريخية التى ظلت نقطة سوداء لم ينسها ضمير الشعب ، انه قبل أن يصبح المدعى العمومى الذى يثبت التهمة على فلاحي دنشواى ، ويلف المشنقة حول أعناقهم ، بعد أن كلفه رئيس الوزراء مصطفى فهمى الذى تعاون مع اللورد كرومر مدة طويلة وهو (أبو زوجة سعد زغلول) . لقد اسقطه - وهو المحامى اللامع وابن البرجوازية الصغيرة والفلاح البسيط - فلاحون بسطاء . استخدمه الانجليز وعملاؤهم فى شنق الفلاحين وتعذيبهم أمام أهل قريتهم وهم : زهران ، ودرويش ويوسف وفلاحة اسمها أم محمد .

ولكن كيف نشأ الهلباوى ؟ وكيف تمت عملية الصعود ؟ ككل الجيل ، ولد الهلباوى فى أسرة (مستورة) . كان والده مغربى الأصل ، تمصر وأقام ببلدة (العطف) بمديرية البحيرة ، وفى الثانية عشرة من عمره ذهب الى مركز العلم فى هذا العصر (الأزهر) ، وفى بداية السبعينات من القرن الماضى عرف قهوة (متاتيا) حيث يجلس شيخ غريب (يوزع السعوط بيمناه والثورات بيسراه) يجلس حوله رجال ، قدر لهم فيما بعد أن يلعبوا أخطر الأدوار فى تاريخ مصر ، منهم أحمد عرابى ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم وسعد زغلول وغيرهم ، وتمر سنوات وهو يتعلم من الأفغانى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والسياسة وتنظيم الامم والشورى ، والسنوات تمر ويؤجل دخول الامتحان بالازهر ، وفجأة يترك الأزهر . فى تلك السنة خلع الخديوى اسماعيل عن العرش بارادة الدول الأوروبية ، وتولى (الخديوى توفيق أريكة الخديوية) وأصدر رئيس الوزراء (مصطفى رياض) بعد شهور من نفى الأفغانى قرارا بتعيين الشيخ محمد عبده فى منصب رئيس تحرير الوقائع المصرية ، ويختار الشيخ عددا من مريدى الأفغانى ليساعدوه منهم : عبد الكريم سلمان ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوى . ويكتب فيها الهلباوى ، ولكنه بعد فترة يثير المتاعب نتيجة ضآلة مرتبه بالنسبة لمرتب سعد زغلول ، ويترك العمل ويذهب إلى قريته ، وينافس اليونانيين وتجار القطن في التجارة ، ثم يكتب مقالة ملتهبة عن واقعة استغلال نفوذ لوكيل المديرية ، ويرسلها الى جريدة التجارة ، وهاج رياض باشا وقبض عليه ، واستطاع باستخدام التلاعب باللغة والمنطق أن يتملص من تهمة السب فى الحكومة التى كادت تودى به الى السجن .

المنتمى لنفسه

ويسقط رياض فى مظاهرة ١٨٨١ ، وتضىء مصر طوال عام ونصف بشرارات الثورة العرابية العظيمة ، ويتكلم الناس ، وينظرون فى أمل وخوف ، أين الهلباوى الطويل اللسان ، تلميذ الأفغانى ؟ لا جدال انه اهتز بالثورة ، ولكن ، هناك المتفرجون ، وبعضهم تنكروا لها وخانوها عندما حان وقت الجد ، كان الهلباوى حذرا فى البداية ، انه حدد موقفه من البداية ، انه مع نفسه فقط ، وكما يقول عبد الحليم الجندى (كان كذلك فى العشرين ليس مع الثوار ولا مع خصوم الثوار انه مع نفسه . كان كذلك فى العشرين وفى الخمسين وفى الستين والثمانين يوم مات . . ليس مع أحد وقد يكون معه كل الناس) .

وتفشل الثورة ، والغريب أن الذى قبض عليه هم الثوار ، وعند الهزيمة بقى فى السجن عن طريق الخونة لكى يستشهدوا به على أن الثوار عذبوه فى السجن ، وأفرج عنه بسرعة ، وتنقل فى وظائف كبيرة ، سكرتير السلطان الخائن الأكبر ، ثم سكرتير للبرنس حسين كامل فيما بعد - وفى يناير ١٨٨٦ وهو فى الثامنة والعشرين احترف الهلباوى المحاماة . لقد كان الأمر مصادفة ، فصله البرنس من عمله فوكل محاميا عنه ، وبينما هو فى مقاعد المتفرجين قرر مصيره بنفسه ، ان يستغل بلاغته وطول لسانه وأن يصبح قبلة الانظار ، فاختار المحاماة مهنة ، وفى تلك السنوات كانت المحاماة مهنة السفهاء ، وكان اسم المحامى مساويا للمزور ، لدرجة أن (سعد زغلول) قال فى احدى خطبه بعد سنوات (انى اشتغلت بالمحاماة متنكراً عن أهلى وأصحابى ، وكلما سألنى سائل . هل صرت محاميا اقول معاذ الله أن أكون كقوم خاسرين) .

الغريب انه عمل مع سعد زغلول - صديقه اللدود - فى المحاماة ، واشتبك مصير الرجلين سنوات ، وتناقص سنوات فى حظهما من المجد والشهرة ، طريق سعد طريق الثورة ، وطريق الهلباوى ان يصبح انجح المحامين ، لدرجة أن شهرته وصلت الى ان يقول القائل (والله لاقتلك وأجيب الهلباوى) . وغير الاحتلال النظم والقوانين ، واضطربت الحياة وظهرت طبقات جديدة ، واختلط الأجنبى بالمصرى فى مجالات الحياة ، ولمع الهلباوى ، وقبض الثمن حتى سقط البطل ، ووقف يستخدم كل ما تعلمه من منطق وفلسفة على يدى (الأفغانى) فى اثبات الجريمة على فلاحين بسطاء ، فلاحى دنشواى ، غير أنه دفع الثمن غاليا ، ولم يغفر الشعب له ، سقط بعد ان ارتفع شأنه وذاع صيته ، فلقد قتل الهلباوى شعبه كله ، وبعدها بدأ رحلة التوبة . وفى مذكراته التى أملاها عام ١٩٢٩ - ولكن لم تنشر - حاول ان يزيف الموقف ، ويدعى أنه كان ينوى الدفاع عن فلاحى دنشواى لولا ضغط تعرض له من بطرس غالى رئيس المحكمة ، ولم تكف الصحافة الوطنية عن الهجوم على جلاد دنشواى ، وفى سنة ١٩١٠ حاول أن يكفر عن جريمته ، فتقدم للدفاع عن ابراهيم الوردانى الذى قتل بطرس باشا غالى ، رئيس الوزراء ورئيس محكمة دنشواى سابقا ، وفى المحكمة صال الهلباوى وجال ، واتهم بطرس باشا غالى بالعمالة للانجليز ، وفى عام ١٩١٢ دافع عن المتهمين فى قضية مقتل السردار ، لم يُكَفِّ طوال هذه المدة عن طلب الغفران من الشعب والشعب يرفض ، ولم يبق من ذكرى الهلباوى كما صورها يحيى حقى بسخرية مرة (الا ان يصبح كمسارى الاتوبيس فى خط النيل بمدينة القاهرة ، وهو يعدد المحطات فينادى محطة الهلباوى) .

هوامش المقريزى

ذلك كتاب متفرد يجمع بين التاريخ والفن فى أرقى صوره ، والهوامش بأبسط تلخيص ممكن فى هذا المجال تتخير لحظات لها دلالتها السياسية والاجتماعية والاخلاقية من فترات حكم الولاة العباسيين ، والدولة الطولونية ، والدولة الاخشيدية ، والخلافة الفاطمية والدولة الايوبية والمملوكية والعثمانية ، ثم الحملة الفرنسية ودولة محمد على حتى ثورة ١٩١٩ ، حيث تفجر الشعب المصرى فى أعظم ثورة شعبية قومية استرد فيها جزءا من حقوقه ، وهذا الركام اليومى من الحكايات والقصص عن هذه الفترات انتقاها (صلاح عيسى) بوعى من كبار المؤرخين : كالمسعودى وابن تغرىبردى وابن اياس والجبرتى والرافعى ، وعبد الرحمن زكى وكتب أخرى ووثائق ومخطوطات كادت تغرق فى التراب ، حتى يستخلصها ويقدمها للقارىء كدليل على أن روح النضال لم تمت ، وأن قانون الصراع يأخذ طرقا مختلفة ، ولكن يظل الشعب هو المنتصر فى النهاية ، وهذه المجلدات فى التاريخ ليست ميسرة للقارىء العادى ، ربما يقرؤها المثقفون ، ولكن الشعب الكادح لا تتيسر له ومن هنا خطورتها . □

يقول شاسا جيترى : لايوجد فى العالم من هو مخطىء على الدوام ، فحتى الساعة الواقفة تكون على حق مرتين فى اليوم الواحد .

الكتاب : في الحرية والمساواة .
المؤلف : د. حازم الببلاوي .
الناشر : دار الشرق ـ القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٦٠ من القطع المتوسط .

تحت هذا العنوان اختار استاذ الاقتصاد د. حازم الببلاوي أن ينشر بعض مقالاته غير الأكاديمية التي نشر أغلبها في الصحف والمجلات العربية ، وتشكل فصول الكتاب الخمسة : العلاقات الدولية والاقتصاد العالمي والحكم الاقتصادي المصري ، العلاقات العربية موضوع الكتاب الذي يعتبره المؤلف بالغ الخطورة في اللحظة التاريخية الراهنة ، وهي لحظة البحث عن الهوية السياسية لبلادنا .

الكتاب : مقدمات حول قضية المرأة والحركة النسائية في الأردن .
المؤلفة : سهير سلطي التل .
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
عدد الصفحات : ١٩٥ صفحة من القطع المتوسط .

تحاول الكاتبة الأردنية سهير التل في كتابها هذا أن تتجاوز الصرف المحدود للدراسات المتفرقة ، التي كتبت للتعريف بتاريخ الحركة النسائية في الأردن .

والبحوث الأكاديمية أو رسائل الماجستير والدكتوراه ، وتدخل موضوعاً جديداً يتميز بندرة المراجع والأرقام والاحصائيات التي تعين أي باحث في موضوعه . وتمهد الكاتبة بعقل يضع الخلفية التاريخية للعمل النسائي في الأردن وتطوره الى أشكال تنظيمية راقية ، ومعركة الحصول على مكتسبات حقيقية لها ، ثم نظرة مستقبلية في ضوء ما طرحت .

الكتاب : اللآلىء ـ من النصوص الكنعانية .
ترجمة وتعليق : مفيد عرنوق .
الناشر : منشورات مجلة فكر ـ بيروت .
عدد الصفحات : ١٨٨ من القطع الكبير .

يقدم مفيد عرنوق في هذا الكتاب ترجمة وتعليقاً لما جاء على لسان كهنة أوغاريت ايلي ميلكو كما وصفتها مكتشفات رأس شمرا (أوغاريت) القديمة على الساحل السوري الشمالي في بدايات هذا القرن .

والترجمة التي يضمها الكتاب هي جزء من مؤلف ضخم كتبه الباحث الايطالي وعالم الآثار الشهير هـ. ي . ديل ميديكو بعنوان « التوراة الكنعانية » والمادة المترجمة هي الكتابات الموجودة على اللوحات الفخارية لكبير الكهنة المذكور .

مادة مهمة لا بالنسبة للمختصين بالحضارات القديمة فحسب بل للمثقفين الذين يودون الالمام بشيء من التفاصيل في هذا المجال .

الكتاب : الفلاشا خنجر في ظهر الأمة .

المؤلف : مصطفى بكري .
الناشر : ٠ دار لجنة القدس القاهرة .
عدد الصفحات : ٦٦ من القطع المتوسط .

متابعة صحفية لعملية نقل اليهود والفلاشا من السودان الى الأرض المحتلة ، يرويها الصحفي مصطفى بكري .

في كتيبه هذا يسجل الكاتب قصة واحدة من أكثر عمليات التهجير الصهيوني اثارة منذ انشاء الكيان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ . ويتضمن الكتاب أيضاً الوجه الآخر للعملية الذي يمثل تهرؤ وفساد النظام السوداني السابق ، وتغلغل الأجهزة الخارجية فيه ، ومن ضمنها الأجهزة الصهيونية والأمريكية .

الكتاب : الخروج من الكهف - رواية .
المؤلف : عماد الدين عيسى .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع المتوسط .

في هذه الرواية وهي الأولى بعد أربع مجموعات قصصية ، يرسم المؤلف صوراً لمجموعة من الشخصيات ، لا يربط بينها في الظاهر رابط فني ، لكن هناك رابطاً موضوعياً يجمع بين هذه الشخصيات وأحداثها وخلفياتها الاجتماعية ، ليكتمل البناء الروائي لهذا العمل الأدبي .

الكتاب : وردة البيكاجي .
المؤلف : عبد الكريم كاصد .
الناشر : مطبعة دار العلم - دمشق .
عدد الصفحات : ١١٠ من القطع المتوسط .

في ديوانه الشعري الرابع هذا يخطو عبد الكريم كاصد خطوة أخرى نحو تكثيف الجملة والقصيدة ، ومد الكلمة الشعرية بالعمق والايحاء في الوقت نفسه .

ونجد أن كتبه الشعرية الأولى التي ترسم جواً شديد المحلية والخصوصية ، يصوغ كاصد في قصائد ديوانه هذا تجربة تمزج عمق التجربة بمرارة الاغتراب في لغة شعرية رائعة تميز بها الشاعر الشاب .

الكتاب : البيروقراطية النفطية .
المؤلف : د. أسامة عبد الرحمن .
الناشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت .
عدد الصفحات : ١٩٢ من القطع الكبير .

على غير المألوف اختار مؤلف الكتاب الدكتور أسامة عبد الرحمن أن يكون مدخله الى موضوعه الذي يتسم بالجدية والجفاف مدخلاً يلين من جفاف المادة ، ويبقى على جديتها ، فكان - شكل « الصور » التي قدم للقارىء - ستين منها ترسم صورة البيروقراطية في بلادنا كما يراها المؤلف .

ورغم تركيز د. عبد الرحمن على البيروقراطية النفطية ، الا أنه يربطها بصور البيروقراطية الأخرى « اذ تتشابه سلبياتها وأوزارها في أقطار الوطن العربي » كما يقول .

الكتاب : انا اريد النهار - مجموعة قصصية
المؤلفة : ليانه بدر
الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - سوريا .
عدد الصفحات : ١٠٤ من القطع المتوسط

مجموعة قصصية جديدة للروائية والقاصة الفلسطينية ليانه بدر . اجواء بيروت ، القصف والسراديب والقذائف ، والكهولة والحكمة المبكرتين تشكل خلفية قصص المجموعة التي تتميز منها قصتا الصورة والفراشة اللتان يمكن قراءتها كقصة واحدة او قصتين منفصلتين . □

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي» بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

عزيزي القارىء .

كل عام وأنت بخير ، وعلاقتك بمجلتك العربي أكثر عمقاً ، وحوارك معها أكثر غنى وثراء ، ودورك في تنميتها وتطويرها أكثر فعالية ، فرسائلك الينا هي واحدة من أهم المؤشرات على طريقنا للتطور . هي مرآة نثق في صدقها ونقائها .

وربما لا نملك أحياناً في هذه المساحة المحدودة لباب حوار القراء أن نرد على جميع الرسائل التي تصل الينا ، ولكن المعيار الذي نحتكم إليه في اختيار هذه الرسائل ، أن تغطي الموضوعات أو الجوانب التي تلمسها أكبر مساحة من اهتمام القارىء ، أو تحقق له أكبر فائدة ثقافية .

واذا كنا نؤكد هنا ـ اننا في حاجة دائماً الى حوارك الجاد ، والى ملاحظاتك النافذة ، فنحن أيضاً في حاجة الى شيء قليل من تسامحك وصبرك ، وكل عام وأنت بخير .

لا وراثة في الجنوح

● أرسل لكم رداً على موضوع « أمراض العيون . . هل تورث ؟ » المنشور في العدد ٣٢١ لما فيه من خطأ مناف للمفهوم القرآني .

١ ـ أرادت الكاتبة أن توضح كيف أن العرب المسلمين كانوا من أوائل من فكر « بعلم الوراثة » فاستشهدت بالآية الكريمة (ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دَيّاراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفّارا) سورة نوح .

وهذه الفكرة منافية تماماً لروح الاسلام ، الذي يؤكد على استقلالية الارادة في السلوك لكل شخص بالغ عاقل ، وهذه الاستقلالية مناط التكليف وأساس العدالة ، ولو كان السلوك وراثياً لحاجَّ الكافر ربه يوم الحساب ، ولحمل أوزاره الى الجد الأول الذي ورثه هذا السلوك .

وفي القرآن الكريم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . وقوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

ومن الشواهد العلمية والتاريخية التي تنفي دور الوراثة في السلوك .

١ ـ نوح عليه السلام نبي مرسل وابنه من صلبه كافر .

٢ - آزر كافر وابنه ابراهيم الخليل عليه السلام نبي مرسل .

وأما الآية التي اتخذتها الكاتبة شاهداً لها ، فهي لا تقرر حقيقة قرآنية ، بل هي دعاء نوح عليه السلام على قومه بعد غضبه عليهم ، وبعد أن أعلمه الله تعالى : انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن » .

٢ - وردت في المقال تعابير طبية لم تعد مقبولة وفق المعجم الطبي الموحد لاتحاد الأطباء العرب لعام ١٩٨٤ لا بد من تصحيحها :

- انسدال الجفن صوابه تدلي الجفن (Ptosis) .
- قصر البصر صوابه حسر البصر (Myopia) .
- نمط غالب أو مسيطر صوابه نمط سائد (Dominant) .
- هيموفيليا صوابه الناعور (Hemophelia) .
- البرص صوابه البهق (Vititigo) .

الدكتور ضياء الدين الجماس
دير الزور - سوريا

العربي

- نشكر للاستاذ الكريم اهتمامه ومتابعته ، ونعتذر عن عدم ذكر تصويبات أخرى وردت في خطابه ، لأنها وردت في تعليقات أخرى لبعض القراء ، نشرت في العدد السابق من العربي .

وللنثر القديم أيضاً صفحة . .

● وفي نهاية هذه الرسالة يسعدني أن أتقدم لكم باقتراح أرجو أن ينال حظه من الدراسة ، وهو الا تقتصر المجلة على نشر الشعر القديم « صفحة شعر » فتزاملها أو تناوبها « صفحة نثر » ، ففي الأدب العربي القديم روائع من النثر لا يطلع عليها كثير من المتأدبين ، مثل رسائل الامام علي الى الأشتر ، وطاهر ابن الحسين الى ابنه عبد الله حين ولاّه المأمون الشام ومصر ، ومن الرسائل العربية رسالتا النفس الزكية محمد بن عبد الله العلوي الى أبي جعفر المنصور العباسي ، ومن قبلهما رسالة هشام بن عبد الملك الى واليه خالد بن عبد الله القسري ، ومن هذه الرسائل ما يعد دستوراً من دساتير الاسلام .

السيد حسن قرون
حدائق شبرا/ القاهرة

العربي

نشكر للأخ الكريم اقتراحه الجيد ، ونعده بأن يكون محل دراسة واهتمام من المسئولين بالمجلة ، واذا كنا قد اكتفينا بنشر هذا الجزء من رسالته فإن بقية الرسالة كانت موضع التقدير ، وندعوه الى أن يواصل متابعته الأمينة ، وملاحظاته الواعية ، وكتابته الجادة .

رسالة من قاريء يمني

الى شجرة القات

● لأول مرة أكتب اليك أيتها الشجرة اللعينة ، وفمي خال من أوراقك الخبيثة ، ولطالما كتبت لك وأنا تحت تأثير مفعولك ، وكنت أعيش في مملكة الأحلام أمجدك ، أما الآن فأنا ألعنك . كم أنت مضرة ومخجلة للشعب اليمني ، وكم هي مخيفة جذورك التي تخرق التراب اليمني ، تاركة وراءها جهلاً ومرضاً وفقراً !

إنني أكرهك ولا أحبك ، لأنك تقتلعين شجرتنا المحبوبة « البن » بل تجاوزت الى أن تقتلعي جذور القمح والذرة وأشجار الرمان والعنب ، وسرقت

الكثير الكثير من مال ووقت الشعب اليمني ، لقاء سويعات قليلة من النشوة المليئة بأحلام اليقظة والذهول وعدم المبالاة ، بما يجري في أنحاء المعمورة .

واليوم يحاول أعداء الأمة العربية أن يحيكوا مؤامرة جديدة ضد العرب في المهجر ، وذلك بالسماح لك بالدخول الى أوروبا الغربية ، وخصوصاً بريطانيا ، لدفع المهاجرين العرب وخصوصاً اليمنيين منهم الى دوامة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ولابعادهم عن موكب العلم والحضارة والمدنية .

يحق لي أيتها الشجرة الدخيلة (القات أصله من الحبشة) أن أطلب من أبناء بلدي عندما يعلنون دولة اليمن الواحدة ، أن يكون أول قرارات هذه الدولة هو تحريم القات واقتلاع أشجارها .

يحق لي أيتها الشجرة الخبيثة ، أن أشكر كل الدول العربية بعامة والخليجية بخاصة على أنها تحرم دخولك الى أراضيها ، وهي بذلك تقتلعك من خارج أسوار اليمن ، وبذلك تساعد اليمنيين على التخلص من هذه العادة القبيحة والمكلفة .

للمرة الثانية أنا أكرهك ، وفراقك لن يؤثر على حياتي يا وريقات الخيال المريض .

علي صالح علي

أبو ظبي ـ دولة الامارات المتحدة

العربي

ـ هذه الرسالة ضمن رسالة من القارىء يعلق فيها على موضوع « الفزع من القات في العاصمة البريطانية » وقد رأينا أن نكتفي بنشرها لأنها تنطوي على خلاصة تعليقه ، ولما فيها من نبرة صادقة وساخرة نأمل أن تصل الى القارىء . . . . وان كنا لم نفهم جيداً (الا في إطار السخرية) تعليقه طلب اقتلاع الشجرة من أبناء بلده عند قيام دولة اليمن الواحدة !

بلاد تتكلم السريانية

● كانت مجلة العربي ولا تزال تهتم بدقة المعلومات التي تقدمها للقارىء ، وبصفتي من المتابعين لمجلتكم والحريصين على صحة ودقة المعلومات الواردة بها ، يهمني أن أصحح معلومة وردت في العدد ٣٢١ في فقرة « حل مسابقة العدد ٣١٨ » ورقم السؤال (٥) وقد ورد فيه :

اسم البلدة السورية والوحيدة التي ما زالت تتكلم اللغة الأرامية أو السريانية ، وهي بلدة « معلولا » وأريد أن أشير الى أنه توجد قرى أخرى تتكلم هذه اللغة القديمة منها بلدة « جبعدين » وهي مجاورة « لمعلولا » وأكبر منها مساحة وسكاناً ، وبلدة « صرخة » وهذه القرى الثلاث تتكلم اللغة الأرامية أو السريانية ، وليست معلولا فقط ، وأنا أدعوكم لزيارة قرية « جبعدين » والتأكد من صحة هذه المعلومات ، وزيارة ما في القرية من آثار ، وهي تبعد عن العاصمة دمشق ٦٠كم شمالاً .

خالد بكر ـ دمشق / سوريا

تكريم كبار كتاب العربي

● كلنا نعرف أن لمجلة العربي تاريخاً قديماً حافلاً ، جاوز ربع قرن في خدمة المسيرة القومية والمسيرة الثقافية ، والكل يعرف ما قدمه الأخوة العلماء والمفكرون والأدباء والشعراء الذين واكبوا المجلة في تاريخها الطويل من خدمات للأمة العربية ، في مجالات الثقافة والعلم والأدب .

أقترح عليكم أن تنشر المجلة لمحات عن تاريخ كل كاتب من كتابها القدامى ، وعن تطور علاقته بالمجلة ، وعن أهم كتبه ودراساته مثل الدكتور أحمد زكي ، والأستاذ أحمد بهاء الدين ، والأستاذ حسان حتحوت وغيرهم .

أليس في هذا نوع من التكريم لهؤلاء الكتاب يستحقونه بالإضافة الى ما فيه من فوائد للقراء ؟

ياسر عبد الوهاب جعيدة

دير الزور / سوريا

العربي

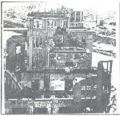
ـ نشكر للقارىء الكريم اقتراحه واهتمامه بتعريف الأجيال الجديدة بكُتاب العربي الذين واكبوا مسيرتها ، ولعله يرى معنا أن في إصدار سلسلة كتاب العربي ما يحقق ما يهدف اليه اقتراحه □

مسابقة العربي الثقافية

العـدد ٣٢٦
ينـايـر ٨٦



١
في أي المدن يوجد هذا المسجد ؟



٢
تمثل الصورة زمانا ومكانا على وجه التحديد .. فهل تستطيع تحديدهما . ؟



٣
ماذا تصنع هذه الفتاة .. وأين ؟



٤
هل هي طائرة تدريب أم طائرة قتالية .. وأين تصنع ؟

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية ، العدد ٣٢٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو مارس ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـدد ٣٢٦



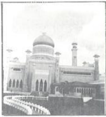
٥
أى فندق هذا وفى أى المدن ؟



٦
ـ هذه بقايا وآثار لسد صنعوه فى الماضى البعيد من صخور وأحجار .. أى سد هذا ؟



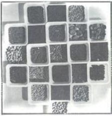
١
ستاد كبير يقع فى مدينة تالين وهى عاصمة احدى جمهوريات بحر البلطيق السوفياتية ؟ فأي جمهورية تلك .؟



٨
هذا مسجد السلطان عمر عل سيف الدين ترى أين يقع ؟



٩
أين تقع هذه الشلالات ؟ وما اسمها ؟



١٠
نماذج من المواد الغذائية .. ما اسم المركز الذى تولى أمر هذه النماذج ؟



١١
فلاح عربي ولاريب .. ولكن الى أى الدول العربية ينتمي ؟



١٢
حسناء .. فى ألبستها التقليدية .. ترى ماهى جنسيتها ؟

حل مس

١ ـ مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . . انها اسماء بنت عميس (ت ٦٦٠م) وهي صحابية من تميم ، هاجرت الى الحبشة هجرتها الاولى ، وكانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب . . وتزوجها أبوبكر الصديق بعد أن قتل زوجها الأول شهيدا ، ثم تزوجها على بن أبي طالب لما توفى أبوبكر .

٢ ـ جزر ملفينا هى نفسها جزر فوكلاند . . فأهل الارجنتين وسواهم يسمونها ملفينا . . والانجليز وسواهم يسمونها فوكلاند . .

٣ ـ هنيبال (٢٤٧ ـ ١٨٢ ق . م) احتل أجزاء واسعة من ايطاليا ، وكان بحكم المستعمر لها طوال ١٣ عاماً . . الا أنه لم يحتل روما بالذات ، وانما سعى الى احتلالها عن طريق محاصرتها . . لتفادى الخسائر .

٤ ـ النُّهى جمع ومفرده النُّهية من النهى . . وتعنى غاية الشىء وآخره .

٥ ـ اميلين بانكهارست (١٨٥٨ ـ ١٩٢٨) هى زعيمة الحركة النسوية فى بريطانيا . تلك الحركة التى تكللت بفوز المرأة الانكليزية بحق التصويت ، وقد بدأت بانكهارست حركتها هذه سنة ١٩٠٦ ، فى نفس السنة التى ماتت فيها نظيرتها الامريكية سوزان انتونى

٦ ـ افريقيا هى موطن خراف المارينو الأصلى ، وقد نقلت استراليا هذه الخراف اليها وعملت على اقلمتها ، حتى انتشرت فيها انتشارا عظيما . . وتجدر الاشارة الى ان الاسم مارينو مأخوذ عن اللغة الاسبانية . . فهو الاسم الذى أطلقه الاسبان على مراقبى مراعى الأغنام عندهم . . ولعل اللفظ المذكور يردد أصداء أصوله العربية . . مرعى أو مراعى .

٧ ـ جزيرة فيليه Philae والاسم يونانى . . وهى غير جزيرة فيلة القريبة منها . . والتى لاعلاقة لها البتة بالمعابد ، معابد ايزيس التي انشئت على جزيرة فيلية سنة ٣٥٠ ق . م . .

٨ ـ اقترن اسم الاسمنت باسم بورتلاند ، نظرا للشبه الكبير من حيث اللون بين الاسمنت بعد جفافه ، وبين حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا . . ذلك ان مكتشف الاسمنت هو البناء البريطانى جوزف أسبن

٩ ـ الحروف : هـ . ق . غ ترمز الى الأرقام ٥ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ على التوالى .

١٠ ـ صناعة السكر تحتاج الى ٩ أطنان من الماء ، وصناعة سماد النترات الأزوتى تحتاج الى ٦٠٠ طن ، من الماء ، وذلك لانتاج طن واحد من كل منهما .

١١ ـ التسمية نسبة الى أنقرة عاصمة تركيا .

١٢ ـ الفخار هو الأقوى فهو طين مشوى بالنار . . بينما الصلصال طين غير مشوى بالنار . . انه طين يابس يصلّ من يبسه ، أى يحدث صوتا .

مسابقة العدد ٣٢٣ اكتوبر ١٩٨٥

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٣ اكتوبر ١٩٨٥

الجائزة الاولى : محمد مصطفى السمري / الابراهيمية / الاسكندرية مصر .
الجائزة الثانية : يوسف حسين حسن عبد الله / معهد تدريب المعلمين ـ السودان
الجائزة الثالثة : امل سعيد محمد / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ وليد سليمان السلوم / دمشق / مؤسسة معامل الدفاع ـ سوريا .
٢ ـ زين العابدين اكريم / سوق البساط / الرباط ـ المغرب .
٣ ـ الهادي بن الطاهر بنبراهيم / آزمور نابل ـ الجمهورية التونسية
٤ ـ نزار محمد عبد الواحد / الشركة السعودية الموحده للكهرباء في المنطقة الغربية / جدة ـ المملكة العربية السعودية .
٥ ـ عبد القادر عثمان البنا / كريتر / عدن اليمن الديمقراطية .
٦ ـ احمد بشار خالد بركات / دائرة القضاء الشرعي / ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
٧ ـ يوسف عبد الله الشبعان / المحرق ـ دولة البحرين .
٨ ـ عبد الله السلمي / كوتيل / منكدا / كيرال ـ الهند .

معركة بلا سلاح

□ بطولات عربية

أخيراً انتهت مباراة العصر بفوز جاري كاسباروف على بطل العالم السابق أناتولي كاربوف (١٣ - ١١) ليصبح أصغر بطل للعالم في تاريخ اللعبة .

يعتبر الأولمبياد السادس والعشرون للشطرنج المقام في مدينة سالونيك باليونان في الفترة ما بين ١٨ نوفمبر و ٥ ديسمبر من أضخم التجمعات الشطرنجية لعام ١٩٨٤ ، وقد بلغ عدد الدول المشتركة في هذا المهرجان الشطرنجي الكبير ٨٨ دولة منها عشر دول عربية والتي نذكرها حسب تسلسل نتائجها في المهرجان : الامارات العربية المتحدة ، المغرب ، مصر ، العراق ، الجزائر ، لبنان ، البحرين ، ليبيا ، الاردن ، وفلسطين .

ومن الابطال العرب الذين برزوا في هذا التجمع الشطرنجي الضخم اللاعب المصرى عاصم عبد الرازق عفيفي وهو يحتل المرتبة الثالثة بين اللاعبين المصريين بعد محمد عماد عبد النبي وانطوان سعد وكلاهما من مدينة طنطا ، غير انه تألق تألقا كبيرا في هذا الاولمبياد وبَزّ جميع أقرانه من أبطال الكنانة ، وحاز على تصنيف دولي بتقدير ٢٣٥٠ نقطة والذى يؤهله للقب أستاذ اتحادى Fide master (٢٢٥٠ـ ٢٣٥٠ نقطة) ، ويضعه على عتبة الترشيح للقب أستاذ دولي International Master (٢٣٥٠ - ٢٤٥٠) .

وقد لعب هذا البطل العربي على الرقعة الأولى في الاولمبياد المذكور وكان ترتيبه السابع بين ٨٨ بطلا من مشاهير أبطال الشطرنج في العالم . ومن الأدوار المميزة التي تألق فيها هذا اللاعب المصرى القدير الدور الذى فاز فيه على الاستاذ الدولي الكبير سوتلز من كندا (٢٤٢٥ نقطة) الذى ألف كتابا بديعا عن دفاع « بيرك Pirc» . ومما يدعو للاعتزاز بانتصار بطلنا العربي انه هزم اللاعب الكندى فى هذه الافتتاحية بالذات والتي قضى سنوات طويلة في دراستها وتحليلها والكتابة عنها

والدور التالي من دفاع بيرك بين البطل المصرى عاصم عبد الرازق (أبيض) والبطل الكندي سوتلز (أسود) وهو أحد أدوار الجولة الثالثة عشرة

عاصم عبدالرازق (مصر)	سوتلز (كندا)
١ . د ٤	د ٦
٢ . هـ ٤	ز ٦
٣ . ح - جـ ٣	أ ٦
٤ . أ ٤	ف - ز ٧
٥ . ح - ٣ و	ح ٦ و
٦ . ف - هـ ٢	ب ٦
٧ . ت	ف - ب ٧
٨ . هـ ٥	ح (٦) - د ٧
٩ . هـ × د ٦	جـ × د ٦
١٠ . ف - ز ٥	حـ ٦
١١ . ف - هـ ٣	ت
١٢ . و - د ٢	م - حـ ٧
١٣ . د ٥	ح - و ٦

١٤ . حـ٣	ح(١)-د٧
١٥ . ر(و)-هـ١	ر-جـ٨
١٦ . ف-و١	ر-جـ٧
١٧ . ز٣	و-أ٨
١٨ . ف-ز٢	ر(٨)-جـ٨
١٩ . ر-أ٣	ح×د٥
٢٠ . ح×د٥	ر×جـ٢



الموقف بعد النقلة ٢٠

٢١ . و-د١	ف×د٥
٢٢ . ح-ز٥ +	ح×ز٥
٢٣ . ف×د٥	و-ب٨
٢٤ . ف×و٧	ح-هـ٥
٢٥ . ف-د٥	ر×ب٢
٢٦ . ف×ز٥	ر(٨)-جـ٢
٢٧ . ر×هـ٥	د×هـ٥
٢٨ . و-ز٤	و-و٨
٢٩ . و-حـ٤ +	يستسلم
(لو ٢٩ ..	ف-حـ٦
٣٠ . ر-و٣	و-ز٧

٣١ . ر-و٧ مهددا الوزير ومن ثم كش مات في النقلة التالية)

حل المسألة رقم (٣٥)

١ . ح-جـ٣	٤ . ح-و١
٢ . ح-هـ٤	٥ . ح-ز٣
٣ . ح-د٢	كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم

(٣٤)
اكتوبر ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - ايمان شاكر - الجيزة/ج.م.ع
٢ - وانيس يعقوبيان - حلب/ سوريا
٣ - روز فرح - حولي/ الكويت
٤ - محمد ادريس - الخرطوم/ السودان
٥ - نبيل اسماعيل - عمان/ الاردن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - سعيد عبدالله - الدواسر/ السعودية
٢ - عادل أمين - ابو ظبي/ الامارات
٣ - فهد الصغير - الجيزة/ج.م.ع
٤ - عصام محمد - عدن/ اليمن
٥ - فكرية سليمان - سبها / ليبيا



مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٧)

مات ٣
مهداة من القارىء
حسين الرفاعي

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير ١٩٨٦م

الغرب والعالم

" القسم الثاني "

تأليف : كافين رايلي
ترجمة : د. عبدالوهاب المسيري
د. هدى حجازي
مراجعة : د. فؤاد زكريا

٥٠٠ فلس

الكتاب السابع والتسعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

١٩٦ أول يناير ١٩٨٦

من المسرح التركى

وحش طوروس

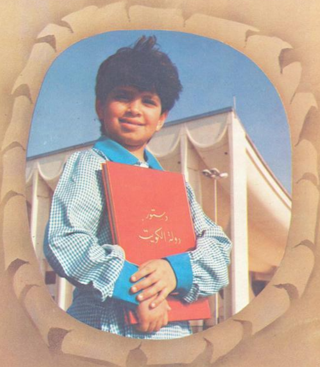
(٢)

تأليف : عزيز نسين
ترجمة : جوزيف ناشف
مراجعة وتقديم : أ.د. إبراهيم الداقوقى


صباح الخير!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.
PI 2960

جمادي الأولى ١٤٠٦هـ - فبراير (شباط) ١٩٨٦

العربي



٢٥ عامًا على الاستقلال


الڤيديو السهل الإستعمال بلمسة واحدة
"منذ حصلنا على مسجل ڤيديو كاسيت سانيو NXIPS أصبحت أمسيات عطلة آخر الأسبوع والأعياد مخصصة لمشاهدة الأفلام في المنزل. إنها أحب الأوقات لدي طبعًا. أنا المسؤول عن أهم وظيفة: أنا مدير البرامج العائلية. أنا مطلع جدًا على كل ما يتعلق بالجهاز NXIPS - عملية تسجيل بلمسة واحدة، المؤقت ٨ أيام / برنامج واحد والترجيع الثابت صورة صورة. وأحب كثيرًا عملية البحث للأمام أو للخلف عن الصورة بالألوان. وعندما تحضر لنا أمي الأطايب والمرطبات ويجتمع شملنا في أمسيات عطلة آخر الأسبوع ويأخذ كل منا ركنه المفضل بانتظار بدء العرض، أضع الشريط في الملقم الأمامي وأخيرًا عندما يهدأ كل فرد من أفراد عائلتي... وبلمسة واحدة يبدأ العرض مع سانيو!"
مسجل الڤيديو كاسيت سانيو السهل الإستعمال بلمسة واحدة. جميع الوظائف الأساسية بين يديك.
SANYO سانيو
SP-85-143

العدد ٣٢٧ السنة التاسعة والعشرون فبراير ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 327 Feb. 1986 .P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

يبدو أنه كلما تنفس الوطن العربي الصعداء ، وقلنا جميعا الحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه ، وجدنا أنفسنا - نحن العرب - مرة أخرى نتردى في هوة سياسية عالمية أكثر سوءا ، لا يدرك كل أبعادها الا المتخصصرن في فهم الشئون الدولية متعددة الأبعاد .

ففي الوقت الذي ظهر فيه للأمة العربية أن هناك تقاربا وشيكا بين قطرين أو أكثر من أقطار العروبة ، وأن القضايا العربية الرئيسية بدأت تطرح على بساط النقاش الجاد ، من أجل الوصول بالأحوال الى تماسك ووفاق ، يقفان أمام الاعداء الذين يزدادون شراسة . .

في هذا الجو تتصاعد التهديدات الموجهة من بعض القوى الى جزء أو آخر من أقطار الأمة العربية ، فيشتد الضيق بكل مخلص ، ويتضاءل الأمل في جدوى أي لقاء او وفاق .

ويعود الشعب العربي - رغم الألم والكدر - حالما بمستقبل أفضل يظلل أبناءه . هذا الأمل هو الذي نرجو أن نجسده في هذا العدد من « العربي » وهو عدد خاص . . نقدمه تحية وتهنئة للشعب العربي في الكويت ، الذي رعى الثقافة العربية ومن بينها مجلة العربي ، وتعريفا بالكويت للقارىء العربي ، وعرفانا من أسرة العربي لقادة الكويت وشعبها بهذه الرعاية .

ونحن في « العربي » اذ ننتهز هذه الفرصة ، وهي احتفال أهلنا هنا بعيدهم الوطني الخامس والعشرين ، نرجو من الله ان يسبغ نعمه على الكويت ، ويحفظ شعبها من كل مكروه ، ويسدد خطى قادتها لما يحبه ويرضاه . كما نرجو للأمة العربية أن تتحد وتتماسك على الخير والنماء والتحرير .

ويسعدنا بهذه المناسبة - عزيزى القارىء - أن تجد بين صفحات هذا العدد من العربي باقة من الموضوعات العلمية والثقافية الشيقة ، التي نعتبرها جسرا للمعرفة من أجل التقدم .

المحــرر

محتويات العدد



الديمقراطية هي التي تعطي لانطلاقة الحياة في الكويت الهدف والنظام والقدرة على التجدد (أقرأ ص ٢٢).

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● من مكتبـــة العربي :

● جـــمال العربيـــة :



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

"تحية إلى وطن"

الكويت تستقبل هذا الشهر ذكرى عزيزة على قلوب أبنائها وقلوب العرب والمسلمين جميعا .. هي ذكرى مرور خمسة وعشرين عاما على استقلالها الناجز من تحت المظلة البريطانية ، وخروجها الى عالمها الرحب في الوطن العربي والاسلامي والعالم .

وإذا كانت سنوات الشعوب لا تعد ولا تقارن بأعوام الانسان ، فان ربع قرن من الاستقلال لا يبدو للوهلة الاولى انه زمن يمكن ان يتحقق فيه الكثير على طريق التنمية والتقدم . ولكن الشعب الكويتي تقدم في هذه السنوات القصار بخطوات واسعة . وعندما تذكر الكويت لناس - عربا أو غير عرب - فغالبا ما يتبادر الى ذهنهم « النفط » ، ولكن لمن يعرفون الكويت فإنهم يدركون ان سر تطورها لا يكمن في النفط فقط - وان كان عاملا مهما في قدرة التطور - الا ان رغبة التطور والنماء واندفاع عزيمة أهل الكويت حكاما وشعبا الى تحقيقها كل ذلك قد وصل بالكويت الى ما صارت اليه الان .

فمن السهل ان تبرز تجربة الكويت الانمائية من خلال ارقام الميزانيات المرصودة ، ومن السهل ان تظهر هذه الانجازات بوضوح عندما نحصي أعداد المساكن



وكيلومترات الطرق المرصوفة . ولكن كل ذلك على أهميته لا يعدو ان يكون منشآت مادية من السهل انجازها ولا ينبغي أن يكون مدعاة لافتخار ، اذا تم في عزلة عن تطور الانسان ونمائه ، أو تحقق بأسلوب عشوائي تلقائي بعيد عن مشاركة الشعب من جهة وتفهم الحكم من جهة أخرى .

لذلك عندما ننظر الى الكويت اليوم ـ البقعة الصغيرة من الارض في الركن الشمالي الغربي من جزيرة العرب ـ نلمس فيها أول ما نلمس التحام الشعب وحكامه في أسرة واحدة ، تستظل بدستور حديث ، ليس نصوصا جامدة ، ولكنه واقع معايش ، انها المشاركة الشعبية من مجلس الأمة الذي جاء اعضاؤه من خلال تجربة ديمقراطية ناصعة تميزت بوعي الناخب ونضج النواب ، ومن خلال الصحافة المتطورة القادرة على ممارسة وظيفتها في صدق ونزاهة في ظل الانحسار الشديد الذي اجتاح كل مواطن عربي من الخليج الى المحيط ، وفي غمرة عزوف الانسان العربي بشكل عام عن الاسهام الايجابي في كثير من احداث الامة المصيرية التي مرت وتمر على الوطن العربي ، في ظل هذاالجو يتعاظم الحديث عن الديمقراطية في كل مكان حتى يصبح التشبث بها ضربا من المعاناة والمخاطرة ، ولكن الشعب العربي في الكويت يتمتع بها ، رغم الانواء والاعاصير التي تعصف بمنطقتنا العربية من كل حدب وصوب .

الاصرار من الحاكم والمحكوم على السواء في توجيه السفينة الكويتية وقيادتها عن طريق المشاركة ، في هذا الجو العربي والعالمي الملبد بالغيوم ، هذا الاصرار يعني شيئين لاثالث لهما ، الايمان المطلق بحكمة القيادة السياسية وبعد نظرها وقدرة الشعب عن طريق ممثليه في الحفاظ على هذه السفينة والمضي بها الى وجهتها الآمنة الغانمة .

هذا في نظري أبرز ما يميز توجه الكويت اليوم وأهلنا هنا يحتفلون بحبور وتفاؤل ، بمناسبة مضي ربع قرن من الزمان على استقلالهم ، بعد ان امتلكوا زمام وطنهم وظفروا باستقلال سواعدهم وارادتهم وانطلقت طاقاتهم في ادارة دفته ، وتمكين حريته ، وتحقيق نمائه وازدهاره .

التوجه الخارجي

□ اذا كان أهل السياسة المحدثون يقولون لنا في شبه مسلمة منطقية : انه كلما تعمقت المشاركة في الداخل استقل القرار الخارجي ، وبَعُدَ عن التبعية ، فان حالة الكويت تعتبر أصدق برهان لاثبات هذه المقولة والتدليل عليها ، فمن أبرز معالم السياسة الكويتية ـ بعد المشاركة والعمل البرلماني ـ ما تتمتع به مواقفها الخارجية من استقلالية في المجال الدولي ، فلقد رفعت شعار « العلاقات المتوازنه بين الشرق والغرب » وطبقته فأحسنت تطبيقه . وأصبحت أول دولة في الخليج العربي تتمتع بتوازن منطقي وعقلاني في علاقتها بين الشرق والغرب ، فكانت الكويت من أوائل البلدان في الجزيرة العربية التي تقيم علاقة مع الاتحاد السوفيتي ، الأمر الذي حفز بعض الأقطار الأخرى في أوقات لاحقة ان تحذو حذوها وتتبع مسيرتها .

واذا كان من الانصاف أن ينسب الفضل الى أهله فانه عندما نتحدث عن السياسة الخارجية فلا بد ان نعطي لكل ذي حق حقه ، فنذكر مهندس السياسة الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر والذي يعد اليوم ـ بعد اعتلاء جروميكو سدة

الرئاسة فى الاتحاد السوفيتى - أقدم وزير خارجية فى العالم ، فقد أدى دورا مميزا فى التقارب والتقريب بين اطراف عربية أو غير عربية فى العالم الثالث عندما اشتدت الخطوب وتأزمت المشكلات ، فكثيرة هى تلك الوساطات الناجحة التى انجزها أبو الدبلوماسية الكويتية بين أطراف متنافرة - وفى بعض الأوقات متحاربه - للتقريب بين وجهات النظر ، أو على الأقل للتخفيف من حدة التوتر ، حتى أن يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة قال عنه مرة :

(صديقى واخى الشيخ صباح الأحمد كان دائما معينا لا يقدر بثمن فى كل مرة نواجه فيها مشكلة مستعصية خلال السنوات الطويلة التى عملت فيها فى الامم المتحدة ، فقد أثبت انه رجل دولة يحق للعالم العربى والعالم الثالث ان يفخر به) .

لقد توسطت الكويت أكثر من مرة لرأب الصدع بين الشقيقات العربيات ، يدفعها حرصها على الأرواح الغالية أن تزهق ، وعلى الأموال العربية أن تهدر ، وعلى الجهود المضنية ان تضيع وتتبدد ، وقد تجلى كل ذلك باتجاه قضية العرب الاولى وهى « فلسطين المحتلة » التى كانت دائما تحظى باهتمام السياسة الداخلية الكويتية وكذلك الخارجية .

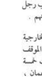
لقد قال عنها الشيخ صباح الاحمد فى احدى خطبه على منبر الامم المتحدة :

(انه من الواضح للعالم ان قضية فلسطين هى المفتاح لقضية الشرق الاوسط واساس الصراع العربى الاسرائيلى ، فلن يكون هناك سلم أو حل أو أمن فى هذا الاقليم حتى يحصل الشعب الفلسطينى على حقوقه ويحقق مطلبه فى دولة مستقلة) .

وفى ست السنوات الأخيرة أصبح هناك هاجس آخر للسياسة الكويتية الخارجية ، وهوالحرب العراقية الايرانية التى ترجو لها الدبلوماسية الكويتية والشعب الكويتى ، نهاية عادلة بين الجارتين المسلمتين .

السياسة الخارجية الكويتية هى - كما قلنا - الوجه الآخر من المشاركة الداخلية ، وهى مستقلة القرار والتوجه شأنها شأن القرار السياسى الداخلى ، لا سلطان عليها من أية قوة أوفئة غير مصلحة الكويت العليا ومصلحة الشعب الكويتى العربى المسلم .

ولا غرو ان نجد هذه السياسة مؤيدة من جميع الأطراف مهما اختلفت اجتهاداتها فى امور داخلية محلية ، الا اننا فى السياسة الخارجية نجد الكويتيين جميعا على قلب رجل واحد متفقين ومؤيدين للسياسة المستقلة المحايدة التى تنتهجها جماهيرهم وقيادتهم .



ولعل من نافلة القول ان الكويت فى دعمها لهذا التوجه فى السياسة الخارجية تسعى دائما لخلق أفضل مناخ لتقارب العرب ووحدة كلمتهم ، وامتدادا لهذا الموقف البناء كان اسهامها فى قيام مجلس التعاون الخليجى الذى يضم بجانب الكويت خمسة اقطار عربية شقيقة فى الجزيرة العربية هى المملكة العربية السعودية ، عمان ، الامارات ، قطر ، والبحرين ، ولقد كشفت روح البيان التأسيسى الصادر عن اجتماع القمة فى ابو ظبى عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة فى ٢٥ مايو ١٩٨١ ، ان المجلس يشكل مرحلة فى مسيرة العمل العربى ، يكمله ويؤازره وينخرط فى سلكه



مع حلقاته الأخرى التى نرجو لها ان تتواصل وتتكامل ، ولقد شُدد على هذه النقطة فى تصريحات رسمية لاحقة ، كما أن العمل الميدانى أثبتها دون ان يشوبها أدنى شك ، فقد كانت القضايا العربية من القضايا الاساسية التى تطرح على اجتماعات القمة فى مجلس التعاون الخليجى الذى اريد له ان يكون درعاً فى الجناح الشرقى للامه العربية .

مجمل هذه السياسات الخارجية المستقلة للكويت ، عادة ماتصدم بمصالح اخرى تريد ان تخضع المنطقة العربية فى الخليج لسيطرتها واستغلالها ، ولعل فى موقف الولايات المتحدة من بعض القضايا مؤشرا مهما على استقلال القرار السياسى الكويتى الخارجى وعدم خضوعه لأى نمط من الضغوط .

وهذه الحقيقة مدعاة لاعتزاز أهل الكويت وافتخارهم .

الانماء فى العالم الثالث

□ ولعل من ضمن ماتفخر به الكويت بعد التنظيم السياسى الداخلى القائم على الشورى المؤسسية ، والسياسة الخارجية المتوازنة ، قضية أخرى هى رائدة فيها وإن قل الحديث عنها وتوارى تحت أثواب التواضع الأصيل ، تلك هى سياسة الدعم المالى للعالم النامى ، فلقد قدمت الكويت من خلال الصندوق الكويتي للتنمية - الذى برز الى الوجود مواكبا للاستقلال ١٩٦٢ - دعما ماليا لدول فى العالم الثالث تفوق نسبة الـ ٠,٧٪ من الدخل السنوى الذى وضعته وحدّدته الأمم المتحدة ولجنة برانت الدولية كحد معقول للمساعدات الخارجية ، وكانت رائدة فى قيام هذا الصندوق التنموى الذى ما لبث ان أصبح نموذجا وقدوة فى أثره ونفعه ، واقتفت اثره صناديق عربية مماثلة حينما اقيمت بعده .

هدف الصندوق الكويتى هو « مساعدة الدول النامية لتطوير اقتصادها ولتقديم مساعدات مالية وتقنية لتنفيذ مشاريعها » .

ومن ٥٠ مليون دينار كويتي كانت رأس مال للصندوق في بداية الستينيات واصل مسيرته المظفرة حتى أصبح ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي في بداية الثمانينيات . ولقد طبقت الكويت سياسات العون الاقتصادي والتنموي كقروض أو مساعدات الى دول في العالم الثالث قبل سنوات طويلة من مسيرة ظهور مبدأ تعاون « الجنوب مع الجنوب » .

لقد كان الاحساس العميق بالمصير العربي المشترك هو الركيزة التي بنى عليها الصندوق الكويتي للتنمية حتى يوليو سنة ١٩٧٤ التزامه بتعاون عربي/عربي ، وبعد ذلك الوقت توسع عمل الصندوق ليصل الى افريقيا وامريكا اللاتينية وآسيا .

وحتى عام ١٩٨٤ وبعد أكثر من عشرين سنة من انشاء الصندوق بلغت قيمة القروض حوالى ١٢١٤،٢٢٨ مليون دينار كويتي لتمويل ٢٥٧ مشروعا مقسمة كالتالي : ١٣٣ مشروعا في البلاد العربية ، و٦٥ مشروعا في افريقيا ، و ٥٤ مشروعا في آسيا ، وخمسة مشروعات في دول اخرى متفرقة ، بالاضافه الى حوالى ١٢ مليون دينار كويتي مساعدات إلى ٢٩ دولة أو مؤسسة تابعة للامم المتحدة .

اهمية القروض الكويتية

☐ من خلال عمل الصندوق الكويتي - وتقديم الكويت للقروض والمساعدات - فان اهميتها الكبرى لا تكمن فقط في الحجم المالي لهذه القروض والمساعدات ، ولكن تبرز هذه الاهمية في طبيعتها وروحها ، ففي معظم الأحوال نرى مايقدم من قروض ومساعدات من الدول الغربية الصناعية لدول في العالم الثالث قد ارتبط اليها لشراء بضائع أو خدمات من تلك الدولة المقرضة ، الا ان القروض والمساعدات الكويتية لاتستهدف الترويج لصادراتها كما تستهدف قروض العالم الصناعي ، فالقروض الكويتية في حقيقة الأمر تؤدي دورين مزدوجين ، الاول مساعدة الدوله النامية ، والآخر هو الترويج للدول الصناعية التي تبيع البضائع والخدمات لبرامج التنمية أو المشروعات .

وهذه القروض التي تقدمها الكويت وجدولتها ملفتة للنظر ، فهي بحد أدنى من الفائدة وتدخل في حسابها مستوى معيشة الدوله المقدم اليها القرض ، فتتراوح بين ٠،٥٪ الى ٥،٥٪ مع فترة سماح تتراوح بين عامين واحد عشر عاما .

وفوق ذلك كله فان التمويل يهتم بدرجة عالية بالمشروعات ذات الأثر الاجتماعي مثل تطوير القطاعات الزراعية والمناطق المحرومة من العناية التمويلية ، وتمكين القطاعات الاجتماعية الشديدة الحاجة من مصادر العيش الكريم .

بجانب المساعدات والقروض من الصندوق الكويتي للتنمية تهتم الكويت باستخدام جزء من دخولها النفطية للاسهام في مؤسسات مالية ذات طابع اقتصادي اجتماعي مثل الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والبنك العربي الافريقي للتنمية ، وصندوق التنمية الزراعي ، وصندوق الأوبك .

بيت القصيد في كل ذلك أن هناك سياسة واضحة المعالم موجهة الى التنمية الشاملة في اطار التعاون المالي والاقتصادي الذي تريد له الكويت أن يشمل الناس عربا



أو افارقة أو آسيويين فى العالم الثالث من أجل تطوير اوضاعهم المعيشية والانتاجية . .

وذاك مدخل مهم نبيل الهدف يكمل تلك الهالة المشرقة المتمثلة فى سياسة الكويت الداخلية الرشيدة والخارجية المتوازنة .

□ وأهل الكويت يحتفلون بعيد استقلالهم الخامس والعشرين ينظرون بأمل الى المستقبل ، فربع القرن الماضى كان للنفط ، وارض الكويت - بشىء من المجاز - تطفو على بحيرة من النفط الا أن سياساتها فى التنمية تهتم بالانسان ، فهو لديها هدف التنمية ووسيلتها فى آن واحد .

انتاج النفط وأسعاره العالمية يتجهان الى الهبوط ، وكانت الكويت من المبادرين فى معركة الاستقلال النفطية فى الفترة بين منتصف الستينيات ، ومنتصف السبعينيات

عندما أحكمت قبضتها فى ذلك الوقت على انتاج النفط وتصديره ، الا ان الفائدة العظمى من كل ذلك ان الكويت قد انصرف ـ ومنذ زمن ـ الى الاستثمار المالى فى القطاعات الاجتماعية خصوصا فى قطاعات التعليم والخدمات الصحية والاسكان ، كما تبنى نظاما متطورا فى الضمان الاجتماعى يكفل لأجيال المتقاعدين مزيدا من الارتياح والاكتفاء .

عقل الانسان وصحته وأمنه من الحقوق الأنسانية التى أضافها الفكر الحديث على حقوق الانسان المدنية والسياسية . هذه الحقوق الاجتماعية التى أصبحت مألوفة فى الممارسات اليومية على هذه البقعة من الارض اكتسبت رسوخها من دخل النفط وارتبطت به ، تلك حقيقة ثابتة ولكنها احتاجت ايضا فى الوقت نفسه الى قلوب بشرية تنبض بالمعانى الانسانية ، وقادة سياسيين يحسنون التفكير والتدبير كى تتحول من حلم متخيل الى واقع معايش .

فالتعليم من الحضانة الى الجامعة وما بعدها حق للراغب والقادر غير منازع فيه ، والخدمة الصحية واجب يؤدى للمواطن والمقيم ، واذا كانت هناك ـ كما قلنا ـ علاقة موجبة بين السياسات الداخلية الراشدة وبين السياسات الخارجية المتوازنة ، فهناك ايضا علاقات موجبة بين الدخل وبين مستوى الاستثمار فى العنصر البشرى ، ومن هنا فأن زيادة الاستثمار فى العنصر البشرى يعنى ايضا زيادة فى الدخل القومى ، ويعنى فوق ذلك شعبا حضاريا مسهما بتفتحه وطاقته فى التطور الناضج على المستويين الاقليمى والقومى .

وعلى الرغم من الانجاز الكبير الذى تحقق فى التعليم والتدريب فى كويت مابعد الاستقلال فان القطاعات المهتمة بالتطور الاجتماعى الشامل تقف اليوم على مشارف ربع قرن آخر مستضيئة بنظرة نقدية واضحة هادفة الى تخطيط مستقبلى لمسار التعليم ومخرجاته سواء كان العام أو العالى أو المهنى .

والشعب الحى المتطلع الى التقدم ينظر أول ما ينظر فى نظامه التعليمى ، فالعنصر البشرى هو أغلى أداة من أدوات التنمية وأهمها ، منذ اوائل الخمسينيات استطاعت الدوله ان تدفع بقوة عجلة التعليم ، وفى نهاية عقد الستينيات تمكنت الدوله من وضع كل قطاع التعليم تحت اشرافها ، وكان قد تقرر فى عام ١٩٦٧ ان تكون المراحل الثلاث فى التعليم اجبارية ، وافتتحت فى الوقت نفسه جامعة الكويت التى بدأت بعدد متواضع من الاساتذة والطلبة ،واليوم عدد الطلبة والطالبات فيها ثمانية عشر الف طالب وطالبة ، بينما يبلغ عدد المدارس فى المراحل التعليمية المختلفة ٦٥١ مدرسة بها من الطلبة والطالبات اكثر من ٣٦١ ألفا ، كما بلغ عدد المدرسين والمدرسات اكثر من ٢٥ الف مدرس ومدرسة ، ولم يحرم غير القادرين صحيا من التعليم فأصبح للمعاقين مدارسهم الخاصة ، وأصبح مركز تعليم الصم والبكم فى الكويت مكانا لتعليم المحرومين من هذه النعمة ليس من ابناء الكويت وحدها ولكن من جاراتها العربيات ،



وأصبحت هذه المعاهد بجانب ذلك مركزا لتطوير رموز عربية للتخاطب بين المعاقين فى هذا المجال ، الأمر الذى لفت نظر اليونسكو فطلبت تفاصيل عنه لتعميمه على المدارس المماثلة فى الوطن العربى .

فان كانت الديمقراطية فى القطاع السياسى تعنى انتخابات دورية ومجلس أمة ، فان ديمقراطية التعليم فى الكويت تأخذ مسارا أوسع ، فديمقراطية التعليم تعنى عدم حرمان أى شخص قادر وراغب فى التعليم دون نظر الى وضعه المالى أو حتى جنسيته ، الى درجة ان الدولة تقوم ببذل الاعانات للمدارس الخاصة التى أتيح للجماعات الأجنبية ان تفتحها لتعليم ابنائها .

ولعل قطاعا اجتماعيا آخر شهد تطورا واضح المعالم هو وضع المرأة وتطورها ، ففى خلال عقود قليلة من الزمن احتلت المرأة وضعا حضاريا فى الكويت اصبح من مكتسبات هذا الجيل ، واليوم قد أخذت المرأة فى الكويت مكانها على مقاعد التعليم وفى مجالات الخدمات والانتاج ، وفى معامل البحوث ومراكز الصحة ، والمؤسسات النسوية الاهلية .

وتتجلى مظاهر « دولة الرعاية » اكثر عندما نقترب من الخدمات الصحية التى تأخذ الشريحة الثانية من الانفاق فى الميزانية العامة بعد التعليم على مدى فترة طويلة ، وهناك فى المتوسط سرير لكل ٣٠٥ نفس فى الكويت ، وطبيب لكل ٥٩٠ شخص وقد وصل عدد الاطباء الى ٣٠٠٠ طبيب وطبيبة منهم ٦٠٠ كويتى وكويتية ، كمابلغ عدد المستشفيات والمصحات ٢٣ مستشفى ومصحا كما بلغ عدد المستوصفات والمراكز الصحية ٧٨٢ مستوصفا ومركزا صحيا ويبلغ عدد الأسرة ٥٤٧٩ سريرا .

وكل ذلك يضاهى فى نسبته اكثر دول العالم تقدما وازدهارا .

تاريخ طويل ومستقبل

□ اذا كانت الكويت فى الخمس والعشرين سنة الماضية قد جالت بجرأة وشجاعة فى غمار بحار لم تألفها قط ، واستطاعت سياستها الخارجية والاجتماعية والاقتصادية أن تصل بها الى بر الأمان ، فان من حقها ان تنظر ـ كجزء من الوطن العربى ـ الى المستقبل نظرة ثقة وتفاؤل ، فالمئتان الاخيرتان من سنوات تاريخ الكويت برهنت على أن عزيمة الرجال وحكمتهم هى مـا يُعوّل عليه فى بناء الاوطان والحفاظ عليها ، والانسان العربى فى الكويت الذى وسعه ان يُكوّن مجتمعا مفتوحا ، وتنامى ديمقراطيا ، لا يعز عليه ان يتخطى صعاب الحاضر بحكمته وصلابة ارادته ، وان يواصل ابحاره الى آفاق أوسع وأرحب . □

محمد الرميحي

كويت الكلمة الطيبة



بقلم :

عبد الرحمن سالم العتيقي *

« ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء »

قرآن كريم

ظننت وانا ابدأ الكتابة في موضوع كان من صلب عملي ، أن الأمر في غاية السهولة ، وأن الموضوع محدود بزمان وبوقائع ، وعندما أمعنت النظر اتسعت الصورة ، وتشعبت الأفكار ، حتى بدأت أشعر بالتيه ، من أين أبدأ وكيف ؟

لقد انتهى عصر الأحلام الذهبي ، انتهت أيام المدرسة ونشيدها :

بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن
الى مصر فتطوان

جاء دور العمل والشقاء من أجل لقمة العيش ، والكويت بلد فقير في موارده ، الا من ايمان أهله بالله مقسم الأرزاق ، وايمانهم بالجد والعمل المتواصل ، والمغامرة بكافة أشكالها وصورها . وهكذا عرفوا الله فلم ينسهم ، ووعوا سنة الحياة وهي العمل ، فحفظ الله لهم بلدهم . وما أن مرت سنوات الحرب مُرة ثقيلة ، حتى بدأ أهل الكويت يتحسسون موضع

---

* الكاتب مستشار سمو أمير دولة الكويت . له خبرة كبيرة في الشؤون المالية والاقتصادية ، شغل عدة مناصب رفيعة في الكويت ، كان وزيرا للمالية والنفط بين ١٩٦٧ الى ١٩٧٤ ، ثم وزيرا للمالية بين ١٩٧٤ و ١٩٨١ .

أقدامهم على اليابسة ، ويتذوقون حلاوة التنفس بعيدا عن السفن وأمواج البحر .

بعد الحرب ، والناس لا تزال مشاعرهم حية نابضة بالحب والوطنية ، بدأ العمل لاستخراج الذهب الأسود . وبدأ الخير يتدفق برفق فترة ، ثم ينهمر بجزالة ، والأرض عطشى للعمران ، والأهل عطاش للاستقرار والتعلم ، وبناء حياة جديدة .

ولكن البسمة انطفأت وذبلت وهي في بدايتها ، لم لا ؟ والعدو طغى في بلادنا وغيرها من أرض الله ، لم يترك أرضا الا وسمّمها وهو يبتعد عنها،فهذه مأساة فلسطين ٤٨ وبعدها حرب السويس ٥٦ ثم مأساة الكويت وجارتها العراق ٦١ ، وحرب العرب مع اسرائيل ٦٧ ثم عام العبور ٧٣ . وما تلاه من نكسات .

كلها مآس جعلت المسئول في هذه البلاد يعيش في دوامة وحيرة تُخرج الحليم من حلمه (وكما يقول المثل البدوي : جاك الذيب وجاك وليده) .

هناك مسئوليات داخلية كبيرة : بناء انسان وأرض ، ومسئوليات خارجية نحو الأشقاء في كفاحهم ، ومسئوليات دولية كعضو في هذا المجتمع الدولي ، للحفاظ على حقوق البلاد وسيادتها ، ومد يد العون في حدود الامكان للمنكوبين أمثالنا . اذن لم تكن الأمور والحالة هذه بالشيء السهل ، بل كانت فترة بركانية ان صح فيها التعبير ، فترة مرت فيها حروب ، وتحديات وصراع مع شركات نفط ، وتهالك دولي على تدوير الفوائض البترولية ، وبحث جاد عن مجالات استثمار جيدة لحفظ هذه الفوائض .

الوطن العربي يمر في فترة حرجة ، تمزق في العلاقات أوجده الاستعمار ، وشك وريبة في القريب ، وانفتاح مع كل غريب ، وقوانين وضعية صيغت على مدى حقب متعددة من الزمن تبعد كل عربي عن أخيه ، وتجعل تحرك العربي في بلاد العرب ضربا من الخيال ، فمثلا بين كل بلد عربي والآخر ستار حديدي (على حين أنه لا حاجة بالعربي الى تأشيرة دخول لبريطانيا وايطاليا ودول أخرى) أما قوانين الاستثمار وقيوده وتحويل العملة فتفقد العامل عقله ، حتى تجعل الباحث عن تعاون عربي يكفر بالساعة التي فكر بها في تعاون كهذا ، ويندم على الجهد والوقت المهدور .

العمل في الحقل العربي :

في ظل هذه الظروف الصعبة المأساوية ، شاء الله سبحانه أن يكون لي دور بسيط عابر في الحقل العربي . ومن خلال عملي كوزير للمالية والنفط ٦٧ - ٧٤ ووزير للمالية ٧٤ - ٨١ وجدت أن العمل في الحقل العربي ، يأتي من ناحيتين :

١ - ثنائي .

٢ - جماعي من خلال الجامعة العربية ومنظماتها .

لقد كان للكويت بادرة نادرة فريدة من نوعها ، نبعت من الذات الخيرة للمسئولين فيها ، وهي انشاء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية سنة ٦٢ ، لينم عن حس قومي وأصالة . وتسارعت زيادة رأسماله ليعم غير العرب دون تمييز عنصري أو سياسي .

وهذا في ذاته حدث هام في أسلوب علاقات الكويت العربية والدولية ، أكسبها كبير اهتمام وتقدير في المحافل الدولية .

ثم تلت ذلك بادرة طيبة أخرى حيث بادرت الكويت بعد حرب ٦٧ بطرح مشروع الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية العربية ، برأسمال قدره مائة مليون دولار ، تقدم ثلث رأسماله . واذا بلغ رأس المال المكتتب به ٥٢٪ يعتبر قائما ، وذلك لجمع العرب في عمل مسئول يشد بعضهم الى بعض . ولكن - بعد جهد جهيد ودفع متواصل - تأخر قيام هذا الصندوق حتى عام ١٩٧٤ . . وها هو اليوم يؤدي دوره الخلاق ، والكويت خلفه تدفعه وتؤازره .

عندما خضعت التجربة العربية من خلال المجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، فوجئت بأن جداول الأعمال متضخمة بما نقل اليها من مواد كانت معلقة لسنين خلت ، ولم يبت في شيء منها ، خصوصا في حقل التعاون الاقتصادي الجماعي . . آمال كبيرة ، وطموحات كثيرة ، وارادة معطلة ، وتفاوت في تقدير واحترام الأشقاء بعضهم لبعض ، وتضارب عجيب في الفكر السياسي وأسلوب العمل الاقتصادي .

وازاء هذه الظروف المعقدة ، لم يكن هناك من سبيل للعمل - والوقت يمر سريعا - الا أن تضع

الكويت ثقلها عام ٧٤ لقيام شركات عربية مختلطة حفل بها جدول أعمال المجلس الاقتصادي والاجتماعي منذ قيامه ، وذلك بعد أن زادت ايرادات النفط زيادة ملحوظة .

قلت وقتها في المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي اجتمع في هلتون القاهرة في منتصف ٧٤ : اننا أمام مطر صيف سيذهب الى البحر قبل أن ترتوي منه الأرض ، ما لم نبادر وبسرعة الى قيام شركات عربية مختلطة وباتفاقيات خاصة ، لأن العالم لن يترك هذه الثروة لنا ، وسوف نقيم هذه الشركات من خلال مجلس الوحدة الاقتصادية ونترك الباب مفتوحا لغير الأعضاء في مجلس الوحدة للمشاركة فيها ، لأن الأمر يتعلق بالتكامل العربي والتعاون المشترك بصورة عامة ، أكثر مما هو تعاون بين كتل ومجموعات .

وهكذا توفرت العزيمة وقامت أربع شركات هي :

١ ـ الشركة العربية للتعدين (رأس مالها ١٢٠ مليون دينار كويتي ، تأسست بقرار مجلس الوحدة الاقتصادية رقم ٦١١ بتاريخ ٧٤/٦/١٠ ، ومقرها عمان المملكة الاردنية الهاشمية وبدأت أعمالها عام ٧٦ .

٢ ـ الشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية .

تأسست بقرار مجلس الوحدة الاقتصادية رقم ٦١١ ٧٤/٦/١٠ ، وقامت بتاريخ ٧٥/٨/١٥ ، برأسمال ٦٠ مليون دينار كويتي ومقرها دمشق ، وبدأت نشاطها عام ٧٧ .

٣ ـ الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية .

تأسست بقرار مجلس الوحدة الاقتصادية رقم ٦٩٨ ، بتاريخ ٧٥/٦/٤ ، وقامت بتاريخ ٧٦/٣/٦ ، ورأسمالها ٦٠ مليون دينار كويتي ومقرها مدينة عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية .

٤ ـ الشركة العربية للاستثمارات الصناعية .

تأسست بقرار مجلس الوحدة الاقتصادية رقم ٧٤٤ ، بتاريخ ٧٦/٦/٧ ، وقامت بتاريخ ٧٨/١١/٢٢ ، ورأسمالها ١٥٠ مليون دينار عراقي ومقرها بغداد .

وتتمتع هذه الشركات باستقلالية كاملة ، وتدار من قبل جمعياتها العمومية ومجالس ادارتها ، وتمارس نشاطاتها وفقا للأسس التجارية .

ولك أيها القارىء أن تدرك مدى تأثير المشروع العربي المشترك في خلق التشابك الاقتصادي بين الاقطار العربية ، وما يترتب على ذلك من انشاء قاعدة للتكامل الاقتصادي العربي .

ولنا أمل كبير على المدى البعيد أن يبرز هذا الدور العظيم الذي تلعبه هذه الشركات ، رغم المعوقات والمتاعب التي تواجهها .

وفي اعتقادي أن خير من يفهم هذا الدور الذي لم يلمسه المواطن العربي بعد ، ولم تظهر نتائجه بشكل واضح معلن ، هو مجلس الوحدة الاقتصادية .

التلاحم العربي

كان أمامي جعل الاتفاقية الاقتصادية التي وقعت مع مصر عام ٦٤ واقعا حيا . فلم نوفق في ذلك حتى دب اليأس من تحقيقها . ثم بذلنا جهودا مضنية لتحقيق ما تم الاتفاق عليه بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢ ، بين سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الصباح ، والدكتور عبد العزيز حجازي رئيس وزراء جمهورية مصر العربية ، ويتمثل الاتفاق في استثمار ٤٠٠ مليون دولار في تمويل مشروعات الاسكان الشعبي ، والتوسع العمراني ، والاسكان الاداري ، والمراكز التجارية ، وقطاع السياحة . ولكن النتائج كانت مخيبة للآمال ، لصعوبة اتخاذ القرار في الوقت المناسب ، والمعوقات التي لا نهاية لها . ومع هذا وحتى اليوم لم تهبط عزيمة القائمين على هذه المهام .

لم نيأس . . واستمر الجهد متواصلا ، حيث أن التلاحم العربي هو شغل الكويت الشاغل ، ولذا استمر سعي الكويت حثيثا لتوظيف ما أمكن من احتياطاتها في الوطن العربي ، على هيئة مشاريع ثنائية مشتركة في ميادين الزراعة والصناعة ، والسياحة ، والاسكان ، فكانت المعوقات لا حد لها ، بسبب اختلاف التفكير في أسلوب العمل وقيود القوانين المطبقة ، وصعوبة اتخاذ القرار على صعيد المسئولين كما أسلفت .

فمثلا ، رغم الجهود المتواصلة مع الشقيقة مصر ، لم ينجح سوى مشروع البنك العربي الافريقي ، وكان

.لك عام ٦٢ ، ثم تلا ذلك المشروع الرائد وهو شروع خط أنابيب النفط (سومد) من السويس ـلاسكندرية ، وقد تبنته الكويت سنة ٧٣ منذ البداية ، حتى لا يضيع في دهاليز الجدل ، على أن تساهم مصر بنسبة ٥١٪ ، والكويت بنسبة ٤٩٪ ، ولما تمت جميع الخطوات الأساسية لبناء المشروع ، وزعت الكويت حصتها الى أربع حصص متساوية ، وسوقتها على الاشقاء في المملكة العربية السعودية والامارات وقطر ، حتى تعم الفائدة ويبتعد شبح الاستئثار ، وهذا الخط ـ « خط سومد » ـ وهو رافد هام من روافد وزارة الخزانة في مصر . ودليل على التعاون الصادق بين الأشقاء ، وهو فوق هذا قد استقطب عمالة كبيرة ، وأسهم في اعداد فنيين وخبراء ، يحتاج اليهم الوطن العربي وسيظل .

ومما يحز في النفس أن يعلن في الصحف المصرية عن تدشين المرحلة الأولى من قبل السيد رئيس وزراء مصر في شهر أغسطس ٧٦ ، ووزراء مالية الدول الاربع المساهمة في المشروع موجودون في مصر للتوقيع على اتفاقية هيئة الخليج للتنمية في جمهورية مصر العربية ، ولم يدع الوزراء لحفلة التدشين هذه ، كما لم يعط المشروع حقه من الاعلام كدليل على التعاون العربي الصادق المخلص .

هيئة الخليج للتنمية

ورب سائل يسأل ما هي هذه الهيئة (هيئة الخليج للتنمية في جمهورية مصر العربية) لأنها قامت وماتت دون أثر . والجواب هو أن دولا أربع هي المملكة العربية السعودية ، ودولة الكويت ، ودولة قطر ، ودولة الامارات العربية ، تنادت في عام ٧٦ لدعم مصر في مسيرة التنمية ، وأسّست فيما بينها هيئة برأسمال قدره ألف مليون دولار أمريكي ، حصصها على التوالي ٤٠٪ ، ٣٥٪ ، ١٠٪ ، ١٥٪ .

وأغراض هذه الهيئة هي (ادارة كل ما يمكن أن تشارك به الدول المساهمة خلال سنوات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لجمهورية مصر العربية (٧٦ ـ ٨٠) والاستثمار في مجال التنمية الصناعية والزراعية والعقارية وتطوير قطاعي المواصلات والخدمات وغيرها من المشاريع الاستثمارية والانمائية ، والمساعدة في توفير التسهيلات الائتمانية ، وقد وقعت هذه الاتفاقية في ٧٦/٦/٢١ ، ويعلم الله لو أن هذه الهيئة قد قامت بدورها كمؤسسة وسيطة ، وكما خطط لها لكانت قد استقطبت أضعاف أضعاف رأسمالها .

ولكن رأسمالها سحب بالكامل ، وتحت ضغوط متنوعة ، على دفعات نقدية ذهبت لتلبية حاجات مصر في السلع الاستهلاكية ، دون النظر الى الأهداف الرئيسية السامية التي أنشأت من أجلها الهيئة سابقا .

وفي السودان بذلت الكويت جهدا منقطع النظير ، وكما كانت قائمة المشروعات المقدمة للشقيقة مصر طويلة وهامة ، كذلك كان حظ السودان . وكما كانت حصيلة الجهد مع مصر قليلة ، كانت في السودان كذلك . فمن خلال جهد بدأ سنة ٧١ ، وفقت الكويت في الاسهام بثلاثة أعمال هامة ، الأول « مشروع الرهد » وهو استصلاح ٣٠٠ ألف فدان بالتعاون مع البنك الدولي ، تم انجازه بأياد سودانية وخبرات سودانية على خلاف العادة بالنسبة لمشاريع البنك الدولي ، وهذا بفضل جهد الكويت ، وضغط الكويت ليتجاوز البنك عن تحفظاته المعتادة ، وكان دور الصندوق الكويتي للتنمية بارزا في هذا الصدد .

أما مشروع « سكر كنانة » الذي بلغ رأسماله ٥٨٨ مليون جنيه سوداني ، فهو مشروع غربي حصة الكويت فيه ٣١٪ ، ودور الكويت فيه دور الفاعل المتفاعل ، وهو بحق مشروع من مشاريع الأمن الغذائي الهامة ويعتبر في المقاييس الدولية من المشاريع الكبرى الرائدة حجما ونوعا . وهو اليوم يعاني متاعب كثيرة . أما خط نقل النفط من ميناء بور سودان الى الخرطوم فهو اسعاف للوضع الذي كان قائما قبله ، اذ أنه أمن حاجة الخرطوم من المحروقات بيسر ، وخفف العبء على الخطوط الحديدية التي كانت تشغلها الصهاريج ، وخفض كلفة نقل الوحدة الى حد كبير جدا .

وعند هذا الحد توقفت عجلة التعاون في مقترحات الاسكان الشعبي ، وتنمية الثروة الحيوانية ، والتنمية الزراعية ، والسياحية ، (باستثناء فندق هيلتون الخرطوم الذي بنته شركة الفنادق الكويتية) .

تحرك جاد :

لقد كان الجهد الكويتي الرسمي ، وشبه الرسمي جهدا متواصلا وتحركا جادا يدق الابواب بلا كلل ، وأذكر بالخير جهود الشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والاستثمارات الخارجية ، برئاسة الاخ عبد الوهاب التمار (محافظ البنك المركزي حاليا) وجهود المجموعة العقارية الكويتية برئاسة المرحوم أحمد علي الدعيج ، فآثارهم موجودة في المغرب ، وموريتانيا ، وتونس ، وجمهورية اليمن العربية ، وجمهورية مصر العربية .

ولقد أبلوا بلاء حسنا ، وصبروا صبرا فريدا من أجل تحقيق طموح بلدهم القومي ، من أجل تعاون وثيق مع الاشقاء العرب . ومع ذلك فالحصيلة ليست بحجم الطموح .

لم يكن لليأس سبيل الى نفوس العاملين في الكويت من أجل التكامل العربي ، والتعاون العربي المطلق ، ولكن (مالا يدرك كله لا يترك جله) وهذا استمر العمل ، فوفقنا مع أشقائنا في ليبيا لايجاد مجالات للتعاون عربيا ودوليا . كان منها :

١ ـ البنك العربي الاسباني في مدريد .

٢ ـ البنك العربي اليوناني في أثينا .

٣ ـ البنك العربي العملاق في البحرين ، ومعنا الامارات العربية التي اشتركت مؤخرا .

(المؤسسة العربية المصرفية) رأسمالها المدفوع ٧٥٠ مليون دولار أمريكي والمصرح به ألف مليون تأسس في ١٩٨٠/١/١٧ .

٤ ـ الشركة العربية الكبرى للتأمين (أريج) ومعنا فيها الامارات العربية . تأسست في ١٩٨٠/٥/٢٢ رأس مالها المصرح به ثلاثة آلاف مليون دولار والمدفوع ١٥٠ مليون دولار .

٥ ـ البنك العربي اللاتيني في (البيرو) وتشترك فيه مجموعة من دول أمريكا اللاتينية ، ومجموعة من مؤسسات عربية رسمية وشبه رسمية تأسس سنة ١٩٧٦ .

كل هذا الجهد بذل بدوافع خيرة ، أساسها الايمان المطلق بحتمية المصير العربي المشترك ، وضرورة المشاركة في السراء والضراء ، وتسليم أبنائنا زيادة أعباء العمل من خلال مؤسسات منتجة .

مواقف أمير البلاد :

واذا كان هناك مجاهد صامت وراء هذا الجهد كله يشد أزر القائمين عليه ويشجعهم ، فهو سمو الأمير المفدى الشيخ جابر الأحمد الصباح حفظه الله ، وما دمنا في ذكر سموه كدافع محفز ، أسوق للقارىء القصة التالية للذكرى .

وصلت القاهرة ـ في مطلع أغسطس ١٩٦٠ ـ بطريقي الى تونس في مهمة رسمية ، وكنت وقتها مديرا عاما للصحة ، فقمت بزيارة الشيخ جابر ، وكان هناك في زيارة رسمية بدار الضيافة في الجيزة ، وكان وقتها رئيسا لدائرة المالية . وأثناء وجودي عند سموه ، دخل علينا فيصل المزيدي ، وهو أحد المدراء المهتمين بالمالية آنذاك ، وموضع ثقة الشيخ جابر ، دخل فيصل المزيدي وعلامات الالم والامتعاض بادية عليه ، وقبل أن يستقر في مجلسه سأله الشيخ جابر (ها بشر) فأجاب فيصل : الامر متوقف على الكويت والحل عندك . فسأله : كيف ؟ فأجاب :

قررت لنا حصة في الشركة ١٤٪ ، والنصاب بالنسبة لرأس المال لم يكتمل ، وليس هناك أحد من الاخوان مستعد أن يزيد حصته ، وحتى يتم النصاب نحتاج الى ٢,٥٪ ، اذا أخذتها الكويت كزيادة على حصتها تحل المشكلة وتقوم الشركة ، والا فليس أمام المشروع غير الفشل .

وبسرعة رد الشيخ جابر : نحن عندنا شركة تحتاج الى دعمنا في هذه الظروف الصعبة ، والدخول في شركة منافسة ليس في مصلحتنا ، ومع هذا فاني أوافق على أخذ الـ ٢,٥٪ في هذه الشركة العربية زيادة على حصتنا ، لأن المصلحة العربية تهمنا ، عد الى اجتماعك وخذ هذه الزيادة ، اذا كان ذلك يدفع بالشركة الى الوجود .

فرح الاخ فيصل المزيدي ، وشكر الشيخ جابر لموقفه ، وفي اليوم التالي عاد فيصل وكنت وقتها أيضا عند الشيخ جابر ، أقول رجع فيصل مطرقا وابتسامته الساخرة تعلو شفتيه . وردا على سؤال من الشيخ جابر (ها بشر) قال : فشلنا ، فسأله : وما السبب ؟ أحد الاشقاء الاعضاء الدائمين اعترض على أخذ الكويت الـ ٢,٥٪ ، لأن هذا يجعل حصتها أكثر وتصويتها أقوى ، وبهذا أسدل الستار على المشروع

لا أرحك ولا أخلي رحمة الله تنزل عليك !) .

بقي أن تعرف أن المشروع كان انشاء ناقلات نفط عربية . قدر لها أن ترى النور بعد خمسة عشر عاما ، وعلى يد منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .

(أنشأت شركة ناقلات النفط الكويتية سنة ٥٦ شركة كويتية مساهمة . علما بأن الكويت في سنة ١٩٦٠ لم تكن عضـوا في الجامعـة لكنها دعيت لاجتماعات هذا المشروع) .

الغريب قبل القريب !

اذ أستذكر هذه الحادثة يجول في خاطري هاجس .. وهو أن السر الكامن وراء المرض الخبيث الذي أفقد ويفقد العمل العربي الجماعي أو الثنائي قدرته على الحركة والتطور ، هو هذه الروح الشريرة : نظرة عدم التكافؤ .

لقد لفنا الاستعمار برداء من التآخر كثيف وأحكم طوقه وأعمل معوله فيما يربطنا من أواصر ، حتى اذا ما عدنا نستنجد بها ، انبعاثا من أحاسيسنا أيام الطفولة والمدرسة ، وتوكيدا لتاريخنا ، وجدناها أوهى من خيوط العنكبوت ، واذا هي شعارات تقال ولا مكان لها في التطبيق ، « الغريب أولى من القريب » !

ولكن تبقى الكويت صادقة وأهلها كذلك .

لقد مرت عوائد النفط العالية خلال السنوات ٧٤ ـ ٨١ كسحابة صيف كما توقعت ، ضاع معظمها هدرا أو بقي في خزائن الغرب رغم ارادتنا ، وكما خطط له الغرب . القرش العربي لا يذهب في تنمية حقيقية في الوطن العربي ، بل في طريق يذوب فيها ويضمحل دون أثر ، واذا وجد طريقه الصحيح تخلق له المعوقات من كل جانب ، وتكفي العودة الى محاضر وزارة المالية والى محافظ المجموعة الاستثمارية العقارية الكويتية ، والشركة الكويتية للاستثمارات والمقاولات والتجارة الخارجية ، لنجد عبرة ودرسا يستفاد منه من أجل أسلوب أفضل وتحرك أعم وأشمل وعزيمة أكثر مضاء .

وضاعت مكانة النفط كقوة اقتصادية وسياسية ضاغطة . بعد أن أصر الرئيس الراحل أنور السادات في ابريل ٧٤ على الغاء المقاطعة البترولية التي فرضتها الدول العربية المنتجة للبترول حال قيام حرب أكتوبر ٧٣ . وتم بالفعل الغاء المقاطعة البترولية في الشهر السادس ٧٤ ، وكان الأكثر ايلاما على نفوس الدول العربية التي قامت بفرض المقاطعة ، هو تخلي الدولة المستفيدة عنهم واصرارها على الغاء المقاطعة وكأنهم قد ارتكبوا اثما ، وفوق هذا ادعاء سبب زيادة أسعار النفط الى حرب السويس ٧٣ ، وكأن الحرب مازالت مستمرة حتى اليوم ، وكأن الدول الاعضاء في منظمة الدول المصدرة للبترول لم تكافح ولم تدخل في عراك مرير مع شركات الامتياز مدة طويلة تزامنت بوادر نتائجها مع انفجار حرب أكتوبر . وهكذا نرى أن الكبير في الاخوة ، لا يقدر ولا يقيم وزنا لمساندة إخوته حتى تضيع المروءة !

هكذا فلا أمن غذائي تحقق ، فالسودان لم يدفع بالمشروع العربي لهيئة التنمية الزراعية في السودان ـ كدولة مضيفة ـ الى المسار الصحيح . ولا صناعة ثقيلة كانت ، فالعرب بعيدون عن ذلك . والـلاءات كثيرة ، والمستقبل قاتم ، ما لم يدركنا الله برحمته .

وبعد هذا ، لك أن تدرك ـ أخي المواطن العربي ـ أن الكويت قد بذلت قصارى جهدها ، في ظروف عربية صعبة ، وربما صارت الآن أكثر صعوبة ، جو سياسي متنافر ، وفكر متضارب ، ومؤامرات تحاك من كل جانب ، والكل يدرك معنى البيت العربي التالي :

ويردده :

كـونـوا جميعـا يـا بـني ، اذا اعتـرى
خـطـب ولا تـتـفـرقـوا آحـادا
تـأبى الـرمـاح ـ اذا اجتمعن ـ تكسـرا
واذا افـتـرقـن تـكـسـرت أفـرادا

ولكن المرام بعيد ، ومع هذا لا يزال لنا أمل كبير في تحرك جديد فعال ، من خلال مجلس التعاون الخليجي ، ليدركنا الله برحمته في هذه المنطقة ، والله الموفق وهو المستعان .

هذا قليل من كثير بقدر ما يسمح به المجال ، ودون الدخول في تفصيلات قد تحتاج الى حيز كبير . □

"الكويت".. والبعد العربي السياسي



بقلم : عبد العزيز حسين *

فى تصفحى لمجلة « الكويت » الشهرية التى أصدر العدد الاول منها المؤرخ الكويتى المرحوم عبد العزيز الرشيد عام ١٩٢٨ م واستمر صدورها لمدة عامين ، لفت نظرى الافق الواسع الذى احاطت به المجلة فى جميع اعدادها . فهى رغم ما تؤكده من أنها مجلة للكويت وشئون الكويت ، فانها نظرت الى الخليج العربي باعتباره وحدة متكاملة ، وللجزيرة العربية باعتبارها كيانا موحدا ، وللبلاد العربية على امتدادها الشاسع باعتبارها وطن الامة العربية الواحدة . فيها تقرأ للشيخ رشيد رضا وللامير شكيب ارسلان وللاستاذ محمود شكرى الالوسى والاستاذ عبد العزيز الثعالبي ولسواهم من كتاب الوطن العربي ، وتحس من خلال ذلك أن الكويت منذ ذلك الحين وقبله تعيش مشكلات الامة وتطلعاتها وقضاياها المختلفة . ولم تكن الكويت فى تلك الفترة الا مجتمعا صغيرا يحيا آخر فورة استخراج اللؤلؤ وتجارته ، واول انشطة التجارة البحرية والبرية ،

* سياسى وكاتب واديب ، متعدد الاهتمامات ، شغل عدة مناصب مهمة بالكويت ، تولى ادارة المعارف (وزارة التربية) قبل الستينيات ، ثم تولى وزارة الدولة لشئون مجلس الوزراء حتى سنة ١٩٨٥ ، وهو الآن مستشار فى الديوان الاميرى فى الكويت .

لم يكن النفط وما صاحبه من رخاء مادى قد خطرت امكانات دوره ومؤثراته على بال احد من ابناء الكويت ، ولكننا شهدنا رغم ذلك العديدين من رجال العلم والفكر يطرقون الكويت ويثيرون فى مجتمعاتها نقاشات دينية وادبية وسياسية ، ويجدون من ابنائها الترحيب واللهفة فى اللقاء ـ وكانت الديوانيات ـ وعلى الاخص تلك التى تحتوى مكتبات خاصة ، مركزا لهذه اللقاءات ـ وكان منها ما يجتلب صحفا ومجلات من الاقطار العربية ، ومن مصر بصفة خاصة ، تتخاطفها الايدى ، على ما في بريد ذلك الزمان من بطء واناة ـ وكان للديوانية (١) شأن كبير في الحياة الاجتماعية فى البلاد ، ولا تزال ، وقد اهتم بعضها باقتناء الكتب ومتابعة ما يطبع وينشر فى الاقطار العربية القريبة والبعيدة،ولعل من علامات الاهتمام بالكتاب انى وجدت ضمن عدد من المخطوطات فى مكتبة والدى ، مخطوطا انيقا لكتاب « الموطأ » للامام مالك،رواية يحيى بن يحيى الليثى ، كتب بخط جميل فى جزيرة فيلكا فى السنة الرابعة والسبعين بعد الالف من الهجرة،اى قبل حوالى ٣٣٠ عاما .

الانتماء العربي :

اتاح المجتمع الكويتى المتفتح على العالم منذ نشأته الفرصة لأبنائه لمتابعة احداث العالم والاتصال بتغييراته ، والانفعال بتطوراته ، وكان الاحساس والشعور المسلم به لديهم ان اقرب انتماء لهم خارج حدودهم الضيقة ، هو الى المجتمعات العربية فى الخليج العربي والجزيرة العربية ، وقد ترجموا هذا الاحساس بتلقائية ، ومن خلال سلوكهم العاطفى والعملى .

فعندما كان الغوص على اللؤلؤ وتجارته مهنتهم الرئيسية كان النظام الذى يحكم هذه المهنة الشاقة نظاما خليجيا فى جميع اسسه وتفاصيله ، وعندما كانت التجارة البحرية مصدرا اساسيا للعمل كانت موانىء الخليج اهم المراكز التى ترتادها سفن الكويت .

ومن حيث الحدود الصحراوية فقد كانت قبل تثبيتها حدودا رمزية قابلة للتمدد والانكماش ، ينطلق الناس عبرها حسب حاجاتهم المعيشية وارتباطاتهم الاسرية ، وعندما بدأت النهضة التعليمية فى الكويت فى السنين العشر السابقة لاعلان الاستقلال عام ١٩٦١ ، كان من بين الأولويات التى اهتمت بها ادارة المعارف (وزارة التربية الآن) اذ ذاك ، دعم التعليم وتنشيطه فى امارات ساحل عمان . ويجدر بنا هنا ان نذكر بالخير سفيرا كويتيا متطوعا بذل الكثير من جهده ووقته لتنمية علاقات تربوية متميزة بين الكويت وساحل عمان قبل قيام دولة الامارات العربية المتحدة ، هو المرحوم مرشد العصيمى الذى اعتبر نفسه مواطنا خليجيا ذا رسالة قبل أن يكون تاجرا كويتيا فى الخليج . . . . . .

وعندما اعلنت الكويت استقلالها الرسمى فى ١٩٦١/٦/١٩ كان لهذا الاعلان ردوده البناءة فى الاقطار العربية بالخليج،وكان حافزا مهما لما تلا من تحركات سياسية كانت بدورها موضع اهتمام ومتابعة ومشاركة من الكويت ، وكان ابرزها التخلص من شبح المطالبة الاجنبية بحقوق سياسية فى البحرين ، وقيام دولة الامارات العربية المتحدة . . وعندما انشىء المجلس التأسيسى بالكويت لوضع الدستور فى يناير عام ١٩٦١ وتلاه قيام اول مجلس منتخب للشعب باسم « مجلس الامة » على اساس الدستور الذى اعتمده الامير المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح ، كان لذلك صداه القوى والسريع فى المجتمع الخليجى ، فقامت دولهُ بعد ذلك باجراءات متفاوتة لنمط او آخر من المشاركة فى الحكم ، قابلة للتطوير .

مجتمعات متماثلة :

على أن الكويت كانت تطمح الى أبعد من هذه العلاقات الاخوية والتاريخية والتلقائية ، كانت تريد تنسيقا محكما وتنظيما حديثا واداة ادارية ، بحيث يتم من خلال كل ذلك تحقيق صلات دائمة اقوى ، واندماج جذرى افضل ، وتكامل عمل امثل ، بين

(١) « الديوانية » هى مكان يلتقى فيه الرجال ليتسامروا ، وهى عادة جزء من المنزل الكويتى .

دول ترتبط بوشائج خاصة ، وسمات متماثلة ، تؤمن بمصير مشترك وتدرك اخطار الحاضر والمستقبل . وقد تبلورت هذه التوجهات والافكار في لقاء بين وفد الكويت الى اجتماع مؤتمر القمة العربي الذي عقد في عمان عاصمة المملكة الاردنية ، في الفترة من ٢٥ـ٢٧ نوفمبر ١٩٨٠ .

ونتيجة لقناعة تامة من صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح (٢) ، اعدت مذكرة مختصرة ، تتكون من مقدمة وسبعة بنود ، طبع منها نسخ ست ، قام صاحب السمو بتسليم نسخة منها لكل من اخوته رؤساء دول الخليج الذين يحضرون جميعا اجتماع القمة العربية المشترك . وقد لقيت المذكرة استجابات بعضها سريع مباشر وبعضها متأن مترو ، على أنها التقت كلها آخر الامر الى القناعة بأهمية انشاء منظمة توحد وتقرب الجهود،وكانت مبرراتها وجدواها مغروسة في ضمير الجميع باحساسهم العربي الاسلامي وتوقهم لايجاد قناة حديثة توحد جهودهم وهكذا كان قيام « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » . وقد عقد اول اجتماع لوزراء خارجية هذه الدول الست في قطر يوم ٤ فبراير ١٩٨١ وفي ختام الاجتماع وقع الوزراء الستة على وثيقة قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وبعد اجتماعات تمهيدية اخرى عقد اول مؤتمر لقمة دول الخليج في دولة الامارات العربية المتحدة في ٢٥ مايو ١٩٨١ وبدا بدأت المسيرة العملية للمجلس ، بعد ان كانت مجرد فكرة قبل بضعة أشهر .

وقد اكدت الكويت مرارا ان مجلس التعاون ليس تكتلا ، وليس محورا سياسيا ، ولكنه مجلس تنسيق وتعاون بين مجتمعات متماثلة اجتماعيا واقتصاديا ، ومتقاربة جغرافيا ـ يعمل في نطاق الخط القومي لجامعة الدول العربية ، ويدعم انشطتها ، ولا تتناقض أو تزدوج خطواته مع خطواتها ولعل الظروف التاريخية التي مرت بالكويت تؤكد دائما استقلالها ، فلم تحكم الكويت في تاريخها من سلطة اجنبية مباشرة ، وخلال سريان المعاهدة التي ابرمها الشيخ مبارك الصباح مع الانجليز في نهاية القرن الماضي ، كانت الكويت تسمى في الدوائر والوثائق البريطانية « محمية مستقلة » على ما في هذه التسمية من تناقض ـ وعندما اكتشف النفط عام ١٩٣٩ ثم بدأ استغلاله بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ كان الاستعمار بشكله القديم قد بدأ يشد رحاله حيث كان .

كان غياب السلطة الاجنبية المباشرة احد الاسباب المهمة في تمتع المجتمع الكويتي بقدر كبير من حرية التعبير والاتصال والتطلعات المستقبلية ، سواء فيما يتعلق بالشئون الداخلية أو الخارجية : تجلى ذلك في التجاوبات العديدة لقيام المؤسسات الشعبية ، وفي ردود الفعل القوية للاحداث العربية ، نذكر منها ردود الفعل بالنسبة للقضية الفلسطينية بجميع تسلسل احداثها ، وبالنسبة للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وقيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وثورة الجزائر وانتصارها وغير ذلك من الوقائع السالبة والموجبة التي عبر عنها الشعب ماديا ومعنويا بقوة تفوق ما كان ينتظر من مجتمع صغير لم يقم له كيان سياسي دولي بعد ، وقد تجاوز التعبير النبضات الشعبية الى الاجراءات الادارية ، نذكر مثلا على ذلك أن ادارة المعارف كانت تستضيف طوال الخمسينيات عديدا من الطلاب يقدمون اليها خلسة من بلاد عربية كانت لا تزال ترزح تحت قبضة الاستعمار الغربي الثقيلة ، أو تخوض ثورات وطنية في سبيل الاستقلال ، ونتذكر في هذا المجال الجهد الذي بذله المجاهد التونسي المرحوم يوسف الرويسي ، الذي كان يدير مكتبا للمغرب العربي الكبير في دمشق ، يعنى بين امور اخرى بتهيئة سبل التعليم العربي والاسلامي لشباب المغرب العربي في المشرق العربي .

مشاركات في مسيرة طويلة :

كان للكويت مشاركات واسعة في المحافل والمنظمات الاقليمية والدولية قبل اعلان الاستقلال ،

---

(٢) كان لدى سموه تفكير دائم ومنذ فترة طويلة بلم الشمل وتوحيد الكلمة على اسس متينة لخدمة مصالح ابناء الامة العربية في هذا الجزء من الوطن العربي وهو الخليج .

مما اكسبها مكانة بين مثيلاتها خاصة ، شاركت في عديد من انشطة المنظمات الدولية التابعة للامم المتحدة ، من بينها منظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولية ومنظمة البريد العالمي . كما شاركت في كثير من نشاطات جامعة الدول العربية ، بل ان احد مؤتمرات جامعة الدول العربية عقد بالكويت في الفترة من ١ ـ ٧ مارس ١٩٥٨ ، وهو المؤتمر الرابع لخبراء الشئون الاجتماعية،لم تكن الكويت غريبة عن جامعة الدول العربية عندما تقدمت للالتحاق بعضويتها فور اعلان الاستقلال عام ١٩٦١ ، ولولا وجود عبد الكريم قاسم على رأس الحكم في الجمهورية العراقية ، لكان ذلك مجرد خطوة اجرائية لا تلفت الانظار ، فقد اضطرت الكويت ازاء تهديدات قاسم الى استقدام قوة عسكرية بريطانية لدعم جيشها الناشيء تطبيقا لاتفاقية كانت قائمة اذ ذاك بين البلدين ، وقد كان وجود هذه القوة الاجنبية الى جانب مطامع قاسم ذريعة للمحاولة التي بذلت للحيلولة دون التحاق الكويت بالجامعة العربية . على أن الامر تم حسمه بسبب العلاقات الطيبة القائمة بين الكويت ومعظم الدول الاعضاء بالجامعة ولاعلان الكويت عن استعدادها لان تطلب الى القوة البريطانية الانسحاب حال زوال الخطر عنها عبر حدودها الشمالية . وقد كان موقف مصر برئاسة الرئيس عبد الناصر يحوطه الغموض والحرج في البداية ، لولا قرار عملي من قراراته الملهمة ، فقد ارسل وزير خارجيته الاستاذ محمود رياض لمقابلة مندوب الكويت بالقاهرة ، وذكر له ان الرئيس عبد الناصر يطلب تعهدا بجلاء الانجليز عن الكويت فور غياب التهديد او احلال قوة عسكرية عربية محل القوة الاجنبية ، وقد اكد له المندوب الكويتي أن العزم معقود على ذلك ، ويمكن اعتبار هذا الوعد التعهد المنشود . بعد هذا الحديث اعتبر مندوب الكويت ان الموضوع قد انتهى ، لما يعرفه عن وزن مصر ونفوذها في الجامعة العربية وفي الوطن العربي ، وشرع فور ذلك في اعداد الكلمة التي سيلقيها في اجتماع مجلس الجامعة باعتبار الكويت العضو الجديد فيها وهكذا نتج عن دخول الكويت الجامعة العربية قيام اول تجربة في التاريخ العربي ، هي انشاء قوة عسكرية من عدد من الدول العربية بقيادة موحدة لصيانة استقلال دولة عضو في الجامعة . وقد تم انشاء صندوق للانفاق على هذه القوة العسكرية التابعة للجامعة والمعسكرة على الحدود الكويتية الشمالية والتي حلت محل القوة البريطانية في تنسيق جيد . وكانت القوة العربية في تكوينها ونظامها وحضورها مثلا لما يمكن ان تقوم به جامعة الدول العربية من اجراء فعال .

شاركت الكويت بحماس في جميع نشاطات جامعة الدول العربية بعد ذلك ، وفي كل منظماتها الفرعية . وفي الظروف السياسية المؤسفة التي يمر بها الوطن العربي اليوم ، والتي تحد من قدرة الجامعة على اداء رسالتها المأمولة ، فان الكويت مع ذلك لا ترى عنها بديلا ، ومن رأيها ضرورة ادخال تعديلات على نظامها الاساسي يتيح لها امكانية اكبر في ايجابية التحرك والانجاز . كما انها ترى ان دعم العمل في منظمات الجامعة المعنية بالتربية والثقافة والاقتصاد وتشجيعه وتكثيف الانشطة الشعبية بوساطتها ، سيكون له مردود ايجابي بعيد المدى يحقق الكثير من اهداف الجامعة القومية ، رغم الظروف الآنية التي يصعب معها ان تنجز خطوات سياسية ذات بال .

ومع تحول الهيئات والمنظمات الدولية والاقليمية الى منابر للخطابة ومراكز للدعاية للانظمة المختلفة ، ومع استهانة كثير من الدول الاعضاء بتوصياتها وعدم الالتزام بقراراتها ، برزت اصوات تدعو الى ايجاد السبل الكفيلة بحل النزاعات بالطرق السلمية ، واضفاء صفة الاحترام ، ان لم يكن الالتزام بالتوصيات والقرارات ، لكن هذه الاصوات لم تجد الصدى المطلوب ، وقد قدمت الكويت في شخص اميرها الشيخ جابر الاحمد مشروع محكمة العدل الاسلامية للمؤتمر الاسلامي والذي هو خلاصة الحكمة وبعد النظر لحل المشكلات الراهنة سلميا . بل لان نصف الدول الاعضاء فيه دول عربية . وبالرغم من ان المشروع قد تمت دراسته من قبل علماء متخصصين بعمق وروية ، فانه لم يعط حقه من البحث في اجتماع قمة المؤتمر الاسلامي الاخير بالمملكة المغربية . والمأمول أن يقدم مرة اخرى بعد مزيد من الدراسة الى القمة الاسلامية التي ستعقد بالكويت عام ١٩٨٧ ، وان يحوز اهتماما وقبولا اكثر من ذي قبل .

دور الصندوق الكويتي للتنمية : -

لعل من اهم القرارات التى اتخذتها الكويت بعد اعلان استقلالها ، انشاءها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية (تأسس فى ١٩٦١/١٢/٣١) فقد اسهم الصندوق الكويتي فى عشرات من المشروعات الاقتصادية الاجتماعية ، فى البلاد العربية ، ما كانت لترى النور لولا ذلك الاسهام . وقد اتسع نطاق عملياته بعد ان زيد رأس ماله لتشمل عملياته دول العالم الثالث ، فاتسعت رقعة مشاركاته واستطاع الى جانب ذلك أن يهيىء او يشارك فى دراسات اقتصادية لمشروعات انمائية لدول لم تكن قادرة على اجراء هذه الدراسات ، بله القيام بالمشروعات وقد اسهم الصندوق فى توطيد العلاقات بين دولة الكويت والدول الاخرى ، فكانت مشروعاته فيها رموزا للصداقة والتعاون ، وكان الصندوق من الجدوى بحيث نسجت دول عربية اخرى على منواله ، كما قامت الدول العربية بانشاء الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعى الذى اتخذ الكويت مقرا له منذ مباشرته لعمله فى ١٩٧٢/٧/١٠ . هذا وبانتهاء السنة المالية ١٩٨٤/١٩٨٥ اصبح عدد القروض التى التزم بها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية منذ بداية نشاطه ٢٨٨ قرضا توزعت على ٦٤ دولة بينها ١٦ دولة عربية و ٢٨ دولة افريقية و ١٥ دولة اسيوية و ٥ دول اخرى . اما القيمة الاجمالية للقروض المقدمة حتى ذاك التاريخ فقد بلغت ١٣٠٥,٤ مليون دينار كويتي كان نصيب الدول العربية منها ٤٩,٦٪ والدول الافريقية ١٩٪ والدول الاسيوية ٣٠,٢٪ والدول الاخرى ١,٢٪

دور هيئة الجنوب العربي والخليج :

ويجدر بنا هنا ان نشير الى مؤسسة اخرى تختلف فى تكوينها واسلوب العمل فيها عن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، وهى الهيئة العامة للجنوب العربي والخليج التى انشئت عام ١٩٦٦ ، وهى هيئة مستقلة ذات ميزانية خاصة ضمن الميزانية العامة للدولة ، معظم نشاطها يتم فى شطرى اليمن الشقيق ، وبعض الاقطار الخليجية . وتهتم بالدرجة الاولى بانشاء المدارس والمشافى بالاتفاق والتنسيق مع الدول المستفيدة ، وربما قامت بانشاء مشروعات كبيرة متميزة للحاجة الماسة اليها كجامعة صنعاء ومستشفاها والمعهد الاسلامى بتعز وكالمكتبة المركزية وكلية الطب بعدن . هذه المشروعات والمنشآت قدمت وتقدم هدية من الشعب العربي بالكويت الى شعب عربي آخر ، بعيدا عن الاجراءات المعقدة او تدخلات السياسة ، مما اعتبر نموذجا رائعا للتعاون وللعمل العربي المشترك .

كانت العلاقات الطيبة التى تربط الكويت بالاقطار العربية جميعا ، مبررا لكى تتطوع ببذل محاولات التوفيق فيما قد يشجر بين بعضها من خلاف،فقد رأيناها تبادر منفردة أو مشتركة مع غيرها فى كثير من تلك المحاولات ، حتى لتكاد تكون قاسما مشتركا اعظم فيها - ومازلنا نذكر دعوة سمو الامير جابر لاخويه رئيس اليمن الشمالى ورئيس اليمن الجنوبي للاجتماع به فى الكويت عندما تأزمت العلاقات بين البلدين ، وكم كان مؤثرا ان تلتقى القمة الصغيرة فى قصر السلام فى جو اخوى حميم لكى يصدر عن رئيسَيْ البلدين « بيان الكويت » يجدد مسيرة العلاقات الاخوية المستقبلية بين البلدين وينهى مواضيع الخلاف ويكون اساسا للتعاون القائم بينهما حتى اليوم .

والعلاقات الطبيعية والمتوازنة بين الكويت ودول الغرب والشرق معا ، وجه آخر من وجوه السياسة الكويتية المستنيرة . فالثقة بالنظام القائم والحرية فى التعبير عنه والقدرة على تطويره ، اكسبت المجتمع قناعة بعدم التخوف من نظام اجنبى قد لا يتفق مع القيم والمثل التى تعتنقها للبلاد .

وقد اتاح لها هذا الموقف فرصا للعمل الدولى بفاعلية افضل فيما يتعلق بقضايانا العربية .

هذه لمحات عن دور الكويت العربي ومكانتها العربية وتوجهاتها السياسية ، قبل الاستقلال وبعده ، قبل النفط وبعده ، تعطى ملامح بسيطة ويسيرة من ذخيرة لا تنفد ، قد تثير لدى القارىء الرغبة فى البحث والاستقصاء طلبا لمزيد من المعرفة فى هذه الساحة المهمة . □



تجربة ثقافية فريدة في الكـــــــويت

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

عرف العالم ، منذ بداية القرن العشرين ، نوعين متباينين من التجارب الثقافية . اذ تأخذ بعض البلاد بمبدأ تدخل الدولة في الثقافة ، على حين تتمسك بلاد أخرى بالمبدأ القائل ان الثقافة من الشئون الخاصة التي ينبغي أن تترك للنشاط الفردي والخاص ، ولا شأن للدولة بها على الاطلاق .

ترتكز كل تجربة من هاتين التجربتين على فلسفة خاصة ، تعمل على تبريرها واظهار المزايا التي تعود على الثقافة من تطبيقها . فأنصار تدخل الدولة في الثقافة ينطلقون من مقدمة أساسية هي أن الثقافة ليست ترفاً ، وانما هي حق أساسي لكافة فئات المجتمع . وهم يؤكدون أن الدولة وحدها هي التي تستطيع توصيل الثقافة إلى الفئات الضعيفة في المجتمع ، وإلى المناطق المنسية والنائية ، وهي التى تستطيع أن ترعى أعمالاً جادة لا تجلب ربحاً ، لأن جمهورها بطبيعته قليل ، وهي القادرة على تقديم النواتج الثقافية بأزهد الأسعار للجمهور العريض الذي تثقله أعباء الحياة اليومية وتكاليفها .

وفي مقابل ذلك تهاجم مجتمعات اخرى فكرة تدخل الدولة في شئون الثقافة ، بحجة أن هذا التدخل سيؤدى حتماً إلى فقدان صفة الحرية التى هي ألزم اللوازم للثقافة ، ولا بد ان يترتب عليه فرض الاتجاهات التى تخدم مصالح الدولة أو النظام الحاكم ، ومحاربة التجديد المبدع اذا كان يشكل خطورة على الأوضاع القائمة .

خصوصية الثقافة

وربما بدا للوهلة الأولى أن هذا التقابل بين نظرتين إلى الثقافة يوازى التقابل بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي ، لأن مبدأ تدخل الدولة هو جزء من الفلسفة العامة للنظم الاشتراكية التى تأخذ بمبدأ التخطيط الشامل في جميع المجالات ، على حين أن التمسك بأن تكون الثقافة نشاطاً حراً انما هو مظهر لمبدأ عام يسود الأنظمة الرأسمالية ، هو الاقلال من تدخل الدولة إلى الحد الأدنى ، وترك أهم القطاعات للنشاط الخاص . ولكن المسألة في حقيقة الأمر ليست بهذه البساطة ، وقد أثبتت التجارب أن قطاع الثقافة له خصوصيته التى تضفى عليه استقلالاً نسبياً ، بحيث لا يتعين أن يكون موقف المجتمع منه انعكاساً مباشراً لمواقفه في ميادين الاقتصاد والسياسة ، أو تطبيقاً مباشراً لنوع النظام الاجتماعي الذى يسود فيه .

ولعل الدليل الواضح على ذلك هو أن دول العالم الثالث تتجه بوجه عام إلى الأخذ بمبدأ تدخل الدولة في

الثقافة ، على الرغم من التباين الشديد بين أنظمتها الاجتماعية . ويعبر هذا الموقف عن وعي متزايد بأن الثقافة ، ولا سيما لدى الشعوب التي تناضل من أجل التحرر والتنمية ، أخطر من تُترك للأيدي التي تتحكم فيها من أجل تحقيق مزيد من الربح . ففي الكفاح من أجل التنمية ، تقوم الثقافة بدور أساسي في تشكيل عقل الانسان ، وهو دور لا يمكن أن يُترك للمصادفات أو لتلاعب في السوق ، وانما ينبغي أن تدخل فيه الدولة بكل ثقلها ، كيما تحمي العقول من المؤثرات السلبية التي تدغدغ أحط مشاعرها ، وتستغل جوانب ضعفها ، لتحقيق مآربها الخاصة .

سمات تجربة الكويت

وأستطيع أن أقول:ان التجربة التي خاضتها الكويت في ميدان الثقافة ، تعد تجربة ذات سمات فريدة ، تثبت بوضوح قاطع قدرة الثقافة على تجاوز الحواجز الأيديولوجية ، والسير في طريقها المستقل . فالكويت بلد نفطي يتمتع مواطنوه بمستوى من أعلى مستويات المعيشة في العالم ، والمتوقع نظرياً في بلد كهذا هو أن يسود النشاط الحر ، المستقل عن الدولة ، في كافة الميادين . ولكن تجربة الكويت في ميدان الثقافة ارتكزت في واقع الأمر على التدخل النشط للدولة في هذا القطاع ، وكانت ثمار هذا التدخل ايجابية إلى حد بعيد .

فقد استطاعت الكويت أن تستغل الثروة النفطية استغلالاً شديد الذكاء في ميدان الثقافة ، واتبعت سياسة تؤدي في المدى الطويل الى أن تصبح الكويت مركز اشعاع ثقافي يمتد في أرجاء الوطن العربي كله . وهكذا عملت الدولة على رعاية مشروعات ثقافية ناضجة ، أشرف عليها جهازان اكتسبا خبرة طويلة في الشئون الثقافية ، هما وزارة الاعلام من جهة ، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من جهة أخرى . وكانت السمة المميزة لهذه المشروعات هي أنها تخاطب ، منذ بدايتها ، المواطن المتطلع الى المعرفة في أي بلد عربي ، أي أنها حرصت منذ بدايتها على ألا تصطبغ تلك المشروعات بصبغة محلية ضيقة ، أو تخاطب الانسان في البلد الأم وحده ، وانما قررت أن تخرج عن الاطار المحلي ، وتوجه رسالتها إلى الانسان العربي أينما كان .

وهكذا ظهرت تلك المجموعة الرائدة من المطبوعات الثقافية ، التي تصدر في هذا البلد الصغير ذي الطموحات الكبيرة : فمن وزارة الاعلام عرف الوطن العربي كله منذ أكثر من ربع قرن ، مجلة ثقافية ناضجة هي « العربي » ، كما اعتاد أن يقرأ على مستوى أشد تخصصاً ، أبحاث مجلة « عالم الفكر » ، وسلسلة « مسرحيات عالمية » . ومن المجلس الوطني للثقافة لا يكاد يوجد شاب مهتم بشئون الأدب والفكر ، في أي بلد عربي ، إلا ويتابع سلسلة كتب « عالم المعرفة » ، ومجلة « الثقافة العالمية » ، بينما يتابع المتخصصون سلسلة كتب التراث باهتمام بالغ .

والأمر الذي يلفت النظر حقا في هذه المجموعة الفريدة من المطبوعات ، هو أنها قد استطاعت بسرعة غير عادية ، أن تجتذب أعداداً ضخمة من الشباب المتطلع الى المعرفة في كافة أرجاء الوطن العربي ، في الوقت الذي عجزت فيه مشروعات ثقافية أخرى ، تنفق عليها دولها بسخاء ، عن تجاوز النطاق المحلي الا على نطاق ضيق ، وبصعوبة بالغة . ذلك لأن القارىء العربي قد وجد في هذه المطبوعات مادة منتقاة بعناية بالغة ، رفيعة المستوى في الشكل والمضمون ، تقدَّم اليه بأسعار تكاد تكون رمزية . وكلما ازدادت ثقة القارىء العربي بهذه المنشورات ، واكتسبت سمعة أرفع ، اتسع نطاق المثقفين المبدعين الذين يتعاونون معها ، وتمكنت من استكتاب أفضل العناصر في وطننا العربي . ولا أكون مغالياً اذا قلت ان نسبة لا يستهان بها من الزاد الثقافي للأجيال الجديدة في أجزاء كثيرة من الوطن العربي ، أصبحت الآن مستمدة من كتب ومجلات تصدر في الكويت ، وأغلب الظن أن هذه النسبة ستزداد ارتفاعاً على مر الأيام .

وعلى عكس ما يتوقع خصوم مبدأ تدخل الدولة في الثقافة ، فان الانتاج الأدبي والفكري الذي تصدره وتموله الدولة في الكويت ، لم يُستخدم على الاطلاق من أجل فرض وجهات نظر معينة ، يتبناها نظام الحكم أو تخدم مصالحه . اذ تنعكس على هذا الانتاج معظم ألوان الطيف الثقافي ، من اليمين واليسار ، ومن المحافظين الى التقدميين . واذا كانت هناك رقابة

فإنها تسري على تلك الأمور المحظورة في معظم المجتمعات العربية ، وتطبق بصورة أكثر استنارة في معظم الاحيان (ومن هنا فان تشديد الرقابة النسبي على الكتب المسموح بها في معرض الكتاب السنوي ، في السنتين الأخيرتين ، يشكل ظاهرة غير مألوفة ، وغير متمشية مع التيار العام ، وهي احدى السلبيات التي آمل أن تتخلص منها الهيئات المسئولة عن الثقافة في الكويت في أقرب فرصة) .

المواطن والوافد والحرية

ومن السمات البارزة في الحياة الثقافية الكويتية ، ازالة الحد الفاصل بين المواطن والوافد . فقد كان من الطبيعي ، في بلد كبير الامكانات واسع الطموحات ، وفي الوقت ذاته قليل السكان ، أن تُفتح الأبواب للاستعانة بالوافدين في عدد كبير من المشروعات الثقافية . ومن الجوانب المضيئة في التجربة الثقافية الكويتية أن هؤلاء الوافدين قد وجدوا في هذا البلد جواً (لو ليبراليا) متسع الآفاق ، يتيح لهم أن يعبروا عن أنفسهم بحرية ، وأن يقدموا أفضل ما لديهم ، فيضيفوا أبعاداً جديدة الى هذه التجربة الثقافية الخصبة . ويكاد معظم الوافدين يتفقون على أنهم يجدون في الكويت مجالاً للتعبير عن أفكارهم ، حتى في المسائل الحرجة والشائكة ، ربما لا يجدونه في بلدانهم الأصلية ذاتها ولو كان لي أن أتحدث في ضوء تجربتي الخاصة ، لقلت إن اطار « الليبرالية » والتسامح والتعددية الفكرية في الكويت أوسع من معظم الأقطار العربية الأخرى . صحيح أن هناك أقطاراً أخرى تستعين بخبرات كثير من الوافدين ، ولكنها تفرض عليهم ألف قيد وقيد ، وترسم لهم اطاراً حديدياً يستحيل عليهم أن يتجاوزوه . أما في الكويت فان اتساع الأفق ، والتعددية الفكرية ، ورحابة الصدر ، هي الطابع الغالب على التعامل الثقافي بين المجتمع وبين الوافدين اليه من شتى الأقطار العربية ، وحصيلة هذه السياسة الذكية هي أن ينصهر الجميع في بوتقة واحدة ، تعود ثمارها بالخير على الوطن العربي بأسره .

ولعل القارىء قد لاحظ أنني قد اقتصرت في حديثي على ميدان واحد من ميادين الثقافة ، هو ميدان المطبوعات ، من كتب ومجلات ، ولم أتطرق الى أنواع أخرى هامة من النشاط الثقافي ، كالمسرح ، والفنون التشكيلية ، والندوات ، واللقاءات . . . والحق أنني اذا كنت قد ركزت اهتمامي على الميدان الأول ، فذلك لأنه هو الميدان الذي أتعامل معه تعاملاً مباشراً ، فضلاً عن أنه ، في اعتقادي ، هو الذي يدوم إشعاعه أمداً أطول ، ويمتد إلى مسافات أبعد . ومع ذلك فان النمط العام الذي استخلصناه عند الحديث عن النشاط الثقافي في ميدان الكتابة والنشر ، ينطبق بغير شك على كافة الميادين الأخرى .

الجمع الموفق

إن في الكويت ، إذن ، تجربة ثقافية جديرة بأن ينتبه إليها كل من يحرص على رعاية العقل العربي وتنويره . في هذه التجربة أمكن الجمع ، بطريقة موفقة ، بين مبدأ تدخل الدولة ، وبين ضمان قدر لا يستهان به من الحرية للمبدع الثقافي (ربما كان أفضل قدر تسمح به الأوضاع الراهنة في الوطن العربي) . وفي هذه التجربة أمكن استغلال الثروة في نشر نتاجات ثقافية زهيدة التكاليف ، تعم فائدتها على الأجيال المتطلعة الى المعرفة في كافة الأقطار العربية . إنه نوع من « التوزيع العادل للثروة الثقافية » يفيد منه الشاب الطموح ، الذي يعاني من قسوة الحياة وضآلة الدخل ، في أي بلد عربي أقل ثراء . وفي الوقت الذي تستهدف فيه هذه النتاجات الثقافية الانتشار الكمي على أوسع مدى ممكن ، فإنها لا تتجاهل الكيف أو المستوى الرفيع . فالثقافة التي تحقق مطالب الجماهير الواسعة ، تسعى في الوقت ذاته إلى إرضاء تطلعات النخبة المتميزة .

إن مجتمعات النفط ، التي قفزت خلال حياة جيل واحد من صعوبة العيش إلى الثراء الهائل ، لم يكن في وسعها أن تتجنب سيطرة القيم الاستهلاكية ، والبحث الدائم عن المزيد من الترف . ولكن الاشعاع الثقافي الذي ينشره واحد من أصغر هذه المجتمعات النفطية ، أعني الكويت ، يمثل نقطة مضيئة ، وعلامة هامة على طريق الافادة من الثروة النفطية ، فيما هو أبقى وأنفع من المتع الزائلة والملذات العابرة . □

عيدالك

وَطَنِي الكُوَيتُ لَهُ ادَّخَرْتُ نَشِيدِي
وكَنَزْتُ مَوْفُورَ النَّدَى بِوُرُودِي
وَنَشَرْتُ فِيهِ لآلِئاً دَانَاتِهَا
مِثْلَ الكَوَاكِبِ فِي عُقُودِ الغِيدِ
يَارَبِّ فَارْفَعْ لِلْمَعَالِي أُفْقَهُ
بِأَكُفِّ أَبْطَالِ الجِهَادِ الصِّيدِ
واجْعَلْ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً
وأَمِدَّهُ بِالعِزِّ والتَّمْجِيدِ

. . . .

إِنَّا بَدَأْنَا أُمَّةً أَمْجَادُهَا
كَمْ ذَا بِهَا غَنَّتْ بُحُورُ قَصِيدِ
فَتَحَ الالهُ لَهَا رِحَابَ الأَرْضِ بِالتَّـ
ـكْبِيرِ والتَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ

. . . .

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ صَانُوا خَيْرَهَا
لأَتَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِمَزِيدِ
لَكِنَّهُمْ كُلٌّ لِكُلٍّ ظَالِمٌ
يَرْمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُلِّ صَعِيدِ
فَمَضَى الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ يُلْقِي بِهِم
فِي قَائِمٍ مِنْ ظُلْمِهِمْ وحَصِيدِ

ـويت



شعر: عبدالعزيز جعفر

فَلْتَشْهَدِ الصَّحْراءُ أَنَّا لَمْ نَزَلْ
نَلْقَى الْحَيَاةَ بِعَزْمٍ كُلِّ شَهِيدِ

. . . .

فَبِمِثْلِ «جَابِرٍ»، الْحَيَاةُ رَحِيبَةٌ
مَا ضَاقَ يَوماً وُسْعُهَا بِجَدِيدِ
«وَبِسَعْدٍ»، الأَيَّامُ أَوْفَى ذِمَّةً
مِمَّا بِهَا مِنْ طَارِقٍ وَتَلِيدِ
وغداً سَيُشْرِقُ لِلمَآذِنِ مَوْكِبٌ
فَيَظَلُّ يَهْتِفُ رَدِّدِي وأَعِيدِي
فِي الْكَعْبَةِ الْغَرَّاءِ لَبَّى «جَابِرٌ»
رَبَّ الْعِبَادِ بِيَوْمِهِ الْمَشْهُودِ
فَاجْعَلْ أَمَانِيهِ حَقَائِقَ أَصْلُهَا
رُكْنٌ رَفِيعٌ دَائِمُ التَّشْيِيدِ
وافْتَحْ عَلَى شَعْبِ الْكُوَيتِ لِحُبِّهِ
أَمَلاً رَوَائِعُهُ كَيَوْمِ الْعِيدِ

. . . .

عِيدُ الْكُوَيْتِ أَمِيرُهَا يَعْلُو بِهِ
لِذُرَا الْعُرُوبَةِ فِي أُصولِ الْبِيدِ
وَبِهَا بَنَى الإِيمَانُ ذِرْوَتَهُ الَّتِي
دَوْماً تَسِيرُ لأُفْقِهَا الْمَوْعُودِ

أرقام

بقلم : محمود المراغي

سُكّر .. وعُجُول .. ونظام اقتصادي حرّ !

مازالت الانسانية تبحث عن طريق تدير به شؤونها .. لذا سوف يظل الصراع طويلا بين الرأسمالية والاشتراكية .. وسوف يظل السؤال قائما : حرية لرأس المال .. أم توجيه وتدخل من جانب المجتمع ؟

وبينما حدث استقرار نسبي لذلك الصراع في العالم المتقدم ، فاستقرت الاشتراكية في الشرق ، واستقرت الرأسمالية في الغرب ، فإن الصورة في العالم الثالث تختلف .

في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن شهد العالم الثالث أكبر حركة للتحرر والاستقلال ، وبات على الدول المستقلة حديثا أن تحدد مسارها الاجتماعي والسياسي ، فاختار الكثير منها طريق الاشتراكية أو التخطيط والتوجيه الاقتصادي كحد أدنى ..

ربما كان ذلك ايمانا بأنه في ظل الفقر وضعف الموارد تكون الاشتراكية هي الأنسب لإحداث قفزة في المجتمع .

ربما كان الاختيار ايمانا بأنه قد حان وقت العدالة الاجتماعية ، بعد سنوات من التمايز والتفاوت الطبقي اللذين صنعهما الاستعمار .

و .. ربما كان الأمر مجرد اختيار لنقيض ماكان عليه المستعمرون ، وكلهم من الرأسماليين .

على أي حال فقد كان هناك ذلك الاختيار الذي طفا على السطح بدرجات مختلفة ، ابتداء من التجربة الكوبية الى تجارب غانا وغينيا والهند ومجموعة الدول العربية : مصر والجزائر والعراق وسوريا واليمن .. و .. غيرها .

ولكن ...

وعندما جاءت السبعينيات ، واشتدت الأزمة المالية في العالم الثالث لأسباب خارجة عنه بعد ثورة أسعار النفط .. عندما حدث ذلك جاءت صيحة الغرب : لابد من جرعات مالية خارجية توازن « المختل » وتسد « العجز » وتعين « المحتاج » حتى يستغني .. و .. وحتى يتم فلابد من اقتصاد مفتوح وحرية مضمونة .. لابد أن تتراجع يد الدولة وتترك حرية الأسواق .. في الداخل .. ومع العالم الخارجي ..

وللحق .. فقد كان شعار الحرية الاقتصادية شاملا العالم الثالث والعالم المتقدم في وقت واحد ... ونشبت المعركة تلو الأخرى بسبب نظم الحماية التجارية والجمركية التي تفرضها الدول الصناعية ، خوفا على منتجاتها من الآخرين ..

ولكن .. وبينما استجابت كثير من الدول النامية لنصيحة المنظمات الدولية (كالبنك الدولي وصندوق النقد) ، وبينما كانت توجيهات دول المركز الرأسمالية

كفيلة بـإزالة الحـواجز التجـارية ، وفتـح الأسـواق الفقيرة أمام السلع التي تنتجها الدول الصناعية . بينها حدث ذلـك في عالم الفقـراء ، احتفظ الأغنياء بكثير من الأسوار والحواجز ونظم الحماية .

و . . كانت النتيجة مجموعة من الخسائر تحملتها الدول النامية .

• • الظاهرة بالأرقام

تجسد هذه الحقيقة مجموعة من الأرقام اذاعها تقرير التنمية في العالم الذي أصدره البنك الدولي عن عام ١٩٨٥ . . وذلك بناء على بحث تم اجراؤه في (١٧) بلدا صناعيا و٥٨ بلدا ناميا ، وكـان موضـوعه «أثـر الحـواجز التجـارية في البلدان الصناعيـة بـالنسبة للدول النامية» وقد عنى البحث بسلعتين اعتبـرهما الأشد تأثرا بهذه الحواجز وهما : السكر ولحم البقر ، اللذان يمثلان نحو نصف جميع ايرادات التصدير التي فقدتها الدول النامية .

وطبقا للأرقام التي أمكن الحصول عليهـا ، فقد خسرت البلدان النامية (٩,٥) مليارات دولار عـام ١٩٨٣ في سلعة واحدة هي السكر . . وكانت معظم الخسائر مباشرة ، بينما كان هنـاك جزء من الـرقم (٢,١) مليار اسمته الدراسة تكاليف الرفاهية ، وهي الاعانات التي تدفعها الحكـومات للمصـدرين حتى يستطيعوا التصدير بأسعار مقبولة .

و . . نفس الشيء حدث في لحوم الأبقار ، التي بلغ متوسط خسائرها السنوية في أعوام (٧٩ ، ٨٠ ، ١٩٨١) ٥ مليارات دولار سنويا .

و . . في السلعتين كانت أمريكا اللاتينية هي أكبر الخـاسرين ، وكـان على رأس القـائمة : البـرازيل المكسيك ـ الأرجنتين . . ومن خارج أمريكا اللاتينية كـانت هناك الفلبين والهند ، وهمـا دولتان منتجتان للسكر .

• • ملاحظات أساسية

يلاحظ هنا : أن رقم الخسائر في سلعتين اثنتين فقط يكاد يقترب من مجموع المعونة التي تقدمها جميع البلدان الصناعية للعالم الثالث .

وبـالأرقـام أيضـا ، فقـد بلغت معـونـة الـدول الصناعية للدول النامية خلال عام ١٩٨٣ ـ على سبيل المثال (٢٢,٥) مليار دولار .

الملاحظة الثانية أن الدول الخاسرة بسبب سياسات الحمـايـة والقيـود التي تعـرقـل تـدفق سلعهـا الى الأسواق . . من كبار المقترضين في العالم . . وبالطبع فانه في ظـل ظروف أفضـل للتبادل كـانت الحاجـة للاقتراض سوف تصبح أقل .

أما الملاحظة الثالثة فهي أن الحواجز قد وضعت بدرجة أكبر في وجه السلع المنتجة في العالم الثالث ، وبأسلوب يبرز أن الأقوى يفرض سياسته . .

لقد كان السكر وكانت لحوم الأبقار مجرد مثالين . ولكن مجموعة السلع الأولية بشكل عام قد عانت من تراجع أسعارها في ظل نظام السوق الحرة . . وبعض السلع الصناعيـة ـ كـالمنسوجـات والبتروكيمـاويات تعذر التوسع في تصديرها من العـالم الثالث للدول الغربية المتقدمة ، بسبب نظام الحصص ، الذي يمثل حاجزا من نوع آخر ، يقيد حرية التجارة ، ويحـدد مقدار التدفق الوارد عبر الحدود .

وبينها لم تستطع الدول النامية أن تقاوم سياسـة حرية التجارة والاقتصاد . . ظلت الـدول الداعيـة للحرية متشبثة بقدر من القيود يحمي انتاجهـا من المنافسة .

لقـد عـرف العـالم حرب السيـارات بين اليـابـان والولايات المتحدة الأمريكية .

وعـرف العالم وشُغِـل بقضية السلع الـزراعية في السوق الأوروبية المشتركة .

ولكن . . !

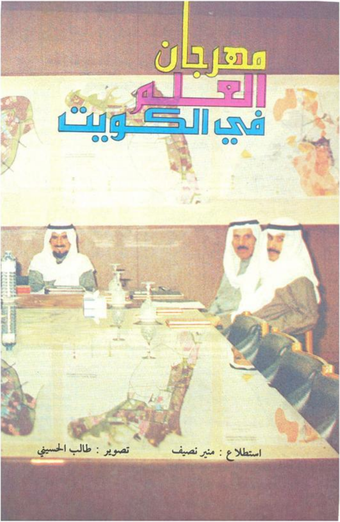
هـل اهتم العـالم بخسـائـر الفقـراء من قيـود يضعها الأغنياء ؟

وهل أثار المهتمون والباحثون في الاقتصاد الدولي وجود منطقين . . احدهما يدعو للحرية دون تحفظ في عـالم الفقراء ، والثـاني يضع التحفـظات والقيـود اللازمة في عالم الأغنياء ؟

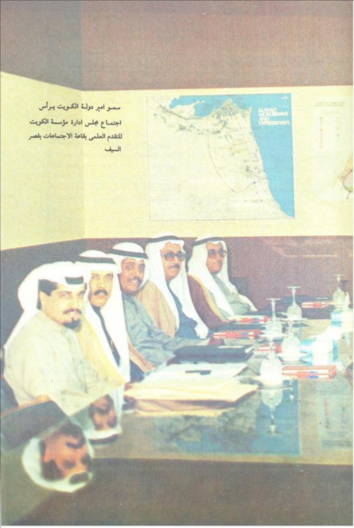
لا أظن أن الأمر قد نال الاهتمام الكافي . . ولا أظن أن الخسائر سوف تتوقف مالم تضع الدول النامية السيـاسات التي تـلائمهـا ، ومـالم تصـل الى نـظام اقتصادي عالمي جديد . .

والسكـر والأبقـار أمثلة لمجمـوعـات أوسـع من السلع . . والخسائر . . والعلاقات غير المتكافئة التي يفرضها الأقوياء . . لصالح الأقوياء . □

مهرجان العلم في الكويت



استطلاع : منير نصيف   تصوير : طالب الحسيني



سمو امير دولة الكويت يرأس
اجتماع مجلس ادارة مؤسسة الكويت
للتقدم العلمي بقاعة الاجتماعات بقصر
السيف

الحياة علم ومعرفة . . وقد كنا ومازلنا أقطارا مستوردة لكل ما هو جديد من هذا العالم المتغير من حولنا ، ما دام الذي نأخذه منه لا يتعارض مع تقاليدنا وعاداتنا الموروثة . . في الغرب والشرق نهضة علمية وثورة تقنية كنا - نحن العرب - في الماضي البعيد نحمل لواءها ، ثم دارت الأيام وتبدل الحال وتغير . .

لقد كان العرب دوما وعلى مدى قرون طويلة أمة قوية متحضرة أو كما قال المقريزي :

« **كنا أمة حضارة وعلم ومعرفة ، لم تتقاعس يوما عن تكريم أبنائها ، هؤلاء الذين رفعوا راية العلم وحملوها معهم وهم يعبرون الحدود الى عالم جديد تأثر بنا ونقل عنا أكثر مما نقلنا نحن عنه !** »

كنا في الماضي اذن نعطي أكثر مما نأخذ . . فقد كان عندنا هنا وفوق أرضنا أساطين العلماء وأهل الفكر والأدب . .

ولقد كان هذا هو أحد عوامل قوتنا ، تلك التي فتحت أمامنا أبواب الاندلس ، ووصلنا بها ومعها الى قلب القارة الاوروبية غربا حتى فرنسا ، والى مشارف الصين شرقا وربما تجاوزناها كما تقول الكتب في عهد قتيبة بن مسلم !

مقدمة قصيرة نسوقها قبل أن نبدأ الحديث فيما نحن بصدده اليوم . . ولكن قبل أن نمضي فيه نتوقف قليلا . . لنتساءل : هل قنعنا بدورنا الجديد في هذا العالم المتطور الذي يخطو بسرعة الى مشارف القرن الجديد ؟ والجواب بالنفي . . ولقد كان وراء الصحوة التي نعيشها اليوم مع الفكر العربي المتجدد رجال آمنوا بأن لا سبيل الى اللحاق بالقافلة المنطلقة الا بالعلم ، والعلم وحده . .

الايمان بالعلم

ولعلنا نجد في كلمات سمو أمير الكويت ، أمام ممثلي الشعب الكويتي في افتتاح دورة الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي السادس لمجلس الأمة في أواخر شهر أكتوبر من العام الذي انقضى بكل ما حمله من آلام وأحزان للبشرية جمعاء . .

لعلنا نجد في هذه الكلمات المعنى الذي ذهبنا اليه في بداية هذا الكلام ، فقد قال الأمير في كلمته السامية :

« اذا كان الواقع العربي والاسلامي قد مزقته الصراعات واستنزفت الكثير من طاقاته البشرية والمادية ، فان الطريق الوحيد هو استمرار السعي ليحل الاخاء محل العداوة ، ويتحقق التعاون على بناء الحياة في عالم أصبح العلم فيه قوة ، والقوة علما . . واذا تخلفنا عن ركب العلم والقوة أصبحنا معزولين عن بناء الحياة ، وان كنا من الشاهدين » .

ولقد جاءت كلمة سموه معبرة كل التعبير عن واقعنا ، ومعبرة أكثر عما يجيش في صدره من مشاعر أو ما آمن ويؤمن به وهو يرقب أثر العلم وتأثيره في حياة الشعوب وتقدمها وحضارتها ورفاهيتها .

ولقد اختار سموه هذا المنبر الحر لينقل من فوقه هذا الايمان القوي الذي ظل يلازمه طوال رحلة الكويت بعد أن انتزعت استقلالها الذي تحتفل اليوم بعيده الفضي ، وربما قبل الاستقلال ، وهي تكافح بسواعد رجالها من أجل حياة أفضل ، ومن أجل بناء أجيال من الشباب المتعلم الواعي بأمور دينه ودنياه .

ولهذا الايمان قصة ، قد تكون فصولها الأولى قد بدأت قبل مولد أول مؤسسة من نوعها في وطننا العربي ، تلك التي اختارها « العربي » بوصفها أحد الانجازات الهامة على طريق بناء حياة أفضل ومستقبل أكثر اشراقا للكويت ولبقية أقطار الأمة العربية .

انها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي قامت في عام ١٩٧٦ ، والتي تحتفل هذا العام بمرور عشر سنوات على مولدها . .

الوالد والرئيس

لقد كان أمير الكويت هو والدها وراعيها ، وقد كان وقتها وليا للعهد ورئيسا لمجلس ادارتها الذي يضم ستة أعضاء .

وما كادت الفكرة تتبلور ، حتى سارعت غرفة تجارة وصناعة الكويت الى دعم المؤسسة الوليدة بكل الجهد المتاح لها وحتى غير المتاح . . فقد كان الهدف من قيامها ، وما زال ، يستحق كل تأييد ومساندة . . وخاصة بعد أن اتضحت معالم الصورة أكثر وأكثر مع مضي الوقت . . صورة الدور الكبير الذي تضطلع به . وقد تجلت أولى خطوات هذا الدعم في مساهمة الشركات الكويتية بنسبة خمسة في المائة من صافي أرباحها سنويا للمؤسسة العلمية الجديدة . . ليس هذا فحسب بل ان العديد من الأفراد والهيئات العامة والخاصة بادرت بدورها الى المساهمة في دعم المؤسسة التي لم يقتصر نشاطها على الكويت وحدها ، بل خرجت عن هذه الحدود الضيقة لتشمل برعايتها كل أهل العلم والفكر في مختلف الأقطار العربية والاسلامية .

وعلى مدى الأعوام الأخيرة الماضية تحددت أهداف مؤسسة التقدم العلمي وأصبح شعارها يتمثل في تشجيع القائمين على التنمية الفكرية وتقديم العون والدعم للباحثين في شتى فروع العلم والمعرفة ، وتخصيص المنح الدراسية والدورات التدريبية ، في صورة جوائز مادية وشهادات تقديرية للباحثين والمؤلفين والمترجمين في مختلف المجالات العلمية . الى جانب قيام المؤسسة بالمشاركة في سبيل التقدم الحضاري في الكويت وفي بقية الأقطار العربية والاسلامية ، كل هذا من خلال برنامج سنوي يضعه المسؤولون فيها ، وينفذ بعد موافقة مجلس الادارة .

تمويل البحوث

فالمؤسسة اذن مؤسسة تمويلية أيضا تقوم بتمويل البحوث العلمية التي ترد من الهيئات وتأتي المبادرة للحصول على منحة لتمويل بحث معين أو دراسة محددة من جانب الهيئة التي تطلب المنحة ، وعند الموافقة تصبح المنحة بمثابة التزام من جانب المؤسسة بتمويل البحث المقدم جزئيا أو كليا ، على أن هذه الموافقة لا تتحقق الا بعد تقييم مبدئي من جانب المؤسسة أولا ، ثم تقييم هيئة تحكيم خارجية بعد أن تتضح أمامها صورة المشروع كاملة من حيث الهدف والموعد التقريبي لانجازه والنفقات التقديرية لاتمامه !

مجلس ادارة

مؤسسة الكويت

للتقدم العلمي

سمو أمير دولة الكويت رئيسا

الاعضاء :

■ **عبد الرزاق الخالد**
من رجال الاعمال

■ **سعد علي الناهض**
العضو المنتدب للبنك العقاري

■ **خالد عبد الله الصقر**
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب ـ شركة مطاحن الدقيق

■ **الدكتور فهد محمد الراشد**
مدير عام الهيئة العامة للاستثمار

■ **انور عبد الله النوري**
رئيس مجلس ادارة البنك الصناعي

■ **حمد يوسف العيسى**
رئيس جمعية المحامين الكويتية

ويشارك الدكتور علي عبد الله الشملان في اجتماعات مجلس الادارة بصفته مديرا عاما لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، وكذلك المهندس سليمان العوضي الذي يقوم بأمانة السر .



الاستاذ عبد العزيز حسين والسيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت والدكتور على الشملان
فى الحفل الذى اقيم لتكريم عبد العزيز الصقر تقديرا للخدمات الجليلة التى قدمها للبلاد





شعار مؤسسة التقدم العلمى . . يدان تحتضنان صورة من صور الحياة فى كويت الأمس . . « اليوم » . (وإلى اليمين » ، الميدالية الذهبية التى تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمى مع الجائزة المالية وشهادة التقدير للفائزين بجائزة الكويت .



في حفل تكريم السيد عبد العزيز الصقر . . وزير الاعلام الشيخ ناصر محمد الاحمد الجابر ومجموعة من رجالات الكويت



سكرتارية مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . . . وقريبا سوف تنقل كل المعلومات التي يحويها ارشيف المؤسسة الى الكومبيوتر او الحاسب الآلي .

وقد كان للشباب نصيب كبير من تشجيع المؤسسة ودعمها لجهودهم ومساندتها لهم في رحلة الدراسة والتحصيل إيماناً منها بأن الشباب هو عماد الأمم وأملها في المستقبل المشرق الذي تتطلع اليه كل الشعوب . .

وقد اتخذت المؤسسة سبلا متعددة في سبيل تنمية قدرات الشباب وتطوير جهودهم ، ومن أهم هذه السبل تهيئة الوسائل العلمية والثقافية والاجتماعية وغيرها مما يساعد على النهوض بقدرات الشباب وانطلاقا من أهداف المؤسسة في تشجيع البحث العلمي لديهم ، تقوم مؤسسة الكويت للتقدم العلمي منفردة أو بالتعاون مع العديد من المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية لتحقيق ذلك ، الى جانب ارسالهم في دورات تخصصية لتنمية مواهبهم وتكريم الطلبة المتفوقين من خريجي كليات جامعة الكويت والمعاهد التابعة لوزارات الدولة من الحاصلين على معدلات عالية من بين الكويتيين وغير الكويتيين . وتتألف الجائزة المخصصة لخريجي جامعة الكويت من مبلغ نقدي (٧٥٠ د . ك) وميدالية ذهبية وشهادة تقدير ، وتتألف الجائزة المخصصة لخريجي المعاهد التابعة لوزارات الدولة من مبلغ يتراوح بين (٣٠٠ - ٥٠٠ د . ك) وميدالية ذهبية وشهادة تقدير ، كما تقدم المؤسسة مكافآت سنوية للمتفوقين من خريجي الثانوية العامة بقسميها العلمي والأدبي .

دعم قدرات الطلبة

وتتعاون المؤسسة مع وزارة التربية في تهيئة طلبة المدارس الثانوية للمشاركة في مسابقة أولمبياد الرياضيات التي تقام سنويا على نطاق دولي ، وترمي هذه المسابقة الى تعزيز قدرات الطلبة في الرياضيات وتشجيعهم على الاهتمام بهذه المادة العلمية التي تعتبر قاعدة أساسية للدراسات في مختلف فروع المعرفة . كما ان اشتراك دولة الكويت في هذه التظاهرة العلمية العالمية يساعد على التعريف بالكويت وجهودها في مضمار التعليم والثقافة .

وتهتم مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتشجيع الاطلاع بين الشباب من الطلبة والطالبات والمواطنين من خلال مسابقتها التي تنظمها سنويا بعنوان « اقرأ » والتي تهدف الى تلخيص أو تحليل أو نقد أحد الكتب العلمية أو كتب التراث العربي ، كما ترمي الى شغل أوقات فراغ الطلبة خلال العطلة الصيفية وتمرينهم على التحليل العلمي وتنمية مواهبهم الثقافية . كما تقوم المؤسسة بالتعاون مع وزارة التربية بتمويل النشاطات العلمية للأندية الصيفية عن طريق طرح المسابقات العلمية وتشجيع روح البحث والابتكار لدى الشباب .

الاهتمام بالبيئة

وتنظم المؤسسة بالتعاون مع جمعية حماية البيئة والمتحف العلمي مسابقة « الريادة » بهدف دفع الاهتمام بالبيئة بين المواطنين والمساعدة على دراسة التاريخ الطبيعي للكويت وتشجيع روح البحث والتنقيب وتنمية الذوق الجمالي والحس الفني .

وتشارك المؤسسة في العديد من نشاطات النادي العلمي ، حيث تقوم بتمويل العديد من نشاطات النادي العلمية وأقسامه وتوفير العديد من الأجهزة العلمية له ، وكذلك ايفاد بعض أعضائه في دورات تدريبية تخصصية في البلدان المتقدمة . ومن أبرز المشروعات التي مولتها المؤسسة . مشروع مرصد العجيري .

وتتبنى المؤسسة برنامج « كاتب وكتاب » ، وذلك ايمانا منها بجدارة اللغة العربية في استيعاب كافة العلوم وأصالتها في تبني مختلف الثقافات ، ويقينا منها بأن القراءة أقوى أداة في نشر الوعي بين الشباب ، فقد قامت المؤسسة باصدار العديد من الكتب التي تخدم الشباب والشبيبة ، وأصدرت كتابا بعنوان « دليل الآباء والمعلمين في مواجهة المشكلات اليومية للأطفال والمراهقين » والكتاب يمثل اتجاها نفسيا تربويا معاصرا لتقديم وصفة تربوية نفسية مبسطة لكل من الآباء والمعلمين .

بالاضافة الى العديد من الكتب التي تخدم الشباب ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب خبرة من أنا ، رعاية الحضين ، فضاء المعرفة ، التقنيات التربوية ، زيادة النبات في الكويت وبلغ عدد اصدارات المؤسسة ٤٣ كتابا حتى الآن .

دور « الشيخ أحمد الجابر »

في رعاية العلم والثقافة

حكم الكويت من (١٩٢٠ - ١٩٥٠)

□ يقول أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب الجزء الثاني ، عن دور الشيخ أحمد الجابر في نشر الثقافة وتشجيعها في الكويت :

« ومهما كان عن منزلة الشيخ أحمد بين أهله فانه في المساعي الثقافية مذكور .

وسيعرف عهده بعهد النهضة الثقافية التي تشرف العاملين في سبيلها . أجل ان في الكويت نهضة لها ركنان ، المكتبة الاهلية هناك والمدارس النهارية والليلية ، وهي تتغذى فوق ذلك بما تثمر العلوم والآداب العصرية في سوريا ومصر . ثم تبث روحها في الربوع التي لا تصل اليها الجريدة والمجلة ، ولا ينفع فيها الكتاب لأن ليس فيها اليوم مدارس .



أجل ، كما ان سفن الكويت الشراعية تصل الى الاساكل التي لا تدنو منها البواخر الكبيرة ، فكذلك أدباء الكويت في اختلاطهم مع البدو واسفارهم في داخل البلاد العربية يستطيعون أن ينشروا روح العلم والتهذيب ، روح القومية السليمة في العشائر والبوادي وفي المدن الكبيرة » .

والشيخ أحمد الجابر هو والد سمو أمير الكويت راعي النهضة العلمية الحديثة في البلاد .

العلم للناشئة

كما تشارك المؤسسة مع مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الكويت ، وزارة الاعلام ، وزارة التربية ، النادي العلمي في انتاج سلسلة (العلم للناشئة) وذلك بهدف تنمية التفكير العلمي لدى الناشئة خاصة والمجتمع بصورة عامة ، وابراز دور الحضارة العربية الاسلامية وأثرها في تطوير العلوم والمعرفة ، والتأكيد على أهمية التفاعل المتبادل بين العلم والمجتمع ، وربط العلم بالايمان والخير وقدرة الخالق ، وكذلك لابراز دور العلوم في تطوير الوطن العربي .

وشاركت المؤسسة كذلك مع مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك في انتاج سلسلة أفلام (كنوز الخليج) ، وهذه الافلام تخدم نشر الثقافة العلمية بين المواطنين ، وهي تظهر علاقة سكان الكويت بالخليج من الناحية الترفيهية والتجارية وكمصدر للمواد الكيماوية لتهيئة الشباب للاهتمام بالخليج علميا والمشاركة في الهوايات المتعلقة بالأنشطة البحرية . .

تطوير التعليم

وتشارك المؤسسة في العديد من المشاريع العلمية بالتعاون مع الجهات الرسمية في البلاد التي تخدم تثقيف وتطوير قدرات الشباب كستة الشباب الدولية ، وكذلك مشروع بحث تطوير نظام التعليم بالكويت الذي يهدف الى وضع خطة مستقبلية لتطوير واقع التعليم من كافة جوانبه التي من شأنها مواكبة التقدم الاقتصادي والاجتماعي والطموحات



والرعيل الاول ، كانوا في مقدمة الذين كرمتهم المؤسسة .. الاستاذ عبد العزيز حسين يصافح الاخ الكبير خليل القلاف احد بناة السفن الشراعية

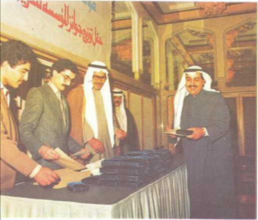


المبنى الجديد لمؤسسة التقدم العلمي بشارع أحمد الجابر .. سوف يتم الاحتفال بافتتاحه في شهر مارس القادم .



راشد الراشد وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء يسلم جائزة الكويت لكريمة احمد بشر الرومي الذي فاز بالجائزة بعد رحيله





الشباب هم امل الشعوب ومستقبلها .. وقد اولتهم المؤسسة اهتماما خاصا فحرصت على تكريم المتفوقين وتشجيعهم ماديا وادبيا وفي الصورتين . طالب وطالبه وتهنئة حارة من المدير العام للمؤسسة ومن السيد احمد المزروعى المدير العام السابق للهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب .

المستقبلية لدولة الكويت، وبخاصة ما يتعلق في دراسة الطلبة، واعدادهم للحياة المهنية وتحمل المسؤوليات الاجتماعية، وهناك مشروع «ظاهرة عزوف الشباب الكويتي عن الثقافة العلمية ودور النادي العلمي الكويتي في التغلب عليها»، وهذا المشروع تموله المؤسسة بهدف دراسة مظاهر هذا العزوف وحجمه وأبعاده والاسباب التي أدت الى ذلك وكيفية تطويره لدعم النادي العلمي حتى يمكن القيام بدوره المرتقب في التغلب على هذه الظاهرة.

خمس جوائز

ولعل أبرز ترجمة لنشاطات المؤسسة هي تلك التي تتمثل في تقديم الجوائز والمكافآت على مستوى دولة الكويت والوطن العربي كله، وعلى المستوى العالمي حيث تقوم بالاعلان عن الجوائز المقدمة لمن يستحقها على المستويات العالمية والعربية والمحلية في مناسبات يتم فيها تكريم ومكافأة الدارسين والباحثين، وتمنح المؤسسة حاليا خمسة أنواع من الجوائز. أما الجائزة الاولى فهي التي تحمل اسم الكويت وهي على مستوى الوطن العربي ودولة الكويت وتمنح سنويا في مجالات العلوم الاساسية والعلوم التطبيقية والتراث العربي والاسلامي والفنون والآداب والعلوم الاقتصادية والاجتماعية.. ويقبل الترشيح للحصول على هذه الجوائز من الجامعات والمراكز الاكاديمية والعلمية ومن الافراد، ولا يقبل الترشيح عن طريق الهيئات السياسية.

أما الجائزة الثانية فهي تلك التي تقدم للمؤلفين والمترجمين في معرض الكتاب العربي، وهي مرة

الفائزون بجائزة الكويت

* الدكتور رؤوف شاكر ميخائيل «مصر» (العلوم الاساسية - الكيمياء).
* الدكتور علي الراعي «مصر» والدكتور محمد يوسف نجم «لبنان» (الفنون والآداب - الحركة المسرحية المعاصرة في الوطن العربي).
* المرحوم صقر الرشود «الكويت» (الفنون والآداب - الحركة المسرحية المعاصرة في الوطن العربي).
* الاستاذ سمير رضوان «مصر» (العلوم الاساسية - البيولوجيا).
* الشاعر أحمد رامي «مصر» (الشعر الغنائي العربي).
* الدكتور احمد سليم سعيدان «الاردن» (التراث العربي الاسلامي - تاريخ الرياضيات عند العرب).
* الدكتور محمد الرميحي «الكويت» (العلوم الاجتماعية والاقتصادية - التطور الاجتماعي في الوطن العربي خلال العقدين الماضيين).
* الدكتور علي حسن نايفة «الاردن» (العلوم الاساسية - الفيزياء).
* الدكتور خالد عبدالسلام الشاذلي «مصر» (العلوم التطبيقية - موارد الغذاء).
* الدكتور يوسف عبدالله الصايغ «فلسطين» (العلوم الاجتماعية والاقتصادية - التنمية الاقتصادية في الوطن العربي).
* الدكتور خالد بن عبدالله «الجزائر» والدكتور احمد رمزي سرور «مصر» مناصفة بينهما (العلوم الاساسية - الرياضيات).
* الدكتور موسى راسم كمال «الاردن» والدكتور عادل فارس صاروفيم «مصر» مناصفة بينهما (في العلوم التطبيقية - الهندسة البتروكيماوية).
* الدكتور مدبولي حامد نوير «مصر» (العلوم التطبيقية - العلوم البيئية التطبيقية).

أخرى على مستوى الوطن العربي . ويقام هذا المعرض كل عام على أرض الكويت والهدف منه هو اتاحة الفرصة لتبادل المعلومات من خلال الانتاج الفكري في الاقطار العربية ، والمؤسسة في هذا المجال انما تعبر عن رغبة صادقة في تشجيع المؤلفين في الاقطار العربية واعطاء حركة التأليف والترجمة مزيدا من الدعم الاقتصادي والادبي . . وهي في واقع الامر أربع جوائز ، لا جائزة واحدة ، فهناك جائزة سنوية لأحسن كتاب مؤلف في العلوم باللغة العربية ، وأخرى لأحسن كتاب في العلوم مترجم الى اللغة العربية بين الكتب التي تعرض في معرض الكتاب العربي في نفس العام الذي يقام فيه معرض الكتاب .

وهناك أيضا جائزة تقدم لأحسن كتاب مؤلف في الفنون والآداب ، كما تقدم جائزة أخرى لأحسن كتاب مترجم في هذا الحقل .

ثم جائزة ثالثة لأحسن كتاب مؤلف عن الكويت ، ورابعة لأحسن كتاب مؤلف عن الطفل العربي ، سواء كان بين الكتب التي شاركت في معرض الكتاب أو في مهرجان كتاب الاطفال ولعبهم الذي يقام في تلك السنة .

. . وفي الزراعة أيضا

والزراعة التي كانت بداية استقرار الانسان على الأرض ، كان أيضا لها نصيب من تشجيع المؤسسة التي أخذت على عاتقها دعم هذا المجال الحيوي عن طريق تقديم ثلاث جوائز سنويا للعاملين في الحقل الزراعي في ميادين استخدام الاساليب العلمية والتكنولوجية لزيادة المحاصيل الزراعية ، أو تنويع

---

* الدكتور ابراهيم شحاتة « مصر » والدكتور حازم بيلاوي « مصر » ، مناصفة بينهما ، (في العلوم الاقتصادية والاجتماعية - الاستثمار في الوطن العربي .
* الدكتور عز الدين اسماعيل «مصر» والدكتور محمد زكي العشماوي « مصر » مناصفة بينهما في الفنون والآداب - تاريخ الأدب العربي الحديث» .
* الاستاذ خالد سعود الزيد « الكويت » (تاريخ الادب العربي الحديث) .
* الدكتور عبدالحميد يونس « مصر »والمرحوم الاستاذ احمد بشر الرومي « الكويت » مناصفة بينهما ، (في الفنون والاداب - المأثورات الشعبية) .
* الاستاذ حسن صالح شهاب « اليمن الجنوبي » (احياء التراث العربي والاسلامي - الملاحة عند العرب) .
* الدكتور انور عبدالعليم « مصر » (العلوم الاساسية - بيولوجيا البحار) .

وقيمة جائزة الكويت عشرة آلاف دينار كويتي وميدالية ذهبية وشهادة تقديرية .



المقر الجديد لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، اقيم في شارع احمد الجابر ، والد سمو الامير . . ولم يكن مجرد صدفة ، وانما كان تكريما لجابر الاب الذى شهد عهده اول نهضة ثقافية فى الكويت .



راشد الراشد والدكتور على الشملان يقدمان جائزة الكويت للدكتور عبد الحميد يونس من مواطنى جمهورية مصر العربية



جانب من اصدارات مؤسسة الكويت للتقدم العلمى غير الدورية وقد اعلن مدير عام المؤسسة عن قرب صدور العدد الاول من مجلة العلوم الامريكية باللغة العربية .



الاستاذ عبد العزيز حسين يصافح نجل الدكتور ابراهيم دبور أحد مؤلفى كتاب الآفات الحشرية والحيوانية وطرق مكافحتها فى المملكة العربية السعودية .. لقد توفى الاب المؤلف قبل توزيع الجوائز ، وجاء الابن الصغير ليتسلم الجائزة بالنيابة عن والده .



الدكتور العوضى يهنىء الدكتور نبيل خليل من مواطنى العراق على فوزه بجائزة الكتاب العربى



في آخر حفل اقامته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، فازت خمسة كتب بالجائزة واصحابها من اليمين . د . عمر فروخ ، د . رشدي

هذه المحاصيل وهذه الجوائز مقصورة على المستوى المحلي وحده .

ثم جائزة السرطان التي تقدمها المؤسسة على المستوى العالمي بالتعاون مع الاتحاد الدولي للسرطان وهي تقدمها للعاملين المبرزين في أحد مجالين ، الاول في البحوث الاساسية لمرض السرطان ، والثاني التطبيقات العملية لهذا المرض الذي ما زال يفتك بملايين البشر كل عام ، وما زال العلم يقف أمام انتشاره عاجزا رغم البحوث المضنية المستمرة التي تجري في كل أنحاء العالم من أجل اكتشاف دواء لهذا الداء القاتل .

لم تترك مؤسسة الكويت للتقدم العلمي مجالا من مجالات العلم والبحث لم تشارك فيها مشاركة أدبية ومادية بناءة من أجل حياة أفضل للأجيال القادمة . . .

فهذه رسالتها ، كما يلخصها مديرها العام الدكتور علي الشملان . . ولعلنا نجد في جوائز الطب الاسلامي التي تقدمها المؤسسة على المستوى العالمي ، المعنى الذي قدمنا به لهذا الانجاز الذي تحقق بفضل تشجيع أمير الكويت الذي يحمل اليوم لواء النهضة الفكرية والعلمية في بلده وفي بقية أقطار الأمة العربية كلها . .

فالعالم اليوم يشهد عودة حثيثة الى أساليب العلاج التي عرفها أجدادنا عندما كانوا يعتمدون على الأعشاب الطبية منذ مئات السنين ، ولقد كان لهم الدور الرئيسي والمؤثر في انتشار هذه الاساليب التي اعترف بجدواها علماء الشرق والغرب ، وتقوم منظمة الطب الاسلامي بتمويل من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتقديم جوائز سنوية في هذا الحقل الذي يشتمل على انجازات الحضارة الاسلامية في الطب وفي العلوم المتصلة به ، وكذلك في البحوث التطبيقية الطبية لذخائر تلك الحضارة ، وتمنح المنظمة جوائزها في مجالي الممارسة والتطبيق ، بشرط أن يكون انتاج من يحصل على الجائزة جديدا ومبتكرا وله أهميته في هذا الحقل ، أو أن يكون قد أدى خدمات جليلة في هذا الميدان . .

كيف تصل الجوائز لمستحقيها

ثم ماذا . . ان الحديث عن المؤسسة ونشاطاتها يطول ، ولن نستطيع بما اوجزنا ، أن نلم بكل أوجه النشاطات التي تمارسها وتشارك فيها على هذه



فتوح ،ودكتور سعيد صايغ ودكتور جابر عصفور ، ودكتور فؤاد زكريا وقام الاستاذ راشد الراشد بتوزيع الجوائز على الفائزين

الصفحات القصيرة ، ولكن تبقى بعد هذا ناحية هامة لم نتعرض لها وهي أسلوب التحكيم الذي يصل في النهاية بالجوائز الى مستحقيها .. اذن فلا بد من وقفة قصيرة هنا ..

يقول الدكتور علي الشملان :

« ان مجلس الجوائز بالمؤسسة يتألف من لجان تحكيم من العلماء البارزين في كل حقل من الحقول المعلنة ، وتقوم كل لجنة من هذه اللجان وعددها خمس ، بدراسة انتاج المتقدمين ، وتقييمها بصورة دقيقة وفق معايير علمية محددة أهمها الابتكار والاستقلالية والاعداد والأصولية والغزارة وتبادل الافكار والخبرات مع الآخرين والتطبيقات العملية وأخيرا تأثير الانتاج المقدم على فروع العلوم المختلفة ، وهي ترفض من يحصل على أقل من ٨٥٪ ، ثم تعيد النظر في المرشحين الذين حصلوا على نفس هذه الدرجة أو أكثر ، وتفاضل فيما بينهم لتقدم تقييما نهائيا على شكل تقرير مرفوع الى مجلس الجوائز بالمؤسسة ، ويتضمن التقرير الأسس التي اتبعت في التقييم والأسباب التي تبرر الترشيح .

وعلى اثر ذلك يتم عرض التقارير الواردة من لجان التحكيم على مجلس الجوائز ويتخذ بشأنها التوصيات المناسبة ، وبعدها يقدم مجلس الجوائز ، الذي يرأسه مدير عام المؤسسة توصياته الى مجلس ادارة المؤسسة لاتخاذ القرار النهائي بشأنها .

وتتولى المؤسسة الاعلان عن أسماء الفائزين ، ويتم تبليغهم بذلك ، كما تخطرهم بموعد الاحتفال بتوزيع الجوائز عليهم وتدعوهم لحضوره ضيوفا عليها لمدة أسبوع . ويقوم كل واحد من الفائزين بالقاء محاضرة عامة تتناول شرحا للبحوث والنتائج التي رشحته للفوز بالجائزة .

الكتب الفائزة

والعودة الى كل الكتب التي فازت بالجوائز على مدى السنوات الماضية لن يكون سهلا في هذا المجال المحدود ، واذن سوف نكتفي بآخر حفل أقيم لتوزيع الجوائز على الكتب الفائزة في العام الماضي .

ففي شهر ديسمبر من عام ١٩٨٥ ، وزعت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي جوائزها على الفائزين بجوائز معرض الكتاب العاشر الذي أقيم في عام ١٩٨٤ ، وقيمة كل جائزة هي ثلاثة آلاف دينار كويتي وشهادة تقدير من المؤسسة للمؤلف الفائز ،



راشد الراشد والدكتور علي الشملان وتهنئة للسيد حسن صالح شهاب من مواطني جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، بمناسبة فوزه بجائزة الكويت .

الى جانب ألف دينار مكافأة لدار النشر التي تولت طبع الكتاب وتوزيعه .

وقد فاز بجائزة أحسن كتاب مؤلف في العلوم مناصفة ، كل من الكتابين « القلب في الصحة والمرض » تأليف الدكتور سعيد الصايغ . « وأساسيات في علم الفسيولوجيا » تأليف الدكتور رشدي فتوح عبدالفتاح ، من منشورات جامعة الكويت .

أما في مجال الآداب والانسانيات ، فقد فاز بجائزة أحسن كتاب - مناصفة أيضا كل من الكتابين : « تاريخ الادب العربي » تأليف عمر فروخ ، و « المرايا المتجاورة » ، تأليف الدكتور جابر عصفور والاخير من منشورات الهيئة العامة للكتاب بجمهورية مصر العربية .

وكان أحسن كتاب مترجم الى اللغة العربية في مجال الفنون والآداب والانسانيات هو « حكمة الغرب » ترجمة الدكتور فؤاد زكريا وهو من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت .



خالد سعود الزيد فاز بجائزة الكويت. عن بحثه في تاريخ الأدب العربي الحديث .

وقد حجبت جوائز أحسن كتاب مؤلف عن الكويت وأحسن كتاب مؤلف للطفل العربي، وأحسن كتاب مترجم في العلوم، لعدم رقي الانتاج المقدم لمستوى الجائزة.

هكذا تزدهر الحضارات

وفي الحفل الذي أقيم لتوزيع الجوائز وشهده عدد كبير من رجال الفكر والعلم والأدب تحت رعاية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء، ألقى الوزير كلمة معبرة قال فيها: «لا يمكن لحضارة أن تنمو وتزدهر دون الاعتماد على البحث الاصيل والتأليف المبتكر والترجمة المبدعة. فبالبحث تتفتح آفاق جديدة، وتكتشف وسائل خلاقة، وبالتأليف تترابط النظريات المبتكرة وتتوضح تطبيقاتها لتأخذ مكانا متكاملا في عالم المعرفة. وأما الترجمة المبدعة ففيها تنقل الأفكار من حضارة الى أخرى، فتمتزج الآراء وتتفاعل النظريات وبذلك تمهد السبيل الى بحث أعمق وتأليف أحدث. وهكذا كان شأن الحضارة العربية في عصرها الذهبي».

مناسبة عزيزة

أما الدكتور علي الشملان مدير عام المؤسسة فقد قال في كلمته: «لقد دأبت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، على اقامة مثل هذا الاحتفال كل عام بمناسبة عزيزة هي افتتاح معرض الكتاب على أرضنا الطيبة. وتشترك في هذا المعرض دور النشر الكبرى في الوطن العربي الكبير بما تنشره من كتب قيمة في فروع المعرفة المختلفة، ويسعى المعرض الى تيسير سبل الاتصال بين القراء والمؤلفين والكتاب والمترجمين والناشرين وذلك عن طريق الكتب المنشورة، كما يهدف المعرض الى تسويق هذه الكتب من خلال الجهود المتواصلة للقائمين على المعرض، وأصبح من المؤكد الآن بعد مرور عقد من الزمن على اقامة أول معرض، أنه يأخذ مكانة مرموقة في عالم الطباعة والنشر. ولقد أخذت المشاركة فيه تنمو سنة بعد أخرى مما يشير الى نجاحه المستمر، ويبعث على الأمل في مزيد من المشاركة والنجاح».

نموذج يحتذى

وفي الكلمة التي اختتم بها الدكتور فؤاد زكريا الحفل بالنيابة عن نفسه وعن زملائه الفائزين بالجوائز نستطيع أن نستخلص المعنى الكبير لهذا المهرجان الثقافي، فقد قال:

«في يومنا هذا يلقى الكتاب تكريما مزدوجا: اذ تشهد الكويت تلك التظاهرة الثقافية السنوية الكبرى، التي يقام فيها معرض للكتاب يقدم للجماهير الواسعة أحدث ما أنتجته المطابع العربية والأجنبية من نتاج العقل البشري.

«والحق أن الاقبال الهائل الذي يلقاه معرض الكتاب في كل عام، والذي جعل أيامه أشبه بعيد ثقافي تنتظره كل أسرة وتحرص على ألا تفوتها فرصة المشاركة فيه، لهو أوضح دليل على أن جذوة الثقافة، برغم كل ما توحي به المظاهر، وبرغم كل مصاعب الحياة الخاصة والعامة، لم تخمد بعد في نفوس الناس.

وفي هذا الوقت من كل عام، يشهد الكتاب تكريما آخر، هو تلك السنة الحميدة التي استنتها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، بتقديم جوائز لأحسن الكتب التي ظهرت في العام الأسبق تأليفا وترجمة في ميادين مختلفة للاداب والعلوم.

ولقد أثبتت المؤسسة أن نظرتها الى الثقافة قومية شاملة، فجعلت لكل فرع جائزتين إحداهما تخص الكويت، والأخرى تخص سائر البلدان العربية، وهو تأكيد لمعنى رفيع هو أن الثقافة العربية وحدة لا تتجزأ، وأن العمل القيم يستحق أن يلقى التكريم حتى خارج حدود وطنه.

انني أحيي جميع المسؤولين عن معرض الكتاب، تلك التظاهرة التي تنقل شعبا بأكمله، أياما معدودة في كل عام، من مشاغل الحياة اليومية الى عالم الابداع والمعرفة والخيال، وأحيي مؤسسة التقدم العلمي على برنامجها السنوي في تشجيع الناشرين والمؤلفين والمترجمين، ولا يخالجني شك في أن هذا التشجيع نموذج رائد جدير بأن يحتذى في كافة أرجاء وطننا العربي».

والى يوم يتحقق فيه هذا الأمل فنرى مهرجانا للعلم في كل قطر من أقطار وطننا العربي الكبير. □



حكايات شرق وغرب

□ من أجل قطتيـــــه !

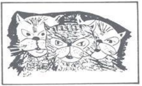
كان شابا عندماقبض عليه رجال الشرطة فى مدينة هامبورج الألمانية ، وقدم للمحاكمة بتهمة قتل سيدتين فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة !

وفى العام الماضى أتم القاتل هيربرت سولف مدةالعقوبة التى حكم عليه بها ، واقترب الافراج عنه ، فخطر له أن يطلب الى مدير السجن أن يسمح له بالخروج لمدة ٢٤ ساعة ، يجرب فيها حظه فى العثور على عمل يرتزق منه ، عندما يعود لمواجهة الحياة . .

وخرج سولف الذى كان قد اقترب من عامه الخمسين الى الشارع ، وبهرته شمس الحريةالتى حرم منها ربع قرن من الزمان ، وقرر الا يعود الى السجن مرة أخرى ، ليقضى الأيام الباقيةقبل أن يستعيد حريته كاملة !

وبدأت الشرطة على الفور حملة واسعة النطاق للبحث عن سولف ، لكنه كان قد اختفى تماما !

ولكن مدير السجن لم ييأس . . تذكر القطتين الصغيرتين اللتين شاركتا سولف زنزانته فى السجن ، عند منتصف رحلته وراء القضبان ، وكيف كان يتقاسم طعامه معهما فأسرع يدعو الصحفيين لحضور المؤتمر الصحفى الذى عقده فى مكتبه وقال : « سوف أضطر آسفا الى اعدام القطتين ، اذا لم يعد سولف الى زنزانته خلال اليومين القادمين !



ولم يكد تصريح مدير السجن يظهر فى الصحف ، حتى دق جرس التليفون فى مكتبه ، وكان المتحدث على الجانب الآخر هو سولف السجين الهارب : « أتوسل اليك الا تنفذ تهديدك . سوف أعود الى السجن خلال ساعات ! »

وعاد سولف وتجمع الصحفيون حوله فى الزنزانة التى كان يقف فى ركن منها ، وقد ضم قطتيه الصغيرتين الى صدره : « اننى لن أنسى هاتين الصديقتين الصغيرتين اللتين كانتا سلواى فى أقسى سنى حياتى فى السجن . . هل تتصورون أننى رجل بلا قلب ، حتى أترك قِطتيَّ تموتان من أجلى ! ؟ .

□ . . وأخيرا تكلم البيغـــــاء !

احتدم النزاع بين الأرملتين . . كل منهما تقسم على انها صاحبة البيغاء الهارب . ! والبيغاء فى قفصه يرفض الكلام منذ عام ١٩٨٢ ، عندما عثر عليه أحد سكان مدينة بون عاصمة المانيا الغربية ، وحمله الى عمدة المدينة فى قفص جديد اشتراه له !

ولكن اقامة البيغاء فى بيت العمدة لم تطل ، فقد تقدمت الأرملة الأولى السيدة جريتا ماير التى بلغت الخامسة والخمسين ، وقالت للعمدة : ان البيغاء الذى يحتفظ به هو ملك لها ، وأنها جاءت لتستعيده ، وحملت جريتا طائرها المدلل ، وعادت

به ، حيث وضعته فى شرفة البيت الذى تعيش فيه .

ولم تكد تمر بضعة أيام حتى بدأت المتاعب ، فقد شاهدت الأرملة الثانية وتدعى كريستين شميدت الببغاء فى الشرفة ، فأسرعت تتقدم ببلاغ الى الشرطة تقول فيه ان السيدة « مارتا » قد سرقت ببغاءها . .

ولم يكن هناك مفر من عرض الأمر على القضاء . . ووقفت السيدتان فى انتظار الحكم الذى سيصدره القاضى . . ولكن الرجل ما لبث أن وجد نفسه فى حيرة . . فلم تستطع احدى السيدتين أن تقدم دليلا واحداعلى انها صاحبة الببغاء . .

وأخيرا قرر القاضى اعادة الببغاء الى بيت العمدة حتى يتم الفصل فى النزاع الذى احتدم بين السيدتين ، وشغل الصحف والرأى العام .

ومرّت ثلاث سنوات ، وكلما تحدد موعد لنظر القضية قرر القاضى تأجيلها لعدم توافر الأدلة . . وأخيرا ومنذ أسابيع قليلة مضت ، جاءت السيدتان كما تعودتا الى قاعة المحكمة ، فقط كانت هناك مفاجأة تنتظرهما ، فقد . . رأى القاضى أن يحضر الببغاء أيضا الجلسة ، فحملوه الى القاعة فى قفصه ، وما كادت الجلسة تبدأ ، وتظهر السيدتان أمام القاضى ، حتى تكلم الببغاء ، قال : « كيف حالك يا جريتى ، لقد افتقدتك كثيرا ! وجريتى هو اسم الدلع الذى كان ينادى به صاحبته جريتاماير !!

وأغلق القاضى ملف القضية التى حيرته أربع سنوات !!

□ قصـــة وفــــاء

كان عمله المتواضع يستغرق كل وقته ، فقد كان يعمل « كناسا » فى شوارع مدينة نيس بفرنسا . . وكان يعود الى غرفته التى لا يشاركه فيها أحد ، منهكا متعبا فى نهاية النهار ، فيمضى جانبا من الليل ، وحده يفكر فى هذه الحياة الرتيبة المملة التى يحياها ، وكيف يستطيع أن يخرج منها ، وماذا يفعل ؟

وفى أحد الأيام خرج جان ريكو الى عمله فى الصباح يكنس الشارع ، عندما فوجىء بكلب صغير جائع يرقد بجوار صندوق القمامة . . ورق قلبه لهذا المخلوق الضعيف ، واقترب منه يداعبه ، واذا بالكلب يترك مكانه ويتبع صديقه الجديد طوال رحلته

خلال النهار ، حتى حان موعد الغداء ، فجلس بجواره يتقاسمان الطعام الذى تعود الكناس أن يحضره معه !

وعندما انتهى يوم العمل ، لم يكن جان وحده وهو عائد الى غرفته ، فقد كان يرافقه صديقه الذى اختار أن يسميه « زوزو » . . ولأول مرة أحس العامل البسيط أنه لم يعد يعيش وحده ! وتزوج جان ، وانتقل الى العيش مع عروسه فى بيت مستقل ومعهما « زوزو » ، ولكن الكلب الوفى ، لم يتوقف عن مرافقة صاحبه الى عمله كل صباح ، رغم كل

المحاولات التى كانت تبذلها الزوجة لاقناعه بالبقاء معها فى البيت .

بدأت هذه القصة منذ سبعة عشر عاما . . وفى هذا الأسبوع مات جان . . أصيب بنوبة قلبية أثناء تأدية عمله ، ونقلوه الى المستشفى ، ولكنه فارق الحياة قبل أن يصل اليها !

وعلى مدى أسبوع كامل ، ظل « زوزو » يخرج من البيت فى نفس الموعد الذى كان يخرج فيه صاحبه ، فيذهب الى نفس الشارع الذى كان يقوم بكنسه وتنظيفه ، حيث يقف حائرا يبحث عن صاحبه الذى ذهب ! . . حتى اذا حانت لحظة العودة الى البيت ، قفل راجعا ، وقد بدا حزينا مكتئبا . .

وفى نهاية الأسبوع ، لم يخرج « زوزو » كعادته كل صباح فى رحلة البحث عن صديقه الذى افترق عنه ، ولكنه خرج الى الشرفة فى الطابق الرابع ، ثم ما لبث أن قفز منها الى الشارع ومات !

قالت أرملة جان : « لقد انتحر زوزو » حزنا على سيده . . انه لم يقرب الطعام منذ أن رآه يسقط أمامه فى الشارع ، عندما فاجأته النوبة القلبية ، فقرر أن يضع هو الآخر نهاية لحياته فى الشارع أيضا . . لقد انتحر « زوزو » !

قصة

لقاء لم يتم

بقلم : محمود الريماوى

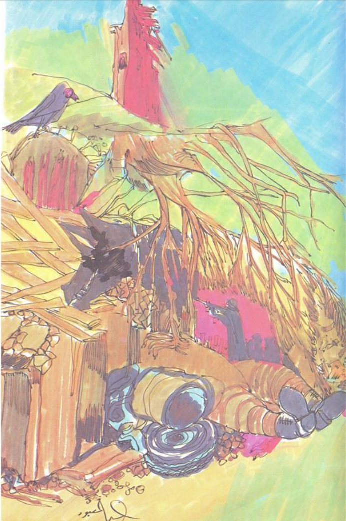
كنت قد نجوت بأعجوبة وفزت بالحياة مرة أخرى . وفيما كنت أغالب الاختناق الذى لم يلبث ان تبدد تدريجيا . . اكتشفت ان ذلك بحد ذاته مدعاة للانقباض أيضا . فقد دفعت ثمنا باهظا من أجل أن أفوز فقط بما كنت فائزا به في الأصل !

بعد أن هدأ كل شيء ، وبقيت حيا ووحيدا (تماما كما كنت من قبل) رأيت فجأة شيئا يتحرك كشبح ضئيل ، وقد بدا لى ظهوره محتوما ، كأن الحطام تمخض عنه فأخرجه حيا يسعى . تصورته في البدء قطا ، ثم خلته كلبا . . فاذا به ذئب . ذئب حقيقى يتهادى فوق الحطام بتؤدة وخفة . يرفع رأسه الى السماء . . يتأهب لقضم غيمة قريبة . . يثب ، يرفع جذعه وأقدامه الأمامية حتى يلامس ذيله التراب . ثم يترك الغيمة وشأنها ، ويخفض رأسه ليشمشم ما تحته وما حوله على عجل . ذئب أرضى لاشأن له بالسماء العالية ، وهو فوق ذلك ذئب جميل ، وعلى شيء من الوداعة . هكذا رأيته في ساعة الهول . لعله نسى أنه ذئب . أو أنه تخلى عن ذئبيته « في هذا الظرف العصيب الذى ينادينا أن ننكر ذواتنا » لقد ذهبوا ولم يبق هناك من يعنيه النداء سوانا : الذئب وأنا . أقدامه الدقيقة تقرقع الحطام وتعبث به بنزق . . لمجرد العبث . وجسمه يتقافز جذلا تحت الشمس ، حتى يستوى ثانية وينساب مختالا رشيقا ، كما ينساب ذئب حاذق بعين حشد من الأغنام الغافلة .

لم أر في الحق ذئبا جميلا كهذا تحت سماء صافية كهذه . كان الحطام شاملا - لم يتركوا شيئا الا وجعلوه حطاما - ولم يكن هناك أثر لبشر : اذن ليس هناك أعداء يقطعون على الذئب طريقه ، وينغصون عليه حياته . ثمة فقط مشاهد غريبة : شظايا أغصان ، مواسير مياه منفجرة ، سيارات مقلوبة ، أوراق مبعثرة ، بيوت خربة ، طارت أبوابها وشبابيكها ، أثاث منزلى ملقى في الطرقات ، وروائح كريهة تنبعث من هنا خفيفة ومن هناك شديدة . . وأصداء بشرية أقل خفوتا من صوت الهواء .

يمشى الذئب بملء وحدته وسطوته : كل الوقت وكل الأمكنة له ، يتدرج كغزال ، ينكش الحطام كدجاجة ، يتثنى كقطة ، يقتعد الأرض كبورجوازي مظلوم سرقوا سيارته . يرفع عقيرته بعواء أبح ، يشبه غناء أحدنا في الحمام ، وكان يكفى أن يرانى لكى يصبح هذا الذئب ذئابا ، وأصير لقمة سائغة له و . . بالفعل فقد استدار فجأة اذ أدرك بغريزته وحواسه أن مخلوقا آخر يتحرك ويشاركه المكان . كنت أقف على شرفة أرضية لبقايا بيت يجاور الطريق ، أستطلع نتائج الهول ، وأفكر بماذا يتعين على أن أفعل . رآنى على الفور ، فاندفع طائرا مذعورا باتجاهى ، مخلفا وراءه عواءه الجريح . أدرت وجهى عنه في الحال اتقاء لشر داهم ، فاذا هو قد تجاوز في لمح خاطف .

التقطت أنفاسى حين رأيته يبتعد ، ثم يتوقف عند نفس المسافة التى كانت تفصلنى عنه من قبل ، ولكن في الاتجاه المعاكس ، وقد لاحظت في تلك الاثناء أنه مر بى دون أن تتلاقى نظراتنا أبدا . توقف لبرهة . ادار رأسه صوبى في التفاته سريعة ، ربما ليتأكد مرة أخرى من صحة ما رآه . ثم استأنف مشيه على نحو أسرع قليلا من قبل . لم يعد يتثنى ويتمايل ويتهادى ، لقد رأيته يمشى بتثاقل وضجر رغم سرعته الظاهرة ، لكأنما أصيب بصدمة : فمازال ثمة فساد في الأرجاء ، على غير ما تعود في بادىء الأمر . وفيما أخذ يزداد ابتعادا هبط قلبى وكدت أهتف . . كدت أصرخ . . وكدت أعوى ، بل حاولت ذلك ، ولما لم أستطع . هممت أن أعدو وراءه ، كنت في حاجة رغم أي شيء رغم أى خطر ، لأن أراه عن قرب ويرانى ، لكن نهاية الطريق سرعان ما ابتلعته ، ولم أعد أرى حولى سوى الحطام وقد ازداد هولا ووحشة . □



مأزق النمو الحضري في العالم الثالث

بقلم : الدكتور فضل أيوبي

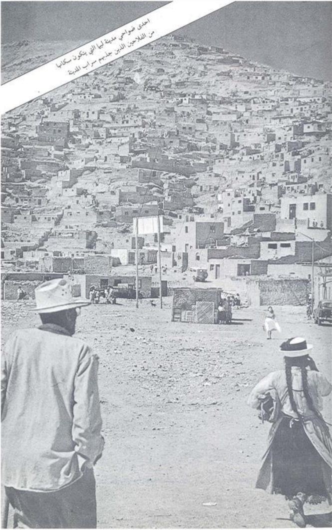
شهدت معظم المدن في العالم الثالث نموا حضريا كبيرا - أي زيادة المدن عددا وحجما - خلال العقود الثلاثة الماضية ، وسوف تعرف نموا جديدا من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠ ، وهذا ما يشكل قلقا بالغا ، ليس فقط بالنسبة لحكومات الدول النامية ، بل للمجتمعات الغربية .

هل التحضر ظاهرة أوجدتها الثورة الصناعية ؟ ماهي الأسباب المكونة لها ؟ وهل يمكن مقارنة النمو الحضري الحالي في البلدان المتخلفة مع النمو الذي عرفته مدن العالم المصنع ؟ وما هي النتائج التي يمكن أن تشكلها هذه الظاهرة على كل من الريف والمدينة ؟ وكيف يمكن معالجة اثارها السلبية . ؟

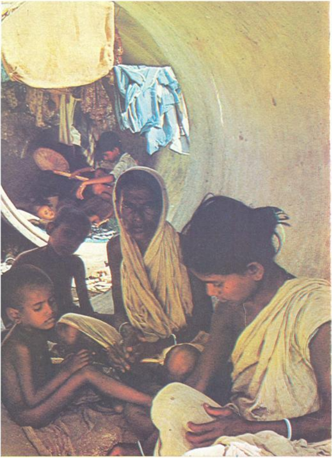
الاجابة عن هذه التساؤلات تشكل محور الموضوع في هذه الدراسة .

لن يمر عام ألفين على بلدان العالم الثالث بسلام ، بل سوف يترك لها مشكلة معقدة قوامها : الزيادة السكانية السريعة ، والنمو الحضري الخرافي ، أي نمو المدن عددا وحجما .

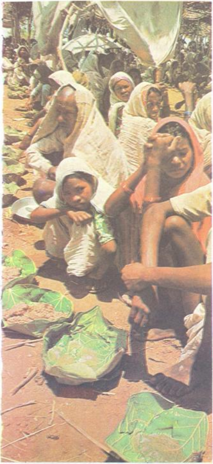
وسوف يخضع أربعة أخماس العالم لهذه الظاهرة الخطيرة ، وستشهد بداية القرن الواحد والعشرين - ولأول مرة في تاريخ المجتمع العالمي ذي الغالبية الريفية - تغيرا نوعيا في بنيته ، اذ سيتحول أكثر من



احدى ضواحي مدينة ليما التي يتكون سكانها
من الفلاحين الذين جذبهم سراب المدينة



أسر بكاملها تحيا في هذه المواسير المعدة لجر المياه القذرة، أي عدالة في هذا العالم ؟





بومباي في الهند .
العالم هناك عالمان متجاوران ، أحدهما للأغنياء ، والآخر للفقراء .



حياة أحياء الصفيح على هامش حياة المدينة «مستوردة في البلدان النامية !!

ينتظرون توزيع الغذاء لمكافحة سوء التغذية !!
صورة مأخوذة لأحد مخيمات اللاجئين في الهند .

نصف سكانه الى حضريين يعيشون في المدن ، لذلك فان مدن الصفيح ـ مدن اليأس وعواصم الفقر التي تضم سكانا مازالت بينهم وبين البروليتاريا مراحل يجب قطعها ـ تعتبر النقاط الساخنة التي ستنفجر منها الاضطرابات الاجتماعية والأحداث السياسية .

لقد تجاوزت بلدان أوروبا والولايات المتحدة ، وكندا واليابان واستراليا ونيوزيلندة الجديدة هذه المرحلة ، واليوم ، يعتبر كل ثلاثة من أصل أربعة من سكان هذه البلدان من ساكني المدن ، غير أن خصائص البلدان المذكورة مختلفة تماما عما هو عليه الحال في العالم النامي فهي أقل سكنى من باقي المناطق ، وقليلة بعدد سكانها . والأهم أنها الأكثر غنى وإزدهارا ، فاذا كان النمو الحضري يبدو وكأنه ثمرة طبيعية للامكانيات الصناعية والغنى الاقتصادي بالتالي فان كل تطور للتمركز الحضري يعبر عن ظاهرة تقدم في حياة أي شعب من الشعوب .

لكن مايجري الآن في البلدان السائرة في طريق النمو شيء لايصدقه العقل ، انه هجمة مجنونة لسكنى المدن لدرجة أن معدلات التحضر فيها بلغت حدا أعلى من مستوي النمو الحضري لدى البلدان المتطورة ذاتها .

لقد بقي مستوى النمو الحضري في العالم الثالث حتى ثلاثين سنة خلت , ضعيفا جدا ، غير أن مسيرة الشعوب باتجاه المدن بدأت منذ ثلاثة عقود تقريبا ، فانطلقت حركة هجرة ضخمة تتسع من يوم لآخر ، وأخذت كتل ضخمة متعاظمة من البشر تتوافد على المدن والتجمعات الكبيرة ، لتصبح جزءا منها ، ولتواجه فيها أسوا الشروط غير الانسانية ، لدرجة أن كثافة السكان في أحياء الصفيح في مدينة مانيلا بالفلبين على سبيل المثال تصل الى ١٨٠ الف نسمة/كم٢ . انه بدون أدني شك تمركز لايطاق ، حيث لايزيد المجال الحيوي للشخص الواحد عن ٥ م٢ بما فيها الشوارع .

في هذا الوقت يجتاز النمو الحضري في البلدان المصنعة مرحلة معكوسة ، اذ يتجنب الناس سكنى مراكز المدن الكبرى ، ويفضلون الابتعاد عنها والعيش في الارياف ، وخصوصا وانه يمكنهم الارتباط الدائم بحياة المدينة عن طريق شبكات كثيفة ومتعددة للاتصالات والنقل . وعلى الرغم من أن ردة الفعل هذه لايمكنها أن تخفض من تركيز التجمعات البشرية الكبرى ، الا أنها شجعت على النمو شبه الحضري . فقد امتدت الشبكات ، والمدن القطرية ، وتولدت الضواحي الأخطبوطية لتتصل بطلائع المدن الأخرى المتوسطة ، وانتهت جميعها الى تأليف صبات حضرية ذات أبعاد ضخمة ، ونذكر في هذا المجال : الواجهة الساحلية الشماليةالشرقية للولايات المتحدة التي تشكل شريطا معمورا دون انقطاع يسميه الأمريكان ـ الميغالوبوليس Megalopolisالذي يبدأ من مدينة بوسطن وينتهي بواشنطن ، ويمر عبر نيويورك وفيلادلفيا وبالتيمور ، منطقة طولها ٨٠٠ كم ، وعرضها يصل الى ٥٠ كم ، ويعيش فيها حوالي ٤٠ مليون نسمة . وهناك تجمع هائل آخر تمثله مدينة لوس انجلوس ، يمتد على مسافة ١٠٠ كم من الشرق الى الغرب ، وعلى ٥٠ كم من الشمال الى الجنوب ، ويعمره حوالي ١٠٫٥ ملايين نسمة .

لقد أدى انفجار العواصم الكبرى الى أن اسما واحدا لم يعد كافيا لتمييزها ، بل يجب استعمال أسماء مركبة فطوكيو ليست الا واحدا من الأقطاب لمنطقة اشغال حضرية واسعة ومستمرة (طوكيو ـ يوكوهاما) ودور تماند Durtmund هي النواة في مركب الرين ـ الرور ، والقاهرة أصبحت مجرد حي من : القاهرة ـ الجيزة ـ امبابة ، وبانكوك لم تعد توجد الا من خلال امتدادها بانكوك ـ تورنبوري .

النمو الحضري ولد في الشرق

لم تستطع الثورة الصناعية ونظامها العالمي الجديد أن تنسينا أن حضارة التمدن لم تولد في أوروبا خلال ثلاثة آلاف سنة الأخيرة ، بل انها ولدت في الشرق ، ولم تقم في أوروبا عبر العصور عواصم العالم الكبري الرئيسية ، فلقد ظهرت المدن أولا في أودية الأنهار الكبرى في مصر والعراق والباكستان ، في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، وذلك عندما ازدهرت الحضارات الزراعية فيها ، وهكذا وجدت مدن زاد عدد سكانها عن ٢٠ الف نسمة مثل : بوتو ، ممفيس ، بابل ، نينوى ، سوسة ، أوركيش ، موها نجو ـ ارو . حتى

المدن الكبرى فى العالم سنة ١٩٠٠



أن مدينة طيبة في مصر وصل عدد سكانها الى ١٠٠ الف نسمة سنة ١٢٦٠ ق . م ، هذا الى جانب المدن العديدة التي ظهرت في حوض الهوانج ـ هو في الصين .

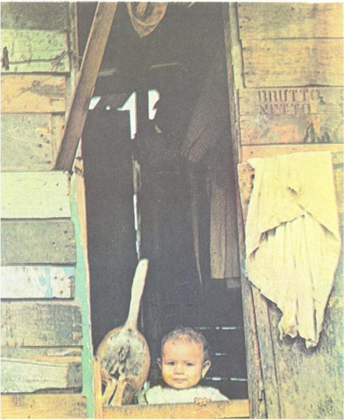
بعدها وفي الالف الثانية قبل الميلاد ظهرت المدن التجارية الساحلية مثل : فيلاكوبي على بحر ايجه ، وبيبلوس ، وصيدا وصور وطروادة وقرطاجة في المتوسط ، ومدن تجارية داخلية مثل : دمشق وحلب وتدمر .

وبعد أن ازدهرت روما في القرن الثاني قبل الميلاد ، واستمرت عاصمة للامبراطورية الرومانية حتى سقوطها على يد البرابرة الجرمن ، انتقل الثقل ثانية الى الشرق .. الى بيزنطة ، بعد ذلك ببضعة قرون ظهر الاسلام . فازدهر العمران في بلاد المسلمين ، وقد تمثل ذلك في ظهور مدن كبيرة : كدمشق ، وبغداد ، والقاهرة ، والرباط والبصرة والقيروان ، وفاس ومراكش ، في الوقت الذي لم تكن فيه فرنسا بل معظم أنحاء أوروبا قد خرجت بعد من مرحلة ماقبل التاريخ .

ومع نهايات العصور الوسطي خبا وهج الحضارة في الشرق ، وظهرت الثورة الزراعية في أوروبا ، وتبعتها الميركانتيلية التجارية ، وفي القرن التاسع عشر ولدت الثورة الصناعية التي كانت بمثابة المحرك الهائل للنمو الحضري ، الذي فرخ المدن والشبكات الحضرية ، فاذا كان صحيحا أن زوال العواصم الكبرى كروما وأثينا في القدم سمة الحضارات الكبرى ، فاننا نستطيع القول بأن العالم المصنع اليوم ملىء بعوامل التفسخ .

سباق التحضر .. الماراتون

في سنة ١٨٧٥ وصلت مدينة لندن بسكانها البالغ عددهم ٢ر٤ ملايين نسمة الى رأس العواصم الخمس الكبرى (المليونية) في العالم ، التي كانت جميعها أوروبية باستثناء (بكين) . وحتى عام ١٩٢٥ بقيت كل من لندن ونيويورك وباريس تتنافس فيما بينها على المرتبة الثالثة . وفي عام ١٩٧٠ اختطفت مدينة نيويورك من زميلاتها الأوروبيات لقب المدينة الأكثر سكانا على سطح الارض ، بمواطنيها البالغ عددهم ١٦ر٣ مليون نسمة . غير أننا الآن نرى أن مدينتي لندن ونيويورك بصدد افراغ سكانها لصالح محيطيها البعيدين .



أي مستقبل ينتظر الجيل الجديد؟ هذه هي الحياة في بيوت الصفيح في أمريكا الوسطى بؤرة الثورة

ان التفوق السكاني للمدن الأنجلو ـ سكسونية لم يدم أكثر من قرن ، وعلى المدى القريب فان أوروبا نفسها لن تستطيع المنافسة في هذا المضمار ، ولن تقيم في سوق المدلولات الحضرية على الاطلاق ، اذ انه حسب توقعات الأمم المتحدة فان المدينة الوحيدة الأوروبية بين الـ ٢٥ عاصمة عالمية الأكثر سكانا سنة ٢٠٠٠ ستكون باريس ، ومع ذلك فسوف تحتل آخر المراتب .

لقد تجاوزت مدن : بوينس ايرس ، ريو دوجنيرو ، القاهرة ، حاجز المليون نسمة منذ سنة ١٩٢٥ ، ولكن لأول مرة في الأزمنة الحديثة تصل مدينة من مدن العالم الثالث (مكسيكو) الى رأس القائمة ١٨ مليون نسمة ، انه بلاشك رقم قياسي وتاريخي ، في عام ٢٠٠٠ سيرتفع عدد سكانها الى ٢٦ مليون نسمة على الأقل . أما مدينة ساوباولو في البرازيل والتي تعد ١٦ مليون نسمة حاليا ، فانها ستتضخم بمقدار النصف خلال الخمس عشرة سنة القادمة ، بحيث تأخذ الدرجة الثانية مكان طوكيو .

وليس غريبا أن تكون هاتان الميغالوبوليس (مكسيكو ساوباولو) مسرحا لكارثتين صناعيتين رهيبتين في السنوات الأخيرة : فقد أدى انفجار مركز توزيع للغاز في مدينة مكسيكو في شهر تشرين الثاني ١٩٨٤ الى مقتل أكثر من ٣٠٠ شخص ، وبقاء الآلاف بدون مأوي . وقبل ذلك بعدة أشهر أدى انفجار انبوب للزيت في ساوباولو الى مقتل ٥٠٨ أشخاص أغلبهم من الأطفال ، بالتأكيد ليست المدن في البلدان المتقدمة بمنأي عن مثل هذه الكوارث (مثال معمل التكرير في ليون سنة ١٩٦٦) غير أن الحادث يأخذ أبعادا دراماتيكية اذا وقع في مناطق كتجمعات الضواحي في امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا ، فالزلزالان اللذان ضربا مدينة مكسيكو يومي ١٩ ـ ٢٠ ايلول ١٩٨٥ اديا الى اصابة حوالي ٥٠ الف من سكانها بين قتيل وجريح ومفقود ، وبقاء الآلاف أيضا مشردين دون مأوي ، ثم الم يكن حادث معمل انتاج مقاومات الحشرات في بهوبال في الهند في شهر كانون الأول ١٩٨٤ ، الذي ذهب ضحيته خمسة آلاف انسان على الأقل مثالا حيا لما نريد قوله ، وذا مغزي بليغ لنظام شاذ تطبقه الدول الغنية على الفقيرة؟ ان اتحاد الكاربيد الذي ينتمي اليه المصنع لم يجد أنه من الضروري اقامة التجهيزات اللازمة لحفظ حياة السكان المسحوقين بفقرهم ، وصيانتهم من المواد والغازات السامة .

خلال الخمس عشرة سنة القادمة سيربح العالم الثالث سباق الماراثون في مجال النمو الحضري ، وسوف يضم حوالي ٨٠٪ من سكان العالم . واذا كان للاوروبين والأمريكان أوهام حول سيادتهم اللغوية في العالم ، فان التوقعات الاحصائية تخفف من غلواء هذه الأوهام . اذ تشير هذه التوقعات الى أن اللغة الأكثر نطقا في مدن العالم الكبيرة سنة ٢٠٠٠ ستكون اللغة الهندية ، متبوعة بالاسبانية فالبرتغالية .

أما الشيء الجدير بالملاحظة فهو وتيرة النمو الحضري المستقبلية في القارة الافريقية ، فحاليا يوجد على مستوى العالم ٤٢ مدينة ، يقطن الواحدة منها أكثر من ٤ ملايين نسمة ، وسوف تكون الزيادة السكانية في هذه المدن مستقبلا أكثر من غيرها ، ذلك أن الناس يستدعي بعضها بعضا ، اثنتان منها فقط تنتميان للقارة الافريقية هما : القاهرة ولاغوس ، وسوف تنضم مدينة كينشاسا (زائير) قريبا الى القائمة ، ووفقا للافتراضات الحالية فانه في سنة ٢٠٢٥ سيصبح عدد هذه المدن ١٣٥ مدينة ، ٣٦ منها تنتمي للقارة الافريقية ، وسوف تقفز نسبة المدن الكبرى في القارة المذكورة من ٥٪ الى ٢٧٪ خلال الأربعين سنة القادمة ، كما أن أهمية القارة السكانية ستتضاعف أكثر من خمس مرات قبالة أجزاء الأخرى .

بشكل عام يمكننا القول أن معدل الزيادة السنوية لسكان المدن التي تعد أكثر من ٤ ملايين نسمة هو في المتوسط ١٪ في البلدان المصنعة (٦ فقط بالنسبة لباريس) وفي البلدان النامية ٣٫٥٪ علما بأن بعض المدن في هذه البلدان سجلت زيادة وصلت الى ٧٪ سنويا ، وهذا يعني مضاعفة عدد السكان في فترات زمنية وجيزة ، الحضريون منهم خاصة ، وهنا تبرز المشكلة المعقدة التي تسبب الذعر الحالي، سيأتي ١٫٣ مليار نسمة للعيش في المدن . والبحث عن السكن والعمل فيها . فكيف يمكن لمدن العالم الثالث الحالية أن تستوعب هذا العدد ، وأن تقدم له الخدمات اللازمة : كالتموين والمياه والطبابة والتعليم والنقل والاتصالات والأمن؟ ثم اذا كانت معظم حكومات

الدول النامية عاجزة الآن عن حل مثل هذه المشاكل ، ذلك أنه في بعض المناطق يعيش ٥٠٪ من سكان المدن في أحياء الصفيح - فكيف سيكون عليه الحال سنة ٢٠٠٠ ، حيث يمكن ان يعيش في مثل هذه الظروف السوداء أكثر من نصف سكان العالم ؟

كيما نستطيع دراسة ظاهرة النمو الحضري في العالم النامي والاندفاعة المجنونة للسكان نحو التجمعات البشرية الكبرى . لابد من تحليل عاملين اثنين : العامل الأول يتمثل بالزيادة الطبيعية في عدد السكان ، والعامل الثاني في الهجرات الريفية . ومجموع واقتران العاملين معا يؤدي الى سرطان حضري ، وتفريخ أحياء الصفيح في عالم البؤس والشقاء .

١ - الزيادة الطبيعية : وهي الفارق الديموغرافي الناجم عن الولادات والوفيات لدي سكان معينين ولفترة محددة ، وهي تشكل العامل الداخلي للنمو الحضري . وتبدو هذه الزيادة في مدن الدول النامية أعلى منها في باقي أنحاء البلاد ، حيث تكتسي الولادات في الأصل طابعا متفجرا ، على الرغم من فقر الإرياف الشديد . هذا التناقض يفسر بأن حياة المدينة على الرغم من تعاستها بالنسبة للقادمين اليها ، الا انها يمكن أن تؤمن الحد الأدني من الحياة ، خصوصا فيما يتعلق بالمواد الغذائية ومياه الشرب والخدمات الصحية ، وتبقي في ذلك أرحم من الأرياف . أي بعبارة أخرى يختار المهاجرون بين الجحيمين الأقل سوءا ، غير أن المدينة بالنسبة للكثيرين في العالم النامي تبقي السبيل الوحيد الذي يقدم - على الرغم من الظروف الرديئة للأحياء القصديرية - ولو حظا بسيطا للبقاء على قيد الحياة ، مقارنة بالمناطق التي قدم منها هؤلاء الناس .

على اية حال سوف تبقي بلدان العالم الثالث محافظة على تفوقها في الزيادات السكانية حتى أو اخر القرن الحالي ، حيث من المحتمل أن تميل هذه الزيادة الى الانخفاض سواء في الأرياف أو المدن . لقد مرت بهذه الألية البلدان المصنعة نفسها خلال فترة « التغير السكاني » وهي المرحلة المهمة في تطور المجتمعات البشرية ، يتم الانتقال بعدها من النظام القديم : (ولادات كثيرة - وفيات كثيرة) الى نظام حديث (قليل في الولادات - وقليل في الوفيات) فرنسا على سبيل المثال (١٫٣٧ ولادات ، ١٫٠٢ وفيات) ، حيث لايترك هذا النظام الاهامشا للزيادة لضمان تجدد السكان . لكن على الرغم من ذلك فان انخفاض الوفيات الذي يفوق انخفاض الولادات يسمح بوجود زيادة سكانية قوية لفترة ما ، وهذا ماحدث في بداية القرن الماضي في أوروبا ، وأدى الى موجة كبيرة من الهجرة نحو العالم الجديد . غير أن الزيادة تأخذ في التناقص ، فلم تسجل فرنسا زيادة في السكان أكثر من ١٪ منذ خمس عشرة سنة . لكن العالم النامي يبدو وكأنه أكثر بطئا في اجتياز المرحلة الديموغرافية ما بين أنظمة الأمس واليوم وذلك بتقليل الفوارق بين الولادات القوية والوفيات الضعيفة . وهناك احتمال أن يبقي هذا العالم مدة أطول على هذا المنحى من الزيادة السريعة . وهكذا فاننا نجد في البلدان الافريقية الواقعة جنوب الصحراء (افريقيا السمراء) ، بأن معدل الوفيات الذي كان في سنة (١٩٥٠)٣٪ قد هبط الى ١٫٦٪ سنة ١٩٨٠ ، بينما حافظ معدل الولادات على مستواه ٤٫٦٪ .

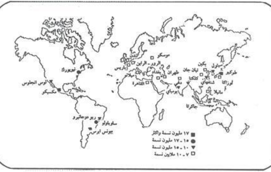
هذا التأخر في التاقلم سببه انه في العديد من بلدان العالم الثالث الأكثر فقرا (جمهوريات افريقيا بنغلاديش نيبال باكستان) بقي معدل زيادة السكان يتجاوز حتى أيامنا هذه الـ ٣٪ وسيبقي في الكثير من هذه الدول أعلى من ١٪ خلال ال ١٥٠ - ٢٠٠ سنة القادمة .

هذه هي توقعات خبراء السكان .. الكوارث الطبيعية المأساوية ، والمجاعات وحدها هي التي تستطيع تكذيب هذه التنبؤات .

٢ - الهجرات : وهي حركة السكان المدهشة في البحث عن المجال الأفضل والأكثر ملاءمة ، وأملا ، وأمنا ، واستقبالا ، انها احدى خصوصيات الدول النامية ، والعامل الأساس والأكثر اهمية في ظاهرة النمو الحضري لتلك البلدان ذلك أنها ترتبط بتخلف بنية الأرياف الاقتصادية والاجتماعية . وتتمثل عادة في تيارات الزاحفين الى المدينة ، التي غالبا ماتكون العاصمة ، هربا من الفقر والعدم وكوارث الجفاف والمجاعات والحروب الاقليمية والمذهبية والقبلية . انها حركات تعكس بصورة مأساوية التاريخ السياسى - الاقتصادي للتطور في هذه البلدان .

ولم يعد الآن أمام عشرات الألوف من الأثيوبيين

المدن الكبرى في العالم سنة ١٩٨٥



والسودانيين والتشاديين والهنود والباكستانيين والكمبوديين والبرازيليين من مكان لاستقبالهم غير المخيمات المؤقتة ، بينما كل الدول تتدافع في اغلاق حدودها في وجوههم كانهم الوباء ، وبعد المخيمات لاخيار لهم سوى أحزمة البؤس في ضواحي المدن ، حيث الأكـواخ القصديـرية والسـوق السـوداء بانتظارهم .

فاذا كان للجفاف أسبابه الطبيعية ، فان له أسبابا اقتصادية واجتماعية شـديدة الخصوصية ، وذلـك باختلاف البلدان أو المناطق،فافريقيا السمراء على سبيل المثال هي المكان الوحيد في العالم الذي يتزايد فيه السكان (٢,٩٪ سنويا منذ عام ١٩٧٠) بسرعة أكبـر من انتاج الغـذاء (١,٥٪ في السنـة) . وفي الوقت الذي تعتبر فيه هذه القارة من بين القارات الأقل زيادة للنمو الحضري ، نجد فيها بلدانا مثل جمهورية افريقيا الوسطى تمتلك معدلا لهذا النمو أعلى بكثير من بلدان افريقيا الشمالية . لقد سبق لمعدل التحضر في هذه الجمهورية أن تضاعف أكثر من خمس مرات بين عامي ١٩٥٠ - ١٩٨٠ ، وسوف يتضاعف خمس مرات أيضا خلال الفترة ١٩٨٠ - ٢٠١٠ .

ان النـاتـج الـوطني الخـام مؤشـر هـام لـدى الاقتصاديين وعلى الرغم من أنه يعطي للبلدان الفقيرة صورة غير صحيحة عن امكانيات السكان ، لانه لاياخذ بعين الاعتبار عدم التساوي المتطرف في توزيع الدخول والملكيات بين الأفراد وبين الطبقات ، غير أنه مع ذلك وسيلة تقييم اجمالية للدخول في بلد ما ، يمكن لها أن تعطي صورة مقبولة بشكل أو بـاخر ، وهكذا واعتمادا على هذا المعيار استطاع الباحث في انكرل أن يحدد مؤشر « زيادة التحضر » و « سرعة التحضر فوق الطبيعية » اللذين بفضلهما أصبح من الممكن ايجاد فكرة حتى ولو تقريبية للتباين في النمو الحضري لبلدان العالم الثالث ، لقد جاءت دراسات هذا الباحث مدهشة تماما .

فافريقيـا القارة الأضعف للنمـو الحضري لـديها مؤشر زيادة التحضر الأكثر ارتفاعا ، متبوعة بكل من اسيا وأمريكا اللاتينية كما أن كل البلدان ذات الدخول الضعيفة ، التي تعد أقل من ١٠ ملايين نسمة ، لديها مؤشرات لسرعة غير طبيعية ، تتجاوز سرعة النمـو الحضري في أي بلد مصنّع .

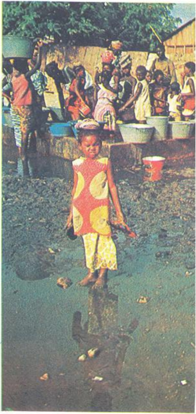
ان زيادة معدل النمو الحضري في أي بقعـة من بلدان العالم الثالث ، لايمكن لها أن تلقى الظلال على الناتج الوطني الخام بـالنسبة للفرد الواحـد في هذه

البلدان وما يحمله من دلالات ، ولو عدنا الى مقدمة هذه الدراسة لوجدنا أنفسنا الآن أمام صورتين متناقضتين ، فالمدينة بالنسبة للعالم المصنع هي مرحلة متقدمة من التطور ، وهي التركيز المادي والحياة الحديثة ، بينما هي بالنسبة للعالم النامي تعادل التخلف واليأس والمشاكل المعقدة .

أين وجه الشبه ؟

الهجرة الريفية في القرن التاسع عشر غيرت شكل الجغرافيا البشرية لقارة أوروبا ، وهي اليوم أيضا مصدر رئيس للنمو الحضري السريع في العالم الثالث . فما هي أوجه الشبه بين الحالتين ؟ انه تشابه خادع لايعدو اسم الظاهرة فقط ، لدرجة أن نموذج البلدان المصنعة لايزال يداعب خيال الكثير من المسؤولين في العالم الثالث حيث يعتقد البعض منهم أن النمو الحضري لبلدانهم حتى لو كان فوضويا ، فهو الشرط الضروري والمفتاح الأهم لعملية التطور . انه بدون أدني شك فهم سيىء للماضي ، وترجمة أسوا للحاضر ، فاذا كانت الظروف التي دفعت بسكان الأرياف في كل من افريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا الى المدن ، هي نفسها التي حركت فلاحى القارة الأوروبية فيما مضى ، الا أن الظروف ليست واحدة . فمدن الثورة الصناعية كان لديها ماتقدمه للقادمين من الأرياف ، بكل تأكيد لم يستقبل مجتمع المدينة هؤلاء القادمين بالورود ، ولم يكن عطوفا عليهم ، ولم تفعل الرأسمالية الناشئة شيئا يذكر من أجل اعداد هذه اليد العاملة الجديدة لادماجها في قطاع الصناعة . لكن على الأقل كانت في المدينة فرص عمل ، وامكانيات للاندماج ، وآفاق للتحسن ، وحظوظ حقيقية للتقدم ، مع نسبة كبيرة من الأمل بالوصول الى مزايا الحياة الحديثة .

فالريفيون الذين وصلوا الى باريس مثلا ، عملوا بسهولة في صناعات الجملة ، واذا كانت أجورهم شحيحة فإن ذلك لا يعني أبدا أنهم أغمضوا العين عن المظالم التي كانت تحيط بالطبقة العاملة آنذاك ، بل كان همهم الأول ايجاد القوت والسكن ، بعد ذلك استطاعوا تحسين أوضاعهم شيئا فشيئا عن طريق



بيوت الصفيح في داكار عاصمة السنغال

نضالاتهم النقابية ، في نفس الوقت كانت الزراعة هي أولى القطاعات التي استفادت من المنتجات المصنعة في المدن ، كـالآلات والأدوات والأسمدة والأدوية المقاومة للحشرات ، وغيرها من الوسائل التي ضاعفت مردود الانتاج ، فجاءت زيادة انتاجية الأرض والعمل الزراعي موازية تماما لحجم المدن . وعلى الرغم من الزيادة السكانية المهمة في أوروبا آنذاك ، فإن الهجرة الريفية فيها لم تؤد مطلقا الى هبوط في الانتاج الزراعي . كما أن اليابان نجحت بالمرور فجأة من العصر الريفي الى العصر الحضري ، من زراعة الأرز الى صناعات الالكترونيات المعقدة ، وذلك خلال بضع عشرات من السنين فقط ، دون أي انقطاع في تأمين غذائها .

أما الوضع في العالم الثالث فهو شيء آخر ، اذ بينما يزداد السكان في أفريقيا مثلا ، يأخذ الانتاج الغذائي بالهبوط بالنسبة للفرد الواحد بمعدل ١٠٪ ، وذلك منذ عشر سنوات ، وكلما افتقرت الزراعة كلما تضخمت المدن بقوة العمل البشرية ، وليس بالامكانات الصناعية ، فطرائق الزراعة لا تزال قديمة ، والحراثة على الدواب ، والمجرفة هي الآلة الأكثر شيوعا ، والمناطق القابلة للزراعة تبقى مهملة بسبب عدم وجود البنى التحتية اللازمة والاعتمادات ، في بداية الثلاثينيات كان نتاج الحبوب بمستوى مماثل لنظيره في البلدان الصناعية (١,٥ طن في الهكتار الواحد) واليوم استقر حول ١,٥ طن/هكتار في أفريقيا ، بينما وصل الى ٣ /هكتار في البلدان المصنعة .

بالتأكيد اننا نستطيع أن ننحي باللائمة على الجفاف المتوالي أو السيول المفاجئة ، لكن ذلك قطعا لا يكفي ، اذ هناك عوامل مهمة وسياسات متبعة لها دور كبير في كبح لجام التطور والتقدم في هذه البلدان .

النمو الحضري والتخلف الريفي

لعله من بديهية القول أن اندفاعة النمو الحضري في بلدان العالم الثالث مرتبطة أساسا بالتخلف العميق الجـذور في أريافها ، الـذي نجم عن العهود الاستعمارية الطويلة التي سحقت البنى الاقتصادية والاجتماعية في هذه البلدان . غير أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية نعمت معظم الدول النامية المستعمرة باستقلالها ، وعلى الرغم من عقود السنين العديدة التي مرت في ظل الحكومات الوطنية ، لاتزال مشكلة التخلف قائمة ، بل انها تزداد تعقيدا أكثر وأكثر ، ولا تزال أفواج المهاجرين تغذي المدن كل صباح ، ويزداد عددها يوما بعد يوم لأسباب عديدة نورد بعضا منها :



انهم يبحثون عن الغذاء في مانيلا .

١ ـ في البلدان التي اختارت النموذج الرأسمالي كأسلوب للتنمية ، لا تزال الملكيات العقارية الواسعة تتركز في أيدي شريحة صغيرة من السكان ، تسيطر على مراكز القرارات السياسية والاقتصادية ، بينما الغالبية العظمى من سكان البلاد لا تملك سوى جهدها وعملها وبؤسها الدائم ، والأمثلة عديدة : البرازيل ، المكسيك ، معظم بلدان أمريكا اللاتينية ، وآسيا وأفريقيا .

٢ ـ البلدان التي اختارت الاشتراكية كاستراتيجية للتنمية ، وعملت على تحقيق العدالة الاجتماعية بتوزيع الملكيات العقارية على الفلاحين ، لا تزال

تعاني من العجز في الادارة والتسيير للمشاريع الزراعية والصناعية على حد سواء ، ولا يزال الروتين الاداري المستحكم يعيق كل محاولات الانطلاق والنجاح .

٣ - عدم تمكن صغار الملاكين من الاستفادة من القروض المصرفية والمساعدات ، ولجوئهم الى الاقتراض من المرابين بفوائد جنونية تصل الى ٢٠٠٪ ، مثال:الهند ، البرازيل ، الخ .

٤ - تمركز الخدمات التعليمية والصحية ، والبنوك والصناعات وشبكات الطرق في المدن وانعدامها في الأرياف .

٥ - النقص في وجود أسواق مهمة في الأرياف ، بسبب عدم وجود شبكات الطرق .

٦ - تحرير أيد عاملة مهمة في القطاع الزراعي عن طريق الزيادة في استخدام الميكنة ، أو انتاج محاصيل جديدة أقل احتياجا لها ، كاستبدال زراعة الأرز وفول الصويا بالذرة البيضاء .

٧ - الدور السلبي الذي تلعبه المدن في البلدان النامية بسبب بنيتها الموروثة عن العهود الاستعمارية ، فهي بمثابة جسور نحو العالم المصنع ، ونظرتها معطوفة دائما نحو الخارج ، هذا الانفتاح يعتمد على استيراد ٥٠ - ٦٠٪ من احتياجات البلاد من الخارج ، وهذا ما يلحق الضرر بقطاعات النشاط التي تشكل حياة البلاد الداخلية ، كالزراعة والحرف التقليدية والصناعات المحلية الصغيرة .

نتيجة للأسباب السابقة وغيرها ، فإن على المدن في الدول النامية أن تتوقع سيولا دائمة من القادمين الجدد . هذا الخلل السكاني بين الريف والمدينة يزيد في تعميق الأزمة ، فهو يساعد على افراغ الأرياف من سكانها ، خصوصا اليد العاملة الشابة ، والى هجر الأراضي الزراعية ، وتدهور الانتاج ، والى تخلخل في الزيادة السكانية الريفية ، ذلك أن معظم المهاجرين عادة من الذكور ، وخاصة الشباب منهم ، أما المدينة فتعاني بدورها من اكتظاظها بسكانها ، وزيادة اليد العاملة فيها ، ومن أزمات في الخدمات الاجتماعية : الصحة ، التعليم ، السكن ، التموين ، المياه ، الطرقات ، الادارة وغيرها .

وبسبب هذا النمو الحضري الذي تفرضه ظروف التخلف ، تلجأ معظم حكومات الدول النامية الى سياسة دعم أسعار المواد الغذائية في مواجهة الكتل الحضرية التي جرى افقارها ، والمتزايدة باستمرار ، وخوفا من ثورات المجاعة تعمد هذه الحكومات الى المحافظة على أسعار هذه المواد منخفضة ، ولتحقيق ذلك لا بد لها من اقتطاع أجزاء مهمة من ميزانياتها من القروض أن تذهب لأعمال التنمية ، أو أن تلجأ - وهذا في أغلب الحالات - للبحث عن الديون من الدول الغنية ، والمصارف والمؤسسات العالمية ، ولا أحد يجهل أبدا كيف تقدم هذه القروض ، ولمن ، وما هو الثمن المطلوب .

ان أمثلة ثورات المجاعة في مصر وتونس والمغرب والبرازيل واتحاد جنوب أفريقيا والشيلي التي حدثت في السنوات الأخيرة ، وفي أيامنا الراهنة لا تزال ماثلة في أذهاننا .

سياسة الأسعار المدعمة لا يمكن لها أن تحل المشكلة أبدا ، بل انها تلحق الأذى والضرر بالفلاحين المنتجين للمواد المدعمة التي يتم استيرادها ، فالمساعدة عادة لا تشمل هؤلاء المزارعين ، وهم بالتالي غير قادرين على متابعة منافسة أسعار الاستهلاك أو تحملها ، من جهة أخرى لم نجد الكثير من المنتجات المحلية كالذرة البيضاء من يشتريها ، وعندما لا يتمكن الفلاحون من تصريف انتاجهم يعودون الى الاكتفاء الذاتي ، وانتاج احتياجاتهم الضرورية ، وذلك من أجل البقاء وخداع بؤسهم اليومي . وهذا يتنافى والهدف الذي يجب أن ترنو اليه كل الدول النامية ، ألا وهو : تحديث البنية الزراعية ، وزيادة الانتاج ، وتحقيق الاستقلال الغذائي لأن الحكومات لم تعد تعتمد على المنتجات المحلية لضمان التموين المنتظم لسكان المدن ، وانما تتجه نحو الاستيراد أكثر فأكثر .

دور المدينة في البلدان النامية

لقد قامت معظم العواصم والمدن الكبرى وتطورت في بلدان العالم الثالث ، ابان الفترات الاستعمارية ، وتمثلت وظيفتها الاقتصادية آنذاك بتصدير الثروات الوطنية الى المتروبول ، واستقبال صادراته اليها . ومع الأسف فإن العديد من هذه المدن لم تمتلك بعد الخصائص الجديدة التي تميز دورها

المدن الكبرى في العالم سنة ٢٠٠٠



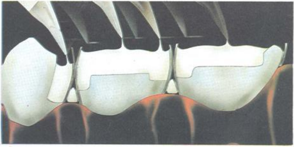
بعد الاستقلال ، فهي ما زالت تقوم بنفس الوظيفة تقريبا ، حتى في ظل العهود الجديدة . اضافة الى أنها صورة مشوهة عن المدن الأوروبية في مخططاتها التنظيمية ، وأنماط بنائها وفعالياتها ، انها فقيرة ، لا تملك شيئا بالمقارنة مع مدن الحضارات القديمة : في الشرق الأوسط ، والصين ، وأمريكا اللاتينية ، وأفريقيا ، التي جاءت أصيلة معبرة عن مفاهيم تلك المجتمعات وغناها الفكري ، فمدينة اليوم هجينة مستوردة ، وهي صورة وصدى لسيادة نموذج أجنبي ، نموذج البلدان الغنية ، كل شيء فيها مصطنع وغريب : الأبنية الشاهقة ، الهيئات ، السلوك ، التصرفات ، الاحتياجات ، كلها مستوردة مثلها مثل الغذاء والآلات .

فالمدينة لا تزدهر الا عندما تنتج ما كانت تستهلكه ، والامثلة عديدة على ذلك ، فالبندقية لم تعرف عظمتها الا عندما صنعت ثرواتها لبيعها للمدن الأوروبية الاخرى أو غيرها فى حوض البحر الأبيض المتوسط . ولم تتطور مدن الشمال الأمريكي الا بالابتكار والتجديد ، وصناعة ما كانت تستورده من مدن أوروبا ، بينما استمرت مدن الجنوب على تخلفها ، وبقيت أقل تطورا لاعتمادها على : تجارة العبيد والقطن والحبوب ، والأمثلة عديدة لا يمكن حصرها ، بدءا من المدن اليابانية ، ومرورا بسنغافورة وتايبية ، وانتهاء بهونغ كونغ .

المشكلة من جذورها

ان المشكلة في حقيقتها مشكلة تخلف القطاعات الانتاجية وما يتعلق بها من بنى اجتماعية ، لذلك فإنه من البدهي أن يبدأ العلاج من الجذور ، وبشكل متناسق ، ما بين كافة القطاعات ، فنجاح ظاهرة النمو الحضري تمر أولا بالتنمية الريفية . وبالتبادل النشط بين الريف والمدينة ، وباعادة توزيع المراكز الحضرية عن طريق تخفيف الضغط عن التجمعات السكانية المكتظة ، وذلك ببناء مدن ثانوية تستقطب الفائض من المدن الكبرى .

أما مسألة النمو الحضري في بلدان العالم الثالث ، فانها ستبقى بمثابة قنابل موقوتة ، يمكن لها أن تنفجر في أي وقت كان ، طالما أن مدن هذا العالم تنتفخ بعشرات الآلاف من العاطلين عن العمل ، الذين يعيشون ظروفا مأساوية ، ولن تقتصر الآثار على البلدان الفقيرة ، انما ستشمل الدول الثرية في العالم المصنع . □



تبقى مادة «الكومبوزت» مطابقة للمواصفات الفيزيولوجية والتجميلية

الأسنان.. والتجميل

بقلم : الدكتور حكم المأمون

لعل جهاز الأسنان البشرى هو الجهاز العظميّ الوحيد من بين سائر عظام الجسم الذى تتدخل فيه عمليات التجميل المختلفة وبعض العمليات الجراحية والتقويم .

في العصور القديمة ، بعد اكتشاف المطاط .. كان الانكليز يصنعون قطعا من المطاط تأخذ شكل الفكين من الداخل لكي يمضغوا بواسطتها الأطعمة المختلفة بعد قلع اسنانهم .

أما قدماء الصينيين فقد طوروا قطعا خشبية تأخذ شكل حرف (U) يستعملونها لمضغ الأطعمة المختلفة بشكل مؤقت أيضا ، ثم طوروا فيما بعد أنواع الأغذية لديهم لتتماشى مع فقدان الاسنان ، وذلك بأن لجأوا الى الأطعمة السائلة والمطحونة مثل الحساء أو الأرز المطحون والذرة ... الخ .

تطور الطب

أما اليوم فقد تطور طب الأسنان كثيرا حيث ابتكر العلماء أنواعا جديدة من المواد الكيماوية والخلائط المعدنية الصناعية من أجل استعمالها في تركيبات الاسنان داخل الفم مثل البلاتين - الكروم كوبالت - الفيتاليوم - الاكريل - الخزف - الذهب اللاصق والذهب العادي .. وهذا الاخير يعتبر صحيا ومفضلا على جميع انواع المعادن الاخرى ، ويشاركه في ذلك نوع من المعاجين ذاتية التصلب ، وهو الاكريل (Acrylic) الذي يتصلب بطريقة (التماثر) ، وذلك بخطوات مخبرية مدروسة ومعروفة ، حيث ينتج عنها - اى الخليطة - هيكل عظمي طبيعي يماثل عظم الانسان في خواصه الفيزيولوجية ، (في طقم الاسنان مثلا) وهو غير ضار عند وضعه داخل الفم على شكل تركيبات اسنان دائمة او مؤقتة ، ولكن المشكلة بدت أكثر صعوبة بالنسبة للانسان العادي وطبيب الأسنان على السواء ، ألا وهي مشكلة اختيار المواد الافضل في تركيبات الاسنان المختلفة مع مراعاة الناحية الجمالية ايضا ، حيث تجلت المشكلة في هذين السؤالين :

- كيف نوفق بين المتانة والجمال في تركيب الأسنان ، وأي المواد نختار لهذا الغرض ؟

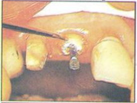
- كيف نعالج الاسنان المتقلقلة (التي تتحرك بشكل بسيط) أو المكسورة ، أو المصطبغة بالوان قاتمة لسبب مرضي لكي نضفي على ابتسامة المريض صبغة لطيفة من الجمال بوجود اسنان تماثل الاسنان الطبيعية من حيث اللون والشكل والمقاومة ، ومرصوفة بشكل لائق ؟ . .

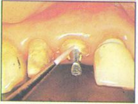
والجواب عن هذين السؤالين ، ينحصر في الالمام ببعض الدراسات المخبرية والحيوية التي اجراها العلماء في مختلف انحاء العالم المتقدم : فمثلا ، مخبر ماساشوستس لصناعة مواد الأسنان ، وهو احد المختبرات المتقدمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وغيره من المختبرات التي أنشأت ما يسمى باسم المنظمة العالمية للمقاييس (SIO) لتحديد مايسمى ب (ADS) وتعني بالعربية المواصفات الصحيحة لمواد الاسنان ، حيث قدمت هذه المنظمة نتائج



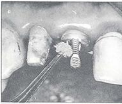


توسيع القناة السنية لاستقبال البزال





الصاق البزال داخل قناة السن المكسورة





نصب دعامة من الكومبوزت فوق البزال المثبت داخل القناة





الدعامة جاهزة لاستقبال الجسر الخزفي .

كثيرة ، وحددت مواصفات معروفة للمواد الخاصة بصناعة الاسنان ، اليكم اهمها :

● - يجب أن تكون جميع تركيبات الاسنان داخل الفم او المثبتات العظمية في سائر انحاء الجسم البشري ، خالية من الأكاسيد المعدنية المتحللة ولكي لا تترك نتوءات شائكة أو تتفاعل مع اللعاب أو تطلق أكاسيد سامة تخرش أو تسرطن الأنسجة الحية .

● - يجب أن يكون معدل الحموضة (PH) ، لهذه المواد المستعملة في تركيبات الأسنان والعظام المختلفة مماثلا للرقم ٧ في جدول الحموضة ، أي انعدام حموضة او قلوية المواد المذكورة آنفا ، وأن تكون كتيمة أيضا .

● - يجب أن لاتتآكل او تصدأ المعادن المستخدمة في تركيبات الأسنان والعظام المختلفة وأن تتوفر فيها خواص المتانة والقساوة (اى مقاومة الخدش) والضغط اثناء عمليات المضغ او تفريش الاسنان .

● - أن تكون المواصفات الفنية للمعادن ولمواد الأسنان المستخدمة في التركيبات والتعويضات الصناعية داخل الفم مكتوبة بشكل واضح على غلاف هذه المنتجات ومطابقة للمواصفات التي وضعتها المنظمة (SIO) فى عام ١٩٥٣ وتعديلاتها حسب (ADA) لعام ١٩٦٦ .

● - يجب ان تتوافر المواصفات المثالية من الناحية التطبيقية والجمالية لتركيبات الأسنان بحيث تكون الاسنان الاصطناعية مشابهة للاسنان الطبيعية من حيث الشكل واللون والحجم والوزن والصلابة ، وأن لاتحصل اية تبادلات كيماوية أو ميكانيكية فيما بينها وبين الانسجة الحية . . . وكنتيجة لما سبق ابتكر العلماء انواعا جديدة من الحشوات السنية غير حشوات الفضة المعروفة باسم (املغام Amal gam) ، مطابقة للمواصفات السابقة ، مصنوعة من الكريستال المطحون ، سميت هذه الحشوات (كومبوزت Composite) اكتشفت ودرست على اسنان حيوان التجربة (الفأر الابيض) عام ١٩٦٨ ، وطبقت عمليا على اسنان الانسان في بلاد العالم في بداية عام ١٩٧٥ لأنها تماثل انسجة الأسنان من حيث اللون والشفافية ولها خاصية الالتصاق داخل حفر الاسنان .



السن المعدني تعويض صناعي

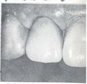
جسر خزفي ، المعدن المستعمل هو بلاتين يغطيه الوجه التكميلي



سن منخورة ومجاورتها مفقودة



تعويض خزفي وحشوات بلاتين



بعد الصاق الوجه الخزفي



أسنان مقلقلة



جبيرة من معدن البلاتين ثابتة .

الاسنان والجمال

أما التركيبات المعدنية داخل الفم (الجسور) ، وخصوصا المصنوعة من الذهب عيار « ٢١ قيراط » ، والبلاتين فهي أقل حظا من الناحية الجمالية ، الا اذا الصقت عليها الوجوه الخزفية مسبقة الصنع ، حيث تصبح مفضلة من الناحية الميكانيكية والفيزيولوجية وأفضل بكثير من حشوات الكومبوزت .

بقي ان نذكر نوعا آخر من المواد الهامة المستعملة في طب الاسنان هو (البورسلين) الخزف السني ، وهي المادة المثالية تقريبا من بين كل مواد الأسنان سالفة الذكر في القرن العشرين على الاطلاق .

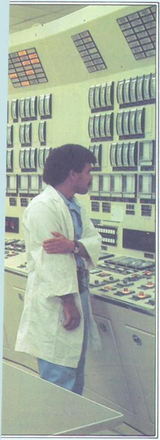
اما فيما يخص زراعة الاسنان فلا تزال قيد التجربة والدراسة اعتمادا على المبدأ الفيزيولوجي الذي يقضي برفض الجسم البشري لكل الاجسام الغريبة مهما كانت المواد المستخدمة في صنع هذه التركيبات المغروسة داخل العظم الآدمي أو بين الانسجة الضامة الحية ، ولكن العلماء طوروا حديثا طريقة جديدة تستعمل منذ عام ١٩٤٥ والى الآن بنفس المبدأ وهي شبيهة بزراعة الاسنان ، وسهلة جدا ، وهي عبارة عن وتد مصنوع من البلاتين او كروم - كوبالت ، بشكل البزال (البرغي) طوره العالم الانجليزي (ريتشموند) بوضع داخل قناة الاسنان الموسعة (كما في الصورة) ، ويلصق بمادة اسنان تدعى اسمنت فوسفات الزنك ، ثم يحمل البزال مادة الكومبوزت أو الاكريل التي تكيف لتصبح دعامة جاهزة لاستقبال سن اصطناعي خزفي (تاج) أو اكريلي . هذه الطريقة توفر لنا قدرا كبيرا من الجمال والقوة والمتانة المتوفرة في الاسنان المكسورة التي نعوضها بأسنان خزفية ، وطور هذا البزال عام ١٩٧٤ طبيب عربي اسمه محي الدين دمشقية ، حيث سمي البزال باسمه فيما بعد M . D . post كما هو واضح في الصورة ، واخيرا ان افضل ما يستعمل بالنسبة لتعويضات الاسنان الكاملة (طقوم الاسنان) هو معدن الفيتاليوم وهو عبارة عن خليطة معدنية عالية الجودة ومطابقة للمواصفات حسب (SIO) ، توفر لنا قاعدة معدنية مكيفة حسب الفكين الاعلى والاسفل ، والتي تحمل الاسنان الخزفية عالية الجودة والتي لا تتلون ولا تتكسر ، وتحافظ على بريقها ولمعانها على المدى الطويل . □

ثلاثون عاماً من التعليم

التطبيقي والتدريب

في الكويت

استطلاع : أبو المعاطى أبو النجا
تصوير : سليمان حيدر



في دول العالم الثالث يتحدثون كثيراً عن التعليم الفني والمهني ، يتحدث رجال الاقتصاد عن ضرورته لتحقيق التنمية الشاملة ، وانه بدون نمو هذا التعليم كمّا وكيفا ستبقى خطط التنمية مجرد حبر على ورق ! وحتى بالنسبة للدول الغنية في العالم الثالث ، وهي التي تملك القدرة على شراء الأنظمة والأجهزة التقنية المتطورة ، واستخدام العاملين عليها من أي مكان ، فإنهم يدركون أن المال وحده لا يكفي وأنه بدون تنمية الموارد البشرية من أبناء البلاد فلن تكون هناك تنمية ، بل تبعية وارتهان ، ويؤكدون على أنه في عصر التطور المتسارع في المعرفة وفي التقنية فلا سبيل سوى أن نصبح طرفاً فاعلاً في تيار المعرفة والمهارة والخبرة .



طلبة يتدربون في محطة الدوحة للكهرباء

رجال التربية يتحدثون عن أهمية التعليم التطبيقي، ليس فقط لنجاح خطط التنمية بل لسلامة نمو الفرد وتكامل شخصيته ، ثم يمتد حديثهم لمواجهة المشاكل التي يثيرها هذا النوع من التعليم والتي من أهمها : متى يمكن أن يبدأ ؟ أمن المرحلة الابتدائية أم من الثانوية ؟ وبأي قدر ؟ وكيف تكون علاقته بالتعليم العام ؟ هل يلتحم به في نسيج واحد منذ البداية ثم ينفصل عنه في مرحلة التخصص ؟ ومتى ينبغي أن يبدأ التخصص ؟ وكيف نصل الى الصيغة المناسبة التي تلائم بين حاجات سوق العمل الى تخصصات بعينها وأعداد بعينها وبين ميول الطلاب وقدراتهم ؟ وكيف نتعرف على حقيقة هذه القدرات ؟ في أي مرحلة من العمر ؟ وبأي وسيلة للقياس ؟ بل كيف نتعرف بدقة على حاجات سوق العمل في هذا العصر الذي يتسم بالتغير في أولوياته وفي وسائله لإنجاز هذه الأولويات .

وعلينا أن نتوقف قليلاً عن المضي وراء هذه التساؤلات لنلقي نظرة على واقع هذا التعليم في الكويت ، وقبل أن نقلب صفحات ماضيه ، أو نتطلع الى آفاق مستقبله ؟



الدكتور : حسن الابراهيم

العمالة الفنية الوسطى

في ندوة تلفزيونية تناقش مشكلات التعليم التطبيقي والتدريب بالكويت ، أشار السيد عيسى الرفاعي المدير العام بالوكالة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في الكويت الى أن الهيئة من خلال بعض الدراسات التي قامت بها لبعض قطاعات العمل بالكويت وجدت أن هذه القطاعات تحتاج في الخمس سنوات القادمة الى حوالي ٣٣٧٠٠ من الأيدي العاملة الفنية في الوقت الذي يبلغ فيه إجمالي ما يمكن أن تخرّجهم الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في الخمس سنوات القادمة حوالى ١٠٠٠٠ من العمالة الفنية الوسطى من الكويتيين وغيرهم .

فاذا تركنا الأرقام التي قدمتها بعض الدراسات في الهيئة ، فماذا تقول أرقام وزارة التخطيط ؟

تشير هذه الأرقام الى أن نسبة مساهمة الكويتيين في إجمالي قوة العمل بالدولة بلغت في عام ١٩٧٥ ٣٠,٢٪ مقابل (٦٩,٨٪) لغير الكويتيين في نفس العام ، وفي عام ١٩٨٠ بلغت (٢١,٤) مقابل (٧٨,٦٪) ، فاذا بحثنا عن نسبة مساهمة الحاصلين على الثانوية العامة ودون الجامعة وهي الشريحة التي تقابل مستوى العمالة الوسطى ، التي تتحمل الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب مسئولية إعدادها لوجدنا أن هذه النسبة تصل الى (٢٧,٤٪) للكويتيين و (٧٢,٦٪) لغير الكويتيين . وذلك في تقديرات عام ١٩٨٣ .

ان هذه الأرقام لا تحتاج الى تعليق في الدلالة على حجم المشكلة التي تواجه الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب وهي الهيئة التي أنشئت بالقانون رقم ٦٣ سنة ١٩٨٢ بهدف « توفير وتنمية القوى العاملة الوطنية بما يكفل مواجهة القصور في القوى العاملة الفنية الوطنية وتلبية احتياجات التنمية في البلاد » .

هذه التحديات

وفي لقاء مع السيد المهندس عيسى الرفاعي مدير الهيئة بالوكالة كان سؤالنا عن أهم التحديات التي تواجه الهيئة في المرحلة الراهنة وبترتيب أهميتها ؟



الاستاذ : احمد المزروعي



المهندس : عيسى الرفاعي

فأجاب ضاحكاً : ان التحدي الأول والثاني والثالث الخ هو : النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب .

ولقد دفعني هذا التأكيد على أن أتوجه بالسؤال لوزير التربية الدكتور حسن الابراهيم :

عن رأيه في أفضل السبل لتطوير النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب في الكويت بما يكفل إقبال الشباب الكويتي على هذا التعليم بما يتفق مع أهميته ؟

فأجاب سيادته :

ابتداء ، لا بد أن نأخذ في الاعتبار أن تطوير النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب جزء لا يتجزأ من تطوير المجتمع ككل ، وهذه مسألة تحتاج الى عنصر الزمن ، والى تضافر كل الجهود .

ـ في هذا الاطار : من المهم أن تشارك كل الجهات المسئولة والمعنية (وزارة التربية ، الاعلام ، التخطيط ، الشئون الاجتماعية والعمل ، غرفة تجارة وصناعة الكويت . . الخ) في جهد إعلامي مخطط لتنمية الوعي الاجتماعي بأهمية ودور التعليم التطبيقي والتدريب في خدمة خطط التنمية وتحقيق النهضة .

ـ الى جوار ذلك هناك حاجة الى خطوة حاسمة من الدولة لوضع سلم للأجور للعمالة الفنية بمختلف مستوياتها يترجم هذه الأهمية ، ولتوفير الاحتياجات والامكانات المادية والبشرية التي تعين الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب على القيام بدورها في اعداد العمالة الفنية من أبناء البلاد بالأعداد والنوعيات المطلوبة .

ـ بالاضافة الى ذلك من المهم أن تواصل وزارة التربية والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب معاً تنمية السياسات التي تؤدي ـ ضمن أهداف أخرى ـ إلى تصحيح النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب .

فإنشاء وتنمية مدارس نظام المقررات التي تضع التعليم التطبيقي في مكانه الصحيح من بنية التعليم العام ، أمر له أهميته في هذا السبيل .

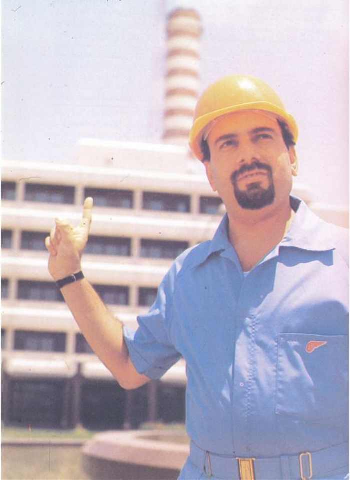
ووضع سياسات للحوافز تتسم بالمرونة من قبل الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب أمر مهم كذلك ، وقد بدأت الهيئة خطوات إيجابية في هذا الطريق ، فرفعت المكافأة التي تمنح لطلاب المعاهد والمراكز في المجالات والتخصصات التي تمس حاجة خطط التنمية إليها بنسب تتفق وهذه الحاجة .



طلبة في غرفة التحكم بالمحطة



طلبة أمام « التوربينات » في المحطة



أحد الطلبة أمام محطة الدوحة

وتتحرك بحركتها .

ـ فتح مجالات النمو المهني والتعليمي أمام العناصر الممتازة في المجال التطبيقي ، ومتابعة الخريج ورعايته بالقدر الذي يساعده على الاستمرار والنمو في العمل في مجال تخصصه ، وهذا أمر مهم في تطوير النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي ، فلا شيء يؤثر ويقنع مثل وجود نماذج ناجحة ومتقدمة في مجال العمالة الفنية والمهنية في سوق العمل .

الجذور البعيدة للمشكلة :

قبل أن نواصل حوارنا مع المسئولين عن واقع مشكلات التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت ، علينا أن نتوقف قليلاً للبحث عن جذور هذه المشكلة ، ونعني بها مشكلة النظرة الاجتماعية المتدنية للتعليم الفني والمهني . . في العالم وفي بلادنا .

ففي البدء كان التعليم حكراً على الصفوة ، وكان تعليماً أكاديمياً يعد أبناء هذه الصفوة ، للوظائف العليا في المجتمع ، وكان العمل في الحرف الصغيرة لأبناء الطبقات الدنيا يتوارثون تعلمها ، جيلاً بعد جيل في مواقع العمل ذاتها ، وعبر طريق طويل شاق من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، والثورات العلمية والتقنية ، استقر حق الطبقات الدنيا في أن تتعلم ، وفي نفس الوقت ، كان تعلم الحرف الصغيرة يترك مكانه بالتدريج لوريث جديد اسمه التعليم الفني والمهني وكأنما كان الاثنان على موعد ، الطبقات الدنيا ، وتعليمها الفني والمهني ، الذي جاء على استحياء يحتل شريطاً ضيقاً على هامش التعليم الأكاديمي ، الذي بقي أيضاً حكراً على الصفوة ليس بقوة القانون هذه المرة ، بل بقوة أخرى ذات شكل علمي مضلل ، فقد كانت اختبارات الانتقاء بعد سنوات التعليم الالزامي تدفع الى شريط التعليم الفني والمهني الهامشي أولئك الذين يحصلون فيها على الدرجات الدنيا ، وكانوا في الغالب من أبناء الطبقات الدنيا أيضاً ، وبينما كان التعليم الأكاديمي يعد خريجيه للجامعة ، فالوظائف العليا في المجتمع ، بقي التعليم الفني والمهني مغلقاً عند نهاية المرحلة الثانوية لا يوفر لخريجيه أية فرصة حقيقية للنمو التعليمي أو المهني .

لقد بقي هذا الوضع سنين طويلة في كثير من بلاد العالم حيث تكرست النظرة الاجتماعية المتدنية اليه ، الى أن أثبتت الدراسات أن نتائج مثل هذه الاختبارات ليست بالدقة المنشودة فضلاً عن أنها ضد تكافؤ الفرص بمعناه الحقيقي ، وانه لا ينبغي أن نقرر مصير الأطفال في مثل هذه السن ، وأصبح من الاتجاهات التربوية العالمية السائدة ، أن التعليم الالزامي الذي ينبغي أن يتاح للجميع دون تفرقة هو التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية ، وانه يجب أن يكون أكاديمياً وتقنياً في الوقت ذاته وفي المدرسة الواحدة . المشكلة اذن لم تكن عندنا وحدنا ، بل هي في العالم كله ، وفي أوروبا كانوا يقولون عن التعليم الفني والمهني : انه « ابن العم الفقير » وانه ذلك التعليم الذي يصلح لجيراننا » !

نسب القبول في الجامعة :

الآن وقبل أن نعود الى تجربة الكويت في التعليم التطبيقي والتدريب لنتوقف لحظة أمام :

قرار وزير التربية بتحديد نسب القبول في الجامعة بـ ٧٠٪ كحد أدنى .

ان هذا القرار الذي اتخذ في بداية هذا العام الدراسي وأثار جدلاً كبيراً في مجلس الأمة ، وفي صحافة الكويت يستهدف ضمن أشياء كثيرة توجيه أعداد من خريجي الثانوية الى معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب .

ويمكن القول بأن الجدل الذي ثار حوله تأييداً أو معارضة يعكس ضمن ما يعكس جوانب من النظرة الاجتماعية للتعليم الفني والمهني في شكلها الايجابي أو السلبي .

ومهما يكن الموقف النهائي من هذا القرار ، فإن الحركة التي ثارت بسببه تأييداً أو معارضة تؤدي لتصحيح النظرة الاجتماعية للتعليم الفني والمهني ، وهي تحرث الأرض أمام الاقتناع الداخلي سواء عند الطلبة أو اولياء الأمور ، بأهمية هذه المعاهد التطبيقية وبضرورة الالتحاق الاختياري بها ، ومهما يكن من أمر فقد كان من نتائج هذا القرار الخطير أن وجدت الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب أن عليها أن تقبل عدداً جديداً من الطلاب وهم الذين لم يجدوا

مكاناً في الجامعة في ضوء قرار تحديد القبول في الجامعة بـ ٧٠٪ .

وكان من الطبيعي أن أتوجه بالسؤال الى « السيد عيسى الرفاعي عن قدرة الهيئة على استيعاب الأعداد الجديدة ؟ » .

فقال : أود أولاً أن أشير الى أن الهيئة كانت تدعو من قبل إلى سياسة تحديد القبول في الجامعة من منطلق أنه ليس من الطبيعي أن يتجه كل خريجي الثانوية العامة الى التعليم الجامعي ، فمعاهد التعليم التطبيقي جزء من التعليم العالي ، والمصلحة الوطنية العليا تتحقق بتوزيع خريجي الثانوية العامة بين الجامعة ومعاهد التعليم التطبيقي والشرطة والجيش الخ في حدود الطاقة الاستيعابية لكل منها ، وفي ضوء الأهداف المتوخاة من كل منها ، وأيضاً في ضوء حاجات سوق العمل لخريجي كل منها .

وأيضاً أود أن أشير الى أن معاهد التعليم التطبيقي والتدريب بعد انشاء الهيئة وقبل انشاء الهيئة ، كانت تواجه عجزاً في المدخلات ، يسبب عجزاً في المخرجات ، وبالتالي قصوراً في تلبية حاجة سوق العمل من الخريجين ، ومن هنا فلم تكن لدينا مشكلة في استيعاب الأعداد الزائدة بسبب سياسة القبول الجديدة في الجامعة ، ولن تكون لدينا مشكلة لمدة عامين آخرين وربما تكون لدينا مشكلة في العالم الثالث ، لكن من ناحية أخرى أود أن أوضح أن الدولة مهتمة جداً بتوسيع الطاقة الاستيعابية لمعاهد ومراكز الهيئة بتوفير المباني اللازمة والأجهزة والمعدات وهيئات التدريس وغيرها ، ونأمل أن يتمشى ذلك ويتوازن مع الزيادة في اعداد المتقدمين للهيئة .

العودة الى الجذور القريبة :

نعود مرة أخرى الى الجذور القريبة من بدايات رحلة التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت ، فالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب هي في الحقيقة ثمرة رحلة تربوية طويلة بدأت من خمسينات هذا القرن ، وواجهت مشكلات التعليم الفني والمهني والتدريب ، وهي أكثر جدة ، فكيف كانت الرحلة ؟ وماذا كان حصادها ؟

المرحلة الأولى

عمر هذه المرحلة عشرون عاماً بدأت بانشاء الكلية الصناعية ، وهي مدرسة في مستوى المرحلة الثانوية عام ١٩٥٤ .

* شهدت هذه المرحلة بدايات التطور الاقتصادي والاجتماعي في الكويت بعد بداية استثمار النفط ، وقبل بداية التطور الكبير الذي تمثل في السيطرة الكاملة من الدولة على شركات النفط وعلى أسعاره .

* جاءت نشأة التعليم الفني والمهني لتلبية حاجة بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية وسوق العمل - في ظل هذا التطور - الى أعداد من الحرفيين ومساعدي الفنيين والفنيين .

* لم تكن مسئولية هذا التعليم مقصورة على وزارة التربية ، بل كانت نتيجة لظروف هذه النشأة موزعة بين وزارة التربية التي أنشأت الى جوار الكلية الصناعية عام ١٩٥٥/٥٤ . المدرسة الثانوية التجارية عام ١٩٦٤/٦٣ ، والثانوية الفنية للبنات عام ١٩٦٨/٦٧ وبين وزارات الأشغال والدفاع والشئون الاجتماعية والعمل والبريد والبرق والهاتف والكهرباء والماء . حيث أنشأت كل واحدة معهداً أو مركزاً للتعليم الفني والتدريب المهني يكاد يقتصر في أعداد طلابه كما وكيفاً على تلبية حاجة الوزارة التي أنشأته .

* كان من الطبيعي أن تختلف مستويات وأنواع البرامج الدراسية والتدريبية في هذه المعاهد باختلاف الحاجات والأهداف التي أنشئت من أجلها ، وأن تصطبغ بالاهتمامات الخاصة والمرحلية للجهات التي أنشأتها مما جعل خريجي هذه المعاهد دون المستوى الفني العام وغير قادرين على مسايرة التطور الذي بدأ يتسارع في سوق العمل .

* بشكل عام كانت تتجسد في مدارس ومعاهد ومراكز هذه المرحلة كل مشكلات التعليم الفني والمهني التقليدي حيث أن مدخلات هذه المدارس والمعاهد كانت من أصحاب المجاميع المتدنية من خريجي المرحلة المتوسطة ، الذين لم يجدوا مكاناً في التعليم الثانوي العام ، وكانت مدارس التعليم الفني



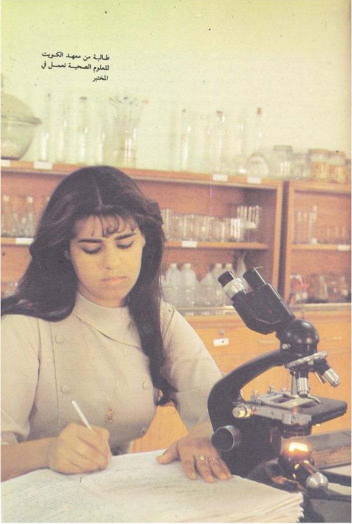
طـالبتـان بـا
التجاري أمام
تسجيل



طـالبات من المعهـد
التجـاري في حجـرة
"اللاب"



أحـد طلبة المعهـد
التجاري أمام جهاز
الكمبيوتر



طالبة من معهد الكويت
للعلوم الصحية تعمل في
المختبر

التابعة لوزارة التربية مغلقة عند نهاية المرحلة الثانوية فلا يجد خريجوها أية فرصة للنمو التعليمي أو المهني، ويكفي أن نشير الى أن نسبة المتقدمين إلى الكلية الصناعية لم تزد عن ٥٪ من مجموع الملتحقين بالتعليم العام، ولم يكمل الدراسة بها الا حوالي ١٥٪ من مدخلاتها.

* مر هذا النوع من التعليم خلال هذه المرحلة بمراحل متعددة من التقويم والتطوير والاصلاح كانت في جملتها تتسم بالجزئية والمرحلية بسبب تعدد وتنوع الجهات المسئولة عنه.

* آخر المراحل في عمليات هذا التقويم كانت تلك التي انتهت الى التوصية بانشاء ادارة التعليم الفني والمهني لتطوير المدارس الفنية التابعة لوزارة التربية، وبانشاء الادارة المركزية للتدريب لتوحيد الاشراف على ما تقرر ابقاؤه من المعاهد والمراكز التي كانت تتبع بعض وزارات الدولة، وكانت نهاية تلك المرحلة هي بداية ما يمكن أن نسميه قطاع التعليم الفني والمهني التابع لوزارة التربية، وقطاع التدريب الفني والمهني التابع للادارة المركزية للتدريب. التي أنشئت بمرسوم أميري في ٢٢ مايو سنة ١٩٧٦ لتشرف على المعاهد والمراكز التالية:

- مركز تدريب الكهرباء والماء.
- مركز الشويخ للتدريب الصناعي.
- معهد الاتصالات السلكية واللاسلكية.
- معهد الملاحة الجوية.

المرحلة الثانية

من ٧٥ الى ١٩٨٢:

في فبراير سنة ١٩٧٥ صدر عن وزارة التربية تقرير «مستقبل التعليم الفني والمهني[1]» الذي قدم استراتيجية للتطوير في تلك المرحلة، وقد قامت هذه الاستراتيجية على أساسين مهمين: الأول، ربط اصلاح وتطوير التعليم الفني بتطوير التعليم العام ذاته.

فمدخلات التعليم الفني من مخرجات التعليم العام، ولا يمكن تطوير الجزء دون تطوير الكل، ومشكلة المشاكل في التعليم الفني وهي النظرة الاجتماعية اليه، انما تنبع في الأساس من علاقته الهامشية بالتعليم العام، ولن تتعدل النظرة الاجتماعية للتعليم الفني ما لم تتعدل هذه العلاقة بشكل جذري، وما لم يلتحم بالتعليم العام في كل مراحله بحيث يصبح جزءاً من نسيجه، ويصبح لطلابه نفس فرص النمو التعليمي الى مراحل أعلى ويصبح لمؤهله نفس القيمة في سوق العمل.

الثاني: ضرورة أن يرتبط التعليم الفني في نظامه الجديد، وفي برامجه الدراسية المتطورة بظروف البلد الجغرافية والسكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأن يأخذ واضعو السياسة التربوية في اعتبارهم اتجاهات المستقبل لكل هذه الظروف.

وقد ترتب على الأخذ بهذين الأساسين ما أصبح معروفاً لدينا الآن من:

* وجود الدراسات العملية في برامج التعليم العام لتأكيد قيمة العمل وتكامل نمو الطفل، وترشيد موقعه من برامج التعليم الفني.

* انشاء وتنمية مدارس نظام المقررات في المرحلة الثانوية بالتدريج بما يعنيه ذلك من ادخال برامج التعليم الفني والمهني في صلب برامج المرحلة الثانوية وجعلها شعباً مناظرة للعلمي والأدبي في هذه المدارس كبديل ايجابي لمدارس التعليم الفني المنفصلة التي تقرر الغاؤها بالتدريج.

* انشاء معاهد جديدة للتعليم الفني والمهني نظام (سنتان أو أكثر) بعد الثانوية العامة لاعداد فنيي العمالة الوسطى في المجالات الصناعية والتجارية والصحية والتربوية لسد النقص الواضح في هذا المستوى من العمالة حيث تعتمد أكثر المشاريع في البلد على تقنية متقدمة تحتاج الى مستوى الفنيين أكثر من حاجتها الى مستوى العمالة الماهرة.

* بالنسبة للطلاب الذين قد يتسربون - رغم ذلك - من مراحل التعليم العام، فأمامهم فرص الالتحاق بالمستويات المناسبة لهم في أحد معاهد

---

(١) من اعداد د. محمد أحمد الغنام، د. محمد محمد الحسان، د. ويوسف عبد المعطي.

ومراكز التدريب المهني التابعة للادارة المركزية للتدريب لاعدادهم في مستوى العامل الماهر أو مساعد الفني وفق امكانات تطورهم .

وقد أصبح لدينا في اطار هذه السياسة الجديدة .

- معهد التربية للمعلمين والمعلمات ١٩٧٣/٧٢ .

- معهد الكويت للعلوم الصحية ١٩٧٥/٧٤ .

- المعهد التجاري بفرعيه بنين وبنات ١٩٧٧/٧٥ .

- معهد الكويت للتكنولوجيا ١٩٧٧/٧٦ .

سمات وخصائص

يتحدث الأستاذ أحمد المزروعي عن سمات وخصائص هذه المرحلة فيقول :

« لعل أبرز الجوانب في تجربة التطوير في هذه المرحلة هوانها اتجهت الى اشراك الجهات التي تخدمها برامج التعليم التطبيقي في - العمل - في مراحل دراسة جدوى هذه البرامج والتخطيط لها والاستعانة بعناصر من السوق في التدريس وفي تقويم الطلاب أثناء التدريب الميداني .

* انها حرصت على تبني مبدأ التعليم المستمر في تخطيط برامجها بحيث تكون هناك فرصة دائمة أمام القادر الراغب على مواصلة رحلة التعليم في مراحل أعلى ، ولتحقيق ذلك قامت بعقد اتفاقيات ثقافية مع « بوليتكنيك مانشستر » بانجلترا ، وجامعة « فلوريدا الدولية » بالولايات المتحدة ، كي تسمح للعناصر الممتازة من خريجي المعاهد التطبيقية بمواصلة الدراسة للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم التطبيقية بالاضافة الى فتح أبواب القبول في الجامعة في كليتي التربية والتجارة أمام العناصر الممتازة لاستكمال الدراسة بها .

* تبني سياسة التخصص العريضة في مجال الدراسة لضمان فرص عمل أوسع للخريجين ولمواجهة ديناميكية التغير في سوق العمل ، والتطور المتسارع في الصناعة والتقنية .

* استخدام إمكانات معاهد التعليم التطبيقي لتطوير بنية المهن والارتفاع بمستوى قوة العمل في المجتمع ولتقديم تغذية راجعة للمعاهد ، من خلال تقديم برامج تصممها المعاهد خصيصاً لتتناسب احتياجات بعض الجهات في سوق العمل في ضوء الاتفاق بينهما .

* تبني فكرة التقويم كجزء لا يتجزأ من العملية التعليمية ، وفي هذا الاطار قامت المعاهد الفنية بمشروع التقويم الذاتي بالاتفاق مع الرابطة الجنوبية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي الجهة المسئولة عن عمليات التقويم هناك لتبين جوانب النجاح والقصور في تجربة التطوير في هذا التعليم ، وقد استمرت هذه التجربة لمدة عامين كان ضمن نتائجها تيسير سبل استكمال طلاب المعاهد لدراساتهم في جامعة فلوريدا الدولية للحصول على درجة البكالوريوس .

وعن سلبيات أو مشكلات هذه المرحلة قال : الاستاذ المزروعي

* من أبرز التحديات التي لا تزال تنتظر حلولاً أفضل أن الجهود الوطنية على مستوى الدولة لم تلتحم في تكاتف كامل لدفع حركة التجديد في التعليم الفني والمهني بما يحقق أهدافها ، بحيث تتضافر أجهزة الاعلام وسياسة الأجور والتوظيف ، ووجود نظم إدارية مرنة تسهم في دفع الشباب للالتحاق بهذا التعليم بما يؤدي الى الاسراع بعملية التحول الاجتماعي لتحقيق التنمية .

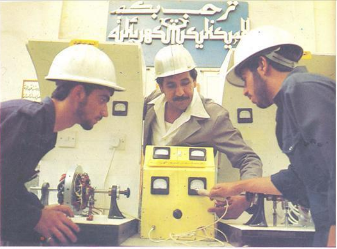
* لقد ركزت حركة التطوير على اعداد العمالة الوسطى الا انه يجب أن يتكامل اعداد الفنيين مع اعداد العمالة الماهرة ، لأن هذا القطاع ما زالت مسئوليته حائرة بين مدرسة نظام المقررات ، وبين التعليم الموازي الذي يقتصر حالياً على المتسربين من المرحلة المتوسطة وبين مراكز التدريب المهني ، مما يشير الى حاجة هذا القطاع الى وقفة تقويم ومراجعة .

* لا تزال مشكلة التعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل في مختلف القطاعات ، وأولوياتها ومتغيراتها من أهم المشاكل التي تواجه المخططين لاعداد العمالة مما يشير الى ضرورة توافر جهاز وطني مسئول عن تحديد مثل هذه الاحتياجات في المدى القريب واتجاهات تطورها في المدى البعيد .

* يحتاج أعضاء الهيئة التدريسية بمعاهد التعليم التطبيقي الى تنمية مستمرة لملاحقة التطور المستمر في عالم التقنية ، وفي سوق العمل ، وهذه خصوصية يحتاجها مدرس التعليم التطبيقي ، وما زالت جهودنا



درس في التشريح بمعهد
الكويت للعلوم الصحية



طلبة من قسم الكهرباه بمركز الشويخ للتدريب الصناعي



طالب من معهد الملاحة الجوية يعمل في غرفة الرادار

في هذا السبيل تحتاج الى خطة واضحة ودعم كامل لتحقيق هذه التنمية .

* ما تزال الخدمات المركزية للمعاهد غير قادرة على اللحاق باحتياجات المعاهد كالمكتبات ، والتقنيات التربوية وخدمات الحاسب الآلي . . . والخدمات النفسية والاجتماعية .

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب :

كان انشاء الهيئة في ديسمبر سنة ١٩٨٢ بداية مرحلة جديدة دون شك فقد تكونت الهيئة بضم قطاع التعليم التطبيقي الذي كانت تشرف عليه ادارة التعليم الفني بوزارة التربية وقطاع التدريب الذي كانت تشرف عليه الادارة المركزية للتدريب بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل .

فماذا كان الهدف من هذا الضم ؟

في مقدمة أول كتيب أصدرته الهيئة للتعريف بنفسها نقرأ العبارات :

« كانت الحاجة الماسة الى توفير رؤية شاملة لاحتياجات سوق العمل في الكويت الى العمالة بكافة مستوياتها من منظور شامل وراء انشاء هذه الهيئة ، حتى تكون الرؤية أوفى والحلول أشمل .

وكانت الاتجاهات التربوية الحديثة الداعية الى ازالة الحواجز بين التعليم والتدريب والعمل ضمن الحوافز الى انشاء هذه الهيئة .

القضايا كلها مترابطة ، والتكلفة الباهظة للتعليم التطبيقي والتدريب لا تسمح للمجتمعات بهدر أموالها وجهودها في تكرار الأنشطة والأجهزة هنا وهناك .

في الوقت الذي يمكن فيه من خلال توحيد الأهداف والجهود والتنسيق بينها الارتقاء بمستوى التعليم التطبيقي والتدريب معاً » .

ولكن عمر الهيئة الذي لا يتجاوز ثلاثة أعوام قد لا يسمح لنا بأن نبحث عن انجازات كبيرة في هذه المرحلة .. وخصوصا ونحن نسمع عن أن الهيكل التنظيمي للهيئة الذي تم تشكيله في البداية على عجل لتتمكن الهيئة من مباشرة مهامها يخضع الآن لدراسات جديدة تقوم بها « أكاديمية الانماء التربوي » وهي بيت استشاري مقره في نيويورك ومهمة البيت الاستشاري « اعادة تنظيم الهيئة العامة ومؤسساتها ومراكزها » .

التفتيش في الأوراق القديمة :

علينا أن نتريث قليلاً وأن نفتش في الأوراق القديمة ، ثمة تقارير على درجة من الأهمية تتحدث عن زيارات وفود من المسئولين في التعليم التطبيقي والتدريب لعدد من البلدان المتقدمة للاطلاع على مؤسسات التعليم التطبيقي والتدريب فيها . . . زيارات لانجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة واليابان .. كان ذلك خلال المرحلة الثانية عدا رحلة فرنسا التي تمت بعد انشاء الهيئة ، وفي هذه التقارير .

« مناقشات حامية مع رجال التربية والصناعة هناك حول مشكلات التعليم التطبيقي والتدريب : أسئلة ملحة ودائمة تتكرر في مراكز الفكر التربوي وعواصمه حول : علاقة التعليم التطبيقي بالتعليم العام . ونظام المدرسة الشاملة ؟

طريقتهم في التعرف على احتياجات سوق العمل في عصر التغيرات المتسارعة ؟

واعداد معلم التعليم التطبيقي ، والتنازع الذي لا ينتهي بين متطلبات نمو الفرد ومتطلبات سوق العمل ، ومشاكل التعليم الذاتي وضرورته في الوقت ذاته ، وتطوير برامج التعليم التطبيقي وفق منهج الكفايات ، وقضايا التعليم المستمر ، وبرامج خدمة المجتمع .. ومراكز المعلومات ، يا لها من ثروة هائلة ، كانت تلك إحدى الطرق في اعداد القادة الاداريين لهذا النوع من التعليم . . .

بعض هذه الأفكار قد خرج الى حيز الوجود في هذه السنوات الثلاث التي كنت أظنها لا تكفي لانجازات كبيرة . . .

ففي الطابق الخامس بمبنى الهيئة يوشك العمل أن يتم لانجاز الحاسب الآلي الخاص بالهيئة ، وبرامج خدمة المجتمع تدخل عامها الثاني ، وتقدم برامج ذات طابع تطبيقي .. يستفيد منها حوالي ٩٠٧ دارس ودارسة من الكويتيين وغيرهم .

وهذه الوثيقة البالغة الأهمية التي تتحدث عن أهداف وسياسات الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، لقد أعدتها ست لجان فرعية في المجالات التالية :

ـ الصناعة . العلوم التجارية ـ العلوم الزراعية والصناعات الغذائية ـ الخدمات التعليمية ـ الفنون والانسانيات ـ العلوم الصحية .

هل هناك جديد في قائمة الأهداف ؟

* هناك تأكيد على زيادة الانتاجية عن طريق التدريب المستمر للعاملين في البلاد من مختلف المستويات ، داخل المؤسسات التي يعملون بها أو خارجها .

* تحقيق الحراك الرأسي والأفقي في قوة العمل الوطنية من خلال تطوير برامج التعليم التطبيقي والتدريب .

* الاهتمام بالبحث العلمي في قطاعي التعليم التطبيقي والتدريب وتقديم الاستشارات والبحوث لطالبيها من المؤسسات الحكومية أو الخاصة في المجالات ذات العلاقة بنشاطات الهيئة .

* المساهمة في نشر الوعي الزراعي والغذائي بين النشىء في مدارس التعليم العام .

في مجال السياسات . . . :

وتتحدث الوثيقة عن :

ـ استحداث برامج جديدة مثل البكالوريوس في العلوم التطبيقية ٤ سنوات بعد الثانوية العامة .

ـ تحديد سياسة تشغيل الخريجين بما يكفل وضع الخريج في مكان عمله المناسب لطبيعة المؤهل الحاصل عليه ، مما يساعد في رفع كفاءة وفعالية الخريج .

قضايا المرحلة مع وزير التربية

من خلال هذه المرحلة الممتدة والمركزة نعود الى مواصلة الحوار مع السيد وزير التربية عن قضايا الهيئة في هذه المرحلة .

* الى أي مدى ترون أن وثيقة « أهداف وسياسات الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب » التي أقرها مجلس ادارة الهيئة تعبر عن دور الهيئة في المرحلة الراهنة حتى سنة ٢٠٠٠ ؟

ـ لقد وضعت هذه الوثيقة من قبل عدد من اللجان التي استمعت الى عناصر من ذوي الخبرة في سوق العمل في وقت كانت الهيئة في حاجة الى أن يكون أمامها دليل عمل يحمل مؤشرات للمستقبل . . . وهي بلا شك تحمل رصيداً كبيراً من الخبرة ، وتوضح مجال الرؤية لسنوات قادمة ، ولكن في اطار المتغيرات المتسارعة التي تؤثر على الكثير من الوقائع والظروف ، فقد يكون من المفيد اعادة النظر في مثل هذه الوثائق بين حين وآخر لتتعرض لمزيد من الدراسة ، وهذا لا ينقص أبداً من قيمة هذه الوثائق بل يضيف اليها وينميها .

* ما رأيكم في أنسب الوسائل للتعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل بالكويت ـ للكوادر الفنية الكويتية ـ بما يساعد على أن يجيء التخطيط لاعداد هذه الكوادر متلائماً مع احتياجات خطط التنمية وسوق العمل كماً وكيفاً ؟

ـ لا أظن أن جوهر المشكلة في المرحلة الراهنة يكمن فقط في هذا التعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل بالكويت ، ومع الاعتراف بأهميته والاشارة الى صعوبته في سوق عمل يتأثر بمتغيرات كثيرة ومتسارعة مثل سوق الكويت ، الا أن جوهر المشكلة هو في مدى قدرتنا على تضييق الفجوة بين الاعداد التي يمكن أن توفرها الهيئة من خريجيها وبين الاعداد المطلوبة بالفعل لهذا السوق من أبناء البلاد .

فاذا عدنا الى السؤال عن طريقة التعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل ، فهناك أولاً : البيانات والاحصاءات التي توفرها وزارة التخطيط ، والجهات المعنية في وزارات الدولة أو في سوق العمل .

كما أن هناك أسلوب الاتصال المباشر مع بعض مواقع العمل المؤثرة للتعرف على احتياجاتها . وفي هذا الاطار فان الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب تقوم بشكل دوري وسنوي بمخاطبة الجهات المختلفة ـ القطاع الخاص ، والمشترك والعام ـ لمعرفة احتياجاتهم من العمالة الوطنية ، كما تقوم بعقد لقاءات مع هذه الجهات لمعرفة مستوى الخريجين .

* كيف ترون السبيل الى تحقيق علاقات فعالة بين



طالب بمعهد الاتصالات السلكية واللاسلكية يعمل على جهاز تسجيل



طلبة بمعهد الملاحة الجوية يتدربون في برج المراقبة بالمطار

ـ المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية والصحية في الكويت وبين معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب بما يكفل الارتقاء بمستوى التدريب لطلاب المعاهد من ناحية ، وللعاملين بهذه المؤسسات من ناحية أخرى ؟

ـ اننا نعتقد أنه لا يمكن للتعليم التطبيقي والتدريب أن ينجح دون أن تكون هناك قنوات اتصال وثيقة بين الهيئة من ناحية وسوق العمل من ناحية أخرى .

وهناك عدة قنوات يتم خلالها هذا التفاعل منها :

ـ التدريب الميداني للطلاب في مؤسسات سوق العمل .

ـ الدورات التدريبية التي تقدمها الهيئة لتنمية العاملين في مؤسسات سوق العمل في اطار التدريب أثناء الخدمة .

ـ اشتراك عناصر من سوق العمل في وضع المناهج التدريسية والتدريبية بالمعاهد والمراكز وفي دراسات الجدوى للشعب الجديدة .

ـ اشتراك عناصر من سوق العمل في تقويم المتدربين .

ـ قيام اساتذة المعاهد والمراكز ببحوث تطبيقية تهتم في حل مشاكل موجودة في بعض قطاعات سوق العمل .

ولن نطيل في ذكر مجالات وقنوات الاتصال والتفاعل ، ولكن من المهم التأكيد على أن حسن اختيار العناصر البشرية المسئولة عن هذه القنوات يعتبر من أهم العوامل المؤثرة في توفير علاقات فعالة بين المؤسسات الصناعية والتجارية . . . الخ ، وبين معاهد ومراكز الهيئة .

استقرار الخريجين :

* ما أفضل السبل لضمان استمرار واستقرار خريجي معاهد ومراكز التعليم التطبيقي في العمل في مجالات تخصصهم بعد التخرج .

من أهم هذه السبل ما سبق أن أشرنا الى بعضه في وسائل تصحيح النظرة الاجتماعية ونزيد عليه .

ـ منح القسائم الصناعية للخريجين الراغبين في اقامة مشروع خاص .

ـ اصدار بعض التشريعات التي تشجع أو تدفع القطاع الخاص لاعطاء الأولوية في التوظيف لخريجي المعاهد والمراكز من أبناء البلاد .

كيفية توفير علاقات فعالة بين معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت وبين نظيراتها في الدول المتقدمة صناعياً ؟

يمكن القول ان الهيئة بدأت فعلاً في هذا التوجه قبل انشائها وعندما كان التعليم التطبيقي جزءا من وزارة التربية ، فلقد قامت وفود من الوزارة آنذاك بزيارة لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وتم توقيع اتفاقيات مع عدد من الجامعات والمعاهد المماثلة ، نذكر منها جامعة فلوريدا ، جامعة وينثورث التطبيقية وما نشستر بوليتكنك ، كما أن الهيئة حريصة على الاستمرار في توثيق علاقاتها مع المؤسسات العلمية المماثلة في الدول المتقدمة من خلال قيام مسئولين في الهيئة بزيارة هذه المؤسسات العلمية أو دعوة خبراء لزيارة معاهدنا في الكويت .



شعار الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

ولقد أسفرت هذه الاتصالات عن قيام مجموعة من الجامعات والمعاهد الأمريكية بانجاز مشروع التقويم الذاتي لمعاهد التعليم التطبيقي . كما أن استمرار الاتصالات سوف يساهم في تطوير معاهد التعليم التطبيقي ومراكز التدريب من ناحية ، وسوف يوفر لمبعوثي الهيئة المجال لاستكمال دراساتهم في الخارج .

ماذا عن الجامعة التطبيقية . . ؟

* يتطلع الكثيرون الى الجامعة التطبيقية باعتبارها الهدف المستقبلي للمرحلة القادمة ، فما مدى الحاجة الى انشاء جامعة تطبيقية في الكويت ؟ واذا كنتم ترون أن ثمة حاجة ملحة لهذه الجامعة ، فهل تكون معاهد التعليم التطبيقي نواة لمثل هذه الجامعة ؟

ـ كما أشرت في اجابة سؤال سابق ، فان التحدي الحقيقي الذي يواجه معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب الآن هو توفير العمالة الفنية الوسطى من أبناء البلاد لتلبية حاجة سوق العمل ، والعناصر الممتازة من خريجي هذه المعاهد والمراكز تقوم الهيئة بايفادهم في بعثات للخارج للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم التطبيقية في اطار اتفاقياتها الثقافية مع الجامعات في الخارج ، وبطبيعة الحال ثمة حاجة لهذه العناصر في سوق العمل ، ولكن الحاجة الأشد هي للعمالة الوسطى ، ومع تطور الحاجة في سوق العمل ، ومع تزايد أعداد الخريجين بعامة والعناصر الممتازة منهم بخاصة ، سوف يأتي وقت يصبح فيه انشاء جامعة تطبيقية في الكويت محققاً للجدوى الاقتصادية والعلمية والعملية ، وأفضل من إرسال الطلاب المتفوقين الى الخارج .

إن تحديد الوقت المناسب لانشاء مثل هذه الجامعة التطبيقية يحتاج الى دراسات كافية ، وفي النهاية الى قرار سياسي يستند الى نتائج هذه الدراسات ، وعندما يتم هذا كله فماذا يمنع أن تكون معاهد التعليم التطبيقي نواة لمثل هذه الجامعة ؟

تحدثتم عن اتجاه وزارة التربية لتقويم النظام التربوي في الكويت ، فهل تشمل هذه العملية تقويم التعليم التطبيقي والتدريب وما رأيكم في عمليات التقويم التي تمت قبل ذلك في التعليم التطبيقي ؟

ان عملية تقويم النظام التربوي في الكويت في هذه المرحلة تركز على التعليم العام بصفة خاصة وهذا كما اعتقد أمر بديهي ومنسجم تماماً مع التدرج الطبيعي في التعليم ، وعملية التقويم القائمة حالياً لها اتصال جزئي مع التعليم التطبيقي والتدريب ، فالتقويم في التعليم العام يمثل من بين أمور متعددة ـ المدرس ـ الذي يعتبر الركن المهم في العملية التربوية ، ومن هذه النقطة يبدأ الاتصال بين عملية التقويم القائمة حالياً ومعهدي المعلمين والمعلمات ، وهما المصدر الذي يزود المدارس بالمدرسين والمدرسات .

ولقد تم في السابق تقويم للتعليم التطبيقي والتدريب كان من نتائجه تطوير هذا النوع من التعليم بما يلائم حاجة البلاد في السنوات السابقة .

حوار بين تيارين :

ونلتقي مرة أخرى بالمهندس عيسى الرفاعي المدير العام بالوكالة للهيئة لنستكمل حوارنا معه حول الجديد من شئون الهيئة وقضاياها . . .

* ضمن أهداف انشاء الهيئة ازالة الحواجز بين التعليم والتدريب والعمل ، واعطاء دفعة لقطاعي التعليم التطبيقي والتدريب ، وبوصفكم مسئولاً في المرحلة السابقة عن الادارة المركزية للتدريب فإلى أي مدى يمكن القول بأن قطاع التدريب قد استفاد من ضمه للهيئة ؟

فأجاب سيادته :

رغم سلامة الأهداف التي دعت الى انشاء الهيئة وايماننا بها الا أن انشاء الهيئة قد حدث بالفعل وكأنه مفاجأة لقطاعي التعليم التطبيقي والتدريب معاً ، فلم يكن هناك ترتيب مسبق قبل هذا الدمج حتى يمكن للهيئة أن تبدأ بالنهوض بهذين القطاعين بالمستوى المنشود وبالسرعة المطلوبة ، فبعد انشاء الهيئة كان هناك كثير من المحاولات للتوفيق بين النظرة السائدة التي تقول ان التعليم التطبيقي هو الذي يجب أن يقود التطوير ، والنظرة الأخرى التي ترى أن التدريب هو العامل الأساسي في تنمية الموارد البشرية ، وحتى يتم التوفيق بين هاتين النظرتين أخذت المسألة جهوداً كبيرة من الهيئة بمعاهدها ومراكزها للوصول الى نقاط تفاهم مشتركة . هذا الحوار الطويل الذي حدث بين التيارين في حد ذاته

ارتقى بالعاملين في قطاع التدريب وبتفكيرهم ، ووسع من دائرة الرؤية أمامهم ، صحيح لم تكن هناك حركات تطوير مباشرة لأجهزة التدريب لكن يجب علينا أن نعلم أنه لا يمكن أن يكون هناك تطوير ما لم يكن جهاز التدريب نفسه لديه الاستعداد الكافي لهذا التطوير .

لكن الآن بعد ثلاث سنوات من انشاء الهيئة وصلنا الى درجة كبيرة من التفاهم حول أمور كثيرة مشتركة تمكننا من البدء في التطوير ، وهناك الآن توجهات جادة واستعدادات للتطوير في قطاع التدريب سواء فيما يتعلق بالمناهج أو أعضاء الهيئة التدريبية أو المباني ، وأيضاً هناك مؤشرات نحو إقبال خريجي الجامعات للعمل في معاهد ومراكز التدريب وهذا لم يكن موجوداً قبل انشاء الهيئة ، ونعتقد أنه سيكون له تأثير كبير في الارتقاء بقطاع التدريب داخل الهيئة .

*** في اطار الاتجاه الى الاستفادة من الامكانات المتاحة والمشتركة بين التعليم التطبيقي والتدريب ودعم العلاقة بينهما .**

علمت أنه كانت هناك لجنة اسمها لجنة القطاعات تبحث في امكانية تقسيم أنشطة الهيئة وفق قطاعات معينة كالقطاع الصناعي أو التجاري أو الصحي وهكذا . . بهدف توفير نظم خاصة تنهض بكل قطاع من هذه القطاعات في مجالي التعليم التطبيقي والتدريب معاً ، وتوفر سبل الاستفادة من الامكانات المتاحة والمشتركة بين القطاعين ترى الى أي شيء وصلت أعمال هذه اللجنة ؟

ـ هذه اللجنة تفرعت منها أربع لجان فرعية ، لجنة للقطاع الصناعي ، ولجنة للقطاع التجاري ، ولجنة للقطاع الصحي ، ولجنة التربية والانسانيات .

وقد وجدنا أن العامل المشترك بين التعليم التطبيقي والتدريب هو موجود بالأكثر في القطاع الصناعي ، وقد تم التركيز على الاهتمام باللجنة التي تبحث في انشاء التعليم الصناعي ، منطلقة من بحث التخصصات القائمة في معهد التكنولوجيا ومعاهد ومراكز التدريب ، ومعهد الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وهذه اللجنة لا تزال مستمرة في عملها ونأمل مع نهاية العام الدراسي أن تكون هذه اللجنة قد أنهت مهمتها وتوصلت الى توصيات محددة ، وفي الحقيقة نحن متفائلون بالتوصل الى فكرة القطاعات النوعية ، وعندما تنتهي هذه اللجنة من عملها سوف تبدأ بقية اللجان وفي بقية القطاعات ، مستفيدة من تجربة اللجنة الأولى .

هل تشارك الهيئة في وضع برامج التعليم الفني والمهني التي تقدم في مدارس التعليم العام ؟ واذا كانت هذه المشاركة غير موجودة فما رأيك في مدى الحاجة اليها ؟

حتى الآن ليست لنا هذه المشاركة ، وان كنا نتباحث مع الاخوة في وزارة التربية حول ضرورة تدريس الطلاب في مراحل مبكرة المفاهيم الأساسية للتعليم التطبيقي . .

أما بالنسبة للحاجة الى مشاركة الهيئة في وضع مثل هذه البرامج فأعتقد أنه أمر مهم جداً واننا سنصل الى حل بشأنه في وقت مناسب .

*** ما دور الهيئة في قضية التطوير الاداري التي يعتبرها الكثيرون من أهم الأسس الضرورية لتحقيق النهضة في البلاد واحداث التغيير ؟**

الهيئة بحكم قانونها لها دور رئيسي في التطوير الاداري وهو ما يطلق عليه التدريب أثناء الخدمة ، حيث أن هناك ـ كما يقولون ـ شبه بطالة مقنعة ، فنحن محتاجون لأفراد بعد إعادة تأهيلهم لوظائف فيها قصور ، وبعضهم ربما يعمل في وظائف تحتاجها الدولة لكن ينقصه التأهيل العلمي مع الخبرات التي اكتسبها أثناء الخدمة . وبطبيعة الحال فان الاصلاح الاداري سيعتمد في الأساس على اسلوب اعادة التدريب أثناء الخدمة لعدد كبير من العاملين ، وسيكون للهيئة دور فعال في هذا التطوير اذا ما انتهت اللجنة العليا للتطوير الاداري من عملها وتحددت الادوار في هذه العملية بالنسبة للأجهزة المختلفة المشاركة في هذه العملية . .

والآن ونحن في نهاية الرحلة هل يمكن أن نلخص ملامحها وقانون تطورها ؟

انها رحلة من النظرة الجزئية الى النظرة الشاملة . من تباعد نسبي بين المؤسسة التربوية وبقية المؤسسات في المجتمع الى التكامل والتآزر بينهما . من انفصال النظرية عن التطبيق ، والفكر عن العمل الى التلاحم بينهما ، في كيان عضوي واحد هو الفرد ، وكيان معنوي هو المجتمع . □



نبوءة العرّاف

شعر : عبد الملك عبد الرحيم

بظهرِ الغيبِ كنتِ معي .. وكنتُ - حبيبتي - معكِ
أرى مستبشراً .. في مو .. طنِ الأقمارِ .. مَطْلَعَكِ
فسبحانَ الذي سوّاكِ مِنْ نورٍ .. وأبدَعكِ
ولكنْ : زورقُ المجهو .. لِ ضيَّعني .. وضيَّعكِ
فهلْ مِنْ مرفأٍ يحنو .. فيجمَعُني .. ويجمَعكِ

***

أجَلْ .. لم نجتمعْ من قَبْلُ .. لكنَّا قريبانِ
عَرَفْنا صحبةَ الكلما .. تِ مِنْ آنٍ .. إلى آنِ
فأنتِ قصيدةٌ .. وأنا .. بدربِ الشعرِ عنوانُ
ويثري الشعرُ .. لو أنى قَصَرتُ عليكِ ألحاني
ويُثري .. لو تعانَقَ في .. خميلِ الحُبِّ .. قلبانِ

***

قرأتُك أحرفاً .. فكراً رشيداً .. يرفضُ الغثّا
يُبدِّدُ نورُهُ فكراً .. بليداً .. بالياً .. رَثّا
قرأتُ رؤى وإبداعاً .. على الصفحاتِ مُنْبثّا
قرأتُكِ وردةً .. تملي الهوى ... والشوقَ .. والبثّا
فأنتِ نبوءةُ العرّ .. افِ لي عن روعةِ الأنثى

***

تعالَيْ وردتي .. فلقد .. جفاني العطرُ .. والألَقُ
وأرّقَ رحلتي الإعصا .. رُ والتشريدُ .. والقلَقُ
تعالَيْ .. أو فظلّي نجمةً في الغيبِ تأتلِقُ
فنحنُ على المدى : نصفٌ تجاهَ النصفِ ينطلِقُ
وأخشى أن يوحّدَنا .. لقاءٌ فيهِ نحترقُ

وجهالوجه



الفريد فرج و عبد العزيز السريع

* لى صلة بالمسرح العربى وليس لى صلة !

* ضربة معلم .. هو ما فعله المخرج صقر الرشود فى مسرحية على جناح التبريزى .

* من قال ان الأجيال الجديدة عقيمة ؟ ان فيها كفاءات توازى كفاءات الأجيال الماضية وتزيد .

* ينضج التلفزيون المواهب .. بشكل سريع .. لكنه يحرقها بشكل سريع أيضا !

يلتقي في هذا الحوار رجلان من رجال المسرح العربي ، قدما للحركة المسرحية من ابداعهما وفنهما الجميل ما لا يخطئه الذوق السليم ولا تنساه الذاكرة .

أما الفريد فرج فهو مبدع المسرحيات التي أسهمت مع غيرها من مسرحيات في صنع نهضة المسرح العربي في الستينيات ، ومن تلك المسرحيات « على جناح التبريزي وتابعه قفة » ، و « سليمان الحلبي » ، و « النار والزيتون » و « حلاق بغداد » ، و « عسكر وحرامية » ، وغيرها .

وقد تولى الفريد فرج عدة مسئوليات في المسرح العربي في مصر ، الى أن اضطر تحت وطأة ظروف السبعينيات الى الهجرة الى أوروبا ، ولكنه ظل يحتل مكانة مرموقة لدى المسرحيين العرب ، فمثلت مسرحياته مرات عديدة في مدن عربية كثيرة .

وأما عبد العزيز السريع فهو كاتب مسرحي بارز من الكويت ، ألف عددا من المسرحيات منها « الجوع » و « لمن القرار الأخير » و « فلوس ونفوس » و « عنده شهادة » و « الدرجة الرابعة » و « ضاع الديك » كما اشترك مع صديق عمره المخرج صقر الرشود في تأليف عدة مسرحيات هي : « شياطين ليلة الجمعة » ، و « بحمدون المحطة » و « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ بم » وهو مراقب الشئون الثقافية بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ومقرر لجنة المسرح باللجنة العليا لتطوير الفنون .

يقول السريع :

ـ في النصف الأخير من شهر يونيه عام ١٩٧١ دخلت مسرح الجمهورية حيث مقر المسرح الكوميدى ، وأخذنى أحدهم الى مكتب مدير المسرح الكوميدى ومدير مسرح الجمهورية وقتها . دخلت لأسلم عليه ولم أدرك أننى أقابل لأول مرة كاتبا مسرحيا مرموقا ، كاتبا هو أحب كتاب المسرح اليّ . فقد قرأت انتاجه المسرحى المبكر ، واستفدت منه الكثير ، وتعلمت منه الشيء الوافر الذى أفادنى فى مسيرتى المسرحية ، والذى أعترف له بأنه نبهنى الى كثير من الأمور المهمة فى حرفه الكتابة المسرحية . لقد كان ذلك الرجل هو الاستاذ الكبير الفريد فرج ، الذى أثبت فى مسرحه بأن الجد لا يتنافى مع الفرجة ، وأن الكلمة الفصيحة قادرة على الاضحاك والامتاع وإثارة التفكير معاً ، وقادرة على التوصيل بشكل جيد اذا أحسنا انتقاءها ووضعها فى مكانها الصحيح . وقد توثقت معرفتى به بعد ذلك عندما حل بنا ضيفا فى الكويت ، واستفدنا من خبرته ومن علمه وحواراته الممتعة ، والتقيت به بعد ذلك كثيرا فى مهرجان دمشق ، ثم فى بغداد ومازلت أرتبط معه بصداقة وثيقة أتشرف بها ، وأراها شيئا عزيزا علي ، أرجو أن تمتد ما امتدت حياتنا .

قلت له :

فعل الغربة

• أين أنت يا أستاذ الفريد فرج من المسرح العربى الآن ؟

مشكلات المسرح

المسرح العربي يعاني من مشكلات معقدة ، بعد فترة ازدهار نادرة استمرت أكثر من عشر سنوات ، كانت حافلة بالعديد من العروض المسرحية الممتازة في مجال التجريب والتأصيل وتكوين الكوادر وانتزاع اعجاب الجماهير ، ماهي أهم مشكلات المسرح العربي وكيف الخلاص منها حسب رأيك ؟

ـ ان بعض ما يتواتر ويتناقله الناس من مشكلات ، ليس الا أوهاما . . المسرح العربي بما فيه المسرح المصري يعاني من بعض الأوهام الباطلة ، مثل توهم أو ادعاء أن المسرح الخاص لا بد أن ينجح على حساب المسرح المثقف وغير ذلك ، هذه كلها أوهام صنعتها خيوط الفشل ، وعندما يفشل المرء يصاب بالدوار ويتخبط في تفكيره ، تماما كما يحدث حين يصادف المرء نجاحا أكبر مما يحتمل ، فيصاب بالدوار وتتخاطفه الأوهام ايضا ، فالمشكلات التي نقرأ عنها كثيرا في الصحف ، وفي أعمدة النقد ، ويتناقلها كثير من الفنانين في الأحاديث الصحفية ما هي الا أوهام لا أصدقها ، وليست حقيقة ، وهي كلها أوهام باطلة أو رؤى كابوسية تنتابهم ، لأنهم يشعرون ان المسرح يتدهور بين أيديهم . أما المشكلة الحقيقية التي أعتقد أن المسرح يعاني منها فهي مشكلة النص في العمل المسرحي ، فالنص هو أصل العملية المسرحية . اننا نقرأ تاريخ المسرح . . فهل كان المسرح اليوناني فيما يعنيه لنا الا نصوصاً وهل عصر النهضة الذي نقرؤه والمسرح الأوروبي الحديث الذي تأسس عليه ، هل هو الا نصوص.م نحن نقرأ عن التيارات المسرحية والمدارس المسرحية فنقول الواقعية والوجودية والعبثية والتعليمية ، فهل هذه إلا نصوص.؟ . أنا لا أعلم من أين جئنا بما يتردد في أرجاء الحركة المسرحية من القول بأن الاخراج هو فن المسرح . وان المخرج هو رجل المسرح . هذا ليس صحيحا . وهذا ليس طعنا في زملائي المخرجين أو تقليلا من شأنهم ، فأنا أحبهم وأقدرهم وأعرف قيمة عملهم . ولكن هذا الخلل بين حيز الاهتمام الذي

ـ أنا من المسرح العربي الابن المغترب والفنان الحائر والرجل الذي له صلة بالمسرحوليس له صلة بالمسرح . فأنا أتابع ما تنتجه المسارح العربية لي ، واحب أن أنوه هنا بالانتاج المكثف لمسرح الشباب في الثقافة الجماهيرية لمصر ، التي استطاعت أن تصلني بجمهوري خلال السبعينيات بلا توقف ، فضلا عن المسارح الكبيرة المرموقة في مختلف الأقطار العربية . انا اذن مؤلف له صلة بالمسرح العربي لم تنقطع ، ولكني مؤلف كمعظم المؤلفين أيضا ليس لي صلة حقيقية بالمسرح العربي . حيث أنني حتى في أثناء وجودي في القاهرة كنت فاقدا السيطرة على انتاجي ، بحكم النظام القائم والمتبع في الاقطار العربية كلها وفي مصر خصوصا ، من سيطرة المخرج على العرض المسرحي التي لا تنازع ، والتي لا تناقش . .

حقيقة أنا كنت حريصا على اختيار أسهل المخرجين تعاملا مع المؤلف ، وأكثرهم ايمانا بقيمة النص كعنصر أساسي في المسرح . ولكني منذ غادرت القاهرة لم أعد أستطيع اختيار المخرج ، أو حتى التفاهم مع المخرج على خطة الاخراج قبل الاخراج . ولذلك فانني اشعر كأني أب ، أبناؤه في مدن بعيدة لا يمكن الوصول اليها ، وانما هو يتصل بهم اتصالا روحيا ، أو اتصالا من خلال الأنباء ، ومن خلال التراسل احيانا . ولكن ذلك لا يغنيه عن الشعور بأهمية الالتصاق بمسرح ما ، أو الاتصال بالانتاج المسرحي الذي يتم على أساس مسرحيات من تأليفي . . صلتي بالمسرح العربي اذن صلة تقوم على امتداد خيط دقيق . ولا أعرف أحيانا اذا كان الخيط موصولا أو انه خيط أتوهمه . ولكنني على أي حال اعرف أنني أكتب للمسرح العربي . وحين أختلي بنفسي وأكتب ، فانني أتصور ممثلين بعينهم مصريين أو غير مصريين من الممثلين الذين أعجبت بهم وأحببتهم . . وأتصور اخراجا باسلوب معين . ربما كان من ذكرياتي مع بعض المخرجين ، او من مذكراتي ، أوهم نفسي أنني حقيقة أؤلف لهؤلاء الممثلين أو لهؤلاء المخرجين ، وأحيانا أضحك مع نفسي وأقول لنفسي صناعتك الايهام فلم لا تتوهم وترتاح .

يتمتع به النص ، وحيز الاهتمام الذى يتمتع به الاخراج هو الذى يؤرقني وهو مشكلة رئيسية من مشاكل المسرح العربي .

التبريزى والمكانة الخاصة

ـ تعتبر مسرحية « على جناح التبريزى وتابعه قفة » من أهم أعمالك ، وهى من وجهة نظري تتربع على قمة الأعمال الابداعية العربية . ومن أهم المسرحيات التى كتبت للمسرح العربي . ونحن نعلم أنها أخرجت أكثر من عشرين مرة . وعرضت عشرات المرات على جماهير المتفرجين العرب . فهل من أخبار عن هذه المسرحية ، وهل مازالت تلفت أنظار المخرجين الممتازين سواء فى داخل الوطن العربي أو خارجه ؟

ـ أوافقك على أن التبريزى تحتل مكانا خاصا من بين مسرحياتى ، وان كنت لا أعرف لماذا . ولكن هى مازالت تثير المخرجين . وآخر المخرجين الذين أثارتهم هو بيتر كوريش الألمانى ، الذى أخرجها فى مسرح باخ فى برلين الغربية ، وعُرضت من تاريخ ١١ يوليو الى الآن فى مدينة برلين . ولا أعرف مسرحية تبارى النقاد في تفسيرها من بين مسرحياتى مثلها . وأنا أهتز طربا حين أستمع لتفسير لم يسبق حول هذه المسرحية . بعض التفسيرات تجدد ذكرياتى عن ظروف تأليف المسرحية . ويضاعف عنصر الفكاهة فيها . وتراني أضحك مما أسمع . اما المخرج الألمانى فقد قدم مثل هذا التفسير فى تلفزيون ألمانيا الغربية حيث قال ان مسرحية التبريزى دراسة عن الأمل . وقال ان معناها أن الانسان يستطيع أن يفقد ثروته وأن يفقد جاهه ، ويستطيع أن يفقد حتى أصدقاءه ، ولكنه لا يحتمل أبداً أن يفقد أمله . ولذلك يقول المخرج انني في المشهد الأخير حين تنكر قفة ليوهم أنه شيخ قافلة التبريزى ، هذه القافلة الوهمية التى جاءت لتنقذه من الدائنين ، لم اجعله يتنكر تنكرا كاملا . لأنى كنت أعلم أنهم لا بد سيصدقون ويتعلقون بهذا الأمل وبهذه القافلة ، بشكل يعمى أبصارهم . لانهم في الأساس يبحثون عن أمل ... وخشبة للخلاص . نعم إن التبريزى قد انتقلت بين مسارح كثيرة جدا وانتقلت أيضا فى مصر بين مسارح الشباب .

*** أخبار التبريزى وتداعياته لها اهتمام خاص فى نفوسنا ، وذلك لأن لنا فى الكويت تجربة مع التبريزى ، تجربة نعتبرها من أهم التجارب التى مرت بها الحركة المسرحية الكويتية ، فقد قام باخراجها زميلنا الفنان الراحل صقر الرشود ، ومثل فيها فريق من المسارح الأهلية الأربعة فى الكويت . كلهم تضافرت جهودهم من اجل تقديم هذا العمل . وأنا أعتقد أنهم نجحوا الى حد كبير فى تقديمه بصورة طيبة . وتنقلوا فى العواصم العربية من دمشق الى تونس ثم ليبيا ثم القاهرة ، وكان النجاح حليفهم بفضل هذا النص الكبير**

ـ أوافقك تماما وأضيف أن صديقى الراحل صقر الرشود قد أبدع فى اخراج هذا المسرحية ابداعا لفت أنظار الجميع . وقد عرضت مسرحية التبريزى التى انتجتموها فى الكويت فى الفيديو كاسيت على المخرج الألمانى فاعجب بها جدا . وقال ان وضع المسرحية فى الاطار الفولكلورى الكويتى كان (ضربة معلم) من المخرج . كما أنه أشاد اشادة خاصة بغانم الصالح وبمحمد المنصور وبالفريق كله ، وطلب منى أن أبلغهم اعجابه ، وان أبلغ الفريق ثناءه واعجابه العام بهم . والى جانب ذلك طلب منى منذ سنتين أن أمد مهرجان أدنبرة المسرحى السنوى الذى يعقد بأدنبره فى انجلترا ، وتشترك فيه فرق من جميع أنحاء العالم « بكاسيت » لمسرحية عربية ، حيث كان الى جانب المهرجان ، مهرجان للمسرح التلفزيونى أو التلفزيون المسرحى . وكان فى المهرجان صالة لعرض الفيديو كاسيت ، وقد نالت المسرحية المخرجة في الكويت أعجاب وتعليق كثير من المشاهدين الذين جاءوا لحضور محاضرة القيتها عن المسرح العربى فى الستينيات ، وسألونى أسئلة كثيرة عن الكويت وعن المسرح فى الكويت وعن فنانى الكويت بهذه المناسبة .

عن الأجيال التالية

*** لقد ظهرت فى جيل واحد متقارب أو زمن متقارب مع العديد من الأسماء المرموقة واللامعة فى مجالات المسرح على اختلافها فى التأليف والإعداد والاخراج والتمثيل ، وهى أسماء ليست بحاجة لتعداد . برأيك هل هناك تيار أو مجموعة تالية تخلف هذا الجيل ، لها نفس التصورات ، أو تصورات متقاربة ، وبينها نوع من الانسجام ، بحيث تشكل تجمعا قادرا على التعويض والمزاولة والاستمرار ؟**

ـ صدقنى أن بلادنا ولادة كما قال الشاعر ، وان الاجيال الجديدة تزخر بفيض من الكفاءات يوازى هذه الكفاءات القديمة . ولكن المشكلة أن العناية التى تمتع بها الفنان فى الستينيات لا يتمتع بها الفنان الآن . والمنافسة الحادة بين التلفزيون والمسرح لا تسمح للمسرح بحل مشاكله والاحتفاظ بكتابه ونجومه ومخرجيه . وهذا تقصير من المسرح . فالمسرح يجنى بيديه ثمار اهماله ، اذ هو اهمل حل مشاكله والتصدى لها بشكل جذري . والمسرح فى كل الدنيا تعرض لهزة حين تم صنع التلفزيون ثم حين تم صنع الفيديو كاسيت . ولكن المسارح اليقظة والواعية تصدّت لهذه المشكلة وعالجتها بسرعة واستطاعت أن تحافظ على كيانها وفنانيها دون أن تهتز . ونحن نرى الآن حجما أكبر من الفنانين والكتاب أكثر ممن كانوا فى الستينيات . . ونرى رعاية أقل . وتأملا أقل . لأن التلفزيون من شأنه أن يلتهم المواهب ويهلكها . فالتلفزيون يلتهم هذه المواهب وينضجها مبكرا لكنه يحرقها مبكرا . ان فنانى هذا الجيل ضحية التلفزيون . ولا أحد يتولاهم بالرعاية . وحتى الحركة النقدية لا تُبصّرهم بما هم متعرضون له . والمسارح قد استسلمت أمام هذا الزحف التلفزيونى وأسلمت له نجومها بمنتهى الاهمال وبمنتهى اللاوعى . كأن هذا قدر قد فرض على المجال الفنى ولا راد له ، وهذه حالة خطرة تتعرض لها مواهب هذه الأمة؛إنه خطر لم يسبق له مثيل . وانى أناشد وزارات الثقافة والمسارح القومية والمؤسسات الثقافية بحث هذا الخلل فى المجال الفنى ، واعادة الثقة الى الحياة الفنية واعادة الفنان الى توازنه واتزانه ، وعدم سرعة السلق فى انتاجه ، والقدرة على تأمل عمله وعلى تنمية موهبته ، الى آخر هذه الأشياء التى لا تعنى الفنان وحده ، ولكن لا بد أنها تعنى الأمة كلها .

غربة مؤقتة

*** إنك تعيش غربة مؤقتة ، وانك الآن تسكن أوروبا بين برلين ولندن ، وتستقر فى لندن ، متى نأمل فى العودة الى أرض الوطن ومعها بشائر بانتاج مسرحى جديد ؟**

ـ لا بد أن أذكر هنا قولا للدكتور على الراعى أضحكنى ، فقد أتهمنى اننى أكثر من وعود العودة . دون ان أفي بوعد من هذه الوعود . وأشكر للدكتور علي الراعى على هذه الملحوظة . ولكن اجابة عن هذا السؤال فإنني أقول : اننى أتمنى كل يوم العودة الى وطنى لأن هذه العودة حتمية . وهى شعور يشعر به أي مواطن ، فما بالك بكاتب مثلى أحب بلاده وأحب شعبه واحب أمته وأحب مسرحه . ولكنى أشفق على نفسي من هذه العودة . . الانسان قد يستطيع تحمل الغربة ، ولكنه لا يحتمل الاغتراب فى وطنه ! أحب أن أعود الى مسرح الأزبكية لأمسح أعمدته بيدى ، ولا أريد أن أشعر ساعتها أننى لست فى بيتى . وهذا هو بيتى الذى أنفقت فيه أيامي وليالي . لقد احببته وقرأت نقوشه وأحفظها عن ظهر قلب . وعرفت حين بُني هذا المسرح لماذا أراد شوقى أن يكتب على قمة خشبته بيته الشهير . □





البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى: (اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون.. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين) .

الانبياء « ٥٢-٥٤ »

قال ابن سعد كاتب الواقدى فى كتابه « الطبقات الكبرى » إن اهل مكة ما اشتدوا وغلظوا فى معارضة النبى حتى هاجم آباءهم ، ونعتهم بالكفر ، وسفّه أحلامهم ، وان شكواهم الى عمه أبي طالب كانت من انه « ضلل آباءنا . . وانا والله لانصبر على شتم آبائنا » .

وقد شن القرآن الكريم هجوما عنيفا فى آيات كثيرة على تعلق الناس بالقيم والآراء والعقائد الموروثة عن الآباء ، رغم مخالفتها للعقل ، ومناقضتها لكل منطق فقوم النبى (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) - هود ١٠٩ - غير ان عقائد الآباء ليست صائبة بالضرورة (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) - البقرة ١٧٠ - . فإن كانت معتقداتهم فاسدة فلا ينبغى قبولها (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ، إن استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) . - التوبة ٢٣ - . كذلك فإنه بمضي الأيام والعصور ، وبنمو المعارف وتراكمها ، قد يدرك الأبناء من الحقائق مالم يكن للآباء والأجداد به علم (يا أبت اني قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتّبعنى) - مريم ٤٣ - . واذ المرء بطبيعته عدو لما يجهل ، فالغالب ان يتشبث الآباء بمعتقداتهم البالية : (بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه) يونس ٣٩ . ومن حق الأبناء أن يجادلوا آباءهم فيما يذهبون اليه (اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) مريم ٤٢ . كما أن من حق الأبناء حينئذ ، بل وواجبهم أن يتركوا نهج الآباء . (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون) الزخرف ٢٦ . ذلك أن الله أحق أن نخشاه من الآباء . (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) البقرة ٢٠٠ . فإن ثبت لنا بالتروى والتفكير أن

آباءنا قد جانبوا الصواب والحق ، فعلينا أن نختار الصواب والحق (قل أوَ لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) الزخرف ٢٤ .

والواقع أن هذا الموقف من الآباء والسلف لم يقتصر على الجاهلين ، فالكثيرون من الغلاة اليوم يأبون الخروج عن نهج السلف في كل شأن من شئون الحياة ، حتى ما تعلق منها بمعايش الدنيا الفرعية ، ويذهبون الى أنه لا سبيل الى صلاح أمور الأمة الا بالعودة الى الماضي ، والالتزام حرفيا بسنة الأسلاف . وهو قول سليم ان كان يعني التنقيب عن الجوهر الأصلي للدين ، وإزاحة ما تراكم على هذا الجوهر خلال عصور طويلة من الخرافات والأوهام ، مما حجب عن المسلمين معنى الاسلام الصحيح . غير انهم انما يعنون ان على المؤمن ان يأخذ بالإتباع ، ويرون في كل رأي مستحدث عصيانا وكفرا ، ويرفضون الاجتهاد الذي سيظل دائما الجوهر الحي للتاريخ ، ويقصرون الحق في التفكير على الأموات .

وفي اعتقادي ان أحد الأسباب الجوهرية لهذا الميل المبالغ فيه الى تمجيد الماضي والاسلاف هو شغف العربي بالأوضاع والأشكال المثالية ، حتى مع ادراكه في قرارة نفسه أنها تناقض الواقع ، وتخالف الحقيقة وطبائع الأشياء . وهو واجد في هذه الصورة المثالية ما يرضي حاسته الجمالية إرضاء لا توفره فوضى الواقع الذي يعيش فيه وتعقده . وقد تمت من هذا الميل عنده طبيعة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتردية حوله . فالانسان الذي تعتمل في نفسه مطامح وأفكار ومشاعر ورغبات من الصعب أو المستحيل عليه أن يترجمها الى واقع بسبب الظروف التي يحيا في ظلها ، هو أميل من غيره الى أن يلقي بنفسه في خضم عالم خرافي يرضيه عاطفيا ، ويسمح له بأن يعيش ولو للحظات قصار في جو من نسج مطامحه وأحلامه ، فاذا هو في فكره يراعي رغباته لا واقع الأمور ، وينظر الى الناس والأشياء والى الماضي كما يحلو له ان تكون عليه ، لا كما هي عليه أو كانت عليه فعلا .

وقد كانت الأوضاع الاقتصادية العصيبة لدى غالبية أفراد المجتمعات الاسلامية أحد أسباب اختيارهم الهرب الى الماضي ، علهم يجدون في أمجاده تعويضا عن واقعهم البائس . فهنا حاجة ماسة الى أن يعثروا في تاريخهم على أيام مجيدة سبقت التدهور الذي يعانون منه ، وعلى شخصيات تاريخية مضيئة سبقت الخلف الطالح الذي يعايشهم . وما دامت هناك مثل هذه الحاجة الملحة ، فلا مفر من ظهور أناس يستغلونها ويجدون في محاولة اشباعها .

فهناك من ناحية التنظيمات المغالية التي يهمها أن تجتذب انصارا جددا لها . وما من شيء يجذب الأنصار قدر ما يجذبهم الحديث عن روعة الماضي ، وعظمة السلف ، ثم عن فاسد حال الأمة اليوم وكفر أهلها . هذا الموقف من جانب تلك التنظيمات ليس في حقيقة الأمر موقف من يسعى الى توفير الحلول لمشكلات مجتمعه ، وانما هو موقف من يريد تخدير أناس فشلوا في حل مشكلاتهم ، من أجل اجتذابهم بعد ذلك الى هذه التنظيمات لأغراض سياسية ضيقة .

وهناك من ناحية اخرى بعض اولئك الوعاظ والمؤرخين الذين يستجيبون لهذه الحاجة سعيا وراء كسب الرضا والشعبية أو المال والنفوذ . فهم في تعرضهم للماضي يعمدون الى ليّ الحقائق ، وتطويع الثابت ، ويكتبون التاريخ على ضوء أهداف محددة سلفا ، ويفهمون أحداثه وشخصياته الفهم الذي يهوونه ، والذي تفرضه الحقيقة السيكلوجية لا الحقيقة الواقعية وفي رأيي أن فهم الذات والمجتمع والحاضر متعذر في مثل هذه الحالة . وليس ثمة مخرج لنا من التحجر الذي نعاني منه ، سوى الكف عن الحنين الى الماضي بشكل غير عقلاني ، الى ماض هو - الى حد كبير - من نسج خيالنا نحن وخيال مؤرخينا ، وعن التحسر على أنفسنا والسير هائمين ، وقد التوت أعناقنا من فرط تلفتنا الى الوراء ، بدلا من التطلع دوما الى مستقبل أفضل بفضل المزيد فالمزيد من الانتاج والاجتهاد ، وعلى ان نُحَكّم في كل ذلك عقولنا ، فسلطان العقل هو الذي يحدد لنا ما ينفعنا من الماضي ومن الحاضر . □

"التكافل الاجتماعي ومظلة التأمينات"

عدل بلا دموع

بقلم : محمود عبد الوهاب

« منذ اليوم الأول للاستقلال ، انطلقت الكويت تسعى لتحقيق حلم دولة الرفاهية لأبنائها .. وقفزت بذلك على عديد من التجارب والخبرات الانسانية ، التي نال فيها أصحابها قدرا من العدل ، دفعوا ثمنه كثيرا من الدماء والدموع » .

عندما انطلقت الثورة الصناعية في أوروبا ، عرف العالم نظام التأمينات الاجتماعية ، الذي يعرف ببساطة بأنه نوع من أشمل أنواع الضمانات الاجتماعية ، والذي ترعاه الدولة ، ويهدف الى حماية أصحاب الأجور والعاملين في القطاعات المختلفة ، هم وأسراتهم من الضائقات الاقتصادية ، ولضمان حياة كريمة لهم في حالات المرض والبطالة والعجز والشيخوخة ، أو عند التعرض للاصابة أثناء ممارسة العمل .

وتقوم نظم التأمينات على عدة تشريعات قانونية تتبناها الدولة ، وتعتمد في تدبير المساعدات المالية على صندوق تشارك في تمويله الحكومة ، وأصحاب الأعمال والعاملون ، وذلك وفق نسب متفاوتة .

ومنذ بدء نظم التأمينات الاجتماعية حتى يومنا هذا ، والصراعات والصدامات بين الحكومات وأصحاب الأعمال والعمال تتوالى .. وعلى مدى مسيرة التطور الانساني منذ عصر الثورة الصناعية ، كان هناك ثمن فادح من اضطرابات واضرابات ومظاهرات وصراعات ، بحثا عن هذا الضمان الاجتماعي .. والانساني ..

كثير من الدموع والدماء

ولقد شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .. كثيرا من الدماء،فبينما كانت هذه الفترة هي فترة الاستقرار والازدهار للثورة الصناعية ، كانت فترة عذاب وجوع ومرض حتى الموت للعمال ، وتحدثنا كتب الاجتماع عن « عنابر قذرة » مليئة بالأمراض ، وبشر يموتون جوعا أو ضعفا ، واستبداد لانهائي من أصحاب الأعمال ، وشهدت أوروبا مهد



عندما قررت الدولة صرف زيادة عشرة دنانير عن كل طفل ، بكلفة ١٧ مليون دينار،تواقد آلاف المتقاعدين الى المؤسسة لحساب معاشاتهم .

الثورة الصناعية ثورات عديدة،من ثورة ١٨٣٠ ، إلى ١٨٤٠ وثورة ١٨٧٠ .. ولُقِّنَ الثائرون فيها دروسا موجعة ، وكثيرا ما تجمع العاطلون والعمال والمرضى والعجزة والمفكرون الأحرار ، وساروا في مسيرات كبرى ، واصطدموا في النهاية برجال الأمن .

ولقد انتهت هذه الثورات الى ذكريات بطولة حقيقية ، ولكن آثار جراحها ظلت تنزف من جسد الشعب ، بل وصل الأمر في بعض الأحيان أن لجأت الحكومات الى أقسى الاسلحة عنفا ، وهو دفع الجيش الى الشوارع ، لكي ينتقم من جموع الغاضبين ، يشتت المظاهرات ويفتك بها حتى آخر متظاهر يقف أمامهم .

ويذكر تاريخ أوروبا ـ والعالم ـ كيف استدعت بريطانيا ـ سيدة العالم وقتئذ ـ الأميرال ويلسون بطل ووترلو من جبهة القتال ، كي يقود حملات الجيش ضد العمال المتظاهرين في شوارعها وميادينها .

ومع محاولات الانفراج والاصلاح المتعددة ، التي اتبعتها الحكومات المختلفة ، وعلى مدى زمن طويل .. بدأ مفهوم التأمينات الاجتماعية يتبلور ، وتترسخ نظمه ، وعلى امتداد خريطة العالم اختلفت وتباينت المزايا التي يحققها هذا النوع من أنواع الضمان الاجتماعي .. وهنا في الكويت واحد من أفضل نظم التأمينات المعمول بها ، التي تكفل للفرد مستوى حياة كريمة ولائقة .

دولة الرفاهية

منذ أول يوم بعد الاستقلال ، بدأت الكويت رحلتها مع تحقيق حلم دولة الرعاية والرفاهية لأبنائها ، ولقد ساعدها النفط ـ هبة الله ونعمته ـ في توفير السيولة والتمويل اللازمين للانفاق على مشروعات الخدمة الأساسية ، وأوجه الرعاية المختلفة .

وبدأت خطط الاعمار والتشييد ، وواكبتها خطط توفير الرعاية الأساسية للمواطن والارتقاء بها كما وكيفا .. فكان هناك مثلا طبيب واحد لكل ٨٩٢٠ نسمة ، وممرضة لكل ٥٨١٠ نسمة ، وكان عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية في نسبتهم الى مجموع عدد السكان في سن التعليم الثانوي ٣٧٪ فقط وسرعان ما

تغيرت هذه الصورة ، فصار هناك طبيب لكل ١٨٠٠ نسمة ، وممرضة لكل ١٨٥٠ نسمة تقريبا ، وارتفع عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية ، ليقارب٦٧٪ من مجمل عدد السكان الذي في سن التعليم الثانوي ، وواكب هذه التطورات والرعاية الاجتماعية ، رعاية أخرى في مجال توفير الخدمات الأساسية ، من طرق ومواصلات وتعليم واسكان وصحة . . الخ .

وسجلت الكويت بذلك انها واحدة من الدول القليلة في العالم ، التي يتمتع مواطنوها بأعلى قدر من الرعاية الاجتماعية ، وأنها انتقلت وفق تقارير البنك الدولي ، الذي يضع في حسابه المؤشرات السابقة بالاضافة الى مستوى الدخل . . انتقلت من مستوى دول الرعاية . . الى صفوة دول الرفاهية .

قصة نجاح

صدر الأمر الاميري بالقانون رقم ٦١ في عام ١٩٧٦ ، بانشاء المؤسسة العامة للتامينات الاجتماعية،التي بدأت عملها في أول اكتوبر من العام نفسه ، ومن داخل شقة صغيرة تتكون من غرفتين وردهة ، وتحت رئاسة أول مدير للمؤسسة « حمد الجوعان » بدأ عمل شاق وطويل ، وفي الفترة من ١٩٧٧/١٠/١ ، تاريخ بدء تطبيق التأمين الأول وحتى أول مارس ١٩٨١ ، حققت المؤسسة انجازات رائدة ، فقد بدأت المؤسسة بالتأمين على العاملين في القطاع الحكومى والقطاعين الأهلي والنفطي ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ينضم فيها العاملون في القطاع الأهلي والنفطي ، تحت مظلة التأمينات ، اذ لم يكن لهم من قبل سوى الحق في مكافأة نهاية الخدمة ، ثم امتدت الحماية التأمينية لتشمل بعد ذلك العسكريين ، وأصحاب الأعمال ، والعاملين لحسابهم الخاص ، ومن في حكمهم ، وبذلك استطاعت المؤسسة خلال أربع سنوات فقط منذ بدء العمل بنظام التأمينات الاجتماعية ، في العام ١٩٧٧ ، أن تحقق حمايتها لكافة المواطنين أيا كان موقع عملهم ، أو نوع النشاط الذي يزاولونه .

ولقد استطاعت المؤسسة أن تصل الى هذه النتيجة ، بدعم من الدولة ، وباسلوب ادارة أمثل ، فالمؤسسة تعتمد اعتمادا كاملا على أحدث أساليب الادارة ونظمها ، وأفضل طرق استخدام الحاسب الآلي ، واستخدام الكمبيوتر ، بحيث يتضمن استخدام التقنية الحديثة سهولة الأداء ودقته ، وتوفير العمالة المكتبية ، بحيث يظل الجهد البشري في العمل متاحا فقط للوظائف والأعمال التي لايستغنى فيها عن البشر .

تفرد بلامثيل

ولقد نجحت تجربة تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية ، في تحقيق رعاية بمزايا لامثيل لها في أي نظام تاميني في العالم ، وفي لقاء مع مدير عام المؤسسة السيد فهد مزيد الرجعان ، سألناه عن مصادر تمويل التأمينات ، وعن المزايا التي يوفرها النظام التأميني للمؤمن ، وعن تفسيره لكيفية ازدياد متوسط المعاش التقاعدى على متوسط المرتبات . . . قال المدير العام للمؤسسة :

يُمَوَّلُ النظام عن طريق الاشتراكات الشهرية التي تتوزع بين المؤمن عليهم وأصحاب الأعمال والخزانة العامة . ونسبة اشتراك المؤمن عليهم هى (٥٪) فقط من المرتب بالنسبة للعاملين لدى غيرهم ، ويتحمل أصحاب الأعمال بنسبة ١٠٪ من مرتبات العاملين لديهم ، أما مساهمة الدولة فتبلغ (١٠٪) من المرتبات أي ما يعادل (٤٠٪) من تكلفة النظام ، وذلك كله بالنسبة للعاملين المدنيين ، أما العسكريون فان اشتراكاتهم تبلغ (٥٪) من مرتباتهم أيضا ، وتزيد اشتراكات أصحاب الأعمال واسهام الدولة عنهم عما هو مقرر بالنسبة الى المدنيين ، نظرا لزيادة تكلفة النظام الخاص بالعسكريين ، لما يتضمنه من بعض المزايا الخاصة بهم والمقررة ، مراعاة لطبيعة العمل العسكري وظروف أدائه . وفضلا عن مساهمة الدولة على هذا النحو الكبير ، مما يندر أن يوجد له نظير ، فان الخزانة العامة تسد أي عجز يمكن أن يحدث في أموال صناديق التأمينات الإجتماعية .

أما المزايا التي يكفلها النظام التامينى للمؤمن ، فهى معاشات تقاعدية في حالات الشيخوخة والعجز والمرض والوفاة ، ومنح نقدية في حالات الوفاة ، كما يقرر القانون صرف مكافآت تقاعدية لمن انتهت خدمتهم قبل استكمال المدد القانونية ، ولكن التميز



• حمد الجوعان ،
أول مدير للمؤسسة



فهد الرجعان
المدير الحالي للمؤسسة

الحقيقي الذي يصعب أن تجد له مثيلا في أي نظم تامينية أخرى ، هو في نظم المعاشات التي نلاحظ عليها المميزات التالية :

(١) ان الحد الأدنى للمعاش التقاعدي يصل الى (٦٥٪) من المرتب الأخير ، أما الحد الأقصى فهو يصل الى (٩٥٪) من المرتب الأخير ، بعد مدة خدمة قدرها ثلاثون سنة فقط،ويرتفع بالنسبة الى العسكريين في بعض الحالات ليصل الى (١٠٠٪) من المرتب .

(٢) يقرر النظام معاشات في حالات العجز أو الوفاة أو المرض ، الذي يؤدي الى انهاء الخدمة ، وذلك دون اشتراط أي مدة اشتراك قبل استحقاق المعاش . فلو حدثت الوفاة مثلا في اليوم الأول للالتحاق بالعمل ، فان أسرة المتوفي سوف تحصل على المعاش التقاعدى ، بينما نجد أن كثيرا من أنظمة التامينات في الدول الأخرى ، تشترط قضاء مدة معينة قبل استحقاق هذا المعاش .

(٣) يسمح النظام بضم مدد اعتبارية لاستكمال مدة المعاش ، في الحالات التي تنتهي فيها الخدمة ، قبل أن تتوافر للمؤمن عليه المدة الكافية لاستحقاق المعاش .

في ضوء فهم هذه الفلسفة ، التي تكمن وراء نظم عمل المؤسسة ، يمكن أن أوضح ـ والحديث مازال لمدير عام المؤسسة ـ كيف زاد متوسط المعاش عن متوسط المرتبات .

أشير ابتداء الى أن قواعد حساب المعاش في النظام الكويتي ، تؤدي في الكثير من الحالات الى اقتراب المعاش التقاعدى ، أو تساويه مع المرتب الأخير ، الذي كان يتقاضاه المؤمن عليه،فالمعاش يحسب على أساس آخر مرتب شهري ، والحد الأقصى له (٩٥٪) من هذا المرتب أو (١٠٠٪) بالنسبة الى العسكريين في بعض الحالات . وقد أضيفت الى المعاشات التقاعدية منذ سنة ١٩٧٩ عدة زيادات ، آخرها في ١٩٨٥/٨/١ ، وذلك لمواجهة الارتفاع في تكاليف المعيشة ، وبعض هذه الزيادات تم تحديدها تبعا لعدد أولاد المتقاعد ، وطبقا لنظام التأمينات الاجتماعية ، فان الزيادة التي منحت عن الأولاد لايوقف صرفها اذا أصبح الولد قادرا على اعالة نفسه وفي حالة زواج البنت ، حيث القاعدة أن المعاش قابل للزيادة دون النقصان ، بينما يختلف الوضع بالنسبة الى الموجودين بالخدمة،حيث أن علاوات الأولاد التي يقررها نظام الخدمة يوقف صرفها اذا اصبح الولد قادرا على اعالة نفسه ، وفي حالة زواج البنت ، ومن هنا جاءت الظاهرة التي أشرت اليها ، من حيث زيادة متوسط المعاشات حاليا على متوسط المرتبات .

بلا دموع ولا ألم

لم يحظ مواطن في أي دولة بهذا القدر من الرعاية والاهتمام ، الأمر الذي دفع عديدا من الكتاب وبعض الكتابات الى القول ، بأن الدولة تدلل مواطنيها ، ولم يقل أحد ان الدولة ملتزمة باسباغ رعايتها وحمايتها على مواطنيها ، وهى بذلك تحقق أسمى وأول وظيفة للدولة منذ عرف التاريخ أول تجمع بشرى منتظم .

فما معنى الدولة اذا أكلت جهد شباب أبنائها وتركتهم لجوع شيخوختهم ، أو سرقت منهم أيام عافيتهم ، وأسلمتهم لذل أيام المرض ؟ انها ليست تدليلا . . بقدر ماهي رعاية . . والالو كانت تدليلا . . فلماذا دفع ملايين البشر في أنحاء العالم من دموعهم ودمائهم وحياتهم ثمنا ، كي يحصلوا على حق الضمان والتامين الاجتماعي ومزاياه ، وها هو بلد عربي . . في وطننا العربي الكبير يحمي أبناءه بمظلة العدل والضمان الاجتماعي بلا دموع ولا الم . . ولا عنت . ولنحلم بان يملأ العدل الاجتماعي كل وطننا العربي ، وسوف نرضى حتى لو جاء بعد قدر قليل أو كثير من الدموع والألم . □

قاموس العربي

س

السيادة

السلطة العليا التى لا يوجد فوقها سلطة ، وهي صفة .تلازم الدولة فلا يذكر لفظ دولة الاوتذكر السيادة، وهى ميزة الدولة أيضا التى تتميز بها عن كل التنظيمات داخل المجتمع ، وهى بالتالى التى تمنح الدوله شرعية احتكار وسائل القوة ، وحق استخدام القوة وتنفيذ القانون .

وللسيادة خصائص أربع محددة هى :

أ ـ عدم التجزئة : بمعنى عدم المشاركة أو التقسيم ، فلا يمكن ان يكون هناك في دولة واحدة أكثر من سيادة ، أو أن تمارس دولة ما أعمال السيادة في مجالات دون مجالات أخرى .

ب ـ الشمولية : أى أن أعمال سيادة دولة ما تمتد داخل حدودها ، لتعم وتشمل جميع الأفراد والجماعات والمنظمات والمؤسسات دون أدنى استثناء .

ج ـ القطيعة: تتصف السيادة بأنها قاطعة ، بمعنى أنها هى الشرعية العليا التى لا تحدها حدود قانونية عند ممارستها لسلطتها في سن القوانين .

د ـ الديمومة: بمعنى أن مفعول السيادة سارٍ ودائم طالما بقيت الدولة ، مهما تغير شكل المنظمات أو المؤسسات الدستورية أو الأشخاص .

ويتفق فقهاء القانون والسياسة على أن هذه الخصائص تلتصق بمفهوم السيادة الداخلية ، أما جوهر مفهوم السيادة الخارجية فيكمن في التحرر من الاحتلال ، أو الاستقلال عن السيطرة أو التبعية لدول أخرى ، وحق عقد المعاهدات واعلان الحرب .

وقد تعرض مفهوم السيادة لكثير من الكتابات التى تناولته ، والنظريات التى بحثت فيه ، لوقوع المفهوم في دائرة الاهتمام المشتركة بين فقهاء القانون وفقهاء السياسة ، ولارتباط المفهوم بتطور الأمم وحركة الشعوب .

ويعد المفكر الفرنسى ج . بودان من أوائل الذين ناقشوا مفهوم السيادة ، وخلص الى أن السيادة هى السلطة العليا المعترف بها ، والسيطرة على المواطنين والرعايا دون أى تقييد قانونى ، الا ما تفرضه قيود القوانين الطبيعية والشرائع السماوية .

وبرغم ذيوع أثر جان جاك روسو في الفكر السياسى والاجتماعى بنظريته العقد الاجتماعى ، الا أن منهجه لم يقدم تفسيرا ، أو بمعنى أدق:توصيفا للسيادة ، فقد وضع روسو السيادة القطعية في اطار ارادة الشعب العامة ، ولكنه لم يقدم طريقة تضمن تجسيد الارادة العامة في سيادة الدولة .



جان جاك روسو

وهكذا تعددت النظريات والاجتهادات في توضيح معنى ومفهوم السيادة لدى بعض المفكرين مثل هوبز الانجليزي والقانونيين مثل جون أوستن الى هارولد لاسكي .. وآخرين .

وعلى الرغم من اجماع جمهور المفكرين على عدم امكانية ممارسة الشعب لمهام السيادة ، فان نظرية السيادة تعرضت لانتقادات شديدة ، سواء على مستوى البحث النظري أو في اطار واقع التطبيق .

فقد هاجم بعض المفكرين النظرية التقليدية في السيادة ، على أساس أن تعددية المجتمع الحديث لا تتوافق مع وحدانية السيادة ، وأن مبدأ السيادة ، وفق مفهومه التقليدي ، يؤدي الى تهديد حقوق الفرد وحريته ، نتيجة لتركيز الصلاحيات والسلطات في يد الدولة ، ومنحها شعار « انه عمل من أعمال السيادة » أو من قبيل تهديد « سيادة الدولة ووحدة أرضيها » . وذهب بعض المفكرين ولاسيما القانونيين الى أن السيادة ليست مصدرا للقانون ، فالقانون تعبير عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع ، وهي علاقات خارج مؤسسة الدولة ، بل الدولة نفسها يجب أن تكون خاضعة للقانون الذي يحمي الأفراد وحقوقهم من طغيان سلطة الدولة . وعلى مستوى الدافع التطبيقي فقد رأى بعض المفكرين أن نماذج الدول الفدرالية ـ كما هو في أمريكا ـ وما يستتبعه من تقسيم للصلاحيات ، يشكل مثالا على تجزئة السيادة .

وتظل هذه الخلافات في اطار تفسير العلاقة أو تحديد المفهوم ، ولكن ما هو متفق عليه نوجزه في أن السيادة تعني في مجال السياسات الداخلية ، انه ليست هناك سلطة فوق الدولة ، وأن الدولة هي السلطة النهائية المهيمنة على كل ما يوجد فوق أراضيها ، وفي مجال السياسات الخارجية فان السيادة تعني عدم التبعية والمساواة المعنوية ، وفي كلتا الحالين فان هناك قاسما مشتركا هو أنه لاسلطة تعلو سلطة الدولة . □

وصية خليفة لوال

أوصى الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد ولاته على مصر قائلا : اعلم اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم ، وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عباده ، فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح :

فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك .

في رحاب المغرب العربي

حمود رمضان
١٩٠٦ - ١٩٢٩
الشاعر الفقيد الذي سبق عمره وعصره

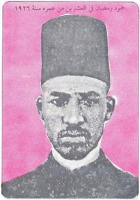
بقلم : الدكتور صالح الخرفي

نشر (حقيقة الشعر) سنة ١٩٢٧ و « بذور الحياة) سنة ١٩٢٨ ، ونعى نفسه بقصة (الفتى) سنة ١٩٢٩ ، انتقد (شوقي) وقال انه لم يأت بشيء جديد ، تغنى بـ (الجزائر الفتاة) التي ستذهل العالم ، فمن هو حمود رمضان ، وهل تحققت تطلعاته ؟

يوم ألقيت بعض هذه الأضواء عن (حمود رمضان) على طلبة الماجستير والدكتوراة بـ (معهد البحوث والدراسات العربية) في القاهرة سنة ١٩٦٩ ، وقدمت اليهم (الشاعر) مقرونا بـ (الثورة) كنت أتتبع النظرات المستفسرة ، والاسئلة المتعاقبة ، أن يكون هذا الشاعر بهذا الوعي الاصيل للعروبة والاسلام ، وهذه الجرأة البالغة في انتقاد الاوضاع السائدة في الوطن العربي الاسلامي ، وهذه الفكرة المجددة الثائرة في الابداع الادبي . وفي هذه الفترة المبكرة من مستهل القرن العشرين ، وفي أرجاء المغرب العربي ، وهو يواجه محنة فرنسية ضارية ، وقطيعة مع الوطن العربي مفروضة . وأن يكون الشاعر فوق كل ذلك ، ابن العشرين لم يتجاوزها الا قليلا ، حين اختاره الله لجواره سنة ١٩٢٩ وهو وليد سنة ١٩٠٦ بمدينة (غارداية) جنوب الجزائر . ولم تخطىء مجلة (الشهاب) الاسبوعي ، حين نعت (حمود) بفقرة جريحة ، تحت عنوان (الشاعر الفقيد) .

« نعت الينا رفيقتنا « الاصلاح » الغراء نبأ وفاة الشاعر النابغة ، والأديب الفني ، والمصلح الوطني ، فوقع ذلك النبأ علينا الوقع المؤلم ، حتى كأنما بتر عضو من جسدنا ، وأظلم أمامنا قسم عظيم من الجزائر ، كنا نعلق انارته على جده ، وعمله ، واخلاصه ، وأعظم المصائب ما أثر في مستقبل الأوطان ، وأفدح الرزايا ما أضعف قوة الأمم » .

واذا كانت مجلة (الشهاب) قد أعلنت عن فوز



حمود رمضان في العشرين من عمره سنة ١٩٢٦

(حمود رمضان) في مسابقة شعرية سنة ١٩٢٦ ، ونشرت قصيدة الفائز في المسابقة ، ونسبتها الى (الاديب الوطني) ثم ما لبث أن نعته سنة ١٩٢٩ بـ (الشاعر الفقيد) . أدركنا أن العمر الحقيقي لانتاج (رمضان) لا يتجاوز الثلاث أو الاربع سنوات ، فبين البشرى بالشاعر الواعد ، والنعي للشاعر الفقيد ، نشر (رمضان) سلسلة مقالاته عن (حقيقة الشعر وفوائده) و (الترجمة وأثرها في الأدب) في الشهاب نفسه سنة ١٩٢٧ ، ثم نشر كتابه (بذور الحياة) سنة ١٩٢٨ ، وقصته (الفتى) سنة ١٩٢٩ ، الى جانب القصائد التي نشرت له في جريدة (وادي ميزاب) وغيرها من الدوريات ، وقد قدم (الفتى) الى قرائه بهذه الأبيات المعبرة عن شخصية الشاعر :

جهودك ، يا فخر العروبة ، عبرة
لها رنة ، في الخافقين ، تقام
ستبقى على مرّ الدهور منارة
على علم ، لا يعتريه ظلام
ففي سعيك المبرور ، خدمة أمة
عليها خطوب يرتمين ، جسام
حياتك سر ، سوف يظهر كنهها
وفيها لسير الناشئين نظام

أما (بذور الحياة) فقد أهداها :

الى كل أديب يخدم لغة القرآن
الى كل مجدد تحت راية الاسلام
الى كل من يسعى لانقاذ شعبه من أنات الشقاء
الى كل من وضع حجرة تأسيس في بنيان نهضتنا القومية
أقدم كلماتي هاته كهدية يصحبها الحب والاخلاص .

قدم رمضان (بذور الحياة) في الجزء الأول ، وقدم (الفتى) في (المرحلة الاولى) ، ولم يمهله القدر للوفاء بالجزء الثاني للكتاب ، والمرحلة الثانية للقصة .

شاعر وثورة

من حصيلة الانتاج الشعري والنثري الذي تركه رمضان ، نخرج بملامح بارزة ، تميز شخصية الناقد الشاعر ، فالشاعر ثائر ، ثائر في كل جبهاته ومن جميع منطلقاته ، لم يكد يقع طرفه الغض في كل مظاهر الحياة الا على ما يقذي العين ، ويصك الاذن ، فانفجر حمماً وشظايا ، واستهدف بهذا التفجر البركاني عالمه القريب في الشمال الافريقي ، وعالمه الأوسع في المشرق العربي ، والبلاد الاسلامية ، فتناولها ، دينيا واجتماعيا ، وفكرا وأدبا وسياسة ، وأوسعها نقدا وتجريحا ، وتحاملا على الحاضر العاثر ، وأفعمها أملا وتبيمنا بالمستقبل الزاهر .

فالثورة عند رمضان ، ثورة مقرونة بنبوءة ، مبشرة بأمل واعد ، وغد موعود . ليست ثورة معولية فقط ، ولكنها ثورة اعلاء وعطاء ، تقرن الكلمة الغاضبة ، بالفقرة الموحية ، والزفرة الشجية ، بالبسمة المورقة ، كذلك كان رمضان في كل أنفاسه المبدعة ، شعرا ونثرا . وقفات متأملة ، أو خواطر عابرة . يصل الكلمة الرشيدة في المبدع ، بالقلب الواعي في المتلقي ، فيتولد الامل ، وتورق الحياة .

وفقرات رمضان ، تتأرجح دوما بين معادلتين متجاذبتين سلبا وايجابا ، والفقرة لا تقع في النهاية الا على الجانب الايجابي ، مهما تلبدت سحب الواقع الجاثم ، فالشاعر يستوحي المستقبل ، بقدر ما يتجاوز

عثرة الواقع المؤلم ، في وطنه الجزائر ، في مغربه العربي ، في وطنه العربي الاسلامي .

يقول عن (الشرق والشرقيين) سنة ١٩٢٨ :

« لست من المتشائمين على الشرق أبدا ، ولكني أقول بملء فمي ، ما دامت أقواله أقوى وأضخم من أفعاله ، فحاضره أحسن من مستقبله » .

« ان سيرة الشرق الحاضرة ، مصيرها انفكاك ممالكها ، بعضها عن بعض ، في أقرب وقت ، ان دام في حالته الحاضرة . لأن الاسلام الذي هو مصدر كل وحدة ورابطة ، صار يتضاءل كل يوم ، واذا ضعف السبب ، ضعف المسبب » .

ويستشرف (رمضان) ملامح (الجزائر الفتاة) سنة ١٩٢٨ .

« اذا صح أن الأمم لا تتكون الا من طينة تاريخها الغابر ، وأن الأمة التي لا تاريخ لها ، لا تنهض الا باندماجها في غيرها ، فإن للجزائر العزيزة تاريخا ماجدا ، وماضيا خطيرا ، يذكر بكل اجلال وتعظيم » .

« الجزائر ، تربة صالحة للنبوغ والحرية ، لغيرة أبنائها وحرارتهم النادرة ، فلو أنصف الدهر ، ورحل الجهل ، لرأى العالم منهم عجائب تذهل الالباب » .

فهل الجزائر ، وليدة ثورة نوفمبر الخالدة سنة ١٩٥٤ بعيدة عن (الجزائر الفتاة) عند رمضان سنة ١٩٢٨ ، قبل ما يزيد على خمسين سنة ؟

رمضان وشوقي

وثورة رمضان على (شوقي) أمير الشعراء ، وجه آخر من الوجوه المميزة لهذه العبقرية الصاعدة من جنوب الجزائر ، فهو يربأ بك أن تسيء الظن بمكانة شوقي في نفسه ، وهو المبايع له بامارة الشعر مع الوفود التي بايعت مع حافظ ابراهيم ، فليست بينه ، وهو قعيد المرض ، مهيض الجناح ، في أعماق الصحراء الجزائرية ، وبين شوقي في (كرمة ابن هانيء) على ضفاف النيل ، أو على باب اسماعيل ، هذا الذي بين شوقي ، والعقاد وجماعة الديوان ، وما بين شوقي وطه حسين ، من هذه النقائض المعاصرة ، وليدة الابداع المتنافس ، والريادة المتزاحمة ، والعاطفة الجامحة .

انما (شوقي) عند (رمضان) ظاهرة أدبية ، أصبحت ملك قرائه والمعجبين به ، ومراجعة هذه الظاهرة من أوكد الواجبات في سنة التطور ، ولذا لم يعد شوقي أن يكون بالنسبة للناقد الجزائري مدخلا الى رأيه في الشعر المعاصر ، وقناعته في حتمية التجديد :

« لم أقصد بنقدي التنقيص من سمعة الشاعر الكبير ، فقدره أعلى منزلة من أن تتناوله يد المتطاول .

« واذا كان الكلام على شوقي وأضرابه ، فإن القصد منه انارة الطريق الذي يجب أن يسلكه أبناء الجزائر الادباء ، لأن الشرق في غنى عن أقوالنا في هاته الايام كما يظهر » .

« عدم اعترافي بنهضة الشرق الحديثة ، ما دامت لم تؤسس على مبادىء عظيمة ، وحياة جديدة ، وأدب قومي » .

« نعم ان شوقي أحيا الشعر العربي بعد موته ، وفتح الباب الذي أغلقته السنون الطوال ، ولكنه مع ذلك كله ، لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل ، أو سر طريقة ابتكرها من عنده ، وخاصة به دون غيره ، أو اخترع أسلوبا يلائم العصر الحاضر » .

ويلخص (رمضان) رأيه في التجديد في فقرة ذيّل بها دراسته المطولة في (حقيقة الشعر وفوائده) سنة ١٩٢٧ ، وختم بها رحلته المطوحة في أعماق الشعر العربي يختم (رمضان) الرحلة المستكشفة الرائدة ، الناقدة ، بهذا النداء :

« فيا أيها الادباء الاحرار ، انبذوا عنكم التكلف والتنطع في اللغة ، وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل ، واخضعوا لصوت الضمير والواجب ، وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاد ، ولا تقيدوا كتاباتكم بطريقة أحد ، مهما كان شأنه وقدره في الأدب ، ومهما كان بيانه الساحر ، ولكن أملي أن تدور رحى أقلامكم حول محور واحد ، وتتسابق خيل أفكاركم نحو غاية واحدة وهي :

« سعادة الشرق بأي طريق كان !! »

ريادة في القصة

وريادة أخرى لـ (رمضان) في هذه القصة التي

نشرها في العشرينيات بعنوان (الفتى) ولم تمهله المنية لاستكمال نصفها الثاني هيكليا ، واستكمال أدواتها فنيا ، ونضج صورها خياليا ، فهو بذلك أول من جرب كتابة القصة في الادب الجزائري الحديث ، لا نتحدث عن نجاح التجربة أو فشلها ، وانما الحديث عن التوقيت الذي يعتبر مبكرا رائدا ، فإن الثلاثينيات والاربعينيات هي التي ستطالعنا ببدايات القصة الجزائرية الحديثة في كل من (محمد العابد الجلالي) (رشيد) . و (أحمد رضا حوحو) شهيد الثورة الجزائرية .

وقصة (الفتى) ترجمة شخصية للشاعر ، طفولته ، دراسته ، تنقله بين (غارداية) مسقط رأسه في الجنوب ، ومتجر والده في (غليزان) في الشمال ، ثم التحاقه بتونس لاستكمال الدراسة في مدارس ومعاهد حرمت منها الجزائر بفعل التضييق الاستعماري على التعليم العربي . ثم اضطرار الطائر المهاجر ، للعودة الى وطنه ، وحرمانه من مواصلة الرحلة العلمية في الخضراء ، تحت وطأة المرض الذي أودى بحياته .

والأحداث في القصة ، والسرد ، والحوار ، كلها سيرة حياة ، نابضة بآراء الكاتب ، ودعوته الاصلاحية في التعليم الديني ، في المسجد ، في الوعظ والارشاد ، في العلوم الحديثة ، في الفلاحة ، في التجارة ، في الصناعة ، ممزوجة تلك الآراء والافكار بمسحة من غربة الريادة ، ووحدة العبقرية .

وبالرغم من الاسماء والمسميات في القصة ، ومسارح الأحداث ، ومواقع الذكريات ، كلها تشير بأفصح لسان الى بطل القصة ، والدائرين حوله على خشبة المسرح ، فقد حرص (رمضان) على أن يعمم ، ويموه ، ويبعد الشبهة . ويدعي التحويم من غير وقوع ، ولكنه واقع لا محالة :

« القصة عامة ، لم أقصد بها شخصا معينا ، ولا وطنا خاصا ، وكل ما ورد فيها من الأعلام هو مجرد تمثيل وتنسيق ، وان كانت مصبوغة بلون بلادي ، ومرقد أجدادي ، وأن صاحبها عاشها حقيقة ، ولم يزل يذب عن حقوق أمته . والعبرة بحوادثها ، لا غير .

هذا ما أوحاه اليّ ضميري ، وهذا ما أرجو أن يفهم . وعلى الله قصد السبيل » .

لكن (رمضان) في قصته ، شأنه في حياته ، رضى من الغنيمة بالاياب ، بل بما هو أقسى وأمر . وتلك غربة العبقرية ، وجنون الاستشراف ، وتخطي الواقع المنظور ، ومعانقة اللامنظور في أعين البسطاء ، رضي من الغنيمة بالاياب في حساب المفلسين روحا وعقلا . واستسلم للصمت في مقياس الزمن العابر ، ولكنه المشرى في خزانة التاريخ ، المتجاوب الاصداء في المدى اللامحدود .

فهل هو وجه آخر من أوجه التشابه مع معاصره (الشابي) ، الغربة والاغتراب ، الايواء الى الغاب والوديان والكهوف ، الى الصمت الموحى ، والوجوم الناطق ؟

« على أنه ، لم تكن الخيبة وحدها نصيبه ، بل قد رموه بالطيش والتهور ، وطلب المستحيل ، والوقاحة والتخليط ، وآخر سهم في الكنانة قولهم ، انه يطلب الشهرة لا غير . وهنا ، رأى العزلة أقوم ، والسكوت أسلم » .

ومن بين المقاطع الشعرية الكثيرة التي وشح بها قصته ، وهي أبيات من ابداعه ووحيه ، قصيدة (لو كنت) التي أفرغ فيها مأساته ، وجسّم شقاء العقل في نعيم المعرفة ، وتفجر القلب في لهيب الاحساس .

فذو المعارف يشقى
والبؤس طيُّ ردائه
ان التعاسة ، سمّ
ممزوجة بدمائه
والعقل ، يقتل همّا
من يهتدي بضيائه
كم عالم ، مات غمّا
بصبره ووفائه
أو عاش وهو كئيب
وفاقد لرجائه

و (رمضان) جمع المحبسين معا ، ومات رهينهما . كآبة الاقامة ، وحسرة الرحيل المبكر ، وتلك ارادة الله ، ولا راد لقضائه .

رحمك الله (حمود بن سليمان رمضان) في الخالدين . □

القصة الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة « العربي »

الجرذان

بقلم : فاروق حسان السيد

على غير انتظار ، وبالتفاتة غير مقصودة ، لمحته يجتاز الطريق إلى الرصيف المقابل ، كان الوقت ظهر أحد الأيام الداكنة التي تعقب الشتاء ، وتسبق الصيف والذى كان من طقوسه ملء الفراغات بالصقيع والغبار .

كان « هو » على وجه اليقين رغم أنه كان يعطيني ظهره ، ورغم غرابة وجوده فى مثل هذا الحى الذى كان يحمل لقاطنيه ذكريات تعيسة .

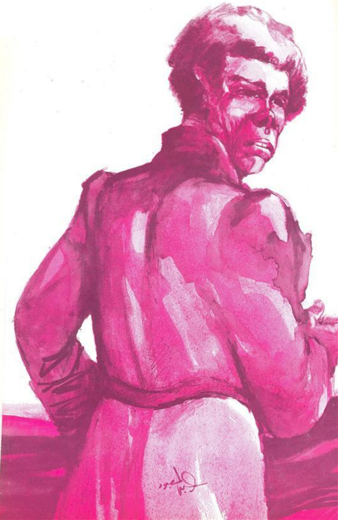
كنت فى هذه اللحظة أردد « كلماتى » التى قررت ذات يوم أن أحفظها ، عندما لمحته على بعد عشرين مترا هى عرض الشارع ، وهو يعتلى الرصيف بقامته المعتدة واهتزاز رأسه اليسير ، الذى لم أكن أفهم له سببا ، والذى انتويت أكثر من مرة أن أسر له عندما أخلو به أن تلك الاهتزازة قد تعطى انطباعا غير مريح عنه وهو أمر لم يكن يرغبه .

وانطلقت أنادى عليه . . .

ولأن صوتى كان مرتجفا وهامسا ، ولأنه اصطدم بحشرجة العربات التى كانت تتطاير بطول المسافة بيننا فقد تبدد فى منتصف الطريق ، مختلطا بعوادم السيارات والهواء الساخن المحمل برائحة التبغ الجيد ، الذى كانت تلفظه أجهزة التكييف المكدسة على حوائط البنايات .

كانت تلك فرصتى التى انتظرتها منذ سنين ، كنت





أتعجلها بالبحث المجنون عنه منذ علمت أنه قد عاد من غيبته ، لم أترك مكانا توقعت وجوده فيه دون تنقيب أو سؤال ، كانت الاجابة الغامضة ـ المكرورة أنه ليس موجودا ، ومن المناسب عدم السؤال عن شيء غير موجود .

أحيانا ، كنت أتخيل أنى قد أمسكت به ، وأنى حملته بالقوة الى مكان هادىء استطعت فيه أن أفسر له كل شيء فى خطوط عريضة تفاصيلها لا تؤلم ، وكان شعور قوى بالراحة يحتوينى ، عندما أوغل فى حلمى أكثر ، وأرى وجهه المكدود وقد كسته القناعة بكل ماقلت ، بعد أن سقطت عنه نظرة الازدراء التى ظلت تمزق أحشائى ، حتى اللحظة التى رأيته فيها يعتلى الرصيف المقابل ، وقد ازداد انحناء ظهره وبدا أكثر طولا .

انشبت أظافرى فى اللحظة المباغتة ، وأنا أحمل ساقى وأشق بجسدي طريقا متعرجا بين السيارات ، محاذرا ألا يغيب عن النطاق الحديدى لبصرى الذى ضربته بشدة حوله ، والذى كان يراوغ للافلات منه دون تعمد ، ودون أن يدور بذهنه أنه بمحاولته غير المقصودة يسلبنى فرصة التطهر ونزع الدمامة التى التصقت بوجهى ، منذ أن مزقه بنظرة ازدرائه التى كانت حاضرة دائما أمامى ، والتى كانت تقفز على الدوام الى منطقة الحلم لحظة النوم المتقطع .

كان يبعد عنى مسافة قليلة ، تنتهى بوضع قدمى على الرصيف المثقل بالأجساد المتقافزة الهاربة من الغبار والصقيع بشكل جماعى ، يدور بوضوح شديد من الرصيف المقابل ، الذى تركته خلفى وأنا ألهث وراءه عابرا الطريق ، قافزا فوق الرصيف بصورة مفاجئة ، لم أفكر فى وقعها على السيدة المسنة التى صرخت بكلمات لم أتبينها ، لأن الدماء اندفعت مجلجلة فى رأسى ، وأنا أرى المسافة تختصر بيننا إلى حد أنه كان فى استطاعتى أن أمد يدا مرتجفة ، وألمس ذراعه وأنا أتهدج باسمه .

كان عليه أن يتوقف ، ثم ينظر إلىّ فى دهشة يسيرة ، سرعان ما تزول عندما يتعرف على وجهى الذى لم يتغير كثيرا منذ افترقنا ، وحيث كنت أقف ساعتها فى منطقة الأمان المنتظر ، وربما أشاح متقيئا ضاغطا على فمه بمنديل رخيص لم يكن يفارق يده التى كانت تفرز عرقا غزيرا على الدوام ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وظل سائرا فى طريقه مصطدما بأكتاف المارة ، الذين التفت بعضهم مستطلعا ، وأنا أرتعش باسمه ثانية مارقا بينهم قابضا على ذراعه ، معلنا وجودى الذى كان حتى هذه اللحظة خافيا عليه .

فى حدة أدهشتنى أدار رأسه تجاهى ، وازدادت دهشتى بومضة الذعر الطاحن التى كست وجهه ، وأصابتنى برجفة ضاغطة جعلتنى أنكره وأنكر استطالة عنقه ، وتهدل كتفيه وشعره الخفيف ، الذى سحقه الزمن وحاصره فوق الأذنين .

لم يكن « هو » الذى كنت أعرفه ، رغم أنه كان « هو » الذى يقف أمامى ، كان الفرق بينهما رهيبا لا يقارن بأى شيء آخر ، وكان أشد ما يرعبنى أنه ربما استحضر بالتداعى كل ماجرى ، والذى انتصب بيننا الآن مزمجرا مجردا أصبع الاتهام الذى كان يمده بطول ذراعه ، الى حد أنى تراجعت منكفئا للخلف لأتحاشاه بعد أن كاد يفقأ عينى .

من فضلك . . أرجوك . . لا . .

لأنه كان قد هرول مبتعدا بعد أن ارتخت قبضتى على ذراعه ، وبعد أن استقرت بيننا مساحة احتلها المارة ، وجعلوها معبرا لتقافزهم الجماعى ، مساهمين بذلك فى زيادة المساحة التى فصلت بيننا منذ أن تركته خلفى ، وعواؤه اللا انسانى يصطك بكل جسدى ، فيحيله الى بناء متهالك تتساقط أحجاره حجرا بعد حجر ، فقد لهثت مقتحما سيل المتقافزين ، أتشبث بذراعه مثبتا اياه فى مكانه ، وأنا أصرخ باسمه لأقنع نفسى أنه « هو » الذى كان يحاول التملص من قبضتى ، وقد غاض بريق عينيه ، وحلت محله دوائر متفجرة بالقلق والتوجس .

كانت مشروعية ما أريده تكمن فى بساطته وامكانية تنفيذه . . لم أكن أطلب أكثر من أن يمنحنى وقتا ـ نجلس فيه فى مكان منعزل لأصحح بعض السطور التى كانت تفصل بين الحوادث « بكلمات » بسيطة

أعددتها منذ سنين انتظارا للحظة البراءة ، وكانت كلماتى منتقاة بعناية شديدة ، وزعت فيها الكثير من حرف « القاف » الذى كنت أعلم أنه من الحروف القوية التى تعطى انطباعا مأمولا ، بأن أؤسس دفاعى على مرتكزات ثابتة ، لاتسمح حتى بمجرد المناقشة .

ولفترة ظللت أرتب هذه « الكلمات » فى ذهنى ، أضيف اليها وأحذف منها ، حتى بدت فى النهاية وكأنها حقيقية ، فسجلتها فى أوراقى ، وحرصت على ترديدها لنفسى أثناء الأكل ، وعلى السلم ولحظة الاستيقاظ ، وفى الحمام ، وأمام المرآة ، وتحت مظلات الحافلات ، ولم يكن « هو » ليفطن إلى سابقة اختيارى الدقيق لها وسيظن من تدفقها المحتم - لأنى كنت أعرف كل شىء عنها سلفا - أنها جاءت بالقطع عفو اللحظة التى كان يقاتل لحرمانى منها بتملصه الدائب من قبضتى ، والذعر المجنون الذى تراكم على وجهه المنتقع ، ووضح بصورة أشد من ارتعاد شفتيه المستمر الصامت ، وحالة التقوقع المخيف التى طحنت رأسه ، وجعلته يغوص بين كتفيه ضاغطا الجزء الأكبر من عنقه تحت ياقة القميص .

لم نعد متواجهين الآن ، فقد استدار تاركا ذراعه الذى كنت أقبض عليه ، وكأنى أقبض على حياته كلها ، وأعطانى جانب وجهه الذى انتقلت إليه عدوى الارتعاش وصار يتحرك بطريقة نسقية شاملة ، أما كفه فقد رفعها ليدرأ بها سياطا متربصة مجنونة تشقق ذؤاباتها مصيره كله ، وتحيله إلى رمز بائس لتعاسة الوجود ، خصوصا عندما فتح فمه و « تهته » بصوت خفيض مخبول :

= م . . م . . من . . من . . اغتال الجميلة الجالسة فى استرخاء داخل قصرها العظيم فى تل العمارنة ، م . . من . . م . . م . . من ؟



كان الموقف باعثا على الحيرة والارتباك ، فقد بدأ المارة يخففون من طقس تقافزهم المتعجل غير عابئين برخات الصقيع ولا الغبار الناعم ، الذى كان يلتصق بالرموش والحلوق ويتلكأون وهم يقتربون جالدين وجهى بنظراتهم المتسائلة .

أنا . . هل نسيت ؟ . . انظر الى . .

كنت أصطنع هدوءا كاذبا ورباطة جأش لا وجود لها ، وكان صوتى هامسا رغم أنى لم أكن أدرك سر ذلك الاحتراس .

= دعنى . . د . . د . . دعنى . . دعنى أجمع بقاياها بطول الوادى المقدس . . د . . دعنى فقد أستطيع . لم يتعرف علىّ . . . .

أيقنت أنه لم يتعرف علىّ ولا على أى شىء آخر . كنت قد هيأت نفسى ، لكل الاحتمالات لحظة أن كشفت إيقاعات الموقف الذى تصاعد دون ترقيم عن ومضة الذعر الطاحن ، وتقلص أعضائه الذى صيره أهش مما ينبغى . أيقنت لحظتها أنه قد غادرنا وأنه لم يعد موجودا كما سبق أن قيل لى ، بعد أن أدار ظهره قافزا خارج المكان والزمان منذ انشطاره .

لحظتها أيضا على وجه التمام اختنق حلمى بالتطهر والاغتسال من الدمامة ، وتسرب بزئبقية شديدة أغشت عينى ، مؤكدة أنى سأعيش بعبء قذارتى ، وحلقى المتشقق من علقم المهانة ، وروحى المتآكلة التى كنت أحس بتورمها داخلى حتى أموت من التقزز .

كان التطهر الحقيقى على ما يبدو أن أعطى الفرصة كاملة لكل ما جرى ، كى يطاردنى إلى نهاية الخط المقوس من الدنيا ، فاتحا أذنى بكلتا يدى لعوائه الملتاث لحظة أن لمحت الاشارة ، وهرولت إلى باب الخروج . . لكن . .

كان علىّ بداية وقبل كل شىء أن أحمل النهار وأجزاء الليل على كاهلى مبتعدا كى أجد الوقت الكافى لأبكيه . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد مارس ١٩٨٦

اليابان

... شعب يعيش المستقبل

استطلاع : منير نصيف

دوافع ومعوقات الحوار العربي الأوربي	إدارة الأزمات الإقليمية	شيخوخة الدماغ والخرف المبكر
د. يوسف صايغ	أمين هويدي	د. فريد الكيلاني

- الشؤون الدنيوية في أحاديث الرسول — د. عبدالمنعم النمر
- مفاهيم جديدة في أمراض الحساسية — د. أنيس فهمي
- مصير العالم بعد الحرب النووية الشاملة — د. سمير رضوان
- إسماعيل بن يوسف الطلاء شيخ الكيميائيين — د. ممدوح حسين
- حول الندوة الدولية لموسيقا عمان التقليدية — أبو المعاطي أبو النجا
- وجها لوجه : د. عزالدين إسماعيل مع حسن عباس
- البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. زينب عبدالعزيز - د. مظفر صلاح الدين - حمدي قنديل

د. سمحة الخولي - د. محمد حسن عبدالله - عبدالرزاق البصير - أحمد سويلم



قضيّة

الناقد العربي الحديث في مفترق طرق !

بقلم : الدكتور محمود الربيعي

قطعت النهضة الثقافية العربية أكثر من قرن من الزمان ، ولايزال فرع حيوي من فروعها هو النقد الأدبي حائرا يتردد أي طريق يسلك . ولقد جرب المضي في عدة طرق فبدا « سيره » فيها أدنى الى « التخبط » ، وفاضل بين مجموعة من « البدائل » ، وعاد الى حيرته الأولى . وهو يبدو الآن في مفترق الطرق ، وعليه أن يختار من جديد وأن يكون اختياره هذه المرة ـ اذا أراد التقدم ـ صحيحا .

في العقود الأربعة الأولى من هذا القرن ، بدت الحركة النقدية أقرب ما تكون الى تحقيق نتائج « طبيعية » . كان طه حسين ، والعقاد ، والمازني ، وميخائيل نعيمة ، وآخرون يُعَبِّدون طريقا في الصخر بزرع مناهج الدرس الأوروبية في التربية العربية . كانت « التقنية » وافدة ، ولكن المادة الخام في مجملها محلية ، فأجرى طه حسين « تجارب نقدية » على « مادة شعرية » من انتاج طرفة والمثقب ولبيد والمتنبي وأبي العلاء وعلى محمود طه وابراهيم ناجي ، وأجرى العقاد والمازني « تجارب نقدية » على شعر ابن الرومي والمتنبي وبشار وشوقي ، وزخر كتاب « الغربال » بالنصوص العربية . كانت أعين هؤلاء مشدودة الى طرق الدرس الحديثة في حين كانت أقدامهم ثابتة في أرض « التراث » ، وكان من نتيجة ذلك أن تحقق على أيديهم نوع من « ربط الماضي بالحاضر » ، وهو أمر قامت عليه كل حركة صحيحة من حركات « التنوير » . لكأن الرواد كانوا يريدون أن يقولوا (وبحق) ان الوطن العربي (من الناحية الأدبية) لايعاني من أزمة في المادة الخام (النصوص الأدبية) وانما يعاني من أزمة في الأدوات (مناهج الدرس) التي يستخدمها في «استثمار» هذه المادة الخام . ولعلهم بذلك كانوا يعبرون عن روح النهضة العربية كلها ،

وهي أننا لا نعني باللحاق بالغرب أن نكون بعضا منه ، وانما نعني استخدام حقنا الطبيعي في الاستفادة من المنجزات البشرية في تناول « ثرواتنا » تناولا صحيحا يركب البشرية المتقدم . ولا أعتقد أن طه حسين - حتى وهو يكتب « مستقبل الثقافة في مصر » (أي في قمة غلوه) - كان يرمي الى غير هذا .

وتوالت « الانفجارات » العنيفة في الثقافة الأوربية بالثورة النفسية (فرويد ومن تلاه) ، والثورة الاجتماعية (مدارس علم الاجتماع المختلفة) ، وحقق ذلك نتائج بعيدة المدى في حياة الناس العادية ، وفي أساليب الحكم ، وفي « الرؤية » الأكاديمية ، ونال طرائق الدرس الأدبي في الوطن العربي من ذلك أوفى نصيب ، فبدأنا نسمع عن « المنهج السيكولوجي » ، و « المنهج السوسيولوجي » ، و كان من نتيجة ذلك أن اهتزت ثقة الناقد الأدبي « بأدبية الأدب » ، وأخذ يتطلع الى أن يستبدل بها « سيكولوجية الأدب » و « سوسيولوجية الأدب » .

مناهج غربية :

والذي حدث أن الأمر لم يعد مقصورا على « تجريب » أداة جديدة على مادة محلية ، وانما تجاوز ذلك الى أن أصبحت الاداة هي المتحكمة في المادة الخام . لقد بولغ في « التغريب » الى حد أريد فيه للادب أن يكون وثيقة « نفسية » ، أو وثيقة « اجتماعية » . ومعنى هذا أن النقاد تخلوا - طواعية - عن معاقلهم ، وحاولوا اللحاق بمعاقل الآخرين ، ورضوا أن يكونوا « صدى » بدل أن يكونوا « صوتا » .

ولن أقول ان كل ضرب من ضروب استخدام مناهج علم النفس ، أو مناهج علم الاجتماع ، كان مضرا بالأدب ، فالمحاولات ذاتها كانت متفاوتة : كانت ثمة محاولات مفيدة تأخذ من هذه المناهج مالا خلاف على فائدته (وهل ثمة خلاف مثلا على أن الأدب الابداعي « نتاج نفس » ، بشرية ، أو ثمة خلاف على أن الأدب ذو مغزى اجتماعي ؟) ، ولكن البريق أغرى مجموعات أخرى تلوي عنق الأمور ، وتدخل في متاهات الاشارات والرموز الجنسية ، وصراع الطبقات الاجتماعية ، فأصبح العمل الأدبي الابداعي عندهم صندوقا مليئا بعقد النفس ، أو ساحة تأكل فيها بعض طبقات البشر البعض الآخر .

لقد لحق بالنص الأدبي ضرر محقق من جراء المغالاة في اخضاعه لمناهج « العلوم الانسانية » ، وذلك حين قيدت النظرة اليه بحدود المناهج التي يفسر بها . ولما كان « علم النفس » يبدأ من واقع النفس ليرتد اليه ، « وعلم الاجتماع » يبدأ من واقع المجتمع ليرتد اليه ، انحصرت النظرة الى الأدب في كونه نابعا من الواقع ، مشروطا بشروطه ، ومن ثم قصرت هذه النظرة في أن تراه على ما هو عليه باعتباره تشكيلا جماليا ، ونموذجا أعلى ، يروي الواقع ، ويرسم له طريق المستقبل . وبذلك لم يفعل المغالون - ممن ربطوا الأدب بعلم النفس وعلم الاجتماع - أكثر من سجن الأدب في سجون براقة جديدة في حين أنهم كانوا يدعون أنهم جاءوا ليحرروه من سجن القديم ، اذا ما الفرق - مثلا - بين الدعوة الظالمة الجائرة في تاريخ الادب التي تربط الأدب (ذلك الطائر الشاتر المستعصي الجميل !) بعصور السياسة ، وتجعله صاعدا هابطا تبعا لصعود الحكام وهبوطهم ، وبين جعله (رغم أنفه !) محكوما بحدود « النفس » وحدود « المجتمع » ؟

ولا أتهم نوايا هؤلاء النقاد ، وانما أتهم هممهم . لقد قصروا في حق النص الأدبي ، وسلكوا الطريق السهل في فهمه وتقدير قيمته ، فما أسهل ان نقرأ نظرية نفسية أو اجتماعية (أو نقرأ عنها !) ثم نحاول تلمس مظاهرها في عمل أدبي ما ، لقد قيل لنا ، ان وراء غرام أبي نواس بالخمر « عقدة أوديب » ، بل قيل لنا ان وراء وصف امرىء القيس شعر حبيبته بأنه « كقنو النخلة المتعثكل » سرا متصلا بالقيمة الأسطورية للنخلة عند العرب . وما أيسر أن يقال مثل هذا القول ، ولكن ما أصعب أن تطمئن النفس الى صحته ، وذلك لأن توثيقه من واقع النص الوارد فيه أمر مستحيل . انه قول يعمل على نقل « مركز الاهتمام » من النص (وهو وثيقة أولى وتشكيل محسوس نراه ونسمعه) الى أمور وراء النص ، قصارى ما يقال في صالحها انها أمور احتمالية ، وفي

هذا من الأضرار بالنص الأدبي وبالنقد الأدبي ما فيه ، انه يزيد أمر النقد الأدبي صعوبة واستغلاقا ، ويحول النص الأدبي ـ الذي هو غاية الغايات ـ الى مجرد وسيلة .

ومع سرعة تطور المناهج المستحدثة في الغرب ، وسرعة تدفقها الى وطننا العربي تفاقم الضرر بازدياد اللهث وراء كل جديد وافد من أوروبا الأمر الذي « يظهر » « الحداثة » و « التقدمية » ، « ويخفي »حقيقته التي هي « التبعية » ، وتحقير الذات .

والذي لم يحدث ـ وكان من الواجب أن يحدث ـ أن نفرق بين أمرين : فنتعرف على ما لدى الآخرين (كله ، وبدون خوف أو تردد أو خجل) وذلك عن طريق الترجمة المقتدرة الأمينة ، وأن نستفيد من هذا الذي لدى الآخرين في حرص وحيطة وعلى نحو ايجابي يسلم بالعناصر المشتركة بين آداب الأمم ، كما يسلم بالفروق الفردية العميقة بينها .

نحو البديل الصالح :

وينبغي ألا يتطرق الى ذهن القارىء أنني أهون من شأن المناهج الأوروبية في ذاتها ، أو أقلل من فائدتها لمن ابتكرها ، وللبشرية جمعاء ، ولكنني أود أن أقول أننا حين استخدمناها على غير وجهها الصحيح كنا كمن « يركب في القناة سنانا » على حد قول المتنبي .

لقد تحدثت فيما مضى عن « السيكولوجي » ، « والسوسيولوجي » ، أما « الأسلوبية » « والبنيوية » فلهما قصة لاتقل غرابة ، لقد فرغناهما ـ تقريبا ـ من مضمونهما المفيد حين تحول العمل الأدبي على يد الأولى الى « احصائيات » ، وعلى يد الثانية الى « نسب وأبعاد » ، ويبقى جوهر هذا العمل ـ في غمرة هذا ـ مهملا ومنسيا ، ولقد فقد الناقد « الاسلوبي » والناقد « البنيوي » بذلك مشروعية وجودهما ، وذلك حين تحولا عن مهمة الناقد الأدبي التي هي تفسير النص وبيان قيمته (مهمته كانت كذلك لاتزال !) .

ويكون الناقد الأدبي « السيكولوجي » و« السوسيولوجي » و « الأسلوبي » و « البنيوي » قد تنكب ـ بفعله هذا ـ الطريق السوي ، وضرب في الحيرة والتيه ، ومادام مستمرا في « استيراد » هذه المناهج (دون تمييز) وتطبيقها على النص العربي (دون تصرف) فسيجد نفسه يعاني مزيدا من الحيرة والتيه . وهو الآن ـ ونتيجة لذلك ـ في مفترق الطرق ، وعليه أن يختار بين أمرين : اما الامعان فيما هو فيه ، ومن ثم الافضاء الى مزيد من « فقدان الهوية » ، واما عرض بديل جديد في اسلوب العمل . وأرى أن البديل الصالح المعروض أمامه الآن هو تأكيد « أدبية الأدب » .

معالم على الطريق :

١ ـ تعني عبارة « أدبية الأدب » التسليم بأن العمل الأدبي ـ الجدير بهذه التسمية ـ من شأنه أن يكون « كلا في ذاته » « غير محتاج الى ما يكمله من خارجه » أنه يشبه الجنين الذي يكتسب بخروجه الى الدنيا حياة وروحا تجعلانه ذا استقلال واكتمال وخصائص تمكنه من المضي في حياته دون اعتماد على دم الأم ، أو نفس الأم (وهذا هو معنى وجوب قطع « الحبل السري » فورا !) تلك مسألة جديرة بالتأمل في معنى العمل الأدبي ، وحين نتأملها نجدها بديهية (والا فلماذا يختار الأديب بمحض ارادته وعن وعي كامل أن يجعل حدود القصيدة هي تلك ، وحدود الرواية هي تلك ، وحدود المسرحية هي تلك ؟) ومع ذلك نجد من يتجاهل هذه البديهية ، ويتناول شعر فلان (جميعا) ، أو روايات فلان (جميعا) ، بل نجد من يتناول الشعر العربي كله في فترة معينة (هكذا) أو الرواية كلها في فترة معينة ، وتكون النتيجة بالطبع ما هو متوقع من التبويب المتعسف والملاحظات السطحية .

٢ ـ وتعني هذه العبارة أن المدخل الطبيعي لفحص النص الأدبي ينبغي أن يكون « أدبيا » (وليس « نفسيا » أو اجتماعيا أو بنيويا أو ـ حتى ـ أسلوبيا) ان العمل الأدبي الحق من شأنه ـ اذا وصف وصفا أمينا دقيقا ـ أن يكشف عن خصائصه التركيبية ، وعن سماته الدلالية ومراميه الذهنية والروحية (بل والنفسية والاجتماعية وماشئت) ، كل ذلك من داخله هو ، لابتوظيف نظريات جاهزة من خارجه .

وإذا تراكمت مثل هذه الصفات - كما ونوعا - بفحص أعمال أدبية متنوعة شكلت ما يسمى بالتقاليد الأدبية ، أو فلنكن طموحين فنقول : شكلت ما يسمى « بنظرية الأدب » .

٣ - وتعني أن باب الدخول الى العمل الابداعي القولي (الذي هو النص الأدبي) باب لغوي بالضرورة ، وذلك لأن أول ما يطالعنا من ملامح هذا المخلوق (شعرا أو قصصا أو مسرحا مكتوبا) انما هو اللغة ، وهذه اللغة ، مفضية الى معان وأهداف ومرام قريبة وبعيدة مختارة .

٤ - وتعني - استنتاجا وبتأمل ما تقدم - افلاس صيغة « تاريخ الأدب » ، التي تكدس وتكدس ، ولاتفضي الى شيء ، والتي تدوس - في طريقها الى الوصول الى « الأفكار العامة » و « الملامح العامة » للفترات - المكونات الدقيقة الحقيقية للأدب ، والتي تنتهي الى قوالب مفرغة ، وصناديق ورقية (ليست حتى مزركشة) وأحكام عامة صالحة لأن تطلق على كل فترة ، ومن ثم فهي ليست صالحة - حقا - لشيء ، ان التناقض الذي تقع فيه صيغة تاريخ الأدب (ويبدو أنها لاتعيه) انها تقول بالسمات المعينة العامة لعصر بأكمله ، كالعصر الجاهلي (هكذا على اتساعه وعلى اطلاقه) ، وتقول - في الوقت ذاته - بأن كل شاعر فحل من شعرائه متفرد عمن عداه من الشعراء الفحول الذين ينتمون الى نفس العصر ومن ثم الى نفس السمات (والا فما معنى القول بأن شاعرا منهم شاعر عظيم ؟) .

٥ - وتعني - كذلك - افلاس الصيغة « البيوجرافية » التي تربط العمل الأدبي بحياة صاحبه ومزاجه الشخصي (على نحو ما فعل العقاد في كتابه « ابن الرومي - حياته من شعره » - وليتأمل الجزء الأخير من العنوان) ولقد دحض النقاد العرب القدامى أنفسهم هذه الصيغة كما دحضها النقاد الأوروبيون المحدثون .

ورغم هذا الدحض بقيت الصيغة « البيوجرافية » متسلطة الى أقصى حد على أذهان كثير من النقاد العرب ، ففتنوا بها ولقنوها الناشئة ، فأصبحت مدخلا أثيرا (ولكنه مغلوط وخطر !) لفهم الشعر . وآية تمكن هذه الصيغة من النفوس أنك قد تشرح لطلاب الأدب معنى « موضوعية الأدب » ، وتفيض في هذا الشرح ، حتى لتتوهم أنهم فهموا عنك ، واقتنعوا بقولك ، ثم تفاجأ بأحدهم يتساءل في حيرة بعد كل ذلك : « لكن ، أليس الشعر صورة لحياة صاحبه ؟» وأجيب عن هذا دائما بقولي نعم ، الشعر صورة لحياة صاحبه ، ولكن ما معنى كونه صورة ؟ وما حدود تلك الحياة ؟ هل الصورة تعني الصورة المطابقة التي قد نراها في مرآة ، أو تعني الصورة المعدلة التي قد تختلف عن « الأصل » إلى حد التناقض ؟ وهل حياة الشاعر تعني ما عاشه من قصص وأحداث ، وما اعتاد عليه من مأكل ومشرب « ولف عمامة » ، أو هي أيضا خيالاته ، بل وأوهامه ، مما قد يختلف عن حياته « الواقعية » ، ويقف منها على النقيض ؟

٦ - ويتطلب تحقيق مضمون عبارة « أدبية الأدب » أن يتمتع الناقد الأدبي بحساسية عالية في الفقه اللغوي ، وادراك الظلال والايحاءات ، وفلسفة « التلوين » و « والتكوين » وأن يكون الانسان النشط الذي يتمتع بثقافة واسعة في كل مجال ولكنه - في حالة العمل - لايدع ثقافته تعلن عن نفسها في نحو مباشر فج ، وانما تعلن عن نفسها في صورة فهم أفضل للنص الأدبي ، أو منحى أدق في تحليله ، أو تقدير أعدل له ، ولا يكون ذلك الشخص المترهل الكسول الذي يواجه النص بعين عمياء ، وأذن صماء ، مكتفيا بنثر المعاني في الشعر ، وتلخيص الأحداث في القصص والمسرحيات ، أو الهروب بعيدا الى الملاحظات العامة المحفوظة المتوارثة ، أو استظهار النظريات المستحدثة المتلاحقة وترديدها دون بصر ، أو السقوط في وهدة الغموض المطلق باسم « الحداثة » .

٧ - كذلك يتطلب تحقيق معنى عبارة « أدبية الأدب » أن يؤمن النقاد بقيمة عملهم وبأصالة المادة التي يتعلمون معها (وهي الأدب الابداعي) ، فيتوازن ميزان العمل في أيديهم ولايحيف ، ومع أن نقص الايمان بالعمل والحيف نقيضان من النقائض الموجودة في كل مجال فان ضررهما في مجال النقد ماحق ، وذلك نظرا للحساسية التي يتمتع بها هذا الفرع من فروع المعرفة ، ويعني كل ذلك الوصول الى الحيثيات الكاملة ، والتعبير عنها بكل دقة ووضوح ، قبل الانتقال الى أي حكم أو تقدير . أما ما نراه من « الانحياز » و « الشللية » وكيل المدح ، أو الهجاء ،

فليس من « أدبيـة الأدب » في شيء . وأنا أهيب بقارئي أن يكون هو نفسه منصفا فينخل ما يقرأ تحت عنوان « النقد » وسيرى بنفسه كم منه يرعى « أدبية الأديب » ، وكم منه يجافي ذلـك ، وقد يتعلل هـذا النـوع بشتى التعلات ، من ضيق المجـال ، وعـدم تحمـل المـوقف ، أو يحتمي بكلمـات واهنـة مثـل « عمـوما » ، و « عـلى وجه العمـوم » ، و « بصفة عامة » ، ولكن الحقيقة الباهرة تبقى ، وهي أن كل تحليل نقدي لا ينهض على أصول وتقاليد أدبيـة ولا يتسم بالشفافية والعمق والجدية والنفاذ والانصاف ، انما هو سراب يزيد من حيرة النقد ، ويؤجل اهتداءه الى الطريق القويم .

٨ ـ وكذلك يتطلب تحقيق معنى عبارة « أدبية الأدب » أن يطول صبر النقاد المؤهلين المتعاونين ، مبعدين عن أنفسهم شبح الملل واليأس ، ومتخـذين القراءة الفاحصة لقصيدة بعد قصيدة ، ورواية بعد رواية ، وقصة بعد قصة ، ومسرحيـة بعد مسـرحية نهجـا ، متنقلين بين أقدم نص عرفته العربية وأحدث نص ، مرسين معالم الحساسية الجديدة ، في « فقه النص » ، محـولين الكتـابة النقـدية من الـوصف المقتضب إلى التحليـل المستعصى ، ومن « التقنيـة » الجـافـة الى « الابداع »

ليكن التحليل النقدي ـ كالعمل الابداعي ـ عملا له اسلوبه الخاص الذي يجعله يقرأ جيلا بعد جيل ، فيخلد من أجل صفاته الابداعية الانشائية تلك ، لا لحججه وأفكاره ، ولا لأهمية العمل الذي يتناوله .

تلك أفكـار تمهيديـة في مـوضـوع النقـد الأدبي أحسبها لاتثير خلافا كبيرا . وأنا أطرحها أمام قارىء « العربي » علها تلقى قبوله ، فتسهم ـ ولو على نحو متواضع ـ في تحويل مسيـرة هذا الفـرع الحيوي من فروع الثقافة العربية من التردد الى الاقـدام ، ومن الحيرة الى اليقين ، ومن مفترق الطرق الى الطريق الهادي ، الواضح المستقيم .



منتدى العربي
تعقيبات

تعقيب على مقال عبدالرحمن الداخل

قرات الموضـوع القيم بعنوان « عبدالرحمن الداخل يعود الى الاندلس » العدد ٣١٩ من مجلتنا العربي الغراء . وقد أفـرحنى كثيرا نبأ إقامة التمثال الرائع لعبدالرحمن الأول (١٣٨ هـ ـ ١٧٢ هـ / ٧٥٦ م ـ ٧٨٨ م) فى المنكب (المونييكر) فثمة تماثيل رائعة فى أرجاء الاندلس لعدد من الشخصيات الفذة الذين أسهموا ببناء الحضارة العربية الاسلامية فى اسبانيا ، وكانوا اساتذة أوروبا فى ذلك الحين . ففى بعض ساحات قرطبة :

تمثال لأبى محمد على بن حزم المفكـر الاندلسى الأكبر صنعه المثال القرطبى أولموس بتكليف من بلدية قرطبة .

وهناك تمثال ابن عمران موسى بن ميمـون العالم الاندلسى اليهودى ، وقد حسب خصومنا من اليهود أنهم يضاهون ابن حزم بابن ميمـون ، فسعوا حتى أقيم هذا التمثال ، وقد فاتهم أن موسى بن ميمون عالم عربى قبل أن يكون يهوديا ، وبالعربية كتب لا بالعبرية ، وفى بلادنا ومعنا عمل ، وعندما هاجر من الاندلس لم يذهب الى فرنسا مثلا ، بل الى القاهرة ، وهناك أصبح من أطباء صلاح الدين الأيوبى .

إضافة الى تمثال للعالم العربي محمد بن قسوم الغافقي الكمّال وصاحب كتاب (المرشد فى الكحل) أى فى طب العيون .

ومع احترامى الفائق للدكتور عفيف بهنسى اود أن اسجل بعض الملاحظات على مقالته المذكورة . يقول الدكتور بهنسى (ان أم عبدالرحمن الداخل « راح » تنسب الى قبيلة مكناسة المغربية أو قبيلة مغيلة)

الواقع أن أم عبدالرحمن الداخل لاتنتمى الى قبيلة مكناسة المغربية (مغيلة) وانما تنتسب الى قبيلة (نفزة) وهى قبيلة أخواله . والدليل على ذلك كما يقول الدكتور ابراهيم بيضون فى كتابه « الدولة العربية فى اسبانية » : مضت أربع سنوات والطريد الأموى يتنقل بين قبائل البربر فى المغربين الأقصى والأوسط ، دون أن يثير غبارا وراء تنقلاته الخفية ، حتى إذا رفضته مكناسة (القبيلة البتوية الكبيرة) انتهى به المطاف الى جوار سبتة حيث أخواله النفزيون .

واستطرد الدكتور بهنسى قائلا : انتهى دور الصميل الذى مات مسموما . والصواب هو أن عبدالرحمن دس له من خنقه فى سجنه .

وأضاف الدكتور عفيف قائلا : لعل أروع انتصار حققه ضد عدوان خارجى كان عام ٧٧٧م إذ قام شارلمان بتأييد من خصوم عبدالرحمن بحملة ضخمة ، وتقدم شارلمان أولا فى الأندلس ، ثم تجهز له عبدالرحمن فى العام التالى فرده على عقبه . .

والصحيح هو هذه الشاكلة : انتصار صقر قريش على شارلمان هو عام ٧٧٩م ، وليس فى عام ٧٧٧م ، ولم يتردد عبدالرحمن بن معاوية بن هشام فى مواجهة شارلمان والتصدى له فى العام التالى ، وانما خاض معه المعركة فور غزو شارلمان للاندلس .

فقد قدِم شارلمان من فرنسا وعبر جبال « البرتات » متجها الى سرقسطة سنة ١٦١هـ ٧٧٨م (تاريخ الغزو) . وامتدت المؤامرات المستهدفة نظام عبدالرحمن الى الشمال ، لتتخذ مسرحا جديدا لها فى سرقسطة وبرشلونة ، عندما قام تحالف سياسى بين اثنين من زعماء العرب ، كانت لهما المسؤولية ـ ربما فى وقت سابق ـ وهما سليمان بن يقظان الكلبى المعروف بالأعرابى (برشلونة) ، والحسين بن يحيى الانصارى (سرقسطة) ، ويضاف اليهما اسم آخر هو عبدالرحمن بن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبى . علما بأن الكاتب الذى نحن بصدده أغفل الذكر عن أسماء مؤيدى شارلمان أو بالأحرى خصوم عبدالرحمن .

وفى موضع آخر قال الكاتب : ان المنصور حاول بتعيين أمير أرسله لذلك ، هو العلاء بن المغيث . فى الحقيقة لم يتم تعيين العلاء من قبل المنصور ، فقد اتصل أبو جعفر المنصور دون جدوى بأحد الزعماء العرب ، وكان قائدا لحامية (باجة) العلاء بن مغيث اليحصى من قبيلة جذام اليمنية ، من أجل تصفية خصمه العنيد ١٤٦هـ ـ ٧٦٣م . وباجة هذه تقع جنوب غربى الأندلس فى البرتغال حاليا .

وبعد نحو عام من الاتصالات الخفية مع اليمنيين بصورة خاصة ارتفعت الأعلام السوداء ، وهى شعار الدولة العباسية فى باجة ، معلنة الثورة على أمير قرطبة عام ١٤٧هـ ، علما بأن الكاتب لم يؤرخ عام الثورة التى قام بها العلاء .

وفى موضع آخر قال الدكتور بهنسى : واستمر خلفاؤه من بعده مايقرب من الثلاثة قرون ، وكانت قرطبة فى عهدهم (جوهرة العالم) ، وكان فيها مائة وثلاث عشرة دارا وواحد وعشرون ربضا وسبعون خزانة كتب : وحوانيت شتى تباع بها الكتب،ومساجد وقصور وحمامات . . . الخ .

واليكم الأعداد الصحيحة وبأدق تفصيل : يفصل المؤرخ المقرى فى كتابه نفح الطيب صفة المدينة فيقول : (أحصيت دور قرطبة التى بها وأرباضها أيام ابن أبى عامر ، فكانت مائتى الف وسبعين دارا ، وهذه دور الرعية ، وأما دور الأكابر والوزراء والكتاب والأجناد وخصوصا الملك فستون الف دار وثلاثمائة دار سوى غرف الكراء ، والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون الف واربعمائة وخمسة وخمسون حانوتا . ويذكر المقرى كذلك : أن عدد مساجد قرطبة عند تناهيها فى مدة ابن أبى عامر ألف وستمائة مسجد ، وتسعمائة حمام) .

أما عن عدد المعاصر فحَدث ولا حرج . اذ يقال ان كلمة (قرطبة) كلمة فينيقية معناها المعصرة وذلك لكثرة المعاصر فيها .

عبدالله محمد حاج عبدو

قواعد النشر في مجلة عالم الفكر

١) « عالم الفكر » مجلة ثقافية فكرية محكمة ، تخاطب خاصة المثقفين وتهتم بنشر الدراسات والبحوث الثقافية والعلمية ذات المستوى الرفيع .

٢) ترحب المجلة بمشاركة الكتاب المتخصصين وتقبل للنشر ـ الدراسات والبحوث المتعمقة وفقا للقواعد التالية : ـ

أ) أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره

ب) أن يتبع البحث العلمية المتعارف عليها وبخاصة فيما يتعلق بالتوثيق والمصادر مع الحاق كشف المصادر والمراجع فى نهاية البحث وتزويده بالصور والخرائط والرسوم اللازمة .

جـ) يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢,٠٠٠ ألف كلمة الى ١٦ ألف كلمة .

د) تقبل المواد المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة ولا ترد الأصول الى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

هـ) تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمى على نحو سرى ،

و) البحوث والدراسات التى يقترح المحكمون اجراء تعديلات أو اضافات اليها تعاد الى أصحابها لاجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها .

٣) تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التى تقبل للنشر ، وذلك وفقا لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة كما تقدم للمؤلف عشرين مستلة من البحث المنشور .

٤) ترحب المجلة باسهام المتخصصين فى الموضوعات التالية :

أ) علوم الصحارى

ب) الهجرة والهجرة المعاكسة

جـ) الدراسات المستقبلية

د) المسرح

هـ) الحاسب الآلى

و) الأمن الغذائى

ز) الثقافات فى العالم الثالث

حـ) الجنون فى الأدب

ط) التجديد فى الشعر

عـ) ترسل البحوث والدراسات باسم :

وكيل الوزارة المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة
وزارة الاعلام ـ الكويت ـ ص ب ١٩٣

الجديد في العلم والطب

اعداد يوسف زعبلاوي

فتح جديد .. في تعليم المعوقين

تحدثنا في عدد سابق عن النجاح الذي أصابوه في تعليم القردة .. ونتحدث اليوم بشيء من التفصيل عن اللغة - أو اللغات - التى ابتدعوها من أجل تعليم الشمبانزى .. وعما كان لاحدى هذه اللغات - لغة ياركش بالتحديد - من فضل على تعليم بنى الانسان ، والمعوقين منهم بالتخصيص ..

سموها ياركش نسبة الى المركز الذى طورها وهو مركز يركز نشاطه الخاص بتعليم القردة في جامعة اسورى في اطلنطا . أما مبتدع هذه اللغة فهو عالم النفس دوان رومبو أحد العلماء العاملين في المركز المذكور .. وكان ذلك في مطلع السبعينيات .. ومع أن لغة ياركش هذه ليست الوحيدة من نوعها الا أنها تتميز على ما سواها .. فقد أصبحت تحتوى على ٢٢٥ رمزا .. وكل رمز منها يدل على كلمة بكاملها : اسما كانت أو فعلا أو حرفا . فأحد تلك الرموز يعنى (تفاحة) وآخر (غرفة) وثالث (نعم) ورابع (لا) وهكذا . وتسمح هذه الرموز بتركيب الجمل المفيدة ، كما لا يخفى .. ولكن ذلك لا يتم كتابة ولا نطقا .. وكلاهما متعذر ومستحيل على الشمبانزى .. وانما يتم بالضغط على الازرار المناسبة التى تحملها لوحة كمبيوتر الكترونية كبيرة (انظر الصورة) .



وتبنى مركز أبحاث اللغة ، في اطلنطا أيضا ، لغة ياركش هذه ومضى يعلم طلابه القردة وينمى قدراتهم الادراكية على أساسها .. والمركز المذكور تديره جامعة أمورى السالفة الذكر بالتعاون مع جامعة أخرى في مدينة اطلنطا نفسها ، هي جامعة ولاية جورجيا .. وهو متخصص في تعلم القردة .. وبخاصة من فصيلة الشمبانزى القزم ، وهي فصيلة نادرة الوجود وتعتبر أقرب القردة جميعا الى الانسان من حيث بنيته الوراثية وقواه العقلية . ويعتبر الشمبانزى المسمى (كانزى) وهو أحد طلاب المركز المذكور ، النجم اللامع بين طلابه جميعا وقد تفوق على زملائه حتى بلغ مستوى مرموقا يضاهي المستوى الذي بلغه طفل الانسان وهو في الثانية من عمره .

أما استعمال لغة القرود هذه في تلقين او تأنيس المعوقين من بنى الانسان فيعود الفضل فيه الى عالم النفس رامبو مبتدع لغة ياركش نفسه .. وقد بدأ محاولاته أو تجاربه في هذا الصدد سنة ١٩٨١ حينما اختار ١٤ معوقا وانطلق في تلقينهم لغة ياركش .. وما أسرع ما أحرز ثمانية منهم تقدما ملحوظا وقد اتقنوا التفاهم على أساس عدد من الرموز يتراوح بين ٢٤ - ٧٠ رمزا .

وتجدر الاشارة هنا الى أن الرموز التى لها

صلة بألوان الطعام المفضلة للطلاب هي الرموز التى تشكل نقطة البدء في تدريسهم على ان المدرس يركز على رمز واحد في وقت واحد .. حتى اذا اتقنه الطالب انتقل الى رمز آخر غيره ..

وتجدر الاشارة أيضا الى الآنسة ساندرا (٢٣ سنة) وكانت من المعوقين الذين لا يسمعون ولا ينطقون .. والذين يسلكون سلوكا عدائيا أشبه بسلوك الحيوانات البرية غير المستأنسة .. تقول كانت .. نظرا لأن ساندى تغيرت تغيرا جذريا خلال السنتين الماضيتين ، اللتين قضتهما في مستشفى جورجيا الاقليمي في اطلنطا ، وفي مركز التعليم التابع لهذا المستشفى ، حيث أنسوها ولقنوها لغة القردة .. وهكذا تغيرت ساندى مع الايام ، وأصبحت فوق هذا كله تستطيع التفاهم مع مدرسيها ..

الأسبرين .. علاج للقلب

كان الأسبرين ومازال المسكن الأول للصداع والحرارة ، والعلاج الفعال للرشح والروماتزم والالتهاب المفاصل .. ومما يذكر هنا ان العالم الذى طوره وابتكره سنة ١٨٩٧ ، وهو عالم الكيمياء الألمانى فيلكس هوفمان .. انما أقدم على تطويره بدافع المحبة لأبيه ، وبقصد معالجته من الروماتزم الذى طالما عانى منه . ونذكر أيضا أنهم درجوا على صنعه من لحاء شجر الصفصاف في باديء الأمر ، حتى نجحوا في تصنيعه سنة ١٨٩٩ ، وانطلقوا بعد ذلك في استحضاره كيماويا على نحو ما تستحضر أكثر الأدوية ..

وكان الأسبرين وما زال من أكثر الأدوية رواجا في العالم .. ويقدر ما يتناوله الأمريكيون وحدهم منه بأربعة أطنان يوميا ..

وقد حملت الينا آخر التقارير الطبية مزايا أخرى جديدة للأسبرين ، فقد ثبت أنه ذو أثر فعال في مرضى القلب الذين يعانون من النوبة القلبية .. هذا ما أقره لفيف من مسؤولى الصحة الاتحاديين العاملين في وكالة الغذاء والدواء (FDA) وذلك بالاستناد الى سبع دراسات جادة ، أجريت في الولايات المتحدة وسواها .. وقد شملت تلك الدراسات ١١٠٠٠ نسمة ، واستغرق بعضها أربع سنوات ./. ولئن اختلفت تلك الدراسات في بعض التفاصيل ، إلا أنها أجمعت على ما للاسبرين من أثر فعال في مرضى القلب ..

فحبة واحدة من الأسبرين (٣٢٥ مليغرام) يتناولها مريض القلب يوميا ، كفيلة بالحد من احتمالات الوفاة بسبب النوبات القلبية . فهى تبطل فعل خلايا الدم التى تسهم في التجلط .. فتحد بالتالى من احتمالات ظهور هذا التجلط في الدم .. واحتمالات وقوفه حجر عثرة في طريق الدم الى القلب .. الأمر الذى غالبا ما يتسبب بالنوبة القلبية ، ويؤدى الى الوفاة في كثير من الأحيان .. فالاسبرين يبطل مفعول الخلايا التى تلعب دورا في تجلط الدم ، ويبطل ما يترتب عليها من نتائج ..

وقد تبين أن للاسبرين أثرا آخر ، لعله أهم وأخطر مما ذكرنا ، فقد أفادت دراسة مستفيضة استغرقت ١٣ شهرا ، وقامت بها هيئات طبية رسمية في الولايات المتحدة ودلت على أن الاسبرين يفيد الذين يعانون من الخناق أو الذباح المتقطع ، ويضمن لهم الحد - كثيرا وبنسبة ٥٠٪ - من احتمالات تحول تلك الآفة الى نوبة قلبية ..

مكتشفون ومخترعون



أيجور سيكورسكي : مخترع الهليكوبتر ١٨٨٩ ـ ١٩٧٢

تتميز حياة سيكورسكي ، بأنها امتدت حتى جمعت بين بداية عصر الطيران ، التي تتمثل في نجاح الأخوين رايت فى اختراع الطائرة .. وبين ذروة ذلك العصر التي تتمثل فى نجاح الانسان فى غزو الفضاء ..

ولد في كييف فى روسيا في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٩ ، وكان أبوه أستاذ علم النفس (بروفسور) فى جامعة كييف .. وكان في الوقت نفسه طبيبا مجازا ويمارس الطب . بخلاف أمه التى كانت طبيبة مجازة هي الأخرى ، ولكنها لم تمارس المهنة ، ذلك أن ميولها الفنية الجارفة طغت على تخصصها . وبلغ من ولعها واهتمامها بليوناردو دافنشي أن أثارت في ابنها الفتى الاعجاب به ، ومحاولة السير على منواله ، فيما يتصل باختراع الطائرات عامة ، واختراع الطائرة العمودية بصفة خاصة . ومما يذكر هنا أنه صنع طائرة هليكوبتر من مطاط وذات محرك ، وهو فى الثانية عشرةمن عمره .. والطريف أن طائرته اللعبة تلك طارت بالفعل وارتفعت فى الهواء قليلا .

بدأ دراسته الجامعية في الأكاديمية البحرية في بطرسبورغ (لنينجراد حاليا) التي التحق بها سنة ١٩٠٣ ، بقصد التخرج فيها ضابطا محترفا .. ولكن ميوله الهندسية غلبته ، وحملته على الاستقالة من الخدمة سنة ١٩٠٦ ..

وتوجه سيكورسكى الى باريس فى صيف ١٩٠٨ ، حيث اجتمع بالأخوين رايت ، وبآخرين ممن كان لهم صلة باختراع الطائرات .. وفكر ايجور طويلا حتى اقتنع فى النهاية ، بان الطيران الحقيقى انما هو الطيران العمودي ، ناسجا فى ذلك على منوال ليوناردو دافنشى ...

وبدأسيكورسكى المرحلة الأولى من اختراعاته ، في كييف ، سنة ١٩٠٩ ، مستهدفا بناء طائرة هليكوبتر .. ولما منى بالفشل فى محاولته الأولى (١٩٠٩) والثانية (١٩١٠) قرر ارجاء المحاولة الثالثة ، حتى يستكمل نضجه العلمى ، ويستكمل عصره تقدمه التكنى .. ومضى ثلاثون عاما قبل أن يقوم المخترع بمحاولته الثالثة تلك ..

ثم كانت المرحلة الثانية .. وقد تكللت باختراع طائرة عادية ـ لاعمودية ـ ذات أجنحة ثابتة ومزدوجة ، على غرار طائرة الأخوين رايت .. ونجح سيكورسكى بأول طيران له بطائرته تلك ذات المحرك (S —2) سنة ١٩١٠ .. وأحدث تحسينات على تلك الطائرات فكان طراز S3, S4, S5..

وجاءت سنة ١٩١٣ ، وظهرت طائرته ليجراند Le Grand الشهيرة ، وحسبك أنها تعتبر الطائرة الأم لأكثر الطائرات الحديثة .. طائرات الركاب التجارية ، وقاذفات القنابل العسكرية على وجه التحديد .

وقامت الحرب العالمية الأولى .. واندلعت الثورة البولشفية فى روسيا .. وانهارت المانيا .. فشعر سيكورسكى بضرورة الهجرة الى الولايات المتحدة .. فيمم شطرها ، ووصل الى نيويورك مهاجرا سنة ١٩١٩ ..

وهناك فى امريكا بدأت المرحلة الثالثة من اختراعات سيكورسكى ، وانتهت بابتكار طائرة الهليكوبتر التي مالبثت أن اكتسحت الأسواق دون منازع ! وانتشرت فى مشارق الأرض ومغاربها ..

والجدير بالذكر أن سيكورسكى لم يهدف من اختراع الطائرة العمودية، الا الى القيام بأعمال النجدة والاغاثة ابان الكوارث ، كالحرائق والفيضانات والمجاعة وما إلى ذلك .. أما تطوير طائرته بحيث أصبحت طائرة هجوم عسكرية وأداة تدمير فلم يخطر له ببال .. □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

سجاير القرنفل

انتشرت فى امريكا السجاير المصنوعة من" كبش" القرنفل بدلا من التبغ وهى السجاير التى اشتهرت بصناعتها اندونيسيا واقبل على تدخينها الكثيرون ، لاسيما الشباب ، ظنا منهم انها لاتضر بالصحة كسجاير التبغ .

وقد ثبت العكس تماما لمراكز مكافحة الامراض فى اطلانطا بولاية جورجيا . فالتقارير التى أوردتها عن ١٢ رجلا من المصابين بأمراض الجهاز التنفسى - تشير إلى أن هؤلاء الرجال يدخنون سجاير القرنفل ، وأن امراضهم ذات صلة وثيقة بهذه السجاير . . ولاغرابة فى ذلك فهذه السجاير ليست خلوا من التبغ . . بل انه يكوّن ٦٠٪ من محتوياتها .

أضف الى ذلك أن القرنفل يحتوى على مواد مختلفة . أتذكر اليوجينول (Eugenol) المادة المخدرة المستعملة فى طب الاسنان على نطاق واسع ؟؟ . فلعل هذه المادة وغيرها هى المسؤولة عن الامراض الجديدة التى أصيب بها مدخنو سجاير القرنفل . ومما يذكر ان الولايات المتحدة لاتصنع سجاير القرنفل هذه وانما تستوردها من اندونيسيا . . وقد بلغت وارداتها من هذه السجاير (١٢) مليون سيجارة سنة ١٩٨٠ وتضاعفت حتى بلغت (١٨٠) مليون سيجارة سنة ١٩٨٤ .

ناقلات شراعية

قامت ناقلة البترول اليابانية الضخمة واسمها « اوزوكى بايونير » وحمولتها ٢٦٠٠٠ طن . . قامت برحلتها الاولى التى اعتمدت فيها على الرياح والاشرعة ، بالاضافة إلى المحركات ، والتى اكملتها فى مطلع شهر حزيران (يونيو) الماضى . . وقد أقامت الدليل فى هذه الرحلة على المزايا والفوائد الكبيرة التى تجنيها السفن والناقلات من الاعتماد على الرياح والاشرعة بالاضافة إلى فن المحركات . .

وحسبك أن الناقلة الرائدة تمكنت من اقتحام البحار العاصفة فى شمال المحيط الهادى ، حيث تتراوح سرعة الرياح بين ١١ - ٤٥ ميلا فى الساعة (١٨ - ٧٢ كم) ، ونجحت فى اجتياز تلك البحار بسلام . أما التوفير الذى حققته الناقلة فى استهلاك الطاقة فلم يقل عن ٢٠,٥ ٪ من مجموع تكاليفها ، التى تكبدتها فى الاوقات التى اعتمدت فيها الناقلة على الاشرعة ، وهى تشكل ٧٢٪ من الوقت الذى استغرقته رحلتها ككل . . .

الطاقة .. من المحاصيل الزراعية

قطعت البرازيل شوطا بعيدا في استخراج البترول من المحاصيل الزراعية .. ومن الحبوب وقصب السكر على وجه التحديد . وهي تستخرج الغازولين (بنزين السيارات) منهما ، وتستخرجه بمقادير تغطي ⅛ حاجة البلاد .

وأقدمت السويد مؤخرا على انشاء مصنع تجريبي لاستخراج الغازولين أيضا من الحبوب .

أما دول السوق الأوروبية المشتركة فقد عمدت الى استخراج الكحول من فائض الخمر بواسطة Degrading وهي ماضية في عمليتها هذه ، وان لم تثبت جدواها الاقتصادية بعد .

وتجدر الاشارة الى ان شركة لونرهو البريطانية كانت ومازالت تقطر الاثانول من Molasses وتستخرج زيت الديزل من الزيوت النباتية ، وخصوصا Monesters وذلك بعملية تحسين UP grading

ويبدو من المؤكد أن استخراج البترول من المحاصيل الزراعية سيظل محدودا وأقرب الى الهواية ، مالم يطرأ تغيير جذري على صناعة البترول وتجارته .. كأن ترتفع أسعار البترول ارتفاعا كبيرا ..

أسمدة نافعة من أقذار المجارير السامة

درج الناس منذ القدم على قذف أقذار المجارير والقمامة المنزلية في البحار والانهار،وقد حسبوا مياه هذه وتلك كفيلة بابتلاع تلك الاقذار والقضاء عليها وعلى أضرارها .. ومضت قرون عديدة قبل أن يتبين لهم أن تلك الأقذار هي الكفيلة بقتل البحار والانهار وليس العكس . ذلك أن البكتريا لاتلبث أن تتكاثر وتتراكم على تلك الاقذار لدى القائها في الانهار ، فهي تتغذى عليها وسرعان ماتلتهم البكتريا الاكسجين الموجود في مياه النهر فتتلف هذه المياه ، بل تموت وتموت معها الكائنات الحية التي كانت تعيش فيها . اضف الى ذلك أن تلك المياه تصبح ذات رائحة كريهة وتصبح موبوءة تتسبب بشتى الامراض للانسان والحيوان .

ولعل قذف تلك الاقذار في البحار أقل ضررا وخطرا من قذفها في الانهار ولاسيما اذا كانت تلك البحار كبيرة ومفتوحة كالمحيطات .. اما اذا كانت بحارا مغلقة كالبحيرات الداخلية فانها تكون عرضة لمثل المخاطر والاضرار التي تتعرض لها الانهار .. ويصدق هذا على البحر المتوسط كما يصدق على سائر البحار العربية الاخرى كلها ودون استثناء .

وتنبه العلماء لاضرار اقذار المجارير ومخاطرها في العصور الحديثة .. وفي أعقاب الثورة الصناعية بالتحديد . فعمدت الدول الاوروبية الى معالجة تلك الاقذار بحيث يتم القضاء على ضررها،ويصبح في الامكان استعمالها سمادا نافعا للنبات . وكانت طريقة المعالجة الاولى التي أخذت بها المانيا وفرنسا ، طريقة نشر الاقذار على سطح الارض وفي الهواء الطلق،وترك مهمة معالجتها للطبيعة ولأشعة الشمس بالذات ..

ثم كانت الطريقة الثانية ، طريقة التهوية وتعريض الاقذار للاكسجين،ولايخفى الشبه الكبير بين هذه الطريقة والطريقة الاولى ، بل لعلها مجرد تطوير بسيط لها لايطمح الى اكثر من تقصير المدة التي تحتاجها الطبيعة لمعالجة الاقذار .

وظهرت اخيرا الطريقة الحديثة المعمول بها حاليا في شتى الدول المتقدمة وهي طريقة بيولوجية ، لاكيماوية ، تستغل البكتريا وغيرها من الكائنات الحية من أجل تحييد الاقذار وتحويلها الى أسمدة تفيد المحاصيل الزراعية . وتعتمد في سبيل ذلك على الآلات والاجهزة التي نجح العلم في تطويرها في غضون المائة سنة الاخيرة ، بحيث اصبح في امكانها أن تنجز في ساعات ماعجزت الطبيعة عن انجازه في

اسابيع وشهور .

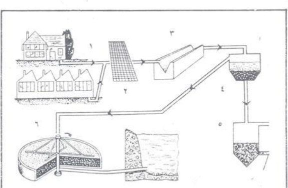
وليس هنا مجال الشرح المفصل ، وحسبنا الاشارة الموجزة الى المراحل التي تمر بها الاقذار حتى تصبح اسمدة نافعة . .

مرحلة الغربلة : ويتم فيها الفصل بين المواد الصلبة في القمامة وبين المواد الاقرب الى السيولة .

مرحلة التخمير (أ) : وتضخ تلك الرواسب الصلبة الى خزان الهضم او التخمير . . حيث تهضمها البكتريا وتصبح بالتالي أسمدة . .

مرحلة التخمير (ب) : وتذهب الاقذار السائلة وشبه السائلة الى خزان التنشيط حيث تتم تهويتها واشباعها بالاكسجين بحيث يسمح لملايين البكتريا والبروتوزوا بالنمو . . وهكذا تتغذى البكتريا على الاقذار وتتغذى البروتوزوا على البكتريا . .

ولعل في الرسم الايضاحي المرافق مزيدا من ايضاح فهو يعطي صورة وافية لعمليات القمامة ، وتحويلها الى سماد ، وذلك وفق اسلوب معين هو اسلوب (أو تي في) الفرنسي المعروف بفاعليته وبانتشار مصانعه في عدد من الدول العربية ، نذكر من تلك المصانع مصنع الموصل في العراق ، ومصنع بيروت وتبلغ طاقتهما ٦٠٠ طن و٧٠٠ طن يوميا على التوالي . . ونذكر أيضا احدث تلك المصانع مصنع اللاذقية في سوريا وتبلغ طاقته الصغرى ٣٠,٠٠٠ طن من القمامة سنويا . □



أقذار البالوعات وتحويلهاالى سماد

تتدفق أقذار المجارى (١) من المنازل الى المصاق (٢) . ثم تذهب حصيلة التصفية الى خزان داتريوس (٣) حيث يتم عزل القطع الثقيلة ، وتواصل الحصيلة سيرها الى خزان الترسب (٤) وهناك يتم فصل الأقذار الناعمة أو السائلة . . فتذهب الى الهاضم (٥) .
حيث تتحول الى غاز وسماد ، ويذهب الماء المصفى الى حيث يمكن أكسدة المواد العضوية العالقة .
والأسلوب الأكثر شيوعاً لاتمام ذلك هو أسلوب (٦) المصفاة المسامية ، الذى يقوم بالمهمة ، ويسمح للماء النقى بالذهاب الى النهر .



العربي عيونك على العالم

أطفال العالم

يغنون للسلام

استطلاع : حسن محمود عباس

تصوير : فهد الكوح

عندما تعلن الحرب لا يؤخذ للاطفال رأى ، وعندما تضع الحرب أوزارها ، يجد الأطفال أنفسهم وقد خسروا كل شيء : الأباء ، والاهل والاوطان !

هذا ما ينص عليه قانون القوة الذى يعمل الكبار بمقتضاه . . .

لكن الطفولة تمردت وشقت عصا الطاعة ، واتخذت لنفسها مساراً آخر ، وجعلت من صوفيا مكاناً تتخذ فيه القرار . عقد الصغار مؤتمرا أطلقوا عليه اسم « راية السلام » فكيف تسنى لهم ذلك ؟ ومن أين أتوا ؟ وماذاقرروا في مؤتمرهم الذى لم يكن صغيراً أبدا ؟



فى صوفيا التقى اطفال العالم
وكلهم امل فى مستقبل افضل .
فى الصورة جمع منهم يحمل شعار
و راية السلام ، وهم فى طريقهم
الى قصر الثقافة حيث تم اللقاء .

صوفيا عاصمة بلغاريا ، وهي واحدة من المدن البلغارية التي احتفظت بأهميتها لقرون طويلة . وقد شيدت في قلب شبه جزيرة البلقان عند تقاطع الطرق القادمة من أواسط أوروبا الى الشرق الأدنى ، ومن سواحل بحر ايجه الى شرق أوروبا وشمالها . لايشق على الزائر الذهاب الى جبل فيتوشا المطل على المدينة، فهو لايبعد أكثر من عشرين دقيقة من السير في سيارة صغيرة أو حافلة . وقد يرغب البعض في الصعود اليه سيرا على الأقدام ، وماهو الا وقت يسير حتى يجد المرء نفسه في منتزه فيتوشا الوطني . وليس أجمل من السير في حضن الطبيعة في هذا القرن الذي أصم بضجيجه الآذان ، وأرهق الأعصاب . وليست تعدلها متعة تلك التي تنعم بها وأنت تسير في مرج أخضر ، تتفيأ ظلال شجر الصنوبر ، وتتنسم عبير الزهور من كل رائحة ولون .

تذهب الروايات التاريخية الى أن التراقيين قد اختاروا موقع المدينة هذا لقربه من المياه المعدنية الدافئة ، ومازال هذا الموقع يشغل قلب العاصمة البلغارية الحديثة . وهذه المدينة مع التاريخ قصة ، فعندما بناها التراقيون أطلقوا عليها اسم « سرديكا » وشهدت ازدهارا عظيما في القرن الأول قبل الميلاد ، وكان يحلو للاسكندر الأكبر أن يقول عنها : انها روما المقدونية ، ومازال بوسع المرء أن يشاهد أجزاء من الأسوار التي كانت توفر الحماية للمدينة القديمة لأكثر من عشرين قرنا ، فإن لها بقايا في أجزاء من قلب المدينة .

ولم يبق من مباني العصر الروماني الا قبة القديس جورج ، وترجع الى القرن الرابع الميلادي ، وهي قائمة بين مبان ادارية حديثة ، وكذلك المبنى المسيحي القديم الذي يرجع الى عهد القديسة صوفيا (التي أورثت اسمها للمدينة فيما بعد) وهما الأثران المعماريان الوحيدان الباقيان منذ ذلك العصر . وهناك كنائس أخرى من بقايا العصور التالية . لقد تركت كل حقبة من التاريخ آثارا لاتمحى من المدينة ولا من ذاكرة أهلها وزائريها .

رمز جديد

ان الحديث عن آثار معمارية قديمة يستتبع - بالضرورة حديثا عن رمز جديد للعمارة في صوفيا - انه قصر الثقافة الشعبي الذي استضاف مؤتمر الأطفال الدولي (راية السلام) واتسع للآلاف ممن شاركوا في أعماله الابداعية . انه أحد الصروح الضخمة لفن العمارة الحديث . لقد اتخذته الدولة مركزا لنشاطات ثقافية واجتماعية وطنية ودولية مهمة ، وقد اعترفت له بهذه الصفة الجمعية الدولية لمراكز المؤتمرات ، وصار القصر في عدادها . يضم المبنى المشيد من الخرسانة المسلحة والزجاج والمعدن أربع عشرة قاعة ، تحتوي على ما مجموعه ثمانية آلاف مقعد . وتأتي في مقدمة تلك القاعات قاعة الحفلات الموسيقية والمؤتمرات ، وتتسع ل ٤٢٠٠ مقعد . ان كل مقعد في القاعة مزود بمكيف للهواء ، وبجهاز للترجمة الفورية بأربع عشرة لغة ، وميكروفون ومنضدة للكتابة . أما القاعات الأخرى فلها أغراض مختلفة ، وتتسع الواحدة منها لعدد يتراوح بين خمسين والفي مقعد . والشكل الأصيل للمنشآت الداخلية الذي يسمح بحرية تجميعها وفقا لما تدعو اليه الحاجة ، يتيح امكانية الاستخدام الكامل لمساحة البناء التي تبلغ ١٧٠٠٠ متر مربع ، والتشكيل الفني في الداخل مكون من الواح معدنية وفسيفساء وأخشاب ذات حفر فني ، وقد تمثلت فيه جهود مايقرب من مئة فنان بلغاري بارز .

وكان البدء ببناء الصرح المعماري الضخم فرصة لحل بعض المسائل الخاصة بتحديث شبكة المواصلات في قلب صوفيا ، فقد أقيم تحت المبنى نفق يربط ثلاثة شوارع رئيسية وتسعة أنفاق للمشاة ، وموقفان للسيارات يتسعان لما يقرب من ١٤٠٠ سيارة .

وقصر الثقافة هذا يعج دائما بالحركة والنشاط ، فإن البرامج في قاعة الحفلات الموسيقية والمسرح اللذيع يتخذان شكل مقهى ونادي شباب الفن والابداع ، وأماكن اللهو الأخرى تجذب اليها الآلاف من مواطني صوفيا مساء كل يوم . وفي الصالة الكبرى من القصر قدمت فرقة مسرح البولشوي عروضها ، وفرقة سكالا ميلانو واوركسترا لندن السيمفونية ، وفرقة فيلهورمونيا فينا .

وينقلنا الحديث عن عروض المسرح والموسيقا الى ظاهرة من ظواهر الحياة الثقافية في صوفيا ، وهي



خارطة بلغاريا وتبدو عليها مدن صوفيا وبلوفديف وبيرغاس وفارنا وبليفن

شيوع مسارح المقاهى .

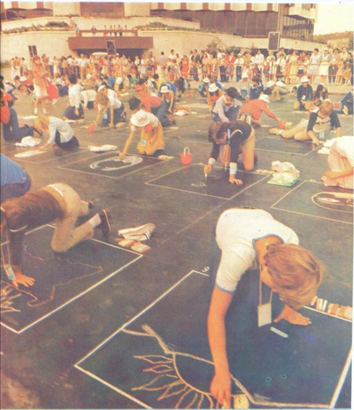
حديث عن المسرح

ولكننا نود قبل الحديث عن هذه الظاهرة أن نلقى نظرة سريعة على تطور المسرح فى بلغاريا . لقد ظهر هذا المسرح الى الوجود فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وكان متأثرا بالمسرح الأوروبى بما فيه المسرح الروسى ، حيث كان أبناء التجار الأغنياء أو الأطفال الفقراء الموهوبين ممن يحصلون على منح دراسية يذهبون للدراسة .

وافتتح فى صوفيا فى عام ١٩٠٦ مبنى المسرح الوطنى الحالى . وكتب ايفان فازوف ـ مؤسس الأدب البلغارى ـ مسرحياته للمسرح الوطنى الذى كان قد افتتح حديثا . وأعلنت وزارة التربية عن جوائز للمتسابقين فى التأليف المسرحى ، كما بدأت كوادر فنية فى الظهور كالمخرجين ومصممى الأزياء .

ويمكن القول بأن الثلاثينيات من هذا القرن تمثل ذروة التطور الذى أصاب هذا الفن . وكان لنيقولاى ماساليتينوف الذى جاء بروح مسرح موسكو الأكاديمى أثر مهم ، وكثرت دور العرض المسرحى بعد ذلك ، فلم تعد مقصورة على المسرح الوطنى فى صوفيا ، فقد أضيف اليه مسرح الجيش الشعبى ، ومسرح صوفيا ، ومسرح لودميلا جيفكوفا ، وغير ذلك .

لقد تميزت الحياة المسرحية فى بلغاريا فى السنوات الأخيرة بانتشار مسارح الحجرة ، ويكاد يكون لكل مسرح من مسارح الدولة (وعددها ستة وثلاثون) على امتداد القطر واتساعه مسرح حجرة أضافى يتم به توسيع الصالة عند الضرورة ، وتقام هذه المبانى فى العادة خارج المسارح التقليدية . أما عدد المقاعد فيها فلا يتجاوز المائة . وفى القاهرة عدد منها كذلك وفى بغداد . واذا كانت مسارح الحجرة جزءا لايتجزأ من مسارح الدراما التقليدية ، وهى التى تحدد طبيعة عروضها وعددها ومشاركة الممثلين فيها وغير ذلك ، فأن مسارح المقاهى تختلف حيث يتم تنظيمها وفقا لمبدأ آخر . فتعتمد فى العادة جماعة من الممثلين المتقاربين من حيث المفاهيم الابداعية الى إعداد مسرحية فى وقت الفراغ ، وتتصف بالتجريبية فى أغلب الأحيان ، وتعرض فى بهو أحد الفنادق الكبيرة ، أو فى المقاصف والمقاهى التابعة لتلك الفنادق . وقد اتسعت شهرة هذا اللون من العروض المسرحية الى الحد الذى جعل كل الفنادق الكبيرة فى صوفيا تعرض إمكانياتها فى هذا المجال وأدى النجاح



توزع المشتركون-فتيانا وفتيات ـ فى ساحة واسعة أمام قصر الثقافة ، يعبر كل منهم عن فكرةتداعب خياله ليرسموا لوحة كبيرة تمثل طموح اطفال العالم وآماله .

يمين . احد الشوارع الرئيسية فى مدينة صوفيا ، واسفل يمين : ريمية بندلى تغنى للسلام . اسفل يسار : فتاة من بلغاريا تعلق شارة الترحيب على صدر احدى الضيفات .







الذى حققته مسارح المقاهى فى صوفيا الى تكوين مسارح مماثلة لها فى مدن بلغاريا الكبرى مثل بلوفديف وفارنا وبورغاس وغيرها .

ومن تقاليد مسارح المقاهى أن يبدأ العرض فى ساعة متأخرة ، فتتناثر الأرائك الوفيرة حول مناضد منخفضة ، وينتظر الحاضرون الى أن يلتئم شمل الجمهور ، وفى تلك الأثناء تعزف الموسيقا الهادئة ، وتقدم أقداح القهوة ، ومعها أطباق الحلوى ، ثم يبدأ العرض على مسرح مرتجل ، دون أن يشعر المشاهدون بالكيفية التى ابتدأ بها . وتتكون العروض فى الغالب من مسرحيات عصرية تتميز بوضوح موضوعاتها ، وباحتفالها بالنزاعات الحادة الشيقة ، التى تشد الانتباه وتستحوذ على الاهتمام . أما المخرجون فهم من أشهر مخرجى العاصمة ، وكثيرا ما يشترك فى العرض ممثلون سينمائيون ومسرحيون ممن اشتهروا وذاع صيتهم .

لقد اعترى الاضطراب بعض الممثلين أول الأمر ، ولكنهم سرعان ماالفوا أوضاع التمثيل غير المعتادة ، حتى باتوا يجدون فيها متعة . كذلك أدى قرب المسرح الصغير من الجمهور الى نشوء أسلوب متميز فى أداء الممثلين لأدوارهم ، والى تحقيق أقصى قدر من الدقة فى وسائل التعبير .

ويغلب عنصر الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و ٣٥ سنة على رواد مسارح المقاهى فى صوفيا ، ومعظمهم من أوساط الفئة التقنية الابداعية المثقفة . وعلى الرغم من ارتفاع تذاكر الدخول ، اذا ما قورنت بتذاكر المسارح التقليدية ، فانه يندر العثور على مقعد خال . وتعلن هذه المسارح عن برامج معدة ، فتقدم ثلاثة أو أربعة عروض مسرحية فى الاسبوع ، وتتولى لجنة الثقافة ـ وهى الهيئة الاجتماعية الحكومية لادارة العمليات الثقافية واتحاد الممثلين فى بلغاريا ـ الاشراف على هذه النشاطات ، دون تمويلها ، أما الممولون فهم المؤسسات الفندقية البلغارية التى تدفع الأجور وفقا لتعرفة حكومية محددة .

راية السلام . . . . . . لماذا ؟

وتعقد فى صوفيا مؤتمرات اقليمية ودولية ذات اهتمامات ثقافية متعددة منها ما عقد بمناسبة العام الدولى للطفل سنة ١٩٧٩ تحت شعار « راية السلام »

ولقد تبنت فكرة « راية السلام » منذ البداية ، وعملت على تطويرها ووضعها موضع التنفيذ شخصية تحتل فى الثقافة البلغارية المعاصرة مكانة مرموقة ، هى الراحلة لودميلا جيفكوفا ابنة رئيس الدولة تودور جيفكوف . وكان لجهودها الشخصية الفضل الأكبر فى بلورة الفكرة ، ووضع الأسس النظرية والعملية لها ، وتحديد غاياتها وأهدافها ، وتحويلها من ثم الى حركة دولية تعبر عن نفسها واهتمامها ، باجتماع يعقد كل ثلاث سنوات فى صوفيا ، يحضره المبدعون من الأطفال فى مجالات الموسيقا والغناء والفنون التشكيلية والمهارات البدنية من كل أقطار العالم .

تقول لودميلا جيفكوفا وهى تحاول تحديد ماهية اللقاء : « لقد باتت حركة الأطفال التى تعقد لقاءها تحت « راية السلام » متصلة بالبنية الثقافية للشعب البلغارى ، وهى تنبع من الهدف العظيم الذى يسعى الى تربية جمالية ، تعمل على ايقاظ الوعى بالابداع من أجل اتاحة الفرصة لامكانيات الابداع للناس أفرادا وجماعات ، لتخصص لتحقيق التناسق فى كمال الحياة باسم الخير العام للبشرية جمعاء » . وقد اتضحت فكرة حركة « راية السلام » بوصفها مفهوما جديدا لتطوير قدرات الانسان فى كتابها « كمال الانسان والمجتمع » . وعلى الرغم من أن الفكرة كانت قد انبثقت من مناسبة دولية كبيرة ، ومن الدعم العالمى الواسع ، ولكنها جاءت نتيجة لتأملات جادة واهتمام بمصير الانسان والعالم ، وكانت ثمرة تحليل عميق لماهية ومكانة الفنون ، ودورها فى رقي الانسان ، وفى حسن اعداده وتكوينه .

وتشرح لودميلا جيفكوفا السبب الذى دعاها ودعا القائمين على الحركة الى تسميتها باسم « راية السلام » بقولها :

لقد اتخذت مبادرة أطفال بلغاريا اسم راية السلام، لأن قضية السلام هي المشكلة التى تفرض نفسها على اهتمام الانسان أكثر من غيرها من مشكلات الوجود . فلم يعد التطور ممكنا على سطح هذا الكوكب قبل ايجاد حل لمشكلة الحرب والسلام . ان خلق الظروف الدولية الملائمة لعالم تتعايش فيه الأنظمة الاجتماعية على اختلافها ، من أجل أن يسود التعاون بين الأمم والأقطار والثقافات ، لهو ضرورة

تمليها مرحلة التطور التاريخي الراهن . ان الناس من كل شعوب الأرض مدعوون الى الدفاع عن الحضارة الانسانية التى تحققت عبر آلاف السنين . ان هذه الضرورة الملحة هى التى أملت علينا اطلاق اسم « راية السلام » على هذا التجمع الدولى .

وفى الدورة العشرين لليونسكو التى عقدت فى نوفمبر من عام ١٩٧٨ بباريس أعلن مديرها العام أحمد مختار امبو بأن لقاء أطفال العالم سيتم فى صوفيا فى الفترة من ١٥ ـ ٢٥ أغسطس (آب) عام ١٩٧٩ ، وسوف يفتتح تحت رعايته ورعاية رئيس الدولة فى بلغاريا تودور جيفكوف . ووصف أحمد مختار امبو اللقاء بأنه واحد من أكثر أحداث السنة الدولية للطفل تأثيرا . وقد تأسست ـ على الفور ـ لجنة تحضيرية لتقوم بالاعداد للقاء . وقد رأست هذه اللجنة لودميلا جيفكوفا ، ودعيت شخصيات أجنبية بارزة فى مجالات الفنون والثقافة والعلوم والتربية ، وشخصيات أخرى مختصة فى أعمال الأطفال الابداعية لتصبح أعضاء فيها .

وقام عدد من البلغاريين العاملين فى حقول العلوم والتربية والفنون بتوجيه رسالة الى زملائهم فى كل أنحاء العالم ، يحثونهم فيها على دعم هذه الفكرة النبيلة ، وعلى مساعدة الأطفال القادمين ، فى أن يعبّروا عن أنفسهم تعبيرا حرا ، فى كل مجالات الابداع التى يتضمنها البرنامج المعدّ .

أطفال الوطن العربى

وافتتح مؤتمر الأطفال فى موعده المحدد ، وكان يحتوى على معرض لرسوم الاطفال ، وقاعة احتشد فيها الموهوبون ممن يكتبون الشعر والقصة وأنواعا أدبية أخرى ، وأخذوا يلقون بإنتاجهم أمام لجنة تحكيم من الكتاب والشعراء البلغار والأجانب وجمهور غفير .

كما احتشد فى قاعة أخرى عدد من الأطفال الموهوبين ، ممن يتقنون العزف على آلات موسيقية مختلفة . وقد انبثق عن المؤتمر برلمان ، وعقد أول جلساته ، وأصدر فيها رسالة موجهة من كل الأطفال المشاركين الى أطفال العالم . وقد تلقى المؤتمر تحيات كثير من رؤساء الدول وقادة العالم .

وفى عام ١٩٨٢ عقد اللقاء الثانى لمؤتمر الأطفال الدولى « راية السلام » تحت رعاية رئيس الدولة البلغارية ومدير عام اليونسكو . وقد حضرته وفود من اثنتين و مئة دولة ، ووصل الى صوفيا ٥٢٨ طفلا وشابا يافعا ، و ١٤٣ من قادة الأطفال والشبان ، فى حين اشتركت بلغاريا بوفد من ٤٤٥ طفلا و٤٨ قائداً ، وبذلك يكون المؤتمر الثانى قد اكتسب عضوية ثلاث عشرة دولة جديدة ، وكان الكثيرون من الطلبة والأطفال المشتركين ممن كانوا قد حصلوا ـ فى أوطانهم ـ على جوائز نظراً لنبوغهم فى الفنون أو فى الآداب ، أو فى الموسيقا أو فى غير ذلك من المواهب والأنشطة التى ظهرت فى اللقاء .

أما المؤتمر الثالث فقد عقد فى الفترة من ١٠ الى ٢٠ يوليو (تموز) من عام ١٩٨٥ ، وقد وجدنا أن عددا من أقطار الوطن العربى قد شارك لأول مرة فى المؤتمر بأطفال فى عمر الزهور ، وقد حاولوا بمواهبهم وقدراتهم الابداعية أن يسمعوا أطفال العالم والمتبعين لأخبار المؤتمر صوت المستقبل العربى الجميل ، وأن يعرضوا على الناس مايتقنون من الفنون ، ولعلهم استطاعوا أن يرسموا وجها مشرقا للوطن العربى بأفضل مما يستطيعه الكبار ، ولقد صفق الحاضرون طويلا لصوت جميل من لبنان ، وآخر من المغرب ، واستمتع الناس بعروض ورقصات رشيقة لأطفال من سوريا والسودان واليمن والعراق والأردن .

وقد تجلت في المهرجان في العرض الافتتاحي مواهب الأطفال المبدعين وحسن الأداء ، ودقة التنظيم والسيطرة التامة على جموع الأطفال وهم بالمئات ، بينما كانوا يجوبون خشبة المسرح فى حركات ايقاعية بديعة . وكان عدد المشتركين فى المؤتمر الثالث من الأطفال ومن هم فى سن المدرسة الأولى يربو على ١٢٠٠ طفل وطفلة ، وقد خصصت لسكنهم مبان كثيرة فى مدينة الطلبة بصوفيا . ويطلق على مدينة الطلبة فى صوفيا اسم « خريستو بوتيف » احد شعراء بلغاريا الكبار .

وفى مدينة الطلبة هذه أقيم معرض كبير هو المعرض الثانى لأعمال الابداع الذى شارك فيه الأطفال وطلاب المدارس . وكان مما يلفت النظر فى المعرض الأجنحة التى تركزت عنايتها على « الأطفال



لم يجدن متكأ يوقعن عليه بيان صداقة ومحبة الا ظهر احداهن !

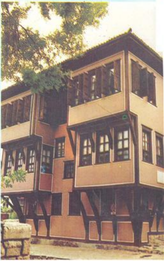


اطفال من جنسيات مختلفة يتبادلون التواقيع للذكرى .



فتيات من بلدان مختلفة يحطن بالبراعة الاتية من لبنان .





اعلى : تمثال الأم تنتظر عودة ابنها الشاعر ديمتشو ديبليا نوف الذى ذهب الى الحرب ولم يعد . يمين : منزل رئيس اتحاد الكتاب فى بلوفديف .

رحلات المعرفة

وبعد ثلاثة أيام من العروض والنشاطات الابداعية المختلفة صباحا ومساء قامت اللجان المنظمة بإعداد رحلات للضيوف صغارا وكبارا للتجول فى أنحاء مختلفة من بلغاريا . كانت الزيارة الأولى لمدينة صغيرة لا تبعد كثيرا عن صوفيا وتدعى كوبريف شتيتسا . ولهذه المدينة تاريخ حافل ، فقد بدأت بها الانتفاضة الشعبية العارمة التى قامت للمطالبة باستقلال بلغاريا عن الحكم العثمانى . كان عام ١٨٧٦ هو عام الانتفاضة التى تردد صداها فى مدن بلغاريا الأخرى وخصوصا المدن الواقعة فى جبال البلقان ، ولكنها اجهضت وقتل كثير من أهل المدينة المطالبين بالحرية بعد خمسة قرون من الاحتلال . الا أن بلغاريا حصلت على حريتها واستقلالها بعد تلك الانتفاضة الدموية بعامين ، أى فى عام ١٨٧٨ ، بعد أن أعلنت روسيا الحرب على تركيا .

لا يعرف على وجه التحديد من أين جاء اسم المدينة ، ومتى نشأت ولا تعرف كذلك الأصول الأولى لمستوطنيها ، ويذهب بعض المؤرخين الى أنها قد أسست فى القرن السادس عشر . أما اسم المدينة القديم فيعنى مرج النساء ، نسبة الى امرأة نابهة حسناء ، كانت قد قصدت السلطان العثمانى ، ونجحت فى استصدار فرمان يعطى للمدينة امتيازات وتسهيلات وامكانيات كبيرة للتطور .

والمدينة ذات طبيعة جبلية لا تصلح فيها الزراعة ، ولكن الظروف الطبيعية الملائمة ، وامكانية رعى قطعان الماشية خلال فصول السنة ، عملت على تربية المواشى ، وعلى اشتغال أهالى المدينة بالحرف ذات الارتباط الوثيق بتلك المواشى ، كصناعة العربات والمنسوجات والعباءات والسراويل والجوارب والأحذية ، وصناعات جلدية أخرى تناسب المناطق الجبلية . كما ازدهرت فى المدينة صناعة البسط والسجاد . وقد أعلنت المدينة فى عام ١٩٥٢ مدينة متحفية،وصدر فى عام ١٩٧٤ قرار من مجلس الوزراء باعتبارها محمية قومية معمارية تاريخية . ان ما يقصد بالمحمية هو ابقاء شكل المدينة وطراز البناء فيها على ما هو عليه ، سواء فى بيوتها أو فى حدائقها . فاذا أراد مواطن بناء بيت جديد فى المدينة ، فإن القانون يفرض عليه أن يكون البناء على الطراز القائم فى المدينة . وقد بنيت البيوت فيها على النمط البلغارى التقليدى ، حيث تكثر فيها النوافذ والشرفات الزجاجية والجدران الحجرية . وتطلى البيوت بالألوان البيضاء والزرقاء ، وتغطى السقوف بالقرميد ، وتصنع البوابات الخارجية من الخشب الثقيل . كان أهل المدينة يذهبون ببضائعهم التى يصنعونها فى الخريف من كل عام الى آسيا الصغرى ، والى مصر والحبشة ، فقد كانوا تجارا ، فضلا عن قيامهم على شئون صناعاتهم المحلية البسيطة . لقد تحولت معظم بيوت المدينة القديمة الى متاحف لا يسكنها أحد ، بل تفتح فى بعض الأيام للزوار السائحين ، فإن الفرجة على مقتنياتها من الأثاث القديم ترسم صورة جلية واضحة لأنماط العيش ، لا فى هذه المدينة وحدها ، بل فى كثير من بلغاريا الجبلية .

وعلى الرغم من أن المدينة أثرية بطابعها،إلا أن فيها تمثالاً لامرأة تجلس حزينة فى انتظار عودة ابنها الذى اقتيد الى الحرب ولم يعد ، ولن يعود . انه الشاعر البلغارى ديمتشو ديبيليانوف الشاعر الغنائى الرقيق ، الذى أخذ مجندا فى الحرب العظمى الأولى وقتل فى عام ١٩١٦ .

عراقة بلوفديف

واذا فرغ الزائرون من الطواف فى شوارع مدينة كوبريف شتيتسا ورأوا أنماطا من حياة جبلية تدل عليها آثار أهلها ، اتجهوا بعد ذلك الى مدينة كبيرة تدعى بلوفديف .

ان بلوفديف ليست واحدة من أقدم المدن فى بلغاريا فحسب ، بل هى واحدة من أقدم المدن الأوروبية . لقد عرفت هذه المدينة بأنها تتمتع بميزة موقعها على الطريق بين أوروبا وآسيا ، ولطالما تحدث عنها الكتاب والشعراء بحماسة بادية . قال عنها لوشيان الهجّاء والساخر الاغريقى القديم الذى عاش فى القرن الثانى انها « أجمل وأكبر مدن تراقيا » .

وقد كانت المدينة تحمل اسم فيليب المقدونى فى القرن الرابع قبل الميلاد ، اذ كانت تدعى فيليبوليس - أما التراقيون فقد كانوا يدعونها باسم بولبوديفا ، فى حين كان السلافيون والبلغاريون القدماء يدعونها

بولدين . وظلت تدعى طوال قرون الاحتلال العثماني الخمسة بـ « فيليب » ولم يطلق عليها اسم بلوفديف إلّا في أواخر القرن التاسع عشر ، أي بعد الاستقلال .

وفي مدينة بلوفديف آثار باقية من كل العصور . فيها من آثار العصور الوسطى ، ومن آثار عصر النهضة . ومازال بإمكان الزائر أن يرى بقايا الحصون والأسوار والمباني العامة ، والمساكن الخاصة التي يرجع عهدها الى أكثر من الف عام . ولقد عثر المنقبون على آثار في التلال التي تقوم عليها المدينة ، ترجع الى مهد التاريخ الذي أنشئت فيه . فقد عثروا على حجرة عبادة وثنية وفيها مكان للنار،وهو كشف لا يوازيه كشف آخر في بلغاريا لعصور ما قبل التاريخ . وعثروا في مكان آخر من التلال على منطقة السوق ، أو مركز المدينة في عهدها المقدوني ، حيث وجدوا الحجارة الرخامية التي كانت ترصف بها أرض السوق والشوارع ، كما وجدوا أعمدة رخامية في أركان السوق الاربعة ، وكان من بين أروع الموجودات التي عثروا عليها أحد المنشآت الهندسية الفريدة للمدينة القديمة ، وهو ما عرف بالقنوات التي كانت تزود المدينة الكبيرة بالمياه النقية .

ويستطيع المرء أن يرى بوابة الدخول الشرقية لمدينة فيليبوس القديمة ، جنوب سور الحصن الذي يعرف باسم (هيسار كابيجا) . كان عرض الشارع ١٤ مترا ، كما كانت له أرصفة على جانبيه يسير عليها المشاة .

ان ما عثر عليه من آثار الشارع يتحدث عن التصميم المعماري المتميز لهذا الطريق القديم . ويستطيع الزائر أن يرى في مركز المدينة الحالي،وفي ميدان التاسع عشر من نوفمبر معرضا ملفتا للنظر ، وقد عرضت فيه مواد معمارية ترجع الى عصور المدينة القديمة ، وهي موضوعة بطريقة تفسر تعاقب الأزمنة . ومن بين هذه المعروضات أجزاء من المدرج القديم لمدينة فيليبوليس ، يعود تاريخها الى القرن الثاني الميلادي . كما تم العثور على المسرح المرمري لتلك المدينة ، عندما كان يطلق عليها اسم فيليبوليس . كان مدرج المسرح سليما ، لم يلحق به الا قليل من البلى ، وكانت تزينه في أماكن مختلفة منه تماثيل رخامية . وتتميز المباني العامة والخاصة والمساكن التي كان يأوي الناس اليها في عصر النهضة بطرازها الفريد . . . المميز . ان ما تبقى من تلك الأبنية والمساكن حتى يومنا هذا يدهشك بألوانه وبأشكال العمارة السائدة في ذلك العصر ، وبالنضارة والسحر الباقي .

ان مدينة بلوفديف أقدم من بلغاريا ذاتها ، ولطالما مرت بها شعوب وحضارات سادت ، ثم أبدعت ، ثم بادت . ولقد شيدت الى جانب هذه المدينة وعلى سفوح جبالها مدينة بلوفديف الحديثة ، وظلت بلوفديف القديمة متحفاً حياً لا يسكن فيها الا أربعة آلاف ونيف من الناس ، يقومون على بعض شئونها ، ويشيعون فيها أنفاس الحياة ، ولولاهم لغدت المدينة مأوى للأشباح وللريح العابثة العاتية .

وبعد أن طافت وفود أطفال « راية السلام » في بلوفديف القديمة سيرا على الأقدام لتعذر سير الحافلات في كثير من أزقتها ، واستقبلهم حشد من أهالي المدينة ، وأقيم حفل قصير تم فيه تبادل كلمات الترحيب والشكر بين ممثلين عن أهل المدينة ، وممثلين عن الوفد الضيف ، قامت الحافلات بنقل الزائرين ، حيث طافت بهم عددا من شوارع بلوفديف الحديثة ، ليطلعوا على النهضة العمرانية وبعض المعالم ، وليستقبلهم الأهالي باللافتات والورود والملابس الوطنية التقليدية الزاهية . لقد غادرنا المدينة وكثيرون منا يلتفتون الى الوراء ، فان للماضي وللتاريخ وما يبقى منهما جاذبية وسحرا من نوع خاص .

وادي الزهور

واتجه الركب ، وهو يتألف من أكثر من عشرين حافلة ، عبر الأراضي الخضراء والمروج الزاهية بألوان شتى نحو الشمال ، ليبلغ بنا بعد ما يقرب من ساعتين من السير الحثيث جمالاً من نوع آخر . جمال الطبيعة والزهور . لقد دخلنا بلدة تقع عند سفوح جبال البلقان ، تحف بها حقول الزهور الشاسعة ، وتأتيها الطيور والفراش أسرابا ، وتحظو بها النسمات على مهل وترو . انها بلدة كازنلوك ، وقد أحاط بها الجمال ، وأحدقت بها الفتنة ، فهي في وادي الزهور .

ولطالما أثارت كازنلوك خيال الكتاب والشعراء وهزت مشاعرهم . وكم من شاعر وصفها برقيق القول وعذب الكلام . يقول عنها الكاتب الهنغارى فليكس كانيتز « ان جمالها لا يعدله جمال » ويصفها الشاعر التشيكى قسطنطين ارسيك بقوله « انها جمال يبلغ حد الكمال » اما الكاتب الروسى الكبير ماكسيم جوركى فيقول متعجبا « جميل ذلك الوادى ، وادى كازنلوك فى بلغاريا » . وما قاله الكتاب والشعراء قال مثله الفنانون والرسامون ، ولكن بلغتهم ، لغة الريشة والألوان .

وللزهور مواسم ، فإن أواخر مايو / أيار وأوائل يونيه / حزيران هي الفترة التى تتفتح فيها الأزهار ، فى المنطقة الممتدة بين سلسلة جبال البلقان وجبال سريدنا جورا ، ففى الصباح الباكر تفعل أشعة الشمس فى الزهور فعل السحر ، فتتفتح أكمامها ، وتعمل قطرات الندى التى تنضح أوراقها على أن يتضوع عطرها ويفوح أريجها .

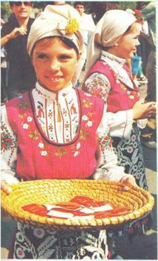
ويجتمع قاطفو الزهور بسلالهم قبل شروق الشمس ، فإن طبيعة هذا النوع من الزهور تفضل القطاف فى أوقات محددة ، والا فان شذاها يتبدد ، ولكن صبر قاطفى الزهور طويل لا ينفد . ان الفين من تويجات الزهور لا تجود بأكثر من « جرام » واحد من ماء الورد ، ولكنه لا يضاهى ! ذلك لأن وزن كيلو جرام واحد من هذا السائل يعادل فى قيمته كيلو جراماً من الذهب . وليس هناك شركة من شركات انتاج العطور فى أوروبا لا تدخل ماء الورد كمادة أولية من مواد صناعتها ذات القيمة المرتفعة . وتقوم بلغاريا حاليا بإمداد السوق العالمى بما لا يقل عن ٧٠٪ مما يتوفر فيه من ماء الورد .

لقد مضت أكثر من ثلاثة قرون على تلك الزهور الزيتية ، وهى تنمو وتتفتح فى ذلك الوادي الأمن ، حتى غدت رمزا من رموز بلغاريا . كان سكان المنطقة قد بدأوا فى أوائل القرن الثامن عشر بانتاج ماء الورد فى معامل تقطير صغيرة ، وفى عام ١٨٦٠ قام تجار كازانلوك بتصدير أول كمية من ماء الورد الثمين عبر مدينة اسطنبول . ويقوم الآن مختصون فى معهد البحث العلمى للزهور والزيوت الأساسية والنباتات الطبية فى مدينة كازانلوك بالتصدى للمشكلات التى تواجهها الزهور .



ماالذى يخبئه المستقبل لهذا الطفل الساعى الى النزهة فى عربة ؟ (أعلى)

فتاة تقدم المناديل المعطرة للضيوف . (اسفل)





الراحلة لودميلا جيفكوفا مؤسسة حركة راية السلام وسط الاطفال من بلغاريا . (أعلى) قصر الثقافة فى قلب العاصمة البلغاريةصوفيا ، صرح ضخم ، خصص للندوات واللقاءات الدولية . (اسفل)



ويزرع في الحقول التجريبية للوادى أكثر من ٢٥٠ نوعا من الورود الزيتية . وللزهور طقوس وأعياد تبدأ عادة فى موسم القطاف ، ويستعد لها الشباب من الجنسين ، ويلبسون الأزياء الوطنية الملونة ، ويستهلون قطف الزهور بالغناء والرقص الشعبى ، فى الوقت الذى يقوم فيه الأطفال بوضع أكاليل الزهور حول أعناق الزائرين .

المركز الدولي للشباب

ويغادر ركب الضيوف فى اليوم التالى بعد قضاء ليلة فى تلك الأرض العامرة بألوان شتى من الجمال ، ويتجه شمالا نحو الشواطىء ، فيمر بمدينة برجاس الساحلية الجميلة ، ثم ينعطف قليلا نحو الجنوب ليصل الى مركز الشباب الدولى على ساحل البحر الأسود ، حيث يلتقى شباب من عشرات البلدان فى صيف كل عام ، فى بلدة صغيرة تدعى بلدة بريمورسكو . وفى هذا الموقع ذى الاسم الرومانسي شرع الشباب البلغاري منذ خمسة وعشرين عاما فى تشييد مركز دولى للاستجمام ، واختاروا له فى ذلك الحين اسم واحد من قادة بلغاريا التاريخيين ، وهو جورجى ديمتروف . ويتحدث المشاركون فى تأسيسه الآن عن تلك الأعوام بالرضا ، ولكن من الذى كان يقطن تلك الأماكن قبل اقامة منشآت المركز فيها ؟ يجيبون بقولهم : انها القنافذ والثعابين ! فقد كانت الغابة الكثيفة تبدأ من شاطىء الرمال الناعمة ، وكانت تعج بالثعابين . ولما جاء عمال البناء لوضع أسس البنايات المنتظرة ، أدركوا أنهم لن ينتهوا من ذلك فى الموعد المحدد دون نجدة المساعدين.أما البداية فكانت متواضعة ، فلم يكن المعسكر يتكون فى عام ١٩٥٩ من أكثر من خيام تكفى لايواء أربعمائة شخص .

ان امكانيات المركز الدولى للشباب فى الوقت الحاضر تجعل منه واحدا من المراكز المهمة بين المنتجعات التى تماثله فى البلدان الأخرى ، من حيث سعة الخدمات ، وتعدد الأنشطة الثقافية ، التى يستطيع الزائر ممارستها ، ولا تخلو الأمسيات من حفلات رقص شعبى يقوم به الأهلون ، ومن ألعاب رياضية متنوعة توفرها الساحات المتعددة ، والمجمع الرياضى الذى يضم ملعبا لكرة القدم ، وساحات التنس ، وصالة مسقوفة لكرة الطاولة وغيرها من الألعاب ، أما الأطفال فلهم ركن خاص وقطار صغير يجوب الممرات . ولقد سعد أطفال مؤتمر « راية السلام » بما وجدوه من متعة .

وعلى الرغم من أجواء الرياضة والثقافة الغالبة على هذا المركز ـ المنتجع ، فإن فيه اذاعة محلية تبث نشرات الأخبار اليومية بلغات متعددة لتعدد لغات الشباب الذين يؤمون مركز بريمورسكو . وتنطلق من هذا المكان رحلات الى المدن البلغارية على ساحل البحر الأسود ، مثل مدينتى فارنا وبورغاس وغيرهما من المدن والمنتجعات ، ولكن الشيء الذى يسترعى قدرا من الاهتمام هو التعرف على نمط الحياة فى بلغاريا . فزيارات الصيد والنزهة فى نهر روبوتامو القريب ، ونزهات الهواء الطلق عند سدود المياه ، أو التعرف على الحياة فى بيت ريفى ، كل هذه ذكريات لا تمّحى من الذاكرة ، ولعل ما لفت انتباه الكبار والصغار على السواء أولئك الشباب الذين يسيرون فوق جمر متقد وهم حفاة .

تختفى مبانى المركز البيضاء عن أنظار البحر وراء الغابة وكثبان الرمل العالية . وقد كان الجمع بين البحر والجبل فى هذا الموقع مدهشا حقا ، فمن الغريب أن تضرب أشجار الصنوبر جذورها فى أعماق الرمال الناعمة على حافة البحر ذاتها ، ولا تنتهى مفاجآت بريمورسكو بذلك ، فلربما لا يعلم الا القليل من زوارها صيفا أن مساحتها البالغة ١٨٠ هكتارا هى محمية طبيعية مأهولة ، تتولى الدولة رعايتها والعناية بها . وينبت فيها أكثر من خمسة وسبعين نوعا من الاشجار . وتوجد وسط الأحراش الكثيفة أشجار البلوط والغار وأنواع كثيرة من الصبار .

وتنتهى أيام الرحلة ، ويحين موعد العودة الى صوفيا ، حيث تتابع الوفود أعمالها التى توقفت عند بدء الرحلة . فعرضت أعمال للاطفال الموهوبين على لجان مختصة ، للحكم عليها وتقرير الفائزين ، وفى ختام أعمال المؤتمر عقدت جلسة لبرلمان الاطفال ، وقد أعربوا فى المقررات التى اتخذها مجلسهم عن أمانيهم فى أن يسود السلام ربوع العالم ، وتحل المحبة محل البغضاء . □

اقوال



عبدالله البردوني



د . لويس عوض



أميل حبيبي

■ الأدب يتبع لسانه ولغته،ولهذا لانقول أبدا أن الايرانيين الذين كتبوا بالعربية خلال القرون الوسطى أنهم أضافوا شيئا ما الى التراث الايراني ، ان ابن سينا والرازي والغزالي وغيرهم أضافوا الى التراث العربي لانهم كتبوا باللغة العربية .

جاك بيرك

■ مجافاة الشاعر للعالم تعتبر غاية الحب،أو ذروة الذروات في الحب ، عندما يجافي أكثر فانه يحب أكثر وأكثر . لانه يريد لهذا الذي يحبه أن يكون أفضل مما كان .

الشاعر عبدالله البردوني

■ اننا نشكل جسدا امتصاصيا يتلقى كل شيء دون أن يكون مزودا سلفا ببنى فكرية تسمح لنا بطرح الأسئلة بشكل ملائم .

جمال الدين بن شيخ

استاذ جزائري في جامعة باريس الثامنة

■ الأمة التي تبدأ في لحظة ما بالخوف من الأفكار ، تكون قد بدأت تعيش تدهورها .

جوسلين صعب

مخرجة سينمائية لبنانية

■ ان الأغصان الأكثر اثمارا في الثقافة العربية ، انما تنتشر خارج الوطن العربي .

سليمان زغيدور

كاتب ورسام جزائري .

■ كيف نمشي مع الحائط الواقف ، وهو واقف على صدورنا !

اميل حبيبي

كاتب من فلسطين المحتلة

■ لقد أصبح طه حسين العدو الأكبر للرجعية العربية ، لأنه ملأ أرض العرب بالقلق الفكري ، ومن ثم بالقلق الاجتماعي .

د . لويس عوض

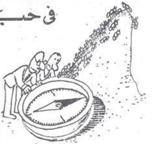


شكل (١) تأمل هذه الأشكال القائمة على أرضية الغابة .. هل تستطيع معرفة الذي شيدها بهذا النظام ؟ .. لمعرفة الجواب ، راجع المقال .

وهم «بالبوصلة» في حياتهم مهتدون

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

« ليس الانسان هو أول مخلوق اخترع البوصلة ، فهناك كائنات استخدمت البوصلة قبلنا بأكثر من ١٥٠٠ مليون عام ، وما زالت هذه الكائنات تحمل داخل مادتها الحية ما يشبه الابرة المغناطيسية او البوصلة !! »



ان نظرة فاحصة على الصورة المنشورة في الصفحة المقابلة (شكل ١) ، قد تعطيك انطباعا مبدئيا عن تشكيلات قائمة ، تحسبها ـ لأول وهلة ـ شواهد قبور يجدد بها الأحياء معالم الأموات ـ ولو الى حين ، أو قد يحسبها البعض كتلا شبه متساوية لصخور بازلتية صلبة تشكلت بعوامل التعرية ، أو قد تكون من عمل سكان الغابة البدائيين لاقامة طقوسهم الدينية ، أو أي أمر آخر قد يكون مناسبا لحال الصورة ، لكن كل ما يخطر ببالك ، فالصورة غير ذلك ، اللهم الا اذا كنت من دارسي الطبيعة الحية ، أو من المطلعين على أسرارها الخفية ، وعندئذ سوف تدلى معنا بدلوك في الموضوع .

وأيا كانت الأمور ، فإن الشيء المميز لهذه التشكيلات أنها قد جاءت ـ كما تراها ـ باتجاهات محددة ، وأشكال هندسية معينة ، أي أنها ذات اضلاع وزوايا تنم عن فكرة في التشييد ، لم تأت هكذا اعتباطا ، بل جاءت لتحفظ على سكان هذه المنشآت حياتها ، وتمدها بنسبة مضبوطة من حرارة الشمس ، حسب مبادىء عملية وتقنية لم يعرفها الانسان الا حديثا !

فليس خافيا عن أحد أن بناء حائط يواجه أشعة الشمس بجبهته العريضة ، سوف يستقبل حرارة أكثر مما لو كان الحائط الضيق هو الذي يواجه الأشعة ، لأن المساحة المعرضة أكبر بكثير في الحالة الاولى من المساحة في الحالة الثانية . . من أجل هذا جاءت هذه البنايات التي تشبه الحوائط لتواجه المشرق والمغرب بسمكها الضيق ، وهو سمك لا يتجاوز سبعين أو ثمانين سنتيمترا ، لكن الواجهة العريضة يبلغ امتدادها أكثر من ثلاثة أمتار ، وارتفاعها ما بين أربعة وخمسة أمتار ، فتتجنب الأشعة الساقطة عليها أغلب ساعات النهار ، ولهذا صار اتجاهها دائما للشمال من ناحية ، والناحية الأخرى صوب الجنوب ، وهي التي تواجهنا في الصورة . . وبعملية حسابية بسيطة يتضح أن مساحة هذه الواجهة تبلغ في المتوسط حوالى ١٤ مترا مربعا ، لكن المساحة التي تواجه الشمس لا تتعدي أربعة أمتار مربعة ، وطبيعي أن تختلف كمية الحرارة الساقطة على هذه المساحة أو تلك ، وكذلك الزمن الذي تتعرض فيه الواجهتان الضيقتان العريضتان لأشعة الشمس ما بين شروق وغروب ، وعندئذ سوف يتضح أن هذه البنايات المتواضعة ظاهرا ، والمنسقة باطنا ، لم تشيد على أسس معمارية فقط ، بل أيضا على أسس من الديناميكا الحرارية ، ولا تنس كذلك ملاءمة ذلك للبيئة ، ومعرفة البناة بالاتجاهات الأصلية ، رغم أنهم لا يرون شمسا ولا نجما ، بل يعيشون بعيدا عن الأضواء في ظلمات المستعمرات !

تُرى عم نتحدث ؟ . . وما طبيعة هذه الكائنات التي تعرف الجهات ، وتدرك مبادىء العلوم والهندسة والتقنية والحسابات ، رغم أنها لم تذهب الى مدارس أو جامعات ، بل تعيش في عالم آخر تطويه الظلمات ؟

الواقع أننا نتحدث عن مخلوقات مغناطيسية . . مخلوقات لم تهبط من الفضاء ، بل نشأت على الأرض قبل أن ننشأ عليها نحن بمئات الملايين من السنين ، وراحت تبني وتشيد على أصول لم يعرفها البشر ذوو الحضارات العريقة الا منذ عدة آلاف من السنين !

إبر مغناطيسية حية

تلك المخلوقات التي قامت بهذه الانشاءات ، ليست ـ في الحقيقة ـ الا حشرات ، لكنها مع ذلك تلقننا درسا مؤدّاه : إن براءة اختراع الابر المغناطيسية ، لاستخدامها في تحديد الجهات الأصلية ، ليست من بنات أفكار الانسان ، بل تعرفها بعض ممالك النمل الأبيض ، وعلى أساسها أنشأت تلك الدور التي تراها منتشرة في احدى غابات القارة الاسترالية ، ونظرا لأن هذا النوع يبني مستعمراته في اتجاهات محددة ، فقد أطلق الناس عليها اسم مستعمرات البوصلة أو الابر المغناطيسية ، لأن هذه بدورها تتخذ وضعا محددا بالنسبة للمجال المغناطيسي الأرضي ، ومنها يعرف الانسان هناك أيضا الاتجاهات الأصلية .

وليس من المعقول طبعا أن كل حشرة من مئات الألوف التي شاركت في بناء المستعمرة قد استعانت ببوصلة ، أو حملت معها ابرة مغناطيسية لتحدد بها الشمال من الجنوب ، أو الشرق من الغرب ، لكن المغناطيس مشيد في داخلها ، وهو جزء حقيقي من

تكوينها ، أو هو « تراث » وراثي يحمله السلف عن الخلف منذ ملايين السنين ، وبه يهتدي ويخطط وينسق ، فتأتي مستعمراته بأوضاع لا تحيد عنها ولا تميد !

ولقد ظل معظم العلماء متشككين في امكان وجود مثل هذه التصميمات داخل الكائنات الحية ، وبحيث تهبها حاسة جديدة يمكن أن نطلق عليها اسم الحاسة المغناطيسية ، ذلك أن كشف المجالات المغناطيسية لا يتم الا عن طريق خامة معدنية ممغنطة ذات شكل محدد ، ووضع معين ، وطرفان : أحدهما موجب ، والآخر سالب ، ولقد ظل العلماء يبحثون عن سر هذه الحاسة الغامضة التي يهتدي بها كثير من الكائنات في البر والبحر والجو ، خصوصا عندما تهاجر هجرات كبرى ، وتتوجه الى أماكن محددة تبعد عن مواطنها بآلاف الأميال ، دون أن تستعين بشمس أو نجوم ، اذ يحدث أن تظل السماء ملبدة بالغيوم لأيام قد تطول ، ومع ذلك تستمر الطيور موجهة بدقة بالغة الى أهدافها ، أو الأسماك المهاجرة الى مواطنها ، أو حتى هذه الحشرة التي تبني بيوتها في اتجاهات محددة ، وهو أمر يستدعي وجود حاسة غامضة تهديها سواء السبيل .

ومن خلال البحوث العميقة التي يجريها العلماء للكشف عن سر هذه الحواس الغامضة في الكائنات ، بدأت البشائر تظهر في أحد أنواع الميكروبات التي تسكن مياه البحار والمحيطات ، ثم تلا ذلك الكشف عن أنواع أخرى يمكن توجيه حركتها بمغناطيس ، وبحيث تنجذب اليه ، أو تبتعد عنه - يتوقف ذلك على نوع القطب المغناطيسي ، أي إذا كان سالبا أو موجبا .

هل يعني ذلك أن تلك الكائنات ممغنطة ؟ .. أي هل هي بمثابة ابر مغناطيسية يمكن تحريكها بواسطة مجال مغناطيسي ؟ .

هو ذاك تماما ، رغم أنه كان من العسير هضم هذه الحقيقة منذ سنوات قليلة مضت، لكن الدليل المكتشف قوى وواضح ، فمن خلال تشريح جسم الميكروب الدقيق جدا الى شرائح رقيقة غاية الرقة ، ثم تكبيرها بالميكروسكوبات الاليكترونية عشرات الألوف من المرات ، جاءت الصور التي نشرت لأول مرة عام ١٩٨١ دامغة ، وفيها ظهرت الأجسام المغناطيسية الرقيقة كعُقْد به حبات منظومة ، وعند تحليلها تبين أنها احد أنماط أكاسيد الحديد الممغنطة ، ويعني ذلك ببساطة شديدة أن بعض أنواع الميكروبات تحمل في مادتها الحية ما يشبه الابرة المغناطيسية أو البوصلة ، وبها تهتدي الى المجال المغناطيسي الأرضي الأكبر .. أي أن أول من استخدم البوصلة قبلنا بحوالى ١٥٠٠ مليون عام (هو تاريخ ظهور هذه الكائنات على كوكبنا) كان ميكروبا دقيقا لا تراه عيوننا لضآلته المتناهية (شكل ٢) ، ولقد كان هو بحق أول « ملاح » أو « بحار » يستعين ببوصلة حقيقية ، وليس الانسان الذي قد يدعى أنه أول مخلوق اخترع البوصلة واستخدمها في الأسفار !

سر غريب يتكشف

ولقد تحير العلماء وتساءلوا : ماذا يفيد بعض أنواع الميكروبات امتلاكها لبوصلة طبيعية ، رغم أنها من الكائنات الدقيقة الهائمة في أي اتجاه ، ولن يضيرها حقا اذا سبحت غربا وشرقا ، أو شمالا وجنوبا ، أو فوقا وتحتا ؟

وهذا صحيح ، لكن يبدو أن الحياة تريد أن تلقننا درسا عظيما ، اذ لا يجب علينا أن نطوع أمور الكون لما رسخ في عقولنا من أفكار تقليدية بل علينا أن نطوع عقولنا لنواميس الكون والحياة ، فإن فعلنا تقدمنا ، وان أبينا تخلفنا ، ولقد تقدم العلماء التجريبيون في هذا المضمار خطوات جبارة ، وحقق العلم انجازات كانت الى عهد قريب أشبه بالمعجزات ، ذلك أنهم كشفوا الحجاب عن القوانين التي يسير على هديها كل ما في الأرض والسموات ، وأهمها على الاطلاق شريعة المخلوقات ، بداية من الميكروبات ، وانتهاء بالانسان سيد الكائنات .. ومن هنا نعود الى هذا الميكروب « الملاح » او المغناطيسي لنرى ماذا يفيده من تلك البوصلة التي حملها في تكوينه ، ثم الى أين يتوجه ، وبهذا يتبين لنا أن هذه الحاسة الغريبة لم تخلق عبثا ، بل ان من ورائها حكمة وتدبيرا ، ووحى نظام جميل لقوم يبحثون ويفكرون ويتدبرون !

انّ هذا الميكروب (وشيعته من أنواع أخرى حملت بوصلات موجهة) ينتمي الى قبيلة الكائنات

اللاهوائية ، اي التي تعيش في غياب الأوكسيجين ، وهذه احدى مفارقات الحياة الغريبة ، فكأن ما يحيينا يقتلها ، وما يقتلنا يحييها . . المهم أن تلك الأنواع التي تكره الأوكسيجين ليس لها عين ترى بها ، ولا أنف تشم به ، ولا عقل تميز به الطيب من الخبيث . .

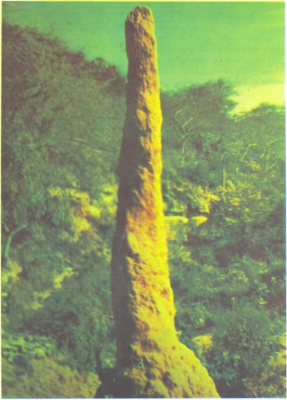
إنها مجرد خلية حية تسبح على غير هدى ، لكن السباحة العشوائية قد تؤدى الى هلاكها ، ولا بد أن تبحث عن بيئة في البحار والمحيطات خالية من الأوكسيجين ، وهذه البيئة موجودة على القاع ، وعلى القاع ترتكز مواد عضوية رسوبية كثيرة لها فيها غذاء ميسر ، وفيها أيضا ينعدم الأوكسيجين ، أي أنها بيئة لا هوائية ، وهكذا فقد ضربت عصفورين بحجر واحد ، وهذا هو المراد من رب العباد . . فلكي يصل الميكروب الى مراده ، فلا بد له من مؤشر يدفعه في الاتجاه الصحيح ، وكأنما هذا المؤشر يرسم له خريطة دقيقة للمجالات المغناطيسية الأرضية التي تكمن في باطن الكوكب أو تنبع منه ، فتؤثر في ابرنا المغناطيسية ، وتحدد اتجاهها في أي زمان ومكان . . وكذلك في « ابرة » الميكروب !

لكن الميكروب « الملاح » لا يهمه أن يعرف الاتجاهات بقدر ما يهمه أن يسبح نحو القاع . . صحيح أن هذه الميكروبات تسبح نحو القطب الشمالي اذا عاشت في نصف الكرة الشمالي ، ونحو القطب الجنوبي اذا كانت في الجنوب ، وهي في هذا تطيع بابرها الممغنطة قوانين المغناطيسية ، ثم ان التجارب الكثيرة التي قام بها العلماء في هذا المجال توضح ذلك أجمل توضيح ، فلو انعكس المجال المغناطيسي حول الميكروب ونحن ننظر اليه من خلال الميكروسكوب ، فانه يعكس اتجاهه في غضون ثانية واحدة ، مطيعا بذلك أيضا قوانين المغناطيسية ، لكننا لن نتعرض لذكر المزيد من تلك التجارب لضيق المجال ، فالذي يهمنا أن نشير اليه أن ذلك المغناطيس الميكروبي ينجذب الى القاع حيث يكمن المغناطيس الأكبر ، وكأنما هو حبيبة من برادة حديد تنجذب نحو احد قطبي مغناطيس . . وبهذه الفكرة البديعة سار التوجيه نحو الهدف على أسس من مبادىء تقنية أصيلة ، ولكل خلق ما يناسبه !

عود على بدء

واذا كانت تلك الأنواع من الميكروبات المغناطيسية تتوجه الى رسوبيات القاع حيث البيئة فيها جد مناسبة ، كذلك جاءت أنواع خاصة من النمل الأبيض لتبني مستعمراتها في اتجاهات محددة ـ كما سبق أن أوضحنا ، وهي بنايات تناسب البيئة السائدة كذلك ، ورغم أن العلماء لا يدركون كيف يدرك النمل أصول البناء في الاتجاه المحدد بالذات ، وخصوصا أنه لا يرى الأبعاد ولا الاتجاهات ، ولا يميز الهندسة الفراغية كما نميزها ، الا أنه مع ذلك قد أصبح سيدا في معماره ، ورائدا في فنه ، ولهذا لم يخطىء الذين أطلقوا على مستعمراته اسم مستعمرات البوصلة ، لأن واجهاتها العريضة تشير دائما الى الشمال والجنوب ، رغم أن الذين أطلقوا الاسم لم تكن تساورهم أدنى فكرة عن امكان وجود بوصلة أو ابرة مغناطيسية في جسم كل حشرة من هذه الحشرات ، كذلك لم يتوقع العلماء امكان وجود أكاسيد حديد ممغنطة تتخذ صفة البوصلة ، وخصوصا وأن الكشف عن هذه الحقيقة قد جاء بمحض الصدفة !

يذكر لنا فيتوس دروشر في كتابه الممتع « سحر الحواس » قصة هذا الاكتشاف فيقول : « في نهاية عام ١٩٦٢ تسلم البروفيسور جونتر بيكر من المعهد الفيدرالي لاختبارات المواد ببرلين طردا من روديسيا به ملكات شابات لنوعين من النمل الأبيض ، وفي المساء أفرغ محتويات الطرد في وعاء خاص ، حيث توزعت الملكات في اتجاهات شتى ، لكنه رأى ـ لدهشته ـ الملكات في صباح اليوم التالي وقد تمددت في تنظيم فريد ، وبحيث اتخذت بالضبط اتجاها يشير الى الشرق والغرب . . عندئذ قام بحرص بالغ في تحويل اتجاه الصندوق بمقدار ٩٠ درجة (ودون أن يزعج الحشرات) ، لكنها غيرت اتجاهها بعد عدة ساعات ، بحيث اتجهت رؤوسها من جديد نحو الشرق أو الغرب . . ولقد استكانت لهذا الوضع وكأنما هي تشبه ابرا مغناطيسية ، ولقد دفعت تلك الملاحظة بروفيسور بيكر ليقوم باختبار جديد ،



شكل (٢) مستعمرة للنمل الأبيض الافريقي ، وهي ـ كما نرى ـ شبه اسطوانية ، أى ليست على نمط مستعمرات النمل الأبيض الاسترالي ، ولهذا لا يبدو أنها قد شيدت بتأثير المجال المغناطيسي ، رغم أن الكائنات التي بنتها بها ما يشبه الابر الممغنطة .



شكل (٣) على رأس الحمامة دائرة كهربية صغيرة ينتج منها مجال مغناطيسي يمكن عكسه ، بحيث يؤثر على توجيه الحمامة توجيها صحيحا أو خاطئا ، ولن يحدث ذلك الا بوجود حاسة مغناطيسية في رأس الحمام ، وبالفعل وجدها العلماء على هيئة حبيبات ممغنطة !

فاحضر مغناطيسا قويا ، ووضعه فوق الحشرات المستكينة في اتجاهات مختلفة ، فكانت دائما تغير اتجاهاتها ، وبحيث تتخذ وضعا موازيا لمحور المغناطيس » !

وقد دفعت هذه النتائج المنشورة بعض العلماء كي يكشفوا سر هذه الملكات في مواطنها ، اذ كانوا ينقبون عنها في مخابئها بحذر بالغ ، حتى لا يزعجها تنقيبهم ، وفي كل مرة كانوا يجدون هذه الملكات ممددة إما في اتجاه الشرق والغرب ، أو في اتجاه الشمال والجنوب ، فهذا يتوقف على نوع الحشرة ، ورغم ذلك فإن مستعمراتها تتخذ نمطا آخر في البناء (شكل ٢) .. وهو - كما ترى - يشبه اسطوانة ، يستثنى من ذلك بيوت النمل الأبيض الاسترالي الذي يبني مستعمراته بطريقة خاصة أشرنا اليها من قبل .

بوصلات أخرى حية

وفي مجال البحث العلمي قد يبدأ الكشف متواضعا ، لكنه - مع ذلك - يقود الى كشوفات أخرى تبصرنا بما ينطوي عليه عالمنا من أسرار تستحق أن تعرف ، ونظم تتطلب أن تدرك ، فذلك يضع حدودا لحيرتنا وتساؤلاتنا عن تلك الحواس الغامضة التي تمتلكها بعض الكائنات ، وبها تقوم بانجازات تجعلنا نضرب أخماسا في أسداس .

المهم أن بعض الأمور قد بدأت تتضح ، فلقد ثبت أن النحل مثلا يستخدم أكثر من وسيلة ليحدد بها اتجاهاته بين غدو ورواح ، وقد تباعد المسافات بينه وبين خليته ، لكنه مع ذلك يعود اليها ، وكأنما هو يحمل معه خريطة غامضة بمعالم الطريق ، ولقد قيل انه يهتدي بمواقع الشمس في السماء ، والتجارب الكثيرة التي أجريت على هذه الحشرة توضح ذلك ،

لكن أحيانا ما تتلبد السماء بالغيوم لأيام قد تطول ، ومع ذلك لا يضل الطريق ، وعندما تبين أن للنحل بوصلة دقيقة من الحديد الممغنط في مقدمة بطونه ، وبها يحدد اتجاهاته بالنسبة للمجال المغناطيسي الأرضي ، تأكد للعلماء أنهم أمام ملاح جوى حشري ، وببوصلته يحلق في الهواء أنى شاء ، ثم يعود وكأنما « ابرته » الممغنطة تحدد له الزوايا والاتجاهات ، ليس فقط في الأسفار ، بل أيضا في بناء زوايا وأضلاع خلاياه .

وكالنحل يكون الحمام ، وأسفار الحمام قد حيرت الأنام ، فمن قائل أنه يستعين بنجوم محددة اذا أقبل الظلام ، ومن قائل انه يهتدي بمعالم ارضية ترشده سواء السبيل ، أو أنه يسترشد نهارا بمواقع الشمس ، أو يستخدم حاسة مغناطيسية .. الخ ، ولكل ادلته وبراهينه على صحة ما يقول ، عدا تلك الحاسة الغامضة ، فلكي تدخل وسائل الارشاد ، فلا أقل من تحديد مكانها ، والكشف عن طبيعتها ، لكن الجهود التي بذلت في هذا المجال قد ذهبت أدراج الرياح .. صحيح أن التجارب التي أجريت على الحاسة المغناطيسية عند الحمام تؤكد أنها موجودة ، من ذلك مثلا أن العلماء قد وضعوا على رأس الحمام دائرة كهربائية تؤدي الى خلق مجال مغناطيسي (كما في فكرة الجرس الكهربي مثلا) ، ومن الممكن عكس التيار ، فينعكس المجال المغناطيسي تبعا لذلك (شكل ٣) ، وبتلك الفكرة صمموا تجاربهم وبحوثهم .

وفي مثل هذه التجارب ، يؤخذ الحمام بعيدا عن موطنه في سيارة أو طائرة ، ثم يطلق من حيث يكون في يوم ملبد بالغيوم ، وعندئذ قد يهتدي الحمام الى موطنه أو لا يهتدي ، فهذا يتوقف على اتجاه سريان التيار ، وما يترتب عليه من خلق مجال مغناطيسي يتوافق أو يتعاكس مع المجال المغناطيسي الذي يعتقد بوجوده في رأس الحمام .. أي قد يلغيه ، فيضل الحمام ، أو يقويه ، فيهتدي .. التجربة لا شك جميلة ، والنتائج مريحة ، لكن اين تقع « البوصلة » في الحمام ؟

الواقع أن الباحث عنها يشبه الى حد بعيد الباحث عن ابرة صغيرة في كومة كبيرة من القش ، ذلك أن الحبيبات المغناطيسية دقيقة غاية الدقة ، فالبوصلة الصغيرة جدا في بطن النحلة التي لا ترى الا بالميكروسكوبات الأليكرونية ـ هذه البوصلة يدخل في تكوينها أكثر من مائة مليون حبيبة من أكاسيد الحديد الممغنطة ، وهذا وحده يعطيك فكرة واضحة عن ضآلة البوصلة وحبيباتها .

ورغم كل هذه الصعاب ، فقد تمكن فريق من علماء المعهد التقني بكاليفورنيا منذ ثلاث سنوات من كشف غموض الحاسة المغناطيسية عند الحمام ، ووجدوها بالفعل في مؤخرة عظام رأسه ، وفيها تتوزع على هيئة نظام عجيب من مئات الملايين من الحبيبات الممغنطة ، واطمأن العلماء لهذا الكشف المثير ، خصوصا أولئك الذين كانوا يعتقدون في وجود حاسة مغناطيسية عند الحمام قبل ذلك .

ومن جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس يظهر بحث حديث للدكتور زويجر وزملائه ، وفيه يقررون أنهم قد اكتشفوا « البوصلة الحية » أيضا في الدلافين ، وظهر أن قوتها أقوى من قوة المجال المغناطيسي الأرضي بحوالي عشرين مرة ، أما موقع المادة الممغنطة فموجود في النسيج الممتد فوق مخ الدلفين (الأم الجافية) وتحت الجمجمة مباشرة : ونفس الحبيبات الممغنطة اكتشفت في أحد أنواع الحيتان ، وفي المارلين الأزرق (أسماك ضخمة ذات امتداد من الرأس يشبه الرمح) والسمك الوثاب والسلحفاة المائية الخضراء وأسماك التونة .. الخ ، ويبدو أن الحديد الممغنط متصل بطريقة ما بالجهاز العصبي ، ولو صح هذا ، فهو مؤشر حسن يبصرنا بوجود حاسة غامضة تتعامل مع احدى قوى الطبيعة غير المحسوسة ، والتي تتمثل لنا في المجالات المغناطيسية الأرضية .

هل لنا حاسة مغناطيسية ؟

ليس ذلك مؤكدا حتى الآن ، رغم ما أعلنه اثنان من العلماء الانجليز من جامعة مانشستر هما : روبين بيكر ، جان مازر ، اذ نشرا بحثا في العام قبل الماضي أشارا فيه الى وجود أكاسيد الحديد الممغنطة في العظام المصفوية (عظام تجويف الأنف) في كل من القوارض والانسان ، وربما يكتشف العلماء مستقبلا أن هذه المغناطيسات الدقيقة واسعة الانتشار في مملكة الحيوان .

لكن وجود الحديد الممغنط في أعلى عظام الأنف في الانسان لا يعني أنه موجه في حياته ببوصلة ذاتية ، كما هو الحال في الميكروبات والحشرات والأسماك والطير والدلافين والقوارض والحيتان ، ولا يعني أيضا أننا نحس بالمجالات المغناطيسية الأرضية الضعيفة ، ولا كذلك بالمجالات المغناطيسية القوية التي صنعها الانسان ، وأصبحت أكبر من مجالات الأرض ببلايين المرات ، ومثل هذه المجالات القوية يتعامل معها الانسان في معامل البحث ، فلم يشهد أحد مثلا أن العاملين فيها قد أخذوا أوضاعا محددة وبطريقة موجهة وتلقائية ، وكأنهم ابر مغناطيسية !

وليس لهذا الموضوع صلة بما يتردد على ألسنة العامة في مسائل التنويم « المغناطيسي » اذ لا ينام الوسيط أو يستجيب لمنومه بمغناطيس ، فكل هذه ظنون خاطئة نشأت في القرن الماضي نتيجة لزعم خاطىء ، فحقيقة الأمر ان التنويم (وهو ليس مغناطيسيا على أية حال) نوع من الايحاء بين الوسيط والمنوم ، أو هو سيطرة موجهة ، وليس نتيجة انبعاث أشعة أو مجالات مغناطيسية من عيني المنوم الى عين الوسيط .

وطبيعي أن الانسان قد امتلك ما هو أسمى من المغناطيس ومن كل كنوز الأرض . . لقد امتلك عقلا مدركا ، وبه يفكر ويقرر ويتوجه ويختار ، أي أن له ارادة ، وبالعقل المدرك أيضا يميز بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والماضي والمستقبل ، والقبح والجمال . . الى آخر هذه الصفات التي لا يمتلكها أي كائن حي آخر ، ولا يمكن ادراكها أيضا بمغناطيس ! . . انما ظهرت هذه الابر الممغنطة في بعض الكائنات لتيسر لها بعض المشاكل التي تعترض حياتها ، اي كأنما هي « مبرمجه » وموجهة من خلال شفرات وراثية ، وبحيث يخرج الخلف ليسير على نمط السلف ، ودون أن يشذ على القاعدة ، أي كأنما هو موحى اليه ، وما الوحي هنا الا وحي نظم مذهلة موجودة في تكوينه . . وما الحبيبات الممغنطة الا نظام واحد متواضع من نظم متقنة أجمل اتقان ، ومنسقة اروع تنسيق .

العقل ـ اذن ـ ام المغناطيس ؟

العقل بطبيعة الحال ، فمن رعاه ، تقدم وساد ، ومن اهمله ، تخلف وباد ، ولا خلاف . . فحاضرنا خير شاهد على ما نقول ! ☐

أبو عامر « دون جوان » عربي



وصف ابن حزم الاندلسى فى كتابه « طوق الحمامة » شخصية عربية شبيهة بشخصية دون جوان الافرنجية ، وهى شخصية ابى عامر محمد بن عامر الذى كان لا يثبت على حب النساء ، كما كان لا يثبت على حب الاصدقاء ، يصفه ابن حزم بأنه كان من أهل الادب والحذق والنبل والذكاء مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض ، ويضيف ابن حزم قائلا : وأما حُسْن وجهه وكمال صورته فشىء تقف الحدود عنه ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة . . . . . ويتعمدون الحضور على باب داره . . . . . . لا لشىء إلا للنظر منه . . . . ولقد مات من محبته لجوارٍ كُنَّ عَلَّقْن أوهامهن به ، فخاب أملهن منه ـ فصرن رهائن البلى تقتلهن الوحدة .

ولقد كان ابو عامر يرى الجارية فلا يصبر عنها ، ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد أن يأتى عليه حتى يملكها ، ولو حال دون ذلك شوك القتاد ، فاذا بتصييرها إليه عادت المحبة نفارا والانس شرودا والقلق اليها قلقا منها ، والنزاعة نحوها نزاعا عنها ، فيبيعها بأوكس الاثمان ، هذا كان رأيه حتى أتلف فيها ذُكر عشرات الالوف من الدنانير .

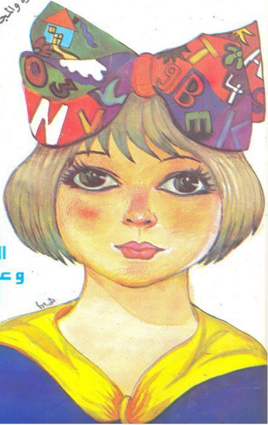


VHS
VHS
V-57TR
• نظام ثلاثي
(PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)
الإختيار الصحيح
تكنولوجيا Toshiba المتقدمة تعطيك صورة اكبر
بمقدار ١-٢ انش وخالية من التشويش بفضل تلفزيون
CORE TV (FS) ذات الشاشة المربعة والمسطحة. كما
يمكنك الإختيار ما بين نظام فيديو BETA أو VHS .
V-53TR
• نظام ثلاثي
(PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)
V-51D
• نظام ثنائي (PAL/SECAM)
V-M42TL
• نظام NTSC
V-M41TL
• نظام NTSC
28
21
19
15
28" CORE FS
289X4M
21" CORE FS
219X3M
19" CORE FS
199X4M
15" CORE FS
159X4MR/S
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

قسم خاص



المدرسة الأجنبية وعقول أبنائنا

رحلة الأمومة .. كيف نحميها ؟

بقلم : الدكتور ضياء الدين الجماس*

انها أجمل وأروع رحلة تمر بها الزوجة بالرغم من كل ما يصاحبها من آلام فهي الرحلة الخالدة التي ارتبطت بقصة الخلق . . كيف نضمن لها بلوغ شاطىء الأمان ؟ في هذا المقال يتحدث طبيب متخصص الى الزوجات اللواتي ينتظرن اسعد حدث في حياتهن . . الحدث الذي تكتمل به الاسرة .

الحمل نعمة من نعم الله الكبرى ، وآية من آياته العظيمة ، يجب على كل فرد في المجتمع أن يدرك أهميتها ، وما تحتاجه الحامل من رعاية وعناية لتخفيف عبء الحمل عليها . وتبرز أهمية الحمل في وصية الرحمن : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه . . . » فللحمل دور خلاق ، تكبر به الأمم وتنمو ، وكلما كان هذا الدور مصانا معافى كان النتاج أسلم وأقوى .

ويبدأ الحمل عند اندماج البيضة الناضجة بالنطفة وتكون أولى علاماته انقطاع الطمث ، وينجم ذلك الانقطاع بسبب ازدياد إفراز الهرمونات الحملية من المشيما فتلجم النخامى (الغدة المسيطرة على الافراز الهرموني من الغدد الاخرى) عن افراز الهرمون المنبه لجريب غراف . وبذلك تطرأ على الحامل تبدلات جسدية ونفسية نتيجة حدوث التوازن الهرموني الجديد . وأهم المظاهر الجسدية ظهور التصبغات القاتمة في الحلمتين ، والخط الأسمر بين السرة والعانة ، وظهور التصبغات في الوجه على الجبين ، والوجنتين ، وتعرف التبدلات التي تظهر على الوجه « بالكلف الحملي » شكل (١) .

ومن التبدلات الأخرى مظاهر الاحتقان ، وزيادة المفرزات في الجهاز التناسلي إجمالا ، والعلامات الهضمية من إمساك ، وزيادة الحموضة ، والاقياء ، كما يزداد احتمال حدوث التهابات المسالك البولية .

* اختصائي في الأمراض الداخلية وطب الأطفال وتخطيط القلب الكهربائي - مدرس أمراض الدم في المعاهد الصحية بسوريا .



وتعزى معظم هذه الأعراض إلى زيادة هرمون البروجستيرون الذي يرخي العضلات الملساء لهذه الأجهزة .

وأهم المظاهر النفسية التي تطرأ على الحامل ، القلق والخوف من المستقبل والخوف من الموت ، والخوف من آلام المخاض والولادة ، والخوف من فقدان عناصر الجمال والجاذبية .

وقد تترافق هذه المظاهر النفسية بمظاهر جسدية مزعجة كازدياد الاقياء ، والانعزال وآلام الشديين الخ . . . وفي الحقيقة تختلف شدة ظهور هذه الأعراض من حامل إلى أخرى طبقا للترابط النفسي والبيئي الذي تعيش فيه ، ومدى ما حققه لها زوجها من متطلبات الحياة من مسكن ، وملبس ، ومأكل ، وما وفره لها من دواعي الطمأنينة . فللزوج الدور الرئيسي في تخفيف أعراض الوحام . ويكون لمعاملته زوجته معاملة حسنة الاثر الكبير في تخفيف أعراض الحمل .

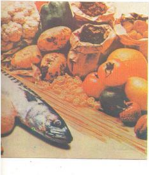
التبدلات الفسيولوجية للحامل

ازدياد الوزن :

ويحدث ذلك بسبب ازدياد احتباس السوائل ، واختزان الشحوم . ويزداد وزن الحامل من ١٠ - ١٢كغ عند تمام الحمل ، وتحدث أكثر هذه الزيادة في النصف الثاني للحمل .



الشكل : (١)
«الكلف الحملي» : هو ظهور التصبغات في وجه الحامل . فإن ظهرت حول العينين سميت «القناع الحملي» لاحظ التصبغات على الجبين والوجنتين ، وحول العينين .



التبدلات الدموية والقلبية :

يزداد حجم الدم ٥٠٪ ، ويزداد عدد الكريات البيضاء ، ويحدث تضخم بسيط في القلب .

جهاز التنفس :

يزداد ضيق التنفس بعد الشهر السابع بسبب ضغط الرحم على الحجاب الحاجز .

تبدلات الجهاز الهضمي :

وأهم الأعراض الهضمية حرقة المعدة وألمها ، والامساك ، وثقل الطعام وعسر الهضم بسبب انشغال الكبد باستقلاب الهرمونات الحملية . وقد تظهر البواسير عند من لديها استعداد لذلك ، أو بعد تكرر الأحمال .

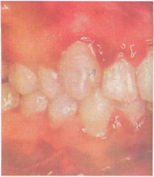
الجهاز البولي :

تنقص العتبة الكلوية للسكر ، ولذلك قد تظهر البيلة السكرية بشكل طبيعي عند الحامل ، ومع ذلك يجب اجراء فحص سكر الدم ، واختبار تحمل السكر لدى كل من تظهر لديها البيلة السكرية ، وكثيرا ما تظهر التهابات الحويضة والكلية ، وإذا ظهر البروتين (الزلال) في البول يجب الانتباه إلى احتمال حدوث التسمم الحملي ، ولذا تجب المراقبة .

نصائح وإرشادات

ضبط الحمية والوزن خلال الحمل :

يعتبر تنظيم الحمية ومراقبة الوزن من أهم عناصر العناية بالحامل ، وسواء أنقصت الحمية أم زيدت فقد تكون سببا في ظهور اختلاطات مزعجة وخطيرة ، وأهمها التسمم الحملي والنزوف عقب الولادة ، أو فقر الدم ... ومن المهم أن نفند المقولة الشائعة بين



الشكل : (٣)
التهاب اللثة عند حامل ، انظر الورم اللثوي **Epulis** بين الناب العلوي والقاطعة العلوية الثانية . تنزف هذه اللثة تلقائيا ، أو عند التعرض لأقل رض .

الحوامل « يجب أن تأكل الحامل عن شخصين » ، فهي إن فعلت ذلك ازداد وزنها بشكل مفرط مما قد يؤدي إلى ظهور الاختلاطات المذكورة .

تحتاج الحامل الى ٨٠غ من البروتين يوميا ، وتحصل عليه من مصدرين :

المصدر الحيواني (لحم ، سمك ، بيض ، حليب) ويمثل ثلاثة أرباع الاحتياج ، والمصدر النباتي (فول ، فاصوليا ، حبوب) ويمثل الباقي من المصادر . شكل (٢) ، ويعتبر الحليب أفضل غذاء للحامل ، فهو يحتوي على ٣٣غ من البروتين (في كل ليتر) . ولذلك ننصح الحامل بتناول ليتر واحد من الحليب يوميا . (على الأقل) .

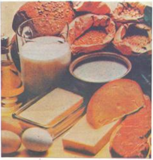
كما ننصح بتقليل كمية الوجبات والاقلال من عددها ، وتخفيف ملح الطعام .

تحتاج الحامل أيضا إلى الفيتامينات ، والحديد ، وهي موجودة بكثرة في الخضار والفواكه الطازجة ، ويجب أن تراقب الوزن ، وكل زيادة فيه تتجاوز ٢كغ في أي شهرين متتابعين من الأشهر الثلاثة الأخيرة قد تكون دلالة مهمة على التسمم الحملي ، وتجب عليها مراجعة الطبيب فورا .

العناية بأسنان الحامل :

لقد تبين أن أهم أسباب نخرة الأسنان عند الحوامل هو إهمال العناية بنظافتها ، وبالتالي تغير وسط الـ PH للعاب ، (درجة الحموضة) ، وهنا لابد من تفنيد المقولة الشائعة بين الحوامل « سن لكل طفل » ظنا منهن أن الجنين يحتاج إلى « الكلس » من الأسنان ، وهذه فكرة خاطئة علميا ، ولكن يجب على

الشكل : (٢)
غذاء الحامل ، ويحذف منه ما يشكل لديها مضاد استطباب (كالبيض إذا كانت تتحسس منه) .



الأم أن تتناول المواد التي تحوي على الكلس لتأمين احتياج الجنين منه .

وهنا أذكر باستعمال السواك لما فيه من فائدة طبية عظيمة في حفظ ووقاية الأسنان من النخر ، وكذلك عدم التهاون في إخراج الفضلات من الفواصل بين الأسنان . وكثيرا ما تشكو الحامل من تورم اللثة ونزفها ، ويحدث هذا العرض بسبب تشكل الأورام الوعائية المسماة « الورم اللثوي » Epulis شكل (٣)

وتعالج هذه الحالة بالاكثار من الفيتامين ج (C) ونظافة الأسنان كما ذكرنا .

ويجب تجنب رض اللثة ، أو مصها الزائد لأن ذلك يسبب ازدياد النزف فيها .

ويجب تجنب استعمال السوائل الساخنة متناوبة مع السوائل الباردة مباشرة لما لذلك من أثر سيء في تشقيق الأسنان .

نظافة جسم الحامل :

يجب أن تهتم الحامل بالاستحمام ، شريطة عدم الافراط في تسخين الحمام والماء ، ويجب ألا تزيد مدة الحمام عن ٢٠ دقيقة ، وأما الحقن المهبلية فينصح بعدم اجرائها إلا بارشاد الطبيب خوفا من احتمالات الاجهاضات .

اللباس والحذاء :

يجب تجنب المشدات والأبطة التي تسبب ضغطاً على البطن ، وخاصة بعد الشهر الرابع وينصح بالالبسة الفضفاضة ، تفضل الاحذية ذات الكعب القصير .

الجهد والرياضة المسموحة للحمل :

يكفي الحامل أن تقوم بأعمال البيت اليومية ، شريطة ألا تتعب نفسها ، وأن تمارس الرياضة المعتدلة ، وخاصة إذا كانت تمارسها قبل الحمل ، وتمنع من الرياضة العنيفة منعا باتا . وأفضل رياضة للحامل هي المشي المعتدل في الهواء الطلق وضوء الشمس .

سفر الحامل :

لا يسبب السفر أي أذى للحامل بشكل عام ، ويستحسن تخفيفه وتجنبه في الثلث الأول والأخير من الحمل .

العلاقات الزوجية :

لا ضرر من المعاشرة الزوجية بشرط الاعتدال فيها ، وخاصة في بداية الحمل وأواخره ، وتمنع منعا باتا إذا شعرت الحامل بمغص رحمي ، أو نزف أو التهابات .

استعمال الأدوية :

أ ـ يجب تجنب إعطاء أي دواء في النصف الثاني من الدورة الطمثية .

ب ـ لا يعطى أي نوع من العلاج في الثلث الأول من الحمل إلا في حالات الضرورة القصوى .

ج ـ يجب تسجيل جميع الأدوية التي استعملتها الحامل ، وتاريخ استعمالها لكشف الأدوية المشوهة غير المعروفة إذا حدث التشوه .

علامات تنذر بالخطر

يجب على كل حامل مراجعة طبيبها فورا لدى ظهور إحدى العلامات التالية :

أي نزف مهما كان ضئيلا ، آلام البطن ، الحمى والرعشة ، انتفاخ البدن والوجه والأصابع ، تناقص حجم البول بشكل ملحوظ ، صداع مستمر ، يستعصي على المعالجة التقليدية ، تشوش الرؤية ، القيء المتكرر .

وهكذا تمضي رحلة الحمل في هدوء وسلام إلى أن يحين الوقت الذي تجني فيه أجمل ثمار الحياة . .

المدرسة الأجنبية

هل هى خطر على أبنائنا ؟

اعداد : ريم الكيلانى

« قد لا ينتبه اليها أحد . . وكثيرون يعدونها علامة من علامات الرقي والتفوق . . ولكن داخل العسل يكمن السم . . خلف الأسوار الجميلة والملاعب . . وفى حجرات الدرس بالمدارس الأجنبية . . تنقطع صلة أبنائنا بعالمهم وثقافتهم . »

انتشرت على مدى خريطة الوطن العربى كله . . فلا يكاد يخلو قطر عربي من المؤسسات التعليمية الأجنبية ، ولا يكاد يخلو مجتمع عربى من هذا السباق المحموم بين الأهل ، لالحاق أبنائهم بهذه المؤسسات ، التى تشمل كل مراحل التعليم ، بدءا من التعليم الابتدائى ، وانتهاء بالتعليم الجامعى . .

ورغم كل اغراءات اللغة الأجنبية ، وما تتيحه لمتقنها من فرص أفضل فى سوق العمل العربية التى ـ قلّت فيها الفرص ـ وما تمثله هذه المؤسسات من مستوى اجتماعى ومادى . . رغم كل هذه الاغراءات ، فان أصواتا انطلقت هنا وهناك ، تحذر من خطر هذه المؤسسات .

فالانتماء لغة . . والحضارة ثقافة اجتماعية تقدم انجازا علميا . . والثقافة لغة . . وداخل المؤسسة التعليمية الأجنبية تلقن لابنائنا ثقافة غربية . . وينفصل تدريجيا هؤلاء الشباب والزهور عن عالمهم . . ووطنهم . .

شهادات :

وسط مجموعة من طلاب المدارس الأجنبية فى الكويت نستمع لبعض الشهادات من هؤلاء الطلاب .

* هشام : « أحب القراءة ، وأقرأ لمارك توين وديكنز . . وأواظب على قراءة الصحف والمجلات ، ولكننى أفضل الصحف الأجنبيْة ، لانها أسهل وأوضح . . أما بالنسبة للأفلام ومشاهدة التلفزيون ، فأنا لا أستمتع فى الحقيقة الا بالبرامج الأجنبية ، فهى اكثر تسلية ، وهادفة ، ولغتها بالنسبة لى واضحة جدا » .

* باسل عبد المنعم : « للأسف لا أقرأ أى شىء باللغة العربية ، فهى بالنسبة لى غير مفهومة ومعقدة ، لا أعرف شيئا عن الشرق الأوسط ، الا أن العرب ـ للأسف ـ يقتل بعضهم بعضا ، أم كلثوم مغنية أسمع

عنهـا طبعـاً ، فهي ظلت تغنى حتى سن متقـدمـة كجوزفين بيكر !! . »

● رومانس : « للأسف أنـا لا أتحـدث اللغـة العربية ، فـأمي أجنبية ، وفي المدرسة التعليم كله باللغة الأجنبية . . أستطيع أن أقرأ بالعربية ، ولكنني لا أفهم كل ما أقرأ ، أخطط أنني بعد انتهاء دراستي الثانوية سأذهب للالتحاق بـاحـدى الجـامعـات البريطانية ، حيث الدراسة واللغة ستكونان أسهـل بالنسبة لي » .

● هنادي : « أنا في غاية الأسف ، فانا ليس لي أي اهتمام بهذه المشاكل والحروب ، واهتمامي بالسياسة ضحـل . . ولا أستمع الى بـرامج عـربية سـواء في الاذاعة أو التلفزيون . . » .

هل نحتاج الى مزيد من الشهـادات ؟ لا تختلف النتـائج ولا الأقـوال كثيرا . . ورغم أن الالتحـاق بالمدارس الأجنبية مقيد بقواعد في الكويت . . الا ان غالبية الوطن العربي ، وخاصة مع زيادة حجم الحراك الاجتماعي ، فقد ظهرت شرائح اجتماعيـة وفئات ترى ان الالتحاق بـالمدرسـة الأجنبية غـاية وهـدف اجتماعي رائع .

هل العلم بلا انتماء ؟

تخضع جميع المدارس الأجنبية في الوطن العربي الى اشراف وزارات التربية ، التي تحرص عـلى متابعـة المناهج وتخطيطها ، وتصر على تدريس اللغة العربية والـديـن الاسـلامـي عـدم ممـارسـة هـذه المدارس أي نوع من أنواع التبشير أو الـدعـايـة . . وبرغم نجاح هذه المراقبات التي تقوم بهـا وزارات التربية ، الا ان هناك جانباً معنوياً في العملية التربوية والتعليمية خارج نطاق السيطرة . ونعني به طـريقة التفكير والسلوك . . والعالم الثقافي والانساني المحيط بالطالب ، والذي من خلاله تتشكل ثقافة الطـالب الوطنيـة وعقله الاجتماعي . . وهذا أخطر ما في القضية .

السيد وليد أبـو شقرة مـدير المـدرسـة العـالميـة الأمريكية في دولـة الكويت يقـول : « ان المدرسة تُدَرِّس نظاماً أمريكيا على أرض عربية ، وهي خاضعة لقوانين وزارة التربيةالتي تفرض التربيـة الاسلاميـة واللغة العربية على جميع الدارسين ، كما تخضع جميع الكتب والمنـاهج المـدرسيـة لمـراقبـة وزارة التـربيـة الكويتية .

ان العرب يشكلون النسبة الكبرى في المدرسة ، فالأهل يفضلون تعليم أبنائهم في هذه المدارس عن ارسـالهم للتعلم في المدارس الـداخلية بـالخـارج ، ويؤكد السيد أبو شقرة على أن المعلم العربي في هذه المدارس عضو هام وحساس ، لانه يعمل على تنمية الروح الوطنية والقومية العربية في نفوس الأبناء » .

أما السيدة هيفاء النقيب ناظرة القسم الثانوي في المدرسة الانجليزية الحديثة تقول : « في اعتقادي أن اتجاه عدد كبير من الطلبة العرب للتعلم في المدارس الأجنبية ، يرجع في الدرجة الأولى لرغبة الأهل في تكوين شخصية قوية للطفـل متمكنة من نفسهـا . نحن في المدرسة ، نعلم الطالب كيف يفكر ويكتشف ويبحث حتى يصل للنتيجة التي يريدها بنفسه ، ولا نؤمن بتلقين العلم ، فلا فائدة من حشو أذهان الطلبة بالعلم دون أن يكون كل شيء واضحا جليا أمامهم بالتجربة والبرهان .

الـطالب مسئـول ويـراقب نفسـه بنفسـه ، دون الحاجة لوجود سلطة أعلى تهدد وتخيف .

وتصر السيدة النقيب على أننا نستورد علما وليس جنسية ، ومن أجل ذلك فان أبناءنا يظلون عرباً في تصرفاتهم ومفاهيمهم وشعورهم تجـاه أمتهم ، وان كان الأمر لا يخلو من بعض الصعوبات حين يواجهون المجتمع ، فهم يشعرون حينها أنهم في وسط سلب حريتهم التي منحتها اياهم المدرسة » .



حسب رغبة الاهل :

السيد عبد الله الرجيب ، مدير ادارة التعليم الخاص بوزارة التربية بدولة الكويت يجيب عن هذه التساؤلات قائلاً : « المدارس الأجنبية انتشرت في الأونة الأخيرة بشكل واسع لعدة أسباب ، منها : وجود طلبة أجانب وفدوا مع ذويهم ، وهم بحاجة لنظم تعليمية مشابهة لتلك التي تسير عليها أوطانهم ، حتى يمكنهم استكمال دراستهم اذا ما عادوا اليها .

كما أن الطلاب من أبناء الدبلوماسيين الذين يرغب أولياء أمورهم بتعليمهم وفق منهج أجنبي ، يمكنهم من مواصلة دراستهم في أي بلد يلتحقون به .

ونحن بذلك لا نستطيع أن نناقش المسألة على أنها اتجاه خاطىء ، بل أمر تفرضه طبيعة ظروف أولياء الأمور ، كما أسلفت ، واعتقد - يضيف السيد الرجيب - انه لا ضرر فيه اطلاقا ، طالما يقع في دائرة الاشراف الاداري والتوجيه الفني لوزارة التربية ، وهذا في الحقيقة يخفف الكثير من الأعباء الملقاة على كاهل الدولة ، ويحقق رغبة أولياء الأمور في اختيار النظم التعليمية لأبنائهم ، فلا يكون التعليم عقبة تحول دون تواجدهم في البلد .

ولا ننسى أن نسبة العرب في هذه المدارس قليلة جدا ، فهي لا تزيد عن ٢٠٪ ، جميعها تدرس اللغة العربية والتربية الاسلامية ، كما تحددها وزارة التربية ، ونحن مشرفون اشرافا كاملا على هذه المدارس ، مما يحول دون وقوع أي من المحاذير او المشاكل التي قد يتعرض لها أبناؤ نا ، فالمدرسة مسئولة عن تنشئتهم النشأة الوطنية العربية ، مما يجعلهم يتلاءمون مع التقلبات والتغيرات التي يواجهونها في مجتمعهم الأم .

ونحن في وزارة التربية نشعر : بمدى الألفة والمساواة التي يلتقي عليها الطلاب العرب والأجانب ، والصداقات العميقة التي يكونها كلا الطرفين من خلال مجموعة العمل ، أو جماعات النشاط العلمي أو الثقافي أو الرياضي ، ويتعلمون تبادل الرأي والفهم وحرية التعبير ، في اطار الموضوعية والحوار الهادىء والتنافس الشريف » .

رجاء الانتباه :

عندما يشكو وطننا العربي من ظاهرة هجرة العقول ، وعندما تقول الأرقام أن هناك ١٧ بالمائة من اجمالي عقول الغرب في تخصصات علمية من أصل عربي . . عندما تستوقفنا هذه الظاهرة ، فاننا نقول ان بداياتها في المدرسة الأجنبية . . والمنهج الأجنبي ، والانفصال القطعي بين الطالب ومجتمعه وعالمه وهموم أمته .

فمن ينتبه ويدق جرس الانذار ؟! □

هـوَ ....

بحثاً عن الضمان

كان يحسدنا الأصدقاء .. وكنا نضحك كثيرا كلما سمعنا عن خلافات مادية بين زوجين . عندما بدأنا حياتنا معا .. كنا نعمل بأقصى طاقة لنا .. وفي بداية كل شهر نمسك ورقة وقلما ونجلس ندير ميزانيتنا الصغيرة ، التزامات .. أساسيات .. ادخار ، وتمضى الحياة .. لزوجي حساب في البنك يتم تحويل راتبي عليه ، وفي بداية كل شهر بعد أن نحدد كم يلزمنا من دخلنا معا ، يذهب هو ليسحب المبلغ الذي اتفقنا عليه ، ويظل المدّخر في حسابه .

الى أن نبهتني والدتي ذات يوم .. كنا جلوسا نحكي ونثرثر - شأن كل بنت وأمها - وجاءت ذكريات الحديث عن جارات قديمات لنا .. وزميلات لي في الدراسة والعمل .. وزميلات لها .. وفجأة سألتني أمي عما نفعله بمدخراتنا بعد أن زاد دخلنا ، وانتهينا من التزامات كثيرة كانت تطوقنا عند بدء الزواج .. وحكيت لها .. باختصار .... ماذا نفعل ، وكيف نتعامل .. وكيف أن كل مدخراتنا في حساب واحد بالبنك ، وبدأت أمي سلسلة من الحكايات عن زوجات انفصلن عن أزواجهن ، ووجدن أنفسهن بلا أي سند ، وكيف أن المدخرات هي صافي المتبقي من عائد عملنا معا ... فينبغي أن تكون لنا معا ، وكيف أن الرجل من الممكن تحت ضغط نزوة أن يتخلى عنك .. وروت لي أمثلة كثيرة وحالات موجعة ، وبيوتا كانت تزدهي بالحب وفجأة تهاوت .. و .. و .. ولم أنم ليلتها .. وظل عقلي يفكر ويتساءل ... صحيح أننا تزوجنا عن حب .. وأن زوجي بطبعه كريم سخي .. ما طلبت شيئا وناقشني فيه أبدا ، وما تمنيت شيئا ولم أجده .. ولكن هب انه في لحظة طيش ونزوة .. ولكن ماذا يهم المال بعد ان يذهب هو .. وهل تستطيع أموال الدنيا أن تعوض زوجة عن زوجها وحبيبها وبيتها ؟ ولم أستطع أن أفاتحه أو أتحدث معه ، ذهبت الى البنك وفتحت حسابا خاصا لي ، وقمت بتحويل راتبي عليه ، وفي أول الشهر بعد أن تحدثنا عن مقدار ما يلزمنا .. وحدد المبلغ الذي سيسحبه في الصباح ، أخرجت من حقيبتي شيكا مصرفيا بنصف راتبي أعطيته له ...

وكأنني أخرجت خنجرا طعنته به .. لم يتكلم .. تألم وجهه .. ولم يتكلم .. في الصباح أعاد الي الشيك ورفض مجرد النقاش حول الموضوع .. وأحسست أن شرخا هائلا امتد بيننا .. الامان الذي كنت أبحث عنه افتقدته .. عاشرني القلق والتوتر .. كل ما حدث أنه قال لي بهدوء سوف نعيد النظر في احتياجاتنا ، وسوف نعيش على دخلي فقط ، وعلينا أن نفكر مرة ثانية في أشياء كثيرة .. ومازال الشرخ قائما والأمان ضائعا .

هيَ

هيَ ....

مُغالَطة

● اعرف أنها ليست أفكارها .. وقد تكون حادثة هيّنة .. ولكنها أحدثت شرخا في نسيج رقيق نادر من التفاهم والود والحب الذي كان بيننا .

لم يوجعني مافعلت ، ولوكانت طلبت مني أن تستقل بدخلها لأجبتها ، ولكن ما آلمني هو الالتفاف من خلفي .. ومايعنيه تصرفها من عدم الأمان وافتقاد الثقة .

كان رأيي طوال عمري .. وخاصة الفترة التي عشناها معا ، أن البيت مشاركة .. بالعمل والمسئولية والانفاق ، ورضيت هذا ، ولكنها فجأة انقلبت على كل هذه المفاهيم .. ورأت أن البيت ليس لها فيه الا جزء من راتبها تدفعه وتسهم به ، وهنا ثارت ثائرتي .. أي رجل يقبل على كرامته ان تدفع له زوجته مقابل حياتها ، والا فما معنى أن تدفع جزءا من راتبها تحت مسمى الاسهام في أعباء الحياة ؟ القضية ليست بهذا الشكل ، ولابهذه المغالطة ، كان تصوري وسلوكي أننا نحيا معا ، وأننا اخترنا الحياة معا ، ونتحمل تكاليفها معا ، ولكن أن تتحول المسألة الى أن يسدد كل طرف جزءا من تكاليفنا ، ، أو يسهم فيها بقدر من دخله ، فهذه مسألة أتصور أنها تمس شعور الانسان وكبرياءه وكرامته .. وماذا جنت من فعلتها هذه .. الا مزيدا من افتقاد الأمان .. فبعد وقت من حادثتنا تلك .. تحدثت وهي تبكي .. قالت : ان أمها ملأتها أحاسيس بعدم الأمان .. وان الرجل من الممكن أن يبيع في نزوة عشرة عمر .. ورفقة حياة .. قطعت المناقشة وقلت وهل تتصورين أن أي أموال أو نقود .. من الممكن أن تجعل الرجل يتراجع عن نزوة ؟ ، النزوة لايردها شيء ولا يعيقها شيء ، وانتهينا الى أنني سأتولى الانفاق على البيت وحدي .. ولكن بقدر أقل من الرفاهية .. وانني سأدخر وحدي .. ولكن بمعدل ادخار أقل ، لم أشأ أن أقول لها أن شقتنا التي نملكها باسمها .. وانني من الممكن أن أطالبها بتغيير عقد الملكية .. لم أشأ أن أفعل هذا .. فيكفي أننا في لحظة طيش وعدم اتزان عشش الخوف والترقب والقلق فوق حياتنا ، وفقدنا أمانا وهدوءا كنا نزهو به على أصدقائنا ، و .. وكنا نضحك حتى الأعماق من هؤلاء الذين تفسد حياتهم بضع أوراق مالية لاتساوي جزءاً من الامان .



هو

من الحياة

أم.. في محراب الحياة

هل استطاع الانسان ان يتحدى الشعور باليأس ؟ ما اكثر اللحظات التى يسيطر فيها علينا هذا الشعور ونحن نمضى فى طريق الحياة .. انه شعور لا يأتى من فراغ ، فهو يصيبنا عندما تتعثر خطواتنا ، او عندما نصطدم بصخرة ونسقط امامها على الأرض ....

ترى كيف نواجه هذه النكسات ؟ هل نستسلم ؟ أو نقوم من سقطتنا وننفض التراب الذى علق بملابسنا ، ثم نمضى فى طريق الحياة من جديد ؟

البعض منا يعيش مع اليأس ، فلا يلبثون ان يروا الدنيا من حولهم يلفها الظلام ، وشيئا فشيئا يجدون حياتهم وقد تحولت الى ليل طويل .. انهم هؤلاء الذين يتصورون ان آلامهم ومشاكلهم قد اصبحت عبئا ثقيلا تنوء بحمله الجبال .. انهم يجلسون على حافة الهاوية فى انتظار يد تمتد اليهم فتدفعهم الى اعماقها وتضع نهاية لما تبقى لهم من ايام زهدوا فى عيشها .

كيف نتخلص من هذا الشعور ؟ ما الذى يجب ان نصنعه بانفسنا عندما نسقط او نتعثر .. كيف نجح غيرنا فى الوقوف على قدميه واتمام رحلته فى الحياة غير عابىء بتلك الصخرة التى اصطدمت بها قدماه وهو اكثر ما يكون حماسا للانطلاق وبلوغ هدفه ؟

منذ سنوات قريبة مضت شوهد احد كبار الكتاب يجلس فوق صخرة تشرف على مياه البحر ، وقد امسك بيده مجموعة من الحصى وقطع الحجارة الصغيرة ، وراح يلقى بها الواحدة بعد الاخرى فى المياه التى كانت تتلاطم وتصطدم بالشاطىء الصخرى الذى يجلس قريبا منه .

وسألوه : ماذا تفعل ؟

ونظر الكاتب الى محدثيه وقال وهو يبتسم : « انى القى بآلامى ومتاعبى فى البحر .. هذه الاحجار الصغيرة التى احاول ان اغرقها فى الامواج تمثل مصدر آلامى وانا اريد ان اخلص نفسى منها »

ونجح الكاتب الكبير فى ان يبدأ حياة جديدة بعد ان دفع احزانه فى قاع البحر ، وجلس يروى تجربته فى كتبه ومؤلفاته .. وكانت تجربة قاسية مع الناس ومع الدنيا التى احبها فاعطاها قلبه وماله وكل ما يملك ..

***

وفي احدى القرى الصغيرة النائية كانت تعيش زوجة شابة مع زوجها واطفالها الاربعة الصغار .. وكانت سعيدة بحياتها البسيطة ، قانعة بما وهبها الله ..

كانت تحب بيتها الصغير ، وتحب زوجها وتتفانى فى اسعاده ، ولا تدخر جهدا من اجل رعاية اطفالها الذين يملئون كل وقتها وحياتها فى هذه القرية الصغيرة



التى تصحو مع شروق الشمس وتنام مع الغروب . . ولكن القدر ما لبث ان قسا على هذه الاسرة السعيدة الصغيرة . . ففى احد الايام جاء اهل القرية يطرقون باب بيتها . . وفتحت الزوجة الشابة التى لم تكن قد جاوزت عامها الثلاثين بعد . . وسلموها رسالة ، ما كادت تفضها حتى سقطت مغشيا عليها . . لقد مات الزوج الذى كان قد سافر الى المدينة منذ بضعة اسابيع يشكو علة مجهولة ، فقضت عليه اثر جراحة عاجلة اجراها له الاطباء .

وعندما افاقت الزوجة راحت تنظر حولها ، فلم تجد شيئا ، لا مالا ، ولاقوتا . . كان اطفالها الاربعة فقط هناك والدموع تملأ عيونهم الصغيرة البريئة . . فقد عرفوا بما حدث . . لقد رحل والدهم ولن يعود اليهم ابدا . .

كان الاب موظفا صغيرا لا يملك اكثر من مرتبه الذى يتقاضاه فى اول كل شهر . . صحيح انها قد ادخرت مبلغا من المال خلال رحلة حياتها القصيرة معه والتى لم تدم لاكثر من عشر سنوات ، ولكنها قدمته له كله عندما بدأ يستعد لرحلته التى كانت مع الاسف . . بلا عودة . . فقد كان فى حاجة اليه وهو يسعى للشفاء من علته ليعود اليهم سليما معافى . .

وانقضت فترة الحداد ، وبدأت الام تجمع شتات نفسها . . لا بد ان تعيش من اجل هؤلاء الصغار . . لا بد ان تصنع شيئا حتى تستطيع ان توفر لهم حياة كريمة . . ولكن ماذا تفعل ، وهى لا تجيد أي عمل ، ولم تنل من التعليم الا القدر اليسير . .

وخرجت الى الحقل . . ان هذه الارض الطيبة هى المكان الوحيد الذى لا يحتاج الى اكثر من ساعدين قويين يعملان ، ولا يكفان عن العمل . .

وبدأت تعمل ، فلاحة اجيرة فى ارض احد كبار المزارعين . . كانت البداية شاقة صعبة . . فقد كانت تخرج من بيتها مع الشروق ، بعد ان يذهب الاطفال الى مدرستهم القريبة من البيت ، وتعود اليهم قبل مغيب الشمس بقليل لتعد لهم طعاما مشبعا دفعت

ثمنه من اجرها الذى كانت تقبضه فى نهاية كل يوم عمل ..

كانت سعادتها بهم تنسيها الجهد الذى بذلته طوال ساعات النهار .. وكانت ابتساماتهم الحلوة وهم يجلسون حولها يتناولون الطعام الذى اعدته لهم بيديها تملؤها حبا للحياة وحماسا للاستمرار فى العمل الشاق الذى بدأته مهما كانت التضحيات .

* * *

وتمضى السنون ، والام ماضية معها فى العمل الذى اعطته كل حياتها .. وتسخو الارض بالخير ، وتعود الام الى المبالغ الصغيرة التى كانت تدخرها على مر ايام من اجرها البسيط ، وتقف فى وسطهم لتزف اليهم النبأ السعيد : « لقد احصيتها .. وهى تكفى نفقات عام كامل لدراسة اثنين منكم فى الجامعة » .

ويسافر الشقيقان الى المدينة ثم يلحق بهما الشقيقان الأخران .. ويتخرج الجميع فى الجامعة ويحصلون على بعثات دراسية مجانية فى الخارج ، تقديرا لتفوقهم فى الدراسة ونجاحهم المرموق .

ويعود الاشقاء الاربعة الى القرية الصغيرة ليزفوا اليها النبأ،وتقف الام تودع اطفالها الكبار وفى عينيها دمعة تحمل كل معاني الحب الذى اغدقته عليهم .. كانت سعيدة وهى ترى ثمرة كفاحها تنضج بعد كل هذه السنين من التعب والقلق والشقاء .. وكانت سعادتها اكبر ، وهى ترى الاطفال الصغار وقد اصبحوا رجالا يملئون دنياها الجديدة .. ولكن أين هى هذه الدنيا ؟ كم كانت تتمنى لو انهم شاركوها فيها او اشتركت هى فيها معهم ولو من البعد ، بعد ان تقدمت بها السن ! ولكن لا .. انها لن تسمح لعواطفها ان تعترض الطريق الذى سيسيرون فيه لتحقيق امنيتهم فى الحصول على درجات علمية اسمى واكبر ..

وسوف تقنع بما ستحمله اليها رسائلهم التى وعدوا بأن يبعثوا بها اليها كلّ اسبوع .. الا يكفيها ان تعلم انهم بخير ، وانهم سعداء بدراساتهم العليا وحياتهم الجديدة فى هذه البلاد البعيدة .

وباتوا ليلتهم فى احضان البيت الصغير الذى جمعهم عندما كانوا اطفالا يدرجون ثم شهد بعد ذلك صباهم وشبابهم قبل أن يكملوا تعليمهم الثانوى فى قريتهم ويرحلوا الى المدينة ..

* * *

وجاء الصباح .. وحان موعد الرحيل .. وخطر لاكبر ابنائها خاطر ، ما لبث ان نفذه على الفور ، قال يحدث امه التى كانت تقف وسطهم تتأمل وجوههم بكل مشاعر الحب والعطف والحنان التى امتلأ بها قلبها : « لماذا لا تأتين معنا يا أمى .. ما الذى يبقيك وحدك فى هذا البيت ، في هذه القرية . لماذا تمضين حياتك فى وحدة .. اننا لن نذهب الى جامعة واحدة ، فى بلد واحد .. اختارى انت المكان الذى يروقك اكثر من غيره . او ان شئت وزعى نفسك بين المدن الاربع التى سندرس فى جامعاتها ! المهم يا امى ان تأتي معنا .. ألآ نتركك تعيشين مع وحدتك »

ولقيت الفكرة ترحيبا حارا من بقية الاشقاء : « نعم تعالى معنا يا اماه .. احزمى حقيبتك الأن .. لن نترك البيت الا وانت معنا » .

وجلست الام على المقعد الذى تعودت ان تجلس عليه كلما احست بالتعب خلال مسيرتها الطويلة مع هؤلاء الذين احبتهم ووهبتهم عمرها كله .. وقالت وهى تبتسم ، وقد اغرورقت عيناها الجميلتان العجوزتان بالدموع : « ومن قال لكم انى سأكون وحدى .. انكم لن تفترقوا عنى لحظة واحدة طوال الفترة التى ستقضونها بعيدا عنى .. صوركم الحلوة ستظل دائما فى مخيلتى .. ذكريات طفولتكم العذبة ستعيش معى فى صحوى ونومى .. اصواتكم ستبقى نغما اطرب له وكأننى اسمعكم فى كل مكان من هذا

البيت الذى يضم اجمل ذكريات حياتكم معى .. لا يا أبنائى .. انكم تريدون منى ان افترق عن نفسى .. ان افترق عنكم .. صحيح انى سأكون معكم وبجواركم .. ولكنى سوف ابتعد عن المحراب الذى اتعبد فيه .. هل ترون هذا المقعد القديم الذى اجلس عليه الآن وانا احدثكم .. لقد كان المأوى الذى الجأ اليه عندما كنت اعود من عمل متعبة بعد يوم من العمل الطويل الشاق .. هل تأملتم الغرفة الصغيرة التى أمضيتم فيها ليلتكم بالامس .. لقد كان لى فيها معكم ذكريات وانا ارقبكم وانتم تكبرون عاما بعد عام .. وتكبر معكم مسؤولياتكم ومشاكلكم ..

« انى احبكم يا ابنائي .. فانتم حياتى وعمرى ودنياى .. ومن اجلكم عشت وصمدت وكافحت ودفنت احزاني على والدكم الذى رحل فى وقت كنت فى امس الحاجة اليه .. فلم اكن يوما واحدة من هؤلاء النساء اللواتى يقضين عمرهن فى الحزن والبكاء على شىء مضى وانقضى .. حقيقة كنت اتألم وانا ارى نفسي اقف وحدى ولكننى كنت دائما استمد قوتى من روح زوجى .. كنت افعل دائما كل ما أراد ان يفعله هو معكم لو انه بقى معنا ولم يرحل عنا .. كنت استمد قوتى من حبي للحياة من اجلكم انتمْ » .

وقامت من مقعدها تودعهم وتضمهم الى صدرها الحنون وتقبلهم وتشد على ايديهم .. وتدعو لهم بالتوفيق والنجاح .

ونظروا اليها .. راحوا يتأملونها وطالت وقفتهم بعض الشىء .. ثم تركوا البيت فى طريقهم الى عالمهم الجديد البعيد .. ولكنهم قبل ان يبتعدوا بخطواتهم ، وقفوا برهة ونظروا وراءهم .. فرأوها واقفة هناك امام باب البيت الصغير الذى احبوه .. تلوح لهم بيدها مودعة .. ولاول مرة احّس الاشقاء الاربعة انهم لا يودعون امّا عجوزا .. فقد بدت امامهم عملاقة ..

* * *

ومضت الاعوام ، والام تعيش وحدها فى محرابها مع الذكريات التى رفضت ان تفترق عنها .. ولقد عاد الابناء من الخارج يحملون ارقى الدرجات العلمية ولكنها لم تعد وحدها .. لقد امتلأ البيت الصغير بالاحفاد .. ومنذ بضعة اسابيع خلت وقفت « الجدة » تطفىء ثمانين شمعة .. وجاء الابناء وزوجاتهم يحتفلون بعيد ميلاد امهم .. وعلى مقعدها الصغير الذى طالما القت بجسمها المتعب عليه فى نهاية رحلة كل يوم مع العمل فى الحقل ، كانت تجلس وقد اشرق وجهها العجوز بابتسامة تحمل اجمل المشاعر التى يمتلىء بها دائما قلب الام .. قالت وهى تحتضن الاحفاد الصغار الذين التفوا حولها ، وتوزع عليهم قبلاتها : « لقد اعادوا الحياة الى الذكريات التى ظلت مجرد صور تملأ مخيلتى .. انى اعيش ايام طفولتكم الحلوة .. لقد اعاد الى هؤلاء الصغار اجمل سنى العمر التى قضيتموها معى .. »

ولمعت عيناها ببريق عجيب ، ثم ذهبت فى اغفاءة طويلة ..

■ قال عيسى عليه السلام : « من علم وعمل .. عد في الملكوت الأعظم عظيما » .

■ قال موسى عليه السلام في مناجاته لربه : « الهي من أحبُ الناس اليك ؟ »
قال تعالى : « عالم يطلب علما » .



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

الكمادات

للإسعاف السريع والعلاج المنزلي

بقلم : الدكتور حسن فريد ابوغزالة

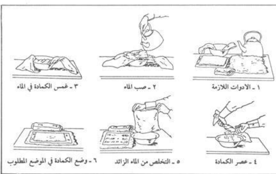
الكمادات قد تكون وسيلة من وسائل الاسعاف الأولي ، كما قد تكون اسلوبا من اساليب العلاج في مواضع معينة محددة ، على أن يحسن استعمالها على الوجه الافضل حتى لا يصبر مردودها عكسيا ضارا .

وتقسم الكمادات الى قسمين . أولهما ـ الكمادات الساخنة ، وثانيهما ـ الكمادات الباردة ، وكل من هذين القسمين قد يكون جافا او قد يكون رطبا ، ولكل من هذه الاشكال استعمالاته وضروراته وشروطه ومواصفاته ، حيث يعطي مفعولا موضعيا أو تأثيرا عاما على الجسم كله .

١ ـ الكمادات الساخنة :

أ ـ الكمادات الرطبة : حيث تختار قطع من القماش أو الفوط الصغيرة لتوضع في إناء (طشت) ثم يصب عليها الماء الحار بحيث تتراوح درجته ما بين ٤٠ درجة مئوية و ٤٥ درجة مئوية حتى لا تؤذي الجلد وتؤدي الى حروق والتهابات ، ثم ترفع قطعة القماش وتعصر للتخلص من الماء الفائض ثم ترج الفوطة ليتخللها الهواء وبعدها توضع على المكان المطلوب لمدة تتراوح بين ٢٠ دقيقة و ٣٠ دقيقة على ان تبدل القطعة المبللة كلما برد الماء ، للمحافظة على درجة حرارة ثابتة تقريبا .

ومفعول الكمادات الساخنة الرطبة أنها تزيد الدورة الدموية في المنطقة المطلوبة نتيجة توسع الاوعية الدموية وتدفق الدم مما يهيىء تغذية افضل للمنطقة ، وسرعة في التخلص من السموم والفضلات .



خطوات استعمال الكمادات

والقيمة الاخرى للكمادات الرطبة الساخنة انها ترطب الجلد وتلين طبقاته العليا كما انها تهدىء من التهابات نهايات الاعصاب في طبقة الأدمة الجلدية ومن هنا يمكن استعمال الكمادات الساخنة فيما يلي :-

علاج الدمامل والالتهابات الجلدية ، التهابات المفاصل المزمنة والآلام الروماتيزمية ، آلام العضلات المزمنة الناتجة عن البرد او تقلص الاوعية الدموية ، وعدم كفاية الدورة الدموية ، تليين المفاصل والعضلات ، وهنا يجب الحذر من استعمال الكمادات الساخنة في الاصابات الحادة ولو نصح الطبيب باستعمال سوائل معينة فلا بأس من اضافتها للماء الدافىء .

ب ـ الكمادات الجافة الساخنة : في أحوال عدة قد يرغب المسعف في ترطيب الجلد في موضع معين او يصعب استعمال الكمادات الرطبة،وهنا تستعمل الكمادات الساخنة الجافة ، كما هو الحال في زجاجات الماء الساخن او الأكياس المطاطية في الفراش،ومن الجدير بالملاحظة هو عدم ملء الاكياس المطاطية حتى الفوهة بل يجب ابقاء فراغ هوائى حتى لا ينفجر الكيس عند الضغط عليه مع ملاحظة تغييره اذا برد .

واهمية مثل هذه الكمادات الجافة هي زيادة الدورة الدموية مع التدفئة العامة أو الموضعية .

٢ ـ الكمادات الباردة

أ ـ الكمادات الرطبة : يستبدل الماء البارد بالساخن وتعصر قطعة القماش لتوضع على الموضع المصاب مع التمييز بين الماء البارد والماء المثلج ، اذ ان لكل منهما مفعوله وتأثيره ، وحيث ان الماء البارد يؤدي الى انتقال حرارة الجسم الى الماء عن طريق التوصيل مما يفيد في احوال ارتفاع درجة الحرارة وضربة الشمس .

بينما الماء المثلج يعمل على تضبيق شديد للاوعية الدموية وربما قفلها تماما مع صعوبة في سريان الدم وهذا لا يؤدي الى الفائدة المرجوة من تبريد الجسم ولكنه يفيد في وقف النزيف كما في نزيف الانف أو الكدمات تحت الجلد او اي نزيف آخر كما يفيد في اسعاف الحروق .

ان التواء المفاصل يسعف بالكمادات الباردة فوراً لوقف النزيف الداخلي ولكنه اذا أزمن فتستعمل الكمادات الساخنة فيما بعد لامتصاص فضلات النزيف .

ب - **الكمادات الجافة** : ربما كان هناك استحالة او ضرر من استعمال الكمادات الرطبة كأن يستعمل الثلج مباشرة على الجلد مما يؤدي الى الاضرار بالجلد مع شعور بالالم ، لهذا يوضع الثلج في اكياس مطاطية لتخفيض الحرارة لاستعمال الاكياس على الرأس او ربما تستعمل زجاجات الماء البارد اذا لم تتوفر الاكياس المطاطية .

☆☆

بريد طبيب الأسرة

عدوى البلهارسيا وشرب ماء النهر

● **أقنعني صديقي بأن من يشرب من النيل لابد أن يعود اليه ، فشربت ماء نهر النيل عند زيارتي لمصر .**

وبعد حين حدثني صديق آخر أن شرب ماء النيل يؤدي الى مرض البلهارسيا الخطير ، ومن هنا فقد انتابني القلق والوسواس واحترت في أمري . أرجو افادتي بحسن التصرف .

خالد . ع . مجده

- من المعروف عن ديدان البلهارسيا وعدواها أنها تستوجب دورة حياة معينة ذات حلقات من اهمها وجود قواقع مائية تتطفل عليها أجنة البلهارسيا المسماة بالميراسيديوم ، بعد أن تفقس من البويضات التي لوثت الماء عند تبول المصاب أو تبرزه ، لكي تتحول الى يرقات البلهارسيا المعدية المسماة بالسركاريا .

والقواقع المائية المناسبة لتطفل البلهارسيا لاتتواجد الا في الفروع الجانبية للنهر ، أو مايسمى بالترع ، حيث يبطىء جريان الماء ، وتتوفر على جانبي الترعة نباتات مائية تلتصق بها القواقع وتحتمي .

أما تيار النهر الأساسي فهو سريع ولايصلح لاستيطان القواقع ، كما لايناسب شاطئيه نمو النباتات المائية .

من هنا فالعدوى مقصورة على مجاري النهر الجانبية أو الترع ، ولامكان للعدوى في وسط النهر أو تياره الرئيسي على أية صورة ، أما أمر شرب الماء الملوث بالسركاريا ، والسؤال اذا ماكان معديا أم لا ، فقد أثار جدلا طويلا انتهى بالاطباء الى رأيين : -

أولهما هو امكانية العدوى واختزان السركاريا أو يرقات البلهارسيا في غشاء الفم المخاطي ، او جدار المريء ، ولكن في نطاق ضيق لايشكل خطورة كبيرة ، أو حالة مرضية شديدة ، والثاني هو عدم امكانية العدوى بسبب سرعة انزلاق الماء ، لما يحمله من سركاريا عبر الفم والمريء ، ووصوله الى المعدة حيث يوجد حامض المعدة القاتل وعصائرها الهاضمة ، بما لايترك فرصة لحياة اليرقات أو عدواها .

وعلى أية صورة كان الأمر وأي رأي قلناه ، فان العدوى من وسط النهر مستحيلة ، كما ان العدوى من الترعة ان وجدت فهي على صورة بسيطة لاتشكل خطرا كبيرا يستحق القلق .

مساحة وُدّ

فــن الأدعيـاء

منذ أن زحف الجفاف على افريقيا ، وانقطع المطر . . وهناك حركة في أوروبا والعالم الغربي يقودها الفنانون ونجوم المجتمع . مسيرة تقطع آلاف الكيلومترات ، وتجوب المقاطعات والمدن . . وتشدو بالاغنيات ، وبيوت أزياء متنافسة لاتجتمع ابدا . . تلتقي في العاصمة البريطانية وتقدم عرضا خيريا . . وتجمع ملايين الدولارات . . واستطاع فنانو الغرب أن يجمعوا قدرا كبيرا من المعونة ، وأن يحركوا ضمائر شعوبهم ووجدانهم . وبرغم فهمي وادراكي لكيفية ادارة الحملة الاعلامية التي صاحبت حركة الفنانين ، وكيف قدمت في اطار باهر . . وبقدر استيعابي لقواعد هذه الحركة مهنيا وسياسيا . . وكيفية استثمارها في علاقة العالم المتقدم مع العالم النامي المتخلف . . برغم كل هذا كانت تساؤلاتي تذهب الى شيء آخر . . كنت أتساءل عن كثير من فنانينا الذين لم يعد هناك من أخبار لهم سوى متابعتهم في زيجاتهم وعلاقاتهم . . وكثير من مهازلهم ، وماذا يحبون وماذا يكرهون ؟ عن هؤلاء الفنانين الذين نصطدم بهم في المطارات وهم يحظون بأولوية تفوق أولوية كل مثقفينا العرب مجتمعين . . ويظفرون بحماية وحصانة في نقاط التفتيش والمرور والادارات . . تعادل حصانة الدبلوماسيين . .عن هؤلاء الفنانين الذين لم يقدموا لنا فنا راقيا يسمو بذوق الانسان ووجدانه . . ولم يتفاعلوا مع مجتمعاتهم ليصبحوا جزءا من نظام عام شامل متماسك . . لم يعايشوا مجتمعاتهم . . همومها ومشكلاتها . . آمالها واحلامها . . لم يصبح فنهم تعبيرا عن حلم الوطن وكبرياء الوطن وهم الوطن . . امتلأت صحفنا وأيامنا بحياتهم وأخبارهم وفنهم السطحي الساذج الممجوج . . لم تعد المقولة الشهيرة صحيحة معهم . . « اعطني خبزا وفنا أعطك شعبا » ، بين أولئك وهؤلاء . . بين نماذج لفنانين يملكون وعيا وحسا انسانيا . . وبين كثير من فنانينا مساحة كبيرة وفارق هائل ، وليس ذلك دفاعا عن أولئك ولا ذما لهؤلاء . . فالفارق واضح وملموس . . لم نعد نستطيع أن نري سينما عربية الا لقلة ، ولانسمع غناء عربيا الا لقلة . . ولا نشاهد مسرحا عربيا الا لقلة . . فقد استطاع الأدعياء شأن العملة الرديئة ـ أن يطردوا الجيد والمتميز من السوق . . فخربوا الذوق العام . . وأسلمونا الى أيام نشتهى فيها عبق الفن ومجده وعظيم اسهامه في صياغة الحياة .

محمود عبد الوهاب

نمط جديد من

التهاب الكبد

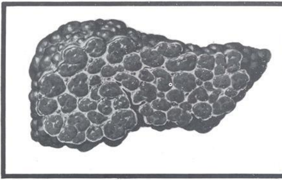
بقلم : الدكتور عبد الرؤوف لولو

إن أول مرجع عن وباء اليرقان هو « أبو قراط » وقد حدثت أوبئة يرقانية كثيرة أثناء الحروب والمجاعات في بقاع متفرقة من العالم وخصوصا في الشرق الأوسط وايطاليا في الحرب العالمية الاولى والثانية . وعرف الكثير عن طبيعة هذا المرض في الخمس عشرة سنة الأخيرة بفضل الأبحاث القيمة والاكتشافات العديدة في مجال هذا المرض . فما هو الجديد اذن ؟

ان المصطلح العام « التهاب الكبد الفيروسي » يشير في الاستعمال العادي الى التهاب الكبد الذي تسببه ثلاثة أنماط من فيروسات الكبد وهي : (أ) و (ب) وغير المحدد (لا ألفباء) وحديثا وجد أن هناك نمطاً رابعاً يسبب التهاب الكبد الفيروسي هذا ويسمى فيروس « د »

فالتهاب الكبد بفيروس « أ » هو أقدم ماعرف من هذه الانماط ، ويسمي أيضا التهاب الكبد المعدى ، والتهاب الكبد الوبائي ذو الحضانة القصيرة الأمد ، أما التهاب الكبد بفيروس « ب » فيعرف بالتهاب الكبد المصلي ، وقد اكتشف الدكتور بلومبيرغ من فيلادلفيا بالولايات المتحدة جزىء أنتجن السطح المرافق لهذا الفيروس في دم أحد سكان استراليا الأصليين « الابوريجين » في عام ١٩٦٥ وسمى الانتجن الاسترالي وعرف الآن بأنه انتجن السطح لفيروس « ب » وقد اكتشف الدكتور « دان » الجزىء الكامل لفيروس « ب » عام ١٩٧٠ وسمى جزىء دان .

أما التهاب الكبد بالفيروس غير المحدد (لا ألفباء) (Non- A - Non- B) فسببة فيروس غير



محدد فلا هو فيروس ألف ولا باء . ولم يمكن حتى الآن فصل الفيروس المسبب لهذا النوع من التهاب الكبد بدقه .

وأما التهاب الكبد بفيروس « د » فقد اكتشفه لاول مرة الدكتور ريزيتو من كلية طب جامعة تورينو بايطاليا عام ١٩٧٧ .

ومن المعروف ان الكبد يصاب بفيروسات كثيرة مثل فيروس تضخم الخلايا ، وفيروس الحمى العقدية ، وفيروس الحمى الصفراء ، والحصبة الألمانية وغيرها من الفيروسات . والتغيرات المرضية في نسيج الكبد في الأنماط الاربعة من التهاب الكبد الفيروسى السابقة الذكر متشابهة الى حد كبير ، اذ يوجد التهاب عام في الكبد واذا كان هذا الالتهاب شديدا فقد يسبب التهاب الكبد الداهم ولكن غالبا ما يكون هذا الالتهاب بسيطا . ونتائج الالتهاب هي الشفاء التام في الغالب أو التهاب الكبد المزمن ، أو تليف الكبد في بعض الأحيان .

أما من الناحية السريرية : فمسار المرض متشابه أيضا في الأنماط الأربعة ، ومن الممكن أن يكون المرض مصحوبا باليرقان (الصفراء) والصورة السريرية في الأنماط الأربعة من التهاب الكبد الفيروسى متشابهة غير أنه يوجد تفاوت كبير في درجاتها يتراوح بين الوعكة الصحية ومرض يؤدي الى غيبوبة قد تكون قاتلة . ومن المعروف أن التهاب الكبد بفيروس « ب » او « د » اكثر شدة وخطورة .

فيروس التهاب الكبد« د »

اكتشف د . ماريو ريزيتو من تورينو بايطاليا في عام ١٩٧٧ مولداً مضاداً (انتجن) موجوداً في نويات خلايا كبدية لمريض ايطالى يحمل في دمه فيروس التهاب الكبد « ب » وذلك بواسطة الفحص المجهري بالومض المناعي كما وجد في دم المريض أيضا أجساما مضادة لهذا الأنتجن ، وقد سمى هذا الانتجن (دلتا) وفي عام ١٩٧٨ انتقل الدكتور ريزيتو الى الولايات المتحدة ، وأحضر معه عينات من دم مرضاه ليتابع بحوثه مع الدكتور جيرين في جامعة جورج تاون في مدينه واشنطن . وقد ادى هذا التعاون الى اكتشاف طريقة استخلاص انتجن دلتا من دم المرضي ، وذلك بعد اجراء تجارب على حيوان الشمبانزي . وفي عام ١٩٨٠ تمكن الباحثون من التأكد أن انتجن دلتا هو بالفعل « فيروس » يمكنه أن يحدث المرض في الحيوانات تحت ظروف خاصة فهذا

الفيروس لم يقدر أن يحدث مرضا في القرود الا اذا كانت هذه القرود مصابة بفيروس التهاب الكبد « ب » وقد استمرت هذه الابحاث حتى تمكن هؤلاء العلماء من تحديد الصفات البيولوجية والجزيئية لهذا الفيروس ، وكذلك وبائية هذا المرض والملامح والمسار السريري له .

ولقد اكتشف العلماء أن فيروس « د » هو فيروس ناقص أي أنه يحتاج الى فيروس آخر وهو فيروس « ب » حتى يمكنه ان يحدث مرض (التهاب الكبد) في الانسان أو الحيوان لذا فإن فيروس « د » هو فيروس ناقص او تابع يحتاج الى فيروس مساعد من قبل ، وتسمى طريقة (الحمل على الظهر) ، اي ان الفيروس الكبير يحمل الصغير ويعطيه جزءا منه . وسرعان ما لاحظ هؤلاء الباحثون تفشي العدوى بفيروس « د » في جنوب ايطاليا ، وهذا الاكتشاف وان كان مذهلا الا انه لم يثر فضول خبراء الطب الوقائي والصحة العامة . ولكن حدوث هذا المرض على شكل وباء بين هنود (يوكبا) (yucpa) بفنزويلا عام ١٩٧٩ هو الذي لفت أنظار خبراء الصحة العامة ، وشد انتباههم لان هذا الوباء كان مهلكا ومدمرا ، وكان أول وباء لهذا المرض ينتشر بين مجموعة من الناس . ولقد أصبح واضحا الآن أن العدوى بهذا الفيروس منتشرة في جميع أنحاء العالم .

التهاب الكبد الدالي

اثبتت الدراسات أن المرض منتشر في جميع انحاء العالم ، وهو متوطن في ايطاليا وخصوصا فى جنوبها ، وكذلك في البلدان الافريقية والشرق الأوسط وشمال امريكا الجنوبية كما أن المرض قد وجد في دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، وحديثا في جزر المحيط الهادي كجزر ساموا الغربية . اما في البلدان الاخرى كالبلدان الاوروبية والولايات المتحدة فإن عدوى فيروس « د » موجودة في المجموعات المعرضة لخطر الاصابة بفيروس « ب » كحاملي فيروس « ب » الاصحاء ظاهريا ، والمرضى الذين يعالجون بنقل دم متكرر أو مشتقاته مثل البلازما ، او الجلوبيولين المناعي كمرضى النزاف (الهيموفيليا) او فاقة الدم البحرية (الثلاسيميا) وحتى الآن لم تكتشف العدوى بفيروس « د » في اليابان والصين واستراليا .

طرق انتقال العدوى :

ان هذه الطرق تشبه الى حد كبير طرق انتشار العدوى بفيروس « ب » فمن الممكن انتقال العدوى عن طريق الحقن بين مجموعات كالمدمنين الذين يتعاطون المخدرات والعقاقير عن طريق الوريد ، أوبين المرضى الذين يعالجون بنقل الدم او ومشتقاته كالبلازما المجمدة او الجلوبيولين المناعي ، وكذلك بين مرضى قصور الكلى الذين يتعالجون « بديلسة » الدم باستعمال كلى صناعية مشتركه .

كما أنه يمكن انتقال العدوى عن طريق آخر غير الحقن مثل الانتقال عن طريق سحجات الجلد او من خلال الغشاء المخاطي . فالمخالطة اللصيقة ، وسوء الأحوال الصحية ، والزحام يحتمل أن يكون لها دخل في انتشار العدوى بهذه الطرق . ودرجة انتقال العدوى بين افراد العائلة الواحدة الكبيرة قد تبلغ نسبتها بين الزوجين والاخوة ٧٥٪ ويدعى هذا بانتقال العدوى الافقي بينما نسبة العدوى بفيروس « ب » بين الزوجين والاخوة تبلغ ٦٨ ٪ ولقد حدث وباء التهاب كبدي بفيروس « د » في قرى هنود (اليوكبا) في فنزويلا في الفترة بين ١٩٧٩ ـ ١٩٨١ وثبت أن العدوى كانت عن طريق الجلد ، لان معظم المصابين بهذا الوباء كانوا يعانون من امراض جلدية تسبب الحكة واحداث خدوش في الجلد مثل الجرب ، والتهاب الجلد الفطري ، والابتلاء بالبراغيث والقمل . كما أن هؤلاء الهنود كانوا يعالجون بعض امراضهم بالوخز بالابر ، او بأشواك حادة وقد كانت نسبة الوفاة من جراء هذا الوباء ٢٣٪ من المصابين في حين بلغت بين المصابين بالتهاب الكبد المزمن نسبة ١٥٪ .

وفي دراسة اجريت في دولة الكويت سنة ١٩٨٣ وجد أن هذا المرض متوطن ايضا بنسبة ٤٠٪ بين المرضى الحاملين لانتجن السطح لفيروس « ب » ، علما بأن نسبة حاملي هذا الانتجن تبلغ (١,٨ ـ ٤٪) من سكان الكويت بينما وجد أن نسبة العدوى في ايطاليا تتراوح بين (٤٠ ـ ٤٧٪) والتي كانت أول

بؤرة في العالم وجد بها المرض متوطنا .

ولقد ثبت أن انتقال العدوى بفيروس « د » يحدث رأسيا بين الام الحامل وطفلها الوليد في فترة ما قبل وبعد الولادة كما يحدث في عدوى فيروس « ب » وفي دراسات اخرى وجد أن انتقال عدوى فيروس « ب » رأسيا من الام للطفل ليس مهما كما هو الحال في انتقال عدوى فيروس « ب » الرأسي . كما ثبت أن انتقال العدوى بين افراد العائلة الواحدة والمجتمعات المغلقة (الانتقال الافقي) اكثر اهمية في عدوى فيروس « د » منها في عدوى فيروس « ب » كما وجد أن إعطاء لقاح فيروس « ب » للأم الحامل يمنع انتقال عدوى فيروس « ب » وكذلك فيروس « د » من الام الحامل للطفل . وكذلك لا يمكن لفيروس « د » ان يتكاثر في دم الام وبالتالي فإنه لا ينتقل الى الطفل حديث الولادة .

النماذج الحيوانية

لقد امكن نقل العدوى بفيروس « د » الى قرد الشمبانزي والذي هو نموذج للعدوى بفيروس الكبد « ب » ايضا ، وبهذه الطريقة أمكن دراسة النشاط البيولوجي والصفات الجزيئية لهذا الفيروس . وقد وجد أنه عند حقن القرد السليم بفيروس « د » فإن الفيروس يظهر في الدم بعد اسبوعين ، ويصل تكاثر الفيروس ذروته بعد ٤ اسابيع ، ويختفي من الدم بعد ٦ اسابيع عندما تبدا الأجسام المضادة لهذا الفيروس بالظهور . وقد وجد أن التهاب الكبد يظهر بعد ٤ أسابيع من حقن القرد بالفيروس ، ويتحسن الالتهاب بعد ٦ اسابيع .

وقد نجح العلماء أيضا في نقل العدوى بفيروس « د » الى حيوان آخر غير الشمبانزي وهو حيوان المرموت ، وهو حيوان قارض يعيش في أمريكا الشمالية . وقد وجد أن هناك فيروسا خاصا به يدعى فيروس المرموت يسبب التهاب الكبد في هذا الحيوان ، ويوجد تشابه كبير بينه وبين فيروس الكبد « ب » ولذا امكن نقل عدوى فيروس « د » الى هذا الحيوان لانه ثبت أن فيروس « د » يستعير انتجن السطح لفيروس المرموت ويتخذ منه غلافا له كما يفعل مع فيروس « ب » .

التهاب الكبد الحاد

لايوجد فرق من الناحية السريرية بين التهاب الكبد بفيروس « ب » او بالفيروسين « ب ، د » معا في نفس الوقت . فالعدوى الثنائية بالفيروسين لا تؤثر كثيرا في مسار أو نتيجة المرض وقد راى بعض الباحثين أن احتمال حدوث التهاب كبدي داهم قد تزداد في العدوى الثنائية ، كما قد تزداد أيضا نسبة حامل الفيروس « ب » المزمن . ولكن دارسين آخرين لم يؤيدوا ذلك بل قد ذهبوا الى أن العدوى بفيروس « د » في الحقيقة تقلل من حدوث التهاب الكبد المزمن بفيروس « ب » عندما يصاب الكبد بهما معا في نفس الوقت .

وهكذا فالدراسات الموجودة التي اجريت حتى الآن تدل على أن العدوى بفيروس « د » اذا ما تزامنت مع عدوى الكبد بفيروس « ب » لا تزيد من خطورة التهاب الكبد ، ففي طور الشفاء من التهاب الكبد بفيروس « ب » فإن الفيروس « ب » يتوقف تكاثره ثم يبدا بالاضمحلال وبما أن فيروس « د » يعتمد في تكاثره على وجود فيروس « ب » فان اختفاء الاخير من الدم يساعد على اختفاء الاول ولذا فالتهاب الكبد المزمن لا ينتج عن العدوى الثنائية .

التهاب الكبد الدالي الحاد

لقد أثبتت الدراسات أن التهاب الكبد الدالي الحاد في الأشخاص حاملي انتجن السطح لفيروس « ب » يمكن أن ينتج عنه التهاب كبد دالي مزمن او مستمر . اما مصير المصابين بالتهاب الكبد الفيروسي الحاد المتزامن بالفيروسين « د » و « ب » فهو الشفاء . وفي دراسة اجريت في ايطاليا عن تأثير عدوى فيروس « د » على حاملي انتجن السطح لفيروس « ب » وجد أن ٢٠٪ منهم اصيبوا بالتهاب كبدي غير ظاهر - دون السريرى - و ٥٠٪ منهم عانوا من التهاب حاد ظاهر اما ٣٠٪ منهم فاصيبوا بالتهاب كبدي مزمن وفي وباء هنود (يوكيا) الفنزويليين بلغت نسبة الوفيات ٢٣٪ من الحالات معظمها بسبب التهاب كبدي داهم ، بينما اصيب ١٥٪ منهم بالتهاب كبدي مزمن . ولم

يعرف حتى الآن فيما اذا كانت هناك عوامل اخرى أثرت في نتيجة هذا الوباء وساعدت على ارتفاع نسبة الوفاة والتهاب الكبد الداهم والمزمن مثل العوامل الوراثية وتدني الحالة الاقتصادية والاجتماعية وعدم وجود رعاية طبية بين الهنود القرويين .

التهاب الكبد الدالي الداهم

أصبح واضحا أن فيروس « د » يمكن أن يسبب التهاب كبد داهم في اشخاص حاملين لانتجن السطح لفيروس « ب » او مصابين بالتهاب الكبد « ب » المزمن . أما التهاب الكبد الحاد المتزامن بفيروس « ب » و « د » فغالبا لا يسبب التهاب كبد داهم ولكن في بعض الاحيان قد يفعل ذلك ويعزى هذا الى وجود عوامل وراثية او غيرها قد تزيد من خطورة العدوى الثنائية المتزامنة .

ان نسبة التهاب الكبد الداهم الناتجة عن عدوى فيروس « د » لمريض مصاب بالتهاب كبد « ب » المزمن نسبة مرتفعة قد تصل الى نسبة عالية تتراوح بين ١٥ ـ ٦٦٪

التهاب الكبد الدالي المزمن

إن التهاب الكبد الدالي المزمن المصاحب لالتهاب الكبد بفيروس « ب » موجود في مناطق جغرافية عديدة من العالم . وقد اكتشف هذا المرض أولا في ايطاليا ثم في أقطار أخرى . وقد وجدت نسبة العدوى بفيروس « د » في مرضى التهاب الكبد « ب » المزمن اكثر منها في التهاب الكبد « ب » الحاد ، ففي ايطاليا وجدت النسبة ٥٩٪ في الالتهاب المزمن و ٥٪ فقط في الحالات الحادة ، أما في الولايات المتحدة فإن نسبة العدوى بفيروس « د » كانت ٣٢٪ في الالتهاب المزمن و ٣٪ فقط في الالتهاب الحاد ، بينما بلغت النسبة في الكويت ٦٦٪ في الالتهاب المزمن و ١٣٪ في الالتهاب الحاد .

ان الفحص المجهري لعينة من التهاب كبد دالي مزمن تشبه الى حد كبير التهاب كبد مزمن بفيروس « ب » أو الفيروس غير المحدد (لا القباء) . والطريقة الوحيدة للتميز بينهما هي باستعمال الومض الشعاعي المجهري . وفي دراسة للدكتور ريزيتو على ١٠١ مريضاً بالتهاب الكبد الدالي المزمن وجد أن نسبة تليف الكبد بلغت ٥٧٪ بينما بلغت نسبة الوفاة ١٣٪ من جراء قصور الكبد والنزيف الحاد من دوالي المريء .

سرطان الكبد الأوليّ

ان سرطان الكبد الاولي هو من العقابيل المعروفة لالتهاب الكبد المزمن بفيروس « ب » وقد اجريت دراسات عديدة على مرضى سرطان الكبد لمعرفة مدى علاقة فيروس « د » بهذا السرطان،ففي سرطان الكبد في ايطاليا وجد فيروس « د » في خلايا الكبد في ٢٥٪ من الحالات ، بينما وجد فيروس « ب » في ٥٢٪ من الحالات . اما في لوس انجيلوس بامريكا فقد وجد فيروس « د » في ٢,٥٪ من حالات سرطان الكبد بينما وجد فيروس « ب » في ٣١,٥٪ فيها . وهكذا نجد انه لم يلاحظ أية علاقة خاصة بين العدوى بفيروس « د » وسرطان الكبد الناتج عن التهاب الكبد المزمن بفيروس « ب » .

لا يوجد علاج ناجح حتى الآن لحالات التهاب الكبد الدالي . فالمريض المصاب بهذا الالتهاب غالبا ما يشفي منها ونسبة الشفاء تبلغ ٨ ـ ٩٪ من الحالات بهذا اما النسبة الباقية (١٠ ـ ٢٠٪) من المرضي فيتحول الالتهاب الحاد الى التهاب كبدي مزمن او تليف الكبد . ان استعمال عقاقير كابتات المناعة مثل عقار الكورتزون ومشتقاته او منشطات المناعة مثل عقار ليفاميسول لم يغير من مسار المرض وعقابيله . وبما أن المرض لايصيب الا الاشخاص حاملي فيروس « ب » وان طرق العدوى بالفيروسين متشابهة ، فإن استعمال طرق الوقايه من العدوي بفيروس « ب » تساعد كثيرا على تقليل العدوي بفيروس « د » وذلك باستبعاد الدم ومشتقاته الذي ثبت تلوثه بفيروس « ب » او « د »وكذلك بتعقيم الحقن ومراعاة قواعد الصحة العامة والنظافة الشخصية ـ ومن الممكن ان يكون لقاح الفيروس « ب » مفيد في منع العدوى بفيروس « ب » فقد ثبت ان اعطاء لقاح بفيروس « ب » للأم الحامل وبها عدوى فيروس « ب » وفيروس « د » يمنع انتقال عدوى فيروس « ب » و « د » للطفل حديث الولادة . □

مكتبة العربي

كتاب الشهر



السياسة الخضراء

تأليف : فريتليوف كابرا ، شارلين سبرتناك

عرض وتعليق : جمـال وردة

« لسنا يسارا ولا يمينا ، نحن في المقدمة » شعار أطلقه « الخضر » ضمن أدبياتهم وأطروحاتهم . فمن هم هؤلاء القادمون الجدد ؟ هـل هم جماعة دينية إصلاحية جديدة ، أم جمعية فلسفية رومانسية للحالمين من عشاق الأرض والطبيعة ؟ أم حركة سياسية رافضة لقيم الفولاذ والحديد وأدبيات المحارق والنفايات النووية . ان حدائق الاسفلت والفولاذ لا تنتج البراعم الخضراء بالتأكيد فهل من درب أخضر جديد . . ؟

كتاب الشهر

في الثاني والعشرين من مارس عام ١٩٨٣ سار موكب مهيب من سبعة وعشرين شخصا ، بينهم الممرضة والموظف والجنرال المتقاعد ، وعامل البناء ومجموعة من المدرسات ، وطبيب بيطري وفني كمبيوتر وثلاثة مهندسين واستاذ زراعة جامعي وصاحب مكتبة ومحام واحد ، كلهم يسيرون عبر شوارع العاصمة الألمانية ، يتقدمهم رمز للكرة الأرضية ، وغصن ذابل أحضروه من الغابة السوداء حيث قتله التلوث . كان هذا الموكب وحوله مندوبو الحركات الانسانية العالمية يشق طريقه نحو البوندستاغ - مجلس البرلمان الالماني . ويتخذ المشاركون فيه مقاعدهم داخل هذا المبنى العريق ، كممثلين منتخبين عن أول حزب جديد في المانيا منذ أكثر من ثلاثين عاما . وقد أصر هؤلاء الضيوف الجدد على الجلوس في الوسط بين الحزب الديمقراطي المسيحي ، الذي جلس ممثلوه في الجانب الأيمن ، والحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي جلس ممثلوه في الجانب الأيسر - وقد أطلق هؤلاء القادمون على أنفسهم اسم « الخضر » .

لقد أعلن هذا الحزب بأنه مجرد تنظيم لا حزبي ، وبأنه الصوت المعبر عن الجماهير العريضة . وقد تقدموا باقتراحات جديدة ومتكاملة لكل الأزمات السياسية والاقتصادية والبيئية في بلدهم وفي العالم - لقد تكلموا عن الخواء الروحي للمجتمعات الصناعية ، وأثاروا من الأسئلة الصريحة والجادة ما أسكت الحكومة والأحزاب الأخرى ، ووضعها في مكان حرج أمام هذا الصوت الألماني الجديد والجريء .

انهم جدد في كل شيء ، في نشاطهم السلمي ، ونظرياتهم عن البيئة ، ومعارضتهم للأسلحة الذرية ، واتصالاتهم مع حركات التحرر الوطني في العالم الثالث . انهم جدد في تعابيرهم ولغتهم - فبينما كانت اللغة السياسية الحزبية منمقة ، يلفها الغموض البلاغي ، ويقوم الرجال بدور القيادة الحزبية وبلباسهم الرسمي والتقليدي أو بلباسهم العادي البسيط يظهر الخضر بقيادات جديدة أغلبها من النساء .

يعتبر الخضر أنفسهم الممثلين الحقيقيين الوحيدين لكافة الحركات الجماهيرية البيئية والسلمية والمتصلة بتحرر المرأة ونزع السلاح الذري . لهذا نجد أن العضو السياسي في هذا الحزب هو أيضا عضو نشط وفعال في احدى هذه الحركات المذكورة - ولهذا فلابد من وجود تباين فكري داخل هذا التنظيم الذي يمكن تقسيمه الى أجنحة أربعة - المثالي والبيئوي والسلمي واليساري الراديكالي . ولكنهم ينفون هذا التناقض التنظيري أو الفكري ويعتبرون ذلك مسألة أولويات فقط .

أربعة أجنحة

أما الجناح المثالي فإن جل اهتمامه ينصبّ على مبدأ التطور للمجتمع الجديد ، المرتكز على طرق التفكير المتفاعل مع الطبيعة بكافة ظواهرها . انهم يريدون من جماهيرهم أن يتجاوزوا بفكرهم عالم الماديات المسيطر على الفكر الأوروبي ، منذ أكثر من ثلاثمائة سنة . انهم يدعون الى أساليب فكرية جديدة أكثر عقلانية وأكثر جراة ، لفهم العلاقة الحميمة بين الطبيعة والأفراد والجماعات والبلدان ، وهم يفهمون الاقتصاد على أنه يغطي شيئا آخر غير الأمور المالية . ويطلق على هذا الجناح أيضا الجناح الأخلاقي أو العقائدي .

أما الجناح الثاني - البيئيون - فإنهم يركزون جهودهم مبدئيا وأساسا على كيفية حماية الطبيعة من النفايات والاشعاعات الذرية والتلوث الجوي واية مخاطر أخرى . وهم بالتالي يدعون الى استعمال مصادر تقنية جديدة للطاقة والصناعة ، وهذا الجناح محافظ وتقليدي . وعلى الرغم من دعوته الى التعبير السياسي الكبير في الحكومة ، فهو يصر على الاحتفاظ بالقيم التقليدية ، ويكثر تواجد هذه الفئة في المناطق الريفية .

وأصحاب الجناح الثالث هم اتباع حركة السلم ، وهم جماعات جاءت الى الحزب من الحركات الرافضة للصواريخ الذرية . وكانت أهم نشاطات هذه الجماعات المطالبة بوقف نقل صواريخ بيرشنغ ١١ ، وصواريخ كروز الى المانيا باعتبارها جزءا من النظام الدفاعي لحلف الناتو . وتتجاوز مطالب هذا الجناح الاقتراحات السابقة لتصل الى قضايا أخرى مثل الغاء الكتل السياسية العالمية ، ونزع السلاح العالمي ، والدفاع الاجتماعي ، والمجتمعات الدولية الحرة .

أما الجناح الرابع ـ فهو الجناح اليساري الراديكالي ومعظم أفراده جاءوا الى الحزب من جماعات ماركسية متعددة ، وهم الأكثر نفوذا وتأثيرا داخل الحزب ، على الرغم من قلة عددهم .

جيل بلا ماض شائن

من نظرة الى أعمار المنتسبين لهذا الحزب ، نجدها تتراوح بين العشرين والخامسة والأربعين ، وأغلبهم كان مولده بعد ١٥ عاما من الحرب العالمية الثانية ، حيث كان سقوط « رايخ الألف عام » سقوطا للقيم والأيديولوجيات الألمانية القديمة . وقد نشأ هذا الجيل الجديد حرا بعيدا عن عقد وذنوب أجداده ـ جيل بلا ماض شائن ـ جيل كل ما نعرف عنه أن آباءه قد ارتكبوا فيما مضى خطأ ما . وحين نشبت ثورة الشباب في الستينيات متحدية جيل المعجزة الاقتصادية ، أو جيل آبائهم ، ذلك الجيل الذي فقد السيطرة على أبنائه بسبب تاريخه النازي ، امتلأت سيكولوجيا هذا الجيل الثائر بمشاعر الكراهية والاستهجان والنقد لجيل الآباء لتعاونهم مع النظام النازي ، وقبولهم به .

انهم حساسون رافضون لكل تفسير جديد يحاول أن يفلسف ـ عقائديا أو أخلاقيا ـ بيئتهم الاجتماعية وتطورها . انهم يشعرون أن جيل آبائهم قد خانهم ، جيل سمح للرايخ الثالث أن يقوم ويسود . انهم الشباب الألماني الغاضب ، كما أطلق عليهم حينئذ .

وكمثيلاتها من ثورات الشباب في الستينيات التي قامت في أمريكا احتجاجا على الحرب الفيتنامية ، وفي فرنسا أيضا حيث استطاع الفكر الماركسي أن يقود هذه الحركات جميعا ، لو أنه كان أضعف كثيرا في التجربة الأمريكية ، ولكنه استطاع أن يستمر مسيطرا داخل الجماعات الألمانية . حتى منتصف السبعينيات ، حين تشرذم الى مجموعة من الحركات العديدة ـ ولكننا نستطيع القول أن العديد من هذه الروافد الغاضبة السابقة عادت من جديد لتصب في هذا النهر الأخضر .

ولدى محاولة التعرف على الشخصيات النافذة في مؤسسات الحزب في القرى والمدن الجامعية والضواحي ، يستطيع القارىء أن يجد تناقضا حادا بين هذا الحزب والأحزاب الغربية الأخرى والامريكية بوجه خاص ، ففي أميركا يشكل المحامون الصفوف النافذة في المناصب ، وفي ادارة الحزب ، بينما نجد في الحزب الأخضر قياديين من أناس عاديين ، كالمعلمين والباحثين الاجتماعيين والممرضات والقساوسة والكتاب والمترجمين ورجال الأعمال ، فاللجنة التنفيذية للحزب في مقاطعة « هيس » تضم طالبين جامعيين ومعلما ومستشارا تجاريا وعاملا تحت التدريب ، كذلك يضم مجلس مدينة فريبورغ « سيدتين من ربات البيوت ومهندسا معماريا وعالم اجتماع » أو نستطيع القول أن أكثر الفئات المهنية احترافا لعضوية الحزب هم المدرسون .

أعمدة الحكمة الأربعة

يقوم الفكر السياسي للخضر على مفهوم شامل بعيد المدى ويرتكز على أربعة أعمدة من الحكمة والمبادىء .

أولا : البيئة ، وهو مفهوم فكري يتجاوز في معناه حماية واصلاح الأمر الواقع ، فهو يرتكز ويعمق على دراسة العمليات المتبادلة والتفاعلات وتطبيقها بالتالي على العلاقات المباشرة بين الانسان والطبيعة ، وينطبق هذا على الاقتصاد والبناء والنظام التعليمي والثقافة الروحية بشكل عام . وهم يدعون الى انتاج طاقة بديلة من الشمس والماء والرياح والأنهار ، كما يدعون الى تطور تقني نظيف يعكس العلاقة التوافقية مع الأرض . كذلك يطالبون بطرق جديدة للزراعة ، وتوقف نهب هذه الخيرات بطريقة مدمرة للتوازن الطبيعي ، حيث النفايات والاشعاعات

والتلوث الجوي .

ثانيا : المسئولية الاجتماعية ، وهو مفهوم سياسي يعني العدالة الاجتماعية ، وحماية الطبقة العاملة والفقيرة من سيطرة المجتمع الاستهلاكي .

ويرتكز مفهوم الخضر لهذا المبدأ حاليا على المطالبة بتشريعات جديدة ، تصون الحقوق المدنية للمرأة والاقليات التي تعمل وتعيش في المانيا .

ثالثا : ديمقراطية القاعدة ، ويعني هذا الاصطلاح الديمقراطية المباشرة واللامركزية والحكم الذاتي للمحليات والمجالس الشعبية والقروية ، وهو دعوة لكافة الأفراد للوصول الى أعلى المناصب الرسمية ، بل يجب أن يكون هناك نظام دوري للانتخابات المحلية كل عامين لاتاحة الفرصة للجميع ، وللتعبير القيادي المستمر . ان مركزية السلطة في نظرهم تعني الخطر والشرور ، حيث التنافس الاقتصادي والاستغلال البشع والحروب ، ولذلك فهم يدعون الى ديمقراطية الوحدات السكنية الصغيرة ، لخلق عالم جديد آمن بعيد عن شرور الحرب .

رابعا : اللاعنف ، وهذا يعني وقف كافة أساليب العنف الشخصية والعامة ، وهو العنف ، أو الاضطهاد المفروض من الدولة ومؤسساتها . ولهذا فهم يدعون بقوة الى مفهوم حق تقرير المصير للأفراد والجماعات معا ، ويطالبون بادخال مادة التعايش السلمي في المناهج المدرسية ، وبوقف العنف ضد الأطفال والنساء والأقليات ، وهم كذلك يريدون تغيير علاقتنا مع الطبيعة الى نوع من التوازن والاحترام .

وقود المحرقة القادمة

وهم أحيانا يذهبون الى أبعد من ذلك في تبريراتهم الفلسفية ، فيقولون ان المعنى الأخلاقي الوحيد لوجود القوى العسكرية هو أن تحمي وتدافع عن شيء تحبه ، ولكن هذا المعنى المذكور أصبح لا وجود له في عصرنا النووي . فليس هناك شيء ما تستطيع أن تحميه الآن ، فالخدمة العسكرية في مثل هذه الظروف تصبح عملا غير مشرف ، بل تعتبر اجراء تهديديا للآخرين ، وان ترك الخدمة العسكرية أصبح الآن قرارا أخلاقيا وعقلانيا أيضا .

فان تعيش في بلد كألمانيا بملايينها الستين ومساحتها التي لا تتجاوز مساحة ولاية أوريجون الاميركية ، وتحت مظلة ذرية ، حيث يحلق فوق رأسك أكثر من ٥٠٠٠ رأس نووي ، بالاضافة الى الجيوش الأمريكية والبريطانية والفرنسية والهولندية والبلجيكية والكندية ، أن تعيش في هذه الترسانة العسكرية المرعبة ، يعني حتما أن تكون وقود المحرقة النووية القادمة . ان المانيا هي الهدف العسكري للصواريخ السوفيتية والفرنسية والأمريكية معا .

ان الخروج من تحت الجلد يعني البحث عن طريق جديد للسلام ، فالسلام هو النجاة ، والشعب الألماني يكاد أن يكون الشعب الوحيد في العالم الذي يعاني بالفعل من التوتر بين القوتين العظميين ، لذلك فالسلام يعني الكثير في سياسة الخضر ، فهذا الحزب الوحيد الذي لا يتعاطف مع فكرة توحيد المانيا ، بل يعتبر ذلك من المخاطر التي يجب تجنبها ، ففلسفته تدعو الى قيام الدويلات الصغيرة أو الاقليات ، وهم ينظرون الى الدولة القومية الكبيرة على أساس أنها تمثل العرقية والشوفينية والتعصب ، وهم يدعون الى حظر الأسلحة النووية ، والى تقليص عدد المجندين ، والانسحاب من حلف الناتو على المستوى المحلي ، أما عالميا فهم ضد سياسة الردع النووي ، ويطالبون بحل حلفي وارسو والناتو ، ويعارضون تجارة السلاح ، ويدعمون حركات التحرر الوطني في العالم الثالث .

انهم يمدون يد العون والمساندة للدول النامية ، وكذلك يطالبون باقامة محكمة دولية تكون صلاحيتها محاكمة السياسيين والعلماء والعسكريين ، الذين يعملون أو يطورون أسلحة قد تؤدي الى دمار وهلاك البشرية .

قد تكون الحرب الذرية هي التهديد الأكبر للانسانية اليوم ، ولكن الأزمات الاقتصادية تظل هاجس الشعوب اليومي . قد نغض الطرف عن تلك

المخاوف النووية من حين لآخر ، ولكن يبقى ارتفاع مستوى المعيشة والبطالة والافلاس الاقتصادي ، هي الملامح الضاغطة التي تؤثر على حياتنا جميعا بطريقة أو بأخرى ، ولهذا تبقى شعبية الحكومات والدول والأحزاب رهن نجاحها في المضمار الاقتصادي .

ان المفهوم الاقتصادي عند الخضر هو في البداية رفض قاطع للمدارس الاقتصادية القديمة . فهم يطالبون بتقنية ذات وجه انساني ، ولا مركزية في الحكومة والتجارة في كافة المؤسسات الاجتماعية ، ومن أجل اعادة التوازن البيئي فلا بد من اعادة توزيع الثروة ، خصوصا بين البلدان الصناعية والعالم الثالث . ويبقى تحقيق هذا التوازن مستحيلا طالما ظل ٥٪ من السكان يستهلكون ثلث طاقته الانتاجية . انهم ضد أي نمو اقتصادي يؤدي الى هدر واستغلال الطبيعة ويكون هدفه الربح فقط وليس تلبية حاجات الانسان . انهم مع توفير فرص العمل للجميع ، حتى لو أدى ذلك الى تقليص ساعات العمل لاتاحة الفرصة للآخرين العاطلين . ولكنهم رغم هذه الجمالية والشفافية للمبادىء ، مع الملكية الخاصة وضد الملكية العامة للوسائل الانتاجية ، وضد التأميمات ، لأنهم يرون في ذلك مزيدا من المركزية ، وجل اهتمامهم أن يبقى منع الاستغلال البشري والبيئي قائماً .

الشعر والاقتصاد

ان نظرة تحليلية لمفهومهم الاقتصادي تظهر بوضوح أن أفكارهم في الحقيقة أقرب الى الأدبيات والأخلاقيات الاقتصادية ، أكثر منها علما اقتصاديا .

فهم ينظرون ويفسرون بروحانية غربية ، وبشفافية شعرية متناسين غافلين أن الاقتصاد علم شائك وليس لوحة زيتية وسيمفونية حالمة

هم ضد الملكية العامة ، لأن المركزية لديهم تعني السلطة ، والسلطة تعني القهر والاستغلال ثم التنافس،فالحروب التي يكون العمال أنفسهم وقودها وضحاياها باعتبارهم الأيدي المنتجة . وهم يطالبون بتفتيت الملكية خوفا من تعاظمها وتحكمها ، متناسين أن الملكية الفردية لم تعد فردية حتى في أغنى الدول الرأسمالية ـ ففي أميركا مثلا وهي المثل الحقيقي لانتصار الملكية الفردية في العالم نجد أن البيوت والمؤسسات والهيئات المالية والرساميل هي التي تتحكم ، ليس في أميركا فقط ، بل في العالم ، وهكذا نجد أنه مع الملكية الفردية المزعومة أصبح الاستغلال عالميا وليس فرديا فحسب .

صحيح أنهم يطالبون باقتصاد وانتاجية لا يكون الربح غايتها ، ولا تشكل أي استغلال أو اخلال في التوازن البشري البيئي ، ولكن أين يمكن أن نجد هؤلاء الرأسماليين الأنبياء ؟؟

لا مكان لهم للأسف حتى في مدينة أفلاطون الفاضلة نفسها !!

انهم يخلطون دائماً بين الوعظ الديني والفكر السياسي الاقتصادي ، ولكن يبقى في اعتقادنا أن هناك فرقاً قاتلاً بين النظرة التحليلية العلمية للأمور وبين الدعوات الصالحات . قد تكون الأخلاقيات حافزاً تنويرياً للتخطيط ولكن يقيناً هي ليست الخطة كلها . فالجشع البشري تاريخياً لم توقفه الرحمة أو التوبة ، بل أوقفته ثورات المطحونين ـ أيادي الانتاج الحقيقية .

لقد طرح الحزب العديد من القضايا ضمن برنامجه الفدرالي ، وبمفاهيم جذرية .. فالرؤيا الجديدة لمجتمع بيئي جديد يخلو من الاستغلال يتطلب بالضرورة رؤيا جديدة من المفاهيم أيضاً . ولكن إصرارهم على حق تقرير المصير الشخصي مع الحفاظ على أشكال الحياة الطبيعية قد يقودهم الى مأزق عقائدي لا يجدون له جواباً في الوقت الحاضر .

انهم يركزون فلسفياً على كيفية التوفيق بين النمو الحر للانسان ، وبين القانون الطبيعي للمشاركة الجماعية ، ثم كيفية استخلاص القيم المشتركة منهما .

إن اقامة مجتمع سلمي حر غير مستقل يتطلب القفز فوق القيم السلطوية المعاصرة ، وبما أن المرأة هي الأكثر معاناة واستغلالاً فقد فتح الحزب ملف المرأة على مصراعيه ، بدءاً بحرية التعليم وحق العمل ومساواة الأجر ، وانتهاء بقضية الحمل وحق الاجهاض .

وهناك قضية أخرى يطرحها الحزب بجرأة وهي قضية العلم والتقنية والمجتمع ، فهم يطالبون بالرقابة

الشعبية والتحكم بالصناعات التقنية الحديثة - فهم ضد الصناعات الكيماوية الهامة ، حيث صناعة المبيدات والأدوية ذات المضاعفات الخطرة على الانسان والطبيعة نفسها . وهم أيضاً ضد بنوك المعلومات ذات التخزين الألكتروني ، لأن ذلك في رأيهم انتهاك صريح لحرية الانسان وخصوصياته ، وقد استطاعوا بالفعل اسقاط مشروع حكومي بخصوص البطاقة الشخصية الألكترونية ، حتى أنهم استطاعوا وقف مشروع للاحصاء في ألمانيا خشية أن تقع هذه المعلومات الشخصية في أيد غير أمينة ، أو بعبارة أكثر صراحة خشية أن تستفيد منها أجهزة الأمن ، وتصبح بذلك هذه المعلومات الخاصة جداً سيفاً مسلطاً على رقاب الناس . ان ذلك - برأيهم - انتهاك صريح لخصوصية الانسان ، فمن يضمن عدم استغلالها من قبل جهات ضاغطة كثيرة ، وهم أيضا يقفون بحزم ضد التصنيع الغذائي ذي الخصوبة الأحادية غير المتكررة . . ، انهم مع التقنية النظيفة التي تسعى الى الخدمة العلمية لمستقبل البشرية والطبيعة .

وبالنسبة لقضية التعليم ، يطالب الخضر بثورة جديدة في المناهج تضمن اعادة الوعي الجماعي المدرك للقضايا الاجتماعية الجديدة ، والى اطلاق المهارات الطلابية ، وتعليم السلوك السلمي لحل القضايا ، وزرع المفاهيم التعاونية ، وحب الناس كما يدعون الى نشر تعليم الكمبيوتر حتى للمراحل الابتدائية ، حتى لا يكون هذا العلم حكراً على فئة قليلة ، وكذلك خشية خلق طبقة تكنوقراطية جديدة تحتكر كل شيء .

كما يركز البرنامج التعليمي على تحسين أوضاع بعض الفئات مثل الأطفال وكبار السن والمعوقين والمنحرفين والعمال الأجانب . وقد تبنى الحزب قضية العمال الأجانب ، وهم حوالي أربعة ملايين من الأتراك واليوغسلاف والايطاليين والأسبان واليونانيين . فهم ضد تصاريح العمل المؤقتة والاقامة المحدودة ، مذكرين أن من حق هؤلاء العمال الذين ساهموا في بناء الاقتصاد الألماني ، وبعد مرور خمس سنوات على اقامتهم ، أن ينالوا حق الانتخاب . كذلك من حق أبنائهم أن يعيشوا وفق تقاليدهم وليس كغرباء ، بل كمواطنين أحرار ، وهم مع حرية الصحافة ووقف الدعايات التجارية في التلفاز ، حتى يكون هذا الجهاز الهام بعيداً عن كل الضغوطات والمؤثرات الخارجية .

من الأخضر الى الأحمر :

بعد عام تقريباً ، وبالتحديد في مارس ١٩٨٧ ، سيخوض الخضر تجربتهم الانتخابية الثانية ، وبالتالي سيتحدد مصير هذه الحركة التي شغلت وشاغلت الاعلام الدولي طوال السنوات الثلاث الماضية . وهناك طرفة يرويها نقاد الحزب ومعارضوه بأن الطماطم تبدأ خضراء ولكنها تكتسب في النهاية اللون الأحمر - إشارة الى تحول الحزب مستقبلا الى الفكر اليساري الثوري ، وهذه النبوءة يقول بها أيضاً هوسلاتير أحد قادة الحزب الذي يؤكد بأن حزب الخضر سيكون حزب الأغلبية عام ١٩٩٦ ، ولكنه سيكون وقتها ثلاثة أحزاب لا حزباً واحداً : - يساريين ، وليبراليين ، ومحافظين .

وتقييماً للتجربة السابقة نستطيع القول بأن الخضر قد غيروا الكثير من المفاهيم السياسية ، ولم تعد السياسة فعلاً « ذكورياً » وحكراً على الرجال .

لقد أضاف الخضر نكهة جديدة للسلوكيات السياسية ، وأدخلوا ما يسمى بالسياسة العملية أو التجريبية ، وصاغوا أفكارا جديدة في معنى الزعامة والمنصب القيادي والتنظيم الجماعي .

لقد خلطوا الجد بالفرح ، والبهجة بالرزانة ، والعلم بالأخلاق ، أو ما يمكنك تسميته بالأدبيات الخضراء للعمل السياسي . □



حياة محمد

لمحمد حسين هيكل

مراجعة : فاروق خورشيد

منذ نصف قرن صدر كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ملقيا الضوء على سيرة الرسول الكريم مناقشا للكثير من الآراء حول هذه السيرة ومفندا آراء بعض المستشرقين المتحاملين على الرسول (ص) .

وهذه مراجعة للكتاب الذي احدث ضجة منذ صدوره قبل ٥٠ عاماً ومايزال .

يهدي الدكتور هيكل كتابه (الى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحده) ، فتكون هذه العبارة هي مفتاح العمل كله ، فالكتاب ليس مجرد محاولة لرصد سيرة الرسول الانسان محمد عليه السلام ، وانما هو بالدرجة الأولى محاولة للبحث عن الحق والحق وحده في فهم شخصية محمد الرسول الانسان ، وفي فهم الرسول فهم للرسالة ، وفي فهم الانسان فهم للزعامة .. فالكتاب اذن يتقدم الى موضوعه وهو يحدد لنفسه رسالة يريد أن يحققها ، فقد هال الكاتب كم الاكاذيب التي تهجم بها المستشرقون وأصحاب الدّس من أبناء الكنيسة الذين تعصبوا ضد الاسلام فركزوا هجومهم على شخص الرسول . ويورد هيكل فقرة من موسوعة « لاروس » الفرنسية جاءت خلال عرض آراء المسيحية عن محمد الى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، تقول هذه الفقرة (بقي محمد على ذلك ساحرا ممعنا في فساد الخلق كردينالا لم ينجح في الوصول الى كرسي البابوية ، فاخترع دينا لينتقم من زملائه) .. ويعقب هيكل على مثل هذه الفقرة

وعلى موقف المستشرقين المتجني قائلا : (أرأيت الحضيض الذي هوت اليه هذه الطائفة من كتّاب الغرب ؟ أرأيت اصرارهم مع توالي القرون ، على الضلالة وعلى اثارة العداوة والبغضاء بين ابناء الانسانية) والدكتور هيكل لاينكر فضل الجادّين من المستشرقين ممّن أنصفوا الرسالة والرسول ، ويقول (وقد يخفف من أثر هذا الضلال قيام أولئك المتصفين الى حد ما . . . ومنهم من يقر بصدق ايمان محمد بالرسالة التي عهد الله إليه بتبليغها عن طريق الوحي ، ومنهم من يشيد بعظمة محمد الروحية وبسمو خلقه ورفعة نفسه وجم فضله ، ومن يصور ذلك في أقوى اسلوب واتمه وأروعه . .) ، والمسألة عنده ليست مجرد مسالة تعصب ديني وانما المسألة عنده ترجع الى سببين رئيسيين : الاول هو جهل الغرب بحقيقة الاسلام ، والسبب الآخر هو مجافاة طبيعة الغرب لدعوة الاسلام الى التناسق الروحي ، وهو نفس الموقف الذي جعله اذ (قضت الظروف التاريخية عليه بأن يدين بالمسيحية فلا مفر له من أن يسبغ عليها ثوب الكفاح ، وأن يخرجها بذلك عن طبيعتها السمحة الجميلة ، وأن يفسد فيها هذا التناسق الروحي الذي جعل منها حلقة في سلسلة الوحدة التي أتمها الاسلام) . . وحين أحس الغرب اليوم بضياعه الروحي راح يتلمس المدد الروحي في المذاهب الروحية الهندية دون أن يحاولوا العودة الى روح المسيحية نفسها (ان لم يهدهم الله الى الاسلام)

. . واذا كان هذان السببان مباشرين ، ويتعلقان بالغرب وموقفه وطبيعة شعوبه ، فإن هناك سببا ثالثا رئيسيا وان كان يتعلق برجال الاسلام ، وما أصاب الشعوب الاسلامية من المتخلفين الذين تصدوا للاسلام ولسيرة رسوله في عصور انحطاط الفكر مما أعطى المستشرقين وأهل الغرب من خصوم الاسلام من الأسلحة ما أباح لهم أن يحملوا الاسلام نفسه وزر انحطاط الشعوب التي آمنت به . . ويقول الدكتور هيكل (على أن لهؤلاء الذين يحملون على الشعوب الاسلامية من العذر ان أضيف الى دين الله شيء كثير لايرضاه الله ورسوله ، واعتبر من صلب الدين ، ورمي من ينكره بالزندقة) .

التعصب الديني والاستعمار

ويضرب الدكتور هيكل لهذا مثلا محددا هو اضافة هؤلاء الى سيرة الرسول (ما لايصدقه العقل ولا حاجة اليه في ثبوت الرسالة) ، فهذا الذي أضيف (اعتمد عليه المستشرقون واعتمد عليه الطاعنون على الاسلام ونبيه وعلى الامم الاسلامية ، واتخذوه تكأتهم في مطاعنهم المثيرة ضد كل مصنف) . وقد حاول بعض علماء المسلمين التصدي لهذه المطاعن والتصدي أيضا لمن استغلوها ، الا أن هذا التصدي افتقد الطريقة العلمية في الرد على علماء الغرب ، وفي نفس الوقت فإن (هؤلاء العلماء المسلمين ، والشيخ محمد عبده في مقدمتهم ، قد اتهموا بالالحاد والكفر والزندقة ، فأضعف ذلك من حجتهم أمام خصوم الاسلام ، ولقد كان اتهامهم هذا عميق الاثر في نفوس شباب المسلمين المتعلمين) .

(شعر هؤلاء الشباب بأن الزندقة تعني حكم العقل ونظام المنطق في نظر جماعة من علماء المسلمين ، وان الالحاد عندهم قرين الاجتهاد ، كما أن الايمان قرين الجمود ، لذلك جزعت نفوسهم وانصرفوا يقرءون كتب الغرب يتلمسون فيها الحقيقة ، اقتناعا منهم بأنهم لن يجدوها في كتب المسلمين) . .

فالمسألة ليست مسالة تعصب ديني ، وانما هي في الغالب الاعم وطبقا لكل هذه الاسباب التي ساقها في تضاعيف حديثه ، مسألة الاستعمار الغربي المسلط على هذه المنطقة ذات الثروات وذات التاريخ ، فهو يريد أن يسلبها قدرتها الروحية بهزيمتها في عقيدتها ودينها وشخصية الرسول الممثل لهذه العقيدة وهذا الدين ، فهو يؤيد هذه الهجمات الغبية والجاهلة المغرضة على الاسلام والرسول ، ويرسل في نفس الوقت بعثاته التبشيرية الى المناطق الاسلامية تريد أن تفتن الناس عن دينهم وتوجههم العقائدي والروحي . وهو في ذات الوقت يشجع على عملية تدمير الاسلام في نفوس المسلمين من الداخل ، أي بأيدي المسلمين أنفسهم ليحولوه الى شيء جامد لايقدم جديدا لانسان العصر ، ويقول الدكتور هيكل : (وهذا الاستعمار يؤيد كذلك دعاة الجمود من المسلمين ، وكذلك تضافر عمل الاستعمار على تأييد مادسّ على الاسلام مما يبرأ الاسلام منه ، وعلى

سيرة الرسول من خرافات لايسيغها العقل ولا يقبلها الذوق ، وعلى تأييد الطاعنين على الاسلام وعلى محمد بما دسّ على الاسلام وعلى سيرة الرسول) . .

من هنا كان هذا الكتاب محاولة لتقديم سيرة الرسول تقديما جديدا يقوم أساسا على اتباع المنهج العلمي ، ويحاول أن يحقق سيرة واضحة الدلالة بالغة العمق ، تكشف في حياة محمد ما هو هدى للانسانية المنطلقة الى الهدى ، وما هو مثال للمسلمين المتطلعين الى المثال والقدوة ، وما هو تاريخ حقيقي بريء من الهوى ، منقى من ادعاءات اصحاب الخرافات

صعاب جمة

وأمام تحقيق هذا الهدف صعاب جمة لعل أولها موقف أصحاب الجمود وانصار الخرافات ، وقد تخطى الدكتور هيكل هذه الصعوبة الأولى بما حظي من تأييد رجال الدين من أصحاب العلم والفضل والنظر الحقيقي الصادق للرسالة والرسول . . ولعل ثاني هذه الصعوبات هو المراجع ، فكل كتب السيرة امتلأت بالدس والاختراع ، وأصبح الاعتماد عليها لابد أن يشوبه الخطر ، ولا بد للباحث أن يكون رائده التمحيص العلمي والنظر الفاحص الدقيق . وقد ساعد الدكتور هيكل على تخطي هذه الصعوبة اهتداؤه الى ضرورة الاعتماد الاساسي على القرآن الكريم ، ويقول الدكتور هيكل : (ولقد تبينت أن أصدق مرجع للسيرة انما هو القرآن الكريم ، فإن فيه اشارة الى كل حادث من حياة النبي العربي يتخذها الباحث منارا يهتدى به في بحثه ، ويمحص على ضيائها ما ورد في كتب السنة ، وما جاء في كتب السيرة المختلفة) . . وتبرز الصعوبة الثالثة في هذا الركام من الأكاذيب والزيف الذي الصقه المستشرقون بالرسول وحياته ودينه ، ومن هناكان لابد خلال الكتاب من الوقوف عند القضايا الرئيسية التي وجد فيها المستشرقون مجالا للطعن ، لمعرفة حقيقتها ، وتجلية وجه الصدق فيها ،واسقاط التوجيهات الكاذبة التي وجه اليها المستشرقون الاحداث ، وابطال ما اعتمدوا عليه من مدسوسات أدخلت الى السيرة في عصور الانحطاط ، وألصقت بالسيرة لهوى في نفوس أصحاب الدس والوقيعة ، أو الجمود والايمان بالخرافات . .

هذه الصعوبات كلها واجهها هيكل بشجاعة وباصرار ، شجاعة الأديب والفنان ، واصرار الباحث المدقق الذي درس القانون والفلسفة والمنطق ، والذي غاص في أعماق التراث قراءة واستمتاعا ، والذي طوف بالثقافة الغربية في نهم وشغف ، والذي حاول القصة المعاصرة فكان رائدها الأول ، وكتب في القانون والسياسة والرحلات والخواطر. ثم هاهو يقدم عصارة هذا كله في هذا الكتاب الذي هو استلهام لأعرق ما في الماضي العربي الاسلامي من قيم ومعانٍ ، واستعانة بأحدث ما وصل اليه المنهج الغربي من قواعد علمية ، وارتباطا بموضوعه ارتباط الفنان المبدع المستشرف للغد ، والذي يريد أن يثري هذا الغد من واقع حاضر التحم فيه التراث مع المعاصرة الايجابية ، والرؤية الواضحة في واعية الدكتور هيكل تمثل هذا كله حين يلخص جهده في الكتاب قائلا : (لست مع ذلك أحسب أني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمد . بل لعلي أكون أدنى الى الحق اذ ذكرت أني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة ، وقد تأخذ القارىء الدهشة اذ ذكرت ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوى ، فهذه الطريقة العلمية تقتضيك اذا أردت بحثا أن تمحو من نفسك كل رأي وكل عقيدة سابقة فى هذا البحث،وان تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم الاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية . فاذا وصلت الى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمي تسرب الخطأ الى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت اليه الانسانية في سبيل تحرير الفكر ، وها هي ذي مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته . .) هذه الرؤية التي يلتحم فيها في عطاء تراثي متجدد ، رؤية يؤمن بها الكاتب أشد الايمان ، وتدخل في اعتقاده الفكري ، وعقيدته الوجدانية كمسلمة رئيسية ، يقيم عليها منهجه الجديد الذي هو مع جدته عطاء موروث قديم ، والذي هو التحام بين موروث تعلمناه من محمد عليه السلام ، به شهدت حياته ، وبه جاءت رسالة هو مؤديها ، وبين علم معاصر توصل إليه العقل الانساني بعد العناء والجهد

والممارسة ليقيم عليها وجوده العلمي الفكري ، ويرضى بها مقياسا لما يقبل ومالا يقبل من حقائق

مناقشة طريفة

وفي المقدمة القيمة التي كتبها للكاتب الشيخ محمد مصطفى المراغي ، شيخ الأزهر في عهد صدور الكتاب ، وأحد أعلام الفكر الاسلامي المعاصر البارزين مناقشة طريفة لهذه المقولة التي قررها الدكتور هيكل ، فيؤكد ان هذه الطريقة هي طريقة القرآن (فقد جعل العقل حكما والبرهان أساس العلم ، وعاب التقليد وذم المقلدين ، وأنب من يتبع الظن . . ولكنه لايسلم مع الدكتور هيكل بأن هذه الطريقة حديثة ، فهي طريقة علماءسلف المسلمين ومنهم الامام الغزالي الذي قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الأراء ، ثم فكر وقدر ، ورتب ووازن ، وقرب وباعد ، وعرض الأدلة وهذبها وحللها ، ثم اهتدى بعد ذلك الى أن الاسلام حق والى ما اهتدى اليه من الأراء) . وكذلك الأمر مع علماء الكلام من المسلمين ويقول الشيخ المراغي : (ولكن هذه الطريقة القديمة بعد أن نسيت في التطبيق العلمي والعملي في الشرق ، وبعد أن فشا التقليد وأهدر العقل ، وبعد أن أبرزها الغربيون في ثوب ناصع وأفادوا منها في العلم والعمل ، رجعنا نأخذها عنهم ونراها طريقة في العلم جديدة) . . ورغم هذا الجدل فنحن نحس أن الشيخ المراغي لايبتعد كثيرا عن تأييد منهج الدكتور هيكل ، وعن الاشادة بأهميته للعلاج المعاصر للسيرة النبوية ، وهو العلاج الذي أثمر هذا الكتاب القيم الذي وجد من الضروري أن يقدم لنفسه بمناقشة قضية مهمة كانت موضع اسفاف من المستشرقين ، وهي « قضية القرآن » وفرية تحريف آياته ، والتشكيك في صحة تحريره في عهد النبي ، وجمعه في عهد عثمان . ليخرج بالتدليل العلمي والمناقشة المنطقية الى حقيقة دقة مصحف عثمان وكماله ، فاذا ما أفرغ من تأكيد صحة المصدر الأساسي الذي سيعتمد عليه في بحثه ، اضطر الى مقدمة أخرى تناقش فرية تتعلق بالرسول نفسه ، وهي أن الرسول كان يصاب بالصرع فيكون ما يتلوه على الناس ليس من وحي الله وانما هو أثر لنوبات الصرع . . وبالمنهج العلمي وبما أتاحه العلم من معرفة بالنفس يناقش الدكتور هيكل هذه القضية مناقشة نصية بما ورد في كتب السيرة عن هذه الحالة ، ومناقشة علمية موضوعية على أساس من علم النفس الحديث ، ليخرج بأن الذين طعنوا في الرسول انما لجأوا لهذا لأنهم عجزوا عن الطعن في الرسالة نفسها ، ويعيد هذا المطعن الى ما حاوله الكفار من رمي الرسول بالسحر والجنون والكهانة ، فالحاقدون على الاسلام يستعينون بنفس الأدوات التي استعان بها الكفار من قبل ، والتي تولى الرد عليهم فيها القرآن الكريم لينفي عن الرسول كل ما اتهموه به ، وليحرر الوحي من كل مظنة تبعده عن مصدره النوراني

كتب التفسير

ويناقش الدكتور هيكل كتب التفسير في اطار عصر كتابتها ، كما يناقش كتب الاحاديث في اطار ما أحاط بجمعها وتصنيفها من ظروف ، إذ تأخر هذا الجمع الى عهد المأمون الذي دونت فيه كتب الأحاديث الأولى بعد قرنين من وفاة الرسول (وقد اذيع من الاحاديث الموضوعة عشرات الألوف ومئاتها ، وكان بينها من التضارب ، وفيها من التهافت ما لايخطر ببال) ، كما تم هذا الجمع والتدوين في ظل المأمون (وما كان لهم ولا لغيرهم أن ينازعوا الخليفة في آرائه مخافة ما يحل بهم) . . وبهذا يشير الدكتور هيكل الى قضية رئيسية ومهمة في موقف العلماء المسلمين من دينهم ورسولهم ، تلك هي قضية ضغط أصحاب السياسة الملتبسة بالدين على هؤلاء العلماء وعلى أفكارهم ، وتأثير هذا الضغط على نقاء الحقيقة ، ونقاء ضمائر هؤلاء العلماء من كل مؤثر الا معنى العلم ومعنى الحقيقة ، ان تصور الخلفاء منذ العصر العباسي انهم خلفاء الله على الأرض لا خلفاء رسول الله في قيادة المسلمين ، جعلهم يتصورون أن الحقيقة تتجسد فيهم ، ولم يكونوا بطبيعة توارث الملك فيهم مؤهلين لأن يتصدوا للفتيا وإصدار الأحكام المتعلقة بالدين والعقيدة ، وقد أثر طغيانهم في وضع الكثير من الأحاديث التي تؤيد وجهة نظرهم ، بل لقد تسللت أشياء كثيرة الى سيرة الرسول تمهد لاثبات ما يريدون إثباته من أحقية لهم في ميراث الرسول ، أو في حق الحاكم المطلق على آراء الناس ومعتقداتهم ، بل وآراء

العلماء واجتهاداتهم ، والدكتور هيكل يذكرهم ويذكرنا جميعاً بالمقياس الدقيق الذي يحمي السيرة من العبث (هذا المقياس الذي روي عن النبي ﷺ من وجوب عرض مايروى عنه على القرآن ، فما وافق القرآن فمن الرسول ، وما خالفه فليس منه) . . ويقول : (ولو أن هذا المقياس طبق بما يجب من دقة لتغير بعض ما كتب هؤلاء الاعلام ، فالنقد العلمي على الطريقة الحديثة لا يختلف عن هذا المقياس في شيء ، لكن أحوال العصر اقتضت هؤلاء الاعلام أن يطبقوا هذا المقياس على طائفة مما كتبوا ثم لا يطبقونه على طائفة أخرى) .

عود على بدء

الدكتور هيكل يقدم لنا هذا الجهد العلمي الفائق ليكون نبراسه الدائم في ابراز صورة محمد ﷺ ، وصورة الرسالة التي جاء بها محمد الى البشر كافة ، دقة البحث والتمحيص في كل جزئية من جزئيات السيرة ، تلك الدقة التي تقتضي التقصّي العلمي الكامل لكل ما يحيط بهذه الجزئية ، ثم عرض هذه الجزئية على القرآن الكريم ، وعرضها على العقل ، ولن تختلف نتيجة العرض في الحالين ، ومن هنا كان اهتمامه بابراز حقيقة الأوضاع في بلاد العرب قبل الاسلام ، وما كان يدور بها من قلق حضاري وقلق عقائدي على السواء ، وما كان يدور بها من صراع بين المسيحية واليهودية والوثنية ، كصدى لصراع العرب والفرس والروم حول طرق التجارة العالمية وتأمينها ، ويسوقه هذا الحديث عن مكة ومكانها من بلاد العرب ، وعن قريش ومكانها من مكة ، ثم عن بني هاشم من قريش ، وأخيراً عن محمد قبل البعثة من بني هاشم وقريش والكعبة جميعاً .

وهو في هذا كله يمحص كل موقف ويرده الى أسبابه ومواقعه ، ويناقش كل حكاية أو خبر تمحيصاً علمياً دقيقاً فيرد ما يجافي العقل والمنطق ومالا حاجة للرسالة والرسول به ، ويثبت ما يتلاءم مع العقل والمنطق والذي هو أساسي في سياق الحديث عن الرسول والرسالة ، وهو يتبع نفس المنهج في حديثه عن الرسول وأحداث حياته من البعثة وحتى وفاة خاتم المرسلين ، ثم يقدم لنا مبحثين في ختام الكتاب أحس بضرورة الوقوف عندهما بعد جلاء الحقيقة في صورة الرسول والرسالة ، المبحث الأول عن الحضارة الاسلامية كما صورها القرآن ، فالاسلام ليس دين عبادات وحسب ، وانما هو دين حضارة الانسان ، اذ تتابعت الرسالات السماوية على الناس تهديهم وتقربهم من المعنى الحضاري ، فاذا ما اكتملت عقولهم واستعدت أفهامهم جاءت هذه الرسالة خاتمة الرسالات السماوية لتضعهم على طريق البناء الحضاري الذي يكفل للانسان في كل عصر يليها أن يكون بناؤه مستمراً ، وأن يكون تقدمه مطرداً ، وأن يقترب خطوة من الفعل الحضاري المتكامل ، فيؤكد الاسلام معنى المساواة ومعنى الحرية في اطار من الأخوة الاسلامية والانسانية المغزى والهدف ، ويرفع عن الانسان كل القيود التي كانت تحد من انطلاقه ، من جهالة لمعنى وحدانية الله ، ووحدانية العبادة والتوجه ، ومن خضوع لكهانة الكهان ووسطاء وضعوا أنفسهم بينه وبين الله ، ليستذلوا الرقاب ، ويحققوا السيطرة والسطوة ، ومن فرقة الجنس واللون والعرق ليحطموا معنى الانطلاق ويعيدوا الهدف ضيقا ومحدودا لا سمو فيه ولا رفعة . . ان الاسلام كحضارة هو دين الانسان في كل مكان ، دين القوة والهدف والتآخي والمحبة ، دين التجمع الانساني من أجل خير الانسان ، تتفجر كل الطاقات الانسانية لتصون هذا التجمع ، ولتتجه به نحو الكمال الحضاري .

والبحث الثاني حول موقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية ، وهو كما نرى عود على بدء ، فكما بدأ الدكتور هيكل بمزاعم المستشرقين حول محمد الرسول والانسان ، عاد الى دعاواهم بعد أن جلا لهم صورة محمد الرسول والانسان ليرد على ما جاء بها من افتئات وتزييف لمعنى الحضارة الاسلامية ورسالتها . .

هذا الكتاب صيحة الانسان المسلم المعاصر ، الانسان المؤمن بربه ودينه ونبيه ونفسه وتراثه ، والانسان المؤمن بالعلم المشارك فيه ، والانسان المليء بالثقة والأمل في مستقبل أفضل لا لقوم وحدهم وانما للانسانية كلها ، حيث يُهديها هذا الكتاب ، رسالة مبينة ورائدة (إلى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحده) . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / حقائق عن الحرب النووية .
المؤلف / بيتر كودوين .
المترجم / عائدة عبود رضا .
الناشر / وزارة الثقافة والاعلام - بغداد .
عدد الصفحات / ١٤٤ من القطع الكبير .

لا يكتفى هذا الكتاب برسم صورةالرعب الناتج عن هجوم نووى ، بل يعطى المعلومات الأساسية عن مثل هذا الهجوم ، ويبرز دور صمود الفرد فى حال وقوعه .

والى جانب الصورة القاتمة المتخيلة ، لعالم شهد هجوما نوويا ، يضم الكتاب مجموعة من الصور والشروح ، التى تغنى الموضوع ، وخاصة مايتعلق بدور الحماية الفردية فى حالة الهجوم .

الكتاب / عثرات الطائر - شعر
المؤلف / فوزى كريم .
الناشر / المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
عدد الصفحات / ٩٠ من القطع الصغير .

الكتاب الشعرى الرابع لواحد من أبرز الشعراء العراقيين الشبان ، تمتزج فيه الحكمة والنضج ، بمسحة من الحزن النابع من الادراك الصارخ بعبث الحياة .

اقتصاد لغوى كبير ، وتكثيف شعرى لا ينزع عن القصائد المرة ، غنائية تميز بها الشاعر ، ويضم الديوان قسمين من القصائد ، كتب الأول منها فى بغداد ، والثانى فى وحشة الغربة اللندنية ، حيث يقيم الشاعر .

الكتاب / الخطيئة والتكفير - قراءة نقدية لنموذج انسانى معاصر .
المؤلف / د . عبد الله محمد الغذامى .
الناشر / النادى الأدبى الثقافى ، جدة .
عدد الصفحات / ٣٧٥ من القطع الكبير .

يدخل الدكتور عبد الله الغذامى بكتابه هذا معترك النقد البنيوى ، من باب واسع ، فلا يكتفى برصد سماته وعرضه ، بل يختار نموذجا انسانيا معاصرا . هو الشاعر حمزة شحاتة ، ليقدم قراءة نقدية له .

ويختار المؤلف ثنائية الخطيئة والتكفير الانسانية ، مدخلا لتقديم هذاالنموذج ، والكتاب الى ذلك يرجع الى نقاد ولغويى وشعراء العرب القدماء ، والمحدثين ، بنسج صلة بينهم وبين المدارس النقدية الحديثة .

الكتاب / النار فى التحليل النفسى .
المؤلف / غاستون باشلار .
ترجمة / نهاد خياطة .
الناشر / دار الأندلس - بيروت .

ينطلق باشلار فى كتابه هذا ، من أن هناك مسائل لا يمكن للموقف الموضوعى أن يتحقق منها لأنها تقوم على خبرة ذاتية داخلية ، هى نقيض الخبرة الموضوعية .

وفى هذه الخبرة - وهى الخبرة الأدبية - يحل الخيال محل الفكر ، وتقوم القصيدة باخفاء الفرضية العلمية .

ويختار باشلار النار لا كموضوع علمى ، بل من خلال انعكاساتها النفسية ، التى تكونت مع الزمن ، وأصبحت لصيقة بالانسان منذ عصور الوثنية الأولى .

الكتاب / نقطة .
المؤلف / فاطمة حسين .
الناشر / شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت .
عدد الصفحات / ٢٤٦ من القطع الكبير .

فى هذا الكتاب تقدم فاطمة حسين نفسها لاككاتبة ، بل لأنها « تشعر بوجودها » ولأنها « دخلت الحياة وسوف تخرج منها دون احتراف ، لأنها عاشقة كبرى لحريتها » ولهذا تسمى ما تقدم . . نقطة .

يضم « نقطة » مجموعة من مقالات فاطمة حسين التى نشرتها فى الصحافة الكويتية ، والتى تناولت فيها قضايا مختلفة ، تتراوح بين بعض القضايا المحلية ، والآراء الفنية ، وخواطر حول السياسة والمجتمع ، يجمع بينها هم نسائى خاص ، وهم قومى عام طبع الكتاب بطابعه .

الكتاب / فقهاء الظلام - رواية .
المؤلف / سليم بركات .
الناشر / بيسان برس - نيقوسيا - قبرص .
عدد الصفحات / ٢٠٤ من القطع الكبير .

العمل الروائى الأول للشاعر سليم بركات ، الذى يأخذنا كعادته الى عالمه الأثير ، عالم اختلاط الأجناس والثقافات فى شمال سوريا .

وكما فى ذكريات الطفولة والصبا التى نشرها سابقا ، وكما فى قصائده ، يرسم بركات عالما تمتزج فيه البساطة والبراءة بالقسوة والعنف والأساطير ، أبطاله الفلاحون والصيادون والأطفال والمهربون ، الذين يطلق عليهم بركات اسم فقهاء الظلام .

الكتاب / الدراما الحديثة فى ألمانيا .
المؤلف / فالترهينك .
ترجمة / عبده عبود .
الناشر / وزارة الثقافة والارشاد - دمشق .
عدد الصفحات / ٣٧٥ من القطع الكبير .

ارتبط اسم المسرح الألمانى فى ذهن القارىء العربى باسم برتولت بريخت ، وأحيانا أخرى وعلى فترات متقطعة باسمى دورينمات وبيترفايس ، إلا أن المعرفة بالحركة المسرحية بمجملها لا تقارن بمعرفة المسرح الانكليزى أو الفرنسى أو الروسى .

ومن هنا جاءت ترجمة هذاالكتاب الذى يخاطب القارىء المتخصص والعادى ، مساهمة فى التعريف بالمسرح الألمانى الحديث ، باعتبار تطوره جزءا أساسيا من تطور المجتمع الألمانى فى الفترة نفسها .

□

لغة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

حروف لغتنا
الإعراب على الحكاية

١ - حروف لغتنا

جاءنا من السيد / طارق فؤاد الشريف (كلية الطب / طنطا / مصر) مايلي : اعتدنا على رؤية (لا) ضمن حروف الابجدية قبل حرف الياء . . . وأود أن أعرف على وجه الدقة عدد حروف اللغة العربية ، هل هي (٢٨) أو تزيد ؟ وهل (لا) تعد منها ، وهل تعد حرفين أو حرفا ؟ »

وهذا الجواب : مجموع حروف لغتنا الفصحى (٣١) ، وبها جاء القرآن الكريم والحديث النبوى ومأثور بلغاء العرب ، ولهذا المجموع ترتيبان : أولهما الأبجدي (أو الأبجدية) نسبة الى تركيب « أبجد » في أوله ، ويشمل التراكيب الثمانية الآتية هكذا : أبجد ، هوَز ، حُطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ [1] . وهي في الظاهر (٢٨) وفى الحقيقة (٢٩) لأن الحرف الأول يدل على حرفين أو صوتين : الهمزة وألف المد . والهمزة في أول الكلمة تلزم دائما الألف وتسمى الالف اليابسة [2] ، ولكن هناك ألف المد أوالألف اللينة ، وهى تأتى وسط الكلمة مثل (مال) أو تأتى فى آخرها وهى الالف المقصورة التى ترسم ألفا مثل (شكا) أو ترسم ياء مثل (هُدَى ومصطفى) .

وهنا الواو في (هَوَّز) وهذه تكون حينا للمد وذلك في وسط الكلمة مثل (عُود) أو آخرها مثل (ننجو) وتكون حينا صامتة حين تكون ساكنة في وسط الكلمة مثل (قوْم) أو آخرها مثل (لوْ) ، او متحركة باحدى الحركات الثلاث : الفتحة ، مثل (وَرْد) و (عِوَج) ، والضمة مثل (وُلد) و (تجاوُز) و (دَلوٌ) ، والكسرة مثل (وِقاه) و (عَوِر) .

وكذلك الياء في « حطي » تكون حينا للمد ، وذلك في وسط الكلمة ، مثل (عيد) أو آخرها مثل (قلمي) وتكون حينا صامتة حين تكون ساكنة في وسط الكلمة ، مثل (فَيْصل) أو آخرها ، مثل (كيْ) أومتحركة باحدى الحركات الثلاث : الفتحة مثل (يَكتب) و (قِيَم) والضمّة مثل (غيُوم) والكسرة مثل (ظبيٍ) .

والترتيب الثانى هو « الهجائي » أو « التعليمى » ، سمي بذلك لانه هو المتبع فى تعليم الهجاء لمن يجهله

من صغير وكبير ، وحروفه مفردة هكذا : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و (لا) ي وهذه الحروف أيضا (٢٩) حرفا [٣] .

ويلاحظ في هذا الترتيب أن الالف مكررة مرتين أولاهما في البداية وتشير الى الهمزة وحدها والثانية في (لا) والغرض منها ألف المد وحدها ، واللام معها مجرد وصلة للنطق بألف المد لانها لاتنطق في بدء الكلمة ، كما يلاحظ أن اللام تكررت مرتين اللام مفردة بين الكاف والميم ، واللام في (لا) وهي مجرد وصلة ولايقصد منها أنها حرف .

فهذه جملة حروف الفصحى وعددها (٣١) .

ولكن هناك حروفا أخرى في العربية عددها (١٥) ، وقد تناولنا حروف العربية جميعا (٤٦) في موضوع عنوانه « لغة الضاد ، وحروفها أكثر وفاء وشمولا » في العربي / العدد (٢٠٦) يناير سنة ١٩٧٦ ونقل في كتابنا « أضواء على لغتنا السمحة « التاسع » في سلسلة « كتاب العربي » ، وقد صدر في شهر أكتوبر سنة ١٩٨٥ .

٢ ـ الاعراب على الحكاية

وجاءنا هذا السؤال من السيدين الاخوين : فهد ومحمد سعيد حسن شاهين ، من الرياض / المملكة العربية السعودية :

هناك مجلة أسمها المكتوب على غلافها « المسلمون » فماذا يقول أحدنا لمن يطلب منه أن يناوله المجلة : « ناولنى مجلة المسلمين » أو « ناولنى مجلة المسلمون » ؟

والافضل والاسهل فيما نرى هو الابقاء على الاسم المقول أو العنوان مَحكيًا على صورته ، أيا كان موقعه في الجملة ، ولو كان بالعامية أو بلغة أجنبية ، وسواء كان العنوان كلمة أو أكثر . فنقول « ناولنى » مجلة المسلمون » وهذا ما يسمى في النحو « الحكاية » .

وهو ماسار عليه قراء القرآن الكريم ، وما على السيدين الاخوين الا أن يفتحا المصحف الشريف وينظرا عناوين السور الآتية سواء في مواضعها في داخله أو في الفهرس ، « سورة المؤمنون » و « سورة المنافقون » و « سورة المطففين » و « سورة الكافرون » ، فانهما سيجدانها مكتوبة على هذا النحو ، والسبب في ذلك حكاية العنوان لما ورد في أول كل سورة ، فأول السورة الاولى هو « قد أفلح المؤمنون » وأول الثانية « اذا جاءك المنافقون » وأول الثالثة « ويل للمطففين » وأول الرابعة « قل ياأيها الكافرون » ، والله أعلم .

ونقول هذا أفضل وأسهل « لانه يحفظ للمحكي بنيته كاملة كما هي » .

وقد لانعدم من النحاة من يرى صوابا أن يقال « مجلة المسلمين » ، ويلتمس لهذا وجها من وجوه التقدير والتأويل ، اظهارا للحذق والجهبذة .

ووجوه التقدير والتأويل واسعة طالما أفسدت جرائرُها النحو العربي فأورثته الاضطراب والتعقيد والاطالة . □

---

(١) هذا ترتيب الابجدية عند عرب المشرق ، وأما ترتيبه عند عرب المغرب فيختلف بعد (كلمن) . فتكملتها عندهم هكذا : صعفض . قرست . ثخذ . ظغش .

(٢) قد ترسم الهمزة مفردة مثل (دفء) أو على واو مثل (لؤ ي) أو شبه ياء مثل (يئس) وهي على كل حال احدى عقد الاملاء في حروفنا .

(٣) يلاحظ أن (لا) وردت فى هذا الترتيب الهجائي ، ولم ترد فى الترتيب الأبجدى كما ظنّ السيد صاحب السؤال .

ش ع ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

في وصف جمال مغنية

لابن الرومي

هو علي بن العباس الرومى ، ولد فى بغداد ، وعاش في أزهى عصورها الثقافية ، وهو صاحب أطول ديوان في العربية ، برع في كل موضوعات الشعر ، وله عشرات القصائد الطوال ، وبعضها يزيد على مائة بيت ، وتمتاز قصائده بالابداع وبراعة التنسيق واستقصاء المعاني ومتانة التراكيب ، وهو ينزع في شعره الى « الوصف التصويري » ولا نظير له في ذلك بين الشعراء كما قال فيه أستاذنا عباس العقاد في كتابه « حياته من شعره » توفى في بغداد سنة ٢٣٨ هـ بعد حياة بائسة .

يا خليليَّ ، تيَّمتني وَحيدُ ... فـفُؤادي بها معنًى عميدُ(١)

غادةٌ زانها من الغصن قدٌّ ... ومِنَ الظَّبْيِ مقلتانِ وجِيدُ(٢)

وغرير بحسْبها قال : « صِفها » ... قلت : أمران : هيِّنٌ وشَديدُ

يسهلُ القولُ أنها أحسنُ الأشـ ... ـياءِ طرًّا ، ويعسُر التحديدُ

شمسُ دجنٍ ، كلا المنيرَيْن من شمـ ... ـس وبدرٍ من نورها يستفيدُ(٣)

تتجلَّى للناظرين إليها ... فشقيٌّ بحسنها ، وسعيدُ

ظبيةٌ تسكنُ القلوبَ ، وترعا ... ها ، وقُمْريَّةٌ لها تغريدُ

تتغنَّى كأنها لاتُغنِّي ... من سكونِ الأوصالِ وهي تُجيدُ(٤)

لاتراها هناك تُجْحَظُ عينٌ ... لك منها ، ولايدِرُّ وَرِيدُ

من هدوٍّ وليس فيه انقطاعٌ ... وشُجُوٌ وما به تبليدُ(٥)

مدَّ في شأوِ صوتِها نفَسٌ كا ... فٍ ، كأنفاسِ عاشقيها مديدُ

فتراهُ يموتُ طورا ، ويحيا ... مستلذًا بسيطِه والنشيدُ
فيه وَشْيٌ ، وفيه خَلٌّ من النغْـ ... ـم مصوغٌ ، يختال فيه القصيدُ(٦)
طاب فُوها ، وما ترجِّعُ فيه ... كل شيءٍ لها بذاك شهيدُ
ثَغَبٌ ينقع الصدى ، وغناءٌ ... عنده يُوجد السُّرورُ الفقيدُ(٧)
فلها الدهر لاثم مستزيدٌ ... ولها الدهرَ سامعٌ مُستعيدُ(٨)
في هوًى مثلها يخفُّ حليم ... راجحٌ حِلْمُهُ ، ويَغْوَي رشيدُ(٩)
ماتعاطى القلوبَ إلا أصابت ... بهواها منهنّ حيث تريدُ
وترُ العزف في يديها مضاءٍ ... وترُ الزُّحْفِ فيه سهمٌ شديدُ(١٠)
واذا أنبَضَتْهُ للشَّرْبِ يوما ... أيقن القومُ أنها ستصيدُ(١١)
عيْبُها أنها اذا غنّت الأحْـ ... ـرارَ ظلُّوا وهُمْ لديها عَبيدُ
واستزادتْ قلوبَهم من هواها ... بِرُقاها ، وما لديهم مَزيدُ(١٢)
وحسانٍ عرضْن لي قلت : مهلاً ... عن وحيدٍ ، فحقُّها التوحيدُ
حسنُها في العُيونِ حُسنٌ وحيدٌ ... فلها في القلوبِ حُبٌّ وحيدُ
ضَلَّةٌ للفؤاد يجنو عليها ... وهي تزهُو حياتَه وتكيدُ(١٣)
سحرتْه بمقلتيها فأضحتْ ... عندهُ ، والذميمُ منها حميدُ
خُلِقَتْ فتنة : غِناءٌ وحُسْنًا ... مالها فيهما جميعا نديدُ
فهي نعمى يميد منها كبيرٌ ... وهي بلوى يشيب منها وليدُ
ليَ حيثُ انصرفتُ عنها رفيقٌ ... من هواها ، وحيث حلّت قعيدُ
عن يميني وعن شمالي وقدّا ... مي وخلفي ، فأين عنه أحيد ؟
سد شيطانُ حُبِّها كلَّ فجّ ... إن شيطانَ حبِّها لمريدُ
ليت شعري إذا أدامَ إليها ... كرةَ الطَّرْفِ مبدئٌ ومعيدُ
أهي شيءٌ لاتسأمُ العينُ منهُ ... أم لها كلَّ ساعةٍ تجديد ؟
بل هي العيش ، لايزالُ متى استُعْـ ... ـرض يُملي غرائبًا ويُفيدُ
لايدبُّ الملالُ فيها ، ولا ينـ ... ـقصُ من عُقَدِ سحرِها توكيدُ
حسنُها في العيونِ حُسنٌ جديدٌ ... فلها في القلوب حبٌّ جديدُ
أخذَ الله يا وحيدُ لقلبي ... منكِ ما يأخذ المديل المقيدُ(١٤)
حظُّ غيري من وصلكم قرةُ العيـ ... ـن ، وحظِّي البكاءُ والتسهيدُ
غير أني معلَّلٌ منك نفسي ... بعداتٍ خلافُهن وعيدُ
ماتزالين : نظرةٌ منك موت ... لي مميتٌ ، ونظرةٌ تخليدُ
نتلاقى : فلحظةٌ منك وَعدٌ ... بوصال ، ولحظةٌ تهديدُ
قد تركتِ الصحاحَ مرضى يميدُو ... نَ نحولا ، وأنت خُوطٌ يميدُ(١٥)

---

(١) عميد : هده العشق (٢) غادة : لينة ناعمة • (٣) شمس دجن : غائمة
(٤) الاوصال : مفاصل الاعضاء (٥) الشجو : الحركة من طرب أو حزن (٦) وشي : نقش جميل
(٧) ثغب ينقع الصدى : ماء يذهب العطش (٨) اللثم : التقبيل • (٩) يغوى : يضلل
(١٠) وتر العزف يشبه وتر القوس الذي يرمي السهام (١١) أنبضته للشرب : حركته للشاربين
(١٢) الرقى : جمع رقية : مايقول الساحر (١٣) تزهو : تتكبر (١٤) المديل المقيد : من يقتص من خصمه
(١٥) الخوط : الغصن الطري يميد : يهتز

مسابقة العربي الثقافية

العـدد ٣٢٧
فبرايـر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٧ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ابريل ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٧

١ - قمة شامخة ، ورجل يزهو بالنصر ، وقد نجح فى تسلقها سنة ١٩٥٢ . . فأي قمة هي تلك ، وأى رجل هو هذا . . . . ؟

٢ - ثمة أكلة ايطالية شائعة فى شتى بلاد العالم . . واشتهرت هذه الأكلة باسمها الايطالى طبعا . . فما هو اسمها هذا علما بأنه يعنى فى العربية « الحبال القصيرة » ؟

* معكرونة * سباجتى

٣ - سأل القاضى الرجل الذي مثل أمامه فى المحكمة :

من هو أقرب أقربائك ؟

فرد الرجل : أقرب أقربائي فتاة هى ابنة زوجة ابن أمى الوحيد . . فما وجه القرابة بينهما ؟

٤ - جاء رجل الى بائعة الحليب يريد شراء ٤ جالونات من الحليب لاأكثر ولاأقل . . ولم يكن لدى البائعة مكيال الأربعة جالونات ، وانما مكيال الخمسة جالونات ومكيال الثلاثة جالونات فحسب . . فماذا فعلت البائعة حتى لبت طلب المشترى وباعته الكمية التى طلبها بالضبط : ٤ جالونات لاأقل ولاأكثر .١.

٥ - الصمصامة سيف تردد ذكره في الأدب العربي . . من هو صاحب هذا السيف ؟ . . . ولم سموه صمصامة ؟

٦ - من القائل ؟

لئن يعيبوا سوادى فهو لي نسب
يوم النزال اذا مافاتنى النسب . .

٧ - صفى الدين الحلى شاعر عربي مجيد . . وعلى كثرة



قصائده فان بيتا واحدا من الأبيات التى نظمها طغى على كل ماسواه .. فقد سار على ألسن العرب جميعا .. وأقدمت الدول العربية على احتضانه ، بشكل أو بآخر .. وشهر قائله أكثر من سائر أبياته وقصائده كلها .. فأي بيت هذا .. ؟

٨ ـ كازانوفا .. ودون جوان .. وفالنتينو

ثلاث شخصيات اشتهرت بالمغامرات والغراميات ، وتشابهت فى الأذهان حتى ألتبس أمرها ، أو كاد ، على الكثيرين .. ولكن احدى هذه الشخصيات خيالية نسجها الأدباء والشعراء ، ولاوجود لها فى الواقع .. والثانية لممثل سينمائي لمع في تمثيل الغراميات والمغامرات على الشاشة ، وكان ذلك في هوليود في العشرينيات من هذا القرن .. والشخصية الثالثة هي الوحيدة التى تمثل رجلا حقيقيا عاش في مدينة البندقية في القرن الثامن عشر ، واشتهر بمغامراته وغرامياته الواقعية .. فأيهم الشخصية الخيالية ، وأيهم ممثل هوليود ، وأيهم المغامر الحقيقي الواقعي ؟

٩ ـ أي المواد يمكن أن تحترق تلقائيا .. وفي معزل عن الأكسجين ؟

١٠ ـ ابن ماجد ملاح عربي معروف ، رافق فاسكودي جاما في رحلته الشهيرة التى اكتشف فيها الطريق البحري الى الهند .. فمن هو ابن ماجد ... ؟

١١ ـ اي الفعلين يفيد معنى الابطال (لغا ـ يلغو ـ لغوا) أم (لغى ـ يلغي ـ لغى)

١٢ ـ مذنب هالى الشهير الذي يزور المجموعة الشمسية حاليا ، ويزورها مرة واحدة كل ٧٦ سنة .. سموه هالى نسبة الى الفلكي البريطاني ادموند هالي ./. ترى ماذا فعل هذا العالم حتى استحق تسمية المذنب باسمه ... ؟

* اكتشفه .. وكان أول من شاهده وذلك سنة ١٦٨٢

* اكتشف مدار المذنب وجزم بان المذنب الذي رآه سنة ١٦٨٢ هو نفسه المذنب الذي ظهر سنة ١٠٦٦ ، وتنبأ بانه سيعود ليقترب من الشمس والأرض ثانية سنة ١٧٥٨ .

* كان لادموند هالى الفضل في وضع القوانين التى تحكم حركة المذنبات ومداراتها ...

١ ـ امريكا اللاتينية هى الأكبر مساحة ولاريب .. فهى تشمل كلا الاقليمين : أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية .

وتجدر الاشارة الى أن مساحة أمريكا الجنوبية تبلغ ١٧,٨١٠,٠٠٠ كم ٢ فهى اذن أصغر من أمريكا الشمالية إلتي تبلغ مساحتها ٢٣,٣١٠,٠٠٠ كم ٢

٢ ـ الرجل طبعا .. فالمرأة لاتصاب بأمراض البروستاتة مطلقا ،وذلك لأن البروستاتة غدة لاوجود لها في جسمها أصلا ....

٣ ـ يوجد في ترينداد ، احدى جزر الهند الغربية ، وتقع الى الشمال الشرقي من ساحل فنزويلا .. وتعرف بحيرة الاسفلت هذه باسم بتش Pitch ، والاسفلت هو في طليعة صادرات ترينداد ..

٤ ـ تخصصت دار الصناعة التي أقامها السلف الصالح في فجر الدولة الاسلامية ـ والتي حرفها الاوروبيون وسموها أرْسِنال Arsenal ـ في صناعة البحر : من سفن وقوارب ومإلى ذلك .. لاعجب اذن ان كان اسمها الثاني : مِسْفن .

٥ ـ البن هو السلعة الثانية في الأسواق العالمية

٦ ـ أكلة الرز هم الأكثر عددا .. فهم يقدرون بنصف سكان العالم .. وحسبك أن أهل الصين واليابان والهنود وسكان جنوب شرق آسيا ، كلهم يتخذون من الأرز غذاء رئيسيا .

٧ ـ المريخ هو الكوكب الأحمر .. وسبب ظهوره لنا باللون الأحمر هو غاز ثاني أكسيد الكربون ، الذي يملأ جوه فيجعله يبدو لنا أحمر اللون .

وتجدر الاشارة الى ما اكتشفه العلماء مؤخرا من أن كوكب المريخ يحتوي على ماء . سواء على سطحه أو في باطنه .. وقد تسنى لهم اكتشاف ذلك بتفحص الصور التي التقطتها وأرسلتها الى الارض (في أواسط شهر اكتوبر الماضي) احدى سفن الفضاء الأمريكية ....

٨ ـ سموه دافنشى لأنه ولد في بلدة فنشى الايطالية سنة ١٤٥٢ ، والجدير بالذكر ان ليوناردو دافنشى كان ابنا غير شرعى لأحد المحامين ، ولقد برز في شتى العلوم والهندسة والصناعات العسكرية ، بقدر ما لمع ونبغ في فن الرسم ..

٩ ـ الطوارق او الملثمون كما يسمون أحيانا .. ويسكن الطوارق غربي الصحراء الكبرى ، ويحرصون على تربية الابل .. ويحتقرون الزراعة ويعتبرونها من أعمال العبيد .

١٠ ـ ولد افلوطين في أسيوط ، وعاش نحوا من ٦٥ سنة (٢٠٥ ـ ٢٧٠ م) قضى معظمها في الاسكندرية .. وتعرف فلسفته باسم الافلاطونية الجديدة ، وهي تؤكد ان الانسان لايحقق الكمال الا بتجرده عن جسده واندماجه بالواحد الأحد .. وقد كان للافلاطونية الجديدة أثر واسع وعميق في الفلسفة الاسلامية ..

١١ ـ بافلوف هو الناشز .. فهو عالم .. بينما الثلاثة الآخرون كتاب رواية وقصصيون ..

١٢ ـ ألفية ابن سينا في الطب

ألفية ابن مالك في النحو، الفية الاربلي في الألغاز .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٤ نوفمبر ١٩٨٥

الجائزة الاولى : فيصل حسن ياسين ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي .
الجائزة الثانية : سلوى عبد الفتاح ابراهيم ـ المحلة الكبرى ـ جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثالثة : عبد الاله سيوفى ـ بلغاريا ـ صوفيا .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد طمطم تارودانت ـ اعدادية الدرفوفى ـ المملكة المغربية .
٢ ـ انعام محمود عمر الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية .
٣ ـ خليل عبد الكريم المغربي ـ ص.ب (٣٤٥٣) الرياض المملكة العربية السعودية .
٤ ـ سامر الزبد ـ الجامعة الامريكية ـ بيروت ـ لبنان .
٥ ـ محمد قاسم سومرو ـ كنديارو ـ سند ـ باكستان .
٦ ـ ريان احمد ـ الدانمرك .
٧ ـ محمد رياض تللو ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .
٨ ـ ابراهيم احمد عيسى ـ ص.ب (١٦٠٧٥) القادسية ـ دولة الكويت .



معركة بلا سلاح

عـــود على بطولة العالم

في الثالث من شهر سبتمبر ١٩٨٥ عاد البطلان أناتولي كاربوف بطل العالم الحالي (٣٤ سنة) ومتحديه على اللقب مواطنه الروسي جاري كاسباروف (٢٢) عاماً لاستئناف المباراة الكبرى على اللقب التي أوقفها رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج السيد فلورنشيو كامبومينز لاستنزافها لطاقة البطلين ، وقد حدّدت أدوار المباراة الحالية بأربعة وعشرين دوراً فقط ، وهي تقام كسابقتها في موسكو .

ولاتزال المباراة محتدمة بين البطلين حتى تاريخ كتابة هذه السطور بعد قرابة شهرين من بداية المباراة . والنتيجة المعلنة حتى الآن هي (١٠ ١/٢) نقطة لصالح المتحديّ مقابل (٨ ١/٢) لخصمه ، ولم يبق على كاسباروف سوى الفوز بنقطتين في الأدوار الخمسة الباقية ليصبح أصغر بطل للعالم في الشطرنج في التاريخ .

وقد اخترنا لقرائنا الدور الأول للمباراة الجديدة والذي أحرز فيه كاسباروف انتصاره الأوّل ، والدور من افتتاحية غزو الهندي وهي افتتاحية لم يسبق ان لعبها البطلان في مبارياتهما الطويلة السابقة .

■ كاسباروف (أبيض) :	■ كاربوف أسود :
١) د ٤	ح ـ و ٦
٢) جـ ٤	هـ ٦
٣) ح ـ جـ ٣	ف ـ ب ٤
٤) ح ـ و ٣	جـ ٥
٥) ز ٣	ح ـ هـ ٤

تفريعة مثيرة تؤدّي إلى سلسلة من التبادلات السريعة لعبها كاربوف بعد ٢٥ دقيقة من التفكير .

٦) و ـ د ٣	و ـ أ ٥
٧) و × هـ ٤	ف × جـ ٣ +
٨) ف ـ د ٢	ف × د ٢ +
٩) ح × د ٢	و ـ ب ٦
١٠) د × جـ ٥	و × ب ٢
١١) ر ـ ب ١	و ـ جـ ٣

ربما كان الأجدر به أن يلعب :

١١)	و × أ ٢
١٢) و ـ د ٣ !	و × د ٣
١٣) هـ × د ٣	ح ـ أ ٦
١٤) د ٤	ر ـ ب ٨
١٥) ف ـ ز ٢	م ـ هـ ٧
١٦) م ـ هـ ٢	ر ـ د ٨ (انظر الشكل)
١٧) ح ـ هـ ٤	ب ٦
١٨) ح ـ د ٦	ح ـ جـ ٧
١٩) ر ـ ب ٤	ح ـ هـ ٨
٢٠) ح × هـ ٨	م × هـ ٨
٢١) ر[1] ـ ب ١	ف ـ أ ٦
٢٢) م ـ هـ ٣	د ٥
٢٣) جـ × د ٦ (بالتجاوز)	. . . .

* انتهت بطولة العالم بفوز المتحدى ليصبح أصغر بطل للعالم في الشطرنج في التاريخ .

لو لعب الأبيض جـ × د ٥ لفاز ببيدق ولكنه أحجم عن ذلك خشية التكملة التالية :

٢٣) ...... هـ × د ٥
٢٤) جـ × ب ٦ أ × ب ٦
٢٥) ر × ب ٦ ر × ب ٦
٢٦) ر × ب ٦ ف - جـ ٤
٢٧) أ ٤ ر - أ ٨

ويصعب بعدها الاستفادة من البيدق السالك .

٢٣) .... ر (ب) - جـ ٨
٢٤) م - د ٣ ر × د ٦
٢٥) ر - أ ٤ ب ٥
٢٦) جـ × ب ٥ ر - ب ٨
٢٧) ر (أ) - ب ٤ ف - ب ٧
٢٨) ف × ب ٧ ر × ب ٧
٢٩) أ ٤ م - هـ ٧
٣٠) حـ ٤ حـ ٦
٣١) و ٣ ر - د ٥
٣٢) ر - جـ ١ ر (ب) - د ٧
٣٣) أ ٥ ز ٥
٣٤) حـ × ز ٥ ر × ز ٥
٣٥) ز ٤ حـ ٥
٣٦) ب ٦ أ × ب ٦
٣٧) أ × ب ٦ ر - ب ٧
٣٨) ر - جـ ٥ و ٥
٣٩) ز × حـ ٥ ر × حـ ٥
٤٠) م - جـ ٤ ر - حـ ٨
٤١) م - ب ٥ ر - أ ٨

وهنا تأجلت اللعبة الى اليوم التالي بعد أن ختم الأبيض ٤٢) ر - جـ ٤ ولكن الأسود قرر أن يستسلم قبل بداية اللعب .

حل المسألة رقم (٣٦)

مفتاح الحل و - حـ ٢

الفائزون بحل المسابقة رقم

(٣٥)
نوفمبر ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - يونس التليلي - بسطله / تونس
٢ - هاني السعيد - حولي / الكويت
٣ - عبد الرزاق عباسي - حلب / سوريا
٤ - ايهاب أبو حرب - طرابلس / ليبيا
٥ - ابتسام نور الدين - الاسكندرية / ج م ع

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - طه محمود - الرياض / السعودية
٢ - فايز سالم - صويلح / الاردن
٣ - بشيرة عبد الولي - صنعاء / اليمن
٤ - أمجد مرعي - المنوفية / ج م ع
٥ - لحريشي فؤاد - الرباط / المغرب



مسابقة العـدد

مسألة رقم (٣٨)

الأبيض يلعب ويميت الشاه في ست نقلات

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

هل من سبيل لاستخدام مصطلحات علمية موحدة ؟

● كثيرا ما نطالع في مجلة العربي بعض المقالات العلمية ، التي تجمع بين المتعة والفائدة ، ومن بين هذا المقالات تشدني المقالات الطبية بخاصة كقارىء أولا وكطبيب ثانيا ، وقد لاحظت أن بعض الكتاب - وهم أطباء بارزون في مجال تخصصهم - يستخدم بعض المصطلحات العلمية الأجنبية دون تعريب ، وبعضهم الآخر يعتمد في ترجمة المصطلحات العلمية ، على مايسمعه في مكان عمله من ترجمات محلية ، قد تكون عامية المنشا ، أو دخيلة على اللغة العربية .

وبهذه المناسبة فانني أدعو الى استعمال مصطلحات علمية عربية موحدة ، لأن هذا يجعل التفاهم العلمي يتم على وجه من الدقة المطلوبة ، ومن الضبط لضروري للتعامل مع الدراسات العلمية ، بالاضافة الى أن استخدام المصطلحات العربية الموحدة ، يعتبر خطوة هامة على درب الوحدة العربية الحقيقية ، التي هي هدف مجلة العربي ، وكل مجلة عربية مخلصة .

ومن هنا فانني أقترح أن تلزم هيئة تحرير مجلة العربي كل من ينشر مقالا علميا ، باستعمال المصطلحات العلمية المعتمدة ، من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهى موجودة في المعاجم العربية الموحدة التي تصدرها المنظمة ، او أن تستشير هيئة تحرير المجلة لجنة مختصة ممن لديهم دراية بالمصطلحات العلمية العربية . والى أن يتحقق أحد هذين الاقتراحين فانى ألفت النظر إلى أنه يوجد فى مجال المصطلحات الطبية المعجم الطبى الموحد الذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٣ في بغداد ، من قبل لجنة توحيد المصطلحات الطبية المنبثقة عن اتحاد الأطباء العرب ، ثم أعيد نسخ هذه الطبعة في القاهرة عام ١٩٧٧ ، وفي عام ١٩٧٨ قامت جامعة الموصل باصدار طبعة ثانية مصححة ، وصدرت الطبعة الثالثة في سويسرا عام ١٩٨٣ عن دار مد ليفانت . وقد أعدت باشراف لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية العربية ، المنبثقة عن المكتب الاقليمى لمنظمة الصحة العالمية بشرق البحر المتوسط ، وقد استغرق اعداد هذه الطبعة الجديدة للمعجم الطبي الموحد ٤ سنوات ، عقدت خلالها اللجنة ١٣ اجتماعا في الاسكندرية ، وبغداد وتونس ودمشق والرباط وعمان والجزائر .

د . قاسم طه السارة
سوريا - دير الزور

العربي

- نشكر للقارىء الكريم اهتمامه بهذه القضية القديمة والمتجددة ، واذ ننشر أكبر قدر من رسالته المطولة ، فاننا نهدف الى أن تكون تحت انظار كل من

يعنيهم الأمر من الأخوة كتاب المقالات العلمية ، وإذا كانت مجلة العربي لاتملك الزام الكتاب ، كما أن توفير مثل هذه اللجنة الاستشارية قد لايكون أمرا عمليا ، الاأننا نأمل ونثق في أن يكون توجه كتاب العربي الأفاضل لاستشارة مثل هذه المعاجم وغيرها ، من معاجم المصطلحات التي تصدرها المجامع اللغوية هو البديل الميسر على الأقل في المدى القريب .

هل يحتاج الاعتراف بالفضل الى شجاعة ؟

هل تسمح لي مجلتنا (العربي) أن أبعث على صفحاتها بباقة شكر واعجاب الى أحد كتابها (الذي اتابع كل مـا يكتب بشغف ونهم) وهـو الـدكتـور حسـان حتحوت ؟ لقد سمحت كثيرا عندما أتيحت لي الفرصة لأرى على شاشة التلفاز الأردني الدكتور حسان حتحوت ، في عدة ندوات أجراها معه الدكتور عبد السلام العبادي ، خلال زيارة الدكتور حتحوت للاردن ، ليشرف على لجنة فحص الأطباء ذوي الاختصاص ، ولأدرى لماذا عادت بي الذاكرة الى الوراء سنين طويلة ، عندما كنت أحضر في دمشق مؤتمر المجامع العلمية العربية ، الذي عقد في اكتوبر عام ١٩٥٦ ، وعندما قام المرحوم الدكتور طه حسين (وقد كنا جميعا نقرأ له بافتتان دون أن نراه) وأخذ بيده سكرتيره ليجلس على المنصة ليلقي محاضرته عن « اللغة العربية وكيف ييسر المدرسون والمربون في عالمنا العربي تدريسها نحوا وكتابة » ، في تلك اللحظات كان المحاضر قمة في العمق الفكري ، والأسلوب والالقاء ، فكنت ترى المئات من المحاضرين يشدون أعناقهم الى هذه المعجزة بكل حواسهم .

هذه الحادثة تكررت معي وأنا أشاهد الدكتور الفاضل حسان حتحوت على شاشة التلفاز الاردني ، ان الأسلوب العلمي ، والأفكار النيرة المتوازنة ، وطريقة التحدث في الندوة ، جعلتني أكثر اعجابا وارتباطا بالأستاذ الفاضل .

هل تسمح لي مجلة العربي بنشر هذه الرسالة في حوار القراء . تحية تقدير لكاتب من كتاب المجلة .

محمد بديع عبد الدائم

معان ـ الأردن

العربي

يسرنا أن ننشر هذه الرسالة ، التي تحمل تحية طيبة لكاتب كبير من كتاب العربي ، هو الدكتور حسان حتحوت ، ولذكرى رائد كبير هو الدكتور طه حسين ، ايمانا منا بأن من حق الكاتب أن يتلقى التحية ، كما أن من واجبه أن يتلقى بالروح ذاتها نقد القارىء وملاحظاته القاسية أحيانا ، اننا لانتردد في نشر الملاحظات القاسية ، فلماذا نتردد أمام كلمة تقدير ؟ وهل نحن حقا في حاجة الى شجاعة الاعتراف بالفضل لمن يستحقه ؟

عن اليمن الجديد واستطلاعات العربي القديمة والجديدة؟

● كقارىء من قراء العربي ، سعدت بسلسلة الاستطلاعات الهامة التي قدمتها المجلة عن اليمن ، ابتداء من العدد رقم ٦٠ سنة ١٩٦٣ ، وحتى العدد ٢٩٢ مارس سنة ١٩٨٣ ، في الفترة التي تبلغ حوالي عشرين عاما ، قدمت العربي خلالها تسعة استطلاعات عن القطر الشقيق ، وقامت بتسليط

الأضواء على مشاكله ، وتوجيه النداءات المتكررة للمشاركة في النهوض بالمنطقة ، هذا وقد أتاحت لي الظروف أن أقضي خمس سنوات باليمن الشمالي مدرسا معارا من وزارة التربية والتعليم السودانية ، وقد وجدت الفرق شاسعا بين صورة اليمن التي كنت أراها في استطلاعات العربي ، وبين الصورة الجديدة التي تطورت اليها الحياة في القطر الشقيق ، بفضل جهود أبنائها ، وبفضل جهود الدول العربية الشقيقة والدول الصديقة ، وهيئة الأمم المتحدة ، وبعض المنظمات العالمية ، وأيضا بفضل هذه الاستطلاعات التي كانت تسهم في لفت الأنظار ، وحث الجهود للمشاركة في تنمية القطر الشقيق .

لقد وجدت في اليمن آثار العصر الحجري الى جانب التقنية الحديثة ، انتشر التعليم فاصبحت في كل قرية مدرسة ، وتناثرت المشاريع الزراعية في كل واد ، وعمت الكهرباء والمياه كل المنازل والقرى ، وكذلك خدمات البريد والهاتف الذي صار يعمل بالطاقة الشمسية في بعض المناطق ، والخدمات الصحية ساعدت في مكافحة كثير من الأمراض المتوطنة والأوبئة .

واني اذ أشكر للعربي جهودها السابقة ، أتمنى أن تعيد زياراتها لليمن واستطلاعاتها عنها ، لتنقل للعالم الصورة الجديدة الرائعة لليمن ، وهي تمضي بخطا واسعة في طريق التقدم والازدهار ، ودمتم في خدمة الأمة العربية والاسلامية .

بدوي محمد بدوي
السودان - الفاشر

العربي

نشكر للقارىء السوداني الكريم اهتمامه بالقطر العربي الشقيق (اليمن) وقد اخترنا هذه الرسالة من رسائل عديدة تعبر عن المعاني ذاتها من أبناء اليمن أنفسهم ، ونود أن نذكر هؤلاء الاخوة جميعا بأن آخر استطلاع للعربي عن اليمن كان عن « سد مأرب واليمن الجديد » بتاريخ ٧/ ١٩٨٥ ، والاستطلاع الذي قبله كان « عن المهرة ... حياة جديدة » بتاريخ ٩/ ١٩٨٤ ، مما يؤكد أن اهتمام العربي بالقطر الشقيق بشطريه الشمالي والجنوبي لايقل أبدا عن اهتمام القراء

عجائب أسماء أولاد الحيوانات - لاتنتهي

● قرأت في عدد تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٥ من مجلة العربي موضوعا طريفا تحت عنوان « عجائب أسماء أولاد الحيوانات » ، وأود أن أضيف الى قائمة هذه الأسماء العجيبة أسماء أولاد بعض الحيوانات ، كما هي متداولة في سوريا ولبنان :

١ - اسم ولد الماعز جدي واخته سخلة .
٢ - اسم ولد الشاه خروف واخته فطيمة .
٣ - ويسمى الصغير من أولاد الشاة طلي ، وطليان للجمع .

عبدالله السقاف
بيروت

القضية الفلسطينية

● اننا مجموعة من شباب فلسطين ، نتابع مجلة (العربي) ونلتزم بها كمجلة ثقافية علمية أدبية ، تقدم للشباب العربي مايسهم في تطويره وافادته ، ونشكر للعربي اهتمامها الواضح بقضية فلسطين ،

القضية المركزية للأمة العربية ، في زمن يتزايد فيه الكثيرون باسم هذه القضية ، كما نشكر أيضا نشرها العديد من الموضوعات التي تسلط الضو على الخطر الصهيوني ، الذي بدأ بالتهام أرض فلسطين ، ولاشيء يشير الى أن هذا الخطر يمكن أن يتوقف عند حد .

وكاصدقاء للمجلة نهيب بالمجلة أن تستمر في طرح أبعاد القضية الفلسطينية ، والتركيز على جذور هذه القضية وكيف بدأت ، لأن جهل الكثيرين بأبعاد هذه القضية المركزية ، وبخاصة من الأجيال الجديدة ، يمثل خطرا جديدا يهدد وجودنا القومي ، ويوقعنا في شبكة التآمر الصهيونية .

واننا نأمل من خلال مراسلتنا لمجلة العربي ، أن تسهم في توعية الجيل الجديد ، البعيد بجسده عن فلسطين ، خدمة لقضيتنا المحورية وشكرا .

نهاد وحيد

سوريا / مخيم اليرموك

العربي

نشكر لكم اهتمامكم الأصيل بقضيتنا الأساسية ، ومجلة العربي التي تعيش هموم هذه الأمة ، لاتدخر جهدا في خدمة كل قضاياها الكبرى ، التي تأتي القضية الفلسطينية في مقدمتها ، ونرحب بكل ماتسهمون به لخدمة هذه القضية .

اصنع بنفسك

● اشكر الدكتور أنيس فهمي لمقاله « عن أسرار الألم » في عدد نوفمبر سنة ١٩٨٥ من مجلة العربي ، وبهذه المناسبة أرجو منه أن يطلعنا في القريب العاجل ، بالرسم ، على أجزاء الجسم التي يتم فيها الوخز بالابر الصينية ، مع تقديم شرح بسيط عن أماكن الوخز التي تمنع آلام الصداع .

وأتمنى من مجلة العربي أن يكون باب « اصنع بنفسك » بابا ثابتا ودائما ، ليفيد البيت العربي في شتى الأشياء والهوايات المفيدة ، كما اتمنى الرد على رسالتي هذه في باب حوار القراء لأنني من قراء المجلة الدائمين .

فارس فؤاد محمد

الاسماعيلية/ جمهورية مصر العربية

العربي

يسرنا أن ننشر رسالتك ، لينظر الدكتور أنيس فهمي في امكانية تحقيق رغبتك ، ونعدك بأن يكون موضوع تقديم باب « اصنع بنفسك » في البيت العربي محل دراسة المسئولين في المجلة ، ولعلنا لانذيع سرا حين نقول لك أن هذا الباب سيكون ضمن الأبواب الثابتة في مجلة العربي الصغير ، التي تصدر في شهر فبراير سنة ١٩٨٦ . باذن الله .

الألوان الأساسية

● قال لي تلاميذي : ذكرت لنا ياأستاذ أن الألوان الأساسية هي الأحمر ـ الأصفر ـ الأزرق

ومجلة العربي الصغير المرافقة للعدد٣٢٢ تقول : ان الألوان الأساسية هي الأحمر ـ الأصفر ـ الأخضر ـ فما هو القول الصحيح ؟

ياسين ضفار

سوريا ـ حماة

العربي

القول الصحيح هو قولك أنت ياأستاذ ياسين ضفار ، فالأخضر ليس من الألوان الأساسية ، ولعل ماورد في العربي الصغير هو خطأ غير مقصود ونعتذر عنه ، ونهنىء تلاميذك على رغبتهم في التعرف على ماهو صواب وتحرّيهم لذلك بسؤالك ، وتحريك لاعلانه بسؤالنا . □

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير ١٩٨٦م.

قصة الأنثروبولوجيا

تأليف : الدكتور حسين فهيم

٥٠٠ فلس

الكتاب الثامن والتسعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

١٩٧ أول فبراير ١٩٨٦

من المسرح التركي

إفعل شيئاً يا مت (٢)

تأليف : عزيز نسين
ترجمة وتقديم : جوزيف ناشف
مراجعة : د. ابراهيم الداقوقي


INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و «د»
أمّنوا لأولادكم نموًّا متكاملًا
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري كامل الدسم مجفف ذو جودة فائقة انتزع منه الماء فقط. فحين يمزج بماء الشرب الصافي يصبح فورًا حليبًا طازجًا، مغذ ولذيذ.
نيدو مغذٍ يحتوي على كافة العناصر الغذائية الهامة كالكلسيوم والبروتين والفيتامينات التي لا غنى عنها للأولاد طوال فترة نموهم.
نيدو طعمه لذيذ. يحضّر بسرعة. ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح والمساء وفي أي وقت من النهار.
نيدو السريع الذوبان
كوب من الحليب في أي وقت.
تضمنه نستله
Nestlé


العربي
جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ
مارس (آذار) ١٩٨٦ م
شعب
يعيش
المستقبل


فكرة عظيمة اخرى.
في عام ١٩٣٧، خطرت على بال رجل إسمه أفيري فيشر فكرة عظيمة. فقد اخترع اول نظام هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي تبعتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة التي مازالت تتتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشاها.
مثال عظيم على ذلك، التلفزيون الملوّن الستريو فيشر CFM2110SR ١٦ نظامًا مع الشاشة المسطّحة والمربّعة المبيّن في الصورة أعلاه. هذه الشاشة المربّعة تمامًا والمسطّحة بالكامل توفر تباينًا في صبغيّة الصورة أفضل بكثير من معظم الشاشات التقليدية، مع مساحة مشاهدة أكبر بنسبة ٢٧ بالمئة•، لتعطي مشاهدة خالية بالفعل من التشوه
لجميع أفراد العائلة من مختلف الزوايا. أمّا الفكرة العظيمة الاخرى من فيشر فهي ذاكرة التوليف لتلفزيون CFM2110SR التي يتم التحكم بها بالكمبيوتر. حيثما تكون في مختلف أرجاء العالم، فإن ذاكرة التوليف تسمح بضبط مسبق لـ ١٦ نظامًا مختلفًا للأقنية، بما فيه قناتين أو أكثر في الوقت نفسه. وبالطبع، فإن تلفزيون CFM2110SR يتميّز بصوت ستريو وهو ما تتوقعه من الإسم الأول في عالم الهاي فاي. إسم فيشر يُعْتَمَد لتحديد المستويات القياسية في "العصر السّمعي المرئي الجديد". لاتقبل بالأقل وقدّم لنفسك فكرة عظيمة قدّم لنفسك فيشر.
• على مسافة ٦٫٦ قدم تقريبًا من الشاشة.
CFM 2115R
CFM 1915R
CFM 1515R
21
19
15
تلفزيون فيشر ١٦ نظامًا الملوّن مع الشاشة المسطّحة والمربّعة.
فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العدد ٣٢٨ السنة التاسعة والعشرون مارس ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No : 328 March. 1986. P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

هل سمعت عن كتاب عنوانه « الموجة الثالثة » ، اذا لم يكن ذلك ، فإنه كتاب صدر منذ سنوات قليلة في الغرب ، وأصبحت له شهرة فائقة ، مؤلفه مغرم بالدراسات المستقبلية ، فقد ألف قبله كتابا آخر ذاع صيته أيضا وعنوانه « صدمة المستقبل » . هذا المؤلف هو « الن توفلر » ، وتحول الكتاب الى مسلسل تلفزيوني وثائقي عرض في أماكن كثيرة من المعمورة ، خلاصة كتاب « الموجة الثالثة » تقول ان تاريخ البشرية المعروف والمكتوب مر بثلاث مراحل أو ثلاث موجات ، المرحلة الأولى هي اكتشاف الانسان للزراعة المستقرة ، هذا الاكتشاف غير من طبائع الانسان وفرض مجموعة من القيم بقيت لآلاف السنين ، أما المرحلة الثانية فهي الثورة الصناعية عندما اكتشف الانسان أن آلة ما تستطيع أن تقوم بالانتاج ، هذه الثورة أيضا صحبها مايلائمها من تنظيم اجتماعي وسياسي كان أساسه التماثل ، فالآلات متشابهة وكذلك التنظيمات الاجتماعية يجب أن تتشابه .

أما اليوم فإن الانسان يمر بمرحلة جديدة من تاريخه هي « الموجة الثالثة » التي تعتمد أساسا على المعلومات ، والمستقبل ـ كما يقول توفلر ـ للشعوب التي تستطيع ان تختزن وتبرمج أكبر كمية من المعلومات ، والتي بدورها تشكل مجتمعا ، ليس متماثلا ولكن متنوعا ، وفي نفس الوقت تفرض نمطا اجتماعيا أساسه التعاون .

« ثورة المعلومات » هي ماتحاول العربي أن تلاحقه . . فتقدم لك كل جديد في الثقافة والفن والعلم .

هذه هي رسالة العربي ، ولعلك وأنت تتصفح هذا العدد الذي يأتي مع اطلالة الربيع ، لايخالجك شك أننا نحاول جهدنا لنقدم لك كل ما هو جديد وعلمي . . ونأمل ونحن نمضي في مسيرتنا أن نلحق بالركب ، فلا يفوتنا القطار ، ولانتوقف عن الاضافات الجادة في انطلاقتنا التي اقتربت من عامها الثلاثين .

المحرر

محتويات العدد



الكومبيوتر والغد على موعد .. ان الحاسب الآلي هو أحد ملامح المستقبل الذي يعيشه هذا الشعب، اقرأ الاستطلاع (ص ٦٨).

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● من مكتبة العربي :

● جمال العربية :

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

ثقافة أبنائنا بين النظرية والتطبيق

■ طفل "أفيرون" و"الطفلة الذئبة".. ماحكايتهما؟

■ هل لدينا أمية تشكيلية.. وما هي؟

تتداخل لدى المشتغلين بالعلوم الاجتماعية قصتان ، فيهما من الطرافة والمعرفة ما يحكم ارتباطهما بذهن القارىء لفترة طويلة حتى يدرك مغزى القصتين الذى هو في الحقيقة مغزى واحد .

القصة الأولى هى مايعرف بقصة طفل (أفيرون) ، والقصة الأخرى هى قصة (الطفلة الذئبة كمالا) ، وبين القصتين فترة زمنية تقارب نصف قرن من الزمان .

القصة الأولى تبدأ عندما عثر مجموعة من الصيادين على طفل في الثانية عشرة من عمره تقريبا ، يتجول في غابات أفيرون الكثيفة ، ومكانها خارج باريس ، وزمن القصة كان في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر .

كان الطفل يتنقل على يديه وقدميه معا ، ويطلق همهمة غير مفهومة ، ويهاجم بأظافره وأسنانه كل من يقترب منه .

هو انسان ، ولكنه يتصرف تصرفا أقرب منه الى الحيوان ، وعندما قبض على هذا الطفل وعرض على الاختصاصيين وقتها ، تبين أنه سليل بشر ، وأن سبب سلوكه ذاك هو انعزاله عن المجتمع الانسانى ، وحرمانه من تكوين ردود أفعال اجتماعية يتعلمها تلقائيا من هم على شاكلته وتربوا مع بشر أسوياء ، ولم يتقدم طفل (أفيرون) هذا كثيرا عندما أريد له ان يتكيف مع البشر ، ويعود انسانا .

ولكن القصة بتفاصيلها العامة تتكرر بعد ذلك بحوالى نصف قرن . . هذه المرة في الهند ، فقد عثر على طفلة عمرها عشر سنوات (سميت « كمالا » في وقت لاحق) عثر عليها في جحر ذئب ، وكان سلوكها ايضا حيوانيا عدوانيا لطول عشرتها مع الذئاب . الا أن حظها كان أسعد من حظ طفل (أفيرون) ، فقد تعلمت كيف تمشى واقفة ، وكفت عن العواء ، وتعلمت في وقت لاحق العيش مع البشر ، ولكن ذلك لم يدم أكثر من عشر سنوات ، فقد توفيت بعد ذلك .

الإنسان كائن اجتماعي

□ هاتان القصتان نرى لهما أمثلة كثيرة في تاريخ العلوم الاجتماعية ، والمحصلة العلمية لمثل هذه القصص الطريفة والمؤسفة والحقيقية في نفس الوقت ، هي ان الانسان كائن اجتماعي يتشكل حسب البيئة التى نشأ فيها ، ومارس أنشطتها العلمية والفكرية ، فهو يكتسب تجاربه ومفهوماته من واقعها ، وتنتقل خبراته متكدسة من جيل الى جيل في وعاء مرن رحيب يشمل كل ذلك ، اصطلح على تسميته « بالثقافة » في المجتمع الانسانى .

فالطفل الانسانى - يختلف عن المولود الحيوانى - وحين يصل الأخير الى هذا العالم سرعان ما يشب على ارجله الأربع ويسعى تلقائيا الى ضرع أمه ، أما الطفل الانسانى فأنه يحتاج الى احتضان محفوف بالمعونة والرعاية ، وبيئة ثقافية يتشكل فيها ، صحيح ان الطفل الانسانى يولد ولديه الاستعداد لاستقبال المعلومات واختزانها ، أى ان له منظومة فطرية ، ولكن الصحيح أيضا - في الوقت نفسه وبالقوة نفسها - ان هذه المنظومة الحيوية شديدة التقبل والتفاعل مع البيئة المحيطة به .



وكل من يقول بذلك لايعوزهم الدليل حينما يستشهدون بطفل أفيرون أوبالطفلة الهندية ، ولكن تاريخ الانسان ملىء بهذه الشواهد التى تقول في النهاية : ان الطفل كائن اجتماعي،ومهما حمل من خصائص نوعه والتصاقات وراثته فانه اخيرا من صنع بيئته .

اذا قبلنا تلك الحقيقة العلمية فأننا نقبل معها ايضا مسؤولية التأثير في الطفل وتوجيهه ، الا ان السؤال الاهم يظل معلقا وهو :

« هل نترك الطفل لبيئته الاجتماعية كما هى ، تؤثر فيه بطريقة تلقائية ، أو نحاول التعديل والتغيير في تلك البيئة الاجتماعية لاهداف نبتغى ان تغرس في طفل اليوم . . رجل الغد ، أو طفلة الحاضر أمّ الأجيال القادمة ؟ »

الاجابة الشافية عن هذا السؤال الدقيق ليست من السهولة بمكان ، ولكن من حيث المبدأ وبملاحظة ما يجرى حولنا في عالم اليوم ، نرى ان معظم المجتمعات الانسانية تحاول ان تؤثر في نشئها الجديد باتجاه اعداده لمهمات تفرضها هى ، ودليلنا على ذلك

الجامعات والمدارس ودور التدريب التى تقتطع من اعمار المتعلمين شهورا عديدة وسنوات طويلة من أجل اعدادهم الاعداد السليم لخدمة مجتمعاتهم .

كل هذا التعليم والتدريب يخضع لمتتالية زمنية تتدرج عبرها مستويات التعلم واهدافه . ولكن الثقافة أوسع مجالا من التعليم وارحب ، فالثقافة ليست المنهج المدرسى ولا التعليم التقليدى فقط ، وانما ثقافة الطفل إذا ما اردنا له الثقافة ، تقتضى تجميع الكثير من جهود المؤسسات الاجتماعية على اختلاف مناشطها ومشاربها .

ثقافة الطفل في محنة

□ واذا نظرنا الى خصوصية ثقافة الطفل العربى ، فأننا نجد ان المسئولية تتجاوز طبيعتها الى ماهو اعظم وافدح ، فقد قررت كثرة من الوثائق العربية المعنية بالثقافة أن ثقافة الطفل العربى في احسن الاحوال مختلة ، وفي اقلها معدومة ، وقد قررت ذلك بوضوح مسودة الخطة الشاملة للثقافة العربية التى توافر على وضعها نخبة من المتخصصين العرب ، ونوقشت في اطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس في نهاية نوفمبر الماضى .

فبعد ان تعرضت تلك الوثيقة المهمة لابراز وجوه النقص الذى تعانيه المطبوعات الخاصة بالطفل العربى ، قررت انه (ليس ثمة مناص من تخطيط ثقافى خاص بالطفل العربى يستهدف انقاذ الجانب الثقافى في شخصيته ويستكمل به تكوينه القومى) .

وعندما تقول وثيقة كهذه ان الهدف هو « إنقاذ » الجانب الثقافى ، ونحن نعرف مدلول كلمة « انقاذ » ، ندرك على الفور مدى ما تعانيه ثقافة الطفل العربى من محنة الاهمال .

محاولات ومحاولات

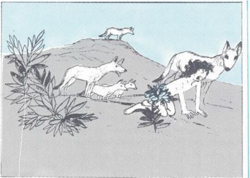
□ من يقرأ هذه الكلمات من جيلنا العربى الذى خدمته الظروف فأتيحت له فرص القراءة ، يتذكر مجلة « سندباد » التى اصدرتها فيما بين ١٩٥١ ، ١٩٦١ دار المعارف في مصر ، واشرف على تحريرها رجل لامع من رجالات التربية والتعليم وقتها هو المرحوم محمد سعيد العريان ، وبعد ذلك ربما يتذكر البعض مجلة سمير التى صدرت عام ١٩٥٦ ، وميكى في عام ١٩٦١ .

ولعل من وعوا القراءة قبلنا من الجيل السابق يتذكرون مجلة السندباد القديمة ، التى ما لبثت ان حلت محلها مجلة البلبل ، وقد اصدر الاثنتين اجلال حافظ ، او مجلة (الاطفال) ثم مجلة (ولدى) اللتين ظهرتا في ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ . وقد اصدرهما احمد عطية الله .

وتتكرر اسماء مجلات الاطفال واحدة تلو الاخرى ، على سبيل المثال مجلات مثل « الكتكوت » و « على بابا » في نهاية الاربعينيات وبداية الخمسينيات رجوعا الى « التونو » ، « ومسامرات الاطفال المصورة » في العشرينيات وقفزا لما بين أيدينا من مجلات اطفال تصدر في كثير من عواصم الاقطار العربية اليوم .

محاولات اثر محاولات من اشخاص ومؤسسات وعت اهمية تثقيف الطفل العربى ، بعضها نجح والبعض تعثر لاكثر من سبب .. وبعضها مازال قائما في الساحة الثقافية يعمل ويقدم كل ما تتسع له الامكانات المتاحة .

وفي الوقت نفسه ـ ومع تقدم الزمن ـ يزداد عدد المقاعد التى يجلس عليها ابناؤنا



المتعلمون في ارجاء وطننا العربى ، وكذلك تزداد قاعدة الهرم السكانى العربى اتساعا الى درجة ان بعض الاحصائيات تقدر ان لدينا ما يقارب ٤٠٪ من السكان في الوطن العربى هم دون الخامسة عشرة من اعمارهم ، أى ان قاعدة الهرم السكانى في وطننا العربى شابّة وعريضة ، وهى شديدة الظمأ الى كل مشروع جاد لخدمة هؤلاء الصغار من مختلف الاعمار .

قرية صغيرة

□ ونضيف الى كل تلك الاعتبارات المهمة والرئيسة اعتبارات لاتقل عنها أهمية ، فنحن مجتمع عربى ، تقع أرضه على مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، في زمن تقلصت فيه المسافات بين القارات والشعوب ، وتطورت اساليب التأثير على الجماهير ، وتضاعفت اهميتها خصوصا في كل ما يتصل بالاطفال في كل الشعوب ، ذلك لان هذا التأثير الراهن فيها اليوم انما هو ضمان لسلوكها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى في المستقبل .

واذا ربطنا كل ذلك بما قلناه آنفا من أن معارف الطفل مرتهنة بما يحيط به من تغيرات ، وان الطفل في الغالب يتأثر بعناصر ثقافية سابقة الرسوخ في مجتمعه ، وان هذا المجتمع هو نفسه عرضة لتأثيرات ثقافية متجددة لا يملك دفعا للكثير من عناصرها ، هنا يقع الطفل في صراع ثقافي متعدد الاطراف ، صراع بين الثقافتين : ثقافة متأصلة الرسوخ ، وثقافة متغيرة ، صراع بين القديم والحديث ، ان لم يعالجه القائمون على ثقافة الطفل العربى اليوم في حرص ووعى ، فان مصداقية هذه الثقافة سوف يعتورها التصدع ليس بالنسبة لمضمونها فقط ، وانما لعجزها عن الثبات امام الثقافة الغازية .

لذلك فان اثراء الثقافة المطروحة امام الطفل العربي مسئولية عظيمة لا يسعنا ان نتكص عنها لما لها من أثر كبير في تنشيط الدوافع المكتسبة كالاكتشاف والانتماء ، والاتصال والمشاركة والوعي الديني والوطني والقومي ، حتى تستقيم توجهات الطفل الى ما يخدم الوطن والامة ويقيها الهوان والجمود .

ولعل مجلة للاطفال ، فيها من الجاذبية النفسية للمادة المطبوعة من جهة ولافضليتها النسبية على الاشرطة المسموعة والمرئية ، من حيث زهادة السعر والسيطرة على الموقف القرائي وأختيار الوقت حسب الفراغ والحاجة وسهولة الاستعادة والتكرار من جهة أخرى ، إلى جانب كون المادة المطبوعة من اقدم وسائل الاتصال الجماهيري المعروفة .. لعل كل هذه العناصر التي تؤكد اهمية المجلة المطبوعة ، هي التي دفعت مجلة العربي ـ ضمن عوامل اخرى ـ ان تنتهز قرب بلوغها الثلاثين من عمرها لتقديم مجلة مستقلة للاطفال العرب ، هي « العربي الصغير » ، التي صدرت في البداية في عددين تجريبيين ثم انفصلت بقوامها المستقل عن مجلة العربي منذ فبراير الماضي كي تصل الى كل الاطفال العرب وهي تحمل كل هذه المعاني التي ترجو ان تصل الى عقول أبنائنا .

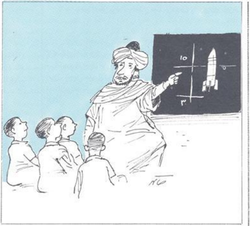
رسالة
ثقافية
عربية

□ ولا اظن ان هناك ما يدعو لاعادة طرح القضايا التي طرحت من قبل بعناية شديدة بين ايدي المهتمين بثقافة الطفل ، سواء كانوا متخصصين أو اباء وامهات مهتمين بثقافة اطفالهم . من تلك القضايا ان وطننا العربي قد ابتلي بأشكال من النتاج الثقافي للاطفال مجلوبا من الخارج غير نابع من طبيعة الوطن ، لقد اعتبر البعض ان الاطفال العرب « سوق » يجري عليه ما يجري على كل الاسواق من ترويج البضائع بأسلوب الواجهات المضيئة والاجتذاب الباهر ، حتى اقتحمت أذهان اطفالنا أشياء عجيبة ، منها شخصيات الرجل الخارق والمرأة الحديدية ، دون اهتمام بالمضمون ، ودون وفاء بمطالب الاطفال واحتياجاتهم الفكرية الطيبة لكل عمل هادف .

من هنا جاءت « العربي الصغير » كمشروع ثقافي للطفل العربي بديل للكثير مما هو مطروح ، بديل يهتم بالمضمون الى جانب الشكل ، مشروع يعترف بأهمية الخيال المجنح في آفاق التسلية النافعة والمتعة البريئة والتصورات المتفننة ، وليس الخيال الشرس العقيم .



وقد أولينا اهتماما خاصا بتراثنا وحرصنا على تقديمه في اطار شيق ملائم ، ولم نغفل نواحي العلم والتقنية الحديثة ومجالات تطبيقها في نطاق الواقع العربي . ووضعنا المشروع كله تحت النقد وأمام أعين الرقابة الوطنية العربية ، ولذلك فقد سعدنا عندما جاءتنا اقتراحات وانتقادات وتوجيهات واعية من الكويت ومنطقة الخليج ، ومن مصر العربية ، ومن الجمهورية العراقية ، ومن الجمهورية الجزائرية .. ومن كل اقطار الوطن العربي تقريبا ومن خارجه ، من مؤسسات وافراد ومفكرين ومسئولين ومثقفين ومدرسين واباء وأمهات ومن الاطفال انفسهم ، وقد عبروا فيها بطريقتهم عن استحسانهم أو نقدهم لهذا الموضوع أو ذاك في الأعداد التمهيدية « للعربي الصغير » . ومن الاتجاهات الاساسية التي تستحق في رأينا الرصد والتبويب ـ كدراسة عملية لمشروع ثقافي للاطفال العرب ـ اتجاهات اتفقت فيها أغلب الرسائل .



الأهداف والقيم

من بين هذه الاهداف والقيم التى يجب ان تتبناها المجلة :

* القيم الدينية الاصيلة والواضحة ، التى تمنح الطفل التوازن النفسى والامن والثقة بالحياة ، وتؤكد على النزعة الانسانية ووحدة البشر أمام خالقهم ، وتنزع الى تحرير الانسان من مخاوفه واوهامه ، بالشكل الذى يمكن للطفل ان يتقبلها به وتؤثر في سلوكه .

* القيم العربية التى تؤكد انتماء الطفل الى أمته العربية ، وتحرره في الوقت ذاته من التعصب العرقى أو الطائفى أو المذهبى أو الاقليمى ، وتبرز تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الانسانية في الماضى والحاضر . . . . . كما تبرز التوجه العام والانسانى للثقافة العربية .

* القيم الانسانية المعاصرة ، (مع ابراز جذورها في الماضى وتطورها في الحاضر وتوجهها للمستقبل) مثل احترام العقل ، النظرة العلمية والموضوعية ، الحق ، الواجب ، احترام الأخر واستقلاليته ، معنى الحرية ، حدود الحرية ، قيمة العمل ، الابداع ، الانتاج ، المبادأة ، الايجابية ، أهمية الوقت . . . . . الخ مع الاخذ في الاعتبار بتداخل هذه الحلقات والمنظومات .

* اما فيما يتعلق بوسائل تحقيق هذه الأهداف والقيم فقد كان من بين الاتجاهات نقاط محددة :

* عن القصص المسلسلة ذات الصور : هناك رسائل من ذوى الاختصاص تؤكد على اهمية خلق شخصية اساسية يتعلق بها الطفل وتنشأ بينه وبينها علاقة ، وهذه مسألة تهم الاطفال من ٨ - ١٢ سنة وهى سن الخيال الايهامى النشط عند الطفل ، ومن خلال تفاعل هذه الشخصية المحورية مع بقية الشخصيات الثانوية في المسلسل ومع احداث القصة ، وتقمص الطفل لهذه الشخصية ، يمكن بث القيم المنشودة في نفس الطفل .

* عن الصور المرافقة للمسلسل : كان هناك تأكيد على أهمية ان تكون الصور واضحة ومترابطة في تتابعها بحيث يمكن للطفل ان يفهم الاحداث من تتابع الصور ، وفي ذات الوقت كانت هناك دعوة الى الحذر من الاسراف في هذه المسلسلات ذات الصور المتلاحقة والحوار القصير داخل الصورة لانها تحرم الطفل من متعة القراءة الجادة المتواصلة . ولكن لان الاطفال في هذه السن اصبحوا يقبلون على مثل هذه المسلسلات المصورة فيجب على الاقل ان تكون الصور كبيرة وواضحة ، وان تكون الكلمات تحت الصور لا داخلها بحيث لا يتمزق النص الادبي المقروء .

* هناك تأكيد على ان تعنى المجلة بقصص الخيال العلمى سواء فى شكل مسلسل أو قصة قصيرة واحدة ، على ان تربط هذه القصص الطفل بروح البحث العلمى وتعرفه باتجاهات العلم فى عصرنا مع اشباع خيال الاطفال واثارة قوة الابداع فيهم .

الصورة والكلمة

□ حول صفحات دائرة المعارف اكدت كل الرسائل تقريبا على اهمية هذا الباب فى المجلة . وبهذا الصدد كانت هناك اقتراحات بان يكون تسلسل دائرة المعارف خاضعا للترتيب الابجدى مع تعدد الاغراض فى كل عدد ، بحيث يمكن للطفل ان يحتفظ بها منفصلة كمرجع خاص ، وان يستفتى الاطفال فى الموضوعات التى يحبون ان تقدمها لهم دائرة المعارف .



واقترحت بعض الرسائل ان يطلب الى الاطفال ان يقدموا ما يحبون تقديمه من الوان المعرفة لهذا الباب .

* وعن الاستطلاع . . كان هناك اجماع على أهميته ، واعجاب بما قدم منه ، وعلى انه من افضل السبل لتعريف الطفل بوطنه العربي بشكل جذاب ومشوق ، ومناسب . وبهذا الصدد : كانت هناك ملاحظة واحدة تؤثر ان يكون الاستطلاع معتمدا أساسا على الصور وبأقل قدر من الكلمات ، كما كانت هناك دعوة الى ان يطلب من الاطفال تقديم استطلاعات عن بلادهم أو بيئاتهم فيتعرفون هم عليها ويعرفون غيرهم بها .

* عن مادة التراث والتاريخ . . اكدت رسائل عديدة على أهمية تعريف الاطفال



بتراث أمتهم وأوطانهم وتاريخها ، بما يؤكد انتماءهم لأمتهم مع الاخذ فى الاعتبار رغبة الطفل وحاجته الى الايمان بمثل عليا فى هذه المرحلة من العمر وخصوصا من ١٢ الى ١٥ . واشارت الرسائل الى ان هذا الهدف يمكن ان يتحقق من خلال « القصة » ودائرة المعارف » ، « والاستطلاع » و « المسلسل » ، و « الحكايات المأخوذة من التراث » لكن المهم فى كل هذه الاشكال هو الاختيار الجيد للمادة التراثية أو التاريخية ، والتقديم المناسب لها ، بما يسهم فى تحقيق الهدف المنشود . ويحث الطفل على البحث بنفسه فى المراجع الخاصة بهذه المادة . ومن هنا اقترحت بعض الرسائل ضرورة الاشارة الى المراجع فى مثل هذه المواد ، فالمجلة ينبغى ان تكون طريق الطفل الى الكتاب لا بديلا عنه .

* وعن الصفحة الدينية ، أكدت رسائل عديدة على هذا الجانب ، بينما اقترحت بعض الرسائل ان تبث القيم الدينية خلال الموضوعات المختلفة بشكل غير مباشر ، لان هذا افضل من تركيز المسألة فى صفحة خاصة ، وان كانت بعض الرسائل قد اقترحت ان تكون الصفحة خاصة بالثقافة الدينية التى تقدم فى فقرات قصيرة وواضحة سهلة الاستيعاب ، أو فى شكل سؤال وجواب .

* وعن صفحات المسابقات ، والالعاب ، والتسلية ورسائل القراء فقد اكدت رسائل كثيرة ، على ضرورة ان تكون المسابقات احدى وسائل المجلة لتنمية الذكاء ، والمعلومات واثارة الرغبة فى القراءة ويمكن ان تتطور لتشجيع الاطفال ذوى المواهب فى الادب أو الفنون على تقديم انتاجهم فى مسابقات أدبية أو فنية مناسبة يمكن نشر ما يفوز منها فى مجلتهم « العربي الصغير » .

* أما عن باب : « اعمل بيديك » . . فقد لقى استحسانا كبيرا من اغلب من كتبوا عن الاعداد التجريبية ، ونبهت بعض الرسائل الى ان تكون الاجهزة التى تتناول فى هذا الباب من الانواع المألوفة والمعروفة لدى اكثرية الاطفال ، بحيث يمكن ان يجربوا بالفعل المعرفة التى تقدمها لهم المجلة .

* أما الكاريكاتير فهو يلبي حاجة الطفل للمرح ، ويقترح البعض ان يوجه الكاريكاتير لنقد بعض العادات السيئة التى يمكن ان ترافق سنوات الطفولة ، واقترحت رسائل اخرى فى مجال الاستجابة لروح المرح لدى الاطفال تقديم صفحة خاصة بالفكاهة والطرائف . . . . .

الأمية التشكيلية

☐ يقول احد المتخصصين فى الميدان : اننا كعرب لدينا فعلا أمية تشكيلية على حد تعبير احد الفنانين العرب ، فهل يمكن ان تقوم المجلة بدور بارز فى محو هذه الامية لدى الجيل الجديد عن طريق نشر لوحات للفنانين العرب المعاصرين مع شروح لهذه الاعمال حتى تتفتح حواس اطفالنا على هذا الفن الجميل وينمو ذوقهم الفنى منذ البداية فى الطريق الصحيح ، كما اقترحت بعض الرسائل نشر الرسوم الجميلة التى يقوم الاطفال برسمها .

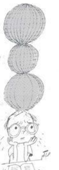


* وقد طرحت ايضا فكرة الاستعانة بدراسة قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « عن الالفاظ والتعابير المشتركة بين اطفال الوطن العربي » وذلك لمساعدة المحررين على التركيز على المشترك والابتعاد عن سواه بقدر الامكان .

* وتلح رسائل كثيرة على العناية باللغة العربية تقول : ان مجلة يتناولها الاطفال العرب أجدر من سواها بالحرص على سلامة الاستخدامات اللغوية . كما تقول رسالة اخرى : ان الدقة فى تشكيل الكلمات أمر ذو أهمية ليتلقف الاطفال منذ البداية الكلمة الصحيحة .

* وثمة مخاوف ومحاذير اخيرة عبرت عنها بعض الرسائل خلاصتها « أن توجه المجلة لفئات العمر من ٥ الى ١٤ سنة يعنى انها ستخاطب فئات مختلفة فى احتياجاتها النفسية والفكرية ، والتحدى الماثل يكمن فى ان عليها ان تكسب كل هـذه الفئات بحيث لا تشعر فئة من هذه الفئات ان المجلة ليست لها وحدها ، أو انها لا تجد نفسها فيها بالدرجة الكافية مما قد تكـون بعض نتائجـه التضحية بفئة من هذه الفئـات أو تسربها ، ان على المسئولين عن هذه المجلة ان يكونوا على درجة عالية من اليقظة لكسب المعركة فى الجهتين ، فيكون الانتصار عظيما حقا » .

وبعـــد . .



* . . لقد دخلنا المعركة ، معركة تنوير عقل الطفل العربي ، ولسنا وحدنا فى هذا المجال ، فهناك الى جانبنا مؤسسات وافراد فى طول الـوطن العربي وعرضه يناضلون من اجل غد أفضل لهذه الامة ، وما مجلة للاطفال فى رأينا الا احد الاسلحة فى هذه الحرب الحضارية ، ونحن عـازمون على المضى فيها الى آخرها ، لا يعـوزنا التصميم ، ولا تنقصنا العزيمة .

اقرأ في العدد القادم من العربي

إبريل

الفلبين
على مفترق الطرق

استطلاع : سليمان مظهر

ضرورة معجم عربي عصري
د. اسماعيل صبري عبدالله

الطريق إلى حماية إنتاجنا الغذائي
د. عز الدين فراج

عربسات في عيده الأول
طاهر سكر القيسي

- سباق التسلح النووى وموقف العلماء والمثقفين / د. عبدالمالك التميمي
- الاستراتيجية الاسرائيلية فى ظل سياسة الترابط / أمين هويدى
- الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد .. بقلم ابنته / د. محمد عيسى صالحية
- قراءة فى أعمال فاروق شوشة / محمد ابراهيم أبوسنة
- كيف غنى الشعراء فى المربد؟ استطلاع بالألوان / سليمان الشيخ
- وجهاً لوجه : د. على الراعى مع د. أمين العيوطى
- البيت العربى : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحى - د. عبده بدوى - د. محمد على الفرا - د. سعد البكرى

د. محمد عبدالله المشارى - فاروق خورشيد - د. ابراهيم أبو ربيع - د. عبدالعزيز المقالح

العربي - العدد ٣٢٨ - مارس ١٩٨٦

إدارة الأزمات الإقليمية

بقلم أمين هويدى

درجت على ألسنتنا كلمة « الأزمة » مع غيرها من كلمات سادت مجتمعاتنا العربية ، بل تسود العالم الحديث ، فما هى « الازمة » وماهى طبيعتها ، وكيف يمكن ادارتها والتعامل معها اذا ما ثار غبارها ؟ خصوصا فى واقع متشابك القضايا مثل واقعنا ؟

كانت الافكار تنساب فى عمق وهدوء اثناء ندوة رائعة تشرفت بادارتها فى مقر « اتحاد المحامين العرب » فى القاهرة عن « ازمة الشرق الاوسط » وهى احدى النقط الساخنة بل الملتهبة « فى قوس الازمات » الذى حدده « زيجنيو بريجنسكي » بالقوس الذي يمتد من افغانستان شمالا الى القرن الافريقي جنوبا مارا بمنطقتنا العربية ذات الاهمية الحيوية فى « الاستراتيجية العالمية » .

وكان من الضرورى أن يتناول الحوار مواضيع مختلفة مثل : القوة ، الاستقرار ، وتوازن القوى ، حل الأزمة ، ادارة الازمة . . وهذا شيء طبيعى عند معالجة مثل هذه الموضوعات وعلى هذا المستوى . . وفجأة وفى كلمة أحد الحاضرين رجا الجميع أن يكفوا عن الحديث عن « توازن القوى » اذ انه لايعترف به بل - وعلى حد قوله - يسبب له ارتكاريا » . . .

وبصراحة صدمنى الحديث وحيرنى أشد الحيرة ، فالحديث من استاذ جليل يعالج المواضيع السياسية فى الكتب والصحف والمجلات، بل يقوم بالقاء المحاضرات المتعددة فى « ادبيات السياسة » . . وهذه كلها موضوعات لا يتم الاقتراب الصحيح منها الا من خلال التفهم العميق « لاستخدام القوة في السياسة » خصوصا وان الاتفاقيات حتى اذا تم التوقيع عليها - انما تعبر عن « قوة الموقعين عليها . وصياغة الاتفاقيات فى ابوابها وفصولها وبنودها انما هى ترجمة أمينة « لقوة الأطراف » على الطبيعة أو فى مسرح العمليات .

وهذا الحوار حفزنى على معالجة موضوع الأزمات الاقليمية ، خصوصا وأن « أزمتنا المستعصية » تمر



بأخطر مراحلها ، وأدق ظروفها .

الأزمة سواء كانت عالمية أو اقليمية تعني مجموعة من التفاعلات المتعاقبة بين حكومتين أو اكثر لدول ذات سيادة ، تعيش فى حالة صراع شديد ، ولكن بدرجة أقل من الحرب والمواجهة المسلحة ، مع الادراك بوجود احتمال عال لنشوبها ووقوعها . . . وتعنى ايضا ادراك صاحب القرار بوجود موقف يهدد المصالح العليا للوطن ويتطلب وقتا قصيرا للتعامل مع هذا الموقف باتخاذ قرارات جوهرية .

الخصائص

وبشكل عام فانه يمكن تحديد خصائص الأزمة بأنها :

* نقطة تحول فى أحداث متعاقبة اصبحت تهدد أهدافا عليا للدولة .
* تتزايد فيها الحاجة الى الفعل المؤثر لمواجهة الظروف المتجددة .
* قرارات مواجهتها مصيرية اذ تشكل نتائجها تغييرا فى مستقبل الأطراف .
* تتميز بدرجة عالية من الشك في الخيارات المطروحة .
* يقتضي فيها التحكم فى الأحداث وخصوصا وان « مديري » الازمة » يعملون فى ظل نقص المعلومات أو عدم وضوحها وتحت ضغط نفسي تحسبا للتصرفات المفاجئة للاطراف الاخرى المشتركة أو المتدخلة .
* تسبب حالة عالية من التوتر خلال فترة قصيرة وتكون محل جذب لقوى اخرى بدرجات متفاوتة حسب درجة تأثر مصالحها بتطورات الأزمة .

واذن وكما نرى فان « الازمة » هى درجة من درجات « الصراع » الدائر بين الدول الصديقة والمعادية . وعلينا أن نتذكر أنه حدث تطور خطير فى مفهوم الصراع ، إذ كان الشائع أنه تصادم ارادات وقوى خصمين أو اكثر يكون هدف الأطراف المشتركة فيه « تحطيم بعضهم » كليا أو جزئيا ، حتى تتحكم اراداتها فى الخصم ومن ثم يمكنه ان ينهى الصراع بما يحقق أهدافه . الا ان « تحطيم » الارادات فى ظل الظروف المعقدة للصراعات وتداخل الصراعات الاقليمية مع الصراعات العالمية بحيث اصبحت فى الجانب الكبير منها صراعات بالوكالة أصبح أمرا مستحيلا ، وبذلك فان الصراع لايمكن أن يحقق « الاغراض الكاملة للاطراف بل ينتهى فى واقع الحال الى نقطة بين « الهزيمة » والانتصار ، أو مزيج من الانتصارات والهزائم ، وبذلك أصبح الغرض من الصراع هو تليين الارادات « لاتحطيمها » حتى يتم تحقيق الاغراض الناقصة

وعلينا أن نتذكر هذه التطورات فى المفاهيم ونحن نواجه ازماتنا الخطيرة ، وقد أعجبنى قول « ريتشارد نكسون » وهو يلخص رأيه فى تعريف الازمة « إن مفهومي الأفضل للازمة توضحه الطريقة التى يكتب بها الصينيون الكلمة باللغة الصينية اذ يرمزون لها بشكلين : أحدهما يعبر عن الخطر ، والآخر يعبر عن الفرصة » .

وهو يعنى بالخطر احتمال تصاعدها-أي الأزمة-الى مستوى المواجهة المباشرة بإستخدام القوة ، ويعني « بالفرصة » سرعة اتخاذ القرار لتطويع اتجاهات الازمة بما يخدم اغراضنا . فالتصرف الموضوعى الذى يتسم بالبراعة والحنكة اثناء تطور الازمة يوفر لنا القدرة على دفع الامور لايجاد حل لصالحنا،بل كثيرا مانفتعل الأزمات لاعادة صياغة النظام العالمي أو النظام الاقليمى وبذلك يصبح قيام « الازمة » نتيجة للحاجة الملحة لتعديل النظام السائد . . . « واسرائيل » تقوم دائما بافتعال الازمات لتعديلات تريد ادخالها على الامر الواقع . وبذلك يمكننا أن نقول : إن خريطة الشرق الأوسط تتغير تدريجيا ، ووسيلة هذا التغيير افتعال الأزمات وتفجيرها على فترات متعاقبة ، يتم فى الفترات الفاصلة بين كل ازمة وما يليها من أزمات عملية التغيير .

تفاعل التناقضات

اذن فالأزمة عبارة عن تفاعل التناقضات الموجودة وتراكمها ووصولها الى درجة الحرارة الساخنة ،ومهما اتخذت الأزمة من اساليب تعبر بها عن نفسها فان القوة كما جاء فى كتاب سيوم براون « أزمات القوة » هى العامل الفعال لطريقة اداراتها ، بل فى الصورة التى تنتهى بها ، فالعلاقات الدولية سواء كانت ايجابية أو سلبية تنظر الى « القوة » باعتبارها العامل الأسمى فى السياسة القومية ، فهي أشبه بالمركز العصبي فى جسم الانسان،يمكن عن طريقها دفع التهديدات ، وتحقيق الأغراض الحيوية،وحماية المكاسب الوطنية واطلاق الجهود الخلاقة لبناء الوطن تحت حماية درع القوة . ومن الطبيعى فانه اذا كانت القوة تحقق هذا الذى شرحناه - فالقدرة - باعتبارها محصلة لمجموع قوى الدولة فى المجالات المختلفة « حَرْبِيَّةً » بالتعامل الايجابى فى غابة السياسة الدولية ، لمقاومة اى محاولات للسيطرة والتهديد - بمعنى أن تكون قويا لايقل ابدا عن الحياة نفسها ، فالحياة لامعنى لها دون قوة ، اذ بدونها تصبح الدولة نهبا للطامعين من السهل عليهم قضمها وابتلاعها وهضمها .

واذا ماوصلت الأزمة الى درجة الحرارة العالية فإن الذى يحول بينها وبين أن تصل الى درجة الغليان - أى الى المواجهة الفعلية - هو « توازن القوى » ويكون هناك « توازن » اذا وصلت قوة الأطراف المشتركة فى الأزمة حدا يتعذر عليها جميعا فى ظلها اللجوء الى استخدام القوة لفض المنازعات ، أو ان يقتصر استخدامها فى اضيق نطاق) اذ يتحقق فى ظل هذا التوازن مايسمى بالردع المتبادل ويتم هذا « الردع » عن طريق حسابات معقدة يقتنع خلالها الطرفان أن الخسائر المحققة تفوق المكاسب المرجوه نتيجة لاطلاق القوة من عنانها .

توازن القوى

ولكن كيف يمكن « لتوازن القوى » هذا أن يحد من درجة حرارة الأزمة دون تشغيله اثناء الصراع أو اثناء تفاعل الازمة ؟ إن تفسير ذلك يكمن فى خواص القوة التي تعبر عن نفسها إما فى الحالة الاستاتيكية أو الثابتة أو فى الحالة الديناميكية أو المتحركة والشيء الغريب أن مفعولها فى الحالتين يكاد يكون واحدا فى نظر اصحاب المعرفة بشئون الصراع ، لان الجهل بمثل هذه الامور يقود دائما الى حسابات خاطئة تؤدى الى أسوأ العواقب .

فالحسابات الدقيقة للقوة وهى ثابتة أو وهى فى المخازن أو حتى وهى على خطوط الانتاج في المصانع قد يكون مانعا أو حافزا لاطلاقها . هذه الحسابات تشكل اطارا تدار داخله الازمة على نفس طريقة اعمال « العملة النقدية » فى السوق التجارية » حيث يعرف « التاجر الشاطر » قيمة مالديه من مال وقيمة مالدى الطرف الأخر من بضاعة . ويجرى التعامل فى السوق ، فقد تحصل على اكثر أو اقل مما دفعت ، وقد تحصل على سلعة مغشوشة ، وقد يأخذ منك الطرف الآخر كل مالديك من نقود ولايعطيك شيئا !!!



والحسابات الدقيقة تجرى لقياس عدة عوامل :
- القوة المتاحة .
- الارادة والتصميم على استخدامها .
- تصديق الاطراف لهذين العاملين .

ويخطىء من يظن ان الردع هو عبارة عن حاصل جمع هذه العوامل ، اذ انه فى واقع الحال نتيجة أكيدة لها .

وهناك فارق كبير بين الامرين . فاذا كانت محصلة هذه العوامل صفرا فان الردع يفشل فى احداث اثره المطلوب . فعامل القوة مهما كانت قيمته يفقد هذه القيمة اذا كان الاصرار على استخدامها محل شك . كذلك إن توفرت القوة ووجدت النية على استخدامها دون أن يصدق العدو ، فشل الردع

وفشل الردع معناه بدء القتال وتنقلب الجهود المبذولة لادارة الأزمة الى جهود تبذل لادارة الحرب التى هى عبارة عن مأساة كبرى تعنى فشل الساسة فى ادارة الازمة واحالتها الى القادة العسكريين لحسم الموقف . وليس معنى بدء القتال انهاء الحوار ، كما لاتعنى بداية الحوار إنهاء احتمال القتال اذ ان الاستقرار المطلوب - على حسب تفسير الاطراف له يتطلب من مزيجا من الدبلوماسية والقوة . واستخدام القوة دون دبلوماسية أى كوسيلة وحيدة لممارسة السياسة هو نوع من أنواع التهور ، يؤدي الى فشل ذريع فى تحويل الانتصارات أو الهزائم الى واقع سياسى . كما ان استخدام الدبلوماسية دون ارتباط وثيق بالقوة عمل عقيم يدخل فى نطاق « الرومانسية » وهى مجال لايصلح للصراع الذى لايعرف الا الواقعية .

لهجات الحوار

اذن فالحوار هو الوسيلة الوحيدة لادارة الازمة والحوار ليس حديثا كله على موائد المفاوضات المستطيلة أو المستديرة أو البيضاوية ، لكن قد يجرى الحوار فى نفس الوقت فى ميدان القتال أو تحت التهديد بانطلاق القوات العسكرية من معاقلها . فالكلمة المكتوبة أو المنطوقة سواء بطريق مباشر أو عن طريق طرف ثالث ، لهجة من لهجات الحوار ، والطلقة سواء من الطرف المباشر فى الازمة أو الطرف غير المباشر الذى يلعب خارج الملعب لهجة من لهجات الحوار ، وهذا ما اسميناه دائما فى ابحاثنا « كلام كلام - قتال قتال » .

« واذا كان الغرض من اى صراع هو الوصول الى اتفاق فان المفاوضات تكون نهاية المطاف . فلم يعرف التاريخ قتالا استمر الى مالا نهاية ، كما لم يعرف التاريخ ان ازمة تتعلق بالمصير والمستقبل تم حلها بالتفاوض الى ما لانهاية . ولكن اختيار الوقت لاستخدام القوة المسلحة يحتاج الى مهارة ، اذ ان اللعب بالسلاح أمر خطير للغاية لايقر به العقلاء الا فى حالة الضرورة القصوى ، أو فى حالة الثقة الكاملة بالانتصار . كما ان اختيار الوقت للتفاوض يحتاج الى الوصول الى حالة معقولة من توازن القوى اذ ان التفاوض الذى لاتسنده القوة هو حوار من جانب واحد هو الجانب الاقوى .

وعلينا ان نتذكر - ونحن ندير الحوار - أن الحرب والسلام عمليتان غير منفصلتين ، بل هما عمليتان متعاقبتان . اذ ان الغرض من ادارة الأزمة - اى ازمة - هو الوصول الى حالة أفضل من الاستقرار - فعلينا ونحن نقاتل الا تغيب رؤيتنا لشكل السلام الذى نريده ، وان نحن لم نفعل هذا انفصلت الاستراتيجية عن السياسة . اى يكون « الجزء » - وهو الاستراتيجية - قد لعب دورا خارج اطار « الكل » - اى السياسة - وهذا خطأ وقعنا فيه دائما فى الماضى وارجو أن نتفاداه الان .

والازمة تحدث لاسباب معينة ، ولايمكن أن تزول الا بزوال هذه الأسباب ، وعلى ذلك ففك الاشتباك بين أطراف الازمة ليس حلا لها بل هو تأجيل لاضطرامها فى أول فرصة يعاد فيها ترتيب الاوراق .

ونقصد « بالاشتباك أو فكه » دوام الحوار سواء بالكلمة أو بالطلقة ، فالمواقف السلبية وتجاهل الأزمة القائمة من طرف لايعني أن الطرف الآخر لن يستمر في اجراءاته الايجابية أو انه سينصرف عن اهتمامه بالأزمة . فكما سبق في حديثنا فان الموضوع كله يتعلق بالارادات المتصارعة ، من يتأوه أولا يخسر الشوط .

الجانب الآخر من التل !

ان النظر وبصفة مستمرة الى « الجانب الآخر من التل » شرط أساسي لادارة الأزمة . فالمدير « أي صاحب القرار لاينظر فقط الى « الجانب القريب من التل » أي الى مايحدث عنده ، ولكن عليه أن ينظر دائما وبعناية الى الجانب البعيد ، ويستمع الى كل مايصل من هناك . ان مايحدث هناك سواء كان كلاما مباشرا أو غير مباشر ، وسواء كان مقالا صغيرا أو واسعا إنما هو في حد ذاته رسائل مرسلة لايجوز تجاهلها ، بل من المحتم الرد عليها . علما بأن تجاهل الرد هو في حد ذاته ردّ . وعلى سبيل المثال فان ضرب المنظمة في تونس في اكتوبر (تشرين أول) من العام الماضي كان رسالة واضحة من اسرائيل موجهة الى كل الدول العربية تقول اننا لن نقبل بدولة فلسطينية ، وانا مصرون على ذلك وقادرون عليه وذراعنا طويلة ، ومايقال عن تنازلات من جانبنا محض افتراء . وكان صمت الأطراف العربية المعنية وعدم قيامها برد الفعل المناسب ردا واضحا يقول « وصلت الرسالة وقرأناها وفهمناها وما باليد حيلة » ، ثم كثر الكلام بعد ذلك عن السلام والتفاوض !

وكما رأينا فان ادارة الأزمة ليست مجرد مباراة بالنصوص بين رجال اذكياء يملكون ناصية الفصاحة والتلاعب بالالفاظ ، ولكنها إدارة تعبر عن قوى حقيقية تضاربت مصالحها،الأمر الذي يقتضي المرونة وسرعة التجاوب بين الأحداث على أساس أن نتيجة الأزمة لايمكن أن ترضى كل الأطراف بل من المحتم أن تنتهي بما يسمى « بالرضاء الناقص » . ولكن كثيرا ما يصل المتفاوضون الى طريق مسدود ، وهنا تتحرك القوات في مسارح العمليات من جديد لاحداث مزيد من تليين الارادات . وان حدث هذا فإن مرحلة جديدة قد تبدأ لتنهي الأزمة أو تبقيها ولو الى حين .

وكم هي عملية صعبة أن يصبح السياسي مديرا لأزمة ساخنة ؟! فالسياسي وهو مدير الأزمات المصيرية يشبه - كما قال هنري كيسنجر - في كتابه « عالم أعيد بناؤه » أبطال الدراما الذين يخترقون بصيرتهم حجب المستقبل ، وان كانوا عاجزين على تحديد معالمه . والشعوب تتعلم بالتجربة ، ولذلك فالسياسي العظيم هو الذي يسبق شعبه ويتحرك وكأن بصيرته هي التجارب التي حدثت وكأن احلامه هي حقائق الحياة ، فلذلك فمصير السياسيين كمصير الانبياء ، ولا نبي في قومه . □

تعاريف مختلفة لمادة التاريخ

هناك تعاريف عديدة للتاريخ ، فالأقدمون عرفوه بأنه ، « معرفة البلاد والعادات والآثار الماضية والحاضر » ، أما المؤرخون العرب ومنهم السخاوى فقد عرفه بأنه « فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعين والتوقيت » .

ويعرفه المؤرخون الغربيون في العصور الوسطى بأنه « دراسة تعاقب أحداث الماضي الكبرى » أما مؤرخو العصر الحديث فقد جعلوا التاريخ أشبه بالمعادلة الكيماوية موادها المتفاعلة : الانسان + الزمان + المكان ونتائجها التاريخ . أما التعريف الحديث للتاريخ فانه « دراسة الماضي الحي » أي دراسة أعمال الانسان وأقواله المهمة وتدوينها وهي التي تركت أثرا في الوقت الذي حدثت فيه ، وامتد أثرها الى الأجيال المتعاقبة .

أقوال



نجيب محفوظ



د . يوسف أدريس

□ انني أتعامل مع التراث لا لكي أفرض عليه معاصرتي ، بل كي أراه كما هو في ضوء فكري المعاصر .

د . حسين مروة
كاتب عربي من لبنان

□ أتمنى أن يتناسق عمري الكتابي مع عمري الجسدي .

نجيب محفوظ
كاتب عربي من مصر

□ أتمنى أن ينتهي عمري مع انتهاء طاقتي على الخلق والابتكار .

د . يوسف ادريس
كاتب عربي من مصر

□ الثقافة ليست ممارسة سياسية أو اقتصادية يمكن لشعب ما أن يمارسها اذا توفرت له حرية الممارسة والامكانات المادية والبشرية ، ولكنها عملية تمثل فكري وثقافي لكل القيم التراثية والحضارية والمستقبلية .

عبد الكريم غلاب
كاتب عربي من المغرب



تنويه

لم يظهر اسم الأستاذ الشاعر أحمد العدواني ضمن قائمة الأسماء التي فازت بجائزة الكويت ، التي تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للمبدعين والعلماء والباحثين ، ضمن استطلاع « مهرجان العلم في الكويت » الذي نشر في العدد ٣٢٧ شباط - فبراير ١٩٨٦ من « العربي » .

علما بأن الاستاذ الشاعر العدواني كان أحد الفائزين بجائزة الشعر سنة ١٩٨٠ م .

وقد أمضى الأستاذ العدواني سنوات طويلة من عمره المديد في خدمة الثقافة العربية ، في كل المواقع المهمة التي شغلها - وما زال يشغلها - سواء في مجاله الابداعي الشعري ، أو على صعيد المواقع المهمة التي شغلها في وزارتي التربية والاعلام ، أو المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ، الذي يشغل أمانته العامة منذ انشائه سنة ١٩٧٣ م حتى الآن .

دوافع ومعوقات الحوار العربي الأوروبي

بقلم : الدكتور يوسف صايغ*

نحن في عصر تغير فيه وصف العالم ، من قارات ومحيطات الى قرية كبيرة ، يستطيع فيها أي انسان أن يصل الى أية بقعة في العالم خلال ساعات قليلة .

لذلك فان « الحوار » في هذا النوع الجديد من « العالم » أصبح ذا أهمية قصوى للتفاهم على الكثير من القضايا .

وهذا ما يطرحه الكاتب على صفحات العربي . . ولكن مع من يكون الحوار ؟ وما هي دوافعه ؟ وما الذي يؤمّل منه ؟

لماذا الحوار ؟

من المناسب جدا أن نلقى السؤال من البداية : لماذا يجب على الأوروبيين والعرب أن يفتحوا حوارا فيما بينهما ؟ وأجرؤ على افتراض صدور الاجابة بالشكل التالي : انه منذ قرون نشأت بين العرب والأوروبيين علاقة خاصة جعلت من الممكن بل والضروري في أيامنا هذه اقامة حوار ، يخدم تلك الروابط والمصالح ، التي جعلت من تلك العلاقة شيئا خاصا ، ثم التشخيص والمواجهة للقضايا التي تحيط بهذه العلاقة ، وهذا الافتراض يرتكز على أساس من هذه العلاقة التاريخية أولا ، واحتمالات المستقبل التي سيكون اهمالها وتهميشها من قبيل قصر النظر .

لا أعتقد أنني بحاجة الى اللجوء الى اثباتات تاريخية لتوكيد حقيقة أن الطرفين كونا خلال تاريخهما علاقات تاريخية واقتصادية وثيقة . ذلك أن البلدان الأوروبية ارتبطت بعلاقات وثيقة مع بلدان غير عربية في آسيا وافريقيا وخاصة القارة الهندية ، لكن خصوصية العلاقة العربية الأوروبية في هذا المجال أنها ربطت بين العديد من البلدان الأوروبية الغربية والبلدان

* استاذ وكاتب وباحث اقتصادي ، عمل مستشارا في عدد من المؤسسات العربية والعالمية . له العديد من المؤلفات في هذا المجال . عضو لجنة تنفيذية سابق في منظمة التحرير الفلسطينية . رئيس سابق للصندوق القومي الفلسطيني .

العربية ، خاصة القريبة **منها على** البحر الأبيض المتوسط ، الذى كان لموقعه فعل العامل المساعد فى نمو هذه العلاقة .

حقا ، ان الروابط والعلاقات لم تكن طيبة ومتوازنة على الدوام ، لكن علينا فقط أن نذكر أنفسنا أن جميع البلدان العربية الحالية ، باستثناء السعودية واليمن ، قد خضعت للاستعمار الأوروبي الغربي فى فترة أو اخرى . وهى فترات لم يكن للعرب خيار فيها ، بل كانت بالنسبة لهم علاقة قسرية ، استخدمت فيها القوى الاستعمارية التعسف والعنف . فان تركنا قليلا الجانب السياسى العسكرى الى الجوانب الاقتصادية والثقافية فاننا سنجد أن العلاقة تتضمن الاستغلال الاقتصادى والاغتراب الثقافي بدرجات متفاوتة من الشدة والقسوة .

ومع ذلك ، فقد حملت تلك العلاقة معها تغييرات وتطورات مهمة ، رغم أن التحول الرأسمالي بتأثير من الاستعمار قد صمم بشكل أساسى ، بحيث يخدم مصالح القوى الاستعمارية . ولم يكن رذاذ الفائدة من هذه العملية على المستويات الثقافية والسياسية أكثر من فائدة هامشية مبعثرة . وكان من الأجدى لو لم يأت دفق الافكار وتحول المؤسسات ضمن العملية الاستعمارية ، ومع كل ذلك فان العلاقة التاريخية تثير اليوم آمالا كبيرة فى الجانب العربي .

قضايا الحوار

ان الحاجة الى حوار فى المرحلة الراهنة قد اتضحت خلال السبعينيات . وهذا يعنى وجود قضايا تحتاج الحوار البناء ، ويجب أن نذكر أن التغير الفجائى الكبير خلال تلك الفترة فى وضع أسواق النفط ، قد أثار فكرة الحوار حين وقف العرب والأوروبيون على طرفى علاقة عمل كبيرة بدأت فى خريف عام **١٩٧٣** ، بعمليات بيع كبيرة للنفط العربي لأوروبا . وبالمقابل ، فقد صبت الأموال الضخمة مع البضائع والخدمات فى الاتجاه المقابل .

وكان للنفط دور الدافع من اجل حوار عربي أوروبي ، وجذبت حقائق السبعينيات معها عددا من القضايا التى كانت بحاجة الى بحث فى تلك الفترة . ولكن ذلك لم يكن سوى مدخل لترشيد الحوار . فمن الناحية المفهومية والتحليلية يجب توافر ثلاثة شروط من أجل حوار مثمر :

الأول : أن المجموعة الكبيرة من القضايا الحقيقية المرتبطة بالنفط التى تقع ضمن العلاقة الأوروبية العربية يجب وضعها على جدول الأعمال ، رغم أن من غير الضرورى بحثها فى الوقت نفسه ، أو أن تكون بنفس الدرجة من الالحاح .

والثانى : أن تكون قضايا الحوار المختارة مهمة بالنسبة للطرفين .

والثالث : أن تكون القضايا طويلة الأمد وليست عرضية .

ويجب أن نبحث الشروط الثلاثة معا . وبهذا الافتراض سأنتقل **الآن** من العموميات الى التحديد الدقيق للقضايا الرئيسية لبحثها .

تندرج المجموعة الأولى ضمن المجال الاقتصادى . وهنا فان النفط يجب أن يؤخذ ضمن مفهومه الواسع الذى يتضمن النفط والغاز والمنتجات المكررة والبتروكيماويات . وسأحاول أن أطرح الهموم العربية الرئيسية فى كل قضية نريد الوصول الى فهم مرض لها .

لقد تغيرت ظروف القطاع النفطى بشكل جذرى منذ بدء الثمانينيات ، ومصدرو النفط غير قادرين الآن على الحفاظ على أسعار تضعهامنظمة الأوبك) **رغم أن الاسعار** قد انخفضت من ٣٤ الى ٢٨ دولارا لبرميل النفط العربي الخفيف . وبالتأكيد فان النفط الآن تحت الضغط فيما يتعلق بالكمية المصدرة ، والأسعار نقصت عام **١٩٨٤** عما كانت عليه عام **١٩٨٠** . وقد كان لهذا آثار خطيرة على التنمية العربية الوطنية والقومية ، وعلى نفقات الدفاع والتجارة الخارجية ودفع المعونات ضمن الاطار العالمى .

وصلة هذه التطورات بحوار محتمل صلة وثيقة فعلا . ويبدو فى الظاهر أن الأوروبيين سيشعرون بالفتور نحو وضع النفط على جدول أعمال الحوار ، لأنه لا يشكل ما كان يشكله فى السبعينيات من أهمية . فالنفط الخام متوفر بكثرة فى أسواق كثيرة . والأسعار خفضت ولا تزال تحت الضغط لمزيد من التخفيض ، وذلك فى ضوء اقتصاديات النفط السائدة

والمنافسة الواضحة ، حتى بين أعضاء الأوبك تجاه المشترين . ويبدو أن هذا الحال سيستمر على الاقل عقدا قادما .

ومن جانب البلدان الاوروبية الغربية فان لها اسبابا اضافية للراحة فيما يتعلق بالطاقة ، فلديها الآن موارد متزايدة من النفط ، عدا التحول من نفط الأوبك الى النفط من خارج اطار الأوبك ، ولدى هذه البلدان ما يمكنها من التغلب على حالات النقص عبر وكالة الطاقة الدولية ، أما الأوبك ففى حالة فوضى مفتوحة . لذا فلربما يتساءل الأوروبيون : وما شأننا بحوار حول النفط :

النفط والتنوع

اعتقد أن هناك الكثير للأوروبيين فى حوار مثل هذا . فعلى المستوى الأكثر وضوحا علينا أن نذكر أنفسنا بأن الاحتياطى النفطى العربي لا يزال كبيرا ، وله أهمية كبيرة فى مجال الطاقة لعقود قادمة ، وأكثر من ذلك فالنفط مصدر طاقة ذو قدر كبير من التنوع فى الخصائص المادية والتقنية ، مما لا يوجد فى أى مصادر اخرى . ولكن الحوار ضرورى بالأولى ، لأن السيادة الحالية لسوق المشترى أهملت من شأن البحث عن مصادر بديلة للقرن القادم . وقد يخلق هذا أن يسارع البعض بخلق أزمة فى التموين ، أو حالة خوف ربما تؤدى الى ارتفاع الأسعار . كما حدث فى السبعينيات .

وحتى لو توافر النفط الخام للمستقبل المنظور ، يبقى هناك سؤال يتطلب نقاشا معمقا ، وهذا يتضمن مستوى أسعار النفط ، وقلق المصدر حول وجود ما يوازى من الطلب ، وقلق المستورد من وجود مخزون كاف ، وتزيد فوق ذلك قضية أخرى هى تسويق منتجات البتروكيماويات العربية فى الأسواق الأوروبية . وبالنسبة للنقطة الأخيرة ، فان العرب يشعرون بأن لديهم حقا مشروعا فى نسبة من هذا السوق دون أن يشكل ذلك تغلغلا خطيرا فى سوق الصناعات البتروكيماوية الأوروبية .

هناك جزء آخر من عملية تصدير المنتجات لأوروبا ، وهو استخدام الجزء الأعظم من عائدات التصدير لشراء بضائع من أوروبا ، ومرة اخرى يبدو ذلك فى الظاهر وكأنه أمر عادى لا يستدعى نقاشا مهما . وهنا فانى أركز على النواحى الاقتصادية المباشرة للاستيراد العربي من أوروبا ، **التي** تتضمن حجم المستوردات التى **تستدعي** وحدها نقاشا ، لضمان ألا تخضع تلك التجارة الى ترد وتأرجح كبيرين فى حجم التجارة وقيمتها . بما يرافق ذلك من آثار على ميزان المدفوعات ، ولكن لأن هذين الحقلين تقليديان ، فانى أتطرق الى قضيتين متعلقتين بمسألة لم ينتبه اليها الكثيرون ، وهى تسعير المستوردات وما أسميه « تكييف نسق الاستهلاك » .

ليس سرا أن الأسعار أو التمييز فى أسعار السلع والخدمات المصدرة للبلدان المصدرة للنفط ، قد طبقته الشركات المصدرة الكبرى . وبالتأكيد فان مثل هذا الاستغلال التجارى يشكل ازدراء بالطرف الذى جرى التمييز ضده ، ويولد شعورا بالغبن لديه . واستمرار ذلك لسنوات عديدة ، الى جانب حجم التجارة العربية الكبير من أوروبا ، يحتم النقاش من أجل وضع معايير سلوكية ، من شأنها التخفيف من هذه الأوضاع غير السوية ، ان لم يكن القضاء أصلا عليها . ولا يكفى الجانب الأوروبي القاء اللوم على المستوردين ، لعدم يقظتهم فى وضع شروط صفقاتهم التجارية . فالحجم الهائل للتجارة بين مجموعتى البلدان (العربية والأوروبية) من الأهمية بحيث يجب عدم السماح بتدهورها الى مستوى المماحكة فى المساومة ، كما هو الحال فى « البازار » .

وعلى المدى الطويل ، فان القضية الثانية فى مجال البحث مهمة بقدر ما هى خطيرة ، وما أقصده هنا هو ما اسميته « بتكييف نسق الاستهلاك » . وأعنى بذلك القوة الهائلة لشركات الاعلان والاعلام الغربية ، التى تسخرها فى خدمة الشركات العملاقة المنتجة لأنماط واسعة من السلع الاستهلاكية ، وهذه « القوة » تمارس بطريقة من شأنها خلق الرغبة فى سلع السوق المحتمل ، ثم تحويل هذه الرغبة الى حاجة ملحة . وفى النهاية تدخل سوق المستورد سلع غير ضرورية فعلا . وهكذا فان نسق الاستهلاك يكون فى الغالب غريبا عن المجتمعات المستوردة ، ويشكل هدرا لموارد مالية كبيرة الأهمية بالنسبة لها .

ولا تقل المشكلة كثيرا فيما يتعلق بالشركات

المصدرة العملاقة ، التي تفتح لها فروعا في البلدان المستوردة لانتاج نفس السلع . وفي المثال فاننا نلمس تشوها في نسق الانتاج الى جانب « التحكم بنسق الاستهلاك » .

تفسير أم تبرير

وربما يقال في معرض التفسير ان لم يكن التبرير - أن النظرية الاقتصادية تفيدنا بأن المستهلك حر في ما يختار شراءه . لكن المرء يتساءل عن مدى مشروعية الجدال حول هذه الحرية ، آخذا بعين الاعتبار قوة الاعلام بوسائله المختلفة ، فكم من الحرية تبقى للمستهلك الصغير بعد تعرضه لبرامج التلفزيون المنمقة ، وهي تعرض المنتجات المذكورة بشتى سبل الاغراء ؟

ومع ذلك يبقى لنا أن نسأل : لماذا نعتبر « التحكم بنسق الاستهلاك » مهماً ، بحيث يستحق حوارا عربيا أوروبيا ؟

وان كان الأمر جديا الى هذه الدرجة بالنسبة للعرب ، فلماذا لا يصنعون شيئا بهذا الخصوص في وسائلهم الاعلامية ومناهجهم التربوية ؟

كل ما استطيع **قوله هنا** ، هو أنني أذكر بما كان يفعله التاجر المستعمر ، من اعطائه القلائد الزجاجية الملونة والملح للأفارقة في الأيام السالفة ، مقابل العاج والمعادن الثمينة ، ان هناك فرقا في الحالتين ، لكن المبدأ واحد .

وأخيرا فان السؤال يبقى : لو افترضنا ان اتهام « التحكم بنسق الاستهلاك » صحيح ، وان النقد مقبول لدى الطرف الأوروبي ، فماذا يمكن لحوار عربي أوروبي أن يفعل ؟ اعتقد أن القضية المثارة هنا ، التي أقلقت وحيرت المربين والمفكرين الاجتماعيين ، وحتى بعض الاقتصاديين المحافظين في أوروبا ، حرية بأن تبحث مع العرب ، ومن شأن مساهمة مشتركة في التجربة الأوروبية بهذا الصدد أن تؤتي ثمارا بقدر الجهد المبذول .

لقد نقل في وسائل الاعلام الغربية بعض التذمر من زحف العرب نحو فرص الاستثمار في أوروبا ، وقيل ان على الدول الأوروبية فرض بعض القيود على تلك الاستثمارات . وهذه قضية أخرى من الأهمية ، بحيث تستحق الادراج في جدول أعمال الحوار ، خاصة وأنه لا تزال هناك بعض العائدات النقدية العربية التي يمكن استثمارها رغم اختفاء أي فوائض نفطية جديدة في المستقبل القريب .

والقضية تثير سؤالين : أحدهما يتعلق بالمبدأ ، والثاني بالجانب العملي مبدئيا ، ومن حق العرب أن يتساءلوا عن مشروعية تدفق الاستثمارات الأوروبية بحجم كبير الى الوطن العربي في الماضي ، والاستمرار في ذلك ، بينما ليس من الصحيح للعرب أن يفعلوا الشيء نفسه في الاتجاه المعاكس ، رغم ان الاستثمارات العربية غير مرتبطة بمشاريع استعمارية ، كتلك التي جاء بها الأوروبيون قبل استقلال الدول العربية .

وعلى المستوى العملي ، فان الاستثمارات العربية رغم أنها تقدر بالمليارات ، الا أنها لا تمثل سوى جزء ضئيل من حجم اقتصادات البلدان الأوروبية المعنية ، فضلا عن أنه بالامكان تنظيم هذا التدفق من خلال حوار يهدف الى فائدة الطرفين . ويمكن وضع ضوابط مشروعة للتغلب على أية مصاعب ، ومن الغريب قبول الأموال العربية للتوظيف ، كأوراق مالية أو ودائع بنكية ، يمكن للبنوك الأوروبية استخدامها ، الى جانب رفض الاستثمارات العربية المنتجة .

وفي موازاة هذا السؤال حول الاستثمارات العربية **في أوروبا ، يمكن أدراج الاستثمارات الأوروبية** في الوطن العربي ضمن هذا الحوار ، وهناك حاجة لتنظيم التدفق المعاكس ، بحيث لا يثير ذكريات الماضي المريرة ، أي بحيث تكون هناك قسمة عادلة في الأرباح ، ومشاركة عربية فعلية في مراحل عملية الاستثمار المختلفة . ومن شأن تنظيم عملية الاستثمار الأوروبي ، وما ينشأ عنها من تشجيع ، أن يعزز من قبول الاستثمارات العربية في أوروبا ، وهذا يحافظ على مبدأ المعاملة بالمثل .

المعونات والتقنية

ومع الاستثمار ترتبط قضية المعونة الاقتصادية ، أي التدفق المالي الثنائي أو المتعدد

بشروط ميسرة ، وبالنسبة للجانب الأوروبي فان البلدان العربية غير النفطية مدرجة هنا ، لأنها المرشحة لمثل هذه المعونة . والجانب الأوروبي سيواجه باصرار عربي على زيادة المعونة للجانب العربي ، للوصول الى مستوى معقول من الناتج القومى الاجمالى المخصص للعالم الثالث . وهنا يجد العرب أنفسهم فى مركز قوة ، فقد ساعدوا فى حصول الدول النامية على نسبة عالية من الناتج القومى الاجمالى العربي ، رغم أن العرب النفطيين هم أنفسهم ما زالوا ينتمون الى الدول النامية والفقيرة . وفى الواقع فان مجموع الناتج القومى للبلدان العربية الاحدى والعشرين قارب عام ١٩٨٠ ـ وهو عام ذروة العوائد ـ الناتج القومى لايطاليا وحدها ، وهى من أفقر الدول الأوروبية ، فى الوقت الذى يبلغ فيه عدد سكانها ٢٨٪ من عدد سكان الدول العربية مجتمعة .

وأخيرا فان النفط ثروة ناضبة ، وعوائد صادراتها غير متجددة ، مثل السلع الغذائية والآلات أو الخدمات التقنية ، هذا كله ـ الى جانب هشاشة عوائد النفط ـ يوجب طرح قضية المعونة الاقتصادية فى الحوار ، بهدف تقسيم الأعباء والمسؤولية بعدالة أكبر .

والمجموعة الثانية : من القضايا التى تستحق الحوار هى ما أصبح يعرف بانتقال التقنية ، وأعتقد أن من الافضل بحث هذا الموضوع بمفرده بدلا من بحثه ضمن مجموعة القضايا الاقتصادية ، رغم علاقته الوثيقة بالانماء الاقتصادي . وتتضمن هذه العلاقة الوثيقة الاعتماد الهائل للوطن العربي على المقدرات التقنية للبلدان الصناعية المتقدمة ، كما أن للتبعية التى تنجم عن الاعتماد مضامينها السياسية ، وكذلك الاقتصادية والاجتماعية .

وفى اعتقادى أن تطبيق الاستراتيجية الضرورية لاستيعاب امكانات اكتساب القدرة التقنية هى مسؤولية عربية فى المقام الأول . لكن بامكان أوروبا تقديم الكثير فى هذا المجال ، عن طريق الاسهام فى الجهود العربية لتأسيس قاعدة علمية مناسبة للتطبيقات التقنية .

ويجب أن يكون المبدأ المرشد فى هذا المجال ربط المتدربين العرب فى أوروبا بالنواحى المختلفة لنقل التقنية ، مثل التصميم والتخطيط والبناء والصيانة وغيرها . وبالتحديد ، فان مثل هذا الربط سيزيل التقليد السائد باعتماد « عقود المشروعات المكتملة » أى التى تنجز الشركات الأوروبية كل شيء فيها من بدايتها وحتى النهاية ، وهذا أحد التقاليد الضارة بالنسبة لنقل التقنية .

وطموح البلدان المتلقية هو فى رفع الكفاءة ، بحيث يمكن القيام بكثير من الوظائف التى تنجزها الآن أوروبا ، مثل التصميم والتمويل والادارة . . الخ .

وفى النهاية ـ فان المرحلة الأخيرة فى عملية اكتساب القدرة التقنية ، هى الاستيعاب الداخلى الفردى المجتمعى للتقنية الملائمة ، مع الأخذ باعتبار للمعطيات العربية ، من موارد مادية ومالية وقوى عمل ومؤسسات .

انتقال التقنية

لا يعني « انتقال التقنية » بأي حال تضحية الأوروبيين على المدى الطويل بأية مكتسبات اقتصادية ـ فيما عدا المدى القصير ـ فالعملية ستكون بطيئة بطبيعتها ، بل ربما بحاجة الى جيل باكمله ، فضلا ، عن ان التعاون بين اوروبا والوطن العربي سيتمخض عن تبادل في السلع والخدمات . واخيرا فعندما يصبح العرب قادرين على القيام باسهام مهم في حـ ـل المعرفة التقنية ، فان الفائدة لن تقتصر عليهم . وهذا ليس حلما ، فلدينا تراث عربي غني في حقو العلوم والفنون والفكر والثقافة .

ويجب ان نوضح ونعترف ـ بأن الاوروبيين لم يكونوا مساعدين في حقل نقل التقنية بقدر الأمل والتوقعات . . لكننا في الوطن العربي نعترف ايضا بان العون يكون فاعلا ، بقدر ما نستطيع نحن بناء قاعدة وطنية وقومية للتقنية والعلوم الحديثة ، بما يعنيه ذلك من تطوير لمعارفنا ومهاراتنا وانشطتنا ومؤسساتنا المختلفة ، واستخدامنا السليم لهذه الموارد ، فاكتساب القدرة التقنية يجب ان يبدأ في الوطن ، لكن يجب الا يتوقف فيه .

وبسبب الموقع المركزي والحرج لامتلاك القدرات التقنية في مجال الانماء فان من الضروري دفع امكانات

الابداع العربية ، من اجل تشجيع تحقيق انماء معتمد على النفس سليم وقوي ومتصل ، الى ان يكون الاعتماد الاساسي على الامكانيات والمعطيات الوطنية والقومية . لكن على العرب ادراك ان اللجوء الى الاعتماد على النفس وتخفيف الاعتماد على المصادر الخارجية لايعني الانغلاق ورفض الاعتماد المتبادل الصادق ، ولكن في اسوأ الاحوال ستكون تلك ممارسة لخداع النفس تؤدي عمليا الى اطالة امد الاعتماد على المجتمع الصناعي المتقدم ، بما يحمله ذلك من استغلال وانكشاف وعدم طمأنينة .

ويمكن وضع السؤال على النحو التالي : كيف يتفق كل هذا مع الاندفاع والسير نحو حوار ذي معنى ؟ ان الاجابة في الذهن العربي سهلة ، فالمكافأة للاعتماد على النفس بالنسبة للعرب ستكون بالنتيجة تعاونا حقيقيا متوازنا ، وفتح طرق عديدة للتبادل الاقتصادي والتقني والثقافي .

الحوار والسياسة

المجموعة الثالثة والاخيرة من القضايا المقترحة لجدول اعمال الحوار العربي الاوروبي سياسية ، فالمنطقة العربية ابقيت مشغولة بعدد من الصراعات التي تستدعي حلا سريعا ، كالقضية الفلسطينية التي هي قلب الصراع العربي الاسرائيلي ، والحرب الأهلية اللبنانية ، ونتائج غزو « اسرائيل » للبنان عام ١٩٨٢ ، بما في ذلك احتلال جزء من الجنوب اللبناني ، والحرب العراقية الايرانية ومشكلة الصحراء بين الجزائر والمغرب ، وغيرها من بؤر التوتر والخصومة في الوطن العربي . ورغم ان الصراع في كل مثال له ابعاده الدولية ويتضمن تدخلا خارجيا ، ولو بشكل هامشي او سري ، الا اننا نرى ان القضية السياسية التي تتطلب تعاونا عربيا اوروبيا واضحا وملحا **هي** القضية الفلسطينية . ذلك لان القضية الفلسطينية او الصراع العربي الاسرائيلي ، كما يود الاوروبيون تسميته موضوع معقد فهي تشمل **احكاما أخلاقية وتثير مشاعر وارتباطات ثقافية وتاريخية لا يمكن ضبطها بسهولة ضمن إطار التحليل السياسي . وكنتيجة ، فان تحليل القضية لايؤدي بالضرورة ولا يخضع لمعادلات الكلفة والمردود السياسية ورغم ذلك فان هذه القضية يجب أن تكون لها أولوية كبيرة فى أي حوار عربي أوروبي .**

ليست هناك سوى قيمة ضئيلة في اللجوء الى الجدل ، او تبني موقف المناظرة في هذا المجال . فأساس الحقائق التي افرزت وضعا مأساويا بالنسبة للقضية الفلسطينية يهدد بمزيد من العنف ، يكفي وحده لانذار الجميع بخطورة القضية وطبيعتها المتفجرة والمكلفة .

فان لم يحل الصراع حلا عادلا خلال فترة قصيرة نسبيا ، فسيكون جميع المسؤولين عن الفشل مذنبين ، باعداد حفرة هلاك لملايين البشر .

الحقائق الأساسية المتعلقة بهذا الموضوع ستة سأوجزها فيما يلي :

- الفلسطينيون شعب جُرِّدَ واقتلع من أرضه بقسوة ، وترك للتشرد والفاقة ، والحرمان من فرصة السيادة على تراب وطنه .
- الفلسطينيون يصرون على العودة الى فلسطين (على الاقل الى الضفة الغربية وغزة) حيث يمكنهم ممارسة حق تقرير المصير بحرية ، ويتخلصون من وضع التشرد واللجوء والحصول على الأمن الاقتصادى والكرامة الوطنية والهوية المجتمعية .
- اسرائيل تتحدى التاريخ القديم والحديث بادعائها ان الفلسطينيين لم يقتلعوا من أراضيهم ، وترفض الاعتراف بالمسؤولية الاخلاقية والقانونية والسياسية والاقتصادية عن الخراب الذى حل بالفلسطينيين .
- الدول الأوروبية الغربية (وخاصة بريطانيا والمانيا) والولايات المتحدة الأمريكية تتحمل مسؤولية ايجاد المشكلة الفلسطينية فى القرن العشرين وتعقيداتها المتزايدة ، مما سمح « لاسرائيل » أن تتجاهل الفلسطينيين وحقوقهم .
- بالنسبة للعرب فقد فشلوا فشلا ذريعا فى استخدام مواردهم الاقتصادية وعزيمتهم السياسية فى فرض العدل والتصحيح . وحتى عندما بدأوا فى التوكيد على الطرق السياسية والدبلوماسية للحل ، فقد فشل العرب فى تقديم أنفسهم للمجتمع الدولى بصورة موحدة ومقنعة .
- موقف « اسرائيل » سلبي تجاه المطالب الشرعية للفلسطينيين ، اضافة الى موقف الولايات المتحدة

والدرجة القصوى التى تساعد بها « اسرائيل » فى سياستها التوسعية ، ومكافأتها على ذلك ، رغم امتلاكها التأثير فى مجرى الاحداث حيث تريد . وهكذا فان تسوية عادلة وسلمية تواجه مأزقا مستحيلا تقريبا .

ثلاثة توقعات

اذن ، فماذا ينتظر العرب من الأوروبيين ؟ هناك ثلاثة توقعات تتحكم فى تفكير العرب فى هذا الخصوص وتحليلهم . الأول : أن يكون الأوروبيون فهما أشمل وأعمق للقضية الفلسطينية ، بحيث لا يسمحون لانفسهم بالانجذاب بعيدا عن جذور القضية نحو قضايا جانبية . وقد قامت أوروبا بجهد فى هذا الاتجاه ، انعكس جزئيا فى عدد من التصريحات والاعلانات لدول بمفردها ، وللاسرة الأوروبية كمجموعة . لكن يبقى الكثير مما يمكن عمله . ويمكن للحوار أن يكون صيغة **مفيدة** لتعميق فهم القضية .

والثانى : هو أن أوروبا الغربية يجب أن تكافح من أجل سياسة شرق أوسطية أكثر استقلالا عن امريكا مما هى عليه . فنحن نشعر أن اوروبا تستجيب للولايات المتحدة فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى ، الى درجة مبالغ فيها ، رغم الاستقلال الجزئى الذى لوحظ أخيرا .

نحن نعلم ان علاقات أوروبا بالولايات المتحدة **علاقات** استراتيجية ، خاصة عندما يتم تقييمها فى اطار المواجهة بين الشرق والغرب والاستراتيجية الدولية ومصالح الغرب . لذا فان من العبث الطلب من أوروبا نزع ارتباطاتها الأمريكية ، على أن ما نطلبه هو مزيد من الاستقلالية فى الفهم ، وتقييم مضامين المصالح والعلاقات الأوروبية مع الجيران العرب . فالجوار ليس جغرافيا وحسب ، بل هو سياسى واقتصادى كذلك ، ويقوم على علاقات طويلة الأمد .

أما الثالث فى حال تكوين فهم أساسى ومتوازن للقضية الفلسطينية ، وفى حال تحقيق موقف أكثر استقلالا (أى أكثر أوروبية) فان توجه البلدان الأوروبية ينبغى أن يتخذ شكلا آخر ، وحتى الآن فاننا لم نحصل من أوروبا الا على النزر اليسير ، فى الوقت الذى تتعقد فيه القضية وسبل حلها ، **لقيام** اسرائيل باستمرار بما تسميه « خلق حقائق جديدة فى النواحى التاريخية والجغرافية **والديمغرافية** . وان نحن طلبنا عملا فى هذا المجال ، فاننا لا نطلب المستحيل ، مدركين حدود القدرة الأوروبية على التحرك والتأثير .

معوقات الحوار

اعتقد أن العوائق الأساسية تنشأ عن عدم تماثل الوضعين العربى والاوروبى فيما يتعلق بفكرة الحوار . وأول مظهر لعدم التماثل هو بين تقييم الطرفين لمدى الحاح الحوار وقيمته وعمقه **وشموليته** . فرغم أن الأوروبيين أظهروا اهتماما عميقا بالحوار فى السبعينيات ، الا أن هذا الاهتمام انتهى بتحويل الموقف النفطى العربى ، وظهور أزمة الصناعة النفطية ، ويمكن أن نطلق على المعوق الرئيسى الثانى عدم تماثل آلية الحوار ، وهذا يتضمن أمرين : التنظيم الفعلى لحوار الطرفين والقوة التفاوضية الحقيقية لهما . وأنا اعتبر تفتت الوطن العربى **عائقا** أمام مطالبة العرب بالحوار ، كما أن الطرف العربى لم يتابع القضية بحماس ، وبالمقابل فقد بدأ الطرف الأوروبى من نقطة مدروسة جيدا ، وبأهداف استراتيجية وتحركات واضحة . هذه على الأقل هى أجزاء الصورة التى جمعتها من مراجعة اجتماعات الحوار .

أما الوجه الآخر لعدم التماثل الثانى الذى نحن بصدده ، فهو اختلاف القوة التفاوضية بالنسبة للطرفين ، وهذا يعود جزئيا الى تدهور الأوضاع النفطية العربية . الا أنه أيضا انعكاس للوضع الأوروبى الأكثر قوة ، بسبب مستوى تطور أوروبا الاقتصادى ، وكذلك هناك قدرة الأوروبيين على بيع الاسلحة المتطورة . وبفضل هذه المزايا معا ، فان ضعف الجانب الأوروبى فى حقل النفط لم يكن سوى أمر عابر ، لذا لم يتخذ الأوروبيون بصدده سوى اجراءات مؤقتة .

اذن يجوز الاعتقاد أن الأوروبيين شجعوا الحوار العربي الأوربي في السبعينيات كترضية للعرب ، وقد دخل الأوروبيون في حوار في السبعينيات لدغدغة مشاعر العرب وتخديرها ، والحصول على أكبر مبلغ ممكن من أموالهم ، مقابل مجموعة كبيرة من السلع والخدمات المصدرة . لذا فانني اتساءل عما اذا كان هنالك مجال بالفعل لحوار جدي في النصف الثاني من الثمانينيات ، ما لم تكن هناك نظرة أوروبية طويلة المدى تتجاوز العقد القادم . وعلى أي حال ، فبالرغم من تدهور عوائد النفط ، الا أن فوائد التجارة تبقى واعدة رغم أي تقلص ظاهر .

وسط تفاعل النقطتين السابقتين ، ينشأ جانب ثالث لعدم التماثل ، يمكن أن نسميه مفهوم اختلاف دوافع الحوار لدى الطرفين . وفي هذا الصدد فلدى العرب ميل مزاجي وتلقائي للدخول في الحوار من زاوية عريضة جدا ، أما الأوروبيون فانهم يفضلون مدخلا عمليا مصلحيا متدرجا ، ذا أغراض محددة وجزئية الى نتائج متواضعة . وربما يبالغ المدافعون عن كل من الاسلوبين بصدد فعاليته ، لكننا لن ندخل في مفاضلة بينهما .

الحوار والساخرون

الا انني اعتقد أن من الضروري القول ، بأن المدخل الواقعي - أي الأوروبي - ينظر اليه كثير من العرب بشكلية وعدم ثقة ، لأنه يخفي النوايا الاوروبية الحقيقية في التخفيف من الاضطرار لتقديم تنازلات حقيقية . ويخلف هذا الفرق في الاسلوب يكمن فرق التقييم ، « فالواقعيون » يفضلون الأمد القصير ، بينما يعتقد « الشموليون » أن ما يبدو غير واقعي على المدى القصير ربما تثبت واقعيته على المدى الطويل .

وفضلا عن ذلك فان الساخرين العرب يعتقدون أن المدخل الواقعي المتدرج الأوروبي الطابع ، انما يخفي ترددا في تقديم تنازلات لبلدان كانت حتى وقت قريب مستعمرات لديها . وأخيرا فاننا كعرب نفضل أن نبدأ باعتبارات السياسية ، حتى وعندما نبحث المسائل الاقتصادية ، ومرة اخرى ربما كان الخلاف الحقيقي هو في اسلوب الموافقة على تحديد الاولويات وتدرج أهميتها . يبقى أن الاستنتاج النهائي هو التشكيك باحتمالات قيام حوار شامل وصادق وفعال في المستقبل المنظور . □

ثقافة كاتب الديوان

كانت وظيفة الكتابة في ديوان الانشاء قديما عند العرب من أهم الوظائف ، فكان هذا الديوان يتولى كل ما يصدر عن الحاكم ، من عهود وعقود ومكاتبات ، الى الولاة والوزراء وأصحاب المناصب المختلفة في الدولة ، والى أصحاب العلاقات السياسية والأخوية من الدول الأخرى ملوكا وسلاطين .

وكان لابد لمن يتولى العمل في ديوان الانشاء ، أن يكون عالما باللغة والقرآن والحديث والأدب ، محيطا بالمعلومات العامة ، عارفا بالروايات المختلفة والألقاب ، وما يستحق أن يُهدى ، خبيرا بقيمة كل نوع من حيوانات الزينة والركوب ، والطيور الجميلة ، والأحجار الكريمة ، وأنساب العرب وعاداتهم ، وأوابدهم وأيامهم ، وتاريخ الدول المجاورة ، ومواقع كل دولة ، والطرق الموصلة اليها ، ومن أين تجلب الأشياء ذات القيمة العالية ، قادرا على الكتابة في كل لون من ألوان المخاطبات ، مع معرفة ما يناسب ابتداء كل مخاطبة ومكاتبة ، مما يجعل الانسان منا يعجب كيف أرهقوا أنفسهم ، فأحاطوا بكل هذا ورتبوه .

الشئون الدنيوية في أحاديث الرسول

بقلم : الدكتور عبدالمنعم النمر

في غمرة الشبهات والخلافات التي أحاطت ببعض شئون ديننا الدقيقة ، يبرز تساؤل ملح من عديد من المسلمين حول ما تحدث به الرسول (ص) أو ما أبدى فيه رأيه من أمور دنيانا المعاشية البعيدة عن مقومات ديننا الملتزمة بالكتاب والسنة وروافدهما .

فهل كل ذلك في نطاق الايحاء السماوي الملتزم ، أو أن هناك أقوالا صدرت عن النبى صلى الله عليه وسلم على أنه بشر مثلنا ، ولا علاقة لها بوحى أو الزام ؟

حينما نتصفح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في شئون الطب مثلا ، وهل كانت عن وحى ، أو كانت عن تجارب البيئة ومعرفتها مما يعتبر من شئون الدنيا ، التى لم يرسل الرسول (ص) لتعليمها للناس مثلها مثل الشئون الزراعية والحربية والصناعية والمهنية والعلمية الرياضية وغيرها ؟ مما يدخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ؟ .

وما ينطق عن الهوى

ان أول ما يتبادر الى ذهن المستمع ولسانه أن يقول متسرعا : كان ذلك كله عن وحى ، لأن الله يقول « وما ينطق عن الهوى » ومعنى هذا ان كل كلام ينطق به الرسول انما هو عن وحى يوحى اليه كما يقول الله بعد ذلك « ان هو الا وحى يوحى » . .

وهذا فهم خطأ للآية مع أنه شائع لدى العلماء والمتعلمين ، ولذلك كان لابد لنا من وقفة مع هذه الآية ودلالتها الصحيحة مع ما حولها من الآيات . لتظهر الحقيقة ، وتتحدد معالمها .

لقد جاءت هذه الآية « وما ينطق عن الهوى » ضمن آيات من أول سورة النجم تقول : « والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الاعلى » . . الآيات ، « وشديد القوى ، وذو مرة فاستوى »

الخ ، المراد به جبريل الذي ينزل بالوحي . .

وهذه الآية : « **وما ينطق عن الهوى** » لو جردناها عما قبلها وما بعدها ، ولم نراع ما سيقت لأجله ، تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا ينطق في أي كلام يقوله عن هوى وغرض شخصي . وانما كل كلامه للمصلحة سواء كان كلامه بالقرآن ، أو بالأحاديث القدسية أو في أي أمر آخر من أمور الحياة ، فهو صلى الله عليه وسلم مبرأ من الهوى الذي يميل به عن الحق ، حتى في مزاحه ، فهو « يمزح ولا يقول الا حقا » . وحتى في كلامه العادى مع زوجاته ، ومع الناس عموما لا يصدر كلامه عن هوى وغرض شخصي ، مثل الكثيرين من الناس . . وهذه حقيقة نؤمن بها جميعا . .

لا بد من مراعاة السياق

وهذا وان كان حقا لا شك فيه الا أنه قطع للآية عما قبلها وما بعدها ، ويعد بها عن الهدف الذي سيقت له ، وسيقت من أجله آيات كثيرة في القرآن ، لترد على المشركين زعمهم بأن القرآن ليس من عند الله وانما هو من كلام محمد نسبه الى الله زورا كما عبر عن ذلك القرآن في آيات متعددة ذكرت هذا الاتهام : « وقال الذين كفروا ان هذا (أي القرآن) الا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض** » ، وقالوا :

« **ان هذا الا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ؟** » ، « **أألقى الذكر عليه من بيننا ؟ بل هو كذاب أشر** » وقد رد الله عليهم اتهامهم هذا حيث ذكره ودافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكد لهم ولغيرهم أن القرآن من عند الله « **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** » وقال : « **ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين** » فكيف يأتى تعليمه ؟ . .

وقد أقسم الله في رده عليهم « **فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين** »

ويقسم كذلك على هذه الحقيقة في أول سورة النجم : (والنجم اذا هوى) الآيات . . . ، ويشير في قسم إلى أن الذي تتهمونه بالكذب بعد أن بلغ هذه السن ، هو صاحبكم الذي تعرفونه تماما ، وعاش بينكم قبل البعثة أربعين عاما ، ولم تجربوا عليه أنه كذب مرة من المرات ، حتى أطلقتم عليه لقب « الصادق الأمين » ، فكيف يكذب عليكم الآن بعد أن بلغ هذه السن الكبيرة ؟ ويختلق القرآن من عنده ، ويكذب ويدعى أنه من عند الله ؟ هذا غير معقول منكم . . فما ينطق محمد بآية من القرآن ، الا وقد أوحيناها اليه ، وأنزلها عليه جبريل ، ولم يقلها لاشباع هوى أو غرض في نفسه ، ثم ينسبها الى الله ، كما تقولون وتدعون عنادا ومكابرة لدعوته « ان هو (أى القرآن) الا وحى يوحى » بوساطة جبريل . . فالمنطق المقسم عليه هنا هو النطق بالقرآن خاصة ، اذ هو محل النزاع وموضع المكابرة من الاتهامات من المشركين . فما ينطق محمد صاحبكم بالقرآن عن هوى وغرض شخصي في نفسه . وما القرآن الا وحى يوحى اليه بواسطة جبريل ، الذي علمه إياه « علمه » أي علم محمداً القرآن جبريل ، شديد القوى . ذو مرة (وقوة) فاستوى . . وتأتى الآيات بعد ذلك لتصف جبريل ونزوله على الرسول بالقرآن . .

فالآية « وما ينطق عن الهوى » وان كانت صالحة بألفاظها لأن تفيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا ينطق ولا يتكلم بكلام نابع عن هوى وغرض شخصي ، بل كل نطقه حق أو ما يراه أنه الحق والمصلحة ، الا أن هذا المعنى وان كان حقيقة ويشمل في عمومه القرآن ، الا أنه ليس المعنى هنا ، وليس في قوة تخصيص النطق بالقرآن ، الذي سبقت الآيات ، والقَسَم هنا لتأكيد ان محمد لا يفتريه ، ولا يكذب به على الله ، كما سبقت الآيات ، والقسم في سورة الواقعة وصرحت في جواب القسم « **انه لقرآن كريم في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين** »

فالقسم في سورة النجم هو على خصوص نطق الرسول بالقرآن ، كالقسم في سورة الواقعة ، على أنه

قرآن كريم ، وتنزيل من رب العالمين . وقد ذكر أبو حيان في تفسيره - كما فعل الالوسى - أن سبب نزولها قول المشركين ان محمدا يختلق القرآن . فالشواهد كلها تؤكد على ان المراد بنطق الرسول في الآية هو خصوص النطق بالقرآن فقط ، لا كل النطق الذي يتلفظ به في شتى المجالات الأخرى .

على أن الذين يريدون ان يجعلوا كل نطقه بوحى ، يصدمهم ما صرح الرسول به في احيان كثيرة وورد في الأحاديث ، بأن كلامه في هذا الأمر ليس عن وحى ، ولكن عن تدبير منه حسبما يراه من المصلحة ، وكان أحيانا يرجع عما قاله حين تظهر المصلحة في رأى غيره .

وأقرب مثل في هذا وأشهره ، نردده كثيرا هو حين وقف الرسول في موقع بجيشه في موقعة بدر ، فقال له الحباب بن المنذر : أهذا منزل أنزلكه الله (أى بوحى) أم هو الرأى والحرب والمكيدة (أى برايك) ؟ فقال له الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة (أى برأيى أنا وليس بوحى) . . وهنا تقدم الحباب برأى أخذ به الرسول ، وغير موقع جيشه . وكان النصر . . ومثل ذلك حدث أيضا في غزوة الخندق - الاحزاب . . حين اتفق الرسول مع قبيلة غطفان على أن يرجعوا عن محاصرة المدينة مع قريش ، ولهم جزء من ثمر المدينة ، ولما رجع للأنصار واخبرهم سالوه : اهو عن وحى او رأى لك ؟ قال الرسول : بل تدبير اصنعه لكم ، وليس عن وحى ، وهنا تقدم الانصار برأيهم ، ولم يوافقوا على ما اتفق عليه الرسول مع غطفان . وأخذ الرسول برأيهم . . ولو كان نُطق الرسول وفعله بوحى ، ما حصل ذلك . بل ان الرسول نفسه صرح بأنه ليس عن وحى ، بل عن رأى له . وهذا معناه الصريح ودلالته الواضحة ، أنه ليس كل ما ينطق به الرسول يكون بناء عن وحى وتعليم من الله نزل عليه . . بل أحيانا ما يكون عن وحى وتعليم من الله ، وأحيانا لا يكون ذلك . بل يصدر عنه صلى الله عليه وسلم بناء عن رايه الخاص في تحقيق المصلحة ، وقد يحدث ما رآه الرسول مصلحة ، وقد يرى مصلحة في شيء ، ويظهر خلافها ، كما قرر الكثيرون من كبار أسلافنا العلماء . استدلالا بالأحداث والوقائع . بل استدلالا بكلام للرسول نفسه .

اجتهاد الرسول ومتى يكون ؟

وهذا الاجتهاد إنما يكون في غير ما أمره الله بتبليغه ، فما أمره الله بتبليغه من شئون الدين يبلغه الرسول بالنص كما أمر الله « **يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** » أما ما عدا ذلك مما يتصل بأمور الدنيا والتعامل فيها وتعريف شئون الحياة من زراعة وصناعة وطب وحرب . وما يشبه ذلك مما لم يرد عنه شيء من القرآن فليس من وظيفة الرسول أن يعلمها للناس ، وأن يحدد لهم كيفياتها . فاذا تكلم فيها كان كلامه عن رأى واجتهاد له حسبما يراه من مصلحة ، وقد يظهر خلاف ما يراه . .

وأمامنا مثل مما أشار به الرسول في شئون الزراعة من عدم تأبير النخل وتركه دون وضع طلائع الذكور فيه ، والله هو الرزاق . . فكانت النتيجة لما عمل الصحابة بمشورة الرسول ، أن النخل لم يثمر كعادته ، بل أخرج شيئا لا يؤكل . . ولما علم الرسول بذلك قال لهم : « **انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن** » ، كما روى الامام مسلم وكما قال في رواية أخرى : « **ما أنا بزارع ولا صاحب نخل** » يعنى لم تسبق له تجربة وفي رواية أخرى « **انما أنا بشر ، فما حدثتكم عن الله فهو حق ، وما قلت فيه من قبل نفسي فانما أنا بشر أخطىء وأصيب** »

وفي هذا الحديث حدد الرسول مهمته ، وما يجب على أتباعه ان ياخذوه قضية مسلمة لا نقاش فيها من اقواله ، كما جاء في رواية أخرى . ما حدثتكم فيه بشيء من أمر دينكم فخذوه ، وما كان من أمر دنياكم فاليكم ، وأنتم أعلم بشئون دنياكم » ، وما يجوز لهم ان يناقشوا ويبدوا رأيهم فيه مما يقوله ، ولهذا كانوا يسالونه : أهذا عن وحى أو تدبير ؟ . . وهذا يدل أيضا على أنه ليس كل ما كان ينطق به الرسول عن وحى . . بل فيه ما هو عن وحى ، وما هو عن رأى واجتهاد . . وان الانسان ليعجب ممن يقول من العلماء قديما أو حديثا : ان كل نطقه كان بوحى ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الأحاديث الصحيحة ما يخالف كلامهم ، والوقائع المروية ترد كلامهم أيضا . . وتبين بوضوح لا لبس فيه : أنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم تفكير واجتهاد خاص ،

وآراء خاصة ، ناتجة عن تفكيره هو ، وما يراه مصلحة ، لا عن وحى .. سواء في أمور المعايش أو في بعض الأحكام . كما حصل في سوقه الهدى معه ، حين حج حجة الوداع .. وقال حين وجه أصحابه ممن لم يسوقوا الهدى أن يجعلوا حجتهم عمرة ، ويتحللوا ، حتى يأتى وقت الحج فيحرموا به : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، ما سقت الهدى ، ولجعلتها عمرة » أى مثلكم . وهذا يدل على أن سوقه الهدى كان باجتهاد منه ، اذ لو كان عن وحى ما جاز أن يقول : « لو استقبلت من أمرى .. الحديث » . وكذلك لمّا أمر بقتل « النضر بن الحارث » ، لكثرة ايذائه له وللدعوة ونفذ فيه أمر القتل ، وجاءت أخته تنشد للرسول قصيدة قالت فيها :

ما كان ضرك لو مننت وربما
مَنَّ الفتى وهو المغيظ المحنق ..

رق قلب الرسول لها ... وقال : لو سمعت هذا قبل قتله ما قتلته ..

وهذا يدل على أن أمره صلى الله عليه وسلم بقتل النضر ، لم يكن عن وحى وكان باجتهاد في الحكم ، اذ لو كان عن وحى ما قال الرسول هذا ..

واذا كان هذا قد حدث من الرسول في بعض الأحكام ، ودل على أنه كان يجتهد فيها بناء على ما أمامه من نصوص وقواعد ومصلحة .. فان اجتهاده وكلامه في أمور المعايش وارد ورودا أوليا .. بل إنه قد يكون هناك من هو أعلم وأكثر تجربة في أمور المعايش من الرسول .. وقد كان الفلاحون في المدينة أكثر تجربة في أمور النخل من الرسول ، وكان الحباب أكثر خبرة بأمور الحرب منه صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق أن ذكرنا ما قاله في حادث تأبير النخل : « ما أنا بزارع ولا صاحب نخل » وهذا يعنى أن غيره من الزراع وأصحاب النخل أكثر تجربة منه ومعرفة بأمور الزراعة ، اذ لم يرسل لتعليم الناس الزراعة وأمثالها .

« وهذا لا يعتبر - كما يقول القاضى عياض - منقصة فيه صلى الله عليه وسلم ، انما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وشغل نفسه بها ، وهو صلى الله عليه وسلم مشغول القلب بمعرفة الربوبية »

ونحن نلمس في حياتنا أن الفلاح ، أو السباك ، أو الخياط ، أو أصحاب الحرف والاختصاصات عموما ، هم أعلم بأمورهم وحرفهم من أعلم العلماء بشئون الدين أو الطب أو الذرة .. ولا يعيب أحدا أبدا أنه يجهل اختصاصات الآخرين .. فلكل علم أو حرفة أناس مختصون ، وأهل الذكر والعلم فيه نلجأ اليهم في اختصاصهم والله يقول قولا يمكن أن يكون قاعدة عامة في احترام التخصصات « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » والرسول في شئون الدنيا أو في غير اختصاصه في أمور الدين والتبليغ عن ربه بشر مثل كل البشر ، يعلمون ما يعلمون ، يعرفون شيئا ، وتغيب عنهم أشياء ، والنبى يباشر من أمور الدنيا ما يباشره البشر ، الا ان يكون نقيصة أو غير لائق بمقامه .. قد يرى المصلحة في شيء ويظهر خلاف ما رآه .. كما يقرر القاضى عياض والتوردى وغيرهما من أكابر العلماء .. وفي القرآن والسنة أمثلة كثيرة على هذا .. وقد تعرض القرآن لحادثة كاد الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم فيها بناء على أدلة وشهود ، تآمر بعض المسلمين عليها بعصبيتهم ليدينوا يهوديا ظلما ، ويبرئوا رجلا منهم مسلما ، فأنزل الله آية ليكشف للرسول الحقيقة ، بعد أن كاد يحكم على اليهودى وهو برىء ، بناء على ما أمامه من أدلة ظاهرية .. يأخذ بها كل قاض .. فقال تعالى : « **إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما آراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله** » الآيات من سورة النساء من أول آية ١٠٥ الى قوله تعالى : « **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك** .. » الآية ١١٣ ، وحال بينه وبين الوقوع في الخطأ وفي هذا أيضا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « **انما أنا بشر ، وأنكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم ان يكون ألحَنَ (أى أوضح وأفصح) بحجته من البعض الآخر ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ منه شيئا ، فانما أقطع له قطعة من نار** » رواه الشيخان وأبو داود .. والرسول لا يعلم الغيب ولكنه كما يقول « **إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر** »

وهذا صريح في أن الرسول قد يحكم بغير ما هو حق لأنه بشر ، ويأخذ بالأدلة مثل أى قاض يحكم بما أمامه من أدلة .. والعلم عند الله . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ولا يمكن أن نقول بعد هذا إن كل نطق ينطق به الرسول يكون عن وحى .. والا لاطمأن الرسول تماما الى أن أحكامه تطابق دائما

الحق . فلا حاجة لأن يقول « كأنما أقطع له قطعة من نار » .

حقائق علمية

ومن هذا الذي قدمناه ، وباختصار قدر الامكان ، تتضح أمامنا حقائق لا بد أن نعرفها :

١ - ان مهمة الرسول وهدف رسالته أن يبين للناس أمور دينهم من العقيدة والعبادات والاخلاق . والحلال والحرام ويوضح لهم ما جاء في القرآن عن ذلك وعن بعض المعاملات الدنيوية كالربا والرهن والميراث ومبدأ التراضي في التجارة ، وعدم أكل أموال الناس بالباطل وأحكام الزواج والطلاق والرضاع والميراث . وبعض العقوبات المهمة . . وهذا هو المَعْنِيُّ بقول الرسول « ما حدثتكم فيه بشيء من أمر دينكم فخذوه . ويقول الله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وبالأوامر الواردة في القرآن بطاعة الرسول في غير هذه الآيات .

٢ - أنه ليست من مهمة الرسول والرسالة أن يعلم الناس شئون الزراعة والصناعة وفنون القتال والطب والرياضة وعلوم الحياة .

٣ - أن أحاديث الرسول الصحيحة الواردة في كتب الحديث بناء على ما تقدم - أنواع من حيث الالتزام والتقيد بها ، وعدم الالتزام والتقيد بها :

أ - احاديث التشريع العام المتصلة بمهمة الرسول في التبليغ وهذه علينا جميعا أن نلتزم بها ، وتسمى أحاديث التشريع العام .

ب - أحاديث تشريع خاص ، كالتي صدرت عنه صلى الله عليه وسلم بصفته قائدا أو إماما وحاكما للمسلمين كبعث الجيوش وإعلان الحرب ، وعقد الهدنة ، وصرف الأموال وجبايتها ، وتولية القضاء . وما يشبه ذلك وهذه ليست تعبدية ولا تشريعا عاما يلتزم به جميع المسلمين . ولكنها تصرفات إجرائية لها ظروفها . ترجع الى رأى القائد والحاكم ، يحكم بها أو لا يحكم حسب الظروف التى أمامه .

جـ - ما صدر عنه من أحاديث بوصف أنه قاض ، وهذه كسابقتها ليست تشريعا عاما على كل مسلم تنفيذها أو على كل قاض تنفيذها بنصها ، لأن لكل قضية ظروفها الخاصة بها . وعلى القاضي دراسة أوراق كل قضية ، وإصدار حكم خاص بها . .

د - أحاديث وردت خاصة في الأمور البشرية كالأكل والشرب والنوم والمشي والملبس والتزاور الخ .

هـ - أحاديث وردت في أمور تجريبية وعادية كالتي وردت في شئون الزراعة والطب وما يشبه ذلك .

و - أحاديث وردت على سبيل التدبير الانساني على ضوء الظروف التى أمامه كتوزيع الجيوش وصفها الخ .

وهذه الأخيرة أيضا (د) ، (هـ) ، (و) ليست أحاديث تشريع عام يلتزم بها المسلمون فعلا أو تركا ، وانما هي من الأمور البشرية . التي لا يجب أن نلتزم بمحاكاتها ولا العمل بها . وهي داخلة تحت قوله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بشئون دنياكم » . □

عمر الشهيد

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عمر بن الخطاب قميصا فقال له : أجديد قميصك أم لبيس ؟ قال عمر : بل لبيس يارسول الله . فقال له النبي : البس جديدا وعش حميدا و مت شهيدا ، وليعطك الله قرة عين في الدنيا والآخرة .

وكان عمر يسأل الله شهادة في سبيله ، ووفاة في بلد نبيه . وقد استجاب الله له فمات شهيدا في مدينة الرسول ، قتله رجل مجوسى ، تم قتله في أحب الأوقات الى الله عز وجل ، وهو الوقت الذى تؤدى فيه صلاة الفجر ، ويروى أن عمر سقط وهو يقول : وكان أمر الله قدرا مقدورا .



الوحش

شعر : محمد الفايز

قد خرج العالَم من كهفه
وجاء مثلَ الوحش في زحفه
ولَم يَكُن وحشاً ولكنه
كلُّ وحوشِ الأرض من صنفِه
أغراهم البحر ومرجانه
ويقظة الأحياء في جُرفه
والشُّجرُ الوارفُ في ظُلهِ
ورملُه المسرفُ في نَزْفه
ويومُه النشْوان من حُسنِه
وليلهُ المشرقُ في لطفِه
وتلكُم الأطواد ذاتُ الذرا
وصقرُها الشاخصُ في طرفِه
يستقبلُ الأرضَ التي أقبلت
تنسفُ ماتقوى على نسفِه
كأنما الأشلاءُ من فوقها
مايترك العاصفُ في عصفِه
والأرض كالأنثى اذا جاءها
مخاضُها لابُدَّ من قذفِه
كأنها تجاوزت أمسْها
تجاوزَ الرّاسفِ في رسفِه
يملكُها القارىء أوقاتها
كالشجرِ الداني الى قطْفِه
يملكُها الموغلُ في عُمقِها
والثائر الساخر من حَتْفِه





وحالةُ الانسانِ في موتِه
كحالةِ الانسانِ في خوفِه
ماأجمل العالَمَ لولا الذي
فيه من الظُّلم ومن عسْفِه
لو أنه يملك كل الذى
فى الأرض والأبحر لم يكْفِه
لو كانت الأنسامُ مِنْ مُلكِه
ماخطرت إلا على أنفِه
ولاتمرُّ السُّحبُ في أفقِها
الاّ إذا أومأ في طرفِه
وإنما الأرض بإنسانِها
وفكرِه وليس في عُنْفِه
تَعقَّدَ العالم حتى غدا
ظاهِرُهُ أعمقَ من جوفِه
وصارت الأشياءُ تيارَه
تجرفُ من يسقطُ فى كفِّه
وقد تكونُ الحربُ أدنى الى
رشدٍ من السِّلْم ومِن ضَعفِه
هُمُ على البحرِ كحيتانِه
والأرضُ والطوفانُ من خَلفِه
واستعمروا الأفقَ ودبّوا به
يستشرفونَ الأرض من سَقفِه
تكشَّفُ الكونُ لروّاده
وبعضُهم قد ضاعَ في زيفِه

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الصّين عام (٢٠٠٠)

هل تستطيع دول العالم الثالث أن تلحق بالدول الصناعية ؟ . . وهل تستطيع أن تختصر المسافة التي تتسع كل يوم بين المجموعتين ؟
يكاد الاحتمال أن يكون متعذرا .
ومع ذلك هناك استثناء واضح في دولة تحتل من حيث عدد السكان خمس العالم . . لكنها تنتمي من حيث الدخل ودرجة النمو الى العالم الثالث .

الصين تحاول الاقتراب من الدول الصناعية المتقدمة ، والبنك الدولي - في تقرير أخير له - يقول : نعم . . ان هذا ممكن . . والرقم المستهدف كمتوسط لدخل الفرد الصيني عام ٢٠٠٠ هو (٨٠٠) ثمانمائة دولار أمريكي ، . . مقابل ثلاثمائة دولار في أوائل الثمانينيات .

وحين تنتقل الصين من المتوسط الراهن في الدُّخل الى المتوسط المستهدف - والمتوقع - تكون قد انتقلت من حيث التقسيم الدولي ، من الدول منخفضة الدُّخل إلى الدول متوسطة الدخل . . و . . بين النقطتين رحلة طويلة لا يميزها الطموح فقط ، ولكن يميزها أيضا أنها تقدم نموذجا للاعتماد على الذات ، كما تقدم نموذجا لادارة الأعداد الكبيرة .

الرقم المستهدف للسكان عام (٢٠٠٠) هو (١٢٠٠) مليون نسمة ، وذلك يعني أن الصين سوف تظل بطبيعة الحال هي الأكثر ضخامة ، وبما يرتبه ذلك من نتائج أبرزها : عشرة ملايين من المواطنين يدخلون سوق العمل لأول مرة . . كل عام .

ولكن . .

وحتى يتم تشغيل هذا العدد ، كما يتم الوصول الى هدف الدخل المقترح ، الذي ينقل الصين خطوة تجاه مستويات الدول الصناعية ، لكي يحدث ذلك فلابد أن توجه الصين ثلاثين بالمائة من ناتجها القومي للاستثمار . . وهو مستوى غير بعيد المنال ، لأن الصين قد استطاعت أن تفعل ذلك في السنوات الماضية .

و . . مع ذلك فان خبراء البنك الدولي يقولون : ان تخفيض الاستثمار أمر ممكن . . والهبوط بالرقم من ٣٠٪ الى ٢٦٪ من الناتج القومي يفيد ولا يضر اذا أحسن استخدام الموارد ، وتم ترشيد الاقتصاد ، كما تم التوسع في الخدمات ، وتقليل نسبة العمالة في الزراعة . . كيف ؟

يعتمد هذا الرأي على مشروعات مكثفة للعمالة ، وليست مكثفة لرأس المال ، كما يعتمد على التسليم بأن النموذج الصيني حالة خاصة ، وان ادارة التنمية في بلد بحجم القارة لا يمكن الا أن تكون ذات نمط خاص . . و . . حين ناقش خبراء البنك الدولي - وهو بنك عالمي ذو توجه رأسمالي - التجربة الصينية وتنبؤات المستقبل ، وحين وضعوا شهادتهم في صالح

هذه التنبؤات المتفائلة ، كان هناك تسليم من جانبهم بأن أسس ادارة الاقتصاد الصيني - وهي أسس اشتراكية - صحيحة وتساعد على بلوغ الهدف . .

قالوا : انه لابد من استمرار التخطيط المركزى . . وينبغى أن تزداد كفاءة التخطيط ، وان كان للتوجيه أسلوبان . . مباشر ، وغير مباشر ، وعلى الصين أن تأخذ بالأسلوبين .

قالوا أيضا : ان استمرار سياسة العدالة الاجتماعية أمر ضرورى ، ويرتبط ذلك بالتنمية ، ولا تملك الصين الا أن تستمر في ذلك .

ثم . . أضافوا بعد التسليم بهاتين الركيزتين في ادارة الاقتصاد والمجتمع ، انه لابد من تحديث الاقتصاد وتطوير اداراته .

هنا . . تتعدد الاقتراحات .

اقتراح أول بأن يجرى تطعيم الاقتصاد الصينى بنظام السوق . . حرية أكثر للمشروعات . . مركزية أقل . . تنافس ونظام للحوافز تتمتع به المشروعات ، ويتمتع به الأفراد ، وذلك حتى يمكن تحسين الانتاج كما ونوعا ، وتقديم منتجات جديدة دون توقف .

اقتراح ثان بأن يتم تعديل نظم المؤسسات والسياسات الاجتماعية . . . مع الحفاظ على هدف العدالة الاجتماعية .

اقتراح ثالث بأن يزيد انفتاح الصين على العالم الخارجي ، فيجرى الأخذ بوسائل التقنية الحديثة ، كما يجرى تقديم تشجيع أكثر للاستثمار الأجنبى خلال ذلك .

. . مجتمع آخر

هذه الرحلة التي تستهدفها احدى دول العالم الثالث لا يمكن أن تكون مقصورة على الجانب الاقتصادى . . فقبول قدر أكبر من التعامل مع العالم الخارجي ، سواء في مجال التقنية أو الاستثمار الأجنبى ، يطلب قرارا سياسيا وتبدلات في السياسة ، التي كانت تعتبر المال الأجنبى رجسا من عمل الشيطان . .

في نفس الوقت فان ذلك الانفتاح على العالم لابد أن يكون مصحوبا بعملية اختيار دقيقة ، تحدد نطاق التماس ونطاق العزلة ، ونطاق التفاعل والحماية أيضا ، ونطاق المنفعة المتبادلة والضرر من فتح الأبواب .

وقد بدأت الصين السير في هذا الطريق ، ووصلت مرونتها في أكثر من مجال من بينها : فتح الباب للاستثمار الأجنبى ، وتجربة هونج كونج التي سوف تحتفظ بنظامها الرأسمالي فترة طويلة ، بعد العودة الى أحضان الصين .

وعلى الجانب الاجتماعي فلن تكون الرحلة أقل مشقة،فبوصلة العدل يجب ألا تسقط ، وزيادة الدخل المستهدفة لابد أن يتم توزيعها بكفاءة ، ونظم الحوافز وفتح نافذة على الغرب والتجارب الرأسمالية ينبغى ألا يكون مصحوبا بنظام طبقى جديد ، يغير من طبيعة التوجه الاشتراكي ويؤثر على مسيرة التنمية .

والأكثر ، أن هناك جوانب أخرى تتعلق بالانتقال من القرية الى المدينة ، ونشوء مدن جديدة وأساليب حياة أكثر حداثة . . بل . . هناك تطور في تركيب المجتمع ، حيث تزداد نسبة كبار السن . . « العواجيز » ، فالتحكم في الزيادة السكانية يعنى تقليل نسبة الوافدين الجدد وصغار السن ، بما يعكسه ذلك على طبيعة القوى العاملة ، ونسبة الإعالة داخل الأسرة .

لقد كانت الصين ، وطوال السنوات العشرين الماضية ، نموذجا متقدما ، بالقياس للكثير من الدول الفقيرة والنامية . . فسجلت نسبة نمو سنوي بلغت (٤ر٤) بالمائة كمتوسط عام . . وظلت أسعار السلع والخدمات تتناقص بين عامى ٦٥ و ١٩٧٣ ، حتى أن نسبة التضخم . وفقا لتقديرات البنك الدولي أيضا . . كانت بالسالب ، وبلغت (- ر١) بالمائة سنويا . . فلما جاءت موجة التضخم العالمية عام ١٩٧٣ ، أصبحت نسبة التضخم وحتى عام ١٩٨٣ : (٧ ر١) بالمائة فقط سنويا . .

و . . كمحصلة للسياسات الصحية والغذائية ونمط الحياة ، تتمتع الصين بمتوسط عمر يندر أن يحدث في الدول الفقيرة . . فالعمر المتوقع للصيني عند ولادته هو : (٦٧) سنة .

ترى . . ماذا يحدث في هذه المجالات ، عندما يزيد التحديث والانتاج على العالم والاتجاه للمدينة ؟

التجربة الفريدة سوف تجيب ، ولكن . . ليس الآن .

□



أندريه مالرو والسينما

(١٩٠١ - ١٩٧٦)

بقلم : الدكتورة زينب عبد العزيز*

أندريه مالرو روائي له شهرته . ويعرف مالرو أيضا كمناضل من أجل الحرية في أماكن متعددة من العالم ، ولكن من يعرف أندريه مالرو المخرج السينمائي ؟

في عام ١٩٣٧ ذهب مالرو الى اسبانيا لمساعدة الجمهوريين في حربهم ضد الديكتاتورية ،عن هذه التجربة كتب رواية « الأمل » التي قام باخراجها للسينما أيضا ، فماذا عن مالرو المخرج السينمائي ؟

ربما أثار ارتباط اسم أندريه مالرو بالسينما بعض التساؤلات ، اذ أن ماهو معروف عن نضاله ضد الفاشية ، وارتباطه بالسياسة والادب ، أكثر شيوعا من صلته بالمجال السينمائي . ومع أن تجربته في هذا الميدان ظلت وحيدة في حياته ، الا أنها تعد علامة من علامات تطور السينما الأوروبية في أواخر الثلاثينيات ، أي أن أهمية هذه التجربة قد تعدت نطاق المقارنة المحلية الفرنسية ، لتدخل في نطاق تطور السينما بصفة عامة ، أي نطاق السينما كلغة تعبير وفن راق .

حتى أواخر الثلاثينيات ، لم تكن السينما قد جذبت انتباه أندريه مالرو ، الا كأحد المشاهدين العاديين المعجبين بها . وقد كان شديد الاعجاب بالأفلام الألمانية التاثيرية الطابع ، التي كانت تحتل الصدارة آنذاك ، وبالافلام السوفيتية التي كانت تلفت نظره من حيث القيمة الجمالية ، التي تحتوي عليها ، ومن حيث أهميتها كمجال يصلح للدعاية أو لنشر فكرة معينة .

* استاذة الحضارة بكلية الدراسات الانسانية - جامعة عين شمس - القاهرة

وتعد التجربة التي عاشها مالرو عند اشتراكه في الحرب الأهلية الاسبانية ، من أصدق التجارب وأعمقها في حياته . اذ كانت أول مرة يساهم فيها بالنضال الفعلي ، ولمدة سبعة أشهر متتالية ، للتعبير عن تضامنه مع الوطنيين الاسبان ، في دفاعهم ضد الفاشية . وكان وقع هذه الأحداث شديد الأثر عليه كفنان مبدع .

في الطائرة الأخيرة :

وما ان اندلعت هذه الحرب ، في الثامن عشر من شهر يوليو عام ١٩٣٦ ، حتى هرع مالرو الى مدريد على متن آخر طائرة ، متجهة مباشرة من فرنسا الى اسبانيا ، وكان ذلك في العشرين من نفس هذا الشهر ، أي بعد يومين من بداية الاشتباكات . وما كاد مالرو يصل الى أرض المعارك ، حتى عهد اليه الثوار بشراء عدة طائرات من فرنسا لدعم حركة المقاومة . ونجح مالرو في الحصول على خمسين طائرة . ولم يكن هناك بين صفوف المقاومة الاسبانية عدد كاف من الطيارين . فتولى هو مهمة جمع المتطوعين للاشتراك في هذه الحرب الوطنية . وتم تعيينه كأحد قادة هذا السرب ، وان لم يكن معدا من قبل لتولي مثل هذا المنصب . الا أنه اشترك بحماس صادق ، وخاض الكثير من الغارات بجوار الطيارين المحترفين . وكان سربه هو الوحيد الذي اشترك في معارك قريتي « مدلين » و« ترويل » .

وفي نفس هذه الآونة ، قام أندريه مالرو ، الأديب ، بالتعبير عن تلك التجربة الانسانية التي خاضها ، في كتاب بعنوان « الأمل » ، ظهر في شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ ، وفور ظهور هذا الكتاب ، سافر مالرو الى الولايات المتحدة وكندا ، لالقاء بعض المحاضرات عن الحرب الأهلية الاسبانية ، وجمع بعض التبرعات لتزويد الوطنيين بالسلاح ، وتدعيم مستشفياتهم بما ينقصها من معدات . وأثناء هذه الجولة ، مر بمدينة هوليود ، مدينة السينما التي دفعت الى ذهنه بفكرة عمل فيلم سينمائي ، يقوم بالدعاية لهذه الحرب ـ لعله ينجح في ايقاظ ضمائر البلدان الديمقراطية الأخرى ، اذ من المعروف أنه بخلاف مساندة الاتحاد السوفيتي والمكسيك ، لم تتقدم أية حكومة ديمقراطية أخرى لمنع توغل النظام الفاشستي في اسبانيا .

وعاد أندريه مالرو في أوائل عام ١٩٣٧ الى اسبانيا ، ليعرض فكرته على المسئولين المناضلين . وأعطته الحكومة الجمهورية موافقتها التامة ، لكي يقوم باخراج هذا الفيلم عن الحرب الأهلية . وكان مالرو يرغب في القيام بعمل يهز مشاعر الجماهير العريضة في كل مكان . . كان يفكر في فيلم ينقل اليها الواقع ، بكل مافيه من شجاعة وحماس ، وكل مايحتوي عليه من قهر ومعاناة . . لذلك كان البطل الحقيقي في هذا الفيلم هو مأساة الحرب الاهلية ، التي كانت تمثل جزءا من مأساة انسان القرن العشرين .

« الأمل » في علبة فارغة :

وعندما تولى مالرو صياغة السيناريو ، لم يتردد في تعدي نطاق تجربته الفريدة في رواية « الأمل » التي تعتمد أساسا على قصة حياة الطيارين التي عاشها كواحد منهم وانما أضاف اليها مايدعم فكرته العامة عن هذه المعركة ، فأدخل مساندة العمال والفلاحين لقوى المناضلين ، ونضال فرق المتطوعين ، واشتراك الجيش الجمهوري أثناء المعارك ، واعتمد على قصة الطيارين كدعامة خلفية ، تربط بين أحداث الفيلم ، أي أنه خرج بعمله هذا من واقع التجربة الفردية ، الى نطاق معاناة الجماهير العريضة ، ممثلة في مختلف القطاعات التي عايشت هذه المحنة .

وبدأ تصوير الفيلم في ظروف مادية وحربية شديدة الصعوبة ، فبخلاف مشاكل الانتقال الى مكان التصوير ـ الذي كان يبعد خمسة كيلومترات عن ضواحي برشلونة ، لم يكن التيار الكهربائي منتظما بسبب الغارات ، مما كان يفسد عمليات التصوير والتحميض . كما كانت هناك صعوبات جمة من حيث الحصول على عتاد حربي لتصويره ، أو لاقامة

الديكورات الثابتة اللازمة للتصوير ، ومن جهة أخرى ، كانت الأنباء الحربية تزداد سوءا يوما بعد يوم . وظل أندريه مالرو يعمل بدأب وحماس ، حتى قبل دخول قوات فرانكو واستيلائها على برشلونة بيوم واحد .

وجمع أندريه مالرو كل ما تم تصويره من لقطات ، وطار به الى باريس ، حيث استطاع استكمال الفيلم ، بفضل مساعدة المنتج ادوارد موليتييه . وفي شهر يوليو ١٩٣٩ عرض فيلم « سييرا دي ترويل » في حفل خاص حضره أعضاء الحكومة الجمهورية المنفيون في باريس . وكان الفيلم يحمل اسم القرية التي عاشت إحدى أهم المواقع الحربية . الا أنه عرض بعد ذلك بنفس الاسم الذي تحمله الرواية وهو : « الأمل » .

وتم الاتفاق على أن يعرض الفيلم في قاعات العرض العامة ، خلال شهر سبتمبر من نفس عام ١٩٣٩ ، الا أن الحرب اندلعت في فرنسا ، وفرضت الرقابة على كافة المجالات ، ومنها السينما ، ولم توافق الرقابة على عرض فيلم « الأمل » ، لكي لا تثير عداء الجنرال فرانكو ، الذي كان قد استتب له الأمر في اسبانيا .

كما قام الألمان أثناء احتلالهم لفرنسا وضمن حملاتهم التفتيشية ، بالاستيلاء على كافة الأفلام الوطنية واعدامها . وهنا تدخلت الصدفة لانقاذ نسخة واحدة من فيلم « الأمل » ، وكان أحد العاملين قد وضعها في علبة فارغة مكتوب عليها عنوان أحد الأفلام الهزلية الشهيرة ، فلم تمس العلبة ! وبعد تحرير فرنسا . أمكن استخدام هذه النسخة الوحيدة لطباعة عدة نسخ أخرى ، وتولت احدى الشركات السينمائية الفرنسية مهمة توزيع الفيلم ، الا أن الجمهور الفرنسي الذي كان يعاني من وطأة الحرب العالمية الثانية ، كان قد نسي الحرب الأهلية الاسبانية ، ولم تعد تشغل باله .

ورغم فتور الجمهور ، الا أن النقاد قد اهتموا بهذا العمل السينمائي الفريد ، واستقبلوه بحماس شديد . ومهما اختلفت آراء النقاد من حيث التفاصيل ، فقد أجمعوا على ما في هذا العمل من صدق وبساطة ، وعلى نوعية ما يتركه في المتفرج من انفعال عميق . وفي نفس عام ١٩٤٥ حصل فيلم « الأمل » على جائزة « لوي ديللوك » في المهرجان السينمائي المقام بمدينة بال بسويسرا .

المحاكاة والتخطي :

وعلى الرغم من أن مساهمة أندريه مالرو في المجال السينمائي ظلت فريدة من حيث الكم ، الا أنها ظلت فريدة أيضا من حيث المستوى . فهي تعد مساهمة أساسية وعميقة الأثر ، لما احتوت عليه من **مفاهيم ومعان ، كانت سابقة على عصرها** بعشرين عاما . وقد اعتمد مالرو - عند القيام باخراج هذا الفيلم - على فلسفته الفنية التي كثيرا ما عبر عنها في مؤلفاته فيما بعد ، وهي : « أن الفن لا يكمن في محاكاة الطبيعة وإنما في تخطيها » .

ومن أهم معالم هذا الفيلم أنه يقدم وجهة نظر مالرو ، الذي حاول أن يتخطى الأحداث التي عاشها ، والامكانيات المعطاة له . لذلك ركز اهتمامه على ما يربط السينما بالفنون التشكيلية الأخرى ، وعلى ما في امكانية المجال السينمائي من خلق ابداعي وخيالي . ولعل ذلك هو ما كان يجذبه الى السينما التأثيرية الألمانية والسينما السوفييتية ، أيام الأفلام الصامتة ، أو الأفلام الحربية في العشرينات . ولا أدل على مدى اهتمام مالرو بمجال السينما الا ما أصابه من حزن في الأعوام الأخيرة ، وكل ما راح يعرب عنه من قلق وهو يرى المجال السينمائي يخضع لسلطان النفوذ المادي ، ويغرق بابتذال في عالمي الجنس والعنف . فالسينما في نظره مجال ابداعي ، يمكنه المساهمة بشكل فعال وسام في تحرير انسان القرن العشرين .

وقد أراد مالرو لعمله السينمائي هذا أن يكون مثل رواياته ، عملا ملتزما ، يدافع عن قضية معينة ، فهو كأديب ، لم يلجأ أبدا الى أسلوب الخطابة ، والاسهاب في الشرح أو التطويل في الدفاع . وذلك هو ما اتبعه أيضا حينما قام باخراج فيلم « الأمل » فقد

نجح في استخدام الامكانيات السينمائية والاسلوب السينمائي في التعبير عما عاشه وعما رآه بصورة مقنعة ، بل لم يلتزم بروايته كأديب ، وانما حاول التعبير عن نفس الحدث أو نفس الشعور لكن من خلال الامكانيات الذاتية المميزة للسينما ، مما أضفى المزيد من الواقعية والاقناع على هذا الفيلم ، ولعل ذلك يفسر قوله عن فيلم « الأمل » ووصفه بأنه « آخر فيلم ثوري تم تصويره ، وأن السينما لن تتعداه قبل سنوات طويلة » . .

ومن الواضح أن أهم ما ساعد على إبراز عظمة هذا الفيلم ، أن مالرو قد التزم العقل والاتزان ، سواء ككاتب للقصة وللسيناريو أو كمخرج عندما راح يعبر عن الثوريين أو عن أعدائهم . كما أنه لم يغرق في المنازعات السياسية ، وانما تخطاها ليبرز مواقف الشجاعة والتضامن والكرامة الانسانية ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الفيلم لايظهر فيه أي شخص من أتباع فرانكو صراحة ، كما أنه لم يظهرهم في أي وضع مشين أو ساخر ، ذلك لانه قد اهتم بتمجيد لحظات المعاناة الانسانية ، والنضال من أجل المبادىء ، بلا أحقاد وبلا احتقار للغير ، على الرغم من قيامه باخراج وتصوير الفيلم أثناء الحرب ذاتها .

ومن جهة أخرى فانه لا يظهر فيه أي افتعال حماسي سياسي ، أو أية اثارة لتـولي السلطة ، فالشخصيات الأساسية في الفيلم لا تظهر كأبطال أو كرجال فوق مستوى البشر . . انهم يبدون في غاية الطبيعية والواقعية . بل ان أهم مالفت نظر مالرو في هذه التجربة هو التحرك الجماهيري في حد ذاته . لذلك تداخلت شخصياته وذابت في خضم الحركة الجماعية ، وربما لجأ الى أناس بسطاء ، لكي لا تطغى شهرتهم على أهمية الحدث ، ولكي لا يتجه انتباه المتفرج الى متابعة « البطل » كفرد ، وانما ليغرق في معايشة هذا الواقع الذي يراه ماثلا أمام عينيه

لحظة التعبير الفني :

ونظرا للظروف السياسية الدولية آنذاك ، فلم يحقق فيلم أندريه مالرو الهدف الذي كان يرجوه منه : اذ تم عرضه على الجمهور بعد تأخر بلغ ستة أعوام عن التوقيت الذي كان يبغيه . وهكذا لم يعد فيلما حاسما لقضية مازالت تشغل بال الجماهير ، وانما أصبح ـ من حيث التوقيت الزمني ـ فيلما تاريخيا عن الحرب الاهلية في اسبانيا .

أما من حيث ما أضافه هذا الفيلم من جديد في المجال السينمائي ، فبخلاف أنه قد تم تصويره في المواقع الحربية نفسها ، وأثناء رحى هذه الحرب الأهلية ، فهو أول فيلم تظهر فيه طائرات حربية ودبابات بشكل واقعي واضح ، وقد استعان مالرو بتجاربه أثناء اشتراكه في الغارات الجوية ، ليخرج لقطات سينمائية جديدة بالنسبة للطيار المحارب داخل طائرته . وهي لقطات لا تلتزم بالقواعد السينمائية ، بقدر اهتمامها بابراز الحدث

ومن أهم ما نجح فيه مالرو من حيث الاخراج ، فهو تمكنه من التعبير الواقعي ، بحيث اعتقد معظم الذين شاهدوا الفيلم أنه قد تم تصويره أثناء الأحداث ، وأن الكاميرا كانت مختبئة في مكان ما ، وسط المعدات الحربية ، أو مع بعض المحاربين .

انه أسلوب خاص بأندريه مالرو . . أسلوب شديد البساطة ، يعبر عن النقاء المقتنع ، وعن الصدق ووضوح الرؤية بلا افتعال . فقصة « الأمل » هي قصة بعض الأحداث البسيطة المحددة ، ولكن مالرو قد بلورها في وقار وشاعرية عبر وجهة نظره الذاتية ، ورؤيته الفنية ، التي أضفت عليها تلك المسحة المأساوية الصافية ، فبدت وكأنها حوار تم التقاطه في لحظات خاطفة من الحياة ، ومن الصراع .

هكذا استطاع مالرو أن يترجم تلك المحنة التي عاشها الى لغة تشكيلية ، والى تعبير درامي ، يعبر عن العالم المأساوي الذي تألفه في رواياته ، والذي اعتمد في ابرازه على شدة نقاء اللحظة التعبيرية وعلى الحوار المقتضب والمزج بينهما ، مما جعل هذا الفيلم يبدو كصرخة من الأعماق ، تتردد أصداؤها في صمت مهيب . . فالصمت ، الصمت الأصم ، يمثل في هذا الفيلم نفس تلك المكانة التي يحتلها في حياتنا المأساوية . . . . . □

دور الموسيقا في تطور الشباب

بقلم : الدكتورة سمحة الخولي

لانفع للموسيقا ان لم تكن قريبة من الشباب - عصب الحياة - يتأثرون بها ويؤثرون ، فيضيفون اليها من نبض حياتهم انغاما تطبعها بطابعهم .

اما موسيقا الكبار فقد هجروها وعزفوا عنها ، فماذا يريدون اذن ؟ وما السبيل الى ارضائهم وجرهم إلى الاستماع ، ومن ثم ممارسة التأثير عليهم من خلال مايسمعون ؟

دبت الحيوية فجأة في القصر التاريخي القديم بمدينة فايكرزهايم الالمانية الصغيرة حين تقاطرت عليه وفود الشباب والشيوخ من الموسيقيين - فنانين وباحثين ومعلمين - ومن علماء الاجتماع والكتاب والصحفيين ومسئولي الموسيقا في الاذاعات ليشتركوا في الندوة الدولية التي عقدت في تلك المدينة للبحث في دور الموسيقا في تطور الشباب. تلك الندوة التي أعلن عنها ضمن الاستجابات الموسيقية المهمة لروح العام الدولي للشباب .

الموسيقا فى العام الدولي للشباب

ولعل هذه الندوة ، ، التي طرحت موضوعا جوهريا تستمد أهميتها الخاصة من ندوة الانشطة الفكرية على الساحة الدولية في العام الدولي للشباب ، اذا ماقورنت بالانشطة والعروض واللقاءات الموسيقية الفنية ذات الطابع العملي .

فقبل ذلك بأسابيع قليلة ، حشد الاتحاد الدولي للشباب الموسيقي أوركسترا السنوي الدولي للشباب في أوسع جولة قام بها منذ ربع قرن ، حيث عزف في كندا ثم اليابان وكوريا . وفي شهر يولية من هذا الصيف انعقد في كندا أكبر مؤتمر للشباب الموسيقي الدولي ، وقدم فنانون ومجموعات مختارة من الموسيقيين من كل أنحاء العالم ، واشتركت فيه مصر بمجموعة فريدة من عازفي الوتريات ، انتزعت الاعجاب بعزفها المتقن للموسيقا العربية التقليدية ،

وللموسيقا الغربية في آن واحد .

وفي غمرة هذا النشاط الفني الواسع ، لم تشغل قضايا الموسيقا والشباب حيزاً ملموساً يتكافأ مع المشاكل الجديدة المعقدة التي تواجه شباب اليوم في تناوله للموسيقا ، كما تواجه الموسيقيين والمربين الموسيقيين في تعاملهم مع الشباب . وبصفة عامة فان نصيب الدراسات المحيطة بالموسيقا والشباب كان محدوداً في هذا العام .

طابع مميز

انعقدت الندوة من ٢٦ الى ٣٠ أغسطس في مدينة فايكرزهايم ، التي يقع فيها مقر الشباب الموسيقي الالماني ، والتي شيد فيها حديثاً « بيت الموسيقا » ، ليكون مكاناً لاقامة الشباب الذين يحضرون لهذه المدينة طوال العام ، ليشاركوا في الدورات والدراسات الموسيقية المتنوعة ، سواء من المانيا أو من البلدان الأوروبية وغير الأوروبية (وقد شارك في هذه الندوة مندوبون عن المانيا الشرقية ، والغربية ، وبلجيكا ، والمجر ، والنمسا ، واليونان ، وبولندا ، وكندا ، والولايات المتحدة ، ومصر . غير أن الطابع الغالب عليها والذي جعلها تنفرد بين مثيلاتها من الندوات الدولية ، حتى ندوات الشباب الموسيقي ، - هو طغيان عنصر الشباب ، وأقصد بهذا ، الشباب تحت سن الثلاثين ، بل حتى تحت سن الخامسة والعشرين ، فقد حضر الندوة وشارك في أعمالها عدد من الطلاب الألمان ، من الجنسين ، وكانوا يمثلون مراحل العمر المختلفة ، فمنهم طلاب بالتعليم الثانوي ، ومنهم طلاب بالتعليم الجامعي ، ومنهم طلاب متخصصون في الموسيقا . وكادت نسبة الشباب الحاضرين أن تصل الى النصف ، وهذا ما أضفى على ندوة فايكرزهايم جوا خاصا ، أكد معنى « الشباب » كما أنه أطلعنا عن شيوخ الموسيقيين من كل التخصصات على وجهات نظر الشباب في أمور بالغة الأهمية ، تتصل بمفهوم الموسيقا لدى هذه الأجيال الجديدة ،

وقد قسم عمل الندوة الى أربعة محاور رئيسية تتناول كل منها جانبا من جوانب البحث ، لتحديد مفاهيم ومواقف الشباب ، سعيا الى التوصل الى فهم أعمق وفاعلية أكثر للموسيقا في تنمية الشباب .

وكانت المحاور التي دار حولها عمل الندوة : -

- العروض الموسيقية المتخصصة المتاحة للشباب في مجالات عامة .
- وظائف الموسيقا وقيمتها من وجهة نظر الشباب .
- الفرص المتاحة للمؤهلات الموسيقية .
- الموسيقا في العلاقات الدولية

وقد خصص لكل واحد من هذه الموضوعات الرئيسية يوم كامل ، وذلك بعد يوم الافتتاح الذي خصص للتسجيل والتعارف وبعض الترفيه الموسيقي . ونظم العمل على أساس تقديم البحوث في الفترة الصباحية وحينما كان في الوقت متسع كانت تناقش بعض الأسئلة حول النقاط المثارة في البحوث ، بينما كانت الجلسات الرئيسية للندوة وفقا على المناقشات التي يثيرها الشباب وعلى العروض المرئية والمسموعة التي توضح المسائل التي تم عرضها في الندوة ، مثل عروض الفيديو أو الأفلام أو الاداء الموسيقي للشباب من أعضاء الندوة وغير ذلك . أما الأمسيات فكانت كلها مخصصة تماما لعروض موسيقية تولاها الشبان ، الذين شغلوا في دراسات موسيقا الحجرة تحت اشراف نخبة من الأساتذة الدوليين ، وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله تلك الدراسات العملية هو : « **من مصادر يوهان سباستيان باخ : موسيقا الحجرة عبر ثلاثة قرون** » وكانت الحفلات الموسيقية على أعلى مستوى من الاتقان والجودة ، رغم أن أعضاء المجموعة الواحدة ، كالخماسي أو التساعي لم يجتمعوا للعزف معا الا في هذه الفترة في فايكرزهايم ، ومع ذلك حققوا اندماجا فنيا رفيع المستوى . وكان وقع هذه الحفلات الموسيقية أكثر عمقا ، حيث كانت تقدم في « قاعة الفرسان » الفخمة في قصر فايكرزهايم التاريخي الشهير ، الذي يفد السائحون من كل أنحاء أوروبا لزيارته وزيارة تلك القاعة الذهبية بالذات

عروض موسيقية متخصصة

قام د . مايكل بينه ، رئيس الشباب الموسيقي الالماني ، ومعظم المشتركين في الندوة بافتتاح العمل فقال : اننا أردنا أن يكون هذا لقاء مفتوحا حول

الموسيقا والشباب ، وقد طلبنا من المتحدثين أن يجعلوا بحوثهم مبسطة وواضحة ، وان يبتعدوا عن الأفكار النظرية العامة قدر الامكان .

وتولى ادارة النقاش في ذلك اليوم د . هلموث لوس ، وعاونه عالم اجتماع ألماني آخر اسمه / برنهارد ماير ، وكان على قائمة المتحدثين خمسة أسماء من ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية والولايات المتحدة .

وأهم ما ناقشته بحوث المسئولين الألمان (الغربيين) عن الاذاعات الألمانية أن هناك تحولا جوهريا قد حدث في مفهوم « الموسيقا » في نظر الشباب الالماني ، وأن تلك الاذاعات تعمل في اطار هذا المفهوم الجديد وتكريسه ، ولعلها تضيف اليه أبعادا جديدة .

ولسنا هنا بصدد الحكم على أي من المفاهيم أو الاتجاهات السائدة حاليا حول فن الموسيقا في ألمانيا بالذات ، ولكننا استمعنا الى أحد علماء الاجتماع الالمان ، وهو يقرر أن الموسيقا في نظر الشباب هي - أساسا - الموسيقا « الترفيهية » بكل أنواعها ، ومن الضروري هنا أن نوضح مايستخدمه هذا المقال من اصطلاحات : فمعنى كلمة « الموسيقا الترفيهية » هنا هو النظير المقابل « للموسيقا الفنية أو الكلاسيكية » أي أن لفظ الموسيقا الترفيهية يشمل كل الأنواع المختلفة ، من الموسيقات الخفيفة التي تتميز بالوقع السريع ، وهذا يضم موسيقا الجاز والبوب والروك وغيرها ، وهي موسيقا تعتمد أساسا على الآلات الكهربائية ، ويلعب الميكرفون دورا جوهريا في احاطتها بالجو النفسي الملائم وبالصوت الجهير ، بما يجمع بين المؤدين والجمهور برباط نفسي وثيق في جو تلقائي صاخب ، منطلق ، لاتحيطه قيود الاستماع الموروثة في قاعات الموسيقا الفنية الكلاسيكية ، وماتحيط بها من تقاليد وقيم فنية خاصة .

موسيقا الشباب

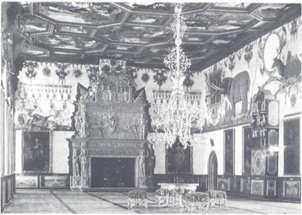
وقد أثار عدد من القائمين على برامج الموسيقا في الاذاعات الالمانية قضية برامج « موسيقا الشباب » وأوضحوا أنه ليست هناك موسيقا فنية كلاسيكية تصلح للشباب (أو لشباب هذه الاجيال في أوروبا)

ولذلك فليست هناك برامج موسيقية موجهة للشباب بخاصة ، وكل مافي الأمر أن أغلب المنظمين يحرصون على تحين الفرص ، لادخال العناصر التثقيفية في اطار برامج موسيقية يغلب عليها عنصر الترفيه ، وهذا هو ما يطلقون عليه « برامج الشباب الموسيقية » .

وتحدث مندوب ألمانيا الديمقراطية أولـريش باك أوفين ، عما يقدم فيها من الموسيقا وفنونها للطلبة والشباب ، غير أنه كان حديثا ابتعد عن الموضوعية والحيدة الضرورية في مثل هذه المحافل العلمية - فهو قد لحا سياسيا لالمانيا الغربية منذ أقل من عام ، وحصل على جنسيتها ، ولذلك جاء تمثيله لألمانيا الشرقية غير منطقي ، وكان حديثه عنها مغلفا بكثير من السخرية ، ولم يكن اعتراضه الجوهري على كم أو نوع الموسيقا الذي يقدم هناك للشباب بل كان منصبا بالطبع على الاطار العقائدي الذي تقدم فيه هذه الحفلات ، وعلى المعاني السياسية التي تجد طريقها اليها دائما .

واظنه كان سيقنع المستمعين بوجهة نظرة بشكل أكثر تلقائية ، لو أنه تجنب التعريض بموطنه الأصلي . . وهكذا جاءت إضافتة للندوة سلبية في محصولها وبعض أثرها ، وان كانت قد فتحت أذهان بعض المحايدين من الحاضرين على الكم الكبير والتنويع الهائل في أنواع العروض الموسيقية التي تقدمها ألمانيا الشرقية لطلاب المراحل التعليمية المختلفة بانتظام ، وتوفرلهم السبل لحضورها بعناية بالغة .

وكانت جلسة بعد الظهر مجالا لمناقشات الشباب ، حول ماقدم في الصباح ، وطرحت آراء الشباب الألماني فيما يقدم لهم من موسيقا ، واتضح أن هناك شكوى عامة من ضيق المجالات أمام فرق الشباب الموسيقية ، وان الصلات بين المؤسسات الرسمية الموسيقية في ألمانيا وبين الشباب ضعيفة ومفككة ، وان الاعلام عن الحفلات الموسيقية بكل أنواعها ضعيف جدا ، وان كان هناك اعتراف بأن حرص الشباب على معرفة التفاصيل عنها ضعيف أيضا وأثاروا غلاء ثمن التذاكر ، وعدم وجود نظام الاشتراك في الحفلات الموسيقية ، ويبدو أن المناطق التي تبذل اهتماماً موسيقياً خاصا بالشباب انما تفعل ذلك من منطلق سياسي .



قاعة الفرسان بقصر فايكرزهايم التاريخي الذي عقدت فيه جلسات الندوة الدولية حول الموسيقا وتنمية الشباب

وكان اليوم الثاني مخصصا لبحث« وظائف الموسيقا وقيمها من وجهة نظر الشباب »بينما كان البحث في اليوم الثالث في موضوع « **الفرص المتاحة أمام المؤهلات الموسيقية** » وكان المتحدثون فيها جميعا من الألمان . وقد اتخذت الدراسات الخاصة « بوظائف الموسيقا وقيمها » صورة أقرب للحوار العام ولدراسة آراء الشباب دراسة علمية المنحى ، ولكن في نطاق ضيق وذلك عن طريق استبيان أعدته مجموعة أعضاء من الشباب الموسيقي الألماني ولخصوا فيه أهم الأسئلة التي تدور في الأذهان ، والتي تستطيع اجاباتها ان تنير الطريق ، لفهم وجهات نظر الشباب في وظيفة الموسيقا في حياتهم وعلاقاتها بالاسرة وبالهواية ، والى أي حد يتأثر الشباب بأذواق آبائهم في الموسيقا ، سلبيا وايجابيا ، وماهي طبيعة المتعة التي يستمدونها من موسيقاهم المفضلة ، وكم عدد مرات ترددهم على حفلات الموسيقا بأنواعها الترفيهية والجادة ، كما خصصت بعض الأسئلة لعلاقة الشباب بالمسرح

وقد كان هناك بعض التداخل بين بحوث المحورين الثاني والثالث ، ولذلك نعرض لأهمها هنا ، حيث قدمت فيها بحوث جادة غلب عليها الاتجاه العلمي والاحصائي ، وتناولت جوانب تهم كل المشتغلين بالتربية والثقافة الموسيقية .

وسنبدأ هنا عرضا موجزا لبحث قدمه هاينز جنبريس من برلين ، عن « **الاستعداد الموسيقي والنمو الفردي** » وقد ناقش فيه جنبريس قضية الموهبة الموسيقية ، وهل هي موروثة أومكتسبة ؟ وهي قضية لم تحسم بعد ، ولكن هناك شواهد عديدة تدل على أن عنصر الوراثة يلعب دورا في المواهب الموسيقية ، ومن أشهر الأمثلة لذلك أسرة باخ ، التي امتدت فيها المواهب الموسيقية مايقرب من قرنين كاملين ؟ واستشهد في ذلك برسم لشجرة عائلة باخ ـ ثم هناك أسرة موتسارت (الأب والابن والأخت) . وقد كان فرانسيس جالتون من أوائل المحبذين لفكرة الموهبة الموروثة ، اذ جمع أسماء **٩٧٩** من مشاهير الموسيقيين

ممن كان آباؤهم يتمتعون باستعداد موسيقي ليدلل على نظريته .

وخلال المناقشات حول هذا البحث أثارت مندوبة مصر قضية « الاستماع المطلق » باعتبارها مفهوما أوروبيا بحتا ، ولاينطبق على الحضارات ذات الموسيقا غير الغربية ، اذ ان « الاستماع المطلق » للطبقة مرتبط أساسا بنظام السلم المعدل وبالآلات الغربية الثابتة ، أما في الشرق فان مفهوم الطبقة الصوتية ليس ثابتا ثبوتا مطلقا ، فقد كانت الآلات الموسيقية في التخت الشرقي الى عهد غير بعيد ، تسوى اما تبعا للطبقة « الصغيرة » أو للطبقة الكبيرة » ، وذلك تبعا لصوت المغني الذي يصاحبه التخت ، ومن هنا تبدو الحاجة الى التوصل الى تعريف دولي شامل لمعنى « الاستعداد الموسيقي والموسيقية الطبيعية تعريفا لايصطدم بتقاليد حضارات موسيقية أخرى ، كما أن اختبارات الاستعداد الموسيقي نفسها بحاجة لمراجعة أساسية عند تطبيقها على أطفال البلاد العربية ، التي تقوم موسيقاها على خط لحني مفرد « ميلودية » ولموسيقاها أبعاد خاصة تميزها عن الموسيقا الغربية ، ولذلك فنحن بحاجة لدراسات عميقة لتطوير اختبارات الاستعداد الموسيقي تطويرا أساسيا ، لكي تلائم الأطفال في منطقتنا العربية جسميا وفنيا ، وهو مابدأت به بعض البحوث ، بواسطة المتخصصين في التربية الموسيقية في مصر حاليا .

الشباب وصناعة الموسيقا

كان بحث الدكتور / هانس باستيان عن « تراجم الموهوبين موسيقيا » ذا طبيعة احصائية لم تغفل الجوانب الانسانية . وهو بحث ميداني لدراسة نوابغ الشباب ، ممن تقدموا للمسابقات الموسيقية الألمانية السنوية المسماة Jugend Musiziert « وأقرب ترجمة عربية لها هي الشباب يصنع الموسيقا أو الفائزين في هذه المسابقات ، وهدفه أن يتتبع بدقة عن طريق الأحاديث المباشرة مع الموهوب (وبعيدا عن الأبوين) ، أهم التجارب في حياته الموسيقية ، وأثر التفوق الموسيقي على حياته ، ونظرته للحياة وكيفية تداخل التفوق الموسيقي ، وتأثيره على نموه في نواح أخرى من الشخصية ، وماقد يترتب على ذلك التميز الموسيقي من اهمال لبعض جوانب الثقافة ، أو الشخصية لدى الشباب الموهوب .

وحرص البحث على معرفة نقطة البداية للدراسة الموسيقية ، وهل هي بتأثير الأسرة أو المدرسة ، أو بتأثير نموذج شهده وأراد أن يحتذيه ؟ وماهي أهم التجارب المؤثرة في المدرسة ، وماهي تجاربهم في معاهد الموسيقا ، وكيفية قضائهم لأوقات الفراغ ، وعلاقاتهم بأصدقائهم وصلاتهم بوسائل الاعلام - وماهي أحلامهم وطموحاتهم للمستقبل؟ كما امتد البحث كذلك لدراسة الأطفال ذوي المواهب الموسيقية الخارقة ، وأثر المواهب على طفولتهم ونمو شخصياتهم .

وقد جمع فريق الباحثين سبعين حديثا من مناطق مختلفة مع الفائزين في هذه المسابقات ، وتم تقسيم الأحاديث حسب مراحل العمر ، واستكملت بأحاديث مع الأبوين ، ثم تم تفريغ هذه البيانات وبرمجتها بواسطة الكومبيوتر كمرحلة أولى ، وتجري بعدها مرحلة التحليل الاحصائي . وكل هذا أملاً في التوصل الى أفضل الوسائل لرعاية المواهب الموسيقية وتعليمها موسيقيا ولتصحيح الأخطاء التربوية ، واقتراح السياسية الثقافية والتربوية المثلى في هذا المجال،وهذا المشروع ترعاه وتموله وزارة البحث العلمي الألماني .

وكان اليوم الاخير من أيام الندوة أكثر دولية من الايام السابقة اذ قدم فيه دنيس هاميل من كندا بحثه عن « تأثير الوسائل البصرية على التذوق الموسيقي لدى الشباب » ، وقدمت ان ماروت من بولندا ورقة عن « **التنشيط الموسيقي في نطاق موسيقا البوب** » كما ألقت آن باندان من بلجيكا موضوعا عن « **الشباب الموسيقي الدولي وخبرات اللقاءات الدولية** » .

بحث مثير للجدل

وقد أثار بحث هاميل جدلا كبيرا ، وبذلك يكون قد نجح فعلا في اثارة اهتمام الحاضرين ، وقد بدأ بحثه بتقرير حقيقة توصل اليها احصائيا في دراسة حول اتجاهات شباب المدارس الكندية ، من سن ١٢

الى ١٦ سنة فقد اتضح له أن أغلبية كبيرة منهم « مضادة » للموسيقا الكلاسيكية ! وحتى القلة التي تميل فانها لاتجاهر بهذا الرأي احتراما للاغلبية ، وتبين من بحثه عن أسباب عزوف الشباب الكندي عنها الأسباب الاتية : انها طويلة أكثر مما يجب - ليس لها ايقاع (ويقصدون النبض المحدد القوى) - وأنها مرتبطة بالماضي وبالارستقراطية (ولعل بعض الاعلانات التليفزيونية تعين على تأكيد هذه الصورة) - انها مركبة والآلات فيها متعددة والاصوات (أي النغمات) متشابكة الخ . . .

وهكذا تأكد له أنه لابد أن يجد منفذا لعقول وآذان هذا الشباب بوسائل أخرى غير تقليدية ومن ذلك طريقة أستاذه الامريكي : سول فاينبرج التي كان يسميها مسودات للفهم الموسيقى » وهي تعتمد على قيمة العنصر المرئي في التربية الموسيقية .

فقد قام هاميل باعداد رسم ايضاحي لنوته حركة من السيمفونية الخامسة لبتهوفن ، ألغي فيها استخدام المدرج الموسيقى للتبسيط ، ورسم النوتات الموسيقية المرتفعة الطبقة لأعلى ، والمنخفضة الطبقة الأسفل ، وبدلا من كتابة أسماء الآلات كما في المدونة الموسيقية ، كان يرسم الآلات الموسيقية نفسها ثم بين ارشادات الأداء للشدة واللين ، برسم النوتات متدرجة في أحجامها للدلالة على ذلك . وكان يحرص على رسم نوتات كل لحن رئيس بلون معين ، ويحرص على المحافظة على نفس الرمز لنفس اللحن طوال القطعة ، ، وعرض هامبل هذا الرسم بالفانوس السحري ، مصحوبا بالاسطوانة ، ووقف بين الصورة والشاشة وأخذ يشير بأصبعه اشارات ايقاعية ، تدل على المسار الموسيقي لتيسير متابعة الرسم الايضاحي للنوتة . وقال انه وجد هذه الطريقة ناجحة في اكتساب عادات سمعية جديدة ، حيث استمع الطلبة الى هذه الموسيقا سبع أو ثماني مرات دون ضجر ، وكانوا هم أنفسهم يشاركون في الاشارات على الرسم التوضيحي ، وبذلك حقق هدفه الاساسي وهو خلق الألفة بينهم وبين هذه الموسيقا .

وفي محاولة لتقييم أثر هذه الطريقة طلب منهم كتابة آرائهم ، فكتب بعضهم انه أصبح أكثر تقبلا لهذه الموسيقا وآخر : أنه الآن لايغضب اذا استمع والده لهذه الموسيقا ، وكتب ثالث : انه قد غير رأيه في الموسيقا الكلاسيكية ، ووجد أنها تستحق الاهتمام الخ . . وأشار هاميل الى أنه طبق ذات الطريقة على عدد من الأعمال الكلاسيكية والرومانسية والتأثيرية ، وأنه يسعى الآن إلى تحقيق مرحلة أعلى بتطبيقها في مجال الفيديو) وكان محور الجدل أن كثيرين رفضوا مبدأ تقديم « هيكل عظمي » للموسيقا ، كبديل لدروس التذوق والاستماع الحقيقية ، كما أن بعض الحاضرين رأوا أن اشارات الاصبع التي يتابع بها هاميل الموسيقا على الرسم ، تبدو مثيرة للضحك . . . وقامت مقارنات بين ماهو متبع في بعض المدارس من مصاحبة الموسيقا ، بعزف الطلبة لأحدى الآلات السهلة ، ولتكن من الآلات الايقاعية ، كوسيلة لتحقيق نوع من المشاركة الايجابية من الطالب ، تعينه على الاقتراب من الموسيقا وتذوقها بشكل أفضل ومها يكن فقد كانت اضافة طريفة للندوة ، ولعلها تحتاج لتطوير واستكمال لكي تحقق أغراض التذوق الموسيقي تحقيقا أكثر اقناعا .

وبعد . . . فقد أردت أن أقدم صورة قريبة لواقع الندوة لكي أقرب نبضها وفكرها الى القارىء ، لكن في النهاية كان هناك شعور بأنها لم تكن ندوة « دولية » بالمعنى الحقيقي للكلمة ، شغلت الموسيقا غير الأوروبية حيزا ضئيلا جدا فيها ، وذلك من خلال المناقشات وحدها لأن منظمي الندوة لم يخطروا المدعوين اليها بموضوعات البحث الرئيسية ، ولم يطلبوا اسهامهم في طرح القضايا المثارة عن الموسيقا ودورها في تطور الشباب من وجهة نظر مجتمعاتهم وتجاربهم التي كان يمكن أن تضيف للندوة ثراء حقيقيا ، سواء بالبحوث والدراسات من بلاد وحضارات مختلفة او بالمعلومات الاحصائية والاستبيانات التي تفيد في استجلاء ، ومقارنة مواقف الشباب من الموسيقى على مستوى العالم المتحضر على اتساعه ! . . ورغم ذلك فقد كانت أياما شيقة وحافلة بالمتعة الموسيقية ، وخصوصا في الحفلات اليومية التي استمعنا اليها من نخبة من الشباب ، من أصحاب المستويات الفنية القيمة ، والأمل أن يكون الحضور العربي في مثل هذه الندوات الدولية أعمق وأوسع ، لكي تتحقق الفائدة التي تعقد من أجلها ، ولكي تأتلف الأفكار والقلوب حول الموسيقا . □

أول محطة إذاعة تعمل بالطاقة الشمسية

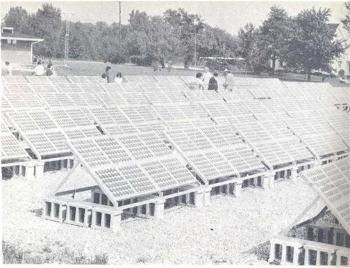
بقلم : الدكتور مظفر صلاح الدين شعبان
جامعة حلب - كلية الهندسة

الشمس متوارية عن الأنظار في كبد السماء ، وراء حجاب من الغيوم ، التي تظلل المنازل الريفية والمزارع في شمال غرب ولاية اوهايو الامريكية ، والمنطقة غزيرة الأمطار صيفا ، بينما تغطي أرضها في الشتاء طبقة سميكة من الثلوج ولا يتمالك الانسان نفسه من الشعور بالحيرة الممزوجة بالاستغراب عند سماع مذيع احدى المحطات المحلية يقول : « هنا بلد الشمس » ! فهذه هي المحطة الاولى في العالم التي تتغذى « بطاقة الشمس » وحدها ، دون الاعتماد على أي شكل آخر من مصادر الطاقة .

افتتحت محطة (بريان) بثها الاذاعي في ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٧٩ م ، وتستمر في الارسال يوميا من الفجر الى الغسق ، وتستمد القدرة اللازمة لتشغيل جميع أجهزتها (٥٠٠ وات) من خلايا شمسية تحول ضوء الشمس مباشرة الى كهرباء .

الطاقة الشمسية :

تعتبر الشمس أصل معظم مصادر الطاقة الأرضية قاطبة ، فبفضل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار ، وبفعل فروق الحرارة الشمسية تهب الرياح التي تسوق الغيوم ، لتتساقط بشكل أمطار تغذي



محطة اذاعية تعمل بالطاقة الشمسية في ولاية اوهايو الأمريكية .
حيث الشمس هي المصدر الوحيد لبث البرامج في اذاعة بريان .

الأنهار . السدود المقامة على الانهار تزودنا بالكهرباء المائية .

كذلك فقد ظلت النباتات على سطح الارض تتاقى أشعة الشمس طوال ملايين السنين . ونتيجة للتسخين البطيء والضغط ، تحولت هذه النباتات الى فحم ونفط وغاز طبيعي ، تمثل حوالي ٩٥ بالمائة من مصادر الطاقة التي يستخدمها انسان العصر الصناعي .

كمية الطاقة الشمسيةالواصلة الى الارض ضخمة جدا ، تفوق حدود التصور البشري : ما تستقبله الارض خلال أسبوعين فقط يكافيء مجموع احتياطيات الفحم والنفط والغاز ، أو يزيد .

البدء بتسخير طاقة الشمس شكّل أساس تطور الحضارة . وقد تمثلت نقطة الانعطاف في الاعتماد على أشكالها غير المباشرة (طاقة الماء ، وطاقة الرياح) كقوة دافعة لانجاز أعمال ميكانيكية . كذلك فقد اقتصر الأمر في العصور اللاحقة على التطبيقات « البسيطة » لاستئناس طاقة الشمس .

بعد هبوب رياح أزمة الطاقة في عام ١٩٧٣ ، تم عقد الأمال على ثلاثة مصادر عملاقة للطاقة هي : الطاقة الشمسية ، وحرارة باطن الارض الجوفية ، ومفاعلات الاندماج النووى .

تتميز الطاقة الشمسية بكونها مصدرا « مجانيا » للطاقة ، وبامكانية تحويلها « مباشرة » الى كهرباء ، وهي أنبل أشكال الطاقة ، لنظافتها وسهولة نقلها وامكانية تحويلها الى معظم أشكال الطاقة الأخرى ، مما يجعلها متعددة أوجه الاستخدام في مختلف أنشطة الحياة من مساكن ومصانع وغيرها . .

الكهرباء الشمسية :

أدت البحوث المكثفة في مجالات الصناعة الالكترونية وريادة الفضاء الى انتاج أول « خلية شمسية SOLAR CELL » تحول طاقة الشمس

« مباشرة » الى كهرباء في مختبرات شركة بل الأمريكية في عام ١٩٥٤ م .

تصنع معظم الخلايا الشمسية بشكل دوائر صغيرة قطر كل منها يقارب « ٢ سنتيمتر » توصل مع بعضها في لوحات تقدر استطاعتها بعدة آلاف من المرات ، بينما لا تتجاوز سماكتها بضعة اجزاء من الألف من المليمتر . معظم الخلايا يصنع من عنصر السيليسيوم كثير الوفرة في الصحارى ، والسواحل الرملية . لكن توليد الكهرباء بهذه الطريقة يتطلب انتاج بللورات كبيرة ، شديدة النقاوة من هذا المعدن ، يتم قصها بطرق أقرب الى البدوية ، مما يجعل تكلفة الكهرباء المولدة باهظة الثمن .

ولهذا السبب فقد اقتصرت الاستخدامات الأولى للخلايا الشمسية على الأقمار الصناعية . وفي عام ١٩٧٣ بلغ عدد الاقمار الصناعية الامريكية المزودة بخلايا شمسية ٦٠٠ والسوفياتية ٤٠٠ قمر صناعي . عمل هذه المولدات بدون عناصر تشغيل ، جعلها تستخدم في بعض المناطق النائية مثل تشغيل المنارات وبعض الاهداف العسكرية وغيرها .

الا أن ارتفاع أسعار النفط واقتراب نضوبه ، جعل عددا كبيرا من الحكومات والشركات الخاصة يفكر جديا باستئناس طاقة الشمس المجانية ، بطرق مختلفة ، بغية التأكد من النتائج مسبقا ، قبل التوسع في استخدام طريقة ما على نطاق تجاري واسع .

أول اذاعة شمسية :

هنالك مشاريع عديدة من هذا النوع يهدف بعضها الى الاستفادة « غير المباشرة » من طاقة الشمس . ففي جنوب ايطاليا تم بناء « محطة توليد شمسية » يقوم فيها عدد هائل من المرايا بتجميع الضوء المنعكس في بقعة واحدة ، بغية تسخين الماء فيها وتحويله الى بخار يقوم بدوره بدفع زعنفة بخارية تدير مولدا كهربائيا . وفي الصحراء الاسبانية هنالك مشروع آخر يختبر طريقة أخرى : يحصر الهواء في مساحة واسعة تحت رقيقة من اللدائن (البلاستيك) الشفافة . يسخن الهواء فيرتفع ضغطه فيتسرب الى الخارج عبر « المنفذ » الوحيد ، الذي وضعت فيه مروحة هوائية عملاقة ، تدور بالهواء الخارج ، لتدفع بدورها مولدا كهربائيا .

لكن مشروع اذاعة (بريان) يتميز بتحويل طاقة الشمس « مباشرة » الى كهرباء من جهة ، وبأن طاقة الشمس هي مصدر الطاقة الوحيد لاذاعة تقوم بعمل فعلي هو بث البرامج الاذاعية ولا يتم هدر الطاقة المولدة بشكل أو بآخر .

تم تصميم محطة (بريان) في معهد (ماساشوستس) للتقنية . وبلغت تكاليف المشروع ٣٠٠,٠٠٠ دولار تحملت معظمها وزارة الطاقة الامريكية ، ويتوقع استمرار تشغيلها طوال العقدين القادمين .

النتائج الأولى كانت مشجعة للغاية . فقد تبين ـ على سبيل المثال ـ ان الخلايا الشمسية تمكنت من توليد كمية معتبرة من الكهرباء ، حتى حينما كانت مغطاة بغلاف من السحب والأمطار المنهمرة . ففي الأيام الستة الاولى من التشغيل بلغت حاجة المحطة ١٥٩ كيلووات من الكهرباء ، ولكن الخلايا أنتجت ١٧٠ كيلووات ، رغم سوء الاحوال الجوية وتكاثر العواصف الرعدية . ويتوقع الخبراء أن تنجح هذه الخلايا في تغطية ٨٠ بالمائة من الطاقة الاجمالية اللازمة لتشغيل المحطة على مدار سنة كاملة .

لماذا وقع الاختيار على هذه البقعة المغطاة دوما بالغيوم ؟ ترغب وزارة الطاقة الأمريكية في اختبار مبدأ الاذاعة بالاعتماد على الخلايا الشمسية تحت « أقسى الظروف »فاذا نجح ـ وهذا ما حدث ـ عندها يمكن تعميم المبدأ ـ بدون قلق ـ على المناطق الاخرى ، ذات الطقس الأفضل . وقد دفع النجاح المنقطع النظير لهذه الاذاعة الى التنبؤ باعتماد عدد متزايد من محطات الاذاعة والتلفزة على الكهرباء الشمسية في المستقبل . □

بَصُرتُ بالراحةِ الكبرى فلم أرها
تُنالُ الّا على جسرٍ من التعبِ
(أبو تمام)

مفاهيم جديدة فى أمراض الحساسية

بقلم الدكتور أنيس فهمى

ظلت أمراض الحساسية وقتا طويلا لغزا يحير الأطباء ، ويثير اجتهادات متناقضة ، وحتى اليوم ليس هناك من يستطيع الادعاء بأن هذا اللغز قد وجد حلا نهائيا ، ومع ذلك فان كيفية حدوث أمراض الحساسية أصبحت اليوم معروفة بشكل أفضل من الماضى . . فماهي اجراءات الوقاية وكيف يكون العلاج ؟

أصبح باستطاعة الأطباء الآن أن يتحققوا من ان ظهور بثور جلدية أو أكزيما أو ربو ، أورمد فى العينين أو زكام مزمن أو فصلى ، ناتج من اصابة الجسم بمرض من أمراض الحساسية أم لا .

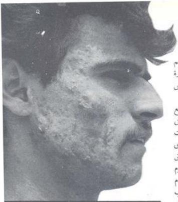
غير أن التقدم فى التشخيص لم يجب عن الأسئلة الكثيرة التى تطرحها أمراض الحساسية ، والتى يمكن اختصارها على النحو التالى : لماذا يصاب ١٨٪ من الناس حسب الاحصاءات الأخيرة بأمراض الحساسية تجاه بعض المواد ، فى حين لا يصاب بها الآخرون ؟

ولماذا يوجد أشخاص لا يحتملون غبار نباتات معينة ، أو وجود قط فى المنزل أو أكل السمك أو البيض ؟

اننا نجهل لماذايصبح عنصر ما ، موجود بكثرة فى الهواء أو فى المواد التى نلامسها ، مسئولا عن عدد كبير من أمراض الحساسية فى لحظة معينة وليس فى لحظة أخرى ؟ .

ما هى الحساسية ؟

كلمة « حساسية » تعنى حدوث رد فعل غير عادى فى مواجهة مادة أو عنصر عادى جدا وغير



الحساسية خلل في عمل الأجسام المضادة

مؤذ ، وتسمى كل مادة مسببة للحساسية باسم « عامل الحساسية » . ولكي تتضح الصورة أكثر ، سنذكر بعض الأمثلة الشائعة لأمراض الحساسية .

طفل في العاشرة من عمره يتمتع بصحة جيدة ، أصيب فجأة بأزمات حادة في التنفس بلغت درجة الاختناق ، وكانت الأزمات تحدث له في صباح كل يوم أحد . وعلى مدى أسابيع قام الطبيب باجراء استجواب دقيق لوالديه ، لمعرفة ما يحدث في المنزل صباح يوم الأحد ، وقد اتضح بعد الاستجواب أن الأم تقوم في هذااليوم بوضع باقة من الزهور بالقرب من سرير طفلها قبل أن يستيقظ من نومه ، وبعد الاقلاع عن هذه العادة الأسبوعية لم يعد الطفل يصاب بأزمات تنفسية .

طفل آخر يصاب بأزمات تنفسية كلما عاد والده الى المنزل بعد ممارسة رياضةركوب الخيل . وبعد أن قام الطبيب باستجواب والده طلب منه أن يخلع ملابسه ويستحم قبل مقابلة طفله ، وعندئذ اختفت نوبات ضيق التنفس عند الطفل ، لأن حساسيته كانت ناتجة من شعر الخيل العالق بثياب والده .

تجارب على الحساسية

هذه الحالات من الحساسية هي لحسن الحظ سهلة الاكتشاف ، ويمكن تحديد أسبابها وتلافي هذه الأسباب . لكن الأمور ليست دائما بمثل هذه البساطة ، سواء من ناحية التشخيص أو العلاج ، بل تستلزم في معظم الحالات اجراء عدد من الاختبارات اللازمة لتحديد الأسباب وتحديد العلاجات التي تختلف باختلاف هذه الأسباب ، وهذه الحاجة الى الاختبارات تعتبر من الخصائص المميزة لطب الحساسية .

وكما حدث في فروع الطب الأخرى ، فان التجربة سبقت المعرفة في حقل أمراض الحساسية . ففي منتصف القرن التاسع عشر اكتشف الانجليزي (بلاكي) أن حك بذور بعض النباتات على الجلد يسبب لدى بعض الأشخاص ردود فعل شبيهة بمرض الربو .

وفي عام ١٩١٠ مارس (جون فريمان و ليونارد نون) أول اختبارات جلدية للحساسية ، دون أن يتمكنا من تفسير سبب قدرةبعض المواد على احداث ما يشبه الالتهاب في الأنسجة المخاطية .

وفي عام ١٩١٩قام الطبيب الأمريكي (ماكسيميليان راميرز) بوصف حالة مرضية فريدة في نوعها ، فقد كان أحد مرضاه يصاب بنوبة ربو حادة ، كلما صعد في عربة يجرها حصان ، أو كلما تنزه في حديقةفيها خيول . وقد بدأت أزمات الربو لدى المريض بعد خمسةعشر يوما من تلقيه دما مأخوذا من شخص آخر لعلاجه من الأنيميا (فقر الدم) . وقد دهش راميرز عند ظهور أعراض الربو ، فبدأ بالبحث عن الشخص الذى أخذ منه الدم وأعطى لمريضه . وعند فحص هذاالشخص اتضح أنه يصاب هو أيضا باعراض غير طبيعية عند ملامسة جلده لشعر الخيل ، فاستنتج راميرز من ذلك أن

الحساسيةتنتقل بوساطةالدم . وبعد عامين أكدت تجارب أجريت فى النمسا والنرويج ، أن الجزيئات التى تنقل الحساسية موجودة فى الدم . هناك اذن شىء مافى الدم يحمل الحساسية ولكن هذا الشىء ظل غير محدد .

وعلى امتداد ثلاثين عاما بعد هذا التاريخ ، حاول الأطباء اكتشاف خصائص الجزئيات التى تحمل الحساسية دون جدوى . وفى الخمسينيات من القرن الحالى ولد علم جديد هو « علم المناعة » الذى أعطى دفعة قوية للابحاث فى أمراض الحساسية . وقد وضع الباحثون فرضا بأن الحساسية ناتجة عن اختلال فى جهاز المناعة ، لكن المشكلة زادت تعقيدا لأن جهاز المناعة هذا معقد جدا ، ولم يتم اكتشاف كل عناصره ومقوماته حتى اليوم .

تجارب ونتائج

وفى عام ١٩٦٧ ، وفى وقت واحد تقريبا ، تمكن العالم السويدى يوهانسون والزوجان الأمريكيان من أصل يابانى كيمشيج و تيركو ايشيزاكا من اكتشاف أنه توجد فى دم المصابين بالحساسية كمية فائضة من الأجسام المضادة ، التى تسمى أيضا كرات المناعة ،وهى أجسام تكون قليلة أو غير موجودة فى الجسم السليم ، وقد سميت هذه الاجسام (بالاميونوجلوبيولين إى) هذه الأجسام المضادة هى جزئيات صغيرةيتم صنعها فى الدم من قبل كرات الدم البيضاء ، كرد على وجود عنصر دخيل على الجسم . فاذا دخلت جرثومة ما فى الجسم ، فان كرات الدم البيضاء تقوم بالتعرف على هذه الجرثومة وتحديد هويتها ، ثم تقوم بعد ذلك بصنع الأسلحة المضادة المناسبة ، التى هى عبارة عن أجسام مضادة للجراثيم . وبعد القضاء على الجراثيم الدخيلة ، فان هذه الأجسام لا تختفى ، بل تنام فقط فى انتظار أن تعود الى العمل مجددا اذاعادت الجراثيم مرة أخرى . ولكن قد يطرأ على الجسم خلل ما ، يجعل هذه الأجسام المضادة تتحرك لمواجهة مواد غير جرثومية وغير سامة ، ويعنى ذلك أن الاجسام المضادة تخطىء فى تحديد عدوها ، وتصبح سببا فى احداث الاضطرابات بدلا من حماية الجسم .

ويشرح الطبيبان كيمشيج وتيركو ايشيزاكا كيفية عمل أجسام (الاميونوجلوبيولين إى) بالشكل الآتى : عند دخول الجرثومة للمرة الأولى الى الجسم ، تنتج الكرات البيضاء كميات هائلة من (الاميونوجلوبيولين إى) الذى تتجمع جزئياته التى قد تبلغ نصف مليون جزء على خلايا (الماستوسيت) ، التى هى نوع من الكرات البيضاء ، وجزء من جهاز المناعة ، وتقع على سطوح الجلد ، والغشاء المخاطى المبطن للجهاز التنفسى ، والامعاء وحول الأوردة الصغيرة . وتجمع جزئيات (الاميونوجلوبيولين إى) على سطح (المساستوسيت) يحفز هذه الأخيرة على اطلاق (الهستامين) والمواد الأخرى ، التى تسبب بدورها انطلاق الاجسام المضادة المحاربة والكرات البيضاء من الأوعية الدموية ، وخروجها منها لتدخل الى الأنسجة المصابة بالجراثيم .

وعندما تعود الجرثومة الى الجسم مرة ثانية ، فان أجسام (الاميونوجلوبيولين إى) تسبب بعد دقائق فقط من دخول الجرثومة ، أعراض التهاب على مستوى الأغشية المخاطية والأنف والعينين والجهاز الهضمى والرئتين والجلد .

لكن كما سبق القول تخطىء أجسام الاميونوجلوبيولين إى) فى تحديد عدوها عند المصابين بالحساسية ، فتطلق الهستامين والمواد الكيماوية المسببة لظهور أعراض الحساسية فى مواجهة مواد أو عناصر غير سامة . وتؤدى الاصابة بالحساسية الى حدوث ظاهرتين أساسيتين ، الأولى : هى ارتفاع قابلية الشرايين لامتصاص بعض المواد الموجودة فى الدم ،

ولفظها الى الخارج ، وهذا يفسر سبب حدوث التورم . والثانية ، هى تقلص العضلات الملساء ، وهكذا تتقلص الشعب الرئوية ولا تسمح بمرور كمية كافية من الهواء ، وهذا ما يحدث فى أزمات الربو .

ويعتقد الباحثون أن الخلل فى عمل الأجسام المضادة يعود الى نقص فى نوعين من الكرات البيضاء ، هما الكرات المساعدة والكرات المانعة ، لكن أسباب هذا النقص ما زالت بدورها غامضة .

وقد أدت معرفة كيفية عمل الأجسام المضادة عند المصابين بالحساسية الى تحسين الفحوص المعملية الهادفة الى كشف المواد المسببة للحساسية ، وأحد هذه الفحوص وأكثرها تقدما يقوم على أخذ عينة من الدم ، وقياس كمية الأجسام المضادة فيها ، وبعد ذلك يؤخذ مصل دم المريض ، ويوضع مع المواد التى يشك فى أنها تسبب الحساسية ، ومن خلال ردود فعل الأجسام المضادة يتم تحديد هذه المواد بشكل دقيق .

هذا على مستوى تشخيص الأسباب ، أما على مستوى العلاج فليس هناك حتى الآن حلول جذرية ، وغالبا ما يتجه العلاج الى الغاء المادة المسببة للحساسية ، بسبب العجز عن القضاء على تأثيرها فى الجسم .

العلاج المضاد

وفى انتظار التوصل الى العلاجات الجذرية يستمر الأطباء فى تطوير طريقة العلاج المضاد ، التى ابتكرها الأمريكى (كوك) منذ أربع سنوات ، والتى تعتبر آخر الانجازات فى هذا المجال . وتقوم هذه الطريقة على مبدأ بسيط ، وهو مقاومة الداء بالداء . فاذا كان المريض مصابا بحساسية تجاه مادة معينة ، فان العلاج يقتضى اعطاءه كميات من هذه المادة نفسها مرة



لا حلول جذرية حتى الآن للحساسية

فى الأسبوع عند البداية ، ثم مرة كل أسبوعين ، ثم مرة كل شهر ، والهدف من ذلك هو تعويد الجسم على المادة المذكورة . وقد لاقت هذه الطريقة نجاحا بنسبة ٨٠٪ فى حالات الحساسة ضد الاعشاب ، و ٦٠٪ فى حالات الحساسية ضد غبار المنزل ، لكنها لم تؤد الى نتائج هامة فى اصابات الربو وبعض حالات الأكزيما .

على أنه يبدو أن العلاج بالابتعاد عن المواد المسببة للحساسية سيبقى هو الأساس ، الى حين التوصل الى كشف ميكانيكية الحساسية وأسبابها الداخلية .

اجراءات الوقاية

ينصح الأطباء بعدد من الاجراءات العملية التى يمكن لكل شخص أن يمارسها ، اذا ما شعر بأن ردود فعله تجاه بعض المواد غير طبيعية . من هذه الاجراءات : الملاحظة ؛ ويعنى ذلك أنه

يجب على المريض أن يلاحظ بدقة مواعيد حدوث الحساسية ، وشكلها ، والغذاء الذى يتناوله ، والاشياء التي يلامسها ، والأماكن التى يرتادها . هذه التفاصيل ضرورية ، لان الحساسية تنتج أحيانا من أسباب لا تخطر على البال ، بحيث يصاب بالدهشة حين يعرفها ، فمن منايعرف أن الحساسية ضد الغبار ناتجه من وجود حشرة ميكروسكوبية فى الهواء تسمى « القراء » .

واذا ماتأكد المريض من اصابته ، يجب عليه أنَ يستشير الطبيب ، ويزوده بجميع المعلومات التى جمعها . والى جانب فحص الدم الذى سبقت الاشارةاليه ، هناك عدد آخر من الفحوص والاختبارات الكفيلة بتحديد المواد المسببة للحساسية ، وأحد هذه الاختبارات يسمى « المربعات » : وهو يقضى برسم مربعات صغيرة على الجلد ، توضع فى كل واحد منها نقطة من سائل يحتوى على مواد معروفة بأنها تسبب الحساسية ، مثل تراب المنازل ، والنباتات ، والمواد الكيماوية ، وشعر القطط ، أو الكلاب » الخ فاذا ظهر احمرار جلدى فى أحد هذه المربعات ، فان المريض يكون مصابا بحساسية تجاه السائل الموضوع فى ذلك المربع .

أما النوع الثانى من فحوص كشف الحساسية فيدعى « الشرائط اللاصقة » وهى عبارة عن مستحضرات من مواد مسببة للحساسية ، تثبت على الجلد بوساطة الشرائط ، ثم تنزع الشرائط بعد وقت معين ، ويفحص الجلد تحتها لمعرفة ما اذا كان ملتهبا أم لا . وهناك حاليا حوالى ثلاثمائة نوع من الشرائط المحتوية على مواد مختلفة ، منها النباتات ، والمواد المتعفنة ، وبعض المواد الغذائية ، أو الأنسجة الصناعية ، مثل النايلون .

واذالم تظهر على المريض أى ردود فعل بعد الفحص ، فيمكن عندئذ اللجوء الى طريقة الفحص المباشر ، القائم على دفع المريض الى ابتلاع المواد المشكوك فيها ، وهذا ما يحدث عادة للمرضى المصابين بحساسية تجاه بعض الأغذية .

ان هذه الفحوص كفيلة بكشف سبب الحساسية ، ويبقى على المريض أن يساعد طبيبه فى إنجاح العلاج ، وذلك بالابتعاد بقدر المستطاع عن مسببات الحساسية ، اذ أن نجاح العلاج يتوقف فى جزء كبير منه على المريض نفسه . □

ابن ماجد وكتابه الفوائد



من أنفس الكتب التى الفها البحار العربى « احمد بن ماجد » كتاب « الفوائد فى معرفة علم البحر والقواعد » ، والكتاب مكون من مائتى صفحة كل صفحة ٢٣ سطرا ، ويتضمن معرفة طريقة سير السفن فى البحر بمعرفة منازل القمر ومهب الرياح ومعرفة القبلة .

يقول ابن ماجد فى مقدمة كتابه : اعلم أيها الطالب أن لركوب البحر أسبابا كثيرة فأولها معرفة الشمس والقمر ، والأرياح ومواسمها وآلات السفينة ، وينبغى ان تعرف مطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها ، وينبغى ان تعرف جميع البرور واشاراتها كالطين والحشيش ومد البحر وجزره ، وينبغى للمعلم ان يعرف الصبر من التوانى ويفرق بين العجلة والحركة .

والحذر كل الحذر من صاحب السكان ، لا يغفل عنه ، وما صنفت هذا الكتاب الا بعد ان مضت لى خمسون سنة ، وما تركت فيها صاحب السكان وحده الا ان اكون على رأسه أو من يقوم مقامى .



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى (وإنَّ من أهل الكتاب لَمَنْ يؤمن بالله ، وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ، خاشعين لله ، لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب) آل عمران ١٩٩ .

قال قتادة : نزلت فى نجاشى الحبشة ، وهو نصرانى . وذلك أنه لما مات ، قال رسول الله ﷺ لاصحابه : اخرجوا فصلُّوا على أخ لكم قد مات . قالوا : ومن هو ؟ قال : النجاشى . ثم صلَّى النبى وكبر أربع تكبيرات ، واستغفر للنجاشى ، وقال لأصحابه : استغفروا له . فقال المنافقون : انظروا الى هذا يصلِّى على حبشى نصرانى لم يره قط ، وليس على دينه ! فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

وقال مجاهد وابن جريج : نزلت الآية فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم .

وقريب من هذا المعنى ماورد بالآية ٦٢ من سورة البقرة : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وكذا بالآية ٦٩ من سورة المائدة .

ولايضاح هذا الموقف النبيل الذى وقفه رسول الله من مسيحى صالح ، نقول : ان الاسلام دين الله . وهو لم يظهر خلال القرن السابع الميلادي ، وانما منذ بدء الخليقة .

ذلك أنه حين خلق الله الكون ، قضى بأن تعمل قوى الطبيعة وفق انماط وقوانين شرعها لها . ولم يكن ثمة بد من اطاعة هذه القوى لتلك القوانين الى أبد الأبدين . هذه الأنماط والقوانين الطبيعية هي آيات الخالق . وبوسع كل من له عقل يفكر أن يفهم منها ، متى تأملها ، حكمة الله وعزَّته .

كذلك فانه حين خلق الله الانسان ، وضع للحياة البشرية نمطا وقوانين ينبغى على الانسان اطاعتها والحياة على هديها . فقد شرع الله منذ البداية قواعد السلوك الواجب على المرء الالتزام بها تجاه خالقه ، وتجاه الناس من حوله ، ورسم له المبادىء كي تحكم تصرفاته وسلوكه الفردي والاجتماعى . ومع أن

الانسان ليس الا ظاهرة اخرى من ظواهر الطبيعة ، فهو يختلف عن سائر المخلوقات ، في انه حرٌ وذو وعي بذاته . ورغم أن الله حدد له ـ كما حدد لسائر المخلوقات ـ الطريق الأمثل للتصرف والسلوك ، فإن الانسان وحده هو الذي وُهِبَ القدرة على الاختيار ، بين انتهاج هذا الطريق وبين الحيدة عنه . فهنا اذن خير أبدي ، لكن الانسان حر في تبنيه أو عدم تبنيه ، وهي مسئولية جسيمة .

ويكمن خطر هذه الحرية فيما يتهدد المجتمع البشري من التحلل والفوضى ، متى كان اختيار الانسان غير سليم . كذلك فان الله قد وعد أولئك الذين يسيرون على الصراط المستقيم الجنة ، وأعد لغيرهم عذاب النار . ولم يشأ الله أن يترك البشرية دون هداية ، بصدد الطريقة المثلى للحياة والسلوك . فقد اطلع الانسان منذ البداية على قانونه الذي استنه له ، وحدد له ماينبغي أن يفعله ، ومايجب أن يتجنب فعله . وبذا فقد بدأ التاريخ البشري والانسان يدري ماهية الخير والشر .

غير انه بمرور الوقت ضلّ وتعثّر . وأهمل الناس أو نسوا أو حرفوا الرسالة ، حتى الوقت الذي لم تعد البشرية تذكر فيه شيئاً عن الشرع الالهي . فهجران الانسان للطريق السوي لم يصدر عن مجرد عصيان لارادة الله ، وانما جهل وتخبط وحيرة ، وشاءت رحمة ربك ان يبعث برسول بشرح الرسالة من جديد ، وليفصح عن نفس المعاني القديمة للقانون الأزلي . . غير أن الناس بمرور الوقت أهملوها من جديد ، ومنهم من حرفها ، . . وتكررت الظاهرة عدة مرات في عدة أقطار . غير أنه بالرغم من تعدد الرسل كانت الرسالة دوما واحدة .

وقد حفظ القرآن لنا أسماء بعض هؤلاء الرسل ، ومن بينهم موسى وعيسى ، فأما رسالة موسى فقد أطاعها قوم ، ثم وقع بعضهم بعد ذلك في خطأين :
الأول : أنهم حرفوا الكتاب المقدس .
الثاني : أنهم توهموا أن الرسالة الموجهة الى العالمين ، موجهة الى قومهم فحسب ، لا الى البشرية قاطبة .

لذلك فقد أرسل الله عيسى بن مريم ، كي يعود بالناس الى الطريق الحق . وقد فهم أتباعه من النصارى جيدا أن البشرية جمعاء هي المقصودة بالرسالة . غير أن بعضهم أخطأ إذ عبدالرسول دون مصدر الرسالة ، وركز اهتمامه عليه دون فحواها وتعاليمها ، وأكد جانب تقوى الفرد ، دون ضرورة السعي وراء اقامة عدالة اجتماعية في المجتمع البشري .

وهكذا تقلب الانسان من ضلال الى ضلال ، حتى بدا وكأنما لن يقدر له أبدا أن يلزم نفسه بعدم الحيدة عن الطريق السوي . غير أن رحمة الله سبحانه كانت أوسع من أن يشركه في عمايته وغيه ، فعاد يوضح الرسالة الأبدية مرة أخرى وبصورة نهائية ، واختار محمدا لابلاغها البشرية . وهكذا عاد الاسلام الذي كان قائما منذ الأزل ، ليظهر من جديد في القرن السابع الميلادي . وعلينا أن نتذكر دائما هذه الحقيقة : وهي أن المسلمين ليسوا فقط من قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عند تبليغه اياها أو بعد ذلك ، وانما هم مسلمون أيضا أولئك الذين قبلوا أيا من رسالات الأنبياء قبل محمد ﷺ ، وعملوا بما أوصت به ودعت اليه ، وآمنوا بالله واليوم الآخر وبما أنزل اليهم ، وكانوا في علاقتهم بالله وبالناس من حولهم خاشعين صالحين ، ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا (أي لم يحيدوا عن تعاليم الرسالة في سبيل كسب دنيوي) ، ولم يحرفوا هذه الرسالة ولم يدعوها تندرج في طيّ النسيان .

وهذا هو السر في أن محمدا ﷺ صلّ على نصراني ودعا المسلمين الى الصلاة عليه . وقد أخطأ المنافقون خطأ فاحشا اذ قالوا إن النجاشي ليس على دينه ، وكان خطؤهم أفدح اذ استنكروا الصلاة والاستغفار له ، واعتبار النبي إياه أخاً له ولسائر المسلمين ، وجاءت الآيات توضح أن النصارى واليهود والصابئين المؤمنين الصالحين (لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) □



منتدى العربي

قضيّة

■ تغيير نظام الإعلام في الوطن العربي ■

قضية الحرّيات الصّحفية

بقلم : حمدي قنديل

تقوم اللجنة العربية لدراسة مشكلات الاتصال التي شكلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بنشر تقريرها حول الاتصال في الوطن العربي ، في ضوء قيام نظام اعلامي جديد ، في بداية هذا العام . . والكاتب - الذي ساهم في بعض أعمال اللجنة - يتعرض هنا لواحدة من أكثر القضايا حساسية في النظام الجديد ، وهي قضية الحريات الصحفية .

ورثت معظم الدول النامية عند استقلالها نظاما اعلاميا تخضع فيهوسائل الاتصال لسيطرة الحكومة . فقد كانت هذه الوسائل قبل الاستقلال أجهزة تابعة لسلطات الاحتلال أو خاضعة لسيطرتها . ولقد كان هذا هو الحال في معظم الأقطار العربية . واذا ضربنا مثالا باليمن الديمقراطية فسوف نجد أن محطة عدن للاذاعة التي بدأ ارسالها عام ١٩٥٤ ، كانت تعتبر جزءا من دائرة العلاقات العامة والنشر ، التي كانت بدورها تابعة للحكومة البريطانية في مستعمرة عدن ، ممثلة في الحاكم العام البريطاني نفسه . أما فيما يتعلق بالصحافة ، فقد كانت أول صحيفة تظهر في عدن هي صحيفة « فتاة الجزيرة » التي صدرت في البلاد . وكانت هذه الصحيفة تمثل السياسة الرسمية للادارة البريطانية على كل المستويات ، ويكفي للتدليل على ذلك أنها رفضت الدعوة ان تكون عدن للعدنيين ، وان تمنح المستعمرة الحكم الذاتي في اطار الكومنولث البريطاني .

سيطرة الدولة على وسائل الاتصال

وهكذا فعندما حصلت الدول النامية على استقلالها، نجد أنها لجأت الى الاسلوب الذي تمرست عليه وتربت في كنفه : ملكية وسائل الاتصال وادارتها وتسييرها بواسطة الدولة . ولقد كان هناك عامل هام آخر شجع على اتباع هذا الاتجاه ، هو أن الموارد المتوفرة في تلك الدول الوليدة لم تكن تسمح لجهة غير الدولة بانشاء وسائل الاتصال ، وكان هذا العامل أوضح ما يكون في مجال الاذاعة والتلفزيون ، اذ لم يكن هناك رأسمال خاص وطني يكفي لانشاء الاستديوهات ومحطات الارسال . كما أن المستثمرين الأجانب لم تكن لديهم الثقة الكافية في استقرار الأحوال بعد الاستقلال ، على النحو الذي يضمن لهم استثمار أموالهم في أمان ، في مجال حساس مثل الاعلام ، يخضع أكثر من غيره للتقلبات والمفاجآت السياسية . ولم يكن هناك ترحيب بهم في هذا المجال على أي حال .

ولكن السبب الرئيسي لملكية الدول ـ حديثة الاستقلال ـ لوسائل الاتصال ، وسيطرتها عليها ، هو أن هذا النظام الاعلامي هو النظام الذي يتلاءم مع نظامها السياسي والاقتصادي في كثير من الأحوال . فلقد أخذ الكثير من هذه الدول بنظام الحزب الواحد في الحياة السياسية والتخطيط المركزي في الحياة الاقتصادية ، وبموازاة ذلك كان من الطبيعي الا يكون هناك سوى صوت اعلامي واحد تابع للسلطة المركزية . ولقد كانت هذه السلطة ترى أنه حتى تحكم قبضتها على كافة أوجه الحياة في البلاد ، فمن الضروري لها أن تسيطر على الاعلام تماما كسيطرتها على الجيش ، فعن طريق هذه السيطرة على كلتا المؤسستين ، يأمن النظام القائم من غدر المناوئين والمعارضين .

ولذلك فلم يكن غريبا في سوريا في الخمسينيات أن يتندر الناس بأن الذين نجحوا في القيام بواحد أو آخر من الانقلابات المتتالية عندئذ ، هم الذين استيقظوا قبل غيرهم ليستولوا على الاذاعة . ولا كان غريبا أيضا أن يعيش العسكريون في اكثر من بلد على رأس وزارات الاعلام بالذات . وليس في الأمر صدفة أن يُقتل عبد الكريم قاسم في استوديو التلفزيون في بغداد ، أو أن يعيش السادات على اوكسجين التلفزيون المصري والغربي ، أو أن يخاطب عبد الناصر الجماهير العربية . ولقد حدث الشيء نفسه في الصين أيام ماو . ليس في هذا كله صدفة ولا غرابة ، لأن أجهزة الاعلام لها بريق اضافي خاص لدى الحكومات ، فهي التي تتولى ابراز الحكم ، وتعزز بذلك من هيبته وسلطانه ، وتصل برسالته الى الناس مباشرة دون وسيط ، حتى ولو كان الوسيط هو حكومة الحاكم ذاتها أو حزبه أو عصبته .

وفي الوقت نفسه فلقد كان لدى حكومات الدول المستقلة حديثا أمل كبير في وسائل الاتصال . كانت تأمل مثلا في أن تستطيع هذه الوسائل معاونتها على توحيد الأمة ، التي كانت في أغلب الأحيان ممزقة تحت الاستعمار ، وكانت تأمل في أن تمكنها هذه الوسائل من حشد المواطنين للمشاركة في خطط التنمية ، وكذلك أن تسهم في محو الأمية ، وفي تدريب الفنيين وفي التثقيف والتربية . ولذلك نجد أنه في الستينيات راجت موجه « الاعلام الانمائي » أو الاعلام المساند للتنمية التي وجدت لها انصارا كثيرين في المؤسسات الدولية والوطنية على السواء ، وكذلك بين الحكام والباحثين والعاملين في مجالات الانماء المختلفة . الا ان هذه الموجة واجهت عثرات متعددة ، وتحول الاعلام الانمائي في أحيان كثيرة الى اعلان ودعاية وتلقين ، وابواق جوفاء تطنطن للحكومة والحاكم .

ضغوط لتحرير الكلمة

ومع مرور الزمن بدأ الضغط يتزايد ، حتى تخفف الدولة قبضتها عن وسائل الاتصال . وكان من المأمول أن تساعد على هذا الضغط عوامل متعددة ، فهناك نضوج الكثير من الدول النامية ـ ونخص منها تلك الأقدم عهدا بالاستقلال ـ وقيام المؤسسات فيها . وهناك أيضا استنارة الرأى العام نتيجة لتوافر التعليم ، وثورة الاتصال والاحتكاك بالعالم الخارجي . بالاضافة الى ذلك بدأت مهنة الصحافة ذاتها في التطور ، كما أن الصحفيين اكتسبوا مكانة أفضل في المجتمع . كذلك فقد كان من المفترض أيضا أن تكون هذه البلدان قد اجتازت الظروف الاستثنائية التي كانت تواجه فيها الاعداء المتبجحين

في الخارج والمتسترين في الداخل ، وأن تكون قد تحررت أيضا من بعض العقد التي كانت تحكم تعاملها في السابق مع البلدان الأجنبية ومع المعارضة الوطنية .

الا ان هذا الضغط لم يفلح كثيرا ، لأن هذه العوامل لم تتوافر جميعا ، أو انها لم تتوافر بالقدر الكافي . وظلت الغالبية من الدول النامية أبعد ما تكون عن الاستقرار ، الذي تزدهر فيه الحريات الصحفية . وسواء كان ذلك عن حق أو عن باطل ، بسبب جدي أو مفتعل ، فقد استمرأت هذه الدول أن تعيش في ظل ظروف استثنائية ، والاقطار العربية في ذلك مثل لا يبارى ، حيث لم تسمع عن مرحلة في تاريخنا الحديث مر بها بلد من بلداننا الا ولقبناها بالمرحلة الحاسمة ، أو المرحلة الحرجة ، أو على الأقل المرحلة الراهنة . وهكذا أصبحنا - مهما اختلف الزمان أو المكان، اقتضى الأمر أو لم يقتض - أسرى لتلك المرحلة الراهنة التي ليس للكلمة الحرة منها فكاك .

ولكنه عندما كانت الظروف أو الضغوط تتهيأ لسبب أو لآخر لتحرر الكلمة ، فان تلك الحرية عادة ما تكون جزئية أو محددة . وفي معظم الأحوال كانت الكلمة المكتوبة هي التي تتحرر من قبضة الدول في البداية . وكان هذا يرجع في الغالب الى أن الصحف كانت أعرق في تاريخها من تاريخ الاستقلال ذاته . فلقد صدر أول عدد من « الوقائع المصرية » بالعربية في عام ١٨٢٨ ، وكانت الجريدة الثانية التي ظهرت في تاريخ الصحافة العربية هي « المبشر » الجزائرية ، وذلك في عام ١٨٤٧ ، وبعدها « الانباء » اللبنانية في عام ١٨٥٨ . وتتالى صدور الصحف في الاقطار العربية بعد ذلك . وبالرغم من أن عددا كبيرا منها بدأ على يد سلطات الاحتلال عثمانيا أو فرنسيا أو بريطانيا أو ايطاليا ، الا أن الصحافة الوطنية سرعان ما ظهرت لترتبط بأماني الشعب وقيمه الثقافية والروحية . ويكفي هنا أن نضرب المثل بمجلات مثل « الرسالة » و « المقتطف » و « العروة الوثقى » و « البصائر » و « الزيتونية » .

حرية الصحافة

كان هذا التاريخ العريق هو الذي أتاح للصحافة أن تتحرر دون غيرها من وسائل الاتصال اذا ما ارتخت القيود . وكان السبب الآخر لتحرر الصحافة أولا هو أن تأثير الكلمة المكتوبة مقصور على طائفة محددة ، هم هؤلاء الذين يجيدون القراءة . وربما كان هذا هو نفس السبب الذي حدا بالدولة أن تعطي أيضا حرية نسبية لنشر الكتب . وعلى أي حالة فلقد كان قلم الرقيب هناك في النهاية . كما أن مقص الرقيب مسلط على السينما هي الأخرى . ولذلك فلا بأس أن تترك السينما في معظم الدول النامية في يد القطاع الخاص . ولقد حدث هذا أيضا لأن الدولة ظلت حائرة في تصنيف السينما ، فهي مرة تعتبرها من وسائل الاتصال الحساسة ، ومرات تعتبرها من أجهزة الثقافة التي لا يأبه بها أحد كثيرا ، شأنها شأن المسرح والفنون الأخرى . كما أن الدولة كانت مطمئنة الى أن السينما ستظل أولا وأخيرا وسيلة ترفيه ، وأن المنتجين سوف يكونون مهتمين بالشباك وايراده .

أما الاذاعة والتلفزيون فأمرهما يختلف تماما . فهما في كثير من الأحيان لا يسجلان على صحيفة ورق أو على شريط فيلم بحيث يمكن مراقبتها أولا ، كما ان اشارتها تصل في التو واللحظة دون أي عوائق الى المستمعين والمشاهدين ، الذين يمثلون جمهرة كبيرة لا يقارن بها قراء الصحف والكتب ، أو رواد السينما والمسرح . ولذلك فنادرا ما نجد الدولة تترك الاذاعة والتلفزيون لغيرها ، فقد كان هذان الجهازان يمثلان دائما بالنسبة للدولة جزءا لا يتجزأ من كيانها ، بل دليلا يؤكد هذا الكيان . وكان هذا هو شأن وكالات الأنباء تماما ، حيث أنها تعتبر المنبع الذي تصب منه كل الأنباء وتتسرب . وفي المغرب مثلا يعين مدير الوكالة بواسطة الديوان الملكي ، في حين يعامل مراسلو العديد من وكالات الانباء في الخارج كدبلوماسيين .

ولا يجد غلاة المنادين بالحريات الصحيفية في الدول النامية غرابة كبيرة في تدخل الدولة في وكالات الأنباء ، بل ان بعضهم ينادي بتدخلها لتطوير صناعة السينما والارتقاء بأفلامها ، وكذلك بتدخلها للتوسع في نشر الكتب . كذلك فان ملكية الدولة وادارتها للاذاعة والتلفزيون لا تجد معارضة ملموسة ، وتقتصر المطالب في هذا المجال على مناشدة الدولة أن تفتح أبواب هاتين الوسيلتين للآراء الأخرى ، وربما

تعدت ذلك الى المطالبة بتشكيل مجالس لها ، تضع السياسات العليا ، توجد بين اعضائها شخصيات عامة تختار لذاتها ؛ وكذلك ممثلون للتيارات السياسية والفكرية المختلفة .

والواقع أن الدولة تتدخل في العمل الاعلامي في كل مكان ، حتى في الدول التي تتبع النظام الليبرالي . وفي الولايات المتحدة نفسها نجد أن اذاعة « صوت أمريكا » تابعة للحكومة .

ولكن الظاهرة الهامة في دول الغرب الآن ، هي تركيز ملكية وسائل الاتصال في أيد قليلة . ولا يمضي يوم الآن الا وتندمج فيه صحيفة في امبراطورية اعلامية كبيرة ، أو تختفي تماما ، لانها لا تقوى على المنافسة . ولا تتاجر امبراطوريات الاعلام في الكلمة وحدها ، وانما في غيرها من السلع أيضا ، ولا تقتصر مصالحها واذا طتها على دولة واحدة ، وانما تمتد لتغطي دولا عديدة ، وتقول مجلة « فوربس » ان هناك ١٣ عائلة تعمل في مجال النشر ، بين العائلات الاحدى والاربعين التي تعتبر أغنى العائلات الأمريكية . وقد ذاع في العالم كله اسم المليونير الاسترالي « روبرت ميردوك » الذي تمتد ممتلكاته الاعلامية كل يوم كالاخطبوط ، خصوصا في الولايات المتحدة وبريطانيا . وفي فرنسا هناك رجل واحد هو روبير ايرسان بلغ دخله السنوى عام ١٩٨٢ حوالى ٥٠٠ مليون من امبراطوريته الاعلامية . ويمتلك ايرسان صحفا يقدر قراؤ ها بنحو ٢٠٪ من قراء الصحف في فرنسا . اى أن رجلا واحدا يستطيع أن يؤثر في قرارات واتجاهات خمس سكان البلاد .

سيطرة أباطرة الصحف

وهؤلاء الأباطرة مصالحهم الخاصة ، التي تملى ما ينشر في صحفهم . وقصة امبراطور الصحافة البريطانية « تايني رولاند » مع رئيس تحرير احدى صحفه ، وهي صحيفة « الاوبزرفر » قصة شهيرة . ولما كان رولاند يملك عدة شركات في زيمبابوي ، فقد أراد من رئيس التحرير أن يبدل مقالا انتقد فيه البلاد ، مما أدي برئيس التحرير أن يقدم استقالته . ولم تتم تسوية الأمر قبل أن يشغل الصحف البريطانية فترة طويلة . واذا ما اختلف الصحفيون العاملون بهذه الامبراطوريات في الرأي مع أصحابها فليس أمامهم طريق سوى الاستقالة أو الفصل . وفي عام ١٩٧٥ مثلا استقال عدد من كبار الصحفيين في جريدة « لوفيجارو » عندما أراد ايرسان أن يتدخل في تحرير الصحيفة . وعندما اشترى ايرسان ٥٠٪ من أسهم جريدة « لوسوار » في العام التالي أضرب المحررون لمدة ستة أيام .

ومن الصعب أن يجادل أحد في أن الاحتكارات التجارية للاتصال أصبحت تسيطر على توجيه الرأى العام ، مستخدمة في أحيان كثيرة الفضائح والمواد المثيرة ، التي تزيد التوزيع وتجتذب الاعلانات . وتحول هذه الاحتكارات بين الناس وبين معرفة الحقيقة ، وفي كندا مثلا توصلت لجنة شكلتها الحكومة في عام ١٩٨٠ الى أن « صناعة الصحافة في البلاد مضادة للصالح العام ومنافسة له بشكل واضح مباشر » لأن الصحافة الخاصة لا تستطيع أن تضمن حرية الكلمة . وهي في النهاية ـ شأنها شأن الحكومة ـ تصادر هذه الحرية .

الضغوط التجارية والسياسية

وهكذا فإن المعنيين بقضية حرية الصحافة في الأقطار العربية شأنها شأن غيرها من دول العالم الثالث ، يجدون أنفسهم محاصرين بين نارين : الضغوط التجارية التي يمارسها الاعلام الخاص ، والضغوط السياسية التي يمارسها الاعلام الحكومي .

وليس هناك حتى الآن حل مثالي لنظام اعلامي ثالث . كل ما يمكن قوله أن ذلك النظام لا يمكن أن يوجد الا اذا وقع تغيير في المنطق السياسي للدولة . كما أن هذا النظام سوف يختلف في أسسه وتطبيقاته من قطر الى آخر ، طبقا لمرحلة التطور والنضج السياسي والاجتماعي والاقتصادي التي وصل اليها . ومهما كان الاختلاف ، فلابد للمؤمنين بالحرية المسئولة للصحافة أن يسعوا الى تغيير نظم الاتصال في بلدانهم ، بحيث تقوم على تعدد الآراء والحوار لا على القسر أو الاثارة ، ذلك هو المنفذ . وبالرغم من عسره وتعقيده وتشابك المشكلات فيه ، الا انه يكاد يكون السبيل الوحيد الذي نقيم به اتصالا نافعا لكل من يشارك فيه من أطراف ، يسهم فى استقرار المجتمع العربي وتقدمه .

منتدى العربي
تعقيبات



حول تعريب التعليم في الجامعات

تناولتم في العدد رقم ٣٢١ (أغسطس ١٩٨٥) في منتدى العربي قضية تعد من أهم القضايا في وطننا العربي وهي قضية « تعريب التعليم في الجامعات » بقلم الأستاذ عبدالرزاق البصير واسمحوا لي بتعقيب بسيط على هذا المقال .

ان قضية اعتماد اللغة العربية في الجامعات هي قضية حساسة جدا على صعيدين اولهما صعيد المسئولين عن هذه الجامعات ، وثانيهما صعيد الطلاب ، سواء كانوا طلابا جامعيين أو غير ذلك ، فحين نتناول مثل هذا الموضوع يجب أن نبتعد عن كل ما هو عاطفي وألانسمح للغتنا أن تجرفنا ، وبذلك نكون قد استطعنا الوصول الى طرف خيط القضية .

لقد ذكر الأستاذ البصير فكرة جميلة في مقالته وهي « ان كل أمة حية تعلم أبناءها بلغتها ، وان الاستعمار ابتلى أمما عدة مثلما ابتلانا » ، ولكن هل نظر الأستاذ البصير الى أمتنا العربية الاسلامية ان كانت حية أم لا ؟ ان حياة الأمم لاتكون فقط بالعودة الى اللغة والاقتباس ، أو الأخذ عن الغير ما هو صالح وطالح . لا أعتقد ان الكاتب أغفل ان الأمة العربية مهزومة منذ زمن وأن هزيمتها ليست عسكرية فقط ، بل هي ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ويساهم إعلامنا العربي بترسيخ عناصر هذه الهزيمة في نفوس النشء والكبار من هذه الأمة . وأبسط مثال على ذلك أنك تستطيع أن تسأل ابن العشرين وابن الخامسة عشرة عن مايكل جاكسون والفيس برسلي ويجيبك بكل طلاقة وحماس ، بينما ان سألته عن أحد الأئمة المجددين في الاسلام أو عن عروة بن الورد فسوف تجده أمامك مذهولا !!

ان مشكلة اللغة . . أو بالأحرى مشكلة تدريس العربية في الجامعات هي خطوة مباركة ، اذا توفرت لها عناصر النجاح والاستمرارية باداء مهمتها . . وأقصد أن ضعف المتعاملين باللغة يجب أن يعالج ابتداء من النشيء في المدارس حتى الجامعات . . لأن طالب المدرسة أصبح يكره اللغة وأصبح لذلك لايستطيع كتابة جملة عربية صحيحة ، سواء قواعديا أو إملائيا ، حتى بركاكتها وهزالها . أما عن طلاب الجامعات فانها مأساة . انا درست بجامعة اليرموك في اربد بالاردن ولم أدرس سوى « مساقين » للغة العربية ، بينما اللغة الانجليزية أقرؤها وأسمعها يوميا . . . اذن الضعف يبدأ من المدارس ، وتساهم فيه الجامعات بقلة عدد المساقات التي تفرض على الطالب في لغته وتاريخه. وبالتالي يخرج الطالب العربي ضعيفا بالعربية ، ولا يتقن الانجليزية كما هو متصور ، ويؤدي ذلك الى عزوفه عن قراءة أي كتاب عربي ، لأنه لن يستطيع أن يستوعب محتوياته . . وأنا أتمنى على مجلة « العربي » أن تقوم بعمل استبيان بين الطلاب الذين يدرسون بجامعات تدرس العلوم باللغة الانجليزية ، الهدف منه معرفة قوة لغتهم العربية وحبهم للغة ، وبالتالي نستطيع أن نحكم ، ومن هنا نستطيع أن نتخذ القرار . وأنا واثق من أننا

نحن الجامعين ومعشر الطلبة لسنا سوى امتداد لهزيمة الأمة العربية ، عدا عن دور المدرسة والجامعة والمجتمع ، ولتنظر الى دور وسائل الاعلام العربية أيضا ، فالبرامج والمسلسلات أو الأغاني يتسم أغلبها بالتفاهة ، بادعاء أن ذلك كله للتسلية البريئة فقط . أما عن مذيعى الأخبار فلغتهم فى الغالب لغة ركيكة ، تشوبها الأخطاء اللغوية والأداء السيء .

فكيف نستطيع أن نطالب أبناءنا وشبابنا بحب اللغة ومن ثم ممارستها ؟ استاذنا الفاضل البصير . . انظر الى اعلانات العمل فى الصحف العربية ، ان لم يكن معظمها كتب بالانجليزية . فانها تطالب بأن يكون المتقدم علّامة فى لغة العم سام . . . . □

سامى موسى الشرقاوى

تعقيب على مقال نجاح عمر

عن السّد العالي

قرأت استطلاع الاخت / نجاح عمر عن السد العالي ، في العدد ٣٢٣ ، الصادر في ١١ اكتوبر عام ١٩٨٥ . وكان الاستطلاع الذي قامت به الكاتبة ، به حقائق كثيرة ، ولكن فلتسمح لي الأخت نجاح أن أقول ، وكان به أيضا بعض التجني على الحقائق والأخطاء في التسميات . ومن تلك الأخطاء تسمية « النوبة » بالمدينة ، اذ أن الأراضي التي غمرتها مياه البحيرة خلف السد العالي ، اسمها في التاريخ « مملكة النوبة المسيحية » وان كان الاسم اقتضب في التاريخ الحديث ببلاد النوبة ، بعد أن اعتنق النوبيون الاسلام عن بكرة أبيهم .

ومما شد انتباهي وأثار استغرابي في المقال ، هو وصف « النوبي » بالكسل . . فمن المعروف أن النوبيين كانوا يزرعون على مياه السواقي والشواديف « جمع شادوف » وأيضا من مياه الترعة التي كانت تشق الرقعة الزراعية التي ينحسر عنها مياه النهر ، وعودته الى مجراه الطبيعي في مواسم الصيف ، وتلك الأراضي في مجملها كانت محدودة المساحة ، وتكاد تنعدم في بعض المناطق ، عدا مشاريع بسيطة قامت في الأونة الأخيرة في بعض القرى النوبية .

وبما أن تلك المساحات البسيطة كانت تكفي المجتمع وتفي بحاجاته الضرورية ، ولأن المجتمع النوبي كان مجتمعا يعيش في معظم احواله على المقايضة فيما بينهم ، لذا لم يكن يصبو ذلك المجتمع الهادي الطباع للزراعة بقصد الربح والمتاجرة ، فضلا عن أن امكانياتهم البسيطة ، التي لم يكونوا يطمعون في أكثر منها ، لم تكن تسمح لهم بزراعة محاصيل تفيض عن حاجات المنطقة ، فكان انتاجهم حسب قدرتهم وحسب حاجتهم وحاجة مواشيهم . . . واذا كان بعضهم يسافر او « يهاجر » الى القاهرة او المدن الكبيرة ، فذلك شيء اعتيادي ، ولا يبقى مقياسا للكسل ، ومن اولئك اللذين كانوا يسافرون الى القاهرة ، من لم يكن مزراعا أصلا لقضاء جل حياته في القاهرة ، أو لأن والديه كانا يعيشان هناك . .

فمن النوبيين من لهم صفحات بارزة في كل مجالات الحياة ، في مصر نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر زكي مراد ومحمد خليل قاسم . . . .

وأخيرا . . هل هذه مكافأة ، لمن ضحوا بأرضهم وتراثهم وتاريخ طويل لهم ، وبرفات اجدادهم . . . وقوفا مع رجل التحديات ، مع جمال عبدالناصر ، لينفذ بارادته وبارادة الشعب المصري ذلك المشروع العظيم . دون أن ينظر النوبيون في ذلك الى مصالح شخصية . ؟ . وادعو الكاتبة الى توظيف قلمها الشريف في وقف تلك النزهات النيلية التي يقوم بها أعداء مصر ، الى معبد أبو سمبل ، مرورا بالسد العالي « الهرم الرابع في أسوان ، أوقفوا تلك النظرات الحاقدة التي يلقيها الصهاينة على ذلك العمل العظيم » . . . وألف تحية للكاتبة ، والى كل الشرفاء .

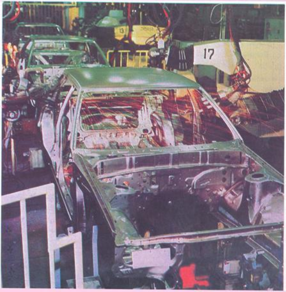
مكي سيف الدين

العربي
عيونك
على العالم

تحت مظلة
الحرية والسلام

شعب
يعيش المستقبل

استطلاع : منير نصيف   تصوير : طالب الحسيني







ثلاث صور ترسم ملامح الأمس واليوم والغد في اليابان .. السيارة اليابانية التي غزت العالم .. والمعرض الذي شاهد الملايين من زواره صورة الحياة في المستقبل .. ثم التحية التقليدية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة .

« عندما تنزل الهزيمة بامرىء
فقد تزيده الهزيمة حكمة »
« موريو كيتا* »

« شعب ينحني أبناؤه عندما يتبادلون التحية .. وينحنون أمام الزائر الغريب حتى قبل أن يعرفوه ، ولكنهم لا ينحنون أبداً للهزيمة ..

وعندما كانت سفنهم تغرق في البحر الذي تسبح فيه جزرهم الصغيرة التي يعيشون فوقها ،

وعندما كان أبناؤهم يسقطون في ميدان القتال ، أعلنوا في تحدّ : « نحن مائة مليون من البشر ..

وعلى الأمريكيين أن يذكروا أن الموت وحدهم هم الذين لا يركعون ! ! » .

قرأت هذه الكلمات للجنرال ماك آرثر القائد العسكري الأمريكي الذي حكم اليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية . وحملت كلمات « الميكادو الأبيض » كما كانوا يسمونه ، في مفكرتي الصغيرة وطرنا الى اليابان في رحلة طويلة الى أقصى الشرق البعيد وفي ذهني صورة لهذا الشعب الذي أريد أن أراه عن كثب !

وكان لقاؤنا بهذا العالم الجديد .. بالناس الذين يعيشون فيه وينتمون اليه .. بالانجازات التي حققوها .. بالبلد الذي قام من العدم .. كان اللقاء أشبه ما يكون بلقاء سكان الأرض بمخلوقات تسكن كوكباً آخر لا يمت الى كوكبنا بصلة ! فقد انتابنا - أنا وزميلي المصور - شعور غريب ، ونحن نجول ببصرنا فيما حولنا خلال اللحظات الأولى لهذا اللقاء .

الانسان الياباني :

الذي حدث ويحدث في هذه البقعة من الأرض ، ليس عادياً .. هكذا رأيناه عندما التقينا به فجأة . ولكن شيئاً فشيئاً بدأنا نحس أننا ما زلنا على الأرض التي نعيش في طرف آخر منها .. فالناس ليسوا من كوكب آخر كما قد يتبادر الى الذهن .. انهم مثل أي شعب آخر من الشعوب .. ربما يختلفون في أشياء أساسية .. ولكنهم في النهاية بشر مثلنا ..

الانسان الياباني نفسه هو الذي استطاع أن يحقق تلك القفزة الهائلة التي نقلت بلاده الى مصاف الدول الصناعية الكبرى . إنه العمل الذي يحبه ويقدسه ، حتى أصبح جزءاً من حياته ، يعيش معه ويفكر فيه حتى وهو بعيد عنه . كلهم يعملون ، الرجل يعمل ، والمرأة تعمل ، وليس هناك عمل خاص للرجال وآخر للنساء ، ساعات العمل مليئة دائماً ، وليس هناك وقت ضائع . كل شيء يعمل بحساب ، كل شيء نظيف لامع ، وكل شيء وضع في المكان الذي تستطيع أن تجده فيه دون أن تكلف نفسك مشقة البحث عنه ..

لقد أصبحت اليابان اليوم مصنعاً هائلاً لانتاج كل السلع الرأس مالية والاستهلاكية ، ولعل أهم تحول في الصناعة هو ذلك التفوق الذي حققته اليابان في الصناعات الدقيقة .. وبصفة خاصة صناعة الساعات وآلات التصوير وأجهزة الكمبيوتر ..

وقبل أن نمضي في هذه الرحلة السريعة التي لم تستغرق أكثر من إثني عشر يوماً ، نتوقف قليلاً لنسأل أنفسنا : « هل شاهدنا اليابان حقيقة ؟ » .

والجواب بالنفي ! لقد زرنا طوكيو العاصمة وثالثة

* موريو كيتا من أشهر كتاب اليابان المعاصرين ، بلغ عدد النسخ التي بيعت من كتابه الأخير « بيت نايري » مليون ونصف مليون نسخة .



اليابان . . مجموعة من الجزر تسبح في مياه المحيط .

أكبر مدن العالم ازدحاماً بالسكان . . وحتى طوكيو نفسها لم نر منها إلا جانباً صغيراً يمثل نموذجاً للحياة في هذا البلد ، الذي أصبح حديث العالم كله . . واذن فالحديث لا بد وأن يبقى داخل هذا الاطار الضيق ، لأننا لو خرجنا عنه فكأننا جبنا اليابان في اتجاهاته الأربعة وهو ما لم يحدث !

لقد أمضى « ريك سمولان » RICK SMO-LAN الصحفي والمصور ، مراسل مجلة تايم الأمريكية عدة سنوات في طوكيو وغيرها من المدن اليابانية ، قبل أن ينقل الى عمله الجديد في « استراليا » ومع ذلك فقد كتب يقول : « انني لم أر اليابان . . لقد سحرتني هذه البلاد ، ولكن وقتي لم يكن يسمح لي برؤ ية كل شيء فيها . . ولذلك فانني أقترح أن يجتمع في طوكيو أكبر عدد ممكن من المصورين العالميين لنقل صورة لحياة الشعب الياباني ! » .

يوم في حياة اليابان ! :

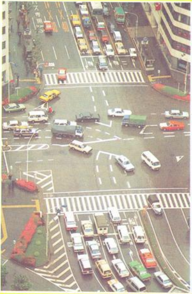
ولقي الاقتراح استجابة من أكثر من مائة مصور جاءوا جميعاً الى اليابان في شهر يونيو من العام الماضي ، وجمعوا صورهم في كتاب صدر أخيراً بعنوان « يوم في حياة اليابان » ، وهو يقع في أكثر من مائتين واربع وعشرين صفحة !

ماذا رأوا . وما الصور التي استوقفتهم وشدّتهم اليها أكثر من غيرها في أي بلد آخر ؟ لقد جمع هذا العدد الهائل من المصورين أكثر من ١٣٥ الف صورة في يوم واحد .

ومع هذا فان الذي رأوه في اليابان ليس جديداً بالمعنى المعروف . ولكن عندما تمر أمة بمثل ما مرت به هذه البلاد يصبح كل شيء له معنى خاص . فقد عرفت اليابان التمزق خلال عهود الاقطاع ، قبل عام ١٨٧٠ ، عندما كانت البلاد مسرحاً للصراعات والصدامات بين القبائل والجماعات المتنافرة . ليس هذا فحسب ، فقد عاش اليابانيون أيضاً سنوات طويلة ، احتواهم فيها الشعور بالخوف ، وذاقوا خلالها مرارة الجوع والفقر والحرمان . وعانوا ألواناً من الاضطهاد في ظل الفاشية والدكتاتورية العسكرية . ثم الاحتلال الأجنبي الذي أحسوا معه بالخشوع والتبعية بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية .

أمة مرت بمثل هذه التجربة المريرة ، ثم صعدت





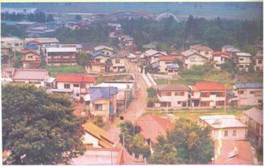
في نظام دقيق تنطلق السيارات في شوارع طوكيو العاصمة



اسرة يابانية داخل بيت قديم تستقبل ضيوفها جلوسا على الارض



الشوارع العامة في الأحياء التجارية الكبرى تتحول الى مطاعم ومقاهي في عطلة الأسبوع وتتوقف السيارات تماماً عن السير فيها



البيوت التقليدية الصغيرة في ضواحي العاصمة التي يعيش فيها أكثر من نصف سكان المدن

فجأة في هدوء ، لتحتل مكانها تحت الشمس ، وتقف في طليعة دول العالم المتقدم في شتى المجالات ، بل تتفوق على الكثير منها ، حتى تلك التي كانت رائدة في تاريخ الصناعة والتصنيع ، بما فيها أكبر دولتين ونعني بهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . . مثل هذه الأمة التي لم تتوقف طويلاً لتتحسس موطن جراحها بعد الهزيمة والدمار ، بل انطلقت تعدو دون أن تفكر مرة واحدة في أحزانها ومعاناتها ، لا بد وأن يكون وراء انطلاقتها قوة هائلة ، لم تتوقف هي الأخرى لحظة عن الاندفاع من أجل تحقيق هذه المعجزة !

انه الانسان الياباني نفسه ! ثم هو السلام الذي يعيش تحت ظلاله ، ماداً يد الصداقة الى كل شعوب الأرض . .

ولكن ماذا في المواطن الياباني ليس في غيره ؟

كيف يفكر ، وكيف يعمل ، وما هي الصفات التي يتميز بها . تلك التي جعلته « موضوعاً » جديراً بالبحث والدراسة ؟ ربما يكون من المناسب لكي ندرك حجم القفزة الكبيرة التي حققتها اليابان دون أن نبتعد عن الاجابة عن السؤال الذي طرحناه ، أن نذهب قليلاً الى الوراء . . الى ثلاثة عقود مضت عندما وقف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الراحل يقول لرئيس وزراء اليابان الذي رحل أيضاً : « يجب على اليابان ألا تتوقع أن تبيع شيئاً للولايات المتحدة الأمريكية لأن اليابانيين لن يتمكنوا من صنع أي شيء تحتاج اليه أمريكا ! ! » .

وبقي هذا الحديث سراً لا يعرفه أحد ، الى أن أذيع أخيراً في شهر مارس من العام الماضي ، في الوقت الذي تتدفق فيه السيارات اليابانية والأجهزة الالكترونية وغيرها من السلع الاستهلاكية على الولايات المتحدة ، حتى بلغ العجز في الميزان التجاري الأمريكي لصالح اليابان أكثر من ٣٧ ألف مليون دولار ، مما حدا بأصحاب المصانع الأمريكية الى مطالبة الحكومة بفرض قيود على الواردات من اليابان ، وخصوصا السيارات ، حتى لا تتعرض مصانعهم الى الافلاس ، بعد أن بلغ عدد السيارات اليابانية التي تستوردها أمريكا وحدها مليونين ونصف مليون سيارة سنوياً !

قال لنا مسؤول ياباني كبير « : نحن لا نزعم أن التقنية ولدت عندنا . . لقد استوردناها ولكننا لم نستخدمها كما جاءت الينا ، فقد رحنا نطورها ونضيف اليها ، ونستبعد منها ، حتى استطعنا أن نقدم أفضل ما يمكن أن نقدمه للمستهلك الذي يبحث عن الأرخص والأحسن . . شيء واحد لن نعود اليه أبداً . . رغم الضغوط التي نتعرض لها . وهو انتاج السلاح وتصديره . . إننا ننتجه لأنفسنا لتدفع عنا أي عدوان . ولكننا لا نصدره للغير ! وتكاليف انتاجه لا تزيد على ١٪ من مجمل الدخل القومي الذي بلغ عام ١٩٨٥ ما يوازي ٢٥٤ مليارا و ٨٥٢ مليون دولار أمريكي* » . وتذكرت بعد هذا الحديث المخترع الكبير توماس أديسون الذي قدم للبشرية ما يزيد على الف اختراع ، وماذا قال عن نفسه وعن اختراعاته التي تعيش معنا اليوم « : أنا لم أبتكر شيئاً جديداً . . ان معظم ما قدمته للبشرية كان يستند الى أفكار غيري من العلماء . كل ما فعلته هو أنني نقلت هذه الأفكار وأضفت اليها من عندي . . انها عملية تطوير أكثر منها عملية اختراع ! » .

أديسون في اليابان !

ليس معنى هذا أن كل عامل في اليابان أديسون جديد ، ولكن كل صناعة كبيرة بدأت صغيرة . . صغيرة الى الحد الذي يدفعك فعلاً الى التوقف والتأمل والاعجاب !

قال لنا مرافقنا ، وقد كان يتغير كل يوم وفقاً لما عنده من معلومات عن المكان الذي سنذهب اليه ، قال : « ان صاحب واحدة من أكبر شركات صناعة السيارات في اليابان بدأ بصناعة الدراجات الهوائية . وكان يدير مصنعاً صغيراً لا تزيد مساحته على بضعة أمتار مربعة . . ثم فكر في انتاج الدراجة النارية . . وأخيراً استطاع أن ينتج أصغر سيارة في اليابان ، وهو اليوم صاحب ومدير شركة كبرى لانتاج السيارات التي يصدرها الى جميع أنحاء العالم ! » .

* طوال تاريخ اليابان المعاصر ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ لم تزد تكاليف الانتاج الحربي عن ١٪ من الدخل القومي ، الا أن المتوقع في السنة القادمة أن يزيد عن ذلك لأول مرة نتيجة للضغط السياسي الأمريكي .

وقلت : هل نستطيع أن نقابله . نريد أن نسمع منه قصة هذا النجاح ! » .

قال : « بكل تأكيد ، ولكن قد تضطرون الى البقاء شهراً أو شهرين في طوكيو قبل أن يستطيع مدير مكتبه أن يحدد لكم موعداً ، لأن جدول مواعيده حافل باللقاءات . انه يحب الناس ، ولا يمل الحديث عن تجربته ، ولكنه رجل مشغول جداً ! » .

لقد كان من الممكن أن نجد في قصة الرجل الذي بدأ بصناعة الدراجة وانتقل الى انتاج السيارة وربما الطائرة خلال السنوات القليلة المقبلة .. كان من الممكن أن نجد فيها ما يغنينا عن الحديث عن طموح الانسان الياباني الذي لا يعرف حدوداً يمكن أن يقف عندها ! .

النظام والانضبـــــاط :

ونعود الى الاجابة عن السؤال الذي طرحناه .. ما الذي يمتاز به العامل الياباني رجلاً كان أو أمرأة ؟

لعل أول ما يلفت نظر الزائر الى اليابان .. الى طوكيو العاصمة أو أي مدينة أخرى هو النظام .. النظام الدقيق في كل شيء .. في المصنع ، وفي البيت ، وفي الشارع ، وفي كل مكان تذهب اليه . فالنظام هو السمة البارزة في الانسان الياباني .

وفي العاصمة طوكيو على سبيل المثال يعيش اثنا عشر مليون نسمة ، وعندما ذكروا لنا هذا الرقم لم نصدق .! مدينة تضم هذا العدد الهائل من السكان ، ومع هذا لا يشعر القادم الغريب اليها بأن أحداً يشاركه السير في الطريق طوال ساعات النهار ! . ليس هذا فحسب بل هذه الخضرة التي تغطي كل شيء ، وتضفي لون الحياة على المدينة الكبيرة من خلال أشجارها وزهورها ، فتبدو كما لو كانت حديقة هائلة !

وسألنا : « أين هم .. أين كل هذه الملايين ؟ » .

في أعمالهم .. العامل في مصنعه ، والموظف في مكتبه ، والطلبة في مدارسهم وجامعاتهم ! الشارع خلال ساعات العمل يكاد يخلو من المارة ، حتى في فترة الغداء بعد الظهر نادراً ما ترى الناس يترددون على المطاعم العامة ، فقد حرصت كل شركة وكل مصنع على اقامة مطعم خاص بموظفيه وعماله داخل المبنى الذي يعملون فيه ، حرصاً على الوقت الذي يضيع في الذهاب الى المطاعم العامة والعودة منها . إن المدينة خلال ساعات النهار والعمل ، تبدو كما لو كان أهلها قد هجروها ! الوقت الوحيد الذي تستطيع أن ترى فيه هذه الأعداد الهائلة من البشر في الصباح عندما يخرجون الى أعمالهم ، وقبل أن تغيب الشمس أثناء عودتهم الى بيوتهم ، ولكن للحظات ، فهذه الموجات البشرية التي تمر أمامك في طوابير طويلة لا تلبث أن تختفي في القطارات ، وفي مترو الأنفاق التي تقلهم الى الضواحي ، حيث يفضل أكثر من نصف سكان العاصمة العيش بعيداً عن ضوضاء المدينة وضجيجها . ان مترو الأنفاق ينقل كل يوم ستة ملايين شخص من طوكيو واليها !

وفي المساء أيضاً ، وبعد المغيب قد تجد في شوارع العاصمة بعض الزحام عندما يخرج الناس لتناول طعام العشاء في مطاعم العاصمة الغارقة في الأضواء ، أو يقصدون دور اللهو والتسلية !

الزوجة العاملـــــة :

والمطاعم في اليابان ، هي المكان الوحيد الذي لا يخلو أبداً ، هكذا قالوا لنا ، لأن المرأة اليابانية لم تعد تجد الوقت الذي تستطيع أن تعد فيه أطباق الطعام التقليدية ، وخاصة في فترة الغداء ، فهي زوجة عاملة في معظم الأحيان ، وقلة نادرة من نساء اليابان هن اللواتي يقبلن التفرغ لأعمال البيت وترك وظائفهن ، وخاصة اذا لم يكن قد أنجبن أطفالاً بعد ، وحتى عندما يصل الأطفال ، وهم يكتفون في الغالب بطفل واحد ، أو طفلين على الأكثر .. عندئذ فقط تطلب الأم إجازة من عملها قد تمتد الى عامين أو أكثر ، ثم لا تلبث أن تستأنف مهام وظيفتها من جديد بعد أن تحمل طفلها الى دار الحضانة التي تتولى رعايته لحين بلوغه السن المقررة لدخول المدرسة .. وغالباً ما تكون دار الحضانة نفسها التي حملته اليها أمه هي مدرسته التي ينطلق فيها خلال سن طفولته الأولى .

وبالرغم من نمو اليابان وتطورها الا أنها استطاعت أن تجمع بين الأصالة والمعاصرة .. صحيح أن الزائر



ضاقت رقعة الأرض المعمورة بسكانها فشيد اليابانيون مدناً كاملة بمتاجرها ومطاعمها تحت الأرض



كل شيء من أجل الطفل في اليابان .. ومعظم المدارس عندهم خاصة لا تملكها الدولة .. ودور الحضانة أكثرها إزدحاماً لأن كل الأمهات عاملات .



دروس الموسيقا في المدارس في كل مراحل التعليم



« الروبوت » أو الانسان الآلي في المصانع



أربع طوابق من الطرق الدائرية في قلب العاصمة طوكيو .. المدينة من أكبر مدن العالم من حيث الكثافة السكانية ولكن احترامهم للنظام يخفي عن الزائر وجه الزحام .

قد لا يلمس هذا الامتزاج في المدينة ، ولكنه اذا ابتعد عنها قليلاً الى الضواحي الصغيرة والقرى الريفية المنتشرة قريباً وبعيداً عن مراكز التجمع ، رأى الصورة بوضوح أكثر . .

الآلة في كل مصنع ، ولكنها لم تستطع أن تغير من تقاليد أهل هذه البلاد وطباعهم ، بنفس القدر الذي حدث في كثير من الدول التي تحولت من الزراعة الى الصناعة ، فبدا كل شيء فيها يعمل في رتابة مملة بلا روح . .

فالتحول الى الصناعة لم ينسهم غذاءهم . . لأن اليابانيين يدركون أن الزراعة عندهم فقيرة بسبب ضيق الرقعة الزراعية ، ومن هنا أصبح تحقيق الاكتفاء الذاتي هدفاً . . وقد حققوا كفايتهم من الأرز الذي يأكلونه بدلاً من الخبز في وجباتهم الصغيرة . . فالوجبة دائماً لا تزيد عن حاجة الفرد ، ونادراً ما ترى بقايا طعام في الطبق . . ونادراً أيضاً أن تجد يابانياً يأكل الأرز والخبز معاً . . وقد أصبح عندهم الآن فائض من الأرز للتصدير !

وبدأ الاهتمام بالثروة الحيوانية وتنميتها ، ولكن هذه الخطوة تعترضها بعض المشاكل ، لعل أبرزها هي عملية تسمين العجول ، لأن اليابان تضطر الى استيراد الأعلاف حيث رقعة الأرض الزراعية صغيرة ومتفرقة ، ولأنها تزرعها للإنسان ، خضراً وفاكهة ، والحكومة تساعد المزارعين ماديا ، وتدفع لهم بسخاء تشجيعاً لهم على زيادة الانتاج ، ضماناً للمحافظة على السياسة الزراعية لليابان على المدى البعيد .

ثمة مشكلة أخرى تواجهها اليابان في التنمية الزراعية ، وهي هجرة المزارعين للأرض ، وتحولهم الى الصناعة حيث الكسب أكثر وأسرع ، ولكن كما يقول بعض القائمين على التخطيط في اليابان ، ان هذه الظاهرة لا تشغلهم كثيراً ، لأن الآلة الآن في طريقها الى الانتشار في المصنع ، لتؤدي العمل الذي تقوم به الأيدي . . وستكون النتيجة في النهاية هي عودة أصحاب الأيدي الصناعية الى الريف والى الأرض والى الصناعات القائمة على الزراعة .

وما دام الحديث هنا قد مسّ الصناعة والزراعة ، فلا بد أن يمس الطاقة . . وقد بدأت اليابان منذ سنوات تبحث عن بدائل للطاقة التقليدية « البترول » وانحصرت الأبحاث في الطاقة الشمسية ، والمياه الساخنة التي تغلي في جوف الأرض ، والفحم الحجري واستغلال الغازات الناتجة عن احتراقه والاستعانة بالريح في تسيير الآلات والمعدات ، واستغلال فارق درجة الحرارة بين سطح البحر والأعماق ، وأخيراً ، شلالات المياه المتدفقة من الجبال .

كونفوشيوس في اليابان :

هذا التحول الكبير الذي حدث في اليابان وفي حياة الفرد الياباني لم يغير من جوهر طبيعته ، وأساس عاداته وانضباطه . . وإن تكن الحياة التي اصطبغت « بالتغريب » قد غيرت بعضاً من ملامحه ومن مزاجه ، من خلال ما نقل من سلوك أثر على الشباب بصورة أو بأخرى ، ولكنه مع هذا بقي في داخله هو هو . . إنسان مهذب رقيق ما زال الكثير من تعاليم كونفوشيوس حكيم حكماء الصين يعيش معه ويؤثر على أي تصرف يصدر عنه . . وكذلك « بوذا الذي يحفظون عنه الكثير ، ويعملون بتعاليمه أكثر ، لقد ظهر كونفوشيوس في الصين ، ولكن فلسفته هنا بين أفراد الشعب الياباني تكاد تكون دستوراً غير مكتوب يحكم تصرفاتهم ويؤثر في نفوسهم . . الصغير يحترم الكبير . والمرؤوس يحترم الرئيس ، والعلاقة بين الجميع قائمة دائماً على أساس من الاحترام المتبادل ، والحب والارتباط الأسري الذي بقي قوياً بين الآباء والأبناء . . فظاهرة التمزق الأسري الذي ساد أمريكا والغرب بصفة عامة لا أثر لها عندهم ، الا فيما ندر .

في البيت وفي الشارع وفي المصنع والمكتب وفي كل مكان تقودك قدماك اليه ، ترى الانحناءة بالرأس تستقبلك مع ابتسامة رقيقة مشرقة اشراقة شمس اليابان في الأيام الصحوة ،فالمصافحة بالأيدي عادة غير مألوفة !

ان هذا الالتحام القوي الذي يشد الفرد الياباني بالتقاليد المرعية رغم عملية « التغريب » التي استوردتها اليابان مع التقنية التي طورتها لتلائم مقتضيات العصر ، بل وتتقدمه الى أطراف القرن الحادي والعشرين . . هذا الالتحام ليس ظاهرة جديدة ، وانما هو شعور قوي ترسخت قواعده منذ

بداية الحكم الميجي قبل أكثر من قرن من الزمان أو يزيد، وقد بلغ الذروة في عهد الامبراطور هيروهيتو، امبراطور اليابان الحالي، الذي يحتفلون بعيد ميلاده بنفس المشاعر التي يحتفل بها المسيحيون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام . فهو الأب الروحي لليابانيين .. وهو رمز الحب والولاء والقومية ..

الدور الأمريكي :

وحتى بعد التغييرات الدستورية والاجتماعية التي استحدثها الأمريكيون في اليابان في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية، بقي الياباني متمسكاً بتقاليده وعاداته، على الأقل في داخله كما ذكرت، فلا شك أن صورة الحياة كلها من حيث الشكل قد تغيرت ..

ولم يكن ممكناً أن يحدث غير ما حدث والبلاد تعيش حالة من الدمار والخراب والضياع بعد الحرب . واليد الممدودة اليها تحكم وتسيطر وتنفذ .. وهي يد الدولة المنتصرة، يد أمريكا التي اقتحمت أبواب اليابان الخربة من أجل بنائها من جديد، لا حباً في سواد عيون هذا الشعب، ولكن لأنها كانت تخشى ان هي تركته مع الهزيمة والجوع أن يتحول الى الشيوعية . كانت أمريكا اذن طبقاً لما جاء على شفاه ساستها بعد الحرب تقوم بعملية انقاذ «شعب عظيم» - كان نداً قوياً في كل معاركه ضدها - من الوقوع في براثن العدو الاكبر الذي تنفق من أجل محاربته والقضاء عليه اليوم في أي بقعة من العالم، عشرات البلايين من الدولارات !

ومن هنا بدأت عملية اعادة بناء مدن اليابان المدمرة، تأخذ الطابع الغربي، أو الأمريكي .. واختفت البيوت الصغيرة التي كانت تتألف من دور أو دورين، لتقوم مكانها ناطحات السحاب فوق أرض لم تعرف هذا الارتفاع الهائل من المباني، لكثرة ما تعرضت وتتعرض له من ثورات في جوفها، تسبب حدوث زلازل مخيفة، يروح ضحيتها المئات تحت أنقاض البيوت الصغيرة التي لا يلبث أصحابها أن يعيدوا بناءها من جديد، وهكذا .. فقد كانت اليابان وما زالت هي «أرض الزلازل» .. كل جزرها الصغيرة والكبيرة المأهولة وغير المأهولة التي يزيد عددها على الأربعة آلاف جزيرة .. كلها تعرضت وتتعرض للهزات العنيفة !



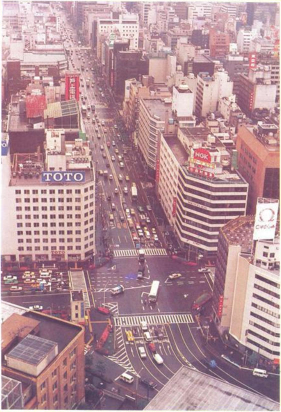
نسبة المعمرين في اليابان عالية، فمتوسط عمر الانسان عندهم يتجاوز الخامسة والسبعين .. إنهم يمثلون الخبرة والتجربة فهم ثروة قومية !

كيف قامت ناطحات السحاب اذن وكيف استطاعت أن تصمد لهذه الزلازل والهزات ؟

قال لنا أحد كبار المهندسين اليابانيين : «لقد استخدمنا التقنية الحديثة في بنائها .. ولعب الصلب دوراً هاماً في أسلوب البناء .. انها تتمايل مع الزلازل وتهتز ولكنها لا تنهار !»

الأسرة اليابانيـة :

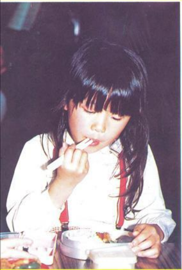
وتدخل بيت أسرة يابانية، أي أسرة . سواء كانت تسكن شقة في عمارة كبيرة، أو بيتاً صغيراً من البيوت اليابانية التقليدية، فتشعر بدفء غريب وأنت تجد هذا الاستقبال الحار في انتظارك .. والشاي الأخضر بدون سكر، هو أول تحية في برنامج الترحيب الذي أعدوه لك، والذي حفل بكل أنواع الأطعمة الشعبية .. وقبل أن تذهب بخيالك بعيداً، محاولاً أن تعرف نوع هذه الأطعمة التي أعدوها لك فوق المائدة، أو على الأرض، حيث يجلسون بعد أن يختاروا لضيوفهم مكاناً مرموقاً .. تجد نفسك قد التقيت بها في فمك .. انها انواع من الحلوى اليابانية، وأهم منها وقبلها، أطعمة صنعوها من الثروة السمكية التي يهوونها، وتمتلىء بها مياه بحر اليابان والمحيط الهادي، الذي لم يكن هادئاً أبداً ! ..



طوكيو الجديدة بمبانيها المرتفعة .. لم تعد الزلازل تهدم العمارات التي تناطح السحاب .



القطار السريع الذي ينقل العاملين من طوكيو الى ضواحيها . . وهم يسمونه الرصاصة المنطلقة !





طفلتان في المدرسة حيث يتعلم الصغار كل شيء من الفن الى آداب المائدة وأهم من كل شيء تشجيع المواهب .

ويقولون لك وأنت تتذوقها « هذا هو غذاء المستقبل . . ان البحر مليء به » ، وغداً سوف يتجه سكان الأرض الى مياهه ليأكلوا منها عندما تضيق الأرض بمن عليها ، ولا يكفي نتاجها لأطعام الافواه الجائعة !

وتحصي عدد أفراد العائلة التي استضافتك ، فتدرك على الفور أنها أسرة كبيرة ، لأنها تجمع أكثر من جيل تحت سقف واحد . . فهناك دائماً والداالزوج أو الزوجة وواحد أو أكثر من الأشقاء ، ثم أطفال الزوجين . . والكلمة الأولى في هذا البيت السعيد للأم الكبرى ، أو الجدة ، لأنها هي التي تعد أطباق الطعام ، وهي التي تعنى بالصغار أثناء غياب أمهم في عملها . .

وكبار السن في اليابان يشكلون نسبة كبيرة تقدر بحوالي عشرين في المائة من مجموع تعداد السكان ، فقد كان من نتيجة تقدم الطب الذي واكب موجة التقدم الحضاري في كل مجالات الحياة ، أن ارتفع متوسط عمر الانسان الى خمسة وسبعين عاماً . . وهؤلاء الكبار « ثروة قومية » والأغلبية من الرجال الذين جاوزوا الخامسة والستين فما فوق ما زالوا يعملون في الشركات والمصانع والمؤسسات وفي الدولة ، ودورهم استشاري ، فهذه الخبرة الطويلة عندهم لا يجب ان تبقى حبيسة وراء أبواب التقاعد والنسيان . . انهم يقولون : ان من بلغ الستين أصبح رجلا ، ومن لم يتجاوز الأربعين بعد ، ما زال مراهقاً . . أما الشباب في العشرينيات فهم لم يولدوا بعد ! !

بلد يضيق بسكانـــــه :

قال لنا مسؤول ياباني كبير : « لم يكن هذا الذي حل بالبلاد من خراب كله نقمة ، فقد وجدنا معه حافزاً قوياً لاعادة بناء اليابان من جديد . . فالبلد بدأ يضيق بسكانه الذين قفز تعدادهم من ستين مليون نسمة عام ١٩٢٠ الى ما يبلغ الضعف اليوم ، حيث يقول آخر إحصاء ان تعدادهم قد جاوز المائة والعشرين مليوناً . . واليابان بلاد جبلية تحتل الجبال والمرتفعات الجزء الأكبر من مساحتها ، فتصل الى أكثر من سبعين في المائة من المساحة الكلية للجزر الرئيسية الأربع « هوكايدو وهونشو وشيكوكو وكيوشو » إلى جانب الأربعة آلاف جزيرة التي تتكون منها الدولة اليابانية . فالسهول المأهولة اذن لا تزيد مساحتها على ثلاثين في المائة فقط من مجموع مساحة جزر اليابان ، التي لا تزيد في مجموعها على ٣٧٨ الف كيلومتر مربع ، أي أقل من مساحة العراق بحوالي مائة الف كيلومتر مربع .

فالأرض عندهم عزيزة ، ومن أجل هذا لم يتركوا شبراً واحداً لم يستغلوه . . بنوا المدن تحت الأرض . . مدناً كاملة بمتاجرها ومطاعمها والهواء الذي يحتفظ دوماً بدرجة حرارة معتدلة في أشد أيام الحر والرطوبة العالية ، ويحمل معه نسبة عالية من الأوكسجين .

وبيوتهم الصغيرة خارج حدود المدن الرئيسية ، شيدت عند سفوح الجبال ، كلها تجاور بعضها بعضاً ، وترقد في دعة وسكون معبرة عن التآلف والتضامن اللذين أصبحا طابع هذا الشعب ، الذي استطاع أن يحقق أعلى مستوى من الانتاج في ظل « الانضباط » الذي أصبح طابعه المميز . . ومع التقدم الذي شمل كل مرافق الحياة اختفت البطالة أو كادت ، فلا تزيد نسبة العاطلين في القوى العاملة على واحد في المائة ، وارتفعت معدلات الانتاج الى أرقام قياسية . . انتاج كل شيء وأي شيء يخطر على بالك . . وغزت المنتجات اليابانية الأسواق العالمية ، وبقيت هناك في القمة ، معلنة دائماً عن جودتها وانخفاض أسعارها ، بالمقارنة بمثيلاتها من منتجات الدول الصناعية الكبرى .

ياباني . . نائب للرئيس الأمريكي :

أذكر عندما أطلق أصحاب مصانع السيارات الامريكية صيحتهم منذ بضع سنوات ، محذرين من الخطر الذي يهدد مصانعهم التي أوشك بعضها على الافلاس ، نتيجة لاستمرار تدفق السيارات اليابانية على أمريكا ، أن كتب المعلق الساخر آرت بوخوالد في صحيفة هيرالد تريبيون يقول : « اننا نصرخ لأن سياراتنا لم تعد قادرة على منافسة السيارات اليابانية في الولايات المتحدة . وفي رأيي أن العلاج الوحيد لهذه الظاهرة هو أن يكون نائب رئيس أمريكا يابانياً ، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يعلمنا النظام

والانضباط ! .

ولم يثر اقتراحه الدهشة على أساس أنه يعني بطبيعة الحال أن يكون نائب الرئيس أمريكياً طبعاً ، ولكن من أصل ياباني ، فكل الأمريكيين ينتمون لأصول غريبة عن الولايات المتحدة !

ولكن بوخوالد عاد يقول في تعليقه : « أخطأتم أيها السادة ، فأنا أعني أن يكون نائب الرئيس يابانياً يابانياً .. أعني أننا في حاجة الى رجل قادم من اليابان .. من قلب المصانع التي تهدد السيارات الأمريكية ، بالتوقف فوق خط الانتاج ، وقبل خروجها الى السوق ! !

أنتم في اليابان :

والياباني على استعداد دائماً لأن يعلم ويتعلم ، ولكنه يتوقع نتائج سريعة للجهد الذي يبذله في نقل ما لديه من معلومات وخبرة الى غيره من الناس ، لأنه هو نفسه يتعلم بسرعة ويستوعب بسرعة ، وهو في بلده يحترم الغريب ، ولا يتردد في تقديم أية مساعدة يطلبها منه ، طالما أنه قادر على تقديمها ، ولعل مبعث هذا الاحترام يرجع في المقام الأول الى ثقته بأنه يتعامل مع شخص يثق فيه ، لأنه يعلم أن نظام الأمن المعمول به في بلاده لا يسمح لأي شخص بدخول البلاد الا بعد التأكد من معرفة هدفه من هذه الزيارة !

هذا النظام الأمني حقق وجود ملف كامل يحوي أسماء جميع المقيمين في المدن الكبرى وعناوينهم ومقار أعمالهم ، وعدد أفراد أسرهم ، الى جانب معلومات وافية عن كل زائر للبلاد .

لقد كانت صورنا ـ زميلي المصور وأنا ـ ومعلومات كاملة عنا في كل مكان ذهبنا اليه ضمن برنامج زيارتنا لطوكيو العاصمة .. المصانع والشركات ودور العلم وحتى الفندق الذي نقيم فيه !

ولذلك أصبحت اليابان من أكثر مدن العالم أمناً .. عندما سقطت محفظة المرافق الذي سافر معنا الى هيروشيما في سيارة التاكسي التي أقلتنا من الفندق الى المطار ، وكان قد اكتشف ضياعها بعد أن ركبنا الطائرة ، قال في هدوء : « ليست هناك مشكلة ، سوف أتصل تليفونياً بمجرد وصولنا ، وسيرسلونها لي في الطائرة التي تصل بعد الظهر ، انها تحتوي على مبلغ كبير من المال !

قلت : « وهل أنت واثق من أن سائق السيارة سوف يعيدها اليك . إن هناك احتمالاً بأن يأخذ ما فيها من مال ، ثم يلقي بها في صندوق القمامة ! » .

وضحك المرافق وقال : « أنتم في اليابان ! » . . وعادت المحفظة الى صاحبها !

وضاعت ثمرة جهدنـــا :

وعندما فقدت المفكرة التي أحملها معي وأسجل فيها كل انطباعاتي في أحد أكبر المحال التجارية في طوكيو ، وكانت ترافقنا سيدة تتحدث الانجليزية من وزارة الخارجية ، عدت تعساً يائساً الى الفندق في المساء ، محاولاً أن أسجل من جديد كل ما كتبته في مفكرتي بقدر ما اسعفتني به الذاكرة !

وأحسست بأنني قد فقدت بضياع هذه المفكرة ثمرة أسبوع كامل من الجهد الذي بذلته في جمع وتسجيل المعلومات من كل شيء استوقفني خلال جولاتنا .

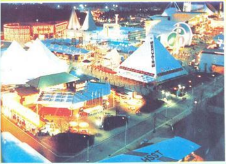
ولم أنم في تلك الليلة .. ولكن ما كادت تشرق شمس الصباح حتى أسرعنا الى المحل التجاري نسأل ، وكانت المفاجأة عندما وجدت رئيس عمال المتجر يقدم لي المفكرة بعد أن طلب الي أن أصفها له . وأدرك على الفور أنها هي المفكرة التي نبحث عنها ، بعد أن فتحها وحار في قراءة ما كان مسجلاً فيها باللغة العربية التي لا يعرفها !

وعندما عرضت عليه مبلغاً من المال مكافأة له ، قال معتذراً : « هذا جزء من عملي ، وأنا اتقاضى مرتباً مجزياً ، ولا أنتظر هبة من أحد . قالها في حزم ولكن في أدب شديد ! » .

وعندما سألت مرافقنا عن المرتب الذي يتقاضاه الرجل قال لي : « حوالي مائتي الف ين شهرياً » ، أي ما يوازي مبلغ ألف دولار ! انه متوسط أجر العامل في اليابان ! . . . العامل غير الفني .

هذا البلد الذي استطاع ان يحقق أكبر وأسرع نهضة في التاريخ الحديث ما قصته ، وكيف بدأت ومتى ؟ هل كانت نهاية الحرب العالمية الثانية هي بداية التقدم الذي نقل اليابان من دولة نامية الى واحدة من أكبـر الـدول الصنـاعيـة في العـالـم ، إن لم تكن أكبرها ؟ ! .





الرحلة بالطائرة اليابانية متعة .. فالمسافر لا يشعر خلالها أنه يحلق في السماء .. كرم الضيافة طبيعتهم وراحة المسافر هدفهم (فوق) .

(الى اليسار) جانب من معرض عام ١٩٨٥ الذي شاركت فيه اليابان ودول أخرى بأحدث ما توصل اليه العلم لمواجهة متطلبات الحياة في الغد .



القطار السريع الذي تقوم بانتاجه شركة الطيران اليابانية لينقل ركابها من المطار إلى قلب المدينة في دقائق (فوق) .
أقدم بيت في اليابان . . عمره أكثر من مائة وخمسين عاماً . . هكذا كانت بيوتهم قديماً . . وهو اليوم متحف صغير .



جمع المعرفــــة :

تاريخ اليابان يقول إن نهضة اليابان بدأت نهضة علمية ، ويرجع تاريخها الى عهد الامبراطور الشاب فيجي في القرن التاسع عشر ، وقد كان هـو الذي وضع برنامجاً من خمس نقاط أساسية تستهدف تطوير بلاده ، وكانت إحـدى هذه النقـاط الخمس « جمع المعرفة من شتى بقاع العالم ، حتى يمكن أن تقـوم الامبراطورية على أسس راسخة » .

وقد بدأ التنفيذ عملياً عن طريق ارسال البعثة الشهيرة التي اطلقوا عليها بعثة ايـواكارا -IWA KARA التي غادرت اليابان لانجاز هذه المهمة في عـام ١٨٧١ ، وقضت عامين كاملين في الـولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية ، وكانت تضم ثمـانية وأربعين عضواً ، يـرافقهم أربعة وخمسـون طالباً . ثم عادت البعثة الى اليابان بعـد أن حققت نجاحاً فاق كل ما كان مقدراً لها ، الأمر الذي أثـار ذهول الغرب ودهشته .

وقد اتخذت اليابان لنفسهـا أسلوب التركيـز على التقنية للتقليل من الاعتماد على الخـارج فيما يتعلق باستهلاك المواد الخام ، وهنا يبرز عامل آخر كان له أثره الكبير في تحقيق هـذا الهدف ، وهـو « الطاقـة الفريدة عند اليابانيين في التجديد والابتكار » بعد أن أصبح واضحاً أن اليابانيين يتعلمون بسرعة وينقلون بسرعة أي تقنية جديدة تكون قد ظهرت في أي بلد آخر ، ثم لا يلبثون أن يقدموا هذه التقنية بسرعة فائقة وبطريقة جديدة مبتكرة ، وربما أعادوا تصديرها الى نفس البلد الـذي نقلوه عنها ، بعـد أن يكونـوا قد أدخلوا عليها الكثير من التحسينات .

الانسان الآلـــي :

وربما يكون دخول « الروبوت » أو الانسان الآلي بهذه القوة في جميع مجالات الحياة في اليابان أكبر دليل عـلى قـدرتهم المـذهلة في التطويـر . . فلم يعـد « الروبوت » مجـرد آلة تعمـل وفق برنـامج دقيق في المصانع وخطوط التجميع . . وانما أصبح اليوم انساناً آلياً يمشي ويتحرك ويقوم بكثير من الأعمال التي وفرت الأيدي العاملة التي تحركها العقول . . وقد كان ظهور « الـروبوت » في المستشفيـات لخدمـة المرضى هـو أحدث ما توصلت اليه التقنية في اليابان .

إن هذه البلاد الغنية بعقول أبنائها الفقيرة بمواردها الطبيعية تعتمد اعتماداً تاماً على الاستمرار في تطوير التقنية ، وهي ترى في هذا التطوير الذي جعل منها الدولة الأولى المصـدرة للسـاعـات في العـالم الـوسيلة الوحيدة لتحقيق أمنها الاقتصادي .

وتسـأل مدير أحد مصـانع السـاعات في طـوكيو كيف استـطعتم أن تبلغوا القمـة في هذه الصنـاعـة الجديدة وتعني بها الساعة !

ويقـول مبتسماً : « لقـد جعلنـاهـا تكف عن الدق . . وفي البداية قالوا هذه لعبة للأطفال . . ثم طورناها وجعلنا الساعة تعـزف الموسيقـا ، وتحسب الوقت والمال ، وتغرق في الماء فلا تتوقف ، وكانت المفاجأة عندما بدأت الدُّول الأوروبية التي طالما كانت تفاخر بانتاج الساعة الدقاقة التي لا تقدم ولا تؤخر ثانية واحدة تقلد الساعة اليابانية ! ولكن التقليد جاء متأخراً بعد أن غزت الساعات « الكوارتز » التي تعمل بـالكهربـاء المخزونـة « البطـاريـة » جميـع أسـواق العالم ! » .

أكبر تحد للأمريكيين :

ومن أجـل استمـرار هـذا التـطويـر وتجـديـده والانطلاق به الى آفاق جديدة بعيدة أنشأت اليابـان أخيـراً الـوكـالة القـومية لـلأبحـاث والمشـروعـات المتـطورة ، وهي تقوم بـالبحوث في أربعـة مجالات رئيسية للتقنية ، وهي تقنية الطاقـة ، وتقنية نـوعية المعيشة ، وتقنية المعلومات الخاصة بالصناعة ، وتقنية ابتكارات الجيل الجديد للتقنية .

وهذه الأخيرة يرى فيها الأمريكيون بالذات أكبر التحديات اليـابانيـة خلال المرحلة القادمـة للتفوق التقني الياباني .

وفي معرض اليابان الكبير الـذي استمر شهـوراً طويلة ، وزاره ما يقرب من ستة ملايين شخص ، وأسموه « اكسبو ٨٥ » وهي اختصار لكلمة -EX "POSITION" استطعنا أن نلمس التحـدي الكبير الذي سيواجه الدول الصناعية المتقدمة خلال السنوات القليلة المقبلة ، لقد كان للولايات المتحدة

الأمريكية مثلاً جناح عرضت فيه نماذج للمحطات الفضائية التي تعتزم تركيبها في مدارات حول الأرض ، ولكن اليابانيين اتخذوا لمعروضاتهم شعاراً آخر لا يمت للفضاء البعيد بصلة ، فالانسان كما يرون ما زال يعيش على الأرض ، ومن هنا جاء العنوان « نقل التقنية الحديثة الى الانسان في بيته » وشاركت الشركات اليابانية في عرض آخر ما توصل اليه العلم ، فرأينا أضخم شاشة تلفزيونية انتجت حتى الآن ، ويبلغ طولها حوالي مائة متر . . ووقفنا نتأمل الروبوت الكبير ، أو الانسان الآلي ، وهو يرفع ثقلاً وزنه مائتا كيلوغرام ، قبل أن يتحول هو نفسه الى عامل فني دقيق استطاع أمام جموع المشاهدين أن يقوم بتركيب نموذج مصغر له أو روبوت صغير ، ثم ما لبث أن عاد يفك أجزاءه مرة أخرى وسط إعجاب المتفرجين .

لقد أمضينا يوماً نتجول في أقسام المعرض الكبير الذي شاركت فيه ٢٨ شركة ومؤسسة يابانية ، وبلغت تكاليف إقامته أكثر من ثلاثة بلايين دولار .

ولم نكن في حاجة لأن ندرك في نهاية جولتنا أن المنافسة كانت قوية بين اليابان من جانب وبين كل الدول الصناعية في الجانب الآخر . . وكان التفوق واضحاً ، فقد سبقت اليابان في انجازها التقني كافة الأقطار الصناعية مجتمعة .

القطـــار الطائـــر ! :

ثمة تطور جديد استوقفنا ونحن نبحث عن طريق الخروج من المعرض . . إنه القطار الطائر الذي تستعد اليابان لانتاجه . . ولم يكن القطار الذي ينطلق بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة هو وحده الذي شدنا اليه ، بعد أن ركبناه في رحلة قصيرة داخل أرض المعرض ، ووقفنا بعد ذلك نتأمله في اعجاب ولكنها القصة التي ترتبط به والتي اسهمت في تطوير المواصلات البرية على هذا النحو الفريد . . قصة القطار الجديد هي التي استوقفتنا ، وقد رواها لنا مسؤول في الشركة التي تقوم بانتاجه . . انها شركة الطيران اليابانية التي ستنفق بلايين الدولارات على انتاج هذا القطار . . ولعلها المرة الأولى التي نسمع فيها عن شركة تهبط بنشاطها من الجو الى الأرض ، لإنجاز مشروع جديد لا يمت الى الطائرة بصلة . . ولكن الواقع يقول غير هذا ، فقد تدخلت الشركة عندما اكتشفت أن متاعب الركاب الذين تنقلهم على طائراتها أو الذين يصلون الى اليابان على طائرات تابعة لشركات أخرى ، تبدأ بمجرد هبوطهم من الطائرة في أرض المطار . . فالمسافة من مطار طوكيو الى قلب العاصمة تقطعها السيارة في ساعة ونصف وأحياناً في ساعتين ، رغم أنها لا تزيد على سبعين كيلومتراً ، والسبب هو ازدحام الطريق المؤدي من المطار الى المدينة بالسيارات ، وخاصة اذا تصادف وصول الطائرة التي تقلهم خلال ساعات الزحام "RUSH HOUR" أو تدفق الموظفين

هذا الوقت الطويل الذي يمضيه السائح أو الزائر في السيارة لكي يصل الى الفندق الذي ينزل فيه ، يسبب له كثيراً من الضيق بعد رحلة طويلة بالطائرة ، وخاصة اذا علمنا أن أقصر رحلة لليابان من أوروبا تستغرق ست ساعات ، وهي بين بانجوك عاصمة تايلاند وبين مطار طوكيو . .

ومن هنا بدأ التفكير في القطار الطائر الذي سيقطع المسافة بين المطار وقلب المدينة في حوالي عشرين دقيقة ، وبذلك تنتهي الرحلة البرية الطويلة عبر الشوارع المزدحمة ، والتي تأتي الآن في أعقاب الرحلة الجوية الطويلة أيضاً . . وربما كانت الرحلة بالسيارة أكثر تعباً ومشقة !

دستور اليابـــان :

والحديث عن اليابان لا ينتهي . . فنحن لم نقم من خلال هذه المحاولة بأكثر من تقديم صورة خاطفة لبعض مظاهر الحياة في هذا البلد الذي يتربع اليوم فوق قمة العالم الصناعي ، ويعيش المستقبل الذي اقتحم آفاقه البعيدة والقريبة بقوة وثبات .

والزائر . . أي زائر لا يملك بعد جولته وسط ربوع هذه البلاد البعيدة ، مهما كانت حدود هذه الزيارة ، ومهما اختلف الهدف منها الا أن يحمل معه في عودته منها ذلك الشعور بالاعجاب الشديد لهذا الشعب



« الكيمونو » التقليدي الذي تلبسه المرأة اليابانية اختفى أو كاد ، ولو أن « العروس » الريفية ما زالت تتمسك بارتدائه يوم زفافها .

العظيم الذي حقق المستحيل في ظل السلام والحرية والديمقراطية التي أصبحت دستوراً لليابان . . وتقرأ ما تكتبه الصحف والمجلات الأجنبية عن اليابان ، فيخيل اليك أنك تقرأ إعلاناً دفعوا ثمنه . وهو آخر شيء يسعى اليه اليابانيون ، فهم يقولون لك : « نحن لا نريد دعاية لليابان ولكننا فقط نريدك أن ترى بلادنا ! ! » .

كتب صحفي سويدي زار اليابان لأول مرة ، يقول : « كنت أتمنى لو أنني درست اللغة اليابانية قبل أن أبدأ زيارتي لهذا البلد الجديد !

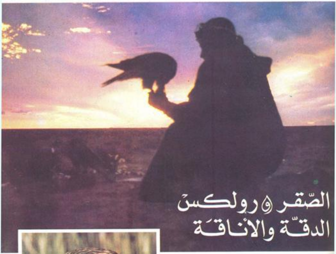
والمعنى الذي ذهب اليه هذا الصحفي هو نفسه الذي لا يملك أي زائر لليابان الآن يرده حتى قبل أن تنتهي زيارته . . فقد فات اليابانيين شيء هام . . ان اللغة اليابانية ليست لغة دولية وهم يعرفون هذه الحقيقة ويعرفون أيضاً أن من الصعب على الغريب عنهم أن يتعلمها في وقت وجيز ، أو حتى يلم بها الماماً . . ومع هذا لم يلجأوا الى ترجمة الأسماء والارشادات في الشوارع والطرقات العامة الى لغات أخرى . .

وربما كان المكان الوحيد الذي تجد فيه ترجمة الى الانجليزية أو الفرنسية هو الفنادق والمطاعم ، وخاصة اسماء الأطباق التي ستملأ بها معدتك !

وقد تنبه اليابانيون الى هذا القصور ، فبدأوا يعدون الشباب من الجنسين لمرافقة الزائرين والسائحين وكلهم يتحدثون الانجليزية بطلاقة ويستطيعون أن ينقلوا اليك أي شيء ، تريد أن تعرفه عن بلادهم ، حدث هذا التطور بعد أن قفز عدد السائحين الذين يجيئون الى اليابان للتعرف على هذا الشعب أكثر من مليوني زائر في عام ١٩٨٤ على سبيل المثال ، ولو أن عدد اليابانيين الذين يسافرون للخارج بحثاً عن كل ما هو جديد يبلغ ضعف هذا الرقم وربما أكثر .

ونقف في المطار نرد تحية الوداع ونحن نستعد لمغادرة هذه الأرض البعيدة الجديدة وانذكر ما قاله تولستوي كاتب روسيا العظيم « ان الشعوب هي التي تصنع الأمم » . وقد صنع الشعب الياباني بلاده بعلمه ونظامه وانتمائه وولائه . . .

وكان التعليم بعد هذا وراء كل محاولة لتحقيق المعجزة . □





منذ حضارة بلاد ما بين النهرين، كانت رياضة الصّقور، ولا تزال حتى يومنا هذا، رياضة النبلاء.

الصّقر طائر قويّ، أنيق وسريع الحركة، يُروّض ويُعلّم خصّيصاً فنّ الصّيد. هذا الترويض والتعليم يتمّ على يديّ أخصائيّين لمدّة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يوماً. العناية عينها هي التي بها تصنع كل ساعة رولكس.

حتّى اليوم لا تزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة تُنحت يدويّاً، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو الإثنين معاً.

كل ساعة تمرّ إفراديّاً بمجموعة تجارب قاسية قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السويسريّة الرسميّة.

جمال رولكس غنيّ عن التعريف وقيمتها تدوم وتدوم لسنوات وسنوات طويلة جدّاً.

مجموعة ساعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحاب الذوق الرفيع.

رولكس والصّقر رمز الدقة والأناقة.



ساعة تريدور داي - ديت من الذهب الأبيض والأحمر والأصفر مرصّعة بالماس.

ROLEX

رولكس



مصير العالم بعد الحرب النووية الشاملة

بقلم : الدكتور سمير رضوان

هل يكون الانسان أول الهالكين . . والميكروبات أقوى الباقين ، اذا جد على كوكبنا الأرضي ما يقلب موازين الحياة . . وهل يمكن تصور أن التطور الجديد لا مكان فيه لانسان جديد . . ؟ ان هذا المقال يتحدث في كل ذلك . . ويأتينا بالاجابة عن كل التساؤلات . .

لايندرج ما نحن بصدد كتابته تحت ما أصبح يعرف (بالخيال العلمي) إنما هو تصور لما قد تصبح عليه صورة الحياة على الأرض اذا جدّ على هذا الكوكب ـ لاقدر الله ـ ما يقلب الموازين القائمة الآن . . وقد نذكرّ القاريء بأن العلم لايخلو أبدا من قدر من الخيال ـ كما أن الخيال فيه جانب من العلم ـ والعبرة هنا بمقدار ما في هذا وذاك من التزام بقواعد العلم المتعارف عليها ، أو تحرر منها .

الموازين الكونية :

تخضع جميع الموجودات في هذا الكون الهائل لموازين ثابتة ، لاتختل الا في أضيق الحدود ، وان

● أستاذ بقسم النبات والميكروبيولوجي بكلية العلوم ، جامعة عين شمس ، ومعار حاليا لجامعة الكويت ـ حائز على جائزة الكويت للتقدم العلمي ، وعلى جائزة الدولة من مصر ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى .

اختلت وقعت الكوارث ، وقد يعظم شأن الكارثة في عرف الانسان ، غير أنها ـ بالغة ما بلغت من القسوة والضراوة ـ أهون من أن تشمل بأثرها الكون برمته ، أو حتى جانبا ملموسا منه . بل هي تقتصر على الموضع الذي وقعت فيه ، وسرعان ما يستقر الميزان على وضع جديد يتلاءم مع الواقع الجديد ، وكأن شيئا لم يحدث في هذا الكون اللانهائي . نود أن نخلص من ذلك الى أن الكون باق ومتزن ، حتى لو انقرض الانسان وبادت الأحياء جميعا ، ودمّرت الأرض تدميرا ، وليس في نيتنا ولا في استطاعتنا أن نحصر كل ظواهر الاتزان في هذا الكون الهائل ، واذا كان ينتظر منا أن نسجل ولو مثالا واحدا هنا ، فلنقرأ معا قول العزيز الحكيم :

(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر . ولا الليل سابق النهار . وكل في فلك يسبحون .) وما يعنينا هنا هو أن نتناول بشيء من الافاضة (ميزان الأحياء) على الأرض .

ميزان الأحياء

تعمر أحياء الأرض ، ما يعرف (بالغلاف الحيوي) الذي لايقتصر على سطح اليابسة ، وانما يشمل أيضا الغلاف الجوي المحيط بالأرض ، والمسطحات المائية ، ويمتد في عمق التربةوقد يعجب القارىء إذا ذكرنا أن أعداد الافراد الحية التي تعيش تحت سطح التربة ، تفوق بمراحل أعداد الأفراد الحية فوق سطح الأرض . وتتباين هذه الأحياء في الشكل والتركيب والنشاط الحيوي تباينا كبيرا . وبصفة عامة فإن أبسط الكائنات شكلا وتركيبا وأنشطها حيوية تلك المستقرة في جوف التربة ، وأعقدها هي الأحياء المستقرة فوق اليابسة . وتتراوح الأحياء من حيث الشكل بين الخلية الواحدة التي لا ترى الا بالمجهر ، والأحياء النباتية والحيوانية الضخمة التي يتكون الفرد منها من بلايين الخلايا . ومن حيث التركيب فأفراد الأحياء تتراوح بين الخلية الواحدة ، والفرد المعقد التركيب الذي يتكون من مجموعة من الأجهزة المختصة بشتى الأنشطة الحيوية ، كالتنفس والهضم وما الى ذلك . كما تتراوح أحياء الارض في أسلوب الاغتذاء مثلا ، بين كائنات تستطيع أن تنتج جميع المواد العضوية ، من سكريات وبروتينات ودهون وفيتامينات ، ومن غاز ثاني أكسيد الكربون والماء والأملاح غير العضوية ، خلال ما يعرف بالتمثيل الضوئي ، الى كائنات ليست لديها هذه القدرة . ومن ثم فهي تسطو على أحياء أخرى في سبيل الحصول على الغذاء العضوي . وقس على ذلك شتى الأنشطة الحيوية الأخرى التي لايسهل حصرها هنا . فهناك مثلا أحياء تعتمد على غاز الأكسجين في تنفسها (الكائنات الهوائية) وأخرى تتنفس في غياب هذا الغاز (الكائنات اللاهوائية) ، وغير ذلك من صور التباين كثيرة . وتتفق هذه الأحياء المتباينة في صفة الحياة .

وقد يبدو أن التعريف العلمي بكلمة (حياة) يسير ـ لكنه يقينا من أصعب الأمور . وعموما ليست ظواهر الحياة المختلفة التي نراها ونحسها الا المحصلة النهائية والتعبير الأخير لمجموعة كبيرة من التفاعلات الكيميائية المعقدة ، التي تحدث داخل الخلايا الحية . ومهما تباينت أشكال وتراكيب وأنشطة الأحياء ، فإنها ـ ويا للعجب ـ تتشابه كثيرا في طبيعة التفاعلات الكيميائية للعمليات الأساسية التي تتم بداخلها ، فعمليات وتخليق البروتينات والمركبات الكيميائية المعقدة ، تجري في الكائن وحيد الخلية ، بأسلوب يشابه ما يجري في أعقد الأحياء شكلا وتركيبا ـ كذلك تفاعلات التنفس التي تزود الحي بالطاقة ، تجري في الأحياء المختلفة على نفس المنوال ـ وان حدث اختلاف فهو طفيف نسبيا ، بل ان الأساس الكيميائي للوراثة في الأحياء المختلفة واحد . هذا التشابه الكيموحيوي هو في الواقع الرابطة التي تربط أحياء الأرض بعضها بالبعض ، كما تربطها بالبيئة المحيطة التي تستمد الأحياء منها غذاءها وجميع أسباب وجودها . ومن ثم فالأحياء المختلفة تشكل مع بعضها البعض ومع البيئة وحدة متكاملة متوازنة . والتوازن العددي هو أهم مظهرٍ من مظاهر الميزان الحيوي . فكل جنس ونوع من الأحياء يتمثل في البيئة بأعداد لاتتجاوز حدودا معينة ، والا أثَّر ذلك على أعداد أجناس وأنواع أخرى من الأحياء،واختل بذلك الميزان . ويحتفظ هذا الميزان بثباته من خلال تعاون

الأحياء المختلفة وتكافلها من ناحية ، ومن خلال تصارعها وتناحرها من ناحية أخرى .

الانسان أرقى الأحياء :

يتربع الانسان وحده على قمة سلم التطور ، وهو أحدث ظاهرة حية على كوكب الأرض ، ولقد نشأت الحياة على سطح الأرض منذ عدة آلاف الملايين من السنين . ولكن الانسان لم يظهر الا منذ فترة لاتتجاوز في معظم التقديرات مليونا واحدا فقط من السنين . ولأن الانسان أحدث الأحياء ، وجب أن يتحلى بأكمل الصفات بين الأحياء من ناحية الشكل والتركيب التشريحي والصفات الذهنية والنفسية . فالذي خلقه سبحانه وتعالى جعل فيه ميزات الأحياء التي سبقته في الخلق وزاد عليها ـ وهذه هي عبرة التطور . وصدق الله العظيم اذ يقول (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)

ويحيا على سطح الأرض اليوم حوالي ٤٥٠٠ مليون انسان ، يشكلون جانبا هاما في ميزان الأحياء ـ ليس بسبب وفرة العدد ـ ولكن بسبب قدرة الانسان الكبيرة على التغيير من خلال العقل الذي يميزه عن شتى الأحياء الأخرى . وعلى الرغم من أن مشاكل الانفجار السكاني البشري قد أصبحت تمثل بحق تهديدا كبيرا للانسان نفسه ، قد يؤدي يوما ما الى ايقاف نموه ، الا أن هذه الزيادة لاتمثل اخلالا محسوسا بميزان الأحياء على الأرض . فنصيب الانسان في هذا الميزان من الناحية العددية ما زال متواضعا للغاية ، اذا قورن بالأحياء الأخرى خصوصا الدنيا منها .

أما الميكروبات فهي تقبع عند القاع من سلم التطور ، وتمثل أوائل الأحياء التي نشأت على الأرض . وهي كائنات وحيدة الخلية في معظمها ، لاترى الا بالمجهر ، وليست بالضرورة ضارة كما يتصور العامة ـ بل النقيض هو الأصح ـ فهذه الكائنات في الأصل تمثل جانبا رئيسيا من ميزان الأحياء ، وتلعب دورا حيويا في دفع عجلة الحياة برمتها لتستمر في الدوران . فالميكروبات هي التي تحلل أجساد الأحياء بعد موتها ، محررة بذلك شتى العناصر الكيميائية ، لتصبح متاحة لدورات وأجيال جديدة من الأحياء . لولا الميكروبات اذن لتجمدت الحياة ان عاجلا أو آجلا في صورة جثث متراكمة للانسان والحيوان والنبات . وما شأن الميكروبات الوبائية الضارة بين الميكروبات عامة الا كشأن الضواري والوحوش بين الحيوانات ، وكشأن السفاحين من البشر ـ قلة ـ ولكن لها أيضا دورها المرسوم في التوازن الحيوي . وتمثل البكتيريا أبسط الميكروبات ، ومن ثم فهي أدنى الأحياء على الاطلاق . نشأت على كوكب الأرض في الماء منذ حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة ، حين كانت الظروف السائدة تختلف تماما عما هي عليه اليوم . من أوجه الخلاف مثلا أن غاز الأوكسجين الطليق الذي تعتمد عليه معظم الأحياء اليوم في التنفس لم يكن موجودا بعد في الغلاف الجوي . ولقد ارتبط ظهور هذا الغاز في الجو بنشأة البكتيريا الخضراء المزرقة ، التي تنتج الأوكسجين من خلال عملية التمثيل الضوئي .

ويعتبر المختصون ذلك خطوة تطورية هامة على الأرض ، مهدت لنشأة الأحياء التي تتنفس الأوكسجين . ولاشك أن كثيرا من ميكروبات الزمن الغابر قد انقرضت ، حيث لم تعد ظروف الأرض صالحة لحياتها . كما أن هناك ميكروبات أخرى طرأ عليها التطور ، لتواكب التغيير الذي تم في ظروف الأرض ـ وهي التي تعيش على كوكبنا الآن ، وبيئتها الرئيسية هي التربة .

واذا كانت الكرة الأرضية تنوء بحمل حوالي ٤٥٠٠ مليون من البشر ، فإن قبضة يد واحدة من التربة تحوي أضعاف مضاعفة لهذا العدد من الميكروبات . وللقارىء بعدئذ أن يتصور كم من هذه الأحياء تحمله الأرض في تربتها وأمواهها وهوائها وثلوجها وينابيعها الحارة وصحاريها ، وعلى أسطح نباتاتها وفي أجواف حيواناتها المختلفة بما فيها الانسان نفسه . . !

عوامل تخل بميزان الأحياء :

يتصف ميزان الأحياء بالديناميكية ـ وتتباين أعداد الأجناس والأنواع المختلفة لتغير الظروف البيئية ، التي قد تحفز تكاثر أحياء معينة ، وتثبط تكاثر أحياء أخرى . يتضح من ذلك اذن أن الميزان قد يختل اختلالا محسوسا ، كلما طرأ على البيئة تغير محسوس .



وقد يصل الأمر الى حد انقراض أجناس وأنواع من الأحياء تماما . ولاشك أن القاريء قد سمع بأشهر المنقرضين من حيوانات الزمن الغابر ألا وهو الديناصور . وانقراض نوع أو أنواع من الأحياء لايشكل أي تهديد للحياة برمتها . بل يعني مجرد اخلال مؤقت بالميزان الحيوي السائد ، وسرعان ما يستقر هذا الميزان على الوضع الجديد .

والعوامل التي قد تخل بهذا الميزان من الوفرة بحيث يصعب تسجيلها هنا . على أن من أهم هذه العوامل ما يتعلق بالتغيير العميق الذي يحدثه الانسان نفسه في شتى البيئات على الأرض ـ مثل هذا التغيير العميق قد يؤدي عند الكثيرين الى انقراض الجنس البشري يوما ما . ولا يلجأ الانسان بالطبع الى احداث هذه التغييرات العميقة لشر كامن في نفسه ـ وانما هو سوء التقدير . فمن أجل توفير الغذاء بزيادة الرقعة القابلة للزراعة مثلا ، يلجأ الانسان الى اجتثاث الغابات ، دون أن يدرك أثر ذلك على شتى الظروف البيئية . فالغابات تستهلك من الهواء قدرا من غاز ثاني أكسيد الكربون . واجتثاثها يعني زيادة نسبة هذا الغاز في الهواء ، مما ينجم عنه ارتفاع درجة حرارة الجو . كما لايخفى دور الاشجار في تثبيت التربة وتزويدها بالدبال اللازم لخصوبتها ، وفي صد الرياح بما تحمله من رمال ، فتحول دون مزيد من التصحر ـ أي تحول الأرض الزراعية الى صحراء ـ وهي جميعا مشاكل تزداد خطورة مع الزمن . وما ذلك الا مجرد مثال واحد من أمثلة كثيرة . وقد يكفي للتدليل على خطورة هذه التغيرات البيئية أن نشير الى أن أحد الاحصاءات العلمية ، قد أثبتت أن عدد أنواع الأحياء التي انقرضت في القرنين الماضيين ، بلغ حوالي ٦٠٠ نوع ، وهو رقم يثير الرعب حقا . وسوف نقصر حديثنا فيما يلي على عاملين اثنين هما (التلوث) و (الصراع) .

التلوث أخطر مشاكل العصر :

التلوث أصبح من أخطر مشاكل العصر الحديث ، وارتبط مداه بالتقدم العلمي والتقنيّ ، ومن تحصيل الحاصل أن نتعرض بالوصف لأنواع التلوث المختلفة ، من كيميائي وحراري وضوضائي

واشعاعي وغيرهـا ، فقد صـارت هذه الأنـواع من الشيوع بحيث لانحسب أن هناك من لم يسمع بها . على أن الآثار البيولوجية لهذه الملوثات ما زالت في طور الـدراسة . ويكتشف الباحثون كـل يوم أن خـطر التلوث على الانسان عـظيم جدا . ومن أحـدث ما يتردد في الدوائر العلمية أنه قد بات وشيكا اثبات دور الملوثات الكيميائية ، كمسببات مباشرة لبعض أنواع السرطان ، وكان هذا الأمر حتى الآن ظنا بلا دلائل عملية . ويلاحظ أن كثيرا من أسماك الأنهار الملوثة بنفايات المصانع تصاب بالسرطان ، ولا يكمن الخطر هنا عـلى الانسان من احتمال انتقال خـلايا السرطان اليه من هذه الأسماك ، وانما الخطر كل الخطر في احتمال انتقال المواد الكيميائية المسرطنة ، التي تلوث الأنهار ، الى الانسان من خلال الأسماك .

أما الصراع : فهو جزء أساسي وطبيعي من سلوك الأحياء ، ويلعب دوره المرسوم في استقرار ميـزانهم على الأرض . وليس هناك أحياء لاتتصارع ، كما لاتوجد بيئة على الأرض تخلو تمـاما من صـراع بين الأحياء . على أن الانسان في عصرنا الحديث يوشك أن يخرج بهذا العامل البيئي عن حدوده الطبيعية . وتطالعنا الصحف وأجهزة الاعلام المختلفة بين آن وآخر بما يفيد ، بأن هذه الدولة العظمى أو تلك قد أصبح لديها من الأسلحة النـووية مـايكفي لتدمير كوكب الأرض برمته عشرات المـرات . ويالهـا من مفارقة مضحكـة مبكية في آن واحـد - فكأنمـا (مرة واحدة) لاتكفي لاشباع شهوة التدمير عند البعض . والمخيف أن هذه الأسلحة لم تعد ملكيتها مقصورة على ما يعرف بالدول العـظمى ، بل صـارت في متنـاول أيدي العديد من دول العالم الثالث أيضا . وهناك من الأسلحة ما هو موجه بصفة خاصة للقضاء على حياة الانسـان ، دون المسـاس بـالمنشآت والمبـاني . ويبـدو بالفعل أن الانسان قد أصبح في مقدوره أن يقضي على جنسه من خلال الصراع النـووي الشامـل . . ولكن الذي يتجاوز مقدرته على وجه اليقين هو أن ينجح في اجتثاث الحياة برمتها من الأرض ، مهما أوتي من أسلحة الدمار . إذا هلك الانسان سوف يستقر ميزان حيوي جديد ، لا مكان للجنس البشري فيه ، وسـوف يصبح أرقى الأحيـاء قاطبـة مجرد نـوع من الأنواع المنقرضة ، شأنه شأن الـديناصـور ، وشأن الألوف من أنواع الأحياء التي انقرضت عبر رحلة التطور الطويلة .

الانسان أول الهالكين :

الانسان - أرقى الأحياء - هو أكثرها اعتمادا على الأحياء الأخرى في أسباب وجوده . فهو يعتمد عليها اعتمادا كاملا في تغطية حاجـاته من مـأكل ومسكن وملبس وغيرهـا . والانسـان - كـنـوع حي ونتيجـة لاعتماده التام على أحياء أخرى - يعتبر في الواقع أسير مجموعة من الظروف البيئية المحددة ، اذا تطرق اليها خلل تهددت حياته .

فاذا افترضنا على سبيل المثال أن حدث على الأرض ما أدى الى نفاد غاز الأوكسجين في الجو هلك الانسان في دقائق . وما يصدق على هذا العامل يصدق على سواء من العوامل البيئية الأخرى . خذ مثلا درجة حرارة الجسم البشري ، التي ينبغي أن تثبت عند ٣٧ م ، وأقصى ما يمكن أن تصله من الابتعاد عن هذه الدرجة لا يتجاوز خمس أو ست درجات فقط - من ٣٦ الى ٤١ م تتوقف الحياة تماما دونها أو فوقها . كما أن أسلوب الاغتذاء عند الانسان يرتبط ارتباطا جامدا لا مرونة فيه بمواد عضوية معينة ، كالبروتينات والسكـريات والدهون والفيتامينات ، اذا لم تتح له أو أتيحت مواد أخرى عضوية غيرها مات جوعا . وتتميز الأنزيمات في خـلايا جسم الانسـان - هي الأخرى - بـالجمود الذي لا مرونة فيه . والأنزيمات عبـارة عن عوامـل مساعدة في الخـلايا الحيـة ، لا تتم أية تفـاعـلات كيموحيوية الا في وجودهـا . ولكل تفـاعل أنـزيم خاص ينشطه . ونقصد بجمود الأنزيمات في خلايا الانسان ، ان الخلية اذا صادفت مادة عضوية لا عهد لها بها ، فانها لا تجد بين أنزيماتها ما يستطيع أن يهضم هذه المادة ، ممـا يؤدي الى مشاكـل صحيّة كثيـرة ، وخصوصا وأن هذه المواد تزداد شيوعا كل يوم ، من خلال ما يستحدثه العلم ، ويصل الى جسم الانسان كملوثات . . ولا يستطيع الجسم أن ينتج الأنزيمات المحللة لها .

وما يصدق على الانسان يصدق أيضا بالنسبة لكثير من الحيـوانات الـراقيـة ، لكن الميكـروبـات - أدنى الأحياء - تختلف في ذلك اختلافا كبيرا ، فقد سبقت

الأحياء جميعا الى الوجود ، ومن ثم فهي تتصف بدرجات من الاستقلالية في أساليب حياتها ، تحسدها عليها الاحياء الراقية ، كما تتصف بمرونة فائقة تجعلها قادرة على المعيشة ، تحت ظروف منها ما تعجز الأحياء الراقية عن تحملها . ولنقصر حديثنا هنا على القليل من العوامل البيئية التي ذكرنا لتونا أثرها على الانسان . فاذا افترضنا نفاد الأوكسجين من الجو ، فمن المؤكد أن جانبا من الميكروبات لن يهلك ، لأن هذه الأحياء العجيبة تتباين تباينا مرنا في حاجاتها لهذا الغاز . وحقا هناك أنواع منها لا تعيش الا في وجود الأوكسجين ، لكن هناك أيضا أنواعا كثيرة لا تعيش الا بمعزل عن هذا الغاز . كما أن هناك أنواعا تعيش في غيابه ، كما تعيش في وجوده على حد سواء .

ولا يختلف الأمر بالنسبة لعامل الحرارة . اذ يقسم العلماء الميكروبات الى ثلاث مجموعات ، تبعا لدرجات الحرارة التي تفضل المعيشة فيها . فهناك الميكروبات المحبة للحرارة المتوسطة ، والميكروبات المحبة للبرودة التي تزدهر عند درجات الحرارة القريبة من نقطة تجمد الماء ، وهناك الميكروبات المحبة للحرارة المرتفعة التي تقترب من نقطة غليان الماء . وفضلا عن ذلك فكثير من الميكروبات اذا تعرضت لظروف غاية في القسوة ، فانها تحتمي منها بانتاج وحدات حية ، ولكنها خاملة وكامنة تماما ، ولا تتأثر بالظروف القاسية ، اذ يمكنها تحمل الغليان في الماء مثلا ساعات طويلة . فاذا تحسنت الظروف المحيطة دب النشاط مرة أخرى في هذه الوحدات الكامنة .

والميكروبات أقوى الباقين :

وواضح أن هذه الصفة تعطي مثل هذه الميكروبات قدرا من المناورة والمرونة ، لا يتوفر للكائنات الراقية بما فيها الانسان . أما غذاء الميكروبات فيتباين هو الآخر بمرونة لا جمود فيها . اذ تتراوح الميكروبات في حاجاتها الغذائية بين الأبسط والأعقد . وأبسطها في هذا المضمار هي تلك التي تنتج غذاءها العضوي ، بصورة كاملة من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي ، كما تفعل النباتات الخضر . بل انها تتميز عن النباتات الخضر أيضا في هذه الصفة . ذلك أن بعض الميكروبات قادرة على استخدام صور من الطاقة الكيميائية ، فضلا عن الطاقة الضوئية التي تستخدمها النباتات الخضر ، في تحويل ثاني أكسيد الكربون الى المواد العضوية . أما الميكروبات التي تتصف بالحاجات الغذائية المعقدة فهي تشبه الانسان ، في اعتمادها على مواد عضوية تنتجها أحياء أخرى .

غير أنها تتميز هنا عن الانسان أيضا بالمرونة والليونة فيما يختص بنوعية هذه المواد العضوية . فبينما يرتبط الانسان في غذائه بمواد عضوية معينة ، توشك الميكروبات الا ترفض أية مادة عضوية مهما تعقد تركيبها ، حتى أن منها ما يغتذي على البترول ، وعلى مبيدات الحشرات والأعشاب ، وعلى الضد حيويات وغيرها كثير . كما تتصف أنزيمات الميكروبات هي الأخرى بالمرونة الفائقة . فلو صادفت خلية الميكروب مادة عضوية لاعهد لها بها ، قد تعجز في البداية عن هضمها ، ولكنها سرعان ما تتعود على هذه المادة فتنتج بعد حين الأنزيم القادر على هضمها . ومن أمثلة ذلك قدرة الكثير من الميكروبات على هضم البلاستيك ، بعد أن كانت عاجزة عن ذلك في أوائل العهد بهذه المادة الجديدة .

خطورة التلوث الكيميائي :

أما التلوث الكيميائي فخطورته على صحة البشر لم تعد محل جدل . ولو استمرت معدلات التلوث الحالية ، فسوف تصل بالتأكيد في زمن غير بعيد الى حدود مهلكة . أما الميكروبات فليس قصارى أمرها أن التلوث الكيميائي لايقضي عليها ـ بل الواقع أن هذا التلوث يؤدي الى تكاثرها وازدهارها ، فمن الميكروبات كما ذكرنا ما تعود على المواد الملوثة ، واستحدثت الأنزيمات القادرة على هضمها ، وأصبح يستخدمها كغذاء . ومن أمثلة ذلك غاز الأثيلين الذي يلوث الجو من جراء احتراق البنزين في السيارات ، هذا الغاز تستهلك الميكروبات منه كميات كبيرة للغاية كغذاء لها . ولو تطرقنا الى التلوث الاشعاعي ، لعلمنا أن الاشعاعات النووية تقضي على الانسان والميكروبات على حد سواء . غير أن الميكروبات تعيش أساسا في التربة التي توفر لها حماية فعالة ضد آثار هذه الاشعاعات . بينما يعيش الانسان فوق الأرض ، معرضا بصورة مباشرة لهذه الاشعاعات . وفضلا عن ذلك فالميكروبات هنا تتصف أيضا بالمرونة

الفائقة . فاذا مات الكثير منها بأثر الاشعاعات ، فان الكثير الآخر تتحور صفاته الوراثية ، فتنتج منه طفرات جديدة أكثر شراسة من الميكروب الأم .

أما العامل الثاني ـ ونقصد به الصراع ، فلننظر في حال الانسان وحال الميكروبات اذا نشبت ـ لاقدر الله ـ حرب نووية شاملة . اذا قدر للانسان أن يهلك نفسه على كوكب الأرض ، فلن يكون ذلك في تقديرنا الا من خلال مثل هذه الحرب . أما ما سوى ذلك من مشاكل ، مثل التلوث والانفجار السكاني ، مصحوبا بنقص الانتاج الغذائي وغيرها ، ففي تقديرنا لا تؤدي في أسوأ الأحوال الى انقراض الانسان ، بقدر ما تؤدي الى (توقف النمو البشري) .

الحرب النووية الشاملة مع الأسلحة المبتكرة الموجهة ضد حياة البشر خاصة ، هي التي يمكن أن تجتث الجنس البشري من الأرض ، فماذا ياترى سوف يكون عليه حال الميكروبات ؟

أشرنا الى أن هذه الأحياء تعمر التربة أساسا ، مما يوفر لها حماية ممتازة من خطر الاشعاعات . ولاشك أن أعدادا منها سوف تموت ، على أنها يقينا لن تجتث تماما . ويكفي أن تقاوم خلايا قليلة من هذه الأحياء ، لكي تجتاح الكرة الأرضية من الناحية العددية في زمن وجيز . ذلك أن هذه الأحياء تتصف بمعدلات تكاثر لاتدانيها في سرعتها أحياء أخرى راقية . فالخلية الواحدة قد تنقسم الى خليتين مرة كل ٢٠ الى ٣٠ دقيقة . وفي حساب أحد العلماء ـ وهو حساب واقعي ـ أن خلية بكتيرية واحدة إذا انقسمت واتيح لنتاجها أن ينقسم كل ٣٠ دقيقة ، فسوف يصل النتاج البكتيري بعد يوم ونصف يوم الى حد من الوفرة ، يستطيع معه أن يغلف كوكب الأرض بغلاف بكتيري محكم ، سمكه حوالى قدم كامل . ومن فضل الله على الأحياء أن البكتيريا لايسمح لها في الطبيعة بالانقسام على هذه الصورة المذهلة السرعة ، الا لساعات قليلة فقط ، والا لما تركت مكانا على الأرض تعمره أحياء أخرى سواها .

تطور ما بعد الكارثة :

ولانختم هذا المقال ، قبل أن نتطرق الى الحديث عن التطور بعد وقوع الكارثة التى قد تهلك البشر ـ لاقدر الله ـ محاولين الاجابة عن السؤال الملح : هل يؤدي مثل هذا التطور الى انسان جديد في المستقبل القريب أو البعيد ؟ ولن يدعي أحد ما بلغ من الغرور . وقانا الله شره ـ أنه قادر على رسم خُطا التطور بعد الكارثة النووية . وقصارى مانستطيعه هنا ـ بناء على ما أتاحته لنا البحوث من معرفة ـ هو أن ننفي أو نؤكد بعض الأمور دون الخوض في التفصيلات . فأولا هل يستمر او يستأنف التطور بعد الكارثة ؟ والاجابة عن هذا السؤال هي على وجه اليقين : (نعم) ، ذلك أن التطور من طبيعة الأحياء ـ تماما كما هو من طبيعة الأفكار ، حيث يرى هيجل أن لكل فكرة فكرة مضادة ومن محصلة تفاعلهما معا تخلّق (بتشديد اللام) الفكرة الجديدة التي سرعان ما ينشأ لها (ضد) وهكذا ـ وبالمثل لقد أثبتت البحوث البيولوجية ، أن صفات الفرد من الأحياء هي في الواقع محصلة لأثار عاملين ـ عامل الوراثة الذى تتحكم فيه الجينات المحمولة على الكروموزومات في الخلايا ، والتى تربط الفرد بجمود الى صفات آبائه ، وعامل النزوع الى الاختلاف عن الصفات الموروثة . وماصفات الفرد في الواقع الا المحصلة النهائية لهذا الصراع المستمر استمرار الحياة نفسها . لاشك اذن أن التطور سوف يستمر بعد الكارثة ـ على أننا نجزم بأن هذا التطور لن يؤدي الى انسان جديد فى المستقبل القريب أو البعيد ، فعامل النزوع الى الاختلاف في التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف البيئية ـ وكما يقولون (فالكائن الحي هو نتاج بيئة) ـ ولكي ينشأ انسان جديد من خلال تطور جديد ، وجب أن تعود الظروف البيئية على الأرض ، كما كانت ، عليه في غابر الزمن . ثم لابد لهذه الظروف نفسها ، تتغير على نفس المنوال الذى تغيرت عليه فى الماضى . وكل هذا محال،فما راح لاعودة له أبدا ، وظروف الأرض البيئية اليوم تختلف عما كانت عليه فى الماضى ، وسوف تختلف في المستقبل .

نخلص من ذلك الى أن التطور سوف يستمر بعد الكارثة ، ولكنه سوف ينمو نموا مختلفا ، تماما عما لو لم تقع الكارثة النووية . وسوف يؤدى هذا التطور الجديد الى كائنات (راقية) جديدة لايعلم صفاتها الا الله ، ولكنها على وجه اليقين لن تكون مطابقة لصفات الجنس البشري الذي يحيا اليوم على كوكب الأرض . □

وجهاً لوجه



د. عز الدين اسماعيل و حسن محمود عباس

* النقد ليس مطية ذلولا لكل من أمسك بالقلم !

* المسرحيات التي تكتب وتؤدى بالعامية تخدم أغراضا وقتية ، وتؤدى وظيفة محدودة بحدود الزمان والمكان .

* ممارسة العمل الابداعي ليست شرطا لازما للناقد .

* الثنائية اللغوية واقعة في حياتنا . . حتى في الجامعات !

يقف الدكتور عز الدين اسماعيل فى الصف الأول من جيل النقاد العرب المعاصرين . ولو ألقينا نظرة على مؤلفاته ـ وهى مراجع يقصدها الدارسون والباحثون ممن تعنيهم دراسة الأدب العربي الحديث ـ لوجدنا فيها خير دليل وشاهد على صدق ما نقول ـ ان من بينها كتبا أعيدت طباعتها مرات عديدة ، فكتابه « الأدب وفنونه » الذى ظهرت طبعته الأولى فى عام ١٩٥٥ ، قد طبع للمرة السادسة فى عام ١٩٧٦ .

ومازال كتابه « الأسس الجمالية للنقد العربي » مرجعا مهما فى هذا الباب ، كما أن دراساته التى ضمنها كتاب « التفسير النفسي للأدب » وأصدرها فى عام ١٩٦٣ تعد علامة بارزة فى النقد العربي الحديث ، وقليلة هى الدراسات المسرحية التى تجارى كتابه القيم « قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر » .

أما كتاب « الفن والانسان » فقد تجلت فيه ثقافة موسوعية تحيط بمذاهب الفن فى مختلف العصور ، واقتدار على النقد الفنى لا يقل عن اقتداره فى النقد الأدبي .

اننا فى هذه العجالة نضرب أمثلة ولا نقدم حصرا ، فالكتب كثيرة ، والأبحاث المنشورة فى الدوريات العربية أكثر ، وكل منها يحمل من فكر الدكتور عز الدين اسماعيل ومن علمه وثقافته حظا وافرا ، لقد كانت هذه الدراسات والأبحاث حصيلة أكثر من ثلاثين سنة ، قضاها فى رحاب الجامعة دارسا واستاذا وعميدا لكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وقد تتلمذت عليه فيها أجيال من المثقفين العرب .

أدار الحوار الزميل حسن محمود عباس ، وهو كاتب ومحرر بالمجلة ، وهكذا دار الحوار وكانت المواجهة .

البدايات الأولى

*** عملت استاذا جامعيا لما يقرب من ربع قرن . ثم رئيسا للهيئة العامة للكتاب ، ثم رئيسا لأكاديمية الفنون ، وفوق هذا وذاك كنت تعمل رئيسا لتحرير مجلة فصول ـ مجلة النقد الادبي ـ ففى أى هذه المواقع وجدت نفسك ؟**

ـ لقد عملت فى الجامعة أكثر من ثلاثين عاما ، متدرجا من وظيفة معيد الى وظيفة أستاذ ، واعتقد أنى كنت أعرف طريقى الى كلية الآداب منذ زمن يعود الى المرحلة الثانوية . ففى هذه المرحلة بدأت الاهتمامات الخاصة بالأدب والشعر قراءة وكتابة أيضا . وقد عرفت فى السنتين الأخيرتين من الدراسة الثانوية جلسة العقاد صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ، وأدمنت التردد عليها طوال دراستى فى كلية الآداب ، ثم كانت أول محاولة للخروج من الدائرة الضيقة ، سواء فى المدرسة الثانوية أو فى الكلية ، تلك الدائرة التى تضم مجموعة الشباب شداة الأدب وكتاب الشعر ، أقول كانت أول محاولة للخروج من هذه الدائرة الضيقة نسبيا الى دائرة الكتابة والنشر على نطاق أوسع قد بدأت فى بداية عام ١٩٤٨ ، وأنا فى السنة الثانية بالكلية ، عندما نشرت أول مقال نقدى لي بمجلة الثقافة ، التى كانت تصدر آنذاك ، وكان عنوان هذا المقال « قوانين النقد الأدبي » .

هذه البداية شجعتنى بالتأكيد على الاستمرار فى موالاة المجلة بالمقالات ذات الطابع النقدى . ولم أفكر فى نشر شعر لى فى ذلك الوقت ، لأننى كنت اتصور أننا على وشك تغيير جذرى فى رؤيتنا لهذا الفن الادبي ، ولعلنى تجرأت فى سنة ١٩٥٠ على نشر قصيدة فى تلك المجلة ، وان كانت فى تقديرى أثرا من آثار تأثرى بمجموعة شعرائنا الرومانسيين البارزين ، فى أثناء هذه الدراسة اتجهت بميل طبيعى فى القراءة الى كتب فلسفة الجمال ، أو علم الجمال بالأحرى ، وكان أول كتاب قرأته فى ذلك الوقت كتاب الاستطيقا

أو علم الجمال للفيلسوف الانجليزي بوزانكيت . ومازلت اذكر اعتذاره فى بداية هذا الكتاب عن عدم معرفته باللغة العربية ، الأمر الذى فوت عليه أن يتعرف آراء المفكرين المسلمين فى نظرية الجمال . ولعل هذا الاعتذار هو الذى ظل يشغلنى بعد ان تخرجت فى الكلية ، فقد رأيت أن هذا الجانب من الفكر الاسلامى لم يحظ من قبل بالاهتمام ، وخصوصا الاهتمام الذى يربط بين النظرية الجمالية عند العرب المسلمين والنظرية النقدية .

ومن ثم كرست جهدى لدراسة هذا الجانب عدة سنوات انتجت فى نهايتها دراستى التى تحمل عنوان « الأسس الجمالية فى النقد العربى » . ولكننى فى الوقت نفسه وجدتنى مشغولا كذلك بعلم النفس فى علاقته بالادب أيضا ، وقد نشرت على أثر تخرجى فى الجامعة سلسلة من خمس مقالات ، نشرت تباعا فى مجلة الثقافة بعنوان « التفسير النفسى للنقد الادبى » ، هذا الاهتمام استمر كذلك الى جوار الاهتمام السابق ، حتى أثمر فيها بعد ـ وفى أوائل الستينيات ـ كتاب « التفسير النفسى للادب » ، ولا شك أن عملى فى الجامعة منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٨٢ قد هيأ لى الظروف الملائمة للمضى فى اصدار عدد من الدراسات ، التى تتصل بنظرية الأدب ونظرية النقد ، والانواع الأدبية المختلفة ، كالقصة والمسرحية والقصة القصيرة ، ولا أنسى الشعر الذى ربما ظفر منى بأكبر عدد مما أنتجت من دراسات وما أصدرت من كتب ، فى مقدمتها يأتى « كتاب الشعر العربى المعاصر » ، ولكننى كنت فى الوقت نفسه أتحرك خارج اطار الجامعة ، فى اطار جماعة أدبية كانت تضم مجموعة من الزملاء والأصدقاء ، عرفت منذ عام ١٩٥٢ باسم « الجمعية الأدبية المصرية » وكانت تقيم ندواتها الادبية والثقافية مساء كل ثلاثاء ، حتى توقف نشاطها فى أوائل السبعينيات ، وفى اطار هذه الجمعية التى كان نشاطها يتصل اتصالا مباشرا بالجماهير من رواد ندواتها ، كنت أصرف جزءا لا بأس به من نشاطى الأدبى ، وأعتقد أن هذه الجمعية بقدر ما أفادتنا ـ نقادا وشعراء ـ فى بلورة كثير من مفاهيمنا ، كانت كذلك عامل تحريك للحياة الأدبية ، ولأجيال من الشباب توافدت على ندواتها ، ونضجت أدواتها فى اطارها . لعلنى بهذا السرد الطويل أنتهى الى أن عملى فى الجامعة كان البيئة الملائمة لنشاطى العلمى والأدبى ، وأن عملى بالهيئة العامة للكتاب ، وان كان شديد الارتباط بالمجال الثقافى ، فان الجهد الذى بذلته كان على حساب انتاجى الشخصى . ولذلك فانى أعتقد أن عملى الحالى رئيسا لأكاديمية الفنون هو بمثابة عودة الى المناخ القديم ، الذى يتيح للانسان أن يجمع بين ادارة مؤسسة علمية كهذه وانتاجه الخاص .

مجلة فصول

*** يرى البعض أن مجلة فصول قد غلب عليها الطابع الأكاديمى ، فارتقت رقيا حجبها عن عامة المثقفين ، وجعلها تتجه الى الخاصة ، وهى فئة قليلة نسبيا ، فهل اتجهت المجلة هذه الوجهة بتأثير من رئيس التحرير ، أم أن هذا الزى الذى تظهر به المجلة كان مقدرا لها ومحسوبا منذ ان كان انشاؤها فكرة فى اذهان مؤسسيها ؟**

ـ بدأت فكرة انشاء مجلة فصول فى بداية عام ١٩٨٠ ، نتيجة احساس عام بأن الساحة الأدبية كانت قد أصبحت تفتقر الى مجلة رصينة ، تجاوز ما تقدمه المجلات الأدبية فى ذلك الوقت ، وتحاول اللحاق بالتطور الفكرى العالمى فى مجال النقد الأدبى ، هذا التطور الذى كان قد جاوزنا بمراحل طويلة وكانت كتاباتنا النقدية متخلفة عنه بالضرورة . كانت كل الأطروحات النقدية فى ذلك الوقت قد استهلكت ، لكثرة تكرارها ودورانها من كتاب الى كتاب ومن مقالة الى مقالة . وأستطيع أن أقول ان مناخا من الركود والتجمد كان قد خيم على الساحة الأدبية على نحو ارتضى فيه كثير من المشتغلين بالنقد ما كانوا قد حصلوه قبل ذلك منذ سنوات طويلة ، وما كانوا يكررونه فى كتاباتهم وفى أحاديثهم فى كل مناسبة ، ظنا منهم أنهم بلغوا الغاية ، وأنهم فى غير حاجة الى مزيد ، من هنا كان لا بد أن تتحدد لمجلة فصول منذ البداية مهمة شاقة ، هى أن تعيد أولا للنقد الأدبى مكانته فى حقل العلوم الانسانية ، وأن تثبت فى الاذهان أنه ـ أعنى النقد ـ ليس مطية ذلولا

لكل من أمسك بالقلم ، وأنه على العكس يحتاج الى تأهيل طويل وخبرة واسعة وممارسة مضنية ، وأن نؤكد ثانيا أن ما توقفنا عنده لم يعد كافيا أو صالحا لمواجهة ما يطرأ على الساحة الادبية من تطلعات جديدة في مجال الابداع ، وان الأجيال الجديدة التي شقت طريقها الى الممارسة النقدية ، تحتاج الى الاتصال بما طرأ عالميا في ساحة النقد الادبي من تيارات ومناهج على المستويين النظري والتطبيقي .

وفي جملة واحدة كان لا بد أن تكون هذه المجلة الجديدة في الحقل النقدي بمثابة الصناعة الثقيلة التي تغذي الصناعات الأخرى الخفيفة ، كان لابد أن تتغير لغة النقد ومنظوراته وأدواته وطرائق تعامله مع النص الأدبي . وكان طبيعيا أنّ انجاز هذا المشروع رهن بأسهام أولئك الاساتذة الجامعيين ، الذين اتيحت لهم ـ بوصفهم افرادا ـ فرص الاتصال المباشر والوثيق بتلك التيارات والمناهج ، التي كانت قد صارت عند المثقف العربي شيئا مألوفا للغاية . وكان طبيعيا أيضا أن تكون هذه المجلة صادمة للعدد الأكبر ممن يشتغلون بالنقد الأدبي ، وخصوصا في المجال الصحفي ، فقد طرحت عليهم أشياء جديدة ، يحتاج هضمها وتمثلها الى كثير من الجهد ، وكانوا قد ظنوا بأنفسهم أنهم ختموا العلم ، ولم يعودوا في حاجة الى جديد ، ويصدق فيهم المثل القائل (الانسان عدو ما يجهل) ولذلك ظهر هذا العداء منهم للمجلة في أعدادها الأولى ، ولعلها هوجمت من ناحية قوتها التي كان يدركها الجميع بلا شك ، ولكنه الدفاع عن الذات . لكن الأيام اثبتت أن الراغبين في هذا المستوى من الثقافة يجاوزون الأكاديميين ، وأن هناك أجيالا جديدة ملت الأعمال المبتذلة ، ورغبت في كل ما هو جاد وجديد .

*** كتبتَ مسرحية واحدة هي « محاكمة رجل مجهول » ثم توقفت ، فهل القريحة ـ وهي خصبة ـ لم تعد تسعف في هذا المجال من مجالات الابداع الفني ، أم أنك لم تجد في المسرح الأداة الملائمة للتوصيل ؟**

ـ هذه المسرحية التي كتبتها في عام ١٩٧٠ ونشرت في العام التالي هي مسرحية شعرية ، كان التحدي الأساسي فيها هو بلورة لغة شعرية صالحة للمسرح في الوقت نفسه ، وبعبارة أخرى كتابة مسرحية شعرية تحقق الهدف الدرامي بالدرجة الأولى ، ولا تعول على رنين الايقاع الشعري في التأثير على جمهور المشاهدين ، حيث يصبح عندئذ مجرد أداة لتعميق المعنى أو الشعور الذي تعبر عنه الشخصية المسرحية ، وقد شرعت بعدها بثلاثة أعوام في كتابة مسرحية أخرى تستلهم ملحمة جلجامش البابلية ، دون أن تتقيد بأحداث هذه الملحمة ، أو أن تجعلها هدفها الرئيسي . أعتقد أن الفكرة الأساسية فيها كانت تعالج شخصية الحاكم الدكتاتور ، الذي يخيل اليه أنه لابد أن يعيش الى الابد ، وما ينشأ عن ذلك من جرائم ترتكب في حق الشعب . وقد كتبت فصلين منها شعرا أيضا ، ثم تركتها بعض الوقت لظروف لأستطيع تحديدها الآن ، ولكنني حينما فكرت في العودة اليها لانجاز الفصل الثالث والأخير لم أعثر عليها ، والحقيقة أن عملي في مجال الدراسات الأدبية والتدريس في الجامعة ومسئوليات هذا العمل المتشعبة ، ثم عملي في هيئة الكتاب الذي يستهلك يومي كله ، كل ذلك كان يحول دون التفرغ لانجاز عمل أدبي كبير كهذا ، بل انني كنت نادرا ما أختلس الوقت لكي أكتب قصيدة جديدة ، مجرد قصيدة ، ومازلت أعتقد أن العمل الأدبي المسرحي له أولويته على كل فنون الأدب الأخرى ، اذا كان الكاتب يريد لكلمته أن تكون ذات فاعلية مباشرة وتأثير ملموس .

الفصحى والعامية

*** كتبت المسرحية باللغة العربية الفصحى ، أي أنها نَحّت اللهجة العامية جانبا ، ألم تشغلك قضية لغة الكتابة للمسرح ، والمسرحية مازلت مشروعا ؟**

ـ لم تكتب هذه المسرحية باللغة العربية الفصحى فحسب ، بل كانت شعرا كذلك ، وكان الهدف من ذلك ـ فضلا عن توظيف الشعر في المسرح وتطويعه لمقتضياته الدرامية ـ هو اعطاء المسرح احترامه الواجب ، والارتفاع به وبجمهور رواده الى مستوى التذوق الراقي ، والاحساس بكفاءة اللغة الفصحى ، وخلق تيار من الكتابة للمسرح بهذا

المستوى . والحق أن الشعر الذى كان ينشر فى شكل قصائد فى نهاية الستينيات كان قد تطور بالقصيدة ، وخرج بها من مستوى الغنائية التقليدية الى الرؤ ية الدرامية ، ولم يكن هناك الا خطوات قليلة يخطوها الشاعر لكى يخرج من دائرة القصيدة المفردة الى البناء الدرامى المركب فى شكل مسرحية . كان هذا انقاذا من جانب آخر للشعراء ، من الوقوع فى تكرار أنفسهم فيما يكتبون من قصائد مفردة ، وذلك بدخولهم الى عالم هذا البناء المركب ، الذى يجمع بين الرؤ ية الدرامية واللغة الشعرية الملائمة ، حتى ذلك الوقت لم يكن هناك مسرح شعرى يحمل نبض الحداثة ، الا ما كتبه عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور . وقد شهدت السبعينيات تطورا ملحوظا لا فى مصر فحسب ، بل فى بعض الاقطار العربية فى مجال الكتابة للمسرح ، حيث دخل عدد لا بأس به من الشعراء فى هذا المجال وكتبوا أعمالا درامية بالشعر ، وأعتقد أن هذا الاتجاه مازال يغازل بعض الشعراء ويستحثهم على الدخول فيه . بل ان بعض من كتبوا للمسرح باللغة الفصحى نثرا ـ واستطيع أن أقول أيضا حتى باللغة العامية ـ كانوا فى كثير من الأحيان يرتفعون فى مستوى الأداء اللغوى الى المستوى الشعرى ، احساسا منهم بأن الشعر بهذا المعنى الواسع يضيف الى العمل عمقا فى رسم الشخصية ، وما يتحرك بداخلها من مشاعر وأفكار .

● ألا تسهم الكتابة للمسرح وكتابة الشعر ايضا بلهجات محلية في تأصيل الازدواجية في الشخصية العربية ؟

ـ من الواضح ان البدايات الأولى للمسرح العربي كانت تلتزم بالعربية الفصحى ، فأبو خليل القباني شاهد ملموس على ذلك . ولكن الاتجاه الى اللغة العامية قد عرف طريقه الى المسرح ايضا منذ اوائل السبعينيات من القرن الماضي ، على يدي يعقوب صنوع ، سواء فيما الف أوفيما عرّب ، ومذ ذلك الحين عرف المسرح اللغتين ، وظل كذلك يؤكد صلاحيتهما للأداء المسرحي . والواقع ان من يكتبون للمسرح ويعتزون في الوقت نفسه بالقيمة الادبية لما يكتبون ، انما يلجأون دائما الى اللغة الفصحى ، ويكفي شاهدا على ذلك ان شيخ كتاب المسرح توفيق الحكيم منذ ان كتب مسرحية اهل الكهف حتى آخر مسرحية له ، ظل ملتزما باللغة العربية الفصحى ، سواء في المسرحيات الطويلة او في المسرحيات ذات الفصل الواحد ، وسواء في المسرحيات ذات الطابع الذهني او التي تتصل بالمشكلات اليومية للمجتمع . ومعنى هذا انه استطاع من خلال الفصحى المطوعة للأداء المسرحي ان يعالج موضوعات من مستويات مختلفة ، وان يجعل من هذه المسرحيات اعمالا ادبية منشورة ، يمكن قراءتها في اي زمان . اما المسرحيات التي تكتب بالعامية وخصوصا عندما تكون مغرقة في الطابع المحلي الذي يشخص اللهجات الخاصة ، فانها تقتصر على الاداء المسرحي وعلى جمهور المشاهدين من ابناء هذه اللهجة ، ولا تنهض بحيث تعد في ذاتها اعمالا ادبية قابلة للقراءة ، حتى المسرحيات التي طبعت ونشرت من هذا النوع كثيرا ما تصعب قراءتها ، لأن طريقة كتابتها ليست اصطلاحية مطردة ، كما هو الشأن في اللغة الفصحى ، وعلى ذلك نستطيع القول ان المسرحيات محدودة بحدود الزمان والمكان اللذين تؤدى فيهما ، ولا نستطيع ان ننكر انها في هذه الحدود قد تكون ذات تأثير ملحوظ . لكننا عندما نتحدث عن الأدب المسرحي العربي الذي يستطيع ان يخاطب الجماهير العربية في كل مكان ، وان يظل رصيدا ادبيا لكل الاجيال ، فانما تتجه اذهاننا مباشرة الى الكتابة المسرحية التي التزمت العربية الفصحى .

النقد والطبع

● يقال ان الناقد يبدي خير ما عنده ان كان مبدعا في مجال الفن الذي ينقده . فقد كان كولريدج من كبار نقاد الشعر في الادب الانجليزي ، وكان شاعرا . وكان لسنج وغوته وشيلر وبيرتولت بريخت في الادب الالماني نقادا ومنظرين كبارا ، وكانوا ـ فضلا عن ذلك كتابا مسرحيين ، وكان اي . ام فورستر ناقدا وكاتبا روائيا . فهل ممارسة العمل الابداعي شرط لازم للناقد ؟ وماذا يقال عن افلاطون وارسطو وقد كانا ناقدين للشعر ، ولم يكونا شاعرين ؟

ـ لا نستطيع ان نقول ان ممارسة العمل الابداعي شرط لازم للناقد ، فليس من الضروري ان يكون شاعرا كبيرا حتى يكون ناقدا كبيرا . ولكن من الضروري ان يكون اتصاله بالنوع الادبي الذي ينقده اتصالا حميما ، وان تكون معرفته بطرائق هذا الفن معرفة كافية . وربما قيل احيانا ان الناقد مبدع اخفق في الابداع ، ولكن هذا ليس صحيحا ، فالابداع نشاط من نوع يختلف كل الاختلاف عن النشاط النقدي ، ويكفي ان نتنبه الى ان انتاج الكاتب المبدع هو موضوع الناقد . على اننا حين نذكر افلاطون وارسطو ونتذكر انهما كانا ناقدين للشعر ولم يكونا شاعرين ، فان هذا القول ينبغي ان نتريث فيه قليلا ، فمن المعروف ان المعلم الأول قال الشعر في بداية حياته الفكرية ، ولكنه فيما يبدو لم يكن شعرا لامعا . اما افلاطون فمن ذا الذي لا يشعر انه شاعر من قمة رأسه الى اخمص قدميه حين يقرأ محاوراته ؟ وعندما نتأمل فيما خلفه لنا كبار الادباء المبدعين من نقد فاننا نلاحظ ان احدى الكفتين عندهم ترجح الاخرى عادة ، فشاعر مثل ت . اس . اليوت مثلا له كتاباته النقدية ، لكنه لم يحرز مجده الادبي بكتاباته النقدية بقدر ما احرزه بشعره ، واي ام فورستر يكتب عن فن الرواية ، ولكن قيمته الادبية انما ترتكز اساسا على ما ابدعه من اعمال روائية ، وقس على ذلك الشعراء من الالمان والفرنسيين والانجليز ، بل الشعراء النقاد العرب كذلك . فابن المعتز مثلا شاعر اولا وناقد ثانيا ، والقاضي الجرجاني ناقد اولا وشاعر ثانيا ، وهكذا . ومع ذلك فليس هناك ما يمنع من ان يكون الناقد الكبير شاعرا كبيرا كذلك ، دون ان نرتب نجاحه في احد الجانبين على اتقانه للجانب الآخر . فهذا كما قلت ضرب من النشاط وذاك ضرب اخر .

النقد والابداع

*** النقد عمل ابداعي . فهو لا يكتفي بالتفسير الذي يستمد القدرة من سعة الاطلاع والثقافة ، وهما مكتسبتان ، ولكنه يعمد الى التحليل والتأويل ، فقد يذهب الناقد في تحليله وتأويله للعمل الأدبي مذاهب لم تكن تخطر لمبدع النص على بال ، فهل للموهبة والقدرة الذاتية دخل في هذا ، كأن يقال مثلا ان فلانا ناقد مطبوع ، مثلما يقال عن آخر انه شاعر مطبوع ؟ .**

ـ اذا صح ان يقال ان فلانا شاعر مطبوع ، فأعتقد انه من الصعب ان يقال ان فلانا ناقد مطبوع . وقولنا ان النقد عمل ابداعي وهو قول يمثل على كل حال وجهة نظر تقبل الجدل ، لايعني بالضرورة ان النقد يصدر عن الطبع تلقائيا ، ولا مناص في العمل النقدي من الخبرة الواسعة بموضوع النقد ، واكتساب هذه الخبرة من خلال الممارسة الطويلة ، حتى عندما تبدو الكتابة النقدية اعادة لابداع العمل المنقود ، وتحقق شرط الابداع في هذه الحالة فان النتيجة عندئذ تصبح عملا ابداعيا جديدا ، لا عملا نقديا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . ولاشك ان بعض المماسات النقدية تتجه هذا الاتجاه ، فيصبح النقد عندئذ مجرد قراءة شخصية صرفة للعمل المنقود ، وتتطلب من القاريء الاهتمام بعيدا عن العمل الأصلي نفسه .

وقد يبدو التأويل في ظاهر الامر عملا يقوم على الاجتهاد الشخصي ، وعندئذ يصبح ذاتيا ، ولكن التأويل بمعناه الدقيق في السياق النقدي يعني شرح معطيات التحليل في الاطر الزمانية والمكانية التي ظهر فيها العمل الادبي . اي ان التأويل مرتبط بمجموعة الأطر المرجعية التي تلقي الضوء على دلالات العناصر المختلفة التي اشتمل عليها العمل الادبي والتي كشف عنها التحليل . وليس من المهم ان يكون صاحب العمل الادبي نفسه واحدا من هذه الاطر المرجعية ، لان اقراره بما ينتهي اليه التأويل او انكاره لذلك لا يمكن ان يعول عليه ، لسبب بسيط للغاية ، هو انه في اللحظة التي شرع فيها في انتاج عمله الادبي لم يكن على وعي كامل ودقيق بالابعاد اللغوية التي كان لها تأثير غير مباشر في تشكيل عمله الادبي .

ومن جهة اخرى فكثيرا ما يكون العمل الادبي نفسه مجرد قناع يتوارى خلفه الاديب ، ظانا بهذا انه استطاع ان يقدم الوجه البديل للحقيقة الأولى المحركة ، تلك الحقيقة التي تعمل عملها في الخفاء ، والتي تؤكد في نهاية الامر ان الاديب نفسه لم يكن بمعزل عن تلك الاطر المحيطة به . □



هدية العام الجديد

أراد أن يستقبل العام الجديد بعمل طيب يبقى حيا في ذاكرته هوعلى الاقل طوال أشهر السنة ، كان يريد أن يسعد قلبا ، أو يسهم في ازالة همّ عن أسرة فقيرة يعوزها المال . . ولكن مشكلته كانت تكمن في كثرة عدد الفقراء بمدينة رانجون في بورما ، وفي الاعداد الكبيرة التي تضع أجسامها في الأسمال البالية ، وتندس بين الفقراء وهي لاتمت اليهم بصلة لأنهم يجدون أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للهرب من القانون ، وأخيرا لأنه هو نفسه رجل متوسط الحال ، ولايستطيع أن يقدم الكثير ، ويكفيه أن يسعد انسانا واحدا ، ولكن كيف يجده وسط الزحام الكبير من أصحاب الأيدي الممدودة .

وفي مساء أحد الأيام خرج كعادته كل يوم يبحث عن الفقير الذي سيقدم له هديته الصغيرة بمناسبة مولد العام الجديد . . وامتد به الوقت ، وطال بحثه عن ضالته ولكن على غير جدوى . .

وأخيرا قرر أن يعود ، على أن يستأنف رحلته مع مجيء اليوم الجديد . . ولكنه وجد نفسه يتوقف فجأة عندما لمح شبح رجل يرتدي ملابس نظيفة . . رجل جاوز رحلة منتصف العمر ، ووقف يرقبه وهو لايدري لماذا اختاره هو دون سائر الناس الذين كانوا يمشون في الشارع بعد أن غابت الشمس . . ووجد الرجل يخرج من جيبه منديلا أبيض كبيرا ويلقي به على الأرض . . ثم رآه يتلفت يمينا ويسارا قبل أن ينحنى ويلتقط المنديل مرة أخرى ، ولكنه كان يبدو أضخم وأثقل من حجمه ، وكأن المنديل يحمل شيئا في داخله .



ومشى الرجل في طريقه دون أن ينظر وراءه . . وقرر الرجل الآخر الذي يبحث عن الراحة في العطاء . . أن يتبعه ـ وفعل . . حتى اذا ما رآه يدخل بيته الصغير المتهالك في هذا الحي الفقير الذي يعيش فيه أسرع يطرق الباب .

وفتحه الرجل صاحب المنديل . . وما كاد يراه حتى أجفل وأحس بالفزع . . وقال في صوت خفيض ذليل : « هل من خدمة أؤديها لك . . هل تبحث عن أحد هنا في حينا ؟ »

قال : « أبحث عنك ، وعن المنديل الذي كنت تحمله »

أنا لم أسرق أحدا ياسيدي ، انها دجاجة ميتة سوف آتيك بها لتراها . . ان زوجتي تحتاج لغذاء خاص لاأملك ثمن شرائه ، لأنها ترضع الصغير الذي رزقنا به منذ اسبوع . . ووجدت الدجاجة فجئت بها الى البيت !! »

وأسرع الرجل يخرج كل ما في جيبه ويقدمه له ويقول وهو يودعه ويتمنى له عاما سعيداً « أنت رجل فقير يا سيدي ، ولكنك غني بخلقك وكرامتك » .

بيرو وقصته مع القلم !

كان يمضي عطلة قصيرة في يوغسلافيا ، عندماالتقى صدفة بقائد كبير من الأرجنتين ، هو الجنرال أوجستين جوستو . وكان الشاب يجلس الى مكتب صغير يكتب رسالة الى أمه .. ولاحظ الجنرال أن القلم الذي يستخدمه صاحبه في الكتابة ، قلم غريب لم ير مثله من قبل .. وسأله : ما هذا ؟ !

وقال الشاب المجري : « انه قلم جديد من ابتكاري ! » ودعاه الجنرال الى زيارة الأرجنتين ، وكان ذلك في عام ١٩٤٠ ، وقبل الشاب الدعوة .. ولم يعد الى بلاده منذ ذلك التاريخ .. فقد أعجبته الحياة هناك ، بعد أن لمع اسمه وأصبح من أصحاب الملايين !

انه جوزيه بيرو الذي ابتكر قلم الحبر الجاف ، وباع براءة الاختراع الى أحد فروع شركة باركر في الأرجنتين على أثر وصوله اليها منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما .. وفي بونيس أيرس عمل بيرو مع الشركة التي اشترت اختراعه الجديد ، لتطوير قلم الحبر الجاف وبيعه في الأسواق على نطاق واسع .

ولم يكن قلم الحبر الجاف هو الاختراع الوحيد الذي قدمه بيرو الذي ما زال قلمه يحمل اسمه ، فقد قدم أكثر من ثلاثين اختراعا ، من بينها أسقف المنازل العازلة للحرارة والبرودة ، وقد اشترت براءة هذا الاختراع احدى الشركات النمساوية .



ومات بيرو في أواخر العام الماضي عن ٦٨ عاما ، بعد مرض قصير لم يمهله طويلا .. وكان حتى آخر يوم في حياته يعمل في جراج سيارته الملحق بالبيت الصغير ، الذي يعيش فيه بمدينة بلجرانو بالأرجنتين ، في عمل كلفته به اللجنة القومية للطاقة الذرية .

وعندما كتبت صحف الأرجنتين تنعى بيرو ، قالت : « انه لم يكن مخترعا فحسب ، بل كان كاتباً يتمتع بأسلوب رقيق ، وكان رساما ، ولا تزال بعض لوحاته تحمل مكان الصدارة في متحف بودابست للفنون الجميلة .. فهي المدينة التي نبت فيها ، وكرمته بأن اختارته عضوا فخريا في الأكاديمية الملكية للعلوم عام ١٩٣٨ .. فقد ولد بيرو مخترعا !!

عندما أصيب الأب بلوثة !

كان يوما لا ينسى في حياة ضابط الجيش اليوناني المتقاعد الكابتن جورج كاراجيورجاس ، عندما تخرج ابنه ديمتريس في الأكاديمية العسكرية في أثينا عاصمة اليونان ، بامتياز مع مرتبة الشرف .

وتوقع الأب أن يحذو الابن حذوه ، وأن يسير على نفس الخطا التي سار عليهاوالده من قبله ، فيلتحق بسلاح المشاة الذي حارب هو في صفوفه ضد الشيوعيين ، ابان الحرب الأهلية في اليونان بين عامي ١٩٤٤ ، ١٩٤٩ .

ولكن الأب مالبث أن صدم عندما وقف ابنه يعلن عن عزمه على حضور الصلاة التي ستقام على أرواح هؤلاء الذين سقطوا في الحرب الأهلية ، ومن بينهم الشيوعيون .

وجلس الأب يناقش ابنه فيما اعتزم القيام به ، ولكن يبدو أن كل مناقشاته لم تفلح في اقناع الضابط

الشاب بالعدول عن رأيه ، بل على العكس فقد زادته تصميما على المضى فى قراره ، ووقف يقول لأبيه فى تحدٍّ : « لقد مضى على الحرب الأهلية فى اليونان أكثر من ٣٦ عاما ، ولابد لنا أن ننسى خلافاتنا ، ونقف صفاً واحدا فى مواجهة الأخطار المحدقة ببلادنا !

ولكن الأب رفض أن يفهم . . لقد وجد أن هذا التصّرف الذى سَيُقدِمُ عليه الابن سوف يجلب العار على الكتيبة التى سيلتحق بها ، وعلى الأسرة التى ينتمى اليها ، وعلى اليونان كلها . . وقرر أن يفعل شيئا ! لقد حمل المسدس الذى لم يستخدمه منذ تقاعده ، وأطلق رصاصة واحدة على الابن « العاقّ » ، أردته قتيلا !

وقدم الأب للمحاكمة . . ولا تزال أثينا كلها تنتظر صدور الحكم . . ويقول المستشارون العسكريون أن الأب المجنون سوف يواجه عقوبة الاعدام رميا بالرصاص ، بعد ادانته أمام المحكمة العسكرية .

التوأمان

كانت حياة أوستن رافي وشقيقه جون سلسلة من المصادفات العجيبة ، فهما توأمان أشبه ما يكونان بحبتين من البازلاء وضعتا في طبق صغير ، لايمكن أن تميز بينهما اذا وجدا في مكان واحد .

ولد التوأمان منذ سبعين عاما ، وأصيب أوستن بالحصبة ، وبعد ساعات كان جون يرقد في فراشه مصابا بنفس المرض ، وعندما نقلوا جون الى المستشفى لاستئصال اللوزتين ، كان أوستن يرقد في الغرفة المجاورة له عندما اكتشف الطبيب أن لوزتيه تفرزان صديدا ، رغم أنه لم يَشْكُ منهما مرة واحدة في حياته .

كانا يذهبا الى نفس المدرسة ، ويجلسان في فصل واحد ، وعندما تخرجا فى الجامعة وقف الشقيقان يحتفلان بزواجهما في نفس اليوم . حتى عندما قال لهما الطبيب أنهما في حاجة الى نظارة طبية ، اكتفيا بصنع نظارة واحدة كان يستخدمها الشقيقان في القراءة .

ومنذ بضعة أسابيع نقل أوستن الى المستشفى لاجراء عملية جراحية لاستئصال احدى رئتيه . . ونجحت الجراحة ، وكان شقيقه جون يزوره كل يوم ويمضي معه عدة ساعات ، لايلبث أن يعود بعدها الى بيته بمدينة ليفربول التي يعيش فيها شقيقه أيضا في نفس الحي ، وفي نفس الشارع مع زوجتيهما بعد أن كبر ولداهما وتزوجا ، وانجب كل منهما ولدا ، بنتا .

ولكن لم تكد تنقضي بضعة أيام على وجود أوستن في المستشفى حتى فوجىء بالممرضات يفسحن مكانا



لوضع فراش آخر في غرفته : « ماذا حدث ؟ » مريض جديد سوف يشاركه غرفته .

وكانت المفاجأة عندما اكتشف أوستن أن المريض هو شقيقه جون الذي حملوه الى الغرفة التي يرقد فيها ، بعد إجراء عملية جراحية استأصلوا فيها احدى رئتيه !!

قال الطبيب يروي القصة : « لقد أصيب جون بدوار وسقط في سيارة الأوتوبيس ، ثم حملوه الى المستشفى ، وقررنا اجراء جراحة عاجلة له في الرئة » وعندما جاءت زوجة جون لتطمئن عليه ، وفتحت باب حجرتهما بعد أن اذن الأطباء لها بالدخول ، وقفت حائرة عندما وجدت الاثنين يجلسان في فراشهما ، ويتطلعان اليها والابتسامة تعلو وجهيهما الشاحبين . . ترى أيهما زوجها

وفجأة سمعت أحدهما يسأل : « أين زوجتي ؟ . . لماذا لم تأت معك ؟ » وأسرعت الى الثاني لتطبع على جبينه قبلة رقيقة .



اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم

شيخ الكيميائيين بالقيروان

بقلم : الدكتور/ ممدوح حسين

رجل أفنى العمر فى العلم والصناعة . أما العلم فهو الكيمياء ، واماالصناعة فهى مساحيق التجميل للسيدات ! أين كان ذلك ، ومتى ؟ وهل كان يظن احد أن لمساحيق النساء صناعة رائجة فى القرن الثالث الهجرى ؟ من كان فى شك من ذلك فليتابع سيرة « الطّلاء المنجم » !

التاريخ ، هذا السجل الضخم لتراث الامم والشعوب ولمختلف جوانب حياتها ، تسطع فى صفحاته أسماء ، وتتوه فى ثناياه أخرى فيطويها النسيان ، وهو وان كان قد انصف البعض ، فانه حجب هذاالانصاف عن البعض الآخر ، وأضفى على آخرين ثوبا من تكريم مبالغ فيه لا يستحقونه ، ومن بين الذين لم ينصفهم التاريخ فى تراثنا العربى والاسلامى ، عالم كانت حياته أشبه بومضة سريعة ومضت فى سماء العلم والمعرفة فى غرب العالم الاسلامى فى أواخر القرن الثالث وصدر القرن الرابع للهجرة . تعددت مواهبه ، وبرع فى أكثر من علم واتقن اكثر من فن ، ومع ذلك أغفله كثير من المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات حتى أصبح التعرف عليه والتعريف به ليس بالامر اليسير ،

وبالرغم من هذه الصعوبة التي نواجهها في التعرف على جميع ابعاد هذه الشخصية الفذة ، فان ذلك لا يمنعنا من محاولة تسليط بعض الضوء عليها ، ويحدونا الامل أن تكون هذه المحاولة نواة أو بداية لدراسة متخصصة توفي هذا العالم حقه ، وتضعه في مكانته اللائقة به بين نظرائه .

وعالمنا هذا هو اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم ، ولكلا لقبي الطلاء والمنجم اللذين عرف بهما صلة مباشرة ببعض العلوم التي برع فيها ، وكل ما نعرفه عن بداية حياته أنه ولد في القيروان في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، ومن المعتقد انه كان ينتسب الى أسرة متواضعة ، ولكن ضيق الحال به وبأسرته لم يقف حائلا دون اكتسابه حصيلة علمية ممتازة ومتعددة الجوانب .

القيروان والماضي المشرق

بدأ اسماعيل بن يوسف حياته العلمية في بلده القيروان التي كانت وقتئذ أحد المراكز الحضارية الهامة في بلاد الاسلام ، بل كانت منارة العلم والمعرفة في غرب العالم الاسلامي في ظل امراء بني الاغلب الذين حبوها من العناية والاهتمام والرعاية القدر الكبير ، فتعددت المدارس والمعاهد العلمية فيها وقصدها العلماء من شتى انحاء بلاد الاسلام لما كان يبذله لهم هؤلاء الامراء من عطاء سخي وما يحيطونهم به من مظاهر التكريم تقديرا لعلومهم ومواهبهم ، وقصدها طلاب العلم من مختلف انحاء غرب العالم الاسلامي فضلا عن شرقه للنهل من مناهلها العلمية العذبة العديدة والاخذ عن علمائها ، وفي هذه البيئة الحضارية الزاهرة نشأ اسماعيل بن يوسف ، فأخذ عن العديد من علماء بلده مبادىء العلوم الدينية وعلوم اللغة وما اتصل بهما من العلوم النقلية حتى اذا ادرك انه قد نال بغيته سمت به همته للرحلة الى المشرق في طلب المزيد من العلم شأنه في ذلك شأن النابهين من طلاب العلم المغاربة .

لم يكن اسماعيل بنُ يوسف حينما بدأ رحلته قد تجاوز مرحلة شبابه المبكر ، فقصد مصر أولاً واقام بها متنقلا بين معاهدها العلمية ومجالس شيوخها ، وبصفة خاصة جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، ثم انتقل الى الحجاز فأدى فريضة الحج ، وحضر الكثير من حلقات الدرس التي كانت تعقد في الحرمين الشريفين ويحضرها نخبة من العلماء ما بين معلم ومتعلم ، ولما كانت سيرته في كتب التراجم والطبقات قد جاءت مقتضبة ، فمن غير اليسير علينا أن نتعرف على أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم او اتصل بهم في كلا القطرين .

ورحل اسماعيل بن يوسف الى العراق ، وتنقل بين مراكزه العلمية الى أن استقر به المقام في بغداد حاضرة الدنيا حينذاك . فتبحر في العلوم اللغوية بصفة خاصة حتى أتقنها ، يدل على ذلك قول الزبيدي عند التعريف به (كان من ذوي العلم التام بالعربية) وقول جلال الدين السيوطي عنه (كان مقدما في علم العربية) ، وابن الابار الذي يصفه بأنه كان من ذوي العلم بالعربية (مع تميز بالادب ، وتصرف في قرض الشعر) . ثم استهوته العلوم العقلية فدرس العديد من فروعها ، وبرع على وجه الخصوص في علم الفلك والتنجيم ، يؤكد ذلك تحلية كل من الزبيدي وابن الابار له بقولهما : (كان غاية في علم النجامة) والسيوطي نقلا عن الشيخ مجد الدين في « البلغة » : كان (غاية في علم النجامة) ومن هذا العلم اكتسب لقبه الاول (المنجم)

وطالت اقامته في العراق في طلب العلم ، الامر الذي أدى الى نفاذ ما تبقى لديه من نفقته القليلة أصلا ، وتعذر عليه تجديدها لرقة حال أسرته كما تقدم ، الا ان ذلك لم يضعف همته عن مواصلة طلب العلم والعودة الى بلده ، فلم يجد غضاضة في العمل بيده لكسب قوته واستكمال دراسته ، وبشاء الله سبحانه وتعالى أن ييسر له العمل في حانوت تخصص في صناعة العقاقير ، وبصفة خاصة مستحضرات التجميل التي كانت تعرف بالطلاء كما يقول الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، اى ما يختص بوسائل تجميل وجوه النساء وتطريتها بالادهان والعقاقير المناسبة ، وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر (بالمكياج) .

الطلاء المنجم

أقبل اسماعيل بن يوسف على عمله الجديد بنشاط العامل المخلص ، وهمة وصبر طالب العلم المثابر ، ودقة واستقصاء العالم الباحث . كان يبحث ويستقصى جميع ما يتعلق بكل مستحضر ليعرف اسرار تركيبه ومنافعه ، وما قد ينجم عن استعماله من مضار وأساليب معالجتها ، ولم يكن نشاطه واخلاصه ليخفيا على صاحب العمل بطبيعة الحال فأعجب به . ولم يلبث أن منحه ثقته وأطلعه على أسرار هذه الصناعة حتى حذقها وعرف غامضها ، ومن هذه الصناعة اكتسب لقبه الثانى (الطلاء) أى صانع الطلاء الذى أضيف الى لقبه الاول،واشتهر بهما حتى وردا مقرونين باسمه فى كتب التراجم والطبقات .

وغير خاف على أحد ما يتطلبه اتقان هذه الصناعة الدقيقة من مؤهلات ، فمن غير اليسير على الكيميائى العادى أن يقتحم ميدانها لما تتطلبه من حذق ومعرفة تامتين بعلم الكيمياء فضلاً عن الالمام بالطب والصيدلة ومن هذه المستحضرات ما كان مفردا ومنها ما كان مركبا من مراهم ولبخات وأدهان للتطرية او لعلاج بعض الأمراض الجلدية ، ومنها ما كان للتزين ، وهو ذو الوان وانواع واستعمالات مختلفة وقد روعى فيها جميعا أن تكون طيبة الرائحة حتى لا تعافها النفس او تنفر منها ، يضاف الى ذلك مختلف أنواع العطور . وكل هذه الأنواع لا سيما المركبة منها كان يتطلب مهارة تامة وخبرة واسعة فى معرفةكل مادة من المواد التى يتكون منها المستحضر فضلا عن خصائها حتى تؤدى الغرض المطلوب . ذلك أن اى خطأ فى المقادير قد يؤدى الى نتائج عكسية كالتهاب فى البشرة او ظهور بثور او طفح عليها نتيجة لتفاعل هذه المواد كيميائيا مع البشرة ، فضلا عن ان التركيب الكيميائى لطبقة الجلد الخارجية قد يختلف من شخص لاخر ، وليس ذلك فحسب ، بل انه قد يختلف فى نفس الشخص من مرحلة الى اخرى من مراحل حياته كما يقول خبراء التجميل .

مثابرة على الدرس

ولم يقف عمل اسماعيل بن يوسف فى هذه الصناعة الدقيقة حائلا دون مواصلة دراساته الاخرى ، اذ تنقل فى دراسته من علم الى آخر من فروع العلم والمعرفة التى كان يشتغل بها العلماء فى بغداد وقتئذ ، حتى اذا نال منها غايته . غادر العراق الى بلاد الشام ، ثم الى مصر ثانية حيث طاف فى أرجائها فى طلب المزيد مما كانت تميل اليه نفسه من العلوم اللسانية والادب والفلسفة والفنون الرياضية ، الى جانب الفلك والتنجيم وصناعة الطلاء ، حتى اذا مهر فى كل ذلك عاد الى بلده القيروان .

كان عاهل الدولة الأغلبية حينذاك هو الامير ابراهيم الثانى المعروف بالأصغر (سنة ٢٦١ هـ ـ سنة ٢٨٩ هـ) الذى يعتبر بحق من أهم اساطين النهضة الحضارية الزاهرة التى شهدتها افريقية فى ظل تلك الدولة ، ومن أشد امرائها حبا للعلم وتكريما للعلماء ورعاية لهم ، فضم بلاطه نخبة منهم حتى أصبح صورة مصغرة عن دار الخلافة فى بغداد ، وتوج جهوده فى رعاية الحركة العلمية فى دولته بانشاء (بيت الحكمة) فى « رقاده » بالقرب من القيروان ، وقد كان جامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، تدرس فيها مختلف العلوم ، ويقوم على تدريسها اساتذة متخصصون فأشبه بذلك سميّه فى بغداد . فكانت هذه الجامعة بعثا جديدا وعاملا قويا لنشر الثقافة العربية الاسلامية فى انحاء المغرب الاسلامى بما كان يضمه من اقطار جنوب غرب أوربا .

لم تكن انباء عودة الطلاء المنجّم الى القيروان لتخفى عن هذا الامير العالم ، فسرعان ما عرف بقدومه فاستدعاه الى بلاطه فى « رقادة » وطارحه فى العديد من المسائل العلمية ، مختبرا قدراته ومدى سعة علمه ، فأعجب به ايما اعجاب لما رأى فيه من النجابة والبراعة فى كل فن ، وقربه من نفسه ، وماهى الا فترة وجيزة حتى أصبح الطلاء من أقرب خواصه ، فقد جمع حب العلم بينهما لاسيما شغفهما بعلم الفلك وفن التنجيم ، فربط ذلك بينهما رباطا وثيقا لم ينفصم .

وبالرغم من هذا التقدير والمودة التى أحاط بها

الامير الأغلبي عالمنا (الطلاء المنجم) والمكانة السامية التي حظى بها لديه ، الا أن من المرجح انه لم يستأثر به عن طلاب العلم ، لايمانه بأن العلم ملك للجميع ، وأن حصر نشاط العالم في البلاط اشبه ما يكون بالحجر عليه ، فهو بحاجة للطلاب بقدر حاجتهم اليه ، ففيهم يرى نفسه ويتعرف على أبعاد شخصيته ، وبتفاعله معهم ـ تأثيرا فيهم وتأثرا به ـ يكون اقدر على العطاء ، واحتجابه عنهم هو اشبه بحجب الضوء عن النبتة التي بدونه لا تلبث أن تذوى وتذبل ، لذلك فمن المعتقد أن الأمير ابراهيم الأصغر ألحقه مدرسا (ببيت الحكمة) التي ضمت حينذاك نخبة من خيرة علماء ذلك العصر مثل ابن الصايغ وابي اليسر الشيباني اللغويين المعروفين ، واسحق بن عمران واسحق بن سليمان الاسرائيلي وزياد بن خلفون ، وهم الاطباء الذائعو الصيت ، وابن ظفر الطبيب الاديب الحكيم ، وابي سعيد عثمان بن سعيد المعروف بالصيقل وابن القيار الكيميائي الذى تخصص في صناعة النار الاغريقية ، وغيرهم .

تدريس العلوم

ومن الراجح أن الطلاء المنجم الى جانب تدريسه الرياضيات والفلك عكف على تدريس الكيمياء ، وان صح هذا الترجيح فانه يكون بذلك من اوائل من قاموا بتدريسها ليس في افريقية فحسب ، وانما في غرب العالم الاسلامي بأسره ، وما جعلنا نكتفي بالترجيح فقط هو عدم وجود نص صريح ـ في المصادر القليلة التي تعرضت له ـ يؤكد ذلك أو ينفيه فضلا عن ان تلك المصادر قد اغفلت مؤلفاته ان كانت له مؤلفات ، واما السبب في ترجيحنا هذا فهو معرفته الواسعة بهذا العلم الامر الذى يجعلنا نشك كثيرا في انه لم يمارس تدريسه في بيئة علمية تتلهف على كل ما هو جديد من علوم . وأيا كان الامر ، فقد اخذ الطلاء المنجم يؤثر في مسيرة الحركة العلمية في افريقية تأثيرا مباشرا اذ قصده طلاب العلم للاخذ عنه فضلا عن مناظراته ومناقشاته مع نظرائه من العلماء سواء في البلاط الاميرى او في بيت الحكمة .

وتمر الأيام بالطلاء المنجم وهو يقضى معظم أوقاته متنقلا بين القيروان وبلاط رقادة وجامعتها لمدة لانعلمها على وجه التحديد قبل أن يقرر الارتحال الى المشرق من جديد ، ولكن هذه المرة بصحبة الامير ابراهيم الاصغر . ذلك أن هذا الامير عزم في سنة ٢٨٨ هـ/٩٠١ م على السفر لاداء فريضة الحج بعد أن مهد الامور في دولته ، فرد المظالم وأمن البلاد وشرد أهل البغى والفساد ، وتبرع بكل ممتلكاته للفقراء ، واظهر الزهد والنسك على حد قول ابن الاثير . فكان أن اختار الطلاء المنجم لمرافقته في هذه الرحلة الطويلة ، ربما لان نفسه كانت تألفه وتأتنس به ، وربما لخبرته الواسعة في شئون الشرق وأقطاره بحكم تجوله في أنحائه اثناء رحلته السابقة ، أو لكلا الامرين معا . وعلم الطلاء المنجم بهذا الاختيار فرحب به بالرغم من مشقة السفر ومخاطره ، ذلك أنه رأى فيه فرصة ذهبية ينبغى عليه اغتنامها لتجديد الصلة بمن بقى على قيد الحياة من شيوخه وأقرانه من ناحية ، والاطلاع على مااستجد في ميدان العلم والمعرفة في المراكز العلمية المشرقية من ناحيةثانية ، فضلا عن اداء فريضة الحج للمرة الثانية .

ومع أن الامير ابراهيم الاصغر غير خط سيره من مصر الى صقلية ليجمع بين فريضتى الحج والجهاد من ناحية ، وتجنبا للمرور بمصر لما كان بينه وبين حاكمها هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون من فتور من ناحية ثانية ، الا أن ذلك التغيير لم يخفف من حماس الطلاء المنجم ، وبقى على عزمه على مصاحبة اميره في رحلته تلك ، وفي اول سنة ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م غادر الركب الاميرى رقاده قاصدا سوسة ، فدخلها الامير مرتديا فروا مرقعا تشبها بالزهاد ، ولم يكن زى مرافقيه وفي مقدمتهم عالمنا الطلاء المنجم أفضل من زيه ،ومن سوسة أبحر بأسطوله الى صقلية حيث قصد مدينة طبرمين احدى مدنها الهامة التي لم تكن قد فتحت بعد ، ففتحها بعد معركة دامية بينه وبين أهلها ، ثم قصد مسينا (Massina) حيث غزا نواحيها وثبت السيطرة الاسلامية على مجازها ، ثم سار الى كسنسه باقليم قلورية في جنوب ايطاليا حيث وافته منيته اثناء حصارها في ليلة السبت الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٢٨٩ هـ/ ٢٦ اكتوبر سنة ٩٠٢ م .

لم يشغله الجهاد

كان الطلاء المنجم رفيق الامير ابراهيم المقرب فى جميع هذه الحروب التى خاضها فى صقلية وجنوب ايطاليا ، وهو اذا كان قد شارك فى أعمال الجهاد ، فاننا نرجح أن ذلك لم ينسه واجبه كعالم . ونشك فى أن المشتغلين بالعلم فى صقلية لم يغتنموا فرصة وجوده فى بلادهم لقصده والاخذ عنه . فان صح هذا الترجيح ، فان ذلك يجعل للطلاء المنجم دورا رائدا فى الحركة العلمية فى صقلية فى هذا الوقت المبكر من تارخ هذه الحركة .

ويعود الطلاء المنجم الى القيروان مع جثمان أميره ، وقد أثقله الحزن الذى طفحت نفسه به الامر الذى انعكس على حياته فاثر فيها فيها تأثيراً عميقا ، وظهر ذلك بوضوح فى ابتعاده عن البلاط الاميرى فى رقادة تدريجيا ، بالرغم من أن مكانته فى ذلك البلاط بقيت على حالها ، وحفظ له الخليفة ابراهيم الاصغر كل ود واجلال وتكريم ، الا أن نفسه على ما يبدو ابت عليه أن يخدم أحدا بعد صديقه الراحل . حتى اصبح لا يزور البلاط الا فى اوقات متباعدة ، وقنع بالعمل فى مستحضرات التجميل للسيدات ، فكان بذلك هو (أول من ادخل الطلاء البغدادى الى القيروان) كما صرح به الزبيدى ، ولهذا الأمر دلالته الهامة ، اذ انه يعنى أن الطلاء المنجم كان من أول الذين اشتغلوا بالكيمياء الصناعية فى غرب العالم الاسلامى .

الوهم القديم

وانقضى عهد الدولة الاغلبية ليبدأ عهد الدولة الفاطمية ، وأخذ اعوان المهدى الفاطمى فى ملاحقةرجالات العهد السابق ، فانصرف الطلاء المنجم كليا الى عمله مبتعداعن كل ما يربطه بالحياة العامة خوفا على حياته ، الا انه وبالرغم من هذا الاعتزال لم يسلم من الملاحقة ، فسرعان ما وجد نفسه موضع تهمة خطيرةلا تقل عقوبتها عن الموت ، اذ اتهمه صاحب دار الضرب (دار السكة) بعمل الدنانير والدراهم الزائفة ، وهى تهمة قابلة للتصديق لما اشتهر به الطلاء المنجم من تبحر فى علم الكيمياء ، وما ارتبط فى اذهان الناس وقتئذ من وهم عن امكانية تحويل المعادن الرخيصة الى معادن نفيسة بهذا العلم .

وحيال هذه التهمة التى يظهر أن سببها الحقيقى كان صلته السابقة بالاغالبة لم يجد الطلاء المنجم امامه سوى الفرار من افريقية والالتجاء الى الاندلس كما فعل الكثيرمن نظرائه ، حيث قصد قرطبة واستقربها فى خلافة عبد الرحمن الناصر ، ومنذ ذلك الوقت انقطعت عنا اخباره ، فلا ندرى هل التحق بخدمة خلفاء بنى امية كغيره من المهاجرين من رجالات الدولة الأغلبية وعلمائها ، ام انه واصل ابتعاده عن الحكام وقنع بعمل مستحضرات التجميل والارتزاق من بيعها . وان كنا نرجح الافتراض الثانى وانه لم يتصل بالبلاط الاموى عزوفا عن خدمة الامراء ، اذ لو جرى هذا الاتصال لسلطت عليه الاضواء واهتم بالترجمة له العدد الاكبر من كتاب التراجم والطبقات .

وعلى اية حال ، فاذاكان لم يخدم الخليفة الناصر ، فانه لم يقطع صلته بالحركة العلمية فى الاندلس ، بدليل أن المعلومات التى وصلتنا عنه كان مصدرها الرئيسى هو الزبيدى فى طبقاته ، والمتوفى سنة ٣٧٩ هـ اى أنه كان معاصرا له تقريبا ، وبالتالى فانه كان معروفا لدى المشتغلين بالعلم فى ذلك الوقت ، الامر الذى يستفاد منه ان الطلاء المنجم كان له تأثيره فى الحركة العلمية فى الاندلس ايضا ، بالاضافة الى أثره فى مثيلتها فى كل من افريقية وصقلية . والامر الذى نعلمه انه مات فى قرطبة فى الربع الاول من القرن الرابع للهجرة بعد حياة حافلة بالعطاء والترحال فى طلب العلم وبثه .

وبعد ، فان اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم بجده ومثابرته وتجشمه مشاق الارتحال بين العديد من المراكز الحضارية طالبا للعلم ومعلما ومجاهدا يعتبر مثالا طيبا على مدى الترابط الوثيق الذى كان بين هذه المراكز شرقا وغربا بالرغم من بعد المسافات بينها وصعوبة الانتقال ، هذا الترابط الذى كان له اثره القوى فى وحدة الفكر فى بلاد الاسلام ، كما يعتبر نموذجا ممتازا على صبر المشتغلين بالعلم فى هذه البلاد ، وقوة عزيمتهم ومدى تصميمهم ورغبتهم فى تشرب العلوم النافعة بالرغم من الصعوبات التى كانوا يواجهونها ، والذين بهذه الصفات الحميدة التى غرسها فيهم الاسلام شادوا ارقى حضارة عرفتها البشرية فى العصور الوسطى . □



الجديد في شيخوخة الدماغ والخرف المبكر

اعداد : الدكتور فريد زيد الكيلانى

هل شيخوخة الدماغ مقصورة على كبار السن ، أم انها تصيب الشيب والشبان على حد سواء ؟

وهل هى مرض لا شفاء منه ، أم أن جهود العلماء قد أوصلتهم الى بارقة أمل تبعث الضوء فى العقول المظلمة ، وتعيد السعادة الى بيوت هدها الشقاء ، والابتسامة الى شفاه حرمت منها منذ أن داهمها هذا المرض الرهيب ؟

قال ميلدرد بونج وهو رجل فى الثالثة والخمسين من العمر ، عند أول شعوره بشيخوخة دماغه : « عندما يشعر الانسان انه بدأ بفقدان قدرته على التذكر ، يدرك أنه قد أصبح فى عداد الموتى ، فأنا الآن لا أكاد أذكر احتياجاتى التى لا غنى لى عنها الا بصعوبة ، لقد أصبحت أفكارى خاوية ، وصرت أشعر اننى أعيش فى فراغ ، وبهذه العبارات المفزعة عبر ميلدرد عن الحالة التى وصل اليها ، فقد كان يعتقد أنه لن يستطيع أن يصوغ مثل هذه الجمل اذ استفحل المرض فيه وتمكن منه .

لا ريب أن أقسى مرض يمكن أن يلحق بدماغ الانسان هو المرض المعروف باسم مكتشفه العالم

الألماني « الزايمر » الذى يتعرض فيه أسمى ما فى الانسان - دماغه - للمرض والاختلال ، فالامراض كلها يمكن أن تفتك بالمصاب مرة واحدة . وينتهى الأمر ، أما مرض الزايمر أو شيخوخة الدماغ ، الذى ينتهى فى مراحله المتأخرة بما يعرف بالخَرَفْ أو فقدان الذاكرة ، أو عدم القدرة على التحكم فى أكثر حاجات صاحبها خصوصية ، فهو يقتل المصاب به مرتين : الأولى حين يفقده الذاكرة ، فيميت دماغه ، والثانية حين يفقده القدرة على الحركة فيميت جسده .

كيف يبدأ ؟ وكيف ينتهى ؟

البوادر الأولى للمرض تبدأ بالظهور حين يعجز المصاب عن تذكر الاسماء والتواريخ والأماكن ، فيفقد بذلك سجل حياته بأكمله ، وتبدو له الأشياء كلها وكأنها تلتف بحجب كثيفة من الضباب ، لا يكاد يرى من خلالها شيئا ، أو يتعرف حتى على ملامحها ، وحتى أبسط الأشياء تصبح أمورا خارجة عن نطاق قدراته ، كاحكام ربط حذائه ، أو تقطيع شريحة من اللحم قبل تناولها ، أو حتى معرفة الوقت بالنظر الى عقارب الساعة ، ثم يبدأ الجسم بعد ذلك بالذبول ، ويبدأ الموت يزحف ببطء الى أعضاء الجسم تدريجيا ، فيفقد القدرة على المشى ، ثم يفقد القدرة على قضاء حاجته الطبيعية بنفسه ، ثم لا يلبث أن يصبح متكورا على نفسه فى فراشه ، ويروح فى غيبوبة طويلة تنتهى بالموت ، ويقدر العلماء الفترة التى يستغرقها المرض حتى يتمكن من القضاء على ضحيته ، بما يتراوح بين الست والثمانى سنوات ، الا أن بعض الأجسام القوية قد تقاوم المرض ، وقد يمتد بها الصراع مع الموت الى عشرين عاما .

لقد اصبح العلماء يطلقون على مرض « الزايمر » نسبة الى العالم الذى اكتشفه اسم مرض العصر ، ويقدر عدد ضحاياه فى أمريكا وحدها بأكثر من ثلاثة ملايين أميركى سنويا ، ويبلغ مجموع ضحاياه ممن هم على قيد الحياة حوالى ٢٧ مليونا . وتبلغ نسبة المسنين منهم ، أى من تجاوزوا الخامسة والستين ٧٪ فقط ، وهؤلاء يعتبرون ممن أقعدهم المرض ، فأصبحوا من العجزة الذين لا يستطيعون القيام بأى عمل . . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من الأسماء التى كانت لامعة فى شبابها الممثلة « ريتا هايوارت » ، والمخرج السينمائى الشهير « اوتو بريمنجر » ، والممثل المعروف « أدموند اوبراين » ، ونذكر من المشاهير الذين يتهدد المرض حياتهم الآن الكاتب المعروف « روس ماكدونالد » ، والفنان الشهير « نورمان روكويل » .

مدى خطورة المرض

رغم ان الطب يقوم فى كل يوم بدراسات تحليلية متعمقة على التطورات الكيماوية ، التى تجرى داخل الدماغ اثناء سير المرض . فالمرض لا يزال مستعصيا على الباحثين والمحللين ، فهو يصيب الناس من كل جنس ، ومهما كانت الطبقة الاجتماعية التى ينتمون اليها ، ويزداد عدد المصابين به مع ازدياد معدل الأعمار وارتفاع عدد المسنين ، ويحصد فى كل عام فى أميركا وحدها ١٢٠,٠٠٠ ضحية ، ليحتل بذلك المرتبة الرابعة بين الأمراض التى تؤدى بحياة المسنين . . اذ يأتى مباشرة بعد أمراض القلب والسرطان والسكتة الدماغية .

ظل الأطباء ، حتى وقت متأخر ، يعتبرون مرض الزايمر دخيلا على الطب ، وبعضهم لم يكن يعتبره مرضا على الاطلاق ، بل مجرد اضطراب وضمور طبيعى للخلايا الدماغ ، لا يعرف له سبب ولا مصدر ، وليس له علاج .

ومنذ أمد ليس بطويل ، بدأت تلوح فى الأفق الطبي بارقة أمل ، فعقدة المرض المستعصية بدأت تستسلم أمام اصرار الباحثين والعلماء الأطباء ، وبدأت تتكشف لعيونهم من خلال أبحاثهم المتطورة الأسباب التى تؤدى الى الاصابة بالمرض ، وأخذت أسرار المرض الذى ظل لغزا محيرا لفترة طويلة من الزمن تستسلم لأبحاثهم واحدا بعد الآخر ، وصاروا الآن يعرفون لماذا يفقد الانسان ذاكرته وقدرته على التحكم فى تصرفاته ، كما أن هذه الاكتشافات زادت من امكانية ايجاد علاج ناجح وفعال لمنع حدوث المرض أو ايقاف دماره . اذا تسلل الى عقل المصاب فى غفلة منهم .

الأسباب

شيخوخة العقل عند المسنين ، كانت تعتبر في الماضي نتيجة حتمية لخلل في الدورة الدموية ، وعجز الدم عن الوصول الى الدماغ لتغذيته ، وفي عام ١٩٠٦ واجه « الويس الزايمر » - وهو طبيب الماني متخصص في الأمراض العصبية - حالة شيخوخة متقدمة في الدماغ عند امرأة كان يتولى علاجها ، وكانت الأعراض كلها ظاهرة للعيان ، لا تحتمل الجدل ، وليس فيها مجال للشك ، فقد كانت فاقدة الذاكرة ، مشوشة الأفكار ، وتعاني من الهلوسة ، مع أنها لم تتجاوز الحادية والخمسين ، وبعد موتها تمكن الزايمر من الحصول على اذن بفتح جمجمتها ، واستخراج دماغها وفحصه ، فوجد أن بعض أجزاء الدماغ تحتوي على كتل متشابكة من الألياف العصبية ، ملتفة على بعضها بشكل غريب ، وقد أطلق عليها اسم « الكتل المتشابكة من الألياف العصبية » ، وبعد مضي بضعة عقود على هذا الاكتشاف ، اعتبر الأطباء وجود مثل هذه الكتل التي وصفها الزايمر حدثا نادر الحصول ، وان حصل فهو يصيب صغار السن ، وأطلقوا عليه اسم « الشيخوخة المبكرة للعقل او « خرف الشباب » .

وفي عام ١٩٦٠ اكتشف الباحثون بمكبراتهم الألكترونية المتطورة ، أن مثل هذه الكتل تتواجد أيضا في أدمغة الشيوخ المصابين بالخرف ، وسرعان ما تغير مفهوم المرض ، وأصبح واضحا لديهم أن المرض الذي أطلقوا عليه اسم « خرف الشباب » وقالوا انه نادر الحدوث ،ليس مقصورا على الشباب ، ولا هو نادر الحدوث .

ان التشخيص والوصف اللذين أوردهما الزايمر للمرض ينطبقان على أكثر من نصف حالات الشيخوخة المبكرة ، أما الحالات الأخرى فهي غالبا ما تكون نتيجة شلل جزئي صغير ، يتكرر حدوثه داخل الدماغ ، فيقضي على جزء لا يستهان به من غشاء الدماغ أو نتيجة أمراض اخرى ، بعضها قابل للعلاج ، ولكنها في مراحلها الأولى تسبب للمصاب بها حالة اضطراب عقلي ، تتمثل معالمه في الشعور بالكآبة ، وباختلال في عمل الغدة الدرقية ، وبعوارض النقص في بعض أنواع الفيتامينات ، وعدم تقبل الجسم لبعض أنواع الأدوية ، وفقر الدم والادمان على المشروبات الروحية .

فقدان الذاكرة

ان فقدان الذاكرة في مرض الزايمر يحدث عادة بعد سن الخامسة والستين ، ولكنه قد يأتي مبكرا في الاربعينيات من العمر . يقول الدكتور باري رايزبرغ من المركز الطبي بجامعة نيويورك : « ان بعض الناس وحتى كبار السن منهم - ممن يشكون صعوبة في تذكر بعض الأمور . . كالمكان الذي وضعوا فيه نظاراتهم مثلا ، أو يجدون صعوبة في تذكر بعض الأسماء كما كانوا يفعلون أيام شبابهم ، قد لا يكونون من المصابين بمرض الزايمر ، بل ان ذلك قد يكون نتيجة طبيعية لضعف الذاكرة مع تقدم العمر . أمثال هؤلاء المرضى لا بد للطبيب أن يؤكد لهم أن هذه الأعراض طبيعية ، وهي أعراض حميدة قابلة للشفاء ، مع تحسن الصحة العامة للمريض .

أما حالات ضعف الذاكرة التي لا يستطيع الطبيب الا أن يوليها اهتمامه وعنايته ، فهي تلك التي تسبب للمصاب بها متاعب لا يمكن التغلب عليها ، سواء في عمله أو في حياته الاجتماعية ، فالمدرس الذي لا يستطيع أن يتذكر أسماء طلابه بعد ان يمضي معهم فصلا دراسيا كاملا ، والطبيب الذي ينسى مواعيده ، حالتان خطيرتان لا يمكن تجاهلهما .

احدى الظواهر الأخرى للمرض . . يطلق عليها الأطباء اسم « ابراكسيا » وهي العجز عن القيام بالأعمال الحركية المنسقة والمعقدة ، كتمشيط الشعر مثلا ، فالقدرة على القيام بمثل هذه الأعمال تتحكم بها أجزاء مختلفة ومتعددة من الدماغ ، وبعد هذه الأعراض الأولى تأتي الأعراض الأكثر جدية وخطورة ، فلا يعود المريض قادرا على التصرف بحكمة ، فقد يلبس ملابس الشتاء في وسط الصيف ، فاذا صارت حالته أكثر سوءا ، لا يعود يميز بين حنفية الماء الحار وحنفية الماء البارد ، وهو تحت الرشاش في غرفة الاستحمام ، وقد يسبب لنفسه بعض الحروق من الماء الحار ، وفي آخر مراحل المرض يصبح المريض قلقا ضائعا تائها ، لا يعرف كيف

يفرح كربته ، أو أين يجد راحته ، وفي هذه المرحلة قد لا يعرف أين يعيش ، ولا في أي فصل من فصول السنة هو الآن ، وقد ينسى المريض اسم قرينته اذا كان رجلا ، أو تنسى المريضة اسم زوجها .

العناية بالمريض

بعض ضحايا هذا المرض يصبحون عرضة لنوبات من الهيجان ، قد تصل بهم الى هاوية الانحراف الاجتماعي ، ويصبحون خطرين على المجتمع الذي يعيشون فيه ، فالمريض الذي يبلغ هذا الحد من الانهيار يصبح في أمس الحاجة الى عناية مستمرة ، فالزوج الذي تصاب زوجته بالمرض ، أو الزوجة التي يصاب زوجها به ، لا بد لهما أن يتحولا من انسانين عاديين الى قديسين يضحيان بنفسيهما وسعادتها في سبيل سعادة وسلامة الآخرين .

وفي آخر مراحل مرض الزايمر يفقد المصاب القدرة على الكلام . اللهم الا بضع كلمات ذات مقطع واحد أو مقطعين منفصلين ، ثم يفقد القدرة على المشي ، وتصاب عضلات وجهه وذراعيه وساقيه بالتقلص ، وتستمر حالة المريض في التدهور بشكل تدريجي ، ولكنه ثابت ، على حد تعبير الدكتور مايكل جنايك من جامعة ماساشوست ، ولكنه يستدرك قائلا :

اذا كانت البداية سريعة ، فالتدهور يكون سريعا ، اما اذا كانت البداية بطيئة فالتدهور يكون بطيئا ، والنتيجة النهائية للمرض تكون موت المصاب بالالتهاب الرئوي ، نتيجة ادخاله الطعام الى القصبة الهوائية مع الهواء الذي يستنشقه واستقراره في رئتيه .

التشخيص

الطريقة الوحيدة التي تعطي نتائج مؤكدة عند التشخيص هي طريقة اقتطاع شريحة من غشاء الدماغ ، واجراء التحليل المخبري عليها ، فهذا التحليل قد يكشف الحقيقة المؤلمة عن بدء تكون كتل الألياف العصبية المتشابكة في غشاء الدماغ ، غير أن معظم الأطباء يعتمدون في تشخيصهم للمرض على فحوصات اقل تطرفا وايلاماً للمريض ، وكثيرا ما تكون هذه الفحوصات كافية لاستبعاد اية أسباب اخرى لما يعانيه المريض من اعراض ، ولكنها لا تعطي نتائج ايجابية مؤكدة عن وجود مرض « الزايمر » ، ففحوصات الدم مثلا قد تدل على أن المريض يعاني من الانيميا ، أو وجود خلل في الغدة الدرقية ، أو نقص في فيتامين ب ١٢ ، وهذه قد تكون مصدرا للمتاعب التي يعاني منها . كما أن الأجهزة الطبية الحديثة التي أصبح بامكانها تسليط أشعة تخترق عظم جمجمة المريض ، وتمكن الطبيب من فحص الدماغ ، دون أن يخدش جلد المريض ، أو ينشر عظم جمجمته ، والأجهزة الرنانة الأكثر تطورا ، والتي تعمل بالطاقة الذرية الممغنطة ، فتخترق حاجز الجمجمة ، وتعطي رنينا تلتقطه اذن الطبيب حال عثورها على بوادر اي ورم أو مرض أصاب الدماغ فاحدث به خللا ، كما تشمل الفحوص التشخيصية أيضا تعريض المرضى لاختبارات قوة الذاكرة ، والقدرة على الانتباه والتركيز ، والقدرة على التعبير وادراك الابعاد ، واستكناه المسببات والنتائج .

ومع أن الأطباء لم يتمكنوا حتى الآن من العودة بدماغ اصابته الشيخوخة الى الحالة السليمة ، التي كان عليها قبل الاصابة ، الا أن هذا لا يعني اطلاقا أن الطب لا يستطيع أن يقدم أية مساعدة للمصاب .

فعندما يكون المرض في مراحله الأولى ، وتكون الكآبة أهم أعراض المريض . يعطى المصاب بعض العقاقير المضادة للكآبة ، وفائدة مثل هذه العقاقير لا تقتصر على تخليص المريض من كآبته ، ولكنها تعمل على تأجيل ادخاله الى دور الرعاية الخاصة ، بل يذهب البروفيسور جينايك الى حد القول بأن التحسن الذي يطرأ على سلوك وتصرف المصاب بعد معالجته بالعقاقير المضادة للكآبة ، يكون كبيرا جدا ، ويمكن أن يعمل على تأجيل تدهور حالته العقلية أو تباطئها على الأقل ، والنوع الثاني من المساعدة التي يستطيع الطب تقديمها للمصاب ، عندما يكون المرض في مراحله الأولى هو كتابه قائمة بسيطة بالأعمال الروتينية التي يترتب على المريض عملها كل يوم ، وتعليقها في أماكن يسهل عليه رؤيتها ، أو تذكيره بها عن طريق الهاتف . . هذا النوع من المساعدة يطلق



شيوخ من الجنسين يستمعون بإصغاء الى حديث عن امراض الشيخوخة

عليه الأطباء اسم (عكازات الذاكرة) ، فاحدى المصابات بالمرض كانت أسرتها تخشى من أن تنسى تناول العلاج فى الوقت المحدد ، لذلك استخدموا الهاتف لتذكيرها بأن وقت تناوله قد حان ، وكانوا يخشون من خروجها لوحدها من البيت فى ساعات المساء فتضل طريقها ، فوجدوا ان كتابة جملة بسيطة على باب المسكن من الداخل تذكرها بعدم الخروج بعد الخامسة مساء ، قد حل لهم هذه المعضلة ، وبمثل هذه المساعدات البسيطة استطاعت المريضة أن تظل لوحدها في مسكنها ، وتمارس حياتها اليومية بشكل أقرب ما يكون الى الحياة الطبيعية لمدة سنتين كاملتين .

تطورات جديدة

وعلى الرغم من أن أسباب المرض ما زالت غير محددة تماما ، فالباحثون فى هذا المجال ما زالوا يواصلون أبحاثهم ودراساتهم ، فى محاولة دائبة لا تكل ولا تمل ، للكشف عنها ، فمعرفة الأسباب وتحديدها قد تساعد على تفادى الاصابة بالمرض .

ففى عام ١٩٧٦ اكتشف علماء بريطانيون فى ثلاثة مختبرات ، أن المصابين بالمرض هم من المصابين بفقر ملحوظ فى أحد الأنزيمات ، الذي يعمل على انتاج مادة الاسيتايلكولين ، التى تساعد على انعاش الذاكرة ، وتسهيل عملية الاتصال بين الخلايا العصبية ، وقد كان هذا الكشف حافزا قويا لاستكمال بحوثهم فى هذا الاتجاه ، كما يقول الدكتور بيتر ديفنز ، أحد الباحثين العاملين فى كلية البرت آينشتين للعلوم الطبية فى نيويورك .

وقد مكن هذا الاكتشاف الدكتور دونالدبراس ، والفريق العامل معه فى جامعة جونز هوبكنز للعلوم الطبية ، من السير قدما فى أبحاثهم ، وقد اكتشفوا من التحليلات التى أجروها على أدمغة المصابين خللا فى النيورونات فى النواة الاساسية للدماغ التى تقع فى مكان عميق منه ، حيث يتم انتاج سائل الاسيتايلكولين بشكل طبيعى ، ليقوم بعمله فى تنشيط وتغذية بقية خلايا الدماغ .

وقد توصل البحث العلمى فى السنوات القليلة الماضية الى طرق اخرى لاكتشاف أسباب المرض وأعراضه المبكرة ، يمكن اعتبارها كشفا جديدا فى هذا العالم الخفى من تلافيف الدماغ البشرى .

البحث عن الأسباب

أ - انسداد مركز تجميع المعلومات

في الدماغ البشري جزء خاص بتجميع المعلومات التي ترد اليه ، وتخزينها فيها يمكن أن يطلق عليه تجاوزا اسم « مركز تجميع وتخزين المعلومات » ويقع تحت قشرة الدماغ الوسطى .

وقبل أشهر قليلة اكتشف الباحثون في كلية الطب في جامعة (ايوا) تلفا واضحا في مناطق معينة ، مجاورة لمركز تجميع وتخزين المعلومات ، في أدمغة خمسة أشخاص من الذين ثبتت اصابتهم بمرض « الزايمر » ولا ريب في أن حدوث انسداد في المدخل المؤدي الى هذا المركز الحيوي في الدماغ ، وانسداد الآخر في النقطة التي تسمح للمعلومات المخزنة بالخروج ، سيجعل من الدماغ عضوا غير قادر على استقبال أية معلومات جديدة ، أو السماح للمعلومات المخزنة بالخروج ، ليستفيد منها المريض ، وبالتالي يفقد ما يسمى بالذاكرة ، على حد قول الدكتور انتونيوداماسيو ، وهو أحد أعضاء فريق الباحثين في جامعة ايوا ، ويضيف قائلا .. ونحن نعتقد أن هذا قد يكون أحد الاسباب التي يمكن بواسطتها تفسير بعض أنواع فقدان الذاكرة ، التي يعاني منها بعض الناس في مرحلة مبكرة من العمر .

ب - انخفاض نسبة (RNA) في الدماغ

في الدماغ السوي تتكون مادة بروتينية تقوم بتغذية خلاياه ، واحدى المواد الرئيسية التي تساعد على تكوين هذه المادة البروتينية هي مادة (RNA) ، وقد اكتشف الدكتور شارلز ماروتا أحد العاملين في مستشفى ماكلين في بلمونت ، أن المناطق التي تتكاثر فيها الكتل والتلافيف في أدمغة المصابين بمرض الزهيمر ، تقل فيها هذه المادة بشكل ملحوظ ، وبالتالي تقل المادة البروتينية التي تقوم بتغذية خلايا الدماغ . ومادة (رنا) التي تساعد على تكوين المادة البروتينية ، يقوم الجسم بالتخلص منها بعد أداء مهمتها بأحد الأنزيمات التي يفرزها ، وقد عثر ماروتا وزميله على أدلة تثبت وجود زيادة ملحوظة في نشاط هذا الانزيم ، في أدمغة المصابين بهذا المرض ، مما قد يكون سببا مهما في نقص المادة البروتينية المغذية لخلايا الدماغ .

جـ - عوامل وراثية

تلعب العوامل الوراثية أحيانا دورا هاما في الاصابة بهذا المرض .. فقد بلغت نسبة المصابين بهذا المرض عن طريق الوراثة بين ١٠ - ١٥٪ من مجموع المرضى ، وأطفال المصابين بالمرض تبلغ نسبة احتمال اصابتهم به ٥٠٪ ، وتظهر أعراض الاصابة على هؤلاء قبل وصولهم سن الخامسة والستين ، فاذا ما ظهرت الأعراض الأولى للمرض عليهم يكون تغلغله في أدمغتهم سريعا وحادا ، كما اتضح للباحثين أن ثلث المصابين بالمرض ممن لم يرثوه عن آبائهم لهم أقارب مصابون به ، وكلما كان سن المصاب صغيرا كان احتمال اصابة أقاربه به أكبر ، أما اذا كان المصاب قد تجاوز سن السبعين ، فيرى الدكتور ليونارد هيستون من جامعة مينتشجان أن احتمال انتقال المرض بالوراثة الى اقاربه يكون أقل ، وقد عثر الباحثون على دليل آخر يثبت أهمية العوامل الوراثية في زيادة احتمال الاصابة به ، فالمصابون بمرض (داون) ، وهو أحد الأمراض العقلية الذي يسببه أحد الكروموزومات التي تولدها خلايا الجسم ، يتطور المرض عندهم في سن مبكرة ، تتراوح بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، ويقعون ضحية مرض الزايمر ، وقد وجد الدكتور هيستون أن الأسر التي أصيب أحد أفرادها بمرض الزايمر يزيد احتمال وجود شخص منها مصاب بمرض (داون) ثلاث مرات على الأسر التي لم يصب أي من أعضائها بهذا المرض .

د - الفيروسات البطيئة الحركة

الكثير من الأمراض العصبية التي تؤدي الى ما يشبه أعراض الاختلال العقلي يسببها ما يمكن تسميته بالفيروسات البطيئة الحركة ، وهي كائنات عضوية تظل هاجعة لفترات طويلة ، قبل ان تبدو على المصاب بها أية اعراض وقد حاول العلماء نقل هذه الفيروسات الى بعض الحيوانات ، لاجراء تجاربهم

عليها ، وذلك عن طريق نقل جزء من غشاء الدماغ من أشخاص مصابين بمرض الزايمر ، الى الحيوانات المعدة للتجارب ، غير أن محاولاتهم هذه باءت بالفشل ، وبالتالى لم يتمكنوا حتى الآن من الوصول الى دليل حاسم على صحة نظريتهم .

والخلاصة أن محاولات الوصول الى حقائق قاطعة وحاسمة فى أسباب هذا المرض وطريقة الحماية منه أو معالجته بعد الاصابة به ، ما زالت تراوح مكانها ، والحقيقة التى تمكن العلماء من الوصول اليها حتى الأن ، هى أن المرض قد لا يكون له سبب واحد ، بل أسباب عديدة متداخلة بعضها ببعض ، تشمل الفيروسات والمواد السامة والجينات الوراثية .

طرق جديدة للعلاج

واستنادا الى هذه المعطيات المتاحة ، يبدأ الأطباء خطوات حثيثة ومبشرة بالخير فى تجربة طرق جديدة للعلاج ، فاكتشافهم لوجود نقص فى مادة معينة ، يفترض توفرها فى الدماغ ، دفعهم الى البحث عن علاجات تؤدى الى اعادة رفع كمية هذه المادة الى النسبة المطلوبة ، وأنجح علاج توصل اليه العلماء فى هذا الصدد أطلقوا عليه اسم (فيزو سيتجمين) ، وهو يعمل على زيادة مستوى الاسيتايلكولين ، عن طريق وقف مفعول أحد الانزيمات التى تعمل على التخلص منه ، وازالته من ثنايا الدماغ ، وقد أدى استعمال هذا العلاج الذى تولى الاشراف على تجربته على المرضى الدكتور كينيث ديفيس من كلية طب ماونت سيناى فى نيويورك ، الى تحسن ملموس فى حالة ثلاثة من أحد عشر مريضا ، أخضعوا للعلاج بجرعات يتناولونها عن طريق الفم ، وظهرت نتائج العلاج بارزة وسريعة على الذين لم يمض على اصابتهم بالمرض أكثر من سنة ونصف السنة ، فالعلاج الجديد يضعف مفعوله ، أو ربما ينعدم عندما يكون المرض قد بلغ مرحلة متقدمة ، اذ لا يعود هناك خلايا دماغية نشطة تقوم بافراز مادة الاسيتايلكولين التى تغذى الدماغ .

اما أكثر طرق العلاج الحديثة المبشرة بالخير فقد توصل اليها الدكتور روبرت هاربو من مركز دارتماوث - هيتشيوك الطبى فى هانوفر ، وقد بنى طريقته فى العلاج على احتمال عدم وصول الكمية المطلوبة من العلاج الى دماغ المريض ، عندما يقوم بتناوله عن طريق الفم ، ولذا قام هو وأعضاء الفريق العاملين معه بزرع مضخة صغيرة تحت الجلد الخارجى ، لبطن أربعة من المرضى المصابين بمرض الزايمر ، وعن طريق أنبوب رفيع يدخل من خلال ثقب فى غاية الدقة ، الى داخل جمجمة المريض ، تقوم المضخة بضخ سائل الاسيتايلكولين بشكل دائم الى داخل تجويف الدماغ . وقد اعترف أفراد أسر المرضى الذين استخدمت معهم هذه الطريقة فى العلاج ، بظهور تحسن ملموس على المرضى فى أنشطة كانت تعتبر مفقودة عندهم ، كالقراءة ، والعناية بالامور الصحية الشخصية ، والمحادثة ، والنشاط الاجتماعى ، وظلوا يمارسون هذه الأنشطة لمدة سنة بعد بدء العلاج ، ويأمل هاربو أن تستخدم المضخة الحاقنة هذه على عدد اكبر من المرضى ، وأن تستخدم علاجات اخرى أقوى مفعولا . . . . وهو يشعر الآن بالسعادة لنجاح هذه الطريقة فى العلاج والنتائج التى توصل اليها .

فترة مواجهة مثيرة

يقارن العلماء المواجهة الحاسمة بينهم وبين مرض الزايمر ، بنفس المواجهة التى خاضوها مع أمراض القلب قبل ثلاثة عقود من الزمن ، فقد كان الظن السائد بينهم أنه نتيجة حتمية للتقدم فى السن ، ثم استخدموا الأدوية التى استطاعوا بواسطتها السيطرة على ضغط الدم العالى ، ثم تعرفوا على الدور الذى تلعبه التغذية المقننة فى السيطرة على تصلب الشرايين ، وأدركوا أن كلا العلاجين قد يساعدان فى تخفيض عدد الوفيات بأمراض الشريان التاجى . . .

وهم اليوم يأملون أن تسير الأمور فى مواجهة مرض الزايمر على نفس المنوال . . فما يعرف عن المرض الآن يفوق ما كان يعرف عنه فى الماضى ، وسيعرف عنه فى السنة المقبلة أكثر مما يعرف عنه الآن . . حتى يصل الباحثون الى العلاج الحاسم . . . . . □

قاموس العربي

د

الدَّوْلَـــــة

هي الكيان السياسي ، والاطار التنظيمي ، والقوة الاجتماعية المنظمة ، التي لها وحدها السيادة داخل المجتمع ، وعلى أى فرد من أفراده ، وتعلو ارادة الدولة شرعا على كل ارادات الأفراد والجماعات ، وتمتلك الدولة وحدها داخل المجتمع سلطة اصدار القوانين ، وسلطة تنفيذها ، وامتلاك حق الاكراه وحق القهر على المواطنين ، بما في ذلك حق اعدامهم ، وللدولة ، وحدها دون سائر التنظيمات حق الطاعة ، وسلطتها سلطة متميزة ، تضم سلطتها القسرية قوة الارغام .

وكل هذه الخصائص يوردها فقهاء العلوم السياسية ، من قبيل التفرقة بين الدولة وبين الكيانات الأخرى . . جماعات كانت أو تنظيمات ، وتتكون الدولة من عناصر ثلاثة : هي الأرض والشعب والسلطة ، ويقول علماء القانون ان الدولة تعتبر من وجهة النظر القانونية شخصية قانونية موحدة ، وكيانا جماعيا دائما .

وهناك نظريات عديدة في الفكر السياسي - لتفسير الدولة ، فيرى هارولد لاسكى أن تاريخ الفكر السياسي ملىء بالتفسيرات المثالية للدولة ، وعند ارسطو لها هدف واحد وغاية ، ما لم تعط هذه الحضارة ضمانات تنبع من سلطانها على الحياة والموت .

ويذهب جون لوك الى أنه لابد من أن يقام جهاز عام للحكم حتى نتمتع بحقوق الحياة والحرية والموت . ويقرر هيجل أن الدولة هي الفكرة الالهية ، كما توجد على الأرض ، وكل قيمة للانسان مشتقة من انغماسه في مشاكلها .

وهكذا فإن هناك اعترافا جماعيا بين الفلاسفة والمفكرين ، فيما عدا الفوضوية ، على ضرورة وجود جهاز عام في المجتمع ، يحدد شروط الحياة وحدود القواعد المسموح بها .

وتعود نشأة الدولة الى ميل الانسان نحو الحياة الاجتماعية ، التي تصبح مستحيلةفي غياب عقد اجتماعي ينظم قواعد التصرف ، ويحدد الحقوق والواجبات ، ويتضمن تحديد سلطة عليا في المجتمع ، قادرة على التحكم والحكم والحفاظ على القانون ، وتستخدم سلطتها وصلاحيتها لخدمة المصالح العليا الدائمة والثابتة للمجتمع .

وحول خدمة الصالح العام والمصالح العليا ، دارت كل الاختلافات والاجتهادات في الفكر



جون لوك

السياسي ، التي كان محورها الدولة كتنظيم سياسي وقانوني .

فأصحاب النظرية الاجتماعية يقولون ان الدولة رغم أنها تدعى تمثيل الصالح العام ، الا أن هذا الصالح العام في واقع التطبيق يتحدد ويتميز ، ومن هنا فهم يخلصون الى أن الدولة متميزة ومتحيزة بطبيعتها ، ففي أثينا كانت الدولة تتحيز ضد العبيد ، ولا تمثل الصالح العام على اطلاقه ، بل كانت تمثل الصالح العام في حدود مفهوم الأحرار الأثينيين ، وفي الدولة الاقطاعية تتحيز الدولة كذلك لمصلحة الاقطاعيين وهكذا . . فإن جمهور علماء الفكر السياسي المحدثين عند تحليل الدولة ، يهبطون من المثاليات والتصور التجريدي الى النظرة الواقعية التي تقتضي تقدير الصراع الديناميكي ، بين الذين تتحيز لهم الدولة ، والذين تتحيز ضدهم ، ويختلف تحيز الدولة من مجتمع الى آخر ، حسب علاقات الانتاج والقوى الاجتماعية والاقتصادية فيه . وتستخدم الدولة سلطتها القسرية ، أي سلطة الارغام ، لتخدم العلاقات السائدة في المجتمع ، ومن هنا فإن مقولة المثاليين بأن الدولة تخدم الصالح العام ، فإن هذا الصالح العام ليس شيئا جامدا ، ولكنه متغير ، وتتغير معه الأيديولوجية التي تبشر به ، أو تدافع عنه ، بتغير النظام الاجتماعي .

ويحدد لاسكي عميد المفكرين السياسيين ، أن الدولة تحتفظ لنفسها بحق القوة المسلحة ، لتحفظ لنفسها حق القسر ، ويذهب لاسكي الى الحد الذي يقرر فيه أن كل نظام اجتماعي ، لا يهتم بدور القوات المسلحة ، انما يغفل حقيقة هامة في تكوين الدولة الحديثة وسلطتها القسرية ، التي تميز الدولة عن بقية الجماعات والتنظيمات الأخرى . □

ايمان قوي

ادرك المسلمون الأوائل على بساطتهم سر الحياة ، وانها صراع لا ينتصر فيه الا القوى الشجاع ، الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة .

ومن كلمات خالد بن الوليد في هذا الصدد : لن يصيبك عدوك في صدرك ، الا اذا أعطاك صدره ، فاذا وليت ظهرك أصابك دون مؤونة .

وقد قال له رجل قبل أن يلتحم الصفان في معركة اليرموك : ما أكثر الروم ؟ وأقل المسلمين ! فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدِّ الرجال ، ولم تكن جيوش الروم قليلة ولكنها كانت قليلة في همة خالد .



قصـــة :

الدرس الأخير

بقلم : الدكتور محمد حسن عبدالله

مشاعر متناقضة من الدهشة وعدم التصديق . الفرج بانبعاث ذكريات قديمة عزيزة ، أوشك غبار الزمن أن يخفي ملامحها ، الدهشة من جسارة المحاولة ، وعدم المبالاة بالاحتمالات الخاسرة . حاولت أن أسحب ملامحه الطيبة التي غابت تفاصيلها ، في قرارة بئر لاتدرك العين قاعها . . لم يجتمع تحت الضوء غير القليل جدا . عينيه العسليتين الصافيتين ، وذقنه الحليق الأخضر ذي (النُغزة) ، وشعره الأسود الناعم الحاد ، لم تكن هذه الملامح آخر مارأيت،على العكس ، كانت أول مارأيت ، حين جلست أمامه في المدرسة ، ورمقته بخوف واعجاب ، وهو يوزع علينا أوراقا ملونة نقشت عليها الحروف الهجائية ، ثم طلب منا أن نردد وراءه ألف . باء . تاء . . رأيته بعد ذلك مرارا على سنوات متقطعة ، بعد أن رحلت الى المدينة ليتيسر لي تلقي التعليم الثانوي ثم الجامعي . اذن لم تكن العينان الصافيتان آخر ماتراءى لي . كان فوقهما ـ آخر مرة أو قبلها لست أدقق ـ اطار نظارة ذهبية مستديرة ، كما انبعث دخان أزرق من بين الخصل السوداء الناعمة الحادة ، وانضافت ـ منذ زمن طويل ـ تجاعيد أفقية بمساحة الجبين ، تجاعيد حمراء بينها مسافات أو خطوط بيضاء . . ولم تستطع الذاكرة امدادي بالمزيد من التغيرات في شكل محمد أفندي متولي . ثلاث سنوات وربما أكثر مضت على آخر رؤ ية ، غير أنه لم يغب عن خاطري طويلا ، كثيرا ما أواجه مواقف وأقوالا تذكرني به ، كثيرا ماأقيس تصرفاتي الى تصرفاته كما شاهدتها ، أو كما أظنها فيها لو كان في موقعي ، ويعاني ما أعانيه ، وغالبا ما أنحاز اليه وأقف في صفه ، وأحكم بصوابه اذا ما اختلفت بنا السبل في هذه المقايسات المتخيلة . أما هذه المرة فان دوافع الدهشة ظلت تتأرجح بين الاعجاب والاستغراب ، بين الايمان بقوة محمد أفندي متولي وحكمته ، والسخرية مما يمكن أن يعد ضربا من الانتهازية ، يستغل فيه مشاعر الناس الذين أخلصوا له الحب طويلا ، وكأنه يصفي حسابات قديمة ، يسترد حقا ضائعا بعد أن قدمه اليهم في هيئة تبرع أو هبة ، وقبلوا منه المنحة ،



وفرحوا بها ، عاد يعلن أن ما قدمه لم يكن الا قرضا واجب السداد ، مع الفائدة ، وغرامة التأخير !!

قلت لزميلي القديم :

ـ متأكد ؟

ـ ألف بالمائة !!

ـ محمد أفندي متولي ؟ !

ـ بعينه . خامس اسم في قائمة المرشحين لمجلس القرية ، حسب الترتيب الأبجدي ، نقلت صورة من الكشف لأني لم أكن أصدق ، ولم يصدقني أحد ، الجميع يعيشون حالة من الحيرة والشك ، وبخاصة حين يقرأون أسماء المنافسين ، انهم جميعا تقريبا من تلاميذه .

قلت بحسرة :

ـ هذا ما يجري حقا ، ليسوا تلاميذه وحسب ، فكلنا تلاميذه ، اننا نحمل له أجمل الذكريات ـ هل تنكر ذلك ؟

قال :

ـ كيف أنكر ؟ ولماذا كلنا أحببنا محمد أفندي متولي ، ولا نزال نحبه ، رغم العصا الغليظة التي كان يعاقبنا بها اذا لوثنا أيدينا بالحبر ، أو أخطأنا في قاعدة املائية . أتذكر العصا التي كانت رجلا لكرسي قديم ؟ ما أفظعها !

سرح الخيال الى ذلك الزمن الرومانسي ، زمن البراءة والاكتشاف والاستجابة الحارة الفورية لكل نوازع الطفولة . كانت العصا غليظة ، لكني لا أذكر أنه أصاب بها أحدا ، كانت ضرباته « تهويش » ، وفي حالات نادرة ، ولم نكن نخافها ، وانما نتظاهر بالخوف ، كما كان هو يتظاهر بالقسوة ، ولم يكن هذا المشهد الاحتفالي يمنعنا من أن . .

قطع صاحبي سيل ذكرياتي العزيزة ، وكأنما كان يجري معي « سرا » في نفس الطريق . قال :

ـ كانت فظيعة ، غير أنه اذا وضعها على حافة السبورة وانصرف في الاستراحة ، تدافعنا بقاماتنا القصيرة ، ورحنا نقفز لاسقاطها من مكمنها ، أتذكر لماذا ؟

ـ طبعا . . لنشم مكان قبضة يده على العصا ، كان العطر يفوح منها . . عطر هادىء ، لكنه نافذ ، تنتعش به الروح . .

عاد زميلي القديم يكمل حديث الذكريات ، والنسر والنجمة الذهبيان يلمعان فوق كتفه الضخم المستدير ؟

ـ أتدري أن رائحة هذا العطر لاتزال تعيش في خياشيمي الى اليوم ، وانني حين كبرت ، وتنقلت بين مدن العالم ، كنت أبحث ـ بين وقت وآخر ـ عن الرائحة القديمة فلم أعثر عليها .

قلت بعجب :

ـ لماذا لم تسأل محمد أفندي نفسه ، انه لن يضن عليك بما ليس من أسراره ؟

قال باقتناع حقيقي :

ـ من نظنني ؟ هل أجسر على مفاتحة مدرسي في هذا الأمر الشخصي ؟ وبخاصة اذا كان هذا المدرس محمد أفندي ؟ !

لم أعجب كثيرا لسماع هذا التعليق ، محدثي مهندس قديم بالمصانع الحربية ، يحمل رتبة عقيد ، وقد أنجب طفله الرابع منذ عامين ، لايزال يشعر بأن محمد أفندي الذي علمنا الحروف الهجائية منذ ثلاثين عاما ، يملك من المهابة مايحول دون مناقشة هذه المسألة العادية جدا معه . لم أعجب كثيرا ، وقد شاركت قديما في جلسات مع محمد أفندي ، ورأيت ابتسامته تنفرج عن أسنان بيضاء ، تميل الى الطول ، لكنني أبدا لم أضحك في حضرته . . ولم أنهض عن الكرسي قبل أن يفعل .

عاد زميلي القديم يقول بفرح :

ـ لقد أعفاني الله من الحرج ، نحن العسكريين بعيدون عن الانتخاب وهمومه ، قلت بحيرة حقيقية ، وكأني أبحث عن منفذ من ورطة .

ـ وأنا ؟ !

ـ عقلك في رأسك ، اعرف خلاصك .

ـ هذه أنانية منك ، فكر معي على الأقل .

قال بجدية بالغة :

ـ المشكلة أن المتنافسين مع محمد أفندي من تلاميذه ، وهذه مشكلته ، أما مشكلتنا المزدوجة ، أعني مشكلتك وآخرين في مثل حالتك ، ان هؤلاء التلاميذ زملاء لنا ، وهنا الصعوبة ، هل ننصر الأستاذ أو الزميل ؟

قلت بتجرد غاب عنه الواقع المحدد :

ـ ننصر الأصلح للموقع المتنافس عليه .



قال مجاريا :

- هل تجد في محمد أفندي مايعاب ؟ تاريخ الرجل ناصع ، وأياديه وخدماته للجميع .

قلت :

- صحيح !!

قال :

- وأحمد حسين ، ومصطفى الضيف ، ومحيي صديق .. كلهم .. هل تجد فيهم مايعاب ؟

قلت بإيمان :

- مطلقا .. شرفاء جادون ، وراغبون في خدمة قريتهم باخلاص ، يؤدون وظائفهم كأحسن مايكون .. لكن ..

قال صاحبي ضاحكا :

- آه .. هذه الـ « لكن » هي الزاوية الحرجة .

لم أجد في نفسي رغبة لدخول مباراة الذكاء ، واصلت فكرتي حتى لايفلت الخيط .

- هل نحن نختار من يمثلنا على أساس ماضيه أو مستقبله ؟

قال :

- الاثنين معا ، بالنسبة للشخصية الانسانية لايمكن الفصل بين ماهو ماض وما هو مستقبل . لكن قلت مقلدا ضحكته السابقة :

- هاأنت تعود الى « لكن » تطلب فيها النجاة من الحكم القاطع ، فماذا ترى ؟

قال مجازفا :

- هناك حقيقة أساسية ، وهي أنه لولا محمد أفندي ماأجريت انتخابات أصلا . لم أفهم للوهلة الاولى . أضاف :

- بدونه ، ينجح الباقون بالتزكية ، المجلس خمسة والمرشحون ستة .

أسرعت للدفاع عن أستاذي القديم :

- لماذا يكون هو بالذات العضو الزائد ؟ انك بهذا تظلمه وتنحاز ضده ، دون مبرر في شخصه أو طموحه المشروع .

عبرت بوجه صاحبي مسحة من اللامبالاة ، وقال بشيء من السخرية الخفيفة :

- طموحه المشروع !! لاأعتقد أن محمد أفندي لايزال عنده مايرغب في فعله ، وأظنه على المعاش من نحو عشر سنوات ، يعني قارب السبعين أو تجاوزها ، لامستقبل له ، ومن هنا يكون الترجيح .

قلت بحرارة منفعلة ، إذ لا أعرف كيف أمثّل موقفي :

- من رؤية علمية بحتة ، ليست هذه بحجة ، ريغان يقود أكبر بلد في العالم ، وهو في السبعين ، لماذا لانثق .. ؟

قاطعني :

- ليس عندي شك في مقدرة محمد أفندي حتى لو كان في المائة ، ولكن .. الشباب أيضا لهم الحق في أن يأخذوا فرصتهم .

تهد في حيرة جاوبته بمثلها ، زاد ثقل الأمر على كاهلي أن أهل القرية يتأثرون بموقفي ، هنا الخطورة وصعوبة الاختيار . ذكرياتنا العزيزة كلها مع صاحب العصا المعطرة ، أول من علمنا الحروف ، والثقة في حق الشباب ومقدرته أقوى . قلت مغامرا بالرأي :

- مارأيك في دعوة الجميع الى لقاء مكاشفة ، يقدمون فيه برامجهم ، لعل بعضهم يشعر بضعف موقفه فيتنازل ، وتنتهي المنافسة الى التزكية .

قال بثقة استغربتها :

- واذا لم يتنازل أحد ؟

قلت :

ستكون لهذه المواجهة فائدة أخرى ، هي تحديد المواقف من جانب المرشحين ، وظهور اتجاهات الناخبين .

قال صاحبي بثقته المستغربة :

- لاأظن أن مثل هذه المواجهة ممكنة ، فقد لايوافق التلاميذ على مواجهة أستاذهم .

قلت بلهفة :

- لماذا لانجرب ؟

قال :

- هل تحب أن أدهشك من جديد ؟ لقد عرضت الوساطة للحصول على تنازل سرا ، فلم أتمكن ، فعرضت ماتقترحه الآن . . حوار مواجهة أمام الناس فلم يكن أيضا .

استفزني هذا التطور الجديد ، وسألت بلهفة :

- معقول ؟

قال وكأنه يسدد ضربة قاضية :

- غير المعقول هو ما ستسمعه الآن . كان محمد أفندي متولي هو الرافض في المرتين ، رفض التنازل عن الترشيح ، كما رفض الحوار . صمم على ما يطلق عليه المنافسة الحرة .

رحت أردد دون وعي :

- أهذا معقول !؟ أهذا معقول !؟ لابد أن الرجل أدركته أمراض الشيخوخة

- انه في منتهى العافية . . البدنية . . والذهنية .

تلفت حولي أبحث عن حل أو وضع احتمي به :

- والناس

- حائرون ، منقسمون . الرجل خدمهم وعلم عيالهم نصف قرن ، لكنهم يقولون سرا : أما كان



الأجدر به أن يفسح الطريق للشباب ؟

ضربت كفا بكف :

- هذه هي المصيبة .

عادت تنهداتنا تتجاوب ، نظراتنا تشرد في غير اتجاه ، لم يترك لي الرجل منفذا لعمل ، وموقفي لاأحسد عليه .

بعد صمت . .

- اسمع ! من اليوم أنا مريض ، اجازتي سأقضيها في السرير .

- ليس هذا بحل . مرضك المزعوم يستدعي الزوار وتوجيه الأسئلة ، فماذا أنت فاعل ؟

ما توقعه صديقي القديم . . حدث . سيل الزوار لم ينقطع ، أعجب زائر كان محمد أفندي ، كان مجاملا كعهده ، متعني من مغادرة السرير حين جلوسه ، كما حال بيني وبين توديعه خارج الغرفة عند انصرافه . طوفنا بالحديث في الذكريات ، تجنبنا موضوع الانتخابات بعض الوقت ، كان التوتر ينبيء بالعاصفة ، هو بنفسه اندفع لتفجير الموقف بسؤال مباشر ينضح بالتحدي :

- طبعا صوتك الشخصي لاأناقشه انه مضمون تماما ، ولكني أنتظر أن تقف الى جانبي علانية ، أنت تعرف قيمة هذا في التأثير على الرأي العام .

كانت الغرفة غاصة بالزوار . الكلمات محسوبة وغلطة الشاطر بألف ، ولا مهرب من الكلام .

- والله يا أستاذي . .

صمت . حدقت العيون ، احتبست الأنفاس ، نقرت عصا على الارض . تهافتت كلمات من أنف محمد أفندي :

- ليست القضية أستاذ وغير أستاذ . القضية يصلح أو لايصلح .

تجمد المشهد المتحرك ، كأنما توقفت آلة العرض . لكن الفرج جاء في كلماته ، قلت وأنا أنتقي الكلمة بعد الكلمة :

- والله مادمت وضعت المسألة في هذه الصورة ، فان السؤال ينطبق على الجميع يصلحون ، أو لايصلحون ؟

- ورأيك ؟

- لاأجد في أحد مطعنا ، وان كنت أعتقد أنه من حق تلاميذك عليك أن تمنحهم الفرصة .

قال بهدوء قلق :

ـ أنـا أدري بحقـوقي ، ولست أجهـل حقـوق تلاميذي . شكرا . .

صافحني وسط الغرفة ، منعني من السير معـه ، تركني واقفا مثل عود الذرة العاري في حقل الخريف . لم يترك مؤشرا بالرضا أو السخط .

لم أجد مبررا لاستمرار تمارضي بعد انتشار موقفي وكلماتي ، غير أن الذكريات العزيزة ظلت تشدني ، فلم أجد في نفسي قوة تسمح بالمشاركة العلنيـة في الدعاية الانتخابية للذين أؤيدهم ، وكـذلك كـان الأمر بالنسبة للمرشحين في البداية ، شعروا بالحرج وامتنعو عن مهاجمته ، أو التوسع في الدعاية ، لكن محمد أفندي أصر عـلى الدعـايـة لنفسـه ، نشـر الملصقـات ، وعقـد الاجتمـاعـات ، ودار عـلى المقاهي ، وتجمعات الفلاحين والعمال ، وبذلك لم يطل الوقت حتى كان جميع المرشحين يفعلون نفس الشيء ، يحاربونه بسلاحـه ، ويبتكرون أسلحـة دعائية جديدة ليس للقرية بها عهد .

جاء يوم الانتخاب ، حدث مـاتوقعتـه ، سقط محمد أفندي ، أول سقوط في حياتـه ، بعد اعـلان النتيجةـشعرت بـالرثـاء لـه ، تألمت من أجله ألما حقيقيـا ، رأيت من واجبي وقـد انتهى الأمـر الى ماسعيت ، أن أذهب اليه موضحا ومعتذرا ، رعاية لحقه القديم ، قبل أن أتمكن من حشد نفسي لتنفيذ ماعزمت ، كان محمد أفندي يطرق الباب زائرا .

كان وجهه محايدا ، ليس فيه ملامح المهزوم ، أو مشاعر التحدي ، كان كعهده ودودا في غير خضوع :

ـ أهلا بك ياأستاذي .

ـ لماذا لم تحضر لتهنئتي بالنجاح ؟

ـ ببسـاطة يـاأستـاذ ، أنت لم تكن بحـاجـة لهـذا النجاح ، خيرها في غيرها .

ثبّت عينيه على عينيّ .

ـ أنا جاد ، وأنت لست من السطحية بحيث لم تفهم قصدي .

قلت مجاريا مجاملا :

ـ على أي حال ، ليس بجـديد عليك التصدي للخدمة العامة ، والتحمل في سبيل الواجب ، استمر في تجميد حركتي بنظرته الثابتة من تحت الاطار الذهبي ، قال :

ـ هذا بعض قصدي . الخدمة العامة يمكن أن نزاولها في أي موقع ، أعني : لم يكن من المحتم أن أفوز لأقوم بهذه الخدمة العامة .

لم أفهم تماما ، كان مهمًا أن أفهم بدقة . قلت :

ـ هل كان هناك قصد آخر ؟

ـ بل قصد أول ، أساسي !!

ـ لو تتفضل بشرحه لي .

رأيت في هيئتـه صورة المدرس القديم ، يـوزع البطاقات الملونة ، نقشت عليها الحروف الهجائية ، صوته الهادىء يردد : الف باء تاء . . قال :

ـ كان القصد أن تدور معركة انتخابية حقيقية ، أن يتنـافس أهل الجـدارة حتى يفقد النـاس خجلهم ، وترددهم وخلطهم في الاحكام بين العاطفة والمصلحة الحقيقية . . لن يتم هذا كما أرى ، الا بصدام بين رأي ورأي ، وشعـار وشعـار . لاتـدري كم كنت سعيدا برأيك الذي صدقتني به ـ ظاهريا ـ أمام الناس يوم جئتك زائرا ابان مرضك .

قلت وكأني لم أسمع تفسيره الذي لم أتوقعه :

ـ اعذرني ، فهذه مسألة رأي .

ـ كيف لاأعذرك وأنا معك ؟

ـ اذا كان ماتقـول عن نيتك ، لماذا لم تتنازل ليلة الانتخاب مثلا ؟ قال :

ـ فكرت فعـلا أن أتنـازل عن الترشيـح ليلة الانتخاب ، أو حتى أمام اللجنة ، ولكني خشيت أن أفسد الدرس الأخير الذي أرغب في توصيله اليكم ، مع أنه ـ دعائيا ـ كان لصالحي ، لكن صالحي سيبقى دائما هو الصـالح العـام ، أعتقد أن هـذا تحقق ، واستحق تهنئتك عليه !

فكرت في كلامه قليلا ، نهض قـائما ، صـافحته بحرارة ، سألته :

ـ هل عرف المرشحون هذا المعنى ؟

قال بثقة :

ـ لايهم . . لقد خاضوا معركة ، هذا في ذاته قد علمهم الكثير ، الدرس دائما يبقى أكبر من المدرس .

ومضى في طريقه بخطوات ثابتة ، شرد خيالي الى ذكرى قديمة ، وأنا أقفز أمام السبـورة لأشم عطر العصا ، ذلك العطر الهادىء النافذ ، الذي تتنفس به الروح .

□



الجديد في العلم والطب

معلومات جديدة عن مذنب هالى

يُؤوى مرصد كت بيك Kitt Peak فى أريزونا واحدا من أضخم التلسكوبات فى العالم . فهو يبلغ ١٥٨ بوصة ، من حيث قطر عدسته .. وكان كغيره من التلسكوبات يرصد حركات مذنب هالى وسكناته ليل نهار طوال الشهور الماضية ، منذ شهر اكتوبر ١٩٨٢ على وجه التحديد .

ونوجز فيما يلى أهم المعلومات التى تجمعت لدى المراصد الهامة فى المدة الأخيرة ، وقبل اللقاءات المرتقبة فى الفضاء الخارجى ، بين المذنب وبين مركبات الفضاء التسع المنطلقة حاليا للقائه .

وغنى عن البيان أن المركبات المذكورة ستمدنا عما قريب - بمعلومات هامة وخطيرة .. لا عن طبيعة المذنبات فحسب ، ولكن عن أصل الكون ، والخامة التى تكونت منها الشمس والكواكب أيضا .. ومهما يكن من أمر فان المعلومات التى نسوقها هنا هى احدث المعلومات التى وصلتنا عن مذنب هالى حتى الآن .. وهى لاتخلو من أهمية على كل حال . . .

١ - يتكون المذنب من نواة وذؤابة وذيلين .. فضلا عن السحابة الغازية التى تغلف الذؤابة .. وتتكون النواة - وهى أهم مقومات المذنبات عامة - من رصيص جليدي .. متصلب كالصخر .. وقد شاهد مرصد كت بيك فى الأسابيع الأخيرة أن النواة تدور وتلف كلما ازداد المذنب اقترابا من الشمس .

٢ - وقد تمكنوا من قياس البخار المتدفق من النواة ، فثبت لهم أن مادة النواة الرئيسية هى جليد - تماما كما قال البروفسور ويل ، وثبت لهم أيضا ان السحابة الغازية التى تخرج من النواة أصلا لاتعدو كونها بخار ماء .. وقد بلغ عرض هذه السحابة بالقياس (٣٦٠,٠٠٠) ميل ..

٣ - وواصلت المراصد المختلفة قياس مدار المذنب ومساره بدقة متناهية .. ذلك أن هذه المقاييس ذات أهمية كبرى بالنسبة الى مركبات الفضاء المنطلقة الى حيث تلتقى بمذنب هالى على أبعاد متفاوتة ، فمن شأن تلك المقاييس الدقيقة .. بل قل مراكز توجيهها على سطح الأرض أن تساعد تلك المركبات في أن تسير فى الاتجاه المناسب ، وبالانحراف المناسب ، لتلتقى بالمذنب فى المكان المناسب .

٤ - نجحت المراصد فى مشاهدة نواة المذنب قبل زمن طويل ، من تمددها ، بفعل حرارة الشمس .. وهذا ما عجزت دونه المراصد أثناء زيارة المذنب الأخيرة للمجموعة الشمسية سنة ١٩١٠ .. هذا بالرغم من أن المذنب اقترب من الأرض فى تلك الزيارة أكثر من اقترابه منها فى الزيارة الحالية .. والفضل فى ذلك انما

يعود الى التلسكوبات المتطورة المتاحة للفلكيين حاليا ، والتي لم يكن لها وجود قبل ٧٦ سنة .

٥ ـ بدأ المذنب يتعرض لتغيرات جذرية قبل ١٤ شهرا .. وذلك حين كان لايزال بعيدا عن الكوكب العملاق المشتري .. فقد شاهد العلماء كيف بدأت النواة تقذف جزيئاتها الى خارجها ، وقد بدت لهم في ذلك كالماء الذي يغلي ويقذف فقاقيع بخارة الى فوق .

٦ ـ على أن المعلومة التي أدهشت العلماء وحيرتهم ، كانت في التقلب الذي اعترى اشراق المذنب أونوره بين ليلة وأخرى .. وقد عزوا ذلك التقلب الى عدم الانتظام في شكل المذنب ..

عقم النساء وكيف يعالجونه بالهرمونات ؟

شاعت في الغرب في المدة الأخيرة عقاقير الخصوبة التي تتناولها المرأة العقيم .. ويعتبر البرجانول Perganol في طليعة تلك المستحضرات .. وهو مزيج من الهرمونات المستخلصة من بول النساء المتقدمات في السن اللاتي تجاوزن سن اليأس .. ويستعمل البرجانول لتنشيط تجاويف المايض التي تحمل البويضة ، والعمل على انضاجها .. فهذه التجاويف تفتقر الى النشاط في المرأة العقيم ، وذلك تبعا لقلة افرازات جسمها من الهرمونات ، أو لعدم انتظام تلك الافرازات ، وفي اغلب الأحيان ينجح مقدار معين من العقار في تنشيط تجويف واحد .. وانضاج بويضة واحدة ، ثم تتناول المرأة العقيم عقارا آخر اسمه المختصر (HCG) .. ومن شأن هذا العقار أن يطلق البويضة لتدخل أنبوب فالوب ، وتنتظر فيه الاخصاب ان كان ثمة اخصاب .

على أن في تناول هذه العقاقير مشكلة .. اذ أن مقدار البرجانول اللازم لانضاج بويضة واحدة بحاجة الى تحديد دقيق .. والا أدى تناوله الى انضاج بويضتين أو خمسة أو سبعة .. وذلك تبعا للاختلاف بين امرأة عقيم وأخرى ..

وهذا هو بالضبط ما حدث للسيدة باتي فروستاشي .. في كاليفورنيا .. فقد أنجبت سبعة توائم ولم تكن راغبة في أكثر من جنين .. وجاء انجابها هذا تبعا للمعالجة بالبرجانول ، وقد حصلت عليها في مستشفى الأطفال في مقاطعة أورانج .. في كاليفورنيا .. الا أن السيدة باتي فقدت أربعة من توائمها السبعة .. ولم تخرج من المستشفى الا بواحد .. تاركة اثنين منهم في المستشفى قيد العناية المكثفة .

ولم يكد يمضي على رجوعها الى البيت أربعة أيام حتى رفعت الدعوى على المستشفى المذكور وطبيبه ، تطالب بغرامة قدرها ٣,٢٥ مليون دولار .. فهي تدعي أنها كانت ضحية سوء التصرف من قبل المستشفى والطبيب المعالج جاروسلاو ماريك ، وتدعي أيضا ان المقادير التي تناولتها من البرجانول و (HCG) كانت فائضة عن الحاجة وغير مناسبة ، وتدعي السيدة فروستاشي أن المستشفى والطبيب لم يقوما برصد أثر تلك العقاقير فيها بدقة وانتظام ، بحيث يُصبح في الامكان تغيير تلك المقادير وفق الحاجة ، وما زالت الدعوى قيد النظر في محاكم كاليفورنيا .. ولا ندري متى يصدر الحكم فيها .. علما بأنها أُقيمت في شهر اكتوبر الماضي .. ١٩٨٥

مكتشفون ومخترعون

مذنب هالى : ملأ السماء ضياء .. والدنيا ضجيجا .. ولا غضاضة فى ذلك ، وقد طالت غيبته ثلاثة أرباع القرن .. واستعد العلماء لاستقباله فى النصف الأول من شهر مارس الحالى بحفارة علمية لم يسبق لها مثيل .. وبلغ من اهتمام الناس بهالى المذنب أنهم نسوا هالى العالم صاحب الفضل الأكبر فى تحديد مدار المذنب والتنبوء بعودته .. فمن هو إدموند هالى هذا ، وما هى منجزاته العلمية المتنوعة ، التى تؤهله لتبوؤ المكانة الأولى بين علماء عصره جميعا .. باستثناء اسحق نيوتن ولا ريب .. وما هو فضله فيما يتصل بمذنبه الشهير : مذنب هالى ؟

ولد هالى (تلفظ الياء كما تلفظ فى كلمة فرايدى ، .. يوم الجمعة فى الانجليزية) ، فى قرية هاكنى قرب لندن سنة ١٦٥٦ .. وشعر بميل للفلك منذ طفولته .. وقد رأى بأم عينه وقبل بلوغه العاشرة من عمره المذنبين العظيمين .. مذنب سنة ١٦٦٤ ، الذى يعتبره الناس مسؤولا عن وباء الطاعون الذى رافق ظهوره .. ومذنب ١٦٦٥ الذى تزامن واندلاع حريق لندن الكبير .. فلم يشك أحد من العامة بأن المذنب هو الذى تسبب بذلك الحريق ..

ولما كان الأب صاحب مصنع للصابون ، وقد أثرى فى أعقاب انتشار الطاعون .. وانتشار الوعى الصحى معه ، استطاع ادموند الالتحاق بجامعة اكسفورد وبكلية الملكة فيها بالذات .. ومعه عدد كبير من التلسكوبات التى زوده بها أبوه ، ومن طريف ما يذكر أن أحد تلك التلسكوبات التى حملها الطالب معه وكأنها الكتب ، بلغ طوله ٢٤ قدما .

ولكن الطالب مالبث أن انقطع عن دراسته الجامعية .. فقد ضحى بها وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وذلك من أجل رحلة علمية فلكية قام بها الى بحار الجنوب ، ودرس فيها نجوم السماء فى نصف الكرة الجنوبى ، وقد استغرقت رحلته تلك ٣ سنوات ، وأنجز فيها مسح مواقع مجموعة كبيرة من النجوم .. ٣٤١ نجما على وجه التحديد ..

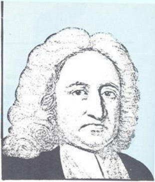
وجاءت سنة ١٦٨٠ واذا بإدموند يرى لأول مرة المذنب الذى سمىّ باسمه فيما بعد .

رآه وهو فى عرض البحر ، وفى طريقه من دوفر الى كاليه .. وراعه منظر المذنب ، فقصد الى باريس فى الحال ، واجتمع بالعالم كاسينى .. وقد اقترح الفلكى الفرنسى هذا أن يكون مذنب ١٦٨٠ هو نفسه ١٥٧٧ . واقترح أيضا أن تكون المذنبات من أتباع الشمس وتدور حولها كالكواكب

وانغرست هذه الآراء فى نفس هالى كانغراس البدور فى التربة .. ولكنها لم تتعد كونها آراء ، وبحاجة الى توطيد وتبرير بالرياضيات قبل أن تكتسب الثبوت او الطابع العلمى ، وتحظى باحترام العلماء ، لا عجب اذن أن طغت على تفكير أدموند الشاب ، وأثارت فى نفسه الحماسة للبحث عن تلك الرياضيات .

ولا يخفى أن الجاذبية وقوانينها هى قوام الرياضيات التى يحتاجها الفلكى لتحديد مسار المذنبات ، ولكن الجاذبية كانت ما تزال مشكلة الفلك فى تلك العصر .. فقد شعر بوجودها العلماء .. ولكن شعورهم كان لا يزال مفتقرا الى الرؤ ية الواضحة .. ناهيك بالالمام بقوانين الجاذبية التى تشد أجرام السماء بعضها الى بعضْ ، والتى تفصل تلك الأجرام نفسها بعضها عن بعض ..

ولطالما تأمل إدموند هالى هذه الجاذبية بلا طائل .. ولطالما تباحث فيها مع صديقه كريستوفر رن ، المهندس المعمارى الكبير آنذاك ، والفلكى المعروف سابقا .. ولما أعياهما البحث أعلنا فى الصحف سنة ١٦٨٤ مكافأة مالية مجزية لمن يحل لهما



تلك المشكلة .. وبلغت قيمة تلك المكافأة جنيهين استرليني .. وهى قيمة كبيرة بمقاييس تلك الأيام .

ومضت شهور والمشكلة قائمة بلا حل .. فتوجه هالى الى جامعة كمبردج قاصدا الاجتماع باستاذها الكبير اسحق نيوتن .. لعله يشاركهم البحث عن حل لمشكلة الجاذبية ، وفوجىء هالى حين اكتشف ان نيوتن كان على علم تام بتلك المشكلة ، وانه نجح منذ زمن فى تحديد قوانين الجاذبية ، وأنه .. أوضح ذلك كله وبتفصيل فى كتاب له .. كتبه دون أن ينشره ..

وذهل هالى لمحتويات ذلك الكتاب .. وقد وجد فيها الحل الشاق لكثير من مشاكل ذلك العصر العلمية .. وشعر هالى بضرورة نشر ذلك الكتاب ، وظل يلح على نيوتن بنشره حتى أقنعه .. ولعل استعداده لتحرير الكتاب ومراجعته ولتمويل نشره ، هوالذى ضمن لكتاب نيوتن الخروج الى حيز النور .

ولما كان كتاب نيوتن هذا ، وهو البرنسيبيا (Principia) أو (القواعد الرياضية للفلسفة الطبيعية) .. من أعظم كتب العلم فى التاريخ كله .. ان لم يكن أعظمها جميعا ودون استثناء .. اعتبر دور هالى فى نشره بمثابة فضل علمى كبير ، بلغ فى نظر الكثيرين المرتبة الأولى بين منجزات هالى العلمية جميعا .

ومهما يكن من أمر فإن كتاب نيوتن هذا هوالذى

إدموند هالى
١٦٥٦ - ١٧٤٠

قدم الى أدموند هالى الرياضيات التى طالما بحث عنها .. وهو الذى مكنه من تحديد مدار مذنبه مذنب هالى ، ومذنبات أخرى غيره ، بلغت ٢٣ مذنبا بالتحديد ، ونشر إدموند نتائجه هذه فى الكتاب الذى نشره سنة ١٧٠٥ ، والذى تنبأ فيه بأن المذنب الذى رآه سنة ١٦٨٢ سيعود الى الظهور ثانية عشية عيد الميلاد سنة ١٧٥٨ .. وصدقت نبوءته ، وذلك بعد وفاته بنحو ١٦ سنة .. واعترفت له الأجيال اللاحقة بأكثر مما تمنى ، وقد أطلقت اسمه على المذنب ، خلافا للقاعدة ، قاعدة تسمية المذنبات بأسماء مكتشفيها لابأسماء دارسيها ، أو العاملين على تحديد مداراتها .

وشغل هالى منصب بروفسور فى جامعة أكسفورد سنة ١٧٠٤ .. وحل محل فلامستيد بعد وفاته سنة ١٧١٩ ، وأصبح فلكي الملك .

وتجدد الاشارة الى بعض منجزات هالى وأعماله العلمية الأخرى ، التى لا تدع مجالا للشك بأنه كان بحق أعظم علماء عصره .. من بعد اسحق نيوتن .

من ذلك أنه ابتكر طريقة لقياس المسافة بين الأرض والشمس ..

وكانت الطريقة التى اعتمدها الكابتن كوك فى رحلاته .. وفى تاهيتى بالذات ، ومن ذلك أيضا أنه قام بأبحاث عديدة مختلفة فى المغناطيسية .. والنباتات والحرارة .. والهواء .

ونخص بالذكر اختراعه أول جرس للغواصين ، ويعمل فى أعماق المياه بنجاح ، وكان الأساس الذى قامت عليه احدى الشركات لانقاذ السفن من الغرق .. أو تجنبها اياه ..

وأخيرا نذكر مشروعه الخاص برصد القمر ، وقد استغرق ١٨ سنة ، واكتمل سنة ١٧٤٠ ، أى سنة وفاة أدموند هالى عن عمر يناهز ٨٤ سنة . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

يحاكم ويغرم لأنه ضد التدخين

حكمت احدى المحاكم في بريطانيا على أحد سائقى سيارات الأجرة (واسمه المستر كارلس) بغرامة قدرها ـ ، ٢٠ جنيها استرلينيا . . ذلك لأنه رفض نقل أحد الركاب في مطار هيثرو الى لندن ، نظرا لأن ذلك الراكب كان من المدخنين . . مدخنى الغليون على وجه التحديد . . وقد وقع الحادث في شهر يولية الماضي ، وحدد الحكم في شهر اكتوبر ١٩٨٥ .

ولما كان المستر كارلس من أعداء التدخين ، ويعاني من التهاب اللوزتين . . فضل خرق القوانين المرعية ، والتعرض لدفع غرامة مالية على الاخلال بمبادئه والاساءة الى صحته . . وقد حاول أحد شرطة المطار اصلاح ذات البين بلا جدوي .

بيد أن المستر كارلس رفض دفع الغرامة واستأنف . . واذا بالحكم الجديد يقضي بمضاعفة الغرامة الى ٥٠ جنيها استرلينيا . . بالاضافة الى دفع رسوم المحكمة ونفقاتها البالغة ٦٠ جنيها . .

ومن طريف ما يذكر أن هيئة (العمل ضد التدخين ومن أجل الصحة) وهي تعرف بالانكليزية (ASH) تبرعت بدفع النفقات . . وأن أحد كبار أصحاب المطاعم في لندن تبرع بدفع الغرامة . . ولا يخفي أن هذا الثرى هو أيضا من أعداء التدخين الألدّاء ، وقد حظره في أكثر مطاعمه . .

وتجدر الاشارة الى ما ذكرة القاضي تبريرا لحكمه ، اذ قال لايحق لسائق التاكسي أن يرفض نقل راكب ـ أي راكب يقف في طابور المنتظرين ، هذا ماينص عليه النظام . . رقم (٩) من أنظمة مطار هيثرو ، والمادة رقم (٥)، وذلك حفاظا على راحة الركاب . ولا يجوز له أن يرفض الراكب بحجة أن التدخين لا يروق له أو يضر بصحته . . اذ ان باستطاعته ان يغلق الشباك الفاصل بين حجرته وحجرة الركاب الخلفية ، ويتجنب بذلك رائحة التبغ وأثره . . .

هل بدأ القطب الجنوبى بالذوبان ؟

القارة القطبية الجنوبية قارة شاسعة تفوق استراليا مساحة . . . وهى مغطاة بالثلوج ، كما لايخفى ، ويمتد الجليد من شواطئها ألسنة أو رفوفا هائلة تغطى مساحات من البحر متفاوتة . واكبر هذه الرفوف هو رف روس Ross بلا نزاع . . وتبلغ مساحته مثل مساحة فرنسا تقريبا . اما سمكه فيقل عن ١٣٠٠ قدم . لاعجب اذن ان قام هذا الرف سدا منيعا في طريق الجليد الزاحف من غرب القارة



القطبية ، وحال دون وصوله الى مياه المحيط .

غير ان هذا الرف كان موضع شبهة العلماء فى المدة الاخيرة . فقد بدا لبعض المختصين ان جليده اخذ فى الانحلال أو الذوبان احيانا . . ولو صدق هذا الظن لترتب عليه وصول الجليد القادم من الغرب الى البحر وانسيابه فى مياهه . . الامر الذى من شأنه ان يؤدى الى ارتفاع مستوى هذا الماء نحو ٣٠ قدما (٩ امتار) **(ليس في بحار الجنوب فحسب) ولكن في بحار العالم** ومحيطاته كلها دون استثناء . . ومعنى هذا ان مياه البحر ستغمر جانبا لايستهان به من سواحل العالم وسهوله ووديانه ، فيتقلص نصيب اليابسة من سطح الارض البالغ حاليا نحو ٣٠٪ ليصبح ٢٥٪ او دون ذلك . . فالشبة اذن خطيرة . . جدا . . تنذر بوقوع كارثة ، بل طوفان ، بحيث لامفر للعلماء من ان يقوموا بالدراسات والابحاث الكفيلة بنفي تلك الشبهه او اثباتها .

وبدأت هذه الدراسات والأبحاث فى الربيع الماضي على صعيد دولى . . وقد تستمر بضعة شهور أخرى ان لم نقل سنوات . . وتشمل هذه الابحاث التى يجريها نخبة من العلماء والهيئات حفر آبار او ثقوب فى رف رس الذى ذكرنا . . وذلك على بعد ٤٩٠ كيلو مترا من المكان الذى يتجزأ فيه الرف وتنفصل عنه قطع كبيرة لاتلبث ان تندفع الى البحر لتصبح جبالا جليدية عائمة فيه . . ويتم حفر هذه الثقوب والآبار التى لايقل عمقها عن ١٣٠٠ قدم بطرق مختلفة . . وكان احدثها حفر الجليد بالاذابة . . اذابته بواسطة شعلة نارية خاصة .

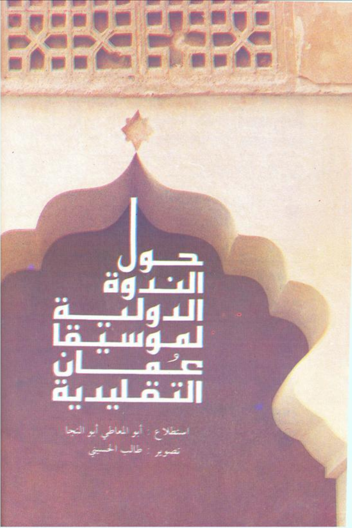
طحالب تمتص الذهب الذائب في البحر

يبدو أن ولاية نيومكسيكو في الولايات المتحدة ستشهد عما قريب عصرا ذهبيا جديدا . . كالعصر الذهبي الذي شهدته في القرن الماضي أيام اكتشف الذهب في الولاية ، واستخرج منها على نطاق واسع . الا ان الذهب المرتقب سيستخرج من الماء ، لامن باطن الأرض ، ماء البحر وماء النفايات الذي تلفظه المصانع . . والماء الذى قد يوجد في مواقع المناجم القديمة المستنفدة .

وذلك ان العلماء في جامعة نيومكسيكو اكتشفوا أنواعا من الطحالب (الأشنات) **algae** تتمتع بالقدرة العجيبة على استخلاص الذهب من تلك المياه . . والذهب موجود وفي حالة ذوبان في مياه البحر وغيرها كما هو معروف ، الا أن نسبة وجوده تختلف بين بحر وآخر . . وقد اكتشف علماء نيومكسيكو أن نسبته في مياههم تبلغ بضعة أجزاء في البليون . . وهى نسبة عالية نسبيا ، وان بدت منخفضة لأول وهلة . . ويسهل على أنواع الطحالب السالفة الذكر استخلاصها .

والطحالب المسماة **chiorella valgaris** هي أهم تلك الأنواع الماصة للذهب . . والغريب أن هذه الطحالب لاتمتص أو تستخلص أيا من المعادن الأخرى غير الذهب الموجودة في الماء . . فثمة شعيرات كيماوية جذابة أو مستقبلة ، ولا صقة بجدران خلايا هذه الطحالب . . هي التى تمتص الذهب . واكتشف العلماء أيضا أن الذهب يلصق بهذه الشعيرات فورا ، حتى لو كانت الطحالب ميته . . وتقدر كمية الذهب التى تستطيع الطحالب استخلاصها بهذه الطريقة التى تسمى (biosorption)بحوالى ١٠٪ من وزنها وهى جافة . .

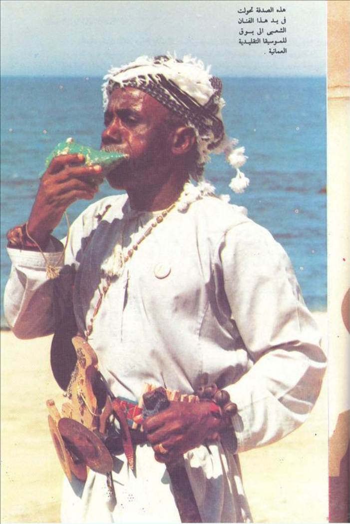
وغنى عن البيان أن مهمة فصل الذهب عن الطحالب مهمة يسيرة . . فحسبك أضافة احدى المواد الكيماوية القوية من الفئة المسماه — gold complexing كالسينانيد مثلا ، حتى يتم فصل الذهب . . دون غيره من المعادن التى تكون عالقة بالطحالب أيضا .



حول الندوة الدولية لموسيقا عُمان التقليدية

استطلاع : أبو المعاطي أبو النجا

تصوير : طالب الحسني



هذه الصدفة تحولت
فى يد هذا الفنان
الشعبى الى بوق
للموسيقا التقليدية
العمانية .

أحيانا يكون المكان هو طريقك للاحساس العميق بالزمان ، وبالتاريخ ، ولعل هذا هو ما يشعر به بقوة من يزور سلطنة عمان لأول مرة ، يشعر به وهو لايزال يراها من نافذة الطائرة ، فسواحل عمان بشواطئها المتعرجة ، وموانئها التي تحدق بها الجبال ، وطبيعتها المتنوعة بين صحراء مترامية ، وسهول ساحلية وداخلية خصبة ، وسلاسل الجبال الممتدة من الشمال الى الجنوب ، وموقعها المتميز في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب عند التقاء الخليج ببحر العرب ، كل هذا يمنح من يزور عمان لأول مرة شعورا عميقا بأنه في زيارة لمعقل من معاقل التاريخ ، لحركة هذا التاريخ بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، لنقطة التفاعل بين ثقافات وحضارات هذه القارات كلها .

كانت البداية دعوة كريمة من وزارة الاعلام بسلطنة عمان لمجلة العربي ، لحضور « الندوة الدولية لموسيقا عمان التقليدية » بمسقط ، في الفترة من ٦ - ١٦ أكتوبر سنة ١٩٨٥ .

وحين غادرنا مطار السيب الدولي بمسقط في الطريق الى فندق « انتركونتننتال » حيث تعقد الندوة ، كانت السيارة تعبر طرقا حديثة واسعة في عاصمة عصرية كبيرة ، شبكة هائلة من الجسور العلوية المتقاطعة التي تربط بين أحياء المدينة ، وتسمح بتدفق حركة السيارات بيسر ، ولكن سلاسل الجبال التي كنا نراها من نافذة الطائرة لا تزال هناك قائمة وممتدة ، فالمدينة في قلب الجبال ، والجبال تحتضن المدينة ، تحمل البيوت والعمائر على قممها ، ومدارجها وسفوحها ، الطرقات تمضي بين الجبال ، تدور حولها أحيانا، ترتفع معها ، وتهبط أحيانا ، تخترقها أحيانا ، بيوت عصرية حديثة ، ولكن واجهاتها كلها تحمل طابع العمارة الاسلامية والعربية والعمانية ، وشرفاتها تزدان بالزخارف الاسلامية ذات الوحدات المتكررة ، والأعمدة التي تنتهي بأقواس متناظرة ، بيوت حديثة على هيئة قلاع ، وأخرى تأخذ سقوفها شكل القباب أو الأبراج ، بيوت كلها زاهية الأصباغ والألوان ، متناسقة في تنوع ألوانها ، واختلاف درجات اللون ، الجديد والقديم هنا في شوارع مسقط يمتزجان ويتصالحان ... أهذا كله مصادفة أم ثمة قصد وتخطيط وتنظيم ؟ حتى فندق « انتركونتننتال الذي توقفت أمامه السيارة ، تتوج صالته الداخلية الفسيحة مجموعة من القباب ، وتنساب على واجهته خطوط الفن العربي .

تساؤلات من قريب

كنا في حاجة الى شيء من الوقت ، لنعرف أشياء عن برنامج الندوة ، والقضايا التي تناقشها ، والمشاركين فيها ؟

البرنامج مزدحم لدرجة تجعلك تشك في أنه ستكون هناك فرصة للخروج من الفندق والتعرف على المدينة ، ثلاثة اجتماعات صباحية ، ومثلها في المساء ، والزيارات المخطط لها في البرنامج كلها جماعية ، وخارج العاصمة .

القضايا المطروحة للمناقشة في البرنامج كثيرة ومتنوعة بعضها يتصل بالمأثورات الشعبية بعامة ، وبعضها يركز على موسيقا عُمان التقليدية ، وأخيرا تلك المفاجأة التي تقدمها الندوة : سمفونية عُمان / تأليف عزيز الشوان . وقد سجلها أوركسترا لندن السيمفوني .

المشاركون في الندوة كلهم من كبار المختصين بالفلكلور (المأثورات الشعبية) بعضهم عرب من الأردن والعراق وتونس والبحرين وعمان ومصر ، وبعضهم أجانب من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والنمسا والمانيا واليابان .

الأخوة العمانيون من شباب العلاقات العامة ، عبدالله ونجيب وغازي وغيرهم يتحركون كخلية نحل بين الضيوف ، ويؤكدون لك أنهم رهن اشارتك ، في كل ما تسأل عنه ، أو تريده ، لكن كيف مع مثل هذا البرنامج ؟ في مثل هذه الحالات

تترك للوقت أن يقوم بدوره ، بعض المشاركين في الندوة أعرفهم من قبل ، أستاذ الأدب الشعبي المعروف الدكتور عبد الحميد يونس ، الأستاذ صفوت كمال خبير الفلكلور ، الذي عمل سنوات طويلة في الكويت ، وهذا وحده أكثرية ، ثمة رجل ربعة القوام يتميز بصوته المموسق ، ونظارته السميكة ، وحركاته السريعة العفوية الرشيقة ، يبدو أنه يعرف كل الضيوف ، ويبدو أن كل الضيوف يعرفونه ، فهو يتحدث اليهم جميعا حديث العارف ، ينتقل بين اللغة العربية والانجليزية مع تنقله بين الضيوف ، قال لي الأستاذ صفوت كمال / هذا هو الدكتور يوسف شوقي . . انه وحده الذي يملك الكثير من الاجابات عن كل ما تود أن تسأل عنه بشأن هذه الندوة . .

« الدكتور يوسف شوقي أستاذ الجيولوجيا وصاحب الدراسات والابداعات المعروفة في عالم الموسيقا ، وآخر معلوماتي عنه أنه كان وكيلا لوزارة الثقافة في مصر » ماذا أنتظر لأعرف كل شيء ، عن دوره هنا وعن الندوة منه شخصيا ؟ وفي الحقيقة أنني لم أجد فرصة حقيقية للحديث مع الدكتور يوسف شوقي ، الا بطريقة واحدة هي أنني دعوت نفسي للغداء على مائدته ، فلعل هذا هو الوقت الوحيد الذي يمكن أن تكمل فيه حديثا معه !

انشاء مركز عُمان للموسيقا التقليدية

قال الدكتور يوسف شوقي : « جئت الى عُمان منذ أكثر من عامين بدعوة من وزارة الاعلام العمانية ، للقيام بمهمة محددة هي : جمع وتوثيق فنون الموسيقا التقليدية العمانية ، وهذه عملية علمية وفنية وميدانية ، وفي بلاد واسعة ذات تاريخ حضاري قديم مثل عُمان ، فهي ليست سهلة ، ولكن المسؤولين هنا قاموا بتذليل كل الصعوبات » .

ثم استطرد الدكتور يوسف شوقي :

« من المعروف أن المجتمعات التي لها تاريخ عريق تحرص وهي تتطلع الى المستقبل على أن تلتفت الى هذا الماضي العريق ، ليكون تيار التقدم متواصلا ومرتكزا على أسس من هذا الماضي ، والفنون التقليدية بعامة ، لكونها ابداعا تلقائيا وجماعيا ، فإنها



تعبر أصدق تعبير عن روح الأمة ، وتحافظ على أهم ملامح الشخصية الوطنية ، ولأن هذه الفنون التقليدية تعتمد على الانتقال الشفاهي بين الأجيال ، فإنها تتعرض الآن تحت ضربات التطور وغزو أجهزة الاعلام الحديثة الى الاندثار ، فضلا عن التغيير الذي قد يصل الى حد التشويه ، ومن هنا كان حرص المسؤولين هنا على تقديم كل عون ممكن للاسراع بإنقاذ هذا التراث من الضياع بجمعه وتوثيقه ، والمحافظة عليه ، للمحافظة على شخصية هذه الأمة أولا ، وليكون مصدر الهام للأجيال الحاضرة أو القادمة ومنطلقا للتطور .

قلت للدكتور يوسف شوقي : هل يمكن أن تلقي بعض الضوء على الطريقة التي قمتم بها لانجاز هذه المهمة ؟

- « كان المستهدف من هذه العملية كما أشرت اجراء حصر لجميع أنماط الموسيقا والغناء والرقص التقليدي العماني في جميع ولايات السلطنة بحيث يشمل الحصر ، المعروف والمتداول والمتنحي وحتى المنقرض من تلك الأنماط ، كما يشمل حصر المناسبات التي تؤدى فيها هذه الفنون ، والآلات المستخدمة في أدائها ، كل ذلك تمهيدا لعمل سجل

متعدد الروافد لهذه الفنون ، يتجسد في الارشيف القومي للموسيقا التقليدية ، ولتحقيق هذا الهدف ، قمنا بتصوير أنماط الغناء والرقص التقليدي العماني تصويرا تلفزيونيا ، وبتسجيل الجانب الصوتي للغناء والرقص ، وكذلك تسجيل أنماط الغناء التي لا تصاحبها حركة راقصة تسجيلا صوتيا .

كما قمنا بتصوير جميع العناصر البشرية والآلية ، التي تسهم في أداء الفنون التقليدية العمانية ، في وثيقة تصوير فوتوغرافي .

منهج البحث

● ماذا عن المنهج الذي استخدمته في عملية الجمع والتوثيق ؟

ـ كان منهج البحث يعتمد الأسس التالية : أن يكون الموثق الميداني مستقبلا للمعلومات لا مرسلا فمن المعروف أن هذا الموثق يقوم باستقصاء الحقائق الفنية أو التاريخية أو الاجتماعية من مصادر بشرية متعددة وعليه في هذه الحالة أن يستقبل المعلومات التي يعطيها له المصدر البشري دون تعليق أو معارضة أو نقاش أو تصويب .

أن يحرص الموثق الميداني على صياغة الأسئلة التي يوجهها الى مصادره البشرية صياغة محايدة صريحة ، لا تحمل في طياتها أي نوع من الاجابة أو أي اشارة الى معلومات بعينها .

أن يكون التكوين التركيبي والوقفة والحركة نوعا واتجاها في أداء أي نمط من أنماط الموسيقا التقليدية هي ذاتها العناصر التركيبية والحركة المتوارثة عن الأجيال السابقة وذلك دون اعتبار لما قد تفرضه طبيعة التصوير التلفزيوني من متطلبات فكثيرا ما حاول بعض المشاركين في أداء هذه الفنون التقليدية أن يغيروا من نظام وقفتهم ، ومن ترتيب عناصر ومكونات الشكل العام لما يؤدونه من فنون ، وذلك لكي يظهروا في التلفزيون بشكل أفضل ، ولقد لقي هذا الاتجاه الذي تكرر كثيرا مقاومة شديدة من فريق العمل الميداني حتى يخرج الأداء في شكله التقليدي الصحيح الاصيل .

● من المعروف أن تحديد الاطار والملابسات التي تؤدي فيها الانماط الموسيقية والغنائية التقليدية يسهم في فهم الوظائف الاجتماعية لهذه الانماط ، فهل تتفضل بالاشارة الى بعض هذه الانماط الموسيقية مع مناسباتها ؟

ـ طبعا هناك أنماط كثيرة ومناسبات أكثر منها ، فالنمط الواحد قد يؤدى في أكثر من مناسبة .

هناك فنون البحر ويدل كل اسم من أسماء فنون البحر على ما يرتبط به من عمل على سطح السفن التجارية مثل :

شلة الباورة : تغنى والبحارة يرفعون الباورة عند تحرك السفينة .

شلة القتيني : تغنى عندما يرفع البحارة شراع السفينة الصغيرة الخ .

وباختصار هناك فنون للصيد وللزراعة وللرعي وللحرف والصناعات البيئية وكلها مدونة مرتبطة بمناسباتها ، وما دمنا قد تطرقنا الى هذا الجانب فلا بد من الاشارة الى الفنون الأفرو ـ عمانية وهي تختص بأنماط الغناء والرقص التقليدي الوافدة من الساحل الشرقي لأفريقيا وكانت ترتبط في الماضي بالشعوذة والدجل ، وان كان معظم أنماطها قد تحول الى التسلية والترفيه .

ومن هذه الفنون : المكواره ـ الطنبور (النوبان) الشرح في « صور » وهناك أيضا الفنون الاسيو ـ عمانية . وتؤديها فرق البلوش في المناسبات الاجتماعية كالخطبة والزواج والختان . وتتكون فرق البلوش للفنون التقليدية العمانية من خليط من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ما توارثوه من أنماط فنية وفدت من آسيا في الماضي ثم أصبحت عنصرا عضويا من مكونات الفنون التقليدية العمانية .

ومن هذه الفنون : السيروان ، الكو زاك لي رو كشاري

* * *

الجلسات تتوالى ، والأسماء التي قرأناها في البرنامج ترتبط بوجوه أصحابها ، وفي صالات الفندق والمقهى والمطعم يزداد المشاركون تعارفا ، وشيئا فشيئا تتضح اتجاهات الحوار الذي يبدأ في الندوة ويستمر في مقهى « مسندم » ومطعم « القرم » (هذه أسماء بلاد ومناطق في عمان) والشعور بأن عُمان كلها تعيش قصة الحوار بين الاصالة والمعاصرة يتأكد ، ومعلوماتنا



الطبلة آلة الايقاع فى موسيقا عمان التقليدية .



وجه عماني يطل من بوابة الماضى على المستقبل .



هذا القرن طوعه الفنان الشعبى ليكون آلة النفخ فى الموسيقا التقليدية العمانية .



الشيخ : عيسى بن راشد آل خليفة وكيل وزارة الاعلام البحرين



وزير الاسكان العماني السيد / أحمد بن عبد الله الغزالي .



وزير الاعلام العماني : السيد / عبد العزيز بن محمد الرواس .



الاستاذ : صفوت كمال .

عن تاريخ عمان وامبراطوريتها التي وصلت الى زنجبار بأفريقيا وأسطولها الذي وصل الى شرق آسيا تزداد ، من خلال الكتب التي يوفرها رجال العلاقات العامة بوزارة الاعلام ووزارة الثقافة ، ثم تأتي دعوة كريمة من وزير الاعلام السيد عبدالعزيز بن محمد الرواس لمقابلة الصحفيين المدعوين الى الندوة ، وجاءت الفرصة لتوجيه سؤال تحفظ بشأنه الدكتور يوسف شوقي عن الخطوة التالية لجمع وتوثيق فنون الموسيقى العُمانية التقليدية .

الخطوات التالية

وحول الخطوات التالية لعملية جمع وتوثيق الموسيقى العمانية التقليدية قال السيد وزير الاعلام :

« مع أن أبعاد هذه الخطوات سوف تتحدد في ضوء « توصيات » الندوة الدولية لموسيقى عمان التقليدية الا أنه يمكن القول بأن التوجه هو للقيام بعملية جمع وتوثيق أخرى لبقية عناصر الفلكلور العماني (المأثورات الشعبية) مثل الحكايات والأمثال والأساطير وفنون النسيج والمنقوشات الفضية والنحاسية وغيرها من الفنون الشعبية لقد بدأنا بالموسيقى التقليدية لأن هذا الفن كان الأكثر عرضة للضياع والاندثار سواء بتأثير وسائل الاعلام الحديثة أو بموت العناصر البشرية العارفة بأصول هذا الفن » .

•••

كانت فكرة البحث عن استكمال عناصر الرحلة تتأكد في داخلي ما دام شعوري بأن عمان ٨٥ تحيا بعمق قصة الحوار الدائر بين الأصالة والمعاصرة فلماذا لا نستكمل البحث وراء هذه الفكرة . .

هل ما رأيته في طراز المباني في عُمان هو امتداد لفكرة الحوار الفعال بين الاصالة والمعاصرة ؟

وطلبت من السيد محمد بن سالم المرهون مدير الاعلام أن يدبر لنا لقاء مع أحد المسؤولين في قطاع الاسكان .

ولم يدخر الرجل جهدا فبعد يومين لا أكثر كنا نخرج من أسر الفندق الجميل للقاء مع السيد وزير الاسكان .

لكن لنؤجل الحديث عن هذا اللقاء الى أن نقدم :

لمحات عن أهم الاتجاهات

والقضايا التي برزت في الندوة

أولا قضايا الفلكلور (المأثورات الشعبية) التاريخ مصدر هام من مصادر « التراث الشعبي »

حول هذه القضية دار البحث المقدم من الدكتور يوسف غوانمه بجامعة اليرموك بالأردن .

وخلاصة وجهة النظر التي يطرحها البحث :

« ان التاريخ سجل هام للتراث ، وما العلوم الاخرى كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلكلور الا مشتقات من علم التاريخ الذي يعتبر الأم والأصل لكل تلك العلوم ويستطيع الباحث المتقصي أن يجد في ثنايا بعض المؤلفات التاريخية تفاصيل دقيقة وفريدة لعناصر من التراث الشعبي كالعادات والتقاليد والطقوس والمراسم ، بل إن بعض هذه المؤلفات يعتبر سجلا دقيقا لحياة المجتمع اليومية ، ومن هنا فإن على عالم الفلكلور العودة الى التاريخ ، لأن العادات والتقاليد التي يحفظها التاريخ تعتبر معينا لا ينضب لعالم الفلكلور كي يقوم بالدراسات المقارنة ، ولكي يتمكن من فهم مدلولات كثير من الممارسات والمواقف والعلاقات ، وهذا ما يمكن الفلكلور من أن يكون علما تاريخيا .

ويقوم الدكتور يوسف غوانمه في بحثه بتحليل العديد من التقاليد والعادات التي تحدثت عنها كتب التاريخ مثل عادة شرب القهوة وتقديم الهدايا واقامة الولائم . . . الخ .

ثم ينهي بحثه بالاشارة الى أهم المراجع التاريخية التي عنيت بتقديم المعلومات الخاصة بالتراث الشعبي الى جوار المادة التاريخية الاخرى ومن أهم هذه المراجع تاريخ الطبري والكامل في التاريخ لابن الاثير ونهاية الأرب للنويري والسلوك للمقريزي . . الخ .

دعوة الى دراسة المأثورات الشعبية من وجهة نظر عربية

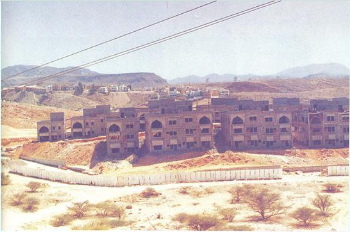
تناول البحث المقدم من الأستاذ صفوت كمال أستاذ الفلكلور بأكاديمية الفنون بالقاهرة طرح وجهة نظره حول هذه القضية ، ويظهر من هذا البحث أن ثمة توافقا في وجهة النظر بينه وبين الدكتور يوسف غوانمه حول ضرورة استخلاص الأصول التاريخية لمواد المأثورات الشعبية من الكتب والمراجع والوثائق التي اهتمت بجوانب من الحياة اليومية للانسان العربي .

ويرى الاستاذ صفوت كمال ان من أهم مميزات الثقافة العربية حيويتها التي تتمثل في التواصل بين ماهو موروث مدوّن (التاريخ) وبين ما هو مأثور شفاهي (الفلكلور) واذا كان في هذا الاتجاه يتفق مع الدكتور غوانمه فانه يتجاوز هذه النقطة الى التأكيد على حيوية الثقافة العربية باثبات وجود تواصل أيضا بين أنماط الابداع الشعبي في العديد من البلاد العربية وهو في هذا الاطار يشير الى التماثل القائم بين الوحدات الزخرفية في العمارة اليمنية وبين العمارة النوبية ، ويشير الى أن أدوات الزينة والحليّ في البلاد العربية تتماثل أيضا في وحداتها الزخرفية وأشكالها العامة بل في وظائفها وبعض مسمياتها ، ثم يستطرد لاثبات هذا التماثل بين فنون « الصوت » الشائعة في الجزيرة العربية والخليج العربي ، ويبرهن على أن هذه الفنون قد جمعت في بنائها الفني بين ما هو « موروث مدوّن » في كتب تاريخية مثل كتاب الأغاني وبين ما هو منقول شفاهي ، شأنها في ذلك شأن الموشحات وشأن الموّال والأمثال والسير الشعبية .

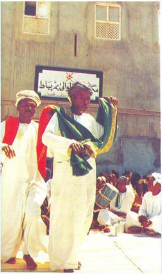
ويخلص من هذا كله الى ان البحث الفلكلوري العربي لا بد أن يكون متواصلا مع تقاليد المفكرين العرب الذين اهتموا بتسجيل جوانب من الحياة اليومية التي عايشوها ، وأن يهتم هذا البحث بالكشف عن التواصل القائم بين أنماط وطرز الابداع الشعبي سواء كان هذا التواصل زمنيا في التاريخ أو جغرافيا بين مختلف البلاد العربية .

الفنون التقليدية بين الأصالة والتطور

كان هذا هو العنوان الذي اختاره الدكتور عبد الحميد يونس أستاذ الادب الشعبي في مصر ، لدراسته المكثفة عن الفنون التقليدية باعتبارها تعبيرا تلقائيا عن ابداع الجماعة يمثل الصدق والاصالة ، ثم قال : ان التطورات التي تطرأ على هذه الفنون خلال تنقلها بين البيئات والأزمان وتحولها من مرحلة النشأة الاولى الى مرحلة النموذج أو الشكل القابل للتقليد



مبان حديثة من طراز عريق





نظرة من الماضي من نافذة حصن نزوى

راقصان يؤديان رقصة تقليدية في مرباط



الطراز الاسلامى فى العمارة الحديثة



احدى فرق النساء تؤدى رقصة تقليدية أمام مقر نائب الوالى فى مرباط

والتكرار لا ينفي عنها صفة الاصالة ، ثم تتطور الدراسة الى الاشارة الى أن هذه الفنون جميعا تمر الآن بمرحلة من التطور تشبه الطفرة بسبب دخولنا في عصر التكنولوجيا .

وتوضح الدراسة أثر هذه الطفرة على هذه الفنون من نواح متعددة فمن ناحية الجمهور نجد أنه في الماضي كان الجمهور يجمع بين الابداع والاداء والتلقي ، خلال مشاركته في الطقوس والشعائر والمراسيم ، ولكن بعد ظهور أجهزة التقنية الحديثة تباعدت العلاقة بين الاداء وبين الجماهير ، وغلبت الفرجة على المشاركة في الابداع والتلقي .

ثم تستعرض الدراسة تأثير ظهور الراديو ثم التلفزيون .. وكيف أن ظهور هذه الاجهزة التقنية أدى الى أن يخضع تقديم الفنون الشعبية الى مركزية المنبع الذي يختار ما يمكن عرضه على الجمهور من هذه الفنون ، وكيف أن هذا الاختيار يخضع لذوق أهل المدن ، ومع أن ظهور الفيديو قد بشر بالعودة الى حرية الاختيار للجمهور بمختلف قطاعاته الا أن الحقيقة هي أن الذي يتحكم فيما يقدم للفيديو هم المنتجون الذين يخضعون بدورهم للجانب التجاري ، وللذوق السائد .

واذا كانت هذه الملاحظات كلها تقع لدى الدكتور عبدالحميد يونس في جانب المخاوف التي يثيرها التطور التقني في وسائل الاعلام فإنه يعاود القاء الضوء على الجوانب الايجابية لهذا التطور .

فيشير الى اهتمام المبدعين بالتراث الشعبي فأصبحنا نسمع في مجال الموسيقى والغناء لوحدات شعبية لكبار الملحنين ثم يقول للخائفين ان الفلكلور عند الدارس المستكمل لعدته قوة حية لاتنفذ ، تعدل نفسها لظروف الحاضر في نفس الوقت الذي تحمل فيه تراث الماضي ، وبفضل التقدم التقني والعلمي نجد أن أشكالا قديمة من الفكر والتعبير تظهر بهيئة جديدة حول قطارات السكك الحديدية والطائرات والسيارات ، ولم يعد الفلكلور ينظر اليه في الريف فحسب ، ولا في أطوار الماضي السحيق ، ولا في مكنونات من يسمون بالبسطاء من الناس بل ينظر اليه باعتباره ثمرة العقل الشعبي الذي يعمل في ظل هذا العصر ، وما فيه من مستحدثات تقنية ويبحث عنه في الحواضر وفي القرى والبوادي جميعا .

نموذج للثقافة الجماهيرية الاعلامية العربية

قدم هذا النموذج الدكتور عصام موسى بجامعة اليرموك بالأردن في بحثه الذي حمل هذا العنوان .

وهنا أيضا نلاحظ نوعا من التلاقي في رؤية المشكلات المشتركة فالدكتور عصام موسى يبدأ من حيث انتهى الدكتور عبدالحميد يونس واذا كان الدكتور يونس قد أشار الى طبيعة المشكلات التي يواجهها الفلكلور في ظل تطور التقنية الحديثة في وسائل الاعلام وأنهى بحثه بنوع من الثقة في قدرة الفلكلور على أن يعدل نفسه لمتطلبات هذا التطور بما لايفقده جوهره ودوره فإن الدكتور عصام موسى يقدم نموذجا عمليا لمواجهة هذه المشكلات بالفعل ويتكون هذا النموذج من

أولا : التراث بشقيه القديم والمعاصر :

هو المعين الذي يجب أن يستخدم كقاعدة عريضة تغذي الثقافة الاعلامية العربية ، وعلينا أن نختار من هذا التراث الشيء الصالح والمناسب ، ونقوم بتوظيفه لخدمة حاجات المرحلة الانتقالية .

ثانيا : الناقد الباحث

وهنا يبرز دور الباحث العربي الذي يتولى التنقيب في التراث لاستخراج أفضله بعين ناقدة موضوعية ، كما يتولى تبيان الفروق الفردية بين فن مجتمع وآخر وابراز السمات المشتركة التي تجمع بين تراث الثقافة العربية بعامة ، وبهذا الصدد يقترح الباحث تأسيس أكاديمية عربية تعنى بجمع التراث وتصنيفه وتحليله وتقديمه للملأ بصورة مقبولة ويرى أن وسائل الاعلام ملزمة باحتضان النقاد لابداء الرأي في الانتاج قبل تصنيفه وتقديمه .



د : يوسف شوقي



د : صالح المهدي

ثالثا : وسائل الاعلام

نتيجة لخطورة الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في هذا العصر فلا بد من أن تكون هناك سياسات اعلامية واضحة ملتزمة تجاه تنمية الذوق العام واختيار كوادر مدربة تتصف بصفات الابداع والانتماء . .

رابعا : الفنان المنتج

ومع أن توفر مثل هذا الفنان المنتج أمر نادر الحدوث الا أن توفره أحيانا يكشف لنا عن مدى الثراء الفني الذي يمكن أن يتحقق بوجوده ، لقد تحقق هذا ممثلاً بالأخوين رحباني وفيروز وغيرهم،لقد جاء نتاجهم يجمع بين القديم والجديد ويمثل انتاج الصناعات الثقافية الثقيلة الناجحة التي تستهوي الجماهير وتقدم في الوقت ذاته فنا بمستوى رائع ، إن توفير الظروف لبعث الفنان المنتج أمر واجب وممكن .

خامسا : مضمون الثقافة الجماهيرية

لأننا نعيش مرحلة تحول هامة فإن مضامين الثقافة الجماهيرية يجب أن تكون في اطار التحديات التي نواجهها ، تحدي الاستقلال في مواجهة التبعية ، وتحدي الوحدة في مواجهة التجزئة ، وتحدي الانتاج في مواجهة الاستهلاك ، وتحدي العدل في مواجهة الاستغلال والتخلف .

إن هذه التحديات يمكن مواجهتها باستغلال وتوظيف العناصر الايجابية في تراثنا بشقيه القديم والمعاصر ، والمدون والمأثور الشفاهي ، وفي كل بلد عربي رموز تاريخية تكفي لصنع برامج عديدة يمكن تبادلها مع بقية البلاد العربية ، ألف ليلة وليلة ، وحكايات كليلة ودمنة تشكل أرضية خصبة يمكن الاستفادة منها في صنع برامج للأطفال وللكبار .

الفنون الشعبية والتنمية الاجتماعية

في دراسته حول هذه القضية أوضح الدكتور صالح المهدي بوزارة الشؤون الثقافية بتونس والرئيس المساعد للمجلس الدولي للموسيقى التقليدية ، بعد مقدمة اضافية تعرض فيها للمفاهيم المتعددة حول الفلكلور والآثار التي أحدثتها التقنية الحديثة في الفلكلور ايجابا وسلبا ، أشار الى الجهود التي قام بها في تأسيس معهد دولي للموسيقى المقارنة في برلين الغربية في نطاق منظمة اليونسكو للتعريف بالتراث الموسيقي للبلاد غير الأوروبية .

كما تحدث عن فلم سينمائي أعده سنة ١٩٧٥ بطلب من اليونسكو عنوانه « المنستير ٧٥ » تناول فيه تأثير الفنون الشعبية على التنمية الاجتماعية .

ثم أشار الى بعض التجارب التي قام بها في تونس من خلال وزارة الشؤون الثقافية لتأكيد دور الفنون الشعبية في التنمية الاجتماعية . منها : إقامة مهرجان الفروسية الشعبية ، الذي يشهد اقبالا كبيرا وقد حدث في احدى المرات أن تفشى مرض فاشترط المسؤولون عن المهرجان التعقيم للسماح بالمشاركة في هذا المهرجان ، فاذا بوزارة الصحة تجد نفسها في مشكلة اذ كان عليها أن توفر التطعيم لحوالي عشرين ألف مواطن في يوم واحد وفي مكان واحد الذي يقام فيه المهرجان .



مبان حديثه تظهر فيها لمسات فن العمارة الاسلامية والعربية



رقصة عمانية تقليدية
تؤديها احدى فرق
الرجال على مسرح
مدرسة ثانوية .

أضواء على موسيقى عُمان التقليدية

العرضة ـ الرزحة

قدم الشيخ عيسى بن راشد آل خليفة وكيل وزارة الاعلام بدولة البحرين دراسة مقارنة عن نمطين من أنماط الموسيقى العمانية التقليدية هما « العرضة ـ الرزحة » .

ثم يقول : العـرضـة ، من العَـرْض لأن فيها تعرض السيوف والبنادق والخيل والرجال ، وهي وسيلة تعبيرنا في أحلى مناسباتنا عن بسالة رجالنا وانتصاراتنا بشعر رصين ، كانت وستبقى الفن الذي يجمع الناس جميعا سواسية للتعبير عن مشاعرهم ، رئيس القبيلة أو الحاكم مع أصغر شخص يشترك في العرض ، ويستطرد الباحث في وصف العرضة كيف يقف الرجال في صفين متقابلين ويقف أمام كل صف رجل يحفظ الشعر أشبه بالملقن في المسرح .. ويقف في منتصف المسافة ضارب الطبل وهو أشبه بالمايسترو .. الخ .

وينتقل من وصف الصورة الى وصف الحركات في العرضة ثم يتحدث ، عن وصف الرزحة فيقول : انها في عمان الشائع بين الناس المعبر عن اعتزازهم بالأرض ، بالوطن ، بالقبيلة ، واذا كان ما يجمع بين العرضة والرزحة هو أن كليهما وسيلة للتعبير عن الاعتزاز بالقبيلة أو بالوطن واستنفار الناس للتجمع للدفاع عنه ، وكلاهما خاص بالرجال . فإن لكل منهما خصائص في القصيـدة ، وفي الايقاع ، وفي الاسلحة المستعملة ، وبعد استعـراض هـذه الخصائص يطرح الباحث بعض تساؤلات وأفكار يدعو الى أن تكون محل عناية الدارسين .

« المولد » و « المالد » :

نمطان من الموسيقى الدينية

عن هذين النمطين من أنماط الموسيقى العمانية التقليدية الدينية ، قدمت الدكتورة لويس (لمياء) الفاروقي أستاذ الفنون الدينية بجامعة « تمبل بنسلفانيا » بالولايات المتحدة دراسة مقارنة .. عرّفت فيها بكل من هذين النمطين وبالمناسبة التي يؤدي فيها ، وبالطريقة التي تؤدى بها .



جمال الوجه أم جمال الزى العمانى التقليدى



وجه سيدة عمانية وراء اللثام

وعقدت مقارنة بين هذين النمطين أوضحت خلالها أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

« فالمولد » هو الاحتفال بميلاد الرسول عليه السلام وتتم هذه الاحتفالات في الفترة التي ولد فيها الرسول عليه السلام من كل عام ، أما « المالد » فإنه لا يرتبط بهذه المناسبة فهو يقام ليلة الخميس من كل أسبوع في بعض الولايات مثل ولاية « صحار » ، كما يقام في بعض المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس أو شفاء مريض ، وهو بشكل عام يقام لإضفاء جو من البركة على هذه المناسبة الاجتماعية .

ويحتاج كلاهما « المولد والمالد » الى عدد من الرجال من ٢٠ الى ٢٥ فردا يجلسون على السجاد أو على حصر تمتد على الارض في صفين متقابلين .

وتعتبر سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام واحدا من أهم العناصر المشتركة بين المولد والمالد .

وينفرد المالد بأنه أقل تحفظا في إدخال العناصر الشعرية والموسيقية في بنائه الفني .

بينما يكون نمط المولد بلا آلات ، ويعتمد على الصوت المنغم الذي يؤدي سيرة الرسول عليه السلام من الصف الرئيسي الذي يحمل أعضاؤه العصي المصنوعة من الخيزران المحلاة بالذهب أو الفضة أو العاج بينما يقوم أفراد الصف الثاني بترديد ما يقوله الصف الأول .

وعلى غير ما يتبع في المولد فإن الصف الرئيسي في المالد يتضمن عددا من قارعي الطبول الكبيرة الذين يصاحبون بايقاعهم كل أجزاء المالد .

التأثيرات المتبادلة بين عمان والساحل الشرقي لأفريقيا في الرقص التقليدي العماني

قدمت هذه الدراسة : « هيزل تشنج هود » من جامعة ماريلاند بالولايات المتحدة الامريكية .

وقد بدأت دراستها بالتأكيد على أهمية الطبول في الرقص العماني ، وقالت انه يمكن اعتبار الطبول أدوات أساسية للايقاع ، سواء في التراث الافريقي أو العماني ، وكانت الطبول تستخدم في أفريقيا في اقامة الشعائر الدينية وللتحذير من الكوارث كالحروب والاحتفالات المختلفة داخل القبيلة .

كما كانت تعتبر حلقة اتصال بين العوالم المرئية وغير المرئية ، ثم انتقلت الى الحديث عن قارع الطبول في الموسيقى والرقصات العمانية ، التي يدور فيها الراقصون في حركات عكس عقارب الساعة أو الرقصات الفردية التي يتحرك فيها الأفراد على نغمات الطبول .

ثم أشارت الى أن قارع الطبل قد يتحول الى راقص ضمن المجموعة الراقصة ، فيدخل الى حلبة الرقص (في بعض الرقصات وهو يهتز بعنف الى الوراء والى الامام والطبلة الطويلة مثبتة في وسطه ويقوم ببعض الحركات الاكروباتية حول حلبة الرقص وأثناء الرقص يلتف الراقصون حول قارع الطبل الذي يهبط رويدا رويدا الى الارض حتى يلتصق بها



د . عبد الحميد يونس



هيزل تشنج هود



د . يوسف غوانمة



د . لويس الفاروقي

وهو ما يزال يقرع على الطبل نفس الانغام والايقاع ولعل هذا الجزء يمثل قمة الأداء والاثارة .

الاصالة والمعاصرة في موقع آخر

كانت مباني « عمان بطابعها الفريد هي التي جعلتنا نتساءل مع أول خطوة في طرقاتها : هل هذا الامتزاج بين الاصالة والمعاصرة في العمارة العمانية مجرد صدفة أم وراءه تخطيط ؟ وفي الندوة الدولية لموسيقى عمان وعبر الحوارات الساخنة عن الاصالة والمعاصرة تحول السؤال الى هاجس ، فكان هذا اللقاء مع السيد أحمد بن عبدالله الغزالي وزير الاسكان .

وكان حديث الوزير شيقا وممتدا وشاملا لجوانب عديدة من قضية الاسكان في عمان ، وكنا نود لو مكنتنا الظروف من أن نفرد له مجالا خاصا ، ولكن في اطار هذا الاستطلاع نقتطف من هذا الحديث لمحات دالة على أن القيم الاصيلة في التراث يمكن أن تتلاقى مع امكانات العصر في مواقع عديدة لبناء مستقبل أفضل . وهذه لمحات من حديث السيد الوزير .

« قبل أن أتحدث عن أسس السياسة الاسكانية الجديدة دعني أضع النقط على الحروف بشأن سؤالك الخاص بطابع العمارة العمانية اننا نعتبر ان المظهر الخارجي للمباني وللاسواق حق عام ، وحين يريد أي مواطن أو مؤسسة أن يقيم بناء فإن الجهات المختصة تقدّم له كتيبا يقترح عليه عدة خيارات في الشكل الخارجي للبناء ، لكن كلها تحافظ أو تحتوي على لمسة الفن الاسلامي أو العربي أو العماني في المبنى ،

« بالنسبة لنظام المبنى من الداخل ، فهذا من حق المواطن لانتدخل فيه ، يصممه وفق ذوقه الخاص .

في الفترة الاخيرة بعد انشاء وزارة الاسكان (وكانت قبلها وزارة تعمير الاراضي) وبعد أن كلفنا بوضع السياسة العامة الجديدة للاسكان وضعنا سياسة ترتكز على عدة أسس من اهمها .

توفير المسكن المناسب لكل أسرة عمانية والمسكن في رأينا ليس مجرد جدران إنه المناخ الذي تنمو فيه وتحيا الاسرة العمانية لهذا يجب أن يكون ملائما في حدود المعقول .

أن تكون المساكن بالشكل المرن الذي يسمح بالتوسع مع نمو الاسرة.يأتي المواطن اليوم وهو في حاجة الى مسكن من حجرتين أو ثلاث ، نبني له ما يلبي حاجته الآن ، ولكننا بالاتفاق معه ـ نمنحه المساحة ونبني له الأساس اللازم الذي يمكنه أن يزيد عليه في المستقبل زيادة رأسية أو أفقية .

اننا بهذا نسعى الى عدم تفتيت الاسرة ، كما نفسح الطريق لنموها ولم شملها .

ليست لدينا تصنيفات للاسكان وللسكان فلا نبني مساكن شعبية لناس ، ومساكن متوسطة لناس ، وفاخرة لآخرين .

« طبعا هناك فوارق لكني أتركها للتفاعل الطبيعي ولكن لانكرسها بقوانين ونظم . الدولة توفر الأرض لمن يريد أن يقوم بالبناء بنفسه وفق ضوابط ، كما توفر المبنى لمن يريد مبنى جاهزا وفق ضوابط .

« أنشأنا بنك الاسكان ليقدم للمواطن القرض الذي يريد لعملية البناء أو لشراء مسكن ، وقروض هذا البنك تسدد على سنوات طويلة ، وبفوائد تتحمل الدولة نسبة فيها تزيد مع أصحاب الدخول القليلة وتقل مع أصحاب الدخول العالية ولا تحتسب هذه الفوائد الا بعد تسلّم المبنى لا تسلّم القرض .

في آخر اجتماع أضفنا الى أنشطة بنك الاسكان انشطة جديدة لتوسيع قاعدة خدماته ، فأصبح من الممكن أن يمنح القروض لمن يريد أن يرمم بيته القديم لمن يريد أن يزيد في بيته الذي يحتمل الزيادة وأيضا أصبح من صلاحيته أن يقوم بالبناء لمن يريد .

« طبعا هناك معايير وأولويات هناك أولوية للعائدين من البعثات وللخريجين الجدد ، ونلجأ للقرعة اذا زاد المستحقون عن المتوفر .

بالنسبة لمن لا تنطبق عليهم شروط القرض وهم محتاجون الى المسكن ، فقد كانت وزارة الشؤون الاجتماعية توفر لهم المساكن المناسبة والآن هذه المهمة سوف تسند الى وزارة الاسكان .

« لا نحبذ فكرة المجمعات السكنية الضخمة ، ولا تحديد مناطق بعينها لفئات بعينها ، ولكننا نسعى لتوفير الفرص لحياة طبيعية ونساعد الناس لكي يساعدوا أنفسهم .

ربما لم نقدم في هذه اللمحات كل جوانب الصورة ، لكنها كافية لتأكيد أن الاصالة والمعاصرة لا يتصالحان فقط في واجهات المباني بل في فلسفة انشائها وأسلوب توزيعها . □


إسمعها
أكثر نقاءً مع توشيبا
صنع باليابان
TOSHIBA
RT-SX85
RT-SF75
BomBeat SX85
DOUBLE REVERSE
BomBeat SF75
DOUBLE REVERSE
RT-SX55
RT-SF55
RT-675S
RT-170S
RT-75S
BomBeat SX55
BomBeat SF55
BomBeat 675
AUTO REVERSE
BomBeat 170
AUTO REVERSE
BomBeat 75
(P.M.P.O.)
(MW/SW1/SW2/FM)
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN



حضارات سادت ثم بادت

اعداد / يوسف زعبلاوى

مثلما المدن تتغير ، ومثلما العلم والحياة فى تطور مستمر ، فان المكتشفات الأثرية ايضا تقلب فى بعض الاحيان الكثير من النظريات والمسلمات ، رأسا على عقب . وتفتح افاقا جديدة للمعرفة .

حول الاكتشافات التى تمت ودورها فى القاء الاضواء على حضارات ازدهرت ثم اندثرت من شتى العصور ، يجىء « بابنا » الجديد هذا . . كى يتولى التعريف بما مضى من حضارات الغابرين . .

حضـــارة تشـــاتال

تتميز هذه الحضارة بالقدم والحداثة فى آن معا . . فهى أحدث حضارة كشف عنها علم الآثار حتى الآن ـ وقد بدأوا أعمال الحفر والتنقيب عنها فى الستينيات ، ولم يستكملوها بعد . .

وهى فى الوقت نفسه أقدم الحضارات الانسانية التى اكتشفها علم الآثار ، حتى الآن ايضا ، وقد ازدهرت فى أواسط تركيا ، فيما بين الألف السابع والألف الثامن قبل الميلاد . . ولا يخفى ماينطوى عليه قدمها هذا من خطورة . . فهو يعنى أنها تمثل تاريخ ماقبل التاريخ . . وحضارة ماقبل الحضارات . . وقد سبقت الحضارة السومرية وحضارة وادى النيل بأكثر من الفين من السنين . . . . وهذا يعنى أيضا أن الحضارة الانسانية لم تكن بدائية فى الألفين السابع والثامن قبل الميلاد ، كما صورتها لنا كتب التاريخ . . . لعلّها كانت حضارة بدائية حقا فى بلدة جارمو فى شمال العراق ، وبلدة أريحا فى غور الأردن . . وهما الموقعان اللذان زرعا بُذور الحضارة الرائدة . . ولكنها كانت حضارة ناضجة مزدهرة فى مدينة تشاتال المعاصرة للبلدتين المذكورتين . . وقد أتقن أهلها فيما أتقنوا ، الزراعة الواسعة والكثيفة بشتى ضروبها وأساليبها . . . وتكاثرت محاصيلهم حتى عمدوا الى تصدير الفائض منها . . الى شتى المدن . . القريب منها والبعيد . . . . . .

هذا وحضارة تشاتال لم تعرف الكتابة ولا

القراءة .. ولم تترك لنا نصوصا مدونة .. فهي اذن تقيم الدليل على أن الكتابة ليست شرطا أساسيا لقيام الحضارات وازدهارها .. وهو الدليل الذي أقامته قبلها حضارات الهنود الحمر في أمريكا الوسطى والجنوبية .. وبخاصة حضارة الأزتك والانكا ..

بقي أن نشير في هذا التمهيد الى موقع مدينة تشاتال (انظر الخريطة) في سهل قونية الخصب في أواسط الأناضول، على بعد ٣٢٠ كيلو مترا الى الجنوب من أنقرة، وعلى ارتفاع ١٠٠٠ متر عن سطح البحر .. حيث البرد القارى القارص، الذي قد لاتلطف من حدته كثيرا ولا قليلا مياه نهر تشامبا القريب.

القدم .. والمساحة .. والسكان

دلت الفحوص الراديوكربونية على أن المدينة عاشت بين سنة ٥٤٠٠ - ٦٢٥٠ ق.م ... ودلت فحوص جذوع الشجر على أنها ازدهرت فيما بين سنة ٧٢٠٠ - ٧١٠٠ ق.م. أو فيما بين سنة ٦٤٠٠ - ٦٣٠٠ ق.م. ومعنى هذا أن حضارة تشاتال سبقت حضارات وادي النيل، وحوض الرافدين، بحوالي ألفي سنة أو تزيد دون ان تكون أقل منها نضجاً وازدهاراً.

ودلت الحفريات على أن موقع تشاتال يشمل تلّين .. يفصل بينهما أحد فروع نهر تشاراكمبا .. وتبلغ مساحة التل الغربي ١٥ هكتارا والشرقي ١٣ هكتارا .... وقد اقتصرت أعمال الحفر على هذا التل الشرقي، وحصرت بجزء يسير منه لاتجاوز نسبته $\frac{1}{30}$ «واحد على ثلاثين» ....

فمساحة مدينة تشاتال بلغت اذن ٢٨ هكتارا - وبلغ مجموع سكانها في تقدير العلماء نحو ١٤٠٠٠ نسمة ... أي أكثر من ٤ أضعاف مجموع سكان أريحا (٣٠٠٠ نسمة!)

العمران

لعل أكثر ما يبعث على العجب هو أن تشاتال كانت مدينة بلا شوارع .. تصور أنها افتقرت الى الطرق فالتصقت منازلها بعضها ببعض، واندمجت جدرانها، فبدت أحياؤها كتلا كخلايا النحل ... ويصدق هذا على الأحياء - فضلا عن المنازل - وقد اتصلت وترابطت ووصلت بينها ساحات المنازل الداخلية.

وكانت منازلها بلا أبواب، وكان أهلها يدخلونها من سطوحها لامن أبوابها، وذلك بواسطة سلم خشبي يتسلقوه صعودا الى سطح المنزل .. ثم يهبطون عليه، أو على نظيره، الى داخل البيت والى المطبخ بالذات. ولم يكن من باعث على هذا المسلك المعقد الشاق سوى الوقاية من شر الوحوش .. وحماية الطعام والأمتعة من شر اللصوص.

أما مادة البناء التي بنى بها أهل تشاتال بيوتهم ومعابدهم فلم تكن بدائية كما يظن القارىء، بل كانت من الطين المشوي بالنار ... وهي مادة البناء الممتازة التي استعملها قدماء المصريين والسومريين، بعد ٣ - ٤ آلاف سنة .... لقد صنعوا من ذلك الفخار أو الآجر أو الخزف، قطعا متساوية من الطوب، بنوا بها جدران المنازل وسطوحها، فضلا عن أساساتها.

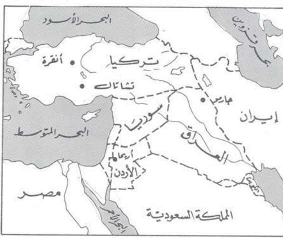
وغلبت البساطة على التقسيم الداخلي الذي اختاره أهل تشاتال لمنازلهم .. فكان قوامه قاعة رئيسية رحبة بمساحة ٦×٤ أمتار، وأقاموا بمحاذاتها مخزن المنزل. وانشأوا مطبخا - دورا ثانيا - علويا - ومخزنا اضافيا على السطح، وصنعوا هذه الملحقات العلوية من عصي البوص والجص، لامن الطوب.

الحياة اليومية

وعرف أهل تشاتال أسِرّة النوم .. فقد احتوت قاعة المنزل الرئيسية على صُفّتين، أو تختين، أو مصطبتين. خصصتا لنوم الوالدين .. وعرفوا ايضا الفراش وقد صنعوه من اللباد ووضعوه على الصفتين في الليل وكسوا ارض القاعة بالبسط التي صنعوها من قصب ...

ومن طريف ما يذكر ان احدى الصفتين كانت بضعف حجم الصفة الاخرى .. وان هذه الكبرى كانت صفة للمرأة لا للرجل .. ويعتبر هذا من الادلة على أن مجتمع تشاتال سادته النساء لا الرجال.

ولو انتقلنا الى المطبخ لوجدنا فيه فرنا واحدا على



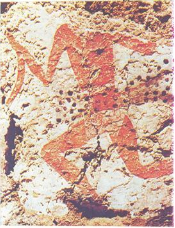
خريطة تبين موقع تشاتال (٥٤٠٠ - ٦٢٥٠ ق . م)

الاقل . . ووجدنا فيه القدور الفخارية التى استعملوها للطبخ . . وحفظوها ، لامعلقة على الجدران ، وانما ضمن ثقوب خاصة حفروها فى أرض المطبخ . . ولوجدنا أيضا الغلايات الحجرية التى حموها بالنار ثم وضعوها داخل القدر ، وذلك لطبخ الطعام دون تعريض القدور للتلف بوضعها فوق النار مباشرة . وقد استعملوا تلك الغلايات حين احتاج الطبيخ الى حرارة عالية ولمدة طويلة . وكان اللحم - لحم البقر لا لحم الضأن - هو مصدر البروتينات الرئيسى فى وجبات أهل تشاتال ، الا ان تلك الوجبات كانت متوازنة وقد اشتملت على الكثير من الحبوب وخاصة القمح،بالذات خبز القمح وعلى الخضار لاسيما الفاصوليا . . وقد ألفوا أكل الزيوت النباتية التى اعتصروها من العرعر والخردل وما الى ذلك .

بقى أن نتحدث عن وعى أهل تشاتال الصحى وحرصهم على النظافة وقد تجلى فى مجالات شتى . . نذكر منها المزاريب التى صنعوها من الجص وثبتوها على جدران المنازل - من الخارج - وذلك بقصد تصريف مياه الأمطار . . وتحاشيا من تجمعها فوق السطح ولامراض الرطوبة التى قد تترتب على تجمعها . . .

ونذكر أيضا المداخن فى المطابخ وقد صنعوها على نحو يكفل تصاعد الدخان الى الجو الخارجى عبر فوهة فتحوها فى السقوف . ونذكر كذلك الطريقة التى عالجوا بها القمامة وفضلات الانسان . فقد اتخذوا من ساحة المنزل المكشوفة والمعرضة للهواء ولاشعة الشمس ، اتخذوا منها مرحاضا ، وحرصوا على تغطية الفضلات برماد الخشب .

وتجلى وعى اهل تشاتال الصحى أيضا فى الطريقة



رسمت هذه الصورة حوالي سنة ٥٦٠٠ ق . م وهي تمثل الصيادين وهم يلاحقون مختلف الحيوانات



الالهة الام جالسة على عرشها وعلى جانبيها اسدان أو نمران . .

التى عالجوا بها جثث موتاهم . . فهم لم يدفنوها فى التراب كما نفعل فى هذه الايام ، بل ألقوا بها للنسور خارج المنزل وما اسرع ما التهمت هذه الجيف وجردت العظام من كل ما التصق بها من لحم وجلد . . الخ . . حتى أصبحت نظيفة لماعة لا تسبب التلوث . .

عندئذ اخذ اهل تشاتال تلك العظام ودفنوها فى باطن الصفتين على عمق ١,٥ - ١,٨ مترا .

الزراعة والتجارة

نستطيع الجزم بأن أهل تشاتال أتقنوا الزراعة ، ومارسوها بشكل واسع ، وشملت عددا كبيرا من الحبوب الغذائية ، بالاضافة الى القمح والشعير . . وعرفوا ايضا زراعة الخضار ، وأولوا زراعة الفاصوليا - نوعين منها بالذات - جل اهتمامهم . . وعرفوا كذلك العنب والجوز والفستق الحلبى وغير ذلك . . وأقبلوا على زراعة هذا وذلك على نطاق واسع ، حتى بلغت محاصيلهم من الوفرة ما فاض عن حاجتهم ، فعمدوا الى تصديرها .

ولقد صدروها الى بلدان قريبة وأخرى بعيدة ، ما وقع منها فى سهل قونيا أو وراءه ، فيما تقدر مساحته بحوالى ٣٠,٠٠٠ كيلومتر مربع . . وكانت سيليسيا التى تقع على بعد ١٦٠ كيلومترا الى الجنوب من المدن التى صدرت اليها تشاتال منتجاتها ، وبخاصة المصنوعات الفخارية . . واستورد أهل تشاتال بالمقابل الأخشاب والمعادن والزجاج البركانى والرخام والأصباغ والصدف والمصنوعات الخشبية وذلك من جبال طوروس ومن مناطق أخرى بعيدة ، سوريا وسواحل المتوسط . . وغيرها . .

وهكذا يتضح لنا ان بوادر الزراعة والحضارة الانسانية لاتعود الى الألفين السابع والثامن قبل الميلاد - وقد شهدنا ما شهدنا من تقدم تشاتال الزراعى والتجارى - وانما الى آلاف أخرى قبلها .

الدين والفن ونظام الحكم

أقام أهل تشاتال معابد كثيرة ، وأقاموها على نفس مستوى المنازل .. مع الفارق أن جدران المعابد حفلت بالرسوم والزخارف ..

أما مواضيع تلك الرسوم واللوحات فقد شملت الأشكال الهندسية الرمزية ، فضلا عن العادية ، كما شملت الأيدي الانسانية .. فصورت بعضها نسورا مضت في أكل جثث بشرية .. وصورت احداها انسانا يحاول الدفاع عن نفسه والنجاة بحياته من أحد النسور الذي راح يهاجمه .. وصورت لوحة أخرى رقصات الصيد التقليدية ، ومشاهد من مصارعة الثيران .. واتسعت احدى تلك اللوحات حتى شغلت الجدران الأربعة كلها ، فبلغ طولها وعرضها بالاجمال ٢٠ مترا وارتفاعها ١,٨ مترا

ويحتل الثور مكانا مرموقا بين مواضيع تلك الرسوم واللوحات .. وقد اكتفوا به رمزا للذكورة التي أحجموا عن تصويرها على هيئة رجل .. هذا بخلاف الأنوثة التي لم يترددوا في تصويرها على هيئة امرأة ، وتكثر النساء في رسوم تشاتال ولوحاتها ، البدينات منهن والنحيفات الرشيقات ، أما الحوامل منهن فتحتل مكانا متميزاً في زخارف المعابد .

ذلك أن أهل تشاتال أولوا الأنوثة والحمل والوضع من التقدير ما بلغ حد التقديس أو العبادة .. فالأهمية عندهم انما تتمثل في المرأة لا في الرجل .. وقد ظهرت الآلهة العظيمة في كثير من تلك الرسوم ، وظهرت في بعضها وهي في حالة وضع ومخاض ، وظهرت في بعضها الآخر وهي تلد رأس ثور ..

لاعجب اذن ان كانت الملكة لا الملك هي قوام نظام الحكم في تشاتال .. ولعل آلهتهم نفسها هي التي جلست على العرش واتخذت من الكاهنات والكهنة وزراء لها .

ترى من أين جاء أهل تشاتال .. فهم ليسوا من أهل المنطقة الأصلاء ، وقد دلت آثارهم على أن



صورة لمجموعة من الثيران والصيادين

مرض فرط نمو العظم تفشّى بينهم .. وهذا مرض يزيد من سمك عظام الجماجم ، ولكنه ينتقل بواسطة بعوض الملاريا الذي لاوجود له في اقليم تشاتال البارد .. ثم يتساءل المرء أيضا الى أين ذهبوا ؟ وقد دلت الآثار على أنهم هجروا مدينتهم في حوالي سنة ٥٤٠٠ ق.م . . . ترى هل رحلوا الى ما بين النهرين .. حيث ازدهرت حضارة سومر بعد نحو ألفين من السنين . . . هل هم حقا أسلاف السومريين المجهولين ؟ ! □





تظهر الصورة الملونة احد منازل تشاتال في سنة ٧٠٠٠ ق . م . وتظهر الصورة الاخرى حيا من احياء تلك المدينة .. لاحظ السلالم فالبيوت بلا ابواب والمدينة بلا شوارع .



القصة الفائزة الثالثة في مسابقة العربي للقصة القصيرة

العُرْس

بقلم / الدكتور فاضل محمد مشالى

حينما سمع طرقا على باب الدار ، كان في حظيرة المواشى ، يعتنى باحدى الأبقار . منذ فقدت وليدها وهى ترفض الأكل تماما ، جرب الحاج صابر كل الطرق التى يعرفها .. الفول الناشف المخلوط بالبرسيم الأخضر ، (الكسبة) المطحونة الممزوجة بحبات الذرة المجروشة ، ثلاثة أيام وهى صائمة عن الطعام .. البقرة ليست ملكا له .. هى لأحد تجار المواشى بالقرية .. عليه فقط اطعامها مقابل الاستفادة من خدماتها في الحقل .. اللبن الحليب بالنصف مشاركة مع التاجر ، أما العجل الذى وضعته من حق التاجر .. جاء وساقه لينضم الى قطيعه .. الا أن البقرة كانت ترفض ذلك على ما يبدو .

ازداد الطرق على باب الدار ، أصبح متصلا لاينقطع ، قلَّب الطعام للمرة الأخيرة وقربه من فم البقرة ، أشاحت برأسها بعيدا .. ربّت على رقبتها في حزن .. تركها وسار ببطء في اتجاه باب الدار .. مر بغرفة النوم .. رأى زوجته تجلس على الأرض ، كانت بجوار السرير ، تصب الماء على كومة دقيق ، في اناء محشور بين ركبتيها .

- لم لاتردين على الطارق ؟ ..

رفعت أم محمد وجهها عن الاناء ، ونظرت نحوه ، لمعان عينيها لا يوحى بأنها تجاوزت الخمسين . غاصت بيديها في الوعاء .

- وهل ترى يَدَىَّ خاليتين .. ارفع ظهرك .. لاتنحن بهذا الشكل ..

اردفت وهو يختفى من أمام عينيها ..

- هل أكلَتْ البقرة ؟ ..

لم يرد عليها . واصل طريقه الى باب الدار .. فتحه .. رأى وجه « الأسطى » حسنين الحلاق . كان رجلا لامع الوجه حليق الذقن ، يرتدى

« طاقية » بيضاء و « جاكيتاً » بلا لون فوق جلباب مقلم . ضغط جسده كي يدخل من فتحة الباب .

- ياساتر . . أما زلت نائما ياأبا محمد ؟ .

- حرام عليك يارجل . . ألم نصلّ الفجر في المسجد معا ؟ . .

ضحك « الأسطى حسنين » وقال مداعبا :

- ربما طاب النوم لعينيك بعد الصلاة . . ! وربما . . !

قاطعه الحاج صابر . . كان يعرف « رغّات » الحلاق والى أين تؤدى . .

قل يارجل . . ماذا وراءك ؟ . .

أخذ « الأسطى » حسنين مجلسه في غرفة الضيوف ، مد يده الى جيب سترته وأخرج جريدة .

- جريدة اليوم . . بها صورة ولدك . .

خطفها بلهفة . .

- أين ؟ . .

أشار الى مكان الصورة . . نظر الحاج صابر اليها . . فرك عينيه . . حينها تلاشت اهتزازات الورقة بين يديه ، وامتزجت تفاصيل الوجه الحبيب مع حبات الحنين المترسبة في أعماقه ، انفرج وجهه عن ابتسامة عريضة . سعيدة ومندهشة وفخورة .

- نعم . . نعم . . هذا ولدى . .

احتضن الجريدة وانطلق كالسهم الى غرفة النوم . .

- المهندس في الجريدة يا أم محمد . . المهندس في الجريدة . . رفعت يديها بسرعة من الوعاء . حاولت الامساك بالجريدة . . أبعدها وصرخ فيها . .

- امسحى يديك ياامرأة . .

بسرعة حركت يديها على فخذيها لتمسحهما . . وامسكت الجريدة .

- هذه صورة ولدى . . ما أبهاه وما أجمله !! . . كم هو رائع ياأبا محمد ، دمعت عيناها . . مسحتهما بيديها . . زادت الشعيرات البيضاء في حاجبيها ، وتلونت الرموش بلون العجين الأبيض فجأة ، وكأنها تذكرت شيئا . دقت على صدرها . .

- خيرا يا أبا محمد . . هل فعل شيئا لاسمح الله . . نهرها زوجها .

- اسكتى يا امرأة . . المهندس عاقل وزين الشباب واصلت وكأنها تحدث نفسها . .

- سترك يارب . . اللهم اجعله خيرا واحفظه في الغربة . .

تسرب الشك الى رأس الحاج صابر ، تساءل في خوف : لماذا نشرت الصورة ؟ ! . . هل فعل ولدى شيئا أغضب الحكومة ؟ . . أم فعل شيئا أرضاها ؟ . . أمسك بالجريدة وحملق في الكلمات المكتوبة أسفل الصورة ، تمنى لو كان يعرف القراءة . . تذكر أن « الأسطى » حسنين لايزال في غرفة الضيوف . . عاد اليه .

- لماذا ظهرت صورة ولدى أيها الرجل الطيب ؟ ! . .

- لم تعطنى فرصة لأشرح لك . .

- هأنذا أسمع ياصديقى . .

- تركت المحل وجئت لأشرب الشربات . .

زغرد قلب الحاج صابر . . . استحث محدثه . .

- لا تقتلنى يارجل . . قل ما عندك . .

أمسك « الأسطى » حسنين بالجريدة وأخذ يقرأ . .

« يتم الليلة عقد قران المهندس الناجح محمد صابر على الآنسة نوال حسيب . . الحفل بفندق النجمة » .

ثم أردف وهو يعطيه الجريدة .

- ألم تلاحظ صورة العروس . . انها بجوار المهندس . . نظر مرة أخرى الى الجريدة . . رأى العروس . . دقيقة الأنف واسعة العينين . الكحل يحدد أبعادهما بدقة . . وشعرها العارى المرفوع لأعلى يظهر أذنيها في الصورة كبيرتين بالنسبة لوجهها . رآها تبتسم في وجهه . . لايدرى لماذا اغتاظ من لون أسنانها . .

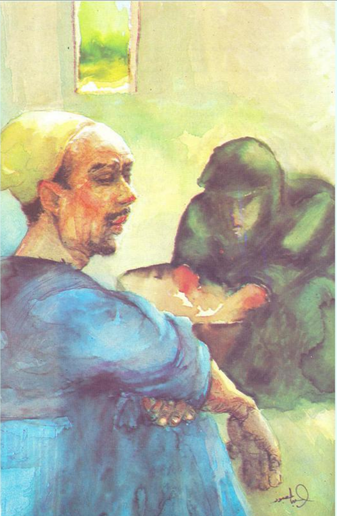
انتبه على صوت « الأسطى » حسنين . .

الزبائن بالمحل . . السلام عليكم . .

لم يطلب منه الانتظار ليشرب الشربات ، أغلق خلفه الباب وعاد الى غرفة الضيوف ، جلس الى أحد المقاعد ، ونظر من جديد الى صورة ولده وصورة العروس . . كيف يصدق أن المهندس يفعلها دون علمه . .

الفتاة لاتشبه أيًا من تلك الوجوه التى تخيلها زوجة لابنه ، وأمًا لأحفاده . . كيف استطاع . . ؟ ! بل كيف طاوعه قلبه ؟ ! . . نوارة الدار ، وفرحة القلب ، وراحة الروح . . نظر من النافذة . . كانت الأشجار والحقول الممتدة حتى الأفق في أماكنها ، لكنه





لم يرها . . كان عقله قد أخذ عينيه الى الوراء . . الى الليلة التى ولد فيها المهندس . . بعد خمس سنوات من الشوق والانتظار . . جاء الى الدنيا خابطا يديه وقدميه في الهواء . . تذكر كيف حمله على يديه ، وأخذ يجري في قاع الدار . . تذكر كيف رحلت التعاسة وحلّت الفرحة بقدوم محمد . . من اللحظة التى جاء فيها ، هجر الحاج صابر المقهى . . وسهرات الليل ، وتفرغ للأرض والدار . .

تحول الفدان الذى ورثه عن أبيه الى معشوقة جميلة . . هدهدها وقلمها وروّاها . . من أجل عيون محمد ، احتضنت الدار ـ التى ورثها عن أمه ـ أسرة صغيرة وسعيدة . . وعندما انضمت اليهم خديجة بعد ذلك بعامين ، حمد ربه وأثنى عليه . أعطاه أكثر مما يستحق ، تحول الى المسجد وواظب على الصلاة . . الصلاة والعمل والجلوس في البيت ، كانت متعتهم . . عندما حصل ولده على الثانوية العامة ودّ لو يستطيع الصعود الى مئذنة المسجد ، لينادى أهل القرية بأن ولده سيدخل الجامعة . . مثله في ذلك مثل ابن العمدة . . منعه الحياء وخوف الحسد . . كانت فرحته لا يؤرقها سوى فكرة رحيل محمد الى القاهرة . . تلك المدينة البعيدة التى سمع عنها الأهوال . . أخفى خوفه من أجل عيون محمد ، ومن أجل كلية الهندسة . . القاهرة . . أيتها الساحرة . . ماذا تفعلين مع الأولاد ؟ .

كل من يدخلك يلتصق بك كأنك قدره . . منذ أخذته من بين يدىّ وزياراته تقل . . أعذاره تكثر . . بعد تخرجه من الكلية أصبحت فرحة الحاج صابر غيابية ـ خطابات . . أخبار . . دعوات . . حوالات نقدية . . أصبحت حياته معلقة ببعض سطور يقرؤها عليه « الأسطى » حسنين ، وها هو اليوم مطالب بأن يبتهج بصورة ظهرت في جريدة . . انتبه الحاج صابر على صوت أم محمد تناديه . . قام من مقعده وسار ببطء . .

أحسّ أن عمره تقدم ، وأن آلام ركبتيه ازدادت ، وأن نفسه بدأ يضيق . .

ـ نسيت نفسك مع الحلاق وتركت النار تأكلنى ! . .

ـ لا تخافى . . كل شىء على مايرام . .

ـ لماذا نشرت الصورة ؟ ! . .

قدم لها الجريدة .

ـ انظرى . . هذه عروس ولدك . . مبارك ياأم محمد . .

رددت وهى تنظر الى الصورة

ـ الحمد لله . . الحمد لله . .

أضافت . .

ـ ما أجملها . . انظر كم هى جميلة . .

أجابها الحاج صابر .

ـ لكنها ليست أجمل منه . . ثم انها أكبر منه سنا . . وأذناها كبيرتان . .

ـ اتق الله يارجل . .

ـ أنا لا أكذب . . أنظرى جيدا .

تفرست من جديد في الصورة . . سكتت للحظة ، ثم قالت :

أراها جميلة . . والأهم أنه اختارها بنفسه . . على هواه . .

نكأت جرحه . . همس بصوت منخفض

ـ ألم يكن من الواجب . . أعنى ! . . أليس من المفروض . .

قاطعته بسرعة . . كانت تخاف عليه من أحزانه الخاصة . .

تعرف أن الحلاق ثرثار . . القرية كلها باتت الآن تعرف الخبر . .

ـ لماذا لاتخرج وتشترى الشربات ؟ . .

ـ شربات ؟ ! . .

ـ نعم . . انه يوم العمر . . سيأتى الناس للتهنئة . .

ـ تهنئة ؟ ! . .

ـ مابك يارجل ؟ . . هل أطاحت الفرحة بعقلك ؟ . .

ـ فرحة ؟ ! . .

كانت تُقَطِّعُ العجين الى قطع صغيرة ، ترصها بعد ذلك متجاورة في وعاء الى يمينها ، توقفت وقالت بجدية .

ـ خيرا ياأبا محمد . . مابك ؟ ! . .

صاح فيها

ـ كل هذا نتيجة لتدليلك . . يفعل مايريد وكأننا متنا . .

ـ ماذا تقول يارجل ؟ . . لقد تزوج على سنة الله ورسوله .

ـ ونحن . . ألسنا ضمن السنة . . أليس رضانا واجبا عليه . .

ـ ومن قال أننا غير راضين

ـ انا . . أنا . . أنا ياأم محمد . .

تحاشت النظر الى وجهه المرتعش . تشاغلت بمسح يديها من آثار العجين العالق بها ، أمسكت « القلة » ورفعتها الى فمها . استعاد الحاج صابر هدوءه بسرعة ، استغفر الله وطلب منه العفو ، تمتم لنفسه .

ـ لقد حلمت طويلا بهذا اليوم . .

أضاف وهو يأخذ « القلة » من زوجته !

ـ تخيلت نفسي الى جواره . . ولكن . . ربما أصبحت عارا على ولدي !!

لاحظت أم محمد ان آلامه ستزداد . . خاطبته بحنان .

ـ كيف تظن ذلك يارجل ؟ . . ألا يرسل النقود والخطابات كل شهر ، . . هل أهمل المهندس ـ حماه الله ـ في شيء ؟

ـ انا لا أعني الخطابات . . أعني . . أعني . .

اختنق صوته . . لملم نفسه ونهض من جوارها .

ترك غرفة النوم . ارتفع صوت أم محمد من خلفه .

ثلاث زجاجات من « الشربات » وكيلو سكر . . لاتنس المرور على خديجة . . اطلب منها الحضور مع زوجها . .

واصلت تقطيع العجين الى قطع صغيرة ، سقطت منها قطعة على الأرض أزاحتها بعيدا . . هبطت يداها بعصبية على العجين تفرك فيه بقوة ، حمدت الله ، لأن أبا محمد لم يلاحظ الدمعة التى سقطت من عينيها ، أسرعت ومسحتها ، ثم استمرت في تقطيع العجين .

خرج الحاج صابر قاصدا دار ابنته خديجة ، كانت شمس الريف قد ارتفعت بضوئها ودفئها على أسطح البيوت ، وكانت رياح شمالية خفيفة قد جلبت هواءها المنعش . . حاول ان يفتح ياقة جلبابه لأقصى مدى ، ويأخذ قسطا كبيرا من الهواء حتى يشعر بالراحة . . الجريدة تحت ابطه ، ويده اليمنى ترفع جلبابه الواسع حتى لايدوس عليه . . الصبايا يحملن الجرار ويتجهن صوب مضخة المياه . .

نظر اليهن . . فساتين مزركشة وطويلة حتى الكعب . . وجوه حبيبة وبهية وأصلية . . مناديل ملونة تخرج منها ضفائر سوداء طويلة . . هز رأسه في حسرة . . مالها بنت شيخ البلد يامحمد ؟ . . بنت ناس . . وكلمة من أبيها ترج البندر ! . . ليس لك في الطيب نصيب ياولدي . استمر يحدث نفسه ويدفع بالهواء الى صدره علّه يستريح . . انتبه على أصوات تناديه . .

وجد نفسه أمام مقهى المعلم بهلول .

ـ مبارك ياحاج صابر . .

منه لله « الأسطى » حسنين ، يصل الفجر وينتشر في القرية (كأنى قردان) يقص الشعر ويطيل الكلام !!

ـ شكرا يامعلم . . « عقبال » أولادك . .

شد المعلم بهلول على يده بقوة ، تحول الى صبى المقهى وناداه ،

ـ وزع شربات المهندس ياولد . .

جلس الحاج صابر على أحد المقاعد يتلقى التهاني . . دبت الحيوية في أعضائه . . أخرج الجريدة وفتحها على صورة محمد وعروسه . . تناثرت الكلمات الطيبة من حوله . . سأله شيخ الخفراء وهو يقرأ الكلمات أسفل الصورة .

ـ أمسافر أنت اليوم الى القاهرة ؟ .

اعتدل الحاج صابر في جلسته . ابتسم كأعرض ما تكون البسمة .

قال بصوت واثق .

ـ المهندس مُصِّر على سفرى . . يقول بأنه لافرح الا بوجودى . .

أجابته أصوات كثيرة .

ـ عنده حق . . يجب أن تسافر . .

ـ والأرض . . من يعتنى بها ؟ . .

صمت للحظة ثم أضاف . .

ـ الأرز يحتاج للماء كل يوم . .

رفع عينيه للسماء . لمح سربا من الطيور يحلق في نصف دائرة . .

رأى أشعة الشمس تلمع على أطراف الأجنحة . . أكمل كلامه .

ـ السنابل ممتلئة ، والطيور كما ترون تتربص بالسنابل . .

للم الجريدة وطبقها بعناية . . أعادها الى مكانها تحت الإبط . .

وواصل كلامه :

- ولدى طيب . . سيفهم . . سيعذر ظروفي . . لم يحدث أن خيب رجائي فيه أبدا . . حماه الله من كل سوء . .

نهض واقفا . . عندما وصل باب المقهى التفت الى الخلف وخاطب الجميع . .

- كما أنني لا أستطيع ترك البقرة . . مازالت ترفض الطعام . . سار في طريقه واستمر يخاطب نفسه . .

- يجب أن تأكل . . يجب أن تأكل . .

بعد صلاة العصر تحولت دار الحاج صابر الى ما يشبه الفرح الحقيقي ، انتشرت في أرجاء الدار حيوية خديجة وبهجتها ، طار صوتها الحلو من نوافذ الدار واختلط بنسمة العصاري . كانت تغني لأخيها وهي تحرك السكر في أكواب « الشربات » بأيادي الصبايا من بنات القرية لا تكف عن التصفيق المنغم . . انشغلت أم محمد بتقطيع قالب الثلج الى قطع صغيرة ، اقترب منها الحاج صابر ، قال دون ينظر الى وجهها .

- عتك يا أم محمد . .

تحولت الى زجاجة شربات وفتحتها ، أخذت تصب محتواها في وعاء الماء .

- ستزوج أولاده بأذن الله . .

أخذ يضيف قطع الثلج الى الوعاء . .

- سامحه ياحاج . .

وضع كمُ جلبابه على عينيه . . مسحها بسرعة . . أعطاها ظهره .

قال وهو يتحرك الى غرفة الضيوف .

- إنه ولدى . . ليحرسه الله . .

جلس بين الرجال ، يوزع الابتسامات ويتقبل التهاني . أخذ يحكي القصص عن والد العروس : حسيب بك ، عين أعيان الصعيد . . رجل بمعنى الكلمة . عائلة لها أصل وسمعة . . سأله جاره عبد المولى .

- هل رأيته ياحاج ؟

أجاب بسرعة .

- طبعا . . طبعا . . وهل تظن أن يذهب المهندس بدوني ؟ !

ثم زاد مؤكدا .

- في الشهر الماضي . . ذهبنا الى قصره في مصر ، وخطبنا ابنته ، واتفقنا على موعد عقد القران .

استمر موضحا .

هو أصلا من الصعيد ، لكنه يسكن مصر منذ عشر سنوات . . هو الآن موظف كبير جدا هناك .

التفت الى الشيخ اسماعيل مقرىء القرآن وقال :

- عندما قلت لحسيب بك انني لن أحضر كَتْبَ الكتاب ، تأثر كثيرا وسألني عن السبب . .

تخيل أحدهم يسأله فاستمر في الكلام .

. . قلت له انني لا أستطيع ترك الأرض وحدها . . اذا غضبت الأرض مني فماذا أفعل ؟ ! .

خاطب الجميع هذه المرة . .

. . تعرفون . . الأرز يحتاج الى الماء . . والسنابل تحتاج الحماية ، والبقرة يجب أن تأكل . .

أحس بصدره يضيق أكثر وأكثر ، وبأن الكلمات تخرج من فمه جافة غير مكتملة ، وبرغم نسمة الهواء الباردة شعر بحرارة الجو . العرق يتصبب من تحت أبطيه . توقف عن الكلام ونهض واقفا ، ترك غرفة الضيوف ، مر بقاع الدار ، الصبايا لا ينقطعن عن الغناء ، تحرك بينهم وسار في اتجاه حظيرة المواشي ، نظر الى البرسيم والفول المجروش ، كان كما تركه لم تلمسه البقرة ، جلس أمامها وأخذ يقلب الطعام .

- كلي أيتها الطيبة . .

نظر في عينيها . . الواسعتين . . خيوط دموية متشابكة تملأ البياض ، يسيل منهما شيء شبيه بالدموع .

- وليدك العجل سيعتني بنفسه . .

مر بيده على جبهتها . . أخذ يدلك رقبتها . تناول حزمة برسيم ودسها في فمها .

- صدقيني سيعتني بنفسه . . الأبناء يعتنون بأنفسهم . .

أشاحت برأسها بعيداً . . عادت من جديد لتنظر اليه بعينيها المفتوحتين الصامتتين . . لم يستطع الصمود . . دفن رأسه في وجهها وأجهش بالبكاء . .

هبطت البقرة برأسها الى أسفل . . غاصت بفمها في طبقات البرسيم الأخضر . . . .

ورفعت رأسها وأخذت تلوك ما بفمها ببطء شديد .

□

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

علمي ابنك القراءة واقتناء الكتب



... ومن بعض الغذاء داء !

بقلم : الدكتور رياض العلمي

اعتاد الناس تناول بعض المأكولات والمشروبات دون النظر الى أضرارها المحتملة ، والى الآثار الجانبية السيئة التي تنتج عنها . ماذا تقول اذا علمت أن الاكثار من عرق السوس يتسبب في ارتفاع ضغط الدم مثلا ؟ وان الاكثار من تناول المواد الحاوية على الكافئين يؤدي الى الهيجان والتوتر والقلق ؟ وأن المضافات الغذائية الحافظة قد تؤدي الى السرطان ؟ ان لم تكن تعرف كل هذا فاليك هذا المقال !

هناك من المستحضرات التجارية والسلع الغذائية ماله تأثير ضار دون أن يفطن الناس الى ذلك التأثير . ومن هذه المستحضرات والسلع ما يمكن أن نسميه بالأدوية الخفية ! انها مواد تنتج وتباع ، ويستعملها الناس دون أن يدركوا مخاطرها ، وهي من جانب آخر سلع وعقاقير ، لا يمنعها القانون ولا يحظر تداولها ، فهي بذلك مواد غذائية شأنها شأن السلع الاستهلاكية الأخرى ، بشرط أن تتوفر لها النظافة والنقاء .

ومن تلك الأدوية التي ندعوها خفية ، والتي يقبل عليها الناس اقبالا عاديا التبغ والكحول ، وهما من الآفات الاجتماعية التي يعم ضررها ، ويرى فيها الناس علاجا نفسيا . ولكن هناك أدوية خفية اخرى كثيرة،ليست نفسية ، يشيع استعمالها دون حذر ، كعرق السوس والتيرامين والكافئين .

يستخرج عرق السوس من مصادر طبيعية ، أي من النبات ، ويستهلك في العادة بكميات كبيرة ، وقد يسبب ارتفاعا بضغط الدم . وهو يزيد من حالة الضغط ان كان مرتفعا ، وقد يتنافر مع الأدوية المضادة لضغط الدم المرتفع . ويستعمل عرق السوس كمادة محلية للحلويات بمختلف أنواعها ، وينتشر في أقطار الوطن العربي ، وبعض من أقطار الشرق الأوسط ، ويكثر تناوله في الصيف وفي شهر رمضان المبارك ، وقد يتناوله شخص ما يشكو من ضغط الدم المرتفع ، فتسوء حالته دون أن يدرك ، ولهذه الأسباب نضع عرق السوس ضمن الأدوية الخفية .



التيرامين : أما التيرامين فهو أيضا عقار خفى ، له أضرار أكثر خطورة من عرق السوس . فالتيرامين يدخل فى مجموعة كبيرة من الأطعمة والأغذية والمشروبات . وقد لا تكون له آثار سيئة ، ولكن خطورته تظهر اذا أخذ بنفس, الوقت مع أدوية من فئة MAo-Inhibibitors وقد تكون قاتلة أحيانا ، فهذه المجموعة من الأدوية تصرف عادة للمرضى الذين يشكون من الاكتئاب ، ويوجد التيرامين عادة فى بعض الأطعمة ، وان اجتماعه فى جسم الانسان مع هذه الأدوية فى آن واحد قد يؤدى الى ارتفاع فى ضغط الدم ، ويسبب صداعا شديدا أو نزيفا دماغيا ، وقد يؤدى الى الموت . ونذكر من الاطعمة التى تحتوى على كميات كبيرة من التيرامين الأجبان القديمة ، والاسماك المخللة والمملحة ، والنقانق المتخمرة ، ولحم السلام المختمر ، ولبن الزبادى ، وأكباد البقر والدواجن ، والموز ، والتين المعلب ، وفول الصويا ، والخميرة ، والبيرة وغيرها . وهناك اعتقاد بأن هذه المواد تتفاعل تفاعلا خطرا مع الأدوية الخفية الموجودة فى القهوة ، والشاى ، والكاكاو ، ومشروبات الكولا .

الكافئين

يحتوى الشاى على الكافئين والفيوفيلين . فاذا كان مشروب الشاى مركزا ، فانه يعد من أكثر مشروبات زنتين تنشيطا ، ومن أهم الأدوية الخفية .

ويحتوى الكاكاو على الكافئين وعلى الثيوبرومين ، فى حين تحتوى الجوارانا على الكافئين ، وتستعمل لتحضير المشروبات المختلفة فى بلدان امريكا.

يعد الثلاثى ـ الكافئين وثيوبرومين وثيوفيلين ـ قلويدات منشطة للجهاز العصبى المركزى . فهى ترفع من حدة الانتباه والنشاط ، وتقلل من التعب والكسل ، كما انها القوة العضلية للجسم ، وقد يزيد الكافئين من قوة الفهم وْالتعلم والاستيعاب والدقة فى المعلومات .

وقد لوحظ ان الكافئين يزيد من سرعة الشخص الضارب على الآلة الكاتبة ، ويساعد على دقته ومهارته . كما أن الكافئين ينشط عضلة القلب ، ولكنه يسبب ارتخاء فى العضلات الملساء كعضلات القصبة الهوائية . ويزيد الكافئين من استهلاك الجسم للأكسجين ، كما يسرع فى استهلاك المواد الغذائية .

ان كوبا من شراب القهوة أو الشاى المركز ، قد يحتوى على كمية تتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ ملغراما من الكافئين ، وهذا يوازى الجرعة الطبية العادية الفعالة لهذه المادة.كما ان قطعة من شيكولاته قد تحتوى على ٢٥ ملغراما من الكافئين ، بالاضافة الى ثيوبرومين . وقد يحتوى شراب الكولا على ٣٥ ـ ٥٥ ملغراما فى كل

علبة من حجم ١٢ أونسا .

ومن الثابت أن ٤٠٠ ملغرام من الكافئين تسبب الحساسية المفرطة ، والتوتر والرجفة والصداع والهيجان ، وقد يشكو بعض الأفراد من هذه الأعراض بمجرد تناول كوب واحد من القهوة ، بينما يحتمل البعض الأخر شرب ٣ - ٤ أكواب من القهوة أو الشاي في جلسة واحدة ، دون أن يظهر عليهم أي أثر ، ولكن معظم الناس يصابون بحالة من الهلوسة والتشنجات ، بعد تناولهم جرعة ١٠٠ ملغرام من الكافئين . أما الجرعة القاتلة من الكافئين فهي بحدود ١٠ غرامات ، أي ما يوازي ٦٠ - ١٠٠ كوب .

ان الذين لا يموتون من مثل هذه الجرعات الكبيرة ،لا بد انهم يشكون من أعراض كثيرة اخرى ، مثل الهيجان والتوتر وعدم الارتياح والرجفة والتنميل ، بسبب سوء الدورة الدموية في الأطراف ، كذلك يصابون بزيادة في التبول ، وفي سرعة دقات القلب ، وتدل جميعها على تسمم ناتج عن جرعة مرتفعة من الكافئين ، كما ان طنين الاذن والهلوسة والزغللة وارتباك النظر ورؤية خيالات وخطوط ملتوية متشابكة ، هي أيضا من أعراض جرعة الكافئين المرتفعة .

ان التعود الجسماني والنفسي على هذه الأدوية ملحوظ في العادة ، ولكن الكثيرين لا يعدونه تعودا وكثير من الناس لا يستطيعون بدء يومهم دون فنجان من قهوة الصباح . اما الذين يستهلكون كميات كبيرة من الكولا فانهم يشكون من التوتر والهيجان اذا حرموا منها يوما واحدا فقط . ويعد الكافئين من المواد الضارة للقلب ، نظرا لمفعوله الواضح على سرعة دقات القلب ، وعلى رفع ضغط الدم ، وعلى زيادة ادرار البول ، ان مدمني شرب القهوة معرضون للاصابة بالنوبات القلبية أكثر من غيرهم ، لذلك تعد القهوة دواء خفيا .

المضافات الغذائية

من الأدوية الخفية ما يدخل في العديد من الأطعمة والأغذية ، كمواد اضافية حيث تضاف بعض المواد الكيماوية الى الأغذية لحمايتها من التلف والتعفن ، بقصد المحافظة عليها وابقائها طازجة ، أو لتضفي عليها الألوان المناسبة ، أو المذاق المناسب ، وتزيد من ثباتها . ولقد ازداد عدد هذه المضافات في الوقت الحاضر ، حتى باتت مشكلة يجب التفكير فيها بجد .

ان أهم ما يخشى من هذه المضافات هو السرطان الذى قد تتسبب فيه بعض المواد الكيماوية الحافظة ، أو المضافة ، وهناك مواد غذائية طبيعية تحتوي على مواد « مسرطنة » شأنها في ذلك شأن المواد المصنعة . لنأخذ مثلا مادة النيترات التي يشك بأنها تسبب السرطان . انها موجودة بصورة طبيعية في كثير من الخضراوات كالباذنجان ، وان استعمالها للمحافظة على اللحوم أمر يدعو الى الشبهة .

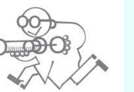
لقد أوصت منظمة الأغذية والأدوية الأميركية بمنع مادة السكارين ، وعدم اضافتها الى المأكولات والمشروبات ومواد التجميل ، غير أن هذا الموضوع ما زال يحير العلماء ، لعدم وصولهم الى نتائج حاسمة .

الغاز الضاحك

يطلق على هذه المادة الكيماوية أيضا غاز أكسيد النيتروز ، ويستعمل عادة في التخدير ، وخصوصا في طب الأسنان ، وبعض العمليات الجراحية الأخرى ، ولا يصرف الا بموجب وصفة طبية في المستشفيات ، ولكن هذه المادة تدرج ضمن الأدوية الخفية فلماذا ؟

يستعمل أكسيد النيتروز كغاز في بعض المستحضرات التي تدخل في اعداد الحلويات . وهذا الغاز يوجد في بعض المطاعم والمقاهي في أميركا ، ويباع بسهولة بدون وصفة طبية لأي عابر سبيل . ويسبب الغاز الضاحك حالة من الانتعاش والشعور بالتحليق ، صحيح أنه لا يحدث هلوسة ، ولكنه يتسبب في جموح الخيال والتصورات ويبعث على الضحك بدون أسباب .

ان الغاز الضاحك لا يحدث آثارا ضارة واضحة بحد ذاته ، غير انه قد يتسبب في حالة اختناق من



جراء منع الأكسيجين . فاذا استنشق هذا الغاز لثوان معدودة فلا ضرر منه . أما اذا استنشق لدقائق قليلة فان نتائج خطيرة قد تحدث منها ، مثلا : نبض بطيء ، ولون أزرق ، وضغط دم مرتفع ، فضلا عن حركات عضلية لا ارادية ، وتشنجات وتنفس مضطرب ، وكل ذلك يتسبب فى قلة الأكسجين ، وقد يؤدى الى الموت فى النهاية .

ومن الأدوية الخفية جوزة الطيب ، وهى بذور ثمرة الشجرة التى تحمل هذا الاسم ، أما البسباسة فهى الغلاف الخارجي للبذرة ، وتحتويان على مادتين فعالتين نفسيا ، تدعى الأولى ميرستيسين ، وتدعى الثانية الميسسين .

ويستعمل البعض جوزة الطيب والبسباسة لأسباب نفسية ، كنوع من الادمان ، حيث تؤخذ بعد اذابتها فى احدى المشروبات كالشاى أو العصير أو الموز المهروس . ويؤخذ هذا العقار أحيانا عن طريق الشم بالأنف ، غير أن هذه الطريقة مؤلمة للغاية .

ويحدث الغثيان والقيء والدوخة فى فترة تتراوح بين ساعة وخمس ساعات ، بعد أن تؤخذ جرعة جوزة الطيب ، والجرعة تتكون من ملعقة الى ملعقتين كبيرتين ، أو تستمر الاعراض مدة ٤٥ دقيقة ، يتلوها شعور بالانتعاش والانبساط والراحة النفسية ، كما يشعر المرء بجفاف فى الفم والحنجرة والحلق وبعطش شديد ، وتظهر بقع فى الجلد ، واحمرار فى العينين ، وسرعة فى دقات القلب ، وامساك وصعوبة فى التبول . أما التوتر والخوف وعدم وضوح الكلام والتأتأة ، وعدم المقدرة على الحركة ، فهى أمور قد تحدث أحيانا .

التبغ

والتبغ دواء خفى يعد مشكلة من مشاكل العصر . فهو نبات تصنع منه السجائر والسيجار والزعوط ويعد من الأدوية الخفية ، لما فيه من مواد تؤثر على الجسم أهمها النيكوتين . والزعوط هو التبغ المسحوق ، ويشم عن طريق الانف ، ليدخل الى الدم مباشرة عن طريق الاغشية المخاطية ، وهو شائع فى بعض البلدان فقط . ويختلف التبغ عن غيره من المكيفات بأنه لا يشرب عصيره ولا تبلع أوراقه .

وفى عام ١٩٣٩ بدأت أول دراسة تربط بين التبغ والسرطان، وفى عام ١٩٤٥ حذرت ما يوكلينك من أضرار التدخين وأثره على الأوعية الدموية ، وفى عام ١٩٥٠ ثبت بالبرهان القاطع أن للتدخين علاقة بالسرطان . وفى عام ١٩٦٥ صدر قانون يلزم شركات التبغ بذكر تحذير طبي يطبع على كل علبة سجائر .

والدخان الذى يستنشقه المدخن يحتوى على ١٢٠٠ نوع مختلف على الاقل من الغازات والشوائب وهى توجد بمعدل خمسة بلايين جزىء فى كل سم^{3} . ولو جمعت هذه الجزيئات لتكون منها مادة بنية اللون تسمى القطران ، وهو مادة « مسرطنة » من جملتها بنزوبايرن ، ولكنها لا تشكل سوى ٨٪ من مكونات الغاز لان ٩٢٪ غازات وابخرة يختلط بعضها بالبعض الآخر ، ومن اخطرها غاز أول اوكسيد الكاربون الذى يوجد بتركيز يزيد ٤٠٠ مرة عن التركيز العادى ، وهذا الغاز يقلل من قدرة الدم على حمل الاكسجين ، ومن المؤسف أن المدخن يتعرض لكل هذه الاخطار فى وقت واحد . .

ان ولع الناس بالتدخين يعود بالدرجة الأولى الى احتوائه على مادة النيكوتين . ومن الثابت أن أثره سريع وفورى ، فاذا شعر المدخن بالتعب والتوتر ، فان النيكوتين يعمل كالدواء المهدىء ، واذا حاول المدخن أن ينقص وزنه باتباع نظام غذائى معين ، فان النيكوتين يعد مثبطا للشهية ، وقد تم اكتشاف النيكوتين وفصله لأول مرة فى عام ١٨٢٨ ، وكان

المفعول العلاجي الوحيد له هو تنشيط النفس . أما آثاره السمية فهي كثيرة . ويمتاز النيكوتين بأنه قلويد سائل نادر لأن القلويدات مساحيق بيضاء اللون في العادة . وهو يتبخر بسرعة مع درجة الحرارة العادية .

ويعمل النيكوتين على سرعة التنفس وزيادة دقات القلب ، كما يضيق من الأوعية الدموية ، وبذلك يرفع من ضغط الدم ، مما يؤدي الى زيادة الحمل على القلب .

يعمل النيكوتين على اضعاف الشهية للطعام ، ويخفف من تقلصات المعدة ، فلا يشعر الانسان معه بالجوع ، ويسبب زيادة بسيطة في سكر الكلوكوز في الدم ، لأن الكبد يفرزه من النشويات المخزونة فيه . كذلك يخدر التدخين حاسة الذوق في اللسان ، فلا يشعر الانسان بلذة الطعام ، الأمر الذي يقلل من الاقبال عليه .

ومن مضار التدخين تأثيره على الجنين في بطن أمه . والمدخنات يضعن أطفالا أقل وزنا من المعدل ، ويغلب عليهم اللون الأزرق ، هذا فضلا عن تعرضهم للأمراض أثناء الحمل . فالنيكوتين يتسرب الى الجنين عن طريق المشيمة ، كما أن الطفل الذي يرضع من حليب أمه المدخنة قد يصاب بتسممات النيكوتين المختلفة ، وبالهيجان والعصبية والبكاء المستمر .

وقد أجريت دراسة في عام ١٩٧٨ ، على علاقة التدخين بالأدوية المانعة للحمل عن طريق الفم ، فثبت ان ذلك يؤدي الى زيادة ضربات القلب عند الأم ، وتعرضها للانفجار الدماغي ، وغير ذلك من الحوادث المتعلقة بالدورة الدموية والقلب .

وقد ثبت أن التدخين يتسبب في أمراض سرطان الرئة وامراض القلب ، وضغط الدم ، والقرحة المعدية وسرطانات أخرى . كما ان الاحصائيات تدل على أن عدد الوفيات بالسكتة القلبية بين المدخنين ، يصل الى ضعف عدد الوفيات بين غير المدخنين . وهذه النسبة تنطبق على وفيات السرطان بأنواعه ، ويموت من المدخنين ثلاثة أضعاف غير المدخنين بسبب التدخين ذاته .

الكحول

يمتص الجسم الكحول بسهولة وبسرعة من جميع أجزاء الجهاز الهضمي ، وتكون الكمية الممتصة عن طريق الفم قليلة جدا ، أما أكبر كمية يتم امتصاصها فتأتي عن طريق المعدة (حوالي ٢٠٪) ، وكذلك عن طريق الجزء العلوي من الأمعاء (٨٠٪) ، وان درجة الامتصاص سريعة وكاملة ، لان الكحول عبارة عن جزيئات صغيرة تذوب في الدهون ، وتخترق جدار الخلية بسهولة .

ان تناول الكحول بكثرة ولمدد طويلة ، يؤثر تأثيرات عديدة وخطيرة على الجسم ، نذكر منها باختصار بعض هذه التأثيرات ، فهي .. يؤثر على الدورة الدموية والقلب وضغط الدم ، كما تساعد على ظهور السرطان في الأعضاء التي تلامسها ، كالفم والمريء واللسان والمعدة والكبد . وقد تسبب تشمعا في الكبد ، ونقصانا في نسبة السكر في الدم ، وتتدخل في افرازات البنكرياس ، وتغير من حركة الامعاء ، وتؤثر على الخمائر والانزيمات في الجسم ، وتمنع امتصاص بعض المواد المهمة كالفيتامينات والحديد والكلس والأحماض الأمينية ، وتؤثر على المعدة ، محدثة فيها الالتهاب والقرحة والنزيف ، ومن أهم آثارها ما يتعرض له الجهاز العصبي والدماغ ، اذ تؤدي الى الادمان . ومن أخطارها المؤكدة تأثيرها على الأجنة ، وعلى الأطفال الرضع ، وعلى القوى الجنسية وغير ذلك .

تنافر الكحول مع الادوية

ومن اخطار الكحول أيضا تنافرها وتداخلها مع الأدوية ، فان تناولها مع اللومنال يزيد من مفعولها ، وهذا القول ينطبق على الفاليوم والميبرومات ، وغيرها من الأدوية المهدئة ، والأدوية المضادة للكآبة والتشنج ، وأدوية التخدير والمورفين وغيرها . □

علمي ابنك القراءة واقتناء الكتب

اعداد : ريم الكيلاني

« مع بداية وعي الطفل .. تبدأ عيناه بالتقاط الصور الملونة ، وعليك عزيزتي الأم أن تنتبهي لهذه الحالة ، وتعلّمي ابنك حب القراءة واحترام الكتاب » .

عُرف الكتاب على مر السنين أنه الصديق الأمثل ، وان القراءة هي الهواية التي تغذي العقل والروح ، والأسرة الناجحة هي تلك الأسرة التي تعتني بالكتاب وبنوعيته ، وبإثارة اهتمام أطفالها تجاه الكتاب ، وعنايتهم بنظافته وترتيبه .

غالبا ماتلفت الصور الملونة والأشكال الزاهية نظر الطفل في سنوات عمره الاولى ، وهذه واحدة من مئات الرغبات الكامنة في نفس الطفل ، ولكنها خطوة تثبت تطور قدرات الطفل في مجالي القراءة والكتابة .

ان الطفل الذي يتعلم كيف يقتني الكتاب ويحافظ عليه ، سرعان ماتراه يسأل ويستفسر ، ليتعلم كيف ينطق الحروف ويحولها الى كلمات تشرح الصورة الملونة التي أثارت اعجابه ، وعلى الأم في هذه الحالة بذل ما تستطيع لتشجيع هواية القراءة لدى طفلها .

ان عملية إعداد رفوف خشبية للكتب بحيث تكون قريبة منه ، خاصة به ، يستطيع أن يصل اليها بسهولة ليختار مايشاء منها ، كما ان عادة الذهاب الى المكتبة العامة من شأنها أن تخلق رغبة قوية لدى الطفل في اقتناء الكتب ، بل ان عملية ارتياد المكتبة تصبح احدى متعه اليومية .

والذي يزيد من حبه للقراءة تعاون أمين المكتبة مع متطلبات ورغبات الطفل ، وتأكيده على وجود القصص القصيرة ، التي عادة مايقرؤها الطفل بصوت مرتفع ، وهذا من شأنه أن يطور عملية القراءة عند الطفل وينميها .

ان أعظم تشجيع للطفل ليتعلم القراءة يكون بخلق الاحساس لديه بأن قراءة الصحف والمجلات والكتب شيء مهم وممتع في حياة الأسرة ، ولهذا أكبر الأثر في اتجاه الطفل نفس اتجاه الوالدين ، ليكتشف بنفسه المتعة الحقيقية في القراءة . ولكن - عليك أيتها الأم أن تعلمي طفلك كيف يفرق بين الكتب وبين الصحف والمجلات ، وعلى الطفل أن يكون مدركا

تماما بأن الكتاب شيء لابد من الاحتفاظ به ، لأنه يحتوي على معلومات قيمة تجعله مرجعا للقارىء في أي وقت .

كيف يختار طفلك مادة القراءة ؟

قد تتوقع الأم أن يولع ابنها بقراءة كل الكتب التي خصصت للأطفال .. ولكن هذه ليست قاعدة ، فقد يميل الطفل لقراءة كتابات معينة ، خلاف التي تقدمينها له ، وليس في هذا مايدعو للقلق ، مادمت لا تلحظين ابتعاد طفلك تماما عن قراءة الكتب .

فقد يكون طفلك مولعا بالكتب ذات الطابع السلس السهل ، أو بالكتب الهزلية التي تحمل في طياتها الطرائف المعروضة بطريقة جيدة ، مدروسة على أسس علمية وتربوية . ودور الأم هنا أساسي في تعليم طفلها كيفية التعامل مع الطرفة كجزء أساسى من قراءاته ، دون الشعور بأن مثل هذه القراءات مرفوضة داخل الأسرة . ومن المرجح رفض الطفل للكتاب الجيد ، الى أن يجد مايشجعه على القراءة ، كالقصص الكلاسيكية التي تعرض مسلسلة على التلفاز ، أو تذاع ضمن البرامج الاذاعية .

كيف يستعمل التلفاز ؟

لاشك أن الأطفال اليوم لايقرأون كالأطفال في الماضي ، فوجود التلفاز والمذياع قلل من شغف الأطفال وولعهم بالكتاب ، ولكن هذا لايعني أن ثقافتهم اوإطلاعهم بات أقل .

اذا وجدت الأم أن طفلها متحمس لقراءة الكتب عن طريق الصورة المتحركة ، فعلى الأم أن تبحث عن محطة اذاعية متقدمة وراقية لضمان استفادة الطفل من المادة المعروضة . وهذه الممارسات والتطبيقات قد أصبحت شائعة في وسط الموزعين ، الذين بدأوا يحددون زمن طباعة واصدار القصص الكلاسيكية للأطفال ، تماما كما هو الوضع بالنسبة للكبار ، وذلك لخلق التوافق بين مايقرؤه الطفل وبين مايراه مسلسلا على شاشة التلفاز .

والى جانب هذه المطبوعات الكلاسيكية ، هناك كتب جديدة للأطفال ، توزع باستمرار لتناسب كافة الأعمار ، فان كنت تشتري كتابا هدية لطفلك ، ووجدت مجالا واسعا للاختيار من مجموعة العناوين المدونة التي قد تثير حيرتك ، فما عليك الا استشارة مدرس الفصل الذي بامكانه أن ينصحك بالكتاب المناسب .

وقد تلاحظ الأم اتجاه إبنها في إحدى مراحل العمر للاسهاب في قراءة كتب الجريمة والعنف ، فعلى الأم في هذه الحالة أن تتقبل هذا الوضع ولا تعتقد أن ابنها انسان وحشي أو سفاح أو ربما كئيب ، فهذه مرحلة شبيهة بمرحلة حب الطفل واتجاهه لقراءة القصص المرعبة ، التي تصور له أشياء كثيرة عن السحرة والعرافين والعمالقة ، فمثل تلك التجربة هى المتعة الحقيقية التي يجنيها الطفل من قراءته . فلا تمنعى طفلك من قراءة هذه المواضيع في البيت ، فليس في قراءتها أي ضرر ، لان مثل هذه الاتجاهات سرعان ماتتلاشى لدي الطفل بمجرد شعوره بتفاهة المادة التي يقرؤها ، وسيتجه نتيجة للملل لقراءة مادة أخرى تثير اهتمامه ، وتأسر انتباهه ، وتكشف اي غموض بالنسبة له ، كأمور الفضاء أو الكمبيوتر أو الرياضة .

تغير ميول الطفل :

طالما أن مكتبة طفلك الخاصة تنمي مواهبه وتطورها ، فان تغير ميوله من مادة الى مادة يصبح أمرا طبيعيا لاريب فيه ، وستكون عملية غربلة المكتبة التي



القراءة الجماعية من شأنها مساعدة الطفل على تنمية موهبة القراءة

يقوم بها ابنك عملية معقولة . فاعمل على تشجيعه لتنويع قراءاته ، ولكن احرصي على الاحتفاظ بالكتب المهمة التي تحتوي على معلومات جيدة ، أو تلك التي تخلق في نفسه سعادة حين يقرؤها ، فيتعلم طفلك بان الكتب ليست مادة ترمى ، بمجرد الانتهاء من استعمالها أو قراءتها مرة أو مرتين .

القارىء المعارض :

أما الكتب التي لاتجدين ضرورة في وجودها ، فيمكن اعطاؤ ها للأصدقاء كطريقة لتبادل الكتب معهم ، أو تباع في سوق المدرسة الخيري . أما اذا كنت تخططين لاستقبال طفل جديد ، فسيكون من الأفضل تخصيص مكان لهذه الكتب ، لتظل في حالة جيدة ليقرأها الطفل الجديد ، خاصة اذا كانت تلك الكتب قد شكلت متعة كبيرة لطفلك الأول .

واذا أظهر طفلك برغم كل التشجيع والترغيب اللذين توفرينهما له اعراضا واضحا ورفضا قويا للقراءة ، فمن الواضح انه بذلك يخوض مخاطرة كبيرة ، ستكون العظمى في حياته ، لأنه بحكم صغر سنه لايدرك أنه باحجامه عن القراءة سيفقد أكبر متعة قد يلقاها في حياته .

على أية حال ، ان الطفل الذي لايهوى القراءة ليس بالضرورة أقل ذكاء من أقرانه ، فالطفل الموهوب يستطيع أن يظهر ذكاءه ومهاراته وفنونه في مجالات أخرى مهمة ، كالفيزياء والرياضيات مثلا .

ولكن ثمة نقطة مهمة على الأم أن تنتبه لها ، فالطفل اذا كرس وقته كله للقراءة والقراءة فقط دون ان يظهر اهتماما لأى مهارات أو مواهب أخرى فهذا يعني أنه سيكون في المستقبل انسانا انطوائيا منعزلا عن العالم ، يعاني من الخجل وعدم الثقة بالنفس وعدم الاستقرار . □

هو ....

ذكريات عمر

ليس جميلا ما يتمناه البعض ، من أن يعودوا ليبدأوا حياتهم مرة ثانية من جديد ، فكثير منا يتمنى ان لو كان بامكانه ان يقطع خيوط علاقاته ، ويعود به الزمن من جديد ، ليبدأ بدايات جديدة ، وعلاقات جديدة ، وحياة جديدة ، ويتصور هؤلاء ان الحياة هكذا تكون اجمل ، او انهم سيتخلصون من كثير من متاعبها .

ولكن الحياة غير هذا ، فهناك العديد من التفاصيل والحكايات والخلافات والاتفاق والفرح والألم . . ملايين من هذه التفاصيل تمتد لتنسج خيوطا بينك وبين كل من حولك . . وتكتشف مع الوقت ان هذه الخيوط هي العمر . . عمرك انت وعمر من تعرف . . حياة بأكملها .

وهذا ما اكتشفته وما اتعذب به ومنه . . بعد ان توفي زوجي بفترة ، ولظروف كثيرة . . تزوجت مرة ثانية ، كمنطق حياة لأرملة في الثلاثين بلا اولاد . . وبعد عشرة ايام من زواجنا تفجرت المشكلة ، فقد توافد اصدقائي . . زوجات وازواجا . . وكثير منهم كان صديقا على مستوى الأسرة قبل وفاة زوجي ،



وفوجئت بزوجي يعاملهم ببرود شديد . . يكاد ان يصل الى حد المجافاة . . لا يبتسم . . لا يفتح حديثا . . ردود مقتضبة . . كلمات مجاملة عامة ، يتفادي اي وعد بالالتقاء او حتى مجرد الدعوة او تمنى لقاء اخر ، في اول الأمر ظننت انه امر ناتج عن عدم معرفته بهم لكن تكرار نفس طريقة اللقاء مع اصدقائي القدامى الذين يأتون لتهنئتي بالزواج جعلني افاتحه في الموضوع ، وأبدى له ملاحظاتي حول طريقة لقائه واستقباله لأصدقائي ، وكانت مفاجأتي كبيرة عندما اعترف لي بصدق ووضوح أنه يتعمد هذا الشكل من المقابلة والاستقبال ، لأنه بوضوح لايريد ان تستمر علاقاتي بهم ، فهم بالنسبة له ولي حياة قديمة انتهت بكل ما فيها ، وانه يجب علي ان ابدأ من جديد ، حاولت ان افهمه واوضح له ان بيني وبينهم ذكريات مشتركة . . واحاديث . . وأحلاماً . . وامنيات واشياء كثيرة طيبة كانت بيننا ، حاولت ان اقول له ان علاقتي بهم هي جزء من عمري . . فاني ارى فيهم اياما مضت . . وأرى في ابنائهم عمري . . هذا ولد يوم ان كنت في سن كذا . . وهذه ولدت عندما أجريت عملية جراحية لاستئصال الزائدة الدودية . . وكثير من الروابط والذكريات التي تمثل في مجموعها العمر والأحلام والصداقة ، ولكنه لم يسمع ولم يقدر . . وأصر ان يقطع خيوطا تربطني بقلوب احببتها وأحبتني بصدق .

هي

هي....

ظلال من الماضي

لم تتقبل الأمر بسهولة ، وأتصور أنه سيظل ينغص علينا حياتنا بين حين وآخر ، فبعد زواجنا وجدت ان أصدقاءها القدامى .. هي وزوجها السابق هم الذين سارعوا بالتهنئة .. وهم اسبق الناس الى تقديم الهدايا .. والدعوات الى عشاء او غداء .. ويشهد الله انني لم ار من أصدقائها هؤلاء شيئا سيئا ، على العكس تماما فقد كانوا دمثي الخلق مهذبين ، حريصين على مشاعرنا .. فرحين بنا ، ولكن خاطرا شيطانيا يسيطر على فكري وحياتي : هؤلاء صور من حياتها الماضية ، وأنا قد بدأت معها حياة جديدة ، لا اريد فيها ظلال حياة مضت ، ويزيد من اقتناعي بهذا ان زواجها السابق انتهى بوفاة الزوج ، وليس بطلاق ، والأمر الذي لانقاش فيه أن في داخلها ذكرى طيبة له ، وكانت محاولتي طوال الفترة التي سبقت الزواج وحتى الآن أن اتعامل مع هذه الذكريات ، ولكن ليس واردا في ذهني ان آتي بعناصر هذه الذكريات لتعيش معي .. وليس واردا في ذهني ان أضع نفسي في مجال القياس والمقارنة في عيون أصدقائها ومعارفها ، فيكفي هذه المقارنة الصامتة السرية التي تتم داخلها وتعقدها بيني وبين زوجها السابق ، ولا يمكن ان تنكر هي هذا ، فهذه هي الحياة وسننها وحكمتها وهكذا نحن البشر وطبائعنا ..



قلت لها .. نحن نظل ذوات منفصلة في المجتمع .. حتى نتزوج ، وبعدئذ نصبح ذاتا اجتماعية واحدة ، فتعالى نكتشف اصدقاء جددا .. ونخوض علاقات جديدة .. ونبحث عن اناس حولنا وفي دائرة حياتنا ، قلت لها ان الحياة امامنا .. وليست خلفنا ، ولو جلسنا اسرى لذكرياتنا لوقفت الحياة ، فالذكريات هي عمر مضى .. بكل ما فيه من خير وشر وجمال وقبح وفرح وحزن .. عمر مضى فليكن كما كان ، ولكن العمر القادم الذي ينتظرنا علينا ان نصوغه وفق ما نريد ، وقلت لها ان حرصي عليها يكتمل بحرصي على مشاعرها .. ورجوتها أن يمتد حرصها على مشاعري بأن نفتح لأنفسنا دائرة جديدة من الأصدقاء ، ونترك هؤلاء الأصدقاء القدامى الذين يطلون على حياتي كأشباح من ماض، لا اريد أن يطاردني ، ولا أن يلقي بظلاله على حياتي .

هو

من الحياة

يوم عادت إلى أمي !

كانت حلوة صغيرة . . وكانت كل زميلاتها في المدرسة يحببنها . . كانت تستقبل يومها الجديد كل صباح وحدها في غرفتها الصغيرة ، حيث تعلمت كيف تعد ملابسها ، وتجمع كتبها التي ستحملها معها الى المدرسة . . فاذا فرغت من هذا كله توجهت الى غرفة نوم والدها ، لتطبع على وجهه قبلة ، ثم تخرج مهرولة الى الشارع ، تنتظر السيارة الكبيرة التي ستقلها الى مدرستها . . وفي الطريق الى المدرسة تبدأ في تناول طعام الافطار ، الذي أعدته هي لنفسها في الليلة الماضية . . فهو آخر عمل تقوم به قبل أن تذهب الى فراشها وتغمض عينيها لتنام .

لقد تعلمت الطفلة التي لم تتجاوز عامها الحادي عشر أشياء كثيرة ، كانت تعتمد على غيرها في اعدادها . . وكانت سعيدة بحياتها الجديدة ، فهي تحب مدرستها وتحب زميلاتها ومدرساتها ، فقد كانت تشعر أنهن يبادلنها نفس الشعور الذي امتلأ به قلبها الصغير . . كانت اذا غابت يوما عن المدرسة لم يتوقف جرس الهاتف عن الرنين ، كلهن يسألن عنها . . هل هي بخير ؟ ما الذي منعها عن الحضور ؟ متى تعود الى مدرستها ؟

وكانت تتحامل على نفسها في أحيان كثيرة ، رغم الوعكة التي ألمت بها ، وتقوم من فراشها وترتدي ملابسها ، وتذهب الى المدرسة ، بعد أن تسمع صوت مدرسة اللغة العربية وهي تستفسر عن صحتها وتدعو لها بالشفاء ! .

***

وتمر الأيام ، وتعلن المدرسة عن الاستعدادات التي تجري كل عام للاحتفال بعيد الأم . . ويجيء اليوم أخيرا ، وتصحو الطفلة من نومها في ساعة مبكرة ، وترتدي فستانها الجديد . . انها لن تذهب الى مدرستها بالزي التقليدي الذي تعودت أن تضع فيه جسمها الصغير في صباح كل يوم ، فهذه مناسبة خاصة . . ولابد أن يكون الاحتفال بها خاصا . . لقد لبست المدرسة كلها ثوبا جديدا ، من أجل الأم التي أحبت وأفنت حياتها في العطاء . . من أجل هذه الانسانة العظيمة التي يحتفل الأبناء بتكريمها في هذا اليوم الذي يأتي مرة كل عام ! . .

وتعلن المدرسة عن برامج العمل ، الذي سيبدأ فورا بمجرد الانتهاء من تحية العلم في الفناء الفسيح الذي يتجمعن فيه كل صباح . . وتتجه التلميذات الى قاعة الأشغال اليدوية ، التي امتلأت - على غير العادة - بكل شيء يمكن أن تصنع منه الفتيات الصغيرات « الهدية » التي ستختارها كل منهن لتقدمها الى أمها في عيدها !

ووقفت الصغيرة حائرة في البداية . . ترى ماذا



تختار ؟ ولكن حيرتها لم تطل ، فسرعان ما وجدت نفسها تنضم الى الفريق **الصغير** الذي اختار سعف النخيل ، **يشكل** منه ألوانا من السلال والحقائب الصغيرة .

وراحت تعمل في حماس ، والابتسامة لا تفارق وجهها الجميل المشرق ، الى أن فرغت أخيرا من صنع سلة جميلة ، زينتها بالورود والرياحين . . ولم تنس أن تلصق بها بطاقة صغيرة ، ضمنتها كل ما يحمله قلبها من حب لصاحبة الهدية : « إلى أمي التي أحببتها ، وسأظل أحبها دائما ، ولن أنساها ما حييت ! » .

وحملت الصغيرة سلتها ، واتجهت الى حيث بدأت الفتيات يتجمعن في قاعة الاحتفالات التي ستستقبل فيها الصغار أمهاتهن بعد ساعات قصيرة عندما ينتهين من حفظ الأناشيد التي أعدتها مدرسة الموسيقا لتحية الأمهات .

وحان موعد بداية الحفل . . وبدأت الأمهات يصلن الى القاعة التي امتلأت بباقات الزهور والهدايا ، التي صنعتها الأيدي الصغيرة في الصباح . . وجلست الطفلة تحتضن سلتها في ركن من القاعة تنتظر . كانت عيناها الصغيرتان الجميلتان ترقبان الوجوه ، وكأنها تبحث فيها عن شيء افتقدته . . ومضت بضع دقائق وهي جالسة في مكانها لم تبرحه . . شيء واحد فاتها أن تلحظه . . إنه عيون مدرساتها التي كانت ترقبها عن بعد دون أن تدري !

وفجأة رأينها تقوم من مكانها ، وهي مازالت تحتضن سلتها الصغيرة ، ثم راحت تشق طريقها وسط الزحام ، الى أن وصلت الى الباب الخارجي . . وسألتها مدرستها التي كانت تقف على مقربة منها : « الى أين أنت ذاهبة ياعزيزتي ؟ » .

ساعود بعد قليل . . لقد تذكرت شيئا مهما . . ساعود حالا ! قالتها في براءة ، ولكن في صوت تخنقه العبرات ! ولكنها لم تعد . . لقد تذكرت فجأة أن امها لن تحضر . . وأنها لن تنعم بالسعادة التي تنتظر بقية زميلاتها في المدرسة ، في هذا اليوم الذي قضت أسابيع طويلة تستعد له قبل أن يجيء !

وخرجت الى الشارع . . وراحت تتطلع حولها . . لقد أوشكت الشمس على المغيب . . وأحست برعشة تسري في جسدها الصغير النحيف ، رغم دفء الربيع الذي كان قد بدأ لتوه . . ووقفت

برهة تتأمل الطريق الطويل الممتد أمامها، وأجفلت.. انها لن تستطيع أن تقطع هذه الرحلة الطويلة، عائدة وحدها الى البيت.. فقد أحست برغبة شديدة في أن تعود الى بيتها، والى غرفتها الصغيرة، ولكنها ما لبثت أن تراجعت عن تنفيذ فكرتها.. فالطريق طويل موحش، وقد لا تقوى على المضي فيه الى نهايته.. وهمت بالعودة مرة أخرى الى قاعة الاحتفالات.. ولكنها ما كادت تفعل حتى رأت صديقتها الطيبة مدرسة اللغة العربية تقترب منها، وتمسك بيدها وتسألها: «لماذا تركت الحفل ياصغيرتي؟ ان الجميع يسألون عنك.. هل أستطيع أن أفعل شيئا.. هل تريدين مساعدتي؟».

ـ نعم أريد أن أعود الى البيت، الآن!

وقالت المدرسة على الفور «لقد أنهيت عملي، وأستطيع أن أرافقك في رحلة العودة الى البيت اذا شئت. ما رأيك؟» وتهلل وجه الصغيرة فرحا.. فقد كانت تحب مدرستها، وقد وجدت فيها خير أنيس لها على الطريق!

***

وسارتا معا.. وقد أمسكت باحدى يديها، بينما شغلت يدها الأخرى بحمل السلة الصغيرة، التي أمضت ساعات طويلة في صنعها لتقدمها هدية للأم التي لن تكون هناك!

وقادتها أقدامها الى حديقة صغيرة، تقع على جانب من الطريق، وقالت المدرسة تسأل صديقتها الصغيرة:

«ما رأيك لو جلسنا هنا فترة من الوقت نريح فيها أقدامنا المتعبة؟».

ورحبت الطفلة وجلستا على احدى الارائك الصغيرة، التي تنتشر حولها الزهور.. ولكنها قبل أن تجلس خطر لها أن تقطف زهرة جميلة أعجبتها، ثم أسرعت تضعها في السلة التي كانت تحملها!

وقالت المدرسة: «لماذا قررت فجأة العودة الى البيت؟ هل قالت لك أمك انها لن تتمكن من الحضور؟ لقد كنت تعملين في حماس شديد هذا الصباح وأنت تعدين هذه السلة الجميلة التي ستهدينها اليها.. فماذا حدث؟».

ولم تدرك المدرسة أنها بحديثها هذا قد نكأت الجرح الذي كان قد توقف عن النزف منذ شهور طويلة.. فقد انفجرت الطفلة تبكي، ولكن في صمت، كما لو كانت لا تريد أن يكتشف أحد دموعها، التي كانت تغرق عينيها الجميلتين!.

وأخرجت صديقتها الطيبة منديلها تجفف به دموعها، واقتربت منها تضمها اليها، وتطبع على جبينها قبلة، وضعت فيها كل ما تحمله لها من حب وحنان!

وانقضت بضع لحظات، قبل أن تستعيد الطفلة هدوءها وتتكلم.. قالت: «لا ياسيدتي.. ليس الأمر كما تتصورين.. لقد فقدت أمي منذ بضعة شهور خلال العطلة الصيفية، بعد مرض لم يمهلها طويلا.. وحزن أبي على رحيلها حزنا شديدا، وجاءت جدتي لتقيم معنا بعض الوقت، فقد كانت شقيقتي الصغرى في حاجة الى رعايتها، ثم حملتها وعادت بها الى بيتها، وتركتني أنا مع أبي الذي كان لا يكف عن رجائها في أن تسمح لي بالبقاء معه، وكان يقول لها انه في حاجة الي، فهو لا يستطيع أن يعيش في هذه الوحدة، في هذا البيت الكبير الذي تركته أمنا ورحلت عنه. انني أعيش مع أبي الآن، وهو رجل طيب يحبني ويعطف علي، ولكنني افتقد أمي! هل صحيح أنها لن تعود الينا مرة أخرى؟ انني أرفض أن اصدق أنني لن أراها ثانية؟ في هذا الصباح صحوت من نومي وأنا أشعر كما لو كنت على موعد معها.. مع أمي.. وقضيت النهار كله انتظر اللحظة التي سأراها فيها.. ولكنها لم تأت.. لقد كنت جلست في ركن من قاعة الاحتفالات، أرقب وجوه الأمهات اللواتي جئن للاحتفال مع ابنائهن بهذا العيد، الذي كنت أنتظره كل عام.. كنت في كل لحظة يفتح فيها الباب لاستقبال احدى الأمهات، أتوقع أن أرى أمي قادمة الي مادة ذراعيها لتحتويني بهما، وتضمني الى صدرها الحنون.. ثم أدركت في النهاية أنني كنت أعيش مع أحلامي!

وعادت الصغيرة تجفف دموعها ، وتلقي برأسها على كتف مدرستها التي احتضنتها في حنان ، ثم راحت تحدثها .. قالت : « أنت طفلة جميلة يابنتي ، كم كنت أود ان أفعل شيئا لأجفف دموعك ، وأعيد الابتسامة الى وجهك في هذا اليوم ، ولكن ارجو أن تعلمي انني أتمنى ان تكون لي طفلة مثلك . قد لا تعلمين ياصغيرتي انني عشت طفولتي يتيمة الأب .. انني لم أر أبي ، فقد جئت الى هذه الدنيا بعد رحيله .. ولكن أمنا استطاعت أن تعوضنا عن الحرمان ، الذي كان من الممكن أن نعيش فيه .. كانت امرأة عظيمة ضحت بشبابها من أجلنا .. كنا أربعة أخوة ، ثلاثة أولاد وأنا ابنتها الوحيدة .. ورفضت أمنا أن تتزوج ، فقد حملتنا الى بيت جدي لنبدأ حياة جديدة هناك ، والتحقت هي بوظيفة صغيرة كانت تدر علينا مبلغا متواضعا في أول كل شهر لا يكاد يكفي احتياجاتنا الخاصة .. وفي بيت جدي نشأت وكبرت وتعلمت معنى الحياة .. كان بالنسبة لي أنا واخوتي ، أبا وأخا وصديقا ، كان يحبنا الى درجة العبادة ، فقد كنا كل شيء في حياته .. وكنا نلجأ اليه دائما لحل مشاكلنا ، وكانت أسعد لحظات حياته هي تلك التي نصطحبه نحن فيها لقضاء اليوم على شاطىء البحر أو بين أشجار الحديقة العامة .. قد لا تصدقينني اذا قلت لك أننا كنا قريبين منه أكثر من أمنا ، التي كان عملها في البيت وخارج البيت يأخذ كل وقتها ، وخاصة بعد أن رحلت جدتنا .. هل تعرفين ماذا كانت نصيحتها الأخيرة لي : « الحياة رحلة يابنتي .. إياك ان تتوقفي فيها ، وإياك والبكاء على شيء مضى وانقضى .. واعلمي دائما أن الغد يوم جديد ، وقد تجدين فيه كل ما تحلمين به وتتطلعين اليه ! » .

***

وأحست المدرسة أن شيئا مهما قد فاتها ان تلحظه ، وهي ماضية في حديثها مع تلميذتها الصغيرة .. ان الظلام بدأ يلف المكان حيث كانتا تجلسان ، ومازال الطريق طويلا ، ولابد أن تستأنفا رحلتهما الى البيت ..

ومشيتا ، وقد تأبطت الطفلة ذراع صديقتها وتعلقت به ، ولكنها كانت في هذه اللحظة تبتسم .. وقد بقيت الابتسامة على شفتيها الرقيقتين ، طوال الفترة التي أمضياها معا في مسيرتهما .. حتى الحديث نفسه الذي كان يختلط بالدموع خلال جلستهما الطويلة في الحديقة ، قد تغير .. ووصلتا الى البيت أخيرا .. وتعلقت عينا الطفلة بالمسكن الصغير الذي تعيش فيه مع أبيها ، فوجدت الأضواء تنبعث منه على غير عادة .. واندفعت نحو الباب الخارجي تطرقه بكلتا يديها .. وفتح الباب ، ورأتها تقف أمامها وتفتح ذراعيها لتضمها الى صدرها .. انها جدتها العجوز الطيبة ، التي حملت شقيقتها الصغيرة ، وجاءت لتمضي مع حفيدتيها الصغيرتين بضعة أيام ، تستعيد فيها ذكرياتها مع ابنتها التي رحلت تاركة وراءها هاتين الطفلتين الجميلتين اللتين أصبحتا كل دنياها ..

وعلى بعد خطوات من الجدة ، وقف الأب يحمل ابنته الصغرى ، ويدعو شقيقتها الى الاقتراب منه ، ليطبع على جبينها قبلة حارة .

وكادت الطفلة تنسى مدرستها وصديقتها التي كانت ماتزال تقف قريبة من الباب ، تحاول جاهدة أن تحبس دموعها ، وهي تتطلع الى صورة الأم التي رحلت ، وقد أحاطت بها باقة من الزهور ، جاء بها الأب ليقدمها لها في عيدها ! .

ودعتها الجدة الى الدخول .. وتذكرت الطفلة السلة التي قضت نهارها كله في صنعها وزخرفتها .. وأسرعت اليها حيث تركتها أمام الباب عندما وقفت تطرقه بيديها ..

وحملتها وعادت بها الى جدتها ، وقالت وهي تلثم يديها بشفتيها : « هذه هديتك .. انها هدية صغيرة كما ترين ، ولكنني صنعتها خصوصا لك اليوم في عيد الأم .. انها لك ياأمي ! » .

ومدت الجدة يديها تحتضن بها هدية حفيدتها ، وقد امتلأت عيناها بالدموع !



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

أمراض الأبناء ومسؤولية الآباء

عندما يفتقر الأبناء الى عمق الادراك وحسن التصرف ، يصبح المرض قضية أسرية ، وعلاجه من مسؤولية الوالدين .

واذا كانت قضية حب الصبا هي مشكلة الأبناء فإن علاجها يقع على عاتق الآباء والامهات ، لأنها مشكلة جسدية ونفسية ومن مشاكل الأسرة في عرف الطب الحديث

حب الصبا وهو المرض الشائع باسم حب الشباب ، أو مايعرف في العربية الفصحى باسم (العُدّ) وهو البثور التي تظهر في الوجه ، ويعتبر هذا من مشاكل المراهقين في البلوغ ، اذ يصيب مايقدر بنسبة خمسة وسبعين بالمائة من الصبيان، فيما بين السنوات العشر والعشرين من أعمارهم،وهو لايفرق بين ذكر وأنثى ، الا في احتمال ظهوره عند الاناث مبكرا عن الذكور ، وحب الصبا (أو حب الشباب) يعتبر في عرف الطب تطورا طبيعيا ، لأنه من سمة التحولات الجسمانية التي تطرأ على البدن عبر مرحلة البلوغ ، بسبب الفورة الهرمونية الجنسية ، وخاصة هرمون التستوستيرون (هرمون الذكورة) حيث ان الخصيان لايعانون من ظاهرة حب الشبان هذه بأية صورة كما هو حال الأسوياء ، هذا الى أن زيادة تعاطي هذا الهرمون سواء بطريق الحقن أو نتيجة ورم في الغدد الصم المفرزة لهذا الهرمون ، يصاحبها فوعه في الطفح الجلدي المميّز لحب الصبا .

واذا كانت ظاهرة حب الصبا أو حب الشباب تعتبر رد فعل طبيعي للتغيرات الهرمونية الجنسية المصاحبة لسنوات المراهقة فإن مضاعفاتها ، وخاصة التهاب الطفح فيها ، تعتبر مرضا يستحق العناية من وقاية وعلاج ، هذا الى أن تجاوز مرحلة المراهقة يعني نهاية لمشكلة حب الشباب ، لهذا قل من يبقى المرض على جلدهم عقب استقرار النمو الذي يصاحب مرحلة البلوغ ، اذ غالبا ماتختفي بثور حب الشباب وحبيباته في أوائل سنوات العشرينيات من العمر ، ولكن



لايعدم أن تبقي نسبة ضئيلة من الناس ممن يصاحبهم المرض الى أبعد من هذا السن المألوف لنهايته .

والمشكلة أساسها تبدأ بزيادة نشاط الغدد الدهنية ، المرافقة لبصيلات الشعر ، في منطقة الوجه والكتفين والصدر والظهر ، مما يؤدي الى افراز دهن وافر يختلط مع المادة القرنية للجلد ، لتتكون من المزيج سدادة صلبة ، ومن تعرض السدادة (المكون من المادة القرنية والدهنية) للشمس والهواء تحدث تغيرات كيميائية تؤدي الى تغير اللون نحو السواد ، وهذا مايعرف بالزوان أو النصل Comelan ،والى هذا الحد يعتبر الأمر طبيعيا لاضرر منه ولاضرار ، غير أن رغبة الصبيان في العبث بهذا النصل ، ولجهلهم بعواقب الأمر ، واعتقادهم أن البذور السوداء (الزوان أو الأنصال) هي حبيبات قذرة لابد من ازالتها ، وخاصة أن هناك رغبة ملحة داخلية تحكم عبث الصبيان بالبثور ، مما يؤدي بالتالي الى تسرب المادة الدهنية القرنية الى طبقات الجلد فيما تحت البشرة ، وينتهي الأمر الى الالتهاب اللاميكروبي ، واذا تلوثت (ومـا أكـثر مـاتتلوث) تنتهي الى حويصلات صديدية تترك ندبا وحفرا من أثر التليف .

علاج حب الصبا (حب الشباب)

من المتفق عليه أن الزمن هو العلاج الحاسم لحب الصبا ، لأنه لايوجد أي علاج يوقف هذه الظاهرة عند حد معين ، الا باستقرار الثورة الهرمونية الجنسية ، ، هذا الى أن الأمر يعتمد على حساسية الفرد ، واستعداده الشخصي الموروث ، لهذا يختلف العلاج من شخص لآخر . غير أن هناك قواعد عامة يمكن اتباعها وهي .

١ ـ غسل المناطق المصابة بالماء الدافىء والصابون مرتين يوميا لازالة الزوان أو الأنصال ، وبهذا تنتهي المشكلة التي لم تبدأ بعد .

٢ ـ استعمال الدهانات التي يصفها الطبيب المختص ، والتي لاتعدو أن تكون عقاقير تذهب بالطبقة الخارجية للجلد ، أو مضادات تحُد من حالات الالتهاب الميكروبي .

٣ ـ تحاشي بعض الأطعمة التي يعتقد أن لها دورا مثيرا لنشاط حبوب الصبا ، وأهمها الشيكولاته والقهوة وأشربة الكولا والأسماك وكل الأطعمة والعقاقير الحاوية على عنصر اليود ، وكذلك التوابل والحليب والفواكة الحمضية .

٤ ـ الاستفادة من الوسائل الطبيعية كاشعة الشمس وكمادات الماء الدافىء وما اليه .

ومن الجدير بالذكر أن نحذر أصحاب المشكلة من العبث في المنطقة المصابة بأصابع اليد ، وعدم التعرض للاتربة والأجواء القاسية ، كما يجب أن ننبه الى عدم جدوى الفيتامينات أو الهرمونات في علاج حب الصبا ، والى الأشعة السينية التي قد يصفها البعض ، ولكنها قد تضر أكثر مما تفيد وتنفع .

ان حب الصبا في أطواره الأولى يعتبر اليوم ظاهرة طبيعية ، غالبا مايحيلها الصبي بجهله وعبثه الى قضية مرضية . □

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة :

ضمور العين

* الاخ ي . س . - ادبو - سوريا :

- ربما كان من الاصلح عرض الامر على اخصائي العيون لفحصك قبل اي نصيحة معتمدة ، حيث يبدو أن الاصابة قديمة تجاوزها وقت العلاج بعد أن ضمرت .

مرض السيدا ومرض الخنث

* الاخت ناجية مصطفى - المغرب :

- مرض السيدا هذا اصطلاح يطلق على مايعرف بمرض الايدس وكلاهما مؤلف من أربعة حروف هي اول اسم المرض المعروف بظاهرة نقص المناعة المكتسبة بسبب اصابة المريض بفيروس معين ، اما عن الخنث فهو تشبه الرجل بالمرأة وهذا مرض اجتماعي ونفسي ويقال انه وراثي .

الزواج افضل الحلول المشروعة

* السيد م . م . ع - شبرا - مصر :

- ان زواجك هو افضل حل لمشاكلك .

الثدي الصغير

* الاخت س . س . - مصر :

- حجم الثدي اساسه ترسبات دهنية لاعلاقة لها بوظيفة الثدي ولاكفاءته ولايرتبط بقضية الانجاب انما هو أمر مظهري فقط فالثدي الضخم لايدر لبنا اكثر من الصغير ولا صاحبته اخصب من صاحبة الثدي الضامر .

الشيب المبكر

* السيد ن . ع . ج . س - الدار البيضاء - المغرب :

اغلب الشيب المبكر وراثي السبب ، وربما كان سببه ضعف او مرض يؤثر على قوة بصيلات الشعر مما يحتاج الى فحص مباشر من مختصي الأمراض الجلدية فراجع احدهم .

شعر زائد

* ب . ش - المغرب - مكناس :

- امرك يحتاج لمراجعة مختصين في الأمراض الجلدية والتناسلية لماذا لاتستشر احدهم .

التمزق العضلي

* السيد محمد . ت . الاذقية :

- التمزق العضلي هو - كما يوحي اسمه جروح وتهتكات في ألياف العضلة الداخلية ، والتمزقات تتفاوت حجما وشدة ولكل منها حكمه الخاص ، غير أن الراحة أهم اسباب العلاج ، ولاتظن أن الامر يحتاج الى عشرات السنين

الهرمونات والشعر

* الاخ عبد المحسن ابراهيم - الرياض السعودية :

- لانعتقد أن للهرمونات دورا في اضفاء النعومة على الشعر ، وربما كانت هناك دهانات لعلاج تجعد الشعر ولكنها مؤقتة الاثر ، والافضل أن تعرض الأمر على اخصائي الامراض الجلدية فهو اقدر على حل مشكلتك بعد الفحص .

السيّد الرئيس

مجنون مستبد .. طاغ ، شهواني ، يقتل بالسهولة التي يتناول بها طعام افطاره ، ويصدر قراراته الدموية بالرقة والهمس اللذين يخاطب بهما النساء ويستمع الى الموسيقا .

حوّل وطنه الى جحيم ومرتع للصوص والقتلة والمأجورين ...... معاونوه مسخ آدمية مشوهة .. خربة .. مرتشية .

ومواطنوه .. مقهورون .. مهانون .. مذلون .. يحلمون بالجمال والحق .. والخير .. والأرض .. والطير . سجونه مليئة بشعراء ومثقفين ورجال دين رفضوا أن يصلّوا له بدلا من الله .

وفي محاكمه الصورية تغيب شعارات العدالة ، وترتفع شعارات أكثر قسوة وظلاما من ظلم الدنيا .. ففي هذه المحاكم من الأفضل أن تكون مذنبا عن أن تكون بريئا ولا ترضى عنك الحكومة .

عن هذا العالم المرير والمفعم بأحلام الخلاص والتحرر ، كتب ميغيل انخل استورياس روايته « السيد الرئيس » منذ أربعين عاما ، وكتبها المؤلف بالأسبانية لغة موطنه « جواتيمالا » وحصل بسببها على جائزة نوبل للآداب ، ورغم ذلك لم تقدم لقراء العربية الا في عام ١٩٨٥ .

والرواية واحدة من أفضل الروايات التي قرأت .. وسطورها تنبض صدقا وقسوة وعنفا .. وخلف القسوة تختبىء حقول الحنطة وصياح الديكة .. وقطرات ندى في صباح جميل يشرق على الوطن .

ويبدو أن كل ما يدهشنا لأعوام طويلة قادمة ، سوف يأتي من أمريكا اللاتينية قارة المستقبل ، ولكن أكثر ما يميز هذا الابداع القادم من عالم بعيد عنا ، وأكثر ما يكون شبها بنا .. أقول ان أكثر ما يميزه هو هذا الصدق الفني العالي .. الذي يجعل من العمل الفني عملا أقرب ما يكون الى متلقيه .. وأكثر ما يمكن تأثيرا فيه ، حتى يستطيع أن ينقلك من عالمك الى عالمه .. فتعيش معه العفن والموت .. والانتظار الأبدي في زنازين مغلقة ، لاترى فيها الا وجه الموت القادم .. وتحلق معه في عالمه .. وتجري وتلهث كي تمسك بيدك ضفائر البنات الصغيرة ، وهن يجرين في الحقول بحثا عن زهرة احتضنت الشمس وعانقت طين الأرض ، ومنحت عطرها فواحا تحية حب وأنشودة عشق الى الوطن .. اي وطن .. وأي انسان في أي زمان .. وأي مكان ، وما أنبله من احساس يفجره داخلنا عمل فني صادق .. معيار تفوقه وشهادة بقائه هي قدر صدقه وروعته .

محمود عبد الوهاب

الوصايا

شعر : أحمد سويلم

قيل ـ حين استعدنا ملامحنا الضائعة ـ
قيل : (حلمٌ تَجَسَّدَ
بعث جديد من الموت
وجه ندي الملامح . !)
أعلنت أنْ غداً لن يحلُ الشتاء
صدَّقتْنى الفراشاتُ . . وانطلقتْ
واستراحت طويلاً على حافةِ الضوءِ
فاحترقت وطواها القضاء . .
صحت : إنْ غداً سيجىءُ بهوجِ الرّياح
كذبتنى طيورُ الصباح
نقُرتْ للصغارِ النوافذ
فتَّحت فى البساتين كلَّ الجفون . .
وتجىءُ الرياح
فاستحالت طيور الصباح
مِزَقاً من أسى . . وبقايا جراح

***

أسقطتنى الوعودُ الشهّيةُ من شاهقٍ
للمهانة . .



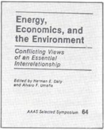
وَرأيتُ العيونَ تطاردنى :-
(أين حلمٌ جديدٌ . . تَجَسَّدَ . .
بعثٌ جديدٌ . . وَوَجْهٌ نديُّ الملامح . !)
وعبرت البحارَ . . قطعتُ الفيافى . . أزلت التراب . .
عن كتاب الوصايا القديمة :
(النَّخيل يصفق في الصحراءِ . . ويثمرُ

والوطن الجدب يخصب -
والأرض تَحْضُنها فى اعتصارٍ - سواعدُنا
وتمدُّ لها النهرَ حبلاً من الوصل
والصبايا يُفَسِّرنَ أحلامَهُنَّ على الضِّفةِ العائدة . !)
أقف الآن . . أذكر ما قيل . .
أقرأ لوحَ الوصايا

كان يشغَلنى . . ويؤرق نفسى انطفاءُ القمر
كنت أشكو هبوبَ الرياح . . سقوطَ المطر
آن - من زمنٍ - أن نفيق على جسد الحلم
أن نَلُمَّ شظايا الوصايا القديمة
نزرعُ النَّخْلَ والكلمات
نُغيِّرُ مجرى الفصول . .
آن من . . زمنٍ . . أن . . نفيق . !

مكتبة العربي

كتاب الشهر



الطاقة والاقتصاد والبيئة

أعده للنشر : هرمان دالي وألفارو اومانا

عرض وتحليل : ياسر الفهد

ان القضايا المتعلقة بالطاقة والبيئة والتفجر السكاني والتضخم والبطالة أصبحت اليوم من الموضوعات الملحة التى لا تستأثر باهتمام رجل العلم والاقتصاد فحسب ، بل والرجل العادي الذى بدأ يشعر بوطأة الضغوط الناجمة عن الأزمة البيئية والمشكلات الاقتصادية .

لقد ولّى زمن (الوفرة في المواد الاستهلاكية) ، وحل محله زمن (الندرة والضوابط الاقتصادية) الذي لم يعد بوسع الانسان في ظله أن يستمر في استهلاك

كتاب الشهر

كل ما يشاء من الغذاء والطاقة والمياه والمواد المختلفة دون حدود ، فقد أخذت الطبيعة تتململ من بذخ الانسان واسرافه ، وتتمرد على خططه وتدابيره ، وتضيق بتدخلاته في النظام البيئي وانهاكه موارد الأرض .

وقد تناول الكتاب الذي بين ايدينا هذه القضايا تناولاً جديداً ، وعالجها بطريقة علمية دقيقة . والكتاب من (اعداد هرمان دالي) استاذ الاقتصاد في جامعة لويزيانا و (الفارو اومانا) استاذ الهندسة البيئية في جامعة كوستاريكا . وقد أسهم هذان العالمان ، أيضاً في تأليف بعض فصول الكتاب ، إلى جانب خمسة مؤلفين آخرين من أرسخ المختصين في مجالات تخصصهم ، وهم : (كنث أرو) استاذ الاقتصاد في جامعة ستانفورد ، و (روبرت كوستانزا) استاذ الايكولوجيا في جامعة لويزيانا ، و (نيكولاس رويجن) استاذ الاقتصاد في جامعة فاندربلت ، و (بروس هانون) ، استاذ الطاقة في جامعة اليتوي ، و (جارت هاردن) أستاذ الايكولوجيا البشرية في جامعة كاليفورنيا .

ويشترك هؤلاء العلماء السبعة في دراسة قضايا البيئة والاقتصاد والطاقة ومناقشتها . وعلى الرغم من اتفاقهم على معظم الخطوط الرئيسية في تشخيص هذه القضايا ومعالجتها ، الا أنهم يختلفون أحياناً في بعض الأمور ، كاختلافهم مثلا حول نظرية القيمة الخاصة بالطاقة التي يؤيدها كوستانزا ، في حين أن رويجن وأرو يرفضانها ، أما هانون فانه يدافع عن بعض جوانبها وينبذ جوانب أخرى منها . ويقدم لنا الكتاب طرقا جديدة مبتكرة لتناول ودراسة العلاقات المتبادلة بين مختلف فروع العلوم الطبيعية والانسانية ، كما أنه يتقصى العمليات الاقتصادية بمنظار اقتصادي - فيزيائي - بيولوجي . وهو يؤكد تأكيداً خاصا على العلاقة بين علم الاقتصاد وعلم البيئة . وهما كلمتان تنحدران من أصل لاتيني واحد . وكلا العلمين يعالجان قضايا انتاج وتوزيع الثروات بين شبكات معقدة من الأطراف المنتجة والأطراف المستهلكة .

لم تكن العلاقة بين علوم الاقتصاد وعلوم البيئة متينة في الماضي ، وخلال التطور التاريخي ، ولكن المشكلات العالمية الناجمة عن الأوضاع الاقتصادية والبيئية والسكانية التقنية أدت الى نشوء تأكيد خاص على هذه العلاقة . ويتفق مؤلفو كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) مع باري كومونر مؤلف كتاب (الدائرة المغلقة) بشأن أخطار التقنية الحديثة ، فكلا الكتابين ينحيان باللوم على هذه التقنية ويعدانها مسؤولة عن تلويث البيئة واستنزاف طاقاتها . فلقد سمحت هذه باستثمار الطاقة والمواد الأخرى بطريقة خاطئة ، كما أدت الى ايجاد اكثر من مليون مركب عضوي صنعي لم تكن موجودة منذ عقود قليلة ، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار تلويثية هائلة . ومن الأمثلة الواضحة على التحولات الخطيرة التي أحدثتها التقنية في العلاقات البيئية ، ازدياد تكاثف أوكسيد الكربون ، وتعاظم تأثير كاربونات الفلور في طبقة الأوزون . وكلا الكتابين يرجعان السبب الرئيسي للأزمة البيئية الى نظام الانتاج الحالي ، الذي أفضى إلى تخريب القدرة الانتاجية - بعيدة المدى - للطبيعة ، والى تهديد حياة الكائنات الحية بالملوثات والفضلات .

نقلات

من أبرز مميزات كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) أنه يحدد ملامح مفترقات جديدة في حياة البشرية ، ويرسم خطوط تحولات كبيرة في المجالين الاقتصادي والبيئي : فالعالم ينتقل الآن من مرحلة البيئة المفتوحة الى البيئة المغلقة ، ومن الاقتصاد الزراعي - الحيواني الى اقتصاد الفضاء ، ومن مفهوم التوازن في النشاط

الاقتصادي الى المفهوم التطوري . ومن المؤكد أنه سيكون لهذه النقلات الهامة تأثيرها الكبير في جميع أوجه حياتنا القادمة : ففي الماضي كانت البيئة الأرضية مفتوحة تسمح للانسان بالاغتراف من ثرواتها ، وكنوزها دون أية ضوابط مقيدة . وكان الشعار الاقتصادي السائد يدعو الى المزيد من الانتاج بمزيد من الاستهلاك . ولكن بعد ظهور نذر نفاد احتياطي الوقود الحفري وبعد أن اكتُشِفَتْ حقيقة القدرات المحدودة لكوكبنا الأرضي ، أصبح العلماء يرون في هذا الكوكب بيئة مغلقة لا تسمح للعمليات الاقتصادية باستغلالها الى أمد غير محدود . ومثل هذه البيئة تستلزم تقليص الانتاج والاستهلاك وضبط الطلب وخضوع الاقتصاد الى الضوابط الفيزيائية لكوكبنا الأرضي ، كما تقضي بتطوير طرق جديدة لتقييم هذه الضوابط وتقييم الخدمات التي تقدمها بيئتنا الطبيعية . وفي الماضي كان النجاح في الاقتصاد الزراعي والحيواني مرتبطا بارتفاع معدل الدخل الفردي . ولكن اقتصاد الفضاء غير هذه النظرة ، وأصبح يدعو الى تخفيض هذا المعدل الى الحد الأدنى الكافي لإقامة الأود ، وتلبية الحاجات الفردية . ان الاقتصاد الجديد يستلزم تبني مواقف جديدة تجاه الاستهلاك ، ومراجعة جدية لمفهومي التخزين والتدفق في العملية الاقتصادية . ومن جهة أخرى ، فإن مفهوم التوازن في النشاط الاقتصادي بدأ يهتز ، ويفسح المجال أمام المفهوم التطوري ، فقد كانت الفكرة السائدة أن الانسان يأخذ الطاقة والمواد المختلفة من الطبيعة ، ثم يعيدها لها في عملية مستمرة يمكن أن تدوم الى الأبد . وفي هذه العملية يظل النظام ثابتا والنشاط الاقتصادي متوازنا ، بحيث يعود دائما الى وضعه الأصلي بعد التغيرات التي تطرأ على الطاقة والمواد . والمفهوم الذي بدأ يسود الآن هو المفهوم التطوري الذي يفترض بأن الطاقة والمواد المختلفة تتعرض خلال العمليات المختلفة لتحولات لا يمكن قلبها واعادتها الى وضعها القديم . وهذا الاتجاه يؤكد حركة النظام خلال الزمن ، وما يصاحب هذه الحركة من تغيرات .

اننا نأخذ من البيئة الطاقة والمواد ، ونعيد لها الملوثات والفضلات . فهل يمكن ان تسفر مثل هذه العملية الخاسرة بالنسبة الى البيئة ، عن توازن دائم ؟ ! ان المنطق يقول بأن هذا لابد أن يقود الى التغير والتطور . وقد تناول الكتاب موضوع نظريات التطور وعلاقتها بالاقتصاد من منظار واسع ، فالتطور هو المبدأ المنظم للبيولوجيا ولنظرية الحياة ، وهو يقترن بفكرة التغير مع الزمن .

لقد تطور الكون وجميع الكائنات الحية خلال تاريخ طويل يعود الى (٢٠) بليون سنة ، وكان للطاقة والمواد المختلفة ، أيضا ، حظها من التطور الذي اتخذ اشكالا متعددة ، فهناك التطور الفيزيائي الذي قاد الى تشكل الذرات ، والتطور الجيو - كيميائي الذي أدى الى تكون النجوم والأرض والحياة ، والتطور البيولوجي الذي أسفر عن نشوء البُنى الحية المعقدة ، ومنها الانسان ، والتطور الاجتماعي الذي أوصل المجتمعات الى أوضاعها الحالية . وكان التطور الاجتماعي أسرع بكثير من التطور البيولوجي . أما أول نظرية للتطور فقد انبثقت في عام ١٨٠٩ على يد لامارك الذي اعتقد أن التطور في الطبيعة سار من البسيط الى المعقد .

وفي عام ١٨٣٨ ظهرت نظرية داروين المعروفة في الاصطفاء الطبيعي . وتتفق النظريتان على ان العالم ليس ساكنا بل يتطور باستمرار ، وأن هذا التطور بطيء ومستمر . وفي عام ١٩٧٥ أطلق ولسون نظريته التي تركز على الدراسة المنهجية للأساس البيولوجي للسلوك . . والشيء المهم حسب هذه النظرية بقاء المورثات لابقاء الأجناس . وبعد ذلك جاءت نظرية بولدنج في الديناميكا البيئية ، في عام ١٩٧٨ ، وهي تجمع التطور الفيزيائي والبيولوجي والاجتماعي ضمن اطار واحد ، وتدرس النظم التي تكوّن العالم على هذا الأساس الجامع . وعلى الرغم من بعض نقاط الضعف التي تتخلل هذه النظرية ، فان الفارو اومانا يرى فيها انجازا عظيما .

ومايعنينا هنا بصورة خاصة أن الكتاب يطبق نظريات التطور على الاقتصاد ، وإحدى النتائج الهامة التي أسفر عنها هذا التطبيق نبذ مفهوم التوازن في النشاط الاقتصادي ، لصالح النموذج التطوري ، كما اسلفنا . لقد أصبحت نظريات التطور وعلاقتها بالاقتصاد مجالا للبحث النشيط لدى الدوائر العلمية ، اليوم . وهي بالاضافة الى الديناميكا

الحرارية تشكل حلقة وصل هامة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية .

قوانين الطاقة

يولي الكتاب اهتماما خاصا للقوانين التي تعمل بموجبها الطاقة ، وهي قوانين الديناميكا الحرارية التي تمثل فرعا من العلوم الطبيعية يعالج تدفق وتحولات الطاقة . وتصف هذه القوانين مجموعة كبيرة من النظم كالنظم الكيميائية ونظم الكائنات الحية ونظم المعلومات ، وتفسرها . وهي ضرورية لمعرفتنا بالكون ، ولكن اهميتها بالنسبة الى الكتاب تكمن في أنها تقدم أساسا صلبا لفهم النشاطات الاقتصادية .
وعلى الرغم من أن كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) مخصص لصفوة المتعلمين ، ويفترض أن يكون قراؤه من الحائزين على تحصيل علمي عال ، فانه مع ذلك يقدم شرحا وافيا لبعض القوانين العلمية والاقتصادية ، تسهيلا على القارىء العادي غير المتخصص علميا ، ومن ذلك مثلا شرح قوانين الطاقة مثل تحول الطاقة ، وعدم امكانية خلقها من العدم، أو إفنائها، ازدياد الانتروبيا (وهي مقياس للطاقة غير المستفاد منها في نظام ما) في العالم باستمرار وغيرها .

ويضرب الفارو اومانا مثلا لشرح هذين القانونين بعملية إحراق الفحم . فالقانون الأول من قوانين الديناميكا الحرارية يقول لنا بأن كمية المادة والطاقة تبقى ثابتة ، قبل وبعد الحرق .

أما القانون الثاني فيفيدنا بأن عملية الاحتراق أحدثت تحولا نوعيا ، فقد كانت هناك طاقة مختزنة في الفحم قبل الاحتراق ، يمكن استخدامها في عمل مفيد ، كتوليد البخار أو الكهرباء . ولكن بعد عملية الاحتراق تفقد الطاقة المنطلقة هذه الميزة وتبدد كحرارة في النظام ، وتتحول الى طاقة محبوسة لا فائدة منها . ومقياس هذه الطاقة في النظام الكوني هو الانتروبيا .

يصنف الكتاب النظم تصنيفا يختلف عن التصنيفات التقليدية ، ويعتمد على أساس أدوار هذه النظم في تبادل الطاقة والمادة مع المحيط الخارجي .
وهناك حسب هذا التصنيف ثلاثة أنواع من النظم : النظام المعزول وهو لا يتبادل المادة أو الطاقة مع البيئة ، والنظام المغلق ، وهو يتبادل الطاقة فقط دون المادة، مع العالم الخارجي .

وحسب هذا التعريف تكون الأرض نظاما مغلقا اذا صرفنا النظر عن بعض الاسهامات الضئيلة للغبار الكوني والشهب والنظام المفتوح ، الذي يتبادل الطاقة والمادة ، كلتيهما ، مع العالم الخارجي . وتعد جميع النظم الاقتصادية والعضوية نظما مفتوحة لأنها تقوم بتبادل الطاقة والمادة مع البيئة .

احتمالات المستقبل :

يطرح الكتاب توقعات تنطوي على شيء من التشاؤم بالنسبة لبعض المشكلات ، الا أن الطابع الغالب لهذه التوقعات يظل متسما بالتفاؤل . فالمؤلفون متشائمون من استمرار نفاد احتياطي الوقود الحفرى ، وهم لا يتوقعون حلولا لمشكلات الطاقة وارتفاع ثمنها قبل مرور عقدين آخرين من الزمان ، على أقل تقدير . وهناك ايضا مشكلة ازدياد سيطرة الانتروبيا وتراكم الملوثات والفضلات .

ولا يتوقع المؤلفون حلا عاجلا لمشكلات البطالة في العالم ، لأن الوصول الى معدل أفضل للتوظيف لا يتحقق الا بزيادة الاستثمار . . . وللأسف فان زيادة الاستثمار تقود الى زيادة النمو . . . وهذا بدوره يؤدي الى زيادة التضخم والتلوث واستنزاف البيئة . وبتعبير آخر فان مشكلة البطالة لا يمكن أن تحل الا على حساب تفاقم مشكلات أخرى كالتضخم

الذي يقل كاهل العالم اليوم ولا يترك مزيداً لمستزيد . ولكن من جهة ثانية ، فان الكتاب يفتح الكثير من منافذ الأمل بالنسبة للمستقبل ، ويرى مؤلفوه أن الانسانية ستفلح في التغلب على مشكلاتها ، اذا سيطر المنطق والعقل على أعمالها واستطاعت ابتداع طرق تقنية جديدة .

فاذا أصبح الانسان ـ مثلا ـ عاجزا في المستقبل عن استعمال الطائرات بسبب نضوب الوقود الحفري ، فان تطور التقنية سيمكنه من بناء صحون طائرة يسيرها نوع آخر من الطاقة . وحتى بالنسبة لمشكلة التكاثر السكاني التي يكاد يجمع العلماء على أنها من أخطر المشكلات التي تقلق البشرية لكونها تتحمل بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، قسطا من المسؤولية في تأزيم مشكلات أخرى ، كنقص الغذاء والطاقة واكتظاظ حركة السير والتلوث والتضخم وغير ذلك ، فإن جارت هاردن ، أحد مؤلفي الكتاب ، يقدم لنا بشأنها وجهة نظر طريفة متفائلة تختلف عن الآراء التقليدية . فهاردن يتفق مع هنري جورج الذي كان قد نادى منذ زمن طويل بدحض النظرية المالثوسيه . ويرى هاردن ان انعدام العدالة الاجتماعية وسوء التوزيع لا التفجر السكاني هما السبب الرئيسي في كل مانعانيه ، وأن كل فم جديد يفد الى العالم ويريد أن يأكل إنما يحمل ايضا ساعدين جديدين قادرين على العمل وانتاج المزيد من الغذاء . واكثر من ذلك فان المؤلف يذهب الى أن زيادة السكان ، في حالة ثبات جميع العوامل الأخرى ، هي في صالح مستقبل العالم ، لأنها تؤدي الى الاسراع في عملية التقدم العلمي والتكنولوجي والطبي ، أما بالنسبة لنقص الغذاء فيرى جاردن بأن أحد الحلول لهذه المشكلة يتحقق باعتماد بعض الدول التي يقل فيها الانتاج الغذائي عن بعضها الآخر التي يفيض لديها هذا الانتاج . ويبدو لنا أن تفاؤل المؤلف بالنسبة للتفجر السكاني مبالغ فيه ، ومناقض لوجهة نظر الكتاب نفسه في البيئة المغلقة التي تستلزم الحد من الانتاج والاستهلاك .

وعلى كل فان الكتاب يدعو الى نوع جديد من التقنية الجديدة يهدف الى تحرير الانتاج من الاعتماد على الطاقات المختزنة (الوقود الحفري) الى الطاقات المتدفقة بصورة طبيعية (كالطاقات الشمسية والريحية والمائية) ، أي الاتجاه نحو طاقات يمكن تجديدها . وتبشر التقنية الجديدة أيضا بتخفيض استهلاك المواد بواسطة زيادة كفاءة هذه المواد بحيث يمكن لكمية صغيرة منها أن تقوم بمهمة الكمية الكبيرة .

من هذا العرض السريع للأفكار الواردة في كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) ، يتبين لنا مدى أهميته فهو يعالج مشكلات آنية ملحة ، تشكل مصدر قلق للعالم ليس في الحاضر فحسب ، بل في المستقبل أيضا ، ومن جهة أخرى يعالج هذه المشكلات من خلال نظرة متكاملة . ففي حين نجد أن معظم الكتب الأخرى تتصدى لهذه المشكلات ، إما من وجهة نظر اقتصادية ، أو من وجهة نظر بيئية ، يرصد هذا الكتاب مشكلات البشرية بمنظار علم الاقتصاد البيئي ، الذي يصهر علوم الاقتصاد والايكولوجيا والبيولوجيا والكيمياء والفيزياء في بوتقة واحدة . □

الأخلاء الثلاثة

قال أحد الحكماء : للمرء ثلاثة أخلاء :

خليل يقول له أنا معك حيا وميتا ، وهو عمله ، وخليل يقول له أنا معك حتى تموت ، وهو ماله ، وخليل يقول له : أنا معك حتى باب قبرك ثم أخليك ، وهو ولده .

من المكتبة العربية



أضواء على شعر البحتري

بقلم : عبد الرزاق البصير

هل يمكن فصل مادة الابداع عن مبدعها ؟
وهل يمكن أن ينظر الى المادة الابداعية دون النظر فى ظروف العصر الذى أبدعت فيه ؟
ربما ترى بعض المدارس ذلك، وتعارضها بطبيعة الحال أخرى . فكيف نظر الباحث والكاتب د . خليفة الوقيان لشعر البحترى ؟ ومن أية زاوية فنية درسه ؟

حينما تلقيت هذا الكتاب * ، وجدت نفسى تتساءل عن السبب الذى دفع المؤلف الى اختيار دراسة هذا الشاعر من بين شعراء العصر العباسى ، على الرغم ممن فيه من الشعراء المتفوقين ، وقد اعتقدت أنى أجد جواب هذا التساؤل فى المقدمة التى صدَّر بها المؤلف كتابه ، ولكننى لم أجد شيئا من ذلك ، فلم أستغرب لأنى أعرف بأن طبيعة المؤلف تميل الى أن يكون القارىء قادرا على أن يستكنه بنفسه هذا السبب وغيره من الأسباب ، وليس من شك أن هذا الاسلوب يدل على احترام المؤلف لقرائه ، وأنه يريد منهم أن يكونوا متعمقين فى ما يقرأون ، ومهما يكن من شي فإن تمهيد المؤلف يدل على أن مؤلف الكتاب يعتقد بأن النقاد الأقدمين أو معظمهم على الأقل ، وقفوا عند ساحل شاعرية الشاعر دون أن يتعمقوا في لجة بحره ، ذلك أننا نجد المؤلف يقول : ان قضية السرقات فى الشعر قد شغلت النقد العربى ،

* شعر البحتري - دراسة فنية - د . خليفة الوقيان

واستنزفت جهود النقاد ، وهذا نهج يجعل الناقد غير متجرد فى دراسته ، لأن همه سيحصر فى تتبع الشعراء ، بقصد الكشف عن الشبهات وتصيدها لاثبات سرقاتهم .

لهذا اجتهد أديبنا بأن تكون دراسته لأبى عبادة الوليد دراسة فنيةدقيقة ، وهو نهج لا بد وأن يكون قد كلف الدارس بأن يتحمل مشقة فى بحثه هذا .

دفـاع عـن البحتري

في تصوري أن الدكتور خليفة امتلأت نفسه اشفاقا على البحتري ، لأنه يعتقد بأن شاعرنا قد ظُلم من أنصاره وخصومه على السواء ، فهو فى نظر أنصاره أعرابى الشعر ، ولم يفارق عمود الشعر ، وتلك الصفة فى نظرهم فضل يضاف اليه ، وهو فى نظر خصومه ساذج الصنعة كثير السرقة . غير أن المؤلف يرى بأن البحترى كان مجدداً في وسائله الفنية ، بالقدر الذى يجعله يمثل كل ما طرأ على عصره ، وذلك مما يقتضى توجيه الدراسة الى شعره بمنأى عن الاعتبارات الخارجية ، التى كانت تكيف الحكم عليه ، وفى تقديرى ان هذا النهج ليس مقصورا على البحترى ، بل يشمل المبرزين من الشعراء الذين شُغل النقاد الاقدمون بدراسة شعرهم .

ويبقى السؤال الذى طرحته فى أول هذه الكلمة معلقا دون جواب ، غير أنى لا أستبعد أن يكون الباحث قد أحب شعر أبى عبادة وانسجم معه ، لما فى شعر هذا الشاعر من وضوح واشراق . وأنت حين تقرأ ديوان الوقيان ،لا تجد فيه اى غموض ، ولا يتسع المجال للحديث عن تأثر الشاعر بشاعر آخر ، وقد ذهبت الى هذا الرأى لأنى وجدت المؤلف يترجم للبحترى بصورة تشهد بأن له فى قلبه مكانة خاصة ، وكمثال على ذلك بالاضافة الى ماتقدم ، نرى كاتب البحث ينتقد الذين يصفون البحترى بالبداوة ، اذ أنهم ربما كانوا يقصدون بأن البحترى ضعيف الخيال جافى الطبع ، كما هى الصفات الغالبة على من تطلق عليه هذه الصفة .

فالمؤلف يرى أن البحتري أخذ صفاء البداوة وتجربة الحضارة ، وهكذا يأخذ المؤلف فى الاعتذار عن كل ماذكره خصوم الشاعر ، من وصف غير لائق بشاعر يعد من أكابر الشعراء ، فقد رووا عنه بأنه قليل العناية بملابسه وانه مدّل بنفسه الى حد يجعله ثقيلا على من يسمعه حين ينشد شعره ، وقد أوردوا قصصا يطول ذكرها ، ولكن المؤلف جعل يفندها بحجج قوية مقنعة ، وهذا نهج يدل على أن الباحث يقدر البحترى أعظم التقدير ، مما يجعل لبحثه ميزة تنجذب اليها نفس القارى ، فنحن نعلم أن كثيرا من الباحثين درسوا هذا الشاعر ، ولكنك حين تقرأ لهم ، ترى كأنما كتبهم نسخة واحدة . ذلك أنهم أخذوا ما قاله خصوم الشاعر أخذ المسلمات ، وقد تبسط الباحث فى الدفاع عن الشاعر حيث نراه يحقق فى مذهبه تحقيقا فيه دقه وأناة ، مرتكزا فى ذلك على أدلة تشهد أن أديبنا اجتهد فى الدفاع عن الشاعر ، فقد أراد خصومه أن يثبتوا أنه معتزلى ، وأراد بعضهم أن يثبت بأنه متعصب ضد العلويين ، لكن المؤلف اثبت أن ميل الشاعر أقرب الى أهل البيت منه الى أى مذهب آخر .

القصيدة السينية والعروبة

وقد كان الباحث موفقا حين دافع عن عروبة البحترى ، مرتكزا على ما جاء فى سينيته المشهورة ، عندما وقف على ايوان كسرى ، تلك القصيدة التى اعتمدها خصومه على أنها دليل على ضعف عروبته ، وكم تكون خسارتناكبيرة لو ثبتت حجج القائلين بشعوبية الشاعر ، لأن شاعرنا ينتمى الى قبيلة طىء اليمانية ، فإن من الفجيعة أن يتنكر شاعر مثل البحترى لعروبته ، على أنى أود لو أشاد المؤلف بعينية البحترى أكثر مما فعل ، فكنت أود أن يدعوا الى أن تكون هذه القصيدة من محفوظات ناشئتنا فى جميع أنحاء الوطن العربى ، الذى أصبح الدم العربى يراق فيه بأيد عربية ، فانه لا يكفى أن ينوه الباحث عن هذه القصيدة بأنها لوحة مؤثرة ، فان هذه القصيدة تعتبر دعوة لكل عربى بأن لا يطيع من يأمره بقتل أخيه العربى .

وهل يوجد أشد تأثيرا فى النفس العربية من قول البحترى فى عينيته

تقتل من وتر أعز نفوسها
عليها بأيد ما تكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر أرماح تقطع بينهم
شواجر أرحام ملوم قطوعها .

ولست أستبعد أن يكون التوجه العربي المبكر والحس الناصع ، من جملةالعناصر التى حببت البحترى الى كاتب هذا البحث ، فان النزعةالقومية هى أحب الأشياء الى نفسه . يضاف الى ذلك أن البحترى يتصف بصفاء الطبع وسهولة المأخذ ، فقد انقادت اللغة العربية لشاعرنا ، ولعل طواعية اللغة العربية لديه مما يؤكد انه يمتلك ثروة لفظية كبيرة ، يتصرف فيها بيسر ، ويوجهها دون عناء . وقد أعجب به اللغويون الذين يتشددون عادة فى محاسبة المحدثين .

ذلك بعض ما ذكره الباحث من أوصاف البحترى ،وهو دليل واضح على اعجاب الدكتور خليفة الوقيان بشعر البحترى . ولا تنقاد لغة القرآن الا لمن اتسعت ثقافته فى التاريخ والفلسفة . اذ أن البحترى عاش فى عصر انفتحت فيه التيارات الفكرية والفلسفية ، بحيث لايستطيع أى مثقف يجالس الخلفاء والوزراء فيصبح نديمالهم ،الا بعد أن يتمثل تلك التيارات ، فتبرز فى آثاره الأدبية، ذلك مافصّله المؤلف عندما تحدث عن ثقافة أبي عبادة ،غير أنى كنت أود لو أوضح لنا المؤلف وجهة نظره حول أى الاتجاهين يميل ، فهناك اتجاه يذهب الى الاستعانة بالمنطق والفلسفة ، ويميل الأخر الى البعد عن تلك المؤثرات . لأن كاتب البحث قادر على أن يرجح أحد هذين الاتجاهين ، لما له من يد طولى فى نظم الشعر الرفيع ، ولقد كان الباحث محقاً عندما اجتنب تطبيق مقاييس هذا العصر ومفاهيمة على البحترى كما يفعل كثير من النقاد ، لأن ذلك تكلف أو تعسف غير معقول ، فلكل عصر مفاهيمه ومقاييسه فى كل شأن من الشئون ، منها أن فن الشعر كان فيما مضى مسخراً لذوى الجاه والسلطان ، وهذاأمر متفق عليه فيما مضى من العصور ، أما فى هذا العصر فان من الشعر ما قد سخر لقضايا الشعوب ، ولكن بعض النقاد يأخذ على شعرائنا الأقدمين سلوك هذا النهج .

العروبة والقبيلة

ومن الملفت للنظر أن المؤلف تنبه الى أن مديح البحترى لقبيلة طيىء يمتاز على غيره من المدائح ، لأنها قبيلته ، وله الحق فى أن يتجه هذا الاتجاه .

يقول المؤلف : « يلاحظ أنه يخاطب ممدوحيه من الرؤساء والقادة الطائيين بخاصة والعرب بعامة بعاطفة صادقة ، ويجهد فى ابراز فضائلهم بشكل يختلف عما يفعله مع بقية ممدوحيه » . وهكذا نجد المؤلف يلح فى ابراز عروبة البحترى ، بتوظيفه مدائحه للمتوكل وغيره من الخلفاء للدفاع عن قومه ، والتوسط لدى الخلفاء والوزراء والقواد للعفو عنهم حيث تلم بهم الأحداث . على شاكلة قوله .

قرابتك الأدنون من حيث تنتمى
وجيرتك الدانى اليك بعيدها
أتهدم جرفيْها وطورك طورها
وتنحت فرعيها وعودك عودها

وليس من المبالغة فى شيء اذا قلت ان هذين البيتين وأضرابهما من شعر البحترى ، يحتويان على نداء عربي قوى يمكن أن يوجه إلى كل عربي يشهر سلاحه فى وجه أخيه العربي فى كل عصر من العصور . واذا ما أردنا أن نتعرف على شعر البحترى من الناحية الفنية ، فاننا نجد أديبنا قد تبسط فى الحديث فى هذا الجانب ، ولا غرابة فى ذلك ، فان تذوق الشاعر النابه للشعر يمكنه من تبينّ ما لصاحبه البحترى من ميزات لا يكاد يتعرف عليها غيره .

وقفة قصيرة

ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نتتبع ما ذكره المؤلف من ميزات البحترى ، ولكن أود أن أقف وقفة قصيرة جداحول ما ذهب اليه المؤلف من تفضيل البحترى على سائر الشعراء فى قدرته على الوصف ، فهو يرى انه أقدر من غيره فى هذا الجانب ، معتمدا على تذوقه الخاص ، بالاضافة الى ما قاله النقاد المحدثون ، من أنه شاعر وصّاف ، بما له من شهرة

تذوق المرثيات ، بجمال فنه ،وأنه فريد الوصف جيده ، ولعل شاعرا شرقيا لم يصل الى مستوى البحترى حين وصف مظاهر الحضارة ومباهجها وكل ما يتصل بها .

فما من شك أن أبا عبادة لطيف الديباجة سلس فى أسلوبه ، له قصائد ممتازة فى الوصف ، كقصيدته التى يصف بها الربيع ، فما من متذوق للشعر الا ويترنم بها حين يتاح له أن يتجول فى روضة باكرها الربيع ، فأصبحت ترقص أشجارها وجداولها وتغرد بلابلها ، هنا لا بد له من أن يتغنى قائلا :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالامس نوّما

ولكنى مع هذا كله أعتقد أن شاعرنا البحترى لا يتفوق على ابن الرومى فى قدرته على الوصف ، فانك حين تقرأ لابن الرومى ترى أمامك مصورا قديرا يرسم ما يختلج فى النفس من أحاسيس ، كمايرسم مشاهد الطبيعة بطريقةينقلك معه الى تلك المشاهد الحسية والمعنوية ، والشواهد كثيرة على ماذكرت ، كمقطوعته التى يصف بها الخباز عندما يصنع الخبز ، والمقطوعة التى يصف بها الأحدب ، وغير ذلك كثير . أما وصفه المعنوى فانك تجده مبثوثا فى ديوانه ، ولعل قصيدته التى يرثى بها ابنه الأوسط من أقوى الأدلة على ماذهبت اليه والتى مطلعها .

بكاؤكما يشفى وان كان لا يجدى
فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وقصيدته التى يصف بها وحيد المغنية ومطلعها

ياخليل تيمتنى وحيد
وفؤادى بها معنّى عميد

ففى هاتين القصيدتين صور واضحة للأحاسيس المادية والمعنوية :

ولا يعنى ماذكرته أنى اغض من قدرة شاعرنا الطائى على الوصف ، وما يتضمنه شعره من رقة وموسيقا تجتذبان اليهما نفس المتذوق للشعر ، كلا . . . فانى لم اقصد الى شىء من ذلك ، وانما الذى قصدت اليه هو أن أشير الى أن في عصره من يضارعه فى قدرته على الوصف .

وفى هذاالكتاب فصول غنية لا استطيع ان الم بها فى هذه الكلمة الموجزة ، ويكفى أن أشير الى جلائه لقضية أدبية مهمة ، وهى أن لأشعار بعض الأدباء اثرا فى النفس لانستطيع أن نفهم سرها وكل مانعرفه أنها تمتزج فى النفس امتزاج الماء النمير فى قلب الظمآن ، وقد أعلن هذه الحقيقةكبار النقاد فى الشرق والغرب ، كذلك أشير الى وقفة الباحث حول ما قاله بعض القدامى ، من أن البحترى اتجه الى ترقيق لفظه وتسهيل صياغته القديمة وتهذيب معانيه ، استجابة لنصيحة الفتح بن خاقان ، كى يوافق هوى المتوكل ، هناينبرى المؤلف بصورة حازمة فى الرد على هذا الزعم فيقول :

انهم يظلمون الشعر كثيرا ، اذ يحيلونه الى حرفة ميكانيكية ، بامكان الشاعر أن يتصرف فيها ويغير طبيعتها استجابة لنصيحة عارضة ، أو مناسبة مفاجئة ، فى حين تبدو عملية النظم أكثر تعقيدا من ذلك .

وبعد . . . فإن هذا الكتاب اضافة جديدة فى موضوع جالت فيه أقلام عشرات من الباحثين ، وهذا أمر لايقدر عليه الا القليل من الكتاب . □

خبز الروح

يقول أحد الفلاسفة : اذا كان اكتشاف الحبوب وصنع الخبز منها ، هو الانتصار الأكبر على الجوع ، فان الكتاب هو خبز الروح ، وهو الانتصار الأكبر للانسان على الجهل والعبودية .

الكتاب : زائر المساء/ مجموعة قصصية .
المؤلف / خليل السواحرى .
الناشر / دار الكرمل للنشر والتوزيع / عمان .
عدد الصفحات / ٦٨ من القطع المتوسط ٠

هذه المجموعة الجديدة لخليل السواحرى استمرار لمجموعته « مقهى الباشورة » التى رسم خلالها جوانب من صور الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، لكن هذه المجموعة تتميز باحتوائها على قصص كتبت قبل الاحتلال ، وآخر ما كتب بعد الخروج / لتضيف ابعادا جديدة للهم الفلسطينى فى الزمان والمكان ٠

الكتاب / علم النفس التحليلى .
المؤلف / كارل غوستاف يونغ .
ترجمة / نهاد خياطة .
الناشر / دار الحوار - اللاذقية - سوريا .
عدد الصفحات / ٣٠٢ من القطع المتوسط ٠

احدى الترجمات القليلة ، لبعض أهم مقالات عالم النفس التحليلى الشهير كارل غوستاف يونغ ، تلميذ فرويد المتمرد ٠

ويجمع الكتاب فصولا تحمل الطابع العملى ، مثل تحليل الأحلام فى التطبيق العملى ، ومدخل الى علم النفس التحليلى ، الى جانب فصول أخرى ذات طابع ذهنى ونظرى ، مثل علم النفس والأدب ، والمشكلة الروحية عند الانسان الحديث ، اضافة الى موازنة بين يونغ وفرويد وثَبْتاً بمصطلحات علم النفس التحليلى كتبهما المترجم ٠

الكتاب / سلاما أيها المسرحيون .
المؤلف / على مزاحم عباس .
الناشر / مطبعة العمال المركزية - بغداد .
عدد الصفحات / ١٠٠ من القطع الكبير .

تحت هذا العنوان وضع الناقد والكاتب المسرحى العراقى على عباس مزاحم مجموعة مقالاته ، التى سبق نشرها فى الصحف والمجلات العراقية ، حول المسرح العراقي ، قام بتنظيمها من خلال عناوين عامة ، مثل قضايا وظواهر المسرح ، وحكايات عيد المسرح ، والمسرح بين الكتابة والعرض ٠٠٠٠

الكتاب / بلاي الرومى .
المؤلف / سيمون حايك .
الناشر / مطابع الكريم الحديثة - جونية - لبنان .
عدد الصفحات / ٢١٥ من القطع الكبير ٠

يذكر الدكتور حايك في مقدمته لهذا الكتاب ، أن كلمة « هيستوريا » الاوروبية التي تعني « تاريخ » ، هي في الواقع كلمة أسطورة العربية ، ويضيف أن حادثا تاريخيا لم تختلط فيه الاسطورة بالتاريخ مثل حادث فتح الأندلس • ومن هذه النقطة يعيد المؤلف المشهد الاسباني في فترة الفتح الاسلامي وما قبلها ، بأسلوب جمع بين الأسطورة بمعناها الأدبي ، وبين الاسطورة باعتبارها تاريخيا يرصد أحداث زمن خاص •

الكتاب : مناهج المستشرقين - جزءان .
المؤلف : مجموعة من الأكاديميين .
الناشر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
عدد الصفحات : ١٠٧٢ من القطع الكبير .

يقع هذا المجلد الضخم في مجلدين ، نشرتهما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بمناسبة الاحتفال بالقرن الهجري الخامس عشر . وفيه يتصدى عدد من الأساتذة الاكاديميين العرب لآراء المستشرقين في العروبة والاسلام والنبوة وغيرها من آراء ، مصوبين ما جاء في بعضها من آراء خاطئة ، ومبرزين بعض نقاط الضعف في مناهجهم ، في محاولة لاعادة الاعتبار للحقيقة التي لم يتمكن بعض المستشرقين من اكتشافها ، حول تاريخنا ومنطقتنا .

الكتاب : مختارات من الشعر الافريقي .
تأليف : ك . أي سيناتو و ت . فنسنت .
ترجمة : جميل الضحاك .
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد - دمشق .
عدد الصفحات : ٢٠٠ من القطع الكبير .

ضمن موجة الاهتمام بآداب العالم الثالث ، تأتي هذه الترجمة لمختارات من الشعر الافريقي ، مع مقدمة نقدية تعريفية بجذور هذا الشعر واتجاهاته ومساراته .

ودون أن يهمل المؤلفان الشعر الافريقي التقليدي ، الذي انبعثت منه حركة الشعر الحديث في بلدان افريقيا المختلفة ، يقدم المؤلفان أعمالا لجيل الشعراء الأفارقة الأول ، مثل سنغور ، ويمضي باتجاه الشعراء الشبان ، مثل وولي سونيكا ، وأوكاي .

الكتاب / نظرية التراث .
المؤلف / الدكتور فهمي جدعان .
الناشر / دار الشروق - عمان - الأردن .
عدد الصفحات / ٢٥٨ من القطع الكبير •

يصف المؤلف المقالات التي ضمها هذا الكتاب بأنها ضرب من القول وبحوث متباينة ، متفاوتة في مستوى الخطاب • وتحت هذا التوصيف العريض ناقش الدكتور جدعان مسألة التراث المطروحة في عالمنا العربي بشكل حاد ، ولكن الدكتور جدعان يتجاوز هذه المسألة ، ويقدم أبرز من بحثوا فكرة التراث الديني ، ويدخل في سجالات مع بعضهم ، ويضيء أكثر من مسألة بجدل عقل رفيع .

الكتاب / كريمة .
المؤلف / د . شريف حتاتة .
الناشر / مكتبة مدبولي - القاهرة .
عدد الصفحات / ١٩٨ من القطع الكبير .

رواية جديدة للدكتور شريف حتاته ، صاحب الثلاثية الشهيرة « العين ذات الجفن المعدني » .

والرواية تنويع على نفس الأجواء السابقة للدكتور حتاتة ، التي يمتزج بها الحب والسياسة بالعنف والعسف في السجن ، حيث يتكون عالم جديد وحياة جديدة . □

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

القناعة و الاقتناع .. تصحيح بيت

١ - القناعة والاقتناع

فى رسالة من الدكتور الفاضل امين موسى جاد ، اختصاصى الحشرات (الزمالك - القاهرة) - اشار الى ورود كلمة « قناعة » مستعملة بمعنى « اقتناع » فى بعض مقالات مجلة العربى (العدد ٣٢١ - اغسطس - آب سنة ١٩٨٥) ص ٩٩ ، ١٧٩ على سبيل المثال) وعقب على ذلك بانه قرأ كثيرا عن عدم صحة هذا الاستعمال ، لان « القناعة الرضا بالقليل ، ثم طلب منى توضيح هذا الخلاف .

واشكر للدكتور حسن ظنه وتحيته ، واصارحه بدءا بانى كنت انكر استعمال « القناعة » بمعنى الاقتناع ، لما كنت اقرأ واسمع من شيوخى فى انكاره حيثما ورد ، لا سيما عند مناقشة بيت المتنبى فى احدى روايتيه :

لبس التعلل بالآمال من أربى
ولا القنوع مع الاقلال من شيمى

وقد انكر عليه قديما استعماله القنوع بمعنى القناعة هنا بحجة ان القنوع بعنى السؤال والذل ، وان القناعة تعنى الرضا وهى المناسبة هنا ، وان كان للبيت رواية اخرى مناسبة للمقصود ، وهى « ولا القناعة بالاقلال من شيمى »

كنت انكر ما انكروه عليه ، ولم ازل حتى الآن كلما سمعت هذا الاستعمال أحس نفْرة منه عند المفاجأة به ، ولكنى رضت نفسى عليه ، وصرت أجد له عذرا بعد طول التفتيش فى المعاجم ولا سيما المطولات .

ان الجذر « ق ن ع » فى معاجمنا كثير الاشتقاقات ، ومعانى اشتقاقاته كثيرة ، ولا يعنينا فيما نحن بصدده الا الاشارة الى بعضها المناسب له .

فالفعل الماضى منه قنَع كمنَع ، وقنِع كسمِع ، ومضارعهما يقنَع كيمنَع ويسمَع ، ومصدر الاول القنوع ومصدر الثانى القناعة . ومن معانى القنوع السؤال أو التذلل فيه ، ولهذا استعيذَ منه فى الدعاء ، فقيل « نعوذ بالله من القنوع » كما قيل « نعوذ بالله من القنوع والخنوع والخضوع » وشاهده بيت شاعرنا الشماخ :

« لمال المرء يصلحه ، فيُغْنِى
مفاقرَه أعفُّ من القنوع »

ويلاحظ هنا ان القنوع والخنوع والكنوع وافعالها جميعا على وزن واحد ، وبمعنى واحد ، فهي تدل على الهبوط والانخفاض والتدني ، وهي لا تختلف نطقا في الصوت الاول من كل منها (ق ك خ) ، ولكن أصواتها الاولى قريب من قريب ، ولهذا القرب ـ مع تماثل بقية اصوات هذه الالفاظ ـ أثره في وحدة معانيها ، وكأنما اصلها واحد قد نطق بلهجات مختلفة ، ولكنها متقاربة . وتصاقب الحروف او الاصوات (اى تقاربها) يدل على تصاقب المعاني كما قال احد نحاتنا النوابغ ، ودلالة الخنوع على الهبوط والانخفاض والتدني واضحة لكثرة استعماله ، والكنوع ليست كذلك لندرة استعمالها ، وان كان يدل احيانا على هذه المعاني ايضا ، وشاهده قول لقيط بن يعمر الايادي ناصحا قومه بالتأهب لدفع الفرس عنهم حين رأى الفرس يتجهزون لحربهم :

« ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا
اذا يقال له : « افرج غُمَّةً » كنعا

وكنع مثل خضع وخشع ومن الاسماء المعروفة كنعان وكانت تطلق على فلسطين بمعنى الارض المنخفضة ، ثم سمى بها القوم الذين يسكنونها كما صار يسمى بها بعض الرجال من سكان هذه المنطقة وجاراتها في الشام .

وكل هذا لايفيدنا فهماً لما نحن بصدده ، ونحن لم نعرض له هنا الا لان بعضهم يطيل الوقوف عند معنى القنوع بمعنى الخنوع ، وبمعنى السؤال او التذلل فيه لالتباسه به فلنتركه بعد ، ولنبحث عن معنى آخر مناسب لما نحن بصدده . والمعنى الآخر هو القنوع بمعنى الرضا باليسير ، والرضا بالقسم ، والرضا مطلقا ، ومنه المثل « خير الغنى القنوع ، وشر الفقر الخضوع » ومنه قانع وقنيع وقَنوع بمعنى الرضا بالقسم ، والرضا مطلقا ، ومنه الاثر المشهور « القناعة كنز لا يفنى ، لانه لا ينقطع بالانفاق ، وهناك الاثر « عز من قنع ، وذل من طمع » وفلان مَقْنَع كمقعد يُرضى قوله ، وفي اساس البلاغة « قنع بالشيء واقتنع به واقنعك الله بما اعطاك » بمعنى الرضا ، ومصدر قنع قناعة ، ومصدر اقتنع اقتناع ، فلا حرج في استعمال الاقتناع بمعنى القناعة . وقنع واقتنع مثل رضى وارتضى وزنا ومعنى .

٢ ـ تصحيح بيت

كنا قد نشرنا « صفحة لغوية » في العدد ٣٢٥ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ بعنوان « اعراب المنقوص » أشرنا فيها الى أن الفتحة في آخره تختفي في الشعر لاقامة الوزن ، وان هذا كثير الأمثلة والشواهد ، واستشهدنا لذلك ببيت ينسب لعنترة ، وهو :

ان (الافاعي) وان لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

ولكن الواو ـ وهي للحال ـ سقطت في الطباعة ، فصار الشطر الاول هكذا « ان الافاعي ان لانت ملامسها » وكانت نتيجة هذا الخطأ أن ضاع الاستشهاد واختل المعنى .

وقد استدرك علينا هذا الخطأ الاستاذ المستشار حسن مهران حسن (رئيس الدائرة التجارية بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت) فلاحظ أن البيت مستقيم وزنا مع سقوط الواو عندما تحرك ياء الافاعي بالفتحة ، وهذه ملاحظة صحيحة ، كما لاحظ أن اختفاء الفتحة جائز اذا قلنا « ان الافاعي وان لانت ملامسها » وهذه أيضا ملاحظة صحيحة .

وقد جال خلال مناقشته جولة واسعة تدل على معرفة عروضية ولغوية ، وختم مناقشته بأنه لا مدعاة لاضمار الفتح على الياء اذا أسقطنا الواو ، لاستقامة الوزن وسلامة الاعراب مع سقوطها ، وكل هذا صحيح عروضيا واعرابيا ، ولكنه لا يصح اذا تأملنا معنى البيت كما ينبغي أن يفهم . لان معناه مع سقوط الواو ، هو أن في أنياب الافاعي العطب بشرط لين ملامسها ، فاذا فقد لين الملامس لم يقع العطب لزاما . وهذا المعنى مختل ، وهو غير المقصود .

ولكن اذا قلنا : « ان الافاعي وان لانت ملامسها » فاسقطنا فتحة الياء لزاما ، كي يستقيم الوزن ـ كان المعنى أن الافاعي تعطب عند التقلب وان كانت لينة الملامس ، وهذا المعنى هو الصحيح والمقصود .

هذا ونشكر للأستاذ المستشار حسن ظنه وطيب تحيته ـ حياه الله ـ ونكبر اطلاعه وغيرته على لغته التي هي عصمة وحدتنا العربية ، ووعاء ذخائرنا الثقافية ، ومعرض قدراتنا الفكرية . □

هكذا غنى الآباء

مبارزة أسد
من شعر بديع الزمان الهمذاني

هذه القصيدة من نظم بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ - ٣٩٨هـ) ، وهو من أشهر أدباء عصره ، كان سريع البديهة في الحديث والكتابة ونظم الشعر ، كما كان مضرب المثل في سرعة الحفظ ، له رسائل (٢٣٣ رسالة) ومقامات (٤٠٠ مقامة) .. وله ديوان شعر صغير ، وقد طبعت رسائله وديوانه ، وهو يدين بشهرته لمقاماته التي بقيت منها (٥١) مطبوعة ، ويذكر أنه كتب أكثرها مرتجلا ، وقد وردت هذه القصيدة في ذيل مقامة منها .

والقصيدة تحكي قصة أو ملحمة بين رجل وأسد . سافر الرجل في رحلة ليجمع مهر فتاة يحبها اسمها فاطمة ، حتى اذا بلغ مكانا يسمى كاظمة ، عارضه أسد ضخم يحاول اغتياله ، فترجل عن حصانه وبارزه مترجلا ، لان المحارب على الأرض يكون أملك لحركاته ، أما الراكب فخاضع لبعض حركات الحصان ، واستطاع قتل الأسد بسيفه ، ولكنه لم ينس بعد قتله اياه ، أن يثني على شجاعته ، وهذا من تقاليد الشجعان ، وفيه فخر للمحارب لانتصاره على خصم قوي ..

ومثل هذه الملحمة (القصيدة) نادر في شعرنا العربي ، ولعل شاعرنا استوحى هذه القصة من واقعة حدثت بين أسد ورجل يسمى « جحدرا » في زمن الحجاج ، استطاع حجدر فيها قتل أسد ضخم ، ونحن لا نستعظم هذا ، لأن فارسا يسمى بدر بن عمار كان في زمن المتنبي استطاع قتل أسد بسوطه ، فمدحه المتنبي قائلا :

أمعفِّرَ الاسدِ الهِزَبْرِ بسوطه ... لِمَن ادَّخَرْتَ الصارمَ المسلولا

القصيدة

أفاطمَ لو شهدتِ ببطنِ خَبْتٍ ... وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاك بِشْرا[1]

اذن لرأيتِ ليثاً رام ليثاً ... هِزَبْراً أغلباً يبغي هزبرا[2]

تَبَهْنَسَ اذ تقاعَسَ عنهُ مُهْري ... محاذرةً فقلت : «عُقِرْتَ مُهْرا[٣]
أَنِلْ قَدَميَّ ظهرَ الأرضِ إني ... وجدتُ الأرضَ اثبتَ منكَ ظَهْرا
وقُلت لهُ وقد أبدى نِصَالاً ... مُحَدَّدةً ووَجهاً مُكْفَهِراً[٤]
يُدِلُّ بمِخْلبٍ وبحَدِّ نابٍ ... وباللحظاتِ تَحْسبُهُنَّ جَمْرا[٥]
وفي يُمْنَايَ ماضي الحد أبقى ... بمضربه قراعِ الخطبِ اثْرا...[٦]
ألم يبلغْكَ ما فعلت ظُبَاهُ ... بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عَمْرا ؟[٧]
وقلبي مثلُ قلبِك ، لست أخشى ... مصاولةً ، ولستُ أخافُ ذُعْرا[٨]
وأنتَ تَرومُ للأشبالِ قوتاً ... ومُطّلبي لبنتِ العمِّ مَهْرا
ففيم تروم مثلي أن يولي ... ويتركَ في يَدَيْك النفسَ قسرا ؟[٩]
نصحتُك فالتمسْ يا ليثُ غَيري ... طعاماً ، ان لحمي كان مُراً
فلمَّا ظنَّ أن الغِش نُصْحي ... وخالفَني ، كأني قُلتُ هُجْرا[١٠]
مشى ومشيتُ من أسدين راما ... مَراماً كان إذْ طلباهُ وَعْرا
يُكفكِفُ غِيلةً إحدى يديه ... ويبسطُ للوثوبِ عليَّ أخرى[١١]
هززتُ له الحسامَ فخِلْتُ اني ... شققتُ به لدى الظلماء فَجْرا
وجُدْتُ له بطائشةٍ رآها ... لمن كذبته ما منَّتْهُ غدرا[١٢]
بضربة فيصل تركتْه شفعاً ... وكان كأنَّه الجلمودُ وِتْرا[١٣]
فخرَّ مضرَّجا بدَمٍ ، كأني ... هدمتُ به بناءً مُشْمَخِراً[١٤]
وقلت له : «يعز عَلَيَّ اني ... قتلت مناسبي جَلَداً وقَهْرا
ولكنْ رُمتَ شيئا لم يَرُمْهُ ... سواك فلم أطق - يا ليث - صَبْرا
تحاولُ أن تعلّمَني فِراراً ... لعمرُ أبي لقد حاوَلْتَ نُكْرا[١٥]
فلا تبعَد ، لقد لاقيت حرا ... يحاذرُ أن يعابَ فمتَّ حُرا»

---

١ ـ خبت : مكان متسع من الارض . الهزبر : الأسد الصلب الضخم .
٢ ـ الليث : الأسد . الهزبر الاغلب : الاسد الغليظ العنق ، أو الغلاب لغيره .
٣ ـ تبهنس : تبختر حين تراجع عنه مهري خوفا منه . عقرت : سقطت وهلكت .
٤ ـ النصل : حديدة السهم أو الرمح ، أي أظهر أنيابا ومخالب حادة كالنصال . مكفهر : عابس .
٥ ـ يعتز بمخالبه وأنيابه الحادة ونظرات كأنها جمر النار .
٦ ـ في يدي اليمنى سيف مسنون تركت ضرباته في الحرب أثرها في حده .
٧ ـ ظبة السيف حده ، والجمع ظبا ، وكاظمة : اسم مكان يقع اليوم في الكويت ، وعمرو : اسم الخصم .
٨ ـ المصاولة : القتال : والصولة : الوثبة والسلطة والقوة .
٩ ـ تروم : تطلب . يولي : يهرب . القسر : الجبر والاكراه .
١٠ ـ الهجر : القول الفاحش .
١١ ـ يضم يدا ويمد أخرى طلبا لاغتيالي .
١٢ ـ ضربته ضربة طائشة أخلفت أمنيته الغادرة .
١٣ ـ انها ضربة سيف بتار ، جعلته قطعتين بعد أن كان جسما واحدا شديدا كالصخر .
١٤ ـ مضرجا : ملطخا : مشمخرا : عاليا .
١٥ ـ حاولت أمرا منكرا قبيحا وهو فراري منك .

مسابقة العربي الثقافية

العـدد ٣٢٨
مـارس ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٨ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو مايو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٨

١ ـ لقى شاعرٌ شاعرا آخر ، وكان كلاهما من فحول شعراء الجاهلية ، فسأل الأول : كيف معرفتك بالأوابد ؟

فقال : الق ما أحببت . . . فقال :

مـا جـبَّـة ميـتـة قـامت بميتتها
دردا مـا انـبـتـت سـنـا وأخـراشـا

فرد الشاعر الثاني على الفور :

تـلك الـشـعـيـرة تـسقى في سـنـابلهـا
فـأخـرجت بعـد طـول المكث اكـداسـا

فمن هما الشاعران . . ؟

٢ ـ (وخوفوا الناس من دهياء مظلمة . .)

هذا هو صدر البيت . . فما هو عجزه ؟ . . وما المناسبة التي قيل فيها ؟

٣ ـ كيف تجمع « امرأة عقيم » و « رجل عقيم » مستبعدا في كلتا الحالتين صيغة جمع المؤنث السالم ، وصيغة جمع المذكر السالم ؟

٤ ـ ثمـة جبل ينـافس جبل افـرست من حيث الارتفاع . . وهو بركان خامد ، ويقع في احدى جزر المحيط الاطلسي .

ولـو قيس هذا الجبـل من قاعـدتـه المغمـورة في المحيط ، لبلغ ارتفـاعه ٣٣٤٧٦ قـدما ، علما بـأن ارتفاع جبل افرست ، مقاسا من قاعدته لا يزيد على ٢٩٠٢٨ قدما . . فما هو الجبـل المنافس هـذا وأين يقع ؟



٥ ـ تماثيل غريبة وضخمة .. يبلغ وزن بعضها ٧٠ طنا ، وطول بعضها ٤٠ قدما ، وتعود الى أزمنة ما قبل التاريخ ، عثروا على هذه التماثيل في احدى جزر المحيط الهادي النائية .. فما اسم تلك الجزيرة ؟



٦ ـ شجرة طويلة شامخة وقديمة موغلة في القدم ..
أين توجد هذه الشجرة ، وما الاسم الذي اشتهرت به ؟

٧ ـ المحيط الهادي والمحيط الأطلسي .. يقع الواحد منهما الى شرق ، والآخر الى غرب الأول ، باستثناء مكان واحد يقع فيه المحيط الأطلسي الى الشمال والهادي الى الجنوب ، فأي مكان هذا .. ؟

٨ ـ هل هو نهر أم حوض أم بحيرة .. ما اسمه واين يقع ؟



٩ ـ سأل رجل صديقه : كم كتابا يوجد في مكتبتك .. ؟

فرد الصديق .. لو ضاعفت عدد الكتب في مكتبتي واضفت الى المجموع نصف العدد الأصلي ، ثم أضفت (٧) الى الحاصل لأصبح مجموع الكتب في مكتبتي ٣٢ كتابا .

فكم عدد الكتب التي تحتوي عليها مكتبة الصديق ؟

١٠ ـ في تمام الساعة الثامنة من صباح كل يوم ينطلق قطار من القاهرة الى الخرطوم .. وينطلق قطار آخر من الخرطوم الى القاهرة .. فلو افترضنا أيضا أن الرحلة بين العاصمتين تستغرق سبعة أيام .. فكم قطارا يصادف في طريقه أحد القطارات المتجهة نحو الجنوب ...

١١ ـ اذا كان الحداد يتقاضى فلسا واحدا لقاء ضرب المسمار الأول في حذوة الحصان من أجل تثبيتها ، وفلسين عن المسمار الثاني ، وأربعة أفلس عن الثالث ، وثمانية عن الرابع .. وهكذا .. فكم يبلغ مجموع ما يقبضة لقاء ضرب ٣٢ مسمارا . ؟

١٢ ـ في غضون الأيام القليلة القادمة ستستقبل خمس سفن فضاء على الأقل مذنب هالي في أجواء الفضاء .

ترى أي هذه السفن ستقترب من المذنب لتصبح على بعد ٣٠٠ ميل ؟

* جيوتو الأوروبية .
* فيجا السوفياتية .
* بلانت اليابانية .

حل مسـ

١ ـ المذنب هو الكتلة الغازية المضيئة ، والشهاب أو النيزك هو الكتلة الصخرية أو المعدنية الملتهبة .

٢ ـ البيض الذي يحتاج لفقسه ٢٧ يوما هو بيض البط (بعض البط)

والبيض الذي يحتاج لفقسه ٣١ ـ ٣٥ يوما هو بيض الأوز .

٣ ـ صادر أمواله أي طالبه بها .

٤ ـ نعم هناك بوصلتان أخريان غير البوصلة المغناطيسية .. بوصلة الراديو وبوصلة الجيروسكوب ، وهما تساعدان على معرفة الاتجاهات ، دون أن تتوقفا عن العمل في أي بقعة من بقاع العالم .

٥ ـ الدهريون هم جماعة من المفكرين قالوا بقدم الدهر وجحدوا الخالق .

٦ ـ فيوس بهرنج اكتشف وأقام الدليل على أن القارتين أمريكا وآسيا منفصلتان وغير متصلتين ، خلافا للاعتقاد الذي كان سائدا قبل توصل بهرنج الى هذا الاكتشاف ، وذلك في رحلته الأولى (سنة ١٧٢٨ ـ ١٧٣٠) .. اما في رحلته الثانية (١٧٤٠ ـ ١٧٤١) فقد رأى بهرنج الاسكا من الشرق ، وبالتالي اكتشف أمريكا من الشرق .. وتوفي بهرنج في رحلته الثانية هذه ، ودفن في جزيرة بهرنج .

٧ ـ غدة (المعقد) أو (لوزة المعدة) او (الحلوة) تسمى في الطب الحديث البنكرياس أو البنقراس .

٨ ـ تبلغ شجرة نبيان من الضخامة مايكفي لجلوس سبعة آلاف رجل تحتها أو في ظلها .. ويصدق هذا بخاصة على شجرة النبيان الموجودة في كلكتا .. فعدد جذوعها يزيد على ٣٠٠٠ جذع .. منها (٢٠٠) جذع كل منها بحجم شجر البلوط .. أما جذع الشجرة الرئيسي فيبلغ قطره ١٣ قدما ، كما يبلغ ارتفاع الشجرة ٧٠ قدما .

٩ ـ الأسكيمو يسكنون جزيرة جرينلند وسيبريا وليبرادور باضافة الى الاسكا .. التي يفوق عددهم فيها عددهم فيما سواها .

١٠ ـ مارك توين .. اسمه الحقيقي صمويل لانجهورن كلمنس . ولد في بلدة فلوريا في ولاية ميسورى ، وعاش نحوا من ٧٥ سنة (١٨٣٥ ـ ١٩٤٠) .

١١ ـ عبارة الستار الحديدي قالها تشرتشل ، أول من قالها ، وذلك في خطابه الشهير الذي ألقاه في بلدة فولتون الأمريكية في ١٩٤٦/٣/٥

١٢ ـ المدر هو الطين العلك الذي لايخالطه رمل ... ويدل اللفظ على المدن والقرى لأن بنيانها غالبا من المدر . أما الحضر فيقابله البدو (لا المدر) (راجع المنجد) .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٥ ديسمبر ١٩٨٥

١ ـ عبدالوهاب الفقيه رمضان / ١٦ نهج الاخوة ـ خزندار ـ باردو ـ تونس .
٢ ـ شادي يونس صافي / عمان ـ الأردن .
٣ ـ فاطمة داود بدوي / الصفاة ـ الكويت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالله محمد سليمان / شركة آرامكو ـ الظهران ـ السعودية .
٢ ـ احمد صالح عركي / ادارة الكهرباء والماء ـ الدوحة ـ قطر .
٣ ـ كنج محمد المدني / المكتبة الاسلامية ـ كوتاكال ـ كيرالا ـ الهند .
٤ ـ جورجيت الياس امين / شارع الفلكي (باب اللوق) القاهرة ـ مصر .
٥ ـ عادل سيد أحمد محمد دول / الخرطوم ـ الدبوم الشرقية ـ كلية الدراسات الهندسية ـ السودان .
٦ ـ سعيد احمد السندي / الجامعة الاسلامية ـ ميرك ـ هنكورجا ـ سند ـ باكستان .
٧ ـ البابس أباهي / نواكشوط ـ موريتانيا .
٨ ـ مجيدي محمد / زنقة القبطان ادريس ـ القريعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



معركة بلا سلاح

كاسباروف يعتلي عرش الشطرنج

أخيرا وبعد أربعة عشر شهرا من الصراع المرير فاز جاري كاسباروف ببطولة العالم للشطرنج ليصبح اصغر بطل في تاريخ اللعبة يتبوأ عرش الشطرنج في سن الثانية والعشرين ، وقد أرغم خصمه أناتولي كاربوف على الاستسلام في النقلة الثالثة والاربعين من الدور الختامي لمباراة العصر مسجلا بذلك ثلاث عشرة نقطة مقابل إحدى عشرة نقطة لخصمه بعد أن فاز بخمسة أدوار وخسر ثلاثة وتعادل في ستة عشر دورا .

وتمنح القوانين الدولية البطل المهزوم الحق في المطالبة باعادة المباراة في غضون خمسة أشهر من تاريخ الهزيمة ، وقد قرر الاتحاد الدولي للشطرنج أن تعقد مباراة الثأر خارج حدود الاتحاد السوفييتي ، ويتوقع المراقبون أن تعقد المباراة المذكورة في شهر مارس من العام الحالي إما في لندن التي أعربت عن استعدادها لتقديم جائزة للفائز قيمتها ثلاثمائة ألف جنيه استرليني أو في مارسيليا التي ضاعفت قيمة العرض .

ويطل العالم الجديد للشطرنج يتمتع بشخصية رياضية جذابة تتسم بالاندفاع والطيش أحيانا وهو يرأس فريق كرة القدم في مدينة باكو ويمارس السباحة ، وقد اقترن اسمه في السنوات الأخيرة بالممثلة السوفييتية المشهورة مارينا نيولوفا التي تكبره بستة عشر عاما . وللبطل الجديد شعبية كبيرة خارج الاتحاد السوفييتي لحيويته ومرحه وخروجه على التقاليد ، وقد هاجم السلطات الشطرنجية في بلده هجوماً عنيفاً عند ايقاف الجولة الأولى من المباراة واتهمها بالتحيز الصريح لخصمه ، ولكن يبدو أن فوزه بالبطولة قد أحدث تغيرا جذريا في موقفه من هذه السلطات اذ أنه أعلن عشية فوزه بالبطولة ان صفحة الخلاف بينه وبين الاتحاد قد طويت الى الأبد ، كما أعلن التزامه التام بسياسة الاتحاد واستعداده للقيام بجميع المهام الدعائية التي يكلفه بها .

والدور التالي الذي اخترناه لكم هو الدور الختامي من مباراة البطولة ، وتعرف الافتتاحية بالدفاع الصقلي .

كاربوف (أبيض)	كاسباروف (أسود)
١ - هـ ٤	جـ ٥
٢ - ح - و ٣	د ٦
٣ - د ٤	جـ × د ٤
٤ - ح × د ٤	ح - و ٦
٥ - ح - جـ ٣	أ ٦
٦ - ف - هـ ٢	هـ ٦
٧ - ت	ف - هـ ٧
٨ - و ٤	ت
٩ - م - حـ ١	و - جـ ٢
١٠ - أ ٤	ح - جـ ٣
١١ - ف - هـ ٣	ر - هـ ٨
١٢ - ف - و ٣	ر - ب ٨

١٣ ـ و ـ د ٢	ف ـ د ٧
١٤ ـ ح ـ ب ٣	ب ٦
١٥ ـ ز ٤	ف ـ جـ ٨
١٦ ـ ز ٥	ح ـ د ٧
١٧ ـ و ـ و ٢	ف ـ و ٨
١٨ ـ ف ـ ز ٢	ف ـ ب ٧
١٩ ـ ر (أ) ـ د ١	ز ٦
٢٠ ـ ف ـ جـ ١	ر (ب) ـ جـ ٨
٢١ ـ ر ـ د ٣	ح ـ ب ٤
٢٢ ـ ر ـ حـ ٣	ف ـ ز ٧
٢٣ ـ ف ـ هـ ٣	ر ـ هـ ٧
٢٤ ـ م ـ ز ١	ر (جـ) ـ هـ ٨
٢٥ ـ ر ـ د ١	و ٥
٢٦ ـ ز × و ٦ (بالتجاوز)	ح × و ٦
٢٧ ـ ر ـ ز ٣	ر ـ و ٧
٢٨ ـ ف × ب ٦	و ـ ب ٨
٢٩ ـ ف ـ هـ ٣	ح ـ حـ ٥
٣٠ ـ ر ـ ز ٤	ح ـ و ٦
٣١ ـ ر ـ حـ ٤	ز ٥
٣٢ ـ و × ز ٥	ح ـ ز ٤
٣٣ ـ و ـ د ٢	ح × هـ ٣
٣٤ ـ و × هـ ٣	ح × جـ ٢
٣٥ ـ و ـ ب ٦	ف ـ أ ٨
٣٦ ـ ر × د ٦	ر ـ ب ٧
٣٧ ـ و × أ ٦	ر × ب ٣
٣٨ ـ ر × هـ ٦	ر × ب ٢
٣٩ ـ و ـ جـ ٤	م ـ حـ ٨
٤٠ ـ هـ ٥	و ـ أ ٧ +
٤١ ـ م ـ حـ ١	ف × ز ٢ +
٤٢ ـ م × ز ٢	ح ـ د ٤ + بالكشف

فيستسلم كاربوف وتضيع منه بطولة العالم لأنه لو فاز بالدور الأخير لتساوى مع منافسه في عدد النقاط (١٢ـ١٢) وظل بالتالي متربعا على عرش الشطرنج .

الفائزون بحل المسابقة رقم ٣٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . محمد مجاهد اليمن/ صنعاء
٢ . محمد القبومي الامارات/ ابو ظبي
٣ . بسام يوسف العراق/ نينوى
٤ . علي سعد ج . م . ع/ أسيوط
٥ . محمد حاج سوريا/ حلب

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . الحسن الطيب السودان/ مدني
٢ . خليل ابراهيم السعودية/ الرياض
٣ . رعا مصطفي الكويت/ السالمية
٤ . رضا غرّوم تونس/ قابس
٥ . محمد علي العاقل اليمن الشعبية/ أبين



مسابقة العدد

من دراستك لهذا الدور ما هي النقلة التي أدت الى انهيار دور كاربوف ولماذا ؟

حل المسألة رقم (٣٧)

١ . م ـ ب ٥   أي لعبة ٢ . ح ـ هـ ٧ +
م ـ أ ٧   ٣ . ح ـ جـ ٨ كش مات .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

نعم للرياضة

لكن كيف ؟

● نود ان نقدم لكم اقتراحا ، حيث انكم ترحبون باقتراحات القراء ، حبذا لو تكون هناك صفحة أو صفحتان تحمل الأخبار الرياضية العربية والعالمية ، مع صور لنجوم كرة القدم المعروفين ، شاكرين لكم تعاونكم معنا ، ونرجو أن تقبلوا وتنفذوا اقتراحنا مشكورين .

ظافر حسين المالكي

دمشق - الجمهورية العربية السورية

العربي

- اخترنا هذه الرسالة الموجزة ، من رسائل عديدة ليست موجزة ، لكنها تتقدم بالاقتراح نفسه ، ولا أحد يختلف حول أهمية الرياضة ، وشعبية أنواع منها مثل كرة القدم ، ولكن في السبب ذاته تكمن المشكلة ، فأخبار الرياضة العربية والعالمية تغطيها الصحف اليومية بغزارة ، لدرجة أن (العربي) وهي مجلة ثقافية بالدرجة الأولى ، وشهرية ويتم تجهيز أعدادها قبل شهرين من صدورها ، لا يمكنها أن تقدم في هذا المجال سوى أخبار قديمة لكن من الممكن التفكير في زاوية جديدة تقدم العربي من خلالها نوعا من التحليل لبعض الأحداث الرياضية الهامة ، أو القاء الضوء على بعض قضايا الرياضة أو مشكلاتها ، أو التعريف بالشخصيات التي لها دور بارز في مجال الرياضة ، وهذا ما تعد القارىء الكريم وجميع من كتبوا لنا حول هذه المسألة ، ببحثه ودراسته من قبل مجلس التحرير في العربي .

اقتراح تربوي . .

● لماذا لا تهتم وزارات التربية والتعليم في الدول الاسلامية والعربية بتعليم وتدريب الطلاب على فن الكلام ، حتى يكون بامكانهم التعبير عما يجول بخواطرهم بدقة ووضوح ، وحتى يمكنهم التخاطب مع الناس بيسر وسهولة ، اذ أنني لاحظت أن الكثير من الناس يجدون صعوبة في التعبير الشفهي عما يريدون بطلاقة وسهولة ، ويقعون في كثير من الأخطاء الشائعة مثل : التكلم بسرعة شديدة ، أو بطء شديد ، أو لاينطقون بعض الحروف بشكل واضح ، فضلا عن الأخطاء في قواعد اللغة ، مما يفسد عملية التفاهم أو التواصل بشكلها الصحيح .

عبدالرحمن الحسين

المملكة العربية السعودية / بلدية القريات

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه بهذه القضية التربوية الهامة ، وفي الواقع ان المناهج الدراسية ، تتضمن تعلم مهارات التعبير الشفهي ، لكن يبدو أن هذه المسائل لا تنفذ بالدقة المطلوبة ، ولا يتدرب عليها الطلاب التدريب الكافي ، رغم أهميتها البالغة لنجاح عملية التواصل الانساني ، الذي هو أساس العمل المشترك والحياة الاجتماعية السوية ، ويسرنا أن نقدم هذه الرسالة لمن يعنيهم الأمر من رجال التربية في وطننا العربي .

ماذا تعرف عن

وادي « دوعن » ؟

● أرجو أن تقوموا باستطلاع عن وادي « دوعن » بمحافظة حضرموت في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، فهذا الوادي يكاد يكون مجهولا تماما رغم ما به من معالم تاريخية ، وبخاصة في مجال الرى ، ورغم ان من منتجاته«العسل الدوعنى» الذي يعتبر من أجود أنواع العسل في العالم ، أرجو أن تأخذوا ملاحظتي بعين الاعتبار في استطلاعاتكم القادمة باذن الله .

أحمد عبد القادر باشيخ

المكلا/ حضرموت
جمهورية اليمن الديمقراطية

العربي

ـ تصلنا رسائل كثيرة مثل هذه الرسالة من الاخوة القراء وتتحدث في اعتزاز عن مواطنهم وبلادهم ، التي يودون تعريف الناس بما فيها من آثار أو انجازات حديثة ، وهذه الرسائل تكون دائما محل اهتمامنا ، وضمن المؤشرات التي نستهدي بها في اختيار البلاد والمواقع ، التي نتوجه اليها العربي لاستطلاعها ، ونود بنشر مثل هذه الرسالة أن نطمئن صاحبها ، بل نطمئن الجميع .

بين القارىء والكاتب . .

● سؤالي الأول حول غياب الكاتب الدكتور حسان حتحوت عن مجلة العربي،نرجو لو تكرمتم أن تعطونا عنوانه .

ثانيا/ كانت الصفحة الأولى من أعداد العربي القديمة تقدم احدى الصور الفنية ، التي تشهد بمالنا من حضارة قديمة ، أما الآن فنجد اعلانا لشركة أو غيرها ، حبذا لو أعدتم الصور الفنية ، لتعطي المجلة طابعا فنيا .

ثالثا / نريد منكم نبذة عن حياة وأعمال الدكتور أحمد زكي أول رئيس تحرير لمجلة العربي .

احمد سالم القصار

محافظة حضرموت / جمهورية اليمن الديمقراطية

العربي

ـ مجلة العربي تنشر وترحب دائما بمقالات الدكتور حسان حتحوت ، وآخر ما نشر له بالعربي مقال حول « المرأة وديمقراطية الاسلام » في عدد نوفمبر الماضي ، وعنوان الدكتور حسان حتحوت : الكويت / مستشفى الولادة .

وبالنسبة لسؤالك الثاني فنرحب بفكرتك ونعد بدراستها ، أما بالنسبة للسؤال الأخير

العربي
ص. ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

فيمكنك الرجوع الى العدد الأول من كتاب العربي ، الذي يضم مجموعة مقالات هامة للدكتور أحمد زكي ، ومعلومات كافية حول حياته وأعماله .

ردود خاصة

انه مجرد فشلنا السادس عشر

● الى ل ، ي ، د
معرة النعمان بسوريا

والى عبدالله م . م/ سوهاج بجمهورية مصر العربية

العربي

- مشكلات الخجل والانطواء والتردد وعدم الثقة بالنفس يعاني منها الكثير من الشباب في مقتبل العمر ، وقد تتعدد الأسباب ، لكنها كلها تلتقي في أن هؤلاء الشباب يفتقرون الى خبرة مواجهة الواقع من حولهم ويؤثرون الهرب ، ويبالغون في تصور نتائج فشلهم في هذه المواجهة ، وعليهم ألا يخافوا مما يسمونه فشلهم ، فالقدرة على المواجهة والمبادرة لا تكتسب الا من خلال التحرر من الخوف من الفشل والناجحون ليسوا هم الذين لا يعرفون الفشل بل هم أولئك الذين عرفوه ، وتحرروا بهذه المعرفة من خوفهم منه ، كل الناس يواجهون الفشل في بعض المواقف ، المفكرون والزعماء ، والقادة والناجحون ، لكن لا أحد من هؤلاء يتوقف عند هذا الفشل ، ويعتبره نهاية الدنيا ، ولا أجد في هذه المناسبة أفضل من أن أذكر الأخوين العزيزين بعبارة شهيرة للزعيم الصيني : « صن يات صن » حين قال في احدى مرات فشله ، وهو يقود ثورة الصين العظيمة « انه مجرد « فشلنا السادس عشر ») !

● أحمد ياسين / بيروت الجامعة الأميريكية

- مقالك « الالآم العظيمة تصنع الرجال » يشير الى أن لديك استعدادا طيبا للكتابة ، وقد لا يحمل كل المقومات التي تجعلنا ننشره في العربي ، ولكنه يحثنا على أن ندعوك الى مواصلة السير على الطريق ، الطريق طويل وأنت في بداية الشباب ، وصبرك ومثابرتك على القراءة ، واعادة الكتابة وتجويدها سيكون الدليل على أصالة موهبتك ، وعلى قدرتك على النمو في الاتجاه الصحيح ، فواصل طريقك واكتب للعربي ولغيرها والله يوفقك .

● الى محمود محفوظ الزقلعي
طرابلس/ ليبيا

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك لما ينشر في العربي ، وحول ما تراه من أن النقلة الحضارية للأمة العربية تحتاج الى برنامج علمي ثقافي يغطي أوجه المعرفة المختلفة يلتزم به كتاب العربي ، فإن العربي وهي تسهم بدورها في تحقيق هذه النقلة تؤثر أن تترك لكتابها الحرية في اختيار المجالات التي يكتبون فيها ، لأن هذه الحرية توفر فرصة أفضل لابداع الكاتب ، وهي تثق في تقدير كتابها لعمق المسئولية الملقاة على عاتقهم وترى أنه من الأفضل لاي كاتب أن يقوم بدوره الخاص من خلال تقديره الذاتي لحدود مسئوليته وحجمها ، سواء أكان هذا الدور في اطار مجلة العربي أو في أي اطار آخر .

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس ١٩٨٦

الأطفال مرآة المجتمع

تأليف :
د. محمد عماد الدين اسماعيل

٥٠٠ فلس

الكتاب التاسع والتسعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

١٩٨ أول مارس ١٩٨٦

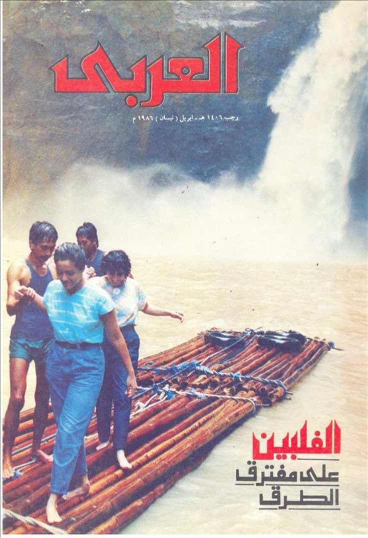
من المسرح الافريقي

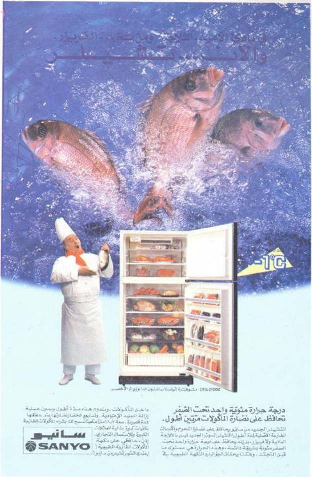
المتعامون ٣

تأليف : كوبينا سكي
ترجمة : د. نايف خرما
تقديم : جي آيو لانجلي
مراجعة : د. طارق عبدالله



صباح الخير
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية
نسكافه ، قهوة ..١ بالمئة صافية سريعة التحضير
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح


العربى
رجب ١٤٠٦ هـ - ابريل (نيسان) ١٩٨٦ م
الفلبين
على مفترق
الطرق


في بادئ الأمر... الثلاجة ومن ثم... الفريزر.
والآن... تشيلر
-1°C
CFS 2100Z متوفرة أيضاً باللون التوزي أو الأخضر
درجة حرارة مئوية واحد تحت الصفر
تحافظ على نضارة المأكولات مرتين أطول.
التشيلر الجديد من سانيو يحافظ على نضارة اللحوم والأسماك الطازجة الأصلية لمدة أطول. التشيلر السوبر الجديد ليس بالثلاجة العادية ولا فريزر، بل إنه يحافظ على درجة حرارة واحد تحت الصفر مئوية بطريقة دائمة، وهذه الحرارة هي مستوى ما قبل التجمد. وهكذا يحفظ الجو البارد النكهة الطبيعية في داخل المأكولات. وتدوم هذه مدة أطول وبدون عملية إزالة الجليد الإعتيادية. وتسترجع الخضار نضارتها عند حفظها لمدة قصيرة. سعة ١٨٠٧ متراً مكعباً تسمح لك بشراء المأكولات الطازجة بكميات كبيرة مثالية للعائلات الكبيرة وللإستعمال التجاري.
إذن، حافظي على نكهة المأكولات الطازجة الطبيعية!
إعتمدي السوبر تشيلر من سانيو!
سانيو
SANYO

العدد ٣٢٩ السنة التاسعة والعشرون أبريل ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

AL-ARABI

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

Issue No. 329 APR. 1986 . P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

رسائلك التى تبعث بها إلينا لها أهمية خاصة بالنسبة لنا ، بعض هذه الرسائل يأخذ طريقه الى باب « حوار القراء » . . لكن هذا الباب الذى نحاول تطويره باستمرار لايتسع لفيض الرسائل التى تصلنا ، ومع ذلك فإننا لانهمل الرسائل الأخرى ، بل ننظر لها بكثير من التقدير وندرسها جيدا ، ويستعرض الزملاء المحررون محتوياتها في اجتماعات التحرير ، حيث يكون كل من الزملاء المشرفين على الأبواب وكتاب الاستطلاعات قد اطلعوا عليها للاستفادة منها بقدر الامكان ، لذا فاننا نقول لقرائنا الكرام انه حتى لو لم تظهر رسائلهم في بريد القراء فان اقتراحاتهم وآراءهم تجد ما تستحق من اهتمام .
فمن خلال رسائلك ، عزيزى القارىء ، نعرف نجاحاتنا ، كما نعرف جوانب قصورنا التى نسعى لتجاوزها باستمرار .

ولأن الشىء بالشىء يذكر ، فان بعض الاخوة القراء لفتوا أنظارنا الى ظاهرة أثارت انتباههم ، تتعلق بقيام بعض الصحف والمجلات باعادة نشر موضوعات سبق أن نشرتها مجلة « العربى » .

ونحن نقول للاخوة القراء : ان تلك « عادة قديمة » ترجع الى بدايات صدور العربى ، ولم تتوقف حتى الآن ، بعض المجلات تشير مشكورة الى المصدر الذى « نقلت » عنه المادة ، لكن البعض الآخر يتجاوز ذلك فلا يشير الى المصدر .

وعلى أى حال فى وطننا العربى لايوجد حتى الآن قانون يحافظ على حقوق النشر ، ويعاقب من يتجاوز هذا القانون ، لذا تصبح المسألة مهنية بالدرجة الأولى ، لأنها تتعلق بأساسيات المهنة .

وموقفنا في الواقع يتمثل في الاصرار على ألا يتم النشر الا بعد صدور « العربى » وتوزيعها في الأسواق ، وأن يتم ذكر المصدر ، وأن يكون ذلك مسبوقا باتفاق شفوي أو كتابي مع المجلة وما يراه القراء في ذلك نعرف نحن في العربي أكثر منه . . فقد جاءتنا أخيرا رسالة من طالبة في السويد تعد رسالة الدكتوراه ، تستأذن في أن تستخدم احدى الصور المنشورة في العربي كغلاف لكتابها ، وقد أذنا لها بذلك ، على أن تذكر المصدر . فليس لدينا ما نقوله لأصدقائنا ، الا أن للنجاح ثمنا أيضا .

المحرر

محتويات العدد



استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي

● من مكتبة العربي

● جمال العربية



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

يا أُمةً ضحكت !

- الضحك خير دواء .. فهل هو من تراثنا ؟
- النكتة السياسية العربية .. متى تعود إلينا ؟!
- جحا وأبو دلامة .. هل نجد أشباهًا لهما اليوم ؟

هل نحن العرب أمة تجيد الضحك وتدعو له .. ويستمتع افرادها برواية النكتة ونقلها ، أو أن الضحك لدينا مبتذل منهي عنه اجتماعيا ... واذا حدث فانما يحدث في أضيق الحدود ؟

اسئلة خطرت فى ذهنى وقد وقع فى يدى كتاب حديث صدر بالانجليزية لباحث عربى عنوانه : « النكتة السياسية عند العرب »* كتبه خالد قشطيني الباحث العراقى - تناول فيه بايجاز - وبوضوح ايضا - مسيرة النكتة السياسية عند العرب ، مركزا على العصر الحديث ، وعلاقة ذلك بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية .. وهذا هو الجديد فى كتابه (الامر الذى سنعود اليه فى مكان لاحق من هذا المقال) .

* KHALID KISHTAINY : ARAB POLITICAL HUMOUR QUARTER BOOKS LTD. 1985.

أقول :

لم يكن من اليسير أن أجد اجابات شافية على ما قفز الى ذهنى من أسئلة محورها : هل نحن امة ضاحكة أم عابسة ؟

أخذت أبحث فيما كتبه المفكرون العرب المعاصرون حول النكتة والتنكيت ، والضحك والاضحاك والفكاهة والتفكه ، فوجدته قليلا لا يروى الظمأ . . وما هو موجود منه كامن فى التراث أو مستلهم من حكايات السمار والندامى والمضحكين والعيارين فى كتب أصبحت أقرب ما تكون الى الانزواء عن المتناول الثقافى العام ، وتبرز فيها أسماء أصبحت معروفة مثل أشعب وجحا ونعمان المزاح وأبي علقمة وأبي دلامة وآخرين ، ولكن ماذا عن العصر الحاضر ، ماذا مثلا عن مائة السنة الاخيرة من تاريخنا ، وهى وان زخرت بمثل تلك الاسماء والشخصيات فأن الكتابة عنها قليلة بل نادرة .

هل الضحك مجاف للوقار ؟

☐ لعل عزوفنا عن التسجيل لمثل هؤلاء الضاحكين المضحكين لأن جزءا من تراثنا يشجب الضحك على أساس أنه مجاف للوقار . . بل ان النظرة المزدوجة الى الضحك والحبور من جهة والوقار والعبوس من جهة اخرى تجدها ظاهرة بينة فى نصوص كثيرة من تراثنا ، فهناك نصوص قليلة تحض على الضحك وتقدره تقديرا رفيعا ، وفى المقابل هناك نصوص أكثر تذم الضحك وتربطه بالمجون الى درجة القول المطلق بأن كثرة الضحك تميت القلب ! مع التجنى على هذا المأثور وسلخه عن ملاءمته ومناسبته

ولعل الخيط الرفيع الذى يفصل بين الميوعة والخيلاء والتبذل وتحقير الآخرين فى المزاح المؤذى ، وبين راحة النفس والطرب والمتعة الذهنية فى المفارقة والملحة والفكاهة ، هذا الخيط الرفيع بين هذا وذاك هو الذى يجعل موضوعا كالفكاهة والمرح أمرا محفوفا بالحرج والتحرج لدى الاكثرين متجاوزين ما جاء فى الاثر (روِّحوا القلوب ساعة بعد



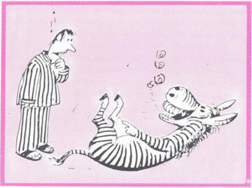
ساعة فأن القلوب اذا كلت عميت) . ولعل كفة التزمت في هذا الميزان هي التي رجحت لقرون طويلة على مدى حياتنا الثقافية ، فتوارثنا الجاد من أدبنا وتتبعناه تتبعا يكشف عن أصله وفصله ، وأهملنا الضاحك منه حتى أصبح وكأنه منبوذ متروك للمشافهة ، ولعل اول أشكال الفكاهة عند العرب هو التلاعب بالالفاظ . ويتناقل الرواة بعض التفسيرات لهذا الموقف تعزو السبب الى أن العرب في الجاهلية كانوا يتكلمون بحرية غير مقننة ، كانت أدنى ما تكون الى الفطرة والسليقة في التفكير والتعبير ، ويسخرون لغتهم لتخدم واقعهم المعاش بسهولة ويسر ، وكانت لغتهم قوام ثقافتهم وجماع فنونهم ، فهي لاتحتاج الى نقل واتخاذ مكان ـ كسائر الفنون الاخرى ـ فهي ذهنهم الواعي الذى يسجلون فيه ماضيهم ، ويرصدون به حاضرهم ، ويستشفون رؤى المستقبل بما تتيحه لهم من صيغ وقوالب وأساليب . فالاعرابي كان يحفظ العشرات والمئات والالاف من أبيات الشعر بقدر ما يتسع له وعاؤه ، كما كان لسانه يلهج بعشرات من آلاف المفردات المتداولة لديه .

تقنين اللغة والتطور المحتوم

□ وعندما حدث الاستقرار صاحبه نوعان من التطور : الأول هو تقنين اللغة حيث استقرت في أيدى النحاة واللغويين الذين وضعوا لها قواعد صارمة وضوابط محكمة ، والثاني هو تعقد المجتمع وظهور شتى التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيه ، اى الانتقال من المجتمع البسيط الى المجتمع المركب ، هذان التطوران فتحا الباب امام الاذكياء المنفلتين والخبثاء المترصدين لكي يطوفوا بوابل من المفارقات والنكت التي اعتمدت على جوانب كثيرة من التخالف اللغوى وفقدان الانسجام وتجمد القوالب وضيق المضامين مما رأوه بعين عصرهم المتقلب المتوثب ، حينما وضعوا ايديهم على الظواهر الشكلية المتخالفة في كتابة اللغة ، وحينما اسعفتهم فطنتهم الساخرة في الردود السريعة على المسلمات الموروثة ، كما أطلقوا الأعنة لاذهانهم والسنتهم حتى تكشف عن المناقضات بين المجرد والحقيقى ، وبين المؤتلف والمختلف الى غير ذلك مما تكدس في العصور الذهبية في التاريخ العربي الاسلامي ، ذاك الذى ترك لنا ثروة من الملح والنوادر والفكاهات والخمريات وألوان من التحلل والمجون مما تزخر به بطون التراث ـ والكثير منه تعاقب عليه قوانين المطبوعات اليوم ـ ولكن معظمه تم تدوينه عقب عصره خوفا من الرقابة أو العقوبة ، واذا كان الغرض الاجتماعي والسياسي قد استنفد منه بعد حينه فان المتأخرين ـ مع بقاء الكثير منه ـ لم يلتفتوا اليه ولم يولوه ما يستوجبه من عناية .

فالعلاقة جدلية بين الحرية والنكتة وبينها ما يسميه الفلاسفة والمناطقة « بالتسلسل والدور » ، الحرية تنتج نكتة والنكتة تنتج حرية . من هنا فان بعض الباحثين ـ ومن بينهم خالد قشطيني ـ يرى أن العرب لم يرتبطوا في اذهان الشعوب العالمية بأنهم شعب صاحب نكته ، وهو الجانب الذى غالبا مايشكل نسبة لايستهان بها من أدبيات « الفلولكلور الشعبي » لدى الشعوب بل لقد اشتهر الشعب العربي بالعبوس والتجهم ، وكثيرا ما يلصق ذلك بالشخصية العربية .

ونحن بدورنا لانؤيد هذا الكلام على علاته ، فالشعب العربي كبقية الشعوب له طرفه وملحه ونوادره ونكته ، فهو غير خلي منها ، وان كان الميزان في النهاية يميل الى الاتجاه الآخر .



بين البشرى والعقاد

☐ من الكتاب العرب المحدثين قلة محدودة اهتمت بهذا الموضوع الباحث فى السخرية والفكاهة ودلالاتها الاجتماعية والسياسية ، فعلى عظم هذه الدلالات نجد أن من كتب عنها استلهم حكايات اشعب وجحا وابن نواس وابي علقمة وابي دلامة . . الخ وافاض فى نبش الماضى دون تلميح للحاضر ؛ من الكتاب المحدثين الذين حاولوا طرق الموضوع : عباس محمود العقاد وعبد العزيز البشرى ، الاول كدراسة مختصرة فى مقدمة كتابه (جحا الضاحك المضحك) وكذلك فى دراسة له عن سعد زغلول ، والثانى كممارس للكتابة الساخرة فى مقدمة كتابه « في المرآة » اذ يقرر البشرى : (ان مرد النكته الى خلل فى القياس المنطقى باهدار احدى مقدماته أو تزييفها ، أو بتوصيلها بحكم التورية ونحوها بما لا تصل به فى حكم المنطق المستقيم ، فتخرج النتيجة على غير ما يؤدى اليه العقل لو استقامت مقدمات القياس . . . وهذا الذى يبعث العجب ويثير الضحك والطرب) .

التناقض بين المقدمات والنتائج هو مايثير الضحك فى رأى البشرى ، وهو احد التفسيرات التى قال بها بعض المفكرين الغربيين الذين تناولوا الموضوع باسهاب وبخاصة هنرى برجسون (١٩١٢) الذى كان مرجعا خصبا لكل من كتب عن هذا الموضوع بالعربية .

فى الوقت الذى يلاحظ العقاد في كتابه « جحا الضاحك المضحك » غزارة الكتابة عن الضحك فى (الثقافة الغربية الحديثة) فانه يرد ذلك الى باعثين : احدهما نشأة علم الذوق أو علم الجمال الذى ينظر فى الفروق بين الجميل والجليل والمضحك ، كما تعرضها الفنون الجميلة ولا سيما التمثيل ، اما السبب الاخر فى رأيه فهو (شيوع البحث فى « التطور ومذهب النشوء » . . فان هذا المذهب يفسر تعبيرات الانسان عن خوالجه

وعواطفه بما يوافق طبيعته الحيوانية ، ويتقصى وجوه الشبه ووجوه الاختلاف بينه وبين سائر الاحياء فى هذه التعبيرات ويراقب ملامحه ليربط بينها وبين وظائفه الجسدية . . .)

هذا الافراط فى الكتابة عندهم عن موضوع الضحك قابله إقلال مخل عندنا فى نفس الموضوع .

واليوم لانجد مطبوعة غربية تخلو من زاوية أو اكثر من الكتابة الساخرة او « الكاريكاتير » ، بل نجد ان هناك مطبوعات برمتها مسخرة لهذا النوع من الكتابة ، بينما يطرق كتابنا نقد الموضوع ودراسته على استحياء أو يترك فى هامش للقراءة الخفيفة وغير الجادة . وفى نظرى أن الكتابة الساخرة اليوم قضية جادة ولها رسالة جادة أيضا .

لماذا نضحك ؟

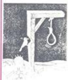
□ يجمع كل من كتب حول الموضوع ان الانسان ليس حيوانا له تاريخ ، أو حيوانا له لغة ، تأكيدا للتاريخ واللغة اللصيقه بالانسان ، ولكن الانسان أيضا حيوان ضاحك ، فهو الوحيد - بين مخلوقات الله الاخري - القادر على الضحك ، ويذهب بعض الكتاب الى أكثر من ذلك فيقولون إن الضحك نفسه تطور متأخر فى تاريخ الانسانية لم يظهر الا بعد تطور المجتمعات وتعقدها وليس قبل ذلك ، ودليل هؤلاء ان المجتمعات البدائية لاتعرف الضحك بالشكل الذى نتعارف عليه اليوم . فقد وجد علماء الانثروبولجي ان هناك مجتمعات فى استراليا فطرية وأولية لاتمارس الضحك ، وان الضحك بحد ذاته ظاهرة « حضارية » ، ويذهب هذا البعض للتدليل على وجهة نظرهم الى أن الفلاسفة المتقدمين قد نظروا الى الضحك على أنه اصلاح لمزاج الانسان ، وتوازن بين عناصر جسمه الاربعة : الصفراوى والسوداوى والدموى والبلغمى . ورغم ضعف هذه النظرية وتهافتها فلا زالت فكرة (اصلاح المزاج) بواسطة الضحك فكرة مقبولة ضمنا لدى الكثيرين .

الا أن الدراسات الحديثة حددت لنا بشيء من الدقة الاجابة عن السؤال : لماذا نضحك ؟

فهناك تحليل يرد الضحك الى انه تنفيس سلبى لطاقة عبئت اساسا لشيء اكثر جدية ، فالمتكلم الجيد الذى يخلط حديثه بشيء من المزاح عادة ما يكسب الجمهور فى المضى مع وجهة نظره حتى لو كان فى البداية ضد توجهاته ، وتبقى كلماته المازحة فى الذهن لفترة طويلة .

أذكر فى محاضرة عامة فى جامعة بريطانية كان موضوعها جادا يحتاج الى كثير من التركيز ان بدأ المحاضر حديثه بقوله : أيها السادة انى لا اعدكم الا وعدا واحدا هو ماوعد به هنرى الثامن كل زوجاته !

فنشط الحضور وتضاعف انتباههم على هذا الاستهلال غير التقليدى . . واردف المحاضر : لقد قال لكل منهن . . انى لن ابقيكن طويلا . . وانا بدورى لن ابقيكم طويلا فى هذه القاعة . فانتشر السرور بين الحاضرين وتابعوا المحاضرة بشغف ، انها نظرية فى الضحك تسمى نظرية الترقب الخائب .



الفصاحة والمفاجأة والترقب الخائب فى الموقف هى التى جعلت هذا الاستهلال موضع ترحيب ، وقديما قال العرب إن السارق الفصيح لاتقطع يده !

تقول نظرية « الترقب الخائب » في تفسير الضحك . . او كما يسميها آخرون التناقض بين الواقع المعاش والتصور المثالي . يقول اصحاب هذه النظرية ان عقولنا تسلك سبلا معينة في المواقف العادية ، وهي مسالك ألفناها وتعودناها ، وحينما يطرأ على الموقف شيء لم ننتظره فسرعان ما يغمرنا الضحك .

جاء في العقد الفريد : قال أبو الطيب اليزيدي : أخذ رجل ادعى النبوه ايام المهدي ، فأدخل عليه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال : نعم ، قال : والى من بعثت ؟ قال : اوتركتموني اذهب الى احد ؟ ساعة بعثت ، وضعتموني في الحبس ؟! وتمضي القصة الى القول : فضحك الخليفة وضحك من معه واخلى سبيل الرجل . ولعل جزءا كبيرا من النكتة العربية يعتمد على هذا الترقب الخائب المصحوب ببارع الجواب . . !

والضحك اجتماعي أيضاً

☐ هنري برجسون يقول : ان الضحك تطور منطقي وحاسة اجتماعية ، فنحن نضحك اذا رأينا انسانا يتصرف بتصرف الآلة ، ويقيس الامور قياسا آليا لامحل فيه لتمييز المنطق ، ويزداد ضحكنا في الجماعة فنحن لا نضحك من جماد ولا نضحك من منظر طبيعي ولا نضحك من عاصفة هوجاء . . وانما نضحك اذا ارتبط أي من ذلك بصورة انسان في الواقع أو في تخيلنا .

تخيل معي للحظة هذه القصة :

دخل مريض الى عيادة طبيب ـ فتشاغل عنه برهة ـ حتى يعرفه كم ثمن الزيارة ، يرفع الطبيب السماعة ويتحدث الى شخص آخر بقوله :

ـ نعم نحن نظل نعمل الى الثامنة مساء . . ورسوم الفحص هي عشرة جنيهات . . مع السلامة .

ثم يلتفت الى من دخل ويسأله . . ها يا صديقي ماذا تريد أن أفعل من اجلك ؟

ويقول الرجل : لقد جئت انا كي اقوم بعمل لك . . فأنا مصلح التلفونات !!

لو قيلت هذه القصة الصغيرة لك على انفراد فربما جاءت بطيف ابتسامة ، ولكنك لو سمعتها في مسرح مع آخرين . . يضج الجميع بالضحك وربما القهقهة .

* *



ويذهب بعض علماء النفس التحليلي الى القول بأن النكتة ضرب من القصد الشعوري والعملي ، يلجأ اليها الانسان في الجماعة ليتخفف من الاعباء الثقيلة ويتحلل من الاغلال الموجهة التي يفرضها الجد ، بل يذهب سجموند فرويد الى القول بأن النكتة تؤدي دور الحلم في أغراضه التنفيسية ، ففيها من التورية والتأويل والاختزال والتلفيق ما في الحلم نفسه ، بمعنى آخر الجمع في صورة واحدة لاجزاء متفرقة لاتجمع في الواقع .

الادب العربي يزخر بهذا النوع من المواقف :

يحكى ان الحجاج خرج الى الصيد فضل طريقه ، فقابل رجلا فسأله :

ما رأيك في حكام البلاد ؟ فقال الرجل : لا يحكمون بالعدل ، ويأكلون اموال الناس بالباطل .

فقال الحجاج : وما رأيك في الحجاج ؟ قال الرجل : أسوؤهم طرا .

قال الحجاج : هل تعرفني من انا ؟ قال الرجل : لا









قال الحجاج : انا الحجاج .

فصمت الرجل وفكر ثم ابتسم وقال : وانت لاتعرفني . . فأنا مجنون هذه الناحية . أفقد رشدى مرة فى اليوم فى مثل هذا الوقت تقريبا .

* * *

هذا الحوار تكرر كثيرا مع خلفاء وأمراء فى اماكن مختلفة من الارض العربية مع اختلاف التفاصيل ولكن بنفس المساق .

شيء من النقد غير المباشر ، ولكن هل سجل كل ذلك او بعضه فى الزمن الذى قيل فيه . . انا شخصيا لدى بعض الشك .

التحلل من الحرج يظهر فى النكت الكثيفة (عالميا) عن الحماة والحياة الزوجية . ويقول أحد الظرفاء ان هذه هى الطريقة الوحيدة الخالية من الدم والشافية للغليل فى نفس الوقت .

وقد يطفو الضحك فوق تعبيرات ممعنة فى جديتها وصرامتها ، كما نلمسه فى قول الشاعر العربى :-

امور يضحك السفهاء منها ... ويبكى من عواقبها اللبيب .

وكما قال ابو الطيب المتنبى :-

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا

فالعلاقة بين الضحك والبكاء طرقها بعض الفلاسفة منذ زمن طويل حيث استخدموا الكلمتين متقاربتين فوضعوا المأساة والملهاة ، التراجيديا والكوميديا على أنها امتداد وتكامل فيما بينهما ، وهناك من يفسر الضحك أو البكاء على اساس انه تراكم فى الطاقة العصبيه يحتاج الى حركة عضلية لنفثها ، فهو عمل ميكانيكى فى الانسان يحتاج الى دافع معقول ، ويستشهدون على قولهم بانتقال الطفل مثلا من البكاء الى الضحك فى موقف معين لتغير الدافع مع الاستمرار فى الحركة العضلية . وكذلك ضحك البعض من الكبار لدرجة تسترسل معها الدموع من المآقى .

هنا فى حقيقة الامر تختلط الحقائق العلمية بالمواقف الاجتماعية من الضحك .

لان بعض الثقافات تنظر الى الافراط فى الضحك على انه شيء غير مقبول اجتماعيا فهو علامة على نذر شر قادمة ، ولان المنغصات فى الحياة اكثر من المفرحات ، ولان ضحك السخرية يفضى الى الازدراء والشماته والاتهام بالبلاهة والقصور الانسانى ، ولان بعض الضحك يصاحبه ضرر او يتبعه ألم وغرم ، وكلها امور ينبذها المجتمع لما تنطوى عليه من فقدان الاتزان ، واضطراب القيم والمعايير ، الا انه من الامور المضحكة ما هو مؤلم انسانيا او اجتماعيا او سياسيا ، يضحك منها الناس لفترة ولكنها قد تورثهم الكثير من الموجعات .

المسرح الضاحك

□ قلنا ان النكتة تزدهر فى المجتمعات التى تحظى بتعقيد اجتماعى وسياسى معقول وتلتف حول ما فيه من تناقضات ، فهذه التعقيدات هى المادة الاولية للنكتة والسخرية كما قلنا ان النكتة الاجتماعية تزداد التماعا فى اطارها الاجتماعى ، وهنا يقودنا الحديث الى عنصر جديد هو المسرح ، حيث قال احد الكتاب الذين اعتنوا بدراسة تطور الفكاهة : ان

الشعب الظريف بالضرورة شعب يعتني بالمسرح .. والمسرح مع امكاناته في تشريح المجتمع وتسليط الاضواء على تناقضاته عادة ما ينمو ويتطور في مجتمع يؤمن بحرية النقاش ، لذلك فان المسرح بوجه عام ينتعش في اجواء الديمقراطيه ويذبل بذبولها .

ان المسرح تربة خصبة للضحك حيث المقارنه الفجائيه بين الوضع الذى يظهر على المسرح وما به من الاختلال وبين الوضع المثالى المنشود فى نفس المشاهد . والمسرح الضاحك هو اصعب أداء من المسرح الجاد حيث أن المسرح الجاد (الدرامى) يخاطب القلب ، والملهاة (الكوميديا) تخاطب العقل والفطنة ، لذلك نجد ان المأساة تقدمت الملهاة فى تاريخ المسرح .

كما ان الكتابة الضاحكة تعوزها ملكات كثيرة قد يناقض بعضها بعضا وقد لا تجتمع منها ملكتان لكاتب واحد ، فمن الكتاب من يعتمد على ملكة السخرية وهو يحتاج هنا الى الذكاء وادراك المفارقة التى قد يصحبها شىء من المرارة ، ومنهم من يعتمد على الدعابة وهى تحتاج الى مرح فى الطبيعة مرجعه فى الغالب الى المزاج والنشأة اكثر من حاجته الى العلم والدرس ، ومنهم من يعتمد على الهزل وهو خلق قد ينشأ عن جهل بتقدير الامور . وبعض الهازلين اذا لم يجدوا شيئا يهزل منه انقلب على نفسه فراح يضحك منها وعليها .

افتقاد هذا النوع من الخبرات يظهر بشكل سلبى على الاعمال الكوميديه العربية ، فهناك التوقيت والمقدمة والنهاية والتناقض الحاد غير الجارح ، ميزان دقيق ان افلت من الكاتب أيٌ من معاييره وقع العمل الكوميدى فى الفشل ، على الرغم من ان المسرح الكوميدى يعالج قضايا بعضها قد يكون حساسا وهو لا يكشف للجمهور ما يجهله عن الواقع فقط وانما يضحكه عليه ، وعادة لا تقوم مسيرات أو مظاهرات من مواقع المسارح الهزلية ، فقد ضحك الجمهور ونفس عن مشاعره !

المسرح الفكاهى تطور فى مصر فى مطلع هذا القرن حتى منتصفه ، وهناك اسماء مثل عزيز عيد والريحانى ومارى منيب ، وكثير من معاصريهم وقرنائهم ممن لا يزالون فى ذاكرة جيلنا لسببين .. فقد كان هناك ما يستحق الضحك عليه ، مع وجود هامش من الديمقراطية متاح .

النكتة السياسية

☐ لعل بيت القصيد فى حديثنا هذا هو النكتة السياسية ، واذا كانت النكتة بشكل عام هى تطور حديث نسبيا فى التاريخ الانسانى ، فان النكتة السياسية ـ بمعناها المحدد اليوم ـ هى تطور متأخر . ورغم ان التراث لا يخل علينا بكثير من القصص الطريفة والتى لها بعد سياسى ، الا انه قلما كانت محددة او واضحة .

الطبرى المؤرخ أعطانا فكرة عامة للاهتمام بالموضوعات السياسية .

قال ابو الحسن بن عياش انه رأى فى شوارع بغداد « قرداتيا » وقردا ، وكان القرداتى يسأل القرد هل يريد ان يكون بزازا (تاجر اقمشة) او بقالا او منجدا .... وفى كل مرة يهز القرد رأسه موافقا جذلا ، حتى يسأله ان كان يريد ان يصير وزيرا ، فيصرخ القرد فى هلع واستنكار ويهم بالفرار كمن يريد ان ينجو بنفسه !

هذا النوع من الاقاصيص منتشر بشكل حكم واقوال مأثورة فى تراثنا ، فى مثل القول : السلطان من لا يعرف السلطان !

وفى التاريخ الحديث استورد العرب كثيرا من نكاتهم السياسيه ، إما من اوربا

الغربيه إبان عهد الليبرالية نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، حتى منتصفه تقريبا او من اوربا الشرقية بعد الخمسينيات .

والنكتة السياسية تمثل العصيان على السلطة والتحرر من ضغطها وهذا يفسر استخدامها ضد (الكبير) و (العظيم) ، والضحك يسمح لنا بالتنفيس دون ان نتورط فى مواجهة تبعات حقيقية ، كما يفضى بنا الى عوالم من السعادة النفسية ما كان لنا ان نصل اليها .

ولقد اكتشف السياسيون ايضا اهمية النكتة فاستخدموها سلاحا فى المعركة ضد اعدائهم ، وغالبا ما يلجأ السياسى الى النكته عندما لا يجد اجوبة عقلانية شافية تبرر خطواته او اقتراحاته ، او يستخدمها كمداخل للحط من منافسيه .

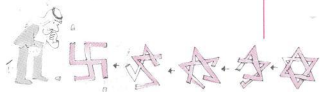
يقول خالد قشطينى فى كتابه الذى اشرنا اليه سالفا انه (رغم الثراء فى ادب الفكاهة العربى من جهة والصراع السياسى العربى من جهة اخرى .. فليس لدينا الكثير لنعرضه عند حديثنا عن النكته السياسية ، وهذا قد يكون مفهوما فى اطار السلطة القمعية لحكومات القرون الوسطى ، ولكن استمراره حتى الان يعنى ان النكتة السياسية التى تنتشر بين الناس وتناقش قضاياهم ومشاكلهم لا احد يجرؤ على تسجيلها فى وقتها !) .

وعلى الرغم من ان الكاتب يروى الكثير من النكت السياسية التى قيلت فى مناسبات حديثة ومعاصرة ، الا أن شكواه تلك تبين لنا الصعوبة فى طرق مثل هذا الموضوع . علاقة السلطة بالمواطن مجال فسيح لطرح النكت وهى قد لا تكون مقصورة على بلد معينةأو حاكم معين .

النكتة الاجتماعية

□ لقد اكتشف رواد الفكاهة فى الوطن العربى المصادر الكوميدية الغربية فى الربع الاخير من القرن الماضى مثل سليم نقاش واديب اسحق فى سوريا حيث ترجموا لموليير ، ويعقوب صنوع فى القاهرة ، ولقد وظف هؤلاء الرواد قدراتهم للدعوة ضد الاحتلال والمتعاونين معه ، كما ان يعقوب صنوع اول من ادخل الكاريكاتير فى الصحافة العربية .

ولعل الشخصية البارزة فى تاريخنا العربى التى سخرت النكتة السياسية ضد الاحتلال هو عبد الله النديم الذى جمع بين التثقيف الدينى فى الازهر والتوجهات الاشتراكية ، واضاف الى الاثنين قدرته الفذة على التنكيت ، حتى غدت شخصيته اقرب الى الخرافة منها الى الحقيقة ، ونسبت اليه كثير من النوادر الساخرة والطرائف المبدعة اللاذعة .





ولد فقيرا وعمل خادما فى قصر أحد الميسورين ولما ضاق بتسلطه وعتته ألف زجلا يهجو فيه سيدة البيت ، فضرب بالسوط حتى اغمى عليه ، وفى سنوات نضجه كان اكثر التصاقا بمجلة « التبكيت والتنكيت » وهى مجلة ظهرت فى عام ١٨٨٧ اساسها النقد الاجتماعى الفكه . وعندما خاضت مصر صراعا ضد الاحتلال الانجليزى دخل النديم المعركة ومات بذات الرئة وهو هائم يتخفى عن الانظار .

فى هذه الفترة كانت هناك موضوعات اجتماعية جادة عالجتها الفكاهة فى مصر منها « علاقة الفلاحين بالمرابين » ومنها ايضا قضية الطلاب العائدين من اوربا وقد فقدوا او تظاهروا بفقد علاقتهم بمجتمعهم وعاداتهم ، وهو الموضوع الذى تكرر كثيرا فى فترات متعددة من تاريخ الوطن العربى وخبرناه نحن فى الخليج العربى فى وقت متأخر أى فى الخمسينيات من هذا القرن .

قضية اخرى عالجتها الصحافة الضاحكة هى قضية « الخواجة » او بالأحرى « عقدة الخواجه » وتظهر فى قمة طرافتها وسخريتها فى القصة التالية :-

شاهد رجل شرطة لصا متدليا من الشباك وفى يده صرة كبيرة . فصرخ : من هناك ؟ فرد الحرامى : خواجة .

فقال الشرطى : آسف لقد ظننتك « مصرى » !

ومن ظرفاء ذلك العصر الذين اهتموا بالسياسة ابراهيم المويلحى الذى نشر مجلة « مصباح الشرق » واخذ يرسل لها من اسطنبول مقالاته (والتى نشرت بعد ذلك بمجمعة تحت عنوان « ماذا هناك » . ولعل اطرف ما كتبه ساخرا من الوضع السياسى عندما احتلت فرنسا تونس وفى نفس الوقت التجأ مدحت باشا الليبرالى التركى الى السفارة الفرنسية فى اسطنبول ، وبعد محادثات دبلوماسية طويلة توصلت الامبراطوريتان الفرنسية والتركية الى أن يسلم مدحت باشا الى تركيا وتوافق تركيا على ان تسلم تونس لفرنسا . كتب يقول : لقد بادلت تركيا رجلا واحدا ببلد كامل . واثبتت كم هى تثمن الانسان .

وتعاظم تأثير المجلات الفكهة وتأثيرها السياسى فى مصر بعد الحرب . . فاصدر

سليمان فوزى مجلة « الكشكول » فى سنة ١٩٢١التى عارضت الحركة الوطنية وزعيم الوفد سعد زغلول ، وفى سنة ١٩٢٥ اصدرت روز اليوسف (فاطمة اليوسف) الفنانة المسرحية والمهاجرة اللبنانية مجلة روز اليوسف للدفاع عن الوفد والحركة الوطنية وزعيم الوفد سعد زغلول . . وبقيت كذلك حتى اختلفت مع الوفد فى سنة ١٩٣٦ .

مجلة روز اليوسف التى استمرت فى النشر حتى يومنا هذا ربت جيلا من الكتاب ورسامى النكته مثل حجازى وصلاح جاهين ورخا وابتكرت هى واخبار اليوم شخصيات كاريكاتورية من أبرزها الشيخ متلوف والمصرى افندى ورفيعه هانم والسبع افندى (بعد ذلك اصبحا شخصيتين مسرحيتين) . . نجاح روز اليوسف جعل مؤسسات اخرى تحذو حذوها فأصدرت دار الهلال مجلة « الفكاهة » ، وبعد ذلك صدرت فى الوطن العربى مجموعة كبيرة من مجلات الفكاهة فى لبنان وسوريا واقطار عربية أخرى منها مجلة الفكاهة الكويتية التى اصدرها عبد الله الخاتم بين ١٩٥٠ - ١٩٥٨ .

السياسة الفكهون

□ النكتة كما قلنا لا تزدهر الا فى جو ديمقراطى ، ويذكر عن سعد زغلول انه كان رجلا يحب النكتة ويتذوقها ، ويقال ان البريطانيين عندما حاولوا التفاوض مع عدلى يكن رئيس الوزراء المصرى الذى جيء به بعد سعد زغلول ضحك سعد وقال : جورج الخامس يتفاوض مع جورج الخامس !

حتى صار هذا القول مثلا شعبيا سائرا فى حينه .

وعلى الصعيد الاجتماعى كان سعد من اللماحين ، فيقال ان زوجة احد اصدقائه فى الحزب جاءته تشكو زوجها فأطالت ، فلما ملّ سعد قال لها : هذا ليس من شأنى ! فانقلبت المرأة تنقل لسعد رأى زوجها السلبى فيه ، فقال لها على الفور : وهذا ليس من شأنك !

فارس الخورى الزعيم السياسى السورى كان صنوا لسعد زغلول فى حبه للدعابة رغم ان الرجلين يختلفان فى كل شيء تقريبا غير ذلك ، فقد كان فارس عروبيا فى الوقت الذى كان فيه سعد وطنيا مصريا ، يقال ان فارس الخورى دخل فى مناظرة مع السيد اندريه فيشنسكى مندوب الاتحاد السوفياتى فى الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عندما احتج الاخير على تكرار الخورى فى حديثه وترديده اسم « فلسطين » رد فارس الخورى بقصة الزوجين اللذين ذهبا الى المحكمة . . شكا الرجل انه فقير وقد ازعجته زوجته لانها تطلب منه باصرار كل صباح جنيها . . وسألها القاضى هل ذلك صحيح ؟ فقالت الزوجة : نعم انى اضايقه كل صباح بطلب الجنيه ولكنى لا اطلب منه أن يعطى جنيها كل صباح ، أطلب منه جنيها واحدا فى حياتنا .

جمال عبد الناصر أيضا عرف عنه انه يستمتع بالنكته ويسمعها حتى لو كانت على نفسه . . ولكن فقط بشكل خاص ، ينقل انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى الذى تفاوض معه على الجلاء أنه عند التوقيع نفد الحبر من قلم ناتنج فاستعار قلم عبد الناصر وفى زحمة اللحظة وتاريخيتها وضع ناتنج القلم فى جيبه فقال له عبد الناصر ، لقد اخذت الكثير منا فى المعاهدة فهلا ارجعت لى قلمى .

فى الستينيات والسبعينيات تقلصت النكته المكتوبه وانتشرت المرويه . . ولعل



القصة التالية تبرز أحد المواقف المتكرره فى التطور السياسى العربى لاكثر من قطر . . تقول القصة :ـ

وقف رجلان فى حافلة مزدحمة بالناس فسأل واحد الآخر : هل حضرتك ضابط ؟ ● لا

ـ هل انت ابن ضابط ؟ ● لا

ـ هل حضرتك متزوج بنت ضابط ؟ ● لا

ورفع الاول كفه وصفعه وقال : اذا لم تكن كذلك فلماذا تدوس على قدمى كل هذا الوقت !؟

نكته عربيه تسمعها فى كثير من الاقطار العربية ومعناها واضح لالبس فيه .

وعندما انتقلت الجامعة العربية من مصر الى تونس انطلقت الحدوته التالية : شاهد احد التونسيين زميلا له واقفا امام مبنى الجامعة العربية وفى يده بوق فسأله : ما بالك واقفا بهذا الشكل ؟ قال لقد توظفت هنا شهريا بعشرين دولارا لانفخ فى البوق عند اعلان الوحدة العربية .

فقال الصديق : ولكن عشرين دولارا مبلغ ضئيل .

فرد : نعم ولكن الا تعلم انها وظيفة مدى الحياة !

وتحولت النكته السياسية فى هذا العصر الى عكسها حيثما كان النقد غير مباح وتحول الى ما يبدو للوهلة الاولى مبالغة فى الاطراء وهو فى حقيقته امعان فى الذم . مثل ذلك الصحفى الذى وصف زيارة احد الزعماء لمزرعة دجاج : بأن الدجاج (طار) من الفرح احتفاء بالزعيم .

وما انتشار المسرح الضاحك فى السنوات الاخيرة واقبال الناس عليه إلا نوع من التنفيس والترويح عن النفس العربية المرهقه المعسرة . . فمسرحيات دريد لحام (غوار) فى « ضيعة تشرين » . . أو « كأسك يا وطن » فيها كل عناصر النقد السياسى للواقع ، وربما عوض النقص المسرحى رسامو الكاريكاتير العرب الذين انتشر عملهم حتى لم تعد صحيفة او مجلة تخلو من رسومهم وايماءاتهم وابداعهم .

فى وطننا العربى اليوم فرصة طيبة يتوافر لها من الاسباب ما يحكم علاقة الضحك بالسياسة ، فهناك فارق كبير بين الوعود والامال التى انتعشت بعد الحرب العالمية الثانية فى الارتياح للعدالة الاجتماعية والوفاء بحاجات العمق البشرى وتزايد الموارد من جهة والفوضى السياسية والحروب والهزات الاجتماعية من جهة اخرى . . انه تناقض عميق بين الصورة المثالية والواقع الموجع ، ولا بد أن يفجر هذا التناقض كثيرا مما يقال من نكت معظمها لا يصلح للنشر !

محمد الرميحي

المفكر العربي الكبير ، الأستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، خص العربي بمقالة حول ضرورة وجود معجم عربي عصري ، وهذه المطالبة عندما تأتي من هذه النخبة من المفكرين العرب لاشك تعني معنى خاصا وكبيرا .

ومن خلال هذه المقالة تطرح «العربي» الموضوع للنقاش.

حتى نحافظ على ما بقي لنا :

ضرورة معجم عصري

بقلم : الدكتور اسماعيل صبري عبد الله

لا أظن أحدا يجادل في حقيقة أن أول ما يجمع بين العرب هو وحدة اللغة . وقد جاهد مثقفو الشرق لإحياء العربية ، وليجعلوها قادرة على استيعاب معارف العصر ، تلبية لرغبة الناس في المحافظة على لغتهم ، وإزاء بطش الاستعمار الفرنسي في المغرب ، كان تعلم الاسلام الوسيلة الأساسية للابقاء على العربية لغة حية ، رغم السياسة الفرنسية الغاشمة . وهكذا عبرت الأمة العربية مرحلة الاستعمار الأوروبي دون أن تفقد لسانها . ومع ذلك فها نحن بعد الاستقلال ، وبعد أكثر من أربعين سنة من انشاء جامعة الدول العربية ، نشهد تدهورا حقيقيا في لغتنا الفصحى ، وفي مختلف اللهجات العامية المتعددة . فماذا حدث ؟ .

اعتقد أن الامر يرجع لاسباب ثلاثة مهمة : أولها : قصور حركة « التعريب » عن متابعة التطورات السريعة والمتلاحقة في العلوم والتقنيات . فالأمر متروك لاجتهاد أهل الاختصاص في كل علم ، مع أنهم ليسوا بالضرورة من الضالعين في اللغة . كما أن اجتهاداتهم المحلية قد تتضارب . وعلى سبيل المثال مازال أهل التجارة وبعض المشتغلين بالاعلام يتحدثون عن « العقل الألكتروني » في حين توصل بعض المشتغلين بالمعلومية أو « المعلوماتية » في المشرق الى تعبير « الحاسب الآلي » ونحت المغاربة

لفظ « حاسوب » وهو اشتقاق عربي أصيل ، حيث أن صيغة « فاعول » من صيغ اسم الآلة المعروفة . والكلمة الواحدة أفضل من كلمتين . ومع هذا كله مازال معظمنا يستخدم اللفظ الانجليزى « كومبيوتر » . . .

أما السبب الثانى فهو افتتان الناس في بلادنا بأنماط الاستهلاك ، وأساليب المعيشة الأوروبية والأمريكية . فمن يحرص على أن يسير وفق تقلب صرعات الأزياء في الغرب ، لابد أن يتحدث عن « الجينز » و « ت شيرت » . . . الخ .

أما السبب الثالث ، وقد لاحظته في مصر « الانفتاح » بنوع خاص ـ فهو تراجع الحس الوطنى في المستوى اللغوى ، وسعى أهل الانفتاح الناجح لفرض الأسماء الأعجمية . وأعنى بالأعجمية تلك التى لا معنى لها في أي لغة ، مثل شركة عثمانكو . . الخ . فالجهل سمة شائعة بين من سلبتهم لهفة جمع المال القدرة على اعمال العقل في شيء آخر . وفي هذا المناخ تدهورت لغة الصحافة ـ ناهيك عن الاذاعة المسموعة والمرئية ـ ولغة المسرح . بل لقد أصاب التدهور العامية كذلك . وشتان ما بين عامية بيرم التونسى وفؤاد حداد وعامية فؤاد نجم .

معجم عربي عصري

ولا اريد أن أطيل في « البكاء على الأطلال » الذى كثيرا ما ننساق اليه في هذه الأيام . واود أن أطرح ما أحسب انه ضرورة للتصدى للدفاع عن العربية . فلا يمكن الحفاظ على لغة وتيسير تحددها ومتابعتها للتطور دون اصدار معجم عصرى . فمعظم من يكتبون بالعربية لا يجدون تحت أيديهم معجما يرجعون اليه فيما وراء « مختار الصحاح » . والرجوع الى المعاجم القديمة أمر صعب . فهى أولا ليست متوافرة في طبعات حديثة . وهى ثانيا مطولة . وهى ثالثا لاتسير على ترتيب أبجدى واحد ، وهى رابعا ترد كل الكلام الى الجذور الثلاثية أساسا . وبعضها مثل « الصحاح » يقتصر على صحيح اللغة ، فهو لا يتضمن الا الكلمات المشهورة عن أهم القبائل العربية بمعناها الأصلى في جزيرة العرب ، مستبعدا



حتى المعانى الاصطلاحية التى اكتسبتها الكلمات خلال القرون الأربعة الأولى من التقويم الهجرى ، وبعضها يفيض في ذكر الكلمات حتى لو كانت شاذة أو نادرة مثل « المحيط » .

وحتى يكون المعجم عصريا ، يجب أن يتبع الترتيب الأبجدى لكل ما يحتوى من كلمات ، حتى لو أحال الى المادة الأصلية . فيقول مثلا في « استغاث » : طلب الغوث ، انظر غوث . كذلك لابد أن يشير المعجم الى المعنى الحالى للكلمة . ومن المفيد بالتأكيد في معجم مطول أو شامل ذكر تطور معنى الكلمة عبر القرون ، انتهاء الى معناها الجارى ، وأن يشير الى بعض المعانى المختلفة للكلمة الواحدة في أقطار عربية مختلفة .

فنحن نرى في معجم اكسفورد كلمات مذكور بجوارها ، أنها تستخدم في الولايات المتحدة . وهذا التحديد للمعانى المتوالية للكلمة أمر ضرورى .

فالاقتصاد في الأصل هو الاعتدال ، والنتاج ولد الناقة . وكلمة الحكم في القرآن الكريم تفيد غالبا

معنى الحكمة ، انظر قوله تعالى عن يحي عليه السلام : « وآتيناه الحكم صبيا » أما الحكومة بالمعنى الحديث فيعبر عنها كتاب الله بولاية الأمر ، كما في قوله تعالى « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، ومنها كان لقب أمير المؤمنين الذى أطلق على عمر بن الخطاب ، فأمير هنا فعيل بمعنى فاعل من أمر ، ولا صلة لها بمعانى الملك ، ومن الوارد أن تقتصر الطبعة الوجيزة على ذكر الأصل البعيد والمعنى العصرى ، وأخيرا - وليس ذلك أقل الأمور أهمية - لابد أن يضم المعجم العصرى المعانى الاصطلاحية فى مختلف العلوم ، وكذلك أسماء الأدوات والأشياء والمعانى التى جاءت بها المدنية الحديثة ، أو ما يسميه مجمع القاهرة « ألفاظ الحضارة » .

مجمع قومى وعمل مشترك

ومن الواضح تماما أن اعداد معجم عصرى كامل ووسيط ووجيز ، أمر تنوء به العصبة من الرجال ، ولو كانوا من أولى العزم ، فهو يقتضى ضرورة الدراية الكاملة بتراث الدراسات اللغوية العربى ، كما يفترض المعرفة بما وصل اليه علم اللغات من أدوات تحليل وتصنيف فى مجال الصوتيات والدلالات وتركيب الكلام ، ومن ناحية ثالثة لابد عند وضع ذلك المعجم من مراجعة التراث العلمى العربى ، حتى لانعيد وضع مقابل عربى لاصطلاح أجنبى ، سبق أن استخدم السلف له لفظا ضاع بسبب تقصيرنا فى إحياء الكتب العلمية التى ألفها العرب فى العلوم الطبيعية والرياضيات . وأخيرا لابد من حوار بين اللغويين والمشتغلين بفروع العلوم الحديثة المتنوعة « لتعريب » المصطلحات العلمية أولا بأول . وما له أهمية بالغة فى هذا المقام أن تنشط حركة ترجمة للكتب العلمية على أوسع نطاق ، بحيث يتزايد الطلب على المشتغلين بتعريب المصطلحات .

ويظهر من كل ذلك ، أن لوضع معجم عصرى للغة العربية كلفة مالية كبيرة ، قد يعجز عنها هذا القطر أو حتى ترهق المجموعة من الأقطار العربية . ولكن الاعتبار المالى هنا ليس هو الأساس . فالقضية الموضوعية هى أن العربية ملكنا جميعا ، وان تعددت بنا الأقطار . ولا يجوز عقلا أن يكون للغة الواحدة الا معجم عمدة واحد . ولايجوز أن ينفرد قطر بفرض مثل ذلك المعجم ، حتى لو سلمنا جدلا بقدرته على وضعه . وهكذا تقودنا ضرورة المعجم العربى المعاصر الى بديهية أغفلناها تماما فى كل « عملنا العربى المشترك » ألا وهى انشاء مجمع قومى واحد للغة العربية ، يكون المرجع الأخير فى أمور اللغة ، والمسئول الأول عن اصدار المعجم فى طبعاته الثلاث الكامل والوسيط والوجيز .

وقد يقول البعض هنا : شتان ما بين البديهى واليسير فى وطننا العربى . ولكن تلك قصة أخرى . □

مالك والحديث

كان من عادة الامام مالك بن أنس صاحب المذهب المعروف فى الفقة ، إذا جلس للحديث أن يتوضأ ، ثم يجلس على صدر فراشه ، ويسرح لحيته ، ويتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ثم يتحدث . فقيل له فى ذلك ، فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدّث به الا على طهارة متمكنا ، وكان الامام مالك يكره أن يحدّث فى طريقه قائما ومستعجلا . ولم يكن يجلس على المنصة الا اذا حدث عن رسول الله .

رمضان كريم
عدد خاص

عدد
مايو ١٩٨٦

اقرأ في العدد القادم من العربي

صيحة .. أم صحوة .. في السودان ؟

استطلاع : سليمان الشيخ

أيام من رمضان	المرأة والإسلام .. اجتهادات ومواقف	السلطان لم ير الشمس !
د. عبدالعزيز كامل	د. محمد عمارة	د. محمد المنسي قنديل

- نصر الدين الطوسي .. عالم الرياضيات والفلك — د. عبدالعظيم أنيس
- الصراع بين الطب والأمراض الوراثية — د. فاطمة الفرياوي
- شاعران .. ووصيتان .. — د. وديعة نجم
- أول مجلة .. في الخليج والجزيرة العربية — خالد سعود الزيد
- سقراط يبيع "الزلابية" في صنعاء ..! — شريف الراس
- وجهاً لوجه : الفريق أول محمد فوزي و اللواء طلعت مسلم
- رحلة الى قلب "الكازار" ! — د. سمير صلاح الدين شعبان
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. ملكة أبيض - د. رياض العلمي - د. سينوت دوس
أمين هويدي - راجي عنايت - محمد زفزاف - د. طاهر عبدالمجيد

العربي - العدد ٣٢٩ - ابريل ١٩٨٦

سباق التسلح النووى

وموقف العلماء والمثقفين لمواجهة خطورته

بقلم : الدكتور عبد المالك خلف التميمى

تعيش شعوب العالم قلقا متناميا ودائما بسبب سباق التسلح النووى الذى قد يؤدى الى اندلاع حرب عالمية مفاجئة . وإن المأساة الحقيقية تكمن فى عدم وقوف علماء العالم ومثقفيه وسياسييه وقفة جادة أمام الخطر الذى يتهدد البشرية فى عالمنا المعاصر .

ان الحضارة والنهضة المعاصرة التى بنيت بجهود ودماء الشعوب عبر كفاحها لعدة قرون ، كان يجب ان تفرز عناصر حمايتها وضمان استمرارها من أجل خير الانسان وبناء المجتمعات البشرية والقضاء على تخلفها . ولكن ذلك ليس الحال كما يتضح من السباق فى صناعة اسلحة الدمار بدلا من استخدام كامل للذرة فى الاغراض السلمية والانمائية . لذا يقع العالم تحت هاجس الحرب النووية فى أية لحظة ، وهذا النوع من الحروب ليس ككل الحروب السابقة أو القائمة ، إنها حرب مدمرة ستحكم على البشرية بالفناء ، وتمنع استمرار الحياة لعدة قرون على سطح الأرض ، مما يعنى ان الحياة على الكرة الارضية سترجع الى بدايتها قبل ملايين السنين . ونحن هنا لانريد ان نطرح قضية تثير التشاؤم ، ولكننا لسنا من اولئك الذين يغرقون أنفسهم فى التفاؤل ، الى درجة تجاهل مناقشة قضايا العصر الخطيرة مثل خطر السلاح النووى على الانسانية ، وامكانية توظيف التقدم النووى لخدمة الانسان ، ولكن ذلك لايمنع ابدا أن يؤدى ذلك التقدم الى تطور السلاح النووى - وهذا ماهو قائم بالفعل - وتهديد أمن البشرية فى حاضرها ومستقبلها .

قنبلتا هيروشيما ونجازاكي

في ربيع وصيف ١٩٤٥ في نهاية الحرب العالمية الثانية قتل حوالي ٥٠٠٠ ياباني في عمليات انتحارية ضد القوات الامريكية والحليفة ، وكبدت هذه العمليات تلك القوات خسائر جسيمة في الارواح والسلاح ، فأرادت الولايات المتحدة ان تضع حدا لتقدم اليابان ، بل لخطر الجيش الياباني الذي أثبت مقدرة قتالية ميدانية كبيرة كما انها كانت تريد ان تظهر سلاحا جديدا تشهره في وجه الاتحاد السوفيتي والعالم كدليل على قوتها ، وامكانية تخويف العالم ثم تطويعه لارادتها بهدف ان يكون لها دور هام في ترتيب اوضاع العالم في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وكانت المأساة في أغسطس عام ١٩٤٥ حيث ألقت الطائرة الامريكية B / 29 قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما في اليابان ، فدمرتها وقتلت اكثر من ٢٠٠,٠٠٠ شخص في المدينة ، وبعد ثلاثة أيام ألقت طائرة امريكية اخرى قنبلة ذرية ثانية على مدينة نجازاكي اليابانية فدمرتها ايضا . لقد كان تأثير القنبلة في كل مدينة من هاتين المدينتين في ثلاث دوائر :

الدائرة الاولى احترقت وقتل كل سكانها وفنيت الحياة فيها تماما ، والدائرة الثانية ، دمر نصفها وقتل حوالي نصف سكانها وتأثر الباقون بالاشعاع والتلوث ، أما الدائرة الثالثة ، فقد تأثرت بالاشعاع والتلوث لفترة زمنية طويلة .

ان الارقام التي نشرت عن عدد الذين قتلوا نتيجة القاء القنبلتين النوويتين في المدينتين يقدر بـ ٢٣٠,٠٠٠ قتيل و ٢٥٠,٠٠٠ مصاب ومشوه .

فاذا كان هذا هو حجم الدمار والفناء الذي نتج عن القاء قنبلتين نوويتين على مدينتين يابانيتين في عام ١٩٤٥ ، فماذا سيكون حجم الدمار لمثل هذا السلاح بعد أكثر من ٤٠ سنة من التطور في صناعة هذا السلاح النووي ؟

لقد كان هذا السلاح في حينها جديدا ولا يعرف عنه العالم الكثير ، وكانت هناك ايضا اسلحة اخرى تجرى التجارب عليها بينها الأسلحة الجرثومية والاسلحة الكيميائية التي يستخدم فيها الغاز السام ، وتجدر الاشارة هنا ان الغاز السام قد استخدم من قبل المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية اثناء الحرب كما تدعي وسائل الاعلام الغربية وخاصة الامريكية والبريطانية ، وقد كان الحوار ساخنا في بريطانيا اثناء الحرب العالمية الثانية حول جدوى استخدام هذا السلاح ضد الالمان ولكنه لم يستخدم ، وربما كان ذلك بسبب ضغط الرأى العام البريطاني ، أو بسبب التقديرات العسكرية التي لم تجد ان الامر خطير لدرجة استخدام هذا السلاح.ان مثل هذا السلاح سوف يستخدم على نطاق واسع في أية حرب عالمية قادمة ، وقد يستخدم في الحروب الاقليمية اذا لم يتوفر الردع الكافي بتوسيع فرص السلام في العالم وتقليل فرص الحروب .

واقع الحال وواقع الدمار

ان كمية سلاح الغاز السام الذي تملكه القوى الكبرى يكفي لقتل البشرية كلها ١٠٠٠ مرة ، رغم ان تأثير استخدامه لايزيد عن واحد بالمليون من تأثير الحرب النووية أما الحرب البيولوجية والتي تسمى بالحرب الجرثومية فتذكر وسائل اعلام الدول الغربية ان اليابان قد استخدمتها في الحرب العالمية الثانية ، حيث جربتها على الاسرى الامريكان والاوروبيين ، وهذا النوع من السلاح محرم دوليا بموجب اتفاقية ١٩٢٥ بين الدول الصناعية لتأثيره الخطير على الانسان والحيوان . والمعروف ان اليابان قد بدأت تجاربها على هذا النوع من السلاح في الثلاثينيات من هذا القرن ، وكونت أثناء الحرب العالمية الثانية وحدة في جيشها لاستخدام هذا السلاح سميت (الوحدة ٧٣١) .

أما الدول التي كانت متقدمة في صناعة هذا النوع من السلاح فهي الاتحاد السوفيتي واليابان ، ثم تأتي بعدها الولايات المتحدة وبريطانيا . لكن المهم الاشارة هنا الى ان الاعلام الغربي يثير في أيامنا هذه تبريرات لاستخدام السلاح النووي من قبل الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية ، غير منطقية ولا يقبلها العقل . فالحجة ملخصها أنه لولا استخدام

السلاح النووي وتدمير اليابان في الحرب العالمية الثانية لأصبحت اليابان والمانيا قوتين تهددان البشرية بالفناء . صحيح أن آثار التفجير النووي في مدينتي هيروشيما ونجازاكي كانت مدمرة ، ولكن كان ذلك في سبيل إنقاذ البشرية والعالم الحر !!

لنلق نظرة سريعة على الآثار التي ستنتج عن الحرب النووية القادمة التي توصلت اليها بعض الدراسات الجارية الآن في اليابان والدول الغربية .

أولاً : ان الحرب العالمية الثالثة ستكون حرباً نووية ، وهي آخر الحروب العالمية ، لانها ستؤدي الى فناء ٩٠٪ من الحياة على سطح الارض .

ثانياً : ان عدد سكان العالم الان حوالى ٤٨٠٠ مليون (اربعة الآف وثمانمائة مليون) سيفنى منهم حوالى ٤٠٠٠مليون ، والبقية التي ستعيش ستظل مهددة بالفناء نتيجة الاشعاع والتغير في العوامل الطبيعية الناتجة عن هذه الحرب ، إضافة الى التشوه الخلقي الدائم والتلوث النووي الدائم .

ثالثاً : ان الاشعاع الناجم عن التفجير سينتقل مع الريح من منطقة لأخرى بسرعة ١٥ كلم في الساعة ، كما ان الجو سيغطى بالدخان الكثيف بمقدار ٣ الآف مليون طن بحيث تختفي الشمس وحرارتها لفترة تتراوح ما بين ستة اشهر وثلاث سنوات ، مما يؤدي الى هبوط درجة الحرارة الى عشرات الدرجات المئوية تحت الصفر ، وستتراوح اكثر مناطق العالم حرارة بين ١٦ درجة مئوية تحت الصفر في بعض المناطق ، و٥٠ درجة مئوية تحت الصفر في مناطق أخرى . وسيغطي الجليد الكرة الارضية ، ويقضي على النبات ، وهذا يؤدي الى نقص خطير في الاوكسجين في الجو مما تتعذر معه الحياة بعد ذلك .

رابعاً : ستعود الحياة على سطح الكرة الارضية الى الوضع الذي كانت عليه قبل ستة ملايين سنة عندما حدثت التغيرات الجغرافية والتحولات الهامة في الطقس ، كما سيتغير الطقس بعد هذه الحرب النووية كلية ، وتتغير مواقع الجبال ويختفي بعضها ، وتختفي بعض الجزر ، وتظهر انهار جديدة .

خامساً : ان تأثير الاشعاع النووي والتلوث سيستمر بعد الحرب النووية لمئات من السنين .

سادساً : كل مناطق وبلدان العالم ستتأثر بالحرب النووية ، ولا ينجو منها أي بلد لان الاشعاع والتلوث ينتقل مع الرياح بسرعة ، ولن يستطيع أحد وقف تحرك الرياح .

في أية لحظة

هذه بعض المعلومات التي توصل اليها علماء عالميون حول موضوع الحرب النووية القادمة .

والسؤال المطروح أمام العلماء الآن حول نقص الأوكسجين في الجو نتيجة تدمير النبات ، فكيف يمكن استغلال البحار لتوفير الاوكسجين ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تصطدم بعقبة كبيرة هي أن الحضارة البشرية سيفنيها الدمار ، وان غالبية البشر سيتعرضون للفناء ، لذا من سيقوم بهذه المهمة وكيف ؟ وماذا فعلت الدول المتقدمة لمواجهة الحرب النووية المحتملة ؟

لقد اتخذت بعض الدول الغربية بعض الاجراءات لمواجهة هذه الحرب أو الآثار المترتبة عليها ، وقبل التحدث عنها نقول انها محاولة للوقاية من خطر مدمر ، ولكنها لاتقي احدا من الدمار والفناء . ويبدو ان بعض تلك الدول جادة في استعداداتها لمواجهة الدمار الذي سينجم عن هذه الحرب ، وتنفق مليارات الدولارات في هذا السبيل لانها كما يبدو على قناعة من ان هذه الحرب متوقعة وقد تحدث في أي لحظة .

لقد قامت سويسرا ببناء مدن صغيرة تحت الارض في مناطق جبلية تتوفر فيها كل وسائل الحياة المطلوبة لحوالى ثلث سكانها حتى الآن ، وحتى الطعام يخزن ويستبدل بصورة دورية ، وقد حصنت هذه المدن الصغيرة تماما ضد السلاح النووي .

أما المانيا الغربية فقد قامت بحفر نفق طوله حوالى خمسة كيلو مترات في أحد الجبال وحصنته ضد الحرب النووية ، وقامت بتسجيل حضارتها القائمة والحضارة الانسانية أو بعض ملامحها المعاصرة في تسجيلات على اسطوانات معدنية خاصة بحجم نصف متر مربع تقريبا للاسطوانة الواحدة ، وبكميات كبيرة تنقلها عربات خاصة لتخزنها في هذا النفق المعد لهذا الغرض ، وعليه اجراءات أمنية مشددة .

وتقول بعض المعلومات أن الولايات المتحدة الامريكية قد بدأت ، أو هي بصدد اقامة مدن تحت البحر تحسبا للحرب النووية ، وان النقص في

الاوكسيجين الذي ستسببه الحرب ستعوضه من مياه البحر اضافة الى صعوبة تدمير مثل هذه المدن في الحرب القادمة والتي اطلق عليها الحرب النووية .

موقفنا نحن العرب

اذا كانت بعض الدول تنفق اليوم المبالغ الطائلة على استعداداتها للوقاية والحماية من الحرب النووية ، فماذا نفعل نحن في الوطن العربي ، وماذا يمكن ان نفعله لمواجهة الاخطار التي ستنجم عن مثل هذه الحرب لو اندلعت لاسمح الله ؟

هذا السؤال مطروح على أنظمتنا السياسية ومراكز الأبحاث العلمية ، والجامعات في وطننا العربي ، وعلى المفكرين في أقطارنا فهل يتحركون ؟ انه لمن المحزن القول ان بعض دولنا العربية تفتقد الاجراءات والوسائل الوقائية من الحرب التقليدية التي استخدمتها الدول الاخرى في الحربين العالميتين الاولى والثانية ، فعلى سبيل المثال تفتقر اغلب الدول العربية الى الملاجيء والمخابيء لسكانها بل الى صفارات الانذار والى الاستعدادات الطبية اللازمة والتأمين الغذائي الخ . . ان الحرب النووية ان وقعت لا تمهل أحدا ليحفر مخبأ يتجنب فيه تلوثها الاشعاعي أو يؤمن غذاء .

تبريرات متفائلة

اذا كانت هذه احدى قضايا المستقبل الخطيرة وهي احتمال قيام حرب عالمية ثالثة ليست على نمط وتأثير الحروب العالمية السابقة دون ان تأخذ حيزا في اهتمامنا وفكرنا ، فإن ذلك يدل على عدم اهتمامنا بقضايا المستقبل . ان العالم المعاصر المتقدم يصنع اسلحة دمار المستقبل ولكنه في نفس الوقت يدرس قضايا المستقبل ويهتم بها ، ان اجترار الماضي وحده لايكفي دون الاستفادة من تجاربه ، وان الاهتمام بالحاضر والمستقبل لايمكن ان يكون ايجابيا بدون الاستفادة من تجارب الماضي ، كما ان إهمال التفكير والاستعداد للمستقبل بحجة الانشغال في مشكلات الحاضر دليل تخلف الوعي وتراجع الفكر .

حتى تكتمل الصورة ، ولايكون رأينا في مسألة الحرب النووية القادمة أحاديا فلابد ان نطرح الجانب الآخر والذي يعتقد بأن الحرب النووية لن تقوم ، وأصحاب هذا الرأي لهم قناعتهم المستندة الى تحليل طبيعة التطور التكنولوجي المعاصر والأوضاع السياسية والعلاقات الدولية ومدى تأثير الرأي العام العالمي على متخذي القرار السياسي ، وقد بنى هؤلاء رأيهم على الأسس التالية :

أولا : انه ليس من المعقول ان تعمل الدول المتقدمة على بناء حضاراتها وتتسابق في هذا الميدان ، ثم تحكم عليها بالفناء بحرب مدمرة كالحرب النووية .

ثانيا : ان قرار اعلان الحرب النووية ليس قرارا فرديا ذلك ان تلك الدول المتقدمة تعتبر دول المؤسسات وليس الافراد ، وقراراتها تأتي نتيجة حوار قويّ سياسية واجتماعية لها ثقلها على مجريات الاحداث في الدول التي تملك الاسلحة ، أو في دول العالم الأخرى .

ثالثا : ان الرأي العام لدى شعوب العالم قد تطور ، وأصبح ضاغطا على القرار السياسي بدرجة لايستهان بها ، ولذا من الصعب على متخذي القرار تجاوز هذا الواقع ، وتجاهل هذا الضغط .

رابعا : ان التوازن في صناعة الاسلحة النووية ، وغيرها بين الدول الكبرى يمنع نشوب مثل هذه الحرب لانها لن تقضي على الخصم فحسب ، ولكنها ايضا ستقضي على الجميع .

خامسا : ان روح المغامرة في السياسة الدولية ، والتي كانت متأججة قد تراجعت بفعل التطور الحضاري الانساني العلمي والثقافي ، وان الامور مهما تدهورت فان صوت العقل سيعمل على ضبطها والتحكم بها .

عندما نتفحص هذه التبريرات المتفائلة نجدها من الناحية المنطقية مقنعة ومعقولة الى حد ما ، ولكنها غير كافية لمنع قيام الحرب النووية ، فاذا بدأ طرف باشعال مثل هذه الحرب وشعر الطرف الآخر بخطر الفناء ، فانه لايتورع عن الرد بالمثل حتى لو أدى ذلك الى دمار البشرية ، ثم ان نشوب حرب كهذه لايستغرق اكثر من دقائق لاتدع مجالا لوقفها أو اعادة النظر في قرار تفجيرها ، وليس هناك مجال للتفاوض بشأنها . ان الطرف الذي سيغامر ببدء الحرب النووية لن يكشف هذا السر حتى لحلفائه ، وذلك لخطورتها وسرعتها ومدى تأثيرها على الجنس البشري والحياة كلها . □

الكيان الصهيوني والأقليات اليهودية في العالم

بقلم : الدكتور عبدالوهاب محمد المسيري

افترض منظرو الصهيونية العالمية أن أرض فلسطين التي سموها « أرض الميعاد » هي ملاذ جميع يهود العالم ، وأن حل المسألة اليهودية يكمن في أن كل هؤلاء اليهود هم مهاجرون محتملون للدولة اليهودية .

وفي هذا المقال مناقشة لأوجه العلاقة بين اليهود و « دولتهم » المزعومة .

تروج الدعاية الصهيونية الى صورة مفادها أن الغالبية العظمى ليهود العالم « وصهيونييه» تؤازر الدولة الصهيونية ، وتقف وراءها صفا واحدا . وقد يكون هناك شيء من الحقيقة - السطحية على الأقل - في هذا القول ، فعلى الرغم من أن يهود اسرائيل لايشكلون الا نسبة ضئيلة من يهود العالم ، لاتتجاوز الثلث بأي حال ، الا أن الحركة الصهيونية قد هيمنت على معظم المؤسسات اليهودية في العالم ، بما في ذلك كثير من الجمعيات اليهودية الأرثوذكسية والاصلاحية ، التي يوجد بينها وبين الصهيونية تناقض من ناحية العقيدة (فاليهودية الأرثوذكسية ترى أن اليهود شعب بالمعنى الديني وحسب ، وليس بالمعنى العرقي كما يتصور الصهاينة ، أما اليهودية الاصلاحية فترى أن اليهود ليسوا شعبا أساسا ، وانما هم جماعة دينية يدين أفرادها بنفس العقيدة)

وقد أصبح الرافضون للصهيونية بشكل علني وعقائدي واضح أقلية هامشية لايعتد بها ، ولا يسمع لها صوت ، ولكن على الرغم من ذلك لايمكن القول بأن العلاقة بين الأقليات اليهودية والصهيونية علاقة طيبة دائما ، فالمعروف أن الحركة الصهيونية قد لقيت مقاومة شديدة عند ظهورها من غالبية أعضاء الاقليات اليهودية في العالم ، واضطرت الى غزو الجاليات ، اي اللجوء الى انواع من العنف لقهرها والسيطرة عليها ، وهذا ما تم بالفعل في منتصف الخمسينيات . ولكنها حتى بعد أن تم لها ذلك ، نجد أن أعضاء الأقليات لم يلتزموا تماما في سلوكهم للأوامر والنواهي الصهيونية ، فبعضهم على سبيل المثال

يرفضون الهجرة الى اسرائيل ، وطنهم القومي الوهمي ، اى انهم قد يقبلون الصهيونية اسما وشكلا ، لكنهم يرفضونها فعلا . كما ان اهتمام أعضاء الأقليات اليهودية فى العالم ينصب على موروثهم الثقافى الخاص ، فيهود الولايات المتحدة - على سبيل المثال - يهتمون بموروثهم الأمريكي اليهودى ، ولذا فاللغة اليديشية ، لغة يهود شرق أوروبا ، آخذة فى الاختفاء هناك ، بينما نجد أنها أكثر ازدهارا فى الاتحاد السوفيتى ، باعتبارها جزءا من الموروث الثقافى للأقلية اليهودية هناك . وهذا الاهتمام هو رفض ضمنى كامن للمفاهيم الصهيونية الخاصة بنفى الدياسبورا ، وبمركزية اسرائيل فى حياة اليهود - وهى مفاهيم تؤكد أن يهود العالم هم مجرد أداة لتحقيق الهدف الصهيونى ، وأنهم بمثابة هامش يدور حول المركز الصيهونى - أى الدولة الصهيونية .

وحتى فى اطار الانصياع الكامل الظاهر لاسرائيل ، تنشأ مشاكل عدة بين يهود العالم من الصهاينة وغير الصهاينة من جهة ، واسرائيل من جهة اخرى ، ولعل أهم هذه القضايا هى القضية التى أثيرت منذ عام ١٩٤٨ ، حول مدى حق أعضاء الأقليات فى العالم في توجيه النقد لاسرائيل ، فالدولة الصهيونية تحاول أن تكون علاقتها بيهود العالم علاقة هيمنة ، فتقوم هى بتلقى العون والمساعدات والتأييد دون ان يكون لهم حق التدخل فى شئونها ، فهم فى نهاية الأمر قد رفضوا الهجرة ، وآثروا البقاء فى المنفى ، وما يدفعونه هو تكفير عن فشلهم فى المساهمة فى تحقيق رؤية الخلاص والمثل الأعلى الصهيونى .

النفوذ والانتقادات

أما يهود العالم فهم يرون المسألة بشكل مختلف ، فاذا كانت الدولة الصهيونية على استعداد لأن تتلقى نقودهم بصدر رحب وحماس زائد ، فعليها أيضا ان توسع صدرها لانتقاداتهم التى يمكن تلخيصها فى عدة نقاط ، لعل أولها هو أن يهود العالم من المؤمنين باليهودية يجدون أن اسرائيل هى دولة علمانية ، لاتسودها القيم اليهودية التى يقرأون عنها فى الكتب الدينية ، بل انهم كثيرا ما يجدون أن بعض مبعوثي الدولة اليهودية لم يقرأوا التوراة قط فى حياتهم ، ولم يذهبوا الى معبد يهودى ، وتضطر الدولة التى يقال انها يهودية أن تعطى دورات مكثفة فى الدين اليهودى لبعض مبعوثيها فى الخارج ، حتى لاينكشف السر ، فهم لايعرفون كيف تقام الصلوات اليهودية ، ولايدرون شيئا عن السلوك الواجب اتباعه فى المعبد اليهودى .

ويشير هؤلاء المتدينون أيضا الى أن الدولة اليهودية التى كان من المفروض أن تكون مثلا أعلى يحتذى ، أصبحت دويلة تنتشر فيها الجرائم والمخدرات والدعارة ، كما أصبحت مسرحا ترتع فيه الجريمة المنظمة ، واصبح الجهاز الحكومي لايتمتع بسمعة طيبة بسبب فضائحه المالية المتتالية .

وحينما تتهم الدولة الصهيونية أعضاء الأقليات اليهودية ، بأنهم آخذون فى الاندماج ، بل في الانصهار والتلاشى ، يشيرون هم بدورهم الى حضارة اسرائيل العلمانية ، ويؤكدون أن الاسرائيليين هم الذين يفقدون هويتهم اليهودية بالتدريج ، وانهم هم الذين سيندمجون تماما فى حضارة الأغيار . بل ان بعضهم يرى أن ما يجدونه فى اسرائيل هو ظهور قومية جديدة اسرائيلية ، لاعلاقة لها باليهودية ، وبالتالى لاعلاقة لها بهم .

ويثير يهود العالم قضية أساسية أخرى ، يبدو أنه لايوجد حل لها فى الوقت الحاضر ، وهى أن المؤسسة الدينية الأرثوذكسية فى اسرائيل ترفض الاعتراف باليهود الاصلاحيين والمحافظين كيهود ، وهم يشكلون مايزيد عن ٨٠٪ من يهود العالم الغربى ، بينما لايشكل الأرثوذكس الا أقلية صغيرة . وتأخذ القضية شكلا حادا ، كلما أثارت المؤسسة الدينية الأرثوذكسية فى اسرائيل قضية تغيير قانون العودة ، حتى يصبح تعريف اليهودي هو من تهود حسب الشريعة ، أى على يد حاخام أرثوذكسي وحسب .

الدولة والدين

ويرى بعض المفكرين الدينيين اليهود أن ظهور الدولة الصهيونية قد أدى الى انهيار اليهودية وتآكلها من الداخل ، إذ أصبحت الدولة هي دين يهود العالم ومصدر القيمة المطلقة لهم ، كما أصبح جمع التبرعات

من أهم الشعائر الدينية . وهم يرون أن اليهودى العادى قد أصبح يفرغ أى شحنة دينية داخله عن طريق النشاط الصهيونى ، الذى هو نشاط دنيوى بالدرجة الأولى . ويؤكد بعض المتحدثين باسم الأقليات اليهودية ، أن الدولة اليهودية قد سببت أزمة هوية لليهود اذ أنها تضطر يهود أمريكا على سبيل المثال للسؤال عما اذا كانت اسرائيل دولة يهودية بالمعنى الدينى ، مثل الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك ، وهذا ما لا يسانده الواقع العلمانى فى اسرائيل . أما انها دولة يهودية بالمعنى الاثنى والعرقى ،

ويثير يهود العالم قضية أساسية أخرى وهى : هل الدولة اليهودية مجرد دولة تخدم مصالحها بغض النظر عن مصالح اليهود ، أم أنها دولة يهودية تضع مصالح اليهود فى العالم فى الاعتبار . وقد أثيرت القضية بحدة مؤخرا بسبب التعاون الوثيق بين الحكومة الصهيونية وحكومة الأرجنتين العسكرية السابقة . وقد قام شامير باعتباره وزيرا لخارجية اسرائيل بزيارة الأرجنتين فى الأيام الأخيرة للنظام العسكرى . وقد ثبت أن هذا النظام المشهور بميوله النازية المعادية للسامية ، كان يقوم بتعذيب الثوريين ، واليهود منهم على وجه الخصوص ، ومع هذا استمر النظام الصهيونى فى الحفاظ على علاقاته بالنظام العسكرى فى الأرجنتين ، وكانت السفارة الاسرائيلية ترفض التدخل لصالح المعتقلين السياسيين اليهود .

الصهيونية والقمع

ويشير اليساريون واليهود فى العالم ، الى علاقات اسرائيل بالنظم العسكرية فى أمريكا اللاتينية ، فهى من أكبر موردى السلاح لها ، كما أن علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية مع نظام جنوب افريقيا هى الأخرى محط انتقادهم .

وكيف يتأتى لدولة يهودية متمسكة بالقيم الدينية ان تتحول الى حليف لكل قوى القمع والارهاب فى العالم ، بل ان الليبراليين أيضا يضطرون للاحتفاظ بمسافة بينهم وبين الكيان الصهيونى ، حينما يقوم بعمليات وحشية تفوح رائحتها مثل صبرا وشاتيلا . وقد حاولت الصهيونية أن تحل مشكلة سلوكها العنصرى والارهابى ، بأن جعلت هذه العنصرية لها فعالية فى مكان واحد فقط وهو فلسطين ، فهى ليست عنصرية كونية على الطريقة النازية بل هى مقصورة على بلد واحد هو فلسطين ، وعلى شعب واحد هو شعبها .

خونة أم مرتدون ؟

ومن القضايا التى تثير بعض التوتر بين أعضاء الأقليات اليهودية والدولة الصهيونية هجرة عدد كبير من مواطنى الكيان الصهيونى الى الولايات المتحدة واستيطانهم فيها . ويبلغ عدد المهاجرين ٤٠٠ الف ، أكثر من نصفهم من مواليد فلسطين المحتلة ، أى من جيل الصابرا • اذ يطرح السؤال نفسه ، عما اذا كان من الواجب أن تقوم المؤسسات اليهودية فى الولايات المتحدة بتقديم المساعدة لهم باعتبارهم « يهوداً » أم يجب مقاطعتهم باعتبارهم « خونة » « مرتدين » .

ولعل من أكبر أشكال فشل « الدولة الصهيونية » فى الهيمنة الفعلية على أعضاء الأقليات اليهودية فى العالم ، أنه بعد مرور ما يزيد عن مائة عام على الاستيطان الصهيونى فى فلسطين ، وبعد مرور حوالى أربعة عقود على انشاء الدولة الصهيونية ، وبعد الحملات المكثفة ، بل الهستيرية ، التى تهدف الى اقناع أعضاء الأقليات بالهجرة الى فلسطين ، انطلاقا من « حبهم لصهيون » وارتباطهم « بوطنهم القومى » واقتناعهم بأن الهجرة هى السبيل الوحيد الى الحفاظ على اسرائيل . . بعد كل هذا لم تقابل المنظمة الصهيونية والدولة الصهيونية سوى الفشل ، الأمر الذى فرض عليهما أن يطرحا جانبا المنطلقات الأيديولوجية الصهيونية الدينية الاثنية فى الآونة الأخيرة ورفعا بدلا منها شعارات مادية استهلاكية « فاسرائيل » حسب الحملات الجديدة ليست أرض الميعاد ، ولا مسرح الخلاص ، وانما هى بلد تتوفر فيه أسباب الراحة المادية للمهاجر ، حيث يمكنه أن يمتلك بيتا واسعا كبيرا بشروط ائتمانية سهلة ، وبالتقسيط المريح . وبذا يمكن القول ان الجاليات اليهودية هى التى غزت الدولة الصهيونية ، وليس العكس ، أو لعلنا نكون أكثر دقة لوقلنا ان الاستهلاكية الغربية هى التى غزت الجميع . □



بلا وطن!

شعر : دكتور عبده بدوي

ولمّا قضيْنا العام بين مواجع وَجَهْدٍ .. ووجّهْنا خُطانا إلى المدُنْ
ولاحَ لنا شيءٌ من الشّذو باسمٌ بحثنا لهذا الشّذو في اللّيل عن فَنَنْ
.. وكان بقُرْبي صاحبٌ أستميله وأُبصِرُ فيه ما حوى الكون من حَسَنْ
يحدّث أطفالي عن العالم الذي يضيءُ بعيداً عن شرور ، وعن محَنْ
لقد كان مَسْراه الى القول عالماً من الشّعر مَزْهُوّاً .. فَيُخْتَصَرُ الزّمنْ !
يحدث عنه في الحضارة مُشْرِقاً فتقلع أرواح بأشرعة السُّفُنْ .
وآناً مع اللّوحاتِ يرسمُ عالَماً فتزدهر الألوانُ في السّرِّ والعَلنْ
وفي مرّة يُعطى « البيانَ » أصابعاً فيصبح هذا الكونُ في حافةِ الأُذُنْ
.. ولكنّنا كنّا نرى أنّ لمسةً من الخوف تَعْروه ، وتَرْتَجُ في البَدَنْ
فنسكتُ عن جُرْحٍ يضيءُ بقلبه ونأخذُ في شيءٍ من القول مُؤْتَمَنْ !

***

وفي مرّةٍ .. لاغاه طفليَ ضاحكاً « ترى أين تَقْضي الصّيف فالصّيفُ قد أذِنْ ؟ »
فأظلمَ منه الوجهُ من فوق بَسْمةٍ وأجْهَش في الهُدْبين شيءٌ من الحُزْنْ
وضاع مساءٌ كان يَنْدى بصوته وظلّلنا طيرٌ غريبٌ من الشَّجَنْ
.. تعجب طفلي ، ثم قال بحسْرةٍ « تُراني قد اخطأت ؟ .. » « قلت » بل الزّمن »
فعمّك هذا ليس يَرْسو بشاطيءٍ فقال « لماذا ؟ » قلت « ليس له وطن ! »

المصادر المائية في دول مجلس التعاون الخليجي

نظرة أوروبية

بقلم : الدكتور إيوان أندرسون *

خلال حقبة الضغط الماضية نسي الجميع مصادر حيوية ومهمة اخرى هي المصادر المائية . لكن البلدان التي تخطط لمستقبلها البعيد كما تخطط ليومها لم تهمل هذه المصادر بالنسبة لها .

وفي منطقة الخليج الغنية بالنفط الشحيحة المياه تطرح القضية بشكل اكبر واكثر حدة . فماذا اعددنا للمستقبل في هذا المجال ؟ هذا المقال يمثل وجهة نظر اوروبية حول هذا الموضوع المهم والخطير بالنسبة لنا .

على الرغم من الاهمية الحيوية للمياه فان التخطيط للطوارىء لضمان تأمينها غير جيد في مختلف انحاء العالم . ومع ان وثيقة مبدئية في هذا الموضوع اعدت في الولايات المتحدة (مختبر أوك ريدج ١٩٨٥) فانها لاتتناول الا المبادىء العامة . ولكن البحث الجديد في الاخطار التي تتعرض لها مصادر المياه بدأ يلقى اهتماما اكبر الان في الولايات المتحدة . ومن الواضح ان مثل هذه الدراسات في مناطق جافة مثل دول مجلس التعاون الخليجي اكثر اهمية . وبين الحاجات الواسعة التي تلزم للبحوث . هناك حاجتان رئيسيتان :

أ - تقرير آثار حرمان المياه على المجتمعات .

ب - تحديد الحالات الطارئة التي يمكن ان تؤدي الى نقص في المياه .

* باحث في مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية - جامعة درهام لندن



عندما تفجرت المياه من منطقة « الروضتين » بالكويت

مصادر الماء وتأمين الحماية

ان انظمة المياه الحالية الحديثة اصبحت اكثر عرضة للخطر ، فالتقنية بحاجة الى المزيد من الخبرات الخاصة . ولكن هناك ايضا نقاطاً اكثر من التقنية يمكنها ان تهدد بالانهيار ، واذا ما حصل انهيار فى الامدادات فان الاخطار التى تتعرض لها الاوضاع والخدمات الصحية كبيرة . ومن النتائج الاخرى زيادة البطالة تبعا للصناعات وتواجدها . يضاف الى هذا ان الزراعة والعائدات بشكل عام سوف تتضرر . ومن الممكن ان يترتب على ذلك ايضا اضطرار الحكومة الى اعادة توزيع السكان او قطاعات محددة من السكان فى مناطق مختلفة . ومع تحسن مستويات المعيشة فان الطلب على المياه زاد ويزيد من الضغوط على النظام المالى . ومع ازدياد الاعتماد الكلى على نظام التزويد العام فإن احتمالات التعطل ستكون اكبر وبالتالى ستترك نتائج وعواقب أوخم . ومع ايجاد مصدر جديد للمياه فإن المصاعب التى تواجه عملية تأمينها وحمايتها تزداد أيضا .

اما المجال الرئيسى الآخر الذى يثير القلق ، فهو القدرة على الربط بين مستوى الخطر الذى تتعرض له انظمة المياه المختلفة مع الاخطار المختلفة ومصادر هذه الاخطار . وينطوى هذا على تصنيف انظمة المياه ونقاط ضغطها قبل كل شيء . وبعدئذ يمكن اعداد تحليل للاخطار ومصادرها سواء اكانت هذه المخاطر كوارث طبيعية أم من فعل البشر . وعندئذ يمكن وضع صورة عامة للاجراءات الوقائية التى تهدف الى تأمين مصادر المياه المعينة .

ذلك ان امدادات المياه فى دول مجلس التعاون الخليجى حيوية جدا ، ليس من اجل الاستهلاك الانسانى والمحلى أو المنزلى فحسب ، بل و من اجل الزراعة والصناعة والانتاج والتعدين . ونظرا لقلة السكان بشكل عام وطبيعة النمو المدنى المحدود فإن انظمة تزويد المياه تميل الى ان تكون محدودة فى مداها . ولكن نظرا لوجود علاقة طردية بين التنمية والمياه فإن هناك فى العادة مصادر بديلة اخرى . ومع ان الوضع يختلف من بلد لآخر فان الحقيقة هى ان هناك انخفاضا بشكل عام فى مصادر المياه الارضية .

منشآت التحلية

وهذا واضح بشكل خاص في الدول الاخرى مثل البحرين وقطر ، وهو ايضا حقيقة مهمة في عمان ، وعلى النطاق المحلي في السعودية هناك مشكلة مستمرة وهي ان طبيعة ونمط التغيير في مصادر المياه الارضية غير واضحة هناك حتى الآن .

نتيجة هذه المصاعب ظهر اعتماد مطّرد على المياه التي تزال ملوحتها . ولكي تكون منشآت التحلية اقتصادية لا بد وان تكون كبيرة . وفي هذا ما يوضح اعتماد كل من الدول الصغرى في مجلس التعاون الخليجي على عدد محدود جدا من منشآت التحلية في معظم حاجاتها المائية ، فعلى سبيل المثال نجد أن أبوظبي تعتمد مائة بالمئة على المياه مزالة الملوحة بينما تستخدمها دبي للاستعمالات البشرية والصناعة فقط . كذلك تغطي المياه المزالة الملوحة على البحرين والكويت وقطر . وحتى في عمان نجد ان ٥٠ بالمائة من المياه ازيلت ملوحتها .

ومن الواضح ان هناك خطرا في الاعتماد على نظام مياه مركزي يعتمد بدوره على مجموعة أو اثنتين من المنشآت الكبيرة .

لقد درجت العادة على تقييم الاخطار التي يتعرض لها اندماج دول المجلس وتكاملها على اساس النفط وربما الغاز الطبيعي ، الا ان مصادر المياه وما يرافقها من مشكلات في الواقع اكثر اهمية . ولهذا من المهم بوجه خاص تحديد الاخطار المحتملة وتقييمها بشكل عميق مفصل .

المصادر والعوائق

على الرغم من امكانية وجود العوائق الطبيعية من جيولوجية ومعدنية في العالم الحديث ، فإن الأخطار الرئيسية لابد وأن تكون بوحي من الانسان ، فنظرا لوجود تلك الثروة النفطية الهائلة لا يمكن تناسي الاغراء بالتدخل الخارجي. ونظرا للغزو السوفياتي لافغانستان بمايعني اقترابهم اكثر من المنطقة ، فإن من الضروري اعتبار السوفيات عامل قلقلة . ومن ناحية اخرى تعتبر الخطط الامريكية مصدر خطر للمنطقة نفسها . ولما كان أي احتمال بوقوع مواجهة بين الدولتين العظميين يحمل في ثناياه مخاطر دمار رهيبة ، فان حدوث مثل تلك المواجهة في منطقة الخليج أو أي مكان اخر في الواقع يجب ان يعتبر مسألة بعيدة الاحتمال .

الا ان المشكلات المتداخلة الكثيرة في المنطقة هي التي لا بد وان تشكل خطرا اكبر على الاستقرار فيها ، اذ ان مناطق حدود كثيرة في البحر والبر لا تزال مثار نزاع . كما ان خطر حدوث تصعيد يتعاظم دائما عندما تكون المسألة متعلقة بالنفط أو المياه . وفي المنطقة نفسها هناك طبعا خلافات ايديولوجية واقتصادية حادة . وأوضح مثال على ذلك هو الحروب العراقية - الايرانية التي لا تزال مستمرة .

وعلى الرغم من كل هذه المشكلات المحتملة فإن الكثيرين يرون ان الاخطار الرئيسية على الاستقرار داخلية ، اذ ان سرعة التغيير في المزاحمة والحاجة الى العمال الاجانب وما يترتب على ذلك من اختلافات ثقافية ودينية كثيرة يمكن ان تؤدي الى التوترات .

من هنا تبين ان اعتبار المصادر المائية معرضة للخطر - بل وهي في حالات كثيرة اهم من النفط - فهناك اخطار كثيرة محتملة . وسوف تكون الانظمة المائية معرضة للخطر ولو على المدى المتوسط على الاقل . لذا من المهم جدا وليس من السابق للأوان دراسة نظام تأمين المياه وامداداتها وتأمين الموارد أو المصادر الطارئة في حالة نشوب المصاعب . ولا بد من التأكيد على ان المشكلات التي تواجهها دول مجلس التعاون الخليجية متشابهة ، وعلى ان دراسة تأمين وتخطيط تأمين المياه في الحالات الطارئة تشكل مجالا للتعاون المثمر بين دول المجلس . □

■ لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه
(علي بن ابي طالب)

الطريق إلى حماية انتاجنا الغذائي

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

ان زيادة المحاصيل الزراعية ، ومضاعفة الثروة الحيوانية أمران على جانب كبير من الأهمية لمستقبل الغذاء في الوطن العربي ، ولكن التوسع والتطور في حفظ الموجود منها لايقل أهمية عن زيادة الانتاج . أليس حفظ الاغذية من التلف شكلا آخر من أشكال الانتاج ؟

نفقد كثيرا مما ننتجه من غذاء نحن في حاجة شديدة له ، لسد مطالب ملايين السكان المتزايدة عاما بعد عام ، ونحن في حاجة الى سد الجوع والنقص الغذائي في بعض مناطق وطننا العربي نفسه .

لقد بلغت نسبة الفقد في انتاج الخضراوات والفاكهةوالالبان ومنتجاتها وغيرها من ١٥ ـ ٣٥٪ ، لهذا كان من الضروري أن نحافظ على الأغذية والخضراوات والفاكهة من التلف والفساد ، لينتفع بعض المواطنين بها ، وذلك باستخدام الثلاجات الكبيرة والصغيرة المنشأة بالجمعيات التعاونية ، أو باتحاد المنتجين أو الزراع أنفسهم ، وكذلك باستخدام الثلاجات الصغيرة في بيوت المستهلكين أنفسهم ، فالحفاظ على الثمار الطازجة من التلف والفساد معناه زيادة في انتاجها الغذائي نفسه ، بما يقارب هذا المعدل من الفقد .

كيف نسمح بإنتاجنا الغذائي الذي تعبنا في زراعته ورعايته وحصاده أن نتركه لعوامل العطب والتلف ؟! كيف نسمح بفساد بعض انتاجنا الغذائي وحرمان بعض مواطنينا منه ، وهم في حاجة ماسة اليه ؟!

الاقلال من التلف

ان حل هذه المشكلة يتطلب تقليل التالف من الأغذية الى أكبر حد مستطاع ، مع نقل الزائد من المناطق المنتجة الى المناطق المحرومة ، أو التي تعاني



العنب فاكهة يناسبها التجفيف

نقصا فيها . وهذا لن يحل على الوجه الأكمل إلا بالنهوض بصناعة حفظ الاغذية وتجفيفها . فبهذه الصناعة يتحول الفائض من اللحوم والألبان والخضر والفاكهة في منطقة ما الى صورة مجمدة أو مجففة ينتفع بها في أشهر أخرى ، بدلا من تركها معرضة للتعفن والتحلل والفساد حيث نفقدها الى الأبد .

ليس هذا فحسب ، بل ان تجفيفها سيسهل عملية نقلها وتوزيعها على جميع انحاء الدول المجاورة بنفقات أقل . والأطعمة المجففة تحتفظ عادة بالكثير من صفاتها وخواصها ، مع صلاحيتها لمدة أطول .

والمقصود بالتجفيف خفض نسبة الماء في المادة الغذائية ، مع زيادة تركيز المواد الصلبة الى الحد الذي يقف عنده عمل الأنزيمات والبكتيريا والفطريات ، ويوقف عمل الانزيمات والكائنات الحية الدقيقة ، تقف عوامل فساد المواد الغذائية وتلفها .

وبتجفيف الأغذية بسحب الماء منها يقل وزن المادة الغذائية المنقولة أو المحمولة بالطائرات ، فان ماتحمله اثنتا عشرة سفينة تجارية من اللحوم العادية ، تحمله بعد تجفيفه سفينة واحدة .

وبتجفيف الأغذية ونزع الماء منها ، أمكن ارسال الكثير من المواد عبر البحار ، فاللحم مثلا به من الماء ٦٥٪ أو ٧٥٪ ، أما الحليب فيحتوي على ٨٧٪ ، والطماطم ٩٠٪ ، فبالتجفيف تنزل نسبة الماء الى ٣٪ أو ٧٪ ، فيسهل نقلها وخزنها من غير أن تتعرض للفساد والتعفن والتسمم ، ويساعد ذلك على نقلها بوساطة الكثير من وسائل النقل ، ويتم تجفيف الأغذية طبيعيا بأشعة الشمس أو صناعيا .

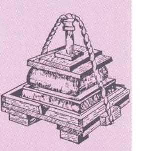
وتولد الحرارة المطلوبة للتجفيف الصناعي من الكهرباء ومن المازوت ، السولار ، الديزل ، وتعتبر الكهرباء أفضلها ، الا أنها أكثر تكلفة ، وذلك بتسخين المواد الغذائية تسخينا مباشرا أو غير مباشر .

ويقصد بالتجفيف المباشر امرار الهواء الساخن الناتج من مصادر الحرارة المشار اليها ، على المواد المراد تجفيفها مباشرة ، من غير وجود حائل يمنع

اتصال الهواء الساخن بهذه المواد . ويعاب على هذه الطريقة تعرض المواد الغذائية المجففة للاتساخ بذرات الاحتراق أو احتوائها عليها أو اسمرارها ، ويتم التجفيف داخل المجففات بطريقة التسخين غير المباشر ، وفيها ترتفع درجة حرارة الهواء عن طريق ملامسته لأسطح الأفران المستعملة . وقد يتم تسخين الهواء بواسطة أنابيب مسخنة بالكهرباء ، أو بواسطة أنابيب مسخنة بالبخار المضغوط . وهذه الطرق هي أكثر الطرق استخداما ، لأنها تعطي مواد مجففة ذات صفات جيدة من حيث الطعم واللون والرائحة .

حفظ الخضراوات بالتجميد والتجفيف :

ويمكن حفظ الخضراوات والفاكهة والمواد الغذائية الأخرى من التلف والفساد ، والاحتفاظ بمكوناتها الغذائية بعملية التجفيف والتجميد ، وهذه العملية تجمع بين عمليتي التجميد السريع والتجفيف بتفريغ الهواء . وتبدأ العملية أولا بتبريد المادة تبريدا سريعا الى درجة منخفضة . وفي هذه المرحلة يتحول الماء الخالص الى جليد ، وتنفصل المادة الغذائية أو المعلقة



عصارة خشبية قديمة

على صورة بللورات أو كتل هلامية جامدة ، وعندما يتم تجميد المواد تنقل الى خزانات مقفلة ويفرغ هواؤها ، وفي أثناء ذلك تسخن جدرانها تسخينا هينا ، فيتحول الجليد الى بخار مباشر ، وبذلك تجف المادة تدريجيا ، ولايتغير شكلها ، ويقل حجمها ووزنها بنحو ٨٠٪ . وفي هذه الحالة يجب الحرص على بقاء المادة متجمدة ، وذلك بتنظيم عملية التسخين بدقة تامة ، لتبقى المادة دائما في درجة منخفضة ، ويكون هناك توازن بين الحرارة المكتسبة بالتسخين والحرارة المفقودة بالتسامي (تحول الرطوبة الى بخار ماء) .

وعندما يتم تسامي الجليد تسخن المادة الغذائية قليلا الى درجة مناسبة ، للتخلص من الرطوبة التي بها ، وتترك بعد ذلك تحت ضغط منخفض للتخلص من آثار الماء المتبقي بها ثم تخزن .

وعند استخدام المادة المجففة بالتجميد يجب ترطيبها بالماء ، لتعود الى مظهرها الأصلي وشكلها وقوامها قبل التجفيف ، ويتم ترطيب المادة اما برشها أو بغمرها بالماء البارد .

ويتبين مما سبق ذكره أن عملية التجفيف بالتجميد لها أهمية كبيرة في ميدان الصناعات الغذائية ، فهي تيسر الحصول على أغذية جيدة ، تجمع بين مزايا التجميد ومزايا التجفيف من حيث الجودة وسهولة التداول ، ومن حيث احتفاظها بأغلب مكوناتها الغذائية .

ومن الأغذية التي تلائم عملية التجفيف بالتجميد نذكر البسلة ، والسبانخ ، والفول ، وجميع الفواكه وشرائح الفاكهة ، وعصير الفواكه ، والشوربة والبيض ، واللبن ، والسمك ، واللحم ، والدواجن .

الطاقة الشمسية وصيد الأسماك :

ولما كانت الأسماك سريعة الفساد والتلف ، كان لابد من اتباع وسائل منع هذا التلف . والتجفيف والتمليح هما أقدم الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، والتدخين يأتي بعد التمليح فتشق الأسماك وتستبعد أحشاؤها ثم تملح . وبعد التمليح تعلق في أفران



معمل لتصنيع التمور

يحرق في قاعها الخشب أو نشارته . ومن الحريق يتصاعد دخان يتشرب منه السمك ويجف نوعا ما .

والتقنية تهيب بالعرب أن يستغلوا شمس الشواطىء وطاقتها ، لقد استطاع العلم في عام ١٩٥٤ صنع أول نموذج للبطارية الشمسية ، صنعت من السليكون ، اذا سقطت عليها أشعة الشمس ولدت تيارا كهربائيا ، بهذا التيار الكهربي يمكن ادارة ثلاجات وسخانات وأفران كهربية ، تستخدم في تبريد المواد الغذائية وحفظها على درجات حرارة منخفضة مناسبة .

وباقامة الثلاجات والأفران على شواطئنا العربية ، يمكن استغلال هذه الشواطىء وما نصيده منها من أسماك خير استغلال ، بدلا من أن يتعرض أغلب صيدنا للتلف والفساد ، وذلك بحفظه في الثلاجات الكبيرة أو الصغيرة ، حتى نستطيع التصرف ببيعه أو تصنيعه .

وقاية الحبوب

الحبوب سلعة استراتيجية لابد من المحافظة عليها من التلف ، بتخزينها في الصوامع الحديثة ، ولوقاية الحبوب من تلف الحشرات يجب العمل على الحصاد والتخزين المبكر ، لتقليل احتمالات عبث الحشرات ، والعمل على عدم التخزين في العراء ، فهو أسوأ طرق تخزين الحبوب اطلاقا . ولتخزينها في المخازن يجب أن تكون المخازن وافية بالشروط الفنية التي تحقق منع حشرات الحبوب المخزونة ، أو تقليل أضرارها الى أبعد حد مستطاع . ويجب أن يراعي في هذه المخازن النقاط التالية :

١ - طلاء هذه المخازن بطلاء ناعم من الاسمنت أو مايقوم مقامه ، يتحمل تكرار غسل جدرانه بالمحاليل المقاومة لحشرات الحبوب المخزونة .

٢ - بجانب ذلك يجب أن تكون أرضية المخزن مرتفعة

عن أي ماء بالارض ، حتى لاتتسرب الرطوبة اليها مع جعل هذه الأرضية من الاسمنت أو الاسفلت .

٣ ـ ويشترط أيضا أن يكون السقف محبوكا ، ذا سطح أملس ، خاليا من الثقوب والشروخ ، على ألا يسمح بالرطوبة أو الماء أن يتسرب الى داخل المخزن . فالرطوبة تتلف الحبوب ، وتشجع حشراتها على التوالد وعلى العبث بها .

وبجانب ذلك يحسن عدم تخزين حبوب متنوعة في مخزن واحد ، أو تخزينها مع مخزن المهمات الزراعية .

وتفضل عادة المخازن المعتدلة الأحجام ، بدلا من المخازن الكبيرة الواسعة للسيطرة على تبخيرها بالغازات . ويجب أن تكون هذه المخازن بعيدة عن المساكن وحظائر الحيوانات ومصادر الحريق .

ويمكن الالتجاء الى خلط الحبوب بمواد كيماوية قاتلة للحشرات ، بدلا من التبخير بالغازات .

وأحسن المخازن التي تصلح لحماية الحبوب من التلف هي الصوامع المصنعة من الأسمنت المسلح ، أو الصلب غير القابل للصدأ ، وهذه الصوامع تتسع لمئات الأطنان ، ويجب الاكثار من هذه الصوامع الحديثة في الموانيء ، حيث تستورد الحبوب من الخارج ، أو نقيمها بجوار المطاحن .



الذرة تخزن قبل طحنها

والفلاح المصري من قديم الزمن ـ من أيام الفراعنة كان يستخدم هذه الصوامع من الطين ، وتقفل بعد ملئها من أعلى ، ولاتفتح الا من أسفل ، وكان الفلاحون ينقلون القمح وغيره اليها بعد حصاده واعداده مباشرة ، وكانت هذه الصوامع الفرعونية الطينية ملساء تماما من الداخل ، ولاتوضع فيها الحبوب لخزنها الا بعد تمام تنظيفها ، وكانت هذه الوحدات تتعدد بتعدد حجم المحصول ، وكان لايوضع في الواحدة منها غير محصول واحد .

والآن وقد زاد عدد السكان في كل مكان ، وأصبح انتقال الحبوب من مكان وجودها الى المواضع المحتاجة اليها أمر محتما ، اصبح من الضروري الالتجاء الى الصوامع الحديثة المصنوعة من الاسمنت المسلح ، لتخزين أكبر وزن من هذه الحبوب .

بهذه المخازن والصوامع أمكن تقليل الفاقد من الحبوب ، التي هي عماد غذاء الشعوب . فما قيمة زيادة الانتاج اذا لم نحقظ الانتاج الزائد من عبث الحشرات والفطريات والعوامل الجوية ؟

وما يقال عن منع تلف الحبوب المخزونة ، يقال أيضا عن ضرورة العمل على التوسع في استخدام الثلاجات الصغيرة في المنازل والثلاجات الكبيرة في المصانع والمتاجر والمزارع ، لمنع تلف الطعام الذي تعاني من قلته ، أو عدم تناسبه مع أفراد الأسر في بعض المناطق .

ان التوسع في صناعة الثلاجات صغيرها وكبيرها لحفظ الخضراوات والفاكهة ، والتوسع في تحويلها الى منتجات غذائية محفوظة ، وتحويل الحليب السريع التلف الى أنواع من الجبن قابلة للبقاء عدة أشهر معناه منع تلفها . . . ومنع هذا التلف في صورته الاقتصادية لون من ألوان الانتاج .

وبقيام صناعات غذائية متطورة في مناطق صيد الأسماك ـ وما اكثرها على شواطيء البحار العربية ـ نستطيع أن نحسن استغلال الأسماك لنسد حاجتنا من البروتين الحيواني بأرخص التكاليف ، اذا ما قورن انتاجه بما ينتج من الأبقار والأغنام .

وعموما نستطيع بصناعات حفظ الأغذية أن نمنع فسادها وتلفها ، ونستطيع توزيعها على نطاق واسع وعلى مدار العام كله بدلا من استغلالها في نطاق ضيق وفي مواسم محدودة . □

تغيير العالم بالعلم والسيف معاً

قراءة في الأعمال الشعرية لفاروق شوشة

بقلم : محمد ابراهيم ابو سنة

بصدور عدد من الاعمال الشعرية الكاملة لعدد من الشعراء ينتمون الى جيل الستينيات تكون واحدة من اهم مراحل التطور الشعري قد اكتملت وبدأت مرحلة تقويمها .

محاولة لقراءة الاعمال الشعرية الكاملة لفاروق شوشة يقوم بها شاعر .. والاثنان ينتميان الى الجيل نفسه .

بصدور الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر فاروق شوشة تتحدد قسمة فنية هامة في ملامح شعر الستينيات ، بعد ان صدرت منذ عام اعمال أمل دنقل ، ويبدو أن صدور مثل هذه الأعمال لشعراء الستينيات قد أصبح ظاهرة أدبية ، ليس على مستوى الحركة الشعرية في مصر ، بل على مستوى الساحة الشعرية العربية كلها ، حيث صدرت اعمال عدد من الشعراء العرب ، وهذه الاعمال توحي بتأسيس حلقة وصل جديدة ، هي الحلقة الثانية في حركة الشعر الحديث ، قبل ان يصعد صوت الجيل الثالث . لهذا جاءت هذه الأعمال تأكيدا لرسوخ حركة الشعر الحديث ، وأصالة الابداع الذي قدمه الجيل التالي للروّاد ، واستشرافا لمستقبل لا تنفصل فيه الأزمنة الأدبية ، ولا يتناثر الصوت الشعري في ساحة تزاحمت عليها الاحباطات الفكرية ، وكدرت طموحها الهموم الثقافية ، وضيقت عليها الكوارث

السياسية الخناق . تأتي أعمال فاروق شوشة في هذا الاطار ، لتكون لبنة حية في بناء يقاوم كل محاولات نفي الشعر عن الساحة العربية .

الدواوين الخمسة

تشمل هذه الاعمال خمسة دواوين شعرية هي « الى مسافرة » و « العيون المحترقة » و « لؤلؤة في القلب » و « في انتظار ما لايجيء » و « الدائرة المحكمة » ، وتمثل رحلة الشاعر منذ صدور ديوانه الأول عام ١٩٦٦ حتى الآن.ويتوقع القارىء ان يطالع في صدور هذه الاعمال رؤية الشاعر لتجربته الشعرية ، ولكن الشاعر آثر ان يكتب كلمة بالغة الايجاز ، حول رحلته الشعرية ، مؤثرا المواجهة كما يقول هو نفسه « واعترف ان مساحة كبيرة تضم بعض قصائد هذه الدواوين الخمسة ، تبدو لأول وهلة وكأنها حديث عن الذات ، لكنها في جوهرها ليست بعيدة عن هموم الآخرين . والكثير منها يرتبط ـ في جوهره ـ بساحة الأحداث والتجارب ، التي تركت اثرها عميقا في وجدان الانسان المعاصر ». ثم يتحدث عن الأسلوب الفني لقصائده ، وهو يعي انه قد اعتمد على اللغة ، باعتبارها نسقا لفظيا لا ينفصل عن السياق التاريخي لتراث القصيدة العربية ، كما لا يسقط في هاوية الخواء الفني باسم الحداثة ، ويقع في شباك النمط التقليدي ، بل يلتزم الصدق وعفويته وطلاقة مشاعره ، مستجيبا لصوت الأصالة في ذاته والتطور في عصره :

ومن الواضح ان الشاعر يحس بأن اللغة تلعب الدور الأساسي في تجربته الشعرية ، لا من حيث كونها تراكما لفظيا ، بل باعتبارها كونا ممتلئا بالايقاع والصور والظلال والأصوات والفراغ والامتلاء والمساحة والتكثيف . ذلك ان لغة الشعر ليست مجرد توظيف المفردة في نسق من الجمل الصحيحة ، ولكنها كائن يتلبس التجربة . فيشف ويعتم ، يمتلىء ويفرغ ، يتوتر وينبسط . تظل اللغة الشعرية لغة اختراق لا لغة اتساق ، بمعنى انها تعادي المألوف وتنبثق من المخالفة ، لأنها تأخذ شكل الموهبة التي تستخدمها . ليست اللغة مجرد عنصر لتوصيل التجربة الشعرية ، بل هي وعاء العناصر الحية التى



تشكل التجربة ، فاذا اقتربنا من جوهر الرؤية الشعرية في هذه الاعمال ، وجدناها تجعل من الذات بؤرة انبثاقها .

عناق مع الحزن

واذا أبحنا لأنفسنا أن نستخلص الموضوع من هذه الأعمال ، وجدناها تتجسد مباشرة في الحب والحزن والولع بالجمال . في ديوانه « الى مسافرة » الذي يضم احدى وعشرين قصيدة تتبدى تجربة الحب في عناق حميم مع الحزن ، يقودهما حلم غامض يسعى الشاعر لتجسيده ، بل اننا كثيرا ما نحار ونحن نقرأ قصائده عندما نحاول التعرف على الملامح الفارقة للرفاق

الثلاثة : الحب - الحزن - الحلم . وهذا الديوان يشف عن تجربة عاطفية عميقة ، قدر للشاعر ان ينال حظه السعيد منها كاملا ، ولكن طبيعة الحياة الغلابة تأبى الا الفراق . ويندلع شوق متشح باللوعة خلف هذه المسافرة التي يجعل منها الشاعر مدارا للتحولات ، فهي مرة طائر واحيانا قديسة أو نجما يقول الشاعر :

قديستي
مازال صوتك النّديّ في دمي ،
شيئا أثيريا أضمه وأحتمي ،
رناته تدق أيامي تصب في غدي
تدفق من أعماق نبع دافيء القرار ،
بالأمس ضمني هنيهة وطار ،
فرف خاطري الملح واستدار ،
وكدت ألمس النداء باليد ،

ثم يخاطب المسافرة كما لو كانت طائرا وفي الرمز نوع من المزج بين الحبيبة والحب ذاته ، يقول فاروق شوشة :

ياطائري ياطائري ،
خطاك في دمي تسوخ تنفض الأمان ،
وقع خطاك في الدرج ،
وطرقة وطرقتان ،
يابابي الصغير ياجداري الكبير ،
تألق الطريق بالوهج ،
وأشرقت من كوة يدان ،
نديّتان بالحنان ،

قدر من التركيب

وعنصر التحولات في هذا الديوان يجعله يتجاوز مفهوم الرومانسية البسيط ، كما أن محاولات التجسيد واختراق المألوف في الصورةالشعرية تجعل من اطاره الفني خطوة واضحة متميزة داخل حركة الحداثة .

واذا كانت الذات والتجربة العاطفية تحظى بنصيب كبير ، الا أن ثماني قصائد في هذا الديوان تتجاوز ذات الشاعر وهمومه الوجدانية الضيقة ، الى الهموم القومية والوطنية والانسانية ، وهو عدد يزيد عن ثلث قصائد الديوان ، ويقترب من نصفه وهذه القصائد هي :

« شهيد الكلمة » ، « الحصاد » ، « من فدائي الى صديقته » « بغداد تثور » « يا مغرب » « الخلاص » « فلتنزل الستار » ، « من سفر ايوب » ، فاذا جئنا الى ديوان العيون المحترقة وجدنا استمرار التجربة العاطفية في اطار من النضج واتساع الحيلة وانكشاف المستور ، وفي هذا الديوان يلجأ الشاعر الى قدر من التركيب الفني للقصائد ، والغوص في اعماق الشخصية ، ومحاولة رسمها باقتدار في قصيدة « مرثية شاعرة عاشقة » وتنويعات على لحن اساسي ، وتظهر في هذا الديوان محاولات التفلسف :

اسأل : يامذلة السؤال ،
هل آن ان نعود للبراءة
لفطرة الانسان حين يملك الانسان
بقبض كفيه الضئيلتين زهوة الحياة . . ؟
هل آن ان نعود للجرأة
لفطرة الانسان حين يؤمن الانسان
بقدرة الغريق ان يلاطم الموج وان يجاوز الردى
بحثا عن النجاة . . ؟

واذا كان ديوان الى مسافرة يحفل بالوهج الأول لعاطفة تسعى لتحقيق الحلم ، فإن « العيون المحترقة » يوحي باتساع حيلة الشاعر الفنية ، ويضم الديوان ثماني عشرة قصيدة ، منها قصائد تعبر عن هموم جماعية ، وحزن نبيل ، وطموح تسنده شجاعة المواجهة وهي قصائد :

« كلمة حزن » ، « باسم الكلمة » ، « لأنك الانسان » « أحزان الفقراء » « تحت ظلال الزيزفون » « نداء سلام » « أصوات من تاريخ قديم » ان التعبير الشعري في العيون المحترقة يخطو بحذر نحو مزيد من الدهاء الفني ، ولكنه يتمسك بخصائصه من حيث الشكل والمضمون معا ، فنحن نطالع في هذا الديوان نفس الولع بالتركيز على الخاص ، والتعامل مع الحب باعتباره سرا يشيع في الحياة قوة التغيير والتأثير ، ويأتي التعبير دائما لا ليقتنص التجربة ، بل ليقدم ما تبقى منها ، بعد أن استنفد الشاعر حظه الواقعي من متعها وألمها . يقول في قصيدة « كان حياتي » :

كان اسمك ينقر صدري ،
تلمس أعماقي الخضراء يداه .



تربُت كفاه على دنياي .
وتغفو في عينيَّ رؤاه .
كان اسمك يغريني أن أعبر هذا الموج .
وأن أتحدّاه .

الابتعاد عن اللوعة

تعاود التجربة العاطفية بآفاقها الرومانسية الظهور بكثافة وغنائية في ديوان « لؤلؤة في القلب » الذي يحتوي على اثنتين وعشرين قصيدة ، تكاد تدور كلها حول « الحب » مع ثبات بعض الرموز ، وابتعاد الشاعر عن اللوعة ، والاقتراب من المشهد الخارجي للحب والمحبوب على السواء :

أروع من عينيك لا .
النجمتان تهديان خطوى الامين .
منارتان تثقبان ظلمة السنين .
فأهتدي اليك .
واعبر المدى الحزين .
أروع من عينيك لا .
سفينتي الى مرافىء القمر .
وديعتي .
وزادي الكبير والسفر .
على شعاع مقلتيك .

ويميل التعبير في هذا الديوان الى الاغراق في الوصف ، بدلا من الغوص وراء نوع من التجسيد الحي للتجربة . موقف أقرب الى الغناء ، وينعكس هذا الموقف على البناء الفني الذي يجيء في الغالب ساكنا يفيض بالنشوة .

بين عينيك موعدي .
يومنا القادم أحلى لم يزل طوع هوانا .
كلما شارفت الحلم خطانا واطمأنت شفتانا .
واستراحت مقلتانا .
وتمنينا فكان العمر أشهى من امانينا وأغلى .

ان بهجة التجربة العاطفية في « لؤلؤة في القلب » تجعل من الايقاع صورة للسكينة التي تظلّل وجدان الشاعر ، وهو ايقاع راقص يميل الى الصيغة التقليدية ، فقد جاءت نصف قصائد الديوان تقريبا من الشعر العمودي ، ويقترب النصف الأخر من الشكل الحديث ، ولكنه يظل أمينا لهذا الايقاع الغنائي الراقص ، الذي يبدأ ولايتطور ، يتراكم ولا يبني . يغني ولا يشكل .

مرثية لخيبة الجميع

تبلغ تجربة فاروق شوشة الشعرية تمام نضجها واستوائها وتفجرها في ديوانه « في انتظار ما لا يجيء » ، في هذا الديوان يواجه الشاعر زمنا سريع التحول ، وعالما يتناقص جماله ويزداد قبحه ، ومسالك تنتهي الى الخواء . من هنا فنحن نواجه في ديوان « في انتظار ما لا يجيء » ذاتا تحاول اللحاق بالعالم . ولا تبكي احزانها وحدها ، بل ترثي خيبة

الجميع . واذا كانت الدلالات تتشابك وسط غابة من الاحتمالات داخل القصيدة الواحدة ، حيث لا تتبين صورة الشاعر معزولة عن صورة الآخرين ، ولا صورة الزمن وهو ينفصل عن حركة المجتمع كله ، كما ان صورة المحبوب هي الأخرى تقفز من المجسد الى المجرد ، فإن ثراء الاحتمالات وتعقد الموقف وتركيب البنية الفنية هو الذي يعطي لتجربة فاروق شوشة نضجها ، وللغته شكلها النهائي .

تتراجع في هذا الديوان صورة الذات المفردة ، وتظهر صورة وجدان يعي علاقة الذات بالعالم ، لا باعتبارها جزءا ، بل ينغمس في محاولة لادراك « الكل » الذي يتجاوز الجميع . والكل الذي تجاوز الجميع في هذا الديوان ، يتجلى في معظم القصائد ، مما يوحي ببعد روحي صوفي ، أو رؤية ميتافيزيقية للوجود ، ويضم الديوان خمس عشرة قصيدة ، يقترب نصفها من هذه الرؤية ، وتغوص بقية القصائد في محاولة للإفلات من الزمن الأول . الزمن البدائي الذي يحيط بالجسد الى زمن لانهائي يواكب الروح . ويتبدى حس المقارنة بين العالم الواقعي بقبحه والعالم المثالي ببهائه حيا ومثيرا في معظم قصائد الديوان ، يقول فاروق شوشة في قصيدة المغني والشيخ نظام الدين :

يا شيخ نظام الدين .
ياوتد الأرض ويا امن الدنيا .
يا من نور الخلوة شمع مجالسه المشهودة .
كأسك مفعمة بشراب العشق الأسمى .
وبُراقك يحملنا في دهليز الرؤيا .
ينجينا من أسر الظلمة في ساح اللقيا ،

وتتجاوب هذه القصيدة من حيث المعنى والمبنى مع قصيدة « شمس الله في قرطبة » ، التي كتبها الشاعر من وحي زيارة لاسبانيا ، كما لا تغيب في هذا الديوان صورة الوطن ولا صورة المدينة ، التي رحل اليها الشاعر في صباه ، لكي يحقق احلامه ، والتقى فيها برفاق العمر الذين يبدون في قصيدة « في انتظار ما لا يجيء » ، وكأنهم قد واجهوا جميعا الفشل والخيبة . يقول فاروق شوشة :

ها نحن في دوامة الرمال مانزال ،
تسوخ في شراكها اقدامنا ،
نحمل احلاما كسيرة مضعضعة ،
انفرط العقد الذي كناه . كم تناثرت حباته ،
تفتتت قلوبنا ولم نعد معا .
وشاخت النبرة في شفاهنا وحشية عيوننا .
مذعورة خواطر الخريف في رؤوسنا .

الدائرة المحكمة

في ديوان « الدائرة المحكمة » اثنتا عشرة قصيدة ، منها اثنتان من الشعر العمودي ، ويبدو الشاعر في هذا الديوان امينا مع عالمه الشعري ، فهو يحتفظ بعناصر تجربته الشعرية التي ترعرعت بذورها عبر دواوينه السابقة ، حيث يتوهج صوت الحب ، ولكنه في هذا الديوان حب يغوص في عالم الحس ، تفوح رائحة الجسد من ثنايا قصائده ، كما تبدو البراءة ظلا غاربا وراء المناورات والحيل ، ويبدو الحصار محكما ، ولا يصبح الحب وحده الملاذ . كما تتضح صورة الوطن اقرب الى القداسة ، مركزا للولاء والانتماء ، كذلك برهن الشاعر على نبله من خلال هذه المراثي التي خرجت دامية من وجدان شاعر يبكي اصدقاءه . . . صلاح عبدالصبور فوزي العنتيل . عبدالحميد الحديدي . وربما كان خير ما يمثل رؤيته في هذا الديوان هذه الابيات التي وردت في قصيدة « الى عابرة » من ديوان الدائرة المحكمة ، فهو لا يصور مجرد امرأة ، وانما يجسد حلما وعالما وأملا وهدفا يقترب كله من الضياع يقول :

من أنت لا ادري ولا من دليل
لا ومضة تمشي فؤادي الكليل
ولفحة توقظ في خاطري
كوامن العمر القصير الجميل
عيناك في عمقيهما عالم
خصب الرؤى عاتٍ خفيٌّ ظليل

لاشك ان تجربة الشاعر فاروق شوشة كما حملتها اعماله الشعرية الكاملة تضيء عالما يمت بوشائج عميقة الى عالم الرومانسية ، ولكنها ليست الرومانسية التقليدية ، بل الرومانسية الثورية التي تحاول تغيير العالم بالحلم والسيف معا . كما انها تضع لبنة قوية في صرح حركة الشعر الحديث ، وفي الكيان الفني الذي اسسه شعريا جيل فاروق شوشة ، الذي اصطلح على تسميته بجيل الستينيات . □

البراكين

أشد قوى الطبيعة تدميراً

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

البراكين من الظواهر الطبيعية التى لفتت انتباه الانسان من قديم الزمان ، لما لها من قدرة كبيرة فى تغيير مظاهر سطح الأرض ، كتكوين التلال والجبال والهضاب والجزر ، علاوة على قوتها التدميرية الهائلة لكثير من المظاهر الطبيعية والبشرية ، وقد احتار الانسان قديما فى تفسير البراكين وأسباب حدوثها .

تفاجئنا وكالات الأنباء بنبأ عن ثورة بركان فى مكان ما من العالم ، وتذكر الأضرار والخسائر فى الأرواح والممتلكات التى نجمت عنه . ففى الخامس عشر من شهر نوفمبر من عام ١٩٨٥ ، ثار بركان « نيفادو » « ديل رويز » فى جمهورية كولمبيا بقارة أمريكا الجنوبية ، ودمر مدينة « أرميرو » الواقعة فى وسط البلاد ، وحولها الى مقبرة ، فقد تسبب هذاالبركان فى قتل نحو ٢٢ الف شخص ، وتشريد ما لا يقل عن ٥٠ الف شخص نتيجة تدمير مساكنهم ، وجرح نحو ٢٥ الف شخص .

وهذه الخسائر الهائلة حدثت فى ساعات معدودة ، من جراء الحمم والصخور الملتهبة ، والنيران ، والأبخرة والغازات التى قذفها البركان من جَوف الأرض ، وما تلا ذلك من انجرافات وانهيارات جلبت الطين والوحل الذى غطى الناس والمساكن .

ما هو البركان ؟

قديما قالوا فى تعريفهم للبركان بأنه جبل فى رأسه نار . وربما كان لهم فى هذا عذر ، طالما أن البراكين التى شاهدوها أو سمعوا عنها فى مناطق جبلية ، والبركان الذى ثار مؤخرا فى كولمبيا من فوهة فوق قمة جبلية ، بلغ ارتفاعها نحو ٥٤٠٠ متر فوق سطح البحر .

ان ما يبدو لنا من ارتباط بين الجبال والبراكين ، يدعونا الى التساؤل عن نوعية العلاقة بين ظاهرة الجبال وظاهرة البراكين ، وهل هى علاقة سببية ، بمعنى أن احدى تلك الظواهر سبب والثانية نتيجة . وهل الجبال سبب ، والبراكين نتيجة أم العكس ؟ لقد أثبتت الأبحاث العلمية ، بأن البراكين تحدث فى اليابس والماء ، وفى السهول والجبال والهضاب والوديان ، وهذا ينفى الرأى الذى كان شائعا بأن البراكين لا تحدث الا فى الجبال . ولكن لماذا نجد ان معظم البراكين التى شاهدها الانسان ملازمة للجبال ؟ والجواب عن هذا يتطلب منا أن نلقى نظرة سريعة الى التاريخ الطبيعى للأرض . فقبل أن تظهر الحياة على سطح هذا الكوكب ، ممثلة فى المملكة النباتية والعائلة الحيوانية والكائن البشرى ، كانت الأرض فى عنفوان شبابها هائجة مائجة ، تمر في فترة المراهقة الطائشة . حيث شهدت الكثير من الزلازل والبراكين والالتواءات والانكسارات التى أصابت قشرة الأرض . وهذه كلها تعبر عن حالات عدم الاستقرار . ونحن لا يعنينا من هذه الحالات غير ظاهرة البراكين التى كانت تحدث أينما توفرت لها الأسباب على نحو ما سنشرحه بعد قليل . وهذه البراكين قذفت من جوف الأرض صخورا وحجارة ، أخذت تتراكم بمضى الوقت ، حتى كون كل بركان تلا ، ثم جبلاً يتميز عن غيره من الجبال - التى تكونت نتيجة عوامل أخرى - بشكله المخروطي ، وقمته التى تتوسطها فوهة شبه مستديرة . فاذا سقطت الأمطار ، أو توفرت مصادر المياه ، امتلأت هذه الفوهة بالمياه ، مكونة بحيرة فوق رأس الجبل .

وكثير من المناطق البركانية تبدو خامدة ، ولكنها تثور كلما تهيأت لها الأسباب . فبركان كولمبيا مثلا ثار مؤخرا بعد أن ظل نائما قرابة أربعمائة عام .

وبناء عليه نقول بأن الجبل البركانى ، هو نتيجة من نتائج المقذوفات البركانية ، التى تراكمت مع الزمن ، وهو معرض لأن يثور فى أية لحظة ، وبما أن الانسان لم يشاهد البراكين وهى تصنع الجبال ، وانما رأى البركان يثور فوق الجبل ، لذلك اعتقد بأن البراكين لا تثور الا فى الجبال .

ويمكننا القول بأن البركان أو عملية « البركنة » مصطلح يطلق على جميع أنواع النشاط البركانى ، ويشمل العمليات التى تؤدى الى اندفاع « الماجما » أى الصهير Magma (والتى سنشرحها بعد قليل) وتحركها فى جوف الأرض ، وكذلك خروج الأبخرة والغازات واللافا ، أى الحمم والمواد الصلبة من فتحات فى الأرض .

أسباب البراكين

قلنا بأن البراكين من الظواهر الهامة التى لفتت انتباه الانسان من قديم الزمان ، ونسج حولها الأساطير والخرافات ، وربط بينها وبين قوى غيبية . وكان الاغريق من أوائل الشعوب التى حاول علماؤ ها دراسة البراكين وبحثها علميا ، واعتقدوا بأنها ناجمة عن كسور وتصدعات تصيب قشرة الأرض ، نتيجة تعرضها للجفاف ، وقالوا بأن البراكين والزلازل تسببت فى اختفاء قارة « اتلانتس » وحدوث وادى « تمب Temp » ، الذى يفصل بين جبال « الأولب » و « لوسا »

وقد انكب العلماء فى العصور الحديثة على دراسة ظاهرة البراكين ، وقد ثبت عندهم بأنها ناجمة عن قوى وتغيرات معينة ، تحدث فى قشرة الأرض أو تحتها . وعلى مايبدو فإنه من الصعب معرفة ما تقوم به هذه القوى والتغيرات من أدوار ، وارتباطها بالباطن وحركات قشرة الأرض ، لأن البراكين وثوراتها تختلف مكانا وزمانا . ولكن يؤكد العلماء بأن العوامل الباطنية التى تؤدى الى حدوث الالتواءات والانكسارات ، ترتبط ارتباطا قويا بحدوث البراكين . فهذه الحركات الباطنية قد تولد ضغطا شديدا على « الماجما » أو مادة الصهير ، بحيث يؤدى

ذلك الى انصهارها واندفاعها وتحركها عن مواضعها .
وهذه « الماجما » عبارة عن صخور منصهرة ، وتشكل المصدر للصخور النارية فى باطن الأرض . ويعتقد العلماء بأن الصخور الواقعة أسفل سطح الأرض تظل صلبة ، على الرغم من حراراتها العالية ، بسبب الضغط الهائل الذى تتعرض له فى الأعماق . فإذا خف هذا الضغط نتيجة ضعف أو صدع فى أى مكان ، تتحول « الماجما » الى الحالة السائلة . وقد تتجه « الماجما » الى أعلى عبر الطبقات الصخرية التى تعلوها .

وبتأثير حرارة « الماجما » الشديدة وضغطها العالى ، تتحرك الصخور من فوقها ، وتتدفع الى أعلى ، مما يفسح المجال للماجما لمزيد من الارتفاع نحو السطح . وتأخذ هذه العملية شكل تسارع حينما تنصهر الصخور الفوقية ، وقد تتسرب الماجما الملتهبة من خلال شقوق وتصدعات فى سطح الأرض . ويبدأ بعد ذلك انتشار الحمم (اللافا) على شكل غطاءات ، تنتشر فوق مساحات واسعة من الأرض . وتبدأ هذه المقذوفات البركانية بالتراكم فوق بعضها ، مكونة تلاً مخروطى الشكل ، يتحول مع الزمن وبتكرار ثورة البركان ، الى جبل مخروطى تعلوه فتحة شبه مستديرة .

وبمضى الوقت تبرد الماجما ، واللافا التى خرجت الى السطح ، مكونة صخورا تسمى بالصخور الطفحية أوالبركانية التى من أهمها البازلت ، الذى يتميز بحبيباته البلورية الدقيقة السوداء ، واذا صقلت أصبحت زجاجية الملمس . وهى التى تستخدم فى تزيين مداخل العمارت الفخمة .

أما الصخور التى قذفها البركان فى بداية ثورته ، وغطتها الصخور التى خرجت بعد ذلك ، فقد بردت ببطء ، فتكونت بلوراتها بوضوح ، وتميزت بكبر حجم تلك البلورات ، مثل صخر الجرانيت ذى اللون الوردى الجميل ، واذا صقل أصبح يلمع كالزجاج ، ويستخدم أيضا فى تزيين واجهة العمارات الفخمة . ويطلق على هذه الصخور التى تتكون بهذا الشكل الصخور المتداخلة ، تمييزا لها عن تلك التى تكون على اعماق أكثر منها ، والتى تسمى بالصخور البلوتونية أو صخور الأعماق . ونظرا لتصلبها وبرودتها ببطء شديد ، فإن بلوراتها تكون أكبر ،



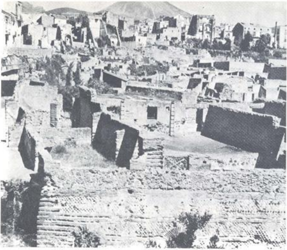
حمم ونار ودخان تتصاعد من بركان ثائر

وتتمثل فى صخر الجرانيت النقى ببلوراته الكبيرة .

وهذه الصخور قد تظهر قريبا من السطح أو على السطح ، اذا تعرضت الصخور التى تعلوها الى عمليات التعرية ، الناجمة عن عوامل كثيرة .

ويتضح من هذا بأن البراكين تحدث فى المناطق الضعيفة من قشرة الأرض ، التى لم تستقر أحوالها بعد ، وتكثر فيها الكسور والصدوع والالتواءات ، ولهذا نجد بأن هناك تلازما بين المناطق البركانية والمناطق الزلزالية فى العالم ، لأن الزلازل أيضا تحدث فى المناطق الضعيفة من قشرة الأرض . وهذا ينطبق على المناطق التى تحتوى على جبال تنتمى الى حركة الالتواء الألبية ، وهى أحدث الحركات التى انتابت القشرة الأرضية ، وكونت سلاسل جبال الألب فى أوروبا ، وسلسلة جبال أطلس فى شمال افريقيا ، وجبال هملايا وغيرها فى آسيا ، وسلاسل روكى فى أمريكا الشمالية ، والانديز فى أمريكا الجنوبية ، علاوة على جبال أخرى .

هناك أسباب أخرى للبراكين غير ماذكرنا ، فقد يكون لطبيعة التركيب الصخرى للمنطقة أكبر الأثر فى حدوث الانفجارات البركانية ، وهذه الطبيعة الصخرية تسمح بتجمع الغازات والأبخرة فى البنية



ثار البركان فلم يترك من المدينة الا الأنقاض

الصخرية ، وتظل محتبسة فيها ، ويمضى الوقت تولد ضغطا هائلا ، واذا وجدت لها منفذا فانها تنطلق بقوة ، وتدفع من خلفها كتل الماجما المنصهرة .

وقد تتسرب المياه السطحية الى عمق كبير ، وتصل الى تكوينات الماجما . واذاحدث هذا تتبخر الماجما فجأة ، ويتولد المزيد من البخار ، وينشأ معه ضغط شديد يؤدى الى انفجار بركانى . وهذا النوع من البراكين يحدث فى البحار ، أو بالقرب منها ، حيث تتسرب مياهها الى الطبقات العميقة ، عبر فتحات أو شقوق أرضية .

البراكين وتشكيل سطح الأرض

سطح الأرض كما نعلم غير منبسط وليس بمستو ، وانما متضرس ، أى يتألف من الجبال والتلال والهضاب والأودية والسهول ، وما الى ذلك من أشكال السطح .

ولسنا بصدد البحث فى كيفية تكوين تضاريس سطح الأرض وأسباب حدوثها ، فذلك يحتاج الى سلسلة من المقالات ، ولكن يكفى أن نذكر هنا بأن البراكين تعتبر من العوامل الهامة فى تشكيل مظاهر سطح الأرض . ويطلق عليها وعلى الزلازل بالحركات الفجائية أو السريعة ، لأنها تتسبب فى ايجاد ظواهر فى فترة زمنية قصيرة جدا ، بعكس الحركات البطيئة التى تستغرق ملايين السنين ، فالبراكين تنشأ عنها الجبال المخروطية الشكل ، على نحو ما بينا سابقا . والتى تظهر فى انحاء متفرقة من العالم . ويكون الجبل البركانى عادة منفردا ، وربما فى منطقة سهلية منبسطة ، أو هضبة مستوية ، وتختلف صخوره النارية عن صخور المنطقة فى أغلب الأحيان . وقد تؤدى عملية اندفاع البراكين الى تراكم غطاءات اللافا بعضها فوق البعض ، مكونة هضبة بركانية متسعة .

وكثيرا ما تتسبب البراكين فى اختفاء بعض الجزر ، وظهور جزر أخرى ، نتيجة تراكم المقذوفات البركانية

تحت مياه البحر ، ومع زيادة هذه التراكمات تبرز الصخور البركانية فوق سطح المياه مكونة جزيرة . ويبدو أن كثيرا من جزر المحيط الهادى تكونت بهذا الشكل والكيفية . وقد تبين بأن هناك ارتباطا قويا بين العيون والنافورات الحارة والبراكين ، فالنافورات الحارة مصدر للمياه الساخنة ، التى تخرج من باطن الأرض . وقد تذيب حين خروجها بعض الأملاح ، مثل أملاح الكبريت ، مما يجعل لهذه المياه قيمة طبية . ولهذا يقصدها كثير من الناس للاستشفاء .

وبصرف النظر عن الجوانب التدميرية للبراكين ، فان من النتائج الايجابية لها مساهمتها فى خصوبة التربة . فالغبار والأتربة المتصاعدة من فوهات البراكين ، تترسب مكونة تربة بركانية ، تتميز بخصوبة عالية جدا ، ومعظم الترب البركانية تشتهر بزراعة البن ، كما فى هضبة البرازيل وهضبة اثيوبيا والهند .

مناطق البراكين فى العالم

قلنا بأن البراكين تحدث فى المناطق الضعيفة من القشرة الأرضية ، التى توجد غالبا فى مناطق الالتواء الألبى ، وتتخذ عادة شكل أحزمة أو نطاقات . وأهم هذه النطاقات البركانية ذلك النطاق الذى يحاذى سواحل المحيط الهادى فى آسيا والأمريكتين . ويطلق على هذا النطاق بحلقة النار ، لان نحو ٨٨٪ من براكين العالم تحدث فيه ، على الرغم من كون بعضها خامدا أو نشيطا . وفى هذا النطاق توجد جبال روكى فى أمريكا الشمالية ، والانديز فى أمريكا الجنوبية ، وسلاسل الجبال الأسيوية على طول السواحل الشرقية من القارة ، وبخاصة قرب الجزر اليابانية ، وجزر كوريل وشبه جزيرة كمشتكا ، وفرموزا والفلبين .

ومن أندونيسيا يمتد نطاق آخر ، ويتصل عند ملقا بالنطاق السابق . وفى وسط المحيط الهادى توجد بعض البراكين فى جزر معينة ، ربما ارتبط نشوءها بالحركات البركانية ، مثل جزر ساندويتش وتنجا وساموا .

وفى وسط أوروبا وجنوبها يمتد نطاق بركانى يتطابق مع الجبال الألبية ، ويدخل قارة آسيا ، متمثلا فى مرتفعات وهضاب ايران وبخاصة البرز ، وافغانستان وشبه القارة الهندية ، ويعتبر كل من بركان فيزوف وإتنا واسترامبولى فى جنوب ايطاليا من أشهر البراكين النشيطة فى العالم . ويطلق على « استرامبولى » فنار البحر المتوسط ، نظرا الى اللون الأحمر الصادر عن الحمم ، التى لا تزال تنطلق من فوهته ، أما بركان فيزوف فقد ثار لأول مرة فى عام ٧٩ للميلاد ، ثم انفجر مرة ثانية عام ١٦٣١ ، وطمر مدينة بومبى بمن فيها من السكان ، ووصلت أتربته وغباره لمسافة ٨٠٠ ميل .

وهناك نطاقات بركانية أخرى فى مناطق جبال أطلس بالشمال الافريقى ، وسلسلة جبال دراكنزبرج فى جنوب افريقيا ، وجميعها جبال خامدة ، وكذلك مرتفعات اثيوبيا . وفى شمال أوروبا يتراكز نطاق البراكين حول جزيرة أيسلندة .

ويقصد بالبراكين الخامدة ، تلك التى كانت نشيطة فى العصور الجيولوجية المختلفة . ولكن نشاطها توقف منذ زمن بعيد قد يحسب بملايين السنين . وهذا النوع من البراكين لا يظهر منه الا الشكل المخروطى الذى يدل عليه ، وهو لا يشكل خطرا ، ولا ينتظر ان يتجدد نشاطه . أما البراكين الهادئة أو النائمة فهى التى تشكل الخطر ، لأنها على الرغم من توقف نشاطها ولو لبضع مئات من السنين ، الا أنها معرضة للانفجار فى أية لحظة ، اذا ما توفرت لها الأسباب ، وبخاصة اذا كانت تقع فى نطاق من نطاقات الضعف الأرضية .

ولعل أشد البراكين خطرا هى النشيطة ، وهى التى ثارت منذ عهد قريب ، أو تلك التى يبدو عليها شىء من مظاهر النشاط ، مثل خروج بعض الغازات من فوهاتها . وهى التى يُنصح بعدم الاستقرار والسكن بالقرب منها . وهذا النوع من البراكين يقع فى النطاقات البركانية سابقة الذكر .

وعلى الرغم من التقدم العلمى الذى أحرزه الانسان ، ورغم الاحتياطات الكثيرة التى تتخذها الدول والحكومات ، الا أنها لم تستطع تفادى الأضرار والنكبات التى تحدثها البراكين ، والتى تعتبر مع الزلازل أشد قوى الطبيعة تدميرا ، وأكثرها تغييرا فى معالم سطح الأرض . □

القصة الفائزة بالجائزة الرابعة لمسابقة « العربي »

الخوف

بقلم : محمد رضا محرم

البرد يتحدى ملابسنا الثقيلة ، يتسلل الى جلودنا ، يدق عظامنا ، أيدينا المرتعشة تدق الزجاج البارد ، في الردهة الخارجية لمستشفى المبرة ظهر أشخاص ثلاثة . الاضاءة الخفيفة تكفى لتمييزهم .

أحدهم الشرطى المكلف بالحراسة ، وقد هرب من البرد أو استهواه الدفء ، فدخل يمارس هوايته الليلية .

الثانى كما تدل عليه اللوحة الحاملة أمامه هو عامل « السويتش » وقد أعفاه الليل والكسل من مشقات عمله .

أما ثالثهم فيبدو من اهتمامه أنه العامل المكلف بالباب ، انتزعه النقر المؤدب على الزجاج ، فكان أول المتلفتين ، التفاتته مشبعة بالاحتجاج ، يهتز ممهدا لقيامه في احتجاج واضح وامتعاض صفيق ، يهز كتفيه في استسلام محنق ، يتجه الى الباب في خطوات متناومة ، احتكاك حذائه بأرض الردهة الثرية بترابها ينتقل الى أسناننا فيضاعف رعشتها ، فتح احدى « شراعات » الباب في حرص جبان ، قابلته طلائع البرد الذى يغرقنا ، فقاومها بمحاولة لدفن رأسه بين كتفيه ، وصلنا كلامه مشوها من بين يديه اللتين يدفئهما بأنفاسه :

ماذا يريد البكوات ؟ انثالت في ذهنى كلمات صامتة :

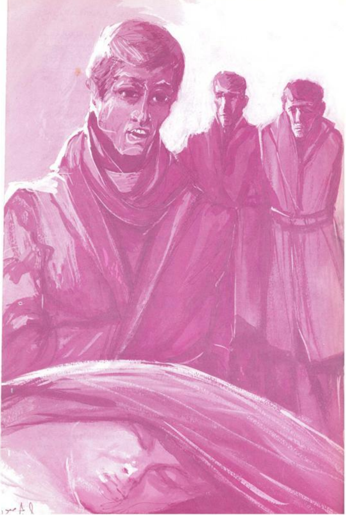
نزهة ليلية أيها الغبى ! لايطرق بابكم في النهار الا بائس ، فبماذا أصف من يدقه في الثالثة صباحا ؟ وفي ليلة باردة مثلك ، قبل أن نحضر اليك بساعة ونصف شغلنى الألم الذي استبد بزميل ، انتزعنى من جلستى المنتشية في نادى النقابة ، حرمنى متعة الاستمرار مع فيلم مصرى جيد يعرضه التلفزيون ، ويضم بطلا متمكنا وبطلة ممتعة ، ندرة الشيء ترفع قيمته ، لكن قهر الظروف فرض أن أستبدل بمتعتى زيارة غبية لك أيها الرجل القبيح . . !

بدأ الملعون يمارس معنا عملية « الزحلقة » التى يتقنها جميع الموظفين ، سوف تبدأ عملية تداول لنا بينهم ، اذا كنتم تريدون الطبيب المناوب فاذهبوا الى « الاستقبال » ، قالها وهو يغلق « الشراعة » التى تكرم وفتحها من قبل ، وعندما سألناه عن مكان « الاستقبال » هذا ، أشار الينا من وراء الزجاج بطريقة قاطعة : أن اعفونى من تساؤلاتكم السخيفة . .

دلنا « العربجى » الذى أحضرنا « بحنطوره » الى المستشفى على مكان الاستقبال، طرقنا الباب الخشبى في أناقة . . عاودنا الطرق ، نفخنا في أيدينا ندفئها وواصلنا الجهاد . جاءنا من يرفض استقبالنا قائلاً :

ـ من ؟ !

افتح ايها الكسول ، ليس حلماً ما تسمع ، أنت الآن في المستشفى ، ولست على سرير الزوجية في عطفة الكسالى ، مد يدك الى جوارك قليلا لتتأكد من



صحة أفكارنا ومن طهارتها . . فُتح الباب الى الداخل ، عندما طلبنا الطبيب المناوب قال لنا عامل الاستقبال : انه لايوجد طبيب خفارة ، عندما أبدينا دهشتنا دَعَكَ عينيه الخاملتين المتورمتين ، وأكد لنا تثاؤ به أن لاطبيب . الحمد لله . . لأننا لم نذهب الى المستشفى الأميرى . اذا كان مستشفى المبرة بلاطبيب مناوب ، فلابد وأن الآخر بدون ممرضين !

ـ هل معكم خطابات تحويل من المستشفى الأميرى ؟

ـ اى تحويل ياعم ؟ . . الساعة الآن الثالثة صباحا !!

ـ لابد من تحويل من المستشفى الأميرى .

ابتسمنا وعيوننا تلعق القائمة التى تعلن عن أسعار الكشف والعلاج بالمبرة ، جميل أن تحولك المستشفى لتعالج عل نفقتك في المبرة . .

ياعم لن نناقشك فيما تقول ، فقد أخطأنا اذ انتزعناك من نومك العميق ، نعرف أن التفاهم مع النائمين ضرب من العبث ، ولذلك فإن جميع أصحاب المصالح في مصر يتعبون . . . هل يتسع صدرك لنحكى لك حكاية «بعد النوم»؟! صديقنا هذا جرح في يده منذ يومين ، قابل الأمر باستهانة ، اليوم فوجىء بدرجة حرارته ترتفع ، بدأ الألم خفيفا في الساعة الواحدة صباحا ، كان الألم قد بلغ عنفوانه ، صديقنا لا يتحمل الألم ولا يجد النوم ، فهل نجد ممرضة مادام الطبيب غير موجود لتعطيه حقنة مهدئة ، لينام على الأقل حتى الصباح ؟ فكر الحاكم بأمره ودبَّر . . هز رأسه ، ونفض بعضا من آثار النوم ونطق :

ـ ومن أين الحقنة ؟

وتلك حكاية أخرى . . انتزعنى أحدهم من النقابة وأخبرنى بما يعانيه زميل ، كلماته سريعة وجمله متلاحقة وذات رنين مُبالِغ ، يخيل اليك فور سماعه أنه قد وقعت مأساة أو حلت مصيبة ، تحدثنا عن التسمم وعن كرات الدم البيضاء وهزيمتها أمام الميكروبات ، الخوف يصنع للكرات البيضاء نكسة ، فلنبحث عن طبيب ، لايوجد طبيب في عيادته الآن ، والصيدلى يمكنه أن يقوم بهذه الخدمة .

في مدينتنا الصغيرة صيدلية خدمة ليلية ، سوف أتصل بالصيدلي هاتفيا وأشرح له الحالة ، وقد أطلب قدومه ، الهاتف في مبنى نادى النقابة القريب ، سوف نتحدث من هناك .

فشلت المحاولة ، اللجنة النقابية الموقرة قررت أن تقفل الهاتف ، وأن تعهد بالمفتاح الى أحد سكرتيريها ، لأن الأعضاء يسرفون في استخدام الهاتف ، المكالمات الزائدة تحتاج الى مال والنقابة فقيرة ، الخوف من الدفع يستوجب التضييق ، وحامل المفتاح غير موجود ، الحمد لله ، الحالة غير مستعجلة ، بيننا وبين الصيدلية ميل واحد . . فقط ؟ . . . . مشوار صغير ! . لم نجد الصيدلى ، ووجدنا صبيا هناك ، اشترينا حقنتى نوفالجين من باب الاحتياط .

ـ وأين الحقنة ؟

في مستشفى نحن ولسنا في خمارة ، توهمت كلماتى وقد خرجت غاضبة تصفعه لعله يفيق ! لكننى استدركت . . وفي سرعة خاطفة ابتلعت تصوراتى الغاضبة ، انتبه « سيادته » قليلا ، ربما لأنه لمح تساؤ لا مهذبا مستخذيا في عيوننا ، هرش فروة رأسه المغطاة بشعره الفوضوى ، قال ان الممرضة موجودة بالدور العلوى ، وعلينا أن نطلبها من الباب الرئيسى .

عدنا الى المدخل الرئيسى ، الحاجة تدفعنا وتقودنا ، الحديث خامل ، لكن مصمصة الشِّفاه أنشط ما تكون ، أصابعنا تنقر الزجاج في تردد ، عيوننا تطل من خلاله وفيها توقع رهيب ، حارس الباب يتفضل بالقدوم ، يجر خطواته ، وعيونه اللامعة تسبقه ، يده الغاضبة تفتح (الشراعة) لسانه الحانق يصفعنا .

ـ قلنا من الاستقبال « يابك » . . !

الألقاب التى تخلعها علىَّ تغرقنى في بحر من الخجل لاقرار له !

أرجوك لا داعى لهذا التوقير الناقم ولنكن عمليين .

كلماتى تتملق تفكيره الفظ ، وأنا أنقل اليه مادار بيننا وبين زميله في قسم الاستقبال ، أكد أن زميله مخطىء ، وأن الصواب ما يقوله هو ، في الليل يمتزج الصواب والخطأ على مايبدو ، يتداخلان حتى في النهار ، ويصعب التمييز بينهما .

عندما طلبنا منه أن يرجو الممرضة أن تتكرم فتحدثنا لنتفاهم معها قال انه لايستطيع ، عندما ألححنا وَعَدَنَا أن يرسلنا اليها اذا عدنا الى « الاستقبال » . . . . تعلمت في هذه الليلة لماذا تروج

تجارة الصبر في بلادنا ، ولماذا تبدأ أغانينا بالصرخة المستنجدة « ياليل » لتنتهى بآهة العين ؟ . . مهما كابدنا من سخافاتكم فلن نغضب ولن نغضبكم ، نحن أحوج اليكم من أن نغضب ، وأضعف من أن نتحمل آثار غضبكم ، نحن من هذه اليد الى تلك ، مادمتم أنتم مديرو المبرة وحراسها !

طرقنا باب قسم « الاستقبال » من جديد ، فتح الباب في هذه المرة وفي سرعة ، خلف الباب وعلى « دكة » كان العامل جالسا ، فتح محضر التحقيق الجديد وهو متكوم في علياته ، نقلنا اليه رأى « امبراطور » المدخل الرئيسى ، فلعنه ، قفز الى الأرض ، وتحرك أمامنا بطريقة غير منطقية .

ـ انتم لاتصدقون . . أمامكم كل الحجرات . . لا أحد هنا .

أكدنا له في نفاق صريح أننا نثق في قوله ، وقال توددنا المداهن أننا نطمع في انسانيته ، ولما تأخرت الممرضة قدمنا اليه التماسا شفويا أن يتعجلها ، يطفو على وجهه تردد مذعور ، لديك الهاتف يارجل فهل تخطىء لو طلبتها لنا ؟ أكد لنا أنها سوف تأتى بعد قليل طبقا لوعد زميله ، مضى القليل والكثير ولم تظهر ، عندما سألناه عما اذا كانت تغضب عليه ان طلبها انتفشت رجولته ، في عملية دفاع مضاد مكشوف ، ورفع سماعة الهاتف ، كان صوته خشنا وقاطعا حتى ردت عليه ، فاضطربت النبرات وتبعثرت الكلمات ، أصابتك حمى أيها المسكين فاصمد . . . . عندما ظهرت على السلم تأخر هو في تخاذل جبان ، وتقدمنا نحن .

تخطتنا نظراتها في لامبالاة وحشية ، نال لسانها العامل في تقريع يحاول التخفى ، لكنه لا يتقن التنكر .

ـ خير « ياسي » محمد . . طاباتك ؟

انقلب الأسد الى أرنب ، يبلع الجبار ريقه ، يهز رأسه وينشط لسانه في حلقه لكنه لا ينطق ، انتظارها المتحفز يتربص بكلماته ، عبثت أصابعه بجانب وجهه ، لم يفتح الله عليه بغير كلمة « الأفندية » خرجت من بين شفتيه مرتعشة ومبتورة ، أطلقته من أسر نظراتها والتفتت الى « الأفندية » قذفتنا « بزخة » من النظرات السريعة المتحجرة ، دست يديها في جيوب معطفها الأبيض ، هزت رأسها متسائلة ، زحفت خطواتنا نحوها ، وبدأنا نحكى حكايتنا من جديد ، تحدثنا عن حالة صديقنا وعن حاجته ، استدارت برأسها الى الخلف ، وعلقت عينيها بالسقف ، عندما عادت بناظريها الينا ، لابد وأنها لمحت قائمة أسعار الكشف والعلاج المعلقة وراءنا . سألتنا في غباء مهمل أو اهمال غبى .

ـ وطلبات سيادتكم ؟

عدنا نحكى عن جرح « أبو زيد » تحدثنا عن أملنا فيها وعن انسانيتها المرتقبة ، تملقت عيوننا جمالها الهزيل ، وتوددت كلماتنا الى رقتها المكذوبة التى صنعتها جملنا ، عندما خَفَتَ القبح الحاد في نظراتها تطاولت ألسنتنا .

ـ هل يوجد طبيب مناوب ؟

ردت علينا بالايجاب ، اشتد « ضرب الجرح » علينا ، حاصرت نظراتها الناقمة عامل الاستقبال ، لم يتأثر الرجل ولم يهتز ، يبدو أنه قد مارس هذا السلوك المهنى حتى أصبح الكذب لديه عادة ، عجزت النظرات أن تزحزحه عن ثباته ، عادت الى الممرضة وألسنتنا تسبقها .

ـ هل من الممكن أن نقابله من باب الاطمئنان ؟

اكتست ملامحها باهتمام مفاجىء ، أخرجت يديها المتكبرتين من جيوب المعطف الأبيض ، طرقعت أصابعها في عصبية وانسحة ، أنتِ أمام اختيار صعب على مايبدو . . . .

ـ الدكتور ؟ ! . . . . . لأ . . . . لأ

عدنا نحكى عن درجة الحرارة المرتفعة ، نخاف من تأثير الحقن على المريض ، عندما تحدثنا عن « الحساسية » سخرت من السادة الأطباء الواقفين أمامها ، قلنا اننا لا نملك علم الأطباء ، ولكن لدينا حرص البشر ، ذكرنا « المسئولية » وأضفنا أن الاحتياط واجب ، وإلا . . . .

جمعت شجاعتها ووجهت حديثها الى العامل في كبرياء متهافت .

ـ اطلب الدكتور بالتليفون يامحمد

انتفض المسكين ، لدغته المفاجأة ، رفع كفيه المنبسطتين الى مستوى رأسه في احتجاج ذليل ، يطلب اعفاءه من الورطة التى يُدفع اليها ، زعق في جبن غوغائى .

ـ اطلبيه أنت . . انه نائم . . . لا شأن لى ! □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

بنوك .. عابرة القارات

قبل النقود .. كانت هناك الانشطة الاقتصادية وانتاج السلع .. وعندما نشط التبادل وابتعدت المسافات واختلطت المجتمعات كان لا بد من اختفاء المقايضة وظهور وسيط اطلقنا عليه اسم : النقود .

وقد تطورت النقود ايضا من المعدن النفيس الى الاوراق التى تحمل ضمان الدولة والتى تحمل معها « قيم الاشياء » .. وعندما اتسع النشاط اصبحت النقود ايضا مشكلة واصبح نشوء مؤسسة مالية نطلق عليها اسم « البنك » امرا ضروريا .

ومع الوقت .. لم تعد البنوك مجرد مخزن للنقود ، لكنها اصبحت صانعة للنقود ومحركة لها ودافعة للنمو من خلالها .

عند العرب : البنوك صناعة غربية والغزو الاستعمارى للمنطقة العربية ـ أو اجزاء منها ـ فى القرن التاسع عشر كان مصحوبا بغزو مالى .. فمع الجيوش أو قبلها تحركت البنوك واستقرت وامتلكت وتحكمت .

فى مصر .. على سبيل المثال .. جاءت البنوك الاوروبية لتملك الأرض والقطن .. ولتسيطر على نشاط الفلاح وتساند التاجر الاوروبى ، وفى اكثر من بلد عربى كان النموذج يتكرر .. البنك قادم من الشمال ورجال من « الاغراب » ، فاذا لم يحملوا جنسيات الدرجة الاولى فى ذلك البلد واذا لم ينتموا لبريطانيا او فرنسا أو بلجيكا .. انتموا لجنسيات اوروبية أخرى وجنسيات من البحر الابيض .

فى ذلك الوقت ، وحتى منتصف هذا القرن لم تكتف البنوك الاجنبية بالسيطرة على النشاط الاقتصادى بل كانت تقطع جزءا من مهام السيادة وهى : اصدار النقد الذى تم تنظيمه فيما بعد فى البنوك المركزية العربية .. بنوك الدولة ..

لذا ، عندما نزعت الدول العربية حق امتلاك بنوكها المركزية وبنوكها التجارية المحلية .. كان ذلك بمثابة معركة وطنية كبرى تدخلت فيها السياسة ، وتدخل فيها المال ، وتدخلت قرارات التأميم والتعريب فى بعض الاحيان ..

و .. خلال فترة وجيزة اصبحت هناك حياة مصرفية عربية .

السبعينيات شىء آخر . انها مرحلة جديدة اطلق عليها البعض اسم « الحقبة النفطية » نظرا لأن النفط قد أدى دورا اساسيا فيها .

فى هذه الحقبة حدثت حركة عكسية .

كانت البنوك الاجنبية تأتى الينا .. فأصبحنا نذهب الى دارها وننشىء بنوكنا هناك .. وكانت تتحكم فى اقتصادياتنا ، فأصبحت هذه الاقتصاديات قادرة على ان تفرز بنوكها « عابرة القارة ...... متعددة الانشطة متزايدة الحجم » .

ذهبنا احيانا مع شركاء غربيين .. وذهبنا احيانا بمفردنا ، انطلقنا من دول نفطية (كدول الخليج) .. وانطلقنا من دول غير نفطية (كمصر) .. حملنا احيانا راية العروبة ، وحملنا احيانا راية الاسلام .

فى آخر تقرير عن التنمية فى العالم اصدره البنك

الدولى ان هناك (١٦٧) بنكا عربيا تنتشر فى ست عواصم رئيسية . . .

٦٠ فى لندن

و ٣٩ فى باريس

و ١٩ بنكا فى كل من نيويورك وسنغافورة

و ١٥ بنكا فى كل من سويسرا وهونج كونج .

وقد كانت أوروبا هى المحطة الاولى حيث جذبت لندن البنوك ، ودخلت وجذبت باريس البنوك اللبنانية والمصرية والخليجية ، ودخلت لكسمبورج والولايات المتحدة الامريكية الحلبة . . ثم . . جاءت العواصم الآسيوية وبخاصة هونج كونج وسنغافورة .

وقد اختلفت طبيعة التكوين ، فالبعض قد نشأ برأسمال حكومى . . والبعض برءوس اموال فردية . . وفى الحالتين كان الهدف . . ان يشارك المصرف العربى فى « تدوير » الاموال العربية واستثمارها .

كانت البداية عندما عجزت القدرة الاستيعابية للاسواق العربية النفطية عن توظيف كل العوائد التى اتى بها النفط . . حينذاك اتجهت الاموال لتتحول الى ودائع فى البنوك الاوروبية والامريكية أو لتشترى اسهما وسندات وتدخل مجال الاستثمار المباشر ولكن . .

ورغم تقدم الحياة الاقتصادية والمصرفية الغربية فقد كان هناك خطر دائم اسمه : التضخم وانخفاض قيمة النقود . . وكان هناك خطر آخر ، وهو الا يتحول العربى من النشاط المالى الى النشاط الاقتصادى الاوسع ، وان تظل علاقته بالحياة الاقتصادية « دفتر شيكات » . . لذا عندما قامت البنوك فى الخارج خلال السبعينيات ، وعندما انضمت لها بنوك اسلامية فى اواخر تلك الحقبة واوائل الثمانينيات واجهت هذه البنوك الخطرين المحدقين بالمال العربى . . أو أسهمت فى ذلك على الاقل .

اصبح العربى مستثمرا . . واصبح البنك العربى معترفا به فى الحياة الاقتصادية الدولية . . ولفت النظر ، حتى انعقدت ندوات دولية حول نشوء بنوك اسلامية ، وجزء كبير منها عربى النشأة . . وكلها ـ دون استثناء ـ تخرق القاعدة المصرفية الاساسية وهى العمل وفق نظام الفوائد . . ووفق تقرير اقتصادى اخيرا بأن بنكا واحدا من البنوك الاسلامية لم يتعرض للافلاس . . رغم ان مهمته تبدو اصعب من البنك العادى فهو اكثر اندماجا فى الحياة الاقتصادية ، وهو يشارك الآخرين فى اتخاذ القرارات الاستثمارية ولا يكتفى بمهمة استقبال النقود واقتراضها .

انتشر النمطان : العربى والاسلامى وبلغ عدد البنوك الاسلامية فى اواخر ١٩٨٥ : اربعين بنكا فى ربوع العالم . .

وبلغت ودائعها عشرة مليارات من الدولارات . . كما بلغ حجم نشاطها طبقا لمؤتمر البنوك الاسلامية والغربية الذى عقد اخيرا ـ ثلاثين مليارا من الدولارات الامريكية . . كما بلغ عدد الشركات التى أسهمت البنوك الاسلامية فى انشائها (٤٠٠) شركة .

السؤال الرئيسى والحديث عن البنوك العربية ـ أساسا ـ هل تحقق لهذه البنوك كيان محسوس به ؟ . . وما هو الاتجاه الرئيسى لنشاطها : الشمال او الجنوب . . الدول الصناعية أو الدول النامية ؟

تقرير البنك الدولى ـ السابق الاشارة اليه ـ يجيب عن السؤال بمجموعة كبيرة من الاحصاءات اهمها ان البنوك العربية كانت تسهم عام ١٩٧٧ فى سوق العملات الاوروبية بنسبة محدودة من اجمالى الاقتراض فى هذه السوق لم تتعد (٢,٩) بالمائة . . ولكن . . عندما جاء عام ١٩٨٣ اصبح الاسهام بنسبة (١١,٥) بالمائة . . وكان المتوسط لاعوام ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ : (١١) بالمائة تمثلت فى قروض مباشرة أو اتحادات مالية قادها العرب ، وبالارقام بلغ حجم الاقراض الذى قادته البنوك العربية العاملة فى النطاق الاوروبى : (٣٧) مليارا من الدولارات فى خمس سنوات تمتد من عام ١٩٨٠ الى عام ١٩٨٤ .

الاهم ان البنوك العربية قد وجهت ربع قروضها للبلدان الصناعية بينما وجهت الجزء الاكبر من الاقراض للدول النامية .

لذا ، عندما يقول الاوروبيون إن البنوك العربية كانت حلقة رئيسية فى تعاون « الجنوب ـ الجنوب » فان القول صحيح وتثبته الأرقام .

وفى كل الاحوال فإنه يمكن القول ان البنوك العربية عابرة القارات . . أو التى تعمل عبر الحدود . . اصبحت من الحقائق الاقتصادية الجديدة . . فى الوطن العربى وفى المجتمع الاقتصادى الدولى .

الأيامُ الأخيرة للسلطان عبد الحميد

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

ثار حوله الخلاف ، وألقيت فوق رأسه الاتهامات .. ولم يتفق أحد هل كان رفضه لعرض هرتزل من قبيل الدفاع عن العروبة والاسلام ، أم لدواعى الحفاظ على مملكته عن أيامه الأخيرة نعرض هذا المقال الذى ينقل لنا صورة عايشتها ابنته وقدمتها من وجهة نظرها فى كتاب .

« انصحوا الدكتور هرتزل بالا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، انى لا استطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبي ، لقد قاتل شعبي في سبيل هـذه الأرض ورواها بـدمه ، فليحتفظ اليهـود بملايينهم .

اذا مزقت امبراطوريتى فربما يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزق أولا في جثتنا ، وأنا لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » .

هذا ما قاله السلطان عبدالحميد الثاني لمن أرسلهم اليه زعيم الصهيونية تيودور هرتزل ليبلغوه اليه ، حين عرض على السلطان أن يشترى اليهود قطعة من أرض فلسطين ليتوطنوا فيها ، مقابل تسديد ديونه للدول الأوروبية ، فرفض السلطان ، وكانت نهايته أن خلع عن عرشه . فهل كان خلعه عن العرش ثمنا لهذا الرفض ؟ أم كان نتيجة صراعات القوة والحكم داخل المجتمع ؟ أم لتجاوزات الادارة والسياسة ؟

ماذا تقول الوثائق العثمانية في ذلك ؟
وكيف قضى السلطان عبدالحميد الثاني سنوات سجنه التسع في المنفى ؟

صدر أخيرا كتاب عنوانه « والدى السلطان عبدالحميد » لابنته عائشة.وهو ما يعنينا هنا ويحكى عن أيام السلطان الأخيرة ؟

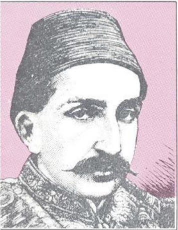
وعائشة هذه غُرِّبَتْ منفية عن وطنها مدة ثمان وعشرين سنة ، لاقت خلالها الأهوال ، مات زوجها فى المنفى ، وحارت في تربية اطفالها، عمر وعثمان و عبدالحميد ، رسمت اللوحات الفنية وخطت عبارة « ان الله مع الصابرين » ونزلت الى شوارع باريس تبيع اللوحات بالفرنكات القليلة التى انفقتها على أولادها ، وكانت قمة مأساتها فى ابنها عبدالحميد الذى عاش مشلولا ، فلم تجد له ثمن الدواء ، هل تتصور ان ابنة خليفة المسلمين وسلطان أعظم امبراطورية ، تقف عاجزة مشلولة أمام مصيبتها فى ابنها ، ومع ذلك فإنها فى كتابها تسجل تلك اللحظات التى عاشتها مع والدها أسيرة فى سلانيك ، ثم فى قصر بيلربى فى استانبول ، وتصور لحظات انتقال والدها الى الرفيق الأعلى .

ورغم معاناتها وتنكر الجميع لها ، فإنها تختم مقدمة كتابها بعبارتها العطوفة : « **ان أعظم دَيْن فى عنقى وأقدسه ، هو الدعاء لامتى ووطنى بالسعادة والخلود ، حتى نفسى الأخير ، حفظ الله الامة التركية** » .

هل لنا فى تقليب صفحات المذكرات ، ففيها صور رائعة لصمود أبطال هذه الأمة .

الحياة الشخصية للسلطان

تسجل عائشة عادات والدها وطباعه وملابسه وطعامه واحتفالاته ، وتصف الأعمال التى اعتاد القيام بها منذ نهوضه المبكر قبل طلوع الشمس ، حتى دخول سراى الحريم ، وتذهب عائشة الى أن أهم الوسائل لتسلية السلطان وتمضية وقت فراغه ، كان فى سماعه للموسيقا والاشتغال فى ورشة نجارته ، فعبد الحميد عرف بكونه نجارا بارعا يصنع الدواليب لغرفته ، حتى منضدة قراءته ومكتبه وكرسيه كلها من صناعة يده ، وما زالت تلك التحف الفنية محفوظة فى



السلطان عبدالحميد

قاعة خاصة بها ، ملحقة بمكتبة جامعة استانبول ـ رأيتها بنفسى ـ وشدنى الصنع الدقيق والزخرف الأخاذ ، والمستوى الفنى العالى ، والذوق الرفيع الذى يضفى ضوءا على شخصية السلطان الرقيقة ، واحساسه الدفاق بالنعومة .

حوادث وقعت للسلطان

يوم ٢١ يوليو ١٩٠٥ م القى الأرمنى « ادوارد جوريه » قنبلة على موكب السلطان ، بينما كان فى طريقه لأداء صلاة الجمعة ، وقد قتل من جراء ذلك قرابة ثمانين نفرا من العساكر السلطانية ، ولما كانت عائشة برفقة والدها فى عربة مستقلة ، وشهدت الحادثة ، فقد وصفتها فى مذكراتها فقالت: **وأخرجوا الخيول ، واصطفت العربات ، وعزف النفير استعدادا للمسير ، وكان كنعان باشا أحد**

« الياوران » يقف عند مصطبة الركوب ، وفى أثناء ذلك سُمع دوي مخيفٌ مثل المدفع ، باتجاه برج الساعة ، وغطى الدخان عنان السماء ، وتساقطت الأحجار على رؤوسنا ، وفى تلك اللحظة رأيت والدى يقف على السلم ، وصرخ بصوته الجهورى : « لاتخافوا.. لاتخافوا ، فليبق كل واحد مكانه » . ثم أخذ السلطان لجام عربته وقادها الى مكان الصلاة . وبعد انتهاء الصلاة عاد الى القصر ، وخاطب رعيته بقوله : « لسوف أظل حزينا على القتلى الى الأبد ، وأعرب من صميم قلبى عن امتنانى للعواطف الرقيقة التى ابدتها الرعية تجاهى ، وادعو الله أن يصون رعيتى من المصائب والكوارث »

أما « ادوارد جوريه » الأرمنى فقد سجن فترة محدودة ، ثم أصدر السلطان عفوه عنه ، بل سمح له بالعودة الى بلاده ، وطويت صفحة القنبلة .

حادثة ٣١ مارس ١٩٠٩ م

اشتد الصراع بين جماعة « الاتحاد والترقى » وانصار الدستور الذى أعلنه السلطان ، فقامت حامية الأستانة بتشجيع من أركان الرأى ولخصوا مطالبهم بما يلى :

- احياء الشريعة .
- عزل الصدر الاعظم وناظرى الحربية والبحرية .
- طرد أحمد رضا بك ، وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمى بك ، وطلعت بك ، واسماعيل حقى .
- عزل محمود باشا لأنه لم يشترك معهم .
- العفو عنهم .

وتحركت حامية الروم آيلى لحماية الدستور ومجلس المبعوثان ، ثم حاصر الجيش الاستانة ، وأرسلت الوفود لكبح جماح المتمردين ، غير أن حامية من الجيش بقيادة محمود شوكت باشا أحكمت حصارها لقصر يلدز ، وحدثت هناك أمور ، أوردتها عائشة بدقة متناهية ، قالت :

بدأ الاضطراب يسود السراى منتصف الليل ، العسكر يحاصرون القصر وطلقات المدافع تدوى فى جنباته ، وحاول السلطان معرفة مايجرى ، تحدث مع الباش كاتب ومع رضا بك ، استقال الصدر الأعظم حسين حلمى باشا ، تمرد طابور القناصة فى « طاش قشلة » ، وعين توفيق باشا للصدارة العظمى ، فأرسل السلطان عبدالحميد جواد بك ينصح المتمردين بالتعقل ، ولكن دون جدوى ثم سير لهم أدهم باشا ـ ناظر الخارجية ـ مرة أخرى ، وتسارعت الأحداث وطلب توفيق باشا اعفاءه ، وجاء المتمردون يقودون علي قبول بك،وامام السلطان قتلوه ، وأحكمت القوات الحصار على القصر ، ولكن قبيل ذلك جاء الباشوات يعرضون على السلطان الاحتكام للسلاح لحسم الموقف ، ولم يقبل عبدالحميد ، بل كان جوابه لهم :

« من أجل فرد يجب الا تراق الدماء ويقتل الأخ أخاه اجمعوا السلاح من الحرس الخصوصى ، ولا تطلقوا النيران ، لا أقبل أن يخدش أحد ، ولا أن تسيل قطرة دم من أنف أى جندى ، اتركوا المتمردين وليفعلوا ما يشاؤون » .

وفد خلع السلطان

دوت مدافع اعتلاء السلطان الجديد ، وجاءت ساعة الخلع . أرسل وفد ضم (ايمانويل قراصو اليهودى الأرمنى ، وأسعد طوبطانى ، وعارف حكمت) وحمل الوفد قرار المجلس الوطنى بخلع السلطان ، تتذكر عائشة تلك الساعات الرهيبة ، وتسجل كلمات والدها حينئذ ، تقول : **« حلت الساعة المنتظرة ، كنا نبكى ونولول ، أما والدى فكان يردد « الحكم يومئذ لله » وفى تلك اللحظة ظهر** جوهر أغا من الباب ، قال : ان الباش كاتب جواد بك يريد رؤ ية أفندينا ، وعندها أشار والدى بحضوره ، وأمرنا ان ننتقل الى القاعة الصغرى ، ودخل جواد ، وأبلغ ان هيئة من المجلس الوطنى وصلت ودخلت الزمرة ، وهم ارناؤوط أسعد طوبطانى ، وعارف حكمت والأرمنى آرام افندى ، واليهودى قراصو أفندى .

ووجه أسعد طوبطانى كلامه للسلطان قائلا « لقد عزلتك الأمة . . ورد السلطان : « بل ، اعتقد انكم تريدون القول ، انها خلعتنى ، حسن ، ما هو الدليل الشرعى الذى استندتم عليه »

وهنا أخرج عارف حكمت ورقة وقرأها على مسامع السلطان ، وهى فتوى صادرة من شيخ

الاسلام ، وجاء بها « اذا اعتاد زيد الذى وهو إمام المسلمين، وأن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية ، وأن يمنع بعض هذه الكتب ، ويمزق بعضها ويحرق بعضها وان . . وهنا صاح السلطان :

« حسبنا الله . . أى كتب أحرقت ، حسبى الله ونعم الوكيل » .

ودون اكتراث واصل عارف حكمت تلاوة الفتوى « وان يبذر ويسرف فى بيت المال ، ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعى ، وأن يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم ويغربهم بغير سبب شرعى ، وسائر أنواع المظالم ، ثم ادعى انه تاب وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ، ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة ، وأصر على المقاتلة ، وتمكن مَنْعَةُ المسلمين من ازالة تغلب زيد المذكور ، ووردت أخبار متوالية من جوانب المسلمين انهم يعتبرونه مخلوعا ، وأصبح بقاؤه محقق الضرر ، وزواله محتمل الصلاح ، فهل يجب أحد الأمرين ، خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الامامة والسلطنة ، على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد ، وأولو الأمر من هذين الوجهين ؟

الجواب :

يجب

كتبه الفقير السيد / محمد ضياء الدين عفى عنه

وهنا سأل السلطان . من هو رئيس المجلس الوطنى الذى تبنى الفتوى ؟ فقيل له : « سعيد باشا » (قال والدى : « لقد عملت ثلاثة وثلاثين عاما من أجل الأمة والدولة ، من أجل سلامة البلاد ، وخدمت قدر طاقتى ، انى حاكم يحاكمنى الله ورسوله ، انى أسلم البلاد بمثل ماوجدتها عليه ، ولم افرط أبدا فى شبر من أرضها لأحد ، واترك لله وحده عز وجل أمر تقدير خدماتى ، وما حيلتى ان شاء اعدائى اسدال ستار أسود على كل خدماتى » ثم قال بصوت مرتفع : « هزم الله أعدائى » .

وطلب الى عارف حكمت ابلاغ المسئولين وأخيه رغبته فى تمضية بقية أيامه فى قصر جراغان مع العبادة فقط » .

هل لى ان اتدخل فى المذكرات ، وأوضح للقارىء حقيقة اعضاء الوفد ، فقد آثرت عائشة أن تترك أمرهم لله وللمنصفين من أبناء أمتنا الاسلامية والعربية .

ايمانويل قراصو : محام يهودى من أصل اسبانى ، من قادة الاتحاد والترقى ، والمسئول عن التعبئة والتنظيم فى الجمعية ، لعب دورا بارزا فى تسهيل احتلال ليبيا من قبل ايطاليا ، نظير مبلغ من المال ، وحين كشف أمره ولى هاربا الى ايطاليا ، ومنح الجنسية الايطالية ، وكان ذا مرتبة متقدمة فى الماسونية ، حيث نال درجة الأستاذ الاعظم لمحفل مقدونيا ريزولتا الماسونى ، وبقى فى تريستا حتى هلك سنة ١٩٣٤ م .

ـ آرام الأرمنى : العضو فى مجلس الأعيان ، وجرى اختياره ايحاء للأرمن بأن عبدالحميد كان سبب شقائهم ، وهو قد خلع،واعترافا بمساعداتهم العسكرية والمالية للاتحاد والترقى ، فقد اختير ممثلهم ليشهد ساعة الانتقام .

ـ أسعد طوبطانى : الألبانى الأصل ـ نائب عن منطقة دراج ـ للسلطان عبدالحميد عليه أياد بيضاء . ويبدو أنه كان عين الاتحاد والترقى داخل السراى ، فاختياره فيه إيحاء للسلطان بان أقرب المقربين اليه لايقبلون به سلطانا .

ـ عارف حكمت : فريق بحرى وعضو مجلس الأعيان ، ربيب أغا البنات عبدالغنى ، وهو ناكر لجميل السلطان الذى رقاه الى رتبة فريق ، ومشاركته فى الوفد لابلاغ السلطان رسالة خاصة ، وهى أن قوات البحرية هى الأخرى تخلت عنه .

واسدل الستار على حياة السلطان العلنية ، لتبدأ حياته فى ظلام السجن ، فنقلوه الى سلانيك ـ مركز نفوذ اليهود ، وحبسوه فى قصر علاتينى ، ومارسوا عليه ألوانا من العذاب النفسى ، منعوه من النظر الى حديقة القصر ، حرموا زوجته وأولاده من الاقتراب من النوافذ ، خلا يوم سمحوا لهم برفع الستائر ، وكان ذلك يوم أقيمت حفلة على شرف ساندايسكى

« عدو السلطان اللدود » ثم استولوا على كل أمواله ماكان منها مودعا فى البنوك الألمانية ، ووافق السلطان أن يتنازل عن كل درهم له شريطة أن :

- يسمح لابنه عبدالرحيم بمواصلة دراسته فى استانبول .
- يسمح لبناته بالعودة الى استانبول ليتزوجن .
- منح الحرية لخدمة القصر .
- يخصص له ولعائلته وأولاده وخدمه ووصيفات عائلته مبلغ يكفيهم .
- يتركوه فى راحة ، وعدم الاستمرار فى تعذيبه نفسيا ، ويتكفل الجيش بحمايته .

ووافق قادة الجيش ، وأخذت كل أمواله وخصص له مبلغ ألف ليرة فقط ليعيش منها هو ومن رغب فى البقاء عنده .

ولكن . . . . هل التزموا بذلك

تروى عائشة قصة اليوزباشى سالم الكردى الذى شاهد السلطان ذات يوم يتنسم الهواء فى شرفة القصر ، فما كان منه الا أن اطلق النار عليه ، وكان ان انفجرت الطلقة قرب السلطان ، ولاحق السلطان الرامى بنظره ، وعرف أنه سالم الذى التحق بالحرس بتزكية عصمت باشا له ، وترقى حتى وصل رتبة اليوزباشية . عندها طلب السطان رئيس الحرس راسم بك ، وأبلغه السلطان بالحادث ، وأشار الى فارغ ظرف الطلقة ، فما كان من راسم الا أن أخذ الطلقة الفارغة ووضعها فى جيبه ووعد السلطان خيرا . ولما سئل سالم الكردى عن سبب اطلاقه النار على عبدالحميد ، اجاب : « بأنه كان يرغب فى الخلاص منه ، لان من يقتل عبدالحميد سينال الحظوة عند الاتحاديين .

وزادت عذابات السلطان فى القصر ، حتى نقلوه الى استانبول عند بدء الحرب العالمية الأولى ، وسجن فى قصر بيلربى ، منع الاتصال به ، حجبوا أولاده عنه ، أخضعوه لرقابة شديدة ، وتروى عائشة انها كانت تنظر الى والدها بمنظار حصلت عليه بعد اللتيا والتى ، وأخيرا سمح للسلطان أن يلتقى بأفراد عائلته : بناته وأولاده وأحفاده مرة فى كل عام فى عيد الأضحى من الساعة الواحدة حتى الساعة الرابعة ، هل انقل لكم مشاعر الفرحة غداة أول لقاء أم أصف حرارة الدمع عند الفراق ، ولكن سأصور ذلك بكلمات حية .

الساعات الأخيرة للسلطان

اشتد بعبد الحميد المرض ، ووصل الأطباء لعلاجه ، ورفض فى البداية ، وحين أبلغوه أن أخاه السلطان سيغضب عليه ، سمح لهم بالكشف عليه ، وكانوا . . . . مختار بك ، ورفعت بك السلانيكى ، وعاطف بك ، والكيسانديس افندى ، كان يشكو من اختناق وصعوبة فى التنفس ، أعطوه دما وحقنوه بالميروفين المهدىء ، واذ خرج الأطباء من عنده ، تخلف راسم بك ، ومد يده الى السلطان وفاضت عيناه بالدمع وقال : سامحنى ياسلطانى ، فلقد اسأت اليك ، وليغفر لى الله » وهنا نظر السلطان الى زوجته وقال ان راسم قطع أمله من حياتنا ، وأضاف « لقد أسدلوا ستارة سوداء على كل خدماتى ، ليس لى حق عند أحد لأطلبه » وترقرق الدمع فى عينيه ، اما زوجته الصابرة فقد واسته وشدت من عزيمته ، حتى اذا أيقن ساجنوه أن ساعته قربت ، سمحوا لأولاده وبناته أن يسارعوا لزيارته ، وحين انتظم عقد أولاده ، طلب فنجانا من القهوة ، ونهض من فراشه ورشف الرشفة الأولى من الفنجان . وقبل أن يرشف الثانية كان قد سقط على ذراع زوجته ، وعلا البكاء فى القصر ، ودوت الصرخات فى جوانب القاعات ، وتردد الصدى الحزين فى الممرات ، وهنا سجي الجسد على فراشه ، ودخل ضباط الحرس فقدموا له التحية الأخيرة ، وبهذه الصورة ارتحل السلطان الى جوار ربه فى ١٠ فبراير ١٩١٨ م .

ومضى السلطان عبدالحميد الى الفردوس الأعلى ، وهلك الذين تآمروا عليه ، قالوا عنه : المستبد والظالم والمتجسس ، بل وصفوه بأنه السلطان الأحمر . وبقيت الحقيقة التى مازال الخلاف حولها : . . قد يختلف البعض أو يتفق . . ولكنها تظل فى النهاية صورة انسانية قريبة من سلطان المسلمين الذى كان . □

قضية

التعليم المستمر والجامعات العربية

بقلم : الدكتور سعد الحاج بكري

هل تساهم الجامعات العربية في تطوير التعليم المستمر . . . ؟
وكيف تواجه الجامعات والمؤسسات في مختلف أنحاء العالم ذلك النوع من التعليم . . . ؟
وماذا عن المستقبل بشأنه ؟ قضيه يطرحها د . سعد الحاج بكري .

كثيرا مانسمع في المناقشات تساؤلات حول مايقصد بالانسان المتعلم ، وما يقصد بالانسان المثقف ،ونسمع اجابات عن هذه التساؤلات المختلفة ، مؤداها أن المتعلم لايصبح مثقفا ما لم يكن - بالاضافة الى علمه في مجال تخصصه - مطلعا على مختلف أنواع المعارف لما لها من تأثير على حياته وحياة بني البشر في كافة المجتمعات الانسانية . اضافة الى ذلك ، ومع التقدم العلمي المتسارع ، بات على المتعلم أن يستمر في تعلمه ، لأن ما تعلمه بالامس لم يعد كافيا أو صالحا اليوم ، كما أصبح على المثقف أن يكون أكثر وعيا لتقدم العلوم لما لها من أثر على حياة كل فرد في كافة المجتمعات .

ونتيجة لهذا التطور العلمي المتسارع ، ظهر تعبير جديد في مجال التعليم هو (التعليم المستمر) . فلم يعد يكفي أن نقول عن شخص انه متعلم لمجرد انه قد حصل مثلا على درجة جامعية في الهندسة أو الطب منذ عدة سنوات ، بل لابد لمن يستحق هذا اللقب أن يكون قد استمر في تحصيل ما استجد في مجال تخصصه خلال السنوات التي مضت على تخرجه . وعلى الرغم من أن كثيرا من الناس يحاولون تعليم أنفسهم من خلال الكتب والمجلات العلمية المتاحة ، نظرا لحاجتهم الماسة الى ذلك في مجال عملهم ، الا أن التعليم المنظم من خلال دورات تدريبية ينظمها وينفذها أساتذة وباحثون متخصصون يبقى الوسيلة التعليمية الفضلى .

التعليم المستمر في عالم اليوم :

اذا كانت الحاجة الى التعليم المستمر قد نشأت نتيجة للتقدم العلمي المتسارع ، فإنه يمكن القول ان

المسؤولين عن تقديم مثل هذا التعليم هم بالدرجة الأولى أولئك الذين يشاركون في دفع عجلة هذا التقدم . وهؤلاء عادة هم الباحثون في مراكز بحوث المؤسسات الصناعية المختلفة ، وأساتذة الجامعات في مختلف أنحاء العالم . فمهمة الباحث أساسا هي التطوير المستمر لعلومه نظريا ومخبريا وعلميا ، ومهمة أستاذ الجامعة هي بالاضافة الى البحث ، التعليم وكذلك تدريب وتوجيه المتفوقين من المتعلمين نحو البحث والتطوير .

وقد اعتمدت المؤسسات والجامعات في أنحاء مختلفة من العالم على هؤلاء الأساتذة والباحثين في تنظيم دورات التعليم المستمر . ففي بريطانيا على سبيل المثال تقيم النقابات المهنية الهندسية دورات سنوية متخصصة للمهندسين تشمل التطورات المستمرة في مختلف مواضيع الهندسة المدنية والميكانيكية والكهربائية والحاسبات . ويجري عقد هذه الدورات عادة في الجامعات البريطانية المختلفة حيث تشرف كل جامعة على مجموعة من الدورات . ولاستغلال كافة امكانات الجامعات في هذه الدورات فإنه يجري عقدها خلال العطل الجامعية ، لتجنب وجود الطلبة النظاميين في الجامعة مع طلبة دورات التعليم المستمر هذه في وقت واحد . ومن هذه الدورات السنوية ، دورة تصميم شبكات الاتصالات التي تعقد في جامعة آستن في برمنغهام ، ودورة استخدام الحاسب في أنظمة التبديل الهاتفي في جامعة أسكس ، وعدد كبير من الدورات الاخرى .

وفي الولايات المتحدة تقيم العديد من الجامعات دورات للتعليم المستمر في مجالات عديدة . وأكثر من ذلك فان بعض الجامعات ، تقوم بحمل برامج التعليم المستمر فيها الى أماكن مختلفة من العالم . ومن أمثلة هذه الدورات دورات التعليم المستمر لجامعة جورج واشنطن التي جرى عقدها في أوقات مختلفة من الخريف الماضي في كل من واشنطن وبرلين ولندن وأمستردام في موضوعات التطورات الحديثة للحاسب والاتصالات والالكترونيات والعلوم الادارية .

وبالاضافة الى ماسبق فإن كثيرا من الشركات العالمية المتخصصة في حقل الحاسب الآلي والتقنيات المتقدمة الأخرى ، تعمل على تنظيم دورات تعليم مستمر لمنتسبيها بالتعاون مع العديد من الجامعات . ومن هذه الشركات ، شركة بل ، وجنرال الكتريك ، وهيلتون باكارد ، وبالولو التو ، وشركات أخرى كثيرة . ومن أبرز الجامعات المتعاونة مع هذه الشركات في تنظيم الدورات ، جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا الأمريكية .

المشكلات القائمة

وعلى الرغم من الاهتمام القائم بالتعليم المستمر في دول العالم المتقدم ، الا أن هذا الاهتمام مازال غير كاف . ففي مؤتمر عقد حول هذا الموضوع في العام الماضي في معهد ماساشوستس التقني الامريكي الشهير ، قدمت بعض الاحصائيات التي تقول ، ان العديد من المهندسين الذين يبلغون ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين عاما ، أي ممن مضى على تخرجهم حوالي خمسة عشر عاما ، يتركون مهنتهم الهندسية الى مهن أخرى ، بسبب عدم متابعتهم للتطورات المستحدثة في تخصصاتهم ، وتفوق المهندسين الأصغر سنا والأحدث تخرجا عليهم . ففي مجال الهندسة الكهربائية مثلا وجد أن عدد المهندسين الذين يتركون مهنتهم سنويا ، أكثر من عشرة آلاف مهندس ، أي ما يعادل خمسة في المئة من مجموع المهندسين الكهربائيين في الولايات المتحدة . ووجد أيضا أن الولايات المتحدة ستعاني من نقص في عدد المهندسين الكهربائيين العاملين عام ١٩٨٥ م يقدر بحوالي مئة ألف مهندس .

ولمعالجة مثل هذه المشاكل ، أوصى مؤتمر ماساشوستس المذكور بضرورة توثيق التعاون بين الشركات والمؤسسات الصناعية من جهة ، والجامعات من جهة أخرى ، من أجل تطوير التعليم الهندسي ، على أن تكون مهمة الجامعات في هذا التعاون هي تنظيم دورات تعليم مستمر للمهندسين العاملين في الشركات ، وتوفير كافة احتياجات هذه الدورات . وعلى أن يكون دور الشركات في هذا المجال هو توفير الدعم المالي لهذه الدورات ، لأنها في النهاية ستعود بالفائدة على مردود عمل متدربي الشركات ، وتؤدي بالتالي الى رفع مقدرتها الانتاجية . وقد قدر أن المدة التدريبية الملائمة في المجال الهندسي ، هي على الأقل خمسة عشر أسبوعا في السنة .

دور الجامعات العربية :

تشهد معظم أقطار الوطن العربي الآن تنمية تقنية متسارعة تأخذ بأحدث ماوصلت اليه التقنيات العالمية . وتحتاج هذه التنمية الى متخصصين عرب تصل خبراتهم الى أحدث ماوصل اليه العلم . ويحتاج هؤلاء الى التعليم المستمر لاطلاعهم على التطورات المتجددة في تخصصاتهم والمحافظة على خبراتهم وارتفاع مردودهم في العمل . وعلى ذلك يمكن القول بأن أهمية التعليم المستمر في الوطن العربي لاتقل عن أهميته في العالم المتقدم ، ان لم تفقها لاننا اذا أردنا اللحاق بمن سبقنا فلابد لنا من أن نكون على استعداد للتفوق في بذل الجهد اللازم .

وقد بدأ العديد من الجامعات العربية ، بعي دوره في مجال التعليم المستمر . وللدلالة على ذلك نطرح بعض الأمثلة . فقد أنشأت جامعة الملك سعود بالرياض في العام الماضي مركزاً لخدمة المجتمع ، تشمل اهتماماته اقامة دورات متخصصة في مختلف المجالات . كما أقامت الكليات المختلفة في هذه الجامعة - قبل انشاء هذا المركز وبعده - دورات متخصصة لمنتسبي الادارات الحكومية والشركات . فعلى سبيل المثال أقام قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك سعود بالرياض أربع دورات تخصصية خلال العامين الماضيين في مجال الحاسب الآلي وهندسة الاتصالات . كذلك أقامت جامعة دمشق بالتعاون مع نقابة المهندسين السوريين عدداً من الدورات في مجال الحاسب الآلي . ونظمت الجامعة الأردنية بالتعاون مع معهد المهندسين الكهربائيين المهني الاردني مؤتمرين خلال ثلاث سنوات حول آخر التطورات العلمية في مجال الهندسة الكهربائية . وهناك أمثلة كثيرة أخرى لا مجال لذكرها هنا .

وجهة نظر :

ولكن هل يكفي ما تقوم به الجامعات العربية اليوم لتحقيق غاية التعليم المستمر وهي أن يكون المتعلم متعلما فعلا في كل ما وصل اليه مجال عمله في أي وقت من الاوقات ؟ في اعتقادي أن الاجابة عن هذا التساؤل ليست بسيطة . فاذا كانت الجامعات العربية مستعدة للعطاء ، فهل تسمح المؤسسات الحكومية ، التي تشكل في الوطن العربي القطاع الأهم للعاملين في التنمية التقنية ، وكذلك الشركات لمنتسبيها ، بالوقت اللازم للاستفادة من هذه الدورات ؟ وهل هناك ما يشجع هؤلاء المنتسبين على مثل ذلك ؟ ومن أين ستأتي النفقات الاضافية اللازمة للتعليم المستمر ؟

وهنا نطرح بعض النقاط المهمة التي تمثل وجهة نظر حول ماينبغي أن تقوم به الجامعات العربية بشأن التعليم المستمر .

أولا :

على مستوى كل قطر من الأقطار العربية ، فإن على الاقسام والكليات المختلفة في الجامعات أن تقوم بالتعاون مع المؤسسات الحكومية التي تعتمد في عملها على منتسبين تتفق تخصصاتهم مع تخصصات هذه الكليات باجراء دراسات مستمرة حول احتياجات هؤلاء المنتسبين وتنظيم دورات تعليم مستمرة في أوقات مناسبة تعمل على تغطية هذه الاحتياجات .

ثانيا :

على مستوى الاقطار العربية ، فإنه من المفيد تبادل الخبرات عن طريق عقد المؤتمرات حول التعليم المستمر على غرار مؤتمر ماساشوستس السابق الذكر . ولعل من المناسب الاعلان عن هذه المؤتمرات على مستوى عالمي لانها يمكن أن تساهم في الاستفادة من خبرات الآخرين في هذا المجال ، وفي جذب الخبرات العربية المهاجرة الى وطنها الأم .

ثالثا :

اصدار مجلة حول دراسات التعليم المستمر في الوطن العربي على غرار (المجلة العربية للعلوم) و (المجلة العربية لبحوث التعليم العالي) التي تصدرها المنظمة العربية للثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية . فمثل هذه المجلة تسهم في تعزيز بحوث التعليم المستمر في الوطن العربي وتوسيع اطلاع القائمين عليه وفتح مجال تبادل الرأي فيما بينهم . □



منتدى العربي
تعقيبات

تعقيب وتعقيب أخير

حَليبُ النّاقةِ وَحَليبُ البقرَة !

في عددكم ٣٢٥ - ديسمبر ، ١٩٨٥ الصفحة ١٢٠ ، باب سلامة البشرية في سلامة البيئة . . وتحت عنوان « لبن الناقة . . خير من لبن البقرة » . يورد الكاتب معلومات عن حليب الناقة وحليب البقرة ، تشعر القارىء أن الكاتب متحيز جدا لحليب النوق ، ربما من عاطفة العربي نحو الناقة ، التي لاتزال تسري في دمنا حتى اليوم .

وبما أن الباب المكتوب فيه المقال هو باب علمي ، فنرجو أن لاتتدخل العاطفة في العلم ولذلك ، ورغم ولعنا جميعا بأدبيات النياق ، والأشعار الكثيرة جدا التي رضعناها ، فاننا اخلاصا منا للعلم نورد الآتي :-

١ - حليب البقر والاغنام والنياق والمرأة كله حليب جيد من الناحية الغذائية ، وخاصة اذا روعيت فيه النظافة والتعقيم عند أخذه ، وأما نسبة البروتين والدهون فهي كلها متوازنة في كل حليب في جميع أنواع الثدييات ، مع الفرق البسيط حسب العامل البيئي الذي يعيش فيه المخلوق . . فطبيعي جدا أن يختلف حليب الحوت عن حليب البقرة وعن حليب الناقة وهلمّ جرًّا . . .

وما اختلاف نسبة الدهون والبروتين والماء في الحليب الا لضرورة التلاؤم التام مع البيئة ، وهذا سر من أسرار الخليقة ، أودعه الله تعالى في خلقه ، ولشرح ذلك نلفت النظر الى أن نسبة الماء والبروتين يجب أن تكون ظاهرة في حليب النياق أكثر من الدهون ، لأن النياق تعيش عادة في جو صحراوي حار ، ويحتاج هذا الجو الصحراوي الحار والجاف الى نسبة عالية من الماء والبروتين للتعويض . تبعا لما أوردناه . . . وبسبب انتشار مجلة « العربي » الواسع في أرجاء المعمورة ذات الطقس الحار والبارد ، فانه يجب لزوما علينا التنبيه ، بأن حليب البقر ربما كان أفضل من حليب النياق في المناطق ذات الطقس البارد ، وذلك بسبب ارتفاع نسبة الدهون فيه .

٢ - أورد الكاتب مايلي : « وفي أيام الجفاف والقحط حين يشح ماء الشرب ، يعمل جسم الجمل تلقائيا على رفع نسبة الماء في لبنه ، من ٨٤٪ الى ٩١٪ ويفعل ذلك بتحويل الماء الذي يختزنه الجمل في دمه لا في سنامه ، فيحول الماء من دمه الى لبنه ليصبح لبنا مشبعا بالماء . . وذلك من أجل صغاره ، وخشية أن تنفق عطشا » .

وهنا . . للأمانة العلمية ، يجب أن نصحح ما ورد لأنه غلط كبير أن يقال هذا القول ، . . فالدم سائل متوازن ، اذا زادت فيه نسبة من مركباته أو نقصت تعذرت الحياة كليا ، والجمل لايختزن الماء في دمه بل في سنامه ، وآلية اختزان الماء في سنام الجمل هي من أبدع ما خلق الله تعالى ، فسنام الجمل كما يعلم الجميع هو كتلة من الدهون ليس فيها ماء ، ولكنها أعجوبة الخلق . . ومن يدرس الكيمياء الحيوية

بدقة ! ، ويعلم كيفية استقلاب الدهون ، وكيف تعطي الطاقة (الحراريات) عن طريق هذا الاستقلاب ، يصبح عليه يسيرا أن يفهم كيف يصبر مخلوق ضخم شهرا كاملا بدون شرب الماء ، وفي جو حار وجاف جدا !

ان عملية استقلاب الدهون هي التي تفرز الماء اللازم لحياة هذا المخلوق ، من داخل جسمه وليس من خارجه ، وبالضبط من سنامه . . من هذه الكتلة الهائلة من الدهن التي تشبه جبلا من الثلج ، وليكن معلوما أن الجمل هو الكائن الحي الوحيد الذي يتمتع بخاصية أخذ الماء للدم عن طريق استقلاب الدهن المتراكم في جسمه (سنامه بالضبط) ، وربما يسأل سائل أنه ما دام الأمر كذلك فيمكن اذن للبدناء أن يقاوموا العطش أكثر من غيرهم ، وذلك غير وارد فالدهن المتراكم في أجسام الثدييات ، غير الجمل والناقة ، يستقلب بنفس الطريقة مرورا « بدورة كريبس » ولكن ليس لأي من الكائنات هذه المقدرة العجيبة والخافية على أخذ الماء للدم من الدهن المخزون .

هذه هي عجائب الخلق . ان سنام الجمل هو الذي يزوده بالماء في أقسى حالات العطش والحر . . أي أن الجمل يشرب داخليا ، وليس الأمر كذلك بالنسبة لنا حيث نتزود بالقرب الطافحة ، وبدونها نموت عطشا ، ولكي لايكون هذا درسا في الكيمياء الحيوية ، ولحصر تعقيبنا في حدوده ، نؤكد على ما جاء من النسب المئوية في الحليب ، فهي تتفاوت حسب المخلوق وبيئته ، وتفاوتها ضروري لحياته حسب بيئته ، وأما الماء فهو لايختزن في دم الجمل ، انما هو ينتج حين استقلاب الدهون المخزونة في سنام الجمل ، ويأخذه الدم عن هذا الطريق .

ولكم أطيب التمنيات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الحميد الشيخ عطية

الرد على التعقيب

الجَمَل لا يَخزنُ الماءَ في سَنامِه

نشكر الأستاذ عبدالحميد الشيخ عطية على تعقيبه . . فقد أتاح لنا فرصة الكتابة مجددا حول لبن الناقة في العدد المذكور ، فالموضوع مهم بذاته . . ويسوق معلومات جديدة عن طبيعة الجمل وقدرته على تحمل العطش . . .



وتجدر الاشارة أولا ، الى أن مقالتنا علمية ـ كما يلاحظ الناقد نفسه . وما دامت علمية كان لابد لها من مرجع تستند اليه ، ونقتبس عنه بدقة وأمانة ، والا كانت أقرب الى المواضيع الانشائية . . أما مرجع مقالتنا تلك فليس سوى باب العلم والتقنية في مجلة الايكونومست الانكليزية (راجع صفحة ٨٦ من عدد ١٩٨٥/٤/٢٠) وغني عن البيان أن هذه مجلة رصينة وواسعة الانتشار . . . وتحظى بقدر كبير من الثقة والتقدير . . وقد ظفر أحد كتاب باب العلم فيها بالجائزة الأولى في الكتابة العلمية ، وذلك قبل نحو سنتين . . ولا ندري ان كان كتّاب هذه المجلة

الانجليزية متحيزين حقا للناقة ولبنها هم أيضا . وأملنا كبير في ألا تثبت تلك التهمة ، والا حرموا فرصة التفوق في الكتابة العلمية ثانية . . . ولا ندري أيضا ان كانت هذه التهمة ذات موضوع أصلا . . والا كان ناقدنا نفسه متحيزا لحليب البقر ، وقد أكد في خطابه « ان حليب البقر ربما كان أفضل من حليب النياق في المناطق ذات الطقس البارد . . وذلك بسبب ارتفاع نسبة الدهون فيه » .

ويسوق الكاتب عبارة من مقالتنا ويقول انها تنطوي على « غلط كبير » . . . فقد قلنا فيها بأن سنام الجمل هو مخزن غذاء في جسم الجمل وليس مخزن ماء . وينفي الناقد قولنا ، ويؤكد أن السنام انما هو مخزن ماء في جسم الجمل ، فضلا عن كونه مخزن غذاء . . ولعله لا يلام على الأخذ بهذا الاعتقاد . . . . فهو الاعتقاد الذي يتبادر بداهة لذهن كل انسان ، حينما يرى أن الجمل هو الحيوان الوحيد الذي يصبر على العطش طويلا . . . وانه الحيوان الوحيد أيضا الذي يعلو ظهره سنام أو سنامان . . . ثم انه الاعتقاد الذي شاع بين الخاصة والعامة قبل حين . . ومازال شائعا بين الكثيرين . . الا أنه اعتقاد خاطىء ، وهو - على مايبدو - من أساتذة الكيمياء الحيوية الشغوفين بها ، والمتبعين لمستجداتها . .

فالجمل لايخزن الماء في سنامه أبدا ، وانما يخزن فيه الدهون والغذاء فحسب ، . . ولا شأن لعملية استقلاب تلك الدهون بذلك الماء حتى لو وجد . . اذ كيف يمكن تلك العملية أن تعمل على نقل الماء من سنام الجمل الى دمه . . وهي عملية لتوليد الطاقة والحراريات . . ولا تقوم مقام الأوعية الوسيطة لنقل ماء السنام . . غير الموجود أصلا . . .

والجدير بالذكر أن عملية الاستقلاب التي تولد الطاقة تفرز بعض الماء في الوقت نفسه . . أي أنها تكسب جسم الجمل كمية محدودة من الماء . . ولكن عملية الاستقلاب هذه تحتاج الى الأوكسجين ، كما لا يخفى ، وتستنفد بعض الماء من جسم الجمل عن طريق رئتيه . . ومعنى هذا أنها تفقد جسمه كمية من الماء محدودة . . والكميتان متعادلتان تقريبا . . وفي ذلك آية من آيات الخلق .

وليس معنى هذا أن سنام الجمل ليس آية من آيات الخلق . . . فتركيز الدهون فيه يمكن الجمل من التخلص من حرارة جسمه كما يشاء ودون عائق . . ولو كان الدهن موزعا على جسم الجمل لتعذر على هذا الحيوان التخلص من فائض حرارته . .

ولعل الاعجاز في خلق الجمل يتمثل في تجنبه التعرق . . فالابل لا تبدأ التعرق الا بعد بلوغها درجة حرارة ٤٦ مئوية . . وفي ذلك تفسير لصبرها على العطش . . . ولكنه ليس التفسير الوحيد . . .

فالجمال تختزن بعض الماء الذي تشربه . . في دمها . . فهي تشرب كميات كبيرة من الماء تبلغ ١٨٠ لترا أو يزيد في حالة العطش الشديد . . وما أسرع ما ينتفخ جسم الجمل عقب شربه مثل هذه الكميات . . وما أسرع ما تنتفخ كريات دمه ببعض هذا الماء . . ومن اعجاز الخلق أن كريات دم الجمل ليست كروية الشكل كما هي الحال في سائر الثدييات . . بل إنها بيضاوية ، بحيث تنتفخ وتصبح كروية ، دون أن ينفجر جدارها لدى امتلائها بالماء . . . وهكذا يتعرض دم الجمل وسائر السوائل في جسمه الى تخفيف **dilution** لا قبل لكافة الثدييات الأخرى بمثله . . . .

بقي أن نذكر ميزة أخرى ينفرد بها جسم الجمل . . . فهو يحتفظ باليوريا (البولينا) ولا يفرزها ضمن ما يفرز من بول ، كما تفعل سائر الثدييات . . فهذه اليوريا لا تلبث أن يعاد بناؤها من جديد وتتحول الى بروتينات . . وذلك بفعل بكتيريا خاصة موجودة في معدة الجمل دون سواها . . .

يوسف زعبلاوي

■ **لا يكفي أن تكون في النور لترى ، بل ينبغي أن يكون في النور ما تراه**
(عباس العقاد)

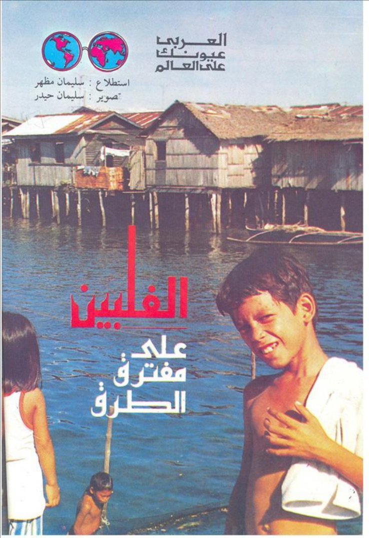


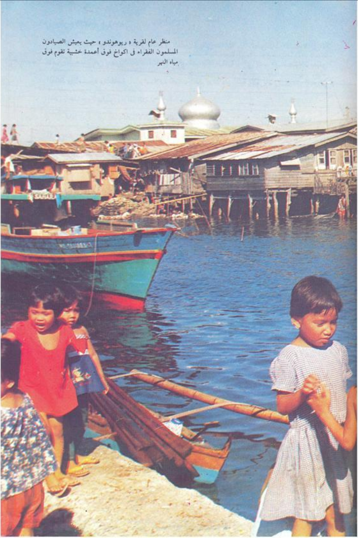
العربي
عيونك
على العالم

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

الفلبين

على مفترق الطرق





منظر عام لقرية « ريوهوندو » حيث يعيش الصيادون المسلمون الفقراء فى اكواخ فوق أعمدة خشبية تقوم فوق مياه النهر.

التوتر المشحون الذى انفجر بشدة فى الفلبين لم يكن مفاجئا . . فالصراعات المستمرة التى لا تقف عند حد ، هى بعض سمات الحياة فى الجزر الضاحكة الباكية ، التى كتب على شعبها ان يعيش المعاناة والاستعباد والتعاسة . . واستلاب اقوات الفقراء لتزداد تخمة الاثرياء . . وخنق اصوات الحق بالخداع والتدليس واراقة الدماء . . !

ماذا يجرى فى الفاتيكان الاسيوية والدولة المسيحية الوحيدة بين كل دول القارة الشاسعة الاطراف . . والتى يقف زعيمها الروحى فى مواجهة الظلم والطغيان ويعلن ان الله لن يغفر لرئيس الدولة الكذب والغش والتزوير . . فيسقط الرئيس . . وتنتصر امرأة . . بارادة الشعب ؟

وكيف تسير الحياة فى عاصمة الجزر ذات الوجهين التى سمتها سيدة القصر « مانيلا مدينة الانسان . . » بينما تقول صحفها « . . انها مدينة الشحاذين والمشردين وسقوط النساء والاطفال . . ومدينة القتلة الذين يرتدون الملابس الرسمية . . . » !

قبل عدة آلاف من السنين ، لم يكن هناك سوى الماء والسماء ، لاأرض ولا بشر . وحدث أن طائرا ضخما كان يحلق بعد رحلة طويلة فوق المياه الشاسعة ضاربا الهواء بجناحيه ، حين أحس بالتعب ، وأطل تحته باحثا عن يابسة يهبط عليها ليريح جناحيه المرهقين ، واذ لم يجد شيئا راح يحلم بفكرة خلق ارض تنبسط على سطح المياه ليجد مكانا لراحته ، ووجد ان السبيل الوحيد لتحقيق الحلم ان يستثير كلا من السماء والبحر ويستنفرهما الى معركة ، وحين ثار غضب السماء أرعدت وأبرقت وصبت سيلا هائلا من الأمطار على البحر الذي أخذ به الغيظ والحنق ، فزمجر وراح يطلق من اعماقه صخورا هائلة يصد بها السيول التي كانت تهطل عليه بعنف ، وعندما انتهت المعركة وانقشعت الغيوم وصفت السماء . . كانت الصخور قد انبسطت على صفحة مياه البحر مشكلة آلافا من الجزر اليابسة ، هبط اليها الطائر الضخم ليريح عليها جناحيه ، وحين انطلق الطائر محلقا بعد ذلك ظلت الجزر في مكانها حيث غطت سطحها الحشائش والاشجار ، ثم نمت غابات البامبو .

وفي رحم إحدى هذه الغابات التحمت بذرتا ذكر وانثى ، فكانت بداية الخلق . . وظهور الانسان على سطح الأرض . . !!

تلك هي الأسطورة التي يتناقلها الناس في الفلبين اليوم عن نشأة جزر الأرخبيل الفلبيني . . اسطورة يعتقد بها الكثيرون . . ولكنهم يحكونها في الغالب . . لاثارة فضول الزوار والسائحين . !

٧١٠٠ جزيرة

والفلبين تضم مجموعة من الجزر يزيد عددها على ٧١٠٠ جزيرة . . تنتشر في مياه المحيط الهادي شرقي آسيا بين الجزر الاندونيسية وجزر اليابان . بعض هذه الجزر كبيرة معروفة يشتهر منها احدى عشرة جزيرة بينها جزيرة كوزون في الشمال وسيبو في الوسط ومندناو في الجنوب، وبعضها صغيرة مجهولة لا يكاد يعرفها إلا سكانها . . أما ما اتخذ له اسم من الجزر فلا يتجاوز ٢٧٣٣ جزيرة ، بل ان السكان لا يقيمون الا في ١٢٠٠ جزيرة فقط بينما الجزر الباقية لم تطأها حتى الآن اقدام انسان . .

ويبلغ عدد سكان الفلبين حوالي ٥٣ مليون نسمة حسب احصاء ١٩٨٤ ، ويقيم ٨٠ في المائة منهم في

الجزر الأحدى عشرة الرئيسية التي تبلغ مساحتها ٢٧٤ ألف كم٢ من المساحة االكلية للجزر البالغة حوالي ٣٠٠ الف كم٢ .

اليوم ، فوق هذه الجزر ، لايكاد الانسان يقضي اياما قليلة ، حتى يحس ان كل شيء . . في صراع . .

صراع من اجل الحياة ، صراع من اجل الحرية ، صراع من اجل لقمة العيش ، صراع للتحرر من الطغيان ، صراع للتخلص من الاستعباد ، صراع ضدّ تحالف المنتفعين ، صراع ضد الفساد والمفسدين . . كل هذه الصراعات برزت بالفعل في حركات المعارضة في مواجهة فرديناند ماركوس ، وثورات المورو المسلمين للتخلص من الفقر والاستعباد . . ثم حكايات عن السيدة الأولى التى كان يطلق عليها البعض لقب « الفراشة الحديدية » بينما يسميها آخرون « الأخطبوط » . !

والحديث عن الوان الصراع التي تجري تحت شمس الفلبين حديث طويل . . تحكي احداثه مشاهد متباينة يمر بها الزائر كلما تنقل من مكان الى آخر . .

ولعل اخف هذه الصراعات واكثرها إثارة وأحقها ببداية الحديث . . هو ذلك الصراع الذي كنا نشاهده ونمر به في كل شارع وكل قرية وكل مدينة وكل جزيرة من جزر الارخبيل . .

انه صراع الديوك . . او مصارعة الديكة ! أبرز ما تشتهر به الفلبين . . !

هكذا تتصارع الديوك

كثير من الفلبينيين ، يملكون حظائر يسمونها « اسطبل الديوك » . والاسطبل هنا يعني مجموعة من الحظائر الأنيقة يحتويها مبنى واحد ، وفي كل حظيرة ديك مصارعة يعتني به صبي خاص يتولى رعايته وتغذيته وتنظيف مكانه وتدريبه على المصارعة واعداده قبل نزوله الى الحلبة .

تجري مصارعة الديكة في حلبة تسمى « التوبادادي » لا تختلف كثيرا عن حلبات المصارعة والملاكمة ، وهو ما شهدناه في الحلبة الرسمية في قلب العاصمة مانيلا حيث تجري السباقات كل يوم

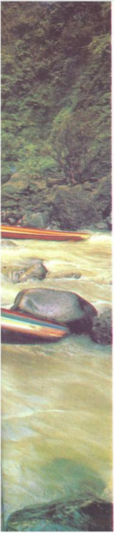


● خريطة تبين جزر الارخبيل الفليبيني وموقعها من الدول المحيطة بها

احد . . وهو نفس ما يجري في كل مدينة وكل قرية ، وإن تباينت اتساعات الساحة ومدى الاهتمام بها بين رسمية وشعبية .

قبل نزول الديوك الى الحلبة يتم الاتفاق على المراهنات في ركن خاص يسمى « أوليتان » ويختار الموظف المختص نصلا حادا مقوسا مناسبا في طوله بحيث لا يتجاوز خمسة سنتيمترات ، ويربط النصل على الساق اليمني للديك ، ولا يرفع عنه الغمد الجلدي إلا قبل بداية المصارعة .

ونطل على الديوك المتصارعة وهي ماتزال في ايدي اصحابها او مدربيها قبل النزول الى الحلبة ، وترتفع هتافات المتفرجين وتبدأ المراهنات الشعبية لتأييد هذا





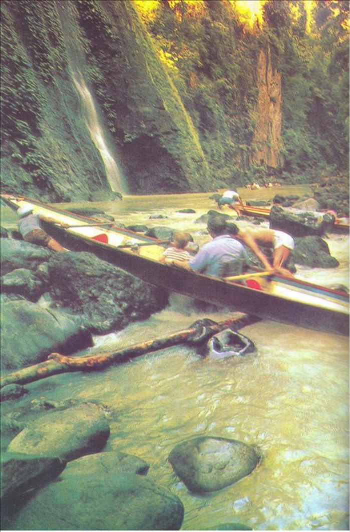


صراع الديوك . . وعملية التسخين قبل المعركة . . !

التجديف ضد التيار . . . والانطلاق فوق الصخور والجنادل نحو مساقط المياة المنحدرة من شلالات « باجسانجان »



الفاكهة . . والازهار . . هما كل شيء في حياة هذا الصغير في « ارض الزهور »



الديك او ذاك حينما يرفع حاملا الديكين اللذين يحل دورهما طائريهما تماما كما يفعل المصارع قبل بدء المصارعة . وقبل ان يبدأ النزال يسمح الحكم للديكين بمناوشة كل منهما للآخر وهما بين أيدي حامليهما لاثارة النخوة والتسخين قبل اللعب .

وتبدأ المصارعة . . ويتبادل الديكان القفز في الهواء كل منهما يحاول ان يرتفع اكثر من الآخر ليمتلك الفرصة لضرب منافسه بمشرطه الحاد على رأسه أو عنقه . . مع استخدام منقاره كلما سنحت الفرصة . . ومع ارتفاع صرخات المراهنين تزداد حمى المصارعة والاثارة . فإذا تمكن احد الديكين من إصابة غريمه في عنقه أو رأسه وأرداه صريعا على ارض الحلبة ، فان الحكم يؤكد الانتصار بأن يسمح للديك المنتصر بنقر المغلوب بمنقاره مرتين ، ثم يعلن انه انتصر على منافسه بالضربة القاضية . . أما اذا رفض الديك المنتصر نقر غريمه اذا كان مصابا فقط ، فإن الحكم يعلن انتهاء المصارعة بالتعادل . وقد يفقد احد الديكين حماسه للقتال او يحاول الهرب امام منافسه ويلجأ الى جوانب الحلبة . . هنا يعلن الحكم انتصار الغالب بالضربة الفنية . وأما اذا طالت المعركة وبدا الانهاك على المتصارعين فإن الحكم وحده يقرر أيهما حصل على نقاط اكثر ويسمح له قبل اعلان النتيجة بضربة واحدة يوجهها الى غريمه ثم ينقل الطائران الى ركن خاص حيث يتولى طبيب بيطري متخصص علاج الديك الجريح أو يعلن موته .

مصارعة الخيول

ثمة مصارعة من نوع آخر شهدناها هي مصارعة الخيول . وعلى رغم ان هذا النوع من المصارعة غير مرغوب كثيرا في المدن ، إلا انها لعبة محبوبة بين المزارعين قرب بحيرة سيبو في جنوب مندناو .

ففي ايام السوق الذي يقام عادة كل يوم سبت ، تربط أنثى الخيل تحت بصر حصانين من الذكور ، يُستحثان ليدخلا في مصارعة من أجل الفوز بالانثى . وتستمر المصارعة حتى يجهد احدهما فيثني ذيله علامة على الاستسلام وعدم الرغبة في مواصلة القتال أو يحاول الهرب امام غريمه ، زمن المصارعة عادة لا يتجاوز ثلاث دقائق ولا يسمح باستمرارها حتى الموت ، ويرغم الفقر وشدة الحاجة الى اللحم فإن الفلاحين يرفضون تماما أن يأكلوا لحوم الجياد إذا اصيبت واضطر صاحبها الى قتلها رأفة بها . . !

التجديف ضد التيار

نوع آخر من الصراع شاركنا فيه . . ولكنه هذه المرة صراع مع الشلالات والجنادل ، واندفاع ضد التيار الجارف ، وانطلاق مع مساقط المياه المنحدرة بشدة من أعلى الجبل الى مجرى النهر .

التجربة في الواقع رائعة . . مثيرة .

كانت مرافقتنا في خوض التجربة احدى المتنافسات على عرش الجمال في الفلبين ، مس روز ، وكانت المنطقة التي انطلقنا اليها - على بعد ثلاث ساعات بالسيارة شمالي مانيلا - منتجعا تقليديا يقع عند ملتقى نهرين . . حيث مقصدنا لمشاهدة شلالات « باجسنجان » .

انطلقت قوارب « البانكا » . . كل قارب يقوده مجدفان حاذقان ذوا خبرة طويلة في التجديف ومصارعة التيار ، بدأت رحلة الصعود الى منابع النهر المنحدر من الشلالات بطيئة أول الأمر حتى اقتربنا عند منحنى النهر من مضيق عميق هو المدخل الرئيسي الى شلالات باجسنجان ، تحيط به من الجانبين مرتفعات صخرية يبلغ ارتفاعها حوالي مائة متر ، ثم يبدأ اختراق النهر الذي تنحدر مياهه من ارتفاع ٣٠٠ قدم بجنادله الصخرية ومساقطه المائية التي يبلغ عددها تسعة عشر شلالا صغيرا تنهال عليه من الجانبين .

ويبذل المجدفان جهودا خارقة في مواجهة تيار النهر ، وهما يخترقان بالزورق ذلك المجرى الذي تعترضه جنادل الصخور على مدى الرحلة التي تستغرق ساعة كاملة قبل الوصول الى موقع الشلال الرئيسي ، وهما يعملان على تفادي الاصطدام بالصخور بتوقيت وخبرة ومهارة . ويتولى الفتى الذي يقوم بدور « الدفة » في مؤخرة القارب ارشاد زميله الذي يحرك المجدافين قبل المرور على المنحنيات الصخرية ليرفع قدميه او يخفضهما او يغوص في الماء ليسند قدميه على الصخور شمالا او يمينا ليمرر القارب من الفتحات الضيقة وليرفعه مع زميله الى اعلى حين لا تسمح الفتحة بالمرور . . وتعمل سيقان الرجلين وكأنها الواح المحرك الآلي في سرعته وفعاليته . . !

ونصل اخيرا الى نهاية المرحلة الأولى . .

مشهد رائع لشلال باجسنجان والمياه تنحدر بقوة وفي هدير يشبه صوت الرعد من اعلى القمة ، ومن وراء الستار المائي المنحدر يبدو مدخل مغارة

الشيطان . . وقد اطلق عليها هذا الاسم لأن المدخل يشبه بالفعل وجه مارد رهيب .

بعد الراحة ومتابعة هدير الشلال ، تبدأ رحلة العودة ، وخوض تجربة الانحدار مع التيار فوق مساقط الماء . . !

تصور نفسك وانت في قارب ضيق ينحدر بقوة دفع التيار من ارتفاع ثلاثمائة قدم ليقفز من فوق اربعة عشر مسقطا مائيا . . وتجد نفسك في كل مرة وسط هدير المنحدر وقد غرقت في الماء المثلج وانخلع قلبك من بين جنبيك ، بينما يخرج القارب في كل مرة وقد غمره الماء ، والمجدفان اللذان تمرسا على كيفية اختراق المنحدر بقاربهما ، يعملان على اخراج الماء الذي ملأ قاع القارب بالدلاء ليعاودا الكرة على كل منحدر جديد . . ؟

حكايات باجسنجان

وتصل التجربة الى نهايتها ، وتبدأ رحلة العودة الى مانيلا . وعلى الطريق ، ونحن نترك حدود مقاطعة باجسنجان يهدىء السائق من سرعة سيارته ، وتشير مس روز بعد ان تؤدي علامة الصليب ، الى بوابة بعرض الطريق تزينها « الديكورات » والزهور وعلى جانبيها تمثالان صغيران .

ـ هذه البوابة تحكي قصة القديسة « جودلوب » مع عصابة اللصوص وقطاع الطرق . . فقد حدث اثناء الحكم الاسباني ان تعرضت المقاطعات المحيطة بمانيلا لهجمات عصابة رهيبة مسلحة يقودها عملاق اسمه « تانكاد »، وكان هبوط الليل يعني بالنسبة للناس انتظار الرعب القاتل . ولم يكن الحراس الاسبان باقل قسوة واثارة لرعب الناس من ارهاب عصابة القتلة واللصوص وفي منتصف ليلة الثامن من ديسمبر ١٨٧٧ كان اهالي باجسنجان يتقلبون في نوم قلق ، دون ان يدروا ان الدائرة ستدور عليهم وان رجال العصابة بقيادة العملاق الارهابي بانكاد يتقدمون في سرعة للانقضاض على المدينة . وتوقف رجال العصابة فجأة حين اقتربوا من المدخل الغربي للمدينة ، فقد فوجئوا بسيدة رائعة الجمال في رداء ابيض ترفع في يدها سيفا يتألق تحت اضواء القمر . ورسمت السيدة بسيفها خطا بعرض الطريق وهي تقول بلهجة آمرة :

ـ انتبهوا لما اقول يا اشرار الليل . اني اعرفكم ، وهذه مدينتي ، وسكانها تحت حمايتي ، ولن اسمح لاحد بأقلاق راحتهم ومهاجمتهم . واني احذركم ايها اللصوص والقتلة انكم اذا تجاوزتم هذا الخط الذي رسمته فلن يكون لكم الا الموت . . !

وارتعدت فرائص رجال العصابة الشجعان ، وسقط قائدهم عن جواده وهو يحني رأسه امام السيدة . . فقد كانت تلك اول مرة خلال حياتهم المليئة بالشرور والآثام يتعرضون فيها لمثل هذا التهديد الذي يثير الرعب . وما كادوا يرفعون ابصارهم حتى كانت السيدة قد اختفت فجأة ، تاركة وراءها عبيرا نافذا يعبق الجو ، وفي رعب شديد استدار تانكاد ورجاله هاربين بعيدا الى سفوح الجبال حيث لم يظهروا بعد ذلك على الاطلاق .

ومن اجل ان يعبر اهل المنطقة عن شكرهم للقديسة المباركة التي حمت مدينتهم اقاموا في نفس المكان ، وبعرض الخط الفاصل الذي رسمته بسيفها ، بوابة مازال الناس منذ ذلك اليوم يزينونها بالزهور والرياحين وأقاموا على جانبيها تمثالين لقديسة باجسنجان .

الحقيقة انك تستطيع ان تسمع الكثير من حكايات القديسين والقديسات في كل مكان تزوره في الفلبين ، وهي حكايات واساطير يؤمن بها الناس ويرددونها لابنائهم ، كما يتناولها رعاة الكنائس في احاديث الاحد بايمان عميق .

غرس أسباني

الواقع ان الفلبين هي مجمع الكنائس والقديسين في آسيا ، فهي الدولة المسيحية الوحيدة بين كل دول القارة الآسيوية الشاسعة الاطراف . وتصل نسبة المسيحيين الى ٩٠٪ من بين سكانها البالغ عددهم حوالي ٥٣ مليون نسمة بينما تبلغ نسبة المسلمين اكثر من ٨٪ (حوالي ٥ ملايين نسمة) اغلبهم في الجنوب .

كانت بداية دخول المسيحية في الفلبين مع ماجلان واسطوله .

ففي اواسط القرن السادس عشر ابحر الملاح والمستكشف البرتغالي فرديناند ماجلان التابع للتاج الاسباني صوب طريق يتجه غربا الى جزر التوابل وثروات الصين (كاتاي) ، وكان من بين ما اكتشفه اسطول ماجلان خلال رحلة الدوران حول العالم تلك الجزر التي تقع على مسافة بعيدة جنوب جزر الملوك



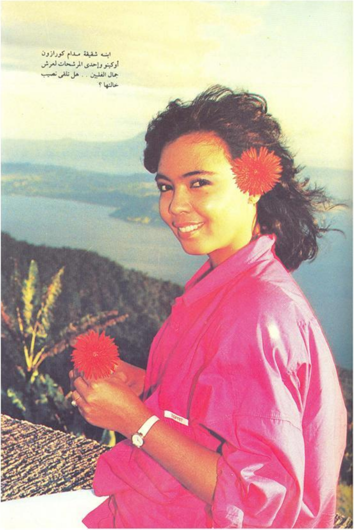
صليب ماجلان يتوسط ، الكشك ، التذكارى فى وسط مدينة سيبو



تمثال ، سانت نينو ، ذو الرداء والتاج الذهبى فى صدر كنيسه سانت اوجستين .

لوحة تمثل معركة ، ماكتان ، ويبدو البطل الوطنى لابو لابو وهو يشق بالسيف رأس ماجلان .





ابنه شقيقة مدام كورازون
أوكينو وإحدى المرشحات لعرش
جمال الفلبين . . هل تلقى نصيب
خالتها ؟

الغنية بالتوابل ، وكانت جزيرة سامار هي اول ما وقعت عليه انظار ماجلان بين « جزر الفيزايا » الواقعة في اواسط الارخبيل . ورست بعض سفن الاسطول على شواطىء جزيرة « ليماساوا » جنوبي سامار ، حيث تولى كولامبو احد قادة الجزيرة ارشاده الى جزيرة سيبو في اليوم السابع من ابريل عام ١٥٢١ ، ولم يجد ماجلان مقاومة تذكر في سيبو حيث اتسم لقاؤه مع « هو مابون » رئيس القبيلة وحاكم الجزيرة بمودة كبيرة وترحيب ، وقدم ماجلان للحاكم صليبا خشبيا طويلا في محاولة لاجتذابه الى المسيحية التي كلفه ملك اسبانيا الكاثوليكي بنشرها في المناطق التي يستكشفها ، واستطاع ماجلان بعد ذلك اقناع زوجة الحاكم باعتناق المسيحية واهداها تمثالا خشبيا جميلا مطليا بالذهب يمثل المسيح وهو طفل ، واطلق على التمثال اسم « سانتو نينو » والبس التمثال رداء ذهبيا احمر ، ووضع على رأسه تاجا ذهبيا وفي يده اليمنى كرة ذهبية محلاة ، بالجواهر . انه نفس التمثال الذي شهدناه في صدر كنيسة « سان اوجستيني » عندما ذهبنا الى سيبو . . وهو محفوظ في صندوق زجاجي ، ويمر امامه المصلون وهم يرتلون دعواتهم من اجل شفاء مرضاهم ، كما يعرضون امام التمثال الاجزاء المريضة في أجسادهم ، بينما اخرون يلصقون وجوههم على زجاج الصندوق ويقبلونه للحصول على البركة .

خارج الكنيسة وغير بعيد منها يوجد « الكشك » الذي يضم صليب ماجلان الأصلي ، ولكنه الآن موضوع داخل صليب آخر خشبي للمحافظة عليه . والصليب يتوسط « الكشك » من الداخل ، بينما تحكي اللوحات المرسومة في السقف مشاهد وصول ماجلان وتقديم الصليب الى الحاكم وامرأته .

انطلق ماجلان بسفنه جنوبا ليضع اقدامه على سواحل « ماكتان » جزيرة الصيادين المسلمين . . الذين اعلنوا تصميمهم على الوقوف في وجه الغزاة الاسبان تحت قيادة زعيمهم . . « لابولابو » .

وتوقفت سفن ماجلان غير بعيد من الشاطىء . . وانزلت القوارب وعليها الرجال المدججون بالسلاح والخوذ والتروس والدروع ، واستمر الاسبان يتقدمون متدافعين . وقد نزلوا من قواربهم التي عجزت عن مواصلة السير على الرمال . . والتقى الجمعان .

وانقض الاسبان يتقدمهم قائدهم ليمزقوا الاجساد نصف العارية بسيوفهم الحادة ويضربوا الرؤوس بالتروس ومقاليع الحديد ، ولم يهتموا اول الامر بسهام البامبو المدببة وهي تنهال عليهم من كل صوب ، فقد كانوا يصدونها ساخرين بالخوذ والدروع .

وتلاحمت الرماح والسيوف . . وكان لابد من لقاء المواجهة . . بين لابولابو . . وماجلان .

انقض ماجلان بسيفه ـ وهو يحمي صدره بدرعه الثقيل ـ على الفتى العارى الصدر ، ووجه اليه ضربة صاعقة ،وانحرف الفتى بسرعة بينما الرمح فى يده يتجه فى حركة خاطفة الى عنق ماجلان . لم تكن الاصابة قاتلة ، ولكن انبثاق الدم كان كافيا لتصطك ساقا القائد المغمورتان فى الماء وهو يتراجع الى الخلف وينقض بالترس الحديدى على رأس الزعيم الشاب ، وتفادى لابو لابو الضربة لينقض بكل قوة بسيفه القصير فيشق رأس ماجلان الذى سقط مضرجا بدمائه . . . بينما ارتفعت صيحات الصيادين : لابو . لابو . .

وحميت المعركة . ولكن سقوط القائد هز كيان من بقى حيا من رجاله الاسبان ، فأسرعوا يتراجعون عائدين الى سفن الاسطول الذى لم يكن أمامه إلى أن يبتعد هاربا . . تاركاً خلفه جثة قائده . . ماجلان . .

البطل الوطني

وقفنا ـ انا وزميلي المصور ـ نتخيل احداث المعركة ، ونحن نخوض بأقدامنا في المياه الضحلة ، حيث الساحة التي شهدت اول هزيمة للغزاة الاسبان .

ورفعنا عيوننا الى التمثال الشامخ للزعيم الوطني لابو لابو الذي اقيم في صدر الساحة ، وقد اتجه ببصره الى حيث المياه الضحلة التي شهدت انتصاره الكبير . . رأس شامخ في اعتزاز ، ووجه تؤكد قسماته معاني التصميم والعزيمة ، وجسد عار الصدر عامر بمظاهر القوة والعنفوان ، في يده اليمنى سيف قصير مشرع في صلابة ، بينما اليد اليسرى تحمل درعا بيضاويا مدبب الطرفين .

ويأخذ مرافقنا بيدنا ليسير بنا إلى نصب تذكاري يرقد تحته جثمان الزعيم الوطني ، ويشير الى اسفل النصب حيث لوحة نقرأ عليها : « هنا في يوم ٢٧ ابريل ١٥٢١م انتصر لابو لابو ورجاله على الغزاة الاسبان ، وقتلوا قائدهم فرديناند ماجلان ، واصبح لابو لابو اول بطل وطني ينتصر على العدوان الأوروبي »

ونطل الى لوحة كبيرة مواجهة للنصب التذكاري اللوحة بعرض حوالي عشرين مترا هي بانوراما واسعة ، تمثل المعتدين وهم يهاجمون الوطنيين حيث ساحة المعركة . ، وفي وسط اللوحة يبدو لابو لابو وهو ينقض بسيفه على رأس ماجلان الذي يبدو وقد انحنت هامته وهو يسقط تحت اقدام البطل الوطني ، بينما بقية اللوحة تمثل تفاصيل المعركة ، وفي عمق اللوحة يبدو الاسبان وهم يهربون الى قواربهم يطلبون النجاه .

بعد مقتل ماجلان ابحر الاسطول الى اسبانيا ليعود الاسبان مرة اخرى وقد رسموا شعار الصليب على اشرعة سفنهم واسطولهم الكبير ليستعمروا الجزر حيث أطلقوا عليها اسم ملك اسبانيا آنذاك .. فيليب الثاني الذي حدد شكل استعمار الفلبين التي اصبحت تمثل توازنا بين اهداف الغزو الثلاثة : نشر الدين المسيحي .. والحصول على الذهب .. وضمان المجد والنصر للاسبان ، لعل الهدف الأول فقط هو مقدمة خادعة للهدفين الاخيرين .

قديسون في كل مكان

ان سيبو في الحقيقة تبدو صورة معبرة للتأثير الاسباني في الفلبين . فقد اتخذها الاسبان عاصمة لهم قبل انشاء مانيلا ، وهي في الواقع ثاني اكبر المدن واقدمها في الفلبين ، ويسكنها اكثر من نصف مليون نسمة ، وفيها جامعة سان كارلوس اقدم جامعة في البلاد والتي تم انشاؤ ها عام ١٥٦٥ ، وهي تضم اكبر متحف للتاريخ الطبيعي والآثار التي عثر عليها في الفلبين .

في جولتنا بالمدينة كنا نحس كأننا نقوم بجولة عقائدية في اعماق الماضي الاسباني . فبخلاف كنيسة سانت اوجستين نجد في كنيسة « مانداوباريش » تماثيل مجسدة بالحجم الطبيعي للعشاء الاخير ، تمثل المسيح وحوله الحواريون الاثنا عشر ، وهي موجودة منذ بدايات الفترة الاسبانية . وعلى طول الطرق والمحلات والشرفات تطل علينا تماثيل لسانت نينو هي صور طبق الأصل من التمثال الذي يتصدر كنيسة سانت اوجستين، بل ان الشواطيء والمتنجعات السياحية المنتشرة في الجزيرة اطلقت عليها اسماء القديسين ، فعلى شاطيء تامبولي يقوم منتجع باسم سانتاروزا ، وحتى مصانع النبيذ تطلق عليها اسماء القديسين مثل مصنع سانتا ماري ، وحتى المطاعم والفنادق تحمل اسماء القديسين والقديسات .

من هذه العاصمة الكاثوليكية التي اقامها الاسبان في اسيا اتسع انتشار المسيحية في كل انحاء البلاد مع سيطرة النفوذ الاستعماري في أغلب الجزر خاصة مع توالي وصول بعثات التبشير ورجال الارساليات .

على ان الفلبينيين ، اذا كانوا قد تأثروا بالعقيدة المسيحية التي جلبها الاسبان خلال استعمارهم الطويل الذي استمر ٣٧٧ سنة الا انهم لم يكونوا مستسلمين باستمرار للحكم الاسباني السياسي .

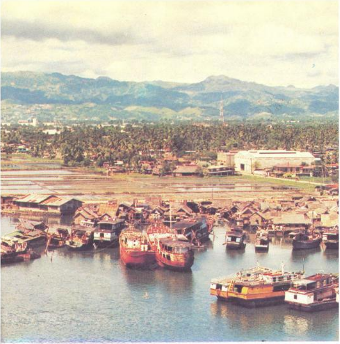
أبطال المقاومة ضد الاسبان

كان هناك صراع مستمر بين الشعب الفلبيني وبين الاسبان الذين عملوا على بسط نفوذهم الاستعماري باسم الصليب ، ولجأوا الى استخدام اقسى وسائل القمع والتنكيل والاضطهاد واشدها ضد سكان البلاد لاخماد ثوراتهم واضعاف مقاومتهم .

ان القلاع الاسبانية الكثيرة في كل انحاء الفلبين والمدافع المنصوبة على اسوارها تؤكد الى اي مدى كان الصراع بين الاسبان المستعمرين والمقاومة الشعبية في البلاد .

بعض هذه القلاع شهدناها في مانيلا وفي سيبو وفي زامبونجا ..

ومن اشهر القلاع الاسبانية التي مازال قائمة في قلب العاصمة مانيلا .. قلعة سنتياجو .. التي شهدت ابشع انواع الاعدامات بلا محاكمة لمعارضي النظام الاسباني .. مسيحيين ومسلمين .. وكل المواطنين الاحرار . ففي ركن قصي من هذه القلعة في نهاية الساحة الوسطى فتحنا عيوننا في ذهول على « السجن المقبرة » الذي كان المناهضون للأسبان يلقون فيه بالعشرات ولا يخرجون منه حتى وهم جثث .. فالسجن عبارة عن زنزانة كبيرة مظلمة تمتد بعمق تحت الأرض بلا أي منافذ او مخارج او تهوية ، يتم اغلاق بابها الحديدي على ابطال المقاومة لتطلق عليهم مياه الفيضان من نهر باسنج القريب في وقت المد فتغمرها حتى السقف ليقضي على السجناء فيها خنقا باسفكسيا الغرق . وبهذه الطريقة الرهيبة البشعة لقي مئات من الثوار حتفهم .. وكان أبرز قادة المقاومة ضد الطغيان الاسباني هو الشاعر الكاتب الشاب دكتور جوزي ريزال البطل القومي الذي اشعل ضد الغزاة شرارة الثورة التي كانت بداية النهاية للاستعمار الاسباني للفلبين .

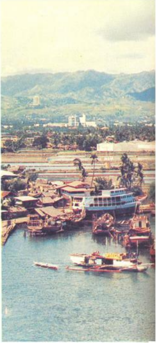


مشهد عام لمدينة سيبو كما تبدو من فوق قمة المعبد البوذى . .



ابـرز مـا تشتهر به سيبو صناعة الجيتار والمندولين . . وهى تعتبر من اهم الصادرات الى العـالم الخارجى .





« الباص » أو « الجيبق » بألوانه الزاهية والرسوم على جوانبه مما لايمكن ان يشاهد الا فى الفلبين

فوق فتاة فليبنيه من زامبونجا .. انها صورة من صور الجمال الذى يتميز به فتيات هذا الاقليم الاسلامى



يحدثنا مرافقنا بفخر ونحن نقف بين جدران السجن الانفرادي حيث قضى ريزال ايام سجنه الاخيرة داخل القلعة ، يقول :

كان دكتور ريزال أبرز ابطال المقاومة ضد الاستعمار الاسباني ، وقد أضاء مع انصاره شعلة الوعي والعصيان والثورة ضد حكم الطغاة ، حيث سطروا صفحة مجيدة من تاريخنا بدعوتهم للاستقلال والحرية . وقد وصف ريزال في رواياته الخالدة كيف كان الاسبان يقمعون الشعب الفلبيني على ارضه ، وكان يدعو الشعب الى الاهتمام بالاصلاح والتعلم والنظام ، وكان يقول : « اخواني المواطنين .. انني اتمنى بقدر ما تتمنون تحقيق الحريات لوطننا .. ولكني اعتبر تعليم الشعب شرطا اساسيا .. لانه بالتعليم والعمل الشاق يمكن للشعب ان يكتسب شخصيته الخاصة .. وبذلك يستحق هذه الحريات » .

وشارك مع ريزال بطل وطني آخر هو « اندراس بوتيفا سيو » العامل الحرفي الشاب الذي نظم جماهير الثورة وأسس جمعية سرية باسم « كاتيبونان » حشدت القوى من اجل الثورة المسلحة ، وقبض الاسبان على ريزال بتهمة مقاومة النظام وأعدموه ليكون عبرة للمناهضين للحكم الاسباني في ساحة « لالونيتا » ، التي اصبحت الآن تحمل اسم « منتزه ريزال » حيث يقوم في وسطها نصب تذكاري يحمل في قمته تمثال البطل الوطني الاسطورة .

.. وبدأ الاستقلال

استمرت الثورة ضد الحكم الاسباني حتى اندلعت الحرب الاسبانية الامريكية في ١٨٩٨ ، ودخل القائد البحري جورج ديوي على رأس الاسطول الامريكي في آسيا خليج مانيلا ودمر الاسطول الاسباني .. وكانت نهاية الحكم الاسباني بمثابة الدخول في فترة الحكم الامريكي ، وتخلت اسبانيا بعد هزيمتها عن جزر الفلبين للامريكيين ، لكن الجمهورية الفلبينية الأولى لم تعترف بشرعية هذا التحول ، وعقد قادتها مؤتمرا دستوريا في مالولوس لوضع اول ميثاق لها .

وكانت ثورة الفلبين ايضا ضد الحكم الامريكي ثورة دموية ولكنها قصيرة . وبدأ الفلبينيون يعيشون فترة جديدة تحت الوصاية الامريكية حيث احدثت التجربة تغيرات مثيرة في الفلبين .

أدرك الامريكيون مدى الحاجة الى منح الشعب الفلبيني استقلاله ، ولكن بعد تشكيل حكومة مستقرة تبسط سلطتها على البلاد ، *لذلك انشىء كومنولث في* عام ١٩٣٥ بزعامة الرئيس كويزون الذي وضع اسس جمهورية الفلبين المستقلة ، ولكن الحرب العالمية الثانية قامت قبل منح الفلبين استقلالها الكامل في ١٩٤٦ .

ومع نهاية الحرب نفضت الجمهورية الفتية عن نفسها انقاضها ، لتدخل في صراع جديد لاستعادة الاقتصاد والاستقرار الاجتماعي . وعانت في سنوات الاربعينيات والخمسينيات اشد العناء .

وفي عام ١٩٦٦ انتخب فردیناند ماركوس كسادس رئيس للجمهورية ، وبعد اربع سنوات اعيد انتخابه لفترة رئاسة ثانية .. لكن مشاكل الاقتصاد المخرب واضطرابات العصر اضطرته للعمل بموجب الحق الدستوري لاعلان قانون الاحكام العرفية في ١٢ سبتمبر عام ١٩٧٢ ..

مدينة الانسان

هذا هو ماقاله مرافقنا .

ولكن الذي لم يقله هو كيف سارت الامور بعد ذلك فيما بقي من السنوات العشرين من حكم الرئيس .

وقد شهدنا بأنفسنا الحقيقة التي تجري في « مانيلا » مدينة الانسان .. كما سمتها « السيدة الاولى » ايميلدا ماركوس بصفتها وزيرة المستوطنات البشرية .. بينما سمتها صحيفة « مانيلا تايم » بمدينة « الشحاذين والمشردين والأزقة المتخمة بالكبار والنساء والاطفال المتعاشين من حضيض السقوط الانساني » .. وهي شهادة شاهد لايكذب من اهلها .

ماذا رأينا في مانيلا .. المدينة ذات الوجهين ؟

لقد بدت لنا مدينة بائسة يغطيها التلوث بطبقة كثيفة تزيد من بؤس أغلبية سكانها الذين يعيشون في الشوارع الخلفية والأحياء المحيطة بها ، والتي تشكل حزام بؤس شاهد على التفاوت الطبقي الصارخ في عالم الفلبين ، والذي يسيطر عليه الرأسمال الامريكي .

في العاصمة التي يبلغ عدد سكانها مايزيد على أربعة ملايين نسمة ، بدت لنا أزمة الفلبين كلها .. أزمة تحول الحياة اليومية الى شبه مغامرة . مابين أي شارع والآخر لابد للراكب أو السائر ان يصارع زحمة

السير الشديدة . . وخلال هذا الصراع يمر المرء بكل الأزمنة وكل أشكال الحياة التي تتعايش في الفلبين . وبين أحياء الصفيح وأحياء البامبو وكسر الاخشاب كنا نجد أحياء أخرى تكاد تكون احياء لاتعرف النور ولا الهواء والماء . . تمثل زمنا لاعلاقة للقرن العشرين به . ورغم ذلك فـأنها هي التي تقـدم لمصـانـع الرأسماليين وأصحاب الثراء الأيدي العاملة وعمال الخدمات اليومية التي تحتاجها المدينة . في هذه الأحياء الهامشية البائسة يعيش شعب مغلوب على أمره ، وتتوالد كل أشكال البؤس والحزن لتتحول الحياة اليومية الى مأساة .

وعلى الرغم من الفقر والأزمة والبؤس وتجارة الأجساد ورق الاطفال ، فإن جولتنا في دروب تلك الأحياء تكشف لنا فلسفة هذا الشعب الذي يحاول جاهدا أن يحول بؤسه الى أمر محتمل . فمن فتحات تسمى نـوافذ تجـاوزا في جدران الخشب والكـرتون والصفيح ، نشهـد السكـان وهم يحاولـون رفـع أصواتهم بالغناء ، أو يعدون الزينة والأوراق الملونة والاقنعة الكاريكاتيرية لاحتفالات قـادمة . . ومـا اكثرها في الفلبين . . !!

أصحاب الملايين

ومن الأحياء الهامشية ننتقل الى حي « مـاكاتي » حيث المجمعات التي يملكها أصحاب الملايين ، والتي تغص واجهـاتهـا بـآخر صـرعـات بـاريس ولنـدن ونيويورك . . ثم الى حي فوربس بارك أحد الأحياء التي يسكنها اصحاب الملايين حيث تحيط به أسوار يحرس منافـذها حـراس أشداء بمـلابس رسمية ، مدججون بالسلاح ، يفتشون كل داخل اليه ويمنعون من ليس لهم مهمة أو علاقة بأصحاب الملايين . . وتتمـدد القصور التي يتـداخل فيهـا المرمر الأحمر والزجاج والفسيفساء مشكلا مدينة من نـوع آخر لا علاقة له بما يمكن أن نسميه أرض الفلبين . وأمام أبـواب القصور تستلقي سيـارات أمريكية فـارهـة بسـائقيها ذوي البـزات الرسمية بينـما تبـدو خلف الابواب الحديـدية حدائق واسعة ومسـابح خـاصة وعشرات من الخدم يذهبون ويجيئون في صمت . .

كانت كل الأمور في العاصمة تؤكد أن هناك حـالة عـدم استقـرار واسعـة تعكس نفسهـا في نـوع من الفسـاد ، أقله السـرقـات والـرشـاوي والصفقـات السوداء على الحياة العامة . كل الناس يعرفـون ان هناك ملايين الصفقات تعقدها العائلات الكبيرة أو حاشياتهم وأتباعهم ، وأن هناك آلاف القصص التي تمس نزاهة الجميع .

وأمام ساحة « كنيسة كيابو » في قلب العاصمة ، شـاهـدنـا حشودا كبيـرة تستمـع الى مـوعـظة راعي الكنيسـة ، وشدنـا زحام الحشد الذي لم تكفه الكنيسـة من الداخل ، فوقفنا ننصت . .

كـان راعي الكنيسـة يشن حملة عنيفـة عـلى الحكومة ، ويتحدث عن هبوط مستوى المعيشة في البلاد ، مشيرا الى المقربين من الـرئيس ماركـوس الذين يثرون في سرعة . . وتمثل رجل الدين بأحـد أصدقاء الرئيس وهو ادوارد كوجونجـو المسمى ملك جوز الهند . . كما ضرب مثلا بملك البيرة وهومساهم رئيسي في عدد من البنوك والشركات المغفاة عمليا من الضرائب وكيف يحظى بحمـاية مبـاشرة من عـائلة ماركوس ، ويكاد يضع يده على كل الاقتصاد المحلي مع شريكه روبرتو بندكتو . . ملك السكر . . !

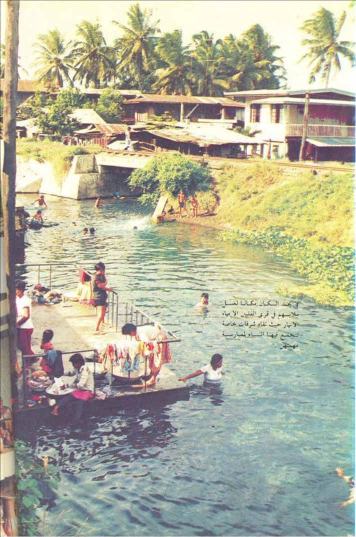
اذا كان ذلك كله يحدث في مانيلا ، فإنه لايعدو أن يكون صورة مما يجري في كل مكان في الفلبيـن التي تعاني من مشاكلها المزمنة . . البؤس وتفاوت الفرص بـين أبناء الشعب ، والتضخم المتصـاعد والـديـون الخارجية المذهلة التي تبتلع ثلث الدخل القومي .

همسة اخرى سمعناها من بعض الشباب قالوا :

ماذا تريدون منا أن نفعل حين نعرف ان ماركوس وايميلدا والمقربين منهـما يستثمـرون اكـثر من ٧٦٥ مليون دولار في مشاريع شخصية موزعة بين الولايات المتحدة واوربا ؟ ألم تسمعوا عن تلك المواجهة الحادة بين أعضاء البرلمان حين طلبت المعارضـة التي تملك ثلث المقـاعد منـاقشـة عـامـة فيهـا سمته « خيـانـة اقتصادية » ولكن الأكثرية الموالية للرئيس رفضت استمـرار المنـاقشـة . . فهـل يحـدث هـذا لصـالـح الشعب ؟ ألا تتصورون اذن سر قيام هذا الصـراع الجديد بين الحكومة « وجيش الشعب الجديد » ؟

جيش الشعب الجديد

ان ذلك في الحقيقة هو سر الصراع الجديد الذي وجد مكانه في الفلبين . . وهو الصراع الذي يهز كيان



لا يجد السكان مكانا لغسل ملابسهم في قرى الفلبين الا مياه الانهار حيث تقام شرفات خاصة تتجمع فيها النساء لممارسة مهنتهن



الفلبين مجمع الكنائس والقديسين وهي الدولة المسيحية الوحيدة بين كل دول آسيا وأبرز الكنائس وأقدمها في سيبو هي كنيسة أوجستين . . (الى اعلى) وغير بعيد منها كنيسة « ماندا وبايشي » حيث نحتت من الخشب تماثيل مجسدة بالحجم الطبيعي للعشاء الاخير . . تمثل السيد المسيح وحوله الحواريون . . (الصورة السفلى)



الدولة ويستقطب كل جهودها والذي يتمثل في « الجيش الشعبي الجديد »

تبدو أهمية هذا الجيش وخطورته في انه يحمل السلاح باسم الحزب الشيوعي غير الشرعي المقرب من الصين ، وانه بدأ نضاله ضد الحكومة منطلقا ايضا من منديناو في الجنوب ، كما بدأ يتوسع الى لوزون كبرى جزر الفلبين . وقد عرف الجيش الشعبي الجديد كيف يستغل المناخ الاقتصادي والاجتماعي السيىء والديون التي تصاعدت حتى بلغت حوالي ٢٦ مليار دولار ، ثم استمرار وجود القواعد الامريكية التي يبلغ عددها ٢٣ قاعدة عسكرية أبرزها قاعدة كلارك التي تضم الاسطول الجوى الامريكى الثالث ، وقاعدة سوبيك التى تضم الاسطول البحري السابع . . وهي كلها قواعد يحكم وجودها عقد ايجار يجدد كل فترة ، وكان آخر تجديد له في يونيو ١٩٨٣ لمدة خمسة أعوام جديدة تنتهي في ١٩٨٩ لقاء ٩٠٠ مليون دولار ، وهو قابل مرة أخرى للتجديد . . . . . !

في ظل كل هذه الظروف التي كان أشقها الانهيار الاقتصادي وهبوط مستوى الاستثمارات والعجز الكبير في الميزان التجاري وتوقف عدد كبير من مشاريع التنمية . . كان لابد للجيش الشعبي ان ينمو ويتسع ، حتى بلغ افراده في العام الماضي حوالي ١٥ الف فرد ، واصبح يسيطر على أكثر من ثلاثة آلاف قرية من بين مجموع القرى والنجوع في الدولة التي تصل الى حوالي ٢٤ الف قرية ونجع . وتزداد الخطورة في جزيرة منديناو حيث يبلغ تعداد الجيش الشعبي فى الجريرة حوالي ثلاثة آلاف مقاتل يشنون حرب عصابات فردية وجماعية ضد الجيش الحكومي .

والذي يثير مخاوف الحكم هو استمرار التأييد الجماهيري للجيش الشعبي وخاصة في منطقة دافاو ومناطق الذهب والسكر التي كاد هذا الجيش الثائر أن يحكم سيطرته عليها . بل هناك ماهو اكثر من ذلك . . فحتى بعض قطاعات الكنيسة الكاثوليكية نفسها ، استشعرت ان الاصلاحات في ظل حكم ماركوس لم تعد مجدية ، حتى انها الحت على بابا الفاتيكان أن يتدخل لدعوة الرئيس الفلبيني لاجراء اصلاحات سياسية مجدية . وإذ لم تجد الكنيسة أن ثمة شيئا ايجابيا يمكن ان يتم ، فقد بدأت القطاعات الغاضبة تصبح إحدى قوى المعارضة ، حتى انها اخذت تتعاطف مع الجيش الشعبي الجديد .

الصراع الكبير

ولعل ابرز أنواع الصراع وأكثرها اثارة ، وأحقها بالحديث . . هو ذلك الصراع الذى كان حديث الساعة ـ وما يزال ـ فى جميع أنحاء العالم والذى تتبعنا مشاهده وخضنا أمواجه وشهدنا معاركه التى كانت تجرى فى كل شارع وكل قرية وكل مدينة وكل جزيرة من جزر الارخبيل . .

انه الصراع حول الرئاسة فى المعركة الانتخابية بين ماركوس وكورازون أكينو . . والذي انتهى بمعركة دامية بعد تزوير الانتخابات وأدى الى سقوط ماركوس وتولي منافسته رئاسة الدولة . .

هنا . . يحتاج الامر الى عودة للوراء . . ولنتجاوز عما ظل يوجه كل يوم من انتقادات سياسية الى نظام حكم الرئيس المزمن فرديناند ماركوس من قبل مناوئيه

ولنبدأ مع حدث الساعة والذى كان بداية الاحداث الاخيرة . . وهو مقتل زعيم المعارضة بنينو اكينو ، الذى قتل فى المطار ذات يوم من أغسطس ١٩٨٣ وهو يهبط سلم الطائرة الى ارض بلاده ، دون ان تتاح له فرصة اللقاء بجماهيره التى احتشدت لاستقباله ، اثر ثلاث سنوات أمضاها فى المنفى الاختيارى بالولايات المتحدة ، سبقتها سبع سنوات عجاف أمضاها فى سجون ماركوس . وقد وجهت الجماهير وأنصار الزعيم المقتول وارملته اصابع الاتهام الى الرئيس وقائد أركان جيشه الجنرال فابيان فير ، بينما نفى ماركوس أن يكون له أى ضلع فى حادث الاغتيال الذى وصفه بأنه « جريمة مجنونة » لا يمكن ان يقدم عليها اى زعيم سياسى . ! فى الوقت نفسه طالب راعى الكنيسة الكاثوليكية الكاردينال جيمى سين الزعماء الوطنيين فى كلمته التأبينية قبل تشييع الجنازة « ان يحزموا امرهم والا يجعلوا تضحية أكينو بحياته تذهب هباء » وقال : عليكم ان توحدوا صفوفكم للتخلص من حكم الطغيان والظلم الذى قد يشعل نيران الانتقام والانقسام . ولم يكن ذلك فحسب . . بل ان لجنة تقصى الحقائق اكدت فى تقريرها الذى رفعته الى الرئيس ماركوس ثبوت اشتراك صديقه وقائد جيشه فى اغتيال زعيم المعارضة ، وتحدت الرئيس بأن يوجه الى رئيس

الاركان « فير » تهمة القتل العمد . وتضمن التقرير بالاضافة الى اسم الجنرال فير ضابطين آخرين برتبة جنرال وخمسة ضباط و ١٧ جنديا ومدنيا واحدا . واضطر ماركوس الى عزل رئيس الاركان ، وان كان قد وعده فى الوقت نفسه بتبرأته . . وهكذا تحولت « محاكمة العصر » كما اسمتها الصحف الفلبينية المستقلة الى واحدة من « مهازل العصر » حيث يقول المعارضون أنها كانت صورية وموجهة ظلت تطيل فى اجراءات المحاكمة طوال عامين حتى اصدرت حكمها فى اواخر ديسمبر من العام الماضى ببراءة الجنرال فير ، مما أتاح الفرصة أمام الرئيس لاعادة تعيين صديقه مرة اخرى على قيادة الجيش ليكون فيما بعد سنده الرئيسى فى تزوير الانتخابات !

ولعل ذلك الحكم الذى وضح فيه تحدى الرئيس لمشاعر الجماهير كان وراء اجماع قوى المعارضة على اختيار الأرملة كورازون اكينو لتكون مرشحة الرئاسة ضد ماركوس فى الانتخابات التى اعلن اجراءها فى السابع من فبراير ١٩٨٦ مستندا الى ان الاوضاع الجديدة قد تحولت بشكل كبير بحيث تصبح عودته الى الرئاسة مضمونة لست سنوات جديدة ، بعد عشرين سنة من توليه سدة الحكم ، معتمدا على الأداة القمعية التى يحركها فى وجوه الناخبين المعارضين ، والى الاحكام العرفية التى تقول المعارضة انه أجهض بها من قبل آمال الشعب فى التغيير .

الكنيسة فى صف المعارضة

والواقع أن فئات المعارضة وهى تجمع صفوفها لخوض الانتخابات ، لم تكن استراتيجيتها محصورة فى اظهار شعبية كل منها ، بل انها تحولت بهدف تسديد ضربة قوية لسلطان ماركوس الى التكتل وراء المرشحة الاكثر شعبية ، والتى نجحت فى تحويل نفسها الى رمز وطنى للمقاومة . وكان ذروة هذا التكتل ما أقدم عليه سلفادور لوريل أحد أبرز المعارضين وأكثرهم عراقة فى مناهضة حكم ماركوس من التحالف مع السيدة اكينو لتكون مرشحة الرئاسة بينما يقف هو مساندا لها لمنصب نائب الرئيس . . وهى خطوة لها أهميتها لأنه كان يحظى بدعم الكنيسة الكاثوليكية الواسعة النفوذ فى البلاد ، خصوصا وان الكاردينال سين كان قد ضاعف من حدة لهجته ضد ماركوس ونظامه ، حتى أنه واجه الرئيس فى رسالة رعوية بمناسبة الانتخابات قائلا : « ان الله لن يغفر للرئيس ماركوس اذا فاز بالغش فى الانتخابات » . . كما قال ان التوترات والرشاوى والاكاذيب والدعاية السيئة ضد المعارضة قد برزت بالفعل فى المعركة الانتخابية ، كما لم يخف الكاردينال انتقاده للحكومة فى الامور المتعلقة بحقوق الانسان والمبادىء السياسية والعامة .

الصورة بدت لنا أكثر وضوحا حين وقفنا غير بعيد من « ريزال بارك » عند تجمع خطابى للمعارضة فى جانب من ساحة ريكتو . كانت اللافتات حول المكان تحمل هجوما وسخرية بالرئيس والسيدة الأولى مع رسوم كاريكاتيرية تصورهما وهما يغترفان من أموال وجواهر مكدسة ، بينما يظهر فقراء فى أحجام صغيرة يمدون الأيدى اليهما فى استجداء دون ان يعيراهما التفاتا . .

كان الخطيب يهاجم بكل جرأة سادة قصر « مالاكانانج » حيث يعيش الرئيس الفلبيني . كان يقول وهو يشير الى بعيد حيث موقع قصور الاغنياء المحظورة على الفقراء فى العاصمة : « هل يعرف هذا الرجل حقا ماذا يجرى فى بلاده . . هل يدرك ان الفلبين بسبب حكم الطغيان والفساد تتمتع بأدنى معدل نمو اقتصادى فى كل جنوب شرق آسيا ؟ هل يستطيع ان ينكر الى اى مدى كان هو نفسه وراء تخريب الذمم والفساد والانحلال والخراب والفقر ؟ اسألوه أين ذهبت مليارات الدولارات من المعونات والديون التى تثقل كاهل الشعب ؟ اسألوه كيف استطاع هو والسيدة الاولى ان يملكا هذه الفلل والقصور والمبانى والفنادق والمجمعات داخل البلاد وخارجها ؟ اسألوه كيف انتخمت ملايين الدولارات أرصدته فى المصارف الامريكية ؟ ومع هذا فهو يقول انه لا المعارضة ولا أوراق الاقتراع سوف تخرجه من قصره فى مالا كانانج . . ولكنه سيخرج . . ولكنه سيخرج . . وسيخرج بدفع اصواتكم التى ستمنحونها لكورى ولوريل . . وأبدا لن يعود حتى لو اعتمد التزوير أو ألغى الانتخابات لان الشعب سيقف له بالمرصاد » .

صمود كوري أكينو

السيدة اكينو كانت تواصل معركتها صامدة .. وقد شهدنا آلاف اللافتات التي تحمل صورتها وعبارات التأييد لها تملأ الشوارع سواء في مانيلا أو في مختلف المدن والاقاليم ، بما في ذلك مندناو ذات الاغلبية الاسلامية ، حيث كانت هذه الأغلبية تقف في صف كورازون التي كانت تطرح في الجموع برنامجها الاصلاحي وخطوطه الرئيسية لانعاش الاقتصاد وتحطيم قبضة البيروقراطية والاحتكارات العميلة والقروض الخارجية .

وكان عشرات الآلاف من المزارعين وعمال المصانع يقفون على جوانب الطرق مع مرور موكبها يحيون البطلة السياسية غير العادية ذات الثلاثة والخمسين ربيعا ، ويلقون قصاصات الورق الملونة بالأبيض والأصفر بينها تهتف الجماهير : كوري .. كوري .. وهي تلوح بالرايات الصفراء رمز المعارضة لنظام ماركوس وكانت النسوة العجائز يرفعن صور السيد المسيح أثناء مرور الموكب عبر مدينة سيبو .

كان الصراع الانتخابي في الحقيقة رهيبا .. حتى أن المراقبين أكدوا أنها كانت أكثر الانتخابات دموية وتزويرا في كل تاريخ الفلبين ، بل ان الرئيس الاعلى والأب الروحي للكنيسة الكاثوليكية الكاردينال سين وقف على رؤوس الاشهاد بعد الانتخابات ليؤكد مرة أخرى ان الله لن يغفر لماركوس ما قام به من تزوير ، وأن النتيجة الرسمية التي أعلنها لم تكن الا قمة في الكذب والغش والجريمة .. وحتى الفريق الامريكي الذي أوفده ريغان لمراقبة الانتخابات قال على لسان رئيسه ان نتائج الانتخابات كانت مزورة مائة في المائة .

على أن النتائج التي أعلنتها حكومة ماركوس - والمخالفة تماما للنتائج التي أعلنتها الحركة القومية التطوعية والتي أكدت فوز اكينو - لم تكن بعيدة عن التوقع ، ووضعت الفلبين من جديد على مفترق الطرق . فقد كان الجميع يدركون أن الرئيس ماركوس لا يمكن ان يستسلم بسهولة ويتنازل عن مقر اقامته الدائمة التي استمرت طوال عشرين عاما ، بعد أن رسم تخطيطه وهو يقرر التعجيل بموعد الانتخابات أن يستمر على قمة السلطة لست سنوات جديدة .



● ماركوس وايميلدا غرقا في بحر الدم .. رسم لغلاف مجلة « اسياويك » المنتشرة في منطقة جنوب شرق آسيا

الغريب في الحملة الانتخابية لماركوس انه اعلن انه تعب من شغل منصب الرئيس وانه ينشد الراحة .. غير أنه أكد في الوقت نفسه أنه يسعى للفوز لفترة رئاسة ثانية لكي يجنب شعبه المعاناة .

وقال « خادمكم المتواضع اصابه التعب من تولى منصب الرئاسة وهذا التعب والارهاق يرجع الى انني جندي جريح .. »

وكان هذا هو ما حدث بالفعل ، فحتى بعد أن أصبح واضحا انتصار كورازون أكينو مرشحة المعارضة . . لجأ الرئيس ورجاله الى الاستيلاء على صناديق الاقتراع لايقاف عملية فرز الأصوات ، ولاعادة ترتيب الاوراق ، مع التهديد بالغاء الانتخابات اذا لم يفلح في تزويرها أو اعادة الاحكام العرفية . . وأن يستبدل بالاصدقاء الامريكيين الذين كشفوا التزوير والتدليس من كانوا أعداءه طوال أيام حكمه . .

وهكذا تحولت الفلبين الى برميل من البارود . . كان لا بد أن ينفجر .

هل تتحقق النبوءة ؟

ولعله من المثير بهذه المناسبة أن نتذكر ماقالته الصنداي تايمز البريطانيه في توقعات المختصين لاحداث عام ٨٦ . ونقرأ بالنص ماقالته الصحيفة عن الفلبين :

« بالرغم من فوزه المتوقع بكل امكانيات التزوير في الانتخابات التي ستجري في فبراير ، فإن الرئيس فرديناند ماركوس سوف يطاح به فيما بعد ، أو أنه سيغتال . . ومع حلول العام المقبل سيكون للفلبين عائلة حاكمة جديدة . لكن الولايات المتحدة ستظل متخوفه على استقرار ذلك الارخبيل في المدى البعيد .

« وليس هناك شك في نتيجة الانتخاب في فبراير ، اذ ان الجيش الذي أسسه ماركوس قوي ومنظم جدا ، ولديه شبكة واسعة من مثيري الفتن والفساد والتزوير بعد ذلك ستنمو قوة جيش الشعب الجديد وستصبح القوة المتحدة من الجيش والبحرية في الفلبين غير قادرة على وقف أعمال مقاتلي جيش الشعب . وهكذا لن يصبح بمقدور كبار ضباط الجيش أن يتحملوا المزيد من مماطلة ماركوس في تنفيذ ما اتفق عليه من اصلاحات ، وستصدر الاوامر من الكولونيل راموس الى الثكنات القريبة من مانيلا بتحريك الدبابات الى الشوارع في اواخر الصيف . وسيتم الاستيلاء على محطة الأذاعة وسيغلق المطار وتقتحم الدبابات القصر الجمهوري ، وسيتم اقتياد ماركوس وزوجته للمحكمة التي ستحكم بنفيهما الى الولايات المتحدة . . . . »



● كورازون اكينو . .

على مفترق الطرق

وتتابعت الاحداث . . وبدأت النبوءة تتحقق . . وأدت التطورات الاخيرة في الفلبين ـ بعد أن اقتنع الجميع بتزوير الانتخابات ـ الى اجماع الكنيسة الكاثوليكية بزعامتها الروحية ومؤتمر أساقفتها على عدم الاعتراف لماركوس بالحق في رئاسة الجمهورية ، مع التأكيد بأن تولى الحكم بالتزييف والتزوير امر غير اخلاقي لايغفره الله . . ووقف الكونجرس الامريكي بلجانه مؤكدا التزييف من خلال تقارير مراقبيه ومعلنا إيقاف المعونات وتحويلها لمنظمات تتولى أمرها بعيدا عن حكومة ماركوس . . وتخلت القيادات العسكرية عن ماركوس وانقسم الجيش على نفسه واحتلت قوات الكولونيل راموس ووزير الدفاع مبنى الوزارة كمقدمة لتطورات جديدة كان لابد ان تتوالى بعد ذلك . .

وتوالت الاحداث بكل عنفوانها ووقفت الفلبين بكل قدرها على مفترق الطرق . . .

وماتزال . . . . !

□

عربسات في عيده الأول

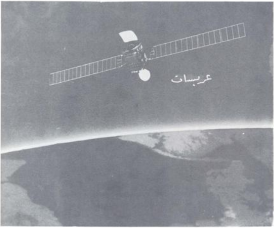
بقلم : طاهـر سـكر القيسـي

أصبح معروفا للجميع ماذا يعني عربسـات ؟

انه قمر الاتصالات العربي عبر الفضاء . في ٨ فبراير الماضي كان قد مضى عام كامل على ميلاده ، ذلك الميلاد الذي كتب له ، - ولجميع الاقمار - أن يكون في الفضاء وليس على الأرض . وبالرغم من أن ولادته كانت طبيعية ، الا أنها مرت بمراحل عسيرة ، كادت تسبب اجهاضه خلال فترة الحمل التي استمرت اكثر من أربعة أعوام .. فما هي منزلة عربسات الآن لدى أقطار الوطن العربي ؟ وهل سعدت بميلاده واستفادت بعد أن رعته حينها كان فكرة ، وتابعت سنين نضجه حتى ولادته . . . .

عربسـات .. فكرة مجردة :

يمكن القول أن عربسات كفكرة اولية مجردة طرحت بعد مؤتمر وزراء الاعلام العرب ، وجاءتنا من تونس ومن بنزرت بـالـذات عـام **١٩٦٧ ، حيث عقد المؤتمر آنـذاك ، ونقول فكـرة** مجردة لنميزها تماماً عن مؤسسة عرب سات الحالية ، اذ لم تكن قد طرحت آنـذاك فكرة القمـر الصناعي العربي بشكل واضح ، أو كما أصبحت فيها بعد ، انما تلك الفكرة **المجردة** كانت تبحث عن أكثر الوسائل نجاحاً وتأثيراً في استخدام الراديو والتلفاز للأغراض الثقافية والتربوية ، وخاصة في المناطق المأهولة وذات الكثافة السكانية العالية في الوطن العربي . وهكـذا كـانت نواة الفكـرة ، التي ظهـرت بشكـل دراسـة ابتدائية ، للهدف الأنف الذكر من قبل الاتحاد العربي للاتصالات ، ثم جـاءت دراسـة الاتحـاد العـالمي للاتصالات ، وبمساعدة اليونسكو مكملة للدراسـة



ـ عربسات في مداره بوضعه الطبيعي بعد فتح ذراعه المطوية

الأولى فيما بعد .

واضافة للاغراض الثقافية والتربوية ، كان الجانب الاقتصادي مهما جدا في بلورة الفكرة ، اذ ان المكانة الاقتصادية للوطن العربي ظهرت بشكل بارز للعالم ، ابتداءً من عام ١٩٧٣ ، فبسبب النشاط التجاري والمصالح المشتركة بين العالم والوطن العربي ، كان لابد من تحسين وتطوير شبكة الاتصالات بين أقطار الوطن العربي فيما بينها من جانب ، وبينها وبين العالم الخارجي من الجانب الآخر ، اذ لم يكن في الوطن العربي عام ١٩٧٢ اكثر من ٥٤٥ دائرة تلفونية ، بما فيها موجات « المايكروويف » بالاضافة الى « الكابلات » بكل انواعها .

وفي عام ١٩٧٤ بالتحديد أقرت فكرة القمر الصناعي العربي تحت اسم عربسات ، وبدأت المساهمة فيه على ان يقوم بتغطية الوطن العربي بخدماته على امتداد ٨١٠٠كم من الشرق الى الغرب ، وبعمق ٤٤٠٠ كم من الشمال الى الجنوب ، وان بقي بتقديرات المدى المتوسط من الدوائر التلفونية لغاية عام ١٩٨٤ ، والتي ضمنها الاتحاد العربي للاتصالات بـ ٣٥٠٠ دائرة تلفونية . وأكثر من ذلك فان عربسات سيفي بمتطلبات المدى البعيد لغاية ١٩٩٢ . وجدير بالذكر أن الدوائر التلفونية زيدت عما كانت عليه عام ١٩٧٢ من ٥٤٥ دائرة الى ١٦١٦ عام ١٩٧٦ .

الفكرة تصبح عربسات :

وبعد سنة من ذلك التاريخ اي عام ١٩٧٧ تأسست المنظمة العربية للاتصالات عبر الفضاء التي صاغت مقترحات ومتطلبات عربسات بشكلها النهائي ، بمساعدة شركة كومسات الأمريكية ،



ـ عربسات في مرحلة البناء والتكامل في تونور



- عربسات يرقد في جوف أريان الاوروبي
١٢ عن منصة الاطلاق في غويانا الفرنسية
قبيل اطلاقه خلال عملية العد التنازلي

وصدرت بشكل رسمي عام ١٩٨٠ ، وعرضت على بعض الشركات العالمية كما عرضت على مركز دراسات الفضاء الفرنسي في تولوز ، وكذلك على شركة فاك التي واجهتها مشاكل مع مكتب المقاطعة العربية ، ولم تفلح في أن تكون المتعاقد الأول مع عربسات ، وعلى أية حال أخذت فرنسا هذا المشروع ، ووقع العقد في مارس ١٩٨١ بكلفة اولية قدرها ١٤٣ مليون دولار ، على ان يتم التسليم عام ١٩٨٤ ، بالاضافة الى قمرين آخرين أحدهما احتياطي في المدار ، والآخر احتياطي على الأرض ، وأخذ الجانب الفرنسي على عاتقه تصميم وانشاء القمر ومولدات الطاقة والأنظمة الحرارية ، في حين تحملت شركة فاك كمتعاقد من الباطن مع المتعاقد الأول ـ فرنسا ـ مسؤولية الأجهزة العلمية الموضوعة على القمر .

الصعوبات :

يمكن تقسيم الصعوبات التي واجهت عربسات الى قسمين ، ما قبل الاطلاق وما بعد الاطلاق . ولعل أول مشكلة واجهت صناعة عربسات كانت عام ١٩٨١ ، عندما أشار أحد أعضاء الكونغرس الأمريكي الى ان شركة فاك - ومن خلال فرنسا ـ تعاقدت مع مجموعة من المساهمين في مجال الاتصالات ، من ضمنهم اعضاء ليسوا أصدقاء لأمريكا ، وأشار بالذات الى ليبيا واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية . ثم جاءت العقبة الثانية عندما رفضت الادارة الأمريكية آنذاك منح رخصة التصدير لشركة فاك لكي تساهم بالمشروع بحجة ان بعض الأجهزة المطلوب وضعها على عربسات غير عادية ، بل بشكل أدق ليست لقمر مدني مائة في المائة ، مما يعني أن القمر قد يكون للأغراض العسكرية . وقد مضى وقت طويل قبل أن تعلن الادارة الأمريكية موافقتها لشركة فاك ، والمشكلة الأخرى تمثلت في كيفية التنسيق والتوافق بين عربسات والقمر العالمي انتيسات ، الذي ينجز حوالي ثلثي الاتصالات العالمية عبر الفضاء . وبعد مفاوضات اقتنعت المنظمة العالمية للاتصالات عبر الأقمار التي تملك انتيسات بالأمر الواقع ، وخففت من احتكارها في نقل الاتصالات الخارجية عبر العالم لحساب عربسات . ولعل من المفيد هنا ان نشير الى أن المشكلة نفسها واجهت القمر الأندونيسي (بالاب) مع المنظمة الأوروبية للاتصالات وأقمارها الثلاثة يوتلسات ، اما الصعوبة الأخرى فكانت موضوع التشويش الذي قد تسببه بعض الأقمار الأخرى ، التي تغطي افريقيا والبحر الابيض المتوسط .

وقد اجتاز عربسات كل الصعوبات التي واجهته وحاولت اجهاضه ، وسار العمل فيه على ما يرام ، بالتعاون التام بين المنفذين والمساهمين ، واجتاز جميع التجارب والاختبارات بنجاح قبل الاطلاق ، وولد ولادة طبيعية بعد ٤٢ شهرا ، يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٨٤ استعدادا للاطلاق .

الاطلاق وما بعده :

وقد لعب القدر دوره في أن يكون هناك شقيق توأم لعربسات الا وهو القمر البرازيلي (برازيل سات) ، الذي ظهر للفضاء ساعة ظهور عربسات عند الساعة السادسة واثنتين وعشرين دقيقة بعد الظهر ، من يوم الجمعة ٨ فبراير عام ١٩٨٥ ، وسرعان ما افترقا كل في طريقه كي لا يلتقيا ابدا ، وقد بلغت تكاليف اطلاق عربسات الأول ٢٣ مليون دولار فقط .

وقد كان الاطلاق ناجحا تماما ، وظهر عربسات للفضاء من فوق الاراضي المغربية ، مما افرح الجميع ، وبخاصة شركة التأمين التي أمنت عملية الاطلاق بمبلغ ٢٥ مليون دولار . واستمر القمر باتجاه مداره ، الا ان المشكلة الكبرى التي حدثت كانت عدم انصياع احد ذراعي القمر للأوامر من الأرض للانفتاح ، اذ ان للقمر ذراعين تنتشر عليهما الخلايا الشمسية التي تمد القمر بالطاقة . (انظر الى الشكل رقم ٢) وبقيت الحال هكذا لاكثر من اسبوع وعربسات مهدد ، والجهود متواصلة من مسؤولي عربسات وشركة كومسات المستشار الفني لعربسات . وما لبثت الجهود ان نجحت في فتح الذراع المطوية ، الا ان المشكلة العظمى في هذه المرحلة تمثلت في عطل بعض اجهزة التوازن الخاصة بالقمر ، التي تحفظه في مداره ، وهي الأخرى أخذت وقتا غير قصير في حلها ، واضافة الى هذا وذاك فقد انحرف عربسات عن مداره الأصلي باكثر من نصف درجة ، وان لم تكن ذات اهمية كبرى ، بالرغم من

انها خرجت عن مدى الانحراف المتوقع اعتياديا ، ومقداره عشر الدرجة ، وهذا لم يمنع مؤسسة عربسات من المطالبة بالتأمين من الشركة المؤمنة ، الا انه يمكن القول بكل ثقة ان عربسات يعمل بشكل سليم تماما ، بالتعاون مع محطته الرئيسية في ديراب بالقرب من الرياض ، اضافة الى محطة خلفية اخرى في تونس ،وكلتا المحطتين صممتهما وانشأتهما شركة إن . إي . سي اليابانية ، التي ساهمت مع مركز دراسات الفضاء الفرنسي في مهمة تدريب كوادر عربسات بالاضافة الى ادارة عمليات السيطرة المدارية من خلال عقد موقع مع عربسات لمدة عامين .

الخلاصة والاستنتاج :

على الرغم من الجهود الجبارة والتعاون المشترك بين الدول العربية في خلق مؤسسة عربسات ، وانجاز مشروع القمر العربي الا انه لم يستفد منه لحد الآن بشكل مرض مقارنة بعمر القمر (٧ ـ ١١ عاما) ، وهذا بالتأكيد وقت مهدور كلف اموالا وما يزال ، بيتها اذا اخذنا بعين الاعتبار التأخر الذي حدث له اذ كان من المؤمل ان يطلق في اوائل عام ١٩٨٤ ، اضافة لعام آخر له في المدار ، فلم تقم الهياكل الارضية للاستفادة منه ، ومازال ٨٧,٥٪ من المحطات الارضية غير منفذ او منجز في الاقطار العربية .

لم ينل اي مشروع سابق في تاريخ العرب الحديث ، هذه الاهمية والتعاون المشترك ، والكلمة الواحدة ، والرأي المتفق ، بقدر ما ناله مشروع عربسات بكل هذه الضخامة : ميزانية مشتركة ، هدف سام ، مساهمة جدية ، ودعم متواصل . انه تجسيد للشعور القومي من المشرق الى المغرب ، لكن الطموح وآفاق المستقبل تتعدى الحالة الراهنة التي لا ترضي حتى عربسات القمر ، فخدمات الهاتف ، والبرقيات ، والتلكس ، وتبادل المعلومات ، بالاضافة الى التلفاز والمذياع لم تتجاوز جزءا بسيطا من امكانية عربسات ، كما ان مشروع القناة التلفزيونية المشتركة الخاصة بالتعليم لم تزل فكرة كما هي ، وقد كان من المفروض ان تساهم في ايجاد ثلاث جامعات : فلسطين ، وجامعة العرب ، وجامعة الخليج ، بحيث تكون صفوفها واقسامها متلفزة ، مفتوحة للجميع ، والهدف الاساسي منها امتصاص الفائض من خريجي الدراسة الثانوية ، الذين لم تتمكن الجامعات العربية من استيعابهم ، واكثر من ذلك يمكن استغلال عربسات في طبع مختلف الطبعات في الصحف العربية ، وفي اجزاء مختلفة من الوطن العربي ، وهذا ليس بجديد على بعض الصحف العربية ، فالجزائر مثلا تتبع هذا الاسلوب في طبع صحفها الوطنية في بعض اجزاء من الوطن من خلال القمر التجاري العالمي « انتلسات » الذي دخلت اغلب أقطار العربية الى ناديه ، كما ان بعض الصحف العربية تطبع طبعاتها الدولية بواسطة هذا الاسلوب ايضا .

ان اشارات عربسات يمكنها ان تصل الى عمق الصحراء العربية ، وحتى من خلال محطات ارضية متحركة متنقلة ، فعسى ان ندرك اهمية عربسات ونقيم المحطات الأرضية له كهدايا في عيد ميلاده الأول .

■ العلم بغير ايمان ضرب من النقص المعيب ، أما الايمان بغير علم فمهزلة لا تطاق (دستيوفسكي) .

■ قصر النظر . . . هو الذي قاد الانسانية الى قتل حكمائها ! (سقراط) .

■ عندما يأتي المساء . . . يأتي المساء ، ومعه مصباحه ! (جوبير) .

■ أزرع كل يوم . . . تأكل كل يوم (مثل شعبي) .



AL ARABI/NB: 200x130 (mm)

وجهاً لوجه



د. علي الراعي و د. أمين العيوطي

- الباحث يجب ألا ينفصل عن الواقع ، ولا ينبغي له أن يقبع داخل الجدران.
- التمثيل المصري والعربي بصفة عامة يعتمد على الكلمة فقط.
- المسرح لاينتجه الكاتب الذي لم يتنشق غبار الخشبة ، ولم يعايش العملية المسرحية بكل تفاصيلها .
- ظاهرة استخدام الممارسات الشعبية موجودة وناجحة ولن يجدي أن ننكرها .
- الافريقيون يستخدمون الجسم البشري كأداة طيعة للتعبير .

يدور الحوار في هذا اللقاء بين رجلين عرف عنهما اهتمامهما بالنقد المسرحي ، وقد تركا في هذا المجال آثارا باقية . ولاينسى جيلنا للدكتور علي الراعي اسهامه الفعال في لفت الانتباه الى ضرورة الأخذ بالمأثورات الشعبية ، وبالأشكال المسرحية المختلفة في تراثنا العربي - على بساطتها وأهميتها معا - وقد كان بذلك يقف في وجه من لا يرون في المسرح الا الصيغة اليونانية .

أما الدكتور أمين العيوطي فإن مواكبته للحركة المسرحية في الستينيات ، ومتابعته الدائبة للعروض التي كانت تحفل بالتوجهات الشعبية ، تضعانه في مكانه اللائق بين نقاد المسرح العربي الجادين .

تعددت وجوه د . علي الراعي الثقافية ، بين كبير المذيعين القديم ، وأستاذ الأدب الانجليزي ، ورئيس هيئة المسرح والباحث المسرحي ، وهو ما يجبرني في ايجاد مدخل إليك . فلنبدأ اذن بسؤالك عن أي هذه الوجوه أحب الى قلبك ؟

ـ ـ بعد هذه السنين الطويلة لم يعد ممكنا أن أجيب عن هذا السؤال باختيار أي من هذه النشاطات أحب الى قلبي ، فهي جميعا قد تشكلت وتوحدت وصبت في مجرى أوسع منها بكثير ، هو ما أقوم به الآن من نشاط . فقد أفدت من تجربتي في الاذاعة ، ومن تجربتي في التدريس الجامعي ، ومن ادارتي لمؤسسة فنون المسرح والموسيقا ومتابعة العمل النظري والعملي لحركة المسرح . استفدت من هذا كثيرا لتكوين الشخصية الثقافية التي أرى أنني أمثلها ، شخصية مثقف منفتح على الواقع مشغول به وغير منغمس فيه ، ويراقب مجريات الأمور من بعيد ومن قريب ليصل في النهاية الى قرارات قد تتخذ شكل مواقف أو تتخذ شكل أبحاث أو كتب . ومعنى هذا أن الباحث في هذه الأيام يجب ألا ينفصل عن الواقع ، ولا ينبغي له أن يقبع داخل جدران ، وانما عليه أن يشارك قدر الطاقة في الواقع المعاش في حياة بلده .

معنى هذا أن الوجه الأخير الذي يشرق علينا في حياتنا الثقافية هو أكثرها رحابة وبالتالي أحبها الى قلبك .

ـ ما من شك . وان كنت من الناحية العاطفية أحتفظ بذكريات عزيزة للاذاعة وللتدريس الجامعي ، خصوصا بجامعة عين شمس ، حيث لقيت أول من لقيت من شباب مصر عقب عودتي من دراستي في الخارج . هؤلاء الشباب مازلت ألقاهم ، وحين ألقاهم أشعر بفرحة كبيرة فقد انتشروا في جميع أرجاء الوطن العربي ، وهم يمثلون جزءا عزيزا علي ، جزءا من نفسي . تعلم أن العائد من البعثة يكون ملتهب الحماس في السنوات الأولى ، حدثت عسفا بخمس سنوات ، قضيت منها اربع سنوات فقط قبل أن أنتقل الى العمل بوزارة الثقافة ، فكنت أعطي وأدرس بجماع نفسي بكل ما أملك من حماس .

بداخلي إنسانان مختلفان

رغم دراستك لجورج برناردشو وأنت تعد بحث الدكتوراه في انجلترا في الخمسينيات ، ورغم اشتغالك بتدريس الدراما الأوروبية في الجامعات العربية ، الا أن المنهج النقدي الذي طورته معتمدا على الفنون الشعبية ، يبدو منفصلا عن هذا ، فهل كان لدراستك وعملك الجامعي أثر في توجيه فكرك الى هذا الاتجاه الجديد في النقد المسرحي العربي ؟

ـ سؤال في محله . الواقع أنني كطالب في الجامعة ، وكمثقف لاحقا كان بداخلي انسانان مختلفان :

انسان اسميه المهرج ، وانسان اسميه المثقف المتزن . وكان هذان الانسانان يتصارعان فيما بينهما . وعدت من البعثة والصراع بينهما لم يحسم ، الى درجة أنني حين تناولت بالنقد المسرحيات التي كانت تعرض هناك تناولتها من منطق أرسطي صارم ارى الآن انه كان بالغ الصرامة . ثم تغلب المهرج بداخلي فجأة . وأنا أعني هذا ، ولا أتردد في استخدام كلمة المهرج بالمعنى العلمي . تغلب الانسان الذي يفهم أن المسرح ليس ثقافة ولا كتابا ولا مؤلفا وانما هو لعبة مسرحية يشترك فيها جمع من الناس : المؤلف جزء منهم والطاقم التمثيلي جزء آخر والطاقم التمثيلي يتكون من كل من يعنى بما يجري على خشبة المسرح ابتداء من المخرج الى مصمم المناظر الى آخره ، والطرف الثالث هو الجمهور . وهنا أدركت أن المسرح ـ في الواقع ـ لعبة ، وينبغي أن يعامل على هذا الأساس . هذه الكلمة تطورت فيما بعد الى الكلمة التي أنقذتها من المهانة وهي كلمة الفرجة . قلت ان المسرح ينبغي أن يكون فرجة بادىء ذي بدء . ثم اذا كان لدى المؤلف أو الطاقم التمثيلي من القدرة والشفافية والعمق والنظرة النفاذة فإن هذه الفرجة تتطور الى شيء باق نسميه الأدب المسرحي . البداية اذن هي الفرجة ، والنهاية هي القيمة الأدبية التي قد تطبع في كتاب وقد تدرس . والعكس غير صحيح ، بمعنى أن المسرح يبدأ على الخشبة ومن باب دخول الممثلين ولا يبدأ في المكتبة حيث يجلس انسان ما ويكتب مايراه قابلا للتجسيد على الخشبة . وفي كل الأحوال المسرح لا ينتجه الكاتب الذي لم يتنشق غبار الخشبة ولم يعايش العملية المسرحية بكل تفاصيلها ، هذا المدخل كان لاصقا داخل وجداني ، منذ البداية ، حتى حين كنت طالبا بالمدرسة الثانوية ، ثم تطور بالدراسة في بلد مثل انجلترا التي تتبنى هذا الاتجاه ـ كما تعلم ـ وهو أن المسرح فرجة .

شيكسبير عميد كتاب المسرح في العالم كله ، كان موردا للفرجة بهذا المعنى .

كان يمثل ويخرج ويتعاون مع غيره في كتابة المسرحيات وبهذا استوعبت النظرية التي أشرت اليها ، وهي أن المسرح فرجة ثم سما بهذه الفرجة الى قباب وقمم مثل الملك لير ، وباقي المسرحيات الكبرى . ولكنه لم يهمل أبدا ـ في كل مرحلة من المراحل ـ هذا العنصر الثمين ، وهو الفرجة .

ولعله لهذا السبب ، كما تعلم ، لم يكن يعرف أن أعماله ستدوم بعده . وهذا يؤكد ماقلته من أنه كان يؤمن بالمسرح كمسرح ، ولم يكن يؤمن بنفس القدر بالنص المسرحي .

ـ لم يكن مؤمنا بما يسمى اليوم قداسة النص المسرحي ، لأن المسرح ـ الى عهد قريب ـ كان ملكا للمؤلف الذي كان يؤمن بأن النص الذي كتبه أمر مقدس لايجوز التغيير فيه . وشيكسبير لم يكن لديه هذا الاتجاه المتزمت ، أضف الى ذلك أنه كان يعلم تمام العلم أنه لم يكن يكتب أدبا ، بل لعله لم يكن يشعر أنه يكتب أدبا مسرحيا ، وأظن أن السبب الوحيد في موافقته على طبع مسرحياته كان هو الحفاظ عليهامن القرصنة المسرحية ، وان كان في بعض غنائياته مثل السونيتات يتخذ موقفا مترددا بين الفخر الشديد والايمان بأنها ستخلد ، وبين الضعة والشعور بالدونية أمام الأرستقراطيين الذين كانوا يحكمون البلاد آنذاك . كان لديه هذا الشعور المزدوج بأنه كان انسانا عظيما وأنه كان انسانا به قدر كبير من الدونية .

الاصول الشعبية للمسرح

د . علي ، كنت أول من وجه الأنظار الى الأمكانيات الدرامية في فنوننا الشعبية ، وإلى الأصول الدرامية في هذه الفنون ، وإلى امكانية اقامة مسرح عربي متميز الهوية على أساس من هذه الفنون . . لكننا نجد الكثيرين من دارسي المسرح العرب والغربيين ينكرون هذا التأصيل وهذه الامكانية . .

ـ الذين ينكرون الاصول الشعبية للمسرح ، أو الممارسات الشعبية للمسرح ، من العرب فريقان : فريق لم يكلف نفسه عناء القراءة ولا يعلم ، وفريق يقف من المسرح نفس الموقف المتزمت الذي كنت أقفه أنا في بداية اشتغالي بالمسرح ، وهو أنه مالم تكن

المسرحية مكتوبة حسب المواصفات الأرسططالية فهي ليست مسرحا . ولهذا نجد زميلا درس المسرح اليوناني ينظر باستخفاف الى كل المحاولات التي تبذل لتأصيل المسرح العربي ، باستخدام كل ماهو موجود في الوجدان العربي والمأثور العربي من ممارسات مسرحية لاشك فيها .

هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك أناس يرفضون ولا يلتفتون الى ما يجرى في واقع الأمر ، وربما كنت من أوائل الناس الذين لفتوا النظر الى اهمية المأثورات الشعبية ، ولكنني لست الوحيد ، ولهذا فانني ألفت النظر الى جهود كثيرين من رجال المسرح ، أنا لا أعدو ان أكون منظرا مسرحيا وباحثا ، فقد رأيت ما رأيت وكتبت عنه ، وتناوله غيري من رجال المسرح بالتجربة العملية ، وأخطر ما يمكن أن تختبر به التجربة النظرية هى التجربة العملية ، والنتيجة أن هناك مسرح الحكواتي في لبنان ، والأعمال التي كتبها عز الدين المدني وأخرجها المنصف السويسي في تونس ، وهناك الفرق التي تشتغل بالتأليف الجماعي والاخراج الجماعي ، وهناك الطيب الصديقي الذي جرب في كل مسرحية من مسرحياته شتى الاتجاهات الشعبية ، وقد التفت الطيب الصديقي الى فصل كتبته في كتابي فنون الكوميديا بعنوان « المقامة تدخل المسرح » ، وفي هذا الفصل كنت أتحدى أن يكون هناك مخرج شجاع يقبل التحدي ويخرج مقامات بديع الزمان الهمذاني المعنونة باسم « المقامة المضيرية » وبها مسرح لاشك فيه وشخصية كوميدية من الطراز الأول قابلة للتجسيد بشيء من الخيال . التقط الصديقي الفكرة وجعل المقامة المضيرية واسطة العقد في عرض مسرحي نجح أينما عرض بعنوان « بديع الزمان الهمذاني » . وقد أثبت هذا بما لايدع مجالا للشك أن المقامات ـ كما سبق أن قلت ـ تحتوي على دراما جنينية تحتاج الى من يطورها . واذا عدنا الى التاريخ حين دخلت المقامة الى المسرح على يد ابن دانيال ، وعن طريق مسرح خيال الظل ، أصبح مما لاشك فيه أن هناك مسرحا وان كان التمثيل فيه يتم بالوساطة . وأما الذين ينكرون أن العرب عرفوا المسرح فهم ينظرون الى الأدب الرسمي فلا يجدون مسرحا في الاشكال الشعبية ، لأن المسرح فى عرف هؤلاء الرسميين « شغل الأوباش » . ولحسن الحظ أنهم تركوا هؤلاء « الاوباش » ينتجون لنا مسرحا فعلا ، وشغلوا هم بالشعر والقضايا الأخرى التى كانت تعنيهم . والدليل على أن مسرح خيال الظل مسرح بكل المقاييس ، انه فى أواخر القرن التاسع عشر استطاع الفنان السورى جورج دخول ان يحول بابات خيال الظل الى دراما بشرية ، كان يقدمها بعنوان « فصول كوميدية » تقدم فى المقاهى والتجمعات الشعبية . وقد كان لهذه الفصول أثر كبير فى الكوميديا المكتوبة . فقد تأثر بها ابراهيم رمزى ،ومحمد تيمور ، وتأثر بها حتى توفيق الحكيم .

صراع بين المسرحين

على الرغم من ذلك مازال الصراع يدور بين المسرح الرسمى والمسرح الشعبى حتى الآن ، وهناك أيضا الاتجاه فى أقطار الوطن العربى الى الأخذ بالاشكال الشعبية ، ومحاولة تأسيس نوع من المسرح العربى المتميز . وقد أشرت الى استغلال المقامة فى المغرب ، ولكنك لاشك تعرف أيضا أن نفس الشكل استغل فى العراق على يد قاسم محمد .

ـ قاسم محمد لجأ الى شكل أوسع ، وهو شكل السوق فى « بغداد الأزل » ، واستطاع أن يقدم عرضا شيقا ، وان كان السوق موجودا فى بابات ابن دانيال وبالتحديد فى بابة « عجيب وغريب » . والسوق موجود على الطبيعة فى سوق ساحة الفناء فى المغرب ، حيث تجد كل ألوان التمثيل الشعبى ، من التمثيل المفرد ، والنكات ، والمباريات ، والرقص ، الى استخدام المهارات المختلفة . فهو سوق يُعدّ متحفا يوميا يحتفظ لنا على الطبيعة بما كان ابن دانيال يصوره فى باباته . إن ظاهرة استخدام الممارسات الشعبية موجودة وناجحة ولن يجدى أن ننكرها .

وبعض الكتاب الذين تعودوا أن يصبوا كتاباتهم فى القالب اليونانى ، يرفضون بشدة أن يمتحنوا هذه المقولة أو أن ينظروا الى مايقدم على الساحة فعلا ، فاذا واجهتهم بالواقع بهتوا وقالوا ان مايكتبونه هم هو

المسرح . هناك مثلا في الموسم المسرحي الماضي كانت تجربة قام بها المخرج الشاب مراد منير ، استغل فيها ما في مسرحية « منين أجيب ناس » لنجيب سرور ، فقدم لنا عرضا ممتازا نسف الشكل اليوناني من اصله وأظهر كم هو عقيم وبعيد عن الناس ، ومنفصل عن المنصة . وبذلك قدم عرضا كان يقابل بالهتاف والضحك والمشاركة الفعلية الحية ، واجتذب الناس من بيوتهم ، جعلهم يخوضون أهوال المواصلات أسبوعا بعد أسبوع على امتداد شهرين . وقد لفت هذا العرض الأنظار بشدة حين قدم في بغداد . ولا ادرى كيف يغمض أنصار المسرح التقليدي عيونهم عن هذا ، ولا أستطيع تفسيره الا من باب التحيز .

هناك أيضا بعض المثقفين الذين بدأوا يركبون الموجة ، ويفتشون في المأثور العربي عن المسرح ، حتى توصلوا الى ان الجاهلية لم تكن تخلو من مسرح ، أو من ظواهر مسرحية ، وفجأة عدل هذا الفريق من الناس عن هذه النظرية ، وراح يزعم أن قضية التراث قد وصلت الى طريق مسدود ، وأنها لم تكن قضية ، في الوقت الذي تنجح فيه معظم المسرحيات التي تقوم على التراث وتلفت النظر . والأمر الثاني الأخطر من هذا بكثير في رأيي المتواضع هو أن المسرح الذي يقوم على التراث هو المخرج الوحيد لما يسمى بأزمة المسرح الجاد .

أجيال من النقاد

● عموما هل ترى معي أن هناك خطا ممتدا يشمل د . محمد مندور ، ود . لويس عوض ، ود . على الراعي ؟ اذا كان الأمر كذلك ، رغم الفروق الواضحة في منهج كل منهم ، فأين يقف د . على الراعي من هذا الخط الذى انتهجه نقاد كان لهم أثرهم في النقد المسرحي العربي ؟

ـ أولا ، د . محمد مندور ، ود . لويس ينتميان الى جيل سابق على . . هذا الجيل لم يعرف المسرح ، بل عرف الشعر ، الى ان ظهرت النهضة المسرحية الواضحة في الخمسينيات ، فاجتذبت الكثير من كتاب القصة والرواية ، كما اجتذبت د . مندور ، ود . عوض لأنهما اهتما بالمسرح كظاهرة موجودة ، ولأنهما متفقان ، ولأنهما قدرا أنهما يستطيعان الخدمة في هذا المجال . ود . لويس عوض ما يزال يقترب من المسرح اقترابه من الكتاب ، والدليل على ذلك أنه احيانا يصدر احكاما سالبة على بعض المسرحيات ، ثم تظهر التجربة على المسرح أن رأيه في غير محله ، كما حدث في مسرحية « الدخان » لميخائيل رومان . أما د . محمد مندور فهو انسان فائق الحس ، قابل للتشكيل ، وعنده مرونة كبيرة وقدرة على الخدمة . ولم يكن اقترابه من المسرح صعبا عليه ، فقد تناول الكثير من الاعمال والكتاب بالبحث والدراسة ، ولكنه لم يتحقق له ما تحقق لى من نظرة الى المسرح كلعبة ، بل نظر اليه من باب انه ادب وقيمة . ولهذا كان تقويمه لمسرح نعمان عاشور على أنه مسرح « الاوتشرك » أو الريبورتاج المسرحي ، وهذا غير صحيح .

توجهات النقد

● الحقيقة انى كنت اعنى بالسؤال انه اذا كان د . مندور يأخذ خطا اجتماعيا في نقده ، وان د . لويس رغم تناوله للأعمال من خلال ثقافته الواسعة ، الا ان خطه السياسى كان واضحا فيما يكتب ، اما بالنسبة لك فقد تمثل الخط الشعبي في نقد المسرح ودراسته ، وهنا أجد نوعا من الصلة بين الخط الاجتماعي والسياسي والشعبي .

ـ بهذا المعنى فإن تبنى نظرة شعبية الى المسرح والدفاع عن المأثورات الشعبية في المسرح ، هذا في حد ذاته موقف سياسى ، رغم اختلاف المداخل .

● هل ترى فيمن جاء بعدك من جيل النقاد من استمر على هذا الخط أو طوره أو اضاف اليه شيئاجديدا ؟

ـ سؤال محرج : لأننى افكر في الكتاب الشبان . اقربهم الى قلبي ونفسي هو فاروق عبد القادر ، الذى بدأ كتابه « ازدهار وسقوط المسرح المصرى » بانكار أن

يكون هناك مأثورات شعبية فى المسرح العربي ، وقال ان هناك من يعتقد هذا مثل الراعى ، ولكننى لا اعتقد . فؤاد دوارة قال على مضض انه يمكن أن يكون فى المسرح ما يقال بانه مأثورات شعبية تستطيع خدمة المسرح ، ولعل معرفته بالاخوان العراقيين الذين يمارسون هذا النوع من النشاط قد كان له أثر فى تحويل وجهة نظره من المسرح الرسمى الى المسرح الشعبي . الوحيد الذي اشعر انه تأثر بما كتبت ، وأخذ هذا السبيل هو نبيل بدران الذى يكتب عن المسرح في آخر ساعة . نبيل بدران أقام مدة فى العراق ، ومدة فى الكويت ، ثم جاء الى مصر بعد أن ازداد معرفة بالوطن العربي . وفي الحقيقة أننا مازلنا نأخذ وجهة نظر اقليمية ، بمعنى أن ما يحدث في مصر هو ما يحدث في العالم ، واذا حدث خارج مصر شىء فهو لا يستحق النقد في بعض الاحيان . والمثقفون المصريون يقاومون كل محاولة لتعريفهم بما يجرى خارج مصر . لكن نبيل بدران وعى تماما معنى قيم المسرح الشعبي والبحث عن هوية للمسرح العربي ، وأدرك معنى الجهود التى بذلت في بغداد ، وفي مهرجان جرش بالاردن ومهرجان قرطاج بتونس لبعث الاهتمام بالمسرح الشعبي العربي .

وأخطر من هذا محاولات للافادة من المسرح الافريقي أيضا بمعنى الاستمرار ، وصلة القرابة ، والصلة المشتركة والآلام المشتركة بيننا وبين المسرح الافريقي . ومنه نستطيع ان نتخلص من أحد العيوب البارزة في التمثيل المصرى والعربي بصفة عامة ، الذى يعتمد على الكلمة فقط ، ولايستخدم باقي اجزاء الجسم في التعبير . الافريقيون يستخدمون الجسم البشرى كأداة طيعة للتعبير ، أما فنانونا المسرحيون فلا يزالون « افندية » يأنفون ممن يوجههم الى التمثيل الشامل . ينبغي ان أشير الى أنه كانت هناك محاولات قبل نشر كتبي ، قام بها الفريد فرج الذى تطور بعد حلاق بغداد الى الاتجاه الشعبي وخصوصا في « على جناح التبريزي » . ثم ظهر في الستينيات يوسف ادريس بمسرحيته « الفرافير » ، وهى لا تعتمد المأثور الشعبي بقدر ما تعتمد كوميديا السيرك شكلا ، أي الشكل المرتجل المقنن ، المتفق عليه سابقا ، وله أيضا كتابه « نحو مسرح عربي » . وهذا ينبغى أن يذكر له .

● د . على الراعي

تخرج فى قسم الادب الانجليزي ، جامعة القاهرة ، ١٩٤٣ . حصل على درجة الدكتوراه عن رسالته عن مسرح برنارد شو ، برمنجهام ، ١٩٥٥ . عمل مذيعا وكبيرا للمذيعين ، ومخرجا اذاعيا بالاذاعة المصرية ١٩٤٣ - ١٩٥١ ، وعمل محررا ادبيا لصحيفة المساء ، ورئيسا لتحرير مجلة المجلة ، ورئيسا لمؤسسة المسرح والموسيقا بوزارة الثقافة ، كما عمل استاذا لمادة الادب المسرحى المعاصر بجامعة عين شمس ، ومعاهد اكاديمية الفنون بالقاهرة ، واستاذا لنفس المادة بجامعة الكويت من ١٩٧٣ - ١٩٨٢ ، واشترك في العديد من المهرجانات والمؤتمرات المسرحية الدولية . من مؤلفاته فن المسرحية ، الكوميديا المرتجلة في المسرح المصرى ، توفيق الحكيم فنان الفرجة وفنان الفكر ، فنون الكوميديا في خيال الظل الى نجيب الريحاني ، مسرح الدم والدموع ، مسرحيات ومسرحيون ، دراسات فى الرواية المصرية ، شخصية المحتال في المقامة والحكاية والرواية والمسرحية في عام ١٩٨٠ حصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمى عن كتابه المسرح في الوطن العربي .

● د . أمين العيوطي

تخرج في قسم الادب الانجليزي ، جامعة القاهرة ، ١٩٥١ ، وحصل على درجة الماجستير في الادب الانجليزى ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٧ ، ودبلوم الدراسات الانجليزية ، جامعة ليدز ، ١٩٦١ ، ودكتوراه الادب الانجليزي ، ليدز ١٩٦٤ . عمل استاذا للأدب الانجليزى بجامعتى المنيا والقاهرة ، واستاذا للنقد المسرحي ، ورئيسا لقسم النقد والادب المسرحى بالمعهد العالى للفنون المسرحية في الكويت . اسهم في الحركة المسرحية بالعديد من المقالات والابحاث والدراسات المسرحية في مجلة المسرح وغيرها من المجلات الادبية . قام بترجمة « النورس » لتشيكوف ، وستيفن د . و « منفيون » لجيمس جويس ، و « الفتى المذهب والسكين الكبير » لكليفورد اوريتس ، « ومعنى الواقعية المعاصرة » لجورج لوكاتش . له روايات الصمت والصدى ، وليالى الشمس ، وليل الطير الغريب . □

إحباط الكلمات

بقلم : فاروق خورشيد

حينما تنهزم الحياة ، ويتغطى وجه الأرض بالطفيليات والهشيم ، وتصبح الابداعات السامية والقيم الانسانية النبيلة أعباء على كواهل اصحابها ، تصل بهم الى اليأس حينا والأسى أحيانا ، والتنحي آخر الامر ، فكيف يكون لنا أن نتوجه اليهم بالكثير من اللوم أو العتاب .

كانت مفاجأة أن يعلن مقاتل بالكلمة أنه يرمي السلاح ، وهو مقاتل عنيدخاض أكثر من معركة ضارية ، ولم يتردد ولم يتراجع ، وتعرض لسخط الرأي العام ، وسخط الكُتّاب من اليسار ومن اليمين على السواء ولم يتزلزل ، ظل ممسكا بقلمه يصارع في عنف وعناد ، حتى حين وصل الأمر الى الاتهامات الخبيثة ، أو الى التقديم الى القضاء ، لم يتخل لويس عوض عن اصراره وموقفه العنيد المحارب .. فما الذي حدث ليخرج علينا في حديث مع احدى جرائد القاهرة الصباحية بأنه انتهى هو وجيله ، وعليه أن ينسحب وأن يضع القلم ، فقد انتهت الرسالة منذ هزيمة ٦٧ ، ولم يعد لكُتّاب هذا الجيل دور بعد هذا التاريخ .. والمفاجأة هي نبرة الهزيمة التي تجلت في كلمات الدكتور لويس عوض ، والاحساس بالاحباط الذي تجلى وراء عباراته ..

فليس هو لويس عوض المقاتل الذي نعرفه ..

ومامعنى أن يخوض بعد ٦٧ أكثر من معركة ، وخاصة بعد صدور كتابه فقه اللغة وكتابه عن الأفغاني ، ومقالاته عن الجنرال يعقوب ، وكلها إثارة وتحد واستفزاز ، لم يأبه لكل ما أثاره بها كلها من غبار متطاير وتهم ، تحولت في كثير من الأحيان ـ الى شواظ ملتهب ، وتهم حادة صارخة .. مامعنى أن يقبل مكانا أسبوعيا ثابتا في مجلة قاهرية ، لايتوقف عن ملئه الا ليلتقط أنفاسه ثم يعود اليه من جديد .. مامعنى أن يحاضر ويجادل ويناقش ، ويقبل أن يظهر في الحياة الثقافية العامة في أكثر من مناسبة بصورته المعتادة العنيدة القاسية في بعض الأحيان .. ثم يأتي في نهاية عام ٨٥ ليعلن مفاجأته المثيرة هذه .. ؟ هل كان لابد من مرور كل هذه السنوات التي تقترب من العشرين ، ليدرك لويس عوض أن رسالته انتهت ، وانه عليه وجيله أن يتنحوا عن العطاء الثقافي والادبي ، لارتباطهم بهذه الهزيمة وبمعناها ونتائجها .. ؟ هل

انتظر كل هذه السنوات لترسب قطرات المرارة قطرة قطرة ، فيفيض الكأس وتتحول القطرات الى دموع وفجيعه ويأس ؟ ام أن الأمل طوال هذه السنوات كان قائما ، كانت رؤية الغد تمنع أحزان اليوم أن ترسب ، وكلما وصلنا الى غد حزين أصبح يوما يمضي ليتطلع الى غد واعد ، فاذا هو بعد حين حزين . ومن يوم الى غد تزداد الأحزان ويخفت صوت الأمل ، الى أن يصل بنا الى مرحلة اليأس الكاملة ، بعد كل هذه السنوات العنيفة المناضلة المتطلعة بأسى الى شيء واحد لايجيء ، شيء لا يتحقق أبدا ، كلما انتظرناه واقتربنا منه ابتعد وتاه . . واجهدنا السير واستبد بنا العطش فتركنا سلاحنا ، ودفنا رؤوسنا يأسا في رمال الهزيمة ، لنعلن أن الحمق ماعشناه ، وان الحمق ما أملناه ، وان الحمق ماحددناه ، وانا كما قال أبو سليمان زرعنا في أرض صفوان ، وهذا حصادنا باطل الأباطيل ، الكل باطل ، وقبض الريح .

بين المازني ولويس عوض

رحم الله المازني ، ورحم صرخته الضاربة ، ماذا أفعل ، هل أقتلع شجرة بلوط لاغمسها في ماء النيل واكتب بها ليسمعني الناس . . يا ابراهيم قم فالنار برد وسلام عليك ، وستجتازها والناس شهود ، وستهزم النمروذ بن كنعان حين يوجه سهامه الى السماء ، ويعود مقرورا ترسخ في جمجمته حشرة صغيرة تجعله يضرب رأسه في الصخر حتى يموت . .

ما الذي استدعى ابراهيم المازني الآن ، ونحن نتحدث عن لويس عوض ، أهي المرارة التي جعلت المازني يحرق شعره كله ، أهي الأحزان التي أحاطت بلويس حتى جعلته يعتزل كل شيء الى شقته الصغيرة في الهرم ، ويضع فيها اسطواناته وشرائطه وكتبه ، ويخفي راسه ويبحث عن معنى ان يطرق عليه انسان بابه في كهفه فلا يجد . . وهو الذي كان مهوى أفئدة كل الكتاب ، ومحط أنظارهم وكعبة حجهم ، يوم كانت كلمة منه تصنع شاعرا ، وكلمة منه تخلق قصاصا ، وكلمة منه تضيء وجه الحياة لشاد جديد في دنيا الأدب . . ؟ .



محنة النقاد والمفكرين

ولكن كل شيء تغير ، ولم تصبح كلمات الناقد حية نافذة ، وانما غدت شيئا لاتحبه الصحف ، ولايحبه الجدد من أبناء الأدب،تكفيهم كلمات صحفي ، وتكفيهم أخبار تنشر هنا أو هناك ، أما التقييم الجاد فشيء ليس في صالح المتعجلين المتسرعين غير الواعين ، بمعنى أن الأدب استمرار وتواصل وجدية ، وليس قفزا واعلاما وعدوية وكتابة ممجوجة مكرورة في الاذاعة أو التلفزيون وبرامج ثابتة ومأمورة و مرعية . . هم لهم منطقهم ، وهو الذي يسود ، وهو حياة اليوم وملحها . . فكل شيء جاد يتضاءل وينكمش ، ثم يذوي وينهار ، ويفوز من يخططون لهذه الأمة أن تتسطح ، وتصغر، وتتفه وتنهار .

معين يرتطم بالعوائق

مازلت أذكر لويس عوض وهو ينتقل بين مبنى قسم اللغة الانجليزية . . والمبنى الرئيسي لكلية الأداب برداته الجامعي ، حين كان لبس الروب الجامعي شرفا لكل من يلبسه ، ليحاضرنا نحن طلبة قسم اللغة العربية في ماكبث ولغة شكسبير . . وتقفز كلماته العارفة العالمة الثائرة الى عقولنا وقلوبنا ، لنفهم معنى الصراع ومعنى المأساة ،ولنعلم بعد ذلك وطوال العمر كيف نقرأ شكسبير والدراما ، وكيف نفهم لغة شكسبير ، وكيف نحاول أن نكون على مستوى النص المطروح علينا في تحد مثير . .

ثم ترك لويس عوض الجامعة ، وملأ حياتنا عطاء وعلما وفنا ، اتاح قلمه لنا مزيدا من النور والاضاءة لنعرف الطريق ، ونحاذر مهاوي الزلل . . ولم نكن نتفق معه في الكثير من كلماته ، ولكننا كنا نتفق معه في المنهج والطريق. والمعرفة بكل دقتها وموسوعيتها ما أمكن للجهد والعمر أن يحصلاها ، ثم الكتابة بعد هذا . . أما الكتابة التي تستند الى الجهل والقفز والادعاء و (الفهلوة) فهي عدوة الحياة وعدوة الجدية ، وعدوة بناء أمين للمستقبل . .

والمغامرة في دنيا الابداع ، المغامرة الجادة الجريئة بلا حدود ولاعوائق ، ولاضجة على التافة من سقط المتاع . . قدم لويس عوض تجربته الشعرية في بلوتولاند،وتجربته الروائية في العنقاء،وتجربته المسرحية في الراهب،وتجربته الذاتية في يوميات طالب بعثه ، الى جوار تجارب العقل والدرس والنقد ، ومغامرات الفكر والبحث في كل ميادين الفكر والبحث المتاحة والمطروقة . .

ومن أجل فكره المعلن كرهه كثيرون ، واتهموه (بالشوفينية)والاقليمية والعصبية الدينية . . ومن أجل فكره المعلن كرهه كثيرون آخرون وأتهموه بالثورية والتقدمية والاشتراكية . . وفصل من أكثر من عمل ، ثم عرف السجن وعذاب السجن ،ومهانات المعجبين بأنفسهم وسياطهم ، وأن لهم الكلمة اليوم ليقهروا كل كلمة للغد . . ويوم خرج من المعتقل صحبه أخي صلاح عبد الصبور ليجلسا عندى جلسة هادئة ، نستمع ونحزن ، ثم نستمع ونمتلىء مرارة ، ثم نستمع ونرى دموعنا تتفجر ونحن لانستطيع أن نمنعها ، ولم تكن دموعنا حزنا على ماحدث للويس ، وانما كانت دموعنا حزنا على ما يحدث للفكر والمفكرين في بلادنا ، حين يضع الناس الأحذية فوق الرؤوس .

وتجاوز لويس عوض التجربة المرة ، وعاد وجهه الأسمر يحمل ابتسامته الفرحة كطفل ، المريرة كبهلوان ، الحكيمة ككاهن ، يرعى طقوسه في معبد أوزيس المحترق على حافة الهرم . .

هل تتقاطع أجيال الأدباء ؟

واحدث اعلان لويس عوض المفاجىء ردود أفعال متناقضة وغريبة في حياتنا الثقافية ، أو في أشلائها التي مازالت باقية على الأصح . . فالكُتّاب الشيوخ أحسوا بالصدمة ، فهم مازالوا ينتجون ويكتبون ، ومازالوا يحتلون الصفحات التي كانوا يحتلونها منذ الستينيات ، توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ونجيب محفوظ . . الأول تعرض له مسرحية قديمة كأنها اعلان بمولده الجديد ، فهو شباب دائم وعطاء يتجدد لكل جيل ، وما كتب في الثلاثينيات يقدم في الثمانينيات بنفس الاحتفال ، وربما بأكثر من الاحتفال الذي حظيت به يوم صدورها ، أو حظيت به أختها أهل الكهف حين افتتح بها المسرح القومي أول موسم له . . والثاني تظهر له كل عام رواية أو روايتان جديدتان ، وتقدم له السينما قصصه القصيرة باقبال شديد ، وتحظى من المخرجين والمنتجين والمتلقين بنفس الاقبال والتشجيع واللهفة ، على أعمال تنجح مع كل جيل ، وتفي بحاجة كل مرحلة . . والثالث وصل الى قمة كماله ، ومع كل أسبوع تزداد كلماته اضاءة ، ويزداد فكره لمعانا ، ويزداد عطاؤه جذبا لجماهير جديدة من الشادين الى الفكر الجاد ، ا والمعرفة الطموحة . . لم تقهر أحدا منهم هزيمة ٦٧ ، ولم تمنعه عن الكتابة والعطاء ، ولم يعلن أحد منهم أنه لايمثل الحياة في عصره ، وأنه امتداد دائم وعطاء متجدد . .

ولست أدري لماذا أغفل الدكتور لويس عوض آخرين ممن عايشوا هؤلاء ويعايشونهم سواء قبل الثورة ، أو في طحن العمل الوطني والقومي أثناءها ، أو في تحمل عبء الهزيمة البشعة عام ٦٧ . . من هؤلاء من لايزالون يعطون ويعايشون الحياة ،



احسان عبد القدوس



د . لويس عوض



د . يوسف ادريس

ويمدونها بالامل والاستمرار : احسان عبد القدوس ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ومحمود البدوي ، ويوسف جوهر ، وعائشة عبد الرحمن ، وسهير القلماوى ، وشكري عياد ، ويحي حقي ، وعلى الراعي ، وشوقي ضيف ، وعبد الحميد يونس ، وعبد القادر القط ، ومهدي علام ، ومحمود شاكر ، وغيرهم كثيرون . . ربما لأن لويس عوض لم ينس حتى في لحظات الاحساس بالهزيمة كل مواقفه النقدية القديمة ، فلم يدخل في دائرة الانسحاب الا من الاعتراف به في دائرة التأثير ، وهذا موقفه الذي يسحبه معه على حياته كلها، فيبقي معه عداواته وخصوماته القديمة كلها . . الا أنه أضاف الى قائمة من يدعوهم الى اعلان الهزيمة والانسحاب معه كاتبا واحدا من الجيل الذي تلاه ، وهو يوسف ادريس ، ولست أدري لماذا يوسف وحده ، وليس الفريد فرج ، ونعمان عاشور ، وأحمد حجازي ، وعبد الغفار مكاوي ، ويوسف الشاروني ، وفتحي غانم ، وعز الدين اسماعيل ، ، وبدر الديب ، وغيرهم ممن امتدت اليهم نظرة لويس عوض الخاصة ، فنسيهم في انسحابه وتذكر فقط يوسف أدريس . . ربما لأنه أعلى الأصوات وأكثرها ارتفاعا هذه الأيام ، وربما لأنه يحس بنوع من الزمالة معه في الطريق والعذابات ، وربما لغير هذا أو ذاك من أسباب ، ولكن الذي حدث أن يوسف ادريس أسرع في يومياته في الاهرام يذكر لويس عوض انه ليس من جيله ، وانه لاحق له في ادخاله في هذا الجيل ، كما أسرع يذكره ان كل من ذكرهم من جيله مازالوا ملء السمع والعين ، ثم راح يسأل عن سبب هذه النبرة الانهزامية والانسحابية التي ظهر بها صوت لويس عوض ، الذي لم يصمت بعد ٦٧ ، كما أكد ، وكما حاول أن يذكره ويذكر الناس . . ولكن يوسف أدريس ينسى أن لويس عوض ينعيه فيمن ينعى من أعلام عصره ، وينسى أنه يريد أن يوقفه في اندفاعته نحو المزيد من الشهرة ، وليذكره أن العصر التزم بمعنى ومستوى ، وان هذا المعنى ان غدا الالتزام به صعبا ، فالأجدى أن ينسحب أعلامه ، وأن يعلنوا أن الهزيمة الآن فعلا قد حلت . ينسى يوسف أدريس ويعزو موقف لويس عوض الى احساسه بالجحود ، فهو أولى بجائزة الدولة التقديرية من الكثيرين الذين منحت لهم هذه الجائزة ، ويطالب بمنح لويس هذه الجائزة ليرضى ويستقر . .

ولست أظن أن المسألة شخصية جدا الى هذا الحد المضحك . ولست أظن أن هذا المنطق الذاتي يصلح في حالة لويس عوض ، وان كان يصلح في حالات أخرى كثيرة تعيش بالمنطق النفعي وحده ، ودون نظر الى القضايا العامة ، ودون ارتباط بالايقاع الفكري والعلمي لعصر كامل ، يعيش تحولا في فكره

واهتمـامـاتـه وثقـافتـه ، ويعيش تحـولا في رؤاه وطموحاته . .

جائزة الدولة التقديرية للويس عوض لن تنهي القضية التي طرحها ، فهو ليس مريضا بالاكتئاب ، وليس هاربا الى التقوقع حول ذاته ، وانما هو محارب يعلن أن المعركة انتهت ، وأن على المحاربين أن يدركوا أن الهزيمة قد حلت بهم ، ليضعوا سلاحهم ، وينسحبوا من الميدان في صمت كـريم ، بـدل أن يصبحوا أضحوكة وسخرية الأجيال التـالية التي لن ترحم في حكمها أحدا . .

واذا كان يوسف ادريس قد فهم القضية من هذه الزاوية ، فان كاتبا آخر في الصفحة الأدبية من الأهرام قد ربط بينها وبين تصريح قديم لعبد القادر القط ، قال فيه انه عاجز عن فهم أدب الشباب ليقول أن هذا الجيل جيل لويس وعبد القادر ، جيل يعلن افلاسه ، فهو بالفعل غير صالح للتصدى لحياة الأدب والكتابة في هذا الجيل الجديد الـذي لايفهم عطاءه والـذي لايستطيع التجاوب معه . . وهو قول مضحـك الى حـد السذاجـة ، ولو كـان هناك مسئـول أدبي على مستوى المسئولية يراجع ماينشر في هذه الصفحـة ، لطلب من كاتب هذا الكلام أن يراجع نفسه ، وأن يتعلم كيف يكتب قبل أن يتعرض لما لايعرف بهـذه الطريقة السـاذجة . ففي دنيـا الأدب الحياة شيء مستمر ومتلاحم ، لانطوى صفحة وتبدأ صفحة ، ولايعتـزل الأدباء الكتـابـة عنـد الـوصـول الى سن المعاش ، حتى يتركوا أماكنهم للموظفين الأصغر سنا . فحين تحصل أمة على كاتب ، تحرص عليه ، وتتيح له كل فرص العطاء والبقاء والاستمرار ، ولست أعني بالكاتب من يعرف كيف يمسك القلم ويخط الحروف ، ثم يدفع بنفسه بشكل أو بآخر الى العمـل في صحيفـة أو مجلة ، وانمـا أعني الكـاتب صاحب الثقافة والمعرفة ، وصاحب الجدية في التوجه والجدية في العطاء ، وصاحب الموقف النابع من ذاته لامن مصلحته ولامن توجيهات غيره . ولكن الأمر قـد غدا مضحكـا ، حـين يسخـر القط من تسـرع الشباب ، وعدم نضجهم ، فيتهم بـأنه يعلن عـدم قدرته على المتابعة لأنه تخلف عن الجيل . . ولايحاول من يوجه لهم النصح الساخر ان يستفيدوا من هـذا الحكم النقدي المهم الذي يضع يده على خطأ متكرر عند شباب متسرع يقلد نماذج لايفهمها ، فيخرج الى المتلقي بكلام لايفهمه ، والأمر انه لم ينضج بعد ، والأمر ان لغته لم تكتمل بعد ، والأمر ان فهمه وموقفه لم يتحددا بعد . .

نسر يكف عن التحليق

والأمر قد غدا مضحكا أيضا حين يعلن لويس عوض عن توقف الأقلام التي يراها ذات أثر ودور عن العطاء وترك القلم،فيفهم الأمر على أنه عدم قدرة على متابعة العصـر ، أي عصر هـذا الذي يتحدث عنه . . ؟ العصر شيء متصل لاينقطع ولايتوقف-لويس يريد أن يقول ان الهزيمة العسكرية في ٦٧ قد آتت أكلها الآن .

وما أخطر مايقوله لويس ، وماأجدر أن يقف المفكرون عنـده بـالتـأمـل والتفهـم والفحص . . لمـاذا الآن . . ؟ كيـف الآن . . ؟ انها قـنبـلة تـثير الدهشة ، ولكنها أيضا قنبلة توقظ من ناموا واستنامو ا . . وتجعلهم يدركون . فليس اليأس ماقاله لويس وانما هو الحزن المر ، وماأحكم الكلمات المريرة عند من يفهمونها . □

■ اذا عـرف الانسـان جـور الطبيعـة ، احتقر المـوت ، واذا عرف جـور المجتمع ، احتقر الحياة (برتراند راسل) .

■ من خذلته أسرته . . لم تأت من الأباعد نصرته (أحمد شوقي) .

قاموس العربي

ك

« كوميون باريس »

اصطلاح يطلق على ثورة باريس ، في الفترة من ١٨ مارس الى ٢٨ مايو عام ١٨٧١ ، التي تشكلت خلالها أول إدارة اشتراكية في التاريخ ، وعلى الرغم من أن الثورة قد سُحقت بشكل كامل من خلال أكبر جريمة وحشية حدثت في القرن التاسع عشر ، اذ قُتل فيها نحو ١٧٠ الف شخص ، في الفترة من ٢١ الى ٣٠ مايو ١٨٧١ . الا انها ظلت - تجربة مهمة ومميزة في الفكر السياسي والاشتراكي - كأول محاولة تاريخية لاقامة مجتمع اشتراكي .

كانت أوروبا في هذا الوقت في غليان شديد ، وكانت فرنسا تتعرض لهجوم الماني بقيادة زعيمها التاريخي بسمارك ، وكان هذا الهجوم يمثل موقف أوروبا من المطالبة بالتغيير الاجتماعي في فرنسا ، وكما اتحدت أوروبا من قبل للقضاء على ثورة ١٧٨٩ التي انتهت بعودة الامبراطورية الى فرنسا ، وحكم آل « بوربون » ، فإن أوروبا أيضا - وبعد أقل من مائة عام - اتحدت للقضاء على الثورة الاجتماعية ، التي بدأت نذرها تلوح في فرنسا ، بعد اتحاد الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة (الطبقة المتوسطة) والمفكرين والأحرار . ووسط تخاذل الحكومة الفرنسية القائمة ، والفوضى والشلل العام الذي أصاب جميع مرافق الحياة ، بدأت الحكومة تحاول تجريد الشعب من السلاح ، ووقف المقاومة ، للمفاوضة والمساومة من خلف ظهر الشعب ، وبينما يطالب الشعب بالسلاح والمدافع للدفاع عن عاصمة الوطن المحاصرة ، أصدرت الحكومة قانونين عجّلا بالثورة ، أولهما قانون افلاس التجار العاجزين عن سداد ديونهم ، والثاني رفع القيمة الايجارية للمساكن ، وقامت الثورة وفرّت الحكومة الى فرساي ، وأصبحت باريس العاصمة مقرا للتجربة الثورية ، وفي خلال سبعين يوما شهد العالم تجربة ثورية فريدة فتمت أكثر الانتخابات حرية عرفها التاريخ السياسي كله ، وتم إقرار مثالي لقيم الحرية والعدل والمساواة حتى اضطرت زوجات الوزراء الى الخروج للمغاسل العامة لغسل الملابس ، ولكن كوميون باريس سقط وفشل ، لأن الثوار لم يعرفوا كيف يحكمون ، فلم تتم السيطرة على الجهاز العصبي للدولة ، والممثل في البنوك ومؤسسات التمويل والتحويل والادارات العامة . . فتلاعب بنك فرنسا بالثورة . . كما لم ينجح الثوار في القضاء على جهاز الدولة القديم ، فتآمر ضدهم ، ولم يقوموا باعادة تنظيم الادارة بشكل هرمي من أعلى الى أسفل ، وأهملوا انشاء قيادة عسكرية منظمة ، تضع خطة محكمة للدفاع عن الثورة ، وتنسق جهود المدافعين ، ولم تحاول أن تمتد خارج باريس ، فظلت محصورة ومحاصرة ، وشنت الحكومة الفرنسية الهاربة الى



● بسمارك

فرساي هجوما وحشيا على باريس ، فسحقت الثورة مستخدمة أبشع وسائل القتل الجماعي ، وعلى الرغم من انتهاء الثورة لفرط مثاليتها ، إلا أنها ظلت تحتل مكانة متميزة في الفكر السياسي والاشتراكي ، كما قلنا ، فهي ثورة أكثر تقدماً ، من أن تصبح ثورة بورجوازية ديمقراطية ،وأقل تنظيماً من أن تصبح ثورة اشتراكية . □

كومبرادور

مصطلح اقتصادي سياسي ، شاع استخدامه في الأدبيات السياسية والاقتصادية في الثلاثين عاما الأخيرة ، وهو مصطلح ليست له ترجمة عربية ، وينطق ويكتب عربيا كما ينطق بالانجليزية ، للدلالة على الرأسمالية الطفيلية ذات الطابع التجاري ، والذيلية لرأس المال الأجنبي ، وأول من أطلق المصطلح هو (ماوتسي تونج) ليصف به الصيني الممثل لشركة أجنبية عالمية في الصين ، ثم شاع المصطلح بعد ذلك في أدبيات التنمية والتبعية ، خاصة في كتابات مفكري أمريكا اللاتينية ، وبعض



● ماوتسي تونج

الكتابات العربية .

والرأسمالية الطفيلية أكثر ما تكون انتشارا في البلدان النامية،وهي رأسمالية يصعب تحولها الى رأسمالية منتجة، ويتمثل نشاطها الأساسي والرئيسي في أعمال التوكيلات والسمسرة والوساطة ، وتمثيل الشركات الأجنبية .

وتعود الجذور الاجتماعية لهذه الشريحة البرجوازية الى أثرياء الريف والمدن ، ولها جذور في الجهاز البيروقراطي للدولة ، أي الشريحة القادرة ماديا على تمويل عمليات الائتمان اللازمة لبداية عمليات الوساطة والسمسرة ، وتعد هذه الشريحة أهم عائق في تطوير أدوات وطاقات الانتاج ، لتعارض هذا التطور مع مصالحها المرتبطة بالشركات الأجنبية التي تهدف الى هدم الصناعات الوطنية ، وتحويل الدول النامية الى مجرد مستورد تابع غير قادر على الاستقلال الاقتصادي .

وتؤثر هذه الشريحة في المجتمعات ببث قيم الاستهلاك الترفي ، وقيم اجتماعية معوقة للعمل الانتاجي ، كما تسهم في تخريب الاقتصاد الوطني ، بالمضاربة في العقار وتجارة العملة والتهريب ، بالاضافة الى أنها تظل مهما تطورت ونما حجم استثماراتها مجرد تابع للراسمالية العالمية بكل أهدافها . □

حكايات شرق وغرب

راعى الغنم المليونير

هل يغير المال حياة الناس ؟ واذا تغير أسلوب حياتهم ، فهل تتغير معه نفوسهم ؟ هذه قصة فلاح بسيط قضى عمره يرعى الأغنام فى أرضه التى ورثها عن أبيه بجزيرة ساردينيا ! وفجأة أصبح الراعى مليونيرا . . . فقد شاءت الصدفة وحدها أن يختار أغاخان قطعة أرض فى الجزيرة تجاور أرض الراعى مباشرة ، ليقيم عليها قصرا وارتفع ثمن الارض التى كانت ترعى فيها الاغنام ، واستطاع بعض الأصدقاء أن يقنعوا الراعى ببيع الأفدنة الخمسة التى تجاور حديقة القصر مباشرة ، بمبلغ يوازى نصف مليون جنيه استرليني ، أودعوها باسمه فى البنك .

ولكن صاحب الأرض والأغنام مضى يعيش حياته كما تعود أن يفعل ، فقد كان الراعى ويدعى ايفسيوكاشيولى الذى اقترب من عامه الخمسين يجد فى صحبة أغنامه متعة وهو يمشى معها فوق التلال ، ويقف يتأملها وهى تبحث عن غذائها فى الأرض . فقد كانت أغنامه هى كل حياته . . كان يرى فيها أطفاله الصغار الذين لايحتمل أن يبتعد عنهم لحظة واحدة ، فقد بقى طوال هذه الأعوام بلا زواج .

وتمر الأيام وايفسيو يخرج مع أغنامه فى الصباح ، ولايعود الى كوخه الصغير الا مع الغروب . . ولكنه ، كان يصحو فجأة على نظرات الاشمئزاز التى كان أهل القرية يستقبلونه بها ، كلما ذهب الى السوق ليشترى شيئا . . فقد كانت ملابسه الريفية تحمل رائحة أغنامه التى يعيش وسطها .



وتذكر أنه يملك « بعض المال » فى البنك . . فلماذا لايسحب مبلغا صغيرا يشترى به ملابس جديدة ، يضع فيها جسمه النحيل قبل أن يذهب الى السوق . . حتى يجنب نفسه نظرات الازدراء والاشمئزاز ؟

وقصد الى البنك . . ولكنه ماكاد يخطو بضع خطوات الى الداخل حتى فوجىء بحرس البنك يستوقفونه ثم يطلبون منه الخروج بسرعة ، فليس هذا مكان استجداء المال من الناس ، فقد تصوروا أن

الراعى صاحب أكبر رصيد فى البنك الصغير ، متسول جاء يطلب احسانا . .

وعبثا حاول الرجل أن يشرح لهم لماذا جاء ، وانه ليس متسولا كما يتصورون . وعاود الكرة ، ولكنهم كانوا فى كل مرة يزدادون خشونة فى معاملته .

وأخيرا لم يجد ايفسيو مفرا من الذهاب الى جيرانه الجدد ، الذين اشتروا قطعة الارض ، وأودعوا ثمنها باسمه فى البنك .

وحملوه معهم فى سيارتهم الفارهة . . وشاهده حرس البنك وهو يهبط من السيارة ، والسائق ينحنى له فى احترام شديد ، فحيوه وأفسحوا له الطريق .

وسأل مدير البنك الراعى المليونير ، بعد أن قدم له اعتذاره بالنيابة عن جميع العاملين : « كم جنيها تريد ياسيدى . . الفا أو الفين ؟ »

وقال الرجل : لاياسيدى . . أريد خمسين جنيها فقط لأشترى بدلة جديدة ! »

من هنا الى الأبدية

ماذا تصنع الحروب بالرجال ؟ هذا هو السؤال الذى أجاب عنه الكاتب الامريكى المعروف « جيمس جونز » الذى رحل عن هذا العالم المضطرب عن ٥٦ عاما (١٩٢١ - ١٩٧٧) . فلم يكن جونز كاتبا تقليديا ، وانما كان رجلا نشأ فى قاع المجتمع ، وذاق مرارة الحرمان وقست عليه الحياة فأصابته بجروح غائرة . وقد صورت له آلامه أن الهرب الوحيد الباقى امامه للتخلص من المأساة التى عاشها هو أن يلتحق بالجيش ويحارب . !

ولكن لماذا الحديث الآن عن هذا الكاتب الذى رحل عن عالمنا منذ اكثر من ثمانى سنوات ؟ انه الكتاب الجديد الذى صدر اخيرا بعنوان « الى الابدية أو حياة « جيمس جونز » لواحد من الكتاب القلائل الذين عاصروا رحلته ، وعاشوا قصة سقوطه ثم انطلاقته التى اوصلته الى مصاف اعظم الكتاب المعاصرين ، وهو « فرانك ماك شين » .

لقد بدأت مأساة جونز مع فترة الكساد الاقتصادى فى الثلاثينيات ، وكان طفلا صغيرا لايعى شيئا من امور الدنيا ، غير أن صورة واحدة بقيت عالقة فى ذهنه . . انها صورة الاب الذى عاقر الخمر ، واصبح مدمنا ، وكيف تسبب ادمانه هذا فى اصابة امه التى احبها الى درجة العبادة ، بمرض لم تبرأ منه ، ولم تجد وسيلة الى الخلاص من الحياة التعسة التى تعيشها مع هذا الزوج العربيد الا فى تكريس ما تبقى لها من عمر فى العبادة !

ويدخل جونز الجيش مع بداية نشوب الحرب العالمية الثانية . . وفى الجيش يجيب عن السؤال



المحير : « ماذا تصنع الحروب فى الرجال . ولماذا يحاربون » ؟ ، فقد كتب يقول « فى الحرب موت ودماء ودمار . . ولكن وسط هذه النيران التى قد يخرج منها البعض حياً . . تولد اعظم الافكار من خلال هذه التجربة مع الموت » ! وقد كان جونز احد هؤلاء الذين كتبت لهم الحياة بعد الحرب ، وعاد الى البيت الذى تركه ، فوجده خاليا ، فقد رحل الابوان ، وعاش فى وحدته مع القلم ، فاذا به يخرج على العالم بأول واروع قصصه : « من هنا الى الابدية » .

وسجل الكتاب رقما قياسيا فى التوزيع ، وشجعه النجاح على كتابة قصته الثانية « المسدس » ثم « الخيط الرفيع الاحمر » ، « والصفارة » .

وعندما قرر جونز أن يبحث عن امرأة تشاركه حياته ويبدأ معها حياة الاسرة ، رفض أن يعيش فى

نيويورك ، وترك امريكا كلها وذهب الى باريس . . ومن خلال لقاءاته بالناس فى الشارع وبالجنود الذين كان واحدا منهم فى الحرب الثانية ، والشباب الذين يتطلعون الى المستقبل فى خوف شديد ، واخيرا باصحاب المتاجر الصغيرة فى الضاحية التى اختارها لسكنه ، كتب أحسن قصصه فوق هذه الارض الجديدة التى مازال ترابها يحمل رائحة أعظم ثورة على الظلم والاستعباد .

قلب الطبيب !

أسرع الجراح الكبير البروفسور جوليلمو الى غرفة العمليات فى أحد المستشفيات القريبة فى مدينة تورينو بايطاليا بعد أن تلقى اشارة بوقوع حادث سيارة على الطريق السريع ، أسفر عن اصابة شاب صغير باصابات خطيرة .

ودخل الجراح الغرفة فوجد مجموعة من الجراحين يحيطون بالمصاب وقد انهمكوا فى اجراء بعض الاسعافات الاولية له فى انتظار وصول البروفسور جوليلمو . . وما كادوا يرونه قادما حتى اسرعوا يفسحون له الطريق . . واقترب الجراح الكبير من الشاب المصاب ، ولكنه ما كاد يلقى نظرة عليه حتى أحس بدوار وكاد يسقط على الأرض ، فلم يكن المصاب سوى ابنه كارلو الذى لم يبلغ بعد عامه العشرين . .

وكانت لحظة من اقسى اللحظات التى مر بها الاب طوال عمله الذى قضى فيه أكثر من نصف عمره ، وهو يقوم بانقاذ ارواح الناس . . وقال الاب فى صوت تخنقه الدموع : « ابنى يحتضر . . انه فى حاجة الى جراحة عاجلة . . انه مصاب اصابات بالغة فى الكبد والطحال !

ثم اتجه الاب الى زملائه الجراحين يسألهم : « كيف وقع الحادث ؟ » وردد احدهم فى صوت خافت : « لقد صدمته سيارة مسرعة وقذفت به الى عرض الشارع . ! »

وعاد الاب يتطلع الى وجه ابنه . . لم يكن الابن المصاب فاقد الوعى . . وما كاد يفتح عينيه ويرى والده بجواره حتى ارتسمت على وجهه ابتسامه باهتة . . ثم راح يتمتم : « الآن فقط استطيع أن اغمض عينى واستريح فأنا بين يدى اعظم جراح فى العالم ! »

وراح الأب يعمل بسرعة . . وانقضت عدة ساعات قبل ان يتمكن من استئصال الجزء المتهتك من الطحال . . ولكنه ما كاد ينتهى من مهمته ، حتى اسلم الشاب الصغير الروح . . واسرع الاب بالقيام بعملية تدليك للقلب فى محاولة يائسة لاعادة النبض ، ونجحت المحاولة وفتح الشاب عينيه ولكن للحظات قصيرة ، مالبث ان توقف بعدهـا قلبه عن الحركة تماما . . ولكنها كانت كافية لأن يقول الابن لابيه فى صوت خافت : « مازلت اعظم جراح فى العالم يأبى ! » ومات كارلو وهو يبتسم !

الوصية الاخيرة

ترك العم الثرى ثروة هائلة لاسرته بعد أن اودعها فى حساب التوفير بأحد بنوك كوبنهاجن عاصمة الدانيمرك . واجتمع افراد الأسرة حول محامى العم بعد ايام من رحيله ليستمعوا الى الوصية وهو يقرؤ ها عليهم . . وراح المحامى يقرأ . . لقد كان العم كريما وعادلا ، فقد اوصى بان توزع ثروته على جميع اقاربه بالتساوى . . !

ولكن شيئا واحدا فاته أن يذكره فى الوصية ، وهو المكان الذي وضع فيه دفتر التوفير !

وبدأت عملية البحث عن الدفتر الغائب . . فالبنك لن يستطيع أن يصرف لهم هذا المبلغ الكبير الذى تركه العم قبل مضى عدة شهور حتى يتأكد من أنه لم يقع فى يد احد من غير ورثة العم الراحل . والورثة يتعجلون توزيع الثروة حتى يتمكنوا من

الوفاء بالتزاماتهم المتراكمة !

واخيرا خطر لهم ان يسألوا مدبرة البيت . . وكانت المفاجأة عندما قالت لهم في هدوء : « لقد كان يحمله دائما في جيب سرى ببدلته الزرقاء الانيقة التي كان يرتديها في المناسبات ! وصرخ الورثة : « انها نفس البدلة التي كان يرتديها العم عندما واروا جثمانه التراب !

واسرع الجميع الى المقبرة التي دفنوا فيها العم ، واخرجوا الجثمان وعثروا على دفتر التوفير ، ولكنهم وجدوا معه رسالة قصيرة كتبها العم بخط يده يقول فيها : «إذا عثرتم على هذا الدفتر ، فمعنى ذلك انكم قمتم بتنفيذ آخر رغبة لي في الحياة ، وهي الا تحرقوا جثماني بعد موتى ، كما كنتم تفعلون دائما مع الأقارب الذين رحلوا من قبل !

ماذا يصنع الحب ؟

ابتكرت كارمين سيشيللو من مدينة جنوا بايطاليا طريقة جديدة لوقف شخير الازواج أثناء النوم . والاختراع الذى توصلت اليه عبارة عن قلادة تعمل بالبطارية حول عنقه وهو نائم،فاذا بدأ يشخر اطلق شخيره ذبذبات تؤثر على جهاز صغير في القلادة متصل بالبطارية التي لا تلبث أن تطلق شحنة كهربائية خفيفة توقظه من النوم فيكف عن الشخير !

وتقول كارمين وهي زوجة وأم لطفلين في الأربعين من عمرها : « لقد امضيت عدة سنوات في محاولات مستمرة للوصول الى هذا الاختراع ، لانى احب زوجى ولا اريد أن افترق عنه بسبب هذه العادة السيئة ! »

وقد سجلت كارمين اختراعها وسيعرض قريبا للبيع في أسواق ايطاليا !

صفعة على وجه أرملة تيتو !

لا احد يعرف حتى الآن لماذا هجر تيتو زعيم يوغسلافيا الراحل ، زوجته ورفيقة كفاحه جوفانكا عام ١٩٧٧ ، الى ما قبل رحيله بثلاث سنوات . . لقد دب الخلاف بينهما الى الحد الذى قيل معه ان الزوجة تحيك خيوط مؤامرة للاطاحة بالرجل الذى أصبح رمزا لتحرير يوغسلافيا ووحدتها . .

ثم رحل تيتو في عام ١٩٨٠ واختفت جوفانكا لفترة من الوقت دامت عدة سنوات ، ثم مالبثت أن عادت أخيرا الى الأضواء ، ولكنها كانت عودة مشينة ، تمنى اليوغسلافيون لو لم تحدث ، فقد وقفت



تطالب باسترداد كل ما كان يملكه زوجها الراحل من سيارات وتحف وأوان فضية ولوحات فنية ، تبلغ قيمتها ملايين الدولارات !

وتدخل البرلمان اليوغسلافي في النزاع القائم بين أرملة الزعيم وبين الحكومة ، واذاع مشروعا بقانون قدمه مجموعة من الاعضاء يوجه اللوم الى جوفانكا ، ويؤكد أن هذه الممتلكات كلها هدايا قدمت للرئيس تيتو من الملوك والرؤساء على مدى الاعوام الخمسة والثلاثين التى تولى فيها زعامة يوغسلافيا ، وبناء عليه فان ملكيتها تعود الى الدولة بعد رحيله ، وليس لأرملته الحق في الاستيلاء عليها ، لانها اصبحت الآن ثروة قومية تحتفظ بها الحكومة في المتحف الذى اقيم للرئيس الراحل في مدينة سرايفو ، بجنوب يوغسلافيا .

ويقول اصدقاء جوفانكا التي جاوزت الآن العام الحادى والستين من عمرها انها رفضت ثلاثة عروض للزواج بعد وفاة زوجها ، كان آخرها من احد قادة الحزب الشيوعى اليوغسلافي المقربين لتيتو .

العربي - العدد ٣٢٩ - ابريل ١٩٨٦

قصة من الخيال العلمي

احذر..

إننا نراقب أحلامك

اعداد : رءوف وصفي

في الردهة الفاخرة .. قال الزائر مجاملا : « شكرا من أجل العشاء .. ان زوجتك سيدة فاضلة »

ابتسم الدكتور (س)

وبمجرد دخولهما من الباب المكسو بالمخمل .. أضيئت الأنوار الخافتة .. ومن مكان مجهول امتلأت الغرفة برائحة البخور المعطر .. ونغمات الموسيقا الحالمة .. نظر الزائر حوله في دهشة .. عاد الدكتور (س) يبتسم ، ولكن بشيء من السخرية .

ـ أرى انك تبحث عن مكتب أو منضدة .. ان الرجال في مثل مركزي لايحتاجون الى أي منهما ، لم يكن هناك حتى مقاعد .. فقط مجموعة من الأرائك الفاخرة في أرجاء الغرفة الواسعة .. وعدد من الوسائد الضخمة الملونة التي تتناثر على الارضية المغطاة بالسجاد الفاخر .. وعلى الجدران ديكور من الفن الشرقي ..

ابتسم الزائر وهو يتساءل

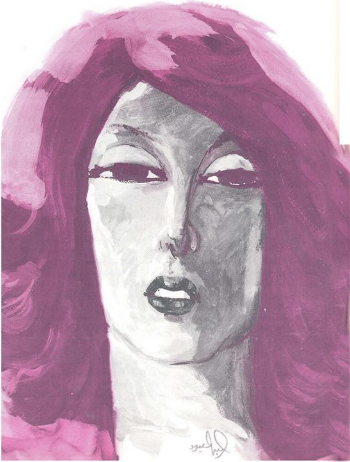
ـ « تبدو لي كاحدى غرف قصور ألف ليلة ! »ضحك الدكتور (س)

ـ يروق لي أن يكون مكتبي الخاص محاطا بهذه الديكورات، اعترف انني خيالي الى حد ما، أومأ الزائر متعجباً .. وقال وهو يرقد على احدى الأرائك المريحة مقلدا الدكتور (س)

ـ «ويبدو لي أنك تحب أن تعيش بالقرب من مكان عملك » .

ـ « ان وظيفتي ككبير مراقبي الأحلام .. يتطلب عملا وجهدا متواصلين .. فنحن نراقب أحلامهم ليل نهار .. انظر !





ضغط الدكتور (س) على زر في الأريكة التي يرقد عليها . . فانساب من السقف ذراع معدني طويل . . نزل ببطء شديد . . بلونه الرمادي الداكن . . كان ينتهي بجهاز بلورى مثلث . . . لمس الجزء الاعلى البارز منه . . فتحرك الجدار المواجه لهما . . وكشف عن شاشة هائلة متألقة ، اتخذ الدكتور (س) وضعا مريحا فوق الأريكة ، وقال بلهجة آمرة في الميكروفون الدقيق المثبت بالمسند .

ـ « أوصلني بأحلام المجرم ب ٧٢٣»

بدأت موجات من الضوء تتداخل فوق الشاشة . . ألوان الطيف كلها تختلط في دوامة سريعة . . ثم تبدأ بعض الألوان في الانطلاق بحركة دائرية حول الشاشة الهائلة . . وتتخذ بعد ذلك شكل نافورة من الألوان المتألقة سرعان ماتخفت تدريجيا . . .

ظهرت عدة أشكال رمادية بوسط الشاشة . . غامضة في بادىء الأمر . . ثم بدات الخيالات في الوضوح . . بعضها أشخاص . . رجال ونساء وأطفال . . والبعض الأخر أشياء كالظلال . . مقاعد . . وطرق . . ومنازل . . وسيارات . . وجبال . .

كان الزائر يحدق في الشاشة في ذهول . . وأخيرا استطاع ان يتحدث :

ـ « هل هذه . . أحلام »

قال الدكتور (س) وهو يتابع الأحداث فوق الشاشة باهتمام بالغ . .

ـ « انها احلام المجرم ب ٧٢٣ . . . رئيس التنظيم السري . . . كانت أسرارنا تنقل اليه . . . ولم نضبطه أبدا متلبسا . . أود أن أعرف الخائن الذي يحذره في الوقت المناسب . . انظر . . . . انظر . . لقد بدات الصور تتضح »

تساءل الزائر في تعجب . .

ـ « ولكن أين الحالم ؟ »

أجابه بصوت يخلو من التعبير

ـ « من النادر أن ترى الحالم . . فاننا نرى من خلال عينيه . . أنظر . . العجوز التي بدات معالمها تتضح . . والطفل في الطرف الأعلى الأيمن من الشاشة . . والبحيرة المتلاطمة الأمواج التي تفصل بينهما . . انه يحلم بطفولته . . الوغد يحلم بطفولته ! » ذابت أشباح العجوز والطفل والبحيرة . . في الخلفية الملونة الدائمة التغير . . وتبدل المنظر ببطء . . فظهر حمل صغير ناصع البياض ، يسير بين مروج خضر ، سرعان ماتكونت فوق الشاشة . . وفجاة فتح فمه فصدر منه صوت رضيع آدمي !!

بوغت الزائر تماما.فقد كان هذا أول صوت يصدر عن شاشة الأحلام . . وسأل في لهفة وهو ينظر الى الدكتور (س) . .

ـ أتعني أنه يمكنك أن تسمع الأحلام أيضا ؟ »

قهقه الدكتور (س) بصوت مرتفع :

ـ « بالطبع ياصديقي . . فان لدينا علماء الكترونيات أكفاء . . وهم يعرفون عملهم جيدا »

قال الزائر وقد غاب عنه المعنى :

ـ « وكيف تراقبون أحلام ب ٧٢٣ ؟ »

تألقت العينان الضيقتان القاسيتان . .

ـ « دبرنا له حادث سيارة . . وفي المستشفى استطعنا أن نجري له عملية جراحية ، زرعنا بها فوق الغدة النخامية داخل مخه . . جهازا دقيقا جدا أقل من رأس الدبوس . . معجزة علمية . . وباستخدام أشعة الليزر . . ينقل الينا أحلامه . . من خلال محطات تقوية دقيقة مثبتة داخل منزله ، . . وفي كل الأماكن التي يحتمل أن ينام فيها » .

قال الزائر وقد سيطر على نبرة صوته :

ـ « وكيف اخترعتم آلة الاحلام هذه ؟ »

تريث الدكتور (س) برهة ثم قال في بطء :

ـ « لاشك أنك تعلم أن الأفكار تنشأ بفعل نبضات كهربية في المخ . . وهذه بدورها تحدث حقولا الكترومغناطيسية ضعيفة . وكانت نظرية العلماء تقول بأنه يمكن بناء نماذج من الأفكار المرئية والمسموعة من هذه الحقول . . ولكن للأسف لم نوفق في هذا العمل . . وبالمصادفة وجدنا أنه يمكن استخدام نفس الجهاز بنجاح مع الأحلام . . » .

هتف الزائر في اعجاب

ـ « شيء رائع »

بدأت الصور والألوان تتداخل فوق الشاشة مرة أخرى . . وظهرت أشباح طويلة تتواثب ، وبدت وجوهها كالوحوش . . وأياديها كالأفاعي . . وملأت الغرفة بصرخاتها المروعة . .

شعر الزائر بشفقة على ب٧٢٣ .. دون أن يعلم ماهي جريمته .. مسكين .. فهو في هذه اللحظات يعاني من من كابوس مرعب ..

ذاب المشهد في نماذج متداخلة .. وانخفض الصراخ ليصبح كالفحيح .. وعلى الشاشة وضحت صورة غرفة ضيقة فيها عدد من النساء والرجال يجلسون فوق الأرض .. وكانت وجوههم المرهقة في اتجاه الدكتور (س) والزائر ..

قال الدكتور (س) في همس ..

- « انه يحلم باجتماع ما .. وأظن انه على وشك القاء خطبة .. ان هذا الحدث بالغ الأهمية .. فهذا الحلم يراقبه أشخاص آخرون .. في خمس غرف اخري .. فوق الشاشات ... ارجو أن نستطيع التعرف على كل من حضر هذا الاجتماع .. ولكن هناك بالطبع عدة صعوبات تواجهنا ، .. ففي بعض الأحيان تتداخل الوجوه في الحلم ، ، بحيث يصعب التعرف عليها بوضوح »

قهقه الدكتور (س) في وحشية .. وهو يعتدل في جلسته على الأريكة ،

- « انني وراءه حتى في أحلامه ! »

ثم استدار الى الزائر وقال :

- « أعتقد أنك مللت هذه الصورة .. هل أطفيء الشاشة .. فكل هذه الأحداث تسجل في كل غرف المراقبة .. ويمكنني رؤ يتها في أي وقت »

وضع يده فوق الجهاز البللوري المثلث ..

هتف الزائر محتجا ..

- « كلا .. كلا .. ان الأمر ممتع للغاية »

تغير المنظر فوق الشاشة .. وظهرت مروج أخذت تموج بالألوان ، حتى ساد اللون الأخضر .. وبدت فتاة تسير وحيدة في بطء .. كانت ترتدي ملابس عتيقة الطراز .. وشعرها الأسود يتطاير في الهواء، .. ثم استدارت لتواجه الزائر والدكتور (س) .. كانت فاتنة ووجهها مستديرا .. ينبيء عن الحب الأول .. وعيناها سوداوين تشعان ذكاء .. وابتسامتها مفعمة بالمودة والألفة .. اعتدل الدكتور (س) في جلسته وأخذ يراقب الشاشة باهتمام بالغ ..

همس للزائر ..

- « نحن نعرف أن المجرم ب ٧٢٣ لم تكن له حبيبة لمدة طويلة .. على الأقل حتى بدأنا مراقبته »

عاد الزائر يراقب الشاشة في اهتمام .. ظهر شبح رمادي بجانب المرأة .. سرعان ما اتضحت معالمه .. شاب يريدي ملابس فضفاضة من نفس الطراز العتيق .. وكان يمسك بيد الفتاة.قال الدكتور (س) بدهشة :

- « هذا حلم نادر الحدوث .. حيث يراقب الحالم نفسه عندما كان شابا .. انه حلم صادق ، ويعطينا معلومات دقيقة عن الشخص المراقب .. لقد عرفت الفتاة الآن .. انها حبيبة المجرم ب ٧٢٣ عندما كان شابا ... »

قال الدكتور (س) الكلمات الأخيرة بازدراء .. ثم أكمل

- « ..... لقد أعدمت الفتاة »

تعانق الشابان في صمت ... وبحركات بطيئة .. كممثلي البانتوميم .. كان المنظر حقيقيا ...

وكان من الصعب على الزائر أن يفكر أن مايراه مجرد صور من عقل يحلم .. وعندما عرف أن الفتاة قد أعدمت أضاف هذا جوا غريبا على المنظر فوق الشاشة .. لقد سلموها لطيور الموت .. فهل عاملوا جسدها بعد الموت بالاحترام الواجب ؟

صرخ الدكتور (س) فجاة :

- « اعرفك يال ٤١٤ .. ولكنك ميتة ... ميتة »

استدارت فاذا بها امرأة أخرى .. أكثر بياضا .. وذات شعر أشقر قصير .. وترتدي وشاحا أحمر فوق رقبتها .. وعيناها الخضروان تومضان في غموض .. كانت ملابسها من أحدث طراز .. شهق الدكتور (س) .. نهض من فوق الأريكة بسرعة .. انتصب واقفا وقد اضطرب توازنه .... وامتقع وجهه ..

ظهرت قطرات من العرق على جبهة الزائر .. وتقلصت حنجرته ، وبدا وكأنه غير قادر على التنفس .. ارتجفت يداه .. واعتدل في جلسته بعصبية .. وكان عليه أن يقرر .. هل من الأفضل ان يتكلم ؟ .. ام يلتزم الصمت .. هل يستمر في مراقبة الشاشة .. أم يحاول الهرب من المكان بسرعة .. لم يستطع أن يتخذ قراره .. فقد أصابه المنظر بالشلل التام .. وفي هذه اللحظات العصيبة .. تحول الدكتور (س) من رفيق دراسة ..

الى كبير مراقبي الأحلام .. فوق الشاشة .. اقتربت المراة الشقراء من ب ٧٢٣ .. همست بصوت واضح ..

- « انا أحبك ايضا .. لست ل ٤١٤ .. لقد ماتت .. أنا ف ٦٧٢١ »

أجابها ب ٧٢٣ في حنان غريب :

- « ان من يحبني يموت .. حتى الذي يعرفني نهايته محتومة .. »

قالت في حماس :

- « كلنا سنموت يوما ما .. فلماذا لانموت الآن .. لنجلب الحرية للآخرين »

دفن الدكتور (س) وجهة بين يديه .. وقال بصوت مفعم بالحزن .. ووجهه يحتقن بالدماء ..

- « انها زوجتي .. زوجتي الخائنة »

شعر الزائر بانه يجب أن يتكلم .. بعد أن وصلت الأمور الى هذا الحد .. فقد كان يعلم منذ ظهورها على الشاشة بانها زوجة الدكتور (س) فقد قابلها مساء اليوم ..

استدار الى الدكتور (س) وقال :

- « في الأمر خدعة .. يبدو أن ب ٧٢٣ قد حصل على صورة زوجتك ، ربما من صحيفة أو مجلة ما ، .. وكان يعلم أن أحلامه مراقبة .. و .. »

قاطعه الدكتور (س) في حدة :

- « اصمت »

شعر الزائر بانه قد أخطأ عندما تكلم .. ولم يحول الدكتور (س) نظره عن الشاشة .. ولم يستطع الزائر أن يتابع المشاهد المتلاحقة .. فقد رأى مافيه الكفاية .. وأنصت رغما عنه الى الحديث فوق الشاشة .. حديث الحب .. والشوق .. والألم والعذاب .. ثم ساد الصمت .. فنظر الزائر الى الشاشة من خلال عينين مجهدتين .. لقد أظلمت تماما .. وعاد الجدار الى مكانه .. جلس الزائر يحدق في الفراغ مقطب الجبين .. يحاول أن يحلل الخوف المروع ..

قال الدكتور (س) في برود .. وببطء :

- « سأتخلص منهم جميعا .. بما فيهم زوجتي الخائنة »

نظر اليه الزائر في ذهول وهو يرتجف .. وأكمل الدكتور (س) وهو ينظر الى الزائر في تحد :

- « ... وانت ايضا .. فقد رأيت أكثر مما ينبغي .. وعرفت مالايجب أن تعرفه »

قال الزائر في رعب :

- « يجب أن تدرك يادكتور س .. أن هذه خدعة واضحة .. القصد منها الاساءة اليك ، .. فالاحلام عبارة عن تنفيس للعواطف المتضاربة داخل العقل الباطن .. وبصورة رمزية »

بقي الدكتور (س) صامتا .. وأكمل الزائر بصوت مفعم بالخوف »

- « لقد اخبرتني بنفسك أن حلم ب ٧٢٣ .. يراقب من عدة غرف أخرى .. ويسجل في نفس الوقت .. اذن هناك العديد من المراقبين يعرفون - بجانبي - هذا السر ! » أطرق الدكتور (س) لدقائق .. ثم رفع رأسه وقال دون أن ينظر الى عيني الزائر

- « اذهب »

وامسك بالجهاز البلورى المثلث وضغط على أحد الأزرار .. فانشق الجدار عن مصعد صغير من معدن رمادي .

- « ... يوصلك هذا المصعد الى باب خارجي ليست عليه حراسة »

قال الدكتور (س) في صدق :

- « وداعا »

كانت ثمة دموع في عيني الزائر ، وهو يتجه بخطوات سريعة الى المصعد .. وبمجرد دخوله أغلق الباب آليا .. وهبط به الى الطابق السفلى ..

لم يصدق الزائر أنه أصبح حرا .. أخذ نفسا عميقا في الهواء الطلق المنعش .. وأول سؤال خطر بذهنه

- « كم من أحلام الناس مراقبة ؟ »

وتوالت الأسئلة

- « هل يمكن أن تمنع الأحلام ؟ »

لم يجد اجابات مقنعة للاسئلة التي أخذت تتلاحق في ذهنه .. كألسنة من اللهب .. أحس بأنه منهوك القوى .. وأن الزمن قد أبطأ فجأة ..

نظر الى السماء .. وروعة هذا الامتداد اللامحدود .. وخيل اليه أن النجوم أصبحت شاحبة ! وتكاد تختفى من الفضاء .. بينما ازدادت حلكة الليل .. وأصبحت كالعباءة السوداء القاتمة عندما شملته .. وهو يمتزج بها .. □

معدل الإصابة بحالات

الأمراض الجلدية

بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري *

ان انتشار الأمراض في أمة من الأمم يعكس التركيبة الجينية لأفراد هذه الأمة ، ومما يساعد على ذلك الحالة الغذائية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والنظافة ، ونوعية الطقس ، وفعالية الخدمات الطبية المتوافرة لخدمة أفراد هذه الأمة . ولعل الاصابة بالامراض الجلدية من أبرز هذه الحالات التي نقدمها .

تجربة تتجاوز حدودها

من الملاحظ أن هناك بعض أنواع من الأمراض تنتشر في أمة دون أخرى ، حيث العامل العرقي يلعب دورا بارزا في انتشارها. فتتوارث أجيال متلاحقة صفات وراثية معينة تؤدي الى انتشار بعض الأمراض دون غيرها ، وإن كانت السمة العامة أن الانسان هو الانسان ، وأن الأمراض هي الأمراض حيثما كانت الحياة بخصائصها ومتغيراتها .

وقياس معدل انتشار الأمراض ، يساعد الحكومات والمؤسسات الصحية في دراسة أسباب انتشار هذه الأمراض ، مع وضع الحلول للحد من انتشارها .

وإذا كانت دراستنا المتناولة قد اتخذت من الكويت مهدا ومستقراً ، فذلك لأنها ألصق البيئات التي توافرت لنا إمكانات البحث والدراسة الموضوعية المباشرة فيها ، وهي لاتختلف كثرا عن مثيلاتها من دول الخليج وباقي الأقطار العربية ، بل إننا لا نبتعد كثيرا عن الحقيقة العلمية حينما نقرر انسحاب دراستنا في هذه التجربة على كثير من شعوب العالم واقطاره ومن هذا المنطلق قمت مع الدكتورة طيبة المنيس

* استشاري الأمراض الجلدية والتناسلية . الكويت .

بمساعدة الدكتور محمد الشايب المدرس في قسم الرياضيات في جامعة الكويت بعمل دراسة احصائية عن معدل اصابة الأمراض الجلدية في الكويت ، وشملت هذه الدراسة المرضى المترددين على مستوصف المنصورية للأمراض الجلدية في الفترة ما بين يناير ٨٣ الى ديسمبر ١٩٨٤ ، حيث يخدم هذا المستوصف المناطق التالية : الشرق ، المرقاب ، القبلة ، بنيد القار ، الشعب ، دسمان ، الدسمة ، النقرة ، حولي ، القادسية ، المنصورية . حيث تبلغ الكثافة السكانية في هذه المناطق ٣٦٨١٤٨ نسمة ويعادل هذا الرقم ٢٢٪ من تعداد سكان الكويت .

هذا وقد تبين لنا بأن عدد المرضى المترددين على مستوصف المنصورية للأمراض الجلدية في الفترة المذكورة هو ٢٢٥٠٥ مريض ومريضة منهم ١٢٢٤٩ أنثى ، ١٠٢٥٦ ذكر .

يبلغ عدد المرضى الكويتيين من هذا المجموع ٧٧٤٥ ، منهم ٤٨٠٣ انثى و٢٩٤٢ ذكرا ، بينما يبلغ عدد المرضى غير الكويتيين ١٤٧٦٠ منهم ٧٤٤٦ أنثى و ٧٣١٤ ذكرا ، من هذه الأرقام يتبين لنا أن نسبة المرضى الكويتيين المترددين على مستوصف المنصورية للامراض الجلدية تبلغ ٣٤,٤١ ٪ بينما تبلغ نسبة المرضى غير الكويتيين ٦٥,٥٩ ٪ .

أكثر الأمراض انتشاراً

لقد تبين لنا من هذه الدراسة بأن أكثر الأمراض الجلدية انتشارا في الكويت هي التالية :ـ

١ ـ أمراض الحساسية بانواعها « الأكزيما » إذ تبين بأن الأكزيما بانواعها هي أكثر الأمرض الجلدية انتشارا في الكويت ، حيث تبلغ نسبة الاصابة بهذا المرض ٢٣,٣١ ٪ ، ويمكن تعريف الأكزيما بصفة عامة بأنها عبارة عن التهابات تصيب الطبقات السطحية من الجلد ، وينتج عن ذلك حكة شديدة مع احمرار في الجلد ، وتكون فقاقيع صغيرة مملوءة بسائل شفاف ، وهذه الفقاقيع تظهر عند الأطفال أو عند ملامسة الجلد بمواد يكون حساسا لها ، مثل : الاسمنت والأصباغ ، والنيكل ، والذهب ، وبعض أنواع الأدوية الموضعية ومستحضرات التجميل .

بينما هناك أنواع من الأكزيما يكون مكان الاصابة به جافا مع ازدياد في سماكة الجلد مع حكة شديدة ، ووجود قشور وتلون الجلد بلون داكن .

وأكثر أنواع الأكزيما انتشارا في الكويت هي الأكزيما الناتجة عن ملامسة الجلد لمادة يكون الجلد حساسا لها ، وتليها أكزيما الأطفال الاستشرائية ، بينما أقل أنواع الأكزيما انتشارا في الكويت هي الأكزيما الجلدية الملتهبة .

٢ ـ الالتهابات الفطرية في الجلد تأتي في المرحلة الثانية بعد الأكزيما ، حيث تبين أن نسبة الاصابة بهذا المرض هي ١٢,١١ ٪ ، والأمراض الفطرية التي تصيب الجلد عديدة ، حيث تعتبر التينيا المتعددة الألوان هي أكثر أنواع الالتهابات الفطرية انتشارا في الكويت ، إذ يمثل هذا النوع نصف المرضى المصابين بالالتهابات الفطرية ، ومن أسباب انتشار هذا المرض في الكويت هو الحر الشديد والرطوبة مع العرق ، حيث تؤدي هذه العوامل الى انتشار المرض خصوصا في فصل الصيف . وأنواع الالتهابات الفطرية التي تصيب الجلد كثيرة ، ولكن أهم هذه الأنواع هي الفطريات الحلقية ، وفطريات الأظافر ، والفطريات التي تصيب الرأس وتعرف بالقراع ، وفطر الثنايا ، وفطر القدمين والمونيليا .

٣ ـ تبين لنا أن نسبة الاصابة بهذا المرض هي ١٠,٧٨ ٪ ، ويعتبر حب الشباب مرضا مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة في هذا الصدد .

اهمها : ازدياد افراز الهرمونات المذكرة والمؤنثة أثناء فترة البلوغ ، وهي فترة ظهور المرض ، حيث تؤدي هذه الهرمونات الى زيادة في حجم وافراز الغدد الدهنية ، وتؤدي كذلك الى ضيق في القنوات الدهنية التي من خلالها تصل الافرازت الدهنية الى الجلد . فيؤدي ذلك الى تجمع الدهون وانتفاخ في الغدد الدهنية ، حيث تقوم البكتيريا بتحويل الدهون الثلاثية الى دهون أحادية وثنائية والى أحماض دهنية حرة ، وهذه الأحماض الدهنية الحرة هي أحد أسباب التهاب الجلد ، وذلك بعد انفجار الغدة الدهنية وانتشار هذه الأحماض في المنطقة المحيطة بالغدد الدهنية ، فتؤدي الى ظهور حب الشباب .

اما العلاقة بين حب الشباب وتناول أنواع معينة

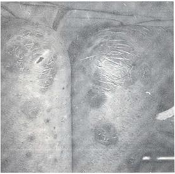
من الأكل ، فتتلخص بأن هناك نظرية قديمة مفادها أن الاكثار من المواد الدهنية كالشيكولاتة والقهوة والمكسرات يؤدي الى ظهور حب الشباب ، ولكن اتضح حديثا بأن هذا غير صحيح ، حيث ظهرت نظرية حديثة تنفي بأن تكون هناك علاقة بين أنواع معينة من الطعام وحب الشباب الذي يزداد بتناول المواد الدهنية ، وازدياد حب الشباب في هذه الحالات راجع للعامل النفسي ، فقد ارتبط في ذهن المريض أن أكل المواد الدهنية يزيد من ظهور المرض ، ولا أحد يستطيع أن ينكر دور العامل النفسي في ظهور حب الشباب ، حيث تزداد الحالة سوءا عندما يتعرض المريض لأزمات نفسية حادة .

٤ ـ الثآلول :ـ ونسبة الاصابة بهذا المرض هي ٨,٣٥٪ وسبب الاصابة بهذا المرض هو فيروس ، حيث يظهر المرض على هيئة زوائد لحمية متفاوتة في الشكل والحجم في أي مكان في الجسم ، ولكن عادة مايظهر على اليد والساعد والقدم والساق والرأس ، والثآلول اما أن يكون مفرداً أو يظهر باعداد كبيرة ، وهذا يعتمد على سلامة جهاز المناعة عند المريض ، فتكثر الثآليل عند المريض المصاب بضعف في جهاز المناعة ، هذا وقد وجد أن ٦٥٪ من حالات الثآليل تزول من غير علاج بعد سنتين تقريبا ، وذلك نظرا لتكون مناعة ذاتية ضد فيروس هذا المرض وأود أن أذكر بأن الثآلول مرض معد .

٥ ـ الالتهابات الجلدية الصديدية :ـ ونسبة الاصابة بها في الكويت هي ٥,٤٩٪ . والالتهابات الجلدية الصديدية كثيرة ومتعددة ، وتعتبر البكتريا العنقودية والسبحية من أهم أسباب الاصابة بهذه الأمراض . ويعتبر مرض الحصف أكثر أنواع الالتهابات الجلدية الصديدية انتشارا ، وهو مرض معد ، وعادة مايظهر عند الأطفال بين العائلات ذات المستوى المعيشي المنخفض ، حيث سوء التغذية وعدم النظافة ، ويكثر هذا المرض في فصل الصيف ، حيث الحرارة الشديدة والرطوبة والعرق .

وماذا عن الصدفية ؟

٦ ـ الصدفية :ـ نسبة الاصابة بهذا المرض هي ٤,٢٧٪ ، بينما نجد ان معدل الاصابة به

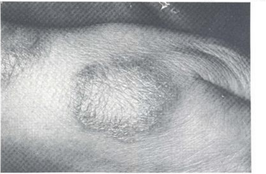


فطريات حلقية

يختلف من مكان الى آخر ، حيث نجد ان امكانية الاصابة بهذا المرض أقل عند اليابانيين والهنود الحمر والزنوج الامريكان ، بينما تزداد هذه النسبة في بعض دول شرق افريقيا وفي الدول الاسكندنافية . ومرض الصدفية يصيب الرجال والنساء ، ونسبة الاصابة عند الأطفال مادون خمس سنوات قليلة .

بقي أن نعرف أن هذا المرض مجهول السبب ، ولكن بعض البحوث تفيد بان العوامل الوراثية والاستعداد الشخصي يساعدان على ظهوره ، وذلك بوجود بعض العوامل المساعدة مثل الاحتكاك ، والالتهابات البكتيرية ، واستعمال بعض أنواع الأدوية ، والتعرض لأزمات نفسية حادة ، كذلك المناخ حيث وجد أن المرض يكثر في البلاد التي تقل فيها أشعة الشمس ، مثل الدول الاسكندنافية ، مع اضطراب في نسبة الهرمونات ، حيث تبين أن بعض الحالات تتحسن مع الحمل .

ومرض الصدفية يظهر على هيئة بقع حمراء محددة الأطراف ، جافة ، مغطاة بقشور بيضاء فضية ، وعند ازالة هذه القشور بشريحة زجاجية نجد أن الجلد رقيق أحمر اللون ، وفيه نقط دموية صغيرة ، وهناك



مرض الصدفية

أنواع عديدة من مرض الصدفية أهمها الصدفية الشائعة ، صدفية الثنايا ، الصدفية المنقطة ، الصدفية الصديدية ، الصدفية الاحمرارية ، صدفية المفاصل ، وهناك أنواع أخرى كذلك . ونستطيع ان نقول بأن مرض الصدفية من الأمرض غير المعدية ولا يهدد حياة المريض .

هذا ومن الصعب جدا ان تتنبأ بسير المرض ، ففي معظم الحالات يحصل تحسن أو اختفاء للمرض حتى دون استعمال الأدوية ، وقد تزداد الحالة سوءا مع عدم وجود سبب ظاهر .

٧ - الثعلبة :- تبين أن نسبة الاصابة بهذا المرض هي ٣,٠٣٪ ، حيث يؤدي هذا المرض الى تساقط الشعر بصورة مفاجئة في منطقة الرأس والذقن ، وعادة ماتكون منطقة الاصابة محدودة المساحة ، ولكن في بعض الأحيان يؤدي المرض الى تساقط الشعر من مساحات كبيرة من الجسم وقد تشمل الجسم كله ، وهذا عادة لايتعدى ٥ -١٠ ٪ من حالات الثعلبة . والى الآن يعتبر هذا المرض مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة أهمها أن الثعلبة تظهر عندما يتعرض المريض الى أزمات نفسية حادة ، أو عندما يتعرض الى التهابات حادة أو مزمنة في الجيوب الأنفية ، اللوزتين ، الأذن ، تسوس الأسنان ، ضعف النظر ، اضطراب عمل الغدد الصماء ، والمهم بهذا المرض أن استجابته للعلاج جيدة ، وفي أحيان كثيرة يحصل تحسن للحالة من غير علاج ، بقي أن تعرف بأن هذا المرض غير معد .

الارتكاريا

٨ - ارتكاريا :- نسبة الاصابة بهذا المرض هي ٢,٣٤٪ ، ويظهر هذا المرض على هيئة حكة شديدة ، مع ظهور تورم واحمرار في الجلد،وسرعان ما تختفى الحالة بعد عدة ساعات لتظهر بعد فترة أخرى في مكان آخر من الجسم .

ويعتبر هذا المرض أحد أنواع الحساسية ، حيث تظهر أعراض هذا المرض بعد تعرض جسم المريض للمادة المسببة للحساسية ، وتتفاعل هذه المادة مع الأجسام المضادة التي كوّنها جسم المريض ، ونتيجة لهذا التفاعل تظهر الاعراض المميزة لهذا المرض . أما أهم المواد التي قد تكون سببا لظهور هذا المرض فهى كثيرة يصعب حصرها ، ولكن سوف أذكر اهمها ، حيث يعتبر الطعام أحد الأسباب التي تؤدي الى ظهور الحساسية ، وهناك أنواع كثيرة من

الأمراض	النسبة المئوية
أمراض الحساسية بأنواعها	٢٣,٣١
الالتهابات الفطرية	١٢,١١
حب الشباب	١٠,٧٨
الثالول	٨,٣٥
الالتهابات الجلدية الصديدية	٥,٤٩
الصدفية	٤,٢٧
الثعلبة	٣,٠٣
الأرتكاريا	٢,٣٤

أكثر الامراض الجلدية انتشارا في الكويت

أصناف الطعام ولكن أهمها البيض ، السمك ، اللبن ومشتقاته ، القشريات وأهمها اللوبستر ، الطماطم الباذنجان ، البهارات الحارة ، المخلل ، الموز ، المانجا ، الفراولة ، الحمضيات ، الشيكولاته . . . الخ وقد يكون السبب استعمال بعض الأدوية وأهمها البنسلين ، الاسبرين ، ومشتقات السلفا ، أو قد يكون سبب الحساسية من استنشاق مواد معينة مثل العطور ، حبوب اللقاح ، الغبار . أو قد تكون ناتجة عن لدغة حشرة كالنحلة والبعوض . أو قد يكون السبب بعض العوامل الطبيعية مثل الحرارة أو البرودة



ثالول

الشديدة . أو عند تعرض جسم المريض الى الاحتكاك أو الضغط الشديد من جسم صلب . كذلك قد تظهر أعراض المرض عندما يتعرض المريض الى أزمات نفسية حادة .

أمراض أقل انتشارا

لقد تكلمت بشيء من التفصيل عن أكثر الأمراض الجلدية انتشارا في الكويت ، ولكن هناك أمراضاً جلدية كثيرة نسبة انتشارها في الكويت قليلة ، منها الأمراض التالية :ـ الأمراض التى تصيب الأظافر ١,٦٩٪ ، المذح ١,٦٨ ، البهاق ١,٤٦٪ حساسية الضوء ١,٢٨٪ النخالة البيضاء ١,١٨٪ ، فرط التقرن الجريبي ١,١٤٪ الجرب ١,١٣٪ ، طفح الحفاظ ١,٠٤٪ ، النخالة الوردية ٠,٩٦٪ ، الكلف ٠,٩٥٪ ، الثفن والمسمار ٠,٨٥٪ ، الحكة ٠,٧٥٪ ، الحزاز ٠,٧٢٪ ، حساسية الأدوية ٠,٤٦٪ ، العقبول العصبي ٠,٢٩٪ ، الوحمات ٠,٢٨٪ ، القمل ٠,٢٣٪ ، المليس المعدى ٠,٢٠٪ ، قرحة بغداد ٠,١٧٪ ، وذح ٠,١٢٪ ، العقبول البسيط ٠,١٢٪ ، الحمراء متعددة الأشكال ٠,١١٪ ، جلد التمساح ٠,١٠٪ ، فرط العرق ٠,٠٩٪ ، العد الوردى ٠,٠٨٪ ، وضح ٠,٠٦٪ .

بين الكويتين وغيرهم

هذا وقد تبين لنا من هذه الدراسة بأن هناك بعض الأمراض الجلدية تكثر بين المرضى الكويتيين ، ومن هذه الأمراض الامراض التاليه :ـ العقبول البسيط ، الحزاز الخطى ، فرط التقرن الجريبي ، النخالة الحمراء الشعرية ، تساقط الشعر ، التهاب الجلد الزهمي .

بينما هناك أمراض جلدية أخرى تكثر بين المرضى غير الكويتيين وأهمها الآتي :ـ الجرب ، الصدفية ، جلد التمساح ، أمراض الأظافر ، الالتهابات الفطرية الجلدية ، فرط التقرن الأخمصي ، جدرة ، والارتكاريا ، الثفن والمسمار . □



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (ولا تَطْرُدِ الذين يَدْعُون ربَّهم بالغَداة والعَشِيّ يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ، ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين) الأنعام ٥٢ و ٥٣ .

في تفسير الطبرى أن عقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومُطْعِم بن عدي ، والحارث بن نوفل ، في أشراف بنى عبد مناف من أهل الكفر ، جاءوا الى أبي طالب فقالوا : « لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وعبيدنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتبّاعنا اياه وتصديقنا له » . فأتى أبو طالب النبى (صلى الله عليه وسلم) فحدثه بالذى كلّموه ، فقال عمر بن الخطاب « لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم »، فأنزل الله تعالى هذه الآيات . فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب يعتذر من مقالته .

وعن ابن مسعود أن أشرافا من قريش مروا على رسول الله ، وعنده خباب بن الأرَتّ ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، فقالوا : « يامحمد ، رضيت بهؤلاء ؟ أتريد أن نكون أتباعا لهؤلاء ؟ إنّا سادة قومنا وأشرافهم ، فاطردهم عنك اذا جالسناك » . فلما همّ النبى أن يفعل ، أنزل الله تعالى هذه الآيات.

وقريب من هذا ما أورده الواحدي عن السبب في نزول الآيات الأولى من سورة عبس : (عبس وتولّى . أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزّكى . أو يذّكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدّى . وما عليك الا يزّكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى) . قال الواحدى :

أتى ابن أم مكتوم الأعمى النبى (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس يحادث عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف ، ويدعوهم الى الله تعالى ، ويرجو اسلامهم . فقام ابن أم مكتوم وقال : « يارسول الله ، علّمنى مما علمك

الله » . وجعل يناديه ويكرر النداء ، وهو لايدرى أن رسول الله مشتغل مقبل على غيره ، فظهرت الكراهية في وجه النبى لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : « يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسّفلة والعبيد » . فعبس رسول الله وأعرض عنه ، وأقبل على القوم الذين يكلمهم . فأنزل الله تعالى هذه الآيات . فكان النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك يكرم ابن أم مكتوم ، وإذا رآه قال : « مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى » .

فهنا إذن مفهوم جديد لقدر المرء ومكانته ، لم يكن ليخطر ببال الجاهليين ، وهى دعوة لا الى المساواة ، وانما الى الكف عن تقييم الانسان على أساس من الجاه والثراء ، والحسب والنسب ، والمنصب والنفوذ ، والى تبنى المفهوم الالهى عما من شأنه أن يعلى من قيمة المرء عند ربه ، وعما ينبغى أن يعلى من شأنه عند الناس ، ألا وهو الورع والصلاح ، والعلم الذى هو السبيل الى الورع (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، والحاسة الخلقية التى هى السبيل الى الصلاح .

اذا كان في لبس الفتى شرف له
فما السيف الا غمده والحمائل
(أبو العلاء المعرى)

فإن كان قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:إن الأشراف في الجاهلية هم الأشراف في الاسلام إذا فقهوا ، فانه لم يقصد بذلك أن يكون في الحسب والنسب فضل في حد ذاتهما ، وانما فضلهما هو فيما يسبغانه على صاحبهما في أغلب الحالات من صفات خلقية كريمة قال يحيى بن خالد البرمكى .

« استعينوا بالأشراف ، واياكم وسفلة الناس ، فإن النعمة على الأشراف أبقى ، وهى بهم أحسن ، والمعروف عندهم أشهر ، والشكر منهم أكثر » .

كذلك فقد حكى أن عدى بن أرطأة قال لإياس بن معاوية :

« دلنى على قوم من القراء أولهم » . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أنت وليتهم فمكنتهم منها ؟ » قال عدى : « فما أصنع ؟ » قال : « عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم » .

ليس ثمة تعارض اذن بين الآيات والحديث . فاين أم مكتوم هو أقرب الى رضا الله وقلب النبى من أبى جهل ، وأمية بن خلف - على شرفهما - مادام حسب الأخيرين وجاههما لم يفلحا في أن يجتثا من قلبيهما الهوى . والهوى اذا غلب عقل صاحبه أضحى لايرى الصحة الا صحة جسده ، ولا العلم الا مااستطال به ، ولا الغنى الا في كسب المال ، ولا الذخر الا في اتخاذ الكنوز ، ولا الأمر الا في قهر الناس . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حب المال والشرف أذهب لدين أحدكم من ذئبين ضاريين ، باتا في زريبة غنم الى الصباح ، فماذا يبقيان منها ؟ ! »

ومع هذا يذهب الزمخشرى الى انه « قلما عرفت الأنفة والإباء في غير من شرفت منه الآباء » وفي رأيى أن فهم هذا كله لايستقيم الا إذا قلنا ان الخوف من ارتكاب الموبقات هو على ثلاثة أنحاء : ديِّن يخاف معادا ، وحرّ شريف يخاف عارا ، وشخص من السّفلة يخاف ردعا . وإحجام الثلاثة عن ارتكاب المعصية لايسوى بينهم في الفضل ، فليس من أحجم خشية العقوبة ، كمن أحجم طمعا في مثوبة ، ولا كمن أحجم عن أنفة من الاقدام على ما يشين ، قال ابن السماك : « لا أدرى أأوجر على ترك الكذب أم لا ، لانى أتركه أنفة » . وقيل ليحيى بن معين : « أيكذب أبو حنيفة في الحديث ؟ » قال : كان أبو حنيفة أنبل من أن يكذب » .

فإن كان نيل الاخلاق غير مقصور على من كرم محتده وشرف أصله ، فكثيرا ما يكون كرم المحتد باعثا على اجتناب الدنية ، والأنفة مما يجلب العار ، والحرص على الاحجام عما قد يسيء الى السمعة ، أو يدفع الناس الى التشكك في نيل الأرومة ، ولاشك في أن هذه الأنفة الطبيعية من ارتكاب الشائن من السلوك ، والعزوف التلقائي عن ركوب المعصية خير واق للانسان من الزلل ، ودليل قاطع على نبله،

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

حَذارِ من العدسات اللاصقة



العدسات اللاصقة مغرية ولا ريب .. فهى تختفى فى العين فلا يراها الآخرون ، ولا تغيرمن طبيعة الوجه من قريب ولا من بعيد .. من هنا كان اقبال الشباب عليها .. والاناث منهم بصفة خاصة .

وما أسرع ما حظيت العدسات اللاصقة بثناء بعض الأطباء والمختصين .. وبرواج في الأسواق كبير .. وذهب بعض المختصين الى التأكيد بأن استعمال العدسات اللاصقة كفيل بمعالجة بعض الآفات البصرية ، وتقويم بعض حالات قصر النظر أو بعده .. واعادة العين الى سابق عهدها من الكفاءة العصرية .

وترددَت هنا وهناك بعض التحذيرات من العدسات اللاصقة ، ومع أن هذه التحذيرات صدرت عن ذوى الخبرة من الأطباء .. الا أنها لم تلق أذنا مصغية لدى جموع الشباب والشابات ، الذين حرصوا على « الوجه الجميل أو الوسيم » ولو على حساب الصحة والعافية ، وقد نفروا من تلك التحذيرات ، وخصوصا عندما اقترنت بنصائح الأباء والأمهات ..

وبلغت العدسات اللاصقة ذروة من ذراها حين ظهرت العدسات الطرية الطويلة الأجل ، قبل نحو ست سنوات .. فهذه عدسات لينة من جيل جديد يختلف عن الجيل الأول من العدسات الطرية ... اذ يستطيع المرء استعمالها طوال ٣٠ يوما دون انقطاع .. ودون حاجة الى سحبها من العين بقصد تنظيفها .. أو إعطاء العين قدرا من الراحة .. في معزل عنها ..

وانقضت سنة ١٩٨٥ ، وبدأت السنة الحالية ١٩٨٦ ، واذا بهذه العدسات الطويلة الأجل تصبح موضع طعن وجدل .. فقد ثبت ان استعمالها المطوّل يسبب التهابات فى قرنية العين .. وقد بلغت تلك الالتهابات من الحدة ما أضطر الأطباء الى زرع قرنيات جديدة تحل محل القرنيات الملتهبة التالفة .

وأدى الاستعمال المطوَّل لتلك العدسات الطويلة الأجل في عدد من الحالات الى فقدان البصر جزئيا أو كليا ، وذلك دون انذار مبكر .. وفي غضون ٢٤ ساعة .. فجأة وعلى حين غرة ..

ويعزى ذلك الى الثقوب والمسامات الكثيرة التي تتميز بها العدسات الطويلة الأجل .. وقد أرادوا لتلك الثقوب أن تكون حسنة ، واذا بالأحداث تثبت أنها سيئة بل نقيصة .. فقد توقعوا منها السماح لمزيد من الأوكسجين والماء بالوصول الى العين وعبرها .. واذا بتلك المسامات تسمح بتكوّن الترسّبات وتراكمها على سطح العدسة .. فتعمل على سد ثقوبها ومساماتها ، ولا يلبث أن تتحول مرتعا للبكتريا ، وحيثما تظهر البكتريا يظهر الالتهاب كما لايخفى ...

حقا لم يتعرض لهذه النتائج الخطيرة كل الذين يستعملون العدسات الطويلة الأجل .. فقد نجا منها الذين فضلوا عدم استعمال العدسات باستمرار للمدة المقررة لها ، وكذلك الذين فضلوا تنظيفها بين حين وآخر ، خلافا لتوصيات بائعي العدسات .. ولكن نجاتهم حتى الآن لاتضمن نجاتهم من تلك الآفات الى ما لانهاية ..

من هنا كان الاهتمام البالغ الذى توليه حاليا وكالة الغذاء والدواء (F.D.A.) للعدسات اللينة الطويلة الأجل .. خصوصا وأن هذه الوكالة أقرت استعمال هذه العدسات في الأمس القريب .. وهي تنصح بعدم استعمالها باستمرار لمدة شهر ، وانما لمدة أسبوعين فقط ، وذلك ريثما تنتهي من تحقيقاتها ودراساتها .

أخبار هامة للمدخنين



مدينة لوس انجلوس المدينة الأكثر جمالا في كليفورنيا ، حذت حذو المدينة الاولى سان فرنسيسكو فسنت القوانين التى تحظر التدخين حظرا تاما في المصاعد والمراحيض وغرف الطعام . وتفرض هذه القوانين على أرباب الأعمال الحكومية والاهلية تخصيص غرفة معزولة للمدخنين في أي قسم أو فرع يبلغ عدد موظفيه خمسة أو يزيد ، ويعطي القانون الحق للموظفين غير المدخنين أن يطالبوا باخراج زميلهم المدخن من غرفهم .. واذا لم يوفقوا الى ذلك اداريا فالقانون يخولهم اقامة الدعوى في المحاكم .

ويحدد القانون غرامات نقدية يستوجب دفعها من قبل المخالفين . وتبلغ هذه الغرامة (٥٠ ـ ١٠٠) دولار ان كان المخالف موظفا عاديا ، أما اذا كان من فئة المدراء فتبلغ الغرامة (٥٠٠) دولار او السجن ستة شهور او كلتا العقوبتين معا .

تدل الاحصاءات على أن مجموع دخل شركات التبغ والسجاير في بريطانيا وحدها قد بلغ (٤,٥) الف مليون جنيه استرليني وذلك سنة ١٩٨٤ وحدها ، أما المبالغ التي أنفقتها على الدعاية والاعلان في السنة المذكورة نفسها فقد بلغت (٦٢,٢) مليون جنيه استرليني .

ولايخفي أن اعلانات السجاير في المجلات والاذاعات تعتبر المسؤول الاكبر عن استمرار عادة التدخين ، رغم كل ماثبت من اضرارها . من هنا كان حرص الدول المتقدمة ـ بريطانيا وأمريكا في الطليعة ـ على حظر دعاية السجاير في الاذاعة والتلفاز وقد وضع موضع التنفيذ في امريكا منذ سنة ١٩٧١ . وقد كان لهذا الحظر أثر كبير في التناقص الذي طرأ على عدد المدخنين في تلك الدول في السنوات الأخيرة .

* ستشهد محاكم كاليفورنيا عما قريب أول قضية من نوعها .. فقد مات المدعو جون جالبريث بسبب الأورام الخبيثة التي اصابته في احدى شعب القصبة الهوائية ، وكان من المدخنين .. وقد اقام الأطباء والمختصون الدليل على أن التدخين هو سبب موته المباشر ، وتلقف هذا التقرير مكتب ملفن بللي للمحاماة الذي طالما انتظر دليلا كهذا ليرافع ضد التدخين وشركات التبغ بالمجان ، والأمل معقود على أن يربح القضية .

مكتشفون ومخترعون

كارل بنز (Benz) ١٨٤٤ - ١٩٢٩
جوتليب ديملر (Daimler) ١٨٣٤ - ١٩٠٠

لقد صادف يوم ٢٦ يناير ١٩٨٦ ، العيد المئوى الأول لاختراع السيارة .. فقد تم تسجيل هذا الاختراع الخطير فى ٢٦ يناير ١٨٨٦ ، والسيارة هي بلا منازع أبرز ظاهرة يتميز بها القرن العشرون عن كافة القرون التى سبقته .. انها بصمته الفارقة . وهي تفوق في ذلك الطائرة والسفينة والقطار وسائر منجزاته الأخرى ، فمرور مائة عام على اختراع السيارة اذن جدير بكل اهتمام ...

بدأت القصة فى بلدة كارلز وهن فى المانيا الغربية .. قبل نحو ١٤٠ عاما .. فقد ولد في تلك البلدة وفى سنة ١٨٤٤ بالتحديد ، مخترع السيارة كارل بنز ..

كان مهندسا ميكانيكيا ، شد اهتمامه فى الستينيات من القرن الماضى محرك يعمل بالاحتراق الداخلى .. وكان ذلك المحرك من انتاج مصنع فى باريس ، يملكه المهندس البلجيكي الذى اخترع ذلك المحرك ، واسمه اتيين لانوار ..

وتجدر الاشارة الى أن عربات الخيول كانت هى العربات الوحيدة التى عرفها الناس فى تلك الأيام .. ومنذ أقدم الأزمان .. وان العلماء والمخترعين طالما فكروا أو حلموا بتسيير العربات بمحركات تعمل بالاحتراق الداخلى .. بدلا من جرها بواسطة الخيول .. لاعجب اذن أن احتضن المهندس الألمانى كارل بنز ذلك المحرك البلجيكي / الفرنسى ، وكرس نفسه لتطويره وتحسينه ، وأنفق في سبيل ذلك كل امواله .. غير أن جهوده تكللت بأنموذج ناجح .. كفل له اجتذاب المال اللازم ، لانشاء مصنع له فى مدينة منهايم .. وتطوير المحرك الذى ذكرنا ، بحيث يستطيع تسيير عربة خيول بدون خيول ..

وجاءت سنة ١٨٨٥ ، واذا بذلك المصنع يصنع تلك العربة ، ويستكمل تطوير المحرك .. ونجح الاختراع .. الا أن تسجيله رسميا تأخر حتى ٢٦ يناير من سنة ١٨٨٦ .. أى قبل مائة عام من كتابة هذا الكلام ..

على أن عربة بنز تلك كانت متواضعة .. فقد قامت على ثلاثة دواليب ، لا أربعة .. تماما كعربات الخيول مع فارق واحد ، هو أن عربة بنز لم يجرها حصان وانما سارت بفعل محرك يعمل بالاحتراق الداخلى .. ويعتمد البترول وقودا ... ولكن قوته كانت محدودة ولم تزد السرعة التى اتاحها للعربة على ٨ أميال .. وقل مثل ذلك في القابض أو الواصل (clutch) وفى جهاز نقل السرعة (gear) .. فقد كانت ضعيفة وذات عيوب بينة ... ويبدو أن كارل بنز لم ير فى عربته أكثر من مجرد عربة خيول تسير بمحرك تلقائى ، ودون أن تجرها خيول .. وقد أخفى محركها تحت مقعد السائق .. بيد أن التاريخ رأى فى تلك العربة أول سيارة عملية عرفها التاريخ ..

وشاءت الأقدار ألاّ يكون كارل بنز وحيدا فيما تطلع اليه من طموحات ، وما بذله من جهود .. فقد اتفق أن كان مهندس ميكانيكي آخر يقوم بمثل تجاربه .. فى نفس وقته ، وفي نفس منطقته من المانيا الغربية .. المهندس ديملر .

ولد جوتليب ديملر في بلدة شورندورف الغربية من مدينة شتوتجارت .. لابوين ميسوري الحال .. بحيث فاق نصيبه من التعليم النظرى والتدريب العملى نصيب نظيره كارل بنز ...

وركز ديملر على محرك الاحتراق الداخلى كما فعل كارل بنز ، بل أكثر مما فعل .. فانضم الى المخترع المعروف آنذاك نيكولاوس أوتو مساعدا وشريكا فى مصنع أنشأه في كولن سنة ١٨٨٢ .. من أجل



كارل بنز

اختراع وضع المحركات التلقائية .. ونجح أوتو فى صنع المحرك الرائد الذى يعمل بالاحتراق الداخلى .. ويعتمد الغاز لا البترول وقودا .. على غرار المحرك البلجيكي السالف الذكر .. وما لبث ديملر أن أحرز نجاحا كبيرا في تطوير المحرك الذى صنعه أوتو ، فجاء محركه أكثر كفاءة وأخف وزنا .. وجعل وقوده البترول بدلاً من الغاز .

وراح ديملر بعد ذلك يقوم بالتجارب التطبيقية على محركه .. جربه على دراجة ذات دولابين ثم على قارب نهرى . وأحرز النجاح فى تجاربه كلها .. ثم أقدم ديملر على صنع سيارة لذلك المحرك تليق به ويليق بها. وكان ذلك في سنة ١٨٨٦ وهى نفس السنة التى سجل كارل بنز اختراعه فى مطلعها . . .

بيْد أن سيارة ديملر لم تكن عربة خيول .. بل كانت سيارة بالمعنى الدقيق .. تسير على أربعة دواليب ، وبسرعة بلغت ١١ ميلا فى الساعة ، ثم تضاعفت حتى اصبحت ١٨ ميلا فى الساعة .. وكانت أجهزتها قوية .. الكلاتش والجير الخ .. لاغرابة إذن أن أقدم الكثيرون على شراء الترخيص لصنع محرك ديملر .. سواء فى ألمانيا أو بريطانيا أو فرنسا .. وكان من بينهم كارل بنز نفسه . .

وأسس ديملر شركته الخاصة بصنع السيارات سنة ١٨٩٠ ، وباشرت هذه الشركة صنع السيارات باسم مرسيدس ، اعتبارا من سنة ١٩٠١ ، وقد اطلقوا عليها هذا الاسم تكريما للآنسة مرسيدس جلينك ، ابنة شريك ديملر ومموّله النمساوى (إميل جلينك) .

ومن طريف مايذكر أن المهندسين ديملر وبنز لم يجتمعا أبدا .. هذا على الرغم من أن شركتيهما اندمجتا سنة ١٩١١ فى شركة واحدة ، هى شركة مرسيدس بنز الحالية .

بقى أن نذكر أن الألمان وان كانوا ذوى فضل لاينكر فى اختراع السيارة ، فقد احتاجوا الى جهود الفرنسيين لتحسين شكل السيارة .. والى الأمريكان .. وهنرى فورد بالتحديد ، لجعل السيارة فى متناول الجميع ، وقد كانت وقفا على المغامرين وهواة الرياضة والسباق .. أما الانكليز فكانوا خارج الحلبة .. بل إن حكومتهم سنت قانونا غريبا يعرف باسم قانون الراية الحمراء ، وعمل على عرقلة المساعى لاختراع السيارات وصنعها .. فقد حظر ذلك القانون على العربات السير بسرعة تجاوز ٤ أميال فى الساعة .. وألزمها بتوظيف رجل يسير أمامها ويحمل راية حمراء ، لينذر الناس فى الحقول والشوارع بأن العربة الخطيرة ذات المحرك الخطير توشك على الوصول ... ولسان حاله يقول .. لقد أعذر من أنذر .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

عقار الثوم .. والأمراض التي يعالجها

يبدو أن الثوم هو (إكسير) الصحة حقا .. فهو يجمع من الفوائد الصحية والمنافع العلاجية ما لم يجتمع لنبات ولا لعقار .. لا عجب اذن أن أقبلت الجامعات ومراكز البحث العلمي في الدول المتقدمة الراقية على التحقيق في تلك الفوائد والمنافع ، واجراء الدراسات والأبحاث الرامية لا الى تفهم سر الثوم فحسب ، ولكن الى تطويره وتصنيعه أيضا .. وفيما يلي بعض هذه الدراسات والأبحاث .. ونوجز ما أثبتته من فوائد الثوم ومنافعه .

١ ـ ضغط الدم : يوجد في اليابان دوائر مسؤولة عن ترخيص الأدوية واستعمالها .. تشبه وكالة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة F.D.A، وتحرص مثلها على المستوى الرفيع فيما تؤديه من أعمال .. وتعرف ، مثلها بالصرامة ان لم نقل بالتزمت ، في اخضاع ما ترخص استعماله لكثير من التحقيق والتدقيق قبل ترخيصه ، لقد أقرّت هذه الدوائر اليابانية استعمال الثوم من أجل تخفيض ضغط الدم .. وغني عن البيان أن هذه الآفة منتشرة في اليابان ، وقد كانت موضع دراسة وتمحيص وأبحاث ، نشدت العلاج الناجع لها منذ سنين ..

٢ ـ الكولسترول .. قام لفيف من العلماء الباحثين العاملين في معهد (وستار) في جامعة فيلادلفيا ، بتجارب عديدة على زيت الثوم وأثره في الأرانب والدجاج والفئران ، وقد أكلته ضمن علفها .. وقد أثبتت تلك التجارب أن زيت الثوم خفض مستوى الكولسترول في تلك الحيوانات .

وأجرى الدكتور « أرون بورديا » في كلية (تاجور) تجارب عديدة على أثر الثوم في جسم الانسان .. وشملت تلك التجارب ٢٠ رجلا تناولوا زيت الثوم يوميا لمدة ستة شهور .. ودلت الفحوص التي أجريت لهؤلاء الرجال أن مستوى الكولسترول في الدم انخفض فيهم جميعا بنسبة ١٧٪ .. ودلت تلك الفحوص أيضا على أن الشحوم هي الأخرى هبطت فيهم جميعا بنسبة ٢٠٪ .. وذلك طبعا في الفترة التي تناولوا فيها الثوم .. وأثبتت تلك الفحوص أثرا ثالثا للثوم قلما يخطر ببال : فقد زادت نسبة الشحوم البروتينية العالية الكثافة ، وانخفضت نسبة تلك الشحوم البروتينية القليلة الكثافة ، وذلك لصالح أولئك الرجال العشرين ..

الجلطة : قام الدكتور مارتن بيلي ونفر من العلماء الباحثين العاملين في جامعة واشنطن ، بأبحاث دلت على أن زيت الثوم يمنع التجلط ، ويحد بالتالي من احتمالات التعرض للنوبة القلبية والسكتة .

ودلت أبحاث أخرى على أن المادة الفعالة في الثوم



(والبصل أيضا) تضمن بقاء لويحات الدم أو صفائحه منفصلة بعضها عن بعض .. ولا يخفى أن تكتلها كفيل بالتجلط ..

٣ ـ مرض سكري الدم : أجرت دائرة الزراعة في الولايات المتحدة دراسات عديدة أثبتت أن الثوم يخفض نسبة السكري في الدم .. ويرفع مقدار الأنسولين فيه . وأثبتت احدى تلك الدراسات أن فاعلية الثوم في انقاص محتويات السكر في الدم لاتقل عن فاعلية العقار المعروف toibutamide .

٤ ـ الأورام الخبيثة : دلت الأبحاث والتجارب التي أجريت على حيوانات مختلفة ، على أن للثوم أثرا مضادا للسرطان الذي عانت منه تلك الحيوانات ، وقد عَزَوْا أثره هذا الى ما يحتويه الثوم في انزيم النيبز أو معدن الجرمانيوم ، أو معدن السلينيوم .. ولكن النتائج لم تبلغ حد الثبوت في هذا الصدد حتى الآن .

٥ ـ مضاد للحيويات : على أن خصائص الثوم من حيث هو مضاد للحيويات قد بلغت درجة عالية من الثبوت والوضوح .. وحسبك أن الاتحاد السوفياتي درج على استخراج صنوف من البنسلين من الثوم منذ زمن بعيد .

ودلت الدراسات والتجارب التي أجرتها مؤخرا كلية الطب في فرجينيا ، على أن سائل الثوم يحد من نمو الفطريات التي عرف عنها أنها تسبب التهاب السحايا . وأثبتت دراسات أخرى أجرت بعضها جامعة انديانا ، باشراف الدكتور مايكل تانسي ، أن الثوم يوقف أو يحد من نمو أنواع من الفطريات والعفن والخميرة ، ونخص بالذكر منها ما يسمى Candida albicans .. فهذا نوع من الخميرة يسبب التهابات تسمى Vaginitis ومرضا فطريا يعرف باسم Histoplasma Capsulatum ، وينتقل هذا المرض بالغبار ، وكثيرا ما يسبب مرضا يشبه السل .. أضف الى ذلك أن خميرة candidaالتي ذكرنا ، قد تؤدي الى الاصابة بمرض سعفة القدم Athletes foot ، ومرض جلدي آخر يعرف بالقوباء الحلقية Ringworm

٦ ـ عقار الثوم : وأخيرا وليس آخرا ، تجدر الاشارة الى الأبحاث النشطة التي تجريها جامعة مينوسوتا ، بقصد عزل عنصر الثوم الفعال ، وهو allyl methyl trisulfide .. وقد أحرزت نجاحا ملحوظا لافي عزله فحسب ، ولكن في تصنيعه .. أو استحضاره صناعيا .. ومعنى ذلك أنها خطت خطوة واسعة جدا نحو صنع عقار الثوم .. ترى ألا يستحق هذا العقار أن يسمى باكسير الصحة ؟ .. فان كان أكسير القرون الوسطى سعى الى تحويل المعادن الى ذهب ، فان عقار الثوم كفيل بعلاج أمراض عديدة واستبدالها بالصحة والعافية .

بقي أن نذكر أن للثوم فوائد لا تعد ولا تحصى للمعدة ، والجهاز الهضمي عامة .. وحسبك أنه والامساك لا يجتمعان .



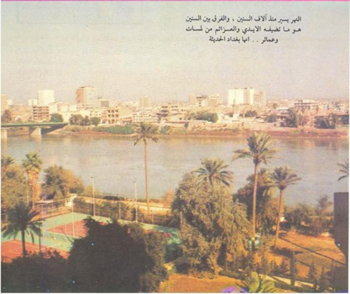
في مهرجان المربد السادس

كيفَ غنّى

الشعراء لماضيهم

وأطلقوا الكلمات للمستقبل؟

استطلاع وتصوير : سليمان الشيخ



النهر يسير منذ آلاف السنين ، والفرق بين السنين هو ما تضيفه الايدي والعزائم من لمسات وعمائر .. انها بغداد الحديثة





شعار المهرجان - فوق - أسماء لكوكبة من أهم الشعراء العرب

أرض المربد ... لم يبق اي أثر من السوق القديم منذ مئات السنين (يمين)

السياب ... شموخ ونظرة بعيدة (يسار)



« لماضينا نغني ولمستقبلنا نطلق الكلمات » تحت هذا الشعار العام انعقد مهرجان « المربد » الشعري العربي السادس في مدينة بغداد في نهاية نوفمبر وأوائل ديسمبر الماضي .

وكانت « العربي » هناك ترصد هذا التجمع الثقافي العربي الكبير وتتابع نبض الشعر وهو يعانق مشكلات الامة العربية الحاضرة التي أقل ما يقال فيها بأنها مشكلات معقدة ينتابها ألم التغير والبحث عن طريق أفضل .

وعندما ترصد « العربي » هذا الملتقى أنها ترصده من منطلقه الحضاري ، ومن منظوره الفني والثقافي .

ترى ماهو « المربد » ؟ كيف كان وتطور ثم أصبح ؟ هنا تقول لك « العربي » القصة الكاملة .

قالوا ويقولون : « ان الشعر ديوان العرب » وان الأمة العربية أمة شاعرة .

فهل هذا القول كانت له مصداقيته في زمن مضى وانقضى ؟ أي عندما كان الشاعر هو « وزير الاعلام » المسؤول عن تراث وقيم وسمعة وشمائل وأخلاق وفروسية القبيلة ؟ وانه اليوم لا معنى له ؟

وهل أحيل الشاعر والشعر الى التقاعد ، بعد ان أصبح للاعلام أجهزته ، وللثقافة مثل ذلك ؟ فاختلف المحتوى و الوسيلة ؟

وهل أصبحت الحياة التي غلبت عليها الماديات ، لا تحتاج الى أن تملأ شرايينها بدم التشوف والرؤ ى ، وخيالات البديع ، والصور والكلمات المنزوعة من قلب معاناة الذات ، الموصولة بواقعها ومصيرها ؟

حديث قديم

اننا ندخل من خلال الأسئلة السابقة ، الى معمعة الحديث الذي يتردد بين فترة وأخرى ، ليقول بأن الابداع الأدبي سيحال الى التقاعد جميعه ، وأن العلم سيسيطر على مفاصل الحياة ، ويكنس كل ما هو أدبي !

هل ينتابك العجب عزيزي القارىء لو قلنا ان الكلام السابق قد طرح منذ قرون ؟ مع ذلك فإن الأدب والشعر خاصة ، مازالا في صميم حياة الشعوب ، وان غزو كل أجهزة الاعلام الحديثة من مذياع وتلفاز وفيديو وغيرها ، لم يلغ (جهاز) الكتاب ، ولا الكلمة الشفيفة الرقيقة العميقة البليغة ، المنتزعة من خيال الشاعر وواقعه ومعاناته .

كل ما تم في الأمر ، هو أن الشعر في دنيا العرب على سبيل المثال ، تحول في بعضه الى شعر مهموس ، والى شعر تطغى عليه لغة الذات أحيانا ، وأن بعضه قد استغنى عن القافية أحيانا اخرى ، وأرسى أشرعة التفعيلة ، مع عدم الالتزام بعدد التفعيلات في البحر الواحد . بل ان بعضه الآخر استغنى عن جميع الشروط المتعارف عليها ، وجاء يحمل نثره المُطعم برؤ ى الشعر وصوره وخيالاته .

وكما اختلف المنبر وبقي تذوق الشعر والتغني به هو هو منذ امرؤ القيس الى احمد شوقي ونزار قباني ومحمود درويش ، فالساحات والأسواق التي كان يصول الشعر فيها ويجول ، قد انحصرت وانزوت ، وأصبح الشعر رهين بعض المناسبات ، وتحول في الكثير منه من شعر مسموع الى شعر مقروء .

ولأن الأمر قد صار الى هذا المآل ، بفعل الكثير من

التغيرات والتطورات الذاتية والموضوعية ، منذ زمن ليس بالقصير ، لذلك فإن اعادة الاعتبار لبعض « تقاليد » الزمان الغابر فى دنيا الشعر .. قد جاء يحمل دهشة السؤال والاستفسار ، وفضول اندفاع المعرفة ، وخصوصا وأن مناسبة اعادة الاعتبار قد ربطت بمكان واسم ووقائع معروفة فى تاريخ العرب . . .

مهرجان

المكان . . بغداد ، والايام توزعت بين نهايات شهر نوفمبر ـ تشرين الثانى ـ ، وديسمبر ـ كانون الأول ـ من عام ١٩٨٥ والحضور مئات . . من الشعراء والنقاد والكتاب، وهواة الأدب من كل أقطار العرب .

جاءوا لحضور مهرجان الشعر الذى اطلق عليه اسم « مهرجان المربد » وكان ترتيبه السادس بين المرابد الحديثة .

لكن المربد القديم كمكان يبعد عن البصرة القديمة حوالى ثلاثة أميال ، كما تقول المصادر التاريخية . . فما الذي جعل المربد ينتقل من « البصرة » الى بغداد ؟

قبل الاجابة عن السؤال ، يجدر بنا أن ندخل القارىء فى أجواء المهرجان ، وامسياته وحروفه وصوره وخيالاته . . ثم نصل الى الاجوبة المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا .

تظاهرة كانت . . والشعراء فُرسان ، حلقوا وجنحوا وركبوا خيالاتهم وجاءوا ، والفرسان أجناس وأنواع ، بعضهم امتطى مهرة خياله الأصيلة الراسخة ، التى تملك ملكات الاقتحام والسبق والتجلى والتجاوز ، والبعض الأخر امتطى مهرة قديمة ، فيها عرج وتقصير ، أو فيها معرفة الطرق وأساليب السباق ، كما عرفتها عما سبقها .

وبعضهم جاء يحمل فى « خُرج » « المهرة » بعض الصدى لخبرات وابداعات أصوات أخرى ، فى دنيا لها تجلياتها وتعبيراتها الخاصة . . فكانت مهرته غامضة مطلسمة .

وبعضهم حمل سوطا ، لم يتورع عن جلد مهرته ، متوسطة الباع في السباق والسياق والتكوين ، كما انه لم يوفر الناس ولم يرحمهم ، فجلد جَلْدهَم وأطنب!

وغيره لم يوفر الأُمة كلها من الجلد ، فأكثر من تصيد العثرات ، وغطى الأفق بغبار تعميمات القول ، مضمنا اياها الكثير من مواويل اللطم والشتم وشق الجيوب !

أجيال ومدارس

باختصار . . كل المدارس كانت حاضرة فى المربد السادس . وكل الملكات والمخيلات . الشيوخ والشبان الشيوخ ـ والشبان الشبان ، الراسخون فى الشعر ، والمتطفلون ، المجددون ، والمتعيشون على قارعة الحداء ، المُقلدون للأزياء ، والمستوردون لآخر الصرعات ، المتغربنون ، والتراثيون بدون أصالة ، والأصيلون بدون ادعاء ، الذين يعيشون زمنهم ، والذين يعيشون فى الماضى . وغيرهم الذين ليسوا من هذا الزمن أو ذاك .

الذين لهم حضورهم وشخصياتهم وقاماتهم ووقع لخطواتهم وأصواتهم ، وغيرهم الذين دمجوا شخصياتهم بغيرها ، ماضية أو حاضرة ، مقيمة ، أو راحلة أصبحت من ذكريات أيام مضت وانقضت .

وغيرهم الذين أدمنوا استعارة أصوات ليست لهم ، وليسوا هم فى حجم يمكنه أن يستوعب الأثواب والقماشات .

كل هؤلاء وأولئك صدحوا وغردوا ، أو جلدوا وغثوا فى المهرجان الكبير !

قلنا إن الاصوات الشاعرة وغير الشاعرة ، كانت من شتى المدارس ، وكانت أيضا من شتى الاقطار العربية : العراق نفسه ، وسوريا ، ومصر ، والأردن ، وفلسطين ، ولبنان ، والسودان ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس ، واليمن ، والسعودية ، والكويت ، وحتى موريتانيا ، والصومال .

أُضيف اليهم شعراء وكتاب من بلدان أخرى غير عربية كالاتحاد السوفيتى . واسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا وبوغسلافيا ، واليابان ، وفرنسا ، واستراليا ، وغيرها .

كل هؤلاء جاءوا بدعوات خاصة ، وبترشيح من لجنتا المهرجان العليا .

أى ان قسما منهم كان يمثل صوته الخاص ، ومنهم



جمهور البصرة .. كثافة واحتضان للشعر والشعراء

من كان جزءاً من الروابط والاتحادات الأدبية الرسمية في بلدانهم .

القصيدة التقليدية كانت مجلية فى الحديث المباشر عن المكان والزمان ، والزعماء والقادة ، والالتصاق بالمناسبة والدق عليها ، فى حين أن القصيدة الحديثة كان أفقها أرحب ، وتناولاتها أجمل وأعمق وأشعر .

الوطن والشعب والأمة

الكل تكلم عن الوطن والشعب والأمة بصورة أو بأخرى . لكن زاوية الرؤيا التى تناول فيها شاعر مثل يوسف الصائغ (شاعر عربي من القطر العراقي) على سبيل المثال الوطن والشعب والأمة ، كانت تتناقض مع زاوية الرؤيا التى نظر فيها نزار قباني الى نفس الموضوعات . شاعر كان يستلهم ويستنهض ويلوّن الأفق بكل قيم النضال ، التى أرستها الأجيال من خلال حكاية بسيطة وعميقة ، وشاعر آخر كان يجلد الأمة والشعب بسوط من رغبة التعذيب للذات ، ونكء الجراحات والصور السلبية .

صحيح أنه ليس المطلوب من الشاعر أن يحمل المسابح والمباخر لتغطية سموات الهزيمة بقبوات الكلام ، لكن - وفى نفس الوقت - ليس المطلوب من الشاعر أيضا أن يتترس خلف العثرات والهزائم ، ليجعل منها عناوين للصبح والنهار والشمس المشرقة .

وقد اختار بعض الشعراء الموقع الأول ، فى حين أن القليل من المقاعد حجزت فى الموقع الثاني .

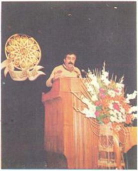
وعلى الرغم من السمة الغالبة على القصيدة الحديثة ، انها قصيدة تكتب لتقرأ وليس لتلقى ، وان المنبر هو مجال القصيدة التقليدية . مع ذلك فإن قصائد حديثة كثيرة كانت تتداخل مع وجدانات



جمهور المربد في بغداد



الشاعر العراقي يوسف الصائغ وهو يلقي قصيدته



الشاعر الفلسطيني خيري منصور يلقي قصيدته

الجمهور ، وتدخلها بسهولة متجاوزة حدود التلقي المباشر .

صحيح أن ردود فعل الجمهور الذي كان يتلقى القصائد ، توزع على حالات التجاوب المعروفة ، أي أنه كان ينساق احيانا وراء من يستهويه التصفيق للصورة المباشرة ، لكنه كان يعطي العمق حقه أحيانا أخرى ، ويتجاوب مع الصورة الشعرية المبتدعة أيما تجاوب .

الأداء القصصي

وقد كتبت بعض قصائد المهرجان ضمن مواصفات ـ القصيدة القصة ، لكن أكثرها حضورا وبروزا كانت قصيدة « المعلم » ليوسف الصائغ ، وقد جاء عن هذا النوع من القصائد ما يلي في كتاب الدكتور محسن أطيمش « دير الملك ـ دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر » :

« وليس الالتفات الى الحكاية ، وجعلها مادة القصيدة أمرا مستجدنا في الشعر العربي الحديث ، فهناك العديد من المحاولات السابقة التي يلحظ القارىء اهتمام الشعراء فيها بايراد الحكاية ، وشعر خليل مطران ، وايليا أبو ماضي ، والياس أبو شبكة ، ومعروف الرصافي ، دليل على هذا الاهتمام » ، ومن سمات هذا الشعر كما جاء في نفس الكتاب :ـ

« الافادة الجادة من معطيات فن المسرح والقصة ، وتوظيف عنصر الحوار ، والحوار الداخلي ، وتعدد الأصوات ، وتقديم الصورة العامة للأجواء والمشاهد التي يدور حولها الموضوع الشعري ، والاهتمام بتصوير ملامح الأشخاص ، وتقديمهم ضمن حدث أو موقف »

صفات وظواهر

ومن صفات وظواهر المربد السادس .. نسجل التالي

لقد تميز هذا « المربد » بالحضور المتزايد من قبل الشعراء والأدباء والنقاد والصحافيين ، واذا كان المربد الأول الذي أقيم في البصرة سنة ١٩٧١ ، قد ألقى فيه حوالي ٣٣ شاعرا قصائدهم ، أحصيتهم من خلال وقائع المهرجان ، الذي ضمه كتاب « مهرجان المربد الشعري ١٩٧١ » الذي نشرته وزارة الاعلام العراقية .

فإن المشتركين من الشعراء في الجلسة الشعرية الواحدة في المهرجان الأخير ، كانوا يقتربون أحيانا من كامل عدد الشعراء الذين اشتركوا في المهرجان الأول ، أو يقلون قليلا عنهم .

ـ لقد تركت اللجنة العليا للمهرجان الحرية الكاملة للشاعر ، في أن يختار قصيدته التي يلقيها ، ولم أسمع أن شاعرا قد منع من القاء قصيدته التي اختارها بنفسه .

ـ اذا كانت « المرابد » السابقة قد تميزت بوجود جلسات نقد تقام في صباح اليوم التالي الذي يلي جلسات الشعر ، وتنصب على القصائد ذاتها ، مما كان يوجد بعض الاشكالات بين بعض النقاد وبعض الشعراء ، كما حدث في المربد الأول على سبيل المثال ، بين الشاعر محمد مهدي الجواهري ومؤيديه من جهة ، وبين الناقد الدكتور محمد النويهي ومؤيديه أيضا من جهة مقابلة ، عندما اختلفوا حول الموقف من القصيدة التقليدية ، فإن المربد الأخير تميز بوجود جلستين للنقد والشعر ، في نفس الوقت تقريبا ، وفي قاعات مختلفة .

أي ان موضوعات جلسات النقد كانت مختلفة عن جلسات المرابد السابقة ، فجلسات المربد الأخير ناقشت موضوعات لا تتعلق بالقصائد التي كانت تلقى ، بل جعلت لوقائع جلساتها محاور وعناوين مستقلة .

وهكذا فإن التنظير للشعر في جلسات النقد ، كان لا يمت بصلة مباشرة الى القصائد التي كانت تلقى في قاعة ثانية .

ـ بموازاة النشاطين الأساسيين للمهرجان : (جلسات الشعر والنقد) فقد أقيمت عدة نشاطات ثقافية أخرى منها :

ـ معرض للكتاب .

ـ معرض للوحات فنية تشكيلية للعديد من الفنانين العراقيين .

ـ معرض للمصنوعات التقليدية .

ـ معرض لبعض الوثائق التراثية المهمة .


عبدالرزاق البصير


د . سلمى الجيوسى

ـ عرض فنى للفرقة القومية للفنون الشعبية .
ـ عروض للأزياء المستوحاة من التراث العربى وغيره من حضارات سادت فى القطر العراقى .
ـ عروض مسرحية،وغير ذلك من نشاطات .

هذا وقد صدرت عن الهيئة العليا لمهرجان المربد جريدة يومية اطلق عليها اسم « المربد » غطت النشاطات والوقائع اليومية للمهرجان ، وأجرى محرروها الكثير من اللقاءات مع المشاركين فيه . كما صدرت عن هيئة المهرجان كتيبات تتعلق بالمربد وقصيدة الحرب وغير ذلك .

ونظرا لكثافة برنامج المهرجان ، وتوزع نشاطاته خاصة وان المشاركين فيه قد انتقلوا الى مدينة البصرة ، وأقاموا مع شعرائها جلسة شعرية ، ثم زاروا ضباط وجنود القاطع الأوسط القريب من مدينة خانقين فى مواقعهم ، وألقوا بعض القصائد والكلمات فى تلك المواقع ، ثم انتقلوا فى يوم لاحق الى مدينة الموصل ، وأقاموا مع شعرائها جلسة شعرية أيضا ، فقد ارتأت اللجنة العليا للمهرجان تمديد فترة عقده من أسبوع الى عشرة أيام .

مشاهير

ويمكن الاشارة الى بعض الاسماء المشهورة التى شاركت وحضرت المهرجان ، ان كان فى مجال الشعر أو النقد . . وهى :

فى الشعر : عبد الوهاب البياتى . . لم يلق شعرا ، نزار قبانى . . ألقى كلمة الافتتاح وقصيدة فى يوم لاحق ، محمود درويش . . جاء فى اليومين الأخيرين ، أحمد عبد المعطى حجازى ، وخليل خورى ، وسامى مهدى ، ويوسف الصائغ وعبد الرزاق عبد الواحد ، وغيرهم .

فى النقد والأدب : د . سلمى الخضرا الجيوسى ، جبرا ابراهيم جبرا ، د . عزالدين اسماعيل ، د . محسن الموسوى ، د . جابر عصفور ، د . سهيل ادريس ، خلدون الشمعة ، د . عبدالسلام المسدى ، د . أحمد المديتى ، د . عبدالحميد ابراهيم ، د . غالي شكرى وغيرهم .

ويمكن الاشارة الى أن بعض الشعراء الشبان خاصة من فلسطين والعراق ومصر وتونس والسعودية ، مثلوا أصواتا مميزة لفتت الأنظار ، وأدخلت الطمأنينة الى قلوب الغيورين على الشعر . وأثبتت أنه لا انقطاع بين الأجيال ، وأن جيل الشبان يمكنه أن يرفد حركة الشعر العربى بالكثير من اشراقاته وتجلياته . وحسن استيعابه لتراثه ، وتفتحه على حركة الشعر عالميا .

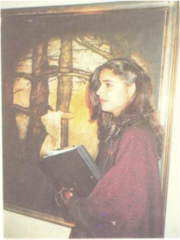
الواقع والتاريخ

عندما لمس السيد شاكر جاسم التركى ، مدير آثار البصرة ، أننى مُصرٌ على رؤية ماتبقى من آثار ، أو أية اشارات مميزة لما يسمى بمنطقة « المربد » . . . فانه كرر القول :

« لم يبق من المربد القديم أى أثر ولا أى معَلم ، لقد احترق السوق ولم يبق منه أى شيء » ، واندثرت المعالم . . . وأصبح المكان لايختلف عما عداه من الصحارى التي تحاذي الزبير والبصرة القديمة » .

سألت : هل البصرة القديمة . . هى غير البصرة الحالية ؟ أجاب : البصرة الجديدة تبعد عن القديمه حوالى ١٥ كيلو مترا ، وكانت القديمة تقع على نهر الأبلة ، أحد فروع شط العرب ، وقد جف النهر الآن ، وكان موقعه جنوب المسجد الجامع ، وعلى ضفتيه كانت تقوم القصور المهمة فى زمن العباسيين خاصة .

كررت الالحاح . . . . « لابد من زيارة المكان » . انطلقنا من البصرة الجديدة قاصدين البصرة



طالبة عاشقة للفن تشرح ما في لوحة الفنانة سعاد العطار من أبعاد

القديمة ...... وصلناها بعد مسير ثلث ساعة تقريبا بالسيارة ، بعض معالم الآثار ما زالت قائمة بعد ان تم ترميمها ، بجانب الآثار لافتة كتب عليها :

« اختطت البصرة القديمة سنة ١٤ هـ - أى سنة ٦٣٦ م ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد بنى الصحابي عتبة بن غزوان المسجد الجامع سنة ١٤ هـ من القصب ، ثم أعيد بناؤه بالطين سنة ١٦ هـ » .

سألت عن البلدة المحاذية للمكان .. فقيل لي إنها الزبير .

قلت : « وهل بنيت مكان البصرة القديمة » ؟

أجاب السيد شاكر : « ربما احتلت الزبير بعض أطراف مدينة البصرة القديمة » .

على كل حال .. يُعتقد أن الصحراء الشاسعة التي تحيط بنا .. هي مكان البصرة القديمة ، لذلك فإن بعثات الآثار مازالت تنقب في هذه المنطقة ، وقد وجدت بعض الشواهد كما ترى ، فهذا بيت أو ربما قصر يعود بناؤه الى العصر العباسى ، وهذا جزء من أسوار المدينة ، أو أحد الأسوار الذى كان يحيط بمضارب احدى القبائل ، على أساس أن كل قبيلة كانت تسور مضاربها من قبل .

« والمربد . أين موقع المربد » ؟

أجاب : « لقد اندثر المكان كما ذكرت لك » .

قلت : « دعنا نرى .. ان استطلاعا عن المربد دون وجود صورة حتى للصحراء التى كان قائما عليها يبقى ناقصا » .

دخلنا الزبير .. وخلف شارع يفصل الزبير عن بيوت لا تختلف في بنائها عن بقية البيوت .. قال السيد شاكر : « هذه المنطقة يقال لها المربد الآن .. بيوت عادية وأرض رملية عادية أيضا ، التقطنا بعض الصور للمنطقة » .. ثم لفت نظرى ونحن عائدون الى البصرة الجديدة ... بناء شامخ فى مقبرة ، فقيل لى أن المقبرة تسمى باسم الامام البصرى ، نظرا لوجود قبره فيها ، وقد بنى عليه قباب ومزار ، وكتب على الرخامة التى تحاذى تابوته : « الامام الحسن ابن اليسار البصرى (أبو سعيد) امام أهل البصرة ، عالم فقيه ، ولد بالمدينة المنورة سنة ٢١هـ ، مات سنة ١١٠هـ ، ودفن بالبصرة » .

وقد بنى البناء على الطراز السلجوقي ، وهو في شكله الخارجي يشبه ثمار الصنوبر ، ويوجد بجانب تابوته ، تابوت ابن سيرين العالم المفسر صاحب كتاب « تعبير الرؤيا » .

وفى المنطقة التى قيل أنها تحتوى على آثار البصرة القديمة ، شاهدنا بقايا جامع لم يبق الاجانب منه .. وقيل انه الجامع الذى بناه الخليفة الراشد الرابع على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وان المنطقة تحتل المكان الذى قيل ان موقعة الجمل المشهورة قد حدثت فيه .

الاسم .. والمعنى

جاء فى كتاب « اسواق العرب فى الجاهلية والاسلام » لسعيد الافغاني : « أن المِرْبَد تُقال على وزن مِنْبَر » وكان الأخفش يقول المِرْبَد كمَسْجِد .

ومعنى المِرْبَد محبس الابل ومربطها ، والمربد أيضا بيدر التمر لانه يُربد فيه فيشمس ، والرُبدة لون يميل الى الغبرة ، ومربد البصرة هذا متسع للابل تربد فيه للبيع ، وكان فى الأصل سوقا للابل ، حتى اذا كان عهد الأمويين صار سوقا عامة تتخذ فيه المجالس ،



الفرقة القومية للفن الشعبي وهي تؤدي رقصة معبرة

ويخرج اليها الناس كل يوم ، كل الى فريقه وحلقته وشاعره ، وتتعدد فيه الحلقات ، يتوسطها الشعراء والرُجّاز ، ويؤمها الأشراف وسائر الناس ، يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون ، وقد وجدوا فيه مستجما لأبدانهم وأرواحهم التى أنهكتها الفتوحات ، وحنت الى سابق عهدها فى عكاظ ، فجددت ما سمح به الدين الجديد . بل غضت النظر فتسامحت أحيانا ، وأحيت ما أمات الاسلام من حمية جاهلية واحن وثارات ، كان يبعثها الناس من تلقاء أنفسهم ، أو بتشجيع خفى من بعض الخلفاء الأمويين ، ليشغلوا الناس بعضهم ببعض عن الخلافة ، وما يأتى الخلفاء من هفوات .

أما فى عهد العباسيين . . فيذكر الأفغانى : « لقد بنيت فيه (المربد) الدور الجميلة ، وتفاقم أمره ، حتى صار من الضروى لكل واحد فى عصر العباسيين ان يغشى المربد ، ان لم يكن لحاجة فلترويح النفس وتمتيع البصر وترويض البدن ، حتى قال جعفر بن سليمان الهاشمى جملته المشهورة « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارى عين المربد » .

وقد شهد المربد فى عهد الخليفة الرابع على بن ابى طالب كرم الله وجهه جانبا من الخلاف ، الذى اشتجر بين جماعته وجماعة السيدة عائشة رضى الله عنها ، اثر مقتل الخليفة الثالث عثمان .

ومازال السوق فى مجده هذا حتى خرب وخربت البصرة ، وتقلص العمران بينها ، الى أن صار بين المربد والبصرة ثلاثة أميال خراب على عهد ياقوت (توفى سنة ٦٢٦هـ) .

الأثر

يذكر أسعد يوسف داغر فى كتاب « مهرجان المربد الشعرى » ان نشاط المربد « مر فى ثلاثة أدوار متميزة ، كان شأنه فى كل منها مختلفا ، يتفق الأول منه مع عهد الخلفاء الراشدين ، اذ كان يقتصر أمره على

التجارة غالبا ، وان لم يعدم يوما ان كان ساحة حرب او مسرح مأس ، فهو سوق البصرة أيام الراشدين ، وأغلب مايتاجر به التمر وما اليه ، والابل والسلاح والغنائم ، مما كان يقسم على المحاربين ، فيشيعه هؤلاء في المربد » .

ويمضي داغر فيقول عن الدور الثاني :

والدور الثاني هو عهد الأمويين ، فقد اتسعت السوق ، وكثر قاصدوها من الأطراف ، وازدهرت بالشعر والشعراء والأدباء والعلماء ، وازدان هذا العهد بأفحل رجاز وشعراء اخرجهم العهد الأموي ، ونخص بالذكر منهم : جرير ، والفرزدق ، والاخطل ، والبعيث ، وراعي الابل وذا الرمّة ، ومن الرجاز رؤبة ، وأباه العجاج ، وأبا النجم العجلي » .

أما الدور الثالث فيأتي بين آخر العصر الأموي والقرن الثاني للهجرة ، فقد نضجت فيه حركة المربد الأدبية والعلمية ، وكان من أبطال المربد أكابر النحاة ، ورواة الشعر والأدب ، والشعراء » .

تصحيح اللغة

وقد جاء في كتاب « أسواق العرب » للأفغاني الوارد ذكره من قبل ما يلي :

« اصبح المربد غرضا يقصده الشعراء ، لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج الى المربد اللغويون ، يأخذون عن أهله ويدونون ما يسمعون ، والنحويون يخرجون الى المربد يسمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ومذاهبهم ، ويخرج الأدباء الى المربد يأخذون الأدب ، من جمل بليغة وشعر رصين ، وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، اذ أن الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش ، وأخذ الكلام عن النّظام ، وتلقف الفصاحة عن الأعراب شفاها في المربد » .

وينهي الكاتب حديثه عن المربد فيقول :

« كان المربد مسرحا لدعوات سياسية ودينية ، واستغاثات وشكوى ورثاء وفخر ، كما كانت عكاظ . واحفل ما كان المربد في النصف الثاني لعهد الأمويين ، والثلث الأول لعهد العباسيين » .

طرائف وصور

احتوت الكتب التي أرّخت للمربد القديم الكثير من الطرائف والصور والحكايات ، عما كان يدور في حلقات الشعراء والنحويين واللغويين . ومن بينها :

هاجى جرير ثمانين شاعرا ، وكان عمر بن لجأ أحدهم ، وكان جرير قد هجاه كثيرا . . . ومن ذلك .

يا تيمُ تيمَ عديّ لا أبا لكمُ
لا يقذفنكم في سوءة عُمَر

احين صرت سماما يا بني لجأ
وخاطرت بي عن احسابها مضر

فبينا جرير واقف بالمربد وقد ركبه الناس ، وعمر ابن لجأ يتهيأ للرد عليه ببيتين ، هدأت الضجة ، فقال عمر هذين البيتين ، وكان قد رفده بهما الفرزدق .

لقد كذبت وشر القول أكذبه
ما خاطرت بك من أحسابها مُضر

ألبست فروة خوّار على لؤم
لا يسبق الحلبات اللؤم والخور

سمعهما جرير ففكر ثم فطن للأمر فقال « قبحاً لك يا بن لجأ ، اهذا شعرك ؟ كذبت والله ولؤمت ، هذا شعر حنظلي ، هذا شعر العزيز (يعني الفرزدق) فأبلس عمر وما ردّ جوابا ! » .

وكان في الحلقة غنيم بن أبي الرقراق ، فطار حتى



ياسين نصيّر



حاتم الصكر

أتى الفرزدق فضحك لـه وأخبره الخبر ، فاستلقى الفرزدق يضحك ، حتى فحص الأرض برجليه ، وقال في ساعته يريد عمر بن لجأ ، هذا الذي دخل بين فحلين ، فسقط مطرحا بين أقدامهما ، كما جاء في كتاب أسواق العرب .

وروى عبد الحميد العلوجي في الكتيب الذي أصدرته الهيئة العليا لمهرجان المربد ، وحمل اسم « أيام في المربد » الحادثة التالية .

« كان المربديون جميعا ، ومعهم الذين يحضرون مواسم المربد ، يعلمون جيدا أن حرية القول مكفولة للجميع دون استثناء ، وانها مباحة حتى للمجانين ، فهذا الشاعر ذو الرُّمة شوهد ينشد بالمربد والناس مجتمعون اليه . واذا هو بخياط يطالعه ويقول : يا غيلان !

أأنت الذي تستنطق الدار واقفا
من الجهل هل كانت بكنّ حلول

فقام ذو الرُّمة وفكر زمانا ، ثم عاد فقعد في المربد ينشد ، فاذا الخياط نفسه قد وقف عليه ، ثم قال :

أأنت الذي شبهت عنزا بقفرة
لها ذنب فوق استها أم سالم .

فقام ذو الرمة ، فذهب ولم ينشد بعدها في المربد ، حتى مات الخياط » .

من المربد السادس

ومن طرائف المربد السادس أن أحد الشعراء الموريتانيين ، قد أصر على متابعة قراءة مطولة أُملّت ، ودفعت الجمهور الى مطالبة الشاعر بالتوقف وانهاء القصيدة . الا أن الشاعر أغمض عينيه وأصم أذنيه . ولم تفد فيه الاشارات ولا أصوات الجمهور الغاضبة ، فأكمل قصيدته حتى نهايتها ، وعندماسئل عن هذا الموقف أجاب :

انما أردت ابلاغ الناس ان في موريتانيا شعرا عربيا فصيحا مثل غيره من الأقطار العربية .

فقيل له : لكنك أطلت .. وشعرك تقليدي لا جديد فيه !

فقهقه عاليا وتناول من جيبه قصيدة جديدة وشرع بالقراءة ..

فانفض الناس من حوله !

ومنها الحادثة التالية : اذاع المذيع اسم أحد شعراء المغرب العربي كي يلقي قصيدته ، الا أن الشاعر الذي شوهد في القاعة من قبل كان قد اختفى منها لحظة النداء على اسمه .

وفي جلسة ثانية .. فإن الشاعر شوهد أيضا في القاعة فتم النداء على اسمه .. الا انه كان قد اختفى أيضاً ! وبعد أن قرأ ثلاثة شعراء قصائدهم .. فان اسم الشاعر نفسه تكرر على لسان المذيع ليلقي قصيدته ... فضجت القاعة بالضحك الاستنكاري ! ومع ذلك فإن الشاعر لم يظهر من غيبته ..

حلم دولة الشعراء

استغرقت رحلة القطار الليلي بين بغداد والبصرة ما يزيد على اثنتي عشرة ساعة ، أمضاها الشعراء « والغاوون » بين سهر وندوات صغيرة ، وهرج ومرج في المطعم ، أو الاشتراك في كتابة القصيدة « المربدية » التي ساهم في كتابتها عشرات الشعراء .. وهي من وزن واحد وقافية واحدة . سجل فيها الشعراء بعض المواقف والطرائف .. وهي تعتبر من « حلمنتيشيات » القصائد ، خصوصا وأنها تضمنت بعض المواقف التي حدثت في القطار من صفير « الميكروفون » ومضايقاته ، والنداء على كهربائي القطار كي يصلح هذا المكان أو غيره .

عندما اخذت خيوط الصباح الوليد تتوالى .. فان الحركة الكسل الخدرة داخل القطار دب فيها النشاط والحيوية ..

ملامح البصرة المغبشة كانت قد أخذت تلوح .. بساتين نخيل على مد البصر .. القطار يصفر .. وبضعة طيور تصفق بأجنحتها وتطير ، الأحاديث في غرف القطار ما زال يشوبها الخدر ..... و ... كتلة ودفق من ناس ظهرت مدججة بأصواتها وطبولها وأبواقها ، ووورودها وتمرها ولبنها ، انها محطة المعقل بالقرب من البصرة ، أهازيج وهتافات ، وعناق وكلمات ترحيب وزغاريد .. طلبة وطالبات ونسوة وعمال ..

يفاجىء البصريون الشعراء بهذا الاستقبال الحافل ، فيهزهم ويطربهم ويؤثر على حواسهم ،



ناعورة في القاطع الأوسط .. مغاريف المياه فيها دانات مدافع .. فمتى تسكت مدافع الحرب ؟

يتردد حلم دولة الشعر فى أذهانهم .. وتترقرق حبات دموع على خدودهم .

مكدودون .. ومتعبون كانوا .. وهاهم بين بحر الجماهير يسبحون ، وتصهل بعض أصواتهم كخيول أصيلة .

على جانبى الطريق .. كان الناس من جميع الأعمار يلوحون بالاعلام والزهور .. وصل الركب الى تمثال السيّاب .. كان شامخا تحرسه أكياس الرمل .. تحلق الناس حواليه ، يحميه النهر والنخيل من الخلف .. وسدٌ من زنود وسواعد الرجال على خطوط الجبهة ..

وقفت ابنتاه بشموخ أمام تمثاله ، وأجبن على الأسئلة المستفسرة .

هلُ فى الخاطر تراث السيّاب وبعض قصائده .. وصوته المتميز والمتفرد فى حركة شعرنا العربى الحديث : أنشودة المطر ، غريب على الخليج ، المخبر ، المومس العمياء ، حفار القبور .. وغيرها .. وغيرها

هدير المدافع يسمع دويه من بعيد .. فيترسب داخل النفوس الجواب عن السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا الاستطلاع :

لماذا لم يعقد هذا المربد السادس فى البصرة ؟

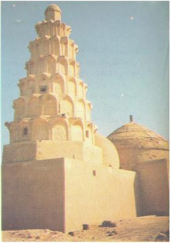
يصل الشعراء الى الفندق .. فيرتاحون قليلا .. ثم يذهبون الى المتحف الذى يحتوى على بعض اللقطات الانسانية ، التى دهمتها قذائف الحرب ، فقتلت الأطفال والنساء والشيوخ ..

صور من الدمار ، الدماء ، الضحايا .... فتثور الأسئلة التى تستحث الأجوبة ... ألا نهاية لهذه الحرب التى وقودها بشر وامكانات ؟!

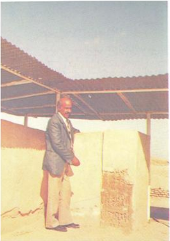
يتحرك الركب وفى الحلوق غصة ... وآمال .. فى نهاية قريبة لهذه الحرب .

فى القاعة الفسيحة التى غصت بحضورها انطلقت أصوات الشعراء .. بعض الشعر جاء باهتا لأنه جاء على عجل .. يريد تسجيل اللحظة والمناسبة ، وبعضه وخاصة من بعض شعراء البصرة الشبان ، جاء الشعر معافى ، فيه رنة الصدق واخلاص المعاناة ، والتمثل الخلاق لحركات الشعر ومحطاته .

ينتهى المهرجان البصرى القصير .. ويبقى دفء



مزار الامام الحسن البصري .. بنى على الطراز السلجوقي



مدير اثار البصرة .. وبعض النماذج من الآثار القديمة

ودفق وحماس استقبال البصريين للشعراء ، فى قلب ذاكراتهم وملء حنايا نفوسهم .

ويرخى الليل سدوله . . . وتتحرك « الباصات » ليعود الجمع من حيث أتى الى القطار الناس كانوا وقوفا على جانبى الطريق ، يودعون تماما كما استقبلوا . . المدينة كانت مزنرة بأكياس الرمل . . وأصوات المدافع كانت تفزع طيور النوارس على مياه الخليج !

فمتى تفك المدن أربطة القطن والشاش ، وأكياس الرمل من حولها ؟ ومتى ترحل الغربان التى احتلت أمكنة النوارس ؟ ومتى يعود الخليج بحيرة آمنة ؟

هكذا توالدت الأسئلة أيضا وتواردت الأجوبة . . فى القاطع الأوسط من الجبهة . . وفى مدينة الموصل .

السلاح وزنود البشر وعزائمهم . . كانت فى أماكنها وعلى أهبة الاستعداد . . لكن متى يتحول كل هذا الى سكة فلاح تلمع وتشق الأرض وتفلحها ، ومتى تعود مطرقة العامل الى صنع مايمكنه ان يقيت ويزيد من خصب الحياة وتطورها ، ومتى يعود الطالب والأستاذ . . . والموظف الى أماكنهم العادية والطبيعية ؟

النوارس ترف جفلى على مياه الخليج . . . والطيور غادرت بعض رؤوس الجبال ، لتبحث لها عن أماكن أكثر أمنا وأمانا فى القاطع الأوسط بعد ان ، احتل الجنود بعض اماكنها . .

كان الراعى وقطيعه فى القاطع الأوسط على مسافة كيلومترات قليلة من حدود التماس علامة دهشة ، فجعلت ذلك فألا واشارة الى أن أيام الحرب يجب الا تطول . . وان النواعير التى بناها الجنود من دانات المدافع الفارغة كى تسقى زراعاتهم المستعجلة . . اشارة أخرى على ضرورة عودة كل فرد الى مكانه الطبيعى . . فمتى تنتهى الحرب ؟ !

آراء فى الشعر والنقد

الاستاذ ياسين النصير ـ ناقد من القطر العراقى ، قال عندما سألناه عن تقييمه لما استمع اليه من قصائد شعرية .

« يعانى الشعر العربى عموماً ، وليس فى هذا المهرجان فقط ، فى الفترة الأخيرة من فقر دم

حقيقي ، بسبب سيطرة الأنا ومشكلاتها الفردية ، ـ وليست الذاتية ـ على مناخ القصيدة ، وانحصر البعد الاجتماعي وقضية هموم الحياة في الموقع الخلفي من وعي الشاعر .

لقد غلب على الكثير من قصائد المهرجان طابع المباشرة ، والحدث الآني ، ومحاكاة منطقة الانفعال .

ـ والقصيدة الجيدة . . . ألم تكن موجودة في المهرجان ؟

كانت موجودة ، ولكنها ليست على مستوى الابداع الفني . وما نحتاجه على سبيل المثال في قصيدة الحرب القصيدة المركبة التي تتداخل فيها الأصوات والمواقع والأفكار والأزمنة ، لأن القصيدة المركبة هي خلاصة دراما الحالة الشعرية .

كما أن الشعر لم يكن وحده هو الهم الأساسي في المهرجان ، كما كان في المهرجانات السابقة ، بل أصبح للنقد دور مهم آخر وهذا بعد جديد .

ـ أما الاستاذ عبد الرزاق البصير ، وهو كاتب من الكويت ، فانه علق على بعض ما استمع اليه من قصائد المهرجان :

« كنت أتمنى أن يكون ما أُلقي من قصائد أقوى مما هو عليه ، وقد أرجع ضعف بعضها الى أن الاحداث لم تستقر بعد في ذهن الأديب والشاعر ، لأنها ما زالت في طور الحركة والتفاعل والاضطراب .

ونحن نعلم أن هذه الحرب الضروس ما تزال دائرة يشب لظاها ، ومعنى ذلك أنها مازالت تومىء للشاعر والقصاص وغيرهما من المبدعين ايماءات هي أقرب الى الانفعال من التعمق . ونحن ان أخذنا ما أُلقي في مهرجان المربد السادس ، بناء على هذه النظرة ، فاننا يمكن أن نعذر بعض الضعف الذي جاءت عليه بعض القصائد ، لأن الحدث الكبير . . لم يفرز حتى الآن مايوازيه على صعيد الابداع الفني » .

ـ أما الاستاذ جهاد فاضل وهو ناقد من لبنان . . فإنه أجاب عن نفس السؤال بقوله :

« لقد كان في المهرجان شعر جيد وشعر غير جيد ، وهذا طبيعي ومألوف منذ أن وجد المربد الأول سنة ١٩٧١ ، وفي المهرجانات التي تبعته ، على أن الشيء الجوهري المعول عليه ، هو حصول هذا اللقاء الذي جمع جمعاً من الشعراء ، لا أعتقد أن أي مربد سابق قد تمكن من جمعه ، وفي الوقت الذي لا تستطيع فيه الكثير من المؤلفات والكتب النفاذ عبر أسوار بعض الأنظمة العربية ، فإن بلدا كالعراق العربي ، أستطاع أن يجمع مئات الشعراء ، يمثلون كل الأجيال والمذاهب الشعرية .

اضافة الى مهرجان الشعر ، فإن مهرجانا آخر كان يعقد في نفس الفترة . . هو مهرجان النقد .

ـ الاستاذ حاتم الصكر من القطر العراقي شاعر وناقد . . قال :

لم تقدم قصائد المهرجان جديدا بالمعنى الفني ، فما استمعنا اليه إما شعر قديم ، بمعنى أنه نُشر من قبل ، أو انه تنويع على صوت الشاعر ذاته ، وكان في ظني أن الشبان سيكونون واجهة المهرجان التي تلفت الانتباه ، لكن ذلك لم يحصل مع مزيد الأسف .

صحيح أن هذا المهرجان كان أكثر تعددا في الأصوات ، كما أن الهموم الشعرية التي كانت مترفة في المهرجانات السابقة ، استبدلت بما هو أكثر ارتباطا بظروف الحياة العربية ، كموضوع الحرب ، وقضية فلسطين ، وتحرر لبنان ، وهذه فضيلة تحسب للمربد السادس .

أما بالنسبة لجلسات النقد فقد تحققت فيها التعددية والتنوع ، اللذان افتقدتهما قصائد الشعراء ، فتعرفنا على مناهج حديثة ، متفاعلة مع الغرب والأصالة ،وهي في تعددها ظاهرة حوار طيب يغني ويضيف . وكانت « تقليدا » جيدا تمت الاستعاضة به عن جلسات نقد القصائد ، التي كانت تلقى بالمهرجانات السابقة ، لأن تلك الجلسات السابقة كانت تغلب عليها العجلة والسلق .

ـ لكن جلسات النقد في المربد السادس ، كان لاعلاقة لها بصورة مباشرة بقصائد المهرجان . . فما قولكم في ذلك ؟

. « اعتقد ان هناك ضرورة للجمع بين الطريقتين ، أي أن يتم تجاوز السلق ، وفي نفس الوقت أن يكون لقصائد المهرجان حضورها في جلسات النقاش » .

أضواء على جلسات النقد

عن جلسات النقد وأجواء الشعر حدثتنا الشاعرة الناقدة الفلسطينية الدكتورة سلمى الخضرا الجيوسي

فقالت :

« كانت البحوث خليطا كبيرا لمستويات وتيارات متعددة ومختلفة .

واجمالا يمكن القول بأن جلسات النقد كانت متميزة بالجد ، ومعالجتها كانت جيدة جدا .

ان ماطرح في جلسات النقد لم يواكب مواكبة مباشرة قصائد المهرجان ، وغلب عليه التنظير غير التطبيقي ، وبعض النقد التطبيقي تبنى الأساليب البنيوية والأبستمولوجية وغيرها .

وهذه التيارات بحد ذاتها جيدة ومهمة ، ويجب متابعتها وتطويرها ، وهي اغناء ثقافي لنا ، ولكني اعتقد بأن الشعراء لايستفيدون منها ، وتمثلها غير متحقق .

أما بالنسبة للشعر فإنه يمر في أزمة ، وأزمته تقع في الصورة الشعرية ، وفي (أنفلاش) أشكاله ، وفي هوس التجديد .

وأشدد .. الى أنني لست ضد التجديد أبدا ، لكن التجديد في سبيل التجديد ودون حاجة فنية فإنه خطر .

كما أن اتباع الأزياء ، كزي الصورة المعقدة ، أصبحت في الكثير من هذا الشعر خالية من المنطق الداخلي ، وهي خالية بالطبع من المنطق الخارجي ، والصورة الشعرية يجب أن يكون لها منطق داخلي على الأقل ، مما يمكن أن يفهمه الانسان شعوريا حتى ولو لم يفهمه منطقيا وحرفيا ، ومن الأزياء أيضا الموضوع الشعري فقد أصبح ضيقا في الشعر الحديث ، وأعتقد الآن بأن الشعراء قد بدأوا يتحررون من الالتزام الصارم بالموضوع السياسي .

وأهم مثل على هذا ما حدث في شعر محمود درويش ، وفي شعر بعض الشعراء العراقيين .

وأعتقد ان لهجة الاحتدام هي من أهم الأمور التي يجب أن تزول من الشعر ، صحيح أن حياتنا محتدمة ، ولكن الفن الجيد لايسمح بالاحتدام المستمر .

فأنت تقرأ قصيدة ما ، لتجد أن بدايتها حتى نهايتها على نفس اللهجة من الاحتدام والتوتر .

ويصور الشاعر نفسه فريسة لجميع أنواع الآلام ، وتائها ومتعباً ومطاردا وملاحقاً ، والحقيقة أن الانسان المعاصر مضطهد ، ولكنه ليس بطلا ، ما عدا الذين يحاربون ، وهؤلاء ليسوا المظلومين ، بل انهم هم الذين يمارسون الحرية القصوى ، ويشعرون بالامتلاء النفسي (في حالة الاقتناع) ، وأعتقد أنه قد حان الوقت ليكون قد حلّ بالشعراء ما يمكن أن أسميه بالارهاق الجمالي . وأرجو أن يكون قد حدث هذا بالفعل ، وأن نرى تغيرا مهما في موضوع الشعر .

أما بالنسبة للصورة الشعرية ، فإن استيعابها الفني غير كاف عند الكثير من الشعراء ، وما أعنيه بذلك هو الوعي بجمالية الصورة وانضباطها .

وهنا اعتقد ان النقد قد قصر كثيرا .

ـ الأستاذ الدكتور جابر عصفور استاذ النقد في أكثر من جامعة عربية وأجنبية ، علّق على بحوث المهرجان .. فقال :

« باختصار .. ان البحوث التي شارك بها مجموعة من الباحثين في جلسات النقد ، ماهي الا صورة من صور الحياة الثقافية في الوطن العربي ، بكل مستوياتها وتناقضاتها .

يمكن تقسيم المداخلات الى قسمين :

ـ مداخلات وبحوث مكتوبة .

ـ مشاركة شفاهية .. تبعث في حينها تعليقا على ما طرح في جلسات النقاش .

وقد غلب على أغلب البحوث المكتوبة الطابع التقليدي الذي يعتمد على جمع المعلومات وتكرار الأفكار وحشد المعارف .

والبحوث التي كانت يمكن أن تثير بمحتوياتها قضايا فكرية خصبة كانت قليلة .

اذا ما تركنا جانب السرعة ، وغياب اسهامات مجموعة من الباحثين ، فالذي لاشك فيه أن بعض المداخلات والتعقيبات الشفاهية ، لمجموعة من الباحثين ، كانت بمثابة استشراف لآفاق أكثر خصوبة من بعض الأبحاث المكتوبة .

لا يمكن اغفال أنه وجدت بعض الأبحاث التي اتسمت بطابع الحداثة ، مقابل أبحاث أخرى مازالت محافظة على المناهج التقليدية المألوفة .

مربد سنوي

هذا وقد تم الاعلان في نهاية المهرجان عن إقامته سنوياً بدلاً من كل سنتين ، وتخصيص محطة إذاعة خاصة بالشعراء أثناء انعقاد المهرجان . □

نفوس لاتعرف الحزن وقلوب لايقهرها اليأس

استطلاع : ريم الكيلاني





الابتسامة لاتفارق الشفاه ، والأمل متمكن في النفوس ، ونظرة كلها حب للحياة .

هل فكرت يوما بالتقرب منه والتحدث اليه ؟
هل حاولت يوما أن تجلس بجانبه ، وتخالطه ، لتتعرف على شخصيته وتبحر في أعماق نفسه الغامضة ؟
ألم تتساءل يوما ، كيف يعيش هذا الانسان ، وكيف يفكر ، وكيف ينظر الى العالم من حوله ؟
هذه تجربة انسانية خالصة بدأتها الكويت منذ أربعة عشر عاما .. وها هي اليوم تكمل المشوار بنجاح كبير .



في يوم الاثنين . . وبالتحديد في ٢ أغسطس من عام ١٩٦٨ ، تعرضت سهير لحادث سيارة مروع ، فقدت على أثره قدرتها على السير والحركة ، بسبب كسر في العمود الفقري ، أسكن طفولتها البريئة وأقعدها عن الحركة واللعب لمدة ليست بالقصيرة . لم يكن أمام والدي الطفلة الا ارسالها للعلاج بالخارج ، ولما لم تكن ظروفهم المادية تسمح بعلاجها ، فقد تبرع لها أهل الخير ، وسافرت سهير في رحلة علاج طويلة ، لم تدخل خلالها مستشفى ولم تتناول عقارا ، بل عاشت قرابة العام في جمعية للمعوقين ، مارست خلالها أنواعا من العلاج بواسطة الطب الطبيعي ، عادت بعدها الى أرض الوطن سليمة معافاة ، وهي الآن حجر الأساس في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، واللبنة الأولى التي وضعت فوقها لبنات كثيرة ليعلو البنيان .

من سهير جاءت فكرة رعاية المعوّقين في الكويت ، واعطائهم حقهم في الحياة وفي العمل والانتاج ، باعتبارهم أفرادا يدخلون في حسابات الكم والكيف للمجتمع ، فلا تكون العاهة سببا في عزل الفرد بعيدا عن مجتمعه ، أو تكون الاعاقة سببا في نبذه ورفضه كشخص له حقوق وعليه واجبات .

وتأسست الجمعية . . لتعيد الثقة لذوي العاهات ، وتزرع الابتسامة فوق شفاههم ، وتوصلهم الى بر الأمان ، لتخلق منهم شبابا يثقون في أنفسهم ، ويعتمدون عليها كل الاعتماد .

وبمبلغ متواضع لم يجاوز ثلاثمائة دينار بذلته مجموعة من رجال ونساء الكويت ، لتخفيف آلام أطفال اقعدهم المرض ، وآباء وأمهات أعيتهم الحيلة في علاج أبنائهم - قامت الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، متخطية المصاعب ، مجتازة العقبات ، حتى أصبحت اليوم حقيقة إنسانية مشرقة ، بل هي واحدة في أهم دلائل التقدم في هذا البلد .

السيد هاشم تقي مدير الجمعية الكويتية للمعوقين ، يتحدث عن أهداف الجمعية والخدمات التي تقدمها .

يقول السيد تقي : نحن جميعا معرضون للتعّوق بين لحظة وأخرى بسبب حادث سيارة ، أو أي كارثة قد تقع داخل المنزل ، من حريق أو سقوط من أعلى . . . . الخ

ان الاعاقة كذلك قد تشمل أي شخص يجهل لغة ما ، فحين تكون في بلد لا تعرف لغتها فأنت اذا معوق بأحد من معاني الاعاقة ، ومن هنا ينبغي بادىء ذي بدء أن توضح مفهوم كلمة معوق ، فالمعوق : هو كل شخص غير قادر على أن يؤمن لنفسه كليا أو جزئيا ضروريات الحياة الطبيعية نتيجة عجز أو قصور في قدراته البدنية أو العضوية أو العقلية .

المعوّق والمهارة الفائقة

ويتابع السيد تقي حديثه فيقول : « نحن في الجمعية الكويتيةلرعاية المعوقين نرفض عزل المعوق عن المجتمع ، ونحاول بقدر ما نستطيع أن نجعله يشعر بأنه طبيعي ، وندفعه الى ممارسة حياته الاعتيادية ، برغم القيود التي قد يفرضها عليه المجتمع والناس ، مما قد يؤخر علاجه ، ويحتم عليه البقاء بعيدا عن الناس ، والتقوقع في ذاته طوال سنين حياته .

بينما لو أُتيحت الفرص لهذا الانسان للخروج الى المجتمع ، ولو أحسن تدريبه ، لفاق الشخص العادي ، ولحقق ما عجز الأسوياء عن تحقيقه . فتوفير الطرق والأساليب السليمة ، وتدريب المعوّق تدريبا جيداً ، سيجعله فردا منتجا ، فلا يشعر بأنه عالة على أسرته وعلى المجتمع .

فهذه طفلة مصابة بشلل كلي ، لا يتحرك في جسمها سوى وجهها ، هذه الطفلة كانت تقرأ بعينيها ، وتدرس وتقدم الامتحانات ممسكة القلم بفمها ، واستطاعت بعزيمة قوية واصرار شديد أن تنجح في امتحانات الثانوية العامة نجاحا باهرا ، لم يقدر أي سَويٍّ على تحقيقه .

فاليأس ان سكن القلب قتله ، والانسان ذو الارادة القادرة على هزيمة يأسه لا بد أن يصل يوما الى مبتغاه .

إن أول ما نسعى الى تحقيقه في الجمعية توفير أكبر قدر ممكن من الرعاية للاطفال والصغار بصفة عامة ، والذين تواجههم مشاكل صحية أونفسية أو اجتماعية بصفة خاصة ، وذلك عن طريق توفير المناخ الصحي

والاجتماعي والثقافي الملائم ، لتنشئة الأطفال والصغار المعوقين ورعايتهم ، وتوفير المؤسسات والأندية المتخصصة ، لتقديم الرعاية والايواء والتوجيه السليم ، والاعداد المهني والتربوي للطفولة المتخلفة عقليا أو صحيا ، والعمل على توفير الوسائل الصناعية من أجهزة وأطراف لذوي العاهات ، بقصد تذليل الصعوبات في دخولهم الى المجتمع . ولم ننس ضرورة الاستعانة بالخبرات وبالتجارب العلمية والمتقدمة في هذه المجالات ، لخدمة المعوق على الوجه الأكمل » .

ويستطرد السيد تقي : « ومن أهم الخدمات وأكثرها شمولية هي الخدمات الطبية ، فبالاضافة الى قيام الطبيب بعمله الاعتيادي ، يوجد هناك خدمات العلاج الطبيعي ، والعلاج بالعمل ، والعلاج بالنطق . فالطبيب يستقبل الحالات المحولة من لجنة التسجيل بالجمعية ، للكشف عليها واعطائها تقريرا طبيا مفصلا ، حيث يقوم بفتح ملف طبي لكل حالة ، يحتوي على ارشادات وتوجيهات الطبيب الى الممرضة المسئولة ، بما يتعلق بحالة الطفل المعوق وكيفية رعايته ونوع العلاج المناسب له .

أما في مركز الخدمة الاجتماعية ، فيتركز العمل على دراسة وضع الحالة من الناحية الأسرية ، بحيث يتم التعرف على اتجاهات الأسرة وامكاناتها ، للعمل على تذليل الصعاب التي تقف في طريق علاج الحالة ، ومساعدة أسرتها ، كما يجتهد الاجتماعيون في الحفاظ على الروابط الأسرية ، فلا يكون الأمر غريبا على أي من أفراد الأسرة تجاه الفرد المعوق ، ومن أهم أعمال مركز الخدمة الاجتماعية كذلك ربط المعوقين بمجتمعهم الخارجي الكبير وتعريفهم به ، وذلك من خلال الرحلات والحفلات الترفيهية أيضا .

أما الخدمات النفسية فهي تساهم أولا في توفير الشروط الملائمة لتحقيق مطالب النمو ، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب النفسية والوجدانية ، عن طريق المتابعة والتقويم النفسي لكل طفل ، حيث يطلع الاخصائي النفسي على حالة الطفل أولا بأول ، ليتأكد من ملاءمة البرنامج المعد لحالته ، ومن مساهماتها - ثانيا - الارشاد الأسري . بل يسعى الاخصائيون النفسيون الى استثمار جهود الأسرة للنهوض بالمعوق ، عن طريق حياة هادئة ووسط متفهم لحالته ، حتى يشعر الطفل بالأمان والاستقرار » .

ويضيف السيد تقي : « وتنظم الجمعية دورات تدريبية وندوات لتوعية الأسر والأهالي ، بهدف تعليم الأسرة كيفية التعامل مع طفلها المعوق ، وأسلوب إطعامه وطريقة تنظيفه وإلباسه .

فالجمعية وجدت لتساعد الأسرة على تحمل أعباء الطفل المعوق ، ولكنها لن تكون يوما البديل الذي تلقي عليه الأسرة كل الأعباء ، فالجمعية تحتضن الطفل المعوق . وتساعده على الاختلاط في المجتمع ، وعلى الاعتماد على نفسه ، وتلقنه المبادىء الأولى للحركة والنطق ، ولكنها لاتأخذه من أسرته .

تحتضن الجمعية الطفل أربعةَ عشرَ عاما ليعود بعدها الى أسرته ، انسانا واعيا معتمدا على نفسه ، لايرهق والديه في خدمته . ولا يصح أن تعتبر الأسرة أن الطفل قد خرج عن دائرة مسئولياتها بمجرد زجه في الجمعية ، فذلك أمر مرفوض ، لأن نظام الجمعية يفرض على أولياء الأمور ضرورة الحضور لاصطحاب اطفالهم في كل عطلة أو اجازة ، وقد يكون الأمر عريبا لو قلت لكم كم يصبح الطفل كئيبا عدوانيا اذا مرت الاجازة دون أن تأتي أسرته لاصطحابه بل يقضي المدة كلها في البكاء والصراخ ، حتى أن بعضهم يمتنع عن الطعام نهائيا » .

من وراء الاعاقة ؟

بعد القفزة الواسعة التي قفزها العلم والعلماء في نهاية هذا القرن ، لم يعد هناك مستحيل ، ولم تعد الاعاقة جسدية كانت أو عقلية قدرا محتوما لا يمكن تفاديه جزئيا أوكليا ، خاصة اذا استطعنا ادراك العوامل العديدة التي تلعب دورا في تفاقم حدة المشكلة ، تقول السيدة منيرة المطوع ، أمينةالسر في الجمعية الكويتية لرعايةالمعوقين : « قد تساور الأم الحامل الشكوك والقلق حول مصير طفلها القادم ، فنراها تخشى على نفسها وعلى طفلها من أي حركة ، وتحتاط في مأكلها ومشربها ،اعتقادامنها بأن كل شيء قد يؤثر على نمو طفلها وعلى ولادته ولادة طبيعية ، ولو حرصت الأم على سلامة جنينها ، لما كانت هناك اعاقات وعاهات بنسبة عالية في الأوساط الأمية .



السيدة منيرة المطوع ، أمينة السر



للمعوق حق اللعب والضحك ، ومن حقه أن يعيش حـ
كريمة ليس فيها اهدار لكرامته ، أو تثبيط لعزيمـ

فتدني الوعي الصحي ، وانخفاض المستوى الثقافي العام ، وانتشار بعض القيم والمفاهيم والعادات الحائلة دون الأخذ بالمبادىء العلمية ، في عملية التنشئة الصحية الواقية للطفل جسمياوعقليا ، تجعل الاعاقة متمثلة في وجود عاهات وتشوهات ، تؤدي الى اصابة الطفل بتخلف عقلي ، أو نقص في النمو ، ناتج عن تلوث البيئة ، والظروف الصحية السيئة ، وزواج الأقارب ، وتعاطي العقاقير والأدوية ، دون الرجوع الى الأطباء الاخصائيين ، أو التعرض للاشعة السينية أثناء الحمل ، وأثناء فترة الاخصاب ، كما أن سوءالتغذية لدى المرأة الحامل لا يلحق الضرر بها وحدها ، بل و بالجنين أيضا ، فالحامل التي تعاني من سوء التغذية قد تضع مولودها ناقص النمو ، أو في غير أوانه ، وربما تضطر للاجهاض ، مما يعني وفاة الجنين ، كما أن القصور في الخدمات المقدمة للحوامل والمواليد ، وانتشار بعض العادات والتقاليد القديمة السائدة في اجراءات التوليد ، كل هذه عوامل تهدد الأمن الصحي للطفولة والأمومة » .

وهناك عوامل عديدة أخرى تذكر منها السيدة المطوع : « اهمال أولياء الأمور تطعيم أطفالهم في الأوقات المحددة .مما يؤدي لانتشار العدوى بين عدد كبير من الأطفال ، ونحن ننادي كل أم وكل أب بأعلى صوتنا ، ونناشد كل مسئول ، بالاهتمام بالأم الحامل والطفل الرضيع ، فالألم الذي قد يعانيه الطفل اليوم يكون سببا في تفكك الاسرة مستقبلا ، وفي تأنيب الضمير مدى الحياة » . وتضيف السيدة المطوع : « نحن لم نقصّر . . فقد قمنا بتنظيم ندوات ومحاضرات لتوعية الأهالي ، ولا ننسى دور الاعلام الأول في التوجيه والتنوير ، حفاظا على مستقبل أطفال لاحول لهم ولا قوة » .

المركز الدولي للجمعية

على الرغم من انه لم يمض الا وقت قصير على انشاء الجمعية ، فقد ارتبطت بالعديد من الاتحادات والجمعيات العالمية ، التي تعمل في مجال المعوقين ، كالاتحاد الدولي للمتخلفين عقليا ، والاتحاد العالمي للمعوقين ، ومنظمة الحراك الدولي ، ومنظمة التأهيل



في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين لا يشعر الطفل بالغربة ، أو بأنه شيء منفصل عن المجتمع





ان التدريب المستمر والتعليم الدائب ، يكسب المعوق بلا شك مهارات فائقة في عدة مجالات مهنية وفنية .

الدولى ، كما تدخل الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين كعضو فى منظمة الشلل الدماغى الدولية ، وقد شاركت الجمعية ببحوث قيمة فى المؤتمرات الدولية والعالمية التى كانت تقام بشأن المعوقين ، فقدمت السيدة المطوع بحوثاً عديدة من أهمها « عالم بدون موانع للمعوقين » ودراسة تقييمية عن المعوقين فى الكويت ، ودراسة عن مركز المعلومات لمنيرة القطامى ، ودراسة تقييمية عن التخلف العقلى فى الكويت للدكتور موسى الحمورى .

وقد ساهمت الجمعية فى العديد من المؤتمرات العربية والعالمية ، فهناك مؤتمر دبلن السادس للمتخلفين عقليا ، ومؤتمر مانيلا الذى عقد فى عام ١٩٧٨ ، ومؤتمر صحة الطفل العربى فى عام ٧٩ ، ومؤتمر الكويت الاقليمى للمعوقين فى عام ١٩٨١ ، ومهرجان الأسبوع الفنى الدولى للمعوقين ، وأصدقائهم الذى عقد فى البحرين .

الصراع من أجل البقاء

ان نظرات الشفقة والعطف تثير فى نفس المعوق الحزن ، بقدر ما تثيره نظرات القسوة والازدراء ، التى قد ينظر بها الأشخاص تجاه المعوق ، فهذا الانسان كتلةمن العواطف الجياشة والمشاعر الصادقة ، وهو وان بدا لك غير مدرك لما يدور حوله ، الا انه شاعر بكل صغيرة وكبيرة .

الأسرة هى العضو الفعال والأساسي في نمو المعوق ونجاح العلاج الذى يتلقاه ، فأسلوب الرعاية الأسرى ، ومدى تفهم الوالدين والأشقاء لوضع الابن المعوق ، له أكبر الأثر فى خلق الطمأنينة والأمان لدى الطفل ، ورغبته الشديدة فى البقاء بينهم فى أسرة متفهمة لوضعه مقدرة لظروفه .

لا شك أن الارشاد الأسرى لذوى الأطفال ، والتقليل من الأثر الصارم لهم داخل العلاقات الأسرية ، واستثمار جهود الأسرة للنهوض بالمعوق ، وتقديم المشورة لها ،وامدادها بالمعلومات الضرورية ، له أثر فعال فى هذا الشأن .

فالمعوق انسان مثلنا ، من حقه أن يعيش حياة كريمة ، فى وسط أسرة واعية متفهمة ، من حقه أن يلعب ويضحك ويعمل وينتج ، لماذا اذن ننكر حقا من حقوقه ونحرمه رغبته فى الحياة ؟ السيد أبو خالد انسان بسيط طيب ، يؤمن بالقدر ، تزوج من احدى قريباته بحكم عادات وتقاليد القبيلة ، دون أن يقيم حسابا لأثر القرابة واختلاط الدم السلبى على الأطفال .

لقد كان الجهل سببا رئيسيا فى مشكلة هذا الانسان ، الذى هو اليوم أب لثلاثة أطفال معوقين . ويقول السيد أبو خالد : « أطفالى الثلاثة يعانون من تخلف عقلى شديد ، مصحوب بشلل نصفى ، وليس وضع أبنائى هو الذى يؤلمنى ، ولكن نظرة الناس لنا ولأولادنا هو ما يفرح جروحنا ويزيد من آلامنا ، انهم دائما يشعروننا بالذنب والنقص ، حتى اضطررنا فى النهاية للبعد عن الناس ، واغلاق بابنا في وجه كل طارق ، فأنا بعد تجربتى مع أطفالى الثلاثة ، أدرك تماما لما لهم من احساس مرهف ، فالمعوق انسان شديد الحساسية ، وأنا كأب لا أستطيع الابتعاد عن أطفالى وعن مداعبتهم ، كما أننى لا أستطيع عزلهم فى غرفة خاصة بهم ، حتى لا يثيروا اشمئزاز الآخرين ، فالعزلة تثير عند أطفالى عدوانية غريبة وكآبة شديدة ، تؤثر فى نفسيتهم وتؤخر علاجهم .

لقد حان الوقت لمجتمعنا بعد كل ما أحرز من تقدم ورقى ، أن يرتفع بمستواه الثقافى ، الى الحد الذى يتناسب والتطور الحضارى فى المجتمع .

أما السيدة سارة فهي أم لطفل يعاني من تخلف عقلي شديد ، يصحبه فقدان للسمع والنطق . تقول السيدة سارة : « لقد اشتبهت بأن حركات طفلى غير طبيعية وهو فى الشهر الثالث ، حيث لم تكن رقبته مستقرة ، وفى الشهر السادس لم يكن الطفل قادرا على الجلوس ، ولم تظهر لى قدرته على السمع ، فذهبت به لاحدى المصحات فى الخارج ، حيث أخبرت بأن طفلى مصاب بتخلف عقلى شديد ، مع ضعف فى السمع ، لا أخفى عليكم ان هذه الفترة كانت صعبة ، وكم كانت المفاجأة مدهشة لى ، لقد هالنى الموقف ، وأيقنت فى هذه اللحظات بضرورة الوقوف الى جانب طفلى ، برغم كل العقبات والصعاب ، وقررت تحمل أعباء المسئولية كاملةتجاهه ، رافضة التخلى عنه أو السماح لأي مؤسسة بتولى أمور علاجه ورعايته ، لقد بذلت من وقتى وجهدى الكثير ، ولكننى لم أيأس أو أعجز ،

وبقيت أحاول مع احدى اخصائيات العلاج الطبيعي التي احضرتها خصيصا لمساعدتي ، في محاولة علاج هذا الطفل البريء ، وبعد محاولات متعددة ، كان يمكن لها ان تنتهي بالفشل ، نجحت محاولاتي ، ومشى طفل بعد ثلاث سنوات ، لقد كانت قدرة ابني على السير حافزا قويا زاد من تحمسي لعلاجه والاستمرار معه .

صحيح انني لا اصطحب طفلي خارج نطاق الاسرة ، لانني اخشى ان تؤثر تعليقات الناس ونظراتهم على نفسيته ، ولكن ذلك لا يعني انني اعزله وحيدا في المنزل ، فأنا اصطحبه معي في مناسبة او عطلة الى الاماكن الترفيهية ، وان كنت ارى ضرورة تخصيص اماكن خاصة للعب الاطفال المعوقين ، تتناسب وقدراتهم الجسمية والعقلية .

وتضيف السيدة سارة : ويؤسفني عدم قدرة المجتمع على ادراك الحجم الحقيقي لمشكلة المعوقين ، وعدم وعيهم بضرورة الالتفات لهؤلاء الاشخاص ، فلو كرسنا جزءا من اهتمامنا نحوهم لخرجنا بقدرات عظيمة ومهارات فائقة ، فكل طفل سواء كان طبيعيا او معوقا له اهتماماته وابداعاته الخاصة به ، لذلك لابد من توفير الحوافز التي تزيد من حماسته ، تجاه الامور التي قد يبرز من خلالها كفاءة ومهارة فائقتين .

وماذا بعد :

ان تحجيم دور الأسرة ، والقاء المسئولية كاملة على مؤسسة او جمعية لرعاية المعوق امر لايقبله عقل او منطق ، فالاسرة هي المسئولة الاولى والاخيرة ، وعليها يقع العبء ، فلو كانت كل ام قادرة على تحدي الموقف ، والأخذ بيد ابنها والوقوف الى جانبه ، والتخلي عن شبح الخوف من نظرات المجتمع ، لما كانت الاعاقة يوما مشكلة .

لقد رأت الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، ضرورة خلق قوة التحمل لدى الأسرة ، عن طريق انشاء فصول تعليمية صباحية للأطفال ، ذوي الاعاقة البسيطة ، بحيث يتعلمون مبادىء بسيطة في القراءة والكتابة ، او تنمية مواهب الرسم والعزف والخياطة ، كنوع من العلاج الطبيعي لليدين ، فلا هم يشعرون بملل في الوقت ، او نقص في الامكانيات ، ولا الاسرة تشعر بان عبء هذا الطفل قد زال عنها ، وانها ليست مسئولة عنه باي حال من الاحوال ، فالطفل المعوق خاصة لا ينمو الا ملتصقا باسرته ، مستدفئا بحنانها .

لقد استطاع عدد من الاطفال ان يثبتوا مهارة فائقة وكفاءة عالية ، فقد حقق محمد عمر عبدالله الفوز الأول في العزف على البيانو ، حيث اشترك في مسابقات محلية وعالمية ، وكان دائما يحصل على الترتيب الأول ، كذلك نجح الاطفال المعوقون في اثبات مهاراتهم الفنية في الرسم ، حتى لوحاتهم اصبحت تباع في لندن ، ولم يعد يقام معرض فنيّ محلي او عالمي ، الا ويدعي هؤلاء الاطفال لحضوره . لقد استطاع هذا المعوق ان يثبت قدرته على الابداع والعمل ، بل هو اليوم قادر على الوصول الى المركز الأول ليس في الرسم والموسيقا فحسب ، بل في الرياضة ، يشترك المعوقون اليوم في بطولات محلية او عالمية ، وحققوا فوزا ساحقا في بطولات الجري ورفع الاثقال والعاب القوى والتنس والسباحة والموانع والرمي .

ان تشجيع المعوق وبث الثقة في نفسه ، يجعله قادرا على تحقيق بطولات وانتصارات لم يحققها الأسوياء .

فهل نطمح اذن بمستقبل افضل لهؤلاء الابناء ، وهل لنا ان نغير من النظرة المتشائمة التي تثبط عزيمته وتهدر كل طاقاته ؟

هل تعود الابتسامة ؟

وبعد .. ان حماية الأسرة والمجتمع من التصدع والتفكك يحمي بالضرورة كل الافراد من التخلف والتعوق ، فتدعيم العلاقات الاسرية ، وبلورة مفاهيم الزواج والامومة والابوة والبنوة ، من شأنها تنشئة طفولة سليمة وتنظيم الفكر ، وتعزيز الانتماء ، وان توفير مناخ من الاستقرار ، واشباع الحاجات بالطرق الصحيحة والشرعية ، من شانه بالتأكيد تبديد عوامل القهر والاحباط وبناء شخصية سوية . كما ان توفير البرامج العلمية والفكرية ، وخلق المؤسسات الثقافية والمهنية ، من شأنها اعداد مواطن صالح قادر على التكيف ومواجهة الصعاب . ولا



إن ما تسعى إليه الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، هو استقرار الاطفال فيها نفسياً وذهنياً ، وتنشئتهم بعيداً عن الصراع والألم الذي قد يسببه المجتمع لهم .

ننسى ما للرعاية الصحية من تأثير شديد على الطفل منذ بدايته جنينا ، مرورا بفترتي الولادة والرضاعة ، حيث يمكن في هذه الفترة الوقاية من كثير من العاهات ، هذا الى جانب توفير الحماية المطلوبة من احتمال توارث الاعاقات الجسدية او العقلية ، عن طريق المصاهرة او الزواج الداخلي .

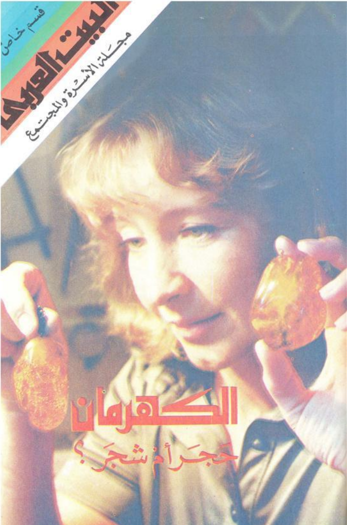
ان العمل على انشاء المؤسسات القادرة على استيعاب جميع المعوقين على اختلاف فئاتهم كفيل بانماء قدراتهم وتأهيلهم على افضل صورة واعدادهم لحياة كريمة .

فللمعوق حق الحرية والحركة في مختلف الانشاءات والمرافق العامة ووسائل النقل والمواصلات ، وهذا يعني التمتع بخدمات المواصلات ودور التربية ، عن طريق توفير الاماكن والالعاب التي تتناسب وقدرته على الحركة واللعب ، وضرورة تقيد الدولة بالمواصفات العالمية الخاصة بالاشخاص المعوقين ، في المباني ومداخل الاسواق المركزية ، وتشجيع البعثات العلمية الراغبة في التخصص بمبادىء خدمة المعوقين ، واجراء البحوث والدراسات الكفيلة بالكشف عن ملابسات الاعاقة المختلفة ، ولا بد من تشجيع هذا الانسان على العمل ليشعر بوجوده وبكينونته ، ولا يبقى عاطلا عن العمل ، مما يزيد من معاناته وآلامه بسبب وضع ليس له ذنب فيه .

ان هذه الجولة الخاطفة في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، علمتنا الكثير ، فليس بالعطف وحده يحيا المعوق ، ان المزج بين النظرة العلمية والانسانية لهذه الحالات ، هو القادر على تغيير وضع المعوق ، وخاصة بعد ما حققه من ابداعات وبطولات ، فتراه صامدا ، برغم كل التحديات والعوائق ، وبرغم كل نظرات الاستغراب والاستهزاء ، وبرغم القسوة والازدراء ، يقف المعوق في وجه الرياح العاتية يقاومها بثبات وعزيمة ، بتصميم وقوة ، ليثبت للعالم كله، الاعاقة العقلية او الجسدية لن تزعزع ثباته وايمانه ولن تطمس قدراته ومواهبه .

ان عناية الأمة بقضايا مجتمعها الانسانية لدليل عظيم على مدى التطور الحضاري الذي تحرزه ، فليست المصانع الضخمة والبنيان الشاهق هما مقياس نهضة الأمة ، بل رعاية الانسان ، وتوجيهه الوجهة السليمة التي من شأنها خلق مواطن صالح عقلا وجسدا . □

قسم خاص
البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



الكهرمان
حجر أم شجر؟



الفنانة فالدا في مشغلها .

الكهرمان

حجر أم شجر ؟

لو سالت خبيرا بالمسابح عن أفضل الأنواع لديه ؟

فانه لن يتردد في تقديم .. مسبحة فيها شفافية ودكنة فى اللون ، بنى أو زيتى أو ما يشبه لون القرميد . .

وتسال : ماهى المادة الأساسية التى يتكون منها هـذا النوع من المسابح ؟ .. فـإنـه يجيب : الكهرمان . . .

.. عندها فإنك تتذكر أن الكثير من أدوات الزينة النسائية ، وخاصة العقود والخرز وغير ذلك هى من الكهرمان . . . اللماع والشفاف .

وأن صدورا كثيرة ومعاصم عديدة تلمع عليها هذه المادة . .

فهل هو حجر كريم ؟

جاء فى الموسوعة العربية الميسرة هذا التعريف للكهرمان : « راتينـج أحفورى ، أصله تحجر افرازات بعض المخروطيات المنقرضة وأثمنه

الشقّاف ، ولكن بعضه « كمد » ، منه يصنع الخرز والمباسم وبعض أدوات الزينة ، عُرف منذ العصر البرونزي ، وكشف الاغريق خصائصه الكهربية . ويعد ساحل المانيا على البحر البلطي أهم مصادره » .

صمغ متحول

وجاء في مقال منشور في العدد ١٩٤ يناير ـ كانون الثاني سنة ١٩٧٥ م في مجلة العربي ، للدكتور أحمد زكي ما يلي عن الكهرمان ،

« والكهرمان جسم صلب ، أصفر اللون ، يميل أحيانا الى اللون البني ، وهو شفاف أو يكاد يكون ، ولونه هذا وصفاؤه ، ولين مسه ، هو الذي حدا الى استخدامه في عمل السُّبح وسائر أشياء الفن . فهو يُشكَّل وهو يُخرط وهو يُنحت .

والكهرمان ليس بحجر ، وكيف وهو يخرج افرازا من نبات . ان الكهرمان مادة عضوية أساسها الكربون » .

ويضيف الدكتور زكي :

« ان الكهرمان راتينج من الراتنجات ، وهي سوائل لزجة « صموغ » تفرزها صنوف من الأشجار « الصنوبرية » ، والنباتات تجفف فيبقى منها الجسم الجامد وهو الصمغ ، وهي وجدت وتكاثرت حول بحر البلطيق منذ ٦٠ الى ٧٠ مليون عام مضت من الزمان .

والكهرمان يُسْتَعْدَن أكثر ما يُسْتَعْدَن اليوم فيما حول بحر البلطيق من بلاد في شمال أوروبا » .

اذن هـذه هي صفـات مـادة الكـهـرمـان وتكويناتها . . . لكن لماذا يتداخل مع المادة الصافية بعض الحشرات ، أو الألوان الأخرى غير لون المادة الأساسي ؟ وهل مازالت بلاد بحر البلطيق تَسْتَعدنه حتى الآن ؟

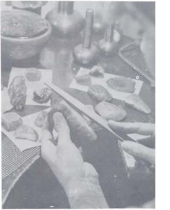
كهرمان بلاد البلطيق

في زيارة بعثة « العربي » (سليمان الشيخ محرراً واوسكار متري مصوراً) لجمهوريات بحر البلطيق السوفيتية الثلاث (استونيا ، لاتفيا ، ليتوانيا) في صيف العام الماضي ، حاولت الوقوف عن قرب على كل ما يتعلق بهذه المادة .

في مدينة « ريغا » عاصمة جمهورية « لاتفيا » التقت بعثة « العربي » بفالدا كسندي في مشغلها الذي وفرته لها الدولة . . كي تتولى فيه تشكيل بعض الصناعات التقليدية ومنها الكهرمان .

قالت فالدا : الكهرمان ـ يقال له يَنتار في اللغة الروسية ، مغطى بغلالة لايكشفه الا من يحبه ويعرفه تمام المعرفة .

وهو فعلا مـا يزال احـدى الثروات الطبيعية في بـلادنا ، وتقوم مؤسسـات انتـاجية تابعـة للدولة بالبحث عن مكامنه ، وعمل أحافير لاستخراجه ، اذ انه تَكَوَّن عبر ملايين السنين ، من خلال تجمد صمغ أشجار السرو والصنوبر وغيرهـا من الأشجـار والنباتات . وكهرمان بحر البلطيق هـو الأفضـل



* مادة الكهرمان « الغفل » تتشكل من خلال الأيدي الخبيرة ، لتكتسي شكلا وحجما جديدين .

تصوير : أوسكار مترى

* هذه الالتماعات الصافية هل يمكن التصديق بأنها من صمغ تجمد ؟







* عقود ومسابح وأساور مختلفة الأشكال والأحجام والألوان ، كلها من مادة الكهرمان .

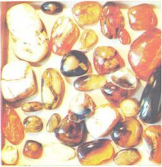
● الكهرمان .. حجر أم شجر ؟



● لمسة الفن الجميل تبرز واضحة في هذا التشكيل الفني .



● المظهر قد لا يعطى صورة حقيقية عن الجوهر ، هكذا هو البريق واللمعان ، وتعدد الأشكال والألوان في مادة الكهرمان ، يغرى بالقول أن المادة الأساسية فيها ما هو الا حجر كريم ، لكن الفحص المخبرى .. يفيد بأن المادة الأساسية ما هي الا صمغ متحول .



● من ينظر اليها يظنها أحجاراً كريمة لامعة .. وماهي في الحقيقة الانتاج شجر تجمد خلال ملايين السنين . لاحظ غنى الألوان وبعض المواد المتداخلة فيها .



« تراكي » أو « تراشي » وحسب لهجات أخرى فان اسمها « حلق » .. وهي هنا في أشكال وأحجام مختلفة

والأجمل بين أنواع الكهرمان في العالم ، لأنه جامد وغني جدا بالألوان . . .

الأغلى والأثمن

توجد في بعضه بعض الحشرات والنباتات الصغيرة ، فما هو تفسيرك لذلك ؟

ان هذه الحشرات والنباتات التصقت بالصمغ منذ أن ساح وتدفق من الشجر ، وباستمرار السنين والتغيرات التي تحدث في الطبيعة ، فإن هذه المواد وغيرها تصبح جزءا أساسيا في تكوين كتلة الكهرمان . وكلما كانت كتلة الكهرمان محتوية على أجسام غريبة ، أو دخلت عليها ألوان جديدة ، فإنها تصبح أجمل وأغلى ثمنا ، ونوعية الصمغ والعوامل التي دخلت عليها لاحقا . . أعني التفاعلات التي حدثت لكتلة الصمغ ، هي التي تحدد وتشكل لون الكتلة . والألوان المعروفة عندنا هي : الأسود ، الأبيض ، الأخضر ، الأصفر ، لون « البريك » أي القرميدي وغيرها .

تغيير اللون

هل تتدخلون في تغيير لون المادة ، أو ادخال مواد أخرى عليها ؟

كل ما نقوم به هو تلميع المادة وتشكيلها وتحويلها من حالتها الغفل ، الى الشكل الفني المناسب الذي يتوافق مع طبيعة الكتلة المتوفرة ، أما من ناحية المواد المضافة فإنها لاتدخل على المادة الأساسية ، بل هي تضاف الى الكتلة المشكلة للكهرمان ، مثل الفضة والنحاس والذهب والحديد وغير ذلك . . . . « كإسسوار » جمالي ، كأن توضع مادة الكهرمان في لدائن من الألمنيوم وغيرها من المواد ، لأجل العرض ، وربط المادة الاساسية ببعضها البعض .

اذا كانت بعض المؤسسات هي التي تقوم بتشكيل كتل الكهرمان ، فما هو دور الفنان الفرد في هذا الامر ؟

كما قلت : هناك مؤسسات يقوم الأفراد فيها بهذا العمل ، وهناك أفراد مثلي يقومون إما بالبحث عن مادة الكهرمان على شواطىء البحر ، أو في أماكن أخرى معروفة ، فيكتشفون الكتل الكبيرة والصغيرة ، ويقومون بتشكيلها ونحتها .

أهمية الصناعات اليدوية

هل تذهب المواد التي تقومين بتشكيلها الى السوق مباشرة ؟

انني أعمل في هذا المجال منذ خمس عشرة سنة ، بدأته كهاوية . . . ثم احترفت هذا العمل ، وكل سنة يتم ترتيب معرض تجمع فيه أفضل الأعمال وأكثرها جمالا . وتقوم بترتيب هذا المعرض وزارة الثقافة من خلال مركز رعاية الفنون الشعبية .

أما من حيث الانتاج التسويقي ، فإن ما ننتجه يعرض على لجنة خاصة ، متفرعة عن مركز رعاية الفنون الشعبية ، تقوم بفحص وتقدير الأعمال ، وبعدها يتم تحويلها الى الأسواق .

وأستطيع القول بأن الناس في بلادنا يهتمون بالصناعات اليدوية التقليدية ، ويميلون الى اقتنائها ، بل استطيع القول بأن ثلث السكان تقريبا يعملون أعمالا يدوية فنية شعبية في بيوتهم . □

الزواج الثاني

بين عذاب الحساسية.. والأهل وأحلام الوفاق

اعداد : وفاء طه ناجي



أكثر من ٦٠٪ من الأشخاص المطلّقين يعودون للزواج مرة أخرى ، وعلى الرغم من أن معدل الطلاق في الزواج الثاني قد زاد في الآونة الأخيرة ، الا أن كثيرا من الزيجات الجديدة يستمر برغم جو الحساسيات والمشاكل الذي يخيم على الحياة الجديدة .

عند الحديث عن الزواج الثاني . . تتباين وجهات النظر حول طبيعة العلاقة الجديدة ، وقليلا ما يبوح الزوجان الجديدان بمشاعرهما نحو حياة زوجية ثانية ، ويبقى الخجل مصاحبا حديثهما عن الزاوية الحميمة في العلاقة . . ما هو شعور الزوجة الثانية ، وكيف يتعامل الزوج الثاني في حياته اليومية ؟ وعديد من الأسئلة والاستفهامات .

التقى « البيت العربي » بعدد من الأزواج والزوجات ، الذين يخوضون تجربة الزواج مرة ثانية ، وكان الحوار محيرا ومثيرا للارتباك ، واتسمت اعترافات الزوجات بالحرج والتصنع في كثير من النقاط ، بينما تحدث الرجال بقلب مفتوح .

وبرغم الاختلافات فقد اتفق الجميع على أن الحياة الزوجية الحميمة تتمثل أساسا في الثقة والتوافق



النفسي والحوار الواعي ، وتفهم كل منهما لحاجات الآخر ، وان الاخفاق في تحقيق جزء كبير من هذا المعنى هو الذي حدا بهما او باحدهما الى خوض التجربة مرة أخرى ، وجاءت كلمات الزوجين الجديدين لتعكس « عالما » من المشاعر اختص بها الرجل الثاني أو المرأة الثانية ، وأبدى الجميع رغبتهم في عدم ذكر أسمائهم الصريحة .

تقول السيدة منال . . س : « لم يخطر ببالي يوما أن أكرر الزواج بعد انفصالي الأول ، ولكن بعد عودتي الى بيت والدى ، وجدت تغييرا كبيرا في معاملتهم لي ، فكان علي مثلا أن أبرر كل تصرف آتي به مهما كان بسيطا ومألوفا ، حتى ضقت بالوضع ، خاصة وانني كنت محاصرة بعيون الأهل والأصدقاء ، وكلها تتهمني بالاخفاق وضاق أهلي بذلك ذرعا ، وعندما تقدم لي زوجي الثاني ، لم يتردد أبي في قبوله ، ووافقت ولم أهتم ما اذا كان متزوجا أم لا ، فقد كان هدفي هو التحرر من « سجن » طلاقي الأول ، بعد ذلك بدأت المشكلة الحقيقية ، ولم تكن تنبع من كوني زوجة ثانية ، ولكنها « الحياة » الثانية ، فقد كان شبح التجربة الأولى يخيم على حركتي في البيت الجديد .

الخوف الدائم من الفشل جعلني أقع في هم الشعور بالعجز عن اقامة علاقة عاطفية حميمة مع زوجي الثاني ، وتبعا لذلك أصابني احساس بالضعف أمام الكثير من تصرفات وطباع زوجي السيئة . . فكنت أتحمل كثيرا في سبيل الحفاظ على زواجي الثاني ، تحملت أشياء لم أكن لاتحملها من قبل ، مما جعلني أقارن في مواقف كثيرة بينه وبين زوجي الأول ، هذا العذاب كان يتزايد اذا رجحت كفة زوجي الأول في بعض الجوانب المهمة من حياتنا الزوجية . . والآن . . وبعد مضي ٥ سنوات على زواجي الجديد ، فعلاقتي بزوجي الثاني لم تتوطد بعد » .

الزوجة الثانية هل هي زوجة أب ؟

أما السيدة مواهب فتقول : « إن أسوأ ما يحل بامرأة ، هو أن تكون زوجة ثانية ، وخاصة اذا كان زوجها قد سبق له الزواج ، ولديه أبناء ، فهذا يعني أنها في نظره لا تتعدى كونها « أما غير أصلية » لأولاده ، ويذوب معنى « الزوجة » في محيط الطلبات المستمرة للصغار ، ومراقبة الأهل والأقارب لكل سكناتي وحركاتي ، كنت أقضي الليل ساهرة على صغير مريض ، وأمضي النهار أنظف البيت وأحضر الطعام ، فلا أسمع كلمة رضا ، وعند أقل تقصير يتهمني الجميع بأنني « زوجة أب » ، وهي تسمية يعلم الجميع مدى ارتباطها بالقسوة وسوء المعاملة . وانعكس ذلك على علاقتي بزوجي ، فلم يكن رضاه عن دوري في حياتهم يدوم طويلا ، ويكفي أن يشكو له أحد الصغار من أمر ما ، حتى تتهدم كل محاولاتي لخلق علاقة عاطفية عميقة معه ، انني في لحظات يأس

كثيرة تمنيت أن أنفصل عنه ، برغم مرارة ذلك الحل ، ولكنني بكل أسف أعتمد عليه اقتصاديا ، حيث لامورد خاص لي غيره » .

ويحدثنا أحمد . . . عن وجه آخر من وجوه الزواج الثاني ، فقد تزوج امرأة سبق لها الزواج ، ولها طفلة من زوجها الأول ، يقول : « لم يكن يؤرقني مع زوجتي الثانية الا تدليل طفلتها الزائد ، وعلى الرغم من أنني تقبلت وجود الطفلة معنا ، الا أنني أصبحت أعاني كثيرا من حضورها الدائم ، وكثيرا ما كان هذا الحضور يبدد اللحظات الأثيرة بيننا ، ويتفق معه ابراهيم . . وهو يعاني من نفس الوضع ، فيعبر عن ضيقه قائلا : « كنا نضعها في فراشها ، فتظل مستيقظة حتى تحملها أمها الى فراشنا لتنام بيننا ، ونادرا ما كنا نستطيع اعادتها الى غرفتها دون أن تستيقظ » .

أما محمد . . فيحدثنا عن وجه آخر للمشكلة فيقول : « توفيت زوجتي بعد عشرة طيبة دامت عشر سنوات ، وتركت لي طفلين ، هما في الحقيقة الدافع الأول لزواجي مرة أخرى ، لذلك كان اختياري



لزوجة جديدة يتخذ من مدى حبها وتقبلها لرعاية الطفلين أساسا له ، وحالفني الحظ عندما تزوجت امرأة شابة ، سبق لها الزواج ، ولكنها لم تنجب ، احتضنت الصغار وقدمت الحب والرعاية لأسرتنا ، لم تكن تنسى مناسبة أعياد ميلاد الأولاد ، وكانت تحمل الهدايا واللعب التي يفضلونها . ولا أنكر سعادتي وأنا أرى الأولاد يتعلقون بها يوما بعد يوم ، برغم كل ذلك كنت أعاني شعورا داخليا « بالفقدان ، فقد كنت أسير « رفقة » زوجتي الراحلة ، وكانت المقارنة الدائمة بينها وبين زوجتي الاولى تعذبني طوال الوقت ، ليقف ذلك العذاب حائلا أمام اقامة علاقة وطيدة مع زوجتي الثانية » .

لماذا يفشل الزواج الثاني ؟

بعد هذه الاعترافات التقى « البيت العربي » بالدكتور محمد عودة ، استاذ علم النفس في جامعة الكويت ، ليحدثنا عن النقاط الأساسية والفاصلة التي يواجهها الرجال والنساء في الزواج الثاني ، يقول د. عودة : يغفل أغلب الأزواج دراسة الأسباب الفاصلة التي يرجح أن تكون سبب المشاكل في الزواج الثاني ، وهي غالبا تختلف عن تلك التي واجهوها في الزواج الأول ، بالاضافة الى نقطة أخرى مهمة ، هي أن الكثيرين يحملون الزواج الثاني مسئولية تحقيق السعادة ، وينتظرون منه علاقات عائلية مفعمة بالحب والود ، بما في ذلك الصغار ، ويتخيلون أن يتم ذلك تلقائيا ، وعندما تهتز صورة الحلم ، أو تنهار ، فإن العلاقة الجديدة في الواقع هي التي تنهار » .

ويستمر د. عودة في حديثه قائلا :

« واذا أخفق الزواج الثاني ، فإن ذلك يرجع الى اندفاع الرجال والنساء على السواء نحو الزواج مرة أخرى ، قبل مرور وقت كاف على طلاقهم الأول ، وهو نوع من التعبير عن تمني الشخص لنفسه ان يكون مرغوبا بعد أن كان مرفوضا ، ولذلك لا تكاد تمر سنة أو اثنتان ، حتى يكتشف كل من المرأة والرجل أنه

تسرع ، وكان الأجدى أن يختار شريكا مناسبا لعلاقة مصيرية كهذه » .

يقول د. عودة : « ومن خلال تجربتي في حقل العلاقات الزوجية فان المشاكل متشابهة ، ولذلك فكلها تخضع لأساسيات فاصلة في الحياة الزوجية الثانية ، وتنحصر تلك الأسباب في عدة نقاط مهمة :

أولا : وجود الأولاد في العائلة الجديدة ، وهو أمر له أثر عظيم في سير تلك الحياة ، سواء أكان الأولاد للزوج أم للزوجة ، أو لكليهما ، فالعلاقة بين الابن والأب أو الأم والابن . . . الخ هى علاقة سابقة لعلاقة الزوجين الجديدين ، وقد تكون وطيدة بحيث لا تفسح مجالا لشركاء آخرين ، والأمثلة التي مرت عليّ لا حصر لها ، ولذلك أجد أنه من الضروري أن يتحدث أطراف العائلة الجديدة بما فيهم الأولاد (اذا كان السن يسمح لهم بذلك) بصراحة ، ويضعون تصورا لسير حياتهم معا ، وعليهم الا يتجاهلوا الحلول الوسط ، فهي ضرورية من أجل حياة بلا حساسيات .

ثانيا : على الزوجين الجديدين أن يتخلصا نهائيا



من شبح الماضي ، فكثير من الأزواج يقبلون على حياة ثانية ، وهم تحت تأثير حياتهم الأولى ، مما يوقعهم في الأخطاء التي ساهمت في اخفاقهم من قبل .

ثالثا : من الضروري أن يراعي الزوجان الجديدان وجود قدر مقبول من التوافق ، من حيث القيم التي يعتبرها كل منهما شيئا أساسيا في حياته ، مثال على ذلك أن كثيرا من الزيجات الجديدة تفشل ، لأن أحد الطرفين يميل الى الحياة الاجتماعية والتمتع بصحبة الأصدقاء ، في حين يفضل الطرف الثاني قضاء الوقت قابعا أمام شاشة التلفزيون ، والأمثلة متعددة . . وقد تكون لتلك الاختلافات آثار سيئة جدا لدى زوجين ، بينما لا يعيرها زوجان آخران أدنى اهتمام » .

بحثا عن الصحبة

وينهي د. محمد عودة حديثه قائلا : « تبقى نقطة اخيرة أحب الاشارة اليها ، وهي أنه على الزوجين الجديدين أن يتعلما كيف يتدبران وقتا يقضيانه معا ، بعيدا عن روتين الحياة اليومي ، فتلك « الصحبة الخاصة » تساعدهما على غرس أسس لعلاقة عميقة ، تعمل على توطيد ارتباطهما الجديد ، وخاصة اذا كان هناك أولاد في العائلة . ان هذا الوقت « الخاص » يمنحهما فرصة كافية لتقييم علاقتهما وسط الأسرة الثانية . . . » .

وصفة نجاح

وليست هناك (روشتة) أو وصفة سابقة لانجاح الزواج . . ولكن تظل هناك نصيحة ذهبية نهمس بها في آذان كل المقبلين على التجربة : احرصا على « الوقت الخاص » بينكما ، بعيدا عن هموم الحياة اليومية ورتابتها . . تكلما . . ثرثرا . . قولا كل التفاصيل والملاحظات ، فعبر هذه الساعات الواضحة ستنسج روابط ود وارتباط ، تدفعكما الى اجتياز الماضي وتجربته الأولى بكل ما فيه . . □

مساحة وُدّ

سماحة أو غفلة ؟

كنا مجموعة أصدقاء .. لنا جميعا اهتمامات مشتركة بالثقافة والكتابة والسياسة ، وكلنا يعيش هم وطنه العربي بكل تفصيلاته الموجعة والمتردية ، وبرغم المواقف التى تجمع بيننا وعرى الصداقة الحميمة الدافئة ، الا اننا انقسمنا وثار بيننا خلاف ـ انتهت جلستنا ليلتها ولم ينته الخلاف بعد . كان حادث انفجار المكوك الفضائى « تشالنجر » ما زال يحتل صدارة الأنباء ، ولم تكن تفاصيل كثيرة عنه قد اذيعت ، وكان انفجار « المكوك » هو المسيطر على حوارنا ليلتها .. قلنا عجيب امر الادارة الامريكية والعالم الغربى كله ، توفى سبعة من ركاب المكوك فأعلنت الحداد الرسمى ، وأوفد الرئيس الامريكى نائبه لحضور القداس على ارواحهم وحزن كل العالم من اجلهم ، ويموت منا نحن العرب كل يوم مئات ولا احد يهتم،ولا ضميرا واحد يتعذب معنا مثلما تعذبنا ، نحن ايضا ضمائرنا على السبعة الامريكين . وقلنا انه خلاف حول اهمية البحث العلمى والتقدم العلمى .. ولكن ألم يكن الاجدى والاكثر اهمية والحاحا ان توجه مثل هذه المبالغ لانقاذ ملايين البشر من الجوع .. وهنا ثار الاختلاف .. قال بعضنا ان ثمرة هذا التقدم هى لصالح البشر .. وقال آخرون ان هذه مقولة غير صحيحة ، فالعالم تحكمه فلسفة النظام الذى يرعاه .. والتى تصبح جزءا من تجربة العمل لا تنفصل عنه ، وهناك مستويات من العلم والتقدم تظل سرا مغلقا بأقصى درجات التكتم مثل ابحاث الذرة وهندسة الوراثة ، وازداد الخلاف عمقا بيننا عندما قال بعضنا ان العلم وابحاثه واحد من ادوات النظام لتعميق التبعية والتخلف .. ولا احد ينكر ان هناك مطامع حقيقية لكل العالم الصناعى فى العالم الثالث .. وان الشركات الصناعية الكبرى التى تمول مراكز الابحاث العلمية بتبرعات كبيرة هى نفسها صاحبة المصلحة فى الا يتقدم العالم الثالث ولا يتحرر من التبعية الاقتصادية .. وان الشركات الكبرى هذه هى التى تلقى بالقمح فى المحيط كى تحافظ على اسعاره .. وهى التى تنتج السلاح وتقوم ببيعه بتسهيلات كبرى الى « اسرائيل » ... واختلفنا هنا مرة ثالثة .. حول ما رآه البعض اقحاما «لاسرائيل » فى قضية ليست هى طرفا مباشرا فيه ، وقال البعض ان اقحام « اسرائيل » هو نوع من فرط الحماسة ، وقال آخرون ان تجاهلها وهى طرف تابع للسياسة الامريكية لا يعدو ان يكون نوعا من ضعف الذاكرة الجمعية فى شعبنا العربى ، وان سماحتنا الاخلاقية وتراثنا التربوى والحضارى ينسينا ما يفعله الآخرون .. فالاطفال الآخرون يرضعون كراهيتنا بينمانحن نربى اولادنا على قيم الخير والحق بشكلها المطلق .. على الرغم من انه لاعدل بلا قوة .. ولاسلام لا تحميه المدافع .. وليس بالاخلاق والسماحة والرحمة فقط تحيا الامم .... □

محمود عبد الوهاب

هو ....

الانحياز

لى فى الدنيا بنت وولد . . رزقنى الله بهما فى خمسة عشر عاما هى عمر زواجنا ، الذى مرت سنواته عذبة . . رقيقة ، حتى بدأت الخلافات بيننا منذ ثلاث أو أربع سنوات ، ولم تكن فى بدايتها حادة . . ولا متتالية ، ولكن مع الوقت بدأ معدلها يزداد ، وحدتها تعلو . وعلى الرغم من أن أبنائى هم نور عيناى وكل حياتى - شأن أى أم - والمفترض أن الأبناء دوما هم الرباط الذى يوثق عرى الحياة الزوجية ، ولكن أبنائى أصبحوا مصدر الخلاف الدائم بينى وبين زوجى ، الى الحد الذى اتسعت فيه الخلافات ، الى أن أصبحت تهدد الحياة الزوجية .

زوجى يتهمنى دائما أننى أنحاز الى ابنتى - ١٢ عاما - ضد ابنى - ١٤ عاما - وانى أفسد تربيتها، وانى أسىء بقدر ما أريد أن أحسن، وبالطبع فأنا لاافهم هذا الاتهام ولا أقبله ، الأمر وما فيه أن البنت دوما هى الأقرب الى الأم . . وهى الأكثر حنانا . . رغم صغر سنها . وهى الأكثر اتزانا - نسبيا - وهى التى تسمع وتطيع . . ورغم صغر سنها أيضا - ليحمها الله - فهي حريصة تمام الحرص على طاعتى وتقليدى . . وسؤالى . . ماذا تفعل ؟ وما تترك ؟ وماذا تقول ؟ . . وكيف ؟

والولد شأن كل الصبية . . أهوج . . طائش . . لاهم له الا اللعب والقفز والجرى والشجار ، ولأن البنت أكثر طاعة لى ، فأنا لا أرفض لها طلبا ، ولا أدخر وسعا فى مكافأتها باللعب والثياب الجديدة . . واصطحابها معى فى زيارة بعض الأصدقاء . . . وبالضرورة فأنا اكثر سماحة معها ومغفرة . . فالذى يخطىء فى اليوم مرة ، غير الذى يخطىء عشر مرات فى ساعة واحدة .



وهنا يتهمنى زوجى بالتحيز . . وأننى أميز فى معاملة الابنة ، ولكن لانه لايقيم طوال النهار معى . فهو لا يضيق بتصرفات الصبى وسلوكه . . شأنه في ذلك شأن كل أب يرى فى ابنه الولد امتدادا له . . وأنه حامل اسمه ولقبه . . ومن هنا فهو ينظر اليه على انه العصبية و (العزوة) والحماية . . تماما كما كان ينظر ابى الى اخوتى الذكور . . فكانت طلباتهم أوامر ، ورغباتهم لاترد . . وهم المميزون علينا جميعا نحن الاناث ، بدءا من أمى وحتى كل شقيقاتى ، ولكننى لن أسمح بتكرار هذا ابدا ، ولن أترك ابنتى تعانى ما عانيته ، ولكن الثمن هو المشاكل المشتعلة فى البيت ، وما أفدحه من ثمن .

هي

هي ....

العـدْل

الاختلاف بيننا فى منهج التربية ، وليس فى التفاصيل . فى جوهر العلاقة ، وليس فى فروعها . ولكن يبدو أنها لاتريد أن تتخلص من خبراتها الماضية ، ومن ظلال الماضى .

بداية قلت لها كثيرا انه ليس صحيحا - من وجهة نظرى - ان الولد هو الامتداد والعصبية والأهمية ، وابنة واحدة طيبة خير من الف ولد عاق ، وماذا أجنى لو شب ابنى فاسدا مفسدا ، وأي ذكر ساخلّفه يورثنى اللعنة ، بينما الابنة هى الامتداد الطبيعى لو أحسنا مساعدتها فى اختيار زوج من أسرة طيبة ، فإن المصاهرة هى نمو العائلات وامتدادها . ومن هنا فأنا لست مؤمنا بأفضلية الولد على البنت فى التربية ، فكلاهما له علينا حق أن نحسن تربيته وتعليمه ، ونسوى بين كليهما فى الرعاية والعطف والتوجيه .



ولكن الانحياز غير المفهوم للصبى أو للفتاة ، كفيل بأن يحدث فى داخلهما جروحا . . ويترك رصيدا من الأسى ، يتراكم مع الزمن ويترسخ . . فيشب كل منهما وفى نفسه مرارة من زمن مضى . . لايعرف لها سببا ، فتخلق عنده سوء فهم لطبيعة ودور كل من الرجل والمرأة فى الحياة ، ففى تصورى أن نصف سوء الفهم القائم بين الرجل والمرأة ناشىء عن التمييز - فى بداية النمو - بين الفتاة والولد . . فماذا لو دفعنا الولد الى أن يسهم مع أخته وأمه فى عمل المنزل ، لكى يدرك قيمة التعاون ، وأن البيت الذى يعيش فيه الكل يتحمل أعباءه الكل ، وماذا لو ابتعدت عن الثواب والعقاب عن طريق الثياب الجديدة أو اللعب . . فالأبناء لاينسون أبدا أن اشقاءهم تميزوا عنهم بشكل واضح وملموس و . . وعديد من الأشياء التى لو ناقشتها لتاه الجوهر ودخلنا الى الفروع . . وهى ليست قضيتى ، قضيتى بوضوح تام هى العدل الكامل فى معاملة الأبناء ، حتى نزرع بينهم ألفة ومودة تربط بينهم ، فكم من أخوة في دم وبينهم جفاء وجفوة ، وعلاقات قربى كثيرة ، لاتلمس فيها دفء القرابة ولا حنانها . . اللهم الا مجرد الأسماء . . وأوراق اثبات قرابة رسمية ، قلت لها كثيرا ولكنها لم تقتنع ، وما زالت ترى أن البنت هى امتدادها وهى الأنثى . . وهى ربة البيت وهى الأكثر حنانا وعطفا . . وأنا ما زلت أرى أن العدل والحب والرعاية بقدر متساو هى التى تفجر الحنان والعطف والحب فى قلوب الأبناء .

هو

من الحياة

أجمل صور الحياة !

بقلم : منير نصيف

انهم يضيئون الطريق أمامنا ، أو يرسمون اللوحات الجميلة التي نقف نتأملها في إعجاب .. من هم هؤلاء الفنانون ؟

هنا ، وهناك .. تحت أقدامنا وفوق رؤوسنا ، تعيش مجموعة من البشر تصنع الحياة في أجمل صورها .. من هم أصحاب هذه الموهبة الذين استطاعوا بالكلمة والعمل أن يعلمونا المعنى الحقيقي للحياة ؟

يقول إيمرسون : « انهم هؤلاء الذين يرسمون كل يوم ، كل ساعة ، أروع صور الحياة ، إنها ليست لوحات على القماش والورق .. ولا هي تماثيل كتلك التي تعودنا أن نراها ونقف أمامها مبهورين بدقة صنعها ومهارة أصحابها .. ولا هي أيضا قصائد خالدة نحفظها وتعيش معنا في الكتب . إنها موهبة من لون جديد ، لا تمت الى هذه الصور المألوفة بصلة .. إنها شيء أقوى من هذه الأعمال الفنية التقليدية .. شيء أكثر وضوحا وجمالا .. انها موهبة الحياة ذاتها .. »

ولقد حاول العلماء أن يروا مارآه إيمرسون من قبلهم ، وما كادوا يبدأون محاولاتهم حتى وقفوا يَسْخرون من أنفسهم ، فقد وجدوا ما كانوا يبحثون عنه في نفس المكان الذي بدأوا منه .. أليس غريبا أن يكون أمامهم وهم لا يدرون ؟ !

من هم اذن هؤلاء الفنانون ؟ انهم كل رجل يعرف معنى الحياة .. وكل امرأة تعلمت فنّ الحياة .. هؤلاء جميعا هم الذين نجد في كل ما يقولون ، وفي كل ما يفعلون ، تلك المعاني الخفية التي ترفع من روحنا المعنوية .. إنهم هؤلاء الذين عرفوا كيف ينفذون من خلال تلك الخيوط المضيئة الرفيعة ، فتراهم معك في لحظات اليأس والمرض والوحدة .. حتى لو كانوا بعيدين عنك ...

أين هذه الصور الرائعة التي صنعها هؤلاء الفنانون ، الذين يؤدون عملهم في هدوء ، دون أن ينتظروا أجرا ، أو حتى مجرد كلمة شكر على ماقاموا ويقومون به ، فهذا واجبهم ، وهو عملهم .. ولكن .. وهنا يكمن الفارق الكبير ، ، بين من يؤدي عملا لمجرد الرزق ، وبين من يؤدي نفس العمل ، بكل ما وهبه الله له من حب واخلاص



وشعور بالمتعة الحقيقية ، وهو عاكف على تأدية نفس هذا العمل . .

* * *

روت سيدة قصتها مع « فنان » أحب الحياة . . في الربيع بدأت الحياة تعود الى الأشجار التي جفت تحت صقيع الشتاء . . وجاء البستاني ، كما تعود أن يفعل في مثل هذا الوقت من كل عام ، ليعاون الشجيرات الصغيرة على الاستمرار في رحلتها الجديدة مع الحياة . . وخطر للسيدة صاحبة البيت الصغير ، أن تخرج الى حديقتها لترقب البستاني العجوز وهو يعمل . . في البداية لم يحس بنظراتها وهي ترمقه من البعد ، كان يعلم أنها هناك ، فقد بادلها تحية الصباح ، ولكنه مالبث أن شُغل بعمله عنها . . لقد أمضى لحظات يتأمل الجَفاف الذي أصاب الأرض ، التي جاء ليعيد اليها الحياة . . ثم مالبث أن اخرج الأدوات الصغيرة ، التي كان يضعها في كيس يحمله على كتفه ، وبدأ يعمل ! .

وفجأة اختفى الرجل العجوز ، الذي كان منذ دقائق قصيرة يقف حائرا ، لا يدري من أين يبدأ . . لقد تحول الى شاب صغير . .

في ساعديه القويّين وعينيه النافذتين عزم وتصميم ! ماذا حدث له ؟ انه ذلك الحب الذي يحمله في قلبه للأرض التي أمضى حياته يعمل فيها ، وللعمل الذي أصبح كل شيء في عالمه الصغير ، وسط الزهور والورود التي يزرعها بيديه ، ثم يمضى أيامه يرقبها ، وهو يرى شجيراتها الصغيرة تنمو وبراعمها تتفتح . . تماما كما لو كانت طفلا يرعاه ويعني به . . اذا اعوزها الماء قدمه لها . . واذا شحّ الغذاء حمله اليها ، وراح ينثره على الأرض الطيبة .

ومضى البستاني يعمل في هدوء . . يقلب الأرض بفأسه ، ويجمع الأوراق الجافة ، ويشق جداول الماء ، ويصف شجيرات الزهور الصغيرة في الأرض ، في شكل هندسي جميل . . ثم لا تلبث المياه أن تنساب في هذه الطرق الصغيرة ، لتروي التراب الذي جف تحت الصقيع والثلوج ، .

ووجدت السيدة نفسها ، دون أن تدري ، تمضي معه في رحلة عمله التي استوعبت كل اهتمامه ، حتى لم يعد يشعر بوجودها . . وقالت تحدث نفسها : « مسكين هذا الرجل . . تُرى هل وقف لحظة واحدة طوال هذه السنين التي قضاها مع عمله في الأرض ، ليفكر في أنه لن يصل الى أكثر مما وصل اليه ؟ . . تُرى كم يكسب من عمله هذا ، وهل يكفيه مكسبه في أن يوفر ضرورات الحياة ، له ولبقية أفراد أسرته ؟

تُرى هل تمنى يوما أن يكون غير ماكان ، وأن يجمع مالا اكثر ؟ !

ولم تشأ أن تسأله ، أو أن تذكر له شيئا مما كان يدور في رأسها في تلك اللحظة . . وهمت بالدخول الى البيت ، إلا انها ماكادت تفعل ، حتى سمعت صوتا يشدها الى العودة مرة أخرى ، الى حيث كانت تقف تحت ظلال شجرتها الكبيرة . . لقد كان البستانى يغني . . وكان غناؤه كله للأرض والزرع والطيور والشمس ، التي بدأت تبعث بدفئها بعد شتاء طويل . . .

وغردت الطيور . . وسكت عن الغناء ، ليطلق صفيراً متقطعا جميلا ، وكأنه يحدثها بلغتها . . وتجمع أطفال الجيران ، ورآهم قادمين فاقترب منهم ، وراح يحدثهم من وراء سور الحديقة ، وأعجبهم حديثه ، فطلبوا اليه أن يسمح لهم بالدخول ، ودخلوا ، وجلسوا من حوله يرقبونه ، ثم مالبثوا أن بدأوا يمدون أيديهم الصغيرة الى التراب ليساعدوه فيما يفعل . . وراحوا جميعا يغطون جذور الشجيرات الصغيرة التي ثبتها في الأرض ، ويملأون الحفر بما استطاعت ايديهم أن تحمله من الترب والسماد . .

وساد الحديقة جو غريب من الجمال والسلام . . ولأول مرة منذ شهور طويلة ، جاءت الفراشات . . وراحت تنتقل بين الشجيرات الصغيرة معلنة مولد حياة جديدة في الأرض ، التى كان يكسوها الجفاف . .

وبدأ يجمع معداته وأدواته في كيسه الصغير ، الذي يحمله فوق كتفه . . وهنا فقط تنبُه اليَّ عندما ذهبت اليه اشكره وأودعه واساله متى تعود ؟

قال وهو يغلق باب الحديقة وراءه . ويبتعد في خطوات بطيئة : « قبل أن تجف الأرض ياسيدتي . . لا تقلقي . . فسوف تنمو شجيراتك ، وستنعمين بزهور جميلة هذا الربيع ! » . . وتركها وذهب الى بيت آخر . . الى حديقة أخرى ليعيد الى زهورها الحياة !

ماذا علَّمنا هذا الرجل . . ؟ لقد قدم لنا باقة جميلة من الزهور التي يزرعها . . كل زهرة منها تحكي قصة . . انها قصص من الحياة التي نعيشها ، ولا نحس بها في كثير من الأحيان . . لقد علمنا هذا البستاني العجوز القناعة . . وعلمنا كيف نحب عملنا ونتمتع بكل لحظة فيه ، بنفس القوة التي نشعر فيها بالانتصار ، عندما نبتكر شيئا جديدا لخير كل البشر !

يقول المشتغلون بعلم النفس ، ان قبول المرء لنفسه ، وتقبله لحظُه في الحياة بلا خجل وبلا قلق ، والعمل بعد هذا داخل اطار شخصيته وقدرته على الخلق والابتكار . . كل هذه العوامل من شأنها أن تسعدنا وتقضي على أي شعور قد ينتابنا بالخوف من المستقبل . .

* * *

وفي مدينة عربية صغيرة ، عاشت سيدة وجدت نفسها فجأة وسط مجتمع يضم مجموعة من الزوجات العاملات . . كل صديقاتها وجاراتها يعملن ، وكانت هي الوحيدة بينهن التي تفرغت لبيتها وأطفالها ، فهي لم تتلق من التعليم الا القدر اليسير ، الذي لا يؤهلها لشغل أية وظيفة . . ولكنها قانعة بحياتها . . يخرج زوجها الى عمله في الصباح ويذهب طفلاها الى مدرستهما ، وتبقى هي في البيت الذي كان عملها فيه يستغرق كل وقتها . .

وكانت جاراتها يشفقن عليها من الوحدة ، التي كانت تعيش فيها وراء جدران بيتها ، بعد أن يذهب أهل الحي كلهم رجالا ونساء الى أعمالهم ، ويتركونها وراءهم !

أما هي فقد كانت تنعم بكل لحظة من تلك الساعات الطويلة ، التي كانت تقضيها في هذه الوحدة . . فهي لم تكن وحيدة أبدا كما كانوا يتخيلون . . كان عملها في البيت يستوعب كل وقتها ، وكانت رحلاتها القصيرة الى السوق القريبة هي نزهتها المفضلة ، كما كانت تجد نفسها في الجمعيات التي تعمل للخير ، فتشارك فيها كلما

وجدت فراغا في يومها المليء . . هكذا كانت حياتها في البيت الصغير الذي حولته الى مملكة خاصة بها ، تضم أحب الناس الى قلبها ، وهكذا أيضا كانت حياتها خارج البيت ، مع الناس الذين أحبوها وأحبتهم !

وكانت حيرة جيرانها تزداد ، كلما رأوها في صباح كل يوم تقف أمام باب البيت الخارجي ، تودع زوجها وطفليها ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة تحمل كل معاني الرضا والسعادة ، بينما ارتفعت يدها تلوح لهم من بعيد ، حتى تختفي السيارة الصغيرة التي تقلهم !

وتمضي الأيام .. ويجيء اليوم الذي تحتفل فيه الجارة كل عام بعيد زواجها ، من الرجل الذي أعطته كل حياتها . . وأسرعت الزوجة الأم تدعو الأصدقاء والجيران ، الى الحفل الصغير الذي ستقيمه لمشاركتها ـ هي وزوجها ـ هذه المناسبة السعيدة !

وجاءوا جميعا . . وفي عيونهم نظرة اشفاق على الجارة التي تعيش في هذا الفراغ . . وكانت المرة الأولى التي يرونها فيها . . كم تمنوا أن يروا بيتها من الداخل . . ترى ماذا سيجدون فيه ؟ وماذا أعدت لهم في هذه المناسبة السعيدة ؟

* * *

وكانت المفاجأة ، عندما وقفوا جميعا في وسط القاعة الصغيرة ، يتمنون لسيدة البيت وزوجها عيدا سعيدا . . لقد كانوا يحدثونها ، ولكن عيونهم كانت في جولة بعيدة عن صاحبة البيت . . لقد كانت تنتقل بسرعة بين كل ما يحيط بهم في كل ركن ، في كل مكان تستطيع أن تصل أليه .

لقد أذهلهم مارأوا . . فقد كان كل شيء في البيت الصغير ينم عن ذوق رقيق . . هل يمكن أن تكون هي وحدها التي صنعت هذا كله ؟ الفستان الجميل الذي ارتدته خصيصا لهذه المناسبة السعيدة ، التي مازالت ذكراها تعيش في رأسها وقلبها . . اللوحات الرائعة التي تزين جدران البيت . . الأواني الفضية والنحاسية التي وضعتها صاحبتها في رشاقة حيث يجب أن تكون . . المفارش المطرزة التي تغطي الموائد الصغيرة بين المقاعد الوثيرة . .

وفجأة وجدت المدعوات أنفسهن يتحدثن عن أصالة هذه السيدة البسيطة ، وعن عبقريتها ، وعن قدرتها على الابتكار والتجميل !

وسمعت هي طرفا من حديثهن فقالت في خجل شديد : « انها هوايتي » ثم هو عملي الذي أعطيته كل وقتي !

ودعتهم الى المأدبة التي حفلت بكل الأطباق الشهية . . وحدث ما يحدث دائما أمام كل طعام لذيذ . . فقد بدأ الحديث يخف ، لأن الأفواه مشغولة بما هو أهم من الحديث . . وتركزت الأنظار على ألوان الطعام التي امتلأت بها المائدة !

وأكل الجميع حتى امتلأوا . . . وكان الرجال من المدعوين أكثر تأثرا بما قدمته لهم مضيفتهم من الأطباق الشهية . . ولكن قصتهم مع هذه الاطباق ، ومع ماحوته من طعام لذيذ لم تنته ، فقد كان لها بقية مع زوجاتهم ، عندما انتهى الحفل وعادوا الى بيوتهم : « إننا لم نتذوق طبقا واحداً شهيا من تلك الأطباق التي امتلات بها مائدة جارتنا منذ زواجنا ! »

قالوها في صدق وصراحة لأن معدة الرجل لاتكذب ، وأثار الاعجاب الشديد بالطعام الذي قدمته الجارة الطيبة ، ثائرة الزوجات وغيرتهن ، بالرغم من المحاولات التي بذلنها لاخفاء هذه المشاعر وراء الابتسامات الرقيقة المصطنعة !

أما هي . . صاحبة الحفل ، فلم تسكرها المجاملة ، فقد كانت تقول دائما في بساطة وتواضع ، كلما عاد الحديث عن الحفل وعن الاطباق الشهية خلال زيارات جيرانها التي لم تنقطع أبدا : « لا تنسوا أنني زوجة متفرغة لبيتي . . وهو أيضا عمل ، بل هو أهم عمل للمرأة في رأيي . . إن صنع طبق من الطعام اللذيذ لا يختلف كثيرا عن اعداد بحث في تاريخ الحياة على الأرض ، ومسح دمعة على وجه حزين ، هو أروع ما يمكن أن يصنعه الانسان ، اذا أراد ان يشعر بقيمة الحياة ».



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

الحليب الآمن

الطعام الصالح للجسم لا بد له من ثلاثة شروط يجب توافرها ، وهي أن يكون مغذيا ، وأن يكون مقبولا ، وأن يكون آمنا .

والحليب يعتبر أقدم غذاء للانسان وأوسعه انتشارا ، بل هو أقرب الأغذية الى الكمال (لولا بعض النقص في الأملاح وخاصة الحديد ، وبعض النقص في الفيتامينات وخاصة فيتامين ج) كما انه أكثر الأطعمة قبولا للصغار والكبار على السواء ، فهل يمكن أن يتوفر له الأمان لتكتمل له شروط الطعام الصالح ؟

ان الحليب بفضل زلالياته عالية القيمة الغذائية ، وسكرياته السهلة الهضم ، ودهونه سهلة الامتصاص ، يعتبر خير الأطعمة للانسان ، كما أنه يعتبر أيضا تربة خصبة لنمو الأحياء الدقيقة ، بما فيها الضار والنافع على السواء .

من هنا أصبح تلوث الحليب مصدر خطر على مستهلكه ، وهو الأمر الأكثر احتمالا بين مختلف أنواع الطعام ، وهذه حقيقة أدركها الانسان منذ أن عرف في الحليب طعما مستساغا وغذاء مفيدا .

ان قائمة الأمراض التي تحتمل التسرب الى جسم الانسان أكثر من أن تحصى ، ويمكن أن نضرب لها مثلا كالتيفوئيد ، والكوليرا ، والدوسنتاريا ، والتسمم الغذائي ، وحمى البحر الأبيض المتوسط ، والسل والدفتريا . . الخ

لقد عرف الانسان منذ القديم في غلي الحليب وسيلة فعالة لضمان الأمان ، فهل وصل الانسان حقا الى مبتغاه في توفير الأمان لنفسه من الحليب ؟

ان غلي الحليب ـ في واقع الأمر ـ أمر لا يتفق مع ظاهرة فوران الحليب التي يظنها البعض انها الغليان ، وما هي الا تدفق فقاقيع الغاز الى سطح سائل الحليب ، مما لا يصلح معه اعتبار الفوران تعقيما للحليب ، وخلاصا من الأحياء الدقيقة العالقة به ، هذا الى أن غليان الحليب له العديد من الجوانب غير المرغوبة ، منها :

١ ـ يحرق سكرياته المعروفة باللاكتوز أو سكر الحليب ، مما يؤدي الى ظاهرة الكرملة ، وهو طعم الحليب المتفحم أو السكر المحروق .

٢ ـ يرسب زلاليات الحليب ، ويفقد قوامه كمستحلب .

٣ ـ يدفع بحبيبات الدهن الى السطح على هيئة القشدة .



٤ ـ يدمر الفيتامينات الحساسة للحرارة مثل فيتامين ج .

٥ ـ برسب جزءا من الاملاح المهمة في الحليب .

٦ ـ فوران الحليب الذي يحدث بين درجة حرارة ٦٠ ـ ٧٠ درجة مئوية يعطى شعورا خاطئاً على أنه الغليان ، ومن ثم يعطى قناعة خادعة بالأمان ، حيث انه لا يقتل الميكروبات الضارة باستثناء القليل .

من هنا طلع لويس باستير بأسلوب جديد ليصل الى الغاية المرجوة ، وقد عرفت طريقته باسم البسترة نسبة الى اسم باستير ، هذا العالم الفرنسي الفذ في علوم البكتريا .

بسترة الحليب :

ان البسترة توفر الهدف من غلي الحليب ، دون أن يدفع الثمن من قيمته الغذائية ، كما يحدث مع الغليان ، وهناك طريقتان للبسترة :

أولاهما : البسترة السريعة : التي يتم فيها رفع درجة حرارة الحليب الى حوالي ٧٢ درجة مئوية ، لمدة ١٥ ثانية تقريبا ، ثم تخفيض درجة الحرارة بسرعة الى ما دون العشر درجات مئوية .

ثانيتهما : البسترة البطيئة ، حيث يتم رفع درجة حرارة الحليب الى ٦٢ درجة مئوية لمدة ثلاثين دقيقة ، ثم تخفيض هذه الدرجة بسرعة الى ما دون العشر درجات مئوية .

ان صلاحية هذه الطريقة لا تتعدي بضعة أيام فقط ، شرط الاحتفاظ بالحليب في الثلاجة لضمان درجة حرارة متدنية لا تسمح بتكاثر الميكروبات ، حيث ان البسترة قد تقتل بعض الميكروبات بينما ينجو البعض الآخر .

واذا فتحت قنينة الحليب المبستر فانه يفقد ميزته ، ويعتبر حليباً عاديا يعامل معاملة الحليب الطازج الخام ، ولما كانت عمليات البسترة لا تفي بكل الغرض الذي يأمله الانسان ، فقد ابتكر العلماء طريقة تعقيم الحليب .

تعقيم الحليب :

لضمان تدمير نسبة اكبر من الميكروبات في الحليب ، مع توفير فترة أطول لصلاحية الاستعمال ، فقد عمد الخبراء الى رفع درجة حرارة الحليب الى ما فوق درجة المائة ، الى حوالي ١١٠ ـ ١٢٠ ، ولمدة وجيزة ، ثم تبريده على وجه السرعة ، وبهذا يتم تدمير ميكروبات لم تكن البسترة لتنال منها ، بل أصبحت صلاحية الحليب تطول شهورا عديدة ، كما أن الحاجة الى حفظ الحليب في جو بارد كالثلاجة مثلا ليس شرطا أساسيا ، اذ يمكن الاحتفاظ بالحليب المعقم في جو الغرفة المعتاد ، شرط أن لا تفتح العلبة أو الزجاجة ، والا فقدت تعقيمها ، وأصبحت حليبا عاديا يعامل معاملة الحليب الخام الطازج .

المعاملة الحرارية العالية

مع تقدم الخبرة والتجربة ، تمكن العلماء من رفع درجة الحليب حتى تجاوزت ١٣٠ درجة مئوية ، دون الاضرار بمحتوياته ، أو تدميرها ، وذلك رغبة في الخلاص من نسبة أكبر من الأحياء الدقيقة الضارة ، لهذا يمكن القول انه حليب خال من الميكروبات تماما ، باستثناء بعض الفيروسات المقاومة للحرارة ، كما أن صلاحية مثل هذا الحليب قد تزيد شهورا أطول مما هو عليه الحليب المعقم العادي ، دون شرط حفظه داخل الثلاجة مع الأخذ في الاعتبار ان فتح العلبة أو الزجاجة يفقده خاصية التعقيم والأمان .

بريد طبيب الأسرة

العلق الطبي

● أعاني من الصداع الذي يتناوب بين فترة وأخرى ، وقد نصحني البعض-بعد أن فشلت في العلاج الطبي-باستخدام العلق الطبي الذي يعالج به بعض الأطباء الشعبيين .

فما هو العلق يا ترى ؟ وهل هناك من فوائد أم أن له أضرارا ؟

ي . س
عمان

- العلق الطبي هو أحد انواع العلق المتعددة ، ويسمى في اللغة العلمية هيرودو مديسناليس Hiru-do Medicinalis وينتمي الى ديدان الأرض الحلقية ، ويتميز بوجود حوصلة يدعونها المعدة مجازا ، ذات قنوات متعددة . ويعيش العلق متطفلا على امتصاص الدم واختزانه في قنوات المعدة لاستخدامه عند الحاجة ، لهذا يمكنه العيش طويلا دون غذاء .

والعلق الطبي صغير الحجم ، يتراوح بين ٢ - ٣ سنتيمترات ، ويتحرك في الماء سابحا أو متقلصا ، مستعملا ممصاته في الحركة ، حيث أن له ممصين ، احدهما أمامي حول الفم يستخدمه في الحركة لتثبيت جسمه ، كما يستعمله في امتصاص الدم ، والثاني خلفي في مؤخرة الجسم يعينه على الحركة والتشبث .

وللعلق ثلاثة فكوك صلبة ذات أسنان حادة يستخدمها في قطع الجلد عند امتصاص الدم ، وحتى يضمن استمرارية نزف الجرح فانه يفرز مادة مانعة للتجلط ، لهذا يبقى مكان العلقة نازفا حتى لو أزيلت أو سقطت ، والعلقة تتشبث بالجلد بواسطة ممصاتها حتى ترتوي وتشبع ، ولكنها لا تؤلم كثيرا . ولهذا فقد استعملت قديما في الطب لاستنزاف الدم في أحوال الصداع والاحتقان والأورام ، قناعة من الأطباء القدامى بان زيادة فائض الدم هو سبب العلة .

لقد ولى زمن استعمال العلق لما ثبت من ضرره الشديد أحيانا ، وخصوصا عند هبوط الضغط ، أو فقر الدم ، بينما فوائده قد وجدت بديلا لها من العقاقير أو العمليات الجراحية ، أكثر فعالية ، وأمنا ، وأكثر تطورا .

شرب الماء مع الطعام

● قرأت فيما أقرأ عن أن شرب الماء مع الطعام يضر بالمعدة ، ويسبب عسر الهضم ، ولهذا يوصي الأطباء بشرب الماء قبل الأكل بساعة ، أو بعده بساعة ، فهذا أنفع للصحة . فما صحة هذا القول ؟ وهل هو رأي طبي معتمد . . ؟ ولكم الشكر .

أحمد بو عابد
طنجة

- شرب الماء مع الطعام يضر بالمعدة قناعة تشيع بين الناس ، لا أحد يدري لها مصدرا ، ويجتهد بعض الناس في تبريرها على اسس علمية لا أصل لها ولا فصل .

ربما كان الاسراف في شرب الماء له محاذير ، منها أنه يخفف من تركيز عصائر الهضم في المعدة

والأمعاء ، ولكن هذا لا يقوم حجة ضد شرب الماء على الاطلاق ، لأن الماء له ضرورات منها تسهيل عملية عجن الطعام وامتصاصه ، بل ان قلته تؤدي الى عسر في الهضم ، وجفاف في الأمعاء ، وينتهي بصاحبه الى الامساك . لقد جرت دراسة علمية تجريبية على فريقين من الناس :

فريق أول أطلق الأطباء له حرية شرب الماء باسراف مع وجبات الطعام ، وفريق ثان قننوا له شرب الماء بمقدار ومواعيد .

وانتهت التجربة الى أن الفريق الأول لم ينله أي أذى أو اضطراب في الهضم ، فيما كان الفريق الثاني الذي قننوا له شرب الماء يعاني من توعك وعسر هضم ، وهذا ما يناقض الشائعة بضرر شرب الماء مع الطعام .

اننا نعارض تقييد شرب الماء مع الطعام على أية صورة ، حيث لا حجة تقف الى جانب هذه الشائعة الغريبة ، التي لا سند لها من الرأي الطبي ، ولكننا أيضا نقف مع الآية الكريمة التي تقول : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » . صدق الله العظيم .

العدوى الذاتية

أحب قراءة الكتب الصحية ، وقد صادفت اصطلاح العدوى الذاتية في أكثر من موضع ، ولكنني لم أستوعب معناه بوضوح ، فهل لي في شرح أو تفسير موجز ، ولكم الشكر .

ص . م / حماة

العدوى الذاتية تعني تكرار عدوى المريض لذاته بنفس المرض الذي يعاني منه ، فبعض الأمراض المعدية (أو المعروفة طبيا بالأمراض الانتقالية) تنتقل من مريض أو حامل للمرض ، انسانا كان أو حيوانا ، أو ربما نباتا ، حسب دورة معينة لكل مريض .

وحين تخرج مسببات الأمراض من جسم المريض ، ربما تكون ناضجة وجاهزة للعدوى التالية لانسان سليم آخر ، دون حاجة الى مراحل أخرى خارج جسم المريض ، فيعمل المريض بوسيلة أو بأخرى على نقلها الى نفسه مرة أخرى ، فتتوالى العدوى ويعيش في حلقة مفرغة ، يكون فيها المريض كالبائع والمشتري في آن واحد .

وحيث انه لا توجد قاعدة عامة تنطبق على كل الأمراض القابلة للعدوى الذاتية ، فانه يمكن اعطاء أمثلة لمثل هذه الحالة .

هناك دودة شريطية تعرف بالشريطية القزمة ، لان طولها حوالي ٤ ـ ٥ سنتمترات فقط ، تنتشر كثيرا بين الأطفال وتعيش في أمعائهم ، وقد تخرج بويضاتها الناضجة القابلة للعدوى المباشرة ، فيعمل الطفل الذي يفتقد عادات النظافة على نقلها من الشرج الى الفم مباشرة .

على نفس الدرب هناك دودة تعرف باسم الاكزوريوس أو الحرقوص ، تضع بيضها الناضج حول فتحة الشرج ليلا ، فتثير شعورا بالحكة مما يدفع الطفل الى أن يمد يده دون شعور منه ليحك مؤخرته فتعلق البويضات تحت أظافره ، وعندما يمص الطفل أصابعه بحكم عادة الأطفال ينقل المرض الى فمه مرة أخرى .

ومما هو شائع ان الثآليل التي تظهر على الجلد ، وخصوصا الأيدي والأرجل ، قابلة للانتشار بفعل اللعب فيها وحكها ، مما نسميه بالعامية (تفقس) ، وما هي الا عدوى ذاتية بالفيروسات مسببة المرض وهكذا .

ادماء اللثة

* السيد ص . ب ـ السودان :

ـ لادماء اللثة اكثر من سبب ، ربما كان اشهرها نقص فيتامين ج او ربما كان التهاب اللثة، ويحتاج الى مناظر وفحص من طبيب الأسنان المختص لتحديد السبب لديك لعلاجه .

عرسُها..

شعر : فواز عيد

مرةً . . . .
والمساءُ يفرُّ على فرسٍ شاحبهْ
صاعداً في لُهاث الزجاجِ . .
الى غيمةٍ . . سيدهْ
ساحباً حوله جدولين . . الى شمسه الغاربهْ
جدولين على فيهما . .
رغوة الصبح في مهده . . واشتعال الضباب
جدولين . . بقرنيْ غزالٍ . .
يفر على دفتر من رسوم الصغار . .
ويرعى الزهور التي ييستْ في ثنايا كتابْ

***

مرةً . . والعروسُ الصغيرة . .
تطلع من دارها . .
قامة من نسيم الجنوب على جدولٍ . .
وارتباكِ الأحاديث بين القصب
ناحلٌ عودها
لا من الصيفِ فيه . . ولا من سلال الثَّمرُ
إنما أرَّقتْهُ وشايةُ حب

***

ثوبُها . . وَسَنٌ في الشّتاءِ . .
على بابه قمرانْ
ويداها . . السلام الأخير
بُعيْدَ العواصِفِ . . في ليلةٍ
راحتاها . . الأمَان

أذكرُ الآن من عرسِها ليلةً
قبل بدءِ التواريخِ في الغربتينِ
وقبل القيامةِ في دورةٍ ثانيهْ
قبل أنْ تبدأ الغربةُ التاليهْ
قبل عبدِ منافٍ . . ورحلتِه في الشّتاءِ
الى دارها العاليه
قبل رحلته في ليالى الحصادِ . . ليالي المرايا . .
الى قمر نائمٍ . . فوق سرجِ حصانْ
أذكُر الآن من عرسها . . قامةً مقبلهْ
في رفيفِ الطيورِ على بيدرٍ . . . .
واشتعالِ النسائم . . في غبطةِ السنبلهْ
أذكر الآن من موجةٍ للشقائق بين الزُّروع
شفتيْ وردةٍ . .
في صباحٍ من الثلجِ والدفءِ . .
قد مرُّ بي هامساً : مرحبا

مرحباً أنتِ . . . .
ياوردة الصبحِ . . ياوردتي
يازجاجَ النهارِ . . قُبيلَ الغروبِ . .
وياعُرُساً للعصافيرِ . . قَبل الغيَابْ
مرحباً . . وسلامٌ عليكِ . .
على الروح . . إذ نهضتْ
من شَذًا غامضٍ في حنينِ التُّرابْ

***

الترابُ الذي مسَّهُ البرقُ . .

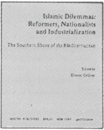


حتى استفاقَ على روحِهِ . .
والترابُ الذي مسَّهُ الرعدُ
حتى أفاقَ . . على هيئةِ الطيرِ . .
أو هيئة الحقل . . .
أو هيئةِ التوت والياسمينْ
والترابُ الذي قامت الروح منه
الى رجلٍ . . أو فتاهْ
والتراب الذي يهبُ الأرضَ زيتونَها .
مثلما يَهَبُ الطاحنَ الحياهْ
والترابُ الذي دار بي دورةً كاملة
من حنين أبي للصغارِ . .
الى الحرفِ . . والسطرِ . . والمفرداتْ
والترابُ الذي مرَّ بي شَفَقاً . .
أو كلاماً إلى الضوءِ والريح .
قبل ارتحالِ المصابيحِ . . عبرَ الضبابْ
والترابُ الذي قال لي ليلةً :
لاتخفْ
إنها الأرضُ تُصغي الى زخة مِن ثنايا السَّحابْ
الترابُ الذي صار لي جسداً
ولها جسدا
يسكنُ البرق فيهِ . .
ويسكنُ فيهِ ابتداءُ المطرْ
الترابُ الذي يعرفُ الحزنَ
والكحلَ في العينِ . .
سوق المرايا . .
تموج به شمس كانونَ . .
فوق اصطفاقِ فروعِ الشجرْ .

ليلةَ العرسِ . .
والليلُ زنجيةٌ من ندىً صاخبٍ
في ارتباكِ الدُّفوفْ
والمفتون ماجوا :
رياحاً على سُفُنٍ في الموانىءِ
والشمسُ في شهوة الحبِ عند الظهيرة . .
عند ارتحالِ الرمالِ إلى أُفُقٍ راعفٍ . .
من لهاثِ السَّرابْ
يستفيق التراب على عُرُسٍ وعروسْ
خلفَها الخيلُ معروقةً . .
والرماحُ . . التُّروسْ
والصغارُ يفرون من حولها . .
من بيوت القرى . . من مدارسِها . .
من نهوضِ التلالِ
الى زهرةِ الفِطْرِ . .
اذ عرَّشتْ جسداً من حرير السَّحابْ
من حمام البساتينِ . . إذْ هفَّ نحو القبابْ
من يدي . . والصباحِ . .
ومن دمعةِ الثلجِ . .
من « مرحَباً » ياعَروسَ الحقول . .
السلامُ عليكِ . .
على الصبح فيكِ . .
على الروح . . إذ نهضتْ
من شذى غامضٍ في حنين الترابْ
السلامُ عليَّ
أحبُّك حتى السوادِ الأخير
يُعانقُ فيَّ الترابُ . . التراْبْ .

مكتبة العربي

كتاب الشهر



معضلات إسلامية

المصلحون والوطنيون والتصنيع في المنطقة العربيّة

بقلم : الدكتور إبراهيم ابو ربيع

هذا الكتاب هو حصيلة مؤتمر حول الدراسات الاسلامية عقد فى جامعة امستردام الحرة ، ونشرت أبحاثه بعد تنقيح وزيادة فى سنة ١٩٨٥ . وقد اشترك فى هذا المؤتمر اربعة عشر باحثا قدموا محاضرات تناقش موضوع الاسلام وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى بلدان عربية ثلاثة : تونس ، مصر ، ولبنان .

كتاب الشهر

تنطلق الأبحاث الواردة فى هذا الكتاب من افتراض ان هناك ثلاث قوى رئيسية فى الوطن العربى الحديث وهى : التصنيع والقومية والاصلاح . ان المقصود بالتصنيع هنا هو العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية الجديدة التى تظهر يوما بعد يوم ، والمربوطة بادخال التقنية الحديثة كجزء حيوى ومهمّ في حياة المواطنين . ومن أهم نتائج هذا التصنيع ازدياد نسبة التعليم ، ازدياد عدد السكان مع تقليل عدد الوفيات عند الأطفال ، ازدياد الاستيطان فى المدن واستهلاك المنتوجات الصناعية الجديدة .

البعث الاسلامي والقومية

أما بالنسبة للاصلاح فالمقصود به هو الاصلاح الاسلامى أو مايسمى بعملية البعث الاسلامي ، وهى حركة قومية ظهرت بشكل رئيسى فى أوائل السبعينيات من هذا القرن ، وتنامت بشكل مطرد مع تنامى الحركة الصناعية وتشابك العلاقات الاجتماعية فى الوطن العربى . وسوف نرى من خلال تحليل بعض أبحاث المؤتمر،إنه وإن كانت حركة الاصلاح قد ظهرت فى المشرق العربى وخاصة فى القرن التاسع عشر مع الطهطاوى والافغانى ، ومحمد عبده ، وفى المغرب العربى مع ابن باديس والطاهر عاشور ، وعلال الفاسي فى القرن العشرين ، الا أنها أخذت اتجاها شبه عسكري فى السبعينيات،وهذا مما يدل على مؤشرات خطيرة بالنسبة لعملية الاصلاح التى كان من أهم اهدافها ابعاد الناس عن التطرف واللاعقلانية .

ومن الملاحظ ان النشطين فى الحركات الاسلامية الحديثة يأتون من فئات اجتماعية متوسطة ، وغنية ، وان معظمهم على درجة لا بأس بها من التعليم ، وهذا يدل على أن هناك بعدا اجتماعيا واضحا لحركات الاصلاح الاسلامى . وهذا البعد يوصلنا الى مفهوم القومية المستعمل فى الكتاب ، وهو مفهوم يعتمد فى الدرجة الأساسية على ازدياد هيمنة السلطة المركزية على كثير من مرافق الحياة العامة من عسكرية وسياسية واقتصادية الذى أدى بالتالى الى ربط كل المجتمعات القبلية والفلاحية والمدنية بالمرافق العامة للدولة مماً أدى الى اضمحلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية غير المتطورة فى الوطن العربى الحديث .

ان انبثاق النظام الاقتصادى والاجتماعى الجديد فى الوطن العربى أدى الى تكوين وخلق انماط عمل جديدة تتطلب مقدارا وافيا من التدريب المهنى والأكاديمى ، وهذا بالتالى أدّى إلى مرونة أكثر فى مجالات العمل لعدد أكبر من المواطنين ، وبالتالى الى ازدياد شعور المواطن بأهمية الدولة فى حياته العملية وحتى الشخصية . من هذاالمنطلق يجب ان نتعامل مع مفهوم القومية . فعلى الرغم من المكونات الايديولوجية لهذا المفهوم كالاستقلال الوطنى والثقافى من الاستعمار الا ن له أبعاداً اقتصادية واجتماعية واضحة ، وهى الاستقلال الاقتصادى والوطنى وخلق مجتمع مفتوح يعتمد على التساند بين السلطة المركزية والمواطنين .

ويمكن أن تدرج أبحاث المؤتمر تحت ثلاثة اقسام رئيسية هي :

- حركة البعث الاسلامى فى السبعينيات : وفى هذا المجال قام الكاتب المصرى حسن حنفى بدراسة جذور الحركات الاسلامية فى السبعينيات فى الوطن العربى بشكل عام وفى مصر بشكل خاص وذلك فى مقاله :

« أصل المحافظة الحديثة والاصولية الاسلامية »

- الطرق الصوفية فى تونس وعلاقاتها بعمليات التغير الاجتماعى والاقتصادى ، وخاصة بعد استقلال تونس عن فرنسا فى عام ١٩٥٦ . وما يهمنا

هنا هو مقالة المستشرق براون عن الطريقة المدنية وهي طريقة صوفية ظهرت فى العشرينيات من هذا القرن وعلاقاتها بالدولة المركزية وموقفها من التصنيع .

ـ وأخيراً الدين والسياسة فى لبنان : وهنا سوف نقوم بتحليل مقالة ماريون وبيتر سلوجلت . المستشرقان الانجليزيان عن حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) فى لبنان من سنة ١٩٥٨ الى سنة ١٩٧٩ .

الجذور الاجتماعية للحركات الاسلامية

فى مقالة عن حركة البعث الاسلامى فى السبعينيات يقوم الدكتور حسن حنفى بتحليل وافٍ للأسباب التى أدت الى ظهور الحركات الاسلامية ، والتى كانت غير مفهومة وغير منطقية من وجهه نظر العالم الغربى . يعرض الكاتب ثلاثة اسباب رئيسية واخرى فرعية لعملية البعث هذه :

ـ فشل الايديولوجيات المعاصرة للتحديث فى الوطن العربى ، والمواجهة الثقافية مع العالم الغربى ثم اكتشاف قوى كامنة فى الوطن العربى .

ويشرح الكاتب بالتفصيل الأبعاد المركزية لهذا السبب الرئيسى الذى يرى بأنها تتمثل فى فشل الليبرالية الغربية التى استوردت الى مصر بشكل خاص من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ . وفشل اشتراكية الدولة كما طبقت فى مصر زمن عبد الناصر . وأخيراً فشل الماركسية التقليدية التى يرى انها لم تستطع أن تتعامل مع الاسلام بطريقة عملية .

ان الليبرالية الغربية التى اعتمدت بالدرجة الرئيسية على البرلمان وعلى الاقتصاد الحر فشلت مع مجىء ثورة ١٩٥٢ ، وهذا الفشل كان ناتجا عن القوة المطلقة للملك فى التدخل فى الحياة السياسية وحل البرلمان متى شاء ايضا . ان الاقتصاد المفتوح بالطريقة غير المنظمة وحتى الاستغلالية التى كان يعمل بها فى مصر أدى الى ازدياد حدة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والى تأخر الريف بشكل رهيب ، الى جانب ازدياد نسبة البطالة وارتفاع مستوى المعيشة مع وجود نسبة ٨٥٪ من الأمية.فى هذا الجو ـ كمايبين حنفى ـ نشأت حركة الاخوان المسلمين (سنة ١٩٢٨) كرد اسلامى على التناقضات القائمة آملة بذلك أن تقيم حكماً إسلاميا خاليا من الشوائب والاستغلال .

ان حسن البنا القائد الشعبى لجماعة الاخوان والذى اغتيل فى سنة ١٩٤٩ وضع برنامجا إيديولوجيا يستوحى مشروعيته من الاسلام وبنفس الوقت غير غافل لتناقضات الواقع المعاش ، وذلك لحل المشاكل القائمة ، ولكن هذا البرنامج وان استقطب كثيرا من الافراد من مختلف التيارات الاجتماعية ، لم ينجح فى الوصول الى هدفه الأسمى وهو حلم اقامة الدولة الاسلامية . وهو يرى ان ثورة ١٩٥٢ أتت لتحدث تغييرات جذرية فى الأسس الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع عن طريق تطوير القطاع العام وبرنامج الاصلاح الزراعى وفتح مجال التعليم امام المواطنين ،

ولكن هذه البرامج أصيبت بنكسة شديدة مع هزيمة ١٩٦٧ . وهذا كان أحد أسباب فشل اشتراكية الدولة بعد وفاة عبد الناصر فى سنة ١٩٧٠ ، مما ساعد بالنتيجة الفئة السياسية الحاكمة الجديدة على الابتعاد عن طموحات الناصرية ومشروعاتها المختلفة ، وخلق سياسات بديلة مرتبطة بالدرجة الأساسية بسياسة امريكا فى المنطقة ووجهة نظرها اقتصاديا . فى هذا الجو ، جو التغير الراديكالى فى مفهوم المجتمع لنفسه ولمستقبله ، والابتعاد عن الناصرية ، ظهرت الحركات الاسلامية فى السبعينيات . أولا ، كرد فعل ضد الناصرية التى كبحتها فى الخمسينيات والستينيات . وثانيا ، كانعكاس لواقع جديد ملء بالقلق والترقبات تحدث فيه تحولات جذرية فى جميع المجالات . هذا الجو أدى الى تفاقم حدة المأساة للجماعات الاسلامية اذ أن البعض منها وجد ان العنف هو الرد الوحيد على المتغيرات السريعة وغير المتوقعة فى المجتمع المصرى ، مع أن السلطة السياسية الحاكمة نجحت بتحييد وحتى استغلال بعض الحركات الاسلامية لصالحها بشكل مباشر أو غير مباشر لعدم وضوح الرؤية الايديولوجية لهذه الحركات ، الا أنه من الواضح كما يبين الكاتب ان ظهور هذه الحركات يعكس خللا وفجوات واسعة فى البناء الاجتماعى والاقتصادى والوجهة العامة للمجتمع .

كتاب الشهر

الماركسية والعرب

يقول الكاتب ان الماركسية التقليدية فشلت في الوطن العربي ويفسر هذا « الفشل » بقوله انها حاولت القضاء على المشاكل الاقتصادية ومشاكل الأمية والفقر (نظريا على الأقل) الا أنها فشلت كأيديولوجية علمانية غربية وليدة تناقضات المجتمع الرأسمالي خلال الثورة الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ان هذه الايديولوجية لاتمثل الثقافة التقليدية لمختلف فئات المجتمع العربي والمعتمدة على الاسلام بالدرجة الأساسية . فالأيديولوجية الماركسية تتكلم باصطلاحات التناقض الطبقي ، المادية الديالكتيكية ، ووحدة الطبقة العاملة وهي اصطلاحات بقيت أسيرة تفكير فئة قليلة نسبيا من المثقفين العرب المعزولين عن المفاهيم العامة للجماهير الشعبية . وهو يرى ان عدم عرض الماركسية بشكل يليق بالمجتمع العربي وبتراثه وخصائصه أدى الى فشلها كما يقول الكاتب .

وفيما يتعلق بالمواجهة الثقافية مع الغرب ، أبدى الغرب اهتماما اقتصاديا وعسكريا بالوطن العربي منذ قرون عديدة وذلك لموقع الوطن العربي الاستراتيجي ولغناه بالمواد الطبيعية . وقد أتى علم الاستشراق ليلعب دورا خطيرا كالسلاح العقلي والثقافي الذي يشهره الغرب في وجه الاسلام عن طريق درس الاسلام وحضارته بطريقة غربية تساعد على تمرير مصالح الغرب في المنطقة . اضافة الى ذلك فان الغرب قد عمل جاهدا على خلق طبقة مثقفة عربية تنهل من الأفكار الغربية بما يخص مفاهيم الله والانسان والحضارة والمادة . ان هذا التحدي الثقافي الغربي للوطن العربي لم ينقطع حتى بعد فترة الانتهاء الفعلي للاستعمار المباشر . ففي مرحلة الاستعمار الجديد ظهرت الحركات الاسلامية تدعو الناس الى العودة الى مصادر الاسلام الرئيسية وإقامة الدولة الاسلامية ، وذلك للقضاء على الازدواج الثقافي الحاصل من هيمنة الغرب الثقافية المستمرة . ففي حين ان الحركات الاصلاحية الاسلامية في زمن الاستعمار المباشر اعتمدت على العقل كقوة رئيسية للقضاء على الخرافة والتأخر ، فان الاعتماد على القوة المسلحة والسياسية التنظيمية أصبح من أهم المقاييس في زمن الاستعمار الجديد .

ان التكامل الثقافي الذاتي للمسلمين والنموذج الاسلامي الماضي من اقامة دولة شاسعة الأطراف ، كل هذه الأفكار ساعدت الحركات الاسلامية على اكتشاف قوى داخلية ، وعلى التأكيد على هويتها الثقافية والتاريخية عن طريق التشديد على الأصالة للأمة الاسلامية . ان هذه الأفكار المستوحاة من ماض زاهر انعكست على واقع شديد التغير وغير مضمون في كثير من الأحيان . والنتيجة التي يخلص اليها القارىء من مقالة حنفي هي أنه مع ازدياد الصعوبات التي يواجهها المجتمع تزداد مثالية الحركات الاسلامية وابتعادها عن تقديم حل واقعي لمشاكل موجودة في المجتمع .

منطلق الدين والدولة

قليلا ما يهتم أبناء المشرق العربي بدراسة التيارات الفكرية والأدبية والاجتماعية في المغرب العربي .

ان هذه التيارات الفكرية المختلفة تعكس واقعا يغلب فيه التناقض اللغوي (العربية أم الفرنسية ؟) والثقافي (ثقافة الغرب أم ثقافة الاسلام ؟) بالرغم من ان السياسة الرسمية للحكومات الحالية هي تنشيط وتسريع عملية التعريب في جميع المجالات . ان هناك تناقضا آخر وهو بين الحركات الصوفية وأنظمة الحكم الجديدة التي أتت بعد القضاء على

الاستعمار الفرنسي ـ هذا التناقض هو موضوع دراسة المستشرق براون عن الطريقة الصوفية المدنية التي أسسها الشيخ محمد المدني ، أحد اتباع الشيخ الصوفي الجزائري المعروف احمد العلوي .

ان هذه الدراسة التي تحت ايدينا تحاول أن تتقصى الجذور الاجتماعية للطريقة المدنية ، الى جانب ايديولوجية هذه الطريقة وبرنامجها للعمل ، وهذا كله يتم في سياق الأحداث السياسية التي مرت بها تونس خلال فترة الحربين العالميتين حتى استقلالها عن فرنسا سنة ١٩٥٦ . وقد توصل الكاتب بالنتيجة الى أن معظم أتباع هذه الطريقة هم من الفلاحين وبعض الفئات الفقيرة في المدن ، والسبب في انضمام هؤلاء هو الضمان الاقتصادي الذي تكفله الطريقة لهم . ويقول الكاتب ان الطريقة المدنية خسرت كثيرا من المريدين أو الأعضاء بالمفهوم الاجتماعي بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ انه نشأت فرص عمل جديدة ، مما ساعد الكثيرين على تجربة حظهم المادي خارج اطار الطريقة .

ولكن الصدمة السياسية والاجتماعية الكبرى التي واجهتها الطريقة كانت بعد الاستقلال في سنة ١٩٥٦ حيث ان حزب الدستور الجديد الذي أتى الى الحكم قد اتهم شيخ الطريقة المدنية بالتعامل مع سلطات الاحتلال الفرنسي مما أدى الى اضعاف وليس اماتة الطريقة امام أعين الناس .

وأحد الاستنتاجات الرئيسية لهذا المقال هو أن الصراع بين الدولة الحديثة الذي عقب مرحلة ما بعد الاستعمار هو صراع بين منطلقين مختلفين : منطلق يرى ان تونس يجب ان تكون دولة علمانية وليبرالية غير مرتبطة بالشريعة الاسلامية ، ومنطلق آخر يؤكد الجذور الاسلامية للدولة والمجتمع ، ومن هنا فان اشكال هذا الصراع قد أخذت طابعا آخر في بداية السبعينيات مع حركة بعث الصوفية والمجموعات الاسلامية الأخرى على الساحة التونسية .

ان هذا الصراع هو ظاهرة اجتماعية بالدرجة الرئيسية حسب رأي الكاتب ، انه صراع حول الهوية الثقافية للمجتمع عن طريق تجديد الأصالة ، اى الاسلام الثقافي بدل التعريب والتبعية الثقافية ، ومن ناحية اخرى فإن هذا صراع حول مشكلة العدالة الاجتماعية والفوارق المادية الموجودة في المجتمع .

ومن خلال قطبي هذا الصراع نرى ان مايسمى بعملية « الاحياء الاسلامي » قد اتخذت أشكالا ليس فقط سياسية وعسكرية ، بل ثقافية واجتماعية ايضاً ، كما يبين براون في مقاله .

الدين والسياسة في لبنان

يتحدث مقال ماريون وبيتر سلوجلت بشكل تفصيلي عن حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) ، كحركة ايديولوجية وعسكرية في لبنان ، والتي تنطلق من مبادىء غير دينية في تعاملها مع الأحداث ، وهذا المقال يوضح لنا التشابك الكثيف في العلاقات الاجتماعية والسياسية والفكرية في لبنان المعاصر ، وهدم التوازن الحاصل بين هذا التشابك . يتحدث الكاتبان عن انبثاق حركة (المرابطين) في أواخر الخمسينيات ، وذلك في اطار تنامي الناصرية في الوطن العربي ودعوتها الى « الوحدة العربية » ، وقد انبثقت هذه الحركة كحركة سياسية معارضة للوضع السياسي القائم بالاعتماد على القومية العربية . ان الأسس الايديولوجية لهذه الحركة تعتمد على الوحدة والحرية والاشتراكية ، والاحترام العظيم لمبادىء وشخصية عبد الناصر . ولكن مع هذا الاحترام ، فان الحركة لم تقم بأي تحليل عميق لفترة الناصرية في مصر والصعوبات والأخطاء التي وقعت بها الناصرية وحركة الناصريين في لبنان مع انها تشترك مع الحركات العلمانية الأخرى في المجتمع في فكرة فصل الدين عن السياسة فانهم يختلفون مع الحزب الشيوعي مثلا في أنهم لا يؤمنون بالصراع الطبقي او بالقضاء على الملكية الخاصة في المجتمع ، شرط ألا تستخدم هذه الملكية الخاصة لأغراض استغلال الآخرين .

أما بالنسبة للموقف من الدين فان (المرابطين) كما بينا لاينطلقون من مفاهيم دينية بل قومية . وبالرغم من ذلك ، فالحركة تعتبر الاسلام جزءاً اساسياً من الثقافة العربية والوطنية، وان الاسلام كبعد ديني لايتعارض مع البعد القومي . هذان البعدان يربطان مختلف ابناء الشعب من ناحية اللغة والثقافة والتاريخ والتراث المشترك والمصالح المشتركة ، بالرغم من ان هذه الحركة تقوم على فصل الدين عن الدولة الا أنها

كتاب الشهر

توظف الدين توظيفا سياسيا واجتماعيا لكي تحصل على أكبر عدد من المؤيدين .

ان هذا التناقض بين المفهوم من ناحية والمنطلق العملي من ناحية أخرى يعكس الصعوبات وحتى التناقضات التي تقع فيها الحركات العلمانية العربية من ليبرالية وقومية واشتراكية تجاه الدين . وهذا يؤدي بنا الى الحديث عن اشكالية الدين في الوطن العربي .

اذ أن هذه الاشكالية ليست على مستوى الفكر فقط بل على مستوى التعامل ايضاً ، فهناك بعض المجموعات والمثقفين الذين يرفضون ان يكون الدين اساسا ثقافيا وتراثيا لعلاقات اجتماعية وسياسية قائمة ، وهناك آخرون ممن يرون ان المجتمع الاسلامي كله جاهلية واننا نعيش في جاهلية القرن العشرين .

ان اشكالية الدين تنتظر كتابات نظرية صائبة من كل المثقفين العرب في مختلف تخصصاتهم الاكاديمية والفكرية ، وذلك لكي لا يكون هناك تناقض بين المفهوم والمنطلق العملي ، أو بين ما يجب ان يكون وبين ما هو قائم بالفعل . صحيح ان الكتابات النظرية القريبة في كثير من المجالات الفكرية مازالت غير متقدمة الا ان هذا هو التحدي الذي يواجه الانسان العربي المعاصر . انه تحدٍّ حضاري وانساني في الدرجة الاولى . انه تحدي الابتعاد عن اللاعقلانية في السياسة والفكر والثقافة والدين ، والاقتراب الى معاملة الواقع بكل تعقيداته بفكر متأنٍ ونظر ثاقب وكفاح متواصل ومرونة لا تعرف التعصب الديني أو الشطط العاطفي . هذا كله يجب ان يتم في اطار التعامل مع الحاجات الاجتماعية والمادية والثقافية والاخلاقية لمجتمع عربي لا يعيش « فوق التاريخ أو تحته » بل مع التاريخ قدما نحو حاضر مبدع ومستقبل زاهر . □

درع للامام علي

● روى أن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد أثناء خلافته درعا كانت بحوزته وذلك عند منصرفه من صفين فالتقطها رجل من اليهود ، وذات يوم وجد الامام علي ، درعه مع اليهودي فرفع أمره الى القاضي شريح ولم تكن مع الامام علي بينة ولم يكن معه شاهد الا ابنه الحسن رضي الله عنه فقال القاضي : أنا أعلم انك صادق يا أمير المؤمنين ولكن لا بينة عندك . ولا تصلح شهادة ابنك لك ، واليهودي واضع يده على الدرع . ثم أن القاضي حكم لليهودي عملا بظاهر الأمر ، فامتثل الامام علي رضي الله عنه لحكم القاضي وخرج . فقال اليهودي : « أشهد أن هذا من أخلاق الأنبياء ، وأن هذا الدين دين الحق ، وان هذا الدرع درع علي ثم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » .

جزء من حلم

وعلامات التحديث الأدبي في الجزيرة

بقلم الدكتور
عبد العزيز المقالح

سيتذكر عرب الجزيرة والخليج عقد الستينيات طويلا . وستتحدث عنه الأجيال القادمة كثيراً وباعجاب ، لانه كان عقدا غنيا ومليئا بالمفاجآت التي تقود الى التغيير،وتدفع بقوة وبعنف احيانا الى تجاوز معضلات التخلف والخروج من دائرة الاحتضار الرملي .

قد يكون الفضل فيما حدث في عقد الستينيات راجعا في الاساس الى عقد الخمسينيات السابق له في التأثير ، فالتطورات ـ لاتحدث فجأة ولا تكون وليدة لحظات الميلاد ، اذ لابد لها من مقدمات وارهاصات،لكننا بالرغم من ذلك سنتذكر عقد الستينيات من هذا القرن ونختصه بالاهتمام،لانه شهد سنوات الميلاد الحقيقي للجزيرة والخليج،ولانه رأى انسان هذه المنطقة يخرج من الصمت ويبدأ الكتابة ، فالكتابة حالة جوهرية وتعبير بالممارسة عن الميلاد الجديد .

ولأن الحديث هنا سوف يقتصر على الاشارة الى تطور اساليب واشكال الكتابة الادبية بفضل المعطيات الستينية،فاننا لاينبغى ان نهمل الاصوات الادبية الرائدة التي اسهمت في تمهيد طريق التجربة الجديدة وفي فتح النوافذ للروافد الاولى . صحيح انها لم تبلور ملامح التجربة،وان انفعالها المندهش بالجديد قد كان في معظمه تعبيرا عن الاستجابة اللغوية،ولم يكن فيه نصيب يذكر من التعبير عن حركة الواقع وتناقضاته ، الا ان تلك الاصوات اثبتت من خلال تعاملها مع الاشكال الادبية التقليدية خطورة الاعجاب العاطفي وغير الواعى بالتراث ، وان ذلك الاعجاب الخطر لايساعد هذا التراث على البقاء والتجدد ، وانما يعمل على استهلاكه وافراغه من محتواه،وتحويله الى قوالب جامدة تعوق رحلة التطور،وتمنع الانفتاح على العصر والواقع والمستقبل .

الحكم بكتابة جديدة

فى بداية الستينيات كان كل شيء في الجزيرة

والخليج ـ باستثناء اصوات الرواد ـ يبدو صامتا ، ربما لان الانسان في هذا المكان القديم كان قد مل الحديث عن المألوف والمكرور ، مل اللغة التقليدية والمفاهيم السائدة،وبدأت ملامح وعي ادبي تتشكل وتحلم بكتابة جديدة بصياغات مبتكرة .

واتوقف هنا لكي اثبت مرة اخرى ان ذلك الذى كان يحدث لم يكن يعني الخروج على الاصول والتنكر للتراث،او الانسلاخ عن كل الماضي بمنابعه الأصولية . كانت المتغيرات المتلاحقة تقود المواهب المبدعة ، نحو مرحلة جديدة من الابداع ، تتلاءم مع العلاقات الجديدة التي طرحتها اساليب الحياة .

ان الأطر الاجتماعية التي كانت قائمة فى النصف الاول من هذا القرن تتغير ، ان لم نقل انها تنهار ، والاساليب الادبية والفنية التى كانت سائدة في ظل امتداد مواصفات القديم وتأثيره قد تغيرت . ابناء الجزيرة والخليج يتواصلون بالعالم،وتنتشر بعثاتهم التعليمية على مستوى الكرة الأرضية ، ظروف حياتهم الجديدة تقتضى أن يكونوا أكثر صدقا وتلاؤما مع العصر ، والصراع الدائر بين ظواهر القديم والجديد لم يكن متكافئا ، والعبرة دائما وابدا بالجوهر، وبالقيم النبيلة التي تحدد علاقة الانسان بالانسان وعلاقته بالعالم وبالكون الكبير .

جزء من حلم الجزيرة :

تجيء رواية « جزء من الحلم » للكاتب المعروف عبد الله عبد الرحمن الجفرى بعد مجموعاته القصصية الثلاث « حياة جائعة » « والجدار الأخر » ، « والظمأ » تجيء هذه الرواية مع الثمانينيات لكي تثير كثيرا من التساؤلات عن الوضع الادبي في الجزيرة بعد ربع قرن من المخاض العسير ، وتظل الرواية وحدها بين ـ الأشكال الأدبية ـ الأقدر على إثارة التساؤلات ، وذلك لأن النتاج الروائى في الجزيرة ـ شمالا وجنوبا وخليجا ـ مايزال ضئيلا اذا ما قورن ببقية الاشكال الادبية،وفي مقدمتها الشعر بما له في هذا المكان من جذور وتقاليد راسخة .

ورواية « جزء من الحلم » هي في الظاهر قصة امرأة عربية تعيش مغتربة مع واقعها،بسبب ما طرأ على هذا الواقع من تغيرات ناتجة عن الصراع الحاد بين الاجيال ، وبين أبناء الجيل الواحد ، وبين الفرد ونفسه . وعبارة « في الظاهر » السابقة تشير الى ان الابعاد الداخلية للرواية توشك ان تجعل من المرأة الحالمة معادلاً رمزيا للجزيرة الحالمة ايضا ، والمثقلة بالعتيق والبالي من التقاليد والعادات . « ليلى » هو اسم البطلة،وهو اسم ذو نكهة تاريخية خاصة،لاسيما حينما يأتي من قلب الجزيرة محملا بقدر غير قليل من الايحاء . والجفرى لايريد لنا ان نتوقف عند سطح الاحداث التي عبرت عنها روايته ، ولا عند ليلى ، المرأة الفاشلة فى حياتها الزوجية والحالمة بالحب الذى لن يأتي ، وانما يريد لنا ان نرافقه في محاولته الجريئة الرامية الى رصد ملامح التحول فى بنية مجتمع الجزيرة الواقف على صراط التحولات،من خلال رصد الانهيار الذى يعاني منه المنزل العربي للطبقة الوسطى،بعد الانفتاح المفاجىء على الحياة الجديدة بكل حسناتها ومساوئها ،وبكل وضوحها وتعقيداتها ، وهو بذلك يفتح عالم الحريم برفق ، ويرتاده بذكاء،ويكون دليله ودليلنا في نفس الوقت الى ذلك العالم العجيب الذى كان الى وقت قريب سرا مغلقا ، يكون الدليل اليه « ليلى » المرأة الضحية التي حاولت ان تتمرد على التقاليد،وان تحتج على الاهمال المذهل الذى تعاني منه المرأة،بعد ان عرفت السفر الى الخارج،ورأت بعينيها كيف تعيش الزوجات مع ازواجهن ، ورأت كيف يضطر زوجها الى ان يتركها في المطعم او الملهى مع اصدقائه وزوجاتهم ومع آخرين لازوجات لهم، ويذهب الى مكان آخر لكي يعقد صفقة تجارية،غير مدرك للنهاية المؤلمة التي ستترتب على هذا الموقف ، وفي الوقت ذاته غير قادر على ان يتخلى عن شعوره بالسيطرة والتحكم،وغير قادر ايضا على تصور علاقة انسانية بين الزوجين،او ايجاد معنى للرابطة الزوجية غير رابطة التبعية والتملك .

عاطفة حسب الطلب

ان « حسين » وهذا اسم الزوج المنكود،يجد نفسه بحكم العادة مضطرا الى الزواج من ابنة عمه الغنية الجميلة .«كان قادراً على صنع كل شيء»الا ان يكون زوجا . وكانت عاطفته ـ على حد تعبير ليلى ـ رهن العرض والطلب . . يضعها في ثلاجة متى اراد

ويخرجها متى احتاج الى استخدامها » وهذا التعبير يوحي بانه كان تاجرا ناجحا«وان نجاحه في هذا المجال قد انساه كل المعاني الاخرى«وأفقده منذ الشهور الاولى صفة الزوج (ولكن حياتنا معا استمرت بطيئة مملة . . حتى انتهى عام كامل على هذا الرباط . كنت خلاله اقنع نفسي واصبرها ، واعدها بالمستقبل . ذلك ان صناعة التفاهم تأخذ وقتا ، ثم لم اعد احتمل . فحاولت ان « اتعود » عليه ، فلا بأس اذا وصلت به في نفسي الى قناعة التعود لحظتها ساكون مشغولة بأمومتي للطفل او الطفلة . .

وحتى هذه الامنية لم أنلها«دفعته كثيرا ان يذهب الى الطبيب ليعالج نفسه ، وكان يكذب علي عندما يدعي ذهابه وينكر الطبيب ذلك .

ومر عام آخر دون ان احظى بنعمة التعود«صرت لا اطيقه . . . ان السبب هام ، وهو انه كان يبتعد عني بروحه وحتى بجسده . . كنت اشعر انني وحيدة ، وان عالمه تحت الارض . . لايرى السماء ولا النجوم ولا القمر ولا الهواء . . كان يختنق باهتماماته الخاصة .

كم حاولت الاستنجاد به . . كم سألته ، بل ورجوته ان يكون قريبا اكثر ! سألته ان يحميني من نفسي . . فلم أكن أطالب بأكثر من حقي . . حقي من الرعاية والاهتمام .

ـ هل تحبني ياحسين ؟!

كنت أسأله صادقة وضائعة ، فكان يجيبني بابتسامة باردة :

ـ انني أحبك . . الست زوجتي ؟!

ـ وارد عليه : اريدك ان تحبني اكثر . . ليس لانني زوجتك فقط ، بل لانني الانثى التي ترتاح بجانبها وتعطيك وترويك وتملأ حياتك !

ـ ويسخر من كلماتي قائلا : لاافهم . . انت انسانة شاعرية !

وتحملت كل شيء . . حتى عجزه تحملته ايضا ، وتصور حياة امرأة مع رجل عاجز !

تحملت ثوراته بعد كل مرة يفشل فيها ان يكون رجلا . تحملت ماكنت اشعر به كأنثى من قرف ومهانة .

لم اكن اريد غير أن يحبني لا احبه . .

ماكنت اريد غير حبه لي واهتمامه وحنانه . تمنيت ان يغار علي . ان يسمعني كلمة حلوة ، دون ان يكون هناك مايريده بعدها !)

هل استطاعت المرأة ان تضع من الحيثيات في دفاعها عن نفسها مايبرر لها الانفصال عن الزوج الذى لايملك من الآدمية سوى ثروته ؟ هل الشاعرية عيب فى المرأة ؟ هي لم تتمرد لكونها محرومة ، ولا لكونها مملوكة ، ولكنها تمردت لكونها مهملة ، مجرد جزء من ديكور منزل التاجر الغني . . وكان من المنطقي ان تعود الى بيت ابيها ، ان تخلع نفسها من ذلك الخواء القاتل . كانت ترغب في الانفصال النهائى ، وكان الزوج يرغب في ان تظل الزوجة بالاسم حتى ان عاشت بعيدة عنه ، ربما كان يريد بذلك ان يوهم نفسه بانه رجل ومتزوج كبقية الرجال . وطال الانفصال بين الزوجين عشرين عاما قبل ان تشترى المرأة نفسها من زوجها بنصف مليون ريال . وطوال العشرين عاما عرفت الزوجة عددا من الرجال منهم « نزار » الذى عوضها عن الهزيمة واعطته بحب ، الى ان عرفت « عادل » بطل الاحلام والفجر الجديد الذى يختلف عن كل النهارات والشروق ، وعادل هذا هو الحاضر الغائب في الرواية ، هو « جودو الذى يأتي ولا يأتي » على حد تعبير بطلة الرواية . وهو الذى تبثه اشجانها واحلامها وتروى له قصة حياتها منذ كانت طفلة الى ان التقت كما به تقول « رؤ ية » وتجدد اللقاء هنا في خيالي وتصوري ، كتبت لك ، لاكتب عنك » . وهذا هو السطر الاول في الفصل الاول من الرواية .

البناء الروائي

لن يلمس القارىء التقليدي براعة البناء الفني والقدرة التكنيكية المتقدمة في هذه الرواية«وذلك لسبب واحده«هو انه قارىء تقليدى يريد ان يقرأ الاحداث كما اعتاد متسلسلة ، وان يمتلك زمامها من الفصل الاول أو من الصفحة الاولى . في « جزء من حلم » خروج شبه تام على البناء التقليدى لفن الرواية ، وفيها كثير من عناصر التكنيك الجديد ، التداعى ، الاسترجاع « فلاش باك » ـ التضمين والاتكاء (مقطع من شعر امل دنقل وآخر من اغنية لاحمد رامى) . الفصل الاول يكاد يكون الفصل قبل الاخير في الترتيب الزمني للحدث الروائي القائم على

منطق تسلسل الأحداث ، وتبدأ الرواية وفقا للترتيب التقليدى من الفصل الثالث (هل ابدأ حكايتي من بوابة بيتنا الكبير ، عندما كنت طفلة . . ام ابدأها من بوابة جناحي المحدود في بيت أهل زوجي ، عندما كنت في ثمالة طفولتي ؟!

كلتا البوابتين . . كانت ذات تأثير في حياتي ، ربما حتى الآن . لكن بوابة بيتنا الكبير ـ كانت تعني « جدى » رحمه الله . جدى كان اسمه الحاج عبد الغفار الحامد » . . طويل ، عريض ، مهاب شيخ وقور يحفظ القرآن الكريم ، ويلجأ اليه الكثير لحل مشاكلهم والتوفيق بين المتخاصمين ، ولديه متجر كبير . .)

في الفصل الاول كما في الفصل الثاني يعثر القارىء على امرأة فاشلة تعاني من الاحباط ، امرأة فشلت في التجربة الاولى فطاردتها آثار الفشل في محاولاتها المتعاقبة ، لاذت بالخيال ، بالشعر ، بالحلم . ولم يضن عليها الخيال فقد أمدها بحبيب في الحلم كان وسيلتها للهروب من عذابات عاشتها سنوات طويلة !! ، وما اكثر التعساء في الحياة الذين يجردون من احلامهم أو من اوهامهم ادوارا يعيشون بها في اعماق ذواتهم ويجدون فيها تعويضا عن كل ما فاتهم ويفوتهم في الواقع . والشعوب التى تعيش في انتظار « المخلص » الموعود انما تحاول تسكين الاوجاع الراهنة باستقدام آمال المستقبل واستعراض وقائع الانتصارات المنتظرة .

مناجاة نفس

في الفصل الخامس من الرواية تعود بنا الاحداث الى اجواء الفصلين الاول والثاني ، الى الفرار من الاسلوب المباشر الى مستوى التداعيات ومطاردة الحلم ، الى تمويه عالم الواقع الذى شاده في ذهن القارىء الفصلان الثالث والرابع بما حفلا به من احاديث الجد والاب ومن وقائع الزواج الفاشل . لقد عادت البطلة الى نفسها تحاورها وتبدد بمناجاتها سحب الحيرة والضجر (اريد ان ارتاح ، واهدأ . . ان اغلق عيني واحلم . . احلم ! قلق فظيع . . حيرة مرة . .

انت يا أنا . . اين تكون يا حلمي الاخضر . . يا واحتي وملاذي . . اين انت ؟! ما عادت الاماني تعطى او تلوح . . ما عاد الخيال يجدى او يزرع الصبر والذكريات تزيد اشتعالا !)

في هذا الفصل كما في الاول والثاني ، يظهر الحبيب المجهول او بالاصح المتخيل ثم يختفى من خلال مناجاة النفس ومن مجال استرجاع الذكريات القائمة على الرؤية الذاتية والتصوير الباطنى لوقائع لم تحدث ولحوارات لم تتم ، كما هو الحال مع الحوار الطويل الذى نجتزىء فيما يلي الجزء الاخير منه :

(ـ حبيبي . . لا بد انك متعب جدا ، والذى لاقيته في عملك كان مرهقا لمشاعرك . . اعرفك انت حساس ، ولكن العالم مادى ، وشرس ايضا ، فلا بد ان تواجه الماديات والشراسة بصلابة وبذلك العناد الذى أعرفه فيك ، ولا تعاندني انا لوحدى « وبس » ؟!

ـ احس انني زهدت في كل شىء . . الاشياء الثمينة في الحياة انعدمت . . بيعت باثمان بخسة اللحظات الحميمة بين الناس اهدرت في الخلافات والمصالح .

ـ قاطعتك : حيلك ، حيلك ، انت تخطب والا « ايه » ؟!

ـ لا . . وحتى أريحك ، اقول لك باختصار : لقد استغنت المؤسسة عن خدماتي !

ـ فصلوك . . انت يفصلوك ، طيب « ليه » ، وكيف ؟ !

ـ وانا « مين » يعني . . لو كنت بيكاسو ، والا ارسطو . . صدقيني بالتعامل المادى الذى وصلنا اليه وبالمشاعر الاسمنتية التى غزت حياتنا . . كانوا فصلوا بيكاسو ، وطردوا ارسطو وبالوا على ارق شاعر .

ـ ارسطو يا حبيبي ارغموه ان يشرب السم !

ـ تعددت الاسباب . . والسم واحد !

ـ لكن العصر . . ما هو واحد ، العصر مختلف ، لا تستسلم .

ـ لو حدث هذا قبل عشر سنوات . . اما الآن فاشعر انني تقدمت عشرين عاما نحو الشيخوخة !

ـ لكنى ما عهدتك بهذه الروح !

ـ تقصدين الانخذال ؟ ! . . لا عليك . ساصب خلاصة تجربة العمر في ابداع انساني .

ـ اعرف قدراتك يا حبيبي . . ولكن لا تبتئس . اضربها على عينها !)

المتخيل والوظيفة الفنية

هذا الجزء من الحوار المتخيل لا يقف عند حدود وظيفته الفنية في البناء الروائي،وانما يوحي بالتأزم الاجتماعي الذى صار قدرا ملازما لحضارة العصر ، والذى يفرض نفسه حتى على أولئك الحالمين،ممن يكرهون مواجهة الواقع،ويفضلون معاقرته وهم في أوج الخيال . وكل الذين يضيقون بالزيف في مجتمعاتهم لا مناص لهم من الاصطدام به . وهذا الموقف المقتبس من أواخر الفصل الخامس يقودنا الى الفصل السادس والأخير في رواية«جزء من حلم »وهو الفصل الذى تنتهي به أحداث الفصلين الثالث والرابع ، وفيه يكشف الزوج العاجز عن صورة أخرى للخداع والانحلال،فهو يتزوج من فتاة في العشرين من عمرها«مكررا معها نفس الخطيئة ، وفي الوقت ذاته يساوم امرأته على الطلاق بعد ان تدفع له نصف مليون من الريالات ، لم تكن الزوجة المنكودة الحظ تملك كل هذا القدر من المال المطلوب ، لكنها لم تتردد في ان تبيع المنزل وتشترى حريتها بعد عشرين عاما من العبودية الضائعة بين السأم والاحلام وانتظار الذى يأتي ولا يأتي .

وبالرغم من التخلخل المقصود والمتعمد في الترتيب الزمنى ، فان المنطق الروائى يظل قائما، ويستطيع القارىء بعد أن يصل الى نهاية الرواية وربما قبل أن يصل الى النهاية أن يعيد في ذهنه ترتيب الوقائع، وان يفسر تعقيداتها السابقة بوضوح ، ولا اريد ان اظلم هذا العمل الفنى البديع فأدّعى ان صاحبه قد كتبه في البداية وفقا للتسلسل المنطقى،ثم اعاد توزيع فصوله على هذا النحو لكى يكسر حدة الرتابة والمنطقية التقليدية ، واجزم بأن تداعى الاحداث هو الذى صاغ هذا العمل الروائى واقام ترتيبه على النحو الذى ظهر به ، وحتى لو كان الكاتب قد عمد الى ترتيب بعض الفصول واجرى بعض التعديلات معه، فان ذلك لا ينتقص من قيمته الكبيرة ، فالعمل الفنى سواء كان قصيدة او قصة يخضع للتعديل والتطوير من قبل صاحبه،واحيانا من قبل ناقد فنان ممارس،كما هو الحال في المثال المشهور مع صاحب (الأرض الخراب) ت . س ـ اليوت ، ورفيقه باوند . فقد قام الاخير باصلاح وحذف بعض المقاطع في القصيدة، واعاد ترتيبها وفقا لرؤية فنية مغايرة للاصل قبل ان تظهر في صورتها الراهنة . هل اساء ذلك الى الشاعر الكبير او انتقص من شأن القصيدة التى اصبحت واحدة من معلقات العصر .

ملاحظة غير مهمة

قد يتساءل القارىء اذا كانت الملاحظة التى سترد في نهاية هذا المقال لا تهم ، فلماذا نوردها ؟ ! ونحن نقول له انها ملاحظة قد لاتهمه ولا تهم الروائي ولا الرواية ، ولكنها تهم المجتمع العربي في الجزيرة والخليج ، في هذه المنطقة المحظوظة التى تضج بالمؤثرات والامكانيات ، وحيث الطريق منها الى باريس ولندن وواشنطن اقصر منه الى ضاحية او واحة قريبة من المدينة . والملاحظة تأتي على شكل تساؤل صريح ، هو : لماذا يكون لنا في الغرب سلوك وفي الشرق سلوك ؟ لماذا لا تكون لنا معايير اخلاقية ثابتة تحمينا من الانفصام وتقينا اشكالية تعذيب الذات ؟ ! وهذا التساؤل يفسره الحوار التالي من الفصل الثانى في الرواية،حيث كانت ليلى واختها وصديقاتها يتجولن فى زواريب وازقة « الحي اللاتينى » في باريس فقالت احدى الصديقات :

(ـ ما رأيكن في الجلوس امام طاولة في المقهى ؟ !

ـ قالت اختى : هل جننت . . كيف نجلس في مقهى ؟ !

وقهقهت اصوات صديقاتى لهذا السؤال المتعجب ، وقالت واحدة منهن :

ـ لماذا . . هل نسيت اين نحن . . ام ما زلت تقصدين اننا في شارع عربي ، او في حي شعبي هناك ؟ ! نحن في باريس !

ـ قلت بلا تركيز : ولكننا لم نتعود . . صحيح ، لو رآنا احد من بلدنا على الاقل ؟ !

ـ قالت واحدة منهن : هكذا نحن كالنعامة . . هناك رجال ، وهنا رجال .

ـ قلت : ولكنه الالتزام بآداب ربينا عليها !

ـ قالت : يا شيخة . . يا عقد ! . . تعالوا بس نجلس ونتفرج . . والعالم صندوق يا عالم .) □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / الطب عند العرب .
المؤلف / حنيفة الخطيب .
دار النشر / الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت .
عدد الصفحات / ٣٧٥ من القطع الكبير .

يعرض هذا الكتاب للحالة التي كان عليها الطب عند العرب في عصر النهضة العباسي ، وبالتحديد في منطقة المشرق العربي ، لأن تناول موضوع « الطب عند العرب عموماً موضوع واسع ومتشعب ، تقصر عنه دراسة مثل هذه » . كما يقول المؤلف .

ويتناول الكاتب من خلال العرض والتتبّع التاريخي والمقارنات ، عدة قضايا مهمة ، تجمع التناول الاكاديمي والكتابة التعريفية ، ويضيء جوانب مهمة من جوانب الحياة الطبية عند العرب ، مثل المؤسسات الطبية ، والمؤتمرات الطبية ، والطب الوقائي ، والبيمارستانات العامة والمتنقلة ، والصيدلة ، وغيرها من الجوانب المهمة في هذا المجال .

الكتاب/المسرح الاجتماعي ذو الدعوة السياسية .
المؤلف / د . محمد مبارك الصوري .
الناشر / المركز العربي للاعلام - الكويت .
عدد الصفحات / ٣٥٠ من القطع الكبير .

دراسة في مسرح الكاتب المسرحي المصري نعمان عاشور ، يلقي فيها الكاتب الضوء على سيرة نعمان عاشور المسرحية التي واكبت التغيرات الحاسمة والمهمة ، على الأصعدة الاجتماعية والسياسية والثقافية في مصر والوطن العربي ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى منتصف السبعينيات .

وبالاضافة الى الأهمية الفنية للجانب الاجتماعي في مسرحيات عاشور ، يلقي الكاتب ضوءا على بعد آخر هو البعد الأسري في مسرحه ، على أساس أن للأسرة ارتباطاتها وأبعادها السياسية .

الكتاب / صورة العربي في الأدب اليهودي ١٩١١ - ١٩٤٨ .
المؤلف / ريزا دومب .
ترجمة / عارف توفيق عطاري
الناشر / دار الجليل للنشر - عمان - الأردن .
عدد الصفحات / ١٦٣ من القطع الصغير .

كتاب جديد حول العلاقة بين العرب واليهود ، حين كان اليهود مستوطنين يحاولون اقامة دولتهم على « أرض الميعاد » بالنسبة لهم ، وبين السكان الأصليين ، الذين كان تخلفهم عن أولئك الأوروبيين الزاحفين اليهم جزءا من التخلف العام للعرب ، الذين احتل بلادهم الاتراك لمدة تزيد على أربعة قرون .

في هذا الكتاب تحاول المؤلفة أن ترسم صورة للعربي ، كما صورها « مثقفو اليهود » الذين ظنوا أنهم قادمون الى أرض بلا شعب ، « فدهش » بعضهم لانهم وجدوا شعباً آخر يعيش هناك . وقصة الصراع بين الشعب والقادمين من أوروبا محور هذا الكتاب المهم .

الكتاب / أطفال منتصف الليل - رواية من جزأين .
المؤلف / سلمان رشدي .
الناشر / وزارة الثقافة - دمشق - سوريا .
عدد الصفحات / ٩٧٠ من القطع الكبير

بعد الرواية الأميركية اللاتينية ، والرواية الافريقية ، اللتين أدهشتا الغرب ولفتتا عيون العالم الأدبي على لون جديد من الابداع ، يتجاوز في كثير من جوانبه ابداعات أوروبا ، جاء دور الشعوب الآسيوية كما يبدو .

أطفال منتصف الليل « هي الرواية المعلم التي جاءت لتبشر بميلاد رواية من طراز جديد ، كتبها سلمان رشدي الهندي الأصل ، الذي رحل بذاكرته وملامحه الآسيوية المميزة ، ليصوغ بلغة مستعمرية رواية من أفضل ماكتب بلغتهم . والرواية التي أحدثت ضجة في الأوساط الأدبية في انكلترا والعالم أقرب الى السيرة الذاتية لكاتبها ، الذي تنقل بين الهند وباكستان وانكلترا حيث يقيم الآن .

الكتاب / جمال عبدالناصر .
المؤلف / اجاريشيف .
ترجمة / د . سامي عمارة .
الناشر / دار التقدم - موسكو .
عدد الصفحات / ١٩٠ من القطع الكبير .

قصة حياة الزعيم العربي الخالد ، من خلال عيون سوفيتية ، تصوره شخصية فذة قادت نضال مصر والعرب نحو الاستقلال التام ، وسطرت تجربة رائدة في مجال التنمية المستقلة ، لبطل من أبطال حركة عدم الانحياز ، التي ظهرت في منتصف الخمسينيات من هذا القرن ، تعبيرا عن ظهور كتلة جبارة من البلدان التي تحررت حديثا من ربقة الاستعمار .

والكتاب مزيج من السيرة التي تتابع تفاصيل حياة الزعيم العربي الكبير ، وسجلا لانجازاته على الصعيدين الوطني والاجتماعي ، ودوره في ترسيخ الوعي القومي في الوجدان العربي .

الكتاب / من الشعر العربي .
المؤلف / ابراهيم العريض .
الناشر / وزارة الاعلام - البحرين .
عدد الصفحات / ٣٣١ من القطع الكبير .

الطبعة الثانية من مجموعة القصائد التي اختارها الشاعر ابراهيم العريض للشعراء العرب ، الذين رسموا مشهد الشعر العربي خلال النصف الأول من هذا القرن .

ومع أن غالبية القصائد التي ضمها الكتاب كلاسيكية ، الا أنها احتوت أيضا على القصائد التي تؤرخ لبدايات الشعر الحديث ، تلك التي قيلت في نهاية الاربعينيات .

الكتاب / علم نفس الكبار .
المؤلف / ليدفوردج بيسكوف .
ترجمة / عايف حبيب ودحام الكيال .
الناشر / مؤسسة الخليج للطباعة والنشر - الكويت
عدد الصفحات / ٦٨٠ من القطع الكبير .

شهدت السنوات العشر الماضية نضجا أكبر وتنظيما أدق ، لما يعرف « بعلم نفس نمو الكبار » وبدأت تضيء هذا العلم كتب أخرى في مجالات مختلفة ، من علم النفس ، وعلم نفس النمو ، وغيرها .

وهذا الكتاب المرجعي الذي ترجم باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، يجيب على أسئلة كثيرة حائرة ، تواجه العاملين في ميدان تعليم الكبار بالنسبة لحياة الكبير ، والعوامل النفسية التي تؤثر في حركة حياته ، وخصوصا تلك التي تؤثر على تلقيه التعليم .

وهذا الكتاب هو الأول من نوعه في المكتبة العربية .

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

البَعضُ وَالكُلّ وَالكُلّى

بعض الشيء هو الجزء منه ، صغيرا كان أو كبيرا ، اذا كان الشيء كمّا متصلا كالباب والمنزل والبساط والسوائل ، مثل : شربت بعض الماء ، ويشبه الكَمُّ المتصل ما كان من قبيل العواطف والانفعالات والمعاني ، مثل : هو يحب جاره بعض المحبة ، ويتألم من جرحه بعض الألم ، وقد يعبّر عن البعضية بالضعف ، أو القلّة أو الصّغر ، فيقال : حبّه لجاره ضعيف ، أو قليل أو صغير. ويقال بعض الشيء لقسمه الأصغر أو الأكبر ما دام لايستغرق الشيء كلّه . .

ولكن اذا كان الشيء كما منفصلا أو أعدادا أو أنواعا كالأقلام والأوراق والكتب أطلق الجزء على أي عدد منه قليلا كان أو كثيرا ، فهو يطلق على الأقل ، كما يطلق على الأكثر ما دام لايستغرق العدد كله ، فيقال : بعض أصابع اليد للاصبع والاصبعين حتى الأربع .

وبَعْضُ مصدر « بَعَضَ »مثل فتح فتْحا ، وربما كان البعوض قد سميّ بعوضا لأنه يأخذ جزءا مما يقف عليه فيعضّه ، وذلك يؤذي المعضوض إن كان حيّا .

ويستعمل « بَعْض » اسماً وإن كان في أصله مصدرا ، كما في قوله تعالى : « ولأُحِلّ لكم بعضَ الذي حُرِّمَ عليكم » . وقد يضعفّ الفعل « بَعَضَ » فيقال « بعّضَ الشيء » ، اي جزّأه ، ويجمع بَعْضُ على أبْعَاض بمعنى اجزاء أو أقسام .

« وبَعْضُ » ملازم للاضافة ، لفظا أو تقديرا كقوله تعالى : « الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض » ، وقوله : « واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقوله : « فاليوم لايملك بعضهم لبعض نفعا ولا ضرّا » وقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ويضاف « بَعْضُ » لفظا إلى كُلّه ، سواء كان كلُّه هذا متعددا ، كقوله تعالى : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه بالوتين » أو كان اسم جمع دالاّ على متعدد كقول بشار (وكان كفيفا) :

« ياقوم ، أذْنِي لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذْنُ تَعشق قبل العين أحيانا »

أو مفردا ذا أجزاء ، كقولنا : « قرأنا بعض الكتاب » ومنه قوله تعالى : « اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن إثم » ويضاف « بَعْض » إلى معرفة كالأمثلة السابقة ، وإلى نكرة ، كقوله تعالى : « قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم » ، وكقولنا : « اشترينا بعض كتب » ، ومثله قول أبي بن حمام المرى :

وسيّان عندي ان أموت ، وأن أَرَي

كبعض رجال يوطنون المخازيا »

ويجب تكرار « بعض » اذا كان هناك تفاعل بين الأقسام ، كقوله تعالى : « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون »،وكالشطر الأخير في قول الشاعر :

أبا منذر ، أسرفت فاستبق بعضنا
حنانيك بعضُ الشّرّ أهون من بعض

وكقولنا « يصافح الأصدقاء بعضهم بعضا » ولا يجوز أن نقول « يصافحون بعضهم »بمعنى بعض الأصدقاء ، لأن كل الشيء يتفاعل بعضه مع بعض .

« وبعض » مفرد مذكر لفظا ، ويجوز أن يراعى لفظه دون نظر إلى ما يضاف إليه ، كما يجوز أن يراعي المضاف اليه ، فنقول : بعض النباتات أخضر » ، أو « بعضها خضراء » أو « بعضها خُضْر » ، كما نقول « بعض النساء طبيبة ، أوبعضهن طبيبات » ، ونقول « بعض الشعراء عبقري »و« بعضهم عباقرة » ، وقد روعي لفظ بعض في قوله تعالى « ولو نزّلناه على بعض الأعجمين،فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين » ، وروعي المعنى الجمعي في قول عبدالله بن رواحة الأنصاري يخاطب النبي عليه السلام :

« ولو سالت ، أو استنصرت بعضَهُمُ
في جلّ أمرك ما آوَوْا ومانصروا »

وهل يُعَرفُ « بعض » بالألف واللام ؟ فيقال « البعض » ؟

نعم ، يقال « البعض » وكذلك مايقابلها وهو « الكل » ، وإن كان بعض مشاهير علمائنا ، ينكرون ذلك ، وفي مقدمتهم هنا الأصمعي ، قال بعضهم له : (« رأيت في كتاب ابن المقفع » « العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل » فأنكره أشد الانكار لأنها معرفة بغير ألف ولام ، وفي القرآن العزيز « وكل أتوه داخرين ») ، وتعلة الأصمعي هنا واهية ، لأن تعريف « كل » في الآية ونحوها ناشيء من شمول معناها ، وليست هي في ذاتها معرفة ، والتنكير في « بعض » أوضح .

ولا تعدو « كلّ » و « بَعْض » أن تكونا مثل « جميع » و « قسم » أو طائفة أو جزء ، وهذه تأتي معرّفة بال وتأتي نكرة ، فيقال « جميع » ،« والجميع » ، « وقسم » ، « والقسم » و « طائفة والطائفة » . . . ويروي « لسان العرب » عن الأزهري قوله : « النحويّون أجازوا الألف واللام في « بعض وكلّ » ، وان أباه الأصمعي » والحق أن النحاة لم يجموا على جواز ذلك ، ولكن كثيرا منهم بل اكثرهم يجيزونه ، وهذا يكفي ، ويؤيد جوازها أنها وردت مرتين في نص جاهلي للبرّاق ، هو قوله : (شعراء النصرانية ١ / ١٤٥) :

أمّا اياد فقد جاءت بها بدعا
فيما جنى البعض ، إنّ البعض راضيها

ثم لنفرض أن أحدا من النحاة لم يقل إن تعريف الكلمتين « بأل » جائز ، وأنها لم ترد في نص جاهلي ، أليس هناك مسوّغ لذلك ؟

إنّ قدماء المترجمين حول بداية العصر العباسي . حين اشتغلوا بالتفكير المجرد في قضايا الفلسفة والمنطق ـ اضطروا إلى استعمال « البعض » و « الكلّ » و « الكلي » و « الجزء » و « الجزئي » . ففي تقسيم الأشياء ميزوا « الكلّ » من « الكلي » ، فإن « الكل » حين يقسم لايجوز الاخبار بكل قسم منه عن الكل ، فاذا قسمنا الانسان إلى أعضائه لم يجز أن نقول : اليد إنسان ، أو الرأس إنسان ، أو البطن انسان » ، فهذا عندهم من تقسيم « الكل » الى أجزائه . ولكن إذا قسمنا جنس الانسان إلى أنواعه جاز أن نخبر بكل قسم عن المقسوم ، فنقول : الرجل إنسان ، والمرأة إنسان ، والطفل إنسان ، وكذلك ، العربي والفارسي والهندي . . . فكل منهم إنسان ، وهذا تقسيم الكلي إلى جزئياته . فالجزء في التقسيم عندهم يقابل الكل ، والجزئي يقابل الكلي . وقالوا : « الكل أكبر من الجزء » وقالوا : « الكليات والجزئيات » .

وشيوخنا اللغويون والنحويون قديما وحديثا قد أُعفوا من مضايق الكلام التي يعانيها الفلاسفة والمناطقة والأدباء والشعراء والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والرياضية وما إليها تأليفا أو ترجمة ، فليحمدوا الله أن أعفوا من الجهود في هذه المضايق ، وعليهم أن يعذروا ـ على الأقل ـ من يعانون الاضطرار الى الدخول فيها ، والتصرف خلالها ، ليؤدوا إلى الناس ما يفيدهم معرفةً ماداموا يتصرفون على وفق سنن العربية ، والله الموفق للخير .

□

شعر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

رثاء صديق

لأبي العَلاءِ المعَرّي

أبو العلاء المعرى مفكر وأديب وشاعر عبقري كبير ، وربما كان اقرب مفكرينا الى الفلسفة واشدهم ميلا اليها . كان واسع الاطلاع على علوم عصره واديانه ، الى جانب تعمقه فى علوم الاسلام والادب واللغة . وله عدة تواليف اكثرها مطبوع ، منها بضعة دواوين اشهرها سقط الزند و « اللزوميات » وله رسائل اشهرها وارفعها رسالة الغفران .

ولد فى مدينة المعرة فى الشام (سوريا) من اسرة علم وادب وقضاء ، ونشأ فيها ضريرا درس على اهله صبيا ، ثم تنقل شابا فى مدن الشام للدراسة على علمائها حتى صار من أعلامها ، ثم رحل الى بغداد ليزداد ثقافة ، ورجع وسنه نحو الاربعين الى منزله ، وحبس نفسه فيه قرابة اربعين سنة حتى وفاته سنة ٤٤٩ هـ ، ولهذا سمى نفسه « رهين المحبسين » : منزله وعماه .

والقصيدة التى اقتبسنا منها هذه الابيات طويلة ، قالها يرثى صديقا له (فقيها حنفيا) ، وهويتسع فيها ويمتد حتى كأنها مرثية للكون كله ، بجميع سماواته وافلاكه . ومثلها نادر فى الشعر العالمى .

غَـيرُ مُجْـدٍ فى مِـلتي واعِـتـقـادي ... نَـوحُ بـاكٍ ، ولا تَـرنُّـمُ شـادِ [١]

وشَبِيـهٌ صَوتُ الـنَعِيِّ اذا قِـيـ ... ـسَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادِ [٢]

أَبَـكَتْ تـلكُـمُ الحـمـامـةُ أم غـنـ ... ـنَتْ عـلى فَـرْعِ غُصنِها المَيّادِ ؟ [٣]

صاحِ ، هَـذِي قبورُنا تملأ الـرُّحْـ ... ـبَ ، فـأينَ القبورُ مِن عهْـدِ « عـادِ »

خَـفِّـفِ الـوطءَ ، مـا أظنُّ أديـمَ الـ ... أرضِ الاّ مـن هـذِه الأجسـادِ [٤]

وقَـبـيـحٌ بِـنـا ، وان قَـدُمَ الـعَـهْـ ... ـدُ ، هـوانُ الآبـاءِ والأجـداد

سِرْ ، إن اسْطَعْتَ في الهواءِ ، رويداً　　لا اختيالاً على رُفاتِ العباد (٥)

رُبَّ لحدٍ قد صار لحدًا ، مرارًا　　ضاحكٍ من تزاحم الأضداد (٦)

ودفين على بقايا دفين　　في طويل الأزمان والآبادِ

فاسألِ الفرقدَيْنِ عمَّن أحسَّا　　من قبيلٍ ، وآنسا مِن بلاد (٧)

كم أقاما على زوالِ نهارٍ　　وأنارا لمُدلِجٍ في سَواد (٨)

تعبٌ كلُّها الحياةُ ، فما أعـ　　ـجبُ الا من راغبٍ في ازدياد

إنَّ حُزْنًا في ساعة الموتِ أضعا　　فُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ

خُلقَ الناسُ للبقاء ، فضلَّتْ　　أمة يحسبونهم للنفادِ (٩)

إنما يُنقَلون من دارِ أعما　　لٍ الى دارِ شِقْوةٍ أو رَشادِ

ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الـ　　ـجسمُ فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد (١٠)

أسفٌ غيرُ نافع ، واجتهادُ　　لا يؤدِّى الى غَناءٍ اجتهادِ (١١)

زحلٌ أشرفُ الكواكب دارًا　　من لقاءِ الرَّدى علي مِيعاد

وَلِنارِ المرِّيخِ من حَدَثان الد　　هرِ مُطْفٍ ، وإن علَتْ في اتِّقاد (١٢)

والثُّريَّا رهينةٌ باجتماع الشَّمل حتى تُعَدُّ في الأفراد (١٣)

فاللبيبُ اللبيبُ من ليس يغترُّ　　بكونٍ مصيرُه للفساد (١٤)

---

(١) غير مجد : غير نافع . ترنم الشادى : تطريب المغنى

(٢) النعىّ ، والناعى : من يشهر وفاة ميت .

(٣) المياد : المهتز

٤) وطء الأرض : السير عليها . الأديم : الجلد ، أى سطح الارض مكون من جثث الموتى

(٥) الرفات : الحطام

(٦) اللحد : القبر . ضاحك : ساخر : أى يكون قبرا ثم يصير حقلا أو منزلا أو غير ذلك ثم يعود قبرا .

(٧ الفرقدان : نجمان متلازمان فى السماء . قبيل : جماعة

(٨) مدلج في سواد : سائر فى ظلام الليل

(٩) النفاد : الفناء

(١٠) السهاد : الأرق

(١١) اعتقد القدماء ان زحل أعلى الكواكب موضعا (من الارض) . وقد ظهر خطأ هذا الرأى ، حين كشفت بعده أخيرا ثلاثة كواكب . أورانوس ، ونبتون ، وبلوتو

(١٢) أى أن أحداث الزمان ستطفئ نار كوكب المريخ .

(١٣) الثريا : مجموعة نجوم كعنقود العنب ، وقوامها فى اجتماعها ، فاذا تفرقت صارت افرادا .

(١٤) اللبيب : العاقل .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٢٩
أبريل ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو يونيو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٩

(١) أمثال عربية مألوفة .. ولكنها منقوصة .. **فهل تستطيع ملء الفراغ ليستقيم المعنى والمبنى ..؟**

١ ـ كل ممنوع ....
٢ ـ كثرة .... تذهب الهيبة
٣ ـ قلب الأحمق في فيه و .... العاقل في لسانه

(٢) ألغاز

وأسود عار أنحل البرد جسمه
ومازال من أوصافه الحرص والمنع
وأعجب شيء كونه الدهر حارسا
وليس له عين وليس له سمع

فما الذي يقصده الشاعر .... الصاحب بهاء الدين زهير ؟

(٣) بناء غريب حقا .. **فهل تعرف ما هو ..؟**

ـ كنيسة حديثة بنوها مؤخرا في مدخل نيويورك .
ـ دار الاوبرا الحديثة في سدني بأستراليا .
ـ كابحات الفيضان وقد بنوها في لندن وعلى مياه نهر التيمز ، وذلك لحماية العاصمة البريطانية من فيضان النهر .





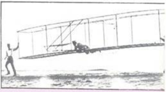
(٤) مسجد محبب الى قلوب المسلمين جميعا .. ولعله أشهر المساجد في العالم اطلاقا .. ومع ذلك فإن الكثيرين لا يعرفون اسمه بالضبط .. بل يخلطون بين اسمه واسم مسجد آخر غيره ، فما اسم هذا المسجد على وجه الدقة ..؟

(٥) يذكر التاريخ معركة واترلو ، وهي من المعارك الفاصلة التي وقعت بين نابليون وبين أعدائه الأوروبيين ، وقد ضموا البروسيين والروس والنمسويين والانكليز والهولنديين والبلجيكيين وسواهم .. وقد هزم نابليون في تلك المعركة .. وتنازل عن الحكم ، ونفاه أعداؤه الى منفاه الثاني «جزيرة سانت هيلانه» في جنوب الأطلسي ، فما هي مذبحة بيترلو ..؟
أين وقعت ؟ ومتى ..؟

(٦) تبلغ مريم من العمر ٢٤ عاما .. فكم يبلغ عمر اختها الصغيرة هناء ..؟

علما بأن عمر مريم بلغ ضعف عمر هناء في وقت مضى ، وذلك حين بلغ عمرها مثل عمر أختها الحالي ....

(٧) صورة تاريخية تعود بنا الى سنة ١٩٠٣ ، والى ١٧ ديسمبر منها بالذات ، فما الحدث التاريخي الذي تمثله هذه الصورة ..؟



(٨) ماهي نسبة الرصاص في أقلام الرصاص ..؟
- لا أثر للرصاص في أقلام الرصاص .. فالمادة السوداء التي بداخل القلم تسمى رصاصا وهي ليست برصاص .
- تبلغ نسبة الرصاص في أقلام الرصاص ٢٠ - ٣٠٪ ، هذا اذا أدخلنا الخشب قوام قلم الرصاص في حسابنا .
- تبلغ نسبة الرصاص في أقلام الرصاص ٩٠ - ٩٥٪ هذا اذا اسقطنا الخشب من حسابنا .

(٩) ما الفرق بالمعنى بين المَلغم والمُلغم ..؟

(١٠) جمهورية بشكير تبلغ مساحتها ٥٥,٤٣٠ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٤ ملايين نسمة .. أين تقع جمهورية بشكير ..؟ وماهو دين سكانها الأصليين البشاكير ...؟

(١١) من هي العجوز الشمطاء ...؟
- هي التي خالط بياض رأسها سواد .
- هي التي ابيض رأسها كله دونما سواد .
- هي المرأة المسنة القبيحة الثرثارة .

(١٢) أمثال سائرة على الألسن وقد تاهت معانيها
(١) آخر الدواء الكيّ .
(٢) اتكلنا منه على خصّ .
(٣) أجرد من صلعة .
ما المعنى المقصود .. وما المناسبة التي يضرب بها كل من الأمثال الثلاثة ..؟

حل مس

(١) ـ انه مسجد ترانكوبرا الشهير بمئذنته التاريخية ، ويوجد في مدينة ملقا أقدم المدن في ماليزيا
« عدد ابريل ص ١٠٥ . »

(٢) ـ تمثل مدينة هيروشيما بعد ٤٠ عاما من تدميرها بالقنبلة الذرية . .
« عدد سبتمبر صفحة ٦٩ »

(٣) ـ في دولة صباح في بورنيو ، والفتاة تقطف أوراق الشاى الخضراء .
« عدد نوفمبر صفحة ٨١ »

(٤) ـ انها طائرة تدريب وقتال في آن واحد اسمها (ألفاجيت) ويجرى صنعها في ج . م . ع .
« عدد يناير ١٩٨٥ صفحة ٣٧ »

(٥) ـ فندق تاج محل في مدينة بومباى الهندية .
« عدد اكتوبر صفحة ٧٦ »

(٦) ـ سد مارب .
« عدد يوليو صفحة ٤٥ »

(٧) ـ استاد مدينة تالين ، عاصمة جمهورية استونيا
« عدد ديسمبر صفحة ٧٢ »

(٨) ـ مسجد يقع في بروناى
« عدد يونية صفحة ٣٧ »

(٩) ـ شلّالات تل شهاب وتقع في جنوب سوريا على حدود الأردن .
« عدد مايو صفحة ٤٨ »

(١٠) ـ (ايكاردا) .
أو المركز الدولى للبحوث الزراعية في المناطق الجافة .
« عدد اكتوبر ١٥١ »

(١١) ـ انه فلاح ليبيّ .
« عدد مارس صفحة ٤٥ »

(١٢) ـ الحسناء من سيبريا .
« عدد فبراير صفحة ٤٥ »

مسابقة العدد ٣٢٦ يناير ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٦
يناير ١٩٨٦

الجائزة الأولى : السيدة دعاء بنت محمد كوجك / حماة ـ سوريا .
الجائزة الثانية : يس محمد جمعة قطب / الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثالثة : علي سعيد المنتصر / ممباسة ـ كينيا .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ فضل جبريل العطار / الطائف ـ المملكة العربية السعودية .
٢ ـ لمياء فارس / تطوان ـ المملكة المغربية
٣ ـ مسرور احمد محب الرحمن الاعظمى ـ الهند
٤ ـ نواف حسينةمعرفى / الشارع الشمالى الاول / الاحمدى ـ الكويت .
٥ ـ أنور يوسف محمد حماد / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية .
٦ ـ كوثر عبد الهادى البشير داؤود / عطبره ـ جمهورية السودان .
٧ ـ المعاون الاول محمد خريس / وزارة الدفاع الوطنى ـ لبنان .
٨ ـ فتحى الصادق محمد رجوبة / طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية .

معركة بلا سلاح

□ أعظم دور في التاريخ

في أدب الشطرنج أدوار خالدة لا تبلى جدتها على مر السنين ، و الدور التالي للاعب الفذ الكسندر أليخين (بطل العالم حتى وفاته عام ١٩٤٦) واحد من هذه الأدوار ، فهو يشتمل على مناورات رائعة تنتظم الرقعة بأكلها ، وتركيبات مذهلة تتوالى واحدة تلو الأخرى ، وتضحيات عجيبة بالوزراء تارة وبالأرخاخ تارة ، كما يشتمل أيضاً على ترقيتين بالبيادق وترقية ثالثة تلوح في الأفق قبل أن يرفع الأبيض راية الاستسلام .

	بوجوليو بوف (ابيض)	أليخين (اسود)
١.	د ٤	و هـ
٢.	جـ ٤	ح - و ٦
٣.	ز ٣	هـ ٦
٤.	ف - ز ٢	ف - ب ٤ +
٥.	ف - د ٢	ف × د ٢ +
٦.	ح × د ٢	ح - جـ ٦
٧.	ح (١) - و ٣	ث
٨.	ث	د ٦
٩.	و - ب ٣	م - حـ ٨
١٠.	و - جـ ٣	هـ ٥

لا يزال (هـ ٥) محميا حماية غير مباشرة

١١.	هـ ٣	أ ٥

لمنع ب ٢ من التقدم إلى ب ٤

١٢.	ب ٣	و - هـ ٨
١٣.	أ ٣	و - حـ ٥
١٤.	حـ ٤	ح - ز ٤
١٥.	ح - ز ٥	ف - د ٧
١٦.	و ٣	ح - و ٦
١٧.	و ٤	هـ ٤
١٨.	ر (و) - د ١	حـ ٦
١٩.	ح - حـ ٣	د ٥

لتعزيز الوسط قبل الشروع في هجومه

٢٠.	ح - و ١	ح - هـ ٧

استعدادا لاحتلال الوسط بالأفراس

٢١.	أ ٤	ح - جـ ٦

لاختراق خطوط الخصم عن طريق (ب ٤) ثم (د ٣)

٢٢.	ر - د ٢	ح - ب ٤
٢٣.	ف - حـ ١	و - هـ ٨

للسيطرة على الوسط مع التهديد بكسب أ ٤

٢٤.	ر - ز ٢	د × جـ ٤
٢٥.	ب × جـ ٤	ف × أ ٤
٢٦.	ح - و ٢	ف - د ٧
٢٧.	ح - د ٢	ب ٥
٢٨.	ح - د ١	ح - د ٣
٢٩.	ر × أ ٥	ب ٤

بداية خطة بديعة بأسلوب أليخين الباهر

٣٠.	ر × أ ٨	ب × جـ ٣
٣١.	ر × هـ ٨	جـ ٢

لا توجد قوة تحول دون ترقية البيدق الآن

٣٢. ر×و ٨ +	م ـ حـ ٧
٣٣. ح ـ و ٢	جـ ١ (و) +
٣٤. ح ـ و ١	ح ـ هـ ١

مهدداً بمات مخنوق من (و ٣)

٣٥. ر ـ حـ ٢	و×جـ ٤
٣٦. ر ـ ب ٨	لمنع (ف ـ ب ٥)
٣٦.	ف ـ ب ٥
٣٧. ر×ب ٥	و×ب ٥
٣٨. ز ٤	ح ـ و ٣+!

نقلة بديعة غير متوقعة

٣٩. ف×و ٣	هـ×و ٣
٤٠. ز×و ٥	و ـ هـ ٢ !!

مقيدا الأبيض تماما لتصبح جميع نقلاته خاسرة

٤١. د ٥	م ـ ز ٨
٤٢. حـ ٥	م ـ حـ ٧

اليخين ينتظر الى ان تنفد جميع نقلات الابيض

٤٣. هـ ٤	ح×هـ ٤
٤٤. ح×هـ ٤	و×هـ ٤
٤٥. د ٦	جـ×د ٦
٤٦. و ٦	الابيض لا يستطيع حماية بيادقه

و يرى من الأفضل أن يشتّت بها بيادق الخصم

٤٦.	ز×و ٦
٤٧. ر ـ د ٢	و ـ هـ ٢!

نهاية بديعة لدور باهر ! مضحياً بوزيره مقابل رخ وحصان تبسيطاً للدور

٤٨. ر×هـ ٢	و×هـ ٢
٤٩. م ـ و ٢	هـ×و ١ (و) +
٥٠ ـ م×و ١	ولا يلبث الأبيض أن

يستسلم قبل أن يرقّى الأسود وزيراً ثالثاً .

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٧)

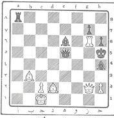
عن شهر يناير ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ جلاد اسماعيل ـ طولكرم / الأردن .
٢ ـ محمد الدوسري ـ البصرة / العراق .
٣ ـ أحمد أمين ـ الدوحة / قطر .
٤ ـ صلاح حَرَّاث ـ الوردية / تونس .
٥ ـ فاطمة سعيد ـ امبابة / القاهرة .

الفائزون باشتراك سنة أشهر :

١ ـ أنس الشباني ـ كازابلانكا / المغرب .
٢ ـ محمد عبد الله ـ العوالي / البحرين .
٣ ـ فرج القماطي ـ الخمس / ليبيا .
٤ ـ وليد عقدة ـ حماه / سوريا .
٥ ـ محمد فحله ـ الرياض / السعودية .



مسابقة العدد / مسألة (٤٠)

مات ٣

حل المسابقة (٣٨)
عدد فبراير

١ ـ ف×حـ ٧ +	م×حـ ٧	٤ ـ ر ـ ز ٨ +	م ـ حـ ٧
٢ ـ ر×و ٧ +	م ـ ز ٨	٥ ـ ر ـ حـ ٨ +	ر×حـ ٨
٣ ـ ر ـ ز ٧ +	م ـ حـ ٨	٦ ـ و ـ و ٧ كش مات	

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حول استطلاع :

« عباسيون في تركيا »

● كنتم قد نشرتم في العدد ٣٠٩ من مجلة العربي ، الصادر في اغسطس سنة ١٩٨٤ ، استطلاعا بعنوان : « عباسيون في تركيا » وبهذا الصدد ، نود أن نشير الى أن الاستطلاع المذكور كان مقصورا على منطقة واحدة ، مع أن التواجد العربي في تركيا كثير جدا ، وعلى سبيل المثال هناك في محافظة « ماردين » عشرات القرى العربية المعروفة هناك باسم « المحلمية » نسبة الى محلة مئة بيت من بني هلال ، هذا وسأذكر لكم بعض المناطق وأسماء القرى التي يتواجد فيها عرب أصليون مثل : حلدح ، كفر حوار ، نونب ، معسرتى ، شورصبح ، عنكاف .. الخ .

ونحن من ابناء محلة بني هلال الموجودين في سورية ، وبالتحديد في مدينة القامشلي ، ننتمي الى هذه القرى ، ومازال أجدادنا وبعض أقاربنا يوجدون هناك .

المرسلون :
خالد سيف الدين
جمال ابراهيم

الهلاليون من قرية حلدح العروبية الهلالية .

العربي

تحقيقا لرغبة الاخوة الذين كتبوا لنا الرسالة السابقة ، وارفقوا بها تعريفا بأصول بني هلال ، وكيف جاءوا الى هذه المناطق واستقروا فيها ، يسرنا أن نقدم هذه المعلومات المختارة مما كتبوه لنا في التعريف المرفق تعميما للفائدة :

« موطن بني هلال الأصلي هو الجزيرة العربية ، مما يلي الحجاز بنجد (في بسائط جبل غزوان عند الطائف) .

وقد رحل بنو هلال رحلتين مشهورتين في التاريخ : أولاهما للجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، مع القائد عقبة بن نافع ، على عهد الدولة الأموية .

والثانية في بداية القرن الخامس الهجري ، وأشهر من كانوا في هذه الرحلة الثانية الأمير حسن بن سرحان الملقب بأمير القبائل ، وسلامة بن رزق المشهور بأبي زيد الهلالي ، ودياب بن غانم الزغبي ، واستقر بهم المطاف في الجزيرة الفراتية ، ثم انتقل جزء منهم الى الشام في جبل بني هلال المشهور بهم ، والذي فيه قلعة صرخد المشهورة ، ثم انتقل جزء آخر الى جزيرة ابن عمر جنوب تركيا الحالية ، ثم غزوا ماردين وما حولها ، وتخلف منهم هناك مائة بيت لقبوا بعد تخلفهم فيها بالمحلمية ، وقد حافظوا على دينهم وأصالتهم العربية حتى الوقت الحاضر .

الموسوعة الفلسطينية

● قرات في عدد شهر نوفمبر من مجلة العربي مقالا شيقا ومفيدا جدا بعنوان « الموسوعة الفلسطينية » في باب « من المكتبة العربية » وقد شعرت من خلال قراءتي لهذا المقال ، بالحاجة الماسة الى اقتناء هذه الموسوعة .

ارجو تزويدي بكيفية الحصول على هذه الموسوعة ولكم جزيل الشكر .

يوسف محمد صقر
دولة الامارات العربية ـ أبوظبي

العربي

الناشر : دار لاستامبا بميلانو بايطاليا ، هذا ويمكن للقارىء الكريم ان يطلب الموسوعة من هيئة الموسوعة الفلسطينية بدمشق ـ ص . ب ٨٠٨٤

طقوس بيع وزير سابق

● قرأت لتوي مقالة « طقوس بيع وزير سابق » في مجلة العربي للدكتور محمد المنسي قنديل ،ولم أتمالك نفسي من الامساك بالقلم لأخط هذه الرسالة ، ولا أعتقد أنني في موقف يسمح لي بالحكم على المقال ، ولكني بالتأكيد من باب ابداء الرأي ـ أسمح لنفسي بأن أقول : بأن المقالة ممتازة . .

لقد درست شيئا من التاريخ حين كنت طالبا ، وقرأت العديد من القصص القصيرة ، وطالعت الكثير من الشعر العربي الحديث ، لكني ازاء هذه المقالة أجدني ازاء عمل يندمج فيه التاريخ بالقصة وبالشعر ، وكل ذلك بأسلوب عربي رصين ومباشر .

وقد جعلني هذه العمل أشتاق الى أعمال أخرى مماثلة ، يتعامل فيها الكاتب مع الكلمة بجدية ومسئولية ، واني لأمل أن يكون هذا المقال التحفة حافزا للكثيرين من الذين يتعاملون مع السرد التاريخي ، لكي يعوا مسئولية التوجه الى القارىء بأسلوب ذكي فيه جدة وتشويق .

أنطون حنا لطوف
مدرس بمركز اللغات بجامعة الكويت

حول مقال
« المسيحيون الصهاينة »

● طالعت المقال القيم المنشور في العربي ، العدد ٣٢٦ يناير « كانون الثاني » ١٩٨٦ ، عن المسيحيين الصهاينة ، ورأيت أن هناك بعض الغموض الذي يستدعي التوضيح ، لقد نجح كاتب المقال في ابراز اقدمية المشروع الصهيوني على مشروع مؤسس الصهيونية السياسية « هرتزل » فمنذ نابليون برز المشروع الى حيز الوجود وتبنته شخصيات سياسية أوروبية تظاهرت نفاقا بالغيرة الدينية ، « وهرتزل » هو نضوج الطبخة .

كما ان : « البروتستانتية » نشأت كحركة اصلاح داخل الكنيسة « الكاثوليكية » الا أنها اعتمدت المذهب الحر في التفسير ، دون التقيد بسنن الماضي ، فكانت شجرة مزروعة في الرياح ، هذا الانفصال عن الجذور أدى الى ظهور فرق بروتستانتينية متطرفة ، تفسر الكتاب المقدس على هواها ،وساعد هذا على اندساس اليهود فيما بينهم ، وتغلغل التفسير اليهودي في تفسير هذه الفرق ، ثم توافدت منهم الى بلادنا العربية تحت أسماء عديدة من أخطرهم شهود يهوه والسبتيون ، وفي سنة ١٩٧٥ أصدرت كتابا بعنوان

حوار القراء..

العربي
ص. ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

« يهوه أم يسوع » في ٢٥٦ صفحة يهدم قواعدهم ويبين نقطة الخطر في تعليم هذه الفرق ، وهي أنهم يساوون بين العهد القديم اليهودي والعهد الجديد المسيحي ، بينما نجد ان الأرثوذكس والكاثوليك وعقلاء البروتستانت يعتبرون العهد القديم توطئة للعهد الجديد ، وأن العهد الجديد أكثر رفعة ، وإنْ تناقض النصان كان نص العهد الجديد هو السائد ، وهو حجة مطلقة على كل ماينافضه في العهد القديم صراحة أو ضمنا .

هذا المبدأ يجعل كل وعود التوراة لليهود رمزية ، وأن عهد اليهود مع الله انتهى بمجيء المسيح ، وأن مجمعهم هو مجمع الشيطان (رومية ١١ : ٢٨ ورؤيا يوحنا ٢ : ٣,٩ : ٩) ، اسرائيل واليهودية العالمية صنعوا من هؤلاء المتهودين أبواقا والكنيستان الكاثوليكية والارثوذكسية توقنان بسقوط اسرائيل ، وتعرفان أن عودة اليهود ذات أهداف كبيرة منها :

١ ـ اعادة بنيان هيكل سليمان ،

٢ ـ يأتي المسيح اليه في ليلة عيد الفصح .

٣ ـ يقيم هذا المسيح الدجال مملكة يهودية عالمية ، ينتمي اليها المسيحيون والمسلمون كأتباع .

الأب اسبيزو جبور ـ
حمص

الكتابة للعربي الصغير

● أود أن أحيطكم علما بأنني من المهتمين بالكتابة للاطفال ، ولي تجارب كثيرة في هذا المجال ، وقد قرأت عن استعداداتكم لتطوير « العربي الصغير » لكي تصدر في شكل جديد مستقلة عن مجلة العربي ، المجلة الأم . . . انني على استعداد لتقديم العديد من الالوان الأدبية الموجهة للاطفال في مختلف الأعمار ، فهل لديكم أولويات محددة لما ينبغي ان يكتب للمجلة ، انني في انتظار ردكم لأوافيكم بما لدى من موضوعات واقتراحات في هذا المجال .

عماد زكي
عمان

العربي

حين تنشر هذه الرسالة تكون مجلة العربي الصغير في شكلها الجديد قد صدرت في أول فبراير سنة ١٩٨٦ ، ويمكنك أن تطلع عليها ، وتوافينا بموضوعاتك التي تنسجم مع توجهات المجلة في طورها الجديد ، وبما يعن لك من مقترحات أو آراء ، وسيكون ما ترسله موضع اهتمام المسئولين في المجلة ، لتنشر مايقره مجلس التحرير من موضوعات ، وبحث ماتقدمه من آراء ومقترحات .

الطريق الى العمل في السلك الدبلوماسي

● ما الكلية أو المعهد الذي يلتحق به الطالب بعد الحصول على الثانوية العامة ـ الفرع الأدبي ، لكي تتاح له فرصة العمل بالسلك الدبلوماسي ، أرجو الاجابة عن هذا السؤال مع التوضيح في باب حوار القراء .

خالد حواس ـ سوريا

العربي

لعل كلية الاقتصاد والعلوم السياسية هي أكثر الكليات مناسبة للتأهيل للعمل في السلك

الدبلوماسي ، ولكن تجدر الاشارة هنا الى أنه من المعتاد أن يتم اختيار العاملين في السلك الدبلوماسي من الجامعيين بعد اجتيازهم لاختبارات خاصة ، للتأكد من توفر المهارات والقدرات والمعلومات اللازمة لمن يعمل في السلك الدبلوماسي ، فالشهادة الجامعية وحدها لاتكفي للعمل في السلك الدبلوماسي بل هى شرط للتقدم لمثل هذه الاختبارات

« كيف تتعامل الأسرة والمجتمع مع الطفل المعاق ؟ »

○ انني أتمنى أن تعني مجلة العربي بنشر المقالات الطبية عن الاطفال المصابين بالشلل الدماغي ، الذي يعاني منه عدد ليس بالقليل في الوطن العربي

وأن تعني كذلك بنشر التوجيهات اللازمة عن كيفية تعامل الأسرة والمجتمع مع هؤلاء الاطفال المعاقين ، بما يمنحهم فرصة العيش الكريم مثل غيرهم من الأطفال الأسوياء .

ثم تستطرد الرسالة في توضيح كيفية تقبل الأهل لطفلهم المعوق فتقول :

ان طريقة تقبل الأهل للطفل مهمة جداً ليس فقط من أجل الطفل وانما من أجل العائلة كلها ، فلايجب أن يشعر الأبوان في أعماقهما بأنهما يتحملان شيئا من الذنب تجاه اعاقة طفلهما ، ومن واجب الأطباء أن يوضحوا للأهل أن حالة الطفل المعاق ليست سوى حادثة من حوادث الطبيعة ، لاذنب للأهل بشأنها ، وان أصبح من واجبهم بعدها أن يتقبلوا أطفالهم كما هم ، وأن ينسوا كل مايفتقده الطفل المعاق من مزايا ، بالمقارنة الى الأطفال الأسوياء ، لأن ذلك يسهم في تحرير الطفل من عقدة اعاقته ، عندما يشعر باهتمام والديه وتقبلهم له ، كما يجب على الاهل قبول مساعدة الآخرين من الأقارب والأصدقاء ، وبذلك لايتحمل الأبوان كل الأعباء ، ولاينعكس ذلك على حياتهما ، ولاشك أن مشاركة الاصدقاء والأقارب في تقبل الطفل المعاق بشكل طبيعي ، يسهم في تربية الطفل تربية صحيحة ، وفي تقبل المجتمع له .

فاطمة ـ سوريا/دمشق

مجلات علمية يابانية باللغة العربية

● أنا طالب من قراء مجلتكم الرائدة حقا بما تقدمه من مقالات علمية وتحقيقات صحفية تعنى بمتابعة الجديد فى العلوم فى مختلف المواقع والاتجاهات ويعجبنى مالاحظته فى السنوات الاخيرة من اهتمامكم بتسليط الضوء على التطور العلمى والتقنى المذهل فى اليابان وبخاصة فى مجالات الالكترون والكمبيوتر والصناعات الدقيقة .

ولما كنت من المهتمين بمتابعة ما يجرى فى اليابان وبخاصة فى مجالات الصناعة ، وما يحرزونه من تقدم فى ابتكاراتهم وتطبيقاتهم وأتمنى أن أجد امتنا العربية تحقق مثل هذه النهضة التى حققتها اليابان وأن أسهم أنا وأصدقائى الذين يشاركوننى هذا الاهتمام فى تحقيق هذه النهضة ، فأننى التمس من مجلتكم بأن ترشدونى فى باب « حوار القراء » الى الطريقة التى يمكن بها ان احصل بها على بعض المجلات العلمية التى تصدر فى اليابان باللغة العربية ، فقد سمعت الكثير عن وجود مثل هذه المجلات التى تهتم بتقديم وتبسيط العلوم والتقنية وان كنت لا اعرف سبيل الحصول عليها ، ولكم خالص الشكر .

اسامه مرشد واصدقاؤه . سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ويسرنا أن نخبره بان السفارة اليابانية فى دمشق كما فى بقية عواصم العالم العربي ، توزع العديد من المجلات التى تصدرها الشركات والمؤسسات اليابانية باللغة العربية وكلها تتناول شتى مجالات العلم والمعرفة ، وتوضح ما احرزته اليابان من تقدم وابتكار فى هذه المجالات وفى تطبيقاتها ، ويمكنه هو وأصدقاؤه أن يجدوا لدى الملحق الثقافي في السفارة كل ما يتطلعون اليه فى هذا المجال مع تمنياتنا لهم بالتوفيق فى كل ما يطمحون اليه لتحقيق تقدمهم وتقدم وطنهم العربي .

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ابريل ١٩٨٦م

الوراثة والإنسان

تأليف :
الدكتور محمد الربيعي

الكتاب المئوي

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

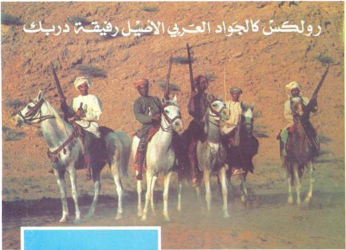
من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت
١٩٩ أول أبريل ١٩٨٦

من المسرح الأفريقي

هرج ومرج في المنزل (٤)

تأليف : كوبيس كاي
ترجمة وتقديم : د. نايف خرما
مراجعة : د. محمد الموافي







ساعة رولكس داي - ديت من الذهب الأصفر عيار ١٨ قيراطاً مرصّعة بالماس.

الأصالة ، صِفة الجَواد العَربي ، التي تميّزه عن سوَاه من الجيَاد الأخرى ، كونه وفي لصَاحِبه حتى في أحلك الظروف والأحوال ، وقوّته وقدرته على تحمّل المشقات والصّعاب لا تضاهىٰ أينمَا كان. أضِف إلى ذلك جمَال الشكل والقيمة الأكيدة طوال مدّة حياته.

هَذه الصّفات ذاتها هي التي تميّز ساعة رولكس عن سوَاهَا. فهيَ أصيلة حقًا لأنها لا زالت تصنّع وتجمّع يدويًا ، وهي مصنوعة من الذهب الخالص ، أو الفولاذ أو الاثنين معًا ، وتمرّ بكافة الاختبارات للتأكد من دقتها وقدرة تحملها قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السوَيسْريّة الرسميّة.

أما جمَال الشكل ، فمجموعة رولكس المتنوّعة والكبيرة جدًا صُنِعَت لترضي أصحَاب الذوق الرفيع.

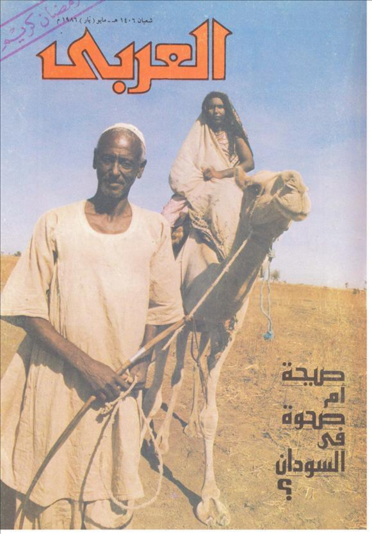
رولكس كالجَواد العَربي ، رمز الأصالة الحَقة.

ROLEX

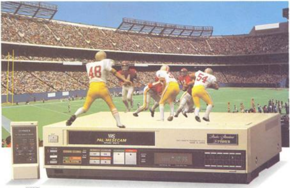
رولكس

شعبان ١٤٠٦ هـ - مايو (أيار) ١٩٨٦ م

العربي



صيحة أم صحوة في السودان ؟



VHS FVH-D720 PAL/MESECAM

فيشر... إنّه عالم جديد مدهش.

١٩٣٧ ـ السنة التي شهدت ولادة عالم جديد من التسلية مع اختراع أفيري فيشر لأول نظام سمعي هاي فاي في العالم. ولقد استمر فيشر في الطليعة منذ ذلك الحين. كيف؟ بتقديمه لأنظمة ذات جودة عالية مهيّئة خصّيصاً "للعصر السمعي المرئي". مثل جهاز FVH-D720، مسجل فيديو كاسيت VHS بال/ميسيكام الذي يحتوي على كل الميزات التي يتوقعها أكثر الأشخاص تطلباً من الأنظمة السمعية وأنظمة الفيديو. بث عادي خال من التشويش بالإضافة إلى ٦ طرق تشغيل خاصة. جهاز تحكّم عن بعد ١١ وظيفة لاسلكياً من أجل ضبط كامل لمشاهدة مريحة، بالإضافة إلى وثوق فيشر المشهور. كلّها في عرض واحد أنيق. مع فيشر، إنه حقاً عالم جديد مدهش.





CFM-1885M
إحصل على المزيد من متعة المشاهدة مع هذا التلفزيون الملون ٣ أنظمة قياس ١٨ إنشاً بطراز مونيتور وتحكم عن بعد ١٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

CFM-2610SR
صورة أكبر وصوت أفضل يوفرها جهاز تلفزيون ملوّن ١٦ نظاماً قياس ٢٦ إنشاً مع صوت ستيريو وتحكم عن بعد ١٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

FVH-M540
مسجل فيديو يوضع العالم بين يديك مع ٤ أنظمة للتسجيل والمشاهدة وتحكم عن بعد ١١ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

FVH-D620
تشغيل فيديو ذو نظام ثنائي من موقت مبرمج ٩ أيام لبرنامج واحد وتحكم عن بعد.

فيشر
FISHER

The first name in high fidelity

العدد ٣٣٠ السنة التاسعة والعشرون مايو ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 330 May 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

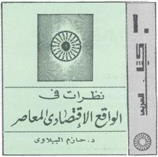
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

مع الباعة

صدر حديثاً: كتاب العربي



الحديث عن أن أي تراكم رأسمالي عظيم يحدث التنمية المرجوة ، هو حديث قاصر عن الحقيقية ، وقد أثبتت التجربة العربية ذلك ، فهناك مقومات أخرى للتنمية لاتقوم بدونها ، حتى لو خرقنا الارض عرضا وطولا ، كالتعليم والتطور الانساني ، وهذا أيضا لن يحدث دون بعد زمني يتأهل فيه جيل كامل لهذا الفعل الحضاري ، كما أن المقارنات الاحصائية الصماء لاتعني شيئا كثيرا ان لم يكن لها بُعد اجتماعي وانساني ، وتجربتنا العربية أكبر برهان على ذلك .

من مقدمة الكتاب

عزيزي القارئ

في العمل الصحفي الثقافي عقبات وصعوبات مثل الاعمال الاخرى ، الا ان خصوصية بعض هذه العقبات ملفتة للنظر حين تتعلق بأخلاقيات عامة تضع من يفاجأ بانتهاكها في دائرة الحزن ، وأي حزن .

من هذه العقبات تكرار ما يكتب لأكثر من مجلة ، بعضه يحاول الكاتب تمويهه ببعض العبارات المختلفة ، والعناوين الفرعية الجديدة ، كي يتم نشره في أكثر من مطبوعة ، والبعض الآخر لايأبه حتى بتلك المداراة .

فهو ينشر المقال بنصه في اكثر من مجلة أو مطبوعة دون أي اعتبار أو واز ع اخلاقي .
ولقد شهدنا ـ ونشهد ـ في « العربي » وفي بعض المجلات الاخرى المشابهة ظواهر من هذا النوع .

فهناك مثلا ، من يرسل قصصه للنشر على انها لم تنشر من قبل ،ونفاجأ بعد ذلك انها قد نشرت في احدى المطبوعات قبل أشهر عديدة ، وهذا ينسحب على بعض المقالات ايضا . وأية مجلة في الوطن العربي اليوم ليست بمنأى عن هذا النوع من التدليس . فلا يستطيع المحررون مهما اتسع اطلاعهم ان يرصدوا كل ما ينشر .

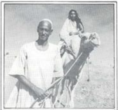
والحل لايتأتى الا بسيادة معايير تعتمد على ضمير الكاتب ومستوى نضجه واخلاقياته المهنية ، صحيح ان هذا النوع من الكتاب ـ المدلسين ـ قليل نسبيا ولكن هذه القلة تجلب ازعاجا وقلقا لنا جميعا ، فهي ظاهرة تخل بالمصداقية وتثير الشكوك والارتياب والاضطراب ، لذلك فقد قررنا نحن في « العربي » كشف مثل هؤلاء المنتهكين للثقة وكذلك نهيب بالزملاء في المجلات العربية الاخرى ان يتخذوا موقفا مماثلا ..

فلعل اولئك الذين يسيئون الى الثقافة العربية ان يكفوا عن غيهم ويثوبوا الى صوابهم ورشدهم .

لقد طرق هذا الموضوع بأشكاله المختلفة في مجلات اخرى كانت ضحية لمثل هذا الاحتيال الذي قد يستمر من قبل بعض ضعاف النفوس لفترة اخرى ، فتلك ضريبة لابد من دفعها ، ولكننا نناشد القارىء ألا يتردد في الكتابة الينا اذا صادف شيئا من هذا التلاعب فقد علمتنا التجربة ان القارىء في كثير من الاحيان يكون اكثر غَيْرَةً على مجلته من الكاتب نفسه !

المحرر

محتويات العدد



مساحته أكبر المساحات ، وثروته الحيوانية الاولى ، ومياهه الاكثر في الوطن العربي ، لكنه يشكو الكثير من الادواء .. ! .. فما هي الحكاية في السودان ؟ ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الخطاب العلمي العربي

- أين مكامن القوة والضعف في حياتنا العلمية العربية ؟
- الصحوة العلمية العربيّة .. ماشروطها ، ومابشائرها ؟
- الوطن العربي هل يخرج من موقعه في العالم الثالث ؟

في ندوة عقدت بالكويت في ربيع ١٩٨١ عن الابداع العلمي العربي والاسلامي - شارك فيها مجموعة كبيرة من العلماء العرب والمسلمين الأجانب - وقف العالم الباكستاني المسلم الأستاذ محمد عبد السلام الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء لسنة ١٩٧٩ . وقف ليقول :

« لقد كان عليّ أن أختار في الخمسينيات بين أن أبقى في باكستان أو أبقى في دراسة الفيزياء ، واخترت الأخيرة » .

وكانت الاشارة واضحة ، فهذه الكلمات القليلة تمثل أزمة العلماء والمشتغلين بالعلم في العالم الثالث اليوم ، لأن هناك أسبابا كثيرة ، وكثيرة جدا ، تدفع العلماء في العالم الثالث طائعين أو مجبرين أن يتركوا بلادهم حتى يستطيعوا أن يشبعوا رغباتهم في الانجاز العلمي .

لقد أردف وقتها ذاك العالم الشهير بالقول :

« لقد جئت هنا أتوسل اليكم أن تعطوا الأولوية القصوى للابداع العلمي وهي الخطوة الأولى والأساسية إن أردتم اللحاق بركب التقدم العالمي » .

الغنى والافتقار!

☐ قبل ذلك بعشر سنوات سمعنا نداء مشابها في قالب تعبيري مختلف في مؤتمر عقد بالقاهرة لتدريب العلميين ، ويومذاك قال نائب مدير اليونسكو مالكو أديشيا ـ وهو هندي ـ : « إن أمريكا أنزلت رجلا على القمر على حساب إفقار دول نامية كثيرة من العلميين » .

ولقد تكاثرت الكتابات والنداءات للاهتمام بالعلم والبحث العلمي ، وبالعلميين في الوطن العربي وفي دول كثيرة من العالم الثالث ، ذهب جلّها أدراج الرياح مع الأسف ، دول محدودة فقط في العالم الثالث التفتت بجد إلى هذه القضية وأولتها اهتماما خاصا في إطار خططها التنموية .

والوطن العربي اليوم يقف أمام تغيرات هائلة تستوجب إعادة طرح السؤال من جديد : وماذا عن العلم والبيئة العلمية والبحث العلمي بالمعنى الواسع الشامل ؟

العرب والمسلمون والعلم!

☐ لعل من نافلة القول ترديد ما كان للعرب والمسلمين في تراثهم من باع طويل في رعاية العلم والبحث العلمي شهد بها المنصفون من علماء الغرب قبل الشرق ، ولعلنا نذكر على وجه التخصيص موسوعة جورج سارتون في تاريخ العلوم ، والذي اختار أن يقسم فيها تاريخ العلم إلى فترات تبلغ الخمسين سنة لكل فترة ويربطها بإحدى الشخصيات العلمية البارزة في ميقاتها ، فعلى سبيل المثال ربط سارتون فترة ٤٥٠ ـ ٤٠٠ قبل الميلاد ـ وما بعدها بأرسطو والعلماء الاغريق من بعده ، ثم أورد الفترة الصينية ، أما الفترة من سنة ٧٥٠ م الى ١١٠٠ ميلادية ـ « ٣٥٠ سنة متواصلة » فكانت للعلماء المسلمين دون منازع ، وتبرز فيها أسماء مثل : جابر بن حيان ، الخوارزمي ، الرازي ، المسعودي ، البيروني ، ابن سينا ، ابن الهيثم .. الخ ، من مستوى هؤلاء العلماء ، وبعد ١١٠٠ سنة ميلادية فقط يظهر أول الأسماء الغربية في موسوعة جورج سارتون ـ ولكن لقرنين ونصف يظل الشرف العلمي في الغرب شركة مع علماء مسلمين مثل ابن رشد والطوسي وابن النفيس .

لقد كان الاهتمام بالعلم والمعرفة جزءا من فطرة المجتمع العربي الاسلامي وسمة لتقاليده ، حتى أنه روى عن المعلم أبي الريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م) على لسان أحد تلاميذه أنه قال :

« لقد بلغني أن البيروني كان في حضرة الموت ، فأسرعت إلى منزله أملا في أن أراه للمرة الأخيرة ، وسرعان ما تحققت أنه لن يعيش طويلا ، وعندما بلغه قدومي فتح عينيه وقال : ألست فلانا ؟ فأجبت بالايجاب وعندها قال : بلغني أنك قد توصلت إلى حل مشكلة معقدة في قوانين الإرث في الاسلام ، ثم أشار إلى مسألة معروفة استعصى حلها لزمن طويل ، فلم أتمالك نفسي وقلت : ولكن في هذه الظروف يا أبا الريحان ! وكان جوابه : « ألا ترى أنه خير لي أن أموت عالما بالأمر من أن أموت جاهلا به ؟ » وبقلب مملوء بالأسى ، أخبرته بكل ما عندي ثم استأذنته وانصرفت ، ولم أكد أبرح باب داره حتى سمعت صائحا من داخل الدار يقول : إلى رحمة الله يا أبا الريحان ! » .

لعل هذه القصة - ومن أمثالها الكثير في تراثنا العربي الاسلامي - تؤكد حقيقة أثبتتها الدراسات الكثيرة وهي حرص هؤلاء الأجلاء على متابعة البحث العلمي دون كلل أو ملل .

ولعل القضية الأخرى اللصيقة باحتضان العلم والبحث العلمي في تراثنا أن علماءنا الأوائل لم يكونوا فقط ناقلين ، بل أضافوا وجددوا ونقدوا ما جاء إليهم من علم حضارات سبقتهم - وتلك حقيقة لا تقبل الجدل - فقد أصبح اقتران العلم العربي الاسلامي بتاريخ العلوم شرطا لضمان موضوعية هذا التاريخ ، وكذلك لفهم أفضل للفترات التي أعقبت النهضة العلمية العربية .

الانقطاع والتواصل:

□ ما غاب عنا حتى الآن ، وما زالت كتاباتنا تمر عليه مرور الكرام - هو الاجابة المنطقية العلمية عن هذا السؤال : لماذا انقطع التراث العلمي العربي الاسلامي وضعفت جذوته ثم اختفت خلال فترة القرون الطويلة التي لحقت القرن الحادي عشر الميلادي ؟

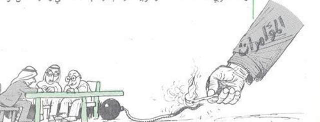
هناك بعض الاجتهادات ، ولكن لم يتقدم أحد - حسب علمي حتى الآن - بتفسير منطقي واضح للأسباب الداخلية التي شلت النشاط العربي الاسلامي العلمي .

لقد تنبه العالم الاسلامي والأمة العربية في القرن التاسع عشر وما بعده على حقيقة مفادها أن الهوة العلمية والتقنية تزداد في الاتساع بيننا وبين الغرب إلى درجة أن تلك الهوة أوقعت كثيرا من بلادنا في قبضة السيطرة الغربية ، ولكن الجهود العديدة في تخطي تلك الهوة ومجاوزتها كانت تبوء بالفشل مرة تلو الأخرى ، فالسلاطين العثمانيون ومحمد علي وحكام آخرون اكتشفوا بشكل أو بآخر أن المعادلة في طرفي الهوة هي في ضعفنا العسكري والاقتصادي ، كما تكمن أيضا في حقيقة التخلف العلمي والتقني ، وعرفوا أيضا أن القوة التي يواجهونها هي قوة العلم في شكل سلاح وتنظيم وتدريب ، كذلك اكتشفوا أن العلم والتقنية ليسا في توفير الوسائل العسكرية للدفاع فقط ، ولكن كذلك في الغذاء والزراعة والاسكان والصحة والصناعة والتربية ، أي في كل مناشط الحياة .

صيحة العلم:

□ منذ ذلك الوقت ولقرن ونصف حتى اليوم أصبحت صيحة العلم والبحث العلمي تطرح بشدة أحيانا أو بضعف في أحيان أخرى على الساحة العربية والاسلامية ، وكذلك في العالم الثالث ، ولكن - كما يبدو - دون تقدم كبير في هذا المجال .

ومنذ الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا وقضية العلم والمعرفة العلمية تطرح في وطننا العربي ، لقد اقتنعت أقطار عربية عديدة بأهمية البحث العلمي وما يحققه من فوائد





جة عندما يتضح أثرها في الواقع الملموس ، وأن العلم يمكن تسخيره في التنمية والإعمار ، وقد شغلت معظم هذه الأقطار العربية بإنشاء مراكز العلوم ومجالسها . .
ولكن ما نتيجة كل تلك الجهود ؟ ، في بداية الثمانينيات نجد تعليقا لأحد المختصين والمتابعين لهذا المجال هو الدكتور أسامة الخولي يجيب فيه إجابة واضحة عن التساؤل الأخير فيقول : (لم ينجح قطر عربي واحد في إرساء دعائم وطيدة لنموذج بناء القدرة الذاتية وتسخير العلم لخدمة التنمية مثلما فعلت دول في العالم الثالث مثل : كوريا أو تايوان أو المكسيك أو بلغاريا على سبيل المثال) .
فالجهود المبذولة كلها أو جلّها قد اعتورها القصور فبانت إما معطلة أو مبتورة بحيث لا تصل إلى نتائجها الحاسمة . تلك الخلاصة طبعت تساؤلا مهما : لماذا لا ننهض من جديد بمسيرة علمية حقيقية وشاملة ؟

***

وما زالت هناك أسئلة تطرح حتى الآن :
ما هي أولوياتنا في العلم والتقنية ؟
كيف نهيء الانسان العربي للعطاء العلمي ؟
من المسئول عن تمويل البحث العلمي وإعداد الكوادر المؤهلة لذلك ؟ ، وبعض الأسئلة القديمة مازالت تطرح أيضا :

هل العلم ضروري إلى هذه الدرجة ؟
وإذا كان باستطاعتنا الحصول على نتائج التقنية من العالم المتقدم فلماذا نبحث من جديد في اكتشافات علمية ؟

بل ما زال بعضنا يشكك في أن التفكير العلمي مناقض لبعض القوانين في تراثنا ، يريدون بهذا الطرح أن يثبطوا هممنا مرة تلو أخرى وكأن الحقائق العلمية المتغيرة والمتطورة تهدد ماورثناه من ثوابت ، وتلك لعمري مقولة مسيطرة عليهم ، ولا تمت إلى العلم بصلة ، بل تتناقض تماما مع روح دعوتنا الحضارية .

ولكن تبقى الحقيقة المرة بارزة مهما حاولنا طمسها :
هي أن افتقادنا للأمن الوطني والقومي نابع من إغفالنا للعلم ، وأنه بغير الالتزام بمخطط واضح وصريح ، وطويل الأمد ، وقومي يحتضن قضية العلم ، فليس هناك اطمئنان قريب يضفي على مشاعرنا السكينة ويكفل لنا الأمن العسكري والغذائي والثقافي . . الخ .

طبيعة التفكير العلمي :

□ لعل من الأخطاء الشاسعة بشأن الفكر العلمي أن نَسِمه بأنه « مطلق » ، فالفكر العلمي نسبي ، وما هو حقيقة اليوم قد لايكون كذلك بعد فترة من الزمن ، فهو نظام فكري يقر النظرة النقدية والتجربة والملاحظة وتاريخ العلوم ، ليس مجرد تاريخ الاكتشافات العلمية وتطور مفاهيمها ، بل إنه تاريخ حرية التفكير والسعي الدائم للتخلص من المطلقات الفكرية عندما تصبح تلك المطلقات عوائق أمام التقدم !

والعلم هو جهد إنساني منظم يحاول فهم مايجري حول الانسان في بيئته الطبيعية والانسانية ، وكان تطور العلم في الاتجاهين الطبيعي والانساني متداخلا يرفد بعضه بعضا ، هذا الجهد الانساني متواصل تسلمه حضارة لحضارة ، وجيل إلى جيل ، وأيضا ليس هناك من شك بأن القرنين الماضيين شهدا مسيرة منتظمة وصاعدة في تخليص العلم بمعناه الدقيق من العبث والخرافة حتى تطورت مناهجه ، ولقد شهد العلم الطبيعي أيضا - بمعنى "علوم الأساسية والتطبيقية - تطورا بشكل أسرع مما شهده الشق الثاني من العلم وهو انعلوم الاجتماعية (دراسة الانسان في نفسه أو في علاقاته وتنظيماته) .

إلا أننا اليوم يمكن لنا أن نقرر بارتياح أن العلوم الاجتماعية والانسانية قد اكتسبت احتراما وتقبلا نسبيا بعد أن تقاربت في مناهجها ومباحثها مع العلوم الطبيعية ، ولكن لعل كثيرا منا عندما يتحدث عن العلم دون تحديد ينصرف الذهن مع هذا الحديث إلى العلم الطبيعي وتطبيقاته فقط .

ومن المفارقات الطريفة بين العلم الطبيعي والعلم الاجتماعي أن أهم العوائق والعقبات في مجتمعنا العربي اليوم أمام تقدم العلم الطبيعي وتطبيقاته هي عقبات مجتمعية !

فما زالت بيننا فئات اجتماعية لم تسلّم بعد بالأركان الأساسية لمتطلبات التفكير العلمي ، حيث تتبنى مواقف شديدة الضرر للتقدم العلمي مثل التطير والتشاؤم والاعتداد بالخرافات ، وأقلها ضررا الاستخفاف بما يمكن أن يقدمه العلم من حلول إيجابية لمشكلاتنا ، تلك قضية مجتمعية في وطننا العربي على اختلاف درجاتها في أقطاره ، ولعل مؤرخي العلوم يذكرون لنا مثلا آخر في التاريخ حيث توقف النمو العلمي في الصين ،



وكانت في فترة من فترات التاريخ قمة التقدم العلمي والتقني لأن الطلب الاجتماعي على العلم قد تضاءل ثم انكمش لعوامل داخلية وخارجية حينها تفشت الخرافات ، واستشرى داء الجهالة ، وخبت جذوة العلم والفكر ، فمسؤوليتنا اليوم جميعا هي حفز الجماهير واستثارة إقبالها على خوض مجالات العلم ، لا من أجل مكانة أفضل في المجتمع أو دخل أعلى ، وإنما من أجل النهوض العام بهيكل البناء على جميع مستوياته .

البعد الاجتماعي والثقافي :

□ ما هي تفاصيل البعد الاجتماعي والثقافي التي تنشط الاقبال الاجتماعي على العلم والتقنية أو تضعفه ؟

إن الخوض في التفاصيل لا شك سوف يؤدي بنا إلى تفريعات كثيرة ، إلا أن الحلقات الرئيسية يمكن إجمالها في القول بأن التاريخ قد برهن لنا أكثر من مرة أن العلم يمكن أن يقدم إلى مجتمعات تأخذ باجتهادات اقتصادية وسياسية مختلفة . . وفي بعض الأوقات متناقضة ، فقد ازدهر العلم في مجتمعات شمولية كما ازدهر في مجتمعات ليبرالية ، كما ازدهر في مجتمعات تأخذ خطا وسطا بين هذه وتلك ، كذلك في المقابل نجد أن كثيرا من الاكتشافات العلمية ظلت مهملة لسنوات طويلة قبل أن تتحول إلى التطبيق في تقنيات محددة ، لأن الحاجة إليها لم تنشط .

كما أن العلم والتطبيقات العلمية لم يكن ينظر إليها حتى في عصر النهضة الأوروبية

نظرة اجتماعية إيجابية إلى درجة أن الجامعات المحترمة - في بعض دول أوروبا - لم تكن تقبل تخريج (مهندسين) على أساس أنهم مجرد وسطاء لتطبيق نتائج العلم وتحويله إلى تقنية !

ما أريد أن أقول إن تنشيط الطلب الاجتماعي على العلم والتقنية لابد أن يسبقها خلق وعي عام بأهميتها في تقدم الحياة وازدهارها وتحقيق الاستقلال الوطني والقومي .

ما مجالات تنشيط هذا الوعي ؟

في تقديري المبدئي أن خلق هذا الوعي يجب أن يتكرس لدى القيادات الفكرية والسياسية ، وأن يترسخ في أذهانها إيمان كامل بأهمية بناء القدرات الوطنية والعلمية والتقنية ، وأن هذا البناء يحتاج إلى مال ووقت وجهد أيضا .

طبيعة العزلة:

□ هناك عزلة حقيقية بين القيادات الفكرية من مثقفين من غير رجال العلم وبين ما يجري في دنيا العلم على أيدي المقتصرين عليه ، وبعضهم لا يقدرون أثره في حياتهم وحياة مجتمعهم وعالمهم ، فهناك من الناس من هم منصرفون عنه ، والبعض مبهور به بغير دراية ، والبعض الآخر خليط بين هذا وذاك . وهذا ينسحب على معظم مراتب القيادات السياسية .

هذه العزلة تتمثل في ظواهر عديدة منها على سبيل المثال الأوضاع الشاذة لتدريس العلوم في أنظمتنا التعليمية ، وأذكر - ولعل غيري يذكر معي - كيف كان مدرس الطبيعة في المدرسة الثانوية التي تعلمنا فيها يقدم لنا التجارب العلمية على أنها نوع من السحر أكثر منها قوانين طبيعية .

وفي جامعاتنا ما زال التعليم العلمي غريبا عن لغتنا ويلبس أثوابا غريبة عن مجتمعنا، ويعالج مشكلات ليس لنا بها علاقة !

ويضاف إلى ذلك ما يثور بين العشيرة العلمية العربية من وجوه النزاع والخلاف بعضهم مع البعض الآخر ، حتى دخلت العلاقات بينهم في نطاق « ماصنع الحداد » كما يقول المثل .

والحلقة الأخرى في البعد الاجتماعي الثقافي وعلاقته بالنمو العلمي ما اصطلح على تسميته بالتنشئة الاجتماعية ، فما زالت هناك علامات استفهام كثيرة .

إن ما يغرس في نفس الطفل من المحيطين به « الوالدان أو أحدهما أو أحد الأقارب المحتكين بالطفل أو أحد المدرسين » في هذه المرحلة المبكرة من طفولته هو ما يبقى ويظهر بعد ذلك في علاقاته مع الناس والمجتمع .

والتناقض الذي يواجه الصغير في معظم مجتمعاتنا العربية من تسامح مطلق في السنوات الأولى من الحياة ، وأوامر بالانضباط ترقى إلى التسلط في الطفولة المتأخرة ، يشكل في الغالب شخصية ليس لديها الاطمئنان الوجداني فيشب الولد أو البنت مترددا خجولا يخاف ولوج غير المألوف الذي هو أساس الابداع المتفاعل مع التنمية العلمية .

وقد عبر عن هذا المعنى أستاذ الاجتماع العربي « د . سعد الدين إبراهيم » حيث قال : (فالمبدع الذي يجهر بإبداعه في مجتمع سلطوي محافظ - مثل المجتمع العربي - هو في الواقع شهيد أو لابد أن يهيء نفسه للاستشهاد !) .

الصحـوة العلمـية العـربيـة:

□ المسيرة العلمية العربية خلال الأربعين سنة الماضية فيها من النجاحات بقدر الاخفاقات ، وفيها من الايجابيات بمثل المثبطات .

« فعادل ثابت » في الكتاب الرائع الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية حول تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي يلخص لنا التجربة المصرية فيقول : « لقد وضعت الخطط تلو الخطط - في مصر خلال الأربعين سنة الماضية - وتواصلت الجهود دون تحقيق الكثير من النتائج التي تسهم في حل المشكلات الملحة للمجتمع .

إن التجربة المصرية توصلت لضرورة النظر إلى التقنية بشكل جاد وموضوعي وفقا للدراسة المتأنية الشاملة التي تشترك فيها كل جهات الاختصاص والمسؤولين عن سوق العرض والطلب من علميين وتقنيين اقتصاديين وتشريعيين » .

إذا كان هذا ملخص تجربة أكبر قطر عربي وأقدمها في تاريخ التعليم ، فالصورة في بقية أقطار الوطن العربي على اختلاف قدراتها أكثر تواضعا .

إلا أن للصورة وجها آخر ، فهذا د . أنطوان زحلان الرجل الذي اهتم لفترة طويلة بتتبع العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي حتى أصبح أحد الثقات في الموضوع يقول : إنه إذا استمرت الجهود في الانتاج العلمي التي سادت في الوطن العربي في العقود الثلاثة الماضية كما هي حتى نهاية القرن ، فإن ذلك قد (يخرج الأقطار العربية من موضعها في العالم الثالث) .

ويعتمد زحلان على مجموعة من المؤشرات من بينها الانتاج العلمي المحكم المنشور في مجلات دورية ، وكذلك على أعداد الخريجين والخريجات من الجامعات العربية والتي يقدر أنها ستبلغ اثني عشر مليون خريج في نهاية القرن الحالي .

جـــزر منعـزلـة:

□ وبعيدا عن الاحصائيات تقول لنا دراسات متفائلة أخرى بكلمات قاطعة إن الانسان العربي قادر وصالح تماما للعطاء العلمي .

تلك الدراسات تعيد الثقة إلى النفس ، إلا أن النجاحات التي نصادفها في الوطن العربي - كما يقول بعض النقاد - هي في حقيقتها جزر متعزلة ، وما زالت بعيدة عن التأصل في المجتمع .

وإذا آن لنا أن نختم هذا الحديث فلنختمه بملحوظات الدكتور محمد كامل رئيس المركز القومي للبحوث بمصر اذ يقول عن التقنية : (إن الدراسات التي أجريت في البلدان الصناعية المتقدمة أثبتت أن من ٦٠ ٪ إلى ٨٠٪ من التحسن في مستوى المعيشة يعود إلى التقدم التقني ، وأن ٢٠٪ فقط يعزى إلى تراكم رأس المال) .

لقد تعودنا في العقدين الأخيرين - على الأقل - أن نستهين برأس المال على أساس أنه متوافر بشكل أو بآخر في الوطن العربي ، ولقد بدأت السنوات القليلة الأخيرة تثبت لنا أنه حتى هذا - توافر رأس المال - لم يعد على الأقل كما كان .

لقد كان هناك استثمار لا بأس به على مستوى الوطن العربي في الانسان ، وقد آن لنا أن ننظم هذا الاستثمار وننميه بالاعتماد على العلم بشقيه الطبيعي والاجتماعي لايجاد حلول لمشكلاتنا العربية المتراكمة التي أصبح تزاحمها مشكلة جديدة أيضا !! □

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد يونيو ١٩٨٦

سيناء..

جنة بلا ناس!

استطلاع: منير نصيف

موسوعة القرن ٢١	ومن الرقص ما قتل!	الموت في معجم حجازي الشعري
د. عبد الحميد يونس	د. عماد شمس باشا	د. غالي شكري

- **المورو..** ثورة في أعماق الأدغال — استطلاع سليمان مظهر
- محمود المسعدي .. والسد الشهير — محمد الحبيب براهم
- دعوة لإنقاذ جامع سالونيك! — د. محمد موفاكو
- عصر استعمار المجرات! — د. مازن المغربي
- اتجاه جديد في الطب! — د. منصف المرزوقي
- هيلدرين في "أمضى كل الأيام"! — د. عبد الغفار مكاوي
- وجهاً لوجه/ د. عبد الرحمن منيف و جليل العطية
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. أحمد كمال أبو المجد - د. عيسى درويش

د. فاضل حسن أحمد - عبد الغني عبد الله - ليلى العثمان - د. أحمد النعمان - اسم المدهون

اقوال

■ إن الصيغة الموسيقية التي توارثناها في الشعر لاتتحدد أساسا بالصدر والعجز ، بل بالتفعيلة ، بالضربة الموسيقية . معروف فى النقد العالمى أن الموسيقا ضرورية للشعر ، فإذا كان ثمة نثر فيه موسيقا ، وفيه جو شعرى ، فهو شعر .

الشاعر يوسف الصايغ

■ أنا من الأنصار الأشداء ومن المتحمسين جدا للايقاعية فى الشعر العربي وللموسيقا الخارجية .

موسيقا الشعر جزء من عضوية البناء الشعرى العربى ، وهى ليست عملا خارجيا لكى نتحرر منه بقرار أو بحجة ، إن هذه التجربة قد تم خوضها منذ الآف السنين .

الشاعر محمود درويش

■ نعلّم الناس لتفتح أذهانهم ونطلق طاقاتهم المحبوسة ، ولكننا لا نستطيع أن نتنبأ بالنتيجة ـ الحرية ـ تحرر العقول من الخرافات ، نعطى الشعب مفاتيح المستقبل ليتصرف فيه كما يشاء .

الطيب صالح

فى رواية « موسم الهجرة الى الشمال »

■ ان أحداً لا يستطيع أن يحرك جموعا كبيرة من الناس ، حتى لو كان متآمرا ، ما لم يمس وترا حساسا لديهم .

د . فؤاد زكريا

■ **الثورية ليست حكرا على فئة أو حزب أو حركة ، ان أي منحى أو فعل يتجه نحو قضية الوطن تحريرا وتقدما فهو ثوري .**

د . حسين مروة

■ **لاأحد يلتفت للشكل حين يتعمد الكاتب اجاده ، فالشكل الأدبي يتكون ويأتي نتيجة ثانوية للمضمون نفسه .**

د . يوسف ادريس



يوسف الصايغ



محمود درويش



الطيب صالح



د . فؤاد زكريا

رمضان والمشروع الاسلامي

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

ماذا نقصد بالمشروع الاسلامي ؟ ولماذا الحديث عنه مع رمضان ؟ اما المشروع فتصور شامل لحركة الاسلام في عصر ، وقد يكون مقتصرا على اقليم او اكثر ، وأما رمضان فهو الشهر الذي انزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فالحديث فيه عن الشمول والعمل الاسلامي اقرب وان كان هذا مسئولية العام كله ، دون الاقتصار على شهر بعينه ، ومسئولية القادر عليه فكرا وعملا .

نحن نعيش عصر التعددية الحضارية الذي تتنوع فيه النماذج : من الياباني في أقصى الشرق ، الى الأمريكي في أقصى الغرب ، مرورا بنماذج الصين والاتحاد السوفيتي وشرق اوروبا وغربها ، وبمحاولات متنوعة ومتباينة فيما اصطلحنا على تسميته بالعالم الثالث ، مثل : سنغافورة ، وكوريا الجنوبية او تكون له تجاربه الذاتية والريفية كتنزانيا . .

ولنقف قليلا عندهذه التسمية : العالم الثالث . . . ولماذا الثالث ؟

ان العالم الأول والثاني ـ أو العالمين الرأسمالي الغربي والاشتراكي الشرقي ـ ومن يدور في فلكهما كاليابان . . هم جميعا عالم واحد متقدم علميا . . مسيطر اقتصاديا ، قادر على الابداع والتنافس ، فرض على الآخرين من نفس العالم ـ ومن وراءهم ـ احترامه او مهابته او الحذر منه . . فليكن بينهم التنافس على الصدارة السياسية أو العسكرية او الاقتصادية ما يكون،الا انهم دائرة واحدة ، ولكل منهم مقعد معترف به على مائدة القوة العالمية والتقدم .

ويأتي بعد هذا عالم آخر تعددت أسماؤه : النامي ، المتخلف ، الجنوب ، الذين لا يملكون ، الذين لا يعرفون . عالم قد تملك بعض دوله بعض ادوات القوة . . ولكنها لا تتكامل في دولة واحدة . عندنا اذن عالمان ، ولنقلها بكل وضوح : العالم الأول او القادرون ، والعالم الثاني او المقدور عليهم ، وعلى هؤلاء ان يخترقوا الحاجز المضروب حولهم : حاجز الجهل والتخلف العلمي ، أو التخلف الابداعي ،

او الفقر او الجوع . . ولن يكون الاختراق منحة من احد ، انه كفاح بكل معنى الكلمة ، وحينها يتحطم هذا الحاجز الفاصل بين العالمين الأول والثاني ، سيتكون العالم الواحد ، وهو حلم الانسانية وأملها ، هذا العالم الواحد ليس ضربا من الشمولية التي تختفي فيها الفروق ، ولكنه اسلوب في التعايش والتعددية ، ليس فيه انطواء عن المسار العالمي ، ولا تنكّر للخصوصيات الحضارية . . وفي اطاره الواسع يمكن ان يعيش المشروع الاسلامي . . وفي داخل هذا المشروع يمكن ان تتعايش مشروعات اسلامية اقليمية ووطنية وفي دوائر تأخذ في الاتساع وتحفظ بالتناسق . . ولنبدأ من البداية ، بنماذج ترتبط برمضان ، ولها تأثيرها العميق في الحياة الاسلامية ، وتلقي أضواءها على طريق المستقبل .

الركائز العشر

كان بدء نزول القرآن في رمضان . وفي ليلة مباركة منه : ـ « **إنا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين** . . » (الدخان : [٣]) .

ـ « **إنا أنزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** » (القدر : ١، ٢، ٣) .

فما أبرز ركائز القرآن الكريم ؟ . . ذلك لأنها ركائز المشروع الاسلامي الأول . . وأي مشروع اسلامي لاحق . . فهذه الركائز هي الثوابت القرآنية ، وهي الداعية الى الحركة وعمران الحياة والابداع :

(١) ان القرآن الكريم ختام وحي السماء ، وهو دعوة الى استخدام العقل والفكر كأوسع ما يكون الاستخدام ، يقول الله تعالى : ـ « **وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون** » (الاسراء ٥٩) .

ويقول النبي ﷺ : « **ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات (أي المعجزات) ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله اليَّ ، فأرجو ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة** » (رواه مسلم عن أبي هريرة) .

فالأمر في الاسلام لم يكن تحديا بمعجزة كونية ، تمضي مع زمنها ، وتطويها الأيام : كشق البحر ، وتفجير الماء في الصخر ، وانقلاب العصا حية ، واحياء الموتى وشفاء المرضى ، معجزات لا يبقى عليها دليل الا ماجاء في الوحي المعصوم ، اما القرآن فهو المعجزة الباقية بعد انقضاء عهد المعجزات التي حفظها الله للناس بالمؤمنين ، وهو الدعوة الدائمة الى البحث والتفكير ، وهو الصراط المستقيم :

ـ « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين** » (يوسف : ١٠٨) .

وقصة يوسف ـ وفي خواتمها جاءت هذه الآية ـ مليئة بالمواقف المتنوعة والاختبارات المتعددة مع وحدة الهدف .

(٢) وتوحيد الله ـ في كتابه الذي يخاطب العقل والعقلاء ـ مقصد اول ، وهو من اليسر ، بحيث لا يستعصي على الفكر ، وفي حياتنا اليومية والعقلية الواحد الصحيح هو الرقم الذي يقوم بنفسه ، مادون الواحد كسور ، وما فوق الواحد تعدد ، وفي الدين العقيدة : الله هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، « **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** » . (سورة الاخلاص) .

(٣) والناس جميعا اخوة لأب وأم :

« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنّ الله عليم خبير** » . (الحجرات : ١٣) . ويصور القرآن الانسانية على امتداد عصورها وأقطارها أسرة كبيرة واحدة . . هم جميعا أهل وذوو أرحام وان تباعدت ، يقول تعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا** » . (النساء : ١) .

(٤) ويربط القرآن بين القول والعمل ، فالقرآن هو الكتاب الذي تكونت دولته والوحي يتنزل ، دولة ارتفعت فوق الاقليمية وعصبية اللون والطبقة ، والفروق الاجتماعية والاقتصادية ، وأقرّت التكامل الاقتصادي والشورى مبدأ وتطبيقا ، وعاش الصحابة هذه التجربة بأنفسهم يجمعون بين الاستماع والاتباع .

قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السُّلمي : حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا ، انهم كانوا يَستقرءون من

النبي ﷺ ، وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا . (مقدمة تفسير ابن كثير) .

وأخذ أبو عبد الرحمن القرآن عن عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وزيد بن ثابت ، وأبي ابن كعب ، عن النبي عليه الصلاة والسلام .

ولقد حدَثَتْ فيما بعد انحرافات عن هذا الخط الراشد ، رفعت فيها العصبيات رؤوسها ، وحل الاستبداد محل الشورى،وأكل الحكام واعوانهم اموال الناس بالباطل ، وانزوى الزهد امام الترف ، وهانت مصائر الناس ، وفتحت السجون ابوابها تتلقى الأبرياء ، وأصحاب الرأي الحر ، والكلمة الشريفة ، وصعد المتسلقون والمنافقون . . . وظن بعض حكام المسلمين ـ في عصور الضعف ـ ان الجنود المرتزقة قادرون على ان يحلوا محل أبناء العقيدة وناشئة الليل . . . فكان أن تساقطت أركان من ارض الاسلام ، وجاس الصليبيون والمغول خلال الديار ، وانهارت الخلافة العباسية . وحكم الاسلام وتحكم في المسلمين من لا يحسن العربية لسانا وفكرا وشعورا ، ومن لا يحسن الاسلام عقيدة وسلوكا . .

(٥) نخرج من هذا بما يدعو اليه القرآن من اليقظة الدائمة والانتباه : حيث يقول : « **يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم** » (النساء : ٧١) كما يدعو الى التعاون على تقويم أي انحراف ، وذلك في قوله تعالى: « **لُعن الذين كفروا من بني اسرئيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون** » ـ (المائدة : ٧٨ ـ ٧٩) .

(٦) ومع اليقظة يدعو القرآن الى اعداد قوة تستطيع أن تصون الحق ، وتدفع عنه وترهب الخصم (وهو الردع بالمفهوم المعاصر) ، يقول تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون** » (الأنفال : ٦٠) .

(٧) ويدعو الى الحوار والمنهجية العلمية : ملاحظة وتجربة وتعمقا في الفهم اذ يقول تعالى : « **ولا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** . (الاسراء : ٣٦) . ويقول تعالى : « **قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ، ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » (سبأ : ٤٦) .

(٨) ويقتضي البحث تحركا في الأرض ، وعبر التاريخ ، فالحركة عنصر اساسي في الحياة الاسلامية : حركة الفكر واليد والنفس نحو الأفضل ان « مجال الحركة » من أقوى الأدلة على تقدم امة او عصر ، ونحن نعيش العصر الذي تحرك فيه الانسان في الفضاء الخارجي ، وتحرك فيه العلم ، فاستبطن أعماق الذرات والفيروسات والخلايا ، وتحركت اشعة اجهزته فأصبحت من أدوات الاتصال والسلم والحرب .

(٩) هذه الحركة المبدعة ، يدعو القرآن الى متابعتها في جو من التعاون والمودة حيث يقول « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » (المائدة : ٢) .

(١٠) ومع كل هذا الابداع ، وتوالي ظهور ـ الآيات في الأنفس والآفاق ، يظل الفرد القرآني ، والمجتمع القرآني ، محتفظا بموقف متزن ، يجمع العقل والشرع معا فى وحدة عقلية ونفسية ودينية ، دون تمزق فى النفس او الجماعة . . العلم يزيده من ربه اقترابا ، ومن اخوانه في الانسانية تواضعا ، والدين يدعوه الى مزيد من العمل ، ويحفظه من الانحراف ، ويقيم له الميزان الأخلاقي الذي لا يزيغ مع الأهواء . . ونستظهر هنا قول الامام الغزالي عن الجمع بين الشرع والعقل وقد ذكره في كتابه « معارج القدس . . » يقول :

ـ « العقل كالسراج ، والشرع كالزيت الذي يمده ، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت ، وعلى هذا نبه سبحانه بقوله تعالى « **الله نور السموات والارض . . الى قوله** » « **نور على نور** . . » (سورة النور ٣٥) فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان بل متحدان » اهـ .

ولقد قرأ المسلمون - وعليهم ان يتابعوا - كتاب الله المنظور وهو الكون ، وكتاب الله المنزل ، وهو الوحي بين ايديهم ، وفيهما جميعا آيات الله يقول تعالى :

« **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد** » (فصلت : ٥٣) هذه هي الركائز العشر التي يقوم عليها المشروع الاسلامي ، وهي مجال اجمال وتفصيل ، وعليها قام البناء الاسلامي ، وتعددت مظاهره ، وتنوعت اساليبه . فلننظر نماذج من تطبيقاته عبر العصور ، لنرى كيف يجمع بين الثوابت والمتغيرات . .

الاختيار الصعب

اذا كانت بعض العقول والقلوب قد سارعت الى تقبل الاسلام لأول الامر في مكة . . فإن الملأ من قريش ضاقوا به ، وبكل ما يدعو اليه من تحرير الانسان من سيطرة الانسان ، وتحرير العقل من سيطرة الخرافة والكهانة ، وتحرير الفقراء من سيطرة الأغنياء ورأس المال ، وتحرير المرأة من الوأد والظلم والقهر .

لقد كان الاسلام في جوهره - ولا يزال - دعوة الى تحطيم الأغلال وإطلاق الانسانية الى افق كريم ، الناس فيه اخوة ، وعباد رب العالمين ، ويصف الله مهمة الرسول في كتابه فيقول :

« **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين بآياتنا يؤمنون،الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم** (الاصر هو الذنب والثقل) **والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه** (أي وقّروه) **ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون** . . (الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧) ولنتذكر ان سورة الاعراف مكية ، فكيف تقبل قريش وانصارها ان تتخلى عن مآثر الجاهلية وأمجادها ؟ وكيف يقبل سدنة الأصنام ان يروا رجلا - ولو كان من ذرية أبي الأنبياء - يحطم الأصنام من جديد ، والاصنام لهم عز ومال ؟

كانت المعركة متعددة الأطراف والأهداف . . وصل مداها الى الحصار الاقتصادي والاجتماعي والأذى النفسي والبدني والقتل ، وكان أمام المسلمين اربعة بدائل :

(١) ان يخضعوا لقريش - رغبا ورهبا - ويتركوا امر الاسلام ، ولقد وعدتهم قريش بالمال والمكانة الاجتماعية والاقتصادية ، فلما أبوا ارهقتهم العسر من امرهم .

(٢) ان يواجهوا قريشا في حرب انتحارية ، المسلمون فيها هم الخصم الأضعف ، الذي لم تقو شوكته بعد ، والمنطق الاسلامي الجماعي الذي يهدف الى ان تكون العقيدة في حماية قوة المجتمع المؤمن ، يختلف عن منطق ابراهيم الفرد الذي بادر بتحطيم الأصنام ، فأنجاه الله ، وبقيت الأصنام من بعد ابراهيم ، ولكل منطق زمانه وأهدافه .

(٣) ان يهاجروا الى الحبشة ، وفيها يعيش الاسلام غريب القلب واليد واللسان . فالحبشة بيئة مسيحية جبلية ، كانت تصلح وقتئذ لايواء جزئي ، ولا تصلح ان تكون قاعدة انطلاق لدين جديد . ولن تسمح القوة المسيطرة فيها لهذا النفر اللاجيء ان يقوى ، حتى يسيطر او يزاحم المؤسسات الحاكمة والدينية فيها . . هذا الى جانب عائق اللغة بين السكان والقرآن .

(٤) ان يهاجروا الى موطن عربي - في الجزيرة العربية - يصلح لانطلاق الدعوة ، واستعادة مكة ، وتطهير الكعبة وارض العرب من الأوثان ، والانتشار في مشارق الارض ومغاربها .

ونقف هنا عند « الاختيارات » وفيها مجال واسع لاعمال الفكر ، والجمع بين اجزاء من بديلين أو اكثر ، لتتكون صورة جديدة ، مع ثبات الهدف الأكبر ، وهو تكوين قاعدة ينطلق منها الاسلام ، ويعيش فيها المسلمون عقيدتهم ونظامهم .

وكان الاختيار جمعا بين البديلين الثالث والرابع : هجرة جزئية الى الحبشة ، وبحث عن قاعدة في الجزيرة العربية مع رفض البديلين الأول والثاني ، وفي المدينة اقام الرسول ﷺ أول مجتمع يحكمه الاسلام ،

وله وثيقته التي تنظم علاقات اهل المدينة : من كانوا فيها ، ومن هاجروا اليها .

يومان في رمضان

السنوات العشر المجيدة التي عاشها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة يرفع فيها قواعد المجتمع الجديد كانت مكثفة العمل والانتاج عميقة الأثر على تاريخ الحياة الانسانية كلها . . ولا تزال آثارها تتوالى .

وسنذكر فيها يومين في رمضان : غزوة بدر الكبرى ، في السابع عشر من رمضان ، في السنة الثانية للهجرة ، وغزوة الفتح التي دخل فيها المسلمون مكة في العشرين من رمضان في السنة الثامنة . الأول يمثل اكبر انتصار في مطلع تكوين القاعدة ، والثاني اكبر تتويج للنصر بتحرير الكعبة من الأصنام وتحرير مكة من سيطرة الوثنية ، ومقام ابراهيم ممَّنْ انحرفوا بحنيفية ابراهيم واسلامه .

ولا نستطيع تصور هذا النصر الا في ضوء الاعداد له والمحافظة عليه ، وتكامله مع البناء الاسلامي : .

(١) كان هناك عمل اجتماعي سياسي : تمثل في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وتحصين الجبهة الداخلية من مؤامرات المنافقين واليهود ، وتمثل على الصعيد الخارجي في عقد المعاهدات التي تزيد من فاعلية قاعدة الاسلام ، وتقلل من قدرة قريش على الحركة ، وقد استمر تطوير هذه الخطوط .

(٢) يظاهر هذا تحرك عسكري تمثلت مرحلته الأولى (قبل بدر) وفي ثمان عمليات عسكرية امتدت على شكل مروحي ، يغطي مساحة تمتد شمالا الى ما وراء المدينة ، وجنوبا الى ما وراء مكة ، وغربا الى ساحل البحر الاحمر ، وشرقا الى اطراف نجد ، لتهدد طريقي التجارة الساحلي وهو الأهم والداخلي (سرية عبدالله بن جحش : رجب ٢هـ) .

(٣) قناعة فكرية وعقائدية بالمسئوليات التي يحملونها ومشاركة في الحوار والرأي واخذ القرار التنفيذي بعد المشاورة وتمثل في الحوار الذي دار بين الرسول والصحابة من المهاجرين والانصار قبل بدء المعركة،واجمعوا فيه على خوضها رغم ان قوتهم كانت كما يلي : ٣١٣ مقاتلا وسبعون من الابل وجوادان وتعادل بالترتيب :

$\frac{١}{٣}$ ، $\frac{١}{٢٠}$ ، $\frac{١}{١٠٠}$ من القوة القريشية

(٤) تخطيط علمي ودراسة ميدانية : كمثال . في غزوة بدر :

اختيار موقع الأرض الأكثر صلابة ، السيطرة على موارد المياه ، الحرب بطريقة الخطوط الثابتة التي صمد فيها المشاة والرماة امام هجوم الخيل لأول مرة في الحروب العربية ، ثم الاندفاع بعد أن تراجعت الخيل ، وانقلبت على اعقابها تحت وابل السهام المنطلقة من خط الدفاع الاسلامي الثابت .

(٥) الجمع بين العمل السياسي والعسكري وتطويره بعد غزوة الأحزاب (٥هـ) وكانت ذروة الهجوم على قاعدة الاسلام ، وقد استطاع الرسول في صلح الحديبية (٦هـ) أن يفك الارتباط بين قريش واليهود ، وان يجمد النشاط العسكري العربي ، ليتفرغ لجبهة اليهود الشمالية ، ويصفيها في العام السابع ، وتم فيه اخضاع حصون خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء ، في وقت نشط فيه النشاط السلمي ، والدعوة بين القبائل العربية ، وكسب المسلمون في عامين اكثر مما كسبوا من بدء الدعوة ، وأحست قريش بموج الاسلام يحيطها من كل جانب ، فخرقت شروط الصلح ، وبادر الرسول بفتح مكة في العام الثامن ، وبهذا تهيأ الطريق لاسلام الجزيرة العربية كليا ،. والانطلاق منها الى القوتين الأكبر : فارس والروم .

رمضان : شاهد ومشهود

لقد كان رمضان شاهد عصر ، تكونت فيه القاعدة الاسلامية الأولى : شهد نزول القرآن ، وغزوتي بدر والفتح ، وايامه مشهودة في تاريخ الاسلام والانسانية وآيته الكبرى : انه جمع الفكرة والتنفيذ والأهداف والوسائل ، والثوابت والاختيارات والمحراب والميدان ، والعبادة والقيادة ، وقيام الليل وسرى الجيش ، وسهر الأعين تحرس في سبيل الله،واستطاع ذلك الجيل ان يجمع في تناسق وايجابية بين مسئولياته ، دون ان يصرفه واجب عن

واجب .

وفي افق النفس الانسانية ، شهد رمضان فرحة المنتصر ، ودمعة الحزين ، والحزن حق ، والصبر حق ، ولنستحضر عودة الرسول منتصرا من غزوة بدر ، ليجد ابنته رقية تجود بانفاسها الأخيرة ، بعد ان ارهقتها الهجرة الأولى الى الحبشة والثانية الى المدينة ، مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهم اجمعين .

هكذا كان رمضان خلاصة للحياة والمسئولية ، هو الشهر الوحيد الذي ذكر الله اسمه صريحا في القرآن ، ولننظر الى ايامه واحداثه كانها للأشهر الأخرى قائد ودليل . .

وتمضي الأعوام

وفي تاريخ الاسلام الطويل نقف عند ثلاثة ايام اخرى في رمضان تحتاج الى كثير من التأمل والتحليل . . .

(١) يوم في مواجهة الصليبيين : بعد ان اندفعت حملتهم الأولى واستطاعت دخول بيت المقدس ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م . وقتلوا من اهلها عشرات الألوف ، وظلت في ايديهم نحو تسعين عاما ، وكان عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م عاما اسلاميا مشهودا في ربيع الأول منه حدث انتصار صلاح الدين على الصليبية لصالح المسلمين ، وان دخلت المعارك في طور جديد ، وفي ذكرى الاسراء والمعراج (٢٧ من رجب) دخل صلاح الدين والمسلمون بيت المقدس في نظام وسلام،ثم كان شهر رمضان فرحة النصر واستعادة المسجد الاقصى والصخرة المشرفة .

(٢) يوم في مواجهة التتار : وكان في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م . . وذلك بعد هزيمة المسلمين وسقوط بغداد قبل ذلك بعامين (٦٥٦هـ) . وانهيار الخلافة العباسية . . ثم صمود المسلمين من مصر والشام بقيادة قطز ، في معركة عين جالوت ، وكانت بدء انحسار الموجة التتارية .

(٣) في مواجهة الصهيونية « واسرائيل » : وكان هذا في العاشر من رمضان ١٣٩٤هـ / ٦ اكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش المصري متعاونا مع اخوانه العرب وبتنسيق بين الأسلحة العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ان يعبر قنال السويس ، ويحطم خط بارليف ويحطم معها اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر . . وهو يوم لا يزال علينا ان نطوره حتى يؤتي ثماره ودون ان تبدد الجهود - من بعده - في تيه المحادثات ، واعماق التجميد ، ودروب الفرقة والصراعات الداخلية . .

وللغد مشروعه

ان تجارب الأمم اصابع حية ، تشير الى الابداع الذي صنع الماضي واقام الحاضر ، والذي يمهد للمستقبل ، ولا صناعة للمستقبل دون الارتكاز على قاعدة التجربة ، والانطلاق منها الى ابداع جديد .

فلتكن الركائز العقائدية والاخلاقية والثقافية من الثوابت ، ولكن المستقبل « جهاد واجتهاد » نصنع فيه متغيرات جديدة ، تستجيب لحاجات الحياة المتطورة .

. . . ونقترب من ارض الواقع الساخن . . والملتهب ، فنقول : ان المشروع الاسلامي المستقبلي - بطبيعته وفي اكتماله - يتكون من جزئيات هي : قدرات العالم الاسلامي الطبيعية والبشرية ومشكلاته وآماله ، على مستوى دوله واقاليمه واطاره الكبير ، وما ينبغي ان تظل هذه الجزئيات حشدا او كثيبا ، ولكن على العقول الاسلامية ان تصوغ منها صورة شاملة واضحة المعالم والمراحل والأهداف ، لكل وطن او اقليم او مشكلة فيها قسم معلوم . . هذا مدخل .

● فان لم نستطع ، فلنفكر في مدخل آخر :

هناك قضايا رئيسية تهم العالم الاسلامي : البحث العلمي ، التربية ، الاقتصاد . . . فلنحاول بالتدريج استبعادها من دائرة الصراع واحدة بعد الأخرى . ولنعاملها كانها « الهلال الاحمر » . . او « هيئة الامم المتحدة » . . ومن تعاونها ونجاح التجربة فيها ، يذوق العالم الاسلامي - من جديد - طعم التعاون والمشاركة وثمارها الطيبة ومن طبيعة النجاح ان يقود الى نجاح اذا صدق العزم .

● فان لم نستطع . فلنفكر في مدخل ثالث :

ان نركز كل جهودنا على ايقاف النزيف الاسلامي والحروب والصراعات الداخلية بيننا . . وهي معارك ان كان فيها منتصر ومهزوم فالكل فيها خاسرون . □

المرأة في الإسلام

اجتهادات ومواقف!

بقلم: الدكتور محمد عمارة

ظفرت المرأة في ظل العقيدة المحمدية والحضارة الاسلامية بالتكريم والتكافؤ مع الرجل، ثم سُلبت الكثير من حقوقها في عصور الجمود والتخلف. والتبست الأمور على المسلمين المحدثين، حتى على بعض الصفوة المجتهدين منهم، مما استوجب التبيين والايضاح.

لا ينكر منصف ما تمتع به الاستاذ المودودي من ملكة اجتهادية وتجديدية، تركت «لمحات» من الفكر التجديدي في عدد من القضايا التي عرض لها بالبحث والتمحيص.. وهذه «اللمحات» التجديدية تسلكه ـ ولا شك ـ في أعلام الصحوة الاسلامية المعاصرة، الذين لم يتصدوا فقط لتغريب الحضارة الغربية، وانما تصدوا أيضا «للتخلف الموروث»، واجتهدوا لتجاوز ركام عصور الجمود والتراجع «المملوكية ـ العثمانية» بحثا عن البديل الاسلامي الحضاري، القادر على التصدي لفكرية الحضارة الغربية ذات الطابع المادي الالحادي الذي لاشك فيه.

لكن موقف الاستاذ المودودي من المرأة لم يكن واحدا من مواقفه التجديدية.. بل لا نغالي اذا قلنا إنه بعض من «التخلف الموروث» في هذا الميدان!.. وانه قد غدا المنطلق لمواقف جامدة ومغالية يتخذها اليوم نفر من شباب وشابات الجماعات الاسلامية الجديدة التي أقامت وتقيم فصاما كاملا أو شبه كامل مع الواقع الذي نعيش فيه؟..

الخروج على الحشمة الشرقية

ولقد كان الاستاذ المودودي على حق في تصديه لقيم العرى والتحلل والخروج عن الآداب الاسلامية والحشمة الشرقية، التي غزتنا بها الحضارة الغربية،

ودفع التقليد بفئات من نسائنا الى طريقها البائس ومستنقعها الراكد . .

لقد تصدى لهذه الموجة المتغربة ، والغريبة ، في الهند قبل التقسيم ، وكتب ضدها كثيرا ، وأفرد لها كتابه عن (الحجاب) . . لكن الذي زاد من انزعاجه هو ما بلغته المرأة العربية من شوط أبعد على درب التقليد للمرأة الغربية ، فلقد فاقت في هذه الآفة زميلتها الهندية بكثير .

وصحيح كذلك أن الاستاذ المودودي يؤكد في كثير من كتاباته على مساواة الاسلام بين المرأة والرجل ، في الانسانية ، وفي تكافؤ فرص السمو لكل منهما . . « فالمرأة المسلمة ميسور لها أن تسمو في النواحي المادية والعقلية والروحية الى أعلى مدارج العز والرقي التي يستطيع أن يبلغها الرجل في الدين والدنيا ، وليس كونها امرأة ليحول بينها وبين تبوئها مرتبة من مراتب الشرف . . . » .

مبالغة في التفرقة

لكن نقطة الخلاف مع الاستاذ المودودي التي نراها قد جعلت الكثير من كتاباته عن المرأة استمرارا « للتخلف » الذي ورثته أمتنا عن الحقبة « المملوكية - العثمانية » ، والذي نسب ، زورا وبهتانا ، الى الاسلام . . نقطة الخلاف هذه تتمثل في مبالغة المودودي فيما بين المرأة والرجل من تمايز في الطبيعة والاستعداد والكفاية والاختصاص . . حتى لقد بلغت به هذه المبالغة حد تصويرهما كما لو كانا خطين متوازيين في هذه الحياة ، من الضروري وجودهما معا ، لكن دون أن يحل أحدهما محل الآخر بحال من الأحوال ؟!

لقد تنبه - ونبه - الى معنى « الزوجية » في خلق الله للكائنات . . (ومن كل شيء خلقنا زوجين . . .) فالآية « تشير الى عموم القانون الزوجي وشموله ، ويعلن صانع هذا الكون فيها سر صناعته ، فيقول انه خلق هذا المعمل الكوني على قاعدة الزوجية ، أي أن جميع آلاته (وماكيناته) قد خلقت أزواجا ، وكل ما يُرى من بدائع الصنع في هذه الخليقة ، هو راجع الى تلك المزواجة بين الأشياء » .

وهذه الزوجية والثنائية عنده - في موضوع الرجل والمرأة - لا تعني نفي طرف للطرف الآخر ، فهو كما قدمنا ، يساوي بينهما في الانسانية ، وفرص التقدم والرقي ، لكن في غلو يجعل لكل منهما طريقه الخاص دائما وأبدا ، اللهم الا في حالة الضرورات القصوى التي تبيح المحظورات القصوى كذلك .

فعنده « أن الرجل والمرأة ، من حيث انسانيتهما ، على حد سواء ، فهما شطران متساويان للنوع الانساني ، مشتركان بالسوية في تعمير التمدن ، وتأسيس الحضارة وخدمة الانسانية ، وكلا الصنفين قد أوتي القلب والذهن والعقل والعواطف والرغبات والحوائج البشرية ، وكل منهما يحتاج الى تهذيب النفس وتثقيف العقل وتربية الذهن وتنشئة الفكر ، لصلاح التمدن وفلاحه ، حتى يقوم كل منهما بنصيبه في خدمة التمدن . فالقول بالمساواة بين الصنفين من هذه الجهة صواب لا غبار عليه » .

لكن . . بعد « هذه الجهة » يقع الخلاف .

فالمودودي يرى في خلاف الأنوثة للذكورة أمرا وسببا يفصل بين ميدان عمل كل من الرجل والمرأة فصلا كاملا . . انه لا يقول « بالتمايز » الذي يجعل هذا الميدان ، أساسا ، للمرأة مع امكان مزاولتها العمل في الميدان الآخر - وكذلك الرجل - بل يصل بهذا « التمايز » بين الذكورة والأنوثة الى حيث جعله يفضي الى « الفصل » المؤسس على « الاختلاف » الكامل و « التباين » التام . . .

فبعد أن حدثنا عن تساويهما في الانسانية - وتلك بدهية لم يختلف عليها عاقلان - استدرك فحدثنا عن



تباينهما في أمور ثلاثة هي : « القوة والمقدرة الجسدية » و « النظام الجسدي » . . و « الخصائص النفسية » . . ونحن اذا سلمنا بتمايز الرجل والمرأة في هذه الأمور « تمايزا نسبيا » ـ وتلك حقيقة ـ فلن يعني ذلك الانفصال الكامل بين ميداني عمل كل منهما ، لكن المودودي لا يعني « التمايز » ولا الخلاف والاختلاف « النسبي » وانما يتحدث عن « اختلاف تام » حتى ليذهب فينسب الى « علم الأحياء » أن بحوثه قد اثبتت اختلاف الرجل عن المرأة « في كل شيء » !

دائرة عمل الرجل

وعبارات المودودي ، هذه التي تأسس عليها غلوه في التفرقة بين المرأة والرجل ، يقول فيها : ان المساواة في الانسانية بين المرأة والرجل ، لا تعني « ان تكون دائرة عمل الرجل والمرأة واحدة . . ولا يصح أن يرى هذا الرأي مالم يثبت أنهما متماثلان في : قوتهما ومقدرتهما الجسدية . وأيضا في نظامهما الجسدي ، وقد كلفتهما الفطرة نوعا واحدا من الخدمات ، وانهما متشابهان كذلك في : **خصائصهما النفسية** . أما التحقيق العلمي الذي قام به الانسان الى هذا اليوم فينفي ويبطل كل هذه الأمور الثلاثة . . فهذا علم الأحياء قد أثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء ، من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية الى ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية .

ونحن نقول ـ دون أن نتعدى اختصاصنا الى اختصاص الآخرين ـ ان قطع الاستاذ المودودي باختلاف المرأة عن الرجل في « كل شيء » ، هو غلو لا أعتقد أن حقيقة من الحقائق العلمية الثابتة قد أقرته حتى الآن . . هناك « تمايز » بينهما يؤهل المرأة لميدان « أكثر » من الآخر ، وليس « دون » الآخر . . ومثل ذلك بالنسبة للرجل . . ولنضرب مثلا شهيرا في نظرة الاسلام وفكره في هذا الموضوع .

في الحديث الشريف الذي يرويه ابن عمر ، يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع عليهم ، وهو مسئول عنهم . والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على بيت سيده ، وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

في هذا الحديث وجدنا « البيت » موضوعا لرعاية رعاة ثلاثة : الرجل وزوجته وخادمه . . وبين الثلاثة تمايز في الاختصاص والكفاية ونطاق الرعاية ونوعها . . لكن بينهم اشتراك في « الرعاية » وفي « ميدانها » فالتمايز لا يعني « افتراق » الطرق ، كما هو حال الخطوط المتوازية ، دائما وأبدا ، دون التقاء !

ثم ، ان انصار « افتراق » الميادين واختلافها ، بين الرجل والمرأة ، يتحدثون حديث الاستاذ المودودي عن اختصاص المرأة فقط « بتربية الاولاد وواجبات البيت » وعن أنها ملكة هذا البيت وراعيته ، وهو مملكتها ورعيتها . . على حين قد رأينا الحديث يجعل من البيت مملكة للرجل ورعية له زوجا كان أو خادما ، كما أفصحت أحاديث أخرى ـ سننشير لبعضها ـ وواقع الحياة ووقائع التاريخ في صدر الاسلام أن الميادين ـ خارج المنزل ـ لعمل النساء مع الرجال . . فالتمايز حقيقة ، والاشتراك أيضا حقيقة ، أما ما لا نوافق عليه فهو تصوير « التمايز » في صورة « الاختلاف التام » في « كل شيء » ، كما قال الاستاذ المودودي .

إن الاستاذ المودودي يرتب على المقولة التي تزعم : الاختلاف التام بين الرجل والمرأة في كل شيء ، الاختلاف التام والافتراق الكامل في ميادين عمل كل منهما ـ اللهم الا في الضرورات التي تشبه الكوارث والنازلات ، فعنده انه « اذا روعيت هذه القسمة الطبيعية بين الصنفين ، كان تنظيم الأسرة وتعيين وظائف الرجل والمرأة في الحياة على ما يأتي :

١ ـ الى الرجل تكون عيالة الاسرة ورعايتها ، والقيام بما هو عسير وشاق من خدمات التمدن ، فيكون تعليمه وتربيته على النحو الذي يجعله أنفع ما يكون لهذه المقاصد .

٢ ـ والى المرأة تكون تربية الأولاد وواجبات البيت ، والعمل على جعل الحياة المنزلية بحبوحة أمن ودعة وراحة ، فتتحلى بأحسن ما يكون من التربية والتعليم لأجل قيامها بهذه الخدمات .

٣ ـ وجعل القوامة والحكم والأمر على سائر

الأسرة ، في حدود القانون للرجل .

٤ ـ ويجب أن تقرر في نظام التمدن التحفظات اللازمة لادامة هذه القسمة والتنظيم في وظائف أفراد الأسرة ، حتى لا يستطيع السفهاء أن يخلطوا بحماقتهم بين دوائر أعمال الرجل والمرأة ، فيدخلوا الفوضى على هذا النظام التمدني الصالح . . . » .

دائرة عمل المرأة

والاستاذ المودودي يطرق هذه الفكرة في العديد من الكتب والرسائل والمقالات والخطب التي كرسها للحديث عن مكانة المرأة في المجتمع الاسلامي . . ويؤكد على أن القاعدة الرئيسية في نظام الاجتماع الاسلامي ، هي أن دائرة عمل المرأة هي البيت . . وخروجها من البيت لا يحمد في حال من الأحوال . . فخير لها ، في الاسلام ، أن تلازم بيتها . . فلا تغادره الا للضرورة . . كما جاء في حديث :

« قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن » فليس الاذن بخروجهن من البيت الا رخصة وتيسيرا ، فيجب ألا يحمل على غير مقاصده ومعانيه .

وأمام هذا الطرح لهذه القضية ، يحسن بنا أن نسأل :

● اذا كان الاسلام قد أباح للمرأة الخروج من البيت للضرورة . . ففيم الفرق بين خروجها منه وخروج الرجل منه ؟ وهل يخرج الرجل من بيته صعلكة ، وبلا سبب ، وعلى غير هدي ؟ او أن الضرورات ـ على تفاوتها ـ هي التي تحكم تصرفات كل العقلاء رجالا كانوا أو اناثا ؟! . . .

● وهل تقف الضرورات عند حد ؟ أو تنمو مع الزمان والمكان والمشكلات ؟

لقد دعت الضرورة خروج المرأة المسلمة الى ميادين القتال ـ طبيبات ومساعدات ومقاتلات ـ في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحدث الاستاذ المودودي عن ذلك ـ فهل نمنع اليوم جهادها للاستعمار ، وقد غدا جهاده فرض عين على المرأة والرجل باحتلاله الأجزاء من دار الاسلام ؟

ولقد بايعت النساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في صدر الاسلام فكانت بيعته لهن ، وفق حديثه اليهن ، الذي ترويه الصحابية أميمة بنت رقيقة ، اذ تقول : « جئت النبي صلى الله عليه وسلم ، في نسوة تبايعه فقال لنا : فيما استطعتن وأطقتن » .

فهل نعتبر أن معيار الشئون التي تخرج المرأة لها من البيت هي كل ما تستطيع وتطيق ؟ أو نضيق هذه الدائرة في القرن الخامس عشر الهجري عنها في القرن الهجري الأول ؟

ولقد شاركت المرأة في عصر البعثة ، مع الرجال في بيعة العقبة ـ التي هي عقد تأسيس الدولة الاسلامية الأولى ـ وهذا عمل سياسي من الدرجة الأولى . . فهل نبيح لها اليوم الخروج من المنزل لمشاركة الرجل في سياسة مجتمعنا ؟ أو نمنعها الآن ما تمتعت به في صدر الاسلام ؟

واذا كان الاسلام قد أعطى المرأة استقلالا في « الذمة المالية » قبل كل الحضارات الانسانية الأخرى ، فهل نبيح لها اليوم الخروج من المنزل زارعة وتاجرة تنافس الرجال ـ حفظا لثروتها وتنمية لها ـ في هذا الميدان ؟ .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعانا الى أن نأخذ نصف الدين ـ والسنة بخاصة ـ عن زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . . فكانت تنهض بـ « الافتاء » في الدين . . فهل نبيح لمن حقه الافتاء في الدين أن يفتي في الدنيا . . أو أن سياسة الدولة أرفع من سياسة الدين وفقهه ؟

واذا كان مذهب الامام محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ ـ ٨٢٩ ـ ٩٢٣م) قد أجاز أن تكون المرأة قاضية في كل أنواع الخصومات والمنازعات ، قياسا على جواز افتائها في الدين . . فهل نبيح لها الخروج لمزاولة مهام القضاء ؟

اذا كان الاسلام قد عرف المرأة ـ منذ سنوات ظهوره الأولى ـ مشاركة في هذه الميادين : السياسة ـ والقتال ـ والطب ـ والفتوى ـ والتجارة ـ والزراعة والحرف الصناعية . . وذلك فضلا عن رسالتها الأولى والعظمى وهي ادارة البيت ، وصناعة الأجيال الجديدة ، واحاطة الزوج بحنان المودة ، والسكن الذي اليه يسكن ويستريح ـ فهل نبيح لها الخروج اليوم ، من بيتها لتسهم مع الرجل في هذه الميادين ، وفق ما « تستطيع وتطيق » وعلى النحو الذي لا يلغي أنوثتها ولا يطمس طبيعتها ، فتختل حكمة التزاوج بين « الشقين المتكاملين والمتساويين » الرجل

والمرأة . . أنبيح لها ذلك ؟ أم نستحضر قيود عصر الحريم في الحقبة « المملوكية ـ العثمانية » وهو عصر التراجع والجمود ـ لنضعها في أعناق المرأة باسم الاسلام والاسلام منها براء ؟

ثم ، اذا كان الاسلام قد عرف المرأة المسلمة مشاركة في هذه الميادين العامة . . فهل نهيىء لها أن تعلم وتتعلم علوم هذه الميادين وفنونها « وفق الطاقة والاستطاعة » ـ سياسة . . وقانونا . . وفنون قتال . . واقتصادا وتجارة وزراعة . . وصناعة . . الخ . . الخ . . أنهيىء لها ذلك ، ونبيحه ونترك لها حرية الاختيار ؟ أنصنع ذلك فنسلحها لدخول الميادين التي أباح الاسلام لها النزول الى ساحاتها . . ؟ أو نقف بها ، فقط ، كما قال الاستاذ المودودي عند « تعلم » ما يتعلق بشئون البيت والأولاد ؟

مدى قوامة الرجل

ان الاستاذ المودودي ـ وهذا موطن الخطأ في فكره عن المرأة ـ يخطىء في فهم « مضمون » قوامة الرجل على المرأة ، ودائرة هذه القوامة ونطاقها ، فالقوامة هي درجة في سلم القيادة « وليست كل هذا السلم . . فهي لا تلغي دور المرأة ، وانما تعطي درجة أعلى بين إرادات قائدة ، وليس في فراغ من الارادات القائدة . . فالرسول عندما يأمرنا اذا سرنا ثلاثة في طريق ، أن نختار أحدنا أميرا علينا ، فهو يعني القيادة التي تحسم عند الصراع ، وتعارض الارادات القائدة ، وكذلك قوامة الرجل على المرأة ، فإنها لا تعني انه القائد وحده . . وانما تعني ارتفاع مكانته-اذا أهلته امكاناته ـ درجة تتيح له اتخاذ القرار ، في ضوء الشورى ، وليس الانفراد الذي ينفي ارادة المرأة وقيادتها . . ولو لم يكن هذا هو المضمون الاسلامي « للقوامة » لما أمكن أن يكون كل من الرجل والمرأة راعيا في ميدان واحد ، هو البيت . . فهما أميران ـ راعيان ـ وقائدان في ذات الميدان . . والقوامة درجة أعلى في سلم القيادة وليست السلم بأكمله ؟

ولقد يكون فهم الاستاذ المودودي للقوامة في المنزل غير بعيد عن هذا الفهم الذي قدمناه ، فهو يقيد القوامة بأنها « ضمن حدود القانون » لكن فهمه لنطاقها ، الذي يمد هذا النطاق الى سائر ميادين المجتمع ، ومضمون هذه القوامة لديه فيما وراء المنزل ، هو الذي يثير علامات الاستفهام حول مدى حظ هذا الفهم من الدقة والصواب . . !

فنحن نراه يستخدم مصطلحات من مثل : « إن المرأة تابعة للرجل » وإنها « لم تُمنح حرية الارادة والاختيار مثل ما أعطيه الرجل البالغ » .

والأهم من ذلك انه يجعل من قوامة الرجل على المرأة في الميدان الاجتماعي والسياسي ، أي كل الميادين الخارجة عن المنزل ، « نفيا » لارادة المرأة من هذه الميادين ، فيقطع بتجريدها من كل الولايات ، ويضعها في مرتبة أدنى من المرتبة التي وضع فيها أهل الذمة ـ كما تصورهم في دار الاسلام ودولته ، فهو يجرد المرأة المسلمة من الحق في أن تسهم في عملية الشورى التي هي فريضة اسلامية عامة ، وصفة من صفات المؤمنين ، وفلسفة للأسرة ونظام الحكم على السواء . . وعندما يسأله سائل : هل يعود الضمير في الآية (وأمرهم شورى بينهم) الى الرجال وحدهم دون النساء ؟ ألا يمكن أن يكون هذا الحكم شاملا للنساء مع الرجال » ؟ .

يجيب الاستاذ المودودي : « ان القرآن لا يعارض بعضه بعضا ، ولا تخالف آية منه آية أخرى ، بل هي تشرحها ، فالقرآن الذي قيل فيه (وأمرهم شورى بينهم) جاء فيه نفسه (الرجال قوامون على النساء) وهكذا أوصد القرآن على النساء باب مجلس الشورى وهو قوام على الأمة كلها .

ثم يمضي الاستاذ المودودي ، فيستند الى آية القوامة والى حديث « لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة » في تقرير عزل المرأة عن كل مناصب الدولة فيقول « ان المناصب الرئيسية في الدولة ـ رئاسة كانت أو وزارة أو عضوية مجلس الشورى أو ادارة مختلف مصالح الحكومة ـ لا تفوض الى النساء » .

وذلك على الرغم من معرفة المودودي بان ملابسات هذا الحديث تخصصه ، فلقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عمن تولى ملك فارس بعد موت كسرى ؟ فقالوا له : ابنته . . فقال هذا الحديث ، نبوءة سياسية بزوال الدولة الكسروية ، وانتصار العرب بالاسلام على الظلم التاريخي للدولة الفارسية . . رغم هذه الملابسات التي تخصص عموم هذا الحديث ، يمضي الاستاذ المودودي ليقول ،

استنادا اليه : « ان السياسة والحكم خارجان عن دائرة أعمال المرأة » .

لقد أعطى الاسلام الحق للمرأة ـ بل أوجب عليها ـ أن تجتهد في الدين ، وحجر عليها الاستاذ المودودي الاجتهاد في شئون الدنيا . . فكانت مقولته هذه ـ رغم اجتهاداته وتجديداته ـ ترديدا لبعض من تخلفنا الموروث » .

مجال الحجاب وحدوده

وفي قضية الحجاب يتسم فكر الاستاذ المودودي بالغلو أيضا .

فهو يرى أن الأصل والحكم الاسلامي هو حجب المرأة بالمنزل ، الا للضرورة القصوى ـ ولقد رأينا ان ما أباحه الاسلام للمرأة من ضروب الأعمال الدنيوية ، يستحيل النهوض به وهي محجوبة بالمنزل ، وهو يستدل على وجوب ملازمة المرأة المسلمة منزلها بتعميمه الأمر والحكم في الآية (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وينفي الاعتراض القائل بان هذه الآية وحكمها خاصة بنساء النبي ، صلى الله عليه وسلم فيقول : (وهل كان بنساء بيت النبي عجز دون سائر النساء لا يدعهن يقمن بالأمور خارج البيت ؟ » .

ونحن بدورنا نسأل الاستاذ المودودي : وهل كان بنساء بيت النبي عجز عن العشرة الزوجية ، حرم الله بسببه زواجهن من أحد بعد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ؟ أم ان تلك خصوصية لا يصح فيها التعميم ؟ لقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحكم النبوة ، وبحكم الامارة ورئاسة الدولة ، خصوصيات ، وعندما يقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين : (ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، إن ذلكم كان عند الله عظيما) ، عندما يقول الله للمؤمنين لا تنكحوا أزواج النبي من بعده ، نفهم أنها خصوصية لبيت النبوة ، وليست عجزا من نساء النبي عن المعاشرة لغير النبي ، عليه الصلاة والسلام . . وكذلك كان زواجه صلى الله عليه وسلم ، بأكثر من أربعة هو خصوصية وليس زيادة في القوة الجنسية عن الآخرين .

على أن سياق آية (وقرن في بيوتكن) يقطع بأنها خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وليست عامة في نساء المؤمنين تشهد على ذلك « الفاظ » آيات السياق . . وليس المعنى الذي يحتمل الخلاف والتأويل ، فالله سبحانه وتعالى يوجه الحديث الى نساء النبي ، بخاصة ، في آيات خمس سبقت هذه الآية . . وفيها يقول : (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما . . يانساء النبي لستن كأحد من النساء . ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، ففي الآيات تصريح بأن نساء النبي لسن كغيرهن من النساء ، وبأن من خصوصياتهن مضاعفة العذاب لهن ضعفين عن الفاحشة المبينة . . ومضاعفة الأجر مرتين عن القنوت لله ورسوله والعمل الصالح . . وفي سياق هذه الخصوصيات جاء الأمر لهن بالقرار في بيت النبي عليه الصلاة والسلام . .

على أننا نقول : أن أمر (وقرن في بيوتكن) ليس معناه ملازمة نساء النبى البيت لايخرجن منه ، بل هو مرتبط ومفسر بقوله سبحانه (ولاتبرجن تبرح الجاهلية الاولى) فهو حجاب الحشمة ، والصون عن تبرج الجاهلية ، وليس التزام البيت دائما وأبدا ، ويشهد على ذلك أن نساء النبى لم يلزمن بيوتهن لايخرجن منها بعد نزول هذه الآية ، فلقد كن يخرجن لحاجاتهن ، في حياة الرسول وبعد وفاته ، وخروج عائشة للقتال في موقعة الجمل ـ في خلافة علي بن ابي طالب ـ شهير . .

والأستاذ المودودي نفسه يحدثنا عن ذلك فيقول : « وتتفق الأحاديث على أن أزواج النبي ونساء

المسلمين كن يصحبن النبي ، صلى الله عليه وسلم الى ميدان القتال . . ويقي العمل عليه جاريا بعد نزول الحجاب أيضا »

حسنات الابرار . .

خصوصية الآية ليست بالامر الغامض ، الذي يحتمل الجدل . . ولا القرار في البيت هنا يعني لزومه والاختصاص به دون ماخروج منه الى غيره من ميادين الحياة .

اننا قد نطلب من ولاة الأمور ألا يزاولوا التجارة مثلا ، حال توليهم وظائفهم الكبرى . . وقد نحرّم على بعض ذوى المناصب ارتياد بعض الأماكن المباحة ، وقد نمنع فئة من الناس أن ترتدي أزياء أخرى ، رغم أنها غير محرمة . . وجميع هذه خصوصيات ترتبط بالمنصب والمهمة والوظيفة . . ولاتعني النقص أو العجز . . كما أننا نقول : ان حسنات الأبرار سيئات المقربين ، دون أن نظن أن ذنوب المقربين أكثر وأعظم من ذنوب الأبرار . .

ولقد رأينا الأستاذ المودودي يخالف جمهور الفقهاء في نطاق « حجاب » المرأة المسلمة . . فجمهور الفقهاء والمفسرون يرون أن الأصل هو جواز كشف المرأة لوجهها وكفيها ، الا اذا خشيت الفتنة . . أما الاستاذ المودودى فالأصل عنده هو النقاب ، وتغطية جميع أجزاء جسم المرأة ، ولايجوز كشف الوجه والكفين ـ أو غيرهما ـ الا للضرورة وهو بذلك قد ارتاد في حركة الصحوة الاسلامية التفكير لظاهرة الغلو بواسطة النقاب التي لا تكتفي بـ « الحجاب » .

كذلك رأيناه يخلط بين « الخلوة الشرعية » التي لاثالث فيها ـ والتي تغرى بتجاوز الحلال الى الحرام ـ وبين الاختلاط في الأماكن العامة . . فيحرم الاختلاط بتعميم واطلاق . .

تلك هي نظرة الأستاذ المودودى للمرأة المسلمة ، ومكانها ومكانتها في المجتمع الاسلامي . . وهي نظرة في جملتها من بقايا « التخلف الموروث » الذي نسب ـ زورا وبهتانا ـ الى الاسلام . . وليست التعبير بأي حال من الأحوال عن جوهر فكر الاسلام في هذا الموضوع . . ويشهد على ذلك أن هناك رؤ ى مغايرة لهذه الرؤ ية ، قدمها أعلام كثيرون في حركة الاجتهاد والتجديد والصحوة الاسلامية المعاصرة . .

الاحول والأعراف

فداعية اسلامي يتحدث عن موقف الأستاذ المودودي هذا فيتعجب قائلا « ومما لايكاد يصدق أن يذهب مفكر اسلامي معاصر كالمودودي الى التمسك بالحجاب (بمعنى نقاب الوجه) كأصل من الأصول الاسلامية ، أو حتى كأدب أو عرف من آداب وأعراف الاسلام ».

وتيار من تيارات الصحوة الاسلامية يقرر في دستوره للمرأه ـ من بين مايقرر ـ « للمرأة الحق في أن تزاول التجارة والصناعة والزراعة ، وأن تتولى العقود والمعاملات ، وأن تملك كل أنواع الملك ، وأن تنمى أموالها ، وأن تباشر شئونها في الحياة بنفسها . . ويجوز للمرأة أن تعين في وظائف الدولة ، ومناصب القضاء ماعدا محكمة المظالم ، وأن تنتخب وتنتخب في مجلس الشورى ، وأن تشترك في انتخاب الخليفة ومبايعته »

وقبل هذا وذاك قال امام التجديد والاجتهاد الاسلامي الحديث محمد عبده « ان الرجل والمرأة أكفاء متماثلان في الحقوق والأعمال ، كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل . . » وليسا ـ كما قال المودودى ـ مختلفين في كل شيء عدا الأدمية ـ (الانسانية) .

وعن القوامة ـ التي رآها المودودى « تبعية تجعل حرية ارادة المرأة واختيارها أدنى منها عند الرجل » ـ يقول الامام محمد عبده عن هذه « القوامة » :« انها درجة من درجات القيادة والرئاسة ، يتصرف فيها المرؤ وس بارادته واختياره . . فالمرأة من الرجل ، والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن . . ان القوامة التي للرجل على المرأة ، عندما توجب على المرأة شيئا ، فانها توجب على الرجل أشياء »

انها رؤ ى واجتهادات يدخل بعضها في الاجتهاد والتجديد . . ويقف بعضها عند حدود التخلف الموروث . .

وفي هذه الرؤ ى « المحافظة » حتى « الجمود » نجد المنطلقات والجذور لقسمات الغلو ـ التي تنتقص من قدر المرأة ـ لدى بعض فصائل المد الاسلامي الحديث ! □



متراسنا الأول

شعر : الدكتور طاهر عبدالمجيد

إلى الناس
الصامدين في
وطننا المحتل .

إلى جرح رمادي كبباب الموت لا يُقفلْ
إلى وجهٍ تريد الأرضُ جبهتَه ولا يفعلْ
إلى عينٍ عن الفجر الذي سيجيء لا تغفلْ
إلى حبات سنبلة تقاوم ضربة المنجلْ
إلى جسدٍ أمامَ الريحِ لا يُثنى له مفصلْ
إلى من عاد من غده قتيلا قبل أن يُقتلْ
إلى أيدٍ مقيدة برغم قيودها تعملْ
إلى الطفلِ الذي اغتيلت طفولته ولم يَرحلْ
إليكمْ يا أحبائى فؤاداً بالهوى مُثقلْ
وحُبّاً لا حدود له لغير الأرض لم يُبذلْ
أحيِّيكمْ من الأعماق يا متراسنا الأوّلْ
ويا جسراً من الآلامِ يحملنا إلى الأفضلْ
اذا ما الفجر قد وَلّى فإن خيوطه تُغزَلْ
بأيدٍ قبلُ ما عرفتْ سوى المحراث والمعولْ
ولا مَلَكتْ سوى الخبزِ الذي بدمائها يُجبَلْ
ومَنْ يهوى عناقَ الأرضِ كيف يموت ؟ لا يَسألْ

الاستراتيجية الاسرائيلية

في ظل سياسة الترابط

بقلم : أمين هويدي

بيننا نحن العرب وبين « اسرائيل » صراع طويل ومرير ، وستظل مقولة « اعرف عدوك » صحيحة تماما في محاولات فهمنا الدائم لعدونا . وهذا المقال عرض لواحدة من مكونات الاستراتيجية الاسرائيلية ، يقوم فيه الكاتب بدراسة « علاقة خاصة » بين مصر - صاحبة - الحق والتاريخ - والعدو الصهيوني في واحدة من المشكلات المعلقة بينهما.

أخيرا وبعد شهور طويلة من الاجتماعات والحوار ، ومن الوصل والقطيعة ،ومن الخلاف حول التوفيق والتحكيم ، وصلت الى القاهرة المقترحات الاسرائيلية بخصوص « طابا » داخل مظروف مغلق ومختوم « بالشمع الأحمر » ، وعليه « نجمة داود » ،وفي أعلى ركنه الأيسر عبارة « سري للغاية » ويحمله ممثلنا في « تل أبيب » . وامعانا في أن يتم « الاخراج » في مستوى متميز يليق بالمناسبة ، اتصل رئيس الوزراء شيمون بيريز بالرئيس محمد حسني مبارك تليفونيا - كما أذاع التلفزيون المصري في احدى نشراته التي لم يكررها بعد ذلك ، ولا أفصحت عنها صحافتنا - ليطلعه على انتصاره بفرض رأيه على الحكومة الائتلافية ، وخاصة طرفها العنيد ممثلا « بالليكود » وعلى رأسهم « اسحاق شامير » وزير الخارجية الحالي « ونصف رئيس الوزراء القادم » بقبول مبدأ « التحكيم » في مشكلة « طابا » .

وبعد أن أذيعت المقترحات الاسرائيلية في كل وسائل الاعلام في « اسرائيل » وفي العالم أجمع ، وبعد أن وصل مضمون الرسالة إلى كل شعوب الأرض ، بدأت في التسرب إلى الشعب العربي « قطعة قطعة » !!

ولا بأس من أن ندون النص الكامل للقرار الاسرائيلي حول طابا ، لأنه يعد نموذجا فريدا للموضوع الذي نحن بصدده ، وهو موضوع « الترابط » .

« النص الكامل »

١ ـ تحل مسألة طابا والنقاط الأخرى المتنازع عليها ، على جانبي الحدود الدولية بين « اسرائيل » ومصر ، عن طريق التحكيم .

٢ ـ اثناء المراحل المبدئية في العملية المنصوص عليها في الفقرة (أ) ، وهي نحو ٨ أشهر ، يعمل المحكمون على حل مسألة طابا عن طريق التوفيق .

٣ ـ تعيد مصر سفيرها المقيم في « اسرائيل » .

٤ ـ يتفق على جدول زمني لتنفيذ الاتفاقيات الموقعة بين « اسرائيل » ومصر ، في مجالات التجارة والسياحة والنقل والطيران المدني ، والثقافي والحوار السياسي .

٥ ـ يتم الاتفاق على صيغة للتحكيم ، تسمح للطرفين بتقديم حججهما بالكامل ، وبتقديم أدلتهما حول المسائل المتنازع عليها ، وتخويل المحكمين سلطة البت في تلك المسائل .

٦ ـ يتخذ قرار بشأن النص الكامل والمحدد لاتفاقية التحكيم ، بما في ذلك هوية وعدد المحكمين ، والفترة التي سوف يستغرقها التحكيم بين « اسرائيل » ومصر .

٧ ـ الترتيبات التي سوف يسري مفعولها في طابا بعد انتهاء عملية التحكيم سوف يتفق عليها ، وهذه الترتيبات سوف تتضمن الحق في حرية الوصول ، وترتيبات الأمن ، والترتيبات المتعلقة بالتسهيلات الموجودة .

٨ ـ تقدم مصر « لاسرائيل » التقرير الخاص بحادث القتل في رأس بركة ، كما تناقش مسألة التعويضات للأسر الثكلى .

٩ ـ ان عودة السفير المصري ، وتوقيع صيغة اتفاق الاحالة للتحكيم ، وعملية التطبيع ، سوف تبدأ كلها بطريقة متزامنة .

١٠ ـ الالتزام بالصفقة الشاملة ـ تحسين العلاقات وعملية التحكيم ـ يشكل كيانا واحدا ، وتنفيذ كل جزء من هذا الالتزام مرتبط بتنفيذه كله .

١١ ـ تتضمن مقدمة الاتفاق اشارة الى رغبة الفريقين في أن يظلا مخلصين لاتفاقية السلام ، ولاتفاقيات كامب دافيد ، فيما يتعلق بكلتا الدولتين .

١٢ ـ تفي الدولتان بما ورد في الفقرة الثالثة من اتفاقية السلام ، وسوف تمنعان الوجود أو النشاط الارهابي ، من أراضي كل منهما ضد الأخرى ، وضد مواطنيهما .

١٣ ـ يعمل الجانبان على منع الدعاية المعادية ضد الجانب الآخر ، وسوف يسمحان بالوصول الحر والمتكافىء لكل منهما لوسائل الاعلام لديهما .

١٤ ـ المسائل الواردة في هذه النصوص ابتداء من فقرة (٣) ـ بما في ذلك نص « اتفاق التحكيم » ـ التي تحتاج الى مفاوضات مع مصر ، سوف تناقش في مرحلة لاحقة ، وتعطى « اسرائيل » موافقتها عليها بعد موافقة مجلس الوزراء .

وكما لاحظنا فإن الاقتراح الاسرائيلي « ربط » بين ثلاث مجموعات ! مشكلة طابا ، وتنشيط العلاقات المصرية الاسرائيلية في كل المجالات ، وعودة السفير المصري الى تل أبيب . والموضوعان الأخيران ليس لهما علاقة على الاطلاق بموضوع « مشكلة طابا » الا انهما وردا في « القرار الاسرائيلي » بل نصت المادة (٩) على أن « عودة السفير المصري ، وتوقيع صيغة اتفاق الاحالة للتحكيم ، وعملية التطبيع ، سوف تبدأ كلها بطريقة متزامنة » مما يعبر عنه بسياسة « الترابط ـ Linkage ـ وليس في نيتنا ـ ولو للحظة واحدة ـ ان نناقش القرار الاسرائيلي ، أو نتحدث عن مشكلة « طابا » من الناحية الواقعية أو القانونية ، فهي ملكنا دون منازع . ليس هذا في نيتي على الاطلاق اذ انني سأقصر حديثي عن « سياسة الترابط » كاستراتيجية معمول بها في السياسة الدولية بوجه عام ، وفي السياسة الاسرائيلية بوجه خاص .

والترابط ـ كما عرفته في كتابي « لعبة الأمم في الشرق الأوسط . . . نحن وأمريكا واسرائيل » ـ هو القدرة على ربط الأحداث والمشاكل الموجودة على المسرح السياسي ، داخل اطار محكم بصيغة « صاحب القرار » ليتعامل معها في وقت واحد بحيث

تحقق المحصلة النهائية، الاغراض التي يسعى إلى تحقيقها.. وتتجسد مثل هذه السياسة على شكل «صندوق» يجمع فيه «صاحب القرار» كل الأوراق الحقيقية والزائفة، المهمة والفرعية، ثم يقفل صندوقه بالمفتاح، ويُحافظ عليه في جيبه، ولا يعطي منه شيئاً الا اذا وضع فيه أشياء.. أي لا يتصرف فيها هو بداخله إلا عن طريق الأخذ الكبير، والعطاء الصغير، وعليه، وهو يفعل ذلك، فحص الأوراق والتأكد من سلامتها، حتى يستبعد الزائف منها.. والا أخذوا منه أكثر مما يتسلم، أوربما - وسط ازدحام الأحداث وارتفاع الصياح وتبادل الاتهامات - يدفعون اليه ببضاعة فاسدة، يسرع في وضعها داخل الصندوق، ولا يكتشف فسادها الا بعد فوات الأوان.

وقد أحسنت الادارة المصرية صنعاً أثناء أحداث لبنان، بسحبها «السفير المصري» من تل أبيب وربطت عودته بعدة أمور هي:

* انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان.
* اتخاذ الاجراءات اللازمة للتخفيف عن عرب الأراضي المحتلة.
* خطوات ملموسة للتحرك لحل قضايا المنطقة.
* اعادة طابا وكافة النقاط الأخرى المتنازع عليها.

وكما نرى فان القاهرة ربطت عودة السفير المصري الى تل أبيب بمشاكل أخرى، المفروض أنها لا بد أن تجد طريقها للحل قبل أن يتم ذلك. المهم الا نلقي بأوراقنا أو نفرقها من أول الأمر، كما فعل السادات بعد ايقاف اطلاق النيران في حرب ١٩٧٣.

وبمعنى أدق، فإن مفهوم الترابط هنا يعني أنه لن يتم التفاوض حول قضية بمعزل عن الأخرى، فلا بد من الوصول الى تسوية شاملة لكل القضايا أي لا بد أن يحدث التقدم على اتساع رقعة الأحداث، مما يضيف مرونة الى المفاوضات الجارية، فمقابل التنازلات في اتجاه ما، يمكن أن تتحقق مكاسب في اتجاهات أخرى. كل ذلك يتم في ضوء «الترابط الاستراتيجي أو الأعلى» بين القوة والدبلوماسية، والتفاوض بين الخصوم لا يتناقض مع التهديد باستخدام القوة العسكرية، أو مع استخدامها بالفعل.

عوامل ضاغطة

وعلى الرغم من أن القوات الاسرائيلية كانت تحاصر الجيش الثالث في الشرق، وأوشكت أن تحاصر الجيش الثاني أيضاً، الا أنه كانت توجد عوامل أخرى تضغط على الموقف.

* فقد كانت قواتنا في الشرق لم تتخل عن مواقعها بعد! وتحاول أن تحشد جهودها في الغرب للقيام بهجوم مضاد، وكان هناك عشرات الأسرى في يد القيادة المصرية.
* ما زال الاتحاد السوفيتي في المنطقة، بل ومتدخل الى رأسه في الموقف.
* قناة السويس مغلقة أمام الملاحة العالمية.
* باب المندب مقفول بحكم حصاره على البحر الأحمر وميناء إيلات.
* حظر البترول ساري المفعول، مما شكل عامل ضغط هائل على اليابان وأوربا الغربية، وأثار ثائرة الدول النامية.
* ارتفاع سعر البترول أحدث هزات خطيرة في الأسواق المالية العالمية.
* تحول الرأي العام العالمي ضد «اسرائيل»، وقطعت كل الدول الافريقية علاقاتها مع تل أبيب.
* الدول العربية متماسكة مترابطة في معركة المصير.

هذا الموقف جعل موشيه دايان يقول في كتاب «قصة حياتي»: اننا في مصيدة سياسية، وليس في مصيدة عسكرية، والمصريون لن يسكتوا على وجودنا في الغرب، واذا تجددت الحرب فإن العالم كله سيقف ضدنا، فالعالم له مصلحة قوية في البترول وليس في الحق. ثم كتب أن هنري كيسنجر يجتمع ببعض المثقفين الأمريكيين، ويتحدث اليهم حديثاً نشرته جريدة يديعوت أحرينوت الاسرائيلية في ١٩٧٣/١٢/٦ جاء نصه كالآتي: «لا يجوز أن نأمن اشتعال الحرب مرة أخرى، اذا لم يسكت المصريون على وجود الاسرائيليين في الغرب بسهولة، فالأمر في غاية التعقيد، إذ أن ذلك يقضي بحصول «اسرائيل» على جسر جوي آخر، ولم يكن مؤكداً أن الكونجرس أو الحكومة الأمريكية سيوافقان على ذلك، بعد ان تكبدنا نتيجة لحرب البترول ما بين ٣٠ - ٤٠ بليون

دولار حسب تقدير مجلس البترول الوطني . . كما أن العزلة السياسية كانت ستتزايد ، فاليابان اتخذت موقفا مؤيدا للعرب ، وأصدرت دول السوق الأوروبية المشتركة اعلانها المشهور ، تؤيد فيه الموقف العربي ، وأصبحنا نحن وحدنا الذين نقف الى جانب « اسرائيل » ومعنا ايران .

اذن أدرك العالم كله مالدينا من أوراق ، ولكن كان الوحيد الذي لم يدرك ذلك هو رئيس جمهورية مصر محمد أنور السادات ، اذ بعد أول لقاء بينه وبين هنري كيسنجر صرح « هنري » تعليقا على المقابلة ، بأنه يعتبرها « احدى انجازاته الدبلوماسية الفذة » ، فقد حققت تحولا رئيسيا في سياسة مصر الخارجية ، وبالتالي في التوجيه العام للمنطقة كلها . . « وقد أوضحت ذلك بتفصيل في كتابي « كيسنجر وادارة الصراع الدولي » اذ عددت (الخبطات) ذات الوزن الثقيل التي حققها الدبلوماسي الأمريكي بعد أول لقاء مع السادات ، فكانت بالشكل التالي . . . :-

* اتفاق استراتيجي بين البلدين .
* عودة العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وواشنطن .
* الموافقة على النقاط الست وتوقيعها في الكيلو ١٠١ طريق السويس ، مما شق الصف العربي .
* التفاوض المباشر بين مصر « واسرائيل » في الاتفاقيات التالية ، واصبح المستحيل ممكنا والممنوع جائزا .
* انهاء الحصار على باب المندب .
* ثم توالت زيارات هنري كيسنجر الى المنطقة ليوالي (خبطاته) .
* فأعيد فتح القناة مع السماح للبضائع الاسرائيلية بالمرور فيها .
* تعمير القناة واعادة المُهَجَّرين اليها .
* انشاء المناطق العازلة ، وذات الوجود العسكري المحدود ، ومناطق القوات الدولية .
* رفع حظر البترول .
* التواجد العسكري الأمريكي في سيناء واقامة قاعدة أمريكية في أم خشيب تحت ستار نقاط المراقبة والتفتيش .

لقد تحقق كل ذلك في مقابل فك الاشتباك مع العدو ، واحتاج تحريك الموقف بعد ذلك الى قيام السادات بزيارة القدس ، ثم مفاوضات كامب دافيد ، ثم توقيع المعاهدة مع « اسرائيل » .

وكل ذلك تم لأن السادات ـ الذي كان يدعي أنه من أساطين الاستراتيجية ـ لم يطبق مبدأ الترابط . . لا تعط قبل أن تأخذ ، ولا تحل قضية في وجود قضايا أخرى معلقة ، ولا تفرط في ورقة قبل أن تقبض الثمن .

وطالما تعرضنا لهنري كيسنجر ، فلا بد أن نحدد أفكاره عن « الترابط » اذ تحدث عنه في رسالته التي أعدها للحصول على الدكتوراة من جامعة هارفارد ، والتي نشرها في كتابه بعنوان « عالم اعيد بناؤه ـ كاستليري ومترنيخ واعادة بناء السلام » .

الأمن الناقص

« هل بامكان دولة ما تحقيق كل رغباتها ؟ إن سعي أي دولة لتحقيق « الأمن المطلق » محل شك ، لأنه يتعارض مع تحقيق الأمن للدولة الأخرى ، ومن هنا فإن « الأمن النسبي » أو « الأمن الناقص » هو الذي يمكن تحقيقه ، لأنه هو الامر المعقول في السياسة الدولية . والاتحاد السوفيتي هو القوة الوحيدة القادرة على الاخلال بالميزان الدولي القائم ، وهي الدولة التي قادت على الدوام قوى الاضطراب في النظام العالمي . والمطلوب حمل الاتحاد السوفيتي على ادراك أن مصالحه لا تقوم الا في اطار توازنها مع مصالح الدول العظمى الأخرى ، وبالتالي فإن كل مشكلة بيننا وبينه مرتبطة بالمشاكل الأخرى ، بحيث ينعكس التقدم في حل أي مشكلة على التقدم لحل سائر المشاكل المعلقة ، فإذا أراد الاتحاد السوفيتي مثلا الحصول على القروض ، أو حق الدولة الأكثر رعاية في التبادل التجاري ، أو الحصول على التقنية المتقدمة من الولايات المتحدة لتحقيق آماله في التطور ، فعليه أن يدفع ثمن ذلك بالوصول الى حل في مفاوضات الحد من انشاء الاسلحة الاستراتيجية ، فهذا يساعده على تحويل جزء من نفقاته الباهظة في هذا المجال الى الانفاق على انتاج السلع الاستهلاكية . »

ترابط مناطق الانفجار

وانطلاقا من ذلك ، وبالرغم من أن كيسنجر لم يصرح أبدا بسياسته في الترابط ، الا أنه يعتبر ان كل مناطق الانفجار في العالم مرتبطة بعضها ببعض ، وعلى ذلك فإن حل أي مشكلة يتوقف على ما يحدثه من توازن بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الاتحاد السوفيتي ، وليس مهما حل القضية نفسها .

وسياسة الترابط هذه معناها النظرة الشاملة لكل المسرح ، ثم التحرك على جبهة واسعة بحركات مدروسة متزنة ، ثم التركيز على أضعف نقطة لاقتحامها . . ويعني آخر التحرك على نطاق واسع والاختراق في جبهة ضيقة . . والتحرك في المواجهة الواسعة يحقق المرونة وتعدد الخيارات والمفاجأة والخداع ، والاختراق في جبهة ضيقة يحقق مبدأ الحشد وتركيز الجهود .

ولا بد أن نربط بين السياسات والنتائج ، فهذا هو واجب السياسي الماهر ، الذي دائما يجدد سياسته ويدرس عواقبها . ومن المفروض - كما هو شائع - الربط بين الأرض والسلام ، وخاصة في مشكلة الشرق الأوسط . . البعض يرى اعطاء الأرض مقابل السلام ، والبعض يرى اعطاء قطعة صغيرة من الأرض في مقابل قطعة مناسبة من السلام .

ولكن للخلل في توازن القوى - الذي يؤثر بدوره تأثيرا مباشرا على مصداقية الترابط ، وخاصة بالنسبة للجانب الأضعف - استبدل مبدأ الربط بين الأرض والسلام ، بمبدأ الربط بين الأمن والسيادة . والأمن - بحكم قوة الطرف الأقوى ومصداقيته لا يضع الحدود السياسية ، واحترامها في الاسبقية الأولى أي أنه يبتكر ما يسمى « بالحدود الآمنة » التي لا تتطابق في أغلب الأحيان مع الحدود السياسية ، أي لا تحقق السيادة الكاملة ، هذا العدوان على السيادة يتراوح بين ضم قطعة أرض بصفة رسمية - كما تحاول « اسرائيل » بالنسبة لطابا ، والنقاط الأخرى الحدودية المختلف عليها - وبين الانتقاص من حق الدولة في ممارسة سيادتها الكاملة على ساحات متفاوتة من الأرض ، الأرض المنزوعة السلاح ، او الأرض التي لا يتواجد فيها الا قوات مدنية أو قوات عسكرية محدودة ، أو قوات دولية أو متعددة الجنسيات .

واذا وصلت الأمور الى هذا الموقف ، يتجسد للعيان مبدأ الترابط بين القوة والدبلوماسية ، ويصبح من المعتاد رسم سياسة طرف من الأطراف على أساس خلق نزاع معين لربطه بنتائج بعيدة كل البعد عن مكان النزاع . فالسبب الظاهر لسياسة « اسرائيل » بخصوص نزاع « طابا » هو ضمها نهائيا ، بخلق أمر واقع في المثلث المتنازع عليه ، ولكن حقيقة النتائج المترابطة مع هذه السياسة هي خلق الحافز النشط لزيادة تحرك « التطبيع »لتحقيق نتائجه المرجوة ، والعمل كضامن لربط الطرف الآخر بالاتفاقات السابقة ، وعدم اعطائه أي فرصة للتحلل منها .

هذه هي سياسة الترابط التي تتعامل على أساسها « اسرائيل » ، وعلينا أن نفهمها وندرسها ، وعلينا في الوقت نفسه أن نتعامل مع مشاكلنا على نفس الأساس ، فالسياسة أخذ وعطاء . ولا يمكن أن نعطي ونعطي ولا نأخذ شيئا في المقابل . . مثل هذا العطاء هو التفريط بعينه ، ولكن أن نأخذ بقدر مالدينا من أوراق فذلك من السياسة الحكيمة . . وما أكثر ما في جيوبنا من أوراق . . . □

■ الزمان هو المادة الخام لكل شيء في الوجود - كل شيء به ممكن ، وكل شيء بغيره مستحيل ! (أرنولد بنيت) .

■ وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي (أحمد شوقي) .

■ خير وقت تفقد فيه زمام غضبك ، هو الوقت الذي تتعمد فيه ألا تفعل ذلك (هربرت سبنسر) .



نصير الدين الطوسي

عالم الرياضيات والفلك

بقلم : الدكتور عبدالعظيم أنيس

« كان واحدا من أعظم من انجبتهم الحضارة العربية . . . وظلمه التاريخ فلم ينل حظا من الشهرة رغم أن كل إنجازات الرياضيات والفلك فى عصر النهضة الأوروبية تعود بجذورها الى أبحاثه . . عن حياته التى تأرجحت بين قاع السجن وقمة المجد يدور هذا المقال »

قال ابن شاكر الكتبى فى ترجمته لنصير الدين الطوسى فى كتابه « فوات الوفيات »

« كان رأسا فى علم الأوائل ، لاسيما فى الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلى وغيره . وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه واضعا الأموال فى تصريفه . وابتنى بمراغة قبة ومرصدا عظيما ، واتخذ فى ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء،وملأها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها مايزيد على أربعمائة الف مجلد . وقرر بالرصد تعيين المنجمين والفلاسفة ، وجعل له الأوقاف . وكان حسن

الصورة سمحا كريما ، جوادا حليما ، حسن العشرة ، غزير الفضل .

« وحُكى أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولاكو مايغرم عليه فقال له : هذا العلم المتعلق بالنجوم مافائدته ، أيدفع ما قدّر أن يكون ؟ فقال الطوسى : أنا اضرب لك مثلا ، يأمر القان من يطلع الى هذا المكان ويرمى من أعلى طشت نحاس كبيراً من غير أن يعلم به احد ، ففعل ذلك ، فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من كان ، وكاد بعضهم يصعق . اما هو وهولاكو فإنهما ما حصل لهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع . فقال له : هذا العلم النجومى له هذه الفائدة ، يعلم المتحدث فيه ما يحدث ، فلا يحصل له الروعة مايحصل للذاهل الغافل عنه .

« وقال هولاكو : لا باس بهذا وأمره بالشروع فيه »

من الأسر إلى المجد

واضح من هذه الفقرة من كتاب ابن شاكر أن الطوسى كان مقربا من هولاكو وانه بنى له مرصدا ، وهو ماعرف تاريخيا باسم مرصد مراغة ، وقد ظل الطوسى متوليا ادارة هذا المرصد حتى وفاته ، ومن بعده احد أولاده . فكيف وصل الطوسى الى هذا المركز إبان حكم هولاكو ؟

الحقيقة أن ابا جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسى قضى حياة مغامرة قبل أن يستقر به الحال فى كنف حكم هولاكو ، وكان عصره هو عصر انهيار الحضارة العربية الاسلامية تحت اقدام المغول ، وقد شهد الطوسى سقوط بغداد فى ايدى المغول عام ١٢٥٨م

لقد كان الطوسى واحدا من أعظم من انجبتهم الحضارة العربية الاسلامية كعالم رياضيات وكفلكى . وفى شبابه وشى به احد وزراء الخليفة المعتصم فأودع السجن ، وفيه انجز معظم تآليفه فى العلوم الرياضية ، ثم اسره المغول عام ١٢٥٦م ، وبفضل سمعته فى العلوم والنجوم استخدمه هولاكو ضمن بطانته حتى أصبح وزيرا له .

قال شمس الدين بن المؤيد العرضى يصف منزلة الطوسى عند هولاكو :

« أخذ نصير الدين العلم عن كمال الدين بن يونس الموصلى ومعين الدين بن سالم بن بدران المصرى المعتزلى . وكان منجما بعد ابيه ، وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده فى الأموال ، واحتوى على عقله حتى انه لايركب ولايسافر الا فى وقت يأمره به » .

ولاشك أن مرصد مراغة كان احدى التحف العلمية والتقنية الضخمة فى تاريخ البشرية ، وبه يذكر الطوسى فى الكتب العربية والاوروبية باعتبار انه مفخرته الاساسية ، فقد جمع فيه حكماء علم الفلك فى ذلك الزمان ، ومنهم المؤيد العرضى من دمشق ، والفخر المراغى الذى كان بالموصل ، والفخر الخلاصى الذى كان فى تفليس ، والنجم دبيران القزوينى ، وقد بدأ المرصد عمله معتمدا على الأرصاد السابقة له ، مثل رصد المأمون فى بغداد ، والرصد البيانى فى حدود الشام ، والرصد الحاكمى بمصر (مرصد المقطم ايام الحاكم بأمر الله ادارة بن يونس المصرى) .

ويقول شمس الدين الحريرى فى وصف المرصد : قال حسن بن احمد الحكيم : سافرت الى مراغة وتفرجت فى الرصد ومتوليه على ابن الخواجا نصير الدين الطوسى ، وكان شابا فاضلا فى التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين المؤيد العرضي وشمس الدين الشروانى ، والشيخ كمال الدين الايكى ، وحسام الدين الشامى ، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئا كثيرا ، منها ذات الحلق وهى خمس دوائر متخذة من النحاس ، الاولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الارض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل .

ورأيت الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب .

لم ينصفه التاريخ

ان العلامة جورج سارطون يقول ان الطوسى قد خلف وراءه اربعة وستين مخطوطا ، وان معظم مصادره العلمية كانت من عناصر يونانية لأنه كان على علم تام بلغة اليونانيين ، ومع ذلك فكثيرون من

المشتغلين بتاريخ العلم يعتقدون أن الطوسي لم يصب من الشهرة مثل ما اصاب ابن سينا والبيروني وابن الهيثم وابن رشد لانه ظهر في القرن الثالث عشر الميلادي في وقت كان العلم الاوروبي قد بدأ يستيقظ من سباته بعد ان هضم علوم العرب الاولين ، مترجمة باللغة اللاتينية . فيقول مثلا الاستاذ احمد سعيد الدمرداش في مقدمة تحقيقه لمخطوطة (تحرير المناظر لاوقليدس) للطوسي : « لم يلتفت الاوروبيون لمؤلفات الطوسي عندما وجدوا لأول وهلة أن شروحه ومخطوطاته لم تأت بجديد عما ألفوه من علوم ابن سينا وابن الهيثم » .

وتزداد هذه النظرة تأكدا من دراسة كتاب (تحرير المناظر لاوقليدس وهو كتاب في البصريات عناصره يونانية ، فمفهوم الضوء عند الاغريق والطوسي قوامه استاتيكي ، وهو لايعدو أن يكون خطوطا مستقيمة ليست له سرعة أو دفع كما كان ينظر اليه ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي .

ان فكرة الابصار عند اليونانيين كانت تعتمد على خروج شعاع من العين الى الجسم المرئي ، بينما انجز ابن الهيثم ثورة علم البصريات بنظريته في الضوء الذي يصدر شعاعه من الجسم الى العين ، ووضع نظرية الانعكاس والانعطاف خلال اقامته بالقاهرة في كتابه (المناظر) الذي ألفه بعد وفاة الحاكم بأمر الله .. ومع ان ابن الهيثم قد وضع نظريته هذه في القرن الحادي عشر ، الا ان النظرة اليونانية لعلم البصريات التي سايرها الطوسي ، ظلت هي المعول عليها حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، وهي النظرية التي سايرها من بعد الطوسي تلميذه قطب الدين الشيرازي حتى ابطلها تلميذه كمال الدين الفارسي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن درس كتاب (المناظر) لابن الهيثم واقتنع به .

وربما كان لهذا السبب أن برونفسكي في كتابه (ارتقاء الانسان) يعتبر ابن الهيثم العبقرية العربية الحقيقية لأن افكار ابن الهيثم هي التي أدت الى فكرة المنظور التي كانت ذات اثر كبير على الفن في اوروبا .

كل هذا صحيح ، لكن الدراسات التي جرت في ربع القرن الاخير قد اكدت فضل الطوسي في ميدان آخر واوضحت انه ليس صحيحا ان الاوروبيين لم يستفيدوا من مؤلفاته في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ويذكر الآن اسم الطوسي في الدراسات الاوروبية مرتبطا بقضية « مسلمة التوازي » في علم الهندسة الاقليدية » ، وكيف أن جهوده كانت بداية الطريق الحقيقي لاكتشاف الاوروبيين لما يعرف باسم الهندسة اللااقليدية .

مهد للعلم طريقاً

ان الاوروبيين يعترفون اليوم بأن الطوسي هو أول من درس (المسلمة الخامسة ومسلمة التوازي) في اصول اقليدس ، وحاول اشتقاقها من المسلمات الأربع التي سبقتها ، أي ان الطوسي حاول ان يقيم علم الهندسة الاقليدية على اساس اربع مسلمات فقط . وفي لحظة من اللحظات بدا أن الطوسي قد اقتنع بأنه نجح في ذلك ، مع ان هذا غير صحيح ، والثابت الآن أن زخاري في اوروبا قد حاول تصحيح برهان الطوسي وان كان لم ينجح في ذلك ، وقد ترجمت كتابات الطوسي في الهندسة بواسطة الرياضي الانجليزي جون والسن ، وكانت اساس محاضراته في جامعة اوكسفورد في القرن السابع عشر . وهذا الاهتمام باشتقاق المسلمة الخامسة من المسلمات الاربع الاولى في اصول اقليدس ، والذي بدأ ان الطوسي هو الذي ادى في نهاية الامر الى قناعة علماء الرياضيات في اوروبا في القرن الثامن عشر باستحالة اشتقاق المسلمة الخامسة من المسلمات الأربع ، والى بناء نسق هندسي جديد دون المسلمة الخامسة ، وهو ما يعرف اليوم باسم الهندسات اللااقليدية .

والثابت الآن ايضا ان الطوسي هو أول من عالج علم حساب المثلثات كعلم مستقل عن الفلك في رسالته (كتاب الشكل القطاع) ، وعليها اعتمد الاوروبيون زمنا طويلا في تدريس هذا العلم في صورته المستوية والكروية ، وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية والانجليزية والفرنسية ، كما ان كتاب الطوسي (تذكرة في علم الهيئة يمثل خلاصة مركزة للنظريات الفلكية في عصره ، وفيه ينتقد بطليموس في كتاب (المجسطي) ، وتزداد الشواهد على ان هذا النقد بالذات هو الذي مهد لكوبرنيكس القيام باصلاحاته في علم الفلك . □



سقراط يبيع الزلابية في صنعاء !

بقلم : شريف الراس*

مات سقراط في أثينا التي سبقت التاريخ الميلادي بمئات السنين ، بعد أن زرع فيها الحكمة ، بالرغم من جهل الجهلاء ومقاومة الأدعياء . . . ومن ثم دسوا السم له .

أما الزلابية فهي حلويات شرقية . . فكيف اجتمع سقراط بالزلابية ، ولماذا أخذ يبيعها في حوارى وأزقة صنعاء ؟ !

الزمان:سنة ١٩٥٣ .

المكان:ركن معتم ورطب في أعماق سجن «نافع الرهيب بمدينة « حجة » اليمنية .

الواقعة : شاب يمني ضعيف نحيف ، مقيد بالأغلال ، منطو على نفسه يؤلف كتابا .

سؤال : من أين جاء بالورق الذي كان يدون كتابه عليه ؟

جواب : وجهت هذا السؤال الى الرجل ، وقد صار الآن شيخا كبيرا ، فعرض ذكريات ما قبل ٣٢ سنة قائلا :

اتخذت لنفسي لوحا من الصفيح ، وقلما من الخلال ، ومحبرة من مادة الغضار البيضاء . ثم قمت بجمع الأوراق الداخلية لعلب السجائر ، واستعنت بسجين بقى حيا من رجال قبيلة الزرانيق ، ليجمع لي ما يستطيع من اوراق علب السجائر . . ولم يبق الا الحصول على قلم من الرصاص ، أو الحبر .

وكان الشيخ أمين عبدالواسع نعمان في سجن نافع

* كاتب سوري ، متعدد الاهتمامات ومتخصص في الكتابة الساخرة ، والكتابة للاطفال .

الأعلى مع مجموعة أخرى ، أما نحن فكنا مع الأستاذ أحمد النعمان في سجن نافع الأسفل ، وهو بؤرة كالبالوعة . وكان يوجد في جدارالسجن الأعلى ثقب صغير . كان الشيخ أمين يستغل الفرصة ، فيحدثنا من خلاله بطريقة تثير الضحك . وقد استطعنا أن نحصل منه على قلم رصاص . وكانت عملية الكتابة مرهقة الى أبعد الحدود ، فقد كان المكان « الزنزانة » مظلما ليلاً ونهارا وكان « المصباح » قزازة نملؤها بالكاز ، ونشعل ذبالتها القطنية لتعطي قليلا من الضوء وكثيرا من الدخان الغازي الخانق . . ولكننا ـ مع ذلك ـ كنا نكتب ونكتب بحماسة متدفقة ، دون أن يعترينا الملل . لأننا كنا نتصور تصورا يصل الى اليقين الذي لا يقبل الشك ، بان ما نكتبه سوف يغير كل شيء في اليمن ، بمجرد أن ننشره على الناس . . وكان عنوان الكتاب : « نحو النور »

القبس الأول

في الورقة رقم « ٤٥ » من أوراق علب السجائر نقرأ بداية حكاية عجيبة ، قد تكون أكثر غرابة من العثور على هذه المخطوطة الثمينة ، بعد أكثر من ثلاثين سنة على ضياعها ونسيانها .

قال (بل كتب) :

من هو قبس الحرية الأول في تاريخ القضية اليمنية هذاهو السؤال الذى ألقاه ـ قبل شهور ـ أحد الأساتذة المصريين على لفيف من الشباب اليمنى المثقف ، الذين يدرسون الآن (١٩٥٣) في الجامعات المصرية . وكنت قدصحبتهم في نزهة على شاطىء النيل .

وقد آلمني وأدهشني أن لا يعرف أحد منهم من هو القبس الأول في تاريخ قضية وطنهم . فهذا يجيب بأنه الزبيري أو النعمان وهذا يقول انه الشهيد السيد أحمد المطاع ، وهذا يذهب الى انه المصلح الحر أحمد عبدالوهاب الوريث . أما انا فلم أجب . لأنني كنت أعتقد أن القبس الأول ليس واحدا من هؤلاء على ـ فضلهم ـ لأنهم جاءوا أخيرا .

وعندما عدنا من النزهة ، كتبت الى صديق عظيم من أصدقائي أصف له الموقف ، وأتحسر على جهل الأجيال اليمنية تاريخ أقباس الحرية في بلادها ، وأسأله : من القبس الأول في تاريخ القضية اليمنية ؟ وقد رد علي برسالة هذا نصها :

« في الوقت الذي أصاب الدهر اليمن بما أصابها ، وقسا عليها تلك القسوة ، ورماها بتلك الخرافة الكهنوتية ، التي لم تكن في الحقيقة الا كابوس شقاء جـاثم في مهجة الشعب ، ووضعها تحت حكم فرعوني ، فإن الله قد منحها في ذلك الوقت نفسه شخصية غريبة فذة نادرة المثال والأخلاق ، عبقرية التفكير والسلوك متينة في كل شيء ، في دينها وايمانها ، وفي عواطفها وجنانها ، وفي روحها وارادتها ، وفي علمها وأدبها ، وفي حركاتها وسكناتها ، متينة في كل شيء تتناوله أو تصدره » .



بائع الزلابية

« انها شخصية جبارة في تواضع ، خلابة في بساطة ، شجاعة في حكمة ، هادئة في ثورة ، تلهب كل ما حولها .

لاتذهب بخيالك بعيدا ياصديقي ، ولا تبحث عنه في طبقات السادة والقضاة ، ولا في عداد الأسر المشهورة المتمركزة ، ان ذلك القبس لم يكن الا الأستاذ الفيلسوف محمد بن عبدالله المحلوى الصنعاني اليمني ، هذا البطل المغمور ، والمجاهد المجهول ، والمؤمن الصابر ، والشهيد الخالد ، هذا هو ابن

اليمن البكر ، وأسرته لم تكن من الأسر اللامعة في مناصب الحكومة ، ولا الأسرة المعروفة بالثروة والجاه ، وإنما هي أسرة من آلاف الأسر اليمنية الشريفة المتدينة ، المتمسكة بالمبادىء الاسلامية والأخلاق الفاضلة ، رغم ما يشوب عقائدها الدينية من خرافات .

وكان يصنع الحلوى ويبيعها .

هكذا شاءت الأقدار لهذا الفيلسوف الحكيم المسلم أن يحترف هذه المهنة ، ولكنه كان مع ذلك يصنع حلوى أخرى هي ألذ وأغلى من الأولى ، كان يصنع بيده حلوى تغذي الأبدان ، ويصنع بعقله ووجدانه حلوى تغذي الأرواح والضمائر ، لقد كان يصنعها من شهد الحكمة ، وسكر المنطق ، ودقيق الأفكار ، ويصهرها بحرارة الايمان .

وهكذا عاش يمد الناس في كل يوم بغذاءين ، غذاء من صنع يده ، وغذاء من قلبه ووجدانه وكان يعتقد أن عليه رسالة يجب أن يؤديها في الحياة . وهي أن يبث النور في العقول والقلوب ، وأن يكشف للناس حقيقة الطغيان ودجله وتضليله ، حتى لو استشهد في سبيل ذلك .

وكان صبورا الى أبعد حدود الصبر في أداء رسالته ، فتراه يغشى مجالس الناس كل يوم ليبلغ رسالته الواجبة . وبالرغم من أنه كان حكيما في تبليغها ، يلقي آراءه بأساليب شيقة ، ويبلغها بما يناسب الأذواق ، فإنه لاقى من سخرية الناس ألوانا ، وسخرية المقت والحسد من فئة أخرى ، وسخرية المستهترين الذين لا يؤمنون إلا بشهواتهم ، يدوسون كل القيم والمعاني السامية . . .

ومن السخريات اللاذعة التي اشتهرت في صنعاء حينذاك هذه السخرية « أعوذ بالله من المحلوى والشقارة » أي السيكارة - وكانوا حينذاك يحرمون تدخين السكائر .

ستبكون دما

وحينها دخل الامام يحيى صنعاء ، بعد استسلام الأتراك ، استقبله الناس في جنون من الحب والتقديس والابتهاج . ولكن المحلوى وقف في ذلك اليوم مهموما ، وردد في كل مجتمع هذه الكلمة :

« انكم ستبكون دما بعد حين ، وان الامام يحيى سينهب أموالكم حتى يوزركم الحصير » .

وانك وانت تستمع اليه يتحدث أو يناقش لتعجب وتتساءل « أين تخرج هذا الرجل ؟ . . وكيف ألم ببعض العلوم الطبيعية والرياضية ؟ . . وعمن أخذ الفلسفة ؟ . . وكيف فهم الدين الاسلامي الفهم الصحيح بين قوم لا يفهمون من الدين الا القشور والخرافات ؟ » .

لقد شاءت الأقدار أن يأتي الى صنعاء في العهد التركي تاجر ايطالي عرف باسم « يوسف كبروتي » وكان من الايطاليين النوادر الذين يعتبرون أن الأرض وطن الانسانية جمعاء ، وعلى الانسان أن ينشر المعرفة أينما وجد . ولذلك اتخذ من متجره مدرسة ، كان من حسن حظ بطلنا الأستاذ المحلوى أن يدرس فيها شيئا من العلوم والفلسفة ، وتأثر بذلك التاجر الايطالي تأثرا فجر فيه ينبوع النبوغ والعبقرية . وكان تاريخ أوروبا وقصة الحرية فيها ، وأقوال جمال الدين الأفغاني ، وبعض ما كتب الأستاذ الامام محمد عبده ، من أعظم ما تأثر به الأستاذ المحلوى ، وهي مما أدخله التاجر الايطالي الى اليمن ، وتعد أول كتب ثقافية تسربت الى أيدي بعض اليمنيين .

وعاش المحلوى يؤدي رسالته في صبر وايمان ، في البيوت وفي الشوارع ، وفي المنتديات والمجالس ، غير مبال بسخط الناس وسخريتهم وتهكمهم . حتى لقد أطلقوا عليه لقب « أوكسجين » للتندر والسخرية ، لأنه تكلم مرة عن عناصر الهواء وتركيبه ، وأدلى بكلام غريب عن غازات من بينها الأوكسجين .

كان كسقراط

وكان المحلوى رحمه الله كسقراط في مخالطته للناس وحبه لهم ، وتلقينهم الحكمة والمعرفة بطريقة الاستنباط والتدليل والمناقشة والبحث . وكان له تلاميذ تأثروا به ، كما كان لسقراط تلاميذ .

وأخيرا ضاقت به حكومة الطغيان والتضليل ، فزجت به في السجن ، ومعه تلاميذه الذين يقدسون الفضيلة والمعرفة .

والسجن في اليمن كان بالوعة موبوءة ، مفعمة بمكروبات الأمراض ، وسرعان ما ترسبت تلك

المكروبات في مجاري دم الفيلسوف المحلوى ، فأسلم روحه الشهيدة راضيا مطمئنا .

اسمع ما قاله في كلماته الأخيرة التي ألقاها على تلاميذه في ظلمة السجن الرهيب . . قال بصوته المرتعش الواهن :

« ها أنا أصعد بروحي الى ملكوت الله حيث الانبياء والشهداء والصديقون ، فلا تجزعوا ولا تقنطوا ، واصبروا واثبتوا فإن الله مع الصابرين » .

« اني ذاهب الى القبر ، وكنت أتمنى لو أن الطغاة سفكوا دمي ، وصلبوا جثتي ، فإن الحرية لاتحيا الا بدماء الشهداء ، فغذوا شجرة الحرية بدمائكم ما استطعتم ، ولا تنتظروا ثمرها ، فان ثمرها غذاء الأجيال القادمة » .

« اني ذاهب الى القبر . وستلاقون من بعدي عناء مريرا ، وعذابا شديدا ، ونفيا وتقتيلا ، وتنكيلا وتشريدا ، ولكن الحرية ستنتصر في النهاية ، فالعاقبة للمتقين . النهاية لكم . . وحسبي أنا وأمثالي أننا قد غرسنا هذه البذرة المباركة ، ليكون جناها لمن بعدنا » .

وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٥٤ هـ . وقد ناهز السبعين .

وهكذا يا صديقي كان قاتل سقراط أشرف من قاتل المحلوى ، ذاك سقاه السم جهارا بعد أن حاكمه أمام الناس ، وهذا قتله بان جعله طعمة لمكروبات المرض ، التي جعل الملايين من أبناء اليمن طعمة لها أيضا . رحم الله المحلوى ، ورحم الله شهداء أمتنا العربية ١٩٥٣/٣/٢٥م .

انتهى النص الذي نسخناه عن أوراق علب السكائر ، التي كان قد كتبها قبل أكثر من ثلاثين سنة شاب يمني نحيف ، ضعيف البنية ، أصبح فيها بعد نائبا لرئيس وزراء اليمن ، عندما تحررت اليمن من كابوس الحكم الامامي الكهنوتي ، انه الاديب اليمني الأستاذ محمد عبدالله الفسيل ، الذي عثر على مخطوطته المدهشة في صدفة عجيبة ، بعد ثلاثين سنة من الضياع والنسيان . □

« جمال المـــرأة »

من المعروف أن مقاييس جمال المرأة لم تكن واحدة عند العرب ، على اختلاف عصورهم وبيئاتهم وأطوارهم الحضارية ، فالبدو منهم لا يستحسنون ما يستحسنه الحضر ، وأهل الترف منهم يستحسنون مالا يستحسنه البادئون في الحضارة .

فالمرأة اذا كانت بها مسحة من جمال فهي وضيئة وجميلة ، واذا كان حسنها ثابتاً كأنه وسم فهي وسيمة ، فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة ، واذا كان النظر اليها يسر الروح فهي رائعة ، واذا غلبت النساء بحسنها فهي باهرة ، واذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية .

واذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي خَوْد ، واذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة ، واذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي عُطبول ، واذا كانت ناعمة البشرة فهي بضّة ، واذا كانت حيية فهي خفرة وفريدة ، واذا كانت منخفضة الصوت فهي رخيمة .

العربي ـ العدد ـ ٣٣٠ ـ مايو ١٩٨٦

الصراع

بين الطب والأمراض الوراثية ..!

اعداد : الدكتورة فاطمة الغرباوي

هل آن لأمراض الوراثة أن تنهزم أمام ثورة الهندسة الوراثية أو هندسة الجينات ؟

وهل هناك حقا بوادر أمل في اعادة البسمة الى الملايين ممن فقدوا الأمل في حياة هنيئة سعيدة ؟

أوشكت الثورة في علم الوراثة على الانطلاق ، وظهرت البشائر تترى في جميع مراكز الأبحاث ، التي تعنى بهذا الموضوع الذي أقلق البشرية ردحا طويلا من الزمن .. هكذا رسمت احدى المجلات العالمية غير المتخصصة ، صورة للصراع الذي يدور الآن بين الطب والأمراض الوراثية ، وقد نقلت هذه التجربة مع طفل صغير :

شُدَّ وثاقه الى سريره المبطن ، وهو مثبت في كرسيه ذي الأربع عجلات ، من النوع المخصص للمعوقين ، حتى لا يقضم أصابعه أو يعض احدى ذراعيه ، وقد خلعت أسنانه جميعا حتى لا يلتهم شفتيه أولسانه ـ انه ضحية للشلل الذي أصابه ، والتخلف العقلي الذي مُنى به .. لم يعد يجرؤ والداه على اصطحابه معهما الى مطاعم مدينتهم في ولاية تكساس الأمريكية ، لكثرة صراخه وشراسته وتصرفاته التلقائية العنيفة أثناء تناول الطعام ، وأمه تتقطّر أسى وهي تقول : اننا ننتظر المعجزة .. ولكن أملنا في الشفاء ضعيف !

هذا الطفل ـ تشاد ـ يعاني مرضا وراثيا نادرا ... هو مرض ليخ نيهان وهو مرض ينتج عن نقص في الجينات المائة ألف الموجودة في كروموسومات خلايا الانسان ، ونتيجة لغياب هذا الجين ،[1] فإن الخلايا في جسمه تعجز عن انتاج مادة معينة تسمى (H.P.R.T) مجازا واختصارا حتى لا ندخل في متاهات علمية ليس مقامها هنا .

- هذه المادة لازمة لعملية الأيض الأساسية في

خلايا الجسم . وتتراكم بللورات حامض البوليك في كليتي المريض ، وفي مفاصل الجسم ، ويضمر المخ أيضا تبعا لنقص تلك المادة (H.P.R.T) ، وهكذا يبدأ مسلسل الأعراض المرضية على المصاب .

والى وقتنا هذا ، فإن تشاد وأمثاله من المرضى ليس لديهم الا فرص ضعيفة للعلاج ، باستثناء بعض العقاقير التي لا تنفع .. بل انها قد تجر عليهم بعض المضاعفات .. وهكذا فإن المصابين بهذا المرض الوراثي يتوفون وهم دون العشرين .

الأمل في الشفاء

... ولكن .. هناك بارقة أمل قد تشرق عما قريب ، لتسعد هؤلاء التعساء ، فلقد بدأ مهندسو الوراثة عملهم بتكثيف الجهود في مختبراتهم الخاصة ، التي لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة في الولايات المتحدة كلها ، بدأوا يعملون - لأول مرة - في تجارب لعلاج الجينات غير الطبيعية .. ومن هنا بدأت المعركة من أجل هزيمة الأمراض الوراثية ، فمن خلال عدة طرق تقنية غاية في الدقة حول مادة الـ (D.N.A)[٢] الحيوية في الخلايا ، سوف يحاول العلماء حقن نسخ سليمة من الجين المريض في نخاع عظام المريض بمرض وراثي معين ، فإذا ما تهيأت الظروف ولم يحدث أي عائق ، بدأت هذه الجينات السليمة في انتاج كمية من الأنزيم الناقص ، تكفي لسد العجز الموجود بالجسم .. وبذا يشفى المريض .

ويقول الباحث إهور ليميشكا (Ihor Lemischka) الذي يعمل في معهد هوايت هيد في ولاية ماساشوستش الأمريكية للعلوم البيولوجية الحيوية - وهو معهد مختص في هذه الأبحاث - يقول هذا الباحث : « سوف يكون هذا انتصارا علميا ذا شأن عظيم » ومع التوقعات بطفرة قريبة في الأبحاث في هذا المجال ، تكونت في أمريكا لجنة من المعهد الصحي القومي (N.I.H.) من أجل أن تصدر دليلا متفقا عليه للأطباء العاملين في هذه التجارب المبدئية ، في علاج الجينات غير الطبيعية ، وكان هذا الدليل في صورة أسئلة موجهة للأطباء في مجال تجاربهم ، ومثال ذلك :

هل المرض الذي اخترت علاجه شديد الوطأة ؟

هل من المحتمل أن تكون نتائج التجارب الجديدة أفضل من الطرق السابق اتباعها في العلاج ؟

هل هناك مخاطر سيعاني منها المريض أثناء العلاج ؟

هل يتفهم المريض وأسرته ماذا يعني هذا الجهد المبذول ؟

الخلية المثالية

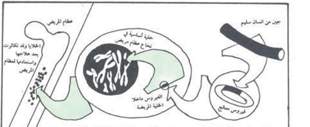
فالعلماء حريصون على تفادي المضاعفات الضارة في أبحاثهم وتجاربهم ، ولذا فهم يعملون جاهدين ، كي تمر كل الاختبارات التي تجري على الانسان دون أخطار ، وقد كانت الصعوبة الكبرى التي صادفتهم هي التخطيط لايجاد طريقة مثلى لاستخلاص عنصر الـ (D.N.A) لادخاله في الخلايا .

فمن الناحية النظرية يجب أن تكون هناك خلية مثالية للعلاج ، وخلية أخرى مثالية لتلقيه ، وهذه الخلايا المثالية هي الخلايا الأساسية Stem cells أو الخلايا الأم ، وهي في نخاع العظام غير ناضجة ، يتولد عنها خلال مراحل نضجها الكرات الدموية الحمراء ، والكرات الدموية البيضاء ، وكذلك الخلايا الأخرى المهمة التي يتوقف عليها انتاج الأنزيمات الرئيسية .

ولكن .. هذه الخلايا الأساسية هي أندر الخلايا وأكثرها مراوغة في نخاع العظام .. لذا كان على العلماء أن يزرعوا الجينات السليمة في كل خلايا نخاع المريض ، آملين أن يصل بعضها لتلك الخلايا الأساسية المطلوبة .

وقد لجأ العلماء الى طريقه معينة ، ليتوصلوا لزراعة الخلايا على هذا المنوال ، وبتوسع ، وهي وان كانت تدعو الى الخوف والحذر ، الا أنها تحدث كثيرا للانسان في الأحوال الطبيعية ، هذه الطريقة تتلخص في زرع الفيروسات نفسها في الجسم ، وهذه الفيروسات هي نوع من الميكروبات الدقيقة التي تسبب بعض الأمراض .

« لقد حل الفيروس مشكلة اقتحام الخلايا لنا » .. « قالها متهللا العالم ويليام نيهان ، الذي يعمل في جامعة كاليفورنيا بمدينة سان ديجو ، وهو أحد الباحثين الذين اكتشفوا مرض ليخ نيهان الذي



(١) جين من خلية انسان سليم ، وهو يقتحم الفيروس المعامل (٢) ليأخذ مكانه بين جينات الفيروس (٣) هذا الفيروس يأخذ طريقة داخل خلية أساسية في نخاع العظام المأخوذ من المريض . وفي داخل هذه الخلية نرى الـ (D.N.A) السليم في الفيروس يأخذ مكانه داخل نواة هذه الخلية الأم (٤) بعد ذلك تحقن هذه الخلايا ـ التي عولجت ـ ثانية الى عظام المريض ، فتتوالد وتتكاثر في داخل النخاع الى مستعمرات من الخلايا السليمة ، ومن ثم يبدأ الشفاء .

نحن بصدد الحديث عنه . « تلك هي الطريقة المثلى » قالها مكملا حديثه بابتهاج .

السؤال المطروح

وهنا يجدر بنا ذكر العالم البارع « ريتشارد ملليجان » المتخصص في التعامل مع الفيروسات بمعهد « هوايت هيد الذي أمكنه بطريقة معينة ، أن يتحكم في فيروس لوكيميا الفأر ، وتمكن بطريقة كيميائية من أن يفقده قدرته على التكاثر ، ثم هو بعد ذلك ، وباشارات مناسبة ، تمكن من تنظيمها وابدالها بالجينات الآدمية بعد مزجها بنوع مساعد من الخلايا ، وهكذا تحول مرض فيروس اللوكيميا الى عنصر مساعد نشط في التجارب الحالية .

وبعد ذلك تم تفريغ النخاع العظمى للفأر ، ووضعه في فرن حاضن خاص ، مع ما نتج عن التجربة السابقة ، أي الفيروس والخلايا المساعدة . . وبعد ٤٨ ساعة وجدت خلايا النخاع وقد اقتحمتها الفيروسات جميعا . . ثم عرض الفأر للأشعة العميقة لقتل ما بقى من خلاياه الأصلية في نخاع عظامه ، وأيضا لافساح المجال الكافي لنمو نخاع عظام جديد . ثم زرع النخاع بخلاياه الجديدة ثانيا في عظام الفأر ، وبعد أسبوعين فقط ، وجد أن الخلايا الأساسية ـ الأم ـ قد انقسمت وبدأت في التكاثر وملء فراغ العظام الخالي !!

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل بعد هذا ما زالت الجينات الجديدة موجودة وواضحة أم تغلب الجسم عليها وقتلها ؟ والاجابة هنا عند العالم « دافيد وليم » ، الباحث في كلية الطب بجامعة « هارفارد » ، والمشارك في أبحاث « هوايت هيد » ، فهو يقول : « اننا لسنا هناك بعد . . ولكننا نقترب من النتائج حثيثا . . » ولك أيها القارىء ان تفهم ما يعنى هو بذلك التصريح . .

وهناك عدة مختبرات أخرى في أمريكا ، تقف تقريبا على نفس المستوى من الأبحاث ، فهذه المجموعة من الباحثين في جامعة كاليفورنيا ـ سان ديجو ـ يستعملون الفئران في أبحاثهم عن جينات الـ (H.P.R.T) ولكن الأبحاث الأكثر اثارة هي التي تجرى في المعهد القومي الصحي (N.I.H) على زرع الجينات في أربعة قرود . . فلقد أفرغ العالم « و . فرنش » بعضا من نخاعها العظمى ، ثم عرض القرود للأشعة العميقة ثم أعاد حقن نخاعها بعد معالجته باضافة بعض الجينات الآدمية له . . والنتيجة . . اذا نجحت تجاربه هذه تصبح ايذانا بمباشرة التجارب نفسها على الانسان .

واتفق العلماء على تحديد ثلاثة أمراض نادرة للبدء في مضمار علاج الجينات الآدمية ، تلك الأمراض نسبتها حالة واحدة في كل مائة ألف مولود . ولقد

أمكن عزل الجينات المريضة ، ودُرست دراسة تفصيلية تمهيدا لهذا الغرض .

عنصر آدمي متميز !

ويأمل علماء البيولوجيا في علاج اثنين من هذه الأمراض ، حيث وجد أن المطلوب لعلاجها كمية ضئيلة من الأنزيمات ، لاصلاح أسوأ الأعراض في المريض المصاب .

والظاهر أن هذين المرضين هما مرض ليخ نيهان ، الذي قضى على الطفل الشهير الذي كان يعيش داخل بالونة كبيرة تعزله عن العالم الخارجي ، وذلك لنقص في بعض أجهزة المناعة لديه .

المرض الآخر هو أيضا الذي يعاني المصابون به من نقص في أجهزة مناعتهم .

وهكذا .. كلما زادت معلومات الباحثين في أمراض الجينات الوراثية ، زادت قدرتهم على قهر مشكلات أكثر تعقيدا من الأمراض الوراثية ، مثل الأنيميا المنجلية والسكر وحتى مرض السرطان .

وعلى الوجه الآخر من العملة نجد أنه كلما ازدادت جهود العلماء الباحثين في هذا المجال ، ظهرت تخوفات وقلق المراقبين الذين يخشون استعمال الـ (D.N.A.) المعالج للآدميين . بل قد يذهب بعض المتطرفين الى تخيل بعض محاولات « هتلرية » لخلق عنصر آدمي متميز عن باقي المخلوقات .

يقول « آ ـ دستي موللر » الباحث في مركز فرد هتشنسن لأبحاث السرطان في سياتل بأمريكا : « انها ليست طريقة لتغيير أصل الجنس ، ولكنها طريقة مبتكرة وذكية لتناول عقار ما ، وهذا هو حال كل جديد ومبتكر . . . »

وتعتمد طرق العلاج على وجود الجين في متناول اليد ليقتحم الخلية ، ولكن الصعوبة الكبرى هي في كيفية عزل هذه الجينات منفردة ،

وفي هذا المجال أحرز العلماء تقدما ملحوظا في استنباط طريقة معينة للتركيز على جين معين ، وقد سميت هذه الطريقة اختصارا (R.E.L.P) ، وهي تعتمد على أنزيمات تساعد على تشكيل عنصر الـ (D.N.A) الى أجزاء بأشكال محددة ، فالعائلات التي يظهر فيها مرض وراثي تكون بها أشكال الجينات متماثلة وهذا مما ساعد العلماء على تحديد المنطقة التي يوجد بها الجين المريض .

والبُشرى الآن .. انه في الفترة الأخيرة من العام الماضي ، أعلن علماء البيولوجيا عن اكتشاف أشكال محددة من الـ (R.E.L.P) ، وعلامات مميزة لبعض الأمراض ، مثل التكيس الليفي الذي يصيب حوالي ٣٠٠,٠٠٠ أمريكي ، وكذلك أشكال محددة تبين الاستعداد الجسماني للاصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية ، ومرض تكيس الكلى ، وكذلك مرض ضمور العضلات .

ويقول « مانويل بوتشوالد من مستشفى الأطفال في تورنتو بكندا ، وهو مشارك في أبحاث اكتشاف العلامة المميزة لمرض التكيس الليفي : « بأن هذا هو أول معول في يدنا للقضاء على هذا المرض » .

ان الاكتشافات في مجال الـ (R.E.L.P) تحدد الموقع المريض في الجين على التقريب ، ولكن الاكتشافات الأخيرة لعلامات الـ (D.N.A) المميزة هي اللبنة الأولى في مضمار عزل الجينات نفسها . وهناك بارقة أمل ـ على الاقل في الوقت الحاضر ـ كما يقول العالم « جون باكستر » من كاليفورنيا ، ويعمل في الهندسة البيولوجية ، وهو مكتشف العلامات المميزة للاستعداد لأمراض القلب والأوعية الدموية ، ويعتقد بأن نتائج الـ (R.E.L.P) يمكن أن تعمل كانذار لمن هم على استعداد للمرض في الوقت المناسب ، حتى يغيروا نمط حياتهم ، ويضيف محذرا بأن هذا الانذار بمثابة ارتفاع ضغط الدم الى ١٩٠ ملليمتر زئبقي . . . وهو معدل فوق الطبيعي بكثير . . .

وختاماً نقول ما أجمل أن نرى البسمة على شفاه المرضى وهم يشفون فإن في ذلك متعة عظيمة دونها كل ملذات الحياة . . . . □

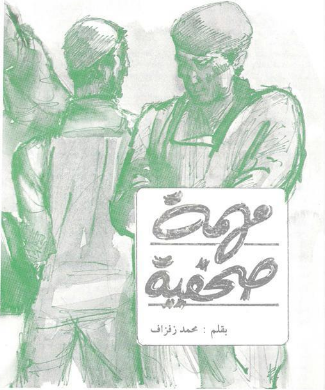
---

١ ـ الجين Gene وهو وحدة العوامل الوراثية التي تحملها الكروموسومات في الخلية .

٢ ـ حمض الديؤكسيريبونيو كليك أسيد

وهو مادة وظيفتها حمل الشيفرات الوراثية في خلايا جسم الانسان ، وهو يختلف تركيبا من شخص لآخر .

• قصة قصيرة •



مهمة صحفية

بقلم : محمد زفزاف

تبدو المدينة هادئة تماما ، شوارعها خالية ، واذا ماظهر شبح انسان فلاشك انه شبح خادمة ، لأن الكل يشتغل هنا ، وحتى في الليل تغلق الابواب استعدادا للعمل في الغد ، يتم مايتم في الخفاء ، وبين اربعة جدران ، أو - عفوا - بين عشرات الجدران ، لأن « الفيلات » كثيرة متراصة ، بنيت في الثلاثينيات ، واستطالت نخلاتها وأشجارها ، وتغيرت نباتاتها وأزهارها ، قال لي موظف ينتمي الى منطقة « حمر » :

كان ممنوعا علينا أن ندخل الى هذه المدينة عندما كنا صغارا ، قبل الاستقلال ، وكان يسمح للخادمات ، وحدهن بذلك ، ولكننا كنا نستطيع أن نتسرب ونتجنب أعين العسس المغاربة والفرنسيين ، وكنا نتلصص على الفرنسيين وهم يرقصون ، ويشربون ، ويتعانقون ، ويأكلون الشواء ، وغير ذلك ، كانوا يعيشون في جنة ، ويقيمون الحفلات ليلة السبت في الشوارع .

وصلت الى هذه المدينة قبل حوالي ثلاثة أيام ، في مهمة صحفية لاجراء تحقيق عن وضعية عمال مناجم الفوسفات ، استطعت أن أتجول بالسيارة بين الفيلات ، وفي الحي الشعبي خلال ساعة واحدة فقط ، كانت الفيلات متشابهة الهندسة ، وليس هناك مايميز الواحدة منها عن الأخرى ، في حين أن الحي الشعبي مبني بطريقة عشوائية ، شأن باقي الأحياء في المدن الأخرى التي عرفت .

استطاع الموظف أن يربط معي علاقة بسهولة ، كما انه قدم لي موظفين آخرين يرتادون نفس النادي التابع لمكتب الفوسفات ، انهم يعرفون بعضهم ، فهم يلتقون كل يوم في العمل والنادي ، وربما كانوا يتزاورون كذلك ، كنت الوجه الغريب بينهم ، وفهمت أنهم في حصارهم ذاك يريدون أن يتسقطوا أخبارا من خارج مملكتهم : من خارج عالمهم اليومي المتكرر ، وخمنت أنهم يعيشون عزلة نفسية قاسية ، رغم شساعة « الفيلات » وتوفر السيارات ، وأجهزة الفيديو ، ووسائل التسلية الأخرى . لكن كل ذلك بدا لي عبثا في عبث ، وتصوراتهم مثل الأطفال ، كلما امتلكوا لعبة طمعوا في أخرى جديدة ، دون أن تنتهي رغباتهم أبدا ، وهذا مايشعرهم بوحدتهم وبرتابة



حياتهم هنا ، رغم محاولات الادارة المركزية للتخفيف عنهم في غربتهم ، بتوفير امكانيات اقتناء هذه اللعب ، وهم ينتظرون شيئا لايعرفونه بالضبط ، وتذكرت رواية « صحراء التتار » لدينو بوتزاتي ، كان البطل فيها ينتظر دائما عدوا وهميا في قلعته ، لكن هؤلاء ينتظرون شيئا ما في فيلاتهم الفسيحة ، ما هو الشيء لا أدري ، يمكن لعلماء النفس أن يفهموا ذلك ، أما انا كصحفي ، فلا استطيع أن استخبر الا النزر القليل من دواخل هؤلاء الناس ، وعلى كل فقد استطعت أن أتعرف على مجموعة منهم في النادي ، بل استطعت كذلك أن أتعرف على بعض العمال الذين بترت أيديهم أو أرجلهم ، وهم لايلفتون الانتباه الا بالنسبة لزائر غريب مثلي ، وعندما سألت عن ذلك ، قيل لي بأن ذلك شيء عادي بالنسبة لأي عامل منجم ، عندما يلتحق العامل بعمله في الصباح أو الليل ، فإنه يضع في ذهنه أن الحزام الذي ينقل الفوسفات لاشك أنه سيبتر له يدا . سألت أحد الموظفين عن سبب ذلك فأجابني :

● انه الارهاق ، أحيانا ينام العامل من كثرة الانهاك ، فلا يستيقظ الا وقد بتر الحزام يده .

وقال لي موظف آخر :

أو ينهار عليه المنجم ، هل قرأت رواية « جير جير ميانك » لاميل زولا ؟

- نعم كلنا قرأناها ، انها نفس الوضعية التي يعيشها العمال هنا ، يجب أن تتاح لك الفرصة لزيارة المناجم ، أو على الأقل ، استيقظ في الصباح مبكرا ، وتعال لترى سحناتهم هنا وهم يفطرون في النادي .

وكانت فكرة رائعة أن استيقظ مبكرا وأزور هذا النادي الوحيد في المدينة ، ففيه يفطر العمال ، وفي المساء يكون خاصا بالأطر العليا للمكتب ، كررت الزيارة مرارا ، لكن لم تكن هناك امكانية للتحاور مع أي عامل ، لأنهم دائما متعجلون ، كانت سحناتهم داكنة مشابهة ، يلبسون جميعا أحذية طويلة مطاطية ، وفي النهار كنت أتجول بالسيارة في المدينة ، دون أن التقي بأحد الا في النادر ، ثم أعود أدراجي الى النادي لادردش قليلا ، أو لأشرب شيئا ، وقلت في نفسي متى أشرع في العمل ؟ وحاولت مرارا أن أسجل بعض النقط ، الا أني كنت عاجزا تماما عن فعل ذلك ، رغم اني حصلت على بعض المعلومات والاحصاءات ، أحيانا كنت أنزوي في غرفتي ، الا



أني في أغلب الأوقات التحق بالنادي ليلا ، وأظل أتأمل هذه الوجوه ، بعضها يلعب الورق ، وبعضها يتفرج على التلفاز ، والبعض الآخر يدرس ، وكنت أفضل هذا النوع الآخر وأنضم اليه .

وقال لي أحدهم عندما حدثته عن هذا الهدوء القاتل هنا :

ـ اسمع ، لقد طلقت زوجتي ، وأنا أفضل أن أعيش هنا ، ولو أعطيتني مال قارون لما عشت في مدينة هائلة كالدار البيضاء ، رفضت زوجتي العيش هنا فطلقتها .

وقال لي آخر

ـ أنا أصلي من الدار البيضاء ، في الستة أشهر الأولى لم آلف هذه المدينة ، وكنت كل نهاية أسبوع أسافر الى الدار البيضاء ، لكني فيما بعد لم أشعر الا وقد قضيت عشر سنوات ، الآن لم أعد أفكر في مدينتي الأصلية .

اكتشفت في الأخير أنهم ألفوا عزلتهم هذه ، واعتادوا على هذه الرتابة اليومية ، رغم أنهم يحاولون معرفة ما يجري « هناك » تطورت علاقتي معهم كثيرا ، ودخلت الى بيوتهم ، وبدأت أنا كذلك أنسى تلك الرتابة اليومية ، بل انني بدأت آلفها ، وطوال هذه المدة لم أكن أتصل بالجريدة ، لكن بعد أسبوعين اتصل بي رئيس التحرير قائلا :

ـ هل ستقيم في تلك المدينة الى الأبد ؟ لقد أرسلناك لتبقى يومين أو ثلاثة وليس دهرا .

ـ ان التلفون معطل هنا ياسيدي

ـ ادخل حالا

ـ أمرك

واكتشفت أنني بقيت هنا طويلا بالفعل ، وأن من حق رئيس التحرير أن يكلمني بتلك الفظاظة ، حزمت حقيبتي والتحقت بالدار البيضاء ، كانت معي مجموعة من المعلومات والأوراق ، أجلت استغلالها فيما بعد ، وحتى في الدار البيضاء ، بعد أن ابتعدت عن تلك المدينة لم أستطع أن أكتب شيئا ، وانتظر رئيس التحرير طويلا مقالاتي المفصلة لكن بدون جدوى ، بعدها ناداني الى مكتبه :

ـ اين ما أنجزت ؟ لاشك أنك تؤلف كتابا عن تلك المدينة

ـ لا كتاب ولا هم يحزنون .

ـ ماذا تقول ؟ كيف تتحدث بهذه الطريقة ؟

لقد اصبحت مثل أولئك الناس : في تلك المدينة .

ـ اني اطلب منك التحقيق الذي أنجزت .

ـ لم أنجزه ولا أحد يستطيع أن ينجزه .

ـ لاشك أنك أصبت بلوثة ، وأعتقد أنك في حاجة الى الالتحاق بالجناح رقم ٣٦ من مستشفى ابن رشد للأمراض العقلية ، سوف اتخذ في حقك الاجراءات اللازمة .

ـ عندما تقيم في تلك المدينة ياسيدي ، سوف تعرف كل شيء ، ثم خرجت دون أن أصفق الباب . □

« طه حسين يرثي العقـــاد »

يقول الدكتور طه حسين في مقطع من رثائه لصديقه عباس محمود العقاد : « أمثالك تموت أجسامهم ، لأن الموت حق على الأحياء جميعاً ، ولكن ذكرهم لا يموت ، لأنهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضاً ، وسيواري شخصك الكريم في أطباق الثرى ، ولكن القبر الذي سيحتوي شخصك لن يستأثر بك ، فلك في قلوب الذين يحبونك والذين ينتفعون بأدبك وعلمك ذكر لن يموت ، ولكنهم لن يستأثروا بذكرك ، وانما ستشاركهم فيه الأجيال التي تبقى بقاء الدهر » .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

رحلة المعونات في زمن العجز !

المعونات الدولية كلمة قديمة نشط استخدامها عقب الحرب العالمية الثانية .

في ذلك الوقت كان الدمار واسع النطاق ، وكانت الحاجة للتعمير تخلق حاجة لرأس المال .. وبينما كان العالم القديم (أوروبا) يعاني بسبب الحرب ، كان العالم الجديد (أميركا) بالوفرة والقدرة على تصدير رأس المال .

وقد ظل استخدام الكلمة يحمل المعنيين : القرض والمنحة أو الهبة .. كما ظل هذا الاستخدام ـ في معظمه ـ مقصورا على العالم المتقدم ، فهو وحده الثرى .. وهو وحده القادر على أن يعطى .. وقد اتسع هذا العالم ليضم الشمال على اتساعه من الشرق الأوروبي الى الغرب الأوروبي ، ومن اليابان الى الولايات المتحدة الأمريكية .. كذلك فقد نشأت المؤسسات الدولية كالبنك الدولى للانشاء والتعمير ، وصندوق النقد وغيرهما من مؤسسات مهمتها : تقديم العون .

وبالطبع كان العون الاقتصادى على رأس أنواع العون . في السبعينيات كان هناك جديد مهم .

لقد حدثت صدمة النفط الأولى .. وأعادت الدول الصناعية تكييف اقتصادياتها خلال شهور قليلة .. بينما بقيت الدول النامية .. مستوردة للنفط ومصدرة له تبحث عن طريقة للتكييف .

في جانب الدول المستوردة ـ ونتيجة لارتفاع أسعار النفط اعتبارا من عام ١٩٧٣ ، وارتفاع أسعار السلع الصناعية بعد ذلك ـ وقع عجز ضخم في موازين مدفوعاتها مع العالم الخارجي .. ووقع عجز في الميزانيات الحكومية للكثير منها .. وكان السبيل الأيسر : الالتجاء الى الخارج لسد هذا العجز .

على الجانب الآخر كانت اقتصاديات معظم بلدان الأوبك ذات قدرة استيعابية محدودة ، لقد زادت أسعار النفط الى نحو أربعة أضعافها في العالم الأول ، ثم توالت الزيادات .. بينما لم يزد النشاط الاقتصادي المحلى بنفس السرعة ، ولم يكن متاحا أن يساير النموُّ الاقتصادى النموَّ المالى .

كان منطقيا أن تكون هناك عوائد قابلة للتصدير ، وأن تأخذ هذه العوائد مسارات مختلفة ، من بينها تقديم العون الاقتصادى على المستوى الدولى .

قد نختلف الآن حول استخدام كلمة « فوائض » .. فالحقائق تقول ان النفط ثروة ناضبة ومؤقتة مهما طالت بها السنوات .. والتجربة تقول ان سنوات الرواج قد انحسرت ، والأسعار قد تراجعت ، والعودة لارتفاع جديد وعاجل في الأسعار .. خارج التوقع .

اذن فلم يكن ما أسميناه فائضا غير فائض مؤقت .. لايزيد عن حاجة الاقتصاد في الدولة النفطية ، لكنه يزيد عن حاجة « اللحظة » ... بينما يبقى رصيدا ضروريا للمستقبل .

وقد جاء « المستقبل » في فترة زمنية قصيرة لم تتجاوز عشر سنوات ، بدأ بعدها الانحسار والعجز والحاجة للمخزون القديم ..

الآن .. يهبط سعر النفط .. وتتراجع العوائد الى أقل من نصف ما كانت عليه منذ سنوات قليلة .. وتواجه دول الأوبك مشكلة التكيف مع الواقع

الجديد .. ويبرز السؤال : كيف كانت رحلة المساعدات الاقتصادية خلال حقبة برزت فيها دول الأوبك كأكبر « مانح » دولي ؟ .. والى أين تمضى الرحلة الآن ؟ .. وما هو تأثير الانكماش على الطرفين : الدائن والمدين ... صاحب العون ومتلقيه ؟ .. وهل تعود الدول الصناعية لتكون أكبر المانحين ، أم تواجه الدول النامية المتلقية للعون مشكلة في التمويل الدولي ؟ .

قبل ثورة النفط كانت هناك ثلاث دول عربية منضمة للأوبك ، وذات وزن نسبي كبير في مجال المساعدة الاقتصادية .. كانت هناك الكويت والسعودية وليبيا .. ولكن في حدود لا تزيد عن (٤٠٠) مليون دولار في السنة .

في عام ١٩٧٤ حدثت القفزة ، وبين عامى (٧٤ و ١٩٧٧) - وطبقا لتقرير البنك الدولي - فقد بلغ صافى المنصرف من مساعدات اقتصادية من دول الأوبك : (٥) مليارات دولار سنويا .. وأخذ الرقم يتصاعد ، وبلغ ذروته عام ١٩٨٠ ، حين بلغت المساعدات (٩٫٦ مليار دولار) .. ثم عادت للتراجع لتصل الى (٥٫٥ مليار) عام ١٩٨٣ ، ولتأخذ خطا تراجعيا بعد ذلك .

حينذاك ارتفعت الأهمية النسبية لهذه المساعدات ضمن المساعدات الدولية ، وبالقياس للناتج القومي في أى بلد من البلدان المانحة .

في عام ١٩٧٥ كانت مساعدات دول الأوبك تمثل (٣٠) بالمائة من اجمالي المساعدات الانمائية الرسمية الدولية من كافة المصادر .. وكانت طبقا لنفس المصدر السابق - تمثل (٧) بالمائة من الناتج القومى الاجمالى للكويت ، و (٨٪) من ناتج السعودية القومى الاجمالى ، بينما ارتفعت النسبة الى (١٢٪) في الامارات و (١٦٪) في قطر .. وفي المتوسط العام فقد أعطت الدول العربية المنضمة للأوبك (٨٫٥٪) بالمائة من ناتجها القومى للمساعدات في عام ١٩٧٥ .. لكن الرقم - وبطبيعة الحال - قد تراجع الى (٣) بالمائة عام ١٩٨٣ ..

وربما يبرز سؤال حول المسارات التي سلكتها تلك النقود ذات الحجم الضخم كل عام .

وتقول الاجابة انه بين عامى ٨١ ، ١٩٨٣ كانت معظم المساعدات التي خرجت من دول الأوبك ، وبنسبة تصل الى (٨٠٪) تتجه الى ما يسمى « البرامج الثنائية » .. وكان معظم العون وبنسبة (٨٥) بالمائة من هذه البرامج الثنائية لبلدان عربية .. بينما كان نصيب الدول الأفريقية غير العربية (١٠) بالمائة فقط .

وعلى صعيد آخر نجد أن نصف المعونات الثنائية للأوبك خلال تلك الفترة قد اتجه لدعم ميزانيات دول أخرى .. بينما لم يتجه للمشروعات سوى خمس ($\frac{1}{5}$) المساعدات فقط .. ومعنى ذلك أن الأزمة الاقتصادية التي أصابت البلدان النامية والعلاقات السياسية كانا لهما الأثر الأول في توجيه المعونات .. بينما حظيت مشروعات التنمية بالقسط الأصغر .

والأكيد أنه ايجابي .. ذلك الانحياز الذي تبرزه الأرقام للتعاون « العربي - العربي » .

أيضا ، وفي مجال الحديث عن رحلة المساعدات لدول الأوبك ، فلابد أن نقول أن ذلك التدفق قد خلق الحاجة لانشاء ادارة متخصصة ، فأنشأت أربع دول هي : السعودية ، والعراق ، والكويت ، وأبو ظبى صناديق خاصة برأسمال مصرح به مقداره (١٦) مليار دولار .. ونشأ العديد من المؤسسات مثل : الصندوق العربي للتنمية الاجتماعية ، وبنك التنمية الاسلامى ، والبنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا .. ومما يشير الى أن التحيزات في مجال العون قد امتدت من الدائرة العربية للدائرتين الاسلامية والأفريقية .. على أي حال فإن السؤال الأهم الآن : الى أين تمضى الرحلة ؟

ولا شك أن انحسار المعونات يأتي ضمن الحلول الأولى التي تعالج بها دول الأوبك مشكلة انخفاض العوائد ... ولكن بسبب انخفاض أسعار النفط أيضا سوف تتراجع حاجة الدول المدينة التي مثلت مشتريات النفط بالنسبة لها العبء الأول .. كما أن تحسن الموقف الاقتصادي الدولي قد يتيح تدفقات من الدول الصناعية بنسبة أكبر .

الصورة اذن ليست قاتمة في مجال المعونات الاقتصادية التي احتلت دول الأوبك جزءاً كبيراً منها .. لكن الصورة أيضا تقول : لقد حان الوقت لتعيد كل الأطراف حساباتها .

لقد كانت رحلة الفائض - إن صح التعبير - رحلة سهلة ، أما الآن فالأمر أكثر صعوبة . □

الكويت

وقصة أول مجلة في الخليج والجزيرة العربية

بقلم : خالد سعود الزيد

في بداية هذا القرن كانت المجلات العربية تصل الكويت وبقية مدن الخليج والجزيرة بعد أشهر من صدورها في القاهرة أو بغداد . وكانت المراكب الذاهبة الى الهند وسيلة نقل هذه المجلات .

لكن عشرينيات القرن شهدت حدثا مهما ، هو صدور أول مجلة محلية في الكويت والمنطقة . فكيف بدأت المجلة فكرة ثم لعبت دورها الرائد .

هذا هو موضوع المقال التالي .

ليس من السهل أن يخرج الانسان على مألوف قومه ، فحين يتحجر العقل ، يصبح المألوف إلها معبودا ، فالأوثان ليست أصناما حجرية فحسب ، بل هي كذلك تقاليد جاهلية موروثة ، تجليها الانسان عصرا من بعد عصر ، فَصعُبَ عليه نسخها ، لما أضفى عليها من قداسة مزعومة .

ولقد قصَّ علينا الشيخ (عبدالعزيز الرشيد) بإسهاب وجرأة قصصا في كتابه (تاريخ الكويت) المطبوع عام ١٩٢٦م في بغداد عن الصراع الذي كاد يكون داميا في الكويت في مطلع القرن العشرين ، بين المتمسكين بالتقاليد من جهة ، وبين أنصار التجديد من جهة أخرى .

لقد وقف المتشبعون للتقاليد موقفا غير كريم من حركة البعث التي قادها (جمال الدين الأفغاني) رحمه

الله ، ووقفوا موقفا مضادا من أفكار تلميذه الشيخ (محمد عبده) ونفروا لقتال مشايعيها من أمثال (رشيد رضا) وغيره من رجال الاصلاح دون حياء أو مواربة ، فمنهم من نفر مكرا ومنهم من نفر اعتقادا .

لقد طعنوا بالتدريس الحديث ، وكانوا ينفّرون الناس من الكتب (العصرية) ومن أربابها ، ومن مطالعة الصحف وأصحابها زعما منهم أن ذلك من الدين .

ولقد كان للاشتراك في المجلات العربية المشايعة للتجديد نصيب وافر من هجوم شيعة التقاليد ، لقد رأوا فيها وجها للالحاد وصورة للكفر الوافد على بلاد الاسلام .

وفي مطلع هذا القرن اشتركت بعض البيوتات الكويتية ببضعة أعداد من مجلة (المنار) و (المؤيد)، وبالرغم من أن هؤلاء المشتركين بمجلتي (المنار) و (المؤيد) ، لا يتجاوزون اثنين أو ثلاثة كما يذكر (الرشيد) في تاريخه ، الا أن حربا شعواء قد شنها المتعصبون من (شيعة التقاليد) على قراء المجلتين .

دور رشيد رضا

ولقد قاد الحملة المتعصبة وكان على رأسها الشيخ (أحمد الفارسي) رحمه الله الذي نظم قصيدة همزية في هجاء (المنار) وصاحبها يقول فيها :

ورب المنار امتاز عنهم بدعوة
الى شرع شيطان عليه بلاء
فياليت شعري ما أقول بمارق
له عن سبيل المؤمنين اباء
أقول جهاراً إنه لمذبذب
له كل يوم بقعة وسماء

وقد لقيت القصيدة حظوة عند الناس يومئذ ، فكانت حديث مجالسهم وسمرهم في أنديتهم . شاكرين لمنشئها غيرته على العلم والدين ، ويذكر (الرشيد) في كتابه أن هذه القصيدة أقامت الكويت وأقعدتها ، وخيل للناس أن صاحبها من الذين لا تزال تأتيهم من الله النفحات ، إلى أن زار الأستاذ (رشيد رضا) الكويت سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م ورغب الاجتماع به ، فأبى زاعما لمن لامه أنه خشي من استياء آل الصباح الذين نزل ضيفا عندهم ، ثم من هو الحكم الذي يفصل بيننا اذا تنازعنا ؟

ويقول الرشيد : إن الاستاذ الكبير العلامة السيد (رشيد رضا) أحدث انقلابا في الكويت ، وتأثيرا عظيما بخطبه الرنانة ، وهو يتدفق كالسيل المنحدر ، فتاب كثير ممن كانوا يعتقدون فيه السوء ، وأصبح الراغبون في العلوم الراقية جما غفيرا ، وازدادت الرغبة في مجلته .

ولقد آزر الشيخ (أحمد الفارسي) في مهاجمته رجل يَفِدُ إلى الكويت من الأحساء هو الشيخ (عبدالعزيز العلجي) ويصفه الرشيد في تاريخه فيقول : (تكون الكويت آمنة مطمئنة ، وماهو إلا أن تطأ قدمه أرضها ، حتى ينكر الابن على أبيه ، والأخ على أخيه ، وينشر من زيفه وضلاله ما يضج الدين منه ، ومن أخف ما كان يحدِّث به استسهال معتقديه اطلاق الكفر والالحاد على المسلمين ، واستحلال دماء الموحدين ، وتقربهم الى الله بهجر المؤمنين ، ولقد استحل هذا الرجل دم الشيخ (رشيد رضا) حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار فيها الكويت ، ولكن القدر منع الشيخ (رشيد رضا) من المرور ذلك اليوم من طريقه .

ويقول الرشيد : حمدنا الله على نجاته ، لأن قتل الأستاذ مع كونه خسارة كبيرة على الاسلام يكون نقطة سوداء في تاريخنا ، وعارا نلبسه أبد الآباد ، ويقول العلجي من قصيدة له في المنار :

إلى الله نشكو من ضلال على عمد
أتتنا به الجهالُ عن كلّ مرتدٍّ
قَلَوْا كتبَ الأسلاف واستبدلوا بها
سجلات أصحاب المنار التي تُرْدى

ويقول الرشيد : إن حاكم الكويت يومئذ الشيخ (مبارك الصباح) أمر من كان يأوي إليهم بقوله : أعطوا صاحبكم ما قسم له ودعوه يذهب الى بلده ، وقد أشار الاستاذ أحمد البشر إلى هذا الصراع المرير في مقدمته لديوان (صقر الشبيب) شاعر الكويت البصير ، وسجل كثيرا من الفوائد ، وكان صقر رحمه الله من مشايعي الرشيد وأنصاره ، وقد أباح المتعصبون دمه ، وقد أفتى (العلجي) بتكفير صقر وحرمان صقر من الجنة فقال صقر :

إنْ كـان لا يـنـعـم بـالجَـنـة
إلا امـرؤٌ مـثـلُك ذوجِـنَّـةِ
ممن يـصـبّـون عـطـايـاهُـمُ
في جيبك الفارغ ذي الفسحةِ
فـليس لي في جـنـة مـأربٌ
فـاعطِ مَنْ شئت بهـا حصّتي

لقد امتد هذا الصراع حتى شمل الناس جميعا عامتهم وخاصتهم ، وقد بسط الرشيد في تاريخه جانبا منه ، فكان من نصيب تاريخه المسمى بـ (تاريخ الكويت) أن حُجِزَ في الجمارك الى أن توفى الله الرشيد عام ١٩٣٩م ، في (جاوة) وأفرِجَ عنه بعد موت صاحبه بشفاعة رجال حكماء ، وقد أكلتْ الأرضة معظم الموجود منه .

وبعد كتاب التاريخ عزم الرشيد على اصدار مجلة تحمل هموم العصر في مثل هذا الجو المشحون بالجهل وبالأمية ، المشدودين بأوتاد التعصب الديني غير الواعي لمتغيرات العصر . بذر الرشيد بذرته الصحفية الأولى فاصدر مجلة (الكويت) في شهر رمضان سنة ١٣٤٦هـ الموافق شهر فبراير سنة ١٩٢٨م ، فكانت (الكويت) أول مجلة في الخليج العربي تصدر .

لقد لقي عنتا وشدة وهو يصدرها ، كان أول أعدائه أن ينطفىء ضوء هذا السراج ، وسنجمل مجموعة من هذه الصعاب التي واجهها ، وسيأتي طرحها في ثنايا بَسْطِنا لسيرة مجلته منذ ميلادها وخطواتها الأولى ، حتى منتهى شوطها وغاية مضمارها .

المحتـويات

صدر العدد الأول كما بينا من قبل ، في رمضان سنة ١٣٤٦هـ الموافق فبراير ١٩٢٨م ، وكان يطلق على العدد اسم (الجزء) فيقول (الجزء الأول) ويطلق على (السنة) اسم المجلد فيقول (المجلد الأول) .

و (الكويت) كما كَتَبَ على غلافها صاحبُها الرشيد (مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية لغوية شهرية تصدر في الكويت) . . رئيس تحريرها ومديرها المسؤول (عبدالعزيز الرشيد) . . سنة المجلة عشرة أشهر ، وتقدم للمشتركين في آخر السنة كتابا هدية . . الاشتراك السنوي في الكويت والبلاد المجاورة (تسع روبيات . . وفي الخارج ١٢ روبية) . . والروبية ٧٥ فلسا .

وقد أهدى العدد الأول من السنة الأولى للشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت حينئذ ، وقدَّم لها بقوله (وبعدُ فإن اصدار مجلة للكويتيين في الكويت ، أمنية كان الوصول الى قمتها من أسمى ما تتوق إليه النفس ، ومن أجلّ ما تتمناه في هذه الحياة ، غير أن أشباح المثبطات التي مازلت أبصرها في الطريق كادت تَرْميني في هوة اليأس . . .) .

أما أبواب المجلة فها هي كما ذكرها صاحب المجلة على صفحات العدد الأول :

١ ـ الدين . . وفيه البحث عن أصوله وفروعه ، وعن عقائده وقواعده وأحكامه وأسرارها .

٢ ـ رد الشبهات عن الدين ـ تبطل فيه كل شبهة توجه إليه وإلى أحكامه ، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ، مما نخشى أن يكون في الوقوف عليه فتنةٌ لبعض الضعفاء ، ومن هذا الباب الجمع بين آيات ظاهرها التناقض ، والجواب عما يُرى أنه مخالف للواقع منها وليس كذلك .

٣ ـ الأخلاق ـ يذكر فيه المهم من حَسَنِها وقبيحها ، مع بيان ما ينشأ عن القسمين من منافع وأضرار ، والاستشهاد على كلٍّ بما يحسن الاستشهاد به .

٤ ـ القديم والجديد ، يدور محوره على مساوىء ومحاسن كل من القسمين ، من عادات وأخلاق وعلوم وآداب ومناهج وآراء .

٥ ـ الأدب ـ ويعني قبل كل شيء بالأدب في الكويت ، وبِنَشْرِ ما تجود به قرائح شعرائنا اليوم ، ثم بالأدب في البلاد التي على ضفاف الخليج كالبحرين وعمان ومسقط وبلاد نجد والأحساء .

٦ ـ التاريخ ـ يُنشر فيه ما فات من تاريخ الكويت الذي طبعناه في بغداد ، وبالأخص البحث عن القبائل البدوية هناك ، وعن أحوال البيوتات الكبيرة فيها ، وما يسمح الوقت بنشره من حوادثها المستجدة ، ثم نُتْبِعُهُ بما نعثر عليه من تاريخ نجد والأحساء والبحرين وعمان وقطر وما جاورها من البلاد .

٧ ـ التراجم ـ ينشَرُ فيه تراجم القسم الثاني من تاريخ الكويت ، الذي لم نطبعه إلى الآن ، ويزاد فيه من نرى بذكر تراجمهم فائدة عامة ، من الموجودين والماضين أيضا ، ولو كان خارجا عن شرط القسم الثاني من التاريخ .

٨ ـ الفتوى ـ فتحناه لجواب كل سؤال لا يخرج عن دائرة المجلة من مشترك أو غيره .

٩ ـ اللغة ـ يُبْحَثُ فيه بنوع خاص عن اللغة العامية في الكويت ، وعن كل ما يستفيد منه المبتدىء والمنتهي من الفوائد اللغوية بسائر أنواعها ، نحوية أوصرفية أو غيرها .

١٠ ـ متفرقات الفوائد : يحوي كل ما لا يدخل في أحد أبواب المجلة من سائر الفوائد على اختلافها .

١١ ـ التقريظ والانتقاد : توزن فيه المؤلفات بميزان الانصاف ، ويعطي كل منها ما يستحق من تقريظ وانتقاد .

لقد أصدر (الرشيد) مجلته وهو في الكويت مقيم ، كان يطبعها في مصر في مطبعة (الشورى) لذا كان يطبع أحيانا مادة عددين في مجلد واحد ، ولربما ضاع عدد من أعداد المجلة وهو في سبيله الى المطبعة فيرسل الرشيد مادة العدد الذي يليه ، فيصدر ، ويتأخر عن الصدور العدد الذي قبله . إنها مهمة شاقة ، وقد كتب الرشيد معتذرا إلى قرائه قائلا :

أبلغنا وكيل طبع مجلتنا الفاضل ما يلي :

« ان أوراق الجزء الثامن والتاسع من مجلة (الكويت) أصيبت عند تقديمها للطبع بحادث جعلها في خبر كان ، ولم يُعْثَرَ لها على عين ولا أثر بعد البحث الشديد والتنقيب .

فهذا الحادث الفجائي الذي نتقدم إلى قرائنا الكرام بالاعتذار عنه ، أوجب أن نقدم طبع الجزء العاشر الجاهز على هذين الجزأين ، اللذين سنحرص كل الحرص على جمع موادهما ، وانجاز طبعهما في أسرع وقت ، والعذر عند كرام الناس مقبول .

كما أننا نعتذر من حضراتهم أيضا عن هذا التأخير الفظيع ، الذي جرى للمجلة في سنتها الثانية ، مما لم يكن لنا فيه يد ، ولا كان بودنا وقوعه ، ولكن هي الظروف القاسية التي تجر المرء إلى غير ما يريد ، واننا نعدهم الوعد الأكيد في سنة المجلة الثالثة ـ إن شاء الله ـ انها ستكون أحسن من ماضيها ، وانها ستصدر في أوقاتها المعينة أسوة بغيرها من الصحف » .

التوقف عن الصدور

ولم تعط المجلة فرصة للصدور سنة ثالثة أخرى ، فلم تصدر بعد عددها العاشر من عامها الثاني ، لقد توقفت عن الصدور .

ويعلل الرشيد سر ضياع بعض أعدادها أو تأخر طبعه بقوله :

(على أن القارىء المنصف ، إذا ما علم ببعد الشقة التي بين مركز المجلة والمكان الذي تطبع فيه ، فإنه ولاريب يعذرها في مثل هذا التأخير ، الذي لم يسلم منه حتى بعض المجلات التي يصدرها أربابها في أوطانهم ، وفي مطابعهم التي لها يملكون . وهذا المنصف من القراء هو الذي أحرص على ارضائه وعلى كشف الحقيقة له ، أما من امتلأ قلبه غلا أو حسدا فلا شأن لي واياه ، وان أثار الخواطر وهيَّج الأفكار ضدي وضدُّ مشروعي ، الذي يرى من وجوده شبحا مخيفا يخشى أن يلتهم ما له من أبهة ، أو يُسقط ما يروح ويغدو به من جاه ، لا شأن لي واياه ، ولا عتب لي عليه) .

إن بعد الشقة بين مركز المجلة والمكان الذي تطبع فيه من أسباب تأخير صدورها ، ومن أسباب تأخير وصولها . فالبريد مشكلة كبرى تعوق المجلة عن صدورها ووصولها في وقتها المحدد ، لقد كانت الرسائل ترسل من الكويت إلى البصرة بواسطة السفن الشراعية الكويتية ، ومن البصرة إلى (بومبي) بالسفن البخارية ، ومن بومبي يتم توزيع البريد ، وقد يسافر البريد من البصرة إلى بغداد ، ثم إلى الشام وفلسطين ، ومن فلسطين إلى مصر . رحلة شاقة وطويلة وغير مامونة ، فوسائل البريد اليوم غير وسائله بالأمس ، والمواصلات غير المواصلات .

وحين بات البريد يصل من البصرة إلى الكويت بالسيارات فرح الناس واستبشروا ، وكتب الرشيد مبتهجا بهذه الخطوة مثنيا عليها بقوله :

(في أول مايو ١٩٢٨ ـ ذي القعدة ١٣٤٦هـ اتفقت مصلحة البريد مع شركة السيارات الكويتية العراقية على نقل البريد من الكويت إلى الزبير ومن الزبير إلى الكويت في الأسبوع ثلاث مرات ، منها يوم

رسمي ، لابد من سير البريد فيه مهما كان هناك من موانع وأسباب ، وهو يوم الجمعة من الكويت ، ويوم السبت من الزبير ، وأما الآخران فعلى وجود السيارات ووجود ما حقه أن يُحْمَلَ من أدوات البريد وحاجياته .

وقد زالت بهذه الخطوة عقبات ، كان الكويتيون يشنون منها في سبيل مصالحهم الخارجية تجارية أو غيرها ، ومن يعرف أن البريد كان يحمل قديما على ظهر أحد المراكب البخارية القادمة من البصرة ، أو في احدى السفن الشراعية كذلك ، ويعرف أنه لا يصل إلى الكويت إلا بعد عشرة أيام على الأقل ، مع قرب المسافة بين الجهتين التي لا تتجاوز أربع ساعات في السيارات البرية ، يعرف مقدار التسهيل الذي حصل من هذا الاتفاق الجديد الذي يعد خطوة واسعة في اصلاح التجارة .

ان من التطور الخطير في سبيل المواصلات بين البلاد العربية ، أن يقرأ الكويتي مثلا جرائد مصر ومجلاتها ، أو رسائل اخوانه منها ، بعد ثلاثة أيام من تاريخها ، بعد أن كان لا يتسنى له إلا بعد عشرة أيام من البصرة فقط ، والحقيقة أن قيام تلك الشركة بهذه المهمة لمن أجلّ ما قامت به منذ نشأتها ، ومن أجمل ما تُبْقيه بعدها من أثر ، في سبيل المصلحة العامة والخاصة) .

صلات ومهام

ولقد حدثنا الرشيد عن رغبة أمير البلاد الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح باصدار جريدة أسبوعية تطبع في مطبعة تُسْتَحدثُ في الكويت فقال :

(أراد سمو الأمير الجليل أن لا يقتصر على اصدار مجلة (الكويت) في وطنه وحسب ، بل أراد أيضا أن يكون بجانبها جريدة أسبوعية باسم (الصباح) تطبع في نفس المطبعة التي استحدثها سموه . وقد أصدر أمره بذلك ، وعهد بادارة تحريرها إلى صاحب هذه المجلة وستصدر قريبا إن شاء الله) .

لكننا بعد هذا الخبر الذي أورده الرشيد في العدد السادس من سنة المجلة الأولى ، لم نعلم من أمر الجريدة ولا المطبعة شيئا .

لقد حاولت مجلة (الكويت) التعريف بعالم عصرها ، وحاولت تقريب الشقة مابين المشرق العربي والمغرب العربي ، فعقد الرشيد صلات صداقة مع أقطاب الوطن العربي مشرقا ومغربا .

لقد أهدى كتابه (تاريخ الكويت) من قبل إلى (عبدالعزيز الثعالبي) الزعيم التونسي المعروف ، وكان ينزل إذا رحل إلى الشام على بعض بيوتاتها العلمية . وتعرف على (سليمان الباروني) الزعيم الليبي الذي رحل إلى المشرق العربي ، حيث أقام في (مسقط) عاصمة عمان فترة من الزمن ، ثم رحل إلى الهند للسياحة فمات فيها .

بيد أن أهم هذه الصلات التي عقدها الرشيد هي هذه الصلات الفكرية . لقد خصص ركنا للأدب المغربي ، فكان في المجلة باب للأدب عن المغرب العربي عرفنا منه أسماء شعراء وأدباء من الجزائر والمغرب وتونس ، كانت ذات مكانة في عصرها منهم : محمد الشاذلي خزنة دار والعمردي والطاهر بن عبدالسلام .. وقد حدثنا (الرشيد) في مجلته عن جريدة (الاصلاح) الجزائرية فقال عنها : انها جريدة اسلامية حرة في مباحثها .. تصدر كلما تهيأت أسباب طبعها في (بسكرة) من قطر (الجزائر) . رئيس تحريرها ومديرها المسئول (الطيب العقبي) .

وقد تعرف الرشيد عليه في المدينة المنورة ، حين كان مجاورا فيها عام ١٣٣١ هجرية ١٩١٢ ميلادية . وناب عن اللقاء بعد الفراق الرسائل المتصلة بينهما

ولعل مجلة (الكويت) أول من نَوَّهَ وأشار في عددها السادس من السنة الأولى الصادر في صفر ١٣٤٧ هجرية ، الموافق لشهر يوليو من سنة ١٩٢٨ ميلادية ، إلى كتاب (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) للعالم الجليل المرحوم (نور الدين بن عبدالله بن حميد السالمي) الذي توفاه الله في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٣٢ هجرية ، الموافق ٣١ يناير سنة ١٩١٤ ميلادية . وقد قال الرشيد رحمه الله : (من المؤسف أن تبقى مثل هذه المؤلفات النفسية مهجورة لا يستفيد منها إلا أفراد قلائل ، فعسى أن سعادة الباشا (ويعني به الباروني) أو من لهم الكلمة النافذة في تلك الأرجاء ، يتفضلون على الأمة العربية بابراز تلك الكنوز الثمينة ليذكروا فيشكروا) . ولقد بقي الكتاب بجزأيه مهجورا ، لم يطبع حتى عام ١٣٨٠ هجرية ـ ١٩٦١م ، حيث طبع في مصر باشراف

الاستاذ المرحوم (ابراهيم طفيش) .

لقد سُطِّرَت على صفحات مجلة (الكويت) أول قصة كويتية بعنوان (منيرة) لخالد الفرج في عام ١٩٢٨م . وكتب الرشيد في مجلته شيئا غير قليل مما فاته في (تاريخ الكويت) . وترجم لكثير من رجالات الكويت والخليج والجزيرة العربية .

ولقد حاول (الرشيد) التعريف بما جاور الكويت من مناطق وبلدان ، فكتب عن (حائل) وعن تاريخ (الحجاز) في حلقات متصلة ، واستقطب أقلام ذوي الفكر في الوطن العربي ، وتحدث عن القديم والجديد من عادات وأخلاق وعلوم وآداب ومناهج وآراء ، مبينا مساوىء ومحاسن كل من الدعوتين .

الرشيد في البحرين

وفي ١٥ جمادى الآخرة عام ١٣٤٧ هجرية ، الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٩٢٨ ميلادية ، وصل الرشيد البحرين مغادرا الكويت بعد صدور عشرة أعداد من مجلته (الكويت) ، وقد واصل اصدارها من البحرين .

وأول ما يطالعنا من أعداد السنة الثانية وهو العدد الأول ، نرى أن الرشيد يهدي المجلة في سنتها الثانية إلى الملك عبدالعزيز آل سعود ، ثم انه حاول أن تكون المجلة صورة لما يجري في البحرين . تحدث عن منتدياتها ونشاط أنديتها ومشاريع الدولة فيها ، وهو يقول في فاتحة السنة الثانية (وبعد فليس أشرح لصدر المرء أن يرى أثر ما يقوم به من عمل ، في نفع دينه واخوانه ، ماثلا أمام عينيه ، في وقت وقف له بالمرصاد أعداء ألدّاء وخصوم أشداء .. وهكذا ياصاح كانت (الكويت) في سنتها الأولى مع قوم يؤسفني أشد الأسف أنهم من أبناء وطني ، الذين نالهم من شرف هذا المشروع حظ ونصيب ، وهنا لا يسعني وقد رفع الله قدرا أرادوا خفضه ، وأحيا ذكرا حاولوا قبره ، إلا أن أرفع إليه تعالى أكف الابتهال قائلا : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

إنّ مجلة (الكويت) قد سارت في طريق شائكة ، بلا رافد يرفدها ولا إعلان يعضدها ، لذا كان اهداؤها في سنتها الثانية إلى الملك (عبدالعزيز آل سعود) مقصودا . وطالما خاطب (الرشيد) قراءه مسترفدا ومشيرا إلى ما يلاقيه في اصدار مجلته من صعوبات مالية مثل قوله :

(نقدم هذا العدد الأول من سنة الكويت (الثانية) لكل من نتوسم منه الرغبة الصادقة في معاضدة المشاريع النافعة ، آملين أن يلقى قبولا واستحسانا من حضراتهم ، وسوف نعتبر من نقدم إليه هذا الجزء مشتركا ، إلا إذا أرجعه بنفسه إلينا ، أو سلمه إلى وكيل المجلة . وعسى أن لا نصادف في سنتها الثانية ما صادفناه في سنتها الأولى من التلاعب الذي أقدم عليه بعض الاخوان سامحهم الله . فقد أرجعوا بعض أعدادها وسكتوا على ما وصل اليهم من بقيتها ، وهم يعلمون ما يكلفنا ذلك من مصاريف في طبعها وفي أجرة بريدها . فليتهم إذ رفضوا الاشتراك بها أرجعوا إلينا كل ما لديهم منها ، ولا سيما الجزء الأول الذي نضطر إلى اعادة طبعه للحاجة اليه) .

وعلى الرغم مما كتب عن المملكة العربية السعودية ، منوها بجهود حكومتها ، وعلى الرغم من أمله الواضح برفد مؤسسها ، إلا أنه لم يتلق من صلات الملك عبدالعزيز شيئا . لذا نراه في العدد الثالث الصادر في ربيع الأول عام ١٣٤٨هـ ، الموافق شهر أغسطس عام ١٩٢٩م ، يستحث قراءه ويهيب بهم لتسديد اشتراكهم إلى وكلاء المجلة في البحرين والكويت ، وقد أعلن عن أسمائهم في نفس العدد ، وذلك عن سنتها الأولى . وقد ختم قوله بهذه الكلمة : (وبهذا يشجعون أخاهم للمضي في هذا السبيل الوعر ، الذي هو في أشد الحاجة إلى المادة .

وعند العدد العاشر من السنة الثانية الصادر في شوال سنة ١٣٤٨هـ الموافق مارس عام ١٩٣٠م ، ختمت المجلة أعمالها في الكويت والبحرين ، لينتقل صاحبها الرشيد في عام ١٩٣٠ الى أندونيسيا ، وليصدر من هناك مع يونس بحري مجلة (الكويت والعراقي) . وقد صدر العدد الأول منها في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ ، الموافق ١٣ سبتمبر من عام ١٩٣١م ، ثم توقفت بعد عشرة أعداد من صدورها أ فأصدر مجلة (الحق) ومجلة (التوحيد) .

رحم الله (عبدالعزيز الرشيد) لقد فقدت الكويت بغيابه ركنا من أركان نهضتها الفكرية ، وقد توفاه الله في (جاوة) عام ١٩٣٩م ، عن عمر يناهز السابعة والخمسين . □

قضية

أضواء جديدة على اللفائف الفلسطينية !

بقلم : محمد الأسعد

في أحد أيام شهر حزيران من العام ١٩٦٧ ، اتجهت سيارة مدنية تقل عددا من الباحثين اليهود ، الى المتحف الفلسطيني في القدس . كان ذلك اليوم بالتحديد هو يوم ٦ حزيران ، أي اليوم التالي على بدء ما عرف بحرب حزيران . وكانت مهمة هؤلاء الباحثين ، هي الاستيلاء على عدد كبير من اللفائف الجلدية القديمة ، ونقلها الى داخل فلسطين المحتلة . وبهذا العمل تكون سلطات الاحتلال الصهيوني قد وضعت يدها على الجزء الأكبر مما عرف باسم « لفائف البحر الميت » ، بعد أن سبق لها وضع اليد على بعض منها عن طريق الشراء في العام ١٩٥٥ .

لقد أثارت هذه اللفائف منذ اكتشاف أوائلها في العام ١٩٤٧ ، مناقشات واسعة في أوساط علماء الآثار واللغات والأديان والتاريخ ، وفي الأوساط الصحفية الغربية . ونشرت عنها مئات البحوث والكتب باللغات الأوروبية . والسبب هو أنها تضمنت أسفارا من التوراة اليهودية بالعبرية والآرامية ، كما أنها تضمنت تعاليم جماعة دينية ، عاشت على الشواطىء الشمالية الغربية للبحر الميت في فلسطين ، واعتبرت هذه النصوص أقدم ما وصل الى أيدي الباحثين من نصوص التوراة بالدرجة الأولى . وسلطت الأضواء على هذه الزاوية دون غيرها .

أعظم المكتشفات

بدأت قصة اكتشاف هذه اللفائف في العام ١٩٤٧ ، في وقت كانت فيه الحركة الصهيونية تستكمل اقامة القاعدة البشرية والاقتصادية والسياسية والجغرافية لدولة « اسرائيل » في فلسطين .

والرواية الأكثر تواترا ، هي أن فلسطينيين من عشيرة « التعامرة » عثروا في كهوف تقع الى الشمال الغربي من البحر الميت على لفائف اسطوانية من الجلد ، محفوظة في جرار فخارية ، ومكتوبة بلغة غريبة عنهم . ومن هؤلاء تسربت اللفائف الى تاجر من « بيت لحم » أوصلها بدوره الى مطران دير

« مارمرقس » للسريان الأرثوذكس في القدس ، وقام هذا بشرائها .

من جانب آخر وصل بعض هذه اللفائف الى الدكتور « سوكنيك » مدير الجامعة العبرية ، الذي نشط لمعرفة المزيد عن هذه اللفائف وجمع ما أمكن جمعه منها .

وعرف فيها بعد أن لفائف المطران قد عرضت للبيع في نيويورك ، وأن الذي قام بشرائها هو (ييجال يادين) رئيس الأركان الاسرائيلي ، بمبلغ وقدره ربع مليون دولار . وذلك في العام ١٩٥٥ .

وهكذا تجمعت الحصيلة الأولى من اللفائف المكتشفة في الجامعة العبرية . وحتى مارس ١٩٤٨ لم يكن لدى دائرة الآثار الفلسطينية في القدس علم بهذه اللفائف ، لأن أحد العاملين في هذه الدائرة حين عرضها عليه المطران لأخذ رأيه في قيمتها ، أخبره أن ليس لهذه اللفائف من قيمة ، ولم يجد هذا الموظف انها تستحق أن تذكر في تقرير يقدمه الى دائرته .

اهتم بعض الأمريكيين العاملين في معهد دراسات الشرق الأوسط في القدس بهذه اللفائف ، فسارعوا الى تصويرها وبدأوا بدراستها ، وأرسلوا نسخا من الصور الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهنالك أعلن عالم الآثار « أولبرايت » أن هذه اللفائف من أعظم المكتشفات في العصور الحديثة . مما أثار الاهتمام المضاعف بالبحث والتنقيب . وواصل سكان المنطقة التنقيب في كهوف البحر الميت ، وفي منطقة قريبة تسمى « خربة قمران » . وقامت السلطات الأردنية بعد الانتباه الى الموضوع بسلسلة من الاكتشافات ، تواصلت حتى أوائل الستينيات ، وكانت حصيلتها عددا كبيرا من اللفائف الجلدية الممزقة ، ولفائف نحاسية مميزة . وبدأت دائرة الآثار الأردنية بحصر المكتشفات وشرائها من مكتشفيها ، حتى تجمعت لديها حصيلة ضخمة ، جرى جمعها في صناديق ، وتسجيلها بالوزن بعد أن تعذر احصاؤها . واستعانت دائرة الآثار في ذلك بتبرعات مالية من عدة جامعات غربية .

وتعرضت اللفائف أثناء ذلك الى محاولات للاستيلاء عليها ، وارسالها الى الجامعات الغربية . ولعب مدير دائرة الآثار الانكليزي « لانكستر هاردنغ » دورا في هذه المحاولات الا أنه بعد تعيين مدير عربي للدائرة تشدد في قضية اللفائف ، وطالب بالحفاظ عليها ، وخاصة ان معظمها اشترى بأموال المتحف الفلسطيني . وهكذا بقيت هذه اللفائف في المتحف الى ان تم الاستيلاء عليها عقب حرب يونيو ١٩٦٧ .

نقض التاريخ التوراتي

تشير قراءة اللفائف الى أنها تتضمن أسفارا توراتية ، أهمها سفر « أشعيا » وشرحا لسفر « حبقوق » ونصوصا لا علاقة لها بالتوراة مثل ما أطلق عليه كتاب « النظام » وكتاب « حرب أبناء النور والظلام » وأجزاء من الأناجيل ، وقطعة أدبية ليوربيدس ورواية ارامية عن الملك البابلي « نبونيدس » وعددا من الوثائق الاخبارية ، والصكوك التجارية ، وعقود الزواج .

واللغات المستعملة هي العبرية ، والآرامية واليونانية ، والكنعانية ، والعربية . وقد وجدت هذه اللفائف في مناطق واسعة غربي البحر الميت ، وترجع تواريخها الى عهود تاريخية مختلفة .

كان الهم الأول للباحثين هو تحديد تاريخ هذه اللفائف . اعتمادا على الاختبارات الكيماوية للمواد ، وعلى الدراسات اللغوية للمخطوط ، وعلى فحص المكتشفات الأثرية لخربة قمران القريبة من مكان الكهوف ، لم يتوصل أحد الى تحديد تاريخ متفق عليه ، وأقصى ما توصلت اليه البحوث هو تحديد زمن كتابة اللفائف والمخلفات الأثرية ، من جرار وأقمشة ومحابر ، وجدت في الخربة بحدود قرنين قبل ميلاد المسيح والقرن الأول الميلادي .

ومن ثم فقد تركز البحث على ناحيتين ، الأولى مقارنة الأسفار التوراتية المكتشفة بنصوص التوراة المتأخرة والمعتمدة ، والثانية : البحث في هوية الجماعة الدينية التي دلت آثار « قمران » على أنها كانت تعيش في المنطقة .

وقد قادت دراسة الأسفار التوراتية الى الكشف عن اختلافات خطيرة بين نص اللفائف ونصوص التوراة المعتمدة . فهناك ١٣ قراءة مختلفة في سفر « اشعيا » وهناك ٥٠ قراءة مختلفة في سفر « حبقوق » بالاضافة الى اختلافات في جذاذات تضم شيئا من

سفر « الجماعة » و « المزامير » .

ومثال ذلك أنه ورد في النص المعتمد « الخمرة غدارة » بينما هي في اللفائف « اليونانيون غدارون وورد في النص المعتمد « اشرب ولا تتطهر » بينما هي في اللفائف « اشرب وترنح »،وحسب النص المعتمد ورد في سفر « الجامعة » « ابناء اسرائيل » بينما « حسب جذاذة » من اللفائف وردت « حسب عدد أبناء الله . . . » .

ولاحظ بعض الباحثين أن النص المعتمد المسمى بالنص « المسور » والذي يرجع تسويره الى القرن السابع الميلادي ، يخالف أيضا ما يسمى بالترجمة السبعينية للتوراة ، وهي ترجمة يونانية تمت بحدود القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي أكثر اتفاقا مع اللفائف .

بالاضافة الى ذلك كشف النص الآرامي لقصة الملك البابلي « نبونيدس » أصل القصة التوراتية عن مرض الملك البابلي « نبوخذنصر » وأظهرت عدة مكتشفات أثرية تؤيد النص الآرامي ، ان القصة التوراتية كانت مختلقة ، ولا أصل تاريخي لها . فقد نسبت الى « نبوخذ نصر » احداثا هي في حقيقتها ترجع الى « نبونيدس » آخر ملوك بابل . . !

وقد اثار الباحث « بول ديفيز » في كتابة « لفائف البحر الميت » مسألة العلاقة بين هذه الطائفة وبين ظهور المسيحية ، استنادا الى مقارنة بين كتاب « النظام » و « حرب أبناء النور والظلام » وبين تعاليم الأناجيل ورسائل الرسل ، وتعاليم يوحنا المعمدان . ودار طويلا حول موضوعه مثيرا عددا من الأسئلة حول لقب « الناصري » الذي أطلق على المسيح ، بعد أن أظهرت تحرياته التاريخية عدم وجود مدينة « الناصرة » في القرن الأول الميلادي أو القرن الذي سبقه . كذلك أثار عددا من الأسئلة عن منطقة البحر الميت ، التي عاش فيها يوحنا المعمدان ، والشبه بين تعاليمه وكتاب « النظام » . وأخيرا توصل الى اثارة سؤال حول الجماعة التي خرج عليها المسيح ، حين أعلن في « معبدها » انه المنتظر ، بعد ان لاحظ ان هذه الجماعة لا يمكن أن تكون من الفرق اليهودية المعروفة انذاك ، التي وقف منها المسيح موقفه المضاد منذ البداية نعني « الفريسيين . . والصدوقيين » .

الا أن من الملاحظ أن هذا الباحث شأن الباحثين الآخرين ، لم يستطع أن يخرج من الاطار الذي زج فيه نفسه ، وهو علاقة المسيحية باليهودية ، بدون التفات الى ما فتحته هذه الأسئلة من آفاق ، الى نطاق آخر للبحث هو نطاق « جماعة قمران » وعلاقتها بالصابئة المندائيين ، وكان من الممكن الاجابة عن كثير من الأسئلة عن هوية هذه الجماعة ، وعن منابع المسيحية وصلاتها العميقة « بالصابئة ».لو أفلت الباحث من اطاره الضيق واتجاهه نحو اثبات نشوء الديانة المسيحية من العقيدة اليهودية . ذلك لأن لفظة (الناصري) لفظة متداولة ، وهي بالآرامية - لغة الصابئة الدينية - تعني رجل الدين الصابئي المندائي ناصروثا،وتثبت كتب هذه الطائفة عدة أمور ذات مغزى في بحث مسألة اللفائف وجماعة قمران ، فهي تتحدث عن شعيرة العماد الأساسية في نهر الأردن وعن الاقامة هناك حتى سبعينيات القرن الأول الميلادي . ولا تتضمن تعاليمها شبها بتعاليم يوحنا المعمدان والمسيح فقط ، بل ان يوحنا المسمى لديها « يحيى بن زكريا » هو نبيها الذي تتحدث عن مقتله في دمشق،وتشبه الرواية الصابئية لسيرة حياته ، ماورد في لفائف البحر الميت « كتاب حرب أبناء النور والظلام » عن معلم الحق الذي تآمر عليه الكاهن الشرير وسلمه الى السلطة ليقتل .

وفي اعتقادنا أن دراسة اللفائف ومجتمع « قمران » في ضوء ديانة الصابئة ، ومجتمعهم في فلسطين ، وعلاقة اليهود العدائية بهم ، الى درجة هجرتهم من هناك الى الشام ، ومن ثم الى العراق في القرن الأول الميلادي ، هي التي يمكن أن تجيب عن أسئلة « ديفيز » الحائرة ، وتلقى ضوءا على المنابع الأولى للمسيحية . □

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فقد جعل الله لك أذنين وفماً واحداً ، وذلك لتسمع أكثر مما تقول .



الحوار الثقافي العربي الأوروبي : وحوار حول الحوار

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

لايسر الكاتب شيء في الدنيا مثل أن يكون كلامه موضع تمحيص وتفحص ، و حتى لو تضمن ذلك مآخذ وانتقادات ، وقد سعدت لما قرأته من تعليق الاستاذ الفاضل عبدالرزاق البصير (العربي ع ١٩٨٥/٣٢٤) على مقالة لى حول الحوار الثقافي العربي الأوروبي ، نشرت في العدد ١٩٨٥/٣٢١ من العربي . ونزولا عند الرغبة التي تضمنتها خاتمة المقال الناقد ، فانى أجيب باختصار عن النقاط التي أثيرت فيه .

عرض مُركز

١ - فيما يتعلق باعطاء (صورة واضحة للقضايا التي طرحت في الحوار ، والاعتراضات والعقبات والشبهات التي برزت من قبل كل من المتحاورين) أقول : إنني تجنبت أي تعليق اخباري أو انتقادي لمادة الحوار ، لأن ذلك يقتضي صفحات وصفحات . وقد نشرت الصحف وقائع من هذا الحوار ، وكان غرضي التعليق على مبدأ الحوار وحصيلة تطوراته مما يتناسب مع عرض مركز في مجلة منوعة مثل (العربي) .

ولعل الأستاذ البصير لا يحتاج لمن يذكره أن مادة الحوار متوفرة في الدوريات والمنشورات التي تصدر عن مراكز الحوار وغيرها ، ومن ذلك مثلا :

- دورية آفاق اسلامية التي تصدر عن جمعية الاسلام والعرب (بالعربية والانكليزية)
- دورية (الحوار) التي تصدر عن الاتحاد البرلماني العربي ، وتعنى بالجانب البرلماني من الحوار (بالعربية والانكليزية) . . . وغيرها .

وهذا غيض من فيض ، فكيف يراد لى أن أقدم الاقتراحات والاعتراضات والقضايا في مقال مختصر ؟

٢ - تقول الفقرة الثانية من مقالة الأستاذ البصير ان « الدكتور بدأ مقاله برأي يقول : إن الحوار الثقافي ليس أفضل من الحوار السياسي . . » وتعترض المقالة على ذلك وتبرهن فيما يقرب من ثلثها أن الحوار الثقافي شديد الاهمية . وبما أن رأيى غير بعيد عن رأي الأستاذ البصير ، فقد عدت الى مقالتي ، فوجدت أن سقوط كلمة واحدة من قراءة الاستاذ البصير غيرت المعنى تغييرا مجحفا . فقد نصت مقالتي على أن الحوار الثقافي ليس أفضل حالا من الحوار السياسي والاقتصادي . وواضح من السياق أن المقصود الاشارة الى ضآلة حصيلة الحوار بجوانبه السياسية والاقتصادية والثقافية ، وهذا وزر لا يتحمله العبد الفقير ، بل هو نتيجة لتراكمات تاريخية وصعوبات متنوعة .

٣ - يستنتج الاستاذ البصير أنني كنت متابعا للحوارين الاسبانيين من الصحف ، مع أنني أشرت

بوضوح في أول مقالي أنني شاركت في أعمالها ، وما كنت بحاجة الى الصحف لتدلني على ما شاهدت وسمعت وحاورت .

٤ - وتشير مقالة الأستاذ البصير الى أن « الذي منع الدكتور من تلخيص وقائع هذا الحوار تخوفه من اثارة الناس عليه » .

وقد عجبت لهذا الحكم يطلقه أستاذ منصف ، ولكن يخطر لي الآن أن طريقة بعض الناس في القراءة تسوغ بعض هذا التخوف ، ومرة أخرى لم يكن غرضي تلخيص الجوانب المتعددة للحوار في تلك المقالة ، وان كنت لا أستبعد (الاقدام) على ذلك في دراسة مطولة .

٥ - انني لا أشك في مبدأ جدوى الحوار، ولو كنت أعتقد بعدم جدواه لما شاركت فيه ، ولكن سنوات الحوار الطويلة لم تتمخض عن أية نتيجة ملموسة ، وهذا ليس ذنبي مرة أخرى ، ولكنه ذنب التاريخ بالدرجة الاولى .

٦ - معاذ الله أن أقول ان الذين يذهبون الى الحوار غير مؤهلين للقيام بهذا العمل ، لقد كان جوهر اعتراضي هو قَصْر الحوار على تلك النخبة من الطرفين التي هي أقرب بثقافتها الى الطرف الآخر ، ولا سيما من مثقفي الطرف الاسلامي الذين يستعملون مفاتيح ومصطلحات ومفهومات منتقاة من الغرب ، وواضح أنني لا اطعن في أهليتهم ، ولكنني أطلب مشاركة أوسع ، ولا سيما من قبل ممثلي المحافظة والتشدد على الجانبين ، وقد قلت بالحرف الواحد . « ألا يحسن أن يضم الحوار بين الجانبين ممثلين للموقف التقليدي ، الى جانب غيرهم بالطبع ؟ » .

هل يمكن أن يكون هناك كلام اوضح من هذه العبارة !

في المعنى

للحوار اليوم معنيان :

الاول : هو المعنى العام المتداول ، وهو تبادل الأفكار توصلا الى مزيد من الوضوح لدى الجانبين ، وإزالة الشوائب والمغالطات ، وبهذا المعنى فإن الحوار مستمر دائما بين ثقافتي الشرق والغرب ، ولكن - مرة أخرى - لا تبدو الحصيلة مبشرة وياللاسف ، ان المستشرقين في أوروبا الذين يعدون أقرب الناس الى مصادر الثقافة العربية الاسلامية ، يجابهون في بلادنا بعشرات المطاعن ، فما بالك بالذين يمثلون التيار التقليدي في الثقافة الأوروبية ، الذي مازال يعتبر أوروبا مركز العالم (انطلاقا من مقولة المركزية الأوروبية) ؟

ان هذه النقطة وحدها يمكن أن تكتب فيها مجلدات .

الثاني : الحوار بمعناه المؤسسي : أي الحوار الذي يتم في اطار مؤسسات وجمعيات ، ويهدف الى التوصل الى برامج واجراءات لتحقيق أهداف التفاهم بين الثقافتين على مستوى تاريخي ، لأن المسألة ليست مسألة اقتناع فرد أو أفراد بالفكرة والفكرة المقابلة ، بل هي مسألة خلق استعداد عام للتفاهم في مجالات الفكر والتربية والدين والتاريخ والحضارة والمجتمع الراهن: مثل تعليم اللغة المتبادل والكتب المدرسية ووسائل الاعلام الجماهيرية والاعلام الثقافي والاوضاع الثقافية للجاليات المهاجرة وغيرها .

ومن الملاحظ أن أوروبا لها جامعات في بلادنا ، ولكن ليس لنا جامعات في أوروبا ، والعجيب أن العرب ليسوا هم الذين اقترحوا انشاء جامعة عربية أوروبية ، بل ان البرلمان الأوروبي اتخذ قرارا بهذا الشأن ، وأيدته في ذلك ندوة هامبورغ للحوار العربي الأوروبي والمؤتمرات الأخرى ، وقد رصدت موازنة في البرلمان الاوروبي لهذا الغرض ، واختيرت اسبانيا (وربما غرناطة) مركزا للجامعة ، وجرت اتصالات كثيرة بشأنها ، وقد وضع الدكتور فان آيرسن هذا المشروع في السياق التاريخي للتبادل الثقافي والعلمي والتقني بين المنطقتين العربية والأوروبية ، وحدد الأهداف العامة لهذه الجامعة بما يلي : -

« ينبغي أن تكون الجامعة الأوروبية - العربية ، بالدرجة الأولى ، مركزا لتبادل الأفكار التي من شأنها تنمية التفاهم ، ومقارنة التطورات الثقافية المنطلقة من جذور مشتركة كثيرة » .

ومن الملاحظ أن هناك مشروعات لمراكز عربية في أوروبا بدأت تتبلور في فرنسا ، وتقتضي الأمانة الاعتراف بأن أول من فكر في إنشاء هذه المراكز (للتفاهم وليس للبحث فقط) هو السناتور الايطالي الراحل ليليو باسو ، الذي أنشأ مركزا في روما من هذا القبيل قبل بضع سنوات ، وكان على الجانب العربي أن يفيد من هذه التجربة ويتابعها . □

شاعران ووصيتان

رلكة وأبو تمّام

بقلم : دكتورة وديعة طه النجم

الشاعر هو الشاعر في أي زمان وأي مكان . انه ذلك الوتر الحساس الذي تعزف عليه يد الكون الخفية أنغامها . والشاعر عربيا كان أو فرنسيا أو ألمانيا أو انجليزيا . . هو الشاعر وان اختلفت أداة التعبير . . وليست اللغة الا تلك الآلة التي تشد ذلك الوتر . عن الشعر والشاعر يتحدث هذا المقال . . .

ان علاقة الشاعر بالشعر لاتختلف باختلاف المكان أو الزمان أو الأقوام والشعوب ،لكن هذه العلاقة تحكمها ارادة ذاتية هي ارادة الشاعر ، أو تتحكم فيها ارادة خارج ذات الشاعر ..حينذاك تختلف طبيعة هذه العلاقة باختلاف طبيعة الارادة . . وكلما غاص الشاعر في أعماق نفسه ، تدفق نبع الحياة صافيا أصيلا . . والنبع هو النبع ، هو الحياة ، هو الأم . . . ولكن حينما يحول شيء ما دون الغوص في تلك الأعماق ، لن تظفر بغير الأصداف قشورا خاوية لايضم قلبها الا الفراغ . .

هكذا كان الأمر منذ الأمس البعيد ، حتى يومنا هذا . . . هنا يكمن مصدر الطرافة في هذا التوافق أو التفاوت الذي ستتلمسه في وصيتين لشاعرين تباعدا زمانا ومكانا وقوما وثقافة وأصلا . . واتفقا في شيء واحد وحسب : في أنهما شاعران : الاول : ابو تمام الطائي ـ شاعر العربية المعروف ، الذي عاش في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد .

والثاني : رلكة ـ الشاعر الألماني الذي عاش مابين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين (١٨٧٥ ـ ١٩٢٦) ، وقضى أكثر

حياته متنقلا بين ألمانيا وبلدان أوروبا المختلفة ، وفي أثناء جولاته قصدروسيا والتقى بأديبها المعروف (تولستوى) .

رلكة وأبو تمام

أما أبو تمام فقد نسبت اليه وصية يوصى بها شاعرا ويوجهه في عمل الشعر . .

وأما (رلكة) فقد كتب مجموعة (رسائل الى شاعر ناشيء) ينصحه فيها ويوجهه أيضا الى كيفية كتابة الشعر .

ولست هنا في معرض مناقشة مدى صحة الوصية المنسوبة الى أبي تمام ، اذ حسبي أنها موجهة في الأصول العربية الى الشاعر الناشيء ، وتحدد له المعالم البارزة في طريق الشعر ، وتوجز كثيرا من مقومات وهموم الشاعر العربي . سواء كان كاتبها أبو تمام حقا أو لم يكن ، فإن هذا لا يقلل من شأن محتواها .

ويتجلى وجه الطرافة في الأصداء المشتركة بين الرسالتين (أو الوصيتين) ، كما يتجلى في النظرات المتباعدة شيئا فشيئا بين الشاعرين :

فعلى حين ينطلق كلا الشاعرين من منطلق واحد أصيل ، ما نلبث أن نجد الشاعر العربي الذى تحكمت في ارادته قوى خارج نطاق نفسه ، يزل عن السمت الذى هو فيه ، فيخرج الى الجرف القريب التناول ، ليتلاعب بالأصداف التى يصادفها في الماء الضحل ، بينما يتابع الشاعر الأوروبي غايته الى منتهاها ، لأنه يبقي قريبا من الأعماق يغترف من النبع مباشرة .

تبدأ الوصية المنسوبة الى أبي تمام بالحديث عن تخير أنسب الأوقات لكتابة الشعر فيقول :

« تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شيء ، أو حفظه في وقت السحر . . »

ويقول الشاعر (رلكة)

« . . . . اسأل نفسك في أهدأ ساعة من ليلك :

هل (يجب) أن أنظم الشعر ؟ ثم نقب في أعماق نفسك عن جواب واضح ، فإذا كانت النتيجة موجبة . . . اذا قابلت هذا السؤال الخطير بـ (يجب علي) بوضوح وقوة ، فعند ذلك ، ارسم حياتك تبعا لهذه الضرورة . . »

فكلا الشاعرين يبحث عن أهدأ ساعة للنفس ، حين تكون خلوا مما يشغل الناس من معتادهم ومرتادهم من هموم الليل ومشاغل النهار . ويختار كلاهما (أهدأ ساعة من الليل) أو (السحر) ، فتلك هي الساعة التي يخلو فيها الانسان لنفسه ليتعرف عليها كما هي ، دون حواجز تحول بينه وبينها . تلك هي الساعة التي يختارها الشاعر الألماني ليجابه نفسه بصراحة ، ولكى يسبر أغوارها ، وليعرف مدى أصالة موهبته : (هل يجب عليه أن ينظم الشعر) ، بل هل من الممكن أن يحيا بدونه ؟ ويمضي قائلا :

« وربما بعد هذا الغوص في نفسك وفي وحدتك ستتخلى عن دعواك في أن تكون شاعرا . ويكفي ـ كما قلت ـ أن يشعر الانسان ان بامكانه أن يحيا دون أن يكتب ، كي لايخاطر بالكتابة أبدا . . . . »

الشاعر ونفسه

تلك هي المجابهة بين الشاعر ونفسه ، فإذا كان هناك بعد هدأة الليل وهدأة النفس ـ أدنى شك في ضرورة الكتابة لحياته ، فلا عليه أن يجازف ويخوض غمار تجارب قد تكون جناية عليه وعلى الشعر ، فهو ان وجد ـ بعد هذه المكاشفة بينه وبين نفسه ـ أن كتابة الشعر ليست هي حياته نفسها ، فمعنى ذلك أنه لن يفلح في أن يكون شاعرا أبدا . . يقول :

« . . . . . لذلك ياسيدي العزيز ، ليس لي الا ان أنصحك ، هذه النصيحة :

ان تغوص في أعماق نفسك لتكشف عن منابع حياتك ، فعلى منبعها ستجد الجواب عن سؤالك :

ان كان يتوجب عليك أن تبدع ؟

فاذا وجدته تقبله كما هو دون ان تلح في السؤال ، تقبل نصيبك وتحمّل ضرره ونفعه ، دون أن تطلب جزاء . . فالمبدع يجب أن يكون عالما بذاته ، وأن يبحث عن كل شيء من داخل نفسه . . . . »

ونعود الى شاعرنا العربي لنرى كيف ينظر الى ذاته والى عملية الابداع . وقد تركناه وهو يتخير الأوقات

لينعم بهدوء البال وقلة الهموم .. عند السحر .. ثم يتابع قائلا :

« واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولاتعمل الا وانت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه . فإن الشهوة نعم المعين .... » .

فالشعر لايمكن أن يكون بدون (رغبة) ملحة في الامتزاج والتوحد معه : وهو مايعبر عنه الشاعر العربي بـ (الشهوة لقول الشعر) . تلك هي الذريعة والوسيلة الموصلة الى الابداع .

وذاك هو نفسه مايصفه الشاعر الأوروبي بقوله :

« اتجه الى داخل نفسك ، اكشف عن الدواعي التي تجبرك على الكتابة ، اختبر ان كانت هذه البواعث ترسل بجذورها الى اعمق عمق من قلبك .. واحة نفسك : هل تفضل الموت ، اذا ماحيل بينك وبين الكتابة ؟ » .

فالدافع الأصيل الى قول الشعر لايمكن أن يكون الشعر الا به ، والمسألة عند الشاعر الألماني مسألة حياة أو موت ، وهذه أسمى درجات التوحد الوجداني بين الشاعر وفنه ، فلاحياة له بدون هذا الفن ، ولافن بدون الانغماس التام من أجله . فاذا كان الأمر كذلك فهو يستحق أن تضحي بكل ما عداه من أجله .....

الشاعر وارادة الشعر

على أن الشاعر العربي ـ لسوء حظ الشعر ـ لم يكن دائما مالكا لارادة الشعر .. وهنا يبدأ الشاعر بالتخلي عن خطه الذي رسمه لنفسه في أول الطريق .. فاذا بنغماته وقد أصبحت نشازا لاتتناغم مع تلك الدوافع الوجدانية الأصيلة لقول الشعر ، انها الارادة المفروضة عليه من خارج نفسه ، سواء كانت ارادة التقليد الأعمى أو السلطة المضللة أو .. كل ذلك . وهنا يقف الشاعران عند مفترق الطريق .....

فبينما يهوي شاعرنا فتضيق نظرته ، وينفك شيئا فشيئا عن ذاته ، يتسامي الآخر في آفاق انسانيته الرحبة ، حتى يصل الى أعمق منبع من منابعها الأصيلة :

تقول وصية الشاعر العربي :

« فاذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الشوق ، ولوعة الفراق ... »

ولعل هذا الكلام الذي ينسب الى شاعر مثل أبي تمام يفضح زيف هذه الوصية ، أو بعضها ، فكلام مثل هذا لايناسب آخره أوله ، فهو أشبه باتباع (قولبة) الشعر ، لابورود ينابيعه الصافية . والشاعر المرهف الحس الذى نظر النظرات المتأملة لاينصح شاعرا ناشئا أن يسلك خلاف طبعه ، مبالغا في اظهار لوعة (الصبابة وتوجع الكآبة) ارضاء لما جرى عليه العرف والتقليد ..

ولعلها الارادة المفروضة عليه .. لعلها ..

أما الشاعر الألماني الذي يخاطب الناشيء فيقول :

« لاتكتب أشعار غزل،تجنب من البداية هذه الأشعار والهيئات الشائعة المعتادة ، فهي من أصعب الأشياء ....

انصرف عن المواضيع الشائعة الى تلك التي تقدمها لك حياتك اليومية ، صور أحزانك وآمالك .. أفكارك العابرة وإيمانك بالجمال ، صف كل هذا بآخلاص قلبي هادىء متواضع ، فاذا بدت لك حياتك اليومية مفتقرة لاتلمها أو تتهمها ، بل اتهم نفسك . أخبر نفسك بأنك لست بالشاعر المبدع القادر على استخلاص ثرواتها ، فما دام هناك مبدع ، فليس هناك جدب أو خواء .

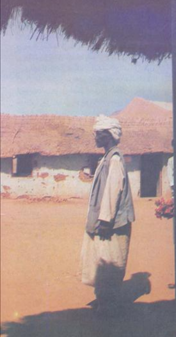
وحتى لو كنت في سجن لاتسمح جدرانه بأن يصل الى حواسك أي صوت من العالم الخارجي .. أفلا تحمل معك دائما أيام الطفولة ؟ ذلك الثراء الرفيع ، ذلك الكنز من الذكريات ؟

اصرف انتباهك اليها ، وحاول أن تستثير المشاعر القديمة من ذلك الماضي البعيد . فإن شخصيتك ستصبح أقوى ، وستتسع وحدتك لتصبح محورا يشع بالنور .... »

أين هذا من شاعرنا العربي الذي ابتلى بأمراض الآخرين ؟!

□

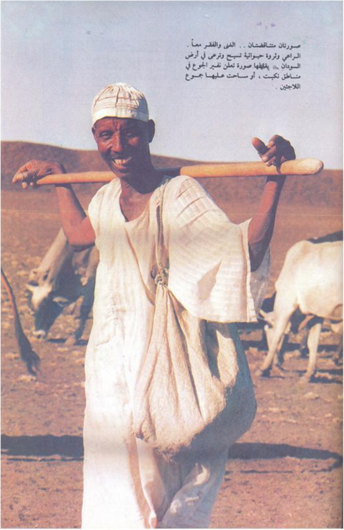
العربي
عيونك على العالم



صيحة أم صحوة في السودان ؟

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : طالب الحسيني



صورتان متناقضتان .. الغنى والفقر معاً . الراعي وثروة حيوانية تسبح وترعى في أرض السودان .. يقابلها صورة تعلن نفير الجوع في مناطق نكبت ، أو ساحت عليها جموع اللاجئين .

مهما تكن النتائج التي ستتمخض عنها الانتخابات النيابية في جهورية السودان ، ومهما تكن اتجاهات وطبيعة القوى التي ستحصد أغلبية أصوات الناخبين ، فإن المشاكل التي توطنت في السودان لن تغير من الوانها وطبائعها الا بتوفير العلاج المناسب لها ، فما هي طبيعة المشاكل التي ستكون بانتظار القابض على سلطة القرار في الخرطوم ؟

عندما سألت جميل محمد - من منطقة كرن في أرتيريا - عن مدى استعداده للعودة الى بلاده بعد هذه الغربة القسرية . . قال :

علينا ان لا نقنط من رحمة الله .

تابعت حديثي مع اريتريين آخرين ، ومن اقليم تيغراي الأثيوبي أيضا . . وسألت نفس السؤال وجاءت الاجابات تؤكد كلها على العودة اذا ما انتهت الأسباب .

حب الوطن :

عندما غابت الشمس ولم يبق الا أقل القليل من الناس بالقرب من قرية الحنان الكويتية في أبي رخم بالسودان ، فإن الرجل عاد . . وسيماء وجهه كانت تنطق بكلام . . ضاق به صدره فجاء يبوح به ، دخل في الموضوع مباشرة ، وقال بلغة عربية فيها بعض التكسير ، مع أنه نزح الى السودان منذ سنة ١٩٧٩م .

اسمع ياولدي من لا يحب وطنه وارضه . . لا خير فيه . . لقد كان سؤالك محرجا لي . . كأنك كنت تتهمني بعدم حب وطني . . من هو الذي لا يحب وطنه ، ولا يحب العودة اليه في الحال ؟

لقد أجبرتنا الحرب على مغادرة أرضنا ، أنا فلاح وابن فلاح ، والأرض جزء من تكويني ، لا تصدق أنه يوجد ما يعوض الوطن .

كان الكلام يتلجلج في فم الرجل ، وكانت اللغة لا تساعده على البوح التام بكل ما يريد أن يقول ، مقاطع من الكلام . . كان يقف عندها . . فتختنق عباراته ، ويربد وجهه ، فيستعمل يديه للتعبير . . ثم يصمت قليلا . . ويستجمع حصيلته من اللغة العربية ، ثم يعيد التعبير عن فكرة حب الوطن . . بطرق شتى وأساليب عدة . . الفكرة كانت واحدة ، لكنه كان يريد توكيدها .

استمر الرجل ملازما لنا ، كان يعمل حارسا ليليا في قرية الحنان ، وعندما ذهبت الى غرفة قريبة كي استريح . . فإن حنينه للوطن استمر يتفاعل في نفسه ، ثم تحول الى مواويل شجية . . كان يرددها في الليل البهيم . . ولم أكن افهم منها الا : أرتيريا . . أرتيريا .

غفوت ولم أستفق . . الا والرجل يؤذن لصلاة الصبح . . ثم يتبع ذلك بمواويله الشجية عن الوطن . . أرتيريا . . أرتيريا . .

عزيزي القارىء . . .

جميل محمد واحد من مئات الآلاف التي قذفها الجوع والحرب والجفاف والتصحر من أماكن وبلدان عدة ، الى داخل جمهورية السودان ، فما هي حكاية كل ذلك ؟ وما هو حال الوضع الآن ؟ وكيف تعامل ويتعامل السودان مع مأساة الجفاف التي ضربت أقاليمه ؟ وكيف يتعامل مع الآلاف التي تدفقت على أراضيه من الشرق والغرب والجنوب ؟

علماً بأن المرحلة التي عاشها السودان - منذ سنة - ما هي الا مرحلة انتقالية ، تم تحديدها بسنة بعد الانتفاضة التي أزاحت السلطة السابقة في ١٩٨٥/٤/٦ . فهل هي الصحوة . . لمعالجة الأدواء المستوطنة في السودان . . أم هي صيحة تحتاج الى رفدها بصيحات أخرى لتتحول الى صحوة حقيقية ؟

قال لنا السيد محمد حبيب مدير مشروع اسكان اللاجئين في منطقة كسلة :

« الاحصاء الأولي يفيد بأن عدد اللاجئين الذين دخلوا السودان وصل الى حوالي مليون ومائتي ألف لاجىء حتى الآن - منتصف شهر يناير ، كانون الثاني من هذا العام - كان نصيب الاقليم الشرقي - كسلا وما جاورها - حوالي ٨٥٠ ألف لاجىء .

وهؤلاء كلهم - أي الذين نزحوا الى شرق السودان - إما أنهم من أرتيريا ، أو من اقليم تيغراي الأثيوبي المحاذي لمدينة القضارف السودانية ، أما العدد الباقي

من اللاجئين فهم قد جاءوا من تشاد التي يسودها الحرب والجفاف ، وهؤلاء لجأوا الى غرب السودان . أو جاءوا من أوغندا التي يسودها الحرب والجفاف أيضا أو من زائير وكينيا ، وهؤلاء لجأوا الى جنوب السودان .

ويضيف السيد **محمد حبيب** : فاذا ما علمنا بأن أقاليم السودان التي ذكرناها ما هي الا مناطق تكبت بالجفاف والتصحر أيضا ، خصوصا في الأقليم الغربي منها ـ دارفور وكردفان ، وأن الجنوب وحتى الأقليم الغربي أحيانا فيه مناوشات عسكرية وحروب ، فإن المأساة هي العنوان البسيط الذي يمكن اطلاقه على هذه الحالة ، صحيح أن موسم الذرة الحالي كان جيدا في السودان ، وان المساعدات العالمية قد لبت بعض الاحتياجات ، الا أن الأقليم الغربي وخصوصا دارفور منه مازال الناس فيه يعانون من أزمة غذاء ، وأن ما يزيد على المليون مازالوا متأثرين بالجفاف » وهناك مصادر أخرى ترفع الرقم الى ما يزيد على ثلاثة ملايين انسان .

اذا كانت أحوال الحرب وأسبابها في أثيوبيا وأرتيريا ، ويوغندا ، وتشاد ، لا دخل للسودان في مجريات قيامها ، وهي تدفع مغارم الجيرة ، وتقسم لقمتها الى لقم ، **فما هي حكاية التصحر والجفاف في البلدان الافريقية ، وما هي حكايتها خصوصا في السودان ؟** .

جاء في كتاب « التصحر في الوطن العربي » للدكتور **محمد رضوان خولي** ما يلي : **« ان التصحر معضلة بيئية وحضارية ثقافية ، سببها على الأرجح هو الاستغلال الضاغط من قبل أوجه الحياة للثروات الطبيعية في المناطق شبه الجافة ، ولكن من الأسباب الأساسية ، غير المنظورة تماما ، التحولات الطارئة في البيئة المجتمعية ومستوى التقنية ، وقد أسهمت عناصر المناخ والتربة والبيئة والتاريخ الاجتماعي ، والتقنية ، والادارة السياسية في السودان في عملية التصحر »** .

وعلى عكس الكثير من المعلومات المتداولة ، فإن المؤلف يوثق تاريخ الجفاف في السودان والمنطقة الافريقية التي تحاذيها ، الى زمن يسبق عقد الثمانينيات اذ تؤكد الكثير من المصادر أن الجفاف قد توسع وانتشر خلال سنواته الأولى ، يقول المؤلف :

« لقد ضرب جفاف هائل سنة ١٩٧٣ منطقة الساحل بما فيها السودان ، ولم تتناقل أجهزة الاعلام العالمية قضية السودان ، وذلك لأن اقتصاد السودان



مساحة قارة واراضٍ خصبة تحتاج الى علاجات مناسبة

يعتمد على الزراعة القائمة على ضفاف النيل .

ويضيف المؤلف :

« ان خطر التصحر يكمن في مناطق السهول الرطبة الرعوية (السفانا) أكثر منه في المناطق شبه الجافة ، فهناك مساحات شاسعة حول كردفان ودارفور ، تتأثر منذ خمسين سنة خلت ـ ليس بالضرورة بزحف الصحراء ـ وانما بوجود جزر متصحرة مضروبة البيئة » .

وفي تقرير نشرته مجلة الشاهد الشهرية التي تصدر في قبرص بالعربية ـ العدد الخامس ايلول ـ سبتمبر ١٩٨٥ جاء فيه :

« لقد بلغ عدد الجياع ـ في عام ١٩٨٥م ـ في القارة الافريقية وحدها حوالي ١٥٠ مليون انسان ، وعدد اللاجئين أربعة ملايين ، فيما كانت نسبة الذين يعانون سوء التغذية قد وصلت الى ٢٢ في المئة من مجموع سكان القارة (٥٠٠ مليون) » .

النهب والارتهان :

هذه الأرقام المخيفة ، وهذه المآسي الفظيعة لم تنتج عن مشكلة التصحر أو الجفاف فقط ، بل هي نتاج زمن طويل من السيطرة الاستعمارية النهابة ، وصولا

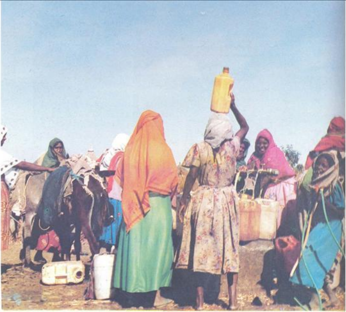
حديث صامت مع الذكريات







أطفال الغربة
وخيام لا تقي من
حر أو قر !



مظاهرة . . . . حتى للحصول على المياه !



الى الادارات السياسية « الوطنية » التي لم تحسن الادارة ، وانساقت في تيار النهب والارتهان للسياسات الاستعمارية والصراع على الكراسي ، والدخول في نفق الانقلابات العسكرية المتتالية .

يقول التقرير المنشور في مجلة الشاهد عن السودان على سبيل المثال لا الحصر :

« ان السودان الذي تم احتسابه كسلة غذاء للعالم الثالث ، وقف أمام الجفاف والتصحر ، موقفا « مريضا » لا بسبب قلة القروض والمال الصعب ، ولا بسبب قلة المساعدات ، بل بسبب بنية النظام وتوجهاته » .

وفي هذا الشأن . . قال لنا الدكتور سيد أحمد طيفور وزير المالية والتخطيط الاقتصادي في حكومة الانتفاضة :

« ان مشكلة السودان الاقتصادية ليست ابنة اليوم ، انها مشكلة موروثة ، تراكمت حلقاتها حتى وصلنا الى ما نحن عليه،ذلك أن النظام السابق أهمل القطاعات الانتاجية ، مما أدى الى تدهور البنى الانتاجية الأساسية ، ونتيجة لتدهور هذه البنى فإن الاقتصاد القومي ازداد اعتماده على الاستيراد والاقتراض من الخارج ، مع أن الكثير من السلع يمكن انتاجها محليا .

وجوهر الأزمة أو المشكلة يتمثل في محاولة الخروج من هذا المأزق وتنمية الطاقات الانتاجية ، واعادة تأهيل وتعمير البنى الانتاجية الأساسية ، على أن يتم ذلك وفق أولويات معينة ، والتزام جاد للتنفيذ من جانب الحكومة ، وقطاعات الشعب السوداني العاملة في مجال الانتاج » .

* هذه بعض الأسباب والظروف التي أوصلت السودان الى ماهو عليه ، أضيفت اليها ظاهرة الهجرة ، فتراكمت المشاكل وتزايدت ، ووصل اجمالي المديونية العامة الى حوالي ٩ بلايين دولار ، من المفروض أن يقتطع السودان من ناتجه الاجمالي ما يزيد على ٥٠٠ مليون دولار سنويا كي يدفعها فوائد لبعض القروض ، ومنها قروض البنك الدولي . . التي عجز السودان عن دفع فوائدها منذ أشهر قليلة ، فأوقف البنك مساعداته أو أية قروض جديدة للسودان ، الا اذا طبق السودان بعض الشروط المتعلقة ببنية الاقتصاد السوداني ، وسحب دعمه للسلع المعيشية الأساسية للناس .

معسكرات وضغوط معيشية :

قال لنا مدير مشروع اسكان اللاجئين في منطقة كسلة الذي سبق ذكره من قبل :

ـ « يوجد حوالي نصف مليون لاجىء في المعسكرات التي نديرها ونشرف عليها ، أما بقية اللاجئين ـ أكثر من نصف مليون ـ فقد تسربوا الى المدن والقرى والحواضر ، وهؤلاء لا تصل اليهم أية مساعدات منتظمة ، وهم يمثلون عبئا على الخدمات التي تم توفيرها للأماكن التي لجأوا اليها .

ان الخدمات قد تم تصميمها لعدد معروف ، ولزيادة معروفة ، لكن أن تتضاعف الأرقام ، وأن تتزايد بشكل غير مخطط ، فإن ذلك يؤدي الى استهلاك وتخريب سريع للخدمات القائمة ، وقصور في المواد المخصصة لكل منطقة » .

* صحيح أن الظاهرة بارزة واضحة في العاصمة المثلثة (الخرطوم ، أم درمان والخرطوم البحري) ويلمسها الزائر أو المقيم من خلال كثرة الذين يمدون أياديهم طلبا للصدقة ، أو من خلال بعض المظاهر السكنية غير القانونية التي زنرت الأحياء الأساسية في المدينة .

الا أن ذلك لا يكفي لادراك عمق المأساة ، لذلك فقد آثرنا أن ننتقل الى معسكرات اللاجئين في شرق السودان ، والى المعسكرات القائمة في منطقة الفاو ، ثم كسلة بالذات .

* وأن تصل الى منطقة كسلة ، فإن عليك أن تقطع حوالي ٧٠٠ كيلو متر بالسيارة ، وستمر في هذا الطريق على مدن وحواضر وقرى كبيرة وصغيرة منها :

ـ الحصاحيصا . . وتبعد عن مدينة الخرطوم حوالي ١٥٠ كيلو متراً ، والغريب أننا وجدنا في هذه المدينة مجموعة من اللاجئين الآتين من تشاد ، وتشاد تحاذي كما هو معروف منطقة الغرب السوداني ، والحصاحيصا تقع في الوسط . . مما يدل على أن رقعة انتشار اللاجئين كبيرة .

ـ واد مدني وهي عاصمة المنطقة الوسطى ، وتبعد حوالي ٢٠٠ كيلو متر عن الخرطوم .

ـ منطقة الفاو وتبعد عن الخرطوم حوالي ٣٠٠ كيلو متر ، ويوجد فيها ٦ معسكرات للاجئين ، ثلاثة من بينهم للاجئين القادمين من أقليم تيغراي الأثيوبي ، والثلاثة الباقية للاجئين القادمين من أرتيريا ، ويتراوح عدد سكان كل مخيم بين خمسة آلاف وعشرة آلاف لاجىء .



د . عز الدين عامر



الصادق المهدى



محمد حبيب

وأغلب المعسكرات تقع في منطقة تسمى بأبي رخم ، وتبعد عن الشارع الرئيسي حوالي ٧٠ كيلو مترا،٥٠ كيلومتر من بينها-مسفلتة-، ويخترق الطريق مشروع الرهد الذي يزرع فيه القطن بكثافة ، أما العشرون كيلو مترا الباقية فهي طريق غير ممهدة ، تحيط بها مزارع الذرة البيضاء الواسعة ، وفي منطقة أبي رخم يقام مشروع قرية الحنان الكويتية .

ـ ثم يلي الفاو مدينة القضارف المحاذية للحدود الأثيوبية التي تكثر فيها معسكرات للاجئين من اقليم تيغراي (وصل عدد اللاجئين من هذا الاقليم حوالي مائة الف ، توزعوا على مخيمات عديدة بالقرب من القضارف . . وفي أماكن أخرى غيرها) . وتبعد المدينة عن الخرطوم حوالي ٥٠٠ كيلو متر .

ويلي منطقة القضارف بعد حوالي مائتي كيلو متر مدينة كسلة ، ويبعد المعسكر الرئيسي للاجئي أرتيريا حوالي ١٥ كيلو مترا عن المدينة ، ويطلق عليه اسم ود الشريفي (اي ولد الشريفي) ويبعد المعسكر حوالي ١٥ كيلو مترا عن الحدود السودانية الأثيوبية .

الحنان في عالم قاس :

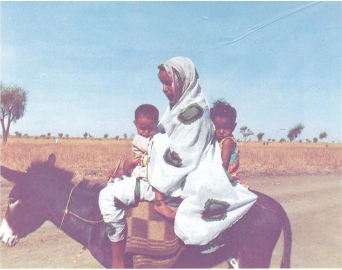
كنا نسابق الشمس ، هي تسعى الى منتهاها وراء الأفق ، ونحن نسابقها للوصول الى قرية الحنان الكويتية بأبي رخم .

الطريق ترابية فيها حفر ومطبات ، حقول الذرة على جانبي الطريق ، ومشروع قناة مياه الرهد يحاذيها أحيانا او يفترق عنها في أحيان أخرى ، قطعان الماعز والخراف والأبقار تصادفنا . . فنتخطاها مسرعين . خيم كثيرة تبرز فجأة على يسار الطريق ، مواسير مياه تبعد حوالي كيلو متر عن الخيم . . والنساء والأطفال يحملون أوعية الماء ، بعضهم غـاد . . وآخرون قادمون . .

نسأل بعض الرجال عن المخيم وسكانه . كانت عربيتهم مكسرة ، لكننا فهمنا منها أنهم من اقليم تيغراي الأثيوبي ، وأن المخيم حديث القيام . . مازلنا نسابق الشمس ، ولم تظهر آثار قرية الحنان بعد !

وصلنا القرية . . وبدأ زميلي المصور يحاول التقاط المناسب من معالم القرية ، ثم التقينا بمهندس المشروع ومديره السيد سعيد أبو شمو . . قال لنا :

« اننا نبذل كل طاقتنا كى نسلم المشروع فى منتصف هذا العام ، ولذلك فإن العمل يستمر لمدة أربع وعشرين ساعة ، نقسمه على ثلاث ورديات عمل ، كل وردية تعمل ٨ ساعات ، ويبلغ اجمالى عدد العمال حوالى ٤٥٠ عاملا موزعين على شتى المهن والاختصاصات ، وهم سودانيون وارتيريون وأثيوبيون من اقليم تيغراى ، وكما ترى فإن المنشآت قد قاربت على الانتهاء ، ويبقى علينا رصف الطرق الداخلية ، وقد بدأنا العمل سنة ١٩٨٢ على هذه الأرض التى منحتها الحكومة السودانية للجنة طبق الخير الكويتية ، وتبلغ مساحتها حوالى مائة فدان ، وهذه الأرض محاطة بمعسكرات اللاجئين ، والهدف من اقامتها هو استيعاب وتشغيل الف طفل يتيم من





الشمس لافحة . . . فأين الأمن والأمان ؟ - اعلى - معلمة سودانية . . . تحاول تعويض ما فات على جيل اجبرته الحروب والمجاعات على فقد الكثير - اسفل -



اطفال من تيغراى . . . . ورحلة للبحث عن الماء !

اللاجئين الأرتيريين المسلمين ، وتشغيل الأيدى الفنية فى هذا المشروع الخير .

كان الليل قد أرخى سدوله تماما . . وكانت المنطقة التى تحيط بالقرية قد غرقت بظلام كثيف . .

وجها لوجه :

استأذنت المهندس فى مقابلة بعض العاملين فى القرية من اللاجئين الأرتيريين والتيغرايين . . توالوا فى الحضور . . **جميل محمد** الذى ذكرته فى بداية هذا الاستطلاع . . ثم **محمد أدم** .

قال محمد أدم : عمرى ٥٤ سنة . . من منطقة سراى فى ارتيريا ، كنت أعمل فى الزراعة ، الأرض ارضى . . وكنت أزرعها بالأرز والسمسم . . ثم جاءت الحرب . . فأصبحت حياتنا مهددة ، قتلوا عشرات الأفراد من قريتنا ، فدفناهم وخرجنا هائمين على وجوهنا . . .

لغة الرجل العربية كانت سليمة تقريبا . . فسألته عن ذلك ؟

قال : لقد خرجنا من أرتيريا منذ سنة ١٩٦٧ عملت بعدها بالزراعة فى منطقة ود الحلوى لمدة ١٠ سنوات ، ثم جئنا الى هذه المنطقة ، وأنا أعمل فى القرية منذ ٤ سنوات .

سألته عن المساعدات التى تصلهم . . ومدارس الأولاد . . فقال :

تصلنا بعض المساعدات من مديرية اللاجئين السودانية ، والصليب الأحمر ومؤسسات عالمية أخرى ، وجبهة التحرير الأرتيرية لها مدارس فى المنطقة .

* **هل تعود الى قريتك . . اذا ما انتهت الحرب ؟** .
ـ طبعا أعود . . لا يوجد أغلى من الوطن .
* **اين تسكن ؟**
ـ اسكن فى «قطية» ـ عشة مبنية من القش بشكل مخروطى ـ فى المعسكر القريب .

* **محمد صالح ابراهيم** عمره ٢٨ سنة من قرية قرب ميناء مضوع الارتيرى قال : لقد أجبرت على الخروج سنة ١٩٧١ ، واشتركت فى الثورة منذ سنة ١٩٧٢ ، وحتى سنة ١٩٨١ ، إذ أن يدى بترت فى هذه السنة ، فدخلت المستشفى التابع للجبهة التى كنت أحد مقاتليها ، ثم جئت الى منطقة كسلة بالسودان ، ثم عملت بقرية الحنان منذ حوالى ثلاث سنوات ونصف ، متزوج ولى ولدان . . كنت أتعلم العربية والانكليزية فى مدارس أرتيريا ، ولم أقطع صلتى بالجبهة حتى الآن .

عندى استعداد لمعاودة القتال وتحرير أرتيريا .

المساعدات التى توزعها المؤسسات علينا قليلة ١/٢ وعاء دقيق للشخص الواحد ، ورطل واحد من الزيت ، و ٣ أكواب من الفول . . كل عشرة أيام ، أسكن فى «قطية» في المعسكر القريب .

× **برغاوى حلوف** مسيحى عمري ٤٠ سنة ، من اقليم تيغراى بالحبشة ، متزوج ولى ٣ أولاد ، الكبير عمره ١٠ سنوات .

جئنا الى السودان بسبب الجفاف وبعض آثار الحرب التى تصيبنا أيضا . كنت اعمل فى الزراعة ، وعندما أمحلت الأرض وشح المطر . . وفقدنا مواردنا وما نختزنه ، فإننا قررنا الخروج من بلادنا ، وصلنا الى كسلة مشيا على الأقدام ، جمعتنا الحكومة السودانية مع بعضنا البعض ـ التيغراى ـ ووضعتنا فى خيام مؤقته فى معسكر قريب من المدينة ، ثم نقلتنا الى معسكر قريب من أبى رخم منذ سنتين ، وأنا اعمل فى القرية منذ سنة ونصف تقريبا .

كان برغاوى لا يعرف العربية . . وتولى الترجمة له محمد صالح ابراهيم الذى قال انه يعرف لغتهم بشكل جيد .

عندما سألت برغاوى : هل تحب العودة الى بلادك ؟ فإنه أجاب : طبعا أعود اذا ما انتهى الجفاف .

× **حلوف كحصاى** ٣٥ سنة ، من اقليم تيغراى ، مسيحى لا يتكلم العربية قال : خرجت وعائلتى مع الكثير من العائلات ، وتركنا البلاد بعد أن انتشرت فيها المجاعة ، ومات ناس كثيرون بسبب الجفاف ، ونعيش الأن فى معسكر قريب كله خيم ، يمكن أن يقتلعها الهواء والمطر بكل سهولة . . قال ان اقليم تيغراى يسكنه مسيحيون ومسلمون أيضا .

بعد أن انتهيت من تدوين المعلومات السابقة ، طلبت من المهندس مرافقتى لمقابلة مدير شؤون اللاجئين فى المنطقة ، فابتعدنا عن القرية . . العتمة كانت سائدة . . وقلما كنا نسمع صوت انسان . .

اقتربنا من مكان فيه بعض الأضواء . . كان مقهى على مفترق طرق يوصل الى عدة مخيمات . . تابعت حديثى مع المهندس سعيد . . فقال : « هل تدرى انه يوجد فى السودان وخصوصا فى هذه المنطقة بالذات مئات اللاجئين من نيجيريا » . استغربت

ذلك . . على أساس أنه لا توجد حدود مشتركة بين السودان ونيجيريا .

قال المهندس : لقد جاءوا منذ ما يزيد على ثلاثين سنة ، وربما خمسين ، وبعضهم حصل على الجنسية السودانية .

قلت : من الواضح أنه لا توجد كهرباء ، والمياه لها خزانات قريبة من المخيمات .

قال : هذا هو الوضع بالضبط .

والطبابــة ؟

- توجد مستوصفات تابعة للحكومة ، وبعضها تابع لبعض الهيئات العالمية . وصلنا بيت مدير اللاجئين فى المنطقة . . هو وبيوت يقل عددها عن أصابع اليد الواحدة ، كانت مضاءة بالكهرباء فقط . . قال المهندس انها بيوت موظفى مديرية اللاجئين . لم يكن المدير فى البيت ولا مساعده ولا حتى مساعد مساعده .

عدنا من حيث أتينا . . وجاءنى جميل محمد . . كى يبثنى مواجعه وأشواقه وحبه ومواويله للوطن .

استأنفنا جولتنا فى القرية مع المهندس سعيد في صباح اليوم التالى . . يوم عمل جديد . . والأيدى تدق وتبنى وتضيف أشياء جديدة . . هنا المستشفى . . هناك الجامع والروضة وابتدائية الصبيان . . والمشغل ، وابتدائية البنات ، والمتوسطة الفنية . . وورشة فنية ، وداخلية اطفال ، والسوق المركزى ، ومنتدى العاملين ، المطبخ ، وغير ذلك عشرات الأماكن التى ستلعب دورها فى توفير حياة حرة كريمة لمئات العائلات وآلاف الأطفال .

أعاد زميلى المصور تصوير عشرات الصور للمكان . وانطلقنا الى المخيم القريب الذى كانت تعج طرقاته المتربة بعشرات الرائحين والغادين ، والأطفال الذين يمارسون لهوهم البرىء ، وبعضهم كان لا ينتعل شيئا فى رجليه . . ولا يستر جسده أية قطعة قماش .

عودة الى الحنان :

« من متابعتنا لما يجرى حولنا نجد صورا كثيرة تحتاج الى أن نحيطها بالخير ، أمامنا وخلفنا وبجوارنا صور تحتاج الى أن نرعاها بالخير » .

هكذا ولدت الفكرة فى ذهن رئيسة تحرير مجلة أسرق الكويتية السيدة غنيمة المرزوق ، وهكذا ولد مشروع « طبق الخير » منذ سنه ١٩٧٥ ، وبدأ تنفيذه الفعلى سنة ١٩٧٧م ، بعد أن تبنت الفكرة الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية التى ترأسها الآنسة لولوة القطامى .

طبق أكل بسيط ، سعره رمزى . . ومغزاه كان توفير الحنان للطفولة المعذبة التى حرمت من عطف وحنان أحد الوالدين أو الوالدين كليهما ، هذا هو أساس مشروع طبق الخير وهكذا استمر .

النساء والرجال الأفاضل فى الكويت ساهموا وتابعوا مساهماتهم كل سنة ، فولدت مدرسة الحنان فى سوق الغرب بلبنان التى وضع حجر الأساس لها سنة ١٩٧٩ .

وفى نفس السنة سافر وفد نسائى يمثل مشروع « طبق الخير » الى السودان للوقوف على معاناة اللاجئين فى شرق السودان ، وفى نفس ذلك العام تبلورت فكرة اقامة قرية الحنان الكويتية بأبى رخم ، فتبرعت الحكومة السودانية بالأرض ، واستعدت نساء وفتيات المشروع « طبق الخير » والمجلة والجمعية لتوفير المبلغ من المحسنين .

وهكذا تم توقيع عقد بناء القرية سنة ١٩٨٢ ، والمؤمل الانتهاء من بناء جميع مراحلها هذا العام .

والعدد الاجمالى الذى ستستوعبه القرية هو ألف طفل فى مراحل الروضة والابتدائى والمتوسط ، ومدرسة فنية متوسطة للذكور والاناث من الأطفال ، اضافة الى مشغل فنى للنساء ، وورشة فنية ، وتبلغ تكاليف المشروع فى جميع مراحله حوالى سبعة ملايين دولار .

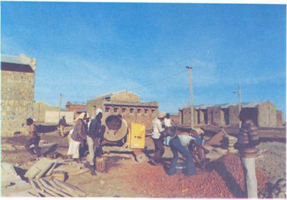
حتى ولو تحت شجرة !

أنهينا جولتنا فى المخيم القريب من قرية الحنان ، وأثناء استعدادنا للرحيل لفت نظرنا تسرب بعض الأطفال الى مكان محدد . . فتبعناهم . حوالى عشر «قطاطي» جمع قطية ـ وهى العشة كما ذكرنا ، كانت مسورة وساحتها نظيفة . . وصوت الأطفال كان يتردد بين الفينة والأخرى . . بعضهم كان يجمع الأعداد الحسابية ، وآخرون كانوا يرددون درسا فى الدين ، وغيرهم درساً فى العربية .

مدير المدرسة السيد **عمر ابراهيم** . . قال : ان المدرسة تتبع جبهة التحرير الأرتيرية ـ التنظيم الموحد ، وان فيها ١١ فصلا من الصف الأول الابتدائي الى الصف السادس ، وان عمر المدرسة ٦ سنوات ، وانها نشأت منذ نشوء المخيم . المدرسون



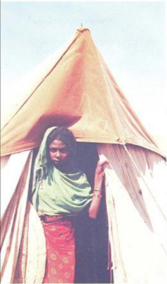
مشروع لادخال الحنان فى قاموس حياة عاشت الأهوال مع أنها غضة وطرية !



المهندس سعيد أبو شمو .. يشرف على انجاز بعض الأقسام فى قرية الحنان .



بانتظار ما يقيت ويستر !



انا من هذا العالم .. فمتى يصغى اليّ ؟



حاصدة وحاصدون
وموسم جيد للذرة
هذا العام

في المدرسة سودانيون وأرتيريون ، والجبهة تصرف على المدرسة اضافة الى بعض المساعدات من مؤسسات محلية وعالمية أخرى .

كان شيخ يلقن تلاميذه بعض السور القرآنية . . تحت ظلال شجرة .

قال السيد عمر : لقد انهارت«القُطية» كما ترى.. فلجأ الشيخ الى ظلال الشجرة كي يؤدى واجبه ، وافترش الأطفال الأرض العارية !

دخلنا بعض الفصول ، أولاد وبنات في نفس الفصل ، الأولاد في جانب والبنات في جانب آخر ، واللوح الأسود على حائط القش ، والطاولات والكراسي من الخشب ، وفي بعض الفصول افترش الطلبة الأرض .

أنشدوا أناشيد وطنية بالعربية والأرتيرية . . وطن . . وطن . . من هو الذي يرضى أن يبقى بلا وطن ، أو يسلم للغاصب فيه ؟

اذن فليرضع الأطفال هذا الاكسير ، الحلم ، الرغبات ، الآمال ، الطموحات . . ووعود الكرامة والعيش الحر . . ليرضعوا هذا المزيج من الأماني مع الحليب . . ولتذهب خيالاتهم الغضة مع الصور التي تنهال على ذاكرتهم من المدرس والأب والأم . . والأقارب وغيرهم . . هكذا انساقت نفسي مع أغانيهم ، تمعنت المكان جيدا ، كان بسيطا وفقيرا الى أقصى درجات الفقر ، مع ذلك فإنه كان يؤدى رسالته على أكمل وجه .

على بعد أمتار قليلة . . كانت قرية الحنان بمبانيها الضخمة وامكانياتها المقتدرة مجرد وعد لمشروع يمكن أن يوفر على آلاف الأطفال مواجهة القسوة والفظاعة ودمامة الواقع ، كانت ومازالت وعدا بلمسة حنان ، بلقمة نظيفة ، وببيت دافىء آمن من تقلبات الطبيعة ، فيه وسائل تعليمية أفضل ، ورعاية أدق وأشمل ، بليل فيه ضوء أفضل للقراءة والمراجعة . . وبنهار يستعيد فيه الانسان انسانيته . . ليضع حلم العودة الى الوطن على أرض صلبة .

اشارات ووعود :

تبعد مدينة كسلة عن قرية الحنان الكويتية حوالى ٤٠٠ كيلومتر ، الطريق اليها مرصوفة ومسفلته بشكل جيد ، على جانبى الطريق كان موسم الذرة قد حان قطافه ، بعضه قطف وينتظر الشاحنات لتشحنه ، وبعضه كانت الحاصدات والعمال يتولون حصده ، والباقي فإن عناقيده كانت متدلية . . الطيور تأكل بعضها . . والبعض الآخر ينتظر مناجل الحصادين وسكاكين الحاصدات .

حقول ممتدة على أبعد ما يمكن أن يصل اليه النظر ، أرض حمراء سمراء غنية . . وقنوات المياه تغنيها من عطش شح المطر ، الشمس تلهب الطريق وتلهبنا بأشعتها ، درجة الحرارة تزيد على الثلاثين ، ونحن في شهر كانون الثاني ـ يناير ـ السودان من الأقاليم التي تتلقى المطر في أشهر الصيف ، أى من مايو ـ أيار . . حتى ايلول ـ سبتمبر . . انها طبيعة الأقطار الموسمية . . والسودان أحدها ، لذلك فإن أمطاره موسمية .

*** ماذا غير حقول الذرة يمكن أن تلفت نظر الزائر الحديث على جانبى الطريق الرئيسى بين الخرطوم وكسلة ؟**

ـ منذ أن تغادر واد مدنى عاصمة المنطقة الوسطى في وسط السودان ، وحتى كسلة ، فإن معظم بيوت القرى والكثير من الحواضر والمدن مبنية من القش المخروطى الشكل التي تسمى بالقطاطى ، وهذه البيوت ظاهرة أفريقية منتشرة في الكثير من البلدان الأفريقية ، وهي مظهر من مظاهر بساطة العيش وتواضعه ، واذا كانت مدينة مثل مدينة القضارف يزيد عدد سكانها على مائة ألف نسمة ، فإن الكثير من سكانها يعيشون في بيوت ـ قطاطى ـ مبنية من القش .

ـ الوسيلة الأساسية للتنقل وخصوصا في القرى وبعض الحواضر ، مازالت تعتمد على الحمير والجمال . . والقليل من الخيول ، وقد صادفتنا قوافل كثيرة من هذه الحيوانات ، بعضها كان يرعى في الحقول أو يقترب من بعض برك الماء المتبقية من أمطار سابقة ، أو يمتطيها الرجال والنساء في تنقلاتهم ، كما صادفتنا الكثير من الثروة الأساسية في السودان ، أعني مجاميع الغنم والماعز والأبقار والجمال التي كانت ترعى أو ترد أماكن الماء .

وصادفتنا أيضا خلال اقترابنا من مدينة كسلة عشرات المخيمات لبدو المنطقة ، أناخوا رحلهم بالقرب من بعض أماكن الماء .

ـ لقد تم مد المياه الى وسط الجزيرة بواسطة قناة الرهد ، وقامت بسببها العشرات من المشروعات الزراعية وبعض المصانع والمحالج ، كما أن عشرات المصانع قد أقيمت على جانبى الطريق ، بعضها خاص بالنسيج ومحالج القطن ، وصناعة الزيوت ،

والسكر ، والترابة ، والدباغة ، وصناعة الدقيق وغيرها .

وهذا دليل على أن الأرضية الانتاجية سليمة ، وكل ما تحتاجه يتمثل في اعادة تنشيط وتأهيل .

- مازالت بقايا أحراش متعددة الأنواع من الأشجار تحف بالطريق الرئيسى ، وبعضها يقطع ويحزم ويباع بقروش قليلة مثل : الدوم ، السيال ، السنط ، والكتر ، واللعوت ، والطلح ، وهذا الأخير له حضوره في الموروث الشعبي السوداني ، اذ يعتقد بأنه يزيد من القابلية الجنسية عند الرجل والمرأة .

جاء في كتاب « دراسات في البيئة السودانية » للدكتور حسن مصطفى حسن ما يلي عن الشجرة :

« في السودان تتدخن النساء بخشب الطلح وهو نوع من الزينة وعلاج لبعض الأدواء ، ومراسيم الدخان ان المدخن يجلس على حفر الطلح بعد أن يوقد به النار وبعد أن يلف جسده بالشملة ، وهي من الصوف السميك ، فلا يخرج الدخان الا من خلال الشملة حول عنق الجالس » .

وقد قيلت أشعار كثيرة حول هذا النوع من الشجر . . منها هذا البيت للشاعر عبدالله الطيب :

« وشجا الاضلاع قُمريٌ على الطلح ينوح » .

وهذه الأحراش ينتج بعضها الأصماغ التي اشتهر بها السودان . . ويمكن بواسطة خطة مدروسة اعادة تأهيل هذه الأحراش ، وجعلها تستعيد دورها في بنية الاقتصاد السوداني .

توتيل وكسلة :

قال الشاعر عبدالله الطيب وهو يمزج صورة جبل كسلة « بالمدخن » الجالس على حفر الطلح :

« والجبل السامى المطل على الوادى الذي حله بنو حُسنهُ
متوجاً بالسحاب مثل دخان الطلح قد عج حول مُدخنهَ »

وهذا يفيد بأن الجبل المحيط بكسلة هو أبرز معالمها ، ويسمونه هناك بجبل توتيل وهو أقرع أصلع ، يرتفع ارتفاعا حادا يصل أعلاه الى ألفى قدم . صخوره بركانية ، تنتظر نحاتا ينحت عليها بعض صور الفن التي تتراءى له وتشغله .

سكان المدينة يتجاوزون المائة ألف ، وهي مقر طائفة الختمية ، وقد جاء في كتاب « **مختصر تاريخ السودان الحديث** » للدكتور **مكى شبيكة** ، حول كيفية نشوء المدينة ما يلي : -

« وأكبر نشاط قام به أحمد باشا (والى محمد على باشا على السودان) في عهده ، هو فتحه لاقليم التاكة في شرق السودان ، فسار على رأس جيش الى شندي ومنها اتجه شرقا الى قوز رجب ، وسلمت له بعض القرى دون مقاومة ، ولكنه عندما توغل في منطقة خور القاش وأرضه الوعرة ذات الغابات قاومه الهدندوة ، ولكن لاقبل لهم بالأسلحة النارية ، وطلبوا الصلح ، وأقام أحمد باشا معسكره في المكان الذي عرف فيما بعد بكسلة » .

أي أن المدينة بنيت في الأربعينيات من القرن الماضى ، ويقطعها نهر القاش الذي يجف في الأشهر غير المطرة ، وتكثر حول المدينة بساتين الموالح (البرتقال ، والماندرين والمندلينة - يوسف أفندى -) والموز والكثير من الخضراوات ، وتعتمد في سقايتها على الآبار .

قبل أن ننطلق الى معسكر ود شريفي الذي يبعد عن المدينة حوالى ١٥ كيلومترا ، آثرنا اللقاء بالسيد محمد حبيب مدير مشروع اسكان اللاجئين في منطقة كسلة .

صور من الشقاء الانساني :

قال لنا السيد حبيب ، لقد أُنشيء معسكر ود شريفي سنة ١٩٨٢ ، وصمم كى يستوعب حوالى خمسة آلاف لاجىء ، وهو معسكر انتقالى ، من المفروض أن يقضى فيه اللاجئون أسابيع قليلة ، ثم يُنقلون الى أماكن استيعابية أخرى ، وقد بنيت فيه مؤسسات خدماتية على هذا الأساس ، كالعيادة ، وأماكن المياه ، وأماكن التموين ، و « الخلاوى » الدينية وغيرها من أماكن .

الا أن حدوث الجفاف في أثيوبيا وأرتيريا دفع بآلاف السكان الى مغادرة أراضيهم ، واللجوء الى السودان منذ أواخر مايو سنة ١٩٨٤ ، ومعظم الذين وفدوا الى منطقة كسلة همْ من الأرتيريين ، وبينهم ٩٠ بالمائة مسلمون ، و ١٠ بالمائة مسيحيون .

وقد وصل عدد اللاجئين في المعسكر حتى الآن حوالى ١٧٤ ألف لاجىء .

- لقد ذكرت انه يستوعب خمسة آلاف ؟

نعم ان المعسكر قد صمم لاستيعاب هذا العدد ، لكن ماذا نفعل ازاء الالاف المؤلفة التي أخذت تتوافد



السوق الفقير .. فرجة وبيع ايضا . والجبل هو جبل توتيل





طوابير لاستلام المؤن . . . من يقرأ . من يسمع ، من يرى ، ومن يتحرك ؟

وجه من تشاد . . . . ماذا يخبىء المستقبل ؟ - يسار

وهي تعاني من الجوع وفقدان كل ما تملك . فاضطررنا الى توسيع المعسكر ، وبالتالي الى توسيع الخدمات فيه . لقد وصل الدفق البشري الى حوالي ألفين في اليوم الواحد ، وقد أخذ يقل الى أن وصل المعدل اليومي الى حوالي مائتي لاجيء (الآن) .

ـ لقد شاهدنا بعض اللاجئين من اقليم تيغراي الأثيوبي . . ومن تشاد . . وقيل من نيجيريا !

● اللاجئون من اقليم تيغراي لجأ معظمهم الى منطقة مدينة القضارف القريبة من حدودهم . أما التشاديون فقد لجأ بعضهم الى الغرب السوداني ، وتسرب بعضهم الى مناطق أخرى ، أما النيجيريون فقد جاءوا منذ عشرات السنين ، والكثير منهم حصل على جنسيات ، وهم إما أنهم كانوا في طريقهم الى الحج . . فأعجبتهم البلاد وتوطنوا ، أو لهم بعض الأقارب ، أو جاءوا للعمل ثم توطنوا .

ـ هل عاد بعض اللاجئين الى بلادهم بعد أن خفّت حالة الجفاف ؟

● ان الجفاف هو عامل واحد بين عدة عوامل دفعت الناس الى الهجرة ، وهناك عامل الحرب ، والتجنيد الاجباري وغير ذلك . . ومع ذلك فإن حوالى ٣٠ ألفاً من اقليم تيغراي الاثيوبي عادوا الى بلادهم بعد أن خفت حالة الجفاف .

ـ لاحظت أن الارتيريين يتكلمون العربية بلهجة خاصة ؟

● ان الكثير من الارتيريين هم من قبيلة بني عامر المنتشرة على الحدود بين اقليم ارتيريا والسودان ، وهذه القبيلة هي قبيلة عربية ، لها لهجتها الخاصة المشتقة من العربية بطبيعة الحال .

ـ هل تمارس الجبهات الارتيرية العمل السياسي داخل المعسكرات ؟

● ان العمل السياسي ممنوع داخل المعسكرات ، وهناك بعض المساعدات التي تقدمها الجبهات ، طبية ومعيشية ، ولها بعض المدارس في المعسكرات الثابتة .

ـ ألا يوجد حل لهذا التدفق البشري الذي يمثل أعباء كبيرة على السودان ؟

● ان السودان يحاذي في حدوده ثماني دول ، وحدوده طويلة ، ولا يمكنه السيطرة على كامل هذه الحدود ، اضافة الى أن بعض هذه الدول فيها حروب ، ولا يوجد استقرار سياسي فيها كي يتم بحث وحل هذه الأمور مع حكوماتها .

وبالرغم من أن الحكومة السودانية راجعت بعض هذه الحكومات ، لوقف تدفق اللاجئين ، الا أن الأمر لم يصل الى حالة مرضية . فتولت الحكومة السودانية بالتنسيق مع المنظمات الدولية المختصة ايجاد ثلاثة أنماط من مشاريع الاعاشة الثابتة .

أولاً : توزيع بعض الأراضي على اللاجئين المزارعين ، مساحتها من ٥ الى ١٠ فدادين لزراعتها والاستفادة من محصولها .

ثانياً : بناء معسكرات قريبة من المشروعات الزراعية كالزهد ، ومؤسسة حلفا الزراعية وغيرها ، وذلك لتوفير فرص ومجالات العمل للأيدي القادرة على العمل من بين اللاجئين .

أما الطريقة الثالثة فهي تجمع بين الطريقتين السابقتين ، وهناك بعض المعسكرات أقيمت بالقرب من المدن ، وأسكن فيها اللاجئون القادمون من المدن لتوفير فرص العمل للأيدي الفنية المتخصصة .

ـ ألم يترك ذلك آثاره السلبية على المواطنين ؟

● لاشك أنه حصلت تململات وعدم رضا نتيجة مزاحمة اللاجئين للمواطنين في الخدمات التي زاد الضغط عليها ، كما أن بعض ملاك الأراضي احتجوا على تخريب بعض مواسمهم ، نتيجة لوجود معسكرات اللاجئين بالقرب من مزارعهم أو داخلها . وهناك حالات سلبية أخرى عديدة .

ـ اذا كان النشاط السياسي غير مسموح به ، فما هو الوضع بالنسبة لحرية الاعتقاد الديني ؟

ان حرية الاعتقاد الديني مكفولة للجميع ، وهناك « خلاوى » أي مساجد صغيرة وكنائس داخل وخارج المعسكرات ، يمارس فيها الناس حريتهم التامة في العبادة .

داخل المعسكر :

قبل الوصول الى المعسكر الذي يحاذي جبل توتيل ، فإن مزارع الموز والبرتقال تنتشر على جانبي الطريق ، وقرية ود شريفي تتداخل مع المعسكر الى درجة أن الرائي من بعيد لا يفرق بينهما ، لأن بيوت القرية ـ القطاطي ـ مبنية من القش مثل بعض بيوت المعسكر ، نتيجة لهذا التداخل ونتيجة لقيام المعسكر على بعض أراضي المزارعين ، ونتيجة لدخول بعض صبية اللاجئين الى المزارع ، فإن بعض السلبيات قد قامت بين الطرفين ، لكنها بقيت ضمن حدود السيطرة والتفاهم .

السيد محمد عثمان علي الضابط التنفيذي لمكتب شؤون اللاجئين التابع لوزارة الداخلية السودانية قال

لنا ونحن في المعسكر : « انه من المفترض ترحيل حوالى ٢٠ ألفا من اللاجئين خلال أيام معدودات الى منطقة الفاو ، وذلك بعد الانتهاء من التجهيزات المناسبة هناك ، لأن الضغط السكاني في المعسكر ازداد ، وهذا يمثل ضغطا على كل الخدمات ، مما يقلل من كفاءتها . »

وحول سؤالنا المتعلق بالمساعدات التي وصلت للمخيم . . قال :

« لقد وصلت بعض المساعدات الغذائية من بعض الدول الأوروبية ، والعربية ، ومنظمات عالمية أخرى ، ولبعضها مراكز تغذية وعيادات طبية داخل المخيم

● **السيد عصام** ، الباحث الاجتماعي ، رافقنا في جولتنا داخل المخيم . . قال : ان المشاكل الاجتماعية الموجودة في المخيم هي مشاكل عادية ، وانهم يمارسون عاداتهم وتقاليدهم في الزواج وغيره كالمعتاد .

كانت الشمس ترسل سياط أشعتها فتلهب أرض المخيم بالحرارة . . وغطاء الناس كان قماش خيمات يقي ولا يقي ! .

عشرات من النسوة والفتيات اصطففن بطوابير عديدة لاستلام المؤن المقررة ، صور من الشقاء الانساني كان يتجسد لمن يريد أن يرى . . لكن العالم . . أعني العالم القادر كان لا يرى الا ما يريد أن يراه !

أطفال تدفقوا على المركز الغذائي السويدى . . الأطباء والممرضون فيه أريتيريون ، ووجه نسائي أحمر كان يتحرك بين الأطفال . . مجرد قطع من القش كانت موزعة على عصى وأخشاب ، لتقي الأطفال من لهيب الحريق المنبعث من سياط الشمس ، قال لنا أحد الاطباء أن سوء التغذية ، والملاريا ، والسل هي أكثر الأمراض المنتشرة بين الأطفال .

● **محمد حاج محمد** شاب عمره ١٦ سنة ، اقتحمنا عليه خيمته ، كانت أمه وأخته في خيمة مقابلة . . قال لنا : « انهم جاءوا من منطقة غواردات في أرتيريا في الشهر السادس من عام ١٩٨٥ ، وهم من قبيلة بنى عامر ، وانهم نزحوا بسبب الحرب والجفاف ، وان والده الذي لا يعمل ذهب يبحث عن أخيه الذي انقطعت أخباره منذ أسابيع ـ الولد يعمل راعيا بالقرب من مدينة واد مدنى ـ .

وأضاف أن المساعدات التي يتلقونها قلما تكفيهم ، وانه على استعداد للعمل اذا ما توفر له العمل المناسب ، وانه تعطل عن دراسته بسبب عدم وجود مدارس في المعسكر .

قالت والدته . . هذا هو وضعنا . . ونحن تحت رحمة الله . . خيمتان متقابلتان في كل منهما سرير مجدول من خشب وخيوط النخل . . أوان . . وملابس قليلة . . لا كهرباء . . ولا ماء الا ما تحضره الفتيات من الأماكن العامة ، لا بيوت خلاء الا الأماكن العامة أو الخلاء الفسيح نفسه . .

نخرج ، دوار يلف رؤوسنا ، وعيوننا زائغة ، وفي النفس كلمات وعبر . . ننظر الى الأطفال والى عابرى السبيل . . الى المدى الموشوم والمطرز بآلاف الخيم . . والى سياط الشمس المقذوفة كاللهب على الرؤوس ، يصيح داخلنا : ألا ما أظلم بنى البشر ، القمح والحليب يقذفونه في قلب البحر لأن سعره قليل ! وهنا بشر تحت سماء نفس الكوكب يتضورون جوعا . . وتفتك بهم الأمراض والحروب ! ألا ما أظلم الانسان عندما يعميه الشبع عن ان يرى وجهه الأخر .

المشهد السياسي :

من لا يلتفت الى المشهد السياسي في السودان الآن وغير الآن ، فانه يفقد أبجديات البوصلة التي توجه الأحداث والسياسات . لقد قامت انتفاضة في مارس وابريل من العام الماضى فأطاحت بالنظام ، وهي كانت صرخة وصيحة حق تبحث عن سبيل خلاص للأمراض والأدواء التي عششت ونخرت بعض خشب البناء في البيت السودانى . . والصراع الآن انتقل الى صناع الانتفاضة ، هو صراع سياسي لكسب الأصوات في الانتخابات .

لكن الأصوات ، أى أصوات الناس في الانتخابات ، بامكانها أن ترجح كفة على أخرى . . ومن يكسب ثقة الناس ، عليه أن يواجه حقائق الأمور . . جوع وفقر دخل الكثير من البيوت ، اقتصاد منهوب ، هجرات وتدفق بشري لا يبدو انه سيتوقف ، حرب في الجنوب وقودها بشر وامكانات . . طوائف واتجاهات وأحزاب ، وأياد أجنبية تلعب وتحرك وتتحرك ، ولا تريد للمنجم الذي ذاقت من خيراته ان يتوقف عن المد والرفد .

فكيف يمكن تحويل الصيحة والصرخة التي أطلقها الغضب الذي تجمع في كبت السنين الماضيات الى صحوة تقوم الأعوج ، وتوقف التدهور ، وتسد

التقوب التي دخلت سلة طعام الذات والوطن العربي ؟

السيد الصادق المهدي رئيس وزراء أسبق ، قال جوابا عن سؤال يتعلق بالمجاعة ، والهجرات ، وبنية الاقتصاد السوداني : -

« ان مقومات السودان الزراعية والاقتصادية جيدة ، ويستطيع الاعتماد على ذاته ، صحيح أنه أصيب بنكبة الجفاف سنة ١٩٨٤ م ، لكن لو كانت هناك حكومة عاقلة في ذلك الوقت فإنها كانت تستطيع أن تمتص المشكلة وتواجهها وتحلها . . لكن الحكومة لم تكن عاقلة في ذلك الوقت . . ولا رشيدة ، لقد استمرت تلك الحكومة بتصدير الذرة الى الخارج حتى شهر اكتوبر من سنة ١٩٨٤ م ، وهذا دليل على أن الحكومة السابقة كانت مهملة ، وتتصرف باستهتار بكل ما يتعلق بالشعب السوداني .

- أما بالنسبة للسؤال المتعلق بالهجرة من الريف الى المدينة . . فإن السيد الصادق أجاب عنه بقوله : -

● هي حالة عرضية مؤقتة ، وعلاجها يبدأ بالريف نفسه ، اذا ما تم توفير وسائل انتاج وخدمات ، وتم انعاش واعمار الريف . . فلماذا يهاجر الفلاح أو الريفي من أرضه وقريته ؟

لقد عوقب أولئك الناس في العهد السابق ، وعلينا الآن أن نستجيب للوقائع والحقائق كما هي . . لقد وصل معدل الزيادة السنوية في المدن الى ٨٪ في السنة ، وهذه نسبة عالية ، لأن النسبة العادية والطبيعية لا تتجاوز ٣٪ ، والباقي هو نزوح له أسبابه وحيثياته ، والعلاج يبدأ بدراسة هذه الأسباب ومعالجتها على الطبيعة .

- والهجرات الآتية من خارج السودان ؟

● انها مشكلة أضيفت الى مشاكل السودان الكثيرة ، وباعتقادي أن حلها يتم عن طريق عدة وسائل وأساليب منها :

* توفير الاستقرار السياسي في السودان نفسه ، ثم التباحث مع الحكومات المعنية ، والبحث عن الوسائل والأساليب المناسبة لمواجهة هذه المشكلة .

● أما الدكتور **عز الدين علي عامر** السياسي السوداني المعروف ، فإنه أجاب عن السؤال المتعلق بمشاكل السودان الاقتصادية بقوله : -

« يعاني السودان من أزمة اقتصادية حقيقية ، نتيجة لتوجهات السياسة السابقة ، والخروج من هذا الوضع يتطلب وضع سياسات وبرامج معينة طويلة المدى ، وباعتقادي أن من الصعب على الحكومة الانتقالية الحالية القيام بهذا الأمر ، لذلك فإن المعالجات الاقتصادية الطويلة الأمد ، ستقع على عاتق الحكومة التي ستلي الانتخابات .

ومن الأمور المهمة العاجلة : محاولة الخروج من اطار الاقتصاد الطفيلي ، والتوجه لبناء اقتصاد انتاجي ، وهذا يتطلب وقتا بطبيعة الحال ، وخلال هذا الوقت فإنه يجب استنهاض القوى المنتجة وتحريكها لزيادة الانتاج ، ووضع البرامج المناسبة التي تستجيب لآمال وطموحات معظم السكان ، وتقديم الحلول المناسبة لمشاكلها .

كل ذلك يتطلب وجود حكومة وادارات سياسية مستقرة ، ومستقلة عن ايماءات ومصالح الدوائر الاستغلالية ان كانت في الداخل أو الخارج .

أقسى الشهور جميعا !

عزيزي القارىء ،

المشهد السياسي السوداني ما زال في طور الشد والجذب ، وطرح الشعارات والمفاهيم . .

رياح العصف الجماهيري أدت دورها في الاطاحة بالسلطة السابقة ، والجماهير نفسها الآن موضوعة على محك اختيار من يمثلها لقيادة المرحلة القادمة . .

فهل تنتهي حالة الشد والجذب الى الاستقرار المنشود . . والى الصحوة التي تعيد عجلة الحياة الى ما تتمناه أغلبية الجماهير ؟ نترك السؤال معلقا لتجيب عنه الأيام . . والقوى الفاعلة في السودان !

قال الشاعر الانكليزي ت . س . اليوت في قصيدته المشهورة « الأرض الخراب » : **« نيسان - ابريل » أقسى الشهور جميعاً »** .

من المؤكد ان نتائج الانتخابات في السودان ، اذا ما سارت الأمور سيرها العادي والطبيعي ، وحسب ما تم الاتفاق عليه اثر الانتفاضة في شهر نيسان من سنة ١٩٨٥ م ، ستكون قاسية على الكثير من القوى والمؤسسات .

لكن - وبالتأكيد - لن تكون قاسية على قوى أخرى ، وعلى الأغلبية من الشعب السوداني ، اذا ما تم تكريس ارادته في الاختيار الحر . . وفي ارساء معالم الديموقراطية الحقيقية ! □

رحلة إلى قلب «الكازار»

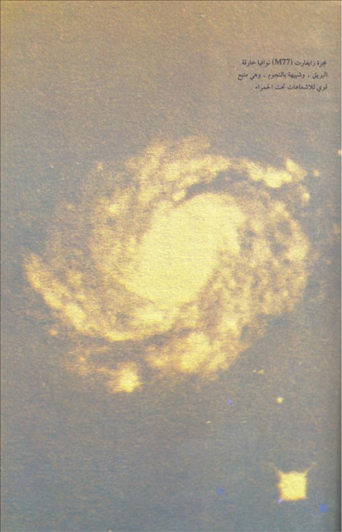
أضخم مولد سماوي للطاقة

بقلم: سمير صلاح الدين شعبان

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤م ، نشرت مجلة صورة العلم ، الألمانية خبرا مثيرا يثلج صدر كل من تتوق نفسه الى معرفة اسرار الكون الغامضة ، والتعرف على النظام البديع الذي تتجلى فيه حكمة الخالق بأبهى صورها : لقد تمت اماطة اللثام - وبصورة نهائية - عن وجه (الكازار) اضخم مولد سماوي للطاقة بعد حيرة ظلت مسيطرة أكثر من ٢٠ سنة .

منذ اكتشاف هذه الاجرام الغريبة وتحديد هويتها في عام ١٩٦٣م ، يتساءل العلماء والفلكيون : ما هي طبيعة « المولد » (الدينامو) الذي يجعل (الكازار) يتربع على عرش البريق واصدار الطاقة ، رغم انه صاحب الرقم القياسي في البعد عن كوكبنا الأرضي ؟

كلفت رحلة الذهن الى قلب (الكازار) واستكشاف مولده العملاق عقدين كاملين من المراقبة ، وامعان الفكر والحساب . واخيرا سقط آخر الحجب التي كانت تلف لغز (الكازار) الغامض ، بفضل دراسة صور الأشعة السينية (أشعة اكس) الملتصقة بالكازار من قمر صناعي يدور حول الأرض . ايدت هذه الصورة المؤشرات المتراكمة في السنوات الأخيرة ، بأن « ملكات البريق » هذه انما هي « نوى نشيطة جدا لمجرات بعيدة ، تقوم فيها « الثقوب السود » بدور المولد .



مجرة زايفارت (M77) نواتها خارقة البريق ، وشبيهة بالنجوم ، وهي منبع قوي للاشعاعات تحت الحمراء .

الكازار والمجرة :

قبل بضعة اشهر تم تقديم احدث الاثباتات المؤيدة لهذا الرأي « لاحجية الكازار » من قبل الفلكي الأمريكي ماتيو مالكان ، الذي يعمل في معهد كاليفورنيا للتقنية ، فقد قام مالكان وزملاؤه بدراسة مجموعة مؤلفة من ٢٤ كازارا تتميز عن الكازارات الأخرى باصدارها للاشعة السينية .

الكازارات السينية هذه تم كشفها من قبل المرصد السيني الفضائي الأمريكي (HEAO-2) الذي أطلق عليه فيما بعد اسم « مرصد اينشتاين » الذي تم وضعه في مدار حول الأرض ، في تشرين الثاني ١٩٧٨م . وكان هذا ثاني مرصد سيني فضائي تطلقه وكالة بحوث الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) ، بحثا عن منابع الأشعة السينية السماوية ، التي تصطدم « بالدرع » الذي يمنعها من بلوغ سطح كوكبنا الأرضي ، ألا وهو الغلاف الجوي . كان « مالكان » يبحث عن اجابة شافية عن التساؤل التالي : لماذا تقوم بعض الكازارات باطلاق الأشعة السينية ، بينما تبدو « الكازارات » الأخرى عاجزة عن ذلك ؟

فوجيء مالكان في مرحلة مبكرة من دراسته بالنتيجة الفرعية التالية : وجد مالكان وزملاؤه في جميع الكازارات السينية ، التي تقل مسافتها عن ٦ مليارات سنة ضوئية بنية « شبيهة بالدم » . وهم يخمنون بأن الأمر يتعلق هنا بمجرات حلزونية عادية تماما - مثل مجرتنا درب التبانة - يقع الكازار في مركزها .

ازدادت حيرة هؤلاء الفلكيين ، عندما قاموا بتصوير هذه المناطق المركزية المتألقة بواسطة عدسة تصوير الكترونية ، مركبة في محرق مرقاب بصري قطر عدسته « ١,٥ مترا » في جبل بالومار : فقد وجدوا ان القطر الظاهري لهذه المناطق المتأججة قلما يزيد عن ٢٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية .

وأيدت هذه المشاهدات الحديثة العديد من « التخمينات » القديمة .

صور قديمة لأجرام حديثة :

مما لاشك فيه ان المسافات الكونية الشاسعة هي واحدة من خصائص الكازار المحيرة . وعلى سبيل المثال فإن الكازار المسمى (OH 471) يبعد عن كوكبنا الأرضي حوالي ١٦,٠٠٠ مليون سنة ضوئية ، وقد تنبه العلماء الى انهم يلتقطون صورا للكازار ترجع الى سنين عديدة في الماضي ، دون اعطائها حقها من الاهتمام . اذ كانوا ينخدعون بمظهرها « الشبيه بالنجوم » فيعتبرونها نجوما اعتيادية ، على مر عقود طويلة .

وقد سيطر على بعضهم « شعور بالخيبة » عندما تبين ان تاريخ بعض صور الكازار الفوتوغرافية القديمة يرجع الى ثمانينيات القرن الماضي .

وعلى الفور بدأ العلماء بمقارنة الصور الحديثة مع الصفائح الفوتوغرافية القديمة ، ليصطدموا بالحقيقة المفاجئة : وهي ان بريق الكازار يتأرجح بسرعة كبيرة ، فقد يتأرجح الكازار ليزيد بريقه بمقدار ٥٠ الى ١٠٠ بالمائة خلال اسبوع واحد فحسب . وشوهد ايضا انه من المألوف جدا ان يتغير البريق بشكل ملموس من اسبوع الى آخر . . والسؤال الذي يطرح نفسه هو : الا يوحي ذلك بصغر حجم الكازار ؟

تنص احدى القواعد الفلكية على ان اي جرم يعجز عن تبديل بريقه خلال فترة زمنية ، تقل عن الزمن الذي يستهلكه الضوء لاختراق ذلك الجرم . وبما ان الكازار يغير بريقه من اسبوع الى آخر ، فهذا يعني ان قطره لن يزيد عن اسبوع ضوئي (وهذا يقارب ٢٠٠ مليار كيلومتر ، اي حوالي ١٥ ضعف اتساع مدار بلوتو ابعد كواكب الاسرة الشمسية) .

بين الكازار والمجرات :

بدأ - بعد كشف الكازار للمرة الأولى في بواكير الستينيات - وجود شرخ غير قابل للرأب بين المجرات الاعتيادية ، وبين هذه الأجرام الغامضة ، الكثيفة خارقة البريق . لكن الفلكيين وجدوا في السنوات الأخيرة ، أن هناك عددا كبيرا من المجرات ، التي تتمتع بخصائص تؤهلها لأن تكون « جسرا » يصل بين الكازار والمجرات الاعتيادية .

وعلى سبيل المثال ، فإن المجرة المسماة (M82) - ذات الرقم ٨٢ في تصنيف Mesier تطلق من نواتها ألسنة من الغاز تمتد عشرات آلاف من السنين

الضوئية ، يضاف الى ذلك قيام المجرة ونواتها باصدار موجات راديوية ، واشعاعات سينية قوية . كل هذا اوحى للعلماء بضرورة وقوع « حوادث متطرفة الضراوة » في نواة المجرة .

تقع مجرة (M82) غير المتنظمة في سمائنا الشمالية ، في كوكبة (الدب الأكبر) ، يقابلها في سمائنا الجنوبية مجرة متميزة أطلق عليها اسم (NGC 5 128) (ترتيبها ٥١٢٨ في التصنيف العام الجديد في كوكبة (سنتاوروس) ، يخترق وجه هذه المجرة « حارة » عملاقة مقطعة من الغبار . هذا المظهر المهشم لحارة الغبار العملاقة يوحي بوقوع بعض الحوادث العنيفة في نواة المجرة ، ويؤيد ذلك اطلاق (NGC 5 128) لاشعاعات سينية قوية . اضافة الى ذلك فهناك كميات كبيرة من موجات الراديو تصل الينا من بقعتين سماويتين عملاقتين ، تقعان فوق المجرة وتحتها ، على خط عمودي تقريبا على حارة الغبار « الدارماتيكية » . وتجدر الاشارة هنا الى ان مجرة (NGC 5128) تمثل واحدا من اشد منابع موجات الراديو بريقا في السماء بأسرها .

تشهد الأجرام الشبيهة بـ (NGC 5128, M82) بجلاء بأن المجرات تعني ـ احيانا ـ شيئا أكثر من مجرد مجموعة كبيرة من النجوم التي تدور حول نواة المجرة . اذ لابد أن تكون أمثال هذه الأجرام « مسرحا » لحوادث غير اعتيادية على الاطلاق .

لكن الفلكي الأمريكي (ويليام كاوفمان) أعرب في كتابه « الثقب الأسود » عن اعتقاده بأن عنف هذه المجرات أقرب الى « عبث الأطفال » اذا ما قورن بأنواع المجرات المرشحة لسد الفجوة القائمة ـ ظاهريا ـ بين الكازار والمجرات الاعتيادية . يطلق على هذه الاجرام « البنية » اسم « مجرات زايفارت » نسبة الى الفلكي الألماني (كارل زايفارت) الذي كان أول من لفت النظر الى بعض خصائصها الشاذة في بواكير الأربعينيات .

الرابطة المفقودة :

احدى مجرات زايفارت موجودة في كوكبة « فرساوس » وهذه هي تسمية الأجداد لكوكبة برسيوس) ويطلق عليها اسم (NGC 1275) هذه المجرة تطلق كميات هائلة من الطاقة ، تجعلها تتفوق على جميع المصادر الأخرى المرسلة للاشعة السينية ، وموجات الراديو في الجزء القريب منها في السماء ، ليس هذا فحسب . . بل تمتد منها ألسنة من الغاز ، تمتد في جميع الاتجاهات آلاف السنين الضوئية ، موحية بجلاء بوقوع انفجارات عنيفة جدا في قلب المجرة .

تسمح دراسة قلب مجرات زايفارت بمعرفة السبب الذي يرشحها لشغل منصب « الرابطة المفقودة » بين المجرات الاعتيادية والكازار . ففي ١٩٤٣م أبرز كارل زايفارت ان مجرات زايفارت (مثل (M77) و (NGC 4151) تتميز بنوى متطرفة البريق ، اذا ما قورنت بالاذرع الحلزونية المحيطة بها . لكن الأهم من ذلك هو تزايد بريق هذه النوى ، ثم تناقصه بشكل منتظم ، في دورات قصيرة نسبيا تستغرق شهورا أو اسابيع ، وهذا يعني ان كل طاقة هذه النوى الشبيهة بالنجوم تصدر عن « مولد » صغير الحجم.

منذ ما ينوف عن ١٠ سنين توصل (جيروم كريستيان) إلى أول الدلائل على ارتباط الكازار بالمجرات : لقد أوحت اللوحات الفوتوغرافية الملتقطة بواسطة مرقاب جبل بالومار ، المزود بعدسة قطرها (٥) أمتار « لطخاً ضبابية » تحيط بالكازار . . الا أن التأكد من وجود مثل هذه المواد المبرقة في المناطق المحيطة بالكازار تأخر حتى بواكير الثمانينيات ، ويعود الفضل الى ابتكار التضخيم الالكتروني للصور في اكتشاف المجرة المرتبطة بالكازار الشهير 3c273 الواقع في كوكبة العذراء في ١٩٨٠م .

وهكذا وجد العلماء ان الكازار « يقبع » في نوى بعض المجرات ، ويقول (هيرمان هان) في مجلة « صورة العلم » الألمانية ، ان معظم الفلكيين يميلون الى ازالة الخط الذي كان يفصل في الماضي بين الكازارات البعيدة ومجرات زايفرت القريبة ، وقد ايد مالكان هذا الرأي بعد دراسة الكازارات السينية ، مشيرا الى عدم وجود أي تباين في الخطوط الطيفية لهاتين المجموعتين من الأجرام السماوية ، ويضيف مالكان بأن المشاهدات الحديثة توضح ان ضعف دقة امكانيات تقنية المراقبة القديمة هي التي قادت الى الاعتقاد بوجود اختلاف بين الكازارات باهتة البريق من جهة ، ومجرات زايفرت شديدة البريق من جهة



صورة بالأشعة السينية للكازار (3C273) في كوكبة العذراء . وهـو اول منبع راديوي سماوي يتم التقاط اشعاعاته المرئية والبصرية .

اخـرى . . فلو انتقلت المجرة النشيطة نفسها التي نطلق عليها اسم المجرة زايفارت لقربها من الأرض الى مسافة بعيدة جدا ، فإنها ستبدو لنا بشكل كازار .

ورغم كل هذا فقد ألح التساؤ ل التالي : مادام الكازار يقع في قلب المجرات النشيطة ، فما هي طبيعة المولد الموجود في قلب الكازار ؟

اللســـان البـــراق :

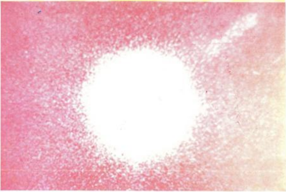
من المؤسف ان جميـع الكـازارات التي كـانت معروفة حتى عهد قريب ، بعيدة جدا عنـا ، وهذا يعني تعذر دراستها عن كثب ، لكن لنا بعض العزاء بوجودنا على مقربة من مجرات زايفارت النشيطة ـ والمتفجرة احيانا ـ التي تمثل قلوبها مسرحا للعمليات العنيفة الشاذة ، وتفاءل العلماء بأن الفحص الدقيق لهذه الاجرام « القريبة » قـد يفيدنـا في فهم طبيعة « ابناء عمومتها » البعيدة والغامضة : الكازارات .

من المعروف ان اقرب عناقيد المجرات « الغنية » تقع في كوكبة العذراء،ويبعد هذا العنقود العملاق عنا بمسافة تزيد عن ٥٠ مليون سنة ضوئية ، ويغطي عند النظر اليه من الأرض ـ مساحة في السماء تعادل ١٦٠ ضعف مساحة القمر البدر (او ١٢٠ درجة مربعة) .

وكما هي الحال مع معظم عناقيد المجرات الغنية ، فإن المنطقة المركزية لعنقود العذراء « تـطغى » عليه المجرة الاهليلجية العملاقة المسماة (M87) .

تشد (M87) انتباه العلماء لأسباب عديدة : فهي منبع قوى لموجات الـراديو ، ويقـع فيها ـ كـذلك ـ مصدر قوى للاشعة السينيـة ونواتهـا شبيهة المـظهر بـالنجوم . الا أن أكـثر ما يثير الاهتمام هـو ذلك « اللسان » الطويل البراق ، الـذي ينبثق من النواة الشبيهة بالنجوم . هذا اللسـان يجعلها تذكرنا بلسان الكازار (3C273) .

وفي عام ١٩٧٧ م صمم بعض العلماء على معرفة طبيعة هـذه المجرة المتميـزة ، لـذا قـام فـريقـان من



« لسان » الكازار (3C273) ينم عن حوادث عنيفة في مركزه .

الفلكيين بإجراء قياسات مفصلة للمجرة (M87) ، أجرى علماء الطاقم الأول قياسات دقيقة لشدة البريق في سائر أنحاء المجرة ، فوجدوا ان قلب (M87) الشبيهة بالنجوم ، يتميز ببريق اعلى بكثير من الأطراف الخارجية للمجرة . . وتساءل علماء هذا الطاقم ما السبب ؟

لم يجد الفلكيون تفسيرا افضل من الاعتقاد بوجود « منبع جاذبية مرتفع الكثافة » في مركز المجرة : منبع الجاذبية ـ غير المرئي حاليا ـ متطرف القوة بشكل يجعل النجوم تتزاحم حوله ، وبالتالي حول مركز المجرة . . وعليه فإن ازدحام النجوم هذا هو الذي يجعلنا نرى قلب المجرة ـ في الصور الفوتوغرافية ـ شبيها بالنجوم . شغل منبع الجاذبية غير المرئي هذا فلكيي هذا الفريق ، فلجأوا الى الحساب لتسيطر عليهم الدهشة : كتلته أكبر من كتلة شمسنا ٥ مليارات مرة .

اما علماء الطاقم الثاني فقد ركزوا اهتمامهم على الفحص الدقيق للخطوط الطيفية لسائر أنحاء المجرة (M87) . وقد شد انتباههم ان الاقتراب من مركز المجرة كان يؤدي الى « اتساع خطوط الطيف » ، وزيادة عرضها بشكل غير مألوف . وقد استخلص العلماء من ذلك ان النجوم القريبة من نواة المجرة تنطلق بسرعات عالية جدا ، وغير مألوفة .

ومرة أخرى تساءل علماء هذا الفريق : ما السبب ؟ ومرة اخرى توصل علماء الفريق الثاني ايضا الى ضرورة وجود « منبع جاذبية قوى مرتفع الكثافة » في مركز المجرة . . ومرة اخرى كشفت الحسابات ان كتلة منبع الجاذبية غير المرئي هذا يجب ان تكون مساوية لـ ٥ مليارات كتلة شمسية . توحي هذه الدراسات بنتيجة واضحة ، مفادها ضرورة وجود « ثقب اسود خارق الكتلة » في نواة المجرة (M87) . لكن الثقب الأسود لم يعد مجرد افتراض فحسب . . وقد استعرضت في مقالي المنشور في عدد كانون الأول (ديسمبر) من مجلة « العربي » دلائل

وجوده ، المعتمدة على القياس ، في المجرة النشيطة (NGC 4151) ، لكن الثقب الاسود « يشفط » كل شيء يقترب منه متجاوزاً مسافة الأمان ، بما في ذلك الضوء نفسه ، وهذا مادعا الى تسميته « بالاسود » وحرى بنا ان نتساءل هنا : كيف يساهم جرم سماوي لا يخرج منه اي شيء في توليد كميات الطاقة الهائلة ، واطلاقها في الفضاء ، بصورة تجعل الكازار ملك البريق ؟

رحلة الى قلب الكازار :

يعتقد العديد من الفلكيين ان ما يجري في مراكز مجرات زايفارت والمجرات المصدرة « لألسنة » الموجات الراديوية مشابه ـ من حيث المبدأ ـ لما يقع في مركز الكازار نفسه . لذا فقد قاموا بتجميع خيوط الأدلة حول هذه الأجرام السماوية ، للتنبؤ بالمشاهدات التي سيعيشها الرحالة ، الذي يمتلك شجاعة كافية تخوله لاستكشاف قلب الكازار .

فإذا سمحنا لمخيلتنا بركوب « سفينة الذهن



المجرة الغريبة (M82) تطلق ألسنة ضخمة من الغاز ، وهي مصدر قوي لكل من الموجات الراديوية والسينية وتحت الحمراء ، تقارب مسافتها مليون سنة ضوئية .

الفضائية » واتجهنا نحو قلب الكازار ، فإننا سنمر اولا على النجوم الموجودة على حواف « المجرة » المحيطة بالكازار . نقترب من مركز المجرة المحيطة بالكازار لنمر عبر « سحب من الغاز » غير المرئي ـ تقريبا ـ تنطلق بسرعات عالية متجهة نحو الفضاء الذي تركناه وراءنا ، ونحن نعرف ذلك لأن هذه السحب تمتص جزءا من نور الكازار او فلنقل انها وراء ظهور مناطق داكنة في طيف الكازار) . وقد نرى في بعض انواع الكازار لسانين براقين متناظرين بشكل حزمتين من « الألكترونات السريعة » . يخرجان من المركز . . ومن الحكمة هنا ان نختار مسارا يجنبنا التعرض لهذه الحزمات المركزة من الطاقة .

المسافة التي تفصلنا عن المركز تقارب ١٠ سنين ضوئية . . هنا يستقبلنا « سرب » كامل من السحب الساخنة متألقة البريق . . ونحن نعرف ذلك لأنها وراء الخطوط البراقة في اطياف الكازار ومجرات زايفارت ، وهي الخطوط عينها التي تعرف فيها مارتن شميدت على الهيدروجين في طيف الكازار، وبينت الدراسة المفصلة لهذه الخطوط ان سحب الغازات هذه تنطلق بسرعة هائلة . . ويعتقد بعض الفلكيين انها تدور حول المركز ، بينما يعتقد بعضهم الآخر اندفاعها تحت تأثير انفجار عظيم . ويقول (نيغل هينبيست) في كتابه « ألغاز الكون » ، انه بغض النظر عن الاسلوب ، فإن ما يدفعها ويجعلها تتألق هو جسم براق جدا ، ضئيل الحجم ، يقع في مركز الكازار .

يحتضن هذا الجسم القوة المذهلة للكازار : فهو يولّد كميات هائلة من الضوء ، ومن الأشعة السينية القاسية واشعاعات غاما ، وحزمات الالكترونات السريعة . طبيعة هذا « المولّد » القوي هي اللغز المحير للكازار .

تعتبر التبدلات السريعة لبريق الكازار ، او تغير كمية الطاقة التي يصدرها من الدلائل المهمة ، لانها تفضح « ضآلة حجم » المولد ، فبعض انواع الكازار يغير بريقه خلال شهر او شهرين . . لكن الاشعاعات السينية الواصلة الينا من الكازار OX169 تتبدل في اقل من ساعتين . . ويعتقد (هينبست) أن مولد الطاقة في هذا الكازار يمكن احتواؤه ضمن مدار كوكب زحل .

ولكن ما هي طبيعة المولد ؟ في السنوات الماضية

ضمّن بعض الفلكيين وقوع انفجارات « سوبر نوفا » متتالية ضمن مجموعة متضاربة من النجوم ، او انفجار نجم وحيد « خارق الكتلة » يعادل مليون كتلة شمسية ويدور بسرعة كبيرة ، لم ينجح انصار هذين الرأيين في سد المآخذ على فرضياتهم ، ويقول (هينبست) ان دراسة المجرة الراديوية (M87) قد أقنعت معظم الفلكيين بأن المولد هو « ثقب أسود ثقيل موجود في قلب المجرة ».

أثار بعض العلماء الجدل حول هذا الاستخلاص مشيرا الى ان مجرة (M87) تختلف عن الكازار . واجاب بعضهم الآخر على ذلك بانه ربما كانت هذه المجرة الراديوية القوية كازارا في الماضي ، لكنه استهلك جزءا كبيرا من طاقاته « المدخرة » في توليد السنة حزمات الألكترونات .

ومن المتفق عليه حاليا أن قلب الكازار المتواري عن الأنظار عبارة عن ثقب أسود هائل الكتلة ، « يتغذى » على غازات النجوم المحطمة التي تتخطى مسافة الأمان ، يقترب الغاز من الثقب الأسود على مسار حلزوني ، فترتفع درجة حرارته بالتدريج ، ليشكل قرصا يدور حول الثقب ، بفعل الدوران الذاتي للثقب الاسود .

هذا القرص المضطرب الساخن هو مولد الكازار ، وهو النور المبهر الذي نراه ، لو بلغ بنا الاستهتار حد الاقتراب من قلب الكازار .

يطغى الضوء والاشعاعات الأخرى الصادرة عن هذا القرص المتطرف السخونة على بريق ١٠٠ (مائة) مجرة شبيهة بدرب التبانة ، علما ان اتساعه يقارب حجم اسرتنا الشمسية . . وفي الوقت نفسه فهو يسّرع الالكترونات الى قيم «خيالية» ويطردها بعيدا عن القرص بشكل « ألسنة أو أكياس » مصدرة بذاتها لموجات الراديو ، عبر مسافات قد تصل الى ملايين السنين الضوئية.

عـود علـى بـدء

كان الثقب الأسود أشد ألغاز الكون غموضا ، لكن دأب العلماء أثمر ، بعد كفاح استمر قرابة نصف قرن ، في كشف الدلائل التي حولته من فرضية حائرة الى واقع تؤيده القياسات . وما كاد الحبر الذي كتب



المجرة المتفجرة (NGC1275)

دلائل وجوده يجف ، حتى تم تسخيره في انقاذ العلماء من الحيرة الطاغية ، التي أثارها اكتشاف ملك البريق ، من حافة الكون : الكازار . وبعد حيرة استمرت عقدين كاملين ، أوصلنا العلم الحديث الى أن الكازار ليس الا مجرة يوجد في قلبها ثقب أسود .

مما يلفت النظر هنا ان الكازار (OH471) يبعد عن كوكبنا الأرضي مسافة تقارب ١٦ مليار سنة ضوئية ، وهذا يعني ان الضوء والاشعاعات الأخرى الصادرة عنه ـ قد استغرق مدة تقارب ١٦ مليار سنة حتى وصل الينا . وعليه فنحن لا نراه في وضعه الحالي ، بل ننظر الى ماضيه والى ما كان عليه قبل ١٦ مليار سنة . وهذا يعني أننا كلما ابتعدنا عن الأرض باتجاه حافة الكون ، عدنا بالزمن الى الوراء تبعا لذلك .

وقد يتساءل المرء هنا : هل يعني ذلك أن بلوغ « الحافة الحقيقية » لكوننا الذي نعيش فيه ، يسمح لنا بالرجوع الى « ساعة الصفر » الى لحظة « ميلاد الكون ؟» هذا ما سنحاول الاجابة عنه في لقاء آخر ان شاء الله . □



اليخوت الطويلة: الكلاسيكيات تحمّل وثبات.







وجها لوجه



الفريق أول محمد فوزي و اللواء طلعت مسلم

العرب .. والحرب .. القدرة .. والرغبة

- سر يذاع لأول مرة .. الحرب النووية كادت «تنشب بين مصر واسرائيل»
- الجيش العربي الموحد ضرورة .. والبداية ليست مستحيلة رغم الظروف .
- الخلافات العربية وضع مؤقت والمطلوب حد أدنى للاتفاق وحد أقصى للخلاف .
- استعمال «اسرائيل» للسلاح النووي .. بين الممكن .. وغير الممكن !

نعم

نحن نملك الامكانات والقدرة . .

التعداد العربي يفوق تعداد « اسرائيل » أربعين مرة.

الناتج القومي العربي أكثر من عشرة أمثال الناتج القومي الاسرائيلي .

القوات المسلحة العربية أكثر من عشرة أضعاف الجيش الاسرائيلي . .

الدبابات العربية أربعة أمثال الاسرائيلية وكذلك الطائرات . .

الصواريخ العربية ستة أمثالها . .

لكـن . . .

حول الامكانات والقدرة العربية كان الحوار بين الفريق محمد فوزي قائد عام الجيش المصري ووزير الحربية السابق . . واللواء المتقاعد طلعت مسلم وجها لوجه . .

أدارت الحوار . . الزميلة نجاح عمر

مسألة منطقية

الفريق فوزي :
الحروب أساسا تكون شاملة ، وكلمة الشمول ، تعني تدبير الامكانات المادية والمعنوية والبشرية وتوافرها ، استعدادا للفوز في الحرب الشاملة ، وقد اتضح ان التزامات الحرب الشاملة ومطالبها تستدعي تجميع وتدبير امكانات وقدرات أكثر من دولة واحدة متحاربة أو شعب واحد .

هذا الاستنتاج هو حصيلة الحرب العالمية الثانية ، ونلحظ بعد هذا الدرس أن الدول صاحبة الاتجاه الواحد والاستراتيجية الواحدة ، اضطرت لتجميع امكاناتها وقدراتها الحربية في نطاق حلف ، فرأينا على الطبيعة مثلين واضحين .

حلف الأطلسي ويجمع الآن أحد عشر شعبا متنوع اللغات والعادات والأديان والمصالح الوطنية . . ورغم هذا اتفقوا تحت ضغط الحاجة الى تجميع القدرات والامكانات ، وأصبحوا يكونون حلفا واحدا ذا استراتيجية عليا واحدة ، واتجاهات سياسية واحدة ، ثم بدأت عجلة التنسيق في التزامات الحشد والتخطيط في جميع المجالات السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والمعنوية ، فتكونت كتلة واحدة قوية ، تواجه العدو المعروف لديهم .

● **اللواء طلعت مسلم . .**

كان شعور العرب بهذا كله أسبق من الكتلة الغربية التي بدأت عام ١٩٤٩ بانشاء حلف الأطلنطي .

فقبل ذلك . . ومع قيام الجامعة العربية تكون جهاز عسكري بالأمانة العسكرية داخل الجامعة العربية ، ثم في عام ١٩٤٨ تكونت قيادة عليا عسكرية في فلسطين .

نجحت الدول العربية ـ وكان بعضها حديث الاستقلال . . والبعض الآخر منتقص الاستقلال . . في أن تجمع قواها الشاملة في مواجهة الخطر الصهيوني في فلسطين . .

العربي : لكن رغم تجميع هذه الامكانات لم نصل الى نصر حاسم . . لماذا ؟

● **اللواء طلعت مسلم ..**

لا شك أن هذه المحاولات كان ينقصها الكثير من فهم لطبيعة الحرب وطبيعة العدو ، كما ينقصها التقدير الدقيق للامكانات اللازم حشدها للمواجهة .

لكن الذي لا شك فيه أيضا أن هذه المفاهيم تطورت عبر جولات الصراع العربي الاسرائيلي .. غير أنها تأثرت بتلك الآثار الناتجة عن فترة الاستعمار السابقة على بداية الصراع ، والذي نلاحظه أن الاستعمار كان حريصا على تجريد هذه الدول من القوة العسكرية ، وأكبر مثل على ذلك .. انه في الحرب العالمية الثانية كان يقاتل على أرض مصر جيوش من الهند وجنوب أفريقيا ، بينما القوات المصرية صاحبة الأرض لم تستدع للقتال ، لم تحاول بريطانيا أن تنشىء قوات عسكرية مصرية عربية ، رغم أنها تأتي بالقوات العسكرية من مستعمراتها الأخرى .. استراليا ، جنوب أفريقيا ..

في نفس الوقت كان الاستعمار حريصا على وضع بذور الخلاف بين الدول العربية .

العربي : والدول العربية ، ألم تنتبه الى ذلك ؟ ..

● **اللواء طلعت ..**

جرت عدة محاولات لتجميع القدرات العربية .. فميثاق الضمان الجماعي .. والوحدة الاقتصادية .. صدرا في الخمسينيات (١٩٥٠) . وفي ١٩٥٤أعيد تطويرها بمبادرة مصرية في مواجهة حلف بغداد والاعتداءات الاسرائيلية .. ثم ميثاق الدفاع المشترك ..

ويمكن القول انه في الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧ قامت عدة محاولات أخذت شكل الاتفاقيات الثنائية لتجميع القدرات العسكرية لدول المواجهة ، ولكن أثرت عليها الخلافات السياسية التي كانت قائمة أساسا حول سياسة الأحلاف العربية .. حلف بغداد .. الحلف الاسلامي .

ثم كانت قمة هذه الجهود في مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤ ، حيث اتفق على قيادة عسكرية موحدة .





تقديم المتحاورين

كان طالبا في الكلية الحربية عندما كان هو أستاذا له . وعندما أصبح الطالب أستاذا .. كان المدرس قد كبر وأصبح مديرا للكلية .

الاستاذ هو .. الفريق أول محمد فوزي .. أربعون عاما من العمل العسكري منذ عام ١٩٣٤ حتى مايو ١٩٧١ .

● اشترك في الدفاع الجوي عن الاسكندرية وبورسعيد وقناة السويس خلال الحرب العالمية الثانية .

● حارب العدو الصهيوني على أرض فلسطين عام ٤٨ ، وفي حرب السويس عام ١٩٥٦ .

● قام بمهمة اعادة بناء الجيش المصري بعد حرب ٦٧ ، في الفترة ما بين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .

● كان منصب وزير الحربية آخر مناصبه ، حيث انتهت خبرته العسكرية الميدانية بحرب السنوات الثلاث . وكان مركزه القيادي كوزير للحربية يسمح له بالاشتراك في صنع القرار الاستراتيجي للدولة .

● أصدر الجزء الأول من مذكراته تحت عنوان .. حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .

■ الطالب هو .. لواء أ . ح . طلعت مسلم :

● تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٥٢ .

● حصل على زمالة كلية الحرب العليا من أكاديمية ناصر العسكرية .

● سافر الى الاتحاد السوفيتي في بعثة علمية دراسية بأكاديمية فرونز العسكرية .

● ماجستير العلوم العسكرية .

● عمل قائدا لثلاثة لواءات .. ميكانيكي مشاه في حرب ١٩٥٦ كان قائد سرية ، وفي حرب ١٩٧٣ عمل كقائد لواء ، وقبل ذلك تولى مهمة رئيس أركان حرب لواء الاستنزاف .

● حصل على عدد من الأوسمة العسكرية .

● يعمل الآن رئيسا لوحدة البحوث العسكرية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام .

بدأت هذه القيادة تمارس اختصاصاتها ، الا أن الخلافات حالت دون قيامها بالدور المرسوم لها .

ورغم ذلك .. ومع اقتراب الصراع مع « اسرائيل » عام ١٩٦٧ ، تناست هذه الدول خلافاتها ، وسعت الى تجميع قواتها لكن الوقت كان متأخرا ، حيث لم تتمكن غالبية دول الدعم من تقديم المعونة العسكرية المناسبة في الوقت المناسب لدول المواجهة .

بعد عام ١٩٦٧ جرت عدة محاولات لتجميع القدرات العربية .. في جبهات .. شرقية .. وجنوبية .. وفي النهاية كانت القيادة الاتحادية التابعة لاتحاد الدول العربية التي تولت التحضير لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ورغم نجاحها في أمور كثيرة ، لم تكن قادرة على ادارة عملية تشترك فيها دول من خارج الاتحاد ، مما أظهر الحاجة الى قيادة موحدة مرة أخرى ، الا أنه بتوقف القتال في عام ١٩٧٣ ، بدأ انفراط العقد العربي ، ووصلت قمة المأساة عام ١٩٧٧ عندما توجه أنور السادات الى القدس دون موافقة سائر الحكام العرب .

هنا اختلف العرب حول العدو ، ففقدنا أهم عناصر الاستراتيجية العسكرية وهو تحديد العدو كي نحدد أسلوب المواجهة ، لذا فإن العرب الآن رغم ما لديهم من قدرات عسكرية ، الا أنهم يفتقدون استراتيجية عسكرية موحدة توجه الصراع .

العربي : نعود للموضوع .. حول القدرات العربية العسكرية .. هل يتفق الفريق محمد فوزي مع اللواء طلعت مسلم في هذا التقييم ؟

● **الفريق فوزي :**

أولا أفضل أن نقول القدرات الحربية لا العسكرية .

بعد ذلك .. أرى أن كل محاولات التعاون التي تمت في الخمسينيات والستينيات - حتى القيادة المشتركة أو الموحدة - لم تؤت أكلها من الناحية العسكرية البحتة ، فعندما أقيمت كانت اسما احتوى المضمون السياسي في التعاون والمشاركة بين أكثر من جيش .

لكن من الناحية العسكرية لم يعط القائد الواحد اختصاصات تسمح له بالسيطرة على الجيوش المختلفة .. ولم تكن لديه هذه السلطة في التنفيذ ، فلم يكن للفريق علي عامر سلطة أن يقود الفرقة الفلانية مثلا لتتمركز في المنطقة المعينة .. الساعة كذا .. لم يتمكن القائد الواحد من القيادة الميدانية .

لقد وضعوا أسماء .. القائد العام للجيوش المحيطة « باسرائيل » ، وفي عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ وضعت الخطة ، وفي التنفيذ لم يتمكن من تنفيذها ، ولن يتمكن أي قائد عام من ذلك ما لم ينص عليه في التشريع ، وتعطى الحكومات حق التفويض للقائد المعين من هذه الدول ، وينص على ذلك صراحة في مثل الصيغة التالية :

على الدول المعنية ، اعتماد أسلوب الدفاع القومي ، واعتماد أسلوب القيادة والسيطرة على الجيوش المخصصة لهذا الغرض .

هذا هو العنوان الذي يجب أن يعتمد ، أما تفاصيله فتوضع في دستور الدول المعنية .

العربي : على مدى مراحل المواجهة العربية الاسرائيلية .. يبدو الخط العام لصالح « اسرائيل » . فهل يرجع ذلك الى نقص في الامكانات العربية على ما يبدو .. أو عجز في ادارة هذه القدرات ؟

● **اللواء طلعت مسلم ..**

القدرات الحربية العربية ليست هينة .. فالتعداد السكاني أكثر من أربعين ضعفا « لاسرائيل » ، والقوات المسلحة العربية أكثر من عشرة أمثال الجيش الاسرائيلي ، والناتج القومي العربي أكثر من عشرة أمثال اسرائيل ، اذ يبلغ عشرين بليون دولار ، بينما الناتج القومي الاسرائيلي أقل من ناتج مصر القومي .

هذا فضلا عن أن عدد الدبابات العربية أربعة أمثال الاسرائيلية وكذلك الطائرات ..

الموقع العربي متميز بالاتساع ، ولكنه في نفس الوقت يفتقر الى العمق ، وبالذات في الجزء الغربي .. ففي شمال أفريقيا يسهل الانشطار ، وهنا تظهر أهمية سيناء بالذات ، اذ تستطيع « اسرائيل » أن تقسم الوطن العربي الى قسمين .. شرقي وغربي ، آسيوي .. وأفريقي . العمق في غرب

الوطن العربي ليس كبيرا ، وبالذات في نقطة الاتصال بين المغرب والجزائر ، مما يعرض الوطن العربي لسياسة شد الأطراف .

القدرات العربية تفتقر الى قوة بحرية كافية لحماية السواحل العربية ، والبحار المهمة التي تشرف عليها البلاد العربية شديدة الافتقار الى المواقع الطبيعية التي يسهل الدفاع عنها .

كذلك تفتقر القدرات العسكرية العربية الى القدرة النووية في مواجهة « اسرائيل » التي تقدمت في هذا المجال ، حيث أصبح لديها أسلحة نووية ووسائل لاطلاقها ، ولم تنجح المحاولات العربية حتى الآن في تغطية هذا النقص ، ونحتاج الى وقت لايقل عن عشر سنوات حتى نسد هذه الفجوة .

القنبلة النووية .. والقدرة العربية

العربي : هذه القدرة النووية هل تستطيع « اسرائيل »استعمالها ، أو أنها تمتلكها كنوع من الردع المعنوي ، وخصوصا أن الدول الكبرى ذاتها لايمكنها أن تقدم على مثل هذا العمل ؟

● **اللواء طلعت** .. استخدام « اسرائيل » للقوى النووية أمر وارد ..

● **الفريق فوزي** .. أختلف في هذه النقطة مع اللواء طلعت .. نعم .. الامكانات النووية موجودة في « اسرائيل » ، لكنها لم تخط الخطوة الفعالة في التجارب العملية ، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن قدرة « اسرائيل » النووية تقف عند مرحلة التصنيع النووي ، هناك أقوال حول انتاج « اسرائيل » للأسلحة النووية بالتعاون مع جنوب أفريقيا ، الا أن هذا الحدث لم يثبت بعد .

ثم يستطرد الفريق فوزي مؤكدا على وجود التصنيع النووي ودليله على هذا عدم توقيع « اسرائيل » على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية .

كان هذا هو رأي الفريق محمد فوزي .. الا أن اللواء طلعت مسلم يختلف معه مرة أخرى مشيرا الى أنه « رغم أن احتمالات استخدام الأسلحة النووية ضعيف ، الا أن مجرد التهديد باستخدامها يمكن أن يؤثر على مجرى الصراع ، ولنتصور ماذا يمكن أن يحدث لو أن « اسرائيل » هددت خلال احدى المعارك بضرب مدينة عربية بقنبلة نووية ، ألا يؤثر ذلك على القرار السياسي للدولة المعرضة لهذه الضربة ؟ وخصوصا أن مدننا شديدة الكثافة السكانية ، عالية المباني ، ولا تتوفر فيها احتياطات الأمن التي تواجه مثل هذا التهديد ، ويضرب مثلا على ذلك : حدث خلال احدى المعارك العربية الاسرائيلية ، عندما نشرت احدى المجلات الأجنبية تصريحا لمسؤول في وكالة المخابرات الأمريكية يعلن فيه « امتلاك اسرائيل » لثلاث عشرة قنبلة نووية ، وأن الاتحاد السوفيتي أرسل الى احدى البلاد العربية رؤ وسا نووية لبعض الصواريخ المجهزة في جميع أنحاء العالم .. وهنا توقف الصراع » .

ثم يسأل اللواء طلعت .. ماذا لو حاولنا اعادة هذا « السيناريو » مرة أخرى ؟

ويجيب .. أعتقد أنه بالنسبة لبعض البلاد العربية قد لايجد الاتحاد السوفيتي الدافع لاتخاذ الموقف السابق ، وهنا تصبح الخطورة كبيرة ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تغض الطرف عن بعض تصرفات « اسرائيل » غير العقلانية .. قد يكون ذلك احتمالا ولكنه وارد ، ولا يمكن استبعاده نهائيا ، وخصوصا أن « اسرائيل » تملك نوعا من الصواريخ ، لو استعملته برأس تقليدية يصبح عديم القيمة ، لأنه صاروخ مخصص للسلاح النووي فقط ، ان وجود مثل هذا الصاروخ لايمكن تجاهله ، بالاضافة الى أن « اسرائيل » تدرب طياريها وطائراتها (F 16) الآن على القاء قنابل نووية .

من ناحية أخرى أعلنت « اسرائيل » أنها قادرة على انتاج السلاح النووي في أي وقت تراه ، يعني هذا أنه اذا كان لديها قنبلة ينقصها قطعة ما .. تستطيع استكمالها في أي وقت ..

● **الفريق فوزي** ..

في هذا الموضوع مازلت عند رأيي ، ان « اسرائيل » لديها امكانات تصنيع القنبلة النووية ، ولكنها لم تستكمل مراحل التصنيع حتى الآن .

وأقول في هذا الموضوع ان « اسرائيل » بمساعدة أمريكا وتأييدها ، لديها الامكانات التقليدية التي تمكنها من التهديد أو القصف للاجهاض ، أو الردع لأي دولة عربية دون الدخول في المحاذير الدولية التي تترتب على استخدام القنابل النووية ، « فاسرائيل » بوضعها الحالي وامكاناتها الحالية تستطيع أن تحقق الهدف بالأسلحة التقليدية ، اذ أنها متفوقة تفوقاً ساحقاً على جميع الدول العربية .

العربي : هل يصح أن نقول ان امتلاك « اسرائيل » للأسلحة النووية يمكن أن يحسم الصراع ؟

● **اللواء طلعت مسلم . .**

لايمكن (لاسرائيل) أن تحسم الصراع اذا كنا نحن مستعدين لمواجهتها ، أما في وضعنا الحالي فإنني أرجح قدرتها على ذلك .

العربي : ما هي درجة الاستعداد اللازمة لنا . . هل لابد أن نكون على نفس المستوى في امتلاك أسلحة نووية ؟

● **اللواء طلعت . .**

لايشترط في وسائل الرد أن تكون نووية ، ولكن نستطيع المواجهة باتخاذ اجراءات تقلل حجم الخسائر في حالة استخدامها .

العربي : هل يسمح التوازن الدولي بذلك ؟

● **اللواء طلعت . .**

ليس هناك سوابق ، وليس أمامنا الا أن نتصور اذا هددتنا « اسرائيل » بالأسلحة النووية ماذا يمكن أن يحدث ؟

هل تكون الولايات المتحدة الأمريكية جادة في ردعها ؟

وهل السوفيت جادون في منعها ؟

في حرب ١٩٧٣ قالت احدى وكالات المخابرات ان « اسرائيل » تملك الأسلحة النووية ، وانها قد أعدتها للاستخدام ، ولكنها توقفت نتيجة تدخل السوفيت .

فهل يكرر الاتحاد السوفيتي موقفه هذا ؟

● **الفريق فوزي . .**

أنا موافق على تقديرات اللواء طلعت الخاصة بالقدرة الحربية العربية ، الا أنني أقول كلمة واحدة . . القدرات العربية ليست مجتمعة ، وليست موحدة ، ولا يمكن استخدامها في اتجاه سياسي موحد ، فما قيمتها وهي متفرقة ؟ ان قرار استخدام هذه القدرات ليس متوافراً .

تنوع السلاح . .
والجيش العربي واحد

العربي : اذا افترضنا نظرياً اتخاذ هذا القرار . . فما تأثير تنوع السلاح على القدرات العربية سلباً أو ايجاباً ؟

● **الفريق فوزي . .**

لنضع أنفسنا أمام الدول العربية الموحدة . . حيث تتواجد الجيوش العربية ذات القائد الواحد الذي يتمتع بسلطة اصدار القرار الواحد على جميع الجيوش العربية الموحدة .

ولنتصور أن يكون ولاء هذه الجيوش خالصاً له من الناحية القومية ، دون أن يخدش هذا الولاء باتجاهات الدول التي تتبعها هذه الجيوش .

هذا هو الحلم الذي يبغيه كل عربي قومي يعيش في جيلنا الحالي ، فلو حدث هذا فإنه يحق لي أن أقول . . ان هذا الحلم ليس بعيد المنال ولا مستغرباً ، لو تحقق فلا « اسرائيل » ولا الولايات المتحدة الأمريكية ولا أي قوة أخرى يمكنها منع هذه القوة العربية الجديدة من أن تدافع عن كيانها الموحد ، وأن تسعى الى تأمين أمنها القومي ، وتصبح « اسرائيل »في هذه الحالة نواة دخيلة لايمكنها الصمود داخل هذا الحشد ذي الامكانات الكبيرة .

تنوع السلاح اذن - مازال الكلام للفريق فوزي - ليس له التأثير الكبير أمام حجم كتلة متراصة ذات اتجاه سياسي واستراتيجي واحد .

● **اللواء طلعت . .**

هذا صحيح لكن عند صدور هذا القرار . . فنحن في حاجة الى وقت حتى تصبح القيادة قادرة على

توجيه جزء منه لمعالجة الجانب الخاص باختلاف الأسلحة والمعدات .. وعلى سبيل المثال ..

معدات من المغرب وصلت الى مصر .. انها بالقطع تختلف في تكوينها عن المعدات الموجودة في مصر ، وتحتاج الى ذخيرة وقطع غيار ونوع من الوقود يختلف عن ذلك المستعمل في مصر ، ومن هنا تتطلب المسألة أن تأتي هذه القوة ومعها احتياطيها من المواد .. ويسهل الأمر كثيرا لو أن المعدات موحدة ولكن هذه عملية صعبة ، لهذا فلا بد من توافر الاحتياطات عند دول المواجهة التي تصلها قوات الدعم .

نقطة أخرى .. دراسة مسرح العمليات .. فكثير من الدول العربية لم تدرس مسرح العمليات التي يمكن أن تشترك فيها . هذه الدراسة مهمة جدا لادارة الصراع مع العدو الصهيوني أولا ، وأكثر أهمية في تأمين الحدود العربية من جهة أخرى .

نقطة ثالثة .. الدفاع الجوي والطيران : هناك نظام للتعاون لابد أن يتم بين وسائل الدفاع الجوي في كل دولة ، حتى لاتصيب بعض الطائرات بعضها الآخر ، فوجود طائرات من دولة في المجال الدولي لدولة أخرى يحتاج الى تعارف بين الطائرات ، كذلك نحتاج الى تدريب مشترك بين القوات التي سوف تتعاون .. وهكذا ..

كل هذه العناصر لابد أن تتوافر قبل الدخول في معركة مشتركة .. ثم يضيف اللواء طلعت قائلا :

« نحن نحتاج الى قرار سياسي لكي نخطو هذه الخطوات ، لأن الخطأ أن تبدأ البلاد العربية في دراسة مسارح العمليات ، قبل الحرب بأيام قليلة ، لذلك لم يكن للتعاون الفعالية المطلوبة في الحروب السابقة . مع التأكيد على أهمية تواجد القيادة الموحدة ، الا أن التعاون يحتاج الى وقت لاستكمال عناصره الأساسية ، ويمكن اختصار هذا الوقت لو أننا بدأنا من الآن في ايجاد التعارف بين الجيوش العربية .

● **الفريق فوزي ..**

أرى أن تنوع السلاح ليس عقبة .. وليس شرطا أساسيا أن يتوحد السلاح ، فالوقائع التاريخية في المسرح الغربي في أوروبا تقول ان سلاحهم اشتمل على السلاح الأمريكي .. الانجليزي .. الفرنسي .. وكل منهم صاحب مدرسة عسكرية مختلفة في التسليح .. والتدريب والتنظيم ، لكنهم جميعا عملوا في جبهة واحدة ، على مسرح العمليات الغربي ، أيضا كان هذا التناقض النوعي موجودا في مسرح عمليات شمال أفريقيا ، كذلك أذكركم بالدعم الامريكي والانجليزي الذي وصل الى مسرح عمليات الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية ضد الألمان ، كان يصل عن طريق ايران والبحر الأسود ثم يأخذ مكانه في الجبهة السوفيتية ضد الالمان .

من ناحية أخرى كان تأهيل الجنود السوفييت على أسلحة غربية قد تم بيسر ، علما بأن الفارق في نوعية السلاح كان كبيرا ، ان موضوع تبادل المعلومات والخبرات الخاصة بالتسليح والتدريب ومسارح العمليات ، يعد أساسا في مراحل التحضير لانشاء القوة المجمعة الموحدة .

العربي : القوة المجمعة الموحدة كيف تتكون على خريطة الجيوش العربية وهي بهذا الحجم .. والاتساع .. والتعدد ؟

● **الفريق محمد فوزي :**

يتم ذلك على مستوى الوطن العربي كله كدولة عربية موحدة فهذا أمل ، لكن حتى يحدث ذلك أرى أن تتكون هياكل وسيطة ، أقترح أن تكون من أربع دول كركيزة استراتيجية ذات محور واحد ، هذا اذا قلنا أن جمع اثنتين وعشرين دولة عربية أمر صعب .. واستخدام قرار موحد في مثل هذه الظروف شيء أصعب .

العربي : تحقيق هذا الأمل صعب .. أو مستحيل ؟

● **الفريق فوزي** : رأيي في أن الخلافات العربية رغم وصولها الى درجة الصدام ، المسلح ، الا أنها شيء عابر مؤقت .. لأن المصلحة العربية ستفرض نفسها ان عاجلا أو آجلا . والخلاف هنا شيء مؤقت .

وأعتقد أن تنظيم اعداد الجيوش العربية كي يحقق هدفا واحدا وفكرا واحدا وقيادة واحدة شيء ممكن .. أقول ممكن ..

القواعد .. والتسهيلات ..

والتعاون العسكري

العربي : هناك خيط رفيع بين التعاون العسكري .. والقواعد والتسهيلات ، فما مدى تأثير ذلك على القدرات العربية ، وما هي ظواهر الوجود الأجنبي على الأرض العربية ؟

● **اللواء طلعت مسلم ..**

مظاهر الوجود العسكري على الأرض العربية مختلفة ، فهناك وجود لقوات .. وهناك تسهيلات .. وقواعد ومناورات عسكرية مشتركة .. وبعثات وخبراء تدريب .. بالطبع الوجود العسكري الأجنبي منبوذ لأنه يمثل في النهاية قيدا على القرار السياسي والعسكري للدولة ، ولكنه أحيانا قد يكون ضرورة ، يحدث هذا بالنسبة لتدريب القوات المسلحة على أسلحة جديدة ، أو لتغطية ضعف معين ، والأساس هنا هو وظيفة هذا الوجود هل هو لصالح الدولة المضيفة .. أو أن الدولة سخرت لصالح الدولة الأجنبية . في فترة ما بعد حرب ١٩٦٧ اضطررنا الى وجود عسكري سوفيتي محدود ومعلن ومحدد الواجب ..

وهنا يضيف الفريق فوزي ..

كان محدد الواجب والوظيفة والتعامل ، وكان هذا الوجود لصالح مصر ، ولتغطية نقص معين ، ولفترة محدودة ، حتى أن بعضهم قتل أثناء المعارك (٤٠ شخصا) .

اللواء طلعت يكمل ..

الآن يوجد وجود عسكري سوفيتي غير كامل في بعض البلدان ، وقواعد عسكرية أمريكية في بلاد أخرى ، وتسهيلات في بلدان ثالثة ، وقوات متعددة الجنسية في مناطق رابعة .. ومستشارون عسكريون سوفيت في بلاد وأمريكان في أخرى ، ومناورات مشتركة ... و ... و ...

هذا الوجود يشكل خطورة على الدول العربية .. ويمثل قيدا على القرار السياسي ، وتزداد بالطبع درجة الخطورة اذا وظفت لصالح الدولة الأجنبية ، وبالذات أمريكا ، حيث أن دخولها في تحالف استراتيجي مع « اسرائيل » يوظف المنطقة كلها لصالح أهداف الولايات المتحدة الامريكية ، لا لصالح المنطقة ، فإذا مادخلنا صراعا مع « اسرائيل » ، تحوّل هذا الوجود الأمريكي بالطبع لصالح العدو الصهيوني .

الأمر الأكثر غرابة هو أن أمريكا قدمت مساعدات لنظام نميري في السودان ، بدعوى حمايته من عدوان ليبي مزعوم ، في الوقت الذي لم تقدم اليه أي معونة ضد حركات الانفصال في جنوب السودان .

الاستراتيجية العربية .. كيف ؟

العربي : اذا كان الأمر كذلك فكيف تبرز استراتيجية عربية ؟

● **الفريق فوزي ..**

لا توجد استراتيجية عربية الآن . وحتى توجد .. لابد من عودة مصر الى الصف العربي .

● **اللواء طلعت ..**

حاليا لاتوجد استراتيجية عربية عسكرية ، فأنا لاأذكر آخر مرة اجتمع فيها مجلس الدفاع المشترك التابع للجامعة العربية .. حتى الاتفاقات العسكرية الثنائية بين بعض الدول العربية لم تظهر لها فعالية .. هذا بالطبع عدا مايخص مجلس التعاون الخليجي .

وحتى توجد الاستراتيجية العربية العسكرية ، فالأمر يحتاج الى نوع من الاتفاق السياسي ، وأعتقد أن المجال الأساسي هو الجامعة العربية ، فصعوبة الوصول الى اتفاق كامل لايعني أن نترك الأمور هكذا .. بل يمكن الوصول الى حد أدنى من الاتفاق ، كما أنه يجب أن يكون هناك حد أقصى للاختلاف .. فالسلاح العربي يجب أن لايوجه الى صدور عربية ، والصراع المسلح يجب الا ينشب بين الدول العربية ، وفيما بين هذين الحدين يمكن التقدم في الوصول الى استراتيجية عربية قد تبدأ بصعوبات ثم تنتهي الى التذليل .

العربي : والمستقبل كيف تراه ؟

● **اللواء فوزي :**

مازلت أعتبر أن الخلافات العربية مؤقتة وغير

طبيعية ، وعند ازالة هذا الشيء تعود المسألة طبيعية ، وتبدأ عمليات التنسيق والتخطيط .. وليس هناك مستحيل .

● **اللواء طلعت :**

رغم كل ماحدث من أزمات فهناك بدايات مبشرة ، فعدم تطور الأمور بين مصر وليبيا .. وبين ليبيا والجزائر ، ثم لقاء الرئيسين الليبي والجزائري ، كل ذلك يشير الى أن الخلافات ليست جوهرية بين البلاد العربية ، مما يعطي الأمل في امكان التعاون العربي .

البترول والقدرة العربية

العربي : مع نمو عوائد النفط زاد الانفاق العسكري بدرجة كبيرة ، فهل صاحب ذلك زيادة حقيقية في القدرات العربية الحربية ؟ ثم .. هل أثر ذلك على التوازن العسكري بين العرب و « اسرائيل » . وأخيرا ما العائد الاقتصادي للعمل العربي الموحد ؟

● **الفريق فوزي :**

ان زيادة الميزانيات في القوات المسلحة بالمقارنة مع السنوات السابقة ليست دليلا على تنمية القدرات ، بقدر ما هي زيادة في رفع الأسعار وارتفاع تكاليف الجندي .

أما عن توازن القوى فلا نقاش في درجة النمو والتطور في الجهاز العسكري الاسرائيلي ، وقد وصل الى أقصى مداه بعد اتمام التحالف الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي ، وبدرجة لا تسمح بالمقارنة بينها وبين الجيش العربي كله .

● **اللواء طلعت ..**

زيادة الانفاق العسكري ليست عامة بالنسبة للدول العربية كلها ، لكنها واضحة في العراق والخليج ، وذلك بسبب الحرب الايرانية العراقية .

وبصفة عامة يمكن القول ان زيادة الانفاق العسكري تمثل بشكل عام زيادة في المرتبات في جزء منه ، والجزء الآخر في شراء معدات أمريكية مرتفعة الثمن ، وهذه المعدات لا تمثل زيادة في القدرة العربية ، اذ أنها في أغلبها عليها قيود ، بحيث تحتفظ « اسرائيل » بالتفوق النوعي ، فالأسلحة الغربية التي تباع للعرب أقل نوعا من تلك التي تعطى « لاسرائيل » ، وبالتالي لايحقق الانفاق الزائد هدفه بدرجة كافية .

● **الفريق فوزي ..**

اذا وضعنا في الاعتبار أن التجهيزات الغربية عموما تستغرق وقتا طويلا حتى يتم التسليم ، فمن الصعوبة أن نقول إن القوات العسكرية زادت بدرجة تتناسب وحجم الانفاق العسكري .

العربي : يبقى الجانب الاقتصادي للعمل العسكري الموحد ..

● **الفريق فوزي ..**

من زاوية توحيد الجهد الحربي للدول العربية ، يأتي الاقتصاد في دائرة الانتاج الحربي ، فلو أن المشروع الموحد للتصنيع الحربي تم عربيا ، لظهر الفارق الكبير في المطالب المالية بين ماتدفعه البلاد العربية الآن في استيراد السلاح الأجنبي ، وبين ما يمكن تصنيعه في المصانع العربية عند توحيد مجهودات هذه الدول ، لاشك أن التكامل في تصنيع السلاح يعطي عائدا اقتصاديا .. هذا فضلا عن العائد الحربي .

● **اللواء طلعت ..**

التعاون العسكري يعطي عائدا عسكريا أكبر من الوضع الحالي ، وقد يؤدي الى تخفيض بعض النفقات ، ذلك بالاضافة الى تأثير ذلك ايجابيا على الدول التي تعاني من أزمات اقتصادية حادة .

● **الفريق فوزي ..**

المسألة ليست غريبة .. فمنذ محمد علي باشا والترسانة التي جهزها كانت تواجه دولا حربية حديثة ، وكانت هذه الترسانة قدرة حربية كبيرة .. فقد صنع المدفع والذخيرة وقطع الأسطول .

وعندما نعود الى « طلعت حرب » نجد أن صناعة النسيج جعلت مصر الأولى في العالم الثالث المتفوقة في صناعة النسيج ومشتقاته ، وقد وصلنا الى تغطية أسواق أوروبا .

من هنا أقول :

ان التاريخ يؤكد .. أن المستقبل للعمل العربي الموحد وهذا شيء ممكن .. فالخلافات القائمة ليست دائمة ولكنها فترة عابرة من حياة الشعب العربي . □

القتل بالهرمون

بقلم : الدكتور سينوت حليم دوس*

الهرمونات مواد عضوية ، تفرزها الغدد الصماء (أو الغدد اللاقنوية) ، ذات الآثار الحيوية المهمة ، تصل في مراحلها النهائية الى التحكم في كل مظاهر الحياة ، في أدق ملامحها وأخطر ظروفها . . وبرغم أهمية الهرمون للجسم الا أن له أيضا مخاطره .

قبل أن نبدأ الحديث عن الهرمونات في جسم الأنسان .. نحب أن نسوق مثلا لما يمكن أن يحدث ، حين تزيد نسبة الهرمون في الجسم . . وهو أمر قد يحدث أيضا عن عمد كما تصور القصة التالية :

اشتبه البوليس البلجيكي في وفاة متكررة لبعض المسنين المقيمين في ملجأ للعجزة ، فأمرت النيابة العامة باستخراج جثث المشكوك في أمر وفاتهم ، وبخاصة الذين حدثت وفاتهم بطريقة مفاجئة ، وجمعت عينات من عشر جثث ، تراوحت تواريخ الدفن بين بضعة أشهر الى ست سنوات ، وبطبيعة الحال فإن الجثث كلها كانت متحللة ، وتراوحت أعمار هذه الجثث من ٦٩ ـ ٩١ عاما ، ورغم مضي هذه المدة الطويلة من الدفن ، الا أن اعادة التشريح والبحث في الأجزاء المتحللة أوضحت اصابة بعض الجثث بتصلب الشرايين أو سرطان في البروستاتا . . . الخ . ولم يكن ممكنا الحصول على دماء من كل هذه الجثث ، وأخذت عينات من الجلد والعضلات التي تحتها ، في بعض الأماكن التي يحتمل أن يكون الحقن قد تم فيها .

استخدمت طريقة بركن شو في استخلاص الانسولين من العضلات التي قدرت بخمسين جراما من كل جثة ، باستخدام الكحول وحامض الفسفوريك مع تغيير الأس الايدروجيني ، وأمكن الحصول على مستخلص نقي يحتوى نسبة الأنسولين التي تم الحقن بها ، والتي اعتبرت الجرعة القاتلة ، وعن طريق استخدام التحليل الاشعاعي المناعي

---

* الاستاذ بكلية العلوم الطبية المساعد ـ جامعة الملك سعود ـ والمنتدب بالمركز الوطني للعلوم والتقنية ـ الرياض .

أمكن تقدير الجرعة التي حقنت ، والتي نجمت الوفاة عنها .

ومع استخدام التجارب الضابطة ، أمكن الجزم بأن ثلاثا من الحالات العشر قد قتلت بجرعات مضاعفة من الانسولين ، كما لوحظت في ثلاث حالات أخرى جرعات قاتلة من الكلوربرومازين .

واعترفت احدى الممرضات (مدمنة على تعاطي المخدرات) بأنها ارتكبت هذه الجرائم ، رغبة في التخلص من الازعاج أثناء رقابتها المسائية ، وخرجت لتقضي عقوبة بالسجن لمدى الحياة .

الهرمون والتلكس

ما أشبه عمل الهرمون بالجسم بعمل التلكس في وقتنا الحاضر ، فالرسالة الهرمونية سريعة لا تحتمل التأخير ويفسدها التمهل ، فصحة الجسم بحاجة الى التوازن السريع . ففي الصيام - على سبيل المثال - توجه الغدد إشاراتها برفع مستوى السكر في الدم ، أما بعد الافطار فيكون التوجيه الى دفع السكر في الأنسجة بعد الغذاء . واذا واجه الجسم خطرا غير متوقع ، أمرت غدة معينة الأدرينالين بالنزول الى ساحة المعركة ، معطيا اشارة التأهب لمواجهته . . وأمثلة أخرى غير ذلك كثيرة ، ذلك لأن لغة الهرمونات (كيميائية)،ولغة الجهاز العصبي (عصبية)،ويشترك الجهاز العصبي والجهاز الهرموني في كثير من عمليات الجسم ، فالأعصاب تتصل بالعضلات ، والهرمونات تصل الى أدق أجزاء الخلايا .

وتبسط الغدة النخامية سلطانها على كل الغدد الأخرى ، فتكثر من افراز احداها أو تقلل من افراز الأخرى ، فهي تقع تحت سلطان مراكز عصبية مجاورة لها ، فتتلقى الأوامر تارة من عالم العواطف ، وطورا من المحيط الخارجي ، وأحيانا من تركيب الدم عن طريق خلايا حساسة لهذا المركب أو غيره ، مثل الجلوكوز أو الماء .

ومن الغدد المهمة التي تتحكم في سكر الدم غدة البنكرياس ، وهي غدة قنوية وغدة صماء في نفس الوقت ، ويبلغ وزنها ٨٠ - ٩٠ جراما ، وتتكون من نوعين من الأنسجة : هما نسيج الغدة ونسيج لانجرهانز ، الذي يقوم بوظيفة الافراز الداخلي ، وتكون نسبته (١ - ٣)٪ من مجموع أنسجة الغدة بالكامل ، ووزنه حوالي واحد جرام .

وتحتوي جزر لانجرهانز على نوعين من الخلايا هما : خلايا من نوع (ألفا) تفرز هرمون (الفلوكاجون) . وخلايا من نوع (بيتا) وتفرز هرمون (الأنسولين) .

وعمل كل من هذين الهرمونين يضاد الآخر ، فالأنسولين يخفض من تركيز السكر في الدم ، أما الفلوكاجون فيرفع نسبة السكر في الدم اذا انخفضت .

ويعتمد عمل هورمون الأنسولين ، في جسم المريض بالبول السكرى ، على مدى استفادته من كمية سكر الجلوكوز الموجودة في تيار الدم ، ومن ثم دور الكبد في تنظيم نسبة الجلوكوز في الدم ، بحيث تبقى ثابتة تقريبا .

وهرمون الأنسولين له أهمية كبرى في عملية فسفرة الجلوكوز ، حيث يساعد أنزيم الهكسوكيناز ، وهو الذي يقوم بتحويل الجلوكوز الى سداسي فوسفات الجلوكوز ، أي تحويل الجلوكوز من الصورة غير النشطة الى الصورة النشطة ، وعملية الفسفرة من الخطوات الأساسية بالنسبة لعملية أكسدة الجلوكوز ، ففي حالة الفسفرة لا يتمكن الجلوكوز من الانتقال من الدم الى الخلايا الجسدية ، حيث تتم عملية الأكسدة ، وهذا يؤدى الى ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم عن المعدل الطبيعي ، محدثا ما يعرف بسكر الدم ديابيتس مليتس .

ومن المتعارف عليه أن نسبة السكر في الدم في الظروف العادية تتراوح بين ٨٠ - ١٢٠ مجم من الجلوكوز في كل ١٠٠ سم^3 من الدم ، وتنخفض هذه النسبة قليلا قبل تناول طعام الافطار ، أما بعد الافطار فإن هذه النسبة ترتفع لتصل الى ١٥٠ مجم / ١٠٠ سم^3 ، ويرجع ذلك الى امتصاص المواد المهضومة من الأمعاء الدقيقة ، وعندئذ يقوم الكبد في الحال بمساعدة هورمون الأنسولين ، باستخلاص كميات السكر الزائدة وتحويلها الى الجليكوجين ، وهو المسمى بالنشا الحيواني ، الذي يترسب في خلايا الكبد والعضلات ، ويظل مختزنا الى حين الحاجة اليه مرة أخرى ، وعندما تزيد كمية الجلوكوز ، فإنها

تتحول الى دهون تخزن تحت الجلد وحول الأحشاء الداخلية .

وأحيانا ترتفع نسبة سكر الجلوكوز في الدم الى ١٨٠ مج/ ١٠٠ سم٣ ، ولا يستطيع الكبد ـ والعضلات اختزانها ـ وخاصة اذا كان البنكرياس غير نشط ، ويتراخى في أداء وظائفه ، لذلك يتخلص الجسم من هذه الزيادة عن طريق الكلية ، حيث يمر السكر الزائد في البول .

وبعد العرض السابق لغدة البنكرياس ووظائفها ، وهرمون الأنسولين ، يجب ملاحظة المبادىء الثلاثة التالية :

أولا : يجب أن تتناسب كمية الهرمون مع نسبة السكر الموجودة في الدم ، فإذا حدث خطأ وحقنت نسبة من الهرمون أكبر من حاجة الجسم ، فان المريض يشعر بدوار وغيبوبة ، وقد يعقبها الموت اذا لم يسعف المريض بالعلاج السريع . وكاسعاف أولى يعطى المريض محلولا سكريا مركزا في الحال ، مع الاسترخاء في الفراش .

ثانيا : ان مريض السكر يتعرض دائما لخطر الموت بسلاح ذى حدين ، فإما أن ينشأ هذا الخطر عن زيادة غير طبيعية في نسبة السكر في الدم ، أو يظهر كنتيجة للنقص الخطير في نسبة الجلوكوز ، فالمريض بالبول السكرى أحيانا يهمل في علاج نفسه ، ولا يداوم على تعاطى حقن الأنسولين يوميا ، ونتيجة لذلك فقد ترتفع نسبة الجلوكوز في الدم ارتفاعا شديدا ، وفي هذه الحالة عندما تصل الزيادة في السكر الى خلايا المخ تغرقها وتؤذيها ، عندها يصاب المريض بالغيبوبة السكرية ، ولذلك يجب على الأفراد المخالطين للمريض أن يتأكدوا أولا قبل اسعافه من أسباب حدوث الغيبوبة السكرية ، وهل ترجع الى انخفاض في نسبة الجلوكوز في الدم انخفاضا كبيرا ، أو العكس فتعزى الى ارتفاع نسبة الجلوكوز فوق المعدل .

ثالثا : لايتعدى عمل الأنسولين غشاء الخلية ، ولا يدخل داخل الخلية ، انما يقف عند حدودها مع غيره من المواد ، وينتقى بدقة جزئيات السكر المارة مع الدم فيستخلصها ، وينفذ الى الخلية ما تحتاجه منها ، وبعد أن يعطى كل الخلايا احتياجاتها يخزن الزائد عن الحاجة في شكل جلوكوجين .

القتل بالأنسولين

واستغل بعض ذوى النفوس المنحرفة هذه الظاهرة في القتل عن طريق التسميم بالأنسولين ، فأحصى ستوفر في المانيا حتى عام ١٩٦٩ م عدد أربعين حالة عرضت على الطب العدلى ، ثبت فيها الانتحار أو القتل بهرمون الأنسولين ، ثم سجلت بعد ذلك بحوث شترنر وبوتنام (١٩٧٢) ، وجيفارو وفان نورمان (١٩٧٣) ، وستيفان (١٩٧٥) ، وديسكون وزملائه (١٩٧٧) سجلت بحوث هؤلاء حالات قليلة .

وتميزت التقارير السالفة بأن العينات المأخوذة من جثث الموتى كانت حديثة ، واستخدمت فيها طرق التحاليل الحيوية .

ونظرا لأن طرق التحاليل الحيوية لا تتميز بالدقة الكبيرة ، ولما كان بعض الحالات المشتبه فيها قد أبلغ عنها بعد فترة كبيرة من الوفاة ، فانه يمكن القول ان هناك حالات كثيرة قد أفلتت من قبضة القانون ، ولا يزال فاعلوها بعيدين عن العدالة .

وعندما دخلت طرق التحليل الاشعاعى المناعى في التطبيق ، لتقدير الهرمونات بدقة في مستوى الدم ، عقب البحوث التى قام بها إكنز في انجلترا ، ويالو وبيرسون بأمريكا ، أعلن العالمان جينيرو وفان نورمان أن طريقة التحليل الاشعاعى المناعى لا تعكس بدقة كمية الأنسولين الكلية في جثث الضحايا ، نظرا لوجود أجسام مضادة في أنسجتهم .

وفي المؤتمر الدولى الثامن للطب العدلى الذى عقد في ولاية كانساس بأمريكا عام ١٩٧٨ م ، أوضح فلتشر وموفات طريقة دقيقة لاستخلاص الأنسولين من أنسجة الحيوانات الميتة ، في محاولة لتقدير كميتها ، ومقارنتها بالجرعات القاتلة السابق الحقن بها ، بشرط أن يتم الاستخلاص عقب فترة وجيزة من الموت .

ومع عام ١٩٨٠ م أعلن العالم هاندركس بقسم السموم بجامعة جنت بيلجيكا ، وتمبرمان بقسم الطب العدلى بنفس الجامعة ، امكان استعمال طريقة التحليل الاشعاعى المناعى بدقة في تقدير الانسولين في الأنسجة الميتة ، بعد ادخال تعديلات في طريقة استخلاصها .

أما القضية الأخرى فتأتى أهميتها من صفة الجانى ومركز المجنى عليها ، فالزوج أحد رجال القانون ، أمريكى بالتجنس والمانى الأصل ، ويعتبر حجة في تخصصه ، ويدعى فون بيلوف ، أما المجنى عليها فزوجته ، وريثة أحد رجال الصناعة الأمريكان ، وتملك قرابة مائتى مليون دولار .

وحاول المحامى فون بيلوف قتل زوجته بالأنسولين مرتين ، كما شهدت بذلك وصيفة مارتا ، وهى فتاة المانية عمرها ٢٣ سنة ، وتدعى ماريا شر الهامر ، وقالت ان محاولة القتل في المرة الأولى قد أسعفت دون أن تثار حولها أي شبهات ، اما في المرة الثانية فقد أدت محاولة القتل بجرعة مرتفعة من الأنسولين ومحاولة الانقاذ المتأخرة إلى أن ترقد الزوجة مارتا في «كوما» طويلة فاقدة الوعى .

وشهدت الوصيفة ماريا أنه في يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٨٠ م ، عندما أصيبت زوجته بغيبوبة من جراء حقن الأنسولين ، كان يجلس زوجها في رداء المنزل هادئا ، يقرأ دون أى محاولة للانقاذ ، وطلبت منه أن يستدعى طبيبا لمدة خمس ساعات دون أن يأبه لذلك ، وأخيرا جاء الطبيب وأنقذها من الموت ، ولكن لتبقى في غيبوبة لمدى الحياة .

ودعمت هذه الشهادة بدليل قدمه ابن زوجته الكسندر ،وهو محقن به آثار من الأنسولين كان موجودا بحقيبة المحامى السوداء .

طريقة هانيدكس

شهد صيدلى اشترى منه المحامى الأنسولين ، وكان دفاع فون بيلوف عن نفسه ، أن زوجته كانت مدمنة خمر ،والتى إعتادت حقنها بالأنسولين هى وصيفتها ، وعندما كانت في غيبوبة اعتقد أنها في حالة سكر ستفيق بعده ، ولما طالت فترة غيبوبتها استدعى الطبيب لانقاذها .

ولم تقتنع هيئة المحلفين بهذا الدفاع ، فاعتبر مذنبا وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما .

استأنف الحكم وتولى الدفاع عن فون بيلوف ، آلان درشوفيتس المحامى ذائع الصيت ، وأستاذ القانون بجامعة هارفاد ، وأوضح أن الدليل المادى الذى قدمه الكسندر ابن زوجة المتهم ـ دليل دخيل ومفتعل ، ذلك أنه اذا كان حقا قد استعمل هذا المحقن في زرق الأنسولين للزوجة مارتا ، فلم يكن ليتبقى فيه شيء من الأنسولين .

واستشهد المحامى بتقرير من بعض الباحثين بجامعة هارفارد ، مفاده أن الأنسولين كهرمون بروتيني (متعدد روابط البِبتيد) يمتصه الجسم من المحقن ، ولا تبقى أي آثار له ، فهو لا يتعدى في عمله غشاء الخلية ، ولايدخل داخل الخلية . فاذا قدم محقن به بقايا أنسولين ـ ورغم أنه كان بحقيبة المتهم ـ فهو دليل مصطنع ودخيل ليغير وجه الحقيقة في الواقعة .

واقتنعت هيئة المحلفين بهذا الدليل وذاك الدفاع ، وبرئت ساحة فون بيلوف من تهمة القتل ، وأطلق سراحه لينتظر ثروة تقدر بـ ٣٥ مليون دولار .

ومن العرض السالف يتضح أن الأنسولين كهرمون متعدد الببتيد ، يمكن استخدامه كسم قاتل .

فاذا حدثت الوفاة عقب عشر دقائق من الحقن في العضل ، فإنه يمكن الكشف عن الأنسولين في المكان الذى أجرى الحقن فيه ، حتى بعد دفن الجثة لبضعة اشهر ، وذلك باستخدام طريقة هايندركس وزملائه .

أما اذا حدثت الوفاة عقب بضع ساعات من الحقن ، فإن عينة من بلازما الشخص يمكن الكشف فيها عن جرعة الأنسولين القاتلة ، ولهذا وجب أن يتم تحليل عينة الدم في المشتبه بقتلهم بالأنسولين بعد الوفاة ، وقبل الدفن ما أمكن الى ذلك سبيل ، وخصوصا اذا كانت الوفاة قد تمت متأخرة وعاصرتها شبهة القتل .

كذلك أثبتت البحوث أن الجسم يمتص كل كمية الأنسولين التى تبقى في ابرة المحقن ، بحيث لا يبقى منها شيء .

وهكذا فانه في الوقت الذى يمكن احداث الوفاة بهرمون الأنسولين ، فلا تزال الهرمونات دليلا قاطعا في الاثبات . □



آخر كلمات

مولويز

شعر : عزت الطيري

(١) مقدمة

أنا الأسودْ
ويعجبني سوادُ الوجه والكفينْ ،
تعجبني
خشونةُ وجهي الفحميّ ،
تعجبني
شموس بلاديَ السمراء
تعجبني ثمار الموز والبابايَ ،
ووجه حبيبتي الأسمرْ
وأقمارٌ تطل على مدينتنا
تقول لنا :
مساء الخير يا أحباب ليلتنا
مساء الخيرِ يا أرضا . .
تُغرِّدُ بين تربتها
عروق التبر والألماس والعنبرْ
وتهمس طفلة في الدار :
يا أمي متى أكبر ؟ !
متى تغدو ليَ الأقمار أصحاباً
وأحباباً
وترقص لي فتاةُ الجن
تنثر شعرها الأشقر ؟ !

(٢) تعريف

أنا الأسودْ
أنا الشاعرْ . . .
أنا الانسانُ . .
أحب الطيرَ والأغصانْ
أحب النورْ
والأضواء
والشمسا
أحب الليلَ إن أمسى !!
أحب الرقصَ إنْ دقّتْ طبول الليلْ
واجتمعت بنور النّارْ
أغنيتانْ
فأغنية
تمجد شعلةَ الثورة
وأغنية
تغنى للهوى مرّة
وتهتف في فضاء الليلْ
كورشيجا *
كورشيجا

* كورشيجا : معناها في لغة الشاعر « يحيا الحب . . »

في شهر أكتوبر الماضي أعدمت السلطات العنصرية في جنوب أفريقيا الشاعر الشاب « بنيامين مولويز » بتهمة اغتيال رجل بوليس أبيض .. وكان بنيامين بريئا من هذه التهمة تماما ، كما أذاعت السلطات بعد ذلك ، وهذه هي كلماته الأخيرة »

(٣) (استطراد)

أنا الأسود
وأمقت وجهَ جلادى
وأصرخ حين ألقاهُ
أجل يا أيها الجلادُ أمقتكَ
وأمقتُ كفَّكَ البيضاء
حين قَطعْتَ أوصالى
وحينَ وضعتَ أغلالى
وحين ملأتَ أوقاتى
بأحزانٍ .. بأنَّاتٍ
وحين سرقتَ غاباتى
لتصْنَعها سريراً لكْ
أراجيحاً لأطفالكْ
ومشنقة .. لأطفالى



(٤) (خاتمة)

ويا أمي
أيا ضحّاكة العينين
لا تبكي
فإن دمائىَ الحمراء
تجرى الآنَ
تغمر أرضَ أجدادى
تعطرها ...
وترويها
وتنبت في روابيها
زهور الثأر والثورة
فلا تبكى ..
وضمى نعشيَ الورقىُّ
رُشِّي فوق جثمانى
تراباً من ثرى بلدى
وأوطانى
سأسمع كل أطفال البلاد السمر
تهتف لى كما الطوفان
كورشيجا
كورشيجا ●

العربي - العدد - ٣٣٠ - مايو ١٩٨٦

القصة الفائزة بالجائزة الخامسة في مسابقة « العربي » .

أغنية للخريف

بقلم : عاطف فتحى حسن

تلك كانت المرة الاولى - ولعلها الأخيرة - التى يختار فيها هذا المكان الغريب للقائهما . ترى ما الذى اجتذبه اليه ؟ لعله اسمه الافرنجى ومظهره ، وربما لأنهما كانا قد تعبا من المشى على غير هدى ، بدا لهما بشكله المتواضع ، وكآبته وعزلته الفريدة ، وكأنه ما وجد هنا على جانب الطريق الا ليستقبل من هم على شاكلتهما .

« كازينو . . وكافتيريا . . « باليرا » .

تناهى الى سمعه صوت انغام موسيقا أوروبية خفيفة ، تنبعث من مكان ما . . أطل برأسه من الباب القصير الذى يشبه أبواب البارات ، وألقى بنظرة متفحصة على المكان شبه المعتم ، لم يكن هناك بالصالة الواسعة التى تناثرت على جانبيها غرف صغيرة ، سوى رجل عجوز يجلس تحت نافذة ، تسقط منها حزمة واهنة من أشعة الشمس فوق جسده المنكمش ، وكانت هناك بضع مناضد مركونة على مسافات متباعدة ، لصق الحوائط المكسوة بورق حائط قديم لا تكاد تتبين لونه .

جذبها من يدها ودفع الباب ، الذى صر صريرا أيقظ الرجل من غفوته . . تقدما نحوه بوجل . . وسالت هى بتوجس :

- هل من الممكن أن نقعد هنا ؟

افتر ثغر العجوز عن ابتسامة ، ولمعت عيناه - فى وجهه الملىء بالتجاعيد - ببريق يكشف عن بقايا حيوية ، وقال بلكنة أفصحت عن يونانيته :

- أهلا وسهلا . . تفضلوا .

أومأ برأسه للرجل فى امتنان ، وتلفت حوله يبحث عن مكان ملائم . كانت هناك منضدة على اليمين -





على بعد ثلاثة أمتار من مكان الرجل ـ تحت نافذة منخفضة تطل على أرض فضاء .

جلست قبالته معطية ظهرها للعجوز الذى انهمك فى حشو غليونه ، وركنت حقيبتها فوق المنضدة المكسوة « بمفرش » أحمر من « التيل » الرخيص .

قال الرجل العجوز بلهجة معتذرة :

ـ متأسف جدا . العامل لم يات بعد . لكنني أنا تحت أمركم .

همست له : انا جعت .

قال بنبرة خجلة : عندكم سندوتشات ؟ .

هز الرجل رأسه بالايجاب

وعصير برتقال ؟

أومأ الرجل برأسه .

ـ « طيب ممكن » . . وسكت

ابتسم العجوز بفهم ، ونهض متكئا على حافة المنضدة ، وسار باتجاه « البوفيه » وهو يعرج فى مشيته .

نظرت فى ساعتها وقالت : ياه . . . إنها الرابعة والنصف ، لم نحس بالوقت ، مالت بجذعها على حافة المنضدة وقالت باعياء : تعبت كثيرا . . مشينا كثيرا . . .

أومأ برأسه وهو يتطلع الى وجهها الخمرى المتورد ، وعينيها اللوزيتين ، وتوقفت عينه برهة عند ذقنها المستدقة وفمها الملء ، وقال وهو يبتسم فى حزن :

ـ سأشتاق اليك

أغمضت عينيها ، وغطتهما بكفيها . . وأخذت تتنفس بصعوبة ، نظر عبر النافذة المواجهة التى تسقط منها الشمس ، الى « بلكونة » المنزل المقابل ، شدت بصره تلك السيدة الشقراء التى انهمكت فى نشر غسيلها على الحبال ، وقد ارتدت قميصا خفيفا يُبرز صدرها الناصع ، كانت شمس أواخر أكتوبر تغمرها بفيض من الألوان المرحة ، وكان منظرها يوحي بالبهجة . وتذكر فى تلك اللحظة أول مرة تعرف فيها على « هند » ظُهر يوم من أيام الشتاء ، وهى تنشر غسيلها فى غرفة البيت المواجه لغرفته على السطح .

كان يشغل الحجرة منذ أكثر من أربع سنوات ، وبرغم ذلك لم يلتفت اليها ، ولم تجذب انتباهه الا هذا اليوم ، كانت تضع « المشابك » فى فمها ، وتميل بجذعها على حبال « البلكونة » المشدودة ، وتفرد الغسيل ثم تثبته بالمشبك فى سرعة ورشاقة ، وقد قطبت حاجبيها وبدا عليها الجد .

راح ينظر اليها باستغراق ، متأملا انهماكها الحميم في العمل ، وفجأة لمحها ترفع وجهها ، وتنظر اليه نظرة مباشرة صريحة ، وتبتسم فى تهكم قائلة :

ـ كيف الصحة ؟

ارتبك من المباغتة غير المتوقعة ، وانتابه الخجل ، فأومأ لها برأسه معتذرا ، ثم انسحب الى غرفته ، وقد أنبأه حدسه بأن تلك الفتاة سوف تلعب دورا ما فى حياته .

تنبه على وقع خُطا صاحب المحل ، وقد أقبل يحمل صينية رصت عليها « السندوتشات » وكأسان من عصير البرتقال ، وضعها فوق المنضدة بلطف ، وأوما برأسه ثم انسحب . أزاحت حقيبتها المفتوحة بجانب الحائط ، فلمح « الباسبور » بجلدته الخضراء ، مد يده باستخفاف وتناوله ، ثم أخذ يتصفحه ، وتوقف برهة عند صورتها الملصقة فى أول صفحة وأمعن بصره . . كانت ترتسم على ملامحها تعبيرات صارمة تشي بالكآبة .

قالت متسائلة : الصورة سيئة . . أليس كذلك ؟

هز رأسه نفيا وسألها : أين التذاكر ؟

ـ معه . .

سكت ، وتحاشى أن ينظر اليها . ودفع بيده زجاج النافذة المجاورة له ، وطفق ينظر الى الأرض والفضاء فى أسفل ، كان هناك على البعد سور طويل من « القرميد » يشبه سور المدارس ، يلاصقه كوخ خشبى . وكانت هناك اوزة وحيدة تنقب فى أكوام القمامة بحثا عن طعام .

تطلع الى السماء التى غامت فجأة ، ثم شرعت تمطر رذاذاً خفيفا ، تصحبه ريح هينة فيها لسعة من البرد ، أدرك أن الشتاء سوف يأتى مبكرا هذا العام ، ولفت نظره منظر السيدة صاحبة الغسيل ، وقد هرعت لتغطى غسيلها بمشمع من البلاستيك الزاهي ، وانتبه الى يد رفيقة وهي تتسلل وجلة لتمسك بيده فى حذر . . نظر اليها وابتسم فى شرود ، تساءلت الى أين وصلت ؟

ـ الى الاسكندرية .

ـ لماذا ؟

- تذكرت أيامى البحرية منذ سنتين . . هل تتذكرين يا هند ؟

- هزّت رأسها بالايجاب .

كنت وأنا فى المركب أفكر فيك ، كنت أشتاق اليك كثيرا .

- وانا كنت أكتب لك كل يوم تقريبا . . هل تتذكر ذلك ؟

- هز رأسه موافقا وقال بأسى متسائلا ؟

- يا ترى هل ستستمر هذه العادة بعد السفر ؟

- طبعا . . قالتها بنبرة واثقة .

ومدت له يدها بكوب العصير ، فتناوله ورشف منه رشفة صغيرة ، ثم نحاه جانبا .

وتوقفت الموسيقا الخفيفة مرة واحدة عن العزف ، وساد صمت قلق ، حبس أنفاسه وأرهف سمعه ، فتناهى اليه بعد لحظات صوت المذيعة المألوف : « نستمع الأن الى النزوات الاسبانية من أعمال ريمسكى كورساكوف » يعزفها لنا أوركسترا فيينا الفيلهارموني ، بقيادة هربرت فون كارايان .

وعاد الصمت من جديد ، ثم تدفقت الموسيقا المرحة بحيوية ، ابتسم . . وابتسمت هى لابتسامته ، وأشرقت الشمس مرة أخرى . . ولمح الاوزة فى تلك اللحظة وهى تقفز فارشة جناحيها ، ثم أبصر من النافذة المواجهة السيدة صاحبة الغسيل وهى ترفع المشمع .

- هل تسمحين لى بهذه الرقصة ؟

- « أفيك بليزير* » ومدت يدها برشاقة ، فتناولها فى كفه ، ثم مال عليها ولثمها بحنو . . قالت بدلال : ما اسم هذه الرقصة ؟

قال وقد عاودته الكآبة : رقصة الوداع . . ثم ترك يدها تسقط فوق المنضدة .

لاحظ نظرة الحزن التى غشيت وجهها ، فحول وجهه نحو النافذة ليتحاشاها . قال لنفسه انه ينبغى عليه الان أن يكف عن مواصلة خداعه لنفسه . . لقد كان يعلم تماما أن تلك اللحظة الحرجة سوف تأتى ان عاجلا أو آجلا ، منذ أن تم عقد قرانها فى العام الماضى ، على ذلك القريب الثرى الذى يعمل فى بلاد بعيدة . . لم يكن يملك وقتها فرصة أن يعرض نفسه عليها بديلا . . وهل كانت سترضى بالحياة معه بمرتبه الضئيل . . وبالحجرة الوحيدة فوق السطح . . وهل كان أهلها سيقبلون ؟ لم يقبل وقتها أن يهين نفسه الى هذا الحد بتعريضها لهذا الاختبار القاسى .

لماذا اذن استمر على علاقته بها ؟ لماذا واصلا معا خداعهما لنفسيهما ؟ لقد كان يحلم دائما بمجىء هذه اللحظة ، ويتصورها والألم يسحقه ، لكنه كان يتناساها حتى تغيب عن باله فى غمرة فرحه بلقائها . . كان كالمحكوم عليه بالاعدام . . يدرك حتمية موته ، لكنه لطول فترة التأجيل ، ينتابه الهلع والجنون لحظة صدور قرار التنفيذ .

وأحس فى تلك اللحظة بأن عينيه سوف تخذلانه وتفضحانه وتفصحان عن ضعفه ، جال ببصره عبر الأرض الفضاء ، ثم توقف عند سور المدرسة . . . ولا يدرى ما الذى ذكّره حينئذ بأيام صباه فى المدرسة الابتدائية ، حينما كان المدرسون يضطهدونه دائما ، ويرغمونه على الجلوس فى آخر الصف . . بينما يدللون أولاد « البهوات » الذين يحضرون دائما فى « مجلس الآباء » .

كان هؤلاء الأولاد بثيابهم الأنيقة ، وحقائبهم الجلدية الغالية يثيرون حقده . . وكان يعزى نفسه غالبا بأنه أذكى منهم ، لكنه كان يكتشف فى نهاية العام أنهم قد حصلوا أيضا على أفضل الدرجات ، وأتى هو كالعادة فى ذيل القائمة .

وابتسم ساخرا من نفسه فى مرارة ، والتفت ينظر اليها ، فلمح دموعها تنساب على خدها فى صمت . . اعتصر الحزن قلبه ، ومد يده فى جيبه لاشعوريا ، وتناول منديله وراح يمسح دموعها . . وقال وهو يربت على خدها بأبوة : لقد لاحظت شيئا مدهشا منذ فترة قريبة .

نظرت اليه مستفهمة قال :

لاحظت أن الأغنياء يأخذون دائما الأشياء الجميلة والمتميزة بفلوسهم ، وهذا شىء مفهوم ، لكن عندما يعجزون عن شرائها فإنهم ينتزعونها بأية وسيلة ، والمدهش هو أن الناس « الغلابة » هم الذين

* تعنى « بكامل السرور » بالفرنسية .

يعرضون عليهم بضاعتهم ويتملقونها لهم ، لأنهم يعرفون بأنهم يملكون الثمن . . ! لمح نظرة عتاب صريحة في عينيها . قال بنبرة مستفزة : كان من الممكن أن أتزوجك .

- لماذا . . ؟ لكنك لم تحاول .

- لأنني أحترم نفسي !

- برغم أنك تعرف حقيقة شعوري . . ؟

وما هي أهمية المشاعر في صفقات الزواج ؟

- انت قاس جدا .

- أبدا . . أنا واقعي .

غطت وجهها بكفيها مرة أخرى ، وراحت تنهنه في صمت .

أخذ ينظر الى صفحة السماء التي بدأت تغيم وتعتم تدريجيا ، مع انسحاب الشمس وأفولها ، ولمح الرذاذ الناعم يعاود السقوط ، ثم لم يلبث أن أبصر السيدة تخرج مكفهرة ضائقة ، لتمد يدها الى الخارج تتلمس المطر ، ثم تنظر الى السماء بلا مبالاة وتنسحب الى الداخل .

واخترق سمعه لحظتئذ صوت أذان المغرب ، يأتي من ميكروفون أحد المساجد القريبة ، فتذكر فجأة وجه أبيه المتغضن الوقور ، وقد بدا له من خلف زجاج نافذة القطار ، كان يقف في المحطة لوداعه ، لما جاء لزيارته في المرة الأخيرة أوائل العام الماضي .

كان زجاج النافذة التي جلس أبوه خلفها مغلقا « بالرتاج » ، ولم يفلح الأب برغم محاولاته اليائسة في فتحه ، فألصق وجهه بالزجاج البارد ، وراح يحدثه ، أخذ يراقب شفتيه دون أن يسمعه وسط ضجيج المحطة ، ولمح عيني أبيه الكليلتين تغرورقان ، والأسى يغمرهما ، بينما القطار يغادر الرصيف ببطء ، وهتف به هاتف خفي في تلك اللحظة بأنه لن يرى أباه بعد الآن . لوح له بيده في تخاذل ، وتمتم « مع السلامة » ، ثم عاد يجر قدميه منقبض الصدر .

أضاء الرجل العجوز « النجفة » الكبيرة التي تتوسط الصالة ، فتوهج المكان . . وبدأ بعض الرواد يقبلون ، قال لنفسه انه ينبغي أن يقوم الآن ، فلا معنى لاستمرار هذا الموقف ، صفق بيديه « للخواجة » فرفعت وجهها لحظتئذ وقالت متسائلة : ستغادر المكان ؟

- أوما برأسه .

ودفع الحساب للرجل الذي ابتسم لها مودعا . . وخرج في اثرها . . توقفا بالقرب من محطة الأتوبيس . . وأحس بغتة بيدها تتعلق بمرفقه وتتشبث به بعصبية ، ثم سمعها تهتف به :

- لو طلبت مني عدم السفر . . فلنني لا أسافر !

هز رأسه في اباء ، ونزع يدها من يده ، واستوقف « تاكسيا » كان يُنزل راكبا ، ودفعها برفق لتركب ، ثم أغلق الباب وراءها .

قالت وهي تطل من نافذة السيارة : ألا تأتي معي ؟

أجاب باقتضاب :

- لا ليس طريقي . . !

ثم لوّح لها وهي تمضي ، وسار مطاطيء الرأس ، وهو يصفر بشفتيه حزينا ، ونظر الى السماء التي اكفهرت وصارت في لون الرصاص ، ثم شقها فجأة برق عاصف ، بعد أن كف الرذاذ وانقطع . . وأحس احساسا لا يخيب . . بأنها سوف تمطر الآن بغزارة □

« ادعوني استجب لكم »

اللهم انا نسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا والآخرة . .

اللهم انا نعوذ بك من شر ما نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه .

اللهم انا نسألك ان ترد الناس الى الحق والعدل ، وان تصون بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء . .

انت حسبنا ونعم الوكيل . . ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

حكايات شرق وغرب

« كوري » .. ووعاء الأرز ! »

قال لها أعداؤها : « ولكنك امرأة بلا خبرة ! وقالت الأرملة التي نزعت ثياب الحداد ، ومسحت دموعها ، ووقفت تتحدى الرجل الذي كان يحكم بلاده بالحديد والنار : « لا بد أنكم تعلمون أن « الخبرة » ليست هي الحل الذي نبحث عنه لوضع حد للمشاكل التي نعاني منها .. إن الرجل الذي نتحداه اليوم يتمتع بكل « الخبرة » التي يتطلع اليها كل شعب ويأمل أن يجدها في الزعيم الذي يختاره ليجلس على كرسي الحكم .. ومع هذا انظروا ماذا حدث لبلادنا ! ! » .



وقالت هي لأصدقائها ومؤيديها قبل شهور من النصر الذي حققته : « إن التحدى الحقيقى الذي يواجه المعارضة ، يكمن في العثور على مرشح لمنصب الرئاسة لايكون استمرارا لحكم الدكتاتور ماركوس !

وقد كانت هي ذلك المرشح ، إنها السيدة كورازون أكينو أوكورى كما يسمونها ، رئيسة الفلبين الجديدة .. صحيح انها بقيت تعيش داخل جدران بيتها كزوجة وربة بيت وجدة لأكثر من حفيد ، بعيدا عن السياسة حتى عام ١٩٧٢ ، عندما أعلن ماركوس الذي حكم الفلبين لأكثر من عشرين عاما ، الأحكام العرفية ، التي استطاع في ظلها أن يعتقل زوجها نينوى ويلقي به فوق أرض السجون الرطبة العفنة مع اللصوص وقطاع الطرق .. وكان نينوى أقوى مرشح لانتخابات الرئاسة في عام ١٩٧٣ خلفا لماركوس ..

وبقي الرجل في السجن سبعة أعوام وثمانية أشهر ، كانت زوجته خلالها هي حلقة الاتصال الوحيدة بينه وبين العالم الخارجي ، فكانت تلتقي بالصحفيين ، وتقوم بتهريب رسائله الى أعوانه ، وأهم من هذا كله ترعى الأسرة الكبيرة التي عاشت لها .

وعندما أطلق ماركوس سراح زعيم المعارضة في عام ١٩٨٠ وسمح له بالسفر الى خارج البلاد ، قصد الى الولايات المتحدة لاجراء عملية جراحية في القلب ، ثم مالبثت زوجته أن لحقت به هي وأولادها الخمسة ، أربع بنات وولد واحد . وحصل « نينوى » على منحة دراسية في مركز الدراسات الدولية بجامعة هارفارد .. وكانت هذه هي أسعد سنوات حياة الزوجة التي أحست لأول مرة بزوجها قريبا منها ،

ومن بيته وأولاده الذين حرم منهم في غمرة معاركه السياسية من أجل الاصلاح في بلاده .

حصل نينوى على درجة الزمالة ، وبدأ يستعد للعودة الى الفلبين لمواصلة كفاحه ، وسبقته زوجته وأطفاله ، ولم يكن يدري أن ماركوس ورجاله كانوا في انتظار هذه اللحظة . فما كاد يهبط من الطائرة التي أقلته الى مانيلا عاصمة الفلبين ، حتى انطلقت رصاصتان لتضع نهاية لحياة هذا الرجل المكافح فوق أرض المطار في اليوم الحادي والعشرين من شهر اغسطس عام ١٩٨٣ .

في هذا اليوم ولدت كوارزون من جديد . . فقد صممت الأرملة الجدة أن تستمر في الكفاح الذي بدأه زوجها الراحل ، وعندما خلعت ملابس الحداد ، وراحت تجفف دموعها ، كانت قد قطعت شوطا بعيدا في صراعها ضد ماركوس .

قالت : « أنا لا أزعم أنني في قوة أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند التي أنهى العنف حياتها ، ولا مسز باندرانيكة ، ولكنني على استعداد لأن أتعلم ! » وكان أول درس تعلمته « ربة البيت » هو ألا تكتفي بأن تملأ الوعاء بالأرز لأبنائها هي فقط ، ولكن لكل ابناء الفلبين ! »

« جالا » . . و « سلفادور » وقصة حب كبير !



سلفادور دالي أمس واليوم . . و« جالا » ملهمته في شبابه وشيخوخته .

زوجته الحبيبة رحلت . . لقد كانت صديقته وملهمته وسلواه ، في كل مرة جلس فيها أمام لوحاته ، وأحس بالوحدة أو الضياع بين خطوطها المتشابكة . ! ولذلك فقد ترك رحيلها في قلبه العجوز جرحا لا يندمل . !

انه الفنان السيريالي سلفادور دالي الذي جاوز الثمانين ، لقد خرج أخيرا من العزلة التي اختار أن يعيش فيها وحده مع الذكريات مدة خمس سنوات متصلة ، بعد أن أمضى عامين مع دموعه في الظلام .

وفي مدينة فيجوراس باسبانيا ، قرر أعظم الفنانين الأحياء في القرن العشرين ، أن يخرج عن صمته الحزين ويتكلم . ولكنه كان كلاما قصيرا ، اختلط فيه الأمر عليه ، فهو لايدرى من أين يبدأ . . هل يعود الى « جالا » زوجته وحبيبته . . أم يتحدث عن ماضيه الذي حفل بالأحداث التي صنعت منه فنان اسبانيا الأول . . أم يعيش حاضره ويتحدث عن آلامه في شيخوخته . . ؟

لقد كاد سلفادور أن يحترق مع النار التي شبت أثناء نومه في القصر الصغير الذي كانت تمتلكه « جالا » حبيبته في ضواحي مدينة فيجوراس ، وتمنى يومها لو أن اصاباته كانت من القسوة بحيث لم تعطه فرصة للافلات من الموت !

ولكن يبدو أن سلفادور عاد يعيش حياته من جديد : ويقول لمن حوله في أول حديث له بعد المحنة التي عاشها قريبا من الموت : « لا . . لن أموت الآن . . لأنني أريد أن أتحدى هؤلاء الذين طالما وقفوا يتحدونني ، أو يحملون عليّ في أغلب الأحيان » .

ثم يقول وهو يشير الى احدى لوحاته : « ان الفرق

بين المتشكك المرتاب المجنون وبيني ، وهو أنني لست مجنونا ! »

كيف يعيش سلفادور دالي اليوم ؟

انه يمضي معظم ساعات نهاره وكل ليله بين فراشه وبين المقعد الوثير الذي يتوسط غرفة نومه في قصره الذي يحمل اسم زوجته « جالا » بمدينة فيجوراس .. المدينة التي ولد فيها وعاش طفولته وصباه بين أحضانها .. وهو يشعر بالضيق أحيانا عندما يتذكر يده اليمنى ، فينظر اليها وهي ترتجف . يقول الأطباء الذين يشرفون على علاجه ، والذين كانوا قريبين منه عندما احترقت ساقه وهو نائم والنيران من حوله تلتهم كل شيء .. يقولون ان سلفادور يستطيع أن يمشي ويتحرك وينزل الى حديقة البيت اذا شاء ، ولكنه عازف عن أن يفعل شيئا من هذا ، حتى الطعام الذي يقدم له من النادر أن يقربه ، فهو قد فقد شهيته ، ولا يريد أن يأكل ، وكان لابد أن يفعلوا شيئا لايصال الغذاء الى معدته ، فوضعوا انبوبا في أنفه وعن طريق هذا الأنبوب يتغذى سلفادور ، فلم تكن ساقه هي التي احترقت .. ولكنه قلبه الرقيق .

يعود فيقول وكأنه يقرأ مايدور في أذهان أصدقائه وزائريه : « إياكم أن تتصوروا أنني فقدت شهيتي للرسم .. فأنا مازلت فنانا ، ومازلت أتمتع بذاكرة قوية ، كل ما في الأمر أنني لاأريد أن يراني هؤلاء الذين أحبهم والذين عرفوني أيام شبابي الذي أحرقته السنون . ! »

لقد كان ظهور سلفادور الفاجىء عجزا مثل أي شيء آخر من حياته .. حتى لوحاته في كثير من الأحيان . وربما كان هذا هو السبب الذي دفعه الى التخلص من كل من كان يعمل في خدمته عندما كانت « جالا » قريبة منه !

هل يعود الى فرشاته ؟

يقول دالي : « نعم .. وسوف ترون قريبا لوحات جديدة ، ولكنها ستكون في هذه المرة مليئة بالحياة التي أحببتها من أجل « جالا » فهي مازالت تعيش معي في كل ركن من هذا القصر الذي أصبح خاويا بعد رحيلها ! »

.. والتقيا بعد خمسين عاما !

أحبته وهي لاتعرف بأي لغة تنقل اليه مشاعرها .. وأحبها كما لم يحب رجل امرأة من قبل .. كانت هي في السابعة عشرة من عمرها ، فتاة يابانية جميلة اسمها ساتيا كيميتو ، وهو طالب من أبناء الصين يدعى وانج بنجباي ، وكان أكبر منها بعام واحد ..

وكان لقاؤهما لأول مرة في بكين في عام ١٩٣٦ عشية الغزو الياباني للاراضي الصينية .. وافترقا ، فقد كان لابد أن تعود ساتيا الى بلادها في اليابان ، بعد ان اندلعت الحرب بين البلدين .. عادت ساتيا وقلبها مازال يخفق بحب هذا الشاب الذي شاءت الأقدار أن تفرق بينها وبينه !

ومضى على هذه المغامرة العاطفية البريئة أكثر من نصف قرن من الزمان .. ومنذ بضعة أسابيع مضت كانت ساتيا تقوم بزيارة للصين ، ودفعها حب الاستطلاع الى البحث عن صديقها القديم الذي ظلت تحمل صورته في قلبها وفي حقيبة يدها الصغيرة طوال هذه الأعوام .. وراحت تبحث في السجلات الرسمية ، وكانت المفاجأة التي لم تكن تتوقعها .. لقد عثرت على اسمه ، وعرفت عنوانه ، فأسرعت تستقل أول طائرة أقلتها الى مدينة شنغهاي حيث يقيم وانج .. !

وعرفها على الفور .. وكان لقاء حارا بين الحبيبين ، ولم تكد تنقضي بضعة أيام حتى كان الصديقان يحتفلان بزواجهما ، وفي ضاحية صغيرة في مدينة شنغهاي ، أقاما عش زواجهما السعيد .. وبعد أيام كانت العروس تقف لتطفىء سبعا وستين شمعة في أول عيد ميلاد تحتفل به ، وهي زوجة للشاب الذي ظلت تعيش مع صورته خمسين عاما !! □

قاموس العربي

ط

طبقة

مفهوم اجتماعي واقتصادى وسياسى ، يدل على تصنيف تنقسم بموجبه الفئات الاجتماعية الى مجموعات داخل البنيان الاجتماعى ، وأساس التقسيم قائم على الوضع الاقتصادى ، وامتلاك هذه المجموعات لأدوات الانتاج الاجتماعى بشكل عام .

وتتكون هذه المجموعات بطريقة طبيعية دون اصطناع أو اجبار ، وهى من حيث الناحية القانونية مفتوحة على المجموعة الاجتماعية الأخرى ، ولكنها تكاد أن تكون مغلقة على نفسها من الناحية الفعلية .

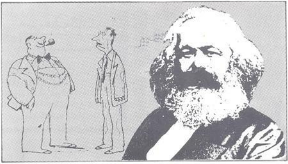
والطبقات الاجتماعية - وفق أساس التمايز الاقتصادى - تعنى عدم التجانس وعدم المساواة بين قوى المجتمع في الدور الاجتماعى والملكية ، ومدى التحكم في أدوات الانتاج .

وتنتج الطبقة الاجتماعية - نتيجة التفاوت واللامساواة في الوضع الاجتماعى - تفاوتا آخر في الثروة ومستوى التعليم والمهن والسلطة والدور الاجتماعى ، أى أن التفاوت الوضعى الطبقى يظل لعنة أو نعمة تورث للأجيال المتعاقبة .

ومن هنا فقد حرصت كل القوانين والدساتير الحديثة على النص على أن المواطنين جميعا متساوون أمام القانون . . ورغم هذا الالغاء للتمايز الطبقى التاريخى الموروث ، فإن تحديد الطبقات في العصر الحديث يخضع الى اعتبارات اقتصادية وسياسية واجتماعية ، وظلت هذه الاعتبارات مثار خلاف دائم بين علماء علم الاجتماع ، والذين انقسموا حول وجود الطبقات وتحديدها وماهيتها ، الا أننا يمكن أن نرصد تيارين أساسيين لدى علماء الاجتماع المعاصرين ، فهناك تيار يقول إنه لاتوجد طبقات اجتماعية ، وليس هناك بالتالى صراع طبقى ، ولكن هناك « حراك اجتماعى » أى قدرة الفرد على الانتقال من مكانة اجتماعية اقتصادية الى مكانة أخرى . . ويرتبط هذا التغير بتغير آخر في الدّور الاجتماعى والوضع الاجتماعى للفرد ، وهناك تيار آخر يؤكد وجود الطبقات والصراع بينها .

الا أن التيارين يتفقان على أن هناك تمايزا اجتماعيا بين القوى الاجتماعية المختلفة ، وأن هذا التمايز يجعل من المجموعات الاجتماعية مجموعات شبه منظمة على المستويات المختلفة ، سواء على المستوى الاجتماعى (الأندية) أو المستوى الاقتصادى (الاتحادات . . .) أو على المستوى السياسى (الأحزاب) . .

وبهذا الاتفاق على المعنى بين أصحاب التيارين ، فإنه يتضح أن المنكرين لوجود الطبقات انما ينكرون وصولا الى نفى الصراع الاجتماعى . وهم بذلك يكونون قد استبدلوا الصراع الاجتماعى بالحراك الاجتماعى . . أى امكانية أن ينتقل الفرد من مكانة



اجتماعية الى أخرى بشكل طبيعي وسلمي ، شريطة أن يسلك السبل التى تؤهله الى هذه الحركة .

وتاريخيا تعود الجذور الفكرية لكل الأحزاب السياسية في أوروبا الى وعي الطبقات بدورها التاريخى ، وعدم رضاها عن دورها في السيطرة على البناء الاقتصادى ، الذى تشعر أنها ضحيته ، وبالتالى تكوّن تنظيمات سياسية لتعكس موقفها الاقتصادى وتطالب لها بحقوقها .

وتتضمن كل طبقة عدة فئات ومستويات ، تختلف اختلافات ثانوية عن بعضها البعض ، ولكنها تشترك جميعا في السمات العامة للطبقة التى تنتمى اليها .

ويعد كارل ماركس وماكس فيبر من أبرز الذين أسهموا في الكتابة حول الطبقات الاجتماعية ، وتعود لماكس فيبر فكرة التميز والتمايز التى عبر عنها « بالوضع الطبقى » وفكرته أن المجتمع ثلاثة أنواع من الدرجات : هى السلم الاقتصادى ، والسلم الاجتماعى ، والسلم السياسى . فتتحدد الطبقة من خلال الوضع الاقتصادى ، والوجاهة من خلال الوضع الاجتماعى ، والحزب من خلال الوضع السياسى . . وأن هذه المراتب ليست مرتبطة ولاحتمية التوازى ، فقد يكون هناك شخص ما يتمتع بالوجاهة الاجتماعية كميراث اجتماعى ، ولكنه لايتمتع بالوضع الاقتصادى المتميز والعكس صحيح . . وهكذا . . تعددت التحليلات والتفسيرات « للطبقة »وتوظف المفهوم بشكل سياسى اجتماعى . . للتعبير والدلالة عن مجموعة اجتماعية تتميز بوضع اجتماعى ، نتيجة تمتعها بملكية أكبر قدر من أدوات الانتاج الاجتماعية ، وتمتعها بنسبة أكبر من عائد الدخل ، الأمر الذى يتيح لها قدراً من المشاركة في التمثيل السياسى وسلطة الحكم . □

قال حكيم :

« كن حذراً من الكريم ان أهنته ، ومن اللئيم إن أكرمته ، ومن العاقل إن أحرجته ، ومن الأحمق إن مازحته » .

من ملوثات البيئة

الغبار الطائر*

اعداد : دكتور رياض العلمي

الغبار الطائر هو مجموعة من المواد الترابية والرملية دقيقة للغاية قابلة للتعلق في الهواء . ترفعها من موقعها الأصلي التيارات الهوائية ، ثم تتساقط بالتدريج بفعل قوة الجاذبية ، عندما يهدأ الجو ، ويبدأ الترسب . وتتمكن الرياح من حمل كميات هائلة من الغبار من مكان الى آخر فوق الكرة الارضية .

يلعب الغبار دورا بارزا في تكوين الغيوم وهطول الامطار من الجو . وفي عام ١٨٧٥ تمكن العالم « كوليير » من اكتشاف أن تكثف بخار الماء في الهواء يحدث عند وجود ذرات صغيرة ، تتجمع حولها ذرات الماء ، وليس بالضرورة أن تكون تلك الذرات من النوع الصلب ، إذ أن بعضها قد يكون من السوائل ، كحمض النيتريك أو حمض الكبريتيك أو ذرات من الغازات المختلفة - وقد تمكن العالم « جانج » في عام ١٩٣٥ من اثبات أنه يلزم حوالي ٣٠٠ - ٥٠٠ نواة في كل سنتيمتر مكعب من الهواء حتى تتكون الغيوم .

مصادر الغبار

ان المصادر الأساسية والرئيسية للغبار في الجو عديدة ، مثل تطاير التربة ، او رذاذ المحيطات ، أو آثار البراكين ، أو حرائق الغابات ، أو حالات الاحتراق المنزلية ، أو الصناعية ، وكذلك غازات

* الغبار الطائر يسمى « طوز » في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ويسمى رياح الخماسين او الهبوب في مناطق عربية اخرى .

عادم السيارات ، والنيازك المتساقطة من أعالي الجو على سطح الأرض وغير ذلك . كما أن الغبار العضوى الناتج من النباتات أو البكتريا ، أو حبيبات اللقاح ، ما هو الا أجزاء بسيطة من الغبار الجوى . فان التيارات الهوائية والعواصف الجوية هي المسؤولة عن توزيع الغبار وذراته عموديا وافقيا الى مسافات بعيدة جدا عن مصدرها الاصلى .

وقد قدر العلماء أن الرذاذ المحيطي يأتي بحوالي الفي مليون طن من الغبار الملحي الى الهواء . وأن التكوين الكيميائي لهذه المادة المالحة المتبقية في الهواء بعد تبخر الماء ، هو ملح كلوريد الصوديوم ، وكلوريد الكالسيوم ، وبروصور البوتاسيوم ، وكلوريد الماغنيسيوم .

أما في المناطق المأهولة ، فتعتبر عوامل الحريق والانفجار ثاني أهم مصدر للغبار ، بما في ذلك الانفجارات الذرية . ان البقايا من الاحتراقات النووية تنتقل مع الهواء الى جميع أنحاء الأرض . وأحيانا تسبب الانفجارات البركانية كميات هائلة من الغبار تدفعها الى الجو . ان انفجار بركان « كارا كتان » الواقع بين سومطرة وجاوا الذى حصل في ٢٦ و ٢٧ أغسطس من عام ١٨٨٣ ، قد قذف الى الجو بحوالى ٤ أميال مكعبة من التراب ، بقى بعضها معلقا في الهواء مدة ثلاث سنوات متتالية .

ان العواصف الرملية الصحراوية التى تحدث أثناء فصل الجفاف ، وخاصة في المناطق التى لا توجد بها نباتات ، تحمل آلافا من الأطنان من الغبار الى الهواء ، إلى مسافات بعيدة قد تصل الى ٢٠٠٠ ميل بعيدة عن المصدر الأصلي . ومثال ذلك العاصفة الرملية الضخمة التى حصلت في ١٢ و ١٣ نوفمبر عام ١٩٣٣ ، والتي بدأت من الولايات المنبسطة في أمريكا ، والتي سببت تكوين الثلوج في ولايات نيو انجلاند (شمال شرقي الولايات المتحدة) حيث سقط من الغبار حوالى ٢٥ طناً على كل ميل مربع من الأرض . كذلك فان غبار « الصحارى » الافريقية تمكن من الوصول إلى جو سوريا (في آسيا) . كما لوحظ أن كميات من الغبار في أعالي جبال الألب الأوروبية ، كان مصدرها الأصلي من العواصف الرملية في شمال افريقيا ، وقد سببت تكوين الثلوج هناك باللون الأصفر الضارب إلى الحمرة ، بالاضافة الى نزول الأمطار الدموية (الحمراء اللون) .

غبار النيازك

وبعض الغبار ينجم عن النيازك المتساقطة من أعالي الجو ، الى جو الكرة الأرضية . ويقال ان بعض الغبار المغناطيسي الذى لاحظه بعض العلماء يعود الى هبوب عاصفة رملية في ١٣ يناير ١٨٥٣ في ولاية ساكسوني . وفي عام ١٨٨٣ صرح العالمان موري وريناود أنهما وجدا غبارا ممغنطا في الترسبات الموجودة في قاع البحر . وأن لون ذرات الغبار ذات قطر يتراوح من ٠٫٠٢ الى ٠٫١ مليمتر ، سواء كانت بنية أو سوداء اللون .

ان عمر الغبار المتراكم يتراوح من عدة مئات من السنين ، إلى عدة آلاف من السنين ، وان كمية غبار النيازك الذي يتساقط على سطح الكرة الأرضية ما زال موقع جدال ، اذ يعتقد البعض أنه يتراوح من ١٢٥ طناً سنويا ، الى ٨٠٠ طن سنويا لكل يوم من الأيام ، أى بحدود ٢٩٢ ألف طن سنويا . وقد نشر العالم « هودج » عام ١٩٥٦ أنه يعتقد أن كمية الغبار قد وصلت الى حوالى مليون طن سنويا .

يوجد الغبار في الجو بكميات هائلة . ويقدر أنه في عام ١٩٧٠ قد رسب فوق أرض الولايات المتحدة الامريكية حوالى ٤٣ مليون طن . منها حوالى ٣١ مليوناً من أصل طبيعي ، ومليون طن من حبيبات اللقاح . أما الباقي ومقداره حوالى ١٢ مليون طن فان مصادره من الانسان .

وقد أجريت قياسات عديدة لكمية الغبار المتساقط فوق الولايات المتحدة . وبالنسبة لكل ميل مربع شهريا ، وتبين أن ذلك يتراوح من ٣٣ طناً الى ٢٠٠ طن ، من مدينة الى أخرى .

من أسوأ كوارث الطقس (عاصفة Smog) وقد حدثت في ديسمبر من عام ١٩٥٢ بمدينة لندن ، عندما توفى حوالي ٤٠٠٠ شخص نتيجة تعرضهم لنسبة عالية من التلوث ، وصلت الى ٤ ملغرامات لكل متر مكعب ، هذا يعنى حوالى عشرة أضعاف الكمية الموجودة عادة في المناطق الكثيرة التلوث . ان عمليات الاحتراق الصناعي ، وعمليات الانصهار

والتعدين والبناء ، ورصف الطرق ، وحركة السير والمحارق ، هي أسوأ المصادر للغبار .

أما في داخل المنازل وبين النباتات ، فان نسبة تركيز الغبار تكون عادة أعلى من تركيزه في الهواء الطلق ، ويعتمد ذلك الى حد بعيد على مدى التهوية . وفي العادة يحتوي جو الغرفة ما بين ٥٠,٠٠٠ الى ١٠٠,٠٠٠ نواة تكثيفية لكل سنتمتر مكعب . ومن الناحية الصحية فان عدد الجراثيم داخل المنازل تتناسب طرديا مع عدد ذرات الغبار . أي كلما زاد الغبار زادت الجراثيم .

ومنذ حوالي منتصف الخمسينيات ، تطورت مشكلة تلوث الجو بالغبار المشع ، الناتج عن الانفجارات النووية (الذرية) ، اذ باتت مشكلة ذات اهمية بالغة . فان المواد المشعة الطبيعية تكون بنسب ضئيلة في الجو ، مثال ذلك كربون (١٤) وبوتاسيوم (٤٠) . ولكن سنة واحدة بعد انفجار القنبلة الهيدروجينية في جزر مارشال ، كان غبار سترنيتوم (٩٠) الناتج عن هذه الانفجارات ، قد أدى الى تلوث جو الولايات المتحدة نفسها .

الغبار والصناعة والصحة

يعتبر الغبار من أهم المشاكل التي يواجهها كثير من الصناعات . فان الغبار قد يؤثر على الآلات والأجهزة ، بالاضافة الى تهديده لصحة الانسان . ومن أسوأ وأخطر الحوادث التي تحصل ، هي الانفجارات الناجمة عن التعدين ، وفي المناجم خاصة نتيجة لانفجار غاز الميثان (Methane) . وتحدث هذه الانفجارات عادة نتيجة لشرارة كهربائية ، تتولد في المنجم من الأسلاك أو غير ذلك . أما بالنسبة لصحة العاملين في المناجم ، فانها دائما مهددة ، نظرا للكثافة الكبيرة لذرات الرمال والغبار التي يمكن أن تكون : -

(١) سامة وتسبب التسمم لدى الانسان
(٢) غبار يسبب الأمراض وخاصة في المسالك التنفسية .
(٣) غبار يسبب التليف في الرئتين والقصبات الهوائية .

أما الغبار السام فيشمل الرصاص والزرنيخ . وأما الغبار الذي يسبب أمراض الرئتين نذكر منه الاسبستوس .

ويعتبر أخطر ما يمكن حدوثه للانسان هو استنشاق مادة السيليكا في المناجم والمحاجر ومعامل الخزف . كما أن بعض الأمراض تنتج عن مواد سيليكية أخرى ، مثال ذلك سيليكات الألمونيوم ، وكذلك سيليكات الماغنيسيوم (التلك) .

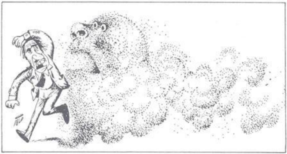
ان أخطر شيء على الصحة هو ذرات الغبار ، كلما تناهت بالصغر ، والتي قد يكون قطرها حوالي ٥ ميكرون أو اقل ، كما أن هذا الخطر يزداد كلما زاد الوقت الذي يتعرض له الانسان لاستنشاق هذه الذرات . وان الخطر الحاد قد يحدث اذا ما وصلت كثافة ذرات الرمال في الهواء الملوث بحدود ٥ ملايين ذرة من السيليكا لكل قدم مكعب من الهواء .
ان أكثر من ٢٥ ٪ من هذه الذرات تبقى داخل الرئتين والقصبة الهوائية بعد استنشاقها .

ولذلك يجب استعمال الاقنعة ووسائل التهوية الجيدة في المصانع ، وكذلك استعمال المكانس الكهربائية والمراوح للتخفيف من كثافة الغبار ، لأن ذلك يخفف من ضررها . كما أن ترطيب الهواء بالماء يقلل من نسبة كثافة الرمال في الجو ، وبالتالي يخفف من ضررها ، كما يجب على العمال ارتداء الأقنعة على أنوفهم وأفواههم للتخفيف من نسبة الاستنشاق .
والجدول التالي يبين النسب المسموح بها في الصناعة :

	ملغرام لكل لتر
أكسيد الحديد	٠,٠١٥
أكسيد الزنك	٠,٠١٥
الزرنيخ	٠,٠٠٠٥
الرصاص	٠,٠٠٠١٥
اليورانيوم	٠,٠٠٠٠٥

الرمال العاصفة

يقصد بالعواصف الرملية حدوث موجات من الغبار والرمل ترتفع عن الأرض الى الهواء ، ويشمل ذلك العواصف الرملية ، الرمال المتطايرة ، الرمال



المندفعة ، والتيارات الرملية والغبار المتطاير وغير ذلك . وتكثر هذه في الأراضي الصحراوية الجافة .

وقد درس علماء الأرصاد والجو حدوث عواصف الغبار بالنسبة للمظهر والشدة والتوزيع في مختلف المناطق والفصول والأوقات ، وغير ذلك من العوامل . وان أهم الملاحظات بهذا الخصوص كان قد أبداها الرائد « باجنولد » في الصحراء الكبرى بالنسبة لطبيعة الرمال العاصفة .

وقد أجرى عليها فحوصات مخبرية عديدة ، وقد تبين انه في الجو غير المستقر يتكاثر الغبار والرمال الناعمة بسرعة الى أعلى ، قد تصل الى علو ١٥٠٠٠ ق م .

وقد تبين أن هناك أسبابا أساسية لحدوث العواصف الرملية :

(١) رياح سرعتها على الأرض حوالى ١٥ ـ ٣٠ ميلاً في الساعة ، ويعتمد ذلك الى حد بعيد على شكل وحجم ورطوبة وحرارة الرمال ووزنها النوعي ، بالاضافة الى ذلك فان العواصف وعدم استقرار الأجواء السفلية ، تساعد على رفع الغبار الى أعلى .

(٢) يجب أن تكون ذرات الرمال من أحجام صغيرة ، وتتمكن من الارتفاع في الجو ، وبالتالى للطيران ، وغير رطبة من الندى أو الأمطار ، لأن ذلك يمنع الرياح من رفعها .

هذا وان العواصف الرملية تقسم عادة الى الأنواع التالية :

(١) « الخماسين » في مصر (٢) أو « القبلة » في ليبيا ، هى أمثلة معروفة عن هذا النوع . وان الغبار المتطاير يحدث فوق مساحات شاسعة ، مرتبطا مع التيارات الهوائية المتاحة .

وان « الخماسين » تحدث عادة في الطقس الذى يميل الى البرودة ، أى فى نهاية فصل الشتاء والربيع ، كالذى يحصل فوق شمال افريقيا . وهناك عواصف رملية كثيرة مشابهة للخماسين ، تحصل في آسيا الصغرى وايران والاتحاد السوفيتى والهند والصين واستراليا والولايات المتحدة .

(٢) أما النوع الثانى فهو النوع المحل المصحوب بالعواصف الرعدية أو الغيوم ، مثال ذلك الهبوب في السودان .

وتنتمى الهبوب عادة الى الفصول الدافئة ، وخاصة في نهاية الربيع ، وأوائل الصيف . وتحدث هذه عادة في المناطق الرملية غير الخرطوم ، وخاصة في الهند وآسيا الصغرى واستراليا وغرب افريقيا .

ان العواصف الرملية لها نتائج عملية سيئة ، في منع الرؤية واتلاف الآلات والمواد ، واحداث الشحنات الكهربائية ، مع تعرية التربة ، وتساقط الغبار واحداث الأضرار بحياة الانسان ، وغير ذلك انها مشكلة من مشاكل التلوث يجب الاهتمام بها تماما . □

الجديد في العلم والطب

فيروس الزكام يراه العلماء لأول مرة

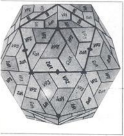
من المعروف أن الزكام أو الرشح العادى آفة فيروسية ، لابكتيرية .. وانها ، فى الغالب ، أكثر الآفات انتشارا فى العالم . ومن المعروف أيضا أن الطب مازال يفتقر الى علاج ناجع للرشح .. لاعجب اذن أن كانت الآفة وفيروسها وعلاجها موضع دراسة فى مراكز عديدة فى العالم . ولقد تسنى للعلماء الأمريكيين اكتشاف عدة فيروسات للآفة الواحدة .. وتبين لهم أنها كلها كروية الشكل ، وذات زغبر ، وذلك حسبما ظهرت لهم تحت الميكروسكوب .. ذلك هو مظهر الفيروسات .. فيروسات الزكام التى تسمى rhiroviruses أما جوهرها أو حقيقة بنيتها فقد بقى طى الغموض .. طوال السنوات الماضية وحتى العشرينيات من شهر سبتمبر الماضى (١٩٨٥) .

فقد نشرت مجلة ناتشر Nature تقريرا علميا مفصلا وضعه عدد كبير من العلماء .. بعضهم من جامعة بوردو Purdue وبعضهم من جامعة وسكونسن فى الولايات المتحدة .. ولم يكن محور ذلك التقرير سوى فيروس الرشح الذى أطلقوا عليه اسم HRVIY ، ولم يكن فحواه سوى تحديد بنية الفيروس بقدر من الدقة والتفصيل يبعث على العجب .. وهكذا بات من الممكن التوصل الى علاج ناجع للرشح فى مستقبل قريب .

وأول مايلفت النظر في بنية الفيروس (HRV IY) هو تعقيده الرائع .. فهو شبه كروى وذو أضلاع عشرين .. ويضم كل جانب من جوانبه ٣ مثلثات متساوية الزوايا .. وتحتوى كل زاوية على (٣) بروتينات على سطحها غير السوى وبروتينية واحدة تحت السطح .. وتوجد المادة الوراثية داخل هذا الغلاف شبه الكروى .

واكتشف العلماء ان البروتينات الثلاث السطحية تبدو تحت المجهر كقمم الجبال .. وثبت لهم أن هذه المعالم ليست في الحقية الا أنتيجنات تتجه اليها الأجسام المضادة وتلتصق بها حين تهاجم الفيروس .

واكتشفوا أيضا ماهو أغرب من الجبال والقمم .. اكتشفوا ما يشبه الوادى



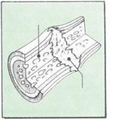
الضيق بين تلك الجبال .. وظهر لهم انه واد متعرج ، بما يلائم النتوءات أو المجسات التى توجد على سطح الخلايا الانسانية .. فالفيروس اذن يُطبق على هذه الخلايا بإحكام ، حيث تتداخل الالتواءات بالفجوات .. وذلك قبيل مهاجمته الخلية ..

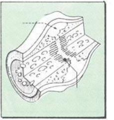
وهكذا أصبح فى الامكان التصدى للفيروس ، والحيلولة دون التصاقه بالخلية ، وذلك بواسطة جسم مضاد يمكن تصنيعه فى المختبر . حيث ينزلق الى « الوادى » الموجود فى الفيروس ويقطع عليه الطريق ، ويحول دون التداخل بينه وبين نتوءات الخلية ..

ولكن الأجسام المضادة كبيرة جدا نسبيا ، ويتعذر انسيابها فى الوادى .. لذا كان اتجاه العلماء الى ابتكار مستحضر خاص تطل به مجسات الخلية ، فيحول بينها وبين « وادى » الفيروس ، ويحول بالتالى بين هذا الفيروس وبين الخلية .

ولعل أهم ما تمخضت عنه جهود العلماء الأمريكيين تصوير بنية الفيروس على نحو ما ترى فى الصورة ، ولكن كيف أمكنهم هذا التصوير أصلا ؟

لجأوا الى جامعة كورنل ، واستعملوا الأشعة السينية ، التى تنفرد تلك الجامعة فى توليدها .. وذلك بتمرير رزمة من تلك الأشعة عبر عينات متبلورة من الفيروس (HRVIY) .. ثم رجعوا الى جهاز السوبر كمبيوتر الذى اشتهرت به جامعة بوردو (ويسمى CYber 205) فاستطاعوا الحصول بواسطته على الصورة الثلاثية الأبعاد لبنية الفيروس ، أضف الى ذلك انه استكمل من الحسابات النهائية فى شهر واحد ، ما يمكن استكماله فى أقل من عشر سنوات بدون الجهاز ..





أسلوب طبيعي حديث في تجبير العظام

من المعروف أن العظام تصاب بالوهن مع الشيخوخة ، وان كسورها تستغرق وقتا طويلا حتى تجبر . ومن المعروف أيضا أن الجراحين درجوا على اصلاح كسور العظام باحدى طريقتين .. فإما الرقع بعظمة تقتطع من عظم الفخذ .. واما الزراعة بمواد كيماوية نادرة وباهظة الثمن ...

والظاهر أن هذه الصورة القديمة ستتغير تغيرا جذريا عما قريب . فقد اكتشفت احدى الشركات الأمريكية في احدى المواد العضوية خصائص تبعث على الدهشة ، من هذه الخصائص أن المادة تعجل بالتحام العظام المكسورة .. ومنها ـ وهذا هو الاغرب ـ ان المادة تقي العظام من وهن الشيخوخة .

ونجحت الشركة في عزل المادة العضوية المذكورة . . وهي مادة بروتينية شبه هرمونية . . من شأنها ان تساعد خلايا الفيبروبلاست ، (وهي التي تصل بين أنسجة الجسم) على تكوين الغضاريف.وتوجد الخلايا هذه على سطح العظام . . . ومادامت المادة المكتشفة تقوم بهذه المهمة . . مهمة تكوين الغضاريف كان الاسم الذي اطلقوه عليها عامل تكوين الغضاريف اختصار (CIF).

نقول : نجحت الشركة في عزل المادة العجيبة . . لأن المادة موجودة أصلا في بنية عظام الانسان والحيوان . . ولكنها موجودة بمقادير ضئيلة لا تسمح باستعمالها لصالح البشرية على نطاق واسع . . وقد عمدت الشركة الى استخراج المادة - بعد ان تمكنت من عزلها - من مسحوق او رذاذ عظم الحيوان ثم اضافت اليه خليطا بروتينيا ملائما .

ولا يحتاج الجراح الى أكثر من ملء الموقع الذي توجد فيه العظمة المكسورة بالمسحوق وخليطه البروتيني . . ولا تلبث الخلايا السالفة الذكر ان تأخذ سبيلها الى العظمة المكسورة . . ثم لا تلبث ايضا ان تصبح منتجة للغضروف بتأثير الخليط البروتيني .

فهي لا تستغرق أكثر من أسبوعين لصنع الغضروف الذي يظهر فيها بين طرفي الكسر . . ولا يحتاج الغضروف أكثر من أسبوعين آخرين ليتصلب ويصبح عظما (او يتعظم) والجدير بالذكر ان هذا الاسلوب انما هو الأسلوب الذى تتحول فيه الغضاريف الى عظام في الأجنة .

وقد اجرت الشركة تجارب عديدة . . ولكنها اقتصرت كلها على الحيوان وستبدأ تجاربها على بني الانسان في هذا الفصل . . (ربيع سنة ١٩٨٦) ، وهي تسعى بالتعاون مع شركة أخرى كبيرة لانتاج مادة « السيف » على نطاق واسع وذلك بواسطة الهندسة البيولوجية . . وتسعى بالتعاون مع شركة ثانية كبيرة الى تطوير المادة بحيث تصبح بحجم الاسمنت الطبيعي . . او العضوي وذلك للعمل على تثبيت المفاصل والاطراف الصناعية في أماكنها تثبيتا عضويا محكما .

وتأمل الشركة ان يأتي اليوم عما قريب حين يصبح في الامكان استبدال العظم المفقود (بسبب مرض كالتسمم الرصاصي) أو دمج الفقرات بعضها ببعض . . بواسطة المادة العضوية الجديدة سيف . . .

بقي ان نذكر ان الشركة تقدمت بطلب ترخيص استعمال مادة السيف من قبل وكالة الغذاء والدواء المعروفة .

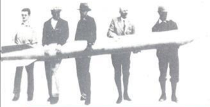
لقاح منع الحمل

ستبدأ عما قريب التجارب الأولى للقاح منع الحمل المصنع في اديلايد في استراليا . . وقد يعرض اللقاح للبيع في الأسواق في أواسط التسعينيات .

وقوام هذا اللقاح هرمون هو (شوريونك جونادوتروفين البشري) (human chorionic gonadotrdphin) ويفرزه جسم المرأة عقب الاخصاب . . وهو ضروري لتوطيد الحمل المبكر والحفاظ عليه . .

ومن شأنه ان يثير ردود فعل من جانب أجهزة المناعة . . بما يكفل تمهيد الهرمون

ووقف عملية الحمل قبل ان تتمكن البويضة المخصبة من أن تجد سبيلها الى الرحم لتنزرع فيه . □



مكتشفون ومخترعون

روبـرت جـودارد ، الثـانـي من اليمـين يسـاعـد عـلى حـمـل أحـد صـواريخـه الـتي اطـلقـت سـنـة ١٩٣٢

روبرت هاتشنج جودارد
رائد صواريخ الفضاء

شغف بالصواريخ منذ الصغر .. ولم يخْفَ شغفه على أحد في بلدته وستر (أو ورسستر worcester) في مساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية .. ولكن الشغف وحده لايكفي .. اذ لابد من وجود الموهبة ولا بد من توفر الدأب .. وقد اجتمعت الشروط الثلاثة جميعها لروبرت جودارد .

ذلك انه لم يكن قد جاوز الثانية والثلاثين حين عين مدرسا للفيزياء في جامعة كلارك في بلدته سنة ١٩١٤ ، وحين سجل جهازين وصاروخين .. من تصميمه وصنعه . في تلك السنة نفسها ..

وقد أجرى جودارد تجاربه الأولى سنة ١٩٢٦ باستعمال وقود سائل .. واتخذ من مزرعة عمته إيفي حقلا لتجاربه ..

ونجحت التجارب ..

وفوجىء جودارد بالأوامر التي صدرت اليه من دائرة البوليس وحظرت عليه اطلاق الصواريخ في الولاية .. ولاية مساتشوستس .. ذلك أن الضوضاء التي أحدثها صاروخه ، ازعجت الناس وافزعتهم .. فشكوه الى سلطات الشرطة ...

لا عجب اذن أن حرم المخترع الطموح الدعم الرسمي الذي حظي بمثله الكثيرون ممن كانوا دونه نبوغا وكفاءة ، وقد شعر جودارد بأمس الحاجة إليه ، وشعر بالحسرة لعدم ظفره به .

غير ان مشاعر المرارة تلك لم تدم طويلا .. فقد شاءت الصدف ان يسمع الطيار شارلز لندنبرغ عن جودارد ومواهبه .. فحدث أحد الاغنياء الصناعيين والمحسنين بشأنه .. فلم يتردد هذا الغني المحسن دانيل جوجنهايم في منح جودارد مبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار .. كان ذلك سنة (١٩٢٧) وهي السنة التي قطع فيها لندنبرغ المحيط الاطلسي منفردا للمرة الأولى في التاريخ ..

وما أسرع ما انشأ جودارد محطة لتجاربه في صحراء نيومكسيكو .. بعيدا عن الناس واعتراضاتهم .. وراح يبني الصواريخ ويطلقها كما يشاء ..

.. وما لبث أن نجح سنة ١٩٣٥ في بناء صاروخ يعمل بوقود سائل وتفوق سرعته سرعة الصوت .. ٧٦١ ميلا في الساعة ، وقد سجل من براءات الصواريخ التي اخترعها ما يزيد على ٢٠٠ .. وكان بعض هذه الاختراعات الاساس الذي تقوم عليه صواريخ هذه الأيام التي تعتمد على مراحل التقوية الثلاث ..

بيد أن السلطات المعنية في الولايات المتحدة الامريكية لم تبال بما حققه جودارد من نجاح .. وقد اغفلت او تجاهلت اختراعه السابق .. البازوكا ، المدافع المضادة للدبابات ، واختراعه اللاحق الذي صممه ابان الحرب العالمية الثانية ، والذي ضمن به لطائرات الأسطول الاقلاع من على سطح حاملات الطائرات ... وهكذا بقي جودارد رجلا عاديا في نظر حكومته .. حتى بدأ عصر الفضاء في الخمسينيات .. وبدأت تتحسس خطورة اختراعات جودارد .. ولكن بعد موته بسنوات عديدة ، خمس عشرة سنة على وجه التحديد .. فقد قررت سنة ١٩٦٠ أن تكافىء المخترع الراحل وورثته .. بمبلغ مليون دولار لاستعمالها اختراعاته .

سلامة البشرية في سلامة البيئة

البحر المتوسط هل يعود الى الحياة ثانية ؟

تعرضنا في عدد سابق الى خطورة مصانع تحييد القمامة أو تحويلها الى سماد .. وتحدثنا في عدد أسبق عن البحر المتوسط .. بوصفه احدى بؤر التلوث الأولى في العالم .. ونتحدث اليوم عن مؤتمر جنوة الذي عقدته دول البحر المتوسط برعاية برنامج البيئة التابع لهيئة الأمم المتحدة ، في سبتمبر الماضي ، واتخذت فيه عددا من القرارات المهمة .. تدعو فيها تدعو اليه الى اقامة المصانع الخاصة بمعالجة القمامة وفضلات الانسان .

بلغ عدد الدول التي اشتركت في مؤتمر جنوة المذكور (١٦) دولة ، ضمت فيمن ضمت ألبانيا ، التي طالما أحجمت عن الاشتراك في المؤتمرات ... أية مؤتمرات .. كما ضمت اسرائيل الجسم الغريب في المنطقة .. والعدو اللدود لكثير من تلك الدول الست عشرة .

والظاهر أن اسرائيل لم تكن مصدر عدوان وحروب فحسب..وانما كانت أيضا مصدر تلوث كبير لمياه البحر المتوسط..فقد قذفت ومازالت تقذف في مياهه كل قمامتها وفضلاتها الأمر الذي حملها في مؤتمر برشلونة الذي عقدته دول المتوسط برعاية المنظمة الدولية قبل عشر سنوات ، على الالتزام باقامة مصانع لمعالجة الفضلات في تل أبيب .**وكان مقرراً أن يكتمل العمل في هذه المصانع في شهر ابريل الماضي١٩٨٦.**

وأعلنت سوريا أنها ستبني المزيد من مصانع القمامة ، وأنها حصلت على قرض بمقدار ٣٠ مليون دولار لهذا الغرض ..

أضف الى ذلك أن كتل القار التي زخرت بها رمال الشواطىء .. شواطىء السباحة .. قد تناقصت بصورة ملحوظة خلال السنوات العشر الأخيرة ، وذلك تبعا لتناقص بقع الزيت في أعالي البحر ونتيجة لتعاون الدول المعنية في مكافحة التلوث عامة ، وتلك البقع بخاصة ، وفقا لقرارات مؤتمر برشلونة التي التزمت بها سنة ١٩٧٥ . وهكذا أصبح في الامكان القول مع (الدومانوس) « البحر المتوسط ليس آخذا في الموت ، ولكنه مريض ومرضه خطير .. ومهما يكن ، فان العلاج لمرضه هذا أصبح قريب المنال » وقائل هذه الكلمات هو أحد كبار المسؤولين في برنامج البيئة التابع للمنظمة الدولية .. والمكلف



بالاشراف على تنسيق الجهود والخطط الهادفة الى المكافحة .. مكافحة التلوث في البحر المتوسط .

غير أن العلاج القريب المنال لم يصبح في متناول اليد بعد ، لذا كانت القررات المهمة التي اتخذها مؤتمر جنوة ، والتي نجملها فيها يلي :

١ - اقامة مصانع لمعالجة الفضلات في كل المدن التي تقع على سواحل البحر المتوسط والتي يزيد عدد سكان الواحدة منها على ١٠٠ , ٠٠٠ نسمة .

٢ - اقامة المزيد من منشآت الموانىء الكفيلة بمعالجة المياه الزيتية ، وبعزل الزيت عن الماء .. فناقلات النفط تعمد الى ملء مستودعاتها بالماء ، بعد تفريغها من النفط وذلك من أجل الحفاظ على الثقل المطلوب .

ويختلط هذا الماء لامحالة ببقايا الزيت المترسبة في المستودعات .. وتعمل الناقلات على التخلص من هذا الماء بضخه الى البحر قبيل تحميلها بالزيت الخام ، وذلك خلافاً لكافة القوانين الدولية والاقليمية .. وقد بلغت كمية البترول التي يحتوي عليها هذا الماء الزيتي ، والتي تنتشر في مياه البحر تبعاً لخرق تلك القوانين .. حوالي ٣٠٠ , ٠٠٠ طن سنوياً .. ولا يخفى أن ناقلات البترول تمتنع عن ضخ المياه الزيتية وهي في أعالي البحار اذا أصبح في الامكان ضخها في المنشآت الصناعية ، التي قرر مؤتمر جنوة اقامة المزيد منها في موانىء البحر المتوسط .

٣ - انشاء شرطة مرور بحرية على غرار شرطة مرور اليابسة .. فهذه تنظم سير المركبات ، وتحول بذلك دون اصطدامها .. وتلك تنظم سير السفن والمراكب والناقلات ، وتحول بذلك دون اصطدامها ، واندلاع بقع الزيت منها ..

٤ - وقرر مؤتمر جنوة كذلك زيادة الميزانية الخاصة بالنفقات الهائلة لهذا المخطط بحيث تصبح ٤ ملايين دولار سنوياً ..

٥ - وقررت دول البحر المتوسط المشتركة في مؤتمر جنوة .. الحد من التلوث الصناعي .. وهو بلا ريب أسوأ وأخطر ضروب التلوث اطلاقاً ..

وحسبك أن ما يلقى من هذه الملوثات الصناعية السامة في البحر المتوسط يبلغ بمجموعه ١٠ مليون طن سنوياً .. ولعل البحر أي بحر ، ليعجز عن حماية نفسه من عدوان أو تهجم ضخم كهذا .. ناهيك بالبحر المتوسط .. وهو بحر مغلق تقريباً ، وأشبه بالبحيرات منه بالمحيطات ..

هذا ماقاله مصطفى طلبه المدير التنفيذي لبرنامج البيئة التابع للمنظمة الدولية ..

على أن مكافحة التلوث الصناعي ليست بالسهولة التي قد تبدو للقارىء .. فهي صعبة وباهظة التكاليف .. وتقدر نفقاتها بنحو ١٠ ملايين دولار اذا اختارت الدول المعنية اجراءات وقف قذف الملوثات .. ولكن تلك التكاليف تهبط كثيراً فيها اذا عمدت تلك الدول الى اجراء بعض التعديلات التقنية في بقية مصانعها نفسها .. وقد أثبتت تلك الاجراءات كفاءتها على تخفيض الملوثات التي تقذفها تلك المصانع في البحر بنسبة ٩٠٪ .. وذلك في مدينة مرسيليا ..

شهب فى القطب الجنوبي

تدل دراسة حديثة أجراها العلماء في اليابان على أن قارة القطب الجنوبي ليست هدفاً محبباً للشهب والنيازك فحسب .. ولكن الشهب والنيازك التي تهوي عليها تختلف من حيث تركيبها الكيماوي ..

ويعود نشاط أولئك العلماء في هذا الصدد الى سنة ١٩٦٩ حين اكتشفوا أن الجزء الغربي من القارة ذو جاذبية خاصة للشهب .. ولكن هذه الشهب تغوص في الجليد وتبقى مدفونة فيه مئات الألاف من السنين .

وتدل دراسة أخرى قام بها فريق من علماء جامعة بوردو الأمريكية برئاسة الدكتورة جين دنسون ، ونشرتها مجلة (سيانس) المعروفة في شهر فبراير الماضي .. تدل على أن الشهب الحجرية التي تم العثور عليها في القارة القطبية الجنوبية تختلف من حيث العناصر التي تتكون منها عن الشهب التي عثروا عليها في مناطق أخرى ..

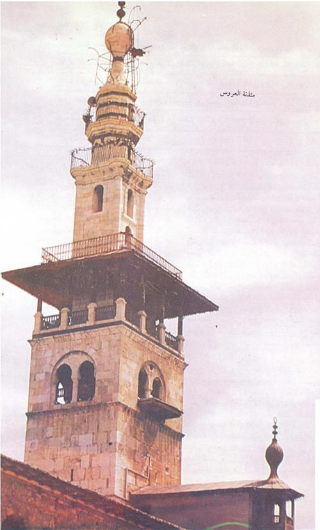
التعليم
في المسجد الجامع بدمشق قبل نشوء المدارس

بقلم : الدكتورة ملكة أبيض *



منظر حرم الجامع وتبدو فيه قبة الخزنة ووراء ها حرم الجامع تعلوه قبة النسر

* كلية التربية ـ جامعة دمشق



مئذنة العروس

ينظر بعض الدارسين الى نشوء المدارس انه بداية نظام التربية العربية - الاسلامية ، الا أن المدارس تشكل واحدا من جوانب النظام الذي بدأ مع ظهور الاسلام ، ونما مع انتشاره في الجزيرة العربية وما حولها ، على هدي النموذج الأول الذي وضعه (الرسول صلى الله عليه وسلم) وتلبية للحاجات المتزايدة التي تمخض عنها هذا الأنتشار .

ويهدف هذا العرض الى تقديم صورة عن تنظيم التعليم في الجامع الأموي بدمشق خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة .

للمسجد الجامع مكانة عظيمة في حياة الجماعة الاسلامية ، فقد كان يقوم قديما مقام عدد كبير من مؤسساتنا المعاصرة . كان المعبد الذي يؤدي المؤمنون فيه شعائر دينهم . والمعبد الذي يتعلمون فيه أمور هذا الدين (وأمور دنياهم أحيانا) ، والمنتدى الذي يؤمونه ليتصل بعضهم ببعض ، ويتداولون شؤونهم الادارية والسياسية والعسكرية ، والساحة التي يجتمعون فيها لسماع قرارات أمرائهم ، وأخبار فتوحهم ، ودار القضاء التي يلجؤون اليها لحل خلافاتهم . وكان أحيانا مضافة الغريب وصومعة الناسك ، وأحيانا أخرى موضع بيت المال . أو مستقر خزائن الكتب ، أو غير ذلك مما تتطلبه حياة الجماعة بأوسع معانيها . الا أن الوظيفة التربوية للمسجد الجامع كانت تحتل مكان الصدارة .

هذه المكانة الكبرى للمساجد الجامعة ، جعلت المسلمين يباشرون انشاءها فور حلولهم في منطقة ما . وهكذا أنشىء المسجد الجامع بدمشق عقب الفتح مباشرة ، فقد خطه أبو عبيدة بن الجراح بجانب كنيسة القديس يوحنا . وكان بناؤه بسيطا على الأرجح ، الا أنه كان يتسع لما يقارب الفي شخص . وسرعان ما ضاق البناء بقاصديه على سعته ، نظرا لاستقرار الفتح وازدياد اعداد المسلمين ، فأمر الخليفة الوليد بن عبدالملك باضافة كنيسة القديس يوحنا اليه لزيادة سعته ، وأعاد بناءه عام ٨٦ هـ - ٧٠٥ م .

المعلمون الأوائل

كان جميع المسؤولين والمعلمين الأوائل من الصحابة والتابعين الذين شهدوا تعليم المعلم الأول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أو ذاك الذي قام به أصحابه بحسب توجيهاته ، فحين فتحت الشام ، كتب يزيد بن أبي سفيان الذي تولى جند دمشق الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) طالبا ارسال معلمين يعلمون أهل الشام القرآن ويفقهونهم . فأرسل الخليفة ثلاثة من الصحابة الذين حفظوا القرآن على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهم : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأوصاهم أن يبدأوا بحمص ، فإن رضوا عليها فليخرج واحد الى دمشق وآخر الى فلسطين . فأقام عبادة بحمص ، وخرج أبو الدرداء الى دمشق ، ومعاذ الى فلسطين . ومات معاذ عام طاعون عمواس (١٨ - ٦٣٩ م) فسار عبادة بعدها الى فلسطين ، ومات بها عام (٣٤ هـ - ٦٥٥ م)ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات عام٣٢ هـ - ٦٥٣م .

وحين توفي يزيد بن أبي سفيان ، دأب خلفاؤه على تعيين مشيخة للجند (أو للمسجد) تضم معلمين للاقراء والقصص . وكان المعلم الذي يكلف الاقراء يسمى (قارىء الجند) والذي ينتدب للقصص يسمى « قاص الجند » فكان ممن كلف القصص: عائذ الله بن عبدالله أبو ادريس الخولاني ، وكان ممن كلف الاقراء : عطية بن قيس الكلابي ، وعبدالله بن عامر اليحصبي ويحيى بن الحارث الذماري وأبو عبدالملك .

وعلى الرغم من أن هؤلاء المعلمين تصدوا

لموضوعات أخرى غير تلك التي ندبوا من أجلها ، فقد ظهر في القرن الثاني منصب تعليمي آخر في جامع دمشق ، وهو منصب فقيه الجند ، كلف صاحبه الاجابة عن استفسارات المؤمنين ، بشأن ما يستخلص من القرآن والسنة من الأحكام ، لتطبيقها في الحياة العملية ، وقد تقلده عدد من العلماء نعرف منهم : العلاء بن الحارث الذماري ، وقيس بن موسى الأعمى ، وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي ، ويزيد بن السبط ، ويزيد بن يوسف . وكانت هناك توجيهات عامة تحث المعلمين على التعليم في المساجد ، فقد كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى عماله : « أما بعد .. فأمروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت » .

وكان أولو الأمر يسهمون في هذا التعليم أحيانا ، كما يستدل من بعض الشواهد ، فقد روى عن يونس بن ميسرة بن حلبس (أن معاوية توضأ للناس وضوء رسول الله ثلاثا) وروى عن ورّاد أبي الدر ، كاتب المغيرة بن شعبة ومولاه « أن معاوية كتب الى المغيرة ، أن أكتب الي بشيء سمعته من رسول الله . فكتب اليه المغيرة أن الرسول كان يقول بعد انصرافه من الصلاة (دعاء) وانه حين وفد على معاوية بعد ذلك ، سمعه على المنبر يأمر الناس بذلك القول ويعلمهموه » .

على الصعيد الرسمي

الا أن العناية بالتعليم الديني على الصعيد الرسمي لم تكن لتمنع حملة العلم من الجلوس في المسجد ، وتقديم التعليم بصورة دائمة أو عابرة . بل ان من كان عنده شيء من العلم كان يعرف تماما أن واجبه يقتضيه تعليمه الى سائر المؤمنين . وكما قال ابن شهاب الزهري : « ان هذا العلم أدب الله الذي أدّب به نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأدّب النبي به أمته ، أمانة الله الى رسوله ليؤديه على ما أدي اليه ، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله » لذلك ليس من المستغرب أن نسمع أحد شيوخ القرن الأول يقول : « عهدت المسجد الجامع بدمشق ، وان عند كل عمود شيخا ، وعليه الناس يكتبون العلم » .

كما أن وجود مقرئين وفقهاء ووعاظ مكلفين لم يكن يمنع جمهور المؤمنين من التوجه الى كل من يعرف بالعلم للافادة من علمه ، وكان جامع دمشق هو المكان الرئيسي للقاء حملة العلم وطلابه .

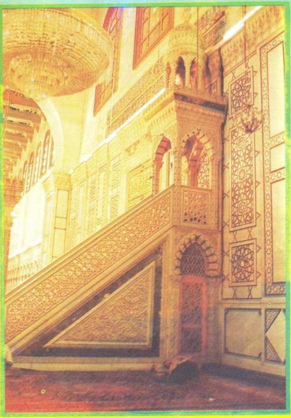
وكما اعترف للمعلمين بحقهم في ممارسة التعليم في المسجد بناء على مبادرتهم الشخصية ، تركت لهم أيضا الحرية في تنظيم عملهم ، من حيث تحديد زمانه ومكانه ، ومقاربته للمتعلمين بصورة تتناسب مع موضوع تعليم كل منهم ، وتوفق بين عمله وعمل زملائه من جهة والنشاط العام للمسجد من جهة أخرى ، وقد أفاد المعلمون من هذه الحرية التي منحت لهم ، فنظموا تعليمهم في تلك الفترة بحسب نماذج رئيسية أربعة ، كما يستدل من الشواهد المتوافرة ، وهذه النماذج هي :

التعليم الزمري ، والتعليم الفردي ، والتعليم الجماعي ، والحلقات أو المجالس ـ وقد اتخذ بعض الحلقات أخيرا اسم الزوايا (جمع زاوية) .

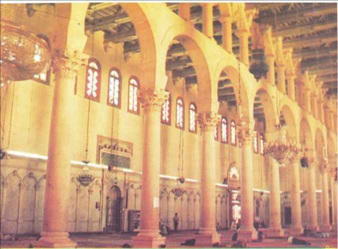
ومن الممكن أن يكون بعضهم قد اتبع نموذجا واحدا ، الا أن قسما كبيرا منهم كان يناوب بين أكثر من نموذج ، ولا سيما أن معظم المعلمين كانوا يعلمون أكثر من موضوع ، في تلك الفترة المبكرة من تاريخ التربية العربية ـ الاسلامية ، وأن بعض النماذج يناسب بعض الموضوعات أكثر من غيرها .

أريد من هذا التنظيم تلبية الحاجة الماسة في البداية الى تعليم القرآن الكريم ، لأكبر عدد ممكن من المسلمين ، في أقصر فترة ممكنة ، دون وجود نص مكتوب يعتمد عليه ، ذلك أن القرآن لم يكن قد جمع ووزع على الأمصار . ولما كان ذلك يتطلب تكوين أعداد كبيرة من المقرئين في الوقت ذاته ، لجأ أبو الدرداء في مايبدو الى اجراء اختبار أوّلي ، مكنه من اصطفاء ذوي المعلومات السابقة أو القدرات المتميزة ، واتخاذهم مساعدين له أو عرفاء على بقية المتعلمين ، وقسم المتعلمين بدورهم الى فئات صغيرة ، خص كلا منها بأحد المساعدين ، كما جاء على لسان أحد تلاميذه :

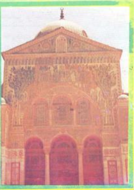
« قال أبو عبيدالله مسلم بن مشكم ، قال لي أبو



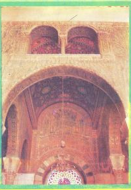
منبر الجامع الكبير



حرم الجامع الكبير



المدخل الغربي للجامع الكبير



واجهة الحرم المطلة على الصحن

الدرداء: أعدد من يقرأ عندنا، يعني في مجلسنا هذا، فعددت ألفا وست مائة ونيفا، فكانوا يقرأون ويتسابقون. عشرة عشرة، لكل عشرة منهم مقرىء. وكان أبو الدرداء قائماً يستفتونه في حروف القرآن (يعني المقرئين) فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول الى أبي الدرداء».

«وقال يزيد بن أبي مالك: ان أبا الدرداء هو الذي سن هذه الحَلَق يقرأ فيها».

ولهذا التنظيم ميزتان رئيستان، تتمثل الأولى في قدرته على تحقيق الاتقان المطلوب في بعض الموضوعات ولا سيما القرآن، والثانية في اشتماله على مقومات نموه، لأنه اتخذ من الربط الوثيق بين عمليات التعلم والاختبار والاصطفاء مبدأ عاماً، يطبق في نطاق جماعة المتعلمين كلها، وعلى صعيد الزمر فيفرز المزيد من المعلمين، وهؤلاء يلبون بدورهم حاجات أعداد أكبر من المتعلمين، وهكذا..

لذلك أرى أن تسمية هذه المجموعات الصغيرة بالحَلَق (جمع حلقة) لا يعطي فكرة صحيحة عنها، والأحرى بها أن تسمى زمرا، لأنها تضم عددا قليلا من المتعلمين يختص بهم معلم واحد، يستطيع أن يعنى بهم ويتابع تقدمهم.

ومن الممكن تسمية هذا التنظيم أيضا بتنظيم «المعلمين المساعدين» أو «العرفاء» كما ورد على لسان أحد الشيوخ القدامى. ففي رواية سويد بن عبدالعزيز «كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفا، ويقف في المحراب يرمقهم ببصره. فاذا غلط أحدهم رجع الى عريفه. واذا غلط عريفهم رجع الى أبي الدرداء يسأله عن ذلك. وكان ابن عامر عريفا على عشرة».

التعليم الفردي والجماعي

وجد هذا التنظيم الى جانب أشكال التنظيم الاخرى من البداية، بالرغم من أنه يتطلب قسطا كبيرا من وقت المعلم. الا أن المعلمين الأوائل الذين نذروا أنفسهم لنشر الدين والذود عنه، كانوا إما في جهاد أو تعليم أو عبادة. وهكذا تسنى لهم الوقت الكافي لأن يعنوا بالطلاب الأكفياء، عناية فردية، مكنت هؤلاء من الانتقال بدورهم الى مرتبة المعلمين.

ومن أمثلة هذا التعليم ما اتبعه فضالة بن عبيد الأنصاري، الذي أقرأ في خلافة معاوية في تعليم طلابه. فقد كان يقرئهم كلا على حده، ويقول لكل منهم: «خذ المصحف فأمسك علي، ولا تزد علي ألفا ولا واواً»، وكان الطالب يمسك عليه القرآن حتى يفرغ منه.

كما استخدم التعليم الجماعي بصورة رئيسة في القصص أو الوعظ. إلا أنه استخدم كذلك في تدريس الحديث والفقه، وفي القرآن أحيانا. والاساس فيه أن يتجه العالم الى الجماعة كلها، ومن هنا جاء هذا الاسم أطلق عليه.

لذلك كان يتخير له الوقت الذي يجتمع فيه أكبر عدد من المتعلمين، ولا سيما بعد صلاة العصر، حين ينتهي الناس من أعمالهم، ويؤمون المسجد للصلاة وسماع الشيخ. ويوم الجمعة، حين يضم المسجد جموعا كثيرة من داخل المدينة وخارجها. ويمكننا تشبيهه بالمحاضرة العامة في أيامنا هذه.

المجالس والحلقات

لا يتضمن المعنى اللغوي للمجالس والحلقات ما يشير الى تنظيم، فالمجلس لايعني أكثر من فعل الجلوس أو مكانه، والحلقة لاتعني الا الشكل الدائري. ولكن جلوس المعلمين المرة تلو المرة للتعليم، وتحلق الطلبة حولهم عفويا للتعلم، كوّنا مع الزمن تقاليد وقواعد تشبه من بعض الجوانب الصفوف أو المساقات الدراسية في أيامنا هذه، وجعلا المصطلحين مترادفين الى حد ما في هذا المجال. لذلك كان التنظيم منصبا بصورة رئيسة على المجالس والحلقات الدائمة أو شبه الدائمة، لاعلى تلك التي كانت تتم عرضا أو بصورة مؤقتة، بمناسبة زيارة شيخ من خارج المدينة، أو قبول أحد الشيوخ عقد بعض المجالس نزولا عند طلب الجمهور.

والواقع أن الشواهد الأولى لاتوحي بوجود نظام للجلوس والتحلق، وربما استند بعض المعلمين الى احدى الدعامات الخشبية التي تقوم عليها الظلات.

وتحلق الطلبة حوله في المكان الظليل ، فهذا ترتيب يريح المعلم والمتعلم على السواء . ولكن توسيع المسجد ، وتوزيع القسم الأكبر من مساحته الى أروقة ، تحف بها عشرات من العمد ، ساعدا على تنظيم الحلقات والمجالس في المكان ، كما أن زيادة الطلب على التعلم ، وتنوع محتواه ، دفعا الى تنظيمها في الزمان . وهكذا اتخذ المعلمون المعروفون لمجلسهم أو حلقتهم موضعا ثابتا وزمانا محددا ، بحيث يتمكن الطلبة من الحضور الى مجلس معلمهم في الموعد المحدد ، والانتقال الى آخر اذا كانوا يرغبون في سماع أكثر من معلم . ومن شواهد ذلك ماذكره سعيد بن عبدالعزيز عن تنظيم مجالس الفقه والحديث ، في هذا الجامع أثناء دراسته فقد قال :

« كنا نجلس بالغدوات مع يزيد بن أبي مالك وسليمان بن موسى ، وبعد الظهر مع اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر ، وربيعة بن يزيد ، وبعد العصر مع مكحول » .

وكان المجلس أو (الحلقة) في تلك الفترة يسميان غالبا باسم الشيخ الذي يتولى التدريس فيه . ولا سيما أن الشيوخ الأوائل كانوا يعلمون أكثر من مادة دراسية . الا أن اختصاص المعلمين تدريجيا بموضوع محدد ، أضاف الى المجلس (أو الحلقة) الموضوع الذي يتناوله فقيل : مجلس حديث ، ومجلس فقه ، ومجلس وعظ أو تذكير ، ومجلس إقراء ، ومجلس نحو ...

ومن الحلقات والمجالس التي درست فيها موضوعات مختلفة في الفترة الأولى :

ـ مجلس قبيصة بن ذؤيب ، ذكره محمد بن مسلم بن شهاب الزهري في روايته عن قدومه الى دمشق ، في أيام الخليفة عبدالملك بن مروان ، وقال عنه انه كان أعظم المجالس التي رآها في المسجد ، وأكثرها أهلا . وقد درس فيه الحديث والفقه .

ـ حلقة سعيد بن عبدالعزيز التنوخي ، التي استمرت أكثر من نصف قرن ، وكان يدرس فيها الحديث والفقه .

ومن المجالس والحلقات التي اقتصرت على موضوع بعينه نذكر مجلس القارىء عبدالله بن عامر اليحصبي ، الذي تنسب اليه القراءة المشهورة بقراءة ابن عامر . وقد طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك منه الجلوس للاقراء بين الحنايه والقنطرة من جامع دمشق . وحلقة كنيز بن عبدالله للفقه على مذهب الشافعي . وكان أحمد بن طولون قد حبس كنيز هذا طوال سبع سنين ، لتحمسه الشديد لمذهب الشافعي ، ولما مات الأمير خرج من السجن ، فجاء الى دمشق ونشر هذا المذهب فيها . وحلقة القاسم بن عثمان الجوعي الزاهد في الزهد والتصوف وحلقة علي بن طاهر بن جعفر ، أبو الحسن القيسي السلمي النحوي ، في النحو وقد وقف في حلقته خزانة تضم كتبه .

الأماكن والحلقات

ويلاحظ في هذه الحلقات ان الطلاب كانوا يتخذون أماكنهم بحسب زمن وصولهم الى الحلقة ، عملا بالسنة التي تقضي بأن يجلس الشخص حيث تنتهي به الحلقة ، كما يلاحظ أن بعض المعلمين كانوا يوصون بحلقتهم الى بعض طلابهم من بعدهم ، فقد جاء يزيد بن عبدالملك الأموي أيام طلبه العلم ، الى حلقة الفقيه مكحول في جامع دمشق ، فلما رآه أصحاب مكحول هموا بالتوسعة له فقال لهم مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ليتعلم التواضع . وقد أوصى مكحول بحلقته بعد وفاته الى تلميذه ثابت بن ثوبان . الا أن طالبا آخر من طلابه جلس فيها بعده .

كما كان التلميذ يطلب أحيانا من أستاذه أن يوصي له بحلقته ، فحين رأى يزيد بن عبدالصمد أن معلمه عبيدالله بن عبدالكريم أبا زرعة الرازي يوشك أن يعود الى بلده قال له : يا أبا زرعة اجعلني خليفتك في هذه الحلقة ، فأجابه الى طلبه .

وهكذا نرى أن انتظام الحلقات كان يعني استمرارها في المكان نفسه من الجامع ، وانتقالها من شيخ الى آخر ، مع محافظتها غالبا على الموضوع نفسه والاتجاه نفسه .

وفي الحلقات التي اجتمعت فيها هذه الصفات ، في نهاية القرن الخامس الهجري « الزاوية الغربية » وهي حلقة تدرس الفقه على المذهب الشافعي ، بدأها الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي ، الذي أقام

في دمشق يدرس في ركن يقع في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع ، من عام ٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ م ، حتى وفـاتـه عـام ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م ، دون أن يتقاضى أجرا أو يقبل صلة (وكان يقتات من غلة تحمل اليه من أرض كانت له بنابلس ، ويخبز له منها في كل ليلة قرص في جانب الكانون) . واستمرت الحلقة بعده حاملة اسمه حينا ، واسم « الزاوية الغزالية » نسبة الى أبي حامد الغزالي ، الذي جلس فيها فترة ، حتى « صُفّر من سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وفيها وقف السلطان (الملك الناصر) قرية حزم باللوى من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة ، أو بعلم يحتاج اليه الفقيه ، والى الحضور لسماع الدرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق ، المعروفة بالفقيه الزاهد نصر المقدسي ، رحمه الله تعالى ، وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضوع من أصحاب الامام الشافعي ، رضي الله عنه تعالى عنه ، وجعل النظر (في الوقف) للشيخ قطب الدين النيسابوري رحمه الله تعالى . . كما يقول أبو شامة في الروضتين . وبحصول هذه الحلقة على الوقف ، استكملت جميع الخصائص التي تميزت بها المدارس ، التي نشأت خارج الجامع ، بدءا من عام ٤٩١ هـ - ١٠٩٨ م كما رأينا ، وهكذا أصبح من الطبيعي أن يطلق عليها اسم المدرسة الى جانب الاسمين السابقين وهما : الحلقة والزاوية .

الخلاصة

المسجد الجامع بدمشق هو المؤسسة التربوية الأم ، التي حملت مسؤولية التربية العربية الاسلامية بصورة رئيسية في المدينة وما حولها ، في القرون الأربعة الأولى للهجرة . وقد ازدهرت فيها أشكال من التقديم والتنظيم ، أسهم فيها أولو الأمر ، بتعيين قراء وقصاص وفقهاء للجند ، يمارسون عملهم داخل الجامع ، وعمد المعلمون الى تكييف طرائقهم بحسب الأهداف التي يعملون من أجلها ، وهكذا تمايزت موضوعات التعليم تدريجيا ، وانصب اهتمام كل فئة منهم على تعميق ما تتقنه منها ، دون اغفال التكامل بين الموضوعات المختلفة والتنسيق فيما بينها .

وحين شعرت بعض الفئات برسوخ أقدامها في الميدان الذي تعمل فيه ، بادرت الى انشاء مؤسسات خاصة بها ، معتمدة على الخبرات التي اكتسبتها في الجامع . وأول هذه الفئات الزهاد والمتصوفة ، الذين أقاموا لأنفسهم دويرات وخوانق ، ذكرت لنا المراجع منها أول ماذكرت « دويرة حمد » التي أنشئت في بداية القرن الخامس ، ولم يتأخر القراء عنهم ، فقد أنشأ رشأ بن نظيف أولى دور القرآن بدمشق ، وهي « دار القرآن الرشائية » عام ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م ، أما الفقهاء فبعد أن أقام بعضهم مجالس لهم في بيوتهم ، أنشأ أولو الأمر لهم المدارس ، بدءا من نهاية القرن الخامس - كما رأينا - ولم يأت دور المحدثين في الحصول على مؤسسات خاصة حتى أواسط القرن السادس حين بنى (نور الدين محمود بن زنكي) بدمشق أيضا دار الحديث (النورية)،ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة، وهو أول من بنى دار حديث في علمنا » كما يقول أبو شامة في أول الروضتين في ترجمة نور الدين .

ولكن المؤسسات الجديدة لم تضعف التدريس في المسجد الجامع ، باستقطاب الاكفياء من المعلمين في كل ميدان ، بل زادته شمول وعمقا ، لحرص المعلمين البارزين على الاحتفاظ بمكانهم في الجامع ، الى جانب الوظائف التي تبوءوها في المؤسسات الجديدة ، ولاحتضان الجامع عددا من هذه المؤسسات الجديدة بين ظهرانيه ، كالزاوية الغربية ، وغيرها من مدارس الفقه . كما أن ازدياد المؤسسات وتنوعها لم يخل من وحدة نظام التربية العربية الاسلامية وتكامله ، لأن المؤسسات المختلفة انطلقت من الأصل نفسه ، وراحت تدور حوله كما تفعل الأقمار في المنظومة الفلكية الواحدة . □

■ كل امرىء يعرف بقوله ، ويوصف بفعله ، فقل سديدا ، وافعل حميدا

■ اذا كان الحب يعمى عن المساوىء فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن

لحظات من الزمن العربي



السلطان لم ير الشمس!

بقلم : الدكتور محمد المنسى قنديل

لاوقت للبكاء « ياخوند » فاللعبة خاسرة والسلطان قد مات .

اغمض عينيه ومات ببساطة ، وكأنه شحاذ ترك القاهرة واجفة القلب من الفتنة ،

والنيل قد ابحر واغرق القرى ، وقافلة الحج فريسة في يد العربان ، والعرش خال . .

مسحت « خوند سعادات » دموع الحنق وهي تقول : خذلني السلطان « المؤيد » .

كان وجهها يشع بدفء غامض ، لم تكن حزينة على المؤيد رغم أنها كانت آخر زوجاته منذ أن رآها ، وقد أدرك أن هذه هي المرأة التي سوف تعطيه الابن الذي يرث العرش . . وهاهو الابن نائم في المهد يمص أصابعه . . عمره عام وثمانية أشهر . . وسبعة أيام ، والسلطان ميت .

كانت تسمعهم . المماليك المؤيدية ، والظاهرية ، والأتابكة ، ومقدمي الألوفات ضباعا جائعة ، تجوس أروقة القلعة ، يصعدون من أسفل ، يريدون الانقضاض على جثة السلطان التي لم تبرد بعد . . وفي مقدمتهم الخليفة العباسي وقضاة المذاهب الأربعة كلهم يريدون العرش ، وصاحب العرش يمص أصابعه . .

نهضت خوند سعادات بطولها الفارع وبياضها المشرّب بالحمرة ، ونظرت من نافذة جناح الحريم . . كانوا يصعدون سراعا ، وكل واحد منهم يستعجل نوال الارث . . ووجدت نفسها تهتف في فحيح غامض ملء بالرغبة والمرارة .

من يأخذ عرشي . . سوف يكون السم من نصيبه . .

ظهور المملوك القصير :

في قاعة العرش وسط الصراع المحتدم ، ظهر المملوك القصير لأول مرة . كان أمراء المماليك يقفون في مواجهة بعضهم البعض شاهري السيوف ، وفي الوسط يقف الخليفة العباسي ، والقضاة الأربعة ، والعرش . جميعهم فريسة لأول لحظة من لحظات الغضب . كان الأمراء جميعا متساوين في القوة وفي الضعف ، وهذه هي الكارثة ، كما كان الخليفة العباسي يفكر ، فلا يوجد أمير بالغ القوة فيتسلطن ، ولا أمير بالغ الضعف فيبدأ رحلة الخضوع . الاتابكي الوحيد نائب السلطان الذي كان يمكن أن يقبض على العرش في هذه اللحظة ليس غير (الطنبغا القرشي) والطنبغا خارج البلاد ، ذهب ليؤدب نواب الشام المتمردين لحساب سلطانه الذي اختطفه الموت .

هتف الخليفة : اهدءوا بالله يا أمراء . .

بلا جدوى . . لم يكن للخليفة أي سلطة فعلية . ولعل هذه هي احدى المرات القليلة التي يغادر فيها قصره ، ويظل واقفا هكذا مرتعدا ، حتى يتم اختيار السلطان فيبايعه ، ثم يهرع الى قصره ، ويظل مختبئا حتى تنشب فتنة جديدة .

ثم اقتحم القاعة « الأمير طرطر » أمير المجلس بقامته القصيرة . وكان خلفه عشرات المماليك المؤيدية . وكان واضحا أنه يوجد منهم المئات خارج القاعة . يملأون الايوان السلطاني وقبة الهواء . وهتفوا في صوت كالرعد :

ـ لا نسلطن الا ابن أستاذنا ومولانا . . .

وقال الخليفة مندهشاً . .

ـ ماذا . . ماذا يا أمراء ؟ انه صغير ، عمره عام ونصف . .

تقدم الأمير طرطر مصححا :

ـ عام وثمانية أشهر . وسبعة أيام .

وصرخ مملوك آخر يحرض الباقين :

ـ سوف نسلطنه ولو كان عمره يوما واحدا . .

لم يتصور الخليفة أن طرطر بقامته القصيرة ـ وهو الذي لم يبرز في أي وقت ـ هو الذي قاد كل هذه الحملة . لو أن الطنبغا موجود لقاد الجميع من أنوفهم . ولكن طرطر . . مستحيل . . قال الخليفة :

ـ مهما كان عمره فهو مازال صغيرا ، وسوف تضيع أمور المسلمين بين الامراء ، وأدرك الخليفة أنه كان مخطئا في ظنه عندما هتف المماليك في صوت واحد :

ـ يكون الامير « طرطر » مدبر المملكة حتى يحضر الأتابكي الطنبغا . .

وضرب الامير الخليفة كفا بكف . لا حول ولا قوة الا بالله . ونظر الى القضاة الأربعة في عجز . لم يكن أي منهم له القدرة على الاعتراض . كأنوا يعرفون أنه لايوجد أحمق من مملوك عندما يتحامق . كان المماليك المؤيدية مصممين . يتكاثرون خلف « طرطر » ، داخل القاعة وخارجها ، كأنهم يهبطون من الهواء . لم يتصور الخليفة من قبل أن السلطان المؤيد كان يمتلك كل هذا العدد من المماليك ، والأغرب من هذا أنهم مازالوا أوفياء له ، والوفاء كان دائما عملة نادرة بين المماليك . .

وفي النهاية لم يكن هناك مفر من الموافقة . وعندما سمعت خوند سعادات الخبر لم تصدق أذنيها . لم تكن تهتم بمن يكون مدبر المملكة ، يكفي أن العرش لابنها ، عندما يحين الوقت سوف تتخلص من أي مدبر . .

وعندما جاءوا ليأخذوه من الحريم الى غرفة العرش أصرت « خوند سعادات » أن تصحب ابنها لتشاهد بيعته . كانت المرضعة تحمله . وهي تسير بجانبه . على وجهها نقاب شفاف ، ولكن وجهها الخاص كان يشع من تحته . وعندما رآها طرطر ظل يحدق فيها مبهورا . . لم يتصور أن سلطانه الشيخ ، كان يمتلك هذه المرأة التي لا تمتلك .

وضعت المرضعة الرضيع على العرش وحيدا . لم يكن مرتاحا لهذا الوضع ، فقد أخذ يتحرك متحفزا ، والمرضعة تربت عليه لعله يهدأ . والخليفة يتلو مراسيم البيعة ، والقضاة الأربعة يومئون في صمت ووقار . . وأعلن الخليفة عن مبايعته للسلطان المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد . . وهتف المماليك ، ودقت الكؤوس في صوت له دوي الرعد ، حتى تسمع القاهرة كلها أن هناك سلطانا جديدا قد بويع . واستيقظ الطفل مفزعا من هول الضجة ، وانخرط في بكاء حاد مفزوع . وعبثا حاول الجميع تهدئته .

أسرعت المرضعة تحمله ، والأمراء يصدرون أصوات التلاطف ، ويحركون قطع الزرد من على رؤوسهم ، ويصفرون ويقلبون شفاههم ، ولكن كل هذا زاد من فزع السلطان ومن حدة بكائه . ولم يبق هادئا الا خوند سعادات وهي واقفة بجانب العرش ، وطرطر الذي ظل واقفا في مواجهتها في أقصى القاعة ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ترى فيها وجهه ، والمرة الأولى التي يرى فيها عينيها . .

القصير . . . يتجرأ

ولكن الأمر لم يقف عند البيعة واخماد الفتنة مؤقتا . . كان الامير « طرطر » زاهدا في السلطة . أو على الأقل زاهدا فيها بهذه الصورة الناقصة التي لا تحل ولا تبرم . . .

في اليوم الأول أصر على جمع الأمراء والخليفة والقضاة ، وأعلن أنه متورط . . فلا هو يعرف أفكار السلطان الطفل . ولا يدري بنوايا « الطنبغا » الغائب . لذا فهو يستعفي نفسه . وقد أثار هذا الزهد غير المتوقع ثائرة الكثيرين . وأصروا على التمسك به فهتف . .

- لا سلطة لي يا أمراء . .

قالوا : بل لك كل السلطات ونحن أمراؤك .

اعترض صوت وحيد : حتى يحضر الطنبغا .

ولكن الاعتراض ضاع . ونهض « طرطر » وجلس على يمين العرش . وأشهدوا الخليفة ووقع القضاة ، وبدأ في نفس اليوم في اصدار تغييرات بسيطة لا تكاد تذكر ، فقد دفع الرواتب المتأخرة للجند . وأعفى الناس من عدد من الضرائب الباهظة . .

وصمت قليلا ، ثم فتح السجون وأخرج منها أناسا كان يعتقد أنهم موتى . وصمت قليلا قليلا ثم أدخل أناسا غيرهم . ثم بدأ يغير مقدمي العشرات والألوف ونواب الاقطاعيات . . وبدأت أصابعه تغوص ببطء في لحم المدينة المرتجفة . كان مختلفا ، لا يعلن عن نفسه ولا عن أعماله ، وكانت خوند سعادات تحس بالحنق تجاهه ، وتحس بالحنق تجاه ابنها الذي مازال صغيرا ، رغم مرور شهر على توليه العرش ، وطرطر لم ينس أن يزوره يوما واحدا ، لم ينس أن يصطحب معه الحلوى والألعاب ويتبادل كلمات قصيرة مع خوند سعادات التي ترد عليه دائما بلهجة جافة . .

- كيف صحة مولانا السلطان . . هل بكى في الليل . . ؟ !

- السلاطين لا يبكون ، حتى لو كانوا أطفالا . .

كان يبتسم.ويتراجع.ويظل يسمع صراخه طوال الليل من نافذة حجرته . ويجمع كل الخيوط في يديه ، ويباشر كل الاصلاحات التي كان المؤيد قد تركها بدافع البخل أو التقاعس . كان الجميع يتساءلون : لماذا يشتغل بهذه المهمة والطنبغا عائدة لا محالة ..؟ ولكن كان لطرطر نواياه التي لم يعلن عنها ، كان ينتظر هذه العودة بروح عالية ، لم تغره السلطات الكثيرة التي أصبحت بين يديه . ولا أحد يدري ان كان يتنبأ بالغيب أم لا ، ولكن ذات يوم جاء رسول من الشام ووقف أمامه في مجلسه وأعلن بصوت مدوٍّ . .

- الطنبغا انضم لحاكم دمشق . . « جقمق الأرغوني » وأعلن تمرده .

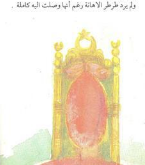
ولم يظهر على وجه طرطر أي انفعال ، وكأنه كان يتوقع هذا النبأ . وخيم الصمت على شهود مجلسه . وأخيرا قال طرطر ببطء :

- لقد أعطاني طرف مشنقته . . لن يدخل مصر الا وهو جثة هامدة .

وفي نفس الليل بعد أن انتشر الخبر في القلعة ، أرسل طرطر رسولا الى خوند سعادات يطلب منها الزواج ، ولكنها هتفت في استنكار . .

- كيف يجرؤ هذا المملوك القصير القميء على طلب يدي . ! ؟

ولم يرد طرطر الاهانة رغم أنها وصلت اليه كاملة .



خروج مدبر المملكة

أعلن الأمير « طرطر » مدبر المملكة أنه سوف يخرج الى الشام ليؤدب المتمردين باسم السلطان ، وتأييدا لذلك سوف يكون السلطان في صحبته . وهتفت خوند سعادات . . كلا . . . سوف يقتلونه في الطريق . ورد عليها طرطر بهدوء . . اذا كنت خائفة لهذا الحد فسافري معه . وقبلت خوند سعادات التحدي . . كانت فرصة عمرها أن يشتبك طرطر والطنبغا في قتال دامٍ . . والأهم من ذلك ألا يكون هناك منتصر منهما .

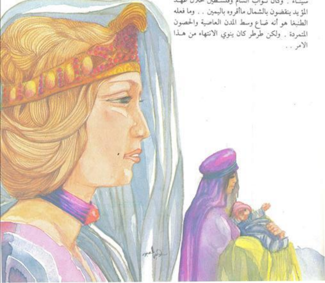
زحف الجيش كله الى الشام . جراد جائع . وفي مقدمته السلطان الذي وجد سببا جديدا للبكاء المزعج . وفكر طرطر . . حتى لو انتصرت على الطنبغا وكل أمراء الارض كيف أجعل هذا الطفل يتوقف عن البكاء . . ؟

كان الطريق وعرا ، وخاصة خلال صحراء سيناء . وكان نواب الشام وفلسطين خلال عهد المؤيد ينقضون بالشمال ماأقروه باليمين . . وما فعله الطنبغا هو أنه ضاع وسط المدن العاصية والحصون المتمردة . ولكن طرطر كان ينوي الانتهاء من هذا الامر . .

ومع أول مدينة قابلوها أعلنت الحملة هدفها بوضوح . . لقد جاءت للتأديب ولم تأت للغفران . لذلك كان هجومه على مدينة « صفد » بالغ العنف . ولم يكتف طرطر بالمدينة التي سقطت بين يديه ولكنه وضع لأميرها مشنقة عالية علقه عليها كأنه كان يريد لكل من في الشام أن يروها . .

وتوالى سقوط المدن ، وهروب المتمردين ، واكتساح الجيش ، وبزوغ طرطر كقوة جديدة خارقة . .

ووصلت رسالته المفزعة الى دمشق . الى أميرها جقمق والطنبغا ، وقد جعلت هذه الانتصارات تحالفهما الهش يصيبه الوهن . واجتمعوا وهم يتساءلون . . ماذا نفعل ؟ أنقاتل ونواصل التمرد حتى نهايته ، أم نعلن الطاعة للسلطان ؟ كان جقمق يرى أن من خلع طاعة المؤيد من الاجدى به أن يخلع طاعة طرطر وسلطانه الصغير . ولكن « الطنبغا » كان



يمر بحالة من القلق المرعب ، لايدري متى أصاب ، ومتى أخطأ . كان هو الوحيد فيهم الذي يعرف طرطر جيدا ، لذلك جمع أمراءه وقرروا العودة الى طاعة السلطان مرة أخرى .

وقبل أن يصل جيش السلطان بمسافة ، كانت الحرب قد اشتعلت بين جقمق والطنبغا ضارية ، ومنهكة . شملت كل شوارع المدينة . واستطاع الطنبغا أن ينتصر وأن يقتل حليفه السابق ، ويعلن أن دمشق قد عادت الى طاعة السلطان المظفر (أبو السعادات) ، ولكن هذا كان متأخرا . فقد وصل طرطر ، ودخل بوابات دمشق دون أي مقاومة ، وصعد الحصن ليجد الطنبغا طائعا في انتظاره . ينحني أمامه . فقال له ببرود . .

- لا تنحن لي . . ولكن انحن أمام السلطان . .

وكانت خوند سعادات واقفة ، فرآت الطنبغا وهو ينحني . وهو يقبل ذيل ثوب السلطان . وبدا عجوزا منيكا ، أقصر قامة من طرطر . أخطأ التفكير مرتين . وضيّع العرش الذي اقتنصه طرطر . وبقي خائفا والجيش السلطاني يحيط به ، وطرطر يصرخ . .

- خذوا هذا الخائن وضعوه في السجن . .

وهتف الأتابكي مدهوشا . .

- لقد حاربت « جقمق » وانتصرت عليه . .

وواصل طرطر متجاهلا كلماته

- واقطعوا رأسه عند الفجر . .

وأسرع الحرس يجذبونه الى السجن . وخيم الذهول على الجميع ، كان طرطر آمرا ، ناهيا ، قاسيا ، لم يعد يستمد سلطته من اتفاقه مع الخليفة والقضاة ، أو من الطفل النائم على العرش ، لم يعد يستمدها الا من طرطر القوى الكامن في داخله .

والتفت الى خوند سعادات وهو يهتف :

- خوند سعادات . . . هل تتزوجيني . . ؟ . .

وأحنت خوند رأسها وهي تقول :

- أمرك مطاع ، يا . . . مولاي . .

السلطان يبكي

ولم يكف السلطان ليلتها عن البكاء . كان طرطر يسمع صوته قادما من غرفة المرضعة ، وهو واقف بجانب النافذة يتطلع الى المدينة النائمة . وخوند سعادات مستلقية يقظة فوق السرير . جسمها ملىء بالجروح الصغيرة . كلما تحركت آلمتها . حتى أنها لم تجرؤ على النهوض لكي تهديء من روع ابنها .

في صباح اليوم التالي فقد السلطان المظفر أبو السعادات عرشه . وفقدت خوند سعادات بهجة عرشها . . ووضعا معاً في السجن ريثما ينقلان الى أحد سجون مصر . وأعلن عن تولي السلطان الظافر طرطر . . وأرسل بذلك رسالة الى القاهرة ليجد البيعة جاهزة حال وصوله ، والمدينة مزدانة فرحة لعهده .

وعاد الجيش وعلى رأسه سلطانه الجديد . وقبل أن يصلوا الى القاهرة انفصلت فرقة من الفرسان تضم السلطان المخلوع والزوجة المهجورة ، واتجهوا الى الاسكندرية ، وفي الوقت الذي كانت فيه القاهرة تستقبل سلطانها الجديد ، وترش على موكبه أوراق الورد وماء الزعفران ، كان سجن الاسكندرية يضم في أحشائه السلطان المخلوع ، ويغيبه في زنازينه الرطبة ، ويلفه بالروائح الكريهة . ورغم أن الخليفة كان صادقاً في بيعته ، والأمراء راضين بسلطانهم القوي ، والنيل وافياً بالزيادة . الا أن السلطان كان يعيش حالة من الرعب . . كان بكاء الطفل يطارده ، يسمعه من كل مكان في القلعة ، وخاصة اذا جاء الليل ، ثم بدأت تظهر على جلده بقع غريبة قاتمة ، كأنها ديدان رفيعة تمتد وتلتهم جلده الأبيض . وتفاقمت الحالة ، حتى أحس كأن روحه تتآكل . .

الجلد يتساقط

واجتمع الأطباء . فحصوه وتشاوروا ثم فحصوه . وأعلنوا أن السم يسري في جلد السلطان ، ثيابه كلها مسممة ، وكذا أغطية فراشه . وصرخ السلطان ، وأمر باحراق كل الثياب ، وظل جالساً طوال الليل والنهار في حوض الماء . ولكن جلده كان يتساقط طافياً أمامه . والآلام التي يحس بها تفوق أي ألم ، تفوق الاحساس بالندم أو العزلة أو التكبر أو المباهاة ، تفوق كل الرغبات والنوازع ، وتقف به كل لحظة على حافة الموت . . وفي الليلة الأخيرة ظل يصرخ طوال الليل ، وكان صراخه من القوة بحيث ردد المقطم صدى صوته ، وجعله

مسموعاً بطول المدينة وعرضها . .

ولم تستمر ولاية السلطان الظاهر طوطر الا أشهراً قليلة . . ولكن سجن السلطان المظفر استمر طويلاً . . فعندما جاء سلطان جديد لم يأبه بمن هو في سجن الاسكندرية ، ولم يخطر ببال أي سلطان على العرش أن يخرج سلطاناً آخر من السجن ، حتى ولو كان طفلاً صغيراً . وشب « المظفر » وسط الظلام والرطوبة ورائحة العفونة . تعود على طعام السجن الخشن . وصليل السلاسل . وقرص الفئران ، وزحف الحشرات ، وصراخ الحرس في الليل . .

وعندما كبر وتعلم الكلام أخبرته أمه أنه كان سلطاناً على كل مصر والشام . . فلم يعرف ماذا يعني السلطان ، ولا ماذا تعني مصر ، ولا الشام . حاولت أن تقول له أنه خلف هذه الجدران الضيقة الخانقة يوجد عالم آخر . ولكن ماذا يعني العالم ؟ ماذا تعني السماء والشمس والبحر واللون الأزرق والأحمر والأصفر ؟ ماذا يعني العرش ؟ لم يكن باقياً في ذاكرته أي ثنفة من الذكريات . . اللهم الا تلك الرجفة التي تعتريه ، والتي لازمته منذ اللحظة التي تولى فيها العرش . .

وكانت خوند سعادات ما زالت تحلم . تستقي الأخبار الشحيحة من فم الحرس وتواصل حلمها . . . أي سلطان يجلس الآن ؟ وكيف صارت المماليك المؤيدية ؟ وما هي أحوال مصر ؟ ثم تجلس اليه كل مساء لتفهمه واجباته كسلطان . . وعندما بلغ السابعة من عمره كانت قد أصبحت عجوزاً ثرثارة مزعجة . وحانت لحظتها الأخيرة ، فأحس الطفل بالراحة لأنه سيتخلص من ثرثرتها . . ولكنها مدت يدها وأخرجت من تحت حصيرة القش التي كانت تنام عليها خاتماً صغيراً كان يتألق في العتمة . . طوال هذه السنوات الماضية كانت حريصة على إخفائه . .

وهتفت به :

ـ هذا خاتم السلطان المؤيد . . أبوك احتفظ به . .

وماتت قبل أن تشرح له ماذا يعني الخاتم . ولكنه احتفظ به . وحسب أنه سوف يأخذ نصيبها من الطعام ، ولكن الحراس احتجزوه لأنفسهم . وأصبح وحيداً في الزنزانة . . وفي ظلام الليل وهو يسمع قريض الفئران حوله في كل مكان كان يخرج هذا الخاتم ويتأمله . . ويعجب من أين يأتيه ذلك التألق الواهن . لعله كان يحمل شيئاً ما اليه . . حلماً لم يحلم به أبداً . . لعلها كانت على حق . . لعله كان سلطاناً كبيراً . . ولكن ماذا يعني ذلك ؟ . .

لمحة من الملك :

ولا بد أن أحد الفئران التي كانت تشاركه في الزنزانة حمل اليه الطاعون الذي كان منتشراً في المدينة في هذا الوقت . فقد أخذ يهذي طوال الليل . . وظهرت عليه الأعراض في الصباح ، فانتابت الحراس حالة من الذعر . أحسوا بخطورة أن يلوث ذلك السجن المغلق بهذا المرض . . وقرروا أن يحضروا عربة خشبية وينقلوه بعيداً عن السجن حتى يموت ويدفن دون أن تصيبهم لعنة الموت الأسود .

أحضروا العربة . ونقلوه وهم يحاذرون من لمسه . وفتح باب السجن له لأول مرة منذ أن دخله . وسارت العربة الخشبية القديمة ، وصوت عجلاتها يصدر أزيزاً مزعجاً . . وكانت الشمس مشرقة ، تكاد تعمي عينيه . ما أغرب ذلك . . وتلك السماء الزرقاء البعيدة والسحب البيضاء ، والطيور العابرة ، وهذا الهواء الخالي من العفونة ، والبيوت التي تطل عليه ، والناس الذين يسمع أصواتهم ، هذا هو العالم الذي وصفته له أمه . . وهذه لمحة من ملكه البعيد الذي لم يعرف عنه شيئاً . . هل كان هو حقاً سلطاناً على هذا العالم الواسع الممتد ، الأرض والبحر والسماء . مد يده وأخرج الخاتم من جيبه وظل قابضاً عليه . وابتسم لأول مرة وهو يحس بالشمس تبعث في داخله دفئاً جديداً . . إحساس متأخر بالحياة . . لو أنه يستطيع النهوض . والركض في هذه الشوارع . . والغناء . والهروب الى الأبد من جدران الزنزانة ورطوبتها وعفونتها . .

وتوقفت العربة بجانب البحر أخيراً . وأحس بحذر شديد . . وابتسم للسحاب وللطيور التي تحوم من حوله ، وسمع صوت الحارس وهو يقول في تبرم . .

ـ هيا نلقي به في البحر . .

□

مهرجان الشبيبة العالمى وحلم السلام المتجدد !

استطلاع وتصوير : ثريا البقصمي



منظر عام لأحد العروض المعادية للفاشية والنازية



شاب كويتى مشارك
فى المهرجان يؤدى
رقصه العرضة الكويتية.

ما زالت البشرية تئن من وطأة الحروب ، وما زال الناس في كل مكان يصطلون بنارها ، ولقد علقت الانسانية آمالاً كباراً على عقلائها وحكمائها من رجال السياسة والفكر ، في الوصول الى صيغ للسلام تحفظ للمعذبين أمنهم واستقرارهم ، ولكن أحداً منهم لم يفلح في الوصول الى الصيغة المرجوة ، فهل يفلح الشباب فيما أخفق فيه الكبار ؟ .

عندما خابت الأمال في الكبار ، أخذ الصغار والشباب زمام المبادرة ، فالتقى شباب العالم في موسكو ليجعلوا من لقائهم مناسبة يؤكدون فيها العزم على السعي من أجل السلام .

كان لقاء الشباب في موسكو حيث اتخذوا لهم شعاراً : « سلام .. صداقة .. تضامن » .. وقد احتشد في هذا اللقاء أكثر من عشرين الفاً من شباب العالم من الجنسين ، للمشاركة في مهرجان الشبيبة العالمي الثاني عشر ، الذي أقيم في النصف الثاني من عام ١٩٨٥ .

وكان « للعربي » حضور في المهرجان ، أردنا من خلاله تسليط الضوء على الأنشطة المختلفة التي قام بها الشباب .

فكرة المهرجـــان

كانت المآسي التي شهدتها البشرية في الحرب العالمية قد أشاعت أجواء من الكآبة ، حثت الكبار والصغار معاً على البحث عن سبل للسلام .. وقد عبر الشباب عن تلك الكآبة ، وعن مخاوف تكرار التجربة ، بتظاهرة عالمية أبدوا فيها آراءهم وحرصهم على وجوب أن يتجنب المجتمع الانساني تكرار الكارثة .

لقد انطلقت الفكرة من اجتماع لممثلي الاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية ، كان قد عقد في لندن في عام ١٩٤٦ ، للاعداد للمهرجان ، وفي عام ١٩٤٧ وضعت الفكرة موضع التنفيذ ، وعقد أول مهرجان شبيبة عالمي في براغ العاصمة التشيكية - هتفت فيه حناجر سبعة عشر الف شاب وشابة بشعارات السلام والصداقة ، كما نوقشت أفكار من أجل بناء عالم جديد ، يقوم على انقاض العالم القديم الذي دمرته الحرب ، وطالب الملتقون بحقوق الطبقة العاملة ، وبالعمل على تحرر شعوب العالم الرازحة تحت السيطرة الاستعمارية .

ونجحت الأفكار والمبادىء التي تمخضت عن المهرجان ، مما حفز على الدعوة الى مهرجان جديد ، اتخذ من بودابست - عاصمة هنغاريا - مكاناً لانعقاده ، وكان ذلك في عام ١٩٤٩ ، وقد رفع فيه شعار « من أجل استتباب الأمن والسلام والديمقراطية واستقلال الشعوب » . حضر المهرجان آنذاك أحد عشر الفاً من الشباب ، يمثلون ٨٢ دولة من دول العالم ، وجابت شوارع بودابست قوافل السلام المتضامنة مع الشعوب المطالبة بالاستقلال .

وقد لوحظ انخفاض عدد المشاركين من الشباب في مهرجان بودابست ، ولكن المهرجان الثالث الذي عقد في برلين سنة ١٩٥١ ، حقق رقماً قياسياً في عدد الشباب والدول التي مثلت فيه ، فقد بلغ عدد الشباب ستة وعشرين الفاً ، في حين ارتفع عدد الدول التي مثلت فيه الى ست وعشرين دولة ، كان من بينها دول تشارك لأول مرة ، كاليابان ، وتايلند ، والصين الشعبية ، وغيرها ، وكانت المناضلة الفرنسية « ريموند دين » من بين أهم الشخصيات التي حضرت المهرجان ، ولم يكن قد مضى على مغادرتها السجن الا وقت قصير ، بعد أن استلقت على خط السكة الحديد ، أمام قطار يحمل جنوداً وأسلحة فرنسية ، توجهوا لمحاربة الشعب الفيتنامي ، واستمرت مهرجانات الشبيبة في عواصم مختلفة مثل : بوخارست عاصمة رومانيا في عام ١٩٥٣ ، ووارسو عاصمة بولندا في عام ١٩٥٥ ، وكان الكاتب غبريال جارسيا ماركيز الذي حاز على جائزة نوبل

للآداب في الأونة الأخيرة ، ضيف شرف في المهرجان السادس الذي أقيم في موسكو في عام ١٩٥٧ ، مما قاله : « إن المهرجان كان اكتشافاً حقيقياً للانسانية » .

أول مهرجان في الغرب

ولقد أقيم المهرجان السابع ـ لأول مرة ـ في عاصمة من المعسكر الغربي بعد لندن هي فينا ، ولقي معارضة من الدول الغربية الأخرى ، ولكن المظاهرات التي قام بها سكان فينا تأييداً لعقده في مدينتهم ، هي التي مكنت من انعقاده . لقد تميز المهرجان التاسع الذي أقيم في صوفيا في عام ١٩٦٨ بمنظر البواخر البلغارية المحملة بوفود الشبيبة الفيتنامية الهاربة من نيران الحرب الطاحنة التي كانت تتعرض لها بلادها ، كما تميز المهرجان العاشر الذي عقد في برلين بالتضامن مع الشعب الفلسطيني ، في كفاحه من أجل استعادة حقوقه المشروعة في وطنه ، وتوالى انعقاد هذه المهرجانات حتى جاء دور المهرجان الثاني عشر في موسكو .

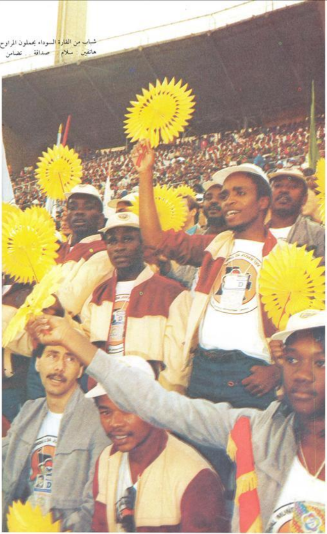
موسكو زهرة المهرجان :

حضر هذا المهرجان الأخير وفود من الشباب والضيوف ، بلغ تعدادها أكثر من ثمانية وعشرين الفاً ، يمثلون مئة وسبعة وخمسين بلداً ، وكان رمز المهرجان زهرة الأقحوان ، تتوسطها حمامات السلام ، وتحيط بها خمس دوائر ملونة ، ترمز الى القارات الخمس .

ولقد بذلت الشبيبة السوفيتية جهوداً غير عادية من أجل انجاح المهرجان ، فقد دربت الفرق الفنية ، ونسقت لوحات حفل الافتتاح والختام لتقديم عروض فنية ، خصص ريعها للمهرجان ، حيث انفقت عليه الدولة ما يقرب من ثلاثمائة مليون دولار ، وكانت عملية حشد هذه الآلاف من الشباب تحت سماء واحدة ، من الدقة والتنظيم مما جعلها ملفتة للنظر ، لقد بدأ مطار موسكو في استقبال الضيوف منذ أن اقترب موعد انعقاد المهرجان ، وكانت صالات المطار قد اعدت اعداداً خاصاً ، وحظي كل مشارك ببطاقة هوية يعلقها في رقبته ، تحمل صورته والبيانات



هذه الفتاة من أمريكا اللاتينية ، وجد المصورون الشباب في زيها الفلكلورى مادة جيدة للتصوير



شباب من القارة السوداء يحملون المراوح
هاتفين : سلام . صداقة . تضامن



روح الشباب التى لا تخبو يجسدها الشباب اليمنى



أزياء شعوب العالم .. قوس قزح لون نسجته شبيبة العالم

الخاصة بـه ، كجزء من الاجراءات الأمنية والتنظيمية .

كانت العاصمة السوفيتية قد أخليت من الطلبة والوافدين ، وخصصت مدينة سكنية في ضواحي موسكو لاقامة الوفود ، وعُيِّن لكل وفد مترجمون ومرافقون .

لقد تدخل منظمو المهرجان في الحالة الجوية أيضا ، كانت السماء قبل افتتاح المهرجان بساعات ملبدة بالغيوم ، ولكن طائرات الهليكوبتر قامت بنثر أطنان من الفضة السائلة المخلوطة بمادة الزئبق ، استطاعت تفتيت هذه الغيوم وتبديدها ، مما أدى الى سطوع الشمس وارتفاع الحرارة ، وأتاح للمهرجان أن يفتتح في جو مشمس .

حفل الافتتاح

اتسم حفل الافتتاح الذي شاهدته الملايين بمرح الشباب ، وبالآمال العريضة في احلال السلام .

وكان التدفق البشري للمشاركين والمتفرجين - الذين قطع بعضهم بضعة كيلو مترات سيرا على الأقدام - صاخبا كصخب نهر موسكو . الوفود المشاركة تموج بالرقصات والدبكات ، في حين كانت الرايات والأعلام الملونة وأزهار الاسفنج تزهو في السماء ، انه لمنظر بهيج حقا ، أزياء شعبية مختلفة الألوان والأشكال ، ترتديها وفود تمثل ١٥٧ بلدا من بلدان العالم .

افتتح المهرجان بمسيرة ضخمة لوفود رسمية وغير رسمية ، ثم قامت ابنة يوري جاجارين - أول رائد فضاء سوفيتي - بصحبة عامل في مصنع الفولاذ والصلب بإضاءة الشعلة ، وبعد أن ألقى رئيس الدولة المضيفة ، ومنظمو المهرجان كلمات الترحيب . قام تسعة آلاف من الشباب برسم لوحات بشرية لمدة ثلاث ساعات متواصلة ، وكان من بين هذه اللوحات صورة زهرة الأقحوان - رمز المهرجان - التي تحمل وريقاتها الخماسية ألوان القارات الخمس ، تتوسطها حمامة سلام ، وجعل من الكرة الأرضية خلفية لها ، وقد ظهرت زهرة الأقحوان أول مرة في مهرجان موسكو للشباب الذي أقيم في عام ١٩٥٧ ، ومنذ ذلك الحين أصبحت شارة دائمة للمهرجانات



فتاة من جمهوريات البلطيق السوفيتية .. زهرة تعيش وسط أزهار المهرجان .

اللاحقة ، ثم قامت الفرق السوفياتية بتقديم رقصات فولكلورية تمثل جانبا من الفنون الشعبية لخمس عشرة جمهورية . وقد انتهى العرض وشمس موسكو في كبد السماء ، وطائرات الهليكوبتر لا تكف عن نثر ذرات الفضة ، لاتاحة فرصة أطول لاشراق الشمس ورؤية حمام السلام الأبيض منطلقا يعلن نهاية الاحتفال ، وبداية الجانب العملي لهذا التجمع البشري الضخم .

المهرجان بالأرقام

كانت الأرقام التي طرحت بعد انتهاء المهرجان مثيرة للدهشة ، منها مثلا أن ٣٢٨٥ صحفيا معتمدا لدى المركز الصحفي الدولي للمهرجان ، قاموا بتغطية مختلف الأنشطة ، فنقلت ما يتراوح بين ٣٥ - ٤٥ ألف كلمة يوميا ، بثت من مركز الصحافة الاليكترونية الى الخارج ، كما انجزت برامج اذاعية وتلفزيونية جاوزت مدتها خمسين ساعة بث يوميا ، وقد بلغ عدد الأنشطة التي تمت خلال الأيام الثمانية للمهرجان ٣١٤٥ نشاطا مختلفا ، استغرقت مدتها الاجمالية ٧٥٨١ ساعة ، أو ما يعادل ٣١٥ يوما ، واشترك ما يربو على المليون انسان في ٥٧ اجتماعا تضامنيا حاشدا ، كما شارك ثلاثة عشر ألف شخص في أنشطة أحد عشر (استوديو) فنياً في استوديوهات السينما والمسرح والفنون التشكيلية والموسيقا الكلاسيكية والحديثة ، وقد وزعت في حفل الختام مئة وخمسون ألف مروحة ورقية ، ومئة وخمسون ألف بطارية ، لانارة مدرجات (الاستاد) ، وثلاثة ملايين من الأعلام والشعارات الملونة بألوان المهرجان ، وأسهمت سبعة آلاف حافلة في نقل الوفود ، ووزعت ثلاثون ألف حقيبة يدوية تحوى هدايا تذكارية عن المهرجان ، وقام ثلاثة آلاف مترجم بمرافقة الوفود .

عمل متصل

كانت اللغة العربية واحدة من اللغات المعتمدة في بث أخبار المهرجان ، فقد قامت وكالة أنباء نوفوستى باصدار نشرة يومية بمختلف اللغات - ومنها العربية - لاطلاع المشاركين على تفاصيل البرامج المكثفة التي كانت تبدأ صباحا بالندوات ، موزعة على خمسة عشر مركزا مختلفا ، فتغطى مواضيع علمية وفنية وسياسية ، وتنتهى في المساء بحفلات الرقص الشعبي في الشوارع العامة والحدائق ، وكثيرا ما كانت تمتد حتى الصباح ، ولقد علق بعض المشاركين في المهرجان بقولهم : « لا وقت للنوم هنا ، ففيه خسارة فادحة ، اننا سننام عندما نعود الى أوطاننا ، ولنتمتع بأيام وليالي المهرجان التي لا تعوض » .

وقد لوحظ أن بين المشاركين من الشباب أعدادا من كبار السن ، ممن شاركوا في مهرجان موسكو لعام ١٩٥٧ ، وكانوا عندئذ شبابا ، خرجوا من حرب طاحنة أشعلت النازية فتيلها ، كانت وجوه هؤلاء الشيوخ تطفح بالبشر والسعادة ، وهم يرون أحفادهم يشاركون في هذا المهرجان بحمل الأعلام الملونة ، قال أحدهم وهو قس ترك أبرشيته في قرية خوليتزى بقبرص « ان شبيبة العالم سوف تسمع صوتى هنا ، وأنا واثق من أن الشباب لن يسمحوا بحروب جديدة تتحول الى مقابر جماعية لبنى البشر » وكان لاشتراك المناضلة الأميركية « أنجيلا ديفز » وهي ضيفة شرف - أثر كبير ، وخصوصا أنها تحضر المهرجان للمرة الثالثة ، وكانت المرة الأولى في مهرجان هلسنكى في عام ١٩٦٢ ، والمرة الثانية في مهرجان برلين العاشر ، وقد علقت على أحداث المهرجان بقولها : « أحس هنا بأنى في عيد كبير ، وبأنى أقرب الى أفكار الناس حول الصداقة والسلام ، ان الفتوة طاقة هائلة ، وجموع المهرجان لا تعرف الحدود العرقية ، هنا تتوحد القارات ، ومثل هذا الحدث لن يغيب عن الذاكرة » .

لقد تجلت في حفل اختتام المهرجان عبقرية الشباب ، مما أثار الاعجاب والدهشة ، فلم يكن بوسع العين ان تستقر على عرض دون الآخر ، فمن عروض الباليه التي تؤدى على موسيقا تشايكوفسكى ، في سيمفونية بحيرة البجع ، الى فرق السيرك وعروضه الفنية الراقية ، الى طائرات الهليكوبتر وهي تؤرجح لاعبى (الأكروبات) في الهواء ، والجمهور يلوح بالمصابيح اليدوية ، فيخيل للناظر بأن الاستاد قد تحول الى سماء موشاة بالنجوم ، ولقد ظلت عالقة في ذاكرتى كلمات كتبها الفنان التشيكى « لويس فيريرا » على ورقة صغيرة علقها بجانب لوحته في مرسم الفنانين الشباب وفيها يقول :

يا أرضى ،
انك تحفظين في قلبك
قلوب العباقرة والحضارات ،
ما أغنى ثرواتك
لا يجوز تفجيرك أيتها الأرض
كلنا ندعو الى السلام
وسنعيش في ظله .

□



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة الشيمو في البيرو

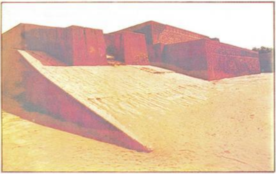
ازدهرت حضارة الشيمو .. فى البيرو فى أمريكا الجنوبية .. قبل ظهور حضارة الأنكا مباشرة .. واشتهرت بحب أهلها للذهب ، واقبالهم على اقتنائه .. حتى باتت كنوز عاصمتهم شانشان الهدف الأول الذى سعى اليه المستعمرون الاسبان فى العصور الحديثة .

ولم تكن حضارة الشيمو الوحيدة التى ظهرت فى البيرو قبل ظهور حضارة الأنكا .. فقد ظهرت حضارات أخرى عديدة غيرها .. نذكر منها حضارة الشافين التى ازدهرت فى حوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد .. ثم ظهرت حضارة المباراكاس فى وسط البلاد ، وقد اشتهر أهلها بتحنيط جثث موتاهم ولفها بأقمشة رائعة عند دفنها .. ونذكر أيضا حضارة الموش التى ظهرت على السواحل الشمالية واشتهر أهلها بالبناء والصياغة .. ثم نذكر حضارة النازكا التى ازدهرت فى جنوب البلاد حوالى سنة ٥٠٠ م .... ومما يذكر عن هذه الحضارة لغز النقوش والرسوم (العصافير والعناكب) والأشكال الهندسية التى نقشتها على قيعان السهول الجنوبية نقشا باقيا لايمحى ...

ونذكر بعد ذلك حضارة تياهواناكو التى ازدهرت فى حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية ، وطغت على معظم بلاد البيرو ، لقد جاء أهلها من المرتفعات ، واحتلوا شتى السهول والشواطىء والوديان ، ووضعوا الأسس التى قامت عليها من بعدهم حضارة الشيمو ..

أما أصل الشيمو فتدور حوله الحكايات والأساطير .. ومحور هذه الروايات البطل نايكانامو الذى جاء من وراء البحار محمولا على قارب ، .. وقد امتلأت يداه بمسحوق سحرى عجيب أصفر اللون .. هو الذهب ، كما لايخفى .. وتعلّم نيكانامو لغة اهل البلاد ، وأقام لنفسه قصرا .. ومالبث أن بايعه السكان المحليون حاكما أو رئيسا عليهم .

وخلَفَ البطَل ابنُه .. ثم ابنُ ابنه ، وكانت بلاد الشيمو تتسع وتزداد مساحة المرة تلو المرة .. وخلف هذين الحاكمين سبعة ملوك آخرين .. كان آخرهم منشان ـ سامان ، وقد بلغت المملكة فى عهده أوجها ، وأصبحت في منتصف القرن الخامس عشر امبراطورية مترامية الأطراف .. امتدت أراضيها الى



تمثل الصورة جانبا من أحد مجمعات الأهرامات التى بناها الشيمو خارج العاصمة . وتختلف أهرامات أمريكا الجنوبية عن أهرامات الفراعنة فى كونها ذات سطوح منبسطة . لاحظ النقوش الدقيقة على الجدران الداخلية .

نحو من ١٠٠٠ كيلو متر بمحاذاة الساحل ..

الا أن عهد الملك منشان الذى شهد ذروة حضارة الشيمو .. شهد أيضا بداية انحلالها على يد الأنكا .. والغريب أن المصير الذى لقيه الأنكا على يد بيزارو والمستعمرين الاسبان لقيه كذلك الشيمو على يد الانكا ..

العمران

كانت شانشان هى العاصمة .. وقد تجلت فيها عبقرية الشيمو العمرانية .. على أن لهذه المدينة ماضيا موغلا فى التاريخ ..... ويعود بنا الى القرن الثامن قبل الميلاد ، كما دلت على ذلك آخر الدراسات ، ومعنى هذا أن الشيمو لم يؤسسوا العاصمة ، بل انهم وجدوها قائمة ، وعلى جانب من العراقة حين احتلوها ، واتخذوا منها عاصمة لهم سنة ١٣٠٠ م ، ومهما يكن من أمر ، فقد كان للشيمو فضل تطوير شانشان وتحسينها عمرانيا ، حتى ذاع صيتها فى شتى البلدان المجاورة .. وحسبك أن المدينة اتسعت رقعتها فى عهد الشيمو ، حتى بلغت ٢٠ كيلو مترا مربعا ، وبلغ مجموع سكانها ٤٠,٠٠٠ نسمة ...

وكانت القلاع - القصور العشرة - أبرز معالم شانشان العمرانية .. فقد تميزت بالضخامة والاتساع .. اذ تراوح ارتفاع جدرانها أو أسوارها مابين ٧,٥ - ٩ أمتار ، وبلغ سمك تلك الجدران ٣,٥ أمتار عند القاعدة .. وبلغ من اتساع مساحتها ما جعلها أقرب الى المدن منها الى القصور .. لقد كشفت الحفريات عن عشر من هذه المدن أو القلاع - القصور .. كانت كلها مستطيلة الشكل .. ومسورة بالكامل ، وذات مدخل رئيسي واحد يقع فى السور الشمالى ..

وكان تقسيمها الداخلى واحدا ، وكأنها بنيت وفق خريطة هندسية واحدة ، فالأحياء الشمالية والوسطى فى المدينة خصصت للمبانى .. وقد شملت هذه فيما شملت الساحات وقاعات المجالس العامة ، ومنازل السكن والمخازن ، وكذلك المطابخ وخزانات الماء .

أما الحى الجنوبى فقد اقتصر على تل مرتفع .. أخفى مقبرة جماعية عثروا فى احداها (سنة ١٩٦٩) على رفات مائة جثة أو يزيد ... ودلت الفحوص

والدراسات أن تلك الجثث كانت لفتيات أقدمن على شرب السم والموت . . ليكنَّ الأضاحي التى درج قوم الشيمو على تقديمها بين حين وآخر .

ولعل أغرب ما يذكر عن هذه المدن أو القلاع ، أنها كانت قصورا ملكية . . مجرد قصور . . يعيش فيها الملك ويصرف شؤون حكمه . . ثم يدفن فيها حين يموت . . وقد بلغ عددها (١٠) وذلك لأن الملوك الذين حكموا الشيمو كانوا عشرة . . ومعنى هذا انها لم تبن فى فترة زمنية واحدة . . وانما على مدى عهود الملوك العشرة جميعا .

على انها لم تبن بحجارة ، وانما بالطين المجفف فى الشمس ، والمصنوع على شكل الطوب . . تلك هى مادة البناء التى بنيت بها تلك المبانى ، وسائر المبانى التى انتشرت فى مدينة شانشان . . ومما يذكر أن سقوف تلك المبانى بما فيها المنازل والمخازن وقاعات المجالس العامة ، انما صنعت من بوص وقش وطين .

وتجدر الاشارة الى الأهرامات ذات القمم المنبسطة . . وقد بناها الشيمو خارج عاصمتهم ، ولكن بالقرب منها . . وحرصوا على أن ينشئوا فى بقعة واحدة عدة أهرامات لاهرما واحدا منفردا . . ولا عجب . . فالأهرامات هى معابد الشيمو . . الا أنها ليست من ابتكارهم . . وانما من ابتكار أقوام أخرين غيرهم ، عاشت فى البيرو فى الألف الثانى قبل الميلاد .

الحكم والمجتمع

لعل من البديهى أن اقامة مثل تلك الصروح الضخمة ، فى زمن متخلف تقنيا ، لدليل على وجود حكومة قوية تستطيع ادارة الأعمال الانشائية الواسعة المتشعبة بحزم وانضباط . . اذ لابد أن يكون عدد الذين ساهموا فى تلك الأعمال بلغ عدة آلاف . . ولابد أن يكونوا قد عملوا تحت اشراف عدد كبير من المراقبين ضمانا للضبط والاتقان . .

على أن نظام الحكم فى شانشان كان استبداديا . . فالسيادة كل السيادة تركزت فى الملك أو السيد العظيم (بلغتهم quie quic) فهو منحدر من الآلهة . . كما اعتقد الشيمو وملوكهم . . . ولابد من أن ينتقل الحكم بعد موته الى أخيه أو ابنه . . ولا يخفى أن هذه



هذه هى شانشان عاصمة الشيمو . . وذلك إبّان ازدهارها ، فيما بين سنة ١٢٠٠ وسنة ١٤٠٠ م . . لقد ضمت معازل مختلفة فصلت بينها الطرق والساحات

القاعدة المزدوجة كانت مصدرا لكثير من الخلافات والمشاحنات التى أعقبت موت ملك من ملوكهم .

واحتل رؤساء القبائل المرتبة الثانية التى تلى مرتبة الملك . . على أنهم لم ينفردوا بتلك المنزلة ، وقد شاركهم فيها أبناء الأسرة المالكة . . فطبقة النبلاء اذن ضمت فى عُرف الشيمو كلتا الفئتين . . فئة رؤساء القبائل ، وفئة أفراد الأسرة الحاكمة . .

ومن طريف ما يُذكر أن الملك والنبلاء انحدروا أصلا من نجمين ، بينما انحدر عامة الشعب من نجمين آخرين . . من هنا كان مجتمع الشيمو مجتمعا طبقيا متزمتا الى أقصى الحدود ، ولا يسمح مطلقا بالاختلاط بين طبقاته .

« الزراعة والرى »

الملكية الخاصة لم تكن معروفة لدى الشيمو . . والأرض كل الأرض كانت ملكا خالصا للملك والنبلاء . . وان كانت طبقة العوام هى التى تولت زراعتها ، فما ذلك الا على أساس التصرف لا الملكية . . ولا تعارض بين هذا وبين اعتماد الشيمو

جميعا على الزراعة .. كمصدر لغذائهم ..

ومما يذكر أنهم ربوا عددا من الحيوانات المؤنسة .. ليأكلوا لحومها .. وكانت الكلاب من بين تلك الحيوانات ..

على ان المفخرة الكبرى التى يحق للشيمو أن يباهوا غيرهم بها ، هى شبكة الرى الواسعة المتشعبة .. فقد مكنتهم الأقنية من رى أراض بعيدة نائية .. كانت صحراء قبلهم .. ثم أصبحت صحراء بعدهم .. ولكنها كانت سهولا خضراء فى عهدهم .. سقوها بما تحتاجه من ماء ، وزرعوا حبوبا وغير ذلك ، وجنوا من ثمراتها الطيبة .. طعاما وكساء ما فاض عن حاجتهم .. وما اضطروا لتصديره أو بيعه لأقوام آخرين عاشت بالقرب منهم ..

وثمة مفخرة أخرى تتميز بها الشيمو .. هى الذهب والمصوغات الذهبية الدقيقة .. فقد اعتمدوا أساليب فريدة فى صنع مصوغاتهم الذهبية ، حتى جاءت هذه نموذجا فنيا رائعا .. ولايعرف سبب تعلقهم بالذهب ولا المصادر التى استخرجوه منها .. ولكن شغفهم البالغ بالمعدن الأصفر جعلهم يعتقدون بأن مؤسس مملكتهم الأول واسمه تايكانامو، انما جاء الى البيرو الى وادى موشة بالذات حيث استقروا



آنية فخارية أنموذجية باللون الأسود اللماع الذى أضفاه عليها صناع الشيمو

بادىء ذى بدء ، وقد جاء على قارب صغير من وراء البحار ، وجاء ويداه ممتلئتان بمسحوق سحرى .. لونه أصفر .. هو الذهب بلا نزاع .

غير أن الشيمو استعملوا النحاس والبرونز وغيرهما فى صنع سلع معدنية مختلفة .. وحققوا فى صنعها مثل المستوى الرفيع الذى حققوه فى المصوغات الذهبية .. ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى خناجر التومى التى اشتهر بها الشيمو التى اعتمدت الصوف والقطن وريش الطيور خامات لها . . .

الدين والمعتقدات

غلبت الوثنية على معتقدات الشيمو الدينية .. أى انهم ألهوا عددا كبيرا من قوى الطبيعة وأجرام السماء .. ألهوا البحر وألهوا الشمس والقمر .. (أوسى Si فى لغتهم) ، والطريف انهم اعتقدوا بأن القمر أقوى من الشمس من حيث هما آلهة،فأنت ترى القمر فى الليل وتراه في النهار أيضا أما الشمس فلا تراها .... الا فى النهار .. لذلك ميزوا القمر ونسبوا اليه من الجبروت مالم ينسبوه الى الشمس .. لاعجب اذن أن وجدوا فى كسوف القمر نذير شؤم لهم .. ولم يجدوا فى خسوف الشمس بشائر تبعث على بهجتهم وسرورهم .

وقد انتشر فى مجتمع الشيمو المنجمون والسحرة .. الذين وهبوا من القوى الخارقة ما مكنهم من التحكم فى أحداث الطبيعة .. بيد أن هؤلاء لم يحظوا بغير الكراهية والاحتقار .. من الشيمو .. أما الحماية والاحترام والرعاية فقد كانت وقفا على الكهنة .. والأطباء ...

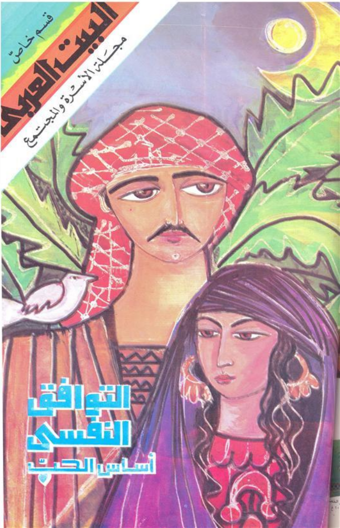
تلك هى حضارة الشيمو التى ازدهرت ثم ما لبثت ان اندثرت ، وقد جاء اندثارها على يد قبيلة الأنكا التى قدمت الى السهول من المرتفعات الشمالية ، وبدأت غزوها لبلاد الشيمو وتغلغلها فيها اعتبارا من سنة ١٤٦٠م .

الا أن حكم الانكا لم يطل أكثر من قرنين وثلاثين عاما (١٢٠٠ ـ ١٥٣٠) .. فقد غزاها فرانسيسكو بيزارو المستعمر الأسبانى ـ سنة ١٥٣٠ وأطاح بها .. هذا بالرغم من أن جيشه لم يزد تعداده على (١٨٠) رجلا ..

□



خفيف جداً ، منعش جداً
ورائع جداً للضيوف
شاي الصين الأخضر
اليونغ هيصون
6147
9371
قدم لضيوفك شاي مميز منعش ، شاي أخضر دائم الخضرة
ن الصين ، سوف يستمتعون بطعمه الخفيف البارد ، وعبيره المنتقى بعناية
نقة ونكهته التي لن تنساها أبداً .
خبراء الشاي معجبون بطريقته في إطفاء العطش ،
لمساعدة في عملية الهضم وفي تقوية معنوياتك ولايتركك
ى تشعر بالارتياح التام .
الصين من أقدم البلاد وأكثرها خبرة في زراعة
شاي في العالم . والآن الشاي الأخضر القادم من هناك
حت اسم شاي دائم الخضرة ، قدمه لضيوفك بدون حليب
سكر حتى يستمتعوا بالبقاء ، فهو منعش بطبيعته
للمناسبات السعيدة والاحتفالات والولائم . الشاي
أخضر من الصين هو أفضل شراب يمكنك تقديمه .
دائم الخضرة
شاي أخضر من الصين
شعفي
٥٠٠ غ
يونغ هيصون
١٠٠٠ غ
يونغ هيصون
٣٠٠ غ (علبة)
الشمعي الخصوصي
١٥٠ غ (علبة)


قسم خاص
البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع
التوافق
النفسي
أساس الحب

التوافق النفسي أساس الحب

لكي يتقبلك الآخرون

.. تقبّل نفسك !

بقلم : راجى عنايت

يدب الفشل فى أى علاقة حب ، اذا كان أحد طرفيها مقتنعا ـ فيما بينه وبين نفسه ـ أنه غير جدير بحب الآخرين ، وشاعرا بأنه لاقيمة له . فبغير تقبل الانسان لذاته وتقديره لها ، تتبدد السعادة ، فالسعادة تأتى من داخلنا . . ولاعبرة للوهم الشائع الذى يقول بأنه فى مقدور الآخرين أن يجلبوا الينا السعادة .

يقول باحث علم النفس الاجتماعى « كين كييز » : « يقول الواحد منا لنفسه : اذا امكننى أن أجد الشخص المناسب الذى يستطيع أن يقيم معى علاقة حب ، فستتحقق لى السعادة . . وهكذا نمضى لنبحث عن الشخص ، الذى توحى لنا توجهاتنا الخاصة أنه الضالة المنشودة ، ونحن قد نستمتع معه ببعض اللحظات السعيدة ، الا أن مثل هذه العلاقة مصيرها التدهور ، نتيجة لأننا لانعرف كيف نحب . . »

عليك أولا أن تعرف نفسك ، قبل أن تسعى للبحث عن الطرف الأخر المناسب ، وقد يستخف البعض بهذا الشرط . . وقد تسأل ساخرا ، ومن الذى لايعرف نفسه ؟ . . الا أن الأمر ليس بسيطا أو سهلا ، فلكى تعرف نفسك بصدق ، لابد أن تتجاوز المظهر الخارجى المضلل ، وأن تواجه نفسك بامانة كاملة . . عليك أن تنهى التناقض بين ماتقول ومانفعل ، وأن تقرب الفجوة بين الانجازات والأحلام . . والأهم من هذا كله ، عليك أن تؤمن بأنك تستطيع أن تخلق ذاتك بإرادتك ، لا أن تكتفى بالعثور عليها ! . . .

تغيير الماضى :

قبول الذات والرضا عن النفس ، يتطلب عدم التوقف عند هزائم الماضى ، وعدم التعلق بالمعاناة الدائمة كوسيلة دفاع ، فى وجه عالم شديد التركيب والتعقيد . . وهذا يقتضى عدم معاودة ارتكاب الاخطاء الماضية ، واتباع أساليب جديدة فى انشاء العلاقات البشرية . فالذين يخافون التغيير ويستكينون الى الجمود ، يقول الواحد منهم مبررا



« لقد كنت دائما هكذا » أو « انا كذلك » ، نتيجة لخبرات حياتى السابقة التى لايمكن تغييرها » . والسر فى هذا أن طرق التصرف القديمة المجربة تكون بالنسبة لهم مريحة ، بعكس الطرق الجديدة التى تحمل فى طياتها احتمالات المخاطرة ، وحتمية بذل الجهد .

وجهد تغيير الماضى ليس أمرا سهلا ، فأنماط السلوك ، والعادات التى نتعلمها فى الصغر تكون عميقة وقوية . وفى بعض الأحيان ، يكون تغيير هذه العادات واقتلاع انماط السلوك القديمة ، محتاجا الى الكثير من جهد الاكتشاف ، وصلابة الارادة . علينا أن نمسك بتلابيب الماضى ، ونؤمن بقدرتنا على صنع قراراتنا ، وعلى تحديد اختياراتنا ، وانتخاب تصرفاتنا ، بحرية كاملة .

عندما يتوفر هذا تتضاعف احتمالات تحقيق الآمال والأحلام .

المشاعر الخفية :

كلما زاد تحكمك فى أمور حياتك ، أصبحت أكثر سيطرة على قدرك ، وصرت أكثر شجاعة فى قبول وتحمل المزيد من مسئولية ما يحدث لك . . بهذا سيقل لومك الاخرين على ما يحدث لك ، ويصعب عليك تبرير فشلك ، وارجاعه الى الحظ السيء .

وملاحظة الانسان لتصرفاته الخاصة ، يمكن أن تعطيه مؤشرا هاما لمشاعره الخفية ، التى قد لايعيها ، والتى تفعل فعلها فى التأثير على قراراته الهامة . وهذا يسمح للانسان باكتشاف المزيد من ذاته ، اذا ماحرص على أن يختار بنفسه ولنفسه من بين البدائل التى تعرض له .

أحرص دائما ، كلما كنت بصدد اصدار قرار ، على أن تعتمد على مشاعرك واحاسيسك والهامك

الخاص ، وأن تعتمد على ذكائك . . فأنت لن تحقق أقصى طاقتك ، الا اذا أتيح لك أن تتأمل نفسك من الداخل جيدا ، لتختار من بين بدائل التصرف ، ذلك الذى يجعلك تشعر شعورا طيبا نحو نفسك .

وضوح الهدف :

ووضوح الهدف عنصر هام فى الوصول اليه . . فالذين يتمكنون من تحديد مايريدونه بالضبط ، هم أكثر قدرة على تحقيق هدفهم ، والشائع الا تكون لدى الناس سوى أهداف وقيم ضبابية غيرواضحة .

وينصح علماء النفس الاجتماعى بأن يجرى الانسان التدريب التالى لكى يتثبت من أن أغلب الأشخاص الذين يعجب بهم اعجابا شديدا ، هم أولئك الذين يتميزون بوضوح أهدافهم .

فكر فى خمسة أشخاص تعجب بهم أشد الاعجاب ، من محيط حياتك ، أو من الشخصيات المعاصرة المعروفة ، او حتى من الشخصيات التاريخية . دون الأسماء فى صفحة من الورق ، ثم حاول أن تسجل أمام كل اسم مصدر اعجابك به ، ستكتشف آخر الأمر أن مايتميز به هؤلاء الأشخاص ، هو نفس ماتسعى الى تحقيقه .

بعد ذلك ، حاول أن تفكر فى نمط الحياة الذى تريده لنفسك ، وسجل الأهداف والقيم التى تود أن تتمسك بها . . ثم تأمل بأمانة ، لتعرف ماالذى قمت به فعلا لتحقيق هذه الأهداف .

وينصح خبراء علم النفس الاجتماعى بالانتقال الى تدريب آخر ، يطلب فيه منك أن تسجل حصرا بما تجيد انجازه من أعمال ، ماالذى تفخر بعمله ، وماالذى تسعد بانجازه . . حاول أن تتذكر وقائع نجاحك فى الحياة ، ثم سجل انجازاتك الناجحة .

عندما تنتهى من هذا ، تأمل هذه الانجازات التى سجلتها ، وحاول أن تدرسها ، لتحدد كيف وصلت اليها . . ثم اجب عن هذه الأسئلة : هل أنت قادر على القيام بأعمال لم تكن تظن انك قادر عليها ؟ وما هى القدرات الخاصة التى أمكنك أن تحققها ؟ هل



أتاحت لك هذه الانجازات تقديرا افضل لطاقتك ؟ وأخيرا ، كيف يمكنك ان تستخدم قواك وقدراتك هذه فى انجاز ما تسعى اليه فى حياتك المقبلة ؟

أكثر من (أنا) :

الا أن اختيار أهداف الانسان لحياته المستقبلة ، من العمليات المركبة ، دائمة التغير . عن هذا قال داج همرشولد ، السكرتير العام السابق للأمم المتحدة « فى كل لحظة يتوجب عليك أن تختار نفسك . . ولكن ، هل تختار نفسك فعلا ؟ . . هل تختارها

بصدق وأمانة ؟ . . فجسد الانسان وروحه يوفران له آلاف الاحتمالات ، التى يستطيع عن طريقها أن يبنى أكثر من (أنا) واحدة . . ولكن من بينها ، توجد (أنا) واحدة فقط لايستطيع الانسان أن يعثر عليها ، الا اذا استبعد كل الاعتبارات السطحية الخادعة ، الكائنة والمحتملة .

الا اذا استبعد الاعتبارات التى يغذيها الفضول والجشع ، والتى تعوق وصول الانسان الى فهم سر الحياة ، والتى تسد طريق تعرفه على جوهر المواهب التى اختص بها » .

عندما نعثر على هذه « الأنا » الخاصة بنا ، وعندما نظهر تقبلا لذواتنا فسنجد فى هذا خير عون لنا على بناء اساس قوى لعلاقات بشرية حميمة وصادقة . . فلكى نحب الآخرين لابد أن نحب أنفسنا ونقيم معها انسجاما وتوافقا .

اشتراطات التوافق :

وحتى نفهم بالتحديد ، معنى أن يتوافق الانسان مع ذاته ويتقبلها نطرح هذه الخلاصة التى توصل اليها خبير علم النفس الاجتماعى يوجين ماكدونالد ، وهى تتضمن الاشتراطات التى يجب أن تتوفر فى الشخص المتوافق مع نفسه ، المنسجم مع ذاته : ـ

● يكون مشاركا فى الحياة ، وليس متفرجا عليها .

● يميل الى أن يكون موضوعيا ، تلقائيا ، أمينا فى عواطفه وأفكاره .

● يحاول أن يفهم العلاقات البشرية ، والظروف الموضوعية الداخلة فى أى مشكلة تعرض له . . على الا يبالغ فى هذا الجهد بما يتجاوز حدود قدراته .

● يعلم أن وصوله الى أفضل توافق ممكن مع الحياة غالبا ما يتم دون فهم كامل لكل مايدخل فى عملية التوافق هذه من عناصر .

● يكون مستعدا لممارسة كل المباهج والآلام التى تحيط بعملية كشف الذات ، اى أن يقبل مزيج الألم والسرور الذى يصاحب كل تغيير يجريه على مواقفه ، وفى مشاعره نحو نفسه ونحو الآخرين .

● أن تكون مطالبه فى الحياة خاضعة لعقله فى معظمها ، اذا كان يحلم بشراء سيارة من نوع خاص ، ويكتشف ان قدراته الاقتصادية دون ذلك ، فإنه يعمد الى شراء سيارة أخرى أصغر وأقل ثمنا ، تناسب ميزانيته .

● أن يفهم الشخص ، اذا لم تتوفر لديه الموهبة الملفتة والقدرة المتميزة ، حقيقة وضعه ، ويكون قادرا على المشاركة والاستمتاع بصحبة الموهوبين ، دون أسف لعجزه عن الوصول الى مستوى انجازهم .

● وهو لايتوقف عند الفرص الضائعة ، والقضايا الخاسرة ، والخطأ الذى يرتكبه ، والفشل الذى يلاقيه . . بل على العكس من ذلك ، يكون ميالا الى أن يتأمل هذا جميعه محاولا استخلاص فهم جديد لطبيعة التغيير الذى لابد أن يدخله على سلوكه حتى يصل الى مستقبل أفضل .

● يجب ألا يقف جامدا بطريقه غير عقلانية ، ازاء مايمر به من مشاعر الحب ، والكراهية ، والحسد ، والغيرة ، والشك ، والطمع . بل يسعى الى أن يستخلص من كل شعور من هذه المشاعر ما يحمله من رسالة خاصة تساعد فى كشف المزيد من الحقائق حول الذات .

● بالرغم من أن الشخص القابل لذاته ، المتوافق معها ، يميل الى صحبة الآخرين ، الا أنه فى بعض الأحيان ، عندما تكون الوحدة أو العزلة ضرورية ، فإنه يتحمل عدم الاتصال بالآخرين .

● وهو لايكون تقليديا فى تفكيره ومشاعره وتصرفاته ، لكنه عندما يتخذ موقفا غير تقليدى ، فلا يكون ذلك لمجرد مخالفة ما جرى عليه الناس ، ولكن لرغبة فى التعبير عن اجتياح قوى ، ازاء موقف شخصى أو عام .

● كذلك هو لايخضع بجمود وعبودية للقواعد والقيم الثابتة فى مجتمعه ، بل يسعى الى تغييرها مهتديا ببصيرته .

● وهو يعطى الآخرين الحق فى اعتناق أفكار تختلف عن أفكاره ، والايمان بقيم قد تتناقض مع القيم التى يتبناها . □

متى يكون الطفل مستعداً للقراءة ؟

اعداد : زينب الكردي

ما الذى يجعل طفلا في الثالثة من عمره يتحدث وكأن في جوفه آلة تسجيل . . وآخر في السادسة يتأتىء ، ويتهته ، ويعجز عن التعبير عما بداخله ؟ هل هى حالة نفسية أم أن هناك عوامل اخرى تتدخل في إحداث هذا الاختلاف . ؟

يقول الاستاذ محمد رضوان في كتابه « الطفل يستعد للقراءة » : أنه قد ثبت بالدراسة وجود عوامل اخرى تتدخل بالفعل منها مثلا : حجم الاسرة العددى . علاقات الاسرة الاجتماعية ، ومدى انفتاحها على المجتمع من عدمه ، وجود أطفال آخرين في مثل سن الطفل يتعاملون معه ، وحجم هذا التعامل ، طبيعة الأبوين والظروف التى يعملان فيها ، وما إذا كانت مؤثرة في علاقتهما به ، بمعنى : هل هذه الظروف تحدّ من الوقت الكافى للثرثرة معه ومحاورته وتشجيعه على التعبير عن نفسه ام ان عملهما يجعلهما في حالة ارهاق وشغل دائم مما يجعلهما يضيقان بكلامه واسئلته التى عادة ماتكون كثيرة في هذه المرحلة ؟ . . والحالة الصحية للطفل نفسه كأن يكون ثمة مرض ما في الاذنين أو في احدى عضلات اعصاب جهازه الصوتى

بشكل عام . دلت الأبحاث على أن الغبى أبطأ من الذكى في الكلام ، والطفل الوحيد لايتعلم الكلام بنفس السرعة التى يتحدث بها الطفل الثانى او الثالث . . .

لوحظ أيضا أن الطفل الذى تحرص امه على أن تشترى له الكتب الملونة وتقص عليه الحكايات الجميلة بسعة صدر ودون تبرم أثناء النهار أو قبل النوم تكون لديه محصلة لغوية ، وقدرة في التعبير عن نفسه اكثر من هذا الذى يُقمع باستمرار بحجة أن امه تعانى من صداع . . أو مرهقة وباقى الحجج المعروفة . . . والغريب أن البنات لديهن قدرة أكثر من الذكور على اكتساب حصيلة لغوية أكبر والتعبير عن أنفسهن ببساطة ، والذكور أقل دقة وعناية من البنات في تعبيراتهم وأكثر إغفالا لقواعد النحو . . .

التمركز حول الذات

والطفل حين يتعلم الكلام يبدأ بما تقع عليه حواسه ، فهو ينطق بابا . . ماما . . لبن . قطة ، وبعد ذلك يأتى دور الافعال والحروف فيبدأ بقول : « احبك » « سيئة » . . الخ . . وبشكل عام تتركز لغته حول ذاته هو ، لأنه في فترة ماقبل المدرسة تغلب



عليه روح الفردية والأنانية ، وهذا طبيعى فهو حتى هذه السن يكون محصورا في دائرة ضيقة كأن تحبه وترعاه بما هو عليه بعكس المدرسة التى يصبح فيها محبوبا بقدر ما يفعل ويتصرف .. أيضا نلاحظ أن كلماته تغلب عليها البساطة وعدم الدقة والتحديد ، وأن له مفاهيمه وتراكيبه الخاصة في الكلام ، فليس في الامكان أن نفصل بين النمو العقلى والنمو اللغوى للطفل ، فالنمو اللغوى ايضا يخضع لعاملى النضج ، والتعلم ، وهذا يعني لغة لها خصائص تختلف عن لغة الكبار ، وحتى عن لغة الكتب والتعليم،والدليل على ذلك أن كلمة بحر تعنى بالنسبة لنا غير ماتعنيه بالنسبة له ، اذ أنه يعتبر أى تجمع للماء هو « بحر » ، وفي السادسة يطلق على الترعة أو المستنقع كلمة « بحر » .. ايضا كلمة « فرح » تعنى بالنسبة لنا إما حفلة عرس أو حالة نفسية خاصة لكنها بالنسبة له تعنى فقط حفلة عرس ... اذن هناك اختلافات ويجب على كل من يتعامل مع الطفل او يكتب له أن يلم بها ويضعها في اعتباره ...... لكن ما هى سمات اللغة التى يتحدث بها الطفل ؟ ...

لغة الطفل

يمكن القول ان لغة الطفل من عبارات وتراكيب تتميز بتكرار الكلمات والعبارات وهذا ينسجم تماما مع طبيعته اذ أنه حتى في سلوكه يميل لتكرار مايفعله أو يسمعه ويقلده لأنه بيولوجيا يتوق لاستخدام طاقاته النامية سواء كانت عقلية او جسمية ، ولأن مجال استخدامه لهذه الطاقات محدود بسبب قلة خبراته ، فليس امامه الا أن يعيد ماألف ويكرره من باب تأكيد الذات ، فهو يقول مثلا مصورا حالة ابتهاج في الأسرة : ماما ضحكت .. وانا ضحكت . وبابا ضحك .. واخويا ضحك »

وعندما يتذمر من امه يقول : « طول النهار ياولد اسكت . ياولد اسكت . وأنا اسكت . اسكت » ايضا يلجأ الى تقديم المسند اليه عند الكلام فيقول مثلا : بائع الحليب في الشارع . ابنة الجيران معها مائة فلس .. مع ان كُتّاب الاطفال يكتبون بلغة مختلفة فيقولون : خرج جاسم ذات يوم الى السوق .. أو تطلع الشمس كل يوم من الشرق ..

وكما ترون هى لغة مختلفة تماما . .
وهكذا يفاجأ الطفل منذ اليوم الاول له في المدرسة بلغة لم يعهدها مطلقا ، وليست له بها أية صلة رغم انهم يقولون له ان تلك هى لغته العربية الفصحى . .
هذا لا يعنى أننا نعارض أن يتعلمها ، مانتكره هو ان يتعلمها فجأة او نجبره على التعرف عليها دون تدرج كى لايكون رد الفعل الطبيعى لهذا ان يكرهها منذ اليوم الاول
تصور مثلا ان تقول لطفل هذه المرحلة : كيف ؟ . . مامعنى « كيف » هذه ؟ . . كيف يفهمها وهو لايعرف الا مرادفها العامى ؟ . المفروض طبعا أن نزاوج بين اللغة العامية التى اعتادها والعربية الفصحى التى يجب عليه أن يتعلمها ، بمعنى أن نقدم له اولا الكلمة العامية التى لاتفترق كثيرا عن الفصحى وما أكثرها في لغتنا ، مثلا : حمامة . خروف . ارنب . مشيت . حكاية . جديد . . الخ

السن الملائمة

والسؤال الآن ماهى السن الملائمة التى نتوقع فيها من الطفل أن يبدأ في تعلم القراءة ؟
مايحدث حاليا هو أن كل الاطفال رغم الفوارق البيئية بينهم جسميا وعقليا ، وحتى في مستوى الذكاء ونوعية البيئة الاجتماعية التى جاءوا منها ، واختلافهم من حيث الخبرات التى اكتسبوها قبل ان يأتوا الى المدرسة . . رغم كل هذه الفوارق يطبق عليهم جميعا منهج واحد واسلوب تعليمى وتربوى واحد وكأنهم نسخة مكررة من أصل واحد ، والنتيجة أن البيت يتهم المدرسة بالاهمال والفوضى ، والمدرسة تتهم البيت بعدم الرعاية والمتابعة
الطفل لايكون مستعدا لتعلم القراءة الا اذا بلغ حدا من النضج، والمقصود « بالنضج » نمو السمات الكامنة في الفرد بعكس التعلم الذى يحدث عن طريق نشاط الطفل نفسه أو بالتدريب الموجه ، فمثلا الطفل لايتعلم المشى او يتدرب عليه الا اذا بلغ حدا من النضج،والتعلم يؤهله للنجاح في هذه العملية . .

وهذا لايعنى الفصل بين النضج والتعلم كعاملين منفصلين ، متميزين ، لأنهما متداخلان الى حد بعيد ، وقد يسبب احدهما تعويق الثانى او مساعدته بمعنى انه لكى نساعد على نمو السمات الكامنة في الفرد لابد ان نبذل جهدنا في التعليم والتدريب ، واذا لم تنضج هذه السمات فإن أى جهد يبذل سيكون غير مجد لأن النضج يعد المادة الاولية في التعلم ، فالنمو الجسمى ، والعقل لابد أن يحدثا قبل بناء مهارات جديدة . . أى لايتعلم الطفل شيئا الا اذا كان مستعدا لتعلمه ، هذا الى جانب ضرورة توفر اشياء اخرى منها : بيئة الطفل . محصوله اللغوى . الجو المدرسى .
بعد الشقة بين البيت والمدرسة ومدى هذا البعد او القرب ، وهل المدرسة او المعلمة على مستوى المسئولية ام لا . .
ان القراءة وظيفة عقلية يمكن أن تنمى ويمكن أن تهمل ، ويتوقف نمو هذه الوظيفة على : توفر العناصر الغذائية . الوراثة . البيئة . النضج . التعلم ، ولعل هذا يبين خطورة نظرة بعض الآباء الذين ينزعجون جدا اذا لم تقم المدرسة بتعليم ابنائهم القراءة والكتابة خلال شهور قليلة من التحاقهم بالمدرسة



ويلاحظ في عملية التعلم ان التكرار والتدريب الآلي المتواصل لاينبغي - بالضرورة - ان يستمرا الا في حالات معينة منها مثلا :

١) انتباه الطفل وتركيزه الشديد اثناء التكرار
٢) وجود حافز لديه يدفعه الى التكرار والتعلم
٣) يكون هو نفسه قد بلغ مرحلة النضج والاستعداد للتعلم

ويلاحظ ايضا أن تدريب التلاميذ - مهما كان جهد المعلم - لايجدي الا في حالات الاطفال الذين جاءوا من منازل تنقصها الخبرات او بيئات تعوزها الثقافة ، لكن الاطفال المتخلفين بسبب عدم نضجهم ، فلا تجدي معهم الوسائل العلاجية . . واكراه الطفل على تعلم القراءة وهو غير مستعد لها ربما أثمر نجاحا ما . . الا انه نجاح مؤقت الى جانب أن هذا الاكراه وما يصاحبه من ضغوط ستجعله يُعاني من بعض الاضطرابات أخطرها أن ينمو وفي داخله عداء شديد للكتاب حتى لو كان غير مدرسي،والحل . . . ؟

الأطفال والبيئة

الحل بسيط جدا ومجهد في نفس الوقت . . . واقول مجهد لأنه يحتاج لصبر وجهد أكبر . . لابد ان نصبر على طفل هذه المرحلة ونوجهه بقدر ما ، وغير مباشر وضاغط في الاتجاه الصحيح لأن الاطفال يختلفون في استجاباتهم للبيئة التي تحيط بهم ، وهم يختارون منها مايناسبهم ، ووظيفة المعلم في هذه الحالة أن يمد الاطفال بجو القراءة المناسب حتى تظهر عليهم علامات الاستجابة لعملية القراءة في مواقف معينة ، كأن يتلهف على النظر في الصور او بالقاء الاسئلة او الاهتمام بالكتب والكلمات والاعداد ومحاولة الكتابة الى جانب امتلاكه قدرة استرجاع الكلمات أو حفظ اغنيات الاطفال التي يسمعهابالاضافة الى القدرة على التعبير عن نفسه والاصغاء لمن يحدثه ، أما اذا تأخرت الاستجابة فليس امام المعلم الا ان ينتظر دون أن يبدر منه ما يوحي للطفل بأنه كائن غبي لا فائدة منه ، أو يتعامل معه بطريقة توحي له انه على وشك ان يفقد تقدير معلمه واحترام رفاقه لهذا السبب . . ولأن دور المعلم على تلك الدرجة من الأهمية فإنه ينبغي أن :

١) يكون ملما بالعوامل المختلفة التي تلعب دورها في استعدادات التلاميذ ودور كل عامل على حدة .

٢) ان يدرك الدور الذي ينبغي عليه ان يقوم به هو شخصيا تجاه كل عامل من هذه العوامل .

المعلم لطفل هذه المرحلة ينبغي أن يكون مؤهلا ومدربا نفسيا وعلميا وتربويا ، وعلى المسئولين أن يدققوا في اختياره ولا يحملوه هذه المسئولية الا بعد التأكد من انه لايرى في مهنة التعليم مجرد مهنة للتكسب بل فرصة تتيح له أن يعبر عن الطفل داخله . . .

المناهج والحياة المدرسية بكل مافيها يجب ان تكون امتدادا للبيت . . التعليم والتلقين يتمان من خلال نشاط تلقائي حر . . الالعاب . تربية حيوانات الحديقة وتأملها . الشرطة فيديو يعايش فيهاعالم الحيوان ويتعرف عليه . . وعلى الابوين ايضا ان يدركا انه لايهم ان يتعلم الطفل في السنة الاولى مبادىء القراءة والكتابة . . الأهم ان يتأقلم مع عالمه الجديد ويحبه . ان يتخلص من ارتباطه الشديد بأبويه وأن يشكل شخصيته الخاصة . أن يتعلم من خلال رفاقه معنى الاخذ والعطاء والتعاون والتخلي عن انانيته ، وان يتشرب كل القيم التي تتيح له ان يكون نواة لانسان جديد بناء . . . وهذا لن يحدث الا اذا جعلنا عالم المدرسة رحبا منطلقا يتيح للطفل ان يعبر فيه عن نفسه بحرية بعيدا عن الأوامر والنواهي التي لا معنى لها . . والاهتمام باختيار نوعية من يقومون بتعليمه ، والزامهم بدورات تدريبية من وقت لآخر ، ووضع وسائل علمية ونفسية متخصصة لمعالجة المتخلفين في القراءة والكتابة منذ السنة الاولى . . وسائل تخضع للدراسة والبحث والاحصاء والتقصي . . ايضا ينبغي عن طريق الاعلام والمدرسة نفسها توعية الأبوين بهدف ضمان حد ادنى من الاخطاء التربوية والتناقضات بين البيت والمدرسة والتي عادة مايكون الطفل نفسه ضحيتها الأولى والأخيرة . . □

هـو ....

أمي

أقطن مع أمي في مدينة واحدة ، بيتي وبينها نصف ساعة فقط ، ورغم أن كثيرات من صديقاتي يحسدنني على هذه النعمة ، الا أنها تسبب لي كل يوم مشكلة ونقاشاً لا تهدأ حدته أبدا .

أنتهي من عملي كل يوم بعد الرابعة ، يكون زوجي وقتها قد عاد الى عمله في فترة العمل المسائية ، وبدلا من أن أذهب الى بيتي مباشرة ، أتجه الى بيت أمي ، على أن يمر زوجي عليَّ في طريقه وهو عائد من العمل ليصحبني الى البيت .

ومن بيت أمي الى بيتنا يتحول الطريق الى رحلة عذاب .. لا تنتهي مناقشاتنا حتى بعد أن نعود الى البيت .. يبدأ كل يوم الحوار بالأسف على الوقت الضائع ، والزمن الذي لا قيمة له عندي ، وشغفي بجلسات الثرثرة والحكايات النسائية ، والكلام الذي لا معنى له ولا طائل فيه ، يقول لي لماذا تذهبين الى أمك كل يوم ؟ ألا تكفي زيارتان في الأسبوع ؟ وأحاول أن أشرح له والدمع يخنق نبرات صوتي .. ان علاقة البنت بأمها شيء آخر ، ومغاير لكل العلاقات الانسانية ، وانه لا يمكن أن أضع جدولا زمنيا أذهب اليها وفق مواعيده ، فلا أحد يستطيع الابتعاد عن أمه ، ولا أتصور أن ابنا أو ابنة يكون بمقدور كل منهما أن يرى أمه كل يوم ولا يفعل ، وأحاول أن أنقل له احساس الأبناء عندما يكبرون ، وتظل خيوط اتصالهم مع آبائهم قائمة .. وكيف يستشعرون بالحنان الغامر .. وكيف يصبح للحوار معنى مختلف واحساس مغاير ، وكيف تصبح كل الأمور قابلة للمناقشة والاتفاق والاختلاف ، وكيف يسبح الأبناء في بحور لا نهاية لها من أحاسيس رائعة بآبائهم .. وهم يلمحون في عيون الآباء فرحتهم بهم . . .



أحاول أن أقول له ما معنى أن تحتمي ابنة صغيرة - مهما كان عمرها بخبرة أمّ لها من أخطائها الصغيرة والكبيرة ، وكيف تأخذ الأم بيدها وتربت عليها .. وتنقل اليها حصاد عمر .. اقول له ان الجلسات بيننا ليست ثرثرة نساء ، ولكنها اتصال رقيق رائع نادر يربط ما بين الأم - مصدر الحب والحنان - والابنة . تحكي لها الابنة عن أشياء كثيرة وتفاصيل صغيرة ، لا تسمعها الا أمٌ ولا يتحمل سماعها الا أمٌ .. وتمد الأمّ خيوط كلماتها وحنانها ، تمنح السلام والرعاية والحب .. تصحح وتوجه وتعلم .. وتبني .. تماما كما كانت . وستظل .. كما ربّت في الصغر .. تكمل ما فعلت ونحن كبار ، فما أشد حاجتنا لأمهاتنا كلما تقدم بنا العمر .

هي

هيَ ....

مستقبلنا

يغيب العقل والمنطق عندما تقترب المناقشة من أمها ، ولن تكون أبدا أكثر حبا لأمها من حبي لأمي ، ولن تكون أكثر تفهما مني لشكل العلاقة بين الأباء والأبناء . وفهمي ويقيني لضرورة بر الانسان بأهله ووفائه لهم .. وأن الرابطة بين الابن وأهله هي رابطة عضوية ، تمتد في الدم والأعصاب والثقافة والحياة ..

ولكن القضية عندي ليست في هذا على الاطلاق .. ليست في ذهابها لأمها أو علاقاتها بها ، فليس لي أن أتدخل .. وأعترف أنه كان يسوؤني كثيرا لو كان وفاؤ ها وبرها لأمها أقل .. أقول ان هذه ليست هي القضية ، فموقفي كان سيظل كما هو ، سواء كانت تذهب لأمها وصديقاتها أو أحد أقاربها .. الموقف عندي هو هذا الفقدان في الوقت .. اهدار الزمن والأيام .. في شبكة علاقات إجتماعية بمرور الوقت تحيط بنا وتأكلنا كالعنكبوت وهو يلتهم فريسته .

نحن في بدء حياتنا .. كلانا مازال في بداية عمره المهني ، الأفضل والأجدر أن نحول وقتنا الى قيمة تضاف الى مستقبلنا .. نقرأ شيئا ينفعنا .. ننضم الى احدى مراكز الدراسات المسائية التي تكسب الانسان قدْرا من التأهيل الاضافي ... نتعلم لغة جديدة ... نطرق أبوابا جديدة لعلاقات اجتماعية أخرى تضاف الى رصيد الخبرة .. نجلس معا .. نستمع للموسيقا .. نقرأ جريدة .. نشاهد برنامجا تلفزيونيا .. نستثمر الوقت بطريقة أو بأخرى ..

لكن السيناريو اليومي لا يتغير ، أعود مساء .. أمرُ عليها في بيت والدها .. أصعد .. يصرّون أن أجلس قليلا كي أشرب كوب شاي .. يتلوه فنجان قهوة .. فعشاء خفيف .. فدردشة فسهرة .. فنكتشف فجأة أن الليل قد انتصف ، ونسرع عائدين الى بيتنا ... وقد ضاع منا الأسبوع .. الشهر .. العام .. العمر .. يوم يليه آخر وآخر ، وتتوالى الأمسيات متشابهات .. قد يكون هناك تغير بسيط ، ولكن المحصلة واحدة .. فاما أن يكونوا بانتظارى للذهاب الى زيارة .. أو لديهم ضيوف .. وتضيع الأيام ..

ما دخلنا بهذا كله .. ؟ ولماذا نترك العمر يضيع ويتسرب سدى .. ؟ لماذا لا نستثمر الأيام والوقت فيما يمكن أن يفيد .. ؟ وهذه هي القضية الرئيسية عندي لكنها تضغط على أعصابي وقلبي ووجداني .. وتحول القضية الى أمها وأهلها .. والى احتياجها الى الأم في هذه المرحلة من العمر أكثر مما مضى وطالما أفهمتها اننا كلما أوغلنا في الزمن .. اشتدت قوة الشد والارتباط بيننا وبين الجذور،الأرض .. العمر .. أمهاتنا .. ولكنها تصر على أن تلوي ذراعي ، وتضغط على قلبي ، وتدخل عواطفها النبيلة فيما لا دخل لي به .

هوَ



من الحياة

مع أذان الفجر في رمضان

بقلم : منير نصيف

كانت تمر بأعظم تجربة في حياتها .. فقد كانت تنتظر مولودها الأول الذى بدأ يتحرك في أحشائها .. ولكنها كانت تعيش حياة تعسة ، فقد كانت تحس أن سفينة زواجها توشك أن تصطدم بالصخور ، وهى بعد مازالت على شاطىء الحياة ! فاتجهت الى الله وكان الله دائما معها .

كانت تصحو من نومها في الصباح على صوت أذان الفجر ، فتقوم من فراشها في هدوء ، وتتجه الى النافذة الصغيرة في غرفة نومها ، وتقف وراء الزجاج ، وترفع يديها الى السماء وتقول « يا رب » .

لقد كان صوت المؤذن في هذه الساعة المبكرة من الصباح في حر الصيف القائظ هو أجمل صوت سمعته في حياتها .. لا لأنها تسمعه لأول مرة ، ولكن لأنها تسمعه في تلك الأيام القليلة الباقية على موعد ولادتها في شهر رمضان المبارك .. وكانت تشعر وهي راقدة في فراشها قبل أن يأتيها هذا النداء ، الذي يدعو فيه إمام المسجد القريب من بيتها ، المؤمنين للصلاة .. كانت تشعر ان النداء موجه اليها وحدها ..

فإذا ما انتهت من صلاتها القصيرة ، عادت الى فراشها وأسلمت نفسها للذكريات .. وما أكثر اللحظات التى كانت تشعر فيها بدموعها تملأ عينيها الجميلتين السوداوين ، وهى ماضية في ذكرياتها مع الماضى القريب مع الشاب الذى اختارته زوجا وأبا لطفلها الذى بدأ يدق الباب بيديه وقدميه ، ويتعجل الخروج الى الدنيا .. ماذا حدث لها .. وما هى قصتها ؟

* * * *

هى زوجة شابة في العشرينيات ، وهى وحيدة أبويها ، تزوجت منذ أربع سنوات من الشاب الذى أحبها ، وقضى شهورا طويلة يبنى معها قصورا في الهواء ! انها لاتزال تذكر اليوم الذى تقدم يطلب يدها .. لقد كان موظفا صغيرا لايكاد مرتبه يكفى ضرورات الحياة ، وكانت هى أيضا تعمل في احدى المؤسسات الكبرى ، بمرتب متواضع ، بعد أن أهملت تعليمها الجامعى ، ولكنها كانت سعيدة بهذا العمل الذى كان يشغل وقت فراغها .. فلم يكن الهدف من خروجها الى العمل هو الكسب المادى ، فلم يحدث أن أحست يوما بأن والديها يبخلان عليها بشىء ..



... كانت تعلم أن الفرصة لاتمام تعليمها الجامعي قد أفلتت منها ، لأنها لم تحصل على المجموع الذي يؤهلها للقبول ، ولو أنها كانت طالبة منتظمة في الجامعة لتغير مجرى حياتها كلها .. ولكنها كانت طالبة منتسبة .. وربما كان الشعور بالملل الذي كان ينتابها وهي تتنقل بين القراءة في الكتب ومشاهدة برامج التلفزيون ، أو الخروج في صحبة والديها في نزهات أو زيارات قصيرة .. ربما كان هذا الشعور الذي سيطر عليها في كثير من الأحيان ، وهي تجد نفسها تعيش داخل اطار هذه الدائرة الضيقة ، دون أن يكون لها أخ أو اخت ، من الأسباب الأساسية التي دفعتها الى التمرد على الكتاب ، وهي تبحث حولها عن رفيقة تشاركها آمالها ، وتحكى لها مايدور في رأسها من أحلام ، وما يعتمل في صدرها من انفعالات !

حقيقة كانت أمها دائما قريبة منها .. وكانت بالنسبة لها أختها الكبرى ، وصديقتها التي لاتخفى عنها شيئا .. ولكن الفتاة تشعر رغم هذا ، أن هناك أشياء كثيرة لا تستطيع أن تتحدث فيها مع أمها بنفس الصراحة ، التي كانت طابع حياتها ، مع زميلاتها في المرحلة الثانوية ، التي أكملتها بنجاح ، واستعدت بعدها للالتحاق بالجامعة ، كم تمنت لو أنها بقيت في مدرستها ، وطالت رحلتها مع زميلاتها اللواتي لم تكن تفترق عنهن أبدا ، الا عندما يحين موعد النوم !

* * * *

وتمضى الأيام ، والفتاة مقبلة على عملها الجديد ، في هذا العالم الغريب الذي وجدت نفسها فيه تعتمد على نفسها لأول مرة في كل شيء ..

الى أن كان اليوم الذي ظهر فيه هذا الشاب الذي ظل يلاحقها في عملها ، ولا يترك مناسبة تمر دون أن يعبر لها فيها عما يحمله لها في قلبه .. وكان يعرف كل شيء عنها .. أما هي فلم تكن تعرف عنه شيئا ، أكثر من أنه مجرد موظف تستعين به المؤسسة التي تعمل فيها من وقت لآخر لإنجاز بعض أعمالها الفنية .. بل أكثر من هذا فهي لم تشعر يوما بأنها تميل اليه ، وكانت تجد في حديثه معها ـ وقد كان دائما حديثا مقتضبا بريئا ـ ما يدفعها الى النفور والهرب منه ، فقد كانت تستثقل دمه .

ولم يكن هذا الذي يحدث في مكتبها بعيدا عن البيت سرا لا يعرف به والداها .. فقد كانت كثيرا ما تعود من عملها وتجلس مع أبويها تحكى لهما عن الضيق

الذى تحس به في كل مرة ترى فيها هذا الشاب قادما اليها ، حاملا معه ابتساماته وأحاديثه الثقيلة !

ولقد كان من الممكن أن تنتهى العلاقة بينهما عند هذا الحد ، فيبتعد الشاب ، وهو يشعر بفشله في الفوز بقلب الفتاة التى اختارها ، وراح يبذل كل ما في وسعه للتودد اليها .

ولكن الذى حدث بعد ذلك ، كان مفاجأة حتى بالنسبة للفتاة نفسها . . فقد تقدم الشاب يطلب يدها من والدها ، وأجفلت الفتاة ، وازدادت حيرتها عندما علمت بالأمر . . « هو يطلب يدى ، رغم كل ما اظهرته له من مشاعر أبعد ما تكون عن الود والتعاطف ! ؟ » .

وتكررت زياراته لبيت والديها ، والفتاة تزداد حيرة ، ولا تدرى ماذا تفعل ، ولا ماذا تقول ؟ ! وشيئا فشيئا بدأت ترى فيه مالم تكن تراه من قبل . . شاب هادىء مرح يحب الحياة ، متفوق في دراسته ويمتلىء طموحا . . ثم هو يحبها حتى في ثوراتها ، وحتى عندما خلعت خاتم الخطوبة والقته في وجهه أكثر من مرة ، عندما يتخاصمان ويختلفان ، وما أكثر ماكان خصامهما . .

وتمر الشهور . . أكثر من اثنى عشر شهرا كاملة هى فترة الخطوبة التى شاء الأب أن يجعلها أطول ما تكون ، وهو يرى الحيرة في عينى ابنته . . فقد كانت بعض الخصال في الخطيب أصيلة لها جذور تمتد في داخله ، ولكن كانت هناك خصال أخرى زائفة ، انها تلك التى يصطنعها الرجل ، أى رجل ، خلال هذه الفترة ، فيمتلىء بها هذا القناع الذى يضعه على وجهه في كل مرة يلتقى فيها بالمرأة التى ستشاركه حياته . . اما هى فقد كانت هى هى دائما الطفلة الصغيرة الكبيرة التى يمكن أن تبكى وتضحك في لحظة واحدة ، اذا اصطدمت بشىء يثير البكاء ، ثم التقطت اذناها نكتة أطلقها أحد الجالسين معها ، محاولا أن يمسح بها الدموع التى امتلأت بها عيناها السوداوان الواسعتان ! فقد كانت تكره التمثيل ، وتعرض عن التصرفات المصطنعة ، ولا تعرف الدلال الذى تجيده كل فتاة في مثل سنها . . وكانت بعد هذا كله صغيرة جميلة ، تعيش دوما مع الأحلام الحلوة التى يمتلىء بها رأسها الصغير وقلبها الرقيق .

وتزوجا . . وقال الأب يحدث خطيبها ، وكان آخر حديث له معه قبل أن يعطيه ابنته الوحيدة ، أعز وأغلى ما يملك كل أب : « لايهمنى أن أعرف كم تكسب ، ولا يهمنى مستوى الحياة الذى تستطيع أن توفره لابنتى ، فقط أريد أن أسمع منها دائما أنك عرفت كيف تسعدها ! »

* * * *

وسقط القناع عن وجه الزوج حتى قبل أن تبدأ رحلة زواجه مع عروسه . . وبدأت الزوجة الشابة ترى فيه أشياء كانت خافية عليها تماما . . انه شاب عنيد لايلين ، حتى لو كان على خطأ . . انه رجل لا يعرف ماذا يريد ، ولا في أى طريق يسير . . رجل يعيش حياة غير مستقرة . . انه هنا ، ولكنه غدا يريد أن يكون هناك في عمل آخر . . في بلد آخر . . المهم ألا يبقى في مكانه طويلا . . ربما كان الشىء الوحيد الذى يعرف أنه يريده ، والذى أصبح هدفه الوحيد في الحياة ، هو كيف يجمع أكبر مبلغ من المال ، وفي أقصر وقت ممكن ، ولكن كيف ؟ ومن أين يبدأ ؟ لا أحد يدرى ، ولا حتى هو نفسه !

وبدأت المشاكل . . فلم تعد الزوجة تشعر بالاستقرار الذى تبحث عنه كل فتاة في الزواج . . وبدأت الاضطرابات تلف حياة الزوجين الشابين ، وكثرت مشاكلهما ومشاجراتهما . . ولم تعد حياتهما تعرف الهدوء . . لقد تحول الزوجان الى متنافسين ، كل منهما يحاول أن يكون صاحب الكلمة الأخيرة . . وعندما أحست الزوجة بأن حياتها قد أصبحت مباراة داخل هذا البيت الصغير ، انطوت على نفسها ، وتركت له مقعد القيادة ، وأوشكت السفينة على الغرق !

ونصحها أبواها . . وقد كانا يرقبان هذا الذى يحدث بين ابنتهما وزوجها في دهشة وخيبة أمل ، رغم كل ما بذلاه ويبذلانه من جهد ومال لتذليل كل عقبة تعترض طريقهما ، نصحها الأبوان : « الأسرة لا تكتمل الا بمجىء الأطفال . . ألا ترين أن الوقت قد حان لكى تصبحى أمًا ، ولكى تجعل من زوجك أبا . . ربما يسهم شعوره بالمسئولية في اصلاح حاله ! »

وحملت الزوجة . . ولكن الزوج ، كان قد بدأ يضع قدمه على بداية الطريق الذى كان يبحث عنه لكسب المال . . وفي البداية ، وقفت وراءه تدفعه وتشجعه وتسهر الليالى في انتظار عودته من عمله . . ولكن عندما طال بها السهر وامتدت الليالى وتعاقبت ، والزوج غارق في عمله الذى أنساه بيته وزوجته . . حاولت أن تذكره بالحدث السعيد الذى ينتظرانه ، وبالضيف الجديد الذى اقترب موعد مجيئه الى البيت الذى بدأت تعده لاستقباله !

ولكنها لم تر من جانبه سوى هذا الشعور باللامبالاة الذى لم تخطئه عيناها . . كانت هى في واد وكان هو في واد آخر ، لا يتصل بعالمها الجديد بصلة . . فقد كانت تعتمد على نفسها وعلى أمها في كثير من الأحيان في تلك الزيارات المتكررة للطبيب الانسان الذى رعاها ، وأشرف على مراقبة الجنين في أطوار نموه . . حتى جاء موعد الوضع في النهاية ، فدخلت المستشفى قبل اليوم الذى حدده الطبيب بفترة لتكون تحت المراقبة ، بعد أن لاحظ تطورات توحى بأن حالة الأم غير مطمئنة !

وكانت الولادة متعسرة ، ولكن الله كان معها ، ومع الطبيب الذى أشرف على وصول الضيف الجديد . . وكان ولدا جميلا ، ما كاد يطلق صرخته الأولى حتى نسيت الأم كل مامرت به من آلام ! لقد جاء الضيف في شهر الصوم المبارك . . جاء في رمضان .

وعادت الى البيت تحمل صغيرها ، وكأنها تحمل الدنيا كلها بين ذراعيها . . وبحثت عن الأب فلم تجده ، لقد أصبح عمله الجديد يستوعب كل وقته . . لم تر الأم شيئا مما توقعت أن تراه بعد أن جنى الزوجان ثمرة زواجهما ، أصبح المكتب الذى يعمل فيه الأب ، هو بيته وفراشه ، وهو المكان الذى يقضى فيه كل نهاره وليله . . لم يكن يعود الى بيته الا فيما ندر ، حتى طفله الجديد ، نسيه في زحمة تكالبه على جمع المال .

وبدأت الأم تعود نفسها على هذه الحياة الجديدة ، كانت اللحظات التى تقضيها مع طفلها أمتع وأجمل لحظات عمرها . . شيء واحد ظلت تذكره ولم تَنْسَهُ أبدا . إنّها الهدية الصغيرة التى نذرتها للمؤذن الذى كانت تسمع صوته في الفجر وهو يدعوها الى الصلاة . . وأعطتها لصديق كريم عزيز ، تولى بالنيابة عنها تقديمها اليه . .

ومرت على حياتها الجديدة مع طفلها الصغير أربع سنوات كاملة ، والأب والزوج لاه عنهما بعمله وبالبحث عن مزيد من المال . . الى أن جاء يوم جلست تحدث نفسها « ولماذا أمضى في حياتى مع هذا الرجل ؟ . . انه لايشعر بوجودى ، والطفل الصغير الذى توقعت أن يكون مجيئه بداية صفحة جديدة في حياتنا ، لم يستطع أن يحرك فيه مشاعر الأبوة . . انه رجل أنانى لايحب الا نفسه ، ولا يسعى الا من أجل مصلحته . . وقد بدأ يمعن في اذلالى . . انه يتصور انه يستطيع أن يشترى الدنيا كلها بالثروة التى جمعها ، وراح يفاخر بها بين الناس . . لقد سقط القناع ، وبدأت أراه لأول مرة على حقيقته ! أى مستقبل ينتظرنا ـ طفلى وأنا مع هذا الرجل ؟ ان الحياة نعيشها مرة واحدة . . وأنا أريد أن أعيش حياتى مع طفلى . . ابنى الصغير الذى أعيش وأعمل وأكافح من أجله وحده » .

وحملت ابنها وذهبت لتبدأ حياتها الجديدة ، ولم يتخل الله عنها لحظة واحدة !

اما هو فقد فاته ان يعرف شيئا واحدا لا يمكن أن يشتريه بكل أمواله . . انه الحب الذى تهبه المرأة للرجل الذى اختارته شريكا لحياتها ، عندما تجد فيه الزوج والأب والأخ الذين تركتهم جميعا لتبدأ معه حياة جديدة . □

طبيب الأسرة

عزيزتي الأم

ولكنْ هناك أمراض تتنقلها القطط!

تحتل القطط في البيئة الاسلامية خاصة والشرقية عامة موقعا متميزا عن الكلاب ، وتنال القطة من الناس حظوة لا ينالها الكلب ، قناعة منهم بوداعة القطة ونظافتها ، وخلوها من أمراض تنقلها للانسان ، على عكس ما هو شان الكلب ، ولكن الطب الحديث يرى أن هذا الايثار كان في غير موضعه ، لأن القطط ليست آمنة كما توهم الناس، بل هي مصدر خطر كامن لم يستبن لهم طويلا لأسباب عدة ، منها أن أمراض القطط تصيب أغلب ما تصيب فئة الأطفال وهم أقل الفئات شكوى ، وان كانوا أكثرها تأثرا ، كما أن أغلب الأمراض ذات أعراض عامة غير واضحة المعالم ، تصعب ملاحظتها في مراحلها الأولى ، مما قد يشتبه مع أمراض أخرى تعزى لأسباب أخرى ، كالحمى والتعب ، وفقدان الشهية ، والآلام العامة وهكذا .

ربما كان من حسن حظ الانسان أن أمراض القطط ليست بالقاتلة ، ولكنها دون شك مجهدة ، وقد تحمل للمريض مضاعفات خطيرة ، كما انها أوسع انتشارا مما نتوهم أو نقدر .

وقائمة الأمراض التي تنقلها القطط للانسان عبر معايشتها والتصاقها به أكثر من أن تحصى ، مما يضيق المقام عن تعدادها ، لهذا سنتخير بعضا منها مما له خطورة وانتشار ، نستعرضه كنموذج لهذه الأمراض المحتملة ، التي تحملها للناس قطة تبدو الوداعة على ملامحها .

أولا : حمى خدش القطط : سببه فيروس مسالم بالنسبة للقطة ، ولكنه شرس بالنسبة للانسان ، لهذا فهو يعيش على مخالب القطة وبين أسنانها ، دون أن يسبب مرضا أو يؤدي الى عرض ما ، ولكن ما أن ينتقل الى جلد انسان مع خدش من مخالب قطة ، أو عضة من أسنانها أثناء المداعبة ، حتى يؤدي الى التهاب يتميز بالاحمرار والورم والألم يدوم أياما وأسابيع ، يصاحبه حمى وفقدان شهية وهبوط عام .

ثانيا : مرض التوكسوبلازما : لقد اكتشف مؤخرا نوع من الطفيليات وحيدة الخلية يعيش في أمعاء القطط ، يدعونه التوكسوبلازما ، كان مجهولا غامضا لأهل الطب ، حتى اكتشفت خطورته في احتمال تسربه الى الجنين عبر المشيمة من أمه

الحامل ، مما يؤدي الى عيوب خلقية وتشوه ، وربما التعوق والتخلف العقلي .

ثالثا : شريطية الكلاب : وهذه تصيب الكلاب وتصيب القطط أيضا ، كما تصيب الانسان ، اذ تعيش في الأمعاء الدقاق ، وهي اذ تخرج شريطياتها وقطع جسمها المتخمة بالبويضات ، تتناثر هذه البويضات فتلتهمها يرقات براغيث القطط والكلاب ، وتكبر معها حتى يبلغ البرغوث أشده ، واذا ما تصادف أن قفز البرغوث أو سقط في طعام طفل ، فان الدودة تنطلق الى أمعاء الطفل ، وتبدأ دورة من المعاناة .

رابعا : شريطية السمك هذه أطول انواع الشريطيات اذ يصل طولها الى عشرين مترا ، كما أنها أطولها عمرا ، اذ تعمر حتى العشرين عاما داخل أمعاء الانسان والقطط والكلاب ، وقد اكتسبت هذا الاسم لان السمك يعمل وسيطا مشتركا اذ تكمن في طيات لحمه حويصلات الدودة ، التي تعتبر أوسع أنواع الديدان الشريطية انتشارا ، لأن الدودة الواحدة منها تبيض مليون بيضه كل ثلاثة أيام ، وأخطر ما فيها انها تتغذى على فيتامين ب ١٢، ونقصه أهم أسباب فقر الدم الخبيث .

خامسا : اسكارس القطط : يعيش في أمعاء القطط نوع من الديدان الأسطوانية المتطفلة تسمى بالاسكارس ، وربما صادف أن ابتلع الانسان بويضة منها ، فانها تفقس في أمعائه ، وتنطلق يرقة صغيرة تجوب داخل أحشائه ، ولهذا تسمى عند الانسان مرض اليرقات المتجولة الحشوية ، وهذه قد لا تعيش أكثر من أيام أو أسابيع ، ولكنها قد تسبب الكثير من المعاناة والضرر .

سادسا : انكلستوما القطط : والانكلستوما على ما هو معروف ديدان صغيرة ، تعيش على امتصاص الدماء داخل الأمعاء الدقيقة ، وتخرج بويضاتها لتفقس الى يرقات في الأرض الطينية المبتلة ، فاذا صادفت يرقات انكلستوما القطط نفس فصيلتها أكملت دورتها الطبيعية ، ولكنها لو صادفت انسانا يسير حافي القدمين ، فانها تخترق جلده ، وتتجول فيه ، ومن هنا سموها اليرقات المتجولة الجلدية ، التي تسبب الحكة والألم والبثور .

سابعا : القراع : وهو مرض فطري يصيب الشعر ، ويؤدي الى تساقطه .

ثامنا : الحساسية : حيث ان بعض الناس لديهم حساسية خاصة لفراء القطط ، مما يؤدي الى الارتيكاريا أو الاكزيما ، أو الربو الشعبي ، وما إليه هذا بعض ما يمكن أن يقال في أمر القطط ، أو احتمال. عدواها التي كانت خافية فيما مضى من زمان طويل .

بريد طبيب الأسرة

الأرتيكاريا أو الشرى

● اصبت بمرض جلدي قيل عنه انه الارتيكاريا فهل لي ان اعرف ماهي الارتيكاريا وماهو علاجها ؟

م . ي . م
المنزلة ـ الدقهلية ـ مصر

ـ الارتيكاريا Urticaria التي تعرف في العربية باسم الشرى وقد يسميه أهل الغرب بلغتهم الدارجة Nettlerash او الطفح القرّاصى نسبة الى نبات ذي وبر شائك ، هي طفح جلدي يتميز بورم خفيف ذي مساحات متفاوتة ، ومنها ماهو صغير في مساحة رأس الدبوس ومنها ماهو كبير يحتل مساحات واسعة من سطح الجلد ، ويكتسب الوانا شتى يغلب عليه أن يكون ابيض وربما كان احمر او قرمزيا اشبه مايكون

بلسع الحشرات ، ويصيب اكثر مايصيب جلد الوجه او الاطراف أو البدن ، ولكنه قد يمتد الى الشفتين واللسان ، وربما اصاب الغشاء المخاطي للفم والجهاز الهضمي والجهاز البولي . وسببه تمدد الاوعية الدموية الدقيقة في الجلد مما يسمح بشرب زلاليات الدم وسوائله خلال الطبقة المسماة بالأدمة .

وعادة يحس المريض بشعور الحرقان ورغبة ملحة في الحكة التي تزداد خلال ساعات الليل عنها في ساعات النهار وربما صاحب هذا اعراض اخرى تختلف حسب موقع الاصابة ، فقد يحس المريض بالحمى أو الغثيان والم البطن واذا اصابت اللسان والحلق فقد يعاني من شعور بالاختناق او ربما هناك الم في المفاصل .

ان الارتيكاريا لاتستثني عمرا صغيرا أو كبيرا لكنها تغلب على من هم في العقد الثاني أو الثالث من العمر ، وقد لوحظ أن الاناث يصبن ضعف مايصاب به الذكور .

واسباب الارتيكاريا متعددة من اهمها :

١ - مثيرات الحساسية الخارجية وأهم هذه الادوية (العقاقير) والأطعمة وأدوات التجميل والمتنشقات .

٢ - مثيرات الحساسية الداخلية كالالتهابات والأمراض العامة .

٣ - عوامل فيزيائية طبيعية كالحرارة (من برودة او سخونة) والتعب والاجهاد والعرق الغزير . .

٤ - الاضطرابات النفسية

٥ - عوامل اخرى كلدغ الحشرات أو لمس النباتات،فيما مضى كانت الاطعمة والاشربة تتصدر اسباب المعاناة من الارتيكاريا غير ان العقاقير في عصرنا الحاضر تبوأت مركز الصدارة في قائمة الاسباب ، اذ تشكل مابين ٣٠ الى ٣٥ بالمائة من مجموع الأسباب،بل قد تصل الى اكثر من ٥٠ بالمائة من أسباب المعاناة الحادة ، ولعل أهم العقاقير المعروفة هو البنسلين وأمصال الدم ، غير أن الانسان قد يتعرض للمعاناة من الشرى كصورة من صور الحساسية لأي عقار آخر ، وربما كان عقارا مضادا للحساسية نفسها .

اما الأطعمة فلا حدود لحصرها ، غير أن بعضها يتصدر بقية الاطعمة وخصوصا تلك التي يدخل في تركيبها الزلال ، وأهم مافي قائمة الاطعمة المسببة للحساسية عامة والارتيكاريا خاصة هو الحليب ومنتجاته والبيض وأصنافه ، ثم الأسماك والأطعمة يضاف الى هذا المكسرات والحبوب واللحوم البحرية .

والتوابل وبعض أصناف الفواكه (الموز والمانجا والفراولة) وبعض من الخضراوات (الطماطم والكرنب) ثم لاتنس الشيكولاته والقهوة وربما يكون الشاي ايضا .

أما عن الأمراض الداخلية فهذه تثير حساسية في الجسم من داخله ، لهذا قد يدعونها بالمناعة الذاتية ، كما قد تسبب من ميكروبات (كالمكورات السبحية) أو من ديدان البطن او ربما تلف الكبد

ولو طرحنا أمر العلاج فهو لايعدو التبصّر والحذر من سبب الحساسية بعد التقصي والفحص عنه،وربما لجأ الطبيب الى مايعرف بالتطعيم ضد التحسس ولكن علاج الحالة الطارئة للشرى يكون بعقاقير مضادة للهستامين ، ودهانات موضعية يغلب عليها مضادات الهستامين والكورتيزون ودهان الكالامينا للتخفيف من شدة الحكة .

ردود سريعة :

● السيد ف . ع . الرياض - السعودية :

- ان البواسير درجات متفاوتة ، يترك أمر تقديرها وعلاجها للجراح ، ويبدأ عادة باستعمال التحاميل والمراهم التى قد تفيد في الأحوال البسيطة الأولية ، والا كانت الجراحة هي العلاج ، وعادة لا تعود البواسير بعد استئصالها الا نادرا ، وينصح المريض بتوقي الامساك والابتعاد عن الأطعمة الحريفة .

● السيد عبدالعزيز أحمد عبدالله - الدقهلية - شربين - ج . م . ع . :

- تساقط الشعر له أكثر من سبب ، أهمها السبب الوراثي ، وخصوصا في الأعمار الصغيرة . ولا يمكن معرفة السبب وعلاجه الا بالكشف الطبى ، يتولاه أخصائي الأمراض الجلدية . □

مساحة وُدّ

إلى صديق ..!

وقْعُ الأيام . . يصبح أكثر وضوحا داخل نفسى . . أكاد أن أحسَّ الزمن وأتنفسه ، يمر شريط الحياة كلها بما فيها من جلال وكبرياء وضعف وألم . . وزهد ونشوة وجوع وشبع وظمأ لاينتهى .

فمع بواكير أيام شهر مايو . . تتغير كيمياء الأحاسيس عندى ، ويصبح للزمن والحياة وقع آخر غير ما اعتدت ، راقبت نفسى طويلا . . لعلى أمسك بالخيط الذى يغير كل هذه الموازين داخلى ، لكننى لم أستطع أن أقتلعه من جذورى . . ففى خلال أيام الشهر يتعانق الميلاد والموت . . الخلود والفناء . . البقاء الراقى والرحلة القصيرة .

اقتحم علينا دنيانا وعالمنا ، وفرض نفسه كواحد من ألمع شعراء العربية الكبار . . بعدما ترك قريته الصغيرة في أعماق صعيد مصر ، وسافر مع الطمى والنيل من الجنوب الى الشمال . . فقيرا بسيطا ككل القديسين والورعين في سفوح الجبال . . كانت المدينة الكبيرة . . جبلا هائلا . . حوتا يبتلع كل الوافدين اليها . . يجلس على أبوابها أنصاف المثقفين وأنصاف الموهوبين . . يعطون من يشاؤون تأشيرة مرور واذن دخول . . وكان هو عالما آخر . . أكسبته قسوة الحياة حدة وشراسة . . لم تكن أبدا طبعا أصيلا فيه . . فكم صحبته في أمسيات طويلة . . نمشى في الطرقات . . نتسكع . . ويحكى وأسمع منه . . كان داخله طفلا رقيقا كالندى . . طاهرا كالقديسين . . حالما كالطيور . . انسانا كأنبل مايكون الانسان . . وكنت أدرك ـ بعد فترة من الصحبة ـ انه يكون هكذا عندما نكون وحدنا . . وسرعان ما يرتدى قناع الشراسة اذا ما اقتحم عالمنا ثالث . . وعرفت مع الزمن أنه يمنح انسانيته ونبله وطفولته للبعض فقط ممن يحيطون بحياته . ومع أيام مايو التى اختطفته . . أتذكر مشواره الطويل الثرى . . وكيف كانت بدايته منطلقة كالنجم ، فتجاوز كل جيله ، ووازى قمم الشعر العربى ثم اجتازها ، ليجلس وحده متربعا في ديوان خاص به في هذه المملكة السحرية . . منذ البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ، وانتهاء بأوراق الغرفة رقم ٨ ، كان انجازه الشعرى معبرا وثريا ومغنيا للوطن . . خرجت صرخته الأولى مع عذابات الضياع في صحراء الصيف . . ومحنة التيه عقب النكسة . . وظلت كلماته أناشيد عشق للحرية وللوطن . . ظل دوما « معلق أنا على مشانق الصباح . . وجبهتى بالموت محنية . . لأننى لم أحنها . . حية » لأنه كان ينفق العمر كي يثقب الجدار . . . « كي يمر النور للأجيال . . ولو مرة » ويا أيها الغائب الحاضر الزاهد الانسان الجليل المتألم . . ياصديقي الخالد . . أمل دنقل . . كم أفتقدك . . . ! □

محمود عبد الوهاب



الحركة الطلابية والسياسة الوطنية في مصر

تأليف : أحمد عبدالله

عرض وتعليق : جمـــال وردة

كان لصنع القرار السياسي في مصر قبل ١٩٥٢ قبتان : قبة البرلمان وقبة الجامعة ، فهل ذلك يعني ان انتقال القرار السياسي الى الشارع المصري حيث دفء الأرصفة وحرارتها قد جعله لاهبا صاعقا فاخترق السقف وانهارت القباب ؟؟

كتاب الشهر

يقولون ان الثورات دائما تأكل أبناءها ، ولكن أن يأكل الأبناء ثورتهم فهذا كثير حتى على عشاق مسارح « الفارس » واتباع المدرسة « العبثية » ، فقد عكست المعادلة تماما وأصبح الخطأ خطيئة . الحركة الطلابية المصرية والحركة الوطنية أكثر من خطين متوازيين ، فهما اقرب الى التفاعل والتأثر والصهر والانصهار . ففي سنوات الجمر والنضال الوطني والقومي ينتفي عنصر التصنيف الفئوي لشرائح الأمة ، فالقضية وطنية والوطن بفئاته جميعا عماله وفلاحيه ، ومثقفيه ، والشبيبة المثقفة تبقى دائما سراج أمتها ووقودها معا .

قد تتعثر الحركة الطلابية لسبب او لآخر ، وقد تسبق الحدث او تواكبه ، ولكنها تبقى دائما الضمير المستتر لامتها . ويحاول الكتاب في تصورنا - رغم انه سجل حافل وطويل لتاريخ الحركة الطلابية ورصد كل صغيرة وكبيرة عنها منذ ثورة ١٩ حتى منتصف الثمانينيات يحاول التركيز على مدى المحنة الطلابية المعاصرة وكأنها نتاج شرعي ووحيد للطريقة الناصرية في ثورتها التعليمية - لأن الالوف المؤلفة من الخريجين والتي كانت الظروف الاقتصادية التعسة اكبر من احلامهم وطموحاتهم ، فاتسعت الثغرة بين الحلم والواقع ، وانعكس ذلك الموقف بمرارته على وجدان الجسم الطلابي ، فتمزقت العرى وجفت الأواصر .

ولكن هذا التفسير البراجماتي يضعف من زخم الحركة الطلابية وديمومتها . فالشباب المتعلم لايقاس بتطلعاته فقط بل بانتمائه الى حركة امته التاريخية .

ان ميزة الشباب المثقف انهم دائما فوق الطبقات وفوق الانظمة . فهم اخضرار الفكر وشفافيته وجرأته وتفانيه - انهم الدم الجديد اللازم والحتمي لمسيرة الامة التاريخية - فالشباب مزاجيا وسيكولوجيا يرفض القيد مهما كان ، كالخيل الجامحة ابدا ، قد يهجنون ويلجمون ولكن تبقى في النفس بقية ، وفي الاعماق رجفة رفض وتمرد . فهذا الشريان الهادر هو الطاقة اللازمة لحركة امته ، وأي تجلط يعتريه تكون عندها الفاجعة ، وتصاب الامة وقتها بالسكتة الدماغية .

ان فترات البحث عن الذات تكون دائما حرجة ومريرة فهي كالخروج من الصورة لاعادة رسمها من جديد - قد يصاحب ذلك تهشم بعض الأطر التي ضاقت بهم ولكن يغفر لهم ان الصورة الجديدة ستكون ارحب واجمل ، ليس هذا بدفاع عن الحركة الطلابية المصرية ، فالكتاب نفسه عبارة عن وسام على صدر هذه الحركة ، ولكن الكتاب لم يُقيِّم أو يحاسب بل كان يلهث وراء كل حدث طلابي لرصده وتأريخه ، وامام هذا الكم التراكمي كانت لنا هذه الوقفة ، وهي ليست بالضرورة مغايرة لرأي الكاتب الشاب الذي بذل الكثير من جهده ووقته من أجل هذا الكتاب عن الحركة الطلابية المصرية والذي كان هو نفسه في وقت ما أحد فرسانها .

الاستقلال المنقوص :

كان من أهم نتائج ثورة (١٩) وعقب السماح لوفد مصري يضم قادة مصر الوطنيين بالسفر الى لندن والى حضور مؤتمر السلام في باريس لعرض قضيته ومطالبه الوطنية ان اضطرت بريطانيا الى الاعتراف بمصر كدولة ملكية دستورية مستقلة . ولكن رغم هذا الاعلان فقد احتفظت بريطانيا بسيطرتها الكاملة على الأمن والدفاع مع الابقاء على نظام الامتيازات الأجنبية ، حيث يعفي الرعايا الاجانب من الضرائب ولهم محاكمهم الخاصة بهم . وفي حين رأت بريطانيا في الاعلان وسيلة لتقوية نفوذها ومواقعها في مصر ، كانت وجهة نظر أول حكومة مصرية بقيادة الوفد انه مجرد خطوة نحو الاستقلال التام ، وكان لهذا التناقض ان وضح الرؤيا فعليا للمصريين لاستنكار هذه المواقف البريطانية ، واعتبار ذلك تدخلا سافرا في شئون دولة مستقلة ذات سيادة،ولكن بريطانيا تمادت

في غطرستها واستمرت باستخدام كافة الضغوط والنفوذ على جميع صانعي القرار السياسي في مصر .

بل انها لم تتردد حتى عن التدخل العسكري لفرض ارادتها ، وحدث ذلك في ثلاث مناسبات منفصلة .

عقب اغتيال سير لي ستاك ـ سردار السودان ـ في نوفمبر ١٩٢٤

وعقب تعريب مراكز القيادة في الجيش المصري في مايو ١٩٢٧

واخيرا عقب تقديم العريضة الشعبية الى البرلمان بخصوص تنظيم الجمعيات في مارس ١٩٢٨ وقد كان قطبا النظام السياسي لهذا الاستقلال الوهمي هما : القصر من ناحية ، وحزب الوفد من ناحية اخرى .

ولكن في الحقيقة كان لهذه اللعبة السياسية قطبها الثالث ـ القطب الاكثر ايجابيـة ـ وهي السلطة البريطانية ـ ونستطيع القول ان الصراع استمر بين هذه الاقطاب الثلاثة الى أكثر من ثلاثة عقود وذلك حتى معاهدة ١٩٣٦ ، فمع بروز التيارات الفاشية في اوروبا والتطرف السياسي للحركة المصرية نفسها ـ توصلت بريطانيا الى عقد اتفاقية ١٩٣٦ والتي اعتبرت في وقتها انتصارا للسياسة البريطانية ، فبعد (٥٤) سنة من الاحتلال اكتسبت بريطانيا الصفة القانونية لوجودها مما خلف شعورا بالمرارة لدى طبقة المثقفين المصريين وذلك رغم بعض الايجابيات كالغاء الامتيازات الاجنبية ـ والجيش الوطني المستقل ـ وعضوية عصبة الأمم . ونستطيع القول ان معاهدة ٣٦ قد غيرت الاستقلال الوهمي خطوة الى الأمام وحولته الى استقلال جزئي . غير ان المعاهدة لم تغير شيئا من النظام السياسي المثلث الاضلاع بل استمر البريطانيون بلعبة التوازن بين حزب الأغلبية وبين الطموحات الاتوقراطية للقصر .

ونتيجة لهذه اللعبة الطويلة الامد والمكشوفة خرج المواطن المصري بقناعات ثلاث :

ان بريطانيا هي النصير الفعلي للقصر ـ وان سياستها الأولية هي رعاية مصالحها الخاصة وليس المصالح المصرية ، واخيرا ان اي حكومة مصرية لن يكتب لها البقاء الا برضا السفير البريطاني ومباركته وادرك المواطن المصري ان السفير البريطاني هو الحاكم الفعلي لمصر وملكها غير المتوج .

غير ان الدستور نفسه أعطى الملك صلاحيات واسعة جدا . فله الحق المطلق بحل البرلمان واقالة الوزارة ، وحق العفو العام والغاء حكم الاعدام ، وحق تعيين ضباط ورجال السلك الدبلوماسي وتعيين شيخ الازهر ، وحق تعيين (٥/٢) مجلس الشيوخ . كل هذه الامتيازات جعلت من الملك فؤاد وهو شخصية استبدادية ميكافيلية لا يتردد في الاستفادة من هذه الصلاحيات ، ويشجع انصاره على تشكيل احزاب سياسية يكون ولاؤها للقصر ، ومن هذه الأحزاب « الملكية » حزب الاتحاد الذي اسس عام ١٩٢٥ وحزب الشعب الذي تشكل عام ١٩٣٠ . ونتيجة لهذه التدخلات « الدستورية » السافرة لم يبق برلمان واحد طوال مدته القانونية وهي أربع سنوات ، وكذلك لم تدم اي وزارة اكثر من ثمانية عشر شهرا .

في مواجهة جيل غاضب

في وسط الثلاثينيات بدأ النظام السياسي في مصر يواجه جيلا ساخطا غاضبا . ان التوسع التعليمي قد اعطى الحركة الطلابية قوة عددية في حين خيب المستوى الاقتصادي المتدني للبلاد آمال الطلبة وقضى على طموحاتهم ومستقبلهم الوظيفي . كما ان الفشل السياسي للحياة النيابية الدستورية قد زاد من عدد المتشككين بجدية هذا النظام ومصداقيته . ان عجز النظام عن تحقيق الاستقلال التام لمصر ـ وهو الشعار الأول لثورة ١٩ ـ كان البرهان الساطع على فشل هذا النظام ، وبسقوط حكومة اسماعيل صدقي باشا الدستورية (١٩٣٠ ـ ١٩٣٣) وقدوم حكومة توفيق نسيم باشا (١٩٣٤ ـ ١٩٣٦) والغائها دستور ١٩٣٠ بمساعدة البريطانيين متجاهلة دستور ٢٣ ، ومفضلة العمل على ايجاد دستور جديد كما جاء في اعلان سير صامويل هور في ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأن مصر تحتاج الى دستور جديد بحجة ان الدستورين القديمين لم يعودا صالحين للعمل ، كان هذا الاعلان بمثابة الصاعقة على الشارع المصري ، وبدأ الجسم الطلابي بتنظيم نفسه ، وبالتحرك النشط الى مقار الأحزاب ومناقشتها وتحريضها ، وفي ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ وفي خطاب جماهيري حاشد طالب سعد زغلول بوقف التعاون مع البريطانيين ، كما طالب باستقالة الحكومة ، وفي نفس اليوم قام اكثر من الفي طالب بمسيرة احتجاج من

جامعة الجيزة الى شوارع القاهرة ، هاتفين بسقوط الاستعمار متحدين السلطات الحكومية . واستمرت المظاهرات لليوم الثاني واصطدمت برجال الشرطة حيث قتل الطالبان محمد عبدالمجيد مرسي من كلية الزراعة والطالب عبدالحكم الجارحي من كلية الأداب . لقد حركت المظاهرات والاضرابات الطلابية الشارع المصري بكل مؤسساته من صحافة واتحادات نقابية ومدرسين وقضاة ، الامر الذي دفع الحكومة الى اغلاق الجامعة ، وقد كانت هذه الانتفاضة صفحة مجيدة في تاريخ الشعب المصري ، بل كانت نموذجا مصغرا لثورة ١٩ كما وصفها المؤرخ المعروف عبدالرحمن الرافعي .

ان النتيجة المباشرة للنشاط السياسي الطلابي كانت قيام الجبهة المتحدة التي ضمت جميع الاحزاب ، وكان للطلاب الدور الرئيس في قيام هذه الجبهة لما بذلوه من جهد توفيقي بين قادة الاحزاب المتناحرة على السلطة .

وامام هذا الزخم السياسي الضاغط اضطر القصر ان يصدر مرسوما ملكيا باعادة العمل بدستور ٢٣ كما مهد الطريق الى توقيع اتفاقية ١٩٣٦ وقد ساهمت هذه الانتفاضة في بروز الحركة الطلابية كقوة مميزة في السياسة المصرية .

الطلاب والنشاط السياسي

يعود تاريخ النشاط الطلابي السياسي الى أيام ثورة (١٩) حيث بدأت شرارتها الأولى في كلية الحقوق جامعة القاهرة ، كما ان عبدالرحمن فهمي - سكرتير اللجنة المركزية للوفد - كان يعتمد كليا على الطلبة لنقل تعليماته وتنفيذها في كل ارجاء القطر المصري . وعندما عاد سعد زغلول من منفاه وجد ان الطلبة كانوا قد شكلوا لجنة تنفيذية لتنظيم العمل الحزبي في كافة المحافظات ، وكان يسمح لهذه اللجنة ان تجتمع مرتين كل اسبوع في بيته (بيت الأمة) وقد وعد رئيس هذه اللجنة الطالب حسن ياسين بتقديمه كمرشح للانتخابات البرلمانية - وقد حدث ذلك فعلا حيث اصبح حسن ياسين اول طالب يدخل البرلمان عضوا منتخبا . كما كان الطلبة يشكلون الغالبية العظمى لخلايا الجهاز السري لحزب الوفد الذي كان يشرف عليه عبدالرحمن فهمي نفسه . كذلك كان حسن البنا يعتبر الطلبة القوة الضاربة في تنظيمه ، وكان يحرص على تكريس كل وقته واهتمامه بهم ، من لقاءات واجتماعات وندوات ، كما كان يحرص على اقامة علاقات خاصة مع الطلبة لتقريبه منهم ولتقربهم منه ، فقد كان يعرف كل كبيرة وصغيرة عن حياتهم ودراستهم وشئونهم الخاصة ، وكان اعضاء التنظيم يجتمعون على شكل أسر دوريا كل اسبوع لتلقي التثقيف الديني المناسب لهم مرحليا كما كان اغلبهم اعضاء في تنظيم الجوالة التابع للاخوان .

وفي البداية لم يستطع التنظيم استقطاب اعداد كبيرة من الطلبة ، وقبل الحرب العالمية الثانية بقليل قفز الرقم الى خمسمائة طالب معظمهم من الأزهر . وكان ذلك عقب جدل فكري قام في عام ١٩٣٧ بين طلاب اللغة العربية في جامعة الازهر ونظرائهم من كلية دار العلوم ، وحدث ان انتصر الاخوان لرأي الازهر الأمر الذي دفع الكثير من طلبة الازهر للانضمام الى حركة الاخوان المسلمين - وقد اصبح للاخوان دور فعال في الحركة الطلابية المصرية بعد الحرب . ويقدر عدد الجوالة وهو تنظيم شبه مسلح عشية نهاية الحرب العالمية الثانية بين عشرين الى اربعين الفا ، وفي عام ٥٢ عند قيام الثورة زعم احد امرائهم بان الاخوان يشكلون ثلث الجسم الطلابي المصري . وقد كان انتصارهم ساحقا في انتخابات اتحاد الطلبة في نوفمبر ١٩٥١ ، فقد حققوا الفوز في معظم كليات جامعة القاهرة بما فيها كلية الحقوق التي كانت معقلا للوفديين . ومن ابرز زعمائهم الطلابيين

في تلك الحقبة مصطفى مؤمن الذي عرف عنه حماسته، ويذكر له نقل صوت مصر الى مجلس الأمن التابع للامم المتحدة عام ١٩٤٧ حيث رافق الوفد المصري الرسمي حاملا عريضة الاستقلال التي كتبت بدماء الطلاب. ولكن يؤخذ عليه انه شبه اسماعيل صدقي بالنبي اسماعيل ايام كان الاخوان على وفاق معه. ومن زعمائهم الطلابيين ايضا حسان حتحوت وعز الدين ابراهيم اللذان اشتهرا بالمهارة التنظيمية للحزب.

دور التنظيمات الشيوعية

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت التنظيمات الشيوعية بالتأثير على الحركة الطلابية، وقد شهد العام الدراسي ٤٥/٤٦ نشاطا ملموسا للشيوعيين بين الطلبة، خصوصا في كليات العلوم والطب في جامعتي القاهرة والاسكندرية، وفي كليات التجارة والحقوق في جامعة القاهرة، حتى كان يطلق على كلية العلوم في الاسكندرية ـ الكلية الحمراء ـ وقد شكل الشيوعيون جماعات منظمة داخل الهيئة الطلابية، وكانت اكثر هذه التنظيمات فعالية ونشاطا «تنظيم «اسكرا»، وتنظيم الحركة المصرية للتحرر الوطني، وتنظيم «القلعة» وجماعات الفجر الجديد. وكان التنظيم الطلابي في «اسكرا» يضم أكثر من ثلاثمائة طالب، وقد اسسوا رابطة الطلبة المصريين، ومن زعمائهم جمال غالي وعبد المنعم الغزالي وسعد زهران ومحمد الخفيف وجمال شلبي، وقد مثل «غالي» الرابطة في المؤتمر التأسيسي لاتحاد الطلاب الدولي.

اما تنظيم الحركة المصرية للتحرر الوطني فقد استطاع ان يوسع من نشاطه خارج القاهرة والاسكندرية، ويصل الى الازهر والى كلية الفنون الجميلة، واستطاع تجنيد بعض الطلبة السودانيين، وبخلاف «اسكرا» فقد ضم تنظيمه ابناء الطبقات الكادحة، واستطاع الطلاب في كلا التنظيمين ان يضغطوا على قادتهم لتوحيد التنظيمين تحت اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني «حدتو».

ولكن الانقسامات الكثيرة والموقف السياسي للتنظيم من حرب فلسطين ٤٨ أديا الى تقلص نفوذه داخل الحركة الطلابية من عام ٤٨ ـ ١٩٥٠ ـ ولكنه عاد من جديد بعد ان تبنى القضايا الوطنية ومشاركة بعض افراده في القتال ضد الانجليز في منطقة القنال حتى الضباط الذين شاركوا في ثورة ٥٢ كانوا ينتمون سرا الى بعض هذه التنظيمات الشيوعية.

اما «مصر الفتاة» فهي التنظيم السياسي الوحيد الذي اسسه وقاده الطلاب انفسهم. فقد كان المبدأ الرئيسي لهذا الحزب هو الاهتمام بدور الشباب، وعلى الجيل الجديد ان يستعيد مجد بلاده ويحقق استقلالها. ويؤرخ احمد حسين زعيم الحزب لبداية تفكيره الحزبي الى الثلاثينيات عندما تقدم زميله فتحي رضوان لترشيح نفسه في انتخابات الطلبة عام ١٩٣٠ في كلية الحقوق، وقد قام احمد حسين وزملاؤه بمشروع «القرش» لدعم الصناعة الوطنية، وعندما تأسس الحزب رسميا عام ١٩٣٣ بدأ جريئا منذ انطلاقته، وبدأ يستقطب العديد من طلبة الجامعة لدعوته الجديدة ومبادئه الوطنية البعيدة عن الزعامات التقليدية. وفي عام ١٩٣٤ كان الطلاب يشكلون اكثر من ٤٠٪ من اعضاء الحزب، وحين داهمت الحكومة الحزب وسجنت قادته الذين اعتبرتهم خطرا على الامن العام كان هؤلاء القادة محامين وطباع وستة طلاب جامعيين. ومن ابرز الاسماء الطلابية التي لعبت دورا اساسيا وقتئذ من داخل اطر الحزب ابراهيم شكري ونور الدين طراف.

بين الزعامة الطلابية

بعد انتفاضة ٤٦ الطلابية ضد استمرار الاحتلال البريطاني وعشرات الضحايا والشهداء الذين قدمتهم الحركة الطلابية نستكشف ان العلاقة بين الزعامات السياسية والقيادات الطلابية لم تعد على وفاق كما كانت في السابق حتى داخل التنظيم الواحد، وقصة الصراع بين فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد ومصطفى موسى زعيم الجناح الطلابي في الوفد اصبحت معروفة وقد امتد هذا الصراع الى التنظيمات الاخرى. فالجناح الطلابي داخل المجموعات الشيوعية مثل اسكرا «مثلا» هو الذي اصبح القوة الضاغطة من اجل الاتحاد مع الحركة المصرية للتحرر الوطني مهددين بالانسحاب ان لم يتم ذلك، كما ان الصراع الذي حدث داخل تنظيم الفجر الجديد كان

كتاب الشهر

باعثه الجناح الطلابي أيضا ، حتى داخل حركة الاخوان نجد انه كان هناك وقت لم يعد حسن البنا مسيطرا على التنظيم الطلابي داخل حركته وفشل في ضبطهم وتهدئتهم . وكان ذلك قبيل مصرع سالم زكي - رجل الشرطة السيء السمعة - كما واجه حسن الهضيبي نفس الموقف ولكنه كان اكثر حزما مُصِرًّا على تجاهل المطالب الطلابية طالما لم تصدر عن القيادة نفسها .

لقد تجاوز الدور الذي تلعبه الجامعة الدور الكلاسيكي للزعامات السياسية الحزبية وهو خير دليل على افلاس هذه الاحزاب التقليدية البرلمانية ، وقد بدأ شعار الوحدة الوطنية الذي كان يرفعه الطلاب اثناء مسيراتهم ومظاهراتهم غامضا بعض الشيء ، فهو عند البعض الغاء للحزبية ودعوة الى التحالف الشعبي والميثاق الوطني - ولكن الى اي مدى استطاعت الحركة الطلابية ان تكون الضمير الوطني والمحور الرئيسي للعمل السياسي لكافة الفئات والطبقات . ؟

ان العلاقة الجدلية بين الطلبة والعمال كانت ضعيفة ورغم تشكيل اللجان المشتركة الا انها لم تفلح ان تكون الصوت الحقيقي للطبقات الكادحة ، فلم تهتم بقضية الاجور مثلا ولم تناقش مشكلة البطالة او القضايا العمالية الأخرى . حتى انها لم تحتج على اعتقال بعض الزعامات العمالية عقب تشكيل هذه اللجنة المشتركة بقليل . ولم نشر من قريب او بعيد الى كفاح الطبقة العاملة وهذا ما ينطبق على العلاقة الطلابية مع الفلاحين فقد كانت واهنة ضعيفة ايضا . وعلى العكس من ذلك كانت العلاقة مع الطبقة المتوسطة لأنهم كانوا ابناءها وخير ممثل لها .

ورغم ذلك فقد بقيت الجامعة محور الحياة السياسية في مصر واستطاع الطلبة ان يلعبوا دورا هاما بكشف امراض مجتمعهم السياسية والاجتماعية ، ونستطيع القول ان هذه الهوة بين الطلبة وقادة الاحزاب التقليدية قد اتسعت حتى انهار النظام كله عام ٥٢ على يد الثورة الناصرية .

بين حربين

لقد ورثت ثورة ٥٢ نظاما لعبت فيه الجامعات دورا رئيسيا سواء في الحركة الوطنية او الصراع على السلطة ، ومن أجل ذلك ارادت الثورة تعزيز موقعها داخل الجامعة ، وعن طريق احتواء الجسم الطلابي . وقد تعزز هذا الاحتواء بعد ازمة ١٩٥٤ السياسية والمواجهة الساخنة مع التنظيمات الطلابية .

ولم تتطلب عملية الاحتواء اسلوبا تصفويا او قمعيا بل تدريجيا وذاتيا من خلال الانجازات القومية الاجتماعية التي حققها النظام السياسي الجديد . وقد رحب الطلبة كغيرهم من المواطنين بهذه الانجازات العظيمة للثورة كنوع من الفخر والكبرياء الوطني وساندوا الثورة لبرامجها التعليمية الفنية الموسعة وإتاحة فرص العمل امام هؤلاء الخريجين الصناعيين لانهم انفسهم كانوا يشكلون هذه الطبقة الجديدة التي كان عبدالناصر يستند عليها في حكمه . ولم يحدث اي انفصام عقائدي بين الجسم الطلابي والثورة الا عقب هزيمة ٦٧ ، وتوقف الخطة الصناعية عن العمل بسبب الجهد والمصروفات العسكرية . لقد كان هذا الانشقاق اشبه بانفصام الشخصية لجيل عاش منجزات الثورة في ذاكرته وشاهد الهزيمة وبعينه .

وكان من اهم نتائج انتفاضة ٦٨ وطنيا وجامعيا اصدار بيان ٣٠ مارس الاصلاحي ، وتمهيد الطريق في الجامعات لازالة بعض القيود التي كانت تعيق حركة الهيئة الطلابية ونشاطها ، كرفع الرقابة عن مجلة الحائط الجامعية . ولم يعد حرس الجامعة يتدخل في النشاط السياسي الطلابي .

وبعد حرب ٧٣ وجدت الحركة الطلابية المصرية نفسها في موقف التصدي لاتجاه النظام نحو واشنطن

بحثا عن حل سياسي وكان لهذا التحول اثره الكبير في السياسة والاقتصاد ، الامر الذي دفع الطلبة لاتخاذ مواقف اكثر حدة وعمقا . وقد برزت خمسة تيارات على سطح الجسم الطلابي آنذاك . اليسار الماركسي واليسار الناصري ، والاسلاميون الاصوليون ، واليمين الذي كان يرحب بهذا الاتجاه الجديد ، ويطالب بالمزيد من الانفتاح ، ثم اعوان النظام الذين كانوا يتظللون بشعارات انتصار اكتوبر .

لقد قاد اليسار حملة المعارضة لهذه الاتصالات الجديدة مع واشنطن بدأ بتنظيم المعارضة التي تدين الامبريالية الامريكية ، واقامة الندوات لنصرة الثورة الفلسطينية في كافة الكليات والجامعات ، ثم انتقلت راية المعارضة الطلابية الى التيارات الاسلامية التي استطاعت ان تسيطر وتصبح القوة المحركة الوحيدة ، خصوصا بين ١٩٧٧ - ١٩٨١ وزيادة ذلك بفوزها الساحق في الانتخابات في مصر وكان لاندلاع الثورة الايرانية وقتها وزيارة السادات الى القدس ان اشتعل الموقف السياسي في مصر ، ولو ألقينا نظرة على اعتقالات سبتمبر ٨١ لوجدنا اكثر من ٦٠٠ طالب كانوا ضمن المعتقلين .

كان للثورة الناصرية تأثير كبير على نظام التعليم في مصر ، فلأول مرة في تاريخ العالم الثالث تفتح الجامعات ابوابها امام الطموحات الفردية غير متوازنة مع القدرة التنموية للدولة . فهذا السيل الجارف من الخريجين لابد له من فرصة للعمل ، وقد تأثرت لأكثر من سبب داخلي وخارجي بحكم واقع الثورة المصرية كرأس الحربة للتصدي للامبريالية والصهيونية .

ولكن هذا لا يعطي الحق لبعض هذا الجيل ان يَعُضّ اكتاف آبائه . ان الشباب المثقف هو فخر أمته وزهوها انه الشريان المفكر والنهر الجامح طموحا واقتدارا قد تحتويه الأنظمة ، وقد تروضه لكنه ابدا يبقى الطهارة والجرأة الضروريتين لصنع القرار السياسي ، والشباب المصري المثقف كأخوانه من الشباب العربي لم يكن بعيدا عن مجرى الاحداث الوطنية بل كان دائما في قلب الحدث مشاركا ومناضلا - وهكذا كانت الحركة الطلابية المصرية في قلب الحركة الوطنية . □

العرب وكروية الأرض

آمن العرب بنظرية كروية الأرض ، ونادى بذلك أكثر من واحد من الجغرافيين العرب ، مثل ابن خرداذبة وابن رستة وغيرهما ، فابن خرداذبة يقول : « ان الأرض مدورة كتدور الكرة ، موضوعة في جوف الفلك » .

أما ابن رستة فيقول : « إن الله - جل وعز - وضع الفلك مستديراً كاستدارة الكرة ، أجوف دواراً ، والأرض مستديرة أيضاً كالكرة ، مصمتة في جوف الفلك » .

أما المسعودي فيقول : « ان الشمس اذا غابت على بحر الظلمات ، كان ظهورها بعد ذلك على شواطىء الصين الشرقية .

ذلك في الوقت الذي كان فيه الغرب منقسماً على نفسه في العصور الوسطى حول موضوع كروية الأرض .

وقد دفع ذلك كاتباً مثل ابن فضل الله العمري في كتابه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) الى أن يتنبأ باحتمال وجود أرض جديدة في المحيط الأطلنطي ، ومما قاله « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفاً من تلك الجهة ، ولا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى ، والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً ذكرناه وبالله التوفيق » .

من المكتبة العربية

ضرورة النقد الذاتي للحركات الإسلامية

تأليف : خالص جلبي   عرض وتحليل : د . أحمد محمد كنعان

طرح الفكر الاسلامي المعاصر نفسه في صورة فكر وحركة ، ووضع أمامه هدف تغيير المجتمع وتولي قيادته . ومع كل الاخلاص الذى اندفع به العمل الاسلامي فقد عجز عن الوصول الى هدفه . . مما يستدعي إعادة الدور الفعال للنقد الذاتي في حياتنا الفكرية : باعتباره مفهوما اسلامياً اصيلاً .

يقع الكتاب في ٣١٢ صفحة من الحجم المتوسط ، وقد قسمه المؤلف الى مقدمة وثلاثة فصول ، فتناول في المقدمة مجموعة من الأفكار التي تعتبر العمود الفقرى للكتاب ، أما الفصل الأول فقد خصصه للحديث عن مبررات النقد الذاتي ، وتحدث في الفصل الثاني عن وجه الممارسة لمبدأ أو فكرة ما ، من خلال مفهوم النقد الذاتي ، ثم تحدث في الفصل الثالث عن التطبيقات . .

لماذا النقد الذاتي ؟

ركز المؤلف في الفصل الأول على أهمية النقد الذاتي : لأنه وحدة أساسية من وحدات العمل المتكامل وهي (التصور ، الممارسة ، النقد الذاتي) ولأنه يعيد ربط النتيجة بالسبب ، فالكون كله يخضع لسنن الله في الخلق ، وهذه السنن لا تتبدل ولا تتحول ، وقد أشار المؤلف الى أن أبحاث البشر قد تطورت كثيرا في القطاع المادى والبيولوجي ، أما الابحاث التي تناولت (سنة التاريخ) فما زالت ضحلة مهتزة وغير واضحة ، الى جانب أن الآراء فيها متناقضة ، فقد اتجهت جهود المؤرخين نحو تسجيل الحوادث فحسب ، وبهذا كان الخطأ مضاعفا ، فقد تجمعت لدينا كومة من الحوادث التي تحتاج الى تحليل ، وبغياب أداة التحليل (وهي فهم التكوين الداخلي للتاريخ . . أو سننه) فقد تعذر فهم التاريخ فهماً صحيحاً ، كما ان الذين دونوا التاريخ أعطوا الجانب السياسي وتاريخ الملوك والحروب جل اهتمامهم ، وأغفلوا الجوانب الاجتماعية وحركة العقل الانساني عبر العصور . . أما في العقود القليلة الماضية ، فقد بدأ ينمو اتجاه جديد لفهم قانون

التاريخ ودورات الحضارة ، وهذا ما لاحظه المؤلف وخاصة في الغرب » ، ولا بد من الاشارة هنا الى أن العلامة المسلم (ابن خلدون) كان رائداً في هذا الحقل ، حين قدم محاولته الرائعة في دراسة التاريخ ، وحاول فيها كشف سنن التاريخ وقوانينه ، انطلاقا من المفاهيم الجديدة التي قدمها القرآن الكريم الذى ركز كثيراً على سنة التاريخ . .

وقد أسهب المؤلف في تناوله لسنة التاريخ ، وعرض بعض الحقائق التي تتعلق بفكرة السنة ، مستشهدا لذلك بكتاب « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » لمؤلفه « باقر الصدر » رحمه الله .

ثم تحدث المؤلف عن علاقة السنة بتطور العقل البشرى على مدار التاريخ ، فأورد أمثلة من قصص الأنبياء عليهم السلام ، والذين كانت دعواتهم تنتهي بإهلاك أقوامهم الذين كذبوا بآيات الله ، ويقول : « كانت هذه السنة تتكرر بعد يأس النبى ، ثم دعاؤه أخيرا على قومه بالهلاك » ، وببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حدث تطور مهم في أسلوب الدعوة . اذ كانت هذه البعثة المباركة تأكيدا على استخدام العقل كأداة للايمان ، ومن ثم الاقلاع عن استخدام المعجزة كأسلوب مباشر ورئيس للاقناع ، وبهذا تغيرت صورة انتصار الدعوة بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم تعد تنتظر النصر بالتدخل الالهي المباشر ، بل النصر من خلال سنة الله في الخلق .

جدلية الزوجية

والنقد الذاتي يخصب جو الحركة ضمن جدلية (الزوجية) باعتبار أن الزوجية هي قاعدة الوجود التي ينطلق منها النمو والتكاثر ، فتزاوج فكرتين بشروط الزوجية يخصب العلاقة بذرية جديدة صحيحة البنية من الأفكار ، بشرط أن تصدر هذه الأفكار عن شخصين عاقلين ، والله سبحانه وتعالى قد خلق الناس مختلفين ، لأن في الاختلاف تفاعلا وصحة وخصوبة وتشفا لصورة الحق . .

وكما أن الحوار وتبادل الآراء ـ أى أسلوب النقد الذاتي ـ هو زوجية الفكر ، فان الصممية هي عقم هذا الأسلوب ، ونلاحظ مثل هذه الصممية عندما يعيش المرء في بيئة تتكلم بغير لغته ، أو عندما يتحاور شخصان لكل منهما ثقافة تختلف عن ثقافة الآخر .

وفي النقد الذاتي أيضا التفات إلى « العامل الداخلي » الذى له أهمية حاسمة في ولادة الأحداث . . ولقد ركز المسلمون انتباههم حتى الآن على خصومهم ، وحذفوا أنفسهم من المشكلة ، أى أن العامل الخارجي هو المتهم حتى الآن ، مع العلم بأن العامل الداخلي هو الأصل في ولادة الأحداث . . فالنخر الداخلي هو الذى يؤدى إلى سقوط الغصن عن الشجرة ، و« إسرائيل » مازالت تعيش بيننا بسبب تناقضات الوسط العربي ، والخلافة الاسلامية لم تنهر على يدى « أتاتورك » إلا بسبب ضعف هذه الخلافة وشيخوختها ، والحضارات تنهار بانتحارها الداخلي أو انحلالها . .

ومن هذا المنطلق ينتقل المؤلف ليتناول ظاهرة الاستعمار ، فيرجعها إلى العامل الداخلي الذى يستعير وصفه من المفكر الاسلامي « مالك بن نبي » رحمه الله حيث دعاه (القابلية للاستعمار) . فالشعوب يستعمرها الاستعمار ليس بسبب قوته ، بل بسبب الضعف الداخلي لهذه الشعوب .

والمؤلف يرد هذه الظاهرة النفسية إلى العلاقة بين سلوكين بشريين مختلفين هما (الاستكبار) و (الاستضعاف) ، ويقول : « إن الاستضعاف هو الذى يولد على الطرف الآخر الاستكبار ، ويقود إلى حالة التأله الكاذبة عند المستكبر » ، ومن هنا كان إصرار القرآن على تثقيف الانسان ضد هذا المركب حتى لايسقط فيه ، وقد رد القرآن الكريم هذه الظاهرة إلى (النفس) ومن ثم فإن التحرر من هذا المركب النكد لا يكون إلا بالايمان الذى يحرر النفس من الهوى ، ويعرف الانسان ماله وماعليه ، وهذا التحرر يتقدم وفق مراحل هي : تعلم الاسلام ، والخروج من طاعة من يأمر بمعصية ، ومنع الآخرين من ممارسة الظلم .

وفي النقد الذاتي تدريب على توجيه العقل وقيادته لتكوين الأحكام الصحيحة ، ويرجع المؤلف ضعف روح النقد الذاتي في صفوف الاسلاميين إلى الضعف في تركيب عقليتهم ، وذلك لاعتمادهم الروح (النقلية) وعدم اهتمامهم بالروح (النقدية) ويشير إلى أن ابن خلدون كان من أوائل الذين اعتمدوا

العقلية النقدية في تناول أخبار التاريخ ، وهو الذى نبه إلى أن مجرد النقل لا يكفي فيها . . غير أن المسلمين ـ للأسف ـ لم ينتبهوا إلى هذه التجربة في تاريخهم ، ولم يعطوها الاهتمام اللائق بها .

جدلية كيف ولماذا ؟

يبين المؤلف في الفصل الثاني أن ثمة علاقة جدلية ما بين « لماذا » و « كيف » أو بين مبرر العمل وممارسة هذا العمل ، فالمبرر يدفع الى الممارسة ، والممارسة تؤدى إلى إنضاج وتعديل الحركة ، ووضع قوالب تدفع بعملية الفكر إلى الأمام . . ومن هذا المنطلق يتطرق المؤلف إلى موضوع (العنف) باعتباره إحدى الممارسات التي لجأت اليها بعض الجماعات الاسلامية بهدف التغيير ، ويريد المؤلف هنا أن يوضح وجه الخطأ في هذه الممارسة ، فيؤكد أن علاقة الانسان بالانسان يجب أن تقوم على الحب والدفع بالتي هي أحسن ، وعلى الدعاة أن يعتمدوا الاقناع في سبيل التغيير ، لا أن يحاولوا استخدام القوة ، لأن التغيير يعني تبديل القناعات ، وهذا يأتي عن طريق الفهم لا عن طريق القوة ، ويذكر المؤلف مثالا من التاريخ الحديث ، وهو أن الجماعة الاسلامية في مصر ارادت أن تحمي نفسها فاخترعت (النظام الخاص) حاسبة أنه سوف يحميها . . فقضى عليها !

وفي الفصل الثالث تناول المؤلف عدة مواضيع ، مرتكزا في عرضها على النتائج التي انتهى إليها في الفصلين السابقين ، فتطرق إلى العلاقة ما بين النص (الآية أو الحديث) والعقل ، فبين أننا في مواجهة النص نتعرض لمشكلة ذات شقين ، أحدهما (نفسي) حين يلجأ بعض الناس إلى إمالة النص مع هوى النفس ، والآخر (عقلي) ينشأ عن تفاوت أفهام الناس ، وبناء على هذا يتوجب علينا فصل النص عن الشخص لتجنب الهوى أو سوء الفهم ، إذا أردنا الوصول إلى فهم موضوعي للنص ، ولابد مع هذا من توفر ثقافة معينة للاستفادة الصحيحة من النص ، وليس اختلاف تفاسير القرآن الكريم بين القديم والحديث غير أثر لاختلاف ثقافة المفسرين ، وتفاوت قدراتهم على الادراك .

كما ينبه المؤلف إلى ملاحظة أن تطور البشرية وتطور مشكلاتها قد ولدا أفكارا واتجاهات جديدة ، ولهذا فإن التفاسير الحديثة للقرآن الكريم التي تفسر النصوص على ضوء هذا التطور ، تتمتع بجاذبية خاصة في أيامنا الحاضرة ، أكثر مما تتمتع به التفاسير القديمة التي كتبت لعصر ذي مشكلات ومفاهيم من نوع آخر . . ولا يعني المؤلف ـ بطبيعة الحال ـ تطليق التراث ، بل هو يدعو للاستفادة منه وفق هذا المنظور ، أى من خلال حركة العقل النقدية ما بين التراث ومعطيات الحاضر .

كما يرى المؤلف أن الجمود المسيطر الآن على الساحة الاسلامية الذى يتجلى بالتركيز على نصوص مخصوصة ، وفهم هذه النصوص فهما جامدا لا يكاد يتغير ، قد حوّل الدين من قوة منمّية للحياة ، وفكر متطور يضع القواعد المنهجية لحل المشكلات المختلفة . . إلى نوع من الكهنوت الجامد ، بحيث يظهر وكأن القرآن الكريم ينكمش على نفسه ، ويمكن أن يقال الكلام ذاته عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فالحديث ـ وإن كان متنه صحيحا ـ فإنه يمسخ من ناحية استعماله ، وهذا ما دعا المؤلف لاقتراح مصطلح جديد في الحديث أسماه (وضع الاستعمال) وذلك للخروج من مشكلة الفهم الجامد للنص .

حمى الانقلابات

ويرى المؤلف أن النظرة السلبية للتراث قد أصابت عقليتنا الحاضرة بمرض عدم الفعالية ، لأن ثقافتنا مازالت تخضع لوعي انتقائي معين ، وامتصاص ثقافي خاص ، وتمثل للحياة مختلف . . مما كبّل إرادتنا بتصور مؤداه أن علينا انتظار عوامل خارجية للتغيير ، ونغفل عن القوة التي هي بين أيدينا ، والتي تتمثل بالتراث ، وبأنفسنا التي منها ينبع كل تغيير .

ولقد أدى تحول الأوضاع سريعا في العالم الاسلامي ودخول المنطقة (حمى الانقلابات) إلى تبني الاسلاميين للعنف ، أو خلق مناخه على أقل تقدير ، والمؤلف يقف بإصرار ضد العنف ، ويؤكد أن تلوث الوسط بألغام العنف جعل الذين لا علاقة لهم بالقضية يدفعون بعض الثمن .

ومن جهة ثانية . . فإن التحول السريع المفاجيء في الأوضاع السياسية قد دفع الحركة الاسلامية للاختفاء والعمل السرى من أجل حماية أفرادها ، وبهذا انفصلت الحركة عن جماهير الامة ، وخسرت الرأى العام الذي يشكل رصيدها الرئيس .

ثم تناول المؤلف تحت عنوان (بحث في مرض الجماعات) بعض الأمراض التي أصابت الجماعات الاسلامية ومنها :

تعدد الجماعات الاسلامية واختلافها . . وهو يرجع هذا المرض الى اختلاف النظر في نصوص القرآن والسنة ، كما سبق أن ذكرنا في علاقة النص بالعقل . . ولئن كان المؤلف لا يعترض على وجود اتجاهات متعددة مادامت تسير لهدف واحد ، إلا أنه يحذر من خطر النزاع ، والاتهام بالنوايا ، لأنه يحول دون إمكانية التحاور والبحث عن حل .

ومن أمراض الجماعات الاسلامية . . يذكر أيضا تبني هذه الجماعات الفهم الشمولي الانقلابي للتغيير على طريقة الأنبياء عليهم السلام ، ويقول : ان هذا الأمر حسن اذا ما أعدّت له عدته ، واذا ماقام على جهد مكافيء من الدراسة والنشاط . . غير ان ما حيث هو أن المسلمين وضعوا لأنفسهم مثلا أعلى لا يستطيعون الوصول اليه ، فوقعوا من جراء ذلك في حرج شديد ، اذ أصيبوا بالاحباط ، ومال أكثرهم الى الانعزال ، ورفض الواقع الحالى الى درجة الكراهية ، وما لفظ (الجاهلية) الذى أطلقه بعضهم على المجتمع غير واحد من إفرازات هذا الوضع .

وقد ذكر المؤلف أيضا من أمراض الجماعات (التنظيم . والسرية . والعنف) ففي مجال (التنظيم) أوضح أن الاسلام يشكل في عالمنا الاسلامي ثقلا تاريخيا تصعب مواجهته ، ولهذا يلجأ بعض الحكام في المنطقة الى مداورة شعوبهم ، والتظاهر بالاسلام ، لاعن قناعة بالاسلام ، بل تملقا ، ثم يلجأون الى محاربة الاسلام من وراء ستار ، فيعمدون الى مطاردة المسلم من خلال اطار التنظيم ، وليس من خلال محتوى التنظيم (الاسلام) فيدور التحقيق في منطقة ضعف المسلم ، لا في منطقة قوته ، ويرى المؤلف أن الخروج من هذه الدوامة يتطلب أن نتقدم بصراحة لاعلان ديننا في بلاغ مبين ، لكي نجعل التحقيق يدور ضمن طبيعة الصراع العقائدى ، بعيدا عن متاهات (التنظيم) ، ولكي يظهر للرأى العام أن الخصم إنما يحارب الاسلام ، ولا يحارب أشخاصا أو مجرد تنظيم . . وبهذا يخسر الخصم أكبر قدر من المشاعر والعطف الاسلامي ، بينما تلتحم الجماهير الملمة مع المناضلين .

السرية

ويتطرق المؤلف بعد هذا الى موضوع (السرية) فيقول : « قناعتي فيما يسمى بالتنظيمات السرية انها خرافة ، لأنه لا يمكن في مواجهة سلطة عاتية غاشمة ، وأساليب تعذيب متنوعة ، أن يصمد أي تنظيم سرّى » ويوضح أيضا أن طبيعة العمل الاسلامي (الذى يبتغي الانتشار الواسع ويمتاز بأنه عمل تربوى طويل الأمد) تخالف مقتضيات العمل السرى ، وهو يفند دعوى بعض الجماعات التي أرادت العمل بمبدأ (سرية التنظيم وجهرية الدعوة) لأن الجهر بالدعوة يعني تصعيد الفعالية ، وهذا التصعيد يشكل خطرا كبيرا على التنظيم ، ويرى المؤلف أن الخروج من هذا المأزق يتطلب أن يسير العمل الاسلامي وفق فكرة (الكتلة الحرجة) ، أى تشكيل كمية كافية من الناس والمؤسسات والرأى العام ، وتمليح المجتمع بالأفكار الى قدر معين ، بحيث يتحول المجتمع سلميا الى الصيغة الجديدة التي نبتغيها ، وهذا الشكل من التنظيم (الهلامي) سوف يجعل القضاء عليه مستحيلا .

أما عن استخدام (العنف) فقد نبه المؤلف أولا الى الفارق بين (الوظيفة الاجتماعية) و (الوظيفة الفردية) في الاسلام ، ويقول ان الجهاد المسلح يرتبط بالوظيفة الاجتماعية التي هي من مسؤولية الدولة لا من مسؤولية الأفراد أو الدعاة ، ومن ثم لا يصح ان تتحول الدعوة لتصبح دولة تقوم بالجهاد المسلح وإراقة دم الناس ، أو استحلال هذا على الأقل . .

وينتهي المؤلف إلى أن المشكلة الآن في العالم الاسلامي ليست في توفر الاخلاص للاسلام ، فهذا الاخلاص متوفر والحمد لله ، ولكن المشكلة تكمن في كيفية تنفيذ هذا الاخلاص ، أى في الفنية والصواب لتحقيق الهدف . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : شارع طه وهامر سمث
المؤلف : رفعة الجادرجي
الناشر : مؤسسة الأبحاث العربية / بيروت
عدد الصفحات : ١٧٢ من القطع الكبير

في هذا الكتاب الطريف ، الجديد في لونه يعرض المهندس رفعة الجادرجي نوعا من السيرة الذاتية التي تتضمن العلاقات والطفولة والسفر والذكريات لكن هذه المكونات كلها تتمحور حول هم واحد هو الفن المعماري الذي كان البحث فيه ، ومن ثم الابداع حلما وطموحا للمؤلف .

من شارع طه في بغداد الى مدرسة هامر سمث في لندن يقطع رفعة الجادرجي مسافة تستوعب فن المعمار في العالم كله في محاولة شاقة لارساء أسس لمعمار عراقي خالص .

الكتاب : السياسة والمجتمع في عصر الراشدين
المؤلف : ابراهيم حركات
الناشر : الاهلية للنشر والتوزيع / بيروت
عدد الصفحات : ٣٦٠ من القطع الكبير

ينطلق المؤلف في كتابه هذا من الجغرافيا ليصل الى السياسة والمجتمع في عصر الخلفاء الراشدين . وينطلق الكاتب من ان البيئة الجغرافية التي تحيط بالهضبة العالية التي تقوم عليها بلاد العرب أحدثت أثرا كبيرا في نفسية وعقلية ومستقبل الانسان العربي الذي عانى كثيرا من عدم الاطمئنان وقصر فترات الاستقرار .

الكتاب : نحو مسرح فلسطيني
المؤلف : توفيق المبيض
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
عدد الصفحات : ٤٢٧ من القطع المتوسط

تحت هذا العنوان الفضفاض جمع المؤلف اربعا من مسرحياته التي تناولت القضية الفلسطينية وتشعباتها العديدة ، وتداخلاتها المختلفة .

والمسرحيات هي « العنكبوت والقمر » التي طغى عليها الطابع الرمزي ، و « الالوان تحيا من جديد » ، و « تغريبة الموعود » وأخيرا « القادم من تحت الانقاض » التي كتبها باللغة العامية الفلسطينية لتعكس خصوصية الحياة الفلسطينية .

الكتاب : الرواية السورية ١٩٦٧ - ١٩٧٧
المؤلف : نبيل سليمان
الناشر : وزارة الثقافة / دمشق
عدد الصفحات : ٤١٠ من القطع الكبير

تقع الدراسة في ثمانية فصول ، تعرض لتطور

الرواية في سورية ، من سنة ١٩٦٧ الى سنة ١٩٧٧ ، وتتناول بالتحليل التقنية الحديثة في الرواية ، والتقنية التقليدية ، والصورة الروائية للبرجوازية والرواية الريفية والقاع الاجتماعي في الرواية السورية ، وتقف عند أكثر من أربعين رواية ، صدرت في تلك المرحلة ، لكتاب سوريين ، منهم نسيب الاختيار ، وليد اخلاصي ، عبدالنبي حجازي ، بديع حقي ، هاني الراهب ، فارس زرزور ، فاضل السباعي ، عبدالعزيز هلال ، وحنا مينة .

الكتاب : مدخل الى نظرية القصة
المؤلفان : سمير المرزوقي وجميل شاكر
الناشر : الدار التونسية للنشر
عدد الصفحات : ٢٤٢ من القطع المتوسط

للقصة اليوم من النظريات الحديثة مالم يعد جائزا تجاهله ، والهدف من كتاب الباحثين التونسيين سمير المرزوقي وجميل شاكر هو عرض أهم نظريات القصة في ، الغرب ، وخصوصا عند أحد أعلام مدرسة الشكلانيين الروس ، فلاديمير بروب ، الذي اهتم بدراسة مجموعة من الحكايات الشعبية العجيبة الروسية ، واعتمد في دراسته هذه أساسا النظرة البنيوية الوصفية ، فالحكاية عنده هيكل وبنية معقدة ، يمكن تفكيك واستنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين .

ولكن المؤلفين لا يكتفيان بعرض نظرية « بروب » وانما يبينان أيضا حدودها وسلبياتها ، ثم ينتقلان الى تحليل النص القصصي (الحكاية ، السرد ، الترتيب الزمني ، التواتر ، الديمومة ، التوقف ....)

الكتاب : حركة التأليف المسرحي في سورية ١٩٤٥ - ١٩٦٧
المؤلف : أحمد زياد محبك
الناشر : اتحاد الكتاب العرب / دمشق
عدد الصفحات : ٤٣٠ صفحة ، قطع كبير

تتألف الدراسة من خمسة فصول ، يتناول الفصل الاول المسرحيات التي عالجت القضايا السياسية ، ويرى فيها عدة اتجاهات ، منها اتجاه خطابي ، وآخر انساني وثالث انتقادي ، ويتناول الفصل الثاني المسرحيات التي عالجت القضايا الاجتماعية ، ويلاحظ تطورها مع تطور الواقع الاجتماعي ، ويعرض الفصل الثالث للمسرحيات التي اتخذت من التاريخ مصدرا لها . ويعرض الفصل الرابع للمسرحيات الاسطورية ، ومن أبرزها مسرحيات خليل هنداوي ، ويتم في الفصل الخامس تلخيص أهم خصائص التأليف المسرحي في سورية ، والدراسة تعرض لاكثر من ستين مسرحية ، لكتاب من سورية منهم : خليل هنداوي ، وحسيب كيالي ، وسعد الله ونوس ، ومصطفى الحلاج ، وعصر النص .

الكتاب : مفهوم الادبية في التراث النقدي
المؤلف : توفيق الزيدي
الناشر : دار سراس للنشر - تونس
عدد الصفحات : ١٩١ من القطع المتوسط

ما الذي يجعل هذا النص أدبيا ، وذاك النص كلاما عاديا بعيدا عن الادب ؟ هذا السؤال أجاب عنه النقاد العرب القدامى ، وخصص بعضهم كتبا لايضاح مفهوم « الادبية » وهو التراث النقدي الذي يتناوله الباحث توفيق الزيدي بالتحليل والمراجعة ، في كتابه الجديد « مفهوم الادبية في التراث النقدي الى نهاية القرن الرابع الهجري » ونكتشف من خلال الكتاب أن التفكير النقدي عند العرب تشده بنية متماسكة في تناوله للادبية ، وان هذه البنية تطورت وفق محورين هما التحسس والتحديد . □

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

أيُّهَا و أيُّهمَا

تحت عنوان « العلم والمال » نشرت مجلة « العربي » في عددها ٣٢٦ ص ١٢٣هذه الفقرة : « قيل للخليل بن أحمد : أيها أفضل العلم أم المال ؟ قال : العلم » . . . .

وقد جاءنا تعقيبان على هذه الفقرة أحدهما من السيد محمد أحمد ابراهيم (درعا/ سورية) والثاني من السيد عمر هانى (بغداد/ العراق) ، وكلاهما يشيران الى أن استعمال « أيُّها » في الفقرة خطأ ، وان الصواب « أيُّما » ويطلب المعقب الثاني بيان معاني « أي » ومواضع استعمالها .

ونحن نرى أن استعمال كلتا الكلمتين هنا جائز ، كما سنبين ، أما « أي » فأنواعها وفقا لمعانيها خمسة ، وكلها مبهمة ملازمة للاضافة ، صالحة لكل أمر محسوس أو معقول ، فهي تكون :

١ - استفهامية ، كقوله تعالى في قصة سليمان والأميرة السبئية : أيُّكم يأتيني بعرشها ؟ وقولنا : « هذه بيوت مريحة ، فأياً تسكن ؟ » .

٢ - شرطية ، كقوله تعالى « أيُّما الأجلين قضيتُ فلا عدوان علي » وكقوله تعالى « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » .

٣ - موصولة ، كقولنا : أحترم نوابغ الشعراء وأحب أيُّهم هو أصدقُ فنا » (أى الذي هو أصدق فناً) وقولنا « أطالع كل كتب الفلسفة ، وأفضل أياً هو أوضح عبارة (أى الذي هو أوضح عبارة) .

٤ - نعتية (ويكون منعوتها نكرة أو معرفة) كقولنا « الشريف الرضى شاعرٌ أيُّ شاعر » وقولنا « يعجبنى الشجاع أيُّ الشجاع » .

٥ - حالية (ويكون صاحب الحال معرفة) كقولنا : « تعجبني خطب الامام على ، أيُّ خطبٍ بليغة » .

والأنواع الثلاثة الأولى (الاستفهامية ، والشرطية ، والموصولة) ملازمة للاضافة معنى ، وقد تضاف لفظا أيضا ، كما في أمثلتها السابقة ، والنوعان الأخيران (النعتية والحالية) ملازمان للاضافة معنى ولفظا معا ، كما في أمثلتهما السابقة .

وهناك نوع سادس هو « أيُّ » التي تستعمل وصلة لنداء ما فيه « أل » مهما يكن جنس المنادى وعدده ، كقوله تعالى فى مخاطبة النبى « ياأيها المدثر ، قم فأنذر » وقوله: « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ، وقوله « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » ، و « أى » في هذه الأمثلة الندائية ونحوها مبنية وليست مضافة إلى « ها » لأن « ها » ليست ضميرا ، ويبدو أنها مجرد أداة تنبيه صوتية كما هي في أسماء الاشارة (هذا ، هذه . .) .

ونعود الى الاستفهامية لأنها الموضوع المشترك بين التعقيبين . لا خلاف في جواز « أيُّما أفضل : العلم أم المال ؟ » ونحو هذا المثال . ولكن علينا أن نلاحظ أن

المقصود هنا « أىّ » وأنها ـ وهي استفهامية ـ لابد أن تكون مضافة معنىً (أى منقطعة عن الاضافة اللفظية) أو معنىً ولفظا معا ، كما لاحظ النحاة وأشرنا اليه سلفا ، و « أى » هنا مضافة معنى ، وليست مضافة لفظا إلى « ما » وأن « ما » كالحلية والطرفة للتوسع في التعبير ، وكان يمكن أن نقول : « أىُّ أفضل العلم أم المال » فما الجديد في قولنا « أيها » هنا ؟

الجديد هو إضافة « أى » لفظا إلى الضمير «ها» « فهل ظهور الضمير هنا يجعل العبارة خطأ ؟ ولماذا ؟

يرى بعض النحاة أن الضمير هنا يعود على متأخر ، وان هذا الموضع ليس من المواضع التي يجوز عود الضمير فيها على متأخر ، كأنهم استقرءوا كل هذه المواضع ، وكأنما لم يجدوا شاهدا فصيحا وردت فيه مثل هذه العبارة « أيها أفضل : العلم أم المال ؟ » ، كما أنهم لم يجدوا لها منفذا لغويا .

أما الشواهد فحسبنا منها كلمة للنبى قالها عقب فتح خيبر وقد عاد ابن عمه جعفر بن أبي طالب وآخرون الى المدينة ، وكانوا قد هاجروا إلى الحبشة ، وقد نقلها ابن هشام في سيرته ، وكلمة النبى يومئذ « ما أدرى بأيُّها أنا أُسَرُّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » .

وفي نهج البلاغة للامام علي ، أنه سئل : أيها أفضل : العدل أم الجود ؟ » .

وفي الأمالي لأبي علي القالي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب : « أيُّها أطيب : العنب أم الرطب ؟ » فأرسل عمر الى خبير بالفواكه (أبي خيثمة) وسأله : « أيُّها أطيب : « الرطب أم العنب » ففضل الرطب . وهناك أكثر من منفذ لصحة العبارة ، والأوسع والأقرب منفذ بلاغي ، وهو الاغماض فالايضاح ، أو الاجمال فالتفصيل ، فالغموض يثير في النفوس الشوق الى المحتجب وراءه ، ويغريه بالتطلع اليه [1] وظهور الشيء بعد غموضه أوقع في الفكر والشعور ، وذلك شائع في لغات أخرى ، فيأتى الضمير في عباراتها سابقا لما يدل عليه فيثير الشوق والتطلع اليه ومن ذلك في لغتنا :

١ ـ الضمير يقع مبتدأ يفسره اسم ظاهر كقوله تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » وقوله « قل هو الله أحد » .

٢ ـ الضمير بعد (رُبّ) يفسره تمييز كقولنا « رُبَّهُ رجلا يغني في الأزمات عن رجال » ، وقول الشاعر رُبَّه فتيةً دعوت إلى ما

يورث المجدَ دائبا ، فاجابوا

٣ ـ ضمير الشأن أو القصة يفسره مابعده ، كقولنا : « اعلم أنه لا إله إلا الله » وهناك مواضع أخرى كما في قول الشاعر :

كساً حلمُه ذا الحلم أثواب سُؤدَدٍ
ورقَّى نداه ذا الندى في ذرا المجد

ويمكن أن نعدُّ من الشواهد قوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات ، فالضمير « هن » في الآية يعود على ما بعده ، لا ما قبله وهو السماء .

إذن فسواء ظهر الضمير كما في أيّها ، أم لم يظهر كما في أىّ ، وأيّما ، ولهذا نقول : أيّما أفضل : العلم أم المال ؟ » أو نقول : أيها أفضل ؟ » أو « أىّ أفضل » كذلك نقول : أىُّ أشعر ، أبو تمام ، أم البحترى ، أم المتنبي ؟ كما نقول أىّ ، أو أيّما ، أو أيهن كانت أعظم معونة للنبى من زوجاته : خديجة أم عائشة أم مارية ؟ .

وما قلناه في أىّ الاستفهامية نقوله في أىّ الشرطية ، وأيّ الموصولة ولكن موضوعها يحتاج الى تفصيل وأمثلة أخرى . ◻

---

(١) وهذا ما تنتهجه فطريا بنات أمنا حواء ، في صدودهن تيها ودلالا ، وهو ما ينبغي لهن في خفرهن واحتجازهن بحكم أنوثتهن ، وأدركه شاعرنا بشار الضرير ، فقال من أرجوزة له :

قامت تراءى اذ رأتني وحدي ... شَقيّا لأسماء ابنة الأشدّ
ثم انثنت كالنَّفَس المرتدّ ... صدَّتْ بخدٍّ ، وَجلَتْ عن خدّ

ش ع ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

شكوى الزمان

لأبي الطيب المتنبي

اسمه أحمد بن الحسين : من أشهر شعرائنا العرب ، وله كثير من شعر الحكمة والأفكار الدقيقة البديعة ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ وبها نشأ ، وفى صباه رحل الى البادية واكتسب الفصاحة من أعرابها ، واتهم حين كان هناك بأنه ادعى النبوة (ولهذا لقب المتنبى) فسجنه والى حمص ، ولما خرج من السجن جال فى بلاد الشام يمدح الرؤساء والأمراء وبعض العامة حتى التقى بسيف الدولة الحمدانى أمير حلب ، واستقر عنده سنوات ، ثم تركه عاتبا غاضبا وقصد مصر وهى تحت حكم كافور الاخشيدى ، وبعد سنوات تركه هاربا منه وهو ينقم عليه ، واتجه إلى فارس قاصدا عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه هناك فمدحه ، كما مدح وزيره الأديب ابن العميد ، ورجع الى العراق بأموال كثيرة ، وفى طريقه قرب بغداد خرج عليه جماعة من البدو ، كان قد هجاهم هجاء مقذعا فقتلوه هو وابنه محسّدا ، ونهبوا كل ما معه سنة ٣٥٤هـ .

والمتنبى احد شاعرين فى تراثنا ، تكثر فى شعرهما الحكمة ، ولذلك يوصفان بالحكيمين ، والثانى أبو العلاء المعرى ، ولكن المتنبى كان حكيما فى كلامه فحسب ، فهو حكيم لغيره لا لنفسه ، ويخالفه المعرى فى ذلك ، كما أنهما يمثلان الطبيعة العربية خير تمثيل : المتنبى من وجهة عملية ، والمعرى من وجهة نظرية . ويكادان يتقابلان فى اهم نظراتهما الى الحياة وان اتفقا فى الشكوى من قسوتها والمعرى يقول شاكيا :

تعب كلها الحياة فما اعجب
الا من راغب فى ازدياد(*)

فيدعو إلى الزهد فيها تباعدا عن متاعبها والمتنبى يشكو قسوتها ولكنه يدعو الى الاقدام على مصاعبها فالموت نهايتها على كل حال ويهونه بان الانسان لا يحسه قبل حلوله ، ولا بعده ، كما قال هنا .

وقدنظم المتنبى هذه القصيدة فى مصر ولم ينشدها كافورا .

(*) انظر هذه القصيدة فى العدد الماضى ٣٢٩ - ابريل ١٩٨٦ (ص١٩٧)

صَحِبَ النَّاسُ قَبلَنا ذا الزَّمانا ... وَعَناهُمْ مِنْ شَأنِه ما عَنانا[1]
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهم مِنْـ ... ـهُ ، وإن سَرَّ بعضَهم أحيانا[2]
ربما تحسن الصنيعَ لياليـ ... ـه ، ولكنْ تكدِّر الاحسانا[3]
وكأنا لم يرضَ فينا بِرَيْبِ الدَّ ... هْرِ حتى أعانَه من أعانا[4]
كلَّما أنبتَ الزمان قناةً ... ركَّبَ المرء فى القناة سِنانا[5]
ومراد النفوس أصغر مِنْ أنْ ... نتعادى فيه ، وأن نتفانى[6]
غير أن الفتى يُلاقِى المنايا ... كالحاتِ ، ولا يُلاقِى الهَوانا[7]
ولو ان الحياةَ تبقى لحىٍّ ... لعددنا أضلَّنا الشجعانا[8]
وإذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ ... فمن العجزِ أن تكون جبانا[9]
كلُّ مالم يكن - من الصعب فى الأنـ ... ـفس ، سهل فيها اذا هو كانا[10]

(١) السابقون اهتموا بالزمان كما نهتم نحن به ، وقد شغلهم ما يشغلنا منه
(٢) وذهبوا وكل منهم يحس غصة من آلامه وخيبة آماله ، وان أحس السرور أحيانا
(٣) قد تنعم لياليه بالخير ، ولكن نعمها لا تسلم من الكدر ، وقد تسلب بعد ذلك .
(٤) ريب الدهر : احداثه : كأن الزمان لايكتفى فينا بشدائده ، فيسلط بعضنا على بعض بالتنازع .
(٥) القناة : عمود الرمح ، والسنان : طرفه المدبب ، أى كلما حدث خير أو بلية لانسان جاء غيره فجعلها وسيلة شر .
(٦) مطالبنا من حطام الدنيا وطيباتها أحقر من ان يعادى بعضنا بعضا فيها ويهلكه بسببها .
(٧) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . وكالحات : عابسات . اى إن الحر يحتمل الأهوال ويقبل عليها حتى الموت ولا يرضى بالذل .
(٨) لو كانت الحياة تدوم لحى لكان من الضلال ان يقدم الشجعان على الاخطار المهلكة .
(٩) اذا حق الموت دفاعا عن الكرامة فمن العجز الاحجام عنه .
(١٠) الموت صعب على النفس قبل وقوعه ، ولكنه سهل بعد وقوعه ، لأنّ الميت لايحسه .

أين الصديق ؟

أين لي بامرئٍ ، اذا أنا أحسنت اليه أمِنتُ سوء الجزاء
انني لو كسبته لكفاني ... حاجَتي في الحياة للأصدقاء
في فؤادي حبٌّ ، اريد له أهـ ... ـلاً ، لأسعى له به فى سخاء
أنا أصبُو إلى صديق ، ولكنْ ... أينَ لي بالنبيل من خلطائي .

(من « رباعيات التونسي » م.خ.ت)



مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٠
مايو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

١ ـ هذه صورة سترة موشاة بالذهب والأحجار الكريمة ، درج على استعمالها في الماضي أحد الشعوب العريقة في التاريخ .. وذلك كسترة للموت ، وقد سمّوها الجنازة .. فأي شعب هذا ؟

* الازتك * الهنود * الصينيون

٢ ـ ثمة حشرة صغيرة جدا .. تسمى في لبنان السكّيت ، وفي دمشق السويكتة ، وفي العراق النجرس أو النقرس .. ترى ما الاسم الذي أطلقه السلف الصالح على هذه الحشرة ؟

٣ ـ إقامة « الملحق بعائل » هل العبارة صواب أم خطأ ؟ علّل .

٤ ـ ساعات الكوارتس أكثر ضبطا للوقت من الساعات العادية .. ترى ما القطعة الموجودة في الساعات العادية والتي حل محلها الكوارتس في ساعات الكوارتس :

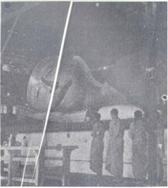
* البندول * ابرة * زمبرك

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يونيو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٠



٥ - صورة تمثال : من هو . . ؟ وأين يوجد . . ؟ وأى المذاهب يقدس هذا التمثال ؟

٦ مالفرق بين الزيتون الأخضر والزيتون الأسود ؟● الفرق نوعى . . فهما فصيلتان مختلفتان وبذورهما مختلفة . .
● الفرق عرضى . . فقد يقطف الزيتون وهو أخضر وقد يترك حتى ينضج فيتحول لونه الى الاسود . .
● الفرق بيئى . . ومرده الى التربة والماء وما الى ذلك من عوامل .

٧ - تنظر إلى النجوم فى ظلمة الليل فيبدو لك أن ضوءها يتلألأ . . لماذا ؟
٨ - قال فؤاد ردا على سؤال صديقه : السيدة ليست جدتى ولا عمتى ولا ابنتى . . وليست خالتى كذلك ، علما بأنها أخت خالى . .
فما علاقة السيدة بفؤاد . . ؟

٩ - بلغ طول سياج الحقل ميلا واحدا . . وبلغت مساحة الحقل ٤٠ فدانا . . فكم تبلغ مساحة الحقل فيما لو بلغ طول السياج ميلين ؟
١٠ - بلغ رصيد مصطفى فى البنك ٥٤ دينارا . . سحب منه ٢٠ دينارا فعشرين اخرى فعشرة دنانير فاربعة . . فبدت العملية فى دفتره كالتالى :-

السحب الاول ٢٠ دينارا	الرصيد ٣٤ دينارا
السحب الثانى ٢٠ دينارا	الرصيد ١٤ دينارا
السحب الثالث ١٠ دنانير	الرصيد ٤ دنانير
السحب الرابع ٤ دنانير	الرصيد ٠
٥٤ دينارا	٥٢ دينارا

لاحظ مصطفى الفرق البالغ دينارين بلا طائل . . فهل تستطيع مساعدته فى اكتشاف الخطأ والعثور على الدينارين : .

١١ - الألماس والزمرد والذهب والمرجان واللؤلؤ . . ثلاثة منها متجانسة . . واثنان ناشزان . . فأيهما الناشزان ولماذا هما ناشزان ؟

١٢ - هل فى الامكان رؤية قوس قزح أثناء الليل . ؟
● لايمكن . . فنور القمر يطمسه اذا كانت الليلة مقمرة .
● لايمكن . . فالظلام الحالك يطمسه اذا لم تكن الليلة مقمرة .
● نعم يمكن . . فضوء القمر ، كضوء الشمس ، يحدث قوس قزح اذا سقط على بعض المطر .

حل مسـ

١ ـ القمة هي قمة جبل افرست . . والرجل هو السير أدموند هيلاري . . متسلق الجبال النيوزيلندي وقاهر افرست ، من مواليد سنة ١٩١٩ . . وكان رفيقه في رحلته تلك (١٩٥٢) الشيْربا تِنْسنُج . . أحد أبناء المنطقة . .

٢ ـ سباجتي

٣ ـ الفتاة ابنة الرجل . . أو ابنة زوجته على الأقل .

٤ ـ ملأت مكيال الخمسة جالونات بالحليب ، ثم أفرغته في مكيال الثلاثة ، فبقي في مكيال الخمسة جالونان كما لايخفى . . وكررت العملية مرة ثانية فتجمع في الوعاء الذي جاء به الرجل ٤ جالونات بالضبط .

٥ ـ صاحب السيف هو عمرو بن معد يكرب . . وقد توارثه كثيرون ، الى أن اشتراه الخليفة المهدي بثمانين ألف درهم . . ويعني اللفظ المضاء والحدة وشدة القطع . . وقد توافرت لسيف عمرو أكثر مما توافرت لغيره من السيوف . .

وصممه : جعله أصم . . وصمم على الأمر : مضى على رأيه فيه ، ولم يصغ الى من يردعه عنه كأنه أصمّ .

٦ ـ قائل البيت ، كما يدل على ذلك معناه ، هو عنترة ابن شداد العبسي (ت٦٠٠م)

٧ ـ صفي الدين الحليّ من مواليد الحلة في العراق (١٢٧٨ ـ ١٣٤٩) أديب وشاعر ، واشتغل بالتجارة ، والبيت المقصود هو الذي يقول فيه :

بيض صنائعنا سود وقائعنا
خضر مرابعنا حمر مواضينا .

٨ ـ فالينتينو هو الممثل (١٨٩٥ ـ ١٩٢٦) وهو ايطالي ، وقد اشتهر بافلام عديدة اشترك فيها . . نذكر منها دماء ورمال . .

ودون جوان هو الشخصية الخيالية ، وهي تعزى الى الأساطير الاسبانية ، التي تفترض أن شخصا باسم دون جوان تينوريو عاش في القرن الرابع عشر ، واشتهر بمجونه ومغامراته . . وكان موزار وبايرون وبرناردشو ومولبير من بين الذين اتخذوا من تلك الشخصية الاسطورية أساسا نسجوا حوله .

وكازانوفا هو المغامر الحقيقي (١٧٢٥ ـ ١٧٩٨) وكان ايطاليا ، ولد في البندقية ، وكتب مذكراته التي تحدثت عن غرامياته ومغامراته .

٩ ـ غاز الايدروجين لايحتاج الى الأوكسجين لكي يحترق . . وقد يحترق في غاز الكلورين ليكون مادة كلوريد الأيدروجين .

اما الاحتراق الذاتي فيحدث عندما تتأكسد المادة ببطء ، فترتفع درجة حرارتها تدريجيا ، حتى تصل الى درجة الاشتعال . . ويحدث هذا أحيانا في مخازن الفحم .

١٠ ـ ابن ماجة (وليس كما ورد خطأ في الأصل ابن ماجد مكررا) هو أبوعبدالله محمد بن يزيد (٨٢٢ ـ ٨٧٦) من أعلام المحدثين ، كتب في التفسير والتاريخ والحديث أشهر كتبه (السنن) .

أما ابن ماجد . . وهو غني عن التعريف ، فاسمه الكامل شهاب الدين أحمد بن ماجد . . وقد كان كاتبا بالاضافة الى كونه ملاحا . . عاش في النصف الثاني من القرن الخامس عشر . . وألف ثلاثين كتابا في الملاحة وأعمال البحار .

١١ ـ معنى الابطال لايفيده أي من الفعلين . . وانما الذي يؤديه فهو فعل (ألغى) أما لغا فمعناه أخطأ (لغا في قوله) واما لغي (بالأمر) فمعناه لهج به . . ولغي بالماء . . أكثر منه وهو لايروى من ذلك . .

١٢ ـ أدموند هالي لم يكتشف المذنب الذي يعرف باسمه . . وانما اكتشف مداره وموعد عودته وغيره من المذنبات . . فهو صاحب فضل في الجزم بأن بعض المذنبات تظهر ثم تعود لتظهر ثانية وثالثة وهكذا .

مسابقة العدد ٣٢٧ فبراير ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٧ فبراير ١٩٨٦

الفائز بالجائزة الاولى : راغب مصطفى السمري / دقهلية / مصر
الفائز بالجائزة الثانية : حسن توفيق الحركة / بيروت / لبنان
الفائز بالجائزة الثالثة : وليد سليمان السلوم / دمشق / سوريا

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ زهية محمود محمد القطامي / عمان / الاردن
٢ ـ عبد القادر علي النعيم / الخرطوم / السودان
٣ ـ ربح الخذيري / سبيبة / تونس
٤ ـ خيرية عمر المبروك / طرابلس / ليبيا
٥ ـ ليلي علي محاسنه / الرياض / السعودية
٦ ـ مالك تويرات / الجزائر العاصمة / الجزائر
٧ ـ جاسم محمد سلمان / بغداد / العراق
٨ ـ محمد بن الربيع / العديلية / الكويت

معركة بلا سلاح

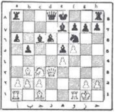
فن التبادل

إن ما نعنيه بالتبادل في هذا المقام هو تبادل أو تكسير القطع لا البيادق اذ أن تكسير البيادق يحتاج منا الى وقفة خاصة ، ويجدر بنا أن نستهلّ هذا الموضوع بتعداد الأسباب الداعية الى التبادل والتي نوجزها فيما يلي :

١ ـ حرمان الخصم من قطعة جيدّة .
٢ ـ تحطيم هياكل بيادق الخصم .
٣ ـ تبسيط الموقف عند التمتّع بتفوق ماديّ .
٤ ـ الأخذ بزمام المبادرة تمهيداً لهجوم وشيك .
٥ ـ التخلص من موقف مقيّد لحرية الحركة .

ويجدر التنويه هنا إلى أن الفوارق بين هذه المبادىء العامة لا تكاد تكون ملحوظة أحياناً ، فهي كثيراً ما تتداخل فيما بينها بحيث يغدو من الصعب التفريق بين أحدها والآخر كما هو الحال في المثال التّالي (شكل ١) حيث يقوم فيشر بطل العالم بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥ بمبادلة قطعتين من قطع الخصم الفاعلة ليترك له قطعةً ضعيفةً شَلّاء (فيل الملك) ، أو إذا شئت لاستغلال نقطة الضعف الكامنة في المربع (د ٥) واحتلاله بحصانة .

١٣ ـ ف - ز ٥	و - ب ٦ +
١٤ ـ م - حـ ١	ت
١٥ ـ ف × و ٦	ف × و ٦
١٦ ـ ف - د ٥	ر (أ) - جـ ٨



(شكل ١)

١٧ ـ ف × جـ ٦	ر × جـ ٦
١٨ ـ ر (أ) - د ١	ر (و) - جـ ٨
١٩ ـ ح - د ٥	و - د ٨
٢٠ ـ جـ ٣	ف - هـ ٧
٢١ ـ ر - أ ١	

تمهيداً لِشَنّ هجوم على جناح الوزير .

٢١ -	و ٦
٢٢ ـ أ ٤	ر - ب ٨ ؟ ؟

متخلياً عن أحد أرخاخه مما يضطره للاستسلام بعد ٢٣ ـ ح × هـ ٧ نظراً لوقوع ملكه ورخه بعد ذلك تحت كشّة مزدوجة .



(شكل ٢)

أما في الشكل ٢ أعلاه فإن موقف الأسود يعاني من ضعف مزمن في المربع د ٦ والمربع و ٦ حيث يحسن بتروسيان بطل العالم بين ١٩٦٣ ـ ١٩٦٩ استغلال هذا الضعف فنجده يحرم الأسود بضربة واحدة من القطعة الوحيدة الحامية لهذين المربعين تاركاً له فيلاً أشلّ .

٢٦ ـ ف ـ جـ ٥	ر × و ١
٢٧ ـ ر × و ١	ف × جـ ٥
٢٨ ـ ح × جـ ٥	ف ـ هـ ٨
٢٩ ـ ر ـ و ٦	ف ـ ز ٦
٣٠ ـ ح × هـ ٦	ز ٤
٣١ ـ ح ـ و ٤	و ـ ز ٥
٣٢ ـ ح × ز ٦	

لان مجال نشاط الفيل قد اتسع ولأن الأبيض يتمتع ببعض التفوق المادي لذا فإنه يعمد الى تبسيط الدور بالتبادل وتعرية الملك في الوقت ذاته .

٣٢ ـ	حـ × ز ٦
٣٣ ـ ر ـ و ٤	م ـ ز ٧
٣٤ ـ و ـ هـ ٣	و ـ د ٨
٣٥ ـ هـ ٦	و ـ هـ ٨
٣٦ ـ ر ـ و ٧ +	يستسلم

(حل المسألة رقم ٣٩)

النقلة التي أدت الى انهيار الدور هي ٤٠ ـ هـ ٥ لأنها أتاحت لفيل كاسباروف فرصة الانقضاض على الملك بمؤازرة الوزير .

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٨)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ محمد عبد الرزاق ـ الأسكندرية /ج م ع
٢ ـ حسين شلبي ـ الكويت
٣ ـ د . شعراوي عطية ـ الباحة / السعودية
٤ ـ عدنان ذيب ـ عمان / الاردن
٥ ـ انصاف ابراهيم ـ السودان

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عبد المعطي جبل ـ طرابلس / ليبيا
٢ ـ أحمد سلامة ـ الدوحه / قطر
٣ ـ ماجد آدم ـ المحلة / ج م ع
٤ ـ عبد الحسين قنديل ـ بيروت / لبنان
٥ ـ محمد الشافعي ـ أبوظبي / الامارات



مسابقة العدد
مسألة رقم ٤١

الأبيض يلعب ويفوز بالدور

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

« تيمو .. هل تستحق الجائزة الأولى ؟

ولماذا لايكون هناك باب للحوار مع الأدباء ؟

● لقد قرأت القصة الفائزة بالجائزة الأولى فى مسابقة العربى للقصة القصيرة ، وهى بعنوان « تيمو » لسحاب نورى ، ولا أخفى عليكم أننى شعرت بنوع من المفاجأة ، فالقصة ليست جديدة ، ولم تقدم ما يمكن أن نسميه ابتكارا أو ابداعا ، فعلى أى أساس تم اختيارها ؟ ربما كانت هى أفضل الموجود ، ولكن هل هذا هو مستوى القصة القصيرة فى الوطن العربى ؟ ان قصة « تيمو » بهذا المعنى قد تكون شاهدا على ضعف مستوى القصة القصيرة العربية ، كيف يتجاهل كاتب القصة واقعه العربى وسائر مشكلاته وهمومه ، وثراء فجأة يتحدث عن القطط والكلاب ، لكأن الناس نالوا حقوقهم الضائعة ، ولكأن الواقع العربى خلا من القضايا والمشكلات ولم يبق الا « تيمو » . . .

وإذا كان صاحب « تيمو » لم ينجب ، فالعلم اليوم يقدم الوسائل العديدة للانجاب .. اذن فهناك أشياء أخرى أهم من هذه السطور التى قرأتها فى « تيمو » . . . . . الخ .

وفى الجزء الأخير من ذات الرسالة يقدم كاتبها اقتراحا آخر فيقول :

« رجائى أن تهتم العربى بما يرسل اليها من أصحاب الأقلام الجدد ، ويتساءل : كيف تكون المجلة بدون باب للحوار مع الأدباء الشبان الى جوار باب « حوار القراء » ثم يقول : « : قد يكون هذا الباب الذى ندعو اليه من أنجح الأبواب ، ورب كلمة منشورة لأديب جديد يكون لها فعل السحر فى دفعه الى الأمام ، وهذا جزء مهم من دور المجلة فى خدمة الحركة الثقافية والأدبية .. الخ

رمضان المجرس المحامى

ـ القاهرة

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ونود أن نوضح الاعتبارات التالية :

● كان من الواضح من شروط المسابقة أنها للجدد من أصحاب المواهب فى كتابة القصة القصيرة ، وليست لمن لهم كتب أو تجارب معروفة فى هذا المجال ، بهدف توفير الفرصة لهؤلاء ليضعوا أقدامهم على بداية الطريق ، ولتسليط الضوء على مواهبهم وانتاجهم وأسمائهم ، بما يمكنهم من مواصلة السير على طريق شائق وشاق ، وبالتالى فإن انتاجهم ـ مع جودته ـ ليس هو المعيار الدقيق للحكم على مستوى القصة القصيرة فى الوطن العربى .

● من طبيعة هذه المسابقات أن تكون سرية

ومقننة ، ويشترك فى تحكيمها عدد من الكتاب ممن لهم خبرة معروفة فى كتابة القصة ، وأن يكون ترتيب الفوز فيها للقصص التى تحصل على أعلى الدرجات بترتيب الجوائز المقررة سلفا .

ومن المألوف بالنسبة لهذه المسابقات فى ضوء التجارب السابقة ، أن القصص التى تأخذ فيها فرصا أفضل للفوز ، هى فى الغالب من النوع الذى يبحر فى المياه الآمنة ، ويستجيب أكثر لما هو مستقر من تقاليد القصة القصيرة ، ويكشف عن موهبة ، وينجح فى مخاطبة القدر المشترك من القيم الفنية بين جميع أعضاء اللجنة أو اللجان ، على اختلاف تجاربهم واتجاهاتهم وأذواقهم ، فى اطار كثيف من القصص التى هى فى نهاية الأمر لمبتدئين أو هواة ، فى مثل هذا الاطار قد لاتحصل على أعلى الدرجات تلك القصص التى تجنح الى المغامرة الفنية ، سواء فى التجربة أو فى أسلوب معالجتها ، قد تحصل مثل هذه القصص على درجة عالية من بعض أعضاء اللجنة ممن يتحمسون لاتجاه هذه المغامرة الفنية ، ولكنها فى الوقت ذاته قد تفقد الكثير ، اذا وجد آخرون فى اللجنة أن المغامرة لم تحقق أهدافها ، أو أنها ليست مغامرة أصلا .

ومع ذلك فتبقى مثل هذه المسابقات التى تحكمها لجان تتنوع فيها الاتجاهات والخبرات أقرب الى الموضوعية والعدالة ، ولاشك أنها تمنح فرصا لاينبغى التضحية بها ، من أجل هدف بالغ الصعوبة ، هو الوصول الى قصة أو قصص يمكن أن تتفق بشأنها الآراء .

● فى هذا الاطار حصلت قصة « تيمو » على أعلى مجموع من الدرجات ، ربما لما فيها من بساطة وانسانية وتركيز وشاعرية ، لمست فى لحظة نفوس أعضاء اللجنة ، مع أن كل واحد منهم قرأها وحده ، ومنح درجتها وحده . .

● أما بالنسبة لما أشارت اليه الرسالة ، من أن القصة تركت الواقع الزاخر بالمشكلات الكبيرة ، وراحت تتحدث عن الكلاب والقطط . . فلا نظن أن المسألة يمكن أن تناقش بهذه الكيفية . . فهناك أولا حرية الكاتب التى يجب أن تكون أساسا لالتزامه ، وهناك ثانيا رؤيته لما يكتب عنه ، وحين تكون هذه الرؤية نافذة فإنها تصل الى العام من خلال الخاص ، والى الموضوعى مما قد يبدو شخصيا أو ذاتيا ، والى ما هو غير عادى من خلال المألوف والعادى وهذه الرؤية هى التى تحدد قيمة الالتزام ومدى الحرية وقيمتها . . كذلك . .

وقيمة « تيمو » انه فجر ينبوع الحنان فى قلب زوجين وحيدين ، وربط بينهما ، ووضع العدالة فى مواجهة بين فيض الحنان وآلية القانون ، وعقد مقارنة ساخرة بين أنانية طبيب بيطرى ، ينقل الى عالم الحيوان الفروق الطبقية بين البشر ، فى الوقت الذى أذاب فيه هذا الحنان الفروق بين البشر وبين الحيوان .

● يبقى اننا نعرف جميعا - وليس فى هذا عزاء لأحد - أن الكاتب الحقيقى سيشق طريقه مادام يملك الارادة ، سواء من خلال الفوز فى مسابقة للقصة ، أو من خلال الفوز فى مسابقة الحياة ذاتها .

● فيما يتصل باقتراح القارىء الكريم لباب « حوار الأدباء » فلا خلاف حول قيمة اقتراحه ، وان كنا نرى أن المجال الأنسب لتنفيذه هو مجلة أدبية متخصصة ، تعنى بنشر النصوص الأدبية فى المقام الأول ، أما بالنسبة « للعربى » التى تعنى بشتى الوان الثقافة ، فقد يخرج هذا عن طبيعة مهمتها ، على أن العربى تخدم ضمنا هذا الهدف من خلال ما تنشره من قصص وأشعار للكُتاب الجدد مادامت جيدة ، ومن خلال أبواب عديدة مثل منتدى العربى والمكتبة العربية وحوار القراء .

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

اللعب . . . علاج أيضا

● فى عدد يوليو ١٩٨٥ من مجلة العربي تحدث الأستاذ راتب المسعود عن أثر اللعب فى التربية ، وكان مقاله جادا ومفيدا ، الا أننى لاحظت ولاحظ كثيرون غيرى ، أن الفائدة كانت ستكون أعم لو أن الكاتب تعرض فى موضوعه الى استخدام اللعب كعلاج ، وهو اتجاه حديث بدأ يحظى بقدر كبير من اهتمام الباحثين والمعالجين النفسيين فى السنوات الأخيرة .

نرجو أن تعنى مجلة العربي بنشر دراسات حول دور اللعب فى العلاج التربوى فى أعدادها المقبلة بمشيئة الله ، وندعو لمجلتنا بمزيد من النمو والازدهار .

عبدالرحمن سيد سليمان
مدرس الصحة النفسية المساعد
بكلية التربية ـ جامعة
عين شمس . القاهرة

عتاب . . . . . . واعتذار

● بما أننى من المغرب العربي ، فاننى أتقدم الى أسرة مجلة العربي باعتذار عن العتاب أو اللوم الذى وجهه الأخ الليبى سليمان بركة محمد فى العدد ٣٢٠ من مجلة العربي الى مجلتنا ، مدعيا انها لاتهتم بقضايا المغرب العربي ، فالحقيقة أن مجلة العربي لاتغفل أبدا عن ذلك ، فبالاضافة الى نشر رسالة المغرب العربي فى العدد ٣٢٠ ، نشرت العربي موضوعا مهما يتحدث عن اكتشاف ليبيا نهرا فى الصحراء ، فى عدد مارس سنة ١٩٨٥ ، وفى عدد مايو سنة ١٩٨٥ نشرت المجلة رسالة المغرب العربي عن تونس والجزائر ، وكانت المجلة قد تحدثت فى عدد فبراير سنة١٩٨٤ عن مهرجان قرطاج بتونس ، وفى عدد فبراير سنة١٩٨٣ نشرت بحثا عن الأديب التونسى على الدوعاجى ، كما نشرت فى عدد أغسطس سنة ١٩٨٣ بحثا عن المفكر الجزائرى مالك بن نبى . . . . الخ . .

ومن هذا كله يظهر ان عتاب الأخ الليبى ربما كان سببه انه لايتابع المجلة متابعة دقيقة .

ك . ر
المدية / الجزائر

العربي

نشكر للأخ العزيز اهتمامه بتوضيح موقف مجلة العربي واعتذاره ، كما قبلنا عتاب الأخ الليبى ، فالعتاب والاعتذار كلاهما دليل على اهتمام القارىء الذى هو أهم ما نتطلع اليه .

ردود خاصة

● الى السيد الدكتور محمد محمد الجوادى
رجاء التفضل بارسال عنوانك الى مجلة العربي للأهمية . . وشكرا . □

يــوبافــــــ
U.B.A.F.

إن اتحاد المصارف العربية والفرنسية - يوباف -
الذي كان أول بنك عربي يتواجد في طوكيو منذ ١٩٧٦
يسره أن يعلن افتتاح فرعه الجديد
في
أوزاكـا
في
٨ أبريـل ١٩٨٦

المركز الرئيسي : - 190 Avenue Charles de Gaulle
92523 Neuilly Cedex - France
الفروع : يوباف البحرين - أوزاكا - سيول -
سنغافورة - طوكيو
البنوك التابعة : يوبان انترناشيونال ليمتد - هونج كونج
الممثليات : بيروت - القاهرة

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
مايو ١٩٨٦م

الأدب
في البرازيل

تأليف
د. شاكر مصطفى

٥٠٠ فلس
الكتاب الواحد بعد المئة

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٠ أول مايو ١٩٨٦

الجزء الأول من حكاية

الملك هنرى الرابع

تأليف : شكسبير

تحقيق : أ. ر. همفريز
ترجمة : د. فاطمة موسى
مراجعة : د. مجدى وهبة

73D الجديد

VHS

إنه فيديو VHS الجديد الذي يوفر أداء توشيبا ذو الجودة العالية مع وظائف أوتوماتيكية ومنظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي. ولكنه ليس الوحيد، فإن مجموعة مسجلات فيديو كاسيت VHS وبيتا من توشيبا ستضيف الجودة والبهجة إلى حياتك، توشيبا تدخل التكنولوجيا إلى حياتك.

صنع باليابان
TOSHIBA



V-73D

بال / مسيكام
نظام مزدوج • وظائف أوتوماتيكية: إبتداء التشغيل أوتوماتيكيا، تشغيل أوتوماتيكي، ترجيع أوتوماتيكي، ترجيع وإيقاف التشغيل أوتوماتيكيا • موقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • نظام بحث عن الصورة متقدم • حركة تشغيل بطيئة سرعة • تحكم عن بعد لاسلكيا • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-57TR



VHS
بال/ ميسيكام/ أن تي أس سي ٤٫٤٣ ميجاهرتز
٣ أنظمة • موقت مبرمج لـ ١٤ يوم / برنامج واحد • نظام اختيار الفولت • تحكم عن بعد لاسلكيا بعدة طرق.

V-53TR



Beta
بال / سيكام / أن تي أس سي ٤٫٤٣ ميجا هرتز
٣ أنظمة • موقت مبرمج لـ ٧ أيام/ ٤ برامج • تحكم عن بعد لاسلكيا للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد لاسلكيا ١٤ وظيفة • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-51D



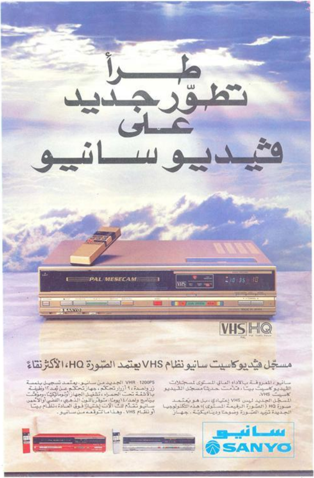
Beta
بال/ سيكام
نظام مزدوج • موقتا مبرمج لـ ٧ أيام/ برنامج واحد • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد ٩ وظائف.

TOSHIBA TOKYO JAPAN

شوال ١٤٠٦ هـ - يونيو (حزيران) ١٩٨٦ م

العربي




طرأ
تطوّر جديد
على
ڤيديو سانيو
PAL/MESECAM
VHS HQ
مسجّل ڤيديو كاسيت سانيو نظام VHS يعتمد الصّورة HQ، الأكثر نقاءً
سانيو، المعروفة بالأداء العالي المستوى لمسجلات الڤيديو كاسيت بيتا، قدّمت حديثاً مسجل الڤيديو كاسيت VHS.
المسجّل الجديد ليس VHS إعتيادي، بل هو يعتمد صورة HQ (الصّورة الرفيعة المستوى) إن هذه التكنولوجيا الجديدة تزيد الصّورة وضوحاً وديناميكيّة. جهاز VHR - 1200PS الجديد من سانيو. يعتمد تسجيل بلمسة زر واحدة، ٩ أزرار تحكّم، جهاز تحكّم عن بعد ١٢ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء، تشغيل الجهاز أوتوماتيكيّاً، وموقّت برنامج واحد/١٤ يوماً. متوفّر باللون الذهبي، الفضي أو الأحمر سانيو تقدّم لك الآن إختياراً فوق العادة، نظام بيتا أو نظام VHS. وهذا ما تتوقعه من سانيو.
سانيو
SANYO

العدد ٣٣١ السنة التاسعة والعشرون يونيو ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 331 Jun. 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات بإسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

المطبوعة المتفاعلة بصدق مع بيئتها ، لا بد أن تثير ـ بما تنشره ـ قضايا متعددة ، وهكذا هى « العربى » . . .

فقد نشرنا فى العدد ٣٢٦ (يناير ١٩٨٦) موضوعا مهما للأستاذ يوسف الحسن وكان عنوانه « مؤتمر دولى للصهاينة المسيحيين أيضا » تناول عرض مادار فى المؤتمر الصهيونى المسيحى الدولى الذي عقد في مدينة بازل فى أغسطس ١٩٨٥ والذى شاركت فيه فئة محددة من المسيحيين ، الا أن ردود الفعل الاولى كانت متسرعة بعض الشىء . . ورجحنا أن بعض من قرأ الموضوع فى ذلك الوقت اكتفى بالعنوان ، ولم يستوعب تفاصيل الموضوع نفسه ، ولكن بعد فترة وجدنا أن من قرأ الموضوع قرأءة جادة متأنية ، وبخاصة بعض اخواننا المسيحيين الوطنيين الغيورين تفهموا الأسباب الحقيقية التى دفعتنا الى نشر الموضوع . ولم يكن القصد ـ كما هو ثابت فى المقال ـ تجريح المسيحية كدين بقدر كشف فئة قليلةلها موقف معاد من أمانينا القومية ، وقد تفاعل الموضوع بشكل ايجابي في وقت لاحق ، اذ تلقينا أخيرا رسالة تؤكد ماذهبنا اليه ، فقد كانت الرسالة تضم ملفا كاملا أرسله لنا الدكتور « دانيال كاتبه » من مدينة حمص بسوريا ، يشرح الدكتور دانيال فى رسالته مدى اهتمام الكنيسة الانجيلية المسيحية الوطنية بحمص بما نشرته العربى ، وأن الموضوع قد اثير اثناء انعقاد مؤتمر الكنائس الانجيلية المسيحية فى لارنكا بقبرص ، وشجب المؤتمرون مادار فى مؤتمر بازل وأمثاله من المؤتمرات المشبوهة . وتحدثت الرسالة عن عدد من الأنشطة التى قامت بها كنيسة حمص الانجيلية ، لتفنيد « أضاليل المسيحيين الصهاينة » والتأكيد على بطلانها ، والاشادة بالمثل الانسانية المتسامحة التى يتحلى بها العرب مسلمون ومسيحيون ، استنادا الى مانصت عليه الكتب السماوية المقدسة . . . . . .

ويتضمن الملف أيضا بيانا صادرا عن « السينودس الانجيلي الوطني » فى سوريا ولبنان ـ وهى الكنائس الانجيلية الوطنية المسيحية فى القطرين السورى واللبنانى ـ ينطوى على رفض لما دار فى اجتماع مؤتمر بازال فى اغسطس ١٩٨٥ الذى اشار اليه مقال الاستاذ الحسن كما يرفض فكرة عقد مؤتمرات تتناول موضوعات سياسية هدفها دعم « اسرائيل »

ويتبنى البيان فكرة القيام بحملة من الأنشطة والاتصالات على جميع المستويات مع الكنائس الانجيلية محليا وعالميا ، لتوعية الرأى العام بخطورة مثل هذه المؤتمرات على العقيدة المسيحية .

و« العربى » اذ تشكر كل المواقف التى أسهمت فى توضيح بعض الجوانب المهمة حول هذا الموضوع الشائك ، واضاءة الجوانب الأخرى بالمعلومات ، إنما تود أن توضح مرةاخرى احترامها لكافة الاديان والمذاهب ، وتؤكد فى الوقت نفسه على ان الموقف الايجابى من قضايا العرب الاساسية معيار اساسى من معايير النشر فى « العربى » .

المحرر

محتويات العدد



أشجار النخيل في احدى مدن جنوب سيناء . . الفة بين الانسان العربي والشجرة التي رافقته رحلة الحياة القاسية فوق رمال الصحراء . ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الإقناع الخفي

- ماذا نختار لأنفسنا ؟ وماذا يفرض علينا ضغطا ؟
- لقد صنعوا أولا ، وتحكموا ثانيا في ثقافتنا الاستهلاكية !
- هل تريد أن نقرأ لك طالعك ؟ إذن اكتب إلينا على هذا العنوان ....!!
- هل تستطيع الصحيفة أن تقبل الاعلان مع احتفاظها باستقلالها ؟!

بعض الأمور في حياتنا اليومية المعيشية نمر بها مر الكرام لا نفكر فيما وراءها .. ما هي ومن أين جاءت ؟ ومن المستفيد منها ؟ ويهتم الدارسون غالبا بالمظاهر الكلية والعامة في حياة الشعوب ، ويقفزون على القضايا التي يبدو للكثيرين أنها قضايا صغيرة غير مهمة ، من هذه القضايا الصغيرة في الظاهر ، الكبيرة في حقيقة الأمر ، قضية الاعلان .. وصناعة الاعلان العالمية ، ومدى انتشارها وتأثيرها في وطننا العربي .

ففي الوقت الذي تقدر فيه بعض الدراسات الاحصائية أن المديونية الخارجية للأقطار العربية زادت عن (مائة مليار دولار) في مطلع هذا العام ١٩٨٦ . وهو مبلغ تبدو ضخامته اذا عرفنا أن بعض أقطارنا العربية تتناسب قدرتها على الوفاء





بالدين تناسبا عكسيا مع عدد سكانها . . في هذا الوقت نرى بالعين المجردة في شوارعنا ووسائلنا الاعلامية المختلفة إعلانات ينفق عليها ملايين الدولارات لاقناعنا باستخدام هذه البضاعة أو تلك .

واذا كان البعض يعتقد لأول وهلة أنه لا يوجد علاقة مباشرة بين حجم المديونية وبين حجم الاعلانات الخاصة بالبضائع المستوردة من أنحاء عديدة من العالم ، فليعد إلى حساباته ، لأن هذه الاعلانات تحثنا في الحقيقة على ولوج طرق ودهاليز « المجتمع الاستهلاكى من أوسع أبوابه » .

لعل « الظاهرة الاعلانية » في الوطن العربي لا تثير تساؤلات كثيرة . فهناك عواصم عديدة ومدن وقرى في العالم يظهر فيها الاعلان بأشكاله المختلفة ، ذاك في حقيقة الأمر صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن كثيرا من المدن والقرى المتعددة ترتفع فيها اللافتات الاعلانية ، وتزخر صحفها بالاعلانات وكذلك وسائلها الاعلامية الأخرى . . ولكنها في الغالب الأعم اعلانات عن منتج محلى . فليس غريبا - على سبيل المثال - أن ترى اعلانا « لسانيو » أو « سونى » أو مازدا في اليابان ، ولكن من النادر أن ترى في اليابان إعلانا عن سيارات « مرسيدس » أو

« شفرليه » . . وهذه ظاهرة قائمة وملموسة في كل البلاد الأخرى . إنهم يعلنون عن منتجاتهم وحدها فهي عماد اقتصادهم .

وإذا كانت هذه البلدان الصناعية الغربية وغيرها تشكو مر الشكوى من هجمة الاعلان المنظم والطرق المختلفة لاقناع الناس بالاستهلاك ، فإن شكوانا في الوطن العربي مضاعفة . ذلك لأن بلادنا العربية في أكثرها تزداد مديونيتها للخارج عندما تجد نفسها تدفع دفعا لاستهلاك بضائع قد لا تكون في واقع الحال في حاجة إليها بهذه الدرجة أو تلك .

« هي الأصل » إعلان الكوكاكولا المشهور . . بدأ يغزو بعض عواصمنا العربية ، وأصبح اقتناء « المرسيدس » جزءا من وضع اجتماعي نقرؤه في صحفنا ونشاهده في مسلسلاتنا التليفزيونية .

* * * *

مفهوم الإعلان

□ وعند البحث عن معنى الاعلان الدقيق في لغتنا العربية ، لا نجد له الاصطلاح المعروف بيننا اليوم وأعني به الوسائل المستخدمة لتعريف الجمهور العريض بمنشأة صناعية أو تجارية ، ومحاولة اقناعه بمدى حاجته لمنتجات هذه المنشأة . . الاعلان عند العرب هو المجاهرة بالشيء .

ولقد انتقلت الدلالة في هذه الكلمة - كما انتقلت في مفاهيم أخرى كثيرة - لتعني الاعلان بمعناه المتعارف عليه عندنا اليوم .

ولعل حديثنا في المفاهيم والاصطلاحات يجرنا إلى القول بأن (الاعلان) في لغتنا العربية يشوبه - في اعتقادي - بعض الخلط من جهتين : فهناك خلط بين « الاعلان » و « الدعاية » من جهة . . وبين « الاعلان » و « العلاقات العامة » من جهة أخرى ، وهي أمور مختلفة بطبيعتها الدقيقة .

لقد ذكرنا مفهوم الاعلان في السابق كما يحدده كثير من المتخصصين ، أما الدعاية ، فإنها تعني جذب الناس الى نظام (سياسي أو اقتصادي ، أو ديني) فهي قلما تتضمن نشاطا تجاريا . وتلجأ الدعاية في الأغلب الى وسائل غير ظاهرة ، أما العلاقات العامة فهدفها خلق جو من الاهتمام أو تنميته ، وإثارة التعاطف نحو مشروع ما أو جماعة محددة ، وفي هذه الحالة أيضا لا ترمي العلاقات العامة مباشرة أو بشكل حتمي الى الكسب .

الإعلان والدعاية

□ لماذا يحدث الخلط في أذهان الكثيرين بين هذه الطرق الثلاثة ، أو على الأقل بين الطريقتين الأخيرتين وبين الاعلان ؟ . لا شك أن الخلط نابع من استخدامها وسائل تأثير متشابهة مثل وسائل الاعلام ، والمحاضرات والمعارض . . الخ وأيضا أنها ذات هدف مشترك وهذا الهدف يتمثل في إرغام الضمير الفردي بشكل ما على القبول بمقولاتها ، فهذا الفرض الضاغط - ظاهرا كان أو خفيا - لا يطلبه الانسان بنفسه ، كما يحدث له في التعليم والتدريب أو في ملء وقت الفراغ بل يفرض عليه عنوة .

الاعلان في حد ذاته ـ وكما اتفقنا على فهمه ـ به من وجوه الاختلاف عما قدّمت إليه ما ينبغي الاشارة اليه ، فهناك إعلان تقوم به الدولة لصالح الجمهور كافة ، كالاعلان عن ترشيد استخدام المياه أو الكهرباء أو حملة إبادة القوارض . والاعلان الذي تقوم به المؤسسات العامة أو الخيرية ، كإعلان جدول السكك الحديدية ، أو إعلان عن حفلة خيرية لصالح المعوقين . والذي نحن بصدده في حقيقة الأمر هو الاعلان التجاري . هذا الذي تنفق عليه بلايين الدولارات في أنحاء العالم ، والذي هدفه في نهاية الأمر بيع البضائع وتسويقها ، وقد أصبح اليوم علماً قائماً بذاته .

الاقنـــاع الخفـــي

□ منذ أن صدم عالم الاجتماع الأمريكي « فانس بيكرد » الجمهور عندما كتب كتابه الذائع الصيت في بداية الخمسينيات ، والذي سماه « الاقناع الخفي » ، بدأ الكتاب والمحللون يدرسون هذا « الوحش » المسمى بالصناعة الاعلانية ، لقد قال وقتها بيكرد : (اذا تركنا صناعة الاعلان بغير رقابة فسوف تسيطر على حياتنا وتأسرها) .

منذ ذلك الوقت زاد ملوك صناعة الاعلان في التحكم في حياة الناس ، ولم تتضاءل سطوتهم ، بل على العكس من ذلك ، فقد أفسح لهم التليفزيون مجالا هائلا لاستخدام كل ما توفره التقنية العصرية لمزيد من الاقناع المُلحّ . ويذهب بعض المؤمنين بقوة الاعلان وتأثيره إلى القول بأنه في مقدور الاعلان ـ لو أحسن استخدامه ـ أن يكيف حاجات المستهلكين حسب ما يبتغيه المنتجون . . . . !

ولقد احتشدت علوم اجتماعية كثيرة في خدمة الصناعة الاعلانية وأصبح علم النفس الاجتماعي أحد المداخل الرئيسية لفهم طبيعة المستهلك والمجتمع الذي يعيش فيه ، ومن المعروف اليوم أن الطبائع البشرية كالخوف والجشع والغضب والعداء العرقي ، والتوق إلى الرجولة أو الأنوثة ، أصبحت كلها جزءاً من اهتمام مصمم الاعلان ، وتوجهت أبحاث مصممي الاعلان عن الجوهري والعام والمشترك لدى الجمهور ، أو ما يسميه المهنيون في الصناعة الاعلانية « الزر » ، فكلما كثر عدد الأشخاص الذين ينضوون تحت خصائص هذا (الزر) وسماته ، كان إعلان بضاعتك ناجحا .



ويدخل علم الاجتماع هذه الحلبة أيضا ، فالشباب المراهق إن كان يبحث عن هوية فلابد من ربط إعلان (السجاير) بأشكال الرجولة وأنماط الفتوة ، وإن كانت حياة الجماعة مهمة في مجتمع ما فعلى المعلن تسويق بضاعته بشكل أسرى كالتعبئة الكبيرة للدجاج المقلي والمشوي في محال الوجبات السريعة ، والقارورة ـ العائلية ـ الكبيرة « للبيبسي كولا » ، وهكذا على سبيل المثال .

صنـاعـة الإعــلان

□ علينا أن نأخذ موضوع الاعلان التجاري بجدية ، فقد أصبح صناعة جادة تنشر عنها الكتب والمقالات . وقد نشر أخيراً في الولايات المتحدة كتاب بهذا الاتجاه (لوليم ميرسى) عنوانه « صانعو الصور » ، يبحث فيه بجدية شديدة ، مستقبل صناعة الاعلان في الولايات المتحدة ، وحتى يتم البحث بصورة علمية ، ينذر



الكاتب أرباب الصناعة الاعلانية بأن الطبقة الوسطى العريضة التي كانت هي السائدة في الولايات المتحدة منذ الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات ، قد بدأت في التآكل نتيجة للمشكلات السياسية والاقتصادية والظواهر الاجتماعية الجديدة ، هذه الطبقة التي كانت تشكل الهيكل الرئيسي لمجتمع الاستهلاك الكبير ، والتي كانت شديدة الانقياد للثقافة الاستهلاكية ،لن تكون موجودة هنالك في التسعينيات ، وسوف يحل محلها مجتمعات متعددة المشارب شديدة التردد والانتقاء في استهلاكها . ويدلل الكاتب على انحسار هذه الطبقة المتجانسة - على سبيل المثال - بتقلص المجلات ذات الاهتمامات العامة ، والتي كانت واسعة الانتشار مثل مجلة « لايف » و « لوك » وخروجها من السوق . . كما أبدل الجمهور بها مجلات متخصصة ذات اهتمامات محدودة ، كمجلات العناية بالحدائق ، أو الصحة أو أعمال المنزل ، أو مجلات القصص القصيرة . . الخ . وكذلك انتقلت أذواق الناس من الشبكات التلفزيونية المتاحة للجميع الى الشبكات التلفزيونية الخاصة .

ويتنبأ الكاتب بتشكلات جديدة في المجتمع الأمريكي لها ذوق استهلاكي مختلف في بعضها عن بعضها الآخر ، يحددها - كما يقول الكاتب مركز ستنفورد للدراسات (وهي جامعة محترمة ومشهورة) بخمس مجموعات من المواطنين هي :

- المتمون - المتنافسون - المتنافسون المنجزون - المنجزون الاجتماعيون - المحتاجون الى التوجيه .

ويشير الكتاب الى الاهتمامات الاستهلاكية الخاصة بكل فئة . . السيارات ، السجاير ، الملابس . . الخ من البضائع الاستهلاكية .

هذا النوع من الدراسات ليس مقصورا على المجتمع الأمريكي وحده ، فهناك دراسات متعددة للمجتمعات المختلفة في البلدان الأخرى من أجل بيعها قدرا أكبر من البضائع الاستهلاكية .

إن العاملين بالاعلان يكادون يقررون نوع الأكل الذي نأكله ، والمياه التي نشربها ، والسجاير التي ندخنها ، والسيارات التي نستخدمها، وفي بعض الأقطار يروجون للناس الرئيس الذي ينتخب ، إن اقتحام الاعلان لأهم مجالات حياتنا هو إحدى حقائق العصر التي لا منجى منها اليوم .

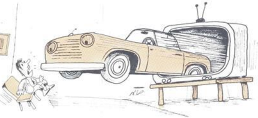
الإعـــلان التلفـزيونى

□ لعل أوسع أشكال الاعلان انتشارا من حيث وصولها للجمهور هو الاعلان التلفزيوني . ومن الطريف أن تعرف أنه آخر وسيلة استخدمت للاعلانات بعد أن جربت وسائل متعددة ، فالناس يجلسون أمام هذا الصندوق السحرى الذي نسميه بالتلفزيون لساعات طويلة حيارى فاقدين إرادتهم يستقبلون رسائله الاعلانية وخلافها دون مقاومة تذكر . لقد دخل الاعلان الشاشة التلفزيونية متأخرا نسبيا - أي في أوائل الخمسينيات من هذا القرن - ونما بسرعة الى درجة أن أحد الاقتصاديين علق على ذلك في وسط الستينيات - وحديثه مقصور على الاعلان التلفزيوني في الولايات المتحدة-بقوله : (لو اختفت الاعلانات فجأة من شاشات التلفزيون فإن الناتج القومى العام سينخفض بنسبة ٥٠٪ على الأقل) ، وبالمقارنة لا توجد

احصاءات دقيقة في وطننا العربي لميزانيات الاعلانات التلفزيونية أو تقديرات تأثيرها على الناتج القومي ، وكلنا نعرف قصة المذيعتين في إحدى قنوات التلفزيون العربي اللتين حدثت بينهما مشادة كتبت عنها الصحف في بلدهما بسبب الخلاف على أيتهما التي تقدم الفقرة الاعلانية ! !

التقدم في التقنية التلفزيونية ربما هو المسئول - أكثر من أي شيء آخر - عن اتساع قاعدة الاعلان في العقود القليلة الأخيرة على مستوى العالم ، إن نصف الدقيقة الاعلانية التي نشاهدها في التلفزيون ، والتي تجمع الحركة بالصورة ، واللون بالصوت ، لكافية أن تغرس في أذهان الكثيرين منا - بصورة تقارب فعل السحر - ما يريد منا المعلن أن نعرفه ، وأيضا تستخدم هنا قواعد علم النفس والاجتماع بأكبر قدر من الدقة .

فالاعلان التلفزيوني يؤكد في البداية على استثارة المشاهد بحاجته ، فيضعه في حالة من التشوق والضعف وفقدان الأمن ، ثم فجأة يخلق له سبيل الخلاص من كل ذلك عن طريق السلعة التي يعلن عنها ، فهناك ممثلون يلبسهم المعلن ملابس أطباء للاعلان عن نوع معين من مزيل الألم . أو فتاة يرتبط توهجها في نظر الجنس الآخر بنوع العطر الذي تتزين به ، ومرة ثالثة لاثارة المشاعر المختلفة مثل الخوف والرغبة والتعصب ، والحرص على التشبه بالآخرين ، والسعي إلى الرقي والرفاه ، وربط أي ميل أو شعور من ذلك كله بسلعة محددة . واذا كان المواطن مشغولا بممارسة حياته اليومية وتدبير معيشته أكثر من اهتمامه بالشراء ، فلا مناص من خلق عادة الشراء فيه عن طريق اعلان خفي آخر ، مثل تقديم المسلسلات التلفزيونية لنجوم يحبها الجمهور وهي تقوم باستهلاك نوع معين من المنتجات لجذب الجمهور تلقائيا لذاك المنتج . لقد أصبح التلفزيون أداة ترويج طاغية لمختلف أنواع السلع والبضائع .



الإعلان وحرية الصحافة

□ لعل الكاتب الفرنسي « مونت لامبير » لم يكن واعيا لتقلبات الدهر ومستجدات الحضارة عندما قال في عام ١٨٣٨ : (إننا لم نكتشف بعد الوسيلة التي نستطيع أن نكسب بها المعارك دون أن نقتل الجنود ، ولا أن نروج صحفا دون أن ننفق المال) .

ربما لا يزال نصف مقولته صحيحا ، فنحن لا نكسب حربا دون قتل جنود ، ولكن يمكن أن نروج صحفا اليوم ونعتمد على .. الاعلان . ولقد طرح في السابق - وما زال مطروحا لدينا ، ولدى غيرنا من شعوب الارض - السؤال الملح : ما مدى تأثير الاعلان على حرية رأى الصحيفة أو المجلة ، والسؤال المطروح يتجلى ببساطة فيما يلي : « هل تستطيع الجريدة أن تقبل الاعلان ، وأن تحتفظ بمطلق استقلالها في نفس الوقت ؟ » .

الاجابة عن هذا السؤال لا تأخذ شكلاً واحداً ، فالبعض - لأسباب يعددها - ينفي بشدة تأثير الاعلان على الصحيفة ، والبعض الآخر يؤكد بشدة هذا التأثير ، وما بين هاتين الحالتين سلبا وإيجابا تتعدد الاجتهادات نظرا للظروف المتجددة ، وموقف الصحيفة منها ، والمكان والزمان المحددين ، ولابد لتأكيد ونفي هذه العلاقة من دراسة كل حالة على حدة . البعض يقول ان المعلن في الصحف يبحث عن الصحيفة الناجحة التي تصل الى أكبر عدد من الجمهور للترويج لبضاعته دون الاهتمام بموقفها السياسي . قد يكون ذلك صحيحا جزئيا ، ولكن أيضا هناك من يقول ان الاعلان هو مقياس نجاح الصحيفة ، وهذا يجعلها تركض خلف الاعلان حتى مع بعض التنازلات ، وقد يكون ذلك أيضا صحيحاً في بعض جوانبه .

والصحيح في كل الحالات هو أن الصحافة - خصوصا في بيئتنا الثقافية العربية/ الاسلامية - لها نفوذ كبير على القراء ، فالكلمة المكتوبة في تراثنا لها قوة مؤثرة ، حيث إن ناشئنا يشبون - في معظم الأوقات - على قراءة كلمات كتاب الله (القرآن) وأحاديث رسوله (ص) .. وتلتصق في أذهاننا أهمية الكلمة المكتوبة وقدسيتها منذ الصغر . من هنا فإن الاعلان في الصحافة العربية له أهمية وجب علينا دراستها .

قوة المعلن ونفوذه

□ في المجتمعات الأكثر تنظيما هناك شروط محددة للاعلان المكتوب والمنشور في جريدة . صحيح أن هذا التنظيم أخذ وقتا طويلا - أكثر من قرن ونصف - حتى خرج بهذه الدقة المعروفة اليوم ، فقد كان طابع الاعلان فيما مضى لا يهتم بالحقيقة البتة ، كأن يعلن عن البن مثلا كدواء ضد الاستسقاء ، وألم المفاصل ، وتسمم الدم ، وأمراض العيون . واليوم أصبح للأعلان قواعد دقيقة متبعة عندهم ، أما عندنا فما زال الأمر - في أكثر العبارات تهذيبا - غير منضبط .

فما زلنا نرى إعلانات تدخل في إطار الشعوذة وقراءة الطالع ، كالاعلان عن الفلكي الفلاني الذي ينشر أرقام حساباته وعنوانه ويطلب من القراء مراسلته ، وتنشر الصحيفة ذلك الاعلان دون تمحيص أو تدقيق لحماية قرائها . ويذكرك هذا النوع من الاعلانات بالاعلانات الأوروبية في القرون الماضية ، وفي أحيان أخرى



● الاقناع الخفي

تتعدى أغراض الاعلان من التعريف بالمؤسسة الى إسكات الأصوات المضادة . . فلا نقد لمؤسسة المعلن أو شخصه مادام يزود الصحيفة بالاعلانات بانتظام .

إن مشكلة الاعلان وعلاقته بالصحافة مشكلة ليست هينة ، فالقارىء غير مستعد أن يدفع ثمن الصحيفة الفعلي ، أي ثمن الحبر والورق والادارة وأجور المحررين . . ونسخة الجريدة ـ أية جريدة ـ تكلف أكثر بكثير من الثمن الذي تباع به ، فكيف يمكن أن يعوض العجز إذن ؟

والحل يكمن في أحد أمرين :

إما أن تلجأ الجريدة لمد يدها للمساعدات المشروطة بأثمان مختلفة ، أو تلجأ الى الاعلان وهو الباب الأوسع الذي تدخل منه معظم الصحف لتعويض عجزها .

لقد أصبح الاعلان هو الذي يأتي بالمال اللازم سواء أكان اعلانا حكوميا أم تجاريا . لقد أصبح التكالب على جلب الاعلانات هو الحليب والتمر لرئيس التحرير ورئيس مجلس الادارة في معظم صحفنا العربية ـ سواء أكانت مملوكة للأفراد أم مملوكة للدولة من خلال مؤسسات ـ وأصبح دافع الاعلان له الأفضلية على حساب أمور أخرى قد تكون ضرورية لنشر ما نريده من تنوير للرأي العام .

ويزداد الأمر خطورة عندما تعتمد الصحف على الاعلان الخارجي ، فالدول الأجنبية التي تنشر اعلانات مدفوعة في الصحف تتوقع ألا يوجه نقد من هذه الصحف الى سياساتها ، واذا حدث ذلك فإن حرمان تلك الصحف من الاعلانات أولى الخطوات المتوقعة .

الـوعي بالمسألة الإعلانية

☐ الاعلان قديم قدم المجتمع الانساني ، منذ صيحات المنادين في الشوارع على بضائعهم في أول عهود التجارة القديمة الى أنصاف الدقائق المتلاحقة بالصور الملونة في التلفزيون العصري ، منذ عهد الدجالين في العصور السالفة ، ومرورا باعلانات قراءة الطالع ، ثم بأدوية اثبات شعر الصلعات في صحفنا اليوم ، وتقريبا في جميع المجتمعات على اختلاف اجتهاداتها من المجتمع الأمريكي الى السوفيتي ، ومن الهند الى السويد . فالاعلان وفنونه هو منجم الذهب الجديد للحضارة الانسانية ، صلب الاعلان تلك البضائع العادية التي تمتلىء بها الأسواق من ورق (التواليت) الى معجون الأسنان ، ومن الصابون الى القهوة . . بضائع أصبحت قريبة من الحاجات الأساسية للانسان . . فهي سلاحه الأساسي ضد القذر والجراثيم وخبث العرق ، ولم يعد الاستغناء عن الاعلان ممكنا ، فقد أصبح ترسا مهما في جهاز ادارة الأعمال ، وهو أيضا ليس ترفا كله أو شرا كله ، كما أنه لا يستطيع أن يأتي بالمعجزات . الا أن الوعي بالاعلان وفهمه وإعطاءه حجمه الصحيح ضرورة ملحة في حياتنا العربية . فلا يجوز الاعلان بكثافة عن بضائع لا نصنعها أو بضائع لا نحتاجها . . فكثير من الرسائل الاعلانية في حقيقة الأمر مزيفة ، ويعرف كثيرون أن مديري حملات الاعلان في كثير من الأوقات غير صادقين ، فقد جاء ترتيبهم في أحد استطلاعات الرأي حول من هم أصحاب أكثر المهن احتراما ـ في الولايات المتحدة - جاء في آخر القائمة ، يسبقهم بائعو شهادات التأمين وأصحاب دكاكين الرهونات .

لقد استخدموا المرأة والطفل والحيوان والرجل سبيلا لترويج منتجاتهم ، ودفعوا بلايين الدولارات في كل بقاع العالم لاقناع الناس بمزايا منتج ما ، لقد استخدموا العواطف والدوافع الانسانية في إعلاناتهم . وأصبح لدى الكثير منا ـ نحن أبناء العالم الثالث ـ اقتناع بأن معجون الأسنان هو « كولجيت » فقط . وأن الورق الصحي هو « كلينكس » فقط ، وكلاهما واحد من أشكال المنتج وليس جميع أنواعه ولا أفضلها ، وأصبحت معظم جرائدنا أسيرة الاعلانات بدلا من أن تكون أسيرة الجمهور ومصالحه ، وأصبح (مكدونلد هامبورجر) و (الكوكاكولا) والمرسيدس أسماء يتداولها أبناؤنا باستسلام عجيب ، وغزتنا مطاعم الأكلات السريعة التي ابتدعها « ايرل أوف ساندوتش » فحملت اسمه وأصبحت الرجولة تتجسم عند بعضنا في شخص جي.آر. بطل مسلسل دلاس ، وفوق ذلك كله يقول لنا الاختصاصيون في الاقتصاد إن بعضا من أقطارنا مدينون للآخرين ببلايين الدولارات ؟

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد يوليو ١٩٨٦

عسير

الحياة وسط السحاب وتحدي المستحيل!

استطلاع: محمود عبدالوهاب

مرض عربي اسمه الطاعة!
د. فؤاد زكريا

الجريمة تظل دائماً جريمة!
د. عبدالوهاب حومد

سيمون دو بفوار والسارترية
د. أحمد أبو زيد

- الاستراتيجية الاسرائيلية في ظل سياسة التقابل / أمين هويدي
- البحر الميت .. يموت! د. عبدالله أبو عياش
- بدايات المسرح في الكويت / د. محمد مبارك الصوري
- من صور المحاربين في تاريخنا / د. هاشم ياغي
- كلاب تساوي وزنها ذهباً / د. عبدالمحسن صالح
- المخترعون الشباب في المدينة القديمة / استطلاع ملون صلاح حزين
- وجهاً لوجه .. د. المهدي المنجرة وعلاء الدين محسن
- سرطان الفم بين المرأة والرجل / د. ابراهيم أبو طاحون
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر والبيت العربي

واقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. عبدالعزيز المقالح - د. حسن فتح الباب - أبو المعاطي أبو النجا

د. عماد شمسي باشا - د. فضل الأيوبي - شوكت يوسف - د. عبدالكريم ابو شويرب

التميز في الفكر الإسلامي المعاصر

بقلم: الدكتور احمد كمال ابو المجد

يناقش الكاتب في هذا المقال موقفين متناقضين، أحدهما موقف بعض دوائر الغرب المعادي لكل مظاهر النهضة الحضارية الاسلامية، وموقف بعض دعاة الصحوة المغالين في خصوصيتها

لقد سجل المحللون والباحثون ظاهرة تعاظم [illegible] الإسلامي في الفكر [illegible] السبعينية والثمانينية داخل الأقطار الإسلامية، وأطلقوا على [illegible] اصطلاح «الصحوة الإسلامية» [illegible] المستشرقون والغربيون [illegible] [illegible]

[illegible]

لدى [illegible] متعاظم، [illegible] هؤلاء الباحثون تحت عنوان «الإسلام السياسي» وظاهرة «العنف» الذي [illegible] جماعات قليلة منتسبة الى هذا التيار. ومع ذلك [illegible] أولئك الباحثون على أنه [illegible] وصفة ملازمة لكل الحركات ذات التوجه الإسلامي [illegible] وليس في هذا كله شيء من الغرابة [illegible] إلا أن الغرابة أن كثيرا من الدارسين لهذه الظاهرة من العرب والمسلمين قد ساروا على الطريق الذي رسمه الباحثون من غيرهم. [illegible] عن دراسة [illegible] عمقا، و[illegible] الصلة [illegible] هذه الجماعات الإسلامية [illegible] [illegible] المجتمعات العربية والإسلامية. وفي مقدمة هذه الأمور تشخيص وتحليل المنطلقات والمكونات الفكرية لرواد هذا التيار الإسلامي الجديد.

الاستقلال والنّدية

ولقد آن الأوان - فيما نرى - لتصحيح هذا التوجه ، وللتوقف الهادىء أمام بعض التصورات الفكرية ، والمواقف السلوكية التي تميز حركات التوجه الاسلامي المعاصرة . . ومناقشة ذلك كله في موضوعية وصراحة وبروح نقدية تستهدف الاصلاح والتصويب عن طريق الحوار وتبادل الرأي ، بعيدا عن الهواجس والمخاوف الكثيرة التي ولدتها عند كثير من الباحثين من غير العرب والمسلمين رؤيتهم لمصالحهم كما زكاها انتماؤهم الثقافي والحضاري لحضارة مختلفة نريد - نحن العرب والمسلمين - أن نتحرر من الانقياد لها ، وأن نحتفظ تجاهها بموقف الاستقلال والنّدية .

وفي مقدمة المنطلقات والمعالم الفكرية لتيار التوجه الاسلامي الجديد ، حرص واضح لايخطئه الباحث على توكيد حد أقصى من التميز والتفرد للاسلام ونظمه ، ينفي عنه مشابهة أي عقيدة أخرى ، وأي حضارة أخرى ، وأي نظام غيره ، عرفه الناس قديما أو يعرفونه حديثا . . واذا كان الحرص على تقرير « التميز » أمرا مشروعا تماما لتحقيق « ذاتية الأنا الحضارية » ، ولرسم حدودها داخل العقل والنفس جميعا ، ولوضع الخط الفاصل بين « الذات » وبين « الآخرين » ومنع ذوبان تلك الذات في غيرها . . فإن الاسراف الشديد في تقرير هذا « التميز » وتلك الخصوصية والاحساس بالضيق والرغبة الملحة في الانكار والرفض تجاه أي دعوى لتقرير المشابهة أو الاشتراك في الرؤية النظرية والموقف العملي مع الآخرين . . هذا الاسراف الشديد - فيما نرى - يحتاج الى مراجعة واستدراك من وجهة نظر تاريخية واجتماعية . . ووجهة نظر اسلامية خالصة من ناحية أخرى . .

ويستطيع الباحث أن يجد مظاهر هذا الحرص الشديد على توكيد الخصوصية فيما تعلنه الكتابات العديدة الممثلة لتيار الفكر والتوجه الاسلامي من أن نظام الاسلام في المجال السياسي . . ليس هو الديمقراطية ولا هو مشتبه بها أو ملتق معها . . وأن نظامه الاقتصادي « ليس رأسماليا ولا اشتراكيا » . . وأن مذهبه في نشاط الدولة ومؤسساتها ليس مذهبا فرديا ، ولا جماعيا . . وأنه حتى حين يلتقي في هذه المجالات مع نظام آخر ، فهو لقاء عابر تعقبه مفارقة كاملة . . ويحكمه اختلاف أساسي . . وأن التشريع الاسلامي في مجالاته كلها نظام متميز متفرد مختلف عن سائر النظم القانونية التي عرفها الناس قديما وحديثا . . وأنه حتى حين تتماثل بعض أحكامه الجزئية مع أحكام شرائع أخرى ، فهو تماثل ظاهرى لأن « التصور الاسلامي » كله تصور متميز تماما . .
ونحن لا نجادل في أن لكل حضارة انسانية منطلقاتها الأساسية التي تميزها عن غيرها ، وأن لها « خصوصية » هي التي تجعل منها كيانا حضاريا له استقلاله عن سائر الحضارات . .

استدراك

كذلك لا يغيب عن بالنا - وما نحسبه يغيب عن بال مسلم - أن الاسلام نظام متكامل يقوم على قاعدة أساسية ذات مصدر ديني ، هي قاعدة الايمان بالنبى (ﷺ) الذي تلقى الوحى عن ربه ، وأن من الطبيعي أن ترتد أحكامه الجزئية وتفصيلات نظامه السياسي والاجتماعي الى أصول التصور الكلي العام الذي جاء به الوحي . . عن الخالق سبحانه ، وعن الكون ، وعن الانسان ، ووظيفته ومسئوليته ، ولكن الذي نستدرك عليه هنا ، ونراجع بعض الكتاب والدعاة في شأنه ، هو المدى الذي يصلون اليه في تقرير هذه الحقائق وترتيب النتائج عليها . . فنحن من ناحية لا نرى انه يجوز لمسلم أن يذهل عن بعض الحقائق الكبرى الثابتة - بالعقل والنقل جميعا - التى تجعل « المسلمين » جزءا من التاريخ العام للانسانية ، وتجعل سلوكهم كله جزءا من تيار السلوك الانساني ، تحكمه ذات السنن والضوابط التي تحكم الناس في مسيرتهم عبر التاريخ كله . .

ونحن من ناحية أخرى نرى بأسا شديدا وخطرا كبيرا في هذا الاسترسال الذي لايعرف الحدود في تقرير الخصوصية وتوكيدها وذلك لخطأ وخطورة بعض النتائج العملية التي تترتب عليه في النظر وفي السلوك جميعا ، وهي نتائج تعانى منها كثير من الجماعات المعبرة عن « التوجه الاسلامي » ، كما يعاني منها عامة المسلمين ، ونخشى أن يكون بعضها

سبيا في عثرات كثيرة ، تحرم المجتمعات العربية والاسلامية من الثمرات الطيبة ، ومن الرشد والهداية اللذين جاء الاسلام كله طلبا لهما وسعيا لتحقيقهما .

وحدة الرسالات السماوية

١ ـ وأول ما نذكر به ـ وان كان معروفا ومسلما به أن الاسلام حريص كل الحرص على التذكير بوحدة الخالق ، ووحدة الانسانية ، فالحق سبحانه قديم ، يقول تعالى « أنما الهكم إله واحد » ويقول أيضا « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحدا ، ونحن له مسلمون » ـ وسور الشعراء ، والانبياء وهود وغيرها من سور القرآن الكريم زاخرة بالآيات التي تؤكد وحدة الحق سبحانه ، ووحدة رسالته للناس ، ووحدة النبوات على تعاقبها واختلاف أزمانها . يقول تعالى « فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

والنبي (ﷺ) يقول عن الأنبياء انهم ابناء علات « أي بنو أمهات شتى وأبوهم واحد » أي أصل رسالتهم واحد ، وهو (ﷺ) يذكر بوحدة الرسالات السماوية حين يعبر عن ذلك بأن مثله ومثل الأنبياء قبله كمثل رجل بنى بيتا فزينه وجمله إلا موضع لبنة في زاوية من البناء . . « فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الأنبياء » .

أما وحدة الانسانية فثابتة بالعقل والتاريخ والمشاهدة ، وثابتة بالنقل الذي لايفتأ يذكر الناس بها حتى لايشردوا ويتوقفوا عند عوارض اختلاف اللغات والأجناس يقول تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

ومن هنا لايجوز أن تغيب هذه الحقيقة عن عقل المسلم ووجدانه ، بل ان القرآن الكريم حين يتحدث عن استخلاف الانسان في الأرض فهو يتحدث عن « الانسان » بعمومه . . عند نقطة البدء في تاريخه حيث يقول « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » ـ ثم يقول سبحانه « ولقد كرمنا بني آدم » ويقول : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

صفات ممتزجة

٢ ـ ان الاسلام ، وان كان في مصدره نظاما إلهيا أوحى به الله سبحانه الى نبيه (ﷺ) فان (ﷺ) تمتزج فيه بشريته مع نبوته ، « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد » ـ وهو (ﷺ) لا يفتأ يذكر الناس بهذا المعنى « انما أنا بشر وانه يأتيني الخصوم ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له . . » وكذلك المسلمون من بعد النبي (ﷺ) ناس من الناس ، وبشر من البشر يصيبون ويخطئون ، ويعدلون ويظلمون ، وهم ـ بما يتبعونه من الحق والهدى ـ شهداء على الناس ، يذكرون بآيات الله ، ويدعون اليه سبحانه على بصيرة ، ولكنهم لاسلطان لهم على أحد ، « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » ـ ولا يحق لهم ـ لذلك ـ أن يمنوا على الله اسلامهم : « قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » .

وتاريخهم بعد ذلك جزء من التاريخ العام للانسانية ، وحياتهم خاضعة للسنن والنواميس التي تحكم الناس جميعا . . وهي ليست استثناء من تلك السنن،اذا اجتهدوا وأخذوا بالأسباب وصلوا وأدركوا غاياتهم وارتفع شأنهم ، واذا تقاعسوا وقعدوا وقصروا وتمنوا على الله الأماني ، وقالوا نحن خير أمة ، ثم لم يفعلوا شيئا ، تراجعوا وزال سلطانهم وهان أمرهم . . ولم ينفعهم ما يرفعونه من شارات ورايات ، وان حملت أقدس الأسماء وأرفع الأنساب . .

رسالة عالمية

٣ ـ ان المسلمين لهم رسالة انسانية عالمية ، ودعوة الاسلام موجهة للناس كافة يقول تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » ـ وهذه العالمية لا يصلح للدعوة اليها الا من اتصل بالناس وأقام الجسور معهم ، ومد بينه وبينهم حبال المعرفة المتبادلة ، وأحسوا أنه منهم وأنهم منه . . أما الذي يتعالى على الناس ، ويظل يذكرهم صباح مساء بأنه مختلف عنهم شديد الاختلاف . . وألا صلة تجمعه بهم . . ولا أمر مشترك بينه وبينهم . . فأنى يستجيبون

له .. وهو يضعهم بعيدا عنه في موقف الغربة .. والاختلاف .. وانقطاع الصلة ؟

٤ ـ ان الاسلام حين جاء لم يقطع صلة المسلمين بالدنيا التي حولهم ، ولا بالدنيا التي كانت قبلهم .. فهذا النبي (ﷺ) يقول لأصحابه : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » .. ـ وهو (ﷺ) يتحدث بكل الرضا والثناء عن حلف شهده في الجاهلية هو حلف الفضول .. لما انطوى عليه من تعاهد على الحق وتعاون على الخير .. وتقرير لمبدأ التكافل .. بل ان شعائر الاسلام وشرائعه لم تنفصل عن شعائر الناس قبل البعثة الا حيث كان هذا الانفصال تصحيحا لعقيدة أو تصويبا لخطأ ، أو نفيا لضلال ، أو هدما لظلم ، أو درءا لمفسدة .. أما حيث أقام الناس ـ قبل الاسلام ـ الحق والعدل والمرحمة ، فقد أقر الاسلام كثيرا مما كان .. أو هذبه وشذبه ووضعه موضعه المناسب من البناء المتكامل الذي جاء به .. نعم أقام الاسلام صرحا هائلا من الأفكار والعقائد والنظم .. وذلك اسهامه الكبير في تقدم الانسانية ووضع أقدامها على طريق الحق .. ولكن هذا الاسهام قد تم دون قطيعة مطلقة مع الماضي ، أو خصومة ـ لا ضرورة لها ـ مع الحاضر الذي عليه الناس ..

التميز والخصوصية

ولقائل ـ بعد ذلك ـ أن يقول .. ان كان الأمر كذلك ، فأين خصوصية الاسلام وأين تميزه .. وأين « رسالة » المسلمين الذين جعلهم الله أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس ؟

والجواب واضح لا غموض فيه .. ان البشرية ـ بغير دين يهدي ـ تزل وتتعثر .. وتزيغ في سهولة عن قيم الحق والخير والرحمة والاصلاح .. وتختلط في مسيرتها نداءات العقول مع دواعي الأهواء .. وقد تندفع الى مسارات أولها خير وآخرها شرعظيم .. أو ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب .. وقد تذكر في مسارها أشياء وتنسى أشياء .. فجاء « الوحي » هاديا وعاصما .. وجاء النبي (ﷺ) هاديا وبشيرا ونذيرا « فذكّر انما أنت مذكر » ..

وحياة المسلمين لا تكون اسلامية ، بتحري مخالفتها لكل ما عداها ، وانفرادها بمسلك لايسلكه غير أصحابها .. وانما تكون هذه الحياة ـ وهي عادية في جوهرها ـ حياة اسلامية بقدر ما توجهها « قيم » الحق والعدل والرحمة واصلاح ذات البين بين الناس ، « وقيم الايثار والعطاء » والعفو .. في اطار من سكينة النفس المطمئنة الى قضاء الله .. الساعية بين الناس بأمره وهداه .. الصادرة في ذلك كله عن ايمان به سبحانه ، وتوجه لمرضاته .. « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين .. »

نعم .. إن الحضارات في نشأتها تحتاج الى مرحلة اعلان للمبادىء ، وتحديد للهوية ، وتشخيص لمعالم التميز والخصوصية .. ولكن هذه الحاجة تكون لها الأولوية عند مولد الحضارة ، أو انفصالها عن حضارة أخرى .. وفي هذه المرحلة الأولى يشتد الحرص على رموز التميز وشعائر الخصوصية .. ويحتاج الأمر الى تعقب مظاهر « التشبه » بالغير ، حتى يكتمل مولد الحضارة الجديدة .. أما بعد أن تتحدد المعالم ، وترسخ أقدام الحضارة الجديدة في الأرض .. وتحتل مكانها على خريطة الناس والشعوب .. فان الحاجة الى توكيد « الخصوصية » تقل ، ان كانت تبقى قائمة .. والدعوة الى « التميز » تحتاج الى أن توازنها دعوة أخرى الى توكيد « العناصر المشتركة » التي تعين على التواصل .. وتفتح أمام دعاة الحضارة الجديدة عقول الناس وقلوبهم .. خصوصا اذا كانت دعوتها انسانية وعالمية على ما هو الشأن في دعوة الاسلام ..

معادلة صعبة

والمعادلة الصعبة التي يواجهها تيار « الفكر والحركة » الاسلامية ان المسلمين اليوم بحاجة الى العمل في اتجاهين ..

أ ـ فنحن ـ العرب والمسلمين ـ نتعرض لعلاقات ثقافية وحضارية وسياسية غير متكافئة بيننا وبين الدول الكبرى التي تنتمي الى حضارات غير حضارتنا .. وهو ما يتحدث عنه رجال الثقافة عادة تحت عنوان « الغزو الثقافي » ولهذا فنحن ـ ولا شك ـ نحتاج الى أن نعتصم بذاتنا الحضارية وأن نتمسك بمعالمنا الفكرية والسلوكية .. وأن ننتبه الى مخاطر « الذوبان » في

حضارة الآخرين، حين ندخل معهم مرحلة «الاختلاط» ونحن الجانب الضعيف الذي «يستقبل» التأثيرات الحضارية والثقافية، ولايكاد «يرسل» شيئا للآخرين.

ب - ونحن - من ناحية أخرى - نواجه عزلة حضارية، بعد عصور طويلة من التخلف والاقتصار على الذات، تراجع فيها اسهامنا في حضارة العالم، وقلّ فيها - الى درجة الشح الشديد - عطاؤنا في أكثر الميادين. والحملة من حولنا شديدة على حضارتنا وأفكارنا وأسلوب حياتنا، تصورنا على غير حقيقتنا، وتريد أن تصرف الدنيا كلها عنا.. ولهذا فنحن نحتاج الى دعوة والى اعلام كما نحتاج الى مشاركة الدنيا من حولنا سعيها الدؤوب الذي تقفز به قفزات هائلة في ميادين العلم وادارة الحياة.. ولا يمكن أن يتم لنا شيء من ذلك اذا عاش جيلنا المعاصر في عزلة نفسية وعقلية، تحيط به الهواجس، وتستولى عليه الوساوس والمخاوف.. ويدفعه الحرص على البقاء الى رفض كل جديد، ومحاربة كل وافد.. مخافة أن يكون عدوا في ثياب صديق.. أو سما قاتلا في وعاء غذاء أو دواء.. وحجتنا التي نلوذ بها في ذلك، أننا نقفل أبواب الشر، ونسد ذرائع الفناء الحضاري..

وهذا الأسلوب في «مقاومة الغزو» لم يعد ممكنا، ولم يعد صالحا، فالحواجز بين الشعوب تتساقط وتتهاوى يوما بعد يوم.. والاتصال بين الحضارات حقيقة قائمة.. لهذا فان الاسلوب الفعال والصحيح في الدفاع عن الذات الحضارية، لا بد أن يقوم على تربية الجيل كله على الحركة في الاتجاهين جميعا.. اتجاه معرفة «المعالم الذاتية» والتمسك بها.. واتجاه معرفة «الخصائص المشتركة»، والنسب الانساني العام.. وتقبله.. والتعامل السوى مع «الغير» على أساس هذا النسب المشترك..

الحق والواقع

إن الالحاح المبالغ فيه على «الخصوصية والتميز» ليس - فيما نرى - مجرد موقف فكرى يحتمل المراجعة.. وانما يكمن الخطر الحقيقى في الآثار العملية التي تترتب عليه.. آثار ممارسة العزلة والاتهام المستمر للآخرين.. وحرمان «الغير» من أن يكون له مكان في دنيا «المؤمنين».. والتشديد على الاتباع والأنصار ليتركوا كل مظاهر «التشبه الحضاري» حتى ولو كانت تشبها في خير، واتباعا لحكمة.. ولحاقا بموكب عدل وحق.. وكذلك تترتب عليه نتائج عملية شديدة الغرابة، تنتهى ببعض الدعاة الى أن يقدموا الاسلام للناس في صورة ملؤها الغموض والخفاء.. قصاراها أن تؤكد أنه مختلف عن كل ما عداه.. متميز عن كل ما عرفه الناس.. أما خصائصه الموضوعية المحددة فتبقى غائمة باهتة لا حدود لها.. وينسى هؤلاء أن نفى المشابهة لا يجب الا في حق الحق سبحانه الذي «ليس كمثله شيء».. أما الناس وثقافاتهم وحياتهم فتبقى مزيجا من الحق والواقع.. ومن القيم المثالية.. والأوضاع الاجتماعية المؤثرة.. لا ينقص ذلك من قدرها.. ولا ينال من خصوصيتها.

وليت الذين يملؤهم الحرص على الاسلام، والرغبة في خدمة دينهم وثقافتهم يعرفون ذلك كله.. فلا يخرج الواحد منهم علينا ببحوث قد تبلغ آلاف الصفحات.. ليعلن في حماس لا حدود له أن الاسلام «مختلف تماما» عن كل ما عرفنا ونعرف.. وأن من الاخلاص له والمحافظة على نقاوته اثبات هذا التميز الذى لاحدود له ولا نهاية..

اننا نتمنى عليهم أن يتواضعوا قليلا.. وينصفوا كثيرا.. ويتوقفوا عن الخوف الذي لا مبرر له على دين أنزله الله على رسوله «بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله».. وليت الذين لا يتوقفون عن الحديث عن الصحوة الاسلامية.. حديث الخائف أو حديث المتربص.. أو حديث المتحمس المفتون.. ليت هؤلاء جميعا يتوجهون الى دراسة المزيد من المواقف الفكرية والسلوكية لهذا التيار المتعاظم، حتى يعينوا أصحابه على مزيد من الرشد.. ويعصموهم ويعصموا أنفسهم من عثرات قد نشترك جميعا في تحمل مخاطرها الكبيرة. □

■ الشجاعة تنبع من القلوب، لا من كثرة العدد (دريدن)

موسوعة

القرن الواحد والعشرين

بقلم : الدكتور عبدالحميد يونس

عالمنا اليوم هو عالم التقدم المتوثب ، واهم مقوماته المعرفة والمعلومة ، واذا كان اجدادنا العرب قد اسهموا بشكل مشرف فى رصد المعلومات وتصنيف المعارف ، وقدموا للتاريخ الحضارى اروع موسوعاته ، فليس بعزيز على العلماء والمفكرين من العرب المحدثين أن ينهضوا بهذا الانجاز الموسوعى للقرن الواحد والعشرين .

لااريد ، وأنا أتحدث عن دوائر المعارف أو الموسوعات ، أن أشرح ما اصطلحنا على تحديده بكلمة « المعرفة » ذلك لأن هذه الكلمة أصبحت ترتبط بالتركيز على أصل المعرفة الانسانية وطبيعتها ومداها . وكان من الطبيعى ان تختلف حولها المذاهب . وحسبنا أن نتخذ المعنى الدارج الذى يؤكد علاقة المعرفة بانسانية الانسان ، وما من امرىء لاتقوم حياته على المعرفة سواء أكان ذلك بالاحساس أم الادراك أم الفكر . بيد ان هذا كله قد تجاوز الذاكرة بالطفرة الحضارية التى اعتمدت على التدوين ، وأتاحت حرية النقل من فرد الى فرد ومن جماعة الى جماعة ومن جيل الى جيل ، وكانت حوافز تصنيف المعرفة من اهم المعالم التى أصلت النزعة الحضارية وتواصلها وتبادل التأثر والتأثير فيها بين الأوطان والعصور .

ومن الضرورى أن نفرق بين القاموس من ناحية وبين دائرة المعارف من ناحية اخرى ، فالقاموس يجمع الكلمات التى تستوعبها اللغة ويرتبها على حروف الهجاء على اختلاف مناهج الذين اشتهروا فى هذا المجال على طبيعة اللغة من حيث الأصل والاشتقاق ، والحضارة العربية ذخيرة لاتزال تعتبر من أهم الذخائر العالمية فى تتبع الكلمات وتصنيفها وترتيبها وعرض معانيها ودلالاتها ، وكثيرا ما اتخذت الشواهد التى تضبط اللفظ وتوثق المعنى ، ونحن اليوم لانزال نحس بالحاجة الماسة الى الاعتماد على تلك القواميس والمعاجم العربية مع مرور اكثر من ألف

عام على جمعها وتصنيفها ، وسيظل العلماء الذين نهضوا بهذه الجهود الشاقة المضنية فى مكانهم الممتاز فى تاريخ الحضارة العربية بل العالمية امثال : « ابن منظور » صاحب « لسان العرب » و « الفيروزابادى » مصنف القاموس المحيط والزبيدى الذى شرح القاموس المحيط فى معجمه « تاج العروس » . .

وبدأنا فى أيامنا هذه نعترف بتبادل المعلومات بيننا وأن نجعل هذا التبادل يكافىء وظيفة المصارف فى الحياة المادية ، واشتهر بيننا مصطلح « بنك المعلومات » وهو ما قامت ، ولاتزال تقوم به الجماعات فى تبادل المعارف ، وانا أملى هذه السطور بعد لحظات من استعراض الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية ، وأخذت اوازن بين إحدى طبعاتها السابقة وبين هذه الطبعة الجديدة ووجدت اتساع الأفق وتنوع المعارف ، ولكن الجديد يشهد على تنوع الحوافز ، فهناك مواد احتفظت بمكانها وأخرى أصبحت معلومة قصيرة مع التركيز على المقومات الأساسية لها ، الى جانب ما أضافته السنوات الأخيرة من معارف ومعلومات ، والانسانية ظلت تتوسل بتبادل المعارف على أساس ما اصطلحنا على تسميته بالموسوعات ، ونحن مهما اختلفنا حول المقصود من الموسوعة أو دائرة المعارف فاننا نجمع على أنها الصحف التى تضم بين دفتيها كل ما تستوعبه المعرفة الانسانية من حقائق ووقائع وظواهر وعلوم ، وهذا الجهاز المتخصص فى تبادل المعارف احتفل بأحد فروع المعرفة احتفاله بكل ما تحتاج الانسانية الى التعرف عليه بصفة عامة ، وأصبح هذا الجهاز يشتهر « بالانسيكلوبيديا » أو الموسوعة أو دائرة المعارف .

جهود عربية للقدماء والمحدثين

وهناك دارسون عنوا بتتبع هذا المنهج الجامع للمعارف ووجدوا أنه يساير التطور الحضارى ، ويذكرون شواهد صنفت فى العصور القديمة . أما فى تاريخنا العربى الاسلامى فاننا نجد شواهد بارزة فى تتبع العلوم والمعارف والفنون وتصنيفها،ويكفى أن أذكر - على سبيل المثال لا الحصر - موسوعة الفارابى « احصاء العلوم » وقد صنف فيه المعرفة الانسانية بصفة عامة الى خمسة أقسام هى علوم اللسان والمنطق والطبيعة والالاهيات والفقه ، ويجمع الباحثون على الاعتراف بتعمقه فى التصنيف والبحث ، وهناك شاهد آخر هو « النويرى » الذى نهض بجهد كبير فى موسوعته الضخمة « نهاية الأرب فى فنون الأدب » التى تضم ثلاثين مجلدا تستوعب الكون والطبيعة والانسان والحيوان والنبات.ولم يغفل النويرى فى موسوعته تسجيل التواريخ التى جعل لها قسما خاصا ، ونحن فى عصرنا الحديث نرجع فى البحث عن معرفة أو علم الى « دائرة معارف البستانى » التى قام بمجلداتها الأولى « بطرس البستانى » وأكملها أبناؤه فيما بعد ، والى « دائرة معارف القرن العشرين » وهى فى ٢٠ مجلدا،وعمل على جمع موادها وتسجيلها وتصنيفها « محمد فريد وجدى » ، ولعل اختياره لهذا العنوان هو الذى جعل معظم الذين اهتموا بشخصيته أو ترجموا له يكشفون عن الحافز الكبير على هذا الجهد الذى دفعه الى تحقيقه وهو الأصالة والمعاصرة .

وفى العقد الثالث أحس جيلنا بالحاجة الماسة الى الكتب الموسوعية ، على أن تساير النماذج التى أخذنا نفيد منها فى اللغات الغربية كالانجليزية والفرنسية والألمانية . ويبدو أن حماسة الشباب هى التى جعلتنا نتحول من مجرد الدعوة الى محاولة التحقيق ، واخترنا موسوعة أوروبية مشهورة وعقدنا العزم على ترجمتها الى اللغة العربية وأدركنا العقبة التى اعتبرها أساتذتنا وزملاؤنا من المستحيلات،وهى الخلاف فى ترتيب الحروف الهجائية بين اللغة الأصلية للموسوعة وبين حروفنا فى اللغة العربية الى جانب بعض الحروف التى ليس لها مقابل عند الأوروبيين ، بيد أن الاصرار دفعنا الى التعرف على صنيع المستشرقين فى نقل الأسماء والكلمات العربية الى كتابتها عند الانجليز والفرنسيين مثل حروف الحاء والخاء والضاد والعين . . الخ وقمنا بخطوة أولية فى جمع الحروف وترتيبها على أساس الهجاء العربى ، وتخيلنا التشبث الكامل بحقوق التأليف وبعثنا الى ادارة الموسوعة الأوروبية الكبيرة نطلب منها الموافقة على ترجمة الموسوعة الى لغتنا العربية ، وعلى الرغم من مضى نصف قرن وأكثر على ذلك المشروع الا أننا لا نزال نحس بالدهشة على تجاوزنا للواقع ، ذلك لأن ادارة تلك الموسوعة الأوربية الكبرى طالبتنا بمليون جنيه استرلينى لمنحنا حق الترجمة ، ولو أننا طبقنا حساب

هذه الأيام لأدركنا أنها تريد منا أضعاف هذا المبلغ لاتستطيع النهوض به الشركات الكبيرة واللجان العلمية التى تستوعب التخصصات المختلفة ، ومثل هذه الموسوعة تتطلب التكامل والمثابرة على تنفيذها والطاقة فى الاتفاق عليها .

وفى هذه الفترة نفسها نهضنا بترجمة موسوعة متخصصة فى حضارتنا وهى « دائرة المعارف الاسلامية » وأخذنا الكثير من الاعداد لها وتنفيذها ، ذلك لأننا درسنا بمنهج عملى ما هو المقصود بالموسوعة المتخصصة وأدركنا أنها حضارة متسعة لها جذورها الحضارية ولها شعوبها وأحداثها وتفاوت مقومات بيئاتها ، واتضح لنا آخر الأمر أن عادة ترتيب مواد الموسوعة على الاساس الهجائى ممكن ، بيد ان اساتذتنا سخروا منا ، ولم يكونوا يتصورون اقدامنا على ذلك ، وكلما وازنت بين هذا الجهد وبين ما أطالب به بوجوب المبادرة الى اصدار موسوعة القرن الواحد والعشرين يتأكد ان كان تحقيق هذا المشروع الكبير تعوزه الافادة من الدروس المستخلصة من مواجهة الواقع . ودفعتنا المثابرة على أن يشجعنا الكثيرون من أعلام الفكر ، ثم اقتنع الذين انتقدونا بقيمة عملنا ، واعترف مع ذلك بأن حاجة ترجمة هذه الموسوعة الى ما يمكن أن نطلق عليه « طول النفس » وبروز الخلاف بين العمل الأصيل فى التاليف والترجمة وفى الطبع والنشر ، وهو ما يجب أن نضعه فى حسابنا ونحن ننادى بالأعمال الجامعة للمعارف وتطويع أجهزة الطبع والنشر لها حتى تتغير بعض الأهداف المادية وتستقيم الحياة الفكرية فى السنوات القليلة الباقية من القرن العشرين ، ونكرر القاعدة التى تقول : إن الوظيفة هى التى تخلق العضو ، وهو ما يجعل أجهزة الطباعة والنشر ما هى الا أعضاء تحفزها الوظيفة الحيوية فى الفكر والفن ، وتسجيل المعارف الخاصة بهذه الوظيفة هو ما تعمل الطباعة والنشر على تحقيقه فى الحياة الانسانية التى تقوم الحضارة فيها على تواصل المعارف والخبرات والتجارب .

المنهج الموسوعى والطفرة الحضارية

وعدت أكرر وجوب العمل الجاد على اصدار الموسوعة العربية الكبرى فابتسم بعض المعروفين فى عالم الفكر ، وكأنهم يريدون أن يقولوا لى : إن من المستحيل تحقيق هذا المشروع الخيالى ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد صدرت قرارات واضحة وموضوعية طالب بعضها بتحقيق هذا المشروع العظيم وبدأ بعضها الآخر فى إعطاء النور الأخضر للشروع فى التنفيذ ، وتجاوز ذلك الحدود الرسمية للأقاليم والأوطان العربية مثل المنظمات الخاصة بالتربية والثقافة والعلوم فى هيئة الأمم أو الجامعة العربية ، ولا أجد حرجا على الاطلاق فى ان أذكر اصدقائى وزملائى بآخر لقاء شاركت فيه لاعادة النظر فى مشروع دائرة المعارف العربية الكبرى وهو الذى عرض فيه بعض الزملاء للطاقة البشرية والفنية التى تحتاج اليها الموسوعة ، واختلف المجتمعون على الاطار الذى يتحقق فيه تنفيذ العمل ، بعضهم أصر على ان الهيئة العامة ممثلة فى هذه الدولة او تلك هى التى تستطيع ان تنهض بالمسئولية أو بعبارة أخرى إن القطاع العام هو الذى يقوم بالتخطيط ويرسم الطريقة الى جمع المواد وتصنيفها واعدادها ثم الى طبعها ونشرها بما يملك اويشرف على مؤسسات للطباعة والنشر المجهزة باحدث الوسائل والالآت ، ورأى البعض الآخر أن الأفراد والشركات فى القطاع الخاص أقدر على تنفيذ هذا المشروع لأنه فى نظرهم أكثر مرونة ولأن الحافز المادى المباشر يرتبط بالأثر والعائد .

وفى غضون أكثر من خمسين سنة اتسعت آفاق النهضة الفكرية بمجالاتها المختلفة فى العالم العربى ، ووجدنا تقديرا للآداب والفنون العالمية والعربية على السواء ، واحتفلت الهيئات المشرفة على الثقافة بتيسير الحصول على ثمرات الفكر على اختلاف مجالاته ولغاته ، وأصبح القارىء لا يجد الحاجز بين نفقات الانتاج وبين الغذاء الوجدانى والروحى مما يدل على أن الكثير من الدول العربية أصبحت تعترف بقيمة الكتاب وأثره ، مع العناية باختياره والتفنن فى اجتذاب القارىء للحصول عليه وهو الجو الذى أصبح فى نظر كاتب هذه السطور ملائما للتذكير بالحاجة الملحة الى إصدار الموسوعة العربية الكبرى ، ويبقى إن أقترح فى هذه الكلمة أن تستجيب المنظمات الدولية أو العربية الى تأليف لجنة دائمة تكون بمثابة

الجهاز الذى يتابع التخطيط والجمع والتصنيف للمواد الخاصة بموسوعة القرن الواحد والعشرين التى تظهر فى مستوى دوائر المعارف الانجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية والروسية وغيرها ، وعلى الرغم من عالمية هذه الموسوعة فان ظهورها باللغة العربية يجعلها تعيد التوازن بين القوميات واللغات حتى تقف مواد الحضارة العربية فى المكانة التى لها فى التاريخ وفى مسايرة العصر الحديث ، وهكذا نتبين أن المنهج الموسوعى يعترف بالواقع الحضارى ولا يخضع لاتجاهات تستغل ـ بطريق غير مباشر ـ الواقع الحضارى ومالشعب العربى من مكانه إيجابية فى المسار الانسانى .

عالم لا يسير . . . بل يطير

وفى الاشارة الواقعية الى تحقيق الوظيفة الانسانية والقومية لهذا المشروع الكبير نرى لزاما علينا ان نسجل اهم مقومات المنهج الموسوعى . . انه يكاد يطابق ، ولا أقول يشبه ، المنهج المعمارى فى مجال الهندسة ، ذلك لأن دائرة المعارف الكبرى فيها من السعة والتعقيد ما فى المنهج المعمارى فى ايامنا هذه ، وشتان بين العمارة فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، ذلك لأننا نواجه الآن طفرة حضارية أخرجت التطور من خطواته التى اتسمت بالايقاع المنظم ، حتى وان أدخلنا فى حسابنا أن سرعة التطور الانسانى أخرجت الانسان من ذلك الايقاع الى ما يشبه الطيران . . ان الانسان بدأ يخرج من جاذبية الأرض ، والموسوعة الكبرى تساير محصلة الحضارة ولذلك يكثر الجديد فى أحداثها وشخوصها وفى علومها وفنونها ، ولم تعد الملاحق التى يصدرها المشرفون على هذه الموسوعة تلائم هذه الطفرة ، ولقد علمت منذ أيام قليلة أن بعض المؤسسات الخاصة باصدار الموسوعات الكبرى تعنى بالاستجابة الفورية لكل من يطلب التعرف على مادة جديدة ، وبذلك تصبح بالفعل مصدرا أساسيا للمعارف الجديدة التى لم تطبع وهو ما يؤكد اهمية تحقيق ما نلح على المطالبة به وهو مصدر حى للمعارف كما خرج الى عالم الواقع فى الدول والشعوب المتقدمة .

والعمارات فى هذه المرحلة الأخيرة تتسم بالضخامة والطول ولكنها فى الوقت نفسه تستوعب فى أدوارها وحدات منوعة،فهى تستجيب لمطالب الحياة والعمل ، وكثرتها وتزاحمها يعبران عن التعقيد وعن الايقاع السريع فى الحياة المدنية اليوم ، ويتخيل الكثيرون من الذين يحتفلون بالمستقبل والذين يرون انه يباين الحاضر ، ولو سجلنا بعض ما يتصورونه لحكمنا على رؤيتهم بأنهم يجنحون الى الخيال . . لقد شاع فى كتاباتهم أنهم يخططون لمدن وعمارات خارج جاذبية الأرض ، وتسجيل هذا التخطيط المستقبلى من مهمات الموسوعة الكبرى مع نسبة هذا التصور الى أصحابه والى مكانتهم من المعرفة الانسانية ، فالمنهج الموسوعى يحتاج الى سعة الأفق فى الكون وفى الأرض ويحتاج الى تقديم محصلة الجهود الانسانية الى كل انسان على قدر من الوعى والعلم ، ولا يزال الكتاب هو الوسيلة الحية التى تحقق هذه المهمة الكبيرة ، فالكتاب سجل لجميع المعارف والتجارب والخبرات وصورة لمعالم الوجود فى الأرض والكون . وموسوعة القرن الواحد والعشرين تحكى هذا المسار فى الزمان وفى المكان جميعا .

لا معنى للتردد

واسمحوا لى أيها الأصدقاء أن نشحذ همتنا وأن نحاول السير فى السنوات الباقية فى القرن العشرين وأن نستغل هذه الفترة القصيرة بالتخطيط لموسوعة القرن الواحد والعشرين ، والانسان هو الكائن الذى يواجه المستقبل معتمدا على ذخيرته فى مجالات العلم والفن والأدب واذا كان العلماء يعترفون بمكونات اللاوعى فى صياغة الشخصية فان مكونات اللاوعي تفيد من تيسير الذخيرة الحضارية فى الموسوعة الكبرى ، وبين أيدينا المصادر والمراجع العربية وغير العربية ، فلنتحول من الدعوة الى الشروع فى الخطوة الاولى ، وهذه الكلمات أقولها لنفسى كما أقولها للمثقفين بالمفهوم الخاص فى عالمنا العربى فهى صرخة عتاب وليست مجرد همسة عتاب كما هو مشهور . . ان الموسوعة تبدأ بجذاذة أو بطاقة وتنتهى بمَعْلم حضارى عصرى يواجه القرن الواحد والعشرين . □

الزنبقة العاشقة



شعر :
الدكتور عيسى درويش

بسمت زنبقة لي مرة ... وأرتني ثغرها العذب الجميلْ
قلت : « يازنبقتي ما المبتغى ... من فتى أصبح كالعود نحيلْ »
فأجابتني بصوت ناعم ... وبدمع من مآقيها . . يسيلْ
إن يكن جسمك من داء ذوى ... ان في حبك مايشفي العليلْ

* * * *

قلت : « يازنبقة الروض اسْمعي ... أي نفع في هوانا المستحيلْ
في غد يسقطنا الموت به ... هل لانسان عن الموت بديلْ
يسقط العمر على أبوابه ... يستوي فيه كثير وقليلْ
قلما نرشف من كأس الهوى ... وكلانا بين جنبيه قتيل

* * * *

صاح بالزنبق طير عاشق ... جاء يرتاح على الغصن الخضيلْ
« آه ياأختاه اني عاشق ... ولكم جئت الى هذا الخميلْ
أرقب الآفاق أرضا وسما ... ربما ألقى لمن أهوى سبيل
إنما الأيام حب دائم ... فاذا راح الهوى - آن الرحيل »

* * * *

قلت : « ياطير الهوى طاب اللقا ... الشذى . . والشعر والحب الأصيلْ
أعطني اللحن وخذ أغنيتي ... هات يازنبقتي - روى الغليلْ
واجعل العمر ربيعا دائما ... وامزج العطر بهذا السلسبيل
فاذا غبت على لوح الدجى ... عدت مزهوا مع الصبح البليلْ »

* * * * *

يا أخي الانسان لا تيأس اذا ... حلت الأحزان والهم الثقيلْ
واجعل الأيام تمسي مثلما ... شاءها الله فما ضيق يطولْ
وعش اللحظة في نشوتها ... واختم النعمة بالشكر الجزيلْ
واطلب الخير الى كل الورى ... ودع الشر من الدنيا يزولْ



قصة كشف طبي جديد

ومن الرقص ما قتل!

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

ليس الرقص دائما تعبيرا عن البهجة والسرور . . فقد يكون تعبيرا عن مرض نهايته الهلاك . . ومع أن هذا المرض قلما نجده في أغلب البلدان ، الا أنه ليس كذلك في احدى القرى الصغيرة المطلة على بحيرة « ماراكيبو » في فنزويلا ، حيث يقع الكثير من سكان هذه القرية ضحايا لهذا « المرض الراقص » . . فماقصة هذاالمرض . . . وما حقيقة المأساة فيه ، وهل تلوح في طوايا هذه القصة وأحداثها بارقة أمل في نصر طبي جديد ؟ . . .

الدنيا ما تزال في سويعات البكور . . فالصباح لم يعلن عن قدومه الا منذ قليل . . والاجتماع المقرر لن يكون قبل حلول ساعة العصر من هذا اليوم ، ومع ذلك فقد أخذت « ايريس سوتو » تعد نفسها لهذااللقاء الذي سيجمعها بفريق البحث الطبي القادم من أمريكا . . كانت تشعر بسعادة غامرة وهي تتهيأ لهذاالاجتماع المهم ، وكان أكثر ما يثير في نفسها الشوق اليه أنها ستلتقي فيه برئيسة الفريق التي تحبها ، تلك السيدة ذات الشعر الأشقر « نانسي وكسلر » . .

لقد انتقت « ايريس » لهذااللقاء ثوبا أسود مزركشا لتلبسه ، فهو أفضل ما عندها ، وهي تعلم مسبقا أن أهالي القرية جميعا، ولا سيما النساء ، سيتبارين في لبس أفضل ما عندهن من ثياب . .

طلبت « ايريس » من والدتها أن تساعدها في ارتداء ثوبها الأسود المزركش ، ورغم هذه الاستجابة فقد استغرق لبسها لهذا الثوب وقتا طويلا . . وعندما حاولت أن تلبس حذاءها بمفردها فشلت أكثر من مرة ، فجلست لأكثر من ساعة مخلدة الى صمت حزين . .

ولكن « ايريس » تعيش مأساة . . إنها مصابة بداء (هانتينغتون) ' Huntington ' فما هو

هذاالمرض ، وكيف أخذ طريقه إليها ؟ . . .

(هانتينغتون) هذا مرض عصبي ، انتقل اليها عن طريق الوراثة ، وأدى الى وفاة العديد من أقربائها . . انه مرض يجعل جسم المصاب به يتلوى ويتراقص ، ويأتي بحركات مستمرة لاارادية . . حركات تشبه الى حد بعيد تلوي الافعى ، والحركة قد تكون في الرأس أو في الذراعين أو في الجسم بأكمله . . والمؤلم في هذاالمرض أن المريض يشعر بالعجز التام عن ايقاف هذه الحركات التي تجبر الجسم على أن يتخذ أوضاعا غريبة ، دون أن تكون له أدنى سيطرةعليها .

لقد أصاب هذا المرض القاتل « ايريس » منذ عدة سنوات ، ومنذ ذلك الحين وهو آخذ في الاشتداد . . انها الآن في الأربعين من عمرها ، ورغم ذلك فهي لا تستطيع أن تمشي بسهولة ، ولا أن ترتدي ملابسها ، أو تتناول طعامها ، دون عون الآخرين . . فان جسمها النحيل دائم التحرك والتلوي .

وككل المصابين بهذا المرض ، فقد ولدت « ايريس » وبذور المرض كامنة في جسمها ، وأمضت السنوات الباكرة من حياتها في صحة تامة ، فلم تكن تشكو من أي عرض ، حتى اذابلغت الثلاثين من عمرها بدأت بذور المرض تكشف عن نفسها . . ولقد بدأت المشكلةمعها بأعراض بسيطة ، لم تلق لها بالا في أول الأمر : ككثرةالنسيان ، وسرعة الغضب دون مبرر ، ثم بدأت الأمور معها تتجه نحو الأسوأ ، فأخذ جسمها يتحرك دون ارادتها ، ودخل ظهرها وكتفاها في حركة لا تهدأ ، كما لو كانت تبحث لنفسها عن وضع مريح . . دون أن تجده !

وأينما توجهت - خارج تلك القرية - كانت هذه الحركات مبعث استغراب وتأويل وتفكه . . ولكنها بالنسبة لـ « ايريس » ولكل فرد من أفراد قرية سان لويس يبدو الأمر مختلفا تماما . . فهم يعلمون جيداماالذي تعنيه هذه الحركات ،ومامصير من يصاب بها . انه « الداء » كمايسمونه في « سان لويس » ، وهي قريةمتواضعة تطل على بحيرة « ماراكيبو » في فنزويلا ،ومعظم منازلها مبنية من الخشب ، طرقاتها ترابيةضيقة ملتوية ، غالبيةأهلها يجهلون القراءة والكتابة ، يقدر عدد سكانها بحوالي ثلاثة آلاف شخص ، تتوزعهم أسر كثيرة الأفراد ، جلهم مترابطون بقرابةالدم والاصهار ، أما مصدر رزقهم الوحيد والمحدود فهو صيد السمك . .

وقد يصعب عليك أن تتوقع أن قريةصغيرةكسان لويس هذه تضم بين جنباتها أجوبةشافيةلكثير من الغموض الذي يكتنف مرض (هانتينغتون) ، ولكن يبدو أن هذا هو الواقع . .

أسرة سوتو

ان الاهمية العلمية لهذه القرية انما تعود لاصابة العديد من سكانها بهذا المرض ، فبينما يبدو هذا المرض قليل المشاهدة الى درجة الندرة في معظم بلدان العالم ، حتى أن عدد المصابين به في الولايات المتحدة ، مثلا ، لا يزيد على عشرين ألفا - أي بنسبة انتشار تعادل من ٥ الى ١٠ لكل مائة ألف من



السكان ، نجد أن انتشار هذا المرض في سان لويس يفوق بمقدار سبعمائةضعف نسبة انتشاره في أمريكا .. وأكثر من ذلك أن أسرة « سوتو » التي تستوطن هذه القرية ، تضم بين أفرادها أكبر تجمع معروف في العالم للمصابين بهذاالمرض .. ومع أن هذه الحقيقةتجسم المأساة الحادة لهذه الأسرة ، الا أنها - في ذات الوقت - توفر البيئة المناسبة والأرض الخصبة للبحث والدراسة ، وأحيانا تبدو صحيحة ومفيدة الى درجة الايلام .

ومنذ أكثر من عام ، وعن طريق دراسة عينات دم مأخوذة من أفراد عائلة « سوتو » التي أصبحت تعد أربعة آلاف شخص على مدى ثمانية أجيال متداخلة ومتعاقبة ، استطاع العلماء أن يحققوا نصرا كبيرا في مجال الكشف العلمي ، فقد تمكنوا من تحديد مكان الجينة (Gene) المسئولة عن مرض (هانتينغتون) ، ضمن أحد الكروموسومات التي توجد في نواة الخلية البشرية ، وقد اتضح لهم أن الداء انما ينجم عن عطب يصيب احدى الجينات (وهي عناصر البرمجة الوراثية التي تتحكم في كل صفة أو وظيفة في الجسم ، وعن طريقها يتم انتقال الصفات الوراثية عبر الأجيال) وأن هذه الجينة المعطوبة تتخذ لها موضعاً على الكروموسوم رقم (٤) من الكروموسومات الستة والاربعين التي توجد في كل خلية من خلايا جسمنا ..

لقد كان من المعروف مسبقا أن مرض (هانتينغتون) ينجم عن خلل في احدى الجينات ، ولكن لم يكن من الممكن وقتها تحديد مكان تلك الجينة بدقة ، ولا شك أن مقدرتنا على تحديد مكان تلك الجينة ، يضع بين أيدينا اداة مهمة للتحري عن المرض منذ بدايته ، ويجعلنا في غنى عن أن ننتظر سنوات عدة ونحن نترقب ظهور المرض ، بينمايكون المصاب قد تزوج - أو تزوجت - وأنجب أطفالاً يحملون بدورهم نذير الاصابة المميتة طي رسالة مغلقة ! بل ان هذاالكشف الجديد قد يكون نقطة البداية للتوصل الى علاج ناجع ، يضع حدا لهذاالمرض عن طريق « تعويض » تلك الجينة المريضة بأخرى سليمة وطبيعية ، ولا شك أن هذا لم يعد بالأمر المستبعد في عصر الهندسة والجراحة الوراثية .

بداية الاهتمام بسان لويس :

في الوقت الذي كانت فيه « ايريس سوتو » تعد نفسها - هي وجميع سكان سان لويس - لاستقبال فريق البحث القادم من أمريكا ، كانت السيارةالتي تقل هذا الفريق تنهب الأرض باتجاه القرية المذكورة .. وكانت مهمة القيادة في هذاالفريق ملقاة على عاتق سيدة في الثلاثين من عمرها .. انها « نانسي وكسلر » وفي هذه الأثناء كانت مشاعر وأفكار تدور في نفس « نانسي » وفي عقلها .. إنها الآن في طريقها الى القريةالمختبر - كما حلا لها أن تتصور - وهذه هي زيارتها الرابعة لها ، ولكنها اليوم أكثر ثقةبالنجاح ، وأكثر أملا في أن تعود من رحلتها هذه بفتح جديد .. لقد كانت زياراتها الثلاث السابقة كمن يسير الى هدفه معصوب العينين .. أمااليوم ، وبعد أن استطاع العلماء بفضل حماستها البالغة لهذا الموضوع ، أن يمسكوا ببدايةالخيط ، وأن يكتشفوا مكان الجينة المسئولةعن المرض ، فالأمر يبدو لها مختلفا تماما ، إن مهمتها اليوم جمع المزيد من عينات الدم من سكان (سان لويس) ومن غيرها من القرى المجاورة التي ارتبطت معها برباط مصاهرة وقرابة دم ، بهدف اجراء المزيد من البحوث لتحديد ماهية الجينة المسئولةعن المرض بدقة أكبر وأشمل .

ومع الأمل الذي كان يحدوها ، وفي غمرة التفاؤل الذي كانت تحس به ، كان هنالك شعور آخر ينتابها .. انه الشعور بالقلق والاضطراب .. كان قد وصل الى علم « نانسي » أن شائعات غير صحيحة قد انتشرت في القريةالتي تسعى اليها ، شائعات تقول بأنه قد أمكن التوصل الى علاج للمرض الذي يقاسون منه .. وهي لا تعرف الآن ماالذي تستطيع أن تقوله لهؤلاء الذين يترقبون وصولها ، هل تقول لهم ان كل ماتوصلنا اليه حتى الآن هو معرفة من سيصاب منكم بهذا المرض في غضون سنوات ... وأي خبر أسوأ من أن يعرف انسان ما أنه سيموت في وقت قريب ؟ ولقد كان بودها أن تحمل اليهم بيدها اليسرى العلاج الذي يحميهم من المرض ، ويقيهم شر الاصابة به ، في الوقت الذي تحمل اليهم بيدها اليمنى وسيلةالكشف عن المرض قبل ظهوره ، وبما

ضاعف ضيقها وانزعاجها أن لها في هذه المنطقة الكثير من الأصدقاء الذين تعرفت اليهم في زياراتها السابقة ، وقامت بينها وبينهم مودة من نوع خاص ، وهؤلاء جميعا ينتظرون بفارغ الصبر وصول صديقة لهم ، تحمل معها البلسم الشافي لمعاناتهم الصامتة .

نانسي تحكي قصتها

وتتحدث نانسي الى رفاقها في الرحلة عن قصة اهتمامها الشخصي بمرض (انتينغتون) ، فتقول : كان ذلك في عام ١٩٦٨ ، وكانت في الثانية والعشرين من عمرها ، حينما دعاها والدها ـ كما دعا شقيقتها ـ للحضور الى منزلهم في لوس أنجلوس لأمر مهم . . ولقد أحست بالقلق حينما رأت والدها يستقبلها في المطار بمفرده ، دون صحبة والدتها التي لم تكن لتتأخر يوماعن استقبالها . . في ذلك اليوم القاتم عرفت نانسي الأمر المهم الذي عناه والدها حينما دعاها للحضور . . ان والدتها مريضة ، وانهامصابة على وجه التحديد بمرض (هانتينغتون) ، وان اصابة الوالدة بهذاالمرض يعني ـ كمااستطاعت أن تفهم ـ أنها هي الأخرى وشقيقتها كذلك ، معرضتان للاصابة بالمرض ذاته بنسبة ٥٠٪ ، وان كانت أي منها لا تشعر بأي عرض في الوقت الراهن . .

عاشت نانسي بعد ذلك مرحلة صعبة من القلق والخوف المستمر . . فان أي نسيان عابر لأمر ما يجعلها تعتقد أنه بداية المرض ، وان أي نوبة غضب تنتابها تفسرها على أنها عرض من أعراض الاصابة . . وطالما أن المرض يمكن أن يظل كامنا حتى سن الخمسين أو الستين ، ثم يبدأ في الظهور ، فهذا يعني أن الخوف سيظل ملازما لها طوال سنوات كثيرة . . ولعل هذا الخوف كان مبعث الأمل في العثور على وسيلة ما للتشخيص الباكر والعلاج الشافي . . ومنذ ذلك الوقت أصبح مرض (هانتينغتون) محور اهتمام نانسي الاول وموضوع تفكيرها الدائم . . ثم تعزز هذا الاهتمام عندما أنشأ والدها مؤسسة خاصة لدراسة هذا المرض .

أما كيف توجه الاهتمام نحو « سان لويس » فلهذا قصة اخرى . . ففي أحد المؤتمرات التي عقدت في ولاية أوهايو حول هذا المرض ، استمعت نانسي الى بحث طبي يشير الى منطقة في فنزويلا تكثر فيها الاصابات به ، الى حد يشكل ظاهرة لافتة للنظر ، كما شاهدت فيلما تسجيليا عرضه المحاضر يصور المرضى في قرية « سان لويس » . . . ومع أن صورة هذه القرية ظلت عالقة في ذهن نانسي لفترة طويلة ، الا أنها لم تفكر أن تقوم بأي عمل لتنشيط دراسة تلك القرية ، فقد كانت آنذاك مشغولة بالتحضير لرسالة دكتوراة في علم النفس ، وانقضت على ذلك المؤتمر سنوات خمس ، وبدأت أحاديث تدور في كاليفورنيا حول امكان البحث عن الجينة المسئولة عن المرض ، وكان ما يسعى اليه العلماء وقتئذ هو العثور على شخص مصاب بالمرض ، يكون قد توارثه من كلا أبويه وليس من أحدهما فقط ، لان احتمال العثور على الخلل يكون في هذه الحالة أكبر من احتمال العثور عليه عند شخص ورث المرض عن أحد أبويه فقط . . ومع ندرة المرض في أمريكا فان امكان العثور على شخصين مصابين تزوجا وأنجبا طفلا مصابا تبدو محدودة جدا ، وهنا توجهت الأنظار نحو قرية سان لويس الفنزويلية ، بعد أن تذكر الجميع الفيلم الذي عرض في المؤتمر قبل خمس سنوات ، في ذلك الوقت كانت نانسي قد أصبحت المديرة التنفيذية للجنة تابعة للكونغرس ، لدراسة مرض هانتينغتون ، واستطاعت أن تقنع أصحاب الشأن في واشنطن بتمويل « حملة » بحث الى مراكيبو وقراها لدراسة المرض في بيئته ، وتم لها ما أرادت ، ومنذ عام ١٩٨١ أصبح هنالك رحلة سنوية الى تلك المنطقة لجمع العينات ، واجراء المزيد من البحوث . .

اللقاء الرابع

وصل فريق البحث الى القرية ، وانتشر الخبر سريعا بين الاهالي ، وما أن سمعت به « ايريس سوتو » حتى اندفعت الى الخارج باتجاه عيادة القرية ، حيث سيكون الاجتماع المقرر . . لقد انتظرت ايريس قدوم الفريق ـ ونانسي خاصة ـ بفارغ الصبر ، حتى أنها سارعت الى مكان الاجتماع قبل الموعد المقرر لانعقاده . . ان أمر هذا الاجتماع يهمها كثيرا ، وربما أكثر من كل الناس في القرية ، فأسرة

« سوتو » معروفة للجميع بكثرة انتشار المرض بين أفرادها ، فابريس وشقيقتها وشقيقها مصابون بالمرض، وايريس متزوجة ولها أولاد ، ولكن زوجها هجرها بعد أن تفاقمت علتها ، وأصبحت عاجزة عن القيام بأعباء المنزل ، فتركت بيتها ،وانتقلت الى حيث تقيم والدتها ، بأمل أن تجد العون والمساعدة .

وما أن وصلت « ايريس » الى العيادة ، وشاهدت صاحبتها نانسي ، حتى اندفعت نحوها لعناقها . . ولكنها لم تتمكن من ذلك ، فحركات جسمها المستمرة أعاقتها عن العناق ، فاكتفت بأن وضعت يدها على كتف نانسي ، راسمة على وجهها ابتسامة السعادة باللقاء ، ثم اختارت لنفسها مكانا خاليا، وجلست تنتظر أن يحين موعد الاجتماع مع أهالي القرية .

في تلك الأثناء كان أفراد الفريق الطبي يعدون المكان للاجتماع ، ! وكانت نانسي تقوم بتثبيت أوراق كثيرة على جدران الغرفة الأربعة ، وكلها تحمل رسوما بشجرات الأسر التي تضم مجموعها ثلاثة آلاف فرد من أبناء القرية عبر أجيال ثمانية . . . . .

لقد كان الهدف الأول جمع الدم من أشخاص ذوي قرابة وثيقة بالمصابين ، وكان الأمر غاية في الصعوبة ، فالأسماء كثيرة التشابه في هذه القرية المنغلقة على نفسها ، وانتقاء الشخص المناسب لأخذ العينات مع



ما يقتضيه الأمر من تتبع شجرة الأسرة عبر هذه الأوراق المنشورة على الجدران ليس بالأمر الهين . . ومع ذلك فقد كان هنالك تصميم على عمل شيء مفيد في هذا الاجتماع ، وعندما حان موعد اللقاء كانت جميع المقاعد قد شغلت بأعداد من سكان القرية ، وكان عدد منهم « يترافصون » ويتمايلون على مقاعدهم بصورة تبعث على الشفقة والحزن ، فهم من ضحايا « الداء » . .

ولم تستطع « نانسي » أن تصارح الحاضرين بحقيقة مؤلمة جديدة ، وهي أنه قد تمت معرفة أشخاص آخرين سيظهر عليهم المرض بعد حين ، فقد كانت تشفق ان تضيف الى مآسيهم مأساة جديدة ، ولكنها سارعت الى القول بأنه سيكون بالامكان في غضون الأعوام القادمة ، من خلال فحص دموي معين ، معرفة ما اذا كان المولود حديثا سيأتي حاملا لبذور المرض أو خاليا منها ، وهنا قاطعها أحد الحاضرين سائلا : وهل توصلتم الى علاج لهذا الداء ؟ فأجابت نانسي برفق « ودبلوماسية » ان الأمل في المستقبل كبير ! وانفض الجمع على وعد بلقاء آخر في صباح اليوم التالي لجمع العينات .

أصل الداء

لا أحد يعلم على وجه الدقة كيف بدأ مرض (هانتينغتون) في أسرة سوتو ، ومن أين وصلها ، ولا أحد أيضا يستطيع ان يثبت أو ينفي الرأي الذي يقول أن المرض تسلل الى فنزويلا عن طريق تجار أوروبيين ، الا أن الروايات المحلية تشير الى أن « الداء » أتى مع بحار اسباني في القرن التاسع عشر ، وأن هذا البحار كان قد اختلط بعدد من النساء من أهالي القرية ، وأنجبن منه أطفالا ثبتت اصابتهم بالداء فيما بعد ، ومع أن كثيرا من الشكوك تثور حول صحة هذه الرواية ، الا أنه يكاد يكون من الثابت تاريخيا أن الداء موجود في القرية منذ عام ١٨٣٠ ، ولكن لا أحد يعلم مصدره ، كما أن احداً لا يعلم الكيفية التي انتقل بها اليها .

وتساؤل آخر يطرح في هذا الصدد : ما الذي جعل أهالي قرية سان لويس يصرون على البقاء في قريتهم المريضة ، وعلى التزاوج فيما بينهم عبر أجيال

عديدة ، رغم معرفتهم الأكيدة باحتمال الاصابة بالداء ؟ انه سؤال طرح على الأهالي أكثر من مرة . . ودائماكانت الاجابة هي نفسها : أسراتنا هنا . . أصدقاؤنا هنا . . والسمك أيضا كثير هنا ! ويبدو أن استيطان المرض في سان لويس جعل القرى والمدن المجاورة ترفض القادمين من تلك القرية « المخيفة » ، وتوصد الأبواب في وجوههم ، ومن هنا أيضا كان من النادر أن ترى شخص غريب يعبر طرقات سان لويس ، الأمر الذي ساعد على انغلاقهم على أنفسهم وعلى تكتلهم واختلاطهم الشديد فيما بينهم .

جمع العينات :

في صباح اليوم التالي بدأت الجموع تتوافد على عيادة القرية . . أمهات وجدات يحملن أطفالا على أيديهن ، ويتبعهن أطفال آخرون متفاوتو الأعمار ، وما أن انتصف النهار حتى كانت العيادة تغص بالأهالي . . وبدأ الفريق المكون من ستة أشخاص عملا جادا لانجاز المهمة ، وفي وسط هؤلاء جلست نانسي وأمامها قوائم الأسماء ، وأنابيب العينات الفارغة . . وكانت مهمتها أصعب المهام كلها ، فقد كان عليها أن تحدد الشخص الذي يصلح لأخذ العينة من دمه ، وهذا يتطلب أسئلة واستفسارات كثيرة ، كما يتطلب عودة الى الأوراق الطويلة الملصقة على الجدران ، للتحقق من صلة هذا الشخص بالمرض أو المشتبه بأنهم كذلك . .

وفيما كانت نانسي تقوم بعملها المضني هذا . . كان هنالك باحثون آخرون يعملون على صعيد آخر . . كان هنالك الدكتور (ماريا) اختصاصي الوراثة في جامعة أنديانا ، الذي كان يجري اختباراته على بعض الأشخاص لتقييم حالتهم النفسية ، والتحري عن أي تبدل في قدراتهم العقلية ، مما قد يشير الى احتمال بدء المرض عندهم ، وكان هنالك أيضا الدكتور « سيمون » اختصاصي الأمراض العصبية في جامعة مينيسوتا ، الذي كان يقوم باستجواب أفراد أسرات جديدة ، بغية اضافة فروع أخرى للشجرات المستمرة النمو ، وكان هنالك أيضا الدكتور « ايرا » اختصاصي الأمراض العصبية في جامعة روشستر ، الذي كان يجري الفحوص العصبية السريرية لتقييم الحالة العصبية للمرضى وللأسوياء ، في محاولة للكشف عن أية علامات عصبية باكرة للمرض . . فريق متكامل ، كل واحد من أفراده يعمل في ميدانه بحماسة الجندي المؤمن بقضيته ، والذي يعتزم الا يلقي السلاح حتى يحقق النصر ويبلغ القصد . .

وغدا يشرق فجر جديد :

ومع نهاية شهر مارس / آذار من عام ١٩٨٤ أنهت الحملة مهمتها ، وعادت الى موطنها ، بعد أن تمكنت من جمع ما يزيد على مائتي عينة من الدم ، ليصبح مجموع ما حصلت عليه خلال الحملات الأربع قرابة ثمانمائة عينة ، عادت الى موطنها . . لا لتستريح ، وانما لتدخل معركة جديدة ، تحقق فيها للعلم والطب نصرا جديدا تذكره الأجيال ، ويستريح به المعذبون على الأرض . .

تلكم كانت قصة التعرف على المرض المأساة . . أما تتمة القصة وأعني بها قصة التوصل الى علاج يريح ضحاياه والمعذبين به ، فان خيوطها تنسج الآن في دأب وصمت ، وعسى أن تكون في الغد القريب خبرا ينشر وبشرى تذاع . ☐

■ لا وصول الى ساحة السعادة ، الا من أحد أبواب ثلاثة : الايمان والفن والحب (يحيى حقي)

■ أن ترى ما هو حق ، ثم لا تعمله ، فهذا دليل على فقدان الشجاعة (كونفوشيوس)

أرقام

بقلم : محمود المراغي

البعض يفضلها غير عربية ..

نقول : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » ..
ونقول : « ان التجارة مهنة عربية قديمة ، وان قوافل التجارة العربية لعبت فى يوم ما الدور الأول فى التواصل بين أجزاء الوطن العربى .. شماله وجنوبه .. شرقه وغربه ..

و .. مع السلع ، كانت تنتقل الأفكار والأخبار ..

خارج المنطقة العربية لعبت التجارة ، كما لعبت الحدود المفتوحة دورا كبيرا فى تنشيط الانتاج ، وخلق روابط الصلة بين أجزاء المنطقة الجغرافية الواحدة .. حدث ذلك فى غرب أوروبا ، وبدرجة متزايدة بعد انشاء السوق الأوروبية المشتركة .. وحدث فى شرق أوروبا فى ظل سوق مشتركة أخرى ونظام اقتصادى مختلف ..

وفى كل الأحوال كانت التجارة قناة تحمل رغبات المستهلك ، وتحيلها الى قرارات فى مراكز الانتاج ... وكانت - على الجانب الآخر - تعبيرا صادقا عما وصلت اليه القدرة الانتاجية ..

والسؤال :

هل تلعب التجارة العربية فى الوقت الراهن هذين الدورين المتميزين .. دور التواصل ودور تنشيط وتوجيه الانتاج ؟ ..

هل لعبت التجارة العربية - مثلا - دورها فى ربط أجزاء الوطن العربى ، بحيث يصبح نسيجا واحدا تكون التجارة أحد شرايينه .. ؟ ..

وهل ساعدت هذه التجارة - فى الحقبة الأخيرة - على تنمية عربية ، توفرت مواردها المالية فى معظم الأحوال ؟ ..

الأرقام تصدم العين والعقل والسمع ..

فى ندوة أخيرة للمؤسسة العربية لضمان الاستثمار وغرفة الكويت التجارية أذيع الرقم . (٩٢,٥) بالمائة من تجارة العرب تتجه للعالم الخارجى ... ، (٧,٥) بالمائة فقط تتجه عربيا ، وذلك كمتوسط عام للسنوات العشر الأخيرة

فى التفاصيل يقف العرب بين أكبر المستوردين فى العالم ..

وفى التفاصيل تبدو المجموعة العربية أشد اعتمادا على الآخرين من أى مجموعة دولية أخرى ..

وبتحديد أكثر ووفقا للتقرير الاقتصادى العربى الموحد فان واردات العرب الزراعية قد ارتفعت من ٧,٧ مليار دولار عام ١٩٧٦ ، .. الى ٢٤ مليارا عام ١٩٨٢ .. بينما ظلت الصادرات الزراعية فى حدود ٣ - ٣,٤ مليار .. ! .

أيضا ، وفى التفاصيل تبدو الحقيقة الغريبة ، وهى أن الوطن العربى الذى يملك مساحات زراعية شاسعة ، وله تاريخ طويل فى تربية الأغنام، استورد

عام ١٩٨٢ (على سبيل المثال) :

** (٧٧) بالمائة من واردات العالم كله من الأغنام والماعز .

** وثلث واردات العالم من لحوم الدواجن .

** و (٢٧) بالمائة من البيض الذى يستورده العالم .

** و (١٧) بالمائة من القمح و (١٨) بالمائة من الحليب .

** و (وفى الأرقام الاجمالية) يستورد نحو (٨) بالمائة - من واردات العالم الزراعية و(١٥) بالمائة من واردات العالم الغذائية .

وبالطبع فان معظم هذه الواردات من خارج الوطن العربى . . !

نحن اذن نتجه عبر الحدود البعيدة . . حتى فى الغذاء ، وبما يضاعف تكلفة الاستيراد نتيجة النقل الطويل . .

ونحن اذن لا نتعامل مع الذات . . الا فى أضيق الحدود . .

وحين نتأمل الأوضاع نجد اطارا سياسيا يجمعنا اسمه : الجامعة العربية ومجلسها الاقتصادى . . ونجد اطارا اقتصاديا يجمع أكثر من ثلثى العرب ، وهى اتفاقية الوحدة الاقتصادية . . ونجد سوقا مشتركة ينضم لها أكثر من نصف البلاد العربية . . وأكثر من ثلاثة أرباع عدد السكان . . !.

أيضا ، نجد هجرة داخلية واسعة بين أجزاء الوطن العربى . . ونجد اتصالا بشريا كثيفا . .

و . . مع ذلك فالنتائج : قدر محدود من التعامل التجارى . . !

بالمزيد من التحليل نجد أن هناك حدودا مفتوحة وحدودا مغلقة . . والحدود المفتوحة تضم - فى معظم الأحوال - البلدان ذات الكثافة السكانية الكبيرة ، والقدرة المالية والاستيرادية الصغيرة . . وعلى العكس فان الحدود المغلقة التى لم تشملها السوق العربية المشتركة ، تضم على الأرجح البلدان ذات القدرة المالية والاستيرادية الأكبر . .

لقد نادينا فى الخمسينيات « أن اتحدوا » . . وكان أمامنا نموذج وليد هو السوق الأوروبية المشتركة . . وحينذاك قلنا : « هاهى أسباب النجاح قائمة . . وحدة جغرافية . . وسوق متسع . . وقومية واحدة » . . وقلنا : ان ازالة الحواجز الادارية والجمركية والنقدية بين البلدان العربية كفيلة بأن تحقق انسياب السلع والأموال والأفراد بين أجزاء الوطن العربى . .

ولكن . .

وبعد سنوات من التطبيق لم يحدث ذلك الانسياب . . فتحنا الحدود فى عدد كبير من البلدان ، ولم تتدفق السلع أو الأموال . . وأصبح واضحا أن هناك عاملا ثانيا فى انكماش التجارة « العربية - العربية » . . وهذا العامل هو قضية الهيكل الاقتصادى ، وما يفرزه من سلع . .

لقد انفتحت بعض الأبواب وتوفرت بعض التسهيلات . . لكن السلع لم تمر ، وكان أحد الأسباب : فقدان الانتاج الصالح للتبادل . . . فالهياكل الانتاجية لم يتم تطويرها لتفرز ما يسد حاجة قائمة . . . والتكامل الاقتصادى لم يتحقق ليصنع التشابك الضرورى الذى تتوزع فيه الأدوار بين مختلف البلدان ، ليستفيد كل منها بتخصص قائم وسوق متسع .

لقد قدنا الاقتصاد العربى بسياسات قطرية ، ولم نقده بسياسات قومية . . ومن هنا كانت المأساة : بين كل أربعة عشر دولارا ندفعها للشراء من الخارج . . ندفع دولارا واحدا للشراء « العربى - العربى » . . لأن البعض وفى مجال السلع يفضلها غير عربية . .

أليس ذلك واحدا من وجوه المأساة ؟ . . .

أظن ذلك . . □

الأمل . . . . والنوم

يقول الفيلسوف الفرنسى فولتير : ان السماء أرادت أن تعوضنا عن بعض ما ابتلتنا به من محن فى هذه الحياة ، فمنحتنا الأمل من جهة والنوم من جهة أخرى .



الموت في معجم حجازي الشعري

بقلم : الدكتور غالي شكري

ليس المعجم الشعري خلاصة لغوية لتكرار المفردة في القصيدة الواحدة ، أو في عدة قصائد أو في مجموعها ، وانما هو الرصيد المتحرك من المفردات والأوزان والصور والمتخيلات الثقافية الأخرى . ليس المعجم جدولا من الاحصاءات ، وانما هو أقرب الى الخط البياني الشامل ، الأكثر شمولا من تسجيل درجات الحرارة ، أو عدد ضربات القلب .. ولكنه الأقرب الى تحليل العلامات الفارقة والبنى والجذور .

هل لهذا « المعجم الشعري » أية أهمية في تقويم الشعر ؟

في ظني ، أنه في مجال تأصيل الظاهرة الشعرية يتحول « المعجم » الى مقدمة ، بعد أن كان احدى النتائج . أي يتحول الى أداة منهجية في النقد ، بعد أن كان خلاصة تحليلية للتصنيف .

هيكل القصيدة هو توصيف وتصنيف ، يؤديان بنا الى معجم الشاعر ، ولكن هذا المعجم الذي حصلنا عليه ثمرة للتشخيص ، يعود فيقودنا ، ويصبح هو بوصلتنا في الابحار الى رؤ يا الشعر .

اطار مرجعي

أي أن المعجم نتيجة ومقدمة في آن ، غاية ووسيلة .. وهو حركة دائمة التحول ، ليس سجلا

ثابتا لبعض الرموز ، ولكنه « الاطار المرجعي » على أية حال .. ولا يبقى ثمة مبرر لاستباق « التحليل » بلوحة كاملة الأوصاف الاجتماعية والسياسية والثقافية لبيئة الشاعر وعصره ، حينذاك لن نحصل على أكثر من المصادرة على المطلوب ، ولكن المعجم الشعري كاطار مرجعي هو الذي سيهدينا سواء السبيل الى البيئة والعصر والثقافة ، لا كشعارات على الجدران ، وانما كمشاعر وشعائر تتجلى في رؤيا الشعر والشاعر .

هذا المعجم اذن ، هو كالشاعر نفسه ، خاص وعام .. وهو أبعد مايكون عن الانثروبولوجيا الثقافية ، وبالتالي عن النموذج المسبق في البنيوية ، وأيضا أبعد ما يكون عن التبسيط الميكانيكي لفكرة الانعكاس من أسفل (حيث التكوين الاقتصادي - الاجتماعي) الى أعلى (حيث البنى الفوقية من ثقافات وآداب وسياسات وحقوق وفنون) .. فالمعجم الشعري شديد الاتصال والاستقلال ، متصل بما هو أعلى وما هو أسفل ومستقل عنهما ، ولذلك فهو يملأ الفجوة المتوهمة بين داخل العمل الشعري (المقصود هنا : الفن عموما) وخارجه ، ولا يعود صحيحا أن هناك نقدا - أدبيا - من الداخل ، وآخر من الخارج .

وانما تصبح أمامنا في الطريق من هيكل القصيدة الى معجم الشاعر ، ومن هذا المعجم الى رؤيا الشعر ، عدة مفارق لابد من اجتيازها ، منها : الأصول الاجتماعية أو (اللاوعي) : وبالطبع فالأصول الاجتماعية المعنية هنا بوضوح ليست الأصول الشخصية للشاعر ، وانما أصول حركة القصيدة كايقاع وتشكيل ودلالة ، هذه الأصول هي « اللاوعي » الابداعي في معناه البعيد كليا عن التحليل النفسي عند فرويد ، أو العقل الجمعي عند يونج ، أو الابداع الجماعي عند جولدمان .

أصول تراثية وأخرى معاصرة

أولاً هذه الأصول أيضا ليست مجموعة من القيم،ولا هي رواسب من الأعراف الاجتماعية القديمة ، وانما هي جملة التحولات الايقاعية والتشكيلية والدلالية التي وصل بها التراكم عبر التاريخ داخل الشاعر وشعره ، الى حصيلة نوعية من الخبرة « اللاواعية » الى ما قبل عملية الخلق ، حيث تتفجر هذه الخبرة وتتطور و « تبدع » وعيها الجمالي الفريد .

ثانيا - الأصول التراثية : وليس المقصود هنا هو الحافظة الشخصية للشاعر وما تحمله من تراث الأقدمين . وانما المقصود ، هو ما يملأ الذاكرة من قيم معيارية ، تبقت في المخيلة التاريخية للشاعر ، وهي الغربال الواسع الثقوب .. هذا النوع من الذاكرة - ان شئنا التبسيط - هو الذي يجعل المرء ينطق لغته نطقا نحويا صحيحا دون لحن ، ودون معرفة بالقواعد النحوية معرفة دقيقة أيضا . ولكنها في الابداع - الشعري خاصة - تتجاوز هذا التبسيط الى ما هو أعمق ، الى تطويع المفردات والتفاعيل والقوافي وحروف الروى ، الى ما يطمئن الشاعر الى أنه الشعر ، مهما اختلفت منه أو أضيفت اليه من ضوابط اعرابية أو موسيقية « شرعية » أو « غير معتمدة » .

ثالثا - الأصول المعاصرة : وهي التي تقوم بدور « الـوعي » الشعري وليس الـوعي السياسي أو الاجتماعي ، وانما هو الوعي « المعاصر » ، وكما أن الأصول الاجتماعية أو التراثية لاتعني « الماضي » فان الأصول المعاصرة لاتعني « الحاضر » ذلك أن « اللاوعي » و « الذاكرة » والوعي لاتشكل في المعجم الشعري عناصر الزمن ، وان شكلت عناصر الحركة في تكوين الشعر . والحركة زمانية ولكنها ليست الزمن ، فهي أيضا حركة في المكان ، والفضاء ، والطبيعة ، والانسان . والأصول المعاصرة ، أو الوعي ، في معجم الشاعر ، هي جملة الأفكار والسلوك والتصورات والفروض التي تتفاعل ابداعيا في شعره ، أي داخل حركة القصيدة .

رابعا - ويبقى عنصران هما السياق والتركيب اللذان يصوغان ، ويصوغهما النسيج اللغوي . المفردة ، الدلالة ، الرمز ، ثالوث التغيير الوزني والذهني والبصري والقيمي من شطر الى آخر ، ومن فقرة الى أخرى ، حتى اكتمال « الروح » في القصيدة ، فتولد ، وتبدأ حياتها للمرة الأولى خارج ظنون الشاعر وأمانيه .

هنا أستطيع القول ان المعجم الشعري لأحمد عبدالمعطي حجازي « يتكون » دائما ولا « يتحول »

أبدا ، يتكون في « الموت » و « البطولة » و « الوطن » ولا يتحول في « السفر » و « التقمص » و « الحلم » .

ليس الموت والبطولة والوطن مجموعة من المجردات أو المعاني أو الرموز أو « المحاور » أو « الموضوعات » أو « القضايا » التي شُغِل بها الشاعر طوال الأعوام الثلاثين الماضية ، وانما هي حصاد الأصول الاجتماعية والتراثية والمعاصرة في شعره ، أي عناصر العمل الابداعي التي تفاعل بعضها مع البعض الأخر ، اللاوعي والذاكرة والوعي . . تلك هي المكونات الأساسية لمعجم الشاعر ، أما السفر والتقمص والحلم ، فهي من أدوات النسيج ، وليست خيوطه .

لن نحاول هنا اذن احصاء مفردة « المْوت » ومشتقاتها وظلال معانيها وانما سنحصي عدد مرات « حضور » الموت وأشكال تجليه ، وما اذا كانت ثمة علاقة تربط هذه التجليات وذاك الحضور ، بالعنصرين الأخرين : البطولة والوطن . أي أننا لن نبحث عن المفردات الجذرية وفروعها ، وانما سنبحث عن الجذور ذاتها ، جذور الرؤ يا الشعرية .

اثنتا عشرة قصيدة يتجلى فيها الموت كحضور مكثف لاكقيمة معيارية نلاحقها بعدئذ في « البطولة » و « الوطن » بمعنى الشهادة .

هذه القصائد كتبها أحمد عبدالمعطي حجازي بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٧١ ، ولكننا لسنا بحاجة لأن نؤرخ كل « موت » فيها ، وانما سنثبت عناوينها دون أن يكون للترتيب أية دلالة زمنية ، انها :

١ - العام السادس عشر* .
٢ - لمن تغنى ؟ .
٣ - الى اللقاء .
٤ - مقتل صبي .
٥ - بغداد والموت .
٦ - رسالة الى مدينة مجهولة .
٧ - يوميات الاسكندرية .
٨ - الموت فجأة .
٩ - الوجه الضائع .
١٠ - الموت في وهران .
١١ - مرثية لاعب سيرك .
١٢ - السفر .

لو شئنا « المحاور » أو « الموضوعات » لتساءلنا : ماذا يجمع هذه القصائد وفيها تجارب السياسة والحب ، وتأملات قد لا تشتمل على مفردة الموت أو معناه المادي المباشر ، أو حتى رموزه ، بينما يشتمل ديوان حجازي على الموت كمفردة تتكرر مترادفاتها وظلال معانيها في قصائد أخرى لم تدخل الاحصاء ، بالاضافة الى أن بين « قصائد الموت » المرصودة هنا ، ما يمكن نسبته الى عنصر البطولة أو عنصر الوطن (مثلا : بغداد والموت ، الموت في وهران) .

اننا في الحقيقة نبذل جهدا ضائعا اذا شئنا الاحصاء بمدلوله الكمي ، وانما نحن نبحث عن المدلول الكيفي ، أي عن الموت كأحد المكونات الأساسية في معجم الشاعر ، أو الموت كأصل اجتماعي في اللاوعي .

حالات الموت

ولعل قصيدة « بغداد والموت » تعني بحثا آخر عن اشاراتها السياسية ، ولكنها تعنينا هنا لسبب آخر .

« الموت ليس أن توارى في الثرى .
ولا الحياة أن تسير فوقه .
الزراع يبدأ الحياة في الثرى .
ويبدأ الموت اذا ماشقه .
فامنح هواك للذي يحيا .
وأعط للتراب ما استباحوا خنقه .
فلن تموت يامسيح ! انما .
على الصليب ينتهي من رقه » .

هذا « التعريف » الفدائي الجهير للموت لايعني مطلقا أن المفردة كعلامة قد أصبحت دالا ومدلولا ، بل حسبه فقط أن يشير الى الدلالة في حالة كمون قبل ممارسة الطقس (الشعري ، الشعائري) . وهي الممارسة التي ترفض نهائية الموت أو « الارادة » في اللواذ به . الموت على هذا النحو ليس قدرا خارج الارادة ، والرغبة ، والحاجة الانسانية ، والا

* يعتمد الباحث على « مجلد أعمال أحمد عبدالمعطي حجازي » الصادر عن دار العودة في بيروت ١٩٧٣ .

ما كانت مقاومته ممكنة . ومقاومته اذن ، هي مقاومة الرغبة فيه أو الحاجة اليه ، هي مقاومة شيء ما داخل الانسان ، الموت في هذا الاطار المرجعي ليس كينونة مستقلة يدور معها الصراع ، الموت « حالة » تتخلل الأشياء والناس ولا تعتزلها . انها في الغصون العارية لأشجار التوت الخالية من الورق .

« ونعوش النور تمشي .
وهنا كما قلت آه .
كنت أهوى أن أموت .
أنتهي في عامي السادس عشر »

. . . .

« أصدقائي
ها هي الساعة تمضي
فاذا كنتم صغارا ، فاحلفوا ألا تموتوا
واحذروا عامكم السادس عشر »

والعام السادس عشر ـ عنوان القصيدة ـ يمكن أن يكون أي عام ، عام الحب ، أو عام الحرب ، عام الصبا ، أو عام الكهولة ، أي عام « يتخلله الموت » وكأنه عام « النهاية »أو الخاتمة التي يريدها صاحب العام أو يرغب فيها ، سواء كان هذا الصاحب فردا أو شجرة أو معنى أو وطنا ، ولذلك فحين يتساءل الشاعر « لمن تغني ؟ » ـ عنوان القصيدة ـ فانه يجيب نفسه « كي لايحب الموت انسان على هذا الوجود » .

غير أن ضمير المتكلم الذي ظل « يغني » كأنه يصلي حتى يخرج شيطان الموت من الجسد الذي يدفئه ، فجاءت القصائد في هذا الاتجاه كالابتهالات تنشد الصدى فلا يستجيب ، سرعان ما اقتحمه الشك ، كانت أشجار التوت والزرع والتراب ، هي المادة الشيئية الخام التي « يروى عنها » ضمير المتكلم ، لأن الصمت كان المخاطب .

الآن ، وقد اعتوره الشك ، لم يعد الموت مجرد ارادة أو رغبة ، وانما كائنا حقيقيا لابد أن يدور بشأنه حوار :

أليمة « الى اللقاء » و « اصبحوا بخير »
وكل الفاظ الوداع مرّة
والموت مرّ
وكل شيء يسرق الانسان من انسان »
(مطلع قصيدة « الى اللقاء ») .

يصبح الوداع المؤقت تذكيرا بوداع آخر لايفلت منه أحد ، بل هو يسرق الآحاد من بعضهم البعض ، وطالما أصبح الموت كائنا مستقلا ـ وليس ارادة انسانية ـ فان ارتباط الذات بالآخر يحقق الحوار المستحيل بين الغائب والمخاطب ، وتنشأ مبكرا بداية الحكاية الدرامية في شعر أحمد عبدالمعطي حجازي ، فهي الأقدر على تشخيص هذا الأصل الاجتماعي أو اللاوعي ، ومطاردته الى لحظة التحقيق . لايهرب المغني بل الساحر ، يتوقف الابتهال ، وننتقل من خضرة الحقول :

« والبحر ألوان تموت . . كلما ضاق المساء

. . . .

ونحن في المقهى نموت »
عن « يوميات الاسكندرية »

الموت المشخص اذن لايختص النوع البشري ، وانما الطبيعة الكونية ذاتها ، ففي ضوء النهار تتعدد ألوان الماء ، وتتكلم ، تحيا ، وفي المساء تتوحد ، تصمت ، تتلاشى ، تموت مثلنا ونحن في « المقهى » اننا نموت في الحياة كموت الألوان في الليل .

حجازي لا ينتقل بشعره من الموت كحالة الى الموت ككائن ، ولا من الأغنية الى الدراما ، انه لاينتقل من « مرحلة » الى أخرى ، وانما هو يكشف أوراق هذا « اللاوعي ـ الأصل الاجتماعي الرابض في أحشاء رؤياه ـ ورقة ورقة أو قصيدة قصيدة . لذلك فما يزال الموت يتخلل الأشياء والناس كحالة « تتقمص » الشيء أو الانسان ، ويبقى الموت كائنا مستقلا ذا سيادة على حركة بقية الكائنات التي يتحتم عليها « السفر » ، هذا الكائن يتوحد والارادة ، فينهي عزلة المغني ، وينقطع من الجوار حساسية الشك ، ويضفي عليه ألوان الأكفان والمقابر ، فاذا بها ألوان الوطن . الوطن ـ المكان ، والوطن ـ الزمان ، ومن ثم فهو الوطن ـ الصيرورة .

و « المدينة » هي المكان والزمان ، حتى لو كان الموت في غيرها ، لأنها في معجم الشاعر مدينة الموت :

« الموت في الميدان طن .
الصمت حط كالكفن .
وأقبلت ذبابة خضراء .
جاءت من المقابر الريفية الحزينة .
ولولبت جناحها على صبي مات في المدينة .

فما بكت عليه عين » .

(عن مقتل صبي »

انتصب الموت كالتمثال في الميدان ، والميادين في بلادنا تعرفها المدن لا القرى ، ولأن الموت وقع في هذا المكان ، فقد كان له « طنين » ولكن الصمت كان غطاء الصبي الذي مات دون أن تبكيه المدينة ، وانما القرية هي التي أرسلت ذبابتها الخضراء من مقابر الريف الحزينة ، هذه المقابر التي يدعوها في « رسالة الى مدينة مجهولة » بـ « مدينة الموتى » وهي قصيدة الشاعر في رثاء والده ، ومنذ البداية فلولا « المدينة لاستطاع أن يودع أباه قبيل الغياب ، ولكنه لم يستطع ، وهي مدينة « من الزجاج والحجر » لم يقع الموت هذه المرة في المدينة ، ولكن المقابر أينما وجدت هي « مدينة » الموت ، وفي « الموت فجأة » (ص ٣٥٥) - كما في قصيدته « لا أحد » - والتي لاعلاقة لها بالموت - تزدحم المدينة بالبشر ، وتخلو من البشرية في آن ، في « الموت فجأة » يدفع السلب الى الاحتمال الأكثر رجحانا .

« تصوروا لو أنكم لم تحضروا
ماذا يكون . . ؟
أظل في ثلاجة الموتى طوال ليلتين
يهتز سلك الهاتف البارد في الليل يبدأ الرنين
بلا جواب . . مرة . . ومرتين » .

نقاء المدينة والريف

وفي قصيدة « لا أحد »

« لو أنني - لاقدر الله ! - أصبت بالجنون
وسرت أبكي عاريا . . بلا حياء
فلن يرد واحد على أطراف الرداء

. . . .

هذا الزحام . . لا أحد »

ولا تصبح المدينة في هذا الاطار مدينة الموت ، بل هي الموت ، فالأم الريفية الحزينة كيف تسير وحدها في هذه « المدينة » وياليتها وشمته في اخضرار « ساعده »

« حين أرى أن الحياة قد خلت من الجنون .
ورف فوق الكل طائر السكون .
أحس أني مت فعلا ، واضطجعت صامتا
أرقب هذا العالم الفاني »

من « الذبابة الخضراء » الى « الوشم الأخضر » مرورا بالاستباق المتخيل « لو أنني . . لو أنكم » الى تمثيل الموت لمراقبة « العالم الفاني » - هو المدينة ؟ - يتجلى الأصل الاجتماعي (اللاوعي) للموت كمفارقة مأسوية بين الحضور والغياب ، في كل من الريف والمدينة ، كزمان ومكان معلقين . واستدعاء الفانتازيا في حرف « لو » يخفف من غلواء الشعور ، ولكنه يزيد من درامية الحكاية الفاجعة . وفي « الوجه الضائع » يبرز العنصر الحكائي فيضم « التذكر » و « البكاء » الى عناصر الأصل الاجتماعي ، حتى لتبدو الوحدة في زحام المدينة حضورا ناقصا يستلزم البحث والمعاناة .

« عدت الى بكائه . . وهل لذكراه .
غيري ؟ ومن بعدي سيلقاه
اذا أتى من عالم الموتى يزور الذكريات
أجيب نفسي . . لا أحد »

« لا أحد » ، أو الخواء الذي يتردد صداه بين جنبات المدينة الفارغة ، رغم الزحام أو بفضله . وتبدو الأرض كما لو كانت مرادفا للقرية وحدها ، وتبدو كما لو أنها رحم الأم في شوق لاستعادة الابن الضال ، الذي لا يقل اشتياقا للعودة الى « الأصل » . هكذا يتجلى « الموت في وهران » وفي « مرثية لاعب سيرك » وفي « السفر » . حالة تتخلل الأشياء والناس ، وكائنا مستقلا متوحدا بالارادة وفيها . هذا الكائن وتلك الحالة يفرضان على معجم الشاعر كافة الأشكال اللغوية والبيانية ، ذات العلاقة بالجذر أو الأصل الاجتماعي أو اللاوعي ، بدءا من مجموعة الخرافات الريفية والنقوش الدينية والعادات الفكرية ، والسلوكيات العفوية الممتدة في وجدان الفلاح المصري ، وتلافيف مخيلته الجمالية ، وتصبح علاقة الزراعة أو الندب أو التعديد والذبابة الخضراء والوشم وقماش الكفن بالموت ، علاقة جمالية تتداخل في اختيار المفردة والوزن وتركيب الشطرة والفقرة ، ونسج ألوان الفانتازيا أو التراجيديا ، وتشكيل ايقاعات الأغنية والحكاية الدرامية . حتى اذا عاد « الابتهال » من جديد ومعه الغناء ، لايتخلى الشاعر عن رصيد الأصل الاجتماعي .

« وانتظمت أقدامهم في الذى

يسيِّر الريح ، ويسقي الزروع
ويجعل الموت أليفا كما
لو كان وجها آخر للطلوع »

. . . .

« القمر اللاهب في كفِّه
ياقوتة مسقية بالنجيع
والوقع من أقدامه غنوة
أوتارها كل الرُّبا والنجوع
والموت أن يقبل اليه انحنى
مستأذنا ، وقال . . آن الهجوع » .

يعود « الراوي » متحدثا رسميا باسم الموت الذي يتوسل بمختلف الديكورات المنتصبة سلفا في المخيلة الابداعية ، القمر والرابية والنجع والياقوتة . تسقط أوراق الخصومة المرتبطة في اللاوعي « بالشر » ليصبح الموت أليفا متحضرا ينبه السيد مستأذنا أن هجوعه قد حان ، ذروة اللقاء بين الحالة والكائن ولكن الالتحام نفسه لدرجة التوحد لايعني تسليم الظهر لحائط الاعدام . لأن ثغرة ما في جدار الصمت تظل « مفتوحة » ، خافية عن العيون ، ربما ، ولكنها باقية بقاء الموت ، وكأنها شرطه الوحيد . ويمسي الموت ، على هذا النحو ، نافذة « الخلود » الوحيدة الممكنة ، أو هو « الفداء » انه الخطأ في « مرثية لاعب سيرك » : الجميل الجذاب ، الرشيق ، الجليل ، فربما كان الطاووس أو الأفعى أو النمر أو الأسد أو :

« حين تدور الدائرة !
يرتبك الضوء على الجسم المهيض المرتطم
على الذراع المتهدل الكسير والقدم
وتبتسم !
كأنما عرفت أشياء .
وصدقت النبأ » .

الموت والرؤيا

أضحى الموت جسرا الى « الجمال » و « الاكتشاف » أي الى الرؤيا ، معجم الشاعر الذي يلملم مفرداته من طرقات المدينة وساحاتها العامة ، حيث الموت هو القتل واقعا أو رجحانا (مقتل صبي لا « موت » صبي - لاعب السيرك « قتيل » لاميتا - الموت في بغداد قاتل) يشتمل على وحدات الأصل الاجتماعي في اللاوعي الجمالي : المدينة الموت هي القاتل المحترف ، كنظام اجتماعي للوطن ، تقتل البراءة والجمال والاكتشاف والحنين والذكرى والدموع ، تقتل حتى الذبابة الخضراء والوشم الأخضر ، تقتل الاخضرار ، تقتل أبوة الأب وبنوة الابن وأمومة الأم ، ومن هذه العلامات تنتصب في « السفر » مشانق الروح للقتلى الأحياء .

« انهم يأكلون لحم الصغار ،
ويخترعون مشانق للروح تستلها ،
ويظل القتيل يعيش ويغشى المقاهي ،
ويعشق زوجته ، وينام
ويكتب في جاره للمباحث نثرا وشعرا ،
وفي عينه جثث الأصدقاء ،
وفي فمه الكلمات القديمة »

هذا هو « كشف المسافر » وكأنه لم يسافر . الموت شرط الكشف وثمنه وأصله و « لاوعيه » .

« استرح يا طبيبي
ان دائي الاقامة
ودوائي السفر »

الارتحال على صعيد المعجم الشعري بنية جمالية ، لارمزا ، فقصيدة « الموت » في شعر حجازي ترتحل من المدينة الى المدينة كدائرة مغلقة ، من مدينة الأحياء القتلى الى مدينة الأموات الحبلى بالمقابر ، وسواء كانت القصيدة أغنية أو نشيدا أو حكاية أو دراما ، فانها دائرة نغمية وتشكيلية محكمة الاغلاق من صنع المفردات الحية الطازجة الشديدة الاستعمال في الحياة اليومية ، ومن صنع المخيلة الريفية العميقة الاستبصار بالغيب ، ومن صنع الهوية التي يخلعها الشاعر على مدينته ، نظامه الاجتماعي القاتل والقتيل .

هكذا تتجلى الأصول الاجتماعية للموت ، في الخبرة الجمالية اللاواعية ، التي تصوغ معجم الشاعر في اطار « الرفض » ، وهو الرفض الذي يلعب دورا اشكاليا ، في بناء المعجم الشعري لأحمد عبدالمعطي حجازي ، أعني عنصر « البطولة » ، فالرفض القاطع للمدينة ليس رفضا للموت في حد ذاته ، وانما هو رفض للبنية الاجتماعية التي أثمرت نقيضها ، البطل . فهل آن لمن يرفض المدينة أن يرفض بطلها ، أم أن بطل المدينة شيء وبطولتها شيء آخر ؟ . □

قاموس العربي

د

ديمقراطية

مصطلح مشتق من كلمتين (شعب وسلطة) ، ويعنى به حكم الشعب ، أو كما عبر ابراهام لنكولن « حكم الشعب لصالح الشعب بواسطة الشعب » أي اختيار الشعب لحكومته وغلبة السلطة الشعبية على هذه الحكومة .

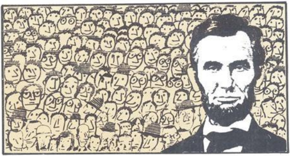
وفى الحقيقة .. فإن المصطلح الآن أكثر اتساعا وشمولا من معناه الضيق الذى بدأ به ، فوفق الاشتقاق اليونانى للمصطلح وبدء تاريخه فى ديمقراطية أثينا واسبرطة ، فإن المصطلح ينسحب بهذا الفهم فقط على التفسير السياسى للكلمة .

وكان مونتيسكيو ، المفكر الفرنسى المعروف ، وصاحب نظرية الفصل بين السلطات الثلاث فى الدولة .. هو الذى أضفى على المصطلح معناه السياسى الذى مازال موجودا حتى الآن ، فوفق ما يرى مونتيسكيو ، فإن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية ، وبالتالى فإن الحكومة مسؤولة أمام ممثل المواطنين وهى رهن ارادتهم ، ولكن اسهامات مفكرى القانون والعلوم السياسية بعد ذلك هى التي أكسبت المصطلح شموليته واتساعه ، الى أن أصبح يدل على النظام السياسى والاجتماعى الذى يضع مبدأى: المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة فى صنع وصياغة التشريعات التي تنظم الحياة - يضع هذين المبدأين - أساساً للعلاقة بين أفراد المجتمع .

ويرجع تعبير الديمقراطية الى نظم الحكم القديمة ، وأقدمها ديمقراطيات المدن الاغريقية ، وأشهرها ديمقراطية أثينا ، وتعرف أيضا بالديمقراطية المباشرة ، لأن المواطنين كانوا يجتمعون فى مجلس واحد ، وكانوا يتشاورون فى أمورهم ، ونظرا لقلة عدد المواطنين ، فقد كانوا لا يحتاجون الى اختيار نواب عنهم ، وهكذا منذ بدأ ظهور المصطلح لأول مرة في بلاد الاغريق ، فإنه ظل يخضع للتطور والاضافات ، فلم تظهر الديمقراطية بالمعنى الليبرالى الا فى القرن الثامن عشر ، حين حمل المفكرون الأوروبيون لواء الدعوة الى المساواة ، وحق الشعب فى اختيار حكومته ، والاشراف عليها ، وحملت دعوة المساواة في جوهرها حق مساواة المواطنين في التصويت ، اذ لم يكن كل من يعيش فوق أرض وطن ما - حتى ذلك التاريخ - يتمتع بكامل حقوق المواطنة المتعارف عليها الآن .

وتختلف المدارس الفكرية فى رؤيتها للديمقراطية ، فالديمقراطية فى النظام الأثيني هى ديمقراطية الأحرار ، وليست ديمقراطية العبيد ، والديمقراطية فى النظام الرأسمالى هى مساواة أصحاب رؤوس الأموال فى الفرصة للسيطرة على الدولة وتوجيهها لمصالحهم ، وتبتعد بهذه المصالح عن مصالح العمال والفلاحين والأجراء ..

وترى المدرسة الليبرالية أن الديمقراطية تقتضى



تعدد الأحزاب ، وكفالة الحقوق والحريات الأساسية ، ولكن فريقاً من غلاة الليبرالية يرون أن بعض النظم الديمقراطية التى تتيح تعدد الأحزاب ، وتكفل الحريات العامة ، تناقض الديمقراطية الأصلية ، لأنها بعد انتخاب النواب فإن الشعب تسلب منه سلطة مراجعة حكومته ، ويرى الاشتراكيون - أن الديمقراطية تستخدم فى النظام الرأسمالى لتدعيم النظام الاقتصادى وتكريس آلياته .. وان المصطلح ملىء بالألفاظ المطاطة .. فلفظة الشعب شديدة الاتساع .. وتداخل وسيطرة القوى الاقتصادية اقتصاديا واجتماعيا يجعلان تعبير الشعب ينسحب من كل المواطنين الى بعض قوى الرأسمالية .

وهارولد لاسكى رأى جدير بالالتفات .. توصل اليه بعد دراسة النظام الامريكي ، والديمقراطيات الرأسمالية الأوروبية ، يقول لاسكى : ان الرأسمالية لاتسمح بالديمقراطية الا اذا كانت الرأسمالية فى حالة ازدهار ونمو ، وعندئذ فانها لا تمانع فى منح بعض الحقوق السياسية الى الشعب ، ولكن اذا كانت الرأسمالية تمر بفترات انكماش وكساد ، فانها لا تتردد كما فعلت فى أزمة ١٩٢٩/ ١٩٣٠ أن تسحب تلك الحقوق الديمقراطية ، وتشهر الدكتاتورية سلاحا قاطعا فى وجه الشعب .

ومن مجموع الانتقادات التى وجهت الى الديمقراطية الليبرالية ظهرت الديمقراطية الاجتماعية ، وهى التى تطالب بحقوق المواطنين السياسية متوازنة مع تحقيق العدل الاجتماعى ، فالغاء الاستغلال والتأميم الشامل لوسائل الانتاج هو وحده الذى يكفل المساواة ، وربط أنصار هذه المدرسة بين الحرية السياسية لكل المواطنين ، وبين التقدم الاجتماعى ، وبهذا - وحده - لاتصبح الديمقراطية - كما يقول أنصار هذه المدرسة - مجرد مشهد سينمائى يؤدى مرة فى كل عملية انتخابات ، ثم تنقطع صلة المواطنين بادارة شئون حياتهم حتى موعد الاقتراع القادم . □

حكمــــة

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فقد جعل الله لك أذنين وفماً واحداً ، وذلك لتسمع أكثر مما تقول .

بداية عصر استعمار المجرات الفضائية

اعداد : الدكتور مازن المغربي

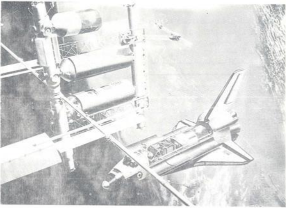
ان تصدير محاسن حضارتنا الى مايقرب من مائتي مليار نجم ليس بالامر الهين ، فالمسافات بين الكواكب المختلفة هائلة جدا ، وستستغرق كل رحلة بـاتجاه نجم مـا ، عشرات بل المئات من السنين ، وهذا يعني أن الذين يسعون جاهدين الى استعمار الفضاء لن تتاح لهم الا رحلة واحدة محددة ، وستكون رحلتهم هذه بلاعودة .

بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢١ وطأت أرض القمر ، أقدام ثلاثة من معاصرينا ، عندها قرر سكان الأرض من الذين انهكهم السفر في رحلات مابين الأرض والفضاء ، ايجاد موطىء قدم ثابت لهم في الفضاء .

لم تؤيد الفئات العسكرية الأمريكية هـذا المشروع ، لأنها أيقنت ان مثل هذا المركز سيكون عرضة للهجمات المعادية . ولم يتم تبني هذا المشروع . الا بعد تدخل شخصي من الرئيس ريغان ، وعلى اثر ذلك تبنت السلطات العسكرية الأمريكية المختصة موضوع اقامة المحطة المدارية (بالرغم من أن ذلك يعتبر من الحلول العملية) ومن المفترض أن يتم تحقيق هذه المحطة عام ١٩٩٢ ، وذلك على بعد (٤٠٠) كم من سطح الأرض وستكون هذه المحطة عبارة عن مركز لمراقبة الكون ، ويحتوي هذا المركز على مصنع ومختبر للأبحاث ، وقاعدة لتدريب المهيئين لاستكشاف الكواكب الأخرى في المستقبل ، اضافة الى اقامة محطة لارسال

---

* عن مجلة العلم والحياة للكاتبة آنا آلتر



محطات فضائية تمهداً لاستعمار المجرات

مجسات ذاتية الحركة ، الى نجوم أخرى ، وستشكل هذه العملية الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح ، لكن هذه العملية مكلفة جدا ، اذ ستصل نفقاتها الى مايقرب من ثمانية مليارات من الدولارات ، ويضاف الى هذا المبلغ نفقات الصيانة ، وهذا يعني رصد اعتمادات سنوية تقدر بمئات الملايين ، ولمدة لاتقل عن عشر سنوات .

التعاون مع الحلفاء

كانت الولايات المتحدة تأمل ألاتكون هي وحدها المسؤولة عن تمويل هذا المشروع فقد اقترحت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) منذ عام ١٩٨٤ ، التعاون مع الحلفاء في الاسهام بالنفقات على ان تتحمل اليابان مبلغ مليار دولار ، وأن تتحمل دول أوروبا الغربية ملياري دولار ويبدو أنه لم يحسب ادخال السوفييت في هذه العملية . . . ! لكن الجميع يعرف ، أن السوفييت جادون في اقامة محطتهم الكونية النموذجية الخاصة بهم وذلك قبل اطلالة عام ٢٠٠٠ .

لم تهدف الرحلات المطولة لساليوت (٧) ، الا الى التحضير الأرضي لانهاء صنع الصاروخ العملاق الذي سيرسل الى الفضاء . مع نماذج أكبر بكثير من الساليوت ، أظهرت اليابان حماسها للمشروع الأمريكي منذ البداية ، كذلك فعلت كندا ، الا أن دول أوروبا الغربية بقيت وحدها الجهة المتحفظة ، اذ كان لديها مشروعات أخرى ، وقد دافعت فرنسا عن البرنامج الهادف الى تحسين صاروخ اريان القادر على قذف رجال الفضاء الموجودين داخل المركبة الصغيرة هرميس .

أما ألمانيا الغربية فكانت تتمنى تطوير مختبر فضائي أدبي اطلق عليه اسم (كولومبوس) وباختصار نقول : ان أوروبا الغربية تريد الاحتفاظ باستقلالها في مجال الفضاء ، ولكن ، وبعد أشهر معدودة من التفكير ، وبعد بضع صفقات ، تساهلت دول أوروبا الغربية ، وبتاريخ ١٩٨٥/٦/٣ وقعت اتفاقيات بين وكالة الفضاء الأوروبية (E.S.A) وبين (ناسا)

ونصت هذه الاتفاقيات على تكليف وكالة الفضاء الأوروبية القيام ـ وعلى نفقتها الخاصة ـ بانجاز وحدة مكيفة الضغط ، قابلة للاستعمال كمختبر فضائي ، أي المختبر (كولومبوس) . وذلك اضافة الى حامل عتاد ذاتي الحركة وغير مسكون ، أي مخزن عتاد وعربة خدمة ، مع وحدة تغذية مجموع وحدات المحطة الفضائية بالطاقة (كهرباء ـ تبريد ـ محروقات) .

الميكروجاذبية

عندما تكون محركات المحطة الفضائية مطفأة ، تتصرف كجسم في حالة قصور ذاتي ، خاضع فقط الى قوة الجاذبية ، وتدور حول الأرض ، وكتلة المحطة ضئيلة جدا ، بحيث لاتشكل قوة جذب محسوسة خاصة بها ، وتسير الأمور كما لو أننا نقوم بعملية سقوط حر ، في قفص المصعد ، وتكون موجودات المحطة كمثل أشخاصها في حال انعدام الوزن .

وفي الواقع ، لاتتوازن قوى الجاذبية ، مع القصور الذاتي بشكل دقيق لأسباب عديدة ، وخاصة مايتعلق بتنقلات الركاب ، وحركة المركبة نفسها ، التي تسبب باستمرار حدوث تسارعات مشوشة ، ولهذا يفضل المختصون استعمال تعبير (ميكرو جاذبية) بدلا من تعبير (انعدام الوزن) .

وسيعمل الاشخاص الستة أو الثمانية ، الذين سيتناوبون باستمرار بالوجود في المحطة وذلك بعد اعتيادهم على الميكروجاذبية في مخبر واسع بشكل نسبي ، تحت ظلال سماء سوداء داكنة ، وفي ظروف بعيدة عن الاضطرابات الجوية .

وسيقوم الباحثون بدراسات فلكية في ظل أفضل ظروف ممكنة وسيتسنى لهم العثور على كواكب ، ان لم تكن مسكونة ، تكون على الاقل ، قابلة للسكن فيها .

ويستطيع الباحثون بعد تحررهم من الجاذبية الارضية ، مع امكانات توفر فراغ شبه كامل ، القيام بأبحاث على المعادن وفي مجال علم البلورة وفي الطب والصيدلة والبيولوجيا.. الخ .. وسيستفاد من هذه الأبحاث في الأرض ، كما سيستخدم البعض منها في ابحاث غزو الفضاء ، وتسعى كل من وكالتي الفضاء الأمريكية والفرنسية ، الى القيام بكل مايجعل الاقامة في المحطة الفضائية ممتعة للرجال والنساء الثمانية ، الذين سيشاركون في الاقامة ، وتكريس النفس للعلم والتقدم .

عادات الفضاء وعادات الارض

لكن توفير الراحة العصرية على ارتفاع (٤٠٠ كم) من سطح الأرض يطرح بعض المشكلات مثل الفروق الحرارية الكبيرة ، اضافة الى عدم وجود ليل أو نهار ولافوق أو تحت ، وأية حركة خاطئة ستقذف بمرتكبها نحو الحائط . . . ! وحتى أن مجرد الجهد المبذول خلال عملية استعمال سكين ، ستؤدي في حالة فقدان الحذر الى نتائج غير منتظرة ، كما أنه لاتوجد أية أسباب لكي يبقي الشيء الذي نضعه في مكان ثابتا في مكانه ، اضافة الى ان الأغذية ستلتصق بالشوك وستتحول السوائل الى كرات ، حتى عملية البلع ستتطلب مهارة فائقة ووفقا لتعابير رجال الفضاء ، وكأنك على الأرض تأكل ورأسك باتجاه الأسفل ، يضاف الى ذلك ضرورة العيش ضمن نطاق محصور ، والاختلاط القسري مع بقية المشاركين ، مما يؤدي الى مشكلات نفسية واجتماعية ، وتحاشي هذه المشكلات ، يرتكز على التدريب المستمر على احترام الآخرين مع محاولة الحفاظ ، قدر المستطاع ، على العادات الأرضية ، ويشمل هذا عطلة نهاية الأسبوع . وتشتمل ساعات العمل على أوقات فراغ ، وتعبأ بالتمرينات الجسدية ، وبالالعاب والقراءة ، ومشاهدة التلفزيون ولعب كرة الطاولة . . الخ . . ، وحتى عملية التغذية لن تكون بدون نكهة ، وسيتم الاستغناء عن الأغذية المسحوقة الموجودة فى أنابيب الالمنيوم وكذلك عن الوجبات المقطعة والمغطاة بالجيلاتين .

أما وسط الحياة فسيكون قريبا من جو الأرض ، اذ ستتراوح الحرارة بين (١٦° ـ ٣٢°) ، ولتوفير الوزن سيتم نزع ماء نصف الأغذية ، مثل البيض المسحوق والهليون والدجاج الرومي ، في حين سيكون البعض الأخر من الأغذية ملفوفا بصفائح المنيوم ومحفوظا .

على سطح الأرض يبقي الدم في الأطراف السفلية بفضل الجاذبية ، وآلية توزيع الدم ، تعمد الى توزيعه على سائر الجسم بشكل متساو ، وفي غياب الجاذبية ،

تسير الأمور كما لو ان آلية التوزيع تسير بشكل غير متوازن ، وهذا يؤدي الى صعود الدم الى الرأس ، وهكذا يندفع من الدم كمية ليتر ونصف ليتر وحتى ليترين نحو قمة الجمجمة ، مما يؤدي الى ازالة التجاعيد والذقن المضاعفة ـ ان وجدت .

اذا كانت رائدة الفضاء شابة ، فان منظرها لن يكون أنثويا جميلا ، اذ أن وجهها سيكون منتفخا وأنفها محتقنا وجفونها ثقيلة وستصبح أطرافها المفرغة من السوائل أنحف جدا ، بحيث يصبح من الصعب عليها الوقوف ، وسيكون وجهها في استدارة البدر ، وسيقانها كأرجل الدجاج ، وعلى هذا الأساس ستفقد رائدة الفضاء كل جمالها وسحرها ، ومع ذلك تسعى الناسا الى تسهيل العلاقات المحتملة بين الرجال والنساء ، الذين يتراوح عددهم بين الستة والثمانية ، ويشكلون طاقم المحطة الفضائية ، وتقترح اخصائية علم النفس ، اقامة غرفة مغلقة ومعزولة أو وضع جدار متحرك لأن نسبة الرجال والنساء لن تكون متساوية أو ثابتة ، في المحطة الفضائية ، ومثل هذا النظام يتلاءم مع الأوضاع المحتملة .

القمر أول المستعمرات

ان أرض القمر غنية خاصة بالتيتان والسيليسيوم والألمنيوم ، والأوكسجين ، اضافة الى العديد من المواد الضرورية لصنع الياف الزجاج ، والعديد من هذه المواد سيكون مفيدا جدا بالنسبة الى مستعمري الفضاء ، وذلك لعزل مساكنهم ، اذ أن وضع المنازل في الأعالي ليس بالامر السهل فعلى الارض يقوم الحقل المغناطيسي بحرق معظم الجسيمات المشحونة بالكهرباء ، التي تقصف أعالي الجو باستمرار وذلك بحمينا من الاشعاع الكوني ودون هذا كانت الجسيمات ستدمر ترتيب الجزيئات ، ويشكل ذلك الخطر الجسيم بالنسبة للأنسجة الحية ، فكل جسيم كوني يعتبر خلية ، يشترك فيها أثر ذرة مشردة ، وتبعا لوضع هذه الذرات ، يمكن أن تكون النتيجة موت الخلية ، أو تسرطنها بسبب حدوث طفرة .

لقد تم تصور الطريقتين التاليتين للحماية من هذا الخطر في الفضاء ، وتنص الطريقة الأولى على خلق مجال جوي مغناطيسي صناعي ، من خلال توليد حقول مغناطيسية مكثفة حول المساكن الفضائية ، ولكن . . يوجد مساوىء عديدة لهذه الطريقة ، التي تتطلب تجهيزات هامة ، واستهلاكا كبيرا في الطاقة وهي غير قابلة للتحقيق ، لأنه في حالة ضعف أو قطع الحقل المغناطيسي لأي سبب من الأسباب فان الساكنين سيتعرضون للاشعاع بشكل كامل ، وذلك خلال الوقت اللازم لتحديد العطل والقيام باصلاحه .

اما الطريقة الثانية فهي بدائية ، لكنها اقتصادية وأكثر فاعلية ، وهي تنص على تغطية المساكن بمادة تمتص الاشعاع ، وذلك باستعمال طبقة ذات سماكة (٢م) من مادة قمرية تنزل الاشعاعات الى مقدار جرعاتها الأرضية ، ولايحتاج الأمر الى أية صيانة ولا الى أي استهلاك في الطاقة ، اضافة الى عدم حدوث أية أعطال . ونظرا لعدم توافر وسائل حماية بيولوجية من الاشعاع ، وهي الوسائل التي لم تتطور منذ (٣٠) عاما ، فان اللجوء الى هذه الطريقة (الطريقة الثانية) سيكون من أعمال الجهات المستعمرة للفضاء .

وسيتطلب انشاء الورشات على سطح القمر بضع سنوات ، وسيصل المستعمرون الأوائل مع حاويات مليئة بالمعدات ، مثل الجرارات وأدوات استخراج المعادن ، ومفاعل نووي صغير ، وستستخدم الحاويات الفارغة كأكواخ في الورشات والمشاغل ، ولكن سيتم اخفاء هذه الحاويات اتقاء للاشعاع الكوني ، وسيبدأ استثمار الأرض فور تشغيل المفاعل وتمديد الخطوط الكهربائية ، وسيقوم العلماء بصنع الزجاج والأسلاك الضوئية ، والمكونات الألكترونية ، وذلك من مادة السيليسيوم ، ويمكن توسيع المستعمرة بفضل وسائلها الذاتية ، وأن تزود نفسها بالالمنيوم والتيتان ويستعمل الأوكسجين المنتزع من التربة في خلق جو اصطناعي .

يبقى علينا ايجاد الممولين الذين يجب أن يكونوا من الأثرياء جدا ، اذ حددت لجنة الدراسات التابعة لجمعية عبر الكواكب البريطانية ، نفقات استطلاع أرض القمر بحوالي (١٦,٥) مليار دولار امريكي ، يضاف اليها مبلغ (٣٥,٦) مليار دولار لبناء القاعدة حيث يصل مجموع المبالغ اللازمة للمشروع حوالي (٥٢,١) مليار دولار أمريكي ، في حين أن هناك



القمر أول المستعمرات

تقديرات أخرى تتجاوز هذا المبلغ ، وتصل الى حدود (٧٠ ـ ٩٠) مليار دولار أمريكي .

مستعمرة المريخ

للوهلة الأولى يبدو كوكب المريخ غير مشجع ، فالحرارة فيه تتراوح بين (١٤٠°)و (٢٧°) وتقترب درجة الحرارة المتوسطة عليه من (١٠٠°) عند القطب و (ـ و ٢٠٠°) عند خط الاستواء ، او (ـ ، ٤٠°) في المناطق الوسطى ، والجو خانق ـ اذ يتكون من ٩٥٪ من غاز الفحم المشبع بالرطوبة ، والتراب جاف بشكل كامل ، ومع ذلك فان جو الكواكب بحد ذاته ، هو منجم ، ويكفينا أن نعرف كيفية استغلاله . ويدعم السيد توماس ماير ـ وهو كيميائي من فريق دراسة كوكب المريخ الموجود في جامعة كولورادو ـ المعلومات التي جلبتها المركبة الفضائية فايكنج .

ووفقا لهذه المعلومات ، فان بالامكان الحصول على (٥٠٠ غ) من الماء ، من خلال القيام بضخ (٩٠٠م ٣) من هواء المريخ ، أما التكاليف ، فلا تتجاوز ثمن زجاجة ماء معدني على الارض ، ولا يحتاج الأمر الى آلات معقدة ، بل يحتاج الى توربين يعمل بالطاقة الشمسية ، تتوافر فيه القدرة على العمل ، ضمن ضغط منخفض . والنقطة السوداء الوحيدة في هذا الاقتراح ـ هي أن المهندس لم يقدم بعد الرسوم التفصيلية لهذه الآلة .

أما العثور على هواء يمكن تنفسه والأغذية التي يمكن الاستفادة منها ، ويمكن حل هذين الأمرين ، من خلال ضغط هواء المريخ ، وسحب غاز الفحم منه ، نحصل على خليط من الأرغون والآزوت ، مع آثار من الأوكسجين ومن غاز الفحم ، وهذا الخليط ليس سليما بشكل فعلي ، لكنه ليس ساما ، ويمكن استخدامه كحاجز بين هواء السكن وبين الجو السام ، ويمكن الحصول على الاوكسجين من خلال تحطيم جزيئات غاز الفحم ، بطريقة (ساباتيه ـ ساندر) التي تعتمد على مجموعة تفاعلات كيميائية متسلسلة ، فثاني أوكسيد الكربون

عند تفاعله مع الهيدروجين يعطي أوكسيد الكربون والماء، ويمكن أن نحصل على الأوكسجين من تحليل الماء كهربائيا ، في حين نعيد الهيدروجين الناتج الى نقطة البداية ، ليتفاعل مع غاز الفحم ، وهكذا دواليك . .

مجتمع الفضاء

يتم في المرحلة الأولى جلب الطحالب ، ومستعمرات باكتيريات تبذرها في الكوكب ، واذا لم تنم فيمكننا حينئذ اطعامها للقادمين الأوائل بانتظار أيام أفضل .

وبتم في المرحلة الثانية ، نصب بيوت قابلة للنفخ تحت الضغط البسيط ، يقوم الرواد الذين أنهكتهم وجبات الطحالب والباكتيريات ، باستعمالها في زراعة الخضار ، والاستفادة من رطوبة جو المريخ ، ويمكن للخيمة البلاستيكية المنصوبة فوق حفرة طبيعية بشكل يسمح لها بالحفاظ على ضغط متوسط بين سطح الكوكب ، وضغطه المنخفض والمساكن مكيفة الضغط ، القيام بدور الحقل .

وفي المرحلة الأخيرة يتم اقامة نظام اقتصادي مصغر مع الهيئات المناسبة . ولكن ، بما أن تربة المريخ ليست مثالية للزراعة ، يتوجب علينا القيام بغسلها من المواد السامة التي تحتويها وهذه المواد يمكن أن تكون مفيدة لانتاج حمض الكبريت ، والاسمنت والجبس ، والزجاج . . الخ وهي المواد الضرورية للرواد .

وفي الواقع ، نستطيع انشاء صناعة صغيرة ، بالاعتماد على المواد السامة فقط ، وذلك باستخدام الكاربون المستخلص من غاز الفحم ومن المواد الكيميائية الاخرى ، نستطيع صنع الورق والبلاستيك والمطاط والصمغ والمتفجرات .

موجات الهجرة نحو الفضاء

من المقرر اجراء تجربة طيران بين عام ٢٠٤٥ وعام ٢٠٦٠ ، ولن تكون المركبة مسكونة ، وستتم الرحلة في الغالب وفقا لبرنامج (B. I. S. M.A) الذي وضعته مؤسسة (B. I. S. M. A .) وقد تم حساب كل شيء ، والهدف هو نجمة برنار الصغير ، والأضعف من الشمس بـ (٢٣٠٠) مرة ، وميزتها الوحيدة كونها تتبع خطا غير منتظم ، كما لو أن الكواكب تتجاذبها ، ونحن لم نشاهد هذه الكواكب بشكل مباشر . وهناك شك قوي في وجودها ، وهذه واحدة من الدوافع الكافية لمحاولة استطلاعها .

تستمر الرحلة حوالي (٥٠) عاما ، مع الهبوط لمرة واحدة ، بغية التزود بالوقود ، الوقود هو من نوع الهليوم ، الذي يقدم الطاقة اللازمة للصاروخ ، لينطلق في الفراغ بين الفلكين .

ونتصور أن أولى موجات الهجرة ستكون حوالي عام ٢٢٦٠ ، لأن الاستطلاعات ستؤدي حتما الى العثور على كواكب تكون مواردها وموادها ومصادر الطاقة فيها سهلة الاستخراج ، وسيقرر البعض ترك أولادهم فيها ، وسيغادر أسطول من المركبات الفضائية النظام الشمسي ، وستتابع الأجيال القادمة من البشر ، خلال مئات السنين ، اجتياز الصحراء الكونية ، وخلال رحلتهم ، سيتسنى لهم رؤية نجوم جديدة ، تظهر من اللانهاية .

وفي يوم جميل سيصلون الى العالم الجديد ، حيث سيتم لهم تأسيس أول المستعمرات في المجرة ، وسينتشر الجنس البشري ، وسيتكاثر ، وستقوم الأجيال الجديدة ، باستعمار نجوم جديدة ، وخلال (٣٠) مليون سنة ، ستكون المجرة مسكونة بالبشر .

ومن المؤكد انه خلال قرن من الآن ستعيش مجموعات بشرية على كواكب أخرى ، بعيدة عن الأرض ، أو ضمن مستعمرات فضائية ، وستقام هذه المستعمرات على النيازك ، أو حول القمر ، وفي كل مكان تكون فيه المواد الأولية سهلة الاستخراج ، وخلال عدة قرون نكون قد استثمرنا المجموعة الشمسية ، وستكون مزروعاتها ملكا لنا ، وسيتعلم الانسان كيف يتدبر أمره بعيدا عن الكوكب الأم وقد يضعف ارتباطه العاطفي بالأرض ولن يهمه مكان موطنه الجديد ، وهكذا يكون الانسان قد نضج للرحلات بين مجرات الفضاء . □

رؤية لقصيدة

أمضي كل الأيام

للشاعر الألماني : فريدريش هيلدرلين

بقلم : الدكتور عبدالغفار مكاوي

وهب الشعر كل شيء ، فأعطاه بعض أسراره الغامضة .

ثم لاح له الحب . . . فغرق فيه حتى الوهم . . . ثم الجنون . . . !

انه الشاعر الألماني فريدريش هيلدرلين وهذه دراسة لجانب من أشعاره وحياته .

أمضي كل الأيام على درب غير الدرب ،
حينًا للشجر الأخضر في الغابة ،
حينًا آخر للنبع ،
للصخرة حيث الأزهار مفتحة الأكمام ،
أنظر من فوق التل إلى السهل ،
لكني لاأجدك أبدا ياحبي ،
في أي مكان لاأجدك أبدا في النور ،
تتطاير مني الكلمات وتذروها الأنسام ،
كلماتي الطيبة وكانت فيها مر من الأيام . .
حقًا ، أنت بعيد ، ناءٍ ياوجه النعمة
يخبو نغم حياتك
وأنا لاأملك أن أنصت . .

يا أيتها الألحان الساحرة الصوت ،
يامن أفرغتِ على قلبي الراحةَ من نبع الخُلْد
طال العهد وغاب . شب الولد وشاب .
حتى الأرض - وقد كانت تبسم لي -
عابسة الوجه .
الآن أقول وداعا ، عيشي في خير .
روحي كل نهار ترحل عنك ، تعود إليك ،
عيني تبكيك ، تريق الدمع
تتمنى يوما أن تَصْفُوَ كي ترنو لك
فتراك هناك وتهنأ بك . .

* * * *

هذه أغنية لم تتم . فقد اختنقت في صدر الشاعر مع غُصّة الفراق ، إنه يتلفت بقلبه وعينه إلى حيث تقيم المحبوبة ، ولكنه لايستطيع أن يخدع قلبه ولا عينيه عن بُعد الشاطىء واستحالة اللقاء ، ومع ذلك فهو لايزال يناجيها ويتعلق بها كما يتعلق الغريق بطوق النجاة وكيف يصدق أن حبيبته « ديوتيما » التي جسدت حلم حياته بالجمال الاغريقي وعالم النورانيين ، بل أوشكت أن تتمثل أمامه واحدة من تلك القوى العلوية التي طالما حَنَّ إليها واشدها العودة إلى الأرض المعذبة والبشر الفاني ـ كيف يصدق أنه حُرِم منها الى الأبد ، وأنه سيَهيمُ بعدها كما تهيم الظلال :

أنت يامن أشرتِ لي قديما وأنا على مفترق الطرق
يامن علمتني بصمتك وأوحيتِ لي في هدوء
أن أرى العظمة . .
هل تتجلين لي وتحيينني كما كنتِ تفعلين ،
وهل تلهمينني الحياة والسلام من جديد ؟

هل ستفعل « ديوتيما » ذلك حقا ، فتدب فيه الحياة ، ويحلق جناحاه ، ويهتف بفرحته لعودة الربيع واخضرار الأرض ، أو تتركه في يأسه وحيرته ، يحاصره شتاء الاكتئاب ، وتُطبق عليه جدرانه المظلمة الخرساء ، في سجن الجنون الذي سيبقى فيه طوال الأربعين سنة الأخيرة من عمره ؟

لكن من هذه المحبوبة التي أطلق عليها الشاعر اسم الكاهنة الاغريقية القديمة « ديوتيما » التي أجْرى أفلاطون الحكمة على لسانها في محاورة « المأدبة » وجعلها تُعلِّم سقراط ما لم يكن يعلم من أسرار الحب الفلسفي ؟ ومن هذا الشاعر الذي ساقه القدر إلى طريقها كما ينساق الحالم في النوم ، واندفع اليها حين تصور أن الرؤيا والنبوءة تتحققان .

إنه فريدريش هلدرلين (١٧٧٠ ـ ١٨٤٣) الذي وهب الشعر كل شيء ، فأعطاه بعض أسراره الغامضة ، شاعر الغربة الذي عاش غريبا في عصره وبين أهله .

تلاقي الفلاسفة

ولد هيلدرلين في العشرين من شهر مارس سنة ١٧٧٠ م في بلدة « لاوفن » على نهر النيكر في منطقة « أشفابن » المعروفة بغاباتها وجبالها الغامضة التي غرست في سكانها حب الوطن والحنين الدائم إليه مثل حنينهم الصوفي إلى عالم مثالي موغل في البعد والخفاء والطموح . .

مات أبوه وهو طفل صغير ، وتردد على مدارس الأديرة قبل أن يدخل المعهد الديني في مدينة « توينجن » تحقيقا لرغبة أمه الطيبة المسكينة واحتمل مرارة الحياة الخشنة الصارمة بين جدران هذه الزنزانة اللاهوتية التي تعرَّف فيها على صديقي صباه وفيلسوفي المثالية الالمانية الكبيرين « هيجل وشيلنج » . . ولم تلبث الصداقة والمحبة أن جمعت بين الثلاثة . . كما جمع بينهم الطموح الى عالم مثالي تتحقق فيه الحرية ويتم الخلاص من الظلم والركود والاستبداد الجاثم على صدور أبناء شعبهم وصدورهم . . واشترك الأصدقاء في قراءة أفلاطون وروسو وشيلي واسبينوزا الذي عبَّرتْ الكلمة اليونانية القديمة « الواحد والكل » عن مذهبه في وحدة الوجود ، وأثَّرت بعد ذلك على حياة هيلدرلين ، وكان من الطبيعي أن يتأثر الشاعر مع شباب جيله بالثورة الفرنسية التي تأججت نيرانها فجأة فبدت كأنها فجر الخلاص والأمل في الحرية والتقدم والكرامة ، وأن يتأثر كذلك بحركة بعث الروح الاغريقية ومحاكاة روائعها محاكاة خلاقة ، وكان مؤرخ الفن القديم « فنكلمان » هو باعث هذه الروح التي تمثلت فيها « البساطة النبيلة والعظمة الساكنة . . » ، ثم ازدهر الأدب والفلسفة الألمانية على يد « ليسنج » و« هيردر » وكانط وجوته وشيلر فأمدتها بدماء جديدة وأكدت مثلها الأعلى الذي تراءى لعيون هذا الجيل ، وهو الانسان الحر الجميل ، المتحد بالطبيعة والأبطال الأسطوريين في وحدة حية متجانسة لم تجرب التمزق والتصدع الذي كانوا يعانونه . وقد كان هلدرلين أكثر أبناء جيله انفعالا بهذا العالم المقدس الرائع وأشدهم حنينا اليه في كل أناشيده وأغانيه . . تغلغلت هذه الرؤية الدينية والكونية في أعماقه يوما بعد يوم ، وراح يغوص في متاهتها الباطنة ويستغرق في أسرارها مع كل تجربة جديدة تؤكد عجزه واخفاقه في الحب والحياة ومع كل يوم يزداد بعدا عن الوعي وعن الناس ، ومع كل عذاب تزداد لغته تكثفا وغموضا ، وتشتد قسوة قدرة المعذب الوحيد فينحني له راضيا

ومطمئنا ، وتستجيب له نفسه الوادعة في خشوع وانكسار : « أيتها الروح : أيتها الروح : أنت يا جمال العالم : يامن لا تتحطمين أيتها الساحرة الفاتنة بشبابك الأبدي : أنت حية باقية ، وما الموت وكل عذاب البشر اذا قورن بك ؟ آه : كثيرة هي الكلمات الجوفاء التي صنعها هؤلاء المدهشون ، ومع ذلك فكل شيء يصدر عن الفرح وينتهي الى السلام . وما مظاهر الشذوذ في العالم الا كالخلاف بين الأحباب ، إن الصلح قائم في قلب التنازع والشقاق ، وكل ما تفرق سيلتقي من جديد . والشرايين تتشعب ثم تعود فتصب في القلب ، وتظل الحياة الواحدة الخالدة المتوهجة هي الكل » . .

بين المهانة والصبر

تخرج هلدرلين من المعهد الديني سنة ١٧٩٣ وقرر أن ينفض عنه أغلال اللاهوت والوظائف الكنسية ليتفرغ لموهبته الشعرية واضطره ذلك أن يعيش عشر سنوات مليئة بالحرمان والسعي الخائب من بيت الى بيت في سبيل لقمة العيش ، وكانت مهنة التعليم وإعطاء الدروس الخاصة لأبناء الأسر الثرية هي الباب الوحيد الذي يمكن أن يطرقه المثقفون والأدباء الذين يعز عليهم في كثير من الأحيان أن يتحملوا المهانة والهوان ، ويعاملوا معاملة الخدم والأتباع . وتوسط له الشاعر « شيلر » للعمل في أحد هذه البيوت المرموقة التي كانت على صلة بالحياة الأدبية . ولكنه أخفق في مهمته التربوية ، وتأكد له اخفاقه في الحياة العملية عندما حاول بعد ذلك أن يستقر في مدينة « يينا » ويعمل بتدريس الفلسفة في جامعتها . وتبين له عجزه عندما سعى للاتصال « بفختة » رائد المثالية وباعث القومية ـ والتقرب من « جوته » أمير الشعر وعملاق الأدب ـ فتجاهله الفيلسوف وأعرض عنه الشاعر الأكبر ولم يستطع أن يقدر موهبته التي اتهمها بالغموض والاضطراب . ولم يبق له غير مواطنه شيلر الذي كان مثله الانساني والشعري الأعلى . وقد أشفق عليه الشاعر في البداية ورعاه ، ونشر له الصيغة الأولى من روايته « هيبريون » في مجلة « ثاليا » التي كان يصدرها ولكنه لم يلبث أن ضاق به وانصرف عنه ، وكانت هذه التجربة من أمرّ التجارب التي ذاقها في حياته ، وعاد يجرب حظ المعلم الخاص البائس فالتحق سنة ١٧٩٦ ببيت رجل من رجال المال والأعمال والبنوك يدعى « جونتار » في مدينة فرانكفورت .هنالك لقي من المهانة ما لم تحتمله نفسه الحيِيّة الوديعة ، فصبر ثلاث سنوات على النزيف المستمر من جرح الكبرياء ، وقد عوضه القدر عن ذلك بالنعمة الوحيدة التي عرفها في حياته البائسة فأحب ربة البيت « سوذيته جونتار » وبادلته السيدة الرقيقة حبه ، ومدت يدها الحنون الى روحه الغريقة في ظلمات الاكتئاب ، ووجد فيها مثال الانسانية الجميلة الطاهرة .

كانت « سوذيته » مثال الجمال والانسجام والحكمة الذي طالما داعب أحلامه ورؤ اه ، وكانت هي الروح الاغريقية نفسها التي اشتاق اليها وانتظر ميلادها وتعزّى بها عن محنة وجوده وسط غابة الظلم والتجاهل والفساد والطغيان ، ولكنه اضطر أن يغادر البيت الذي تحققت فيه الرؤ يا ، غادره مهانا مدحورا ، وافترق عن المحبوبة التي لم تجد حيلة في الفراق ، فحبست حبها في صدرٍ عشّش فيه السل وافترس حياتها بعد ذلك بسنوات قليلة : ها هو ذا يناجيها بعد رحيله عنها في قصيدة عنوانها « ديوتيما » :

تسكتين وتصبرين ، وهم لايفهمونك
يا أيتها الحياة الغالية
تذبلين في صمت لأنك واحسرتاه
تبحثين عبثا بين البرابرة
عن أهلك في نور الشمس ،
عن تلك الأرواح النبيلة الحانية ،
التي ما عاد لها وجود .
غير أن الزمن يسرع الخطا ،
ولا زالت أغنيتي الفانية ترى اليوم
الذي تسميك فيه ، يا ديوتيما ،

لكن ديوتيما قد غابت عنه الى غير رجعة ، وصار الفراق عنها هو مأساة وجوده كله :

آه : أين أنت الآن ياحبيبة ؟
أخذوا مني عيني ، وقلبي فقدته بفقدها
لهذا أهيم هنا وهناك ،
مَقْضِيًا علي أن أعيش كما تعيش الظلال
وكل شيء يبدو بلا معنى . .

* * * *

طريق العذاب

بدأ الشاعر طريق العذاب ، لم يُعَزِّ قليلا في فراقه عن حبيبته ، الا قدرته على الحب والأمل والعرفان ، أي قدرته على قول الشعر . ففي هذه الفترة التي امتدت من سنة ١٧٩٨ حتى حوالي سنة ١٨٠٤ ـ ولم تكد تزيد على خمس سنوات ـ كتب عددا كبيرا من أناشيده الغنائية الكبرى ، وأتم روايته الوحيدة « هيبريون » وترجم مسرحيتي سوفوكليس أوديب ملكا وأنتيجونا وعددا من قصائد « بندار » الأوليمبية ترجمة شاعرية رائعة كما عكف على مسرحيته الشعرية « موت أنبا دوقليس » والواقع أنها ليست مسرحية تصلح للتمثيل ، بل هي قصيدة درامية عن ذلك الفيلسوف الطبيعي والكاهن والساحر والطبيب والمصلح الثائر الذي ولد في مدينة أجريجنت عاصمة صقلية حوالي سنة ٤٩٠ قبل الميلاد ثم طرده أهلها بعد أن أوشكوا أن يُؤَلِّهوه ويتوجوه على عرش مدينتهم ونسجوا عن موته تلك الحكاية العجيبة التي ألهمت العديد من الشعراء .

فقد رووا عنه أنه ألقى بنفسه في فوهة بركان « أتنا » وترك حذاءه بجانبها ليدل على موته أو انتحاره الأعجب . . هل استجاب الفيلسوف لنداء الأرض الأم ، أم لجأ الى حيلة ماكرة أراد منها تخليد اسمه وذكره ؟

لقد كتب عنه هلدرلين إحدى قصائده قبل أن يكتب المسرحية ، وهو يمجده فيها ويتمنى لو يتبعه إلى أعماق الأرض لولا أن قوة الحب تمنعه :

أنت تبحث عن الحياة ، تبحث عنها فتنبثق وتلمع
نار الهية من أعماق الأرض ،
وأنت بالشوق الواجب
تلقي بنفسك في لهيب « أتنا » ،
لكنك مع هذا مقدس عندي ،
مثل قوة الأرض التي اختطفتك ،
أنت أيها المقتول الجسور ،
ولكم تمنيت أن أتبع البطل الى الاعماق
لولا أن الحب يمنعني . .

* * * *

لكن الحب ومعه الرؤيا والتجربة الكبرى أسلماه للانتحار البطيء بسم الاكتئاب ، يفترسه ليل نهار ، وبعد أن كان هبوط الفيلسوف القديم في فوهة البركان تكفيرا عن ذنبه عندما وضع نفسه في مصاف الآلهة : أصبح في الصياغة المتأخرة للمسرحية تعبيرا عن شوق صوفي الى رحم الأرض وحنيناً الى أحضان الطبيعة المباركة والأصل المقدس :

عندما ينوح الآن قلب الأم ،
في وحدته الأليمة ،
وتنشر الأم المظلمة
ـ وهي تذكر الاتحاد القديم ـ
ذراعيها الثارية للأثير ،
ويأتي ملك الشمس في هالة اشعاعه
هنالك نغوص في اللهب المقدس
علامة على قرابتنا له .

وبدأ هلدرلين يغوص في هاوية اللهب الأسود المقدس وراح الاكتئاب المميت يحاصره من كل ناحية ويضطره للتسليم . ولكم حاول أن يتشبث بذكرى الحب ورؤياه الشعرية لتحميه من السقوط . وأخذ يناجي القوى السماوية ويستنجد بها من لعنة الوحدة التي تطبق عليه :

بلا قدر ، كالرضيع النائم
يتنفس المخلصون
أعفاءً مَصُونين
في البرعم الطيب .
تزدهر أرواحهم أبدا
وعيونهم المباركة
تظل في هدوء وصفاء خالد .
أما نحن فكتب علينا
ألَّا نهدأ في موضع
والبشر المعذبون
يتلاشَوْن ، يسقطون
كالعميان من ساعة لأخرى
كما تندفع المياه على مر السنين
من صخرة لصخرة
الى الهاوية الغامضة . .

الطريق الى الهاوية

أخذ الشاعر يندفع الى الهاوية الغامضة التي لن

يخرج منها . وبدأت ظلال الجنون تلتف حوله يوما بعد يوم . وعاد يهيم في البلاد بحثا عن لقمة العيش فعمل فترة قصيرة في سويسرا ثم هجرها وقام برحلته الأخيرة الى مدينة « بوردو » الفرنسية ليتولى تعليم أبناء القنصل الألماني المقيم فيها . ولكنه لم يلبث أن ترك عمله وعبر الحدود على قدميه حتى وصل الى وطنه وقد ظهرت عليه امارات الاضطراب النفسي والعقلي .

هل انفجر فيه جرح الحب الذي ظل سنوات ينزف في صمت ؟ وهل تأكد له أن العالم الذي يحيا فيه قد صار حطاما لاموضع فيه للتجانس والجمال ، لقد صور له الأمل أو الشعر أنه يمكن أن يحلم على الرغم من قسوة الواقع ، وأن يتحدى القبح المتفشي من حوله .

ولهذا يسأل ولِمَ الشعراء في الزمن الضنين ؟ وكأنه قد تشكك في جدوى الشعر والشعراء في زمن المحنة ، بعد أن آمن بهما من قبل وقال بيته المشهور :

وما يبقى يؤسسه الشعراء . .

* * * *

لا لم يعد في طاقته أن يأمل أو يتشبث برؤياه ، فقد حاصره الشتاء وهاهو ذا يعلن صرخته للريح :

وَيْلي . . لو جاء شتاء
أين سأقطف أزهاري
وألاقي نور الشمس
وظل الارض ؟

تبدو الجدران أمامي
باردة خرساء
والرايات ترفرف في الريح . .

كان المريض الذي عبر جبال الألب على قدميه قد لجأ الى أمه وعاش معها في بلدته الصغيرة « نور تنجن » حتى سنة ١٨٠٤ . لكن المرض ألحّ عليه فغادر البيت وعاد يتنقل بين البلاد حتى استقر في مصحة الأمراض العقلية في مدينة « توبنجن » ، ولما يئس الطب من شفائه تسلمه نجار طيب يدعى « تسيمر » وآواه في بيته فعاش فيه نصف عمره الأخير أشبه بالظل الهادىء والشبح الهائم في الليل الطويل :

ما عاد صوت يتردد من أجلك
أنت أيها الرائي المسكين !
عينك المشوقة تنطفىء
والنعاس يجرفك الى الأعماق
فلا يذكرك أحد ولا يبكيك إنسان . .

* * * *

وأقبل الموت فخلصه من حلمه أو من رؤياه في اليوم السابع من شهر يونيو سنة ١٨٤٣ وتمت دورة الحياة التي غناها قبل ذلك بأكثر من أربعين عاما :

تطلعت روحي الى السماء
غير أن الحب جذبها إلى الأرض
والعذاب قهرها بقوة
هكذا أعبر قوس الحياة
وأعود الى حيث جئت . . □

تحملها يا أخي

جاء رجل الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته السيئ ، فسمع الرجل امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها ، وعمر ساكت ، فانصرف الرجل لما وجد هذا التطاول من زوجة عمر على عمر ، فناداه عمر قائلاً : « ما حاجتك يا أخي » .

فقال الرجل : جئت أشكو اليك استطالة زوجتي علي ، فسمعت زوجتك كذلك . فقال عمر : « لقد تحملتها لحقوق لها عليّ ، فانها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي ،وليس بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام » . فقال الرجل : وكذلك زوجتي فقال عمر : « فتحملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة والعهد قريب » .

شيء غير الوجع

قصة قصيرة بقلم : ليلى العثمان

كانت تراودها فكرة واحدة وهي تقف وسط الضجيج ، عيناها تتركزان على الطفلة ذات الشعر الناعم وهي تجلس داخل المقعد الحديدي ، وهو يحضنها بذراعه وترتمي برأسها على صدره .

العالم كله يعوي بأصوات المكائن والألعاب ، وتتلاطم أصوات الناس حولها ، والعروسة تفتح أذرعها عملاقة ، يحمل ذيل فستانها المقاعد الحديدية .

تتراكض الأقدام وقلبها يتراكض نحو وجه الطفلة ، يتسابقون كل يبحث عن مكان ، الكبار قبل الصغار ، ويفرحون اذ تستقر مؤخراتهم داخل المقاعد ، بينما تتحجر أو تنحدر دمعات من عيون الأطفال الذين ارتدوا خائبين وفي قلوبهم سباب مكتوم .

عيناها على الطفلة ، من بين الأصوات والصخب المتناثر في المكان يرتفع صوتها عاليا :

ـ شد عليها . . انتبه .

يهز رأسه ويبتسم ملوحا بيده ، تفهم أنه يطمئنها ، لكن الفكرة بدأت تتوغل الى رأسها ، فتحس ضربات قلبها تتزايد . .

« ماذا لو . . ماذا لو . . لو !! . . . لو !!!

الجرس يصرخ معلنا بداية الشوط ، العروسة تدور . . تدور . . ذهنها يدور ولا يستقر ، والفكرة مثل نحلة مجنونة تطن في رأسها ، كلما ارتفعت مقاعد العروسة شيء يرتفع ، شيء يهبط ، الأدوار تتبادل ، وهي تتابع الفعل ، وتتلهف أن تأخذ الدائرة دورتها ، لتلمح وجه الطفلة يتلاعب مع الدوران . . فوق . . تحت . . فوق . . يمين . . يسار . . وصراخ الفرح ممزوج بالخوف . . وصراخ الفكرة :

« ماذا . . لو . . ماذا . . لو . . »

صوتها يخرج من حلقها متسائلا :

ـ لماذا يأخذون أماكن الصغار ؟

ـ وأنت ؟

جاءها سؤال لم تتوقعه ، هزت كتفها دون أن تنظر :

ـ هِهْ ! ماذا ؟

ـ ألا تحبين الركوب في دائرة العروس هذه ؟

ـ أنا ؟

انتفضت . . هي أبدا لم تحاول طوال سنوات عمرها أن تركب لعبة من الألعاب ، رغم كل اغراءاتها ، هي لاتكرر ألما جربته طفلة .

يزوغ ذهنها . . يتمرد على لحظة القلق ويسافر . . تتذكر ، كانت تحسب دائما أن الماضي يذوب مع حركة الأيام وارتجاج الليالي ، كما يذوب الملح في الماء . . لكنه ها هو . . يبقى خامدا ، وما ان تسنح له الفرصة حتى يستيقظ ويعيد ذكرى عام . . شهر . . أو . . يوم . .

كان ذلك نهار يوم الوقفة ، وكان الصبي مسعود

يهش الخراف ، فتندلق داخل البيت يسبقها صوته :

ـ خرفان الأضاحي .. واحد .. اثنان .. أربعة .. خمسة ..

الخراف تتراكض وتتوزع في الحوش الكبير ، بعضها يلهث ، وبعضها يتبرز ، وبعضها يأكل أطراف الحُصُر وهدب السجاجيد .

ـ هش .. هش ..

أختها تهش الخراف حتى حوش المطبخ ، ومن هناك الى باب الكراج الكبير الذي نصبوا في ساحته أرجوحة الحبال .. ووضعوا الخيش القديم وسادة للجلوس .. أخوتها يتصايحون ويلاحقون الخرفان ، ويغنون أغنية الفرح بقدوم العيد ..

« باكر العيد ونذبح بقرة .. نادوا « بوسعود » كبير الخنفرة » وهي تعابث الأرجوحة، تحاول أن تعتليها ، لكنها لاتجرؤ ، حتى أقبلت أختها الكبيرة ، وبابتسامة ماكرة سألتها :

ـ ها .. تركبين « الديرفة » ؟

فرحت غير مصدقة ، أختها تعرض عليها هذا وترفعها وتجلسها على « الخيشة » ثم تبدأ تهزها .. تعلو .. تهبط .. رويدا .. رويدا .. سريعا سريعا .. فوق .. تحت .. تطاول السماء فتخشى أن تسقط على رأسها الشمس والقمر والنجوم . وصرخت :

ـ يكفي .. يكفي .. أنا خائفة .

لكن أختها لاتولي فزعها اهتماما ، تستمر في أرجحتها ، وكان آخر ما تذكره انها كانت تطير في محيط ليس له مدى .

عندما استفاقت كان يوم العيد أمام بصرها متشحا بالسواد .. ورأسها ويدها مربوطان بأقمشة بيضاء ، وفي الكراج رأت دمها ممتزجا بدم الأضحيات .

فبكت وحيدة .. وحلفت ..

عيناها مشغولتان .. متحركتان .. دامعتان .. والفكرة اللئيمة تطرق أبواب رأسها .

« ماذا .. لو .. ماذا لو .. »

الطفلة سعيدة .. يتطاير شعرها كما يتطاير قلبها ، وهي تتابعها كلما اقترب مقعدها من الأرض ، وحين تطير تشعر وكأن قلبها انخلع وطار معها ، وتقذف صرختها في كل مرة :

ـ انتبه .. شد عليها .

هي تدرك أن صوتها لايصل ، بل يضيع ويتبعثر مع زحام الأصوات الأخرى أصوات الألعاب ، والمغنين من الفرق الشعبية ، وموسيقا فرقة الجيش ومزامير الاحتفال الوطني الكبير ، وصوت السماء ترسل رعودها بين لحظة وأخرى ، منذرة بهطول المطر .. والعروس تدور .. تدور .. تدور ، شعرت بدوخة غريبة ، وأمامها تراقص شيء ما كالغمامة السوداء . قاومته لتركز النظرة على الطفلة ، لكن أزيز الفكرة ظل يخدر جسدها .. « ماذا لو .. ماذا لو .. » .

فجأة ! تطير الطفلة في الهواء ، تسقط على قضيب الحديد الجارح .. وينفصل الرأس ، فتطلق صرخة موجعة مزقت صخب المكان وتهاوى أمامها كل شيء .

قال لها المحقق :

ـ استجوبنا الصبي فاعترف بأنه ألقى بأخته متعمدا .

رفعت وجها سابحا في برك الدم ، ورفعت كفين مهزومتين ، كل شيء فيها يبكي وينزف ، والذراعان ترشحان عرقهما المالح وتصرخان :

ـ لا .. لا .. لم يفعل .. أنتم تكذبون .

ـ لقد أكّد لنا .

رفست اصرارهم وصرخت :

ـ أرفض هذا .. مهما قلتم لن أصدق .. هي أخته .

دنا المحقق منها .. لامس كتفها علّه يوقف ثرثرة جسدها المهتز بعنف :

ـ ياسيدتي قال ان أمه قد حرضته .

ـ هذا كذب ، أمه لاتعلم أنني سآتي بهما الى حديقة الشعب .

ـ الولد قال انه يكرهها ، يغار منها .

ـ هو يكذب انه يحبها ، هو يأتي لها بالألعاب والبالونات في كل مرة يأتي لزيارتنا .

صرخ المحقق في وجهها :

ـ الولد يكرهها .. وتخلص منها .. أليست أخته من أبيه ؟

تهدج صوتها مصرا :

ـ لا .. لا مستحيل ألقت برأسها على صدرها ، تخوم من الآلام .. ماذا تحتمل ؟

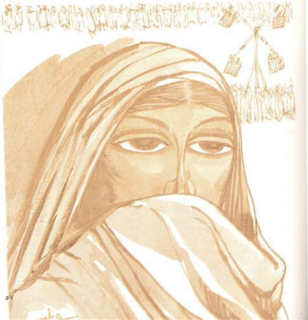
ـ

فجيعتها بموت الصغيرة ؟ أم فجيعتها في الصبي الذي تحبه ؟ هل يعقل أن يكون قد . .

ذاكرتها لاتخرس . . والزمن البعيد بَحّار عنيد لايهدأ زورقه ، يأتيها عبر موج الذكريات المتلاطم ، ومعه يحمل وجه أختها من أبيها .

عندما انفصل والدها عن أمها وسحبها كنعجة الى بيت زوجته القديمة وابنتها ، كانت طفلة تبحث عن محطة زاخرة بالأمومة ، لكنها لم تجدها ، وظل ارتحالها عبر سنوات القهر ، والألم .

« كانت تكرهني . . تغار مني ، حتى من جدائلي الشقراء ، لقد قصتها أكثر من مرة . . ولوحت بها في الهواء فتناثرت كأشعة شمس منتحرة حزينة ، كانت تغار من وجنتي المتوردتين دائما ، رغم وسائل التجويع التي تمارسها ، كانت تكويني بالنار ، وترشقني ببصاقها المر ، فيجف على وجهي البريء منه حبيبات كريهة لاأجرؤ على مسحها بكُم ثوبي ، وعندما أرجحتني في « الديرفة » كانت تقصد قتلي . لقد فعلت وألقت بي من الأرجوحة الى الأرض المكتظة بالحجارة والمسامير الصدئة ، وبقايا الأثاث والأبواب القديمة ، لكن عمرا جديدا تحداها ، وعشت لأحمل جروحي وحدي ، تلك الجروح التي علمتني أن الحياة قاسية ، لايجب أن أطمئن اليها ولا آمن ، فالجرح النازف غدير لايجف . . والغدر وصمة في نفوس الضعفاء ، فلم لا أصدق ان الصبي فعل مافعلته أختي بتحريض من أمه . . لم لا . . لم لا . . » .



ارتعدت . . رفضت حديث النفس ، وانهمار الذكريات المرة تعصر فؤادها ، وتعصر ذهنها حتى يضيق . . يضيق وتسيطر عليه الفكرة العمياء . .

رفعت وجهها الى المحقق بصقت بنظرة حادة واثقة صفحة وجهه الطويل :

ـ لا . . هـو لم يفعـل . . أنت كـذاب . . كذاب . . كذا . .

امتدت يده الرفيعة الأنامل . . رشقتها بكف . . حارّة على وجنتها فتابعت صراخها :

ـ لايفعـل . . لايمكن . . لاتكن كلبا يعض في براءة صبي أحبه .

جاءتها كف أخرى أكثر حرارة . . تصدم وجنتها الثانية ،احتملتها، أحستها تشبه كف أختها الكبيرة .

« كم تلوثت وجنتاى بصفعات الكبار ، وكم دمعت عيناى ، كانت تثور غيرة أختي ـ البومة ـ فتنقض علي بمخلب من نار ، حتى يتفجر قلبي الذي مثل وردة ، لكني تحديت . . كبرت وأزهرت الصفعات وردا أحمر ، أولجت شوكة بعناد واصرار في وجه أختي الذي تـغـضن كبصقة خاثرة، ليست هذه أول كف . . ولن تكون آخرها . . الحياة مجموعة من اللطمات » .

آخ . . آخ . .

أنت أنينا نازفا . . دموعها تتراكض ساخنة على وجهها وحده ، صوتها كان يشع عنيفا ويصمم :

ـ لا . .

يتغلغل صوته اليائس الى أذنيها :

ـ اذن أنت مصرة على عدم تصديق ماأقول ؟

ـ نعم . . نعم بملء الفم والقلب . .

ـ سوف نأتي به لتسمعي بنفسك .

ـ ولن أصدقه أبدا . .

فتح الباب . . لمحت الصبي وهو يدلف ذليلا يدب دبيب نملة جائعة ، حفيف خطوته يطرق سمعها الشارد يصل اليها متكاسلا ، تحس باللحظة غير المرغوب فيها تطول،تتناسل . . تلد توائم أيام عصيبة ، يقترب . . عيناها مساحتان واسعتان للدمع ، للشفقة . . للألم . . وقلبها المثقوب يكاد يفرغ دمه كله . . ستموت . . هي حتما ستموت لو أن الصبي اعترف بأنه قتل أخته . تمنته أن يستعجل . . أن ينطق . . أن يخرس ألسنة اللهيب المندة من داخلها الى قنوات العين .

مدّت ذراعيها . . تصلبتا بانتظار أن يحط العصفور بداخلهما ، أن ينفض عن جناحه الخوف ، أن يفقس شيئا غير الوجع ، أن يجرر رأسها نهائيا من سواد الفكر . . ألا يغرس في جلدها حقيقة تكون بيوضا تفقس السرطانات التي لاعلاج لها سوى الموت .

صوتها المنكسر وذراعاها جسران يتوقف عليهما زمن خطوته ، وزمن اللحظة المرعبة .

ـ أنت .

خرج صوتها مجزوزا من دثاره القوي ، كما الهمسة الأخيرة لحظة نزع النفس يخرج السؤال المتردد . . فجأة . .

رأته ينهمر اليها . . يدفع بذراعيها بعيدا عن الطريق يسقط على صدرها ، يحاوط عنقها المرتعد ، يصك على شرايينه المتضخمة هلعا بحرارة . . وجب عنيفين . . ويدفن وجهه فيه ويتوجع :

ـ لم أفعل . . لم أفعل .

ـ أعرف . . لقد كذبت

ـ أردت أن أعرف هل تصدقين هذا أم لا ، هل حبك لي حقيقة أم مجرد كذبة ؟ اني أحبك وأحبها ، لم أفعل ، لقد سقطت رغما عني .

سقط عن جسدها الثقل الرازح ، شدت الصبي اليها أغمضت عينيها ودقات قلبها تعلو . . تعلو . . بشكل أشبه بالصراخ . . صراخ . . صراخ . . عواء لايهدأ وتفتح عينيها لتخرس الضوضاء .

ينتفض جسدها . الغمامة السوداء رحلت . هي مازال في موقعها واقفة بين الحشد والموسيقا والعروسة التي مازال تصعد وتهبط . . تصعد . . ووجه الطفلة يضحك ، والصبي يشد عليها كأنها حمامة روحه يخشى أن تطير .

ارتخت عضلاتها المتصلبة ، تأوهت ، لقد كان ذهنها يرحل في متاهات عجيبة ، بينما الغروب القادم مهرجان فرح يتناثر على جدائل السماء .

كل ماحولها فرح . . وعيد . . وعندما رن الجرس ، وتوقفت العروسة ، انخرطت الأجساد متلاحقة ، أقبل الصبي والصغيرة نحوها بانتشاء واضح ، ففاضت السعادة على أطراف وجنتيها ، ولفها توق لمعانقة الاثنين ، وحين فعلت كان العيد في قلبها أكبر من كل عيد . □

مسجد سالونيك

من ينقذه ؟

بقلم : الدكتور محمد موفاكو

سالونيك واحدة من المدن القديمة ، اذ يعود تاريخ تأسيسها الى سنة ٣١٤ قبل الميلاد . وقد قام بانشاء هذه المدينة حينئذ الملك المقدوني كاساندوس وأطلق عليها اسم زوجته . بنت الملك فيليب المقدوني وأخت الاسكندر المقدوني .ولكن بها مسجداً يشكو المصير الذي آل اليه ، فهل من مغيث ؟ !

تميز تاريخ سالونيك بعدم الاستقرار ، نتيجة لتعرضها للغزوات العنيفة من شتى الجهات ، وللكوارث الطبيعية (الزلازل) ، وانتقال حكمها من طرف الى آخر . فخلال القرنين السادس والسابع (٥٩٧ ، ٦١٧ ، ٦٢٦ ، ٦٧٥ ، ٦٨١) تعرضت سالونيك الى غزوات عنيفة من البرابرة ، ومن الاوار والسلاف ، وفي بداية القرن العاشر (٩٠٤) قام العرب المسلمون بأول محاولة لفتح سالونيك ، وقد خرجت هذه الحملة من جزيرة كريت ، التي كانت في ذلك الحين امارة عربية ، وبعد حصار قصير تم الاستيلاء على المدينة لفترة بسيطة فقط ، وخلال القرون الثلاثة اللاحقة استقرت سالونيك تحت الحكم البيزنطي ، الى ان سقطت الامبراطورية البيزنطية خلال الحروب الصليبية ، ففي عام ١٢٠٤ تأسست مملكة سالونيك اللاتينية ، الا أنها لم تستمر سوى فترة بسيطة (١٢٠٤ ـ ١٢٢٤) . ومنذ ذلك الحين بدا أن الامبراطورية البيزنطية ، التي برزت ثانية ، أصبحت عاجزة عن الدفاع عن هذه المدينة ، وخاصة أمام القوة العثمانية الجديدة . وقد قام العثمانيون بأول محاولة لفتح المدينة سنة ١٣٩١ ، ثم عادوا اليها ثانية سنة ١٣٩٥ ، ولكن دون أن يتمكنوا من الاحتفاظ بها ، وفي بداية القرن الخامس عشر ، ومع ازدياد عجز الامبراطورية البيزنطية ، قام حاكم سالونيك البيزنطي سنة ١٤٢٣ ببيع أو تسليم المدينة للبندقية ، ولكن في أواخر آذار من عام ١٤٣٠ ، وبعد أن أصيبت المدينة بزلزال مروع ، سقطت

سالونيك أخيراً في قبضة جيش السلطان مراد الثاني .

ومع الفتح العثماني دخلت سالونيك في عهد طويل من الاستقرار ، استمر حوالي خمسة قرون (١٤٣٠ - ١٩١٢) ، وأصبحت خلال هذه الفترة واحدة من أكبر المدن في الامبراطورية العثمانية ، ومن مراكز الحضارة الاسلامية في أوروبا .

جوامع سالونيك

في السنة الأولى للعهد العثماني أقيم أول جامع في سالونيك ، الا وهو « جامع حمزة بك » ، الذي بقي الى اليوم في المدينة ، وبعد هذا أخذ عدد الجوامع يزداد بسرعة ، وذلك مع توسع المدينة وتضخم عدد المسلمين فيها . وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض الجوامع كانت كنائس في الأصل ، بينما كانت غالبية الجوامع قد بنيت من قبل المسلمين ، وفي الواقع كان من عادة العثمانيين بعد فتحهم لمدينة ما في البلقان أن يحولوا احدى الكنائس الى جامع رمزاً لانتصارهم ، بينما كانت كل الجوامع تتحول الى كنائس في المناطق الأخرى ، كما في كريت واسبانيا مثلا . ومع هذا يلاحظ في سالونيك أن العثمانيين قد حولوا كنيستين في السنة الأولى الى جامعين ، وحولوا بعض الكنائس الأخرى الى جوامع خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ويبدو أن السبب في هذا يعود الى التغيرات الديموغرافيةالكبيرة التي حدثت في المدينة خلال هذه الفترة ، حيث تناقص عدد المسيحيين ، وازداد عدد المسلمين بشكل واضح ، حتى أصبحت النسبة واحداً الى ثلاثة .

في نهاية العهد العثماني ، وبالتحديد في بداية القرن العشرين ، كان عدد الجوامع في سالونيك حوالي ستين جامعا ، بالاضافة الى عشرات المساجد الصغيرة . ومن هذا العدد الكبير للجوامع يمكن حصر ثلاثة عشر منها ، كانت في الأصل كنائس قديمة ، بينما تم بناء العدد الأكبر منها كجوامع على مدى عدة قرون . وكان بعض هذه يتمتع بقيمة أثرية كبيرة كـ« جامع حمزة بك » الذي بقي باعجوبة الى اليوم .

جامع حمزة بك

لقد بني هذا الجامع سنة ١٤٣١ ، أي في السنة الأولى للعهد العثماني ، واستنادا الى هذا يعتبر أحد أقدم الجوامع في أوروبا التي بقيت حتى الآن ، بل أقدم جامع بقي الى اليوم في أوروبا خارج تركيا الأوروبية واسبانيا ، وفي الواقع أن وضع هذا الجامع لا ينفصل عن المصير الذي لاقته جوامع سالونيك الأخرى بعد . « تحرير » المدينة .

بعد اندلاع الحرب البلقانية الأولى ، دخلت القوات اليونانية الى المدينة أولا في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ ، وفي اليوم الثاني دخلتها القوات البلغارية أيضا ، وفي الواقع كان القائد العثماني قد وقع صك الاستسلام للقوات اليونانية التي أخذت تتصرف في المدينة على أساس أنها « أصبحت يونانية ثانية بعد حوالى ٥٠٠ سنة من الاحتلال » ، ولذلك جرى بسرعة تحويل بعض الجوامع الى كنائس ، وبالتحديد تلك التي كانت في الأصل كنائس ، ومن ناحية أخرى فقد أدى تجمع الجيشين اليوناني والبلغاري في المدينة الى استخدام الجوامع لاقامة الجنود ، وقد بقي وضع المدينة بين اليونانيين والبلغاريين على هذا النحو ، الى أن اندلعت الحرب البلقانية الثانية (حزيران ١٩١٣) التي انتصر فيها الجيش اليوناني ، ونتيجة لهذا تم ضم سالونيك ومناطق واسعة ذات وجود اسلامي الى اليونان ، وخلال الحرب العالمية الأولى أصبحت سالونيك قاعدة عسكرية ضخمة للحلفاء ، وفي عام ١٩١٧ أصيبت المدينة بأكبر كارثة ، حين شب فيها حريق هائل استمر اسبوعين (٥ - ١٩ آب) ودمر حوالي مليون متر مربع من المساحة العمرانية ، وقد التهم الحريق في ذلك الحين عدة جوامع ، كجامع الساعة مثلا ، بينما نجت من هذا المصير غالبية الجوامع الأخرى . وعلى الرغم من أن « جامع حمزة بك » كان أقرب من غيره الى دائرة الخطر ، الا أن ألسنة النيران لم تمسه بأذى .

وبعد الحرب العالمية الأولى التزمت اليونان بالتوقيع على ما ورد في اتفاقية فرساي حول حماية الأقليات ، وبالتحديد المسلمين ، التي تضمنت بندا خاصا

بحماية الجوامع ، فقد التزمت الحكومة اليونانية حسب هذه الاتفاقية بحماية الجوامع والمقابر وبقية المنشآت الاسلامية ، وتقديم كافة التسهيلات الضرورية للأوقاف الاسلامية الموجودة والمؤسسات الدينية الخيرية ، وعدم التقصير في منح التسهيلات الضرورية في حالة تشييد منشآت دينية وخيرية جديدة » .

وعلى الرغم من هذا فقد ارتبط مصير الجوامع بمصير المسلمين في سالونيك ، وبشكل عام في كل المناطق الجديدة التي تم ضمها لليونان . لقد لجأت الحكومة اليونانية منذ السنوات الأولى الى ترحيل كل المسلمين بالترغيب أو الترهيب الى تركيا ، بحيث بقيت الجوامع لفترة ما مهجورة لعدم وجود مسلمين ، وهذا ما تحول أخيراً الى مبرر للتخلص منها ، وهكذا نجد أن عدد المسلمين قد انخفض فوراً من حوالي أربعين الف نسمة في عام ١٩١٢ الى أربعة وعشرين الفاً سنة ١٩١٣ ، ووصل سنة ١٩٢٠ الى عشرين ألفاً ، بينما تلاشى المسلمون من المدينة في سنة ١٩٢٨ ، ومع هذا الوضع الجديد ، - أي وجود الجوامع دون وجود المسلمين - بدأ هدم الجوامع في سالونيك بشكل تدريجي سواء بحجة « توسيع الطرقات » أو حتى دون اي سبب ، وبالتحديد بسبب « الاستخفاف والغباء » كما يقول أحد المؤرخين اليونانيين المعاصرين ، وهكذا بعد عدة سنوات فقط ، حين جاء الشيخ محمد سليمان من مصر لزيارة سالونيك سنة ١٩٣٣ لم ير فيها جامعا للمسلمين بل وجد « ما كان أصله كنيسة قد عاد الى أصله ، وما أنشىء مسجدا ، فقد ذهب الأصل وما أنشىء له » .

وهكذا بقي منذ الثلاثينات الى اليوم عدة جوامع فقط تستخدم في أغراض مختلفة ، ومن هذه « جامع حمزة بك » .

يقع هذا الجامع في شارع « أغناتيا » ، وهو الشارع الرئيسي في سالونيك ، ولا تنقصه الا المئذنة التي هدمت في أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات ، ففي تلك الفترة ، وبعد ترحيل المسلمين من المدينة ، بقي الجامع مهجوراً لفترة من الزمن ، الى أن بدأ استخدامه بعد ذلك في أغراض مختلفة . فقد أنشئت في جهاته الثلاث محلات تجارية مختلفة ، وتحولت قاعته الرئيسية الى دار للسينما في



جامع حمزة بك . يبدو من واجهته الجنوبية

الخمسينيات باسم « الكازار » (القصر) . ومع التطور العمراني الكبير في سالونيك ، وانشاء دور فخمة للسينما ، أصبحت هذه السينما تبدو « قديمة » و « متخلفة » ، ولذلك لجأ أصحابها في أواخر السبعينات الى اغراء الجمهور بعرض الأفلام الجنسية فيها ، فقط على مدار النهار والليل ، وذلك مقابل بطاقة واحدة ، بحيث يمكن للمشاهد أن يدخل مقابل مبلغ بسيط الى هذه السينما في الصباح ، ويبقى فيها الى منتصف الليل ، وفي الواقع أن ما يعرض في هذه السينما ليس له علاقة بالفن السينمائي ، بل هو عبارة عن أشرطة « فيديو » قصيرة تعرض العمليات الجنسية فقط بكل تفاصيلها وآخر صرعاتها ، دون ان تكون هناك قصة أو حوار بالمعنى المتعارف عليه

لم يزل متماسكا

ان وضع هذا الجامع الآن لا بأس به ، اذا أخذنا بعين الاعتبار تعاقب القرون عليه ، والظروف التي



الاعمدة الخشبية ما تزال تسند الواجهة الجنوبية .. ولكن إلى متى ؟

أحاطت به وبقية الجوامع ، التي كانت كافية لاندثاره تماما . فمن الخارج يبدو هذا الجامع متماسكا ، اذ أن الجدران مازالت قوية باستثناء الجهة الجنوبية ، حيث وضعت أعمدة خشبية لمنع الجدار من الانهيار (انظر الصورة) . الا أن هذه الأعمدة لا تعتبر حلا ، نظرا لأن الجامع لا يفصله عن الشارع سوى رصيف ضيق جدا (انظر الصورة) ، وهذا الشارع يتميز بأنه من أكثر شوارع سالونيك ازدحاما ، بحركة السير ، بحيث ان الضغط المتواصل الناشىء عن مرور الباصات والسيارات أمام الجامع يهدد تلك الجهة المدعومة مؤقتا بالأعمدة الخشبية ، اما من الداخل فالجامع ما يزال في حالة جيدة ، على الرغم من استخدامه كدار للسينما خلال الفترة الماضية . فالأعمدة والأقواس وحتى بعض النقوش ما تزال كما هي ، بينما جرت فيه بعض التعديلات البسيطة فقط ، ففي جهة المحراب أقيمت منصة بسيطة ، وثبتت فوقها الشاشة التي أصبحت تشغل تقريبا كل الجهة ، ووضعت مقابلها صفوف الكراسي التي تحتل تقريبا كل قاعة الجامع .

ان وضع هذا الجامع ، والظرف الذي يستخدم به الآن ، يفترض تدخلا عاجلا لانقاذ هذا الأثر الاسلامي ، فمن الناحية العمرانية يتطلب وضع الجامع تدخلا بعد هذا الاهمال الطويل الذي تعرض له والذي أصبح يهدده الآن ، ومن الناحية الحضارية الانسانية يستدعي هذا الجامع أيضا تحركا سريعا لانقاذه من الاساءة اليومية التي يتعرض لها ، وتجدر الاشارة هنا الى أن تلك الاشرطة « الجنسية » التي تعرض في الجامع لا تغرى حتى الشعب اليوناني ، كشعب متحضر من هذه الناحية ، ولذلك فان عدد المشاهدين عادة داخل الجامع لا يتجاوز ٣٠ ـ ٤٠ شخصا ، وهكذا فان هذا العدد الضئيل من المشاهدين لا يبرر استخدام هذا الأثر الاسلامي النادر لعرض هذه الاشرطة الجنسية . وعلى كل حال ففي الشارع نفسه ، وعلى بعد ٥٠٠ متر من هذا الجامع ، لدينا دار أخرى للسينما تدعى « اليون » تختص أيضا بعرض هذا النوع من الأشرطة الجنسية التى تبقى معظم مقاعدها شاغرة أيضا ، ولذلك فان التوقف عن عرض الأشرطة الجنسية في جامع « حمزة بك » لن يحرم « المهتمين » من هذه العروض الجنسية طالما أن هذه تعرض في سينما أخرى مجاورة للجامع .

ان التدخل لانقاذ هذا الجامع يعتبر موقفا حضاريا بالدرجة الأولى ، لأنه يمس موقعا له مكانته الأثرية التاريخية ، كأحد أقدم الجوامع التي بقيت الى الآن في البلقان وفي أوروبا ، ويبدو لنا أن اليونان كبلد حضاري لن يضيق بهذه البادرة الحضارية ، التي تعني الكثير للمسلمين ، خاصة وأن الحكومة اليونانية الحالية قد سجلت في السنوات الأخيرة موقفا متقدما فيما يتعلق بالمسلمين في اليونان . وفي الواقع أن انقاذ هذا الجامع لن يسيء الى سالونيك ، لأنه قد يجعلها تفقد دارا مغمورة للسينما لا تشد اليها الاعشرات المشاهدين ، ولكنها ستكتسب مقابل هذا موقعا أثريا يمكن أن يشد اليه الآلاف ، ففي الاعلانات السياحية التي تنشرها اليونان في المجلات العربية لدينا ما يغري السياح بزيارة سالونيك ، ولكن يبدو لنا ان سالونيك ستكون مثيرة بوجود « جامع حمزة بك » التاريخي أكثر مما تكون بوجود دار للسينما من الدرجة الثالثة تدعي « الكازار » . وفي نهاية الأمر فان مدينة سالونيك الضخمة ، التي يتجاوز عدد سكانها المليون ، يعيش فيها الآن عدة آلاف من المسلمين دون جامع ، وهؤلاء يحتاجون الى جامع أكثر مما يحتاجون الى دار للسينما في جامع كان لهم في يوم من الأيام □



قضيّة

أسطورة النفوذ الصهيونى فى أمريكا

بقلم : بهية ماردينى

أود أن اسلط الضوء فيما أكتبه على تلك الأسطورة التى كثيرا ما تتردد ، وهى قوة النفوذ الصهيونى فى أمريكا ، من خلال عرضى لمجموعة حقائق ، وسردى لأقوال الصهاينة أنفسهم فيما يخص هذا الموضوع .

ان من يروج هذه الأسطورةالتى تصور قوة يهود أمريكا وسيطرتهم عليها يدعى أولا بأن اليهود قوة اقتصادية مسيطرة متميزة ، متحكمة باقتصاد الولايات المتحدة وسياستها الداخلية والخارجية ، تسيطر على المتحكمين بالقرار السياسى ، ولا تتحرك هذه القوة الا وفق ماتمليه عليها الصهيونية « علما بأن اليهود الذين يبلغ عددهم ٥,٧ ملايين نسمة ، أى ٣٪ من سكان امريكا تقريبا ، لا يخضعون للسيطرة الصهيونية » . ويدعى ثانيا ان هذه النسبه يمكنها ان توجه سياسة دولة امبريالية كأمريكا ، ويقول ضمنيا ان الدعم الأمريكى « لاسرائيل » هو دعم آنى ومن الممكن أن يتغير مع كل انتخابات تجرى فى الولايات المتحدة ، على أساس أن المساعدات الأمريكية « لاسرائيل » لا علاقة لها بمصالح امريكا فى الشرق الاوسط . .

محك التجربة

لكن لنناقش هذه الأقوال ، ولنضعها على محك التجربة ، وعلى محك أقوال القيادات الصهيونية ذاتها :ـ يؤكد الصهاينه على ضعف الصهيونية فى أمريكا ، وعدم مقدرتها على السيطرة حتى على اليهود . . ففى عام ١٩٥٣ صدر لكاتب صهيونى عريق يدعى اليعزر ليفنه كتاب . . « الدولة رالشتات » ذكر فيه : « والحقيقة أنه لم توجد فى الولايات المتحدة فى أى وقت من الأوقات حركة صهيونية بالمعنى المقبول لهذه الكلمة ، فلقد كان للمنظمات الصهيونية فى أمريكا بصورة دائمة موقف مساند لاسرائيل فقط ولا شيء غير ذلك . . لقد عملت هذه المنظمات ليس على ترويج فكرة المشاركة الشخصية فى بناء البلاد (يقصد اسرائيل) ولكن على ترويج فكرة التأييد السياسى والمالى لمهمة يقوم بها آخرون . ان غياب أي رد فعل ذى اهمية معاد للصهيونية فى الولايات المتحدة هو أمر فرضه غياب صهيونية حقيقية . لقد اختارت اليهودية الأمريكية

سياسة تتسم بالمراضاة فى تخليها عن كل من الصهيونية ومعاداة السهيونية . »

فهذا الكاتب كغيره من الكتاب الصهاينة يرى ان المقياس الحقيقى لمدى صهيونية أية جالية يهودية هو فى مدى مساهمة هذه الجالية فى الهجرة الى « اسرائيل » والجالية اليهودية فى الولايات المتحدة بالرغم من أنها أكبر جالية يهودية فى العالم لم تشارك اطلاقا فى الهجرة .

وفى عام ١٩٥٨ صدر للكاتب الصهيونى هوارد مورلى سامز كتاب « مجرى التاريخ اليهودى المعاصر » يقول فيه « ان اليهود فى امريكا لم يكونوا ذوى علاقات قوية بالصناعات الرأسمالية الأساسية ، أى الفحم والفولاذ والمصارف والنفط والسيارات والسفن ووسائل المواصلات ، وهى الصناعات التى أنتجت ثروة أمريكا المذهلة . . ولم يكن معظم اليهود موجودين بين الأغنياء جدا أو بين الفقراء جدا ، بل فى وسط الطبقة الوسطى » .

وفى عام ١٩٧٥ كتب يهوشع تدمور فى صحيفة دافار معلقا على مناقشات اجتماع للجنة رؤساء المنظمة اليهودية الأمريكية ، الذى عقد فى اسرائيل فى شهر آب : عرفت بأنهم « يقصد رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية » ليسوا صهاينة بالمفهوم الرسمى ، وهم يقولون ذلك صراحة ولا يعتقدون بأن اسرائيل هى الملاذ الأمين للشعب اليهودى . . كذلك لا يعتقدون بأن الحياة اليهودية الكاملة يمكن أن تكون فقط فى « اسرائيل » ، كما يزعم المبعوثون الاسرائيليون ، وهم يرون بأن هناك حياة يهودية غنية فى الولايات المتحدة ، وهم لا يرغبون بالتحدث عن الهجرة الى « اسرائيل » ، وحتى هذا الموضوع لم يطرح على جدول الأعمال . . ان أولئك الذين لا يطرحون أنفسهم كصهيونيين هم أفضل مؤيدى « اسرائيل » وأصدقائها » .

الاندماج

وفى ١٩٧٨/٢/٢٤ وأثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى التاسع والعشرين فى القدس ، أدلى الحاخام اليعزر بيرنشاين رئيس حركة المزراحى ، التى تمثل التيار الدينى فى الحركة الصهيونية ، بحديث الى صحيفة هتسوفيه الاسرائيلية قال فيه : ان تأثير الصهيونية قد انخفض . . ولم يصوت فى الانتخابات للمؤتمر التاسع والعشرين فى الولايات المتحدة سوى أقل من ٢٠٠ الف يهودى ، من اصل حوالى ستة ملايين يهودى . . ان القول بأن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة تضم حوالى مليون عضو هو ادعاء بعيد عن الحقيقة . . ان التضامن مع « اسرائيل » بين يهود الولايات المتحدة هو تضامن سطحى ، ولا أعرف ماالذى سيحدث فعلا لو كانت هناك خلافات بين « اسرائيل » والولايات المتحدة .

وقد كتبت هذه الصحيفة فى ١٩٧٨/٢/١٧ . . « ان الجالية اليهودية آخذة فى التناقص ، سائرة فى طريق الاندماج ، فان ٤٠٪ من يهود أمريكا تضرروا من الزواج المختلط ، بينما نسبة الزواج المختلط قبل عشر سنوات هى ١٠٪ فقط » .

وفى عام ١٩٧٨ أيضا كتب يوسف فى صحيفة يديعوت أحرونوت يقول « هناك ثلاثة ملايين يهودى على الأقل منفصلين تماما عن المؤسسة اليهودية فى الولايات المتحدة ، وهؤلاء فى غالبيتهم من أبناء الجيل الشاب ، ونصف الطلاب اليهود فى الجامعات يتزوجون زواجا مختلطا . . . وان عشرات المنظمات الصهيونية واليهودية تتجمل بقوائم أعضاء مضخمة ، لكن هذا خيالى لدرجة كبيرة ، فمعظم الهيئات هى أطر فارغة من المضمون الحقيقى » . . وأما دان اليعزر العالم الاجتماعى اليهودى الأمريكى فيقول : . . ان اليهود الأمريكيين يعيشون فى تناقص . . فى المركز يوجد نشاط فعال كبير . . ولكن فى الأطراف يوجد تآكل وانقراض فى الشخصية اليهودية ، ويوجد اختلاط بغير اليهود » . . وهذا ما نشرته له الصحيفة الاسرائيلية هآرتس . . . .

وفى كتاب صدر للكاتبة اليهودية نعومى كوهين فى نيويورك عام ١٩٧٨ قالت « ان اليهود الأمريكيين لم يتمتعوا بقوة سياسية خاصة ، وقد بولغ كثيرا فى قوتهم الاقتصادية . . صحيح أنهم أصبحوا مجموعة ميسورة ، ولكن ذلك عائد الى تمركزهم فى المدن ، وانتمائهم الى فئة أصحاب الياقات البيضاء ، وقد وفر لهم ذلك مستوى من الدخل أعلى من معظم المجموعات العرقية الأخرى ، هذا وقد لعبوا أدوارا هامة فى عالم الصناعات الخفيفة ، والمنتجات

والخدمات الاستهلاكية ، ولكنهم كانوا غائبين عن تطور الصناعة الثقيلة ، وحتى فترة قريبة لم يكونوا يشاهدون في المناصب الادارية » .

وتقول « صحيفة هآرتس » إن القوة اليهودية في أمريكا هي أمر غير ملموس ، ومن الصعب جدا قياسها . .

جنرال موتورز وامريكا

وقد يثار التساؤل التالي : بما أن اليهود في أمريكا ليسوا بكتلة مترابطة مسيطرة على الاقتصاد الأمريكي . . فمن هو المسيطر اذن ؟

وأما الجواب فهو أن فئة البروتستانت البيض من أصل انجلوسكسوني هي المسيطرة .

ويطلقون عليهم في الولايات المتحدة اسم WASPS الزنابير وهي عبارة عن الأحرف الأولى لاسمهم ، فكل الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب والاسلحة والنفط ووسائل المواصلات كالسيارات والطائرات والمناجم وتكرير البترول والكهرباء تسيطر عليها عائلات بروتستانتية ساكسونية معروفة مثل : « ديون ـ فورد ـ روكفلر ـ أكسون ـ . . فلا اليهود ولا الكاثوليك لهم نفوذ حقيقي يذكر ، حتى أن كل هذه الصناعات قد وضعت دعاماتها قبل هجرة اليهود الكثيفة الى أمريكا ، ولم يكن هؤلاء اليهود المهاجرين أي نشاط في أي فرع من فروع الصناعة ، ولكنهم بعد ذلك دخلوا بعض المجالات على نطاق محدد وضيق ، والدليل على أن فئة البروتستانت السكسونية هي التي تحدد سياسة أمريكا داخليا وخارجيا وهي التي تحدد رؤساءها حسب قول أحد مديري شركة جنرال موتورز : « ما هو جيد لجنرال الكتريك هو جيد لأمريكا » .

وكما تشير الحقائق الى أنه لاصحة اطلاقا للفرضية التي توضح بأن اليهود كتلة اقتصادية موحدة ، تشير أيضاً الى أن اليهود ليسوا كتلة انتخابية مترابطة ، من الممكن أن تعطى صوتها وتأييدها لمرشح معين دون آخر ، والدليل على ذلك نتائج الانتخابات التي تؤكد أن اليهود ككل لم يتحازوا ويدلوا بصوتهم لمرشح واحد ، فلم يسبق أن كان أحد مرشحي الرئاسة مؤيدا « لاسرائيل » ، والآخر معاد لها ، فان كل المرشحين أصحاب مصلحة في قيام الكيان الصهيوني ، لذلك فهم يوزعون أصواتهم وفق مصالحهم وانتماءاتهم السياسية والاقتصادية ، ولم تكن هذه الأصوات أبدا عاملا حاسما في تحديد نتيجة الانتخابات ، فكثير من الرؤساء الأمريكيين دخلوا البيت الأبيض ، مع أنهم لم يحصلوا الا على نسبة قليلة من أصوات الناخبين اليهود .

دور الصحافة

اذن أسطورة النفوذ الصهيوني ما هي الا خرافة كما قال الكاتب الاسرائيلي ناحوم ربيع في صحيفة هآرتس عام ١٩٧٥ : « بمساعدة الصحافة نشأت خرافة القوة اليهودية السرية القوية التي تفرض ارادتها على الولايات المتحدة ، ويعتقد عدد من اليهود بأنه حتى لو كانت هذه الأسطورة غير دقيقة ، فانها تساعد على تقوية نفوذ وتأثير اليهود ، بينما يرى آخرون فيها مصدرا للخوف وعدم الراحة ، وهي بالنسبة لهم طبقة جديدة ، وربما أكثر اعتدالا من بروتوكولات حكماء صهيون » .

فكل الوقائع والحقائق تؤكد أن الامبريالية الأمريكية هي التي تصنع التأييد اليهودي الأمريكي والصهيوني والامريكي « لاسرائيل » ، وهي التي تحركه حسب كل مرحلة ، ولا ننسى أن نذكر قول موشي شاريت وزير خارجية « اسرائيل » ورئيس وزرائها السابق : « لا يمكن أن يساعد يهود الولايات المتحدة « اسرائيل » في حالة قيام نزاع بينها وبين الولايات المتحدة ، ومعنى هذا أن مشاركة يهود الولايات المتحدة الفعالة في بقاء دولتنا متوقفة على اندماج السياسة الخارجية « لاسرائيل » في السياسة العالمية لواشنطن ، ولن يساعدنا أخوتنا أبناء « اسرائيل » فيما وراء البحار اذا لم نخضع لرغبات حكوماتهم » .

كلب حراسة

وقال اسحاق رابين عندما كان يعمل سفيرا لاسرائيل في واشنطن في صحيفة هآرتس ١٩٨٢ : « أعتقد أن ارتباط الشعب الأمريكي وادارته

« باسرائيل » يفوق وزن الجالية اليهودية ونفوذها ، وفي مقالة نشرها رئيس تحرير الصحيفةنفسها ويُدعى جيريشوم شوكن قال : « لقد أعطيت « اسرائيل » دورا لا يختلف عن دور كلب الحراسة ، ولا داعي هناك للخشية من أن تمارس « اسرائيل » سياسة عدوانية تجاه الدول العربية ، اذا كانت هذه السياسية تتعارض مع مصلحة الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولكن اذا شاء الغرب لسبب أو لآخر أن يغمض عينيه ، فبالامكان الاعتماد على « اسرائيل » لتنزل عقابا قاسيا بتلك الدولة المجاورة التي تتجاوز الحدود المناسبة في قلة أدبها تجاه الغرب » .

وأما المعلق السياسي لصحيفة هآرتس يوئيل ماركوس فيقول : « بسبب أزمة الطاقة وارتباط الدول الغربيةبشكل لم يسبق له مثيل بدول النفط ، يحتاج الغرب إلى « اسرائيل » مثل حاجته الى كلب حراسة ذي اسنان حادة ، مربوطة بالسلاسل الأمريكية الطويلة جداً بحيث يؤذن له بغرس أسنانه اذا تحدوه أكثر من اللازم » .

إذن « فاسرائيل » هي جزء من الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ، فمصلحة الصهيونية في التوسع واقامة دولة قوية ، تخدم في نهاية الأمر اهداف الامبريالية الأمريكية ، يقول هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية السابق « ان ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط جيد « لاسرائيل » ، ومصالح الولايات المتحدة « واسرائيل » تتناسب مع بعضها ، لأن وجود « اسرائيل » قوية هو لصالح المصالح الأمريكية » .

وقد وضح اسحق رابين في صحيفة معاريف عام ١٩٧٢ مهمة « اسرائيل » بقوله : « ان « اسرائيل » قد حصلت على مكانة خاصة في الوعي الأمريكي ، وثمة أسباب عديدة لذلك ، « فإسرائيل » تقف حجر عثرة في وجه الاتحاد السوفيتي ، وتقف كصخرةجبل طارق في وجه الوطن العربي بأسره » .

الوجود والمصلحة الامريكية

وأما صديق موشى ديان الكاتب الاسرائيل حجاي ايشد فقد ذكر لصحيفة دافار عام ١٩٧٣ ، « أن ما هو مشترك بين « اسرائيل » والولايات المتحدة يتعلق أساسا بالمحافظة على ميزان القوى والردع بالنسبة للعرب والسوفييت . . ان وجود « اسرائيل » قوية سيبقى مصلحة أمريكية على الصعيد العالمي » . وقال الكاتب الاسرائيلي اوري دان في صحيفة معاريف عام ١٩٧٦ : « ان شعار تنسيق المواقف بين واشنطن والقدس قد تحول إلى شعار مضحك خال من المضمون ، ذلك لأن هناك مواقف واضحة لجانب واحد فقط هو الولايات المتحدة ، ولكن ليست هناك أية سياسة واضحة « لاسرائيل » ولذا نرى أنها تتكيف على مراحل مع السياسة الامريكية » .

فـ « اسرائيل كما أوضحت كل هذه الشواهد الا أداة لأمريكا ، وما أسطورة النفوذ الصهيوني الا وهم وحكاية لا أساس لها من الصحة ، وما هي الا خرافة قدمت لنا على طبق أميركي صهيوني لتشويه الصورة الحقيقية التي لا يمكن أن تخفى على كل متأمل للأحداث والبراهين . □

المال أمره عجيب

اذا كان الانسان يسعى وراء المال يقال عنه انه مجنون مال ، واذا احتفظ بالمال فأنه رأسمالي ، واذا انفقه يقال عنه انه سفيه ، واذا لم يحصل عليه يقال عنه أنه نحس ، واذا لم يحاول الحصول عليه يقال عنه أنه ينقصه الطموح ، واذا حصل عليه دون عناء يقال له طفيلي ، واذا حصل عليه بعد كفاح مرير وقضى عمره في تحصيله يقال عنه أنه مجنون لم يحصل من الحياة على شيء .



منتدى العربي
تعقيبات

عن محدث الديار الشامية الأكبر . . .
العلامة الشيخ : بدر الدين الحسيني

جاء في العدد ٣٢٢/ من « العربي » الصادر في سبتمبر ١٩٨٥م ، في المقالة القيمة التي سطرها د. صالح الخرفي ، تحت عنوان (عروبة المغرب العربي) (وبدر الدين الحسيني ١٨٥١ ـ ١٩٣٥ « لم يكن (محدث الشام في عصره) فحسب كما قال الزركلي في الاعلام) ، ولا الزاهد في البيعة على الخلافة من أهل دمشق في وجه الاتحاديين وبطشهم ، وانما كان الأب الروحي للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام ».

ثلاث حقائق لم يعطها المؤرخون حقها ، تنصف العلامة الشيخ بدر الدين الحسيني :

طلب جمال باشا السفاح من الشيخ بدر الدين أن يتحفه ببعض ارشاداته خطا ، يريد بذلك الحصول على شهادة تبرىء ساحته ، فأرسل اليه الشيخ بدر الدين الأستاذ الشيخ محمد يحيى المكتبي ، يحمل كتابا فيه عنف مع الحكمة

ودعم الشيخ بدر الدين الحسيني الثورة العربية الكبرى ، وحمل فيصل كتابا بذلك لأبيه الشريف حسين . ولما علمت الحكومة العثمانية بخروج الحسين عليها ، أفتت بخروجه عن الطاعة ، وطلبت مقاتلته ، وصادق أناس على هذه الفتوى ، خوفا من الشنق أو الابعاد ، أو من كليهما ، ولما انتهى دور ختمها الى الشيخ بدر الدين ، امتنع فحاولوا اقناعه بالوعد تارة ، وبالوعيد أخرى ، حتى أن جمالا الطاغية كلف تاج الدين نجل الشيخ بدر الدين أن يقنع والده بختمها فأبى ، لوقوفه رسميا مع الثورة العربية الكبرى .

لما وصل غورو الى دمشق ـ أوائل أغسطس (آب) ١٩٢٠ ـ رفض الشيخ بدر الدين مقابلته ، ومنع الناس من دفع الضرائب للفرنسيين ، أو التعامل معهم وصار في دروسه العامة تحت قبة النسر في المسجد الأموي يعلن أن الجهاد فرض على الناس .

ومما يذكر ان الضابط المغربي « عطاف باشا » كان يزور المسجد الأموي بين آونة وأخرى ، ليسترق النظر الى الشيخ بدر الدين .

قال لي أبو الهدى العاني في مقابلة تمت في وزارة الاوقاف بدمشق أوائل الشهر السادس عام ١٩٧٥ : « ترصدت عطاف باشا أياما ، ولما جاء الى المسجد الأموي زائرا ، قلت له : « المجاهدون في بلدة حرمتا بحاجة الى سلاح » فقال عطاف باشا : « طيب ، غدا سنخرج بحملة الى بلدة دوما ، وفي طريق العودة ستنشطر الحملة شطرين ، شطر سيرجع من الطريق الرسمي ، وشطر سينطلق من دوما عن طريق ترابي شمالي بين البساتين ، وهذا الشطر كله من المغاربة ، سنضع للمجاهدين كمية من السلاح والذخيرة في كرم الشيخ موسى بحرمتا » . وفي طريق عودة الحملة وفي كرم الشيخ موسى أنزل عطاف باشا ومن معه حمولة أكثر من مئة بغل ، وكان الثوار وقائدهم أبو عمر ديبو الشيخ على بعد ٥٠٠ متر فقط ، ينظرون من خلف الأشجار ، وبعد انزال السلاح والذخيرة ، أطلق عطاف باشا سبع طلقات في الهواء اعلاما للثوار بانتهاء العملية » .

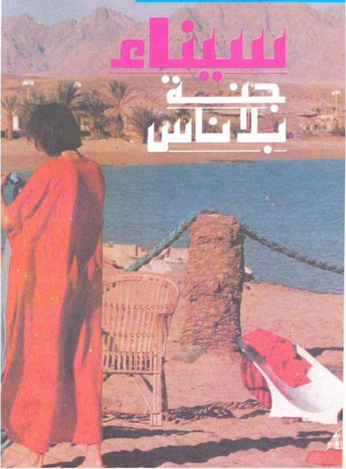
وذكر الشيخ محمد الأسمر « أن عطاف باشا ساعده وقدم له كمية جيدة من السلاح ، ولما تنبهت فرنسا الى ذلك ، كانت حياة عطاف باشا الثمن » . □

شوقي ابو خليل

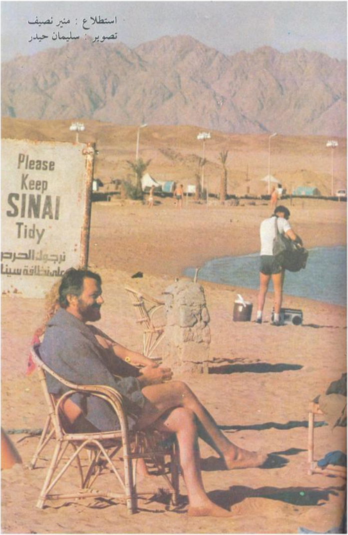
العربي عيونك على العالم

الجبل والسهل والبحر في شرم الشيخ .

سيناء جنة بلا ناس



استطلاع : منير نصيف
تصوير : سليمان حيدر



عاشت منسية مهملة لقرون طويلة رغم تاريخها الغني الحافل الموغل في القدم . وفجأة اكتشفنا هذه البقعة الخالدة من الارض العربية التي ارتوت بدماء شهدائنا . فعدنا اليها نبني ونعمر وكأننا نلتقي بها للمرة الاولى . انها قصة ارض القمر والفيروز . . انها قصة سيناء!

قلت أحدث نفسى ، وانا أرفع بصرى الى سلسلة الجبال الشامخة التى تربض على جانبى الطريق الذى كنا ننطلق فيه بالسيارة ، فى الوادى السحيق الذى ينبسط أحيانا ويضيق أحيانا ، حتى ليخيل اليك أن هذه الصخور الهائلة التى ترتفع بهامتها توشك أن تتساقط فوق رأسك ، قلت : « أليس غريبا ان يفنى الانسان جيلاً من بعد جيل على امتداد آلاف السنين ، ويبقى الجبل شامخاً فى مكانه ، شاهدا على الأحداث التى مرت من حوله وأمامه وكأنه يختزنها فى بطنه ليوم يحكي فيه مارأى ! ولكن أى يوم ، وهل عرف البشر جبلا يتكلم ؟

فالجبال إذن شاهد حضارة . . ولكنها حضارة باقية صامتة ، وفى ذلك قال توينبى المؤرخ الانجليزى يوما : « كنت أقف أمام آثار الحضارات التى اندثرت وأبكى ، لأنها لن تعود ، كم تمنيت لو أنها بقيت صامدة صمود الجبل !

ولكن أى جبل ؟ وأى حضارة وعن ماذا نتحدث ؟ إنها شبه جزيرة سيناء ، تلك البقعة من الأرض العربية التى ورد اسمها فى القرآن وفى التوراة . . وأسموها فى التاريخ القديم والحديث أرض القمر ، وأرض الفيروز ، وأرض الشمس المشرقة ، وأرض الأنبياء وأرض الموت والجدب . . ولعل هذا الاسم الأخير هو الذى زاملها والتصق بها لسنوات عديدة ، فقد نسيها أهلها وأهملها أبناؤ ها . . الى ان ضاعت منهم ! وكما يضيع أى شيء ثمين ، فيحس أصحابه بقيمته ، بدأ اصحاب الأرض يحسون لأول مرة بقيمتها ، فلما استردوها ، أقبلوا على الأرض السليبة يبنون ويعمرون ويصنعون الحياة الجديدة على شواطئها وفى وديانها . .

لقاء خاطف

كان لقاؤ نا بها سريعا خاطفا . . أو كما قال لنا أحد الصحفيين الزملاء فى مصر : « أنتم لم تزوروا سيناء ، ولكنكم فقط زرتم الطريق المؤدى اليها ، انكم فى حاجة الى عدة أسابيع لا بضعة أيام محدودة ، تركبون فيها البر والبحر والجو . . وتجوبون فيافيها وقفارها من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب . . عندئذ فقط تستطيعون أن تقولوا انكم زرتم سيناء ! »

وكان الزميل على حق . ولكن الخطأ لم يكن خطأنا ، فقد كان الحماس يملؤ نا ونحن نستعد لهذه الرحلة التى سيزور فيها « العربي » سيناء لأول مرة ، ولكن ما كدنا نبدأ حتى اصطدمنا بالمعوقات التى تصنعها البيروقراطية فى الكثير من مرافق الحياة فى وطننا العربى . .

. . وكانت النتيجة أننا لم نر من سيناء الا المحافظة الجنوبية بمدنها الأربع الرئيسية الصغيرة ، شرم الشيخ ، والطور (العاصمة) ، ودهب ، ونويبع ، أما العريش عاصمة المحافظة الشمالية وأهم مدن سيناء كلها ، حيث تجرى الآن أكبر عملية بناء تشهدها هذه المنطقة ، فلم نزرها . . رغم أنها كانت فى رأس برنامج استطلاعنا . . صحيح أنهم رحبوا بنا ودعونا الى المجيء ، ولكن الدعوة جاءت متأخرة ! فقد كانت مهمتنا محدودة لارتباطنا بأعمال أخرى .

التاريخ مر من هنا

ونعود الى حديثنا عن سيناء قبل أن نمضى فى رحلتنا القصيرة معها وفوق أرضها . . أرض التيه والرسالات التى دارت فوق رمالها عشرات المعارك . . سارت عليها جحافل جيوش الغزاة ، منذ أن عرف الانسان أول أداة من أدوات القتال . .

جيوش الهكسوس والأشوريين ، ثم جيوش الصليبيين ، وجيوش صلاح الدين الأيوبى التى ألقت بهم فى مياه البحر ، وكانت بعد ذلك مسرحا لمعارك

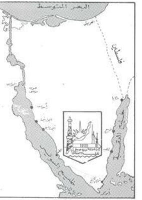
الجيش المصرى العربى فى عام ١٩٤٨ ، ثم فى عام ١٩٥٦ ، وفى عام النكسة ١٩٦٧ ، وأخيرا فى عام النصر ، عام ١٩٧٣ . . وكان العدو فى كل هذه المعارك واحدا . . اسرائيل التى زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ، لتصبح سرطانا يتهدد جسم هذه الأمة !

كان لابد أن نقرأ عن سيناء قبل أن نبدأ رحلتنا اليها ، فهذا هو لقاؤنا الأول بهذه الأرض الغربية التى وقفت صامدة تتحدى التاريخ . . كنا نجهل الكثير عنها ، وما أكثر جهل المواطن العربى بأرض هذه الامة الواسعة الشاسعة التى تمتد من الخليج الى المحيط . . وبدأنا نفتح الكتب ونقرأ فى بطونها . . ما أعظم التاريخ الذى مرت به سيناء . . بين وديانها شق الأنبياء والقديسون طريقهم الى مدخل وادى نهر النيل العظيم ، ودخلتها جيوش المسلمين فى عصر عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص الى مدينة الاسكندرية،وكان طريقهم وسط جبالها هو نفس الطريق الذى سلكه المصريون القدامى (الفراعنة) . . طريق حورس ، الذى سار فيه من قبلهم ابراهيم ويعقوب ويوسف وقمبيز والاسكندر الأكبر ثم أسرة المسيح عليه السلام .

كانت سيناء ، هذه الأرض الشاسعة التى تشبه فى شكلها المثلث المقلوب الذى تستقر رأسه فى الجنوب عند رأس محمد على البحر الأحمر ، وقاعدته فى الشمال على البحر المتوسط . . من مدينة بورسعيد غربا الى مدينة رفح شرقا ، على امتداد مائتى كيلو متر تقريبا . . كانت سيناء منذ فجر التاريخ قطعة من أرض مصر ، لا يفصلها عن الوطن الأم سوى ذلك العزوف من أبناء مصر عن العيش فوق هذه الأرض ، لأنها بعيدة عن النيل ومياهه التى يرتوون منها ، ويروون بها أرضهم وحيواناتهم .

الأرض المهجورة

وهكذا بقيت سيناء أرضا مهجورة إلا من أبنائها الذين نبتوا فيها ، أو رحلوا اليها من شبه الجزيرة العربية ، أو من بلاد الشام . . العرب الرحل الذين ينتمون الى قبائل عدة . . . ولكنهم فى النهاية عرب . . الصحراء مأواهم وخيام الشعر بيوتهم ،



محافظة جنوب سيناء

والابل سفنهم ، ينتقلون بها ومعها سعيا وراء الماء والكلأ . . فهم لم يعرفوا حياة أخرى . .

أما أبناء وادى النيل الذين أصبح هذا الشريط الضيق الأخضر على جانبى النهر يضيق بهم ويضيق عاما من بعد عام ، حتى لم يعد فيه موضع ومكان لمزيد من الأنفس التى تتضاعف على مر السنين ، أما هؤلاء الذين التصقوا بالأرض فقد كان مجرد التفكير فى الهجرة الى سيناء المقفرة التى تزيد مساحتها على واحد وستين الف كيلو متر مربع ، أى ثلاثة أمثال مساحة دلتا النيل المزدحمة المكتظة . . كان مجرد التفكير فى الانتقال الى هذه الأرض الجديدة يثير فى نفوسهم الرعب والهلع . . وبقى هذا حالها خلال الأعوام الطويلة التى سبقت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ . . وربما كان حفر قناة السويس فى عهد اسماعيل باشا ، من الأسباب التى ضاعفت من عزلتها ، فقد أصبح هناك ممر مائى يصل بين خليج السويس أحد ذراعى البحر الأحمر وبين البحر المتوسط . . وهكذا امتد الشاطىء المائى لمسافة أربعمائة كيلو متر تقريبا . . وكادت هذه



« رأس كنيدى » نحتته الطبيعة وسط الجبال !



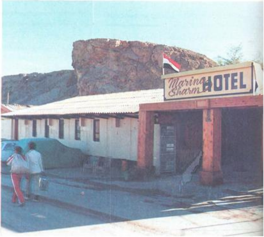
فرع لاحد مصارف مصر في جنوب سيناء ..



جانب من المساكن الجديدة التي شيدت لأبناء سيناء العاملين فيها .



هذه القباب غرف بكامل مرافقها اقيمت على شاطىء البحر بجوار الفندق الرئيسي الذي شيد لاستقبال السائحين والزائرين في شرم الشيخ .



العزلة تقتل سيناء بعد أن ابتعدت بها كثيرا وطويلا عن بقية أنحاء مصر . .

دبيب الحيـــاة

ثم جاءت الثورة ، وتم جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة قناة السويس بالذات ، وأمم عبد الناصر القناة نفسها في عام ١٩٥٦ . . وخلال تلك السنوات الأربع بين نشوب الثورة وتأميم القناة ، شهدت سيناء ، ولأول مرة في تاريخها يد الاصلاح تمتد اليها لتبث وتوفر لابنائها حياة كريمة . . وكان التعليم أول أهداف الثورة ، وبدأ ابناء المدارس التى انتشرت في المناطق السكنية ، ولم يكن في سيناء كلها في ذلك الوقت سوى مدرسة واحدة في مدينة العريش في الشمال ، وفي الوقت ذاته بدأ الأعراب من أبناء الصحراء الجبلية القاحلة يسمعون دبيب الحياة . . انها مياه النيل التى بدأ أول مشروع لتوصيلها الى المنطقة الواقعة شرقى قناة السويس ، لرى مساحة من الأرض تزيد على العشرين ألف فدان . . كانت عيون الثورة اذن على سيناء المنسية . . على أرض المستقبل .

ولكن العدوان الثلاثى الذى أعقب تأميم قناة السويس وشاركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل عطل اتمام المشروع ، وانقضت بعد ذلك فترة طويلة شغل فيها المسؤولون في مصر عن سيناء وتعميرها ، بمشاكل أخرى ، وكادت السحابة تنقشع لولا العدوان الثاني في عام ١٩٦٧ الذى أسفر عن انتكاسة مازالت الأمة العربية تعانى من آثارها حتى اليوم . . وتوقف مشروع المياه ، ولكنه أيضا كان توقفا مؤقتا . . فبعد حرب الاستنزاف التى قادت مصر الى خوض غمار أول معركة مواجهة حقيقية ضد الجيش الاسرائيلى في عام ١٩٧٣ ، وما تلا ذلك من أحداث انتهت بعودة سيناء الى عروبتها ، عاد العمل في المشروع الذي يستهدف انشاء ثلاثة أنفاق لتوصيل مياه النيل الى الصحراء القاحلة . .

فى انتظار مياه النيل

ان سيناء وأهلها والوافدين اليها من الوادى المزدحم ، كلهم ينتظرون الانتهاء من هذا المشروع الحيوى الذى سيعيد الحياة الى الأرض التى ظلت مهملة منسية قرونا طويلة ، بكل ما تحويه في جوفها من ثروات ! ويوم تجرى مياه النيل فوق هذا الجدب في هذه الأرض المترامية ، ستتحول سيناء الى أقوى منطقة جذب لهؤلاء الذين مازالوا يلتصقون بالنيل وواديه ، ويرفضون الافتراق عن البقعة التى نبتوا فيها !

ربما نكون قد أطلنا بعض الشيء في حديثنا عن سيناء قبل أن نلتقى بها . . ولكنها مقدمة كان لابد أن نسوقها ونتوقف عندها ، قبل ان نتابع رحلتنا فوق هذه الأرض . . ولقد كانت هذه هي المرة الأولى التى نرى فيها سيناء ، كما ذكرت . . وكان اللقاء بها مشوقا مفاجئا . . فقد كنا نتوقع أن نرى أى شيء في سيناء الا هذا الذى رأيناه . . من نافذة الطائرة الصغيرة التى تقوم بأربع رحلات أسبوعيا الى شرم الشيخ ، المنطقة التى انطلقنا منها في رحلتنا الى المدن الأربع التى ذكرتها . . من النافذة رأينا الصورة . . جبال شاهقة تعلو كثيرا فوق سطح البحر ، ويخيل اليك وأنت تتطلع اليها أنها تكاد تلامس جسم الطائرة التى تحاول أن تنفذ ببصرك من وراء نافذتها المغلقة . . وهى جبال متجاورة متلاحمة وكأنها قطعة واحدة ترتفع وتنخفض ، وبين الحين والحين ترى الهوة السحيقة التى تفصل بينها . . .

عرب مغتربون

قال لنا أحد رفقاء رحلتنا ، ويبدو انه اعتاد هذا المشهد من خلال زياراته المتكررة لسيناء بحكم عمله : « أنتم غرباء عن مصر اذا لم أكن مخطئا ؟! »

قلنا : « بل نحن عرب ، وما أكثر ما يشعر العربى بالاغتراب عن أرضه ووطنه ! »

قال : « نحن الآن نحلق فوق المنطقة الجنوبية من سيناء ، هنا أعلى الجبال وأكثرها انحدارا . . انهم يطلقون عليها اسم المرتفعات الجنوبية ، وهى تقع بين خليج السويس غربا وخليج العقبة شرقا . . هنا من تحتنا مباشرة أكثر الجبال ارتفاعا في مصر ، اذ يصل ارتفاع أعلى قمة من قمم هذه الجبال الى أكثر من ٢٦٤٠ مترا فوق سطح البحر ! »

كان واضحا من نظراتنا الخاطفة الى هذه المرتفعات



اللواء مجدي سليمان محافظ جنوب سيناء . . هدفنا في هذه المرحلة الاهتمام بالسياحة وتطوير المرافق والخدمات . . نحن في أنتظار وصول مياه النيل .

الهائلة أننا أمام طبيعة قاسية وعرة ، أوكما يقول بعض المشتغلين بالطوبوغرافيا : « انها أعقد وحدة في تضاريسها على سطح الأرض ! »

ولكن المشهد لم يكن كله جبلا ومرتفعات ، فقد التقطت عيوننا من الارتفاع زرقة مياه البحر ، وصفرة رمال الصحراء ، في الوادي الممتد الذي يبدو أمامنا بلا حدود وبلا نهاية .

ولكن ما أبعد الفرق بين مارأيناه من هذا الارتفاع الكبير ، وبين الذي التقينا به وجها لوجه ، عندما عدنا نضرب الأرض بأقدامنا ، بعد هبوط الطائرة في مطار شرم الشيخ .

انها الجنة

قال لي زميلي المصور ونحن نقف أمام الفندق الذي يشرف على مياه الخليج مباشرة : « لم أكن أتصور أن أرى كل هذا الجمال في هذه البقعة من الأرض . . تأمل لون المياه الزرقاء . . ثم هذه السماء الصحوة ، وتلك الشمس الدافئة المشرقة في عز الشتاء ألا ترى معي انها الجنة ؟ ! » .

ووقفنا نتأمل هذا العناق الأبدي ، بين مياه البحر والرمال الناعمة التي تغطي الشاطىء . . لوحة رائعة يأتي اليها ألوف السائحين من جميع أنحاء العالم . . ولكن أين الناس ؟ بالكاد وجدنا عددا لا يزيد على أصابع اليدين من الأجانب الذين جاءوا من المانيا وايطاليا ليسبحوا في مياه الخليج الدافئة ، ويغوصوا في أعماقه ، ليسجلوا بعدساتهم صور الشُعب المرجانية والأسماك الملونة التي تشكل صورة من صور الحياة في أعماق البحر !

وأهل سيناء ؟ ان آخر الاحصائيات تقول ان عدد السكان بالنسبة لمساحة هذه الأرض الشاسعة لا يزيد على فرد واحد لكل كيلومترين ، حتى بعد السماح بالهجرة من وادي النيل الى الأرض المنسية التي عادت الى الوطن الأم بعد رحلة طويلة من القهر والعذاب في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

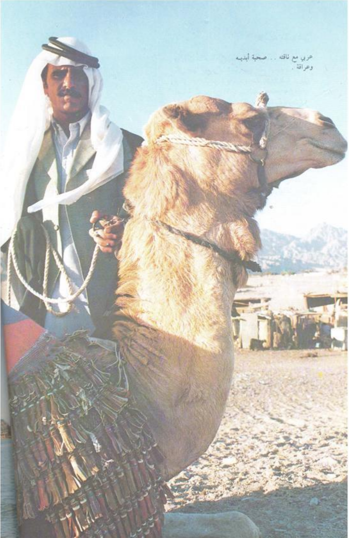
رحلة جديدة

قبل عام ١٩٧٩ كان جنوب سيناء منطقة عسكرية ، الى أن كان يوم ١٦ نوفمبر من ذلك العام عندما انتقلت السلطات الى المحافظة ، ومع هذا الانتقال بدأت رحلة جديدة في تاريخ شبه الجزيرة ، مرحلة بناء وتعمير ، لعلها الأولى من نوعها ، من أجل تعويض هذه المنطقة عن سنوات الحرمان والاهمال التي عاشتها قبل الاحتلال الصهيوني ومن بعده ، وفي ظله !

فلم يكن في سيناء أي مظهر من مظاهر التجمعات السكانية المستقرة . . ومن هنا كانت البداية . . وعلى الفور بدأ تنفيذ مشروعات الاسكان والطرق والمرافق الحيوية ، والمشروعات الانتاجية والأمن الغذائي . . فقد كان لابد من اقامة مجتمعات جديدة تعتمد على الامكانيات المتاحة محليا . .

وقد أخذ المسؤولون في المحافظة بزمام المبادرة ، وقاموا بالتوسع في انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية في مدينة شرم الشيخ .

في جنوب سيناء تسخو الطبيعة . . وهو سخاء بلا حدود . البحر والسهل والجبل في بقعة واحدة ، تنفرد بكل المقومات التي يبحث عنها السائح الذي ينشد الجمال والهدوء .



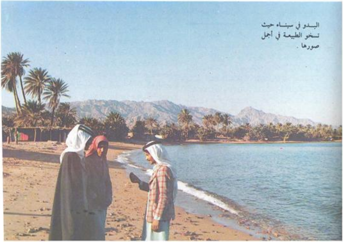
عربي مع ناقته .. صحبة أبديه
وعراقة .



« انا بنت الصحراء .. لم اعد مهملة منسية » .



سائحة المانية في عباءة بدوية .!



البدو في سيناء حيث
تسخو الطبيعة في أجمل
صورها .

اننا نتحدث عن شيء رأيناه وواقع عشناه ، ولو لفترة قصيرة ، ولكنها كافية لأن ترى معها تلك الشواطىء الرائعة على خليج السويس غربا ، وعلى خليج العقبة شرقا .. انهما الذراعان اللتان تحتضنان هذه الأرض التي قدر لأبناء مصر والأمة العربية من هذا الجيل أن يشهدوا نهاية اغتراب هذه المنطقة الغالية من الأرض العربية بعد احتلال دام لأكثر من ست سنوات امتدت وكأنها دهر .

شجرة النخيل !

ثم تلك الوديان الجميلة التي تحتضنها الطبيعة وما تحويه فوق رمالها ، وعند سفوح الجبال المطلة عليها من كهوف وآثار قديمة ، تحيط بها أشجار النخيل .. تلك التي عاشت تحكي قصة الحياة مع كل بقعة في قلب رمال الصحراء الساخنة ، تصل اليها قطرات الماء ، حتى لو كانت في جوف الأرض .. وأي جوار أجمل وأروع من هذا الذي عرفه الاعرابي في قلب الصحراء ، بينه وبين هذه الشجرة التي تمثل أغصانها بثمار الوفاء ، حتى أصبحت التمور ولبن الناقة أغلى وأول ما يقدمه للغريب حين يحل عليه ضيفا !

والعرب .. عرب أينما حلوا بعاداتهم وتقاليدهم الأصيلة العريقة ، التي توارثوها عن الآباء والأجداد .. وبعض أهل سيناء يسكنون المدن والقرى الصغيرة المنتشرة حولها ، والبعض الآخر من البدو الرحل يعيشون في خيام لها قدر من الاستقرار طالما ان أسباب الحياة لا تضطرهم الى التنقل من واد الى آخر ، مع حيواناتهم التي لا يفترقون عنها ..

ولعل أبرز معالم تلك التقاليد الأصيلة التي يتحلون بها ، هي الفروسية التي بقيت الغالبة عند الأمم والشعوب دهورا طويلة .. وكغيرهم من الفرسان نراهم يكبرون الشجاعة ويحتقرون الجبن ، وواجبهم الأول الذي يحرصون عليه هو الدفاع عن قبيلتهم .. وهذا النزوع الى تأكيد الأمن في ديارهم جعلتهم يتصدون دوما للغريب ..

حضارة قديمة

ولم تكن سيناء يوما أرضا بلا حياة .. فقد قامت فوق رمالها حضارة صنعها أهلها ، ويقول الدكتور أحمد فخري في كتابه « سيناء تاريخها وآثارها » : « اننا اذا رجعنا الى أقدم العصور ، أو الى أيام العصر الحجري ، نجد أن من كانوا يعيشون في سيناء عرفوا كيف يستخدمون الأدوات التي صنعوها من « حجر الصوان » الذي يشبه ما كان مستخدما في شرق أفريقيا وفي غرب آسيا .. وقد تم العثور على تلك الأدوات منذ وقت قريب ، وكان أهم ما عثر عليه في السنوات الأخيرة في وادي العريش » .

وقد عرف المصريون القدامى أو الفراعنة طريقهم الى سيناء ، بل ربما يكونون قد عرفوا كيف يستغلون هذه الأرض أكثر من المصريين المحدثين ، فمنذ أربعة آلاف وسبعمائة عام ، كانوا يوفدون جماعات منهم لاستخراج المعادن من جبال سيناء ، في الجنوب .. وكان الفيروز والنحاس أكثر ما وجدوه وحملوه معهم في رحلة العودة .. ومن هنا جاء اسمها « أرض الفيروز » !

ولكن البدو كانوا هناك منذ هذا التاريخ البعيد ، قبل أكثر من سبعة وأربعين قرنا من الزمان ، وكان لابد أن يتحركوا ، فقد كان البدو من أهل سيناء يخرجون اليهم ويتعرضون لهؤلاء الغرباء ، ويتهددونهم ان هم بقوا فوق أرضهم !

ملاحم الأبطال

وفي العصر الاسلامي بعد مجيء عمرو بن العاص الى مصر عبر سيناء ، نقرأ الملاحم التي تحكي قصص الأبطال الذين وقفوا في وجه التتار والصليبيين ، والأدب الشعبي في مصر يحتفل بالظاهر بيبرس الذي يتصدر اسمه قائمة هؤلاء الأبطال ، فقد استطاع أن يحتل مكانا بارزا في ذاكرة الشعب ، وكانت شجاعته في الدفاع عن سيناء هي التي صنعت له هذه المكانة .. فهو الذي حقق النصر للمصريين والعرب ، وتمكن من صد المد المغولي والصليبي ، وقد ظل اسم هذا البطل يتردد على ألسنة القصاصين حتى أوائل هذا القرن .

هل نمضي في الحديث عن سيناء في التاريخ ؟ يبدو أننا ابتعدنا كثيرا عن حاضر سيناء ، وعن المستقبل الذي ينتظر هذه البقعة من الأرض العربية .. ولكنها وقفة أمام التاريخ ، كان لابد لنا أن نقفها ، لنقل



صورة لما كانت عليه الحياة في هذه الارض ، ونحن نمضي في رحلتنا فوق رمالها .

صحيح انه ماض .. وربما كان بعضه ضاربا في جذور التاريخ ، بعيدا عن الواقع الذي تعيشه سيناء .. ولكن أليس الحاضر .. حاضر أي بلد ، هو امتداد للماضي القديم !

نقطة اللقاء الأبدي

ان أهمية سيناء على مر العصور ، كانت وما زالت تكمن في موقعها حيث تلتقي آسيا وأفريقيا برا ، وحيث يفترق البحر المتوسط والبحر الأحمر .. أما شمال شبه الجزيرة فيقع عند طرف هلال كبير ، يشمل بلاد الشام والعراق ، حيث يقترب بحر ثالث من الطرف الجنوبي للعراق ، وهو الخليج العربي ..

وقد عانت سيناء لأكثر من ست سنوات في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، الى جانب معاناتها الطويلة ، كما ذكرنا ، نتيجة اهمالها ونسيانها ، حتى ان الكثيرين من أبناء مصر عاشوا ورحلوا دون أن يعرفوا أن سيناء كانت وما زالت جزءا من أرض مصر العربية .

ومن هنا بدأت عملية اعادة تشكيل الحياة على هذه الأرض بعد عودتها الى الوطن الأم .

ولكن قبل أن نخوض في الحديث عن المستقبل الذي جندت الدولة كل امكانياتها لصنعه ، لابد لنا من رحلة قصيرة نمر خلالها سريعا على حاضر سيناء ، أو على الأصح محافظة جنوب سيناء التي أمضينا فيها بضعة أيام ، كان لنا فيها لقاء بالأرض والناس الذين يعيشون فوقها ..

الصورة التي طالعتنا في المدن الأربع التي زرناها ، وهي كما ذكرنا شرم الشيخ والطور (عاصمة المحافظة) ، ودهب ونويبع .. وهي صورة لمجتمعات سكنية جديدة لم يكن لها وجود قبل سنوات قليلة خلت .. عمارات حديثة في شرم الشيخ وفي دهب وفي نويبع .. ومدارس ومستشفيات ومزارع لتربية الدواجن وتسمين العجول وبحث دائب لاختيار مواقع الأراضي التي تصلح للزراعة ، بعد أن تصل اليها مياه النيل ، وبعد أن ينتهي العمل في اقامة محطات تحلية مياه البحر ، لأن نسبة الملوحة في مياه الآبار في سيناء مرتفعة .. فالأرض تختزن مياه الأمطار في جوفها ، ولكنها تختلط في آبارها غير المرئية بمعادن كثيرة تذوب فيها وتفقدها صلاحيتها للزراعة !

وفي مدينة الطور كان لنا لقاء بمحافظ جنوب سيناء اللواء مجدى سليمان الذي استقبلنا في مكتبه



المسافرون يحملون امتعتهم في الطريق الى العبارة من نويبع . الى العقبة .





الغواصون في اعماق البحر الاحمر يسجلون بعدساتهم صورا للشعب المرجانية والاسماك الملونة . . انهم يأتون من كل انحاء العالم لرؤية هذه الحياة التي تغمرها مياه البحر .



العبارة «الحسين» تستعد للابحار عبر مياه خليج العقبة



وحدهما على الشاطىء عند سفح
الجبل .. شاهد التاريخ



بعيدا عن الزحام مع رائحة البحر والطبيعة التي لم تفسدها الحضارة .. لم يعرف الكثيرون طريقهم اليها بعد .. .. محافظة جنوب سيناء

بالمحافظة ، مرحبا « بالعربي » وكان أول سؤال خطر لنا أن نتوجه به اليه ، ونحن نرى من حولنا هذه الأرض الشاسعة ، التي يمكن أن تمتص الملايين من البشر الذين يزدحم بهم الوادي الأخضر الضيق الذي يمتد مع نهر النيل من الجنوب الى الشمال .. كان سؤالنا الأول : « لماذا لا تأتون ببضعة ملايين من المزارعين الى سيناء ؟ .. »

وقال المحافظ : « لأن مشكلتنا في الوقت الحاضر هي المياه ، فاذا توفر الماء استطعنا ان نستصلح الأرض ، ونزرعها وعندئذ سوف ندعوهم الى المجيء ! .. »

السياحة والتطوير

ثم يقول المحافظ : « والى أن تصل المياه الحلوة الى سيناء ، فإن اهتمامنا كله يتركز الآن في السياحة ، وفي كيف نجعل من هذه المنطقة الجميلة بمناظرها الطبيعية ، منطقة جذب للسائحين .. ومن هنا بدأنا في تنمية وتطوير الخدمات التي يحتاج اليها السائح ، وفي مقدمتها الفنادق التي بدأنا في اقامة خمسة منها ، والعناية بالشواطىء التي يهوى السائحون قضاء معظم نهارهم فوق رمالها ، والغوص في مياه البحر والتزلج على صفحته الدافئة .. ان السياحة ثم السياحة ، هي التي تستحوذ على كل اهتمامنا الآن .. ولكن ليس معنى هذا أننا أهملنا بقية المشروعات التي سوف تسهم في تحويل سيناء الى منطقة جذب لسكان الوادي .. .

« أنتم توافقون لا شك على أن التنمية الاقتصادية بمختلف جوانبها تحتاج الى مجموعة من العناصر البشرية والمواد الأولية ورأس المال وغيرها .. والمحافظة من جانبها عملت ولا تزال تعمل على اجتذاب واستقرار العنصر البشري ، عن طريق اقامة وسائل الخدمات الأساسية ، وقد بدأنا في التوسع في انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية والموانىء ، وما يتبع ذلك كله من وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية باعتبارها شرايين الحياة والتطور في عالمنا المعاصر .



عند الغروب ، قفل عائدا بقاربه وصيده الوفير ، من مياه البحر الاحمر عند ميناء نويبع .

« ونحن نقوم اليوم بتوفير احتياجات المحافظة الغذائية والتموينية محليا ، حتى نستطيع أن نقول اننا حققنا الاكتفاء الذاتي ، وربما تكونون قد رأيتم بعض هذه المشروعات التي تحقق هذا الهدف خلال جولتكم في مدينة الطور !

ويمضي المحافظ : « ثم لقد دخلت الكهرباء كل مدن سيناء وقراها ، وهي كما ترون خطوة حيوية من أجل توفير حياة أفضل لسكان سيناء من ناحية ، واقامة صناعات جديدة تعتمد على الكهرباء من ناحية أخرى ! »

وهكذا بدد النور الظلام الذي عاشت فيه سيناء عبر القرون . .

ثروات طبيعية

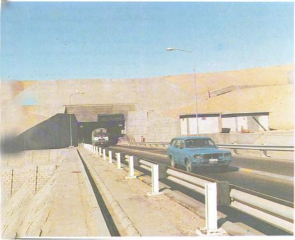
وفي سيناء ثروات طبيعية هائلة ما زالت مدفونة في جبالها وفي رمالها الناعمة وفي بحارها . فهناك الكاولين ، والرخام ، والجبس ، والمنجنيز ، والبترول ، والرمل الناعم الذي يصنع منه الزجاج !

ويقول محافظ جنوب سيناء : « ان ما تم انجازه خلال الخطة الخمسية الحالية يعتبر تمهيدا لانطلاقة كبرى في تعمير وتنمية سيناء ، وسوف تشهد شبكات الطرق ومحطات الميكرويف والطاقة والمياه والكباري والأنفاق والموانىء والمطارات الدولية التي تربط سيناء بالعالم الخارجي قفزة كبيرة ، بهدف خلق مجتمعات عمرانية وصناعية متكاملة .

ان الخطة الخمسية الثانية تشتمل على مشروعات استغلال الثروة السمكية من مياه خليجي السويس والعقبة ، وقد بدأنا بالفعل في تطوير أساليب الصيد وتحديثها ، كما تجرى دراسات الآن لاقامة مصنع لانتاج الأدوات الصحية والقيشاني ، والعوازل التي يدخل في صناعتها خام الكاولين الذي يوجد بكميات وفيرة في أبو زنيمة وأبو رديس حيث حقول البترول .

« ولما كانت السياحة هي شغلنا الشاغل في سيناء الجديدة ، فقد بدأت المشروعات بالفعل في اقامة المزيد من القرى السياحية والفنادق المطلة على الشواطىء ، الى جانب استغلال مواقع السياحة الدينية والتاريخية . .





نفق الشهيد احمد حمدي (الى اليسار)، اعاد ربط سيناء ببقية ارجاء مصر، وغرفة التحكم (الى اعلى)، من خلال شاشات التلفزيون الموجودة بها يمكن رؤية جميع التحركات داخل النفق.



قناة السويس
فصلت سيناء
عن الوطن
الام . .



مزرعة الدواجن
بمدينة الطور ،
احدث الانجازات
على طريق
تحقيق الامن
الغذائي .



احدى مزارع
تسمين العجول
لتحقيق الاكتفاء
الذاتي من
اللحوم .



في الصحراء ووسط الجبال ، شقوا الطرق التي تربط بين مدن جنوب سيناء الرئيسية ، ثم بينها وبين « الوطن الام » .

ان كل احتفال بأعياد تحرير سيناء سيحمل معه مشروعا جديدا .

معابر الى المستقبل

هل انتهى الحديث عن سيناء التاريخ والحاضر والمستقبل ؟ ربما ! ولكن بعد أن نمضي في رحلة قصيرة مع المعابر التي أعادت ربط سيناء عضويا بالوطن الأم ، بل أكثر من هذا فقد أصبحت سيناء ، كما كانت قديما حلقة الاتصال بين المغرب والمشرق العربي ، بين أقطار الأمة العربية كلها من أقصاها .. من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي ..

وكان المعبر الأول هو نفق الشهيد أحمد حمدي الذي يربط بين ضفتي قناة السويس الغربية والشرقية ، وهو يمتد تحت مياه القناة من نقطة تبعد بحوالى ثمانين كيلومترا عن مدينة الاسماعيلية ، في الطريق الى مدينة السويس ، وقد بدأ العمل في بنائه في أوائل عام ١٩٧٧ ، واستمر حتى عام ١٩٨٢ ، وتكلف بناؤه حوالى مائة وعشرين مليونا من الجنيهات ، ويبلغ طوله كيلومترا ونصفا ، تقطعه السيارة في دقائق معدودة .. وقد شيد على أحدث الأساليب المتبعة في تشييد الأنفاق .. أما الاسم الذي يحمله هذا الشريان الحيوي الجديد فهو لنائب قائد سلاح المهندسين الذي أسهم بصورة فعالة في ازالة الساتر الترابي ، الذي أقامته قوات الاحتلال الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة ، وقد استشهد في أول أيام العبور ، اليوم العاشر من رمضان السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ .

بقي المعبر الثاني في مدينة نويبع على خليج العقبة الذي ربط بين مصر والأردن ودول الخليج والمشرق العربي كله .. ويقع ميناء نويبع على بعد ٦٥٠ كيلومترا من القاهرة ، ولو أن المسافة تختصر الى أقل من الثلثين بعد الانتهاء من شق الطريق الجديد بينها وبين قلب القاهرة خلال شهور قليلة ..

وتعمل على هذا الطريق البحري عبارتان كبيرتان ، احداهما أردنية ، والأخرى مصرية ، وتقوم العبارتان برحلتين يوميا من نويبع الى العقبة وبالعكس .

بقي معبر مياه النيل الذي تنتظره سيناء لترتوي به الأرض العطشى .

لقد عادت الحياة الى سيناء .. وهي اليوم ترسم لوحة جميلة يشارك كل أبنائها في اعدادها .. انها صورة مصر الأمل .. مصر المستقبل .. أوكما قال لنا الأعرابي وهو يقود ناقته عند الغروب عائدا بها الى بيته : « نحن هنا في الجنة .. ولكنها كانت تزون جنة بلا بشر ! »

قالها في كلمات بسيطة ولكنها كانت معبرة عما يحمله في صدره من آمال ..

وأهل سيناء الذين لم يعرفوا حياة أخرى بعيدا عن الأرض التي نبتوا فيها ، ينتظرون اليوم الذي تحتفل فيه سيناء باستقبال الوافدين من الوادى الأخضر الى الأرض التي أمضت قرونا طويلة تنتظر مجيئهم ، من أجل بناء حياة جديدة .. حياة يشارك فيها البدو ولا يتصدون لها ! □

■ العمل يكون فارغا وبلا ثمران لم يقترن بالمحبة (جبران خليل جبران) .



تاج أيوني من جزيرة فيلكا

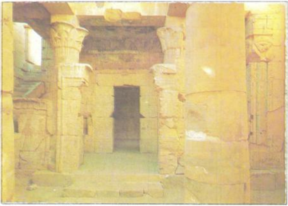
الأصول المعمارية للأعمدة عند المسلمين

بقلم : عبد الغني محمد عبدالله

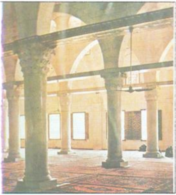
اذا كانت العمارة تقام من أجل الايواء والحكم واللهو والاجتماع والتعليم والعبادة .. أو غير ذلك من الأغراض .. فانها لكي تكتمل « قديما » كان لابد لها من حوائط حاملة أو ساترة ، وسقوف وفتحات للانارة والتهوية ، وأعمدة أو دعائم . قد لا نفطن لذلك الأمر في العصر الحديث ، بسبب استخدام الخرسانة المسلحة ، حيث حلت الكثير من المشاكل المعمارية ، الا أن هذه المشاكل لم تكن لتحل قديما الا بالأعمدة والعقود ... وتلك قصة الأصول المعمارية من خلال ماتؤكده الآثار الاسلامية .

بدأت العمارة الاسلامية في الظهور منذ فجر الاسلام في القرن الاول الهجرى (القرن السابع الميلادي) وانتشرت في معظم البلدان مع الفتح ، ومع مرور الأيام انتشرت من الأطلسي غربا الى حدود الصين الغربية شرقا ، ومن جنوب ايطاليا شمالا حتى بلاد اليمن جنوبا .. وطبيعى أن تختلف الأساليب والوسائل والمواد والطرز المعمارية بين أجزاء الامبراطورية الاسلامية المتسعة الأرجاء فيما عرف باسم الطرز أو المدارس الفنية الاسلامية .

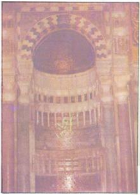
تميز العصر الاسلامي المبكر بالبساطة والخشونة مع الجهاد والتفرغ له ، فجاءت عمارته بسيطة .. خشنة وخالية من التأنق والزخرفة ، بدائية في الأساليب



العمود الفرعوني ذو القنوات .



العمود الكورنثي ـ بالمسجد الأقصى .



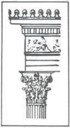
التيجان الناقوسية في مجموعة قلاوون .

والوسائل والمواد ، ولكن بعد اتخاذ الأمويين لدمشق عاصمة للدولة ، وتلاهم العباسيون في اتخاذ بغداد حاضرة لهم ، كان ذلك سببا رئيسيا في ظهور الطرازين الأموي ثم العباسي في الفنون الاسلامية ومن بينها العمارة ، وكان لهذه الفترة الأثر العميق في تطور الفن الاسلامي ، بسبب الاتصال بثقافة وفنون وحضارات الدول والشعوب الأخرى ، سواء الدولة الرومانية البيزنطية التي كانت موجودة في سوريا ومصر ، أو الدولة الساسانية التي كانت موجودة في العراق وايران ، وهي ثقافات وفنون وحضارات سبق أن تطورت عن حضارات سابقة ، نتيجة اختلاط حضاري ، استمر بتفاعل عبر التاريخ قبل الفتح الاسلامي . ومنذ أقدم العصور . تراث حضاري ضخم ، كان من أبرز المؤثرات فيه ذلك الأثر الاغريقي « الهيليني » القادم مع زحف الاسكندر الأكبر ، ثم الأثر الروماني الذي وفد الى نفس المنطقة مع المد الروماني الذي سيطر على المنطقة عقب ذلك .

ومن هنا يمكن القول بأن العمائر الاسلامية الأولى ، وخاصة في العصر الأموي ، قد استعان منشئوها بالأحجار والأعمدة المتخلفة من عمائر العصور السابقة على الفتح،وهي عصور اتفق على تسميتها بالعصور الرومانية مسبوقة" باغريقية ، ثم تتوالى الحضارات في التقادم في كل من الشام ومصر . . أما في العراق وايران فقد سبقت عصور ساسانية وفرثية « بارزية » وأكمنية ، الا انه يجب التنبه الى أن المسلمين قد استخدموا المواد ، ولم يستخدموا الأساليب وهندسة البناء الا في القليل النادر . .فقدكانت لهم هندستهم المعمارية وفلسفتهم في فن العمارة .

العمود

والعمود - الجمع أعمدة وعمد بضم العين هو قائم مستدير - اسطواني - يحمل سقفا أو ثقلا ، ويعمل لصالح المبنى الذي هو جزء منه ، صنع من الحجر أو الرخام ، من قطعة واحدة أو من أحجار في شكل مداميك ، استخدمته كل الشعوب على مر التاريخ ، وفي بعض الأحيان استعيض عنه بالخشب أو جذوع النخل . . واستخدم أحيانا كعنصر زخرفي . .



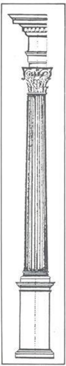
تاج وتتويجة



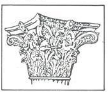
تاج العمود الكورنثي



تاج وتتويجة



العمود المركب - روماني . عمود كامل



تاج العمود الكورنثي - روماني النحت

قام بدور حمل السقف أو الثقل عند أهل اليونان القدامى ، أما عند الرومان ، وبعد استخدام الانشاء العقدى « من العقود وهي الأقواس » صار العمود يستخدم أحيانا في دور زخرفى ، له رأس عبارة عن تاج ، كان الاغريق أول من صمموها ، أما الدعائم فبرغم قيامها بنفس عمل العمود ، الا انها مربعة ، ومن البناء « الحجر أو الآجر »

ويرغم أن المصريين والاغريق عرفوا طرق البناء بالعقود ، الا أن هذه الطريقة لم تستخدم لديهما على نطاق واسع ، استمر الأمر كذلك حتى طور الرومان هذه الطريقة المعمارية ـ طريقة البناء بالعقود ـ ليحلوا بها العديد من المشاكل المعمارية .

العقد

والحديث عن الأعمدة يجرنا للحديث عن العقد والعقود (القوس والأقواس) ، والعقد هو تنظيم بقوالب على هيئة الخابور ، اذا ركبت بعضها مع بعض فوق فتحة ما ، أمكنها ان تتحمل ثقلا بتحاشرها حتى تتزن ، ويدفع طرفاالعقد نحو الخارج « الرفس » الى الجانبين ، الا أن الكتل الرأسية التي تسمى « الاكتاف » المتحملة للعقد تقاوم هذا الدفع أو الرفس ، بالاضافة الى الأربطة الخشبية ، وهي تلك التي نراها في المساجد ، ونتصورها انها لتعليق وسائل الانارة .

أجزاء العمود

العمود نفسه كان يتكون من عدة أجزاء تجلس فوق بعضها البعض بشكل متزن ، يعطي في النهاية شكلا متوازنا وجميلا وقويا في نفس الوقت ، ليحمل الثقل المنوط به حمله ، وهذه الأجزاء هي :

١ ـ القاعدة : وهي التي تجلس فوق الأرض .

٢ ـ البدن : ويجلس فوق القاعدة ، وهو يمثل جسد العمود .

٣ ـ التاج : وهو يوضع فوق البدن ، وهو الجزء المزخرف من أجزاء العمود ، وبواسطته يمكن تحديد نوع العمود وطرازه في أغلب الأحوال .

٤ ـ الوسادة : وهي مكعب خشبي صغير ، يجلس فوق التاج واذا كان هذا المكعب كبيرا فيطلق عليه اسم « الأورمة ».

٥ ـ التتويجة : وتجيء فوق الوسادة أو الأورمة وهي تتكون من :ـ

أ ـ الافريز .

ب ـ الكورنيش : وهي زخرفة تستمر فوق الأعمدة .

٦ ـ الاطار فوق الأعمدة : وهو الجزء المعماري الممتد فوق كل الأعمدة .

٧ ـ الكرسي : وهو ابتكار روماني ، وقد ظهر في العصر الروماني فقط ، وكان يوضع فوق الكرسي « بكل أجزائه » وذلك للارتفاع بالعمود ولتجميله .

وبعض الأعمدة كان لها « كرش » عند بداية البدن لخداع النظر ، وذلك حتى لايظهر البدن نحيلا من أسفل . . وفي بعض الأحيان يكون البدن مضلعا بواسطة قنوات طولية رأسية محفورة في البدن ، بلغت أحيانا ٢٤ قناة في العمود الواحد .

ويرمز الى ارتفاع العمود بالحرف اللاتيني Hاختصارا لكلمة High ويقصد بها الارتفاع من أول القاعدة حتى اسفل التاج اما القطر فيرمز اليه بالحرف dاختصارا لكلمةDiameter

الأعمدة عند الاغريق

الشعب الاغريقي كان يتكون قديما من عدة شعوب من بينهم « الدوريون » الذين سكنوا شبه الجزيرة اليونانية و « الأيونيون » وهم الذين سكنوا جزر بحر ايجة وسواحل آسيا الصغرى ، وكانت بلاد اليونان مقسمة الى ولايات صغيرة ومدن دول ، من بينها اسبرطة وأثينا والمتصورة ومقدونيا وطروادة وغير ذلك .

ويعتقد الاغريق أنهم أبناء « هيلين » الأب الذي أبحر بسفينته الى حيث موطن الاله « أبوللو » وكان له ثلاثة أولاد هم« أبو الدوريين » و « أبو الأيونيين » و « أبو اليوليين » وهي أسطورة تشبه قصة سيدنا نوح عليه السلام وأولاده سام وحام ويافث .

وقد وصل الاغريق الى مرحلة متقدمة في الفنون والثقافة ، وكانت الفنون عندهم منذ القرن الخامس تنبع من آراء الفلاسفة الذين بحثوا عن ماهية الفن وأهدافه من الناحية الفلسفية ، وقد جاءت الفنون

شديدة الاهتمام بالفرد دون العقيدة .. ملامحه .. عضلاته انفعالاته .. « فن كلاسيكي » مماثل للطبيعة على نحو مثالي ، وهو أمر افتقدناه في فلسفة الفنون الشرق أوسطية القديمة .. ومن بين الفنون الاغريقية القديمة .. كانت العمارة ، فقد بنوا الدور والمعابد وغير ذلك ، وكان البناءون الاغريق يستخدمون الأعمدة في عمائرهم بأي شكل وأي مقاس في أول الأمر ، الا أنهم ومع مرور الزمن ، بدأوا في تثبيت نسب الأعمدة وأطوال أبدانها وأقطارها .. استقر الأمر لديهم عند ثلاثة أنواع من الأعمدة اختلفت فيما بينها في الارتفاع وزخرفة التاج ، وأصبح كل نوع يمثل طرازا مستقلا .. واستمروا في استخدام هذه الأنواع الثلاثة في عمائرهم طوال العصور القديمة في بلادهم ، وفي المناطق التي انتقلوا اليها وخاصة في ركاب الاسكندر الأكبر .. وهي :

١ ـ العمود الدوري

وهو أقدم طرز الأعمدة اليونانية ، وهو ينتسب الى القبائل الدورية ، وهو عمود بسيط .. رائع في مظهره ، ليس له قاعدة في الغالب ، حيث كان يرتكز على الأرض مباشرة ، ويضيق قطر بدنه في اتجاه القمة ، وكان بدنه مزخرفا بقنوات محفورة رأسيا ، وقد يكون بسبب تأثير من العمود الفرعوني ذي القنوات ، ولهذا العمود تاج بسيط .. وأبرز استخدام هذا العمود كان في معبد « البارثينون » الذي شيد فوق تلال (الأكروبول) للالهة « أثينا » فيما بين عامي « ٤٥٧/٤٧٠ » ق . م وعمارته ذات طراز دوري نسبة الى الأعمدة الدورية التي ارتفع سقفه عليها ، وقد صممه المهندسان « اكتينوس » و « كاليكراتيس » تحت اشراف المهندس الشهير « فيدياس » في عهد « بركليس » فترة زعامة أثينا على المدن الاغريقية» ويبلغ ارتفاع العمود فيه ١٠,٤٣ مترا . وقد انتشر هذا العمود الدوري في أجزاء أخرى كثيرة من العالم القديم . وفي الكويت تم العثور على أمثلة منه في جزيرة فيلكا « التقرير الشامل لادارة الآثار والمتاحف عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا » وقد وجد هذا العمود وراء هيكل المعبد الأول ، وعلى أحد الجدران ، وفي آثار المعبد الثاني .

٢ ـ العمود الأيوني

وقد ظهر هذا العمود لأول مرة في « أتيكا وأيونيا وتراقيا » على يد « الأيونيين » . وقد كان له قاعدة وبدن رفيقان ، وتاج جميل ، مضمون زخرفته زخرف حلزوني تتم رؤيته بنفس الشكل من الجانبين .. وقد وجد ممثلا أحسن تمثيل في معبد « الأريختيون » وهو أيضا مشيد فوق تلال (الأكروبول) خلال السنوات ٤٠٦/٤١٢ ق . م وكذلك المعبد اليوناني الذي أقيم فوق جزيرة فيلكا بالكويت ، حيث تم العثور على بعض أجزاء الأعمدة والتيجان الأيونية في المعبد القديم الذي بنيت جدرانه بأحجار مربعة يظهر الأسلوب المحلي في بنائها بسبب وضع الطين بين الحجارة الجيرية الملساء والمرجانية التركيب .

٣ ـ العمود الكورنثي

وينتسب هذا العمود الى ابتكار مهندس معماري كان يعيش في مدينة كورينث وان كان يماثل العمود الأيوني الا انه يختلف في شكل التاج ، حيث أن زخارف التاج الكورنثي تتكون من أوراق « الأكنثس » ثماني أوراق في كل صف ، وتتبادل الأوراق مع أوراق الصف الذي يعلوها ، ونجد هذا العمود دائما في المباني التذكارية اليونانية القديمة ، مثل نصب « ليزيكرات » في أثينا ، الذي أقيم بين عامي ٣٣٤/٣٣٥ ق . م الا أنه ـ هذا العمود ـ لم يستخدم بكثرة في المعابد الاغريقية .

الأعمدة عند الرومان

سكنت شبه جزيرة ايطاليا في العهود القديمة قبائل كثيرة أهمها قبائل « الاتروريون » الذين هاجروا في الأصل من ليديا بآسيا الصغرى واستقروا في الشمال « توسكانيا حاليا » أما في الجنوب فقد كان الاغريق يسكنون العديد من المستعمرات على السواحل ، وكل هذه العناصر اختلطت مع الشعوب الايطالية الأصلية وبخاصة « اللاتين » وكان نتيجة هذا الاختلاط ظهور الشعب الروماني .

وقد بسط الاتروريون نفوذهم على كل ايطاليا خلال القرن السادس بما في ذلك مدينة روما التي انشئت عام ٧٥٣ ق . م الا أن أهل المدينة من الرومان طردوا هؤلاء الغزاة وأقاموا حكما جمهوريا مستقلا وارستقراطيا تحت حكم الأشراف ومجلس الشيوخ « العصر الجمهوري » واستمر النزاع

وللصراع حتى سيطر الرومان على ايطاليا كلها ، واندمج الدوريون كلية في الحضارة الرومانية ،

وامتدت سيطرة الرومان على حوض البحر الأبيض المتوسط عقب انتصارهم على القرطاجيين والاغريق والمصريين ، وتأسست الامبراطورية في عهد أغسطس « اكتافيوس » بعد مصرع يوليوس قيصر وانتهاء الصراع على السلطة ، وبالتالي ورث الرومان كل الحضارات السابقة ، ومن بينها حضارة الاغريق بطبيعة الحال ، وفي موضوعنا كانت الأعمدة اليونانية جزءا حضاريا معماريا من كل ما شمله ذلك الارث الضخم . . وكانت تلك الأعمدة تحت سمع وبصر الرومان في كل مكان ذهبوا اليه ، ولذلك فقد استفاد المعماري الروماني منها بشكل كبير .

قام الرومان بتطوير الأعمدة اليونانية وخاصة في نسبها وأطوالها وزخرفة تيجانها ، وزادوا عليها نوعين جديدين ، فصارت أنواع الأعمدة الرومانية خمسة ، منها ثلاثة يونانية ولكن بنسب وأطوال جديدة ، هي « الدوري ـ الأيوني ـ الكورنثي » ، واثنان من ابتكار روماني هي : « التوسكاني ـ المركب » وقد أضاف الرومان كرسيا يحمل العمود بكل أجزائه .

١ ـ العمود التوسكاني

وقد تطور انطلاقا من العمود الأترووري ، وهو عمود كان يستخدم بكثرة خلال الحضارة الأتروورية في ايطاليا قبل العصر الجمهوري ، وكان ذلك معاصرا لبداية الاغريق ، واستمر ذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويتميز ذلك العمود ببدن أملس ، ويرتكز فوق قاعدة ، ويحمل فوق رأسه تاجا مثل تاج العمود الدوري عند الاغريق ، ولكنه اختلف في النسب .

٢ ـ العمود المركب

وقد استخدم هذا العمود بكثرة خلال العصر الروماني وقد سمي مركبا لأن زخارف تاجه تتكون من زخارف التاج الأيوني والتاج الكورنثي مجتمعة في تاج واحد .

وفي العمارة الاسلامية

وورث المسلمون حضارات المنطقة . . ومن بينها [illegible]ون التي تطورت في جميع الميادين . . ومن بينها الفن [illegible] وكانت الأعمدة من بين [illegible] [illegible]ته المعمار المسلم . . حيث استمرت لفترة . . تمثل الحامل الرئيسي لثقل أسقف بعض العمائر . وقد شكلت الأعمدة اليونانية والرومانية عنصرا أساسيا في مجال العمارة الاسلامية الاولى وخاصة خلال العصر الأموى الا أنه مع مرور الوقت صار للمسلمين أعمدة خاصة بهم ذات تيجان اسلامية ناقوسية « كأسية أو رمانية » وذلك موضوع آخر الا أنه ومع مرور الوقت صار للمسلمين أعمدة خاصة بهم .

نسب الاطوال والاقطار للأعمدة اليونانية والرومانية

أ ـ الأعمدة اليونانية

النوع	الارتفاع
الدوري	٤ ـ٥ مرات قطر البدن
الايوني	٩مرات قطر البدن
الكورنثي	١٠مرات قطر البدن

قطر القاعدة = مرتين قطر البدن في كل الأحوال

ب ـ الأعمدة الرومانية

النوع	الارتفاع
الدوري	٨ مرات قطر البدن
الأيوني	٩ مرات قطر البدن
الكورنثي	١٠ مرات قطر البدن
التوسكاني	٧ مرات قطر البدن
المركب	١٠مرات قطر البدن

* قطر القاعدة = مرتين قطر البدن في كل الأحوال
* الاختلاف بين الكورنثي والمركب في شكل التاج
* ظهر كرسي العمود وارتفاعه = ¼ ارتفاع العمود

ملحوظة شكل التاج في كل نوع واحد بين الأغريقي والروماني .

□



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (كلّا إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إنّ الى ربك الرجعى) « العلق ٦ - ٨ »

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ يصلى ، فجاءه أبوجهل فقال : « ألم أنهك عن هذا ؟ فرد النبي عليه زاجرا اياه ، فقال أبوجهل : والله انك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني ، ثم مضى يفخر بنفوذه وغناه ، فأنزل الله هذه الآيات .

فهنا اذن حديث عن اغترار الانسان بثرائه المادي ، وقُوّته البشرية ، اغترارا أنساه ربه ، وأنساه الحدود التي تفرضها عليه آدميته ، فقد كان تجار مكة في الجاهلية شديدي الاغترار والافتخار بانجازاتهم ، وبصيت قريش بين قبائل العرب وبما تتمتع به مدينتهم من مركز خاص في شبه الجزيرة ، وقد أدى هذا الغرور منهم الى تعاظم الميل لديهم الى الاستخفاف بسلطان الله عليهم ، والاطمئنان المطلق الى ما سيأتي به الغد ، وانكار ضعف الانسان ازاء القوى غير المتناهية التي تحكم حياته ومصيره .

وقد كان الجاهليون القرشيون في هذا أشبه مايكونون ببعض أهل زماننا هذا ، خصوصا في الغرب ، ممن يميلون الى المبالغة في تقدير قدرات الانسان على تكييف حياته ، وعلى التحكم في الطبيعة حوله وفقما يحلو له ، وهو شَبَهٌ يعزز من اعتقادنا ان الاسلام في هذا المجال ، كما في غيره ، بوسعه تقديم الحلول من أجل هداية البشر - في الشرق والغرب جميعا - الى سواء السبيل .

قد نرى من الغربيين من ينعى على الاسلام إغفاله وإنكاره لحرية الارادة الانسانية ، والحقيقة أن الاسلام لم يغفلها أو ينكرها ، ولا كان المسلمون الأوائل ينكرون دور الفكر والجهد البشريين ومسئولية الانسان عن عمله ، غير أن الاسلام علمهم في نفس الوقت ، إنه مهما كانت انجازات الانسان بفضل تخطيطه وعمله الجاد ، فعليه أن يدرك دائما أن هناك من القوى في هذا الكون ، ما بوسعها إحباط خطط المخططين ، وتدبير السياسيين ، وعمل العاملين .

قد أوضح الاسلام إذن أن ثمة أحداثا وتطورات

لايمكن للانسان دفعها مهما بلغت قدرته وقوته ، وأنه من صالحه ومن الأوفق له أن يعترف بأن لهذه القوة حدودا ، وأن يقمع الميل الى المبالغة في تصويرها ، فالمبالغة في الايمان بها تؤدي دائما الى مشاعر الاحباط والقلق ، وهي مشاعر يمكن تجنبها متى تعلمنا أن نتقبل الحتمية في أمور لاإرادة لنا في الحياة البشرية ، بما في ذلك حتمية الموت ، وقد عبر كثير من الغربيين عن إعجابهم وعجبهم ازاء ما لمسوه من اتقياء المسلمين ، من وقار واتزان في مواجهتهم للمحن والشدائد ، وازاء جهلهم بمشاعر القلق التي تفتك بالملاحدة وضعاف الايمان عندهم : فالمسلم المؤمن في حياته أشبه براكب الطائرة ، متى أقلعت لم يعد بوسعه غير أن يسلم أمر وصوله سالما الى قائديها .

وقد كان السبب الرئيسي في اغترار الانسان في الغرب بقدراته وقوته ما أحرزه من انجازات رائعة في مجال العلوم ، خصوصا منذ بداية القرن التاسع عشر ، في حين كان المفروض أن تؤدي هذه الانجازات ذاتها وهذا التقدم الى نمو إدراكه لحدود قدراته ، وإدراكه لخضوع الحياة البشرية لسلطان القوانين الكونية .

لقد أوضحت الاكتشافات في علوم الطبيعة والكيمياء في القرن التاسع عشر أن جسم الانسان خاضع لتأثير القوانين المادية ، وبقي اعتقاد الانسان قائما ان روحه مستقلة الى حد كبير عن تأثير هذه القوانين ، ثم اذا بالتقدم اللاحق في علمي النفس والاجتماع ، يؤكد خضوع كافة جوانب الحياة الداخلية في الانسان لتأثير قوانين الطبيعة وقانون السببية ، وبذا يكون العلم الحديث قد أثبت تحكم القوانين البيولوجية والكيميائية والنفسية والاجتماعية في تكوينه الجسماني والروحي ، وكافة أوجه حياته ومظاهر نشاطه على سواء ، وأثبت أن الحياة البشرية تحددها قوى تعمل وفق قوانين خارجة عن إرادته ، ورغم أن الفلاسفة الغربيين قد أدركوا شيئا من هذا القبيل ، فان هذا الادراك منهم لم يؤثر الا قليلا في مفهوم الانسان الغربي بوجه عام عن الحياة .

وفي هذا المجال يقدم الاسلام احدى القيم الخالدة باصراره على وجود درجة كبيرة من الحتمية في الأحداث ، وعجز الانسان عن التأثير والتحكم في هذه الحتمية ، فإن كانت الغالبية في العالم الغربي عاجزة عن هضم هذه الحقيقة ، فقد كان الجاهليون من أهل مكة في مثل عجزهم ، وهو عجز - في الحالتين - ناجم عن اعتزاز بالنجاح واغترار بالانجازات ، وبالثروة التي حققتها هذه الانجازات ، وقد أسمى القرآن هذا في الآيات التي نتحدث عنها بالطغيان ، ونسب الى هذا الطغيان نسيان الانسان أن الى ربه الرجعى ، فعند الرجعى تكون محاسبة الانسان عن المفهوم الذي كونه عن الحياة على هدى تجاربه وتفكيره ، ومفهومه عن نفسه وحدود قدراته ، وعما اذا كان هذا المفهوم قد أسهم في ادراكه لقوة الخالق وقوانينه وسننه ، أم أنه وقف حجر عثرة في سبيل هذا الفهم والادراك .

وقد حدثتنا سورة العلق عن الله تعالى ! « علّم الانسان مالم يعلم » . وأغلب ظني أن المقصود هنا هو أنه جل جلاله علّمه أن هنالك الى جانب وجوده الانساني المحدود الفاني ، وجودا لانهائيا سرمديا ، ثم مضت تحدثنا عن كيف أن أبا جهل (أو انسانا مثله) لم يكتف بأن كذب وتولى ، بل بلغ به الصلف أن نهى الرسول ﷺ عن الصلاة ، وعن عبادة ربه والخشوع ازاء وجوده غير النهائي ، أو قل انه بلغت به حدة الفراسة أن أدرك أن مثل هذا الموقف الجديد من النبي ، من شأنه أن يشكل إدانة دامغة لنظرته ونظرة قومه الى الحياة ، لابد أن تسفر عن عواقب وخيمة في المستقبل ، لذا فقد هدده بأن يدعو « ناديه » حتى يجبره على العودة الى تبنى مفاهيم قومه وقيمهم ، غير أنه هيهات لمن تفتحت عيناه على الحق أن يعود الى قيم مجتمعه القديمة الخاطئة ، فاذا بالوحي ، وقد جاء النبي كي يثبت فؤاده ، ويقوي من عزمه ، على التحدي والمقاومة ، يلقي في روعه بهذه الكلمات الكريمة في ختام السورة :

(كلا لاتطعه واسجد واقترب) □


خفيف جداً ، منعش جداً
ورائع جداً للضيوف
دائم الخضرة
شاي أخضر من الصين

وجها لوجه



عبد الرحمن منيف و جليل العطية

* لم يتعامل العرب مع النفط بطريقة عقلانية !

* لماذا يضم الوطن العربي أغنى البلدان وأفقرها أيضا ؟

* ما هو دور الوافدين العرب فى الجزيرة والخليج ؟

* لقد همشت الثروة النفطية العنصر البشرى ، وجعلت المرأة احدى مقتنيات الزينة .

* « مدن الملح » تأريخ فنى للمجتمعات النفطية .

عبد الرحمن منيف روائي عربي همه الانسان وحريته وغده .. بدءا من روايته الأولى الأشجار واغتيال مرزوق، وانتهاء بثلاثية «مدن الملح» ظلت هواجس هذا الروائي هي هي !

منيف رجل قانون واقتصاد وخبير نفط، انصرف للرواية ليقدم لنا رؤيته الشخصية، وتجربته المريرة بشيء كثير من الحدة الجارحة والصراحة المخيفة.

وبمناسبة صدور «الأخدود» - الجزء الثاني من ثلاثية «مدن الملح» أجرى الكاتب العراقي جليل العطية، الذي يعمل باحثا متفرغا في معهد البحث وتاريخ النصوص في باريس ويعد اطروحة دكتوراة تتناول تطور الصحافة السياسية في العراق بين الحربين العالميتين في جامعة السوربون الثالثة، حوارا مع عبد الرحمن منيف، تم في احدى مقاهي الحي اللاتيني بباريس، تناول فيه هذه الرواية، من حيث أبعادها الفكرية والاجتماعية واللغوية وشخوصها .. وفيما يلي نص الحوار.

التشاؤم ومدن الملح

● مدن الملح رواية أحداث وأماكن، وفيها اصرار على اعتبار النفط لعنةخطيرة، وفي «الأخدود» رأينا أن الأموال قد أفسدت كل أبناء «موران» أو معظمهم .. ألا ترى أن هذه النظرة كثيرة التشاؤم، وأن لثروات النفط ايجابياتها أيضا ؟

- النفط بحد ذاته مادة محايدة، كأية مادة في الطبيعة، وتتحدد نتائجه بطريقة استعماله، وربما هو من أكثر المواد من حيث تنوع الاستعمالات والآفاق، ولذلك يجب أن يستثمر بشكل عقلاني، وضمن رؤية واضحة ومخططة، وان لا يبدد باسراف أو بسرعة.

ثم ان النفط مادةناضبة، لا تتجدد في الطبيعة ولا تستعاد، وهو حينما ينتهي ينتهي الى الأبد، على العكس من المياه والأشجار ومواد أخرى يمكن تجديدها وتكرارها، وهو بهذا المعنى فرصة أو ضربة حظ لمن يملكه، فإذا لم نستفد منه الى أقصى حد، ضاعت الفرصة دون عودة، والنفط فرصة لعدد من البلدان لكي تتخفف من آثار التخلف وتلتحق بالعصر، ولكي توفر لنفسها ولأجيالها القادمة بشكل خاص، امكانية العيش والاستمرار، فاذا انتهت هذه الامكانية لن تستطيع هذه البلدان أن تواجه المستقبل وصعوباته، لأنها في الغالب تفتقر الى المواد الأخرى على العكس من بعض البلدان التي تمتلك الى جانب النفط المياه، والزراعة، والصناعة، والتقنية .. الخ.

لهذه الأسباب كان يفترض أن يتعامل العرب مع النفط بطريقة عقلانية، وأن يستفيدوا منه بحرص ووعي، لكن ما حصل هو العكس، فهذه الصناعة لم توطن، أي لم تتحول الى جزء من كيان صناعي، وظلت معزولة، ومحكومة بعوامل خارجية، فحجم الانتاج - مثلا - لم يتحدد على ضوء حاجة الدول المنتجة، بل على ضوء حاجة الأسواق الخارجية بالدرجة الأولى، ولذلك بدد جزء كبير من النفط العربي بأسعار رخيصة، وظلت هذه الصناعة معزولة مثل - جزيرة - فلم تتفاعل ولم تتشعب، ولم تصبح نواة لصناعات أخرى.

هذا كله في جانب، وفي الجانب الآخر تحول النفط الى مجرد عائدات مالية، وفي فترة لاحقة أصبحت العائدات كبيرة، وقد جاءت بسرعة ودون جهد، فغيرت معالم الحياة وطبيعتها، وغيرت بالتالي

نظرة الكثيرين الى العمل والى الثروة .

بكلمات أخرى . . ان التراكم الذى يحصل فى مجتمعات أخرى ، يكون نتيجةالعمل ورأس المال ، ولذلك يكتسب كل منهما معنى ، ويخلق كل منهما نظرة وسلوكا ينعكسان على المجتمع كله ، أما فيما يخصنا فقد ظل النفط والعائدات يفتقران الى هذاالمعنى ، وبالتالى ظلا يفتقران الى النظرة والسلوك النابع منهما ، ولهذا تم التعامل مع العائدات بطريقة تخلو ـ اغلب الأحيان ـ من الشعور بالمسؤولية .

ان بلدانا مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج والاتحاد السوفياتى ، تعد من البلدان المهمة فى انتاج النفط ، ولكن كلا منها جعل النفط جزءا من بنية اقتصادية وصناعية موحدة ومتكاملة ، فلا ينتج أى منها الا مايعتبره ملائما له ، ولا يعتمد على هذا المصدر الا لزيادة قوته الاقتصادة والصناعية ، كما أن اهتمام أى من هذه البلدان لا يقتصر على هذه الصناعة ، وانما يتعداها الى الصناعات الأخرى والى الزراعة أيضا .

*** السؤال بكثير من البساطة : ماذا اذا ما انتهى النفط ؟ ماذا أعددنا من أجل المستقبل ؟ ومن أجل الأجيال القادمة ؟ وأكثر من ذلك كيف يمكن أن يكون بين البلدان العربية بالذات ، وفى الحقبة النفطية ، بل فى أحرج أوقات هذه الحقبة ، كيف يكون فيها أغنى البلدان وأفقرها فى العالم ، حسب احصاءات الأمم المتحدة ؟**

المعالجة الروائية

ـ فى « التيه » ثم فى « الأخدود » حاولت أن أعالج ـ روائيا ـ هذه الظاهرة ، أما أن أكون متشائما فى الرواية ، فلا يعنى أننى كذلك بالمطلق . كل ما أردت قوله ، ولفت النظر اليه : « ان الفرصة تضيع من أيدينا وبسرعة ، ولذلك يجب أن نفعل شيئا وقبل فوات الأوان ، لأن الندم بعد ذلك لن يفيدنا ، والنصيحة لن تجدى » .

وكلمة أخيرة فى الاجابة عن هذا السؤال :

ان الموضوع الذى نناقشه هنا هو رواية ، وليس بحثا اقتصاديا أو سياسياً ، وأنت تعرف أن الرواية تعرض لجوانب متعددة ومختلفة من الحياة ، وتعرض بشرا ومشاكل ، دون أن تتحدث عن الحلول ، لأن من جملة هموم الروائى أن يثير الأسئلة ، ويخلق القلق ، أكثر مما يجيب عن الأسئلة ، أو يولد الطمأنينة الكاذبة .

« وموران » التى تحدثت عنها فى الرواية ، كانت دائما رحيمة مع أبنائها ، وكانت تعرف كيف تتوازن مع الطبيعة ، وكيف تتعامل معها . . شرط أن يعرف البشر قوانين الطبيعة وأن يحترموها .

الوافدون العرب

*** الحكيم وزوجته . يمثلان الوافدين العرب . . وقد لعبا دورا قذرا في بنية السُلطة وتفسخ أبنائها ، ألا تعتقد أن في هذا « الدور » الكثير من المعالجة ، فقد عرفنا أن الوافدين العرب لعبوا دورا جيدافى توعية أبناء المنطقة ، من خلال البعثات التعليمية وغيرها ، وبالتالى فان « الحكيم » نموذج يكاد يكون استثنائيا فى السقوط والانتهازية والتفاهة الفكرية . . ألا ترى ذلك ؟**

ـ فى « التيه » الجزء الأول من مدن الملح ، تطرقت الى عدد من الذين وفدوا الى « حران » ولفت النظر الى أن الكثيرين جاءوا بهدف العمل الشريف والرزق الحلال ، وقد لعبوا أدوارا ايجابية فى بناء المدينة وخدمتها . عبدو محمد ، فران « حران » مثلا أطعم المدينة طوال سنوات من مخبزه وكذلك صاحب المقهى واللحام كانا جزءا عضويا من المدينة الجديدة . وآكوب السائق الأرمنى عندمامات فى « حران » هبت المدنية كلها تشيعه ، بل اعطته اسمها أيضا ، وأصبح اسمه « يعقوب الحراين » . وكذلك الحال لراجى السائق الآخر ، اضافة الى معلمى المدرسة ، وعدد لا يحصى من العمال والناس المجهولين الذين لا أسماء لهم بمعنى أدق :

حاولت أن أبرز المشكلة من كل وجوهها ، وأن ألفت النظر الى تنوع الناس واختلافهم ، نتيجة

اختلاف الثروة والواقع .

في « الأخدود » أصبحت الرواية تدور في العاصمة « موران » ، وفي القصور على وجه محدد ، ولذلك كان من الضروري أن ينفذ الانسان الى هذه القصور ، أن يعرف ما يدور فيها وكيف تجري الأمور . و « المحملجي » الذي كان مجرد طبيب مستقل في « حران » كما كان حال أشخاص آخرين من أهل « حران » ذاتها ، فقد أصبح في موران شخصا مختلفا ، أصبح مستشار السلطان واقرب الناس اليه ، وأكثرهم تأثيرا عليه . كان يرى السلطان كل يوم ، ويوحي اليه بالافكار والخطوات ، بما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ، ومن هنا كانت الصورة التي يبدو فيها ، والتي يمكن ان تنسحب - تعسفا - على الوافدين الآخرين .

الحكيم في « الأخدود » يمثل هذا النمط من مستشاري السوء ، وهذا النمط كان موجودا ولايزال ، وهو معروف جيدا في تاريخ وواقع البلدان النفطية ، وقد لعب أدوارا سلبية بالغة الخطر والسوء ، ومن يطلع على تاريخ المنطقة ويعرف حاضرها ، يستطيع دون صعوبة أن يرى آثار هذه المشكلة ، كيف أن المستشارين ، حتى من ابناء البلدان ، يتصرفون ويوجهون ، مستغلين الثقة والخبرة ، اضافة الى العلاقات .. أو بدفع منها .

وفي هذا الاطار ، لابد من الاشارة الى أن عددا من دول النفط لجأت - في محاولة لاستبعاد العمالة العربية ، والتفاعل العربي - الى الاستعانة بالعمال الأجانب ، لأن هؤلاء يظلون غرباء دائما ، ولأنهم غير قادرين على التأثير والتفاعل ، عكس الوافدين العرب ، ولذلك لا ينكر أن العرب الذين جاءوا الى بلدان النفط ، والذين رحلوا منها ، كان لهم دور ايجابي بارز في تطور هذه البلدان ومساعدتها .

وأخيرا ان الدفاع عن الوافدين العرب وابراز الدور الذي لعبوه ، يجب الا يقودنا الى الدفاع عن المستشارين وزوجاتهم ، لأن لهؤلاء دورا سوف تتضح آثاره بشكل واسع مع الأيام !

*** لانكاد نلمس للمرأة دورا في مجتمع النفط ، فقيها عدا - أمي زهوة - وهي شبه أسطورة تكاد المرأة تكون غائبة ، على الرغم من كثرة الزيجات التي يمارسها السلطان وبطانته ، فماذا ترى؟**

لعبة النموذج النفطي

- المرأة موجودة بكثافة .. حتى أثناء اختفائها ! في مجتمع البداوة ، حيث تخلق الوظيفة العضو ، تكون المرأة والرجل على قدم المساواة تقريبا .. فالمرأة التي تحتطب وترعى وتحلب الغنم والتي تقوم بواجبات كثيرة أيضا لا يمكن أن تغيب ، والرجل يتعامل مع هذا الواقع بمنطق مفهوم ، أما في مجتمع مهجن ، أو انتقالي ، حيث لم يعد الحطب والرعي أو حلب الغنم عملا ، وبعد أن أصبح في كل بيت ، تقريبا ، عدد من الخدم ، وأصبح العمل ترفا ، كما أصبح الدخل يأتي دون جهد ، فقد غاب كل شيء .

غاب الرجل والمرأة معا ، وأصبحت هناك قلاع محصنة ليست بينها صلات سوى بالهاتف ، أو عن طريق « الفيديو » .

في البلدان الأقل نفطا : تظل المرأة موجودة ، فهي تعمل وتشارك ، ولها الكثير من الاستقلال ، أما في البلدان النفطية فقد أصبحت المرأة شيئا ، أصبحت من مقتنيات الرجل صاحب الثروة ، وحتى في هذه البلدان ، حيث تتعلم الفتاة عن طريق التلفزيون في البيوت المغلقة ، وبعد أن تتخرج في الجامعة لا تجد عملا ، ولذلك تتضاعف البطالة وتتعقد .

ضمن هذه الحلقة التي يراد لها أن تكون مغلقة ، لا يمكن أن تظهر المرأة وأن تلعب دورا مباشرا ، ولذلك يستدل على وجودها ستار ، وتتحول الى الظلال ، وتصبح المرأة غير الموجودة موجودة بشكل آخر .. وهنا تكمن الخطورة .

في « الأخدود » هناك عدد من النساء يوجدن بين الأسطورة والمؤامرة ، لأن الاضطهاد يولد اضطهاداً مقابلا ، ولا بد أن يظهر بأشكال مختلفة .

زيجات السلطان وبطانته تشير الى أن المرأة تحولت الى شيء ، وهذا أقسى وضع يمكن أن يعيشه المخلوق البشري ، فهل يقوى وضع مثل هذا على الاستمرار ، وهل يمكن لنصف المجتمع أن يبقى مغيبا ، وبخاصة بعد أن أصبح العالم صغيرا ، وأصبحت الامكانات تتيح انتقال العالم أو الانتقال الى العالم ؟

ان الأشياء التي تقال في الرواية بخفاء - برمز أو باشارة - افضل ، كما أرى من تلك التي تقال بصوت عال ، وهذا ما حاولت أن أشير اليه في « الأخدود » .

نظرة جديدة للمجتمع

*** فى ختام « الأخدود » بوادر وعى وتحرك .. هل تأمل أن يتبلور هذا فى الجزء الثالث من مدن الملح ؟**

- فى ختام « التيه » كان الاضراب الأول فى « حران » نتيجة التناقضات التى حصلت ، وفى ختام « الأخدود » حصل أول انقلاب فى السلطة .

أما ما تحمله الأيام فلابد أن يكون نتيجة وعى وتراكم وخيبة أمل ، ولابد أن يكون أيضا متناسبا مع حجم القهر أو التغييب .

العالم - كما أشرت فى الاجابة السابقة - أصبح صغيرا ، لا شيء يحدث فى مكان الا وينتقل الى أركان الأرض الأربعة خلال دقائق أو ساعات ، والوعى حصيلة اكتساب ذاتية نتيجة العلم والتجربة ، والتراكم رأس مال الانسان ، كما هو حال التاريخ ، أما الخيبات التى تنجم عن عدم التوافق ، أو عدم الاتفاق ولفروق الوعى ، فلا بد أن تولد أساليب جديدة وضرورات جديدة .

لاأريد أن أفرض وعيا ميكانيكيا فى الجزء الثالث من مدن الملح ، فأقول ، على سبيل المثال ، لابد من النهايات السعيدة ، كما هو حال الأفلام العربية ، وبالتالى لابد أن ينتصر البطل ، أو أن ينتصر الشعب ، وأن تزول المساوىء أو السلبيات ، لن أتورط فى مثل هذا التفاؤل الكاذب ، واعتقد أنه ليس مطلوبا كل ما أريد أن أقوله من خلال المتابعة ، أن كثيرا من الأمور الخاطئة يجب أن يتوقف وأن ينتهى ، ويجب أن تتم محاولة من أجل ايجاد صيغ جديدة ، صيغ تأخذ بالاعتبار الكثير من الحاجات والضرورات المعاصرة ، التى لم يعد من الممكن الهروب منها أو تأجيلها أو انكار وجودها .

ان الوعى والحاجة التاريخية وضرورات الحياة ، تقضى بأن توجد نظرة جديدة للمجتمع ، وأن يتم التعامل مع البشر بطريقة مختلفة ، وأى انسان يعاند ، أيا كان موقعه ، لابد أن يدفع الثمن .

فى « تقاسيم الليل والنهار » الجزء الثالث من مدن الملح ، أتابع تطور مجتمع ، أحاول أن أرى أحلامه وطموحاته ، وأن أسمع الأصوات الخافتة ، وأن التقط اللحظات المهمة التى تصنع المجتمعات ، وخاصة فى فترة دقيقة وحرجة ، وحبذا لو يستطاع توفير أكبر عدد من الضحايا .. وفى الوقت المناسب .

تقاسيم الليل والنهار

*** يحمل الجزء الثالث اسم « تقاسيم الليل والنهار » .. هل يمكن أن نلم بشىء عن هذا الجزء ؟ عن مداه ، وعن بعده الفكرى والجغرافى ؟**

- فى « التيه » الذى دارت أحداثه بين وادى العيون وحران ، والذى سجل لحظات الانتقال الأولى ، ظل فى ذلك الحيّز ، أما « الأخدود » فقد دارت أحداثه فى العاصمة « موران » حيث يفترض خطأ ، انها مكان القرار ! أما فى التقاسيم فسوف تكون الرحلة حرة ومفتوحة ، اذ بمقدار ما أن موران موجودة ، فهناك أمكنة أخرى موجودة أيضا .. أما من حيث الزمان فالرحلة انفتاح على الماضى والمستقبل معا . أريد أن أسجل لحظات مماثلة فى التاريخ ، وأريد أن أستقرىء المستقبل ، لعلنا من خلال هذا التوازن بين الحقب الزمنية والأماكن المتعددة ، أن نصل الى ادراك الحاضر ، ولعلنا أخيرا نستطيع الاستفادة من التاريخ ودروس وتجارب الآخرين .

واذا جاز لى أن أصف هذا الجزء بكلمات ، فيمكن أن أقول : « التفكير بصوت عال فى هموم الحاضر لاجتناب مصاعب المستقبل » لأن ميزة الانسان على بقية المخلوقات ، انه المخلوق الوحيد الذى له تاريخ ، وانه يستطيع الاستفادة من هذا التاريخ .

لم تبق الا فترة قصيرة للنفط ، ولذلك لا بـد أن تقدم شهادة فى الوقت المناسب ، ليس المهم لمن . . المهم أن تقدم . . والعاقل من اتعظ !

● استعمالك لهجة معينة وفولكلورها وأمثالها يثير مشكلة اللغة . . الا ترى أنه يمكن كتابة الرواية بلغة فصحى صافية ، فيما عدا بعض الأمثال الضرورية ؟

وفى الرواية لهجة أخرى من منطقة مختلفة ، الا ترى أن الفصحى تبقى القاسم المشترك لجميع العرب ، وأنها يمكن أن تؤدى الغرض المطلوب ، حتى على لسان بسطاء الناس ؟

وتجربة نجيب محفوظ معروفة فى هذا الميدان . . فما رأيك ؟

ـ هذه هى الرواية الأولى التى الجأ فيها الى استعمال لهجه خاصة ، وهذه اللهجة فى الحوار ليست الفصحى أو العامية ، انها مزيج مركب تقريبا ، بحيث يمكن أن تفهم وأن تؤدى الغرض

فى رواياتى السابقة استعملت اللهجة الثالثة فى الحوار اذا صح التعبير ، اذ كان الذين يتحدثون يلجأون الى لغة معرّبة مع مراعاة القواعد .

فى هذه الرواية « تجرات » فاستعملت لغة فى الحوار فيها مراعاة القواعد الضمنية ، لكن دون الحرص على الحركات ، أو بمعنى أكثر وضوحاً أقول ان اللغة المستعملة فى هذه الرواية هى فصحى مختارة ، وهى أقرب الى لغة البداوة ، دون حركات ودون تشكيل ، لكن لها جذراً يمكن معرفته ببعض الامعان .

لقد اضطررت لاستعمال هذه الطريقة فى الحوار ، لانها وحدها القادرةعلى التعبير عن الشخص أو الحالة بشكل دقيق وأمين ، وهى فضلا عن ذلك أكثر اقناعاً .

أنا لست من أنصار العامية ، ولكني مع لغة غير مقعرة ، لغة أقرب الى البساطة والامكان ويمكن أن تفهم وأن تؤدي غرضاً ، اللغة العربية ـ بوصفها الحالي ـ بحاجة الى جهد مستمر من أجل احيائها واغنائها ، ومن أجل أن تكون لغة استعمال يومية .

اننا فى الوقت الحاضر نفكر بلغة ، ونتكلم بأخرى ، ونكتب بثالثة ، ولذلك نجد ان الكثير من الروايات وكأنها مترجمة !

قد لا يحس الكثيرون بهذا الهم ، لكن وضع الروائيين والمسرحيين مختلف ، فهم بحاجة ماسة لأن يخلقوا كائنات حقيقية ، كائنات من لحم ودم ، تتكلم بالطريقة الحقيقية المقنعة ، وتكون هى نفسها دون أقنعة المثقفين وحذلقاتهم .

من هنا تقضى الضرورة بالتوصل الى لغة مناسبة لحور الرواية والمسرح ، اللغة الفصحى السائدة ليست هى اللغة المناسبة ، وكذلك العامية المغرقة فى عاميتها ليست هى الأخرى طريقة التعبير الأدق والأشمل ، ومن هنا كانت الضرورة ملحة للوصول الى لغة جديدة اذا صحَّ التعبير .

لهجة البداوة ، بشكلها المحسّن ، يمكن أن تكون لغة مناسبة ، وخاصة فى الحوار ، فهى أقرب الى الفصحى ، وتخلو من القلقلات والجمود ، وأقرب الى التواصل .

والأمر لا يخلو من صعوبة وارهاق ، كما أنه ليس نتيجة فعل شخص واحد ، أو لفترة زمنية محدودة ، انه نتيجة عمل دؤوب وتراكم وتحسين مستمر ، وتقارب وجرأة .

ان ما شجعنى على استعمال هذه اللهجة هو الموضوعُ الذى يعالج البيئة التى تجرى فيها الأحداث ، والمناخ العام لهذه اللجهة ، وخاصة بعد أن تبينت لنا امكانية جذور هذه اللهجة ، والتواصل معها بجهد معقول .

أما تجربة نجيب محفوظ فى اللغة ، فرغم أهميتها ، فانها لا تكفى ، لأنها أولا وأخيرا اللغة الفصحى مع تعديلات قليلة يقتضيها الحال ، ويبدو أن نجيب محفوظ ليس لديه الهم اللغوى الموجود لدى الآخرين .

أقول بايجاز : لا أتصور أن اللهجة العامية أياً كانت هذه اللهجة ، يمكن أن تحل المشكلة ، ولا أتصور بالمقابل أن الفصحى الراهنة كافيةلحل المشكلة ، ولذلك فان البحث سيتواصل ، ولكن من أجل رواية عربية بالمعنى الحقيقى ، يمكن أن تُقرأ فى المغرب والخليج العربى معا . . وهذا هو التحدى . □



الضوضاء

مرض العصر

بقلم : الدكتور فاضل حسن أحمد

الضوضاء مرض هذا العصر . إنها مشكلة تواجه كل المجتمعات الحديثة الآخذة بأسباب التقدم . وهي في الوقت نفسه آفة في يدنا وحدنا أن نخلص أنفسنا منها ونحمي أعصابنا من الآثار السيئة التي تسببها لنا . . كيف نتخلص من الضوضاء أو كيف نخفف من تأثيرها علينا وعلى آذاننا التي يتهددها الصمم ؟

منذ عشرات السنين كانت الضوضاء محددة بالمواقع الصناعية ، أما الآن فأصبحت مشكلة كبيرة فى مناطق أخرى كالشوارع والطرق ، وحتى فى المناطق السكنية ومناطق التسلية . بسبب ازدياد عدد الناقلات وعربات السكك والطائرات والمصانع ووسائل التكييف والسمع وغيرها . وقد وصل عدد الأشخاص الذين فقدوا السمع بشكل كامل بسبب الضوضاء فى الدول المتقدمة ٨ بالمائة . لذلك صرفت مبالغ كبيرة للتقليل من تأثير الضوضاء ، وصدرت تشريعات خاصة بالضوضاء .

يقول الاخصائيون ان فقدان السمع يزداد كلما ازدادت مستويات الضوضاء ، وزيادة العمران ، وأن الرجال أكثر تأثرا بالضوضاء من النساء ، وأن العوامل المؤثرة على فقدان السمع هى : « مستوى الضوضاء ، نوع الضوضاء ومدى تردده ، وفترة التعرض للضوضاء فى اليوم الواحد ».

ولو أن السمع هو التأثير الفسلجي المهم بالنسبة للضوضاء الا ان هناك تأثيرات أخرى وهي : فعالية العضلات الارادية وغير الارادية مثل رمش العين ، الشد العضلي ، التقلص في القصبات الهوائية ، التغير في معدل ضربات القلب ، وافرازات عصارة المعدة واللعاب ، تغير مستويات مركبات الدم والهرمونات وغيرها . وبالاضافة الى التأثيرات الفسلجية هناك التأثيرات النفسية ، التي تختلف من شخص لآخر ، والتي تؤدي الى أمراض عصبية كالتوتر العصبي والصداع .

ان الحجب السمعي للصوت الممكن سماعه بسبب صوت آخر هو نوع من الضوضاء ، ويعتبر تداخل الكلام كالضوضاء الناتجة عن التكلم الجماعي ، وأصوات منبهات المركبات وغيرها . وتؤدي الضوضاء الى اضطراب في النوم أو النوم الخفيف ، وهو أقل فائدة من النوم العميق ، لذلك يفضل أن يكون مستوى الضوضاء أقل من ٣٥ ديسبل (الديسبل وحدة قياس الضوضاء) في غرفة النوم .

ان اضطرابات النوم تؤثر على الصحة البدنية والعقلية . وللضوضاء تأثير على كفاءة العمل ، حيث يقلل من كفاءة الأداء الشخصي ونوعية العمل ، وبالتالي التأثير على المردود الاقتصادي ، وخاصة للاشخاص العاملين داخل المصانع .

ضوضاء المصانع

تتغير الضوضاء بشكل كبير تبعا لنوعية المصنع . وزمن التعرض للضوضاء له تأثير كبير في حالة ضوضاء المصانع ، حيث ان العاملين داخل المصنع يتعرضون خلال فترة العمل الى تصل الى ثماني ساعات يوميا الى نفس النوع من الضوضاء ، وهذا قد يؤدي الى فقدان السمع بشكل خطير ، عند عدم أخذ الاحتياطات اللازمة للتقليل من تأثير الضوضاء .

ان تأثير الضوضاء يختلف حسب مصدره ، والمصادر تصنف الى ضوضاء التصادم ، كمكابس التخريم ، ومطارق السبك ، وضوضاء الميكانيكا كالمشغلات الميكانيكية ونقل الأجزاء المعدنية ، وضوضاء جريان الهواء والسوائل كالمراوح والمضخات والخطوط الهوائية ، وضوضاء الاحتراق كالأفران ، والضوضاء الكهرومغناطيسية كالمحركات .

وطرق السيطرة على الضوضاء تعتمد على مصادرها كالتقليل من الاهتزازات باستخدام أسس محمدة ، وعزل المكائن بسطوح مانعة لنقل الصوت ، وتغليف حاويات الهواء والسوائل المتحركة بمواد عازلة ، وعزل منشآت مصادر الضوضاء عن منشآت العمل قدر الامكان ، كمنشآت الطاقة في المصنع . وقد وجد أن حماية العامل ضد الضوضاء أقل كلفة من حماية مصدر الضوضاء ، وهي أساسا حماية الأذن بوضع كاتمات صوت أو سدادات للتخفيف « EAR Plugs » من تأثير الصوت ، وعموما تعتبر الكاتمات أفضل من السدادات عند استعمالها بشكل مناسب ، ولكنها غير مريحة الاستعمال .

ان الضوضاء الصناعي له تأثير مزعج على المناطق السكنية القريبة من المصانع . وهناك مسافات مسموح بها بين المصانع والمناطق القريبة منها لمنع تأثير الضوضاء على القاطنين في هذه المناطق ، وتعتمد هذه المسافة على نوعية المصنع ، فمثلا المسافة في حالة مصانع مكائن الاحتراق تبلغ ٢٢٠٠ متر ، في حين تبلغ المسافة ٢٠٠ متر في حالة مصنع التعليب .

ان عدد ناقلات الطرق في تزايد مستمر ، مما يؤدي الى زيادة في التأثيرات السلبية للضوضاء . وتتبعث الضوضاء من المكتنة ، والعادم ، والأدوات المساعدة ، والعجلات وحركة الهواء . ان مصادر الضوضاء تعتمد على نوعية الناقلة ، واستخداماتها وطريقة التشغيل . وتعتبر الشاحنات أكثر الناقلات تأثيرا بالنسبة للضوضاء ، حيث ان شاحنة واحدة لها تأثير مايقرب من خمس ناقلات .

لذلك فان التقليل من ضوضاء الشاحنات أكثر أهمية من تقليل ضوضاء الناقلات الأخرى . وكلما انخفضت سرعة الشاحنة ازدادت ضوضاؤها ، وأصبح استخدام كاتم صوت وعادم ملائم لكل شاحنة ضروريا . وحاليا يوجد عدد كبير من الشاحنات ذات عوادم غير ملائمة . وعند السيطرة على ضوضاء العادم فان ضوضاء المروحة تصبح مسيطرة في السرعة المنخفضة . وعندما تزداد سرعة الشاحنة عن ٥٠ ميلا بالساعة ، فان ضوضاء العجلات تسيطر على ضوضاء المصادر الأخرى .

والسبب الأساسي هو المداس (السطح المحيطي للاطار) .

مستويات الضوضاء تزداد بزيادة السرعة فى حالة السيارات والدراجات البخارية ، وهى أقل تأثيرا مما تحدثه الناقلات الأخرى ، الا فى حالة تسارعها ، ويعتبر العادم فى هذه الناقلات المصدر المهم للضوضاء .

ان المعدات الانشائية الناقلة تسبب ضوضاء عالية . وهنالك جهود للتقليل من تأثير ضوضاء هذه المعدات باستخدام تقنيات حديثة فى صنع العادم ،ومروحة التبريد ومواقع التشغيل .

ان ضوضاء المرور تنقسم الى ضوضاء المرور المتحرك المستمر ، كالمرور فى الطرق الخارجية ، وضوضاء المرور ذى التوقفات ، كمرور الطرق داخل المدن . وتزداد الضوضاء عند التقاطعات والمرتفعات كما تزداد أيضا كلما كان الطريق اكثر صلابة . فالطريق المبلط بالاسفلت أكثر ضوضاء من الطريق الترابي .

وللسيطرة على ضوضاء المرور بالنسبة للأبنية والمناطق السكنية يمكن اتباع الاساليب التالية : زيادة المسافة بين الطرق والأبنية ، تركيز الأبنية فى الطرق الفرعية الجانبية ، لأن هذه الطرق أقل ضوضاء من الطرق الرئيسية ، استخدام المشبكات بين الطرق الرئيسية والأبنية ، وجعل واجهات الأبنية عاكسة للصوت .

حماية المباني من الضوضاء

ان مواقع الأبنية يجب دراستها بالنسبة لتأثير مصادر الضوضاء عليها عند مرحلة التخطيط . فضوضاء المرور والمصانع ودور اللهو والتسلية وغيرها تؤخذ بعين الاعتبار عند تخطيط المدن مثلا ، حيث ان الأبنية تستخدم لأغراض مختلفة كالعمارات السكنية والمدارس والمستشفيات ومكاتب الأعمال وغيرها .

هناك ، طرق عديدة تستخدم للتخفيف من الضوضاء كالحواجز أو ترك مسافات خالية أو مزروعة . فالحواجز المستخدمة بين مصدر الصوت ومن يتأثر به تحجب الصوت نتيجة لانعكاسه وامتصاصه . وهنالك مؤثرات طبيعية على هذه



الحواجز مثل الريح واضطراب الهواء ، والاختلاف فى درجة الحرارة وطبيعة الأرض . فعندما يكون الصوت ضد الريح فان الموجات الصوتية تنعكس نحو الأعلى ، وعندما يكون الصوت مع الريح فان الصوت ينحرف نحو الأسفل .

ان الحواجز العالية تؤدى الى خفض مستويات الصوت . ويمكن عمليا استخدام السداد لحجز مصدر الصوت عن الأبنية . ويمكن استخدام أحزمة خشبية أو أشجار بعرض لايقل عن ٥٠ مترا للتخفيف من تأثير الضوضاء بين المصدر والأبنية ، ويمكن الحصول على نتيجة جيدة عندما تكون الأشجار كثيفة وعالية . وفى بعض الأحيان فان الأبنية العالية تحمى الأبنية الواطئة والمساكن من الضوضاء ، وتوضع الشبابيك والفتحات فى الواجهات المعاكسة للطرق .

ان الواجهات الخلفية يقل فيها مستوى الضوضاء عن الواجهات الأمامية المقابلة لمصادر الضوضاء ووجود الأبنية على جانبي الشوارع يؤدي الى زيادة مستوى الضوضاء بسبب ارتداد الصوت ، كما أن الطوابق العالية تزداد فيها ضوضاء المصادر الجوية كضوضاء الطائرات ، بسبب عدم امتصاص الأرض لها لذلك لايجيد أن تكون الأبنية العالية قرب المطارات .

ان مصادر الضوضاء داخل المساكن لها تأثير على الساكنين ، كأدوات التنظيف ومكيفات الهواء وأدوات المطبخ وغيرها ، والتقنية الحديثة أدخلت في حسابها التقليل من تأثير ضوضاء هذه الأدوات .

أما السيطرة على الضوضاء داخل الأبنية فتتم بعزل الجدران والسقوف والأرضية ، والأبواب والشبابيك ، ومنافذ التهوية والتبريد ومصعد البناية ، والتأسيسات الصحية ، والممرات وأسس الأبنية . ويفضل أن تكون القواطع من طبقتين تفصل بينهما طبقة هوائية بسمك ٧ سم لمنع احداث الرنين . وتعزل الشبابيك باستعمال طبقتين من الزجاج يفصل بينهما طبقة هوائية بسمك ٧ سم . كما أن الباب الخارجي يجب أن يكون ثقيلا وسميكا متعدد الطبقات . وتعزل مكائن التهوية عن المجاري بمادة مطاطية مع تغليف المجاري نفسها بمادة عازلة ، وتعزل الأرضية بمادة عازلة كالمطاط . كما تعزل الأسس بحفر خندق حول البناية يملأ بالرمل والحصى .

القاعات السمعية

وهي القاعات التي تتوفر فيها شروط الاستماع الملائم ، كالقاعات الدراسية ، وقاعات الاجتماعات والندوات ، ودور العبادة ، ودور العرض المختلفة كالمسارح وغيرها ، وشكل القاعة وتوزيع المادة الماصة للصوت على جدران القاعة لهما تأثير على توزيع الطاقة الصوتية . وعند اختيار المواد الماصة يراعى أن تكون خفيفة الوزن ، مسامية ، سهلة الادامه ، لاتتعرض للحشرات ، غير قابلة للاحتراق ، تقاوم الرطوبة ، ومن السهل تلوينها . أما المواد المبعثرة والناشرة للطاقة الصوتية فتستخدم للتخلص من ظاهرة تجمع الصوت وظاهرة الصدى . وشكل المواد الناشرة تختلف من سطوح محدبة أو اسطوانية أو مخروطية ، وهي التي نلاحظها في السطوح الداخلية لأقبية المساجد .

ويتم تعديل السطوح الداخلية في القاعة بشكل يخدم توزيع الطاقة الصوتية لكافة الأشخاص الموجودين داخل القاعة . ويجب تعديل سقف القاعة بشكل يجعل الأمواج الصوتية الساقطة عليها تنعكس الى الأشخاص الجالسين في المقاعد الخلفية ، وذلك برفع السقف وتكسيره . ويجب امالة أرضية القاعة لكي تصل الأصوات لكافة الأشخاص الجالسين ويكون الانحدار بنسبة ١ : ٨ ، وهناك خصوصية بالنسبة الى المسارح ، وذلك بعدم وضع المواد الماصة على السطوح القريبة من المسرح ، ويستحسن وضع شرائط خشبية صادة على هذه السطوح ، وعدم وضع ستائر بالقرب من المسرح أو خلفه ، ووضع سطح عاكس في المسرح . وتوضع المواد الماصة بشكل شرائح على جانبي السقف ، والجزء الخلفي من القاعة المقابل للمسرح ، ويستحسن امالة الجدران الجانبية لتضيق في الجزء الأمامي ، وتتسع في الجزء الخلفي ، وذلك للتخلص من الصدى المتكرر .

وعموما عند تصميم القاعات السمعية تؤخذ النقاط التالية بنظر الاعتبار : استعمال أقل عدد من الشبابيك ، جعل الأبواب سميكة وثقيلة ، وتغطية أرضية القاعة بمادة ماصة للصوت ، ارتفاع القاعة الكبيرة ينبغي أن يكون ثلث عرضها ، بينما ارتفاع القاعة الصغيرة ينبغي أن يكون ثلثي العرض كما ينبغي أن تكون ٧٠ بالمائة من مساحة السطوح المقعرة مغلفة بمواد ماصة ومبعثرة للصوت ، والضرورة تقتضي تجنب حدوث السقف المقعر أو الجدران المقعرة ، وعزل الأجهزة الميكانيكية عن القاعة عزلا جيدا في حالة وجود الشرفة ، فيجب تجنب أن يكون عمقها كبيرا وأن تكون الشرفة محدبة ، وفي حالة استعمال مكبرات الصوت يجب عدم وضعها بشكل متفرق ، وانما بشكل عنقودي ، وعدم وضع مكبر للصوت مقابل المسرح لأن مستوى الضوضاء المسموع في القاعة السمعية يجب أن لايزيد عن ٣٠ « ديسبل » .

ان مسئولية التقليل من تأثير الضوضاء تعتمد على المجتمع نفسه ثم المُصنّع والتشريعات والمسئولين عن تطبيقها . □



حكايات شرق وغرب

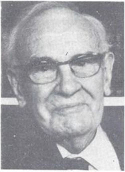
شاب في الخامسة والثمانين !

« لن أكون أبدا ذلك الرجل العجوز الذي كان يعيش في داخلي خلال سني شبابي بين العشرين والثلاثين ! » كانت هذه هي بعض أحاسيس الكاتب القصصي سير فيكتور بريتشت وهو يحتفل بعيد ميلاده السبعين منذ أكثر من خمسة عشر عاما .

ولكن لماذا الآن ؟ ما الذي دفع الصحفيين الى الحديث عن الرجل الذي أمتعهم بقصصه القصيرة في هذا الوقت بالذات .. انهم لم يعودوا الى حياته ينقلون منها صفحات فحسب ، بل راحوا يبحثون عن الكلمات التي بقيت حية على مدى تلك الأعوام التي انقضت بين بلوغه السبعين ، واحتفاله أخيرا باطفاء خمس وثمانين شمعة رصت في عناية فوق كعكة عيد ميلاده الذي احتفل به معه الملايين ....

وكانت المفاجأة عندما وقف سير فيكتور منصوب القامة ممتلئا نشاطا وحيوية ، وراح يتحدث الى المدعوين ويتفحص وجوههم بعينيه النافذتين ، ويقول : نعم .. أليس غريباً أن أشعر بدماء الشباب تجرى في عروقي في هذه السن المتقدمة .. إن أسوأ فترة في حياتي كانت تلك التي أمضيتها مع سني المراهقة منذ أكثر من سبعين عاما مضت عندما كنت أحس بالهرم .. انني اليوم أعيش سنوات شبابي الضائع .. لاشيء يسبب لي حرجا أكثر من سماعي لحديث الناس وهم يقولون لي وقد تملكتهم الدهشة : « ياله من أمر عجيب ، أن تبلغ الخامسة والثمانين وأنت تتمتع بهذه الحيوية ! »

ولكن من هو سير فيكتور ؟ انه أعظم كتاب



سير فيكتور بريتشت

القصة القصيرة في بريطانيا اليوم وهو أيضا واحد من الذين يجلسون فوق قمة هرم النقد الأدبي .. وهو يقول ان سر احتفاظه بنشاطه وشبابه وحيويته انه يعيش حياة الناس وينقل صورا من معاناتهم .. انه يجد في هذه المشاركة أعظم ما يمكن أن يجده انسان وهو يغوص في أعماق النفس البشرية وينفعل مع ما يجده فيها من أحاسيس !

وفي غرفة مكتبه في البيت الصغير الذي يعيش فيه باحدى ضواحي لندن ، يجلس سير فيكتور في صباح كل يوم مع كتبه ومع اللوحات التي رسمها الفنانون

المعاصرون من اصدقائه ، وتمثل معظمها الطبيعة التي عشقها . . إن لقاءه مع « هؤلاء الأصدقاء » كما يسميهم يبدأ في التاسعة صباحا ، عندما يصعد الى الطابق الثاني الذي يقع فيه مكتبه بعد أن ينتهي من تناول طعام الافطار مع زوجته « دوروتي » التي أهدى اليها كل قصصه . . ثم يجلس الى مكتبه ويبدأ في الكتابة بقلمه الذي رافقه رحلة عمره ويرفض أن يفترق عنه !

متى يلتقي بالناس ؟ ومتى يعيش معهم ؟ يقول سير فيكتور : « عندما أذهب الى سوق المدينة لأشترى ما نحتاج اليه في البيت من لحوم وخضراوات وفواكه . . هناك يكون دائما لقائي بهؤلاء الذين أجد في حديثهم معى أجمل صور الحياة ، حتى تلك التي قست عليها الحياة ! »

في كتابه الأخير السادس والثلاثين الذي صدر أخيرا في لندن ، قدم المؤلف دراسة عن تشيكوف ، سيد القصة القصيرة في روسيا . . ويقول سير فيكتور : « لكي أكتب عن تشيكوف ، كان لابد أن أعود الى قصصه كلها . . وعندما بدأت أقرأ ما كتبه هذا الرجل العظيم توقفت عن كتابة القصة القصيرة . . ربما أعود اليها مرة أخرى ، ولكن ليس الآن ، فلابد أن تختفي من رأسي صور أبطال قصص هذا العملاق الروسى ، حتى أستطيع أن أقدم شيئا جديدا ! »

تقليد عائلي !



وقف الرجل العجوز أمام محكمة (ميسور) في الهند متهما بالتسول . وقال القاضى : « لو أنك كنت رجلا فقيرا معوزا لهان الامر . . ولكنك رجل ثرى ولست بحاجة لأن تمد يدك طالبا الاحسان . بماذا تفسر هذا المسلك الغريب من جانبك ؟ »

وقد كان المتهم بالفعل ثريا ، فهو يمتلك بيتا صغيرا ويحصل على معاش من الدولة بعد أن جاوز الستين ، وكانت ابنته تعنى به وتسهر على راحته ، وبالرغم من هذا كله كان أهالى ميسور يشاهدونه يتسول في شوارع المدينة مرتين كل اسبوع !

ووقف الشحاذ الثرى ويدعى اديان شيلوفايا يدافع عن نفسه ويروى للقاضى الاسباب التى تدفعه الى ممارسة التسول ، قال : « انها تقليد عائلي يا سيدى . فقد كان والدى شحاذا وقد وعدته قبل أن يموت بأن امارس نفس المهنة التى كان يجيدها ، وكانت تدر عليه ارباحا طائلة . . ولكننى اكتفيت بالخروج الى الشارع للاستجداء مرتين فقط كل اسبوع كما ترى . . انه عهد قطعته على نفسى ولا استطيع أن انقضه ! »

وعندما خيره القاضى بين التوقف عن ممارسة هذه « العادة » أو دخول السجن ، لم يتردد اديان في قبول العقوبة التى حكم عليه بها ، وقال : « لعلها تكون الطريق الوحيد الذى يمكن أن يمنعنى من أن أمد يدى الى الناس طالبا الاحسان ! »

الضحية البريئة !

عندما ترك الأب بيته في ثورة عاصفة على أثر مشاجرة عنيفة مع زوجته ، أحس بقلبه يئن ويتوجع ، فقد ترك وراءه طفلته الصغيرة الوحيدة التي لم تتجاوز الخامسة ، وهو يعلم أن أمها سوف تتمسك ببقائها معها ولن تسمح له بلقائها بعد اليوم !

ولكن الأب لم يحتمل فراق طفلته ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين . . الزوج الذي أعماه الغضب « ادوارد ميلز » والزوجة « ميلودى » التي

رفضت بعناد أن تفترق عن طفلتها « سماناثا » ، وانتهى الحوار الطويل بينهما على اتفاق باللقاء في موقف عام للسيارات بمدينة ستوكتون بولاية كاليفورنيا ، قريبا من البيت الصغير الذي كان يضم هذه الأسرة الصغيرة السعيدة قبل أن تعصف بها رياح الحياة !

وتم اللقاء بالفعل ، ولكن ما كاد الحديث يبدأ بين الأبوين حتى تطور الى حوار عنيف ، لم تجد الزوجة وسيلة لانهائه الا أن تحمل طفلتها وتعود بها الى حيث تركت سيارتها .. ولكنها ما كادت تفعل حتى استبد الغضب بالزوج الذي لحق بها ، وأسرع يختطف الطفلة من مقعدها في السيارة قبل أن تتحرك عائدة بها الى البيت !

وأسرعت الأم بدورها تدير محرك سيارتها لتلحق بالأب قبل أن يتمكن من حمل طفلته معه في سيارته والانطلاق بها .. ولكن محاولتها فشلت ، فقد تمكن الأب بالفعل من الوصول الى سيارته التي وضع طفلته فيها بجانبه ، وانطلق بأقصى سرعة في الطريق السريع حيث لايدري أحد الى أي مكان سوف يذهب بها .

وبدأت المطاردة .. سيارة الأب ومعه الطفلة الصغيرة التي استبد بها الهلع ، فراحت تبكي فزعا ، في المقدمة ، ومن ورائها سيارة الأم التي تمكنت من اللحاق بها ، فراحت تحاول ارغام الأب على تغيير مسار سيارته والخروج عن الطريق السريع ..

ويبدو انها نجحت ولكنها فشلت في السيطرة على عجلة القيادة فاصطدمت بالسيارة التي تقل طفلتها وانقلبت في حفرة عميقة ، ثم مالبثت أن تبعتها سيارة الأب التي انقلبت بدورها بعد أن قذفت الصدمة القوية بالطفلة ووالدها خارج السيارة !

ونقل الثلاثة الى المستشفى .. الأم والأب والطفلة الصغيرة .. وأجريت الاسعافات العاجلة للمصابين ، وخرج الأبوان في نفس اليوم .. ولكنهما بقيا ينتظران ابنتهما التي قرر الأطباء نقلها الى غرفة العناية المركزة ، فقد كانت مازالت في غيبوبة لم تفق منها الا في صباح اليوم التالي ، عندما فتحت عينيها الصغيرتين للحظات ، ثم عادت تغلقهما .. لقد ماتت الطفلة « سماناثا » نتيجة لاصابتها بارتجاج شديد في المخ ..

وقدم الوالدان للمحاكمة ، وقال ممثل النيابة وهو يعرض ظروف القضية : « مسكينة هذه الطفلة الصغيرة البريئة فقد ذهبت ضحية صراع بين أبوين أصابهما مس من الجنون » .

حدث في الصين

كانت العروس تخطر في فستانها الأبيض الجميل ، وهي تتجه في الطريق الى السيارة الأنيقة التي تقف أمام باب بيتها في انتظار وصولها ، ومن ورائها قافلة من السيارات التي ازدحمت بالمدعوين الى حفل الزفاف ..

أكثر من ألف مدعو امتلأت بهم قاعة الاحتفالات ، وسط ألحان الموسيقا التي شاركت فرقتان في عزفها ، قبل أن يتجه المدعوون الى قاعة أخرى ، امتلأت بالموائد التي حفلت بأشهى أطباق الأطعمة التي اشترك في اعدادها ستة من أكبر وأشهر الطهاة .. !

فلما انتهى المدعوون من تناول طعام العشاء ، راحت الهدايا الفاخرة تنهال على العروسين اللذين وقفا يتقبلان التهاني .. بينما احتشدت الألوف من



جماهير الشعب على الجانب الآخر من الشارع خارج قاعة الاحتفالات ، وكل واحد منهم يمني نفسه بالفوز بنظرة خاطفة الى ما يحدث وراء جدران القاعة العالية .

ولكن أين كان هذا الحفل ، وأي زواج هذا الذي ظل حديث الناس أسابيع وشهورا طويلة . .

ان العروسين ليسـا من أهـل هـوليـود ، ولا الريفيرا . . ولكنهما من سكان مدينة وانيان في الصين الشعبية !!

أما والد العريس جاو ياوهنج ، فلم يسعد طويلا بالحفل الكبير الذي أقامه لابنه ليلة زفافه ، فقد تلقى لوما شديد اللهجة من المسئولين ، لعودته الى هذه الأساليب المستهجنة ، وخصوصاً لأنه تلقى تحذيرا من عمدة المدينة قبل الاحتفال بزواج ابنه ، يرجوه فيه أن يحرص على أن يكون الحفل بسيطا !

ولم يكتف المسؤولون باللوم ، فقد أصدروا أمرا بوقف الأب الذي يعمل رئيسا لمكتب العمل بالمدينة ، عن تأدية مهام منصبه ، تـوطئة لاتخـاذ مايـرونه من اجراءات ضده !

قـال أحـد المسـؤولـين مفسـرا : « نحن لانمنـع الشعب من التعبير عن أفراحه ، ولكننا فقط نستنكر الاسراف المادي في هذا التعبير ، فيجب الا ننسى أننا نعيش في بلد لايـزيد متوسط دخل الفـرد فيـه عن مايوازي ثلاثمائة وخمسين جنيهـا استرلينيـا في العام كله .

الذئب الطفل !

شهـدت احدى القـرى الجميلة الصغيـرة في اليونان أغرب « قصة حب » بطلاها سيدة في الرابعة والخمسين تدعى ايفـانجليـا فـراكـا وذئب متوحش عمره عشر سنوات . .

وتبدأ هذه القصة الغريبة في عام ١٩٧٦ ، عندما عثرت السيدة على ذئب صغير مصاب ، تركته أمه في الغابة القريبة من القرية التي تعيش فيها . ورق قلب ايفانجليا للحيوان الصغير ، فما كان منها إلا أن حملته وعادت به الى البيت الذي تعيش فيه ، عنـد سفح الجبل بقرية لانجاديا .

وفي البيت راحت السيـدة تعنى بالـذئب الصغير وتقدم له الطعام ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت القرية كلها تتحدث عن الذئب الصغير الأليف الذي يحرص الأطفال على زيارته واللعب معه !

ومرت الشهور والأعوام ، وبدأ الـذئب الصغير يكبر ، وبدأت الشراسة تظهر في عينيه ، وفي عوائه المخيف بالليل ، وأسـرع أهل القـرية الى صـاحبته ينصحـونها بأن تعيـده الى الغـابـة ، حيث يجب أن يكون ، حتى لايصبح خطرا يتهدد الأطفـال الذين يأتون للعب معه !

ولكن السيدة كانت تفـزع لمجرد التفكيـر في أنها سوف تفقد ذئبها المدلل الذي قضت سنوات طويلة وهي تعنى به وتربيه ، وشيئا فشيئا بدأ الناس يبتعدون عن « بيت الذئب » حتى أصبحت السيدة تعيش في عزلة تامة مع هذا الوحش المدلل !

الى أن كانت احدى الأمسيـات ، عندمـا ذهبت ايفانجليا تقدم للذئب طعامه ، فهاجمهـا ، وأحدث اصابات بالغة في جميع أجزاء جسمها !

ونقلوها الى المستشفى للعلاج . . وقال أهل القرية : « لابد انها اقتنعت الآن بضرورة التخلص من هذا الصديق المتوحش ، ولكنهم فوجئوا بها عندما ذهبوا لزيارتها وقد رقدت على فراشها تبكي !

فقد كانت ايفانجليا تتوسل الى الأطباء والمسؤولين بألا يتعرضوا للذئب بالأذى . . قـالت وهي تمسح دموعها : « لقد أخطأت . . فهو حيوان ذكي ، ولابد أنه سمع جيراني وأصدقائي وهم يطلبون اليَّ التخلص منه !!

الغريب أن أحد الخبراء في سلوك الحيوانات أيد كـلام السيـدة ، قـال : « ان الـذئب حيـوان غـير مستأنس ، ولكنه ذكي ، وربما يكون قد أحس بأن صاحبته تفكر في التخلص منه ، فأراد أن يعاقبها ! »

تقول ايفانجليا التي لم تتزوج ، ولم تكن لديها خبرة بتربية الأطفـال : « لا تنتزعـوه مني ، فقد أصبـح بالنسبة لي إبنا تعبت كثيرا من أجل تربيته ! وأعدكم أنني سأكون أكثر حرصا في المرة القادمة ! » ☐

محمود المسعدى و«السد» الشهير

بين فلسفة الإبداع وإبداع الفلسفة

بقلم : محمد الحبيب براهم

أكرمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « اليكسو » منذ أشهر قطبين من رحاب الفكر العربي المعاصر هما محمود المسعدى من تونس وزكى نجيب محمود من مصر .

وتعميقا لأواصر الترابط الروحى والفكرى بين المشرق والمغرب على جسر « العربي » الغراء ، تنهض الهمة فى هذا المقال التحليلى الى الجوس فى مكنون مظاهر الابداع الفكرى عند الأديب محمود المسعدى ، من خلال أثر عجيب فى مضمونه وأسلوبه هو كتاب « السد » الشهير .

ملامح شخصية

ولد الأستاذ محمود المسعدى فى ١٩١١/١/٢٣ بتازركة ، وهى قرية من ولاية الوطن القبلى بالشمال فى الجمهورية التونسية ، وزاول تعلمه بتونس ، وواصل تخصصه الجامعى بكلية الآداب فى السوربون بباريس . وتقلد اثر عودته عدة مناصب سامية ، أهمها وزارة التربية القومية سنوات عديدة ، تولى خلالها تنفيذ برنامج الاصلاح التعليمى بتونس غداة الاستقلال ، وهو حاليا رئيس مجلس النواب (البرلمان) ، اضافة الى مهام متنوعة فى الحقلين السياسى والثقافى عربيا ودوليا ، زخرت بها حياته المليئة ، اسهاما وابداعا ، وقد أحرز عدة أوسمة عليا من تونس ومن خارجها .

ومن مؤلفاته رواية « السد » (١٩٥٥) و « حدّث أبو هريرة قال » (١٩٧٣) و « مولد النسيان » (١٩٧٤) ، و « تأصيلا لكيان » (١٩٧٩) ، و « الايقاع في السجع العربي » وهي اطروحة دكتوراه صدرت سنة ١٩٨١ .

ولئن كانت وجوه التعريف بهذا الأديب الذى يندرج في حلقات اشعاعات الزمان العربي الفذة غزيرة ، فإن أهم ما بقى منذ ثلث قرن يشد اليه الأنظار والأقلام هو أنه صاحب « السد » .

رواية « السـد »

هى رواية ذات طابع فلسفى ، وأبعاد قابلة لاستيعاب مفاهيم حافلة حبلى ، صدرت سنة ١٩٥٥ ، وطبعت ثانية سنة ١٩٧٤ ، ونقلت الى الفرنسية من قبل منظمة اليونسكو ، فى اطار برامجها للنهوض بالكتاب والتبادل الثقافى الدولى ، وكان ذلك سنة ١٩٨١ .

تقع الرواية فى ثمانية مناظر تترى فى قالب لوحات متسلسلة الخيط ، مفعمة بأحداث متلاحقة نابعة من الواقع ، الا أنها غريبة الملامح عجيبة الأجواء ، يمتزج فيها عبق عوالم غزيرة الروافد والصور والايحاءات .

فهذا بطل الأحداث « غيلان » يحدث زوجته « ميمونة » عن حلم يراوده ويبتغى تجسيده واقعا حيا ، فى دنيا سكان القرية النائمة المتواكلة ، فى سفح هذا الجبل الأغبر ، الذى ينفض قتامة الجفاف والقحط والجوع والعراء والمرض على من حوله ، انه يحلم بسد شامخ منيع يحمى من الأخطار ، ويحفظ الماء المُهْدَر من عين الجبل ، ويغير وجه الأرض ووجوه الناس ، وحال القرية وأحوال القوم . وتفزع ميمونة من حلم زوجها ، فهو بمثابة التحدى لآلهة القحط التى يطيعها السكان « صاهبّاء » وهو كذلك تمرد على الطبيعة وقانون الوجود ، وتحاول بشتى الوسائل أن تثنيه عن عزمه ، الا أنه يتقد حماسا لفكرته وشوقا لمشروعه .

ويجمع غيلان شتات العمال ، ويتعالى البناء رويدا رويدا ، يتحدى من بقى من القوم خاملا يلعق عفن راقعه ، ويتطهر فى ركنه بالشمس ، مستجيبا فى معتقده الخاطىء لعويل ذئب نائح ، وطبل مجوف مهدّد ، وأصوات جبلية خفية ، منذرة متوعدة ، وآلهة يحكون عنها ولا تظهر ، تحطم وتثور على السنتهم ، فتتوالى المصائب على غيلان من مرض يلم به ، وهلاك للعمال ، وحريق فى مكان الاشغال ، ويراها الجميع لعنة ، وفأل شر مستطير ، فى حين يستمد منها غيلان مزيد حماس واندفاع وشجاعة لتحقيق هدفه .

وللنفس لحظات ضعف ، وفى احداها عند غيلان والاحباط يملأ عليه المنافذ ، والضياع يخنقه ، تبرز له من الوادى السحيق « ميارى » وهى طيف نورانى ، يخاطبه فيلهب فيه جذوة الأمل ، وتغار ميمونة وتصرخ وتبكى ، وتظل مع تثبيطها لعزمه ملتصقة به ، تبث فيه نوازع الخوف والقنوط .

ويتواصل العمل الملحمى فى بناء السد ، ويحبس الكون أنفاسه ليلة موعد اتمامه ، ويتطلع الجميع الى آخر حجر يوضع ، ليتحقق الحلم وينجز الفعل البشرى العظيم . . . وفى اللحظة الموعودة . ينفجر الكون عاصفة لا تبقى ولا تذر ، تندفع نحو السد الشامخ فتقوضه ، وتجرف كل شىء فى غضبة عارمة لا يلوح إثرها الا شعاع ضوء خافت ، يلمحه غيلان من بعيد ، فى حين تهرب الأرض من تحت أقدام ميمونة ، ويشهق البغل ، ويعوى الذئب ، ويبتسم البطل لسده المتناثر اشلاء ، ويطير فى الفضاء وفى أعماقه جذوة لم تخب وأمل لم يقبر .



الاسلوب الفني

يتراوح الاسلوب الفنى المستعمل فى صوغ هذه الاحداث بين الشكل المسرحى على النمط الاغريقى اليونانى ، وما أفرزه بعد ذلك لدى عباقرة المسرح الفرنسى التراجيدى بالخصوص ، وبين الحوار القصصى المتسلسل على نمط القصص القرآنى ، وما تولد عنه من تطور روائى نثرى ، وبين المجادلة النفسية والفلسفية القائمة على الاستقراء الباطنى والايحاء الخارجى ، مع لمسة وجودية حادة النبرة .

وقد واكب هذا المد والجزر فى الأحداث تلوين فنى عجيب فى العبارة المستعملة واللفظة المنزلة كالصخر المنحوت فى قوالب صُبّتْ صبًّا يتحدث غيلان فاذا اللفظة نشيد ملحمي .

« وانى لأرى سدّي بين يدى ، وأرى المجارى ، وأرى الأنابيب ممتدة فوق الهاوية جسر حديدا يهزأ من الهاوية متدافعا الى الوهاد ، وانى لأرى المياه متدفقة غالبة قاهرة . . . وليكن الخلق ولتكثر الولادة . . . . هذه الأرض المتجعدة المغبار كالعجوز الفاجرة لأحبلنّها ماء فأملأن بطنها فأخرِجَنّ حياةً » .

وتتحدث ميمونة فاذا اللفظة مساحة استخذاء ، وغرابة منفرة ، وعلى لسانها يتقمص نبى الوادى وآلهته وشره المستطير :

« هلهبا هلهبا »
سُبْحت صاهباء .

ربة اليبس ، ربة القحط ، تسكن الجبال الصخرة الربة ، هلهباء هلهباء سبحت صاهباء ، وتهمس ميارى فاذا الكلمة انسياب شاعري حالم ، يوازن فى مراوحة دقيقة،صلابة ونتوءات غيرها فى سياق الأحداث :

وقفتَ خلفى إليّ وأنا اليك ، وجعلت رأسك على كتفى وشعرى ، وطوقت رأسك بذراعى ، فاذا أنا حاملة اناء خمر وصنماً معبودا ، وعالما حيا . فاذا نحن أحسن الحسن واذا حسننا نفى لكل شئ سوانا .

جئت فنظرتك ونظرت ، فاذا نور الشمس خيوط أو بيوت عنكبوت يلمع لعينى ، فنفضته وعرفت وجه فرحى بوجهك . . وها قد جاءت ساعة السير العظيم والخلق المتين والفعل .

ويثور الجبل ويتحطم السد ، فاذا الجملة شواظ



محمود المسعدي

نار وبركان حمم.» ينشأ الظلام فجأة فينتشر ، وتعصف ريح من الشيطان كانفاس الزبانية أو كالدم والاثم . . ويظهر الجبل فى ضوء البرق متضاحكا قائم الصدر . . . وتبرز من الغيب سواعد وايد كقطع الجبال فتدك السماء والأرض والنجوم والأجيل وتقوم فى الكون جميعا ثورة شعواء حمراء صلبة ، وكأن صوتا همهمة يرتل : وأمرنا العواصف والرعد والسحاب والبرق والزلازل ، فانفلقت جميعا ودوت دويا ، وارسلنا الصاعقة فشقت وأودعت حياة حية » ؟

الأبعاد القزحية

يتراءى للمتامل للوهلة الأولى أن هذا الأثر موغل فى المأساة ، تأثر صاحبه بحكم مشربه الثقافى الانسانى بالتيارات الوجودية التى عايشها ، وميزت طابع البيئة التى اختلط بها فى « باريس سارتر وكامو وسيمون دوبوفوار » ، أو عمّقها فيه احساس الغربة اليائسة والانبتات الحضارى الموجع فى فترة بحث المثقف والسياسى والمناضل التونسى ، وهى جميعها صفات

هذا المفكر عن هويته فى وطن كبله الاستعمار ، ومجتمع نخره التخلف ، الا أن الحقيقة أن « السد » ذو أبعاد أعمق ، يمتزج فيها طابع الفلسفة برائحة النضال ، ويتعانق فى طياتها الرافد الذهنى بالرافدين الاجتماعى والوطنى ، ليلامس الذروة الانسانية فى نسيج فنى مبدع ومضمون فكرى خلاق الآفاق .

يعتبر موضوع الخلود وقضية الكمال قضية الانسان الجوهرية منذ الأزل والى الأبد .

وقد حاول الفلاسفة والعلماء والأدباء تجاوز هذه القضية كل بطريقته الخاصة ، وبوسائل الابداع التى يتميز بها . وأفرزت المسيرة حلولا طريفة فى التجاوز من التحنيط عند الفراعنة الى الانتحار لدى الوجوديين ، الا انها فى جميعها لم تضف الا شعورا بالهرب أو الاحباط ، وهو ماصورة البير كامو فى أسطورة سيزيف ، بما يجسم حرقة المأساة فى العجز البشرى الذى يدور فى حلقة مفرغة .

الا ان المسعدى من منطلق جذور الايمان فى أعماقه العربية الاسلامية ، يلون هذه المأساة الانسانية ، التى وعاها عقله المتفتح للثقافات المتنوعة ، ولاحظها حسه المرهف الدقيق كمفكر قلق لمشكلات الوجود تلوينا خاصا ، فتنصهر هذه المؤثرات فى باطنه ، وتمتزج لتتبلور فى أبعاد ذهنية ذات نكهة خاصة ، تصور معاناة الانسان الواعى فى الكون ، وفشله الذريع المؤقت ، الا أنه لا يأس مع الحياة مادام فى الانسان نبض وفى الحياة أمل . ألم تتحدث ميارى فى آخر أطوار السد المتناثر أشلاء عن نور فى آخر الغاب يناغى النفس ، ويبقى للقيم معنى ، فى حين أن خاتمة المطاف للوجوديين كانت الحث على العدم والانتحار ؟

انها « الوجودية المؤمنة » يبثها المسعدى فيضيف من خلالها الى تيارات التفكير الأدبى الذهنى المعاصر لونا عميقا ثرى الأبعاد ، وهو يلتقى فى هذا السياق مع توفيق الحكيم فى مسرحياته الذهنية .

ساعد الأسلوب الرمزى محمود المسعدى على اضفاء ابعاد متنوعة على مضمون هذا الأثر الادبى .

ففى حين ينضح محتواه بالنكهة الفلسفية الخالصة ، تتمطى فى ثنايا السطور مفاهيم اجتماعية تصل الى درجة الوطنية الطلائعية الثورية .

فغيلان نموذج الزعيم الثائر على خنوع الشعب فى قريته ، والمصلح الذى يبتغى هدم الخرافات البالية ، وتبديد نفسية التواكل والاستسلام ، والدعوة الى الثقة فى الهوية ، واستقصاء المنبع ، والحفاظ على الجذور الأصيلة والابداع الجديد فى كل وجوهه .

انها صرخة ضد التخلف والجهل ، وثورة على الاستعمار فى تلك الفترة التى تمثلها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، على الشعب العربى المنكوب ، وقبيل المد التحريرى فى الخمسينيات ، وقد ارتفع المسعدى فى تحليله لهذه الظاهرة الحضارية المؤذنه بالانعتاق الى مرتبة المفكر المستقرىء للمستقبل ، المتنسم لخفاياه ، والمتكهن بتطوراته ، دون أن ينزلق فى تدقيق مكانى أو زمانى ، يجعل أثره الأدبى هذا أثرا محليا فى مضمونه أو حدوده ، بل هى قضية الانسان يجاهد للتحرر عموما ، تماماً مثلما كان الأمر مع أبى القاسم الشابى فى أغلب قصائده الشعرية ، ذات الطابع الاجتماعى والوطنى ، فهى تعانق قضية الانسان بآفاقها الرحبة فى كل زمان ومكان .

وبعد

ان هذه الأبعاد الحبلى التى اكتنز بها « السد » لمحمود المسعدى تذكرنا بقوس قزح الطبيعة فى ألوانه العديدة المتباعدة والمتناغمة فى آن واحد ، ولعل هذا الثراء العجيب فى روايتنا هو الذى حدا بالنقاد الى اشباع مضمونها واسلوبها تحليلا وتدقيقا ومقارنة ، وهى رغم ذلك كله مازالت كالعين التى لا تنضب ، محطة اطروحات ومقالات تتوالد باستمرار ، وذلك لتمثيلها علامة مضيئة فى درب التأليف الأدبى المعاصر . □

■ أكثر الناس جرأة على الأسد أكثرهم رؤية له ! (عبدالله بن المقفع)

■ الخير في الناس مصنوع اذا جبروا ، والشر في الناس لا يفنى وان قبروا (جبران خليل جبران)

العلاج الجماعي..

اتجاه جديد في الطب !

بقلم : الدكتور منصف المرزوقي *

الطبّ المعاصر يتقدّم بخطاً حثيثة في تعامله مع كثير من الأمراض كالسرطان والذبحة الصدرية . . . وهي الأمراض التي تسلّط عليها أجهزة الاعلام أضواءها ، الا أنه يعرف اليوم في كل بلدان العالم منعرجا جديدا ، قلما يعي الناس أهميته . تصور وممارسة جديدة تشكل ما يسمى بالطب الجماعي الذي يختلف في كثير من مفاهيمه ووسائله عن الطب التقليدي . فما هو هذا الطب ؟

يشترك جل الأطباء والمرضى ، وبصفة عامة كل من يسهر على مقادير الصحة في الايمان ببعض البديهيات التي تشكل ما يمكن تسميته بالفلسفة الضمنية للعمل الطبي ، الا وهي أننا نستطيع القضاء على أي داء اذا ما توفرت الشروط الآتية :

١ ـ تحديد المرض بدقة ، أي فرزه وانتشاله من خضم الأمراض السارية والمشابهة في بعض الأحيان .

٢ ـ معرفة أسبابه وعوامله داخلية كانت أم خارجية .

٣ ـ اكتشاف دواء مضاد يمكن من شل المفعول المرضي لهذه الأسباب .

٤ ـ توفير جهاز صحي يشمل امكانيات بشرية ، من أطباء وممرضين وتقنيين ، وامكانيات مادية من أجهزة وآلات ومستشفيات لتشخيص المرض وعلاجه .

ولنحاول تطبيق هذا النموذج النظري على مرض من أخطر الأمراض وأكثرها انتشارا في العالم : اسهال الرضيع ، وسنرى أن ابسط البديهيات قد تكون بحاجة في بعض الأحيان الى المراجعة .

* استاذ بكلية ـ ابن الجزار ـ سوسة ـ بتونس رئيس قسم الطب الجماعي

مرحلة التحديد :

عرف اسهال الرضيع كمرض قائم الذات منذ القدم ، وقد وصفه الأطباء المسلمون في الكثير من كتاباتهم .

فللرازي وصف دقيق يقول فيه (رسالة من أمراض الأطفال)

« يعرض الاختلاف (الاسهال) في الصبيان على الوجه الأكثر عند قرب نبات الأسنان ، كما ذكرنا سابقا ، أو من سبب البرد عند لفه بالقماط ، أو من سبب تعفن الحليب من الصفراء أو البلغم ، علامة كونه من الصفراء هو اذا كان لون براز الطفل ليمونيا ذا رائحة حادة ، ويخرج بدون توقف ، وعلامة كونه من البرد والبلغم ان يكون البراز يأتي سريعا .

أما العلاج فهو أن يسقى الطفل شراب الورد أو عصير التفاح أو الرمان مع النعناع » .

بقيت امكانيات الوقاية والعلاج رغم ان معرفتنا للمرض محدودة ، وذلك لجهلنا بالأسباب الموضوعية المؤدية الى الاسهال ، وعلى رأسها تلوث الماء بالجراثيم والحمات والطفيليات ، لكن الطب استطاع بداية من اكتشافات باستور في أواخر القرن التاسع عشر ، تجاوز هذه المرحلة ، وتحديد دور هذه الكائنات الحية ، ووصفها بمنتهى الدقة ، ومن ثمة اتضحت معالم سياسة وقائية ناجحة تقوم أساسا على محاربة الجراثيم بتعقيم الماء والحليب مثلا ، وبقيت طيلة النصف الأول من هذا القرن مشكلة العلاج الفردي قائمة بلا حل ، لعدم توفرنا على أدوية فعالة ضد هذه الكائنات الممرضة .

وقد شكل اكتشاف دواء السلفاميد في أواخر الثلاثينيات والصادات الحيوية المهمة في أواخر الأربعينيات المنعطف الخطير في تاريخ مشكلتنا ، اذ أصبحنا نتوفر على جملة من الأدوية ، تستطيع القضاء على جل الجراثيم والطفيليات ، ولم تبق الا مشكلة الحمات .

الاسهال اذن وبصفة خاصة اسهال الرضيع مرض معرّف سريريا منذ القدم . اكتشف الطب أسبابه ، واخترع لمحاربته أدوية فعالة ، متواجدة بوفرة في كل بقاع الدنيا .

والحاصل : هل اختفى المرض ؟

أول ما يتبادر الى الذهن هو أنه انقرض ، أو على وشك الانقراض ، فنحن قد وفينا بكل الشروط النظرية المطلوبة للقضاء على أي آفة ، لكن للواقع رأياً آخر .

أبعاد الكارثة

تقول احصائيات المنظمة العالمية للصحة :

ـ ان معدل حالات الاسهال في العالم ابان السبعينيات حوالي سبعمائة مليون حالة سنويا .

ـ ان اسهال الرضيع هو أول سبب للوفيات في بلدان العالم الثالث ، ويتدخل بنسبة الربع فيها .

لنترجم هذه الحقائق المخيفة الى أرقام :

ـ سنويا يقضي اسهال الرضيع على عشرين مليون طفل وذلك قبل بلوغ السنة الأولى من عمرهم القصير .

ـ نسبة وفيات الأطفال في البلدان العربية تتراوح ما بين ستين في الألف ومائتين وخمسين في الألف ، وتقدر النسبة في تونس بثمانين في الألف ، اذا علمنا ان عدد الولادات سنويا هو مائتا ألف ، فانا نستطيع بعملية حسابية بسيطة أن نقدر عدد الموتى بالاسهال سنويا من كل جيل جديد بأربعة آلاف طفل في تونس ، ويرتفع هذا الرقم بالطبع الى نسب أعلى في بلدان أخرى كالسودان والصومال .

لماذا نموت لنا سنويا أربعة آلاف طفل ، بمرض نعرف أعراضه وأسبابه ، ونتوفر على أمضى الأسلحة لمكافحته ؟ ويتطور السؤال من المهم الى الأهم : كيف نستطيع أن نوفر هذه الآلاف من الأرواح البريئة ؟

أول ما يتبادر الى الذهن أن النقص في الأطباء والمستشفيات هو السبب ، وبخاصة أن النظرة الطبية الكلاسيكية للاسهال تقرر أنه يجب علاج الطفل في المستشفى ، باعطائه الصادات وحقنه بالسوائل ، لتعويض ما يفقد من الماء والأملاح المعدنية التي يؤدي ضياعها بالاسهال الى الموت ، لكن التجربة هنا أيضا تفند هذا الرأي ، فنحن نلاحظ مثلا أن بلدا كتونس ، نظرا لتواضع مساحته ، وكثرة أطره ، يتوفر

على الحد الأدنى من الامكانيات البشرية والمادية ، ومع هذا فان ارتفاع التأطير الصحي لم يؤد الى اختفاء أو حتى تناقص مهم في حالات الاسهال .

فمن طبيعة التفكير العلمي الصحيح ، أن يجبرنا على اعادة صياغة مفاهيمنا وطرق عملنا ، كلما اكتشفنا فشلا في مهمتنا ، ومن ثمة كانت اعادة صياغة السؤال كالآتي :

ما هي العوامل التي لم نحسب لها حسابا في اطار نظرتنا الكلاسيكية ، للتعامل مع مشكلة الاسهال التي تجعل معرفتنا للمرض ، لأسبابه ولأدويته غير كافية لحله ؟

وكيف يمكن ايجاد حل في اطار الظروف الموضوعية الصعبة لبلدان العالم الثالث ، من نقص في الأطر والمستشفيات ؟

المستوى الجماعي :

من البديهي أننا لا نستطيع التعامل مع مرض يتسبب في موت عشرين مليون طفل سنويا في العالم ، بنفس الكيفية التي نتعامل بها مع مرض آخر كالزائدة الدودية مثلا ، ففي الحالة الأولى نحن نواجه آفة جماعية تشكل وباء أو جائحة ، ومن ثمة فان الحل لايمكن أن يكون مثلما هو الحال في المثال الثاني فرديا .

فمن غير الممكن حتى لبلد له امكانيات هائلة ، معالجة كل حالات الاسهال بصفة فردية ، وذلك للثمن الانساني والاقتصادي الباهظ .

ومن الأنجع التعامل مع المرض كمشكلة جماعية ، تتطلب حلا جماعيا ، يخرج عن نطاق المعادلة الطبية الكلاسيكية ، مرض ، فتشخيص ، فعلاج فردي ، لكن أي حل ؟

وتتبادر الاجابة الى الذهن : الوقاية طبعا ، لكن المشكلة ليست بالبساطة التي نخالها ، ذلك لأن المعضلة لا تختفي بمجرد اشهار شعار جذاب ، ولكنه طالما كان ولا يزال مجرد شعار .

المطلوب اذن من البحث العلمي « فك » المفهوم وتفصيله الى أدق جزئياته ، لمعرفة أي وقاية نعتمدها لمكافحة المرض .

لاحظنا أن الرازي انتبه الى دور تعفن الطعام في حدوث الاسهال ، لكن اكتشافه هذا لم يؤد به الى استخلاص كل النتائج ، وذلك لجهله بالعوامل المتسببة في التعفن أي الجراثيم .

وهكذا بقيت معالم الوقاية مجهولة الى بداية القرن التاسع عشر ، أي الى أن أثبت الانجليزي ادوين شادويك دور تلوث الماء في حدوث الكوليرا ، وهو أول من أصاب في فهم دور الماء الصالح للشراب في الوقاية من أمراض الجهاز الهضمي الانتانية .

وباكتشاف باستور للجراثيم عمم الطب مفهوم التلوث بالكائنات الحية الدقيقة الى كل غذاء وعلى رأسه الحليب ، وهكذا أدى فرض تعقيم الحليب سنة ١٩٢٤ بفرنسا الى انهيار نسبة وفيات الأطفال ، بكيفية لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، كما اتضحت كل معالم الوقاية ابتداء من هذه الفترة ، وتتلخص في توفير الماء العذب النقي ، والغذاء الخالي من أي تلوث مهما كان مصدره .

لكن هذه الاكتشافات لم تؤد في العالم الثالث الى نتيجة على الصعيد العملي ، ذلك لأن توفير الطعام النظيف والماء الصالح للشراب أمران مرتبطان بالتقدم الاقتصادي للمجموعة البشرية المعنية بالأمر وبالتالي نحن مهددون بالدوران في حلقة مفرغة ، اذا قرنا أن الوقاية من الاسهال لا تكون الا بالتقدم الاقتصادي ، فالفقر يولد المرض ، والمرض يولد الفقر ، ونحن مطالبون بكسر الحلقة المفرغة ، لا بالدوران في داخلها ، الى ما لا نهاية ، **أي أننا مطالبون بايجاد حل لمشكلة الاسهال ، في اطار الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية ، والمتسمة بصعوبة ـ ان لم يكن استحالة ـ توفير الماء النقي والغذاء السليم من التلوث .**

وباستحالة علاج كل حالات الاسهال فرديا داخل مستشفيات تعاني من اكتظاظ رهيب .

وهذه الخصائص هي بالطبع خصائص المجتمعات التي تعاني من الجائحة ، أي المجتمعات الفقيرة والمتخلفة التي تنتمي اليها جل المجتمعات العربية والاسلامية .

التربية الصحية أو البديل الممكن

لنعد طرح الأسئلة علنا نهتدي الى حل يخرجنا من الحلقة المفرغة .

١ ـ بماذا يموت الطفل ؟ على وجه التدقيق ؟ هل موته نتيجة التوغل الجرثومي أو الحموى ؟ وهل لا بد من القضاء على هذه العوامل لانقاذ حياته ؟

٢ ـ هل يمكن علاج الطفل خارج المستشفيات وبأرخص تكلفة . . وكيف ؟

وكان الرد على السؤال الأول بسيطا ، فالطفل يموت نتيجة فقدان الماء والملح ، مما يؤدي الى جفاف الجسم ، وهي الحالة التي نسميها « نقص التَمْيُه الحادّ » وعندما لا يؤدي هذا النقص الى الموت ، فانه يترك مضاعفات خطيرة كالتخلف الذهني باصابة المخ .

المهم أن أغلب حالات الاسهال مع خطر نقص التمية الحاد عند الرضيع ، هي نتيجة أغلاط في تغذيته ، كالانقطاع عن الرضاعة الطبيعية ، وتلوث ماء الشرب والحليب وسائر الأطعمة بالجمات خاصة .

هذا لا يعني أن الجراثيم والطفيليات لا تتدخل ، لكن دورها متواضع نسبيا اذا قيس بدور الحمات ، وهذا الاكتشاف بعد عملي هائل ، فنحن لا نستطيع التأثير بأي دواء حالي على الحمات ، يضاف الى هذا أنها لا تقتل مباشرة ، اذ يستطيع الجسم التخلص منها بعد أيام ، لكنها تقتل بتضييع الطفل للماء والأملاح المعدنية الضرورية عن طريق "الاسهال"، إبان الهجوم الحميّ ، ومن ثم أصبح السؤال : كيف نعوض للطفل ما فقده من ماء وأملاح معدنية ، بانتظار تغلب الجسم على الحمات المتسببة في الاسهال .

نتذكر هنا أن رأي الطب الكلاسيكي يقضي بادخال الطفل الى المستشفى ، وحقنه بالسوائل المغذية ، ونتذكر استحالة تعميم هذه الطريقة نظرا لعدد المرضى واكتظاظ المستشفيات .

هنا تولدت الفكرة : لماذا لا نعطي الماء والأملاح المعدنية عن طريق الفم ؟ ولماذا لا نكلف الأم نفسها بعلاج طفلها ووقايته من خطر نقص التميه الحاد ، وقد أثبتت مئات التجارب صحة هذه النظرية ، أي امكانية اعادة التميه عن طريق الفم ، وذلك باستعمال مسحوق الأوراليت التي تضعه المنظمة العالمية للصحة بسعر زهيد ، ومزجه بالماء المغلي ، أو اذا لم يوجد هذا المسحوق يمكننا استعمال الملح والسكر وفق طريقة معينة . وقد قررت أكثر من سبعين دولة في العالم اعتماد هذه الفكرة البسيطة ، لبناء برامج وقائية لمحاربة اسهال الرضيع ، بصنع هذه المادة وتعميمها وتثقيف الامهات .

نلاحظ اذن هنا من جديد تغير طبيعة المشكلة اذ يمكن تلخيصها الآن كالتالي :

لو استطعنا أن نعلم كل الأمهات (وخاصة الريفيات) انه يمكن وقاية الطفل من مضاعفات الاسهال ومن الموت ، بتشجيع الرضاعة الطبيعية ، أي بخلط مسحوق الأورواليت الذي توفره المنظمة العالمية للصحة ، المحتوى على ملح وسكر في لتر ماء مغلي ، وفي حالة عدم وجوده ، نوضع ملعقة من ملح وعشر قطع من السكر في لتر ماء بعد غليه وتبريده ، واعطاء الطفل بعد كل تبرز مقدار كأس صغير منه ، لتفادي حالات نقص التمية . ولو فعلت الامهات هكذا لانخفضت نسبة الوفيات بنسبة ثمانين في المائة .

نرى اذن أننا نستطيع الخروج من الحلقة المفرغة المميتة ، فلا نحن بحاجة الى كميات هائلة من الأسّرة والأطباء ولا الى انتظار اقلاع اقتصادي قد يكون وقد لا يأتي ، لكن على شرط أن نعمم هذه المعرفة للقضاء على الداء . ويصبح السؤال اذن كيف ؟ وبأي وسيلة ؟ بالتثقيف الصحي طبعا ، وبتثقيف صحي حقيقي فعّال ، يرتكز على قواعد علمية مضبوطة . بطبيعة الحال اسهال الرضيع الذي اخترناه للتدليل على أن المعلومات ليست زينة الفكر وانما الصحة والحياة ، هو مثال من بين أمثلة هي كثيرة لتعدد بعضها .

ـ سرطان الرحم : هو أخطر سرطان عند المرأة ، ويموت به الآلاف من زوجاتنا وبناتنا وأمهاتنا ، والحال أننا نستطيع انقاذ حياتهن لو توصلنا الى اقناعهن ، بأنه يجب ـ ابتداء من الخامسة والثلاثين ـ استشارة طبيب مختص في حالة فقدان الدم في غير أوقات الحيض ، الشيء الذي يمكن من تشخيص المرض في طوره الأول ، والقيام بعملية بسيطة قبل استشراء الداء ، وهو الأمر المعهود حاليا ، فأغلب حالات السرطان

التي تشخص عند المرأة العربية ، تكتشف مؤخرا ، ويستحيل عادة انقاذ المصابة (هذا يتطلب طبعا توفر الاخصائيين والمعدات)

- الاعاقة : أثبتنا في دراسة سابقة أن الحصبة من أهم أسباب الاعاقة الدماغية عند الطفل في بلداننا ، وأثبتنا أن التثقيف الصحي ، أي توعية الناس بوجوب التلقيح ، هو العامل الأول للحد من مضاعفات هذه الآفة الاجتماعية .

- التدخين : سرطان الرئة في تصاعد رهيب في كل بلدان الدنيا ، نتيجة استشراء التدخين ، والحل الأوحد هو تعميم التثقيف الصحي للكف أو التقليل من التدخين ، خصوصاً وأننا لا نستطيع حاليا علاجه .

لنلاحظ هنا أهمية التحول المنهجي ويقع على ثلاثة مستويات .

الخدمة الطبية :

عودنا النموذج التقليدي للفكر والعمل الطبي على أن ننتظر من الطبيب خدمات محددة أهمها : التشخيص والعلاج بالأدوية ، وبالأشعة والجراحة الخ . .

لكننا نواجه هنا حالة جديدة وهي ان العلاج والوقاية لا يكونان بتدخل مادي ، وانما بوضع معلومات علمية تحت تصرف أكبر عدد ممكن من الناس ، كما تتضح هنا فكرة مهمة الا وهي أن هناك ميادين معينة لا ترتبط فيها نجاعة التطبيب الا بنشر المعلومات ، حقا هذا العامل غير وارد في ميدان كعلاج الزائدة الدودية ، لكننا رأينا أنه يكاد يكون العامل الأول في حل مشكلة الاسهال ، وهناك العديد من الميادين التي يتدخل فيها عامل نشر المعلومات أو التثقيف الصحي للحد من مضاعفات الأمراض الأكثر انتشارا .

البحث الطبي :

من البدهي أنه اذا تم اعتبار نشر المعلومات خدمة طبية في حد ذاتها ، مثل الجراحة والترويض ، فاننا سنطالب بسرعة بتطبيق المنهجية العلمية على هذه الخدمة ، لنكفل لها أقصى ما يمكن من النجاعة ، فكل الخدمات الطبية مرت تاريخيا بمراحل متعددة ،

المرحلة السحرية ، الميتافيزيقية ، المرحلة التجريبية البراغماتية ، المرحلة العلمية . والتثقيف الصحي هو الأخير يمر بهذه المراحل ، مع العلم بأنه بقي ولا يزال في بلداننا العربية في المرحلة التجريبية معنى هذا أننا مطالبون أكثر من أي وقت مضى ، نظرا لما اتضح من أهمية التثقيف الصحي ، بتطبيق المنهجية العلمية الصارمة ، أي بالتساؤل كيف ولمن وبماذا وعن أي طريق ووفق أي مقاييس ، يكون التثقيف الصحي وكيف نستطيع تقييم مفعوله . . ؟

قيمة المعلومات

رأينا أن توفير كمية معينة من المعلومات عن الاسهال لأكبر عدد ممكن من الناس ، يمكن أن توفر حياة الملايين من الأطفال ، ومبالغ باهظة للدولة ، معنى هذا أن المعلومات ليست خدمة طبية نحسنها بالبحث فحسب ، لكنها ثروة لا تقدر بثمن ، وهو ما أصبحنا اليوم نعني به ونتنبه اليه .

ولا غرابة في هذا ، فنحن ندخل عصر المعلومات ، وعلينا نحن العرب أن نعي أهمية هذه الثورة الحضارية والعلمية التي يجب أن نكون من روادها ، بعد أن فاتنا ركب الثورة العلمية للقرن السابق .

فقد كان القرن التاسع عشر عصر المادة والطاقة ، لكن القرن المقبل سيكون عصر المعلومات ، والمواضيع المطروحة حاليا في هذه القطاعات المتقدمة من العلوم هي :

هذه المعلومات ؟ { كيف نجمع / كيف نصنف / كيف نخزن / كيف نوزع }

تكون اذن الدعامات الثلاث التي تبنى عليها الحضارة مستقبلا المادة ، الطاقة ، المعلومات (بشتى أصنافها)

وانتباهنا في الطب الى أهمية جمع المعلومات وتبويبها ونشر المتصل منها بالتثقيف الصحي انما يدخل في اطار هذه الثورة الشاملة التي أصبحت فيها المعلومات مادة كسائر المواد الأخرى ، تكفل بصفة مغايرة الثروة والصحة والمناعة للأفراد والشعوب . □

تشيخوف والضحك من خلال الدموع !

بقلم الدكتور : أحمد النعمان

سماه البعض « الفنان البخيل » لأنه لا يكتب كلمة واحدة في غير محلها ، وقال البعض أنه « شاعر الأصيل » لرقته وشفافية نظرته الى الحياة ، وسماه آخرون « ضحية الزمن » فقد ذهبوا الى القول : أنه عاش سابقا لعصره ، ولقبه فريق آخر بـ « الانطباعي الروسي » فماذا عن تشيخوف بعد أكثر من ١٢٥ سنة على مولده ؟

عندما ولد أنطون تشيخوف عام ١٨٦٠ ، كانت المدرسة الكلاسيكية قد أكملت كيانها ، وأرست تقاليدها التي ولدت في القرن الثامن عشر ، سواء في الفن أو الأدب على حد سواء ، وعندما بدأ الصبي الموهوب (أنتوشا جيخانتي) -الاسم الذى كان يوقع به كتاباته وقصصه الساخرة الاولى - رحلته الأدبية ، كانت روسيا قد أعطت للأدب الكلاسيكي العالمي الكثير من أدبائها ، كان ليون تولستوي يتربع على عرش الادب الروسي بل العالمي آنذاك ، وكان فيلسوف النفس البشرية دوستويفسكي وبوشكين وليرمونتوف وغوغول وتورغينيف وعشرات من هؤلاء العباقرة قد أعلنوا للعالم أجمع « أن روسيا الأدبية قد قالت كلمتها فهل من جديد ؟ » .

الانطباعية الفرنسية :

جاء صدى الجواب هذه المرة من فرنسا ، ولكن في الفن التشكيلي ، في هذا الوقت كان فنانوها وعلى رأسهم - بول سيزان - وفيما بعد مونيه ، ومانيه ، وبيسارو ، وتولوز يتعاملون مع اللون (والتون) - درجة اللون - والضوء بشكل انطباعي ، حطموا فيه بجرأة لأول مرة أغلال قيود المدرسة الكلاسيكية الصارمة ، التي كانت حتى ذلك الوقت قلعة امبراطورية لاتطال .

أما أنطون تشيخوف الطبيب واسع الاطلاع والثقافة ، فقد بهرته هذه المحاولات الانطباعية ، فخاض تجاربه الذاتية فيها لا بالفرشاة كما فعل الفرنسيون ، بل (بالقلم) .

وكما قلنا . . فبينما كانت « فرنسا الانطباعية » تخوض تجربة اللون ، كانت « روسيا الانطباعية » تخوضها بالقلم ، الانطباعية الفرنسية صبت كل اهتماماتها على تحليل اللون والضوء وتفسيره ، واستخلاص الرمز منه ، تاركة (الخط) دون مساس ، فقام في روسيا في أواخر القرن التاسع عشر الرسام « فالك » ليعطي الانطباعية بُعداً تخطيطيا يكمل به الانطباعية الفرنسية ، أما تشيخوف الذي كان قد قرأ واستوعب التراث الكلاسيكي في الأدب ، ولا سيما الأدب الروسي ، فانه دخل عالم الأدب عن طريقه الانطباعية بقلمه ، ولا نعرف ان كانت ثمة علاقة أو تأثير متبادل بين فالك وتشيخوف ، ولكن يمكن القول ان الانطباعية الجديدة حدثت عند الاثنين في آن واحد دون أدنى شك .

حكاية نملة عام ١٨٨٩ :

اذا كان ليون تولستوي قد نهل موضوعاته من الأمة الروسية كلها ، وغار ديستويفسكي أعماق النفس البشرية ، وكرس تورغينيف جل أعماله للفلاحين ، فان أنطون تشيخوف كرس تجاربه الانطباعية الأولى منذ عمله الأدبي الأول « حكاية نملة عام ١٨٨٩ » للانتليجنتسيا « الروسية ، وأخذ عبر البحث في حياتهم اليومية البسيطة وتفاصيلها التي تبدو عادية ومتكررة - كالزواج - اللعب - الأكل - التنزه - يعطي انطباعه وحكمه على العالم الداخلي ، لافراد هذه الطبقة المثقفة التي دخلها ديستويفسكي منقبا وكاشفا .

وكان هدف الأديب الأساسي : دعوة الناس للسفر وراء « مزماره السحري » ليخلصهم من السلبية للتسليم غير المشروط أمام عالم (الخديعة والكذب والاحتيال والنفاق) .

كان تشيخوف ينظر الى حياة المثقفين الروس العاديين في زمنه الذي سماه بالزمن « الرخو والحامض والممل » ، متابعا التطورات الدرامية المحزنة لأولئك الذين يستسلمون ويرضون « بحقارة ورتابة الحياة » كما في قصة « رجل الغلاف » حيث يجسد الرعب من الواقع في أقصى درجاته ، و (الغلاف) هو عند



أنطون تشيخوف
آخر العمالقة في الأدب الروسي قبل الثورة

بيليكوف بطل القصة وأستاذ اللغة اليونانية القديمة : الملجأ الاخير لهذا المدرس الذي يحمل مظلته فوق رأسه حتى عندما لا يستدعي الطقس ذلك ، فاستسلم الى عالم ممل ورتيب يتكرر كل يوم ، حتى هرب الغلاف - غلاف كتابه - ليختفي . . أي حكم على نفسه بالانتحار والاعدام كانسان مبدع .

لقد استنتج أنطون تشيخوف بانطباعيته الحادة ، بأن هذا العقد من الزمن (١٨٩٠ - ١٩٠٠) هو عقد « داء الحنين » ، الحنين الى العمل لتغيير رتابة الحياة . لذا فعندما قال الطبيب « استروف » في مسرحية الخال فانيا : (ان حياة الخمول لا يمكن أن تكون نظيفة) ، كرر مضمونها الكثيرون من أبطال الكاتب ، فالعمل عند تشيخوف هو تعميد النفس البشرية من خطأ الماضي من الذنب التاريخي بحق الشعب ، انه واجب أخلاقي على عاتق كل انسان ، وتكررت هذه الفكرة في « بستان الكرز » و « الشقيقات الثلاث » و

« حـالـة من الممـارسـة » و « حيـاتي » وغيـرهـا من الأعمال .

يقول تشيخوف على لسان أيونيا في « الشقيقات الثلاث » (ما أحلى أن يكون الانسان عاملا ينهض مع الفجر . . أو راعيا أو معلما . . أو سائق قطار . .)

ويقول تشيخوف نفسه « على الانسان أن يكدح ويعيش من عرق جبينه كائنا من كان ، ففي ذلك يكمن مغزى وغاية حياته وسعادته وابتهاجه . .

الانطباعية والواقعية :

الانطباعية ليست الواقعية ، انها الانطباع عن الواقع اذا ما بسطنا هذا المفهوم ، أي تفسير المبدع الذاتي للواقع المحيط به يحدث ذلك بالعاطفة وليس بالعقل ، بالحس والوجدان وليس بالمنطق الرياضي ، وهذه النظرة تقود الى التفكير والتحليل ورؤية جوهر الأشياء لا ظواهرها الخادعة .

يقول تشيخوف :

« الكذب يهين السامع ويحط من قدر الكاذب » ومن هنا فان انطباعية تشيخوف هي أحد أشكال الحقيقة النافذة الى جوهر الأشياء . ويبقى ما يؤخذ



ليون تولستوي مع انطون تشيخوف
مصيف غاسبرا عام ١٩٠٢

على الكلاسيكية مع كل عظمتها وقوتها ، أنها قدمت الانسان برؤيتها الكمالية المثالية ، لذا فان « دافيد » لمايكل انجلو يبقى ملاكا ، أو شيئا أشبه بالملاك ، وليس انسانا يضحك ويبكي ، يضعف ويقوى ، كما أن كاتدرائية فلورنسا تبقى في نهاية المطاف محصلة ابداعية لفن « الباريكو » وليس للصلاة فحسب ، وبالمثل فان أبطال تشيخوف أناس يعيشون معنا . . هم نحن ! ، لذا فان أديبنا أمسك بيد « انسانه » ليأخذه الى حياة أفضل ، ليساعده على معرفة نفسه قبل (رسم لوحة مستقبله) ، وأبطاله كانوا مستلين من روسيا نفسها ، وليسوا نسيج خيال الكاتب الكبير .

مع غوركي وتولستوي :

كان تشيخوف أكبر من غوركي عمرا وأصغر من تولستوي ، فكيف نظر اليه هذان العملاقان ؟

كان تولستوي يعتبره « فنانا لا يقارن بأحد » وفضله حتى على تورغينيف ودوستويفسكي وعلى نفسه ، وقال تولستوي في انطباعية هذا الأديب : « ان تشيخوف أوجد أشكالا للكتابة لم أجد لها مثيلا في أي مكان . . ان لغته لمدهشة حقا » .

أما مكسيم غوركي فقد رآه « فنانا متعدد الألوان لايترك حديثا صغيرا الا ويتأثر به . . يحلله ويقدمه بابداع فني رائع ونظرة جديدة » وهذا يؤكد مرة أخرى (انطباعية) تشيخوف التي سماها الكاتب كريلينكو « مافوق الواقع » أما تشيخوف ، فكان يحب ويحترم تولستوي ، بل يخشاه ، في كل شيء ، وعندما كان يستعد لمقابلة تولستوي كان يبدل ملابسه عدة مرات ، ويقف وقتا طويلا أمام المرآة قائلا : « لا . . لا . . ان أردت ، أم لا ، فهذا البنطلون ضيق جدا . . سيقول (الحوت) - يقصد تولستوي - وهذا عريض جدا . . . . . كالبحر الاسود . . سيقول (الداهية) » !!

بالطبع ما كان تولستوي ليقول شيئا من ذلك ، لانه أحب تشيخوف كثيرا ، فكان يمازحه قائلا : « أنت منزوع من رحمة الله ولكنك طيب !! »

ومن المواقف الجريئة التي سجلت في تاريخ تشيخوف رفضه الرسمي عام ١٩٠٢ لقب « الأكاديمي » احتجاجا على فصل مكسيم غوركي من

صفوف الاكاديميين ، بسبب نشاطه السياسي ، وقبل ذلك سافر تشيخوف في رحلة استقصاء متعبة الى جزيرة (ساخالين) النائية عام ١٨٩٠ ، لدراسة حياة المنفيين والمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، فأصدر بعد ذلك كتابا وثائقيا عن ساخالين .

وهذا بالطبع لا يجعل من أديبنا ثوريا وبطلا سياسيا ، فهو لايحتاج لذلك ، ولكنه يؤكد وفاءه وصدقه مع قلمه ونفسه ، هذا الصدق الذي هو أحد المؤشرات الأساسية في أصالة الفن الذي يفتقده الكثيرون من الفنانين والمبدعين .

يرى الداخل الى المتحف المقام في الدار التي سكنها تشيخوف بين عامي ١٨٨٦ و ١٨٩٠ ، في شارع كودرين في موسكو ، غرفة خاصة (عيادة) كان يستقبل فيها المرضى الفقراء ، وهذا أحد جوانب انسانيته وحبه للآخرين . ولكن (تشيخوف الأديب) تغلب على (تشيخوف الطبيب) فاعتزل الطب فيما بعد ، وكرس كل ماتبقى من حياته للأدب ، هذا الأدب الذى أصبح فيما بعد سلاحا لدى كل مثقف يعنيه على رؤية الحياة ، بعيدا عن الرياء والمحاباة التي تقود دائما الى العبودية بكل أشكالها الظاهرة منها (والروحانية) .

يالطة الأخرى :

يتحدث العالم كله الآن تحت رحمة الصواريخ المجنحة ، والخوف النووي عن يالطة ، وعن القصر الذي جمع الكبار الثلاثة : ستالين ، روزفلت ، وتشرتشل .

لكن هناك يالطة أخرى وقصراً آخر وعظيماً واحداً ، هو أنطون تشيخوف . لقد عاش الأديب في الدار الريفية البيضاء أواخر سنوات حياته ، يعاني من مرض « السل » الذي استفحل به وأوقعه في دوامة من السعال المستديم .

وفي بداية هذا القرن جاء الى يالطة من هلسنكي الصحفي الفنلندي « هاغيلستام » ، وزار تشيخوف وتحدث مع تولستوي الذي كان يأخذ العلاج هو الآخر في مصح « غاسبرا » بالقرب من يالطة ، ودهش الصحفي الفنلندي حيث وجد تشيخوف الذي عزله المرض عن العالم ملما الماما رائعا بالأدب الاسكندنافي ، وتقاليد وتراث الشعب الفنلندي بالذات .

كان ذلك في يالطة أيضا عام ١٨٩٨ ، حينما وصل اليها المغني الروسي الكبير شاليابين ، وأحيا حفلة حتى الفجر في الدار البيضاء للأديب ، اجتمع فيها كبار الشعراء والفنانين والنقاد ، وكان يرافق شاليابين في العزف على البيانو « رحمانينوف » الذي لم يكن آنذاك معروفا كموسيقي كبير ، وهنا قال شاليابين : « يجب أن يسمعني الناس وليس في المسرح » ، وتقدم تشيخوف من رحمانينوف وصافحه قائلا : « ستصبح موسيقيا ذا شأن كبير » ومضت السنون فصدقت النبوءة ، وأصبح رحمانينوف موسيقيا معروفا ليس فقط في بلاده ، بل في العالم أجمع .

وقد كانت الطبيعة دائما ملاذا لكل الانطباعيين ، ومعينا لا ينتهي من الجمال ، وعينا لاتجف ، تعين الفنانين على الابداع ، ولا عجب أن نجد تشيخوف يحب الطبيعة ، ويزرع بنفسه ويعتني بحديقة منزله ، ومرة قال مكسيم غوركي عن صاحب الدار الريفية البيضاء في يالطة

« كان يجب أن يبني وينشيء الحدائق والبساتين ، وأن يزين الأرض . . . » كما بقيت في ذاكرة غوركي كلمات تشيخوف « لو أن كل انسان بذل كل ما في وسعه على قطعة الأرض الخاصة به لأصبحت أرضنا رائعة جدا » .

لم تكن الأسطر الأخيرة فيما كتبناه عن الأديب بعيدة عن موضوعنا الأساسي : (تشيخوف انطباعيا) فهو كما فعل من أجل الدخول الى حياتنا الأعمق من خلال حياتنا « اليومية » حاولنا الدخول الى حياته ، وهكذا فان المرحلة الأولى ترتهن بالفترة المبكرة من ابداع الاديب التي كتب فيها قصصا قصيرة بسخرية وتهكم مثل المبارزة ، المنزل ذو العلية ، القرويون ، أيونيج ، وعنبر رقم ٦ ، وغيرها ، كما أن قصصه : الفيلا ، الجريمة ، عيد الميلاد ، تتميز بالسخرية من التقاليع الأدبية التي كانت سائدة في الصحافة آنذاك ، ولم يكتف بما هو مضحك في هذه الأساليب ، بل نقب عما هو « مضحك » في الحياة : كادعاء الثقافة مع الجهل المطبق ، والتكيف مع الظروف كما في قصصه : البدين والنحيف ، وموت موظف ، والحرباء ، والقناع والفرحة . حيث كان

بانطباعيته الجميلة يكثف الحالات الحياتية العادية ، بشكل مضحك يكشف عن أخلاقيات سايكولوجية « العبودية » .

الضحك من خلال الدموع :

كانت الروح الكوميدية هي الغالبة في قصص الأديب في المرحلة الأولى ، لكنها لم تكن الوحيدة ، فقد جعل قصصه التي تشوبها مسحة من الحزن والشاعرية « كجسر » نحو مرحلة ابداعه الثانية ، ففي قصته (الكآبة) يحاول الحوذي المسكين الذي مات ابنه الوحيد أن يجد من يقاسمه الهموم ، ولكن الركاب غير المبالين لا ينصتون الى الاختلاج صوته بالبكاء ، فلا يجد من يبوح له بمكنونات قلبه الحزين الا حصانه الذي يشكو اليه الهموم .

في المرحلة الثانية من أدب تشيخوف كتب الأديب الكبير مسرحيات : « النورس ، الخال فانيا ، وبستان الكرز ، وأخيرا ، الشقيقات الثلاث » .

في هذه الأعمال تنضج انطباعية تشيخوف لتصبح في قمتها ، وأصبح الضحك لديه من خلال الدموع ، وأصبح الفرح لديه اطارا شكليا للحزن والكآبة ، وهنا نال اعجاب الكثيرين من عمالقة الأدب ، أمثال برنارد شو وايرنست همنجواي ، وجون بريستلي ، وتوماس مان وآخرين .

أما هو فقد أصبح ينظر الى أعماله في الفترة الأخيرة من حياته نظرة الشكوك . كأي مبدع كبير ، كما أنه ترقب أن يأتي اليه الموت سريعا لا محالة ، فكتب يقول : « لا أستطيع التفكير بعمل جدي لأنني على يقين بأن حياتي سوف لن تستمر طويلا » . وحفظ لنا بونين مخطوطة يقول فيها الأديب : « سيقرأني الناس لفترة طويلة .. سبع سنوات ، أما أنا فسوف أعيش أقل من ذلك . . . ست سنوات » كان ذلك عام ١٩٠١ ، لكنه لم يعش أكثر من نصف ما كان يتوقع ، ثلاث سنوات أخرى ، أما لأن وكلما مرت السنون تتعزز مكانته الأدبية ، ليس فقط في الأدب الروسي ، بل وفي الأدب العالمي أيضا ، وتقدم مسرحياته في طوكيو وموسكو وباريس ولندن والقاهرة وبكين وغيرها من عواصم العالم وحواضره ، حيث تقدم مسرحياته كل المسارح الجادة والمحترفة في العالم ، أما كتبه فطبعت بملايين النسخ ومئات الطبعات ، بـ ٩٢ لغة من لغات الاتحاد السوفيتي والشعوب الأخرى .



مكسيم غوركي مع انطون تشيخوف مصيف يالطة عام ١٩٠٠

في أغسطس ١٩٠١ كتب أنطون تشيخوف رسالة الى شقيقته ماشا قال فيها : « عزيزتي ماشا ، معينتي الدائمة ، أكتب باسمك الدار الريفية البيضاء في يالطة ، وكذلك كل العائدات التي تأتيني من الأعمال المسرحية ، ومن اعادة طبع الكتب على مدى الحياة . .

وذيل رسالته قبل التوقيع : عيشوا بسلام . . أنطون تشيخوف » .

غير أن هذه الرسالة لم تقرأ الا بعد أكثر من ثلاثة أعوام ، وحملتها زوجته الممثلة الحسناء أولغا تشيخوف التي تزوجها قبل أن يموت بسنتين فقط ، غير أنهما لم يعيشا كثيرا معا لأنها كانت مشغولة في المسرح .

يقول تشيخوف في « الشقيقات الثلاث » على لسان توزنباخ : « جاء الوقت ! يتقدم نحونا جميعا ، شيء ضخم هائل ، تتهيأ عاصفة صحية قوية للقدوم ، بل أصبحت قريبة ، ولن يمضي وقت قليل حتى يكنس مجتمعنا الكسل واللامبالاة ، والفكرة السيئة عن العمل والكآبة العفنة . . . » .

يقول الحارس البستاني الخاص بالبيت الريفي في يالطة : « كان السعال لا يتركه لحظة لينام في أيامه الأخيرة . حتى توقف قلبه عن الخفقان ، كان ذلك عام ١٩٠٤ » . لقد أخطأ الأديب الكبير حين اعتقد أننا سنقرؤه لسبع سنوات بعد موته ، فها نحن نقرؤه في الذكرى ١٢٥ لميلاده ، وستقرؤه الأجيال القادمة لوقت طويل . □



أنتِ

شعر : يعقوب السبيعي

لَسْتِ لي أنْتِ ، وَلا حُبُّكِ لي — أنْتِ لِلْوَهْمِ الَّذي لا يَنْجَلي

أنتِ للبَهْرَجِ واللَّهْوِ الَّذي — يُتْقِنُ الحيلَةَ حتَّى ... تَنْطَلي

أنتِ وَرْدٌ ما بِهِ ... رائحةٌ — لَوْنُهُ الأَحْمَرُ يُدْمي مُقْلَتي

أنْتِ كَنْزٌ ... ليس يُثْري أحداً — وَدَواءٌ ... لَيْسَ يَشْفي عِلَلي

يا ارْتِعاشاتِ شُمُوعٍ .. لَمْ تَزَلْ — غَيْرَ واهي خَطْوي أو زَلَلي

كُلَّما آنَسْتِ مِنّي لَهْفَةً — قُلْتِ : يالَهْفَةُ كُفّي واخْجَلي

يا هُروبَ الظِّلِّ في هاجِرَةٍ — كُلُّ شيءٍ مِن لَظاها يَغْتَلي

أنْتِ (في الحُبِّ) مشاريعُ هَوى — دون أنْ تُنْجَزَ ... أَلْقى أَجَلي

كَمْ قَدِ احْتَلْتُ بِخَيْرٍ كَيْ أرى — مِنْكِ ما أهْوى ... وأعْيَتْ حِيَلي

هَكَذا حالي ... ضَياعٌ .. آهِ ما — عُدْتُ أدْري آخِري مِنْ أوَّلي

آهِ ما أبْعَدَنا في قُرْبِنا — أيْنَ هذا الصَّبُّ مِنْ ذاكَ الخَلي

يا ارْتِفاعاتِ سَحابٍ خُلَّبٍ — عَجِّلي بالمَكْرِ .. فينا .. عَجِّلي

واجْمَعي ظِلَّكِ عَنْ عَيْنَيَّ لِكَيْ — أُبْصِرَ الشَّمْسَ بها .. ثُمَّ ارْحَلي

واتركي لي .. عَثْرَةَ الماضي الَّتي — لَوَّنَ الحُزْنُ بها مُسْتَقْبَلي

لستِ لي أنْتِ ، وَلا كانَ الَّذي — بَيْنَنا حُبٌّ ... ، وَلا حُبُّكِ لي

قَدْ تَعالى بي هَوىً يَحْمِلُني — أَعْتَلي الخِدْعَةَ فيها .. أَعْتَلي

غَيْرَ مأسوفٍ عَلَيْنا .. نَنْتَهي — وَسَيَنْسى المُبْتَلى ... وَالمُبْتَلي



الجديد في العلم والطب

جاليليو ونيوتن كانا على خطأ !

قوى الطبيعة في نظر جاليليو ونيوتن وسائر العلماء كانت حتى الآن أربعة .. أولاها وأضعفها قوة الجاذبية ، وهي التي تشد الكتل أو الأجسام بعضها الى بعض ، والقوة الكهرومغناطيسية وهي التي لا تخلو منها عملية من العمليات الكيماوية .. والقوتان الكامنتّان في الذّرة : القوة الضعيفة وهى التي يصُدر عنها بعض النشاط الاشعاعي .. والقوة الشديدة وهي التي تشد مكونات الذّرة بل نواتها بالتحديد بعضها الى بعض ..

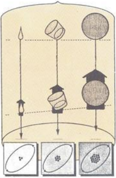
ولكن فريق علماء جامعة بوردو الأمريكية برئاسة افرايم فشباخ .. وهو الفريق الذي أجرى البحث السالف الذكر ، وجد تفاوتا بين الجاذبية على سطح الأرض .. وفي أعماق المناجم في اوستراليا .. ولاحظوا أيضا ما يلفت النظر في مقومات نواة الذّرة .. ولم يجدوا تفسيرا لتلك الظواهر خيرا من النظرية التي قال بها العالم الهنغاري (رولاند فون ايونفوس) سنة ١٩٠٩ التي تناولت المقارنة أو المفارقة بين أجسام مختلفة التركيب من حيث انجذابها الى الأرض ...

ووجد الفريق في هذه المفارقة ما غفل عنه العالم الهنغاري .. وجدوا أن في الطبيعة قوة خامسة أسموها hypercharge . ومع ان هذه القوة أضعف من قوة الجاذبية .. ولا يمتد أثرها أكثر من ٦٠٠ قدم ، الا أنها تستطيع اعتراضها قليلا أو العبث بها .. فهي تعمل على التنفير بين البروتونات والنيترونات التي توجد في جسم ما ، وبين تلك التي توجد في جسم آخر .. بحيث يزداد هذا التنفير حيث تكثر البروتونات والنيترونات .. فالحديد مثلا يحتوي على كمية أكبر من البروتونات والنيترونات بالمقارنة مع الماء .. لذلك يلقى الحديد من تنفير الأرض اكثر مما يلقاه الماء .. ولذلك أيضا يصل الماء الى سطح الأرض بأسرع مما يصل الحديد (كما يوضح الرسم المرافق) .

وينوي العلماء المعنيون اجراء نفس التجارب التي أجراها جاليليو ، ولكن بواسطة الأجهزة الحديثة المتطورة .. قبل الجزم نهائيا بصحة نظرياتهم الجديدة .

ما أكثر الاختراعات في هذه الأيام .. لا يكاد يخلو منها ميدان من ميادين العلم والتقنية ، ولا يكاد يمر يوم دون أن تردنا أخبار وفرة كبيرة ومتنوعة منها .. وبالمقابل : ما أقل الاكتشافات .. الاكتشافات العلمية النظرية ، وخاصة تلك التي تنفي أو تطعن في صحة نظريات توصل اليها فحول العلماء أمثال جاليليو ونيوتن .. واتخذها كافة العلماء على مدى القرون اساسا لأبحاثهم وتجاربهم .

من هنا كانت الأهمية البالغة التي اتصف بها البحث الجديد الذي نشرته



يبين الرسم ثلاثة أجسام مختلفة : قطرة ماء وسطل مجوف وكرة من حديد . . ويبينها وهي تسقط إلى الأرض داخل غرفة مفرغة من الهواء .

١ - جاذبية الأرض تشد الأجسام الثلاثة إليها شدا متساويا .

٢ - القوة الخامسة المضادة لجاذبية الأرض تعبث بشد هذه الجاذبية بحيث تسقط الأجسام المختلفة بسرعات متفاوتة .

٣ - قطرة الماء تسبق الجسمين الآخرين في الوصول الى سطح الأرض يتبعها السطل المجوف . . وتأتي الكرة الحديدية في المرتبة الثالثة . السبب . . عدد البروتونات والنيوترونات في ذرة كل من الأجسام الثلاثة فهو أقل من ذرة قطرة الماء . . ويزداد قليلا في ذرة السطل المجوّف ويتضاعف كثيرا في ذرة الكرة الحديدية .

مجلة بحوث ومراجعات فيزيائية اسمها (physical review letters) في مطلع هذه السنة (١٩٨٦) فهو يشير الى احتمال وجود قوة أخرى في الطبيعة لم تكن معروفة حتى الآن . . ويشير بالتالي الى احتمال الخطأ الذي يمكن أن يكون قد وقع فيه جاليليو ونيوتن من بعده . . وكافة علماء الفلك والفضاء الذين اتخذوا من نظريتها أساسا لأبحاثهم وحساباتهم الخاصة ، بإطلاق سفن الفضاء والأقمار الصناعية الخ . . .

والنظرية المقصودة هنا هي تلك التي صاغها جاليليو ، التي تقول لولا مقاومة الهواء لكانت الأجسام جميعا . . كبيرها وصغيرها . . بصرف النظر عن تركيبها . . لكانت هذه الاجسام تسقط الى الأرض بنفس السرعة والتسارع ، وتصل الى سطحها في نفس اللحظة . . وتذكر كتب التاريخ كيف قام جاليليو بتجاربه على شتى المواد الخفيفة منها والثقيلة ، من فوق برج بيزا المائل . . وقد طعن الكثيرون في صحة تلك الرواية ، وشككوا في أن يكون جاليليو قد قام بتلك التجارب بالفعل ، وسواء صدقت الرواية أو لم تصدق ، فقد ظهر الآن من يطعن في صحة النظرية التي توصلت اليها تلك التجارب . . نظرية وصول كافة الاجسام الساقطة الى سطح الأرض في وقت واحد .

تكرير الدم

ثمة أسلوب جديد لتكرير الدم ، بل استخلاص العناصر المسؤولة عن النوبات القلبية من مجراه ، وهذا الأسلوب الحديث متعدد المراحل ، وهو موضع تجارب عديدة في مراكز طبية في نيويورك وموسكو وكولونيا ، وأوزاكا في اليابان .

وقد دلت التجارب الأولية على نجاح هذا الأسلوب الذي تبلغ تكاليف المعالجة به (في دوره التجريبي الحالي) نحوا من ٢٠,٠٠٠ دولار سنويا .

مكتشفون ومخترعون

ماركونى مخترع التلغراف اللاسلكى ١٨٧٤ - ١٩٣٧ م

ينفرد القرن العشرون ببصمات مميزة .. ترك بعضها مخترعو وسائط النقل : السيارة ، والطائرة ، والقطار ، والسفينة .. الخ .. وترك بعضها الآخر مخترعو وسائل الاتصال : التلغراف ، والراديو ، والتلفون ، والتلفاز .. الخ .. من هذا المنطلق كان لامفر من اعتبار ماركونى ركنا مهماً من الأركان القليلة التى تقوم عليها حضارة هذا القرن .

ولد جوجليلمو ماركونى في بلدة بولونيا في ايطاليا ، في ١٨٧٤/٤/٢٥ ، لأب ايطالى وأم إرلندية .. ودخل المدرسة في بلدته ، ثم في فلورنسا القريبة ، الى أن التحق بالمدرسة التكنية في ليجهورن في ايطاليا أيضا .. حيث درس الفيزياء ، وحيث اتيحت له الفرصة للالمام بالابحاث التى قام بها قبله العالمان جيمس ماكسويل (Maxzell) وهينريش هرتس (Her z) ، وكانت الموجات الكهرومغناطيسية - او موجات الراديو - هى محور تلك الأبحاث ... والمجال الذى استأثر بكل اهتمام ماركونى .. أو بأكثره ، ذلك أنه شغف بالأبحاث والتجارب التى سبق أن قام بها السير أوليفر لودج في مجال البرق والكهرباء ...

وتشير المراجع الى أن ماركونى لقى من أمه تشجيعا لم يلقه من أبيه .. فقد كانت صاحبة فضل في حثه على مواصلة أبحاثه وتجاربه ... وأيدته حيث تعثرت مساعيه ، أو تنكرت لمنجزاته السلطات .. وكان لماركونى في سيرة بنيامين فرانكلين ، التى اطلع عليها مبكرا ، خير باعث على القيام بما قام به من تجارب علمية في المجالات التى ذكرنا ... وقد قام بأولى تلك التجارب وهو في السادسة عشرة من عمره .. أجراها في احدى الغرف الملحقة بالسطح من بيت أبيه .. الغرفة التى استعملها أبوه لحفظ أطباق دودة الحرير .. لاعجب اذن أن تنكر أبوه لتجاربه .. وعمل على تثبيط عزيمته .. أكثر من ذى قبل .. ولكن موقف الأب هذا لم ينل من همة ابنه العلمية .. ابنه المفطور على حب العلم والموهوب للاشتغال فيه .. فقد واصل اجراء تجاربه في عام ١٨٩٥ ، حتى اذا استكملها تقدم باختراعه الى وزارة البريد والتلغراف الايطالية سنة ١٨٩٦ ، ولكن السلطات الايطالية لم تجد في اختراعه مايستحق الاهتمام والرعاية .. فالتلغراف الكهربائى السلكى كان قائما وناجحا في نظر المسؤولين الطليان .. ولم يكن ثمة مايبرر التفكير في استبداله بالتلغراف اللاسلكى الذى تقدم ماركونى باختراعه على نحو بدائى .. فبينما حمل التلغراف السلكى آنذاك آلاف الرسائل عبر المحيطات وبين مختلف الدول وشتى القارات .. لم يستطع تلغراف ماركونى اللاسلكى أن يجتاز برسائله أو اشاراته أكثر من ١,٥ ميل ...

وما أسرع ماهجر العالم الايطالى بلده وتوجه الى لندن .. هو وأمه ... ولم يكد يمضى على وصوله العاصمة البريطانية بضعة شهور ، حتى سجل فيها الاختراع الذى تنكرت له بلده .. ثم أقام في تلك السنة نفسها (١٨٩٦) عرضا لاختراعه أمام سلطات البريد والتلغراف البريطانية .. ومالبث أن حسن اختراعه ، فوسع مداه حتى بلغ ٩ أميال ، ثم ١٢ ميلا (سنة ١٨٩٧) و ٣١ ميلا سنة ١٨٩٩ ...

وتجدر الاشارة الى كبير مهندسى دائرة البريد في لندن السير وليام بريس Preece فقد بلغ من تقديره لماركونى ولاختراعه أنه شمله برعاية خاصة ، كان لها أثرها في نجاح ماركونى السريع في السنوات القليلة التالية .

وجهز ماركونى سنة ١٨٩٩ سفينتين أمريكيتين بتلغرافه اللاسلكى .. وذلك من أجل نقل أخبار سباق القوارب .. على أن اهتمام ماركونى انصب



على الجانب التلغرافى من أداء جهازه . . لا الجانب الاذاعى . . وآثر التقدم في بث الرسائل التلغرافية للأغراض التجارية والحكومية والانسانية وغيرها . . على العمل من أجل تطوير أداء جهازه لبث البرامج الاذاعية .

وجاءت سنة ١٩٠١ لتشهد القفزة الكبيرة الحاسمة التى قفزها اختراع ماركونى ، فقد نجح في ارسال اشاراته اللاسلكية عبر المحيط الأطلسى من أوروبا الى أمريكا ، وبالعكس . . وبذلك أصبح في العالم أسلوبان للاتصال التلغرافى . . الأسلوب السلكي الذى يعود ظهوره وانتشاره الى منتصف القرن التاسع عشر ، وأسلوب ماركونى اللاسلكى الذى كان ظهوره بحكم المؤشر لحلول القرن العشرين . . على ان النجاح العلمى الذى حققه ماركونى كان بحاجة الى حافز يحوله الى نجاح تجارى . . فقد بقى التلغراف اللاسلكى محصورا بجدران المختبرات الجامعية . . حتى كانت الكارثة الكبرى ، غرق سفينة التيتانيك سنة ١٩١٢ . . . فقد غرقت السفينة التى لاتغرق ، وغرق معها نحو ١٥٠٠ نسمة ، كان بينهم كثيرون من الوجهاء والأغنياء . . ولو كان جهاز ماركونى اللاسلكى موضع الاهتمام والاستعمال الجدى ، لكان في الامكان انقاذ ضحايا التيتانيك جميعا . . لذلك كان قرار تعميم استعمال التلغراف اللاسلكى على السفن في طليعة القرارات التى اتخذها مؤتمر لندن آنذاك . . وأعقب ذلك انتشار التلغراف اللاسلكى في مشارق الأرض ومغاربها .

ومن طريف مايذكر أن جائزة نوبل التى منحت الى ماركونى سنة ١٩٠٩ ، انما منحت له ولرجل آخر اسمه كارل فرديناند براون . . فقد اعتبر هذا الرجل شريكا لماركونى في اختراعه ، بالرغم من أن الناس جميعا اعتبروا القسمة مجحفة بحق ماركونى ، حتى براون نفسه لم يتردد في الاعتذار لماركونى يوم توزيع جوائز نوبل . . والاعراب له عن أسفه لحصوله على نصف مكاسبه دون حق أو مبرر .

ولاندرى كم بلغت المكافأة المادية التى صحبت جائزة نوبل آنذاك . . . اذ لم يكن الأمر يعنى ماركونى من قريب أو من بعيد ، وقد أصبح مليونيرا . . ذلك أن تركته بعد موته (سنة ١٩٣٧) بلغت ٢٥ مليون دولار . . . وهبها كلها تقريبا لابنته من زوجته الثانية . . أما زوجته هذه وأبناؤه الثلاثة من زوجته الأولى ، وكذلك هذه الزوجة التى عاشت مع ماركونى ٢٢ سنة . . فلم يحصلوا على أكثر من الحد الأدنى الذى نصت عليه القوانين الايطالية .

بقى أن نذكر أن ماركونى فقد احدى عينيه في حادث سيارة سنة ١٩١٠ ، وحضر مؤتمر السلام العالمى في فرساىل ، ووقع معاهدة فرساىل ووثائقها ، بصفته مندوبا عن ايطاليا سنة ١٩١٩ . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

نهضة زراعية مباركة في المملكة العربية السعودية

يأخذ علينا الأجانب أننا كثيرو الأقوال قليلو الأعمال . . ويزعمون أننا نجيد تحويل الحدائق الغناء الى صحراء . . ويضربون مثلا بالتنمية الاقتصادية . . فلطالما تغنينا بهذه التنمية . . ولكننا لم نفعل شيئا يذكر حيالها ، وبقينا على تخلفنا الاقتصادي الذي عشناه في ظله أيام الاستعمار الأجنبي والانتداب . . ويسخر الأجانب منا ـ فوق ذلك ـ بأننا أثرينا من البترول كثيرا ، ولكن ثروتنا البترولية لم تساعدنا على تحقيق التنمية والتصنيع . . وكان في استطاعتها أن تحقق ذلك ، وتحقق أيضا كل ما نصبو اليه من نهضة علمية وصحية . . بالاضافة الى النهضة العمرانية . . ويستشهدون على ذلك بدول شرق وجنوب شرق آسيا . . وقد حققت التنمية الاقتصادية في غضون العشرين سنة الماضية ، وبدأت الاقلاع نحو التقدم بكافة أبعاده . . هذا بالرغم من أنها لم تعثر على بترول ، ولم تتراكم لديها أية ثروة بترولية . .

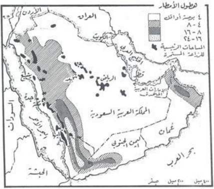
على أن هذا النقد ليس نزيها . . ولا يتصف بالدقة والموضوعية ، ولا يعتمد على أية دراسة لواقع الدول العربية منفردة أو مجتمعة ، ولو كان كذلك لما غفل عن ذكر الدول العربية التي حققت قدرا من التنمية في بعض الميادين . . ولما غفل عن ذكر المملكة العربية السعودية بالذات التي قفزت قفزات هامة في ميدان التنمية الزراعية ، سواء في مجال الزراعة الواسعة ، أو في مجال تربية الدواجن . وحسبنا الرجوع الى مجلة الايكونومست ، والى عددها الصادر في السادس من شهر ابريل سنة ١٩٨٥ ، لتفند مزاعم الناقدين المتحاملين بما ذكرته تلك المجلة الأجنبية . . مردّدين الآية الكريمة (وشهد شاهد من أهلها . .)

تقول المجلة . . لقد حولوا الصحراء الى حقول خضراء في المملكة السعودية ، وأصبح القمح يزرع على نطاق واسع في اقليم قاحل جاف ، يقع في نجد الى الجنوب من الرياض . . حول خرج بني قاسم وحايل . . فهذا الاقليم لا يحظى بأكثر من أربع بوصات من المطر سنويا . . فهو بحق في طليعة اقاليم العالم جفافا . . وأدّى هذا النجاح الذي أحرزته السلطات السعودية الى اثراء مناطق نائية . . كانت فقيرة وقاحلة ، وأدىّ الى ما هو أخطر من ذلك . . الى كبح التيار الذي جرف الناس من الريف الى المدن .

وتضيف مجلة الأيكونومست : لقد بلغت الزراعة في المملكة السعودية درجة عالية من الانتاجية . . تفوق الدرجة التي بلغتها أمريكا الشمالية وتضاهي الدرجة التي حققتها السوق الأوروبية المشتركة . .

وهكذا أصبحت المملكة دولة مصدرة للقمح ، وقد بلغت صادراتها منه سنة ١٩٨٣ / ٨٤ نحو ٣ , ١ مليون طن . . وتذكرنا المجلة بأن السعودية كانت مستوردة للقمح في الأمس القريب في سنة ١٩٧٩ بالذات وقد بلغ ما استوردته فيها من القمح ومن الولايات المتحدةفحسب ، نحو ٥ , ١ مليون طن .

وشملت النهضة السعودية تربية الدواجن ، بالاضافة الى زراعة القمح . . وقد بلغ تعداد الدجاج



الذي ربوه.فيها ما يزيد على ٢٥٠ مليون دجاجة في سنة ١٩٨٤ .. أي أربعة أضعاف ما ربوه سنة ١٩٨١ .. ويبلغ مجموع البيض الناتج ٢٠٠٠ مليون بيضة .. فهل من عجب بعد هذا أن أصبحت المملكة السعودية تصدر الدجاج والبيض الى الأسواق القريبة .. وأصبح أهلها يفوقون سائر الشعوب من حيث متوسط استهلاك الفرد للدجاج ..

وتحلل مجلة الأيكونومست شتى العوامل التي مكنت المملكة السعودية من تحقيق هذه النهضة .. فتذكر التخطيط .. فقد وضعت الخطط الخمسية .. وبدأت ثالثتها مع بداية سنة ١٩٨٠ .. ولعل من البديهي أن التخطيط الدقيق المسؤول هو الشرط الأساسي لأي عمل تقوم به الدول ، ناهيك ببرنامج متكامل للاصلاح الزراعي ..

وتذكر أيضا المساعدات التي قدمتها الدولة للمزارعين ، وهي عينية أكثر منها نقدية .. شملت فيها شملت شراء محصول القمح من المزارع بسعر مرتفع نسبيا .. بلغ ١٠٠٠ دولار للطن الواحد قبل سنة ١٩٨٤ ، ثم هبط الى ٧٥٠ دولار بعدها .. وقد حقق هذا التخفيض وفرا بلغ حوالي ٥٠٠ مليون دولار في ميزانية سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ ، البالغة ٥٧٠٠٠ مليون دولار ، وتشيد مجلة الأيكونومست بشبكات الري الزراعية التي أخذت بها السعودية وطبقتها في المناطق التي لا أمطار تذكر فيها .. فذراع السقي في هذه الشبكات يبلغ طوله ٤٠٠ ـ ٥٠٠ متر ، والشبكة الواحدة منها تفي بحاجة ١٣٠ ـ ٢٠٠ فدان ، انها شبكات الرى الشهيرة باسم Certre – pivot Irrigation

ضفدع استراليا تختفى :

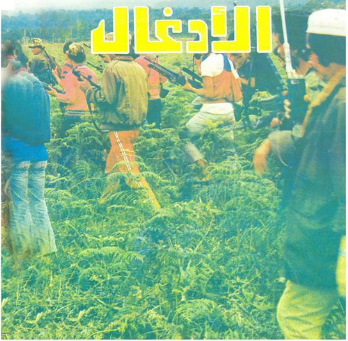
اكتشف العلماء قبل بضع سنين ضفدعة عجيبة ، تحمل بيوضها فى معدتها حتى اذا حان وقت فقس البيوض .. لفظت الضفدع الأم صغارها من فمها .. ولكن هذه الضفدع مالبثت ان اختفت .

وقل مثل ذلك فى ضفدعة أخرى شبيهة اكتشفها العلماء سنة ١٩٧٤ ثم اختفت سنة ١٩٧٩ ..



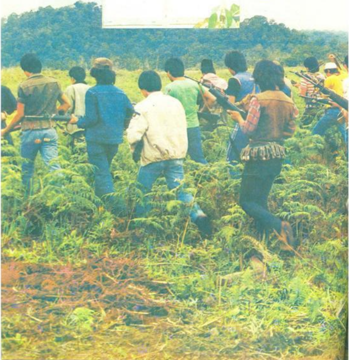
المورو

ثورة فى أعماق الأدغال



استطلاع :
سليمان مظهر





* طابور من مقاتلي جبهة تحرير مورو اثناء التدريب وهم يحملون السلاح . . وإطلالة صغيرة الى المستقبل المجهول . . ؟

عندما انطلقنا الى منديناو . . اكبر الجزر في الجنوب الفلبيني . . لم نكن ندري أننا سنخوض مغامرة غير محسوبة العواقب . . ولم نتصور أبدا مدى المعاناة التي يعيشها المسلمون على أرض الجزيرة المتخمة بالثراء الطبيعي الذي منحه لها الله . . ليكون نهبا لأصحاب الملايين وعملاء الاحتكارات وسماسرة الحكم ، الذين عملوا على استغلاله واستلابه وحرموا منه أصحاب الارض لتتخم به أرصدتهم في مصارف الغرباء طوال عهد ماركوس وحتى سقوطه وانهيار حكم الطغيان .

وكان لابد للرحلة أن تكون ذات شقين : أولهما في العلن مع مرافقينا الرسميين لنشهد المعالم التي خططوا لها . . وثانيهما في الخفاء لنعيش مع المجاهدين الذين يقضون النهار والليل في اعماق الاحراش والادغال . . حاملين السلاح . . !

كانت بداية لقائنا مع مسلمي الجنوب في « مهرجان اسبو منديناو » الذي يقام في فندق « مانيلا جاردن » .

كان المهرجان ميدانا لعرض نماذج من الفنون الشعبية والصناعات اليدوية والمظاهر الثقافية ، وألوان من الرقص والغناء والموسيقا ، وعروض للأزياء الوطنية لقبائل المسلمين في جنوب الفلبين .

كان واضحا ان الانتاج اليدوي الشعبي يتميز ببراعة ودقة ومهارة في الصنع ، بالاضافة الى التمسك بمظاهر الفنون التراثية الاسلامية . . وكان من اروع اللوحات المعلقة على جوانب القاعة الكبرى لوحة للبراق ولوحة طرزت عليها بحروف من اسلاك الذهب آيات من القرآن الكريم مطرزة بشكل يؤكد براعة الفنانات والفنانين المسلمين . . وهو نفس التميز الذي بدا ظاهرا في المنحوتات الخشبية والملابس الشعبية التقليدية والرسوم الزاهية الالوان للمظاهر الطبيعية والاساطير الشعبية التي يتناقلها الأبناء عن الاباء والتي تبرز التراث الثقافي القبلي في المجتمعات الاسلامية .

لقد كان المهرجان صورة زاهية ، ولكنها صورة بعيدة كل البعد عن حقيقة ما شاهدناه على ارض الواقع ، من مظاهر الحياة تحت مستوى الفقر الذي يعانيه الصيادون والمسلمون الفقراء في القرى المائية في زامبونجا والمناطق المختلفة في منديناو .

ذهبنا الى زامبونجا لتكون منطلقا لنا للخوض في غمار حياة المسلمين في جزر منديناو وسولو وقرى ريوهوندو والكامبو .

أرض الزهور

كانت منديناو أغنى جزر الارخبيل الفلبيني - وثاني اكبر الجزر بعد لوزون - تتصل في القديم بجزيرة بورنيو وسولاوسي من جزر السيليبز بجسور ارضية ، الآن فان بقايا هذه الجسور تبدو وكأنها جزر قزمية متناثرة . . ومن بين الجماعات التي كانت تعيش في منديناو ، مازال هناك حوالى ثلاث عشرة قبيلة اكثر عددا مما في أي جزيرة اخرى . هذه القبائل اللادينية مازال مرتبطة بحياتها القبلية وعاداتها القديمة . اما على السواحل فتوجد جماعات تدين بالاسلام اغلبها من الصيادين الذين مازالوا ثابتين على عقيدتهم بحزم ، وهم يتركزون في الغالب في شبه جزيرة منديناو وفي جزر سولو بين منديناو وبورنيو .

اما الجانب الغربي الضيق من جزيرة منديناو ، فيشبه في شكله خرطوم الفيل . وعلى طرف الخرطوم تقع مدينة زامبونجا اكبر المدن واكثر المواني اهمية وازدحاما وامتلاء بالسفن والقوارب المزدانة بالاعلام الملونة التي تسمى « فينتا » .

وكانت زامبونجا تحمل ايضا اسم « جامبانجا »

وهي تعني في اللغة المالوية « ارض الزهور » ، حيث تزخر المنطقة بآلاف الانواع من الازهار الاستوائية بالاضافة الى الاصداف الرائعة الالوان والاشكال .

وقبل وصول الاسبان كانت زامبونجا ميناء مهما يربط جزر الفلبين بالقارة الآسيوية . وفي عام ١٦٣٥ - بعد ٦٠ عاما من انشاء مانيلا - جاءت بعثات الجيزويت التبشيرية الى زامبونجا وشيدت قلعة سموها قلعة « سان جوزيه » ليحموا انفسهم من هجمات المسلمين . وتغير الاسم خلال الغزو الامريكي الى « قلعة بيلار » وتعرضت القلعة للهجوم الهولندي والانجليزي الى جانب الهجمات التي كان يقوم بها المسلمون القادمون من جزر سولو في أواسط القرن الثامن عشر .

شعب المعاناة

ولكن .. ماذا عن مشاكل الحياة التي يعيشها شعب المورو في معاناة كما شهدنا في زامبونجا ، وكل جزر أرخبيل سولو ومندناو .. حيث الاقلية الاسلامية التي تشكل أغلبية السكان في القسم الجنوبي من الفلبين ؟

الذي لاشك فيه أن جزيرة مندناو تتميز بميزات خاصة لها أهميتها .. فقد أتاح لها شكلها التضاريسي غير المنتظم اتساعا وطولا في السواحل المطلة على البحر ، كما منحتها الطبيعة مجموعة وافرة من الأنهار والبحيرات والشلالات والغابات والأحراش تشكل حوالي ٦٧٪ من مساحتها .

وتتمتع الجزيرة بثروة معدنية زاخرة ، ففيها ٧٨٪ من احتياطي الدولة من الحديد ، كما يوجد ١٠٠٪ من معدن النيكل في منطقة سيرجاو ، بالاضافه الى معادن النحاس والفضة والذهب وحجر الكلس ، الى جانب ٣٠٪ من احتياطي الفحم ، مع توقعات مبشرة بوجود النفط بكميات جيدة في باطن الارض .

اما الثروة الزراعية فان مندناو تنتج ٧٢٪ من مجموع الانتاج القومي من الاناناس ، و ٥٩٪ من القمح ، و ٥٥٪ من البن ، و ٥٠٪ من جوز الهند ، و٤٢٪ من الكاكاو و ٣٨٪ من القنب .. كما أن المياه التي تسبح فيها الجزيرة غنية بالأصداف والمحارات والشعاب المرجانية المختلفة الاشكال والالوان ، مع ثروة هائلة من الاسماك الكبيرة الزاهية ..

أما أجواؤها فتزخر بمختلف أنواع الطيور النادرة وخاصة النسور من آكلات القرود .

كل ذلك ذكرته لنا مرافقتنا مارينا لابيلانو مديرة قسم السياحة في زامبونجا ، خلال حديثها معنا ، ونحن وقوف عند شرفة فندق لاتاتكا المطلة على البحر .

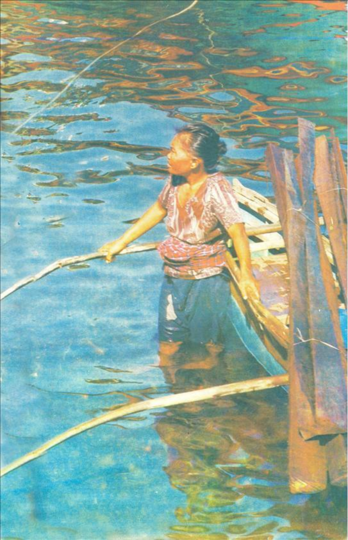
وأضافت في مباهاة :

- ليس كل ذلك هو ماتتميز به مندناو ، فهنا في زامبونجا ثروة رائعة من ثروات البحر لاتشهد مثلها عين .. أنظروا الى هذه القوارب ذات الاجنحة التي ترسو على طول الساحل .. ان هذه القوارب تسمى « فينتاس » ورجالها من قبائل الباجاو المسلمين المعروفين بغجر البحر .. ومن الصيادين من قبائل السامال .. وأغلبهم كما ترون من الصبية ولكنهم يملكون أعظم ثروة بحرية

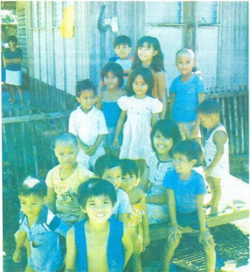
ونطل الى القوارب وما تحمله .. كل قارب له جناحان بطول القارب وهو عبارة عن معرض متنقل لأروع أصناف الشعب المرجانية الضخمة ذات اللون الابيض والاحمر والاسود .. بالاضافة الى أصداف مخروطية ومحارات ورخويات يندر وجود مثلها في أي مكان اخر وبهذه الاحجام الضخمة .. وبعض القوارب تبدو كأنها واجهات محلات الزينة والمجوهرات ، مليئة بعقود مرجانية مختلفة الالوان ، الى جانب كل أنواع الاكسسوار النسائي من عقود وأساور ومعلقات من الاصداف والمحارات واصداف السلاحف ، هذه القوارب تقف جنبا الى جنب مع قوارب أخرى تعرض لوحات فنية مصنوعة من الحصير المجدول بالوان أرجوانية وبنفسجية زاهية .. تبرع في صناعتها نساء الباجاو ، وتعتبر من أجمل صادرات الفلبين .

وبين القوارب المستلقية بهدوء تتدافع زوارق خفيفة لايزيد طول كل منها عن متر واحد ، يستقله ثلاثة او اربعة أطفال تتراوح أعمارهم بين السنتين والخمس سنوات ، وفي لحظات تجدهم يقفزون ويسبحون في الماء بكل مهارة وحذق .

وتقول مرافقتنا : ان الباجاو لايخشون على اطفالهم من البحر ، فهم يلقون بهم في الماء وهم لايتجاوزن ثلاثة شهور ويتركونهم ليسبحوا .. ومن لايحسن السباحة فانه يترك للغرق .. لانه لايستحق البقاء







* لوحة حية التقطتها عدسة سليمان حيدر تصور حياة الانسان عندما تتحول الى مأساة ويجد نفسه وهو يعيش تحت مستوى الفقر (الصورة الى اقصى اليمين) . . ولكن المرأة في جنوب متدناو تحاول بالعمل اليدوي الصعود من الهاوية (الصورة العليا) . . وكل ذلك لايمنع الصغار من الابتسام في انتظار المستقبل الجيد .

ولاقيمة له .. مادام لايكافح ويناضل من اجل الحياة .. !

ان حياة البحر هي كل شيء عند الباجاو والساما من الصيادين ورجال البحر المسلمين الذين يقيمون في القرى المائية على طول سواحل البحار والانهار .

قرية ريوهوندو

وقفنا فوق جسر زامبونجا نطل على قرية الصيادين في « ريو هوندو » .. مئات من الاكواخ الخشبية القائمة على أعمدة ترتفع بضعة أمتار فوق سطح الماء .. ولا وسيلة للانتقال بينها الا بالقوارب والزوارق الصغيرة التي يجيد التجديف عليها النساء والصغار وهم يلقون شباك الصيد في الماء ببراعة وثقة ..

انها واحدة من الصور المتماثلة التي تشغل اكبر مساحة من جزر جنوب الفلبين .. حيث تعيش الغالبية العظمى من المسلمين من صيادين ومزارعين وعمال .

هنا تبدو المعاناة واضحة المعالم على وجوه السكان الذين يشقون من أجل لقمة عيش تأتي لهم بها مياه البحر أو زرع الأرض بينها الرعاية الصحية معدومة والاهتمام بالرعاية الاجتماعية لاوجود له .. مجتمع يعيش المأساة بكل صورها .. وابدا لم نجد دليلا واحدا يؤكد تلك الدعاية التي سمعناها في مانيلا عندما كانت اميلدا ماركوس وزيرة المستوطنات وتدعي اهتماما بهذه المجتمعات في الجنوب . فقد كان الادعاء هو أن « السيدة الاولى » تشرف على خطة رئيسية تقوم على توجيه النمو الحضري لانماط عمران شعاعية من شأنها تشجيع الانتاج الاقتصادي والرعاية الاجتماعية وخاصة لأهالي الجنوب .. وقيل انها تأخذ في اعتبارها حاجات الانسان الشخصية والاجتماعية والمعاشية ، وأنها أنشأت جمعيات نموذجية في هذه المناطق تعمل على النهوض بالبيئة ، مع اقامة مراكز مخصصة للرفاه العام والاجتماعي يتناول قضايا التغذية والتعليم وتنظيم الاسكان والصحة والتدريب المهني .

لكن .. اين كل هذه الدعاية مما شهدناه بأنفسنا في مجتمعات الصيادين المسلمين في القرى المائية في مندناو ، وفي مجتمعات الفلاحين العمال في المزارع والحقول ؟ ولكن لم لا .. ؟ ألم تأخذنا مرافقتنا وكان ذلك قبل سقوط ماركوس لنشهد ذلك المشروع العظيم الذي أقامته السيدة الاولى في زامبونجا حيث أقيمت أكواخ سكنية مخصصة للعرسان .. لقضاء شهر العسل فوق الاشجار ؟ !

لقد شهدنا اكواخ شهر العسل .. الكوخ مقام على ارتفاع ١٢ مترا على شجرة ضخمة من أشجار السنط .. ويصعد اليه درج يمكن رفعه في الليل عند النوم . وهو يحتوي على غرفة واحدة تضم كل وسائل الاعاشة ، فالسرير المزدوج يطوي ليدخل في فراغ الجدار ، بينها يسحب من فراغ آخر مائدة حولها مقعدان خشبيان . وعلى احد الجوانب يوجد فريجيدير وجهاز تليفون وحوض ومرآة للحلاقة . وفي الجانب الآخر يوجد موقد للطهي مع كل أدوات الطعام . كما يوجد حمام مزود بالماء البارد والساخن .. كل شيء مجهز برعاية كاملة .. ولكنها الرعاية لأغنياء زامبونجا دون فقرائها الذين يستمتعون ايضا بمدينة ملاهي باسونانكا التي أقيمت على مساحة ٥٧ هكتارا ، واحتوت على كل أنواع ألعاب التسلية الالكترونية ، وغير بعيد منها ساحة واسعة لمخيمات الكشافة للفتيان والفتيات مزودة بكل مايلزمها من معدات لاقامة المعسكرات .. وتلك هي كل الرعاية الاجتماعية التي أقيمت لخدمة الاهالي في زامبونجا .. ولكن لغير الفقراء الصيادين والمزارعين المسلمين .... « المورو » .... !

من هم المورو ؟

خلال النصف الاول من القرن السابع عشر ، عندما بدأت البعثات الكاثوليكية التبشيرية محاولاتها لنشر عقائدها ، واجهتها مقاومة اسلامية عنيفة . واطلق الاسبان على المسلمين اسم « المورو » وهو التعبير الاسباني للكلمة الانجليزية « مور » التي كانوا يطلقونها على المغاربة (المراكشيين) في الشمال الافريقي . ويشتهر المورو بشجاعتهم تماما الى جانب شهرتهم كبحارة وصيادين حتى ان الاسبان والامريكيين من بعدهم عجزوا عن اخضاعهم والسيطرة على ارضهم .

واذا كانت مدينة زامبونجا ذات اغلبية كاثوليكية ،

إلا ان هناك قرى مسلمة في جزيرة سانتا كروز على بعد عشرين دقيقة بالقارب البخاري حيث تبدو حياة السكان متباينة تماما عن حياة سكان المدينة .

ومعظم القرى التي تتمثل فيها اغلبية المسلمين لاتختلف عن قرى الريبوهوندو والكامبو . والبيوت في ريبوهوندوتقوم على اعمدةتماماكمافي بروناي وصباح وسرواك . وينتقل الاطفال الصغار الذين قد لايتجاوزون الخامسة أو السادسة بين البيوت في قوارب صغيرة ذات مجاديف يبرعون في التنقل بها . وهناك بين ثلاثة آلاف واربعة الآف من السكان على الاقل يقيمون في هذه البيوت القائمة على سطح الماء ، كما يقيم بينهم ما لايقل عن الآلف من المسلمين من ارخبيل سولو .

والمورو مسلمون اولا ثم فلبينيون . وهذه الحقيقة تبدو اكثر وضوحا كلما اقترب الانسان من جزر سولو . وبعد استقرار السلام بين المسلمسن والمسيحيين خلال السنوات الاخيرة الماضية ، أقام السكان في وسط أكبر ميدان في المدينة برجا ابيض يعلو قمته الهلال الاسلامي يحتضن الصليب رمزا للوفاق والتعاون القائم بين الكاثوليك والمسلمين .

وقد ابتدع المسلمون في جزر سولو فنا شعبيا يختلف كثيرا عن فنون بقية الفلبينيين ، يتميز بتأثيرات الفن الجاوي الاسلامي

ومن اكثر المشاهد جاذبية تلك التعليقات الملونة التي تزخر بها جوانب سيارات الجيبني في زامبونجا . . فتستطيع ان تقرأ عبارات كثيرة تقول :

« لاتنسنا أبدا » و « ارجع الينا مرة أخرى » و« ياسمين » و « الطفل المحظوظ » و « بغداد »

وهي نفس التعبيرات التي تقرؤها على جوانب القوارب البخارية التي تحمل السياح في جولاتهم بين الجزر . .

جبهة تحرير مورو

والآن . . عودة الى الاحداث التاريخية التي ادت الى الغضبة الاسلامية في جنوب الفلبين ، والتي مهدت لقيام « الجبهة الوطنية لتحرير مورو » .

ان السنوات الست الأخيرة من الحكم الاقليمي الذاتي في المقاطعات الاسلامية في جنوب الفلبين - وان كانت قاسية خشنة - إلا انها تتميز أيضا بأنها كانت فترة انتصار . وروعة هذه الفترة من الحكم الذاتي تستمد نهضتها وروحها من جوهر كفاح الماضي

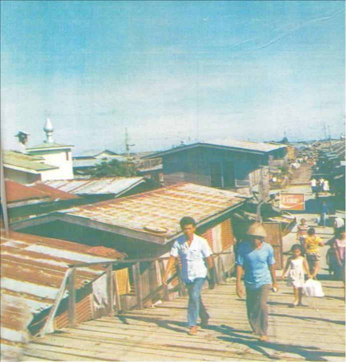


* خريطة تبين موقع جزر الفلبين . . وجزيرة مندناو . . ومدينة زامبونجا .

وماتبعه من نضال واحداث وظروف ، استطاعت في النهاية تحقيق قيام الحكومة الاقليمية المستقلة ، هذا النظام الحديث للحكم الذاتي الذي استند الى حقائق معاصرة .

الاستقلال الذاتي الاقليمي هو ماأمكن تحقيقه بعد صراع طويل خاضته المجتمعات الاسلامية في منديناو .

ولكن هذه الاحداث نفسها كانت وراء حصولهم على حقوقهم !وان كان ذلك قد تم على أجساد الآلاف من الضحايا . . . . واحداث عقد السبعينيات تسطر في صفحات التاريخ على انها فترة الثورة الضارية التي قام بها مسلمو ميندناو ضد الحكومة الفلبينية لاسترداد حقوقهم السياسية والاقتصادية ، واستعادة امتيازاتهم المدنية التي ضاعت خلال الفساد الاستعماري والاهمال الحكومي للجنوب ، مما جعل الفقر





* لقطة من فوق الجسر بين زامبونجا والقرية المائية للصيادين .. ويبدو المسجد وقد توسط اكواخ القرية .. والى اليسار مجموعة من الطالبات في زيهن الاسلامي في الطريق الى المدرسة ..







• الزي الشعبي للمسلمين في جنوب الفلبين .. كما برز بكل تفاصيله خلال مهرجان اسبوع منداناو .. حيث عرضت لوحات رائعة من الفنون الشعبية التي تميزت بها القبائل في الجنوب ..



والتخلف صاحب السيطرة الاولى على مقدرات المسلمين في منديناو .

ولابد من عودة الى تاريخ المقاومة العنيفة الرائدة لمسلمي جنوب الفلبين ضد السيطرة والهيمنة .

فقد بدأ الغزو الاسباني للفلبين مع وصول لوبيز ديلجاسبي الذي اوقف على الفور الهجرات النازحة من بورنيو الى البلاد ، وقصر النشاط التجاري مع بورنيو على لوزون وجزر الفيزايا بين عامي ١٥٣٥ و ١٦٧١ .

ومنذ ذلك الوقت اشتعلت حروب المورو التي صورها الاسبان على انها عدوان إسلامي يقوم به اللصوص والمهربون ضد القوات الاسبانية في جزر الفيزايا وجزيرة منديناو .

وبقوة السلاح عمل الاسبان على « تنصير » سكان منديناو في الاماكن التي استطاعوا ان يضعوا اقدامهم فيها مثل مدينة زامبونجا .

واستمرت محاولات التنصير واتسعت بين بعض قبائل الارخبيل حتى استطاع المسلمون الوقوف في وجهها في وسط منديناو وسولو ، معتمدين على ماتنفثه فيهم عقيدتهم من روح الجهاد والنضال في سبيل الدفاع عن الارض والوطن .

وتحولت مظاهر المقاومة ضد المستعمرين الاسبان الى نوع من العداء بين المواطنين المسلمين والمسيحيين . فبعد ان عجز الاسبان عن اخضاع المسلمين تحولوا ليغرسوا بذور العداء بين اتباع العقيدتين مستغلين الاختلافات العقائدية بينهما .

واستمر ذلك حتى كانت معاهدة باريس عام ١٨٩٨ التي سلم الاسبان بموجبها جزر الفلبين للامريكيين عقب انتهاء الحرب الاسبانية الامريكية .

كانت المحاولات الامريكية لاستعمار الجنوب الاسلامى تقوم أول الامر على سياسة الاستيعاب بلطف، ثم استبدلتها بابتداع خطط الدمج . ووجد المسلمون انفسهم مرة اخرى فى مواجهة اعداء جدد . .

وبينما كان المسيحيون يسايرون الاتجاهات الامريكية ، فإن المسلمين وجدوا انفسهم وقد اتسعت شقة الخلاف مرة أخرى بينهم وبين المسيحيين . وكان لابد للسياسات الاستعمارية الامريكية ان تواجه بمعارضة عنيفة عندما اتجهت الى مزيد من فرض الضرائب والى فرض التجنيد الاجباري . واتسع نطاق الثورة ضد الاستعمار الامريكي الجديد . واستبسل المسلمون في النضال والمقاومة . ولما ادرك الامريكيون ان القوة لم تعد تجدي مع المسلمين بل تزيدهم استبسالا وتضامنا واندفاعا للاستشهاد غيروا اساليبهم وأخذوا في استمالة المسلمين واعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ومنحوهم قسطا من الحرية في حياتهم العامة للتخفيف من نقمتهم ومقاومتهم .

استمر ذلك الوضع محققا نجاحا محدودا لدى المسلمين حتى بعد ان تولت الحكومة المدنية الحكم بعد عام ١٩١٣ ، وحين تمهد الطريق لنيل الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦ فقد نشط المسلمون للنهوض بأنفسهم بعد ان حصلوا على درجة لابأس بها من ممارسة الحكم الذاتي ، وقامت جماعات منهم بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس ، وكان من أشهرها جمعية « إقامة الاسلام » التي وضعت من اهدافها القيام بتعليم اللغة العربية وفهم معاني القرآن والحديث والسعى لتوحيد كلمة المسلمين في البلاد وتبليغ الدعوة الاسلامية وشرح مبادئها والرد على مفتريات اعدائها . ولكن المشكلة التي كانت تعترض مشاريع الجمعية ومثيلاتها هي عجزها عن تمويل مشاريعها الواسعة تمويلا كافيا للنهوض بمهماتها . .

ولكن ذلك كله لم يمنع من اشتعال شرارات اخرى للمقاومة الدموية بين الحين والآخر كرد فعل للرسوم الجمركية والزحف المسيحي الى منديناو وسولو وانتزاع اراضي المسلمين والاستيلاء عليها ونزع سلاح المورو وفرض ضرائب على ملكية الأرض ، ووقف المسلمون في وجه زيادة عدد الموظفين الرسميين في الوظائف والاعمال المدنية المحلية . لهذا فعندما اصبح الاستقلال الوطني في حكم المقرر اعلن القادة المسلمون مطالبتهم بعدم إلحاق منديناو وسولو بالجمهورية الجديدة .

ومنذ سنة ١٩٤٦ وهو العام الذي منحت فيه الفلبين استقلالها وحتى سنوات قليلة تالية ، فإن الحكومة الجديدة ، أرهقتها مشكلة المحافظة على الامن والنظام في سولو .

ثورة الجنوب

كان سكان سولو خلال الحرب العظمى الثانية وبعدها بقليل ، قد استطاعوا تخزين كميات كبيرة من السلاح والذخيرة من كل من اليابانيين الغزاة والامريكيين الراحلين . وصرف المسئولون الحكوميون جهودهم للبحث عن السلاح والقبض

على المسلمين ، مهملين في الوقت نفسه الامور الاجتماعية والاقتصادية للشعب ، واتجهت الحكومة للحصول على اصوات الناخبين والاهتمام الزائد بالمناطق الشمالية الغنية مثل لوزون والفيزايا لرفع مستوى الحياة بين سكانها مع اهمال كل رعاية واهتمام بسكان الجنوب ، لما كانوا يقومون به من حركات مناهضة للحكم . وساعدت وسائل المواصلات الحديثة في الاسراع بالنهوض بالمناطق الشمالية وتوسيع الفروق بين الشمال والجنوب .

أدت احداث الصدامات في سولو عام ١٩٥١ ومساعدة الحكومة لرجال العصابات ضد سكان الجنوب ، الى مزيد من الغضب والثورة بين المسلمين ، وقادت الى انشاء مكتب الدمج الوطني عام ١٩٥٨ ، وبالتالي الى اشتعال الاحداث وانفجار الغليان الشعبي الذي قادته « الجبهة الوطنية لتحرير مورو . . » التي بدأ مولدها في اوساط الطلاب المسلمين كتيار سياسي مالبث ان اتخذ أبعادا وطنية عندما بدأ يطالب باستقلال ذاتي للمناطق الاسلامية في جزيرة منديناو . وكانت قيادة الجبهة تتمثل في ذلك الوقت في « نورميسوارى » وهو سياسي واقعي كان استاذا جامعيا للعلوم السياسية .

الاحداث التي مهدت لقيام جبهة التحرير كثيرة حدثنا عن تفاصيلها كثيرون من سكان الجنوب الذين خاضوا غمار هذه الاحداث .

قال لنا صالح بدر الدين من جمعية النهضة الاسلامية : انه كان من نتيجة انهماك أهل الجنوب في مقاومة الغزو الاجنبي الاسباني ثم الامريكي ، ان تخلفوا وتأخروا عن سواهم من سكان الفلبين ، بينما كانت بعثات التبشير تنشط لتحويل العدد الاكبر من اللادينيين وحتى المسلمين الى النصرانية ، حتى تعذر على الثقافة الاسلامية أن تتابع مسيرتها في ظل النشاط التبشيري والاستعماري .

وفي ظل السلطة الحاكمة التي تساندها البعثات التبشيرية والقوى الاستعمارية ، بذلت جهود كثيرة مخططة لانشاء مستعمرات مسيحية في منديناو . وتدفق القادمون من الشمال لشراء الاراضي واحتلالها في مناطق المسلمين بهدف زيادة نسبة الكثافة السكانية غير الاسلامية في منديناو وإدماجها في اطار أكبر للمجال السياسي والقيادي الديني

ولعل الهدف لم يكن دينيا فحسب ، فقد كانت كثرة المعادن التي تزخر بها المناطق الجنوبية هي مايسعى اليه الرأسماليون الذين ساندتهم التشريعات الحكومية القانونية التي اعتبرت العدوان على اراضي المسلمين عملا مشروعاً .

أحداث الصراع مع العصابات

هنا بدأت الاحداث التي يحكيها لنا المجاهدون الشبان من جبهة تحرير مورو ، خلال حوار ضم عددا منهم في بيت احد الزعماء الذين مازالوا ثابتين على موقفهم .

قال أحدهم : « عصابة الألاجا » وهي تشبه عصابة « كوكلوكس كلان » التي تحارب السود في امريكا ، أنشئت لتكون أداة لسحق السكان المسلمين والقضاء عليهم ، وقد ارتكبت العديد من المذابح التي استنكرها حتى بعض رجال الكنيسة . وحين احتج أحد القسس الطيبين على تلك الاعتداءات واستنكر بشدة ما تقوم به الألاجا ، تلقى من زعامته العليا توبيخا شديد اللهجة لالتزامه جانب العدل ! »

وقال مجاهد آخر في سنة ١٩٦٨ حدثت مذبحة « كوريجيدور » وذهب ضحيتها عدد من المسلمين المتطوعين في جيش البلاد ، واستخدمت معهم الاساليب التي استعملت في مذبحة « بفكاوانات » التي ذهب ضحيتها اكثر من ستمائة فرد من الاطفال والنساء والشيوخ . وكانت هذه المذابح تجري على يد عصابات إرهابية مسلحة تضم أغنياء النصارى في الجنوب وموظفي الحكومة ورجال الجيش ، وكانت تستهدف اشاعة الرعب والفزع بين المسلمين وحملهم على ترك اراضيهم ، ولاتنس ان مستشار الرئيس ماركوس الخاص يهودي صهيوني معروف . . !

وقد حدث في صباح ١٩ يونيو ١٩٧١ ، ان هاجم المرتزقة بقيادة بعض ضباط الشرطة النظاميين ، قرية مانيلي في مقاطعة كوتاباتو ، وطوقوا اهل القرية وجمعوهم داخل المسجد بحجة انهم يريدون اقامة مؤتمر للسلام . وفي المسجد انقضوا عليهم بالقنابل والرصاص حتى قتلوا منهم ٦٤ مسلماً وأصابوا أكثر من مائتين بجراح خطيرة . واتبعت الطريقة ذاتها مع آخرين في مدرسة عامة قريبة من ذلك المكان ، حيث استشهد عشرات من المسلمين .

كان من بين الحضور رئيس حركة استقلال منديناو ، وكانت الحكومة قد اتهمت حركته بأنها كونت قوة عسكرية عرفت باسم « ذوي القمصان



○ في وسط الساحة الشعبية في حي المسلمين بزامبوانجا . . وقفت تقدم لوحة راقصة . . بينما زميلها يقدم لوحة اخرى تمثل رقصة الحرب . .





* تزخر شواطىء جزر الجنوب بأنواع متباينة من المحارات والأصداف والشعب المرجانية .



* كوخ شهر العسل .. فوق شجرة البلوط .. في وسط الغابة بمدينة زامبونجا .



* لاتخلو قرية من قرى الجنوب من مسجد يتوسط مساحتها .. وهي مساجد تتبع في عمارتها أصول الفن الجاوي الاسلامي .. (وإلى اليمين) ثمار المانجو والاناناس بأحجامها الكبيرة .

السوداء » وانما مسئولة عن الاضطرابات التي انفجرت بشكل اعنف والتي ادت الى اعلان الاحكام العرفية في البلاد .

قال لنا : « لم يكن هناك وجود لما يسمى بذوي القمصان السوداء . ولاظل في الحقيقة لكل مايقال من اتهامات للمسلمين بانهم يريدون الانفصال عن الجمهورية وإنشاء دولة مستقلة من مندناو وسولو ، ان كل ما اريده هو السلام ، ولا أريد القلاقل مالم تجر محاولات لاثارتنا . وكل مانفعله الحركة هو إصدار منشورات تعبر عن اعتراضنا على مايجري من اهمال لحقوق المسلمين . فماذا يخيفهم من ذلك ؟ انني اريد ان يكون المسلمون والنصارى على مودة وان يعيشوا في تآلف وانسجام مادمت زعيما للمسلمين والنصارى في الوادي الاعلى » .

حين تحركت جبهة تحرير مورو لاعلان مطالبها اعتبرت الحكومة إنها ثورة للمسلمين في الجنوب ، وقررت مواجهتها بكل عنف واعلنت الاحكام العرفية بموجب قانون الطوارىء منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٢ .

وهنا . . نعود الى وثائق التاريخ لنقرأ صفحات من كتاب « البلدان الاسلامية والأقليات في العالم المعاصر » الذي اصدرته جامعة محمد بن سعود بالرياض . .

« كانت قوات الحكومة تؤازرها القوى والعصابات المضادة للمسلمين والمدعومة من الدول الاجنبية اقوى بكثير من الثوار المسلمين . ويبلغ تعداد جيش الحكومة في المناطق الجنوبية ربع مليون جندي . . وارتكبت افظع الجرائم ضد المسلمين من قتل جماعي ، وإحراق للمزارع ، وتهديم للمساجد فوق المصلين ، وللمنازل فوق السكان ، واحراق للبشر أحياء ، وإنتهاك الاعراض والحرمات . وصمد المسلمون بقوة في وجه هذه الفظائع ، وأبدوا من الشجاعة ما كبد عدوهم خسائر فادحة ، وتحصنوا في الغابات والجبال ، ونال بعضهم قسطا من التدريب في معسكرات خارج البلاد . وكان الشعب خير ظهير لهم في كمائنهم وهجماتهم الخاطفة ، ويقدر جيشهم بثلاثين الف مقاتل . وكلما تحشيت الحكومة الدول الاسلامية وتأييدها لمسلمي الفلبين ، اصدرت تصريحا بأنها ستمنح للمسلمين حكما ذاتيا ، وان جيشها سينسحب من المناطق الاسلامية ، ثم لاتلبث ان تنكشف الحقيقة المناقضة لهذه الدعاوي » .

اتفاق طرابلس والحكم الذاتي

على ان سياسة القوة قد فشلت ازاء صمود المسلمين ، واضطرت الحكومة الفلبينية للموافقة على مفاوضة المسلمين حيث تم في ديسمبر ١٩٧٦ في طرابلس بالجماهيرية الليبية التوقيع على اتفاق وقف اطلاق النار ، ووقع عن الحكومة وكيل وزارة الدفاع الفلبيني كارميلو بربيرو ، كما وقع عن المسلمين زعيم الجبهة الوطنية لتحرير المورو نورميسواري .

ووافقت الحكومة بموجب الاتفاق على اعطاء المناطق الاسلامية الثلاث عشرة في جنوب البلاد حكما ذاتيا ، وان يكون لها حكومة واحدة ومجلس نيابي واحد ، ومحاكم ومدارس وجامعات مستقلة ، وان يجري فيها الاقتراع لاستفتاء عام . وتؤلف لجنة لتنفيذ الاتفاقية من مندوبين عن المؤتمر الاسلامي الذي عقد في كوالبور عاصمة ماليزيا عام ١٩٧٤ ، وعن جيش المورو ، وعن الحكومة الفلبينية . ولكن تعددت تصرفات الحكومة التي تعتبر خرقا للاتفاقية على الرغم من اصدارها قرارا بتعيين « نورميسواري » عام ١٩٧٧ حاكما عاما للمناطق الاسلامية .

ولكن . . ماذا حدث بعد ؟

الواقع ان الكفاح المسلح الذي قامت به جبهة تحرير مورو برغم الانقسامات التي حلت بها بعد ذلك ، والنضال الشعبي الذي واجه به المسلمون في **الجنوب كل محاولات الضغط والارهاب ، كان لابد ان تؤدي في النهاية الى مكاسب كثيرة في اتجاه الحكم الذاتي للمسلمين . .**

مع رئيس المجلس التنفيذي

هذه الصورة الجديدة شهدناها وسمعنا بعض تفصيلاتها عندما التقينا بالحاج صالح والي أحد قادة جبهة تحرير مورو الرئيس الحالي للمجلس التنفيذي للحكومة المستقلة للاقليم التاسع بمقر المجلس في زامبونجا قال : « لايستطيع أحد ان ينكر ان الحكم الذاتي الذي نتمتع به الآن هو ثمرة نضال طويل خاضه المسلمون في جميع مناطق الجنوب ، وان جبهة تحرير مورو كان لها الدور الرئيسي في هذا الجهد الكبير الذي تكلل اخيرا بالنجاح ، وقيام الحكومة الاقليمية في جنوب الفلبين .

فتنفيذا لاتفاقية طرابلس تقرر قيام حكم ذاتي في

أربعة اقاليم هي الاقليم التاسع في غرب مندناو ويضم خمس مقاطعات هي زامبونجا الشمالية وزامبونجا الجنوبية وجزر سولو وباسيلان وتاوى تاوى وعاصمته زامبونجا ، والاقليم الثاني عشر في وسط مندناو ، ويضم مقاطعات لاناو الشمالية والجنوبية وماجينداناو وسلطنة كودرات وعاصمته كاتاباتو ، وذلك بالاضافة الى بالاوان في الاقليم الرابع ودافاو الجنوبية وكاتوباتو الجنوبية في الاقليم الحادي عشر .

ويبلغ عدد المسلمين في مندناو الغربية والوسطى حسب تعداد ١٩٨٤ حوالي مليونين و٥٢٨ الف مسلم ، بينما عدد غير المسلمين حوالي مليون و٨٠٠ الف . . وكلهم يعيشون في ظل الحكومة الاقليمية المستقلة ذاتيا التي اعلن قيامها في مارس عام ١٩٧٧ وتشكلت من سبعة اعضاء يعينهم رئيس الجمهورية وعضوين من قيادات جبهة تحرير مورو، وعضو تختاره جبهات التحرير في كل من المقاطعات الثلاث عشرة التي تتمتع بالحكم الذاتي .

ان خطة الحكومة لاعادة الوئام والتهدئة تضع على عاتقها مساعدة المسلمين الفلبينيين برفع مستوى التأهيل التعليمي وخاصة بين اعضاء جبهة تحرير مورو العائدين والذين فقدوا فرص التعليم خلال مشاركتهم في اعمال المقاومة ، وتوجيههم الى الاعمال والوظائف المدنية والحكم المحلي ، وفتح مجالات التجارة بين مندناو الغربية وجاراتها وانشاء الجامعات ودعم المدارس بالمدرسين المؤهلين . . .

والى جانب ذلك انشئت « وزارة الشئون الاسلامية » في الحكومة المركزية ، كما تم الاعتراف بقوانين الاحوال الشخصية الاسلامية ، وانشئت المحكمة الشرعية ، وصدرت قوانين لاعادة الاراضي المستولى عليها الى أصحابها الاصليين ، ورصدت مئات الملايين من البيزو (العملة الفلبينية) لتطوير الخدمات الاجتماعية والاسكانية للثوار العائدين .

ولكن ماذا عن مظاهر الفقر والتخلف التي مايزال قائما وشهدناه في كل مكان زرناه في منديناو ، وبخاصة القرى المتناثرة وبينها قرى الصيادين ؟

يقول الحاج صالح والى : لاشك ان الفترة الماضية التي انتهت الآن بقيام الحكومة الاقليمية قبل ستة أعوام ، كانت فترة عصيبة شغل فيها السكان المسلمون بالمقاومة والتصدي للهجمات المستمرة من العصابات والقوى الأخرى ، مما أدى الى انهيار اقتصادياتهم ، رغم أن منديناو أغنى الاقاليم في البلاد . ولكن التغير الذي جرى في السنوات الأخيرة اعطى الفرصة لبدء التطوير والنهوض بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان ، ويبدو ذلك واضحا من خلال التنفيذ الفعلي للأسس التي أعلن بموجبها قيام الحكومة الاقليمية المستقلة التي حددت أربعة أهداف رئيسية هي : اعادة إسكان الثوار العائدين ، والاهتمام بالثقافة والتعليم ، وضمان الامن والاستقرار ، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي في المقاطعات الاسلامية . وتتولى الحكومة الاقليمية والمجالس التنفيذية بنفسها شئون تطوير التعليم والاقتصاد ، كما تتولى ادارة الامور المالية والعلاقات الاقتصادية والتجارية والمصرفية مع الدول الأخرى ، بالاضافة الى توليها الاشراف على المصادر الطبيعية وشئون الهجرة والابعاد والمواطنة والتجنيس والمنافع والخدمات العامة والجمارك والمراقبة والحجر الصحى .

الواقع الجديد

● ثم ماذا عن مقاتلي جبهة تحرير مورو ؟ وماهي الاسس التي عاد بها هؤلاء الى الحياة المدنية ؟ وهل انضم الجميع الى الركب ام ان هناك من لايزال يشارك في النضال من اجل التحرير الكامل

وجه من مندناو . .







مقر المجلس التنفيذي للحكومة الاقليمية في زامبوانجا والذي يشرف على شئون المسلمين في الاقليم التاسع في الجنوب الفلبيني



بعض الشباب المسلمين من جبهة تحرير المورو في احد المعسكرات في منطقة منداناو



الصغار يسبحون بمهارة في مياه قرية ريوهوندو . . ويلقى الصغير في الماء ليسبح وهو لايزال في عمر الزهور .

والاعتراف بدولة اسلامية مستقلة في الجنوب ؟

الاجابة نسمعها من اكثر من طرف ، سواء ممن ألقوا السلاح أو ممن لايزالون يحملونه . . ونخرج من هذه الاجابات بواقع جديد مايزال قائما في جنوب الفلبين .

الكثيرون من مقاتلي الجبهة لم يطمئنوا الى وعود ماركوس وقراراته حيث كان قد تجاهل طوال فترة رئاسته وحتى سقوطه الكثير مما اتفق عليه في اتفاقيات طرابلس أو ما بقي معلقا بحجة المزيد من الدراسة ، ويقال ان ما شجع ماركوس للتنكر لما بقي من بنود الاتفاق هو تراجع الزعامات التقليدية للمورو خشية ان تفقد امتيازاتها مع ازدياد نفوذ الشبان الراديكاليين .

ولكن الذي لاشك فيه هو ان هناك خلافات تراكمت بين قادة الجبهة وخاصة بين زعيمها السياسي نورميسواري ورجل الدين هاشم سلامات في اعقاب قيام الحكومة الاقليمية المستقلة ، والتناحر الذي شب بين مختلف القيادات والمقاتلين عند اجراء الانتخابات في المناطق الاسلامية لتشكيل المجالس التنفيذية والبرلمانية ، خاصة بعد ان قرر الكثيرون الانضمام الى السلطة الجديدة ، والاستفادة من القرارات الخاصة بإعادة اسكانهم وعائلاتهم ، ورعايتهم اجتماعيا واقتصاديا ، وأغلب هؤلاء استبدلوا بالقتال المسلح اعطاء الاولوية للتربية وتحويل المدارس الى مراكز قومية للتوعية . كما اقاموا وشاركوا في مراكز الابحاث والجمعيات الثقافية والاقتصادية والمجالس الاقليمية للعلماء كما حدث في زامبونجا ، كما اتجه بعضهم للعمل في اطار التحالف الاسلامي من اجل الحفاظ على هوية المورو وتعميقها في النفوس .

ولكن عددا آخر ممن فقدوا الثقة بالحكومة المركزية في مانيلا مازالوا يحملون السلاح يقاتلون بين حين وآخر ، دون خطة أو هدف محدد ، بينما تشهد بعض مناطق « لاناو » قيام جبهة جديدة من المقاتلين الذين تدربوا في ماليزيا أو باكستان الى جانب الثوار الافغان ، إلا ان إمكاناتهم العسكرية مـاتـزال محدودة . ومن بين هؤلاء من استطاعوا في صيف ١٩٨٤ خوض معركة ضد الجيش استمرت شهرين

ولم تتوقف إلا بعد أن لجأت القوات الحكومية الى استخدام الاسلحة الكيماوية .

في قواعد المجاهدين

كل ذلك كان لابد ان نستمع الى تفاصيله ونحن نتنقل في جولتنا بعيدا عن صحبة الرسميين الى مناطق الثوار داخل الغابات والاحراش .

فهناك سنلتقي بالمجاهدين المسلمين في قواعدهم العسكرية في لاناو . . تماما كما سنلتقي بمجموعات أخرى من ثوار جبهة تحرير مورو القابعين في قلب جزيرة مندناو .

المغامرة كان لابد منها لاجتياز عدة نقاط تفتيش عسكرية ، وبصحبتنا شاب من المجاهدين المسلمين ترك أسرته في القرية لينضم الى القاعدة السرية للثوار . وكان الوصول الى القاعدة محفوفا بالأخطار ونحن نسير عبر مجموعة من القرى وعشرات من حواجز التفتيش دون أن تكشفنا عيون قوات الحكومة .

المهم أننا وصلنا بعد ان اخترقنا الحصار . وكان واضحا ان الفتيان الذين يشكلون هذه المجموعات من المناضلين اغلبهم بعمر الزهور ، وان كان قادتهم ومدربوهم رجالا تمرسوا طويلا على حرب العصابات التي لاتختلف عن الحرب النظامية من حيث التنظيم والتدريب والتسلح .

وحين جلسنا الى قائد القاعدة وقد أحاط بنا عدد من المجاهدين أحسسنا انهم قد أحسن تدريبهم روحيا ونفسيا وتعليميا وعسكريا . . وكان الايمان يعمر قلوبهم كما كانوا يدركون قيمة الجهاد في سبيل الاسلام والوقوف في وجه الطغيان لاستخلاص حقوقهم المشروعة في أرض الاجداد .

قال لنا قائد القاعدة :

ـ بعض هؤلاء هم اخوة وأبناء لشهداء ناضلوا في صفوف جبهة تحرير مورو . . وحققوا الكثير من الانتصارات على قوات الحكومة خلال معارك ماقبل اتفاقية طرابلس . وكانت هذه الاتفاقية نتيجة لضراوة المعارك التي أرغمت ماركوس على أن يحني رأسه . . وان كان قد عاود مرة اخرى التراجع عما تم الاتفاق عليه . وقد كان هذا التراجع مع عدم اطمئناننا الى وعوده سببا في عودتنا الى تنظيم صفوفنا .

وقلنا له :

ـ ولكننا شهدنا بعض مظاهر الحكم الذاتي وزرنا المجلس التنفيذي للاقليم التاسع . . وقال لنا الحاج صالح والي انهم يمارسون الاستقلال الذاتي بكل مايحمل الاستقلال من معنى .

قال صاحبنا في ابتسامة ساخرة :

ـ لاتخدعكم مظاهر مايسمى بالحكم الاقليمي الذاتي فقد انخدع ايضا عدد من قادة الجبهة وانضموا الى السلطة ، وشاركوا في المجالس التنفيذية . ولكن هذه المجالس لاتملك من السلطة الا القليل ، وهي تأتمر بأوامر الحكومة المركزية التي لاتمنحها حتى المال اللازم لتنفيذ المشروعات المطلوبة . ولكنهم سيكتشفون في القريب انهم مخطئون وان الحق لايمكن ان يؤخذ الا بالقوة .

وتدخل احد الشبان وهو يشير الى مجموعات الاسلحة المتباينة الاحجام والانواع :

ـ ان بعض هذه الاسلحة هو حصيلة ماغنمناه بالقوة خلال معاركنا مع قوات الحكومة ، وان كان البعض الأخر قد حصلنا عليه لقاء مقابل مادي من أفراد الجيش الذين يهربونه من المعسكرات ويبيعونه لنا فهؤلاء الجنود أيضا فلبينيون ، ويدركون أننا نناضل من اجل الحق والعدل . وهم يعلمون ان السلاح الامريكي الذي زودت به قواتهم انما هو عصير دم الشعب الذي اعتصره الامريكيون وعملاؤ هم من رجال السلطة . وقال القائد :

ـ انها أموالنا ردت الينا . . والسلاح سلاحنا . . ولن نلقيه إلا بعد ان يتحقق لنا النصر .

وعاد رئيس المجموعة يقول :

مع كل ذلك . . فان هناك آمالا كبيرة نعقدها على نظام الحكم الجديد بعد ان أقدمت كورازون أكينو رئيسة الجمهورية على مفاوضة جبهة تحرير مورو لتطبيق الحكم الذاتي بالشكل السليم ، استنادا الى ما اتفق عليه في اتفاقية طرابلس التي تلاعب الرئيس السابق ماركوس في تنفيذها . .

ولكننا مع ذلك سنظل واقفين بالمرصاد والسلاح في أيدينا ، حتى نحس ان الحكومة الجديدة يمكن أن تستجيب لمطالبنا . . وان كانت البشائر لم تظهر بعد . . . ! □

قصة قصيرة

وجهها خلف الجدار

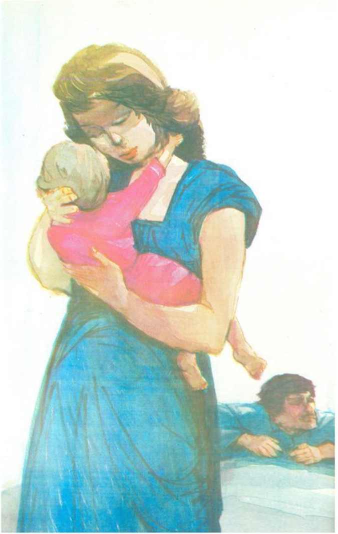
بقلم : فردوس فتحي ندا

أي قلق هـذا الذي راحت تتهاوى تحته ابتساماتك الرقيقة .. وأي خطر استشعره حسك الطفولي من ابتسامة صفراء لاذ بها الغريب الجالس في صدر المكان يتأملك . ممدودة لك يده عبثا وفيها قطعة حلوى صرعها نظراتك بلا اهتمام ، ثم استقرت على وجهه طويلا تستشف كنه هذا الغريب الذي راح في هدأة خفي يحاصرك بنظراته .. فأي خوف هذا الذي جعلك تنفر منه وتخشاه وتنسحب إلى حيث تقف أمك تعد الشاي ، وأنت تلف ذراعيك حول ركبتيها تحتمي بها حتى كادت أن تتعثر وتسقط منها صينية الشاي فوق رأسك .. أي قلق هذا الذي راح يملأ نفسك ويحاصر اطمئنانك كلما جاء الغريب ، وكيف راح نفورك منه يزداد كلما أسرف في محاولات التودد اليك .

يوما ما امتلأ البيت بالناس وانطلقت الزغاريد وأكلت كثيرا من الحلوى ... وفي المساء اصطحبتك جدتك الى بيتها على غير رغبة منك ... فارقت في هذا المساء ولأول مرة فراش أمك .. وقمت في الليل تبكي وترجو الجدة أن تأخذك اليها .. وتمر أيام وأيام قبل أن تعيدك اليها .. شاكية من بكائك الذي لا ينقطع (وتبولك على غير العادة في الفراش) .... هناك كان الغريب في فراش أمك يرقد مسترخيا . ولأول مرة تجاهلك تماما .. لكن هذا القلق عاد يحاصر قلبك . وحين رفعتك أمك الى صدرها وراحت تضمك اليها اختلست عيناك من فوق كتفيها نظرة إليه ... كانت عيناه ، في انتظارك .. راح يسدد لك نظرات كراهية مخيفة كان أبدا حريصا ألا يراها أحد غيرك .

أخرجت له لسانك.أرعبك ثبات نظراته والبغض الكامن فيها . أخفيت وجهك في كتف أمك .. وضعتك على الأرض .. جريت نحوه .. رفست ساقيه بقدمك .. نهرتك الجدة . لاكت أصابع





الرُّجل بقسوة وجنتك .. نظرت أمك له في عتاب . حملتك إلى صدرها وراحت تكفكف دموعك .. زعق الرجل يأمرها أن تعد العشاء .. انسحبت وفي عينيها حزن .. ماتت دهشتك تحت أمر صارم منه أن تجلس ولا تتبعها .. إنزويت في ركن بالغرفة حاصرتك فيه نظراته المخيفة .. إشتد خوفك .. تدلى رأسك .. الدموع تتجمع في عينيك المثبتة نظراتها على الأرض .. شعورك بالحصار إشتد .. تناديها بصوت متهدج (ماما) .

عيناك تجوب سقف الغرفة .. تتفادي الخوف القادم من عينى الرجل .. عاودت « وقد اشتد رعبك » النداء عليها .. الرجل لايبدى حراكا ولايصدر صوتا .. إختلسْت في رعب نظرة اليه ..

عيناه أبداً في إنتظار عينيك .. أجهشت بالبكاء .. الخوف قيدك إلى الأرض .. زعق الرجل يأمرك بالسكوت يا .. نعتك بلقب يشير الى ابتلال ملابسك .. الجدة جاءت واستأذنت الرجل في الانصراف وأمك اقبلت . قمت إليها بلهفة أمسكت بيدها .. نظرتما معا إلى الرجل .. الرجل يأمرك في « ثبات مرعب » أن تذهب مع جدتك . رفعت بصرك لأمك في رجاء .. بدت بلا حول ولاقوة .. إنحنت تقبلك والدمع في عينيها .. إشتد رعبك صرخت وبكيت . قاومت الجدة كثيرا وتشبثت قدماك الصغيرتان بالأرض حتي كدت أن تنزلق من ثيابك .. دفعك الرجل بقسوة إلى جدتك .. إنصفق الباب .. بكاؤك يتحول إلى شهقات .. شيءماراح يعلو بينك وبين أمك .. وجهها يبدو من خلف هذاالشيءحزينا وعيناها ترنو في حنان اليك ...... هدهدة واهتزاز رتيب ودعوات من الجدة بأن تنام .. تقطعها شهقاتك المتتابعة ..

في الصباح التالي كان هناك شيء مؤكد قد إستقر في عقلك الحائر .. وحزن عميق جثم داخل قلبك الصغير .. وراحت عيناك تبحثان في الفضاء عنها .. وجهها الحزين يتراءى من خلف جدار .. رحت تناجيها هامسا لنفسك في أسى (ماما) .. دموعك تتتابع فوق وجنتيك الباهتتين وبين الحين والحين تغمغم في حزن (ماما) ....

هززت رأسك ترفض الطعام ، ورحت ساهما ترقب جدتك وهي تضع الطعام في فمها الأجوف ..

تذكرت أمك أيام كنت تمتطي ركبتيها تهتز وتضحك وتنصت في شغف لدقات قلبها الرتيبة الهادئة تهدهد أذنيك .. وكفك الناعمة الدقيقة تتحسس (الشدى) في حنين ورضا .. جدتك شغلت عنك بأعمال البيت .. مازلت تحملق في الفراغ ساهما .. وجه أمك مابرح يتراءى من خلف الجدار جاثما على الارض ، راسك فوق ذراعيك الضعيفتين طاويا ساقيك تحتك .. تموء كجرو صغير ، قلبك ما فتىء ينتفض ملتاعا . والحزن يحفر فيه بقسوة أخدودا .. يحف بك الذباب ، يمتص دموعك .. لاتشعر به ، ساهما « رحت تتأمل في حنين أليم وجهها » .. الأيام تمضي .. وعودك يهزل وعيونك يزداد اتساعها وانجذاب نظراتها إلى الجدار الذي مابرح وجه أمك يلوح من خلفه ..

يوما ما دق قلبك في لهفة عندما قالت الجدة إنك سوف تصحبها الى أمك .. وجهها الآن لايقف بينك وبينه شيء،رفعتك إلى صدرها .. راحت تضمك وتقبلك في لهفة ... لم تطمئن .. تهمس لها ترجوها أن تبقيك معها .. الحزن في عينيها يطعن قلبك بقسوة ... تمشى خلفها في البيت تتوسل اليها أن تبقيك .. سمعت خطواته .. داهمك الرعب . غاض الدم من وجهك ، جمدت في مكانك ، « أحيط بك » . الرجل قبالتك . حريص أنت ألا تلتقي عيناك بالرعب القادم من عينيه .. رأسك انحنى . حدست أنه يملك أن يبقيك معها .. رجوته بصوت متلعثم أن يسمح لك بالبقاء « وأنك لن تبول في الفراش » .. لاذ بالصمت ونظراته مسددة تثقب راسك .. إبتدر أمك ، لماذا لاتتركك تقيم مع أبيك ؟ أنت لاتعرف لك أبا سواها ولاتريد غيرها .. بدت وجلة قلقة وهي تحدثه عن وحدة جدتك وحاجتها الى من يؤنس وحدتها .. وعمرك الذي مازال بعيدا عن حضانة أبيك .. وأشياء أخرى لم تفهم منها أو تدرك إلا شيئا واحدا .. هو أنك لن تستطيع أن تعيش معها كما كنت تعيش فيما مضى ..

إنزويت في أحد الأركان وعلى وجهك الصغير ارتسمت أحزان الكبار وعذاباتهم ، نظراتك تمسح الأرض بقلق ، المرة تلو المرة حريص الا تلتقي عيناك بعينيه ، تعلم أن عينيه أبدا في انتظار عينيك جاءت

أمك بالطعام ورحت في حضورها تختلس النظر اليه . . بدا كريها بغيضا ، وتألقت سعادة خبيثة في عينيه حين وضعت أمك في فمه شيئا . .

برقت عينه حين ألقمتك مثله شيئا . . أرخيت بصرك تلوك الطعام بلا شهية وامتلأت عيناك بالدمع وترددت طويلا قبل أن تستسلم للجدة وتعود معها . .

في الليل رحت « حانقا » عليها تدير وجهك عن وجهها الذي يرمقك بحنان من خلف الجدار . . الأيام تمضي كأنها يوم واحد يتخلله الليل والنهار على التوالي . الحنين اليها يذيبك وأخدود الحزن يزداد عمقا في قلبك صامتا معظم الوقت لاتتكلم . . الجدار « مازال وجه أمك الحزين » يتراءي ابدا من خلفه يطل عليك . . أشرقت السعادة في وجهك وأنت تدلف الى غرفتها في زيارة أخرى . . كانت في الفراش على غير العادة . . كان هناك طفل آخر يموء كجرو صغير . . احتضنته أمك . . يلتقم الثدي في نهم . هذا الثدى ملك لك وحدك . . إشتعل اخدود الحزن غضبا وغيرة . . إرتقيت الفراش في عجلة . . دفعته بقوة عن صدرها ، شهقت ، سألتك عما أصابك ؟ . زعقت الجدة وأراحتك بعيدا . . قالت أمك أنه أخوك . . وانك يجب أن تحبه . . تحبه ؟ كلا ، لن تحبه ، ولن تحب أحدا . . قالت أمك « ستبقي اليوم معنا » ورحت « ساخطا » تنصت إلى موائه ، وترمق الثياب التي لوثها في « احتقار وتشفٍّ » والجدة تنظفها . . وتسائل نفسك في غضب ودهشة لماذا يحبه الجميع برغم « قذارته » حتى هذا الرجل تنفرج أساريره ويروح يتأمله سعيدا ويرجو أمك أن تعطيه له ، ثم يقبله في سرور . . . تمنيت أن يموتوا جميعا ولايبقي الا أمك فقط . . تظاهرت متعمدا السقوط من فوق السرير آملا أن يهتم بك أحد ممن أحاطوا (بالجرو) . . كما سميته بينك وبين نفسك غير ان الرجل سخر منك وامرتك الجدة بالتعقل والهدوء من اجل الصغير . . لا أحد يهتم بغير (الجرو) وفي غفلة منهم ، رحت تحاول أن تدس أصبعك في عينيه التي تشبه عيني الرجل . . شهقت أمك سددت لك نظرة قاسية تصدع لها قلبك وفي المساء عدت مع جدتك مقهورا تتساءل في غضب : لماذا يبقي هذا « الجرو » مع أمك دونك . .

كم تشعر بالبغض له . . وكم تكره نظراته وشراهته وهو يلتقم ثدي أمك . . . « دائما يصرخ يريد أن يهتم به الجميع » . . (هذا القذر) كم حلمت بموته لكنه لايموت . . . وتحرص في كل زيارة على تحسس فراشه المبتل (وتنعته هامسا في شماته ، بلقب يشير لابتلال ثيابه . . وتروح ترقبه في غيظ وكمد وتتمنى أن يموت ، وأن تحملك أمك بدلا منه على صدرها . . الحنين يقتلك شوقا إليه والأيام تمضي (والجرو) يحبو . . يجلس . . يشيح بيده الصغيرة في وجهك . الرغبة في موته تملأ قلبك . . يمتلىء فراشه باللعب . . هناك دمية كانت لك فيما مضى وهي الآن بين اللعب فوق فراشه . . تحاول أخذها . . يصرخ ، تستدير اليه ينفجر غضبك منه ، تلقيه على ظهره وتجثم فوقه ، تختنق صرخاته ، تروح بكلتا يديك تضربه . . عيناه الشبيهة بعيني أبيه أمامك . . تحاول أن تغرس أصابعك فيها . . . يعلو صراخه،الرجل ينهالُ عليك ضربا وركلا . . أمك تصرخ تتلقى ضربات الرجل عنك،الجدة تحمل الطفل وترقب ثورة الرجل في فزع . . اختطف الرجل الطفل منها ودفع بك خارج الباب وهو يصرخ في عصبية انه لايريد أن يراك بعد الآن في بيته . . هو بيته إذن . . لماذا تقيم أمك في بيته ؟ . . الجدة غاضبة لاتكف عن تأنيبك وصرخات أمك مازالت تملأ أذنيك . . »

الأيام تمضي والحنين لايشبعه وجهها الذي يتراءى حزينا من خلف الجدار . . يرقبك في أسى وتروح تحدق فيه لاتريم ، كم أنت مشوق لرؤيتها ، لدفء صدرها لرائحتها وابتساماتها . . الجدة ترفض ان تأخذك لتراها . الجدة الآن بالخارج . . تستطيع أن تذهب وحدك لتراها وتعود سريعا . . تعرف الطريق . . فتحت الباب . . رحت تمشى تائها ذاهلا . . الشوارع لاتنتهي . . البيوت عالية . الناس لاتتوقف . . سألت رجلا هل يمكن أن يأخذك إلى امك . . وصفت له الطريق ابتسم . مددت له يدك مستسلما . . . .

الأيام تمضي . والجدة تسأل كل من تراه عنك والدموع أبدا في عيني أمك الذاهلة . . وجهك لايتراءى لها من خلف جدار . . . وجهك ملأ الآن كل شيء حولها .

□



حضارات سادت .. ثم بادت

اعداد : يوسف زعبلاوى

من حضارات جزيرة جاوة قبل الإسلام

معبد بوروبودور

نتناول اليوم الحضارة التى سادت فى جاوة قبل وصول الاسلام اليها بعدة قرون .. والتى اندثرت فى الجزيرة الأندونيسية ، ولم يبق منها أثر باستثناء معبد بوروبودور .. وهو من أكبر معابد الديانة البوذية وأشهرها فى العالم كله .. فالحضارة التى نحن بصددها اذن حضارة بوذية .. والحديث عنها يستوجب الحديث عن معبد بوروبودور لاباعتباره القمة التى بلغتها تلك الحضارة فحسب ، ولكن باعتباره الأثر أو المرجع الوحيد الذى لولاه لما عرفنا عن تلك الحضارة الا النزر اليسير .. من مراجع أخرى خارجية ، كمبودية وصينية .. وذلك أن مبانى تلك الحضارة كانت كلها من خشب ... باستثناء معبد بوروبودور الذى كان من حجر .

والغريب أن هذه المراجع جميعها لا تحدثنا عن الملوك الذين رعوا تلك الحضارة الا قليلا .. وتحدثنا عن رعيتهم بتفصيل .. ولا يخفى أن هذه ظاهرة فريدة فى التاريخ .. فالغموض اذن يكتنف حياة أولئك الملوك الذين لااسم لهم ويعرفون باسم ملوك الجبل Shailendra Kings فحسب . . . .

لقد حكموا أواسط جاوة فيما بين سنة ٧٤٠م والنصف الثانى من القرن التاسع ـ أى طوال قرن أو يزيد قليلا .. وكانوا من أصل أندونيسى .. وقد ضمت مملكتهم فيما ضمت سومطرة .. وليس معنى هذا أنهم اعتمدوا القوة الغاشمة ، وعمدوا الى غزو جيرانهم وفرض سيطرتهم ، أو ان شئت استعمارهم ، على ما دنا من البلدان وما بعد .. فالنقيض هو الصحيح ...

ذلك أن ملوك الجبل امتازوا على أقرانهم من حكام الدويلات الأخرى فى جاوة وأندونيسيا بأنهم كانوا مسالمين .. فى الداخل والخارج ... فبينما قامت الدويلات المجاورة بغزوات بحرية متكررة ... على فتنام وكمبوديا وغيرهما .. ونهبت وعاثت فسادا واحتلت ما احتلت من الأراضى .. لم يعرف عن ملوك الجبل شىء من هذا على الاطلاق .

فقد حرصوا على السلام فى الخارج وفى الداخل .. ويبدوا أنهم ظهروا على مسرح التاريخ لا لغرض الا لتشييد معبد بوروبودور العظيم ...

لقد بدءوا أعمال بنائه حوالى سنة ٨٠٠ ميلادية .. وقامت بتلك الأعمال جموع كبيرة من



منظر عام لمعبد بوروبودور ، وتظهر فيه المصطبات الأربع العلوية ... الدائرية الشكل .

الرعية .. ولولا ذلك لما أمكن اكمال تلك الأعمال في تلك الفترة المحدودة من الزمن (٦٠٠ – [illegible]) والصرح الذي تمخضت عنه جهود تلك الجموع صرح عملاق بحجمه ، رائع بتماثيله ونقوشه .. ويعجب المرء أكثر ما يعجبه لقيام تلك الجموع ببناء هذا المعبد طواعية ، وبدافع من أنفسهم ، أي أن أعمال السّخره لم يكن لها أي وجود في تشييد معبد بوروبودور .. ولا ندري ان كان ثمة معبد آخر في أي بقعة من بقاع العالم .. تم بناؤه تبرعا ، وبدافع من المشاعر الدينية فحسب .. دون أي ضغط من الحكام ، ودون طمع في أجرة أو مكافأة ...

المملكة الخيرة والدين

فالمشاعر الدينية التي [illegible] قلوب حكام الجبل عمرت قلوب رعاياهم أيضا .. فكانت حياة البحبوحة والسعادة التي نعموا بها .. وكان المجتمع المتحد والموحّد ، وكانت الجهود المتواصلة وأعمال البناء المرهقة ... كل ذلك بدافع من المعتقدات والمشاعر الدينية .

بيد أن النزعة الدينية في جاوة اختلفت عما سواها ، في أن ملوك الجبل لم يحكموا باعتبارهم آلهة أو الورثة الشرعيين للحكم الالهي .. وانما تبعا لرصانة

خلقهم وسمو مبادئهم . . أي أن الفضيلة - لا القوة - هي التي بعثت على تأليههم من قبل رعاياهم ، فأسياد الجبل كانوا رهبانا - في نظر رعاياهم - قبل أن يصبحوا ملوكا وآلهة . .

الحياة اليومية والثروة :

ولعل لثروات جاوة الطبيعية أثرا كبيرا في تلك الحياة الهانئة التي عاشها أهلها في ظل ملوك الجبل . . فقد أنتجت الذهب والفضة ، وترس السلحفاة العظيم ، والعاج ، وقرون وحيد القرن . . وهي التي أقبل على الافادة منها الرجال باعتبارها مقوي جنسيا . . .

على أن غنى جاوة هذا لم يغير من واقع بيئتها في شيء . . فقد كثرت فيها الغابات والأحراج ، وبالتالي الأخشاب ، فكانت منازل أهلها خشبية . . حقا كانت كبيرة كالحصون . . ولكنها بنيت من خشب - لا من حجر - باستثناء المعبد الكبير .

فهو الصرح الوحيد الذي بني من حجر . . وهو الأثر الوحيد الذي بقي ليحدثنا عن حضارة سادت ثم بادت . . .

وكانت سطوح المنازل الخشبية من أغصان الشجر وأوراقه . . سعف النخيل بخاصة ، ومن طريف ما يذكر هنا أنهم كانوا يحفظون طعامهم في السقوف وذلك بقصد وقايته من الفئران والحشرات . . ومعنى هذا أنهم أكثروا من استعمال السلالم الخشبية . . اذ لم يكن لهم غنى عنها ، لا قبيل تناول الوجبات ولا بعدها . . هذا بالاضافة الى استعمالاتها الأخرى العديدة . . .

وقد عرف أهل جاوة (قبل حوالي ١٠٠٠ عام أو يزيد) القراءة والكتابة . . وكان لهم إلمام بعلم الفلك والهندسة . . والبناء . . والفنون عامة والزخرفة بخاصة . . الا أن آثارهم المدونة بادت هي الأخرى . . ما خلا جدران معبد بوروبودور الحافلة بمختلف السجلات والمعلومات . . . .

وكان لبيئة جاوة أثرها في طرقها ووسائط نقلها . . فهي بيئة بركانية ، يبلغ عدد براكينها النشطة ١٠٠ أو يزيد . . أما الخامدة فحدث ولا حرج ، ولا يخفى ان مهمة انشاء الطرق في بيئة بركانية صخرية كهذه مهمة عسيرة للغاية ، لا عجب اذن ان كانت طرقها



خريطة تبين موقع بوروبودور في جاوة

بدائية . . وكذلك وسائط النقل التي استعملت تلك الطرق . . .

من تلك الوسائط العربات التي سارت على ٤ دواليب وجرتها الجواميس . . وكانت خاصة بالشحن . . شحن مواد البناء والمواد الغذائية في الغالب ، ويشهد السياح من أهل الصين الذين زاروا جاوة في تلك الأيام أن الحمولة التي حملتها تلك الطرق كانت كبيرة جدا . . وكفيلة باتلاف تلك الطرق حتى لو كانت جيدة أصلا !

معبد بوروبودور (الصرح العظيم)

يقع في سهل كيدو . . في جنوب الجزيرة وأواسطها . . ولا يبعد أكثر من ٣٢ كيلو مترا عن جبل ميرويي ، البركان النشط الذي لا يقل ارتفاعه عن ٢٩١٢ مترا . .

وكتلة المعبد ضخمة ، وتبلغ ٥٦٦٤٠ مترا مكعبا من الحجارة . . وقد أقاموه على تل طبيعي سهّل معه جعل المعبد كاهرم الذي تلفه المصاطب ، والشكل مربع عند القاعدة ، يبلغ الضلع الواحد منه ١٢٣ مترا ، ويصعد عند منتصف كل ضلع درج . . يقطع في طريقه المصطبات الأفقية ، ويظل شاقا طريقه حتى يبلغ الذروة على ارتفاع ٣١ مترا . . . .



نقش آخر من نقوش المعبد الضامرة وهو يصور القروين من أهل جاوة ، وهم يتقدمون من أحد الرهبان بهداياهم

ويحفل المعبد بالتماثيل ، ٤٤٠ تمثالا للتحديد ، أكثرها لبوذا .. وتحتشد جدرانه بالنقوش القليلة البروز .. وهى تشغل ما لايقل عن ٢٥٠٨ أمتار مربعة من تلك الجدران .. هذا الى جانب الألواح الحجرية ، أو إن شئت السجلات والكتب المقدسة ولا يقل عددها عن ١٨٠٠ لوح ، ويزدان البنيان بما يشبه الأجراس Stupas ويتوجه على القمة الجرس الأكبر (انظر الرسوم) على أن الصرح ليس بنيانا فحسب ، وإنما هو قصيدة الفنّية .. أو ملحمة تذكر وتفصِّل المعتقدات البوذية . . .

والجدير بالذكر أن هذه المعتقدات أقرب الى الأخلاق وصقل النفوس والسعى الى الفضيلة منها الى الدين بمعناه الدقيق .. وهى تحث اتباعها على طلب التنّوُر اسوة ببوذا .. الذى لا يعنى اسمه سوى المستنير .. والسعى الى التنّوُر هذا يقوم على ٤ حقائق . . .

الأولى : ان الألم أو المرض قائم لا شك فيه . . والحقيقة الثانية هى ان لهذا المرض سببا .. وان فى الامكان الشفاء منه .. وتلك هى الحقيقة الثالثة أما الحقيقة الرابعة فهى السبيل الى التنّوُر .. وقوامه ثمانية مبادىء ، وهو كفيل بايصال المرء الى (النرفانا) حيث تبلغ النفس أقصى الطمأنينة ، والحالة المثالية التى تنشدها البوذية . .

وما المصطبات التى تلف المعبد الا المراحل التى يجتازها **البوذى فى طريقه الى التنّوُر ثم النرفانا** .. حيث يتجرد المرء عن جسده وتتحد نفسه ببوذا .. ويبلغ عدد المصطبات عشرة .. الست الأولى تحضيرية أو اختيارية ، **يثبت البوذى باختيارها فى أهليته للتقدم** والارتقاء فوقها والسير على صراط النيل الثماني المعالم .. حتى يصل الى مرحلة التنّوُر .. وحسبنا بتسمية هذه المعالم الثمانية ، فاسماؤها تدل على معانيها :

* معرفة سوية ، * نطق سوى ، * أسباب لطلب الرزق سوية ، * تحكم بالفعل السوى ، * تفكير سوى ، * سلوك سوى ، * مجهود سوى ، * وتأمل سوى . .

أما المصطبات الست الأولى فذات شكل مربع . . وتمثل المراحل التى يمر فيها البوذى ليتخطى جسمه وما فطر عليه من رغبات وغرائز . . .

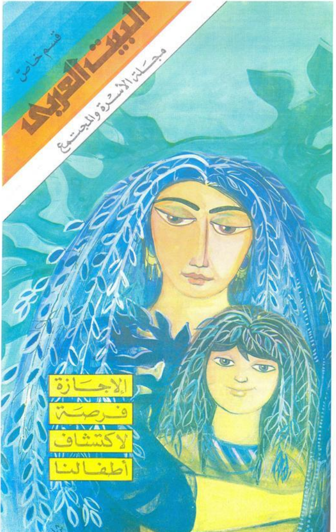
وأما المصطبات الأربع العلوية وشكلها دائرى ، فتمثل **مضىَّ البوذى فى التجرد المتزايد عن المادة** ، وانسحابه المتزايد أيضا فى العالم المحسوس ، وخلاصه من اللذة والألم وباختصار فهى تمثل دخوله الروح بالتدريج .. ولا يبلغ **البوذى** مرحلة التنّوُر الا فى المرحلة (أو المصطبة) السابعة . . . ولا يتسنى له المزيد من طُهر وتوطيد الا فى المرحلتين (او المصطبتين) الثامنة والتاسعة .. وتأتى المصطبة العاشرة فوقها جميعاً .. فهى المصطبة الرئيسية التى تضمن للبوذى الاتحاد مع فكرة الألوهية فى سكونها الأبدى . . .

ولعل من الواضح أن الطريق الى التنّوُر ومن ثم النرفانا غير محدد المعالم فى **المذهب البوذى** على الأقل .. **المذهب الجاوىّ من البوذية** ، فالأمر متروك الى الأفراد ، ولكل فرد أن يشق طريقه بنفسه وباجتهاده .. من ثم كان مصير الفرد مسؤليته وحده .. وكانت النرفانا حالة نفسية فردية كادت أن تكون اعتباطية . . .

فهذا التعدد .. وهذه التجزئة فى المثل العليا الدينية ، هى التى أدت مع الأيام الى التجزئة السياسية .. وانهيار حكم ملوك الجبل .. . وهكذا بادت حضارتهم من بعد أن سادت .. ولم يبق من أثر لها سوى المعبد العظيم (بورو بودور) □



إسمعها
أكثر نقاءً مع توشيبا
صنع باليابان
TOSHIBA
RT-SX85
RT-SF75
BOMBEAT SX85
DOUBLE REVERSE
BOMBEAT SF75
DOUBLE REVERSE
RT-SX55
RT-SF55
RT-675S
RT-170S
RT-75S
BOMBEAT SX55
BOMBEAT SF55
BOMBEAT 675
AUTO REVERSE
BOMBEAT 170
AUTO REVERSE
BOMBEAT 75
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN


البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع
قسم خاص
الإجازة
فرصة
لاكتشاف
أطفالنا



الإجازة

فرصة لاكتشاف أطفالنا

بقلم : زينب الكردى

« بدأت الاجازات .. وأطل الصيف برأسه ، وامتلأت بيوتنا بكل متاعب الاجازات ومشاكلها .. ماذا نفعل مع أبنائنا .. صغارا وكبارا ؟

وكيف تتحول الاجازة الى حلقة من حلقات التربية والتوجيه والرعاية ؟

هذه محاولة للاسهام بتصور عن هذا الدور المهم .

تعد الاجازة - بالنسبة لمعظم الامهات - مطباً سنوياً لابد منه ، مطب يأتي بالراحة الكاملة الى حد الملل أحيانا لكل فرد في الاسرة ، وبالارهاق والقلق والصداع بالنسبة للأم ، فهي لاتكف طوال النهار وجزءا كبيرا من الليل عن الصراخ في وجه هؤلاء « القردة » الصغار . . . والصغار بدورهم معذورون ، ففي داخلهم طاقاتٌ تبحث لها عن مخرج ومتنفس ، فاذا ماعجزت عن ايجاده بسبب الأوامر والنواهي المستمرة ، أو الانغلاق طول الوقت داخل الغرف الاسمنتية ، كان لابد أن تعبر عن وجودها من آن لآخر بافعال مشيبية نراها نحن الكبار غير معقولة أو محتملة .. طبيعي جدا أن يتشاجر بعضهم مع بعض معظم الوقت .. وأن يقلبوا البيت رأسا على عقب .. وأن تعلو أصواتهم .. وأن .. وأن .. وأن . . .

والسؤال هو : ماهي الطريقة المثلى التي تتيح لهؤلاء

الصغار التنفيس عن طاقاتهم المخزونة بشكل ايجابي وبنّاء ؟ . كيف نملأ أوقات فراغهم ، ونحميهم من الضياع والتسكع في الطرقات بلاهدف ، وقد ينجرفون بعيدا عن عيون الأباء والأمهات الى طريق لم يخطر لهم أبدا امكانية الانجراف اليه ؟

مكان خاص

والاجابة ليست سهلة ، فهي تحتاج أولاً لأبوين يتمتعان بقدر كبير من الوعي والثقافة ، والأهم من هذا وذاك أن تكون لديها القدرة الكافية على الصبر والتصرف بذكاء . . .

اذا كان لديك ياسيدتي الأم أطفال صغار تتراوح أعمارهم مابين الخامسة والعاشرة ، فاعتقد أن مهمتك ستكون صعبة الى حد ما ، فالطفل في هذه المرحلة يصعب عليه الانصياع الكامل للأوامر ، بل يضيق بها لأبعد حد في فترة الاجازة اذ يرى أن من حقه أن يستمتع بها لأبعد مدى ، فهو يريد تنفيذ طلباته حالا ، ولا يهمه ان كانت الظروف تسمح أم لا . . وحتى لو حاولت أن تشرحى له فلن يفهم ، الا انه يريد ان يذهب الآن وفورا ، وقد يلجأ للبكاء من باب الضغط حتى تذعنى لطلبه .

وبينما يسهل على الأم تكليف ابنها البالغ بعمل شيء ما ، يصعب عليها أن تفعل نفس الشيء مع طفلها الصغير ، فهو سرعان ما يمل ، ويبحث عن شيء جديد يزاوله . . وفي الوقت الذى تشغل فيه الفتاة البالغة في قراءة قصة أو رواية ، أو حتى في مساعدة أمها ، لاتجد الصغيرة ما تفعله . . لقد مشطت شعر دميتها أكثر من ثلاث أو أربع مرات ، وهاهى الآن لاتجد ما تفعله ، الا « مناكفة » الأم بأسئلتها الكثيرة وطلباتها التى لاتنتهى . . . ماالعمل ؟ . .

الأطفال في مثل هذه السن ينبغى اولاً وقبل أن نشكو منهم أن نخصص لهم غرفة خاصة لألعابهم ومتعتهم البريئة . . غرفة بسيطة الأثاث مليئة بالألعاب المسلية . . .

. . من الممكن أن تكلفى أكبر أطفالك سناً برعاية اخوته الصغار ، وتشجعيه على ذلك بقولك مثلا : انت الآن ستقوم بدور«بابا». . ستلاعبه وتحنو عليه وتسير له القطار ، لأنك اكثر خبرة منه في مثل هذه المسائل . . انها فرصتك لتشعريه بالمسئولية تجاه من يصغرونه ، وتأكدي أنه سيحاول ـ بكل طاقته ـ أن يؤدى دور أبيه على أكمل وجه ، لينال رضاك ورضا أبيه ، وياحبذا لو أشرت لهذا في جلساتك العائلية الضيقة ، أعنى عن حنانه وأبوته الروحية لاخوته . . كل المطلوب منك أن تتأكدى من عدم وجود مواد قابلة للكسر أو الاشتعال بالغرفة ، وأن تضمنى أن لايتسلق أحدهم ليصل الى مكان مرتفع قد يشكل خطورة عليه لو انه ـ لاقدر الله ـ سقط منه ، وهذا يعنى أن تغلقى النوافذ والشرفات بحيث تحتفظ الغرفة بإضاءتها الطبيعية ، أما اذا كانت ابنتك هى أكبر أولادك فسترحب بهذا التكليف ، وتسعد به وتؤديه أكثر مما تصورت ، ففي داخل كل طفلة أم صغيرة دائما . . .

لكن . . . هذا لايعني أن تسجنيهم داخل جدران غرفتهم بحجة الانشغال الدائم . . لابد أن تأخذيهم من وقت لآخر في جولة على الشاطىء . . الى النادى . . حديقة الحيوان أو حتى مجرد المشى العادى في الأسواق القريبة من البيت ، فمن المهم جدا أن يعيشوا طفولتهم بانطلاق ، وأن يحتكوا بالعالم الخارجي الذى سيصبحون جزءاً من نسيجه مع الأيام

تذكرى ياسيدتى الأم أن تخصيص غرفة خاصة للعب الأطفال مسالة ضرورية جدا ، فهى أولا ستتيح للطفل أن يلهو بانطلاق ، بعيدا عن نواهى وتدخلات الكبار ، كما ستتيح للأم أن تنصرف لأعمالها البيتية بهدوء ، مع ضمان عدم الجهد المتصل بترتيب حجرات البيت الأخرى ، ثم انك لن تكونى ملزمة بترتيب غرفتهم تلك ، فهى مسئوليتهم وحدهم التى يجب أن تدربيهم على تحملها ، بدون ضغط في البداية ، حتى يعتادوا على ذلك ، وتصبح جزءا من سلوكهم اليومى العادى ، واياك أن تسمحى لهم بالنزول مع أولاد الجيران للهو أسفل البناية،خصوصا اذا لم تكن البناية محاطة بسياج يحميهم من مخاطر الطريق ، طبعا اذا كانت هناك حديقة

ملحقة بالمنزل سيكون الأمر سهلا وممتعا لكل الأطراف ، فأنت لن تشعرى بالخوف عليهم ، وهم سيتاح لهم اللعب في ظل مناخ صحى متجددا لهواء ، بالاضافة الى امكانية ممارستهم العابا يصعب عليهم ممارستها داخل البيوت أو في الشارع ، ككرة القدم ، وبناء البيوت بالمكعبات الخشبية ، والاهتمام بنباتات الحديقة وأزهارها مما يجعلهم يلتصقون بالطبيعة ويحترمونها ، ويتيح لهم تنمية عضلاتهم الحركية التى تحتاج للنمو في هذه المرحلة .

عزلة الكبار

اما البالغون حتى من الذكور فأمرهم سهل ، فهؤلاء يمكن التعرف على اتجاهاتهم ومساعدتهم على حل مشكلاتهم .. صحيح أن بعضهم يتقوقع على نفسه ، ويحاول أن يخفى عواطفه ، الا أن الأم الواعية التى عودت أولادها على أن تكون صديقة لهم قبل أن تكون أما ، يمكنها أن تسبر غور المراهق والمراهقة دون عناء كبير .. وقد تقولين : مالعمل وأنا أجد صعوبة في اجبار ابنى على ملازمة البيت ؟

وأقول لك : ولماذا تلزمينه بهذا ؟ .. صحيح انك لاتعرفين نوعية صداقاته ، وصحيح أيضا انه كمراهق يحاول تأكيد ذاته ، يرد عليك اما بعنف او بالتواء لو حاولت منعه من صداقاته التى لاتعجبك ، لكنك كأم لايزال بيدك أن تفعلى الكثير ، المهم أن لاتثيرى رغبته في التحدى ، لأن المراهق اذا نجح في تحديه مرة واحدة لن تردعه اى قوة أو نصيحة بعد ذلك ، وسيتمادى أكثر وأكثر ... لذا عليك أن تحاولى معه بنعومة .

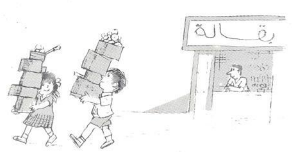
دعى والده يشركه معه في أعماله ، فاذا كان تاجرا قال له على انفراد وبصداقة مشوبة بالثقة : ستشرف أنت على أعمالى ، وستساعدنى ، فأنا أحتاجك .. انا واثق انك وحدك من أعتمد عليه في تسيير الأمور ، بالشكل الذى يساهم في تطوير العمل.. ومن الممكن أن تشغليه بالتدريب على القيادة ، فإذا كان يجيدها فكلفيه‌ان يؤدى لك بعض الأعمال بالنيابة عن أبيه ، أو أن تشركيه في حل بعض مشاكلك البيتية البسيطة التى تعلمين سلفا انه يمكنه القيام بها ، لأنها في حدود تجاربه وامكانياته ، حتى لايشعر بالفشل والاحباط .. ممكن أيضا أن يطلب منه الوالد وضع الخطوط الأساسية لرحلة الى مكان ما ، على أن يستشير معه اخوته . أن يقول له ان ظروف عمله لن تسمح له بأن يفعل ذلك ، وعليه أن يفعل بالنيابة عنه .. يمكن تشجيعه على القراءة بترك نوعية من الكتب ، تتناول موضوعات يحبها في طريقه ، أو اشراكه بأحد النوادى ليمارس رياضته المفضلة أو هواياته التى يحبها .. لو كان يحب العزف على آلة معينة اشتريها له ، واذا كان يحب الرسم وفرى له الألوان والفرش .. المهم أن توفرى له كل الامكانيات التى يحتاجها ، ليقضى اجازة سعيدة ومفيدة في نفس الوقت .

لكن .. ماالعمل اذا اكتشفت أن ابنك قد تورط فعلا في علاقات حميمة مع بعض أصدقاء السوء ... هنا انبهك الى خطأ يقع فيه معظم الآباء والأمهات ، وهو أسلوب المنع بالقوة ، العنف في حالته لن يفيد ، فهو ربما يكون قد جرب الغواية فعلا وذاق متعتها المضللة .. سيزيد موقفكم السلطوى عناده ، وتمسكا بهم ، فنظرته للأمور تختلف عن نظرتكم ، والا ماكان قد تورط .. ان ثمة شيئا فيهم يبهره ويراهم اناسا مختلفين ، وقد يدرك بينه وبين نفسه أنهم على خطأ ، لكن شيئا خفيا داخله يجعله مبهورا بقدرتهم على التحدى السافر لكل القوانين والأعراف ، فإذا ماقسوت عليه ستسلمينه لهم لقمة سائغة .. المفروض - بمجرد أن تكتشفى حقيقة علاقاته - أن تصارحى أباه ، وتضعا معا خطة موحدة تبعده عنهم دون أن يشعر .. ضعى مثلا في طريقه كتبا تتناول سير العظماء والخالدين ، مكتوبة بأسلوب شيق وبسيط .. تظاهرى دائما أنك في حاجة لخدماته أثناء غيبة أبيه . أعطيه الثقة ، ودعيه يدرك أنه يمثل بالنسبة اليكما دعامة حقيقية من دعامات الأسرة ، وانك تعتبرينه الرجل الثانى بعد أبيه .. تحدثى في وجوده مع أصدقائك عنه باعزاز .. اشغليه في أى مجال يحبه ويهواه ، المهم أن لايشعر أبدا أنك تخططين لابعاده عن رفاق السوء ، بل ينبغى أن لاتثيرى لهذا

الموضوع من قريب أو بعيد ، ولعل هؤلاء الذين كانوا يعطون أبناءهم الذكور الحق في الخروج والتصرف بحرية خارج البيت ، يدركون الآن مدى خطورة هذا الاعتقاد ، خصوصا بعد ان انتشرت المخدرات بكل أنواعها ، وأصبحت سموم الاغراء والانحراف مغروسة في كل مكان تترصد أبناءنا ومستقبلهم وصحتهم ، وتنذر بالدمار ، لو غفونا عنهم لحظة .

البنات حنان وإسهام أكثر

بناتك أيضا من الممكن جدا أن يقمن بدور فعال في الاجازة . . دور يفيدهن كأمهات للمستقبل ، ويريحك أنت في نفس الوقت بعد عام دراسى كامل عانيت فيه كثيرا ، لذا أصبح من حقك أن تتمتعي أكثر منهن باجازة مريحة وسعيدة ، وزعي الاختصاصات عليهن ، حتى الذكور كلفيهم بعمل يتناسب مع أعمارهم وخبراتهم ، فإبنك الصغير مثلا كلفيه بشراء مايحتاجه البيت من البقالة القريبة ،وابنتك الكبرى مكلفة بإعداد الطعام ، على أن تكون شقيقتها التى تليها في العمر مساعدة لها ، وذلك لمدة أسبوع ، على أن يتبادلا المواقع الاسبوع الذى يليه . . . ابنك أو ابنتك الصغيرة جدا قولى لها أنت مديرة النظافة للبيت ، وعليها أن تجمع طفايات السجاير والأكواب الفارغة لتضعها في الحوض . . وحتى ابنك البالغ يمكن اقناعه بالمساهمة في اعداد المائدة ، ليبرهن لأخواته البنات أنه لايقل عنهن ذوقا ومهارة . . يمكنك أيضا أن تشغليهم بالاعمال البسيطة التى تحتاج لدقة ووقت ، مثلا مجموعة الصور التى كومتها في صندوقك الخشبى آن الاوان لتكلفى واحدا منهم بترتيبها في (إلبوم) خاص ، من أجل صيانتها ، ولتدريب حاسته الجمالية والتشكيلية . . أوراق الأسرة الخاصة كايصالات الدفع وعقود التمليك وأقساط السيارة ، كلها أوراق في حاجة الى ترتيب وتنسيق وجمعها في(ارشيف)خاص بها . . . وجهيهم في البداية برفق ، ثم دعيهم يكملون العمل باسلوبهم الخاص ، واذا كان أولادك من النوع الفوضوى ، خصوصاً فيما يتعلق بخزانات الملابس ، يمكنك أن تشجيعهم على تنظيمها ، بقولك مثلا : فلنر أيكم أكثر قدرة على انجاز هذا العمل ، للدرجة التى تجعلنى أقرر أن اترك له اختيار المكان الذى سنقضى فيه الاسبوع القادم ، بل ويخطط لها أيضا . . لكن قبل هذا يجب أن تكون خزانتك أنت أولا منسقة ومنظمة ، فبدون القدوة لن تجدى محاولاتك أبدا . . . □



جلدك هو كنزك

بقلم : الدكتور نبيل سليم

للجلد فصوله المتعاقبة كتعاقب فصول السنة ، فقد يكون جافا أو دهنيا أو مزيجا بين هذا وذاك ، أو مفرطا في حساسيته . لذا فإن جلدك سيطرأ عليه تبدل موسمي ، وهذا لن يحل عليك مرة واحدة ، وانما سيحدث بصورة تدريجية .

من الملاحظ أن معظم النساء لا ينتبهن الى أن جلودهن جافة كهواء الصحراء ، وهذا الجفاف غير ناشيء عن نقص في المواد الدهنية ، وانما عن نقص في رطوبة سطح الجلد ، وهي الطبقة التي تتألف من حراشف دقيقة دائمة التساقط ، كذلك فإن الجلد مغطى بغشاء حمضي ، يشكل خط الدفاع الأول ضد الجراثيم التي تهاجم الجلد باستمرار .

وعندما تقومين بغسل وجهك بالماء والصابون غسلا جيدا ، فإنك في الواقع تزيلين هذا الغشاء الواقي ، وتتركين جلدك بدون وسيلة دفاع لمدة ساعتين ، الى أن تقوم الطبيعة بنشر غشاء جديد .

ولكن مع أهمية الطبقات العليا من الجلد فإن التغذية تأتي من الطبقات الدنيا .

وعندما تصلين في عمرك الى منتصف العشرينيات تأخذ الأوعية الدموية الشعرية في الانقباض ، وهذا يعنى انقاص كمية المواد المغذية التي يحملها الدم الى جلدك .. ووسائل الانقاذ في مثل هذه الحالة هي التعويض بوضع مواد الترطيب ، ومن الحقائق أن عمل الأوعية الشعرية وعامل الرطوبة يقرران ميزان الجمال ، فاذا حدث نقص في الرطوبة جف الجلد وتراخى .

ولكن .. متى يشيخ الجلد الشاب ؟

في الواقع انه ليس هناك سنّ محددة يشيخ فيها الجلد مثل بقية أجزاء الجسم ، فهناك سيدات في الثانية والسبعين من العمر ، ومع ذلك فان حالة الجلد عندهن حسنة ، دونما حاجة لاستخدام اكثر من العناية الطبيعية ، الأمر يعتمد اذن على طبيعة الجلد ، فالجلد الرقيق الحساس الذي لا ينتج كمية كبيرة من الدهون معرض لآفات الجو ، ومثل هذا الجلد في حاجة الى الكريمات منذ أيام الشباب ، أما الجلد العادي حتى لو كان كثير الافراز للمواد الدهنية فانه يبدأ بالجفاف مع تقدم السن ، لا سيما اذا كان كثير التعرض للشمس .

وخير ما يميد الجلد الشاب هو الصابون والماء ساخنا وباردا ، وشيء من مواد التجميل والكريمات ، وعندما يبدأ جلدك في الجفاف عليك أن تقللي كمية الصابون ، وتزيدي الكريمات واللوسيونات ، أما بالنسبة للمناطق الشديدة الجفاف - أي تحت العينين وجانبي الوجه والعنق - عليك أن تستعملي الكريم الخفيف أو اللوسيون تحت مواد التجميل ، وليكن ذلك اثناء الليل ، ان الكريمات

والدهون لا تبقي الجلد متمتعا بدهن طبيعي ، أما الماء فانه يفعل ذلك .

والسيدة التي تكون حمراء البشرة وتعاني مشكلة الجلد الجاف ، فان بوسعها الوصول الى وسيلة لتشحيم جلدها باستخدام أي نوع من الكريمات .

وهكذا فانها إذا ما بدأت زينتها بغسل جلدها أولا ، فان الكريم يحل محل عملية الجفاف الاعتيادية التي يسببها الصابون الذي يصلح لغسل الوجه ، ان الجلد الجاف أو العادي يستفيد من الصابون المحتوى على المواد الدهنية ، وهناك نظرية تقول ان كثرة الاستحمام تجفف الجلد ، وتفسير ذلك هو أننا نعيش في عصر أصبحت نظافة الأجسام فيه بصورة دائمة من الامور العادية ، ومعظمنا يغتسل أو يستعمل « الحمام » يوميا ، كذلك فنحن أبناء هذا العصر معرضون لتبديلات مستمرة في درجات الحرارة والرطوبة ، لذا فإن عملية الاغتسال المنتظمة ، وكثرة استعمال الصابون والهواء الساخن ، تجفف الجلد ، وأسهل وسيلة لاستعادة الدهون الى الجلد هي دهنه بملعقة كبيرة من عسل النحل ، ممزوجة بكأس من الحليب ، ومخفوقة خفقا ، ثم اضافة الماء العادي الى هذا المزيج ، ثم بعد الحمام جففي جلدك بهدوء .

طبقات الجلد

ليس الجلد مجرد غطاء للجسم ، بل هو جهاز من أجهزة الجسم كبقية أجهزته الأخرى ، وله وظائف خاصة به ، وهو مرتبط بهذه الأجهزة ارتباطا وثيقا .

ويتكون الجلد من طبقتين ، البشرة ، والأدمة ، والزوائد الجلدية التي ترسو على الطبقة تحت الجلد ، وهذه الأخيرة تقوم بتثبيت الجلد وتسمح له بالتحرك لدرجة كبيرة .

والزوائد الجلدية هي الغدد العرقية ، والغدد الدهنية وبصيلات الشعر والأظافر .

والأدمة هي العامل المحدد « لثخانة » بعض المناطق من الجلد مثل راحة اليد وبطن القدم .

أما « أرق » جلد هو جلد أجفان العين ، بينما يكون جلد الظهر والكتف أكثر « ثخانة » نسبيا ،



ـ استعمال مساحيق الجمال
يجب أن يكون بنظام وحذر

وعموما تختلف « ثخانة » الجلد في المتوسط من نصف الى ثلاثة أو خمسة ملليمترات حسب مناطق الجسم .

وتختلف البشرة عن الأدمة اختلافا واضحا فالبشرة هي الطبقة الخارجية والسطحية ، وتتكون في معظمها من الجفاف أو الابثيليا « Epithelia » الذي يرص في طبقات قشرية وقرنية ، ولها مرسين « Ceratin » وهو أساس النسيج القرني .

والبشرة هي أرق طبقتي الجلد ، وهي الطبقة الخارجية منه ، وتتكون من أربع طبقات ، وفي بعض المناطق تتكون من خمس ، مثل راحة اليد وبطن القدم ، وتسمى الخامسة هنا بالطبقة الصافية « الرائقة » .

أشهر أمراض الجلد

في الصيف تكثر الأمراض الى حد كبير ، ولذلك يعتبر الصيف من مواسم الامراض الجلدية في البلاد العربية ، فكثرة إفراز العرق وزيادة حرارة الشمس وتجمع الناس أثناء العطلة الصيفية بالمصيف أو المعسكرات أو النوادي ، كل ذلك يدعو الى زيادة الأمراض الجلدية خلال الصيف . . .

ومن الامراض السائدة في الصيف .

الدمامل الصيفية او العرقية

تكثر الدمامل العرقية الصيفية ، وخصوصا عند الأطفال ، وعند الضعاف من الكبار ، ومرضى البول السكري والذين يعرقون كثيرا . . ويكثر حدوث الدمامل العرقية ، في الرأس والوجه ، ولكنها قد تصيب أي مكان آخر من الجسم . . وقد يكبر حجمها لدرجة أن تكون مؤلمة ، وتحدث تورما في المكان المصاب ،ويستلزم علاجها جراحيا . . وقد تتطلب مضادات حيوية وفيتامين (ب) المركب .

حرق الشمس

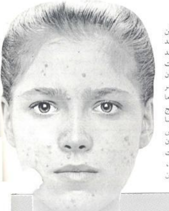
يكثر حدوثه صيفا ، وخصوصا في الاماكن المكشوفة ، وأثناء التعرض للشمس . . . ويظهر بعد قليل من التعرض للشمس في الحالات الحادة أو بعد بضع ساعات في اليوم التالي في الحالات « تحت الحادة » ويحمر الجلد . . ويصاحب ذلك حرقان بالجلد أو حكة . . وفي الحالات الشديدة تظهر حويصلات أو فقاقيع بها سائل رائق سرعان ما ينسكب ويتجمد في شكل قشور تخف بالتدريج وتسقط ، ثم « يتقشر » الجلد ويترك مكانه لونا غامقا ، وانصح مثل هؤلاء المرضى بعدم التعرض المفاجىء للشمس ، وخاصة في اليوم الأول ، ويكون التعرض بعد ذلك بالتدريج ، ويمكن وضع دهانات على الجلد تقي من ضرر الأشعة فوق البنفسيجة ، وقد تحتوى على الاكتيول أو الكينين أو الفازلين الأصفر أو مادة حامض « بارا امنيو بتزويك » بنسبة من ١٠ الى ١٥٪ في كحول أو كريم ، وذلك قبل التعرض للشمس .

العناية بالجلد الجاف

مساء : ينبغي للسيدة حتى لو كانت أكثر السيدات جفافا في الجلد أن تغسل وجهها ليلا ، بالصابون المحتوى على كمية وافرة من الشحوم والماء ، وأن تجففه بعد ذلك برفق بمنشفة نظيفة . وينبغي أن تتم عملية التجفيف بالتربيت لا بالمسح ، ويجب على الفور وضع مادة مرطبة خفيفة ، وبعد ذلك تضع السيدة شيئا من الكريمات الليلية حول العينين والعنق .

صباحا : استعملي الكريم أو المنظفات السائلة والمرطبات ، ولزيادة الفائدة ، ضعي كمية من الكريم حول العينين قبل وضع مواد التجميل .

ـ حب الشباب ليس مرضا وانما هو عرض لمرض اضطراب الغدد الدهنية



الجلد الدهني

هل تعرفين يا سيدتي أن كثيرا من النساء الراشدات فضلا عن الفتيات المراهقات يعانين من زيادة في المادة الدهنية في بشرتهن ؟

ان كثرة الدهون في الجلد تخلق بعض المشاكل الجلدية ، فهي تظهر الوجه حتى لو كان نظيفا ، بمظهر كريه ، وكأنه مغطى بالدهون ، ولذا فهو في حاجة دائمة الى التنظيف والتزيين ، فضلا عن أن الجلد الدهني كثير التعرض للاصابة بالبقع القبيحة ، واتساع المسامات وخشونة الملمس ، ولكن هنالك جوانب إيجابية في الأمر ، فإن الجلد الدهني إذا أحسنت العناية به كان أقل قابلية للتجعد ، فهو يحتفظ بمظاهر الشباب والنعومة أكثر من احتفاظ الجلد الجاف بها ، ومع ان البشرة الدهنية تحتاج الى مزيد من التنظيف ، فإن الصابون القوي ذا القدرة الكبيرة على التجفيف يجعل مثل هذه البشرة أشد تزييتا ، ان للطبيعة أساليبها في التعويض : فكلما كثر مقدار الدهن المزال عن طريق التنظيف ، ازداد عمل الغدد المفرزة للمادة الدهنية لكي تعوض النقص ، ان النساء اللواتي يكثرن من الاستعمال المنتظم للمواد القابضة للجلد مثل الكحول انما يرغمن جلدهن على ارهاق نفسه في العمل لانتاج المواد الدهنية ، كما أن للشابات مشاكلهن الخاصة التي تنشأ عن البشرة الدهنية .

حب الشباب

ان نشاط الغدد والافرازات الدهنية تصل الى ذروتها أثناء المراهقة ، ثم يتناقص هذا النشاط شيئا فشيئا وتقل الافرازات تدريجيا .

والاشراف الصحيح انما يتجلى في النظافة الشديدة ، وأي تقصير في هذا يصيب الشباب والشابات بمشكلة حب الشباب .

ان هنالك أربعة أسس طبية لحب الشباب ، وهي الحالة الجلدية المحاطة بالشائعات والخرافات .. هذه الأسس هي :

١ - العامل الوراثي .

٢ - الارهاق العاطفي .. حيث انه يزيد الحالة سوءا .

٣ - الأغذية .. فقد تزيد أو تنقص من حب الشباب .

٤ - العناية الطبية الفورية .. شيء مهم .

وإياك .. إياك يا سيدتي أن تتولى أمر معالجة جلدك من أمراضه بنفسك ، فإن الجهل بهذا الأمر قد يخلق عاهة دائمة ، استشيري طبيبا اخصائيا في الأمراض الجلدية فذلك خير لك ولجلدك .

وهنا يبرز السؤال الكبير والمهم : هل البثور التي نطلق عليها اسم حب الشباب ، هي حب الشباب فعلا ؟

نقول : ان هنالك اضطرابات جلدية مختلفة ، ولكن مشكلة الجلد العادية هي ما يطلق عليها حب الشباب وهو يحدث بدرجات متفاوتة ، وأسهل طريقة لمعالجة هذا الأمر هي اتباع قواعد الصحة والنظافة ، أي الغسل بالصابون مع ماء دافىء ، والتنشيف بقطعة قماش نظيفة ، واستعمال صابون محتو على مواد مطهرة مخففة قاتلة للجراثيم ، ثم يغسل الوجه بهذا الصابون وبعد التنظيف بالماء الدافىء ، يغسل الوجه مرة أخرى بالماء البارد ، لكي يكون ذلك عنصراً قبضياً للجلد .

واذا كان الجلد مغطى ببثور ذات رءوس سوداء ، فعليك أن تغطي المنطقة المصابة بمستحضر محتو على الكبريت « الريزورسين » ويكون ذا لون يشبه لون الجلد الطبيعي .

حب الشباب .. ليس مرضا

حب الشباب ليس مرضا وانما هو عرض ينشأ عن اضطراب في عمل الغدد الدهنية ، ان هذه الغدد تفرز مواد دهنية لتطرية الوجه والظهر ، فإذا أقفلت فتحات هذه الغدد لسبب ، وتعذر وصول المادة الدهنية الى الجلد ، تكونت سدادة هي النقط السوداء التي تظهر على رؤوس البثور ، وتحدث مشكلة ثانوية عندما تتكاثر الجراثيم في الغدد المسدودة وتحدث فيها الالتهابات ، وفي الأحوال الطبيعية تنفتح السدادة تلقائيا ، وتقذف بالنفايات الى الخارج . □

هو ....

أبناؤنا

لا اعرف ماذا أصاب زوجى على كبر ، فيبدو أن تقدم العمر بنا يجعلنا أكثر تشبثا بالحياة ، وتطفو فوق سطح مشاعرنا نوازع الأنانية وحب الذات ، وتختفى الاثرة والتضحية .

تزوجنا منذ اثنين وعشرين عاما ، وبعد تسعة أشهر وضعت أول أبنائى .. يومها ذهب زوجى واشترك فى نظام تأمين .. وبدأ فى سداد بوليصة تامين على الحياة ، ومرت بنا الأيام ، وأصبح لابنى الأكبر شقيقتان .. زوجى يعمل ليل نهار .. من اجل أن نضمن مستقبلا أفضل لأبنائنا .. وأسعدنا الله وأعطانا ، ووفق أبناءنا فى دراستهم ، والتحق الثلاثة بكلية الطب .. وصار جيرانى فى البيت ينادوننى بأم الثلاثة أطباء .. ولم يقل لى أحد .. بقدر ما أدركت بفطرتى أنه من الضرورى أن نضع القرش على القرش .. وأن أدخر بقدر ما أستطيع .. ومهما بلغ بى الجهد فغدا سيحتاج أبنائى الى كل قرش .. ابنتان على وشك الزواج .. والثالث يحتاج الى مظهر طيب ، وحسمت المسألة فى ذهنى ليس مهما بالنسبة لى ولأبيهم الا الطعام فقط لكى نبقى ، أما ، عدا ذلك فكله للأبناء ، قضيت أكثر من شتاء بفستان واحد ... وطوال الصيف أبدل فى فستانين فقط .. وكثيرا ما اهتاج ألم عظامي . .وتصبح مراجعة الطبيب ضرورة حتمية .. ولكننى استعيض بالوصفات البلدية .. وبعض المسكنات ، وأوفر قيمة كشف الطبيب وأجر الدواء .. قليل أو كثير من الألم لايهم .. المهم أن أوفر كى أضمن لأبنائى مستقبلا افضل قليلا من مستقبلنا .. وتثور الخلافات بينى وبين زوجى .. اقول له:أوليس هؤلاء أبناءك كما هم أبنائى ؟ أوليس المفروض فى الآباء أن يضحوا كثيراً من أجل أبنائهم ؟



انتهت مدة بوليصة التأمين ، وقبض زوجى قيمتها كاملة .. وفى جلسة عائلية ضمتنا جميعا ، طلب ابنى الأكبر سيارة ، وطلبت الفتاتان بعض الملابس .. وقلت أنا : فلنشترِ لابننا سيارة .. وبعض الملابس للبنتين ، ثم نقسم المبلغ الباقى ونضعه فى حساب توفير باسم الأبناء ، فاذا حان موعد زواجهم استطاعوا تأثيث بيت ، وثار زوجى .. واعترض .. وفى اليوم التالى فوجئت به عند عودته وقد اشترى لنفسه بعض البدل .. ولى كثيراً من الفساتين وبعض الحلى .. وانفجرت فى وجهه ثائرة غاضبة ، من أنانيته وتمكسه بالدنيا .. ونسيانه لأبنائنا .. وعدم قدرته على التضحية والحب ..

هي

إفــــراط

أسوأ ما يمكن أن يصيبنا فى حياتنا . . الافراط حتى نصل الى التفريط ، وأكثر ما نقع فيه بحسن نيه أن نتحول الى دبة . . تحب فتقتل صاحبها دون قصد ولا نية .

زماننا هذا غير جميل . . ولا نبيل . . زمان لم تعد قيم الأشياء فيه كما كانت . . ولا كما تعلمنا ونشأنا . . وكلما تقدمت الحياة وتطورت تغيرت فيها قيم الأشياء المادية أيضا ، فنقود الأمس غير نقود اليوم . . وعقارات السنين الماضية تقل في عائدها كثيرا . . .

ولهذا فانى عندما أفكر فى ماذا أترك لأبنائى ، أجد انه لاشىء أفضل وأعظم من علم واخلاق . . وهذا ما أفعله ، وما تثور من اجله زوجتى . .

التضحية ليست تعذيبا للنفس . . ولا عطاء مستمرا فياضا بدون معنى . . . وبدون حدود . .



اضحّي من أجل تعليم أولادى . . نعم . . اضحي من أجل تربيتهم واطعامهم ، نعم . . حتى لو كان هذا على حساب نفسي أنا وزوجتى . . ولكن أن تقول لى ضَحِّ . . من أجل رفاهية أولادك . . ضح من أجل أن يستمتع أبناؤك ونشقى نحن . . فهذا نوع من السخافة .

ليس منطقيا أن أشترى لابنى سيارة يذهب بها الى الجامعة . . وأذهب أنا الى عملى بوسائل المواصلات . . ليس عدلا أن يستمتع هو بسيارة ويصحب فيها اصدقاءه وزملاءه وأنا لا أملك الا بدلة واحدة للشتاء وقميصين للصيف . . وأمهم لاتذهب للطبيب من أجل ادخار ثمن الدواء ، أى تضحية هذه . . وأى أبناء هؤلاء . . . .

فى تصورى اذا كنت أريد لهؤلاء الأبناء أن يصبحوا رجالا . . ناضجين قادرين على الاعتماد على أنفسهم . . قادرين على رؤية الحياة والواقع والتعامل معهما بفهم ووعى . . اذا كنت اريد لهم هذا ، فلا بديل من الخشونة ، والاعتماد على أنفسهم ، وقديما لعن الناس جحا . . عندما ركب الحمار وترك ابنه يمشى . . ولعنوا عقوق الابن عندما ركب وترك أباه يسير على قدميه ، ولعنوا الاثنين عندما سارا وتركا الحمار . . هذه هى الحكمة الحقيقة . . ان كل الاشياء تخضع للنسبية . . وما يقابل تضحية الأباء هو عرفان وبر الأبناء . . كما لانرضى جحود الابناء . . علينا الا نرضى بافراط الأباء ، فكثير الحنان والحب يقتل . . تماما ككثرة الماء للزهور تخنق وتميت .

هــو

من الحياة

عندما "تصدمنا" السّعادة !

ماذا يصنع بنا الشعور المفاجىء بالسعادة ؟ هل يمكن ان تصبح السعادة « صدمة » ؟ وما أثر هذه الصدمة على نفوسنا وحياتنا . . ؟ ان صدمة السعادة هي المستحيل الذي تحقق ، أو هي الأمنية التي نحلم بها ، ثم لانلبث أن نراها أمامنا !

في صباح ذلك اليوم ، حاولت الجدة العجوز أن تتذكر كم مضى عليها وهي راقدة في فراشها بلا حراك . . كانت أشعة الشمس قد بدأت تتسلل الى غرفتها الصغيرة فتشيع فيها الدفء . . والتقت عيناها فجأة بالكرسي المتحرك الذي جاءوا به اليها منذ أيام ، ورفضت أن تجلس عليه ! ولكنها مالبثت أن قالت تحدث نفسها :

« ولم لا . . لماذا لا أجربه . . لماذا لاأنتقل معه الى مكان آخر ، بعيداً عن هذا الفراش الذي أصبحت أعيش معه طوال هذه الشهور التي انقضت منذ أن نقلوني اليه ؟ »

ومدت يدها تضغط على الجرس . . . وجاءت الممرضة مهرولة . . وقالت السيدة العجوز التي تقدم بها العمر : « أرجوك أن تساعديني على الجلوس فوق هذا المقعد . . إنني أريد أن أقترب من النافذة . . أريد أن ألقي نظرة على الشارع الذي حرمت من رؤيته منذ دخولي الى المستشفى . . أريد أن أرى الناس ، وأستمتع بصور الحياة التي ابتعدت عني طويلا ! » .

وحملوها الى المقعد ، فقد كانت ساقاها المشلولتان لا تقويان على حملها . . وجلست ، وراحت تدفع عجلتي المقعد بكلتا يديها ، حتى اقتربت من النافذة التي طالما التقت عيناها بها من بعيد ، وراحت ترقب السماء وهي تصفو وتكفهر ، وتصحو مع شمسها وتنام مع ضوء القمر !

ولكنها لم تر الشارع الذي توقعت أن تراه ، عندما استطاعت لأول مرة أن تنفذ بعينيها الذابلتين الى ماوراء هذا الحاجز الزجاجي . . . كانت هناك مفاجأة تنتظرها بعد هذه الرحلة القصيرة . . . فهي لم تر وجوها كما توقعت ، ولكنها رأت الطبيعة في أحلى صورها . . الأشجار الباسقة ، والطيور التي كانت تغرد فرحة بقدوم هذا الصباح المشرق ، والزهور الجميلة التي امتلأت بها الحديقة الواسعة التي تحيط بالمستشفى من كل جوانبه .

****

وأحست برعشة تسري في جسمها . . . وانتابها شعور غريب ، وهي تعود الى هذه الصور الجميله من



الحياة التي افترقت عنها منذ أكثر من أربعة اشهر عندما حملوها الى المستشفى اثر اصابتها بشلل نصفي .. ولم تشعر بشيء من حولها بعد هذا اللقاء المفاجيء .. فقد وجدت نفسها تعود مع ذكرياتها الى ذلك اليوم الذي كان بداية رحلتها مع المرض والألم .. لقد رحل زوجها وشريك عمرها هكذا فجأة وبلا مقدمات .. في المساء كانت الأسرة الصغيرة .. هي وزوجها وابنتها وحفيدتها يتناولون طعام العشاء .. وقال الجد : « إنني أشعر بتعب وأريد أن أذهب الى فراشي .. أراكم على خير في الصباح .. واقتربوا منه يقبلونه وذهب لينام » .

وكانت هذه هي آخر ليلة يرون فيها الرجل الذي احبوه وأحبهم وأفنى عمره كله من أجل اسعادهم .. ولم تحتمل الجدة الصدمة ، فسقطت هي الأخرى مصابة بشلل نصفي ..

مرت كل هذه الذكريات في رأسها سريعة متلاحقة ، وتمتمت في صوت خافت : « لقد كان رجلا طيبا » قالتها وهي تمسح دمعة لم تشعر بها الا وهي تجرى على وجنتيها العجوزتين .

ولكن فجأة أيضا تذكرت شيئا مهماً كاد يغيب عن ذهنها تماما في هذا الصباح فقط على الأقل .. تذكرت حفيدتها العروس التي لم يمض على زواجها أكثر من عام واحد ... انها ترقد الآن في مستشفى قريب جدا من حيث ترقد هي ، تنتظر الحدث السعيد الذي وعدت به جدتها . وهي تحتفل بزواجها من الشاب الذي رافقها وزاملها في رحلة دراستها الجامعية .. يومها قالت لها : « لاتقلقي ياجدتي .. فقد قررنا - زوجي وأنا - أن نهديك حفيدا جديدا في أقرب وقت » .

ووجدت الجدة نفسها تبتسم وهي تتذكر كلمات حفيدتها الصغيرة ، وكأنها تسمع صوتها .. وفجأة رأته قادما .. انه زوج الحفيدة الصغيرة .. وكان يمشي في خطا سريعة لابد أنه قادم اليّ .. انه وحده في هذه المرة .. انها أول مرة يأتي فيها لزيارتها دون أن ترافقه ابنتي .. ترى ماذا حدث ؟ »

ويصل الشاب أخيرا ، ويزف اليها النبأ السعيد : « لقد رزقنا الله بطفل جميل ياجدتي .. حفيدتك بخير .. والصغير بخير ، هل تعلمين انه يشبهك تماما ... »

ومدت الجدة ذراعيها تحتضن بها الأب الشاب الذي جاء يحمل اليها أسعد نبأ سمعته في حياتها .. وقالت وهي تغالب دموعها : « متى أراه .. متى تحملونه اليَّ .. أين ابنتي .. هل كانت الولادة طبيعية؟ » .

ـ كل شيء على مايرام .. وسوف ترين حفيدك الصغير قريبا .. سنحمله اليك بمجرد أن يسمح الطبيب لأمه بمغادرة المستشفى ! » .

* * * *

وفي هذا اليوم لم تغادر الجدة العجوز مكانها وراء نافذة غرفتها .. وبقي هذا حالها .. في كل صباح كانت تصحو مبكرة وتطلب الى الممرضة أن تساعدها على الجلوس فوق مقعدها ، ثم لاتلبث أن تتجه به الى مكانها الذي تعودت أن ترقب منه الزهور والأشجار ، وتستمع الى تغريد الطيور التي أصبحت تشاركها فرحتها بقدوم هذا الضيف الجديد الذي تعد الأيام والساعات الباقية على لقائها به !

وجاء اليوم أخيرا .. وراتهم قادمين اليها .. الأم الصغيرة وهي تحمل طفلها ، وقد سار زوجها بجانبها ومن ورائهم ابنتها ووحيدتها ..

واستدارت بمقعدها ، وراحت تنتظر ، وأحست في تلك اللحظة أن قلبها العجوز يكاد يقفز من بين ضلوعها .. بعد لحظات سيكون اللقاء الذي طال انتظارها له .. وعلى عتبة الباب ، وقف الجميع .. وصاحت الأم الصغيرة : هذا هو حفيدك الجديد .. إنه لم يشأ أن يذهب الى البيت قبل أن يلقاك ياجدتي .» .

ومدت الجدة ذراعيها .. ولكنها فجأة وجدت نفسها تترك المقعد ، وتقف على ساقيها المشلولتين ، وتتقدم بضع خطوات الى الأمام ، وهي مازالت مادة ذراعيها ، ودموع الفرح تملأ عينيها العجوزتين . ثم تحتضن الصغير وتضمه الى صدرها وتغرقه بقبلاتها .

وأخرست المفاجأة الجميع ... لقد دبت الحياة فجأة في ساقيها المشلولتين ، ولكن أحدا منهم لم يتكلم .. لقد وقف الثلاثة ينظرون اليها في ذهول ، وهي واقفة في مكانها مشغولة عن كل ماحولها بهذا الصغير ، أجمل وأحلى وأثمن هدية قدمها لها أبناؤ ها !

وفي هدوء تسلل زوج الحفيدة الى الخارج ، وأسرع يدعو الطبيب الذي يشرف على علاج الجدة : « أرجوك تعال بسرعة .. لقد حدث شيء مفاجيء .. لقد حدثت معجزة ! » .

وجاء الطبيب واقترب في هدوء من الجدة ، وقالت هي : انظر كم هو جميل هذا الطفل ، انه ابن حفيدتي ! ومد يديه يحمله عنها ، وقال : « مارأيك لو أننا أخذناه معنا في نزهة قصيرة في الحديقة » .

وسار الجميع .. لكنه شاء أن يكون في المؤخرة ، لقد كان يريد أن يراقب تحركات ساقيها في مشيتها ! .

ولم ينزلوا الى الحديقة ، لقد وصلوا الى نهاية الردهة ، ثم طلب اليهم أن يعودوا ، لانه على موعد مهم مع أحد مرضاه .. وعادوا .. وقال يخاطب الجدة : « أرجوك ان تعودي الى فراشك الآن » .

وعادت ، كما يفعل أي شخص سليم .. وعندما اتخذت لنفسها وضعا مريحا ، طلبت اليهم أن يعيدوا اليها الطفل ..

وعندما قال الطبيب : أنت أيضا ياسيدتي تستطيعين أن تغادري المستشفى لقد شفيت تماما ، ربما تحتاجين مستقبلا لبعض العلاج،أما الآن ، فانت بخير تماما ، فقد كانت فرحتك بقدوم حفيدك الصغير ، أقوى من كل علاج جربه معك الأطباء خلال فترة وجودك بيننا .

ولم تصدق الجدة ، لأنها حتى هذه اللحظة لم تكن قد أدركت بعد أنها تركت مقعدها ، ووقفت على ساقيها ، ومشت بها حتى نهاية الردهة ذهابا وعودة ، ولكن عندما سمعت حديث الطبيب ، أسرعت تحرك ساقيها وتنزل عن فراشها ثم ترتدي ملابسها تترك الغرفة التي قضت فيها شهورا طويلة ، ولكنها قبل أن تذهب اتجهت الى النافذة لتودع أشجارها وطيورها وزهورها التي عاشت معها أحزانها وآلامها .

يقول ايمرسون : « السعادة دواء .. انها تصنع بالمرء مايصنعه الحجر الذي يقذف به القدر ليحطم لوح الزجاج القاتم الذي لانرى من ورائه شيئا ، هذا البصيص من النور الذي ينفذ من حيث تحطم الزجاج فنرى من خلاله جمال الحياة ، هو السعادة بعينها » .

* * * *

وفي احدى المدن الصغيرة كانت ترقد طفلة لم تكمل بعد ربيعها التاسع في احدى المصحات،كانت جميلة رقيقة كالنسيم ، وكانت مصابة بداء السل الذي ينهش رئتيها .. الى أن كان أحد أيام الربيع ، عندما جاء أبواها يعودانها كما تعودا ان يفعلا كل يوم بعد أن ينتهيا من عملهما .. ونظر الأب الى وجه ابنته الشاحب ، ولكنه لم يتوقف طويلا كما تعود أن يفعل كلما جاء لزيارتها ، حاملا اليها الهدايا التي امتلأت بها غرفتها في المستشفى .. لقد خرج الأب مهرولا تاركا طفلته مع أمها التي جلست تحكي لها القصة الجديدة التي قرأتها بالأمس .. فقد كانت تحمل اليها في كل يوم قصة جديدة . . .

والتقى الأب بالطبيب الذي يشرف على علاج طفلته ، وراح يسأله في لهفة : « كيف حال ابنتي ياسيدي؟انني قلق عليها .. انها تزداد شحوبا يوما بعد يوم .. لقد مضى عليها الآن ثمانية أشهر وهي راقدة في فراشها تحت العلاج ، ولكنني لاأرى أي تقدم في صحتها ! » .

وقال الطبيب « لا أخفي عنك ان حالة طفلتك غير مطمئنة .. ولولا أنني أخشى أن تنتقل عدوى المرض الى أشقائها ، لنصحتك بان تعود بها الى البيت » .

ولم ينتظر الأب .. لقد عاد مسرعا الى غرفة طفلته ، وراح يجمع حاجياتها ، ولم تمض بضع دقائق حتى كان الجميع في الشارع .. الأب يحمل ابنته بعد أن حرص على ان يضع جسمها النحيل في ملابس ثقيلة تحميها من الهواء البارد ، والأم ممسكة بيدها الصغيرة التي كانت تلثمها بشفتيها بين الحين والحين !

وفجأة سأل الأب ابنته التي كانت تجلس فوق كتفيه : مارأيك لو ركبنا تلك العربة الصغيرة التي يجرها هذا الجواد الأبيض ؟ .

وضحكت الصغيرة وكأنها كانت تتمنى لو أنها ركبت هذه العربة التي كانت تمر بهم في تلك اللحظة .. ومضى الحوذى يشق طريقه بين الحقول الخضراء .. كانت الشمس قد اقتربت من الغروب وبدأ هذا القرص المضيء يختفي في الأفق .. وصاحت الصغيرة : « انظري يا أمي ان الشمس تغرق في البحر .. كم تمنيت لو انني رأيتها وانا نائمة في فراشي .. ولكن الأشجار العالية كانت تحجب عني هذا المنظر الجميل .. حتى عند الشروق في الصباح ، لم أكن استطع أن أراها ابداً وهي تخرج من رقادها الطويل أثناء الظلام » .

كانت تتحدث بصوت حلو امتزج فيه الحب بالسعادة التي كانت تحس بها الصغيرة في تلك اللحظة . . .

ومن بعيد شاهدت الأطفال يتجمعون أمام محل لبيع الحلوى والآيس كريم ، وقالت : هل استطيع أن آكل بعضا منها ؟ وأجفلت الأم وقال الأب بلا تردد : نعم ياصغيرتي .

وأكلت .. ومضت العربة تشق طريقها الى المدينة ثم الى البيت ، وكان لقاء حارا بين الشقيقة الغائبة وأخوتها .. لقد رحبوا بها وغنوا لها ورقصوا معها .. وانستها فرحتها بالعودة الى بيتها وأشقائها أن لقاءها بهم كان بلا قبلات !

ولم يمض على هذا اللقاء سوى بضعة أشهر ، عندما جاء الطبيب يعود الطفلة في البيت ، ثم نظر الى أبويها وقال :« طفلتكما سوف تشفى »

هل كانت معجزة ، تلك التي حدثت مع الطفلة الصغيرة التي يئس الأطباء من شفائها ؟ أبدا .. انها السعادة التي غمرتها .. انه المستحيل الذي تحقق .. انها الأمنية التي كانت تصحو وتنام وهي تحلم بها .. ان تعود الى الدنيا والى بيتها ووالديها واشقائها ..

قال فرانز كافكا يوما : لو عرف الناس أنهم بحاجة الى تكسير بحور الثلج التي تعيش في داخلهم ، لعاشت البشرية كلها في سعادة ليست لها حدود . □



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

تسخين الطعام هل يضمن السلامة ؟

لقد ترسب في قناعة كثير من الناس أن تسمم الطعام يأتي من ثعبان عابر نفث بعضا من سمه في الطعام ، أو بالتعبير الدارج على لسان العامة أنه شم الطعام ، وقد يعمد بعض آخر الى شم الطعام لتقصي أية رائحة غريبة أو كريهة ، بل ربما استعان بحاسة التذوق لاستطلاع طعمه اذا ما طرأ عليه اختلاف أو تغيير .

والواقع قد يفجع أمثال هؤلاء ، اذا ما علموا أن سم الأفاعي لا ضرر منه اطلاقا اذا ما دخل الجوف عبر الجهاز الهضمي ، شرط أن لايكون الجهاز الهضمي مصابا بجرح أو تهتك ، لأن سموم الأفاعي زلالية (بروتينية) التركيب ، لهذا فان عصارات المعدة والأمعاء تهضمها وتعطل طبيعتها السامة ، ولكن خطر سموم الأفاعي والثعابين بتسربها الى مجرى الدم عبر جرح ما ، غالبا ما يكون مكان وخز أنياب الثعبان السام ، مما ينتهي بتحلل كرات الدم الحمراء ، أو ربما تخثر سائل الدم ، واحيانا يؤدي الى شلل يصيب الأعصاب ، وليس في هذا أدنى شبه بصورة التسمم الغذائي المفترى عليه ، والمتمثلة بمغص شديد ، واسهال حاد ، وقيء متواصل ، أو ربما غثيان على أقل تقدير .

أما الفريق الذي يعتمد على حاستي الشم والتذوق لاستكشاف فساد الطعام ، فهو لايعلم أن الطعام الملوث ليس شرطا فيه أن تتغير رائحته ويختلف طعمه ، بل هو في غالب الأمر يبدو طبيعيا جدا ، لا رائحة ولا طعم ولا لون غريب فيه .

ن أغلب الناس قد يعمد الى تسخين الطعام من باب الحيطة والحذر ، وهم على قناعة تامة بأن حرارة التسخين كفيلة بالقضاء على كل الملوثات التي تفسد الطعام ، وتؤدي الى مشكلة التسمم الغذائي .

والحقيقة أن التسمم الغذائي بمعناه الطبي الشامل هو تلوث الطعام بأية مادة غريبة ضارة ، سواء كانت كيميائية أو حيوية ، غير أن الاتفاق الدارج يقصر هذا الاصطلاح على التلوث الميكروبي فقط ، حيث أن التسمم الكيماوي نادر الحدوث في يومنا هذا ، ويدخل في دائرة اختصاص الطب الشرعي ، حيث انه لايصير الا بفعل فاعل ، يضع السموم في الطعام

عن سابق قصد وعن سوء نية ، وهو ما ينضوي تحت بند الجريمة .

أما التسمم الغذائي الدارج فهو التلوث الميكروبي ، وهذا يتم على ثلاثة أشكال :

أولها : المكورات

وثانيها : العصيات

وثالثها : الميكروبات اللاهوائية المعروفة باسم البوتيولزم .

في يومنا هذا يبدو ان التسمم بالشكل الثالث (البوتيولزم) نادر الحدوث ، لأن سببه تلوث الأطعمة الجاهزة والمعلبات بميكروبات لاهوائية خطرة ، تسبب الشلل والموت العاجل ، وهذا أمر لم يعد له وجود ، بفضل الصناعة الحديثة التي يشترط فيها أن تجري تحت مظلة من النظافة والاشراف الطبي الدقيق .

والشكل الثاني هو تسمم يحدث بسبب تلوث الطعام بميكروبات عصيات السالموفيلا التي تتكاثر في الطعام ، بفضل عوامل الدفء والرطوبة والظلام ، ولكن طهو الطعام أو تسخينه كفيل بقتل هذه الميكروبات ، أما الشكل الأخطر هو الذي تسببه ميكروبات المكورات العنقودية أو المسبحية ، نسبة الى طريقة تشكلها على هيئة العنقود أو السبحة ، فهذه ميكروبات دقيقة تفرز سمومها في الطعام ، بينما هي تتوالد وتتكاثر ، فاذا ما جرى تسخين الطعام تموت هذه الميكروبات ، ولكن سمومها الفعالة لا تتأثر بالحرارة ، لأنها مواد كيماوية لا حية .

ومن هنا تبقى الخطورة كامنة بالرغم من تسخين الطعام ومظهره العادي الذي يوحي بسلامته ظاهريا ، فاذا بالضحية يعاني من أعراض التسمم الحادة (اسهال ومغص وقيء) خلال ساعات معدودات من تناول الطعام ، حيث لاينفع معها علاج ، ولكن الأعراض تختفي بعد قليل مثل ما بدأت عدء ، دون أن تترك أثرا سوى الاجهاد والانهاك ، اذا لم يكن التسمم شديدا يؤدي الى وفاة الضحية المسكينة ، وبخاصة عند الأطفال وكبار السن .

قد تختلط الصورة كثيرا مع صورة الكوليرا المرضية ، ولكن الطبيب الخبير يمكنه التمييز ، بعد التقصي الدقيق والتحليل المخبري ، ومن الجدير بالذكر أن ميكروبات المكورات العنقودية مصدرها تلوث الطعام من يد الطباخ المهمل للنظافة ، الذي لا يتورع عن اللعب في أنفه أو شعره ، أو المهمل لعلاج جرح أو بثرة ملتهبة في يده .

كما تعمل الحشرات والقوارض في هذه المأساة دور الناقل الآلي ، حيث تتردد مثل هذه المخلوقات بين دورات المياه وروث الحيوانات ، وبين الأطعمة المكشوفة ، والوقاية تتلخص في الحرص على نظافة القائمين على الطعام ، وسلامتهم من الجروح والقروح والبثور ، بالاضافة الى القضاء على الحشرات والقوارض ، كما لاننسى التأكيد على ضرورة تغطية الأطعمة وحفظها في الثلاجات ، حيث البرودة والأمان . □

بريد طبيب الأسرة

القولون المتوتر

● أعاني من الام حادة مبهمة تصيبني وتداهمني فجأة بين حين وآخر ، وتتركز في جانبي البطن مع معاناة من الغازات والانتفاخ .

لقد استعملت في علاج حالتي أكثر من دواء دون فائدة تذكر سوى الراحة المؤقتة،وقد قيل لي أن سببها القولون . فما هي قصة مرض القولون هذا ياترى ؟

ف . س / الكويت

ـ ربما كان هذا المرض أكثر أمراض الجهاز الهضمي شيوعا (٥٠ ـ ٦٠٪) شأنه في ذلك شأن نزلات البرد بين أمراض الصدر ، وقد يطلق عليه أسماء شتى في اللغة العربية منها : القولون العصبي أو القولون الحساس ، وكانوا فيما مضى يظنونه التهابا أو عدوى مزمنة الى أن اتفقت الآراء واستقرت على رأي يقول بانه رد فعل عصبي كامن في جدار القولون .

ان الجهاز الهضمي الذي يقدر طوله فيما بين ٩ ـ ١٠ أمتار ينتهي عادة بالامعاء ، والامعاء بعد المعدة جزؤها الاكبر هو الأمعاء الدقيقة التي تتولى عملية هضم الطعام وامتصاصه ، وهي بطول ٧ ـ ٨ أمتار ، ثم تنتهي في الجانب الأيمن من أسفل البطن بمايسمى الأعور ، وهذا يعمل كحلقة وصل بين نهاية الأمعاء الدقيقة وبداية الأمعاء الغليظة او مايعرف بالقولون . والقولون أربعة أجزاء تجري حول تجويف البطن : أولها القولون الصاعد الذي يبدأ من الأعور ويتجه الى أعلى داخل تجويف البطن من جهة اليمين ، حتى يصل الى اسفل الكبد ، يتجه مستعرضا تحت عضلة الحجاب الحاجز في اتجاه اليسار ، لهذا سمي بالقولون المستعرض ، وعند حدود تجويف البطن الايسر يهبط الى أسفل ، وقد اتخذ اسما جديدا هو القولون الهابط ، حتى يصل الى تجويف الحوض ، حيث ينتهي بالجزء الأخير والرابع وهو قولون الحوض . بعد ان يكون قد قطع مابين المتر والمتر والنصف طولا .

لقد وجدوا ارتباطا عصبيا في جدار القولون ، يتأثر بالانفعالات والضغوط النفسية ، مما يؤثر على توتر العضلات الصغيرة في جدار القولون الذي لامهمة له سوى الاحتفاظ بفضلات الطعام ، وامتصاص الماء منها ودفعها في اتجاه الشرج . هناك رأي بحساسية زائدة لجدار القولون ، بما فيه من أعصاب وعضلات ، لهذا فالاتفاق أن تركيب القولون عند المصاب سليم كل السلامة وانما الخلل كله في أداء وظيفته .

من هنا كانت المعاناة غير واضحة المعالم لدى مجموع المرضى حيث نجد الأكثرية تعاني من شعور بالانتفاخ والانقباض والآلام الغامضة وعدم انتظام اخراج الفضلات ، وربما عاني بعضهم من الاسهال ، بينما عاني الآخرون من الامساك ، ومن الملاحظ ان الأعراض تشتد وتزداد مع حالات التوتر النفسي والانفعالات العصبية ، لهذا يتجه الأطباء الى معالجة السبب الرئيسي للمشكلة ، بالاضافة الى مهدئات ومسكنات الآلام والانقباض .

ردود سريعة :

*** السيد يوسف ـ البحرين :**

ـ لم نفهم ماهية البقع السوداء في العين ، هل هي داخلية أم خارجية ، لهذا نعتذر عن الاجابة .

*** السيد م . ص ـ القاهرة :**

ـ النحافة لها أكثر من سبب ، ربما أهمها عدم كفاية الأكل والاجهاد والنشاط الزائد عن الحد ، كما أن العوامل النفسية قد تؤدى الى النحافة . وعلاجها هو ازالة السبب .

*** السيد ح . أ . أ . حلب ـ سوريا :**

ـ ربما كنت تعاني من أحلام اليقظة ، فهذه ليست أعراض مرض الفصام ، وهذا أمر مألوف في الشباب المراهق .

*** السيد سامر السباعي ـ حمص ـ سوريا :**

ـ ان مشكلتك سوف تنتهى مع انقضاء مرحلة المراهقة ، فلا تضخم معاناتك فتصبح مشكلة نفسية . ان طبيب الأمراض الجلدية لديه حلول لمشكلتك ، فاذا ترك حب الشباب أثرا فجراح التجميل كفيل بالأمر ، والعروق النافرة ربما كانت مصاحبة للنحافة فقط .

مساحة وُدّ

صَاحِبُ الألفِ وَجْه !

كان يعمل مديرا عاما لاحدى المؤسسات الكبرى .. وضع فيه أصحابها ثقتهم وسلموه أموالهم ومصالحهم يديرها كما يشاء ، وللحق كان مديرا ناجحا .. استطاع أن يحقق للمؤسسة نجاحا ضخما وازدهارا ورواجا .. وأن يزيد من رصيد أصحابها فى البنوك .. وأن يدخلهم فى مشروعات أكثر ، ويحقق فيها نجاحات أكبر ، ويستحق عنها عائدا أفضل .. كان تاجرا موهوبا بفطرته واداريا باحساسه .

ولكنه كان فى داخله شيطان .. له ألف وجه .. حَوّل موظفيه الى عيون وآذان ؛ كل منهم يتسمع على الآخر .. وينقل له ما يقول الآخرون ويفعلونه .. حتى السعاة وعامل « البوفيه » كانوا يجمعون له القصاصات المهملة من فوق المكاتب ، ويتنصتون على مكالمات الهاتف ..

كان يستغل حاجة الناس الى العمل .. وجهل أكثرهم بتفاصيل القوانين ، ويضع أسوأ شروط عمل للعامل .. ويتفنن فى سلب حقوقهم .. كان يفرح ويسعد بأنه استطاع أن يضحك على عامل فى مائة أو مائتين من مستحقاته مثلما يسعد بالآلاف .

فى جلساته الخاصة .. كانت آراؤه فى العاملين ليست طيبة على الاطلاق .. وعند مروره بردهات المؤسسة لا يلقى تحية ولا سلاما ، ولكن اذا دخل مكانا فيه رئيس مجلس الادارة وبعض العاملين . ولمح بذكائه أن الحديث يسير طيبا ، ويجد صدى لدى الرئيس ، فانه يتحول الى عامل بوفيه .. يطلب للبعض قهوة وللبعض شاياً .. ذهب رئيس مجلس الادارة ذات عام للحج .. فسافر فى نفس العام ، وأطلق لحيته ، وأصبح وقته موزعا بين قراءة القرآن الكريم والصلاة ...

هكذا روى موظفوه والقريبون منه ، يومها تساءل الناس كيف يقبل الله عز وجل صلاته وحجه وقراءته ، ويداه آثمتان تحرمان العاملين من حقوقهم .. وعرقهم وأموالهم .. وكيف يأتمنه صاحب عمل وهو يخون أمانة الله فى الأجراء والعاملين والبسطاء والموظفين الفقراء .. ولكنها أخلاق بشر .. لا ترى فى الكفاءة وحدها معيارا للأحقية .. ولكن التزلف والنفاق والرياء والقدرة على الخداع هى معايير أكثر أهمية عنده من الكفاءة ، وتصبح المسألة بذلك نظاماً كاملاً يفرز هذه الأخلاق .

محمود عبد الوهاب

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

التقويم والتقييم

جاءتنا رسالة من السيد / مغاولى موسى (العبادلة / بشار / الجزائر) يسألنا فيها أربعة أسئلة . .

(١) التقويم والتقييم أيهما الفصيحة ؟

٢) لام التقوية ، لم سميت كذلك وكيف نعرفها ؟

٣) (ال) متى تكون للتعريف ومتى تكون اسما موصولا ؟

٤) كل بدل يجوز ان يكون عطف بيان إلا في حالتين ما هما ؟

ونؤثر بالاجابة هنا السؤال الأول اذ كثيرا ما سئلناه شفويا وكتابيا طيلة سنوات ، وكان آخر ذلك من فريقين رضيا تحكيمنا : احدهما من موجهين للغة العربية هنا يصرون على تخطئة التقييم « بحجة انها لم ترد في نص قديم ولا في المعاجم ولأنها مخالفة للقياس . والفريق الثاني من اخوانهم وبعض اساتذة الجامعة هنا يصوبون الكلمة اعتمادا على نبذة (١) نشرناها في العربي / العدد ١٧٥ في يونيه / حزيران سنة ١٩٧٣ ، وأشرنا فيها الى تصويب المجمع اللغوي في القاهرة للكلمة والى حجته في أنها صواب . ونعود هنا اليها لزيادة كلمات جديدة نقيسها أو نقيمها على القاعدة نفسها مثل : « تدير الرجل المكان » والأصل « دور » ، ومثل : « التسييس » والأصل « سوس » و « جيّب » الثوب (أي اتخذ فيه جيوبا (جوب)

وحصيلة ما قلناه في تلك النبذة ان الواو اذا وقعت ساكنة بعد حرف مكسور قلبت ياء لتناسب الكسرة ، فاذا صغنا مثلا - من كلمة « وزن » أو « وقت » أو « وعد » « كلمات على وزن مفعال » قلنا : ميزان وميقات وميعاد ولا نقول : موْزان ولا موْقات ولا موْعاد.وهذه قاعدة صرفية مطردة ، ولا يستثنى منها الا ان يكون بعد الواو في الكلمة ألف ممدودة ، فإن الواو تبقى كما هي ، مثل : سوار ، شواء ، حوار .

نقول : قام يقوم قوما ، وعاد يعود عودا ، وتبعا للقاعدة الصرفيةالسابقة نقول : قيمة وعيد ونجمعها على : قيم وأعياد . والقاعدة العامة المطردة في الاشتقاق من هذه الألفاظ ونحوها ان نعود الى أصل الحروف في الثلاثى ، فاذا اشتققنا من قيمة « عدنا الى الاصل » (قوم) ناظرين الى الواو فنقول قوّمت الشيء .

ولكن لوحظ أن بعض العرب أهملوا النظر الى اصل الحرف في الجذر الثلاثى ، ونظروا الى حالته

الراهنة بعد ابداله في الكلمة ، فقالوا : عيّد الناس « بمعنى شهدوا العيد ، أخذا من كلمة « عيد » ولم يقولوا « عوّد الناس » اخذا من الاصل « ع و د » دفعا لتوهم ان الفعل من العادة ، لا من العيد .

ومن هذه القاعدة الخاصة اجاز المجمع اللغوي في القاهرة ان يقال : قيّمت الشيء « تقييما ، بمعنى حددت قيمته وذلك للتفرقة أو ازالة اللبس بين هذا المعنى وبين « قوّمته » بمعنى عدلته وجعلته قويما أو مستقيما ، و « تقييم » هنا افصح من « تقويم » لان الايضاح او إزالة اللبس اهم وظائف اللغة ، ولا معنى ، لفصاحة الكلام الا وضوحه .

والاشتقاق من كلمة كما هي في صيغتها الجديدة بعد تغييرها عن الأصل مثل قيمة ـ ظاهرة لغوية يسميها بعض النحاة « الاشتقاق على التوهم » ، ونحن نفضل ان نسمي هذه الظاهرة « الاشتقاق من المشتق » لا من جذر الكلمة لأن من يفعل ذلك قد لا يفعله خطأ عن وهم ، بل يعمد اليه وهو عارف بالتغيير ، اما لمجرد التوسع في التعبير ، واما لاداء معنى خاص مثل « عيّد الناس » حتى يزول اللبس بين عيد وعادة .

ولا تقتصر ظاهرة « الاشتقاق من المشتق » على الصيغ التي فيها حروف علة منقلبة ، بل تشمل انواعا كثيرة من الصيغ تمر عليها كما مرّ اسلافنا دون وعي يضع لها قواعدها ، ويمكننا من التوسع في الكلام بصيغ جديدة فصيحة ، وهذا ما سنبينه في صفحة اخرى بعون الله .

ولا ندري أول من اجتهد فاستعمل كلمة « التقييم » في عصرنا الحاضر اخذا من كلمة قيمة على ما هي عليه ، فهي أفضل ترجمة متميزة لكلمة EVALUATION لبيان القيمة ، ونحن نبارك هذا الاجتهاد ونستكثر منه ، حبا في لغتنا ، وترشيدا لها ، وكسرا للقيود الصدئة التي تحاول منعها من التصرف في الحركة على وفق المعاني المتجددة ، فالجمود من صفات الموتى وليس من صفات الاحياء ، ولغتنا بحمد الله تتفجر بأسباب الحياة والفتوة والنماء .

ونحن في عصر تقدمت فيه الدراسات الاقتصادية والنفسية والفلسفية ، وصارت الفروق واضحة بين سعر الشيء ، price وثمنه worth وقيمته value فيما هو من الأمور المادية وغير المادية ، وقد تعتبر هذه الألفاظ مترادفة مع التساهل ، ولكننا لا نسوي بين ثمن الشيء وقيمته او سعره ولو كان ماديا ، حين نحاول تقديره ، فما يقدر عوضا في عقود البيع ، كالنقود يسمى ثمنا او سعرا لكنه لا يسمى قيمة لأن القيمة تتعلق بضروريات الانسان وحاجاته وكمالياته ، فأساسها نفسي ، وتكون اقتصادية أو عرفية أو جمالية أو غير ذلك ، وقيمة الشيء الذاتية غير قيمته الاعتبارية ، والمنفعة ليست أساس القيمة في كل شيء ، فان ألف امرأة جميلة لا يعادلن امرأة واحدة تفوقهن جمالا ، وكذلك الكفاية أو الكفاءة في الرجال ، ومثل ذلك يقال في الأعمال الفنية كالشعر والنحت والموسيقا والتصوير ، بل مثله يقال في الأطعمة والأشربة والأكسية والأمتعة .

ولا نريد الدخول في مبحث القيم Axiology طبيعتها أو انواعها ومقاييسها ، فهذا المبحث بحر لاساحل ولا اغوار ، وهو موصول بالمنطق والاخلاقيات والالهيات والجماليات وكل ما نطلبه من أخواننا اللغويين والنحاة ان يطالعوا المعارف الحديثة ويعرفوا مضايق الكلام فيها ، فذلك اثرى لهم في عملهم وتفكيرهم بل شخصياتهم واثرى للغة ايضا .

---

١) نشرناها ايضا في كتابنا « اضواء على لغتنا السمحة ص (٢١٢) من منشورات مجلة العربي .

ش ع ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

حرب أم سلام ؟

« للأستاذ عباس محمود العقاد »

لأديبنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤ م) أكثر من مئة كتاب في الأدب ، والنقد والفلسفة والاديان والاجتماع ، وقضايا المرأة ، ومن بين تواليفه عشرات في التراجم Biographies لأنبياء وأدباء وشعراء وعلماء وقادة وساسة من الشرق والغرب ، وأشهر هذه التراجم عبقرياته ، ونحوها .

وقد زادت شهرته بالكتابة على شهرته بالشعر حتى كادت تخفيها ، مع أنه يكاد يكون صاحب أكبر ديوان بين شعرائنا المحدثين ، استوعب في قصائده ومقطوعاته كثيرا من الموضوعات التي نظم فيها شعراؤنا من قبل ، والتي لم ينظموا . وديوانه عشرة أجزاء ، أسماؤها كما يأتي : يقظة الصباح ، وهج الظهيرة ، أشباح الأصيل ، أشجان الليل ، وحي الأربعين ، هدية الكروان ، عابر سبيل ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، ما بعد البعد ، طبع أولها سنة ١٩١٦ ، أما آخرها فقد طبع بعد وفاته (١٩٦٤/٣/١٢م) ، وكان قد استخرج منها سنة ١٩٥٨ مجموعة سماها « ديوان من دواوين » وقد طبعت الأجزاء ، كلها أخيرا طبعتين في مجلدين .

وقصيدة « حرب أم سلام » من الجزء الرابع الذي يشمل ما نظمه بين سنتي ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٨ ، ومن يقرأ هذا الجزء ثم يقرأ قصته الوحيدة « سارة » المطبوعة سنة ١٩٣٧ ، يجد أن تجربة الحب هنا هي هناك ، قد عبر عنها هنا شعرا وهناك نثرا ، إذ كان يحب يومئذ أديبتنا الكبيرة الآنسة « مي » ، ثم غلبه حب « سارة » ، وبينها كان حبه للآنسة مي يمضي نسيماً رُخاءً ويستمر حتى فتر دون أن ينقطع بينهما الود ، كان حبه لسارة عاصفا عنيفا لاهبا حتى كاد يتلفه ، وقد انتهى بالقطيعة حين شك ثم جزم بعدم وفائها له وحده ، وفي القصة « سارة » بعض التفصيلات لتطورات هذه العلاقة وأحداثها وأزماتها من البدء حتى الختام .

والقصيدة هنا يعني أديبنا بها سارة في أخريات علاقته بها ، ننشرها في الذكرى السابعة والتسعين لميلاده ، اذ كان ميلاده في أسوان / مصر سنة ١٨٨٩ م .

ألقاءٌ أم لاتَ حين لقاءِ / وسلامٌ أم تلك حربُ عداءِ ؟
وفراقٌ تجددُ العتْبُ فيه / يوم نخلو على مهادِ الصفاءِ ؟
أم فراق على الحياة طويل / كفراق الردى بغير انتهاءِ ؟
أنا ـ ما بين هاتفٍ ونذيرٍ ـ / ذاهبُ السمع إثْرَ كلِّ دعاءِ
هاتفٌ في الضمير أن ليس هذا / آخرَ العهدِ ، فاعتصمْ بالرجاءِ
ونذيرٌ بأنها غضبةُ العمْـ / ـرِ ، وعُقْبى مودةِ الأصفياءِ
لبيتَ عاما من الحياة تقضّى / لأرى في غدٍ بعيدَ القضاءِ
وأرى الخيرَ ، لا يطول انتظاري / وأرى الشرَّ ، لا يطولُ عنائي
لا لعَمْري ، بل يكذب الخيرُ والـ / ـشرُّ ، وتعفو معالمُ الأنباء[١]
ويقول الزمانُ قولاً ، فإنِّي / مُرسلٌ قوله مع الأصداءِ
أنت لي : أنذر الزمان بشرٍّ / أم مضى هاتفا مع البشراءِ
أنتِ لي اضمرت نيّاتك حباً / أم طوت سرَّها على البغضاء[٢]
إنّ لي فيكِ يا بُنيَّةُ حقاً / فوق حقِّ الهوى وحقِّ الدماءِ
مُزجتْ في قرارة الحب نفسا / ـنا ، وسيطت[٢] إيامنا في وِعاء[٣]
وتراءبتِ لي بقلبٍ ولبٍّ / مِن وراءِ الحياءِ والكبرياءِ
من مِنَ الناس قد تذوّقَ منك الـ / ـعيشَ صفْواً ، والعيشُ جم الشقاء ؟
مَنْ مِنَ الناس قد توسمَ فيك الـ / ـحُسْنَ نوراً ، والحسنُ من ظلماءِ ؟
مَنْ مِنَ الناس قد أحبك حبِّيـ / ـكِ ، ومن منهمُ ازدراك ازدرائي ؟
مَنْ مِنَ الناس قد رأى خيرَ ما فيـ / ـكِ ، واخفى ما فيكِ من أدواءِ ؟[٤]
مِنْ جمالٍ ومن ذكاءٍ ومن غدْ / رٍ ومِنْ صِدقِ شيمةٍ ورياءِ
هذه أنت ، لاتزالين لي وَحْـ / ـدي ـ جميعا ـ لاتظهرين لِرَاءِ
يعرف العارفون منك لِماما / بعضَ ما قد عرفتُ من سيمياء[٥]
فلهُمْ منكِ صورةٌ وأحاد / يثُ ، ولي منك لُبُّ ذاك الطلاءِ
هذه انتِ ، لا فؤادُك خافٍ / عن عِياني ، ولا وِدادُك ناءِ
ان يطلْ بيننا النّوى فالتلاقي / مِن ندائي بموقع الاصغاءِ
ولنا في صحيفة الدهرِ غيبٌ / سيُعيد انتهاءنا لابتداءِ

---

(١) تعفو الأنباء : تذهب علامات الأخبار
(٢) نياتك بتخفيف الياء هنا ، كالنيات بتشديدها
(٣) ساط : خلط
(٤) معنى الأبيات / ليس أحد عرف خيرا ما فيك وشر ما فيك كما عرفت أنا
(٥) لماما : قليلا ـ السيمياء والسيماء والسيمة : العلامة



متاعب

شعر : راسم المدهون

(١)

نردّ إلى النار آنية الزهر ..
بعض حطام المراكب للبحر ..
أحزاننا للمغني الضرير ..
ترابا يفر من القبضتين ..
شذا الحلم يركض ..
بعض القصائد ممهورة بالدماء ..
وثلج البكاء ..
نردّ المواسم للحرب ..
قتلى انتصاراتنا للمساء ..
انكساراتنا للصباح ..
نرد الأسى للصديق المخاتل ..
نزف الأكف المدمّاة ....
وهم الفجاءات ....
دهشتنا في الصباح ..
نرد التفاصيل للمبتدى ،
ونبارك أول أحجارنا في المدائن
ثم نلم القصائد من آخر الليل ،
ينطفىء اللحن في رعشة العازفين ،
أيها الواقفون على جمرة النار ..
ردوا الى النار آنية الزهر
ردوا الحجارة للصّبية الميتين .

(٢)

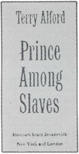
في الصباح أغني لها
كي يذوب عن القمح ثلج المساء ..
في المساء أزيح البكاء ..
آخر الليل أبقى وحيدا ..
أسامر ثلجاً ..
يصير مع الفجر قمحاً وماء

(٣)

بيننا شوكة الآخرين ..
حزننا والجدار ..
بيننا أن تمدّ الأصابع .. كي توقف الوقت
- تأكله النار -
ثم نردّ الحريق ..
عن اكف غفت في الأمل
فانتهت في العذاب

(٤)

بيننا من زجاج
والكلام حجر
افتحي باب صمت المساء
ليمرّ المطرْ .



أمير بين الأرقاء

تأليف : تيري ألفورد
عرض وتلخيص : عثمان أحمد حسن

بينما كان مؤلف الكتاب تيري ألفورد يقلب أوراق مكتبة الكونغرس ، عثر على رسالة من وزير خارجية أمريكا في أوائل القرن الماضى ، بشأن تحرير عبد يدعى عبدالرحمن ابراهيما ، وبعد سبعة أعوام من البحث والتنقيب ، أصدر كتابه هذا عن حياة الأمير المسلم الذي وجد نفسه على ظهر سفينة رقيق ، مغادرة الى أمريكا ، وظل يكافح الغربة هناك ، حتى عاد بعد ٤٠ عاما ، ليموت فوق ثرى افريقيا .

كتاب الشهر

فولبي ، قبيلة من قبائل غرب افريقيا المسلمة التي تعتمد على رعي الأبقار ، عرف أهلها بالشجاعة والجسارة ، وقيل انهم في الزمان الماضي استولوا على فوتوجالون وهي جزء من جمهورية غينيا اليوم ، وكانت للقبيلة امارة ، وهنا سلطان تلك الديار قبيل الغزو الأوروبي والفولبي ، قوم طوال ، وفيهم وسامة وجمال ، يرتدون الجلابيب الفضفاضة ، والعمائم الضخمة ، ويطلقون شعورهم ، ويمشطونها في جدائل ، وكان ابراهيم سوري ماودو ، أمير القبيلة وزعيمها ، وكان له أبناء كثيرون وبنات كثيرات ـ لم يحفل التاريخ الا بواحد منهم اسمه عبدالرحمن ، فقد شاءت له الأقدار حياة غريبة وتجربة فريدة ، فقد ولد الأمير عبدالرحمن هذا في عام ١٧٦٢م ، كان واحدا من أكثر من ثلاثين ولدا من صلب هذا الرجل .

نشأوا مع القبيلة وفي كنفه ، ليتعلموا مع أصدقائهم ما يتعلمون من رعي وصيد وأعمال فروسية ، الى جانب حفظ القرآن وتجويده ، عرف الخيول ، وركب أجودها ، واصطاد العجول والغزلان والوحوش الكاسرة ، وتعلم ضروب الفروسية وأنواع القتال من حاشية أبيه وقادة جيشه ، وحفظ القرآن ، وتمكن من علوم الحديث ، ولكنه تاق الى الاستزادة ، فأمثاله من الأمراء لابد أن يتهيأوا لمسئوليات الحكم بتحصيل العلم وتجويده ، وتوسيع التجارب وتعميقها ، وما كان أبوه ليبخل أو يضن عليه بشيء ، فكان ان يمم شطر تمبكتو ، قلعة العلم ومنارته في غرب افريقيا ، وقضى خمسة أعوام كاملة ، ينهل من معين الفكر الاسلامي الذي لاينضب ، ويستزيد من الثقافة العربية التي لاتجف ، ودرس عبدالرحمن الجغرافيا وعلم الفلك ، وزاد من معرفته بالحساب والرياضيات ، وتبحر في علوم دينه وفي الشريعة ، ونهل من أمهات الكتب ، والتقى بضروب وأنواع من العلماء الأفذاذ ، والطلاب الذين يفدون لمدينة العلم من كل صوب ، ومن كل فج عميق . وعاد الشاب الى بلاط أبيه يعاونه فيما يوكل اليه ، ويواصل تعلمه وتدريبه في تدبير شئون القبيلة أو المملكة .

لقاء مع الأبيض

ومن أروع تجارب الشاب التي ظلت عالقة بذاكرته حتى أيام عمره الأخيرة ، هي تجربة أو لقاء له مع الانسان الأبيض ، وكان في التاسعة عشر من عمره ، وفي جمع من رفاقه يجوبون غابة من الغابات عثروا على رجل أبيض مسجى على الأرض ، يوشك أن يفارق الحياة ، فعملوا على انقاذه ، وحملوه الى بلاط أبيه حيث أكرم وفادته ، واتضح أن الرجل كان جراحا في سفينة ايرلندية ، جاءت في رحلة استكشاف لشواطىء غرب افريقيا ، وكان أن ضل الطبيب طريقه ، وما استطاع أن يعود لسفينته حتى أنقذه شباب الفولبي ، وأقام دكتور كوكس ضيفا على القبيلة زمانا ليس بالقصير ، وعاد لأهله يحمل هدايا من الذهب وغيره من النفائس ، مع تمنيات ودعوات رجال أفاضل مليئة صدورهم بمحبة الانسان ؛ وان اختلفت سحنته وتباينت عقيدته ، ولم يعلم الدكتور كوكس ولا الأمير عبدالرحمن أن الأقدار تخبيء لهما لقاء دراميا آخر ، وانهما سيلتقيان في يوم ما في مكان ما من هذا العالم الصغير .

كانت الحروب القبلية تفتك بأهل غرب افريقيا والقارة كلها ، وزادت تجارة الرقيق من شرور تلك الحروب والفتن ، فانتشر النخاسون البيض ، وبعد أعوام سبعة من لقاء الأمير بالدكتور كوكس ، يتكرر اللقاء بين الأمير الافريقي والرجل الأبيض ، ولكنه لقاء يختلف عن سابقه الذي يحمل معاني المروءة والنبل والخلق الكريم ، فلقد وقع الأمير عبدالرحمن أسيرا في معركة من المعارك ، وحاول افتداء نفسه بالثمن



الأمير عبدالرحمن ابراهيما
في صورة له عام ١٨٢٨

الغالي ، وأبي آسروه الا بيعه لتجار الرقيق المحليين الـذين قايضـوه للتجار البيض ، نـظير بارود وتبـغ ونبيذ ، وحاول ثانية العتق ، ولكن النخاسين أبوا ـ فكان أن وجد نفسه في سفينة ضخمة ، تعتزم قطع بحـر الظلمات ، وما كـان الأمير يعـرف اليأس أو القنـوط ، ولا يقبل الضيم ، فحـاول ابتياع حـريته ثانية . . . ولن تكون هذه الأخيرة من محاولاته .

عبـرت سفينة الـرقيق الضخمة المكتـظة الكثيبة الأطلنطي ، تحمل فيمن تحمل ذلك الأمير الأفريقي مصفـدا في الاغلال ، مـوثقا بـالحبـال . . ولم تقلل الأغلال من هيبة وجلال ذلك المحارب المقتدر ، ذي الستة والعشرين ربيعا . فانتصب الأمير عبدالرحمن كـالجبل طـويل القـامة ، جليـل الصـورة ، مـرفوع الـرأس ، تزيـده جـدائـل الشعـر الـطويلة جـلالا ومهابة ، وما حلت السفينة بأرض الدنيا الجديدة ، حتى أصبح ذلك الافريقي المسلم الملكي المولد عبدا رقيقا مسترقا ، وهكذا انضم الأمير الى عالم الأرقاء في الـدنيـا الجـديـدة ، ولا أظنـه أول الأمـراء الـذين استرقوا ، ولا أول المسلمين الذين استعبـدوا ، ولا آخرهم ايضا ، وكان واحدا من آلاف الأمراء والسـادة المسلمين الأفارقة الذين قادتهم الأقدار الى ذلك المصير القاتم المظلم .

نهاية المطاف

وانتهى المطاف بالأمير عبدالرحمن بن ابراهيـما في (نـاتشز) بـولاية مسيسبي ، حيث اشتراه مزارع أبيض يملك ألف فـدان من الأرض البور في تلك البقعة البعيدة . . . البعيدة جدا عن سهـول غرب افريقيا التي ألفها ذلك الأمير ، وكان توماس فوستر ، المالك الجديد ، مـزارعا شـابا قليـل التعليم محدود الثقافة وبالرغم من قيود العبودية المهينة ، وسلاسل الاذلال التي أوثقت أطراف الأمير ، فان نفسه العزيزة لم تـذل ، وكرامتـه لم تهن ، فبمجرد لقـائه بـالسيد الجـديد ، ورغم جهله بـالانجليزيـة ، قـام الأمير بتعريف توماس فوستر بنفسه وشخصـه في رباطة جـأش ، وتماسـك يسنده اليقـين ، ومضى الشاب المعتد بأصله وقبيلته ودينه وحضارته يحدثه عن كرم والده الملك ، الذي بلا شك سيغمر الرجل الأبيض بسبائك الذهب ان أعاد اليه ابنه.كان المشهد مثيرا بحق ، مدهشا جدا . . فلقد انبهر المزارع الأبيض بذلك العملاق الأسود المتكبر المتباهي ، ولكن ماله والفدية والذهب الموعود ؟ ان ما يهمه أولا وأخيرا هو مصـالحه الشخصيـة والسريعـة ، المتعلقـة بـأرضـه وحيواناته ، فلا غرابة أن رفض طلب الأمـير ، بل مضى في اتخاذ الاجراءات العاجلة للاستفادة منه : فزوده بسروال طويل ، وقرر حلق شعر رأسه ، ولكنه أبدى بعض المساومة ، فأبقى للفتى الأفريقي بعض المظاهر الملكية ، اذا ظل يناديه بالأمير كما سمح لـه بممارسة شعائر دينه الاسلامي .

وكانت حلاقة الشعر أول تجربة مريرة تقابل الأمير الأمير في موطنه الجديد ، فلقد رفض (عبدالرحمن) قص شعر رأسه : فالشعر عنوان الرجولة في تقـاليد قبيلته ، ورمز المركز المتميز الممتاز عند العشيرة ، لقد كان اعتقاد الأمير أنه سيصبح كالطفل ان هـو أزال شعره ، فصارع وقاوم بعنف هذه المحاولة ، مما اضطر المالك الى شد وثاقه الى شجرة ضخمة ، ليتمكن من قص شعـره ، وكـانت هـذه بـدايـة الاذلال وكسـر النفس .

وضاقت نفس عبدالرحمن بتلك الحياة ، وبلغ الأمر بالامير مداه : فتسلل في ليل بهيم من سريره ، وانطلق هائما في أرض مجهولة وبلاد غير مأهولة ، لاتعرف مكانا يلتجىء اليه ، ولا صديقا يحتمى به ، وهام الأسابيع بين غابات المسيسبي ومستنقعاته وحيدا متوحدا ، لايصحبه مخلوق ، ولا يلازمه شيء سوى خوفه من المجهول ، ونفوره من واقع العبودية وذلها ، الى جانب ذكرياته عن زوجه الشابة ، وطفله الرضيع ، وعشيرته الجسورة المقدامة .

المحارب المهزوم

وفكر عبدالرحمن وقدر ، ثم عاد ذات يوم للمزرعة بعد أسابيع ، وقرع الباب ، وكانت السيدة سارة فوستر جالسة بمفردها تحيك شيئا ، فابتسمت ، ثم اقتربت منه لتصافحه ، فانبطح العملاق أرضا في اعتدال وثبات ، ثم أمسك باحدى قدميها بيده ورفعها ووضعها بنفسه على عنقه ، كان ذلك مسلك محارب مهزوم ، وتصرف مقاتل مقهور ، ولكن دونما انكسار ، والمشهد رهيب ومهيب ، فهو لايصور لحظة عابرة ، وانما تلاقي حضارات ، فلقد أدركت السيدة بفطرتها السليمة أن الأمير قد عنى بذلك المسلك الفريد المتميز والغريب - أيضا - أشياء كثيرة ، ربما عاقه حاجز اللغة عن الافصاح والتعبير عنها ، لقد كان واضحا أن الأمير قد وضع حياته رهن تلك الأسرة ، فان شاءت أزهقت روحه أو عفت عنه ، ولقد اختاروا الأخيرة ، فلم يعاقب الأمير على فعلته تلك ، ومنذ ذلك اليوم أصبح الأمير خادما مخلصا أمينا .. يتمتع بالثقة والمحبة - على حد قول أحدهم .

انغمس عبد الرحمن فى اعمال المزرعة اليومية ، يساعد فى زراعة التبغ والأرز والقطن ، وهو عمل تقوم به النساء فى وطنه ، ويرعى البقر والخيول والخنزير ، ويبيع انتاج المزرعة فى الأسواق ، ولكن التكيف مع العبودية كان عملية شاقه وقاسية ، لقد احتاج عبد الرحمن - بكبريائه ونبله - لأعوام ليتأقلم على أسلوب الحياة الجديدة بعد صدمة انتزاعه من اهله وعشيرته ، وقذفه الى أرض ظل فيها غريب الوجه واليد واللسان ، حتى بعدأن أقام فيها أربعين عاما .

زوجة وأبناء

ولكن الحياة تمضي وتدور ، وتمضى الأعوام على الأمير فى تلك المزرعة الشاسعة الموحشة ، اذ لا أنيس له ولا جليس ، ولازوجة يسكن اليها ، بل ان طيف زوجه الشابة يؤرقه ويقلقه ، وذكرى ابنه الذى تركه وقد أكمل عامه الثانى تفطر قلبه وتوجعه ، ولا يجد عونا للمكاره ، سوى ايمانه القوى ، وما بقى فى ذاكرته من آيات بينات تحمل اليقين الى قلبه والسكينة الى نفسه ، فبعد مضى ست سنوات على وصول عبد الرحمن للمزرعة تجىء ، (أزبيلا) التى اشتراها السيد (فوستر) بأطفالها ليزيد من العمالة وربما تلد له عبدا آخر ، وأنس اليها الأمير ، وحسب أنها ستخفف من وحشته ، وتبعد أطياف الذكريات التعيسة التى تغشاه ، فتزوجها ، ولم يكن هذا الحدث أمرا عاديا عند عبد الرحمن ، بل لقد صار بداية لحياة شاقة وذكريات أليمة ، فقد تكون زوجه الأولى تزوجت بآخر ، وربما لا يستطيع ولده البكر تذكره ان لقيه بعد غيابه الأعوام الطويلة هذه ، ولكم كان يتوق ليوم ختانه ، ويخاله على صهوة جواد أبيض ، تلك وغيرها من الافكار ما زالت تزوره فتزيد من أوجاعه ومن وحشته وعذابه . وأثمر زواجه الثانى عن طفل آخر ، ولقد أدى القدوم المبكر لهذا الطفل الى انغماس أعمق للأمير فى عالمه الجديد الغريب ، وعلى الرغم من قسوة الحياة على الأمير وظلمها له ، الا أنه أحسن الاستفادة من كل الظروف ، فلقد كبرت أسرته ، وأصبح له خمسة من الأولاد وأربع بنات ، وازدادت مسؤلياته فى المزرعة رويدا رويدا ، ثم

سُمح له بزراعة الخضراوات وتسويقها لحسابه الخاص ، فصار له دخل خاص ومستقل .

في السوق المكتظ

ولكن بعض الأحداث العارضة والمؤلمة ما فتئت تذكره بين الفينة والأخرى بحياته الماضية ، فذات مرة تعرف عليه في السوق أحد رعاياه السابقين ، فلم يتمالك الرجل نفسه ، وصاح مذهولا « عبد الرحمن » ثم خر بوجهه ساجدا على الأرض ، وارتج على الأمير .

لقد أثار ماضيه المتميز هذا اهتمام الكثيرين من البيض الذين سعوا لصداقته ، وعملوا لرد حريته اليه ، ولعبت الأقدار والمصادفات دورا بارزا في اثارة الاهتمام بالأمير ، فلقد مرت تجربة بالأمير تُخال من الخرافة وهي صدق ، ولقد نالت ما تستحق من نشر واعلان ، ففي عام ١٨٠٧ كان عبد الرحمن يبيع شيئا من منتوجات زراعته الخاصة في السوق ، فلمح رجلا أبيض على صهوة جواد ، كان الرجل أعور ، فاقترب منه الأمير حاملا سلته ، وحدق كل منها في الآخر ، ثم بدأ الفارس في استجواب العبد الرقيق ، وسأله : أقادم انت من افريقيا ؟ فاجاب بالايجاب . ثم سأله : اليس اسمك عبد الرحمن ؟ قال : نعم . ثم سأل الرجل الأبيض : أتعرفني ؟ قال : بلى ، أعرفك جيدا . . أنت دكتور كوكس ، وكان مشهدا مثيرا في ذلك السوق المملوء بالـزنـوج والعبيد الأرقاء وأسيادهم البيض ، فبعد ربع قرن من الزمان ، وعلى بعد ستة الاف ميل من موطنه ومكان لقائه الأول بالطبيب الجراح ، يعود الدكتور كوكس ـ ثانية ـ الى حياته ، ويمحض الصدقة ، وفي هذا السوق المكتظ .

كان لقاء مؤثرا مفعما بالعواطف الانسانية ، وان لم يخلُ ـ ايضا ـ من مظاهر سخرية الاقدار التي تدعو للضحك ، وعلى الفور بدأ الدكتور كوكس مساعيه لشراء حرية عبد الرحمن ليعيده لأهله وذويه ، ولكن جهوده قوبلت برفض حازم من السيد فوستر ، فلقد أضحى عبد الرحمن خادمه الذي لايقدر بثمن ، اذ أصبح النموذج الأخلاقي الذي ينبغي أن يحتذيه الأرقاء ، بإخلاصه في العمل ، وانضباطه ، وحسن مسلكه ، وخابت مساعي الطبيب في استرداد حرية الأمير المسترق ، ولكنها زادت من قصته شيوعا وانتشارا فتضاعف الاهتمام بالأمير ، وتزايد عدد من أصدقاء دعاة عتقه وعودته لوطنه ، وتوسعت دائرة أصدقائه من البيض المستنيرين ، ووجد السبيل الى لقائهم والتحدث معهم ومجادلتهم ومحاورتهم .

الأمير طليقا

وكان بين أصدقاء الأمير البيض ناشر لصحيفة تصدر في (ناتشيز) وكان قد اهتم اهتماما خاصا بالأمير ، وساهم في اثارة الاهتمام بقضيته ونشرها .

وفي عام ١٨٢٦ أغرى ذلك الصحفي الأمير بأن يكتب خطابا للأهل ، وما اسعفته الذاكرة بالكتابة ، فقد طال عهده بها ، وقلت ممارسته لها ، وانحصر مرانه عليها فيما ذكرنا من أمر الكتابة بالعصا على التراب ، كلها عن له أن يفعل ، ولكنه توفر على نفسه ، وجمع قدراته كلها ، مركزا على تذكر شيء يكتبه حتى تأتت له سورة من القرآن الكريم ، فرسمها رسما على صفحة من الورق . وكان ذلك كل ما استطاع تذكره من الكتابة بعد أربعين عاما من الغربة الجغرافية والحضارية والوجدانية ، وأرسلت تلك الرسالة مع خطاب مرفق الى أحد أعضاء الكونغرس ، ويبدو أن الخطاب المرفق كان مضطربا وغير دقيق ، اذ أنه وصف الأمير بأن ينتمي الى الأسرة المالكة في المغرب ، وانتهى الخطاب عند القنصل الأمريكي في (طنجة) الذي قام بدوره بتسليمها للعاهل المغربي الذي أكد رغبته في عتق ذلك المسلم ، أيا كان أصله وفصله ، واحضاره للمغرب على نفقته ، وانتقلت القضية ثانية الى واشنطن ، حيث عرض الموضوع على وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية المستر (كلاي) الذي تقدم لتوه بتوصية لرئيس الجمهورية بضرورة شراء العبد وارساله الى وطنه ، وافق المستر / آدمز ، رئيس الجمهورية على ذلك ، وما كان ليستجيب لولا تعاظم وتزايد الضغط الاتحادي ، والحملة الضخمة التي شنها أصدقاء الأمير البيض ، الذي توجهوا بالالتماس الذي رفعه صديقه الصحفي ، اندروماشوك والمحامي كريغن الى المستر كلاي وزير الخارجية ، ولقد تواكب التماس عتقه هذا مع مطلب العاهل المراكشي .

وإزاء كل هذا اضطر السيد فوستر للموافقة على عتق عبدالرحمن وترحيله الى المغرب ، بشرط ألا يكلفه هذا العتق شيئا ، والا يستمتع الأمير بنسيم الحرية في الولايات المتحدة ، واكتفى السيد فوستر ، بتوقيع وثائق العتق ، ولاشيء سوى ذلك ، ولا حتى الكتابة عن الموضوع لرئيس الجمهورية ، وتعهدت الحكومة بتحمل تكاليف ترحيل الامير على السفينة ، بينما تولت (جمعية الاستيطان الأمريكي) - وهي منظمة أهلية كانت تسعى لارجاع الزنوج إلى إفريقيا (ليبيريا) - تكلفة الاجراءات الأخرى .

وبعد أربعين عاما من الاسترقاق ، وفي عام ١٨٢٨ على وجه التحديد ، أصبح (عبدالرحمن بن ابراهيما) حرا طليقا ، وفي اللحظات الأخيرة لرحيل الامير من المزرعة ، استجاب السيد فوستر لالحاح الكثيرين وضغوطهم ، وذلك بأن تغادر زوجته (ازيبلا) معه ، وكان مشهدا حزينا مؤلما ، لحظة افتراق الاسرة .. فقد وقف الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات ينظرون في أسى لوالديهما يغادران المدينة ، وقد لايعودان لها ، وقد لا يرونهما ثانية !

وفي التاسع من فبراير ١٨٢٩ - وعلى ظهر السفينة هاريت - غادر (ابراهيما) وزوجه مبحرين ، الى افريقيا ، تاركين أطفالهم وأحفادهم من بعدهم ، آملين في أن يلحق بهم بعضهم على أقل تقدير . وبالفعل ذهب بعض الأبناء والأحفاد بعد عام الى افريقيا ، ولكن لم يجتمع شمل الأسرة ثانية .. ولم تتحقق أمنيتها في العودة للوطن الأم .

الأقدار والأمطار

وكان وصول (الامير) الى (منوروفيا) محبطا لآماله وآمال زوجه الطوال العراض ، فقد كانت خيبة أملهما عظيمة ، إذ استولى احد رفقاء الدرب من الأرقاء المعتوقين على المنزل الذي أعدته منظمة الاستيطان الأمريكية ليقيم فيه (الأمير) ، وكان نصيبه « راكوبة » من البامبو فقط لتقيه من المطر المنهمر ومن الشمس المحرقة ، فقد جاء المهاجرون من برد قارس بأمريكا الشمالية الى ربيع افريقي منعش ، ثم بدأوا يتساقطون موتى من جراء حمى معدية قوية لاشك أن قد غذتها التقلبات ومكنها الارهاق ، الى جانب وسائل الاعاشة السيئة على ظهر السفينة ، وكان منظر الجنائز المتكرر هو نزهة المشاهد في تلك البقاع ! فقد ظلت الحمى تفتك بالعائدين وتصطادهم صباح مساء . وأملى الامير خطابا لصديق له في امريكا قال : « أتوسل اليك ألا تأتي لافريقيا قط ، فعليك أن تبقى حيث أنت ، اذ أن المكان لايصلح مطلقا لأمثالك من الرجال » .

ولاشك أن تلك الكلمات مؤلمة وجارحة لرجل عاش اربعين عاما يأمل ويتوق للعودة الى هذه البقعة ، ولقد خفف من حزن عبدالرحمن وربما خيبة أمله ، أنه كان يعتزم التوجه الى (فوتاجاون) - موطنه الأول - بعد انتهاء فصل الأمطار ، آملا في أن يثير اهتمام أهله وقبيلته بتنشيط التجارة بينهم وبين امريكا ، وما كان حلمه بعيدا ، فقد كانت (فوتوجالون) على بعد مسيرة خمسة عشر يوما فقط ، اذ هي على مدى ثلاثمائة ميل فقط من (منوروفيا) ، ولكن الأقدار والأمطار ، كانت للأمير بالمرصاد .. فقد تملكه الحمى ، وأخذته الى دار البقاء ، قبل أن ينعم بدفء الأهل والعشيرة ، وقبل أن يسعد بالاستمتاع الى ترتيل كتاب الله من أفواه الحفظة من أبناء جلدته .. وكانت وفاته بعد حوالي خمسة أشهر من وصوله الى القارة الأم ، فقد مات في السادس من يوليو ١٨٢٩ ... وأبى سوء الحظ الا أن يلاحقه حتى بعد وفاته ، فقد ظلت قصته نسيا منسيا حتى قبيل أعوام قليلة ، حيث توفرلها باحث من شباب أمريكا ، منقبا ودارسا وجامعا ، حتى اكتملت له الصورة ، وتبينت له القصة ، فأعاد بناءها لتروي حكاية أمير مسلم جنى عليه الدهر ، وظلمته الأيام ، وتآمر عليه التاريخ أيضا .. وما أكثر أمثاله ممن غمرهم طوفان سير الأقزام من الرجال . □

من المكتبة العربية



القدسُ الشريف
..في تاريخ العرب والإسلام

تأليف د . عبداللطيف الطيباوي
عرض وتحليل : محمود بيومي

نشر ـ هذا الكتاب ـ باللغة الانجليزية ، بمعرفة المركز الاسلامي بلندن ثم نشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت بنفس اللغة . . وأعادت نشره باللغة الفرنسية ، وقام مكتب جامعة الدول العربية في روما بترجمته ونشره باللغة الايطالية .

والعرض التالي يقدم تاريخ المدينة المقدسة منذ القدم وحتى عام ١٩١٧ .

يقع الكتاب في ١٢٦ صفحة من الحجم المتوسط . . ويتضمن ثلاثة عشر فصلا . . وأضاف المؤلف بحثا جديدا لم تتضمنه الطبعات السابقة للكتاب ، سواء التي صدرت باللغة العربية ، او التي ترجمت أو نشرت بلغات أجنبية . . ويشتمل البحث على ستة فصول .

• تحدث المؤلف عن تاريخ القدس فقال : جاء في نصوص هيروغليفية وجدت في مصر . . ان « يروشالم » كانت خاضعة للفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وان هذا الاسم من أصل « سامي » ومعناه « مدينة السلام » .

وفي أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد . . تراخى حكم الفراعنة على أرض كنعان . . فدخلت بعض أجزائها من الشرق قبائل من « العبرانيين » جاءت من الصحراء ،وتزلت من البحر على سواحلها الجنوبية . . افواج من الفلسطينيين فعرفت أرض كنعان ،اسمهم . . ولكن مدينة « أورشليم » ظلت بأيدى « اليبوسيين » حتى أخذها داود عليه السلام حوالي سنه ١٠١٠ ق . م ، وأسس فيها مملكة وراثية . . بنى فيها ابنه سليمان الهيكل .

وانقسمت المملكة ـ بعد سليمان ـ الى مملكتين متحاربتين تعرضا للغزو من البابليين والفلسطينيين والمصريين .

تخريب الهيكل

في سنة ٥٨٦ ق . م خرب « نبوخذ نصر » مَلِكُ بابل . . المدينة والهيكل ، وبعد تغلب الفرس على البابليين سمح لليهود بالعودة وبناء الهيكل في ظل حكم فارسي دام حتى أزاله الاسكندر المقدوني .

وتعاقب البطالسة في مصر ، والسلوقيون في سوريا على حكم اليهود . . الى أن عينّ «هيرودتس » ملكا على اليهود تحت الحكم الروماني وأعاد بناء الهيكل .

وعندما ولد السيد المسيح . . كان يحكم اليهود بيلاطس النبطي ، ومن أهم أحداث القرن الأول الميلادي . . هدم مدينة « أورشليم » وحرق الهيكل في سنة ٧٠ ميلادية على يد «طيطس »وسحق الثورة اليهودية ، وحرث المدينة ، وانشاء مستعمرة رومانية على أنقاض « أورشليم » عرفت باسم « ايلياء » وبناء معبد « جوبتر » على أنقاض الهيكل في عام ١٣٤ ميلادية ، وحُرّم دخول المدينة على اليهود . . وغلب اسم « فلسطين » على البلاد منذ هذا التاريخ .

تحولت مدينة « ايلياء » من الوثنية الى اعتناق المسيحية بعد اعتراف الامبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية - بالدين المسيحي في عام ٣١٣ ميلادية ، وساعد ذلك على زوال الآثار اليهودية . . فأنشئت الكنائس في البلاد ، حتى تقرر اقامة بطريرك للكنيسة الأرثوذكسية في المدينة عام ٤٣١ ميلادية .

وقد تزعزع الكيان النصراني سنة ٦١٤ ميلادية ، عندما غلب الفرسُ الرومَ البيزنطيين ، وتطوع اليهود لمساعدة الفرس ، واشتركوا معهم في ذبح النصارى وهدم الكنائس . وبعد خمس عشرة سنة سيطر البيزنطيون على البلاد ، وهزموا الفرس وحرّموا على اليهود دخول مدينة « ايلياء » .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحرب في سورة الروم يقول تعالى « الم . غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . »

ينتقل بعد ذلك المؤلف لبيان العلاقات التاريخية بين القدس والعرب قبل الاسلام ، فيقول . . عرف العرب قبل الاسلام أدنى الأرض أي أقربها الى الحجاز ، وهي جنوبي سورية - فلسطين - ان بعض القبائل العربية حاربت مع الفلسطينيين الذين هاجموا « أورشليم » في سنة ٨٥٠ ق . م ، وأن العرب اشتركوا في الدفاع عن « غزة » أمام الاسكندر المقدوني . . وأن قبيلة عربية أقامت بالقرب من « ايلياء » واعتنقت النصرانية وأصبح شيخها مطرانا .

ويقول المؤلف . . ان هاشما - من أجداد رسول الله ﷺ - كان في قافلة تجارية عندما توفي في « غزة » فعرفت باسمه « غزة هاشم » ، وان كثيرا من العرب عرفوا فلسطين . . فلم يكن الفتح الاسلامي بداية للوجود العربي في فلسطين بل تأكيدا له .

القدس والاسلام

قبيل الفتح الاسلامي لفلسطين . . رفع الله شأن بيت المقدس باسراء رسول الله ﷺ اليها . . وعلى الرسول أنزلت الآية الوحيدة التي لم تنزل في مكة أو المدينة ، وهي قوله تعالى في سورة الزخرف : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون » . وبذلك جعل الاسلام من بيت المقدس المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة . . في القداسة .

لقد عرف العرب فلسطين وبيت المقدس قبل الفتح الاسلامي ، وللمسجد الأقصى منزلة في نفوس المسلمين الفاتحين ، والعهد الذي أعطاه الخليفة عمر بن الخطاب لأهلها يعتبر نموذجا في التسامح في عصر اشتهر بالعنف .

لقد كتب الوثيقة أو العهد . . معاوية بن ابي سفيان ، بحضور خالد بن الوليد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ، وبعد اعطاء عهد الأمان . . دخل عمر بن الخطاب مع الصحابة الى ساحة المسجد الأقصى المبارك - وقد جعله الناس من قبلهم مزبلة - فنظفوه والخليفة على رأسهم ، وأذن بلال للصلاة وصلى المسلمون في ذلك المكان .

وقد أمر عمر بن الخطاب أن يقام عليه مسجد تخليدا لذكرى الاسراء والمعراج . . وقد ظل هذا المسجد قائما الى ان تم بناء قبة الصخرة سنة ٧٢ هجرية ، وبناء المسجد الأقصى بعد ذلك بسنتين في خلافة عبدالملك بن مروان . . وهذا يبين خطأ

الأوروبيين في تسمية مسجد قبة الصخرة بجامع عمر .

ولم تفقد البلاد المقدسة ولا المدينة المقدسة مكانتها عند النصارى ، بل استمرت أفواج الحجاج تأتي اليها في حرية تامة في ظل التسامح الاسلامي .

القدس في أيدي الصليبيين

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن القدس بعد سقوطها في أيدي الصليبيين سنة ٤٩٢هـ ـ ١٠٩٩ ميلادية ، فقتلوا المسلمين رجالا ونساء وأطفالا بلا رحمة قتلوا جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وأخلى الصليبيون مدينة القدس من المسلمين ، وسكنوا في بيوتهم ، وحولوا مسجد قبة الصخرة الى كنيسة ، وجعلوا المسجد الأقصى ثكنة لفرسانهم واصطبلا لخيولهم . . والغوا البطريركية الأرثوذكسية ، وأقاموا أخرى لاتينية مكانها ، اما سكان المدينة من اليهود فقد جمعهم الصليبيون في الكنيس وأحرقوها عليهم .

ولما استطاع صلاح الدين الأيوبي . . تخليص القدس من ايديهم ـ بعد تسعين عاما ـ من الأذى والاضطهاد . . عام ٥٨٣هـ . . لم ينتقم من الصليبيين لما ارتكبوه من الجرائم الوحشية . . بل عفا وأعطاهم الأمان حتى يبلغوا مأمنهم في الساحل . . وهكذا خرج الافرنج من المدينة المقدسة .

وكما فعل عمر بن الخطاب من قبل ، فعل صلاح الدين . . فأخذوا يزيلون آثار النجاسة من مسجدي الصخرة والاقصى ، وأقيمت الصلاة . . وهكذا عادت الى المدينة صفتها الاسلامية العربية ، وأعاد الدور الى مستحقيها . . كما أمر بترميم المسجد الأقصى ، وتم تزويده بمنبر « لم يعمل في الاسلام مثله ، وهذا المنبر هو الذي حرق في سنة ١٩٦٩ ميلادية بمعرفة الكيان الصهيوني .

حائط البراق

هاجر عدد كبير من علماء المسلمين الى فلسطين . . وأقاموا الى جوار المسجد الأقصى وقد أوقف المسلمون العديد من الدور والممتلكات للانفاق من ريعها على صيانة المسجد الأقصى . . . وعلى طلاب العلم .

ومن هذه الجماعات طائفة هاجرت من المغرب واستقرت بالقرب من الزاوية الجنوبية لحائط الحرم القدسي ، فعرفت بحارة المغاربة وقد أوقف الملك الأفضل ـ ابن صلاح الدين الأيوبي ـ في سنة ٥٨٩ للهجرة أرض حارة المغاربة عليهم وأنشأ في الحارة مدرسة الأفضلية ، وحدود هذه الأوقاف : من الجنوب سور المدينة . . ومن الشرق حائط الحرم الشريف ، ومن الشمال طريق باب السلة المؤدى الى الحرم الشريف ، ومن الغرب حارة الشرف .

وأوقف في سنة ٧٠٣هـ عمر بن عبدالله بن عبد النبي المصمودي أحد علماء المغاربة عدة أملاك . . وفي عام ٧٢٠هـ أوقف شعيب أيضا ـ عدة أوقاف ، حتى صارت أوقاف حي المغاربة تعرف باسمه .

ويعرف الحد الشرقي لهذه الأوقاف بحائط البراق ، ويظن اليهود أن في حائط البراق بقية من سور الهيكل الذي دمره الرومان سنة ٧٠ ميلادية وهو الذي يعتقد اليهود أنه حائط المبكى .

وقد أكدت الحفريات عدم وجود آثار للهيكل المزعوم ، لذا فان صلاة اليهود عند الحائط هي من باب التمنى لا من باب الواقع .

وقد قام مجير الدين العليمي ، مؤرخ مدينة القدس وقاضيها ، بعمل احصاء للمدارس الاسلامية في القدس عام ٩٠٠ هجرية . . فبلغ عددها مايزيد على الخمسين مدرسة أهمها المدرسة الصلاحية والمدرسة التنكزية والمدرسة الأشرفية .

أما أول محاولة لاحصاء عدد اليهود في القدس فقد قام بها قاضي المدينة عام ٩٨٠هـ ـ ١٥٧٢ ميلادية فبلغ عددهم ١١٥ يهوديا ، الا أن الاحصائية قالت ان هذا عدد الذكور دون الإناث .

وبعد قرن من الزمان أي في حوالي عام ١٦٧٠ ، تم اجراء احصاء شامل لسكان المدينة وبلغ عدد السكان ٤٦ الفا معظمهم من المسلمين .

ولم يزدد عدد اليهود عن بضع مئات منذ عهد صلاح الدين الا قليلا ، لكن اخراج العرب واليهود من اسبانيا . . سبب زيادة طفيفة . . فقد وصل الى القدس بعض اليهود من طائفة « السفارديم » كما وصلت الى القدس طائفة من « الاشكنازيم » قادمة من بولونيا »

الحماية الأجنبية لليهود

وعندما تأسست القنصلية البريطانية في القدس ، جعلت احدى وظائفها « حماية اليهود » وسهلت لهم محاولة شراء قطعة أرض بقرب القدس ، وفشلت المحاولة كما لم يفلح اليهود في الحصول على اذن بتبليط « مبكي اليهود » لانه غير جائز ، لملاصقته لحائط الحرم ، ومحل ربط « البراق » وداخل في وقفية ابي مدين ولعدم وجود سابقة لليهود لتعميره ، كما جاء ذلك في حيثيات رفض مجلس الشورى لهذه المشروعات اليهودية .

وازداد تنافس الدول ذات الامتيازات في القدس ـ بعد انتهاء الحكم المصري في هذه البلاد ـ فادعت روسيا حماية الروم الأرثوذكس ، وادعت فرنسا حماية الكاثوليك .. أما بريطانيا فقد اهتمت بحماية مصالح اليهود .

وكثرت مصالح الأجانب في فلسطين اعتبارا من عام ١٨٥٦ ميلادية .. وراحت المؤسسات التبشيرية تمارس نشاطها ، وتم بناء الكنائس ، واتسعت مدينة القدس ، وانتشرت المباني والأديرة والمدارس التبشيرية ، وحصل اليهود على قطع من الأراضي لاقامة المباني عليها .

وفي عام ١٨٦٩ ميلادية .. تغير الهيكل الاداري والتعليمي والاقتصادي لمدينة القدس ، وبدأت المدارس التي تطبق نظام التعليم الأوروبي في فتح أبوابها لاستقبال التلاميذ .. وأهملت المدارس الاسلامية .. وفتحت القدس أمام الأجانب .. وأصبحت كلمتهم هي المسموعة ، ومصالحهم هي الأولى بالتنفيذ وبدأت شخصيتها الاسلامية تذوب وسط طغيان الشخصية الغربية .

وفي سنة ١٦٨٥ ميلادية .. تم اجراء احصاء لسكان مدينة القدس جاء فيه .. ان اجمالي عدد سكان القدس ١٨ الف نسمة ، منهم ٨٠٠٠ من اليهود ، و ٥٠٠٠ من المسلمين ، ومثلهم من النصارى ، وهذا يعني أن اليهود في القدس أكثر من المسلمين ، وأكثر من النصارى !!

وتتناقض هذه الاحصائية مع احصائية أخرى صدرت عام ١٨٧٤ ميلادية ، تقول أرقامها ان عدد اليهود ٣٠٠٠ نسمة .. وفي سنة ١٨٧٦ صدرت احصائية أخرى تقول ان عدد سكان القدس ٢٤٠٠٠ نسمة .. منهم ١٢ الفا من المسلمين و ٧٠٠٠ من النصارى و ٤٠٠٠ من اليهود .

الهجرة اليهودية الى فلسطين

بدأت الهجرات اليهودية الى فلسطين منذ عام ١٨٨٢ ميلادية ، فاختل التوازن بين سكان القدس بالهجرات اليهودية اليها من روسيا .. وقد أرسل المسلمون احتجاجا الى الصدر الأعظم ـ رئيس الوزراء ـ في اسطنبول عام ١٨٩١ ميلادية .. وكان الاحتجاج مبنيا على أسباب اقتصادية .

ولكن الصفة السياسية للهجرة اليهودية الى فلسطين .. اتضحت معالمها بعد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ ميلادية ، والمطالبة بوطن لليهود في فلسطين .

وقد واجه العرب في القدس وفلسطين .. الهجرة اليهودية الجديدة وهدفها السياسي .. ثم مستقبل العرب والمسلمين في فلسطين وتدهور أحوال الأوقاف الاسلامية .

وبقيام الحرب العالمية الأولى في آخر يوليو ١٩١٤ ميلادية بأحداثها التاريخية المعروفة وبتوقيع معاهدة سايكس ـ بيكو ـ بين بريطانيا وفرنسا .. والاتفاق بينهما على كيفية الحكم في العراق وسوريا وفلسطين ، وجعل القدس منطقة دولية .. جاءت سنة ١٩١٧ ميلادية شؤما على فلسطين .. حيث وعدت حكومة بريطانيا أن تبذل جهدها لتسهيل تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وجاء الوعد البريطاني .. بمثابة حكم غيابي على العرب في فلسطين أصدرته حكومة لم يكن لها ـ حينئذ ـ حق السيادة على فلسطين أو على الأقل حق الاحتلال ، حيث قامت القوات الانجليزية في ٣١ اكتوبر ١٩١٧ باحتلال جزء من الأراضي العربية في فلسطين .

حماية الأماكن المقدسة

وحرصت الحكومة العثمانية على حماية الأماكن المقدسة في فلسطين ، فأرسلت كتابا الى قادة الجيش الانجليزي في فلسطين جاء فيه : « سقطت القنابل

على القدس الشريف . . المدينة المقدسة عند كل ملة ، ولما كانت الحكومة العثمانية حريصة على حماية الأماكن المقدسة فيها من الخراب . . فقد أمرت بسحب عسكرها من المدينة ، وعينت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية .

وهكذا انسحب الجيش العثماني من القدس . . ليدخلها السير ادموند اللنبي في موكب يضم ممثلي الدول المتحالفة ، ولم يكن فيه ممثل للعرب ، وأصدر بيانا الى سكان القدس جاء فيه :

« بما أن أتباع الديانات الثلاث الكبرى يحترمون مدينتكم ويحبونها وبما أن تربتها قد قدست بصلوات وزيارات من اتباع تلك الديانات ، أعلن لكم أن كل بناء مقدس فيها وكل بقعة مقدسة ، وكل مزار ، وكل أثر قديم وكل وقف خيري ، وكل مكان اعتاد اتباع تلك الديانات الصلاة فيه سيحافظ عليه وسيحمى بحسب عقائد وعادات الذين يعتقدون قداسته .

وهكذا . . ينهي المؤلف كتابه بأحداث سنة ١٩١٧ . . لينتقل بعد ذلك لمناقشة الاحصائيات التي ورد ذكرها في كتابه بشأن عدد اليهود في القدس وذلك تحت عنوان « ملحق »يورد نتائج الاحصاء الرسمي الأول الذي تم في ١٩٢٢ ميلادية بشأن سكان فلسطين كالآتي :

المسلمون ٨٩٠ , ٥٩٠ .

النصارى ٥٢٤ , ٧٣ .

اليهود ٧٩٤ , ٨٣ .

أما سكان القدس فكانوا كالآتي .

	المسلمون	النصارى	اليهود
المدينه القديمة :	٩٣٤٥	٧٢٦٢	٥٦٣٠
المدينة الجديدة :	٤٦٦٨	٧٤٣٧	٢٨٣٣٢
المجموع :	١٤,٠١٣	١٤٦٩٩	٣٣,٩٦٢

مجموع سكان المدينة/ ٦٢٦٧٤ .

مجموع المسلمين والنصارى / ٢٨٧١٢ .

وثائق اسلامية

واستعرض المؤلف مجموعة من الوثائق ، وهي حجج الأوقاف الاسلامية التي تؤكد أن حائط البراق له علاقة متينة باسراء رسول الله ﷺ الى القدس . . وأن الأرض الواقعة الى الغرب منه هي وقف اسلامي . . وأن أرض الزقاق الواقعة أمام الحائط التي عرفت« بحائط المبكي » هي جزء من ذلك الوقف . . وان المغاربة على تلك الأرض لهم حق الانتفاع من الوقف .

وانه لم يسمح لليهود الا بزيارة المكان .

هذا هو الوضع الشرعي القانوني عندما انتهى الحكم العثماني ، وبدأ الحكم البريطاني في ٩ كانون الأول سنة ١٩١٧ ميلادية .

كما أورد قرارات اللجنة الدولية في مسألة « حائط البراق » الصادرة عام ١٩٣٠ . ومن أهم القرارات :

ـ للمسلمين وحدهم حق ملكية الحائط الغربي لأنه جزء من ساحة الحرم الشريف وهي ملك من أملاك الوقف الاسلامي .

ـ للمسلمين وحدهم حق ملكية الرصيف « الزقاق » الواقع بين الحائط وحي المغاربة المقابل له . . لأنه جزء من وقف صحيح بحسب الشريعة .

ـ لايجوز ان يعتبر « السماح » باحضار الأدوات اللازمه للصلاة ، ووضعها بجانب الحائط . . حجة لليهود لادعاء شيء من الملكية في الحائط أو الرصيف الواقع أمامه .

هذه حقبة من تاريخ فلسطين والقدس الشريف ، عرضها المؤلف مدعمة بالحقائق التاريخية والاحصائية لتعرف الاجيال قصة العدوان الصهيوني على أرض فلسطين وادعاءات الصهيونية الكاذبة بوجود هيكل سليمان الذي اثبتت حفرياتهم بأنه لايوجد الا في خيالهم فقط . ◻

■ ينبغي أن أكون قاسيا ، ولكن لابد أن أكون رحيما (شكسبير) .

■ على قدر الهمم . . . تكون الهموم (أرسطو) .

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ ابن لص - رواية .
المؤلف/ مانويل روخاس سيبولبدا .
ترجمة/ رفعت عطفة .
الناشر/ وزارة الثقافة - دمشق .
عدد الصفحات/ ٤٩٣ من القطع الكبير .

ضمن عملية الاهتمام الواسع بأدب أمريكا اللاتينية ، تأتي هذه الترجمة لرواية من الأرجنتين بعنوان ابن لص ، لتضاف الى مجمل التراث الأدبي الأرجنتيني ، رغم كون المؤلف تشيليا بالأصل .

وفي هذه الرواية يحكي انيتيتو أنيبا حياة والده الذي كان لصا للمجوهرات ، وحياة أصدقائه ، ليرسم عالم الناس الهامشيين ، في مجتمع يعيش حياة البؤس والفقر والمطاردة في ظل نظام مستغل وقاس .

الكتاب/ صورة أب .
المؤلف/ رفعة الجادرجي .
الناشر/ مؤسسة الأبحاث العربية/ بيروت .
عدد الصفحات/ ٢١٢ من القطع الكبير .

يحاول رفعة الجادرجي في هذا الكتاب رسم صورة قلمية لوالده ، السياسي العراقي كامل الجادرجي ، الذي لعب دورا مهما في حياة العراق السياسية قبل وبعد ثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨ ، وفي النهاية ، فقد رسم رفعة الجادرجي صورة حقبة كاملة وغنية من حياة العراق الذي كان يمور بالاتجاهات السياسية والفكرية ، وبخاصة في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

الكتاب/ دفاعاً عن الاغنية العربية .
المؤلف/ الياس سحاب .
الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عدد الصفحات/ ٢٧٠ من القطع الكبير .

ينطلق مؤلف الكتاب من أن الأغنية العربية استطاعت في كل حالاتها أن تكون مرآة للحياة العربية في كل حالاتها ومستوياتها ، ويقول المؤلف انه اختار عنوان الكتاب الذي عرض فيه لواقع الأغنية العربية محددا سماتها ، مستعرضا نجومها ، ومحللا تطورها ، من منظور الدفاع عن الثقافة العربية التي تعتبر الأغنية أحد مكوناتها وتجلياتها .

والمؤلف ، وهو كاتب سياسي بالأصل ، ينطلق من رؤية قومية واجتماعية شاملة ، رغم أن الكتاب يستعرض واقع الأغنية في بعض البلدان العربية فقط مع تركيز على مصر ولبنان .

الكتاب : الحفلة - مجموعة قصصية
المؤلف : عبدالله باخشوين
الناشر : نادي جازان الادبي - جدة
عدد الصفحات : ١١٤ من القطع المتوسط .

هذه المجموعة من القصص كتبها واحد من جيل الادباء السعوديين الشبان الذين يرسون أسس الكتابة الادبية هناك .

ويجمع الكاتب بين التجريب والسرد التقليدي لرسم صورة مدينة جدة السعودية القديمة بأزقتها الضيقة وأحيائها الشعبية النابضة بحياة بسيطة .

الكتاب/ فاطمة تذهب مبكرة الى الحقول ـ شعر .
المؤلف/ يوسف أبو لوز .
الناشر/ اتحاد الأدباء العرب ـ دمشق .
عدد الصفحات/ ٧٧ من القطع الصغير .

يتعامل الشاعر في هذا الكتاب أساسا مع اليومي والعادي والبسيط ، باحساس فائق بمأساة الحياة الفلسطينية وبجمالياتها المعذبة ، وهو في محاولته برسم صورة الحياة الفلسطينية في عريها الكاشف ، يلجأ الى أكثر من شكل من أشكال القصيدة الحديثة ، من التدوير الى الوزن الى القافية الى قصيدة النثر ، كما تتوزع قصائد الديوان على مسافة زمنية تستوعب الأسماء العادية مثل محمد وفاطمة ، الى أسماء التمرد الجاهلي كالشنفرى ، وبينها تظل حالة بيروت المحاصرة عنوانا للزمن الفلسطيني الذي يحاول الشاعر أن يرسمه .

الكتاب/ الغطاوي الكويتية .
المؤلف/ د . محمد رجب النجار .
الناشر/ شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت .
عدد الصفحات/ ١٨٢ من القطع الكبير .

قام المؤلف في كتابه هذا بجمع وتدوين فن شعبي كويتي مهدد بالانقراض ، هو فن « الغطاوي » الذي يعني الأحاجي والألغاز ، ولم يقتصر دور المؤلف على جمع وتدوين هذه الغطاوي ، بل تجاوز ذلك الى تصنيفها ودراستها ، وابراز وظائفها الفكرية ودلالاتها الاجتماعية والفنية ، وذلك في أول دراسة من هذا النوع .

الكتاب/ مساهمة في نقد النقد الأدبي .
المؤلف/ نبيل سليمان .
الناشر/ دار الطليعة ـ بيروت .
عدد الصفحات/ ٢١٨ من القطع الكبير .

في هذا الكتاب يتجه الناقد السوري نبيل سليمان الى حقل قلت فيه الكتابة الأدبية هو حقل نقد النقد ، ويختار الكاتب عددا من أبرز الكتاب والنقاد السوريين ، ويدخل معهم في سجالات نظرية تجيب عن بعض الأسئلة ، وتطرح أسئلة أخرى ، لاغناء الحوار الأدبي في سوريا ، ويقسم نبيل سليمان كتابه الى ثلاثة فصول ، يضم الفصل الأول من يرى أن في كتاباتهم تنويعات على الشكلانية ، وفي الفصل الثاني ناقش من رأى أن كتاباتهم تمثل تنويعات على الانتقائية ، وفي الفصل الثالث ناقش التنويعات على الماركسية ، الى جانب ملحق وخاتمة ، أضافهما الى الفصول الثلاثة الأولى .

الكتاب/ نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر .
المؤلف/ س . ي بوبوف .
ترجمة/ نزار عيون السود .
الناشر/ دار دمشق للطباعة والنشر .
عدد الصفحات/ ٢٠٠ من القطع المتوسط .

في هذا الكتاب الصغير الحجم نسبيا ، يتولى الكاتب السوفيتي س . ي . بوبوف مهمة كبيرة ، هي الرد على بعض أهم الأفكار التي تصدر في الغرب ، موجها نقدها الى الفكر الاشتراكي عموما والتجربة السوفيتية بوجه خاص ، ويدخل المؤلف في سجال مع هذه الأفكار وهؤلاء المفكرين ، أما حقل الصراع فهو علم الاجتماع الذي يرى الكاتب انه في الغرب « يعاني أزمة حادة ، فهو فقير بجوهره رغم تنوع الاتجاهات واختلاف المدارس فيه ، وبرغم بريقها الخارجي » .

مسابقة العربي الثقافية

العـدد ٣٣١
يونيـو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت (مسابقة العربي الثقافية) العدد ٣٢٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا ـ ١٥ يوليو ١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣١

١ ـ يقفز الكلب ٢٧ قفزة مقابل كل ٢٥ قفزة يقفزها الثعلب .. فكم قفزة ينبغي للكلب أن يقفز للحاق بالثعلب ولتجاوزه ؟ . . اذا كان هذا الثعلب قد سبق له أن انطلق واستكمل قفز ٥٠ قفزة ... علما بأن قفزات الحيوانين متساوية بالطول .



٢ ـ رسوم ولوحات رائعة وجدوها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا .. وشمال اسبانيا .. ترى الى أي العصور التاريخية تعود بنا هذه اللوحات ؟

- عصر النهضة الأوروبية الحديثة .
- عصر الثورة الفرنسية .
- العصور الحجرية المتقدمة .



٣ - بحيرة صغيرة مياهها ساخنة ، بل تغلي كالنافورة . ترى أين تقع هذه البحيرة ؟ !

* عند خط الاستواء .
* في القارة القطبية الجنوبية .
* في نيوزيلندة .

٤ - هل تتزحزح الشلالات وتتحرك عن مواقعها .. علماً بأنها صخور تتدفق من فوقها المياه . . . ؟

٥ - كتاب الجاسوس على القاموس . . من ألفه ؟ وما الذي قصد اليه من تأليفه إياه ؟

٦ - رجل من عظماء التاريخ ، اسمه (سيدارثا جوتاما) امتدت حياته أكثر من مائة سنة (٥٦٣ - ٤٨٣ ق . م) الا انه اشتهر باسم آخر غير اسمه الحقيقي . . هل تعرف من هو ؟

٧ - مدينة بومباى ، أكبر مدن الهند ، فى غنى عن التعريف . . ترى أين تقع جزيرة بومباى ؟

٨ - من هو مخترع التلسكوب ؟

* هانس ليبرشي Lippershey صانع النظارات الهولندي وذلك سنة ١٦٠٨ .
* جاليليو الفلكي الايطالي الشهير وذلك سنة ١٦٠٩ .

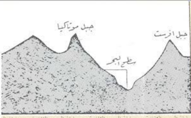
٩ - يبلغ طول القطار ميلا واحدا وتبلغ المسافة التى يريد قطعها بين محطة (أ) ومحطة (ب) (٨) أميال . . .
فاذا ركب القطار رجل فى مؤخرته (القطار) وقد بدأ يتحرك من المحطة (أ) قاصدا المحطة (ب) . .
واذا كان الراكب المذكور لم يبق واقفا فى القطار بل سار فيه حينما كان القطار يسير بين المحطتين . . فكم ميلا يكون هذا الرجل قد قطع مشيا على الاقدام . . . ؟ وكم ميلا يكون قد قطع راكبا . . ؟ علما بأنه وصل القاطرة فى اللحظة التى وصل فيها القطار المحطة (ب) . . .

١٠ - أيهما أكثر انخفاضا تحت سطح البحر . . البحر الميت أم بحيرة بايكال فى روسيا . . ؟ ادعم جوابك بالأرقام . . . .

١١ - لم ترى السماء زرقاء أثناء النهار ؟

* بسبب لون البحار . . فهو أزرق وينعكس على السماء .
* لون السماء أبيض لا أزرق ، ولكن بصرنا يخدعنا فنراه أزرق .
* لأن الاشعة الزرقاء فى ضوء الشمس لاتصلنا فى خط مستقيم كسائر الأشعة ، ولكنها تتغير بتأثير الهواء الجوى . . فتصل الى أعيننا من كل جانب . . فيتغلب اللون الأزرق تبعا لذلك .

١٢ - ما هو الزاووق . . علما بأنه معدن كثر الحديث عنه فى كتب السلف الصالح . . وعلماء الكيمياء منهم بخاصة ؟ ☐



حل مس

١ ـ الشاعر الأول هو عبيد بن الأبرص .
والشاعر الثانى هو امرؤ القيس .

٢ ـ هذا هو صدر أحد أبيات القصيدة اليائية لأبي تمام ، وهى التى نظمها بمناسبة فتح عمورية ، وظهور المذنب فى تلك الأثناء .

٣ ـ امرأة عقيم : تجمع على نساء عقائم وعُقُم
رجل عقيم : تجمع على رجال عقماء وعقام وعقمى .

٤ ـ اسم الجبل هو موناكيا ويقع فى جزيرة هواى (لاهايتى كما ورد خطأ) فهذا الجبل يزيد ارتفاعه على ارتفاع جبل افرست بمقدار ٤٣٤٨ قدما ، هذا اذا قيس الارتفاع من قاعدة الجبل .. وهى مغمورة فى ماء البحر فيما يختص بجبل موناكيا .. والصورة المرفقة توضح المقصود ، ولعلها تعيد الى الجبل المغبون بعض اعتباره .

٥ ـ جزيرة ايستر (عيد الفصح) وهى جزيرة نائية منعزلة ، تقع فى المحيط الهادى على بعد ٢٣٠٠ ميل من الشيلى ... التى تحكمها منذ سنة ١٨٨٨ ، مساحتها ٦٤ ميلا مربعا ، وسكانها ٨٠٠ نسمة .. اكتشفها الهولنديون سنة ١٧٢٢ ، وذلك فى عام عيد الفصح بالذات ، ومن ثم التسمية والتماثيل التى اشتهرت بها الجزيرة ما زالت مجهولة الأصل .

٦ ـ هذه شجرة حقيقية ، وتوجد فى كاليفورنيا ، وقد سموها (الجنرال شيرمان) يبلغ ارتفاعها حوالى ٩٠ مترا ، ولايزيد ارتفاع برج بيزا على ٥٥ مترا ، وهى قديمة ، أقدم من توت عنخ أمون ، ويبلغ عمرها ما بين ٣٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنة .

٧ ـ المكان المقصود هو قناة بناما .. فالمحيط الأطلسى يقع الى شمال المضيق ، والمحيط الهادى الى جنوبه .. والصورة المرفقة دليل على ذلك .

٨ ـ انه نهر الجانجس فى الهند .. والهندوس يقدسون هذا النهر ، ويقبلون على الاستحمام فيه ، بصرف النظر عما اذا كانت مياهه ملوثة أم لا ... وتجدر الاشارة الى أن هذا النهر يجرى لا فى الهند فحسب ، وانما فى الباكستان أيضا؟ .. ويبلغ طوله ١٥٥٧ ميلا .. ويستفاد من النهر فى الرى الزراعى على نطاق واسع .

٩ ـ تحتوى المكتبة على عشر كتب (١٠ + ١٠ + ٥ + ٧ = ٣٢) .

١٠ ـ ١٣ قطارا .

١١ ـ مجموع ما يقبضه من فلسات هو :
٤ , ٢٩٤ , ٩٦٧ , ٦٤٨

١٢ ـ السفينة الأوروبية جيوتو .. وقد وقع هذا الاقتراب أو الاقتحام بالفعل يوم الخميس فى ١٩٨٦/٣/١٣ .. وكانت السفينة الروسية (فيجا) قد اقتربت من مذنب هالى الى مسافة ٨٠٠٠ كم فى يوم الخميس الواقع فى ٦ / ٣ / ١٩٨٦ □.



ـابقة العدد ٣٢٨ مارس ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٨
مارس ١٩٨٦

الجائزة الاولى : فداء عبدالرحمن عبدالله الشهوان / الصفاة ـ الكويت .
الجائزة الثانية : ناصر محمد السوادحة / الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية .
الجائزة الثالثة : كمال ابو اليزيد شباره/ كفر الزيات ـ مصر .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالله محمد سليمان / الظهران ـ السعودية .
٢ ـ حسن الفقيه رمضان / المهدية ـ الجمهورية التونسية .
٣ ـ مبارك سلمان محمد احمد / ودمدني ـ السودان
٤ ـ الادريسي سيدي محمد / مدينة تيفلت / اقليم الخميسات ـ المملكة المغربية .
٥ ـ محمد قاسم سومرو/ كمالديرو / كنديارو / سند ـ باكستان
٦ ـ رضى جميل جعفر / لبنان الجنوبي / مدينة النبطية .
٧ ـ مهدي عباس هاشم / المنامة ـ دولة البحرين .
٨ ـ عامر جاسم محمد / بغداد ـ العراق

معركة بلا سلاح

مباراة الثأر . . . متى وأين ؟

وأخيرًا . . . وبعد شهور طويلة من المشاورات والمداولات والخصومات والتحديات أعلن الاتحاد الدولي للشطرنج عن موعد مباراة الثأر بين بطل العالم الحالي جاري كاسباروف ومواطنه الروسي أناتولي كاربوف بطل العالم السابق للشطرنج . وسيقام النصف الأول من مباراة الثأر التي تتألف كسابقتها من ٢٤ دوراً في مدينة لندن في العاشر من شهر أغسطس الحالي . وسيلتقي البطلان ثلاث مرّات في الأسبوع في أيام الاثنين والاربعاء والجمعة من الساعة الخامسة حتى العاشرة مساءً والذي يعني ان النصف الاول من مباراة الثأر سيستغرق خمسة أسابيع ، أما النصف الثاني من المباراة فمن الأرجح ان يقام في مدينة لينتغراد السوفييتية في موعد لم يتم تحديده حتى كتابة هذه السطور .

ويضع إعلان الاتحاد الدولي لزمان ومكان مباراة الثأر حدّاً للخلاف الحاد بين رئيس الاتحاد فلورنشيو كامبومينز الذي كان يصرّ على أن تقوم مباراة الثأر في العاشر من فبراير الماضي وبين الفائز الجديد ببطولة العالم جاري كاسباروف الذي كان يرفض فكرة لقاء كاربوف رفضاً تامًّا متحدّياً بذلك قوانين الاتحاد ، وما في ذلك من تعريض نفسه لخسارة اللقب،وهو ما حدث للبطل الأمريكي بوبي فيشر عام ١٩٧٥ . وقد نجم عن تأخير موعد مباراة الثأر تأخير موعد التصفيات النهائية لاختيار اللاعب الذي سيلاقي البطل المهزوم في هذه المباراة حتى عام ١٩٨٧ .

وقد أسفرت التصفيات قبل النهائية بين المرشحين لملاقاة البطل المهزوم والمقامة في تيلبرغ ١٩٨٦ عن فوز البطلين السوفيتيين سوكولوف ويوسوبوف بعد أن هزم اولهما مواطنه فاجانيان (٦ ـ ٢) ، وهزم الثاني البطل الهولندي جان تيمان (٥ ـ ٣) ، وبذلك تكون بطولة العالم للشطرنج قد استقرّت في الاتحاد السوفييتي للسنوات القادمة على الأقل .

وستورد فيما يلي الدور الحاسم الذي أدّى إلى إقصاء آخر منافس غربي عن حلبة الصّراع الدولي على بطولة العالم . ويعتبر هذا الدور من أقصر وأسرع الأدوار بين مرشحي التصفيات النهائية في تاريخ اللعبة وتعرف الافتتاحية بدفاع جرونفيلد .

أ . يوسوبوف	ج . تيمان
١ . د ٤	ح - و٦
٢ . جـ ٤	ز٦
٣ . ح -جـ ٣	د٥
٤ . جـ×د٥	ح×د٥
٥ . هـ ٤	ح×جـ ٣
٦ . ب×جـ ٣	ف-ز٧
٧ . ف-جـ ٤	ب٦ ؟؟

كان التبييت أفضل فالنقلة الحالية تسمح للابيض بالانقضاض على تحصينات ملك الأسود الهشة .

٨ وزير - و٣	ت
٩ . هـ ٥	ف-أ٦

لاغراء الأبيض بأخذ الرخ بدلاً من الفيل والحصول على موقف هجومي جيد

١٠ . ف-د٥	جـ٦
١١ . ف-ب٣	و-جـ٧
١٢ . حـ٤	جـ٥
١٣ . حـ٥	جـ×د٤
١٤ . جـ×د٤	ز×حـ٥ (الشكل)



مُغرياً ملكه اكثر من ذي قبل ولكن ما باليد من حيلة .

١٥ . ر×حـ٥	ف-ب٧
١٦ . و-د٣	ر-د٨
١٧ . و×حـ٧+	م-و٨
١٨ . ح-هـ٢	ر×د٤

ملقيا بآخر سهم في جعبته .

لو ١٩ . ح×د٤ لكش ملك الابيض في جـ٣

١٩ . ف-حـ٦	يستسلم

حل المسألة (٤٠)
عدد ابريل ١٩٨٦

١ . و-ز٤+	ف×ز٤
٢ . ر×حـ٦+	ز×حـ٦
٣ . ف-و٧ كش مات	

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٩)

عن شهر مارس ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - الموغازلي يوسف - مراكش/ المغرب
٢ - عصام السكري - الغربية/ ج . م . ع
٣ - فوزي البكوري - طرابلس/ ليبيا
٤ - خالد سعد - بيروت/ لبنان
٥ - محمد النسعة - روى/ عمان

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - ياسر ابراهيم - البحيرة/ ج . م . ع
٢ - عبدالمجيد الموليلي - خريبغة/ المغرب
٣ - ممدوح عبدالناظر - صفاقس/ تونس
٤ - قيس جبرائيل - السويد
٥ - محمد صوانه - أربد/ الاردن



مسألة العدد
رقم (٤٢)

مات ٤

مهداة من القارىء محمد مهدي النسعه

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

تحيات كريمة للكويت في عيدها

● الى أسرة تحرير مجلة العربي

وددت أن أعبر لكم عن اعجابي بمجلتكم الجيدة ، واني أتمنى أن تكون جميع المجلات التي تصدر في الوطن العربي بهذا المستوى الجيد ، وأرجو لكم التوفيق والنجاح في مهمتكم الكبيرة .

وبهذه المناسبة أتوجه بالتهنئة اليكم والى الشعب الكويتي الشقيق ، بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين للاستقلال ، وأتمنى للشعب الكويتي التقدم والنجاح والازدهار .

حسام نعمه/دمشق /شارع بغداد

العربي

أحيانا تصلنا رسائل عديدة تعبر عن مشاعر القراء الكريمة حيال مجلتهم العربي ، وتقديرهم لدورها ، مع اعتزازنا بما تحمله هذه الرسائل من مشاعر طيبة ، فإننا في العادة لا ننشر هذا النوع من الرسائل ما دام لايتضمن سؤالا أو تعليقا ، أو وجهة نظر في قضية من القضايا التي تنشر في العربي ، ولكن رسائل عديدة في هذا الشهر وصلتنا ، تحمل الى جوار التحيات الطيبة أرق التهاني للكويت وشعبها الكريم ، بمناسبة العيد الوطني الخامس والعشرين ، وقد اخترنا من بينها هذه الرسالة الموجزة في كلماتها الكبيرة . بما تعبر عنه ، ولا شك أنها بادرة طيبة من الاخوة القراء ، ولفتة كريمة يسعدنا أن ننقلها هنا لشعب الكويت العزيز ، ولكاتب الرسالة المنشورة ، ولكل الاخوة الذين كتبوا بهذه المناسبة الكريمة التحية والشكر .

حول المدفئة

● في افتتاحية مجلة العربي ، حديث الشهر للدكتور محمد الرميحي ، عدد يناير سنة ١٩٨٦ ، وردت تسمية القمة المنعقدة في جنيف بين ريجان وجورباتشيف ، في شهر نوفمبر الماضي باسم « مدفأة النار » فما سبب هذه التسمية مع شكري الجزيل .

عيسى عبدالله بغداد / جسر ديالى القديم

العربي

الصحافة هي التي أطلقت هذه التسمية ، ولعلها تشير الى أن محادثات هذه القمة كانت نوعا من الحوار حول المدفئة ، وهو حوار يهدف الى مزيد من التعارف والتقارب ، ولا يتوقع أحد منه نتائج حاسمة .

لقاء مع محمود درويش

● تحية عربية صادقة لكل العاملين في مجلة العربي .

أبدأ مباشرة بتقديم اقتراحي ، بأن تقدم المجلة في باب « وجها لوجه » لقاء مع الشاعر الفلسطيني

« محمود درويش » يكشف فيه عن جوانب من حياته وفكره وآرائه في القضايا القومية والسياسية والفنية ، واعتقد أنني بذلك الاقتراح أعبر عن رغبات العديد من القراء الذين هم بشوق لمزيد من التعرف على الشعراء أمثال محمود درويش ، هؤلاء الشعراء الذين نضع « قصائدهم شعارات على دفاترنا ، ومن خلال مجلتكم أحب أن أقدم تحيتي الى الشاعر الكبير محمود درويش وأقول أين أنت ؟

وهناك سؤال آخر اتمنى أن تجيبوا عنه في باب « حوار القراء » وهو كيف أستطيع الحصول على كتب سلسلة من المسرح العالمي ، لأني لا أجدها في مكتبات بلدي ولكم الشكر .

سناء الاسماعيلي
سوريا / حمص

العربي

نشكر للقارئة اهتمامها ، ونود أن نبلغها ان اعداد حوار مع الشاعر الكبير « محمود درويش » هو ضمن تخطيطنا لباب « وجها لوجه » وهو أمر نعتز به ونحرص عليه ، ونأمل أن يتحقق ذلك في فرصة مناسبة قريبة ، وبالنسبة للحصول على سلسلة كتب المسرح العالمي فيمكن للقارئة أن تكتب طلبا تحدد فيه ما تريده من هذه السلسلة الى وزارة الاعلام بالكويت ، باسم السيد الوكيل المساعد لوزارة الاعلام .

حول أشعة الليزر

● في العدد ٣٢٠ من مجلة العربي نشرتم موضوعا عن « أشعة الليزر » للأستاذ رؤوف وصفي ، وقد قرأت الموضوع بشغف واهتمام ، وشعرت برغبة قوية في صنع جهاز لاصدار اشعة الليزر (أشعة المستقبل) وقد بدأت فعلا بالبحث عن الأدوات اللازمة لصناعة هذا الجهاز وهي :

١ ـ مرآتان : احداهما عاكسة والأخرى مثبته عاكسة .
٢ ـ مادة النيوديوم المذابة في أكسيد كلوريد الصوديوم .
٣ ـ اسطوانة من الياقوت الصناعي .

لكني لم أجد في بلدي ـ سوريا / حلب ـ هذه المواد ، فهل تتوفر مثل هذه المواد في الكويت ؟ أو هل يمكنكم ارسال عنوان كاتب هذه الموضوع لسؤاله عن كيفية توفير هذه المواد والأجهزة ، وعن بعض المراجع عن أشعة الليزر .

آمل أن تردوا على رسالتي هذه في باب حوار القراء وشكرا .

يوسف خضرو/سوريا / حلب

العربي

تهدف العربي من نشر هذه الموضوعات الى تبسيط العلوم للقارىء ، وتعريفه بالتطورات الكبيرة في تطبيقاتها ، وما يعنيه ذلك من بعث الاتجاهات العلمية ، وطرق التفكير العلمي لدى القراء ، ولكن صناعة جهاز لاصدار أشعة الليزر فلعله أمر يخرج عن نطاق جهود فرد ، وبشكل عام فان المواد والأجهزة التي يسأل عنها القارىء الكريم ، يمكن أن تتوفر في كلية العلوم ، قسم الفيزياء ، بالجامعة السورية ، أو بعض النوادي العلمية التي قد تكون موجودة في دمشق .

وبالنسبة لعنوان الأستاذ رؤوف وصفي كاتب المقال ، فهو الكويت : الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، ص ب : ٢٣١٦٧ الصفاة .

مجرد استفسار

● نشرتم في مجلة العربي الغراء العدد ٣٢٧ ، موضوعا علميا شيقا تحت عنوان « وهم بالبوصلة في حياتهم مهتدون » للدكتور عبدالمحسن صالح ، وكان الكاتب الكبير يقف عند كل فكرة علمية جديدة

حوار القراء..

بالشرح والتحليل لأسبابها وغاياتها باستثناء فكرة واحدة ، وهي انه عندما عرفنا بتلك الحجارة الموضوعة وسط الغابة في أول المقال والتي يبلغ سمكها الضيق ثمانين سنتيمترا ، وسمكها العريض ثلاثة أمتار ، وارتفاعها ما بين أربعة وخمسة أمتار ، ثم اخبرنا الدكتور بأن مشيدى هذه الأحجار الضخمة ليست الا حشرات ، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن ، ونرجو من الدكتور توضيحه هو : ما نوع هذه الحشرات ؟ وكيف تمكنت من تشييد حجارة بذلك الحجم ؟؟

مجاهد بن عبدالرحمن الدار البيضاء / المغرب

العربي

لعلنا بنشر هذه الرسالة نتيح الفرصة للدكتور عبدالمحسن صالح أن يطلع عليها ويرد على القارىء الكريم في هذا الباب أو يستكمل ايضاح هذه النقطة في بعض مقالاته الممتعة القادمة .

حوار القراء .. دوره ومكانه

باب حوار القراء هو حلقه الاتصال بين القارىء والمجلة وبين القراء وبعضهم .

وان اذا أشكر للمجلة ما تنشره من ملاحظات وتعليقات وآراء لقرائها في هذا الباب ، فاني أتساءل : لماذا يأتي باب حوار القراء في آخر صفحات المجلة ، ويكاد يضيع بين الاعلانات وبين صفحات مسابقة العربي الثقافية ، واذا كان هذا الباب له هذه الأهمية فلماذا لا يحتل مكانا في الصفحات الأولى للمجلة ؟

تنويه

● جاءنا من الدكتور محمد عبدالله المشاري تنويه يفيد فيه بأن كلام الصور المنشور في صفحتى (١٢١) و (١٢٢) من العدد رقم (٣٢٩) ابريل - نيسان ١٩٨٦ من المجلة قد حدث فيه شيء من الخلط ، فكلام الصورة ص (١٢١) هو مرض الصدفية وليس فطريات حلقية ، وكلام الصورة ص (١٢٢) هو فطريات حلقية وليس مرض الصدفية .

وبالعودة الى اصول الصور وجدنا أن ملاحظة الدكتور صحيحة ، وأن الخلط وقع عند تركيب الصور ، فشكرا للدكتور على ملاحظته .. وبذا لزم التنوية .

والدكتور محمد عبدالله المشاري حاصل على دكتوراه ، واستشاري في الأمراض الجلدية والتناسلية .

أرجو أن تنشر ملاحظتى فى باب حوار القراء مع شكرى الجزيل والعميق للدكتور محمد الرميحى ، ولكل من يسهم في اعداد هذه المجلة ، لكى تظهر بهذا المظهر اللائق ..

معتز الأسعد - سوريا/ادلب

العربي

نشكر للقارىء العزيز اهتمامه وملاحظته ، وفى الواقع أن قيمة أى مادة منشورة لاتتحدد بالمكان الذى تنشر فيه بالمجلة ، فهناك أسباب عديدة لتحديد مكان النشر ، ليس من بينها قيمة المقال . . .

فقيمة أى موضوع فيما يتضمنه ، وعلى كل حال سوف تكون ملاحظة القارىء موضع الاعتبار والبحث من مجلس التحرير بالمجلة . □

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيو ١٩٨٦ م

الشخصية الإسرائيلية
والروح العدوانية

تأليف: الدكتور رشاد الشامي

٥٠٠ فلس

الكتاب الثاني بعد المئة

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

****

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

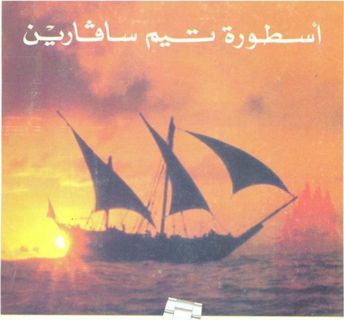
٢٠١ أول يونيو ١٩٨٦

من الأعمال المختارة

هنريك إبسن - ١

الأشباح

ترجمة وتقديم : د. عبدالله عبد الحافظ
مراجعة : د. نور شريف



"تيم سافارين" هو كاتب أولا"، لكنه واحد ممن يتبعون كل المصادر المُمكنة لتأليف قصصه.

أبحر "سافارين" في مركب عربي ليعيد تحقيق، وإثبات حقيقة سفرات السندباد البحري.

كان "سافارين" يؤمن أن السندباد البحري هو شخصية من نسج خيال قباطنة البحر العربي الذين غامروا بجرأة بالغة بالسفر إلى أقاصي أصقاع العالم كما كانوا يعرفونه في تلك الحقبة من التاريخ

هذه الأسفار بالنسبة للقرنين الثامن والتاسع، هي بمثابة إستكشاف أعماق الفضاء الكوني في القرن العشرين.

عندما أعاد "تيم سافارين" إحياء مغامرات الأشخاص الأساطير الذين كتب عنهم، كان يقوم بكل الأعمال متبعا الطريقة ذاتها التي أتبعوها والوسائل والمواد ذاتها التي رافقتهم في أسفارهم. ما عدا ربما معرفة الوقت بواسطة النجوم.

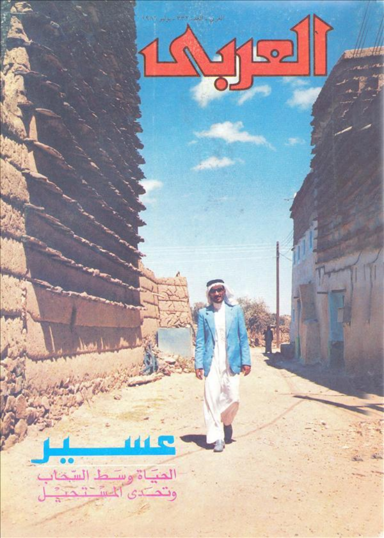
ساعة رولكس "جي ام تي ماستر"، بما تتميز به من دقة وإتقان الصنع واعتمادية مطلقة، هي ساعة، لو وقعت بيد السندباد، لكانت محط إعجابه.

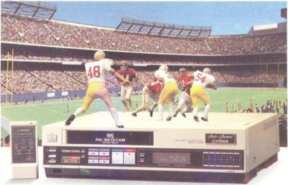


رولكس

ROLEX

رولكس "جي إم تي - ماستر" من الفولاذ، ذهب ١٨ قيراطا" أو من الفولاذ والذهب معا والجميع مع سوار معصم ملائم.


العربي - العدد ٣٣٢ - يوليو ١٩٨٦
العربي
عسير
الحياة وسط السحاب
وتحدى المستحيل



VHS FVH-D720 PAL/MESECAM

فيشر... إنّه عالم جديد مدهش.

١٩٣٧ ـ السنة التي شهدت ولادة عالم جديد من التسلية مع اختراع أفيري فيشر لأول نظام سمعي هاي فاي في العالم. ولقد استمر فيشر في الطليعة منذ ذلك الحين. كيف؟ بتقديمه لأنظمة ذات جودة عالية مهيّئة خصّيصاً "للعصر السمعي المرئي". مثل جهاز FVH-D720، مسجل ڤيديو كاسيت VHS بال/ميسيكام الذي يحتوي على كل الميزات التي يتوقعها أكثر الأشخاص تطلباً من الأنظمة السمعية وأنظمة القيديو. بث عادي خالٍ من التشويش بالإضافة إلى ٦ طرق تشغيل خاصة. جهاز تحكّم عن بعد ١١ وظيفة لاسلكياً من أجل ضبط كامل لمشاهدة مريحة، بالإضافة إلى وثوق فيشر المشهور. كلّها في عرض واحد أنيق. مع فيشر، إنه حقاً عالم جديد مدهش.



CFM-1885M
تحصل على المزيد من متعة المشاهدة مع هذا التلفزيون الملون ٣ أنظمة قياس ١٨ إنشاً بطراز مونيتور وتحكم عن بعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

CFM-2610SR
صورة أكبر وصوت أفضل يوفرها جهاز تلفزيون ملون ١٦ نظاماً قياس ٢٦ إنشاً مع صوت ستيريو وتحكم عن بعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

FVH-M540
مسجل ڤيديو يضع العالم بين يديك مع ٤ أنظمة للتسجيل والمشاهدة وتحكم عن بعد ١١ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

FVH-D620
تشغيل ڤيديو ذو نظام ثنائي من مؤقت مبرمج ٩ أيام لبرنامج واحد وتحكم عن بعد.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العدد ٣٣٢ السنة التاسعة والعشرون يوليو ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 332. July 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الاعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

بانتقال الدكتور عبدالمحسن صالح في مطلع شهر رمضان الماضي ، الثامن من مايو (آيار) الى رحمة مولاه ، فقدنا نحن في العربي - وفي مجلات ثقافية وعلمية عربية أخرى - رجلا من رجالات العلم العربي المميزين ، ليس فقط بمساهماته المشهودة بالكتابة في المجلات في الموضوعات العلمية ، وليس أيضا بكتبه الكثيرة التي أغنى ببعضها المكتبة العربية بشكل غير مسبوق . . ولكن أيضا بتواضع الرجل - رجل العلم - الواثق من نفسه وعلمه .

ولنا مع المرحوم الدكتور عبدالمحسن صالح وقفة . . . فهو الذي كان يمد العربي بإنتاجه الغزير في مجال العلوم والاكتشافات الحديثة ، أصابه ما يصيب كثيرين من الكتاب الجادين . فقد كتب إلينا البعض منذ فترة ينقد إحدى مقالات الدكتور عبدالمحسن صالح قائلا : إنها قد نشرت من قبل . واحتراما منا للعمل الثقافي ورفضنا السماح لأي أحد أن يصطاد في الماء العكر ، كتبنا بذلك للدكتور عبدالمحسن صالح ، وأرفقنا بكتابنا نسخة مصورة من الخطاب الذي تلقيناه .

وجاءنا الرد رقيقا مهذبا . . أضاف فيه مقولة جديدة (بأن العلم يقدم ولا يؤلف ، وهو يختلف عن الأدب لأن الأدب مصدره العقل ، أما المصدر الذي نستخلص منه علومنا الطبيعية فهو الطبيعة ذاتها) .

لقد كان عبدالمحسن صالح - بجانب كل تلك الغزارة في فهم العلوم - يتميز بأسلوب عرض ناجح ومحبب الى أفئدة القراء ، فقد استطاع تقديم الموضوعات العلمية التي تبدو لأول وهلة معقدة ، استطاع تقديمها بصورة مبسطة . . وبرع في ذلك الى أن أضحى قدرة ذاتية لا يدانيه فيها الا القليلون . . .

وفي هذا العدد من العربي يظهر المقال الأخير الذي كتبه لنا المرحوم د. عبدالمحسن صالح - بعنوان « كلاب تساوي وزنها ذهبا » .

. . وقد سبقت هذا المقال مقالات أخرى كثيرة على مدى أكثر من ربع قرن على صفحات العربي . . . نقدم بعضها قريبا في « كتاب العربي » . . . . حيث يكون واحدا من سلسلة الكتب العشرين التي أصدرها وكان آخرها كتابين في سلسلة عالم المعرفة التي تصدر بالكويت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . . . أحدهما بعنوان « الانسان الحائر بين العلم والخرافة » والثاني بعنوان « التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان » .

إننا بفقدنا لهذا الكاتب الكبير . . نرجو أن يعوضنا الباري بجيل جديد من الكتاب العرب العلميين ، ليس في الأسلوب والتناول فقط ، ولكن في كبر النفس المصاحب بالتواضع الذي لمسناه خلال تعاملنا مع الفقيد الكبير . . داعين لذويه وتلاميذه بالصبر .

المحرر

محتويات العدد



فوق قمم جبال السروات ، تقع منطقة عسير حيث التاريخ وجمال الطبيعة الاخاذ وجهد انساني يتحدى ظروف البيئة ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

هل هي بداية النهاية لأمنا الأرض ؟

- ما نعرف وما لا نعرف عن الأخطار النووية !
- الغيوم الملوثة بالإشعاع تسقط السياسة والجغرافيا أيضاً !
- التستر على الحقائق المخيفة .. يؤجل الفزع ولا يلغيه !
- غرائب خطيرة بيننا .. ونحن غافلون .. غافلون !

في صيف ١٩٧٠ وفي مدينة فودزى اليابانية حدث ما يشبه المعجزة ، فقد استطاع المصورون الصحفيون لاحدى الصحف التي تصدر في تلك المدينة أن يحمضوا صورهم في المياه العادية لنهر (أوروب) الذي يشق المدينة ، ونشر الصحفيون تلك الصور الفوتوغرافية العادية التي حصلوا عليها نتيجة تظهيرها في تلك المياه ، البعض استغرب تلك الوسيلة غير العادية في اظهار الصور ولكن عندما عرف السبب لم تكن الحادثة بمعجزة أو تنطوي على شيء منها ، فقد تبين أن نفايات مصانع الورق المحلية التي تلقى في النهر قد لوثته بمجموعة من الكيماويات الى أن غدا النهر حوضاً كيماوياً يستطيع المصورون إظهار صورهم الفوتوغرافية فيه !

وخلال العقد الماضي وربما قبل ذلك ، أصبحت صيحة التلوث والملوثات في الأنهار والبحار والأراضي والأجواء هي الشغل الشاغل للكثيرين في الدول المتقدمة ، حيث ان نطاق التدمير للبيئة هائل الى حد يقصر عنه الوصف .



الدول النووية وعدد المفاعلات المستخدمة في كل منها

إن تقدم البشرية في الاكتشافات العلمية منذ القرن التاسع عشر واكبه في نفس الوقت تحطيم للبيئة بمقدار أكبر ، وإذا نظرنا الى سلسلة الاكتشافات العلمية التي قدمت خدمات هائلة للانسانية فاننا نكاد نذهل من سرعتها ، ففي سنة ١٧٩٨ اكتشفت الأمصال الواقية ضد الأمراض المعدية ، وفي سنة ١٨٠٠ صنعت أول آلة لجني الحصاد ، وشهدت فترة ١٨٠٣ ـ ١٨١٤ صناعة أول القاطرات والبواخر البخارية ، في سنة ١٨٠٦ تم اكتشاف اليود والمورفين واخترعت ماكينة الغزل الآلي وحصلت البشرية في عام ١٨٢٤ على الأسمنت وبعد عام على الألمنيوم وأول عيدان الكبريت ، وفي عام ١٨٢٩ تم اختراع (التلجراف) .

هكذا توالت الاختراعات والاكتشافات ، وطوى التقدم العلمي الزمن في اكتشافه لكثير من الاختراعات فيما بين مرحلة الأبحاث المختبرية الى مرحلة الانتاج الوفير الى درجة أن الفترة التي قطعت بين الأبحاث المختبرية للراديو وبين انتاجه كانت

٣٥ عاماً (١٨٧٥ - ١٩١٠) ، ولم تلبث أن تقلصت هـذه الفترة الى عشر سنوات (١٩٣٧ - ١٩٤٧) في حالة القنبلة الذرية . وفي المائة والخمسين سنة الماضية انقلبت صورة الانسان رأساً على عقب وفي نفس الوقت ابتلى - كما قلنا - بتحطيم البيئة بشكل أكبر وأعمق . فبعد أن كان الانسان في الماضي - والماضي القريب جداً - عاجزاً أمام القوى الجبارة للطبيعة ، يخشى جبروتها أصبحت الطبيعة - تجاوزاً - هي التي تخشى الانسان ، ومن الأخطار الحقيقية الماثلة أمام أعيننا اليوم كثرة التأثيرات المختلفة التي يحدثها الانسان في البيئة فسرعان ما تنعكس سلبياً عليه .

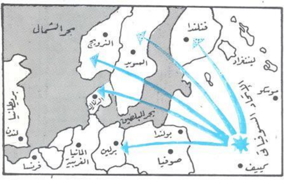
ترويض الطبيعة

□ إن درجة تأثير الانسان على الطبيعة كبيرة جداً ، ويتنامى ذلك التأثير بسرعة بالغة سواء أكان ذلك على شكل اعادة توزيع المصادر الطبيعية أم استخدام عمليات تقنية جديدة ، تجعل الانسان لا يركن الى مستقبل آمن بل يسيطر عليه الخوف من هـذا المستقبل .

إن عصرنا - رغم هذا التقدم الهائل - محاصر بـالخوف - الخـوف من الاخلال بتوازن الطبيعة الذي أتاحه لنا استخدام التقنيات الجديدة - والخوف بالتالي على بقاء الانسان فوق هذا الكوكب . فلم يعد هناك شك علمي بأن الطبيعة وحدة متكاملة ، ومجمل من العناصر - بعضها نعرفه وبعضها ما نزال نجهله - متكيفة بعضها مع البعض الآخر تؤثر وتتأثر وتترابط أجزاؤها في كل متماسك ، شأنها في ذلك شأن الأعضاء والأجهزة في بدن الانسان أو أجزاء جسم الساعة ، ويقوم بين كل تلك العناصر توازن مستقر يسمح بمرونة قليلة ويتكيف نسبياً لدى حدوث أي تأثير طارىء ، أما اذا تجاوز التأثير حدود المقدرة النسبية للتكيف فان توازن الطبيعة هذا يختل وقد يصل به الأمر الى نتائج مفجعة .

لقد أصبحت العلاقة المتبادلة بين العناصر المختلفة في الكيان الحيوي الأرضي حقيقة علمية ثابتة - شأنها شأن التمثيل الضوئي - والدورة البيوبيولجية بين التربة والنبات ، أو عمليات دوران الكربون أو الأزوت في الطبيعة ، إنه نظام دقيق يحكم تناسق الكون ، كلما أوغلنا فيه تجلت لنا قدرة الخالق الذي جعل لكل شيء سبباً ، وكلما عرفناه أكثر تبين أن نجاحات الانسان في العلم والتقنية تؤكد لديه في نفس الوقت ضعفه وعجزه الانساني ، ولعل أعمق وأوضح ما تتجلى فيه قدرة الانسان المحدودة في التعامل مع الطبيعة هو في السيطرة على ذلك (المولود النووي) ذلك الطفل القوي العنيد النزق ، والذي يبدو أنه ولد قبل أوانه ، لقد بدأ عصر الذرة ولاتستطيع أية قوة - الآن - ايقافها أو الحيلولة دون تقدمها وتطورها ، ولكن لابد من الاعتراف بالحقيقة المرة وهي أن البشرية بدأت غير قادرة على استخدام قوى الذرة بنجاح مطمئن بعد أن أيقظتها من سباتها . أما السبب في ذلك فتدخل فيه عناصر كثيرة بعضها سياسي كأن يتهم الغرب الشرق (بالطفولة النووية) ، أو أن يتهم الشرق الغرب بنقص في المراقبة الدقيقة والصارمة وهي السمة اللصيقة بالنظام الشمولي ، ولوجهتي النظر كثير من الأدلة التي تقبل أو ترفض .

إلا أن ذلك ليس موضوعنا الآن .



بعض المناطق الاوروبية التي وصل اليها الاشعاع

التلوث النووي

□ منذ فترة قليلة نسبيا سمع العالم بالتعبير التالي : (المفاعل النووي) أو استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية ومنها المفاعلات الذرية المنتجة للطاقة الكهربائية ، وأصبحت هذه المهاد الذرية قادرة على اتمام عملية انشطار ذرات اليورانيوم لتكوين سيول من الاشعاعات ذات الفاعلية الاشعاعية والطاقة الحرارية التي يمكن استخدامها في شتى أغراض الصناعة الحديثة ، هذه الأقبية الحاضنة أصبحت في وقت قصير من الزمن المطلب الاول في الدول الصناعية والدول المتطلعة الى التصنيع ، فعلى سبيل المثال في كل من فرنسا وبلجيكا اليوم حوالى ٦٠٪ من الطاقة الكهربائية مولدة من مفاعلات نووية ، وفي المانيا الغربية حوالى ٣٦٪ من الطاقة الكهربائية مستمدة من نفس المصدر ، ويعد الاتجاه إلى بناء مفاعل نووي لدى بعض الدول في العالم الثالث علامة على التقدم ، حتى جاءت الحادثة الأسوأ - ولكنها ليست الأولى - وأعني بها حادثة انفجار المفاعل النووي في شرنوبل - الواقعة على بعد مائة وثلاثين كليومترا شمال مدينة كييف ، عاصمة جمهورية اوكرانيا وثالثة المدن الكبرى في الاتحاد السوفيتي .

ففي الساعات الاولى من صباح ٢٧ ابريل الماضي اكتشف العاملون في المحطة النووية تسرب الاشعاع . ومازلا ذلك حتى اليوم شيء شديد الاختلاط من الدعاية السياسية المركزة والخوف الحقيقي من هذا المارد الجبار ، ورغم أن الاتحاد السوفيتي هو أول من استخدم المفاعلات النووية لانتاج الطاقة الكهربائية وهو ثالث منتج لها من هذا المصدر اليوم بعد الولايات المتحدة وفرنسا ، وقد كان هذا يستوجب مزيدا من الوعى بمواجهة أي احتمال للحوادث بالاستعداد المعقول ، الا أن الذعر والخوف قد انتشر في أوروبا والشرق الاوسط ووصل الى الولايات المتحدة ، لقد قام الاعلام الغربي من

جهته بتضخيم الحادث حتى أوصل عدد من قتلوا في الحادث فورا الى مايربو على ألفي شخص ، وأن كل النساء الحوامل في منطقة الحادث قد نصحوا (سرا) بالاجهاض ، حتى لو كانت المرأة الحامل منهم في شهرها السادس ! في الوقت الذي كان فيه الاعلان السوفيتي عن الحادث بطيئا ومترددا وغير متجاوب مع لهفة الرجل العادي في بلاد كثيرة ، مما جعل الرأي العام العالمي أقرب الى تصديق مانشر في الغرب . ومن الملاحظ أننا نحن العرب ـ من خلال الصحف والمجلات ـ وجدنا انفسنا كالعادة منقسمين بين مضخم للحادث ناقل عن وسائل الاعلام الغربية مشكك في تقنية المفاعلات النووية السوفيتية برمتها ، أو مدافع دون تبصر عن الحادث وكأنه شيء عادي يمكن أن يحدث في أي وقت ! .

وكلا الموقفين في نظري خاطيء .

التأثير على الانسان

□ لم تعد سراً علمياً اليوم تلك النتائج والمضاعفات الخطيرة التي يسببها تسرب الاشعاعات والفضلات النووية من انفجار نووي أو من مفاعل متفجر ، فالذي يدرك طبيعة الأخطار على الانسان من جراء هذه الحوادث يصاب بالذهول ، فالاشعاعات النووية تقترف نوعين من التأثير على الانسان ، جسدي مباشر ووراثي ينتقل من جيل الى آخر ، وثمة علاقة بين الجرعة المشعة ومدى الاصابة التي تحدثها ، ويعرف المختصون أنه عند التعرض لـ ٥٠٠ وحدة إشعاعية (رم) فان معظم البشر يموتون فوراً ، وعند التعرض لـ ٣٠٠ وحدة إشعاعية سيتحطم جهاز المناعة لدى الانسان ، وعند التعرض لـ ١٠٠ وحدة يصاب الانسان بالغثيان والاسترجاع ونزيف دموي من الأنف (ظهور أعراض المرض الاشعاعي) ، وفي معظم الحالات النادرة لأولئك الذين ينجون من هذه النسبة العالية من الجرعات الاشعاعية فانهم يعانون في وقت لاحق من موت بطيء من سرطان الدم أو أشكال أخرى من السرطان .

افتراض المسافة بين مكان الانفجار ووجود الانسان ، وكذلك افتراض التأثيرات المختلفة عليه ما زالت في اطار التخمين العلمي أكثر منها في إطار التحقق الثابت ، فالخبراء قد أثبتوا ـ خصوصاً بعد دراسة تأثير قنبلتي هيروشيما ونجازاكي ـ أن تأثيرات خبيثة تظهر بعد عشرات السنين وربما في الأجيال اللاحقة مثل سرطان الرئة وسرطان الدم وسرطان العظام وسرطان الغدة الدرقية وأشكال أخرى قاتلة ومخيفة من الأمراض .

وتختلف التقديرات أيضاً حول الحد الأدنى من الاشعاع الذي يمكن أن يكون آمناً عند التعرض له . ففي العشرينيات كانت التقديرات المفترضة أن ٣٧ رم (وحدة قياس إشعاعية) هي الحد الأعلى الآمن والمسموح به لتعرض الانسان ، وفي سنة ١٩٣٨ ارتفعت ـ ربما لأغراض الدراسات النووية العسكرية ـ الى (٥٠ رم) ثم عادت الى الانخفاض في سنة ١٩٤٨ الى (٢٥ رم) ثم الى ١٥ رم في سنة ١٩٤٥ ثم الى ٥ رم فقط في ١٩٥٨ ، وبعد أبحاث طويلة في الستينيات اعتقد العلماء أنه لاتوجد جرعة آمنة البتة من الاشعاع ، أية جرعة مهما كانت صغيرة لا بد أن تحمل معها مخاطرها ! غير تلك الجرعات التي يتعرض لها الانسان في بيئته الطبيعية .

أضف الى ذلك أن الاشعاع النووي ليس ثابتاً بمعنى أن خطره لا يقتصر على مكان جغرافي محدد ، فقد ظهر ما سمي لاحقاً « بالعنصر المنسي » وهي الغيوم والأبخرة التي قد تكون مشبعة بالاشعاع وتنتقل حسب سرعة الرياح واتجاهها من منطقة الى أخرى ، فالكرة الأرضية بأسرها في هذه الحالة تبدو كقرية صغيرة مبنية من القش إن تأججت النار في بيت واحد أتت على القرية بأكملها .

الخطر يُسقط الحدود

□ نتيجة لهذا كله فقد سقطت الحدود السياسية والجغرافية الأمر الذي أطلق الهلع الاشعاعي في العالم كله بعد حادث شرنوبل وأصبح هناك حقيقتان إضافيتان لما يعرفه العالم عن التسرب الاشعاعي ـ الحقيقة الأولى أن احتمال وقوع حادث نووي وقت السلم ربما يكون نادراً ـ ولكن هذه الندرة لا تعني عدم وقوعها كاحتراق جزئي أو كلي لقلب مفاعل نووي ، والحقيقة الثانية أن الغيوم المشبعة بالاشعاع يمكن لها أن تسافر مدفوعة بالهواء الى عشرات الألوف من الكيلومترات كما حدث مع المفاعل السوفيتي المعطوب ، فعندما عرف أن منطقة الإلزاس في فرنسا قد تأثرت بالأمطار المحملة بالاشعاع رفض جمهور باريس شراء منتجات الألبان والخضراوات القادمة من تلك المنطقة وانخفضت أسعار الطماطم والسبانخ الى أكثر من ٣٠٪ .

حادث شرنوبل أصاب بالهلع مناطق متعددة في أوروبا الشرقية والغربية بل بعض مناطق أمريكا الشمالية ـ وحتى اليوم لا يوجد تقرير معتمد عليه ونهائي يحدد الخسائر المباشرة والمتوقعة مع مرور الزمن !! من تلك الحادثة والتقارير المحايدة تقول انه قتل خمسة عشر شخصاً مباشرة بعد الحادث ، وهناك عشرون آخرون مصابون بحالات خطيرة من أعراض المرض الاشعاعي ، وبعض الخبراء الغربيين يعتقدون أن هناك مائة ألف مواطن سوفيتي قد تعرض لنسبة مرتفعة من الاشعاع . والمعروف أيضاً أن حادث شرنوبل قد أضاف الى صيغ القاموس السياسي تعبيراً جديداً فيما يمكن تسميته (بلاجئي الغبار الذري) وهم أولئك الناس الذين هجروا منازلهم وتقدرهم بعض المصادر بمائة ألف مواطن وقد يبتعدون عن منازلهم لفترة ليست بالقصيرة .

الكارثة السابقة

□ قبل حادثة شرنوبل بأكثر من اثني عشر شهراً نشرت مجلة (ساينس دايجست) في فبراير ١٩٨٥ تقريراً مطولاً عن أخطار المفاعلات النووية ، وكان الدافع الرئيسي لذلك التقرير ما حدث قبل ذلك بسنوات في المفاعل الكهرونووي الأمريكي في منطقة (ثري مايلز آيلند) القريبة من هارسبرج في بنسلفانيا في الولايات المتحدة ، ففي ٢٨ مارس ١٩٧٩ تعطل أحد المفاعلات في صبيحة ذلك اليوم ، وما إن عرف المواطنون الأمريكان بذلك حتى وثبت الحادثة وتفاعلاتها على رأس نشرات الأخبار وصدر صفحات الجرائد والمجلات ، لقد كان ذعراً حقيقياً ضاعفه أن المسئولين العلميين في المفاعل لم يعرفوا على وجه الدقة سبب ما حدث من تسرب استتبع الحريق ، وانتظرت مضطرة مجموعات من فرق الانقاذ المدربة لعدة سنوات قبل أن تتمكن من الدخول الى قلب المفاعل النووي ، وقدرت نفقات تنظيف الاشعاعات النووية التي تسربت من الحادث بأكثر من مليار دولار ! وقدمت اللجنة التي كلفت بدراسة الأسباب وراء التسرب

تقريرها متضمنا اقتراحات في (٦ آلاف خطوة) يجب على أصحاب المفاعل النووي أن يتخذوها لتحسين مستوى الأمان في مفاعلهم ، أما الاقتراحات الاصلاحية فقد شددت على قضايا منها تدريب أفضل للعاملين ، ووضع خطط إخلاء للطوارىء .

ودفعت بعد ذلك صناعة المفاعلات النووية في أمريكا ثمناً باهظاً لوضع الدروس المستفادة من مفاعل (ثرى مايلز آيلند) موضع التنفيذ ، فأنفقت ملايين الدولارات لتطوير المفاعلات القائمة والتي هي تحت الانشاء ، وشددت الشروط التي كانت موضوعة لبناء المفاعلات النووية فأوجبت التمهل حتى امتد ما كان يستغرقه بناء المفاعل النووي من ٧ الى ٨ سنوات الى أن أصبح من ١٠ الى ١٥ سنة ، وصار الاشكال الرئيسي الذي يواجه صناعة الطاقة النووية في الولايات المتحدة هو التكلفة التي أصبح رقمها في نطاق الأعداد الفلكية ، ولم يقدم منذ ١٩٧٩ أي طلب جديد لبناء مفاعل للطاقة الذرية في الولايات المتحدة ، واليوم (يقول التقرير الذي نشر في فبراير ١٩٨٥) إن دروس (ثرى مايلز آيلند) ما زالت عالقة بالأذهان ، وصناعة المفاعلات النووية الأمريكية في حالة توقف ومدى خدمتها كبديل للطاقة يخضع لتساؤل كبير ، وهي الآن تقدم فقط ١٣٪ من استهلاك البلاد للكهرباء ، والذي يقعدها عن أداء دورها - بجانب الكلفة الضخمة - ما يفرضه البيئيون من مستوى عال من الأمان يزيد التكلفة .

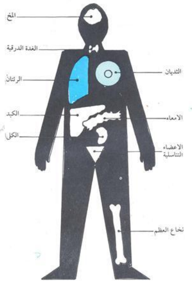
ويواجه العالم اليوم - في إطار المفاعلات النووية - معضلة أخرى هي التخلص منها بعد أن ينتهي عمرها العلمي ، فالمفاعلات النووية تأبى الهَجْر بمجرد انتهاء وظائفها ، والتلوث الاشعاعي يبقى لمئات السنين بل بعضه لآلاف السنين ، وتقدر بعض الاحصائيات أن إحالة مفاعل نووي إلى التقاعد يكلف في بعض الأوقات ٣ بلايين دولار ! واذا عرفت أن متوسط عمر المفاعل النووي لا يتجاوز الثلاثين عاماً يكون تشغيله مجزياً فيها من الناحية الاقتصادية فان الأمر يصبح وكأنه كابوس مريع للأجيال القادمة .

خبرة الانسان العملية في إحالة مثل هذه المفاعلات الى التقاعد والتخلص من إشعاعها ما زالت حتى الآن محدودة ، وقد استغرقت وزارة الطاقة الأمريكية ثلاث سنوات كاملة بين (٧٤ - ١٩٧٦) لتفكيك مفاعل متوسط الحجم ، وكلفها ذلك حوالي ٦ ملايين دولار - بأسعار ذلك الوقت - لدفن النفايات المشعة في المقابر النووية .

الخوف من هذه المخاطر قد أدى الى التوقف عن إكمال بناء مفاعلات أنفقت عليها حكومات وشركات أموالاً طائلة .

لذلك يبقى سؤال ملح هو : هل من المنطقي أن نقوم نحن في الوطن العربي ببناء مثل هذه المفاعلات ، وهل توجد لدينا الخبرة ليس في البناء والتشغيل فقط بل في التسريح بعد ذلك لهذه المواد الخطرة والمشعة ؟ .

ما بين ظهرانينا يوجد مفاعل نووي واحد هو مفاعل ديمونة في اسرائيل الذي يستخدم للأغراض العسكرية ، ولدى بعض الأقطار العربية مفاعلات نووية لأغراض



أعضاء الجسم الاكثر تعرضا للاصابة بفعل الاشعاعات النووية

البحث معظمها شيد بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي ، أما المفاعل النووي الاسرائيلي فهو الأكبر (٧٥ ميجاوات) وقد أنشيء بالتعاون مع فرنسا .

ولا شك أن الخطر الاشعاعي في هذا المفاعل قائم حينما يستغل عسكرياً أو حينما يتعرض لأي حادث عرضي وعلينا أن نحسب له ألف حساب .

اليوم الآخر

□ منذ أن عرض من سنوات قلائل فيلم الرعب النووي المسمى (باليوم التالي) وقطاع واسع من الرأي العالمي قد نما لديه الوعي بالكارثة المحدقة بالانسانية .

وفيلم (اليوم التالي) هو فيلم يتصور وقوع حرب نووية على إحدى المدن الأمريكية ـ وقد أجاد مخرجه (نيكلاس ميير) تصوير مشاهد مدينة أمريكية متوسطة الحجم وهي تنصهر تحت هجوم نووي ، الأجسام تتساقط والجثث مسلوخة بين الركام ، والسحب مفخخة بالجرعات الخبيثة ، هذا الرعب تكرر من جديد عندما

نشرت الأخبار الأولى عن كارثة شرنوبل ، صحيح أن النتائج لم تكن كما توقعها الكثيرون في البداية إلا أن ذلك يدق ناقوس الخطر بقوة لأبناء الانسانية جميعهم ، فليس هناك أحد على هذه الكرة الأرضية بعيد عن كارثة من هذا النوع أو على الأقل بعيداً عن نتائجها غير المباشرة .

وفي واقع الأمر أن التقنية الغربية أو الشرقية في هذا المجال النووي المتقدم متقاربة ، ويجب ألا نخدع بالقول بأن التقنية السوفيتية متأخرة أو غير دقيقة ، فالتقارير المنشورة للخبراء تقول لنا بوضوح ان المفاعل في شرنوبل لا يختلف من حيث التصميم التقني عن المفاعلات الأمريكية أو الأوروبية ، وهذا يعني أن ما حدث هناك يمكن أن يحدث في أوروبا المزدحمة بالسكان ، وكذلك بالمفاعلات النووية في أي مكان من العالم الذي لا تكاد تخلو بقعة منه من مفاعل لأغراض السلم أو الحرب ، كما أن هناك حقيقة ثابتة أخرى . . . . فالذين انتقدوا الاتحاد السوفيتي على تقصيره المبدئي في الاعلان عن الكارثة عليهم قراءة كتاب « نيكلاس هلديارد » البريطاني المسمى (التستر)* والذي نشر في سنة ١٩٨١ ، ففي فصل (الاشعاع) يفصل لنا الكاتب الحوادث الكثيرة التي تعرضت لها المفاعلات النووية في الغرب وتعرفها جيداً السلطات المختصة وتخفيها عن الرأي العام . وهي تشكل خطراً مباشراً أو غير مباشر على الناس والحياة في بقاع كثيرة من العالم سواء في المصانع المتعاملة مع المواد الإشعاعية ، أو مناطق التجارب الذرية ، أو مناطق دفن النفايات . إنه عالم غريب ، حياة الانسان فيه تعد من أرخص الأشياء .

وبعـــد . . . .

مع كل هذه المحاذير والمخاوف ما زال العالم يتقدم في إنتاج الطاقة الكهربائية من مفاعلات نووية ، وتقدر بعض التقارير أن العالم سوف يحصل على نصف الطاقة الكهربائية التي يستهلكها في سنة ٢٠٠٠ من محطات كهروذرية ، وما زال يحاول من جهة أخرى إخفاء النفايات الذرية في مدافن يتفنن الانسان في اصطناعها ، منها على سبيل المثال وضع النفايات الذرية ذات الفاعلية الاشعاعية طويلة المدى في كتل خرسانية ضخمة ، وتغليفها بالرصاص والصلب ثم إسقاطها وغمرها في أعماق سحيقة من المحيط ، وبذلك يتم عزل الشيطان الاشعاعي النووي الرهيب .

البعض يعتقد أن ذلك العزل يتم مؤقتاً فقط ، لأن وجوه الطبيعة المتكاملة وتقلبها ظهراً لبطن ما يلبث أن يعيد بعض المواد ذات الفاعلية الاشعاعية الى البيئة .

إن خطر التسرب الاشعاعي - كما يثبت كل يوم - خطر على الانسان والحيوان ، وعلى مستقبل البشرية جميعا فهل كتب علينا ان ننتظر « اليوم الاخير » ونحن نرتجف من الخوف أو أن بمقدور الانسانية ان تتصدى بشكل حضاري لهذه المخاطر ؟ .

تلك اسئلة من الصعب الاجابة عليها الآن !!

محمد الرميحي

---

* Nicholas Hildyard "Cover UP"-New English Library.

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد أغسطس ١٩٨٦

الأناضول

متحف لكل العصور

استطلاع: سليمان مظهر

أضواء على: **اتفاقية التبادل التجاري بين أمريكا وإسرائيل**
د. فضل النقيب

الأزمة المالية العالمية ومشكلة الديون
د. يوسف سليمان الفاضل

مشاكل العمالة والأجور في البلاد النامية
د. رمزي زكي

- ينبوع من الايمان في أرض المعركة / د. عبد العزيز كامل
- الطب النفسي عند العرب والمسلمين / د. احسان العمد
- هموم وراء قناع ضاحك! / خالد القشطيني
- القاضي عاشق التتار! / د. محمد المنسي قنديل
- وجهًا لوجه د. فاروق الباز وطارق حسيني
- تشالينجر المتحدي تتحداه الاقدار! / طاهر شكر القيسي
- ذكريات مع خليل حاوي / د. عبد العزيز المقالح
- الاثار الادبية والترجمة / عبد الرزاق البصير
- سقف التجديد! / شوقي بغدادي
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر والبيت العربي.

واقرأ أيضًا للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. عبد الله العتيبي - د. حسن فريد أبو غزاله - عبد الرحمن حرتياني، عبد القادر التلمساني - زهور دكسن - جليل العطيه - محمود مفلح

مرض عربي اسمه

الطّاعة!

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

يقول علماء الاجتماع ان هناك قيما تعمل على تثبيت النظام الاجتماعي واستقراره وأخرى تعمل على تغييره وتبديله .
فكيف ينظر الكاتب الى قيمة مثل قيمة « الطاعة » في نظامنا الثقافي والاجتماعي العربي ؟

لو تساءل المرء عن الصفة الأخلاقية التي يراد من الانسان العربي أن يتحلى بها في كافة مراحل عمره ، وفي جميع الميادين التي يتعامل معها خلال حياته الخاصة والعامة ، لكانت هذه الصفة ، على الأرجح ، هي الطاعة . ان الطاعة ، في ثقافتنا العربية ، فضيلة الفضائل ، وهي الضمان الأكبر للتماسك والاستقرار في المجتمع ، وهي الدعامة الاساسية لاستتباب الهدوء والسلام بين الافراد بعضهم وبعض ، وبين كافة المؤسسات التي ينتمي اليها الانسان العربي خلال مراحل حياته المختلفة . والطاعة هي الفضيلة الصامدة ، التي كان يعتز بها التراث العربي في أقدم عصوره، وما زالت في نظر كتابنا وموجهينا ومعلمينا المعاصرين وساما على صدر كل من يتحلى به . انها ، في كلمة واحدة ، الفضيلة التي تبدو ، في نظر الثقافة العربية ، صالحة لكل زمان ومكان .

فضيلة أم رذيلة ؟

والقضية التي أود أن أدافع عنها في هذا المقال تسير في الطريق المضاد لهذا التراث الاخلاقي والاجتماعي الراسخ ، المتأصل ، القديم العهد . ففي رأيي أنه اذا كانت هناك أسباب معنوية لتخلفنا وتراجعنا واستسلامنا أمام التحديات ، فان الطاعة تأتي على رأس هذه الاسباب . انها ، بغير تحفظ ، رذيلتنا الأولى ، وفيها تتبلور سائر عيوبنا ونقائصنا .

وأستطيع أن أقول ان تنشئة الانسان العربي ترتكز ، في مراحلها المختلفة ، على تثبيت هذه القيمة



الخلقية والاجتماعية وغرسها بطريقة راسخة حتى تصبح ، في النهاية ، جزءا لايتجزأ من تركيبه المعنوي . فمنذ سنوات العمر الأولى تعمل الأسرة على أن تكون العلاقة بين الآباء والأبناء علاقة « طاعة » ، وتقدم « طاعة الوالدين » على انها قمة الفضائل العائلية . بل ان الأبناء حين يكبرون ، ينسبونَ نجاحهم الى « دعاء الوالدين » الذي حلت بركاته عليهم لأنهم كانوا أبناء « مطيعين » . ويعمل تراث شعبي كامل على ترسيخ فكرة الطاعة بين الأبناء والآباء وكأنها هي النموذج الأعلى للسلوك الأسري المثالي . وحين يتكرر هذا النموذج عبر عشرات الأجيال ، تكون النتيجة الطبيعية هي جمود المجتمع بأكمله وانعدام التجديد فيه، وتفاخره بشعار رجعي متحجر هو : « وينشأ ناشىء الفتيان منا . . . على ما كان عوده أبوه !!

أما العلاقة بين الزوجين فان أساسها الذي تفرضه التقاليد،وتحاصر به المرأة من كافة الجوانب ، هو طاعة المرأة لزوجها . ان الزوج هو الأمر ، وهو الممسك بالدفة ، أما الزوجة فان سيلاً عارما من الأدبيات والتراث الشعبي والنصائح الموروثة يؤكد أن فضيلتها الكبرى تكمن في كونها زوجة « مطيعة » . فاذا خالفت أوامر « الزوج القائد » أو حاولت الافلات من قبضته فهناك دائما بيت الطاعة ، أعني سجن التمرد .

فصام

وحين ينتقل الطفل العربي من خلية المجتمع الصغرى ، أعني الأسرة ، ليبدأ في الاندماج في

مجالات أوسع وأكبر ، يجد نظاما تعليميا يقوم ، من أوله لآخره ، على مفهوم « الطاعة » . فأسلوب التعليم لايسمح بالمناقشة أو النقد أو التعبير عن الشخصية المستقلة ، وانما يفترض ضمنا أن التلميذ كائن مطيع ، جاء ليستمع باحترام واذعان ، ولا يراد منه الا أن يردد ما تلقاه ، ويكرر ما حفظه عن ظهر قلب . وعلى الرغم من تلك التلال الهائلة من البحوث والتقارير والتوصيات ، التي تصدر عن أساتذة التربية واخصائييها في كل عام، والتي تدعو كلها الى نظام في التربية ينمي الملكات الابتكارية والابداعية ، ويؤكد الشخصية الاستقلالية والقدرة على مواجهة المواقف غير المألوفة ، الخ . . . . فمازال التعليم عندنا نصيًا ، يحتل فيه « الكتاب المقرر » مكانة قدسية ، ولايقوم المعلم فيه الا بدور الكاهن الذي يحض سامعيه على الالتزام بكل حرف في « الكتاب » . وتعمل المؤسسة التعليمية ذاتها على توطين فيروس « الطاعة » في خلايا الأدمغة الفتية الغضة ، فاذا بمعاييرها لتقييم أداء التلاميذ ترتكز كلها على الترديد الحرفي للمعلومات المحفوظة ، وتعطي أعلى درجات التفوق « للتلاميذ « المجتهدين » - وهي في قاموسنا التعليمي لاتعني الا « الحافظين » - وتعاقب كل من يبدى رأيا ناقدا أو مخالفا فتنزله أسفل سافلين . والأدهى من ذلك والأمرّ ، أن أساتذة التربية واخصائييها ، الذين يرون كارثة التعليم المرتكز على « الطاعة » بأم أعينهم في كل لحظة ، لا يتوقفون عن التحليق في عالمهم الخيالي ، واصدار الابحاث والنشرات الداعية الى تعليم ابداعي مبتكر ، ولا يحاول أحد منهم أن يقترب من السؤال الأساسي والجوهري : ما هي الأسباب الحقيقية لهذا « الفصام » بين كتاباتنا وواقع التعليم ؟ وكيف نقيم جسورا بين ماندعو اليه ، على الورق ، وما يحدث في قاعات الدرس ؟ وكيف نخطو ، ولو خطوة واحدة ، في سبيل عبور الهوة بين التعليم الابداعي الذي نحلم به ، والتعليم المذعن والمطيع الذي أنشب أظافره في جميع مؤسساتنا التربوية ، بدءا من الروضة حتى الدراسات العليا في الجامعة ؟

وحين ينتقل الشباب العربي الى مرحلة الحياة العملية ، يجد علاقات العمل مبنية ، في الأساس ، على مبدأ الطاعة ، فعلاقته بالمسئول هي علاقة « رئيس بمرءوس » - وهو في ذاته تعبير يحمل دلالات بليغة . فكلمة « الرئيس » مشتقة من « الرأس » ، أي أن المسئول في أي موقع للعمل هو رأس العاملين فيه ، وهو أعلاهم مقاما ، كما أنه عقلهم المفكر . وأهم الصفات التي تعبر عن تقدير المجتمع للموظف العربي ، والتي تؤهله للارتقاء في منصبه ، هي أن يكون « موظفا مطيعا » ، يستجيب للرؤساء (أي يحني رأسه الصغير أمام الرءوس الكبيرة) ولا يناقشهم . وأسوأ أنواع العاملين ، حسبما تذكر معظم « التقارير السرية » التي يتولى فيها المديرون تقويم عمل مرءوسيهم ، هو أن يكون ناقدا ، متمردا ، « غير مطيع » .

وفي السياسة والحكم

ولكن أهم الميادين التي ينخرط فيها الانسان العربي بعد أن يبلغ مرحلة النضج ، هو ميدان السياسة والحكم . وهنا يصبح مبدأ الطاعة ، في وطننا العربي ، هو السائد والمسيطر بلا منازع .

فالأنظمة الدكتاتورية المتسلطة لاتريد من المواطن الا أن يكون « مطيعا » لأوامر الحاكم ، وأداة « طيعة » في يده . وقد تتخذ هذه الدعوة الى الطاعة شكلا سافرا ، فتتولى أجهزة الاعلام المأجورة أو المنافقة تصوير الحاكم بأنه مصدر الحكمة ومنبع القرار السديد ، ومن ثم فان كل ما على المواطنين هو أن يوكلوا أمورهم اليه ويعتمدوا عليه، فهو الذي يفكر بالنيابة عنهم ، وهو الذي يعرف مصلحتهم خيرا مما يعرفون ، وهو الذي يعفيهم من مشقة اتخاذ أي قرار . وفي مقابل ذلك فان أي نقد أو اعتراض أو تساؤ ل يوصف بأنه « عصيان » ، هو اثم لايغتفر . فكبيرة الكبائر هي « شق عصا الطاعة » (لاحظ الارتباط ، في التعبير اللغوي التراثي ، بين « الطاعة » و « العصا » !) ، وجريمة الجرائم - كما كان يؤكد دائما أحد الحكام العرب - هي « رذالة المثقفين » ، أي مماحكاتهم وتساؤ لاتهم في الأمور التي ينبغي أن يترك زمامها للحاكم .

ولكن دعوة الحكام الى الطاعة قد تتخذ طابعا غير مباشر ، حين يصبح الشعار الذي يسود المجتمع هو « الاتحاد والنظام » ، أو حين يطلب الى الشعب الاستغناء عن ديمقراطية النقد والمعارضة ، والاكتفاء « بديمقراطية الموافقة » ، أو حين تخنق كل صيحة احتجاج بحجة أنه « لاصوت يعلو فوق صوت المعركة » . على أن أشهر هذه المحاولات المستترة لتأكيد مبدأ الأمر والطاعة في علاقة الحاكم والمحكوم هي تحويل هذه العلاقة الى رابطة عائلية ، بحيث يصبح الحاكم « كبير العائلة » ، وينظر الى المجتمع كله على أنه « عائلة واحدة » ، أو ما يسمى - في مصطلح العلوم الاجتماعية - باسم « النظام الأبوي أو البطريركي » (وكلمة بطريرك ... Patriarch الانجليزية مشتقة من اللفظ اللاتيني .. Pater ويعني « الأب ») .

ذلك لأن السمة المميزة لعلاقة رب الأسرة بأفرادها هي أن له عليهم حق الطاعة . وهكذا فان الحاكم ، حين يصبح « كبير العائلة » أو « رب الأسرة الواحدة » ، يطالب لنفسه بحقوق الأب ، الذي



لايخضع لمحاسبة أبنائه ، والذي تطاع أوامره ، مهما كانت قسوتها ، برضاء واختيار ، والذي ينبغي أن تقابل صرامته بالحب ، لأنها تستهدف دائما صالح « العائلة » . والأهم من ذلك أن « الأب » أو « الكبير » هو الذي جمع الخبرة والمعرفة والرأي السديد ، وكل من عداه أقل منه قدرة ، ومن ثم ينبغي أن يترك القرار له وحده ، وعلى الآخرين أن يسعدوا ببقائهم في الظل . لو بدا أن في قراراته ظلما أو عدوانا ، فان ذلك يرجع الى جهلهم بمصالحهم الحقيقية ، التي يعرفها « الرجل الكبير » خيرا من أي فرد من أفراد « الأسرة »

انتزاع جذور النقد

أما في الأنظمة التي تستولي على الحكم بانقلابات عسكرية ، وما أكثرها في وطننا العربي ، فان مبدأ الأمر والطاعة يصبح هو المسيطر بلا منازع . ذلك لان تكوين شخصية الضابط أو الجندي المحارب ، في الجيش يعتمد أساسا على تعويده أن يصبح انسانا مطيعا ، وانتزاع كل جذور النقد والتساؤل من شخصيته . فالجيش مؤسسة تقوم كلها على ترتيب هرمي يسود الرتب المختلفة فيه نظام صارم من الأمر والطاعة . ومن المؤكد أن هذا النظام قد أثبت فعاليته في المهمة الاساسية التي تضطلع بها الجيوش وهي القتال في سبيل الوطن ، دفاعا أو هجوما ، بدليل أن معظم جيوش العالم كانت ولا تزال تأخذ به . ولكن المشكلة الحقيقية تبدأ حين ينقل هذا النظام الصارم من ميدانه الأصلي ، ويصبح أساسا لحكم مجتمع كامل ، بحيث تغدو علاقة الحاكم بالمحكوم مماثلة لعلاقة الضابط الأمر بالجندي المطيع . فمثل هذه العلاقة تؤدي حتما الى تخريب عقل المواطن وضياع قدرته على المشاركة في حل مشكلات مجتمعه ، وتولد لدى الحاكم احساسا متضخما بذاته ، حتى ليتوهم أن الوطن كله قد تجسد في شخصه . وما أكثر ما يمكن أن يقال عن النتائج المأساوية المترتبة على تطبيق الأنظمة العسكرية الصارمة على مستوى المجتمع بأكمله ، وتحويل مؤسسات الدولة الى نماذج مكبرة للثكنات

الحربية . ولكن يكفينا ، تحقيقا لأهداف هذا الحديث ، أن نشير الى أن مبدأ الطاعة هو القيمة الأساسية والفضيلة الكبرى لرجل الجيش ، وهو الذي يغدو مسيطرا حين يدار المجتمع بأكمله على النسق المطبق في المؤسسة العسكرية .

ان الطاعة وباء لايفلت منه أحد ، واذا أطلقت لها العنان أصابت عدواها الجميع . ذلك لأن كل من يفرض الطاعة على من هم دونه ، يجد نفسه مضطرا الى طاعة من يعلونه . فالأب الذي يمارس سلطات دكتاتورية على أبنائه وزوجته ، يجد نفسه خاضعا مطيعا في عمله ، ومقهورا مكبوت الحرية على يد حاكمه . وفي جميع الأحوال يظل التسلسل مستمرا ، فلا أحد يفلت من ذل الطاعة ، ولا أحد يتنازل عن أية فرصة تسنح له كيا يمارس متعة فرض أوامره على غيره . حتى الحاكم المطلق يظل حبيس جبروته ، لاينام مطمئنا ، ولا يسافر أو يتحرك الا تحت أعين حراسه ، ولا يملك في لحظة واحدة أن يعصي أمرا لمن يتحكمون في شئون أمنه وسلامته .

التمرد . . . قيمة أيضا

وهكذا ففي كل مجال من مجالات الحياة يجد الانسان العربي مبدأ الطاعة مفروضا عليه ، يدفعه الى المسايرة والخضوع والاستسلام ، ويقضي على كل امكانات التفرد والتمرد في شخصيته . ان الطاعة تحاصرنا من كل جانب ، وتلازمنا في جميع مراحل حياتنا ، وتفرض نفسها حتى على من يدعون « الثورية » في مجتمعاتنا .

على أنك حين تطيع ، لا تكون ذاتك ، بل تمحو فرديتك وتستسلم لغيرك . وأكاد أقول أن أعظم انجازات الانسان لم تتحقق الا على أيدي أولئك الذين رفضوا أن يكونوا « مطيعين » : فالمصلحون الذين غيروا مجرى التاريخ لم يطيعوا ما تمليه عليهم أوضاع مجتمعاتهم ، وأصحاب الكشوف العلمية الكبرى لم يطيعوا الأراء السائدة عن العلم في عصورهم ، والفنانون العظام لم يطيعوا القواعد التقليدية التي كان يسير عليها أسلافهم . وهكذا فان كل شيء عظيم انجزته البشرية كان مقترنا بقدر من التمرد ، ومن الخروج على مبدأ الطاعة . وأكاد أقول ان الانسان لم يكتسب مكانته في الكون الا لأنه رفض أن « يطيع » الطبيعة ويستسلم ـ كما تفعل سائر الكائنات الحية ـ لقواها الطاغية . وهكذا فان الانسان الذي يعرف معنى وجوده هو ذلك الذي يهتف في اللحظات الحاسمة من حياته : أنا متمرد اذن فأنا موجود

□

سلامة الجيش

● كانت سلامة الجيوش العربية الاسلامية ، والابتعاد بها عن أية مغامرة خاسرة شرطا رئيسيا وأساسيا من تقاليد القتال ، وأمرا ردده الخلفاء دائما لقادة جيوشهم .

وقد أوضح أحد الخلفاء المسلمين ، وهو عبد الملك ابن مروان هذا التقليد المهم من تقاليد القتال حين قال لأحد قواده : « انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي ان وجد ربحا تجر ، والا تحفظ برأس المال ، ولاتطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك » .

اقوال

■ ان الروائي يكتب باستمرار روايته الواحدة ! اذا حاول الروائي أن يكرر نفسه من خلال الموضوع ذاته ومن خلال نفس البناء ، فانه يحاول بذلك الإنتحار .

د . عبد الرحمن منيف

■ ان مهمة الشاعر ليست قلب مفهومات اللغة الشعرية أو شكل القصيدة فقط ، بل عليه في المقام الأول أن يؤسس مفهوما جديدا للانسان والعالم .

الشاعر أدونس
(على أحمد سعيد)

■ نحن عن وعى كامل ، نرفض مبدأ التقيد الكامل بالتراث وبالموروث الشعرى ، ونرفض مبدأ الهدم الكامل والتأسيس من جديد ، نحن نسير في خط ثالث بين هذين المنهجين .

الشاعر سميح القاسم

■ على العرب أن يفهموا شجاعة عنترة لا أن يحاربوا الطائرة بسيفه

جاك بيرك
مستشرق فرنسي

■ اننا بحاجة الى الخيال كى نواجه تلك الفظاعات التى تفرضها علينا الأشياء .

خورخى لويس بورغيس
كاتب أرجنتينى

■ **جائزة نوبل حدث يتخطى الحدود الأدبية ، وله أبعاد أخري لايتقنها العرب ، ولذلك فهم لم يحصلوا بعد على الجائزة .**

بيدرو مارتينيز مونتافيس
مستعرب أسباني

* **تستطيع أن تقضم تفاحة بأسنان من ذهب ، ولكنك لاتقضمها بالطريقة التي تقضمها بها بأسنانك ، ولن تجد فيها المذاق ولا العصير اللذين تجدهما فيها اذا قضمتها بأسنانك .**

رسول حمزاتوف
كاتب داغستاني سوفييتى



د . عبد الرحمن منيف



ادونيس



جاك بيرك



سميح القاسم

التقابل والغموض في الاستراتيجية الإسرائيلية

بقلم : امين هويدي

بالرغم من تعاملنا مع « اسرائيل » طوال هذه الاعوام ، وبالرغم من اننا قاسينا من هذا التعامل كثيرا ، الا اننا مازلنا في حاجة الى جهود مكثفة لمعرفة الطريقة التي تمارس بها سياستها .

في هذا المقال عن الاستراتيجية الاسرائيلية في ظل التقابل والغموض يلقي الكاتب ضوءا على واحد من أهم جوانب السياسة الاسرائيلية .

لعل الفكرة العامة التي تسيطر علينا ونحن نعالج هذا الموضوع ، اننا في زمن « لا تحل فيه الازمات ، بل يكتفى فقط بمجرد ادارتها » ، لأن حل الازمة لايعني الا نزع الفتائل التي تعرضها للانفجار ، اي ازالة الاسباب التي تحركها ، وهذا امر مستحيل ، فإننا من الناحية الاقليمية امام قضية تتعلق بالارض التي هى محل نزاع بين اصحاب الحق العرب ، وبين من يريدون اغتصاب الحق من الصهاينة . . صحيح ان بعض المفكرين من اليهود يحاولون تسطيح الأزمة ، في انها قطعة ارض يتنازعها صاحبا حق ، ولكن الامور ليست بهذه البساطة ، ثم نجد ان النظام العالمي في ظل قوانينه الحالية لا يميل الى « حسم » المشاكل ، ولكنه اميل الى التقليل من فورانها ، الأمر الذي يسمح بمبدأ التقسيم ـ تقسيم الارض والدول ـ ان ينتشر ، وفي ظل هذا التقسيم وصل بنا الأمر الى اننا نجد من « اسرائيل » نصف رئيس وزراء يدير الأزمة ، في الوقت الذي نرى فيه « النصف الأخر » وهو يضع الالغام ويحفر الحفر ليزداد الامر تعقيدا .

الاستخدام والممارسة

في مجال سياسة الترابط يمكن ان نضع ايدينا على ترابط بين استخدام القدرة وممارسة الدبلوماسية ، وترابط بين مشاكل مختلفة محل النزاع وترابط بين السياسات الموضوعة والنتائج المؤملة وترابط بين ادارة الازمة وتوازن القوى .. الخ .

وعليه فان من واجب مديري الازمة ان يربطوا بين ما يحدث على مسرح الاحداث الواسع ، فلا يسلموا شيئا مما في يدهم قبل ان يتسلموا شيئا مما في يد الغير ، ولا بد ان تنتهي استراتيجية « الترابط الى ما يسميه زيجنيو بريجنسكي في كتابه « السلطة السياسية » : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي » الذي نشره عام ١٩٦٤ مع صمويل هنتجنتون ، بسياسة التقابل ، التي عاد وشرحها في كتابه « بين عصرين - امريكا والعصر التكنتروني » وتتلخص في رفض مفهوم الابيض والاسود ، او الكل او لاشيء على الاطلاق ، بمحاولة البحث عن نقطة التقاء حتى مع الخصم ، واذا حدث التقاء حركة عدة قوى في نقطة ما «تتفق ومصالحها ، شعرت الاطراف جميعا كبيرها وصغيرها بانه حقق شيئا ما ، ولكن في حالة التقابل الموجه او المرسوم ، تقوم الدولة الاقوى بتحريك العمليات السياسية من اتجاه يحقق لها مصلحتها ، او على الاقل قبل ان يتحرك ضمن مصالحها وفي هذه الحالة» حالة التقابل الموجه - تحقق الدولة الاقوى مصلحتها وذلك بعكس التقابل العضوي او الاختيار بحيث يحقق الجميع جزءا من مصالحهم ، وفي ممارسة نظرية التقابل ، يعتمد الامر على ما يسمى « انطلاقة العملية » ، ثم مراقبة تحركها دون التدخل ، الا عندما تخرج عن المجرى العام الذي يتفق مع مصلحة القوة القادرة ، فحينما تبدأ عملية الحوار ، تنطلق ذاتيا ، واعتمادا على ان كل ظاهرة هي عبارة عن ظاهرة متحركة ، واذا توقفت العملية عن التحرك يسعى مطلقها الى تحريكها من جديد بمبادرة جديدة ، فاذا وصلت العملية الى نتيجة ما ، تتخذ هذه النتيجة سببا جديدا لتحريك العملية لتعطي نتيجة جديدة ضمن اطار محدد وهدف مرسوم » .

يحاول البعض ان يوجد تناقضا بين « نظرية كسينجر في الترابط » ، وبين نظرية بريجينسكي في التقابل ، « على اساس ان الأول يتبع اسلوب الخطوة خطوة ، دون تحديد الاطار العام للعملية السياسية الكلية ، بينما يرى الثاني ان من الضروري تحديد اطار عام اولا ، وتصور الهدف المراد ، ثم تحريك العملية السياسية ضمن هذا الاطار ، ونحو الهدف خطوة خطوة ، الا ان من يدقق في تصور الكيفية التي تدار بها « الازمة » ، يجد انها تبدأ دائما بالترابط سواء كان على المستوى العالمي او الاقليمي ، ثم تبذل المحاولات ، وللتقابل في نقطة ما تحقق اغلب أهداف الاطراف المتصارعة في حالة التعادل في ميزان القوى » ، او تحقق اغلب اهداف الطرف الاقوى في حالة « خلل توازن القوى » . ولا يمكن بحال من ان يتم « الترابط » في غياب تصور الاطار العام للعملية السياسية ، بل لا يمكن ان يكون هناك « ترابط » ، الا في ظل ادراك كامل لتصور استراتيجي لحدود مليئة او في ظل ربط الاهداف بالنتائج ، او في ظل القدرة على تحريك « الموقف السياسي » ، بصفة مستمرة ، « فالتقابل » لا يتعارض ابدا مع « الترابط » ، بل هو مكمل له بفارق واحد ، هو ان الأول يتم بالتحرك الرأسي ، اما الثاني فيتم بالتحرك الافقي او الجانبي .

والخلاصـــة :

* ان هناك ترابطا كاملا بين القدرة والقوة ، باعتبار ان القدرة هي محصلة مجموع قوى الدولة في المجالات المختلفة .
* وان هناك ترابطا بين الدبلوماسية والقوة ، فالقتال لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية ، والكلام لا يمكن ان يستمر الى الابد ، فالكلام والقتال لهجتان في لغة الصراع ، اذا اقتصرت ادارته على احداها كانت ادارة عرجاء .
* ان ادارة الترابط لا تعرف اللون الابيض ولا اللون الاسود ، اذ تتسم بالمرونة دون التفريط ، فلا يجوز التساهل في حل قضايا فرعية ، الا اذا تم حل القضية الرئيسية او معظمها .
* وانه لا يوجد تعارض بين « الترابط » و « التقابل »

في ادارة الازمة الاقليمية او العالمية . فالعملية السياسية كلها تبدأ في اطار الترابط ، حتى نصل إلى نقطة التقابل ، باستخدام كل الوسائل المتاحة .

وعلينا ان نتذكر دائما اننا في عالم لا تحل فيه الازمات ولكنه عالم يؤمن « بادارة الازمات » لتصل الى نتيجة هي وسط بين الانتصارات الكاملة ، والهزائم الكاملة . قطعة انتصار وقطعة هزيمة ، وحجم ايهما يتوقف على القوة والقدرة والمهارة في استخدامها .

المرأة والدبلوماسية :

هذا عن « الترابط » و « التقابل » فماذا عن « الغموض »؟ في مقال « لأبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل الاسبق في « الجيروزليم بوست »، بتاريخ ١٩٨٥/١١/١ قال بالنص الحرفي « يرجع الكثيرون تعبير الغموض البناء الى هنري كيسنجر ، بينما كنت في الحقيقة صاحب هذا التعبير حينما كنت ادافع عن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ امام الكنيست ». والمقال كله يوضح في جلاء ان الغموض كان بناءً بالنسبة لبلاده دون الآخرين ، وفي تقديري ان الاصح بالنسبة « لاسرائيل » هو تعبير « الغموض المتعمد »

وتبنى النظرية الاسرائيلية في الغموض في المحافل الدولية على اساس ان الدبلوماسية تتمتع لدى الرأي العام بالصفة التآمرية ، فمن الخطأ اعتبار ان الاحلاف الدولية تماثل الاحلاف الانسانية ، وكثيرا ما يجد الشرفاء وذوو الاخلاق المثالية انفسهم وهم يخدمون بلادهم ، بانهم يقومون بذلك بطريقة ومبادىء تتعارض تماما مع اخلاقهم المثالية ، خصوصا فيما يتعلق بالدعة والمحافظة على الكلمة والوفاء ، وربما يتعرض المرء وهو يمارس السياسة الداخلية او في علاقاته الاجتماعية الى النقد ، وربما المحاكمة ، او انه كذب او استمرأ التراجع عما وعد به ، ولكن الامر ليس كذلك في المحافل الدولية .

وتأييدا لذلك - ومن باب الفكاهة - فان ديلوماسيا سأل احدى الجميلات مرة عن الفرق بين الدبلوماسية والمرأة ، فاجابته وهي تضحك « لا اعتقد ان هناك فارقا بينهما ، فكلاهما ناعم وكاذب في نفس الوقت »

ولم يوافقها الدبلوماسي على طول الخط وقال لها « بل هناك فارق كبير بينهما ، فحينما يقول الدبلوماسي نعم ، فانه يعني ربما ، وحينما يقول ربما فانه يعني لا ، واذا قال لا فهو غير دبلوماسي . اما المرأة فحينما تقول لا فهي تعني ربما ، فاذا قالت ربما تعني نعم ، واذا قالت نعم فهي ليست امرأة ».

ويحكى ان ونستون تشرشل حضر مواراة جثة صديق له قد مات، ولفت نظره انه نقش على القبر « كان دبلوماسيا ماهرا وعلى اخلاق عالية . . وعلق تشرشل » على ذلك « هذه اول مرة ارى فيها رجلين يدفنان في قبر واحد ».

وترتيبا على ذلك فان ابا ايبان يقول (لا يتوقع احد ان يتعامل في المجال الدولي بصراحة ، ولا يتطلب ذلك ابدا من رجل الدولة ، فمكيافللي لا يؤيده الا القليلون في العلن ، ولكن ما اكثر من يقلدونه في السر ، وكل الحكومات تتخذ قراراتها بناء على مصلحتها ، ولكنها تدافع عن هذه القرارات باسم الاخلاق والمبادىء ، ان الصراحة والوضوح انما تعني الوصول الى الطريق المسدود ، .

وبالتالي تؤدي إلى الحرب ، ونحتم الاتجاه الى المصالحة ، وحل المشاكل القابلة للاتفاق ، وتأجيل المسائل المستعصية الى ظروف افضل ، وهذا يعزز الاتفاقات الجزئية والمؤقتة التي حلت محل اتفاقيات السلام العتيقة باختامها الشمعية ، داخل الملفات الانيقة المصنوعة من الجلد الفاخر ، وبالمثل هناك صعوبات تفترض الغموض ، سواء على المستوى الخارجي او الداخلي ، ولكن لابد ان نضع في حساباتنا ضرورة اللجوء الى توقيع نصوص يعتبرها الموقعون عليها انها تحقق اغراضهم في ظل تعارض سياساتهم ، وكل ما يستطيعه المرء هو وضع بعض المبادىء العامة ، مع تأجيل الخلاف على معناها لمفاوضات تتم في ظروف افضل ، وليس الفيصل هنا هو ان هذا هو احسن الحلول ، بقدر ما انه اجراء يحول دون استئناف الحرب مرة اخرى » .

واذا اخذنا القرار ٢٤٢ الذي اشترك في وضعه أبا ايبان ، فنجده يتفق مع هذه المفاهيم . . فهناك كثير

من النصوص الغامضة : الانسحاب من اراض دون تحديد مدى هذا الانسحاب ، تحقيق سلام عادل ودائم ، حدود آمنة يعترف بها دون تحديد مفهوم السلام او الحدود . . كل هذا ترك تحديده للمفاوضات عن قصد وسبق اصرار ، ويعلق أبا ايبان على القرار قائلا « ان مفهوم العرب الخاطيء في ان القرار سيؤدي الى حل بذاته ، ادى الى طريق مسدود ، حتى كسر السادات الجمود القائم بزيارته للقدس ، لقد كان القرار ينادي بضرورة التفاوض ، وهذا ما جعلني اسميه بالغموض البناء الذي لولا صدوره لتفجر الموقف مرة اخرى بعد عام ١٩٦٧ » .

وطبعا ، فان ابا ايبان يعني انه « غموض بنّاء » بالنسبة « لاسرائيل » !!

الغموض البناء :

وقد تعودت ان استعرض جانبي التل ، - الجانب البعيد - « اسرائيل » - ، والجانب القريب ، وهو جانبنا ، ثم اقف على قمة التل لأرى الحقيقة ساطعة دون غموض « بناء » أو « غير بناء » . ولكي اقف على مشاعر الجانب القريب ازاء غموض الجانب البعيد ، رجعت الى مذكرات محمود رياض « البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط » الذي كان وزيرا لخارجية مصر وقت صناعة القرار ٢٤٢ ، اذ يقول في ص ١٤١ : « زارني جولدبرج - المندوب الامريكي في الامم المتحدة - يوم ١٩٦٧/١١/١٢ ، مستفسرا عن موقفي بعد الايضاحات التي قدمت للملك حسين في واشنطن ، حول المشروع الأمريكي . وكان الملك قد قابل الرئيس الامريكي جونسون ، وتلقى منه تأكيدات بانسحاب « اسرائيل » من جميع الاراضي العربية اذا قبلنا المشروع الأمريكي ، فقلت له انك كنت تصر على وضوح كل خطوة ، والا نترك اي كلمة دون تفسير واضح . انني وافقتك في ذلك الحين . . وانني ارى ان المشروع الأمريكي لايتحدث عن الانسحاب بوضوح . . وقد فوجئت بأغرب حجة سمعتها منه ، فبدأ بتأكيد اهمية استخدام لغة واضحة ، الا ان الامر قد يتطلب في بعض الاحيان شيئا من الغموض لتخطي بعض العقبات ، المهم ان يكون هناك توازن في الغموض » ، وهذا يؤيد اتفاق جولدبرج مع أبا ايبان على ان يكون القرار غامضا ، ثم ارجع الى الصفحة ١٥٢ ، فأجد ان مندوب فرنسا يقول « اذا رجعنا الى النص الفرنسي للقرار - الذي هو اصيل بنفس قدر النص الانجليزي - فاننا سوف نجد انه لا يوجد اي مكان للغموض ، حيث انه يتكلم عن « الأراضي المحتلة » وهو التعبير الذي لا جدال في تطابقه مع تعبير « اراض محتلة » في النص الانجليزي ، ونحن ايضا ممتنون لسماع ممثل المملكة المتحدة ، لورد كارادون ، وهو يبرز العلاقة بين تلك الفقرة من مشروعه ، وبين عدم جواز حيازة الاراضي بواسطة القوة . هنا نجد غموضا آخر يتجسد في الاختلاف بين النص الفرنسي والنص الانجليزي للقرار ٢٤٢ . وفي ص١٥٧ يورد محمود رياض تعليق جمال عبد الناصر على مناقشة الموقف السياسي في مجلس الوزراء في ١٩٦٨/١١/١٨ « اننا سوف نتعاون مع يارنج رغم ايماننا بفشل مهمته ، وسنستمع الى الولايات المتحدة برغم انها تريد الآن ان تجعلنا ندخل غرفة مظلمة ، اسمها التفاوض بشأن القرار ٢٤٢ ، اننا سوف نتعاون مع الشيطان نفسه ولو لمجرد اثبات حسن النية ، ولكننا نعرف من البداية أننا نحن الذين سنحرر اراضينا بقوة السلاح ، وهي اللغة الوحيدة التي سوف تفهمها « اسرائيل » ، فلتساعد امريكا « اسرائيل » في غزواتها ، ولتحاول كلتاهما ان تصفيا القضية الفلسطينية ، ولكنهما تعرفان جيدا ، اننا لم نهزم في الحرب ، طالما اننا لن نتفاوض مع « اسرائيل » ولم نوقع صلحا معها ولم نقبل بتصفية القضية الفلسطينية » .

هذا هو ما قاله عبد الناصر في اجتماع مجلس الوزراء يوم ١٩٦٨/١١/١٨ الذي حضرته بصفتي وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة .

انه ليس غموضا بنّاء اذن ، ولكنه غموض متعمد »؟ وان استراتيجية « الترابط » اجراء معمول به على المستويين العالمي والاقليمي ، شرط ان يتم تحت مظلة « الترابط الكبير » ، بين ممارسة الدبلوماسية واستخدام القوة او التهديد المستمر باستخدامها . . . ؟ □

نقوش يمانية

من جدارية الشهيد محيي الدين العنسي

شعر :
الدكتور عبد العزيز المقالح



النَّقْشُ الأَول :

يَكتبنى دَمي ،

يُوقفني في النقشِ شاهداً للعصرِ .
شاهداً للنَّهر جفَّ في بدءِ الربيع ماؤه .
للشمس - ترفض الظلام - انطفأت قبلَ مجيءِ الفجر .
للملايين الجياع .. الخارجين كعظامٍ من سوادِ القبر .
للأرض التي أرادتني كتابا ، وردة ، سَيفا .
ولليل الذى ضَيعنى ،
أرادني غرابا ، دمعة ، قشا ، صدى .
وشبحا على مناطق الفراغ .

النَّقْشُ الثانى :

كنت أخاً للموت .
كانَ الموتُ لِي أخاً .
كنا نسيرِ توأماً من بلدٍ لبلد .
من قارة لأخرى .
حملته معي للسجنِ ظلاً مؤنْساً .
فارتعدت حجارة السجن .
وأجفل السجان مذعور الخطا .
وجَلَسَ التاريخُ عندَ قدَميُ .
يحكى : من الذى - غداً - سوف يجُبُّ عنقَ بعضِنا
أنا أم الجلاّدُ ؟
من الذى - غداً - يدفنه الصمتُ ،
ويرتدى ثيابَ الغسقِ الطريد
اسمى أم الجلاد ؟ !



النَّقْشُ الثالث :

يكتبنى دمي ،
يرسمُ صورتي واسمي .
وصورة الأرض التى أحببتُ .
والمبادىء التى اعتنقتُ
والحرف الذى عشقتُ
والكواكبَ التى أقسمت في عيونِ الماءِ
في دم الأشجارْ
في مساحات الزمانْ
في شرايين المكانْ
في جدار السجن
في ظهيرة الميدان

النَّقْشُ الرابع :

بعد ثوانٍ مرةً يسقطُ عني جَسدى .
ويصعدُ الروحُ الكبيرُ من أوجاعه
ويكتسى جرحى لونَ الوردِ
تكتبِ الدماءُ اللحظة ـ العصر
يسجلُ الزَّمان
يقرأ العالمِ في التراب ساعةَ الوَداع
تحفظ الافاق مايكتبه دمي .
ومايقوله جُرحى :
كم تغربت في سبيل بلادى وتعرضت للمنون مرارا .
وأنا اليوم في سبيل بلادى أبذل النفس راضيا مختارا

سيمون دوبوفوار والسارترية

بقلم : الدكتور أحمد أبوزيد

بين وفاة سارتر عام ١٩٨٠ ووفاتها هي بعد ست سنوات ، عاشت سيمون دو بوفوار في شقتها المطلة على مقبرة مونبارناس ، حيث يرقد جسد الفيلسوف الوجودي الكبير ، ولم يكن في استطاعة الكثيرين أن يتصوروا « السارترية العظمى » بدون سارتر ، أما هي فانتظرت اللحاق به ، الى أن تم ذلك قبل يوم واحد من ذكرى وفاته السادسة .

في مطلع كتابها « حفل الوداع » الذي تسجل فيه ـ من وجهة نظرها ـ أحداث السنوات العشر الأخيرة من حياة جان بول سارتر ، تقول سيمون دوبوفوار وهي تناجيه :

« هذا أول كتاب ، بل إنه الكتاب الوحيد بغير شك ، الذي أكتبه وأدفع به الى المطبعة دون أن تقرأه ، إنه كتاب مخصص لك كله وبأكمله ، ولكنك مع ذلك لن تتأثر به . . إنك ترقد الآن في صندوقك الصغير الذي لن تستطيع الخروج منه ، أو أستطيع أنا الانضمام اليك فيه ، وحتى لو دفنت الى جانبك فلن يكون هناك أي لقاء بين رفاتك ورفاتي . . » .

كتبت سيمون دوبوفوار هذه العبارات عام ١٩٨١ ، بعد سنة من موت سارتر ، وبين وفاته في ١٥ ابريل عام ١٩٨٠ ووفاتها هي نفسها في ١٤ ابريل عام ١٩٨٦ ، أي قبل ذكرى وفاته السادسة بيوم واحد فقط . كانت حياتها تدور حوله كما لو كان لا يزال حيا ، إذ على الرغم من أنه لم يجعلها وصية على أعماله الثقافية بعد موته ، كما كان متوقعا ، واختار شخصا آخر غيرها لذلك ، فانها ظلت وفية لذكراه ، وأشرفت على نشر بعض أعماله التي لها صلة وثيقة بحياتهما معا ، فقد نشرت مجموعة من الرسائل التي كان قد أرسلها اليها في الفترة بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٦٣ ، وظهر ذلك الكتاب عام ١٩٨٣ بعنوان « رسائل الى كاستور » . وهذا هو الاسم الذي كان

يناديها به ، وهو اسم حيوان القندس ذى الفراء الناعم الذي يخفى وراء ملمسه اللطيف قوة وصلابة وذكاء وقدرة على التصرف ، والتخطيط ، مثلها تماما ، كما نشرت في الكتاب نفسه تسجيلا لحوار طويل يجمع بين العمق والطرافة التلقائية ، كان قد دار بينهما أثناء رحلتهما الى ايطاليا في صيف عام ١٩٧٤ ، وذلك بالاضافة الى كتاب « حفل الوداع » . وقد عاشت خلال هذه السنوات الست في شقتها التي تطل على مقبرة مونبارناس ، حيث يرقد جسده في انتظار موتها واللحاق به . . ولم تنس أن تقول في ختام « حفل الوداع » .

« لقد باعد موتك بيننا ، ولن يجمعنا موتي معا من جديد ، هذا هو واقع الأمر ، ولكنه كان من الرائع بغير شك أننا استطعنا أن نحيا حياتنا معا في انسجام كامل كل هذه الفترة » .

وهذه الفترة التي تتحدث عنها امتدت الى ما يزيد على نصف قرن ، وكانت حياتهما معا وتعاونهما ونشاطهما المشترك ، واخلاصها هي على الأقل ، أشبه بالأسطورة ، خصوصا انه لم يكن بينهما رابطة رسمية تفترض هذا التفاني ، ولذا أطلق البعض عليها اسم « السارترية العظمى » بينما كان البعض الآخر يشيرون اليها باسم « نوتردام دوسارتر » . وقد يكون في هذين الاسمين شيء من السخرية ، ولكنهما على أي حال اسمان لهما دلالتهما ومغزاهما ، ويكشفان عن عمق وقوة العلاقة الحميمة التي تربط بينهما ، ولم يكن في استطاعة الكثيرين أن يتصوروها بدون سارتر ، وكتاباتها ذاتها تكشف عن مدى تأثرها بأفكاره وآرائه ، حول كثير من المشكلات التي تدور حولها فلسفته عن الوجود والنظام الأخلاقي ، ومشكلات الحرية والالتزام وغيرها . بل إن المجلدات الأربعة التي سردت فيها سيرة حياتها ، هي أقرب في الحقيقة الى المذكرات منها الى تاريخ الحياة الذاتية ، وفيها قدر كبير جدا من المعلومات عن سارتر نفسه ، وحين ظهر فيلم سينمائي عن حياتها عام ١٩٧٨ ، ظهرت فيه كما لو كانت لا تزال تلميذة له ، رغم أنها كانت في السبعين من العمر ، فقد كانت ترنو اليه دائما كما لو كانت تستطلع رأيه فيما تقول ، وكثيرا ما كانت هي نفسها تعترف بأن سارتر ، هو المفكر المبدع الخلاق الأصيل ، وأنه هو الذي يأخذ دائما بزمام المبادرة ،



وأن له السيادة والسيطرة في علاقتهما ، الا أنها بدأت في السنوات الأخيرة من حياتها تبدي شيئا من التبرم والامتعاض ، حين يتكلم الناس عن ارتباطها هي به ، وليس أيضا عن ارتباطه هو بها ، وترد ذلك الى نظرة المجتمع الى المرأة ، واعطاء الاولوية دائما للرجل ، وهو الأمر الذي كانت ترفضه تماما وتثور عليه ، وكان هذا الرفض وتلك الثورة وراء كتابها الشهير « الجنس الثاني » . ففي هذا الكتاب تقول « الانسان لايولد امرأة ، ولكنه يتحول الى امرأة ، وليس هناك سبب بيولوجي أو سيكولوجي أو اقتصادي يحتم الشكل الذي تمثله أنثى الانسان في المجتمع ، ولكن الحضارة ككل ، هي التي تنتج لنا ذلك المخلوق الذي هو وسط بين الذكر والخصى والذي تسميه امرأة » . والظاهر أن سارتر لم يكن يوافق دائما على هذه الآراء التي كانت تصدم حتى المثقفين في باريس .

دون رسميات

حياة سيمون لوسي ارنستين ماري برتران دوبوفوار ، الشهيرة باسم سيمون دوبوفوار تبدو لأول وهلة حياة تقليدية بسيطة ، وترتبط بمنطقة معينة بالذات ، من باريس هي الضفة اليسرى لنهر السين ، حيث ولدت ونشأت وعاشت وماتت ،

وهذه الضفة اليسرى هي المنطقة التي تموج بحركة الفكر والثقافة التي ترتبط بها حياة الفلاسفة والمفكرين والأدباء والمبدعين والمثقفين بوجه عام .

ولدت سيمون دوبوفوار في التاسع من يناير عام ١٩٠٨ ، في عائلة كاثوليكية بورجوازية ، وعلى قدر من الثراء والثقافة ، وكان أبوها من رجال القانون ، ولكن كان له في الوقت نفسه شغف بالمسرح ، بحيث كان يشترك أحيانا في التمثيل ، ولكنه لم يتخذ منه حرفة أو مصدرا للكسب ، لأن ذلك يتعارض مع مركزه ومكانته ، ومع القيم والأخلاقيات التقليدية التي تتمسك بها الطبقة التي ينتمي اليها ، ومع ذلك فان هذه التقاليد لم تمنعه من أن يسمح لابنته حين كبرت بأن تلتحق بالجامعة (السوربون) وأن تتخصص في الفلسفة ، التي كانت تعتبر في ذلك الحين عملا من أعمال (الرجال) ، وأنها لا تتلاءم مع طبيعة المرأة ، وبالمثل فان نشأتها في عائلة كاثوليكية متدينة ، لم يمنع من أن تثور في ذهنها منذ الصغر بعض الشكوك حول وجود الله وحول النظام الأخلاقي للكون ، وقد لازمتها هذه الشكوك طوال حياتها .

في أثناء دراستها لدرجة الأجريجاسيون قابلت اثنين من الطلاب اللذين أتيح لهما أن يحققا شهرة عالمية واسعة فيما بعد . الأول هو رينيه ماهو ، الذي أصبح بعد ذلك بسنوات طويلة مديرا لليونسكو ، ونشأت بينها وبينه تلك العلاقة الحميمة الخاصة جدا ، التي يمكن أن تقوم بين رجل وامرأة ، ولكنها لم تستمر طويلا ، فقد أدركت أن شخصيته وتفكيره وتطلعاته لا تتفق مع شخصيتها ، ولا مع نظرتها الى الحياة ، ولم تنس أن تذكر هذه العلاقة الخاصة في مذكراتها أو تاريخ حياتها ، وان كانت أشارت هي اليه تحت اسم مستعار هو أندريه أربو لأنه كان لا يزال على قيد الحياة حينذاك ، وأما الرجل الثاني فهو جان بول سارتر الذي كان يكبرها بثلاثة أعوام ، وقد أثار فكرها وخيالها معا ، وأحست ، على ماتقول هي نفسها ، أنها تستطيع أن ترتبط به طول عمرها ، وأن تشركه في كل شيء ، ولكنها لم تقبل مع ذلك أن تتزوج منه حين عرض عليها فكرة الزواج ، وهما في بداية حياتهما العلمية ، وفضلت أن تستمر بينهما تلك العلاقة القوية بدون (رسميات) .

وحين تخرج الاثنان عام ١٩٢٩ ، كانت هي في الحادية والعشرين من عمرها ، وكانت بذلك أصغر من حصل على الأجريجاسيون في فرنسا ، وجاء ترتيبها بعد سارتر مباشرة الذي كان على رأس القائمة ، وقد ظل ذلك مدعاة لفخرها وزهوها طوال حياتها . واشتغل الاثنان بالتدريس في المدارس الثانوية ، ولكن بينما ذهب هو الى مدينة الهافر ، جاء تعيينها في مرسيليا ، وهنا عرض عليها الزواج عسى أن يساعد ذلك على تعيينهما معا في مكان واحد . ولكنها رفضت الفكرة ، لأنها كانت تعرف تماما أنه لايريد في قرارة نفسه الزواج منها أو من غيرها ، ثم انهما لم يكونا يؤمنان بفكرة الانجاب ، وبذلك لم يكن ثمة أي مبرر لأن يرتبطا معا بتلك الرابطة الرسمية التقليدية . فقد كانا يعتقدان أن الزواج نظام بورجوازي . وتقول هي في كتابها قوة العصر « لقد وضعنا ثقتنا في العالم وفي أنفسنا ، فقد كنا نعارض ونقاوم المجتمع بصورته وتكوينه السائدين حينذاك .. كنا نؤمن بضرورة اعادة تشكيل الانسان وصياغته .. لقد خلقنا علاقتنا وروابطنا مع العالم ، وكانت الحرية هي جوهر وجودنا » ، وقد ظلت تشتغل بالتدريس اثنتي عشرة سنة حتى تيسر لسارتر من مؤلفاته دخل يكفيهما معا ، فتركت التدريس بعد أن كان هو تركه من قبل ، ولم تلبث أن حققت هي أيضا لنفسها من الدخل ما يكفل لها حياة مستقلة ، وذلك بعد أن ظهرت في روايتها « المدعوة » في عام ١٩٤٣ .

محكومون بالحرية

هذه كلها حقائق معروفة عن حياة دوبوفوار ، وهي حقائق ووقائع بسيطة ومألوفة في الحياة الباريسية ، ولكن الأوضاع في فرنسا وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية ، واحتلال باريس ، ووطأة الحكم النازي ، وما تمخض عن ذلك من مشكلات ، كانت كلها عوامل تدفع الى التفكير في مصير الانسان والمجتمع والعلاقات بين الناس ، وتثير تساؤلات كثيرة حول الحرية والاختيار ، وحول الالتزام والارادة ، وحول الموت والحياة والنظام الأخلاقي وغير ذلك ، كما أنها كشفت عن الهوة التي تفصل بين التفكير النظري والممارسة السياسية ،



سيمون دو بوفوار و سارتر

وعن التعارض الذي يمكن أن يقوم بين الكاتب من حيث هو صوت الشعب وصوت المجتمع من ناحية ، ومن حيث هو فرد يتعرض لعوامل الاغراء التي قد تدفعه دفعاً الى الخطأ والانحراف من الناحية الأخرى ، وكان من الطبيعي أن يثير هذا كله التساؤلات حول دور المثقف أو المفكر في المجتمع ، وقد شغلت كل هذه المشكلات فكر سارتر وسيمون دوبوفوار ولازمتهما طوال حياتهما ، وكانت وراء كثير من كتاباتهما ونشاطهما ومشاركتهما في عدد من الحركات الاجتماعية والسياسية ، ومن هنا جاءت غزارة انتاجهما الفكري والأدبي وتنوعه ، بحيث شمل التأملات الفلسفية والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية - أو كتابة المذكرات - وأدب الرحلات الى جانب معالجة كثير من المشكلات العامة وقضايا الانسان المعاصر في مقالاتها الصحفية ، أو في كتاباتها في مجلة « العصور الحديثة » التي أسسها سارتر عام ١٩٤٥ .

كان اعدادها للأجرجاسيون في الفلسفة على يد الأستاذ برنشفيج ، وكان موضوعها هو الفيلسوف العالم الرياضي لايبنتس صاحب نظرية (المونادِ) أو الجوهر الروحي ، وهي نظرية صعبة تمتد الى الطبيعة والرياضيات الى جانب الميتافيزيقا . واختيار الموضوع ، والعمل تحت اشراف أستاذ مثل برنشفيج يكشفان عن مدى جدية تفكيرها ، ثم خضعت لتأثيرات الوجودية التي أسسها سارتر متأثراً بآراء الفيلسوف الدينماركي كيركجور بوجه خاص ، وان كانت تبدو فيها بعض المعالم من فلسفة فيشته ، وقد انعكس تأثرها بالوجودية في سلسلة من المقالات التي يغلب عليها الطابع الأخلاقي ، والتي نشرت في مجلة « العصور الحديثة » ثم ظهرت بعد ذلك في كتابين هما « نحو أخلاقية الغموض » (١٩٤٧) ثم « الوجودية وحكمة الشعوب » (١٩٤٨) ، ويقدم هذان الكتابان عرضاً للمواقف والاتجاهات الشخصية التي تكمن وراء بعض أعمال سارتر نفسه ، كما أنهما يكشفان عن ضعف وقصور القيم الأخلاقية التقليدية ، وعن النظرة التشاؤمية ، الى الجنس البشري التي تتضمنها الأحكام العامة الشائعة عن السلوك الانساني ، والواقع أن سيمون دوبوفوار تعيد في هذين الكتابين النظر الى التصور الوجودي التقليدي للحياة ، وترى أنه بدلا من الكلام عن (عبثية) الحياة فان الأحرى بنا أن نتكلم عن (غموض) الحياة وابهامها ، فمعنى الحياة يتحدد وفق ما يحققه الفرد بنفسه لنفسه ، كما أن القيم الأخلاقية يتحدد وجودها بقدر ما يبتكر الانسان منها لنفسه ، فليس للانسان طبيعة يمكن أن تحدد من هو وماذا يجب عليه أن يفعل ، وعلى ذلك كانت دو بوفوار ، وشأنها في ذلك شأن كل الوجوديين ، تعطي أهمية بالغة لحالة قلق الفرد الانساني في بحثه عن المعنى وعن تكامله الذاتي ، في عالم لا يقدم أي تفسير مقبول للأشياء في ذاتها ، أو يفسر أسباب وجود الأشياء بما في ذلك الوجود الانساني ، فكل شخص يحدد اذن ذاته بذاته ، بل ان هذا التحديد يتم لحظة بلحظة ، وهذا معناه أن طبيعة الانسان تتحدد تبعاً لتصوره هو لنفسه ، وادراكه لذاته ، بعد أن يوجد هذا الانسان بالفعل ، وعلى ذلك فالانسان حر بالضرورة ، وهو الذي يصنع نفسه أو يخلقها بهذه الحرية ، فالانسان « محكوم عليه » بالحرية لأن هذا هو ما هو عليه . وليس في امكانه أن يختار بين أن يكون حراً أو غير حر ، لأنه مخلوق من الحرية ، وبقول آخر أوضح وأبسط فان الانسان هو ما يفعله ، أي أنه حرية خالصة ، ولا توجد حرية غير تلك التي يملكها الانسان الفرد ، وحتى حين يتنازل عن حريته للمجتمع أو الدولة أو لأي مؤسسة أو منظمة فانه يمارس في ذلك حريته في قبول حالة الذل والعبودية والاضطهاد

الحالة النسائية

تلك كلها آراء تشيع في كتابات الوجوديين ، وتظهر في ثوب أدبي في أعمال سيمون دوبوفوار الأدبية والروائية ، وان كان بعض هذه الأعمال يعكس أيضا بعض جوانب تجربتها الذاتية في الحياة والمحيط الذي كانت تتحرك فيه ، كما يكشف عن كثير من نواحي شخصيتها هي نفسها .

يظهر ذلك بوضوح في روايتها (المثقفون ١٩٥٤) التي تعرف فيها القراء ما يشير الى عدد من كبار الأدباء والمفكرين الذين كانت على صلة بهم مثل سارتر وألبير كامي ، وقد سبب ذلك كثيرا من الحرج وخاصة وأن هذه الرواية التي فازت بجائزة جونكور تبين بشكل واقعي الى أبعد حد ما يعانيه المجتمع الباريسي المثقف ـ أو مجتمع الصفوة الذي ينتمي اليه هؤلاء الكتاب ـ من احباطات حول تطلعاتهم وآمالهم ، سواء أكانت هذه التطلعات والآمال سياسية أم فكرية أو حتى شخصية ،كما أنها تسجل المعضلات الكبرى التي تحيط بالوضع الانساني العام ، ومحاولات المثقفين بعد الحرب العالمية الثانية نبذ مكانتهم ووضعهم كمثقفين،والانخراط في سلك العمل السياسي النشيط الذي قد يعمد أحيانا الى العنف . وتعرض سلسلة الروايات التي أصدرتها في الاربعينيات لبعض مقتضيات النظرة الوجودية الى الحرية والاختيار ، والى الحياة والموت وما اليها ، فرواية « المدعوة » مثلا التي ظهرت عام ١٩٤٣ ، والتي تدور أحداثها حول المشكلات التي نجمت بين زوجين ، وتعرض حياتهما الزوجية للدمار نتيجة لاقامة فتاة معهما لمدة أطول مما ينبغي ، انما تعالج في الحقيقة الفكرة الوجودية عن علاقة الضمير الفردي بالآخرين،وأن ضمير شخص ما كثيرا ما يعيش على حساب ضمائر الغير أو ضمائر الآخرين . ورواية « دماء الآخرين » (١٩٤٤) هي، في أساسها معالجة للمواجهة بين مفهومي الحرية والمسؤولية . ورواية « كل الناس فانون » (١٩٤٦) التي تدور أحداثها حول امرأة تخشى من فكرة الموت ، ولكنها لا تلبث أن تدرك أن أعباء الحياة أثقل وأقسى من الموت ، هي معالجة أدبية للنظرة الوجودية عن أن الموت يعطي الحياة شكلها ومعناها ، بل ان المسرحية الوحيدة التي كتبتها بعنوان « الأفواه المعطلة » (١٩٤٦) ، والتي تدور حول اتخاذ القرار بالتضحية ببعض الأفراد من أجل بقاء الجماعة في مدينة تحت الحصار ، هي معالجة للمشكلة الأخلاقية عن القيمة النسبية للأفراد ، وكيف أن هذه القيمة تتحدد في ضوء علاقاتهم بعضهم ببعض من ناحية ، وفي ضوء (الفائدة) الاجتماعية لهؤلاء الأفراد من الناحية الأخرى ، وهكذا .

ولكن الكتاب الذي ارتبط اسمها به أكثر من غيره ، وحمل شهرتها الى بقية أنحاء العالم ، هو كتاب « الجنس الثاني » ، كما أنه هو الذي ساعد الى حد كبير على بروز شخصية متمايزة لها ـ وان لم تكن مستقلة تماما ـ عن سارتر ، وكان للكتاب تأثيره الفعال في قيام حركة التحرر النسائي بين الطبقات الوسطى في فرنسا ، وانتقال هذه (الثورات) بعد ذلك الى الدول الأخرى . وعلى العكس من كل أعمالها الأخرى . باستثناء كتابها عن « الشيخوخة » (١٩٧٠) فان « الجنس الثاني » دراسة علمية تقوم على تجميع قدر كبير جدا من المعلومات والشواهد والبيانات التي قد تهدف الى توثيق تاريخ الاتجاهات والمواقف المختلفة ازاء المرأة ، وابراز وجهة نظر الكاتبة عن أن المرأة هي في كثير من الثقافات ضحية المجتمع الذي يحدد لها منزلة ومكانة أدنى من منزلة الرجل ومكانته ، وشأن المرأة في ذلك شأن الشيوخ والعجائز ، الذين يحتلون هم أيضا مكانة ثانوية ، ويعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية .

واهتمام دو بوفوار بالمرأة والشيخوخة نابع من اهتمامها بنفسها ، فلكي تكتب عن نفسها كان لابد أن تكتب عن حالة المرأة ووضعها بشكل عام ، وعن وضع الشيوخ والعجائز في المجتمع المعاصر ، فلقد كانت ترفض فكرة وجود طبيعة أنثوية فطرية ، ومن هنا جاءت صرختها التي تستشهد بها الكثيرات من أنصار الحركة النسائية هي أن « الانسان لايولد امرأة ، وانما يتحول الى امرأة » بفعل الحضارة ووطأة المجتمع . أي أن المجتمع هو المسؤول عن ظهور « الحالة » النسائية ، بسبب نظرته الى المرأة ومعاملته لها ، كما لو كانت متاعا أو شكلا من أشكال الملكية ، والشيء نفسه يصدق على كبار السن ، وما ترتبط به الشيخوخة من اهمال وفقر وامتهان ، فقد نشأ ذلك الوضع لأن الطبقات المسيطرة في المجتمع ، أو

الطبقات الحاكمة ، لا ترى أي فائدة في الناس بمجرد أن يتخطوا تلك المرحلة من حياتهم ، التي كانوا فيها منتجين ومفيدين اقتصاديا ، فكأن المشكلة التي كانت تؤرق سيمون دو بوفوار على الصعيد الشخصي والعاطفي ، والتي درست من أجلها عددا كبيرا من « الحالات » ، لن يمكن فهمها الا في ضوء الصراع الطبقي داخل المجتمع ككل ، كما أنه لن يمكن تغييرها الا عن طريق الثورة الاجتماعية الشاملة ، ولقد كان شبح الشيخوخة والخوف منها يطاردها منذ وقت طويل ، وقبل أن تصل الى تلك المرحلة فعلا لسنين كثيرة .

بين اليسار . . واليسار المتطرف

الى جانب هذا كله كانت سيمون دوبوفوار تشارك بطريقة فعالة ومؤثرة وخلال كل حياتها العاملة في كثير من قضايا العصر التي تتصل بأفكارها ومعتقداتها ، وتتخذ منها موقفا محددا واضحا يتفق مع فلسفتها ، ويستوي في ذلك مشاركتها في الستينيات في المحاكمة الدولية التي ترأسها الفيلسوف البريطاني برتراند رسل لمحاكمة الولايات المتحدة على دورها في حرب فيتنام ، والاشتراك في توقيع البيان الذي ينادي بحق الامتناع عن أداء الخدمة العسكرية في الجزائر ، أيام حرب الاستقلال عن فرنسا ، ورئاستها عام ١٩٧٤ للرابطة الفرنسية لحقوق المرأة ، ثم رفضها بعد ذلك الاشتراك في احتفالات الأمم المتحدة بعام المرأة سنة ١٩٧٦ على أساس أن مؤتمر المرأة في المكسيك كان يهدف الى دمج النساء في المجتمع « الرجالي » ، وتأييدها بدلا من ذلك مؤتمر الثورة النسائية الذي عقد في بروكسل ، كذلك يدخل في هذا النشاط اشتراكها مع سارتر في مؤازرة كل حركات التمرد التي كانت تطالب بالحرية ، واشتراكها في انشاء جمعية الاختيار عام ١٩٧٣ ، للدفاع عن حق المرأة في الاجهاض وعدم الانجاب . . وغير ذلك كثير .

ولقد كانت مواقفها دائما أقرب الى اليسار ، وأحيانا اليسار المتطرف ، وكانت ترد كل شيء في المجتمع الى البورجوازية ، ولذا كانت البورجوازية هي المستهدفة في أعمالها وكتاباتها الروائية ، التي تعطي فيها للجماعة أولوية وأهمية مطلقة على الافراد الذين يؤلفون هذه الجماعة ، ويظهر هذا الميل الى اليسار واضحا في الرحلتين اللتين قامت بهما - ضمن رحلات أخرى كثيرة - الى الولايات المتحدة والصين ، وبدون الدخول في تفاصيل هذين الكتابين يكفي أن نشير الى أن رحلتها الى أمريكا ظهرت بعنوان « أمريكا : يوم بيوم » بينما جاءت رحلتها الى الصين تحت عنوان « الزحف الطويل » . وهذان عنوانان لهما مغزاهما العميق ، ولقد كانت تحمل لأمريكا منذ زارتها في الستينيات كثيرا من المشاعر المعادية ، والظاهر أنها لم تغير رأيها فيها قط ، فقد كتبت بعد هذه الزيارة بحوالي عشر سنوات تقول : « ما ان تظهر حركة قومية أو شعبية في مكان ما ، ويخيل الى أمريكا أنها تتعارض مع مصالحها الخاصة حتى تتولى تدميرها وسحقها تماما » .

● ● ●

وأيا ما يكون الأمر ، فلقد كانت سيمون دوبوفوار تنظر الى نفسها والى أعمالها بكثير من التواضع ، وتقبل الرأي الآخر ، وتبدي استعدادها الى مراجعة نفسها ، على العكس تماما من سارتر ، وعلى الرغم من أنها كانت تقول ان الفارق الجوهري الوحيد بينها وبين سارتر هو أن عقليته وتفكيره وآراءه تشكلت عن طريق القراءة والكتب بينما كان للتجربة الواقعية والناس دخل كبير في صياغة تفكيرها هي ، ومواقفها ، فانها لم تكن ترى نفسها من الشخصيات المهيمنة على الأدب والفكر في فرنسا ، وانها تشغل مكانا متواضعا اذا قورن دورها بدور سارتر ، ولكن يبقى بعد هذا كله أنها ظلت متمسكة حتى آخر حياتها بمبادئها في شجاعة لا تخلو من التحدي للمجتمع ، وقيمه وتقاليده المتوارثة ، كما ظلت أيضا تؤمن بأن الاختيارات الأساسية للفرد يجب أن تقوم على مبدأ الاعتراف بالمساواة في الحقوق والواجبات والمسؤوليات بين الرجل والمرأة ، وأن هذه المساواة ذاتها يجب أن ترتكز بدورها على الأساس الوحيد المشترك بين المجتمع وهو الوجود (الأنطولوجي) بصرف النظر عن اختلاف الجنس . . ودفاعها الطويل المرير عن هذا المبدأ هو الجانب الذي سوف يبقى بعد أن تتوارى أعمالها الأخرى - ولو جزئيا - بمرور الزمن . □

العربي ـ العدد ٣٣٢ ـ يوليو ١٩٨٦

بقلم : محمود المراغي

أموال الأغنيـــاء

وســـؤال خـــاطئ للفـــقراء

بين الجيوش والاموال .. بين الأساطيل والسلع عابرة القارات .. بين العسكر ورجال البنوك : علاقة قديمة .

فى القرن الماضى كان ذلك كله يتحرك فى وقت واحد وفى اتجاه واحد .

وعندما غزا رأس المال الأوروبى عالم الفقراء تحصن بالاستعمار .. فكان مقدمة له أو نتيجة على حد سواء .

وباستمرار كان لحركة رأس المال أحد الشكلين : الاستثمار المباشر الذى يزرع أو يصنع أو يتاجر أو يفتتح مصرفا .. خارج الحدود .. او الاقراض الذى يتجه من الشمال الى الجنوب ، ومعه الوصاية والتدخل السياسى .

أبغض الحلال :

فى النصف الثانى من القرن العشرين استمر الشكلان ، وبرزت قوة مالية ضخمة هى قوة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنذ الحرب العالميةالثانية كان هناك باستمرار خلاف حول انتقال رؤوس الأموال .. خصوصاً اذا أخذت شكل الاستثمار المباشر .

كان البعض يقول : انه الاستعمار الجديد ، فمن خلال الأموال تتم السيطرة على السياسات .

وكان البعض يقول : بل انه الاعتماد المتبادل والتعاون الدولى الضرورى ... فهناك أسواق تصدر رأس المال وأسواق توظف هذه الأموال .. والمنفعة للطرفين .

وخلال الصراع بين الفكرتين آثرت دول كثيرة حديثة الاستقلال أن يكون ترتيب الأولويات لديها ، وحين تحتاج لتمويل أجنبى : الهبات غير المشروطة ، ثم القروض ، ثم الاستثمار .

وكان لذلك منطقه .. فالهبات لا تضع قيدا ولا ترتب عبئاً .. والاقتراض يمكن أن يدار بادارة وطنية ووفق الصالح الوطنى .. أما الاستثمار الذى اعتبرته هذه الدول أبغض الحلال ، فهو فى كل الأحوال يتيح فرصة لقدر من السيطرة الأجنبية والتأثير الخارجى .

القروض أولا :

فى السبعينيات ـ ودون حاجة لاستخدام الجيوش والأساطيل ، واعتمادا على « الفائض والحاجة » فائض بعض الدول وحاجة البعض الآخر ـ استمر تدفق رؤوس الأموال بأرقام قياسية ، بعد أن خلقت ثورةالنفط أكبر تيار مالى عرفه العالم ..

كان ذلك التيار يسير فى شكل دائرى : نقود تخرج من الدول الصناعية للعالم الثالث سدادا لثمن النفط .. ثم تعود الى العالم المتقدم فى شكل فوائض ، أو ثمنا لسلع خاصة بالاستهلاك أو التنمية .. وتعود النقود ـ أو يعود جزء منها ـ الى العالم الثالث غير النفطى الذى اختلت موازينه ، وعانى عجزا لم يعالجه الا اللجوء الى العالم الخارجى .

كانت الحاجة هى عنصر الجذب وكان الفائض - سواء فى الدول النفطية أو بنوك العالم الصناعى - هو عنصر الطرد . .

وخلال الخروج الكبير للأموال ، من العالم الصناعى الى الدول النامية برزت ظواهر مهمة . .

لقد تضاعف الاستثمار المباشر للبلدان الصناعية فى الدول النامية عدة مرات ، وبينما كان التدفق السنوى فى بداية الستينيات - ووفقا لدراسات صندوق النقد الدولى - (٢) مليار دولار . . أصبح المتوسط فى السنوات (١٩٧١ ١٩٨١) : ثلاثة عشر ملياراً

زاد الاستثمار المباشر ، لكن اهميته النسبية تراجعت بشدة ، ليتقدم الائتمان المصرفى ، ولتحتل القروض مراكز الصدارة .

لذا ، وحين تم حصر الاستثمارات والديون - طبقا لنفس المصدر السابق - في عام ١٩٨٣ اتضح البون الشاسع ، فالاستثمارات الأجنبية المباشرة فى الدول النامية غير النفطية بلغت فى نهاية ذلك العام (١٤١) مليار دولار . . . بينما بلغ الدين الخارجى (٦٨٥,٥) مليارا . . وبما يعنى أن الاستثمارات المباشرة لم تتخط (١٧) بالمائة من التدفق المالى الوارد لهذه المجموعة . . .

وبمزيد من التحليل يتضح أنه فى مجال الاستثمار المباشر كانت هناك خمس دول رئيسية تصدر رأس المال ، وخمس دول رئيسية تستقبل هذه الأموال . .

كانت هناك الولايات المتحدة الأمريكية التى تقدم نصف الاستثمار الجديد القادم من الغرب الى الدول النامية كل عام . . . وكانت هناك الدولتان التقليديتان فى هذا المجال : بريطانيا وفرنسا . . ثم . . كانت هناك : المانيا الاتحادية واليابان . . وسجلت الأخيرتان أرقاما قياسية ، فنمت استثمارات اليابان فى الدول النامية بنسبة (٢١) بالمائة سنويا . . بينما نمت استثمارات ألمانيا الاتحادية (١٧) بالمائة سنويا وذلك فى نهاية ١٩٨٣ .

وعلى الجانب الأخر كانت هناك بلدان خمس ، حصلت وحدها على نصف الاستثمار المباشر فى ذلك العام ، وهى : البرازيل ، جنوب افريقيا ، المكسيك ، سنغافورة ، ماليزيا .

وبينما سجلت الاستثمارات المباشرة المنقولة من العالم الصناعى للعالم النامى (١٣) مليار دولار فى المتوسط خلال السبعينيات . . . بلغ عائد هذا الاستثمار (٢٦,٥) مليارا عام ١٩٨١ و (١٨) مليارا عام ١٩٨٣ . . . .

اى أن العائد كان يفوق الاستثمار الجديد ، وبما يجعل الميزان لغير صالح الدول النامية من وجهة النظر المالية .

مفاضلة خاطئة :

فى التحليل النهائى نجد فروقا بين الاتجاه للاستثمار المباشر . . والاتجاه للاقراض . . ففى الحالة الأولى تكون الفرصة أوسع للاسهام فى التنمية ، وتكون الفرصة متاحة لربح أكبر ، ولكن فى ظل مخاطرة أشد ، ودرجة أكبر من الاندماج والتأثير فى اقتصاديات الدول المضيفة . . أما فى الحالة الثانية فالربح محدد ، والمخاطرة أقل ، والقرض فى معظم الأحوال يمول نفقات عامة واستهلاكية ، وعجزا جاريا ، ولايمول مشروعات تنموية . . انه يساند وضعا اقتصاديا وسياسيا . . لكنه لا يخلق بنية اقتصادية يشتد عودها حتى تستغنى عن الخارج .

لقد تبدل الثوب من استثمار تحرسه المدافع . . الى اقتراض تحرسه المناورات السياسية .

ولكن . . بقى ما يحذر منه بعض رجال الاقتصاد فى المنظمات الدولية والدول الصناعية ، وهو أن تمويل المصارف سوف ينكمش ، والدول النامية سوف تواجه مأزقا اذا لم تبحث عن بديل فى المزيد من تشجيع رأس المال . .

وربما يسأل البعض : وهل هناك - على صعيد القوانين والتعهدات والتنازلات - مايمكن أن تقدم منه الدول النامية المزيد ؟

لكن السؤال الأهم ، واذا كان المطروح عند هؤلاء هو المفاضلة بين الاستثمار المباشر أو الاقتراض . . السؤال الأهم هو : أليس من سياسة أكثر رشدا ، تزيد اعتماد الدول النامية على الذات وتقلل احتياجها للغير ؟

أظن . . ان تلك هى القضية . . . وليست القضية استثمارات أو قروضا ؟ □

مواقف إنسانية



الحرب تظل دائماً جريمة

بقلم الدكتور : عبد الوهاب حومد

كيف يمكن أن يزن القضاء بعض الحالات التي يعتريها التناقض : الشر والخير ، الفظاعة والرقة ، القسوة والوداعة ، الوحشية والخسة والنذالة وحتى الاجرام ، يقابلها تعاطف وحنو ومحاولة استماع الى صوت الضمير ؟

هذه الحالات وغيرها تمر على شاشة ذكريات أحد رجال القانون الأوائل . . فيخبرنا عن قصة ما كان . . . وما كان يجب أن يكون .

حين أعلنت الاذاعة البريطانية ، صبيحة السادس من حزيران ، عام ١٩٤٤ ، أن الجيوش الحليفة بدأت بالنزول في مقاطعة النورماندي الفرنسية ، كان قد مضى على الاحتلال الألماني لفرنسا أربع سنوات . . .

وفي ذلك الصباح ، الذي طال انتظاره ، تدافعت خمسة آلاف سفينة من الشاطيء الشمالي لبحر المانش ، مخترقة عباب هذا البحر الضيق ، الذي يفصل جنوب انكلترا عن شمالي فرنسا ، لتفرغ على الأرض الفرنسية ما تحمله من مئات الألوف من الجنود ، وما يرافقها من عتاد حربي ضخم ، في أكبر غزوة بحرية في تاريخ البشر . . وكانت تحلق فوقها وتحميها ألفا طائرة حربية . . .

ولم يكن القادة الألمان بغافلين عما ينتظرهم ، لو



تمكن المهاجمون من تثبيت موطىء قدم لهم على الساحل الفرنسي ، لذلك حرك « فون رونشتد » ، القائد الألماني قواته المتمرسة لتصد الزحف الحليف ، وترده خاسئاً على أعقابه ، بناء على أمر شخصي من « هتلر » ، وبإيحاء استراتيجي من الماريشال « رومل » ، الذي اشتهر بلقب « ثعلب الصحراء » . . .

وتعرضت القوات الغازية الى هجمات معاكسة رهيبة من البر والجو ، وألحقت بها خسائر مذهلة . . ورغم كل التضحيات ، تمكن الحلفاء من النزول الى البر ، وانقضوا على جيوش هتلر ، وأرغموها على التقهقر . . وبذلك بدأت نهاية الحرب العالمية الثانية ، تلوح واضحة لكل عين . . ذلك أن الجيوش السوفيتية كانت ، في ذلك الوقت ، تزحف نحو ألمانيا ، محطمة الجدران الفولاذية أمامها . . والآن جاء الطوفان من الغرب يحطم « جدار الأطلسي » ويمزق المعاقل الحصينة . . وأصبحت الجيوش الألمانية بين فكي كماشة . . .

الضربة القاضية

وسارع القائد الألماني « فون كلوغ » ، فأعلن باريس المحتلة مدينة مفتوحة ، ليجنبها دماراً مؤكداً ، فأحسن بذلك صنعاً لتاريخ الحضارة ، خصوصاً وأن العاصمة الفرنسية أصبحت مطوقة تماماً من قبل الجيوش الحليفة ، وأن المقاومة الألمانية غدت فيها دون معنى . . . .

ولم يشأ الحلفاء أن يدخلوها وحدهم ، مجاملة للأمة الفرنسية ، فأحضروا جنرالاً فرنسياً يدعى « لكلير » - كان التحق بديغول - على رأس قوات فرنسية تتشكل في أكثريتها من العرب المغاربة ، وفتحوا له الطريق ، ليدخل مع الفرقة الأميركية الرابعة « محرراً » عاصمة بلاده . . وقد جرت مناوشات صغيرة مع من بقي من الفلول الألمانية . . ما لبثت أن هدأت كما يهدأ كل يائس بعد ضربة قاضية . . .

وهكذا تحررت باريس الجميلة يوم ٢٥ آب ، ودخلها الجنرال ديغول بقامته الفارعة . . وبدخوله هذا ، دخل التاريخ من أوسع أبوابه . . وانتهت مرحلة صراخه من الاذاعات الأجنبية . . وانقض « رجال المقاومة » الفرنسية على المتعاونين الذين كانوا أعواناً للمحتل الألماني ، يعتقلونهم وينكلون بهم . . ولم تنج « المتعاونات » كذلك من غضب الجماهير المهتاجة . . فقد شاهدت عدداً من هؤلاء المقاومين ، يجرون فتاتين مجزوزتي الشعر ، وشبه عاريتين ، كما يجر الكلب الحرون . . وقد قرأت فيما بعد في كتاب لأحد المقاومين ، نشره بعنوان « مذكراتي أثناء الاحتلال » قصصاً أليمة مماثلة ، كان ضحيتها مذنبات وبريئات . . .

وأقيمت لهؤلاء المتعاونين « محاكم شعبية » في منعطفات الشوارع أو في مخافر الشرطة ، وكانت أحكامها تصدر في نفس الجلسة وتنفذ فور صدورها . . والقاعدة المألوفة ، أن تكون العقوبة حكماً بالموت . . وكان بين ضحاياها عدد من ضباط الجيش الفرنسي المنحل ، لذلك بادر الجنرال ديغول - رئيس الحكومة الجديدة - الى إصدار أمر منع به تنفيذ أحكام الاعدام ، الا بعد أن يُصدَّق عليها . . ومع ذلك فقد حدث أن حطم « القضاة » المرتجلين أبواب مراكز الاعتقال ، وانتزعوا بعض من أصدروا عليهم الحكم بالاعدام ، ونفذوا فيهم « عدالتهم الشعبية » وكانت أوقاتاً فظيعة ، راجت فيها سوق الوشاية والوقيعة ، وكان كل انسان معرضاً الى أسوأ الاحتمالات . . .

وحين بدأت الأعصاب تهدأ ، صدر تشريع جديد يقضي بمحاكمة المتعاونين مع العدو ، أمام محاكم نظامية استثنائية . . .

وكانت أشهر هذه المحاكم محاكم أمن الدولة التي أقيمت في قصر العدل بباريس . . ولقد أتيح لي أن شهدت بعضها . . ومن المحقق أن اهمها وأخطرها ، محاكمة الماريشال « بتان » رئيس دولة « فيشي » المتعاونة ، « وبيير لافال » ، رئيس وزرائها . . وهو الذي خطب ذات يوم وقال انه يتمنى انتصار المانيا . . . فكلفه هذا التمني حياته ، حين أفرغت كتيبة الاعدام في صدره اثنتي عشرة رصاصة . .

عصابة بوني ولافون

والى جانب هذه المحاكم « الكبرى » انشئت محاكم أخرى ، لمحاكمة متعاونين صغار ، كانوا أدوات تنكيل وقمع ، في يد الشرطة السرية الألمانية . . ولعل أسوأ هؤلاء ، عصابة اشتهرت باسم « عصابة بوني ولافون » القبيحة السمعة . . فحين تحدد موعد بدء جلسات محاكمتها ، غصت ردهة قصر العدل بالمتفرجين . . وقد كان هؤلاء يحضرون مع أنوار الصباح الأولى ، لينتظموا في صف طويل ، انتظار لدورهم في الدخول . فكان مستحيلاً عليّ أن أظفر بمكان في القاعة ، لمشاهدة هذه المحاكمات « التاريخية » ولقد رأيت أن أقابل رئيس المحكمة بذاته ، وأحصل منه على إذن خاص . . وكان معي غاية في اللباقة ، فأمر بأن يوضع لي كرسي خلف هيئة المحكمة ، ولم يكن هذا الكرم بأمر مألوف في عرف القضاء ، ولكنه تدبير تم في ظروف شاذة . . والشاذ لا ينكر الشاذ .

ومن مقعدي رحت أتمعن في الرسوم الرائعة التي تغطي جدران القاعة وسقفها . . وكأني أراها لأول مرة ، مع أنني من « مدمني » المحاكمات الجنائية المهمة فيها . . انها شيء من امتزاج الشعر بالحلم واللون بالعبقرية . . والفن برائحة الجريمة . . والعبقري والمجرم متمردان على قواعد المجتمع . . .

وفي صدر القاعة ، ينتصب قوس من الأبنوس الفاخر ، لمجلس الرئيس ومستشاريه ، وهؤلاء الثلاثة من القضاء المحترف ، والى يمينهم يقوم قوس صغير لممثل المجتمع ، وهو في هذه القضايا الاستثنائية « مفوض الجمهورية » والى جانبه ، الى اليمين أيضاً ، قوس خصص للمحلفين وعددهم اثنا عشر ، والى يسار هيئة المحكمة قفص المتهمين ، وأمامه طاولات المحامين . . وفي وسط القاعة ـ في مواجهة القضاة ـ قوس الشهادة ، أما النظارة فلهم أماكنهم في أقصى القاعة ، جلوساً ووقوفاً . .

وفجأة هيمن على الناس جو من الرهبة والترقب حين أخذ المحلفون يدخلون الى مقاعدهم . . وازداد الجو رهبة ، وتسارعت ضربات القلوب ، حين دخل الرئيس يتبعه المستشاران . . وأمر الرئيس الحاجب بادخال المتهمين ، ففتح لهم باباً صغيراً دخلوا منه ، متسللين ، منكسرين ، واحداً في إثر واحد ، بين صفين من رجال الشرطة ، وهم في حالة ذعر وانكسار ، بادية لكل عين . . .

وبعد أن انتهى المحضر من تلاوة أسمائهم واجاباتهم بأنهم حاضرون ، نبههم الرئيس الى أن يكونوا منتبهين الى كل ما يتلى أو يقال في الجلسة . . واني لأشك في قدرة كثيرين منهم ، على تدبر ما يسمعون ، لأنهم كانوا في حالة ذهول قريب من الموت . . ثم وقف « مفوض الجمهورية » يعيد على مسامعهم ما تضمنه صك الاتهام مما اقترفوه من جرائم ، في حق الوطن وحقوق الناس . . .

مآخذ ومطاعن

ومن حيث المبدأ العام ، فليس من مطعن يوجه الى أشخاص الرئيس والمستشارين ، فهم قضاة من القضاء العادي ، اختيروا من بين زملائهم لمحاكمة المتعاونين مع العدو المحتل . . ولكنهم ليسوا قضاة القضاء العادي ، في هذه المحاكمات ، ذلك أن وضعهم الشرعي هو وضع « محكمة استثنائية » وكل رجال القانون الجنائي يمقتون أشد المقت هذا النوع من القضاء ، ولا يثقون به ، ولا بأحكامه ، وأقل ما يقولون فيه أنه نوع من التصفيات الجسدية ، يتم تحت غطاء قانوني ، وفي اطار شكليات إجرامية مسرحية ، ليس من شأنها أن تقنع أحداً بنزاهتها . . .

كذلك ، فانه يؤخذ على « مفوض الجمهورية » أنه اختير من قبل الحكومة ، وليس من قبل النائب

العام ، كعضو في النيابة العامة . . ومن المؤكد أن اختياره إنما تم بناء على ما تمثله شخصيته من عنف ، وما يتمتع به من ذلاقة لسان وحضور ذهن ، وتشبع باد بالنقمة على المتهمين . . وفي الأحوال العادية ، فإن النائب العام يمثل المجتمع ، وينتصب خصماً للمجرمين ، ولكنه خصم من نوع خاص ، مهمته أن يساعد على كشف الحقيقة ، لا أن يتشبث بأذيال الادانة . . بل إن من واجبه أن ينصر المتهم اذا وجده مظلوماً ، ويخطىء الذين تستبد بهم عواطفهم المهتاجة ، فيذهبون الى أن أمثال هؤلاء « الأدنياء » الخونة ، لا يستحقون محاكمة عادية عادلة ، لأنهم لم يكونوا عادلين في الأصل مع أنفسهم ، وذلك انهم روّعوا ضحاياهم ، وحطموا مشاعرهم ، وآذوهم في أجسادهم وكراماتهم . . ودنسوا حرمة وطنهم . . ذلك أن عهد الانتقام الفردي قد طويت أعلامه ، منذ أن رسخت دعائم العدالة النزيهة ، وأصبح مفهوماً مقدساً ، ومن مستلزماتها ، إجراء المحاكمة في جو من النزاهة والحياد ، في أشخاص القضاة وفي الاجراءات ذاتها ، وبصورة خاصة في صيانة حق الدفاع المطلق عن المتهمين . . وبعد ذلك يفصل القضاء في التهمة ، كما يرى أنه العدل والقانون ، وبدون هذه الضمانات الدستورية ، تكون « العدالة » مخلباً وناباً في غابة . . ولذلك قيل ، بأن أصول المحاكمات الجنائية لا تتحقق الا في شعوب متحضرة . . .

أما الجانب المظلم في تشكيل هذه المحاكم الاستثنائية ، فهم المحلفون ، أي القضاء الشعبي ، الذي يفصل في التهمة ، من جانبها الموضوعي ، وهو قضاء قديم عرفته أثينا تحت اسم (Heliastes) وهو القضاء الذي حوكم به سقراط ، وقضى عليه بشرب السم ، لأنه جحد الآلهة وأفسد الشباب ، حين أراد أن يعلمهم الحكمة ، وعرفته روما القديمة ، بشكل أقل حدة ، ويرى بعض الفقهاء أن هذا القضاء يعود في بدء تشكيله الى فكرة دينية ، مؤداها الاحتكام الى عدالة الله وإرادته ، التي تختار قضاة المحاكمة بالقرعة ، لا بتعيين من أحد من الناس . . وهي بذلك تكون قد حلت محل أسلوب « المحنة » .

وقد كان التشريع الفرنسي ، في تاريخ اجراء هذه المحاكمات عام ١٩٤٥ ، يحدد عدد المحلفين باثني عشر محلفاً ، ويكل اليهم وحدهم ، حق الفصل نهائياً في براءة المتهم أو إدانته ، وكانوا يصدرون أحكامهم بنعم للادانة ، ولا للبراءة . فاذا انتهوا الى الادانة ، حددت هيئة المحكمة مقدار العقوبة ونوعها[1] ، وان قرروا البراءة ، وجب انهاء المحاكمة في الحال ، ولكن بعد هذه المرحلة ، صدر تشريع جديد خفض عدد المحلفين الى تسعة ، وألزمهم بالجلوس مع القضاة المهنيين ، ليناقشوا جميعاً موضوع التهمة ، ويفصلوا في ادانة المتهمين أو براءتهم (المادة ٢٩٦ الجديدة من قانون الاجراءات الجنائية) ، وهذا الاصلاح متفق مع ما تحقق من اصلاحات جذرية في نطاق هذه المؤسسة ، في بلاد أخرى[2] .

ولقد أريق مداد كثير ، في الدفاع عن وجود القضاء الشعبي ، أو الغائه والخلاص منه ، والمطالبون بالغائه يأخذون عليه ، جهل أعضائه المطلق بالمسائل القانونية ، والفضائح المدوية التي أثارتها بعض أحكامه الخرقاء .

ويأتي تشكيل المحلفين ، في هذه المحاكمة ، ضغثاً على إبّالة ، فقد اختيروا جميعاً من أعضاء « المقاومة السرية » أثناء الاحتلال ، ممن تعرضوا للتنكيل والقتل ، إما لأنهم شيوعيون أو يهود ، وإما لأنهم أعضاء أحزاب سياسية حُلّت قانونياً ، واستمرت تعمل تحت الأرض . . ومن غير المقبول شرعاً أو عرفاً أن يكون الشخص خصماً وحكماً في قضية ، والقوانين الراهنة في مختلف البلدان ، تمنع القاضي من النظر في أية قضية اذا قامت قرائن على الشك في نزاهته أو حياده ، وإن من هذه القوانين ، ما يحرم على القاضي أي انتماء سياسي ، حتى لا يكون له ولاءان ، يجعلانه موضع شبهة . .

---

(١) وهذا مخالف للتشريع الانكليزى ، فاذا كان القاضى مقتنعا بأن قرار الادانة الذى أصدره المحلفون ، جائر ، فان من حقه أن يلغيه ، ويرجىء المحاكمة الى موعد آخر .

(٢) كالتشريع الألمانى ، والتشريع الايطالى المعاصرين ، اللذين قضيا على ازدواجية القضاء المحترف والقضاء الشعبى .

ملامح شخصية

واذن فان وضع المحكمة لا يوحي بالاطمئنان .. ومع ذلك فان المحاكمة جرت في جو هادىء ، وتمكن كل طرف من ممارسة كل حقوقه القانونية ... ولقد بادر جميع المتهمين بالاعتراف بما نسبه اليهم مفوض الجمهورية ، وزرو وسهم الى أقدامهم ، خجلاً مما اجترحوا .. وكان ملاك الموت رحيماً بواحد منهم ، فاستل روحه مساء الجلسة الأولى في زنزانته ، وبذلك طويت قضيته ، لأن القضاء المعاصر لا يحاكم الأموات ، حتى لا تنشر مخازيهم دون جدوى ، بعد أن أصبحوا بين يدي الله الذي لا يغفل عن ظالم ، وحتى لا تصدر أحكام بعقوبات لا تجد من تنفذ فيه .. وقد عرفت البشرية ، فيما مضى من عمرها شعوباً تحاكم الأموات ....

وقد استحوذ على اهتمام من في القاعة اثنان من المتهمين ، هما : (بوني ولافون) ، فقد كان بوني مفتشاً سابقاً في جهاز الشرطة ، ثم انضم الى هذه العصابة الدنيئة ، لينفس عن عقده النفسية التي تكونت فيه من قدم ، من خلقته البشعة ، وشخصيته القلقة ، وفشله في كل علاقاته الخاصة ..... وقد لفت نظري فيه بصورة خاصة ، جبهة شديدة الضيق ، وفك بارز ، وتشوه واضح في عظمتي وجنتيه ، وعينان تطوفان دون توقف ، ولا تستقران في اتجاه واحد ... وقد ذكرتني ملامحه هذه بالرجل المجرم بالفطرة الذي اخترعه الاستاذ لومبروزو ، في أواخر القرن الماضي ....

وحين أخذ الرئيس يستجوبه في شأن التهم الموجهة اليه ، وقسوته على المعتقلين من بني جلدته ، وكيف سرق ، وارتشى ووشى ، وفي شأن أساليب القهر التي كان يلجأ اليها مع النساء ، حتى يظفر « بصداقاتهن » تيقن كل واحد من الحضور ، أن هذا التعيس قد فقد كل أمل في انقاذ عنقه .. وهو نفسه لم يكن يطمح الى ذلك ، فقد سقط إعياء تحت ثقل أوزاره ....

ولكن (لافون) كان شخصاً آخر فعلاً ، فقد كان بادي الوسامة ، ظاهر الأناقة ، ليس في تكوينه عاهات ظاهرة .. وكان بادي الثقة في نفسه ... ولم ينكر أنه تعاون مع العدو ، وشارك في جرائم قتل وتعذيب واعتقال غير مشروع ، وارتشى واستلب الملايين بالقوة والتهديد ... الا أن القاعة شهدت ، فيما شهدت ، عدداً من مآثره الغريبة ، حتى أحسستُ أنّ صورته قد تبدلت في العيون ، وأنه أصبح موضع عطف واسع ..... فقد وقف على منصة الشهادة ، أشخاص فقراء شهدوا للافون بأنه كان يعطيهم ما يكفيهم ، دون أن يطلب منهم أي مقابل .. ولكن الشهادة التي هزت العواطف هزاً شديداً ، هي شهادة تلك العجوز اليهودية .. فقد اعتقل وحيدها ، وجاءت تتقصى أخباره ... فأنبأها معتقلوه انهم يريدون مليوني فرنك لاطلاق سراحه ! .. ووقفت في الردهة تنتحب ، فهي لا تملك دانقاً تدفعه ، واذا لم تفتد ابنها ، فانه سيساق مع غيره الى المجهول ، وربما الى فرن من أفران الغاز ، كما كانوا يشيعون عن المعتقلات الألمانية في سيليزيا العليا ... ووقف أمامها ضابط يسألها عما بها ، فأخبرته بما طلب منها ، فاقتادها الى مكتبه ، ودفع لها المبلغ كاملاً غير منقوص ، وهي في حالة ذهول ... واصطحبت ابنها الى بيتها ، وهي تبكي ، ولكن من فرحتها هذه المرة ... وكان هذا الضابط هو لافون نفسه ....

وقد كانت هذه الشهادة مادة دسمة في مرافعة محاميه العملاق .... وفي قاعات محاكم الجنايات الفرنسية محامون كبار يعترفون مرافعاتهم ، من أدب اليونان وقانون الرومان وثقافة عصر النهضة ، ومن تمكنهم الراسخ من أعناق المواد القانونية .. ويرتجلون ، وكأنهم ينثرون الزهر ويرشون العطر ، ويشيعون النشوة .. فتهتز من تحتهم أعواد المنابر ....

القصص الجنـــائي

وكل من اشتغل بالأدب يعلم أن القصص الجنائي ينبوع ثرّ من الحالات الانفعالية ، يغترف منه الأديب بنهم .. وبؤساء « هوجو » مَثَلٌ عَمَلِيّ .. وبطلها « جان فالجان » ليس الا حالة تقمص مسبقة من لافون ، هذا .

ولقد وفاه محاميه حقه ، حين أثبت للمحكمة أنه ضحية مجموعة من أقدار أليمة ، تضافرت عليه ،

فاستلبت خياره ، ووضعته على سفح مائل من جوانب الحياة ، وكان حتماً عليه أن ينزلق الى الهاوية . . . .

فقد ولد من أب مجهول ، وأم تعيسة ، ليس لها في الدنيا سند يأخذ بيدها . . وذاق ـ هو وأمه ـ مرارة الجوع وقسوة البرد في غرفة لا ترى النور . . . وحين أصبح في التاسعة من عمره ، انتقلت أمه الى جوار الله ، لأنها عجزت عن شراء الدواء . . وفي مساء يوم الدفن ، اخرجته مالكة الغرفة منها ، فخرج هائماً على وجهه ، لا يعرف أين يتجه . . وانتهى به المطاف الى المقبرة ، فنام ليلته تلك على قبر أمه . . وسرق ليأكل ، فأخذ الى اصلاحية أحداث ، وحين « صلحت حاله » خرج الى غابة الحياة ، تتخطفه أنياب الذئاب ومخالب العقبان . . الى أن عاد فسقط في يد العدالة ، فأدخل السجن وهو في حالة تهدم روحي وأخلاقي . . ومع ذلك ، فقد شعر فيه بشيء من الراحة والطمأنينة ، لأنه وجد فيه سقفاً يظله وركناً ينام فيه . . . .

وفي السجن أصبح له صديق غير فرنسي . . وحسنت مودتهما . . ولكن نودي ذات يوم على هذا الصديق ، فخرج وبقي لافون دون صديق . . . وصادف هذا الافراج ، موعد دخول الجيش الألماني باريس محتلاً . . . .

وفيما كان قابعاً في زاويته بعد أيام قليلة ، نادى مناد عليه ، واقتيد الى ادارة السجن ، وهناك اعترته دهشة كبرى حين وجد نفسه أمام صاحبه الأجنبي ، وهو يرتدي بذلة ضابط ألماني كبير . . . وخرج به الى مقر من مقرات « الجستابو » ـ الشرطة السرية الألمانية ـ وهناك أصبح نقيباً في المخابرات . . وناوله رزمة من النقد ، ما كان في مقدوره أن يطمح اليها في الحلم . . وهو الذي كان يطوي لياليه على السغب . . . . .

وفي عمله الجديد ، اعتقل مواطنيه ، وعذبهم ونكل بهم ، وارتشى ليفرج عن أبرياء ، وانتزع من مال الأثرياء ما زاد على الثلاثمئة مليون ، وفتحت أمامه أبواب « المجتمع المخملي » على مصاريعها . . كنتيجة طبيعية ، لوهج السلطة ، والقدرة على التحكم بأقدار الناس . . . فكان بين صواحبه ، عدد من حاملات ألقاب النبالة ، وقفت بعضهن على قوس الشهادة ، وصُفرة الموت ، تعلو وجوههن الجميلة ، خشية أن ينقلب وضعهن من شاهدات الى متهمات . . . . .

يأخـــذ ليعط

وسأله الرئيس ، أيها المتهم ، أين هذه الأموال ؟

وأجاب في ثقة واضحة ، لقد أخذت من الأغنياء يا سيدي الرئيس ، ما ليسوا في حاجة اليه ، لأعطيه لمن هو محروم منه . . . .

وسأله الرئيس : وهل لديك ما تضيفه الى أقوال محاميك ؟

قال ، بلى يا سيدي . . اني حاكمت نفسي قبل أن تحاكموني ، وأنا أعرف منكم بما ارتكبت ، لذلك لن أطلب من محكمتكم شفقة ولا رحمة . . ولكني أؤكد لكم ، أن ما استلبته من مال أنفقته على المحتاجين اليه ، واحتفظت لزوجتي وأولادي بمزرعة صغيرة أسكنتهم فيها ، ليعيشوا شرفاء مما تدره عليهم زراعتها وبقراتها . . . . . فاذا حكمتم علي ، فاتركوا لهم هذه المزرعة ، حتى يشعروا أن لهم في هذا الوطن شيئاً يقيهم شرور الحاجة . . . وهذه آخر توسلاتي الى هذا الوطن الذي ظلمني فظلمته . .

وصدر قرار المحلفين بالادانة ، وقضت المحكمة باعدام المتهمين جميعاً ومصادرة المال الحرام الذي استلبوه ، وهو كل ما يملكون . . . .

وعلت في القاعة موجة عارمة من التصفيق والهتاف بحياة العدل . . ذلك انه ليس من شأن الدوافع الخيرة أن تمحو الجريمة . . التي تظل معاقبة . . . والحكيم من اتعظ . □

قال حكيم :

« كن حذراً من الكريم ان أهنته ، ومن اللئيم إن أكرمته ، ومن العاقل إن أحرجته ، ومن الأحمق إن مازحته » .

العربي - العدد ٣٣٢ - يوليو ١٩٨٦

البحر الميت يموت !

بقلم : الدكتور عبد الاله أبو عياش

البحر الميت اسم أطلقه اليونانيون على البحيرة الداخلية المالحة في غور الأردن ، الفاصلة بين الأردن وفلسطين ، نظرا لانعدام الحياة المائية فيه، ومنذ أن حول العدو الصهيوني كميات كبيرة من نهر الأردن وروافده الى بحيرة طبريا . . بدأ منسوب المياه يقل في هذا البحر الداخلي . . فهل هذا فقط هو السبب في احتضار البحر ؟

يعتبر البحر الميت من الناحية الجيولوجية مجرد بحيرة داخلية تشكلت في أعقاب الحركات التكتونية التي أدت الى تكوين مايعرف بالانهدام الافريقي ، ويعتقد الجيولوجيون أن الأخدور الافريقي تشكل قبل حوالي ٢٥ مليون سنة ، نتيجة حركات انكسارية واسعة ، امتدت من شمال سورية عبر سهل البقاع اللبناني فغور الاردن ، شاملة خليج العقبة والبحر الأحمر الى هضبة البحيرات في غرب افريقيا ، ونظرا لأن منخفض البحر الميت هو أكثر المناطق انخفاضا في الحوض التصريفي لوادي الاردن ، فقد أخذت المياه المتدفقة من المرتفعات المحيطة به بالتجمع التدريجي فيه ، مكونة هذه البحيرة ، والمعروف أن هناك منخفضات أخرى أقل اتساعا ، شكلت خلال الحقبات الجيولوجية القديمة مثل بحيرة طبرية وبحيرة الحولة التي تلاشت بعد ان جففها العدو الاسرائيلي ، في الخمسينيات من هذا القرن .

فالبحر الميت في واقع الأمر ليس سوى بحيرة داخلية تغذيها مجموعة من الروافد التي يعتبر نهر الاردن وروافده اهم مصادر مياهها،وترفده بالاضافة الى نهر الأردن مجموعة من الجداول والوديان ، أهمها وادي الموجب ووادي زرقاء ماعين الذي تغذيه بالمياه مباشرة مرتفعات الضفة الشرقية من الأردن .

والبحر الميت بحيرة ملحية مركزة ، تصل نسبة ملوحتها الى حوالي ٣٠٪ ، ويعتقد بأن مياه البحر الميت

في الأصل هي مياه البحر المتوسط الذي كان يتصل به خلال احدى مراحل الحقبات الجيولوجية ، ومما يعزز ذلك وجود ترسبات من الملح الصخري التي يبلغ سمكها أربعة آلاف متر .

شكل البحر

تقدر مساحة البحر الميت عند منسوب ٣٩٣ مترا تحت سطح البحر بحوالي ١٠٥٠ كم٢ . وكان أقصى طول للبحر قد وصل ٨٠ كم٢ ، بينما يبلغ أقصى عرض له ١٧،٥ كم .

وقد أخذ طوله بالتناقص نتيجة الجفاف التدريجي لأجزائه الجنوبية واضمحلال مساحته ، وينقسم البحر الميت الى حوضين يفصل بينهما اسفين من اليابسة يطلق عليه اللسان ، فالحوض الشمالي تبلغ مساحته ٧٥٧ كم٢ أو مانسبته ٧٦٪ من اجمالي مساحة البحر ، أما الحوض الجنوبي فقد كانت مساحته ٢٤٣كم٢ ، أو مايعادل٢٤٪ من مجمل المساحة الكلية ويتميز الحوض الشمالي بان عمقه يصل الى حوالي ٤٠٠ متر، بينها يعتبر الحوض الجنوبي ضحلا لايزيد عمقه عن عشرة أمتار .

والبحر الميت اسم أطلقه اليونانيون على هذه البحيرة المالحة نظرا لانعدام الحياة المائية فيها بسبب ملوحتها لشديدة ، وهناك أسماء أخرى أطلقت على البحر الميت منها بحيرة لوط نسبة الى النبي لوط وقومه واتباعه (قوم لوط) الذين خسفت بهم الارض على ما اقترفوه من فواحش وآثام ، واشير اليه أيضا باسم بحيرة دغر ، نسبة الى احدى بنات النبي لوط عليه السلام ، كما عرف أيضا بالبحيرة المقلوبة التي قلب سافلها أعلاها في عملية الخسف الالهي ، ومن الاسماء الأخرى بحر العربة نسبة الى وادي العربة وبحر الملح لشدة ملوحته .

تذبذب منسوب البحر الميت عبر العصور الجيولوجية نتيجة تغير الظروف المناخية في فترات الزحف الجليدي ، وفترات الدفء التي تبعتها ، وقد تعرض البحر الميت الى فترات جفاف أدت الى انخفاض منسوب مياهه، فقد وصل منسوب مياهه قبل حوالي الف عام الى ٤٣٠ مترا تحت سطح البحر ، وهناك بعض الشواهد الرسوبية والأثرية التي



ـ البحر الميت . . صورة من القمر الصناعي

تعزز من صورة التذبذب الذي تعرض له مستوى المياه في البحر الميت

وقد أوضحت خريطة الفسيفساء التي اكتشفت حديثا في كنيسة أثرية في مدينة مأدبا جنوب عمان ، والتي يرجع تاريخها الى حوالي عام ٥٦٠م ، ان البحر الميت لم يكن يضم سوى الحوض الشمالي في ذلك التاريخ .

ان التذبذب الذي شهده مستوى ماء البحر الميت عبر العصور المختلفة كان مرتبطا بعوامل طبيعية ناجمة بشكل رئيسي عن تزايد وتناقص كميات الأمطار الساقطة على حوضه التصريفي الا أن التذبذب الذي يتعرض له منسوب سطحه في الوقت الحاضر ناجم عن عوامل بشرية ، تتمثل باقامة السدود والخزانات المائية ، وتحويل مجاري الروافد وخاصة مياه نهر الأردن واستخدامها لأغراض الري والتوسع الزراعي . .

يذكر قسطنطين خمار في مؤلفه عن جغرافية فلسطين ، أن البحر الميت هو أخفض نقطة عن سطح البحر ، الا انه نتيجة تحويل مجاري نهر الأردن وروافده فقد تناقصت كميات المياه المتدفقة الى البحر الميت ، وفي نفس الوقت بقيت نسبة التبخير عالية بسبب درجات الحرارة المرتفعة في منطقة غور الأردن والمعروف أن درجات الحرارة عند البحر الميت تزيد عن مائة درجة فهرنهايتية خلال فترة الصيف ، وتشير احدى الدراسات الحديثة الى أن منسوب مياه البحر الميت انخفض الى حوالي ٤٠٠ متر دون مستوى سطح البحر ، ومن المتوقع أن يستمر هذا التراجع في منسوب مياهه بحيث يصل الى ٤١٠ امتار مع مطلع التسعينيات من هذا القرن .

استقرار . . فتناقص

وقد تميز منسوب مياه البحر الميت بالاستقرار النسبي خلال النصف الأول من هذا القرن ، نتيجة استمرار التوازن الطبيعي بين كميات المياه المغذية للبحر الميت وشدة التبخير على سطحه ، وكانت كمية المياه المتدفقة للبحر من نهر الأردن تقدر بحوالي ١٢٠٠ مليون متر مكعب سنويا ، هذا بالاضافة الى المصادر الأخرى التي كانت تزود البحر بحوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب ، والتي تأتي بشكل رئيسي من الأودية الجانبية التي تصب فيه مباشرة ، كوادي الموجب ، ووادي زرقاء ماعين اللذين ينحدران من سفوح المرتفعات الشرقية .

الا أن هذه الكميات من المياه أخذت بالتناقص في أعقاب شق قناة الغور الشرقية ، وتحويل جزء من مياه نهر اليرموك لري أراضي وادي الأردن في الضفة الشرقية ، كما أن قيام العدو الاسرائيلي بضخ المياه من بحيرة طبرية الى منطقة النقب أدى الى انخفاض حاد في كمية المياه الجارية في نهر الأردن .

ولهذا فانه من المتوقع أن تنخفض كمية المياه التي تصل الى البحر الميت الى حوالي ٢٠٠ مليون متر مكعب ، عند اكتمال السدود والخزانات على روافد نهر الاردن ، مثل سد الملك طلال على نهر الزرقاء ، وسد المقارن على نهر اليرموك .

ونظرا لأن كمية المياه المتبخرة سنويا من سطح البحر الميت تقدر بحوالي ١٦٠٠ مليون متر مكعب ، فقد كان هناك توازن دائم بين كميات المياه المتدفقة اليه والكميات المتبخرة منه ، مما أدى الى استقرار منسوب مياهه قبل الخمسينيات من هذا القرن . ولكن التوازن تعرض لخلل شديد نتيجة التناقص المستمر في كميات المياه التي تصله ، واذا استمر الوضع كما هو متوقع له فسيفقد البحر سنويا ١٤٠٠ مليون متر مكعب اضافي وهذا هو التفسير الذي يعزز الفرض القائل بان البحر في طريقه للاضمحلال .

لقد أدى ذلك الى جفاف مساحات واسعة من البحر الميت ، وخاصة في منطقة حوضه الجنوبي ، حيث تتميز مياهه بالضحالة ، وتشير البيانات الى أن منسوب البحر الميت انحسر خلال الفترة الممتدة من مطلع الخمسينيات حتى بداية الثمانينيات من هذا القرن حوالي عشرة أمتار ، وانخفض منسوبه منذ عام ١٩٦٨ حتى نهاية السبعينيات حوالي خمسة أمتار ، أي بمعدل نصف متر تقريبا في كل عام .

وقد كانت النتيجة أن مساحة الحوض الجنوبي انكمشت من حوالي ٢٤٣ كم^2 الى حوالي ٨٠ كم^2 فقط في عام ١٩٨٢ ، ومن المتوقع ان يختفي الحوض الجنوبي نهائيا مع مطلع التسعينيات القادمة .

يقول البروفسور يوفال نثمان ، وهو واحد من أبرز العلماء الاسرائيليين : -

« وخلال الخمسينيات حولنا مجرى نهر الأردن .. وخفضنا بالتالي طاقة النهر التزويدية بنسبة النصف تقريبا ، وبموازاة ذلك يستغل الأردنيون مياه اليرموك الذي يساهم بنسبة ٤٠٪ من مجموع مصادر المياه في الأردن ، ومن المفروض أن توسع المملكة الاردنية استغلال مياه اليرموك ، وفي المرحلة النهائية لن يبقى من نهر الأردن سوى ٢٠٠ مليون متر مكعب في السنة ، أي سدس الكمية التي كانت تتدفق منذ ٣٠ عاما ، ونتيجة هذا التحويل في روافد الأردن انخفض منسوب المياه في البحر الميت عن مستواه الأصلي (٣٩٣ مترا تحت سطح البحر) وبلغ الان عام (١٩٨٢) ٤٠٢,٥ مترا ، وفي تقديرنا فان مستوى البحر الميت سيصل سنة ١٩٩٠ الى ٤١٠ أمتار تحت سطح البحر » .

الاضمحلال والذرائع

راحت اسرائيل - كعادتها - تستثمر ظاهرة اضمحلال البحر الميت من خلال ذرائع لاحياء مآربها الصهيونية القديمة وعلى الرغم من ان الاسرائيليين استغلوا الأمر وصوروه كأنه كارثة جديدة ، فقد أسهم العرب في تعميق ذلك واستفحاله ، نظرا لغيابهم الدائم عن مسرح الأحداث ، وخاصة في أوروبا والولايات المتحدة ، فالأطماع الصهيونية في البحر الميت قديمة قدم مخططاتهم العدوانية والاستيطانية في الأرض الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، فالاسرائيليون هم أول من حولوا مياه نهر الأردن بضخ مياه بحيرة طبريا الى النقب ، وهم أول من أنقص كميات المياه المتدفقة في البحر الميت .

وقد أخذ الاسرائيليون بتوسيع دائرة الذرائع المتعلقة بظاهرة اضمحلال البحر الميت ، وراحوا يتحدثون عن ضرورة انقاذه وحمايته من الاضمحلال ، من خلال شق قناة تصله بالبحر المتوسط

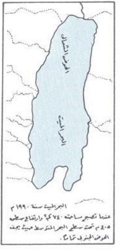
ويكمن من خلال هذه القناة احياء البحر الميت والمحافظة عليه من التلاشي ، وذلك بتعويضه عن كميات المياه التي افتقدها ، نتيجة العوامل التي أشرنا اليها ، الا أن المعروف أن هناك أهدافا أخرى كامنة



وراء الرغبة في احياء البحر الميت والمحافظة عليه .

ان فكرة شق قناة البحرين تعود الى منتصف القرن التاسع عشر ، على الرغم من أن الأدبيات الصهيونية تعزيها الى ملهم الصهيونية « هرتزل » في كتابه « الأرض القديمة الجديدة » ، ويمكن القول بشكل دقيق ان الفكرة الأولى لقناة البحرين عبارة عن مشروع استعماري بريطاني ، لربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر والمحيط الهندي ، فقد أرسلت بريطانيا في عام ١٨٥٠ بعثة الى فلسطين ، لدراسة امكانية حفر قناة موازية لقناة السويس ، وقد اقترحت البعثة برئاسة « وليام ألن » شق قناة من خليج حيفا عبر مرج ابن عامر الى بيسان في غور الأردن ، بحيث يتم غمر غور الأردن بالمياه البحرية بما فيه البحر الميت واستكمال المشروع حتى خليج العقبة عبر وادي عربة .

أما الدراسات الاسرائيلية الحديثة فقد اقترحت ثلاثة بدائل للقناة ، فالبديل الأول هو المسار البريطاني





الذي أشرنا اليه ، والبديل الثاني عبارة عن قناة تمتد من شمال اسدود على البحر المتوسط ، الى البحر الميت مباشرة جنوب تلة قمران ، ويقترح البديل الثالث مسارا آخر للقناة ، يبتدىء من شمال خان يونس على البحر المتوسط ، مرورا ببئر السبع جنوبا ، حتى البحر الميت شمال قلعة معدة التاريخية ، وهو البديل الأكثر قبولا الذي تم تبنيه من قبل الأغلبية .

وقد وضعت لقناة البحرين أهداف كثيرة يمكن ابراز أهمها :

١ - توليد طاقة هيدروكهربية من خلال طوربينات ، قدرت طاقاتها الانتاجية بحوالي ٦٠٠ مليون واط . . والمعروف أن الارتفاع السريع لأسعار النفط بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ كان احد الدوافع القوية لعودة ظهور هذا المشروع بالشكل السريع الذي تم فيه ، وقدر الاسرائيليون أن الطاقة المولدة ستوفر عليهم أكثر من ٦٠٠ مليون دولار سنويا ، وتقدر هذه الطاقة بحوالي ٢٢٪ من جملة استهلاك الطاقة في اسرائيل .

٢ - احياء مشروع الوقود الزيتي من الزيت الحجري ، الموجود في الجبال المطلة على البحر الميت ، الذي تقدر كمياته بألفي مليون طن .

٣ - احياء المشروعات السياحية على طول القناة من خلال انشاء بحيرات اصطناعية ونواد استجمامية وفنادق .

٤ - تحلية مياه البحر واستكمال مشروعات اعمار منطقة النقب .

٥ - استخدام القناة كسور وخندق أمني استراتيجي لحماية العدو الاسرائيلي من أي زحف عربي في المستقبل من الجنوب . □



ديروط الشريف

ذلك العالم القاسي العنيف

بقلم : أبوالمعاطي أبوالنجا

« ديروط الشريف » عنوان مجموعة قصصية للكاتب محمد مستجاب الذي حصل على جائزة الدولة (هذا العام) في مصر عن روايته « التاريخ السري لنعمان عبدالحافظ » وهي في الوقت ذاته اسم بلدة في صعيد مصر ، حرص الكاتب على أن يعرفنا في آخر صفحات المجموعة بلمحات عن تاريخها كما ورد في أحد المعاجم الجغرافية .

فما هي أهم الأسرار التي يبوح لنا بها مستجاب عن بلدته « الفنية » وناسها ؟

يثير هذا الحرص مجددا علاقة النص الأدبي بمكان وزمان معينين ، وأهمية هذه العلاقة في قراءتنا للنص الأدبي والنفاذ اليه !

ومع أن هذه القضية قد تغري بالانزلاق لمناقشتها في هذه المجموعة ، الا أنني أقاوم هذا الاغراء .. لأن اغراء آخر أشد يجتذبني اليه . . . فمع أن كل قصة من قصص هذه المجموعة تشكل وحدة فنية غنية ومكتفية بذاتها وثرائها ، الا أن قصص المجموعة كلها تتراسل فيما بينها ، وتكاد تنسج من هذه الوحدات المستقلة عالما واحدا مترابطا ، تتحاور صوره ومشاهده وأفكاره ، لتصنع لوحة شاملة من العنف القاسي الجميل !

موقعة الجمل

تلك هي القصة الثانية في ترتيب المجموعة ، وكنت أتمنى لو كانت هي القصة الأولى ، إذن لكانت العلاقات التي أزعم أنها موجودة بين هذه القصص ،

تبدو في تسلسل وترابط حيوي آخاذ . ولعله من العدل أن نعامل محمد مستجاب بالطريقة ذاتها التي يعاملنا بها ، فنقتحم قصصه بذات المفاجأة التي تقتحمنا بها هذه القصص ، « فموقعة الجمل » تبدأ هكذا :

« القيالة سحبت الناس والبهائم من الشوارع والجسور ، ألقت بهم على المصاطب ، وداخل الزرائب والبيوت .

وصف الشيخ عبدالعزيز خليل طقس ذلك اليوم ، بأنه جهنم ، وقالت زوجته الوحيدة الباقية على قيد الحياة وهي مقعدة :

(الله هو اللطيف) ، ،

ويستمر الكاتب في تقديم لقطات مكثفة عما يفعله الحر بناس القرية في هذا اليوم الى أن يقول :

« القرية كلها هجعت دون نوم تحت الحوائط وبجوار الأزيار ، ولم يكن في الجو نسمة يمكنها أن تزيح الجبل من فوق الصدور ، ثم مرق في مسالك القرية أحد الرجال وهو يصرخ :

ـ صاحبكم وصل !

وفي ثوان معدودة تحلق الخلق حول المنزل الذي وصل صاحبهم اليه » .

أي شيء أزاح الجبل من فوق صدور هؤلاء الناس وجاء بهم هكذا ؟

هذا ما لاتقوله القصة أبدا . لا في البداية ولا في النهاية . إنها فقط تصور ما يحدث في ذلك اليوم !

ـ « اخرج يا جمل »

لكن الجمل لم يخرج ، فدق الأقوياء الباب بعنف والباب كتلة فولاذ .

ـ نهد البيت فوق دماغه . . . .

واندفعت الحجارة الضخمة من الجبانة تهز الجدران والباب . . . وبدأ الباب يتخلخل ، ثم انفتحت النافذة ، فتحها الجمل بنفسه .

ـ أنا خارج على شرط .

واستمر الصمت .

ـ ما فيش حد يقرب من الأولاد !

تراجع الجميع الى الخلف . . . وانفتح الباب . . خرج طفل يلبس قميصا زاهيا مشجرا ، كان وجهه مذعورا ، تبعته طفلة نحيلة تكبره بعامين ، كفها الصغيرة تلف في الهواء محاولة التشبث بأخيها . . .

بعد ثوان خرجت الأم صفراء كالزهفان

ـ اخرج يا جمل . . . .

صاحت أصوات مفزعة ، كاد الطفلان يعودان رعبا . . حينئذ تحركت بلطة سوداء صدئة واندفعت في سرعة إلى رأس الطفل ، ثم بلطة أخرى شرسة ، وانشرخ رأس الطفل ، وبلطة ثالثة لتتمزق رقبة الطفلة وترتمي إلى الخلف . . . وامتدت يد غليظة الى الأم وجذبتها خارجا ربع متر ، وانزرق واحد إلى الداخل فسحب الجمل من رقبته وألقاه أرضا ، وانهالت البلط والفئوس ، وتلاحمت واستمرت تمزق !! »

هكذا تنتهي القصة التي بدأت بمخلوقات خامدة ترزح تحت وطأة حر قاتل ، وفجأة يصل رجل مجهول (لنا على الأقل) فيتحول هؤلاء القتلى الى قتلة . . !

وتحت أقدامهم المندفعة في جنون الى منزل الجمل . . . يسقط السؤال الذي بدا لنا مهما جدا في بداية القصة ، عمن يكون « الجمل » هذا ، وما فعلته التي حركت الجبل من فوق الصدور الهامدة ؟

ان حادث القتل الجماعي الذي تقوم به القرية ، والذي يصوره الكاتب بتكثيف وتجرد ، يلغي سؤالنا الغاء ، فما من أحد أمام هذا المشهد الفاجع أصبح يهمه أن يعرف ماذا فعل الجمل ؟ بل أصبح السؤال الأعظم : كيف فعلها أهل هذه القرية ؟ ومن هم ؟ ومن اي نوع من البشر ؟ لعل هذا هو جوهر القصة .

كلب السنط

وكأن الكاتب يضع بنهاية هذه القصة بكل هذه التساؤلات بذرة القصة التالية « كلب السنط » ، فبعد أن رأينا كتلة القرية ، وهي تمارس قتلا جماعيا ، يبدو الكاتب وكأنه ينتقي واحدا من هذه الكتلة . . . يقدم قصته هذه المرة بضمير المتكلم . . ومع أن هذا الضمير يغري بأحاديث النفس ، الا أن الكاتب يستخدم ذات الأسلوب أو المنهج في القصة السابقة ، فهو يضعنا وجها لوجه أمام حدث يقع في الحاضر ، ويقدمه بذات التكثيف والتجرد دون تدخل أو تعليق .

« التقيت بامرأة أثناء عودتي من الطاحون ، بعد انحناءة طريق شجر الجميز ، أحسست بأنها ترغب في



دعودتي الى دارها ، فأوصلت اليها احساسا بعدم ممانعتي »

من هذه المرأة ، ومن هذا الرجل ؟

يجيب الكاتب من خلال الحوار بينهما . . . بهذه الطريقة « سألتني عن أبي فاشرت لها انه مات ، وأن أمي تزوجت ، قالت : خسارة ! ولم أدرك على من انصبت الخسارة ؟ على أبي أم على أمي . . . . »

ويستمر الحوار الذي نزداد من خلاله معرفة بواحد من هذه القرية . . . من هذه الكتلة،وهي معرفة تثير التوجس . . . والقلق بشأن اللقاء الذى يحثان الخطا اليه فى كوخ المرأة خارج البلد . . . فالطريق الى الكوخ يمر بمكان تسكنه « عفريته » تتحدث عنها القرية كلها . . . ولكن رعدة الخوف الذي تشمله وهو يمر بالمكان المسكون تتلاشى في رعدة النشوة التي تسري في أوصاله ، بعد أن وقفا أمام كوخ المرأة . . . وبينما هو واقف تحت شجرة سنط في انتظار أن تفتح المرأة باب كوخها ، يسقط كلبان من كلاب السنط فوق ملابسه ، فيخلع ملابسه في فزع ليتخلص منهما قبل أن يتسللا الى جسده . .

ويمتزج العرى بالخوف ، والرغبة بالجوع الذي يثيره ما تقوم به المرأة من اعداد لطعام أصرت على أن تقدمه له قبل أن تقدم له جسدها . . كأنما لتمنح نفسها فرصة مواصلة الأسئلة . . . .

ـ لماذا مات أبوك ؟

ـ لا اعرف . . يقولون إنه مات في الحقل .

ـ لماذا تزوجت أمك ؟

ـ لانها يجب أن تتزوج » .

ويحاول أن يسكتها بشفتيه فتصر على ان تهديه مع النشوة كل الحقيقة . . . .

« أمك تزوجت الرجل الذي كانت تعرفه قبل أبيك » .

« أبوك احترق وهو يسرق مزرعة أحد اليتامى »

ويصبح للعرى معنى اكتشاف الحقيقة ، وللتواصل معنى الوصول القاسي إليها ، وتصبح ذروة النشوة هي ذروة الألم حيث لا فكاك بينهما . . . . »

والقصة التي بدأت بواقعية جهمة مكثفة . . . تنتهي بخيال ساحر مروع . . . فبذور خوفه من العفريته . . التي مر بمكان سكناها تنمو مع أحداث القصة ، وتتعملق وتتحقق ، حين يكتشف أنه يضاجع العفريته ذاتها التى تجسدت له فى صورة امرأة . . . وهل كان يمكن لغيرها أن يهديه مالم يكن يعرف ، أو ما لم يكن يريد أن يعترف به من حقائق عن حياته . وبذور خوفه من كلب السنط(الذى يمثل حقيقته)تنمو وتتعملق وتتحقق ، فيصبح هو نفسه في النهاية كلب سنط تمسك به المرأة العفريتة . . . وتلقي به خارج الكوخ ، وتسفر القصة الحوار عن قصة منولوج عنيف لانسان يكتشف ذاته أو يحاول ذلك . . فرد من هذه الكتلة ، التي مارست في القصة الاولى قتلا جماعيا مروعا .

هل يريد الكاتب في هذه القصة المكتفية بذاتها أن يقدم لنا أيضا تفسيرا لحادث القتل الجماعي ، حين يقدم لنا أحد أفراد هذه الكتلة . . . لاشعوره الفردي ، وقدره الاجتماعي القاسي الذي يبرر اشتراكه في حادث القتل الجماعي . . . .

أيمكن أن يكون هذا بعض ما أراده الكاتب ؟ أم أننا نطارد السراب ؟ لماذا لا نقرأ القصة الثالثة ؟

كوبري البغيلي

في هـذه القصة نلتقي أمـام « كوبـري البغيلي » بالقرية كلها من جديد ، وهي تتجمع حول ضابط المباحث الذي أحضر غواصا ليبحث تحت الكوبري عن بلطة كانت أداة في الجريمة التي يحقق فيها ، فقد وصلته رسالة من مجهول تصف له البلطة وصفا ينطبق على تقديرات الطبيب الشرعي ، وتقول انها ملقـاة تحت الكوبري ، لقد أقسم الضابط ليقطعن ذراعه اذا فشل في العثور على القاتل .

القرية كلها تخرج هـذه المرة تتفـرج على عمليـة البحث عن جزء من أسرارها فماذا يحدث ؟

« تنشق صفحة الماء عن رأس الغطاس ، فيخرج صرة من القماش ذات لون طيني ، مشرب بحمـرة زاهية ، صرخ جاهل : هذه صرة بنت سمعان !

وفي المـرة الثانيـة يخرج الغـطاس هيكلا عـظميا صغيرا فتصرخ امرأة :

ـ يا ضنايا انه لصابر بن الشيخ مسعود ، ويصيح البقال :

ـ انه لابن رزق ، ويبدأ في شرح أدلته .

وقبل أن يصلوا الى قرار حاسم ، يلقى الغطاس بجمجمـة لاتحتمل التخمين ، فقد كـانت مقدمـة الجمجمـة (تضوى) حامله (سنة) ذهبية شهيرة .

ـ يا حفيظ . . . . رأس سلمان الغازي . . »

ويتوالى اكتشاف ما خلفته جرائم القرية القديمـة والمخيفة التي لم يحقق فيها ولم يكتشفهـا أبدا ضـابط المباحث حامل وسام الشجاعة ، ودون أن يعثر على البلطة المنشودة ، وتواجه القرية في مشهد فـاجع ، تمتزج فيه السخرية بـالمرارة ، بـالخوف من مـاضيها الغارق في الاثم والجريمة ، ما تعرفه وما لاتعرفه ، ما نجحوا في إخفائـه عبر السـنين ، يمتد وينتشـر فوق كبـري البغيلي ، تـواجه القـرية هنـا ذاتها الكـامنـة الخفية ، كما واجه فرد منها في القصة السـابقة ذاتـه الغائرة . . . . ويواجه ضابط المباحث (الحاصل على نوط الشجاعة) عجزه وفشله . . !

وتصل السخرية في القصة الى ذروة مرارتها ، حين يتقدم الأهالي من الضابط ، كل واحد يطلب منه أن يبحث له عن قريب غائب ، أو طفل انقطعت اخباره من سنين . . ! ولا يجد الضابط سبيلا لايقـاف هذه المهزلة ، الا بأمر الغواص ، بأن يكف عن البحث عن البلطة الملعونة .

هـل يمكن أن نقاوم اغـراء الربط بـين « موقعـة الجمل » وبين هـذه القصص التي يبدو وكـأنها كلها تحاول القاء الضوء على أولئـك الذي ارتكبـوا ذلك الحادث الفاجع في موقعة الجمل . . .

هل هي قرية ملعونة ؟ وأي قدر هذا الذي يحيق بناسها ؟ هل هو قدر غامض مجهـول ، أم هو قـدر تاريخي واجتماعي يمكن أن يفهم ويحلل ؟!

بقية قصص المجموعـة بترتيبهـا الذي أزعم أنـه مقصود ، تلقى بالضوء على هـذا القدر . في قصـة « عمليـة خطف أميـرة » نرى كيف يتجـرع أطفال القـرية تـراث العنف ، حتى في ألعـابهم المسليـة ، فيبـارك الكبار دون أدنى شعـور بالمسئولية فـظاظـة أطفالهم ، وهم يعبثون بمتسول ضريـر ، كجزء من ألعابهم التي يصبح من ضمنها عملية خطف أميرة بنت عبلا .

وفي قصة « اغتيال » يتمثـل هذا القـدر في ذلك الفـراغ الهائـل الذي يلغي حيـاة الناس في ديـروط الشريف ، فالعمل موسمي وشاق ، ولكنه خال من المعنى والهدف والقيمة ، فأكثرهم أجراء يعملون من أجل الكفاف ، ويشعـرون بعمق الفراغ حتى وهم يعملون ، وفي هـذا الفـراغ يصبـح النـاس مجـرد حروف . . . يتخذ حرف (خ) قرارا بقتل (ن) ، ويملي ارادته عـلى (ص) ، (س) ، (ر) لتنفيـذ القرار ، والثالث لم يكن موجودا لحظة اتخاذ القرار ، ولم يحاول مجرد مناقشته . . . ان أحدا لا يعرف كيف صدر القرار عن (خ) ، فقد كان الحضور في درجة



من البلاهة والذهول، يجلسون فوق الدكة التي صنعها النجار (ج)، دون أن يأخذ حقه عنها.. ووقف حرفان غير مباح لهما بالجلوس لصغر السن.

منحنى آخر

في بقية قصص المجموعة: «القربان»، «عباد الشمس»، «والجبارنة»، «الفرسان يعشقون العطور»، «وذهاب فقط» ومع أن الكاتب لايزال يستخدم ديروط الشريف كموطن لأحداث قصصه، الا أن القرية هنا تتسع حدودها لتصبح على نحو ما معادلا للوطن.. ويصبح قدرها أكثر تعقيدا وشمولا، ففي «القربان» و«الجبارنة»، «وذهاب فقط» نرى وجوها مختلفة لمعنى غياب الحرية...

ماذا يحدث للقرية حين يصاب كل أهلها بلعنة الخرس؟ كيف يحتالون للتعبير عن طاقاتهم واشباع حاجاتهم؟ وماذا يفعلون بالرجل الذي يجيء ليفك عنهم تلك اللعنة؟ بعد أن أصبحت الأوضاع غير الطبيعية التي لجأوا اليها جزءا من طبيعتهم، هذا ما تقوله القربان.

وفي «الجبارنة»... الى أي مدى يمكن أن يصل الناس حين يسلمون أمرهم لفرد مهما تكن قيمته أو حكمته؟

وفي «ذهاب فقط» ماذا يكسب الانسان وماذا يخسر حين يصل الى حقه بقوة غيره؟ إن الحديث عن هذه القصص الأخيرة بهذه الطريقة لايفيدها ولا يفيد القارىء... ولكنه فقط يشير الى أننا هنا أمام مستوى آخر أكثر تعقيدا وشمولا، وأن الكاتب هنا يصل الى مستويات فنية عالية، تتجاوز قصصه السابقة، بل تحقق مستوى رفيعا للقصة العربية

هل حان الوقت لنتحدث بايجاز عن فنية القصة القصيرة عند الكاتب محمد مستجاب؟

الموقف الذي يتم اختياره بعناية، أو حتى خلقه، هو غاية مسعى هذا الكاتب.. هو انجازه الكبير، وحين يمسك بهذا الموقف «اللؤلؤة» فان كل شيء يبدو وكأنه قد تم انجازه.. الموقف وحده له الحضور العظيم الطاغي.. تظهر الشخصيات أو تختفي.... تثرثر بكلمة هنا أو كلمة هناك.. تشارك أو تتفرج أو تلهو.. ولكنها تستمد حضورها ودورها وقيمتها من الحضور الكبير للموقف.. والموقف يقوم عادة على رؤية ثاقبة تضيء كل ما حوله، وعلى فكرة تستمد حياتها من حيويته... إن الكاتب لا يقول شيئا عن البنت التي خرجت من بيت الجمل لتلحق بأخيها ولكن من منا لم يشعر بعمق ما أحست به من حركة يدها في الهواء لتمسك بأخيها دون أن تمسك به!!

البلاغة التي يقدمها محمد مستجاب هي بلاغة الموقف، بلاغة الحادثة التي تحدث، وزمنه المفضل هو الحاضر... وعبقرية عبارته هي في ذلك الايجاز الذي لايسمح لقارئه بالتقاط الانفاس، حيث تلتقي دون توقع تلك الصور التي تتحدى المألوف والعادي، ليس بغرابتها، بل بما فيها من صدق الحقيقة الكامنة في داخلك، وانت لاتراها، ربما لقربها، ربما لانك لاتريد.

سخرية محمد مستجاب مريرة، ولكنها ليست جارحة، هي درعه الذي يهديه لنا، لمواجهة ما في الحياة من قسوة، قد يبدو علينا أحيانا أن نعايشها دون أمل في صلح قريب أو حتى هدنة...!

فحين تختصر الشخصيات الى مجرد حروف في قصة «اغتيال» تعبيرا عن انمحاء الشخصية وتلاشي الارادة، وحين يوصي الأب الكبير أبناءه في قصة «الجبارنة» قبل أن يموت بأن يقتنوا «حلوفا»، وكنا قد عرفنا ماذا حدث لأبائهم حين اقتنوا جملا.... فان السخرية تصل الى ذروة عالية بايجاز لايرحم ولاينسى.

والخيال والواقع في قصص الكاتب وجهان لعملة واحدة، فحين يصبح الرجل «كلب سنط» تلقي به خارج الكوخ المرأة التي كانت عفريتة، لانشعر بأن منطق القصة يهتز، أو بأن الحقيقة الانسانية أو الفنية فيها تفقد مصداقيتها، فواقعنا أحيانا يكون أغرب من الخيال، وقد نحتاج الى شيء من الخيال لنفهم شيئا عن هذا الواقع.

ففي قصة «القربان» وهي واحدة من أخطر قصص المجموعة، بل لعلها من أخطر القصص في أدبنا العربي الحديث، يلوح أننا كنا في حاجة الى رؤية المستحيل الذي يحدث في هذه القرية، لندرك كيف أصبح هذا الواقع الذي يحيط بنا ممكنا. □

قصة قصيرة

عملية استثمار

« أ . ش »

بقلم : سعد الدين ابراهيم محمد

الشمس تعلن عن وجودها بقسوة ... فى انتظار المركبة العامة ، تتلهى بمسح نهيرات العرق من على الجباه والأصداغ ... كنت أشغل نفسى بالتطلع الى وجوه المارة ... أجد فيها بعض التأسى ، وأحلم بمدينة فاضلة بلا أزمة مواصلات .

انتبهت الى نظرات مذعورة تبثها نحوى واحدة وسط سرب طالبات يعبر على الطريق ... لحقت بزميلاتها وهمست اليهن ... أخذن يتطلعن الىّ وجلات ... حاولت استرقاق السمع لأعرف سر التهامس والتحديق ... لم أتمكن الا من سماع كلمة (ألف شين) ... لما طال تحديقهن تحركت صوبهن لأستفسر ، عدون صارخات ... تمتمت امرأة عجوز : - البنات أصبن بمسّ ، والسبب عدم الزواج !

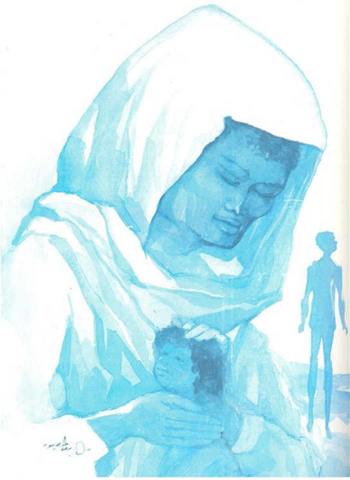
أقبلت المركبة فهرولنا صوبها .. اندسست بين الواقفين داخلها ... رائحة العرق ولفح الأنفاس يزكمنى ... أعزى نفسى بأن ذلك قدر الكادحين ... بين الفينة والأخرى أستمع الى كلمة (ألف شين) تتردد هنا وهناك ، ولكنى أوهمت نفسى بأن ذلك محض خيالى المرهق .

هبطت من المركبة وأنا أشعر بالانعتاق ... لم يبق الا مشوار صغير لأصل الدار الآمنة .. سأستلقى فى انتظار وجبة الغداء .. أستمع الى نشرة الثالثة بعد الظهر .. لا .. لا .. أخبار الحروب والكوارث غير محتملة فى هذا الوقت .

طفل صغير يلعب أمام الدار .. أعجبتنى براءته .. لم أمنع نفسى من مداعبته فقد كنت أحلم بطفل مثله (لو تحسنت الحال وتزوجت سلمى) .. حملت الطفل فى اعجاب بالغ أهم بتقبيله .. صرخت أمه التى ترقبه خلف الباب الموارب : - يا صاحب المروءة .. ألف شين خطف طفلى ، خرج بعض الجيران يحملون العصى ويتصايحون .. أين هو ؟ أين هو ؟ .. أسقط فى يدى ولم أجد أمام تحفز الناس الا العدو .. ما توقفت الا عندما استمعت الى صوت ينادينى باسمى يامحمود .. يامحمود .. فعرفت فيه صوت (كمال) صديق قديم .. فسألنى عما حدث .. شرحت له الأمر .. ضحك قائلا .. حسبوك ألف شين ! قلت له : - ومن هو هذا الألف شين ، قال : - ألم تقرأ جرائد اليوم ؟

على الصفحة الأولى فى الصحيفة قرأت عنوانا :- هروب مختل العقل الخطير ألف .. شين .. ثم جاء فى التفاصيل :- (هرب من عنبر الحالات الخطرة أحد النزلاء الجدد ، وكان قد تم اعتقاله فى السوق الكبير ، حيث شن هجوما على المارة .. نتج عنه اصابة بعضهم بجروح .. وبعد أن تبين للقوات

● كاتب من القطر السوداني يعمل بالتدريس



اختلال قواه العقلية ، تم تحويله الى المستشفى . . ولما لم تتمكن السلطات من معرفة اسمه اذ كان مضربا عن الكلام ، ولم يُعثر على أى بطاقات ثبوتية لديه ، ضمته سلطات المستشفى تحت اسم . . ألف شين !

راجت قصة ألف شين فى أنحاء المدينة . . صاحبتها ظاهرة توجس ، جعلت الناس يتفرسون فى وجوه بعضهم كل يظنه الآخر . . امتلأت حراسات البوليس بعشرات المشتبه بهم . . تم القبض على أغلبهم بواسطة المواطنين تطوعا .

فى الأسواق يتجمع الناس بغتة ، ويقتادون شخصا الى المخفر بدعوى الاشتباه . . فطنت السلطات الى متاعب الناس (وبالطبع متاعبها هى ذاتها) . . أجرت اتصالا بأطباء المستشفى ، وحاولت جمع أية بيانات وكل ما يساعد على توضيح صورة ألف شين .

صدرت نشرة وزعت بكثافة . . علقت على أبواب المدينة وجدرانها . . أذيعت عبر الراديو والتلفزيون . . نشرت فى الصحف . . وزعت على تلاميذ المدارس . . دواوين الحكومة . . جاء فى تلك النشرات (ألف شين . عمره :- تجاوز العقد الثانى بقليل أو كثير ! لونه :- يرجح أنه مائل الى السمرة ! عيونه :- يرجح أنها عسلية ! طوله :- طويل ! ثقافته :- يعتقد أنها محدودة ، مع وضع احتمال أنها ثقافة رفيعة ، ولكنه يخفيها فى الحسبان ! قوته :- تكاد تكون خارقة . . فقد صرع الكثيرين بضربات خاطفة . . أى علامات مميزة :- يدخن بشراهة . . أكول . . يكون هادئا كالحمل الوديع . . ولكنه فجأة يتحول الى ثعلب ماكر . . أو وحش كاسر . . يضاف الى ذلك أنه عداء ماهر . . ولا يخلو من وسامة .

طغت حكاية ألف شين على أخبار كرة القدم . . وذكريات المقارنة بين الأسعار القديمة والجديدة . . تخللت أحاديث النسوة والرجال . . الأطفال انتشرت بينهم لعبة جديدة أطلقوا عليها (لو لاقيت ألف شين) فيها يلعب أحدهم دور (ألف شين) وبقية الأطفال يمثلون الناس . . يقفون متتابعين فى شبه دائرة . . يهجم ألف شين على أى واحد منهم مباغتة ، واذا تمكن من طرحه أرضا يخرجه من اللعب . . تنتهى اللعبة اما بانتصار ألف شين على الجميع ، أو ينتصر عليه أحدهم ، فيصبح هو (ألف شين) ويلعب نفس الدور . .

فى الليل لايمكن أن يسير الفرد بجانب آخر الا اذا توثق من معرفته . . أصبحت البيوت تغلق على ساكنيها بعد المغرب . . أصاب الكساد تجارة الملاهى والترفيه . . انكمش حجم السهارى . . المدينة فى حالة من السكون الذى ينتظر العاصفة التى لا تأتى . . غموض . . رهبة . . دهشة . . كل يوم يمر يزيد الأمور تعقيدا . . البيوت لا تفتح للطارقين فى المساء ، بعد أن كانت مشرعة كصديق يلاقيك بالأحضان الدافئة .

فئة الشباب فوق العشرين مستهدفة بالاشتباه . . ألح الناس على السلطات بتحرى الأمر ، حتى تتضح أكثر صورة (ألف شين) فتساعد على الاحتياط والحذر . .

نُشرت فى الصحف وأُذيعت عبر أجهزة الأعلام مقالات وبرامج تطالب بالجدية والتعاون والحزم فى التصدى (لألف شين) . . وقبل كل نشرة للأخبار تستمع الى عبارات تحريضية . . القبض على (ألف شين) ضرورة قومية . . (ألف شين) نحن لك بالمرصاد . . سلم نفسك تسلم . .

طالبت جريدة (أنباء المدينة) فى مقالها الافتتاحى بالقبض على (ألف شين) حيا أو ميتا . . نشرت جريدة (أضواء المدينة) مقالا بارزا يذهب الى عدم المبالغة فى الحقد على (ألف شين) ويقترح الحب كوسيلة لترويضه . . بدأت سلسلة من مقالات التأييد والمعارضة . . احتدم حوار بين الصحيفتين ، تمخض عن انشاء جمعية أصدقاء (ألف شين) هدفها استخدام العطف فى مواجهته . . وقامت جمعية أعداء (ألف شين) . .

هؤلاء يقيمون الندوات ، وأولئك يعلقون الملصقات المناوئة . . تطالعك على جدران المدينة صورة جمجمة مكتوب تحتها لألف شين الموت والدمار ، بعد خطوات تطالعك لوحة مكتوب عليها (أنا) ثم صورة قلب ثم كلمة ألف شين .

بين اعلانات التلفزيون يطلع عليك اعلان يقول :- اذا صادفك (ألف شين) فجأة . . ماذا تفعل ؟ نحن نعرف . . تعال الى مدرسة القوة لتعليم فنون الكراتيه والمصارعة الحرة .

فى ندوة تلفزيونية بعنوان (ألف شين الشكل

والمضمون) تحدث مندوب السلطات عن الجهود التي تبذل في سبيل القبض على (ألف شين) :- ان الأمر يتطلب التعاون .. ونفقات هذه العملية باهظة بالنسبة لميزانية السلطات .. هنا تطوع مقدم الندوة وناشد أهل المدينة بالتبرع للمساهمة في المشروع .. وتصدى المطرب (بلبل الغريد) (الذي قدم أغنية قومية تحث على مطاردة ألف شين في مستهل الندوة) وأعلن تبرعه باقامة حفل ساهر يعود دخله لصالح المشروع .. تحدث سياسي كبير عن ضرورة قيام حملة شعبية تتصدى لهذا المعتوه الهارب ! تحدث الطبيب الذى عاين حالة (ألف شين) .. فوضح سر اطلاق اسم (ألف شين) على المعتوه ، وقال انه اختصار لعبارة (أي شخص) .. وطرح الفنان التشكيلي عبدالتواب اقامة مسابقة في الرسوم ، يصور فيها كل فنان وجه (ألف شين) حسب الأوصاف التي جمعت عنه .. والفائز هو الذي يكون رسمه أقرب الى الوجه الحقيقي ..

التهمت الأيام الأيام و(ألف شين) يؤكد وجوده .. حدة التوجس تزداد وتقص تبعا للأخبار . تحمس الناس للقضية بعد حوادث - نادي الأصدقاء - ندوة كانت تقام فيه تحت اشراف أصدقاء (ألف شين) .. المفترض أن يتحدث فيها بعض العلماء لاثبات أن الحب طريق للسواء النفسي .. بدأت الندوة بتصفيق مشوب بالحذر .. تحدث سكرتير جمعية أصدقاء (ألف شين) عنه كظاهرة تستحق العطف لا اعلان الحرب .. هنا قاطعه أحد المتحمسين من جمعية أعداء (ألف شين) صائحا :- انها كلمة حق أريد بها باطل ..

ساد هرج ومرج .. اتفقوا على مواصلة الندوة ، مع وعد بفتح حوار ديموقراطي في نهايتها ، واصل المقدم :- الانسان الذي خلق في أحسن تقويم ، فلنبصره حتى يتضح له الطريق القويم .. صاح الصوت مرة أخرى ، مع ازدياد في نبرة الحماس (البعض يسميها تشنجا) :- انها كلمة حق أريد بها باطل ..

لم يتمالك المتحدث أعصابه .. وصفه بالهمجية .. وصفه الآخر بالزندقة .. وصفه هذا بالتلفيق .. وصفه ذاك بالعمالة .. وصفه هذا بالتحجر .. وصفه ذاك بالفسوق .. علت هتافات :- يسقط أعداء (أ .. ش) .. أعداء (أ .. ش) أعداء الحياة ، جاوبتها هتافات :- الى الجحيم (ألف .. شين) .. وكل صديق (لألف .. شين) ..

كراسي تناثرت .. هراوات (لايُعلم من أين جاءت) تهاوت .. دماء .. سيارات الاسعاف .. بيانات استنكار محايدة !

الشهور تسابق الشهور و (أ .. ش) بطاقة على أقمصة المراهقين والمراهقات .. في الحديث الهامس وسط المناجاة .. قريب الى أهل المدينة كظلهم ، بعيد عنهم كالسراب ، فريق (أ .. ش) .. سمى أحدهم طفله (أ .. ش) ، الناس لم تجد الا السخرية من المسؤولين .. كثفوا من عملهم .. كونوا لجنة لمتابعة البحث عن (أ .. ش) .. انبثقت عنها بعض اللجان الفرعية .. منها لجنة للمالية ، اقترح أحد أعضائها مشروع ادفع قرشا .. تسهم في القبض على (أ .. ش) .. ولجنة أخرى للثقافة مهمتها تكثيف الحملة بالتمثيليات والأغنيات التي تحث الناس على البحث عن (أ .. ش) ..

احتفلت المدينة بمرور عام على الصمود في مطاردة (أ .. ش) .. وزعت الأوسمة على أعضاء اللجان .. ووضعت على عاتقهم مسؤولية القبض على (أ .. ش) ..

نشرت جريدة (أضواء المدينة) مقالا يرمي الى التشكيك في وجود (أ .. ش) ويقرر أن (أ .. ش) أكذوبة اخترعناها وصدقناها ..

في اليوم التالي راجت شائعة تؤكد أن الصحفي صاحب المقال قد فصل من عمله ، ديجت « أبناء المدينة» مقالا مناوئا .. يحذر من وجود نزعة (ألف شينية) بين صفوفنا .. وعلينا أن نكون على استعداد دائم لمواجهة (ألف شين) ..

بدأ التحقيق مع كل من هم فوق العشرين .. وابتدع نظام الرقابة الاجبارية الذي يلزم كل شاب فوق العشرين بتسليم نفسه لأقرب مركز شرطة ، وبعد أن تؤخذ منه البيانات اللازمة يستدعى ليبقى تحت المراقبة لمدة لاتقل عن يوم .. أخذت الأيام تمر و(ألف شين) على أسطح المنازل .. في ساحات الأحياء .. أمام المتاجر .. وأسطورة تحكيها الأمهات للأبناء !! □

الإرهاب الدولي..



وإرهاب الدولة!

بقلم وحيد عبد المجيد*

« يبدأ التاريخ عند البعض من خلال انفجار قنبلة ، أو رصاصات رشاش أطلقها فرد واحد أو مجموعة أفراد، لتتجه الأصابع بعدها كي تشير الى أن الأمر ماهو الا عمل ارهابي » .

لكن التاريخ يسجل لدى أهل البصيرة ، أن وراء الكثير من الأحداث والطلقات قصص ظلم عظيمة .

الكاتب في هذه المعالجة يوضح طبيعة الارهاب والعنف المسلح ، والظواهر المستجدة في هذا المجال .

منذ أن بدأ الاهتمام الدولي ، في اطار الأمم المتحدة ، بمعالجة الظاهرة المسماة « بالارهاب الدولي » ، وثمة حرص واضح على التمييز بين أعمال الارهاب التي تروح ضحيتها أرواح بريئة ، وبين الكفاح المسلح الذي تمارسه حركات التحرر الوطني في حدود تحقيق أهدافها المشروعة ضد المستعمر ،

ويظهر هذا الحرص في مختلف القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، منذ القرار ٣٠٣٤ في الدورة الثامنة والعشرين عام ١٩٧٣ ، وحتى القرار ٦١٤٠ الصادر في الدورة الأخيرة الأربعين في ٩ ديسمبر ١٩٨٥ ، ففي الوقت الذي أدانت هذه القرارات ، بصيغ مختلفة لكن متقاربة ، جميع أشكال

*باحث وكاتب من القطر المصري - يعمل في مركز الدراسات الاستراتيجية في جريدة الأهرام .

تستأثر وحدها بالاهتمام الدولي الأكبر في هذه الأونة ، وقد أصبحت هذه العمليات ، التي جرت أحداث معظمها على أرض أوروبية ، تحت المجهر بغرض استخدامها للاساءة الى النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي ، وللموقف العربي برمته ، وأصبح سيف الاتهام بممارسة الارهاب أو بالتشجيع عليه أو بدعمه مسلطا على أعناق الفلسطينيين وبعض الاقطار العربية ، على نحو يتجاهل كلية الاطار الموضوعي للعنف الفلسطيني خارج الأراضي المحتلة ، فمن الثابت أن هذا العنف يتصاعد مقترنا بتزايد حالة الاحباط واليأس لدى الشعب الفلسطيني ، فقد ارتبطت نشأة هذا العنف ، في بداية السبعينيات ، بتصاعد الاحباط الناجم عن هزيمة ١٩٦٧ ، ثم بدء الحصار العربي للثورة الفلسطينية عبر أزمة أيلول ١٩٧٠ .

وليس أدل على هذا الارتباط من تقلص العنف الفلسطيني خارج الاراضي المحتلة ، بشكل ملموس عقب حرب ١٩٧٣ بآثارها الايجابية على المعنويات العربية ، وبما أفرزته من آمال في قرب التوصل الى تسوية سلمية عادلة ، ولذلك فعندما انحسرت هذه الآمال ، وعجزت القيادات العربية عن الافادة من نتائج حرب ١٩٧٣ سياسيا ، عادت ظاهرة العنف الفلسطيني خارج الاراضي المحتلة تدريجيا ، وخصوصا بعد صدمة كامب ديفيد ، ولكن لماذا العنف الفلسطيني وحده ؟! لماذا يتجاهل الغرب « ارهاب » الجيش الجمهوري الايرلندي في المملكة المتحدة ، وحركة الباسك في اسبانيا ، والسيخ في الهند . . أو الأرمن وغيرهم .

ورغم دور الحركة الايرانية في أوائل الثمانينيات في تعزيز الاتجاه الى عالمية العنف المسلح من خلال تبنيها لفكرة « تصدير الثورة » في تلك الفترة ، لم يتصاعد العنف الفلسطيني بشكل ملموس الا بعد الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢ ، فقد جاء ذلك الغزو ، وما واكبه من مجازر وحشية ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني ، ليضيف زخما جديدا للواقع الموضوعي الذي يعزز العنف المسلح ضد مصالح « اسرائيل » وحلفائها ، وخصوصا الولايات المتحدة التي يحارب الاسرائيليون بسلاحها ، ويكادون



الارهاب الدولي ، أكدت على شرعية الكفاح المسلح لحركات التحرر الوطني ، وواكب ذلك تنامي الاعتقاد عالميا ، وباستثناءات محدودة في شرعية العنف السياسي الذي تمارسه حركات التحرر ضد أهداف عسكرية للقوى المحتلة لأراضيها ، بينما تصاعدت الدعوة الى حجب هذه الشرعية عن هذا العنف عند التجاوز في ممارسته ، عندما يمتد الى أهداف مدنية ، وبصفة أخص عندما تكون هذه الأهداف خارج الأرض المحتلة .

وبهذا التطور لم يعد الرأي العام العالمي ، في معظمه ، مستعدا لقبول الدعاوي التي تسعى لادانة النضال الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة ، ولذلك انصرف أعداء هذا النضال للتركيز على عمليات العنف المسلح التي تتعقب أهدافا اسرائيلية أو صهيونية خارج هذه الاراضي ، لجعلها المحور الرئيسي للظاهرة المسماة في اللغة الأمريكية والغربية عموما بالارهاب الدولي ، وهي الظاهرة التي باتت أنباؤها تتصدر الصفحات الأولى في كثير من الصحف العالمية ، وتستأثر بأكبر قدر من الاهتمام الدولي .

ظاهرة موضوعية . . لاذاتية :

ورغم أن هذه الظاهرة غدت عالمية الطابع ، لاتكاد تخلو منها منطقة على خريطة العالم بشكل أو بآخر ، وبدرجة أو بأخرى ، ومن جماعات لاتمت الى القضية الفلسطينية بصلة ، فاننا نجد أن عمليات العنف المرتبط بالصراع العربي الاسرائيلي هي التي

يعيشون على دعمها الاقتصادي ، ويحتمون بنفوذها الدولي ، و « الفيتو » الذي تمتلكه في مجلس الأمة .

مأساة جيل :

ولعل أبرز دليل على مركزية دور هذا الواقع الموضوعي المرير وعمق تأثيره ، أن الشاب الذي بقي على قيد الحياة من المجموعة التي هاجمت مطار روما في آخر ديسمبر ١٩٨٥ ، هو من أبناء مخيم شاتيلا الفلسطيني ، الذي يعرفه العالم كموقع لاحدى أبشع المجازر التي تعرض لها المدنيون الفلسطينيون العزل عام ١٩٨٢ .

والسؤال الذي يطرحه هذا الحادث هو : من ذا الذي يملك عزل تأثير مأساة هذا الجيل الفلسطيني على مسرح لم يعد فوقه أبطال قادرون على احقاق الحق والعدل المفقودين في المنطقة ؟ وربما كان هذا ما يعنيه الأمين العام للامم المتحدة بيريز دي كويلار بقوله ان « الارهاب » يصدر عن أشخاص يائسين وفي ظروف يائسة .. والمعنى الشمولي واضح وهو ليس مقصورا على الفلسطينيين وحدهم .

ولذلك فمهما تعالت صيحات الادارة الامريكية وبعض حليفاتها عن مقاومة ما تسميه بالارهاب بقوة السلاح ، فالواقع أن جذور هذا العنف ليست موجودة في ليبيا ولا في أي قطر عربي آخر ، وانما في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، حيث يعيش أكثر من مليون فلسطيني في ظروف مأساوية ، تتسم بالاذلال والاستياء المتصاعد ضد اسرائيل وحلفائها . فالأرقام تقول انه قد ولد نحو ٢ر١ مليون فلسطيني بعد حرب ١٩٤٨ ، التي كانت سببا في وجود المخيمات الأولى ، منهم أكثر من نصف مليون تحت سن الخمسة عشر عاما ، حيث لا يزال وعيهم يتشكل في ظروف أكثر مأساوية ، وتستقبل المخيمات في هذه الآونة الجيل الرابع من الفلسطينيين الذي ينتظر أن يشبوا في ظروف أكثر بؤسا مما هي عليه الآن ، ما لم يتم التوصل الى تسوية عادلة . إن قضية هذا الشعب اللاجيء المحروم هي الوحيدة التي بقيت بلا تسوية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

الآذان الصماء !

وبدون تسوية مقبولة فلسطينيا ، لن يكون امام أعداد متزايدة من هؤلاء الا ولوج طريق العنف ، فهو الطريق الوحيد المفتوح أمامهم لتجاوز حالة المهانة والهرب من حياة المخيمات الذليلة ، والشعور بالاحترام الذاتي والتحول الى فلسطينيين فاعلين أو « ارهابيين » باللغة الأمريكية ـ الاسرائيلية . وبالتالي فهم يشكلون موردا لاينضب من المتطوعين للقيام بأي عمل يضر « باسرائيل » وحلفائها ، حتى لو كان يضر بالقضية الفلسطينية احياناً أيضا على صعيد الرأي العام العالمي ، أو على الأقل لا يخدمها في شيء .

ومن الصعب تصور أن هذا الواقع غائب عن الادراك الأمريكي والغربي عامة . فالعديد من الكتابات الغربية بدأت تعترف مؤخرا بضرورة تسوية القضية الفلسطينية كشرط لحل مشكلة « الأرهاب » كما يسمونه ، ومن ذلك مثلا التقرير الذي نشرته « لوموند ديبلوماتيك » في فبراير الماضي بعنوان « كيف يفهم الغرب محاربة الارهاب » ، الذي توصل الى أن (العلاج الذي تقترحه الولايات المتحدة لا يرتقي الى مواجهة الأسباب الحقيقية « للارهاب » ، وانما يقتصر على محاولة اقناع « الارهابيين » بأنهم سيخسرون كثيرا ولن يربحوا شيئا كما قال ريجان) ، ومضى التقرير يقول : (أليس من المنطقي أكثر مساعدة الشعوب التي تكافح من أجل حقوقها لانهاء جذور « الارهاب » ؟ ان الدور الفلسطيني الخاص في مجال العمليات الارهابية ينبغي أن يدفع الادارة الأمريكية للربط بين حل مشكلة الشعب الفلسطيني وانتهاء « الارهاب ») .

مائة تعريف :

لكن هذا الاتجاه الغربي ، الذي بدأ في تفهم الاطار الموضوعي للعنف الفلسطيني ولو بشكل منقوص ، ولا يزال هامشيا للغاية في ظل الحملة « المكارثية » الأمريكية على ما يسمى « الارهاب الدولي » ، ورغم أن هذا التعبير أصبح مستخدما على أوسع نطاق ، فليس ثمة اتفاق على معنى محدد له ،

ففي علم السياسة الغربي توجد له عشرات التعريفات ، وقد لاحظ أحد الدارسين مؤخراً أن هناك اكثر من مائة تعريف لما يسمى بالارهاب الدولي ، ورغم ذلك فهناك عناصر رئيسية تندرج في العديد من هذه التعريفات هي :

ـ أن الارهاب عمل من أعمال العنف والتهديد به .
ـ انه فعل رمزي في الأساس ، أي يسعى لاحداث آثار وردود فعل كبيرة تتجاوز حجمه المحدود .
ـ ان آثاره تقتصر على المجال السياسي فقط ، أي لا تمتد لاحداث أي تأثير على البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث فيها .
ـ انه عمل لا وطن له ، ولا يخضع للحدود الدولية ، لانه يقوم على مطاردة الخصوم في كل مكان على خريطة العالم ، خصوصاً وأن عمليات خطف الطائرات التي تعتبر من أبرز أشكاله تتم في السماء الواسعة قبل الهبوط في موقع ما على الكرة الأرضية .

لكن كل هذه التعريفات الصماء تضع كل العمليات التي تعتبرها ارهابية في سلة واحدة ، ولا تعترف بالواقع الموضوعي الذي يرتب فروقا جوهرية بين بعض هذه العمليات وبعضها الآخر ، وبالتالي فهي لا تميز مثلا بين الارهاب الذي تعرض له الشعب الفلسطيني على يد العصابات الصهيونية ، ولا يزال يتعرض له على يد الجيش الاسرائيلي في الاراضي المحتلة وخارجها ، وبين عمليات العنف الناجمة عن هذا الواقع المرير . فكل هذه التعريفات تعجز عن التمييز بين نشاط يستهدف ابعاد شعب عن وطنه وقمع مقاومته الوطنية ، وبين نشاط مضاد يقوم به أصحاب الأرض الأصليون ضد المغتصبين ، ووفقا لها ولا يكون ثمة فارق بين النشاط الارهابي الذي مارسته الجماعات الفاشية من المستوطنين الفرنسيين في الجزائر ضد الاهالي ، وبين عمليات العنف المسلح التي قامت بها قوات جبهة التحرير الجزائرية ضد أولئك المستوطنين !

ارهاب الدولة :

كما أن هذه التعريفات لاتنطبق في الغالب على الارهاب الحقيقي ، أو الأكثر خطورة بمعنى أدق ، وهو الارهاب الرسمي أو ارهاب الدولة ، وقد ظلت فكرة ارهاب الدولة موضع جدل وخلاف في اللجنة السادسة التابعة للأمم المتحدة ، لما يزيد على عشر سنوات ، فقد رفضت عديد من الدول الاقرار بوجود ارهاب الدولة بحجة غياب أساس قانوني لهذه الفكرة في القانون الدولي ، الذي يعرف الدولة المعتدية لا الدولة الارهابية ، كما كانت التعريفات الغربية القاصرة للارهاب سببا في تعطيل اقرار فكرة ارهاب الدولة لوقت طويل ، اللجنة السادسة توصلت بعد جهد كبير الى مشروع لادانة الارهاب الذي تمارسه الدولة بهدف تقويض النظام السياسي والاجتماعي لدولة أخرى ، وكذلك أعمال الارهاب التي تقوم بها الدول الاستعمارية ، وحظي هذا المشروع بموافقة الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الأخيرة الاربعين ، ليصبح قرارا دوليا معبرا عن وجهة نظر المجتمع الدولي .

وكان الكشف عن العمليات السرية الخطيرة التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الامريكية في العالم الثالث عاملا مهما في إقرار فكرة ارهاب الدولة ، فلم تعد هذه العمليات خافية على أحد ، بعد أن تسببت في استقالة جون ماكماهون نائب مدير وكالة المخابرات الامريكية في العام الماضي ، بعد عجزه عن ادخال أي تغيير على النهج السائد في نشاط الوكالة ، منذ أن تولى ويليام كلس ادارتها قبل أكثر من خمس سنوات ، ويقوم ذلك المنهج على التركيز على العمليات السرية ـ أي الارهاب ـ على حساب عمليات التجسس التقليدية وجمع المعلومات ـ وهما صميم نشاط أي جهاز مخابرات .

وجاء العدوان الأمريكي على ليبيا مؤخرا ليثبت أن ارهاب الدولة أكثر خطورة ، وخصوصا عندما يكون نابعا من دولة عظمى ، ومعتمدا على ترسانتها العسكرية المدججة بأحدث أدوات الدمار ، فاذا كان ثمة ما يبرر العنف المسلح الصادر عن أفراد أو جماعات مظلومة ، فليس هناك مجال للتسامح مع ارهاب الدولة التي يفترض أنها وحدة مسئولة في المجتمع الدولي ، وملتزمة بمبادىء وميثاق الأمم المتحدة ، وخصوصا عندما يكون سلوكها الدولي هو المسئول عن تعزيز الواقع الموضوعي الذي يفرض العنف الانتحاري الذي يطلق عليه « الارهاب الدولي » . □



قضيّة

الجَامعَات العـرَبيّـة والفلسَفات المعاصرة

بقلم : الدكتور عبدالقادر الشيخلي*

الفلسفة هي أرقى أشكال الفكر الانساني ، وهي من زاوية دعاتها التقليديين ، أمُ العلوم بيد أنها في المفهوم المعاصر ، تلازم العلم في مسيرتها بحركة دائرية لولبية ، تارة تتقدم عليه فيسترشد بخطاها المنهجية وآفاقها المعرفية ، من خلال الأفكار الكلية التي تطرحها ، وتارة أخرى تلهث وراء العلم ، مستفيدة من معطياته النظرية والعملية . وهكذا تتلخص هذه الأصرة بعلاقة حميمة ليس بامكان احداهما الاستغناء عن الأخرى ، فالعلم يقدم الحلول الأكثر واقعية ، بعد تحليل المشكلات الكبرى الراهنة فيجبر الفلسفة على اعادة ترتيب أولياتها في ضوء الحقائق الجديدة ، وعلى الجهة الثانية فان الفلسفة تمنح العلم زخما للتقدم ، وتثير لدى دعاته ومريديه القضايا النظرية الكبرى .

في ضوء ادراك هذه العلاقة الجدلية بين كلا النوعين من النشاط الفكري ، الفلسفة والعلم ، يفترض أن هيئات تدريس مادة الفلسفة في الكليات المتخصصة ، تمتلك أفقا واسعا وصدرا رحبا ، يعلو على الهموم الادارية للتدريس الجامعي ، ويتجاوز النطاق المحدود للعقليات التي يقومون بأداء وظائفهم العلمية فيها . واذا عرفنا أن الفلسفة يجب أن تكون في خدمة المجتمع ، وليست ترفا ، اذن لأدركنا جميعا العجز الذي يعاني منه قسم الفلسفة في الجامعة .

ان مرحلة سرد ما هو مثار في الفكر الفلسفي المعاصر ، وعرض النظريات الفلسفية الكبرى ، سواء كانت بابلية أو سومرية أو هندية أو فرعونية أو فارسية أو اغريقية أو اسلامية أو مسيحية تنتمي للقرون الوسطى أو المعاصرة . . . الخ يؤدي غرضا أكاديمياً بحتاً ، مفاده اطلاع الطلبة على حقول الفلسفة وتاريخها ، والعمل على متابعة تطور قضاياها الكبرى ، غير أن للأساتذة وظيفة ثانية تتبلور فيما يلي :

---

* أستاذ بكلية الادارة والاقتصاد ـ الجامعة المستنصرية ـ بغداد

١ ـ اعادة النظر في مجمل التراث الفكري والفلسفي العربي الاسلامي ، لاستنباط ما هو صالح منه للحياة العربية المعاصرة ، بكل طموحاتها الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

٢ ـ تقديم سائر النتاج الفلسفي المعاصر ، من الشرق أو الغرب أو العالم الثالث ، بروح موضوعية نقدية ، ترمي الى التشبث بما هو ملائم لمجتمعاتنا العربية ، أما ماهو غير ذلك فيجري التنويه عنه بكامل الأمانة العلمية ، ولعل اعتماد أي تيار فلسفي على الاتجاه العلمي ، أو توسله بالعقل ، أداة ومنهجا واضحا ، كاف للنظر اليه بقدر من الاحترام والترحيب .

٣ ـ وفي النهاية سيكون لدينا زادان : زاد تراثي وزاد معاصر للتراث يربطنا بشخصيتنا الوطنية (القومية) المعاصرة ، تجعلنا نعيش الحاضر ونتجه نحو المستقبل بخطا محسوبة ، والمسألة بعدئذ ليست في اجراء مزاوجة بين التراث الصالح والمعاصرة الملائمة ، كما يدعو الى ذلك جمهرة من الكتاب والمفكرين ، باعتبار أنه ليس ثمة تناقض بين الاثنين ، والحل الواجب الاتباع يتمثل في غربلة التراث الفكري مما يعني استخراج ما هو مناسب للحاضر ، هذه الحالة لن تثير مشكلة اندماجه بالمعاصرة ، ذلك أن الفكر الفلسفي العلمي المعاصر يجد جذوره في الفلسفات القديمة ، كما أننا لن نعدم أسسا له في الفلسفة الاسلامية (ابن رشد) ابن سينا (المعتزلة ، الخ) أما المعاصر من الفكر الفلسفي فما أكثره ، وما أعظم تياراته ، ويتعين الاقبال عليه بروح موضوعية نقدية ، روح سمحة مرحبة بما هو سليم منه بمعايير العلم والعقل ، كما هو حال اقبال اسلافنا في الدولة العباسية على ترجمة وتعريب الفكر الفلسفي الاغريقي ، على وجه الخصوص .

ولا يعني ذلك تشكيل فلسفة تلفيقية أو توفيقية وانما تكوين فلسفة انسانية الشخصية والسمات ، علمية المنهج والمضمون .

ان ما حصل في جامعاتنا العربية يتلخص في تبني أبرز أساتذتها ما هو سائد في الفكر الفلسفي المعاصر ، فالدكتور زكي نجيب محمود ، تبنى الفلسفة الوضعية المنطقية ، والدكتور عبدالرحمن بدوي اعتنق الفلسفة الوجودية ، والدكتور كمال الحاج ، انتهج الفلسفة البرغسونية ، وبعض أساتذة المغرب العربي تبنوا الفلسفة البنيوية ، وهؤلاء وغيرهم اعتنقوا هذه الفلسفات جملة وتفصيلا ، اذ نقلوا ما هو سائد في أوروبا وأميركا ، وحاولوا تطبيقه بسائر معالمه في مجتمعاتنا العربية ، وأسارع الى القول أن تبني الأفكار الفلسفية حق مشروع ، عملا بحرية الفكر ، كما ان اعتناق هؤلاء الأساتذة لهذه الفلسفات ليس جريرة يحاسبون عليها ، والموقف الأكثر صلاحا فيما أراه : مؤداه طرح القضايا الفلسفية من وجهة نظر طموحاتنا القومية ، وتبني الفلسفات التي تتلاءم مع خطط تنمية وطننا العربي الكبير ، خصوصا على الصعيد الفكري والثقافي .

ان قسما من جامعاتنا أخفق في مستوى الأساتذة والطلبة ، فلم نسمع يوما أن أحد الأساتذة أضحى فيلسوفا ، غير أن السمع لم يتعد وجود شارح جيد ، كما أن الطلبة حينما يتخرجون في الجامعة لا يدركون العالم الرحب للفلسفة ، ومنهجها التحليلي ، وقدرتها الخلاقة على سيادة الفكر الانساني بأسمى صوره ، وهذا ما عجز أساتذة الفلسفة لدينا عن تقديمه ، فما أسباب هذا الاخفاق ؟

ثمة أسباب جوهرية ، الا أن المراقب يلاحظ أن هناك ثلاثة أسباب ، يمكن اعتمادها كعوامل في هذا الاخفاق ، وهي :

أولا : التكوين العلمي الناقص لبعض الأساتذة : وعلى الرغم من أن بعضهم درس في أوروبا وأميركا ، الا أنه عاد بخفي حنين فكريا وابداعيا ، باستثناء الشهادة ، وتقول العرب ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف ننتظر خيرا ممن لم يكن قد شغل كرسي الأستاذية ، الا بشهادة ربما نالها بالأقدمية الدراسية . أو اشفاقا لظروف اغترابه ، أو مساعدة من الغير في اعدادها . ومن جهة أخرى ، فان وجود أساتذة يفتقدون القدرة على الابداع يثبط همة الذين حازوا على هذه القدرة ، طالما كان الاثنان بالمركز العلمي نفسه ، وينالان الراتب ذاته ، طالما تنظر اليهما ادارة الجامعة أو الكلية بنظرة ادارية واحدة ، من حيث التمتع بالحقوق الادارية والمالية نفسها .

ثانيا ـ الحصار الفكري : ان الباحث العلمي في الأقطار العربية ، محاصر بثلاثة أنواع من السلطات : سلطة التقاليد المتمثلة في المجتمع ، وسلطة تراث

التاريخ . وسلطة الدولة الحريصة على حرمان المواطن من حقوقه وحرياته الأساسية ، فاذا استطاع أن يفكر تفكيرا رحيبا لا قيود تحده الا قيد الحقيقة العلمية ، وهي حقيقة نسبية وليست مطلقة ، فان ترجمة الأفكار الحرة الى كتابات منشورة مهمة أشبه بمغامرة ، قد لا يحسب لها حساب ، وللأسف الشديد ان معظم الأساتذة ليس لديهم طموحات المسافرين في رحاب الفكر الذي أصاب بعضهم ، ودفع البعض الآخر حياته ثمنا لما يؤمن .

ثالثا - فقدان التفاعل الجدلي بين الأستاذ والطلبة : هذا الاحتكاك الضروري يجعل الأستاذ مقتدرا ، والطالب مبدعا ، ويحضرني هنا ، مقولة للفيلسوف المعاصر ، الفرد نورث هوايتهيد ، « ان حواري مع طلبتي صنع نصف فلسفتي » .

ولا شك في أن الاخفاق في هذه الناحية كامن في أسلوب التلقين الذي يتلقى الطالب المعلومات والحقائق في ضوئه ، اضافة الى الأعداد الهائلة في كل قاعة في معظم جامعاتنا العربية ، الأمر الذي يساعد في تخرج الطالب ومعه كومة من المعلومات التي كان بالامكان استقاؤها من الكتب الخارجية ، بأقل من نصف مدة الدراسة الجامعية ، وينخرط الخريج في وظيفة ادارية ، وبعد سنوات من الخدمة العامة ، ينسى المعلومات التي استقاها في دراسته الجامعية ! فماذا ننتظر بعد كل هذا ؟ ! □

المنهج التعليمي والتطوير الإداري في دول مجلس التعاون

دول مجلس التعاون الخليجي هي دول صناعية تجارية غنية ، تتبنى مناهج تربوية تعليمية وأنظمة ادارية صممت خصيصا لمجتمعات زراعية موسمية فقيرة . ان انتاج النفط في هذه الدول يشبه تماما حزام الانتاج في مصانع العالم الصناعي . كما أن التجارة فيها تجارة عالمية خارجية عن حدود المنطقة منذ أقدم العصور . ويمكن تلخيص أهم خصائص هذين المحورين الاقتصاديين الأساسيين لدول الخليج العربي كما يلي :

١ - تشبه الصناعة النفطية في المنطقة أية صناعة في العالم الصناعي من حيث انها تعتمد على استمرارية الانتاج ، وضمان التسويق تحت أية ظروف ومعطيات محلية او عالمية ، وذلك لضمان استمرارية هذه الدول ورفاهية مجتمعاتها . كذلك فان التعامل التجاري في هذه الدول منذ أقدم العصور مبني على قاعدة التصدير والاستيراد مع دول العالم وبالتالي يعتمد على المحافظة المستمرة على مستويات أداء عالية .

٢ - اعتماد هذه الدول على الثروة النفطية بشكل أساسي يتطلب اعتماد استراتيجية بعيدة المدى لتطوير صناعات مشاركة وبديلة للنفط وبالتالي تطوير قاعدة انتاج صناعية وتجارية موازية ، وعلى نفس مستويات الاداء العالمية . وبالتالي فان اعداد انسان الخليج العربي على المدى البعيد يتطلب اعداد اجيال صناعية ذات خبرات تكنولوجية واقتصادية على مستويات عالية ، وتتمتع بمرونة الحركة ، وتعددية الخبرات ، والقدرة على التغيير والاستجابة للتغيير بسرعة ودقة وحرية .

لقد كان من أكبر الأمراض التربوية التعليمية في المنطقة اضطرار دول الخليج العربي لأن تعتمد على مناهج تربوية تعليمية وانظمة ادارية عربية (على اعتبار أنها مناهج وانظمة مجربة) ، مصممة لدول غير صناعية .

ان أهم خصائص الدول العربية الزراعية الموسمية الفقيرة هي نشأة الآلة الادارية البيروقراطية بمعزل تام

عن متطلبات الصناعة والتجارة ذات المستويات الادائية العالمية ، وبالتالي اضطراب اهداف النهج التربوي التعليمي ، وتصميمها لاعداد الموظف البيروقراطي النسخي الملتزم بالاجراءات . ومن الأعراض المزمنة لهذه الامراض اجبار المحاور الاقتصادية الصناعية والتجارية على اتباع متطلبات الآلة البيروقراطية في تلك الدول بدلا من تصميم الآلة الادارية لتقديم الخدمات للصناعة والتجارة .

ويفسر هذا تعثر الصناعة العربية وتحملها لأورام بيروقراطية معقدة ومطولة . ويمكن تلخيص أهم الامراض التي تنجم عن تبني المناهج التربوية التعليمية ، والانظمة الادارية لتلك الدول من قبل دول صناعية تجارية كدول الخليج العربي كما يلي :

١ - غياب الخبرات الصناعية والتجارية ذات المستويات العالمية بين الخريجين بالاضافة الى غياب الخبرات التصميمية والتطويرية التكنولوجية والادارية بينهم .

٢ - اتجاه الغالبية الغالبة للخريجين الى العمل في الآلة البيروقراطية للدولة واستجابة الآلة البيروقراطية لرغباتهم وليس لحاجات الدولة الحقيقية ، وبالتالي اضطراب اهداف التوطين عن طريق توسيع قاعدة التوظيف في المراكز العليا والترقية السريعة في الآلة البيروقراطية .

٣ - تفريغ البنية التحتية الادارية والمهنية من المواطنين الخريجين وتكريس النظرة الاستخفافية من قبل الخريج المواطن لهذه البنية ، وعدم اتجاهه اليها ، وبالتالي ضياع فرصة تعرف المواطن الخريج على الحاجات الحقيقية للتطوير الاداري والصناعي والتي تكمن جذورها في البنية التحتية ومن ثم تكريس الانظمة البيروقراطية (المستوردة من مجتمعات موسمية زراعية) التي صممت لتحتمل الوقت الطويل والتعقيدات الادارية والمركزية المتسلطة ومستويات الاداء المحلية .

ان المناهج التربوية التعليمية والمناخ الاداري والبنية الاستشارية في دول الخليج العربي تقوم كلها على اعداد الاجيال في دول مجلس التعاون للعمل في بلدان زراعية موسمية فقيرة وليس في بلدان نفطية صناعية تجارية غنية .

ولذلك فانني ادعو الى دراسة شاملة وموضوعية لاعادة تصحيح مسار النهج التربوي التعليمي ، وسياسات التوطين واستراتيجيات التصنيع والتطوير الاداري ، وربط هذه المجالات الثلاثة في رؤية مستقبلية شاملة نحو اعداد انسان المستقبل الذي يمكنه ضمان استمرارية الدولة في الخليج العربي .

هنالك دول عربية قد تعطلت فيها الآلة الصناعية بنسبة ٤٠٪ بسبب اجراءات استيراد قطع الغيار !! ان دراسة بسيطة لطبيعة الاجراءات في دول الخليج العربي ستكشف حالة مزمنة من هدر ملايين الدولارات بسبب اضطرار الآلة الصناعية والتجارية لتحمل متطلبات الآلة الادارية البيروقراطية . ولكن دراسة ابسط ستكشف لنا أن استمرار النهج التربوي التعليمي والأنظمة الادارية على ما هي عليه سيضاعف هذا الهدر أضعافا مضاعفة في المستقبل .

اياد ابراهيم قطان

طه حسين يرثي العقاد

يقول الدكتور طه حسين في مقطع من رثائه لصديقه عباس محمود العقاد : « أمثالك تموت أجسامهم ، لأن الموت حق على الأحياء جميعاً ، ولكن ذكرهم لا يموت ، لأنهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضاً ، وسيوارى شخصك الكريم في أطباق الثرى ، ولكن القبر الذي سيحتوي شخصك لن يستأثر بك ، فلك في قلوب الذين يحبونك والذين ينتفعون بأدبك وعلمك ذكر لن يموت ، ولكنهم لن يستأثروا بذكرك ، وانما ستشاركهم فيه الأجيال التي تبقى بقاء الدهر » .



منتدى العربي
تعقيبات

فلسفة الضحك

من البداية أتفق تماما مع ما طرحه الأستاذ الدكتور الرميحي ، في حديث الشهر للعدد رقم ٣٢٩ لشهر ابريل ١٩٨٦ ، من أن الضحك ظاهرة حضارية ، واصلاح لمزاج الانسان ، وتوازن بين عناصر جسمه ، وان كنت أرى أن الضحك تنفيس ايجابي لطاقات عبثت أساسا لأمور أكثر جدية ، وهو كذلك تطور منطقي وحاسة إجتماعية رفيعة ، وهو منعش للنفس ، ومفيد للجسم ، لأنه يقوي الجهاز التنفسي ، وينشط الدورة الدموية ، وينعش الأعصاب ، ولا يرهق عضلات الوجه .

وبعض العلماء يؤكد بأن (ظاهرة الضحك) تختلف في كل انسان عنها في غيره ، وقد اهتم (جورج ويليامز) - أحد أساتذة علم النفس الأمريكيين - بتحليل ظاهرة الضحك ، ومعرفة أنواعها وأهميتها في الدلالة على أخلاق الانسان ، مستندا الى مقولة للكاتب الانجليزي (كارلايل) ، حيث قال : « ان الضحك هو المفتاح الذي يوصلنا الى معرفة الانسان على حقيقته » - ذلك أنه ليس أبلغ في الدلالة على أخلاق الانسان من نوع ضحكته ، ومن التجعيدات والخطوط التي ترتسم حول فمه ، والانقلاب الذي يطرأ على سحنته وهو يضحك .

ولقد أكد أحد المخرجين المسرحيين ، بأنه لايستطيع أن يعطي رأيا في ممثل قبل أن يسمعه يضحك ، لأن الضحكة - على حد قوله - أصدق مقياس لاخلاص الممثل لفنه ، ويعتقد البعض أن الضحك هو تكرير لفظة (ها) بترتيب السلم الموسيقي ، ولكن الواقع أن هذا الصوت يتشكل ويتنوع حتى ليعتذر حصر أشكاله وأنواعه ، وهو في كل شكل يدل الى حد كبير على أخلاق الانسان وطباعه .

ولقد فطن الأوروبيون الى أهمية الضحك ، بالنسبة للصحة العامة ، ولهذا يقول المثل الانجليزي (اضحك تسمن) ، وقيل (ان ضحكة واحدة كل يوم تغنيك عن الطبيب) ، وليس غريبا أن نعرف أن للضحك مضاراً ، فقد قيل (كثرة الضحك تميت القلب) ، وهذه حقيقة لاجدال حولها ، والأدلة كثيرة على صدقها ، فقد مات أحد أفراد أسرة (كراسوس) الروماني من الضحك عندما رأى حمارا يأكل عوسجا ، ومات رجل عملاق ، كان يدعى (مارجيت) في عام ١٩٢٩ من الضحك ، عندما رأى قردا يحاول أن ينتعل حذاءه ، وعندما دخل (فيلومنيس) اليوناني منزله ، ورأى حمارا يأكل التبن الذي أعده لطعامه ، ضحك وأغرق في الضحك حتى مات .

ومات الرسام اليوناني الشهير (ذايكسيس) من الضحك كذلك ، عندما أخذ ينظر الى صورة عجوز شمطاء ، كانت من رسمه .

وليس الضحك - كما يدعي البعض - عادة بشرية ، كما أنه ليس مقصورا على الانسان ، فقد لوحظ أن بعض الحيوانات كالقردة والخيول والقطط والكلاب والأسود ، شوهدت ووجوهها متقلصة ، كما لو كانت تضحك ، على أن علماء النفس ،

يعتقدون أن الضحك يتصل بغريزة حيوانية ، وأن الأصل فيه يرجع الى شعور الانسان بالمرح والسرور عند رؤية الطعام . وهم يستندون في ذلك الى أن الأطفال لا يضحكون قبل الاسبوع السابع من عمرهم ، وأنهم ـ أي الاطفال ـ بعدئذ يضحكون لرؤية الطعام ، لا لشيء آخر على الاطلاق ، ثم يضحكون بعد الأسبوع العاشر من عمرهم ، اذا شاهدوا ذويهم يضحكون ، أليست هذه فلسفة ! ! . □

دكتور خالد محمد نعيم

أسئلة للمستشرقين حول الطريقة المدانية

اطلعت على ما عرض في مجلتكم الغراء حول « معضلات اسلامية » من كتاب الشهر في العدد ٣٢٩ ، شهر ابريل ١٩٨٦ ، والذي كان من بين مواضيعه مقال للمستشرق براون حول الطريقة المدانية بتونس ، وعلاقتها بالدولة ، ومن خلال هذا العرض نتبين أن المستشرقين ما زالوا منذ نهضتهم المبكرة يمعنون النظر في الحضارة الاسلامية ، ويجدون في البحث والتقصي عن رجالها ، وأتمنى أن تكون هذه الدراسة خدمة للحقائق التاريخية التي قدمتها الحضارة الاسلامية لصالح الانسانية .

ولقد لاحظت أن مقال المستشرق براون حول الامام الشيخ محمد المداني القصيبي التونسي وأتباعه ، مقال يغلب عليه عدم المعرفة ، والتسطيح للفكرة التي كان يعيش لها المداني وأتباعه بتونس ، وعلاقة الشيخ بالاتباع ، وسبب انضمامهم للطريقة ، والجو السائد بين الشيخ والسياسيين الدستوريين فيقول « والنتيجة التي نحصل عليها بعد التقصي للجذور الاجتماعية للطريقة المدانية وبرنامجها للعمل توصل الى أن معظم أتباع هذه الطريقة من الفلاحين والفئات الفقيرة في المدن » وهذا خطأ ، فأتباع الطريقة هم من شتى الفئات في المجتمع التونسي ، الفلاح والتاجر والغني والفقير والطالب والمعلم ، والاستاذ والمدرس والموظف والقاضي في العدالة ، ولقد امتدت الى خارج الحدود التونسية .

ويترتب على خطأ الكاتب في حصر الأتباع بين الفلاحين والفقراء ، الوصول لنتيجة مفادها أن الاتباع للطريقة هو « بدافع الفقر والحاجة الملحة للأقوات التي تكفلها لهم الطريقة » والشيخ الذي لم يكن أفضل حظا منهم في حالته المادية ! ويؤدي ذلك الى استدراج القراء الى التشكيك في رجال الاصلاح ، واتهامهم بالتعاون مع الاستعمار الذي كان يقدم لهم ولاتباعهم المساعدات لضمان اقتصادهم ، ونطرح هنا بعض الأسئلة حول ما قدمه الكاتب براون في دراسته للامام الشيخ المداني .

ـ ما هي المراكز الاقتصادية للطريقة المدانية التي كانت تضمن بها حاجات الاتباع ؟ وما هي الأعمال التي يقوم بها الاتباع في مقابل ذلك ؟

ـ من كان يمول هذه المؤسسات ؟ وكيف ؟

ثم يواصل الكاتب قوله « ان الطريقة واجهت صدمة سياسية واجتماعية كبرى بعد الاستقلال مباشرة ، حيث اتهم الحزب الدستوري الشيخ المداني وأتباعه بالتعاون مع الاستعمار الفرنسي » ولو كان كذلك لمحق هو وأتباعه من قبل الحركة السياسية

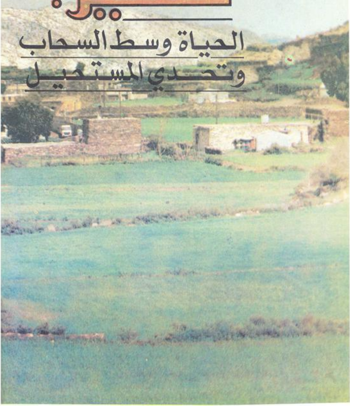
ولو ثبتت واقعة التعاون مع الاستعمار لقضي عليه وعلى أتباعه الذين تعددت فروعهم داخل القطر التونسي وخارجه بعد الاستقلال وتحت اشراف الزاوية المركزية التي يسير ادارتها ابن الشيخ ، الذي أسندت اليه أكثر من وظيفة من قبل الحكومة السياسية بعد الاستقلال .

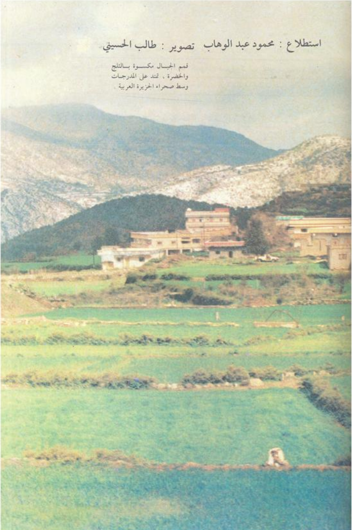
محمد بن مبارك غرنوق

العربي
عيونك
على العالم

عسير:

الحياة وسط السحاب وتحدي المستحيل





استطلاع : محمود عبد الوهاب   تصوير : طالب الحسيني

قمم الجبال مكسوة بالثلج والخضرة ، تمتد على المدرجات وسط صحراء الجزيرة العربية .

« أمسكت انفاسي من الدهشة . . غير مصدق ما تراه عيناي . . فقد كانت الطائرة تهبط في مطار ينبسط وسط هضاب عالية تكسوها الخضرة وكرات الثلج البيضاء ، ولولا نداء قائد الطائرة باننا في الأراضي السعودية لظننت أن الطائرة أخطأت المسير » . .

فوق سطح البحر بـ ٣٥٠٠ متر ، ووسط تجمعات السحاب الأبيض . . تسير الحياة . . تمشي في الطرقات وتمد أصابعك فتمسك هواء بارداً كالثلج . . تقف على حافة الهضاب فترى السحاب وهو يهبط الى أسفل ، ويظلل القاطنين في الوادي وهم ينظرون اليه مثلما نفعل قبل الصعود .

وعلى امتداد الطرق المنحوتة وسط الهضبة ، وفي قلب المدن والقرى المشيدة في ظروف شديدة القسوة ، تشعر بايقاع التاريخ داخل نفسك : هنا عسير وتهامة .

بلاد بني قحطان وعدنان أجداد العرب . . ومن وسط القرى الصغيرة المنتشرة على الهضبة خرج أبو هريرة وطفيل الدوسي وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم . ويقدر تراث تاريخ المكان وثرائه . . بقدر ما صنع أبناء الحاضر ثراء انسانياً آخر - رغم كل الظروف القاسية مما جعل انجازهم هذا يقارب حدود المستحيل .

الطريق الصاعد :

في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية تقع منطقة عسير ، وهي أكثر مناطق المملكة ارتفاعاً عن سطح البحر . . وفوق سلاسل جبال السروات التي تكون المنطقة ، قامت الحياة ونشأت منذ فجر التاريخ . . وكان لتنوع تضاريس المنطقة واختلافها أثر واضح في اختلاف الحياة وشكلها ، واتصال السكان وحركتهم ونشاطهم . . ومنطقة عسير تنقسم جغرافياً الى قسمين أساسيين : منطقة المرتفعات وبها مدينة أبها عاصمة المنطقة ومركزها الاداري ، ومنطقة السهول باتجاه ساحل البحر الأحمر وهي ما تسمى بمنطقة تهامة . .

وبين الجبل والسهل تنتشر الوديان ويتكاثر سقوط الأمطار . . ويزدهر سفح الجبل وقمته بالزرع والخضرة . . ويورق السهل بالأشجار والمحاصيل . . وتدور حياة كاملة تتعانق فيها المتناقضات . . الجبل والسهل . . اليابسة والبحر الصخر والزهر . . الرمال وكرات الثلج . . الحياة بفطرتها ومظاهر التقدم . . . وقد كانت هذه المتناقضات وطبيعة الظروف الجغرافية للمنطقة وراء التنظيم الاداري لمنطقة عسير . . فالمنطقة تمتد على مساحة ٥ آلاف كيلو متر طولاً في ٣ آلاف كيلو متر عرضاً ، تنتشر عليها ٤٢٠٠ قرية موزعة على ٦٨ إمارة ، ويبلغ عدد سكانها زهاء مليون و ٢٠٠ الف نسمة . .

وكما قلنا فانه نتيجة لهذا الامتداد الواسع فان التنظيم الاداري جاء مراعياً هذه النقطة ، فقسم المنطقة الى ٨ إمارات مركزية كل إمارة من هذه الامارات يتبعها عدد من الامارات الأصغر بحيث يصبح هناك نوع من التسلسل الاداري في مراجعة الامارات للمستوى التنظيمي الأعلى والذي يتمثل في امارة عسير والكائنة بأبها عاصمة المنطقة كلها .

بالرغم من الامتداد الواسع للمنطقة فانه ليس متاحاً أن تمد بصرك لكي ترى تجمعات سكنية على شكل قرى صغيرة على امتداد الهضبة كلها . . ووسط طرق تلتوي داخل الهضبة تجد منظراً من أكثر المناظر ندرة . . حيث يمكنك النظر الى أسفل والى أعلى فتجد عديداً من القرى ببيوتها المميزة ومدرجات الزراعة الخضراء تنتشر الى أسفل والى أعلى باتجاه الطريق الصاعد .

ولكي نقرب المنظر منك - عزيزي القارىء - فالمنطقة هي قمة جبال السروات ، ولأن هذه القمة منبسطة وليست هرمية فان شكلها العام يبدو أقرب ما يكون الى الهضاب . . ومن هنا فانه يمكن للمرء أن يتخيل شكل القرى المنتشرة على امتداد الجبل من أعلى الى أسفل .

الحاكم والرعية بلا وسيط

في أول صباح لنا في أبها . . صحبنا مرافقنا الى مجلس الأمير . . ولأن الصباح كان ما زال في ساعاته الأولى . . فطوال الطريق كان ذهني يتخيل المجلس . . متصوراً أن الحاكم الاداري للمنطقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر يبدأ يومه بجلسة مع كبار مساعديه وموظفي الامارة في اجتماع يومي . . وظل هذا ظني حتى وصلنا الى مقر الامارة ورأيت المجلس وزادت الدهشة والعجب . . وسط قاعة كبيرة واسعة على جانبيها تمتد الارائك وفي صدرها مكتب صغير عادي أمامه مقعد . . على المكتب يجلس صاحب السمو الملكي . . وعلى الأرائك يحتشد الناس . . عامة الناس مواطنون ووافدون . . عرب وعجم أصحاب شكاوي وطلبات ومظالم . .

باب القاعة مفتوح . . بلا حرس ولا حجاب . . وفي مواجهة المكتب يقف طابور من خيرة شباب قبائل المنطقة بزيهم التقليدي . . ويتقلدون سيوفهم . . أسأل مرافقي بصوت هامس يقول لي أنهم « الفداوية » نسبة الى الفدائية وهم شباب القبائل الذين يجدون في وقوفهم حرس شرف وكوكبة فرسان تسير قبل أميرهم . . يجدون في هذا العمل التطوعي شرفاً لهم . . وفخراً تتيه به العشائر والبيوت والقبائل ، وهذا العمل لا يرتب لأفراده أية ميزة مادية . . ولا يمنحهم صلاحية ولا جاهاً . . . ولكنه يمنحهم باباً للفخر لا ينتهي .

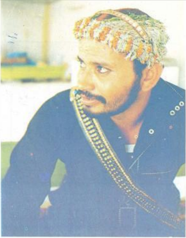
واعترف بان التجربة كانت فريدة وجديدة بالنسبة لنا ، فقد انطلق زميلي المصور في التقاط عديد من الصور . . وجلست أنا أرهف السمع وأحدق البصر . . شيخ عجوز يجلس فيقول:الأرض يا طويل العمر . . أرضنا عرضنا . . اغتصبوها منا بالقوة . . جئتك منذ ثلاثة أشهر فاحلتنا الى القضاء ، حكم القضاء لنا . . وأصبح حكماً نافذاً لا يجوز نقضه ورغم ذلك لم يرفعوا أيديهم عن الأرض : فوق الورقة التي اختط عليها الشيخ مظلمته يضع الأمير (إشارة فورية الى مدير شرطة عسير لتنفيذ حكم القضاء اليوم وافادتي) ، ويصحب الشيخ واحد من (الفداوية) مع الورقة التي وضع عليها الأمير اشارته ويذهب به



خريطة توضح موقع منطقة عسير في أقصى الجنوب وعلى البحر ، مما جعلها تحت تأثير حضارات اليمن وافريقيا .

الى مكتب مدير الشرطة . شاب آخر وافد من أقصى بلاد المغرب ، يتحدث بأسى المظلوم ثمانية شهور لم أقبض راتبي . . من أين آكل اذن . . وليت الأمر مقتصر على همي الشخصي ولكن معي زوجة وطفل . . قلت لهم اذا كانت ظروف الشركة صعبة ـ وهذا يحدث في كل العالم ـ فليعطوني حقي وأجر عملي ليس أكثر . . وأعود الى بلدي . . ولكن لم يسمع لي أحد أطال الله عمرك . . وبهدوء شديد يهدىء الأمير من لهفة المظلوم صاحب الحق ، ويصدر أمراً باستدعاء صاحب الشركة نفسه اليوم الى مقر الامارة وأخذ حق العامل منه ، وبعد ان يغادر الشاب الى مكتب المسئول الذي سيتولى التنفيذ يصدر الأمير توجيهاً شخصياً لأحد موظفي دائرة العلاقات بصرف مبلغ من المال من جيب الأمير الشخصي للشاب لو تأخر سداد مستحقاته . ويتوالى مرور أصحاب المظالم والشكاوي والحاجات ، وتحسم الأمور كلها في نفس اليوم واللحظة . . وينتهي المجلس ، وفي الطريق الى مكتب الأمير قلت لمرافقي : كم أنا مندهش من التجربة التي تكفل أقصى درجات الاتصال بين الحاكم والرعية ، وفوق ذلك فهذا الحكم والبت السريع في المشكلات ليتجاوز بذلك كل أمراض



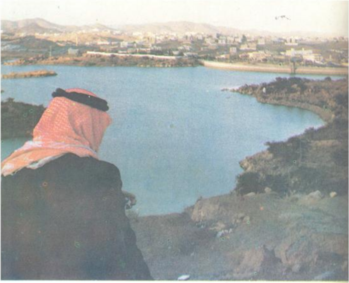


أحد أبناء منطقة تهامة بزيه التقليدي ، وقد عقد على رأسه عقد من الورد ، ورسم بالألوان كما هي العادة في المنطقة .





منظر قريب لأحد البيوت على النمط القديم .. مبنى من صخر ..... نوافذ آمنة ، والدرج يفضى الى باب صغير ..



بحيرة مدينة أبها واحدة من بحيرات كثيرة صنعها المطر ، والى اليمين قرية قديمة مساكنها في الجبل العالي ، حيث الأمن ومدرجات الزراعة .



الادارة (والروتين) ، ابتسم الأمير وقال : ولماذا لاتقول لأننا ندرك أن العدل البطيء أكثر قسوة ومرارة من الظلم نفسه .

من الجبل الى السهل

وداخل مكتب الأمير فيصل بن بندر فتحت أوراقي والقيت استلتي عن تجربة الحكم وعن مشاكل المنطقة وطبيعتها وخصوصيتها ، وبدأ صاحب السمو يجيب ويتحدث قائلاً : « في رأيي الشخصي فانني اعتبر تجربة الحكم ونظام الادارة من خلال الاتصال المباشر هذا من انجح النظم الادارية على الاطلاق ، وهو نظام متبع في كل ارجاء المملكة وعلى كافة مستوياتها بدءاً من جلالة الملك المفدى حتى أمراء كل الامارات »،ومن واقع خبرتي فان هذا النظام يتميز بميزتين مهمتين أولاهما : التعرف على مشاكل الناس على الطبيعة ، فليست كل المشاكل التي يعرضها الناس في المجلس أموراً شخصية،بل الغالبية تأتي لعرض مشاكل تتعلق بالخدمات العامة الأخرى ، والمرتبطة بحياتهم مثل مشكلات الطرق والمياه وتوافر الخدمات . الميزة الأخرى هي أن هذا النظام يكفل رقابة حقيقية على اداء الموظفين العموميين . .

فطالما أن باب الحاكم مفتوح للكافة فان أي موظف لا يستطيع أن يتهاون ، ولا أن يضيع حقاً لمواطن . ولقد كانت هذه المجالس احد المصادر لتجميع المعلومات عن منطقة عسير . كمنطقة لها خصوصيتها التي يلزم ادراكها قبل التخطيط لها ، فالمنطقة نتيجة ظروفها الطبيعية والجغرافية تعتمد في نشاطها الاقتصادي الرئيسي على الزراعة التي يمارسها ابناؤها على المدرجات وسفوح الجبال ، وتنتشر زراعات البساتين والحقول التي تشكل مورداً رئيسياً للدخل وللحياة ، ونظراً لظروف المنطقة الطبيعية فانها تعتمد في زراعاتها هذه على الأمطار وبعض الآبار وهذا وحده يعني أن هناك مشكلة مياه . . تمس عصب الحياة الرئيسية التي بغيرها تستحيل الحياة ، ومن هنا فقد بدأت مشروعات ضخمة لتأمين المياه وتدفقها ، ستنتهي جميعها بعد عامين في عام (١٤٠٨ هجرية) اذ تم التخطيط لانشاء مجموعة من السدود لحجز مياه الأمطار وتنظيم الاستفادة منها ، وعلى امتداد منطقة عسير تم انشاء ٤٩ سداً لحجز المياه عند الأودية ، منها سد يقام في منطقة (بيشة) وهو يعد من أضخم السدود المقامة في المنطقة العربية . واستمر الأمير في حديثه : ولكن التحدي الحقيقي الذي بدأنا تنفيذه هو عملية اقتصادية اجتماعية لاحداث تغير اجتماعي حقيقي في حياة الناس وأقصد بها « الحركة من الجبل الى السهل » فنقوم الآن بانشاء قرى نموذجية . . ونشجع نزوح السكان اليها ، ولكي تتضح فكرة هذه القرى دعني أوضح كيف كانت القرى تنشأ وتقام : كان السكان يختارون موقعاً على قمة الجبل حصيناً ويسمح بالحد الأدنى للحياة ، وكلما كان المرتفع يشرف على الطريق الصاعد اليه كان أكثر صلاحية ، ويبدأ السكان بعد ذلك في اقامة بيوتهم ومدرجات الزراعة ، ومناطق الرعي وأبراج المراقبة ، هذه « الفلسفة » التي تحكمت في انشاء القرى في الأزمنة الماضية لم يعد هناك ما يبررها الآن ، فلم تعد هناك عصبية ولا صراع قبلي،واستقر الأمن والسلام بين الناس ، ورغم شبكة الطرق الهائلة والمشروعات الكبيرة التي اقيمت لشق الطرق في قلب الجبال . . أقول رغم هذا فاننا بحاجة الى جذب السكان بقدر الامكان الى السهل . . حيث الأرض أكثر خصوبة ، وامكانية التوسع في الخدمات أكبر . . فشق طريق وتعبيده في سهل أيسر كثيرا من مثيله في جبل . . ولذلك فنحن قد بدأنا باختيار بعض المواقع التي سوف تصبح قرى جديدة ، وأقمنا فيها مراكز حضرية مثل المساكن والمدارس التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم بالاضافة الى المناهج الدراسية العادية ، وتبذل هذه المدارس مرتباً شهرياً للطالب بالاضافة الى برنامج تغذية ، كما أقمنا وحدات صحية متكاملة ، وقدمنا كثيراً من الاغراءات التي تدفع السكان للتخلي عن ذكرياتهم حتى يتحركوا باتجاه السهل . . وبالطبع هذا مشروع ما زال في بدايته . . ورغم كل النتائج الايجابية التي تظهر لنا . . الا أن الحكم عليه غير ممكن الآن لارتباطه بجزء مهم نسعى اليه وهو قبول السكان للفكرة ، وانسان منطقة عسير يتميز بصفات عديدة أورثتها له المنطقة بخصوصيتها وطبيعتها ، فهو صلب وشجاع ، وفيه ايضاً حدة واستعجال للأمور . . وهذه كلها صفات اعتقد أنها في صالح نجاح عملية



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر .

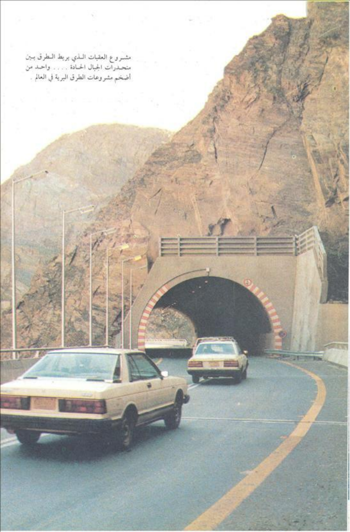
التغير هذه لأنها ستدفع انسان عسير الى أن يكون طرفاً إيجابياً وفاعلاً مما يدفع بالمشروع كلية الى النجاح . .

الجغرافيا تحدد شكل الحياة :

الجغرافيا تصنع التاريخ . . مقولة صحيحة تماماً لدى دارس السياسة ، وأيضاً لدى دارس الاجتماع فان الجغرافيا تسهم في صنع شكل الحياة والعادات الاجتماعية والتقاليد والنظام الاجتماعي بشكل عام . . فطبيعة أرض التجمع البشري هي التي تحدد النشاط الاقتصادي الأغلب للسكان ، ومن خلاله ومن خلال صاحب القدرة الأكثر تميزاً في ترويض الطبيعة تتحدد المكانة الاقتصادية ، وبالتالي السلامة الاجتماعية ، ونشاط السكان وعائده ، ومدى كفاية هذا العائد في الاشباع ، وسد حاجات السكان ، وتصنيف المهن الرئيسية والمهن الهامشية ، «الثقافة ، والعرف ، وما الى ذلك مما تتشكل منه العادات الاجتماعية وتترسخ وتستقر . ومع استمرار الحياة وتطورها . . تتطور العادات وتتلاشى أو تتجذر ويصيبها ما يصيب الكائن الحي أو القيم المعنوية من بقاء أو تطور أو زوال . ولذا فاننا نجد أن عادات سكان ساحل البحر غير سكان الصحراء . . . الخ .

ولقد كانت طبيعة منطقة عسير . . الجبال العالية . . اعتماد الحياة على المطر ، نشاط السكان الزراعي، الرعي ، التناقض في الطبيعة بين الحياة على قمة الجبل حيث عسير ، والحياة في السفح عند ساحل البحر الأحمر حيث تهامة . . كان لهذا الاختلاف أثر واضح في شكل الحياة الاجتماعية والتقاليد والعادات .

. . سألنا الشيخ أحمد مطاعن . . واحد من رجالات أبها عمل في مناصب رسمية كثيرة ، وتولى بحكم وضعه القبلي في زمان مضى حل كثير من المشكلات بين القبائل ، والتوفيق بينها ، والرجل بحكم عمره وخبرته يمتلك رصيداً كبيراً من الذكريات والحكايات والشواهد . . ويتمتع بقدرة المحدث العذب . . بلغة رقيقة وحس وبديهة حاضرة . . وفي أمسية طويلة صحبنا الرجل عبر ذكريات كثيرة من تاريخ العادات والتقاليد . يقول الشيخ : « تبدأ حياة أي أسرة بالزواج . . ولأن القبيلة أو القرية كانت تتمثل في عدد محدود من أبناء العم أو الخال أو الأقارب ولم يكن بينهم أي خليط أو غريب ، كان الناس يعرف بعضهم البعض الآخر . . فهذا يعرف أن ابنة فلان في سن زواج ، وان صفاتها كيت وكيت . . خصوصاً ان الحياة في ذلك الوقت كانت تتطلب اشتراك الرجل والمرأة في جميع شئون الحياة من فلاحة ورعي . . وفوق ذلك فقد كانت طريقة الرؤية الشرعية موجودة ومتاحة . . وكان الشاب يذهب بصحبة أمه التي تكون قد مهدت بالحديث الى أم الفتاة التي تخطر زوجها بدورها ، وهكذا تبدأ زيارة خاصة وسريعة للرؤية ، عندما تحظى البنت بالقبول - يذهب الشاب الى ولي الفتاة الذي يقابله بالحفاوة والكرم اللائقين ثم يعقد اجتماع صغير بحضورهما مع عدد محدد من الأقارب لكي يتفقا على المهر الذي كان يخضع لأخذ ورد ومساومة . وعند ليلة الزفاف يتحرك المعرس من قريته الى قرية العروس أو من بيته الى بيت العروس . . مصحوباً بأهله وأصدقائه مدججين بالسلاح . . وعندما يقترب من منازل أهل العروس يقابلهم أهلها بألعاب شعبية ، ورقص ومبارزة حماسية ، ثم يصحب عروسه على جمل وتخرج أمامها صاحباتها يمسكن مجامر البخور ، وينثرن قطع النقود والحلوى أمامها . . ويقيم ولي العروس حفلة كبيرة يذبح فيها الأغنام للوليمة ، وعندما تصل العروس الى بيته تقابل بمثل ما سبق من مظاهر الفرح . . ثم



مشروع العقبات الذي يربط الطرق بين متحدرات الجبال الحادة .... واحد من أضخم مشروعات الطرق البرية في العالم .





بسط التجار بضائعهم بجوار نافورة وسط المدينة
اليسار / المواطن السعودي الجديد هو الاستثمار الأبقى وهو يعمل ويتعلم في مركز التدريب المهني بأبها

يقيم المعرس ولائم لمدة اسبوع ، وقد كان من العادات أن يقوم بكسوة أهل العروس رجالاً ونساءً تعبيراً عن مودته لهم ومكانتهم عنده . . وقد تلاشت بعض هذه العادات ، وبقيت مظاهر الاحتفال والرقصات الحماسية والولائم الى يومنا هذا ولكنها تختلف من شاب الى آخر وفقاً لقدرته المادية . وكانت هذه المظاهر تتعدد وتتكرر عندما يتزوج الشخص للمرة الثانية ، فقد كانت القبيلة تعد الزواج وسيلة التكاثر والانجاب ، والأبناء هم السند والقوة والكثرة . . وبالتالي فهم إضافة للقبيلة سواء كقوة عمل أو تعزيز للدفاع والحماية . وكانت القبيلة كلها تفرح بالمولود الجديد . . ذكراً كان أو انثى . . فكلاهما عضو عامل في الأسرة . . وكان عندما يولد لأحدهم مولود يذهب الى شخص آخر يعتز بـه في قبيلة أخرى ويسميه باسمه،ويدعوه مع بعض قبيلته لحضور ولائم احتفالات المولود . . وكان هذا يعد نوعاً من المحالفة ، فيعتبر هذا الشخص وكأنه عقد حلفاً مع قبيلة الشخص الذي سمي ابنه باسمه .

يأكل الضيف وحده

الا أن أكثر العادات الاجتماعية تعبيراً عن البيئة والتي ما زالت موجودة الى يومنا هذا ـ مع قليل من التـطوير ـ هي العـادات المرتبـطة بـالتكـامـل الاجتماعي ، فكان اذا هبط ضيف على شخص في القبيلة فهوضيف القبيلة كلها ، ويخرج ابناء القبيلة أو القرية لاستقباله على الطريق . . ثم يصحبونه الى بيت مضيفه حيث تقدم القهوة والشاي . . ثم يتناول الطعام وحده حرصاً على تكريمه ، ثم يأكل بقية المستقبلين بعد أن يفرغ هو . . واثناء جلوس الضيف للطعام يتناقش أبناء القرية أو القبيلة برئاسة أكبرهم في كيفية استضافته . . فيحدد شيخ القرية عدداً من الأشخاص يتولون استضافته بعد أن يترك بيت مضيفه ، ويختار الشيخ عدداً من الأشخاص لمرافقة الضيف في حركته وتجواله . . كل هذا كي لا يكون الضيف عبئاً على شخص واحد . . فيضيق الناس باستقبال بعضهم ويقل تواصلهم وتآلفهم . . فتقع الجفوة ويقل الترابط . وغالباً ما تتحمل القبيلة كلها تكلفة الاستضافة التي تنفق من حصيلة العشور التي تستقطع من غلة الأرض . . حيث تأخذ القبيلة عشر انتاج البساتين والمزروعات وتحتفظ به في بيت مخصص لهذا الغرض،وينفق من هذه الحصيلة على إكرام الضيف أو حالات الاغاثة والكوارث أو عند الغزو أو أيام القحط ، كما ينفق منه على إطعام المساكين وأبناء السبيل أو غير ذلك من الدواعي الاجتماعية .

ومن العادات التي ما زالت موجودة الى اليوم . . الأسواق للتجمع ولتكون اداة اقتصادية واجتماعية ، والأسواق تحتل مكانة مهمة للتجمعات السكانية المنتشرة على امتداد منطقة عسير . . الى الحد الذي سميت قرى وبلدان بأسماء أسواقها . . بمعنى . . مدينة « خميس مشيط » تعني سوق يوم الخميس لدى آل مشيط . . فقد كانت هناك قبيلة كبيرة تسمى « مشيط » وكانت تقيم سوقاً كل يوم خميس فسميت القرية التي تطورت بعدذلك الى مدينة باسم « خميس مشيط » ،وكذلك نجد « أحد رفيده » و « سبت تنومه » و « خميس البحر » و « ثالوث المنظر » ، وثالوث هنا هو يوم الثلاثاء . . وفي السوق يتم بيع كل شيء من خضر وفاكهة الى دواجن وأغنام وسمن وسيوف وخناجر وأسلحة وعديد من السلع التي تأخذ كل مجموعة متشابهة منها مكاناً محدداً تعرض فيه . . والى اليوم يمكنك أن ترى وسط الطرقات المعبدة وفوق الأرصفة ـ في يوم السوق ـ معروضات مختلفة ، وتأتي وظيفة أخرى للسوق وهو الدور الاجتماعي حيث يعلن الأمير فيها تعليماته أو توجيهاته كما يعلن الأشخاص عن مناسباتهم أو بيعهم وشرائهم . . فلان اشترى أرض فلان . . أو فلان سيتزوج ابنة فلان والعرس يوم كذا . . وهكذا يؤدي السوق دوراً مهماً في حياة الناس منذ القدم ، ويسير أهل القرى المتجاورة المختلفة الى أسواق القرى الأخرى للبيع والشراء أو للتعرف على أحوال مجتمعهم الكبير ، ومازال هذا الدور يمارس حتى يومنا هذا .

واستمراراً لتأثير البيئة على حياة الناس . . فقد تأثرت بذلك الى وقت قريب طريقة بناء البيوت . . . فقد كانت تبنى من الصخر . . وعلى الواجهة صفوف متوازية من عوارض حجر الأزد كشكل جمالي من ناحية ، ومن ناحية أخرى كي تدفع هذه العوارض مياه المطر بعيداً عن البيت فلا تترسب عليه أو تنفذ اليه ، والبيت من الداخل هو مملكة الزوجة ، تتفنن



الشيخ أحمد مطاعن وحديث الذكريات .



سعيد الزلعي مدير دائرة التخطيط .

في صياغته ورسم النقوش على جدرانه بألوان زاهية تعدها من بعض المواد المحلية ، ثم عرف بعد ذلك شراء الألوان الجاهزة لتقوم الزوجة بالصبغ والنقش داخل البيت ، والبيوت القديمة تبني من داخلها على شكل القاعات المتعددة الاستخدام .. فتبنى القاعة وعلى جانبها أرائك يتم بناؤها من نفس مادة البناء (صخراً كان أو حجرا) وتفرش بالوسائد وتصبح القاعة مكان جلوس ونوم .. ويستغل الفراغ اسفل الأرائك الحجرية في وضع أغراض المنزل المختلفة .

ورغم أهمية الابحار مع ذكريات الشيخ أحمد مطاعن وحديثه عن عادات المنطقة وتقاليدها الا أن الحاضر يصبح أكثر الحاحاً وثراءً ، ويشدنا اليه كي نحاول أن نتعرف عليه ، بعد أن أصبحنا متابعين ومدركين لجذور الصورة وهيكلها العام .

تحدي المستحيل :

أول ما يثير الانتباه في منطقة عسير .. هو شبكة الطرق الهائلة ، والقول الأقرب للدقة هو أن الطرق شقت في الجبل .. فالمنطقة كلها على قمة جبل صلد .. والتجمعات السكانية منتشرة على الجبل ، وطبيعة الجبل فوق هذا شديدة القسوة من حيث انتشار الأخاديد والوديان الصغيرة التي تجعل قمة الجبل (كأفعى تتلوى) انحدارات حادة أقرب مثال لتقريبها الى الذهن هو رقم ٧ أو رقم 77 باللغة الانجليزية .. فتمثل كل نقطة رئيسية موقع تجمع سكاني ، ويهبط الطريق وينحدر بشكل رأسي وفجائي لتجد قرية أو مجموعة قرى أخرى .. ثم يصعد الطريق ليهبط ثانية .. وهكذا في أكثر من موقع على امتداد المنطقة مما شكل عقبة اتصال رئيسية . وابتدع السكان طرقاً عجيبة للانتقال والحركة،وظلت كلها محصورة في نطاق الطرق البدائية ، حيث تستحيل في كثير من هذه الأماكن حركة السيارات .

ثاني الأشياء التي تثير الانتباه هي جمال الطبيعة .. جبال عالية على سفوحها الأشجار ويتجمع حولك السحاب الأبيض ويحيط بك .. وشلالات المياه المنهمرة من المطر والمنصبة فوق الجبل لتنحدر نحو السهل ، والغابات المنتشرة .. منها ما اقتحمه الانسان ، ومنها ما زال خارج سيطرته لصعوبة الوصول اليها ، وبين الحين والآخر تظهر بعض حيواناتها على البعد .

وتعد شبكة الطرق التي تم تنفيذها عبر الجبال الشاهقة والوديان العميقة اعجازاً حقيقياً سواءً من حيث كمية التنفيذ ومداه أو من حيث مستوى الأداء . ففي منطقة عسير يوجد ٧٣١٣ كم من الطرق المعبدة ويجري حالياً تنفيذ ١٠٠٩ كم وهذه كلها الطرق الرئيسية التي تربط بين أجزاء المنطقة غير محسوب فيها الوصلات التي تربط بين القرى ولا الطرق الداخلية في القرى ، والمدن .

ورغم أن هذا وحده انجاز كاف الا أن الانجاز الحقيقي هو تنفيذ « العقبات » التي تربط القرى المختلفة والتي تقع على قمم ومنحدرات شديدة الوعورة والاستقامة الحادة في الانحدار . وقد اجريت دراسات مختلفة كما يقول سعيد الزلعي مدير ادارة التخطيط في منطقة عسير ، واسفرت هذه الدراسات عن جدوى انشاء ثلاث عشرة عقبة بمجموع أطوالها ٨٥٨ كم . وقد تم تنفيذ العقبات التالية : -

أ - عقبة الشعار ويبلغ طولها ٥٨ كم وتربط بين مدن محايل وابها وخميس مشيط من ناحية ، كما تربط طريق الطائف - أبها - جيزان ، بطريق مكة المكرمة - الدرب - جيزان ، وتخدم هذه العقبة ٨٠ الف نسمة ، وتشتمل العقبة على ٣٢ جسراً و ١١ نفقاً و ٣٧٥ عبارة وقد بلغت تكلفتها الاجمالية ٣٦٢ مليون ريال سعودي .

ب - عقبة الجوة : وقد تم تنفيذ القسم الأول منها وطوله ٩٦ كم ويربط مدينة (بطاح) على مسافة ٩٠





صناعة السيوف والخناجر مازالت من الصناعات اليدوية الباقية ، والى أعلى منظر عام لمدينة أبها ، المباني الحديثة والطرق المرصوفة .

كم جنوب خميس مشيط (بالفرشة) على سفح الجبل ، والقسم الثاني سوف يربط مدينة بطاح بمنطقة الشقو ثم بطريق الطائف ـ ابها ـ جيزان ، وقد بلغت التكلفة الاجمالية للجزء الأول ٥٣٥ مليون ريال ، وتقدر تكلفة المشروع الاجمالية بـ ١٦٤٨ مليون ريال ، وتتكون العقبة من ٢٨ نفقاً بطول ١٥٦٥م وعدد الجسور ٥٢ جسراً .

جـ ـ عقبة تلاع وتربط قرية خوضة والقرى المجاورة بطريق أبها ـ الطائف المسافة الرئيسية فيها انحدار رأسي طوله ١٧٤٤ متراً تؤدي الى وادي الجوف ، ويخدم المشروع ٤٣ الف نسمة ويشتمل على ٤٢ جسراً و ١٩ نفقا .

د ـ عقبة ظهران الجنوب يبلغ طولها ١٩ كيلومتراً ، وتنحدر ٩٩٢ مترا وتحتوي على ١٢٧ جسراً طولها الاجمالي ١١٣٥٠ متراً وثمانية أنفاق .

هـ ـ عقبة قرون الرز : يبلغ طولها ٦٧ كيلو متراً وطول المنطقة الوعرة ٢٩ كيلو متراً ومسافة الانحدار ١٤٩٥ متراً وتحتوي على ١١٢ جسراً و ٣٦ نفقاً .

و ـ عقبة حداد طولها ٤١كم ، تحتوي على ٥٢ جسراً و ٣٥ نفقاً وتخدم ١٨ الف نسمة يقطنون عشرين قرية .

ز ـ عقبة نصاب : طولها ٣٦ كم تحتوي ٤٣ جسراً و ٣٦ نفقاًوتخدم١٢ قرية يقطنها ١٩ الف نسمة .

حـ ـ عقبة آل عبيد : طولها ٥٥ كيلو متراً ، ويحتوي المشروع على ٩٥ جسراً و ٥٥ نفقاً وتخدم ٣٦ قرية يسكنها ٣٩ الف نسمة .

ط ـ عقبة الساقين : طول الطريق ٥٦ كيلو متراً وتحتوي على ٢٥ جسراً وأربعة انفاق وتخدم ١٥ قرية يسكنها ١٩ الف نسمة .

وبخلاف العقبات التي ما زالت تحت التنفيذ فقد تم انشاء طريق الطائف ـ أبها ـ جيزان الذي يربط امارتين في السفح (الطائف وجيزان) عبر إمارة على قمة الجبل ، والطريق بالغ الصعوبة والانحدار والصعود . . فالامارتان في سفح جبل السروات الذي توجد في قمته مدينة أبها . . ويبلغ طول الطريق ٧٥٣كم ، استفادت منه ٤٢٠ قرية وحوالي ٤٠٠

الف نسمة ، والطريق منفذ بمستوى اداء عـادي في وسط ظروف بالغة الصعوبة .

سباق مع الزمـــن :

عن شبكات الطرق الهائلة التي تقارب المستحيل وعن خطط التنمية القينا بتساؤلات كثيرة أمام سعيد الزلعي مسئول التخطيط في منطقة عسير فقال :

« هذا الانجاز تحقق في خلال ستة عشر عاماً فقط ، ففي عـام ١٣٩٠ كـان هنـاك ١٧٠كم فقط بلغت الآن ٧٣١٣كم بـالاضافة الى ١٠٩كم تحت التنفيذ ، بخلاف العقبـات ، وهـذا يـأتي لايمـان المخطط بأهمية تنفيذ مشروعات البنية الأساسية بأسرع ما يمكن ، وبأعلى مستوى اداء لكي نحقق التطوير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للسكان انطلاقاً نحو تنفيذ خطط التنمية . فبخلاف هذه الطرق هناك شبكة طرق زراعية تمتد لتربط بين القرى داخل الجبل وبين مراكز الانتاج ومراكز التوزيع . أما عن ملامح الانجازات التنموية أو مشروعات البنية الأساسية في القطـاعات الأخـرى فقد نجحنـا في تطـوير مراكـز الخدمات الصحية - وذلك في اطار خطة عامة في جميع المملكة - لكي تقدم مراكز الخدمات من خلال المرفق الصحي الـواحـد الخـدمـات الصحيـة المتكـاملة (علاجية - تثقيفية - وقائية) . وخلال خمسة عشر عاماً شهـدت منطقـة عسير تـطوراً سريعـاً في مجال الصحة فارتفـع عدد اسـرة المستشفيات من (٨٤) سريراً الى ١١٠٥ سرير ، وارتفع عدد المستشفيات من ٢ الى ٩ مستشفيات،وارتفع عدد مراكز الرعـاية الصحية الأولية من ١٩ مركزاً الى ٢٢٤ مركزاً صحياً وتحت التنفيذ ٦ مستشفيات منها مستشفيان جديدان سينتهي العمـل منها خـلال العام المقبـل ، سعتهما ٨٠٠ سرير ، وبذلك سيرتفع عدد الأسرة بعد اكتمال المستشفيـات الستـة الى ٢٥٦٢ سـريـراً وعـدد المستشفيات سيبلغ ١٤ مستشفى .

وفي قطاع آخر هو قطاع الزراعة قدمت الحكومة قروضاً واعانات للمستثمرين والمزارعين بلغت أكثر من مليون ونصف ريال .. وكـان نتيجـة تـوسـع الاستثمار في قطاع الزراعة والانتاج الحيواني .. ان حققت منطقة عسير اكتفاء ذاتياً في البيض والألبان وبعض أنواع الخضر . كما تم انشاء بعض الصناعات المرتبطة بالقطاع الزراعي مثل مشروع صوامع الغلال ومطاحن الدقيق فتم انشـاء صوامـع قمح لتخـزين الناتج المحلي بسعة ٤٠٠٠ طن ومصنع أعلاف بطاقة ٦٠٠ طن يومياً ، ومطحن دقيق بطاقـة (٣٠٠ طن دقيق و ٦٦ طن نخالة) يومياً ، ويـرتبط بالـزراعة واستثماراتها مشروعات مصـادر الميـاه ، ويتضـح الانجاز في مشروع تحلية مياه البحر وتوصيله الى جميع انحاء المنطقة عبر شبكة أنابيب ومحطات ضخ عبـر الجبل الشاهق ، ومشروعات التحكم في مياه الأمطار حيث تعد منطقة عسير من أعلى مناطق المملكـة من حيث معدل هطول الأمطار السنوي ، ولذلك فقد تم انشاء ٤٩ سداً تبلغ طاقتها الاستيعابية ٢٩٨ مليون متر مكعب ، وتحت التنفيذ سد وادي بيشه الذي يعد من أضخم السدود في المنطقة العربية حيث تبلغ طاقته الاستيعابية وحده حوالي ٢٨٥ مليون متر مكعب .

هـــذا الجمـــال :

تعد منطقة عسير وبخـاصـة أبهـا .. ثاني منـطقة سياحية في المملكة العربية السعودية بعد الطائف .. فضلاً عن جوها اللطيف الخلاب والذي يمتاز بغرابته حيث يقضي الانسان أيامه فوق السحاب .. فانها تمتاز بهدوئها ونظافتها وقدر من الطمأنينية التي تشجع على السياحة الأسرية ولقد تطورت مفاهيم السياحة في العـالم كله في الخمسين عـامـاً المـاضية وأصبحت صناعة متكاملة .. تبدأ من جذب السـائح وتنتهي بتوديعه عند السفر بعد أن يكون قد حجز مكاناً للعام المقبل ، هكذا تدار الصناعة بكل اغراءاتها وعناصر تحويلها وهذا هو هدفها .

عن السياحة وتطورها .. واستثمار هذا الجمال الرقيق الرائع الذي وهبته الطبيعـة للمنطقـة التقينا بابراهيم أحمد السعيد مدير ادارة التطوير السيـاحي ليقـول : « منطقـة عسير فيهـا ثـراء من المعطيـات السياحية والتاريخية والتقاليد والمعمار (والفولكلور) الخاص بالمنطقة ما يجعلها مقصداً للسـائحين ، ففي المنطقة خمسة أنماط مختلفة للبيئة . فمنطقة السهـول الشرقية تمتاز بالواحات وسلسلة جبال السروات توجد بها الغابات والقمم العالية والغدران الجارية والمناظر

الرائعة التي تطل على وديان خضراء ، والى الغرب هناك تهامة وهي غنية بوديانها ومزارعها وسكان تهامة يمثلون نمطاً غريبياً غير مألوف من حيث ملابسهم وطريقة بناء منازلهم على شكل الكوخ الأفريقي ثم منطقة السهول الساحية ، وأخيراً شواطيء عذراء على امتداد البحر الأحمر .

ويتخلل هذه البيئات انماط مختلفة للحياة الاجتماعية ، فسكان السهول لهم عاداتهم ، وسكان تهامة لهم تقاليد في البناء والزراعة . . ولهم لغة خاصة بهم هي اللغة الحِمْيَرِيّة ، وهي من اللغة العربية حيث يمثل شكل الحروف فيها شكلاً واحداً ولكن النطق هو المختلف فمثلاً سكان تهامة يستبدلون « الـ » التعريف بـ (ام) فيقولون (امسماء) بدلاً من السماء و(امبيت) بدلاً من البيت وامصحراء وامبحر بدلاً من الصحراء والبحر وهكذا ، ويختلفون أيضاً في موسيقاهم وطريقة بناء بيوتهم فايقاع الموسيقى عندهم مختلف ، الأمر الذي يجعل الجيولوجيين والانثربولوجيين يستخدمون هذه الشواهد بما فيها طريقة الملابس وشكل الزي ليربطوا بينها وبين بعض القبائل الأفريقية ليدللوا على فكرة أن الجزيرة العربية كانت جزءاً من أفريقيا قبل الانفلاق العظيم الذي نتج عنه البحر الأحمر . المهم هذه المعطيات كلها تمثل مادة طيبة لجذب السائح الى المنطقة ، وقد تم الانتباه الى أهمية تطوير المنطقة والاهتمام بالسياحة مؤخراً فتم في خلال السنوات الاثنتي عشرة الماضية انشاء مشروعات البنية الأساسية . . طرق ، مرافق ، تليفونات . . الخ و بقيت مشروعات البينة العليا الخاصة بالاستثمار السياحي فأقيم ١٢ فندقاً في أبها وخميس مشيط ، وهناك عدد آخر من الفنادق تحت الانشاء ، وجاء انشاء هذه الفنادق بعد اتجاه الحكومة الواضح نحو تنشيط السياحة ، وتنشيط الاستثمارات فيها ، ومن جهة أخرى وفي اطار مشروعات البنية العلوية قامت الحكومة بمشروع ضخم لاستغلال البيئة سياحياً ، وذلك بانشاء متنزه عسير الوطني ، وأهم أهداف هذا المشروع هو الحفاظ على البيئة وحمايتها وتنميتها سياحياً فتم تزويد المنطقة بكثير من وسائل الترفيه والترويح السياحي وبعض المشاريع المتعلقة بالاستثمار السياحي ، ويضم حزام متنزه عسير الوطني مواقع :

أ ـ السودة : غابة من أشجار العرعر وهي تبعد عن أبها ٢٣ كم متوسطها جبل (تهلل) أعلى جبال المنطقة ارتفاعاً ، يعيش فيها حيوان الوعل والنعام والجاموس الوحشي ، وبها عدد من المتنزهات ، وتتوافر بها شتى أنواع الخدمات من مياه وكهرباء ومعسكرات وأسواق تجارية و (بوفيهات) وأماكن متنوعة .

ب ـ شعف ال ويمن : وهي منطقة ممتدة على الشريط الموازي لمنطقة تهامة وتمتاز بكثافة الأشجار وجمال الطبيعة وهي تضم جبالاً شاهقة الارتفاع .

جـ ـ الجرة متنزه يرتفع عن سطح البحر ٨ آلاف قدم ويطل على منحدرات تهامة .

د ـ الحبلة ويمتاز الموقع بسهل منبسط ثم هوة سحيقة في أسفلها منازل ومزارع قرية الحبلة .

والى غير ذلك من مواقع يضمها متنزه عسير الوطني .

وقد سجل المتنزه تعاظماً كبيراً ومطرداً في عدد رواده من داخل المملكة وبعض مواطني دول الخليج . . ففي أول عام لافتتاحه بلغ عدد الرواد ٧٠ ألفا وفي العام التالي ١٥٠ ألفاً ثم ٣٠٠ ألف . . ثم مليوناً وأخيراً سجل في العام الماضي مليونين ونصف زائر .

الاستثمار الأبقي :

الظاهرة الملفتة للنظر التي لا تخطئها عين هي انتشار أبناء المملكة في أكثر من موقع من مواقع العمل المختلفة ، وفي منطقة عسير تبدو الظاهرة أكثر وضوحاً ولأن التعليم والاعداد والتأهيل . . هو الاستثمار البشري ، وهو الاستثمار الأبقى والأهم . . لأن هدف كل خطط التنمية هو تلبية حاجات البشر وتطويرهم ، وما ينفق في مجال اعداد القوى البشرية لايمكن حساب عائده نقدياً فقط ، فقد اولت المملكة رعاية خاصة ووضعت الحوافز لتشجيع التعليم والاتجاه الى قطاعاته المختلفة . ويبلغ عدد مدارس التعليم العام (ابتدائي ـ متوسط ـ ثانوي) في منطقة عسير ١٦٧٥ مدرسة للبنين والبنات يدرس بها ١٥٠ ألف طالب وطالبة ، كما يوجد ٩ معاهد علمية لتدريس العلوم الدينية و ٧ معاهد لاعداد المعلمين و١١ معهداً لاعداد المعلمات ومركز للتدريب



أحد البيوت القديمة من الداخل .. أرائك وأسرة ، وأرفف من الخوص المجدول .. والألوان من ابتكار وابداع ربة البيت .

والاعداد المهني ، كما تم انشاء فرع لجامعة الملك سعود في أبها افتتح فيه كليتا طب وتربية ، وفرع لجامعة الامام محمد بن سعود تم فيه افتتاح كلية الشريعة وأصول الدين وكلية اللغة العربية وكلية التربية للبنات . وقد بلغ عدد الطلبة والطالبات الملتحقين بالتعليم الجامعي ٥٠٠ طالب وطالبة .

وفي مركز التدريب المهني بأبها صورة مشرقة أخرى حيث يقف الشبان السعوديون ليتعلموا مهناً وأعمالاً فنية ، بعيداً عن مرض المكاتب لتحويل هؤلاء الشبان الى طاقة عمل منتجة ، وبالمركز أقسام للكهرباء والنجارة والبناء والسباكة الصحية ، والميكانيكا العامة وأساسيات الكهرباء وسمكرة السيارات والدهان والأعمال الانشائية وراديو وتلفزيون وميكانيكا سيارات ، وعندما انشيء المركز منذ ١٤ عاماً كان به ٤ مدربين سعوديين فقط ، زاد عددهم الآن ليصبح ٤٠ مدرباً .

ويضع المركز شروطاً وحوافز للالتحاق به ، ونظام الدراسة بالمركز فترتان فترة صباحية ودورات مسائية .

وبينما يشترط المركز الحصول على شهادة الصف الخامس الابتدائي لطلبة الدورات الصباحية فانه يكتفي بالاستعداد والصلاحية لطالبي الانتساب للدورات المسائية ، وبالنسبة للاثنتين فانه يشترط أيضاً اللياقة البدنية ، ويمنح المركز للمتدرب مكافأة شهرية قدرها ٦٠٠ ريال تزداد الى ٨٠٠ ريال بعد اجتياز نصف الدورة بنجاح ، كما يمنح مبلغاً قدره ٢٠٠٠ ريال عقب التخرج مباشرة ثم ٣ آلاف ريال بعد ستة أشهر من ممارسة العمل الذي تخصص فيه .

وقد بلغ عدد المتخرجين من المركز منذ افتتاحه ٣٥٠٢ طالب ، ويتدرب به حالياً ٤٠٠ متدرب موزعين على الأقسام المختلفة .

وعندما دارت الطائرة واقلعت ظلت عيناي تحملقان في الخضرة وكرات الثلج وأخذت الصورة تبعد شيئاً فشيئاً .. حتى اصطدمت عيناي بصفرة الرمال .. فأغمضتهما مختزناً في ذاكرتي البصرية صور الجبال الخضراء والسحاب الأبيض وانجازاً حققه بشر يقارب المستحيل . □

كلاب تساوى وزنها ذهبا !



كلب ضخم من سلالة سان برنارد التى تستخدم فى عمليات الاغاثة والانقاذ والاهتداء بحاسة الشم الى مواقع المفقودين تحت الركام !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

جذبت مجموعة من كلاب الشرطة المدربة انتباه عشرات الألوف من المشاهدين على ساحة ملعب كرة القدم ، وهى تقدم عرضا مثيرا ، بين شوطى مباراة أقيمت فى القاهرة بين منتخب شرطة دولة الكويت ومنتخب شرطة مصر العربية . . والحق أن هذه المجموعة من الكلاب أظهرت قدرات فائقة ادهشت الجميع ، فما هو السر الكامن وراء هذه الحاسة التى تفوقت فيها الكلاب على الانسان ومعظم انواع الحيوان ؟

تناثرت على ساحة الملعب عشرات الصناديق الصغيرة المعلقة ، والمتماثلة تماما فى الشكل والحجم والوزن ، وانطلق صوت من « الميكرفون » ليعلن أن واحدا من هذه الصناديق يحتوى على كيس صغير من « السلوفان » به مادة مخدرة ، ورغم ذلك ، فسوف يستطيع أحد الكلاب المدربة أن يهتدى الي هذا الصندوق دون غيره ، وبعد لحظات انطلق كلب نحو الصناديق ، وأخذ يشمها بأنفه واحداً تلو

الآخر ، ولم تمر ثوان معدودات حتى هجم الكلب على صندوق بعينه ، راح يعالجه بأسنانه ، وكأنما هو يريد أن يستحوذ على ما بداخله .. وبقية القصة بعد ذلك معروفة ، فلقد حقق الكلب الهدف بدقة بالغة ، خاصة بعد أن فتح أحد رجال الشرطة الصندوق ، وأخرج اللفافة منه بما حوت !

وانطلق صوت معلقنا العميد حسن حميدة قائد سلاح الخيالة وكلاب الأمن والحراسة ليتساءل : هل هذا الكلب مدمن ؟ .. والجواب : بالتأكيد نعم ، اذ لابد أن يعرف أولا رائحة المادة عن طريق شمها ، لكى يتعرف بعد ذلك على المادة ذاتها ، حتى لو كانت فى صندوق مغلق ، أو حقيبة محكمة ، أو مدفونة بجوار جدار حائط ، أو فى أي مكان آخر لا يتوقعه انسان .. فشمام الهيروين من الكلاب يتعرف على مخابىء الهيروين ، وشمام الكوكايين على الكوكايين ، والحشاش على الحشيش .. الى آخر هذه القائمة من السموم البيضاء والمخدرات !

« بصمة » كيميائية

والشىء ذاته صحيح فى تعرف الكلب على مرتكبى الجريمة ، اذ يكفى أن يشم أثرا يحمل عرق المجرم ، فيقتفى أثره ، أو يخرجه من بين مجموعة من البشر ، وكأنما هو « يقرأ هويته » !

ونحن فى هذا الوصف أو التشبيه لا نبالغ ، فلكل انسان رائحة عرق خاصة ، وهى لا تتكرر بين انسان وآخر ، حتى ولو كان ذلك بين توأمين متطابقين تماما ، فلقد تبين أن أنف الكلب المدرب يستطيع أن يفرق بينهما من رائحة عرق كليهما ، فهذه الرائحة تتوقف ـ الى حد ما ـ على ما نأكل ، وهى خليط من مركبات كيميائية مختلفة تتباين بين كل البشر ، ولهذا كان لكل انسان « بصمته » الكيميائية التى لا يشاركه فيها انسان آخر ، ولا يكتشف هذه البصمة الا أنف كلب مدرب ، وكأنما هو أداة حية « مبرمجة » بكل روائح عالمنا ، وعليها يعتمد الانسان فى اكتشاف أمور تعجز أدق الأجهزة وأكثرها حساسية عن تمييزها !

وطبيعى أن ذلك العرض الشيق الذى صفق له الناس وتعجبوا ، ليس من قبيل التسلية ، أو مشاهدة لعبة مثل كرة القدم أو ما شابه ذلك ، بل نحن فى الواقع أمام حيوانات قد تساوى أضعاف ثقلها ذهبا ، لأن ما يقدمه الكلب الواحد من خدمات وافادة للبشر أكثر بكثير مما تقدمه مجموعة من البشر لمجتمعها ، ومثال واحد قد يوضح ذلك .

وقد يثار هنا سؤال : كيف يستطيع أنف الكلب أن يستكشف وجود مادة مخدرة ، خاصة اذا كانت مغلفة فى ورق السلوفان بإحكام ، بالاضافة الى الصندوق المحكم الذى توجد اللفافة بداخله ؟

مثل هذا السؤال قد يثار كثيرا ، ولقد تحدى به رجل ألمانى يمتلك كلبا يدعى « آجاكس » أحد أساتذة الجامعات هناك ، الذى كانت له اهتمامات كبيرة ، وبحوث كثيرة عن حاسة الشم عند الحيوانات عامة ، والكلاب خاصة ، فلقد اعتقد الرجل أن كلبه يستطيع أن يقتفى أثر انسان يمشى على الأرض وهو يلبس حذاء من المطاط ، ولا شك أن مثل هذا الحذاء يمنع نفاذ أية رائحة من القدمين لتلتصق بالأرض ، ورغم ذلك فان « آجاكس » يستطيع أن يقتفى الأثر ـ ليس بواسطة رائحة العرق ، بل بحاسة أخرى غامضة لا يعرف العلم عنها شيئا .. وعليه أن يكتشفها !

لقد كان هذا التحدى موجها الى البروفيسور وولتر نويهاوس من جامعة ايرلانجن بألمانيا ، ولقد أوقعه بالفعل فى حيرة ، ودفعه ذلك الى اجراء « تحريات » علمية دقيقة ، عله يتوصل الى تقديم البرهان الدامغ الذى يدحض به مزاعم صاحب الكلب آجاكس ، أو أى كلب آخر قد تسند اليه أمثال هذه القوى الغيبية الخارقة !

كانت أولى الحقائق التى قدمها نويهاوس أن كل خطوة قدم عارية لانسان بالغ ، تترك على الأرض كمية من العرق تقدر بحوالى أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام (٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٤ر٠ جرام) .. ومع أن هذه الكمية تبدو لنا ضئيلة غاية الضآلة ، ولا أحد يستطيع اكتشافها بأية وسيلة متاحة ، الا انها مع ذلك تحتوى على ملايين الملايين من الجزئيات التى يتركها القدم العريان مع كل خطوة يخطوها ، وهذه كافية لأنف الكلب المدرب ليتتبع مسارها ، وكأنما هو « يراها » كعلامات واضحة على الطريق !

لكن . . ماذا لو لبس الانسان حذاءً من جلد أو مطاط ؟

لا شك أن ذلك سيحول دون نفاذ جزيئات العرق بحرية ، لكن ليس بالصورة التى قد ترتسم فى عقولنا ، اذ ان افرازات العرق سوف تتركز فى الحذاء ، لدرجة ان الأنف البشرية تكتشفها من داخله بسهولة ، وبالتأكيد سوف تتخلل بعض جزيئات العرق المركزة الحذاء الجلدى ، حتى تصل الى الارض ، وتترك أثرها مع كل خطوة على هيئة بلايين الجزيئات التى يناسب تركيزها أنف الكلب (وهو تركيز ضئيل للغاية على أية حال) .

ثم يذهب نويهاوس الى أبعد من ذلك ، فيبحث مسألة نفاذية تلك الجزيئات خلال طبقات من المطاط ذات أسماك مختلفة ، فوجد أنه يسمح بنفاذ جزيئات الرائحة بعد ثمانى دقائق اذا كان سمك المطاط فى حدود خمس مللمتر ، وبعد ٣٨ ساعة اذا زاد سمكه عشر مرات (أى حوالى ملليمترين) . . وطبيعى انه كلما زاد السمك ، طال الوقت ، لكن النفاذية لا بد سارية فى كل الأحوال ، لأن مكونات العرق المتجمعة والمركزة فى حذاء المطاط ، تستطيع ان تتخلل هذا الحذاء ، وتترك بصماتها على أى شيء يخطو الحذاء عليه ، وهذا يعنى انتفاء المزاعم المضللة التى تقول بأن الكلاب تمتلك حاسة غامضة تغنيها عن أنوفها الحساسة ، ولقد ثبت ذلك بالدليل العلمى الذى يوضح الغث من السمين !

ان مثالا واحدا قد يوضح لنا ذلك . . فمن ضمن المكونات الرئيسية لرائحة العرق حامض عضوى اسمه حامض البوتيريك (ويمكن ترجمته الى حامض الزبديك ، لأنه يتكون فى الزبد أو السمن المخزون) . . فالجرام الواحد من هذا الحامض يحتوى على حوالى سبعة آلاف بليون بليون جزيء ولنفرض أن الحامض يوجد فى العرق بنسبة واحد فى الألف (وطبعا يوجد بأكثر من تلك النسبة) ، ولنفرض أيضا ـ وعلى حسب تقدير نويهاوس ـ أن كل خطوة تخطوها القدم العارية تفقد أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام من العرق ، عندئذ ـ ومن خلال عملية حساب بسيطة ـ يتضح أن كل خطوة تترك على الأرض حوالى ٢٨ بليون جزيء من حامض البوتيريك وحده ، أما اذا كانت القدم محاطة بحذاء من المطاط ، فان العرق سوف يتركز فيها بمرور الأيام ، وسوف يتشبع به المطاط ، ومع ذلك دعنا نفترض أن كفاءة النفاذية هنا سوف تتضاءل الى واحد بالمائة فقط ، عندئذ سوف يترك الحذاء على الأرض مع كل خطوة حوالى ٢٨٠ مليونا من جزيئات الحامض ، ودعك من مئات أو آلاف الملايين من جزئيات مكونات العرق الأخرى التى لم نذكرها ، وهذا يوضح لنا أن الأثر يمكن تتبعه بأنف كلب مدرب على ذلك ، وبخاصة الكلاب البوليسية المنتقاة من سلالات معروفة .

شم البشر وشم الكلاب

وطبيعى أن يثار هنا سؤال آخر : ولماذا كانت حاسة الشم عند الكلاب أقوى من مثيلتها عند الانسان ؟ . . وما هى حدود هذه الحاسة ؟

إن ذلك يرجع الى عدة عوامل ، منها مساحة الرقعة التى تنتشر فيها خلايا أعصاب الشم في اعلى تجويف الأنف ، فهى فى الانسان لا تتعدى خمسة سنتيمترات مربعة ، فى حين أنها تصل فى كلب حراسة الأغنام الألمانى الى ١٥٠ سنتيمترا مربعا ـ على حسب ما يذكر دكتور ف . ب . دروشر فى كتابه الممتع « سحر الحواس » ـ ثم يضيف الى ذلك مقارنة بين عدد الخلايا الحسية الخاصة بالشم عند البشر ، وفى بعض سلالات كلاب الحراسة والشرطة ، فحيث يوجد فى أنف الانسان حوالي خمسة ملايين خلية عصبية شمية ، يوجد حوالى ١٢٥ مليونا فى الكلب من سلالة داكشند ، وحوالى ٢٢٠ مليونا فى كلب الحراسة الألمانى ، وقد يستنتج البعض ـ من خلال عملية قسمة بسيطة ـ ان حاسة الشم عند هذا الكلب أقوى منها عند الانسان بحوالى ٤٤ مرة ، لكن ذلك لا يمثل الواقع على الاطلاق ، اذ أظهرت التجارب أن حاسة الشم عند بعض سلالات الكلاب الممتازة والمدربة على اقتفاء الأثر تفوق مثيلتها فى الانسان بحوالى مليون مرة !!

ان هذه النتيجة الغريبة لا تنبع من فراغ ، ذلك أن حاسة الشم القوية عند الكلاب لا تعتمد فقط على مساحة الرقعة العصبية الشمية ، ولا على عدد خلايا

الشم ، بل تعتمد أيضا على الكيفية البيولوجية المذهلة التى تشتغل بها تلك الحاسة عند الكلاب ، خاصة اذا عرفنا أن حياتها كانت تعتمد أساسا على هذه الحاسة الفائقة قبل ظهور الانسان على هذا الكوكب بملايين السنين ، هذا بالاضافة الى حاسة السمع الحادة ، وحاسة البصر القوية ، ولقد عُوِّض الانسان عن ذلك بماهو أرقى من تلك الحواس ـ ملك العقل ليفكر به ويخطط ويدبر ، ثم يبنى ويعمر ، وينشىء حضارات لم يمتلكها أى مخلوق آخر سواه ، ولهذا فقد جاء كل مخلوق لما هو له ميسر ، اذ لو تيسرت لنا حاسة الشم القوية ، كما تيسرت للكلاب ، فربماتصبح حياتنا جحيما ، لأن أنوفنا ستكشف لنا عن أسرار كثيرة وددنا لو ظلت عنا خافية !

والواقع أن الحياة قد يسرت لكائناتها تكوينات بيولوجية مذهلة ، لتصبح لها عونا فى حياتها ، وتكون بمثابة العين التى تحدد لها معالم دنياها ، واللسان الذى تتخاطب به مع أترابها ، والأذن التى تدلها على مفردات عالمها الخفى عن حواسنا . . فقد ترى ـ على سبيل المثال ـ فراشة ضعيفة البصر ، عديمه السمع ، عاجزة عن الحديث ، لكنها مع ذلك تمتلك قرنى استشعار هما أعز ما ملكت فى دنياها ، وبهما تتجنب انقراض نوعها من سجلات الحياة !

ان الميكانيكية البيولوجية التى تشتغل بها قرون الاستشعار فى الحشرات ، لا تختلف فى الاسس عن الميكانيكية التى تشتغل بها أنوف الكلاب والحيوان والانسان ، لكن الاختلاف يكمن فى شدة الحساسية لروائح عالمنا . . خذ مثلا أنثى فراشة الامبراطور التى امتلكت غدة صغيرة تحتوى على مادة عطرية طيارة تنتشر فى الهواء ، لتجذب بها ذكورها من مسافات بعيدة . . ان وزن هذه المادة في الفراشة أقل من جزء واحد من عشرة ملايين جزء من الجرام ، ورغم ذلك تتطاير منها لعدة أيام ، وفى أحجام هائلة من الهواء ، لدرجة أن ذكر تلك الفراشة يستطيع أن يلتقط هذه الرائحة وهو على مسافة قدرت بأحد عشر كيلو مترا (فى اتجاه الريح أو النسيم الذى يستقبله من ناحية انثاه) . . ولنتصور بعد ذلك مدى التخفيف الهائل فى جزئيات العطر الجنسى على مثل هذه المسافة الكبيرة ، ومع ذلك فان الجزئيات القليلة الواصلة الى قرنى استشعار الذكور تشتغل بدرجات أتقن ، وكفاءة أعظم من كفاءة أنوف الكلاب ـ ربما بعشرات أو مئات الالوف من المرات ، ودعك من أنوف البشر ، ! فلا وجه للمقارنة لأنها فى حدودها الأدنى .

عود على بدء

لكن مما لا شك فيه أن المجال الذى تعمل فيه انوف الكلاب أوسع وأشمل ، لأن مفردات لغة عالمها أعم وأضخم ، اذ لو استطاع الكلب أن يتحدث ، لما تردد فى الافصاح عن معجزة الخلق التى يتمتع بها دون سواه من المخلوقات ، وعندئذ قد يعبر عنها بقوله : فى مقدورى ان أحدد وأتعرف على أنواع من الروائح بقدر ما يحتوى هذاالكوكب من بشر وحيوانات ـ بما فى ذلك كل أفراد سلالتى ونوعى ، فكما أن لكل انسان منكم « مفردات » رائحة لا تتكرر بين فرد وآخر ، كذلك يكون كل فرد فى كل نوع من عشرات الألوف من أنواع الحيوانات . . انها محصلة ضخمة تساوى ملايين ، فكما يتعرف الانسان منكم على انسان آخر رآه أو سمعه ، فتنطبع له فى الذاكرة صورة مرئية وصوتية ، وبحيث يستطيع الرجوع اليها كلما ظهر هذا الشخص على مسرح الأحداث ، كذلك أستطيع أن أرسم لكل كائن حى « صورة شمية » وكأننى أرى بها تقاطيعه الدقيقة ، وبمقارنة ما احتفظ به فى ذاكرتى مع الرائحة الأصلية ، أستطيع أن أستدل عليه ولو كان فى بروج مشيدة !

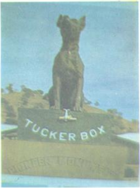
وهذا صحيح ، فكل التجارب والأحداث تؤكد ذلك . . يكفى مثلا أن تراقب كلبا أثناء نومه ، تجده أحيانا يحرك أذنيه ، أو يهز ذيله ، أو يرتعش بجسده ، أو قد يستيقظ بمجرد أن يمر صاحبه من مسافة عدة أمتار ، فلقد حملت النسمات لأنفه رائحة سيده ، أو قد ينطلق نحوه مسرعا كى يستقبله بحفاوة لا رياء فيها ولا نفاق !

ومنذ فجر التاريخ ، كان الكلب دائما حارسا أمينا ، وتابعا أليفا ، وحيوانا مطيعا ، وصديقا يفتدى صاحبه بعمره ، فيهجم على عدوه ، وقد يدفع حياته ثمنا لسيده حتى ولو كان السيد غير كريم مع كلبه . . ولهذا فإن أكثر المواقف الرائعة التى قدمتها الكلاب ـ مواقف قد يصعب على العقل أحيانا تصديقها ، خاصة وأنها صادرة من حيوان ، وليس عيبا أن يلقن

الحيوان بعض المبادىء الطيبة للانسان ، فما أكثر عيوب سيد المخلوقات .. من أجل هذا ضرب بالكلب المثل فى الوفاء والاخلاص والأمانة ، وتكفينا مثلا قصة كلب أهل الكهف الذى ظل حارسا لهم دون كلل أو ملل ، ثم ما أجمل هذا التعبير الذى ورد فى أحد النصوص الانجليزية فى شأن الكلب « انه يقف بجوار صاحبه فى الغنى والفقر .. فى الصحة والمرض .. انه يُقَبِّل اليد التى لا تملك طعاما تقدمه اليه ، وعندما يهجره كل الأصدقاء ، لا يفعل الكلب ذلك ، بل يبقى على وفائه » .

انجازات عظيمة .. وملكات فريدة

ولا شك أن هذا الاخلاص العظيم ، والولاء الشديد ، قد ساعد على تهيئة الكلب لا طاعة تدريبات الانسان ، ويبدو أن له ذاكرة عظيمة ، لأنه يستطيع التمييز بين أمور كثيرة ، ولقد اهتدى الانسان الى بعض المميزات التى تسود بها سلالات من الكلاب على سلالات أخرى ، ومن هنا بدأت عمليات تهجين واسعة ، تتبعها عمليات اختيار دقيقة لبعض الصفات المرغوبة ، فكانت هناك كلاب الحراسة ، وكلاب الشرطة ، والسباق ، والصيد ، والتدليل والحرب .. الخ .. الخ (شكل ١) وطبيعى أن تكون كلاب الشرطة من ذلك النوع الذى يتميز بحاسة شم فائقة ، فمنها من يستطيع أن يعرف ان كان صاحبه سيتوجه به الى شاطىء البحر ، أو أنه يسير به فى الاتجاه المضاد ، وهو يدرك ذلك دون أن تكون بينهما وسيلة تخاطب مباشرة ، فحاسة الكلب نحو رائحة البحر لا تخطىء ، والغريب انه يستطيع أن يتعرف على الماء المالح من العذب برائحة الشم (وليس بالتذوق - كما هو الحال عندنا) .. ففى هذا الصدد تذكر دائرة معارف « العلم والتكنولوجيا - العالم من حولنا » أن الكلب يستطيع ان يشم الملح فى وعاء أذيبت فيه ملعقة ملح صغيرة فى خمسين لترا من الماء ! (حوالى صفيحتين ونصف) ، أو أنه يستدل على رائحة الخل اذا أذيبت منه ملعقة صغيرة فى خمسة آلاف لتر من الماء ! .. وبمقدوره أيضا أن يفرق بين العطور الطبيعية والتقليدية مهما بلغت دقة التقليد .. فالناس مثلا لا تستطيع أن تتعرف على المسك الطبيعى



لقد اقيمت لبعض الكلاب التماثيل ، تخليدا للذكرى ، أو اعترافا بالجميل ، أو تقديرا لخدمات جليلة .. وهذا تمثال واحد منها ، فما قصتها ؟ .. راجع المقال .

من أعظم الخدمات التى تقدمها كلاب الشرطة فى مصر خاصة ، وبعض البلاد العربية عامة ، هو الكشف عن مخابىء المخدرات وأوكارها ، أو تلك التى يحاول المهربون ادخالها عن طريق المواني والمطارات ، ولا شك أن عملية الكشف عويصة فيما لو اسندت لرجال الشرطة ، لأن المهربين يقومون بحيل ذكية ، وخدع متقنة ، مما قد يستلزم جهدا كبيرا ، ووقتا عصيبا ، وقد لا تخرج الشرطة أحيانا بنتيجة تذكر .

خدمات مشكورة

وللكلاب بعد ذلك مجالات أخرى غير بوليسية ، من ذلك مثلا أنها تستخدم فى كل من هولندا والدنمارك لكشف أى تسرب لغازات الاحتراق من الأنابيب المدفونة تحت الأرض ، وعلى أعماق قد

تصل أحيانا الى عدة أمتار ، ورغم ذلك فلديها القدرة على الاحساس بأى خطأ فى أداء تلك الأنابيب ، وعندئذ يقف الكلب فوق موقع التسرب ، ويبدأ فى النباح ، لينذر المسئولين بالخطر ، أو قد يتوجه اليهم حيث كانوا ، والواقع ان مثل هذه الكلاب المدربة تستطيع أن تكشف مالا تستطيع أدق الأجهزة اكتشافه .

وفى الكتاب السنوى « العمل والمستقبل » (١٩٨٥) يجيء ذكر تدريب سلالة من الكلاب الألمانية على الكشف عن خامات بعض المعادن المدفونة فى باطن الأرض ، ولقد حققت فى ذلك نجاحا مرموقا ـ على حسب ما يذكر البحث الذى نشره د . بروكس من جامعة ميسى بنيوزيلاند !

وفى المسح الجيولجى الذى تقوم به فنلندا بحثا عن ثرواتها المدفونة ، يستعين آرنوكاما بأخذ الكلاب الألمانية المدربة في تحديد مواقع خامات كبريتيدات المعادن ، ونظرا لنجاح هذه الفكرة ، فقد اقتبستها كل من كندا والسويد في البحث عن بعض الثروات .

وتستخدم بعض الكلاب الضخمة من سلالة سان برنارد فى عمليات الاسعاف والانقاذ فى الكوارث الطبيعية (شكل ٢) ، كأن يحدث انهيار ثلجى يؤدى الى دفن بعض الأحياء ، فيتقدم الكلب المدرب ليشم الثلوج بأنفه ، ويحدد بسرعة وكفاءة مكان الضحية ، ويقال أن كلبا واحدا يدعى « بارى » قد تمكن من انقاذ خمسين شخصا دفنوا تحت الثلوج .

ولا أحد ينسى ـ بطبيعة الحال ـ الكلاب التى يربيها الأفراد لحمايتهم ، فبقدر ألفة الكلب ورقته مع صاحبه ، بقدر ما ينقلب الى وحش كاسر اذا هاجمه أحد ، أضف الى ذلك روعة مظهر كلب وهو يصطحب ضريرا ، فيرشده سواء السبيل ، أو يعبر به الطريق ، أو يصطحبه الى ناديه أو منزله دون تبرم أو ضيق . . وغنى عن الذكر طبعا كلاب الصيد والحراسة الليلية وكلاب الرعاة والبدو الرحل وكلاب الاسكيمو التي سخروها لجر زحافاتهم على الثلوج ، كما شاركت هذه الكلاب في مساعدة المستكشفين الأوائل (وما زالت) على التوغل فى ثلوج القطبين . . . الى آخر هذه الخدمات التى تؤديها الكلاب عن طيب خاطر ، ودون أن يظهر عليها التمرد أوالتأنف أوالعصيان ، بل نراها دائماً تهز ذيولها لأصحابها ، علاة على تأكيد ودها وحبها وطاعتها وولائها !

وأخيرا . . فلقد بدأنا دراستنا هذه بوضع صورة تمثال كلب تخليدا لذاكره ، وحان الآن الافصاح عن مناسبة تلك الذكرى التى نقشت قصتها على لوحة مثبتة بالتمثال المقام فوق قبر الكلب ، وعليها يجيء « تقديرا لبوبى » ـ حبا واخلاصا . . ففى عام ١٨٥٨ سار هذا الكلب وراء جثمان سيده الذى وورى الثرى ، ثم ظل الى جوار قبره دون أن يبرح هذه الساحة ، الى أن مات هنا عام ١٨٧٢ ـ لقد اقيم هذا التمثال باذن خاص من البارونة بيردت كوتس » . . ولا يزال هذا التمثال موجودا حتى الآن أمام مقابر قرية جريفرايرز بجوار ادنبرة عاصمة اسكتلندا .

وربما كان بوبى المخلص يعتقد أن صاحبه سوف يعود ، لكن أن ينتظره طيلة ١٤ عاما ، حتى قضى نحبه بجواره ، فهذا ما قد يصعب تصديقه . . ومما يؤيد هذا التفسير ، أن القصة ذاتها حدثت فى اليابان ، فلقد اعتاد كلب أن يصحب سيده استاذ الجامعة فى الصباح الى محطة القطار ، ثم ينتظره فيها حتى عودته آخر النهار ، لكن الأستاذ مات فى حادثة ، ولم يعد طبعا بالقطار ، فظل الكلب قابعاً فى المحطة ، لعل سيده يعود ، حتى مات بعد سنين عدة ، وأقيم له هناك تمثال دليلا على وفاء الكلاب ، وفى باريس تمثال آخر . . وربما هناك تماثيل أخرى ، وهى ـ على أية حال ـ لفتة طيبة من الانسان ، تجاه الكلاب التي تساوي وزنها ذهباً . □

■ ابحث أنت عن المعرفة . . . فالمعرفة لا تبحث عن أحد !

(أناتول فرانس)

انتصارات جديدة في معارك الطب من أجل الحياة

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

في هذا العقد الراهن يشهد عالم الطب حقبة زمنية متميزة ، يبدو انها بلغت من الخصب والانجاز والتطور درجات فاقت حدود الخيال ، حتى ليكاد يكون من الصعوبة بمكان ملاحقة خطواتها الحثيثة ، . . انها حقبة المكتشفات الحديثة التي غيرت وجه الطب ، وبدلت الكثير من مفاهيمه ووسائله .

جهود مضنية واموال طائلة تبذل هذه الأيام في سبيل تطوير العديد من الأجهزة المستخدمة في تشخيص الامراض وفي الكشف عن مسبباتها ، وتسير هذه الجهود بصورة خاصة باتجاه البحث عن وسائل للتشخيص تتميز بالسرعة والدقة والوضوح ، كما تتميز بانها لا تسبب للمريض او المشتبه في مرضه اي ازعاج او الم .

وعلى جبهات اخرى تبذل جهود موازية لايجاد انواع جديدة من اللقاحات تستخلص من خلايا خميرية Yeast بعد اخضاعها للتكنولوجيا الوراثية . . الى جانب دراسات اخرى دؤوبة حققت وما تزال تحقق نجاحات متوالية في مجال القياس الخلوي Cytometry الذي يهدف الى فصل الخلايا البشرية المريضة او المصابة ، وعزلها عن آلاف الخلايا السليمة في غضون ثوان معدودة . ثم يأتي موضوع القلوب الاصطناعية وزراعتها في جسم المريض . . وموضوع اطفال الانابيب . الى غير ذلك من المجالات الطبية المختلفة .

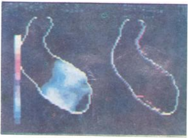
وعلى الرغم من ان الكثير من الأجهزة المتطورة ومن وسائل الكشف الحديثة قد تم طرحها

للاستخدام الفعلي خلال السنوات القليلة الماضية ، الا ان تاريخا طويلا ومضنيا من الدرس والبحث والتجريب ، ومن السير في ارض شديدة الوعورة قد سبق التوصل الى هذه الأجهزة التي كان من حسن حظ جيلنا ان ينعم بها في مضمار الحفاظ على صحته ، وتأمينها من شرور المرض واخطاره .

ولنأت الان الى شيء من الوصف والتفصيل لما سبق ايجازه واجماله عن هذه الآفاق الجديدة ، والانجازات الباهرة في عالم الطب .

النظر الى الدماغ :

على الرغم من توافر العديد من طرق الكشف التي تستخدم في تشخيص مختلف الأمراض التي تصيب الدماغ من التهابات او اورام او نزوف ، الا ان اكثرها يتصف بالقصور عن اداء المهمة المثالية ، ونقصد بالمهمة المثالية ، التشخيص الدقيق السريع الخالي من الاخطار والاخطاء الذي لا يسبب للمريض مزيدا من المعاناة والألم . . ولعل هذه الامور التي عجزت وسائل التشخيص الحالية عن تحقيقها في مجال الأمراض العصبية هي ما حدا بالاوساط الطبية ان ترحب بتفاؤل كبير بالجهاز التشخيصي الجديد الذي طرح للاستخدام في العديد من المشافي المتقدمة . . والذي يعتمد في عمله على الموجات المغناطيسية ، وقد اطلق على هذا الجهاز اختصارا رمز « MRI » .

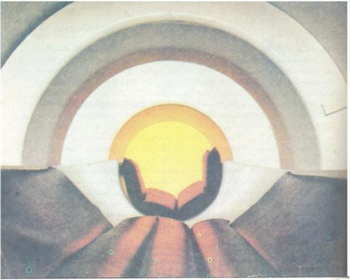


صور للقلب بواسطة الكاميرا غاما

اما طريقة استخدام هذا الجهاز في الكشف فتتم بأن يستلقي المريض داخل اسطوانة طويلة على شكل نفق ثم يحاط بمجال مغناطيسي ذي قوة كبيرة ، ثم تمرر عبر هذا النفق الممغنط ذبذبات او نبضات خاصة تشبه الى حد ما موجات الراديو . . وعندما تصطدم هذه الذبذبات بالجزئيات والذرات المكونة لجسم الانسان تحدث فيها نوعا من التبدل البسيط في الطاقة الكامنة يؤدي الى تحرر جزء منها ، ويُمكّن بالتالي من التقاطها وتسجيلها بواسطة الكمبيوتر . . ثم يكمل الكمبيوتر العملية بأن يحصل على تسجيلات متتابعة ، ثم يؤلف بينها ليعطي صورة مفصلة وواضحة للمنطقة المطلوب دراستها وتصويرها ، ونستطيع بوساطة هذا الجهاز ان نحصل على صور لأي عضو من اعضاء الجسم تقريبا ، بل اكثر من ذلك نستطيع الحصول على صور غاية في الوضوح لشرائح او مقاطع غاية في الدقة من العضو المراد تصويره . . واستعير هنا وصف احد الاطباء في مركز « ألبرت اينشتاين » الطبي في فيلادلفيا للجهاز حين قال عنه : « انه يستطيع الدخول الى عمق الدماغ ليقطعه الى شرائح رقيقة من الأعلى الى الاسفل . . كما لو كنت تقطع شرائح من الخبز » .

ان جهاز التصوير المغناطيسي « MRI » هذا هو من أحدث الابتكارات التقنية في مجال التشخيص الشعاعي . . ومن ابرز ميزات هذا الجهاز انه يمكن الاطباء من النظر الى داخل الجسم ، والرؤية والفحص لكثير من الاعضاء التي لم تكن رؤيتها ممكنة من قبل دون الاستعانة بمشرط الجراح . . ومن المدهش حقا ان هذا الجهاز يمكننا من رؤية تفاصيل تعجز اعيننا المجردة عن رؤيتها وتمييزها حتى بعد اخضاع المريض للعمل الجراحي .

وعلى الرغم من ان هذا الجهاز يمكن استخدامه ـ من الناحية النظرية ـ في تصوير اي عضو من اعضاء الجسم الا ان اغلب الدراسات الان منصبة على استخدامه في مجال تشخيص امراض الدماغ والنخاع الشوكي . . ولقد اصبح من الممكن الان بفضل هذا الجهاز ، وبدرجة متناهية من الدقة ، تشخيص امراض مزمنة تؤدي الى تآكل او « ذوبان » بعض اجزاء من الجهاز العصبي ، وهي ما تعرف بالامراض الاستحالية Degenerative ومثالها مرض



اسطوانة جهاز الـ MRI

التصلب العديد .M.S وهو من الأمراض كثيرة الانتشار في معظم بلدان العالم ، وكان من الصعب تأكيد تشخيصه قبل مرور سنوات عدة على الاصابة به .. كما اصبح من الممكن تشخيص الامراض العصبية الناجمة عن الأورام ولاسيما في مراحلها البدئية الباكرة ، اضافة الى النزوف والى انواع اخرى من الالتهابات ، ومن المؤكد ان هذا الجهاز سيحدث تبديلا جوهريا في كثير من المفاهيم الطبية السائدة ، كما انه سيطرح اسلوبا جديدا في العلاج لم يكن متاحا من قبل .

جراحة بدون مشرط !

ومن المألوف حتى يومنا هذا ان تتبادر الى اذهاننا صورة المشرط والدم كلما ذكرت كلمة جراحة او جراح .. ولكن يبدو ان العصر الذي نعيشه سيصيب هذه العلاقة ذات التاريخ الطويل بقدر غير قليل من التغير . صحيح ان المشرط سيظل الاداة التي لا غنى عنها في بعض العمليات ولبعض الاغراض ، ولكنه لن يكون ابدا الاداة الوحيدة في العديد من العمليات الأخرى وربما الدقيقة والخطيرة منها ، فحتى وقت قريب جدا كان لا مناص للمتخصصين في الجراحة العصبية ان يقوموا بفتح جمجمة الشخص المصاب اذا ارادوا اجراء عملية جراحية ما .. حتى ولو كانت العملية صغيرة او بسيطة نسبيا كاجراء عملية لإزالة خثرات من الدم متجمعة داخل الجمجمة ، او لاخذ عينة صغيرة من نسيج الدماغ لفحصها تحت المجهر ومعرفة نوع الآفة فيها ، او لاخراج تجمع قيحي من داخل الجمجمة في حال الاصابة « بخراج » دماغي ..

وعلى الرغم من ان هذه العمليات تصنف عادة في

زمرة العمليات الصغيرة او اليسيرة من الناحية العلمية الا انها كثيرا ما كانت تعرض المريض لكثير من المضاعفات التي تعقب العمل الجراحي وتضطره للبقاء اياما طويلة في المستشفى للتعافي من تلك العواقب .

أما الآن فيبدو ان الصورة آخذة في التبدل ، فلقد اصبح في مقدور الطبيب ، استخدام جهاز ليكسل (Leksell) المجسم ، لتحديد مكان الآفة بدقة متناهية ثم يقوم بعد ذلك بادخال قضيب معدني غاية في الدقة (لا يتجاوز قطره ٢ مليمتر) الى مكان الآفة دون الحاجة الى فتح الجمجمة . . وخلال هذا القضيب او الانبوب الرفيع يتم سحب الدم المتخثر او القيح المتجمع ، ويتم اخذ « العينة » المطلوبة من نسيج الدماغ لفحصها وتشخيص العلة فيها . . كل ذلك والمريض في كامل وعيه وتحت التخدير الموضعي البسيط ! ويسبق اجراء هذه العملية على النحو المذكور اخضاع المريض لتصوير قطعي بواسطة الكمبيوتر لتحديد مكان الآفة ثم يأتي جهاز « ليكسل » المجسم ليوجه القضيب المعدني الرفيع حسب زاوية وعمق محسوبين بدقة متناهية .

نافذة على القلب :

وبالرغم من تنوع الوسائل المستخدمة في تشخيص امراض القلب من تخطيط كهربي له ، الى تسجيل وتحليل لأصواته ، ومن استعانة بالتصوير الشعاعي الى استخدام للموجات فوق الصوتية لدراسة اجوافه وصماماته ، الا انني لا اجد وصفا لوسيلة التشخيص الجديدة ادق من ان اقول انها الوسيلة التي فتحت (نافذة على القلب) . . هذه الوسيلة المعجزة التي اصبح لها دورها الكبير ومجالها الواسع في تشخيص امراض القلب وعلله المختلفة . . واعني بهذه الوسيلة كاميرا (الغاما - GAMMA) باستخداماتها المتعددة . . اذ اصبح من الممكن بفضل هذه الكاميرا التقاط صور للقلب اثناء حركته ونبضه . . وهذه الصور يتم التقاطها في حالات القلب المختلفة سواء كان يعمل في ظروف فسيولوجية طبيعية أو كان في حالة من فرط النشاط والفاعلية ابان ممارسة نوع من الرياضة او الجهد العضلي . . وبذلك يمكن تقييم كفاءة عمل القلب وقدرته على مواجهة درجات متفاوتة من الاجهاد . . ويتم عمل هذه الكاميرا بان توجه الى جهة القلب ثم يحقن المريض داخل احد عروق ذراعه بمادة لها قدرة على اطلاق موجات خاصة تسمى موجات (غاما) . وعندما تصل هذه المادة المشعة الى القلب عن طريق الدم تقوم الكاميرا بالتقاط موجات غاما الصادرة عن تلك المادة المشعة أثناء مرورها باجواف القلب المختلفة ، كما تقوم بخزنها وتسجيلها على شريط مغناطيسي خاص يتم تحليله في خطوة تالية بواسطة الكمبيوتر ، ثم تأتي المرحلة الأخيرة حيث يقوم الكمبيوتر بتحويل هذه المعلومات المسجلة على الشريط المغناطيسي الى صور ملونة ومتحركة ترتسم على شاشة الجهاز . . صور تبدو في غاية الوضوح حتى لكأننا ننظر الى القلب بالفعل من خلال نافذة مفتوحة . ومع ما تمتاز به هذه الوسيلة التشخيصية من دقة ووضوح تجدر الاشارة الى السرعة التي تتم بها مثل هذه الدراسة ، حتى ان بعض المستشفيات تجريها دون ان تكون هنالك حاجة لدخول المريض الى المستشفى ، حيث تتم والمريض مايزال في عيادة المراجعة الخارجية . . كما ان كاميرا الغاما هذه قد اغنت الطبيب في كثير من الحالات عن اللجوء الى استخدام قسطرة أجواف القلب ، هذا الاجراء التشخيصي الذي يحمل معه درجة ما من الخطورة وان كانت ضئيلة .

تفجيرات مجهرية داخل العين :

وكثيرة هي الأمراض التي تصيب العين والتي لا غنى فيها عن التدخل الجراحي بغية علاجها او الحيلولة دون تطورها واستفحالها . . . ومن هذه الامراض ما يصيب عدسة العين او بلورتها (Lense) ويؤدي الى فقدانها لشفافيتها ولقدرتها على امرار الضوء من خلالها ، وهذا ما يعرف طبيا بالساد (Cataract) او ما يسميه عامة الناس « بالماء الابيض » . . وغالبا ما يكون العمل الجراحي هو العلاج الناجع لهذه الحالة ، اذ يعمد مختص العيون الى ازالة هذه العدسة المريضة المتكلفة على ان يستعيض المريض عن عدستة هذه بنظارات طبية مناسبة . . الى هنا والمشكلة محلولة والخطب هين

يسير .. ولكن الذي يحدث في بعض الاحيان ان يتكون ما يسمى طبيا بالساد الثانوي حيث تتكون كثافة ثانية مكان العدسة المزالة جراحيا من مادة وطبيعة مختلفة عن « الساد » الاصلي .. وهذه الكثافة تحرم المريض من الرؤية كما لو كان لم يخضع لاي علاج سابق ، وكان الحل امام تلك الحالات الثانوية يتمثل في مزيد من العمليات ومزيد من الازعاج .. اما الان فالصورة مختلفة تماما . فمع ان الطب مايزال عاجزا ـ حتى يومنا هذا على الاقل ـ عن منع حدوث الساد الثانوي عقب العملية الجراحية الأولى .. الا ان علاج هذا الساد اصبح سهلا ومضمونا وسريعا ولا يتطلب اكثر من زيارة لمختص العيون في عيادته ـ فقد اصبح بالامكان استخدام اشعة الليزر في العلاج . حيث يقوم الطبيب بتوجيه حزمة من هذه الاشعة عبر جهاز يسمى (Yag) الى العين المصابة بالساد الثانوي ، وهذه الاشعة تعمل على احداث ما يمكن تشبيهه « بتفجيرات » موضعية غاية في الضآلة في عين المصاب يستغرق حدوثها اجزاء من الثانية وتؤدي الى احداث ثقوب وفجوات صغيرة ضمن تلك المادة المتكثفة ينفذ منها الضوء ويعود معها البصر .. وهذا كله يتم دون جراحة ، ودون مشقة ودون التعرض لخطر الالتهابات وما يصاحبه من اخطار .

ولا يقتصر استخدام اشعة الليزر على علاج مرض « الساد » وحده وانما تستخدم ايضا في علاج مرض الجلوكوما ـ هذا المرض الذي ينجم عن ارتفاع الضغط داخل العين والذي قد يتطلب تدخلا جراحيا بقصد احداث شق صغير في قزحية العين لتخفيف الضغط عنها ، وقد امكن الاستعاضة عن الجراحة بالاعتماد على الليزر في احداث ثقوب صغيرة في قزحية العين تحقق الشفاء وتقي من الاختلاطات ، ولا تفوتنا الاشارة الى الاستخدامات المتعددة لاشعة الليزر في علاج امراض شبكية العين وفي مجالات اخرى عديدة .

الكشف عن اسرار الخلايا :

نعلم جميعا ان اجسامنا مكونة من اعداد لا تحصى من الخلايا التي تتنوع في اشكالها وصفاتها ووظائفها وتركيبها .. وطالما ان تلك الخلايا هي اللبنات التي تشاد منها اجسامنا فهي اذن المسئولة عن صحة تنعم بها او عن مرض نعاني منه ، وما صحة الجسم الا من صحة الخلية وما مرضه الا من مرضها ، ومن هنا يبدو منطقيا لنا ونحن نسعى لكشف سر اي مرض او علة ان توجه انظارنا ناحية تلك اللبنات الصغيرة والاساسية التي نسميها خلايا .. وبتعبير آخر ينبغي أن نركز انتباهنا على المستوى الخلوي في سياق دراستنا لاي مرض وفي سياق سعينا لايجاد العلاج الناجع له ..

واعتمادا على هذه الحقيقة اصبح الاهتمام في الآونة الاخيرة منصبا على دراسة الخلايا ذاتها في اطار دراسة المرض بشكله الظاهري والسريري ، وقد قوي هذا الاتجاه وازداد وضوحا بعد ان تم تطوير جهاز خاص يمكننا من اجراء عملية مسح او « جرد » سريعة لاعداد كبيرة من الخلايا بغية انتقاء الخلايا المعطوبة التي هي مقصد البحث والدراسة ومن ثم فصلها ودراستها بمفردها ، ومقارنتها باخواتها من الخلايا السليمة ، ومعرفة اصل العلة ، ومن ثم العمل على ايجاد الوسيلة الناجعة لعلاج تلك العلة . ومن هنا نكون قد اهتدينا الى وسيلة لعلاج المرض ككل ، هذا الجهاز الذي اعنيه والذي يقوم بمهمة فصل الخلايا المريضة وتمييزها عن سواها هو جهاز القياس الخلوي الذي يستطيع خلال ثوان معدودة فصل الخلية المطلوبة وعزلها عن آلاف الخلايا المحيطة بها ، وتتم العملية بكل مراحلها في زمن قصير جدا لا يزيد عن ثوان معدودة ، ولجهاز القياس الخلوي هذا استخدامات اخرى ، اذ يمكن بواسطته اجراء التعداد اللازم لنوع معين من الخلايا او قياس تركيز مادة كيميائية معينة كحمض الـ D.N.A داخل الخلية ، وللاستخدامين السابقين اهمية كبيرة في الدراسات الخلوية عموما .

لا احد في عصرنا الحاضر يجهل اهمية اللقاحات في عالم الطب او ينكر دورها العظيم في تاريخ الانسانية ، فقد استطاع الطب بفضل هذه اللقاحات ان يجعل العديد من الأمراض اثرا بعد عين ، كما استطاع ان يجعل امراضا اخرى تحت السيطرة التامة ، ولقد كانت الفكرة في هذه اللقاحات ـ وما تزال ـ قائمة على مبدأ حقن الجسم بالفيروسات او الجراثيم المسببة للامراض ، بعد ان يتم قتلها او اضعافها وتجريدها

من فاعليتها الناقلة للمرض فعندما تدخل هذه الجراثيم او الفيروسات ، ميتة كانت ام ضعيفة ، جسم الانسان تتولد فيه مواد كيماوية تسمى بـ « الأجسام المضادة » اعتمادا على ان هذه الجراثيم اجسام غريبة غازية تستفز الجسم لمقاومتها بوسائل دفاعه ، وهذا « الاستنفار العام » يظهر بتشكيل تلك الاجسام المضادة التي تتصدى للغازي فتحاصره وتحبط عدوانه ، وتبقى هذه الاجسام المضادة مخزونة في جسم الانسان لفترات طويلة من الزمن قد تصل الى سنوات عدة ، وهنا يكون مثلها كمثل « الدورية » من الشرطة المسئولة عن حماية « الامن » واستتبابه ، حتى اذا ما تعرض الجسم لهجمة شرسة من الجرثوم او الفيروس المعني كانت تلك الاجسام المضادة واقفة على اهبة الاستعداد لمقاومته ودرء خطره .

ولقد كانت عملية تحضير اللقاح نفسه ، واعني بها عملية قتل تلك الفيروسات والجراثيم او اضعافها عملية شاقة تستغرق وقتا طويلا وجهدا مضنيا ، ويبدو ان الوقت قد حان لتجاوز هذا الاسلوب التقليدي في تحضير اللقاح الى اسلوب جديد متطور سيحدث ثورة عظيمة في هذا المجال ، وهذا الاسلوب لم يعد في حيز الخيال او التمني بل لقد اصبح واقعا يوشك ان يخرج الى مجال التطبيق والانتاج في كثير من المخابر المتخصصة التي تنتظر موافقة الجهات الرسمية ليكون حقيقة قائمة .

والطريقة الجديدة التي نتحدث عنها تعتمد على مبدأ الهندسة الوراثية وتقوم على فكرة انه بدلا من ان ندخل الجرثوم او الفيروس بأكمله الى جسم الانسان لتشكيل الاجسام المضادة له فاننا نستطيع الاكتفاء بأن نحقن الجسم « بأجزاء » من ذلك الجرثوم فقط .. كالحقن بغلاف الجرثوم الخارجي او « بقطعة » منه مثلا ، وهذا الحقن « الجزئي » يؤدي ذات الغرض الذي يؤديه حقن الجرثوم بكامله ، ويقوم بنفس الاثر في تكوين المناعة المطلوبة ، ولكن اهمية هذا الامر تكمن في اننا حين نقوم بحقن الجسم بالجرثوم الكامل فنحن نحقنه بعامل حي .. وبالرغم من اننا نكون قد قمنا باضعاف ذلك الجرثوم الا ان احتمال ان يسترد عافيته وقوته بعد ادخاله الى الجسم يظل احتمالا واردا ـ ولو بنسبة ضئيلة جدا ـ فنكون قد اسأنا من حيث نريد ان نحسن ، ونكون قد امرضنا من حيث نريد ان نحصن ضد المرض ، وهذا في حد ذاته كارثة كبرى ، اما الطريقة الجديدة التي تعتمد على حقن « جزء » من الجرثوم فقط فهي طريقة مضمونة ومأمونة العواقب . ولشرح كيفية تحضير هذا « الجزء » من الجرثوم او الفيروس نقول ان الجهة المسئولة عن انتاجه وتركيبه هي الجينات الوراثية الموجودة في حمض الـ D.N.A. داخل الجرثوم ، فاذا استطعنا معرفة تلك الجينات الوراثية واستخلاصها من حمض الـ D.N.A. امكننا حينئذ تركيب المطلوب من الجرثوم الذي سنستخدمه في اللقاح . وهذا ما امكن التوصل اليه فعلا ، فقد احضر الفيروس المسئول عن التهاب الكبد وفصلت منه الجينات التي تنسج غلافه الخارجي فقط ثم دمجت تلك الجينات الوراثية مع خلايا خميرية معينة ، وسمح لتلك الخلايا بالتكاثر ، فكانت النتيجة ان اصبحت الخلايا الخميرية قادرة على انتاج اغلفة الفيروس اللازمة ، وبهذا نكون قد اصبحنا قادرين على زراعة هذه الاغلفة الفيروسية وبالمقادير التي نريد ، واصبح في مقدورنا ان نتصدى لمرض التهاب الكبد الواسع الانتشار بتحصين الجسم ضده منذ البداية بهذه الاغلفة الفيروسية .

وهكذا فقد وضعت الهندسة الوراثية في ايدينا مفتاحا سحريا لتحضير العديد من اللقاحات لامراض كثيرة ، لقاحات تتميز بالسلامة وتخلو من اي خطر محتمل .

هذه الامثلة ومضات ساطعة في عالم الطب ، فمعظمها قد استكمل مراحل التجربة والاختبار ليدخل مجال الخدمة العملية ، وبعضها يتهيأ لهذه الخطوة الرائدة ، ولابد ان المواطن العربي قد رأى بعضا منها ، ومن هنا كانت اهمية اطلاعه على تفاصيلها فلعل هذه المعرفة تكون حافزا لاجيال شبابنا ومثقفينا لاشعال ومضات اخرى على الطريق .. □

■ ان الجيوش والأساطيل تنتصر في معظم الأحيان ، ولكن نصرها لا يدوم طويلا (ابراهام لنكولن) .

وجها لوجه



الدكتور المهدي المنجرة و علاء الدين محسن

* إما الوحدة وإما الشتات ، بحيث لا يظل ثمة وطن عربي !
* نحن ننتج مالا نستهلك ، ونستهلك ما لاننتج .
* لا مصداقية للممارسة السياسية في الوطن العربي في ظل غياب الديموقراطية والتربية السياسية والثقة بالنفس .
* الديمقراطية في الوطن العربي ستحققها الثورة الفكرية ، وليس الانقلابات وثورات الشارع !
* الانسان هو الثروة التي لا تنضب ، فلماذا لا نتجه لاستثماره ؟

الدكتور المهدي المنجرة أحد أبرز الأسماء في مجال الدراسات المستقبلية ، ليس على الصعيد العربي فقط ، بل على الصعيد العالمي أيضا ، فهو رئيس اتحاد دراسات العالم المستقبلية ، وعضو في العديد من الهيئات والنوادي العالمية المعنية بالأبحاث المستقبلية ، اضافة الى عضويته في أكاديمية المملكة المغربية ، وقد صدرت له العديد من البحوث والدراسات في مجال تخصصه .

واذا كان اسمه غير معروف جيدا في المحيط العربي خارج بلده المغرب ، فلأن مجال تخصصه « الدراسات المستقبلية » مازال هو الآخر شبه مجهول ومهمش عربيا . عنه وعن الدراسات المستقبلية ، والمستقبل العربي ، والنموذج التنموي العربي يدور هذا الحوار . أما محاور الدكتور المنجرة فهو الزميل علاء الدين محسن ، وهو كاتب وصحفي عراقي ، ومراسل العربي في المغرب .

كيف أصبح المهدي المنجرة باحثا مستقبليا ؟

* بدأ اهتمامي بالدراسات المستقبلية كنتيجة لاهتمام آخر يتعلق بالبحوث التربوية ومشاكل التربية ، واعتقد أن ميدان التربية خير ما يصلح لتوضيح معنى الدراسات المستقبلية ، فقد أصبح واضحا الآن أن أي تغيير جذري في النظام التربوي ، يتطلب وقتا يمتد ما بين ١٥ الى ٢٠ عاما على الأقل ، أي جيلا كاملا ، فلو أدخلنا اليوم تغييرا على النظام التربوي ، فان البرامج الجديدة وعملية تكوين الأساتذة تستغرق وقتا طويلا قبل أن يعطي المشروع الجديد ثماره ، وتتخرج أول دفعة تكونت على أساسه ، ولهذا فان الاهتمام بالتربية يلزمك باجراء دراسات على مدى طويل ، أي مستقبلية .

وفي ١٩٧٠ كنت أشغل وظيفة دولية في منظمة اليونسكو التي كان مديرها العام آنذاك هو « روني مور » الذي ابتكر قسما جديدا - ضمن المنظمة - يهتم بالبرمجة المستقبلية ، كانت وجهة نظر « مور » أن البرمجة السنوية للميزانية ، والتخطيط على مدى ثلاث أو خمس سنوات غير كاف بدون رؤية وتصور شمولي بعيد المدى . وقد أدرت هذا القسم الجديد منذ انشائه ولغاية ١٩٧٤ ، فتعمق اهتمامي بالتخطيط بعيد المدى ، وفي الفترة نفسها تقريبا انشأ « نادي روما » للدراسات المستقبلية ، وبدأت بالعمل معه ، وكان ذلك عام ١٩٦٨ بالتحديد .

ألم تكن مهتما بالدراسات المستقبلية فترة دراستك في الولايات المتحدة الأمريكية ؟

* لو شئت الدقة ، لقلت كلا . ففي فترة دراستي هناك كان المغرب خلالها مستعمرا ، وتحت الحماية الفرنسية ، وكل مغربي آنذاك كان يتطلع الى استقلال بلاده ، ويعمل من أجل ذلك ، وهو عمل مستقبلي في عمقه ، وخاصة أننا في بداية الخمسينيات لم تكن لدينا فكرة واضحة عن تاريخ حصولنا على الاستقلال ، وهل سيتحقق في ١٩٥٦ أم ١٩٧٠ (استقل المغرب في ١٩٥٦) .

أحلام أخرى

وقد حصلتم على الاستقلال ، فهل جاء مجسدا لأحلامكم ومشروعكم المستقبلي ؟

* ظهر الاستقلال في السنين الأولى لحصولنا عليه مجسداً لاحلامنا ، فبالنسبة لنا كان أى نظام يأتي بعد الاستقلال أفضل من الحالة السابقة للاستقلال ، أي

المغرب المستعمر .

الا أن جيلنا كانت له بالاضافة الى الاستقلال أحلام أخرى تتعلق بقطرنا وأقطار الوطن العربي الاخرى والعالم الثالث عموما ، ولم تتحقق ، فقد أصبح لنا نوع من الاستقلال السياسي ، وهو في واقعه غير تام ، اذ مازلنا وانا هنا لا اتكلم عن المغرب فقط ، بل عن الوطن العربي ايضا غير مستقلين اقتصاديا وثقافيا ، وهي اشكالية لا تزال مطروحة بالحاح الى اليوم ، بحيث أن السؤال الذي يستحق الاهتمام اليوم في الوطن العربي هو هل يمكن أن نكون مستقلين سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، ونحن نعيش البلقنة والفرقة والخصومات ؟

كنت أول طالب مغربي قبل الاستقلال يذهب للدراسة في أمريكا . كيف حدث ذلك ، ولماذا لم تذهب للدراسة في فرنسا مثلما كان معتادا في المغرب آنذاك ؟

* كان الاستعمار الفرنسي يحارب توجه المغاربة للتعليم ، وهكذا استعصى على والدي رحمه الله تسجيل أخي الكبير في المدرسة الثانوية ، وكان ذلك في أواخر الثلاثينيات ، فاقسم ان لا يذهب أي من أبنائه للدراسة في فرنسا .

اسرتي لم تكن ثرية بحيث توزع أبناءها للدراسة في أنحاء العالم ، كما لم تكن أسرة فقيرة ، وعلى أية حال ، ففي ظل الاستعمار لم تكن الغنى قيمة ، فحتى لو كانت العائلة غنية ما كان بامكانها ارسال مساعدات مالية لأبنائها للدراسة ، ووجدت نفسي في « كورنيل يونيفرستي » نيويورك مضطرا خلال سنوات دراستي الثلاث الأولى للعمل في المطبخ والمكتبة ، لأوفر نفقات عيشي ودراستي ، ولم أحصل على منحة الا في السنة الثالثة .

الشيء ونقيضه !

بالاضافة الى الدراسة الأكاديمية ، ماذا أعطتك مرحلة اقامتك بالولايات المتحدة الأمريكية ؟

* بدون شك فان تجربتي في الولايات المتحدة الأمريكية قد أفادتني في حياتي كلها ، ولكن من يعيش النموذج الأمريكي من داخله يحتاج الى المحافظة على ذاتيته الخاصة وقيمه الحضارية ، من جانب آخر أجد أن هذه المعايشة ـ خصوصا اذا كانت عميقة ، ولفترة طويلة نسبيا ـ تجعلك تخرج منها بانطباع مزدوج ، فأنت من جهة تجد في الولايات المتحدة الأمريكية حرية تساعدك على البحث والدراسة والخلق والابداع والابتكار ، ولكن هذا يحدث متى كنت داخل أمريكا ، وتتعامل مع الأمريكيين في بلادهم ، لأنك ـ من جهة أخرى ـ اذا خرجت من أمريكا وعشت في بلادك ، أو أية بلاد أخرى ، فستكتشف لدى الأمريكيين نقيض تلك الحرية التي وجدتها لديهم وأنت تعيش داخل أمريكا ، ستكتشف أن الأمريكيين لا يعتقدون أن ثمة نموذجا أو تجربة أفضل من النموذج الأمريكي ، حتى ليصل الأمر الى درجة العجرفة ، فالأمريكي لديه مفهوم عن أمريكا ـ داخلها ـ تختلف عنه خارجها .

ساهمت خلال دراستك في أمريكا في النضال من أجل استقلال المغرب . ولكن الملاحظ أنك لم تخرج من هذه المرحلة ، وقد احترفت السياسة مثلما حدث مع أسماء مغربية أخرى أدت الدور نفسه .

* أعتبر أنني كنت ومازلت مناضلا ، وهو شيء أقوله بكل تواضع ، فمن قبل كان نضالي ضد الوجود الاستعماري في بلادي وبقية أقطار العالم الثالث ، وقد تحررنا لاحقا من الاستعمار ، ولكنني مازلت أناضل على صعيد الأفكار ، وهو نضال من النوع الذي لا حدود له في الزمان والمكان .

ماذا تقصدون تحديدا بغياب التربية السياسية عربيا ؟

* التربية السياسية كما أراها تتجسد أولا في مفهوم المسؤولية ، والاعتماد على النفس ، مسؤولية الشخص والمجتمع ، أو مسؤولية حزب سياسي أو دولة وحكومة . ولا يمكن الحديث عن مسؤولية بدون وجود ثقة بالنفس .

وأظن أن الأزمة الحقيقية في الوطن العربي اليوم هي غياب هذه الثقة بالنفس .

فالشخصية العربية تتنازعها الشكوك والعديد من المركبات الثقافية والحضارية ، ولعل ذلك من ملامح كوننا نعيش مرحلة انتقالية ، اذ بعد جيل على الأكثر أكاد أكون متيقنا من أن تغييرا سيحدث ليعيد الى الشخصية العربية الثقة بالنفس .

انني أركز على الثقة بالنفس ، لأن غيابها يجعل من الصعب الحديث عن وجود أناس مسؤولين ، سواء على صعيد السياسيين ، أو على صعيد الحياة الديمقراطية أو شبه الديمقراطية ، كما يصعب الحديث عن وجود مصداقية للممارسة السياسية .

وما سبب غياب الثقة بالنفس لدى الشخصية العربية في رأيك ؟

---

* انها نتيجة النموذج التنموي الذي اختير في الوطن العربي والعالم الثالث ، والمبني على تقليد الغرب ، وهكذا فهي في العمق نتيجة وجود نخبة اضطرت الى أن تقلد بطريقة عمياء أحيانا .

ويحدث أحيانا انخفاض في أسعار النفط .. لماذا ؟ لأن أي مجتمع يبني تنميته ومستقبله في أواخر القرن العشرين ، على موارد طبيعية لا مستقبل له . فمن بين تحديات المستقبل الحقيقية التي تواجهه هي كيفية توظيف الموارد البشرية باعتبارها الرأسمال الأهم .

لنتأمل ما حصل بسبب هذه الأزمة في أقطار الخليج العربي ، فبين ليلة وضحاها انخفض الدخل القومي بنسبة ثلاثين الى أربعين بالمئة ، هل يمكن أن يحصل شيء مثل هذا في أقطار أخرى كايطاليا أو فرنسا واليابان ؟ كلا ، لأن الثروة الحقيقية في البلدان المصنعة ليست الموارد الطبيعية ، بل الموارد البشرية ، واستخدام الطاقات البشرية بشكل خلاق عبر البحث العلمي والتقني ، والاهتمام بالميدان الثقافي الذي شجع على الابتكار والابداع .

وهكذا نرى أن مشكلتنا الآن هي في اعتمادنا على الموارد الطبيعية التي لها في النهاية حدود لا يمكن أن تتعداها .

أضف الى ذلك أن الأموال تأتي للبعض منا بطريقة سهلة وبمشقة لدى البعض الآخر ، دون فهم حقيقي للحضارة الغربية في عمقها . لقد كان ضروريا دراسة الحضارة الغربية بعمق ، وهو أمر لو تم لوصلت هذه النخبة الى استحالة استنساخها وتطبيقها في الوطن العربي .

وليس فيما أقول أي موقف سياسي معادٍ للغرب بمفهومه الحضاري ، بل هو دعوة للابتكار وصولا الى حلول خاصة بنا لمشكلاتنا .

فنحن الآن على أبواب نهاية القرن العشرين ، وبداية القرن الحادي والعشرين ، والتحديات الحقيقية التي تواجهنا لا وجود لها في برامج الأحزاب السياسية العربية ، أو في المناقشات الحكومية ، أو على مستوى الجامعة العربية .... الخ .

مشاكلنا الكبرى آتية ، بل انني أرى بوادرها تلوح في الأفق ، بينما نحن نجهلها ونضعها في هامش اهتماماتنا ، هل السبب في ذلك خوفنا من الواقع ؟ لا أدري !

ان الوطن العربي اليوم بكل دوله وسكانه الذين يقربون من مئة وتسعين مليونا ، لم يصل دخله القومي في أعلى مستوياته ـ مع وجود النفط ـ الى الدخل القومي لدولة كايطاليا .

وفي الوقت نفسه فنحن الذين نملك النفط وعدة موارد طبيعية أخرى ، لدينا أعلى نسبة أمية في العالم بأسره (٥٧٪) ، ولدينا أيضا تهميش مدهش للعنصر النسوي ، في حين أن ٧٠٪ من سكان الوطن العربي هم من النساء ، وبعبارة أخرى فان سبعين بالمئة من رأسمالنا البشري مهمش .

لو فهمنا أن تحديات المستقبل ، تحديات القرن الحادي والعشرين ، هي الموارد البشرية والعلم والمعرفة ، لعرفنا أنها أشياء لا يمكن أن تشترى ، ولو امتلك الوطن العربي دخلا قوميا يوفر لكل مواطن خمسين ألف دولار في الشهر ، لماذا .. ؟ لأنها ببساطة أشياء لا يمكن لها الا أن تنتج محليا .

من جانب آخر يجب أن نعي حقيقة أن لا أمل لنا في امتلاك مستقبلنا بدون وحدة ، انني لا أتحدث هنا عن تلك الوحدة التي ما توقفنا عن الحديث عنها بصيغة عاطفية ، ولكنني أتحدث عن وحدة اقتصادية ، ان مجموع سكان الوطن العربي بمجموعه يقرب اليوم من عدد سكان دولة كأندونيسيا ، واذا ما تأملنا في ميدان

العلم والتقنية الحديثة ، كالاعلاميات وغزو الفضاء والميكروبيولوجية . . الخ فسنرى أنه من غير الممكن لمجموعة بشرية تضم أقل من ١٥٠ ـ ٢٠٠ مليون من السكان أن تتحرك في هذا الميدان ، فكيف يتحقق ذلك لدولة عربية لها ١٠ أو ٥٠ مليونا من السكان ؟ وهل يمكن لهذه الدولة أن تنافس ـ دوليا ـ بانتاجها اذا ما استمرت الحال على ما هي عليه اليوم ؟

انني لا أفهم لماذا لا يعطي المسؤولون العرب اهتماما كافيا لهذا المنظور المستقبلي الواعي لأهمية الوحدة العربية ، باعتبارها الطريق الوحيد للبقاء ، هذا التجاهل لأهمية الوحدة يجعلنا نتساءل : هل لنا ارادة في أن نكون موجودين في بداية القرن الحادي والعشرين أم لا ؟! وهل نحن ـ بالأحرى ـ موجودون اليوم أم لا ؟!

وللأسف يمكنني أن أقول ـ وبكل جدية ـ اننا غير موجودين ، فالوطن العربي له وجود تاريخي وروحاني وجغرافي ، ولكنه في الواقع العوبة ، ليس بين يدي القوى الكبرى ، ولكنه بالدرجة الأولى العوبة بين يدي نفسه .

وقبل أن نبحث خارج الوطن العربي عن أسباب تفسر لنا ما نحن عليه ، يجب أن نفهم أن العالم سيحترمنا في اليوم الذي نبدأ فيه باحترام أنفسنا ، وهذا يعيدنا الى مشكلة الثقة بالنفس التي تطرقنا اليها من قبل .

مستهلكون لا منتجون

لقد وضعنا اليد على جرح التنمية ، ان صح التعبير ، وهو موضوع يستحق أن نتوقف عنده مدة أطول ، أين تتجلى بالنسبة لك أيضا ملامح اخفاق النموذج التنموي في الأقطار العربية ؟

* نحن في الوطن العربي مستهلكون أكثر منا منتجين ، ونستهلك ما لا ننتج ، وننتج ما لا نستهلك .

اننا ننتج النفط والفوسفات والحوامض والزيتون ، بحيث ان سياستنا الفلاحية لم تعد مرتبطة باحتياجاتنا المحلية ، فأي نموذج تنموي هذا الذي لم يحقق لنا بعد عشرين أو ثلاثين سنة من استقلال الأقطار العربية اكتفاء وأبقى ثلثي سكان الوطن العربي أميين ؟

في عام ١٩٧٠ استوردنا بما يقرب من مليار دولار مواد غذائية ، وفي عام ١٩٨٠ وصل الرقم الى عشرين مليار دولار ، ولعله وصل اليوم الى أربعين مليار دولار ، لماذا تزداد استيراداتنا الغذائية ونحن نتوفر على أقطار لها امكانيات فلاحية هائلة كالسودان مثلا ؟ هذا الواقع هو محصلة أخطاء السياسة الاقتصادية ، وأخطاء فهمنا للتصنيع ، باعتباره تصنيعا موجها للخارج ، وبعض المنظمات الدولية كالبنك الدولي لعبت دورا في ذلك ـ ربما عن حسن نية ـ ولكن النتيجة كانت أنه ليس بامكان أي اقتصادي جاد من الغرب أو الشرق الحكم على نموذجنا التنموي بالنجاح .

لقد قلدنا ـ بشكل فاشل ـ كل شيء في النموذج الغربي ، ونسينا شيئا أساسيا في هذا النموذج وهو الاهتمام بالانسان الذي لابد أن يكون له موقع أساسي في أي نموذج تنموي .

الثورة الصناعية في أوروبا جاءت بعد ثورة سبقتها على صعيد حقوق الانسان ، وقد نسينا هذه الحقيقة ، وجاء تقليدنا وظيفيا ، أخذنا الوظائف والمؤسسات والمناهج ، ونسينا أهم شيء ، بل غاية التنمية ، أي الانسان .

فالانسان لا وجود له في التجارب التنموية في العالم الثالث ، الا باعتباره رقما في احصائيات تعطى آخر السنة عن عدد التلاميذ في المدارس ، أو عدد الأسرة في المستشفيات مثلا .

النموذج البديل

وبالمقابل هل في ذهنكم تصور (لسيناريو) أو نموذج تنموي بديل ؟

* لا يمكن لأي (سيناريو) أن يكون محصلة تفكير شخص واحد ، المشكلة في الوطن العربي بشكل خاص ، والعالم الثالث عامة ، هي في غياب المشاركة وضعفها ، وهو ما يؤدي الى غياب فهم وتصور لمطالب الشعوب .

ولا أعني هنا بالمطالب الايديولوجية والسياسية ،

ولكنني أعني المطالب التي تهم هذه الشعوب في حياتها اليومية على المدى القريب والمعاش .

مثلا ما هي مطالبها في قضية السكن ؟ وأي نوع من البناء تريد ؟ وهل تفضل السكن في المدن أم في البوادي ، وأي نوع من التربية تريد في المدارس ؟

في أقطار أخرى كايطاليا مثلا يمكنك أن تعرف بسهولة موقف ٤٦٪ من السكان ، من هذا البرنامج التلفزيوني ، أو من هذه النقطة أو تلك في البرنامج الحكومي الخاص بالتعليم .

أما في العالم الثالث فلا المعلومات ولا وسائل استطلاع الرأي متوفرة ، الأمر الذي يجعل السيناريو المطلوب بالحاح هو ذلك الذي يحقق مستوى أكبر من المشاركة ، لكي تكون الاختيارات على اختلافها معبرة عن مطالب شعوبنا نفسها ، وليست مجرد نتيجة لتفكير نخبة تكنوقراطية بمساعدة خبراء من الخارج .

غياب وحضور الديموقراطية

ألا يحيلنا غياب المشاركة الى أزمة الديمقراطية في الوطن العربي ؟

● نحن في أزمة ديمقراطية منذ وقت طويل ، الا أن ما يدعو الى التفاؤل الآن هو أن جل المسؤولين في الوطن العربي أصبحوا واعين بهذه الأزمة ، وبينهم من حاول السير في تجارب شبه ديمقراطية ، وبينهم من لايزال غير واع لأهمية السير في هذا الاتجاه ، ولكنني أعتبر أن هذه مشكلة وقت فقط ، لأن الوعي السياسي في الوطن العربي اليوم ، وصل الى مستوى لا يجعلنا نتوقع استمرار غياب الديمقراطية لمدة طويلة .

وفي بداية التسعينيات ـ على أبعد تقدير ـ نشهد تغييرا جذريا ، ليس ناتجا بالضرورة عن ثورات أو انقلابات ، لأن ثورة الشارع اما أن تنجح أو تخفق بالقمع ، في حين أن الثورة الحقيقية ، هي تلك التي في العقول ، وهي التي تمتلك القدرة على البقاء ، ورغم أن هذه الثورة الفكرية تستغرق وقتا وتتطلب نتائجها انتظارا ، الا أنني متفائل رغم ذلك بمستقبل الديمقراطية في الوطن العربي .





الوحدة والحلم الممكن

تحدثت عن الوحدة ، وأنا من جيل عاش خيبات كثيرة ، بحيث تبدو له هذه الوحدة حلما مستحيلا ، أنت كباحث مستقبلي ، هل تظهر لك الوحدة حلما ممكنا ؟!

● لا تقع الوحدة بين التشاؤم أو التفاؤل ، ولا بين الأحلام الممكنة أو المستحيلة ، انها خيار لابد منه ، فإما أن تتحقق الوحدة ـ بمفهوم التعاون المبني على تكامل حقيقي ، ومصلحة مشتركة ، مثلما هو حادث الآن في أوروبا وجزء من أمريكا اللاتينية الوسطى ، وجنوب شرق آسيا ـ واما أن يكون المصير هو الشتات التام ، بحيث لا يظل ثمة وطن عربي ، هذا ما أراه كباحث مستقبلي .

هل ترى ان التكتلات الاقليمية ، كمجلس التعاون الخليجي الذي تحقق ، والدعوة الى وحدة المغرب العربي التي لم تتحقق بعد ، تقربنا من هذه الوحدة أم تبعدنا عنها ؟

● انني متفائل بهذا الصدد ، فنموذج مجلس التعاون الخليجي هو بداية ، ويعبر عن فهم على مستوى مصغر في الوطن العربي للمشكلة التي كنا نتحدث عنها ، واذا ما استمر المجلس على السير في الطريق الذي هو عليه الآن ، فسيكون مثالا جيدا ، لعل أجزاء أخرى من الوطن العربي تقتدي به .

فأنا لا أعتبر ان اشكال الوحدة الجهوية (من جهة) أو الاقليمية ، تتضارب مع وحدة الوطن العربي ، الا أنني أرى امكانية أن نسير على أكثر من طريق ، وأكثر من سيناريو ، فليس سلبيا أن تتعدد الطرق ، بل السلبية في أن لا نتحرك البتة ! □

سرطان الفم

بين المرأة والرجل!

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

سرطان الفم اصطلاح جامع لكثير من أنواع السرطانات التي تظهر في منطقة الفم لأفراد متقدمين في السن، ويصاب الذكور بنسبة تزيد على أربعة أضعاف ما تصاب به الاناث، وهو أمر يتنوع حسب موقع الاصابة في الفم، الى جانب التوزيع الجغرافي والظروف الاجتماعية .. الخ.

والمقال التالي دراسة لانتشار هذا المرض بين الرجال والنساء.

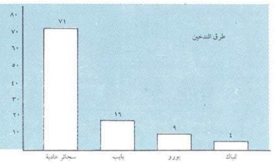
ما زالت أسباب الاصابة بسرطان الفم مجهولة، ولكن على الرغم من ذلك، فهنالك بعض العوامل التي يمكن اعتبارها مسؤولة عن الاصابة به.

كذلك، فالقابلية الوراثية للشخص قد تلعب دورا في ذلك، وبشكل عام فأهم الأسباب التي يمكنها أن تساهم في ظهور سرطان الفم هي: التدخين، الكحوليات، مرض (بلمر فنسن)، التهيجات الموضعية المزمنة، السفلس والأشعة الشمسية.

وتبدو نسبة التدخين مرتفعة بشكل ملحوظ بين المرضى المصابين بسرطان الفم، حيث أثبتت الأبحاث أن النسبة تصل الى ٩٠ - ٩٩٪ في بعض الحالات، وبالنسبة لطريقة التدخين فالتوزيع يصل الى (٧١٪) في حالة تدخين السجائر العادية، و(١٦٪) في حالة تدخين البايب، (٩٪) في حالة تدخين السيجار و (٤٪) في حالة مضغ التبغ والتمباك، أي وضع الدخان وحجزه في الفم من أجل مضغه.

سرطان الفم والتدخين

ويبدو أن طريقة التدخين تؤثر على تحديد موقع الاصابة بسرطان الفم، فتدخين السجائر العادية يؤثر على كل المواقع بنفس المعدل، ما عدا مخاط الخد، أما تدخين البايب فيبدو أنه يؤثر بشكل رئيسي



النسبة المئوية لعلاقة سرطان الفم بطريقة التدخين

على الشفاه ومخاط الخد ، بينما يؤثر تدخين السيجار بشكل رئيسي على مخاط الخد ، وفيما يتعلق بمعظم الحالات التي يستخدم فيها التمباك ، فهي تؤدي لنشوء سرطان مخاط الخد وسقف الحلق الرقيق وفي نقطة التقاء الفم بالمريء .

وفي أبحاث موسعة أجراها بروس ووايندر سنة ١٩٥٧ في نيويورك ، تبين بأن ٣٪ فقط ممن أصيبوا بسرطان الفم لم يكونوا من المدخنين ، بعكس نسبة ١٠٪ التي وجدت لدى الشواهد . كذلك فقد تبين بأن ٣٠٪ من المدخنين المصابين بسرطان الفم كانوا يدخنون أكثر من ٣٥ سيجارة يوميا ، أو الكمية ذاتها من السيجار أو البايب لمدة ٢٠ سنة على الأقل ، بعكس نسبة ١٧٪ لدى الشواهد ، وقد لوحظت النسبة ذاتها لدى الاناث المدخنات .

كذلك يبدو أن خطر الاصابة بسرطان الفم يزداد نسبيا لدى مدخني السيجار والبايب عنه لدى مدخني السجائر العادية ، ممن يظهر لديهم خطر أكبر للاصابة بسرطان الرئة ، ويعود ذلك الى أن بلع الدخان يزداد لدى مدخني السجائر عنه لدى مدخني السيجار والبايب ، وقد أثبتت الأبحاث أن ٩٠٪ من مدخني السجائر العادية يبلعون دخان سجائرهم ، بينما تهبط النسبة الى ١٥٪ فقط لدى مدخني الفئة الأخرى .

الكحول

وتلعب المشروبات الكحولية دورا مهما في ظهور سرطان الفم ، ويصعب مع ذلك دراسة تأثيرها بمعزل عن العوامل الأخرى ، حيث يعتبر أكثر الشاربين من المدخنين المدمنين .

وفي بحث أجراه بروس ووايندر ثبت بأن ٤٦٪ من الشواهد لم يكونوا يتعاطون المشروبات الكحولية ، أو أنهم كانوا يتعاطونها بنسبة منخفضة ، بعكس ٢٦٪ من المصابين بسرطان الفم ، كذلك فقد أثبت البحث ذاته أن من سرطان الفم في المرضى الذين يستهلكون كمية كبيرة من المشروبات الكحولية يصل الى ٣٣٪ ، بينما لا يتجاوز نسبة ١٢٪ في مجموعة الشواهد ، وهو أمر يثبت أن الكحول تلعب دورا مهما في احداث الاصابة بسرطان الفم .

ويعتمد التأثير المرضي للكحول في هذا الصدد على

التأثير المباشر للكحول على الانسجة ، وتقليل كمية اللعاب المفروز ، الأمر الذي يجعل مخاط الفم حساسا لنشاط الدخان ، والنشاط غير المباشر بسبب اضطرابات التغذية .

وقد قام تيريز وكيلر بدراسة العلاقة بين سرطان الفم وكمية الكحول المستهلكة ، حيث ثبت بأن ٤٣٪ من المصابين بالسرطان يستهلكون ٤٦,٦ غراما من الكحول يوميا ، أو أكثر ، بينما يستهلك ٢٠٪ فقط من الشواهد النسبة ذاتها .

ويعتبر الفرق مهما من الناحية الاحصائية كذلك ، فاستهلاك كميات كبيرة من الكحول يلعب دورا مهما في اظهار سرطان قاع الفم ، واللسان ومناطق أخرى .

وقد قام روثمان وكيلر ببحث مهم لدراسة خطر الاصابة بسرطان الفم عند استخدام الكحول ، أو عدم استخدامها الى جانب التدخين ، وقد ثبت بأن الخطر يصل الى ٥,٧١٪ عند استخدام الكحول والتدخين معا .

وترتفع هذه النسبة مع ارتفاع نسبة التدخين والكحول المستهلكة ، وهكذا فبينما تكون النسبة ١,٠ فانها حين لا يستخدم الكحول والتدخين ترتفع الى ١٥,٥ عند استهلاك ٤٠ سيجارة يوميا ، الى جانب ٤٦,٦ غرام كحول يوميا .

ويعتبر مرض « بلمر فنسن » أحد أنواع فقر الدم ، الذي يشيع بين الاناث بشكل أكبر في الدول الاسكندنافية ، وخصوصا في فتيات السويد ، ويتعلق بأشخاص متوسطي العمر ، ولا يزال البحث جاريا لتعميق الفهم حول علاقة المرض بسرطان الفم الذي يعتبر أحد مظاهره ، وذلك لاثبات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بين الحديد وسرطان الفم .

التهيجات الموضعية المزمنة

وأكثر الأسباب شيوعا للاصابة بالتهيجات الموضعية المزمنة ، أطقم الأسنان والجسور المعدنية والتيجان المعدنية والحشوات الرديئة والأسنان المتسوسة .

ورغم أن هذه الأسباب تبدو بعد ظهور سرطان الفم ، الا أن تهيجا خاصا قد يقوم بتسريع ظهور السرطان الذي نشأ بطرق وآليات مختلفة .

وثبت بأن مرض السفلس يشكل عاملا مهما في ظهور سرطان الفم ، خصوصا في الشفة وثلثي الجزء الأمامي للسان ، لكن العلاج الحديث للمرض باستخدام المضادات الحيوية قد أنهى على ما يبدو علاقة السفلس بسرطان الفم كعامل حاسم . ولا يزال البحث جاريا لتوسيع المفاهيم حول ذلك . ويبدو أن نسبة الاصابة بسرطان الفم وخصوصا الشفة تزداد في المناطق التي يزداد فيها التعرض للأشعة الشمسية أيضا .

هذه هي العوامل التي ترتبط بسرطان الفم ، حيث يساهم تأثيرها في انحراف الخلية الطبيعية الى خلية سرطانية .

وأكثر مواقع الفم اصابة هي : الشفة السفلى ، اللسان ، مخاط الفك ، قاع الفم ، الخد ، اللثة ، وسقف الحلق ، وتعتمد صورته العيادية على موقعه ومرحلة نموه ، وفي مراحله البدائية يبدو الورم كتغير غير مهم في مخاط الفم ، كتشقق صغير ، أو تقرح يزداد في حجمه مع ظهور تقرح في مركزه ، وتزداد هذه التغيرات مع مرور الوقت ، حيث لا تتراجع ، وتكون مصحوبة بتصلب موضعي للأنسجة عند التحسس .

في المراحل التالية يظهر الورم كبيرا متقرحا ، وتمتد صلابته للأنسجة المحيطة به ، وبعد فترة أسابيع أو أشهر يعطي امتدادات للغدد اللمفاوية التي تبدو متضخمة عياديا .

وبالنسبة لسرطان الشفة ، فانه يصيب الذكور بنسبة ٩٥٪ من الحالات ، عنه للاناث ، ويبدأ من الجزء الجانبي للشفة ، أما سرطان اللسان فيشكل نسبة ٢٥ ـ ٥٠٪ من جميع سرطانات الفم ، باستثناء ذلك للشفة ، ويصاب به الذكور بنسبة ٧٥٪ من الحالات عنه للاناث ، وينحصر غالبا على جانبي اللسان ، وسطحه السفلي وقاعدته ، ويعتبر أسوأ أنواع سرطانات الفم لصعوبة تشخيصه ، بسبب موقعه ، وتصل نسبة الشفاء منه الى ٢٥٪ .

أما سرطان مخاط الخد ، فيصاب به الذكور عشرة أضعاف اصابة الاناث به ، وينحصر غالبا في مستوى

الطاحونة الثالثة ، وتوقعاته سيئة ، حيث تتراوح نسبة الشفاء منه بين ٣٠ - ٥٠٪ .

وبالنسبة لسرطان اللثة فالذكور يصابون به ٤ - ٥ أضعاف اصابة الاناث به ، وتصاب به لثة الفك السفلي بنسبة أكبر ، ويجدف جراحيا حيث تصل نسبة الشفاء منه الى ٥٠٪ .

وأما سرطان سقف الحلق فهو ينحصر غالبا في الجزء الرقيق منه ، كقرح أو تشقق شاذ وغير عميق ، ويمكنه أن يصيب تجويف الأنف ، بينما تصل نسبة الشفاء منه الى ٣٠ - ٥٠٪ .

العلاج :

يتم علاج سرطان الفم جراحيا ، أو باستخدام الأشعة ، بينما يفضل في بعض الحالات ربط العلاجين معا ، ويتحتم قبل القيام بالعلاج اجراء تشخيص دقيق يعتمد على دراسة هستولوجية للورم .

وتعتمد نتيجة العلاج ونوعيتها على مرحلة نمو الورم ، وعلى وجود امتدادات أو عدمها ، وعلى موقع الاصابة والصورة الهستولوجية .

واذا تم تشخيص المرض في مراحله البدائية ، أي قبل أن يعطي امتداداته ، وكان حجم الورم صغيرا ، فالطريقة العلاجية المناسبة ستؤدي في أغلب الاحيان للشفاء التام للمريض ، ونعني بالشفاء التام أن المريض لمدة خمس سنوات على الأقل بعد العلاج ، يعيش دون أن تبرز عليه أي من الأعراض .

وتتنوع كمية الاصابة بسرطان الفم حسب موقع المرض ، والعوامل الأخرى التي ذكرت آنفا ، الى جانب الطريقة العلاجية المستخدمة ، وهكذا ، ولأن مرحلة نمو الورم تلعب دورا حاسما في نتيجة المرض ، فالتشخيص المبكر له من قبل طبيب الأسنان يشكل مساهمة كبيرة في المواجهة العلاجية .

وكاجراءات وقائية للتقليل من نسبة الاصابة به ، على الشخص أن يقلل أو أن يقلع بصورة نهائية عن استهلاك التبغ والكحول ، والمدخن الذي يسيطر على تدخينه يجب أن لا يستهلك أكثر من ١٠ سجائر يوميا ، ومثل هؤلاء المدخنين يتعرضون لخطر أقل للاصابة بسرطان الفم .

ولكي يقوم طبيب الأسنان بتوجيه مثل هذه النصائح للمريض ، يتحتم عليه هو أن يقتنع بها أولا ، وأن يقوم بتطبيقها على نفسه ، حيث لا يمكن أن يوجه نصائحه للمريض ، وهو يقوم باشعال سيجارته ، ولا شك بأن موضوع التدخين يحتاج لدراسة أوسع لاستكمال بحث الموضوع ، واذا تم التوصل لانتاج تبغ غير خطير - وقد وصلت الأبحاث العملية لنقطة مشجعة بهذا الخصوص - فسيقل ذلك من نسبة الاصابة بسرطان الفم والرئتين والسرطانات الأخرى المرتبطة بالتدخين .

وكذلك ، فأحد الاجراءات الوقائية الأخرى التي ترتبط بالكحول تتعلق بالتغذية الغنية بالحديد والفيتامينات (أ ، ب ، جـ) وقد نجحوا في السويد ، بتطبيق مثل هذا الاجراء الوقائي ، مما أدى لتخفيض نسبة ظهور مرض (بلمر فينسن) ، وبالتالي تخفيض نسبة الاصابة بسرطان الفم في نساء السويد .

كذلك ، ففي المناطق الحارة للكرة الأرضية فان الوقاية من التعرض للأشعة الشمسية وبخاصة لمن هم « شقر » يشكل عاملا للوقاية من الاصابة بالمرض . □

لو أكثرت من النساء

قيل للأسكندر الأكبر : لو أكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ، ويحيا اسمك فقال : انما يحيى الذكر الأفعال الجميلة والسيرة الحميدة ، ولايحسن بمن يغلب الرجال أن تغلبه النساء .

من صور المحاربين .. في تاريخنا

بقلم : الدكتور هاشم ياغي

تمر الأمم والمجموعات البشرية بظروف موضوعية في تركيبها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والحربي والثقافي ، فتنسق استجابتها وسلوكها مع تلك الظروف ، أو تتناقض فتتألق ، أو تتأهب للألق التاريخي ، وقد تترهل فتتعثر ، وتسبقها الأمم والمجموعات البشرية وتتقدمها في بناء الحضارة ، ولعل في إلقاء الضوء على ثلاث صور من صور المحاربين في تاريخنا يبين مدى اتساق شخصيتنا مع ظروفها التاريخية ، ومدى تفاعلها بعوامل البقاء ، وبأساليب الدفاع عن ذاتها .

وأولى هذه الصور تلك التي كانت لدى القبائل العربية في الجاهلية ، فقد كان الاقتصاد القبلي يؤدي الى تركيب اجتماعي تعوزه الوحدة القومية الشاملة ، مما جعل القبيلة تتوهم أنها منحدرة من أب وأم ، وتتجه اتجاها جارفا نحو الاعلاء من شأن أنسابها ، وتلح على أن يكون المثل الأعلى لصورة المحاربين عندها هي صورة أبنائها في الدرجة الأولى ، يذبون عن حماها ، ويستنكرون أن يكون بين المحاربين هؤلاء محاربون مرتزقة ، أو محاربون أرقاء ذوو أعداد كبيرة ، ولا يجيزون إلا الأحلاف من أبناء القبائل التي تلتقي معهم في مصلحة مشتركة .

ومن هنا يقول شاعر قبيلة غنيّ الكبير (طفيل الغنوى) في بائيته المشهورة :

قبائل ، من فرعي غني ، تواهقت[1] بها الخيل ، لا عزل ، ولا متأشب[2]

ويقول النابغة الذبياني ذو الشهرة الشعرية والسياسية في الجاهلية يمدح الغساسنة :

وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزت قبائل من غسان غير أشائب

ويقول أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ، وهو أحد

(١) تواهقت بها الخيل : تبارت في السير والانطلاق

(٢) ولا متأشب : أي لا خلط فيهم من غيرهم .



سادة الأوس من الأنصار ، وقائد كبير من قادتهم في عينيته المعروفة التي تصور واحدة من المعارك بين الأوس والخزرج :

حتى تجلّت ولنا راية ... من بين جمع غير جُمّاع(٣)

ويقول الشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري البكري في فخره بقومه :

جميعا ، ولسنا ، قد علمت أشابة
بعيدين من نقص الخلائق والغدر

تحويل الطاقة !

وهذا كله يبين لنا كيف كانت القبائل الجاهلية في تاريخنا تحرص أشد الحرص على أن يكون جيش المحاربين من أبناء القبيلة ، مما حفز كل قبيلة على أن يظل محاربوها في تدرب مستمر على صنوف القتال ، وعلى أن يُعلوا من التمرس بالسلاح تمرّسا مستمرا ، كي تواجه القبيلة ما كان يتهددها من غزو ، أو كي تتمكن القبيلة من الثأر ، والمضي في طريق التوازن النفسي ، وإعادة الثقة للمتطلعين إلى الحياة ، رغم ما يحف بهذه الحياة من أشواك الحروب الدائمة .

يقول طفيل الغنوي في نصر قومه على طيء ، بعد أن كانت طيء قد هزمت قومه في معركة محجر :

فذوقوا ، كما ذقنا ، غداة محجر
من الغيظ في أكبادنا والتّحوب(٤)
أبأنا بقتلانا ، من القوم ، مثلهم
وما لا يعدّ ، من أسير ، وكلّب
فبالقتل قتل ، والسوام بمثله
وبالشلّ شلّ الغائط المتصوب(٦)

ولعل هذه الدربة الدائمة التي كانت تفرضها الحياة

---

(٣) الجُمّاع : الأخلاط .
(٤) التّحوب : التوجع .
(٥) أبأنا : جعلنا دماء من قتلنا من أعدائنا مقابل دماء من قتل منا في معركة سابقة .
(٦) الشل : المطاردة ، والغائط المتصوب : الأرض المنحدرة المنخفضة .



● من صور المحاربين في تاريخنا

القبلية في مجال السلاح والحروب ، هي التي كانت من أبرز عوامل النصر الذي جناه المسلمون ، حين وجُهوا طاقة هذه القبائل تحت لواء المسلمين في الفتوح ، وانتصروا على جيوش كانت قد ركدت بها الحياة فترهلت .

لقد أفاد الاسلام والمسلمون أوسع فائدة من مادة القبائل الحربية ، ومن مقدرتهم الفائقة في استعمال السلاح الذي أثمرته الحياة القبلية الجاهلية .

غير أن هذا لا يعني أن الحياة الجاهلية كانت قادرة على الاستمرار في أشكالها التنظيمية ، بل ان تركيبها القبلي كان يودي بأخصب مافيها ومن فيها من الرجال المدربين المحنكين .

وبهذا كانت حياة القبائل الجاهلية في حاجة الى ثورة حقيقية في كل مجالات الحياة ، تهدم ما ضاق عن نشاط الناس ، وما سدّ المنافذ على بناء الحضارة ، ثم تبني أطرا جديدة للحياة أوسع من تلك التي هدمت ، وكانت أن أرسلت السماء الرسالة التي كانت الظروف الجاهلية قد مهدت لاستيعاب قيمها العظيمة ، تصديقا لقوله تعالى :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وجاءت الرسالة

وجاءت هذه الرسالة بما فجّر طاقات المادة العربية ، فاتجهت هذه المادة بروحية جديدة قديرة على الابتكار الى آفاق إنسانية واسعة تجاوزت حدود التجمعات القبلية ، وأطر القوم والجنس البشري الواحد ، واقتصاد البيئة المحدودة الضيق ، ومعنويات الانتصار القريب المحدود الذي لا يتعدى جذل الفرد أو القبيلة .

وجاء جيش الفتوح العربية الاسلامية بصورة نموذجية فذّة للمحاربين ، ولعل من خير من وصف جيش الفتوح ، هذا الشاعر المخضرم التميمي المشهور عبدة بن الطبيب ، فقد كان هو نفسه رمزا لهذا الذي كان في الجاهلية من محاربين ، تطور وتفتحت فيه قوى جديدة هي من قوى جيش الفتوح ، النموذج الجديد في الحياة العربية .

لقد كان عبدة بن الطبيب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان أسود ، ومن لصوص الرباب الذين عرفوا بشدة فتكهم ولصوصيتهم في الجاهلية ، وحين أنعم الله عليه بالاسلام وعلى العرب عامة ،

كان في مقدمة الذين تفتّحت طاقة رائعة لديهم ، فتحولت دربته في القتال وبراعته في استعمال السلاح مع الذين كان يغزوهم لصًّا الى دربة وبراعة في الاسهام في الفتوح الاسلامية مجاهدا ، ولهذا شهد مع المثنى بن حارثة الشيباني القائد العربي المشهور قتال هرمز سنة ١٣ هـ ، وله في ذلك آثار مشهورة ، وكان في جيش النعمان بن مقرن مع الذين حاربوا الفرس بالمداس .

ولم تقتصر رسالة السماء الجديدة على جميع شتات القبائل العربية في أمة موحدة الشخصية ، وانما فجّرت فيها طاقاتها الكامنة ، ووجهت هذه الطاقة نحو بناء أمة عالمية ، والأمم حين تتفجر طاقاتها تتجه ، الى الجوهر الأصيل في عناصر الحياة ، وتبتعد عن القشور والعَرَض فيها ، ولذلك تكون الخشونة والقوة هما رمزي حياتها في مرحلة البناء ، ولا تكف عن اتباع هذين العنصرين الا حين تركن الى الدعة والنعومة واللين بعد ذلك ، فتضعف طاقة البناء عندها .

ومن هنا نجد صورة جيش الفتوح التي رسمها عبدة بن الطبيب رائعة بخشونتها وقوتها ، بحيث لم تقف أمام ذلك الجيش عقبة من العقبات الا ذللها وانتصر عليها .

وقد جاءت هذه الصورة الرائعة في لاميّة عبدة بن الطبيب :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول
ام أنت عنها بعيد الدار مشغول
حلّت خويلة في دار مجاورة
أهل المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس الفرس ضاحية
منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

ففي هذه اللامية التي قالها عبدة بن الطبيب بعد وقعة القادسية ، حين التقى المسلمون بالفرس في وقعة بابل سنة ١٣ هـ ، فهزموهم وتتبعوهم حتى انتهوا الى المدائن ، نجد الشاعر بعد المقدمة التي تغزل فيها بحليلته خولة ، يصف ناقته التي ترمز لقوته وقوة قومه وصفا جميلا ، شبهها خلاله بثور الوحش ، وقد ساروته كلاب الصياد تصارعه ويصارعها حتى غلبها ونجا .

ولّى وصُرّعْن في حيث التبسْنَ به
مضرجات بأجراح ومقتول
كأنه بعد ما جدّ النجاء به
سيف جلا متنه الأصناع مسلول
مستقبلَ الريح يهفو وهو مُبْترك
لسانه عن شمال الشدق معدول
يخفي التّراب بأظلاف ثمانية
في أربع مسّهنّ الأرض تحليل

نجا بهذه الصورة الرائعة التي عقبت صراعا مريرا بينه وبين كلاب الصّياد ، ونجاؤه رمز لنجاء الشاعر وقومه ومطاياهم ، بعد أن انتصروا على عقبات الحياة وشدائد القتال مع الاعداء .

صورة جيش الفتوح

وتتجلى صورة جيش الفتوح بل تتالق أوسع ما تتالق في وصف الشاعر طريق هذا الجيش وخشونته وقوته ، فالطريق أو النهج مخوف لا يقوى على اجتيازه إلا هذا الجيش الفذ المقدام ، وآية أخطار هذا الطريق أو النهج أنه غير مطروق ، تتجنبه الناس تجنبا يكاد يكون دائما ، بحيث يرى من يخاطر في اختراقه مجموعات من بيض القطا على جانبيه ، لأن القطا أمِن الناس فيه حين تجنبوه ، فترك بيضه على الجانبين كأنه زجاجات ملئت زيتا صافيا لا يحول دون رؤيته حائل .

نهج ترى حوله بيض القطا قبصا
كأنه بالأفاحيص الحواجيل
حواجل ملئت زيتا مجردة
ليست عليهن من خوص سواجيل

ولم يكتف عبدة بن الطبيب بما رمز به لطريق الجيش العظيم ، بل أشار أيضا الى قلة ما كان لدى هذا الجيش من ماء وأدوات ترف ، والى تضامن ما كان قويا من إبل مع ما تعبَ وكلَّ :

وقلّ ما في أساقي القوم فانجردوا
وفي الأداوي بقيات صلاصيل
والعيس تدلك دلكا عن ذخائرها
ينحرن من بين محجون ومركول

ومـزْجَـيـاتٌ بـأكـوار محـمـلـة
شـوارُهـنَّ خـلال الـقـوم محـمـول

وقد بلغ عبدة بن الطبيب أوج وصفه حين صور المنهل الذي ورده هذا الجيش ، «ما كان في مائه من بعر وقذى ورائحة متغيرة لقلة مرور الناس به في ذلك الطريق المخوف ، وكذلك حين صور ما أكله هذا الجيش من لحم لم ينضج بعد قيلولة خاطفة ، لا يركن أصحابها الى النوم الكسول ، ثم حين أشار عبدة الى أعراف الخيل التي اتخذ منها ذلك الجيش مناديله ، بعد ما أكل من ذلك اللحم الذي يرمز هو والماء قبله الى خشونة وقوة لاتعرفها الأمم في مرحلة تفجر طاقاتها وبنائها حضارتها .

ومـنـهـل آجـن في جـمـه بـعـر
ممـا تـسـوق الـيـه الـريـح مجـلـول
كـأنـه في دلاء الـقـوم اذ نـهـزوا
حـمٌ عـلى ودك في الـقـدر مجـمـول
أوردتـه الـقـوم قـد ران الـنـعـاس بهـم
فـقـلـت إذْ نهلوا مـن جَمّـه : قـيـلوا
حـدّ الـظـهـيـرة حتّى تـرحـلـوا أصـلا
إن الـسـقـاء لـه رم وتـبـلـيـل
لمـا وردنـا رفـعـنـا ظـل أرديـة
وفـار بـالـلـحـم لـلـقـوم المـراجـيـل
وردا وأشـقـرِ لم يـنـهـئـه طـابـخـه
مـا غـيّر الـغـلي مـنـه فـهـو مـأكـول
ثـمّـت قـمـنـا إلى جـرد مـسـوّمـة
أعـرافـهـن لأيـديـنـا مـنـاديـل

اعجاب عبد الملك

وقد أعجب الخليفة عبدالملك بن مروان ، وهو صاحب الحس المرهف في النظر الى مراحل التطور في حياة الجماعات ، بصورة هذا الجيش الذي يشرب مثل هذا النوع من الماء ، ويأكل مثل هذا اللون من اللحم ، ويمسح أيديه من وضر الطعام بأعراف خيله ، فقال يوما :

أى المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غرقىء البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن كأنها نور الربيع . فقال عبدالملك : مناديل أخي بني سعد ، عبدة بن الطبيب ، وذكر البيت :

ثـمـت قـمـنـا الى جـرد مـسـومـة
أعـرافـهـن لأيـديـنـا مـنـاديـل

ولعل هذا كله يذكر بما كان يتوق اليه « ونستون تشيرتشل » زعيم الامبراطورية البريطانية في الحرب العالمية الثانية ، حين كان يحث الجيوش على الخشونة ، وحين كان يود أن يخطط البريطانيون بعد الحرب أيضا الى أن تظل جيوشهم أميل الى الخشونة منهم الى الترف ، ولكن خشونة الجيوش لاتجيء بتخطيط فرد ، أو رغبة منه غريبة عن الظروف الموضوعية ، الاقتصادي منها والاجتماعي ، وسائر ألوان النشاط الانساني ، لأن الخشونة البانية هذه لا تواكب الأقوام الا في مراحل الثورات والتحولات التي تفجر طاقتها ، فتتجه الى الجوهر ، كما أشرنا في هذا الحديث ، وتترك العرض والقشور في حياتها .

أما الصورة الثالثة التي وددت أن أشير اليها من صور المحاربين في تاريخنا ، فهي صورة جيش الأمير سيف الدولة الحمداني الذي كان يقف رغم صغر إمارته على الحدود ، بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وقفة شجاعة وان كانت تتكىء على جيش يغاير في تركيبه جيش القبائل في الجاهلية ، وجيش المسلمين في الفتوح ، فقد كان خليطا من أقوام متعددي الجنسيات ، في عصر اقطاعي غرق في أسواق الرقيق ، التي أفاد منها سيف الدولة بتنبهه ويقظته الى دوره التاريخي في صد البيزنطيين ، فأنشأ ذلك الجيش الذي يصفه الشاعر الكبير المتنبي بقوله :

أتـوك يجـرّون الحـديـد كـأنمـا
سـروا بـجـيـاد مـا لهـن قـوائـم
خميس بشـرق الأرض والـغـرب زحـفـه
وفي أذن الجـوزاء مـنـه زمـازم
تجـمّـع فـيـه كـل لِـسْـن وأمّـة
فـما يُـفـهـم الحُـدّاث الا الـتـراجـم

أما بعد هـذا فأرجو أن تتمخض ظروف الأمة العربية الحالية عن أحوال تنطلق فيها طاقاتها ، بعد أن تتوحد وحدة تبز الوحدات في ذلك العصر ، وأن يكون لها جيشها الذي يشبه جيش الفتوح ، ويفعل الروائع كما فعل ذلك الجيش الخشن القوي العظيم □



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير) الحجرات ١٣ .

في تفسير الخازن والبغوي أنه لما كان يوم فتح مكة ، أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة ، فقال عتّاب بن أسيد : الحمد لله الذي قبض أبي فلم يرَ هذا اليوم . وقال الحارث بن هشام : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ؟ !

واذ بلغ النبي ﷺ ما قالاه دعاهما وزجرهما ، وأنزل الله هذه الآية .

وقال يزيد بن شجرة : مرّ رسول الله ذات يوم ببعض الأسواق بالمدينة ، واذا غلام أسود يباع فيها وينادى عليه ، وكان الغلام يقول : من اشتراني فعلى شرْط ، ألا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله . فاشتراه رجل على هذا الشرط ، وكان رسول الله يراه عند كل صلاة ، فلما افتقده ذات يوم قال لصاحبه : أين الغلام ؟ قال : محموم يا رسول الله . فقال النبي (عليه الصلاة والسلام) لأصحابه : « قوموا بنا نعوده » فقاموا معه فعادوه . فلما كان بعد ايام مات الغلام ، فتولى رسول الله ﷺ غسله وتكفينه ودفنه ، فدخل على أصحابه من ذلك أمر عظيم ، فقال المهاجرون : هاجرنا وتركنا ديارنا وأموالنا وأهلينا ، فلم ير أحد منا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام ! وقالت الأنصار : آويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا ، فآثر علينا عبدا حبشيا ! فأنزل الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) يعني أنكم بنو أب واحد وامرأة واحدة ، وأراد فضل التقوى بقوله (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

لا شك أن من بين أهم الانجازات التي حققها الاسلام ، هو إرساء دعائم أمة كبيرة من المسلمين ، قوامها أجناس عديدة وشعوب متباينة في اللون واللغة والعادات والتقاليد تربط بين أفرادها وشائج الأخوة والتضامن ، واشتراك المصالح والأهداف ، دون اعتبار لعنصر ، أو التفات للون ، ودون تمييز أو تفضيل الا على أساس التقوى وقوة الايمان ، وقد أكد القرآن فضل هذا التباين والتنوع والتعدد في اثراء

حصيلة البشرية من التجارب ، فكما أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قصد بقوله « اغتربوا لا تضووا » تقوية النسل ، والارتقاء به بالزواج من الأباعد دون الاقارب ، كذلك، قصد الله تعالى بتعارف الشعوب فيما بينها استفادة كل منها من حصيلة انجازات غيرها ، ومن تجاربها التي انفردت بها كل منها دون غيرها ، وقديما قالوا : « من لم يعرف غير وطنه لم يعرف وطنه ، ومن لم يعرف غير لغته لم يعرف لغته ، ومن لم يعرف غير دينه لم يعرف دينه » !

قد اتسع اذن نطاق مشاعر الولاء والتضامن والأخوة والأحساس بالمسئولية مما كان مألوفا لدى أفراد القبيلة الجاهلية ، ليشمل كافة القبائل والشعوب التي دخلت في دين الاسلام ، فهم جميعا على اختلاف عناصرهم وألوانهم ولغاتهم فخورون بالانتماء الى هذا الكيان الجديد ، شديدو الاعتزاز به ، على أتم استعداد للوقوف صفا واحدا في مواجهة تحديات الحياة ، على ضوء قيم ومفاهيم يشترك الجميع فيها ، وكثيرا ما كانت هذه الثقة من جانب الأمة الاسلامية بنفسها ودينها وقيمها سببا رئيسيا في اثارة رغبة شعوب الأقطار المفتوحة ، في الدخول في هذا الدين الجديد الذي يُنعم على معتنقه بمثل هذه الثقة .

قد نلمس في بعض فترات التاريخ الاسلامي شوائب تلقي ظلا على هذه الروح من الأخوة ، غير أنها شوائب من آثار العصر الجاهلي ، حين كانت العنصرية غالبة على التفكير العربي ، وهو ما نجد صداه في بعض كتابات من تصدوا للرد على الشعوبيين ، وفي أبيات من شعر المتنبي وغيره :

لا تشتر العبد الا والعصا معه

ان العبيد لانجاس مناكيدُ

من علّم الأسود المخصيَّ مكرمةً

أقومه البيض ، أم آباؤه الصيدُ ؟

وذاك أن فحول البيض عاجزة

عن الجميل ، فكيف الخصية السودُ ؟ !

ومع ذلك ، فانه من المؤكد أن المسلمين ـ بفضل الاسلام وتعاليم القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ـ لم يعرفوا ذلك التمييز العنصري البغيض ، ولا تلك العداوة العنصرية اللذين عرفهما المجتمع الغربي الى زماننا هذا ، رغم كل جهود دعاة الاستنارة ، ورغم تعاليم المسيحية السمحة .

وقد قرأنا في التاريخ كيف أن غزاة العالم الجديد من الاسبان والبرتغاليين كانوا ينكرون أشد الانكار أن الهنود الحمر من البشر ، وينكرون أن لهم أرواحا كأرواحهم ، وذلك بعد نحو ألف عام من زمن النبي (عليه الصلاة والسلام) وصحابته الذين كانوا لا يرون أدنى فارق بين عمر العربي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، ولا أدنى مبرر للتمييز بين الأجناس .

غير أنه مما لا شك فيه أيضا ، أنه قد كان من بين آثار الاستعمار الأوروبي في الأزمنة الحديثة لأقطار العالم الاسلامي ، تصدع البنية الاجتماعية التقليدية في تلك الأقطار ، وما أدى اليه هذا التصدع من أضعاف مشاعر الأخوة والتضامن بين المسلمين من وجوه عديدة ، وقد كان الأتقياء من علماء الدين فيما مضى ، وكثرة الاتصالات فيما بينهم رغم تفرقهم في الأمصار ، من أبرز العوامل المساعدة على تعزيز هذه الروح من الأخوة بين أفراد الأمة ، أما اليوم فقد حل مكان نفوذهم نفوذ مثقفين ، تلقوا تعليمهم في معاهد علم على غرار المعاهد الغربية ، وتأثروا بمفاهيم أوروبا وقيمها ، فباتوا يميلون الى أن يحيوا حياتهم في اطار أوطانهم المتفرقة ، لا في اطار الأمة المجتمعة المتكاتفة ، ولعل هذا هو السبب في أننا أصبحنا نجد المسلمين العرب مثلا فاتري الاهتمام باخوانهم من مسلمي شرق أفريقيا أو أندونيسيا ، وبتنا نرى الكثيرين منهم يرقبون جهاد شعب أفغانستان ، وكأنما هو جهاد أمة غريبة أجنبية لا شأن لهم به ، لاجهاد جزء لا يتجزأ من أمة الاسلام ، يريد أن يبقى على ذاتيته ، وعلى تقاليده وقيمه ودينه . □

كرة القدم



هذا الهوس العالمي

بقلم : عادل شريف

رغم أن بني البشر من سكان كوكب الأرض يمارسون أكثر من مائة لعبة رياضية . . فان كرة القدم هي صاحبة الشعبية الطاغية في معظم بلاد الكرة الأرضية . .

هناك تقليد عالمي متبع في كل ما في الدنيا من اقطار وامصار . . يقضي باطلاق عبارة «عام كاس العالم» على كل عام ينظم فيه «الفيفا» أي الاتحاد الدولي لكرة القدم بطولة كاس العالم مرة كل أربع سنوات .

وعلى هذه البطولة الشديدة الأهمية ، يطلقون لقبا طريفا جديرا بها وهو « ثاني أعظم مهرجان رياضي في كل كوكب الأرض » وهو الثاني لأن الأول ببساطة شديدة هو مهرجان « الألعاب الأولمبية الصيفية » الذي يقام مرة كل أربع سنوات أيضا . . ولكن برنامجه الرياضي يضم خمسا وعشرين لعبة من بينها كرة القدم . . وهي العاب مفتوحة لبلاد الدنيا

كلها .. بينما هناك عنق زجاجة لايسمح الا لأربع وعشرين دولة فقط بالاشتراك في بطولة كأس العالم لكرة القدم .

ومنذ أن اخترع المصريون القدماء . شيئا مستديرا يلهون به .. سارت كرة القدم مشواراً طويلا طويلا .... تطورت فيه من « تسو تشو » عند الصينيين الى كيماري عند اليابانيين الى « ابيسكيروس » لدى الاغريق (اليونانيون القدامى) بينما مارس الرومان لعبة شبيهة بكرة القدم أسموها « الهارباستوم » التي نصح « أوفيد » شاعر الرومان نساءهم بعدم ممارستها لأنها خشنة ولا تليق بالجنس اللطيف .

ولكن مطوري ومقنني كرة القدم الحديثة هم « الانجليز » بلا شك ، فهم الذين فصلوها عن لعبة « الرجبي » المنافسة ، وكونوا أول اتحاد لها في حانة « الملكة العظيمة » في لندن في عام ١٨٦٣ ... ، ونظموا أول بطولة لها في عام ١٨٧٢ ، وهي « كأس انجلترا » ثم أقاموا أول بطولة للدوري في عام ١٨٨٢ .. وبعد ذلك بثلاث سنوات جاء الأعتراف بـ « الاحتراف » فحفظوا آدمية وكرامة اللاعبين المحترفين .. وحموهم من استعلاء الهواة .. وكانوا من النبلاء والأثرياء والمثقفين وطلبة أرقى مدارس وكليات انجلترا الارستقراطية ، والانجليز أيضا هم الذين نشروا كرة القدم في كل أرجاء الدنيا .. وعملوا الدنيا لعبة لها قانونها المعمم الموحد في كل مكان .. ومن ثم أصيب الناس « بحمى الكرة » تلك القطعه المستديره من الجلد التى يملؤها الهواء .. !!

منافسة .. ملتهبة

وعندما نجح البارون الفرنسي « بييراى كوبيرتان » في إحياء الألعاب الأولمبية القديمة بعد رقاد طال١٥٠٣ من الأعوام .. بعد أن ألغاها فرمان ديكتاتوري مستبد من الامبراطور الروماني تيودوسيوس في ٣٩٣ ميلادية .. سعدت الدنيا عندما نظمت أثينا أول دورة أولمبية حديثة في عام ١٨٩٦ .. وانتعشت الألعاب الأولمبية عندما أدرجوا لعبة كرة القدم في برنامجها الرياضي « رسميا » في عام ١٩٠٨ .. واعتبروا مسابقة كرة القدم الأولمبية بمثابة « بطولة العالم لكرة القدم » .. ولكن « العدالة الرياضية » لم ترض عن تلك التسمية لأن الألعاب الأولمبية لم يكن - ولم يزل - لها سوى حبيب واحد .. وهو اللاعب « الهاوي » وجاء عدم الرضاء من حرمان اللاعبين « المحترفين » الأبرع والأمهر والأعلى مستوى من الاشتراك في مسابقة كرة القدم « الأولمبية . »

وحتى تظل « العدالة الرياضية » معصوبة العينين .. كافح رجل فرنسى آخر كفاحا لا يقل جهدا عما بذله بيير كوبرتان من معاناة وتضحيات .. وكان الرائد الجديد هو المحامي الفرنسى « جول ريميه » .... الذي كان يرأس « الفيفا » والاتحاد الفرنسى لكرة القدم ، وبذل جول ريميه جهودا تفوق



.. من أجل الفوز بهذا الرمز !

طاقة البشرية على مدى عشر سنوات حتى تحققت فكرته الخلاقة البناءة .. وهي اقامة بطولة لكأس العالم لكرة القدم .. بحيث تكون مفتوحة للجميع .. للهواة والمحترفين معا .

ومن متناقضات وغرائب وعجائب كأس العالم هذه ، أن مسئولي الحركة الاولمبية .. كانوا من بين معارضي بدء بطولة كأس العالم،فالغيرة شديدة حتى بين الجهات الرياضية العالمية والدولية ، والأغرب أن انجلترا ناشرة وأستاذة وسيدة كرة القدم « كانت على رأس الدول المعارضة لبدء بطولة كأس العالم ، ولكن .. نجح « جول ريميه » في مؤتمر « الفيفا » ١٩٢٩ في منح أوروجواى شرف تنظيم أولى بطولات كأس العالم .. التي احتضنتها أوروجواي الصغيرة الفقيرة .. فقد كانت تعشق كرة القدم عشقا مبرحا .. الى حد ان فريقها القومي المغمور تحول الى فريق مشهور .. بعد أن حقق أغرب مفاجآت كرة القدم عندما فاز ببطولة كرة القدم في دورتي باريس ١٩٢٤ وامستردام ١٩٢٨ الاولمبيتين مما أثار حقد دول أوروبا الأقدم في مجال كرة القدم التي غزت الدنيا كلها باستثناء بعض جيوب مقاومة قليلة مثل بلاد العم سام « أمريكا » وبلاد الشمس المشرقة « اليابان » .

ورب .. صدفة

ومن أغرب صدف قصة كأس العالم . أن دول أوروبا التي كانت تغار من أوروجواى .. طالبت بتحمل أوروجواي الصغيرة الفقيرة (وكان تعدادها وقتها يقل عن مليوني نسمة) لنفقات السفر والاقامة الكاملة ، كشرط لموافقة دول المعارضة على الاشتراك في أولى بطولات كأس العالم التي استضافتها أوروجواى في عيد استقلالها المئوى .

في مقهى « سان سوسى » أي (بلا أحزان) المطل على بحيرةجنيف السويسرية الساحرة اجمال جلس جول ريميه وهو في اسوأ حال ، وتجتاحه الأحزان ، لأن موعد عقد مؤتمر « الفيفا » الدولى في مايو ١٩٢٩ .. كان يقترب . اوروجوى غير قادرة على اعلان قبولها لذلك الشرط التعسفي .. وفجأة دخل المقهى الدكتور « ايزيك بيرو » .. صديق جول ريميه الحميم .. وكان ايزيك يعمل في سفارة أوروجواي بسويسرا وعلى وشك السفر الى وطنه في اجازته السنوية .. وعلم سر شقاء صديقه العزيز الفرنسي .. ووعد بانه سيبذل قصاري جهده مع أصدقائه أعضاء اتحاد كرة القدم في أوروجواي .. للموافقة على استضافة كل الفرق القومية المشتركة في أول بطولات كأس العالم وتحمل نفقات سفرها .

ونجح الدكتور ايزيك ـ وكان من عشاق كرة القدم أيضا ـ في مساعيه الحميدة ، وأعلنت اوروجوي موافقتها على .. شروط المعارضة .

وبدأت القافلة مسيرتها في يوم ١٣ يوليو ١٩٣٠ عندما لبست « مونتفية يو »أبهى حللها .. وبنت ملعب « السينتيناريو ـ أي المئوى ـ في أقصر وقت بني فيه ملعب رئيسى ، يتسع لمائة الف .. محموم .. مجنون .. مهووس .. بكرة القدم .

ثم جاء العرب

وكانت مصر أول بلد عربي عرف كرة القدم ومارسها .. وتشكل أول فريق كرة قدم في مصر في عام ١٨٩٥ ، وكان اسمه « فريق محمد أفندي ناشد « وجنت مصر أسوة ببلاد كثيرة بكرة القدم وأنشأت اتحادها الأوروبي في عام ١٩٢١ وانضمت الى « الفيفا » في سنة ١٩٢٣ ، والأهم أن مصر كانت أول بلد عربي وافريقي يشترك في بطولة كرة القدم الأولمبية .. وعندما اشتركت مصر في ثلاث دورات متتالية وهي ١٩٢٠ ، و ١٩٢٤ ، و ١٩٢٨ ، سجل نجمها الأعلى الممتاز « على الحسني » رقما قياسيا مازال قائماً منذ ذلك الوقت حتى الآن .. فهو اللاعب الوحيد الذي مثل وطنه في ثلاث دورات أولمبية متتالية .

وفاز فريق مصر لكرة القدم بالمركز الرابع في دورتي أمستردام ١٩٢٨ وطوكيو ١٩٦٤ .. وكان أول فريق عربي يشترك في كأس العالم .. وكان ذلك في بطولة ١٩٣٤ ، عندما سجل نجمه الشهير وهدافه الخطير « عبدالرحمن فوزى » رقما قياسيا عالميا ، مايزال هو الأخر قائما حتى الآن .. فعبد الرحمن هو اللاعب الأوحد الذي سجل « كل أهداف فريقه في التصفيات والنهائيات ، ففي التصفيات فازت مصر على فلسطين ١/٧ في القاهرة ، ثم ١/٤ في القدس .. وفي



النهائيات فازت المجر على مصر ٤/٢ وللأسف أن قانون كأس العالم في ذلك الوقت كان يطبق قانون « خروج المغلوب » وانهزمت مصر في نابولي ، فحزم لاعبوها حقائبهم وسافروا . .

ومضت ست وثلاثون سنة حتى ظهر أول منتخب عربي في نهائيات كأس العالم . . وكان ذلك المنتخب هو الفريق القومي المغربي الذي نجح في التأهل عن افريقيا في التصفيات التي سبقت « كأس العالم ١٩٧٠ » التي استضافتها المكسيك . . ولعبت المغرب في المجموعة الرابعة . . وتعادلت مع بلغاريا ١/١ وانهزمت من بيرو ٣/ صفر ، ومن المانيا الغربية ١/٢ ، وفي مدينة ليون توقفت الأفلاك والتفت الدهر . . فقد تقدمت المغرب على المانيا ١/ صفر بهدف « جابو حومان » في الدقيقة العشرين . . وجنت وسائل الاعلام العالمية وهي تنقل النبأ المذهل . . وأصيبت ألمانيا بالهم والغم . . وطال ليلها ولم تنم الى أن أنقذها النجم الألماني العبقري « جيرد مولر » في شهامة الفرسان ، واحرز هدف التعادل بعد أربعين دقيقة من صاروخ « جوماني » ،. هدف الفوز قبل النهاية الدرامية بعشر دقائق .

أسماك صغيرة . . أم كبيرة ؟

ودخلت الفرق الوطنية العربية فترة « بيات شتوى » وغابت عن ذلك المنبر العالمي الرياضي المهم ثمانية أعوام ثم جاءت تونس الخضراء نائبة عن افريقيا لتلعب في « كأس العالم ٧٨ » في الأرجنتين . . وعندما سافر كاتب هذه السطور الى « روزاريو » لحضور مباراة تونس وبولندا . . وجد مشقة وهو يخترق صفوف الآلاف من المشجعين الأرجنتينيين الذين أحاطوا بفندق المنتخب التونسى . . لمجرد تحيته وهو خارج في طريقه الى الملعب ، فهكذا كان حب « التوانسة » قد تغلغل الى أعماق قلوب أبناء البلد المضيف .

وعلينا نحن العرب أن نواجه بلاحرج أو حساسية دعايات المعسكر الغربي ـ اللاتيني وكتاباته . . فهم يسمون فرقهم القومية الأسماك الكبيرة ، ويطلقون على الفرق القومية « المتواضعة » المستوى لقبا معاكسا هو « الأسماك الصغيرة » ومعنى هذا انهم يؤكدون أن كأس العالم الذهبية لابدو أن تفوز بها فرق أوروبية أو

أمريكية لاتينية .. فقط .. أي ان السمك الكبير لابد وأن يأكل السمك الصغير .. !

والسبب الوحيد أمام العرب .. ـ بالذات ـ لهدم هذه النظرية هو « المستطيل الأخضر » أي الملعب وارتفعت تونس الى مستوى المناسبة والمسئولية ، وهزمت المكسيك ١/٣ بفضل فرسانها الثلاثة « الكعبي » و « وغميض » و « ذويب » وارتفعت الراية العربية خفاقة يومها .. وتحدثت الدنيا عن نجوم العرب الصاعدين الواعدين .. المتوعدين .. وانهزمت تونس ١/ صفر من بولندا (ثالثة العالم) بضربة جزاء ماتزال تثير جدلا حتى الآن .. فقد كانت ضربة جزاء مشكوكا فيها وفجرت تونس السمكة الصغيرة أضخم مفاجأة عندما تعادلت مع بطلة العالم ألمانيا الغربية « السمكة الكبيرة » .

وفي صيف ١٩٨٢ القريب الساخن المثير .. سجل العرب رقما قياسيا جديدا .. عندما وصلت دولتان عربيتان « لأول مرة في تاريخ كأس العالم » الى نهائيات كأس العالم .. وشهدت تلك الانجازات الارض التي حولها العرب الامجاد على مدى من يقرب من الثمانية قرون .. الى منارة للعلم والثقافة والحضارة والمعرفة والفنون .. وهي بالطبع أرض اسبانيا عامة والأندلس خاصة .

ورغم أن اللجنة المنظمة وضعت الفريقين العربيين في مدن بعيدة عن منطقة الأندلس .. فقد شهدت « بلد الوليد » فريق الكويت (المغمور) وهو يتعادل ١/١ مع فريق التشيك القوي المشهور وصحيح انه انهزم من فرنسا ١/٤ .. ومن انجلترا في بلباو ١/ صفر ، ولكن الكويتيين تركوا انطباعا طيبا لدى الجميع .

وفجر الجزائريون أغرب مفاجآت كأس العالم عندما دحروا الألمان ١/٢ والشيليين ٢/٣ ليتألق فرسان الأوراس الاشاوس : عصاد وبيرين صاولة ولخضر بلومي وماجر .. ولم تنهزم الجزائر الامن النمسا (٢/ صفر) وكادت الجزائر أن تتأهل وتدخل الدور الثاني ، ولكن « الألمان والنمساويين .. دبروا أمرا بليل .. فتأهلوا بدلا من الجزائريين المناضلين ..

رقم قياسي عربي جديد

وفي مباريات التأهيل لدخول نهائيات « كأس العالم ٨٦ » فجرت الأقطار العربية الشقيقة أضخم المفاجآت في تاريخ كأس العالم . فلأول مرة تصل الى الأدوار النهائية « ثلاثة أقطار عربية .. وقد حققت هذا الانجاز الأسطورى البطولي كل من : المغرب والجزائر (عن افريقيا) والعراق (عن اسيا)

وطبقا لأحدث تعديلات لوائح وقوانين بطولة كأس العالم ، تمثل كل من آسيا وافريقيا بفريقين قوميين . ومعنى هذا أن العرب احتلوا ثلاثة مراكز من المراكز الأربعه المخصصة لقارتي آسيا وافريقيا .

وهنا يطفو على السطح سؤال يتردد في الحاح : هل هناك أمل للعرب أم ان القرعة كانت متحيزة ؟ واخترنا للوصف كلمة متحيزة ، رغم أن بعض وسائل الاعلام الأجنبية تسميها « جائرة ظالمة ومتعصبة » .. فقد أوقعت القرعة ـ التي شهدها بليون مشاهد ، أي خمس البشر من شاشات التلفاز ـ العراق في المجموعة الثانية مع بلجيكا وباراجواى والمكسيك وهو البلد المضيف الذي يلعب على أرضه وبين جمهوره .. المحموم المهووس المجنون .. بفريقه القومي ، وبقطعة الجلد التي يملؤها الهواء .

تقول إحصائية موثوق بصحتها ان مباريات كأس العالم لكرة القدم قد شدت اليها اكثر من ٨٠٠ مليون مشاهد في الملاعب .. ثم بعد ذلك على شاشات التليفزيون .. منذ أن بدأت الفرق الدولية تتنافس على الفوز بالكأس الفضى « الكروى » .. !! □

■ أستاذي كان واحدا .. هو الزمن ! تعلمت منه أن أكون أشد حرصا على اسعاد الناس ، قبل ان أسعد أنا نفسي (أحمد عبود) .

صدر العدد السادس من

مجلة العربي الصغير

٦٤ صفحة بالألوان

للفتيان والفتيات العرب

مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار

في الأسواق أول كل شهر

احجز نسختك من الآن لأبنائك

لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة



١٠٠ جائزة قيمة
تنتظر طفلك
شهريا في مسابقة
العربي الصغير



الجديد في العلم والطب

مضاد حيوى جديد

يبدو أننا على أبواب عهد جديد من الطب والمعالجة بالعقاقير، ذلك أن (الكوينولون) الذى استعمل منذ اكتشافه فى أواسط الستينيات، لمعالجة بعض الآفات البسيطة التى تصيب المجارى البولية، بات يبشر بالقضاء على شتى الالتهابات المستعصية ... سواء منها ما يصيب الجهاز التنفسى، أو الجهاز التناسلى، أو غير ذلك ... ولو ذكرنا ان (الكوينولون) أسهل صنعا وتناولا من أكثر المضادات المألوفة، لأمكننا التنبؤ بانخفاض كبير فى تكاليف المعالجة من الالتهابات البكتيرية ... يعقب انتشار استعمال (الكوينولون) المرتقب.

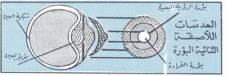
ومما يذكر عن (الكوينولون) أنه يفتك بمجموعة من البكتيريا، أكبر مما تفتك به المضادات العادية المعروفة .. ويحول بذلك دون ظهور أنواع من الميكروبات مقاومة لتلك المضادات، أضف الى ذلك أن (الكوينولون) يمكن كريات الدم البيضاء من تحطيم الجراثيم بفاعلية مضاعفة .. وهو أقل من غيره من المضادات أذى أو تسمما، بحيث يستطيع الأطباء وصفه مبكرا، وقبل تحديد المرض بالتحليل والتصوير ... والأهم من ذلك هو ان (الكوينولون) يحتوى على أنزيم يسيطر على الطريقة التى تنحل فيها (D . N . A) البكتيرية وتلتف وذلك عند تكاثر الميكروبات.

ومن مزايا (الكوينولون) أن فى الامكان تناوله حبوبا أو كبسولات عن طريق الفم .. دون حاجة الى التزام المستشفى، أو زيارة الطبيب، أو التردد على المضمد.

هذا وقد نجح الباحثون فى عزل ٢٠ صنفا من الكوينولون) حتى الآن، أشهرها (النورفلوكساسين) وهو الذى طورته وأخذت فى انتاجه على نطاق تجارى الشركات اليابانية ... وقد نزل الأسواق فى اليابان وكوريا وعدة دول أوروبية وافريقية وأمريكية ... وسيظهر فى أسواق الولايات المتحدة لدى صدور الترخيص باستعماله من قبل وكالة الغذاء والدواء (F. D. A).

عدسات لاصقة جديدة لُبعد النظر ولقربه فى آن معا

نجحت جامعة المنتجات البصرية بفلوريدا فى تطوير عدسة لاصقة جديدة، تساعد المصابين بآفة بُعد النظر وآفة قرب النظر فى آن معا، ودون أية مضايقة .. فالعدسة الجديدة - وهى من النوع الطرى - ثنائية البؤرة إذن ... ولكنها تختلف اختلافا كبيرا عن العدسات اللاصقة الثنائية البؤرة، والموجودة فى الأسواق حاليا .. وذلك بمجاراتها العين فى ردّ فعلها للضوء ....



فهذه العدسة الجديدة تجعل بؤرة القراءة فى أوسطها ، وتحيط بها بؤرة الرؤية البعيدة (انظر الرسم) . . . هذا بخلاف العدسات اللاصقة الثنائية البؤرة ، الموجودة فى الأسواق ؛ ومعنى ذلك أن صاحب العدسات الجديدة يتلقى معظم الضوء ، أثناء قراءته وتقلص بؤبؤ عينيه ، عبر بؤرة القراءة الداخلية . . . واذا وصله أى ضوء عبر بؤرة الرؤية البعيدة ، فانه يكون ضوءا هامشيا وضعيفا ، وسرعان ما يألفه المخ ، فيتجاهل الغشاوة التى ترافقه . . . .

أما اذا تحول صاحب العدسات الجديدة عن القراءة ، وراح يسرح ببصره من النافذة ، فان بؤبؤ عينيه يتمدد ، ويتلقى الضوء عبر بؤرة الرؤية البعيدة كما لا يخفى ، وقد يرى ظلا ضعيفا الى جانب الصورة التى يرى . . . ولكن هذا الظل سرعان ما يختفى بعد مضى أسابيع قليلة على مباشرة استعمال العدسات الجديدة .

وينصح المسؤولون عن تطوير هذه العدسات باستعمال النظارات الشمسية الملونة ، وذلك من أجل الحد من تقلص البؤبؤ تقلصا يزيد على الحاجة . . . وقد أصابت التجارب العديدة التى اجريت ٧٠٪ من النجاح . . . وتبين أن الفشل فى الثلاثين فى المائة من الحالات ، كان سببه انحراف البصر او اللابؤرية التى عانى منها الأشخاص الذين كانوا موضع تجربة فى تلك الحالات الفاشلة .

وقد أقرت وكالة الغذاء والدواء (F . D . A) هذه العدسات الجديدة مؤخرا . . وهى تباع حاليا فى الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا . . . وستباع فى فرنسا وسويسرا فى أواخر هذه السنة .

وتعمل الشركة على تطوير عدساتها الجديدة ، بحيث تصبح مناسبة للمصابين باللابؤرية ، أو الاستجماتزم ، بالاضافة الى آفتى قرب النظر وبُعده .

جراحة العيون .. في الاتحاد السوفياتي

من المعروف أن أطباء الاتحاد السوفياتي قد قطعوا شوطا كبيرا في معالجة أمراض العيون . . وأنهم يتفوقون في هذا المجال على زملائهم في شتى بلدان العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية .

ونخص بالذكر من أولئك الأطباء الدكتور سفياتوسلاف فيودوروف مدير معهد موسكو لابحاث جراحة العيون الدقيقة فهو المسؤول عن اجراء عمليات العيون بالجملة . . . للمرضى الذين يوضعون على حزام جرار ، وكأنهم هياكل السيارات وهي تنتقل في مصانعها من صانع الى صانع آخر . . وذلك ضمانا للسرعة الفائقة في اجراء تلك العمليات . . . .

يقول الدكتور فيودوروف بأن في الامكان تغيير شكل قرنية العين وتكبير

الجديد في العلم والطب

ذرات أو جزئيات معينة فيها .. وذلك بتسليط رزمة من أشعة ليزر .. ومن شأن هذه العملية أن تغني المصاب ببعد البصر عن استعمال النظارات ..

والدكتور فيودوروف هو صاحب الفضل في ابتكار واتقان عمليات تصحيح قرب البصر .. وهي التي تسمى اصطلاحا Karatotomy وهو مبتكر الاسلوب الجديد الكفيل بتصحيح المضاعفات المترتبة على آفة قرب البصر الشديدة المزمنة وآفة الماء الأزرق Catarocts المعروفة ...

هل تشكو « صرقعة » الأسنان ليلا

وأخيرا نجح العلماء في صنع فم اصطناعي .. وذلك ليمكنهم من دراسة عملية المضغ من الناحيتين الميكانيكية والكيماوية .. أولئك هم علماء كلية طب الأسنان في جامعة مينوسوتا (في مدينة مينابوليس) في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويتميز الفم الاصطناعى بانه يقلد الضغوط التي تتعرض لها الأسنان واللثة أثناء عملية المضغ ويتيح الفرصة لدراسة مشكلة مهمة .. هي مشكلة قيام النائم بالمضغ بأسنانه دون وجود طعام في فمه .. أو إن شئت (صرقعة) الأسنان أثناء النوم ، فهذه مشكلة يعاني منها خمس السكان في الولايات المتحدة على الأقل .. وهي ضارة بالمصابين بها ، ومزعجة جدا لرفاقهم في الحياة ...

مكتشفون ومخترعون

يسمونها أشعة اكس ، أو الأشعة السينية ، أو أشعة رونتجن نسبة الى مكتشفها : ولهلم كونراد رونتجن : .. ولو ذكرنا الدور الخطير الذى لعبته هذه الأشعة في مجال الطب والفيزياء في القرن العشرين ، لأيقنا أن مكتشفها يحتل مكانة طليعية بين بناة حضارة هذا القرن الذى نعيش فيه .

ولد ولهلم في ٢٧ مارس ١٨٤٥ ، في بلدة لينيب في بروسيا (في ألمانيا الغربية حاليا) وتوفى في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ .. في مدينة ميونخ المعروفة ، شغل منصب استاذ بروفسور في جامعة ورزبورغ .. حيث أجرى طائفة من الأبحاث العلمية المختلفة ، شملت فيما شملت موضوع الجاذبية الشّعرية وفعلها الشّعرى في السوائل (Capillory action) وموضوع المرونة (elasticity) وموضوع الحرارة النوعية في الغازات .. وموضوع خاصية ايصال الحرارة (Conduction) في البلورات ، او إن شئت الزجاج البلورى (Crystals) .. ولكن أبحاثه الخاصة بالتيار الكهربائى وسريانه عبر أنبوب زجاجى مفرغ من الهواء الى حد ما .. طغت على كل ماسواها .. نظرا للنتيجة التى تمخضت عنها بالصدفة .. اكتشاف أشعة إكس .

كان ذلك في ٨ نوفمبر ١٨٩٥ ، حين كان رونتجن منهمكا في اجراء تلك التجارب في مختبره المظلم .. فقد لاحظ العالم فجأة ضوءا أخضر ينبعث من قطعة من الورق المقوى (الكرتون) كانت موجودة في الجانب الأخر من المختبر .. وكانت هذه القطعة مطلية بمادة كيماوية وضاءة (Luminiscent) لايكاد يسقط عليها النور حتى تتألق بذلك الضوء الأخضر الغريب .. ولكن مختبره لم يكن مضاء ..

وهلم رونتجن
١٨٤٥ - ١٩٢٣





بحيث لاح للعالم احتمال أن يكون الأنبوب الزجاجي الذي كان يجرى تجاربه عليه هو مصدر ذلك النور . وماأسرع ماأوقف التيار الكهربائي الواصل الى ذلك الأنبوب فاختفى الضوء الأخضر .. ومالبث هذا الضوء أن عاد الى الظهور لدى اعادة التيار الى الأنبوب الزجاجي الذى ذكرنا ، والذى لم يكن أنبوبا عاديا ، وانما أنبوب أشعة كاثودية (Cathode ray tube) وقد انبعثت هذه الأشعة من الأنبوب بفعل التيار الكهربائي الواصل اليه .. ولم يظهر منها شيء عند انقطاع التيار . واستنتج رونتجن أن هذه الأشعة الكاثودية او الألكترونات هى التى تسببت بتألق الضوء الأخضر ، واستنتج أيضا أن تلك الأشعة ماكانت لتتسبب بذلك الضوء الأخضر لولا سقوطها على جدار الأنبوب الزجاجي واختراقها اياه .. قبل سقوطها على قطعة الكرتون ، بل على المادة الكيماوية التى طُليت بها ..

ثم وضع العالم يده حاجزا بين الأنبوب وبين قطعة الكرتون ، واذا بصورة يده تنعكس على قطعة الكرتون .. ولكن بعظامها دون لحمها وجلدها .. وشعر رونتجن بالحيرة والدهشة وتساءل : ترى ماهى تلك الأشعة التى لايذكر لها سابقة والتى لم يكن يدرى عنها شيئا .. فهى اذن أشعة مجهولة .. أشعة اكس ... وحرف (×) في اللغات الأجنبية يرمز الى المجهول كما هو معروف .

ومضى العالم يجرى تجاربه ، فتبين له بأن ثمة مواد أخرى شفافة ، ولاتقف حاجزا في طريق تلك الأشعة .. ونذكر من تلك المواد على سبيل المثال الورق والخشب والألمنيوم ، وتبين له أيضا أن لتلك الأشعة أثرا في ألواح أو صفائح التصوير الفوتوغرافي ، ولكنه لم يكتشف صلة تلك الأشعة الوثيقة بالضوء ، بل ظن أنها لاتمت له بصلة ، وقد افتقرت الى خصائصه المعروفة كالانعكاس (re-flection) والانكسار (refraction) وما الى ذلك .

وجاءت سنة ١٩٠١ ، واذا برونتجن يفوز بجائزة نوبل في الفيزياء ، وذلك تقديرا لاكتشافه الأشعة السينية .. وكانت جائزته تلك جائزة نوبل الأولى في الفيزياء .

ويعجب المرء أكثر مايعجب لامتناع رونتجن عن تسجيل اكتشافه .. لقد أحدث انقلابا في عالم الطب ، ومكن الانسان من مشاهدة مافي داخل جسم الانسان ، ولكنه أحجم عن تسجيل اكتشافه وعن قطف ثماره الطبية التى جناها الذين جاءوا بعده .. ومات رونتجن فقيرا معدما في ١٠ فبراير ١٩٢٣ في ميونخ ..

سلامة البشرية في سلامة البيئة

حظر الاسبست

تحدثنا في عدد سابق عن الرصاص، أحد ملوثات البيئة الخطيرة.. ونتحدث اليوم عن الاسبست.. ثاني الملوثات البيئية الخطيرة.. فالاسبست يسبب الاصابة بالسرطان.. وان لم يسببه فهو يساعد على ظهوره لدى توافر عوامل أخرى غيره.. وهو فوق ذلك كله يتسبب بمرض اسمه الاسبستيه (Asbestosis) نسبة الى الملوث نفسه..

أما الباعث على الحديث عن الاسبست فهو القرارات الهامة التي اتخذتها وكالة البيئة الأمريكية EPA ضده.. فمن شأن هذه القرارات ان تكفل حظر هذا الملوث صنعا واستعمالا في غضون العشر سنوات القادمة.. وتجدر الاشارة الى أن الوكالة كانت قد حظرت الاسبست قبل ١٢ سنة.. ولكن حظرها هذا لم يكن شاملا بل اقتصر على منع استعمال الاسبست لأغراض العزل في بناء المدارس والمكاتب.

ولكن للاسبست استعمالات أخرى عديدة.. نذكر منها بناء سقوف البيوت وارضها.. وانابيب الأسمنت التي يدخل الاسبست في صنعها.. ونذكر أيضا الثياب الواقية.. فهذه الاستعمالات التي تشكل أكثر من ٥٠٪ من استعمالات الاسبست جميعا لاتقل خطورة عن سواها كما تؤكد الوكالة..

لذلك اقتضت قراراتها حظر استعمال الاسبست في هذه المجالات جميعا وعلى الفور مادام البديل الذي



يغني عن الاسبست متوفرا.. اما اذا تعذر وجود بديل في الوقت الحاضر، كما هو الحال في صناعة قطع غيار فرامل السيارات وما إليها، فيؤجل الحظر مدة اقصاها عشر سنوات..

وهبت صناعة الأسبست تدافع عن منتجاتها وتعارض قرارات الوكالة ولاندرى ان كان فى استطاعة اللوبى الذى يساند هذه الصناعة الغاء تلك القرارات او تعديلها . .

وجاء فى رد وكالة البيئة على حجج صناعة الاسبست ان حظر الملوث الكلى سيسبب لتلك الصناعة خسائر ولاريب ، وقد لاتقل تلك الخسائر عن ٢٠٠٠ مليون دولار ولكنه كفيل بانقاذ ١٩٠٠ مصاب بالسرطان من موت محقق . . وهذا كسب كبير يقدر ماديا بحوالى ١٩٠٠ مليون دولار . . ومعنى هذا ان كفة الخسارة ليست راجحة وانها وكفة الربح متعادلتان تقريبا . .

لم لا تمارس الرياضة . . . فتمد فى عمرك ؟

نشرت مجلة نيوانجلند الطبية بحثا مستفيضا عن فوائد الرياضة البدنية ، وبخاصة عن علاقتها بطول العمر ويعتبر البحث المذكور أشمل وأدق بحث أجرى فى موضوعه حتى الآن ، وحسبك ان الدراسة التى قام عليها البحث شملت (١٧٠٠٠) رجل (بالضبط ١٦٩٣٦)

وقد اختير هؤلاء الرجال من المنتسبين الى جامعة هارفارد ، فيما بين سنة ١٩١٦ . . وسنة ١٩٥٠ ، . . . وقد كانت ظروف حياة هؤلاء موضع دراسة ومتابعة حتى سنة ١٩٧٨ ، وبلغ عدد الذين ماتوا منهم فى الفترة المذكورة ١٤١٣ رجلا . . . وهكذا تسنى للباحثين الربط بين الرياضة البدنية من جهة ، وبين الموت والتعمير من جهة ثانية ، ونوجز فيما يلي أهم ما توصل اليه الباحثون . . . . .

١ ـ فئة الرجال الذين مارسوا المشى بمعدل (٩) أميال فى الأسبوع أو يزيد ، والذين أحرقوا على الأقل ٩٠٠ سعر حرارى . . . . كانوا أقل عرضة للموت من الذين اكتفوا بالمشى أقل من ثلاثة أميال فى الأسبوع ، وذلك بنسبة ٢١٪ .

٢ ـ اما الرجال الذين مارسوا ركوب الدراجات أو رياضة التنس بمعدل ٦ ـ ٨ ساعات فى الأسبوع ، وأحرقوا تبعا لذلك ٣٥٠٠ سعر حرارى ، فكانوا أقل عرضة للموت من الذين لم يمارسوا أية رياضة وذلك بنسبة ٥٠٪ .



٣ ـ ودلت الدراسة أيضا على أن ممارسة الرياضة الجادة بمعدل ٣ ـ ٤ مرات فى الأسبوع ، قد تحدّ من الأثار السلبية التى تترتب على تدخين السجاير ، وعلى ارتفاع ضغط الدم ، ودلت الدراسة أيضا على أنها قد تحدّ جزئيا من طبيعة الموت المبكر المتوارثة . . .

٤ ـ وثمة مفاجأة غريبة تمخضت عنها الدراسة . . . فقد ارتفعت نسبة الموت فى الذين يبالغون فى ممارسة الرياضة العنيفة (ككرة السلة والسكواش مثلا) ويحرقون بسببها أكثر من ٣٥٠٠ سعر حرارى فى الأسبوع . . . وذلك بالمقارنة مع الفئات الأخرى التى تلزم الاعتدال فى ممارسة الرياضة الملائمة . . .

٥ ـ وقل مثل ذلك فى الأبطال والرياضيين الجامعيين الذين يحجمون عن ممارسة الرياضة دفعة واحدة ، بعد تخرجهم فى الجامعة . . . فقد ارتفعت نسبة الموت فيهم عما هى عليه فى الذين واصلوا ممارستها . . . .

٦ ـ وتبين للباحثين أيضا أن الزيادة فى العمر التى يظفر بها الرياضيون المعتدلون ، قد تبلغ ١٠ ـ ٢٠ عاما . . .

وتجدر الاشارة الى تقرير آخر نشرته المجلة الطبية المذكورة ، ويتناول الفوائد الصحية التى يجنيها الانسان من ممارسة الرياضة البدنية . . اذ يؤكد هذا التقرير ان الركض يضمن للعظام زيادة فى الكثافة ، تقدر بـ ٤٠٪ ، وذلك فيمن تتراوح أعمارهم بين ٥٠ ـ ٧٢ عاما . . . ومعنى هذا أن الركض فى الشيخوخة يحد من احتمالات التعرض لمرض اضمحلال المفاصل . . . خلافا للقول الشائع بأنه يضاعف تلك الاحتمالات .

بدايات المسرح في الكويت

بقلم : الدكتور محمد مبارك الصوري

فعالية المسرح وحركته ، تأتي من خلال دعوته للتغيير ، فهو أداة لايتحمل اشهارها في وجه التخلف والاضطهاد الا من يملك قضية ومن يستطيع أن يجعل للمسرح قضية .

والمسرح في الكويت قد تبنى قضايا الناس بقوة وجلد ، لذلك استمر يواصل كلمته بكل صدق منذ البداية .

قد لانجافي الحقيقة بشيء اذا قلنا بأن منهجية دراسة المسرح كظاهرة حضارية ، تتطلب الفصل المحتوم بين تاريخ المسرح وبين الحركة المسرحية ، فالتاريخ يعني الاشارة بطرف خفي أحيانا الى المظاهر التاريخية المسرحية ، ثم الوقوف عند المعالم الحية لهذه الظاهرة ، عندما تتحول الى حركة مستمرة في عطائها متنامية في أدواتها الفنية .

فتاريخ المسرح في الكويت يشير الى تجربتين فنيتين مبتورتي الاتصال بمعالم الحركة المسرحية ، وأولى هاتين التجربتين هي تجربة عبد العزيز الرشيد الشيخ المصلح الاجتماعي ، والرائد الفقيه ، التي تبلورت في احتفال المدرسة الاحمدية بمناسبة مرور عام على افتتاحها ، وذلك سنة ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢١ م ، حيث قدمت المدرسة مسرحية (المحاولة الاصلاحية) التي دعا واضعها في مضمونها الى مواكبة العصر في وسائل التعليم وأساليب الثقافة .

ويصمت التاريخ قليلا ليعود مرة ثانية ، فيشير الى تجربة مسز ميلري المسرحية التي ذكرتها « كالقرللي » الطبيبة في مستشفى الارسالية الأمريكية في الكويت ، والمسرحية بعنوان « الأميرة النائمة » التي أشارت اليها والى ظروف عرضها في كتابها « كنت أول طبيبة في الكويت » وقد غاب عن هذا العرض العنصر الكويتي ، فكانت عرضا مسرحيا انجليزيا نصا وفكرة ، أداء وحضورا ، وكان من أبرز الحضور والمشاهدين لها « مسترمور » المقيم السياسي البريطاني في الكويت الذي ظل فيها منذ ١٩٢٢ حتى ١٩٢٧ م .

ومرة أخرى يصمت التاريخ صمتا كثيرا ، حيث

تعيش فترة العشرينيات شحيحة من أية بواكير أخرى ، لكي ينتهي المسرح في الكويت تاريخا ، ليبدأ الفن المسرحي ومعالم الحركة المسرحية منذ أواخر الثلاثينيات ، بعد قدوم البعثة الفلسطينية التعليمية الى الكويت في ديسمبر ١٩٣٦ ، لتمد يد العون مع اخوانها المدرسين الكويتيين في سبيل النهوض بحركة التعليم في الكويت ، فما أن تشرف ثلاثينيات هذا القرن على الانتهاء ، حتى تأتينا أولى عروض المسرح المدرسي التي تمثلت في تقديم عرض مسرحي خاص بعنوان (اسلام عمر) من اخراج محمد محمود نجم عضو البعثة التعليمية الفلسطينية ، وذلك خلال نشاط العام الدراسي ٣٨ ـ ١٩٣٩ م .

وبعد هذا العرض بدأت عجلة الحركة المسرحية في الكويت تدور باصرار مستمر وعطاء متنوع ، فقد أصابت « عدوى » المسرح وحركته سائر المدارس آنذاك ، فما جاء عام ١٩٤٠ م الا وهناك أربع فرق مسرحيةمدرسية .

ووصل هذا التنافس الى الكويتيين وجهودهم وهم خارج الكويت ، حيث شهد « بيت الكويت » للطلبة الكويتيين في القاهرة نشاطا مسرحيا وفنيا مشهودا له من خلال اقامة الحفلات الاجتماعية التي يخطب فيها الطلبة ، ويمثلون الروايات ، وينشدون الاناشيد ، ويعزفون الموسيقا بمشاركة الحضور ومشاهداتهم .

وهذا النشاط الثقافي الأدبي الفني المستمر دفع الى تأليف كمية من النصوص تمثل أوائل المسرحيات المؤلفة ، أبرزها مسرحية « من الجاني » لحمد الرجيب عام ١٩٤٧ مع مسرحية « خروف نيام نيام » عام ١٩٤٩ ، والمسرحية الشعرية الكويتية الأولى والوحيدة المعروفة « مهزلة في مهزلة » التي اشترك في كتابتها حمد الرجيب والشاعر أحمد العدواني ، والتي صدرت في كتاب عام ١٩٤٨ ، وقد أرسى بوادر هذا الأدب المسرحي في الكويت بعض الرواد ، من خلال أنشطتهم في النوادي والجمعيات ، كنادي المعلمين عام ١٩٥١ م ، وفرق التمثيل في مدارس الكويت التابعة لدائرة المعارف آنذاك ، وبجهود مدرسيها .

الارتجال والنشمي

وعلى الرغم من النشاط المسرحي السابق ، الا أن عروض المدرسة المسرحية ظلت حبيسة الجدران ،



● الفنان محمد النشمي

وساحات المدارس ، أبطالها ومشاهدوها هم المدرسون والتلاميذ بمشاركة بعض أولياء الأمور ، وظل المسرح المدرسي ـ في هذه الفترة ـ تعليميا وفنا يحمل النزعة التاريخية والموضوع القومي والفكرة الممجدة للعروبة والعرب ، وبذلك لم يلتصق كليا بالمجتمع وأناسه ، لأنه لم يصدر اليه ، ولم يحمل مشاكله وهمومه، وظل وسيلة تربوية من الوسائل التعليمية التي استخدمها التعليم آنذاكوبدأت ولادة المسرح في الكويت مرتبطة بالفصحى فترة ليست بالقصيرة ، تمد عليه رواقها ، وتشده اليها ، وترده كلما حاول الانفلات عنها ، وتصده عن العامية صدا ملحوظا ، واستمرت في هذه الحال الى أواخر الاربعينيات حين عجزت كلية عن صده عن العامية التي غازلته فاستحسن أخيرا وجودها فيه .

وكانت البداية قد تمت بدخول عام ١٩٤٣ م ، بتقديم مسرحية « الحي الميت » الفصيحة الجادة ، ويرفقتها مسرحية « أم عنبر » العامية التي أعدها الرجيبه ، وشاركه محمد النشمي ـ أحد رواد المسرح المرتجل ـ بتمثيل أحد أدوارها ، فالنشمي هو والد المسرح المرتجل ، وقائد لواء العامية فيه ، على حد تعبير الباحث الأديب خالد سعود الزيد ، فحين جاء النشمي ورفاقه الى المسرح ، فانهم جاءوه بفهم

عامي ، غيروا فيه من لغة المسرح ، واتخذوا من العامية لهم مدرجا ، وبذلك تسربت العامية الى المسرحية الكويتية .

ولم تتسرب العامية الى حركة المسرح في الكويت - آنذاك - بمجرد تقديم المسرحية الارتجالية بلغة مغايرة وقريبة من الجمهور ، ولكن لأن مسرحية « أم عنبر » فكاهية ترمي الى مكافحة البطالة ، مثلت منعطفا خطيرا في حركة المسرح في الكويت : فقد استساغ الممثلون تجاوب الجمهور معهم في هذه المسرحية القصيرة العامية اللغة ، فرأوا أن العامية أقدر على مخاطبة عقول الناس ووجدانهم ، بادخال التسلية والفكاهة الى نفوسهم ، مع حرصهم على هذا الجمهور ، وحرصهم على الانفلات من قيود النص الفصيح المكتوب الذي لا يتيح لمواهبهم التعبير الفني والبروز مع العطاء كما يبتغون أو كما يظنون .

مفهوم المسرح الشعبي

حقيقة أن النشمي قد مهد الأرض أمام اللهجة العامية ، ومهدها أمام اطالة عمر المسرح المرتجل الذي لا يعتمد على النص بمساعدة وتشجيع نخبة من الممثلين القديرين ذوي المواهب الواضحة ، الذين يحسنون التقليد والمحاكاة ، ويحسنون النكتة وتصوير خلجات النفوس بقاموس لفظي مرح مملوء باللفظة الموحية ، والعبارة المرحة ، والكلمة الضاحكة المداعبة ، وبهيأتهم المستظرفة وروحهم خفيفة الظل .

وجهود النشمي في خلق حركة مسرحية تبلورت في عام ١٩٥٠ م ، حيث بدأت مرحلة جديدة في حياة النشمي وتاريخ الحركة المسرحية عامة في الكويت : فقد أرسل في صيف ذلك العام لحضور تدريبات ودراسات خاصة بالحركة الكشفية ، وذلك بعد أن وافق مجلس المعارف على طلب بعض أساتذة التربية البدنية في الكويت الاشتراك في المعسكر الصيفي الذي تقيمه وزارة المعارف المصرية بالاسكندرية .

وعلى الرغم من أن الفترة التي قضاها النشمي في مصر لم تتجاوز الشهور الثلاثة ، فانه قد اختلف الى مسارح القاهرة ليشاهد العروض المسرحية فأعجب بمسرح الريحاني ، وببعض شخصيات هذا المسرح المنسجمة مع مزاجه الفني وروحه المرحة ، فاختمرت في ذهنه فكرة انشاء فرقة مسرحية شعبية على غرار هذه الفرق المسرحية التي كانت تضجّ بها القاهرة وتزخر .

فرقة الكشاف الوطني

لقد شهدت فترة الخمسينيات عدة محاولات مسرحية ناجحة قام بها بعض هواة التمثيل الذين قاموا بتكوين عدة فرق مسرحية أهلية ، أميزها « فرقة الكشاف الوطني المسرحية » التي شهدت أواخر شهور عام ١٩٥٤ م ميلادها كأول فرقة مسرحية ، وأول تجمع مسرحي منظم ، جمع شتات المسرحيين وهواة التمثيل . وقد أسسها محمد النشمي كفرقة للتمثيل المسرحي ، وفي أوائل عام ١٩٥٥ م قدمت هذه الفرقة أول مسرحية مرتجلة اسمها « مدير فاشل » من « تأليف » محمد النشمي اعتمادا على أعضاء هذه الفرقة - هواة التمثيل - بتجربتهم الفنية المسرحية الأولى التي قاموا بتمثيلها على خشبة مسرح « مدرسة صلاح الدين » وباللهجة العامية ، وبالتحديد في شهر ابريل من عام ١٩٥٥م .

مسرحية « مدير فاشل »

تعتبر هذه المسرحية أول مسرحية قدمتها هذه الفرقة الكشفية ، وأول بذور عطائها الفني وعروضها المسرحية ، ذات النزعة الانتقادية المباشرة التي حققت نجاحا جماهيريا ، بين أوساط الناس الذين اهتموا بالقضايا التي تتعرض لها مثل هذه المسرحيات ، ذات الطابع المحلي الملتصقة والمهتمة برصد ايقاع الحياة اليومية وكانت مدار حديثهم في مجالسهم ودواوينهم ، كما تردد صداها في مختلف المصالح الحكومية - وقد تم اصلاح ما تحدثت عنه المسرحية من الفساد الاداري والاهمال الوظيفي . ونجاحها حقق دخلا ماليا قويا للفرقة ، مما شجعها على تقديمها احدى عشرة مرة - وتسبب هذا النجاح - على المستوى الاجتماعي والمالي لا الفني - في تحول أفراد الفرقة المسرحية هذه عن النشاط الكشفي وتركه نهائيا ، وانصباب اهتمامهم حول المسرح والعروض المسرحية ، وقد اعتمد بعضها على الارتجال .

انه جهد شاق لابد منه ، نتلمس أبعاده وحجمه الكبير عند قراءتنا لحديث للنشمي يتعلق بموضوع هذه المسرحية ، نجده في مذكراته المسطورة في كتاب (أدباء الكويت في قرنين) وفي مجلة (عالم الفن) حيث يقول فيها : « ان هذه الشخصية الضعيفة (المدير الفاشل) شخصية كويتية ، أردنا أن نحارب تصرفاتها عن طريق التمثيل وتصحيح الأوضاع في (ادارات الدولة) من أجل تقويم أعمال الآخرين ، وحتى تكون هذه الشخصية الضعيفة عبرة لغيرها ، وأقبل الناس على المسرحية اقبالا شديدا ومشجعا ، ومن الطريف أن المشاهدين كانوا يصرون أثناء التمثيل على اعادة بعض الفقرات والمواقف ، كما يصنعون مع الشعراء حين يستحسنون بيتا أو أبياتا من القصيدة ، فيضطر الممثلون نزولا على رغبة هؤلاء المشاهدين - الى الاعادة ، وهذا أمر يعتبر بحد ذاته جزءا لايتجزأ من المسرحية ذاتها ، حيث تلتقي الصالة بالخشبة ، ويتعانق الجمهور مع الممثلين ، وبهذا يحدث لأول مرة في تاريخ المسرح الكويتي الغاء الحاجز التقليدي للمسرح القديم من خلال هذه المعانقة وهذه التجارب » .

هنا ينتهي حديث النشمي لنضيف معلقين ، بأنه قد حدث مثل ذلك في مسرح الريحاني ، ومن قبله مسرح سلامة حجازي ، ومسرح سيد درويش في صالات العرض المسرحي في مصر ، في فترة العشرينيات الى الأربعينيات من هذا القرن .

المسرح الشعبي

لقد حفز نجاح هذه التجربة المسرحية الكبير - الذي لقيته هذه الفرقة الهاوية للمسرح والتي لم يقدر لها الاستمرار في نشاطها - ممثلي هذه الفرقة الكشفية المسرحية الوطنية الى اخراج مسرحيتين هما : (خير اسكت) و (من المسئول ؟) وذلك خلال مايو عام ١٩٥٧ ، بعد أن هجرت العمل في نشاط الكشافة ، واستهوت المسرح مجالا لتحقيق ذاتها الفنية وطموحاتها الشخصية ، فأطلق النشمي ورفاقه على هذه الفرقة - بعد هذا النجاح - اسم (المسرح الشعبي) الذي تأسس في سنة ١٩٥٦ م ، وهو أول المسارح في



● المسرحي الراحل صقر الرشود

الكويت برئاسة محمد النشمي وقيادته ، وبذلك ألغيت التسمية الأولى .

وأردف (المسرح الشعبي) عمله السابق (مدير فاشل) بمسرحية أخرى هي (عجوز المشاكل) ، وهي مسرحية استمدت موضوعها من مشكلة أثارتها المسرحية الأولى ، فقد اعتذر أحد الممثلين ذات ليلة عن مواصلة التمثيل ، فترك دوره الرئيسي في المسرحية لغيره ، على الرغم من أنه من خيرة ممثلي الفرقة ومن عناصرها الرئيسية . . وسبب تركـه هذا الممثل القدير ، جاء نتيجة لتشاجر والدته مع زوجته التي طردت من البيت ، لأنها سمحت لزوجها التعود على السهر خارج المنزل ، بعيدا عنها ، وشغفاً بالمسرح الذي يضطره العمل فيه للوصول الى منزله في ساعات متأخرة من الليل ، وخاصة أن الأم ترفض المبيت في غرفة واحدة مع الزوجة ، لذا جاءت هذه المشكلة مادة مناسبة للنشمي لكي يوظفها كفعل درامي لمسرحيته الثانية ، هادفا من معالجته لها اعادة هذا الممثل الرئيسي الى مسرحه ، ولكي لايتعرض الفنانون لمثل هذا الموقف مستقبلا .



■ مشهد من مسرحية لفرقة (المسرح الشعبي) حديثا .

النشمي ودعم الشئون الاجتماعية

لقد قدم مسرح النشمي عددا كبيرا من المسرحيات المرتجلة مثل « مقر صيف » ، أم عنبر » . اضافة الى مسرحية « صبور الشاكل » السابقة وكان لنجاح مسرحيتي « خبير امكث » و « من المسئول » ، أثر كبير في تبني دائرة الشئون الاجتماعية الكويتية لهذه الفرقة ، وامدادها بالمساعدات المادية والفنية ، لمواصلة نشاطها بعد أن تم الاتفاق على تسميتها « بالمسرح الشعبي » حيث تقدمت الدائرة الى ادارة المسرح في أواخر الشهر الخامس من عام ١٩٥٦ م ، برغبتها في ضم الفرقة اليها ، وطرحت الهيئة الادارية للمسرح الفكرة على الجمعية العمومية ، فانقسم الاعضاء الى قسمين : قسم معارض بشدة خوفا من الوصايا الحكومية وتقييد حرية المسرح ، وقسم أيد الفكرة وناصرها ، وتشاء الظروف أن تخدم « الشئون » فالفرقة تعاني صعوبات جمة ، تعاني فقرا ونقصا في الأدوات والمواد الفنية ، وتعاني عجز بعض الممثلين عن الاستمرار في مواصلة العمل ، اما لظروف خاصة أو لظروف مالية ، حتى تم انضمام الفرقة للشئون في عام ١٩٥٧م .

لقد تطورت هذه الفرقة المسرحية الصغيرة التي اخذت تكبر في عيون الناس ، بعد أن سماها صاحبها النشمي « فرقة المسرح الشعبي الكويتي » التي أقامها بمساعدة بعض المخلصين له وللحركة المسرحية ، والتي ساعد تكوينها على سد العجز المالي الذي كان يعاني منه صندوق الحركة الكشفية ، والتي كان النشمي رئيسا لها في ذلك الحين .

القيمة الفنية لتجربة النشمي

ان نجاح هذه المسرحيات منصب على الناحية الموضوعية ، وليست الفنية والتكنيك المسرحي ، وبناء المسرحية وشكلها دراميا ، فهو نجاح جماهيري بحت عماده أنه قد جاء ضمن مسرحيات يتركز الموضوع فيها على مجموعة من الفضائح . ولكن لماذا هذا الفساد الاداري وما سببه ؟ هذا هو الشيء الذي

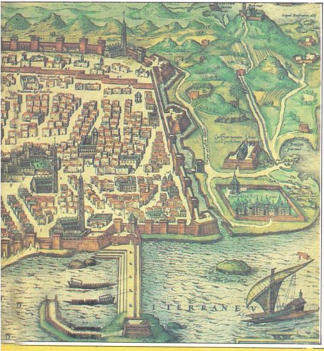
نفتقده ولا نراه واضحا في مثل هذه المسرحيات ، وهو يشير الى ما فيها من نقص في فكرتها وموضوعها فكريا ، فهي مجرد تناول مسطح ، يخلو في غالبيته من العمق وشحذ الفكر ، وليس بالضرورة أن يكون كل ما تعرض له المسرح الشعبي من موضوعات في مسرحيات ذلك الزمان البعيد صحيحا ، عند انتقاده الدوائر الرسمية والمرافق العامة ، والمؤسسات الحكومية ، وارتباط المسرح بقضايا الموظفين وهمومهم ، مع الانتصار لهم دائما ، والقاء اللوم على رؤسائهم ، فقد تكون موضوعات هذه المسرحيات المعروضة والمعلومات التي تثار فيها مجرد مسائل كيدية ، طابعها الشكوى التي تعرض دون التحقق منها أو التحقيق فيها .

ووجهة نظر الطرف الآخر لاتصلنا ، كما تغيب شخصية الموظف الكبير ، صاحب المركز المرموق الذي تصوره لنا المسرحية في غالبها العام ، فلا نعرف حقيقة الظروف التي تدعوها الى تأخير المعاملات عندها وتعطيلها لها ، حتى تملك القناعة التامة عند القاء اللوم عليها ورفع صوتنا عاليا ضدها ، ومع موقف الفرقة المضاد لها ، مطالبين معها باسقاط مثل هذه الشخصيات ، وبصورة عامة فان المسرح بهذا الشكل يشبه الى حد كبير الصحافة اليومية حاليا ، بأعمدتها التي تحتويها ، والتي يتبارى الناس في تعبيرها بشكواهم ومتاعبهم ، وهي ليست صحيحة وعلى حق دائما ، انما تتناول بايقاع سريع الشكوى لتصل الى القراء ، مع السرور الذي يصاحب الفرد الشاكي الكاتب نتيجة رؤيته لاسمه مدونا ومرسوما على أوراق الصحيفة ، وبالرغم من غياب الموضوع في بعض عروض هذا المسرح الشعبي ، فقد استطاعت مثل هذه المسرحيات أن تستفز الطبقة البيروقراطية من الموظفين ، وان تحرك سكينة الأوتوقراطيين منهم ، فعجلت بنار الحرب بين جمهرة هذا المسرح ، وأصحاب المراكز الوظيفية المتقدمة آنذاك ، وهذا هو أحد أدوار المسرح الأساسية في الخلية الاجتماعية وتركيبها البشري .

ولا يمكن أن نغفل قمة الايهام في تمثيليات هذا المسرح على الجمهور الذي وصل تأثير المسرح عليه الى أن يمتطي الممثل هذه المسرحيات ، ليستدر بها عطف الناس عليه ، لدرجة وصلت باحدى المشاهدات الى أن تطلب من أحد الممثلين أن يترك مديره الظالم ويعمل عندها باجر مضاعف ، ولكن كل هذا لا يعفي « المسرح الشعبي » وطبيعته من المبالغات التي وقع فيها أثناء نقده للأوضاع . وحملاته الهجومية ، وحملاته التي كانت تبعده عن الموضوعية أحيانا كثيرة ، وتجعل بذلك كل موظف يرغب في أن يشارك المسرح تجسيدها وتوصيلها للمسرحيين آنذاك .

ومن حيث القياس الفني ، فان هذا المسرح ـ برغم كل هذا وذاك ـ فقد حقق نوعا من التطور ، قياسا الى المسرح المدرسي الذي سبقه ، حيث أقيم مسرح بمعناه الحديث ، على الرغم من الاضطراب الفني الذي تصطبغ به عروضه المرسحية : فالقضية المعروضة في المسرحية المدرسية محدودة العطاء وتعليمية الطابع ، وبعيدة عن هموم الشارع . أما في المسرح الشعبي فهناك اتساع في تناول القضايا الاجتماعية المطروحة الآنية كما أن مشاهدة عروض المسرح المدرسي والدخول اليها تتم بالمجان ، ودون مقابل لكل جماهير أهالي المدرسة القريبين ، وأقرباء التلاميذ وأولياء أمورهم ، أما المسرح الشعبي فلعامة الناس ، بل تشارك هذه العامة في وضع تصورات خاصة بالقضية المطروحة ، مع الاضافة والمشاركة في تشكيل أدوار الممثلين ، وفي فكرة المسرحية وموضوعها ، اضافة الى خلقها على الخشبة ، فالمشاركة كانت متبادلة بين أهل « فرقة المسرح الشعبي » وأهالي الكويت الشعبيين ، حيث تشاركهم همومهم بمسرحيتها المعروضة .

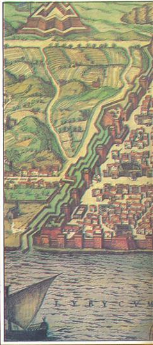
كما أن المسرح الشعبي قد قدم عملا مسرحيا مكتوبا ، بينما نصوص المسرح المدرسي كانت جاهزة أو معدة أو مقتبسة ، أو هي تكرار لأعمال معروفة سبق عرضها ، ذلك أن المسرح الشعبي قد قدم ايمانه وقناعاته التامة ، بأن وجود المسرح واستمرار حركته وتعلم تقنياته لايتم الا باستمرار تقديم العروض المسرحية ، ومهما كان مستواها فنيا وفكريا ، ومن هنا مثلت هذه الفرقة ـ بجهود محمد النشمي ـ أولويات واضحة في حركة المسرح في الكويت ، ومن الممكن أن نتلمس جذورها الأولى وتربة هذه الحركة الشابة في عطاءات هذه الفرقة المسرحية الشعبية العديدة ، وعمرها الفني الكبير ، بقيادة محمد النشمي . □



القصبة

تحفة فنية وماض عريق

حيّ القصبة ، صفحة مشرقة من تراثنا القديم ، وفن مميز قائم بذاته لتخطيط المدن ، وشكل معبر بدقة عن تطور الحياة الحضرية ، وعن التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية التي كانت سائدة قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر .. والدراسة التالية رصد لتاريخ القصبة القديم .. والحديث .



● القصبة ، هندسة معمارية مميزة ، وفن في تخطيط المدن .

اعداد : الدكتور فضل أيوبي

ألهب التناسق الرائع للمساكن ، والحياة الزاهية في الاسواق وعمال الصناعات التقليدية ، وأقواس الشوارع ، وجمال الطبيعة الأخاذ خيال الرسامين ، والفنانين ، والأدباء والرحالة ، فقصدوها قادمين اليها من : هولندة وانجلترا ، وفرنسا وسويسرة ، وايطاليا ، وخلدوها في لوحاتهم ، وكتاباتهم التي مازالت تتصدر واجهات المتاحف ورفوف المكتبات ، وعلى رأسها المكتبة الوطنية في باريس ، انها القصبة أو الجزائر البيضاء .

ولكن مع الأسف لم يبق لنا الشيء الكثير من هذه التحفة فقد امتدت اليها يد البلى ، وتسلطت عليها عاديات الأيام ، وصروف الدهر ، خصوصا في العهد الاستعماري ، اذ وجد فيها المستعمر ، نموذجا اجتماعيا ، وشخصية مميزة ، يجب تحطيمها لسحق أي مقاومة ممكنة ، ولترسيخ سيطرته ، تمهيدا لمحو الشخصية الوطنية تماما ، واحلال نموذجه الأوروبي ، لذلك عملت قواته منذ أن وطئت أقدامها أرض المدينة ، على اتلاف نسيجها الحضري التقليدي الذي اعتبره عائقا ماديا أمامه بدعوى التحديث ، وعركت المدينة ومجتمعها عرك الرحى ، كما عملت رطوبة الجو وحموضته ، وادخال بعض التغييرات العشوائية فيما بعد على الحاق أفدح الأذى والضرر بحي القصبة الجميل .

ومع انطلاقة الثورة التحريرية ، كانت القصبة مثلها مثل باب الواد وبلكور ، رمزا للوطنية ومهدا

للثورة في مدينة الجزائر ، وأذاقت دروبها الطويلة ، وأزقتها الضيقة ، وحاراتها المتعرجة ، الويل لجنود المستعمر ، وأخيرا خرج المستعمرون وبقيت القصبة شامخة بشخصيتها الوطنية الأصيلة ، رمزا للكفاح ، ولنمط الحياة الجزائرية

النشأة والتطور :

القصبة هي مدينة الجزائر ، وهي النواة التي تشرنقت حولها التطورات العمرانية المتتالية فيما بعد ، ولو تفحصنا صفحات الماضي لما وجدنا شيئا كثيرا عن ماضيها التاريخي ، غير أن الاكتشافات الأثرية التي عثر عليها ، والمتمثلة في كنز من العملة ، تم اكتشافه سنة ١٩٤٠ في حي باب الجزيرة ، وبعض الأواني الكامبانية (نسبة لكامبانيا بايطاليا) التي عثر عليها في قاع بئر في نفس الحي سنة ١٩٥٢ ، تفيد بأن الجزائر كانت موجودة في العصر الروماني باسم « ايكوسيم » وأن لها علاقات تجارية مع ايطاليا الجنوبية ، أو المستعمرات اليونانية جنوب بلاد الغال ، وبعد سقوط قرطاجة سنة ١٤٦ ق . م على يد الرومان ، أصبحت الجزائر تابعة لمملكة موريتانيا البربرية ، وأصبح اسمها « ايكوسيوم » ومن ثم الحقت خلال القرن الأول الميلادي بموريتانيا القيصرية التي كانت عاصمتها مدينة شرشال الأثرية ، الموجودة اليوم على الساحل الجزائري ، على بعد حوالي ٦٠ كيلو مترا الى الغرب من العاصمة .

وفي القرن الرابع الميلادي تفكك الحكم الروماني ، وقامت الاضطرابات في شمال أفريقيا ، فسلبت المدينة ، وأصيبت بأضرار كبيرة ، منذ ذلك الوقت دخلت مرحلة غامضة لانعرف عنها شيئا ، الى أن أعيد بناؤ ها ثانية في القرن العاشر الميلادي على يد « بني زيري » باسم جزائر « بني مزغنة » .

خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر ، عاد الغموض ثانية ليلف المدينة بردائه ، اذ أنه على الرغم من امتلاكها لاقتصاد مزدهر بشهادة الرحالة العرب والمسلمين ، الا أننا نجهل كل شيء عن شكل المدينة وتنظيمها ، وحياتها الخاصة الشاهد الوحيد على تلك الفترة هو الجامع الكبير الذي بني في القرن الحادي عشر .

ابتداء من مطلع القرن السادس عشر الميلادي خرجت الجزائر للضوء ، بدليل علاقاتها الدولية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأدى ازدهارها الاقتصادي الى تتويجها عاصمة للمغرب الأوسط ، الا أن أوج رخائها لم تعرفه الا من خلال الدور السياسي الذي رسمه لها كل من خير الدين بربروسا وشقيقه عروج ، وذلك عندما وضعاها في حماية الباب العالي في الأستانة سنة ١٥١٨ ، خوفا من أطماع الدول الأوروبية ، فأصبحت بمثابة رأس جسر للدولة العثمانية في حوض المتوسط الغربي .

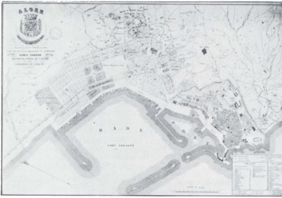
تركيب المدينة :

بقي المحيط العمراني لمدينة الجزائر ثابتا منذ مطلع القرن السادس ، وحتى بداية الثامن عشر ، ورغم ماشهدته من نمو اقتصادي ، وتزايد سريع في عدد السكان ، ولم يجر التوسع خارج السور على الأرباض المجاورة ، خوفا من الغزوات الأجنبية وبخاصة الاسبانية منها ، وقد ردت المدينة على تلك الموانع بتكثيف نسيجها العمراني ، وبالتقليل من المساحات العامة ، وذلك بتضييق الأزقة والساحات .

كانت الجزائر في ذلك العصر مدينة محصنة ، تحوطها الأسوار ومرابض المدفعية ، ويقوم بمهمة الدفاع عنها مركزان رئيسيان هما : القلعة والمرسى ، وكان لها أبواب ستة تربط بينها وبين المركزين المذكورين ، وكذلك توصلها بباقي أنحاء البلاد .

أما مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية فقد قامت في النصف الجنوبي منها ، ولايواء الجيش الانكشاري بنيت سبع ثكنات كبيرة الى الغرب من البابين الرئيسيين : باب عزون وباب الجزيرة (الذي كان يطلق عليه الفرنسيون البحرية) ، الى جانب سجنين كبيرين ، وكانت السلطة تمارس من قصر «الجنينة» الخاص بالباشوات والدايات ، والواقع في ملتقى الأنهج الرئيسية : باب عزون ، وباب الواد ، وباب الجزيرة .

أما المرسى وهو الجبهة الأمامية للمدينة ، فقد تم انشاؤ ه من قبل خير الدين بربروسا في ، النصف الأول من القرن السادس عشر ، جرى توسيعه



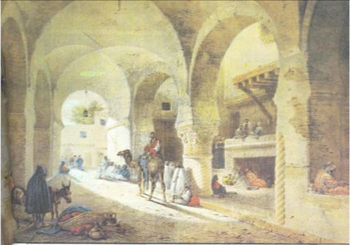
* مخطط يوضح التطورات المتعاقبة لمدينة الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية .

وتعزيزه بشكل دائم لتمكينه من الدفاع عنها ، ولاتقتصر أهميته على النواحي العسكرية فقط ، انما كان له أهمية اقتصادية بالغة وذلك من خلال حركة السفن الخارجة منه والقادمة اليه والمحملة بالبضائع ، وحركة العمل النشيطة الناجمة عن وجود المعامل الكبيرة التابعة للدولة : كالترسانة (معامل ومخازن الأسلحة) ، ومصانع الحبال والأشرعة . وزيادة في تحصين المدينة بنيت أبراج عديدة على مقربة منها مثل : برج مولاي حسن ، وبرج النجمة وبرج بوليلة .

القصبة أو مدينة الجزائر القديمة غنية بمعاهدها الدينية ومعابدها ، وهي موزعة توزيعا متسقا عبر أحيائها . وقد بلغ عددها ١٣ مسجدا جامعا و١٠٩ مساجد صغيرة و١٢ زاوية ، الا أن الحياة الثقافية الدينية كانت تتركز بالدرجة الأولى بالقرب من مركز السلطة ، أما مكاتب التعليم « الكتاتيب » فقد كانت منتشرة ، لكن لايعرف عنها الشيء الكثير .

كانت النشاطات الاقتصادية تتركز في الجزء الجنوبي من المدينة ، على طول محورين رئيسيين هما : نهج الجزيرة وباب عزون المؤديان الى أبوابها الرئيسية ، فبواسطة باب عزون تدخل المواد الأولية التي تستهلك أو تصنع في المدينة ، وعن طريق باب الجزيرة تتحقق العلاقات الدولية ، ومنه يتم الاستيراد والتصدير لمختلف المواد ، وتنتظم هذه النشاطات على شكل : أسواق وتجمعات حسب الحرف والمهن ، شأنها في ذلك شأن كافة المدن الاسلامية ، ومن خلال اللوحات التي صورت الحياة في تلك الفترة ، يمكننا أن نتبين أن الأسواق كانت بعيدة عن الفخامة ، وأن واجهات الدكاكين والمحال التجارية قد اتسمت بالتواضع والصغر ، بحيث أنها كانت لاتسمح للزبائن بالدخول اليها ، ماعدا المقاهي ومحلات الحلاقة ، ولقد امتد النشاط التجاري والصناعي خارج المدينة الى الضواحي ، وذلك من خلال المحاجر ، وأفران صناعة القرميد ، ومعامل الكلس .

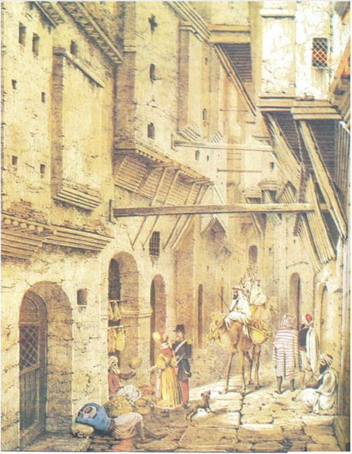
ان تحليل حياة المدينة الداخلية لايكتمل الا بالحديث عن أحيائها ، غير أنه مع الأسف الشديد لايعرف عنها الشيء الكثير ، وكل مايعرف عنها أنها



• محطة للقوافل التجارية على الطرق المؤدية الى مدينة الجزائر .

• أقنية الري .





* أزقة القصبة كما خلدتها لوحات الرسامين.

كانت تقابل منطقة النشاط الاقتصادي في الجنوب ، منطقة للسكن في القسم الشمالي من المدينة ، ومقسمة الى عشرين حيا ، تغلق أبوابها ليلا ، وقد زالت معظم هذه الأبواب ابان الفترة الاستعمارية ، وتتخللها أسواق صغيرة ، يتم التبادل فيها فيما بين الأحياء ، وهي مازالت موجودة حتى يومنا الراهن ، أما الفنادق والحمامات والرحبات والأفران ، فقد كانت لها أشكالها المعمارية الخاصة بها والمميزة .

ونظرا لتحسن مستوى المعيشة ، وازدياد عدد السكان ، فقد بحثت المدينة عن مياه للشرب ، فبنت القنوات لنقل المياه اليها ، وقد أقيمت لذلك أربع أقنية :

قناة التلملي المتصلة بالباب الجديد ، وهي أقدمها ، والقناة التي توصل مياه بئر طربرية الى باب الواد ، والقناة التي تجلب مياه الحامة الى باب عزون ، وأخيرا القناة التي تؤمن مياه عين الزنبوجة الى المدينة كلها ، كانت هذه الأقنية تمر فوق أقواس مازالت بقاياها ماثلة حتى أيامنا هذه ، اننا نجهل توزيع شبكات المياه داخل المدينة نفسها ، لذلك كان لعيون الماء دور مهم في حياتها ، اذ أنها تشكل معلمها المعماري الأساسي ، ولكنها هدمت مع الأسف لوقوعها في الطرق التي شقت في الفترة الاستعمارية

لقد نتج عن اكتظاظ المدينة تجاوز لنطاق الأسوار في مراحل لاحقة ، وبنيت المساكن الثانوية للشريحة المترفة من السكان في بساتين ملاصقة للمدينة ، يطلق عليها تسمية « جنان » أو فحص ، وهي تابعة لها وخاضعة لاشرافها ، وكان هذا الفحص مقسما الى ثلاث مناطق : فحص باب عزون ، وفحص باب الواد ، وفحص الباب الجديد ، وتتناسب تسميتها أسماء الأبواب الثلاثة المتصلة بها ، وأخيرا لابد من الاشارة الى المحطات التي كانت تقام على الطرق المؤدية الى المدينة لايواء المسافرين والتجار ، والتي كانت تتميز بقببها ، وعين مائها ، ومقهاها .

ان الدراسة الشاملة للارشيف العربي - التركي ، هي وحدها الكفيلة بازاحة الغموض عن جوانب الحياة المختلفة للمدينة في تلك الفترة .

الفترة الاستعمارية :

بعد أشهر قليلة من سقوط الجزائر في تموز من سنة ١٨٣٠ بيد الفرنسيين ، عمدت قوات الاحتلال الى مصادرة الممتلكات والمعاهد الدينية ، ولجأ الجنود من أجل تأمين المياه لخيولهم الى تحطيم قنوات الري ، والى اقتلاع الأخشاب من أراضي المساكن لانضاج الطعام ، وأشعلوا الحرائق في أرجاء المدينة المنكوبة ، وهدموا مايقرب من ٩٠٠ مسكن ، ولم يسلم من أيديهم الا المنازل التي وقع عليها اختيار الضباط ، ونتيجة لأعمال السلب والنهب والعبث ، هاجر مايقرب من ٢٠ الفا من السكان الى المشرق العربي ، أما الجيش الفرنسي فقد انتقل من المخيمات الواقعة خارج المدينة الى ثكنات الانكشارية ، والى الحصون الموجودة داخل الأسوار .

في سنة ١٨٣٢ بدأ المستعمر يغير في الهيئة العمرانية للمدينة ، فتم في هذه السنة تحويل مسجد « كتشاوة » الى كاتدرائية ، والغيت أسواق السمارين والرحبة ، والسوق الكبير الواقعة مابين باب عزون وساحة الشهداء اليوم ، وذلك ليقام مكانها في وسط الجزائر القديم ساحة للعرض العسكري ، كما دمر مسجد السيدة الشهير - حيث كان يصلي دايات الجزائر - وأجزاء كبرى من سور المدينة ، والحي المجاور للقلعة ، وباب عزون القديم .

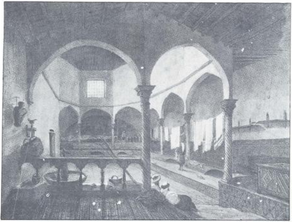
وفي سنة ١٨٣٧ بدأت الأعمال بتعديل أنهج باب الجزيرة ، وباب الواد ، وباب عزون ، وأنشئت ساحات صغيرة على حساب مسجد (ميزو - مورطو) وبعض المساكن المجاورة .

وفي سنة ١٨٣٩ تجاوز عدد الأوروبيين الموجودين في مدينة الجزائر الخمسة عشر ألفا ، فتم هدم العديد من المنازل لانشاء مساكن تتجاوب مع الأعداد المتزايدة للقادمين .

ومع التوسع في استعمار القطر الجزائري ، اشتدت الهجرة الى المدينة ، فتوسعت مساحتها من ٤١ هكتارا الى ١١٨ هكتارا ، ضمن سور عسكري بني خصيصا لذلك فيما بين الفترة ١٨٤١ الى ١٨٤٨ ، لقد كانت كل قرارات المستعمر الفرنسي مبنية على أساس منسق ، تهدف أولا وقبل كل شيء



● مبنى قنصلية السويد في مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠ .



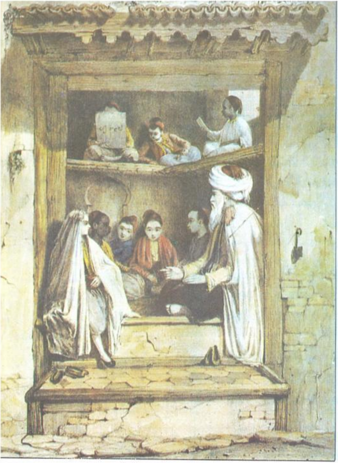
● حمام السوق .



● المسجد الكبير في الجزائر .



● منظر عام لمدينة الجزائر .



•صورة لأحد الكتاتيب.

الى تدمير المدينة القديمة وإزالة آثارها ، والاخلال الكلي بالنظام الاجتماعي للسكان ، ووضعهم أمام ثقافة مغايرة لثقافتهم ، واحلال نموذج عمراني يعبر عن ذلك .

ولندع الأرقام وحدها توضح ذلك ، ففي سنة ١٨٣٠ قدر عدد المعاهد الدينية من مساجد وزوايا وأضرحة داخل السور بـ ١٧٦ ، ولم يبق منها حتى سنة ١٨٦٢ الا ٤٧ ، حيث يمكن اقامة شعائر الدين الاسلامي في ٢١ منها فقط ، وقد كانت صيانة كل تلك المؤسسات الدينية تتم من قبل اعتماداً على مداخيلها من الاملاك الموقوفة لها ، ففي سنة ١٨٣٠ وحدها تم تحويل أكثر من ٣٠ مسجداً الى أغراض غير أغراضها ، فاحتلتها المصالح العمومية العائدة للمستعمر مثل : ثكنات للجيش ، محلات لنقل البضائع ، مستودعات ، مستشفيات ، وحولت ثلاثة مساجد الى كنائس هي : جامع « علي بشنين » ، جامع « كيتشاوة » ، وجامع « القصبة البراني » .

لقد كانت السلطة الاستعمارية تبرر اعتداءاتها هذه بحجتين : الأولى هي الأمن العمومي ، على اعتبار أن هذه الابنية آيلة الى السقوط ، في الوقت الذي منحت فيه الأملاك الموقوفة لخدمة هذه الأبنية الدينية للمستوطنين الفرنسيين ، والأخرى تتمثل في المصلحة العامة ! حيث أخذت المساجد والزوايا تتساقط تباعاً بتأثير الاهمال والحوادث المتعمدة .

في سنة ١٨٥٣ ظهرت مشاريع جديدة ، ترمي الى اخراج المدينة عن حدودها ، وتوسيعها الى ٣٢٢ هكتاراً . وفي سنة ١٨٥٦ هدم قصر « الجنينة » حيث كانت السلطة تمارس قبل الاحتلال الفرنسي ، وبنيت على أنقاضه دور للايجار .

منذ ذلك التاريخ وأعمال اعادة الهيكلة الحضرية للمدينة تجري على قدم وساق ، من هدم للمساكن ، والأسواق ، ودور العبادة ، والأحياء ، الى شق للشوارع وبناء للساحات والمساكن على النموذج الأوروبي ، وأخذت المدينة تبتلع التلال المجاورة مثل منحدرات التلملي ، ومصطفى باشا ، فكان من شأن الاستحداث المتواصل لأحياء و (فيلات) زهيدة التكاليف ، أن ضايق شيئاً فشيئاً البيوت العربية التي أقيمت خارج أسوار المدينة .

أما ما بقي من البيوت في القصبة القديمة فقد آلت أوضاعه الى التدهور ، وتداعت أقسام كبيرة منه ، الى أن جاء عام ١٩٢٩ ، حيث وجهت السلطات المحتلة نداء للمهندسين الفرنسيين بتقديم دراسات لتجديد المدينة ، فقام بهذه المهمة كل من : لوكور بوزييه ، وسوكار ، فحدثت تغيرات جديدة خلال الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٢ - ١٩٥٠ .

« فحص » الجزائر وجناتها :

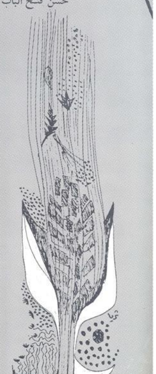
يستطيع المرء أن يرى حتى أيامنا الحاضرة بيوتاً فحصية رائعة المنظر ، متناثرة على الربا المجاورة لمدينة الجزائر ، بين أحضان الطبيعة ، بتناسق وتناغم عجيبين . توحي هذه البيوت بالبساطة والسكينة ، وتبعث الطمأنينة بالنفوس ، لقد بنى السكان ، وبخاصة الموسرون منهم ، هذه البيوت لقضاء فصل الصيف بعيداً عن مدينتهم ، حيث لاوجود لبيت مقابل أو مواجه ، وحيث يمكن فتح النوافذ للهواء والشمس بحرية تامة .

وبعد . . . فان القصبة - بما تمثله من مضامين غنية وأصيلة ، مثلها مثل التنويات التاريخية لدمشق والقاهرة والرباط وغيرها من المدن الاسلامية - تعبر عن ذاتنا ، نقرأ فيها صفحات من ماضينا وحاضرنا الوطني ، تستحق عناية خاصة ، واهتماماً كبيراً ليس على المستوى الوطني فقط ، وانما عربياً ودولياً أيضاً . □

* أعدت هذه الدراسة من خلال المعرض الذي أقيم سنة ١٩٨٥ في مدينة الجزائر من أجل صيانة حي القصبة الذي استقدمت لوحاته من كل من المكتبتين الوطنيتين في الجزائر وباريس ومن المتاحف الجزائرية ، والذي أعدته دراسات كل من : السيدة ليليان مسلم - مؤرخة في الفن . وقاسي محرور مهندس معماري ، والرشيد سيدي بومدين - اختصاصي في علم الاجتماع .

الفصول

شعر : الدكتور
حسن فتح الباب



ذلكَ الطيفُ الذى وَدَّعنا
مُعْجَلا يمعنِ فى ليلِ الشَّتاتْ
مَن تُرى ياقلبُ قد أودعَه
قطرةً مِن روحنا والذكرياتْ ؟
ماالذى ياحُبُّ قد روَّعه
فاشترى بالعشِ منفى
وبواريك الضَّباب ؟

— . —

لم يجيء صيفُ
ولم يرحلْ شتاءْ
والثوانى عِبْءُ اعوامٍ هَباءْ
بين اعصارٍ ربيعى
وزلزال خريف
أخمدت رحلتُنا شمسَ الفصول
أوقدتْ نارَ الذُّبول

— . —

النقيضانِ عقيمانِ . . فهلْ
يبعثُ الثالثُ من قاعِ الصِّراعْ ؟
غيمةُ الأمس تُغَشِّينا . . فمنْ
يُخرج الحىَّ من الميْتِ غداً ؟
ومتى يُطلق مرسانا الشراعْ ؟

— . —

يَعتلى القصرُ حصى الكوخِ الرَّميم
ومنَ الغدرانِ طُغيانُ البحار
غير أنَّ الشُّهْبَ تهوى والرِّياح
تَغتلى موجا ورَجْما ودماء
والمسرَّاتُ الهشيم
ويعود الكهْفُ شمساً
ليقومَ العاشقون

المخترعون الشباب في المدينة القديمة

استطلاع : صلاح حزين / تصوير : أوسكار متري

« الابتكار هو فرح الحياة ، فأن تبتكر معناه أن تقتل الموت » هكذا تكلم أديب فرنسا الكبير رومان رولان جامعا بين حكمة الحياة وسر الخلود ، وفي العلم كما في كل شيء آخر يكمن فرح الحياة في الابتكار ، في الابداع ، في الاختراع ، ويبقى العقل البشري هو القيمة الخالدة للانسان .

كان ذلك في بلوفديف البلغارية التى يعني اسمها « مدينة فيليب »، نسبة الى الملك فيليب المقدوني والد الاسكندر الأكبر ، التي يعود تاريخ بنائها الى القرن الرابع قبل الميلاد ، وفي عام ١٩٥٦ أعلنت الحكومة البلغارية القسم القديم فيها بأكمله متحفا وطنيا ، فيما امتدت العمارة الحديثة في جميع الاتجاهات ، وسط غابة الأشجار المحيطة بالمدينة ، لتشكل بلوفديف الجديدة .

ذات صباح شتائي :

ذات صباح شتائي كنا هناك ، مع بوجانوف وماريا ، اللذين رافقانا خلال جولتنا البلغارية . كانت البداية في المدينة القديمة التي تحولت الى مدينة حية ، حيث يقيم محافظ بلوفديف الحالي في أحد منازل المدينة القديمة ،وحيث تحولت الابنية الرسمية والحكومية القديمة الى مقارٍ للأدباء والكتاب والفنانين ، بينما تحولت البنايات الأخرى الى



الطفولة أمام عالم الإبتكار .

متاحف صغيرة ، أو مسارح خالية للحياة اليومية لأرستقراطية بلوفديف في القرنين الماضيين .

الأزقة القديمة ، والأبنية المرممة ، والسلالم الحجرية ، والطرق المتعرجة ، والأقواس الضيقة التي تفصل بين بنايتين ، أو تصل بينهما ، هي المكونات التي تمر أمام ناظريك ، كلما أمعنت في المسير في شوارع بلوفديف القديمة المرصوفة بالحجارة الملساء .

دخول زقاق لا يغني عن دخول زقاق آخر ، ورؤية بيت لتاجر قديم لا يغني عن رؤية بيت آخر ، بل ان دخول غرفة لا يغني عن دخول الغرفة الأخرى ، فالتنوع في الألوان والأشكال والتصميمات الهندسية أبرز من ألا تلاحظه العين .

وداخل بيوت التجار القديمة ، التي تحولت الى متاحف أو دور للرسميين ، أو مقارّ للاتحادات التي تحظى باهتمام كبير هناك ، يفاجئك التنوع في الطراز الذي يختلف من غرفة الى أخرى ، وتدهشك الهندسة التي تنتمي الى أكثر من عصر وطراز في البيت نفسه .

وكأنما التناقض كان سرنا في هذه المدينة القديمة ، فقد ذهبنا اليها لمشاهدة أحدث ما توصلت اليه اختراعات المبتكرين الشباب في هذا العالم المترامي .

فرح الحياة :

في عام ١٩٨٣ ، قررت بلغاريا الاحتفال بسنة الشباب بطريقتها الخاصة ، فقررت أن تكون مسرحا لفرح الحياة بالمعنى الذي رمى اليه رومان رولان ، فتبنت فكرة المنظمة العالمية للأذكياء ، وهي احدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة ، باستضافة « المعرض العالمي لمبتكرات المخترعين الشباب » كنشاط مكمل لمهرجان الشباب العالمي الذي عقد في موسكو في العام الماضي .

وهكذا وجهت الدعوة للمخترعين الشباب الذين لا تزيد أعمارهم عن ٤٠ عاما ، لعرض مبتكراتهم ومخترعاتهم في كافة المجالات العلمية ، فلبى الدعوة ٧٤ بلدا ، بالاضافة الى بعض الشركات والمؤسسات وبعض المخترعين الذين اشتركوا بجهد فردي ، فماذا ضم معرض المبتكرين الشباب ؟

أنت تعرف ولا شك ، عزيزي القارىء ، شيئا عن الجهاز الذي يسجل المعلومات المعطاة له عبر الهاتف ، في حال عدم وجود من يرد على الهاتف ، حيث يسجل اسم المتحدث وعنوانه وأي رسالة يراد منه توصيلها ، لكن ما يكل فايندر ، من ألمانيا الاتحادية ، استطاع تحويل المعلومات المذكورة الى رموز لغوية يحلها جهاز « السكرتير الألكتروني » الذي هو عبارة عن كمبيوتر شخصي دقيق ، كل ذلك دون أي موصل كهربائي بين شبكة الاتصال الهاتفية ، والجهاز الذي يمكن وضعه في جهاز الهاتف نفسه .

المعلومة المهمة التالية بعد كل هذا الشرح الذي اختصر معلومة تبدو معقدة بالنسبة لكثير من القراء هي ، أن فايندر هذا يبلغ من العمر ١٩ عاما .

وتصدرت الجناح السوفيتي سيارة برمائية قريبة الشبه من سيارات السباق ، وقد صنعت بأكملها من البلاستيك ، وتبلغ سرعتها القصوى ٢٠٠ كم في الساعة ، وعدا المحرك فان كل ما في هذه السيارة من تجهيزات وتمديدات وأنظمة هي من صنع الشابين ديمتري ٢٤ سنة ، وغيناديف ٢٥ سنة ، وهذه واحدة من ٧ سيارات تقدم بها مخترعون سوفييت شباب ، الا أن كثيرا منها رفض لمشاركتها في معارض أخرى سابقة .

وفي جناح بلجيكا ، استراح جهاز بيضاوي الشكل أبيض اللون ، أشبه بالصحون الطائرة التي نسمع عنها ، ويمكن فتح الجهاز من الزاوية العليا فيه ، ليكشف عن فراغ داخل الجهاز الذي يتسع لشخص واحد للجلوس . . . والنوم .

ويقول المخترع البلجيكي الشاب غيلسون ديديه الذي يبلغ من العمر ٢٤ سنة أن هذه « الحجرة » مفيدة لعلاج المصابين باكتئاب ، أو بتعب ذهني ونفسي ، حيث توضع كمية معينة من الماء بدرجة حرارة لا تزيد عن ٢٥ مئوية في أرضية « الحجرة » ، وتغلق الفتحة بإحكام ، ويقول ديديه أنه بعد ١٠ - ١٥ دقيقة يخرج المكتئب وهو يشعر بالراحة والنشاط ومزاج رائق .

الايكوموبيل :

ويبدو أن السيارات تنال اهتمام كثير من المخترعين الشباب ، فقد صمم فرانز شميدت من ألمانيا الاتحادية « سيارته الايكولوجية » ، كما يسميها ، التي



كوستادين فلادوف



أقسيمان مصطفى



عمدة مدينة بلوفديف

تجمع فيها مزايا السيارة ومزايا الدراجة الهوائية ، وقد صمم شميدت ، البالغ من العمر ١٧ عاما فقط ، السيارة بغطاء زجاجي يمكن الرؤ ية من خلاله ، كما يمكن رفعه عند الحاجة ، أما العجلات الشبيهة بعجلات الدراجة فهي غير مرتبطة بمحرك ، لذلك فهي لا تخرج عادم السيارات ولا تلوث البيئة عند تحركها ، ومن هنا جاء اسم « السيارة الايكولوجية » أى « السيارة البيئية » إن جاز التعبير ، فهي تعمل ببدّالات خاصة شبيهة ببدّالات الدراجة ، وكما ذكرنا فليس هناك عادم يلوث الجو ، رغم أن التجارب أثبتت امكانية تركيب محرك كهربائي للسيارة في المستقبل .

ويبلغ طول « الايكوموبيل » كما يطلق عليها البعض ٢٠٥ سم ، وعرضها ١٠٢ سم ، وارتفاعها ١١٠ سم ، وتزن ٣٨ كغم ، أما السرعة القصوى للسيارة الايكولوجية فهي ٥٨ كم في الساعة .

في الجناح البلغاري كان اختراع يوليي توتيف مثار اهتمام كبير لعمليته وجدته ، فقد صمم توتيف جهازا للتدريب على السباحة ، يختلف كليا عن أسلوب الزحف التقليدي ، ويستخدم هذا الجهاز في الماء ، أي في الوسط الطبيعي للسباحة ، حيث يأخذ ذراع الطفل ليوصلها الى المسار النهائي لذراع السابح ، وذلك حسب المقاييس الدولية ، ولا يستخدم في هذه الطريقة اللوح الخشبي الذي كان حتى الآن أساس جميع طرق تعليم السباحة ، مما يفترض التدريب الفردي وليس الجماعي كما هو الحال في هذا الاختراع .

وقد أثبت جهاز توتيف فعاليته من خلال التطوير الشامل لألية الحركة الطبيعية للأعضاء ، ضمن ظروف بيوكيماوية وهايدروديناميكية مناسبة .

ومن الدلالات على فعالية هذا الجهاز أنه خفف بنسبة ضعفين أو ثلاثة من المدة اللازمة لضبط عملية السباحة بطريقة الزحف التقليدية .

العلم والخيال العلمي :

وفي الجناح الكوري امتزج العلم بالخيال ، دون أن يكون لذلك علاقة بقصص الخيال العلمي الشهيرة ، فقد تمكن المخترعون الكوريون الثلاثة مون بن هو ، وتشي بن هي ، وردو ، من ابتكار جهاز يمكن بواسطته رفع مازنته ٤٦ طنا الى علو ١٥٠ مترا ليرفعوا شعلة تزن كل هذه الأطنان ، فوق أعلى نصب في العالم تقيمه كوريا الشمالية في عاصمتها بيونغ يانغ .

ليست هذه أكثر من عينات لما شاهده زوار المعرض العالمي لمبتكرات المخترعين الشباب في مدينة بلوفديف البلغارية القديمة ، في جولة قصيرة لمشاهدة نماذج من اختراعات شباب العالم .

فقد كان علينا أن نقابل كوستادين فلادوف عضو لجنة تنظيم المعرض ، ومدير مركز الابداع العلمي والتقني للشباب في بلغاريا ، لنعرف المزيد عن

المعرض الذي كان فكرة ثم حقيقة شاهدناها ذات شتاء .

قال فلادوف ان هذا المعرض الأول من نوعه في العالم ، ومن هنا كان طبيعياً أن تبرز صعوبات هي على الدوام دليل الحد الفاصل بين الفكرة والتطبيق ، ومع ذلك فان جهودا كبيرة بذلت لانجاح المعرض ، وفي ضوء هذا النجاح ستقرر المنظمة العالمية التي لها مكتب خاص امكانية عقده مرة أخرى .

وأضاف فلادوف قائلا : ان هذا المعرض مهم جدا بالنسبة لنا ، ونحن نعتبره وسيلة للتقريب بين شباب العالم كله ، من البلدان الشرقية والغربية ، المتقدمة والنامية ، لذا ففي كل يوم تعقد ندوات ومؤتمرات على هامش المعرض ، فهناك مؤتمر حول السلام في العالم ومسابقات في الأزياء ، والابتكارات الحديثة ، وهناك أيضا مكان للأدب في هذا المجتمع العلمي الكبير ، حيث عقد ٢٥٠ من كتاب قصص الخيال العلمي مهرجانا لهم على هامش أنشطة المعرض .

اضافة الى ذلك ، فان هناك يوما لكل بلد شارك في المعرض ، حيث تعرض صور من حياة هذا البلد ، ونماذج من أسلوب الحياة فيها ... الخ .

أقسيمان :

في هذا الجو العلمي الذي يجمع العبقرية والتسلية ، والفن وتقدم الانسان ، كان لا بد لنا أن نتساءل عن مكان الشباب العربي في مثل هذه المواقع ، وكان الجواب ، عليكم اذن مقابلة أقسيمان ، فعند أقسيمان الخبر اليقين ، فأضفنا سؤالا آخر من هو أقسيمان هذا ؟ وجاء الجواب من أقسيمان نفسه ..

أقسيمان مصطفى ، هو رئيس الجمعية المغربية للمخترعين التي تضم ٥٠ عضوا ، ومقرها الدار البيضاء ، وقد شاركت الجمعية المذكورة بـ ١٢ اختراعا ، قدمها ٤ من المخترعين الشباب المغاربة ، وفاز أحدهم بميدالية ذهبية عن اختراع يمكن من



البيت البيضاوي.. للاسترخاء والتخلص من الاكتئاب



فتاتان تشاهدان تجربة جديدة لحلم الانسان القديم باختراق الفضاء



المسرح القديم يطل على شوارع المدينة الحديثة .





أطفال بلغاريا وتكوينات فضائية من صنعهم .

خلاله التحكم بالانارة العمومية ، وإنارة المطارات ، كما يستخدم في حوادث الحريق .

اذن ، فقد كان للمخترع العربي الشباب وجود في المعرض حيث شارك مخترعون من تونس والسودان والعراق والجزائر ، وفاز مخترعان من العراق والسودان بميدالية ذهبية لكل منهما .

ولكن ، ماذا يقول أقسيمان الذي يشغل أيضا منصب رئيس « اتحاد جمعيات المخترعين الأفارقة ؟ » .

يقول أقسيمان « كانت فكرة تكوين فدرالية للمخترعين الأفارقة قد طرحت عام ١٩٨٣ ، في جنيف ، لكن شيئا ملموسا لم يتحقق في هذا المجال ، الى أن جاءت الفرصة في هذه المدينة بالذات ، بلوفديف ، فقد لاحظت حضور أعداد مهمة من المخترعين الأفارقة ، يعيشون نفس المشاكل تقريبا ، وقررت استغلال المناسبة ، فأجريت اتصالات مع رئيس جمعية المخترعين الجزائريين ، وبادرنا نحن الاثنين بالاتصال مع رؤساء جمعيات المخترعين الافريقية ، وخلال وقت قصير جدا لم تصادفنا فيه مشاكل تذكر ، أنشأنا الفدرالية التي ضمت كلا من الجزائر ، وساحل العاج ، والكونغو ، وأثيوبيا ، والمغرب ، ومصر ، ونيجيريا ، والسودان ، وتونس ، وتنزانيا ، وزيمبابوي ، وموزامبيق ، وتشكلت لجنة تنظيمية مؤقتة برئاستي ، وشغل ممثل زائير منصب نائب الرئيس ، وممثلو كل من زائير والسنغال وتنزانيا وزيمبابوي أعضاء » .

العرب والأفارقة :

ولكن لماذا اتحاد للمخترعين الأفارقة وليس للمخترعين العرب ؟ يجيب أقسيمان : « أعتقد أن مثل هذا المشروع يحتاج الى دراسة ووقت كبيرين ، فالمخترعون العرب غير مرتبطين ببعضهم ، ونحن في المغرب مثلا ، لا ندري شيئا عما يجري في بلدان الوطن العربي الأخرى ، في هذا المجال الحيوي والمهم ، وفي اعتقادي أن الخطوة الأولى يجب أن تكون داخل كل قطر عربي على حدة ، حيث يصبح للمخترعين العرب جمعياتهم القطرية ، وبعد ذلك ، يبدأ العمل في سبيل انشاء فدرالية أو اتحاد عام لهم ، وبالمناسبة ، فاننا الآن بصدد انشاء جمعية تضم مخترعي المغرب العربي ، أعتقد أنها يمكن أن تكون نواة لفدرالية عربية تضم كل المخترعين العرب » .

سألنا أقسيمان عن الفرق بين اختراعات العرب واختراعات الآخرين ، فجاءنا الجواب يحمل من العلمية بقدر ما يحمل من الخطورة : « ان مستوى المخترعات العربية جيد نسبيا » ثم قال أقسيمان : « لكن من الممكن أن تكون هذه المخترعات أفضل بكثير لو أتيحت لمخترعينا العرب الامكانيات المادية والمعنوية ، وأعتقد أن أهم ما يجب أن يتجه اليه المخترعون العرب هو تطوير التقنية المحلية ، فالمقصود بالاختراع حل مشاكل المجتمع نفسه ، دون أن يعني ذلك توقف تطوير التقنية الحالية ، وبذلك نكون قد تقدمنا تقنيا ، وساهمنا في حل مشاكل مجتمعنا ودعم اقتصاد بلادنا ، فالاختراع هو أساس المستقبل ، كما هو أساس الحرية ، لأنه الخطة الأولى نحو الاستقلالية ، وعدم الاعتماد على الغير ، وفي الجناح البلغاري هناك مخترعون لا تتجاوز أعمارهم ١٦ سنة ، ومع ذلك فان مخترعاتهم تضاهي انجازات المخترعين العالميين الآخرين » .

الحاجة .... والاختراع :

في جناح تونس كان المهندس صدّيقي فتحي ، التونسي الذي سجل باسمه ١٤٣ اختراعا ، معظمها في حقل الصناعة الغذائية ، وهو يعمل نائب مدير في وزارة الطاقة بتونس ، ويقدم صدّيقي فتحي نفسه قائلا : « أنا رجل أعمال بالحرفة ومخترع بالهواية » .

يقول فتحي عن علاقته بالاختراعات : « لقد قدمت اختراعي الأول عندما كنت في الثانية عشرة من عمري ، وقد سرت بسرعة في هذا المجال الذي تخصصت فيه ، وحتى في ذلك الوقت المبكر كان هدفي تحقيق أقصى قدر من الاقتصاد » ، ولا يزال « الاقتصاد » بهذا المعنى ، دافعه الأول للاختراع ، فالاختراع الذي شارك به فتحي في معرض بلوفديف وحاز عنه على ميدالية ذهبية ، كان جهازا لضغط القهوة ، يحصل منه المستخدم على خلاصة القهوة مركزة بنسبة ضعفين أو ثلاثة ، مع خلوها من مادة الكافيين ، ويضيف المهندسين فتحي قائلا ان الفكرة

وراء هذا الاختراع بدأت عام ١٩٧٥ ، عندما كانت تونس متوقفة عن استيراد « القهوة المحلولة » ، رغم أنها كانت تمتلك المادة الخام لانتاجها ، وكانت النتيجة أن تمكن المهندس فتحي من اكتشاف تقنية معينة تم تطبيقها فورا ، وذلك لايجاد خلاصة ليس للقهوة فقط ، بل لأنواع الأغذية المختلفة من الفواكه والخضراوات واللحوم والأسماك ، وبفضل هذه التقنية ، فان كل ١٠ كغم كانت تنتج خلاصة قدرها ١٠٠ غرام مركزة بنسبة الضعفين ، و ٥ غرامات مركزة بنسبة الثلاثة أضعاف .

ويقول فتحي أن منتجي الأسماك يبدون اهتماما خاصا باختراعي الذي لا يتضمن أي مواد كيماوية ، رغم أن هذه الخلاصة تحتفظ بالفيتامينات والبروتين ، والرائحة والنكهة المميزة للمادة الغذائية .

لكنه يضيف سببا مهماً لنجاح هذا الاختراع الخاص بالقهوة ، « فالقهوة مشروبي المفضل » كما يقول ليثبت مجدداً ان « الحاجة أمّ الاختراع » .

ارقام وحقائق

وحتى نوضح الصورة فيما يجري في عالم الاختراع ، نذكر أن في بلغاريا ١٣٧,٦٦٤ مخترعاً بينهم ٣٩,٤٠٠ من المخترعين الشباب ، بينما يزيد عدد المخترعين الشباب في الاتحاد السوفياتي على المليونين ، ويزيد عدد المشتركين في اتحاد عموم المخترعين الشباب في الاتحاد السوفياتي على ثمانية ملايين ونصف المليون ، وهم ليسوا بالضرورة مخترعين ، بل مرتبطين بالعلم والاكتشافات العلمية بشكل أو بآخر ، ولا عجب فالاتحاد السوفيتي يأتي في المرتبة الأولى ، من حيث عدد الاختراعات التي تسجل فيه سنويا ، ففي عام ١٩٨٤ على سبيل المثال سجل هناك نحو ٢٠٠ ألف اختراع .

ولو أخذنا كمقياس ، عدد طلبات براءة الاختراع بالنسبة لعدد السكان ، فان اليابان تأتي في المرتبة الأولى ، يليها الاتحاد السوفيتي ثم الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية ، بينما تأتي بلغاريا في المرتبة الثامنة .

ونترك هذه الجولة في عالم الأرقام والعلم والاختراع ، وهذه الرحلة في عقول الشباب النابغ لنخرج الى الشارع

خرجنا من مبنى المعرض الضخم ، من بين الأعمدة التي ارتفع عليها صف من الأعلام بكل الالوان ، كانت الأعلام ترفرف معلنة اسم البلد الذي جاء منه المبدعون الشباب ، ليشاهدوا ما صنعه أقرانهم في الأجزاء الأخرى من العالم الفسيح ، الذي بات صغيرا مثل أعمار المخترعين الشباب ، وفي احد الأجنحة البلغارية الخمسة كانت مجموعة من الأطفال اختلط بهم بعض الصبية الأكبر سنا ، يعزفون على آلات موسيقية الكترونية من صنعهم ، وكان آخرون يلعبون بالأشكال الالكترونية التي تعرض على شاشات التلفزيون العديدة المنتشرة في قاعة الألعاب التي تناثرت داخلها الاشكال الفضائية والمدارية ، وكان صخب الأولاد يمتزج بأصوات تحاكي أصوات الفضاء التي اعتدنا على سماعها في أفلام الخيال العلمي ، ولكننا بالتأكيد لم نكن نتخيل ، فالناس حقيقيون كما هي الألعاب حقيقية ، والأكثر مدعاة للدهشة التي ذهبنا لنكشف سرها ، أن هذا الجو الخيالي بما فيه ، هو من صنع الشباب البلغار الذين بدأوا الابتكار في سن مبكرة ، ليملكوا المستقبل الآتي .

خارج السور :

وخارج السور الذي احتوى معرض الشباب كان سكان المدينة القديمة يذرعون شوارع الجزء الحديث من المدينة ، تحت رذاذ المطر الخريفي الذي غسل المدينة وأفاض أنهارها . وعلى التلال الثلاثة التي بدت أمامنا ، كانت مدينة فيليب القديمة تحتضن الكتاب والفنانين والمثقفين ، ورواد المقاهي والمتاحف الذين أصبحت المدينة مدينتهم ، وبقي المسرح الذي اكتشف على احد التلال القديمة ذات يوم في منتصف السبعينيات بين المنازل الحديثة .

كان المسرح الخالي يذكر الاحياء بنشاط وثقافة وحركة السابقين يطل على الشارع الحديث الذي مضت عليه سيارتنا ، ويحكي شيئا عن الماضي الذي لا مفر من ذكره ، كلما تحدثنا عن المستقبل الذي حاول المخترعون الشباب امتلاكه . □

العربي - العدد ٣٣٢ - يوليو ١٩٨٦

قصة قصيرة

العلم

تأليف : خوجا احمد عباس

ترجمة : شوكت يوسف

خوجا أحمد عباس (ولد عام ١٩١٤) كاتب هندي معروف ، ألف العديد من الروايات ومجموعات القصص وسيناريوهات الأفلام . يكتب أعماله باللغتين الأوردية والانكليزية . بدأ ينشر نتاجه في الأربعينيات . يعتبر من أشهر كتاب الهند المعاصرين ، وقد ترجمت أعماله الى لغات عديدة .

- أمدّ الله في عمرك يا أفندي [١] . . باركك الله يا افندي . . أعطني خبزا لزوجتي وابنتي ، أرجوك يا سيد . . سيدعوان الله أبدا أن يوفقك وأولادك يا أفندي . .

- اذهب من هنا . . اذا كان عندك ابنة وزوجة فلماذا لم يحضرا بنفسيهما الى هنا ؟

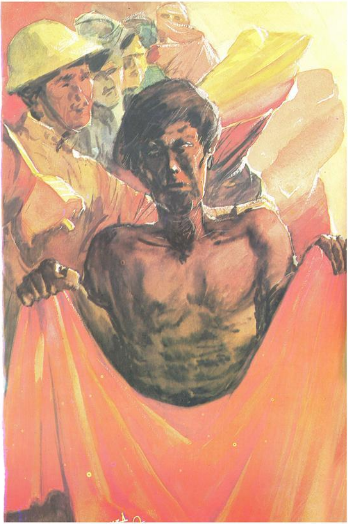
جفل رامو من هذه الكلمات . تنحى جانبا بصمت ، متأبطا أرغفته الأربعة وقطعتي الحلوى . وهل بمقدوره أن يقول للناس أن زوجته وابنته لا تخرجان من البيت ، لأن ثيابهما قد تحولت منذ زمن الى مايشبه الخرق ، ويخجلان من الظهور أمام أعين الجيران ؟

كان لدى الثلاثة « دخوتي » [٢] واحد فقط . ارتداه رامو عندما ذهب يبحث عن عمل . تذكر كيف دار على قدميه - نهار قبض أجره قبل بضعة أشهر - دلهي كلها قاصدا شراء دخوتي لكل من زوجته وابنته . كان مستعداً لدفع عشر روبيات لقاء الثوبين . ولكن لم يكن ممكنا أن يعثر في أي مكان حتى

---

(١) في النص الأصلي وردت كلمة (ساركار) وهو لقب يطلق في الهند على الشخص الوجيه ، المتنفذ أو صاحب الكلمة المسموعة لدى السلطات ويكون ، كقاعدة عامة ، من الأثرياء (المترجم)

(٢) زي يرتديه الرجال غالبا في الهند . يتألف من قطعة قماش واحدة (٢ - ٥ أمتار) تُلف بطريقة ما حول الوركين والساقين ، ويتدلى أحد طرفيها بين الساقين (المترجم)



على واحد بعشرين روبية . دار المنطقة التجارية كلها ، دخل المخازن الكبيرة والحوانيت الصغيرة ، وكان الجواب في كل مكان واحداً :

- لا يوجد عندنا دخوتي .

للحقيقة قال له أحدهم ، عندما عرّج على حانوت صغير فيما يشبه الهمس :

- اذا كنت في حاجة ماسة أستطيع تدبير اثنين لك ، لكن سيكلفك ذلك خمسين روبية .

خمسين روبية ! . . عملَ شهرا كاملا ومن الفجر الى المغيب كل يوم في نقل حجارة البناء ، ولم يكسب سوى خمس وعشرين روبية . فمن أين له الخمسون ؟

عدا ذلك ، منذ ذلك الحين وهو عاطل عن العمل تقريبا . بدأ العمل في ورشة لبناء ثكنات للجنود الأمريكيين ، لكن العمل توقف مع مغادرة الرعايا الأمريكيين البلاد ، ويستعدون الآن لهدم الأبنية التي شيدت على عجل . وثمة نقص كبير الآن في مواد البناء ، وتوقفت نتيجة لذلك كل مشاريع البناء الخاصة تقريبا .

وهكذا يعيش رامو منذ عدة أشهر دونما عمل . بحث وسأل عن عمل في شتى زوايا المدينة ، لكن عبثا . وغدا الوضع أصعب بعد أن تدفق النازحون من البنجاب للعيش هنا . منذ يومين لم تذق أسرته الطعام . ويبدو أنه لا مفر من طلب الصدقة . هذا هو رامو الحجار عامل البناء الخبير يطلب الصدقة . . ولم لا ؟ ثمة بين النازحين سادة حقيقيون يعيشون ، مع ذلك ، على التبرعات في الغالب .

وفي هذا الصباح كان قد قرر فعلا أن يبدأ حياة جديدة - يخرج الى الشارع بيد ممدودة . لكن الله خلصه ، انقذه من هذا الذل . مع الفجر أتى اليه شاراخ دين ومازيتا ونقلوا له خبرا مفرحا : هولـزا ريلال يوزع على الفقراء خبزا وحلوى . يقولون ان البلاد حصلت على « استقلال » ما ، وبمناسبة هذا الحدث العظيم يطعم الأفندى الجائعين . منذ زمن والأقاويل تسرى عنه بين الناس . يقولون انه شخصية مهمة ، وله صلات وثيقة بزعماء البلاد .

في هذا اليوم العظيم يستطيع كل فرد أن يحصل ، دون بطاقة ، على أربعة أرغفة وقطعتي حلوى ، لكن هل تكفي حصة واحد ثلاثة أشخاص لم يذوقوا الطعام منذ يومين ؟ آه لو تمكنت من الحصول على حصتين أخريين لزوجتي وابنتي . . . لكن لم تسفر جهودي عن شيء . يجب ان يحضرا بنفسيهما ويستلم كلٌ حصته . لكن ما العمل اذا لم يكن لديهما ثياب تستر عريهما ؟ آه ماذا لو أرسل الله له بضعة أمتار من القماش . .

في هذا الصباح بدا فعلا وكأن الله يستجيب لدعاء رامو : ما ان وضع قدمه على رصيف (كونات - بليس) حتى أرسل له قطعة قماش ضخمة رائعة مخططة بألوان برتقالية ، بيضاء وخضراء ، وفي وسطها ، على أرضية بيضاء ، دائرة على شكل عجلة . كانت قطعة القماش ترفرف في الهواء وغطت رأس رامو . هل من شك في أن العلي القدير قد خصه بها ؟ رفع رامو رأسه فرأى مئات قطع القماش الأخرى المشابهة : كانت تخفق على أسطح المنازل ، تتماوج بين أعمدة المباني وأمام الفنادق والمخازن . قال في نفسه : « من سيكون بحاجة لها في حين ثمة الكثير الكثير منها في كل مكان من المدينة . عدا ذلك فهذه هبة من الله » ؟

لم ينتبه له أحد لشدة الازدحام الحاصل في الساحة . طوى رامو قطعة القماش المخططة بالبرتقالي والأبيض والأخضر ، خبأها تحت ثوبه المهلهل وأسرع باتجاه البيت . الآن غدا بمقدور زوجته وابنته الحصول على حصتيهما في منزل الأفندى .

أعطى زوجته الدخوتي الذى كان يرتديه وأعطت هي بدورها الساري [3] المهلهل لابنتها كي تستر به جسدها . أما رامو فلف حول خصره وساقيه قطعة القماش المخططة الزاهية الألوان . ابتسمت المرأة وهي تنظر الى الزى الجديد الذى يلبسه زوجها . ما أجمل ابتسامتها بعد تلك الأيام المفعمة بؤسا وعذابا . . .

اتجهوا جميعا الى قصر الأفندى ، حيث كانت البقية الباقية من المتأخرين تأخذ نصيبها . كان ما تبقى من

---

(٣) الزى الوطني للنساء في الهند . ويتألف من قطعة قماش كبيرة (٥ - ٧ امتار) تلفه المرأة حول جسمها وتعلق احد طرفيه على كتفها ، ويغطي الرأس احيانا (المترجم)

الخبز والحلوى أشبه بفتات ، لكنه ، مع ذلك ، كان بالنسبة لأسرة رامو بمثابة العيد الحقيقي . عادوا في طريقهم الى البيت والبسمة تعلو شفاههم .

عندما وصلوا الى (كـونـات ـ بليس) في طريق العودة ، نادى أحد أصحاب الحوانيت المنتشرة على جانبي الطريق رامو :

ـ إيْ ، أنت . . من أين سرقت هذا العَلَم ؟

ـ عَلَمْ ؟ أي علم ؟ لا أعرف شيئا عن الأعلام .

ـ آه ، ألا تعرف ؟ مـا هـذا الـذى ربـطتـه عـلى مؤخرتك ؟

ـ هذا . . هذا . .

فجأة شعر رامو بالخوف ، حتى أنه لم يستطع التفوه بكلمة واحدة . أحاط بهم الناس ، وازداد تجمع المارة حولهم خلال ثوان .

ـ نعم ، هذا العلم كان معلقا على حانوتنا . ونحن نبحث عنه . . .

ـ انظروا الى هذا المعتوه ـ لف نفسه بالعلم ويتجول في الشوارع .

ـ انزعوه عن هذا السافل . . .

ـ اضربوه . لص قذر .

ـ استدعوا البوليس . . أين الشرطي ؟

ـ الى هنا ، الى هنا يـا حضرة الشرطي . هذا من اختصاص مخفركم . . .

لم يكد يمسك الشرطي المتهم رامو حتى هجم عليه أحد الفتيان ، ونزع عنه بحركة عنيفة العلم . زعقت زوجته وأدارت ابنته وجهها الى جانب آخر ، ودفنت رأسها بين يديها كي لا ترى عورة أبيها .

ـ خا ـ خا ـ خا . . خي ـ خي ـ خي . . .

كـان ضـحـك وقهقهـات الجمهـور المحتشـد في المكـان ، كوابـل حجارة تسـاقط عـلى جسـد رامو العاري . تمنى في هذه اللحظة شيئا واحدا فقط : لو أن الأرض تنشق تحت قدميه وتبتلعه .

أشفق على حاله أحد المارة الطيبين وناوله شالاً . ستر رامو عورته ، رفـع رأسه ونـظر الى جلاديـه . كانت الدموع في عينيه . . . كان مستعدا لكل شيء ـ لابأس فليقتلوه وليضعوا القيد في يديه ، لكن ليأخذوه من هنا بأقصى ما يمكن من السرعة .

ـ سأل رجل وصل المكان بينما كان الشرطي يقود رامو وسط الزحام :

ـ ماذا فعل ؟

أجابه آخر وكان على ما يبدو من الفقهاء المطّلعين على قانون العقوبات :

ـ اقترف ثلاث جرائم .

ـ ثلاث جرائم ؟ كيف ؟

ـ أولا سرق .

ـ وثانياً ؟

ـ أهان شرف الوطن (وأشار الى العلم) .

ـ وثالثاً ؟

ـ ظهر عارياً في مكان عام . وهذا أيضا أمر يعاقب عليه القانون .

حصل كل هذا بينما كانت ترفرف عاليـاً ـ كأنمـا تسخر من الجميع ـ آلاف الاعلام بألـوانها الثلاثيـة الزاهية . □

حيلـــة

كان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يشبب بابنة معاوية بن أبي سفيان ويذكرها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : « لو جعلته نكالاً ؟ » (صنعت به صنيعاً يكون فيه عبرة لغيره) فقال معاوية : « لا ، ولكني أداويه بغير ذلك » .

وحدث أن دخل عبد الرحمن على معاوية يوماً ، فأجلسه على سريره ، ثم أقبل عليه بوجهه وحديثه ، ثم قال : « إن فلانة ابنتي عاتبة عليك » . قال : « وفي أي شيء ؟ » قال : « في مدحك أختها وتركها » قال : « فلها العتبى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدحها » ، فلما فعل ، وبلغ ذلك الناس عرفوا أن عبد الرحمن كان كاذباً في تشبيبه بابنة معاوية ، لأن معاوية لم تكن عنده الا ابنة واحدة .



اعداد : يوسف زعبلاوى

اوغاريت..

مهد الكتابة الهجائية وصانعة حروف الهجاء

أوغاريت حضارة ومدنية قديمة قديمة .. ولكن آثارها بقيت طي المجهول حتى سنة ١٩٢٩ ... فلا المؤرخون ولا علماء الآثار عرفوا أي شيء عن أوغاريت التي ظهرت حضارتها في الألف السابعة ، وازدهرت في الألف الثانية قبل الميلاد ... وهكذا بقيت نشأة حروف الهجاء والكتابة الهجائية لغزا من الألغاز المستعصية ... فهي اختراع أوغاريتي كنعاني ولا ريب ... نشره الفينيقيون ، وأخذه عنهم أهل الغرب والشرق ... ولكن الفضل في ابتكار الأبجدية انما يعود الى الكنعانيين الساميين الذين استوطنوا أوغاريت ، واستقروا فيها قرونا عديدة ... قبل أن يرتحلوا عنها الى شواطىء لبنان . حيث تقوم الآن صيدا وصور وجبيل وغيرها ...



هذا ليس صندوقا ولكنه منزل .. أو - إن شئت - كوخ .. يخص أحد الغرباء في أوغاريت ، ولو كان بيتا من بيوت الأوغاريتيين لكان قصرا رحبا منيفا

من هم الأوغـاريتيّـون ..؟

الكنعانيون ، وهم ساميون كما هو معروف ، هم سكان المنطقة الأصليون ، سكان سوريا ولبنان وفلسطين وما إليها .. انتشرت جموعهم في أرجائها ، وسادت حضارتهم ومعتقداتهم شتى مدنها .. وذلك منذ أقدم الأزمنة ، وحتى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد .

وكانت أوغاريت احدى تلك المدن الكنعانية ، وقد أثبتت حفريات البعثة الفرنسية أنها باشرت بناء تلك الحضارة سنة ٦٥٠٠ ق.م .. وأن حضارتها تلك سادت فبادت ثم سادت فبادت وهكذا ... خمس مرات متعاقبة ، حتى بلغت أوجها في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد ، وغلب على تلك الحضارة الطابع التجاري ، فتألقت ثراء وترفا .. وتألقت



هذا هو تمثال الاله بعل . . إله الرعد . . وهو مصنوع من البرونز ، ومطلي بالذهب ، وكان الاله المحبب لدى الكنعانيين .



تمثال الآلهة العظيمة يعود بنا الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

أيضا بابتكار حروف الهجاء التي استوجبت ابتكارها مصالحها التجارية . .

ومضت قرون وقرون ، والمنطقة تعيش في أمن وسكون . . . حتى كان القرن الثالث عشر قبل الميلاد . . . واذا بها تتعرض لانتفاضات ديمغرافية عنيفة ، ما انفك ناموس التاريخ يفرضها هنا وهناك ، بين حين وحين . . .

ومن تلك الانتفاضات أيضا ظهور الآراميين على مسرح المنطقة . . كانوا من البدو الرحل الذين تدفقوا في الصحراء الى شمال سوريا . . وغزوا أوغاريت وما حولها سنة ١٢٠٠ق.م . . . حتى اضطر الأوغاريتيون الى النزوح عن بلدهم ، والتوجه جنوبا الى سواحل لبنان . . . الى فينقيا . . .

وما أسرع ما تكيف هؤلاء الكنعانيون وظروف البيئة الجديدة ، فأقبلوا على ركوب البحر ، واتقنوا الصناعات البحرية وخصوصا بناء السفن والملاحة والتجارة البحرية . . وما لبثوا ان انتشروا في مشارق البحر المتوسط ومغاربه ، وانشأوا الجاليات في قبرص ومالطة وصقلية واسبانيا وشمال افريقيا . . .

وكان الاغريق أول من صادف الكنعانيين ، وذلك في القرن الثامن الميلادي ، أيام ظهرت روما . . . وكان الاغريق هم الذين سموهم الفينيقيين بدلا من الكنعانيين ، وسموا موطنهم على شواطئ لبنان (فينيقيا) بدلا من كنعان أو لبنان . . والفظ يوناني ، ويعني اللون الأرجواني . . . ذلك أن الفينيقيين تخصصوا في بيع الصبغ الأرجواني النادر والغالي الثمن ، وقد اتقنوا صنعه وتحضيره ، أو استخراجه من احدى فصائل السمك . . بل المحار الذي استوطن شواطئ لبنان أو فينقيا كما سماها اليونان .

ولطالما قرن المؤرخون بين الفينيقيين والكتابة الهجائية . . فقد دلت آثارهم على أنهم عرفوها واستعملوها ونشروها بين شعوب العالم القديم ، وبخاصة اليونان والرومان ، أما كيف بدأت تلك الكتابة الهجائية . .؟ ومن هم مبتكرو حروف الهجاء . .؟ ومن هم الذين طوروها حتى بلغت المستوى الذي بلغته أيام الفينيقيين . .؟ فتلك أسئلة بقيت ماثلة في الأذهان دون جواب ، حتى كانت حفريات البعثة الفرنسية في أوغاريت ، والمكتشفات

التي تمخضت عنها . . فثبت بما لا يقبل الشك أن الأوغاريتيين هم أجداد الفينيقيين ، وأن الكتابة الهجائية التي تألقت في عهد الأحفاد انما كانت من ابتكار الأجداد . .

القصر الملكي :

يعجب المرء للمساحة الفسيحة التي شغلها القصر الملكي في أوغاريت . . فهي لا تقل عن ١٠ دونمات . . من الأرض . . ولكن هذا القصر الذي تم اكتشافه من قبل البعثة الفرنسية السالفة الذكر لم يكن قصر الملك (يقارو) الشهير الذي لم يكتشف بعد . . . ولم يكن خاصا بملك واحد فحسب . . وانما بمختلف الملوك الذين تعاقبوا على حكم أوغاريت في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد . . فقد درج هؤلاء على إضافة أجنحة خاصة بهم ، تلحق بالقصر الأصلي فتزيده حجما ومساحة . .

ولعل في تقسيمات القصر الداخلية الكثير مما يلفت النظر ، ويلقي الضوء على حياة أوغاريت ، فانت تدخله عبر باب فخم ، يؤدي بك الى ساحة داخلية مبلطة . . تفضي بدورها الى الأجنحة الملكية . . ولما كانت هذه الأجنحة كالقصور المستقلة ، كانت لها ساحتها الخاصة . . وكانت ذات (طابق) دور علوي أيضا . .

ثم تدخل بابا ثانيا داخل القصر . . فتنتقل عبره الى المقابر الملكية والجناح الذي شيد فوقها . . ويقابل هذا الجناح مقصورتان آوت احداهما الخزينة ، وآوت الأخرى الوثائق الرسمية ، ويتضح لك مدى اهتمام حكام أوغاريت بشؤون المال والارشيف ، في كثرة ما اشتملت عليه المقصورتان من غرف . . تذكرك بمكاتب وزارات المالية ، وحفظ الوثائق في هذه الأيام .

ثم تجد نفسك أمام فرن أو محرقة استعملوها لشي ألواح الطين . . وقد بدا لك بمحاذاتها مذبح شيدوه في وقت لاحق .

ولسو أنت نظرت الى الشرق لسرأيت جناح الصناع . . وقد اكتشفوا فيه الكثير من المنحوتات العاجية . . بما في ذلك رأس التمثال الشهير ، وهو رأس إله الحرب ، وقد تصوره أهل أوغاريت شابا وسيما ، خلافا لما كان عليه إله الحرب في أساطير اليونان والرومان وسواهم . . .

ولا يخفى أن رأس التمثال كان مطعما بالبرونز والذهب (انظر الصورة) ، أما المنحوتات العاجية فكانت بمثابة الهدايا التي قدمها ملوك أوغاريت الى الملوك الآخرين . . وثمة بناية أخرى تصل اليها بعد أن تتجاوز الفرن والمحرقة . . انها مقر وزير التجارة ، وتلي تلك البناية الاسطبلات ، وقد بلغ طولها نحو ٢٩ مترا . . ثم تلي هذه الاسطبلات مدرسة الفروسية . . يأتي بعدها بيت العربات (الكراج) آخر أقسام القصر الملكي . .

وتجدر الاشارة الى أن هذا القصر الملكي الفخم ليس قصر الملك يقارو الشهير . . فذاك قصر أكبر وأفخم . . ولكنهم لم يعثروا عليه بعد (١٩٨٥) .

التجارة والصناعة :

نشطت الصناعة في أغاريت . . وقد أقاموا سوقا مغطاة لها في الجنوب من المدينة ، وكثر النحاسون والصياغ بين صناعهم . . وما أكثر ما عثروا عليه من سبائك ذهبية وفضية . . ناهيك بالتماثيل العاجية والنحاسية الموشاة بالذهب والفضة . . .

إلا أن التجارة كانت مصدر الثراء الرئيسي في أوغاريت ، وكان لموقعها على تقاطع الطرق أثر كبير في ذلك . . فقد كانت بحكم المحطة للقوافل التي حملت السلع من كريت وقبرص الى بلدان الشرق . . .

وتجلى الشراء أكثر ما تجلى في قصور النبلاء والأمراء ، المقامة الى الشرق من القصر الملكي . . . فقد كثرت فيها الحمامات والمراحيض والأنابيب الخاصة بالنفايات . . وكثرت غرفها حتى بلغ مجموع غرف قصر أحد المستشارين (واسمه رباتو) ٣٤ غرفة ، وذلك على الدور الأرضي فحسب . . .

الكتابة والمكتبات :

وكان للتجارة في أوغاريت جانب أو فضل آخر غير الثراء . . ذلك هو الكتابة الأبجدية . . . فالتجارة هي التي لعبت دور الحاجة . . الحاجة التي كثيرا ما تكون ام الاختراع . . . ذلك أن حرصهم على الابقاء



خريطة تبين موقع أوغاريت
ورأس الشمرة في شمال سوريا .

عن علاقاتهم التجارية مع أقوام عديدة مختلفة ، حملهم على ابتكار الطريقة المبسطة التي يمكن لهم ولتلك الأقوام أيضا أن يكتبوا فيها لغاتهم المختلفة . . فكانت المهمة التي أسندت الى كتابهم هي العثور على تلك الطريقة وتطويرها . . فكانت الحروف الهجائية التي تمثل أصواتنا ، والتي اذا جمعت تكونت الكلمات ، ومن الكلمات الجمل ، ومادامت اللغات جميعا قوامها الأصوات ، وكانت الحروف الهجائية بحكم الوعاء المشترك الذي يتسع لكل من تلك اللغات . . . والذي حل مشكلة الكتابة التي كثيرا ما استعصت على أصحاب تلك اللغات جميعا . . . ولعل طغيان الكتابة الهجائية على الكتابة التصويرية والكتابة المقطعية وغيرها ، وانتشارها في الغرب والشرق ، لدليل على مزاياها المطلقة على تلك الكتابات الأولى . . وحسبك أن اليونان والرومان احتضنوا الكتابة الهجائية الأوغاريتية . . . التي وصلتهم عن طريق الفينيقيين الذين ورثوا الكتابة الأبجدية عن أجدادهم الأوغاريتيين . . . الذين طوروها بحيث أصبحت تكتب على ورق البردي . .

. ومهما يكن من أمر فقد جنى الأوغاريتيون من اختراع الكتابة الهجائية ما توخوه وتمنوه ، من ازدهار التجارة ومنافع مادية ، الا أنهم لم يقفوا عند ذلك الحد . . فقد جنوا من الكتابة الهجائية أيضا الكثير من الفوائد الأدبية والفكرية . . الى جانب المنافع المادية . . وليس أدل على ذلك من المكتبات العديدة التي اكتشفوها بين آثار أوغاريت ، نذكر من هذه المكتبات على سبيل المثال مكتبة وجدوها وسط سوق الصناع . . . وقد كانت بمثابة مدرسة لصغار القراء والكتاب ، واحتوت على الكثير من كتب التنجيم والأدب ، فضلا عن كتب التدريس والتدريب . . .

المعتقدات الدينية :

والاله بعل (هداد سابقا) هو إله الرعد . . والاله داجون هو إله الزراعة عند الأوغاريتيين . . فالخصوبة إذن هي محور المعتقدات الدينية في أوغاريت .

ولعل هذه المعتقدات لم تختلف كثيرا عن معتقدات الكنعانيين في فلسطين . . . بل لعلها أوضحتها وشرحتها وكستها لحما وشحما طالما افتقرت اليه ، فقد امتنعت كتب بني اسرائيل الدينية عن التعليق على تلك المعتقدات بغير النقد والقدح .

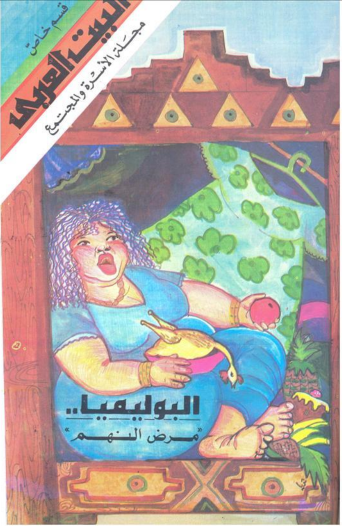
الطريف في تلك المعتقدات أنها كانت عبارة عن مسرحية اشترك في تمثيلها آلهة قديمة ومسنّة ، وأخرى حديثة وأصغر سنا . . . وما أسرع ما سادت الآلهة القديمة على الحديثة بحكمتها ورزانتها . . .

وتجدر الاشارة إلى الاله (إلْ) خالق المخلوقات جميعا . . فهو الوالد الرحيم الذي تجسدت في كلمته الحكمة كلها . . وقد تزوج من (عاشيرة) فكانت الالهة الدنيا مرتبة . . وبخاصة بعل وشقيقته الالهة أنات . . .

وجاء يوم أعلن فيه بعل وأخته الحرب على الاله القحط (موت) إلا ان النصر كان حليف(موت) هذا ، فكان مصير بعل الهبوط الى أرض الموتى ، وناشدت الالهة أنات (شقيقة بعل) ناشدت(موت) الابقاء على حياة بعل . . ولما رفض قتلته . . وبالسكين ذبحته . . وبالنار حرقته . . وبالطاحونة سحقته . . ثم لجأت الى الاله الأكبر (إلْ) وتوسلت اليه . . فرد الحياة الى بعل شقيقها . . الذي كان زوجها في آن معا . . فعاد الزوجان الى حياتهما الزوجية ثانية . . ◻



خفيف جداً ، منعش جداً
ورائع جداً
لتأخذه معك كهدية للمنزل
شاي الصين الأخضر
اليونج هيصون
THE VERT DE CHINE
8147
THE VERT DE CHINE
9371
شمعي
٥٠٠ غ
يونج هيصون
١٠٠٠ غ
يونج هيصون
٣٠٠ غ (علبة)
الشمعي الخصوصي
١٥٠ غ (علبة)
بعد ادائك لمناسك الحج، اصطحب معك إلى بلدك، الشاي المميز المنعش، الشاي الأخضر دائم الخضرة من الصين.
سوف تستمتع بخفته، ونوعيته الباردة، والعبير المنتقى بعناية فائقة، والنكهة التي لن تنساها أبداً.
خبراء الشاي معجبون بطريقته في إطفاء العطش والمساعدة في عملية الهضم وفي تقوية معنوياتك ولايتركك حتى تشعر بالارتياح التام.
الصين من أقدم البلاد وأكثرها خبرة في زراعة الشاي في العالم. والآن الشاي الأخضر القادم من هناك متوفر تحت اسم شاي دائم الخضرة.
حتى تستمتع على مدار السنة ولتقدم هدية لأصدقائك خذ معك إلى المنزل الشاي الأخضر من الصين.
دائم الخضرة
شاي أخضر من الصين


قسم خاص
البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع
البوليميا..
«مرض النهم»

حياة كاملة على
الشاشة المضيئة الساحرة

بقلم : راجي عنايت

يقفز العالم من حولنا .. وتقتحم ابتكارات العصر منازلنا ومخادعنا ، لتغير نمط الحياة وأسلوبها ، وتؤثر على ثقافتنا الاجتماعية بكل مافيها ، ماذا سيحدث لنا بعد ثورة ألعاب الفيديو والكمبيوتر الشخصي ، وماذا سيكون شكل العلاقات والحياة .. ؟

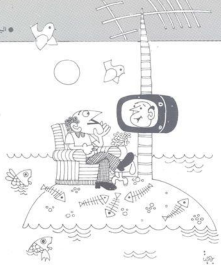
يبدو أنه قد كتب علينا أن تتقلص علاقاتنا البشرية يوما بعد يوم نتيجة لاعتمادنا أكثر على شاشة العرض المضيئة ، سواء كانت شاشة التلفاز أو شاشة جهاز الكمبيوتر الشخصي ، ويشغل علماء النفس والاجتماع هذه الأيام بتحديد مستقبل العلاقات البشرية ، في مواجهة الطفرة التقنية التي يعيشها والتي تتسارع في نموها بشكل لم يكن يتصوره أحد من قبل .

وإذا كنا نشكو حاليا من الارتباط المتزايد بين الأجيال الناشئة وشاشة التلفاز ، وندرس أثر ذلك على الصحة ، نتيجة للعادات البدنية المرتبطة بساعات المشاهدة الطويلة ونتيجة للأثر الضار للاشعاعات الصادرة عن الشاشة على سلامة الابصار وعلى الصحة بشكل عام ، كما ندرس الأثر الاجتماعي المترتب على تدهور العلاقات الأسرية ، بعد أن احتلت الشاشة مكان الصدارة في النشاط اليومي الانسان ، اذا كنا نبدي مثل هذه المخاوف الآن ، فمن حق علماء النفس والاجتماع أن يكشفوا عن قلقهم البالغ عندماتصلهم أخبار التسابق اللاهث الذي يجري في معامل البحث الالكتروني ، والذي يسعى لاعطاء الشاشة المضيئة مزيدا من السيطرة والابهار ، مما يجعلها أكثر جذبا للانسان وتأثيرا عليه .

من بين ذلك ، مايجري في ميدان قد لانتنبه الى مدى أثره على الأجيال القادمة ، ولانرى أبعاد زحفه على حياتنا .. نعني بذلك ألعاب الفيديو بأنواعها المختلفة ، سواء تلك التي تجري على أجهزة الكترونية صغيرة خاصة ، أو تلك التي تحتل المساحات الواسعة من أماكن التسلية والترفيه العامة ، أو تلك التي يمكن أن تتم باستخدام الكمبيوتر الشخصي .

سباق التتابع

والسباق الذي يدور بين الشركات التي تنتج ألعاب الفيديو أصبح أشبه بسباق التتابع ، ما ان تطرح احدى الشركات تطويرا جديدا في الأسواق ، حتى تتسلم الراية شركة أخرى لتضيف الى ذلك



التطوير وتتجاوزه ، وتسرع بطرح انتاجها الجديد في الأسواق ، مسلمة الراية الى شركة أخرى .

وهكذا ظهرت سلسلة من الألعاب الجديدة التي تثير التعجب والدهشة ، بعضها تتحدث اليه فيسرع الى تنفيذ أوامرك ، وبعضها تمارسه وأنت فوق دراجتك وفي المحال العامة ، حيث وحدات ألعاب الفيديو الكبيرة (الأركيد) بل ظهرت الالعاب التي تتحكم فيها اسطوانة الليزر تبادلية الفعل ، والتي تخلق نوعا من التأثير المتبادل بين اللاعب واللعبة مما ينهي الدور السلبي للاعب .

وبعد أن كانت حركات اللعبة على الشاشة في أول الأمر بدون ألوان وتتسم بآلية واضحة تطورت الصورة على الشاشة فأصبحت حية تتدفق بالالوان ، والمؤثرات التشكيلية ، ثم بدأ العمل في تنفيذ الألعاب ذات الصور المجسمة على الشاشة التي تتحدث اليك وتتحدث اليها .

الصورة المجسمة

ورغم السعي الجاد الذي تقوم به شركات التلفاز للوصول الى صورة مجسمة على شاشة لعبة الفيديو ، فإن هذا لن يحدث ، في أغلب الأحوال ، قبل عدة سنوات ، لأنه يتطلب مواصفات خاصة في طريقة التسجيل والعرض والارسال والاستقبال ، تختلف عن الطرق المستخدمة حاليا .

ومع ذلك فهناك نظام وحيد لألعاب الفيديو المنزلية يتيح لك أن ترى الأشكال مجسمة على الشاشة ، هذه اللعبة تباع ومعها شاشتها الخاصة ، وتسمى « فيكتريكس » وهي تفرض على اللاعب أن يضع نظارة خاصة فوق عينيه تتيح له أن يرى الصورة المجسمة

الصوت الصناعي المركب

والخطوة الأسهل من الصور المجسمة هي الوصول الى لعبة تتحدث اليك .. اذا أجدت تحييك ، واذا خالفت القواعد نبهتك ، واذا تكررت مخالفاتك نهتك .

فمنذ سنوات ، تمكن الباحثون من انتاج الكمبيوتر الكبير الذي يمكن أن يتحدث الى الانسان بصوت مركب أو مؤلف ، ورغم صعوبة تحقيق هذه الخاصية للكمبيوتر الشخصي لأنها سترفع ثمنه ، وتخفض مبيعاته ، الا انه قد ظهرت عام ١٩٨٣ ، أجهزة اضافية يمكن توصيلها بالكمبيوتر الشخصي أو المنزلي ، فتتيح له أن يتحدث اليك .

وعلى الفور استفادت العاب الفيديو من هذه الامكانية .

من أنجح الألعاب التي استفادت من هذه الميزة ، لعبة « قاذفة القنابل ب ـ ١٧ » . وهي لعبة مركبة ، تقود فيها طائرتك مستعينا بمجموعة من العدادات والمؤشرات على احدى الشاشات ، وعلى شاشة أخرى تجد خريطة تحدد لك موقع طائرتك ، وأنت تطير عبر القنال الانجليزي الى ارض الاعداء في أوروبا ، وهناك شاشة ثالثة ترى عليها موقع الأهداف التي تسقط عليها قنابلك .. وهكذا ، حتى تبلغ الشاشات التي تستخدمها في هذه اللعبة تسع شاشات ، يمكن أن تستدعي الصور عليها ، بالضغط على زر خاص في لوحة الأزرار .

ولكن ، كيف ستعرف أي الشاشات تضيء ، والى أيها تنظر ؟

سيخبرك بذلك طاقم الطيران المصاحب لك ، هذا الطاقم عبارة عن مجموعة أصوات توجهك ، وتحذرك من الأخطار المختلفة،تنبهك اذا ما أبطأت عن السرعة المناسبة .. فتسمع صوتا يقول لك « خطر .. خطر » .. فاذا ما حاولت طائرة العدو أن تعلوك تمهيدا لقصف طائرتك ، تنبهك صوت اخر قائلا « انحرف بالطائرة بمقدار كذا .... »



اللعبة الرياضية

ومما يشغل مصممي العاب الفيديو هذه الأيام ، فكرة ادخال عنصر الرياضة البدنية على لعبة الفيديو ، في مواجهة المخاوف التي أبداها الاطباء حول اضطرار الشخص الى البقاء في مكانه ، وفي وضع معين لساعات طويلة ، خلال ممارسته للعبة ، وقد أدخل المصممون بعض التطويرات التي تستوجب قيام اللاعب ببعض الحركات ، بحيث تكون حركات الجسم وسيلته الى التحكم في مسار اللعبة .

وقد قدمت احدى الشركات أول لعبة فيديو رياضية ، توفر للاعب التسلية التي كان يحصل عليها من لعبة الفيديو التقليدية ، والفائدة التي كانت تعود عليه من ممارسة التدريبات الرياضية ، وهذه اللعبة يمارسها اللاعب وهو فوق الدراجة الثابتة التي تستخدم منزليا في التدريبات الرياضية .

في هذه اللعبة تكون عصا اللعب مثبتة في محور مقعد الدراجة ، وفي نفس الوقت يقوم جهاز آخر بتحقيق صلة بين حركة عجلة الدراجة وبين مايجري على شاشة جهاز لعبة الفيديو ، وهذه اللعبة عبارة عن سباق بين السيارات .. وحركة اللاعب على المقعد يمينا أو يسارا تتيح تحريك السيارة الى اليمين أو الى اليسار ، واذا أراد اللاعب أن يسرع بسيارته حتى

تسبق باقي السيارات ، يكون عليه أن يتفوق في سرعة تحريك (بدال) الدراجة .

يرجع الفضل في فكرة هذا النوع من الألعاب ، الى أحد الأبطال الرياضيين ، « ستيفن كيسلنج » الذي أوفدته مجلة « الصحة الأمريكية » الى جامعة (نبراسكا) ليكتب موضوعا حول أثر العاب الفيديو على صحة اللاعبين ، وبصفة خاصة صحتهم النفسية والعقلية ، فاكتشف أن الظواهر المصاحبة لممارسة العاب الفيديو مثل ارتفاع ضغط الدم ، معدل ضربات القلب هي نفس الظواهر التي تصاحب أداء التمرينات الرياضية ، وعرف من علماء الجامعة أن هذه الظواهر المصاحبة لألعاب الفيديو اذا لم تصاحبها بعض الحركات الرياضية تكون ضارة .. ومن هنا نشأت فكرة عصا للعب الرياضية .

مسح وتسجيل الدقائق

يقول الكاتب العلمي فيل ويسويل « ان التحول الفعال والحقيقي في العاب الفيديو المنزلية ، لن يتحقق حتى يحدث تغيير في قلب اللعبة .. أعني بذلك الخرطوشة ... »

وخرطوشة اللعبة (كارتدج) عبارة عن علبة في حجم وشكل علبة السجائر يضعها اللاعب في مكانها من جهازه ، لكي يمارس اللعبة الجديدة ، وهذا يعني أن اللاعب يحتاج الى عدد من هذه الخراطيش ، مناظر لعدد الألعاب التي يجب أن يمارسها ، ولما كان ثمن الخرطوشة يتراوح بين ٢٠ ، ٤٠ دولارا فان هاوي ألعاب الفيديو سينفق على هذه الخراطيش أكثر مما أنفق على جهاز ألعاب الفيديو نفسه .. والملاحظ أنه مع انخفاض ثمن الجهاز عاما بعد عام ، فان سعر الخرطوشة بقي على حاله ، ومرجع ذلك الى ان رقيقة الذاكرة التي في الخرطوشة مازالت مرتفعة الثمن .

والتحول الحقيقي الذي يشير اليه ، بدأت خطواته على يد « بول تيريل » مدير احدى الشركات ، عندما أنتج خرطوشة بها رقيقة ذاكرة ، قابلة للمسح واعادة التسجيل ، كما يحدث مع شريط التسجيل . وبقيت مشكلة وصول أصحاب أجهزة ألعاب الفيديو الى الجهاز الخاص . بمسح واعادة تسجيل رقيقة الذاكرة في الخرطوشة .

وفي محاولة لحل المشكلة أنشأ عدة محال تقدم للجمهور برامج خاصة تتضمن حوالي ٥٠٠ لعبة مختلفة ، فلايكون على اللاعب سوى أن يذهب الى المحل ، ومعه الخرطوشة الخاصة الفارغة ، أو عليها لعبة يريد تغيرها بعد أن سئم لعبها ، ثم يضع الخرطوشة في مكان مخصص من جهاز كبير ، وخلال دقائق يكون قد حصل على لعبة جديدة في خرطوشته ، هذه المحال التي انشأها « تيريل » تتصل بالمركز الرئيسي للشركة عن طريق خطوط تليفونية ، تنتقل خلالها برامج الألعاب الى كل محل من المحال .

الى أي مدى ؟

ومع كثافة الأبحاث التي تجري في مجال اسطوانة الفيديو ، وتحريك الاشكال التي يرسمها الكمبيوتر على شاشته ، وارتفاع مستوى الذكاء الاصطناعي للكمبيوتر ، بدأ الحديث عن تقديم افلام تبادلية الفعل ، وفيها لايكون هناك مسار معين لتتابع مراحل اللعبة انما يتوقف ذلك على القرار الذي يتخذه اللاعب في كل مرة .. ومع كل قرار يتحول الجهاز الى مشهد جديد ، يختاره فوريا من مكان ما على اسطوانه الفيديو ، بحيث يجيء مناسبا للقرار الذي اتخذه اللاعب .

ورغم ان التقنية الخاصة بهذا النمط من العاب الفيديو قد توفرت ، الا أن تطبيقها حاليا يكون مكلفا ، مما يجعل الشركات المنتجة تحجم عن التصدى لانتاجها .. ومع ذلك فمعامل البحث الالكتروني التي لايتوقف فيها العمل ، قادرة في الغد على تذليل هذه العقبات ..

وأخيرا ، نجد أنفسنا نتساءل : الى أي مدى يصل اندفاعنا في الارتباط بهذه الشاشة المضيئة الساحرة ؟ . □

وباء جديد اسمه
البوليميا..
أو مرض النهم

بقلم : الدكتور عبد الكريم ابو شويرب

لم تهدأ بعد موجة الخوف من مرض الايدز Aids الذي هبت رياحه من الغرب حتى يفاجأ الشرق بوباء جديد مصدره الغرب أيضا وهو البوليميا Bulimia أو مرض النهم ، فقد بدأ وانتشر ثم استشرى بدرجة وباء بين نساء الغرب وفتك بالعديد،فهل تنتقل عدواه الى نسائنا في الشرق ؟

بدأ الاطباء في الغرب مؤخرا الانتباه لظاهرة الموت من التخمة ، وقدوصفوا هذا المرض في السنوات الأخيرة بعد ظاهرة ارتفاع عدد الحالات المصابة به ، وحاولوا استقصاء اسبابه وأعراضه ، فلاحظوا أن البوليميا عبارة عن نوبات نفسية تصيب بعض المرضى ممن عندهم استعداد لذلك ، يفقد المريض خلال هذه النوبة غريزة التحكم في كمية الأكل الذي يتناوله ، مع شعوره بأنه مقدم على أمر غير طبيعي وعمل مخجل ، ولكنه لايستطيع ردع شعور النهم الذي يصيبه .

وادراك المريض لهذا الخطأ يدفعه الى التستر واخفاء أمره ، وكثيرا ما يصاب بالشعور بالذنب والكآبة في نهاية هذه النوبة ، ومرض البوليميا له مضاعفات خطيرة قد تودي بحياة المريض ولكنه قابل للعلاج والشفاء التام اذا تم تشخيصه وعلاجه في الوقت المناسب .

وكلمة بوليميا تعني تناول كميات غير عادية من الأكل وهذا ليس من خصال الانسان ، فغريزة الجوع تدفع الانسان الى الأكل ثم يكتفي بمقدار يتناسب مع سعة معدته التي تبعث تنبيهات (انعكاس عصبي) الى المخ حيث يشعر بالشبع والقناعة بما أكل . أما في حالات مرض البوليميا فتنعدم التنبيهات الأخيرة،لذا يستمر المصاب في التهام الأكل الى درجة يشعر معها بالضيق والغثيان ثم القيء .

أوصاف المصاب بالمرض :

يصيب هذا المرض بشكل خاص النساء ممن هن بين ٢٠ الى ٤٠ سنة من العمر ، ورغم وجود العديد من الاعراض التي يظهر بها المرض الا ان خلفية المريض ونوع شخصيته وسير المرض تكاد تكون واحدة في كل الحالات .



تقدر احصائية نسبة انتشار هذا المرض الى ٢٪ بين السيدات بصفة عامة في المجتمعات الغربية ونسبة ٧٪ بين السيدات المترددات على عيادات تنظيم الاسرة ، وربما وصلت النسبة الحقيقية الى أكثر من ذلك نظرا لتستر المريض او اعتقاده أن الأمر طبيعي قد يتحسن بمفرده ، وكذلك لأن بعض الحالات قد تدخل مرحلة المضاعفات دون تشخيصها ، والمرض لايزال ضمن مجال الأطباء المتخصصين في الأمراض النفسية

ان معظم المصابين لهم شخصية جدية ممن يهتمون بدقائق الأمور ويتعلقون بالجدل والمناقشة ، وهم ممن يفضلون العمل في المؤسسات الأكاديمية ذات صبغة التدرج الوظيفي ، حيث تبادل الاحترام الطبقي وحبهم معروف للنظام ، ودقة مواعيد العمل والجدية المتناهية اثناء ساعات العمل ، وعدا ذلك فهم متعلقون بأسرهم ومنازلهم ، وهن سيدات بيوت وأمهات وزوجات مثاليات .

نوبة المرض

تتراوح نوبة المرض من مرة أسبوعيا الى مرة شهريا في الحالات المعتدلة ، وتستمر لبضعة أيام تبدأ بشعور المريض بدافع لايقاوم من ألم الجوع وانفتاح شهية الأكل لالتهام وليمة غير عادية ، وطبعا على المصاب ان يجهز هذه الوليمة ، ولكن قلما يتناولها امام أفراد أسرته بل يفضل مكانا معزولا بعيدا عن أعين الناس ، ومعنى ذلك أن على المصاب أن يعد المكان والزمان المناسبين .

وقد يتناول بعض المصابين وليمتهم في أماكن ضيقة رديئة ، وآخر في خزانة ملابس وآخر تحت السرير ، وربما قام في ساعات متأخرة من الليل لاشباع غريزته هذه .

ويختلف نوع الأكل الذي يفضله المريض ، وعموما فهو بالدرجة الأولى من اللحوم أو النشويات

أو الحلويات ،وربما كانت مزيجا منها بالاضافة الى الفطائر والشطائر والفواكه وغيرها ، والأكيد انها تكفي لأربعة أشخاص على الأقل ، وربما أكثر من ذلك في بعض الحالات .

وفي آخر نوبة المرض يشعر المصاب أولا بالراحة والرخاء النفسي وانه انجز عملا مطلوبا منه وبدافع داخلي وقوة أقوى من ارادته ، وأخيرا يشعر المريض بعذاب الضمير والكآبة ومحاولة التستر واخفاء ماتبقى من آثار الوليمة ، وذلك الى ان تنتابه نوبة أخرى حيث يستعد لها كسابقتها ، وربما جرى ذلك لعدة سنوات قبل ان تبدأ المضاعفات النفسية والجسيمة في الظهور على المريض .

أعراض المرض

قد يبقى المرض دون تشخيص مدة طويلة نظرا لتحاشي مراجعة الطبيب في المراحل الأولى ، اما في مرحلة المضاعفات فإن التشخيص والتقاط الحالات أمران يسيران .

وقد يلجأ المريض الى أساليب وحيل متعددة يكيف بها نوبات المرض داخل منزله ومع أسرته واصدقائه ، وقد يبقى مرضه سرا لايعرفه حتى أقرب الناس اليه .

اما أهم الأعراض التي تجعل المريض يراجع الطبيب فهي آلام المعدة والقيء ، وقد يشكو بعضهم من ضعف ارادته عند الولائم العامة أو عدم قدرته على ضبط نفسه من التهام كميات كبيرة من الأكل تسبب له آلام البطن ، وتتردد السيدات المصابات على عيادات تخفيض الوزن أو اقسام التغذية لتنظيم حمية خاصة لتخفيض وزن الجسم .

اما الأعراض الأخرى التي تثير اشتباه الطبيب في مرض البوليميا فهي تشوش التفكير وتوتر الأعصاب ونوبات من الكآبة وتعكر المزاج ، كما لوحظ ان بعض المصابين قد مارس السرقة أو النشل من المتاجر أو الأفراد ، كما ابتلى غيرهم بالافراط في التدخين أو المسكرات أو تبذير الأموال في مواد غير ضرورية وبمقادير ملفتة للنظر .

ولكن لابد ان نفرق بين نوبات مرض البوليميا ونوبات الجوع والتهام الأكل بشكل طبيعي ، والتي يصاب بها كل انسان ولعدة مرات في اليوم . ففي حالات البوليميا يكون مقدار الأكل شيئا غير عادي وكذلك نوع الأكل فهو نوع واحد في معظم الحالات ، وليس بالضرورة ان يتناوله المصاب على مائدة معدة وفي ساعات الأكل بل في اي مكان وفي اية ساعة من اليوم ، ولايشعر المريض بطعم الأكل ولذته أو رداءته بل هي عملية حشو سريع لاإرادي ودون اختيار وتنويع كما يحدث في الغذاء العادي .

ويتميز ايضا الغذاء العادي بالاكتفاء عند الشعور بالشبع وكذلك لاتوجد مرحلة القيء والغثيان والاكتئاب التي نراها في حالات البوليميا .

هل ينتشر بين نساء الشرق ؟

سجلت حالات قليلة متفرقة من مرض البوليميا في بريطانيا قبل سنة ١٩٨١ ، وفي سنة ٨٢ بدأت حملة توعية للتعريف بهذا المرض بين الناس والأطباء بصورة خاصة ، إذ اتضح ان قلة من الاطباء يعرفون تفاصيل كافية عن هذا المرض . ومنذ هذه الحملة بدأ عدد الحالات يرتفع من سنة الى أخرى حتى وصل الى رقم مذهل اثار انتباه المهتمين والمتخصصين في هذا المجال .

وطبعا ان عدم التبليغ عن حالات من الشرق لايعني عدم وجود هذا المرض بين نسائنا ، ولكن على الاقل انه غير منتشر بالدرجة التي نراها الآن بين نساء الغرب ، والتي وصلت الى ٧٪ بين المترددات على عيادات تنظيم الأسرة ومنع الحمل .

ولكن هل توجد عوامل أسرية أو اجتماعية أو بيئية في الغرب تدفع النساء للاصابة بهذا المرض ؟ هل هو



نوع الحياة وضغط العمل او ربما نوع الأكل له دور في ذلك ؟ لا أحد يدري .

ويعلل الاستاذ الدكتور وجيه جرجس اخصائي الامراض النفسية سبب عدم انتشار مرض البوليميا بين نساء الشرق لعدة اسباب اهمها : وجود نظام العائلة الشاملة في الأسر الشرقية ، وكذلك اختلاف نظرة الشرقيين للمرأة المثالية عن نظرة الغرب التي ترى المرأة النحيفة هي المثالية ، وهذا مايجعل المرأة في الغرب تعيش تحت ضغط وتوتر أعصاب مستمرين ، وتتردد على عيادات تخفيض الوزن ، وتجربة أنواع الحميات والأدوية الخاصة لذلك والتخبط في تطبيقها

ان وجود الجد أو الجدة أو كليهما في البيت مع نواة الاسرة اي الابوين والاطفال وهو مايعرف بالعائلة الشاملة Extended Family له أثر كبير على نفسية الطفل وما قد يتعرض له في الكبر من عقد وأمراض نفسية . وقد اتضح من تقصي ضحايا حالات البوليميا ان نسبة كبيرة منهم قد تربوا في أسر يسودها جو الخلاف والنزاع بين الأبوين ويعتقد ان وجود الجدين في البيت (العائلة الشاملة) يمتص الخلافات العائلية في البيت ويؤدي بالتالي الى تخفيض نسبة مرض البوليميا في الكبار .

مضاعفات المرض

مع تكرر حدوث نوبات البوليميا يصاب ضحايا المرض بالمضاعفات التي قد تظهر مباشرة بعد النوبة مثل الاكتئاب أو الشعور بالذنب أو قد تظهر بعد عدة سنوات مثل ترهل الجسم واتساع وارتخاء المعدة أو هبوط الكلية أو اضطراب دقات القلب وأحيانا قد يصاب المريض بتشنجات مرض الصرع .

العلاج

يعتمد تحقيق العلاج على تعاون المريض ودرجة ادراكه بخطورة ومضاعفات المرض ، والمهم اخراج المريض من الدائرة المغلقة التي يحوم فيها والمتمثلة في نوبات من ألم الجوع مع اعز داخلي لاعداد الوليمة ثم اعداد المكان والزمان المناسبين ، ثم مرحلة الالتهام التي تليها مرحلة الاكتئاب والقيء ، ثم بعد بضعة أيام نوبة جوع أخرى .. وهكذا ، ويتم كسر هذه الدائرة بواسطة تنظيم أكل المريض يوميا ، ويعطى مقادير مناسبة من نفس نوع الأكل الذي اعتاد ان يلتهمه خلال النوبات ، ومن المهم ان يحلل الطبيب النفسي كل جوانب نفسية المريض ، ويكتشف العقدة النفسية التي تدفعه الى دخول دائرة المرض .

وكذلك تشجيع المريض لاختيار هواية مناسبة لشغل أوقات فراغه أو دفعه للقيام بمهام تثقيفية او فنية داخل مجتمعه أو حيّه ، له أكبر الأثر على نفسية المريض واخراجه من عزلته وعالمه الصغير .

وبتحسن المريض وتخلصه من نوبات البوليميا يتخلص أيضا من الظواهر الأخرى مثل الاكتئاب والتوتر العصبي ونوبات الغضب واليأس وغيرها .□

هو ....

إهمال

من الممكن أن يكون أى شىء .. الا أن يكون بيتاً .. مكتبة عامة جائز .. محل كتب وأوراق .. غرفة مهملة فى مدرسة . أى شيء الا أن يكون بيتا .. وأزمتي فى الحياة أننى لا أطيق أن أرى ورقة ملقاة على الأرض .

يعمل زوجى فى واحدة من هذه المهن التى لا يمكن ان تنفصل عن الكتابة والقراءة .. وأعرف هذا واحترمه وأفهمه .. وادرك أن من حقه أن يعمل فى البيت .. ولكن أين ؟ وكيف ؟ هذا هو الخلاف ..

جعلت له فى احدى الغرف مكتبا صغيرا كى يجلس ويعمل عليه .. وسرعان ما امتدت الكتب والجرائد والمجلات وانتقلت من المكتب الى السرير الصغير الوحيد الموجود بالغرفة ، ثم انتقلت الى خارج الغرفة فى صالة البيت ، وفوق المقاعد ... جريدة ملقاة ومجلة مفتوحة .. وثلاثة أو أربعة كتب مفتوحة فى آن واحد على صفحات محددة ..

وبعض الورق هناوهناك عليه بعض الخطوط والأسهم والدوائر والكلمات ، شىء أقرب ما يكون



الى طقوس السحرة .. وحاولت مرة أن أجمع هذه الأشياء وأرتبها وأعيدها الى المكتب .. ويومها .. لم يكن يوماً .. ثارت الدنيا وهاج وماج .. وعلا صوته .. وألقى على رأسى بكل الاتهامات بأننى أفسد عمله ، واننى زوجة معوقة تعوق طريق نموه ومستقبله .. وكيف لنا أن نأكل لو خربت عليه أعماله .. يومها غضب غضبة هائلة .. من بعدها أقسمت الاّ أمدَّ يدىّ على أوراقه .. وأتحمل عذاب الحركة فى بيت تحول الى ساحة ملقاة فيها الأوراق والكتب .. ويبدو أن صمتى هذا شجعه أكثر .. الى أن فوجئت ذات يوم أن فى ارض الصالة الجرائد اليومية ليومين متتالين .. وخمس مجلات أسبوعية وثمانية كتب .. وقاموس (عربى - انجليزى) ورواية أدبية ، وعدد هائل من الأوراق ، وكمية أقلام مختلفة الأنواع والألوان ..

يومها اتصلت ببعض أصدقاء العائلة كى يأتوا الينا فى المساء .....

ولم أخبره بهذه الزيارة ، العجيب أنه عندما دق جرس الباب ، وبين اللحظة التى فتحت فيها ، وبين رؤيته للقادمين ، كانت يداه بترتيب عجيب تجمع كل هذه الأشياء ، وقبل وصول أول القادمين الى منتصف الصالة ، كانت كل هذه الأشياء مصفوفة فى ثلاثة صفوف على المنضدة الصغيرة المجاورة للمقعد الذى اعتاد الجلوس عليه .. وبعدما غادر الأصدقاء .. بدأ يعمل وعادت الكتب والأوراق الى مكانها فى أرض البيت .

هىَ

هيَ ....

ضـــرورة عـَمـل

ألتمس لها الأعذار حيناً .. وأفهم دوافعها .. ولكنني وبصدق أضيق بهذا الاصرار العجيب الذى لا معنى له الا العناد في جمع كتبي وأوراقي وترتيبها ، قلت لها كثيرا لاتشغلى بالك بهذا الترتيب ، عندما يبلغ بك الضيق مداه .. أو عندما تشعرين أن الكتب والأوراق قد جارت وتجاوزت حدودها المسموح لها ، فقط أخطريني وسأتولى انا الجمع والترتيب ، لأنني ببساطة الوحيد القادر على اعادةوضعها الى ما كانت عليه عند حاجتي اليها .

وأنا ألتمس لها الأعذار ، لأن مسلسلات التلفزيون وأفلام السينما ... أفسدت تصور الناس عن كثير من المهن .. فالناس تتصور أن الذين يمارسون مهن الكتابة ما عليهم الا أن يمسكوا ورقة بيضاء وقلماً وفنجان قهوة وسيجارة ، وتبدأ السطور تتوالى كالالهام .. هذه الرؤية الساذجة المتخلفة هى التى تتراكم وترسخ فى العقل الجمعى للمجتمع ..



ولم يقل أحد ان هذا قد انتهى منذ أكثر من مائة عام .. والكتابة الآن أياً كانت هى عملية بحث دؤوب وقراءة .. واستخلاص وتحليل ووصول الى نتائج .. الكتابة عملية عقلية متكاملة .. ليست إلهاما .. ورؤيا .. ووهما .. واستلهاماً ، ولذلك فان زوجتى للأسف لا تستسيغ أن ترى كل هذه الكتب ، وهذا العدد من المجلات والجرائد .. وقصاصات الورق .. وبطاقات تجميع و .. و .. ولأن التتابع والبنيان المنطقى للتفكير يظل فى النهاية فى ذهن شخص واحد .. فإن هذا الشخص هو الوحيد الذى يملك قدرة تحديد ماذا يحتاج من كتب ودراسات وقراءات حوله اثناء عمله .. وهو الوحيد الذى يضع الأشياء .. وفق ترتيب ذهنى بسيط .. هنا بالقرب منه كتب الاحتياج المباشر التي سيستعين بها وهنا المراجع وهنا بطاقات بها معلومات .. و .. عملية ترتيب شديدة التعقيد من الخارج ، ولو حاول شخص أن يشرحها لبدت وكأنها عملية عسكرية .. ولكنها فى ذهن الشخص تظل بسيطة وتلقائية ، ومادام قد عرف مكان الأشياء فإنه يمد يده بهدوء فيعثر على ما يريد .. وكثيرا ما تعن له جملة .. أو صياغة ما لفكرة .. فيكتبها على ورقة حتى يحين موعدها ، فترى جملة أو كلمة واحدة مثلا مكتوبة على ورقة فتمزقها .. فتثور الدنيا ولا تهدأ .. ولا تفهم هى أن ما يضايقها .. وقد يكون بعض الحق .. هو ضرورة عمل وممارسة حياة .

هوَ

من الحياة

.. ودفنت حُبّها وعادت مع دموعها

بقلم : منير نصيف

كانت قطرات المطر تتساقط على سطح زجاج السيارة ، ثم لا تلبث أن تلتقي وتمضي في المجرى الرفيع الذي صنعته حبات المطر التي سبقتها في لقاء آخر ! ووجدت نفسها دون أن تشعر ترقب تلك القطرات واللقاءات وتذهب معها في رحلة طويلة مع قصتها هي .. وقالت تحدث نفسها والسيارة منطلقة بها في سرعة ولكن أيضا في حذر ..

قالت : « كل شيء نهايته لقاء .. حتى حبات المطر .. وهل هناك أجمل أو أعظم من لقاء الانسان بربه عندما تنتهي رحلته على الأرض ..؟! » .. كم تمنت لو أن رحلتها هي قد انتهت .. انها لم تعد تجد معنى للحياة ، بعد أن ذهب الرجل الذي أحبته وأمضت الأعوام تنتظر عودته ، الى أن استبد بها اليأس أو كاد .. لا .. إنها لا تصدق ، أو انها ترفض أن تصدق أن كل الذي كان بينهما قد مات ، كما يموت كل شيء حي !

وبكت ولكن في صمت .. ولم تشعر بدموعها وهي تنساب على وجنتيها .. كم كانت تتمنى لو أنها التقت كما تلتقي حبات المطر التي تكسو زجاج السيارة ..!

كانت في طريقها في هذه الساعة المبكرة من هذا اليوم البارد من أيام الخريف الى المطار ، فقد كانت على موعد .. نفس الموعد الذي حرصت على أن تلتزم به أربع مرات في كل أسبوع .. موعد وصول الطائرة القادمة من ألمانيا .. البلد الذي سافر اليه خطيبها منذ أكثر من ست سنوات ، عندما فاز بمنحة دراسية في احدى جامعاتها ، ولم يعد ..

* * * *

انها مازالت تعيش تلك اللحظة التي وقفت تودعه فيها وهي تقول : « سوف أنتظرك ياحبيبي .. عد الىّ سريعا سالما ، وسوف تجدني هنا مادة اليك يدي التي تحمل هدية خطبتي اليك .. سوف أذكرك في كل ساعة ، في كل لحظة ، كلما أحسست بها تعانق اصبعي الصغير !

ووصلت السيارة أخيرا الى المطار،ومشت في خطى بطيئة الى القاعة التي تزدحم بالمستقبلين والمودعين ، ولكنها كانت تمشي هذه المرة في خطوات بطيئة ، حتى خيل اليها أنها لم تعد قادرة على أن تنقل قدميها ..



شيء ما كان في داخلها يدعوها الى العودة الى البيت .. ما أقسى الانتظار .. وما أبعد الفرق بين اليوم والبارحة .. في البداية عندما حان الموعد الذي حدده في رسائله التي لم تكن تنقطع عنها خلال العامين الاولين لاغترابه .. كانت تصل الى المطار وتهرول نحو القاعة الكبيرة .. نفس المكان الذي تقف فيه الآن ، وتروح تتطلع في وجوه القادمين .. وكأنها تتوقع أن تراه في كل لحظة ، وهو يحمل حقيبته الصغيرة ، ويلوح لها بيده وقد علت وجهه تلك الابتسامة الحلوة التي لم تفارق مخيلتها لحظة واحدة ، حتى وهما يفترقان ساعة الوداع .. انها ماتزال تذكر كلماته وهو يداعب شعر رأسها بأنامله ويقول : « اياك والبكاء .. لا أريد أن أرى دموعك .. أريد أن أحمل معي ابتسامتك التي أحببتها دائما .. ! » يومها لم تستطع أن تكتم مشاعرها ، لقد بكت .. ولكنها مالبثت أن وجدت نفسها تبكي وتبتسم في آن واحد ، عندما قال لها وهو يبتعد عنها ويلوح لها بيده : « سأعود ياحبيبتي ، لا تنسي أن تكوني في انتظاري ، أعدك بالا اتأخر يوما واحدا بعد انتهاء دراستي ! .. »

ووقفت وسط الزحام ، وراحت تتطلع الى الوجوه في لهفة ، وكأنها تتوقع أن تراه قادما اليها .. ما أكثر المرات التي وقفت فيها في نفس المكان على مدى الفترة التي انقطعت خلالها رسائله ، وهي تحمل الأمل في لقاء خطيبها الغائب !

وبقيت واقفة في مكانها حتى آخر قادم ، ثم ما لبثت أن أحست باليأس يحتويها وهي تدور حول نفسها في اتجاه طريق الخروج ، وهي تجهش بالبكاء ..

ماذا حدث له ؟ لماذا لم يعد ؟ وراحت تجر قدميها جرا ، وهي تتجه الى موقف السيارات ، وتلقي بجسمها المتعب المكدود على المقعد ، وتطلب الى السائق أن يعود بها الى مكتبها .

ولكنها ، ولأول مرة منذ أكثر من عامين ، كانت تشعر في هذا اليوم أن شيئا ما .. شيئا جديدا ينتظرها رغم ما كانت تحمله في صدرها من ضيق وقلق .. وقد صدق حدسها عندما استقبلها زملاؤها في العمل بابتسامة كانت قد افتقدتها على وجوههم منذ زمن طويل .. فقد كانوا يعيشون قصتها ويشعرون بالألم الذي تعانيه ..

واقتربت منها احدى زميلاتها مرحبة وقالت في مرح : هناك خبر سعيد ينتظرك .. ان رئيس المهندسين يطلبك في مكتبه !

وجلست الى مكتبها برهة ، ثم مالبثت أن قفزت من مقعدها ، وراحت تشق طريقها الى المكتب الذي ستسمع فيه الخبر السعيد ... ترى ما هو ؟. ما الذي ينتظرها هناك ؟. لقد مضى عليها في هذه الشركة الهندسية التي تعمل بها أكثر من سبع سنوات . فقد تخرجت في كلية الهندسة ، في نفس السنة التي تخرج فيها خطيبها الغائب .. كانت زمالة حلوة أمضياها معا طوال سني الدراسة ، وكان من الممكن أن يتغير كل شيء ، لولا المنحة الدراسية التي فاز بها زميلها وخطيبها ، فأخذته منها الى ذلك العالم البعيد الغريب ..

ولكنها كانت سعيدة .. انها لاتزال تذكر لقاءهما عندما نقلوا اليه خبر فوزه بالمنحة .. كانت مشاعره يومها مزيجا من الفرح والألم .. فسوف يفترق عن الفتاة التي أحبها وبدأ يعد معها عش الزوجية الذي سيجمع بينهما .. ولكنها راحت تهون عليه وتشجعه « : لا تنس أن الفرصة تأتي مرة واحدة .. ثم ما الفرق بين أن نتزوج الآن ، أو بعد أربع سنوات .. ؟ »

مرت كل هذه الذكريات في رأسها وهي تتجه الى مكتب رئيسها في العمل .. وطرقت الباب ودخلت ، وقال وهو يرحب بها ويدعوها الى الجلوس : « لقد تعاقدت الشركة على شراء معدات وآلات من ألمانيا ، ولكننا نريد أن نتأكد من مزايا هذه الآلات الجديدة قبل وصولها ، وقد وقع الاختيار عليك .. هل لديك استعداد للسفر ؟! » .

وأحست بقلبها يخفق بشدة .. وقالت تحدث نفسها قبل أن تجيب بكلمة واحدة : « ترى هل هو القدر الذي تدخل ليضع نهاية لأيام القلق التي أعيشها .. انه لم يعد ، فلماذا لا أذهب اليه أنا .. انه مازال حيا ، هكذا أكدت لنا ادارة البعثات ، ولكن أحدا لايعرف على وجه التحديد أين هو الآن ، ولا ماذا صنع بنفسه عندما انقطع فجأة عن دراسته ، بعد ان كان قد أوشك على اتمامها !

وصحت من تأملاتها فجأة على صوت رئيسها يسألها من جديد : « أنا مازلت في انتظار ردك .. هل تسافرين ؟ »

- نعم ، أسافر .. ولكن متى ؟

- في أقرب فرصة ، وعلى أول طائرة متجهة الى ألمانيا !

وعادت الى البيت وحزمت حقيبتها الصغيرة ، وذهبت .. وكانت وجهتها نفس المدينة التي سافر اليها خطيبها ليكمل دراساته العليا في احدى جامعاتها !

وطوال الرحلة بالطائرة ، التي بدت وكأنها لا تريد أن تنتهي ، لم تغب صورة خطيبها عن مخيلتها لحظة واحدة .. كانت الدقائق تمر بطيئة متثاقلة .. حتى عقارب الساعة التي لم تكف عن التطلع اليها بين الحين والحين ، بدت هي الأخرى وكأنها قد توقفت ، تماما كما تبدو الطائرة نفسها ، وكأنها تحلق في مكانها من هذا الارتفاع الكبير ..

وأخيرا هبطت الى الأرض .. لقد انتهت الرحلة بسلام وفي صباح اليوم التالي ، كانت تقوم بالمهمة التي جاءت من أجلها ، فقد كانت تريد أن تنتهي من عملها بسرعة ، حتى تبدأ رحلة البحث عن الشاب الذي ضاع وسط هذا الزحام البعيد الغريب ..

وبدأت من حيث كان لابد أن تبدأ .. من الجامعة التي كان يدرس فيها .. قالوا لها : « لقد انقطعت أخباره عنا تماما منذ أكثر من عامين .. !

وعادت الى الفندق تجر قدميها جرا .. اذا كانت الجامعة التي كان يدرس فيها لاتعرف شيئا عنه ، فهل تستطيع هي أن تعرف ؟ أين يمكن أن تبحث عنه في هذه المدينة الكبيرة .. ثم ألا يمكن أن يكون قد انتقل ليعيش في مدينة أخرى ؟ .



وأحست بكل آمالها تغرق في بئر سحيق بلا قاع . .

لقد انطفأت الشمعة التي ظلت موقدة طوال رحلتها الطويلة بالطائرة وهي تعد الدقائق والثواني ، وتتعجل الوصول الى المدينة التي جاءت اليها حاملة حلمها الكبير في لقاء خطيبها . . ووجدت نفسها تجر قدميها وهي تدفع باب الفندق الخارجي بيدها ، وتتعجل الوصول الى غرفتها لتدفن رأسها في فراشها وتذرف دموعها الحبيسة بعيدا عن العيون التي كانت ترقبها . . فقد كان الألم يكسو ملامح وجهها الجميل الحزين . .

واقتربت من مكتب الاستقبال لتطلب مفتاح غرفتها ورفعت عينيها في كسل تتطلع الى وجه الشاب الذي يقف وراءه وافلتت من شفتيها صرخة حاولت أن تكتمها ، ولكن محاولاتها خذلتها . . لقد كان هو خطيبها الذي فقدته . . هو بلحمه ودمه ، يقف هناك يحدق فيها في دهشة ويسألها في ثقة : « هل أنت بخير ياسيدتي ؟ »

ونادته باسمه ، وهو يقدم لها مفتاح الغرفة ، ولكنه لم يجب وعادت تناديه مرة أخرى . . وهنا قال لها في هدوء : « اننا لا نعرف أحدا بهذا الاسم . . هل هو أحد نزلاء الفندق ؟ . . في البداية كانت تتحدث اليه بلغة أجنبية . . وفجأة وجدت نفسها تحدثه بالعربية ، وتقول : « أنت عربي اذن ؟ قال : نعم ! » قالت : الا تعرف أحدا بهذا الاسم الذي رددته لتوى . . ألم تسمع به قبل اليوم ، ألم يصادفك يوما أثناء اقامتك هنا ؟ .

ـ أنا آسف ياسيدتي ، ولكن هذه هي المرة الأولى التي اسمع بها عن شخص يحمل هذا الاسم هنا !

وأدركت على الفور أن هناك شيئا مالاتفهمه . . الشيء الوحيد الذي تأكد وهي تتحدث الى هذا الشاب الغريب ، انه هو خطيبها الذي غاب عنها طوال هذه السنين . . صوته . . ابتسامته . . طريقة حديثه . . ملامح وجهه التي حملتها في قلبها ولم تفترق عنها أبدا . . ترى ماذا حدث له . . هل نسيها ؟

واستبعدت هذا الاحتمال الأخير . . اذن ماذا ؟

ولم تذهب الى غرفتها ، ولكنها قصدت فورا الى مكتب مدير الفندق ، وجلست أمامه تروى له قصتها كاملة . .

❁ ❁ ❁ ❁

وتكلم الرجل أخيرا . . قال : « لا تتصورى كم أنا سعيد ، لأنني عرفت أخيرا حقيقة هذا الشاب المسكين . . انه من أحسن موظفي الفندق وأكثرهم كفاءة . . ولكننا لم نكن نعرف شيئا عن ماضيه ، انه شاب فاقد الذاكرة ياسيدتي . . صدمته سيارة أحد كبار رجال الأعمال في المدينة ، ونقل الى المستشفى للعلاج من اصابته الخطيرة ، ولكنه خرج من الحادث فاقدا ذاكرته . .

وأراد صاحب السيارة أن يعوضه عما لحق به من أضرار ، فأوصانا بالحاقه في احدى الوظائف الشاغرة في الفندق ، وكانت المشكلة الوحيدة التي صادفتنا ، أننا لم نستطع أن نعثر على أي شيء يمكن أن يقودنا الى حقيقة شخصيته ، فهو لم يعد يذكر اسمه ولا عنوانه ، ولا حتى المكان الذي كان يحتفظ فيه بجواز سفره وأوراقه الخاصة . . انه يحمل الآن جواز سفر ألماني ، ويحمل اسما المانيا أيضا . .

وفي بهو الفندق ، رأت الفتاة طفلة صغيرة جميلة لم تكمل عامها الثاني بعد . . رأتها تحبو أحيانا ، وتمشي في خطوات مترددة أحيانا . . ثم تتجه في النهاية الى مكتب الاستقبال ، وما كاد خطيبها يلمحها قادمة اليه حتى حملها بين ذراعيه ، واتجها معا الى حيث كانت تجلس سيدة أنيقة جميلة أمام احدى الموائد الصغيرة . .

وسألت وجاءها الجواب . . انها زوجته الألمانية ، وابنته الصغيرة منها . .

ولم تنتظر . . لقد صعدت الى غرفتها مسرعة وحزمت حقيبة ملابسها ، واستقلت أول طائرة عادت بها الى بلادها . . لقد مات حبها . . قتله النسيان ، ولم تشأ أن تنكأ الجراح التي اندملت . . لقد تركته مع زوجته وصغيرته وحياته الجديدة السعيدة ، وعادت هي وحدها مع دموعها تبكي حبها الذي ضاع وسط زحام تلك المدينة الغربية البعيدة . . □



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

أقراص الأسبرين ما لها وما عليها!

لاتظن أن عقارا شاع وانتشر وتجاوز نطاق الحظر الطبي ، أو الالتزام بمشورة طبية كما هو الحال مع أقراص الاسبرين التي أصبحت مثلا يضرب في رخص الثمن والشيوع .

ومع هذا فالذين يعرفون الاسبرين على حقيقته خارج حدود الاسرة الطبية قليلون ، ولكن الاسبرين بالرغم من الهزات والذبذبات التي تعرضت لها مكانته عبر مدى عمره القصير ، فهو مازال صامدا قابعا على أرفف الصيدليات ، يتصدر قائمة العقاقير الطويلة التي تزخر بها الصيدلية الحديثة .

لقد بدأت قصة الاسبرين في أواسط القرن التاسع عشر ، حين فتح الأطباء بابا جديدا في حملتهم على تلوث الجروح التي كانت تتهدد عملياتهم الجراحية ، بابتكار مايسمى حامض الكربوليك (او الفينول) .

لقد بدأ عهد الجروح النظيفة المنيعة على التلوث ، ومن هنا تجاوزت آمال الأطباء هذا النصر الى آفاق تقضي بابتكار مطهر داخلي يقتل الميكروبات والجراثيم داخل الجسم البشرى ، لامجرد تطهير جروحه من الخارج ، فطفق جمهور الباحثين في متابعة هذا الأمل المنشود ، حتى توصل أحد الكيميائيين الى مسحوق أبيض يؤخذ بالفم ، قيل عنه انه مطهر قاتل للميكروبات ، مشتق من حامض الكربوليك ، أطلق عليه اسم حامض الاسيتايل ساليسيليك ، لقد كان هذا الحدث حوالى عام ١٨٥٠ في مصنع باير للعقاقير بالمانيا .

غير أن مصير هذا الاختراع الذى لم يلق قبولا كبيرا في الوسط الطبي انه توارى الى الظلال ، فقبع في احدى زوايا المصنع مغمورا مجهولا حوالى أربعين عاما أو يزيد .

حقا لقد كان لهذا المسحوق الجديد مفعول السحر في تخفيض الحرارة المرتفعة ، وتخفيف الألام ، مما توهم معه الباحثون أنه قتل للميكروبات وتطهير للجسم من المرض ، وهذا مالم تؤيده التجربة والممارسة .

وفي مطلع عام ١٨٩٠ كان هناك كيميائى شاب يبحث عن دواء مسكن ناجح للآلام الروماتيزمية التى يعانى منها والده ، فوقعت يده على الزجاجة المهجورة من حامض الاسيتايل ساليسيليك ، فوجد فيها ضالته ، ومن ثم حملها الى مدير شركة باير الطبية

الألمانية الذي وافق على تسويقها ، بشرط اختيار اسم أكثر قبولا لدى عامة الناس ، فوقع الاختيار على اسم الاسبرين ، ليكون الاسم التجاري لأقراص حامض الاسيتايل ساليسيليك الذي وجد طريقه الى الصيدليات عام ١٨٩٩ ، ثم تطورت الأحوال والأشكال ، حتى وصل الى ماهو عليه من أقراص في عبوات ذات العشرين قرصا عام ١٩١٥ .

ماهو الاسبرين ؟

هو مادة كيماوية بيضاء حمضية ، أساسها حامض الاسيتايل ساليسيليك ، وقد تباع أملاحه أو مشتقاته مثل ساليسلات الصوديوم او السليسلامايد ، على شكل أقراص عادية تحوي نصف جرام تقريبا ، أو أقراص فوارة ، أو ربما أقراص مغلفة بالسكاكر ، كما يباع منه محلول خاص بالأطفال الصغار .

مفعول الاسبرين :

هناك أكثر من تأثير طبي معروف للأسبرين ، أكدته التجربة دون أن يصل الأطباء الى تعليل معين لهذا التأثير .

ومن أبرز تأثيرات الاسبرين :

١ ـ تخفيض درجة الحرارة المرتفعة : من المؤكد أن الاسبرين يخفض للحرارة المرتفعة التي تصاحب الحميات والامراض المختلفة ، دون أن يصل الأطباء الى تعليل معين لتأثير الاسبرين المخفض للحرارة .

٢ ـ مسكن للالام : يعتبر الاسبرين من أشهر المسكنات المألوفة للصداع وآلام العضلات وآلام الأسنان ، وآلام الأعصاب (عرق النساء) ، واللومباجو ، والآلام الروماتيزمية ، وآلام الأمراض الشبيهة بالروماتيزم مثل النقرس والروماتويد .

٣ ـ الحمى الروماتيزمية : يتصدر الاسبرين جميع العقاقير الفعالة الشائعة لعلاج الحمى الروماتيزمية ، سواء منها روماتيزم المفاصل أو روماتيزم القلب ، وتؤخذ اقراص الاسبرين بجرعات كبيرة تحت اشراف طبي ، دون خوف من تضرر عضلة القلب ، كما يشاع خطأ بين العامة ، حيث يمكن تعاطي ١٢ ـ ١٥ قرصا يوميا دون أي تأثير ضار ، بل هو فعال وشاف من مرض الحمى الروماتيزمية التي تصيب المفاصل ، أو تصيب صمامات القلب او عضلته .

٤ ـ مضاد للتخثر ومشجع لسيولة الدم : لقد اكتشف الأطباء هذه الخاصية للأسبرين ، لهذا أصبح يستعمل في العلاج والوقاية من أمراض تخثر الدم ، وتكوّن الجلطات كما في الذبحة الصدرية ، أو انسداد الشريان التاجي للقلب ، كما استعمل في جلطات المخ والساق وغيرهما .

٥ ـ واق من الكتاراكت أو مرض الساد (عتامة عدسة العين) لقد وجد الأطباء المتخصصون أن مرض الكتاراكت أو مرض الساد (عتامة عدسة العين) تتأخر الاصابة به لدى المدمنين على استعمال أقراص الاسبرين ، بفترة قد تصل الى عشر سنوات عن أقرانهم الذين لايستعملون الاسبرين ، والمساوين لهم في العمر ، مما يدل على أن الاسبرين يقوم بدور واق لعدسة العين ضد الاصابة بعتامتها ، مما يسمى مرض الساد أو الكاتاراكت .

مضاعفات الاسبرين :

حيث لم يوجد بعد ذلك الدواء الآمن الذي يحلم به الأطباء ، فالاسبرين على مايحمله من فوائد طبية للناس قد يحمل لهم أخطارا ، وعليهم أن يحذروها ويتقوها بالادراك والوعي ، وهذه هي : ـ

١ ـ الاسبرين يؤدي الى التأثير على الأنسجة الرقيقة ، لهذا قد يؤدي الى نزيف جدار المعدة ، ومن هنا يجب عدم تعاطي الاسبرين والمعدة خالية من أي طعام ، بل يجب أن يؤخذ عقب الطعام دائما ، حتى لايؤدي الى النزيف ، كما يجب أن لايستعمل لتسكين ألم الاسنان موضعيا .

٢ ـ الحساسية : لقد ثبت أن هناك فئة من الناس لديها استعداد موروث خاص ضد الاسبرين ، لهذا فهم يعانون من أعراض الحساسية عقب تعاطي الاسبرين ، وأبرزها الربو وضيق التنفس وسيلان الأنف والطفح الجلدي وما اليه .

٣ - وفيات الأطفال : هناك مرض يصيب الأطفال يسمى مرض (راى) يتميز بارتفاع درجة الحرارة والقىء ، وقد لوحظ ارتفاع نسبة وفيات الأطفال الرضع عقب اعطائهم الأسبرين للتغلب على ارتفاع درجة الحرارة دون استشارة طبية ، ولم يعرف التفسير الطبي لهذه الظاهرة القاتلة للاسبرين .

٤ - التسمم بالاسبرين : ان الافراط في تعاطى أقراص الاسبرين قد يؤدى الى مفعول عكسي يدعى التسمم بالاسبرين ، أهم أعراضه ارتفاع درجة الحرارة والقىء والصداع ، والهبوط العام ، ونزيف المعدة ، والبراز الممزوج بالدم ، وهذا يجب معالجته بعملية غسيل المعدة فورا ، وتعاطى محلول قلوى من بيكربونات الصوديوم ، وربما احتاج الأمر الى نقل المريض للمعالجة في المستشفى .

محاذير استعمال الاسبرين :

- يجب الحذر من تعاطى الاسبرين والمعدة خالية من الطعام .

- يحظر الاسبرين على مرضى قرحة المعدة والاثنى عشر .

- يحظر الاسبرين على مرضى الحساسية من الاسبرين .

- يحظر الاسبرين على مرضى الكلى والجهاز البولى .

- يحظر الاسبرين على مرضى احتشاء القلب وهبوطه .

- يحظر الاسبرين على المرضى الذين يعانون من سيولة الدم وأعراض النزيف .

- يحظر الاسبرين على مرضى تصلب الشرايين .

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة :

* **السيد محمد بالعربي - العرائش - المغرب :**

- تحليلاتك طبيعية ، وما دامت زوجتك قد حملت سابقا فلا سبيل للحديث عن ضعفك وعقمك ، ان الاجهاض يحتاج لمراجعة أخصائي أمراض النساء واستشارته وفحص زوجتك .

* **السيد مصطفى عبدالعال - حلب :**

- لم نتبين ماهية مرض يدعى مناقير عظيمة حتى نصفه لك ، فربما كان اصطلاحا قد اشتبه عليك ، وربما كان أخوك يعانى من دوالى الساقين ، ان الأمر يحتاج الى فحص دقيق وأشعة وتحليلات ، تمنياتنا لأخيك بالشفاء .

* **السيد ص. س. ح. الحسكة - سوريا :**

- تضخم البروستاتا يكتشفه الطبيب الاكلينيكي وحسب حجم البروستاتا ، كما يعانى المريض من احتباس البول وعدم التحكم فيه ، ولا أظن أنك مصاب به ، ننصحك باجراء تحليلات وأشعات للكلى أو القولون ، فهذان أمران محتملان ، ولا تجتهد دون علم .

* **السيد ناجي عبدالرحمن - الجزائر :**

- يصعب تحديد مرضك من مجرد شعورك بالألم ، ولكن معاناتك توحى باصابتك باضطرابات معدية ، لهذا ننصح بمراجعة أخصائي في الأمراض الباطنية .

* **س. ع. سلطنة عمان - مسقط والسيد م. م. م الرقة - سوريا :**

- الشيب المبكر مشكلة يغلب عليها عامل الوراثة ، يحسن بك مراجعة أخصائي الامراض الجلدية .

* **الأخت م. ع. الدمام - السعودية :**

- من الصعب تشخيص مرضك عن طريق الوصف ، والأفضل عرض نفسك على أخصائي الأمراض الجلدية في أقرب وقت . □

شرخ في حلم رائع

لم يغير منها الزمن .. وكأن مرور الأيام وتعاقبها لاصلة لها به ، فكأنها افترقا من أمس فقط .... وما زالت مشاعر كثيرة مختلطة ومتباينة تصخب داخلها . اللهفة .. والشوق ، وعدم التصديق ، وترقب الآتى .. والحلم .. ورغم مرور أيام تعاظمت وأصبحت سنوات ، الا انها مازالا كما كانا .. يرفضان التصديق ، كنت أعرفهما ، وتربطنى بهما علاقةعمر .. شهدت قصة حبهما ، وتابعت تفاصيلها ، وعندما تزوجا شعرت يومها ـ ما زلت أذكر ـ أن العالم رغم كل قبحه من الممكن أن يكون جميلا ليوم أو بعض يوم ، ورغم كل الحب الذى كان داخلهما الا انهما فشلا في أن يستمرا أكثر من أربع سنرات معا .. أصابهما شرخ من الداخل .. هزتهما يوميات الحياة وآليتها .. تراكم اليوم .... وعذابه ، وغضبة هنا وثورة أعصاب هناك ... و .. لحظات خوف وضيق وقلق تنفجر منها ثورات غضب تتحرك خدوشا فى جدار رقيق من الأمان .. لم يعد كل منهما للآخر هو الملاذ والمنتهى والمخبأ المبتدأ .. صار كل منهما طرفا في لعبة كبرى اسمها الحياة .. قد يكون طرفاً أكثر رحمة .. وأكثر حنانا وأكثر تفهما .. ولكنه ليس مطلقاً على أية حال .. وترسبت الخدوش داخلهما ، ونبتت شجرة حزن ولوعة وصدمة فى حلم رائع جميل .. وعرفت العيون البكاء ..وعانقت الوجوه مسحة من أسى وحنين لشىء غامض لا يأتى .. وقتها كنت أرقبهما وأحس أن شيئا سينفجر .. وانفجرت حياتهما فى لحظة غضب دامية ، انفصلا ، وقد أقسم كل منهما الا يرى الآخر أبدا .....

عشر سنوات مرت منذ ذلك اليوم .. وما زالت بعض ملابسها فى بيتهما .. وكلما ذهبتُ اليه أخذ يتذكر معى كيف كانت الحياة .. وهنا كانت تجلس .. وهنا كانا يقرأان .. وهنا .. وهنا .. وتظل أسئلتها كلما رأيتها عن صحته ؟ .. وهل أقلع عن التدخين ؟ وملابسه ؟ وكيف ؟ .. وكيف ؟ وحاولت كثيرا أن أصلح بينهما .. أن أقول لكل منهما أن كلاهما يحب الآخر .. ولا يتحمل ابتعاده .. ولكن الشروخ التى تراكمت على مر أيام كثيرة .. أحاطت جوهر المشاعر بينهما بقشرة صلبة صلدة .

وكلما أثرت امام واحد منهما موضوع العودة ، يصرخ باعلى صوته .. لا ، ثم بعد قليل يدور بالحديث ليسأل عن الآخر .. ويطمئن عليه .. ولم اعرف سببا لهذه الحالة ، الا انها حالة حب دائمة هزمتها طبائع السلوك التى لم تتوافق معا .. فعاش أطرافها فى وهج الحب .. وتحملا حتى النهاية عذابا لا ينتهى ..

محمود عبد الوهاب

قاموس العربي

ث

ثـــورة

مصطلح عام ، يستخدم للدلالة على أساسي وجـذري في التنظيم السياسي ، والبناء الاجتماعي ، وقواعد الملكية الاقتصادية في مجتمع ما ، بشكل يجزم بانكسار كامل ورئيسي لحركة تطور واستمرار النظام القديم .

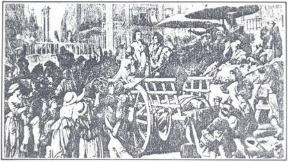
ومن هنا فان المصطلح يطلق على التغيرات الفجائية والجذرية التي تتم لتغيير نظام حكم ، مثلا ، وتغيير الأطر الاجتماعية والقانونية المصاحبة له ، أو يطلق على التغيرات الجذرية (الراديكالية) التي تتم في مختلف الأنشطة الانسانية ، حتى لو حدثت هذه التغيرات بشكل تدريجي أو بدون عنف ، فكثيرا ما نقول مثلا (ثورة علمية ، أو ثورة ثقافية ، للتعبير عن تطور وتغيير جذري في نشاط انساني ، دون أن يكون هناك شبهة صراع)

وهناك اتجاهان يمثلان المنهجين الرئيسين لمناقشة الثورة كظاهرة انسانية ، ونعني بهما الاتجاه المثالي ، أو الاتجاه المادي التاريخي ، فيرى أصحاب الاتجاه المثالي أن الثورات هي محاولة لتحقيق مثل عليا ، سواء كانت هذه المثل لطائفة دينية أو لحزب سياسي ، وبالتالي فإن أصحاب هذا الاتجاه لا يعلقون أهمية على النتائج الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، أما اصحاب الاتجاه المادي للتاريخ ، فانهم يرون أن الثورة هي طريق الخلاص الوحيد للطبقة المطحونة اقتصاديا ، نتيجة لاحتكار السلطة والقوة الاقتصادية في يد طبقة أخرى .

ورغم أن هناك بعض المحاولات من مفكرين لابتداع اتجاه آخر أسموه بالاتجاه الواقعي ، الا أنهم وقعوا في النهاية في اطار التفسير المادي أيضا ، لأنه لا يمكن منطقيا أن ننكر أن جذور أي عقيدة ، انما تكمن في الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، فالعقائد الفكرية لا تخلق ظروفا اجتماعية اقتصادية خاصة بها ، ولكن العكس هو الصحيح ، ومن هنا تصبح العقيدة الفكرية هي نقد الواقع ، وطرح الرؤية الشاملة لواقع بديل ، والحلم بالتغير ، والعمل من أجله .

ويدين الفكر الانساني والتاريخ كله لثورات أساسية مثلت التغير الحقيقي والرئيسي - كما عبرت عن آراء المفكرين - حول نظم الحكم والنظم الاجتماعية .

فحتى عام ١٦٨٨ كانت سلطة الحكم في المجتمعات الانسانية هي سلطة أرستقراطية مالكي الأرض ، حتى جاءت الثورة الانجليزية ، واستعاضت عن هذه السلطة بسلطة الحق الالهي والتفويض - (أفكار توما الأكويني) ، ثم جاءت الثورة الفرنسية في ١٧٨٩ لتنهي هذه المرحلة ، وتسقط نظرية ظل الله في الأرض ، رافعة شعار



« اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » وأقامت الثورة سلطة برجوازية تتمتع بقدر من تأييد طبقة الفلاحين .

وفي عام ١٩١٧ جاءت الثورة الروسية ، لتتويج مرحلة طويلة من الفكر الانساني ، لتنهي سلطة الحكم المطلق على مرحلتين : المرحلة الأولى كانت بصيغة الثورة البرجوازية التي هدفها اقامة سلطة رأس مال حضري ، على غرار الثورة الفرنسية ، ثم جاءت المرحلة الثانية التي كان هدفها اسقاط البرجوازية ، لاقامة نظام اشتراكي محل النظام الرأسمالي .

والمستفاد تاريخيا أنه ليس صحيحا أن مجرد اطلاق كلمة ثورة تعني التقدم او التغيير نحو الأفضل ، فالثورة كظاهرة انسانية تستمد قيمة مضمونها من انتمائها ، ومن الهدف الذي تسعى اليه ، في اطار فهم شامل لموضوعية الظروف المحيطة بها ، فالثورة الأمريكية مثلا عندما قامت كانت تنادي بالحرية ، ولكنها كانت حرية مُلّاك الأراضي من البريطانيين ، وليست حرية كل أبناء المجتمع ، فقد أبقت الثورة على وضعية العبيد وعلى التمايز العنصرى ، وهناك الثورات التي تأتي لتغيير النظام ، وترفعه نحو الخلف ، كالثورة المضادة فوق عمومية تعريف الثورة ، فان الانقلاب الفاشي والنازي في ايطاليا والمانيا كانا ثورة أيضا !

ولكن على الرغم من كل الاختلافات ، فإنه يبقى أن الثورة ـ بمعنى إحداث التغيير الجذري ـ هي الأداة المتاحة لتحرير الانسان من القهر الاجتماعي والقومي ، في كثير من البلدان التي فشلت فيها كل الوسائل الأخرى ، لتحقيق طفرات تاريخية قادرة على بناء المجتمعات والانسان ، وصياغة غد أفضل بالنسبة اليه . □

■ ليس أضر على الحقيقة الجديدة من الخطأ القديم (جيته) .

■ الزوج المثالي هو الذي يعامل زوجته كما لو كانت سيارة جديدة (دان بينيت) .

لغة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

الاشتقاق من المشتق

يرى علماء اللغات أن لغتنا العربية وأخواتها تشترك في أنها ثلاثية الجذور ، وأن الجذر الثلاثي يتكون من ثلاثة أصوات . وهذا القول لايصدق إلا على طورها الأخير . أما قبله فإن الكلمات كانت ذات جذر واحد أو جذرين كما في لغة الأطفال والبدائيين .

والجذر الثلاثي في لغتنا هو الذي تؤخذ منه الأسماء (ومنها ما يسمى المصادر) والأفعال بأنواعها وسائر الكلمات التي تدل بصيغتها على الفاعل أو المفعول أو الزمان أو المكان أو الآلة . فالجذر « ف ت ح » مثلا يؤخذ منه فَتْح ، و فَتَحَ ، ويفتح وافْتَحْ ، وفاتح وفتّاح ومفتوح ومَفْتح ، ومفتاح . وهذه الكلمات المأخوذة من الجذر نسميها « المشتقات » وإن كان بعض نحاتنا يرون المصدر أصل المشتقات فلا يسمونه مشتقاً ، وبعضهم يرون أن الفعل أصلٌ لها ، وإن كانوا لا يسمونه مصدراً ، بل فعلا .

والقاعدة الصرّفية العامة في اشتقاق أي كلمة هي الرجوع إلى جذورها . كما في المثال السابق ، ولكن لوحظ أن العرب خالفت هذه القاعدة فاشتقت من المشتق على ما هو عليه ، ولو تغير عن الجذر بما يسمى إعلالا أو قلباً ، أو بزيادة حرف . فالجذر « ع ود » مثلا اشتق منه « عيد » بالإعلال ثم أخذ من « عيد » الجمع « أعياد » والفعل « عيّد » ومصدره « التعييد » . وقيس على ذلك حديثا كلمة « قيّم تقييماً » أخذاً من « قيمة » مع أن الجذر هو « ق و م » للتفرقة بين تقييم الشيء ، بمعنى معرفة قيمته ، وبين تقويمه بمعنى جعله قويما .

وهذه الظاهرة اللغوية يسميها بعض نحاتنا « الاشتقاق على التوهم » ، ونحن نؤثر تسميتها « الاشتقاق من المشتق » وعبارتنا أدقّ وأوضح ، لأن قائل « أعياد ، وعيد ، وتعييد » قد لا يكون متوهماً أن الياء في « عيد » أصلية في الجذر ، ولكنه عدّها كأنها أصلية وإن كان يعرف أن أصلها واو . . ولكنه أراد أن يفرق بين الأعياد التي يحتفي بها الناس ، وبين العادات التي مرنوا عليها ، أو بينها وبين « الأعواد » من النبات أو « الأعواد » الموسيقية ، ووجوب إزالة اللبس في الكلام (والكتابة) في مقدمة القواعد في كل اللغات واللهجات . وتتمثل هذه الظاهرة بزيادة حرف أو أكثر على الجذر في كلمة ، ثم الاشتقاق منها بعد الزيادة في صيغ شتى ، نجد بعض أمثلتها في الفصيحة ، وبعضها مولّدة في الدارجة التي تجري على طريقة الفصيحة ، فتشتهر على الألسنة والأقلام ، وتكون أهلاً للقبول عند الحاجة ، أو الرغبة في توسعة الكلام وتنويعه ، لأن كلّ ما جاء على كلام العرب ينبغي قبوله في لغة العرب .

وفي لغتنا أنواع شتى من هذه الصيغ نكتفي بإيراد بعضها مع أمثلة لها من الفصيحة والدارجة مع بيان جذر كل منها

(١) **مَفْعل أو تَمفعل** : مَنْطَقْتُ الطفل ، وتَمنْطقتُ ، من « منطقة » أي الحزام ، والجذر (ن ط ق) . مَدْرَعَ وتَمَدْرَعَ من « المدرعة » وهي درع الفتاة والجذر (د ر ع) . مَرْحَبكَ الله وَمَسْهَلك ـ كما في القاموس (رحب) والجذر (ر ح ب) ، و(س هـ ل) ، مَسْكَنَ وَتَمَسْكَنَ (س ك ن) ، مشيخ وتمشيخ (ش ي خ) .

(٢) **فَعْلَنَ ، وتَفَعْلَنَ** : (زيادة النون بعد لام الكلمة ترد في كلمات كثيرة في الفصيحة والدارجة) مثل : ابْرَهَنَ من « بُرْهَانٌ » والجذر (ب ر هـ) . سَلْطَنَ وَتَسَلْطَنَ . من « سلطان » ، والجذر (س ل ط) . رَهْبَنَ تَرَهْبَنَ (ر هـ ب) ، شَيْطَنَ وتَشَيْطَنَ والجذر (ش ي ط)،ومن الدارجة العَلْمَنة (ع ل م) . العقْلنة (ع ق ل) . الصغْرنة (ص غ ر) . الولدنة (و ل د) .

(٣) **فَنْعَل وتَفَنْعَل** : سَنْبَلَ الزرع . أخرج سُنْبُلَه والجذر (س ب ل) ، جَنْدَلَه أسقطه على الجدالة (الأرض) والجذر (ج د ل) ، عَنْجَر : اشتد ، والعنجرة المرأة الجريئة (ع ج ر) ، عَنْبَس : العنبس والعباس « الأسد » ، (ع ب س) ، شَنْكَل : قَيَّد ، والشُّنْكَل والشَّكال : القَيْد . زَنْهَر وجهه : تلوّن كالزهر (ز هـ ر) ، يَتَحَنْجَل : يَحْجِل (ح ج ل) .

(٤) **فَيْعَلَ وتَفَيْعَلَ** : عَيْهَرَتِ المرأة وَتَعَيْهَرت ، والعَيْهرة : الغول ، والمرأة الفاجرة (ع هـ ر) ، بَيْهَسَ وتَبَيْهَسَ : تبختر ، والبَيْهَس : الأسد والشجاع (ب هـ س)[1] ، تَفَيْلَم الغلام : سمن (ف ل م) . هَيْنَمَ : أخفى كلامه (هـ ن م) ، وقد اشتق العرب أوصافاً على وزن فيعل بمعنى فاعل ، مثل : فَيْصَل ، وصَيْقَل ، وحَيْدَر ، وغَيْدَق وغَيْلَم وهيصم وفَيْكَر ، أي فاصل ، وصاقل وحادر ، وغادق ، وهاصم ، وفاكر .

(٥) **فَوْعَل** : حَوْصَلَ الطائر : ملأ حَوْصَلَتَه أو حَوْصَلَه ، والمُحَوْصِلُ : من يخرج بطنه كالحُبْلى ، بل قالوا احونصل (بزيادة همزة الوصل والواو والنون) أي ثنى عنقه وأخرج حَوْصَلَته ، والجذر (ح ص ل) . صَوْمَعَ : الصومعة والصومع : بيت للرهبان ، دقيق القمة ، وصومع البناء : جعل أعلاه دقيقاً ، والجذر (ص م ع) . ومثل ذلك : نَوْفَل ، ويَوْزَع وَصْفٌ بمعنى فاعل .

(٦) **فَعْوَل** : الجَدْوَل : النهر الصغير ، وَجَدْوَل الضرب في الحساب : أنهار رأسية وأفقية توضع فيها الأرقام في نظام معين ، وفي الدارجة : جَدْوَلَت الدولة ديونها ، أي نظمتها أقساماً ، لسدادها أقساطاً ، ومنه جَدْلُ الشعر والحبل والعضل والجذر (ج د ل) . دَهْوَر الشيء : قَذَفَه في حفرة أو دفعه فسقط ، والجذر (د هـ ر) .

(٧) **فَعْأَلَ ، افْعَأَلَّ** : الجذر (ط م ن) والطمن : الساكن ، وهما مهملان ، ولكن المستعمل هو المشتق (طمأن ، يقال : اطمأن الى كذا أي سكن اليه (بزيادة همزة وصل وهمزة قطع وتكرار لام الكلمة) ، وهناك كلمات على هذا الوزن حوشية وجذورها مهملة كما في قولنا : اقْسَأَنَّ العود أو الليل بمعنى اشتد وأقْسَنَ الرجل : صلبت يده ، والجذر (ق س ن) . واشْمَأَزَّ : انقبض ونفر ، وتشمّز وجهه : عبس ، والجذر (ش م ز) ، وازْبَأَرَّ الديك أو اقْشَعَرَّ بمعنى انتفش والجذر (ز ب ر) .

وليس من همّنا هنا استقراء هذه الأوزان مع أمثلتها (ولدينا منها كثير قد نعرض له بعد) ، بل معرفة قاعدة فرعية هي « الاشتقاق من المشتق» على أوزان أو صيغ عربية استثناء من القاعدة العامة وهي « الاشتقاق من الجذر » ، وهذه الأوزان وأمثلتها كافية في إثبات القاعدة الفرعية الاستثنائية . كما نشير إلى أن الحروف الزائدة على الجذور لا تنحصر في الحروف العشرة (سألتمونيها) التي حصر فيها علماؤنا الزيادة . □

---

(١) من هذا الجذر (ب هـ س) جاءت صيغة : بهنس وتبهنس بوزن فَعْنَل وتَفَعْنَل والبهنس كالبيهس : الشجاع والأسد .

شعر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

أم كلثوم

للشاعر جميل صدقي الزهاوي

الزهاوي من أشهر شعراء العراق المحدثين، وله عدة دواوين بأسماء مختلفة، صدر آخرها بعد وفاته، ثم جمعت كلها في مجلد كبير، وله أيضا مؤلفات في الفلسفة والدين والنقد والنظريات العلمية الحديثة، ولكن الشعر غلب عليه طول حياته، وقد تولى عدة أعمال كالتدريس والوعظ والصحافة، ومثّل بلده في أكثر من مجلس نيابي في تركيا والعراق، وتنقل بين بلدان شرقية كتركيا وفارس، وزار من البلاد العربية مصر وسوريا ولبنان واليمن. وكان حر الفكر، جريئا في ابداء آرائه الحرة، ومنها حملاته في وجوب التخلص من الخرافات والتقاليد الجامدة، ودعوته الى تحرير المرأة كقاسم امين في مصر، مما سبب له متاعب كثيرة. كان كأبيه محمد فيضي مفتي بغداد يجيد العربية والكردية والفارسية والتركية وقد نظم بها ولكن أكثر شعره بالعربية. كان من بيت دين وعلم وأدب خصه أبوه بالعناية في تربيته، وهو من عشيرة آل بابان أمراء السليمانية في الشمال الشرقي بالعراق، الذين يقول شاعرنا إنهم ينتسبون الى خالد بن الوليد. والزهاوي نسبة الى بلدة «زهاو» في كردستان كان جده لأبيه قد هاجر اليها وتزوج إحدى بناتها ثم نسب اليها هو واولاده حتى اليوم.

وكانت أم كلثوم قد ذهبت الى بغداد سنة ١٩٣٢ لاحياء بعض الحفلات الغنائية، فحياها الشاعر بقصيدة أبياتها سبعون تضم سبع مقطوعات كل مقطوعة عشرة أبيات لها قافية خاصة، وقد اخترنا منها ما يخص تحية أم كلثوم، كما كانت له تحيات شعرية لكل من زار بغداد من أهل الغناء المصريين. ولد في بغداد سنة ١٨٦٣ وبها نشأ واستوى وكانت وفاته فيها سنة ١٩٣٦، ونحن اليوم في ذكرى وفاته الخمسين، عليه رحمة الله.

الفنُّ روضٌ أنيقٌ غيرُ مسئوم	وأنت بلبله، يا أمّ كُلثوم
لأنتِ أقدرُ من غنّى بقافيةٍ	لحناً يرجّعه من بعد ترنيم
لمّتِ شملَ الأغاني بعد تفرقةٍ	لها، فلم يبقَ شملٌ غيرُ ملموم
يا أمّ كلثومَ، انّا شاكرون، فقد	أتيت طائرة فوق القشاعيم[1]
هل أنتِ سامعةٌ شعرا أبثُّ به	يا أم كلثوم- إعجابي وتكريمي

***

يا أم كلثومَ، غنّي، فالهوى نغمٌ	تلذّه الشيب والشبانُ كلهمُ

غني وغني على الأوتار صادحةً ... فإننا بالأغاني تنهض الأممُ
من أجل صوتٍ رخيمٍ منك يسمعه ... يا أم كلثوم ، جاء الجمع يزدحمُ
غني لنا ثم غني إن ليلتنا ... فيها العواطفُ بالألباب تصطدمُ
الحسنُ تسمعُه كالحسن تبصرُه ... ما عمها من غنىً يأتي به السأمُ

* * *

لا يبلغ المرءُ من لذاته وَطَرًا ... حتى يُمتَّعَ منه السمعَ والبصرا
افرحْ بدنياك ، واشبعْ من مشاهدها ... فبعدها لا ترى شمسًا ولا قمرا
لُمْ منك نفسًا أضاعت ـ ويك ـ فرصتها ... ولا تعاتبْ على ما فاتك القدرا
يا حبذا الحسنُ يُبدي زهره عَبقًا ... وحبذا الحبُّ تلقى نارَه شررا
يا أمَّ كلثوم ، غني ، فالغناء إذا ... ذهبت عنا سيبقى عندنا أثرا

* * *

يا أم كلثوم ، أحييتِ المنى فينا ... من بعد يأسٍ تألمنا به حينا
يا أم كلثوم ، انا أمةٌ رزحت ... تحت المصائب احقابا فسلينا
يا ام كلثوم ، ان اليأس يقتلنا ... اذا تأبيْتِ ، والآمالُ تحيينا
يا نجمةً في سماء الرافدين بدت ... انا نحييك أفواجا فحيينا
أرسلتِ نورا بهيًا في أشعته ... نرى الجمال أفانينا أفانينا

* * *

لي في الحياة احترامٌ للنواميس ... فلا أبدل موهوماً بمحسوس
يا حبذا روضةٌ أزهارها اتسقت ... كأنها هي أذنابُ الطواويس
وحبذا عندليبٌ فوق أيكته ... يُلقي الأغاريدَ ليلا بعد تغليس[2]
وحبذا أمُّ كلثوم اذا أخذت ... تشدو فتلعبُ بالألباب في الرؤوس
اني لفني جنةٌ للفن دانيةٌ ... قطوفها ، وهنا حمدي وتقديسي

* * *

غني وغني الى أن يظهر الفلقُ ... ويذهب الليل كل الليل والغسقُ[1]
يا أم كلثوم ، غنينا مسليةً ... فاننا بعد أيام سنفترقُ
طلعت بعد انتظارٍ كاد يقتلنا ... ككوكب في سماء الفن يأتلقُ
غني لنا ، ثم غني ، اننا فئة ... الى الغناء ـ اذا ما طاب ـ نستبقُ
ولنغتنم هذه الساعاتِ سانحةً ... فانني بصفاء الدهر لا أثقُ

* * *

أميرةَ الفنُّ ، انا من رعاياك ... نصبو لشدوك هذا الضاحك الباكي
في صوتك الفنُّ قد لاقى سعادته ... فانه كل يوم لاثمٌ فاك
ما كنت أحسبُ ـ حتى جئت محسنةً ـ ... أن يجمع الله دنيانا ودنياك
يا أم كلثومَ ، يقفو الشعب فيك هوًى ... ماذا إلى أمةٍ تهواك ألقاك
كنا إذا ما تمنينا لعاطفةٍ ... في النفس لانتمنَّى غيرَ لقياك

---

(١) القشاعيم : جمع قَشْعَم او قُشْعُم : النسر العظيم يقصد الطائرة . (٢) الغلس : ظلمة آخر الليل وكذلك الغسق .

إشراقة

شعر : حسن توفيق



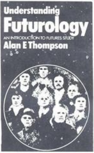
افتح الباب .. فنور الصبح آت بالمحبة
افتح الباب لدنياك بقلب أورقت فيه الأماني والبشائر
انها تفتح في الصبح ذراعيها لترعانا .. فعانقها .. وغامر
ربما يفلح مسعاك على الدرب فترضى أو تشوب السعي خيبة
فاذا خاب فغامر مرة اخرى .. وثابر .. ليظل الركب سائر
ربما تلمس شوكا من عيون الاخرين
مشرعا يدمي امانيك .. فلا تجزع ولا ترجع عن المسعى النبيل
وقتها تنساب موسيقا وتنسيك الأنين .
وقتها تقطف وردا
ربما ينصب اعصار من الحقد فلا تعبأ بمن قد صب حقدا
وتدثر بأمانيك الى ان يمحق الحق خطا الحقد الوبيل
فتبث الناس ودا .

***

أيها القلب المحاذر
افتح الباب .. وقل للأصدقاء الخائفين
لم يعش من يغلق الباب عن النور ولم يلحق بركب السائرين
لاتقل ان قلوب الناس ضاقت بسواها واستطابت ان تناور
لا تقل ان امانينا ابيحت .. فاستبيحت .. وافتح الباب وغامر
لاتقل ان رياح الحقد يوما اغلقته .
وبأنياب أفاعيها الدواهي حاصرته .
افتح الباب وجاهر بالأماني والبشائر
افتح الباب فنور الصبح آت بالمحبة
ربما يفتح انسان بدفء الحب قلبه
ويفيض القول شهدا .
وقتها .. تقطف وردا .

مكتبة العربي

كتاب الشهر



نحو فهم المستقبلية

مدخل الى دراسة علوم المستقبل

تأليف : ألان . ي . تومبسون

عرض وتحليل : نهلة حمصي

يؤمن مؤلف هذا الكتاب بأن الانسان يملك القدرة على احداث بعض التغيير في المستقبل ، وبأن حلما كهذا ممكن التحقيق مثل الكثير من أحلام البشر ، ويثق بأن أي عمل يقوم به الانسان يعد توقعا لحالة مستقبلية ، كالذي يزرع الأرض وينتظر نتيجة جهده . .

من هذه المشاعر المتحدية يرسم الكاتب خطوطا عريضة لعلوم مستقبلية ، تساعد على مواجهة المصاعب والمشكلات بين الشعوب وفيما يلي عرض للكتاب الذي صدرت ترجمته العربية في دمشق مؤخرا وقام بها ياسر الفهد .

كتاب الشهر

يرى الكاتب أن معرفة المستقبل ينبغي أن تعتمد على معرفة الاتجاهات والحدود قبل أي شيء آخر ، وهذا يعني الحصول على قدر واف من المعلومات العلمية الدقيقة بحدد مستلزمات الحياة المستقبلية ونوعيتها ، وقيمها الجديدة ، ويبين الاختيارات المتاحة أمامنا ـ نحن البشر ـ ويعرفنا السبل الصحيحة ، ويمكننا من ايجاد بدائل مستمرة ، مما يفتح أمامنا باب الاختيار ، ولا يقودنا الى موقف مغلق ليس في صالح البشرية . .

ويرى الكاتب أن أول علوم المستقبل وأهمها هو ذلك العلم الذي يمكن أن نسميه (ديناميكية النظم) ، وهو يعني العلم الذي يدرب الناس على النظر الى أبعد ، مع تفحص نتائج أعمالهم بصورة دقيقة ، واكتشاف النظام الذي يجعل مجموعة من الاجزاء تتفاعل مع بعضها ، وتتأثر كل وحدة بالأخرى وتؤثر فيها .

وهذه النظم التي تشمل كل ما في الأرض قد تكون نظماً مفتوحة ، ليس لها نهاية كنظام الكون وحركة دورانه والانسان لايملك أمام هذا النظام شيئاً ، وقد تكون نظماً دورية ، تتكرر بصورة لامتناهية ، كما نرى في دورة النبات وامتصاصه الكربون واعادته الأكسجين ـ وهذه قد يمكن التأثير فيها بشكل جزئي ، وهناك نظم مغلقة ، تنتهي في وقت مناسب ، كنظام التعدين مثلا ينتهي بانتهاء استخراج المادة .

تناسب لابد منه :

ومدار حديث الكاتب بشكل عام حول النوع الأخير من النظم المتعلقة بالمواد المستخرجة من الأرض . . ذلك أن الحضارة بدأت منذ أن عرف الانسان المعادن واستخدام المواد الخام لصنع أدواته ، ثم بدأ يطور استعمالها مع تطور حضارته . .

ويرى الكاتب أن من الضروري معرفة النظام المغلق للخامات المتوفرة على سطح الأرض ، بحيث تتناسب دورة حياتها مع دورة حياة الانسان ، ذلك أن التسارع في استنفاد الخامات الموجودة قد يقرب بنا نهاية هذا النظام ، لأن تشكلها في باطن الأرض تم على مدى ملايين السنين ، واستغرق تراكم هذه المواد آماداً طويلة ، بينما يجري استخراجها اليوم بشكل سريع مذهل .

ومن مشكلة نفاد المواد تنبثق العلوم المستقبلية التالية :

معرفة كيفية استعمال المواد بشكل دوري بحيث تستعمل ، ويعاد استعمالها دون أن تنفد أبداً ، وهذا مايسمى بتقنية الدورات المتكررة للفضلات .

ـ اعادة استرجاع المواد باستخدام التقنية والطاقة ، ذلك أننا قد ننقل الخامات من أماكنها الأصلية ، ولكنها ـ ككمية ـ تبقى متناثرة بمقدارها ذاته في العالم .

ـ التفكير بالبدائل التي تعطينا الطاقة من غير المواد الموجودة على سطح الأرض أو في باطنها ، وذلك الاقتراب من التيار الرئيسي للطاقة الواردة من الشمس . ويتم هذا بمضاعفة تفاعلات الشمس للحصول على نوع من التفاعل الذري الذي لاتتخلف عنه فضلات وبقايا خطرة ، وباستخدام القدرة الاشعاعية للشمس باستعمال طاقة الرياح ، والأمواج المرتبطتين أصلا بالطاقة الشمسية ، باستعمال الطاقة (المدجزرية) لحد ما وهي الطاقة المرتبطة أساسا بالقمر .

ثم باطلاق طاقة من كتلة معينة ، اذ لو أمكن تصميم جهاز قادر على استخراج الهيدروجين من ماء البحر ليستعمل وقودا ، فان مشكلات الطاقة سوف تجد طريقها الى الحل .

ـ تطوير التقنية باتجاه اقتصادي وتنمية كفاية الأشخاص ومهاراتهم وفعالياتهم ، بحيث يستعملون المواد الحالية ، ومصادر الطاقة المعروفة بما يحقق تقدم المجتمع ، دون هدر أو تضييع ، وهذه الزيادة في المهارة تكون على المستويين العلمي والتقني ، بحيث لاتسبب التقنية ضياعا في الطاقة ، أو اهدارا في المادة ، أو تلويثا للجو والماء .

ويقضي هذا الأمر ترشيد استهلاك الطاقة، والابتعاد عن الاستعمال الواسع للطاقة والمواد، والتوجه نحو الاستعمال المكثف، كما حدث في الترانزستور والكمبيوتر المكتبي، وتنبثق من هذه الحاجات الدراسات المتعلقة بتغيير ديناميكية العمل في الشركات، حتى لايؤدي التلوث الذي ينتج عن التصنيع الى عواقب لاندري أثرها ولاكيف سنعالجها، مما يعود على المجتمع بالخسارة الفادحة، على الرغم من أرباح الشركات قد تكون طائلة. مثل القاء نفايات المصانع في البحار والأنهار، أو القاء المطهرات الحديثة بكثرة في المجاري المائية، أو استعمال أنواع المسمدات الكيماوية للتربة، أو المرشات لابادة الحشرات من الجو..

ويمكن أن يصدر عن هذه الحاجات مشروع يسمى بضريبة التلوث، يحظر بموجبه شراء أو استعمال ماتصدره المعامل أو المصانع التي لاتسير على القواعد المفروضة ضد التلوث.

ويرى الكاتب أن اغلاق مثل هذه المصانع أو المعامل، ودفع رواتب العمال لقاء (عدم العمل)، أفضل من أن يدفع لهم لقاء (عمل سلبي)، يعود بالضرر على المجتمع أو الانتاج الزراعي، أو يكون نتيجة ازالة نوع من المخلوقات، كما يحدث عندما تلقي اللدائن الورقية في نهر ما فيتسرب الزئبق الى الماء، ويفسد السمك، ويتسبب ذلك في تراجع الانتاج الزراعي.

كما يمكن تقديم اعانات لبعض الأقطار للقيام بعمليات التنظيف ومكافحة التلوث، وهذا يؤدي الى وجوب ترسيخ هذه القواعد على نطاق عالمي، مما يقودنا الى الدراسات المتعلقة بالتصنيع، واستخدام المواد والطاقة في العالم الثالث.

العالم الثالث وعلوم المستقبل :

ويرى الكاتب أن مشكلات البلاد النامية كثيرة، ولذلك فمن العلوم المستقبلية تلك التي تتيح للعالم الثالث أن يفهم الطريقة التي تعمل بها الأمور بصورة أولية، ثم تكييف مدخلات النظام في تلك البلاد، حتى يمكن الحصول على كسب حقيقي وتغيير لواقعه.

وليس معنى هذا الفهم تدفق اعانات البلاد المتقدمة الى البلاد النامية، وليس معناه ادخال التقنية الغربية بحذافيرها، فارادة التغيير التي هي حق الناس في البلاد النامية لاتكفي، وانما يحتاج التغيير - قبل كل شيء - الى أن يعرف الانسان مايستطيع عمله ضمن المجالات التي يتمتع فيها بحريته.

ويتساءل الكاتب: هل يمكننا حاليا بما تملك من معرفة وتنظيم أن نحقق ما نريد؟ هل نستطيع أن نصل الى نظام قادر على توزيع الثروة بانتظام يوصل الناس جميعا الى وضع أكثر عدالة وانصافا، أم أن من المتعذر تحقيق التساوي بينهم لتفاوت قدراتهم؟

ويتساءل أخيرا: هل يعني ذلك نقل ماتوصلت اليه تقنية الغرب بحذافيره؟ وهل هذا في صالح البلاد النامية؟

ويجيب الكاتب عن هذه الأسئلة مؤكدا أن نقل التقنية بحذافيرها نوع من الغطرسة التي يتباهى بها العالم المتقدم، لأن تقنية أوروبا الحديثة بالكاد تواجه مشكلاتها من تلوث وفقدان للمواد، وتزداد هذه المشكلات سوءا اذا دخلت الى البلاد النامية، لأن مشكلات هذه البلاد معقدة ولأن المرونة التي يمكن بها تغطية انعدام الكفاءة في النظام أقل في الدول النامية منها في الدول المتقدمة، وان كان هذا لا يعني أن هذه الدول لاتبذل في سبيل ذلك جهودا طيبة.

مطالب أساسية :

ولما كان على الانسان الذي يتخذ قرارا ما بملء حريته وارادته أن يتحمل آثاره ونتائجه، فانه يؤكد أن العدالة والحرية والمعرفة يجب ادخالها الى البلاد النامية مع ادخال أي تقنية متطورة، وان طريقة الغرب في فعل الأشياء لايمكن أن تطبق على البلاد النامية بحذافيرها، لذلك عليه الا يحرك ساكنا قبل أن يتأكد مما هو في سبيله، وأن على العالم الثالث أن يتعلم التمييز بين ما يستطيع فعله، ومايريد أن يفعله قبل الشروع في أي عمل.. لأن الارادة لاتكفي في مثل هذه المجالات، وانما تحتاج الى المعرفة.

وعلى الرغم من أن الكاتب يعرض صورة حالية فيها الكثير من القتامة، فانه يؤمن بأن الحياة لابد أن تطور الارادة الحرة وتطور الفعل، وان عالمنا اذا استطاع أن يتغلب على عقبات السنوات الخمسين

كتاب الشهر

المقبلة ، بالارادة والمعرفة ، ووضع سلسلة من البدائل لما يمكن أن نختار وأن نفعل ، فان الصورة القادمة تبدو باعثة على الأمل . .

ويعتقد الكاتب أنه على الرغم من خوف المفكرين الذين يسمون عصرنا بعصر الانهيار ، فان الانسان حي والـزمن يسير ، ولكن اذا أردنـا أن تستمـر حضارتنا ، فلابد أن تنجز قيماً أعلى من قيمنا الحالية ، ولابد لهذه القيم من أساس للبداية ونقطة للانطلاق فبقاء الجنس البشري له الأولوية من بين هذه القيم ، ولذلك علينا أن نحافظ على البيئة والموارد البشرية ، ولابد لذلك من تحسين مستويات الاسكان والتعليم والصحة والتغذية ، ويرى الكـاتب أن الرغبـة في التحسين في وقتنا الحاضر هي بالضبط التي أدت الى تهديد البيئـة والموارد وتهـديد وجـود الانسان نفسـه والتقنية التي توصل اليها الانسـان ، ففتحت أمامـه آفـاقـا غـير محـدودة ، هي المسؤولة عن الأخـطاء والأخطار التي تحيق به وتهدد بيئته وبالتالي بقاءه .

ولما كان هنـاك صراع ظـاهـر اليوم في استعمال مصادر المواد في الأرض بشكل يزداد أكثر فأكثر . . ولما كانت التقنية هي المسؤولة عن الخطأ - كما يرى الكاتب - فانه يرى أنه اذا توافر لنا فهم لكيفية انجاز أهدافنا ، ففي وسعنا أن نرفع مستويات حياتنا دون تهديد بيئتنا . وينبثق من هذه الحاجة علوم التقنيـة البسيطة والفعالة تلك التي لاتستهلك مواد كثيرة ، والعلوم التي تقدم الدراسات لايجاد مجتمع تقل فيـه مصروفات الشخص العادي بدلا من أن يزيد دخله ، ويمكن أن يتحقق ذلك بتخفيض المعيشة ، وبخاصة تخفيض الانفاق على الوقود والكهرباء الى النصف ، وذلك باختراع وسـائـل مواصـلات تحتاج الى طـاقة أقل ، وبيوت تختزن الحرارة والدفء بشكل أفضل ، وقد يكون ذلك بانقاص ساعات عمل رب الأسرة ، حتى يتسنى له التفرغ لزراعة بعض الغـذاء ، وهذه الأمور يمكن تحقيقها دون استعمال تقنية أكثر تقدما مما هو متاح الآن .

علوم المستقبل واخلاقياته :

ان مانحتاجه في علوم المستقبل هو ماترسمه لنـا القيم والاخـلاقيات المستقبلية ، من تشكيل نـظام مفتوح يلبي حاجاتنا الحقيقية ، ويكيف افعالنا التي نقوم بها في العالم المادي ، ان مـا نحتاجـه في علوم المستقبل هو مايرسم الطريق الصحيح للمجتمـع ، فيهب النـاس ما يحتـاجـون اليـه فعـلا من ضمـان وطمأنينة . وهـذا مايمنحهم التمـاسك ويمكنهم من العمل معا .

ولكن طالما أن الماضي هو الذي يسيرنا ولانسعى الى تغييره ، فلن نصل الى خيارات المستقبل الممكنة ، ولن يكون لدينا نظام أكثر انفتاحا ، والانسان عندما يصل الى النقطة التي يمكنه أن يتحرك منها ، وينفصل عن المرحلة السابقة التي تشده ، ويتحكم بما سوف يحدث ، يكون قد بلغ انعطافة وخطا فـاصلين في تاريخ تطوره البشري ، واستطاع أن يصل الى النقطة التي تمكنه من معرفة المستقبل بشكل أوسع . .

وينبثق عن هذه القيم تلك العلوم المستقبلية التي تسعى باستمرار الى تطوير التقنية . . فللاختراعات عمر زمني معين ، ما أن نتجاوزه حتى يصبح تأثيرها سلبيا . .

كذلك فقد ينشأ عن التقنية أخطاء تؤثر على النظام المالي ككل ، اذا كان الهدف منها الحصول على أرباح ليست موجودة أصلا ، أو أنفق عليها أموالا كثيرة بشكل غير رشيد ، أو انصب الاهتمام عـلى التقنية المتقـدمـة فحسب ، عـلى اعتبـار أنها فقط تفيـد المجتمع ، في حين أن التقنية المتوسطة أيضا تفيد ، من خلالها معرفة المشكلات وحلها بكلفة أقل . واذا كانت تكاليف أي صناعة أكبر من الفوائد الناجمة عن الاستعمال ، فان التقدم التقني الحاصل هو تقـدم سلبي ، يكلف أكثر مما يعطي ، وطالما أن متوسط الكسب من التقدم التقني يتجاوز مجمل التكاليف ، فان للجهد المبذول ما يبرره . .

ومن الملاحظ أن دخل المخترعات والاكتشافات الجديدة خلال القرون الماضية قد تجاوز قيمة رأس المال والوقت المبذولين ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما ارتفع مستوى المعيشة ، وهكذا فان الاختراع الناجح هو الذي يسفر عن منافع حقيقية للمجتمع ، وذلك بايجاد الثروة ، ولايعني هذا أن تبنى الصناعات على وجوب ايجاد وظائف للأفراد ، فليست مهمة الصناعة توفير الوظائف لأيد عاملة ، وانما مهمتها توفير السلع والخدمات ، أما اذا سارت الصناعة في اتجاه ايجاد العمل لأكبر عدد من الناس ، فانها تصبح بمثابة عنصر استنزاف للمجتمع . وتأمين العمل لأي فرد منتج أو غير منتج ـ خوفا من البطالة ـ يؤدي الى الصناعة الزائفة ، وان خلق مزيد من العمل غير المنتج أو (اللاعمل) يؤثر تأثير سلبيا على المجتمع وعلى الصناعة معا .

ان المشكلة التنظيمية تتمثل في توجيه العمل في الاتجاه الصحيح ، وهناك أيد عاملة قادرة على ايجاد مزيد من الثروة ـ من خلال المخترعات ـ ويمكن تشجيع هذه الصناعات المتطورة الجديدة باعفائها من الضرائب لفترة ، لان المخترعات ثروة قابلة دائما للتجدد ، وهي شكل من أشكال رأس المال وليس دخلا . . وقد تنتهي الثروة المخزونة بشكل معدلي اذا انتهى أمدها ، أما الثروة التي تبقى فهي ثروة المعرفة ، التي يمكن خلقها بتطبيق الذكاء في المجال التقني ، ان المجتمع القادر على فهم معارفه واستثمارها ، هو المجتمع القادر على الاستفادة من هذه المعارف ، وهو الذي يمكن أن تتقدم فيه التقنية بحيث تبقي قادرة على الحياة ، وتعزيز قيمها بواسطة المثل الأخلاقية والأفكار الجديدة .

الطعام لكل الأفواه

ومن العلوم المستقبلية تلك العلوم التي تعالج مشكلة الجوع وتأمين الطعام للافواه المتكاثرة في العالم . ومن أبرزها : العلوم المتعلقة بالاستفادة من الانتاج الزراعي دون الحيواني ، لان مايمكن الحصول عليه من الزراعة يزيد على الانتاج المتعلق بالحيوان ، ويمكن أن تنصب هذه العلوم على تحسين أصناف زراعية موجودة ، وبخاصة اذا ماكانت من أصل بري ، لأن النباتات البرية تقاوم كثيرا من العوائق كالقحط والصقيع ، وبقاؤها على سطح الأرض دليل قدرتها على التكيف والتغلب على المصاعب في كل مكان ، وزيادة انتاج الغذاء بأي وسيلة متوفرة ، مثل استعمال أجزاء النباتات غير المستعملة اليوم ، للحصول على السكر بواسطة التكسر السيللوزي ، أو لتغذية الطحالب والعضويات وحيدات الخلايا بها ، ثم الاستفادة من هذه الطحالب للحصول على البروتين . ويمكن ايضا اضافة مواد الى النفط بهدف تحسين غلة الخمائر التي تم تطوير تقنية زراعتها في النفط كطريقة لتنظيفه ، ثم انتاج الغذاء من هذه الخمائر التي تحتوي على دهون وبروتينات . ويمكن لهذه الأغذية أن تستعمل في البداية كاطعمة للحيوانات ، مع استمرار تكييفها ، لتصبح مقبولة على مائدة الطعام البشرية ، حتى لاتكون المجاعة بديلا لها .

ولكن الكاتب وهو يدعو الى هذه العلوم التي تؤمن الغذاء بشكل واسع لأكبر عدد من البشر ، يخشى أن تكون النتيجة تفجرا سكانيا لايمكن تخيله ، يزيد من تحميل كوكبنا أعباء ليس لها حدود ، ويؤدي الى نقص الطاقة والمعادن أكثر حدة ، ويزيد في انتشار التلوث ، وقد يؤدي الى وضع تصبح فيه المدن مقببة لها معاملها الخاصة لتكييف الهواء . .

ويتساءل الكاتب ماذا نحتاج كي نصل الى هذه العلوم المستقبلية ؟ ثم يجيب بأن ذلك يكون من خلال التربية والدفاع ، والنظرة الى الأمور من خلال علاقة بعضها بالبعض الآخر ، والتفاعل الصحيح بين العلم والدين . .

فالكاتب يرى أننا لانعلم أولادنا من أجل المستقبل الذي سيغير كثيرا من قيمنا المقبولة اليوم . . ولذلك فان الطفل عندما يغدو شابا سيصعب عليه التكيف مع محيطه ، لأنه لم يحمل صورة المستقبل المحتملة ، وأن التربية تحتاج الى نظرة كلية ، كما أن بحث مشكلاتها يجب أن ينظر اليه من خارج المدرسة . . ان على التربية أن ترسم توقعات مستقبلية كافية يمكن العمل على هديها .

المستقبل والقوات المسلحة

أما بالنسبة للقوات المسلحة وتسابق الدول على التسلح ، فان الكاتب يقترح دورا مستقبليا جديدا لهذه القوات ، التي بنيت بناء منظما ، ورتبت ترتيبا حاذقا ، هو اعادة الاستثمار في المجال الدفاعي ، وتحويله من خسارة الى ربح ، مما يجعل اللعبة أكثر واقعية ، ويكون ذلك بمعرفة العدو الحقيقي ، وهو العدو الذي يهدد البشرية من نقص الطعام والطاقة ، اضافة الى التلوث والمخاطر الصحية ، وبذلك تقوم القوات المسلحة بمهمة حماية الانسان .. وأمام القوات المسلحة في المستقبل مشكلات دولية ، ويمكن أن يؤدي توظيف استثمارات الجيوش باتجاه مايهدد البشرية الى رفع معنويات القوات المسلحة والمدنيين على السواء ، لأن مقدارا كبيرا من المادة والقوة العامة ستدخل في مجال جعل استثمار الدفاع مثمرا ، وسيشعر الجميع بأنهم يواجهون المشكلة وهم مطالبون بالتغلب عليها .

كذلك فان أي دراسة مستقبلية يجب أن تراعي المقياس الملائم عنها من متغيرات في الحجم والشكل ، وتقدير المقياس بدقة يعني الكفاية .. وعندما يتم تقدير المقياس على أساس خاطىء دون النظر الى العوامل الأخرى ، فان مايحدث هو الخطأ في تحديد الهدف ، وهكذا فليس كل عمل نقوم به هو عمل جيد ، وينبغي التفريق بين العمل والكفاءة ، فالكفاءة عادة تتعلق بالنظام أو بجزء منه ، ولكنها تحتاج دائما الى نظرة كلية لكل النظام ، وهذه الكفاءة هي التي تعين على التبدل مع المتغيرات التي تقع في العالم ، وتوصيل بسلام الى الظروف التي لم نعتد عليها ، ولانستطيع مصارعتها .

وما ينطبق على الأفراد يمكن أن توصف به الدول ، ذلك أن الدولة المستقرة المتحجرة تنطوي على أخطار .. بينما اذا وجد في الدولة تنظيم أكثر انفتاحا وتعددا في الشكل كان ذلك أفضل من أجل المستقبل .

أما بالنسبة لعلاقة العلم بالدين ، فيرى الكاتب أن كليهما يرسم للانسان نظرة مستقبلية أكثر اشراقا من الواقع الذي نعيش فيه ..

هذا الكتاب واحد من الكتب التي بدأت تطرق بالحاح باب المستقبل المجهول ، وتحاول أن تحلل مشكلاته ، وتصل الى منابع الرؤية الصحيحة فيه .

وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب انجليزي الجنسية ، فانه يتوجه في كتابه الى العالم المتقدم والعالم النامي على حد سواء ، فلا يمكن لعلوم المستقبل أن تتحدث عن بلد دون آخر ، بل لابد أن تشمل الكرة الأرضية كلها لان عمليات تبادل السلع ورؤوس الأموال والمعارف والدراية قد تشابكت في العالم ، كما أن عمليات امتزاج الفكر الثقافي قد تعاظمت ، وتلاقت هموم ومخاوف وآمال الناس في العالم جميعا ، ومتجاوزة التخوم التي رسمها التاريخ ، أو الحدود التي أقامتها الجغرافية .

وكما رأينا ، فان موضوعات الكتاب التي عالجها المؤلف تنطلق من مفهومين اثنين : الحفاظ على المادة والتقليل من استخدام الطاقة ، والتحول الى بدائل يمكن التوصل اليها من خلال التقنية المتوسطة التي لاتسبب تلوثا ، ولاتهدد مادة ، ولاتهدد الأرض في المستقبل القريب والتي نصل معها الى مجتمع عالمي متكافل منسجم مع الحياة على سطح الأرض .

ان الحديث عن المستقبل اليوم من خلال نظرة كلية الى الأمور ، باب واسع ، أخذ المفكرون والعلماء يسرعون الى ولوجه من خلال مايؤلفون من كتب أو يعدون من أبحاث ومقالات ، ومايعقدون من ندوات، يدفعهم الى ذلك القلق والخوف من تسارع حضارة يخشون أن يفقد الانسان وزمام الأمور أمامها ، وبخاصة اذا لم يفهم النكسات التي تترتب على المشكلات ، ولم يع النظم التي تيسرها والحلول التي يمكنه الأخذ بها ، والحدود التي يستطيع التحرك من خلالها ، والاتجاهات والقواعد التي ينبغي أن تكيف أفعاله وتدفعه الى العمل . □



السّوق الدّاخلي

رواية جديدة لمحمد شكري

بقلم : علاء الدين محسن

بعد نشر سيرته الذاتية ، ومجموعتين قصصيتين ، احتل اسم الكاتب المغربي محمد شكري مكانا مرموقا على خريطة الكتابة الأدبية العربية ، وجاء منع كتبه من التداول في معظم البلدان العربية ليحيط اسمه بهالة اسطورية تحمل من الحقيقة بقدر ما تحمل من الوهم ، وضمن هذا الاطار يأتي العرض التالي لرواية الكاتب الأخيرة .

روايات محمد شكري هي الأكثر مبيعا في المغرب ، ومؤلفها هو الأكثر شهرة خارج المغرب ، مقارنة بالكتاب المغاربة الآخرين ، لقد طبعت مجموعته الأولى « مجنون الورد » مرتين : الأولى في بيروت سنة « ١٩٧٦ » ، والثانية في الدار البيضاء سنة « ١٩٨٥ » ، أما سيرته الذاتية فقد طبعت للمرة الثالثة بعدما نفذت طبعتاها السابقتان ، وبمعدل ٥٠٠ نسخة لكل طبعة ، وترجمت سيرته التي ضمنها كتابه « الخبز الحافي » الى العديد من اللغات في العالم ، نقلا عن ترجمتها الفرنسية التي قام بها الطاهر بنجلون ، وهي أصلا مكتوبة بالعربية ، الا أنها صدرت بالانجليزية أولا ثم بالفرنسية ، ثم صدرت بباقي اللغات ، لأن ناشرا عربيا لم يوافق على تحمل مسؤولية طبعها ، حتى طبعها شكري بالعربية على نفقته الخاصة بالمغرب ، بعدما وفرت له عوائد ترجماتها المتعددة امكانيات مادية سمحت له بذلك ،

ويتميز شكري أيضا بأن الرقابة تطارده أكثر من غيره من الكتاب المغاربة ، فمجنون الورد مثلا نشرت في بيروت بعدما شذبها ناشرها وحذف أهم قصصها وهما « الخيمة » و « الخبز الحافي » ، وعندما صدرت سيرته في المغرب بالعربية ، لم توزع خارجه ، لأن صدر الرقابة في الأقطار العربية لم يحتملها ، وحتى في المغرب صودرت لاحقا طبعتها الثالثة ، أما مجموعته الثانية « الخيمة » ١٩٨٤ فقد صودرت بعد عدة أشهر من طبعها وتوزيعها في المغرب ، الذي يندر أن يحظر فيه كتاب ، اذ لاوجود للرقابة المسبقة . وقد جاء هذا المنع المتلاحق ليعزز أسطورة محمد شكري التي فيها - بالتأكيد - من الوهم بقدر ما فيها من الحقيقة .

الأوروبيون سحرتهم سيرته الذاتية ، لأنها أطلعتهم على نمط من عيش الآخرين (الذين هم نحن) . فحتى أكثر النقاد تسامحا مع محمد شكري لم يستطيعوا اخفاء احساسهم بأنهم وجدوا في « الخبز الحافي » نصا فولكلوريا ، أخذ اسم السيرة الذاتية التي تعتمد موضوع طفولة شيقة ، فيها بعض اللامعقول لتمتلك مبرر دخولها فضاء الكتابة . وعلى أية حال فالخبز الحافي باعتمادها السرد ذا الافق المحدود ، والتصوير الفوتوغرافي من الخارج ، واللغة الخالية من السلامة والسحر ، انما تعبر عن كاتب محدود الموهبة ، وهو مادفع ببعض الذين قرأوا ترجمتها الفرنسية وقارنوها بأصلها العربي الى القول ، بأن الطاهر بنجلون كتب « الخبز الحافي » من جديد ، ولم يكن مجرد مترجم ، وخصوصا أن « الفولكلورية » ليست بالموضوع الغريب عن الطاهر بنجلون نفسه .

أما قراء شكري العرب ، فتدهشهم للوهلة الأولى مساحة الجرأة التي تمتلىء بها كتاباته ، فلا شيء في الحياة اليومية غير قابل لأن يصبح موضوعا لقصة ، من الفراش الى المرافق الصحية ، والى تسمية الأشياء بأسمائها ، وشكري يعد ذلك جرأة ، وخروجا على المألوف ، وتجاوزا على الحظر غير المبرر على الكاتب العربي في تناول مواضيع معينة ، ليست سياسية بالضرورة ، فكتابة شكري ليست سياسية بالدرجة الأولى ، الا أنه بمجرد زوال دهشة المواجهة الأولى ، لايملك حتى أكثر قراء شكري تفتحا ، وابتعادا عن دائرة المحافظة بدا من التساؤل عن أي نوع من الكتابة تنتمي لها أعمال شكري ، ورغم أن محمد



المؤلف المغربي محمد شكري

شكري يؤكد أنه ليس كاتبا اباحيا ، الا ان العديد من كتاباته تتضمن شيئا من « الاباحة » ، فنحن في النهاية في مواجهة النص وليس النوايا الطيبة لكاتبه .

هجمة الهيبيين :

صدرت لمحمد شكري مؤخرا رواية ثانية عنوانها « السوق الداخلي » ونحن نقول رواية ثانية لأن هناك من يعد « الخبز الحافي » رواية أكثر منها سيرة ذاتية .

وتذكرنا « السوق الداخلي » برواية صدرت قبلها هي « الثعلب الذي يظهر ويختفي » لكاتب مغربي آخر هو محمد زفزاف ، ليس لأن الموضوع هو نفسه في الروايتين : أعني هجمة الهيبيين على المغرب في الستينيات ، بل لأن البطل وهو الراوي في الوقت نفسه يحمل اسم (علي) في الروايتين ، ويعمل معلما في الدار البيضاء - في الروايتين أيضا ومنها ينطلق الى مدينة الصويرة (جنوب المغرب) في « الثعلب الذي يظهر ويختفي » لزفزاف ، والى مدينة طنجة شمال المغرب في « السوق الداخلي » لشكري ، وفي المدينتين ، كما في الروايتين ، تدور الأحداث التي يقدمها البطل بضمير المتكلم ، وتتمحور حول

علاقاته ومغامراته مع الهيبيين والهيبيات الوافدين الى المدينتين . والخلاصة « المحتملة » للروايتين قد تكون محاولة تقديم طريقتين وفلسفتين للعيش في حالة تصادم أكثر منها حالة تفاعل وحوار ، فهناك سكان البلد المغاربة ، وهناك الهيبيون ، وفي الروايتين لايظهر أن ثمة امكانية للقاء بين طريقتي العيش .

فعلي في « الثعلب . . . » لزفزاف يعود هاربا الى مدينته الدار البيضاء ، خوفا من اتهامه بجريمة قتل تعرض لها بعض الهيبيين ، رغم أنه لم يقترفها ، وعلي في « السوق الداخلي » لشكري عندما تسحره طريقة عيش الهيبيين ويقرر الالتحاق بالآخر واجتياز الحدود المغربية - الاسبانية يرافقه أحد الهيبيين ، فتنقلب بهما السيارة لينجو هو ويجد نفسه في طنجة ، فيما يموت الهيبي .

الانبهار والخسائر :

يقول شكري عن روايته « السوق الداخلي » انها رواية ذهنية أصور فيها نماذج من العلاقات بين الشباب المغاربة والأجانب ، لقد توصلت الى خلاصة أن هؤلاء الهيبيين ساهموا في احداث الكثير من التغييرات على سلوك وتفكير الشباب المغربي ، فقد علمونا البساطة في العيش . وعدم الاهتمام بالفوارق الاجتماعية ، كان لدى المغاربة حالة انبهار ازاء هؤلاء الهيبيين ، وهذا الانبهار لم يخل من خسائر : فقد كان الهيبيون يدعون الى نوع من البساطة في العيش خالية من أي تكوين ثقافي ، في حين أن الشباب المغربي بأمس الحاجة الى مثل هذا التكوين ، لقد وصل الهيبيون الى مستوى من الحضارة ورفضوه ، ولكن ماذا نرفض نحن ؟

هل نرفض الثقافة التي لانملكها ؟ يجيب شكري بقوله : مثل هذا السؤال لم يكن مطروحا في غمرة هذا الانبهار ، وبتأثير ذلك انسحق العديد من الشباب المغاربة جنونا وانتحارا وبطالة وضيساعا من أجل الارتواء الجنسي على الخصوص .

وعندما ذهب الهيبيون لم يستطع مقلدوهم المغاربة الاستمرار على نفس طريقتهم في العيش ، وفي ذات الوقت لم يتمكنوا من العودة الى حياتهم الأولى ، وظلوا يعانون من ازدواجية واضحة .

ويضيف : يمكنني القول عن « السوق الداخلي » أيضا أن فيها تقنية جديدة بالنسبة اليّ ، وأنها تعتمد على ايحاء الرموز والكلمات .

وبالفعل فالرواية على عكس أعماله السابقة ، وعلى عكس رواية زفزاف تبتعد كثيرا عن مجرد الوصف الخارجي للأحداث والشخصيات ، وتخوض مغامرة التأمل في العالم بناسه وأشيائه بلغة نقلية جميلة ، ويبدو أن شكري لايريد لها أن تمنع ، فشذبها مما كان سببا في منع أعماله السابقة ، ولم تخل رغم ذلك مما صار متوقعا في قصصه . □

اهتمام المسلمين بالمعلم

المستقرئ لتاريخ التربية والتعليم في الاسلام يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون ، في أن يتلقى الطالب العلم من المعلم ، ونبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر لتلقي العلم ، وقد جاء في أقوالهم « من أعظم البلية تشييخ الصحيفة » وكذلك قال أحد الكتاب المسلمين القدماء « من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان » وقد قال مصعب بن الزبير : « الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال ، فانك لا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منثوراً » .

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب / أشكال التعبير في القصة الليبية القصيرة .
المؤلف / د . عمر بن قينة .
الناشر المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر .
عدد الصفحات / ١٨٥ من القطع الكبير .

يعتبر هذا الكتاب بشكل أو بآخر استكمالا لدراسة سابقة للمؤلف رصد فيها نشأة وتطور القصة الليبية ومضامينها المختلفة ، ضمنها كتابه « القصة الليبية ، نشأة وتطورا » .

وهو هنا يقوم بدراسة القصة الليبية من حيث أشكال التعبير التي اتخذتها القصة خلال تطورها منذ البدايات التي استمرت حتى بداية السبعينيات ، وحتى مرحلة التكون التي اكتملت في العقد نفسه .

ويقدم المؤلف دراسة من خلال فهمه الخاص للمدارس الرومانسية والواقعية ، والصور الرمزية ، والأسطورة والمذكرات ، وهي الأشكال والاساليب التي طرقتها القصة الليبية خلال مسيرتها .

اسم الكتاب / ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى .
المؤلف / فوزي خلف شويل .
الناشر / مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة .
عدد الصفحات / ١٦٨ من القطع الكبير .

حين نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، كانت ايران هى الجار الضعيف لروسيا القيصرية ، قد وصلت الى حالة مزرية من التفكك والضعف ، وخلال سنوات الحرب أعلنت ايران حيادها ، غير أن ذلك لم يمنع أن تكون أرضها مسرحا لعنف داخلي ، اشتد مع دخول بريطانيا حلبة الصراع ، وفقدت ايران خلال سنوات الحرب أكثر من ربع مليون شخص ، وثبتت بريطانيا أقدامها خصوصا بعد انسحاب روسيا التي أصبحت اشتراكية فبقيت ايران لقمة سائغة للاستعمار البريطاني الذي آلت اليه مقدرات الأمور .

ولايغفل الكتاب الحركات الثورية الايرانية التي لم تكن محايدة في ذلك الصراع الذي تمخض عن انهيار حكم الأسرة القاجارية ، ومجيء حكم أسرة بهلوي ، في فترة من أخطر فترات التاريخ الايراني الحديث .

اسم الكتاب / ديك ومائة مليون دجاجة .
المؤلف / محمد الماغوط .
الناشر / دار ميديترانيه - باريس .
عدد الصفحات / ٢٢٤ من القطع الكبير .

في هذا الكتاب جمع شاعر قصيدة النثر،والمسرحي والصحفي السوري محمد الماغوط بعض كتاباته الصحفيه،واختار لها عنوانا يشي بما يحويه الكتاب من هجائية وسخرية سوداء ، تليق بأيام العرب الحالية - ومن خلال عين راصدة ، يجمع الماغوط لقطات

صغيرة ، وحكايات بسيطة ، وملاحظات نافذة ليرسم صورة المجتمع العربي الذي ينوء بما فيه من جهل وتخلف وقمع ، حيث تختلط في هذه الأوراق جميعا لتصل الى نقطة العبث التي يرى فيها الماغوط مرآة لعصرنا وأوضاعنا .

اسم الكتاب / العماد الناري - رواية .
المؤلف / ايفان أكولوف .
ترجمة / اسكندر كيفي
الناشر / دار رادوغا - طشقند .
عدد الصفحات / ٧٥٢ صفحة من القطع الكبير

رواية جديدة أخرى من روايات الحرب السوفيتية التي لاتنتهي بالنسبة لمجتمع لاتزال آثار الحرب وذكرياتها تشغل حيزا كبيرا من تفكير الكثيرين فيه .

وكما هو الأمر بالنسبة لأعمال أدبية سوفيتية كثيرة عن الحرب ، فان هذه الرواية صياغة روائية لتجربة ذاتية ، عاشها مؤلف الكتاب منذ أكثر من ٤٠ عاما ، ثم سجلها في هذه الرواية الضخمة التي تجمع بين التفاصيل التسجيلية لأحداث تلك الأيام ، وتفاصيل التجربة الشخصية للمؤلف نفسه .

اسم الكتاب / لبانة والقمر / قصص .
المؤلفة / ليالي بدر
الناشر / رابطة الكتاب الأردنيين - عمان .
عدد الصفحات / ٥٦ من القطع المتوسط .

المجموعة الأولى لكاتبة القصة الفلسطينية ليالي بدر ، جمعت فيها تسعا من قصص الأطفال التي تنوعت مواضيعها لكنها اجتمعت على الحكاية البسيطة والمفردة السهلة الواضحة ، التي تشكل أساسا الكتابة للأطفال عند ليالي .

وتتنوع موضوعات قصص المجموعة بين عالم الطفولة البرىء ، ومشاهد القسوة والاقتلاع التي يراها الطفل من حوله ، كما تتنوع شخوص القصص ، لتضم الى جانب الأطفال والشخوص البشرية الأخرى ، عناصر الطبيعة والكون مثل النهر والشجرة والجبل والينبوع ، التي تتحول هنا الى تجريد لأفكار الطفولة البريئة .

اسم الكتاب / مالم يعرف من أدب غسان كنفاني .
المؤلف / سليمان الشيخ .
الناشر / دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع - قبرص .
عدد الصفحات / ٨٠ من القطع الصغير .

يعد هذا الكتاب بشكل أو بأخر استكمالا لتلك الجهود التي انطلقت لجمع أعمال غسان كنفاني غير المعروفة ، أو غير المنشورة ، بعد استشهاده في مثل هذه الأيام منذ أربعة عشر عاما .

ويركز المؤلف هنا جهده على أعمال غسان التي نشرها في الكويت حيث عاش خمس سنوات انتهت مع بداية الستينيات ، وهي الفترة التي صقلت خلالها موهبة غسان الأدبية وتحددت ملامح ابداعه .

ويتضمن الكتاب فصلا عن تقديم الأعمال ملخصا لرواية العبيد ، ونصوص « قصص السارق » ، و« رسالة من حسن » . . « واحد من الآخرين » ، و« الشيخ الصغير » ، « وصمت ونعال وقبر صغير » .



مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٢
يوليو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اغسطس ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٢

١ - بناء شامخ وجميل .. **ترى أي مبنى هذا** ، علما بأنه كان من عجائب الدنيا السبع في نظر الأقدمين ؟

٢ - الماس .. أكرم الأحجار الكريمة ، والجرافيت .. وهو من أتفه الأحجار غير الكريمة .. **ترى ماالعامل المشترك بينهما ؟**

٣ - **الماموث** حيوان ضخم ، أو فيل منقرض .. عاش في شمال أوروبا في العصور الجليدية .. وقد عثروا على كثير من جثثه مغمورة بالثلوج في سيبيريا وغيرها ..
ترى هل كان في الامكان أكل لحم تلك الجثث ؟

٤ - مامعنى قولك **تكعنش الطائر ؟**
وقولك تكعنش زيد في الشيء ؟

٥ - « العلم المسيحي » دين أو مذهب من المذاهب المسيحية ، منتشر في الولايات المتحدة الأمريكية ..
ترى مافحوى هذا الدين أو هذا المذهب ... ؟

- الاعتقاد بالخرافات ... وخصوصا ضرورة اللجوء الى الانجيل لا الطب ، لمعالجة الأمراض .. والشفاء بدون دواء .
- الاعتقاد بالعلم والطب الحديث ، وضرورة تحطيم الخرافات التي سادت في الماضي كالشفاء بدون دواء .

٦ - اشترى عدنان من بائعة البيض الكمية التي كانت في سلتها مضافا اليه نصف بيضة ... ثم اشترى سميح نصف ما تبقى من البيض مضافا اليه نصف

بيضة .... ثم جاء وليد فاشترى نصف ما تبقى مضافا اليه نصف بيضة ... فلم يبق في السلة شيء ... فكم كان عدد البيض الذى كان في السلة أصلا ... علما بان البائعة لم تضطر لكسر أى بيضة ، بالرغم من أنها لبّت طلبات الزبائن بحذافيرها ....

٧ ـ سمك القرش .. **هل يلد صغاره .. ؟**

٨ ـ احدى الفواكه المحببة الى الكثيرين لاتنمو على شجر ، وانما على عشبة .. ولكنها عشبة كبيرة كالشجر ، وذات ساق طويلة ، وأوراق كبيرة .. **فأى فاكهة تلك ؟**

٩ ـ مرض برى برى .. **متى يصاب به المرء ؟**

* اذا تناقص فى جسمه فيتامين (ب ١) حتى انخفض دون المستوى السوى .
* اذا لسعته حشرة تسى تسى المنتشرة فى افريقيا .

١٠ ـ لم تبدو السماء حمراء عند الغروب ؟ وهى التى نراها زرقاء أثناء النهار ....

١١ ـ مجرتنا ، درب اللبانة ، تزخر بالنجوم .. وشمسنا هى احدى تلك النجوم .. التى يقدر عددها بحوالى ١٠٠,٠٠٠ مليون نجم .. وأقرب تلك النجوم من شمسنا هى سنطوري وتبعد عنها **٤,٥** سنوات ضوئية ، أى مايعادل **٤٥ مليون مليون** كيلومتر ، ترى ماالمسافة بين أبعد نجوم مجرتنا وبين شمسنا ....

* ٨٠,٠٠٠ سنة ضوئية
* ٤٠,٠٠٠ سنة ضوئية
* ١٠,٠٠٠ سنة ضوئية (اى مايعادل ١٠٠,٠٠٠ مليون مليون كيلو متر) .

١٢ ـ هذا رسم لأول بالون حلّق فى الجو .. ترى من هما الأخوان اللذان اخترعا هذا البالون وطارا فيه .. ؟



حل مس

١ ـ الأمثال العربية الثلاثة بكاملها هى :

* كل ممنوع متبوع .
* كثرة الضحك تذهب الهيبة .
* قلب الأحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه .

٢ ـ يقصد الشاعر القفل .. قفل الباب الذى يُحكم اغلاقه به .

٣ ـ المبنى الغريب هو دار الأوبرا في سيدنى الذى يقوم على شبه جزيرة في ميناء سيدنى ، بالقرب من جسرها الشهير ، ويشغل من المساحة مايقدر بحوالى ٢٥٠٠٠ متر مربع ... ويعتبر المبنى أكبر وأفخم وأغلى مبانى الأوبرات الحديثة .. وقد كلف انشاؤه أكثر من ٥٠ مليون جنيه استرليني منذ اكتماله سنة ١٩٧٣ .

٤ ـ هذه صورة (قبة الصخرة المشرفة) أو إن شئت (مسجد الصخرة) وليست صورة المسجد الأقصى كما يظن الكثيرون .. فهذا مسجد آخر ويقع على بعد (٥٠٠) متر من مسجد الصخرة ، وفي الناحية القبلية من الحرم .. والخليفة الأموى عبد الملك بن مروان هو الذى بنى كلا المسجدين .. وذلك فيما بين سنة ٦٦ ـ ٧٤ هجرية .

٥ ـ تمثل الصورة اختراع الطيران .. ويظهر فيها الأخوان رايت وهما يحاولان الاقلاع في أول طائرة عرفها التاريخ ، وطارت بالفعل ، وكانت من صنع الأخوين رايت .. كان ذلك في كيتى هوك في كارولينا الشمالية ، وفي ١٩٠٣/١٢/١٧ على وجه التحديد ، والأخوان المخترعان هما أورفيل رايت (١٨٧١ ـ ١٩٤٨) وويلبور رايت (١٨٦٧ ـ ١٩١٢) .

٦ ـ تبلغ هناء من العمر ١٦ عاما .

٧ ـ مذبحة بيترولو .. وقعت في صيف سنة ١٨١٩ ، وفي أعقاب معركة واترلو التى هزم الحلفاء فيها نابليون .. وفي مدينة مانشستر في انكلترا .. وسميت بهذا الاسم لأنها وقعت في ميدان سانت بيترفيلد في مانشستر ، أما أسباب المذبحة فسوء الأوضاع الاقتصادية ، وقد شملت أعمالا تخريبية مختلفة .. بما في ذلك تدمير عدد كبير من الماكنات والآلات ، باعتبارها السبب المباشر لانتشار البطالة ، وقد تمخضت أحداث هذه المذبحة عن مقتل ١١ رجلا وجرح المئات ..

٨ ـ لا أثر للرصاص في أقلام الرصاص .. فالمادة التى بداخل القلم والتى يكتب بها القلم ليست رصاصا ، وانما هى جرافيت وهى معدن ، ويسميه الكثيرون الرصاص الأسود .

٩ ـ المَلْغم بفتح الميم تعنى الفم والأنف وماحولهما ، وجمعها ملاغم ، والمُلْغم بضم الميم تعنى الذهب وما إليه اذا أذيب بالزئبق ، أو الزاووق كما سماه السلف الصالح .

١٠ ـ جمهورية بشكير ، أو البشكيرية هى احدى جمهوريات الاتحاد السوفياتى .. تقع الى الغرب من جبال أورال مع انحراف الى الجنوب .. تبلغ مساحتها ١٣٤,٦٠٠ كم^2 ، ومجموع سكانها ٣,٨٣٥,٠٠٠ نسمه .. وعاصمتها أوفا ، وسكانها الأصليون ـ البشاكير ـ مسلمون .. وهم يشكلون الربع من مجموع سكان الجمهورية .. ويشكل الروس ٤٠ ٪ منهم .. وتنتج الجمهورية البشكيرية فيما تنتج البترول .

١١ ـ العجوز الشمطاء هى التى خالط بياض رأسها سواد .. وجمع شمطاء شُمْط .. ويقال للرجل الذى ينطبق عليه الوصف رَجُل أشمط وجمعها شُمْط وشمطان .

١٢ ـ آخر الدواء الكي .. مثل من أمثال العرب ، يضرب لأمر شديد لاصبر عليه .. واتكلنا منه على خص .. مثل آخر يعنى الاتكال على جدار من قصب .. وأجرد من صلعة .. مثل ثالث يعنى أملس من الصخرة الملساء ..

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٩ ابريـل ١٩٨٦

القائز بالجائزة الأولى : انتصار كامل محمد علي/ المدينة المنورة/ السعودية .
القائز بالجائزة الثانية : يوسف الدفداقي/ جنينة الدندان/ تونس .
القائز بالجائزة الثالثة : سليماني احيده/ المغرب/ الدار البيضاء .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ ايلين انطون لحام / القاهرة / مصر .
٢ ـ اعتدال جيل مراد / الدوحة .
٣ ـ أحمد محمود بريشي / اربد/ عمان .
٤ ـ محمد عدنان بن توفيق حريري / دمشق / سوريا .
٥ ـ عبد القادر علي التعيم / الخرطوم / السودان .
٦ ـ عبد القادر عثمان البنا / كريتر ـ عدن / اليمن .
٧ ـ عماد عبد العزيز بن علي / المنامة / البحرين .
٨ ـ شكري محمد بشير الهوني / سبها / ليبيا .

معركة بلا سلاح

بطولات عربية ناشئة

من الأبطال العرب المعاصرين الذين برزوا على الصعيد الدولي اللاعب سعيد أحمد سعيد من الامارات العربية المتحدة ، وهو شاب لم يجاوز الثامنة عشرة من العمر وقد تفوق على جميع أقرانه من أبطال العروبة في الساحة العربية وفي الساحة الدولية أيضاً ، وحقق لوطنه انتصارات مشرّفة في جميع المباريات القومية والدولية التي خاضها واستحق عليها تقدير العديد من الأوساط المعنية بهذه اللعبة ، نخص منها بالذكر مجلة الشطرنج البريطانية التي امتدحت طريقته في اللعب إثر فوز الامارات العربية المتحدة بالمرتبة الاولى بين الدول العربية المشتركة في الأولمبياد السادس والعشرين للشطرنج المقام في مدينة سالونيك اليونانية في أواخر عام ١٩٨٤ واختتمت مقالها بالعبارة التالية :

« وتعتبر انتصارات هذا اللاعب العربي الشاب دليلاً أكيداً على تحسن مستوى هذه اللعبة لدى اللاعبين العرب » .

ومن البطولات العالمية التي فاز فيها هذا اللاعب العربي المتفوق وهو لا يزال في الثالثة عشرة من العمر بطولة العالم للناشئين تحت ١٦ سنة في عام ١٩٨١ ، وقد أهّله هذا الفوز لدخول بطولة العالم للناشئين تحت ٢٠ سنة المقامة في فرنسا عام ١٩٨٣ والتي فاز فيها بالترتيب الثالث .

أما على الصعيد العربي فقد فاز هذا اللاعب العربي الفذّ حديثاً ببطولة الخليج والجزيرة العربية المقامة في الكويت ، وبطولة العالم العربي المقامة في تونس . وقد اخترنا لكم الدور التالي من مباريات بطولة تصفية العالم المنعقدة في مدينة دبي عام ١٩٨٥ بينه وبين اللاعب الأردني أحمد جواد ، وهذا الدور من دفاع جامبيت الوزير المرفوض ، وهي من اكثر الافتتاحات شيوعاً في عصرنا الحاضر ، ويجدر باللاعب الحريص على تحسين مستوى لعبه أن يوليها اهتماماً خاصاً .



(شكل ١)

□ سعيد أ . سعيد	■ أ . جواد
١ . د ٤	ح - و ٦
٢ . جـ ٤	هـ ٦
٣ . ح - و ٣	د ٥
٤ . ح - جـ ٣	جـ ٥

٥ . جـ × د ٥	ح × د ٥

هـذا الترتيب للنقـلات يتفـادى البيـدق المتعـزل في (د ٥)

٦ . هـ ٥	ح × جـ ٣
٧ . ب × جـ ٣	جـ × د ٤
٨ . جـ × د ٤	ح - جـ ٦

> في هذه النقلة خروج عن التفريعة الرئيسية
>
> | | |
> |---|---|
> | ٨ . ... | ف ـ ب ٤ + |
> | ٩ . ف - د ٢ | ف × د ٢ + |
> | ١٠ . و × د ٢ | ت |

٩ . ف - جـ ٤	ف - هـ ٧
١٠ ـ ت	ت
١١ ـ ف - ب ٢	ف - و ٦
١٢ . و - هـ ٢ !	ب ٦

لو أخذ الاسود (د ٤) بالفيل لقام الابيض بتسميره بان يلعب ١٣ . ر (أ) - د ١

١٣ . ر (أ) - د ١	ح - أ ٥
١٤ . ف - د ٣	ف - ب ٧
١٥ ـ ح - هـ ٥ !	ح - جـ ٦
١٦ ـ ح × جـ ٦	ف × جـ ٦ (انظر الشكل)
١٧ . د ٥ !	هـ × د ٥
١٨ . هـ ٥ !	ف ـ هـ ٧
١٩ . و - جـ ٢	و - د ٧
٢٠ . ف × حـ ٧ +	م - جـ ٨
٢١ . ف - و ٥	ف - أ ٤
٢٢ . و - د ٣	و - جـ ٦
٢٣ . هـ ٦ !	و - جـ ٤
٢٤ . و - ز ٣	يستسلم

(حل المسألة رقم ٤١)

عدد مايو ١٩٨٦

مفتاح الحل و × د ٧ فان أخذ الأسود الوزير كشه بالرخ ثم بالحصان ويفوز بالوزير

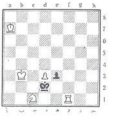
الفائزون بحل المسابقة رقم (٤٠)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ معتز جاويش ـ ج . م . ع / كفر الشيخ
٢ ـ علي عطوش ـ ابين / اليمن
٣ ـ الحسن الطيب ـ مدني / السودان
٤ ـ سمير رحمة ـ الظهران / السعودية
٥ ـ ايمان مرابط ـ دمشق / سورية

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عزام محمود ـ عمان / الأردن
٢ ـ ابراهيم سليمان ـ بنغازي / ليبيا
٣ ـ بوعكه عبد الكريم ـ فكيك / المغرب
٤ ـ سلوى حرز الله ـ مقانس / تونس
٥ ـ علاء الشورة ـ المحلة / ج . م . ع



مسابقة العدد
مسألة رقم ٤٣

من وضع المسائلجي العربي جمال أحمد

مـات ٢

العربى
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

أيها الكتاب الكبار ..... كونوا صغارا

● مثل الروائي الشهير « غبرييل غارثيا ماركيز » الحاصل على جائزة نوبل في الآداب : هل جربت الكتابة للأطفال ؟ فاعترف أنه كتب مرة قصة خاصة للأطفال ، وقرأها على أطفاله قبل أن يفكر في نشرها ، فقال له أحد أبنائه : لماذا تعتقدون ـ أنتم الكبار ـ أننا بُلْهاء الى هذه الدرجة ؟ وهكذا كانت هذه القصة آخر تجربة له في الكتابة للأطفال !

ويقول الفيلسوف الفرنسي : جان جاك روسو مامعناه : « ان الكاتب الكبير يصير عظيما اذا استطاع أن يكون صغيرا » ، أي بقدرته على تقمص الطفولة بكل عوالمها الخيالية الساحرة ومشاعرها المرهفة ، وهو أمر صعب بقدر أهميته في الابداع الفني بعامة وللأطفال بخاصة .

في العدد الأول من العربي الصغير ، حيث قفزت تلك المجلة الصغيرة قفزة نوعية كبيرة حقا ، قرأت قصة بقلم الأستاذ « فاروق خورشيد » من ألف ليلة وليلة عن الملك شاه زمان ، واقرءوا منها هذه الفقرة :

« ولم يتمالك ـ شاه زمان ـ نفسه ، وهو يرى ملامح الملكة المليئة بالكراهية ، ويتذكر خداعها له ، وكذبها عليه ، أن سَلَّ سيفه من غمده ، واندفع وسط الفتيات الراقصات صائحا : يا خائنة ! وذهلت الفتيات ، وكفت الموسيقا عن العزف ، وشحب وجه الملكة ، بينما ظل الملك في اندفاعه ، وقد ملكه الغضب ، ورفع سيفه ليهوي به فوق عنق الملكة ، التي هوت قتيلة تحت قدميه ، بينما فر الجميع من أمامه ، وسيفه يقطر دما ، وهو يهمس لنفسه في ذهول : الخائنة ، الخائنة . وأفاق من ذهوله ليجد الحديقة خالية ، وجثة الملكة مضرجة بدمائها ، تحت قدميه ، فأغمد سيفه » .

فيماذا نجيب طفلنا الصغير ، اذا سأل عن « الخيانة » ؟ ألا تكفيه أفلام الرعب ، والاثارة ، والجرائم ، ومناظر الاغتيالات ، والتنكيل في كل بقعة من العالم ، وهو جالس في عقر داره أمام الشاشة الصغيرة ، شئنا أم أبينا ؟

ألا نفكر قليلا في رهافة مشاعر الطفل ، ومدى ما يختزنه عقله في اللاوعي ، من صور مرعبة للقتل ، وسفك الدم ؟ ألا نفكر في مستقبل هذا المخزون ، ومدى تأثيره النفسي والسلوكي ؟

افتح كتاب التاريخ العربي في المرحلة الابتدائية ، واقرأ فصول الدم العربي ، الذي يكتبون به تاريخنا ، ويعرضونه على أطفالنا ، وهم في مرحلة الطفولة ، حيث الخيال المتوهج ، والسعي نحو المثل العليا ، المجسدة بالقادة والعظماء من كل فن .

نحدث أطفالنا عن عظمة عمر وعلي وعثمان :

عدلا ، وشجاعة ، وبلاغة ، وأمانة ، وتقى ، فتتوهج الذاكرة الطفولية البريئة بقوس قزح ، يشع من القدوة الأعلام ، ويلتهب الخيال القدسي بعظمة الآباء والأجداد . ثم فجأة يقرءون : وطعن عمر بخنجر مسموم ، وهو في المسجد ، وطعن علي بخنجر ، وطعن عثمان بخنجر ، وقتل فلان ، وصلب علان ، وجز رأس الحسن والحسين ، وجيء برأس القتيل الى الخليفة . . . . . الخ .

ينبجس الدم ، يعمي العيون الوضيئة ، ينتصب الخنجر مسموما يقطر بدم القدوة الأعلام ، يشهر سيف الحجاج في الوعي الطفولي ، قدرا عربيا ، يكاد يهوي بشفرته المضرجة بالدم فوق الرقاب الغضة ، الرهيفة ، فتنحني خوفا ، وذلا ، وكفرا بتاريخ العرب الدموي ، حين تكبر الذاكرة ، وتبقى تقطر دما .

فلماذا لا يؤجل فصل الدم والاغتيال ، والصلب ، وحز الرؤوس ، الى ما بعد مرحلة الطفولة ؟ أم نفعل هذا حرصا على الدقة العلمية والموضوعية التاريخية ؟

لماذا لا نكون صغارا ونحن كبار ، نكتب للصغار ؟

اتركوا الصغار ، الموهوبين ، يكتبون ، هناك البراءة ، البساطة الآسرة ، الدهشة هناك منبع النفس الانسانية .

أيها الكبار ! اغمدوا سيف شاه الزمان ، وشهريار والحجاج ، وأبي لؤلؤة ، انشروا الشراع الأبيض ، وكونوا أطفالا حين تكتبون للصغار !

مصطفى سليمان

اللاذقية/سوريا

العربي

آثرنا أن ننشر هذه الرسالة بنصها تقريبا ، لأهمية القضية التي تتناولها ، وحساسيتها في الوقت ذاته ، ولأنه ليس من المناسب مناقشة هذه القضية في مجلة « العربي الصغير » ـ مع أنها موجهة لها ـ فقد رأينا مناقشتها بتركيز في باب حوار القراء ، ونود ابتداء أن نوضح أمرين :

أولا : اننا هنا لا نتكلم باسم الأستاذ فاروق خورشيد الذي تفضل باعداد نص ألف ليلة وليلة للعربي الصغير ، والذي يبقى له الحق الكامل في التعليق على هذه الرسالة ، بل على رأي « العربي » بما يراه بعد قراءتها .

ثانيا : اننا هنا نعبر عن موقف مجلة « العربي الصغير » من مثل هذه القضية التي شغلتنا قبل هذه الرسالة وبعدها ، ذلك أن نشر نص « ألف ليلة » يعني بداهة وضمنا أننا مسئولون عن الموافقة عليه ، وعلى الطريقة التي تمت بها معالجته .

إننا نرى أن الأستاذ فاروق خورشيد قد عالج بحكمة فنية العديد من المآزق التي كانت تعترض تقديم نص مثل ألف ليلة لأطفالنا ، ومن أمثلة هذه الحكمة أنه قدم قصة الخيانة الشهيرة في ألف ليلة من منظور جديد ، فلم تعد الخيانة في العلاقة الجسدية بين زوجة الملك شهريار والعبد كما هو معروف ، بل في كذب زوجة شاه زمان على زوجها ، وفي رأينا أن هذا التطور مهم جدا ، فالكذب مهما كان حجمه هو بداية كل الجرائم وكل الخيانات ، كما أنه لمس في رهافة فكرة الحرية المفقودة في قصر الملك شاه زمان ، رغم أنه حافل بكل ملذات الحياة ومسراتها ، وفقدان الحرية هو المناخ الذي أفرخ الكذب ومن بعده الجريمة .

وهكذا تخلص الكاتب من مأزق الالتزام بحرفية النص المعروف ، دون أن يضحي بما في عالم ألف ليلة من سحر أسطوري وانساني ، ضمن له البقاء والانتشار كتراث شعبي عربي وعالمي خالد .

يبقى جوهر المشكلة في رسالة الكاتب ، وهو متى وكيف نقدم صور الشر أو الخطيئة أو الجريمة في الأعمال الأدبية لأطفالنا ؟

هل ننتظر حتى يكبروا وينضجوا ؟ هل نحرص على ألا نقدم لهم في فترة الطفولة المبكرة أو المتأخرة

حوار القراء..

سوى عالم من البراءة والنقاء والجمال والخيال ؟ وهل يجرص الواقع الذي يعيشون فيه مثلنا ومعنا ـ ولا أقول التلفزيون ـ على أن يكون بريئا ونقيا وجميلا ؟ فلا يريهم صورا من الشقاء والجريمة والخيانة ! وهل سنكسب ثقتهم فينا وفيما نكتب لهم لو فعلنا ذلك ؟ هل سنكون بذلك قد هيأناهم للحياة في عالم لم ينجح بعد في التخلص من العنف والقسوة والشك والجريمة ؟ وهل سيكفون هم عن التأثر والتفكير فيما يرونه ويحيط بهم من هذا كله ؟

ان الشر والعنف جزء من الواقع الانساني ، كان ولا يزال حتى هذه المرحلة من مراحل تطور النوع الانساني !

يتطور ادراكنا له ، ووعينا به ، وموقفنا منه ، وأسلوبنا في التعامل معه ، مع تطورنا كأفراد وجماعات !

أليس من الطبيعي اذن ألا يكون حديثنا ـ ونحن بصدد تقديم نص مثل ألف ليلة ـ عن تجريده من صور العنف أو الشر أو الكذب أو الشقاء . . . بل عن الطريقة التي يقدم بها ذلك ؟ بأي جرعة ؟ وفي أي سياق ؟ ولأي هدف ؟ ان المعيار الذي ينبغي أن نلتزم به ونحن نقوم مثل هذه التجربة هو السؤال عن الأثر الأخير الذي يخرج به الطفل من قراءة النص بعد ضبط الجرعة .

كيف يفهم الشر ؟ وكيف يقاومه ؟ هل الشر دائما صفة للآخرين ، أم يمكن أن يكون فينا أيضا ؟

هل هو مجهول غامض ، أم هو بعض أشكال الأنانية ؟ وكيف تكون الحرية ؟ وهل يمكن أن تكون هناك حرية حقا لبعض الناس دون بعض ؟ الخ . . الخ .

وفي رأينا أن النص الأدبي الذي تقدمه « العربي الصغير »عن ألف ليلة وليلة للأستاذ فاروق خورشيد يسلك هذا السبيل ، ويأخذ في اعتباره بنجاح كل هذه الأمور !

وأما كيف يقدم تاريخ رجالنا العظام في كتب المدارس أو في غيرها للأطفال ، فلا نظن أن تجريده من نهاياته الحزينة هو أفضل الطرق ، ولكن المهم دائما هو كيف نقدم هذا التاريخ سواء أكان ذلك في بداياته أم في نهاياته ؟!

لغتنا السمحة . .

● انني من مدرسي اللغة العربية ، ومن المتابعين القدامى لمجلتكم ، ولقد قرأت في المدة الأخيرة أن الأستاذ محمد خليفة التونسي قد جمع مقالاته عن اللغة العربية التي ينشرها في العربي في سلسلة كتاب العربي بعنوان « لغتنا السمحة » وقد بحثت عن هذا الكتاب في كل المكتبات ، فلم يسعفني الحظ بالعثور عليه ، أود أن تدلوني على طريقة لأحصل من خلالها على نسخة من هذا الكتاب القيم الذي يفيد المهتمين والدارسين في مجال اللغة العربية ، ولكم جزيل الشكر .

جمال بوحرادة
الجمهورية التونسية ـ العراندية/ولاية سوسة

العربي

الطريق الطبيعي والمضمون للحصول على مجلة العربي ، أو كتاب العربي ، أو العربي الصغير ، هو الاشتراك في هذه المطبوعات بالطريقة المعلن عنها بهذه الدوريات ، وبالنسبة لكاتب هذه الرسالة فقد وعدنا الأستاذ محمد خليفة التونسي بأن يرسل نسخة هدية من كتابه على العنوان الموضح في رسالته .

في « تاوغزوت »
اعتكف ابن خلدون

● في مقال الدكتور حسن فتح الباب ، بعنوان « تحولات ابن خلدون من قصور الحكام الى كهوف العلماء » في عدد يناير سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي ، لاحظت أن هناك خطأ في اسم « تقزوت » في الفقرة التالية : « وتحتوي تقزوت على معالم تاريخية ، تمثل شواهد على الحضارات التي تعاقبت عليها » .

وتعميما للفائدة فضلت أن أكتب لكم حول هذا الاسم ـ تغزوت ـ المتعدد المواقع والمعاني في المغرب العربي ، فهو يطلق على عدة قرى في الجزائر ، وهو يعني عند القبائل : البستان الواقع في منخفض أي الخميلة ، ففي منطقة وادي سوف في جنوب شرق الجزائر توجد بلدة تغزوت ، وهي من أقدم القرى بعد الزّقم .

وفي المغرب الأقصى يوجد باب يسمى باب تغزوت ، وكذلك في ليبيا مكان بهذا الاسم .

أما التسمية الصحيحة بالنسبة لما ورد في مقال الدكتور حسن فتح الباب عن المكان الذي اعتكف فيه ابن خلدون للتأليف فهو « تاوغزوت » وهو الاسم الذي أطلق على قلعة بني سلامة التي تبعد بنحو سبعة كيلومترات الى الجنوب الغربي من مدينة فرندة .

عوادي عبدالقادر
ولاية الوادي / الجزائر

زيدوا كَمِّية « العربي »

● أنا من القراء الأوفياء لمجلتكم ، الا أن الكمية التي تصلنا في الجزائر غير كافية ، ولذلك لا نجد العربي الا في المدن الكبرى ، وبعد بحث في العديد من المكتبات .

وأتمنى أن يرتفع نصيب الجزائر من هذه السلعة الغالية ، والى أن يتم هذا ، أرجو منكم اعطائي مزيدا من المعلومات حول كيفية الاشتراك ، لأضمن وصول المجلة الى عنوان المسجل في نهاية هذه الرسالة .

شايب الدراع مسعود
تاسوست ـ بواسطة منس جيجل
/ الجمهورية الجزائرية

دعوة لاستطلاع مخيم اليرموك

● تشكر فرقة « شباب فلسطين » مجلة العربي الغراء لنشرها رسالتنا في عددها الصادر في فبراير سنة ١٩٨٦ ، مما يشجعنا على متابعة الحوار مع العربي لخدمة القضية الفلسطينية ، وفي هذا الصدد نود ان نشكر العربي أيضا على الاستطلاع الذي نشرته في العدد ٣٢٦ عن مدينة « صيدا » المحررة ، وعن مخيم « عين الحلوة » ، ونقترح عليكم ـ آملين القبول ـ القيام باستطلاع لمخيم اليرموك في سوريا الذي يعتبر أكبر مخيمات شعبنا الفلسطيني ، والذي يمثل شريحة مهمة من الشعب الفلسطيني ، ان مثل هذا الاستطلاع يوفر الفرصة لحوار مثمر حول قضايانا ومشكلاتنا ، ولتعريف الأمة العربية بأوضاعنا وأحوالنا .

نهاد حميد/دمشق / مخيم اليرموك

العربي

لعلنا بنشر هذه الرسالة نطمئن الاخوة من « شباب فلسطين » إلى أن فكرة عمل استطلاع لمخيم اليرموك ستكون موضوع بحثنا لتنفيذها في وقت مناسب إن شاء الله .

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٨٦ م

التنمية
في دول مجلس التعاون
دروس السبعينات وآفاق المستقبل

تأليف :
د. محمد صادق

٥٠٠ فلس

الكتاب الثالث بعد المئة

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٢ أول يوليو ١٩٨٦

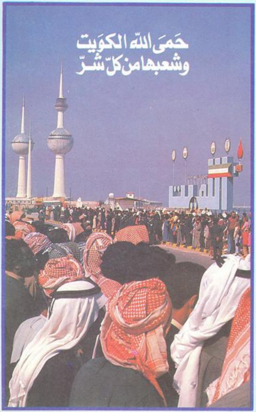
من الأعمال المختارة
هنريك إبسن - ٢

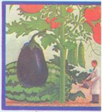
البطة البرية

ترجمة وتقديم : د. عبدالله عبد الحافظ
مراجعة : د. نور شريف

العربي

ذو القعدة ١٤٠٦ هـ - اغسطس (اب) ١٩٨٦



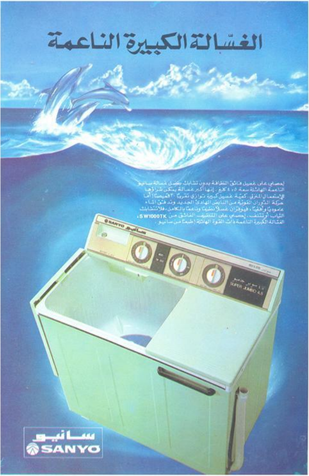


نباتات الأنابيب
بعد أطفال الأنابيب



العرب..
في عيون الغرب




الغسّالة الكبيرة الناعمة
إحصلي على غسيل فائق النظافة بدون تشابك بفضل غسالة سانيو
الناعمة الهائلة سعة ٤٫٥ كلغ . إنها أكبر غسالة يمكن شراؤها
للإستعمال المنزلي. كمية غسيل كبيرة توازي تقريباً ٣٠ قميصاً! أما
حركة الدوران القوية من النابض الهادئ الجديد وتدفق الماء
عامودياً وأفقياً ، فيوفران غسلاً نظيفاً وناعماً بالكامل ، فلا تتشابك
الثياب أو تتلف . إحصلي على التنظيف الفائق من SW1000TK ،
الغسالة الكبيرة الناعمة ذات القوة الهائلة إطبعاً من سانيو .
SUPER JUMBO 4.5
سانيو
SANYO

العدد ٣٣٣ السنة التاسعة والعشرون أغسطس ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No.333. Aug. 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

من أجل سلامة الوطن

كان الحدث الأهم في الساحة الكويتية في الشهر الماضي (يوليو/ تموز) هو خطاب سمو الامير الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ، والذي وجهه الى شعبه الكريم ، بعد أن اشتد الخطب وأصبح الموقف يحتاج الى وقفة شجاعة للحفاظ على الكويت .

في ذلك المساء الثالث من يوليو . . خاطب أمير الكويت شعبه فقال : « في حياة الشعوب أيام عند مفارق مسارها التاريخي وتفرض عليها المراجعة الشاملة للعلاقات بين المبادىء والممارسات وبين أهداف الوطن العليا والتصرفات الجزئيه »

وكان ذلك اليوم حقيقة هو يوم الفصل بين من أراد أن يتمسك بالمبادىء ومن أراد أن ينحو بالممارسات الى طرق مسدودة ابعد ماتكون عن المصالح العليا للوطن .

لقد قال الشيخ جابر الأحمد في خطابه التاريخي « لقد كان الأمل أن يظل الحوار بين السلطتين التنفيذية والتشريعية حاملا روح المودة والاخاء ، ولكن تحول الحوار الى مساجلات ومشاحنات . . وحجبت الصراعات بغبارها شمس الحقيقه ، لقد رأيت صورة الديمقراطية تهتز ، وممارستها تنحدر وتجذب معها القيم الاجتماعية والسلوكية وتفكك معها التماسك الموروث في المجتمع الكويتي » .

لقد تدخل سمو الشيخ جابر الاحمد بحكمته للحفاظ على المسيرة الكويتية بعد أن وجد المجتمع الكويتي نفسه يرى بأم عينيه المبادىء الديمقراطيه تتحول الى ممارسات شخصية واستخدام متعسف للرخص الدستورية حتى كاد أن يؤدي كل ذلك الى تقسيم المجتمع الكويتي .

ولكن مصالح الشعب في حقيقة ألامر لاتقبل الانقسام ولايمكن لاى مخلص أن يقبل بانقسامها .

البعض كان - باسم الديمقراطية - يريدها قطيعة مفتعلة بين فكرة التراث ومفهوم التقدم ، وبعضهم باسم الديمقراطية كان يريدها قطيعة مفتعلة بين القانون والتطبيق ، وتحولت المصلحة العامة الى مصالح فئوية .

وليست هذه هي الديمقراطية .

وقف أهل الرأي في الكويت أمام كل ذلك وقفة شجاعة لكي يُغلّبوا مصالح الكويت العليا على المطامح الشخصية في مرحلة معقدة إقليميا ودوليا .

لقد رفض الخطاب الاميرى الموجه الى شعب الكويت أن يزج بهذا الشعب العربي الخير في معارك خارجية تفرض عليه فنحن في هذا الجزء من الوطن العربي نتألم لما يضره ونسر لما يسره ، وليس في مقدورنا - ولايجب أن يكون من رغباتنا - التدخل في شؤون الآخرين ، حيث أننا نرفض أن يتدخل أحد في شؤوننا - علينا الكلمة الطيبة وعلينا النصيحة وعلينا العون والمعونة في الخير ما استطعنا ، وعلينا المحاولة الدؤوبة مع إخواننا في رأب الصدع بين الأشقاء ، ولكن لايجب أن يفرض علينا استعداء الأخرين ، لأن هذه المجموعة أو تلك تريد ذلك .

ولقد كان للشيخ جابر الاحمد في نهاية خطابه الى الشعب وقفة حكيمة وعميقة المعنى حين قال سموه :



سمو الشيخ جابر الاحمد
أمير دولة الكويت

« اننا لن نتخلى عن مسيرتنا النيابية التي آمنا بها بما يكفل المحافظة على الكويت وشعبها ويعمق مشاعر الحب والتضحية ويحفظ أصالته ووحدته من أي انقسام » .

وفي ذلك إشارة واضحة الى أن المبادىء التي آمنت بها الكويت وعرفت بها في الوطن العربي لازالت ثابته كما هي ، وأن الأزمات تزيد المجتمعات الحية صلابة وقوة ، وأن الايمان بالمبادىء يستوجب تعميق المكاسب الحقيقية ، هذه المكاسب التي يجب أن يؤمن لها سبل الحياة والاستمرار بعد دراسة واقعية وحقيقية لمتطلبات مجتمعنا في هذه الظروف ، سبل حياة تحمي المبادىء من المجازفة والعبث وتعصم البيت الكويتي من الزلل ، وتحصنه من الاخطار .

ولقد وقف المجتمع الكويتي بكل فئاته وقفة رجل واحد ، فتقد التجربة من أجل إصلاحها . لقد كان شموخ الكويت واعتزازها بتجربتها التنموية الشاملة يتجلى في قول سمو الامير : « إن القرار الكويتي لم يخفض الجبين لأية جهة أو جماعة أو دولة وسيظل بإذن الله نابعا من مصالح الشعب » .

ولقد تجلت حكمة الشيخ جابر الاحمد في كل ذلك عند ما قال في خطابه : « ان العاقل من اتعظ بغيره وبماضيه وارتفع فوق حسابات الماضي والتطلعات الذاتيه إلى آمال الوطن ومستقبله وآمن أن حق الكويت هو أولى الحقوق بالاداء » .

لقد كانت وقفة تاريخية بالفعل ، وقد جاءت في وقتها تماما ، بعد أن تعرضت الكويت لسلسلة من أعمال الارهاب وحالت قدرة الله العلي القدير ورأفته بأبناء هذه الأرض الطيبة دون أن تتحقق أهداف المتآمرين ، فرد كيدهم الى نحورهم ، وازدادت صلابة الجبهة الداخلية ، وأثبتت التجارب الواحدة بعد الأخرى أن الارهاب الذي يوجه الى الكويت يزيد من تلاحم مجتمع الكويت في مواجهة كل التحديات .

لقد اصبح لدي مجتمع الكويت المتسامح الكثير من الحصانة ضد مثل هذه الاعمال . ولقد أثبتت القيادة السياسية الكويتية من جديد حكمتها وبعد نظرها في مجمل السياسات المتخذة التي أثمرت التعاطف العربي والاسلامي والدولي .

وليطمئن قراء « العربي » أن الكويت التي احتضنت ورعت مثل هذا الصرح الثقافي - كما رعت أمثاله في مجالات علمية واجتماعية وانسانية مختلفة - ستظل صامدة مؤدية رسالتها متجاوبة مع كل الخيرين . □

المحرر

محتويات العدد



استطلاعات ومقابلات

أبــواب العــربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

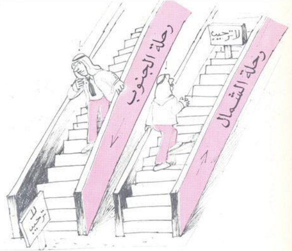
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

العرب.. في عيون الغرب

- في أوروبا الغربية .. عرقية مضادة هدفها العربي المسلم.
- الإسلام لا يلقى الترحيب في انجلترا وفرنسا رغم إنه الدين الثاني من حيث العدد في الدولتين.
- العمال في أوروبا وأميركا أصبحوا يألفون العيش مع التهديد بالقتل ! إنهم مركز لهجوم عنصري جديد.
- صورة العربي يشوهها اللوبي الصهيوني والمواقف الحضارية المعادية.

في هذا الشهر (أغسطس / آب) من كل عام تتكثف هجرتان عربيتان من وإلى أوروبا :

الأولى هي هجرة العاملين العرب في أوروبا جنوبا عائدين لبلدانهم على أشكال متعددة من وسائل المواصلات.. فعلى أسطح السفن وعلى متن القطارات أو على الطرق الطويلة في سيارة تكاد تكون مستهلكة محملة على « أسقفها » بأكثر ما يستطيع العامل أن يضع من حطام الدنيا الغربية هدايا إلى



أهله وعشيرته . كل هذه القوافل من الناس تعود إلى أوطانها بعد غياب وعمل شاق في المصانع والمزارع طوال أكثر من ثلاثة أرباع العام ، قضاها معظم هؤلاء في جد وعناء ونصب تحت أكثر ظروف العمل اليومي تجافيا مع حقوق العاملين .

أما الهجرة الثانية فإنها تحدث معاكسة ـ وهي ربما بنفس العدد أو أكثر قليلا ـ ولكن إلى الشمال . . وذلك للاستجمام أو العلاج أو غير ذلك .

هذه الهجرة الثانية تتكاثر سنة بعد سنة ، بعض هؤلاء « المهاجرين » راغب إلى سفر أعدّ له عدته ، وبعضهم الآخر مسافر لأن الآخرين قد سافروا ، أو مسافر لأنه ربما ينتظر من وراء السفر منفعة .

هاتان الهجرتان للعرب ، الصاعدة والهابطة ، تعاني كل منها من نفس المشكلة التي تتضاعف كل عام وتكبر وتتشابك وهي مشكلة يمكن تلخيصها « بالرؤية المضادة للعربي في أوروبا » رؤية يغلفها الشك والتذمر ، بل تصل إلى حدود « الرؤية العنصرية » بما تحمله من تراكم العداء الحضاري الغربي بكل تاريخه ، والتي أصبحت تحاصر كل ما هو عربي ، سواء أكان ذلك في سياسة أم تجارة أم عمل يطلبه البسطاء من الناس عندما تضيق بهم سبل العيش في ديارهم .



تلك الرؤية المضادة للعربي تنغص على كل عربي يطأ أوروبا أو أمريكا عيشه ، وتقف أمامها المؤسسات العربية حائرة ، ويحاول المثقفون العرب أن يفسروها بكل الطرق ويجدوا لها لبعض الوقت بعض المبررات ، ويشير إليها بعض الكتاب الغربيين أنفسهم باستغراب ، إلا أنها ـ فوق ذلك وبعده ـ حقيقة لا يمكن ولا يجوز تجاوزها . . وكلما عرضناها بالتفصيل وفسرناها لأنفسنا وللآخرين تفسيرا علميا ، اقتربنا من حقيقتها . ولا يجوز لنا ـ في كل الأحوال ـ دفعها بعموميات قد تريحنا ، ولكنها قد لا تفسر الموقف تفسيرا صحيحا .

تفسير هذا الموقف العام من العرب يبدو لي بأكثر من مدخل :

● أولا : الموقف العام في الحضارة الغربية المعاصرة من العرب والمسلمين الذي تراكم لفترة طويلة على مر القرون .

● ثانيا : التعاطف غير المحدود لأغلب الساسة الغربيين والأمريكان مع الحركة الصهيونية وإسرائيل ، انطلاقا من اعتبارها الموقع المتقدم المتصادم مع كل ما يمثله العربي والمسلم من تراث كان له أكبر الأثر فيما وصلت إليه الحضارة الغربية .

● ثالثا : العجز الكبير من جانبنا نحن العرب والمسلمين في إعطاء صورة إنسانية وحقيقية عن تجاربنا الاجتماعية ومواقفنا السياسية .

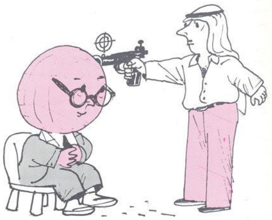
● رابعا : ما يشكله العرب والمسلمون المهاجرون إلى أوروبا من ضغط اقتصادي حقيقي أو متخيل يؤدي في تصور البعض إلى رفع نسبة البطالة لديهم ومشاركتهم لقمتهم .

هذه العناصر الأربعة المتشابكة تتخللها عناصر مساعدة هي التي جعلت « الرؤية المضادة » للمواطن العربي المسلم تستثمر وتتضخم وتفرز مواقف عدائية على المستوى الفردي والمستوى العام .

لسنا عربا

□ لعل تفاصيل الصورة العربية في الغرب ـ وهي الصورة السلبية غير الحضارية ـ أصبحت معروفة ومتداولة في كل وسائل الاعلام الغربية والأمريكية . ومن أهم الحقائق بهذا الخصوص أن كلمة عربي أو مسلم أو شرقي تعني ـ في معظم الأحوال ـ نفس المعنى . . أي أنه شخص فاسق ، فاسد ، مهووس جنسيا ، عديم الكفاءة ، مبذر ، هذه بعض المفردات التي تجدها مستخدمة لوصف ذاك الانسان الشرقي بالغ الثراء وبالغ التخلف في نفس الوقت .

ولعل هذه الأوصاف ـ وهذا الحقد المتنامي ـ تظهر في أكثر من صورة وبمختلف التعبيرات ، فعندما قررت الحكومة الفرنسية منذ سنوات أن تخصص مدينة (بواتييه) في الجنوب الفرنسي مركزا جمركيا لمراقبة دخول



المنتجات الالكترونية اليابانية إلى السوق الفرنسي ، وضعت شركات يابانية كبرى إعلانات في الصحف الفرنسية اليومية تقول فيها ما معناه : « لسنا عربا » .

صحيح أن هذه الاعلانات لم تستخدم كلمة عرب ، بل استخدمت كلمة (سارازين) ، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية (ساركو توز) وقد ظهرت لأول مرة في كتب المؤلفين الذين كانوا يكتبون في القرون الأولى الميلادية ، وهي تطلق على البدو الرحل الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية ، ومنطقة الجزيرة بين دجلة والفرات ، والرأي الذي أجمع عليه الباحثون أن الكلمة مشتقة من الكلمة العربية (شرقي) ، وواقع الأمر أن كلمة (سارازين) تعني العربي . . والمعنى في الاعلانات اليابانية الموجهة إلى القارىء الفرنسي يقصد أن يقول إن استيراد المنتجات الالكترونية اليابانية لا يعتبر غزوا ، كالغزو الذي يقال إن « شارل مارتيل » أوقفه في مدينة (بواتييه) ذاتها قبل حوالى ١٢٥٠ سنة ، والذي شنه (السارازين) (العرب) في ذلك الوقت على أوروبا !

قضية ذات بعد إنساني

□ الشرقيون ، العرب ، المسلمون - كلهم تحت مظلة واحدة - يشكلون اليوم مشكلة في أوروبا الغربية ، وسواء كانوا مهاجرين أو عمالا أو أصحاب أعمال أو سيّاحا « مارّين » وقت الصيف أو مقيمين في الشتاء للعمل - فإنهم يشكلون قضية لها بعدها الانساني .

وقد لفت النظر إلى هذه المشكلة بأكثر من طريقة . . لعل أشهرها - في السنوات الأخيرة - كتاب الصحفي الألماني (جنتر فارلاف) وعنوانه « العقل التركي » ، فقد قام ذلك الصحفي الألماني بالتنكر في زي عامل تركي من آلاف العمال الأتراك العاملين في ألمانيا الغربية ، وعاش حياتهم اليومية ووصفها بدقة ، وجاء ذاك الكتاب كفضيحة للعنصرية الألمانية الجديدة ، ولعل قمة المأساة عندما ذهب ذلك العامل كي يغير دينه ليتزوج فتاة ألمانية - كما ادّعى - فرفض راعي الكنيسة التي ذهب إليها رفضا باتًا . . !

في ذاك الكتاب - الذي لم يترجم مع الأسف إلى العربية حتى الآن - نعثر على صورة حقيقية وموثقة بالصور لمعاناة الشرقي والمسلم ، في أوروبا الحديثة ، وهي كما قلنا ناتجة من تراكم تاريخي طويل .

وعندما نفحص الموقف لدى العمال العرب من فرنسا وبريطانيا - حيث يشكل الاسلام الدين الثاني في كلا البلدين من الناحية العددية - نجد نفس الصورة ولكن داخل إطار آخر .

فمشكلة الهجرة العمالية من العالم الثالث ومن الأقطار العربية والاسلامية على وجه الخصوص ، أصبحت تمثل همّا دائما للساسة في البلدين ، ولعل القوانين التي فرضها المحافظون في بريطانيا ، والقوانين التي يقترح المحافظون في فرنسا فرضها للحدّ من الهجرة وتقنينها ، يصل بعضها إلى ممارسة غير إنسانية ، كالكشف الطبي في بريطانيا مثلا على من تدعى أنها زوجة رجل جاءت للحاق به . . والهدف من الكشف الطبي هو معرفة ما إذا كانت عذراء أم ثيِّبا !!



أحمد بن خليل — عبدالحميد ناثر — حمد بولنتاجه — عزيز مدق

مجموعة من الشهداء العرب ضحايا التيار « العرقي / الفاشي »

ومشروعات القوانين الجديدة في فرنسا تتجه إلى التضييق على المهاجرين ، فقد وصف أحد المسؤولين الفرنسيين بلاده فرنسا بأنها أصبحت « مزبلة » أي أنها صارت ملجأ للمهاجرين من العالم الثالث من كل الألوان والمستويات الاجتماعية . وقد يقول قائل « ربما كان ذلك سياسة عامة للتقليل من أعداد الأجانب » وقد نتفهم ذلك إذا وجدنا فيه شيئا من الحقيقة .. ولكن الواقع أنها سياسات انتقائية تستهدف العرب والمسلمين والملونين ـ وتستثني البيض ـ لذلك فإنها في الحقيقة .. عنصرية .

حقيقة الأمر أن هناك تيارا عرقيا / فاشيا يجتاح معظم أوروبا الغربية اليوم ، ولقد تجاوز في بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص مراحله الأولى التي كانت معزولة في مجموعات صغيرة ثم تفشت لتصبح تيارا واسعا يسمى نفسه « بالجبهة القومية » ، وهي نفس التسمية في البلدين . والملاحظ أن هذه العنصرية موجهة ضد العرب والمسلمين ، وكثيرا ما يكون الضحية عربيا في فرنسا ، أو مسلما في بريطانيا ـ وتشيع هذه الجماعات العنصرية أن أبناء العرب والمسلمين في ديارهم هم مصدر البطالة ومسببوها .. فلابد أن يكونوا موضع اللعنة والمطاردة ، ولقد بدأ المهاجرون العرب والمسلمون في بريطانيا وفرنسا بالتكتل في تجمعات عمالية ، وبدأت تظهر قصصهم المأساوية في الصحف ، في الوقت الذي تزداد الحملة الاعلامية ضدهم كما حدث أخيرا في صحيفة « صن » البريطانية عندما قالت (إن الخنازير سوف تحتج على وصفها بالعرب) !!!

العرب كقيمة سلبية

□ لعل التيار الصاعد المضاد للعرب في أوروبا وفي الولايات المتحدة يمكن أن يوصف ـ في تقديري ـ « باللاإسلامية » ، وهو أسوأ أشكال العنصرية على وجه الأرض . فهنا العداء موجه إلى عقيدة وليس الى عرق محدود ، هذا الموقف من الاسلام والمسلمين يصفه ادوار سعيد في كتابه « تغطية الاسلام » بقوله : (إن الكثير من الدواعي الدينية والنفسية والسياسية يكمن وراء هذا الموقف ، ولكنها جميعا تنبعث من الشعور بأن الاسلام لا يمثل منافسا رهيبا فحسب ـ بالنسبة للغرب ـ بل إنه يمثل تحديا متأخرا للحضارة الغربية) .

لهذا فإنهم ـ في رأينا ـ يشوهون صورة العربي على الساحل الغربي للأطلسي ـ أي في الولايات المتحدة ـ بإبرازه في مظاهر سلبية شتى ، بدءا من الأفلام السينمائية ومرورا بالأشرطة المبثوثة في التلفاز ، وانتهاء بما يكتب في الصحف والمجلات ، وتنتقل صورة التهديد للعرب والمسلمين من أوروبا الى الولايات المتحدة ، فتقرر مجلة « نيوزويك » في مطلع هذا العام (أن عشرين ألف أمريكي من أصل عربي في ديترويت أصبحوا يألفون العيش مع



التهديد بالقتل ورسائل الحقد والتهديد وتخريب الممتلكات) .

وقد بدأت سلسلة من الاغتيالات الشخصية لبعض المؤثرين العرب في الساحة الأمريكية ، إلى درجة أن مدير التحقيقات الفيدرالي الأمريكي صرّح في ديسمبر من العام المنصرم (أن الأمريكان الذين ينحدرون من أصل عربي في خطر محقق) .

لقد كانت النتيجة التي وصل اليها وضع الانسان العربي والمسلم في أوروبا وأمريكا منطقية بعد سيل منهمر من تشويه صورة العربي والمسلم في وسائل الاعلام الأمريكية وإظهاره بالمعتدي العنيف ، ويبدو بوضوح ذلك التصوير المشوه للعربي في الأفلام الأمريكية من الناحية الشخصية والتاريخية والثقافية في مئات الأفلام في السنوات العشر الأخيرة . . فبعد أن كانت السينما الأمريكية تظهر العربي كرومانسي فطن في العشرينيات ، انقلبت الصورة لتأخذ شكلا عنيفا ، وفي بعض الأحيان شكلا مزريا وساخرا ، إن صورة العربي بشكلها السلبي ليست اختصاصا سينمائيا ، بل هي موجودة ومتسعة في الأعمال الروائية المطبوعة ، وفي الأعمال غير الروائية ، كما هي في الاعلانات الصحفية والمتلفزة وفي حلقات « التلفزيون » .

ونستطيع أن نعدد عشرات الأفلام المنتجة أخيرا التي تظهر صورة

العربي والمسلم وكأن صناعته الأساسية هي العنف . . وهو في حقيقة الأمر « الضحية » .

تناقض غير محلول

□ إن التساؤل المنطقي الذي يقفز الى أذهاننا جميعا هو : لماذا هذا الموقف العدائي من العرب والاسلام الذي تقفه الثقافة الغربية (الأوروبية والأمريكية) منا اليوم ؟

هذا التساؤل ليس من السهل الاجابة عنه بصورة قاطعة ، ولكن هناك عنصران لابد من الأخذ بهما عندما نحاول تفسير هذا الموقف : العنصر الأول في رأينا هو التراكم التاريخي في التناقض بين العرب وأوروبا الذي لم يحل حتى الآن ، فلعدة قرون واجه العرب والمسلمون أوروبا بكثير من التحديات على الصعيد السياسي والثقافي ، وفي بعض الأوقات على الصعيد الاقتصادي . . فلو أن فكرة الزحف العربي الاسلامي إلى أواسط أوروبا ، قدر لها أن تنجح ، لكان الاسلام هو دين أوروبا ، وحتى اليوم نجد هذا المعنى يتكرر ، فقد كنت في الصيف الماضي مع مجموعة من السياح في فيينا ، وبدأت المرشدة تحدث الجميع عن تاريخ تلك المدينة ، ووقفت طويلا عند « حصار المسلمين لها » وقالت في النهاية : شكرا لله أننا قد صددناهم !

الحضارة العربية الاسلامية في حقيقة الأمر واجهت أوروبا ليس سياسيا وعسكريا فقط بل فكريا أيضا . . . وهي الحضارة الوحيدة التي واجهت أوروبا وتحدتها وتفوقت عليها ، على عكس احتكاك أوروبا بالحضارات الأخرى ، فقد احتكت بها الحضارات الهندية والصينية ولكنها كانت في أفول .

العنصر الثاني : هو القرب الجغرافي - بجانب التحدي الحقيقي - وهو عامل ثان شكّل العلاقة بين الشرق العربي المسلم وأوروبا ، فمنذ العصر الأموي الى يومنا هذا والصلة بين العرب والغرب متصلة دون انقطاع ، وهي صلة طابعها العام العداء وإن تخللتها فترات من الوئام .

هذه الصلة القوية المتصلة هي التي حددت صورة العربي/ المسلم في نظر الغربي ، فقد وجد الغربي نفسه أمام حضارة متفوقة ذات قوة وبأس ، فحمل لها العداء ، وشكل حولها الأساطير . . بعكس صلته بالأمم الأخرى ، فقد بدأت متأخرة في عصر الاستعمار الحديث وهو قوي متفوق ، بينما هي ضعيفة غير قادرة .

هذا الموقف هو الذي جعل الحضارة الغربية تتجاهل عن عمد ما حققه العرب والمسلمون في اطار العلم والمعرفة ، وانهالوا عليه تجاهلا وتشويها ، ونسبوا هذا التفوق عامدين الى آخرين كالاغريق والرومان ، إلا قلة منهم بدأت تعترف بفضل الحضارة العربية الاسلامية ولكن في وقت متأخر .



إنه التناقض « غير المحلول » أضاف اليه وعمقه زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي في النصف الثاني من هذا القرن .

وعندما يدرس المنصفون أسباب هذا الزرع في تاريخنا المعاصر سيردونه ولا شك الى ذلك « التناقض غير المحلول » بيننا وبين الغرب . هذا الزرع أضاف تعقيدات أخرى جديدة على الصورة القديمة ساعده نشاط الصهاينة من جهة ، وإيقاظ كل ذاك التاريخ من الصراع الطويل مع أصحاب هذا الدين الذي كان قاب قوسين أو أدنى من قلب أوروبا .

هذه العناصر قد تفسر مجتمعة ذلك الموقف المعادي لكل الآمال العربية والتطلعات التي تسعى اليها - فالتحيز الغربي ضد العرب والمسلمين ليس مؤقتا أو طارئا - ولكنه دائم وكامن يظهر في وقت تصاعد العداء .

ما العمل ؟

□ أمام كل ذلك يطرح السؤال المنطقي الآخر : ما العمل ؟

العمل في الحقيقة طويل وشاق ، فالقضية كما رأينا لها جانبان : الجانب الأول والأهم هو إصرار الغرب على تشويه صورة العربي ، والجانب الثاني هو عجز من جانبنا عن مواجهة هذا التحدي ، فالصورة ليست بالضرورة قاتمة ، ولكنها تحتاج الى عمل متواصل طويل ، فقد ظهرت بعض الكتب التي تنصف الى حد ما الموقف العربي الاسلامي . . كتب جادة أكاديمية ، وكتب سيارة .

ولعلنا نذكر أول ما نذكر كتاب (بول فندلي) وعنوانه « من يجرؤ على الكلام ؟ » ، وهو كتاب يفضح - من موقف معتدل - الضغوط الصهيونية على الاعلام ، ومتخذي القرار الامريكي - ولكن هذه الخطوات تحتاج الى فهمنا - فهما واعيا وعلميا - لدور وسائل الاعلام في تشكيل سياسة أمة ، وتحديد مواقفها من حضارات وشعوب أخرى .

ولعل الجهود العربية الضائعة في هذا الاطار أكثر من أن تحصى ، وهي في تقديرنا نابعة من مواقف علمية خاطئة ، فالاعلام ليس حقلا مستقلا يستطيع وحده فعل المعجزات ، إن الاعلام مرتبط بالوضع السياسي والاجتماعي والثقافي الشامل . ومن تحصيل الحاصل القول بأن وقف تشويه الصورة العربية لدى الآخرين لا يحققها الاعلام ، اذا كانت الحقول الأخرى ضعيفة أو متخلفة أو غير فعالة . . . وبمعنى آخر . . إنه ليس من الممكن أن نصحح مواقف الآخرين منا اذا كانت مواقفنا غير سليمة نتيجة قرار سياسي خاطيء ، أو تصرف غير عقلاني ، ودون حساب لموقفنا العربي المشتت وغير الفعال . □

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد سبتمبر ١٩٨٦

البحث العلمي

من أجل غذاءٍ أفضل ..

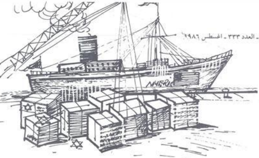
استطلاع : منير نصيف

أول وزير للذكاء في العالم !	رشدية .. عربية أم لاتينية ؟	تشرنوبيل .. الحقائق والتوقعات
د. عادل عبدالكريم ياسين	د. محمد عابد الجابري	د. عدنان شهاب الدين

- سَرَواك .. الانطلاق من عمق المجهول / استطلاع : سليمان مظهر
- الله والإنسان والحرية / د. حسان حتحوت
- السيميائية .. احدث العلوم الانسانية / د. كمال أبو ديب
- العدساني .. والعمامة والكتاب غير المنشور ! عبدالله زكريا الأنصاري
- الكمبيوتر والزخرفة العربية / د. نبيل علي
- الموسيقى العربية والهارموني / د. سليم سحاب
- وجهاً لوجه .. فتحي غانم وأبوالمعاطي أبوالنجا
- الطيران في نهاية القرن العشرين / رنا عارف الرفاعي
- كيف تتخلص من نظارتك / د. سري سبع العيش
- دلالات الرموز في رواية الأرض المحتلة / وليد أبو بكر

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. عاتكة الخزرجي - د. علي الكواري - د. فاطمة الغرباوي
د. محمد نبهان سويلم - د. حياة جاسم محمد - د. ضياء الجماس - د. أمين العيوطي



أضواء على

اتفاقية التبادل التجاري الحر بين أميركا و«اسرائيل»

بقلم: الدكتور فضل النقيب*

يطرح هذا المقال بعدا جديدا من خلال القاء أضواء كاشفة على طبيعة العلاقة الجديدة بين «اسرائيل» والولايات المتحدة الأمريكية التي تضاف الى سلسلة العلاقات السابقة، فما هي هذه العلاقة الجديدة وما موقعها في اطار العلاقات الدولية؟

في «تموز» يوليو من العام الماضي، تم التوقيع بين حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية و«اسرائيل» على اتفاقية للتبادل التجاري الحر بين البلدين، وبموجب هذه الاتفاقية سيتم بشكل تدريجي خلال عشر سنوات الغاء الضرائب الجمركية على البضائع بين البلدين.

ما هي النتائج المتوقعة لهذه الاتفاقية بالنسبة لأزمة الاقتصاد الاسرائيلي الراهنة؟ وما هي نتائجها على بنية الاقتصاد الاسرائيلي في المستقبل وعلاقته بالاقتصاد الأمريكي؟

* دائرة الاقتصاد - جامعة واترلو / كندا

عجز دائم :

تعتمد « اسرائيل » منذ نشأتها على التجارة الخارجية بشكل اساسي لتنمية اقتصادها وتطويره ، فافتقار « اسرائيل » لكثير من المواد الأولية ، وطموحها الدائم للتصنيع بشكل عام ، والتصنيع الحربي بشكل خاص ، يجعل حاجتها للاستيراد ملحة وحساسة ، ولهذا كان من المعتاد ان يصل حجم الواردات السنوي الى حوالي (٤٠٪) من الدخل القومي ، ولقد نجحت « اسرائيل » في دعم وتطوير صناعات التصدير ، حتى تتمكن من الحصول على العملة الصعبة اللازمة لتغطية مصاريف الواردات ، حتى كان حجم الصادرات السنوي يصل الى (٥٠٪) من الدخل القومي ، وهكذا كانت التجارة الخارجية في الخمسينيات والستينيات ومطلع السبعينيات تلعب دورا مهما ورئيسيا في دفع عجلة الاقتصاد الاسرائيلي وتطوير الانتاج العام .

هذا الوضع تغير بشكل جذري في منتصف السبعينيات ، فمصاريف التسلح الهائلة التي اقدمت عليها الحكومة الاسرائيلية بعد حرب ١٩٧٣ ، ومصاريف بناء المستعمرات في الضفة الغربية ، والجولان وغزة ، ثم مصاريف الجيش الكبير للاحتلال وللمغامرات العسكرية ، كل ذلك قاد الحكولة لاتباع سياسة تضخم مالية رفعت من اسعار البضائع الاسرائيلية ، وافقدتها المنافسة في الاسواق الخارجية ، فتراجع قطاع الصادرات ، وازداد حجم الواردات حتى اخذ ميزان المدفوعات التجاري يعاني من عجز دائم ، وأخذ البنك المركزي يشكو من تدهور رصيده من العملة الصعبة .

سد هذا العجز يقتضي زيادة حجم الصادرات ، « ولاسرائيل » كما هو معروف ثلاثة اسواق رئيسية ، السوق الاوروبية ، والسوق الأمريكية ، والسوق الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولما كانت ترتبط بمعاهدة تبادل تجاري حر مع مجموعة السوق الاوروبية المشتركة ، وتهيمن على السوق الفلسطينية وفق مصالحها بواقع الاحتلال ، فان الاتفاقية الجديدة بينها وبين الولايات المتحدة تعطيها ما ينقصها من حرية تجارية كاملة في الاسواق المهمة لاقتصادها ، اضافة الى انها تصبح الدولة الوحيدة في العالم التي تتمتع بحرية التجارة على شاطيء الاطلنطي : الأوروبي والأمريكي .

ومع هذا فانه من غير المتوقع ان تكون لهذه الاتفاقية آثار ايجابية سريعة على زيادة حجم صادراتها للسوق الامريكية ، فعند التدقيق في اوضاع هذه السوق نرى انه بدون الاتفاقية هناك (٩٠٪) من البضائع الاسرائيلية المصدرة للولايات المتحدة معفاة من الضرائب الجمركية - كما جاء في تقرير للكونغرس الامريكي - (٥٥٪) معفاة بموجب النظام الأمريكي الذي يعتمده الكونغرس للتفضيل التجاري و (٣٥٪) بموجب النظام الآخر للتمييز التجاري العام ، وفي نفس الوقت فليس هناك الا (٥٥٪) من البضائع الأمريكية المصدرة « لاسرائيل » معفاة من التعرفة الجمركية . ولهذا تبدو الاتفاقية وكأنها لصالح تشجيع الصادرات الأمريكية « لاسرائيل » وليس العكس ، فهي ترفع الضرائب عن (٤٥٪) من الصادرات الاميركية « لاسرائيل » مقابل رفع الضرائب ١٠٪ من الصادرات الاسرائيلية لأميركا .

أهداف بعيدة المدى :

هذا الوضع الظاهري يخفي الهدف الذي توخته الحكومة الاسرائيلية من توقيع الاتفاقية الجديدة ، فهدفها ليس الحصول على نتائج سريعة ، ولكن تحقيق اهداف بعيدة المدى ، ومستوحاة من السياسة الاقتصادية الجديدة التي تتبناها حكومة العمال - الليكود لحل معضلة الاقتصاد الاسرائيلي ، فهذه الحكومة ترى الان ان تجاوز الازمة الاقتصادية مرهون بتحقيق هدفين :

اولا : ترى انه بعد ان اصيب الاقتصاد بالتضخم ثم الكساد ولمدة تقارب السنوات العشر ، حتى اخذ يعاني من البطالة وعدم القدرة على تشغيل الطبقة العاملة ، واستقدام المهاجرين ، فانه بحاجة لدم جديد لا يمكن الحصول عليه الا من الاستثمارات الاجنبية (الامريكية) .

ثانياً : ترى انه بعد ان شكل دخول اسبانيا للسوق الاوروبية المشتركة تحديا خطيرا افقد « اسرائيل » القدرة على بيع منتوجاتها الزراعية في اوروبا ، فان مستقبل الصادرات الاسرائيلية مرهون ، بالقدرة على

تطوير صناعة التقنية المتقدمة ، لتصبح مادة الصادرات الاسرائيلية الرئيسية .

ولهذا ، تمشيا مع هذين الهدفين ، أقدمت الحكومة الاسرائيلية على توقيع المعاهدة الجديدة مع الولايات المتحدة .

بالنسبة للهدف الأول ، تقدم الاتفاقية فرصة كبيرة للرأسمال الامريكي ليستثمر « باسرائيل » بشكل مغر ، فهي تقدم يدا عاملة ارخص من الامريكية ، وحرية نقل الاجهزة والمعدات دون ضرائب ، وبشكل اهم انها تقدم له فرصة بيع ما يصنعه في « اسرائيل » كبضاعة اسرائيلية في السوق الاوروبية التي ترتبط مع « اسرائيل » باتفاقية للتبادل التجاري الحر ، وهذا يعني ان البضائع الأمريكية المصنوعة في « اسرائيل » تستطيع غزو السوق الاوروبية بشكل اسهل من البضائع الامريكية المصنوعة في الولايات المتحدة ، لأن الاخيرة لا ترتبط بمعاهدة تبادل تجاري حر مع السوق الاوروبية المشتركة .

وهنا يجب ان نلاحظ ان تشجيع الرأسمال الامريكي على الاستثمار « باسرائيل » كان أيضا من احد اهداف خطة الاصلاح الاقتصادي التي اعتمدتها حكومة العمال ـ الليكود في ايار من العام الماضي ، فالخطة تتلخص في تخفيض دعم الحكومة لأسعار السلع الرئيسية ، ورفع تكاليف المواصلات ، والصحة ، والتعليم ، مع تخفيض كبير بعدد موظفي الحكومة ، اي انها تهدف لتحقيق الاصلاح المالي عن طريق تقليص دور القطاع العام ، وتكريس اهمية القطاع الخاص ، وذلك يعني دوما تشجيع رأس المال الأجنبي على الاستثمار .

بالنسبة للهدف الثاني ، تقدم الاتفاقية فرصة كبيرة لصناعة التقنية المتقدمة في « اسرائيل » لتتطور وتزدهر ، فمن المعروف ان « اسرائيل » اصبحت متخصصة ببعض انواع تقنية السلاح والطب الدقيقة ، بشكل يؤهلها لخوض المنافسة في الاسواق العالمية ، وفتح السوق الامريكية امام هذه المنتوجات ـ وهي اكبر سوق في العالم تستخدم التقنية المتقدمة ـ يعطيها دفعة هائلة .

وهنا ايضا يجب ان نلاحظ ان تشجيع صناعة التقنية المتقدمة في « اسرائيل » كان من الأهداف المهمة وراء توقيع سلسلة اتفاقيات التفاهم الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل ، تلك الاتفاقيات التي وقعت الأولى منها عام ١٩٧٩ عند توقيع معاهدة كامب ديفيد ، ثم وقع على الاتفاقيات اللاحقة في اعوام (١٩٨١) و (١٩٨٣) و (١٩٨٥) ، فبموجب هذه الاتفاقيات اصبحت « اسرائيل » قادرة على الدخول بالمنافسة مع الشركات الأمريكية لتنفيذ عقود صناعة الاسلحة المتقدمة لوزارة الدفاع الامريكية ، وكذلك اعطتها هذه الاتفاقيات امتياز تأمين الخدمات الطبية لجنود الأسطول السادس وغرب اوروبا الأمريكيين ، بالاضافة الى اصلاح البوارج والسفن والطائرات الأمريكية في اوروبا والبحر الابيض المتوسط .

ضمان المستقبل :

وراء هذين الهدفين الاقتصاديين من توقيع الاتفاقية يكمن هدف سياسي واستراتيجي مهم ، فالاتفاقية تشكل خطوة مهمة على طريق تمتين العلاقة الأمريكية ـ الاسرائيلية وتطويرها ، وقبل مناقشة ذلك لابدمن الاجابة عن السؤال المنطقي الذي سيتبادر لذهن القاريء وهو : هل من الممكن تمتين العلاقة الأمريكية ـ الاسرائيلية بشكل اقوى مما هي عليه الان ؟ هل يمكن لامريكا ان تؤيد « اسرائيل » سياسيا وعسكريا واقتصاديا اكثر مما فعلت وتفعل الأن ؟ والجواب عن ذلك ان الهدف من توقيع الاتفاقية ليس الحصول على تأييد امريكي اكبر ، ولكن ضمان هذا التأييد في المستقبل ، ففي عالمنا المضطرب والمتغير والمتشابك في المصالح والعلاقات ،

لابد للعلاقة بين اي بلدين من ان تكون ديناميكية متحركة تستوعب مستجدات الظروف وتصارع القوى ، هكذا هي العلاقة الامريكية ـ الاسرائيلية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات لاتستطيع ان تكون كما كانت عليه في السبعينيات ومطلع الثمانينيات ،لأن العالم سيكون متغيرا وحافلا بقوى ومصالح مختلفة . ولهذا فاذا كان تأييد الكونغرس الامريكي « لاسرائيل » الآن مبني على اساس انها تقوم بحماية المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، فمن الممكن مع تغير الظروف ان لا تحتاج

هذه المصالح للحماية الاسرائيلية ، ولهذا تخطط « اسرائيل » لاحداث تغيير نوعي في حجم الرأسمال الامريكي المستثمر لديها حتى تصبح من مصلحة هذا الرأسمال تأييد « اسرائيل » دفاعا عن مصالحه فيها ، ومن هذه الزاوية يمكن فهم المضمون السياسي للمشاريع التي تنفذها « اسرائيل » بالاشتراك مع الشركات الامريكية .

لنأخذ على سبيل المثال الطائرة الحربية (لافي) التي تقوم « اسرائيل » بصناعتها الآن ، انها طائرة باهظة التكاليف ، وهناك بعض المعلقين الذين يشكون بقدرة « اسرائيل » على تحمل اعباء هذه التكاليف (تكلفة الطائرة الواحدة بليون ونصف بليون دولار) ، كما ان بيعها لدول اخرى سيدخل في منافسة مباشرة مع الطائرة الامريكية من طراز (F-16) ، ولكن انتاج هذه الطائرة في مطلع التسعينيات وتطويرها والاستمرار بانتاجها سيكون مصلحة رأسمالية امريكية ، فهناك حوالي (١٠٠) شركة امريكية تشترك في المراحل المختلفة لصناعة هذه الطائرة بالغة التعقيد ، وهكذا قد نشهد في مطلع التسعينيات ضغطا من ممثلي بعض الشركات الامريكية في الكونجرس الأمريكي على الحكومة الامريكية لتمد « اسرائيل » بمساعدات مالية حتى تستطيع شراء الطائرة الاسرائيلية (!!!) .

خطة لاعتماد متبادل :

اذا كان وجود الرأسمال الامريكي بشكل كبير سينتقل « باسرائيل » من حامية للمصالح الامريكية في المنطقة لتصبح نفسها مصلحة امريكية ، فان الهدف السياسي الاستراتيجي وراء تطوير صناعة التقنية المتقدمة سينتقل بالعلاقة الاسرائيلية - الأمريكية من علاقة اعتماد « اسرائيل » على امريكا الى علاقة اعتماد متبادل بين البلدين ، فتخصص « اسرائيل » بصناعة انواع معينة من تقنية السلاح المتقدمة سيجعل آلة الحرب الامريكية معتمدة على الصناعة الاسرائيلية .

وفي هذا المجال يمكن ادراج اتفاقية الدفاع والتجارة ، التي تتعهد بموجبها وزارة الدفاع الامريكية بشراء ما قيمته (٢٠٠) مليون دولار سنويا من الاحتياجات العسكرية من « اسرائيل » ، وكذلك الاتفاق الذي تم توقيعه بين البلدين في شباط ١٩٨٥ ، وبموجبه سيتم التعاون بين البحرية الامريكية والبحرية الاسرائيلية على صنع ثلاث غواصات حربية ، كما تتعهد البحرية الامريكية بصرف مبلغ (٣٠٠) مليون دولار لتحسين مرفأ حيفا ، وزيادة قدرته على استقبال البوارج والسفن والغواصات الامريكية ، كمقدمة ليصبح قاعدة للبحرية الامريكية .

وهكذا يتضح لنا ان توقيع اتفاقية التبادل التجاري الحر بين الولايات المتحدة « واسرائيل » ما هو الا خطوة واحدة منسجمة ومكملة وضرورية لخطوات التفاهم الاستراتيجي بين البلدين . والتي تقود كلها لدمج الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الامريكي وشبكته الهائلة للصناعة الحربية ، وهذا الدمج يطور العلاقة الامريكية - الاسرائيلية ويعطيها وضعا مزدوجا ، فمن ناحية تصبح « اسرائيل » مصلحة امريكية بحد ذاتها نظرا لتنامي الاستثمارات الامريكية فيها ، ومن ناحية اخرى تصبح المصلحة الأمريكية معتمدة على « اسرائيل » لأن الاخيرة اصبحت من نسيج آلة الحرب الأمريكية . □

■ النحلة تعمل ولا تعترض أبدا (لافونتين) .

■ أغبى امرأة تستطيع أن تخدع أذكى الرجال ، ولكن الرجل الغبي لا تخدعه الا امرأة بالغة الذكاء ! (كبلنج) .

■ ما أسرع ما يتبدد المجد الدنيوي ! (توماس كيمبس) .

■ الحب نار . . . لا تتركنا الا رماداً (جون كيتس) .

ينبوع من الايمان في أرض المعركة

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

كتبت عن حرب رمضان سنة ١٩٧٣ ، التي خاضتها الجيوش العربية (المصرية والسورية وغيرها) ضد المغتصب الاسرائيلي الكثير ، بعض هذه الكتابات شهادات التاريخ ، تمثل وجهة نظر أشخاص اطلعوا على بعض جزئيات من هذه الحرب .

هذا المقال أحد تلك الشهادات .

هذه سطور من الاستعداد لحرب رمضان ١٣٩٣هـ / اكتوبر ١٩٧٣م ، والحديث فيها عن ينبوع من الايمان ، وفي أرض المعركة ينابيع اخرى للنصر : المستوى العلمي واللياقة النفسية والبدنية للقوات المسلحة ، السلاح ، التدريب ، التخطيط ، التوقيت ، وتهيئة الجو السياسي والاعلامي ، العلاقات الانسانية والنظامية بين القيادات والقواعد وبين القوات المسلحة والشعب والدولة .. هذه الروافد كلها تصب في نهر النصر .

وانت حين تشرب من ينبوع الايمان ، يسري ماؤه في جسدك كله .. كالعصارة الحية في النبات .. هي في الجذر والساق والأوراق والزهر والثمر ، هي شيء في كل شيء ، ولكنها ليست كل شيء .

كيف يكتبون التاريخ ؟

١ ـ في هذه الحدود نقترب من أرض المعركة ، ذلك لأن من أبرز ما تعاني منه الدراسة التاريخية : النظرة الأحادية ، التي تحاول أن تفسر التاريخ على أساس عامل أساسي واحد ، ينفرد بالتفسير ، أو تدور حوله العوامل الأخرى ، كأنها كواكب في مجموعته الشمسية .

٢ ـ وقد يكون الباحث على استعداد للتعامل مع عناصر الموقف أو الفترة بشيء من التوازن ، ولكن لا تكون بين يديه الوثائق الكافية ، إمّا لأنها بعيدة عن اهتماماته الأساسية ، أو لأنها غابت تحت ركام الأيام ، وكم طوت من سجلات لا تزال تنتظر جهود المؤرخين ، ومن هنا تأتي ضرورة الفهارس المركزية ، ودوائر التوثيق التي تعين الباحثين .

ونحن في وطننا العربي نمر في مرحلة وسطى بين العمل الفردي والمركزي . . عندنا مراكز توثيق ومكتبات عامة . . ولكنها لا تزال دون الاحاطة والتنظيم المنشود . . وهو في ذاته هدف دائم التجدد والوصول الى الوثائق ـ أحيانا ـ تقابله صعاب : إمّا ادارية أو أمنية أو سياسية .

وعلينا أن نتابع المسيرة بكل الصبر والدأب ، بحيث تقل الجهود المبذولة في الحصول على الوثائق ـ او يفرغ له متخصصون ـ وتزداد الجهود المبذولة في تحليل ومقارنة الوثائق ـ وتأريخ الموضوع ، أو الفترة ، أو الاقليم ، أو الحضارة التي نحن بصددها .

٣ ـ واذا كان التاريخ هو ما يكتبه المؤرخون ، فأود هنا أن أشير الى كتاب أصدرته هيئة اليونسكو هو « الاتجاهات العامة للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية » ١٩٧٨م ، وتحديدا الى البحث الذي كتبه الأستاذ جفري باداكلو ـ أستاذ التاريخ الحديث بجامعة اكسفورد ـ عن الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية . . وقد ترجمه الى العربية ـ الدكتور صالح العلي رئيس المجمع العلمي العراقي (بغداد) ، ونشرته مؤسسة الرسالة (بيروت) عام ١٩٨٤م . وهو عرض شامل وعميق عن اتجاهات البحوث التاريخية في القرن العشرين ، وأزمة التأريخية ، والبحث عن أفكار ومناهج بحث جديدة ، وأثر العلوم الاجتماعية ، والأبعاد الجديدة في التاريخ ، والبحث عن معنى التاريخ ، وتنظيم العمل التاريخي ، واتجاهات اليوم ومشكلاتها . . ومراجع البحث تشغل وحدها نحو مائة صحيفة ، فضلا عن اتصالات المؤلف المباشرة بكبار المؤرخين واللجان الوطنية . .

٤ ـ أقول ذلك لأن تطور الدراسات التاريخية ومناهجها ، لا يقل أهمية ولا خطورة عن تطور الدراسات في المجالات العلمية الأخرى ، فالعلوم تتفاعل وتتبادل التأثير .

ومن الظاهرات الايجابية في وطننا العربي تقوية اتصالاته بالمنظمات الدولية : كاليونسكو ، واللجنة الدولية للعلوم التاريخية ، وتعقد مؤتمراتها العالمية الدورية كل أربع سنوات ، وهي أكبر تجمع عالمي تاريخي . . فضلا عن الصلات بين الجامعات العالمية والعربية ، وزيادة العناية بالوثائق المحلية والعربية والاسلامية ، ونشاط حركة الترجمة من العربية واليها ، وزيادة الروابط مع الجامعات الاسلامية . . وعلينا دعم هذه الاتصالات جميعا ، رغم ما قد تلقى من معونات وصعوبات داخلية وخارجية ، وأن تكون فينا القدرة على مراجعة الذات وتعديل الأسلوب ، والافادة من الجديد في دعم الشخصية الحضارية ، وهي ـ أيضا ـ في حركة مستمرة .

مشكلة العصر الذهبي :

تبقى بعد هذا مشكلة وثيقة الصلة بحرب رمضان / اكتوبر ، وبدراسة تاريخ مصر في القرن العشرين . . هل أقول انها مشكلة عربية أو أوسع . . وسأقتصر في النموذج المصري على جانب منه :

١ ـ الذين عاشوا قبل ثورة ١٩٥٢ ، وسعدوا بحياتهم فيها ، لهم مؤرخوهم من مصريين وغير مصريين ، وكان مما عنيت به الأسرة المالكة كتابة تاريخ مصر ، وفق الخطوط التي يريدونها ، وتحت أيديهم الوثائق . . كمثال : كتاب « دوان » تاريخ الخديو اسماعيل ، وكتاب بيير كرابيتس : اسماعيل المفترى عليه . . وكانت هناك أصوات عنيت بالجانب القومي من هذا التاريخ ، وأبرزهم في هذه المرحلة عبد الرحمن الرافعي المحامي في موسوعته : تاريخ الحركة القومية . . وإن كان تركيز الرافعي على ابراز دور الحزب الوطني الذي ينتمي اليه . . ومحمود الخفيف في كتابه عن أحمد عرابي ، مدافعا عنه ، وعن مواقفه التي شوهتها الكتب الرسمية والمدرسية . .

٢ ـ والذين حملوا المسئولية في فترة الرئيس جمال عبد الناصر لهم أيضا مؤرخوهم . أو كتبوا التاريخ بأنفسهم ، ولأنفسهم ، وهؤلاء تباينت مواقفهم مع طول او قصر المدة التي قضوها في مراكز القيادة السياسية والفكرية أو في جوارها ، ومع الأسباب التي

أدت الى استمرارهم أو اعتزالهم ، أو عزلهم ، أو حجبهم حيث لا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا . . . ومن هؤلاء ـ وهم كثير ـ ساسة ومؤرخون محترفون ، وأصحاب أقلام ، ورجال صحافة لهم أوزانهم . .

٣ ـ وهناك جيل ثالث تقدم الى الصدارة السياسية مع الرئيس السادات ، أو تابع المسيرة جامعا بين العهدين ـ وأحيانا الثلاثة ـ ومنهم من بقي معه ، ومنهم من لم يستطع معه صبراً ، أو لم يستطع الرئيس معه صبرا . .

٤ ـ وجيل رابع ارتفعت رءوسهم مع الرئيس حسني مبارك ، منهم من أخلص للتاريخ ومن كان اخلاصه للعصر الذي عاش فيه أكثر ، والمعاصرة معرفة ، وهي أيضا حجاب . . وعين الرضا غير عين السخط ، وسيل كتب التاريخ يتدفق : والمذكرات وأقلام الهواة والمحترفين وأصحاب الذكريات ، والمدافعون عن أنفسهم ، والمهاجمون لغيرهم . . كلهم يكتبون .

الحادث الواحد تقرؤه في أكثر من كتاب فتراه ـ اذا جمعته ـ كألوان الطيف ، ولكل كاتب لون من القوس ، وسهم مندفع منه ، أو شعاع « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » (الرعد : ١٧) .

دور الايمـــان :

وما زلت أذكر في حرب رمضان كيف تعددت الآراء حول دور الايمان والعقيدة في المعركة ، وكنت وقتئذ مسئولا عن القطاع الديني في مجلس الوزراء الذي شهد الحرب[1] .

ارتفعت أصوات بعض الزملاء بالدور الذي قامت به القوات المسلحة من عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف ، وتثبيت الأقدام المصرية في الضفة الشرقية للقنال : ارتفعوا بهذا الدور الى ما يقرب الاعجاز والمعجزات ، وتحدث البعض عن ظاهرات ـ كالمطر ـ جاءت عونا من الله عند انقطاع مورد الماء ، ومحاصرة الجيش الثالث ، وهاجم آخرون هذا الاتجاه باعتباره إغراقاً في الغيبيات ، ودعوا الى الفكر العقلاني . . ورأى أنصار الرأي في هذا جحودا .

هذا والمحاربون ـ وهم مادة الايمان وعدة الصمود والاقتحام ـ يخوضون المعركة بكل البطولة والعقل والفدائية . . لا يقفون عند تحليل المحللين ، وصراع اصحاب التنظير . .

الجـــذور :

ولكن لكي نعرض هذا الأمر ينبغي أن نرجع الى جذوره والى الأيام الحزينة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ومهما قلنا في أسمائها : نكسة كما سميناها ، هزيمة كما هي ، كارثة بكل المقاييس ، رغم البطولات الجزئية والفردية فيها . . فقد كانت صدعا في الحياة المصرية والعربية عامة ، لا تزال بعض آثاره باقية ، والشقوق التي أحدثها زلزاله ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ قائمة .

وظهر الاتجاه الى دعم الايمان في بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ كركيزة ـ هو والعلم ـ في بناء الحياة الجديدة .

وتواكب هذا عالميا مع ثورات الشباب التي انطلقت من فرنسا وانتشرت في غرب أوروبا . . ومحورها اعادة النظر في إعداد الشباب للحياة الجديدة : حياة العلم والتقنية والابداع ، وجذب أنظار الجامعات من أبراجها الى أرض الواقع . . مع مزيد من التأكيد على الجوانب التطبيقية والعملية . . ومهما قلت عن أهداف التنظيم ، فسيكون في مقدمتها ، كيف يستطيع الشاب أن يعيش وأن يكسب رزقه . . ليست هناك وصفة جاهزة . . فلكل منطقة خصوصيتها الحضارية ، وقاعدتها التي تنطلق

---

(١) تولى الكاتب مسئولية وزارة الأوقاف ، ووزير الدولة لشئون الأزهر من ربيع ١٩٦٨ الى مطلع عام ١٩٧٢ في آخر عهد الرئيس عبد الناصر وأول عهد الرئيس السادات ، ثم عاد فحمل المسئولية نائبا لرئيس الوزراء للشئون الدينية ووزيرا للأوقاف من ربيع عام ١٩٧٣ الى ربيع ١٩٧٥ ـ وهي الوزارة التي شهدت حرب رمضان / اكتوبر ١٩٧٣ .

منها ، أضف الى هذا في مصر شعور الشباب بوجوب محاكمة المسئولين عن هذه الهزيمة ، ووجوب الاستعداد الجاد لإزالة آثار العدوان .. وبهذا كانت حركة الشباب ثلاثية الأبعاد : محاكمة الماضي ، توسيع آفاق الحاضر ، التحرك نحو المستقبل بفكر جديد ..

ومن طبيعة الشعوب في فترات التحدي الحضاري والمصيري ، أن تستند الى مواريثها وذخائرها .. ومن وسط الأحزان ومرارة الهزيمة ، ورغم الجراح والشهداء ، انطلقت الروح الجديدة .. روح التحدي الموازي للعصر ، الزاحف نحو المستقبل .. هكذا تبلور الموقف بعد الهزيمة .. فما دور الدين في هذا البناء ؟ خيط واحد سنلتقطه ، وهو ليس الخيط الأوحد .. وسندرس هذا الخيط في عامين فقط : مابين ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ ، وهي الفترة الأخيرة من حكم الرئيس جمال عبدالناصر ، وفيها كان مطلع الاعداد للمعركة .

الايمان في الاستعداد للمعركة :

ومرجعنا في دراسة هذه الفترة بحث طويل للكاتب عنوانه : « الدعوة والمجتمع » مقدم الى المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر (ذو الحجة ١٣٨٩هـ / مارس ١٩٧٠م) ونشر في أعماله من ص٢٥٧ الى ص٣٣٥ .

والبحث من ثلاثة أقسام رئيسية ، أولها تجربة عملية ساهم فيها عدد كبير من العلماء والوعاظ خلال العامين السابقين لعرض الدراسة ، وهي تجربة قائمة على التخطيط العلمي والتعاون ، والثاني : نماذج من مطبوعات وبرامج اعداد الأئمة للمهام الجديدة التي تتطلبها المرحلة في هذه التجربة .

والثالث : حديث للسيد اللواء أركان حرب حسن البدري مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، عند لقائه بالأئمة والوعاظ في قاعة حراء بوزارة الأوقاف - مندوباً عن الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية ، وكان هذا يوم ١٩٦٩/٦/٢٥ .

ولن أقف طويلا عند البرامج ومراحلها العامة ثم التخصصية ، ولكن أقف عند نقطة أساسية - في هذا المقال - وهي علاقة رجال الدين بالقوات المسلحة وتطورها ، ودور الأئمة الشباب الجامعيين بين العلم واللياقة البدنية ، والالتحام بالقاعدة الشعبية ، والتمرس بالحياة العسكرية .. وأدع القول للسيد اللواء أركان حرب حسن البدري ، وحديثه يشغل الصفحات ٣٢٥ ، ٣٣٣ من أعمال المجمع (الدورة الخامسة) وقد نشرته وزارة الأوقاف ايضا في مطبوع خاص ، وكان مما قال لرجال الدين :

أشكر الظرف الكريم الذي أتاح لي أن أجتمع بحضراتكم ، وأحدثكم عن الدور الكبير الذي يقوم به رجال الدين في القوات المسلحة ، بهدف خلق المعنويات وتثبيت العقيدة الاسلامية في نفوس الأفراد في القوات المسلحة ، تحقيقا للنصر الذي يسعى اليه العرب باستعادة أرضهم .

بحث أسباب النكسة :

ما ان انتهت المعركة الخاسرة التي دارت بين العرب والصهيونية فيما بين الخامس والتاسع من يونيو ١٩٦٧ حتى سارعت أجهزة الدولة بدراسة الأسباب التي أدت اليها .. واهتم السيد رئيس الجمهورية اهتماما بالغا بتحديدها .. وشكلت لجنة من القوات المسلحة ، وكنت أحد أفراد هذه اللجنة ، وكلما بحثنا أمرا وصلنا في نهايته الى علامة استفهام وعلامة تعجب ، لقد كان لنا في الميدان ٨٠٠ دبابة من أحدث أنواع الدبابات ، وكان لنا في الميدان نيّف وألف وستمائة مدفع ، و١٣٠ ألف مقاتل ، و١٥٠ طائرة ، وأسطول بحري من مدمرات وغواصات وزوارق طوربيد وصواريخ .. وقامت الحرب في الخامس من يونيو في الساعة الثامنة والنصف ، وانتهى القتال في ظهر يوم التاسع من يونيو . وحاقت هزيمة كبرى بالقوات المسلحة .. هزيمة لا تتعادل مع ما كان لها من عتاد وأسلحة وذخائر وأفراد وقادة وأمل في النصر ، لم يكن ينقص القوات المسلحة في هذا اليوم العتاد .. ولا الذخائر ولا القادة ، ولا الأفراد ،

ولا الخطط ، ولكن كانت تنقصهم الروح المعنوية .

سلاح الدين :

وكانت العقيدة ، عقيدة الجهاد ، لا شك أنها كانت مهزوزة ومختفية ، وكانت الماديات قد تسلطت على الفكر والعقل بما حجب السلاح الحقيقي . . السلاح الأول هو سلاح الايمان والاصرار والعقيدة ، هذا هو الدرس الأول والحقيقة الناصعة ، وعلى هذا الاقتناع بدأت القوات المسلحة من فراغ كامل تعمل لاعادة البناء ، كانت أيام جهاد وكفاح ، تزيد على كفاح المعركة ، يتقدم كبار القوم للبناء والمشاركة في اعادة القدرة للإرادة العربية ، معتمدين في ذلك على الدين وعلى العقيدة وعلى الايمان . . وكان اعتمادهم الأول عليكم أنتم رجال الدين الحنيف ، وعلى ما تسبغونه من طمأنينة ومعنويات على كافة مجالات القوات المسلحة .

الحقد والتفرقة العنصرية والأكاذيب ، كانت أسلحة الصهيونية في الحرب :

أؤكد لحضراتكم أن هزيمة التاسع من يونية ليس مرجعها أبدا الى قدرات خارقة للعدو ، ولا الى قصور مادي في القوات المسلحة العربية . . ولكن كانت الهزيمة من انصراف المسلمين عن المعنويات وتحولهم الى الماديات . . وكان النصر الاسرائيلي مرتكزا على بغضاء وحقد وتفرقة عنصرية ، وأكاذيب عملت لها قيادة الصهيونية العالمية ، وجهازها التنفيذي الممثل في الحكومة الاسرائيلية ، وركزت في العشر سنوات السابقة للعدوان ، على شحن نفوس الاسرائيليين بالخوف والرعب والحقد على الانسانية وعلى العرب خصوصا ، وعلى المسلمين على الأخص . . ووصلوا في هذا الحد الى أنهم ذهبوا في اواخر مايو ١٩٦٧ الى الساحل الشمالي للبحر المتوسط في اليونان وايطاليا وفرنسا ، واستأجروا منازل في الأماكن والموانيء المطلة على البحر في اوروبا ، وأشاعوا انهم يجهزون هذه المنازل ، لأن العرب سيقتلون اليهود ، ويلقون بهم في البحر . .

وأقنعوا اليهود أنهم يحاربون حرب اليائس . . « اما أن تقاتل واما أن تذبح أنت وأهلك ويلقى بكم في البحر » .

أما نحن العرب فقد ذهبنا الى الميدان ونحن لا نعلم لماذا نذهب . . وأمرنا ان نعود ونحن لا نعلم لماذا عدنا . . فكان أن وقعت الهزيمة ، ودمر فيها ٨٠٪ من جند العرب ، وتعثرت المعنويات تعثرا بالغا . . وهنا كانت الطامة الكبرى .

دور علماء الدين في تصحيح الصورة :

ثم نهض رجال أخيار من العرب ، ودرسوا السبب ، ووفقهم الله الى الحقيقة ، وعلموا أن الأمر كان ضعفا في الايمان . . والمعنويات ، فسارعت وزارة الحربية تنشد العون من مكان العون ، ولم يكن هناك أفضل ولا أقرب من وزارة الأوقاف ، ومن رجال الأزهر ، وعلماء الدين الذين هبوا سراعا للمساعدة ، وفي زمن لايتجاوز الستة أشهر حدث تغيير كبير في الصورة ، وتحققت انجازات رائعة تبلغ حد الاعجاز .

معارك رأس العش والقنطرة حولت ميزان القوة العسكرية :

بعد التاسع من يونيو عادت القوات المسلحة من مسرح سيناء فلولا وشراذم ، فاقدة السلاح ، منهارة المعنويات . . ثم لا يمضي شهر واحد حتى نرى معارك رأس العش ومعارك القنطرة شرق ، ويذهل العالم ويعجب الاسرائيليون ، ثم تمضي أشهر قليلة ، واذا السلاح البحري العربي يغرق فخر القطع البحرية الاسرائيلية يوم ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ تهتز معنويات الاسرائيليين . .

من الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي :

ثم تتحول القوات من الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي ثم الى الردع ، وفي مطلع مارس ١٩٦٩ تبدأ تراشقات المدفعية وتحطيم خطوط الدفاع الاسرائيلية ، ثم يذيع العدو ان ثمة قوات عربية تخترق دفاعاته في سيناء وتصل الى أعماقها ، ثم تعود

الدوريات بالأسرى الاسرائيليين والمعدات الاسرائيلية التي تنشر صورها في العالم . .

وتتابع ما يقوله العدو والصديق . كيف تمكن هؤلاء الرجال أن يستعيدوا الثقة ؟

ان الاعتراف بالفضل لأهله يلزم القوات المسلحة أن توضح لكم انها ليست قطع الحديد الصامتة التي تأتي الى الجندي ، وليست أجهزة التدمير التي يتسلح بها ، هي التي مكنت هذا الجندي أن ينجز ما أنجز ، ولكن الكلمة والاشعاعة والعاطفة التي تخاطب قلبه ، وتدخل عقله ، هي التي وفرت الأساس الصحيح لهذا الجندي ليقاتل ويرابط وينجز الواجب .

رجال الدين في الخطوط الأمامية في مواجهة العدو :

القوات المسلحة تطمئن كثيرا على وجودكم بين صفوفهم ، وتتشرف وتسعد بأن تلقاكم في الخطوط الأمامية في مواجهة العدو ، وتزداد يقينا بفائدة هذا الالتحام القتالي الديني ، وتشاهد آثاره الطيبة في كل يوم ، السادة الوعاظ الذين اندمجوا في المجتمع العسكري اندماجا كاملا : ارتدوا رداءه ، وعملوا بأساليبه ، وشاركوا افراده في المعركة :

ـ ذلك الواعظ المؤمن العامل الذي شارك في نقل الذخيرة بنفسه في أحد المواقع ، في أثناء التراشق الأخير ، عندما حدثت بعض الخسائر في الجنود ، الذين يمدون المدفع بالذخيرة .

ـ ذلك الواعظ الذي وقف أمام غرفة الغاز فلمس من الجنود خشية الدخول لأول مرة ، فما كان منه الا ان تقدم الجنود ودخل الغرفة أمامهم ليثبت لهم ان ذلك أمر لا بد منه ، فدخل الجنود وراءه مطمئنين .

ـ ذلك الواعظ الذي وقف في منتصف الليل منذ أيام قليلة على الخندق الأول على الضفة الغربية للقنال ، وتحدث مع دورية كلفت بمهمة بالغة الخطر ، بينما كان صوته اشبه بقبس من نور الله . . يذكرهم بالواجب ، ثم يتحول الى القائد ويطلب منه ان يدخل معهم ويشاركهم شرف الجهاد ، هل هناك اعظم من هذا ؟

ان القوات المسلحة ترجو أن يزداد عدد الوعاظ لثقتها في فاعلية التوعية الدينية في كل أجزاء البنيان العسكري .

المعركة القادمة قوامها ركنان أساسيان : الركن المادي والركن المعنوي ، والقوات المسلحة لا تفصل بينهما . . . الركن المادي يستند الى حديد مطلق ، والمعنوي يستند الى ايمان وعقيدة . . بهذا المفهوم تشكر القوات المسلحة كل من عمل على اعادة بناء معنوياتها .

وبعد ، فأقف عند هذا العرض في حدوده التاريخية والموضوعية . . انه ينبوع من الايمان في أرض المعركة . . وما زال بيننا وبين المعركة سنوات ثلاث تدفق فيها الينبوع مع ينابيع قوة أخرى ، لتصنع النصر . . وفي ذلك تبصرة وذكرى . . وعون على العرض المتوازن . □

عمر الشهيد

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عمر بن الخطاب قميصا فقال له : أجديد قميصك أم لبيس ؟ قال عمر : بل لبيس يارسول الله . فقال له النبى : البس جديدا وعش حميدا او مت شهيدا ، وليعطك الله قرة عين في الدنيا والآخرة .

وكان عمر يسأل الله شهادة في سبيله ، ووفاة في بلد نبيه . وقد استجاب الله له فمات شهيدا في مدينة الرسول ، قتله رجل مجوسى ، وتم قتله في أحب الأوقات الى الله عز وجل ، وهو الوقت الذى تؤدى فيه صلاة الفجر ، ويروى أن عمر سقط وهو يقول : وكان أمر الله قدرا مقدورا .

حزين أنا الي



خطوة خطوتان
وينهمر الرقص في المهرجان .
دمعة . . دمعتان
ويشتعل السفحُ والأقحوان .
جثة جثتان
وتمتلىء الكأس بعد الدنان !

●●●

أما زلت تهذي وترسم فوق الجدار سيوفا
وترسم خيلا
وتمنحها الفارسَ العنفوان !
أما زلت تطعن في الريح . . في الخلوات العتيدة
تذرو الفوارسَ صرعى ، وتغتصب النصرَ
تطلق أغلى جيادِ القبيلة
تمتشق السيفَ والصولجان ! ؟

●●●

أما زلت تكتبُ عن خطرات الحبيبة
عن صوتها الأنثوي الشفيفِ . . وعن عطرها الوهج
عن كحل أجفانها الناعساتِ وعن خصرها الماء
عن عشب أحلامها الدافئات
وعن رحلة القامة الخيزران . . . . ! ؟

●●●

وانت تنادم عطر القصيدة
تجتر أغلى أمانيك . . . .
في ليل موتك تحترح الضوء

...ـــوم

شعر : محمود مفلح

في صيف عقمك ترتقب النوء . . . .
ان الطبولَ تواصل قرعَ المسيرةِ
والخيل في المهرجان الكبير تبخترُ
تدمى الأصابعُ من نشوة القرع
يستنفد الطاقة البهلوانُ . . .

●●●

وها أنتَ ترقصُ ترقصُ حتى الثمالةْ
تُلقي فُتاتَ الكلام إلى العابرين
كأنكَ في رحلة الصيف مازلت
ترتاح تحت ظلال الوداعة
والشوقُ ملءَ حناياك
تقرأُ كي يُغمض النوم عينيك
« فيروز »ما تزل تستبيك . . وتوقظ فيك الكتابة
وتُسْطعُ في مقلتيك الصبابةُ
تُضفِّرُ من عشقك الموسمي القصائدَ
عيناك صحوٌ ورأسك تفاحةُ الذكريات
ولكنها النار تحت الرمادْ
وحولك يلتفُّ هذا الزنادْ

●●●

حزينٌ أنا اليوم يا سيِّد الرقص
فالنهر خان الضفاف
وأسيافنا في النهار استُبيحت
ولم يصدق الورد
لم يورق الوعد

فارقص كما شئتَ
موج الكآبة يستنزف العمر . . يستنفد الجمر
حزين أنا اليوم
فالملتقى لن يكون على النهر
لن يكون على الجسر
هكذا أنبأتني « جهينة »
فالملتقى لن يكون سوى في المنافي الجديدةِ
تحت غيوم التشرّد
بين النجاد وبين الوهادْ . . . .

●●●

قليلاً من الصمت
ثمة دمدمةٌ في الفضاءِ
وشيءٌ يدندن في عتمةِ الليل
لحنٌ يُغادر ثغر الرصاصة
يستوطن الجسدَ الرخوَ
يُلقي عليه التحية قبل الرُّقاد

●●●

إنَّ القصيدة ترعى على ضفة النهر
تختال في ثوبها السندسي المعطر
ترتاح في شرفة البيت فوق البحيرة
فوق المراعي التي أنبتتني
وفوق الصخور التي جرحتني
تَلُمُّ النجومَ الحبيبة
كلُّ النجوم . . لكل الجياد . □

هموم وراء قناع ضاحك

بقلم : خالد القشطيني

يتفق جل فلاسفة العصر الحديث من سبنسر الى فرويد وكويسلر على أن الضحك هو تنفيس لطاقة عاطفية متشنجة لم تعد ثمة حاجة اليها أو مخرج لها ، فتدفقت في هذا السيل الممتع ، ولعل هذا التنظير يفسر ازدواجية الشخصية في معظم مشاهير الكتاب والممثلين الفكاهيين والساخرين .

من أظرف القصص الدالّة على ما أقول ، القصة التي رواها الكوميدي الانجليزي الشهير توني هانكوك . دخل رجل على أحد الأطباء النفسيين في فرنسا في حالة هلع واضطراب كبير ، وتوسل بالدكتور ان ينقذه من الحالة الانتحارية التي وجد نفسه فيها ، نتيجة للكآبة العميقة التي عانى منها ، نصحه الدكتور بأن ينشد بعض المسليات وما يخفف عنه كربه ، وقال اذهب الى الكباريه واستمع الى الكوميدي المبدع غروك ونكاته ومضحكاته ، انه سينسيك كل شيء ، قال الرجل : « انا غروك » .

والطريف في هذه القصة الحقيقية أن توني هانكوك كان هو الذي رواها عن زميله الفرنسي . وطبعا رواها لأنها انطبقت عليه بالذات ، بعد أشهر من روايته للقصة ، وبعد أن عجز الأطباء الانكليز عن معالجة كآبته ، انتحر هانكوك في ساعة من ساعات حزنه العميق .

القلب المتفطر وراء القناع الضاحك للمهرج الكوميدي (الكلاون) من الوقائع المعروفة في عالم الأدب والفن ، ومن أوجع الاغاني التي استمعت اليها في حياتي كانت أغنية المهرج في أوبرا الغونداليرز لغلبرت وسليفان ، عندما راح يندب حبه الضائع ، وإن كان الشيء يعرف بأضداده ، فما أجمل الضحكة عندما تنطلق بين فصل من المرارة ، ووجع الحسرة ، عندما تحيط بها المسرة والدعابة ، ومن هذا المنطلق ،

التفت شكسبير الى هذه الظاهرة ، فأعطانا تلك المشاهد الخالدة لحفار القبور في هملت ، وبواب القلعة في مكبث ، ومضحك الملك لير .

وساقتني نفس الظاهرة لملاحظة تطبيقاتها في ثلاثة من أشهر الكوميديين المعاصرين في انكلترا ، وهم توني هانكوك و سبايكس مليغان و فرانكي هوارد .

كوميدي مكتئب !

بزغ نجم توني هانكوك في الخمسينيات والستينيات في مسرحياته الاذاعية والتلفزيونية ، وخصوصا ما اشتهر منها ضمن سلسلة « نصف ساعة مع هانكوك » ، وكنا ننتظر نصف الساعة هذا من أسبوع الى أسبوع ، وما ان أعلن المذيع ابتداء المسرحية ، حتى توقف كل شخص عن عمله للاستمتاع بمفارقات هذا الكوميدي الرائع وتقليعاته ومهازله اليومية ، على خلاف سائر الكوميديين الآخرين ، كان هانكوك جامعيا ، وأخذ عادة دور المثقف المتكبر والمغرور بنفسه والمتعالى على الآخرين ، ولكنه كان دائما مغرورا وعاجزا ، ينكشف ضعفه وعقمه عندما يواجه الكوميدي الآخر سدني جيمس ، العمالي بلهجته الكوكنية العامية وثقافته المحدودة ، وفي انتصار اللوذعية الكوكنية الشعبية على البرجوازية المثقفة ، ننتقل من مشهد مضحك الى آخر .

هذه التركيبة الكوميدية شائعة في معظم أنحاء العالم ، ولكن الشحنة الأليمة التي أعطاها هانكوك لهذه المواقف كانت في العناصر التي شدت الناس الى اعماله ، وضمن أسلوبه الخاص هذا عبر في المسرحية التلفزيونية « على الهواء » محنة الممثل في علاقته مع السلطة والمتسلطين على رقاب أهل الفن ، ولكن محنة هانكوك لم تكن من هذا القبيل ، لقد كان نجما بازغا يتهالك عليه الجميع ، كانت محنته أعمق وأهول من ذلك بكثير ، وقلما عرفنا - كجمهور - شيئا عن المعاناة التي كان يعيشها يوميا وراء الكواليس والمكرفون ، والتي أدت في الأخير الى انهيار حياته العائلية وطلاقه من زوجته .

يذهب كثير من علماء النفس في السنين الأخيرة (خارج اطار المدرسة العضوية التي ترجع الاختلالات العقلية والنفسية الى اسباب كيمياوية) الى ارجاع أسباب الكآبة المرضية الى طموح الانسان للوصول الى أعاظم المنجزات ، وشعوره بعجزه عن انجازها ، وليس لاصحاب هذا القول من مثل عملي لذلك أفضل من قصة توني هانكوك ، رغم نجاحه المطبق في مقتبل حياته ، ظل يعاني من اقتصار هذا النجاح على الجمهور الانكليزي ، كان يفكر دائما بشارلي شابلن ويطمح للحصول على هذا البعد العالمي لشخصه كفنان ، وقد وجد أن الراديو والتلفزيون يحصرانه داخل حدود بريطانيا ، فسعى الى دخول عالم السينما ، هذا العالم الذي يرفع الممثلين الى عالم النجوم التي تلمع فوق عموم الكرة الأرضية .

بيد أن هانكوك أساء الدخول ، بدلا من أن يقدم فلمه الخاص الذي يسيطر عليه كما فعل شارلي شابلن ، رضي بالانضمام الى جورج ساندرز في تمثيل فلم « المتمرد » .

وكان من شأن عملاق كساندرز يعتبر بحد ذاته كوكبا ساطعا ان حول دور هانكوك الى دور المضحك الثانوي في الفلم وأطفأ نوره ، والفشل الأول في عالم السينما حكم لا استئناف له .

كان في ذهن هانكوك الكثير الذي يريد أن يقوله للانسانية ، ولكنه عجز عن الوصول الى الوسيلة ، وراح تدريجيا يدمن على الشرب ويهمل أوضاعه ومهنته ، وتحول أخيرا الى دراسة الدين المقارن ، مما أشار الى دخوله الازمة الروحية التي كثيرا ما ترتبط بتفاقمات الكآبة ، وأخيرا قرر ترك بريطانيا والذهاب الى استراليا ، وهناك وفي غرفة وحيدة ، تناول في حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ ما يكفي للانتحار من الحبوب المهدئ

بين المصح العقلي والمسرح

ويعطينا سبايك ماليغان شخصية مختلفة كليا عن هانكوك ، كان مليغان ابن جندي ارلندي في الجيش البريطاني في الهند ، وبهذه الصفة كان الهنود ينظرون اليه كسيد عالي الجناب ، في حين كان الانكليز ينظرون اليه نظرة حقيرة كارلندي قذر ، هذا الموقف الأوسط أعطى البشرية جل مفكريها وثوارها الراديكاليين عبر العصور ، وظل التربة الخصبة

للعذاب النفسي لملايين البشر . وسرعان ما عاد مليغان الأب مع بقية الجنود المسرحين ليواجه البطالة الممضة في انكلترا .

وفي اليوم الذي استطاع فيه سبايك مليغان الحصول على دور في المسرح بعد عشرات المحاولات الفاشلة ، وصلته الدعوة من وزارة الحرب لأداء الخدمة الالزامية ، وبدلا من التمثيل وجد نفسه يحمل البندقية ليحارب الألمان . ولكن دوره في القتال لم يدم طويلا ، فسرعان ما جرح ونقل الى المستشفى ، ويظهر أن أهوال الحرب الحديثة تركت آثارا عميقة عليه ، عاد من الجبهة ومحفظته مثقلة بالقصائد التي وصف فيها فظائع هذه الأهوال :

قتلانا صغار راقدون كالأطفال .
الأرحام التي باركوها ما زالت لم تندمل .
ومع ذلك فمبكرا في كل حفرة .
القينا التراب البارد على وجه أبرد .
وترقد في جمود تام هذه الأجساد المقطوعة توا
كمجموعات من بذور الشتاء ،
ولكنها لا تزهر بأوراق واوراد عندما يناديها الربيع .

لمع نجم مليغان حال تسريحه بعد الحرب ، وبتعاونه مع بيتر سلزر وهاري سيمكب ألف أروع وأخلد فريق في تاريخ الكوميديا البريطانية ، قدمت الاذاعة مسرحياته بعنوان The Goon Show ، وأصبح هذا الاسم مرادفا لكل ما هو جنوني في فن الكوميديا ، « هيا بنا نسرع الى الغابة قبل ان تصل اليها الأشجار وتأخذ مكاننا . » نموذج من الجنون المضحك الذي ساد هذه السلسلة ، وفي نموذج آخر يحتاج القائد الى مزيد من الجنود في الجبهة ، لايوجد جنود ؟ اذن فلنأخذ السجناء . ولكن كيف وهم محكوم عليهم بالسجن ؟ نأخذ السجن معهم . كيف يمكن أن نحمل السجن ؟ اعملوا سجنا من مقوى .

وفي كل ذلك يلعب مليغان دور الأبله الفاقد الشخصية والعديم الهوية ، وفي بلاهته هذه ، نال اسمى الثناء من أدنى القوم وأعلاهم ، لقد وصفه مايكل فوت ، رئيس الوزراء السابق ، وروبرت غريفز الشاعر الكبير بأنه فلتة من فلتات العبقرية .

وفي أوج هذا المجد والنجاح كان مليغان يعاني أفظع آلام الكآبة ، وأخيرا لم يبق مفر من ادخاله الى مستشفى المجانين ، ولاشك أن المأساة الانسانية بلغت ذروتها ، عندما ولدت زوجته ابنه البكر وهو في المصح ، وأمام مسئولية اعاشة العائلة وتوفير ما يلزم للوليد ، اضطر مليغان الى مواصلة كتابة ما يضحك تحت وطأة افظع آلام الكآبة والصدمات الكهربائية والمخدرات ، وكان عليه أن يسابق الزمن لينجز مسرحية في كل أسبوع ، وروى فيما بعد ، أن أفضل الدواء لكآبته كان يجده في تلك الدقائق القليلة عندما يرى زملاءه الممثلين يتفجرون ضحكا ، وهم يقرءون المسرحية الجديدة التي كان يحملها لهم أسبوعيا .

وتكررت نفس قصة هانكوك بالنسبة للعلاقة

بيد أن المحزن في ماليغان أنه يحب الأطفال ، ويكرس جزءا كبيرا من حياته وموررده للأعمال الخيرية المتعلقة بهم ، ومن يزور لندن يستطيع أن يرى قطعة من هذه المحبة في جذع الشجرة الميتة في حدائق كنسنغتن مقابل محطة كوينزوي ، عالج ماليغان نوبة من نوبات انهياراته العصبية في نحت هذه الشجرة ، وتحويلها الى مجموعة من التماثيل والدمى الصغيرة الملونة لشخصيات الأطفال الأسطورية ، وللهو الأطفال واستمتاعهم .

وبالطبع لم يحل الطلاق المشكلة ، واستمرت حياة هذا الفنان بين المصح والمسرح ، وأخيرا عالم الكتب ، وكان آخر عهد له في مصح الأمراض العقلية في أوائل هذا العام ١٩٨٦ . ويقف الجميع الآن ينتظرون نبأ انتحاره في أي يوم ، ولحسن الحظ أن تأليف الكتب أصبح أسلوبه الجديد في التنفيس عن نفسه ، وفي كتابه « دوري في هزيمة هتلر » ، ترك لنا كتابا من أظرف ما كتب عن الحرب ، ومن المؤسف ألا يرتقي الفلم السينمائي الذي أخرج عن سيناريو الكتاب الى نفس المستوى من الظرافة ، وفي كتابه « أنا لوحدي » ، نشر مجموعة من القصائد المكتوبة للأطفال ، كلها خفة ودعابة ونكتة ، يطرب لها الكبير مثل الصغير .

بهجة هزت الملايين :

ومن معدن مختلف كليا ، نجد الشخصية الكوميدية الثالثة في فرانكي هوارد . وعانى هذا الفنان من الشذوذ الجنسي الغلماني ، بالاضافة الى حالة

الكآبة ، وعبر في أكثر مشاهده التمثيلية عن نوازعه الجنسية بنكاته وأسلوبه الكوميدي ، وأصبحت البذاءة والأدب المكشوف والتوريات الجنسية المضحكة من وسائله المهنية المعتادة ، ومن أظرف ما شاهدت منه عرضا مسرحيا مخصصا للأطفال ، وبمناسبة عيد الميلاد المجيد ، وكانت محنته في التغلب على هذه المشكلة مصدر المداعبة المكتومة بينه وبين جمهوره دون أن يدرك الأطفال سر الدعابة . « وما المضحك من ذلك ؟ » سمعت أحد الأطفال يسأل أباه بعد كلمة وغمزة وعاصفة من الضحك .

وفي اطار هذا الأسلوب ، أعطى فرانكي هوارد الجمهور الانكليزي سلسلة من المسرحيات التلفزيونية عن الحياة المتهتكة في عهد الرومان في غاية الظرف والطرافة ، ولكن عندما حاول أن يتبع هذه السلسلة بسلسلة أخرى مشابهة عن الحياة في عهد الدولة العباسية في بغداد ، أثار موجة من الاحتجاج ضد تماديه في البذاءة ، الى حد لم يعد بالامكان السكوت عنه ، ولاسيما عندما جرح مشاعر بعض المسلمين ، واضطر التلفزيون البريطاني الى وقف السلسلة .

وكما في حالة سبايك مليغان ، تناوبت هذه العروض المسرحية الممتعة في كوميديتها ، مع نوبات الكآبة العميقة التي عانى منها فرانكي هوارد ، وتطلبت رعاية طبية مستمرة ، واتصلت أخيرا بادمان على الكحول .

وكان آخر مرة رأيت فيها فرانك هوارد قبل نحو ثلاث سنوات عندما رأيته جالسا على مسطبة في حدائق هولاند بارك في ملابس رثة ، وحالة قذرة مزرية ، وقد احدودب ظهره ومال رأسه الأشعث فوق كتفه بما يعطي صورة فوتوغرافية للرجل الكآبي تحت تأثير العقاقير المهدئة ، ولدى اقترابي منه وادراكي هويته حييته تحية عابر السبيل ، « مساء الخير » . فتح عينيه للحظة واحدة وقال : « هلو ، حبيبي » ، ثم اغمضها وعاد الى عالمه الكابوسي البعيد .

وكما فعل هملت فبين حفاري القبور ، رحت أتأمل في هذه الجمجمة التي هزت الملايين بنكاتها وملحها وسخريتها . وأتأمل أكثر من ذلك في هذا اللقاء العجيب بين روح الضحك والسخرية ونفسية الكآبة والأسى .

سلوى القلوب المفجوعة

والظاهر ان كثيرا من الابحاث الطبية التي جرت مؤخرا أخذت تدعم الاعتقاد التقليدي بأن الضحك سلوى للقلوب المفجوعة ، ودواء للجروح العميقة ، ومن ذلك ما وجده العالم الفرنسي بيير فاشيه بعد سنين من أبحاثه في موضوع الضحك ، فقال انه يؤدي الى توسيع الشرايين والأوردة ، وينشط الدورة الدموية ، ويعمق التنفس ، ويحمل الأوكسجين الى أبعد أطراف الجسم ، ويؤدي بنفس الوقت الى زيادة افرازات الغدد والهرمونات . . وعلى هذا الأساس أشار الدكتور فاشيه على الناس بالالتجاء الى الضحك يوميا كأداة طبية صحية ، ومن المعروف أن الكآبة المرضية تؤدي الى هبوط في العمليات والفعاليات الجسمية التي أشار اليها فوشيه ، ويظهر أن الكوميدي الكآبي يندفع الى الضحك بدافع عضوي للتغلب على هذا الهبوط .

واكتشف عالم آخر أن الضحك يزيد بصورة خاصة من افراز مادة البيتا أندروفين ، وهي الهرمون الذي يصل الى خلايا الدماغ ، ويعطي أثرا مخدرا شبيها بأثر المورفين ، ومن نتائج ذلك خلود الانسان الى النوم الرغيد . وهذه نقطة مهمة بالنسبة للكآبيين الذين يعانون بصورة خاصة من الأرق والنوم القلق الممتلىء بالكوابيس .

وعليه فان المهرج الكوميدي يقوم بعملية سحرية عضوية في معالجة هموم المجتمع ككل ، بأروع وأرخص وأصح وسيلة طبية ، ليس بامكاننا جميعا أن نصبح كوميديين ، ولكن بامكاننا جميعا أن نغرف من هذه الثروة التي يطرحونها أمامنا ، اذ يمرون عبر السنة الجحيم الذي يعيشونه كل يوم .

هؤلاء ناس في غاية الحس المرهف ، وفي شعورهم بعيوب الانسان وذنوبه ، أوقعوا أنفسهم في مخالب العذاب واليأس ، ومن أعماق ظلمة هذا العذاب شعروا أيضا بتناقضات الوجود الانساني ، المادة الاساسية للكوميديا . وأخيرا لم تجد هذه المشاعر المتراكمة والمحتبسة أي سبيل لانسيابها ، فانفجرت في براكين من الضحك يخفف عن المتعذب والمتعذبين محنتهم . □

مع الباعة

صدر حديثاً : كتاب العربي



كان لمنجزات الحضارة الحديثة من التطور العلمي والتقني والاختراعات عديد من الضحايا من البشر ، سواء بانتشار البطالة أو المشكلات الاجتماعية والشخصية والسياسية .... أو بتعاظم سيطرة القلق النفسي الذي يمنع الأفراد من التكيف الاجتماعي السليم ....

ومن هنا فقد أصبح فهم علم النفس ودراسته أمرا مجديا للافراد والمهتمين .

عن السلوك الانساني ... ودوافعه ومحاولة فهمه تدور موضوعات كتاب العربي الجديد .

مشاكل العمالة والأجور بالقطاع الحكومي في البلاد النامية

بقلم : الدكتور رمزي زكي

« تتفق المدارس الاقتصادية رغم كل اختلافاتها على أن هيكل العمالة ونظم الأجور هو إحدى مشكلات الادارة الاقتصادية الأكثر الحاحاً واحتياجاً للتنظيم واعادة الترتيب وهذا ما يناقشه هذا المقال خصوصاً في الدول النامية .

ينصرف المقصود بالعمالة الحكومية الى كل العمال والموظفين الذين يعملون بأجر ، ويتقاضون أجورهم ومرتباتهم من أجهزة الحكومة المركزية ، أو من أجهزة الحكم المحلي أو من منشآت القطاع العام . والحق أن التأمل السريع في حركة العمالة بالبلاد النامية في ربع القرن الأخير يسفر عن حقيقة واضحة ، هي النمو السريع لهذا النوع من العمالة بتلك البلاد . ويعود هذا النمو الى أسباب مختلفة ، من بينها ، زيادة حجم الانفاق الحكومي الموجه لتحسين الخدمات العامة (التعليم ، الصحة . . . الخ) خصوصاً في ضوء المستوى المنخفض لتلك الخدمات ، عشية حصول هذه الدول على استقلالها السياسي ، وليس يخفى أن توسيع نطاق هذه الخدمات والارتفاع بنوعيتها قد تطلب توسعاً في حجم العمالة المشتغلة في قطاع هذه الخدمات . كما أن التوسع في برامج الانفاق العام الاستثماري ، وما أدى اليه ذلك من اتساع حجم القطاع العام ، قد أسهم بلا شك في نمو العمالة الحكومية . أضف الى ذلك أيضاً ، أن حاجة هذه البلاد الى تكوين جيوش وطنية وأجهزة أمن تحميها من خطر الاعتداء الخارجي ، قد تطلب تكوين مؤسسة عسكرية وأمنية ، تتسع لعدد كبير من العاملين . كما

لا يجوز أن ننسى رغبة حكومات هذه الدول في علاج مشكلة البطالة ، وخاصة في ظل النمو السكاني المرتفع ، وعدم قدرة القطاع الخاص على استيعاب العمالة الجديدة التي تخرج سنوياً الى سوق العمل . ذلك أن ايجاد فرصة عمل كريم لكل مواطن قادر على العمل وراغب فيه ، أصبحت تمثل تحدياً سياسياً واجتماعياً للنظام الاقتصادي الاجتماعي القائم . ومن هنا تتعرض الحكومات في هذه البلاد لضغوط سياسية واجتماعية واضحة لتوظيف المزيد من العمالة سنوياً .

نمو العمالة الحكومية

ومع ذلك ، تنبغي الاشارة الى أن نمو العمالة بالقطاع الحكومي ظاهرة لا تنفرد بها الدول المتخلفة عن غيرها من الدول ، بل هي ظاهرة عامة ، تنضوي تحت لوائها أيضاً الدول الرأسمالية المتقدمة . فطبقاً لبيانات البنك الدولي يتضح أن النصيب النسبي للعمالة الحكومية في اجمالي العمالة على المستوى القومي بالبلاد الرأسمالية المتقدمة قد ارتفع من ١٢٪ في سنة ١٩٦٠ الى ١٨٪ في عام ١٩٧٩ . وطبقاً لدراسة حديثة - أجراها (بيتر هيللر والان تيت) على أربعة وستين بلداً نامياً ، وواحد وعشرين بلداً رأسمالياً ينتمي الى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (O E C D) - تبين أن نسبة مجموع العمالة بالقطاع العام الى مجموع السكان قد بلغت ٩٪ في حالة بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، في حين وصلت ٣,٧٪ في حالة البلاد النامية التي شملتها العينة . أما اذا نسبنا مجموع العمالة بالقطاع العام ، إلى إجمالي العمالة غير الزراعية ، فان النسبة تصل الى ٢٤,٢٪ في حالة المجموعة الأولى ، بينما تبلغ ٤٣,٩٪ في حالة المجموعة الثانية .

والحقيقة أن ظاهرة نمو العمالة الحكومية وان كانت واضحة في البلاد المتخلفة ذات الفائض السكاني ، الا أن البلاد التي تتسم بقلة سكانية واضحة - كما هو الحال في البلاد العربية المنتجة للنفط وخاصة دول الخليج العربي ، - قد سجلت أيضاً نمواً واضحاً في هذا النوع من العمالة ، على الرغم مما تكابده هذه الدول من نقص شديد في عنصر العمل الماهر وفي الكوادر المدربة ، مما جعلها تعتمد على عنصر العمل المهاجر إليها لسد هذا النقص . ومما لا شك فيه ، أن هذا الاختلاف الواضح بين دول الفائض السكاني ودول القلة السكانية ، قد عكس نفسه في طبيعة النمو الذي حدث في العمالة الحكومية في هاتين المجموعتين من الدول ، وفي المشاكل التي يثيرها هذا النمو .

ومع أن ظاهرة نمو العمالة الحكومية ، هي ظاهرة عامة في مختلف بلاد العالم ، الا أنه من الثابت أن النمو الذي حدث في هذا النوع من العمالة ، كان في حالة البلاد المتخلفة أسرع منه في حالة البلاد الرأسمالية المتقدمة في السنوات الأخيرة . فطبقاً لبيانات حديثة نشرتها منظمة العمل الدولية ، يتبين أن العمالة الموظفة في قطاع الخدمات المدنية في بعض البلاد المتخلفة ، قد زادت بنحو يتراوح ما بين ثلاث وأربع مرات عنها في حالة البلاد الرأسمالية ، خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٧٦ - ١٩٨٠ . وفي بلدان مثل تايلاند ومصر وموريشيوس وهندوراس تراوح هذا المعدل بين ٥ - ١٠ سنوياً فيما بين منتصف وأواخر السبعينيات . وفي اكوادور وبورندي والمكسيك وزائير تراوح هذا المعدل فيما بين ١٠ - ١٥ خلال نفس الفترة . وتلك في الواقع نسب مرتفعة جداً لو قورنت بمعدلات النمو التي سجلتها ظاهرة العمالة الحكومية بالبلاد الرأسمالية المتقدمة ، حيث سجلت البلاد الأخيرة نمواً بطيئاً في هذا النوع من العمالة .

وتجدر الاشارة هنا ، الى أن التباطؤ الذي طرأ على نمو العمالة الحكومية بالبلاد الرأسمالية في السنوات الأخيرة يعود الى أزمة الكساد التضخمي التي تمسك بخناق هذه البلاد منذ بداية حقبة السبعينيات وحتى الآن ، والى انهيار الفلسفة « الكينزية » التي كانت تسير على هداها كل البلاد الرأسمالية في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن . وهي الفلسفة التي برزت ودعت الى ضرورة التوسع في حجم التوظف الحكومي ، كسياسة تعويضية لنقص الطلب الكلي الفعال ، لمواجهة مشاكل التقلبات الدورية في حجم الدخل والتوظف بالاقتصاد الرأسمالي . ومع انهيار هذه الفلسفة ، وظهور ما سمي بالمدرسة النقدية الجديدة (مدرسة شيكاغو) بدأ عدد كبير من الدول الرأسمالية المتقدمة ، كالولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاتحادية ، وكندا . . وغيرها ، - تحت ضغط

الكساد التضخمي وندرة الموارد المالية للدولة ـ في تقليص حجم الخدمات العامة ، ومن ثم موظفي الحكومة والقطاع العام

ومع أن العمالة الحكومية بالبلاد المتخلفة قد نمت في السنوات العشر الأخيرة بمعدل أعلى من نظيرها بالبلاد الرأسمالية المتقدمة ، الا أن نسبة موظفي الحكومة الى اجمالي السكان في حالة البلاد الرأسمالية المتقدمة ، أكبر من مثيلتها في حالة البلاد المتخلفة . فطبقاً لاحدى الدراسات ، نجد أن هذه النسبة هي ٧ الى ١٠٠ في حالة البلاد الأولى ، في حين أن النسبة لاتتعدى ٣ الى ١٠٠ في حالة البلاد الثانية ويمكن النظر الى التفاوت في هذه النسبة بين هاتين المجموعتين من الدول على أنه مقياس للتفاوت في حجم ومستوى الخدمات العامة فيها .

الآثار الجانبية لنمو العمالة

ومهما يكن من أمر ، فان هذا النمو الواضح الذي طرأ على العمالة في القطاع الحكومي بالبلاد المتخلفة ، كان له آثار واضحة في مجال سياسات التوظف ، وفي مجال اعادة توزيع الدخل القومي ، وفي سياسات الأجور ، وفي الموازنة العامة للدولة ، وفي مجال الأسعار والتضخم ، وما يرتبط بذلك من قضايا ومشاكل . ويهمنا الآن أن نعطي لمحة سريعة عن تلك الآثار والمشاكل وما يحيط بها من معان .

* وأول ما يسترعي الانتباه في هذا الخصوص ، هو أن النمو الذي حدث في العمالة الحكومية قد أدى الى ارتفاع النصيب النسبي للأجور المدفوعة لعمال وموظفي الحكومة والقطاع العام من اجمالي الأجور المدفوعة على المستوى القومي . وهذا يعني أن نمو العمالة الحكومية يمثل بعداً رئيسياً في مجال توزيع الدخل القومي في هذه الدول . وطبقاً لبعض الاحصائيات ، نجد أن الأجور الكلية المدفوعة للعمال والموظفين بالحكومة المركزية بدول أفريقيا تصل الى ٢٢,٦ والى ١٧,٢ بالنسبة للدول الأسيوية ، والى ١٤,٧ بالنسبة لدول أمريكا اللاتينية من اجمالي الأجور المدفوعة بالاقتصاد القومي ، مما يعني أن هذا النوع من الأجور أصبح يمثل مورداً هاماً للدخل لكثير من العائلات والسكان في هذه الدول .

* كما يلاحظ ، أن العمالة الحكومية بالبلاد المتخلفة أصبحت مجالاً رئيسياً لمكافحة البطالة ، بمعنى أن النسبة الكبرى من استيعاب العمال الذين يخرجون سنوياً الى سوق العمل أصبحت تستأثر بها أجهزة الحكومة المركزية وادارات الحكم المحلي ، فضلاً عن منشآت القطاع العام . ويعود ذلك في كثير من الحالات الى التزام الحكومات في هذه الدول ، بتعيين الخريجين الجدد من المعاهد الفنية والمدارس الصناعية وخريجي الجامعات . فقد ترتب على هذا الالتزام ـ فضلاً عن تزايد الانفاق العام على التعليم ـ ضمان وجود فرصة عمل لكل خريج جديد . ويبدو هذا الالتزام ، من حيث امتصاص البطالة ، في حالة البلاد المتخلفة ذات النمو السكاني المرتفع ، والتي لايوجد بها قطاع خاص قوي ، قادر على استيعاب العمالة الجديدة بشكل مؤثر .

بيد أنه من الملاحظ ، أنه تحت ضغط عجز الموازنات العامة وندرة الموارد المالية للدولة ، فان هناك اتجاهاً في الآونة الأخيرة ، لتقليص دور الدولة في تعيين الخريجين الجدد في كثير من البلاد المتخلفة ، وذلك في ضوء السياسات الانكماشية التي اضطرت الى تطبيقها مؤخراً ، لمواجهة وطأة الأزمات الاقتصادية فيها . وفي بعض الدول ، اتخذ هذا الاتجاه ، ضرورة انقضاء فترة زمنية (سنتين أو ثلاثا) بعد التخرج حتى يتسنى للخريجين الجدد ايجاد فرصة عمل بأجهزة الحكومة والقطاع العام . وفي دول أخرى ، طبقت نظم الأشغال المؤقتة بدلاً من التعيين الدائم في الوظائف .

المقنعة وشبه المقنعة

* كما ترتب على النمو المتزايد للعمالة الحكومية وجود ما يسمى بالبطالة المقنعة . بمعنى أن هناك عدداً من العمال والموظفين الذين هم ، من الناحية الشكلية ، في حالة توظف ويتقاضون أجوراً ومرتبات ، ومع ذلك فهم لا يضيفون شيئاً للناتج ، مما يعني أنه لو تم سحب هؤلاء العمال والموظفين من أماكن عملهم ، فلن يتأثر مستوى الانتاج ، بل سيرتفع متوسط انتاجية العاملين . وهذا النوع من البطالة نراه شائعاً في الأجهزة الادارية والمؤسسات

البيروقراطية لأجهزة الدولة . وهناك نوع آخر من البطالة المتفشية في العمالة الحكومية ، وهي ظاهرة البطالة شبه المقنعة ، وفيها نجد أن قيمة ما ينتجه بعض العمال والموظفين أقل من قيمة الأجور والمرتبات المدفوعة لهم . والحقيقة أن كلتا الظاهرتين ـ ظاهرة البطالة المقنعة والبطالة شبه المقنعة ـ تعكسان لنا ما يسمى بمشكلة التضخم الوظيفي . ولا يخفى أن هاتين الظاهرتين ليس من المتصور وجودهما في حالة القطاع الخاص ، حيث أن قوانين الربح تمنع توظف العمال الذين تكون انتاجياتهم صفراً أو أقل من قيمة الأجور المدفوعة لهم .

ومع ذلك فان حالة البطالة المقنعة والبطالة شبه المقنعة قد تكون أمراً مقبولاً من الناحية الاجتماعية والسياسية . فالمحافظة على حالة البطالة المقنعة في القطاع الزراعي ، قد تكون أمراً مقصوداً بغرض الحد من ظاهرة الهجرة من الريف الى الحضر . كما أن قبول حالة البطالة المقنعة وشبه المقنعة في أجهزة الادارة الحكومية وفي مجال الخدمات العامة ، قد تكون أمراً مقبولاً من جانب الحكومة والسلطة السياسية لكسب تأييد الطبقة الوسطى بالمدن والحيلولة دون تذمرها .

والحق ، أنه ليس هناك من علاج لمواجهة مشكلة التضخم الوظيفي ، الا من خلال العمل على اعادة هيكلة القوى العاملة ، سواء من خلال التدريب واعادة التدريب ، وتوزيع هذه القوى على مختلف القطاعات بحسب حاجاتها . كما يمكن أن يتحقق ذلك من خلال جرعات إضافية من تكوين رأس المال الثابت ، ويشرط أن تكون هذه الجرعات مؤدية الى زيادة حجم الطاقات الانتاجية بمعدل أعلى من معدل نمو التوظيف الحكومي .

النـــمو المتزايد للأجـــور

* والأمر اللافت للنظر أيضاً ، هو أن نمو العمالة الحكومية قد أدى الى تزايد بند الأجور في الموازنات العامة للدول المتخلفة . وأصبح هذا البند يمتص نسبة هامة ومتزايدة من الانفاق العام الجاري . ومع النمو المتزايد للأجور ، سواء تلك التي تخصص للعمال والموظفين القدامى أو للمعينين الجدد ، فضلاً عن تقرير علاوات الأجور الدورية ، وفي ضوء ضعف طاقة الدولة الضريبية في هذه الدول ، فان العجز بالموازنة العامة قد بدأ يتسع عاماً بعد الآخر .

حقاً .. اننا لا نستطيع أن نقرر بشكل قاطع ، بأن النمو الحادث في بند الأجور كان هو المسئول الأول والأخير عن عجز الموازنة العامة في تلك الدول . فقد ارتفع الانفاق العام الجاري في مجال المستلزمات السلعية والخدمية ، وفي مجال التوسع الاستثماري ، بمعدلات عالية أيضاً . ولكن مهما يكن من أمر ، فاننا لا نستطيع أن نقلل من أهمية بند الأجور باعتباره أحد المحاور المسئولة عن نمو الانفاق العام ، ومن ثم عن عجز الموازنة العامة ، وخاصة في ضوء تردي أو جمود موارد الدولة السيادية .

* ولا يجب أن يغيب عن الذهن ، أن معدلات الأجور بالقطاع الحكومي على خلاف الأجور بالقطاع الخاص ـ تتحدد بناء على قوانين ولوائح حكومية معينة . وغالباً لا تلعب قوى السوق (قوى العرض والطلب) دوراً يذكر في تحديدها . وحينما تسود البطالة في الاقتصاد المتخلف ، فان معدلات الأجور بالقطاع الحكومي غالباً ما تكون كافية لاجتذاب العمال والموظفين الجدد . أما اذا كانت سوق العمل ـ خارج القطاع الحكومي ـ رائجة ، فان الأجور التي تحددها الحكومة عادة لا تكون في وضع يمكنها من أن تنافس أجر الوظائف البديلة . وفي عدد كبير من الدول المتخلفة ، توجد الآن مسافات شاسعة تفصل بين مستويات الأجور الحكومية ومستويات الأجور بالقطاع الخاص ، المحلي والأجنبي . ومع ذلك ينبغي أن يترسخ في الذهن ، أن الدخول في الوظيفة العامة لا يحددها فقط مستوى الأجر النقدي فحسب . فهناك المركز الاجتماعي ، والسلطة وضمان الوظيفة ، وبدلات التمثيل والسفر ، بالاضافة الى المزايا العينية الأخرى (كالمسكن ، والسيارة ، ... الى آخره) .

* وهناك خاصية معينة تتسم بها الأجور الحكومية ، ونعني بذلك خاصية الجمود النسبي الذي تتسم به . وهي خاصية يترتب عليها آثار ضارة على التوظف الحكومي وخصوصاً اذا أدخلنا التضخم (الارتفاع المستمر في الأسعار) في الاعتبار . فالقوانين واللوائح التي تحدد الأجور الحكومية يصعب

تغييرها على نحو مرن لكي تواكب التغير الحادث في نفقات المعيشة . وقد ترتب على ذلك ان القوى الشرائية للأجور بالقطاع الحكومي ظلت تتعرض لتآكل مستمر . ولم تفلح العلاوات والترقيات الدورية في منع تدهور أحوال ومعيشة الموظفين والعمال الحكوميين . هناك حقاً بعض العمال في بعض البلاد - مثل سنغافورة وماليزيا - يتم فيها تعديل الأجور والمرتبات الحكومية لكي تسايرالتغيرات في تكاليف المعيشة . بيد أنه في غالبية الدول المتخلفة تتسم الأجور بجمود نسبي واضح ، وبتدهور مستمر في قيمتها الحقيقية . وقد ترتب على ذلك ما يلي : -

١ - هروب الكفاءات والمهارات المدربة من القطاع الحكومي للاشتغال بالقطاع الخاص المحلي ، أو للعمل خارج الدولة .

٢ - ان هروب هذه الكفاءات والمهارات قد أثر على كفاءة الانجاز في القطاع العام وفي الخدمات المدنية .

٣ - استشراء ظاهرة الرشوة والفساد الاداري ، حيث لجأ عدد من العاملين بالحكومة والقطاع العام الى استغلال السلطة الممنوحة لهم للحصول على دخول غير مشروعة ، كخط دفاع لمواجهة الغلاء وتدهور مستوى معيشتهم .

٤ - لجأت حكومات بعض الدول لمواجهة الموقف المتردي للأجور الحكومية الى زيادة المبالغ التي تخصصها تحت بند « دعم السلع التموينية » .

اختلال هيكل العمالة

* وليس يخفى أيضاً ، أن العمالة الحكومية بالبلاد المتخلفة ، تتسم بالاختلال في هيكلها . فبينما تعج أجهزة الحكم المركزي والحكم المحلي ومنشآت القطاع العام بالموظفين غير المهرة أو غير المؤهلين ، نجد أن هناك نقصاً واضحاً في الفنيين والاخصائيين وذوي المهارات الخاصة .

ومن هنا ، فان ظاهرة البطالة المقنعة وشبه المقنعة تتفشيان بشكل واضح في قطاع التوظيف الحكومي . وتعد عقبة « الأجور المنخفضة » التي تقدمها الحكومة لعنصر العمل الماهر ، أحد العوامل الهامة في تفسير هذا الاختلال ، ناهيك عن ندرة هذا النوع من العمل أصلاً في هذه البلاد ، وعدم وجود تخطيط سليم للتعليم يواكب الاحتياجات الفعلية من مختلف التخصصات ، هذا فضلاً عن نتائج سياسة التوظف الحكومي المتعلقة بمكافحة البطالة . ومن هنا يجب أن نفرق بين إمداد القطاع الحكومي بالعاملين المهرة والاكفاء ، وبين امداده بالعاملين لمواجهة مشكلة البطالة .

* وأخيراً وليس آخراً ، تتميز الأجور المدفوعة بالحكومة والقطاع العام بعدم وجود ربط واضح ومعلوم بينها وبين الانتاجية . فالأجور والعلاوات والترقيات تتم بناء على قوانين ولوائح ، ليس لها ، في أغلب الأحوال أية صلة بكفاءة الانجاز ، بل انه في كثير من الحالات تتم الترقية الى وظائف أعلى بناء على اعتبارات الأقدمية المطلقة ودون أن يكون لذلك أية صلة بكفاءة الموظف أو العامل وبتطور أدائه .

هذه هي أهم المعالم التي تثيرها عملية رسم صورة مشاكل الأجور والتوظف بالقطاع الحكومي بالبلاد المتخلفة . ومن المؤكد أن مواجهة هذه المشاكل تمثل أحد التحديات الأساسية في تحسين الأداء في الخدمات الحكومية ، وزيادة كفاءة الانجاز في منشآت القطاع العام ، وتشديد قوة الدفع لعجلات التنمية . □

■ **حتى اغتراف الماء بالمصفاة ، نستطيع أن نحققه اذا صبرنا حتى يتجمد الماء ! (محمد رفعت) .**

■ **كل لحظة في الحياة كنز لا يتكرر ! (ناتاشا) .**

■ **للمظلوم أن يشكو وللمغبون ان يتظلم ، على شرط ألا يثأر لحظة من عمله (فونتان) .**

قصة قصيرة

الرهان

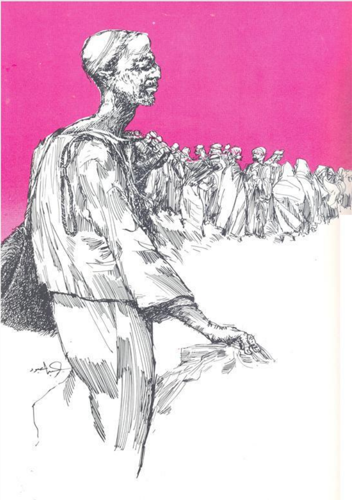
بقلم : خليل قنديل

على الرصيف المحاذي للسوق كان نائما مستغرقا في قيلولة الظهيرة ، نعلاه تحت صدغه الأيمن . طويلا ، نحيلا ، هرما ، يشم بقايا غبار متيبس على كعب النعل المحاذي لفتحتي أنفه . وحدود الظل بدأت تبهت على أثر مرور أشعة الشمس ، من خلف غيمة تبدو وكأنها طارئة في السماء . لكن الأصوات المتعالية حينا والمنخفضة حينا آخر في السوق ، جعلته يجذب الحبل الذي يساعده في حمل الأثقال وينهض . دخل بوابة السوق ، لم يدر لماذا تذكر أول مرة دخل فيها السوق . ربما تلك الرغبة التي تظل تشد الانسان كلما توغل به العمر ، باتجاه الماضي ، الطفولة ، الحلم ، الشباب ، ولم يبتعد هو أكثر من ذلك . . لقد رأى نفسه ، فتيا قويا ، وكله حيوية ، انحبست شهقة في صدره حينما اخذت تتجاذبه حركة المارة في السوق . لايزال هناك في أعمق أعماقه قوة . . ما ، تظل غامضة بالنسبة اليه . لكنه يحسها في الاصباح المشرقة . . حين يكون متجهاً ناحية السوق . قوة لاتخضع للعمر ، ولا لعثرات الزمان .

لكن هذا الوهن ، اللعنة ، طبيب الحكومة قال له بلهجة المتعلم الذي يحدث أميا : عليك أن ترتاح يا نعمان .

وقد هز رأسه لحظتها موافقا الطبيب ، متحاشيا شرح أوضاعه ، لأنه أدرك بفعل التقادم لأحواله المتدنية ، بأن طلب الشفقة والمعونة لم يعد يجدي في زمن تحول فيه الناس الى وحوش ، وأنه سيظل يأتي الى السوق ، ويعمل حتى ينهار وينام نومته الأبدية . أما عجوزه فللبيت رب يحميه ، كان يتمنى فقط ألا يراها جائعة أو مهانة . كان يتمنى دائما ألا يمرض قبل الموت . أن يأتيه الموت مثل صفعة قوية ومفاجئة .

حركْ رأسه في الهواء ، محاولا تحاشي مثل هذه الأفكار : أدار رأسه بحركة بطيئة في السوق بحثا عن حمولة ، فرح ، كان ثمة رجل يقف وسط دكان بجانب ثلاثة أكياس كبيرة فوق (قبان) ، راقب عيني الرجل صاحب الأكياس ، وهي تدور في محجريها ، بحثا عن الحمال الذي يستطيع أن يحمل الأكياس الثلاثة معا ، دون أن يضطر لدفع أجرة حمالين اثنين . وقعت نظراته على (نعمان) ، لكنه أشاح عنه باستخفاف ، أحس (نعمان) بغصة وبوخزة التحدي ، كان خائفا أن يظهر فجأة ذلك اللعين - عاشور - ، فكر ، لايمكن أن يأتي الآن ، هو الوحيد في السوق من يستطيع أن يحمل كل هذه الأكياس ، عليّ أن أنتهز الفرصة . . . لقد ساقته امرأة أمامها قبل قليل ، لابد انها . . كانت حريصة على انتقائه . . يا الهي كيف بدا لها بطوله وعرضه : عيناه وأثداؤه المكورة بصلابة فوق صدره ، والعروق النافرة في عنقه ، وتلك الحمرة المحروقة التي صنعتها شمس السوق القاسية فوق وجهه : وليذهب واياها الى



الشيطان ، لن يحمل هذه البضاعة الا أنا ، نعم علي أن أعب نفسا عميقا أوسع به صدري ، وأن أخطو بخطوات واسعة واثقة باتجاه الرجل ، ان معظم الحمالين من الأطفال الصغار والرجال الكسالى .

خطا خطوتين وتوقف ، سمع هاجسا :

- أنت كاذب يا (نعمان) ، لن تستطيع حمل الأكياس الثلاثة ، كان هذا حقيقة حين كنت فتيا ، عندما كانت أزقة السوق الملتوية تضج بصراخك وغنائك ، وأنت تفرغ سيارات كبيرة مليئة بأكياس الدقيق ، أما الآن ، فللعمر ضريبة ، هذا التقوس في الظهر ، وهذا الجلد المتجعد المرتخي ، والعينان الغائرتان في جمجمتك . . . وهذا الحزن الذي ما انفك يطاردك حتى في نومك تجمد في مكانه .

صباح هذا اليوم ، كان يستقبل ذلك البياض الأزرق الذي ألصقه لون الفجر فوق زجاج النافذة ، بعينين كسولتين ، وقد خانته قواه حين أراد أن يهب واقفا كعادته . بقي تحت الغطاء راقدا يحدق في العتمة الخفيفة الآخذة بالتبدد بين الأثاث الرث المتوزع في الغرفة ، تلفت ناحية عجوزه ،ود لو أنه يصرخ في وجهها ، لماذا لم تلدي لي ولدا يقينا شر هذا العمر .

لكن صوتها الذي تهدج بالتهليل جعله يبلع ريقه ويستغفر ربه ، وحين رفعت الغطاء لتوقظه كعادتها ، عبقت في انفه الرائحة المكبوتة تحت الغطاء دافئة وهرمة ، سمع صوتها مغلفا بالنوم :

- عليك أن تذهب ، عد مبكرا يا رجل ، عليك أن تكتفي بلقمة الخبز .

الجملة الاخيرة (لقمة الخبز) جعلته يصحو تماما وينهض .

كم هي الأحلام التي كبرت وكبرت ، ومن ثم صغرت وصغرت حتى اختفت يا (نعمان)،أراد أن يستعرض مشوار العمر المقذوف خلفه ، لكنه تحاشى ذلك ، وقد خرج من البيت وهو يتحاشى هذه المحاولة .

وها هو الآن في منتصف السوق ، يحاول أن يقترب من الرجل الذي يقف بجانب أكياسه ، تقدم منه ، ضحك صاحب الدكان وغمز بعينيه ، ثم قال بلهجة مستهترة : لن تستطيع حمل كل هذا يا (نعمان) ، يرحم الله أيام زمان . رد بسرعة ، بل استطيع .

بانت ابتسامة صفراء على وجه صاحب الأكياس ،



وبدا في ملامحه نوع من الانتصار غير المبرر . كأنه طرف في التحدي .

في تلك اللحظة كان (نعمان) يقف مرتبكا أمام مهنته ، التي قضى سنوات العمر فيها ، لأول مرة . . يقف هكذا ، باهتا ومقوسا ، وشعور بالشفقة تجاه نفسه يغمر كيانه ، كان خائفا من التورط ، لكن وقفته بجانب الأكياس والصلابة التي افتعلها بملامحه ، وجحوظ التحدي الذي في عينيه ، كل ذلك جعله يستمر في تحديه ، لكن صاحب الدكان أزاحه برفق قائلا :

- لن تستطيع ذلك يا (نعمان) الوحيد الذي يستطيع حمل الأكياس هو (عاشور) .

وهنا شعر (نعمان) بالغيظ ، وتمنى لو أنه لم يخلق ، ارتعشت يده اليسرى ، واهتزت شفته العليا بعصبية واضحة ، وود لو أنه يحمل هذه الأكياس وينثرها على أرضية السوق ويدوسها ، ويشتم كل الباعة ، ويمسك بعاشور من ثدييه المتكورين ويبصق

في وجهه ، ويركض . . يركض حتى يلقي برأسه على صدر امرأته منتحبا ، لكن أياً من هذا لم يحدث ، بل تقدم صاحب الدكان وأخذ ينادي ، وصوته يرتج في أنحاء السوق ممطوطا . .

ـ عاشور ـ عاشور

تقدم أحد الصبية من صاحب الدكان وقال بصوت رفيع .

ـ لحظات ويأتي (عاشور) لقد ذهب في حمولة قريبة .

واشتدت سواعد (نعمان) قسوة ، وتثبتت قدماه فوق الأرض ، وتشنجت ملامحه ، لاحظ ذلك بعض الحمالين في السوق ، وأخذوا يقتربون من الدكان كما اقترب بعض الفضوليين . وهنا أحس (نعمان) بعمق التورط وقرر ألا ينسحب مهما كان الثمن .

أطل (عاشور) من عند بوابة السوق ، رآه (نعمان) شابا مديد القامة مفتول العضلات ، عيناه تتراقصان وخطواته سريعة . ركض فرحا باتجاه الدكان واقترب من الأكياس ، ثم قال بسخرية جارحة .

ـ ها . . احمل يا (نعمان) ان كنت تستطيع .

شهق (نعمان) وتطلع في عيني عاشور بقسوة ، وتدخل صاحب الأكياس موجها كلامه لعاشور :

ـ هيا . .

أدرك عاشور بسرعة أن الامر لايخلو من المراهنة .

حل صمت عجيب على المكان . وبدت أنفاس المتجمهرين وكأنها مأخوذة بالرهان . أخرج (عاشور) حبله وربط الأكياس الثلاثة ، ومن ثم الصق ظهره بها ، وشد الحبل ، وهم واقفا . . كان الحمل ثقيلا ، ارتفعت الأكياس قليلا ، شهق عاشور ، أراد أن يدير جسده لكنه أرتخى فجأة . . وصرخ بصوت سمعه (نعمان) لاول مرة : لن أستطيع .

تقدم (نعمان) وأزاح عاشور بسخرية هادئة ، وتلفت مخاطبا صاحب الأكياس :

. . . كم تدفع ؟

ـ عشرة قروش بشرط أن تضعهم في السيارة .

ـ حسنا .

قالها (نعمان) وأدار ظهره للبضاعة ربط الأكياس بقوة ، واحكم وضع الحبل بشكل دائري حول العصبة الملتفة حول رأسه ، ونهض محدقا بعاشور وفي الوجوه التي غص بها المكان ، شد رأسه قليلا ليقيس مدى الثقل ، شد همته بحيث تتوازى مع الحمولة ، أمسك بيدين قويتين الحبل ، وهب واقفا ، ارتجفت ساقاه قليلا لكنه لم يخط أية خطوة كان يريد أن يثبت جسده فوق الارض ويزيل هذا الارتجاف ، تثبتت ساقاه مثل مسمارين فوق الأرضية الرطبة . وخطا أول خطوة والثانية والثالثة . ومشى فرحا ، والحمالون خلفه ، وضع الأكياس بهدوء داخل مؤخرة السيارة .

شد الحبل ووضعه على كتفيه . أحس بدوخة ، امتدت يده المرتعشة لتقبض على العشرة قروش بقوة ، سار بخطوات بطيئة باتجاه أحد الجدران ، تنفس بعمق .

وفجأة أدار ظهره للسوق وسار بخطوات واهنة باتجاه البيت . . وهو يصارع رغبة عارمة للبكاء . . . □

■ القرد . . قرد حتى ولو لبس الحرير ! (بن جونسون) .

■ الأمانة . . . فضيلة نمدحها ، ونتركها تموت جوعا (جوفينال) .

■ أتعس الناس المتردد ! (وليم جيمس) .

■ للطبيعة دائما قوة تفوق قوة التربية !! (فولتير) .

■ الحب عند الرجال ليس عاطفة وانما هو . . فكرة (مدام جيرار دان) .

■ كل عادة ، اذا لم تقاوم سرعان ما تنقلب الى حاجة (أوجستين) .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

كارثة القرن الواحد والعشرين

حتى لا يفاجئنا الغد ، يهتم العالم بشكل متزايد بما يسمى : دراسات المستقبل ، وهي دراسات لا تنبع من فراغ ، ولا تبتعد كثيرا عن الواقع ، وانما تبدأ منه لتستخلص النتائج والتنبؤات وتساهم في صياغة السياسات .

احدى الدراسات المهمة التي تجري في هذا المجال ما يتصل بالسكان ، وما يتصل بفرص العمل اللازمة لهؤلاء السكان .

واحدى الدراسات التي انتهت منها منظمة متخصصة وهي منظمة العمل الدولية دراسة تقول ان العالم سوف يحتاج الى توفير (١.٩) مليار فرصة عمل خلال الأربعين عاما القادمة ، وبمتوسط سنوي مقداره (٤٧) مليون وظيفة .

الرقم ليس صغيرا ، فتعداد العالم في الوقت الراهن يقترب من الخمسة مليارات نسمة ، وهو حسب تقديرات البنك الدولي سوف يصل الى (٦٠٨٨) مليون نسمة عام (٢٠٠٠) ، لذا فان دخول ما يقرب من مليارين من البشر الى سوق العمل ليس عملا يسيرا بل انه يكاد يقترب من الحجم الحالي لقوة العمل التي لا تتجاوز (٢١٦٠) مليون نسمة ، وفقا لتقدير منظمة العمل الدولية .

خطورة الأرقام : تركزها في العالم الثالث . . حيث تأتي آسيا في المقدمة ، تليها أفريقيا ، ثم أمريكا اللاتينية .

قد يتصل ذلك بنسبة نمو السكان المرتفعة في القارات الثلاث . . وقد يتصل في نفس الوقت بتركيب السكان ، ودخول نسبة عاليةمنهم لما يسمى « سن العمل » . . لكن المهم أن مجال السبق - وربما مجال الأزمة - سوف يكون أكثر وضوحا في العالم الثالث ، ويتوقع البنك الدولي أن يشهد نموا في قوة العمل في حدود (٢,٥) بالمائة سنويا . . في مقابل نصف في المائة فقط في الدول الصناعية المتقدمة . . سواء في المعسكر الغربي أو المعسكر الاشتراكي وحتى عام (٢٠٠٠) .

كيف يواجه العالم الثالث هذه الحقائق ؟ . . . وكيف يتوفر لآسيا وحدها - وعلى سبيل المثال - توفير فرص عمل مقدارها (٨١٢) مليون فرصة في هذه الفترة الوجيزة ؟

اذا جاءت الاجابة من الغرب ، أو ممن تلقوا تعليمهم في الغرب ، فانها ستتجه على الأرجح لمعادلة تقول : « لكي نزيد من الاستثمار فلا بد أن نزيد من الادخار وتراكم رأس المال » . . وباختصار سوف تكون مشكلة رأس المال هي الأساس . . وسوف يكون الغرب - ببنوكه ومؤسساته المالية وحكوماته الثرية - هو الملاذ - وان كان لذلك صعوباته أيضا !

ولكن . . هل تتركز مشكلة العالم الثالث في ندرة رأس المال ، فاذا توفر اتيحت التقنية وتوفرت الآلات ، وأقيمت المشروعات . . وتم حل مشكلة العمالة الجديدة ومعها مشاكل الفقر والنمو المتباطيء ؟

الأمر ليس على هذا النحو ، صحيح أن رأس المال في دول محدودة الدخل يمثل مشكلة . . لكن الوجه الآخر - والأهم - لهذه المشكلة هو نمط التنمية الذي نريده ونمط الحياة الذي نبنيه .

** نوعان من التنمية :

لقد مارست الدول النامية كلها التنمية بدرجة أو باخرى . . وحاولت أن تقدم الجهد المتعمد للاسراع بنسبة النمو . . لكن معظم هذه الجهود كانت امتدادا لما يحدث في الغرب وتقليدا له .

يبدأ الأمر بأنماط في الاستهلاك تحاكي العالم المتقدم . . ويبدأ باستيراد كل شيء . . من السيارة الى الطائرة وعلبة اللحوم المحفوظة والتليفزيون الملون . . وينتهي الأمر بخطط للانتاج تحاول أن تفي بحاجة هذا الاستهلاك . أيضا فانه يبدأ باستخدام الألات الصغيرة التي توفر الجهد لست البيت وسكرتيرة المكتب ، وينتهي باستخدام الآلات الكبيرة التي يحكمها العقل الألكتروني ، ويديرها خبراء من الطراز الأول .

انه نمط متكامل « وارد الخارج » ، وهو نمط له تكلفته ، لأنه الأحدث ولأنه يسبق تطور وامكانيات المجتمع . . واذا كان هناك نوعان من المشروعات : نوع يكثف راس المال ـ بمعنى انه يحتاج الى تقنية معقدة ورأسمال كثيف ـ ونوع يكثف العمل ، ويزيد فرص العمالة . . اذا كان هناك هذان النوعان ، فان نمط التنمية السائد كثيرا ما ينحاز في العالم الثالث للنمط الأول الأكثر تعقيدا والأقل استخداما لقوة العمل .

ربما يكون ذلك بسبب عقدة « التخلف والتقدم » . . أي أنه كلما حصلنا على الأكثر تقدما صعدنا في سلم الحضارة . . أو هكذا يجري الاعتقاد !

وربما يكون الأمر بتشجيع من الطرف الأخر ، فالذين سبقونا في التقدم ، ويسبقوننا الأن في النصح وتقديم تجربتهم وخبراتهم ، يؤثرون دون شك تصدير مالديهم من آلالات وسلع ، ومن فنون انتاجيةتعرف باسم « التقنية » صحيح أنهم يحتفظون بمسافة بينهم وبين العالم الثالث ، لكنهم يجذبونه وراءهم ، بما يجعله سوقا دائما لمنتجاتهم ، سواء كانت سلعا مادية أو انتاجا ذهنيا .

وعلى العكس فان هذه الدول المتقدمة لا تجد لنفسها مصلحة في تنمية مستقلة للعالم الثالث . . . تنمية تعتمد على تقنية محلية ، ومشروعات مكثفة للعمالة ، مستخدمة المتوفر والمتاح في البيئة .

السبيان اذن قائمان : نمط التنمية الذي يختاره قادة العالم الثالث ، ونمط العلاقات الذي يربط هذا العالم بالعالم المتقدم . . ويتصل بالأمرين نمط الحياة التي نرغب والمستقبل الذي نبني .

** القاعدة والاستثناء :

واذا كانت هذه هي القاعدة ، وهي قاعدة تفاقم مشكلة الملايين التي سوف تبحث عن فرصة عمل في الأربعين عاما القادمة ، وما يليها أيضا من أعوام . . . فانه بطبيعة الحال هناك استثناء من القاعدة . . . هناك على سبيل المثال : التجربة الصينية ، فبلد الألف مليون تعتمد على الذات الى حد كبير ، وتعتمد على فنون انتاجية في الصناعة والزراعة والمرافق والخدمات تناسب الأعداد الكبيرة . . وقد تتكرر الاستثناءات ، ولكن الأغلب الاعم : أنماط من التنمية تزيد المشكلة تعقيدا في العالم الثالث .

و . . اذا أخذنا في الاعتبار بقية العوامل . . اذا عرفنا أن ما يقرب من نصف العالم يدخل فيما تسميه المنظمات الدولية « الدول منخفضة الدخل » . . واذا عرفنا أن نسبة النمو في بعض بلدان العالم الثالث في الثمانينيات قد أصبحت سالبة ، أي أن متوسط الدخل والمعيشة فيها ينخفض . . واذا أضفنا حقيقة أن (٧٣٪) من قوة العمل في الدول منخفضة الدخل تعمل في الزراعة . . مقابل (٦٪) فقط من المشتغلين في الدول الصناعية المتقدمة ، اذا عرفنا كل ذلك لأدركنا أن مشكلة الأيدي الجديدة التي تتطلع الى العمل في العالم الثالث قد تتحول الى كارثة اجتماعية واقتصادية .

لقد عرف الشرق والغرب البطالة السافرة أو المقنعة . . لكن كليهما وضع أسسا للتعامل معها ومحاولة القضاء عليها .

السؤال عن أحوالنا في العالم الثالث : ماذا نحن فاعلون ؟ ونقول : الأمر على هذا النحو يمكن أن يكون « كارثة القرن الواحد والعشرين » ؟

والا حل الا بمراجعة واسعة لأسلوب الحياة ونمط التنمية ، فالغرب ليس هو النموذج ، والانسلاخ عن البيئة ليس هو التقدم . . والأحدث من السلع والأفكار ليس هو الأفضل في كل الحالات . □



الأزمة المالية العالمية

ومشكلة الديون

بقلم : الدكتور يوسف سليمان الفاضل

المديونية الخارجية من الظواهر القديمة المرتبطة بتطور العلاقات الاقتصادية الدولية - وخلال تاريخها الطويل كانت هذه الظاهرة محدودة الحجم . . الا أنها تطورت في الخمس سنوات الأخيرة لتصبح من أعقد القضايا المطروحة على الساحة الاقتصادية الدولية - والعربي - تطرح من خلال هذا المقال تلك الظاهرة عالميا وعربيا على بساط البحث .

كثرت المؤتمرات والمناقشات والكتابات والقرارات التي تعالج مشكلة الدين العام للدول النامية ، والمشاكل الاقتصادية المترتبة على العجز الكبير في موازين مدفوعاتها الدولية ، بدون حل ولا حتى بالاقتراب من أمل في حلها ، فما هي المشكلة في الأساس ؟ وما هي نتائج الوضع الحالى لدول العالم الثالث ؟

لقد برزت مشكلة الدول النامية بشكل كبير واضح بعد الحرب العالمية الثانية ، بسبب حصول معظم تلك الدول على استقلالها ، ومحاولتها بناء اقتصادها الوطنى ، والتخلص من التبعية الاقتصادية للدول الصناعية ، لكن معظم محاولاتها في الزيادة من دخولها الحقيقية - لا النقدية فقط - قد باءت بالفشل ، رغم وفرة ثروتها الوطنية الطبيعية ، والرغبة الحقيقية في

التقدم والازدهار ، وذلك لأسباب عديدة ، اهمها : قلة إنتاجيتها الزراعية وسيطرة القطاع الزراعي على باقى القطاعات الأخرى ، نتيجة للفقر المدقع حتى مستوى الكفاف . تلك الحالة تجعل الفرد العامل في ذلك القطاع أو غيره ، يدور في حلقة مفرغة ، فهو فقير لا يستطيع أن يملك الأدوات والمعدات الضرورية التي تجعله قادرا على تحسين وضعه الاقتصادى ، لأنه لا يملك المال الكافي لكي يشترى تلك المعدات ، ولا يستطيع صنعها ، لجهله وعدم توفر المواد الضرورية لديه لصنعها ، والاخطر من ذلك يكمن في الحقيقة المرة المتمثلة في فقر السياسات الاقتصادية التي اتبعتها تلك الدول ، في محاولتها للرفع من وضعها الاقتصادى ، فمعظم تلك الدول تريد أن تصنع نفسها بطريقة أو بأخرى ، وبأقصى سرعة ، مما أدى الى اهمالها للقطاعات الاقتصادية الأخرى ، وخصوصاً القطاع الزراعى ، كما اهملت سياساتها السكانية الى أقصى الحدود ، مما جعلها في حالة تدهور اقتصادى مستمر .

نموذج الهند

والهند أكبر مثل على ذلك فهي منذ استقلالها في اغسطس سنة ١٩٤٧ م وحتى أوائل السبعينيات ، ركزت الهند على التصنيع الثقيل واهملت القطاع الزراعي ، ففشلت في الاثنين معا ، وعمت الفوضى الاقتصادية فوصلت ذروتها ، ولكن في أواخر الستينيات وعند أوائل السبعينيات تدارك الاقتصاديون الهنود الموقف ، وغيروا من خططهم واستراتيجياتهم الاقتصادية ، فركزوا على القطاع الزراعي الذي وفر الغذاء لشعب جائع ، لا بل أمكن تصديره ، فأجمع الاقتصاديون على نجاح سياساتهم الاقتصادية التي بدأت آثارها الطيبة في نجاح القطاع الصناعي .

إن إهمال الدول النامية لسياساتها السكانية جعل المنافع المرتقبة صعبة التحقيق ، زد على ذلك أن الفوائد الثابتة والمتحركة المتوقعة من التجارة الدولية مع العالم الصناعي لم تؤت أكلها ، فالشركات الأجنبية العاملة في المناجم أو أي ميدان من ميادين صناعات العمليات الاستخراجية للمواد الأولية ، لم تدفع ضرائبها ، كما يجب ويحق ، للحكومات المضيفة لها . كما أنها لم تشتبك اقتصاديا مع القطاعات الأخرى المكونة للاقتصاد الوطني لتلك البلاد النامية ، أضف الى ذلك أن مستوى العمالة ومستوى الأجور منخفضان في العمليات الاستخراجية في قطاع المناجم ، مما جعل أثره الاقتصادي من ناحية الدخل ضئيلا جدا ، ولقد زاد الطين بلة أن بدأت أسعار المواد الأولية المصدرة تنخفض ، بسبب الركود الاقتصادي في الدول الصناعية ، وبسبب التغيرات التقنية في القطاعات الصناعية المتعددة الأطراف ، ومما جعل وضع تلك الدول النامية في حالة يرثى لها زيادة أسعار المواد الرأسمالية المستوردة الناتجة عن ازدياد التضخم المالي في العالم الصناعي ، وآخرها بدون شك ازدياد أسعار البترول الخام ومشتقاته في أوائل السبعينيات .

كل العوامل السابقة ، الى جانب تفشي الفساد الادارى ، وعدم الاستقرار السياسي ، وتعدد الانقلابات العسكرية في معظمها ، جعل من الصعب وضع سياسة اقتصادية انمائية ، وخطة تنفيذية لتلك السياسة الاقتصادية ، وعلى ذلك اعتمدت الدول النامية على المساعدات المالية والعينية من البنك الدولى للانشاء والتعمير ، وصندوق النقد الدولى ، كذلك المؤسسات الحكومية التابعة للدول الصناعية المهتمة بشؤون المساعدات المالية والفنية للعالم الثالث ، وأخيرا دخلت بعض الدول المصدرة للبترول وبخاصة الدول العربية كالكويت ، وقطر والمملكة العربية السعودية ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ضمن الدول المقدمة للمساعدات المالية للدول النامية ، وعند بداية السبعينيات بدأ صندوق الأوبك بتقديم المساعدات المالية للدول النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، من أجل التخفيف من حدة أثر ارتفاع أسعار النفط على الاقتصاد الوطنى للدول النامية .

والحقيقة أن من الخطأ الكبير أن نبالغ بمقدرة صندوق منظمة الأوبك على حل المشاكل الاقتصادية في الدول النامية ، فالاعضاء المولون لصندوق الأوبك هم أنفسهم دول نامية ، ويعانون من مشاكل عديدة

مرتبطة ارتباطا جذريا بأصول التنمية الاقتصادية ، والآن ، وبعد انخفاض أسعار البترول الخام ، سوف تقل أهمية دور صندوق الأوبك في مجال تقديم القروض السهلة للمشاريع الانتاجية في الدول النامية ، وكما ذكر سابقا ، عن عدم المبالغة بدور صندوق الأوبك ، تكشف لنا الأرقام التالية حقيقة الأمر ، فأولا : إن القيمة الكلية للدخول القومية للدول الأعضاء في منظمة الأوبك ، لا تزيد على ٤٪ من الدخل العالمي ، وثانيا : انها لا تربو على ٧٪ من القيمة الكلية للدخول القومية لدول منظمة التعاون الاقتصادي ، وجميع أعضائها من الدول المتقدمة صناعيا وزراعيا ، وثالثا : ان الدخول القومية لمنظمة الأوبك أقل من ٥٠٪ من الدخل القومي لليابان ، وتقارب ١٧٪ من الدخل القومي للولايات المتحدة الأمريكية ، وبعد ذلك هل لنا أن نسأل من هو الأقدر على تقديم القروض غير المشروطة ؟ أهي الدول الأعضاء في منظمة الأوبك أم الدول الصناعية ذات المقدرة العالية والتنويعية الاقتصادية في دخولها القومية ؟

لا شك أن الدول الصناعية هي الأقدر ، وإن أعطت مساعدات مالية ، فإنما تعطى من فائض مالى ناتج من هياكلها الاقتصادية المتعددة القطاعات ، ذات الانتاجية العالية ، أما منظمة الأوبك أو أعضاؤها فان قدموا مساعدات مالية للدول النامية ، فانما يقدمون من دخلهم الحقيقي الوحيد وهو النفط ، الذي لا يزال لم يغير من الهياكل الاقتصادية للدول الأعضاء في منظمة الأوبك ، لكى تكون قادرة اقتصاديا على الاستقلال عن النفط أو الحد من الاعتماد الكلى عليه ، وأخيرا فان ٩٠٪ من مجموع ديون الدول النامية ترجع مسؤوليتها لعشر دول متوسطة الدخل ، خمس منها أعضاء في منظمة الأوبك ، وفنزويلا تمثل أكبر المستدينين بينهم .

المساعدات العينية

أما المساعدات التي جاءت من صندوق النقد الدولي بصفة عينية ، بشكل استشارات ونصائح اقتصادية ، والمساعدات المالية بصفة نقدية من البنك الدولى للانشاء والتعمير ، فلم تغير من الوضع الاقتصادى للدول النامية ، فمن المؤسسة الأولى جاءت النصائح صعبة التطبيق ، كزيادة الضرائب لتخفيض أجور العمال التي هي أصلا عند مستوى الكفاف ، ومن الناحية السياسية ، فان الأخذ بنصائح صندوق النقد الدولي لم تكن مقبولة أبدا من معظم الدول النامية ، وذلك بسبب آثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فأثر تلك السياسة هو التقليل من الدخل الحقيقي للفرد ، عن طريق تجميد أجره وتقليل المصروفات الحكومية ، مما يعنى عدم توفر الخدمات المدعومة من الحكومة ، وزيادة الضرائب سوف تزيد من غضب الشعب ، ولذلك فان جميع نصائح صندوق النقد الدولي كانت غير مقبولة من قبل الجهات الحاكمة ، فقبولها بتلك النصائح من أجل تحسين موازين مدفوعاتها الدولية ، معناه سقوطها من الحكم ديمقراطياً ، وأي حكومة أخرى تأتي بعدها سوف تقع في نفس المشكلة ، وهكذا تستمر الحلقة المفرغة . اذن ما الحل الأمثل الذي كان يراود عقول وزراء المال في الدول النامية دون أن تتعرض حكوماتهم لضغط أو تغيير سياسي ، وبدون الأخذ بنصائح صندوق النقد الدولى وغيره من المؤسسات المالية الدولية ؟

الجواب عن هذا السؤال هو الذي أوقع الدول النامية والعالم كله في أزمة مالية لا حد لها ، ولا حل لها في القريب العاجل ، ولا حتى في الأمد الطويل ، فحلول وزراء المال للدول النامية كانت تعنى الاقتراض من الحكومات الصناعية ، والبنوك التجارية العالمية التي كانت ودائعها تزداد يوما بعد يوم ، خصوصاً بعد الزيادة الكبيرة في أسعار النفط الخام ، مما حدا ببعض الدول الأعضاء في منظمة الأوبك الى ايداع فائضها المالي العالى لدى تلك البنوك التجارية العالمية بصورة ودائع قصيرة الأجل .

بدأت تلك البنوك التجارية العالمية ، وخصوصاً الأمريكية منها ، بتقديم القروض المودعة لديها لأجل قصير الى الدول النامية ، لكى تغتنم فرصة سعر الفائدة العالى التي كانت الدول النامية مضطرة الى قبوله ، من أجل حل بعض مشاكلها الاقتصادية ، وتحسين أوضاع موازين مدفوعاتها الدولية ، ثم ازدادت تلك القروض وحان أجلها ، فلم تستطع

الدول النامية الدفع ، فتحولت تلك القروض الى قروض طويلة الأجل لتمويل بعض المشاكل الهيكلية في الاقتصاد الوطني للدول النامية حتى أصبحت قيمة الديون الكلية لدول العالم الثالث حتى شهر يونيو ١٩٨٤ ، أكثر من ٨٥٠ مليار دولار ، بعد أن كانت حوالى ١٢٠ مليار دولار قبل اكتوبر ١٩٧٣ . أي قبل الزيادة الكبيرة في أسعار البترول الخام .

أما بالنسبة لتوزيع تلك الديون على الدول النامية ، فقد أخذت الدول الأفريقية عشرة في المائة منها ، وخصت دول آسيا بستة وعشرين في المائة ، وحصلت دول شرق أوروبا على أحد عشر بالمائة منها ، ودول الشرق الأوسط على ٨٪ منها فقط ، أما نصيب الأسد فقد أخذته دول أمريكا اللاتينية ، حيث حصلت على خمسة وأربعين في المائة من مجموع الديون الكلية ، أما بالنسبة للدائنين ، وخصوصاً البنوك التجارية العالمية ، فتوزيع حصصها تكشفه الأرقام التالية :

فالبنوك الأمريكية قدمت أكثر بقليل من ثلث مجموع الديون التجارية ، والباقي قدمته البنوك الأوروبية واليابانية وبعض البنوك العربية التي تورطت بقروضها لبعض دول أمريكا اللاتينية ، ولقد قدمت عشرة بنوك أمريكية نصف الثلث من الجانب الأمريكي ، وهذه البنوك هي :

سيتي بنك ، بنك أوف أمريكا ، بنك شيس منهاتن ، بنك مورجن جرنتيه ، وبنك مانيوفاكتشرر هانوفرز ، وكيميكال بنك ، ـ كونتيننتال الينوى ، وبانكرز ترست ، وفيرست ناشنال بنك أوف شيكاغو وأخيرا ويلز فارجو .

البنوك والاقتصاد الأمريكي

هنا يكمن الخطر ، فتلك البنوك هي الأسس المالية التي يرتكز عليها الاقتصاد الأمريكي ، فاذا ما رفضت الدول النامية أن تدفع ديونها ، فقد يقود ذلك الى إفلاس بعض تلك البنوك السالفة الذكر ، وآثارها السيئة لن تقف عند التأثير الخطير على الاقتصاد الأمريكي ، بل سوف يؤثر تأثيرا ضارا على الاقتصاد العالمي ، ودول العالم الثالث تعي هذه المشكلة ، وهي غير قادرة على الدفع ، ولذلك طلبت تخفيض مديونيتها ، وتمديد مدة الدفع الى وقت أطول ، كل ذلك جاء عن طريق ما يسمى الآن بإعادة برمجة الديون . وفي الحقيقة أن إعادة برمجة تلك الديون لن يحل المشكلة المالية بالنسبة للدول النامية . والبنوك المقرضة لها ، بل سوف يؤجل تفاقمها وزيادة حجمها ، حيث ان الزيادة المطردة في سعر الفائدة الأمريكي ، سوف يزيد من تكلفة القروض التي تسلمتها الدول النامية حتى لو قل سعر الفائدة لفترة قليلة ، وعلى ذلك ، فلقد قررت احدى عشرة دولة من أمريكا اللاتينية ، أن تعقد مؤتمرا في كولومبيا في أواخر شهر يونيو ١٩٨٤ م لمناقشة تلك المشكلة وإيجاد حل لها .

كان الهدف من ذلك المؤتمر هو خلق قوة تفاوضية جماعية ، في وجه البنوك التجارية العالمية ، ومحاولة التغيير أو الحد من سياسات التقشف التي فرضت عليها من البنوك التجارية ومن النقد الدولي ، ولكن بسبب الاختلافات بين وزراء المال لتلك الدول في ذلك المؤتمر ، صار من الصعب موافقة الجميع على خطة واضحة تمكنهم من الدفع .

خلاصة القول

وخلاصة القول أن مشكلة ديون العالم الثالث سوف تزداد وخصوصاً ديون دول أمريكا اللاتينية ، التي تزداد تقريبا بنسبة تسعة عشر في المائة سنويا ، ولو فرضنا ان دول العالم الثالث سوف تكون قادرة على التصدير الى الخارج لكل ما تنتجه ، فلن تقدر على دفع ديونها ، ولا حتى دفع سعر الفائدة المتراكم حتى يومنا الحاضر .

الحل يكمن في قوة الاعتماد على النفس وضرورة الاستقرار السياسي والاقتصادي لتلك الدول ، مع الأخذ بعين الاعتبار ، التخلص من الفساد الاداري ، وجعل العلم هو الأساس المستقبل لحل مشاكل دول العالم الثالث عن طريق الحد من النمو السكاني ، وعن طريق الدور الأساسي لعلماء دول العالم الثالث في حقل الطاقة ، وقطاع البيولوجيا الهندسية التي سوف تزيد من انتاجيتهم الزراعية والصناعية ، وأخيرا ، فالتعاون الدولي ، لا شك ضروري من أجل مستقبل أفضل للانسان في دول العالم الثالث والدول المتقدمة . □

حكايات شرق وغرب

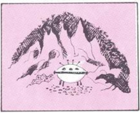
بيت الأحلام في المريخ

بعد عشر سنوات أو أكثر او أقل ، سوف يتمكن الناس من الانتقال من الأرض الى المريخ ، حيث يبدأون هناك حياة جديدة .. ولن تكون الرحلة مكلفة ، فهي لن تزيد عن ثمن البيت الذي يمتلكونه ويعيشون فيه الآن على كوكب الأرض !!

والمريخ نفسه ، سوف يصبح بطبيعة الحال صالحا للحياة على سطحه ، بفضل اغراقه بالمواد الكيميائية وبذور النباتات ، رغم جوه الشديد البرودة الآن ، ورغم عدم وجود مياه سائلة ، ووجود غاز ثاني أكسيد الكربون في الأجواء المحيطة به

هذه الحقائق المذهلة هي توقعات لأحد كبار علماء الفضاء ، وهو البروفسور جيمس لوفلوك ، وقد ضمنها كتابه الجديد « المريخ الأخضر » الذي عكف على وضعه بالتعاون مع مايكل ألابى الذي يسهم في وضع قاموس اكسفورد للتاريخ الطبيعي .. وهما يجدان في هذا الكتاب تشابها كبيرا لما أعده كريستوفر كولمبس لاقناع هؤلاء الذين تشككوا في جدوى رحلته الى الغرب ...

ويقول العالمان ان تحويل المريخ .. هذا الكوكب الميت ، البارد الأحمر الى مكان يصلح لحياة الانسان ونمو النبات ، قد يكون امرا أسهل مما نتصور .. « اننا نستطيع أن ننشر الحياة في المريخ عن طريق استخدام آلاف الصواريخ التي تحمل المركبات الكيميائية اليه ، بحيث نجعلها تنفجر على سطحه ، ثم ننتظر حتى يتحول هذا السطح الى مزرعة خضراء .. وقد تكون هذه هي الخطوة الأولى في



سبيل تدفئة الجو الذي يحيط بهذا الكوكب البارد !

ثم يلتقي المؤلفان بعد ذلك في تأكيدهما على أن هذا المشروع لن يتكلف كثيرا ، اذا قورن بالنتائج التي ستعود على البشرية بعد أن ينتقل اليه سكان الأرض .

وعندما يشيع الدفء في المريخ ، فسوف يزداد الضغط الجوي المحيط به ، وستذوب الثلوج وتجري المياه ، وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية بارسال بذور النباتات التي ستسهم بدورها في تدفئة جو هذا الكوكب البعيد ، وتمتص ثاني أكسيد الكربون وتضاعف من كمية الأوكسيجين في الجو ، وتغذي أرضه القاحلة الباردة .

ثم يقول البروفسور لوفلوك ان المريخ بعد ذلك سوف يكون معدا للاستعماريين القادمين من كوكب الأرض ، ولن يكون الطقس فيه اكثر برودة من أمريكا الشمالية ، وأن الرحلة اليه في سفن الفضاء

التي ستنطلق بسرعة ١٨٠ ألف كيلومتر في الساعة ، لن تكلف اكثر مما دفعه الرواد الأوائل الذين نزحوا الى العالم الجديد (امريكا) بعد اكتشافها .

الاختلاف الوحيد بين الرحلتين هو أن المسافر الى المريخ سوف يقطع تذكرة للذهاب فقط بلا عودة ، وقد يضطر في بادىء الأمر الى بناء مسكن خاص به وحده ، وربما وضع جسمه في بدلة الفضاء وحمل معه أنبوبة مليئة بالاوكسجين ، الى أن يعتاد تدريجيا على هذا الجو الجديد ، وعندئذ سوف يمضي في حياته متنقلا على سطح المريخ تماما كما كان يفعل في الأرض . . ثم يخاطب العالمان القراء بقولهما : « لاتقولوا أن هذه الانجازات مستحيلة لأنها تفوق تخيلاتنا . . فهي ليست سوى بعض ما سوف يحققه العلم وسط قائمة طويلة مما نتصور اليوم أنه مجرد أحلام . . ولكن هل توقفنا لحظة نتأمل فيها الأحلام التي أصبحت حقيقة ملموسة نعيشها ! »

وعاد الأب وحده يبكي !



وقف الصبي جوون لونج الذي لم يبلغ السادسة عشرة من عمره يطرق باب البيت الريفي الصغير ، في رفق . . وطال انتظاره بعض الشيء ، قبل أن يفتح الباب ويلتقي الصبي لأول مرة بأهل البيت الذين سألوه في تحفظ : « ومن تكون أنت أيها القادم الغريب ؟ !

وقال الصبي في كلمات تخنقها الدموع : « أنا ابنكم جوون !

وسقطت الأم على الأرض مغشيا عليها ، وتمالك الأب نفسه وقال : :« ولكن جوون مات وواريناجثمانه الصغير التراب منذ ثلاثة عشر عاما . . من تكون أنت . . ليس هذا وقت المزاح يابني ! »

وعاد جوون يؤكد للرجل الذي وقف أمامه في ذهول أنه ابنه الذى مات ودفن منذ ذلك الوقت البعيد !!

كيف حدث هذا وماهي قصة جوون التي خرجت القرية الصغيرة في مقاطعة جيزهو بالصين ، تستمع اليها في دهشة ، وهي لاتصدق رواية الصبي !

قال الأب الفلاح لونج ان جوون مات بعد مرض قصير لم يجدوا له علاجا منذ هذه الفترة الطويلة ، وكان يومها في العام الثالث من عمره ، وقد قامت الأسرة بدفنه في مكان قريب من البيت الصغير الذي يعيشون فيه ، ومرت بضعة أيام ، ذهب بعدها الأب والأم وأشقاء جوون الصغير لزيارته في قبره ، ولكنهم لم يجدوا القبر . . . . ووجدوا الأرض من حوله وكانها قد حرثت وأعدت للزراعة !

وعادوا الى البيت ، وقد ازداد ألمهم لفراق جوون الصغير بعد أن اندثرت معالم المكان الذي دفن فيه !!

ويسكت الأب ويكمل فلاح آخر يدعى تانج كيكونج القصة فيقول انه كان يعمل بمحراثه عندما سمع صوت بكاء طفل صغير تحت التراب ، فأسرع اليه وحمله الى بيته وراح يعنى به هو وزوجته ويقدمان له الرعاية التي يحتاج اليها . . . ولم يكن صعبا بعد ذلك ان يكتشف كيكونج شخصية جوون ، ولكنه كان حريصا على أن يخفي الحقيقة عنه ، لانه كان يريد أن يحتفظ به ابنا له .

ولكن ضميره استيقظ في النهاية ، فروي للصبي القصة كاملة ، ثم اصطحبه الى بيت والده ، وتركه أمام البيت وعاد الى بيته يبكي !!

عيد ميلاد سعيد!

« انني أحب هذا الرجل ، فأنا اشعر أنه واحد من أفراد الشعب الذين يمكن أن يلتقي بهم المرء في أي مكان .. صحيح انه رجل أنيق يعنى بمظهره .. ولكنه في النهاية واحد منا ! .

بهذه الكلمات البسيطة عبرت احدى نساء موسكو عن مشاعرها أثناء الحفل الصغير الذي أقيم بمناسبة عيد ميلاد ميخائيل جورباتشيف ، الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي !



أما الزعيم السوفيتي الذي احتفل ببلوغه الخامسة والخمسين ، فقد استطاع أن ينتزع اعجاب كل الذين حضروا مؤتمر الحزب الشيوعي في موسكو الذي تصادف انعقاده في نفس الأسبوع الذي كان جورباتشيف يتلقى فيه التهاني من أصدقائه وأقاربه بمناسبة يوم مولده .

والذي حدث ان المخرج السينمائي ليفي كوليدزانوف ، وقف يلقي كلمة في المؤتمر . ولاحظ جورباتشيف ان اسمه قد تردد في الخطاب أكثر من مرة ، مقرونا بعبارات الاطراء والمديح .. وكانت المفاجأة عندما ارتفع صوت جورباتشيف في الميكروفون وتدخل مقاطعا ، قال : « لقد تكرر ذكر اسمي كثيرا في خطاب الرفيق كوليدزانوف ، وأرجو الا أسمعه مرة أخرى ! قالها وهو يبتسم .. وهنا ضجت القاعة بالضحك ، ودوى تصفيق الحاضرين طويلا ...

وعندما انتهى المؤتمر ، فتحت الأبواب ، ولكن بدلا من أن يخرج الحاضرون ، دخلت مجموعة كبيرة من الأطفال الذين كانوا يرتدون الزهور المصنوعة من الورق ، وهم ينشدون أحب اغنيتين الى نفسه ، وكانت الأولى عن الكومبيوتر آلة المستقبل ، والثانية عن الحملة التي يتزعمها جورباتشيف ضد حرب النجوم !

مخ اينشتاين مازال حيا !

هل كان البرت اينشتاين انسانا غير عادي ؟ تقول البروفسورة ماريان داياموند ، من علماء التشريح بمدينة بيركلي بولاية كاليفورنيا ، أن مخ اينشتاين كان يحتوي على نسبة مرتفعة من خلايا من نوع معين تزيد على النسبة الموجودة في مخ الرجل العادي بنسبة ٧٣٪ .. وهي متصلة اتصالا مباشرا بعملية التفكير والذكاء .

وكانت البروفسورة دايا موند قد أمضت ستة أشهر كاملة مشغولة بتشريح قطع من مخ العالم الكبير صاحب نظرية النسبية ، ثم مالبثت ان خرجت بهذه النتيجة ، وقالت ان هذا هو السر في عبقرية هذا الرجل .

المهم في الأمر هو كيفية حصول البروفسورة دايا موند على مخ اينشتاين بعد مضى هذه الأعوام الطويلة على رحيله في عام ١٩٥٥ . والقصة تبدأ عندما شاهدت ماريان صورة لمخ اينشتاين في احدى المجلات العلمية القديمة ، ثم اكتشفت أن أحد علماء الباثولوجي « أو علم الأمراض مازال يحتفظ بمخ هذا العالم العبقري ، كما هو دون أن يطرأ عليه أي تغيير ، وكان العالم قد شارك في تشريح جثة اينشتاين بعد وفاته .

وأرسلت اليه ترجوه أن يبعث اليها ببعض الشرائح من مخ هذا العبقري ، ولكنه تردد في البداية ، لأنه لم يكن يريد أن يفترق عنه ، ثم مالبث أن استجاب لطلبها .

وتقول ماريانا التي أمضت سنوات عديدة في دراسة خلايا المخ « لقد أحسست بعد هذا الاكتشاف أنني قد عثرت على السر في تفوق صاحب هذا المخ الذي قدم للعالم نظرية النسبية .. لقد كنت أواجه حقا شيئا غير عادي ! »

عندما أحس بالوحدة !

يبدأ الرجل يشعر بالوحدة عندما تتقدم به السن ، فينظر حوله فلا يجد احدا يهتم به ، أو ينتظر عودته أو يشعر بالحنين اليه اذا غاب عنه ! ولكن شيئا من هذا كله لم يحدث في حياة والديميرو سيلفا الذي كان يعيش في وحدة قاتلة لسنين طويلة ، دون أن يشاركه حياته أحد !

ولكن يبدو أن والديميرو لم يعد يحتمل هذه الوحدة ، فقد قرر فجأة أن يبحث لنفسه لأول مرة عن زوجة تشاركه حياته ، وفي صباح أحد أيام الربيع الذي مضى هذا العام ، قرأ سكان مدينة ريودي جانيرو عاصمة البرازيل السابقة خبر زفاف والديميرو على المرأة التي اختارها أخيرا لتصبح زوجة له ، فقد كان الرجل من نجوم المجتمع البرازيلي !

أما العروس السعيدة ، فقد جاوزت عامها السابع والخمسين ، وأما والديميرو فقد قرر أن يكون احتفاله بزواجه في نفس اليوم الذي وقف يطفىء فيه مائة وتسع عشرة شمعة من عمره الطويل !

يقول أصدقاؤه الذين حضروا حفل زواجه : « لقد حمل والديميرو عروسه كما يفعل الشباب في سن الثلاثين ! »



لقد استطاع هذا المعمر أن يؤكد النظرية التي تقول ان عمر الانسان لايقاس بعدد السنين التي أمضاها على الارض !

قال العريس عندما سألوه عن سر هذا القرار المفاجىء : لقد أدركت ألم الوحدة التي أعيش فيها ، عندما أصبت بالانفلونزا لأول مرة في حياتي ، ولم أجد أحدا يعطيني الدواء !! .

■ **لن تكون متحدثا مجيدا حتى تتعود أن تجيد الاصغاء (كريستوفر مورلي) .**

■ **تتكون العظمة من محاولة أن تكون عظيما .. وليس هناك أي طريق آخر للعظمة (ألبير كامي) .**



الطب النفسي عند العرب والمسلمين

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

ما الذي يسلم النفس للمرض غير الأزمات العاصفة ، والضائقات المالية ، وصعوبات الحياة ، وتسارع أحداثها وضوضائها ! وهل لأمراض النفس صلة بأمراض البدن ؟ وهل للوراثة دور تمارسه ؟

بات معروفا لدى الأوساط الطبية ، ما تحدثه العوامل النفسية ، كالتوتر والقلق والخوف والطموح وافتقاد العطف ، من تأثير في بعض الأمراض الجسمية ، يؤدى الى اضطراب وظيفي أو تلف عضوى ، وتؤكد هذه الأوساط أن الأمراض النفسية تصيب الأجهزة والأعضاء الخاضعة لتأثير الجهاز العصبى المستقل ، ومن بينها : الجهاز الهضمي ، والجهاز التنفسي ، والجهاز البولي ، والتناسلي ، وجهاز الغدد الصماء ، والدورة الدموية ، والقلب ، كما تشمل بعض الأمراض الجلدية ، والحساسية لبعض المواد ، اضافة الى قرحتى المعدة والاثنى عشر ، وزيادة الحموضة ونقصانها في المعدة ، والتهاب المعى الغليظ ، والربو والسكر ، وارتفاع ضغط الدم الأساسي .

والحق أن أطباء الاغريق ، ومن بعدهم أطباء العرب والمسلمين ، قد سبقوا الطب الحديث بعدة

قرون ، حين اعتبروا بعض الحالات النفسية أمراضا جسيمة ، وأخضعوها للتشخيص والعلاج ، وتجاوز هؤلاء وأولئك نظرة الحضارات القديمة الى الأمراض النفسية ، على أنها حالات ناتجة عن تسلط الأرواح الشريرة على الجسم ، وهي نظرة استمرت في أوروبا العصور الوسطى ، حيث كانت معالجة المصابين بهذه الأمراض تتم بالتقييد بالأغلال والأصفاد ، والمبالغة في الضرب ، أملا في إخراج الأرواح الشريرة من أجساد أولئك المرضى ، بل انهم كانوا في العصور المظلمة يلجأون الى احراق المرضى النفسيين الذين يستعصى شفاؤهم ، بدعوى استقرار تلك الأرواح فيهم .

والواقع أن أطباء الاغريق حققوا نقلة نوعية في تشخيص الأمراض النفسية ، وفي محاولتهم معالجتها بعيداً عن ممارسات الكهانة والشعوذة ، ومن هؤلاء أبقراط ، وجالينوس ، وارتيايوس الكابادوكى ، وثيوفراستس ، وروفوس ، والاسكندر الافروديسى ، وقد حقق الأخيران شهرة واسعة في ميدان الأمراض النفسية ، وبخاصة فيما وصفاه من كتابات عن المالنخوليا (Melancholia) مرض السوداء أو الاكتئاب .

الطب النفسي قبل الاسلام :

واذا كنا لا نعرف الكثير عن الأمراض النفسية عند العرب قبل الاسلام ، فان بعض الأخبار المتعلقة بطبهم وفراستهم ، تدل على معرفتهم ببعض هذه الأمراض ، ومحاولة علاجها ، كما كان يفعل الحارث ابن كلدة ، وضماد بن ثعلبة الازدى ، ويروى في هذا الصدد أن أحد الأمراء اضطربت نفس زوجته ، وساءت صحتها ، حتى أصيبت بالفالج وعصى النطق لسانها ، فاستدعى الأمير شيخ أطباء العرب لمعالجتها ، بعد أن عجز الأطباء في بلاده عن ذلك ، وقد تبين الطبيب العربي بعد المعاينة الدقيقة ، أن مرض المرأة نفسي ممكن بالحيلة والايحاء ، فوصف لها دواء ، وعزلها في قصر لوحدها ، واشترط أن يقوم مساعده على العناية بالمرأة المريضة ، فرفض الأمير أول الأمر أن يوافق على هذا الشرط ، الا أنه عاد وقبل عندما تمسك الطبيب العربي برأيه ، أملا في شفاء زوجته .

وفي اليوم التالي توجه مساعد الطبيب الى المريضة في القصر ، وأخذ يقوم باعمال التدليك ، فاستهجنت مهمته ، واستجمعت قواها ، واخذت تلطم الشاب ، ثم نهضت مسرعة نحو النافذة ، واخذت تصرخ وتستغيث ، فهب ذووها لنجدتها ، وكادوا يفتكون بالمساعد ، لولا ان طلب منهم ارساله الى الامير ، حيث كان الطبيب العربي موجودا ، وهناك كشف الطبيب عن هوية مساعده ، فاذا هي ابنته ، وقال ان ما اقدم عليه كان حيلة نفسية لشفاء الاميرة ، فاكبر الجميع بُعدَ نظر الطبيب العربي ، وأجزلوا مكافأته .

وبعد الاسلام

وبعد ظهور الاسلام ، واصل الاطباء العرب والمسلمون جهودهم في تطوير طب الاغريق في شتى الميادين ، ومن بينها الطب النفسي ، وسجلوا في ذلك انجازات طبية رائعة ، ويرجع ذلك في الدرجة الاولى الى موقف الاسلام ومبادئه من العلم والعلماء ، وحثه على طلب العلم من كافة مصادره ، ونظرته الى الامراض كظاهرة حياتية طبيعية ، ودعوته الى مداواتها والتماس الشفاء منها بالاساليب الطبية العلمية . وقد روى عن الرسول الكريم ﷺ حوالى ثلاثمائة حديث تتعلق بقواعد الصحة العامة ، وبعض الأمراض ، والحث على التداوى طلبا للشفاء . ومن هذه الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله تصحوا ، فان لكل داء دواء ، الا الهرم » .

وبالرغم من ان الاطباء العرب والمسلمين اعتمدوا على نظريات الأمزجة والطبائع والاخلاط اليونانية ، التي تقوم على أساس تحقيق التوازن والاعتدال بين وظائف الجسد وقواه من ناحية ، وظروف بيئته الصحية من ناحية أخرى ، الا أنهم توصلوا من خلال مطالعاتهم وأبحاثهم وتجاربهم الى نتائج فاقت تلك التي توصل اليها الاغريق ، بل صححوا بعضها .

وتزخر كتب التراث الطبى الاسلامي بالعديد من الفصول والاشارات المتعلقة بالطب النفسي ، ومن

بينها ما أكده اخوان الصفا من « أن لمرض النفوس علاجات وطبا يداوى بها » . بل ان بعض الاطباء المسلمين ألفوا في هذا الفرع من الطب الرسائل والمقالات ، ومن هؤلاء على سبيل المثال وليس الحصر :

على بن ربن الطبرى (ت ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م) :

صاحب كتاب « فردوس الحكمة » في الطب ، وقد اعتبر الأمراض النفسية من آلام الرأس ، وعدّد من بينها « الصرع ، والمرض الكاهني الذي يتكهن صاحبه ، وتظهر له أشياء عجيبة ، والوحشة ، والوسوسة ، والهذيان ، وفساد الخيال والعقل ، والنسيان ، والتوحش في البرارى مع الوحوش ، والسهر ، والسبات ، والدّوي ، والدوار » . ويقول لدى تشخيصه بعض هذه الأمراض : « ان المريض يسمع دويا وطنينا وليس في الهواء دوى ،ويرى بين عينيه شيئا يشبه النار أو الذباب ، ويرى الشيء شيئين ، كما يرى زمارين ولعّابين ، ويحسب نفسه من خزف ، ويخاف ان يمسه شيء فينكسر ، أو يتوهم أنه ابل يرى فيهرب من الناس ، وأن بعض هؤلاء المرضى يصيح مثل الديكة . . . وان كل ذلك يتخيل من علل تحدث في الدماغ . وهو حين يعرض ذلك يذكر أن « العلل قد تكون من أسقام نفسية مثل الحزن والغضب والعشق ، ..‏. . . . وان جميع ما يعرض للانسان على وجهين ، اما عارض للجسد ، وأما عارض للنفس ، فعلاج ما يعرض للنفس ، ادخال السرور والأمن عليها ، ونفى الهم والخوف عنها ، بالأحاديث السارة الموافقة للمريض » ، ويروي على بن ربن الطبرى وقائع وأحداثا عن إقدام بعض الرجال والنساء المرضى « على ذبح أنفسهم أو تعليقها من الأشجار عند خوف أو غم ينزل بهم » .

اسحاق بن عمران :

وربما كان الطبيب البغدادي الأصل ، القيرواني المهجر ، اسحاق بن عمران (ت ٢٩٥ هـ/ ٩٠٨ م) من أشهر الأطباء المسلمين الذين تناولوا الأمراض النفسية بالبحث والاستقصاء والمعالجة ، وتصف كتب التراث الطبى الاسلامي رسالته « مقالة في المالينخوليا » بأنها لم يسبق الى مثلها ، وقد اعتبر المالينخوليا أو الاكتئاب مرضا بدنيا له تأثير على صحة الانسان ، ووصف أعراض هذا المرض بشعور المصاب به بالكآبة والوحدة ، والوهم والخوف والحزن والفزع . بالاضافة الى الافكار الخيالية الرهيبة التي تنتاب المريض ، حيث يتصور أن جماعة من الزنوج يريدون قتله ، أو يتوهم أنه بلا رأس ، وأنه يسمع صوتا مثل خرير المياه ، وقرع الرياح وعصفها ، وأصواتا مهولة في أذنه ، وقد يفقد التمييز فيخشى من سقوط السماء على راسه ، ويتجنب السير تحتها ، وأفاد ابن عمران بأن معظم المصابين بهذا المرض يشكون من الأرق ، ووجع الرأس ، مع لمع العينين لدى بعضهم ، وعزوفهم عن الطعام والشراب ، ويعتبر المريض الذي تظهر عليه الأعراض الأخيرة من المرضى الخطرين ، لأنه يصبح شديد النهم والتوثب والهياج والافتراس ، مما جعل الأطباء ومنهم اسحاق بن عمران ، يسمون هذا النوع من الأمراض النفسية « بالمالينخوليا السبعى » .

وقد عرض ابن عمران في مقالته معظم الحالات النفسية التي تصيب الرجال والنساء ، وبخاصة عند حدوث صدمات نفسية شديدة ومتوالية ، كما تناول حالات الذهول والاختلاط الفكرى التى تنتاب بعض النساء ، بسبب الحمل المتكرر أو الرضاعة الطائلة . وأوصى بالاستعانة بالعلاج النفسى للمصابين بهذه الأمراض ، عن طريق الكلام الجميل المؤثر ، والمواساة والتنزه ، والاستماع الى الموسيقا ، واللجوء الى الحيل المنطقية ، ويذكر في هذا الصدد أن رجلا أصيب بالمالينخوليا على مقربة من القيروان في تونس ، وكان يتوهم بأنه لا رأس له ، « فأثقل ابن عمران رأسه بقلنسوة من رصاص ، وجعلها على رأسه في محل الخوذة ، فحينئذ صح عنده أن له رأسا » .

ولم يكتف اسحاق بن عمران بذلك ، بل وصف أنواعا أخرى من العلاج الطبيعى للمصابين بمثل هذا المرض ، مثل الدلك بالدهونات والاستحمام ، بالاضافة الى تناول الأدوية والعقاقير ، بل ان هذا الطبيب لم يغفل الاشارة بوضوح الى أن مرض المالينخوليا قد يكون مكتسبا ، وقد يكون فطريا ، أي

وراثيا ، حيث تكون للشخص قابلية للاصابة بهذا المرض .

الرازي :

وأما أبو بكر الرازي (ت ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م) فيحتوي كتابه الشهير « الحاوي » في الطب على عدة اشارات عن الأمراض النفسية ، فضلا عن الاشارات المباشرة التي تضمنهـا كتـابـه « في الأوهـام والحـركـات والعشق » . وتبين له أن سوء الهضم قد يكون نتيجة لأسباب نفسية ، وقـال : « ان للنفس الشأن الأول فيا بينها وبين البدن من صلة ، ولذلك وجب على طبيب الجسم أن يكون أولا طبيبا للنفس » . وقد أكد الرازي أكثر من مرة على أهمية العامل النفسي في المعـالجـة وقـال » : « ينبغي عـلى الـطبيب أن يـوهم المريض أبداً بـالصحة ويـرجيـه بهـا ، وإن كـان غير واثق بـذلك ، فمـزاج الجسم تـابـع لأخلاق النفس » . وقد طبق ذلك عمليا عندما عالج الأمير منصور بن نوح الساماني بالعلاج النفسي ، بعد اصابته بمرض مزمن أقعده .

ابن سينا:

ويحتل الشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨ م) مكانة مرموقة بين القائلين بنظرية التأثير المتبادل بين النفس والبـدن ، وربط بين العـوارض والحالات النفسية ، وبين مظاهرها البدنية وتأثيرهـا الأبعد . واعتبر حـالات النبض في هذا الشأن من المؤشرات التي لا تخطىء في الاستـدلال على نـوع المرض النفسي ، وقال إن هناك أنواعا من الحمى تنشأ عن حالات نفسية .

وحين تنـاول ابن سينـا الأمـراض النفسيـة ، وبخاصة مرض السوداء أو الماليخوليا ، أكد على تمسكه بالمنهج العلمي السليم ، في استقصاء أسباب هـذا المـرض النفسي ، وقـال عبـارتـه المشهـورة :

« ونحن لا نبالي حيث نتعلم الطب ، ان ذلك (أي سبب الماليخوليا) يقع عن الجن أو لا يقع ، بعد أن نقول انه كان يقع من الجن ، فيقع بأنه يميل المزاج الى السوداء ، فيكون سببه القريب السوداء » . ونبه ابن سينا على العلاقة الوثيقة بين الانفعالات النفسية وبين صحة الجسد ، وقال ان ذلك قد ينتقل الى الأطفال بـالرضـاعة ، وأوصى « بـأن تكون المرضع حسنة الأخلاق محمودتها ، وبطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة ، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك ، فان جميع ذلك يفسد المزاج ، وربما أعدى بالرضاع » ، كما نوه ابن سينا بأهمية تأثير الموسيقا على المرضى جسديا ونفسيا ، وقد وصف في « الرسالة الالواحية » الأدوية التي تفيد في معالجة الماليخوليا ، والربو ، وضيق النفس ، والخفقان ، والأدوية التي تقوي القلب ، وتذهب الوحشة .

وأفرد ابن سينا فصلا خاصاً في كتابه القانـون في الطب ، للحديث عن حالات العشق ، باعتبارها من الأمراض النفسية التي تؤثر على صحة الانسان ، وبين مدى « طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية » .

وهناك العديد من القصص التي تروى عن معالجة ابن سينا للأمراض النفسية بالحكمة والحيل المنطقية ، من ذلك ما كان من اصابة أحد أفراد أسرة بني بويه بالماليخوليا ، وتوهمه أنه صار بقرة ، وأنه أخذ يصيح كل يوم ويطلب ذبحه ، وامتناعه عن الطعام وتردى صحته ، وقد أوهمه ابن سينا أنه يريد تنفيذ عملية الـذبح فيـه ، ولكنه أحجم في اللحظة الأخيـرة ، مؤكدا عدم جواز ذبح أي بقرة هزيلة ، وأنه لا بد من تسمين البقرة أولا ، ثم ذبحها للافادة من لحمها ، وهنا اقتنع المريض الواهم بـذلك ، وأخذ يتناول الطعام والدواء الذي وصفه له ابن سينا ، فما أخذت صحته تتماثل للشفاء تدريجيا حتى شفي .

هبة الله أبو البركات:

ويحدثنا صاحب طبقات الأطباء أن هبة الله بن علي أبو البركات من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، اشتهر بالعلوم الطبية ، ومن بينها الطب النفسي ، حتى عرف بأوحد الزمان في مهنته ، وقد عرض عليه في بغداد يوما مريض بالماليخوليا ،

حار الأطباء في علاجه ، اذ كان يعتقد أن على رأسه دنّا لا يفارقه أبدا . فكان كلما مشى تجنب المواضع ذات السقوف القصيرة ، ويسير برفق ، ولا يترك أحدا يدنو منه ، حتى لا يميل الدن ، أو يقع عن رأسه ، فعالجه أبو البركات بأن أوعز الى أحد مساعديه أن ينتظر منه اشارة يأخذ هو في محادثة المريض ، وأن يسارع عندها الى خشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض كأنه يريد كسر الدن المزعوم ، وأوصى مساعدا آخر كان قد أعد معه دنا في أعلى السطح ، أن يلقى بالدن بسرعة الى الأرض ، عندما يرى ما فعله المساعد الأول . « فلما عاين المريض ما فعل به ، ورأى الدن المتكسر ، تأوه لكسرهم اياه ، ولم يشك أنه الدن الذي كان على رأسه بزعمه ، وأثر فيه الوهم أثراً برىء به من علته تلك » .

أطباء آخرون :

ويضيق المجال عن تتبع جهود باقي الأطباء العرب والمسلمين الذين تطرقوا الى معالجة الأمراض النفسية ، ولكن لا بد من أن نشير الى نخبة أخرى من هؤلاء ، ومن بينهم ابن الجزار أحمد بن ابراهيم (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥ م » ، صاحب كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم ، وكتاب زاد المسافر وقوت الحاضر ، وكتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم ، وكتاب مداواة النسيان وطرق تقوية الذاكرة ، وكتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها ، وهي مؤلفات تزخر بالمعلومات القيمة عن الطب النفسي ، وكذلك الحال بالنسبة لابن بطلان المختار بن عبدون (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) ، الذي اعتبر العوامل النفسية من الأسباب الستة العامة في التأثير على صحة البدن ، وهي الهواء ، والمأكل والمشرب ، والنوم واليقظة ، والاستفراغ والاحتقان ، والحركة والسكون ، والأحداث النفسية . ويتضمن كتاب « الكفاية في الطب » المنسوب لعلي بن رضوان (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) اشارات الى علاقة الوسواس بالتنفس وارتباط النبض بالربو والوسواس والاوجاع السودانية ، والفرح والغم والغضب والخوف والمناخ . ويعتبر الطبيب الاندلسي المعروف عبدالملك بن زهر (ت ٥٥٧ هـ/ ١١٦٢ م) ، من أشهر الأطباء الاندلسيين الذين تطرقوا الى الأمراض النفسية في كتابه « التيسير في المداوة والتدبير » . كما أشار داود بن عمر الانطاكي (ت ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠ م) الى تأثير العوامل النفسية في صحة الجسم ، وعدد جميع الأنواع المعروفة لمرض المالنخوليا النفسي .

المشافي النفسية :

وتحدثنا المصادر عن وجود مشاف متنوعة في المدن الاسلامية . حيث كانت تفرد فيها غرف وقاعات خاصة بالمصابين بالأمراض النفسية . ويروى المقريزي في خططه ، ان احمد بن طولون صاحب مصر كان يزور نزلاء المستشفى أسبوعيا ، كما تذكر وقفية المستشفى النورى بحلب انه كان يخصص لكل مصاب بالأمراض النفسية خادمين ، ينزعان عنه ثيابه كل صباح ، ويحممانه ويلبسانه ثيابا نظيفة ، ويحملانه على أداء الصلاة ، ويسمعانه قراءة القران من قارىء حسن الصوت ، ثم يفسحانه فى الهواء الطلق ، ويسمعانه الاصوات الجميلة ، والنغمات الموسيقية الطيبة . كما كانت المشاق الاسلامية تضم قسما خاصا برعاية المسنين ، كتبت على مدخله الآية الكريمة :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما ، كما ربياني صغيرا » .

ويتضح مما تقدم جانب من الجهود التي بذلها علماء العرب والمسلمين في ميدان الطب النفسي ، ومعالجة الأمراض النفسية التي أصبحت من أمراض العصر الشائعة ، وان كانت نسبتها تظل في المجتمعات الاسلامية أقل منها في المجتمعات الغربية ، ويرجع ذلك الى طبيعة العقيدة الاسلامية نفسها ، وما تكونه في شخصية المسلم من ايمان عميق وتوازن قوى وشامل ، وعلاقات وطيدة بين الانسان وخالقه ، ونفسه ومجتمعه ، ويعتبر ذلك أقوى درع يحصن الانسان ضد الأمراض النفسية ، ويجعله كالطود الراسخ ، يصمد وقت المحن والشدائد ، ويتغلب بالايمان والصبر والثقة على كل الخطوب والأزمات □



قضيّة

سقف التجديد

بقلم : شوقي بغدادي

الى أين يمضي التجديد في الفنون ؟ هل يمضي بلا حدود والى ما لا نهاية له ؟

أم أن هناك سقفا ليس في الامكان اختراقه وتجاوزه . . ؟ . .

مقولة التجديد بدهيّة لا يشك فيها أحد كما يبدو ، انهاالكلمة التي ترافق مفهوم التطور ، وما دامت الحياة تتطور باستمرار ، فالتجديد حاصل اذن دون انقطاع ، هذه أفكار تبدو كالمسلمات ، ولكن لنتأمل الحياة من حولنا بعمق ، ولنتساءل : ما هي الأشياء التي تطورت فعلا ونشأت عنها حالة جديدة حقا ؟

لا شك أن تطوراً كبيراً قد طرأ على وسائل المواصلات والاعلام ، والعمران ، والأسلحة ، والأدوية ، والطباعة ، واللباس ، والطبخ ، والآلات عامة ، وفي تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، وطرائق استثمار الطبيعة وغيرها من مظاهر الحياة المادية ، ولكن . . ماذا عن الانسان ؟ . .

ماذا طرأ على هذا الكائن البشري من تطور حقيقي من حيث احتياجاته البيولوجية ، وغرائزه الأصيلة منذ ثلاثة آلاف عام مثلا ؟ . . ولندع جانبا مسألة التطور الذي حصل عبر الأرقام الكبيرة ، مثل مئات آلاف أو ملايين السنين ، لقد حصل تطور فعلا عبر هذه المدّة الطويلة جدا ، الا أنني أريد حصر البحث في المدى التاريخي القريب نسبيا ، أي في بضعة آلاف من الأعوام ، ماذا طرأ على الانسان من تطور حقيقي في هذه المدة الموثقة والمعروفة . . هل صار أكثر أو أقل احتياجا للأكل والشرب والجنس والنوم والتنفس ، وأشد أو أقل نزوعا للسيطرة والعنف والحب والايثار .

في الانسان والطبيعة

لا بد من الاعتراف هنا أن نوعا من الثبات لا يزال يحكم الانسان ، واذا كان ثمة تطور ، فانه تطور بطيء وخفي للغاية ، ولهذا فهو غير ملحوظ بالمعنى

العلمي الدقيق للكلمة ، صحيح هنا أيضا أن انجازات العلوم الحديثة ، وبخاصة علم الهندسة الوراثية ، والكيمياء الحيوية وغيرها ، مما يتصل بالقدرة على اجراء تغيير فعال في بنية الانسان ، قد أصبح ممكنا مخبريا ، غير أن الانسان لا يزال كظاهرة بشرية متميزة هو نفسه الانسان المعروف منذ آلاف الأعوام حتى الآن على الأقل .

واذا تأملنا الطبيعة والكون حولنا ، وتساءلنا أيضا ماذا طرأ من تطور ملحوظ على نظام الطبيعة في تعاقب الفصول والمد والجزر والعواصف والبرودة والسخونة ودوران النجوم والكواكب وانتشار الطاقة . . ؟ هنا أيضا لا بد من الاعتراف أننا لسنا واثقين حتى الآن من حدوث تطور ملموس وفعال على المدى القريب ، واذا كان ممكنا حدوث تغير فعال مؤثر فى حياتنا البشرية ، فانه لن يحدث قبل مرور آلاف بل ملايين السنين .

في الفن والأدب

من هذه الزاوية ننظر الى عملية التجديد في الفن عامة وفي الأدب خاصة ، فإذا كان الفن بمعناه العام هو تعبير انساني عن نزعة جمالية، فلابد اذن من التفكير بأن التجديد في الفن ليس مسألة منفصلة عن طبيعة الانسان نفسه ، ككائن بشري لا يزال تركيبه البيولوجي ثابتا ، وغرائزه الأساسية أصيلة ، وآلية التفكير والانفعال عنده واحدة منذ آلاف السنين ، ان الانسان ككائن يتمتع بوعى خاص ، وطموح الى التطور والتجديد أكثر من غيره من الكائنات بما لا يقاس ـ وهذا حقه وامتيازه ـ انه يطمح الى السيطرة على جسده الى درجة تدفعه الى التفكير جديا في الانتقال من مكان الى آخر بسرعة الضوء ، والى السيطرة على الطبيعة الى درجة التفكير في التحكم بنظام الفصول والأمطار والرياح ، وقد ينجح في تحقيق طموحاته هذه أو بعضها على المدى البعيد ، ولكنه عاجز ، مثلا ، عن الانتقال أسرع مما تتيحه له الطائرات ، ومركبات الفضاء المعروفة ، كما هو عاجز عن التحكم بالعواصف والزلازل والبراكين ، ولا يزال أسيرا لجسده وغرائزه وآلية تفكيره الى حد بعيد ، بهذا المعنى فان المناخ الانفعالى الذي يخضع له لا يزال ثابتا ، أو شبه ثابت على الأقل ، وان جميع مظاهر التطور التي تنجم حوله لم تغير في تركيبه الأساسي تغيرا جذريا ، حتى ينجح العلماء في خلق كائن بشري مختلف ، وعندئذ سوف تتغير بالتأكيد كل القيم والعلاقات الاجتماعية ، ولكن الى أن يحصل ذلك فنحن ملزمون أن نأخذ بعين الاعتبار في أية عملية تجديد فنية ، حاجات وغرائز هذا الانسان الموجود أمامنا ، الذي نعبّر له ، وعنه ، في كل ما نبدعه من فنون القول ، والرسم ، والنحت ، والموسيقا ، وغيرها من فنون التعبير الجمالى .

طفرات وصرعات

ومن يتأمل التاريخ البشري في هذا الميدان فلابد أن يلاحظ أنه كانت هناك طفرات كبيرة أحيانا تحدث هنا وهناك ، ثم يتبدد زخمها ، فتنكمش وتتضاءل وتموت ، ثم يعود الانسان الى أدواته الفنية ، وطرائق تعبيره الأولى ، دون أن يقف بالتأكيد عند طاقاتها الأولى تماما ، فيضيف بعض الاجتهادات ، ولكن ليس الى حد مبالغ فيه ، كما حدث في بدايات الطفرة ، والعصر الحديث حافل بهذه الطفرات التي اخترعنا لها اسم « صرعات » كناية عن أنها محاولات تجديد غير أصيلة ، وإنها غير مجدية ، ولم تعش طويلا ، وبالتالى فهي لم تغيّر جذريا في أسلوب الأداء الفني .

ففي الموسيقا مثلا ظهرت منذ سنوات محاولات في التأليف من خلال استخدام المؤثرات الصوتية العادية وحدها ، كصوت المطر والريح ، وضجة السيارات ، وقرع الصحون ، وهدير البحر ، وخرير السواقى ، دون استخدام أية آلة موسيقية معروفة ،

ولكن هذه المحاولة على جرأتها لم يكتب لها البقاء ، أو لم تستطع على الأقل إلغاء الآلات الموسيقية ولاإقناع المؤلفين الجدد عامة فى إلغاء قواعد الايقاع والهارمونى المعروفة ، لقد حصل فيما بعد بالتأكيد نوع من التطور في التأليف السمفوني ، ولكنه لم يذهب بعيدا في مجاراة تلك المحاولات أو (الصرعات) ، وقد يكون تأثر بنزوعها العام نحو التجديد والتطور ، غير أنه لم يقتنع بالمبالغة التي سقطت فيها ، وظل تطوره معقولا

مقبولا ، غير منقطع عن المزايا الأساسية لهذا النوع من التأليف الموسيقي .

وفي الشعر ظهرت اتجاهات ومدارس أدبية في ثلاثينيات هذا القرن ، وصلت فيها الرغبة في التجديد الى ابداع نصوص عجيبة ، اعتمدت الشكل الهندسي مثلا ، للمربع أو الدائرة أو لبرج ايفل ، أو الحروف الكبيرة وحدها ، والى جوارها حروف صغيرة ، في تشكيلات بصرية ، معها رسومات يدوية ، أو ملصقات من قصاصات الصحف والمجلات ، وغير ذلك من الصرعات التي ماتت في مهدها ، لقد تأثر الشعر الحديث بهذه الطموحات الجريئة ، وكان لابد له من أن يتطور في مدارس أخرى سريالية أو رمزية ، ولكن الشعراء كما كانوا دائما في النهاية يعودون الى مجاريهم الأساسية ، ولكن ليس عند النقطة التي انتهى عندها أسلافهم ، لقد تقدموا خطوة أو خطوات ، ووسعوا الممر هنا أو هناك ، وتعرجوا ، أو صعدوا ، أو هبطوا ، أقل أو أكثر ، غير أنهم لم يتركوا الطريق الأصلية الى طريق أخرى .

وفي الرواية ظهر ما يسمى بالرواية الجديدة . . وبالغ بعضهم مثل « آلان روب غرييه » و « ناتالي ساروت » في تبني ما يسمى بالكتابة المضادة المتأثرة بنزعة « التشيّؤ » التي تطغى على الحياة المعاصرة ، وباعتبار أن الأشياء المادية التي يصنعها الانسان صارت أهم من صانعها ، وأن الانسان نفسه يتحول الى « كم » أو الى « شيء » كأية سلعة في السوق ، أو كرسي في مقهى ، وأنه يعامل على هذا الأساس ، وراحوا انطلاقا من هذا المفهوم يكتبون رواية بلا أحداث ، أو بتعبير آخر روايات ليس فيها سوى الأشياء توصف ، وتتبادل التأثير ، في معزل عن الانسان الذي يبدو وسطها « كمًّا » مهملا ، وبالغوا في هذا الاتجاه ، الى درجة فقدت فيها الرواية ـ كفن أدبي متميز ـ كل ملامح القصّ المعروفة ، ومالت الى التداخل ، والتفتت الزماني والمكاني ، وضياع الملامح والحدث ، مما أوقعها في نوع من الغموض ـ المقصود بالطبع ـ المتعب ، ولكن الموجة انحسرت فيما بعد ، وقد لا تكون موجتها قد همدت تماما ، الا أن كتاب القصة والرواية عموما في العالم لم ينجرفوا كلهم في هذا التيار ، وها هي الرواية تعاد سيرتها الأولى في الاعتماد على الحدث ، والحبكة ، والعقدة ، والشخصيات ، وقد تمزج بين الواقع والوهم والاسطورة أحيانا ، كما في رواية « مئة عام من العزلة » لماركيز ، ولكن في اطار من التجديد المعقول والممكن التجاوب معه انسانياً . ومما يلفت النظر في هذا المجال ، الاقبال الحار لجماهير القراء في فرنسا على روايات الكاتبة الفرنسية « كاترين ريسو » التي يمكن تصنيفها في اطار الرومانسية ، ولكن بشكل انتقادي جديد واع وقادر على استيعاب العالم المعاصر ، دون الدخول في متاهات « الصرعات » والغموض والرموز المعقدة ، هذه الظاهرة لا تفسر الا بأنها نوع من الردة الى صفاء الطبيعة البشرية ، أو حسب ما تقوله الكاتبة نفسها : « يجب رد الاعتبار الى القلب في وجه العقل الجاف والتقنية . . . » .

الطيران بلا أجنحة

نعم . . التجديد ضرورة حيوية وامتياز بشري ، ولكن دون أن يخترق الانسان سقف طاقاته ككائن بشري ، فيرمي بجسده في الفضاء ، كي يطير كما صنع « ابن فرناس » ذات يوم . . وحين يجيء ذلك اليوم الذي يتحول فيه الجسد الى شعاع ، يمكن عندئذ الحديث عن فنون أخرى غير التي نعرفها ، وطرائق في التعبير مختلفة تماما ، أما قبل ذلك ، فلابد من التواضع قليلا ، كي نقدم لأنفسنا وللبشر فنا متطورا حقا ، ولكن في متناول عقولهم وغرائزهم وأعصابهم وخلاياهم المعروفة حتى الآن . . والا فلابد من أن نسقط على الأرض ، كما يسقط كل المغامرين الحالمين بالطيران ، بجسد لا يزال من لحم ثقيل وعظام متكلسة . . □

■ **الضمير أساس الشجاعة الصحيحة ، فاذا أراد الانسان أن يكون شجاعا ، فليطع ضميره (كلارك) .**



منتدى العربي

تعقيبات

معجم عصري

يغني لغة العرب بمصطلحات الحضارة الحديثة

قرأت مقالة المفكر العربي المعروف الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، في العدد رقم ٣٢٩ من مجلة العربي ، بعنوان (ضرورة معجم عصري) . وشدني الى المقالة أمران :

الأول : أنها تطرح موضوعا في غاية الحيوية بالنسبة للغة العرب التي هي آخر رباط يشد العرب بعضهم لبعض .

الثاني : أن الطرح يأتي على صفحات مجلة العربي التي يتفق الجميع على رصانتها ونبل قصدها ، فلا يحمل الطرح تأويلات سياسية تخدم فريقا على حساب فريق آخر من فرقاء العرب المتناحرين من مشرق الوطن حتى أقصى مغربه .

جذور المشكلة :

بديهي أن يزخر عصرنا الحاضر ، بسيل من المصطلحات الجديدة ، فكل يوم تستحدث آلة جديدة ، ويكتشف عنصر جديد ، وتوضع نظرية جديدة ، وهذه المستجدات لا بد لها من مسميات .

المشكلة قائمة في كل اللغات ، مع فارق واضح ، هو أن الأمم الأخرى تواجه المشكلة بحلول ملائمة مدروسة ، بينما نتركها نحن تكبر وتستفحل .

للمشكلة عندنا جذور وأسباب أهمها :

١ ـ قصور التعليم الجامعي والفني : فمن المفروض أن يكون هذا التعليم باللغة العربية ، وأن يستوعب كافة المصطلحات الحديثة ، ويسبق الى نشرها وسائل الدعاية الصناعية ولكن للأسف ما زال الكثير من جامعاتنا ومعاهدنا التقنية يدرس بعض العلوم باللغات الأجنبية ، بحجة عجز اللغة العربية عن استيعاب المفاهيم الجديدة ، يضاف الى ذلك تخلف هذه الجامعات عن مواكبة مسيرة التقدم العلمي ، وعدم ادخال المصطلحات الجديدة في مناهجها في الوقت المناسب .

٢ ـ انعدام البحث العلمي ، وعدم ربطه بالصناعة ، وتقوقعه ضمن حدود ضيقة .

٣ ـ ضعف حركة التأليف والترجمة والنشر : خصوصاً بالنسبة للكتب العلمية ، فلا توجد مؤسسات جادة تقوم بالترجمة بشكل علمي مدروس .

٤ ـ انخفاض مستوى المجلات العلمية المتخصصة التي تكتب موادها باللغة العربية ومحدودية انتشارها ، وفوضى استخدام المصطلحات العلمية لديها ، فهي مجلات دعاية للمؤسسات التي تصدر عنها ، أكثر منها مجلات بحث أو نشر علمي ، والمجلات الثقافية واسعة الانتشار نادرا ما تخصص زوايا ثابتة للمواضيع العلمية .

٥ ـ عدم فعالية المجامع العلمية العربية ، رغم وجودها كأشكال هيكلية في معظم الدول العربية ، فلا حركة في هذه المجامع ولا حيوية ، مع أن في

بعضها من الكفاءات ما لو استخدمت لقدمت خدمات جلّى في هذا المجال .

ليست فكرة معجم للمصطلحات الحديثة وليدة الساعة ، وذلك ما يدركه الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، ربما وبتفصيل أكثر مما أعرف وأذكر محاولة بدأت في ١٩٧٠ تبنتها جامعة الدول العربية ، ولقد حضرت جانبا من اجتماعاتها في المجلس الأعلى للعلوم في القطر السوري ، وأعتقد أن بعض الكراسات قد طبعت على الآلة الكاتبة على الأقل .

ومع أن البدايات لم تكن جادة كثيرا الا أنه كان مهما لو استمرت .

في لبنان حاول العلامة الدكتور عبد الله العلايلي - طيب الله ثراه - وضع معجم يفي بالمطلوب ، وصدرت عدة أجزاء من هذا المعجم ، ورغم سعة اطلاعه وحماسه للغة قومه ، فلقد أدركته المنية قبل بلوغ الغاية .

في عام ١٩٨٤ جمعتنا ندوة عن أصل النفط العربي وطرق هجرته ، في مقر منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط في الكويت ، وأثير موضوع المصطلحات ، وضرورة تقديم أوراق البحث القطرية ، بلغة واحدة وهي اللغة العربية ، بدلا من الانكليزية والفرنسية ، وقد أشار الأمين العام للمنظمة الدكتور علي عتيقة الى أن هناك محاولة من المنظمة لوضع معجم للمصطلحات النفطية باللغة العربية .

هناك منظمات أخرى تابعة للجامعة العربية مثل منظمة الحديد والفوسفات والاسمنت والزراعة والثقافة والعلوم وغيرها . . . لا بد أنها تشعر بالحاجة لهذا المعجم ، ولها محاولات أو بدايات في طريق انجاز مثل هذا المشروع .

اريد أن أقول ان هناك شعورا عاما بالحاجة الى هذا المعجم ، وهذه الحاجة ولدت محاولات منفردة ربما غير مدروسة ، كما أنه لم ترصد لها الامكانيات الضرورية .

ان دراسة هذه المحاولات ، وتجميع بعض المواد التي انجزتها عن طريق هيئة عربية متفرغة ومتخصصة ، يشكل الانطلاقة الضرورية في هذا المشروع الحيوي العام .

ان اصدار معجم عصري ، على أهميته لا ينهي المشكلة ، فمفردات الحضارة تتكاثر باستمرار ، فلا بد والحالة هذه من مؤسسة لها صفة الاستمرارية ، تتولى اصدار طبعات جديدة تستوعب مستجدات هذه المفردات ، وتنقح القديم ، وترصد مدى تقبل الذوق العربي لهذا الوافد الجديد من المفردات .

المؤسسة هذه لها صفة التنسيق والاشراف والاخراج ، أما وضع المصطلحات فمهمة الأخصائيين واللغويين في المؤسسات العربية المتعددة ، اذ يصعب على معهد عربي مهما كان عدد ومستوى العاملين فيه أن يحيط بمصطلحات الحضارة الحديثة .

اتصور أن يكون للاتحادات المهنية في كل قطر دور في وضع هذه المصطلحات ، فاتحادات المهندسين والأطباء ، والعمال ، ومنظمات النفط والزراعة والبريد ، والصناعات المختلفة وغيرها معنية من خلال نشاطاتها الثقافية بالموضوع .

•

وسيكتشف المنقبون في كتب العرب القديمة ثروة من المفردات تفوق ما هو موجود في اللغات العالمية الأخرى ، وسيجد علماء اللغة ونحاتو الاشتقاقات كم هي لغتهم طيِّعة ، وأن فيها من المقاطع السابقة واللاحقة ما يؤهلها لأن تستوعب كل مصطلحات الحضارة .

وتبقى ملاحظة لا بد منها ، وهي أنه لا يعيب اللغة أن تؤخذ بعض المصطلحات بكاملها ، وتكتب بالحروف العربية ، فهذه الحالة شائعة في كل اللغات المعاصرة ، ففي لغة العرب القديمة كثير من الكلمات الأعجمية الأصل ، وفي اللغات الأجنبية الحديثة مفردات عديدة أجنبية الأصل ، وهناك معاجم لبعض اللغات تحدد الكلمات الأجنبية فيها .

تلك مقترحات عريضة في مشروع حيوي كبير ، وأرجو أن تسهم في وضع بعض اللبنات في أساسه ، كما اتمنى أن لا تكون دعوة الدكتور اسماعيل صبري عبد الله صيحة في واد يردد صداها لفترة قصيرة ، ثم تخمد امواجها ويلفها النسيان .

الدكتور المهندس محمد محفوض
دمشق / وزارة النفط والثروة المعدنية

قسطنطين الإفريقي مرة أخرى

قرأت تعليق الدكتور صفاء خلوصي على مقالة الدكتور حسن فريدأبوغزالة عن « قسطنطين الافريقي » في العدد ٣٢٦ لشهر يناير ١٩٨٦ وأحببت أن أدلي بدلوي في الموضوع بالملاحظات التالية :

١ - كانت مدرسة سالبرنو موجودة قبل قدوم قسطنطين الى مونتي كاسينو ، وساهمت ترجماته في تقدمها ، ولم يكن « العمدة في تأسيسها » كما جاء في مقالة الاستاذ الدكتور خلوصي .

٢ - حياته مؤلفة من قسمين : الأول يكتنفه الغموض والأساطير : من أنه سافر الى الهند ، أو الشرق العربي ، وكلها تكهنات لا يمكن تأكيدها كما حاول الدكتور أن يؤكد عدة مرات انه شرقي درس في العراق (بغداد) أو في مدينة حلب .

٣ - كان في القيروان مدرسة طبية مهمة جدا اسسها ابن عمران ، وكان من اكبر اطبائها ابن الجزار الذي ترجم قسطنطين كتابه « زاد المسافر » (وليس المسافرين كما جاء في المقالة) .

٤ - يرجح أنه كان مسلما وتنصر ، اذ أصبح راهبا في دير مونتي كاسينو وليس استاذا في مدرسة طب سالبرنو .

٥ - ترجم الكثير من الكتب الطبية وغير الطبية ايضا ، ونسب الكثير منها الى نفسه ، والواقع أنه ترك اسم مؤلف الكتاب عندما كان المؤلف مسيحيا (كحنين) ، او يهوديا (كاسحق بن سليمان الاسرائيلي) ، ولكنه نسب لنفسه الكتب الاخرى للمؤلفين المسلمين خيفة أن يحرق ، اذ كانت الحروب الصليبية في أوجها ، ومحاكم التفتيش في كل مكان ، كما أنه خاف على نفسه أن يقتل اذ كان يقوم بترجمة كتب « الكفرة » (اي المسلمين بنظر مسيحي ذلك الزمان) .

٦ - علي بن عباس المجوسي ، مسلم من الأهواز ، كان اجداده ، او جده مجوسيا ولكنه مسلم على الأقل خلال جيلين كما يدل اسمه .

والواقع أن تعليق الدكتور خلوصي فيه الكثير من المبالغة والتهويل ، ولا شك عندي انه مدفوع بحماسته ومحبته وتعلقه بالتراث ولكن هذا لا يكفي ، بل أعتقد أنه يعطي التأثير المعاكس كقوله « وباعتقادي انه بقدر ما يمكننا أن نقول ان الحضارة العربية مدينة لترجمة حنين بن اسحق للطب اليوناني الى العربي ، فان الحضارة الاوروبية مدينة لترجمة قسطنطين الافريقي للطب العربي الى اللاتينية » ؟ . . . .

مع العلم أن اندريا الباغو ، الايطالي الذي قضى ٣٠ عاما في دمشق ، والذي ترجم الكثير من الكتب الطبية الى اللاتينية ، قام بدور مهم جدا ، كذلك فعل جيرار الكريموني وعدد من اليهود العرب الاسبان أمثال ابن طيبون وغيره .

لاننا اذا استعرضنا الكتب التي ترجمها قسطنطين وجدناها ثانوية نسبيا الى جانب : القانون ، وكتاب التصريف ، والتيسير وغيرها من أمهات الكتب الطبية العربية التي تبدو كتب اسحق وحنين الى جانبها هزيلة بسيطة .

الدكتور سلمان قطاية

■ الحب كمرض الحصبة . . لابد أن يمرض به الجميع (جيروم كابلانكا جيروم) .

■ حين أحب أن أتحدث طويلا الى رجل ذكي ، أخلو على الفور الى نفسي ! (برناردشو) .

الآثار الأدبية والترجمة

بقلم : عبد الرزاق البصير

هناك صعوبة يجدها القارىء العادى فى قراءة بعض النصوص المؤلفة والمكتوبة بنفس لغته .

فهل يمكن ترجمة أى أثر أدبى الى لغات أخرى ، وتوصيل هذا النص الى القارىء الأجنبى بالصورة التى يمكن فهمها ، والوقوف على أجواء وتعبيرات النص الخاصة ؟

هذا ما يحاول الكاتب الاجتهاد به ؟

قال لى المستشرق الفرنسى (جاك بيرك) إنه ترجم بعض الشعر الجاهلى ، وإنه عرض هذه الترجمة على جماعة من الأدباء الفرنسيين ، فتذوقوه واستحسنوه ، وما أظن الا أن هذا المستشرق الفرنسى ، قد ترجم من الشعر الجاهلى ما يعالج القضايا الوجدانية ، لأن الناحية العاطفية ناحيةانسانية ، يشترك فيها جميع البشر بصورة عامة ، فللحب والحزن والأمل أثره فى النفوس ، حتى اذا وجد اختلاف فى ذلك عند بعض الناس ، فان معظم البشر يشتركون فى التأثر بهذه النواحى التى أشرت اليها ، أما الآثار الأدبية المتمثلة باشارات تعنى خصوصيات مستمدة من بعض الأحداث أو العادات أو التقاليد فان فهم تلك الآثار يصعب على أمة ذلك الأديب ، حين يباعد الزمن بينهم وبين من انتجت قريحته تلك الآثار ، فكيف اذا ترجمت الى أمم أخرى ليس لها أى إلمام بتاريخ أمة ذلك الأديب ولا بعاداتها وتقاليدها ، وسوف اختار لما ذهبت اليه شعرا فيه ما ذكرت من الأوصاف ، وهذا الشعر لمرشد بن أبي حمران الجعفى الذى لقب بالأسعر الجعفى ، وسبب شهرته بهذا اللقب ، بيت خاطب به عشيرته ، وهو :

أضواء على نص قديم

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك
لئن انا لم أسعر عليهم وأثقب

يقول لنا تاريخ هذا الشاعر أن اخوته تقاعسوا عن أخذ ثار أبيه ، بل انهم لم يكتفوا بالقعود عن هذه العادة المعروفة فى تلك العصور ، التى يعير من لم يجر عليها ، فقد أخذوا ديّة والـدهم من قاتله . وتقاسموها فيما بينهم ، وانهم باعوا فرسه وتقاسموا ثمنه أيضا ، وكان شاعرنا طفلا صغيرا حين وقعت هذه الأحداث ، فلما شب عن الطوق ، عرف ذلك فامتلأت نفسه بالغضب على إخوته ، فأنشد قصيدة تعبر عن حزنه وألمه ، ذلك أن شاعرنا يرى بان غاية الحياة تتعدى هموم المعيشة ، الى معنى الكرامة التى لا سعادة للاحرار والأباة بدونها ، واعتقد أن كل مثقف حر يتمنى لو أن هذه الفكرة امتزجت فى نفوس معظم الأدباء المعاصرين ، لتكون منزعهم فيما يصدر عنهم من آثار ، حتى لو كلفهم ذلك ما يكلفهم من حرمان ، وسأختار من قصيدة هذا الشاعر بعضا منها ، ثم أبين ما أراه من أن الآثار التى لا تفقد الا قليلا من قوتها ، حين تترجم من لغة الى لغة أخرى ، هى تلك الآثار الوجدانية كما أشرت فى أول هذه القصيدة ، يقول الشاعر :-

أبلغ أبا حران أن عشيرتى
ناجوا ، وللقوم المناجين التّوى
ولقد علمت على تجشمى الردى
أن الحصون الخيل ، لا قدَرُ القرى
راحوا بصائرهم على اكتافهم
وبصيرتى يعدو بها عتد وأى
مسحوا لحاهم ثم قالوا : سالموا
ياليتنى فى القوم ، اذ مسحوا اللحى

والمعنى الاجمالى لهذه الأبيات أن شاعرنا يخاطب أباه القتيل فى مستهل قصيدته بان اخوته لخمولهم ، وذلهم ، لا يجلسون مع الناس ، وانما انفردوا متهامسين فيما بينهم ، وانهم موتى ، وان كانوا أحياء ، بسبب تهالكهم على لذائذ هذه الحياة ، وأن الحياة ، علمته بعد تجربة طويلة بأن القوة هى التى تحمى الانسان عن الردى ، وان الذى يعتقد بأن التجاءه الى منزله بين أهله يبعد عن الموت مخطئ ، كل الخطأ ، فللانسان أجله ، المحتوم ، فشاعرنا عاش قبل الاسلام ، ولكنه مع ذلك أدرك بثاقب عقله وفرط ذكائه هذا المعنى الواقعى العظيم ،الذي عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة ، التى تقول « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » النساء / ٧٨ . على أن شاعرنا لم يكتف بهذا ، انما أخذ يعبر عمّا يجده فى نفسه من لوعة لا تفارق نفسه ، لأنه يشعر بان مجتمعه ينظر اليه والى اخوته نظرة من تخلف عن عزته ، فقال مستعيرا لفظة اصبح تداولها غير معروف الا عند المتخصصين فى اللغة العربية ، فان البصيرة تعنى قوة الادراك والفطنة لدى فهم الكثيرين ، اما ما عناه الشاعر فانها تعنى قطعة الدم ، ، فشاعرنا يقول ان اخوته حملوا دم والدهم على اكتافهم غير مبالين بما فقدوه من عزتهم ، أما الشاعر فانه جعل دم والده على رقبة فرسه ليأخذ بثأر أبيه ، وهكذا أخذ الشاعر يتفنن فى تصوير جبن اخوته ، حيث أنهم كانوا يمسحون لحاهم تعبيرا عن رخاء البال ، والميل الى الاستسلام ، وتمنى أن يكون معهم حين جلسوا يمسحون لحاهم ليرغمهم على الابتعاد عن هذا الخنوع والخضوع .

ما يمكن ترجمته

اذا ترجم مثل هذا الأثر الأدبى الرصين من لغة الى لغة أخرى ، فان فهمه يعز على الذين لم تمتزج الثقافة العربية قبل الاسلام فى نفوسهم ، لكن هناك شعرا جاهليا يمكننا أن نترجمه من لغتنا العربية الى الفرنسية أو الانجليزية ، أو أي لغة أجنبية أخرى ، ونحن متأكدون أنهم سيتذوقونه ويعجبون به ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، اختار منها بعض ابيات لعدى بن زيد العبادى ، وهى التى يستهلها بقوله :-

بكر العاذلون ، فى وضح الصُّبْح ، يقولون لى : أما تستفيق ؟
ويلومون فيك ، يا ابنه عبد الله ، والقلب عندكم موثوق .
لست أدرى ، إذْ أكثروا العذل فيها ، أعدوٌ يلومنى أم صديق .
ودعوا بالصبوح يوما ، فجاءت قينة فى يمينها إبريق .
قدمته على عقارٍ كعين الديك ، صاف سلافها الراووق .

اذا ترجمت هذه القطعة بصورة دقيقة من اللغة العربية الى لغة أخرى ، فان من المؤكد أن قارئها

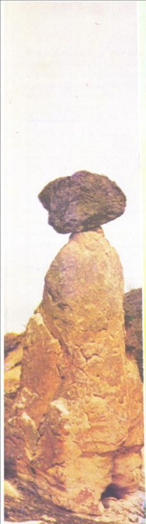
الأجنبى سيتذوقها ويستمتع بها ، لأن ناظمها رسم صورة وجدانية واضحة ، يمكن لكل صاحب ذوق سليم أن يتصورها ، فان مثل هذه الصورة ، صورة فنية يصدق عليها مايقال عن الفن بأن لغته لغة عالمية .

والأدب المعاصر

وما قلناه أيضا عن الشعر القديم ينطبق على الشعر المعاصر ، من حيث تذوق الأمم الأجنبية له واستمتاعهم به ، وهو ينطبق أيضا على الشعر الأجنبى الذى ينقل الى اللغة العربية ، ولعل خير مثال على ما ذكرت ، هذه الأبيات القليلة التى نظمتها « سافو » ، الاغريقية المشهورة التى قيل عنها بأنها أعظم شعراء الشعر الغنائي ، وقد وضعها « دينيزيوس الهاليكارناس » على رأس قائمة شعراء هذا اللون من الشعر . نجد بعض اثار هذه الشاعرة العظيمة من اللون الذى يصعب تذوقه والاستمتاع به بالنسبة للقارىء العربى .

بل أكاد اعتقد أن صعوبة الاستمتاع تحدث لكل فرد لم يتعمق فى الثقافة الاغريقية، تقول سافو : « ان أقدام البواب يبلغ طولها سبعة أذرع ، ونعاله مصنوعة من جلد خمسة من الحيوان ، واشتغل بها عشرة من صانعى النعال » . وتقول أيضا « إن السقف يجب أن يرفع ، ارفعوا السقف عاليا ، مرحبا بأله الزواج ، ارفعوها عاليا أيها العمال المهرة مرحبا بأله الزواج » ، فالعريس قادم كأنه آريس ، مرحبا بإله الزواج ، وهو أطول رجل ، مرحبا باله الزواج ،غير أن الدكتور ابراهيم سكر الذى ترجم لهذه الشاعرة ، قد أوضح لقارئه ما يرمز اليه هذا الشعر من سخرية ، وبالرغم من ذلك كله فانى أتصور أن الاستمتاع به ، ليس كما ينبغى بالنسبة للقارىء العربى ، ولعلى لست فى حاجة الى الاطالة فى ذكر الأمثلة من الآثار العربية والأجنبية التى تستوحى مادتها من ثقافة الشاعر ، كذلك لا أبعد عن الصواب فيما أظن اذا شملت بهذا الحكم الآثار القصصية التى يستقى كاتبها من ثقافة أمته وتقاليدها المألوفة لدى تلك الأمة ، والتى تعد من خصوصياتها ، وزيادة فى التوضيح يمكن أن نتبين ذلك فى آثار الشهيد غسان كنفانى ، ذلك القصصى المتمكن الذى يستوحى معظم آثارة من المأساة الفلسطينية ، فانها لا تفهم حق الفهم الا لمن وقف على هذه المأساة بصورة مفصلة ، بمعنى أنه لا بد له من أن يتمثل ما عاناه ويعانيه شعبنا فى فلسطين ، من شدة قسوة الصهيونيين ، واتخاذهم كل وسيلة غير انسانية لاكراه المواطنين الفلسطينيين على الابتعاد عن أرضهم وديارهم ، كما على القارىء الأجنبى أن يقف على تعلق هذا الشعب بأرضه ودياره ، فالقصة التى نشرها غسان بعنوان (رجال فى الشمس) رسم فيها توجه عدد قليل من الفلسطينيين الى بعض البلدان العربية بصورة غير مشروعة ، وكانت الوسيلة التى اتخذوها لاختفائهم عن رجال الحدود ، هى خزان الماء الفارغ الذى تحمله سياراتهم ، وقد تأخر سائق السيارة فى مركز الجمارك على الحدود ، فاشتدت أزمة الرجال داخل الخزان ، وعندما يتابع السائق سيره ويصل الى مكان بعيد عن رجال الجمارك ، فانه يفتح الغطاء كى يطمئن على الرجال داخل الخزان ، الا انه يجدهم قد فارقوا الحياة ، مثل هذه القصة التى أوجزناها ايجازا شديدا لا تتضح أبعادها الا لمن يعرف ان اجتياز الحدود بين البلاد العربية تكتنفه مصاعب كمصاعب الصعود على قمة افريست ، وان أولئك المشردين مضطرون الى الهجرة سعيا وراء لقمة العيش لعائلاتهم ، وقد اخترت آثار الفلسطينيين لأنها فى تصور الكثيرين منا بينة لا تحتاج الى ايضاح ، ولكننى مع هذا اعتقد أن كثيرا من الأجانب يحتاجون الى من يبين لهم عناصر هذه المأساة الانسانية ، فما رأيك فى الآثار الأدبية من شعر ونثر ، تلك التى تستوحى مادتها من أوضاع عربية ، ربما لا يعرفها العربى البعيد عن تلك البلاد ، وفى تصورى أنى لست فى حاجة الى الاستشهاد بأمثال شعرية أو قصصية لتأييد ما ذهبت اليه ، لأن ذلك واضح للقراء ، وما ذكرته من أمثلة فيه الكفاية والوضوح .

بقى أن أقول بان على المترجمين للآثار الأدبية بأن يراعوا هذه الناحية التى حاولت توضيحها ، أما اذا أرادوا أن يترجموا ديوانا متكاملا من الشعر ، فان عليهم أن يوضحوا ما فيه من رموز وايماءات ، لتكون الفائدة من ترجمتهم أشمل وأنفع ، وبالجملة فان الترجمة الأدبية لا تؤدى رسالتها ، الا اذا قام بها أديب متمكن من اللغة التى يترجم منها والتى يترجم إليها . □



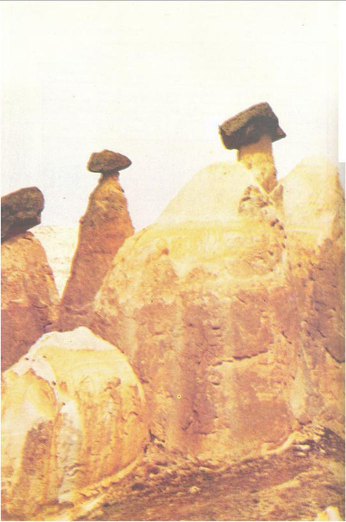
العربي عيونك على العالم

الأناضول متحف لكل العصور

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

هل هي مداخن جن .. أم رؤوس حوريات .. أم شياطين شعر من وادي عبقر .. انها المداخل الرئيسية للمدن والقلاع المنحوتة في الصخور ..





قلب الأناضول . . قلب نابض بالحياة . . لا يعرف الجمود . . ولا يطيق الحزن . يضحك . . يغني . . يرقص . . يضرب الدف . . يعزف على البزق . . يستعذب اللحن . . يفلسف كل شيء . . يمزج السخرية بالحكمة . . والهزل بالجد . . تماما كما فعل نصر الدين خوجا . . جحا التركي.. حين عاش يبعث البسمة. . ويجتذب الضحكة . . من قلب الأناضول . . .

بقدر ما شهد هذا القلب من ألوان الحياة ، مع توالي الحضارات ، وتعاقب الشعوب ، وتعدد الثقافات . . بقدر ما نهل واستوعب وارتوى من كل جديد فمزجه بقديمه . . واستلهم مصادر حياته الجديدة من مختلف الآثار والأشكال والصور واللوحات التي احتلت مكانها المميز في الميراث الثقافي التركي .

وما أكثر الأحداث التي مرت بشعوب الأناضول على مدى آلاف السنين ، وهل كان يمكن لشعب عرف أساطير الاغريق والرومان ، وعاش بطولات الأوغوز وتركستان ، وسمع حكايات خوجا وارجانكون . . أن يعيش بعيدا عن كل هذه الأحداث ، فلا يخلدها في آدابه وأشعاره . . ولا يحيي ذكرها في موسيقاه وغنائه ، ولا يتمثلها في عروضه ومسارحه ؟

لقد كان ذلك ما حدث . . حين نظمت شعوب الاناضول أجمل المهرجانات إحياء لذكرى احداث الأساطير . . وشملت احتفالاتها ألوان الموسيقا والأغاني والرقصات الشعبية والأشعار . وفي قونيه ـ موضع القلب من الأناضول ـ قبل أكثر من ثمانمائة سنة ، وجدت فرقة مسرحية تقدم استعراضات الاتراك السلاجقة ، بل لقد قدموا الشعر الصوفي نفسه على نغمات الناي ورقصات الدراويش لتتحول فيما بعد الى عروض لفنون الباليه . . !

والذين يتصورون أن تركيا هي ما يرونه ويشاهدونه في استانبول ، يبتعدون كثيرا عن الحقيقة .

فتركيا ليست هي تلك المدينة القابعة على مداخل البسفور ، ولا هي توب كابي ، أو أياصوفيا ، أو مسجد السليمانيه ، ولا هي ضولمة باجي أو جسر جلطه . . ان كل ذلك ليس سوى قطرة في بحر الجمهورية التركية المترامية الأطراف ، التي لا تمثل استانبول منها سوى رأس حربة يطل من تراقيا الأوروبية ، بينما الجسد كله ، والقلب ، والحياة ، والشعب ، هو ذلك الذي يعيش في الأناضول . . شبه الجزيرة الشاسعة الأطراف التي تمثل من الجمهورية التركية ٩٧٪ من مساحة الدولة التي تبلغ ٧٨٠ ألف كيلومتر مربع ، ويعيش على أديمها أكثر من ٤٥ مليون نسمة من بين حوالي خمسين مليون من السكان .

والذين يزورون استانبول أو يقرأون عنها ويخطر لهم ان هذه هي تركيا . . هؤلاء لم يعرفوا من الحقيقة سوى نفس النسبة التي تمثلها هذه المدينة التي ابتلعتها الدولة العثمانية من البيزنطيين ، حين أحاطت جيوش السلطان محمد الفاتح بأسوارها ، واستطاع في النهاية أن يستولي عليها ويقضي على القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، التي كانت تنافس الامبراطورية الرومانية ، ثم ظلت تتقلص حتى أصبحت لا تتجاوز مدينة يجلس على عرشها الامبراطور المهزوم !

شعب يعيش الحياة

الأناضول إذن هي الصورة الحقيقية لتركيا والشعب الحقيقي هو هؤلاء الفلاحون والرعاة والمكافحون الذين يعيشون في النجاد وعلى الهضاب ، ويزرعون السهول والوديان ، ويرعون الماشية والقطعان ، ويمارسون الحياة ببساطة وقناعة ورضا ، ويطحنون القمح بالرحى ، ويأكلون « الغلمية » بالكمون على فوح رائحة الخبز في التنور ، ويصنعون جرارهم وأوانيهم من الطين والفخار ، ويملأون الجرار بمياه الينابيع والآبار ، وينسجون الثياب



خريطة الجمهورية التركية والأناضول . . وفي القلب منه إقليم قونية ونوشهر حيث المدن تحت الأرضية ومداخن الجن .

ويغزلون الكليم والسجاد من القطن والصوف لمواجهة ثلوج الجبال وبرودة الشتاء . . إنهم هم أنفسهم الذين حفروا المدن تحت الأرض وتعاملوا مع كتل الصخر ونحتوا فيها البيوت والقلاع ، وحفروا مداخن الجن في تجويفات الطبيعة ، وجعلوا منها بيوتا ومخازن وأقبية ودور عبادة وصوامع وأبراجا للحمام ونواطير للكروم ، وقلبوا مقاييس الهندسة التقليدية من غير تخطيط ولا تصميم .

هؤلاء هم شعب الأناضول الحقيقي كما شهدناه وعشنا معه في المزارع والحقول والمراعي والوديان ومداخن الجن والبيوت المحفورة في الصخور . . .

شعب يشتغل ٦٥٪ من قواه العاملة بالزراعة والغابات والصيد ، في أرض زراعية تبلغ حوالي ثلث المساحة الكلية للبلاد ، وتكفي حاجتها من المواد الغذائية باستثناء القمح ، وتصدر القطن والتبغ والفواكه من عنب وتين وزيتون وجوز ، مع منتجات الغابات . والثروة الحيوانية التي يربونها على المراعي الطبيعية في هضبة الأناضول تمثل نحو ٣٠٪ من مجموع قيمة الانتاج الزراعي . . بينما يعمل نفس الشعب في استخراج كميات كبيرة من معادن البوكسايت والفحم والكروم والنحاس والحديد والمنجنيز والكبريت ، كما يلبي انتاج البترول حوالي نصف حاجات البلاد . . .

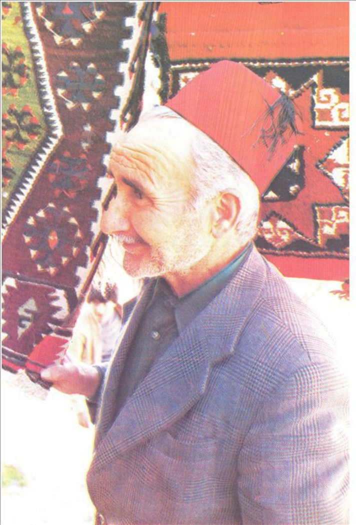
على طريق الاعتراف بلغة القرآن

ولكن . . ما أصعب أن تتعامل مع كل هؤلاء من خلال لغة الاشارة . . اللغة العالمية التي لابد منها . . بينما تعرف أن الذين تتعامل معهم هم سكان بلد اسلامي .. كان لأكثر من خمسة قرون قلب الخلافة الذي يدين له بالتبعية كل المتكلمين بلغة الضاد . . لغة العروبة والقرآن . . .

وتجد نفسك غريبا حين لا تجد أحدا يستطيع أن يبادلك الحديث باللغة العربية . .

أليس هذا غريبا حقا . . ؟ أن تكون لغة القرآن هي اللغة غير المعترف بها في كل مكان في تركيا . . !؟

وماذا تفعل . . ؟ إنك في دولة إسلامية حقا . . ولكنها دولة ألغيت فيها اللغة العربية . . لغة





إنها الحياة الحقيقية في قلب الأناضول . . تركي ما زال يحتفظ بطربوشه ، ولكن للسياحة فقط بعد أن ألغي الطربوش بقانون . . وشياه . . وصوف . . ونساء . . وحجاب يؤكد التمسك بتعاليم الاسلام .



القرآن . . بأمر وقانون . . ولا يجرؤ تاجر على كتابة لافتة محله بحرف عربي . . ولو فعل فلن يجد له مكانا إلا وراء الشمس . . . ؟!

ولكن الذي يبعث على العزاء هو أنهم جلهم مع ذلك مسلمون . . تسعة وتسعون في المائة من السكان يدينون بالاسلام . . وبعد أن مرت فترة معينة ـ هي بدايات التحول الى العلمانية ـ شهدت فيها المساجد انحسارا في عدد المصلين من الشباب الذين يصلون فيها ، ولم يكن يؤمها إلا الكبار والمسنون . . أصبحت المساجد اليوم تشهد زحما كبيرا من الشباب ، حتى أننا فوجئنا عند صلاة الجمعة بأن المساجد رغم كثرتها تمتلىء بالمصلين حتى لتمتد الصفوف الى خارج الأبواب . . وكما قال لنا أحدهم : إن الشباب في المساجد هم الأغلبية ، ولا توجد معوقات لأي نشاط ديني إسلامي ، مادام هذا النشاط بعيدا على الخوض في الأمور السياسية . . ولا شك ان هناك تحولا في الاتجاه السليم ولم يعد من

المتصور أن تحدث مفاجآت . . بل ان هناك حاجة الى إنشاء المزيد من المساجد الجديدة لأن الموجود منها لم يعد يكفي . .

قال لنا الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو مدير مركز التاريخ والثقافة الاسلامية عندما التقينا به أن الاتجاه الاسلامي في تركيا يزداد قوة . . قوته لا تعني أن هناك تحولا في سياسات معينة ، أو تغيرا في طابع المجتمع التركي . . وإنما قوة الاتجاه الاسلامي تعني الرجوع الى الجذور وتعني وضوح كثير من المفاهيم التي اختلطت في ذهن الفرد التركي ، واذا صح التعبير ، في ذهن المجتمع التركي . هناك كثير من المفاهيم الخاصة بالتحديث والعلمانية وعلاقة الفرد بالمجتمع وموقع الدين في داخل المجتمع وعلاقة الدولة بالدين . . كل هذه الامور عادت في الفترة الاخيرة تتخذ موقفا واضحا ، بل أستطيع أن أقول ان ذلك الاختلاط في ذهن التركي المسلم قد انقشع الآن .

ثم هناك عامل آخر وهو انتشار المدارس الاسلامية ومكاتب تعليم الدين في المدن والقرى ، حتى أن تدريس الدين الاسلامي أصبح إجباريا في المدارس ، حيث أدخل نص في دستور ١٩٨٢ بأن يكون التعليم الديني إجباريا في المرحلتين الابتدائية والثانوية بعد أن كان اختياريا . أما اللغة العربية مع التحول الجديد ، فقد أصبحت إحدى اللغات التي يستطيع الانسان ان يختارها ، وإن واجه ذلك مشاكل محدودة لعدم وجود العدد الكافي من المدرسين .

ولكن الذي يبعث على الأمل هو ذلك المشروع الذي طرحه وزير التعليم التركي وهبي دينسرلر لتعليم اللغة العربية في المدارس التركية بصورة اختيارية ، وخاصة حين أعلن موقفه قائلا : « سأنتصر في هذه المعركة بفضل الله » .

وقد أوردت الصحف التركية هذا التضرع الى الله الذي يربط بين الدين واللغة . ويقول المؤيدون لهذا الاتجاه ان الهدف منه هو تسهيل العلاقات مع الأقطار العربية ، التي انفتحت تركيا عليها انفتاحا واسعا في المجالين السياسي والاقتصادي منذ أن تولى تورجيت أوزال الحكم في ديسمبر من عام ١٩٨٣ .

وبذلك تشهد تركيا معركة جديدة حول عنصرين أساسيين هما اللغة العربية والدين الاسلامي . وقد برزت المسألة اللغوية الدينية دائما في معظم الأزمات السياسية التي شهدتها الجمهورية منذ تأسيسها قبل ستين عاما بعد العمل على عدم الارتباط بالاسلام واللغة العربية ، وفرض السيادة للغة التركية فيما سمي بالتتريك في جميع ميادين الحياة . وساهم استخدام الأبجدية اللاتينية عام ١٩٢٨ في تقهقر اللغة العربية ، وأدت الضربات التي تلقتها هذه اللغة مثل الغاء الاذان بالعربية عام ١٩٣٣ إلى إبعاد أصول الدين عن اللغة التركية . وعندما أعيد الأذان باللغة العربية في عام ١٩٥٠ ، بدأ الاتجاه لتبني وجهات النظر التي تنادي بالاهتمام بالعودة الى تعليم اللغة العربية ، وبخاصة بعد أن أقدمت الحكومة الجديدة على حل جمعية اللغة التركية التي أنشئت قبل ستين عاما والتي كانت تتولى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والأجنبية وأنشأت بدلا منها جهازا تابعا للدولة . وقد قال لنا مدير سابق لجمعية اللغة التركية : « لم يكن مصادفة أن يعاد تعليم اللغة العربية الآن بحجة تحسين العلاقات مع الدول العربية ، فذلك يندرج في خطة للبعث العام للاسلام » .

ذلك البعث الجديد هو ما أحسسنا به ونحن نأخذ طريقنا في قلب الأناضول . . حيث تحس وأنت بعيد عن المدن الرئيسية ان الشعب في الاناضول يمارس حياته الطبيعية متمسكا بكل الأصول القديمة التي شهدها خلال مراحل التغير الحضاري منذ عهد طويل قبل دخول الاسلام الى ارض الاناضول وحتى فترة الامبراطورية العثمانية . . وهي تلك الفترة الطويلة التي جعلت من الأناضول متحفا لكل العصور ، وحيث تزخر الأرض بآثار حضارات ٦٥ دولة تأسست على هضبة الاناضول طوال سبعة آلاف سنة . . .

من عهد نوح

بين هذه الحضارات التي تواجدت بين عامي ٥٠٠٠ قبل الميلاد و ٤٧٦ ميلادية ، حضارات عصور ما قبل التاريخ ، والعصور الأولى من العصر الحجري ، والعصر النحاسي ، وعصر السبائك وعصر الحديد . وشهدت الاناضول حكم امبراطوريات أشور وميتاني وهلنستك وبورصة والاسكندر والرومان . . وتأسست عليها دول المدن الاثنى عشرة ، والحيثيين والحوريين والاورارت والفريجيين والليديين . . كما قامت دول برجامون وبيتسيا وكبادوكيا وسلوكوس وبونتوس وكوماكينا . .



الصغار .. رمز استمرار الحياة على حافة المدن المحفورة تحت الارض .. انهم عماد المستقبل الجديد .

كل ذلك حتى العصور الوسطى حين تأسست الدولة البيزنطية ودولة الروم البونتيين والحمدانيين والمروانيين وسلاجقة الروم وما تبعها من امارات ودويلات انتهت بقيام دولة العثمانيين التي حلت محلها الجمهورية التركية الحديثة .. والتي حولت عاصمتها الى أنقرة .. في قلب الأناضول . . .

هكذا تبدو ساحة الأناضول نجدا جبليا بالغ الاتساع يشكل شبه جزيرة طولها ١٦٠٠ كيلو متر وعرضها ٦٤٠ كيلو مترا . . . يحيط بها من الشرق والجنوب الاتحاد السوفييتي وايران وسوريا والعراق .. بينما في الغرب حيث بقية تركيا الاوروبية في منطقة تراقيا تحدها اليونان وبلغاريا .. ويفصل بين الجانبين الأسيوي والأوروبي بحر مرمرة ومضيقا البسفور والدردنيل المتحكمان في المعبر الوحيد بين آسيا واوروبا .. وهو معبر لم يعد بحريا فقط .. بل لقد اصبح بريا ايضا منذ افتتح عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) جسر هو الرابع من حيث الطول بين الجسور المعلقة في العالم ، يمتد فوق مضيق البسفور .. ويربط بين اوروبا وآسيا من خلال شبه جزيرة الأناضول .. التي كانت على مدى العصور طريق التبادل التجاري والغزو العسكري والانتقال الحضاري بين الشرق .. والغرب . . .

وما أكثر المعالم التاريخية الحية في قلب الأناضول .. فعلى جبل « أجري » أعلى جبال الاناضول (٥١٩٥ مترا) يواصل الأثريون بحثهم في قمة أرارات عن سفينة نوح .. وتؤكد الحفريات التي مازالت تجري منذ عام ١٩٥٨ في مدينة « كاتالهويوك » على مسيرة ٤٥ كيلو مترا من قونيه أنها من أقدم مدن التاريخ ، وان عمرها يمتد الى عام ٦٨٠٠ قبل الميلاد .. كما كشفت الحفريات ان بيوت المدينة كانت تقام من دور واحد من الطين ، وتتلاصق جدرانها ، حيث لا توجد طرق ولا مسافات بين كل بيت وآخر . . .

والبيوت بلا أبواب ولا نوافذ ، ويدخل الناس من فتحات في سقف البيت يهبط منها سلم خشبي .. اما الانتقال بين البيوت فهو بالسير فوق الأسقف . . !

وفي منطقة قانش (قلطبة) عثر على أطلال مدينة اشورية من القرن الثالث قبل الميلاد .. وفي منطقة « يدي اويويان » يوجد كهف يقال أنه المغارة التي لجأ إليها اصحاب الكهف في عهد الامبراطور ديكوس عام ٢٥٠ ميلادية حيث ناموا ولم يستيقظوا الا بعد ثلاثمائة سنة في عهد الامبراطور تيودسيوس الثاني . .

وعند صخرة منحوتة في قضاء جوروم يوجد معبد شيد منذ عام ١٣٠٠ق.م وبجواره ٦٧ نحتا تمثل إله الحيثيين .. وبالقرب من « اسكي شهر » يقع جبل نمرود حيث يقوم معبد يرتفع الى ٢٢٠٦ متر ، وقد تساقطت في ساحته رؤوس تمثل الملك نمرود ارتفاع احدها يصل الى عشرة امتار .. ويعتبر المعبد ثامن عجائب الدنيا . . !

وعلى سفح قلعة أورفا يوجد مقام يقال انه غار سيدنا ابراهيم عليه السلام . ويتكون من كهفين احدهما هو الذي ولد فيه ابراهيم بينما الأخر كهف والدته . وغير بعيد منه على حافة بحيرة زليخه يقوم جامع خليل الرحمن . . . . !

وبرغم كل هذه المعالم التاريخية .. فليس هناك اروع ولا أبدع ولا أعجب من ذلك العالم الذي يمتد في عمق القلب من الاناضول . . . عالم كابادوكيا العجيب . . !



مدن تحت الأرض

نحن الآن في عمق القلب من الأناضـول . . والقلب هنا عبارة عن قاعة تتوسط طابقا سفليا تعلوه سبعة طوابق بمستويات متباينة منحوتة كلها في الصخور . . مشكلة مدينة سفلية تمتد إلى عمق ٨٥ مترا في جوف الأرض . . !

وكان مرافقنا لطفي « بك » مدير دائرة المخطوطات في قونية قد قال لنا قبل أن نذهب إلى هناك : « تعالوا معي . . سآخذكم في رحلة الى أعماق الأرض . » !

وانطلقنامعه الى منطقة كابادوكيا . . لنخترق طريقنا الى مدينة « درينكويو » على مسافة ٢٩ كيلومترا جنوبي « نوشهر » التي وصلنا إليها بعد أن قطعنا ٢٨٤ كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من أنقرة . . .

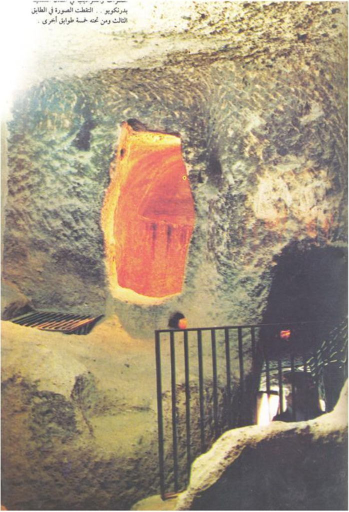
درينكويو . . بلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، عرفت طريقها إلى الشهرة عندما خرجت إلى النور فجأة عام ١٩٦٣ مع اكتشاف مدينة تحت الأرض يمتد عمرها إلى عدة آلاف من السنين . . حيث توالى عليها الحيثيون الأوائل والرومان والبيزنطيون ، وحيث كانت وبقية المنطقة المحيطة بها من كابادوكيا ملجأ للاجئين والمضطهدين والفارين من وجه الغزاة الزاحفين بين الشرق والغرب . . .

ثمانية طوابق تحت الأرض

بعد أن اجتزنا المدخل المنحوت في الصخر ، وجدنا أنفسنا نسير في نفق طويل يؤدي في نهايته إلى قاعة فسيحة يتوسطها عمود نحت في الحت الصخري البركاني . . ودلفنا من صدر القاعة الى سرداب منحدر تقوم على مدخله صخرة اسطوانية ضخمة تشبه الرحى ، هي الباب الذي كان يسد فتحة الممر ليعزله عن النطاق الخارجي ، وحين يغلق يتم تثبيته من الداخل بطريقة لا تسمح لأحد برفعه أو زحزحته من الخارج . . وننحدر مع المدرجات المتآكلة ونجد أنفسنا أمام مجموعة من السراديب كل منها يقود إلى ممر

الفخار . . صناعة متطورة للسكان . . يأخذون طينه الأحمر من تربة النحات البركاني .





بدرنكويو . . التقطت الصورة في الطابق الثالث ومن تحته خمسة طوابق أخرى .

وغرف وقاعات ذات فتحات في الأسقف المحفورة بشكل أقواس غير مستوية ، مع فتحات أخرى في جوانب الأرضية عبارة عن آبار تغطيها الآن « أغطية » من قضبان الحديد حتى لا يسقط أحد في أعماقها . . . وتضيق الأنفاس مع استمرار الصعود والهبوط على الدرجات أو الانزلاق على الحجر الصخري ، حين تكون الدرجات متآكلة . . وبين كل سرداب وآخر نجد صخرة الرحى الدائرية الضخمة التي كانت تغلق المداخل لصد العدوان الخارجي . . ونجد منافذ التهوية التي تجعل الحرارة في الداخل معتدلة أو قريبة من البرودة . . وهي منافذ يبلغ عددها حوالي خمسين منفذا رئيسيا . وتتم تهوية المكان من خلال شبكة من الدرجات الحلزونية والأروقة المنحنية والملتوية . . بينها منافذ سرية للخروج الى سطح الأرض . .

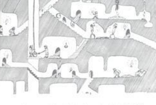
طوابق المدينة يبلغ عددها ثمانية . . ومن كل طابق تتفرع سراديب جانبية تؤدي إلى غرف السكن والأقبية ومخازن المؤن . . .

ويبدو واضحا أن الطابقين الأول والثاني قد حفرا ليكونا أماكن للاقامة الدائمة ، بينما الطوابق الأخرى عبارة عن أماكن للتخزين والايواء عند توقع الخطر الخارجي .

عشر مدن سفلية

تربط الأنفاق والسراديب السرية بين المدينة وبين مدن تحت أرضية أخرى في المنطقة ، قيل أن عددها لايقل عن عشر مدن وإن لم يكتشف منها أو يفتح للزيارة سوى مدينتين هما هذه المدينة في درينكويو ومدينة مماثلة على مسافة تسعة كيلومترات هي مدينة قايماقلي . وهكذا كانت الملاجىء الجوفية الأرضية في هذه المدينة وحدها تتسع لحوالي ١٦٠ الف شخص يتوزعون بين الطوابق الثمانية ، ويستطيعون الهرب والاختفاء من خلال السراديب السرية الجوفية . . وأشار لنا مرافقنا الى سرداب مظلم يمتد من الطابق الثالث قال أنه يقود الى مدينة « قايماقلي » يتسع لثلاثة أفراد يمكنهم أن يسيروا متلاصقين جنبا الى جنب عند الهرب . . وعند مدخله توجد أسطوانة الرحى الدائرية الضخمة التي تغلق السرداب تماما لتتيح فرصة الفرار أمام الهاربين وتجعل الأعداء الغزاة عاجزين تماما عن الوصول اليهم . . .

الطابق الثامن السفلي والأخير من المدينة كان مدفنا للموتى . . ففتحات القبور ما تزال موجودة ، وإن امتلأ أكثرها على مر السنين بالرمال ونحات الصخر . . . وقد توالت على هذه المدافن كل أجناس



هكذا كانوا يحفرون وينقلون مخلفات الحفر من خلال المنافذ والفتحات بالجرادل والحبال والبكرات .

اللاجئين ابتداء من الحيثيين ثم الرومان والبيزنطيين حتى المسيحيين الهاربين من وجه الطغيان . . .

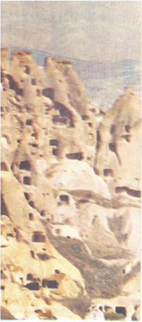
في هذا الطابق السفلي . . وقفنا وأبصارنا تدور في المكان . . .

في أعماق العالم السفلى

نحن هنا في أبعد أماكن المدينة عمقا في جوف الأرض . . .

وامتلأت رأسي وأنا في ذلك العالم السفلي بخيالات ليست أقل مما كان يتخيله الانسان القديم في سومر وبابل وآشور واليونان ومصر القديمة عن عالم ما تحت الأرض . . ذلك العالم المظلم الذي تسكنه الاطياف التعسة ويهوي إليه الموتى لينالوا العقاب لقاء ما ارتكبوه في دنياهم الأولى من آثام . . .

احسست برعشة برد قوية أخرجتني من شرودي . . وأنا ما أزال في جوف الطابق السفلي من المدينة القابعة في عمق الأرض . وكان لابد من مغادرة المكان بعد أن اختنقت منا الأنفاس واتسعت



كان من الممكن لهم ان يعملوا ويبذلوا جهدا في الحفر الشاق الذي يحتاج على الاقل الى الهواء الذي يساعدهم على التنفس والاحتمال . .

ولكن سؤالا آخر يعود الى الذهن . . أين وكيف اختفت مخلفات الحفر من الصخور والاتربة وبقايا النحات التي لا يبدو لها عند المداخل أي أثر ؟

وتجيء الاجابة :

لو نظرنا حولنا لوجدنا أن منطقة كابادوكيا تمثل انكسارا شديد الانحدار يضم مجموعة كبيرة من الوديان . والمدن تحت الأرضية في المنطقة كلها صغيرة بالنسبة لمدينتي درينكويو وقايماقلي ، فكانت مخلفات الحفر تلقى في مجار مائية تنحدر من المناطق المرتفعة الى السهول والوديان ، وقد اختفت هذه المجاري المائية نتيجة لعمليات التآكل والتعرية على مدى السنين .

ومن ناحية أخرى إذا افترضنا أن المخلفات كانت تنثر على أرض الساحة المحيطة ، فقد كان من الضروري أن تصبح هذه التربة جدباء رملية غير خصبة بسبب هذه المخلفات الحجرية . . ولكن المؤكد أن هذه المنطقة تتميز بخصوبة التربة وهي أجود الاراضي الزراعية . . بل هي أشهر وأغنى أراضي تركيا كلها بالكروم . . .

وينطلق تساؤل جديد . . ما الذي جعل هؤلاء الناس في ذلك الوقت يتركون الحياة على سطح الأرض لينشئوا هذه المدن تحت الأرض ويقيموا فيها مع ما في إنشائها وحفرها من صعوبة وجهود مضنية . . ؟

هنا يقول الباحث العلامة أن الاجابة لا تحتاج الى جهد كبير . . فالقبائل المتوالية التي جاءت الى هذا المكان كانت تأتي تحت ضغوط كبيرة من الخوف والحاجة الى الحماية والبحث عن ملاجيء تحميهم من المخاطر ، ولعل السبب الذي جعل هذه القبائل تفضل منطقة كبادوكيا هو ان الحفر في هذه الأرض الصخرية لم يكن يواجه صعوبات كبيرة ، فهي كلها تكوينات من الصخور اللينة والحمم البركانية المسامية ، ولا شك أنهم ما كانوا ليستطيعوا حفر مثل هذه المدن وبوسائلهم اليدوية لو أن الصخور كانت صلبة . . فالصخور التي نحتوا خلالها كانت لينة وهي عادة تزداد صلابة بعد تعرض اسطحها للهواء . . .

مشهد عام لجانب من المدن الصخرية . . وفتحات المساكن ومنافذها التي ما زال بعضها مستخدما حتى الآن بينما أقيمت مساكن وبيوت بالحجر المقتطع منمداخن الجن .



مداخن الجن





سرحة مع الجبال . . وتفكير في قدرة الخالق . . والتسبيح باسم الله القادر على كل شيء .

المدن السفلية تحت الأرض ليست وحدها عالم كابادوكيا العجيب . . فثمة مشاهد أخرى مثيرة رائعة تبلغ حد الاعجاز ، ولا يمكن فهمها إلا إذا تتبعنا مسيرة الجيولوجيا والتاريخ . . على مدى عدة آلاف من السنين . . في قلب الأناضول . .

وقلب الأناضول التاريخي يتألف من مستطيل جغرافي يمتد بين مدن أنقرة وقونية وأقصراي وقيصرية ، يتوسطه حوض الانجراف الذي يحتضن سلسلة من المدن الصخرية تمتد من نوشهر الى أورتا حصار وأوج حصار وأورجوف وكورمة جوريم وأفانوس وسلفى وقاقانلي ونيغدا . هذا الحوض عبارة

عن مجموعة من السهول والوديان تكونت مع مرور الزمن من الرماد والحمم البركاني قذفتها قمة جبل آرجيا (٣٩١٧ مترا) وشارك فيها بركان جبل حسن الغربي (٣٢٦٣ مترا) .

ولكن كيف كانت البداية ؟

بدأ كل شيء منذ حوالي ستين ألف سنة ، مع تفجر مجموعة من البراكين التي تحيط بالمنطقة . ولفترات طويلة راحت هذه البراكين تنفث من باطنها على الأرض المحيطة حمما وصخورا منصهرة وحجارة وغبارا وأتربة راحت تنتشر وتترسب فوق المساحات الزراعية الواسعة مكونة تربة بركانية تتميز بخصوبة عالية ، كما تتميز بالتالي بنشوء آلاف من التلال والمسلات والأهرامات المخروطية الشكل الكبيرة والصغيرة على اتساع المنطقة . فمع انتشار اللافا البركانية وما اختلط بها من صخور وأحجار ومعادن سائلة على هذه المساحة الواسعة من الوديان والبحيرات . . بدأت المقذوفات البركانية بتراكم بعضها فوق بعض مكونة مسطحات صخرية بعضها صخور طفحية مثل البازلت وبعضها صخور متحولة كالمرمر .

مداخن الجن

مع تراكم وتكدس الصخور بعضها فوق بعض واستمرار اندفاع الحمم البركانية ، كان لابد ان تختلف درجة صلابة أو ليونة الطبقات المتراكمة . . وتعرضت هذه الصخور الطفحية لعوامل التعرية بين رياح وأمطار وعواصف وتغير في درجات الحرارة ، حيث تلاعبت وشقت في الوديان مجاري سيول عميقة ونحتت صخورا مسننة . . وحيثما كانت الصخور لينة تآكلت لتخسف تضاريس المكان ، وحيثما كانت الصخور صلبة متماسكة انبثقت آلاف من الأشكال المخروطية الغريبة المثيرة . . .

ثم شهدت المنطقة غير المستقرة مجموعة من الزلازل ، وبدأت منطقة الجوريم تنحدر نحو وادي النهر الأحمر المسمى « كيزيلرماك » الذي راح يزيد من كميات التآكل والتحات للمساحات الصخرية التي غمرت الساحة العريضة . .

هذه التغيرات الجيولوجية هدأت في الوقت الحاضر ، ولكن بعد أن تشكلت مجموعات من



مدينة نوشهر . . تطل عليها القلعة التي ما تزال بقاياها قائمة تشهد بقوة الاستحكامات الدفاعية عند السلاجقة .

الأودية . وكان أبرز ما شكلته هذه السلسلة من الوديان التي نقشت جوانبها سيول المياه التي تنتشر على طول الطريق الرئيسي بين نوشهر وأورجوب وعلى الساحة الممتدة حتى النهر الأحمر ، ثم تلك التكوينات الغريبة عند مداخل وديان أورجوب وزلفي ، وهي سلاسل من اللافا التي تشكل تلالا هرمية مخروطية تغطي الساحة ، تتباين على صفحاتها الألوان القرمزية والرمادية والصفراء والبيضاء وكأنها ألوان قوس قزح ، تتغير ألوانها مع تتابع ساعات النهار . أما أبرز التكوينات فهي كتل صخور هرمية مخروطية تبدو في شكل اهرامات ومسلات ومداخن يصل ارتفاع بعضها الى حوالي اربعين مترا ، وتستقر على رؤوس بعضها كتل أخرى من الصخور مختلفة الألوان ، حطت عليها خلال اندفاعها ، وكأنها قبعات وعمائم ، أو كأنها رؤوس سوداء تستقر على أجساد أشباح عملاقة من الجن .

ولعل هذا هو ما جعلها تعرف باسم « قلاع الاشباح » و « مداخن الجن » .

وتلك هي غابة الجن ووادي الاشباح والحوريات التي خضناها في هذه الساحة العريضة من قلب الأناضول .

كأننا في وادي عبقر

وما أقرب المشهد الى وادي الجن الذي صوره أحمد شوقي في مجنون ليلى . . . حتى لتتمثل نفسك وأنت تقف بين مداخن الجن وكأن كلا منها جني في وادي عبقر ، يستعد ليلهمك قصيدة غزل حول ذلك العالم الغريب الذي يسرح فيه الخيال ويتشتت الذهن . . ولا يخرجك من سرحتك ويعيدك الى الوعي سوى أسراب الحمام البري والطيور التي تطير وتحط على فتحات الكوى والفوهات التي نقرت على جوانب الاهرامات المخروطة يوم كان يستخدمها شعب من المهاجرين والفارين من الاضطهاد الروماني حتى استقر في النهاية وخرج من المدن التي كان يقيم فيها تحت الأرض ، ليستغل مداخن الجن ويسويها ويشكلها لسكناه ، ويقطع صخرها ويفتح فيه المنافذ والكوى ، ويوسع التجويفات الطبيعية ، ويحولها الى مخازن وأقبية ، وليجعل منها الرهبان والمبشرون النصارى أديرة وصوامع ومعابد يصور على جدرانها صور المسيح والعذراء والحواريين ، ويطلي رسومها بالوان مائية مايزال أغلبها قائما واضحا زاهيا يصور تاريخ المسيحية .

ولكن . . ليس هذا وحده في الحقيقة أبرز كل شيء . فما أكثر الأمثلة الرائعة التي نشاهدها في « وادي الجن . . . » .

فعلى كلا الجانبين من الطريق الى أورجوب يقوم عدد كبير من البيوت والمخازن المنحوتة في الصخور ، حيث يقوم أهالي المنطقة باستخدامها في تخزين المنتجات الزراعية من البطاطس والتفاح والليمون والبرتقال ، وبعضها تجلب من مناطق البحر الابيض الساحلية ليتم تخزينها في المخازن الجوفية الباردة لفترات طويلة . وتطل على المنطقة قلعة عبارة عن كتلة ضخمة من الصخر يطلق عليها اسم « أورتا حصار » . هذه القلعة تعتبر مكان إقامة دائمة بفجواتها الكبيرة ، والثغرات والكوي المحفورة في جوانبها ، التي يتصل بعضها بالبعض داخل الكتلة الصخرية الضخمة التي ترتفع الى حوالي اربعين مترا . . ولا نكاد نبتعد قليلا على نفس الطريق بعد اورتا حصار حتى نفاجأ بقلعة أخرى تحت اسم « اوج حصار » حيث توجد كنائس مبنية من نفس الاحجار المقتطعة من كتلة القلعة .

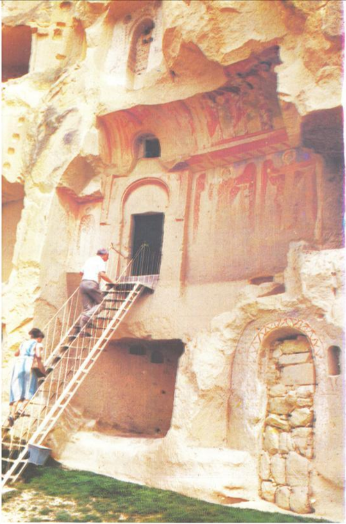
وندخل قرية « أفانوس » عبر جسر يمر فوق النهر الأحمر الذي يخترق القرية . .

هنا نلتقي بالسكان الذين استغلوا كل الطاقات والفجوات في الصخور لتكون أجزاء من بيوتهم ومحلاتهم ومخازنهم ومصانعهم ، فهنا تقوم أغلب الصناعات اليدوية التي تشتهر بها المنطقة وتصدرها الى كل منطقة الأناضول والدول المحيطة . . ونشهد في أعماق المغارات مصانع الفخار والأواني والمزهريات التي تصنع من الطين الاحمر من رواسب النهر وعلى جانبيه . . كما تقوم صناعات المرمر الرائعة بمختلف أنواعها من شمعدانات ومزهريات والعاب الشطرنج وأواني الزينة . . . كما تنتشر صناعة الكليم والسجاد الشرقي ذي الزخارف والرسوم الرائعة والذي يعتبر من أجمل ما تنتجه تركيا وتصدره الى جميع أنحاء العالم . . .

نوشهر والسلاجقة

ونعود الى نوشهر وهي قلب المنطقة والتي يبدأ منها الانطلاق الى عالم كابادوكيا . . . .

بيوت المدينة شيدت من الأحجار التي تقتطع من الجبال والتلال المحيطة . . وتطل عليها قلعة بناها الأتراك السلاجقة وكان أصلها حصنا بيزنطيا على شكل مخمس ثم أعاد تجديده العثمانيون . وعلى حافة القلعة يقوم مسجد قورشونلو الذي بناه بين سنوات ١٧١٨ و ١٧٢٦ رئيس الوزراء العثماني نوشهرلي ابراهيم باشا ، ويشبه تخطيطه وطريقة بنائه جامع السلطان سليم الموجود في استانبول ، وتضيء الجامع ٤٧ نافذة كلها من الزجاج الملون المزخرف ، وترتفع قبته الكبرى بقطر يبلغ حوالي ١٧ مترا مع ارتفاع ٢٢ مترا ، وجدران المسجد من الداخل مطرزة بالزخارف والآيات القرآنية بالخط الكوفي . والى جوار المسجد





احدى الكنائس المحفورة في الصخور . . وحفر مثلها أديرة وصوامع (الى اليمين) . . وفي الصورة العليا بعض صناعات السجاد التي تعتبر من أشهر الصناعات في قلب الأناضول .

الذي تحيط به مدرسة ومستشفى ومكتبة للمخطوطات ، يقوم متحف ابراهيم باشا حيث تعرض فيه الأمتعة والآثار التي تعود الى مختلف العصور التي شهدتها المنطقة .

نوشهر وضواحيها زاخرة بآثار كثيرة من العصور الحيثية والسلجوقية والرومانية والبيزنطية . . وأبرز هذه الضواحي في الطريق شمالي المدينة تقع « حاجي بكتاش » حيث تكية دراويش البكتاشية التي تحولت الى متحف يعرض فيه آثار الطريقة من سجاد وبسط وغرف الفولكلور . . ويضم المتحف ضريح « حاجي بكتاش والي » مؤسس الطريقة البكتاشية في القرن الثالث عشر الهجري وقبور مريديه وكبار الاتباع ، ويبلغ مجموعها أربعين ضريحا . .

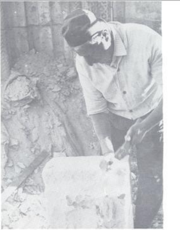
ضريح جحا

غير بعيد من المنطقة نجد أنفسنا في اكشهر . . امام باحة قبر نصر الدين خوجا . . تلك الشخصية الفذة من شخصيات الفكاهة الممزوجة بالجد . . والذي كتب عنه وعن حكاياته العديد من الكتب . . إنه قبر « جحا » . . الذي ولد في قرية هورتا التابعة لقضاء سنغري حصار سنة ١٢٠٨ ، وتوفي عام ١٢٨٤ وكان في أواخر عمره إماما للقرية بعد أبيه عبدالله افندي . .

واذا كان خوجا . . او جحا . . رجل المزاح الذي يخلط فكاهته بالجد والحكمة في أيامه ، فقد كان نفس الشيء حتى في مماته . . فقبر جحا رمز من الرموز التي تجمع بين فكرة الحرية واللاحرية . . وبين العطاء وعدم العطاء . . ثم الوجود واللاوجود . . إنه عبارة عن باحة مفتوحة الجوانب يتوسطها الضريح ، وعند مدخله هيكل لباب خشبي مغلق بقفل وغير محاط بأي جدران ، ويستطيع كل إنسان الدخول إليه دون موانع من كل الأطراف . . برغم الباب المغلق بالقفل . . !!

لقد عاش نصر الدين خوجا في عصر السلاجقة الروم . . عصر الفن السلجوقي في عاصمتهم قونية .

ولابد من قونية . . ولو طال السفر . .





عندما يحكي الحجر

قونيه وفنون السلاجقة

قونية .. قلب الأناضول الحضاري .. هي حلم النصر منذ كان لابد من غالب ومغلوب .. وهي رمز القوة حين كانت السيطرة تعني السلطان والعلم والتقدم والعمران .. وهي مرآة التاريخ حين جعل منها متحفا مفتوحا بلا جدران .. وهي ساحة الفتوة والنضارة في حياة شعب مارس كل أنواع الحياة .. وهي مغنى المثالية والروحية في عالم أصبح في أشد الحاجة إلى عودة الروح .

مدينة وديعة هادئة .. تستلقي عند أقدام سفح جبال طوروس .. ذات طابع حضاري خاص .. تمتزج فيها الدنيا والدين .. القديم والحديث .. وتتمثل فيها كبرى الثروات الفنية والمعالم الحضارية والقيم الروحية . لم تخلع أيا من ثيابها قط .. واستمرت تواصل مسيرة التقدم والنهوض وتمارس الحياة ، من خلال موقعها الاقتصادي الهام في وسط الطريق بين الشرق والغرب . واكتسبت مكانتها الرئيسية من خلال أهميتها كمركز ديني كبير ، حيث كانت مقرا لاقامة الشاعر الفيلسوف الصوفي جلال الدين الرومي المعروف « بمولانا » والمنسوبة إليه طريقة الدراويش المولوية .. كما كانت لها قيمتها الأثرية الكبيرة حيث ماتزال تحتفظ ببقايا أسوارها القديمة وتزخر بالمباني الأثرية من العصر السلجوقي .

متحف في الهواء الطلق

قبل ان نبدأ جولتنا في غابة الآثار السلجوقية .. التقينا بالسيد غونار أوزكان مدير الثقافة والسياحة في قونية .. وسمعنا منه الكثير ..

إقليم قونية يمثل في الحقيقة متحفا مفتوحا في الهواء الطلق يجمع في آن واحد العديد من الثقافات والحضارات ، كما يقدم صورة رائعة لآثار التاريخ الاسلامي ، مع نماذج من الفكر الديني والفلسفة الصوفية والنظرة الاسلامية على دروب الحياة .

وعلى الجانب الآخر فان قونية تلعب في الأيام

الحاضرة دورا كبيرا في تقديم النماذج الحية للثقافة التركية ، واللوحات الرائعة لكنوز الفنون والفولكلور والصناعات اليدوية التي تتميز بها شعوب الاناضول .

وعلى المرحلة الانتقالية بين البداوة والاستقرار الحضاري ، فان قونية .. التي شهدت المنجزات الهندسية العمرانية الرائعة للحضارة الاسلامية عمليا وروحيا، تعتبر ملتقى رئيسيا للقديم والحديث حين يمتزجان معا في انسجام متناغم ومتناسق مع تطور حضاري جيد التخطيط .

أول مدينة بعد الطوفان

تحتاج البداية الى أن نقلب صفحات التاريخ ...

ففي المدونات الفريجية القديمة نعرف أن قونية لها جذور تاريخية تعود إلى ٨٠٠٠ سنة .. وأنها كانت أول مدينة ظهرت بعد الطوفان . وفي الآثار والحفريات الحيثية ما يؤكد أن المدينة كانت مأهولة في عصور ما قبل التاريخ .. وفي العصر الروماني ـ وخاصة الفترة الأيقونية المسيحية ـ كانت قونية أبرز المراكز التجارية في اسيا الصغرى .

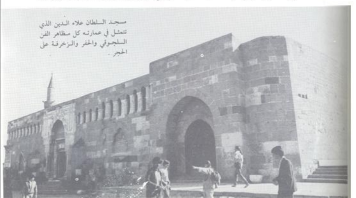
ولكن قونية معروفة فوق ذلك بأنها كانت أول عاصمة اسلامية في الاناضول ، عندما اتخذها سلاطين السلاجقة الاقوياء عاصمة لهم بين القرنين ١١ و ١٣ الميلادي . وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر بلغت قونية أزهى أمجادها خلال حكم السلطان علاء الدين كيقباد وخلفائه .. وفي هذه الفترة أقيمت اجمل المساجد والمدارس والقصور والاضرحة التي تعتبر أروع تعبير عن فنون السلاجقة .

تلة علاء الدين

من فوق هذه التلة .. يحكي الحجر قصة مازال تنبض بالحياة رغم عمر تمتد جذوره الى ثمانمائة عام في عمق التاريخ .

يحدثنا العلامة التركي .. « محمد أمين » الذي أبى إلا أن يصحبنا خلال جولتنا في غابة الفن السلجوقي :

هنا في تلة علاء الدين .. تجدون الشاهد الحضاري الرائع على عظمة السلاجقة . إن تلة علاء الدين التي تقف شامخة متحدية عوادي الزمن . تنبض بالحياة برغم أن قصر علاء الدين كيقباد الذي كان أبرز معالم التل قد انهار مع ما انهار على مر الزمن ، لينتهي تحت وطأة الزلزال العنيف الذي ضرب المنطقة في عام ١٩٠٢ وأسقط عددا من المآذن القديمة .. ومن بينها مئذنة « إينجي منار » التي تواجهنا الآن .. قصر علاء الدين لم يبق منه سوى هذه الاطلال التي نقف فوقها بعد أن كان قائما حتى أوائل القرن العشرين ، بطابقيه اللذين لا تقل عمارتها عظمة عن قصور سلاطين آل عثمان . وكان القصر من الداخل غاية في الفخامة ، زخرفت جدرانه بآيات بارزة من



مسجد السلطان علاء الدين الذي تتمثل في عمارته كل مظاهر الفن السلجوقي والحفر والزخرفة على الحجر .

واجهة مسجد إينجه منار .. من أبرز الآثار السلجوقية بما يتميز به من الآيات القرآنية والزخرفة المحفورة في الأحجار .. والى يسارها آنية من الآثار السلجوقية في متحف مدرسة قاراتاي .. مزخرفة بالرسوم ومصنوعة من السراميك .. وفي الصورة اليسرى مشهد للزخرفة السلجوقية في قبة وجدران مدرسة قاراتاي المزينة بالفسيفساء .

النقش البارز تعلوها أشرطة ، وأفاريز من المنحوتات الجصية المزخرفة بالفسيفساء . ومن بين اللوحات الكبيرة المنحوتة التي نقلت الى المتحف الآن لوحة تمثل فارسين احدهما يهاجم تنينا .. والآخر يهاجم أسدا .. ويدل موضوعها الحي ورسومها الحيوانية البارعة على ما كان للمشتغلين بفن النحت السلجوقي من مهارة ومقدرة ..

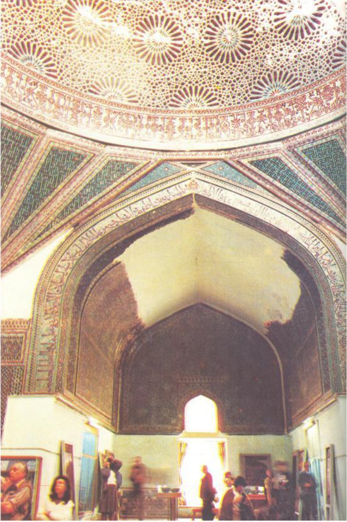
وبرغم ان السلاجقة كانوا يستخدمون أبناء الاقاليم الاسلامية المختلفة ويشجعونهم بما يكلفونهم به من أعمال ، إلا أنهم برعايتهم الدائمة استطاعوا ان ينشئوا طرازا قائما بذاته ، امتاز بفخامة العمائر واتساعها ومظهرها القوي ، كما امتاز باستخدام رسوم الكائنات الحية محورة من الطبيعة .. ولعلها استخدمت كطلسم يدفع عنها أذى الاعداء والقوى الشريرة .. وقد يكون ذلك نتيجة لتأثيرات أرمينية وغربية .. وهذا طبيعي في إقليم كالأناضول ....

ونقف أمام مسجد علاء الدين الذي يتوسط التلة ...

المسجد ومنبره

المسجد بعمارته وزخارفه والنقوش على جدرانه وعلى مداخله صورة حية رائعة للفن السلجوقي ...

حول واجهة المدخل نقرأ كتابة بالخط الكوفي يقول ما بقي من نصها : « السلطان المعظم سيد سلاطين العرب والعجم ، مالك رقاب الامم ، عز الدنيا والدين ، وركن الاسلام والمسلمين ، فخر الملوك والسلاطين ، نصير الحق بالبراهين ، قاتل الكفرة والمشركين ، غياث المجاهدين ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة رسول الله ، سلطان بلاد الروم والارمن والافرنج والشام ، أبو الفتح قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان ، ناصر



المؤمنين ، آدام الله ملكه وضاعف اقتداره » .

ونجتاز الواجهة لنقف تحت صحن المسجد من الداخل . . . وأول ما يلفت النظر أن القبة والسقف المسلح يستندان على اثنين وستين عمودا من الأعمدة « الرومانية والبيزنطية » . . واذا كانت الجدران التي كان يجري ترميمها تبدو خالية من أي نقوش ، إلا أن المنبر يعتبر من أروع ما خلفه السلاجقة من فنون الحفر على الخشب ، حيث تزينه زخارف غنية نباتية تنتهي أوراقها ومراوحها النخيلية بأشكال أزرار . وفي كل من الجانبين والمستطيلات التي تحيط بنهايته حشوات كبيرة ممتلئة ، كما أن جانبي الدرجات والحشوتين الجانبيتين تحت سقف المنبر كلها مخرمة . ويحيط بالباب إطار ينتهي من الجانبين بقبضة مخرمة ، ولفتحة الباب عقد له فصوص ، وفوق العقد حشوة مستطيلة ذات نقوش هندسية . أما الجانبان فقوام زخرفتهما أطباق نجمية من حشوات صغيرة تضم رسوما نباتية . وعلى المنبر كتابات بالخط الكوفي بعضها آيات من القرآن الكريم .

آثار حول التل

يلاصق مسجد علاء الدين من الجانب الأيمن ضريح السلاطين . وفي هذا الضريح توجد قبور ثمانية من سلاطين السلاجقة ، وعلى صناديقها كتابات تحمل اسم كل سلطان وتاريخ وفاته .

وعند أقدام تل علاء الدين يقوم برج هو واحد من بين مائة برج كانت تدعم سور المدينة الذي تهدم ولم يبق منه سوى اطلال . هذا البرج الباقي الذي مايزال قائما تمت تغطيته بشمسية من الكونكريت لحمايته والمحافظة عليه .

وعلى بعد خطوات عبر الميدان الجديد نجد أنفسنا أمام أشهر المدارس السلجوقية . . مدرسة قاراتاي . . المدرسة واحدة من مدارس كثيرة اهتم باقامتها السلاجقة . وقاراتاي الذي اطلق اسمه على المدرسة كان مجاهدا شارك في الجهاد ضد البيزنطيين وعين أميرا للمدينة حيث دفن في ضريحه في احدى قاعات المدرسة التي كان يطلق عليها اسم « الدار الحديث »

•

ونجتاز الباب الى المبنى المقام على مساحة مربعة يتوسطها قاعة متسعة تعلوها قبة كبيرة ، وتحف بها قاعات مستطيلة ، ويتصل بها إيوان به قاعات صغيرة ، والأركان مغطاة بقباب ، كما توجد قاعة



قطاع من الزخارف الحجرية على مدخل قاراتاي .

ضريح الوزير قارا طاى الى اليسار . اما القبة نفسها فقد مهد المعمارى لقيامها بصفوف من الحوامل « كوابيل » ، وبتحويل الجدار العلوى الى مثمن بواسطة عدد من المثلثات على شكل المروحة مشيدة باجر ، كما يتوسط القاعة حوض للماء عوضا عن الصحن المكشوف ذى الفسقية .

المهم هنا أننا نجد أن الباب الداخلى مرصع بالأحجار ، والجدران والقبة مرصعة بالخزفات الصينية ، كما ان السقف رسم عليه نجوم السماء في الليل وكأننا في القاعة السماوية . الآن تحولت المدرسة الى متحف يضم آثار الخزف والسيراميك .

وننتقل بين التحف الخزفية وبلاطات السيراميك المحفوظة في القاعات الجانبية . ويبدو واضحا ان صناعة الفسيفساء الخزفية كانت مزدهرة ، حيث زخرفة التحف تؤلف من أجزاء صغيرة من الخزف مختلفة الأشكال والأحجام بعد قطعها من لوحات من الخزف المدهون . وتلصق الأجزاء بعضها ببعض بواسطة الملاط الذى يصب فيها من الخلف فيملأ جميع التجاويف فيها ، وقد أفلح الفنان السلجوقى في تصغير الأجزاء التى تتكون منها الفسيفساء وفي ان يؤلف منها أدق الموضوعات النباتية والهندسية في مجموعة من الألوان البراقة . وشهدنا صحونا مختلفة الأشكال من الخزف المقلد للبورسلين الصينى قوام زخرفته حيوان بين زهور وزخارف نباتية . وتوجد قنينة زخرفتها رسم قرد بين زخارف نباتية وقنينات اخرى قوامها رسوم زهور وفي الوانها الأخضر والأحمر الى جانب اللون الأزرق .

إينجه منار

في مواجهة الحافة الغربية لتلة علاء الدين يقوم متحف « اينجه منار » المتحف كان مسجدا بناه عام ١٢٦٧ الوزير « صاحب عطا » وقد سقطت احدى مئذنتيه بسبب الزلزال وبقيت الطبقة السفلى من المئذنة الثانية قائمة .

الواجهة والمدخل يتميزان بدقة النقش والحفر على الحجز . ويعتبر هذا المدخل من أبرز الأمثلة على ما تمتاز به معظم العمائر السلجوقية من الواجهات الجميلة ذات الأبواب الفخمة الغنية بالزخارف والمقرنصات ، والتى تحف بها أشرطة الزخرفة الهندسية والكتابات التاريخية القليلة البروز ، والى جانبها زخارف اخرى بارزة من مراوح نخيلية وخطوط معقودة .

قبة المسجد ومحرابه مازال تزينهما زخارف فن السيراميك . ويضم المسجد بعد أن تحول الى متحف ، الآثار الحجرية والخشبية من العصر السلجوقي بينها تماثيل ونقوش بارزة تشهد بإبداع الفنانين في تصوير الحيوان والطيور . كما توجد زخارف جصية تكثر فيها رسوم الصيد والطرب والاستقبال . وهذه التماثيل لم تكن كلها للزينة فقط ، بل كان بعضها من رنوك الأمراء وشاراتهم . وقد لاحظنا ان النقوش الكتابية تقوم على أرضية من الزخارف الملحقة بالحروف . كما ان بعض الرسوم النباتية تنتهى في بعض الزخارف برءوس حيوانات ، ومن بين النقوش التى تتصدر القاعة ما يمثل النسر ذا الرأسين والجناحين ، وهو رمز سلاطين السلاجقة وإن كان من الواضح انه منقول عن التماثيل الرومانية القديمة .

فنون الحفر على الخشب

صاحب عطا أحد أشهر الوزراء السلاجقة . وتعتبر فترة توليه الوزارة من أكثر الفترات ازدهارا . ومن بين ما أقامه مسجد في شارع يسمى لارنده ،



المسجد الصغير الذي يتوسط صحن « سلطان خان »



ولهذا يطلق على المسجد نفس الاسم ايضا . . مسجد صاحب عطا . . لارنده . . .

واجهة المسجد واضحة الفخامة تزخر بزخارف فنية تساير العناصر المعمارية السلجوقية . هذه الفخامة لا تتجلى فقط في الواجهة والمدخل ولكنها تبرز ايضا في العناصر الزخرفية مثل الحنيات المزينة بالمقرنصات والموضوعة في إطارات مستطيلة من الزخارف الهندسية المختلفة الأشكال .

خـــان السلطـــــان

غير بعيد من قونيه وعلى الطريق الى انقره نلتقى بخان السلطان أو « سلطان خانى » ويرجع تاريخ إنشائه الى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) كما يتبين من الكتابات التاريخية المنقوشة على مدخله .

هذا الخان واحد من عدد كبير من الخانات التى اهتم السلاجقة بتشييدها ، وكان لهم منها عدد كبير في مختلف الطرق الرئيسية ، وكان تصميمها يشبه تصميم المدارس الى حد كبير ، وقوام تصميم سلطان خانى مدخل يوصل الى صحن مرصع يحيط به إيوان وأروقة وقبو وأكتاف . ويبدو ان الغرف كانت تستخدم كمخازن للسلع والبضائع . اما جدران الخان فمدعمة باكتاف وابراج . .

من خلال جولتنا بين الآثار السلجوقية في قونيه يبدو واضحا كثرة استخدام الزخارف المجسمة ولا سيما في واجهات العمائر ، وهى لم تستخدم فقط في المبانى الحربية أو المدنية ، بل برزت ايضا في بناء الأسوار والقلاع وسائر الاستحكامات الحربية . . فقد كانوا دولة حربية بطبيعتهم ، وكان الكفاح بينهم وبين الروم والصليبيين أكبر حافز لهم على تحصين مدينتهم .

ولكن هناك مثل آخر من أمثلة الفن السلجوقى يبرز في بناء الأضرحة . فقد كانوا يقيمونها على شكل أبراج اسطوانية ذات أضلاع وأوجه عدة ، أو على شكل عمائر ذات قباب . . .

وكان المدفن العادى يغطى في بعض الأحيان ببرج من هذه الأبراج ، وأبرز الأمثلة ما شهدناه في ضريح « مولانا » جلال الدين الرومى الفيلسوف الصوفى الذى جعل ضريحه من قونيه . . مدينة ذات قيمة دينية ومزارا للمريدين من دراويش المولوية . .

. وحكاية مولانا والمولوية . . قصة اخرى . . وحديث يطول . . .

شعب يغني للحياة





رقصة شعبية من قلب الأناضول . . مع أغنية تحكي قصة الهجرة من تركستان . . يغنيها فتيات وفتيان على آلات العزف التركية التقليدية التي كانت تستخدم في الأناضول وتركستان وأذربيجان .

شاهدنا من آثار السلاجقة ما يؤكد أنهم جلبوا معهم من تركستان الى الأناضول مبادىء الفنون الجميلة في أواسط آسيا ، ثم طوروها واشتقوا منها ونقشوا وزينوا وزخرفوا كل العمائر والمباني التي أنشأوها حتى نهاية القرن الثالث عشر . . ومن بعدهم جاء العثمانيون فطوروا فن المنمنمات والرسم وفنون السيراميك والفسيفساء .

كذلك حدث في ميدان الأدب . فمن أواسط آسيا ـ الوطن الأساسي للأتراك والمصدر الأول لأدابهم ـ تطورت اللغة التركية المنبثقة عن لغات أورال والطاى ، وكانت اولى نماذج الأدب التركى هى الانجازات التى تحكى الأحداث والأساطير المروية . . . كما كانت أولى الوثائق المخطوطة هى ما كتب على « نصب أورهون » في وسط آسيا الصغرى . وأحرزت فنون الكتابة التركية تطورا مستقلا منذ أكثر من ألف سنة قبل أن تتأثر بالأدبين العربي والعجمى ، ونشأ بعدها ديوان الأدب أو « أدب القصر » الذى يتمثل في نماذج لأدباء بارزين مثل الفضولى والباقى ونديم والمنفى ، ثم نجم عنه فيما بعد الأدب الصوفى مثل حكايات وأشعار جلال

الدين الرومي وأدب النوادر والحكم مثل حكايات نصر الدين خوجا . . .

ولم يكن المسرح التركي بعيدا عن كل ذلك ، فقد استلهم مصادره من مختلف أشكال الاستعراضات التي تمثل مكانة هامة في الميراث الثقافي . . . ثم بدأ المسرح يطور لنفسه شخصيته المستقلة ليتألف بعد ذلك من أقسام منفصلة يمكن تحديدها في مسرح الدمى والعرائس . . ومسرح القراقوز . . ومسرح المداحين . . . . . . واستعراض الميدان . . قبل أن يشهد في النهاية الفن الدرامي الحديث .

ورغم تشابه مسرح العرائس لدرجة كبيرة بدمى الأغريق والرومان . . فان « القراقوز » يعتبر نموذجا فريدا للدهاء التركي . واستعراض الدمى يتم من قبل شخص واحد يقوم بتحريك الأشكال المختلفة بواسطة العصى تظهر من خلف ستارة بيضاء . أما استعراض الميدان فهو من الاستعراضات التركية القديمة وتعتبر بداية للمسرح الحديث ، وتشمل استعراضات الميدان الموسيقى والرقص والأشعار الى جانب قوة الابتكار التي يتحلى بها الفنان .

وأما بالنسبة لمسرح المداحين فان المداح هو الشخص الذي يسرد النوادر ويبرع في تقليد الآخرين . . . وتظهر موهبته لدى تقديم المنولوجات الطويلة . . وأما المسرح العصري بمفهومه الغربي فقد دخل تركيا بواسطة الفرق المسرحية الفرنسية والايطالية ، وشاركها في ذلك بعض النشاطات المسرحية التي كانت تقوم في استانبول . . . . .

الموسيقا والغنـــاء

كل ذلك حدثنا به السيد غونار اوزكان مدير الثقافة في قونيه ، وهو يدعونا الى استعراض موسيقى غنائى تمثيلى خاص أعده لنا في قاعة الاحتفالات . . .

الفرقة التي قدمت العرض تسمى « الفرقة الاسيوية التركية » وهى تابعة لمديرية الثقافة في قونية . يشترك في الفرقة ٢٥ شخصا بينهم ١٢ فتاة وكلهم من خريجى الثانوية ، ومن المدرسين أو الطلاب في الجامعة ، وقد انضموا اليها كهواة .

الهدف من تكوين الفرقة عرض نماذج من الثقافة التركية القديمة فى الغناء والرقص والموسيقى والتمثيل . ويقول مدير الثقافة :

كان بعض ما نستهدفه هو البحث عن آلات العزف التركية التقليدية التي كانوا يستخدمونها في



فتاة من الأناضول تعزف على البزق . . وتغني للأناضول .

الأناضول وفي تركستان وآذربيجان . وحين استطعنا العثور على بقايا من هذه الآلات حددنا أوصافها وقمنا بصنع آلات مشابهة . ومن بين هذه الآلات ما يشبه الجيتار والبزق والفلوت والربابة والعود . . وأمكن من خلال متابعة الأغانى الشعبية التي جمعناها خلال جولاتنا الكثيرة في أعماق الأناضول ان نجمع العديد من الألحان الشعبية والفولكلورية . . . وبعض الأغانى تقدم باللغة التركية القديمة ، وقد لا يفهم البعض كلماتها خاصة ان اللغة التركية الحديثة تتضمن كلمات بعضها عربية أو أعجمية أو تركستانية . . . وقد استطعنا بهذه الوسيلة أن نجمع الكثير من الأغانى الشعبية والأغانى الكلاسيكية ، وهو مادربنا عليه أعضاء هذه الفرقة وأصبحوا يقدمونها على أحسن صورة ممكنة إحياء للتراث الشعبى التركى .

تكلم أيها القمـــر

ويبدأ العرض مع رقصة شعبية تتحدث عن المهاجرين القادمين من قلب آسيا الى الأناضول . . . ويرتفع صوت الغناء :



غونار أوزكان مدير الثقافة في قونية يشارك في العزف .

لماذا تغيب أيها القمر في هذه الليلة الظلماء .. ؟
أرسل نورك للذين يستريحون مرة كل عام ..
هل رأيت كيف كانت أورال وأرض الآباء ؟
هل سألت عن أحوال الشعب هناك ؟
أما نحن .. فلن نتعب .. ولن نشكو ..
ولو ظللنا طول العمر نخوض البحار
اننا لن نضيق أبدا حتى لو أصبحت الأمواج ..
قبورا لأطفالنا ونسائنا ..

لقد شب الصغار .. وهرم الشباب ..
ومازلنا نسير علي طريق الشوك .
لقد ولد صغار آخرون من جديد ..
ونحن نقطع هذا السفر الطويل ..

تكلم أيها القمر ..
هل مايزال الطريق بعيدا بعد ؟
هل سيتاح لنا الوصول الى البحر الأبيض

هل سنصل قريبا الى حيث نستقر .. ؟
إننا نسألك أيها القمر ..
فلماذا لا تجيب .. ؟

وتتوالى اللوحات .. والجميع يعزفون ويغنون ..

ألحان الشعب

الواقع أن الأناضول منبع ومصب في آن واحد للموسيقا والغناء .. وتصنف الموسيقا وما يصحبها من غناء الى ثلاثة أنواع :

أولها الموسيقا التقليدية .. وهي الموسيقى المتولدة من اصول تقليدية لها تأثيرها على جميع طبقات المجتمع . ورغم ان هذه الموسيقا ذات مخرج واحد من الصوت فإنها تعتبر واسعة الألحان منوعة الألوان . وهذه الموسيقا تكتسب نظاما مختلفا وتعبيرات متباينة حسب الصفات الاجتماعية والثقافية والجغرافية لطبقات المجتمع ، وحسب الأصول التى نقلت عنها ، وهى أقوى وأقدم عناصر الثقافة في الأناضول ، كما أن لها تأثيرا عميقا على الجميع بعد ان جلب الاتراك هذا النوع من الموسيقا معهم من وسط آسيا وتركستان ، وحافظوا على شكله الأصلى رغم التأثيرات المتنوعة التى طرأت عليه .

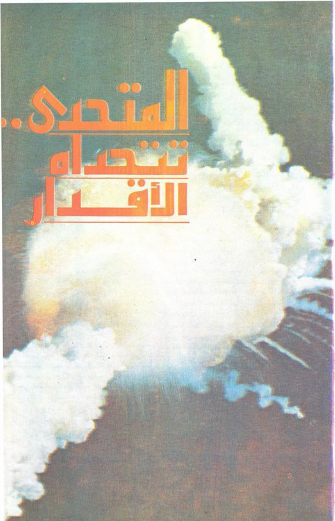
وهناك نوع من الموسيقا يسمونه «موسيقا المساجد» أو الموسيقا الدينية .. وهذا النوع يعتبر ذا أهمية كبيرة وقد مر بتطورات كثيرة .. وهذه الموسيقا خفيفة ناعمة أبرزها موسيقا المولوية والبكتاشية والنقشبندية التى يستخدمها الدراويش في كل من هذه الطرق الصوفية ، وتعتمد فى أغلبها على الناى

أما الموسيقا الشعبية (الفولكلور) فان أصلها غالبا غير معروف . وهى الشكل الموسيقى للتعبير عن الأمة

وهل أجمل من الغناء الشعبى النابع من قلب نابض حين نسمعه من فتيات وفتيان تنطلق أصواتهم مع دقات الدف وأوتار البزق ونغمات العود وتقول :

انا عاشق لك يا جميلة .
فلننطلق معا الى الإمام . حتى يعقد زواجنا ..
ما أروع شعرك الجميل ..
وهوينسدل ليغطى قوامك . انى أتخيله وكأنه الليل .
حين تمضين الى بعيد يدفعنى الشوق لأخطفك

تعالى .. أنا في انتظارك . مادمت تقبلين .. وتلبين
فليس من هو اكفأ لك سواى .
تعالى .. ياجميلة .. تعالى في ثوبك الأبيض الناصع
إنه لا مع كلمحات النجوم في السماء
وأنت فيه .. كمثل نور القمر
يا جميلة يا عفيفة .. يا عذراء الأناضول .. ! □

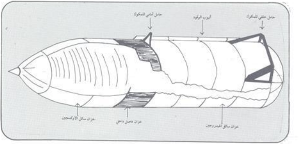

المتحدي..
تتحداه
الأقدار



« المتحدي » تشالنجر على منصة الاطلاق في كاناڤرال ينتظر بدء العد التنازلي لنهايته ، ويظهر خزان الوقود الخارجي ET محصورا بين الصاروخين المعززين SRB.

بقلم : طاهر سكر القيسي

بينما كان يشق طريقه الى الفضاء بهدوء ، هوى حطاما مكوك الفضاء « المتحدي » ، بعد تسعين ثانية من اطلاقه ، في أسوأ كارثة سجلها تاريخ الفضاء ، في هذا المقال تقديم للمتحدي وتتبع لرحلته الأخيرة ثانية بثانية . .

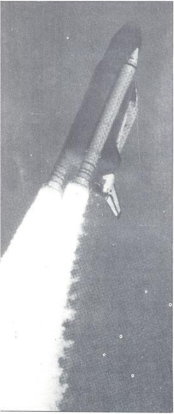


مخطط مبسط يمثل العناصر الرئيسية لخزان الوقود الخارجي الرئيسي ET.

تشالنجر او « المتحدي » هو المكوك الرابع من أسطول الفضاء المكون من : كولومبيا ، واطلنطس ، ودسكفري ، وهو الأحدث فنيا وتقنيا ، سجل أول رحلة له للفضاء في ابريل ١٩٨٣ تحت رقم STS-6، وبعد ذلك وفي نفس العام قام برحلتين اخريين ، ثم الرحلة STS-7 التي حملت أول أنثى امريكية للفضاء ، ثم الرحلة STS-8 التي حملت أول رائد فضاء أمريكي ملون ، وفي عام ١٩٨٤ قام المتحدي بثلاث رحلات أخرى : ففي فبراير هبط على مدرج مركز كندي الفضائي بنجاح تام ، ولأول مرة في تاريخ المكوكات بعد عودته من الرحلة 41-D، تبعته رحلتان في ابريل وأكتوبر من العام ذاته ، أما في عام ١٩٨٥ فقد أدى ثلاث رحلات اخرى أيضا ، الأولى في مايو ، وفيها حمل لأول مرة مختبرا فضائيا لأداء بعض التجارب ، وفي ٢٩ يوليو قام برحلته المشهورة والمشئومة 51-F، فقد كان الموعد المحدد لاطلاقها ١٢ يوليو ، وبعد أن نصب على منصة الاطلاق ، وقبيل ثلاث ثوان فقط من الاطلاق ، أشار أحد أجهزة السيطرة والمراقبة الى أن أحد صمامات التبريد الخاصة بالمكوك لا يعمل بشكل طبيعي في المحرك رقم ٢ ، وفي تلك اللحظة كانت جميع أجهزة المكوك قد بدأت العمل ، بما فيها المحركات . وعلى اثر ذلك أوقف الاطلاق ، وبعد الدراسة والتقصي اتضح أن الجهاز الذي أشار الى العطل هو نفسه لا يعمل بشكل طبيعي ، وهكذا تأجلت الرحلة الى يوم ٢٩ يوليو . وبعد الاطلاق بخمس دقائق و ٤٥ ثانية فقط ، تعطل احد محركاته الثلاثة ، مما اضطر المكوك الى تغيير برنامج رحلته بما يتناسب وقدرة المحركين الآخرين العاملين ، ليضمن لنفسه على الأقل هبوطا سالما في الموقع المبرمج له . وهكذا فقد اتخذ مدارا له على ارتفاع ٢٠٤كم ، بدلا من ٣٩٣٥كم ، وقام في ٣٠ اكتوبر ـ كما كان مقررا ـ بأنجح رحلة له في تاريخه ، قبل أن يتحطم في الرحلة التالية لها ، فلأول مرة يحمل مختبرا فضائيا لبلد آخر غير الولايات المتحدة هي ألمانيا الغربية ، تمثلت في رحلته المرقمة 61-A-D1 التي انبثقت من خلال التعاون بين وكالة الفضاء الأوروبية Esa ووكالة الفضاء الاميركية « ناسا » التي حققت أكثر مما هو مرجو منها ، وهكذا كان المتحدي يقوم بثلاث رحلات كل عام قبل أن يدخل عامه الرابع في الخدمة ١٩٨٦ .

الشكل العام والمواصفات :

يشبه المكوك من حيث الجسم طائرة عملاقة . جوفه مصمم لاحتواء معدات وأجهزة كومبيوتر عالية ورفيعة التقنية . وجوفه أيضا قابل للانفتاح بواسطة

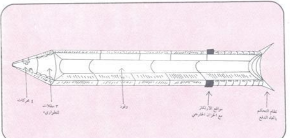


تشالنجر لحظة انطلاقه ، صعود طبيعي

بوابتين ضخمتين تسهلان عملية اجراء التجارب ، واطلاق أقمار صناعية منه الى الفضاء ، أو إعادة التقاطها عند الضرورة . مزود بثلاثة محركات جبارة للغاية ، وتحمله ثلاثة خزانات للوقود ضخمة جدا : خزان رئيسي لا تقتصر مهمته على تزويد المحركات بالوقود ، بل يشكل العمود الفقري الذي يحمل جسم المكوك وثقله . وهو أضخم العناصر المكونة للمكوك الفضائي ، طوله ٤٧ مترا ، وقطره ٨,٤ أمتار ، وهو مصمم بحيث يتسع لأكثر من مليوني لتر من الوقود ، والخزان مقسوم الى جزئين ، الأصغر منها في المقدمة وهو مخصص لسائل الأوكسجين ، ويحمل ٥٤٠ الف لتر ، والآخر يحوي أكثر من مليون ونصف المليون من لترات سائل الهيدروجين ذات الطاقة العالية ، والمحفوظة تحت درجة حرارة منخفضة للغاية ، تبلغ ٢٥٣ - درجة مئوية . ويفصل بين الخزانين خزان داخلي ثالث يعمل كنابض ، وظيفته امتصاص الثقل وردّ الفعل الذي يحدث اثناء عملية الاطلاق . وقبل ساعات معدودة من هذه العملية يملأ الخزان بالوقود بدقة فائقة ، تحت مراقبة وتحكم أجهزة الكومبيوتر ، وقبل سبع ثوان تقريبا من عملية الاطلاق ، تبدأ تغذية محركات المكوك بالوقود منه بمعدل ٤٠٠ لتر بالثانية ، وبعد أداء مهمته يعود ليسقط الى الأرض ، متكسرا الى أجزاء فوق المحيط الهندي ، بحدود ٥٥كم . بالاضافة لذلك هناك صاروخان اضافيان معززان أحدهما يمتد الى اليمين من المكوك ، والآخر الى اليسار ، ويحصران بينها خزان الوقود الخارجي . والصاروخان يزودان المكوك بالقوة اللازمة عند الاطلاق ، لرفعه الى ٤٥كم و ٧٢٠ أمتار . وكل منها له قوة دفع تصل الى ١٣ مليون نيوتن عند الاطلاق ، طول كل منها ٤٥,٤٦ مترا ، بقطر ٣,٧٠ مترا . وزنة كل منها تصل الى اكثر من ٥٤٦ ألف كغم ، و ٨٥ بالمائة يزن الوقود منها ٨٥٪ ، أي بحدود ٥٠٣ ألف كغم .

رحلة التحدي :

قبل أن يتحطم « المتحدي » في رحلته التي واجهتها التحديات ، سبق لمكوك الفضاء كولومبيا قبله أن واجه سلسلة من التحديات . ففي رحلته التي



مخطط مبسط يمثل العناصر الرئيسية لواحد من الصاروخين المعززين SRB.

أطلقت في ١٢ فبراير ١٩٨٥ ، وهي رحلته السابعة عشرة،تأجلت سبع مرات قبل ذلك التاريخ بسبب الأحوال الجوية ومشاكل فنية وتحديات أخرى ، فكان لها أن تطلق في ١٩ ديسمبر ١٩٨٥ . ومما يجدر ذكره ، أن المكوك كولومبيا هو أول مكوكات الفضاء الأمريكية ، وقد سميت وعرفت رحلته تلك بالبعثة المستحيلة ، أما المتحدي فقد رتبت رحلته بشكل دقيق ، وبرمجت على ما يرام ، الا أن اطلاقه هو الآخر تأجل ثلاث مرات بسبب رداءة الجو ، وكأنه انذار من الخالق للتريث واعادة التأكد من سلامة كل شيء . وأكثر من ذلك قدمت عملية الاطلاق في يوم ٢٨ يناير ١٩٨٥ ساعتين عما هو مقرر ، وكأن نهايته اقتربت ومنية رواده قد دنت ، وذلك خوفا من حلول الظلام فيما بعد ، وانخفاض درجة الحرارة ثم تكون الثلوج التي قد تخلق مشاكل أخرى ، وقد سبق لرواده السبعة أن تدربوا على أربع حالات مختلفة للنجاة ، تضمن لهم وللمكوك الوصول للأرض بسلام في حالة ظهور أي خطر محتمل أثناء عملية انفصال الصواريخ المساعدة والمعززة للمكوك ، وذلك خلال برنامج تدريبهم . الا انه لم تكن هناك خطة واضحة للنجاة عند المرحلة التي انفجر فيها « المتحدي » ، بسبب استبعاد ذلك الاحتمال . وقد كانت الخطة محتملة في رحلات المكوك كولومبيا ، لأن طاقمه يتكون من شخصين ـ قبل تجديده وتحديثه مؤخرا ـ فقد كانت مقاعدهما جاهزة لقذفهما الى الخارج عند أي خطر ، وفي أي مرحلة في رحلته ، ولكن بعد تحديثه لم تعد تلك الخطة صالحة أو لازمة خصوصا بعد توسع وازدياد عدد أفراد طاقمه .

قبل دقيقة واحدة من بدء العد التنازلي للاطلاق ، نادي كبير المشرفين على الاطلاق على جميع المسؤولين والمشرفين عن الرحلة لمراقبة أجهزتهم والتهيؤ لاطلاق مكوك الفضاء المتحدي في رحلته العاشرة . وعند الدقيقة التاسعة فتح الاتصال الرسمي مع قائد المكوك ميخائيل سمث ، الذي يضم سجله أكثر من أربعة آلاف ساعة طيران ، وكان كل شيء يجري على ما يرام ، وبالتنسيق التام بين طاقم المكوك ومنصة الاطلاق ، كما جرت العادة في اطلاق أي مكوك سابق . وفي الدقيقة الخامسة والثانية الثلاثين من عملية العد التنازلي ، طلب من قائد المكوك أن يبدأ بتشغيل أجهزة التسجيل والمراقبة التي ستقوم بتسجيل الرحلة من اطلاقها حتى عودتها ، وقد أتم القائد ذلك ، وعند الدقيقة الرابعة تجمع الطاقم في الغرفة المخصصة لهم بالمكوك ، وفي الدقيقة الثالثة أعيد التأكد من سلامة كل شيء وفي الدقيقة الثانية و ٤٤ ثانية تأكدت قاعدة الاطلاق من سلامة مخازن الوقود ، لتقوم بمراجعة أخرى في أقل من ٣٧ ثانية ،

وفي الدقيقة الثانية و ٢٠ ثانية يخاطب القائد سمث القاعدة ويشير الى أن كل شيء على ما يرام ، ولم تسجل أجهزته أي خطأ او طارىء . وفي الدقيقة الثانية تم الوصول الى الضغط المطلوب لسائل الهيدروجين المناسب لبرنامج الرحلة ، وفي الدقيقة الأولى و ٤٤ ثانية أغلق الاتصال مع المكوك استعدادا للانطلاق ، وفي الثانية ٤٥ تم التأكد من أن نظام الصواريخ المعززة يعمل بانتظام ، وفي الثانية ٣٠ بدأت وحدات الطاقة العمل جميعا ، ثم بدأ العد التنازلي بالثواني . . . وها هو المكوك يرتفع تاركا منصة الاطلاق ، مسجلا الرقم ٢٥ في رحلات المكوك الفضائية الأمريكية ، بعد لحظة من الاطلاق يعاد الاتصال بالمكوك من قبل الأرض : نداء الى المتحدي : تأكدوا من أدوار عملكم !

المتحدي الآن يتجه نحو الفضاء ، محركاته بدأت تدفع الآن بنسبة ٩٤ بالمائة من طاقتها ، وذلك بخلاف الرحلات السابقة حيث كانت قوة الدفع تصل الى ١٠٤ بالمائة ، ثم بدأت تنخفض طاقة المحركات بشكل تدريجي الى ٦٥ بالمائة ، كما هو مبرمج لها . سرعته الآن ثلاثة أضعاف سرعة الصوت ، وارتفاعه ١٥ الف متر ، والأوامر أعطيت الى قائده لتشغيل محركاته باقصى طاقتها . . بدأ الآن مراقبو الرحلة والمشرفون عليها ينظرون بشكل دقيق الى المكوك : وضعه غير طبيعي ، قصور وسوء في الأداء ، حالة غريبة لم تعهد من قبل . في هذه اللحظة بالذات وصلت أنباء من كبير ضباط الملاحة الجوية تعلن أن المكوك انفجر ، في حين سارع مدير الرحلة الى تأييده مباشرة ، بينما راحت عدسات التلفزيون تنقل صورة حطام ملتهب يخلف وراءه ذيلا أبيض يهوي باتجاه المحيط ، وهو أشبه ما يكون بالمذنب هالي . وكان يمكن ملاحظة الصواريخ المعززة بعد فقدان السيطرة عليها ، الا انه أمكن التحكم بانفجارها ، وأبطل مفعولها للحيلولة دون انفجارها على المناطق المأهولة . وظل المكوك الذي يزن ١٠٠ طن يتناثر حطاما لمدة ٣٠ دقيقة بعد الحادث ، فوق المحيط الأطلسي وعلى بعد ٢٩ كم من منصة اطلاقه في كيب كانافرال .

سبب الكارثة :

يعتقد أن الانفجار حدث بسبب تصدع وانفلاق ، وبالتالي شق في الصاروخ المعزز الأيمن عند احدى التوصيلات المرفقة به ، حيث بدأ يكون وميضا بسيطا حول الثلث الأسفل من خزان الوقود الخارجي والصاروخ المعزز الأيسر ، وقد أوحى انبعاث الغازات المحترقة للمسؤولين ، انها حالة طبيعية ناتجة عن انفصال الصاروخ المعزز عن الخزان الرئيسي الذي يرتكز عليه ، اذ أن الصاروخين المساعدين سرعان ما ينفصلان عن المكوك بعد وقت معين من الاطلاق ، تاركين المهمة بعد ذلك لخزان الوقود الخارجي . وتجاوبا مع ذلك التصدع حصل شق في القاطع الفاصل بين سائل الهيدروجين ذي الطاقة العالية جدا ، وسائل الأوكسجين في الخزان الرئيسي ، مما سبب الاشتعال ، كما يعتقد أن الجو البارد جدا قبيل عملية الاطلاق كان له أثر سلبي فيما حدث .

الخلاصة والاستنتاج :

كانت تلك الحادثة أسوأ ما مر به برنامج الفضاء الأمريكي ، فهي الأولى والوحيدة من بين ٥٦ رحلة سابقة مأهولة تنتهي بهذا المصير،فمنذ تسعة عشر عاما ، وهو تاريخ بدء الرحلات المأهولة ، وحتى الآن لم تفقد « ناسا » أي ملاح أو فلكي في الفضاء ، باستثناء ثلاثة رواد فقدتهم على الأرض ، وليس أثناء الطيران . من جانب آخر سيعاد جدولة برنامج الفضاء مما يؤدي الى تأخره .

بلغت تكاليف الرحلة المنفجرة ١٠٢ مليار دولار ، اضافة الى ١٠٠ مليون دولار ثمن القمر الموجود داخل المكوك الذي كان يزمع اطلاقه منه . بالاضافة الى جهاز آخر دقيق كان يرجى منه تصوير المذنب هالي ، فضلا عن أجهزة ومعدات في غاية الأهمية العلمية . وهناك الآن قمران صنعا خصيصا لاطلاقهما عام ١٩٨٦ ، هما الآن في المخازن ، وليس غير المتحدي بقادر على حملهما واطلاقهما ، وفضلا عن هذا وذاك فالخسارة العلمية فادحة . □

ثلاث قصائد

شعر : زهور دكسن *

لماذا الحرائق

تتصادى المطافىء بالماء حدّ احتواء الحرائق
في الهزيع ......
حين يأوى الجميع ..
وتحط الهموم على رقعة
داهمتها العوائق .....
تتوالى الحرائق من كل مغلقةٍ
من غبار السُرادق
تئج ..
تئج الحرائق ..
تئج وقطر الندى في الحدائق !

* *

لماذا ؟
لماذا الحرائق ؟

التضاد

الأرضِ شاهدة وسر الأرض مخلوقان يقتسمان
سرَّ السّر .... خيرا يجبه الشرّا
وشراًيجبهُ الخيرا
وما انفك السراج بزيته للريح
ما انفك الظلام يقارعُ الفجرا
وتشهد ياصفيّ الروح كيف تهاوت الأنوار
بالنيران ، وانكفأ السراجُ بزيته للريح
واحترق الجنى ... والسرّ مخلوقان
خير يجبه الشرّا
وشر يجبه الخيرا
وتبقى الأرض !

مكاشفة

أقصرى في مداولة العتب ضاق الصدى

واغفرى سوأة القول فيما بدا .. وليُقم بيننا الصمت
رجعا أليفا يشدّ الرؤى بالتأمل يستحضر
الروح رقراقةً كالندى ... !
يتفرّى تفاصيل أيامنا واحدا .. واحدا
أقصرى ..
لاجدى .. كل شيء تجذّر في قِصرِه .. عامدا !



* شاعرة من القطر العراقي ، صدرت لها خمسة دواوين شعرية . منها ، خلف الذاكرة ، وللمدن صحوة اخرى ، في كل شيء وطن .

وجهاً لوجه



د. فاروق الباز و طارق حسني

- الرمال التي تغطي الصحراء لا تزيد عن سبعها .
- « حرام » أن أنقل المياه المخزونة لآلاف السنين ليستحم بها السياح !
- جر الكتل الجليدية تم في القرن الماضي .
- البدو تعايشوا مع البيئة وعرفوها أكثر منا .
- معهد الكويت للأبحاث العلمية نموذج لما يمكن عمله .
- المشكلة ليست في هجرة العقول ، بل في الحفاظ على من بقي .
- السد العالي صرح لم نستفد منه ، وهو الذي يؤمن مستقبل مصر .
- تعييني مستشارا علميا للرئيس السادات كان مجرد « منظر حلو » .

د . فاروق الباز . . شخصية عرفناها من الصحف ، يوم كان حديث الناس هو القمر وغزوه ، وهبوط أول انسان عليه ، وبقدر ما شعرنا بالفخر والاعتزاز لوجود هذا العربي الذي يحدد للامريكان مواطىء أقدامهم على سطح القمر ، بقدر ما اندهشنا لوجوده في هذه اللحظة في هذا الموقع المهم . . وتمر السنون لتعاود الصحف - مرة أخرى - ابراز هذه الشخصية « كمستشار علمي » للرئيس أنور السادات . . وتعاود دهشتنا ، أهو منصب علمي ذو صبغة سياسية ؟ ! ، أم منصب سياسي ذو صبغة علمية ؟ ! . . . نحاوره فيقول أنه يجهل الحديث في السياسة ، وان بضاعته هي العلم . . رجل عيناه على القمر ، ولكن أقدامه ضاربة في رمال الصحراء . . نتجول عبر حديثه على سطح القمر ، ثم نهبط الى القطبين المتجمدين على الأرض ، ونرحل في الصحراء الكبرى بين مصر وليبيا ، ونعرج على حقول القمح في السعودية ، ونعيش في صحراء الكويت ، ونقف أمام مشاريع الهند والولايات المتحدة ، وتنتهي رحلتنا في رئاسة الجمهورية ، بمصر . .

وقد أجرى الحديث معه طارق حسني الحاصل على بكالوريوس علوم سياسية من جامعة الكويت سنة ١٩٨١ وهو صاحب اهتمامات علمية وأدبية . . وهذه هي حصيلة الحوار .

كيف كانت البداية . . دعونا نستمع اليه وهو يتحدث بعفوية وبساطة قد تدهشك من عالم في مكانته . .

أسرتي من قرية تسمى « طوخ الأقلام » بالقرب من « السنبلاوين » بمحافظة الدقهلية بمصر ، ولكني ولدت في مدينة الزقازيق ، ونشأت في دمياط ، وأنهيت دراستي الجامعية في جامعة عين شمس بالقاهرة ، ثم عينت معيدا بجامعة أسيوط . . ومنها ذهبت للولايات المتحدة للحصول على الماجستير والدكتوراة . ثم رجعت عام ١٩٦٤ ، لأسافر مرة أخرى لأعمل في جامعة « هايدلبرج » بألمانيا ، لأعودة مرة أخرى الى مصر ، لأشارك في البحث عن البترول في خليج السويس ، فكنت أحد أفراد أول مجموعة قامت بتفسير جيولوجية قاع خليج السويس ، واختيار موقع حفر أول بئر في حقل المرجان . . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يكتشف وجود البترول في هذا الحقل .

وفي عام ١٩٦٧ عدت للولايات المتحدة لأبدأ العمل في مجال الفضاء .

من قاع الخليج الى الفضاء . .

- وكيف كانت هذه النقلة . . من قاع الخليج الى الفضاء ؟

● كان من أحد الأمور التي أجيدها في مجال الجيولوجيا الاقتصادية - وهو مجال تخصصي أساسا - تفسير تضاريس الأرض عن طريق الصور الجوية ، وفي الولايات المتحدة علمت أنهم في مشروع الفضاء الذي كان قد ابتدأ العمل فيه ، يقومون بدراسة جيولوجية القمر عن طريق دراسة الصور التي سبق أن التقطت له ، ولخبرتي وتفوقي في هذا الأمر تقدمت للعمل في المشروع . .

كان يعمل في المشروع ١٢٥ جيولوجيا من هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية ، ومن الجامعات

الأمريكية المختلفة ، وكانوا قد بدأوا في دراسة تضاريس القمر ، بتكليف من وكالة الفضاء الأمريكية ـ ناسا ـ منذ عام ١٩٦٠ ، أي قبل التحاقي للعمل بسبع سنوات تقريبا . . . وكانت دهشتي عندما سألتهم عن عدد تضاريس القمر وتوزيعاتها على سطحه ، فلم أجد جوابا عن هذا السؤال ، فقد كان من الغريب ـ بعد سبع سنوات من العمل ـ ألا يوضع تقسيم لتضاريس القمر وأماكن وجودها .

بعد ذلك عكفت لمدة ثلاثة أشهر على دراسة كل الصور التي التقطت لسطح القمر آنذاك ، وكان عددها بالتحديد ٤٣٢٢ صورة . . درستها واحدة بعد الأخرى ، منها ما كان تحتاج دراسته لنصف ساعة ، وأخرى كان الأمر يحتاج لأسبوع كامل ، واستطعت بعد هذه الدراسة المفصلة التعرف على شكل التضاريس ، وقمت بتقسيم ما توصلت اليه ، وكان فيه اجابة للسؤال الذي طرحته ولم أجد له جوابا . . حددت تضاريس القمر ، وأماكن وجودها ، وبأي كثافة ، ولماذا توجد . . وخلصت الى أنه اذا كان هناك نية للذهاب الى القمر وجمع عينات تمثل جميع أنواع التضاريس القمرية ، فهناك ستة عشر (١٦) مكانا فقط يمكن الذهاب اليها . . وكان اجتماعا حاسما بالنسبة لي ، وبدأت معاملاتي مع هؤلاء العلماء الجيولوجيين تأخذ طابعا آخر . . ومن هؤلاء الجيولوجيين سمع مدير الاستكشاف العلمي في المشروع عن عملي ، فطلب مني أن أشرح له ما توصلت اليه ، وقام بدوره بنقل نتائج عملي الى مدير مشروع أبوللو ، الذي أخبر رئيس مشروع « ناسا » ، فما كان منه الا أن جمع العاملين في قاعدة « ناسا » ، وقادة المراكز البحثية فيها ، وطلب مني أن أشرح لهم ما توصلت اليه . . ومنذ هذه اللحظة تم اختياري ضمن « لجنة الخمسة » التي كانت مسؤولة عن اختيار مواقع الهبوط على سطح القمر .

الصحراء لا تغطيها الرمال

ـ ذكرت في محاضرتك أنه « على الجيولوجيين العرب التعايش مع صحرائهم لا قهرها وايقاف زحفها . . كيف نتعامل مع هذه المقولة ، وهي تعني تقليل الرقعة الزراعية ، التي هي صغيرة أساسا ؟

● هناك حقيقة يجب أن نعرفها وهي أن حجم الأراضي الصحراوية التي تغطيها الرمال تقل عن سبع (١/٧) الصحراء أي أن ستة أسباع (٦/٧) الأراضي الصحراوية لا يوجد بها رمال ، وهي حقيقة مهمة جدا ، لأنها تعني أن بامكانك التعامل مع الستة أسباع (٦/٧) ، بدلا من التعامل مع السبع (١/٧) ، الحقيقة الثانية أن الرمال التي تتحرك نتيجة الرياح وتنتقل من مكان الى آخر لا تقصد ـ بالطبع ـ تغطية الأراضي الزراعية ، بل من الجائز جدا أن تكون هذه الرمال فوق أرض صالحة للزراعة ، وتنتقل الى أرض أخرى غير صالحة للزراعة ، تاركة لي الأولى للاستفادة منها وزراعتها ، وفي هذه الحالة لماذا أوقف زحفها ، ما يجب علينا هو أن نعرف من أين تأتي ؟ والى أين تتجه ؟ ، كي نستطيع الاستفادة من حركتها .

ـ فاذا كانت متجهة الى أرض زراعية ؟

● أحاول ايقافها ، أو تثبيتها أو تفاديها ، حسب الوضع السائد والأسلوب الذي يصلح في المنطقة المعنية ، لماذا أقول كل هذا ، لأنني أعرف جيدا أن الطبيعة قوية ، وعلى الانسان أن يفهمها حتى يستطيع أن يعيش فيها عيشة طيبة وسهلة ، ومن يعتقد أننا نستطيع أن نغير من شكل الأرض ، انسان مخطىء ، ولن يكتب له النجاح ، فالحياة في منطقة معينة تتطلب منا معرفة طبيعة أرضها ، وموارد مائها حتى يمكننا أن نعيش فيها .

ولنضرب مثلا بالكويت ، وهي بلد صحراوي ، لو أردنا أن نحولها الى غابة ونزرع فيها أشجار مطاط ، نعم هذا وارد ويمكن تحقيقه ، ولكن سيحتاج الى كميات هائلة من المياه ، و . . . و . . الخ ، وسيصبح الأمر في النهاية بالغ الصعوبة ، ولن يكتب له الدوام ، لذلك يجب أن نعي جيدا أننا لا نستطيع أن نغير في الطبيعة بهذا الشكل ، ولكن يمكن البحث عن قطعة أرض صالحة للزراعة ، فنزرعها ، أو مورد للماء نستفيد منه . . وهكذا ، وهذا هو الممكن والمطلوب ، وهذا ما كنت أعنيه بالتعايش مع الصحراء وعدم قهرها في حديثي .

النهر العظيم

ـ وماذا تقول عن مشروع «النهر العظيم»[١] بليبيا ؟

● هذا هو قاهر الصحراء (المقصود المعنى السلبي للقهر) ، فهو محاولة لتغيير الطبيعة ، فهذه المياه التي يراد نقلها من جوف الأرض ، ومن الجنوب الى الشمال ، مياه مخزونة منذ ما يقرب من ٢٥ الى ٣٠ الف سنة ، ويجب أن تستخدم بطريقة معقولة ، ولنفع البيئة الصحراوية أساسا ، ولا يجب أن تنقل هذه المياه ـ المخزونة من ٣٠ ألف سنة كما ذكرت ـ آلاف الكيلو مترات لتستخدم في الفنادق على ساحل البحر المتوسط ، ليستعملها السياح عند استحمامهم .. هذا «حرام» ، بل الأجدى أن تظل مخزونة في باطن الأرض ، فهي كبنك للمخزون المائي ، أستطيع أن أستخدمه في المعيشة في الصحراء ، ولنفع سكانها ..

ـ أي أن اعتراضك على المشروع من منطلق الاستعمال الأمثل للمياه ؟

● بالطبع ، وبمعنى أصح الاستعمال الأمثل لجميع الثروات ، وأهمها بالطبع المياه .

ـ ولكن من أهداف المشروع الرئيسية ، استخدام هذه المياه فى الزراعة ؟

● وستستخدم أيضا استخدامات مدنية .

ـ ولكن ما رأيك في استخدامها في الزراعة ؟

● هذا أمر جيد ، ولكن يجب أن تكون المحاصيل المستزرعة محاصيل تنجح زراعتها في الصحراء ، فلا يجوز مثلا أن تستخدم في زراعة الأرز الذي يحتاج لكميات كبيرة من المياه .

ـ ومن ناحية جيولوجية ، ألا يوجد تأثير لهذا المشروع على المنطقة ؟

● لا أعتقد ، فكل ما في الأمر أن الأرض ستهبط بعض الشيء ، نتيجة ضخ المياه من جوفها ، بمقدار قدم أو حتى متر ، وهذا تغير طفيف وأمر طبيعي .

ـ ألا يوجد أضرار من تأثير البخر الناتج عن الحرارة المرتفعة في هذه المنطقة ، مما يعني أنه كان من الأفضل ابقاء المياه تحت الأرض ، واستخراجها بكميات محدودة حسب الحاجة لاستخدامها في الزراعة ؟

● بالطبع هذه خسارة ، وهي نتيجة الاستخدام الخاطىء ، فهذه المياه يجب أن تستخدم كمصدر ثروة طبيعية في الصحراء ، لتنمية الصحراء كما ذكرت .

منخفض القطارة[٢]

ـ ما رأيك فيما قيل عن مشروع منخفض القطارة في الصحراء الغربية بمصر ، من أن البحيرة المتكونة فيه ستزيد من كميات البخر ، مما يستتبعها من نزول أمطار وتغير المناخ في الصحراء ، وامكانية زراعة الصحراء حينئذ في هذه المنطقة ؟

● هذا ما قيل ، وهذا هو تفكير من يريد قهر الصحراء ، وأنا أقول لهم لن تستطيعوا تغيير الصحراء ، وقد جاءتني المجموعة العلمية التي تقوم بالمشروع ، وقالت ان المياه التي ستنتج من البحيرة المتكونة ستغير من المناخ ، لأن كمية البخر ستزيد ، وستؤدي الى تكون السحب ونزول الأمطار ، وكانت إجابتي أن هذا لن يحدث ، ولن يتغير المناخ ، ولن تسقط الامطار ، لأنه اذا كانت هذه البحيرة المحدودة ستؤدي الى هذا التأثير ، فأين هو المطر والسحب المتكونة من بحيرة مجاورة ، كبيرة جدا تفوق بحيرة المنخفض مساحة بحوالي ١٥٠ مرة ، وهي البحر

---

١ ـ مشروع النهر العظيم :

مشروع يهدف الى استخراج المياه الجوفية من الصحراء الكبرى جنوب ليبيا ، وشق مجرى مائي من الجنوب حتى الشمال كنهر صناعي تسير فيه المياه المستخرجة ، لتستخدم في الزراعة على جانبي النهر الصناعي .

٢ ـ مشروع منخفض القطارة :

يهدف الى ربط منخفض القطارة في الصحراء الغربية بمصر بالبحر المتوسط عن طريق قناة صناعية ، والاستفادة من انخفاض سطح الأرض في المنخفض لتوليد الكهرباء ، ويتوقع واضعو أسس المشروع أن تؤثر البحيرة المتكونة في المنخفض على مناخ المنطقة .

المتوسط ، فسكتوا ولم يجيبوا عن سؤالي .

ـ أي أن جدوى المشروع تنحصر في توليد الكهرباء ؟

● بالطبع ، فنسبة البخر في هذه المنطقة عالية ، ولكنها لا تؤدي الى تكون السحب ، كما هو الحال من البخر الناتج من البحر المتوسط ، لأنها منطقة ذات مناخ قاري ، والأمر هنا مرتبط بأشعة الشمس التي تصل الى الأرض ، ودورة الهواء حول الأرض بشكل عام ، لذلك كل ما يعمل يظل محدود الأثر ، ولا يغير من مناخ أو طبيعة المنطقة .

السعودية وكتل الجليد

ـ هناك نموذج ثالث لمشاريع مثيرة للجدل ، وهو مشروع جر الكتل الجليدية من المناطق القطبية الى المناطق الحارة . . ؟

● هذه الفكرة بدأت في الولايات المتحدة الامريكية ، وأطلقها أحد الجيولوجيين في هيئة المساحة الأمريكية ، كان يعتقد في امكانية جر الكتل الجليدية والاستفادة منها ، ومما شجع على انتشار هذه الفكرة أنه سبق تنفيذها في الماضي سنة ١٨٥٥ ، حيث سحبت كتلة جليدية بالقرب من أمريكا الجنوبية الى الأرجنتين بواسطة السفن ، وتم الاستفادة من بعض أجزاء هذه الكتلة كمياه للشرب ، وبناء على ذلك قال هذا الجيولوجي ان هناك إمكانية لتكرار هذه العملية ، وقد طلب منا - أثناء عملنا لنظام تصوير الفضاء - قياس الكتل الجليدية التي تنفصل عن القطبين الشمالي والجنوبي ، وشكل هذه الكتل وأحجامها وخطوط سيرها في التيارات البحرية ، وقد قمنا بالفعل بأخذ عدة صور لهذا الغرض ، وعلى أساسها قام الجيولوجي بعمل أبحاثه ودراسته .

ولكن هناك أمران تكنولوجيان يعوقان تنفيذ هذه الفكرة ، أولهما أن سحب هذه الكتل يستدعي قوة كبيرة جدا لابعادها عن التيارات البحرية التي تسير فيها ، وهذه القوة تقدر بقوة غواصتين نوويتين تقريبا . . فاذا أمكن التغلب على هذا الأمر ، بشراء غواصتين نوويتين مثلا ، يظل الأمر الآخر ، وهو بعد وصول هذه الكتل الى الساحل ، ماذا سنفعل بها ، فاما أن نعمل على تكسير هذه الكتل الى قطع صغيرة لنقلها الى اليابسة ، أو أن نذيب هذه الكتل ، وبفعل الكثافة ، ماء مالح وماء عذب ، نشفط الماء العذب ، أو أن تعمل على استخدام مضخات . . . . الخ أي أن السؤال يظل قائما ، ماذا نفعل بعد جر هذه الكتل الى الساحل للاستفادة منها على اليابسة ؟ وحتى الآن لم تعالج هذه القضية .

وفي الحقيقة هي فكرة خيالية ، لها أساسها الواقعي ، وتدل على خيال علمي جيد ، ولكن لا يوجد أي اثبات على جدواها اقتصاديا ، رغم حدوثها في الماضي ، وأغلب الظن أن جدواها ستكون في المناطق التي لا يحتمل وجود مياه جوفية فيها ، أو أن هناك صعوبات في تحلية مياه البحر . . . . وبشكل عام هي فكرة قائمة ، وان لم تحل جميع مشاكلها ، ولكن هناك سبيل أرخص وآمن لتوفير المياه حاليا .

. . . والقمح السعودي

ـ تحدثت عن تجربة السعودية في زراعة القمح في محاضرتك بمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، وأعتقد أنك انتقدت التجربة ؟

● لم أنتقدها ، ولكني قلت ان تكلفتها كانت كبيرة ، ولكن لها نفع استراتيجي مهم ، فأنا أعتبر أن ارساء قواعد لانتاج الغذاء في الوطن العربي في أي مكان وبأية تكلفة ، شيء عظيم .

ـ وبأية تكلفة ؟

● نعم ، وبأية تكلفة ، لماذا ؟ لأن مستقبل الوطن العربي بأجمعه ، ومصر على وجه الخصوص ، لن يكون الا بوجود ما يكفي من الغذاء ، فهذه أخطر قضية تواجهنا ، فالوطن العربي يستورد أكثر من ٥٠٪ من احتياجاته الغذائية وهذه كارثة ، لذلك أنا أعتبر أن أي انتاج للغذاء في الوطن العربي عمل قومي مهم وبغض النظر عن تكلفته ، من يزرع شبرا في الصحراء وينتج منه غذاء فهو يعمل لمستقبل بلاده .

ـ ولكنك انتقدت زراعة الأرز . . ؟

● ما أنتقده هو زراعة المحاصيل التي تحتاج الى كميات هائلة من المياه ، الا اذا توفرت هذه

الكميات . . أي أنني أتحدث عن ترشيد استخدام المياه .

البدو جيولوجيو الصحراء

ـ رويت حادثة في محاضرتك عن رجل تشادي سألتموه عن مصدر الرياح التي تهب على المنطقة التي كنتم تقومون بدراستها ، فأجاب بأنه لا يعرف مصدرها ، وان كان قد سمع جده يذكر أنها تأتي من مصر ، وقد ثبت لكم بعد ذلك أنها تأتي فعلا من مصر ، وهذا يطرح سؤالا . . ألا يمكن الاستفادة من خبرات هؤلاء البدو في الدراسات الجيولوجية ؟

● هذا ما يجب عمله فعلا ، وهو يرتبط بحديثي ـ في بداية لقائنا ـ عن علم الجيولوجيا وأنه علم غير مكتمل ، وعن معرفتنا الحالية بالصحراء ، فأجدادنا العرب ، والبدو كانوا يعرفون عن بيئتهم وصحرائهم أكثر مما نعرف الآن ، لأنهم تعايشوا ويتعايشون معها ، أما نحن فلا نتعايش معها .

دعني أذكر لك هذه الواقعة ، في جلسة مع السيد محمد الراشد ـ جد وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء السيد راشد الراشد ـ وهو يبلغ من العمر حوالي ٩٦ سنة ، كان يحدثنا عن تاريخ الكويت ، وتجوالهم في الصحراء ، وما كان يعترضهم من عواصف رملية ، ومواعيدها ، ودوراتها . . . فسألته عما كانوا يفعلونه لتحديد اتجاهاتهم عندما تهب هذه العواصف . . فذكر الآتي ، انك حتما ستجد في الصحراء عمودا من الخشب ، أو جذع شجرة ، أو صخرة وستكون أحد أسطحها مثقوبة بثقوب صغيرة ، وهذا لأن الرياح عندما تهب تكون محملة بذرات الرمال التي تعمل على ايجاد هذه الثقوب ، وبما أن الرياح التي تهب في المنطقة شمالية ، فان اتجاه هذا السطح يدل على الشمال . .

كما كان يمكنهم تحديد الاتجاه بالنظر ، فالمنطقة التي تترسب خلفها الرمال سواء كانت جذع شجرة أو صخرة تدل على الجنوب . . وهكذا كان باستطاعتهم تحديد اتجاه القبلة قبل اختراع البوصلة ، وهذا يدلنا على أن من يتعايش مع البيئة يستطيع أن يتعلم الكثير منها ، ونحن كعلميين علينا أن نتعلم من خبرة هؤلاء . . لذلك كنت حريصا دائما أن أدون « معارف » الناس في كل منطقة ذهبت اليها ، فمعرفتهم عن بيئتهم تفوق معارفنا ، لأنهم عايشوها ، أما أنا كجيولوجي ، فانني أستخدم السيارة في تنقلاتي ، وأدرس الأرض عن طريق صور الفضاء ، ولا أعيش البيئة نفسها .

ـ ألم تحاول أن تضم هذه الخبرات التي جمعتها في كتاب ؟

● بالطبع كلما قمنا ببحث ما ، فاننا ننشر خبرات البدو التي استطعنا جمعها أثناء البحث ، فهي منشورة ، ولكن في أبحاث ودراسات متفرقة ، وأنا أرى أنه برغم ما استطعت أن أحصل عليه من خبرات ، فانه ما زال هناك المزيد الذي يجب جمعه قبل القيام بمثل هذا العمل ، وأعتقد أن كتابا مثل هذا سيكون له أثره الكبير على المختصين قبل الانسان العادي ، لأنه سيوضح كيف يكتسب الفرد مثل هذه الخبرات ، وكيف نستطيع من خبرات البدو الرحل أن نفهم هذه البيئة الصحراوية .

تقدم علمي بدون تقدم اجتماعي !

ـ هناك امكانيات ضخمة في الدول العربية تستطيع أن توفر أساسا لبحث علمي متقدم ، فهناك علماء عرب ، وامكانيات مالية لشراء أحدث التقنيات وهناك مراكز بحثية ، ولكن هناك اتهام بأن مردود البحث العلمي في دولنا لا يماثل مردوده في الدول المتقدمة . . . وبداية أنا لا أعتقد أن الأمر يعود الى أننا نشتري التقنية ، ولا نستطيع أن نتعامل معها ، بدليل أن نفس افراد العرب الذين يتعاملون مع هذه التقنية قد يتفوقون على أقرانهم في الدول المتقدمة ، عندما يهاجرون الى هذه الدول . . اذن أين هي المشكلة ؟

● أنا لا أرى أن هناك مشكلة ، وهناك مثال واضح لما يمكن عمله بهذا الصدد ، وهو هنا في الكويت ، متمثلا بمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، فقد أثبت هذا المعهد أنه يمكن استقطاب الكفاءات

العربية المتواجدة في أمريكا وانجلترا وفرنسا ، وأعطى المثل الحقيقي والعظيم لامكانية عمل مراكز بحثية في الوطن العربي على أحسن طراز ، ويقوم باحثوه باجراء أبحاث توازي ، وقد تفوق مثيلاتها في أفضل مراكز البحوث العالمية . . والا لماذا أتيت ـ أنا ـ الى هنا ، فأنا أتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية ، لاجراء دراسة عن الرمال في الكويت ، وهذا يعتبر استقطابا لي ولخبرتي ، ولماذا أقبل هذا الأمر اذا كان هذا المعهد غير أهل لذلك ، وليس على مستوى ما أقوم به من دراسات ؟ وأنا لا أذيع سرا عندما أقول انه لا ينقصني العمل ، وانني لا أقبل أن أتعاون مع أحد الا اذا كان عمله على مستوى جيد .

ـ اسمح لي أن أذكر لك انه حتى معهد الكويت للأبحاث العلمية ، يتهم بأن مردود أبحاثه ليست على مستوى مردود الأبحاث في الدول المتقدمة المماثلة له .

● أستطيع أن أقول ان مردود معهد الكويت للأبحاث العلمية هائل ، وخصوصا أن دراساته التي يقوم بها خلافا لجميع معاهد الدراسات العربية في الوطن العربي بأسره ـ دراسات تطبيقية ـ وجزء غير قليل من ميزانيته يأتيه من بيعه لنتائج أبحاثه ، وهذا هو المردود ، أي أن نتيجة أبحاثه تدخل في معيشة المجتمع الكويتي ، فعلى سبيل المثال ثكنات الجيش تردم بالرمال ، فيقوم المعهد بحل هذه المشكلة ، أو مشاكل البترول أو الأسماك . . . الخ ، كل هذا يعتبر مردودا ، ومردودا هائلا ، والا ماذا تعني بالمردود ، أن يكون لدينا قنبلة ذرية ؟ ، أقول لك ان هذا ليس من أهداف معهد كمعهد الكويت للابحاث العلمية ، فأهدافه أن يقوم بأبحاث علمية ، على أحسن طراز ، وعلى مستوى عالمي لخدمة الكويت .

لا ابداع مع طابور الجمعية !

ـ لنأخذ القضية من زاوية أخرى ، أنت ـ على سبيل المثال ـ كنت تعمل في جامعة أسيوط ، هل تعتقد أن امكانياتك وقدراتك كان سيستفاد منها وتلمع لو ظللت تعمل في مصر ؟

● نعم ، كان هذا سيحدث ، بالطبع لن أكون عالم فضاء ، ولكنني كنت سأصبح من أفضل علماء الجيولوجيا ، فهذا يعتمد على الفرد بشكل أساسي ، ولا تصدق من يدعي أن القضية محصورة في الامكانيات ، والا فقل لي ما هي الامكانيات التي يحتاجها الجيولوجي ، فكل ما يحتاجه أن يمشي على سطح الارض ، ويجمع الصخور ، وهو أمر لا يحتاج الى ورقة أو قلم أو مسجل ، فهو يقوم بمشاهدات طبيعية ويجمع صخورا ، ثم يقوم بتحليلها ليفسر كيف تكونت هذه الصخور وما قيمتها اقتصاديا ، ومقدار هذه القيمة ، اذن القضية ليست قضية امكانيات بل مشكلة اجتماعية ومشكلة فكر (!!) . . فعندما تكون الحياة في بلد ما صعبة ، وعندما تلهي الفرد بحل مشكلة مواصلاته ، ووقوفه في طابور الجمعية للحصول على دجاجة ، والاستيقاظ مبكرا ليجد مكانا في المواصلات ، وفي عودته يجد صنبور المياه مكسورا . . وغيرها ، لن يفكر فيها يعمله ، ولن تكون لديه الفرصة للابداع . . . فالبحث العلمي والانتاج العلمي لايتكون في فراغ ، فهو جزء من المجتمع وخصائصه ، فالعلوم والتقدم العلمى في جميع المجتمعات وعلى طول التاريخ البشري على وجه الأرض لم تنم في فراغ أو بمفردها على الاطلاق ، بل هو نمو داخل نمو اجتماعي شامل ، فاذا أتينا بمجموعة من الأفراد ، على مستوى علمي جيد ، وهيأنا لهم احتياجاتهم المعيشية اليومية ، ربما لن تتحرك الأغلبية ، لأنها ترى أن هذا هو المطلوب ، ولكن دائما هناك قلة ستبدع ، لأنك وفرت لهم فرصة الابداع ، وهذا هو ما يصنع الحضارة والمدنية ، ولكن في مجتمع يتخبط في مشاكله ، ولا يعرف ان كانت هي مشكلة غذاء ، أو مواصلات أو تعليم أو مياه . . . لن تجد من يفكر أو يبدع ، من هنا أقول ان التقدم العلمي هو جزء من تقدم اجتماعي .

ـ اذن فهو مناخ عام يحبط ، أو يحد من قدرات الأفراد الابداعية ؟

● تماما ، فالمناخ العام يحد من نشاط الفرد ، لذلك يجب الرجوع لأصول هذا المناخ لاصلاحه .

ـ هذا يعود بنا لنفس السؤال ، لو ظللت تعمل في مصر هل كنت ستصل الى ما وصلت اليه ، نعم كنت ستجمع الصخور كجيولوجي وتحللها . . ولكن

مع هذا المناخ هل كنت ستصل الى هذه المكانة ؟

● ماذا تقصد ، المستوى العالمي ، بالطبع لا يمكن ، نعم كنت سأعمل وأدرس وأبحث ، ولكن تأكد أن ٩٠٪ من نشاطي وحيويتي كانت ستضيع هدرا في تفاهات ، لأن تفكيري سينحصر في تأمين معيشتي ، فالمناخ السيء يؤدي الى الاقلال من احتمالات الابداع ، ومن هنا تأتي أهمية معاهد الأبحاث كمعهد الكويت ، التي تقوم بتهيئة الفرصة للافراد للابداع ، لا أدعي أن الجميع سيبدع ، ولكن هناك نسبة ستظهر قدراتها الابداعية .

عقول هاجرت .. وأخرى على الطريق !

- هذا الحديث يرتبط بقضية هجرة العقول ، وكيفية استعادتها ؟

● القضية الآن ليست في العقول التي هاجرت ، بل الأهم منها كيف تبقى على العقول الموجودة حاليا ، فكل فرد هاجر حالة خاصة ، لها مشاكلها وتقديراتها الشخصية ، اذن لنفكر في كيفية الابقاء على العقول الموجودة حاليا ، وحل مشاكل الخبرات التي لدينا ، فلو حلت هذه المشاكل أبقيت عليهم .

- ولكننا هنا نحل مشاكل أفراد ، ولا نحل المشكلة بشكل عام ؟

● لا ، يجب حل المشكلة بشكل عام ، كوجود معاهد ، كمعهد الكويت للأبحاث العلمية هنا .

- أقصد أننا بهذا نجمع الافراد ونحل مشاكلهم ، ولا نحل مشكلة المجتمع بشكل عام ؟

● نعم ، في هذه المرحلة لن تحل مشكلة المجتمع بشكل عام ، ولكن هذا الأسلوب أثبت نجاحه ، ومثالنا على ذلك الهند ، فبالرغم من عدد السكان الهائل ومشاكلها المزمنة والفقر الشديد ، عندما أرادت اقامة برنامج للفضاء ، قامت بتجميع العلماء الهنود في هيئة الفضاء الهندية ، ووفرت لهم جميع احتياجاتهم ، ومنحتهم نفس الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها خارج الهند ، وسمحت لهم بالسفر في أي وقت ، وبحرية نشر أبحاثهم ، ووفرت لهم جميع المراجع .. وبعد سبع سنوات كانت الهند تطلق صواريخ حاملة اقماراصناعية مصنعة في الهند ، اذن فقد استطاعت حل المشكلة بتجميع هؤلاء العلماء ، وأعتقد بأنه وضع مشابه لما حدث في الكويت بانشاء معهد الكويت للأبحاث العلمية .

لم أدع للعودة

- وعلى صعيد شخصي ، لو أتيحت لك الفرصة - وأعتقد أنها أتيحت لك - للعودة والاقامة في احدى الدول العربية ، فهل تقبل ؟

● في أي وقت ، وكن على ثقة ان أي فرد هاجر ، لم يكن هذا برغبته ، ولكن لظروف سيئة للغاية أجبرته أن يترك موطنه .

- كما نعرف أنك عينت مستشارا علميا للرئيس السابق أنور السادات .. ؟

● دعني أصحح لك هذا التعبير ، أنا لم أعين ، بل قيل لي هذا كنوع من « المنظرة » ، فلم يكن هناك راتب للمنصب أو صفة رسمية أو مسؤوليات ... نعم كان الأمر مجرد « منظر حلو » .

- حسنا ، كما أنك كنت من الأفراد ، وربما الشخص الرئيسي وراء السماح بازدواجية الجنسية في مصر .. برأيك ما فائدة ابقائك على جنسيتك المصرية ان كنت ستظل مقيما في الولايات المتحدة ؟

● لقد كان السماح بازدواجية الجنسية فتحا لباب العودة لمن يريد العودة ، ومن أراد البقاء في المهجر فليبق كما يشاء ، ولكن عليه أن يفيد بلده ، بتزويدها بالمعلومات بوضع خبراته تحت تصرفها ، باجراء أبحاثه فيها بدلا من اجرائها في المهجر ، وهذا ما قمت به شخصيا ، فقد قمت باجراء أبحاثي في جامعة عين شمس ، كما قمنا - أنا وآخرون - بانشاء قسم لدراسة الصحراء ، هو أول قسم من نوعه في الجامعات العربية ، وقد حصل منه بالفعل عدد من الطلبة على شهادات عليا ، خمسة طلاب حصلوا على الماجستير ، وثلاثة آخرون على الدكتوراة ، وهذا بالتأكيد تشجيع لي على اجراء أبحاثي في مصر ، بدلا

من الولايات المتحدة .

السد « فقط ولا غير »

ـ لقد ذكرت عن السد العالي أنه « حمى مصر من المجاعة » ثم أتبعتها بقولك « وأنا هنا أقصد فقط ولا غير امكانية استخدام الصور الفضائية لدراسة البيئة . . » هل كلمات « فقط لاغير » تعبر عن موقف من السد العالي ؟

● لا ، أبدا ، كل ما كنت أقصده انني كنت أتحدث عن السد العالي كمثال ، وأنا أعتبر السد العالي صرحا لم نستخدمه حتى الآن الا بنسبة ١٪ فقط ، وأهميته من وجهة نظري هي احتفاظه بهذا المخزون المائي ، فهو عبارة عن بنك للنقود بلا حدود ، ولا بد من استخدام المياه في البحيرة المتكونة خلفه في الزراعة لاطعام مصر ، وهذا هو الأمر الوحيد الذي يؤمن مستقبل مصر لاخراجها من الورطة الازلية التي توجد فيها منذ ٣٠ سنة مضت .

عودة للمستشار

ـ طالما أن الأمر ليس موقفا من السد ، اذن سنعود لقرار تعيينك مستشارا للرئيس السادات ، ألا ترى أن لهذا القرار صبغة سياسية ، وان هذا سيحسب عليك سياسيا ؟

● بالتأكيد ، ولكن هذا الأمر كان المقصود منه أساسا أن يقول للشعب أننا نستعين بأفضل التقنيات وها أنا قد اتيت لكم بالرجل « بتاع الفضاء » هنا ليقول لنا أين نذهب في الصحراء ، أنا أعلم أنه فعلها هكذا « عملها كده » أساسا .

ـ وبالنسبة لك ؟

● لا شيء ، لقد كنت أعمل في صحراء مصر منذ عام ١٩٧٤ ، وعينت مستشارا عام ١٩٧٨ ، ولم يتغير أي شيء بالنسبة لي ، وقبلت . . لا لم أقبل ، على وجه الدقة عينني السادات مستشارا علميا ، ولم يتغير أي شيء بالنسبة لي أو لأبحاثي .

ـ نعم بالنسبة لك ولأبحاثك لم يتغير شيء ، ولكن سياسيا ، فأنت شخصية عامة ، عندما تعين مستشارا للرئيس أنور السادات ، وفي عام ١٩٧٨ ، هذا يعتبر موقفا سياسيا ؟

● ضد من ، أو مع من ؟

ـ وكأنك توافق على . .

● مصلحه مصر .

ـ لا مصلحة أنور السادات ؟

● لا أبدا فأنت عندما تتعامل مع رئيس جمهورية مصر ، فهذا يعني أنه لمصلحة مصر .

ـ اسمح لي أن أختلف معك في هذه النقطة . . ؟

● لا بالطبع لمصلحة مصر . .

ـ اذا فأنت أخذت الأمر من هذه الزاوية . . ؟

● بالطبع ، فأنا لم يكن لي دخل بسياسه انور السادات « لا باليمين ولا بالشمال » ولم أكلمه فيها مطلقا ، ولم يتحدث لي عنها بتاتا ، فأنا كنت أتحدث عن الصحراء وتعميرها ، أين الأراضي الصالحة ، ما هو المخزون فيها ، ماذا نفعل هنا أو هناك . . فأنا أؤدي حدمة للبلد ، واذا كنت استطيع أن أوسلها لرئيس الجمهورية فهذا أفضل بالنسبة لي من رئيس الوزراء ، ورئيس الوزراء ، أفضل لي من الوزير ، وهكذا . . فأنا رجل علم ، ولا أعتقد أن هناك من سيحكم علي سياسيا ، فطوال عمري لم أتحدث في السياسة ، ولم أتدخل فيها ، لأني لا أعرف ما هي السياسة ، وليس لي تأثير عليها ، وكل ما أجيده هو العلم ، والمعرفة ، وكيف أختار أماكن للتنمية .

ـ و د . أسامة الباز . . . ؟

● أخي ، لذلك أقمنا فيما بيننا معاهدة ، ليتكلم هو في السياسة كما يحلو له ، ولأتكلم أنا في العلم كما يحلو لي ، فلا يتدخل ـ هو ـ في العلم ، ولا أتدخل ـ أنا ـ في السياسة . .

وهنا تركنا الدكتور فاروق الباز ، ولكن ألا تعتقدون معي أن الدكتور فاروق خرق معاهدته مع الدكتور أسامة أكثر من مرة في هذا الحديث . . ربما يكون عذره استحالة الالتزام بمعاهدة بهذا المضمون ؟ !! □



لحظات من الزمن العربي

القاضي عاشق التتار

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كانت دمشق خضراء .. والتتار كأنهم جراد جائع .. وعندما وقف القاضي « ابن مفلح » على الأسوار يراقب جحافلهم التى تحاصر المدينة . احس بخوف قاتل ، كانت خيام الشعر منتشرة كالقروح على كل السهول التي تحيط بالمدينة حتى نهاية الافق ، والأدخنة التي تتصاعد من نيرانهم المتفرقة تُكَوِّن سحابة قاتمة .. كانت أسوار دمشق عالية ، ومنيعة ، ولكن القاضي شعر أنه يكفي أن ينشب التتار فيها أسنانهم حتى تتهاوى وتسقط المدينة .. تأمل القاضي الخيام الكثيرة ثم تساءل في حيرة :

- ترى .. أين خيمة تيمورلنك وسط هذه الخيام ؟

أيام الحصار :

المدينة المحاصرة مدينة يتيمة .. مقطوعة الصلة بكل ما يحيط بها من سهول وجبال ، تعيش مأساتها الخاصة على حافة الجوع والانتظار الطويل ، دون أن يبكيها أحد ..

سار القاضي في الشوارع الخالية ، لم يؤذن أحد لصلاة المغرب ، لم يكن هناك من يجرؤ على الصعود الى المئذنة أو أي مكان عال ، وكانت الأسئلة تهز القاضي من الداخل وتأكل روحه ، هل سيهجم التتار هذه الليلة ؟.. وهل تستطيع مدافع السلطان القديمة الصمود في مواجهتهم ؟

ترى .. متى سقطت حلب .. في الليل أم في النهار ؟.. كيف سقطت حماة ؟ اقتحم التتار أبوابها أم نقبوا الأسوار .. والبهشا .. وعنتاب .. وعشرات المدن التي اجتاحوها .. كيف لم يصل دخان الحرائق الى أنف السلطان المملوكي ، وهو جالس يلاعب خصيانه الكرة في فناء القلعة ؟.. ضاعت مدن الاسلام بلا ثمن ، كان القاضي يعشق دمشق ، رائحة الأزقة ، واتساع الساحات ، وجلال المساجد والخانات .. كانت تضاريسها مرسومة كالجسد الحي داخل قلبه ، كأنها تعويذة رافقته في الصبا والشباب والكهولة ، كان يقف في مواجهة قباب المسجد الأموي الخضراء التي ينام عليها الحمام ، وأحس بالعجز ، كان الجميع يؤجلون



البكاء على دمشق الى ما بعد السقوط .. ولكن التتار لا يتركون شيئا يبكى عليه ..

كان القاضي يصرخ في نائب السلطان :

ـ لماذا لم ترسل في طلب النجدة من السلطان ..

وكان النائب يرد عليه ـ كما حدث هذا الصباح ـ في هدوء :

ـ أرسلت له الرسول السادس عشر .

ولم يكن أمام دمشق الا الانتظار .. والتتار يأكلون كل ما يحيط بالمدينة حتى حولوها الى صحراء جرداء ، اكتشف القاضي أن قدميه قد قادتاه الى سوق المدينة ، لم يكن هناك بيع ولا شراء ، لم يكن هناك الابقايا المدن التي سقطت ، والوجوه المفزوعة التي عاشت تجربة الموت والاغتصاب في حلب وحماة ، أحاطوا بالقاضي مثل أشباح الموتى ، فأخرج كل ما في جيبه من دراهم وألقاها اليهم ، ولكنهم ظلوا يحاصرونه بعيونهم المفزوعة .. البنات اللاتي أغتصبن في المساجد أمام آبائهن .. والحوامل اللاتي بقرن والأطفال الذين دهسوا .. وتأملهم القاضي قليلا ثم صرخ في حنق :

ـ أين أنت أيها السلطان المملوكي النجس ؟ ..

وفر هاربا من حصارهم .. ظل يتخبط في الأزقة حتى وصل الى بيته ، نزلت اليه الجارية السوداء وهي تحمل المصباح ، وكانت ابنته « سارة » في انتظاره ، وجلس بجانب النافذة يراقب المدينة التي أطبق الظلام عليها ، وضعت الجارية الطعام أمامه ثم حملته دون أن يمس ، وقبّلت « سارة » رأس عمامته ثم ذهبت للنوم .

كل شيء قابل للسقوط !

ولم يدر كم مضى عليه من الوقت وهو جالس هكذا .. ولكنه أحس بحركة ، فالتفت ليرى الجارية السوداء واقفة أمامه وهي تقول :

ـ هناك أمر يجب أن أتحدث فيه معك ياسيدي .. كان يجب أن أحدثك به منذ زمن.قال القاضي في حنق :

ـ ماذا تريدين ..؟..

ـ ابنتك سارة ياسيدي .. ان لها حبيبا يراسلها وتذهب لمقابلته ..

ولو أن التتار جاءوا في هذه اللحظة لكانت دهشة القاضي أقل ، كانت الجارية تتحدث .. وهو يحاول فهم تركيبة الكلمات الغريبة ، كان يرى وجه سارة الوديع وهي جالسة تستمع اليه .. وهي تعيد تلاوة ماحفظته من القرآن .. منذ متى وهي تخدعه ؟ كيف حدث هذا ..؟.

ـ اسمه حميد بن زيد ، لايوجد عمل محدد له ، يعمل أحيانا مع المماليك وأحيانا ضدهم ، ولست أدري ياسيدي . . أهو لص . . أم من رجال الشرطة . . ؟

اكتشف القاضي انها تتحدث بحقد . . وانها تعرف الكثير . . وانها أيضا متواطئة . . فصرخ فيها :

ـ أيتها الغرابة السوداء ، أنت ساعدتها على ذلك . . ثم أفشيت بسرها حين اختلفت معها . . أليس كذلك . . ؟ . .

وارتج على الخادمة . . للحظة كانت قد نسيت أنه قاض ، يجمع باستنتاجاته ما لايمكن جمعه ، ويجعل الشاهد طرفا في القضية ، أسرعت بالهرب . . نهض القاضي وسار حيث ترقد ابنته ، كم تبدو بريئة وغير قادرة على الخداع ، تمنى لو أنه يجذبها من شعرها ، ولكنها كانت تنام متكومة حول نفسها . . خائفة حتى أثناء النوم . . وشعر القاضي بحزن شديد لأنه أحس أن كل شيء قابل للسقوط لا أسوار دمشق فقط . .

في صباح اليوم التالي أشرقت الشمس من خلف ظهور التتار شاحبة . . ومرة أخرى رفعوا فوق الأعمدة الطويلة عشرات الفلاحين المصلوبين كي تستطيع المدينة المحاصرة أن تراهم بوضوح . . واكتشف القاضي أنه كان طوال هذه الليلة يحلم أنه مصلوب هكذا . . صرخ في وجه ابنته بانها لن تخرج بعد اليوم من البيت . . وهدد الخادمة بأنه سوف يبيعها في سوق المدينة لأحقر أعرابي بدينار واحد ، وبدأت المدينة يوما آخر من أيام الحصار .

لم يأت السلطان بعد ، والسهام تنطلق لتعبر الأسوار ، وتترك خلفها قتلى مجهولين ماتوا بالمصادفة ، وسار القاضي محنى الرأس ، يسمع صرخات الترمل والجوع . ويشم رائحة العفونة القادمة من الجثث . . وتزداد دهشته عندما يصل الى مجلس القضاء فيجد المتخاصمين في انتظاره . . يتصارعون حول الفتات . . إرث ضائع . . بضاعة فاسدة . . أمانة مغدورة ، كأن التتار لا يقفون خلف الأسوار . . وكان القاضي يشعر بالحنق عليهم . . سواء أكانوا أصحاب الحق أم سالبي الحق ، وعندما انصرفوا أخيرا أخذ أنفاسه بعمق ، واستعد للذهاب الى القلعة ، حيث يقابل نائب السلطان ، ولكنه اكتشف متقاضيا آخر مازال يقف أمامه . . شاب نحيف يبدو شديد الثقة بنفسه ، وسأله القاضي ببعض الحدة عن قضيته فقال الشاب :

ـ قضيتي شخصية ياسيدي القاضي . . اسمي حميد ابن زيد ، وأود أن أطلب يد ابنتك . . وصرخ القاضي وهو يرتعد . . يا حراس . . يا حراس . .

ودخل الحراس مفزوعين ، ورأوا الشاب فقفزوا فوقه . . وواصل القاضي الصراخ :

ـ خذوه ، ضعوه في السجن . . لا تخرجوه أبدا . .

وكان القاضي غاضبا لدرجة أرعبت الحرس فجذبوا الشاب بعنف ، ولم يسمحوا له بأي اعتراض ، ونهض القاضي وهو يرتعد . . عبر كل الطرقات وصعد القلعة . . أحس أنه عريان . . محاصر ، سقط قبل أن تسقط مدينته ، صعد القلعة ولأول مرة شاهد البِشْر على وجه نائب السلطان الذي صاح فيه :

ـ بشراك ياقاضي دمشق ، السلطان قادم . . وصلتنا رسله ، وسوف يصل هو والجيش بعد ثلاثة أيام . .

أيام الانتصار :

بعد ثلاثة أيام وصل السلطان الناصر فرج ، وكانت سارة مازالت مريضة في فراشها ، ولكن القاضي أحس أن الروح قد عادت الى دمشق . . وبدت البشائر عندما اقتحم الجيش السلطاني قبضة الحصار التتري في الجانب الغربي ، واستطاع أن يشتتهم ويلقن تيمورلنك أول ضربة . . لم تكن ضربة موجعة بدرجة كافية ، ولكنها كانت كافية حتى تتنفس المدينة ، وتفتح أبوابها الخلفية كي تستقبل جيوش السلطان .

ووقف القاضي على باب القلعة ضمن مستقبلي السلطان ، لاحظ أنه مازال صغيرا . كان في الثانية عشرة من عمره عندما مات أبوه السلطان برقوق وتولى هو العرش . . وكان في الثالثة عشرة عندما ثار عليه نائبه على الشام « الاتابكي ايتمش » واعتقد الجميع لحظتها أن السلطان الصغير سوف يفقد عرشه لامحالة ، ولكنه ما أن سار على رأس التجريدة الى الشام حتى تخاذل كل الأمراء المتمردين ، وألقوا بأنفسهم تحت أقدام السلطان ليعود منتصرا . . وهاهو الآن في الرابعة عشرة من عمره وعليه أن يواجه

تيمورلنك هذه المرة .

وعندما ارتفعت الرايات فوق الأسوار ، كان تيمورلنك أمام خيمته ، فتمتم في غضب :

ـ انهم يتجرءون على الفرح .

أجل ، تجرأت دمشق . . وسار السلطان الصغير وهو لا يكاد يُرى بين أجساد الأتابكة والأمراء والقادة وزعماء العربان ، وانتشر جنوده وسط المدينة كما ينتشر الأمل . صعدوا الأسوار وأطلوا على جنود التتار متعفني الرائحة في استخفاف . . واجتمع مجلس الحرب في القلعة . . وحضرها القاضي . . وامتلأ بالقوة وشعر أن دمشق قد تم انقاذها بالفعل حتى أنه هبط من فوره الى السجن . . ويصق في وجه حميد بن زيد . . وهتف به :

ـ لن تسلبني ابنتي . . كما أن التتار لن يسلبوني دمشق .

ولم يفهم السجين الشاب شيئا . . كل ما فعله هو أنه أحب فتاة نبيلة بطريقة أكثر نبلا وأراد أن يتزوج منها . . لم يدر أن القاضي ذات لحظة من لحظات الجنون قد وحد ابنته بالمدينة المهددة . . ولكن أعلام الانتصار ظلت مرفوعة . . فبعد أيام حلت ثانية بركات السلطان ، فقد خرج « جاليش » من قواته قوامه من مائة جندي لكي يؤمن طريق الامدادات عند جبل الثلج . . فهناك اكتشف « جاليشا » آخر من التتار من حوالي ألف جندي ، وانقضوا عليهم في هجمة مفاجئة صاعقة . . أنشبوا السيوف والرماح في أجسادهم حتى أفنوهم عن آخرهم . وتركوهم جثثا متناثرة فوق سفح الجبل . . ولم يصدق أحد تلك المعركة الغريبة التي لم تأخذ أكثر من ساعتين ، ومع ذلك قضت على ألف جندي . . . ووقف تيمور لنك مذهولا أمام خيمته ومساعدة « ملك شاه » يقول له :

ـ مولاي الخان . . لقد مات ابنك . .

وهدم التتار خيامهم ، ورفعت دمشق أعلامها . . وبدأت تستعد للجولة القادمة ، وفي اليوم الثالث حدثت ثالثة بركات السلطان ، استسلم خمسة من أكبر قواد التتار ، ارتموا تحت قدميه وطلبوا الأمان ، كانوا هاربين من غضب تيمورلنك . . كان غضبه على مقتل ابنه عظيما ، ولم يجد الا القواد يصب عليهم شواظ هذا الغضب ، وتوالت بركات السلطان ، انضم اليه العديد من قبائل العربان ، والعديد من أولاد الترك ، وسارت قوافل السلاح من مصر . . ورفع تيمورلنك الراية البيضاء يطلب التفاوض . . وفتح باب صغير من أبواب المدينة دخل منه الرسل ، كان تيمورلنك حزينا يريد العودة الى بغداد ، ولكنه يريد أولا أن ينهي الحرب بينه وبين السلطان . . فهو يخشى المطاردة . . ويخشى تحالفه مع أولاد عثمان ضده . . ويريد له حدا أدنى يتيح له التراجع عن أولى المدن التي استعصت في وجهه .

كان السلطان محظوظا بالفعل حتى أن سارة اضطرت للتماثل للشفاء ، وظل الولد المشاغب داخل السجن ، وأخذ رسل التتار يقضون الساعات الطويلة على أعتاب السلطان . وانتهز أحدهم الفرصة ، وطلب اللجوء الى حماه . . وأخيرا اتفقا على كل شروط الصلح . . ولم يبق الا أن يتقابل السلطان والخان ليوقعا هذه الاتفاقية في صباح اليوم التالي . .

وباتت المدينة في أسعد لياليها منذ شهور طويلة ، خرج الناس الى الشوارع . . وأضاءوا كل الدروب . . وكبّر المؤذنون من فوق كل المآذن ، ووقفت الصبايا في النوافذ يلقين بالزهور . . وعندما جاء الصباح أخيرا ، ارتدى القاضي أفخم عباءة . . وأكبر عمامة عنده ثم سار الى القلعة ليكون ضمن وفد الصلح الذي سينقذ المدينة . .

سكون . . سكون مريب يخيم على كل شيء . . صمت موحش غريب لايوازي الصخب الذي كان يشتعل في عروق المدينة ، ماذا حدث ؟ . . استعادت القلعة هيئتها الكالحة كأيام الحصار . . وعلى وجوه الجنود الكآبة . . حتى نائب السلطان كان واقفا يتأمل ـ من نافذة القلعة الجيوش التترية . . وهتف في توجع :

ـ لقد رحل السلطان . .

هتف القاضي في حسرة . . رحل . . لقد كان منتصرا . .

قال نائب السلطان :

ـ أرغمه الأمراء والاتابكة على ذلك . . جاءته رسل من القاهرة ومن غزة أن هناك بعض الأمراء والعسكر ينوون خلعه من على العرش . . لذا أسرع بالعودة حتى ينقذ عرشه .

هتف القاضي . . ودمشق ؟

قال النائب .. لحا الله .

وهبط خبر رحيل السلطان كالصاعقة ، وخرج الناس في الشوارع يضربون كفا بكف ، وصعد مؤذن المسجد الأموي يؤذن للصلاة ، ولكنه انخرط في البكاء .. كان السلطان ما يزال طفلا في الخامسة عشرة من عمره .. خيوله تنهب الارض بحثا عن عرشه المهتز ..

ودمشق ماتزال رهينة في قبضة التتار .

خرج تيمورلنك من حزنه وصمم على أن تدفع دمشق الثمن مضاعفا ، سد الثغرة التي صنعها السلطان ، وطوى راياته البيض وأخذ يمطر المدينة بالسهام النارية ويرفع أمامها جثث المصلوبين ، ويرتطم بالأسوار في نوبات جنونية ، ويطلب من المدينة أن تستسلم دون قيد ولا شرط .. وصرخ القاضي :

ـ سوف يحرقون دمشق ... كما أحرقوا بغداد وغيرها من المدن ..

وقال نائب السلطان دون أمل حقيقي :

ـ سوف يعود السلطان بعد أن يؤدب العصاة .. حتى ذلك الحين يمكننا أن نقاوم ..

ولكن دمشق كانت وحيدة ، أكثر من ذي قبل ، وقال القاضي :

ـ فلنذهب للتفاوض مع تيمورلنك .. فلنقدم له اي شيء يريده .. وهتف النائب :

ـ انه لا يريد الا حرق المدينة ..

واحتدم الجدل .. وأعلن القاضي أنه على استعداد لان يذهب الى آخر بقعة في الأرض من أجل انقاذ المدينة ، ولم يكن في حاجة الى أن يذهب بعيدا .. فالتتار يقعون على مرمى سهم .. ولكن من الذي يطلق سهما وهو مكبل بكل هذا الرعب .

أيام الانكسار :

للمرة الأولى رفعت المدينة علما أبيض ، وصنعت محفة صغيرة ربطتها بالحبال ، ركب عليها القاضي وثلاثة من كبار التجار .. وهبطوا من فوق السور الى ارض الحصار . بين أنياب تيمورلنك ..

كان جالسا في صدر خيمته وهم يتقدمون محني الرؤوس ، صامتا ، تفوح منه رائحة عطنة .. وسمح للقاضي بالكلام فتكلم .. قدم اعتذار المدينة الطويل لأنها قاومته .. وأسفها لأن ابنه مات على أبوابها .. وذلها اذ تسأله ماذا يريد .. وابتسم تيمور لنك ابتسامة مخيفة وهو يقول في هدوء :

ـ ومن قال أنني اريد أن أحرق دمشق .. انها مدينة الأنبياء .. انه الثأر بيني وبين السلطان وجنوده الذين قتلوا ابني ..

وقال القاضي ابن مفلح :

ـ ولكن السلطان رحل عنا يامولاي ..

قال تيمورلنك في ملل :

ـ أعرف .. ولكن نائبه مازال موجودا .. وجنوده .. وراياته .. ومازالت المدينة تخضع له .. وعليها أن تخلع طاعته أولا .. افتحوا لنا باب المدينة .. ولو بابا صغيرا حتى نطرد نائب السلطان وتعلن خروج المدينة من طاعته ..

وكان الاقتراح مثيرا للرعب .. وتحدث ابن مفلح ببلاغة .. وخلع طاعة السلطان بالفعل .. وحاول التملص من شرط فتح الباب .. وكان تيمورلنك هادئا .. معجبا بفصاحته حتى أنه قال له :

ـ كان الأجدر أن تكون أنت سلطان هذه المدينة .. وقد أعتقتها لأجل خاطرك ..

وعاد ابن مفلح الى دمشق مزهوا .. لقد دخل في طاعة تيمورلنك ، وعلى المدينة كلها أن تدخل في طاعته اذا كانت تريد أن تنقذ نفسها .

وأخذ القاضي والتجار الثلاثة يحدثون أهل دمشق عن حفاوة استقبال تيمور لنك .. وعتقه للمدينة اذا دخلت في طاعته .. وهو لايريد الا بابا صغيرا .. باباً واحداً يدخل منه بضعة من جنود ، ليعلنوا أن المدينة قد خرجت من طاعة السلطان ، ودخلت في طاعة الخان ..

ورفض نائب السلطان .. وانقسمت دمشق .. كان القاضي وبقية الأعيان والتجار يريدون فتح المدينة .. ولكن بقية الجنود الذين سهروا على الأسوار .. والناس الذين ماتوا بلا ثمن في الحواري .. والأمهات والشكالى من المدن الاخرى .. كانوا يرفضون أي وعد .. فالتتار هم التتار .. حاول ابن مفلح أن يفتح باب النصر ، ولكن النائب هدده بالقتل ، وكانت الليلة طويلة مليئة بالانقسامات ..

وفي صباح اليوم التالي بدأ القاضي رحلته الثانية الى تيمورلنك .. وأخذ معه هذه المرة المزيد من التجار والأعيان والعلماء والقضاة والمشايخ .. وكان الشيخ عبد الرحمن بن خلدون قاضي مصر مازال في المدينة ، وأراد أن يعاين تيمورلنك عن قرب ، ليكتب عنه في تاريخه ، فأخذه ابن مفلح معه ، وكان استقبال تيمورلنك حافلا .

فرش لهم الأبسطة ، ونصب الخيام ، وجعل قواده وأمراءه وعلى رأسهم « شاه ملك » يسيرون في خدمتهم .. وأخذ يتحدث حديثه العذب عن دمشق وعن فضلها على كل المدن ، وأن التعرض لأي بيت من بيوتها أو مسجد من مساجدها جريمة لا تغتفر .. وأحس ابن مفلح أن تيمورلنك ليس عطن الرائحة الى درجة كبيرة .. وأنه يمكن التعود على جواره بشكل أو بآخر ، وعندما حاول الوفد الرجوع الى المدينة ، أصر تيمورلنك على أن يقضوا الليلة في ضيافته .. وأخذت رائحة الشواء رائحة العفونة المنبعثة من مئات الجثث التي بقيت بلا دفن على التلال ، ووضع تيمور لنك على كتفي ابن مفلح فراء ثمينا ، وجعله يتصدر المجلس ، وأخذ يقول له ياناتبي .. يا مشيري .. وأحس ابن مفلح بزهو لم يشعر بمثله أبدا من قبل .

في الصباح صعدوا متخمين الى الاسوار ، على وجوههم علامات الرضا ، وفي أيديهم رسالة من تسعة سطور .. ووقف ابن مفلح على باب الجامع الأموي وقرأها بصوت عال .. الأمان الأمان يا أهل دمشق .. أمان مطلق بلا قيد ولا شرط .. أمان من غدر الخان .. وغدر السلطان .. وغدر الزمان .. لم يبق الا أن نفتح الأبواب ..

الباب الصغير

كانوا في نشوة وهم يفتحون الباب الصغير ، اعتزل نائب السلطان الجميع في قلعته ، وأصبح ابن مفلح هو الحاكم الحقيقي للشارع ، ومن الناحية الأخرى من السور .. كان شاه ملك وبضعة من الجنود يقفون في تلهف ، واحتضنه القاضي ، ورحب بالجنود ، ثم قادهم الى داخل المدينة ، كان الناس ينظرون اليهم في خوف ، كأنهم قادمون من كوكب آخر ، كانت الأسواق خالية من الطعام والأرصفة مليئة بالجوعى ، فأبدى شاه ملك أسفه على ذلك ، ووعد بأن يتحدث مع الخان العظيم لكي يمد المدينة ببعض الأطعمة .

في اليوم التالي عاد الوفد ، ازداد عدد الجنود قليلا ولكنهم كانوا يحملون بعض الأطعمة ليست أطعمة كافية ولكنها بادرة على أي حال ، ولم يفكر أحد في اغلاق باب المدينة الصغير جدا أثناء الليل ، ولم يفكر الجنود في مغادرة المدينة ، نصبوا خيمة صغيرة بجانب السور ، وجلس قائدهم أمامهم يمنعهم من ارتكاب أي أخطاء ، وفي اليوم الثالث كانوا أكثر عددا .. ولم يحملوا أي أطعمة ، وجلس القاضي يمارس حكمه ودوره الجديد كحاكم لدمشق فوجد أحد القادة وقد جلس عن يساره ، لم يقل شيئا ، ولم يتدخل في شيء .. ولكنه أخذ يتفرس في الجميع بعينيه الباردتين ، وأصبحت الخيمة الواحدة عشرات الخيام في الأيام التالية ، يقيم فيها عشرات الجنود المسلحين الذين لاينامون الليل ولا يتبادلون مع أحد كلمة واحدة ، ولكن الحالة ظلت هادئة وظل تيمورلنك خارج المدينة كانه زاهد في دخولها .

ثم توغلوا في المدينة قليلا ، أزاحوا اللاجئين من على الأرصفة ، وتكدسوا في الحوانيت المطلة على النواصي ، ثم أحكموا قبضتهم تماما حول قلعة المدينة ونائب السلطان ، وبدأ الناس يشعرون ببعض القلق .. كانوا يتكاثرون ، لم يتصور أحد أن هذا الباب الصغير يمكن أن يدخل كل هذه الأعداد ، ولم يعد من الممكن اغلاقه ، بل من المستحيل الاقتراب منه .

وفي ذات يوم فوجيء القاضي بشاه ملك وهو واقف أمامه في لهجة حاسمة :

- لا أحد يقترب من جامع بني أمية .. رجالي سوف ينزلون فيه ..

وانصرف القائد دون أن يسمع ردا .. وطرد المشايخ والمقرئين والطلبة ، ورفعت الحصر والأبسطة ، ووضعت على النوافذ حتى لا يرى أحد ماذا يحدث في الداخل .. ثم انبعثت منه أصوات الطبول والضحكات الماجنة ، وهبط الجنود الى أزقة المدينة السفلية ، واقتادوا بعض الغواني الى المسجد ، لم يعد هناك أذان يرتفع ، أو قرآن يتلى ، ولم تعد تجدي مبررات ابن مفلح للناس .. كان يجب عليه أن

يذهب الى تيمورلنك ويقول له ما حدث . . ووقف أمامه . . كانت رائحته ما تزال عطنة . . وهتف ابن مفلح ببلاغته :

ـ لا يرضيك يامولاي الخان العظيم أن يتحول بيت الله الى ماخور . .

ولكن تيمورلنك لم يتأثر بالبلاغة هذه المرة وقال له في برود :

ـ وأنت لا يرضيك أن تعيش دمشق عالة علي . . وعلى جنودي . . مدينتك لم تدفع الجزية حتى الآن . .

وفتح ابن مفلح فمه في دهشة ، تراجع تيمور لنك عن أول سطر من سطوره التسعة . . وأضاف في صوت رهيب :

ـ عليك أن تجمع لي من أهل المدينة ألف ألف دينار . . هيا . . أمامك يومان . . وانصرف ابن مفلح مذعورا ، ودخل المدينة فوجد جنود التتار في كل مكان ، كل نظرة من نظراتهم تحمل وعيدا ، ومر بجوار المسجد فسمع الضحكات النسائية العالية مختلطة بأصوات الدفوف ، كان بقية الفقهاء والتجار والأعيان صفر الوجوه ، ونائب السلطان ما زال في قلعته ، والسلطان بعيدا لا يعرف أحد ان كان قد أدب العصاة أم هم الذين أدبوه . . وعاد القاضي يبرر كل شيء . .

ـ لابد وأنه كان سياخذ الثمن . . حتى لو كان السلطان هو الذي أنقذنا . كان سيأخذ الثمن . . المدن كلها تدفع ثمن حياتها للغزاة . .

وانتشر القاضي وأعوانه في المدينة ، ودفع الناس بلا مقاومة تقريبا ، كانوا خائفين ، يريدون أن يتخلصوا من هذا الكابوس ، من الرائحة العطنة التي تملأ كل مكان ، وبعد يومين من اللهاث المستمر اجتمعت الدراهم ، وضعوها فوق بغل صغير ثم سار القاضي الى تيمورلنك ، ولكنه رمق الأكياس في غضب بالغ وقال دون أن يأمر بانزالها من فوق البغلة :

ـ ماهذا . . لقد قررت أن تجمع من دمشق ألف ألف تومان ، وكل تومان عندنا بألف ألف دينار . . هيا . . اذهب واجمع بقية الجزية . .

قرد داخل طوق

واحتقن وجه القاضي لم يكن يعرف الفرق بين الدينار والتومان ، ولكن المزعج أن الخان العظيم ليس راضيا . .

ـ اذا لم تكن قادرا على جمع الأموال بنفسك . . أرسلنا معك من يساعدك . . وأحاط قواد تيمورلنك بالقاضي ، كأنه قرد داخل طوق ساروا به الى المدينة ، واحتج الناس فهاجموهم بالسياط ثم بالسيوف ، فرضوا على كل راس كبير أو صغير عشرة دنانير ، نزعوا ذهب النساء وثياب الرجال ، ومقتنيات التكايا والخانات ، وثرايا المساجد ، اقتحموا البيوت المغلقة ، ونبشوا في أسرة الحريم ، ونقبوا الجدران بحثا عن الأموال المخبأة . . وكان ابن مفلح . . يقيد الاشياء في دفتره . . ويحاول كل فترة أن يحول الدراهم الى دينار ، والدينار الى تومان ، والاذلال الى حصافة ، والدم الى ماء . . كان التتار قد احتلوا كل المساجد تقريبا ، وارتفعت روائحهم العطنة بدلا من البخور ، وضحكاتهم الماجنة بدلا من الأدعية ، وهبط نائب السلطان مغلوبا من قلعته بعد حصار استمر ثلاثين يوما ، قطعوا رقبته وحصدوا غنائمه واستولوا على كل الأموال التي تركها السلطان الهارب خلفه ولم يرضوا باضافتها الى دين المدينة الكبير . . ومرة أخرى وضع ابن مفلح الأموال تحت أقدام تيمورلنك فقلب شفتيه بامتعاض وهو يقول :

ـ هذه بحسابنا ثلاثة آلاف تومان . . وبقي عليكم سبعة آلاف . .

ودار ابن مفلح كالمغيب عن وعيه ، والأوامر تلاحقه ، ونادى المنادي في دمشق ان كل من كانت عنده ودائع للامراء أو العسكر أو السلطان أن يحضرها . . وأسرع الناس في جو الرعب السائد يخرجون مالديهم ، وهتف تيمورلنك غير راض . . ولا قانع :

ـ بقي عليك أن تجمع لنا أموال التجار الغائبين وأعيان البلد .

كان ابن مفلح قد ألف رائحة الدم والعفونة . . ولا يدري ان كان ما يفعله هو حقا لانقاذ المدينة أم لتدمير كل شيء . . وهتف به تيمورلنك مرة أخرى :

- بقي عليك أن تجمع لنا كل دابة في المدينة من فرس وبغل وجمل وحمار .

وارتفعت أصوات الحيوانات تستغيث ، اثني عشر ألف دابة ساقها القاضي الى الخان ، ولكن طلبات الخان لا تنتهي :

- بقي عليك أن تجمع لنا كل ما في البلد من سلاح . . من السيف حتى السكين الصغير . . وكانت السيوف مثلومة والسكاكين غير قاطعة فذهبت طائعة الى تيمورلنك ، وأفاق ابن مفلح من غشيته قليلا ليسمع باسم حميد بن زيد من جديد . . كانوا يتحدثون عنه . . الأمل الوحيد وسط الخوف الذي يأكل الروح ، هرب من السجن وجمع بعض الرعاع السجناء وبقايا الجنود الذين حاربوا من فوق الأسوار . . وأخذوا يردون على التتار بشكل مختلف ، هاجموهم وهم سكاري داخل المسجد وكان تيمورلنك يوالي طلباته :

- بقى عليك أن تكتب لنا بأسماء حارات دمشق وعددها وخططها . .

وكتب القاضي ، وفرق تيمورلنك الأسماء بين قواده . . ودخل الجنود المدينة كالبحر المتلاطم ، يبحثون عن حميد بن زيد ويسلبون ويقتلون كل شيء في طريقهم ، وهتف تيمور في القاضي :

- أحضر لي حميد بن زيد . .

وأمهله يومين ، ولم يكن غريبا أن يعود القاضي الى بيته فيجد الجارية مذبوحة . . وسارة ممزقة الثياب مغتصبة الجسد . . وجلس بجانبها يبكي في عجز . هو الذي قاد التتار الى عتبة بابه والى جسد ابنته ، حاول أن يغسل جروحها ، ويستر عريها ، ولكنها كانت تحدق فيه بعيون جامدة كعيون الموتى . . كعيون المدينة التي ضاعت هباء . .

وفي منتصف الليل علت ضجة في أسفل البيت . . أصوات جنود يصعدون الدرج ويقتحمون الغرفة . . لم يكونوا من التتار . . كان هو حميد بن زيد واقفا في يده سيفه وخلفه أتباعه وصرخ فيه :

- هل طابت نفسك الآن يا عاشق التتار .

وأوشك أن يهوي عليه بسيفه ، ولكن سارة أفاقت من غيبوبتها وصرخت ، وخيم الصمت وقال أحد الرجال يستحث حميدا :

- اقتل الخائن . .

وقال القاضي في صوت مرتعش :

- اقتلني اذا أردت . . ولكن خذ سارة بعيدا . . خذها عن طاعون التتار . . . ولايدري كيف حملها وذهبا . . ولكنه جلس في البيت الخالي . . ظفر بحياة ليس لها قيمة الا المزيد من العذاب . . ترى ماذا سيقول تيمورلنك عندما يعرف أن حميدا زاره في بيته ؟ . .

بعد ثلاثة أيام اقتحم جنود تيمورلنك عليه البيت . . قادوه عبر شوارع المدينة ، لم يكن هناك مكان خال يضع عليه قدميه ، فأخذ يدوس على الجثث المتناثرة ، مثل بقية الجنود ومثل الكلاب الضالة التي كانت تلغ من لحومهم ، أفرغ كل ما في بطنه ولكنهم دفعوه ، كانت المدينة كلها قد تحولت الى مقبرة واسعة ، وتمنى في هذه اللحظة لو أن سارة لم تنقذه ، ولو أن حميدا هوى بسيفه . .

كان الجيش كله متأهبا . . وتيمورلنك فوق جواده . . كان يحسب أنه الناجي الوحيد من مذبحة المدينة ، ولكنه وجد صفا طويلا من الأطفال ، مربوطين حول أعناقهم بحبل واحد . . كانوا مقعدين على الارض يرتعدون ، يبكون دون صوت تحت برد الليل وهتف تيمورلنك به . .

- أيها القاضي . . أتعرف من أنا ؟ . .

استخذى ابن مفلح . . كان محطما تماما . .

- مولاي الخان العظيم . .

قال تيمور لنك . .

- أنا غضب الله في أرضه . . يسلطني على من يشاء . .

وصرخ في جنوده وهو يشير الى الاطفال . .

- سيروا عليهم بالخيل . . لن تكون دمشق بعد الآن . .

وصهلت الخيول في غضب جامح . . وضاعت صرخات الأطفال . . وأخذ القاضي يحدق في هذا المشهد الكابوسي بوجه جامد ، ثم بدأت ألسنة اللهب تتصاعد من المدينة . . من كل مكان ، من أقصاها الى أدناها . . ولوى تيمورلنك عنان جواده وهو يقول :

- أيها القاضي يا عاشق دمشق . . هاهي مدينتك . . خذها . . □

في الذكرى الرابعة

خليل حاوي .. وذكريات عشرين عاماً !



بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

مع ظهور غبار الدبابات الاسرائيلية وهي تزحف لاحتلال بعض المناطق من الجمهورية اللبنانية ، في السادس من حزيران سنة ١٩٨٢ .... وصلت أزمة الشاعر خليل حاوي الى ذروتها ... فحسمها باطلاق الرصاص على نفسه !

في الذكرى الرابعة على هذه المأساة .... جاءت هذه الكلمات ... تستعيد أثر وتأثير الشاعر .

كن سابقا كل وداع ، كأنه وراءك
كالشتاء الذي يزول الآن .
اذ بين الشتاءات شتاء لانهائي
يحتمله قلبك بشتاء أكبر .
أبدا كن ميتا في يوريدك ـ أصعد أكثر غناء ،
أصعد أكثر ترنما عائدا الى العلاقة الصافية
هنا بين الاشياء الزائلة وفي أرض الصيرورة
كن كأسا مرنة ، كاسا تحطمت من الرنين .
(ريلكة : ترجمة فؤاد رفقة)

أعرفه ، ولا أعرفه ، هذا الشاعر الفارس الذي ترجل عن حصان الحياة الهزيل باختياره هو ، وليس باختيار الموت أو أنصار الموت ، أعرفه منذ عشرين عاما ، ومن خلال أشعاره وأخبار معاناته ، ومن

خلال معاركه الصاخبة والخافتة ، وبالرغم من أنني لم ألتق به شخصيا ، فقد جمعتني به على بعد المسافات صداقة حميمة ، وكنت كثير الحديث عنه ، كثير الاهتمام به في سنواته الأخيرة ، وكان سعيدا بالحفاوة اليمنية سعادة أي مبدع كبير ، يشعر بأن هناك في منطقة نائية من يتحدث عنه ، ومن يتابع قراءته ويوالي الاهتمام ، كمبدع تومض أشعاره في كل سماء لاتقف في طريقها حدود ولاسدود وحين علمت أن خليل حاوي قد اختصر بيديه رحلة الحياة ، أدركت لماذا مات الفرح في القصيدة العربية ، ولماذا تحول الحصان ذو الغرة البيضاء في حكايات الأطفال الى ثعبان أسود !!

فرق ألف عام

أعرفه ـ اذن ـ منذ عشرين عاما ، فقد رافقته في اول رحلة لي من صنعاء القديمة الى باريس الحديثة ، من أقاصي الجزيرة العربية الى قلب أوروبا ، كان ذلك في منتصف الستينيات ، وقد التقيت به في القاهرة . . وكان اللقاء من خلال ثلاثيته الشهيرة (نهر الرماد) و(الناي والريح) و (بيادر الجوع) ولهذا اللقاء سبب لا أخجل عن الاشارة اليه ، فقد نشأت كغيري من اليمنيين في بيئة اجتماعية وثقافية معزولة ومحافظة ، تقيم بينها وبين العصر وبين أهل العصر أسوارا وحدودا ، ولست مبالغا اذا ماقلت انني عندما بلغت العشرين من عمري لم أكن قد رأيت سوى رجل أوروبي واحد ، ومالا يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة من العرب غير اليمنيين الذين كانوا يعتبرون الى ماقبل قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ في عداد الاجانب ، شأنهم شان كل غريب الوجه واليد واللسان !

وحين اتاحت لي الثورة السفر الى باريس ، شعرت بالرعب من تصور الحياة ، وسط مجتمع أوروبي كامل وفي مدينة تباعد بينها وبين صنعاء مسافة زمنية لاتقل عن ألف عام ، واذا كانت فكرة الانتقال من بلد الى آخر مصدر عذاب وقلق لمعظم المسافرين ، فان فكرة الانتقال من زمن لآخر لابد أن تكون أشد ايلاما وأكثر تعذيبا ، وهكذا ذهبت الى باريس ، يشدني حنين جارف للجديد ، ويغمرني احساس رهيب بالخوف ، وبشعور القادم من زمن في طريقه الى زمن آخر ، توقفت أياما في القاهرة ، وكان لي فيها أصدقاء وأساتذة ، لم أتردد عن أن اطرح بينهم مشكلتي دون تضخيم للخوف من صدمة المواجهة ، وقد نصحني بعضهم أن أصطحب معي بعض الكتب التي تتحدث عن العلاقة الصدامية بين الشرق والغرب ، وقال لي أحدهم : لقد بدأت تكتب الشعر ولابد أن يكون دليلك الى أوروبا شاعرا ، وان في ذلك فائدة للشعر ولك ، واقترح ان تحمل معك ثلاثية الشاعر خليل حاوي وهي : نهر الرماد ، والناي والريح ، وبيادر الجوع . واذا كانت بعض الكتب تناقش العلاقة بين الشرق والغرب ، فانها في الوقت ذاته تولد حالة من الخوف ، وتشيع حالة من الانفصال غير الواعي ، بل ربما خلقت حاجزا لايستطيع الانسان كسره ، بعكس الشعر الذي يؤمن بخوض التجربة ، ويدعو « السندباد » الى تكرار الرحلة ، مهما كانت النتائج ، وأيا كان العائد المنتظر .

لهذه الأسباب اخترت ثلاثية الشاعر خليل حاوي ، لترافقني في رحلتي الدراسية القصيرة ، ولا أدري الى أي حد نجح الشعر في تهدئة مخاوفي ، ولكني اعرف أن الثلاثية كانت زادي طوال مايقرب من نصف العام في فرنسا ، وفي بعض أقطار أوروبا ، فقد حملتها معي الى حيث حملتني خطواتي ، الى جنوب السويد ، حيث أحسست أنني وصلت الى سقف العالم ولم تعد أنفاسي تتحمل اكثر من ذلك الصعود ، وعدت أدراجي الى القاع ، وكنت وأنا انتقل مندهشا مبهورا مذعورا ، كنت لا أكف عن استرجاع العبارة التي قدم بها خليل حاوي لقصيدة « دعوى قديمة » من ديوان نهر الرماد ، والعبارة هي « رأيت في أروقة الجحيم بشرا لايعيشون ولايموتون » وقد قام في ذهني أن ذلك الوصف كان ينطبق علينا نحن في اليمن ، حيث لانحيا ولانموت ، فقد أسدل الزمن علينا تراب النسيان ، وغطتنا رمال الصحراء ، فلا نحن أحياء تخلع علينا الحياة أضواءها وظلالها ولانحن موتى فنريح ونستريح ، وقادتني العبارة الى المقطع التالي من قصيدة « سدوم » الطويلة :

عبرتنا محنة النار .
عبرنا هولها قبرا فقيرا .

وتلفتنا الى مطرح ماكان لنا .
بيت ، وسمار ، وذكرى .
فاذا أضلعنا صمت صخور .
وفراغ ميت الآفاق صحرا
واذا نحن عواميد من الملح ،
مسوخ من بلاهات السنين .
ان تذكر عابر الدرب .
بحال الميتين .
فهي لاتذكر ، جوفاء .
بلا أمس ، بلايوم وذكرى .

في أحياء باريس المختلفة ، باستثناء « الحي اللاتيني » أدركت أنني كنت على حق في تخوفي من الانتقال المفاجىء من زمن الى آخر ، وادركت أيضا حكمة استاذي الذي اختار لي شاعرا عربيا معاصرا ليكون دليلي الى ذلك العالم الجديد ، لم تكن رواية « عصفور من الشرق » ولا رواية (الحى اللاتيني) ولاقصة « قنديل أم هاشم » ولاغيرها من الكتب التي تناقش العلاقة الصدامية أو الهجومية بين الشرق والغرب ، بقادرة على تخفيف حدة مخاوفي ، او تكييف هذه المخاوف ، فالايقاع النثري ينزلق وتتبدد دلالاته ، والشعر وحده يجسد الخوف والشوق معا ، وهو ـ دون شك ـ أكثر قدرة على استيعاب ايقاع الزمن اجتماعيا وروحيا ، لانطلاقه من منطقة الرؤية الشعرية الشاملة المفتوحة وغير المحكومة بالوعي الخارجي الزائف والمتقلب .

الساكن والمتحرك

كان صوت الزمن في صنعاء يشبه صوت التراب ، جامدا ساكنا بعيدا ، ولو كان للجمود صوت لكان هو نفسه صوت الجمود .. بينما كان صوت الزمن في باريس يشبه صوت الطائرات والقطارات ، صوت السيارات حادا وعاصفا ، انه صوت الحركة صوت الانفعال والاندفاع ، صوت الحياة التي يخلقها الانسان بعلمه وارادته ويعمقها بفعله وبأحلامه ، لم أتبين هذا من ايقاع باريس الذي كان يصيبني بالدوار ، وانما تبينته من قصائد « نهر الرماد » الذي خيل الى وأنا أقرؤها أن انهارنا لايجري فيها ماء وانما هي أمواج من الرماد ، رماد الحرائق الناتجة عن حالة التوقف والقنوط ، حيث يولد الطفل عجوزا أعمى لايرى الأشياء ولايتفاعل معها . كما في قصيدة « الجسر » .

طفلهم يولد خفاشا عجوز
أين من يفني ويحيي ويعيد
يتولى خلقه طفلا جديد .
غسله بالزيت والكبريت ،
من نتن الصديد
أين من يفني ويحيي ويعيد ؟
يتولى خلق فرخ النسر
من نسل العبيد
أنكر الطفل أباه ، أمه .
ليس فيه منهما شبه بعيد .
ماله ينشق فينا البيت بيتين .
ويجرى البحر مابين جديد وعتيق .

وعند الصرخة الأخيرة ، عند فكرة بناء البيت الحر الجديد توقفت يومئذ طويلا ، كما لابد أن يكون العشرات بل المئات من أبناء جيلي قد توقفوا عندها طويلا ، فبناء بيت حر جديد أو بالأصح وطن جديد ، وهو حلم الأجيال ، هو خلاصة التجربة المستفادة من قراءة المفارقات بين الشرق والغرب ، من مداومة التفكير في جوهر الاختلاف بين حياتهم وحياتنا ، بين الايقاع السريع لزمنهم والايقاع الرتيب لزماننا ، ولعل هذا الاحساس النابع من الصدمة الكبرى هو الذي أخرج الشاعر خليل حاوي من سراديب اليأس والاحباط ، ومن خطر المقارنة بين أنهار الماء والأنهار الساكنة في وطنه والأنهار المتحركة خارج ذلك الوطن ، بين أنهار الرماد ، بين البشر من لحم ودم والبشر من ملح ، بين أطفال تضعهم أمهاتهم شيوخا ، عاجزين عن مواصلة السير في الحياة ، والاضافة اليها ، وأطفال تضعهم أمهاتهم أطفالا فيشبون ويكتهلون ، وقد يغادرون الحياة دون أن تدركهم الشيخوخة أوينال منهم العجز .

الاثر النفسي والثقافي

انني لا أدرس خليل حاوي ، ولا أحاول الاقتراب من لغته الدرامية ، ومن بنائه الشعري الذي عكس

التحولات الأنضج للقصيدة العربية الجديدة في الخمسينيات ، ولكني أحاول فقط أن أتحدث من خلال التداعيات عن الأثر النفسي والثقافي الذي تركه في قارئه اليماني الذي خرج من جنوب الجزيرة العربية ، يرتعد خوفا من العصر ، ولم تكن بلاده يومئذ قد استكملت خروجها تماما من غبار الصحراء ، كانت تبدأ الخطوة الأولى بعد توقف دام قرونا ، وذلك التأثير يؤكد أن المعنى الانساني للشعر يتجلى بمقدار مايتركه في نفس قارئه من تغيير ، إن وظيفة الشعر الحقيقي هي أن يجعل الانسان قادرا على التجدد باستمرار ، وقادرا على التطور والارتقاء ، وأعترف أنني عندما أتذكر أثر ثلاثية خليل حاوي ، بعدما يقرب من عشرين عاما ، تخللتها قراءات متعددة اصطدم بالاختلاف الهائل بين تلك القراءات وبين الأثر العميق الذي احتجزت خطوطه العريضة كجزء من التحول الذي أسهم في صياغة شكل وجداني جديد ، وأسهم كذلك في تأسيس احتمالات الكتابة الشعرية ، وفي تحديد أسلوب التعامل مع الأزمنة الجديدة ، دون خوف كبير ، لقد سحرتني الشجاعة التي رجع بها خليل حاوي من الغرب ، وبهرتني أحلامه ، وشدتني أضواء البروق التي اختزنها في عينيه : . . كما جاء في قصيدة « عودة الى سدوم »

عدت في عيني طوفان من البرق
ومن رعد الجبال الشاهقة ،
عدت بالنار التي من أجلها
عرضت صدري عاريا للصاعقة .
جرفت ذاكرتي النار وأمسي
كل أمسي فيك يانهر الرماد :
صلواتي سفر أيوب ، وحبي
دمع ليلي ، خاتم من شهرزاد
فيك يانهر الرماد .

ولكن هل تحققت نبوءاته الشعرية ؟ هل صمدت البروق والنيران التي ادخرها لمواجهة الجفاف والخواء في وطنه العربي البارد كالثلج والنافق كالجثة ؟ وهل ظهر ذلك الجيل الذي بشربه في قصائده ، وشاد من أضلعه جسرا يسير عليه ، وينتقل به من الشرق المستنقع الى الشرق الجديد والمنارة ؟ لقد حقق خليل حاوي على المستوى الشعري انجازا فريدا وضعه في الدرجة الأولى من شعراء الحداثة العربية ، ولكن هل كان ذلك هو كل مايطمح اليه ، هل طموح الشاعر أو الكاتب يقف عند كونه كاتبا مرموقا أو شاعرا ذائعا في وطن يعاني الاذلال والقمع ، وينتقع وجهه صباح مساء في الهزائم والانتكاسات ؟ قد يكون ذلك مقبولا ومستساغا عند عشاق البريق الزائف ورواد الصالونات ، لكنه مرفوض من شاعر تتمحور قصائده كحياته حول هموم الثورة العربية وأحلامها ،

ومن هنا كانت تلك الآلام والمواجع التي ظلت تمزق روحه ، وتخترق كيانه العقلي والنفسي ، وتجعله غريبا في أهله ووحيدا في عالمه . .

دوي الحقيقة

لقد حاولت بعد اعلان وفاته التي تمت على الطريقة الشرقية أن اعتذر له أو اعتذر لنفسي عنده بارجاع أسلوب الوفاة الى تأثير الأساطير والفلسفات الشرقية ، والى فكرة الفداء الدينية ، وحاولت كذلك أن أجد لها أساسا في شعره ، حيث الموت شرط للبعث ، والفناء شرط للميلاد ، الا انني اكتشفت في تلك المحاولة أو في ذلك التفسير اذا صح ان فيه قدرا كبيرا من تبسيط المأساة ، ومن اخفاء الأسباب الحقيقية التي تقف وراء ذلك الاختيار الفاجع ، لقد كان اليأس التام وخيبة الأمل والرعب مماوصل اليه الوضع الراهن للعرب وللوطن الحلم الذي يبعثر وتناثر الى كيانات غريبة محيرة، لقد كان ذلك وراء الاختيار ، فضلا عن غياب الفارس الذي انتظره الشاعر طويلا ، وطويلا ، دون جدوى .

وحين كنت في فرنسا ، منذ مايقرب من عشرين عاما ، سمعت عبارة تتكرر كثيرا عن « القفا والوجه » ولعلها عنوان كتاب غير مشهور لكامو ، وكان الحديث يدور يومئذ عن الوجه العربي وعن القفا العربي ، فالوجه تمثله أقطار الشام ومصر وشمال أفريقيا ، وبينما القفا يتمثل باقطار الجزيرة العربية ، أما الآن،وبعد ، تتابع الهزائم العربية ، فقد أصبح الوطن العربي من الماء الى الماء قفا لاوجه له ، وأصبحت شمس الشرق العربي الجديد هي الشمس الساطعة التي يشع منها الليل ، تعبيرا عن التناقض والتضاد في الأشياء . □

قاموس العربي

ش

شرعيّة

مفهوم سياسي محوري تتحدد به صحة وضعية نظام الحكم وقانونيته وتفسير وجوده ، وهو يعني باختصار ذلك القبول الطوعي والجماعي من جموع الشعب للقوانين والتشريعات التي يضعها النظام السياسي ، ، وهذا بدوره لايتحقق الا اذا توافق العمل السياسي وتوجهات الحكم مع مصالح المواطنين وقيمهم الاجتماعية .

وبهذا المفهوم تصبح العدالة هي جوهر الشرعية ومؤشر القياس عليها ، وبالتالي فان غياب معنى عدل النظام يلغي الشرعية ، ويمنح الثورة على النظام شرعية حقيقية جديدة ، ويتفق جمهور المفكرين وعلماء الاجتماع والسياسة على أن كيفية وصول نظام ما الى الحكم هو المعنى الضيق والمحدود للشرعية ، لأن الأمر الجوهري في الشرعية هو الفعل السياسي ، ومدى تحقيقه لمصالح المجموع ، وتكريس معنى العدل ، واذا كنا نقول أن عناصر الشرعية هي ذلك القبول الطوعي من المحكوم ، نتيجة عدالة وفعالية نظام الحكم ، فان معنى هذا بوضوح ان الشرعية مستمدة من الأمة أو الشعب ، وتصبح الجماهير بذلك هي مصدر الشرعية والسلطات .

وفي تصورنا فانه حتى في بعض الأنظمة التي كانت ترفع نظرية التفويض الالهي في الحكم ، فان الجماهير أيضا كانت هي مصدر الشرعية ، فمجرد القبول الطوعي من الجماهير لهذا التفويض ، والناتج عن اعتناق الجموع لقيم دينية تبيح مثل هذا التفويض ، ورضا الشعب في أن يتم مصادرة حقه باسم الدين ، مجرد ايمان الناس بهذه الأفكار وقبولهم الطوعي لها ، هو صك بالشرعية لهذه النظم .

ولذلك فانه عندما افتقد النظام الفرنسي قبل الثورة الفرنسية لمعنى العدل ، اكتسبت الثورة ضد النظام شرعية حقيقية ، وسحبت الثورة من النظام - الذي كان قائما على حق التفويض الالهي - شرعيته ، وطالبت الأمة كلها وراء مفكريها بالمطلب الشهير ، « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » ، وهذا اعتراف حقيقي من الشعب برفض نظام الحكم ، وأدركت جموع الشعب الفرنسي أن سحب شرعية النظام انما تتم بسحب شرعية الاطار الفكري الذي يحتمي به ، وهناك انواع عديدة من الشرعية ، أكثرها تطورا وتقدما هو ماكان قائما على أساس من التفاهم ، أو العقد الاجتماعي الذي يتجسد عادة في وثيقة سياسية قانونية دستورية ، تتحدد بمقتضاها الحقوق والواجبات ، وبخلاف هذا النوع فهناك شرعية تقليدية ، تستمد قوتها من تراث ثقافي أو عقائدي أو قبلي ، وهناك شرعيات تستمد قوتها من أهدافها كالشرعية الثورية التي تعني حق الثورة في اتخاذ ماتراه من اجراءات لتحقيق الأهداف التي قامت من



● مونتسكيو

أجلها ، مهما كانت هذه الاجراءات خارج اطار القانون ، أي أنها شرعية تبيح للثورة اللجوء الى الاجراءات الاستثنائية ، لتحول مبادئها وبرامجها الى قوانين ونظم ، ومن المنطقي أن الاجراءات الثورية هذه لاتتمتع ولاتستحق صفة الشرعية ، الا اذا كانت لصالح الأغلبية المطلقة .

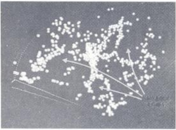
وتقوم الأحزاب بدور مهم في دعم الشرعية وتوطيدها ، فمن خلال الحوار المفتوح بين الاحزاب ونظم الحكم ، يتحقق نوع من المشاركة الهرمية من قمة النظام والقاعدة الشعبية ـ اتفاقا واختلافا ـ كما يتحقق التعبير عن مصالح واتجاهات الجموع ، كي يوجه الحكم سياساته نحو تحقيقها ، ومن هنا فان اختفاء الحوار بين نظم الحكم وشعوبها . . وافتقاد قنوات الاتصال يؤدي ـ في أغلب الأحيان ـ الى فقدان النظم لبوصلة التوجه نحو أي السياسات توافق الجماهير . . ومدى استقرار معنى عدل السلطة في وجدان الأمة . . ومن هنا فانه تنشأ أزمة شرعية للنظام ويفقد مصداقيته ، وسبب ودواعي وجوده ، ويفتح الباب لضرورة التغيير ، وتحدى السلطة القائمة التي اهتزت شرعيتها . □

سوَّده علمه

قال الشعبي : دخلت على الحجاج حين دخل العراق ، فسألني عن اسمى ، فأخبرته ، ثم قال : ياشعبي كيف علمك بكتاب الله الكريم ؟ قلت : عني يؤخذ . قال : كيف علمك بالفرائض ؟ قلت الى المنتهى فيها . قال : كيف علمك بأنساب الناس ؟ قلت : أنا الفيصل فيها . قال : كيف علمك بالشعر ؟ قلت أنا ديوانه . فقال الحجاج لله أبوك ياشعبي ، ثم انه فرض لي أموالا ، وسودني على قومي ، فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان ، وخرجت وأنا سيدهم .

الجديد في العلم والطب





خريطة الكون ... بعض الكون لا كلّه

انظر الى هذا الرسم ودقق النظر فيه ... فهذه النقاط المنثورة فيه على غير انتظام ، ليست نتيجة رشق عشوائي بفرشة التلوين كما قد يبدو لك ... بل إن ما تراه أمامك ليس رسما عاديا ، وانما هو أقرب الى الصورة الفوتوغرافية التي استغرق إعدادها أكثر من عشر سنين ... انها خريطة الكون .. نعم ... الكون بمجراته ونجومه وكواكبه ... وسُدُمه وكوزاراته وفراغاته ... وهي حصيلة مشروع فلكي جبار ، اشترك في تنفيذه عدد من العلماء الفلكيين المعروفين في الولايات المتحدة الأمريكية ، فمنذ سنة ١٩٧٥ والعالم (جون هوشرا) أحد كبار الباحثين العاملين في مركز هارفرد - سميثونيان للفيزياء الفلكية ، يتعاون وزميلته العالمة الفلكية (مارجريت جللر) على مسح الكون ... ورسم خريطة أمينة وافية للسماء وأجرامها ... وقد تطلب هذا المشروع فيما تطلب ، رصد المجرات ... أو جزر النجوم كما سماها البعض ، وملاحقتها - وهي التي تملأ الكون - وملاحقة نجومها بين وقت وآخر ، وذلك من أجل تحديد مواقعها بكل ما يمكن من ضبط ودقة ..

وقد قام بمهمة الرصد والمسح هذه أحد الطلاب الخريجين الماضين في دراساتهم العليا ... حتى كانت هذه الخريطة التي تتميز على كل ما سواها من خرائط السماء ، بأنها ثلاثية الأبعاد كما توضح ذلك الخريطة الأصلية الملونة .

وبالرغم من شمولية هذه الخريطة ، فإنها لا تفي الكون حقه .. أي أنها لا تحيط بالكون كل الكون ، وانما ببعضه فقط ، أي بما يقدر بـ ١١٧ درجة × ٦ درجات فحسب .. أو ما يبلغ امتداده حوالي ٣٠٠ مليون سنة ضوئية (**السنة الضوئية تبلغ ٦ مليون مليون ميل !**) ، وهي لا تبين بُعدَ المجرات عن الكرة الأرضية فحسب ، ولكنها تبين أيضا بعد بعضها عن بعض ... وتحدد مواقع بعضها من بعض ... وذلك بقياس حدة الضوء المنبعث من تلك المجرات ... ومدى اقتراب ذلك الضوء من موجات اللون الأحمر ... أو إن شئت مدى احمراره الدال على مدى ابتعاده عن الكرة الأرضية .

والغريب أن هذه الخريطة التي أسهمت أجهزة الكمبيوتر في تصميمها ورسمها ... تظهر الكون كأنه فراغات عملاقة تشبه الفقاقيع .. ولكنها فقاقيع جوفاء هائلة ، تبلغ الواحدة منها ٦٠ × ١٥٠ مليون سنة ضوئية ... (بالمقارنة لا تزيد مجرتنا ـ مجرة درب اللبانة ـ على ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية من أقصاها الى أقصاها) ... وتسأل : اين المجرات إذن من هذه الفقاقيع العملاقة ؟ ... ولو أمعنت النظر في الخريطة لرأيت أشرطة هزيلة ، وتكاد الا ترى ، تلف تلك الفقاقيع ... وما المجرات بنجومها وكواكبها التي تعدُّ بآلاف الملايين الا تلك الأشرطة النحيلة التي اوشكت أن تكون شفافة ...

فحص العظام وتشخيص امراضها

أصبح في امكان الأطباء الآن فحص العظام وقياس كتلتها وتحديد مدى قابليتها للاصابة بمرض وهن العظم ... وهو المرض الذي يضعف العظم ويجعله أكثر عرضة للكسور ولآفات العمود الفقرى .. وقد كانت هذه الفحوص موضع تجارب طوال سنوات عديدة ، في المركز الطبى التابع لجامعة فاندربلت في ناسفيل في تنسى في الولايات المتحدة .

وتجدر الاشارة الى أن النساء أكثر عرضة لمرض وهن العظم من الرجال وخصوصا من تجاوزن سن اليأس منهن .. وتقوم الفحوص فيما تقوم عليه ،

على جرعات خفيفة من أشعة اكس وأشعة جاما ... يسلط على الفقرات .. فتظهر

صورة العظم على شاشة جهاز الكمبيوتر الذي يحسب ويحدد كتلة العظم بالغرامات في السنتمتر المربع .

زيت السمك .. يحد من التجلط والتصلب

زيت السمك.. .وهو من المقومات الرئيسية في وجبات الأسكيمو ، كان موضع دراسة وتجارب واسعة نشرت نتائجها مجلة نيوانجلند الطبية ، في أواسط شهر ابريل الماضي (١٩٨٦) وقد تبين للباحثين أن تقليد وجبات الأسكيمو ، واطعام الناس بمقادير كبيرة من زيت السمك قد يكسب المناعة ضد امراض القلب وذلك بالحد من مادة ثرومبوكسين التي توجد في الدم والتي تسهم في تكوين الجلطات الدموية ...

ان جرعة ثلاث ملاعق صغيرة من زيت السمك يوميا تناولها ستة رجال مصابين بمرض العصاد أو التصلب العصبدي ، وتناولها في الوقت نفسه سبعة رجال معافين .. أثبتت في نهاية الشهر أن مادة الثرومبوكسين قد نقصت في دم الرجال المصابين والمعافين سواء بسواء .. وكان نقصانها بنسبة ٥٨٪ في فئة المصابين و ٥٠٪ في فئة المعافين .. □

مكتشفون ومخترعون

قصة القطارات ، كقصة السفن ، لم تقتصر على مخترع واحد ، كقصة السيارة وقصة الطائرة .. فجورج ستيفنسون ، وإن لم يكن مخترع القطار الوحيد ، الا أنه كان بلا شك أهم مخترعيه .. هذا بالرغم من أنه لم يدخل المدارس ، أو يلتحق بالجامعات .. وكأن مواهبه الفطرية وعبقريته الفذة لم تكن بحاجة الى صقل أو تعليم .. وكأنما ابتكرت المحركات البخارية والقاطرات في معزل عن الرجل الذي آواها ..

ولد جورج في بلدة (ويلام) في احدى مقاطعات انكلترا (نورثمبرلاند) وكان أبوه عاملا ميكانيكيا ، او إن شئت ، تقنيا مكلفا بتشغيل أحد المحركات البخارية المنتشرة في انجلترا في تلك الأيام .. وقد استعمل محرك (نيوكومن — New comen) نسبة الى مخترعه في ضخ المياه من أحد مناجم الفحم الحجري في مدينة نيوكاسل ـ اون ـ تاين (New Castle — on — Tyne) ودخل جورج معترك الحياة العملية مبكرا ، ودون الالتحاق بأية مدرسة ، ومالبث أن أصبح مكلفا كأبيه بتشغيل محرك نيوكومن .. وهو في التاسعة عشرة من عمره .

وتعطش ستيفنسون الى تعلم القراءة والكتابة ، وذلك بقصد الاطلاع على أخبار حروب نابليون المثيرة آنذاك أولاً بأول ، فانتسب الى احدى المدارس الليلية .. وماأسرع ماخرج من عداد الأميين .. ولكن ذلك لم يشف غليله ، ولطالما تمنى لو أن أباه أتاح له فرصة التعلم في مدارس نظامية .

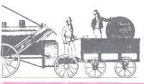
وشعر جورج بضآلة دخله ، خصوصا عقب زواجه المبكر ، فعمد الى تعلم عدد من الحرف وممارستها .. وكانت حرفة الاسكافي ـ مصلح الأحذية ـ أولى تلك الحرف اعقبتها حرفة تسيير الساعات (لا اصلاحها) ، ثم حرفة الخياطة ، خياطة الثياب النسائية لزوجات عمال المناجم .. ولكن عبقريته الميكانيكية مالبثت أن تجلت فيما يختص بالمحركات البخارية .. فعين بمنصب كبير الميكانيكيين في مناجم كلنجورث .

وسارع ستيفنسون الى ادخال ابنه الصغير روبرت في احدى مدارس نيوكاسل ، وذلك من أجل الرياضيات خاصة ، يدرس الابن ويدرسها الأب معه .. هكذا شارك الأب ابنه المذاكرة واعداد الواجبات المدرسية ، ليلة بعد ليلة .

وفي سنة ١٨١٣ سمع ستيفنسون عن محرك بخاري جديد يسير على دواليب .. تسير بدورها على سكك من خشب .. وزار أحد المناجم القريبة الذي استعمل ذلك المحرك ، او إن شئت القطار البدائي لجر العربات المحملة بالفحم الحجري من داخل المنجم الى خارجه .. ولم يكد يعود الى منجمه من تلك الزيارة حتى بنى قطارا يفوق القطار الذي شاهده في زيارته ، فقد تمكن قطاره هذا من جر ثماني عربات ، تحمل ٣٠ طنا من الفحم ، ويسير بسرعة ٤ أميال في الساعة .. وحظي القطار الذي سموه بلوشر (Blucher) برضا الجميع ماعدا مخترعه .. الذي مضى في اجراء التجارب بقصد تحسينه ، حتى حقق الهدف ، وذلك باعادة البخار الذي يلفظه القطار الى المحرك ثانية ، بما يكفل للمحرك مزيدا من قوة وانتظام .

وذاع صيت ستيفنسون بسبب قطاره هذا ، بل قاطرته ، فباع عددا من القاطرات التي بناها في غضون السنوات القليلة التالية .. وطارت شهرته لدى اختراعه مصباح الأمان للمناجم .. وقد انتشر استعماله في المناجم في طول البلاد وعرضها .

وجاءت سنة ١٨٢١ ، واذا بستيفنسون يسمع عن مشروع كبير نسبيا لبناء خط سكة حديد ، قرروا





جورج ستيفنسون
١٧٨١ - ١٨٤٨

انشاءه بين ستوكتون ودارلنجتون ، وقد اتجه تفكير القائمين على ذلك المشروع الى الخيول لا المحركات البخارية ، لجر عربات ذلك القطار ، ولكنهم غيروا تفكيرهم لدى الاجتماع بستيفنسون ، وقد أقنعهم بفكرة المحركات البخارية ، وأثار حماستهم له ، بحيث كلفوه ببناء القاطرة البخارية التى تجر عربات القطار المرتقب ، وانتهى ستيفنسون من عمله سنة ١٨٢٥ .. وسار القطار الجديد ، تجره القاطرة البخارية الجديدة ، وذلك لأغراض الشحن ونقل المسافرين عبر المسافة بين البلدين السالفى الذكر .. وبسرعة ٢٤ كيلو مترا في الساعة .. ويعتبر اليوم الذى سار فيه هذا القطار الرائد هو يوم مولد القطارات بمفهومها الحديث ..

وهبت مدينتا المنطقة الكبريان .. مانشستر وليفربول .. تريدان قطارا بخاريا يليق بهما .. علما بان المسافة التى تفصل بينهما تبلغ ٦٤ كيلومترا ، ووقع الاختيار على ستيفنسون لا لبناء القاطرة فحسب ، ولكن للقيام باعمال المسح والرسوم التحضيرية ، ثم باعمال بناء السكة الحديد أيضا .. هذا بالاضافة الى بناء القاطرة والعربات .. أى حظى بثقة سلطات المدينتين ، حتى كلف بتنفيذ المشروع كله .. وبكافة فروعه .. وحملته الأعمال التحضيرية على المجابهة مع المزارعين الذين وقعت أراضيهم على الطريق التى سيجتازها القطار .. فقد قاوموا المشروع بعنف ، وبذلوا قصارى جهدهم للحيلولة دون تنفيذه ، وذلك حفاظا على محاصيلهم ، وقد اعتقدوا أن استبدال القاطرات البخارية بخيول الجر سيؤدى الى كساد سوق الشوفان .. ولكن عجلة التقدم كانت كالعادة أقوى بكثير من مصالح المعترضين وريبة المشككين .. وقد أحرزت النصر دائما ، وفي كل المجابهات التى وقعت بين الطرفين ، فيما سبق من مشاريع وما لحق ... وأحرزته نصرا مبينا في مشروع سكة حديد ليفربول - مانشستر ...

والجدير بالذكر ان ستيفنسون بنى محركا جديدا خاصا بذلك القطار .. اطلق عليه اسم صاروخ (Rocket) نظرا للسرعة التى مكنته منها (٥٨ كيلومترا / ساعة) لاعجب اذن أن عمت البلاد ثورة سكك الحديد .. فأقبلت المدن المختلفة على بنائها .. وحل المشاكل التى طالما عانتها في ميدان المواصلات ، بما في ذلك بناء الطرق البرية .. وبناء الجسور وصنع سكك الحديد والعربات والقاطرات ، وكانت هذه الأخيرة ، بل قل محركاتها ومخترع هذه المحركات ، محور تلك الثورة التى لم تقف عند حدود ، بل امتدت الى أوروبا والعالم الجديد عبر المحيط .

ورفض ستيفنسون شتى الأوسمة التى منحوه اياها اعترافا بفضله وتقديرا لخدماته .. وكان من بينها وسام الفروسية المعروف .. ورفض عضوية مجلس العموم الفخرية ، ولكنه لم يتقاعس عن جنى المورد الكبير الذى ضمنته له جهوده ومواهبه . وتقاعد ستيفنسون سنة ١٨٤٥ ، وتفرغ لأعمال البستنة - هوايته المفضلة - حتى وفاته سنة ١٨٤٨ . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

بقع الزيت .. لها بصمات



من المعروف أن أكثر بقع الزيت التى تلوث البحار انما تعزى إلى ناقلات الزيت التى تتخلص من بقايا حمولتها بالقائها فى عرض البحر .. ومن المعروف أيضا أن الدول المتقدمة قد سنّت القوانين التى تغرم أو تعاقب مثل تلك الناقلات .. ولكنها افتقرت حتى الآن الى الطريقة العلمية التى تثبت مسؤولية تلك الناقلات عن بقع الزيت التى تسببت بها . . .

نقول حتى الآن ، لأن احدى المؤسسات العلمية في هولندة (منظمة الأبحاث العلمية التطبيقية) اكتشفت مؤخرا أن لكل نوع من أنواع الزيت الخام ، ولكل صنف من مشتقاته ، بصمة خاصة فريدة ، كبصمات الأصابع بالنسبة الى بنى الانسان . . . ولكن بصمات الزيوت ليست بصمات خطوط ، وانما بصمات تألق . . فلكل نوع من الزيوت نوع معين من التألق يتميز به عن كافة الأنواع الأخرى . . . . ولا تحتاج طائرات الرقابة الى أكثر من تسليط رزمة من أشعة ليزر على بقعة زيت . . لتمتص البقعة بعض تلك الأشعة ، ثم تعكسها شعاعا متألقا يحمل بصمة ذلك الزيت دون غيره . . . وليس أسهل من اثبات مسئولية احدى الناقلات عن تلك البقعة بالذات . . . وذلك لدى الحصول على نفس التألق من تسليط أشعة الليزر على حمولتها ، أو على بقايا تلك الحمولة . . .

والجدير بالذكر أن المنظمة الهولندية نجحت فى تحديد البصمات المختلفة لاثنين وأربعين نوعا من أنواع الزيت . . . ٢٢٢ نوعا من الزيوت الخام ، و(١٠) أنواع من زيت الوقود ، و(١٠) أنواع أخرى من زيوت التشحيم . . . وقد ثبت للباحثين أن هذه البصمات المتميزة تصمد ولا تتغير . . . وذلك بعد فحصها وقياسها فى ظروف عديدة مختلفة .

أما التبخر الذى تتعرض له بقع الزيت ، بل قل بعض محتويات الزيت فى تلك البقع ، الذى من شأنه أن يغير فى بصمات الزيت التى نتحدث عنها . . . فقد نجح العلماء الهولنديون فى تحديد ذلك التغير ، وذلك بتحديد نسبة التبخر التى أدت اليه . . . وهم لا يحتاجون الى أكثر من اكتشاف البقع فى وقت مبكر ، حتى يحددوا الوقت الذى ألقت الناقلة فيه بقايا زيتها ، وتسببت بظهور تلك البقع . . ويقارنوا ذلك بالمعلومات المتاحة فى جداول تحركات الناقلات . . . .

ولا يخفى القصد من ذلك . . . وهو عدم السماح لملوثى البحار من ربابنة الناقلات بالافلات من العقوبة التى تفرضها عليهم القوانين . . . وضمان الابقاء على نظافة البحار . . أعالى البحار والشواطىء سواء بسواء . . . .

الدول المتخلفة . . بعضها بقى متخلفا . .

تحتل دولة الامارات العربية المتحدة مكان الصدارة بين الدول جميعامن حيث دخل الفرد . . وقد بلغ ٢٢,٨٧٠ دولارا بالمتوسط سنويا وذلك وفق الاحصائية الأخيرة التى اصدرها البنك الدولى فى مطلع شهر تموز / يوليو الماضى (١٩٨٥) . . وتذكر الاحصائية فيها تذكر ان مجموع سكان الامارات يبلغ ١,١٨ مليون نسمة . . .

وتأتى دولة الكويت فى المرتبة الثانية وقد حددت الاحصائية دخل الفرد بمبلغ ١٧,٨٨٠ دولارا بالمتوسط سنويا . . وعدد السكان ١,٥ مليون نسمة .

ويذكر البنك الدولى فى تقريره ان جانبا كبيرا من دخل الفرد فى الدولتين المذكورتين انما هو دخل عينى ويشمل الخدمات المجانية الصحية والتعليمية ويشمل ايضا السكن الذي يحصل عليه المواطنون بلا مقابل .

وتأتى سويسرا فى المرتبة الثالثة ، تليها الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بلغ متوسط دخل الفرد السنوى فيهما ١٦٢٩٠ دولارا و ١٤,١١٠ دولارا على التوالى . . ثم تأتى النرويج وقد بلغ متوسط دخل الفرد فيها ١٤٠٢٠ دولارا . . فى السنة .

ويميز التقرير بين الدول الغنية . . والدول غير الغنية وتشمل مجموعة الدول الغنية تسع عشرة دولة تتصدرها الدول الاربع التى ذكرناها وتشمل ايضا السويد (١٢٤٧٠دولارا) وكندا (١٢٣١٠ دولار والدنمارك (١١,٥٧٠دولارا) فأستراليا (١١,٤٩٠ دولارا) تليها المانيا الغربية والسعودية (١٢,٢٣٠ دولارا) . (١١,٤٣٠ دولارا) ثم فنلندة (١٠,٧٤٠دولارا) ففرنسا (١٠,٧٤٠ دولارا) ثم اليابان (١٠,١٢٠ دولارا) . . . وتأتى اسبانيا فى المرتبة الاخيرة فى مجموعة الدول الغنية وقد بلغ دخل الفرد فيها ٤,٧٨٠ دولارا بالمتوسط سنويا .

أما مجموعة الدول الفقيرة فنذكر منها الدول التالية .

الصين (,٣٠٠ دولار سنويا) ويشيد التقرير بمنجزات الصين فى هذا العدد وقد حققت زيادة ملحوظة فى متوسط دخلها السنوى بلغت نسبتها ٤,٤٪ خلال العقدين الاخيرين (١٩٦٥ - ١٩٨٣) .

ولعلك تتساءل عزيزى القارىء عن أتعس أو افقر دولة في هذه المجموعة انها الحبشة (,١٢٠ دولارا) وقد تحل محلها فجأة بنجلادش (,١٣٠ دولارا) . . ويذكر تقرير البنك الدولى مجموعتين متميزتين في الدول ،، مجموعة الدول ذات الدخول المتوسطة / المنخفضة وعددها ثلاثون . . ومجموعة الدول ذات الدخول المتوسطة / المرتفعة وعددها ١٩ دولة . . وتشمل المجموعة الاولى فيها تشمل كولمبيا (١,٤٣٠) دولارا والسنغال (,٤٤٠ دولارا) . . وتشمل المجموعة الثانية دولة برنيداد وتوباجو (٦,٨٥٠ دولارا) والمملكة الاردنية الهاشمية (١,٦٤٠ دولارا) . . . وتدخل ضمن هذه المجموعة العراق وايران لكن التقرير لايذكر شيئا عن دخلها .

ويغفل التقرير ذكر دخول ٢١ دولة اكثرها من الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتى . . . □



نباتات الأنابيب بعد أطفال الأنابيب



بقلم : عبد الرحمن حريتاني

حين نشر جريجور مندل نتائج تجاربه على النباتات عام ١٨٦٥ ، لم يكن هذا القسيس النمساوي يدري أنه كان يسجل بعض أهم الاكتشافات في تاريخ البشرية ، فقد كان مندل بشروحه حول تطعيم الأشجار يضع أسس علم المستقبل . . علم الوراثة .

حدثت الثورة الخضراء الأولى عام (١٩٦٠) عندما بدأت بحوث وتجارب علماء النبات تعطي ثمارها ، في انتاج غلات ومحاصيل زراعية ذات مردود كبير ، وذلك بعد استنبات سلالات جديدة من القمح والأرز والذرة وغيرها ذات نوعيات جيدة ومحاصيل وفيرة . . ولمدة عقدين من الزمن نجح عالم وراثة النباتات فورمان بورلاج في استنبات سلالات جديدة من القمح ، أعطت محاصيل وفيرة مع استعمال المخصبات والمبيدات والري الجيد ، وزرعت هذه السلالات الجديدة في أقطار كثيرة من العالم ، وخاصة في الأقطار النامية التي حققت الاكتفاء الذاتي في الحبوب ، بفضل نوعية هذه السلالات ، ونال بورلاج جائزة نوبل للسلام عام (١٩٧٠) على عمله هذا ، وفي عام (١٩٧٣) حقق عالم بيولوجيا الجزيئات (هربرت بوير) اكتشافاً بعيد الأثر فتح به آفاقاً واسعة لعلم الهندسة الوراثية ،



نبات واحد يعطي ثماراً متنوعة .
هذا ما يعمل علماء وراثة النبات
على تحقيقه .

وذلك حين طور طريقة تسمح بادخال جينات غريبة إلى بكتريا الايشريشياكولي لتنتج ما تنتجه الخلايا الطبيعية في جسم الانسان من مواد ، كهرمون الأنسولين أو مادة الأنترفيرون وغيرها .

فما هي هذه الآفاق الواسعة التي دخلها علم الهندسة الوراثية في مجال النبات ؟

الجينـــات الخضراء :

يركز علماء وراثة النبات اليوم في دراساتهم وبحوثهم على زيادة مردود الانتاج الزراعي وبكميات مضاعفة ، وخصوصاً الحبوب ، دون تكاليف باهظة ، وعلى تحسين نوعية هذا الانتاج بانتاج سلالات لا تحتاج للأسمدة الباهظة التكاليف ، ولها القدرة على مقاومة أمراض النبات والآفات الزراعية والجفاف ، وعلى أن تنمو في أراض صالحه التربة وتتكيف مع كافة المناخات وحالات الطقس ، . وتقصر مدة النمو . بحيث تؤدي بالتالي الى الحصول على أنواع جديدة من النباتات غير معروفة تكون مختلفة الثمار . ولكن . . كيف يتم هذا ؟ حين يلاحظ علماء وراثة النبات أن نباتاً ما ، له القدرة على النمو في أراضي جافة ، او ان نباتاً له قدرة أكثر من غيره على مقاومة الأمراض النباتية أو الثلج أو الصقيع ، يكون الاستنتاج أن في هذا النبات جينات محددة تعطيه هذه القدرة الخاصة . عندها يقوم العلماء أولاً بتحديد هذه الجينات القادرة ، ويثبتونها ثم ينقلونها إلى نبات آخر ليست فيه هذه الصفات ، ويزرعونها فيه فيحصلون أخيراً على نبات امتلك صفات جديدة ، فيزرعونه في أراض ومناخات لم تكن صالحة لزراعته فيعطي ، انتاجاً يغني الدولة صاحبة المشروع عن استيراد هذا المحصول .

وقد يمزج العلماء خلايا نبات معين بخلايا نبات آخر ، ليحصلوا على نبات جديد يعطي ثماراً ليست من اختصاصه ، كمزج الطماطم بنبات البطاطا ، أو كانتاج الفاصولياء من عباد الشمس . . أو إنتاج نباتات خليطة تنتج ثماراً عديدة منوعة على نفس الغصن . فما هي الوسائل التقنية الحيوية في علم وراثة النبات التي يتبعها العلماء ، ومن ورائهم مئات الشركات العالمية المتعددة الجنسيات ، لزيادة الانتاجية للنبات ؟ ، وما هي الوسائل التي يتبعوها لتغيير الأصول التقليدية لنمو النباتات وتبديل طبيعتها التي سارت عليها ملايين السنين ؟ ، ثم ما هي هذه النباتات الجديدة التي ستعطي ثماراً غير ما نألف ؟

انصهار الخلايا زراعة المستقبل :

تقتضي التقنية الهندسية هذه العملية أخذ خليتين من نباتين مختلفين ، لا يمكن تهجينهما أو تكاثرهما جنسياً ، ثم تجري عملية حل جدران هذه الخلايا بفعل أنزيمات معينة لتصبح هذه الخلايا بروتوبلاست يجري دمجها مع بعض في مراحل التطور المتأخرة من عمليات الزرع النسيجي ، ثم تحث البروتوبلاست من النباتين المختلفين المندمجين ، لتجديد الجدار الخلوي ، ثم يجري زرعها لينمو نبات جديد يجمع الصفات الوراثية المشتركة لكلا النباتين . وقد استخدم عالم النبات توشيو موراشيج من جامعة كاليفورنيا طريقة انصهار البروتوبلاست لتحسين مردود المطاط وثمر الجوافة ، وقامت شركة كامبل سوب في نيوجيرزي بدمج البروتوبلاست من نبات الطماطم ونبات تبغ من نوع معين ، لايجاد سمات خاصة في نبات التبغ تقاوم الأمراض . . والآن تستخدم المشاتل الزراعية الكبيرة في كل مكان في العالم ، ولأغراض تجارية ، عمليات زرع لاستنتاج نسخ متشابهة من مصدر رئيسي تزرع في أنابيب اختبار،وتعالج بالهرمونات والأملاح المعدنية والفيتامينات والطاقة (بشكل سكر) الى أن تنمو النبتات الصغيرة ، وتتفرع فتخرج من الأنابيب وتزرع في الأرض لتنمو بالشكل الطبيعي وتصبح نباتات كبيرة . . وهذه العمليات توفر وقتاً طويلاً وتعطي مردوداً وافراً ، ولكن ما هي عمليات زرع النسج هذه ؟

زرع النسج :

تتكون البذرة نتيجة اندماج حبة لقاح مع بويضة في مبيض زهرة . . وعملية زرع النسج تنتج النبات عن غير طريق زراعة البذور في الأرض ، أي غير طريق التكاثر الجنسي المعروف . . . وقام بأولى هذه التجارب عالم النبات (ف . سي ستيوارد) من جامعة كورنيل بالولايات المتحدة ، حيث أحضر (جزرة)

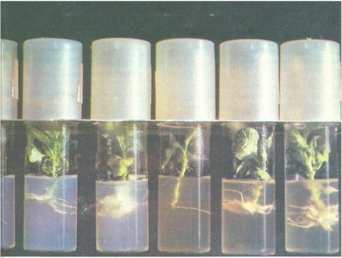
وقسمها الى شرائح عدة ، ثم أخذ من هذه الشرائح مجموعات خلايا ووضعها في أنبوب اختبار ، يحتوي غذاء خاصاً معقماً ، وثبتت على جهاز ميكانيكي رجراج ، هزه هزاً شديداً حتى انفصلت خلايا اللحاء المتماسكة بشكل إفرادي وبشكل مجموعات ، ثم سحب الخلايا المنفردة بواسطة أنابيب شعرية غاية في الدقة ، ووضع كل خلية منها في أنبوب اختبار زجاجي معقم به محلول غذائي . وبعد مضي مدة قصيرة نسبياً بدأت الخلايا لنبات الجزر تنقسم وتتكاثر وهي في محاليلها ، ثم تحولت الى أنسجة وصار للأنسجة جذور ، ثم نقلت هذه الأنسجة بجذورها الى أطباق بها غذاء هلامي ، فتفرعت الجذور وامتدت وبدأت في امتصاص الغذاء ودفعه الى الأنسجة ، ثم ظهرت السوق والأوراق . . وأخيراً نقلت هذه النبتات الصغيرة الى أراضٍ زراعية مناسبة ، حيث زرعت وأصبحت نباتات كاملة ، أي نسخاً طبق الأصل من نبات الجزر الأم . . والعالمان (فاسيلي) و (ا. هيلدبراندت) قاما بتجارب مماثلة على نبات التبغ ، كما قام علماء آخرون بتجارب مماثلة على أنواع نباتات أخرى . . وجميع هذه التجارب كانت ناجحة . والخلايا التي تؤخذ من النسج ، توضع في أنابيب اختبار ضمن محاليل كيميائية مغذية حتى تضاعف كل خلية نفسها بالملايين ، ويكفي أن نعلم أن ما زنته (غرام) من الخلايا الأصلية المزروعة ، ينتج أكثر من (١٠٠٠) نبتة صالحة للزرع .

وزراعة النسج زراعة مستقبلية تبشر بالخير والنفع لجميع البشر ، والمزارع الكبيرة في كافة انحاء الأرض تزرع نسيجاً الأن ، كل المزروعات وبكثافة منظمة وفاعلية ، ذلك أن الزرع النسيجي يخلق النباتات القادرة على أن تنمو وتربى في بيئات غير صالحة لنموها اساساً ، وفي أراضٍ غير ملائمة ، وعلماء النبات في جامعات كثيرة بينها (جامعة كولورادو وبوردو وكاليفورنيا) استطاعوا أن ينموا نباتات ويجعلوها تثمر في أراضٍ وبيئات لم تزرع بها من قبل .

وعلى هذا فان عمليات (انصهار الخلايا) تقدم انجح الطرق لادخال المميزات الوراثية المرغوب فيها الى أي نبات ، والعلماء الآن يستعملون مركب (متعدد غليكول الأثيلين المضاد للتجمد ليسرع في عملية صهر الخلايا ، كما أن انصهار الخلايا يقدم أنواعاً جديدة من النبات غير معروفة . . بينما عمليات زرع النسج تعطي نباتات سليمة خالية من الأمراض من نبتة أم ، وبكميات كبيرة وبوقت قصير ، ويكفي أن نعلم أنه بينما تعطي نبتة ما في حقل عادي حوالي (٥٠) حفيدة خلال عام كامل ، نرى أن هذه النبتة تعطي في نفس المدة في عمليات الزرع النسيجي حوالي (٥٠) ألف حفيدة سليمة . . بل ان العلماء يأملون في القريب العاجل ، باستخراج المواد الصيدلية الطبية والمواد الكيميائية وحتى البترول ، ليس فقط من محاصيل النبات ، بل من خلايا النبات نفسها ، وذلك بعد برمجة هذه الخلايا لتقوم بهذه الأعمال . . وبمقارنة عمليات انتاج البنسلين بنمو الفطر في أحواض زرع كبيرة ، يتنبأ العالم دونالدك . دوجال من مركز علم الخلية في ليبك بلاسيد بنيويورك بيوم تستطيع فيه الكيمياء الحيوية روتينيا أن تستخرج حوالي (١٠٠٠) جالون من خلايا النبات نفسها ، دون الحاجة الى أحواض الزرع . ودوجال واثق أيضاً من أنه عن طريق الزرع النسيجي للنبات ستستخرج كميات محدودة من المواد الكيميائية التي ستستعمل لمعالجة أمراض القلب ، استخراج مركبات ضد الأورام ، كما أن شركة يابانية وجامعة كولومبيا نجحتا في استخراج مواد كيميائية من خلايا نباتين صينيين نادرين لهما تأثير على بعض أشكال مرض اللوكيميا (الدم) . . ويوماً ما ستعمم زراعة النبات بالأنابيب بدلاً من البذور ، وذلك لمواجهة متطلبات الملايين الزائدة من البشر .

عمليات نقل الجينات :

تعالج الهندسة الوراثية في ثورتها الخضراء الثانية النبات بزرعه في طبق بتري الذى ينمي النبات بسرعة أكبر من سرعة نمائه في الحقول . . ذلك أنه في الطرق التقليدية لنمو النبات بلقح النوع نفسه ، فالذرة مثلاً تخصب الذرة ولكنها لا تخصب الشعير ، والعالم الذي يهجن سلالتين من نوع واحد لينتج سلالة جديدة تملك ميزات أفضل ، انما يكون عمله محدداً بالميزات الكامنة في أنواع الذرة ، وعلماء وراثة النبات تخطوا هذه الحدود التقليدية واتجهوا مباشرة الى العمل الأكبر الا وهو عملية (نقل الجينات) التي



ستة أنابيب اختبار تحوي نبتات تفاح صغيرة ستزرع في الأرض ، متى استكملت نمو جذورها ونلاحظ أن الأنبوب الثالث والأنبوب السادس (من يسار الصورة) بها نبتتان ناميتان أكثر من البقية ، والسبب أنه قد وضع بداخلهما تركيز هرمونات نمو أكثر (للتجربة) .

تتمتع بميزات غير عادية في نبات ما الى نبات آخر هو بحاجة لهذه الميزات ولا يملكها . .

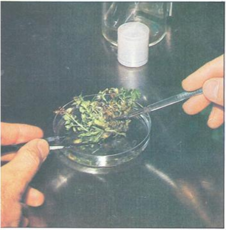
فاصوليا من عباد الشمس :

في العام الماضي تمكنت مجموعة علماء ، من شعبة الزراعة الأميركية ، وعلماء من جامعة وسكنسون الأميركية من عزل الجينة التي تصطنع البروتين في خلايا الفاصولياء ، ثم نقل هذه الجينة وزرعها في خلايا نباتات عباد الشمس بعد أن استخدمت هذه المجموعة نوعاً من البكتيريا النباتية اسمه أغروبكتيريا كوسيط نقل وزرع وهي بكتريا زراعية تسبب نوعاً من السرطان عند الكثير من النباتات بعد أن تتضخم أنسجة الجزء العلوي من النبات ، وجرثومة الايشريشيا كولي ، وحصلوا على بذور جديدة لنبات جديد اسموه فاصوليا الشمس .

ويسعى مهندسو الوراثة والشركات المتعددة الجنسيات لانتاج نباتات عالية المردود من البروتينات المحسنة الضرورية للانسان ، ونباتات جديدة تنتج ثماراً متنوعة ، وأيضا نباتات ثمارها تجمع بين صفات عدة ثمار ، ويقول بروفيسور علم أمراض النبات في جامعة كاليفورنيا روبرت شيفارد : « أن الزراعة خلال الخمسين سنة القادمة ستكون بصورة مختلفة تماماً عما هي عليه الآن في كل شيء ، وسنرى نباتات بأشكال جديدة لم نألفها » .

نباتات تسمد نفسها :

قام رائد عمليات زرع الجينات الغربية نورمان كولد فارب بعزل نوع من أنواع البكتريا تدعى الريزوبيوم ثم زرعها في خلايا نبات من غير البقوليات فنمت هذه النباتات وهي تحمل ميزة البكتريا التي زرعت فيها ، وهي تثبيت النيتروجين الجوي . . ثم تكاثرت هذه النباتات وأنتجت الحبوب والبذور التي



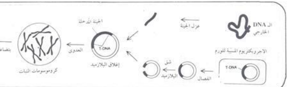
نبتة تفاح صغيرة أنتجت من أنبوب الاختبار يتفحصها عالمان قبل وضعها في محلول غذائي لتنبت لها الجذور .



عالما وراثة النبات (رود شارب Rod Sharp) و (كريستوفر فليك Christopher Flick) يفحصان نباتات التبغ التي هجنوها بعملية انصهار الخلايا fused protoplast .. ونرى بوضوح نبات التبغ المزدهر .



ابحاث دائبة لتوفير انواع افضل من البطاطا



مراحل عملية ادخال جينات مرغوب بميزاتها من (D NA) نبات ومضاعفتها باستعمال (بلازميد) من الأجروبكتويوم التي تسبب الورم في معظم النباتات الفلقتين (نفس العمل قامت به الأجروبكتويوم في مراحل زرع الفاصوليا بعباد الشمس .

لا تحتاج الأسمدة فهي تسمد نفسها بنفسها ، ويزرع هذه البذور من جديد تتوالد أجيال من هذه النباتات تستغني تماماً عن أية أسمدة نيتروجينية . . ولنا أن نعلم مدى أهمية هذه العمليات اذا عرفنا أن صناعة السماد النيتروجيني تكلف العالم آلاف الملايين من الدولارات كل عام ، وأن المزارعين الأميركيين وحدهم يصرفون أكثر من (بليون) دولار كل عام على السماد النيتروجيني لزراعات الذرة وحدها .

ويستطيع علماء النبات نقل الشريط الوراثي الذي يثبت النيتروجين الجوي من بكتريا الريزوبيوم الى آلاف الأنواع الأخرى من الجراثيم التي توجد في الأراضي الزراعية ، وليس على أشرطتها الوراثية تلك الصنعة ، وذلك بعملية دمج الأشرطة الوراثية للنوعين ، فتتحول هذه الجراثيم الزراعية الى مصانع أسمدة وتوفر كل تلك الأموال الطائلة التي تصرف على بناء المصانع وتسميد الأرض . ثم أن التجارب تجري لادخال جينات النبات في البكتريا ، لتصنع هذه البكتريا بروتينات النبات المطلوبة بعد زرعها في أحواض اختمار .

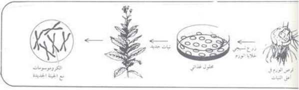
نباتات جديدة :

من النباتات الجديدة التي تمت من عمليات انصهار البروتوبلات للبطاطا والطماطم في مخابر جامعة ولاية كنساس وبرعاية العالم (جيمس شيبارد) نبتة تجمع ميزات الطماطم والبطاطا ، وذلك بعد دمج الجينات التي تقاوم أمراض النبات الموجودة في الطماطم الى البطاطا ، وكل ذلك بهدف انتاج بطاطا محسنة ، سليمة وسريعة النمو ومقاومة للأمراض التي سببت المجاعة الكبرى في ايرلندا بعد أن أهلكت محاصيل البطاطا . .

كما انتج نبات يحمل صفات الأقحوان والبابونج حيث استطاع العالم توشيو مورا شيج أن يستخلص مركبات قاتلة للحشرات طبيعية وفعالة ، وذلك بعد عمليات الزرع ، ونمو البراعم في أنابيب الاختبار . . وبعد عام من عمله استنبت براعم جديدة شحنها للأكوادورحيث أهلكت الحشرات الملايين من النباتات . . وتأمل الحكومات الأفريقية أن تعيد اجراء تجارب موارشيج لتزيد من فاعلية سموم هذه الأزهار بنسبة (٤٠٠٪) وبذلك تنقذ الكثير من المحاصيل التجارية فيها .

أما عن أشجار البساتين والفاكهة « تفاح ، كمثرى ، كرز ، دراق خوخ » . . . ، وهي تشبه الأشجار الكبيرة وتحمل ثماراً بنفس الأحجام العادية . فانها ستنتج في المختبرات وستصنع آليات خاصة لتجني الثمار منها في البساتين الكثيفة المستقبلية والتي ستكون جميع أشجارها على مستوى واحد من الارتفاع ، كما أن نوعية الثمار ستكون أجود بسبب وصول ضوء الشمس بوفرة الى البراعم التي كان يغطيها الظل . . وارتفاع الشجرة سيكون حوالي (٧٥) سنتيمتراً فقط ، وخلال خمس سنوات من الآن ستنتج عمليات الزرع النسيجي شتلات صغيرة جداً ستستخدم لعمليات تكاثر كبيرة تنتج (مليون) شجرة قصيرة كل عام .

وفي مزارع شجر الأوكالبتوس في كاليفورنيا التي



تشكل غابة من حوالي (٩٠) مليون شجرة سريعة النمو . تكون هذه الأشجار مصدراً لـ (١٠٠) مليون جالون من زيت الميثانول الصناعي كل عام ، والزرع النسيجي للأوكالبتوس الذي تديره الشعبة الأمريكية للطاقة سيؤمن ملايين الشجر لتحل محل تلك التي ستجتنى ، ذلك أن الزرع النسيجي الواحد يتكاثر في مدة ستة أشهر حتى يصل الى (مليون) شجرة بإضافة الى أن شجرات الزرع النسيجي ستكون مقاومة للأمراض وملوحة التربة .

ومن الأمور المثيرة في هذا المجال أنه سيصبح بالامكان صنع البنزين من عصارة شجر الجوفر الشبيه بشجر المطاط وسيصبح ممكناً أيضاً صناعة الخيم ذات الأوزان الخفيفة ، وفي مرحلة صناعية متقدمة يمكن ان يستخرج الكحول من لب الأغصان المحتوي أيضاً على المزيد من السكر .

وفي بريطانيا تم انتاج المارجرين من اشجار انابيب الاختبار ليحل محل زيت النخيل الماليزي وانتشرت هذه الزراعة في كافة المزارع الأسيوية وارتفع مردود المارجرين بنسبة (٣٠٪) . . ويأمل العلماء في انتاج اشجار نخيل ذات جذوع قصيرة ليسهل قطاف الجوز ، وأيضاً جعل النخيل العادي يحمل كميات أكبر من الجوز وبحجوم كبيرة .

عنب بلا حموضة :

منذ خمس سنوات والباحثون يستعملون تقنيات الزرع النسيجي لانتاج شجرة كرمة تقاوم مرض الثقوب الذي يتلف كروم العنب ويجعله ذا مذاق حامض ، وأيضاً تقاوم ملوحة التربة والجفاف والصقيع الذي يكثر في أماكن زراعتها . . وقد أنتج العلماء أنواعاً من العنب المكسيكي له قدرة كبيرة على احتمال أقسى الظروف الطبيعية والمناخية وذلك بطريقة عمليات انصهار الخلايا .

وبمجيء عام ٢٠٠٠ فإن مئات الآلاف من أنواع النباتات الحالية سوف تختفي مع ما يدمر من الغابات ، جاء هذا في تقرير نشرته مؤخراً الأكاديمية القومية للعلوم الأمريكية ، وطالب التقرير جميع العلماء بانتاج البذور عن طريق الزرع النسيجي . .

وقد نشط مركز البطاطا في (بيرو) في اجراء البحوث وخزن زروع الدرنات المجمدة التي سيمكن زراعتها مجدداً في المستقبل حين تختفي الأنواع . وأيضاً فان معهد مصادر النبات في مدينة (سالت ليك) يحتفظ بآلاف النسج من أنواع النبات التي استنسخها بطريقة زرع النسج في مختبرات المعهد حيث يعاد زرعها في مستقبل الأيام .

وبعد . . فلن يمر وقت طويل حتى تنشر نتائج تكاثر نباتات الأنابيب من كافة مختبرات العالم . . وسنسمع ونرى وندهش . . ذلك أنه خلال عشر سنوات لا اكثر سيكون في فرنسا أكثر من مليون غرسة نخيل . . وكذلك باقي بلدان العالم حيث سينتج كل بلد في المختبرات ما كان مستحيلاً عليه إنتاجه في الأرض . . وسيفقد التبادل التجاري الدولي معناه . . □

العربي - العدد ٣٣٣ - اغسطس ١٩٨٦

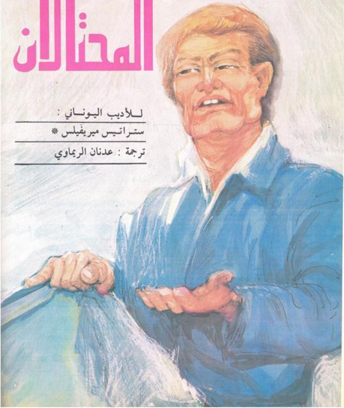
قصّة قصيرة

المحتالان

للأديب اليوناني :

ستراتيس ميريفيلس *

ترجمة : عدنان الريماوي



يحكى أنه في قديم الزمان كان هناك محتالان شهيران ، يعيشان في جزيرة ما تيلني ، وكان أحدهما يدعى المخادع ثيودورس من مدينة هورا ، والآخر مانويللي الثعلب من سكاميا ، وقد عانى الناس في تلكما المدينتين الكثير من ألاعيبهما وخدعهما حتى اشتهرا عبر مدن وقرى الجزيرة كلها .

وذات يوم طرأت لكل منهما فكرة أن يحتال على الآخر ، ويبرهن للناس جميعا انه الأكفأ والأذكى ، وهكذا اتجه مانويللي الى شاطىء البحر وملأ كيسين بالأعشاب البحرية ، وربطهما جيدا من الأعلى ، ثم وضعهما على ظهر بغلته ، وذهب ليودع زوجته قائلا لها : سأذهب الى هورا حتى أخدع ثيودورس وأثبت للناس مدى سذاجته ، فسألته الزوجة : وكيف ستفعل ذلك ؟ رد قائلا : سأبيعه هذين الكيسين على أنهما يحتويان حريرا ، وهكذا سأقضي على سمعته .

أما ثيودورس فقد اتجه بدوره الى واد مليء بأشجار الصفصاف الكبيرة ، وبدأ يقطف البذور الصغيرة الناضجة ، حتى ملأ منها حقيبتين جلديتين ، وربطهما على ظهر بغلته ، ثم عاد الى المنزل وودع زوجته قائلا : انني ذاهب الى سكامينا لأبيع هاتين الحقيبتين لمانويللي على أنهما مليئتان بالفلفل الأسود ، وهكذا فلن يرفع رأسه بين الناس بعد اليوم ، ثم سار كل منهما في طريقه لملاقاة الآخر .

وفي ظهيرة اليوم التالي التقى المحتالان ، وجلسا يستريحان تحت شجرة وارفة الظلال ، دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وظن كل واحد منهما أن الآخر تاجر متجول .

- سأل مانويللي : أين تراك تتجه أيها الأخ الكريم ؟

- فرد ثيودورس : لقد كان عندي محل بقالة ، وقد بعت كل محتوياته ، ولم يبق سوى بعض الفلفل الأسود الذي وضعته في هاتين الحقيبتين لأبيعه في احدى القرى المجاورة ولكن ماذا تحمل أنت معك ؟

- انني أنا أيضا متجه للقرى المجاورة ، لأبيع كيسى الحرير اللذين تراهما فوق بغلتي ،

كان الأثنان يتحدثان ببساطة ، وبلهجة طبيعية ، وشعر كل منهما أن الآخر صادق في كلامه ، كما فكر كل منهما أن يستغل الفرصة ويخدع الآخر ، أما مسألة ثيودورس وما نويللي فيمكن تأجيلها لفرصة أخرى .

قال مانويللي :مارأيك ياصديقي في أن نتبادل بضاعتنا فنرتاح من السفر والعناء ؟



● ولد ستراتيس ميريفليس (١٨٩٢ - ١٩٦٩) في جزيرة ماتيلني اليونانية ، حيث تجرى أحداث هذه القصة،وقد درس الفلسفة في جامعة أثينا ، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية شارك في تنظيم المقاومة اليونانية ضد الاحتلال النازي وكتب عن تلك التجربة رائعته (الحياة في القبر) ويعتبر اليوم واحداً من أعمدة الأدب اليوناني الحديث .

لم يصدق مانويللى أذنيه ، وهو يرى خطته التي دارت في ذهنه تتحقق بمثل هذه السرعة ، فأجاب : عظيم يا صديقي ولا مانع عندي ولكن مانويللى أضاف متململا : ولكن الحرير أثمن ، واريد أن تزيدني قطعة فضية اذا أردت مبادلتي ، لم يمانع ثيودورس ، وهو مازال يرى أن الصفقة في صالحه ، وهكذا أعطى مانويللى قطعة فضية ، ونهض كل منهما وأخذ حمولة الآخر ، واتجها مسرعين كل الى بلدته ، خوفا ان يكشف الآخر الخديعة .

وصل مانويللى الى المنزل مزهوا ، يكاد يطير فرحا ، ونادى زوجته وفتح الحقيبتين وهو يحكي لها قصة انتصاره على التاجر الساذج ، لكنه وقف يتصبب عرقا خجلا أمام زوجته عندما اكتشف ما في الحقيبتين ، وأخذت زوجته تعنفه وتضحك منه ومن سذاجته هو ، لكنه أخذ يعزى نفسه قائلا : انني على الأقل نلت منه قطعة فضية !

وحدث الشيء نفسه مع ثيودورس ، عندما فتح الكيسين أمام زوجته بتباه وفرح ليفاجأ بالأعشاب البحرية اللزجة تملؤهما ، بدل الحرير الذي منى نفسه به طوال طريق العودة .



أحس كل منهما بانه كان ضحية لغريمه الشهير ، وشعر ثيودورس أن مانويللى قد تفوق عليه بأخذه القطعة الفضية ، وصمم على أن يتجه الى سكامينا ليسترد هيبته التى ضاعت على يدى مانويللى .

كان مانويللى يجلس في أحد المقاهى الصغيرة ، عندما دخل ثيودورس،فرآه الأول وعرف الغرض من مجيئه ، فانسل خارجا بهدوء عائدا الى البيت دون أن يراه ثيودورس ، وعندما دخل البيت قال لزوجته : ماذا أفعل الآن ، لقد جاء ثيودورس ليسترد ـ بالتأكيد ـ قطعته الفضية ، وأنا لن أتنازل عنها فهي رمز تفوقى عليه،قالت الزوجة التي لم تكن أقل خبثا من زوجها : تظاهر بأنك قد مت وسأبدأ انا بالصياح والعويل ، حتى يعلم الناس جميعا بموتك وتقرع أجراس الكنيسة ، وسأطلب من راعي الكنيسة أن ينقلوك اليها لتقضى الليلة هناك ، مدعية أنني لن أقوى على النظر اليك ميتا ، وسيعلم ثيودورس بموتك بطبيعة الحال ، فيعود الى بلدته ، وفي الصباح تستفيق وتدعى أنه كان مغمي عليك .

أعجب الزوج بالفكرة وشكر زوجته على حسن تصرفها ، وفعلا ارتمى على الفراش ، متظاهرا بالموت ، وأخذت زوجته تصيح بأعلى صوتها ، وقرعت أجراس الكنيسة معلنة النبأ .

سأل ثيودورس أحد الجالسين في المقهى عن الأمر ، فأخبره هذا بأن مانويللى الثعلب أصيب بنوبة قلبية مفاجئة أودت بحياته ، ذهل ثيودورس للمفاجأة غير المتوقعة في بادىء الأمر ولكنه بعد قليل شك في الأمر وقال في نفسه : لابد أن مانويللى قد علم بوجودي ويريد أن يخدعني مرة أخرى ، فلأتدبر أمري .

سار ثيودورس مع جموع المشيعين الى داخل الكنيسة حيث وضع « جثمان » مانويللى في احدى الزوايا ، انتظارا لدفنه في الصباح ، وحين خرج الناس اختبأ ـ ثيودورس ـ خلف كومة من الخشب والعكازات المرتكزة في زاوية أخرى من الكنيسة ، وأثناء ذلك كله كانت عينا مانويللى نصف المغمضتين تراقبان تحركات وحركات غريمه وهو يقول لنفسه :

كن حذرا يا مانويللي كي لا تفقد القطعة الفضية .

وفجأة وكان الليل قد انتصف ، سمعا جلبة وضوضاء حول الكنيسة ، وأصوات أقدام تتسلق حائط الكنيسة الخلفي ، ثم أحسا بصوت يشبه ضربات الفأس يأتي من فوقهما ، وأيقنا ان البعض يحاول نقب السطح ، وفعلا تكاثرت أصوات الفؤوس ، وشيئا فشيئا بدأ التراب ينهال ويتساقط عليهما ، وما ان فتحت فتحة صغيرة ، حتى بدت أيد كثيرة تزيد الفتحة اتساعا ، ثم أخذ عدد من الرجال يتسلقون أعمدة الكنيسة ، ويقفزون الى الأسفل محدثين جلبة وأصواتا ، يبدو عليها الحبور والفرح ، وكانوا يحملون معهم عددا من الأكياس الثقيلة .

خلع أحد الرجال ـ وكانت تبدو عليه سيماء الرئاسة والقوة ـ طربوشه وخاطب الآخرين قائلا : والآن أيها الرجال الشجعان هذه حصيلة ما سرقناه في الأشهر الماضية من ذهب ونقود ، وحيث اننا كنا دائما أصدقاء مخلصين ، فسأقوم بتقسيم المبالغ بالعدل والقسطاس . سأعطي كل واحد ملء طربوش ، ثم أوزع مرة ثانية وثالثة حتى ينتهي توزيع الأموال كلها ، هل توافقون على ذلك ؟ رد الجميع : موافقون . . . موافقون .

وفعلا أخذ زعيمهم يملأ طربوشه بالذهب والأموال ويوزع عليهم واحدا واحدا ، وفي النهاية تبين أنه مازال هناك طربوش زيادة ، فأخذوا يتناقشون في كيفية توزيع هذا المبلغ المتبقى ، حتى قال الزعيم : عندى فكرة امل أن تعجبكم ، أترون تلك الجثة الملقاة هناك في أكفانها ، سيقوم كل واحد منا بضربها بسيفه ، والذي يستطيع بضربة واحدة أن يقطع احد المفاصل سيأخذ المبلغ المتبقي .

استحسن الجميع الفكرة ، وهللوا لها ، وفعلا قام الزعيم شاهرا سيفه ، وتقدم نحو مانويللي الذي كان يرتجف هلعا ورعبا وهم أن يهوى عليه بالسيف .

وكان ذهن ثيودورس يعمل بسرعة ، ليجد مخرجا من هذا المأزق الذي لم يكن في الحسبان ، والذي سيضيع عليه قطعته الفضية ، وفجأة ركل ثيودورس الأخشاب والعكازات بقدمه فهوت محدثة أصواتا صاخبة وأخذ يصيح : قوموا أيها الموتى جميعا وانتقموا من الأحياء المجرمين الذين لم يراعوا لكم حرمة .

وفطن مانويللي حالا لخطة ثيودورس ، فقفز الى الأعلى ملقيا بكفنه الى وجه زعيم العصابة وهو يصيح ويصرخ ، أخذ أفراد العصابة بالمفاجأة فراحوا يجرون مسرعين يتسلقون الأعمدة هاربين يسبقهم زعيمهم .

تعانق مانويللي وثيودورس مبتهجين مسرورين ووفتحا الأكياس واتفقا على تقسيم مابها الى قسمين يأخذ كل منهما قسما ، وبعد أن تم ذلك أمسك ثيودروس بياقة قميص مانويللي صائحا : أريد قطعتي الفضية . . أريد قطعتي الفضية ، ومانويللي يقول له : الا يكفيك ما نلته يا رجل . . ليست القطعة معى . . . انها في البيت عند زوجتي ، وثيودورس يواصل صراخه : أريد قطعتي الفضية .

أما اللصوص فكانوا يجرون بعيدا يتوهمون في الظلام أن الأشجار والظلال هى موتى يطاردونهم ، وما ان ابتعدوا حتى جلسوا تحت احدى الأشجار وقد هدهم التعب وبعد قليل قال زعيمهم : هذا أغرب ما رأيت في حياتي ، وانني أفكر في العودة للتلصص على هؤلاء الموتى ، لأرى كيف سيتصرفون بأموالنا فهل يريد أحد أن يرافقنى ؟ رد رجاله بأصوات يملؤها الخوف والهلع : أنت زعيمنا وأشجعنا ونحن مستعدون لمقابلة الوحوش الضارية ، أما عندما يصل الأمر لمواجهة الموتى مرة أخرى ، فلا .

وهكذا عاد الزعيم وحده ، وتسلل الى سطح الكنيسة ، وقليلا قليلا مد رأسه الى الأسفل ، وسمع ثيودورس يصرخ : أريد قطعتي الفضية . . لمح مانويللى الرأس المتدلي فتسلق العمود بخفة وسرعة وخطف طربوش الزعيم ورماه الى ثيودورس قائلا : خذ هذا الطربوش بدل قطعتك الفضية واسكت !

انطلق الزعيم خارجا من الفتحة يتصبب عرقا وهلعا وعاد يجرى الى عصابته عارى الرأس ، وجلس يلهث وهم يسألونه عما جرى وما شاهده ، ومن خلال لهاثه وكلماته المتقطعة اخذ يروى لهم قائلا : آه لو تدرون ما رأيت ، لقد كان هناك الألوف من الموتى حتى أن الواحد منهم لم ينل أكثر من قطعة فضية واحدة من كل أموالنا ، بل إن أحدهم لم يحظ حتى بقطعة فضية ، وأخذ يصيح : أريد قطعتي الفضية . . . أريد قطعتي الفضية ، حتى قام شيخهم بخطف طربوشي واعطائه له ليسكته !! □



رحلة السينما من الفن إلى رأس المال

بقلم : عبد القادر التلمساني

ربما لا يستطيع أحد تخيل عالم بلا سينما ، غير أن هذا الفن الذى أصبح إحدى ضرورات حياتنا الروحية والوجدانية ، مرتبط برأس المال الذى يمول العملية السينمائية بكاملها .

وفى هذا المقال رصد لمسيرة الفن السينمائى منذ كان صورا متحركة الى أن دخل رأس المال ، فأصبح فناً وصناعة وسلعة فى الآن نفسه .

فى الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٨٩٥ ، شاهد الجمهور لأول مرة اعلاناً ملصقاً أمام المقهى الكبير (لوجران كافيه) فى بولفاردى كابوسين بباريس يدعوهم الى « الصالون الهندى » فى المقهى لكى يتعرفوا على السينماتوغراف ..

ومنذ ذلك التاريخ وملايين الأفلام تعرض على الناس فى كل مكان من الكرة الأرضية .. ومنذ ذلك التاريخ والسينما حياة للملايين لاغنى لهم عنها .. وأصبحت الصورة المتحركة الناطقة الملونة والمعروضة على شاشات كبيرة أو صغيرة « بما في ذلك التلفزيون » ضرورة من ضرورات حياتنا الروحية والفكرية والوجدانية جميعا .. تماما كضرورة الكلمة .. مقروءة او مسموعة .

ويقسم المؤرخ السينمائى الفرنسى الكبير جورج



المخرج الاميركي ديفيد غريفث يدير الممثلين بمكبر الصوت

سادول تاريخ السينما فى العالم الى ست مراحل رئيسية : مرحلة الاختراع ، وتبدأ من عام ١٨٣٢ وتنتهى عام ١٨٩٥ ، وهى مرحلة تكنيكية ليس للفن فيها دخل يذكر ، والمرحلة الثانية ١٨٩٥ ـ ١٩٠٨ هى مرحلة الرواد الأوائل حيث تكونت صناعة السينما وأسسها الفنية ، والمرحلة الثالثة ، وتنتهى بنهاية الحرب العالمية الأولى ، هى تلك المرحلة التى أصبحت فيها السينما فنا وأكدت وضعها كصناعة كبرى ، والمرحلة الرابعة هى مرحلة الفيلم الصامت وعصره الذهبى ، وتبدأ المرحلة الخامسة بالفيلم الناطق وتنتهى مع بداية الحرب العالمية الثانية ، والمرحلة السادسة تضم الحرب العالمية الثانية والسنوات التى تليها ، وظهور مدرسة « الواقعية الجديدة »فى ايطاليا ثم تيار « الموجة الجديدة » فى فرنسا فى الستينات من هذا القرن .

اختراع السينما

اذا أمسكت بشريط سينمائى بين يديك ، ألفيته يتكون من عدد من الصور الثابتة ، تمثل المراحل المتتابعة لحركة ما ، فاذا كان الشريط يسجل مثلا حركة رجل وهو بسبيل خفض ذراعه ، رأيت على كل صورة من تلك الصور الصغيرة الثابتة الذراع وهو يحتل سبعة أو ثمانية أوضاع مختلفة ، منذ أن كان مرفوعا حتى خفض ، واذا عرضت مثل هذا الشريط على الشاشة فلن ترى تلك الصورة الصغيرة الثابتة ، وانما سترى صورة واحدة للذراع فى حركة .

ووراء هذه الظاهرة يكمن مبدأ علمى معروف منذ زمن طويل وهو : بقاء الصورة المنعكسة على شبكية العين ، بعد زوال الشىء المرئى ، لزمن يسير هو عشر الثانية ، وقد قدم العالم البلجيكى بلاتو رسالة دكتوراه لجامعة ليج عام ١٨٢٩ حول هذه الظاهرة وحدد هذا



مع بداية القرن ظهرت اولى افلام الغرب (الويسترن)

البقاء بعشر الثانية ، أى أنه لكى يتوهم العقل الانسانى بوجود حركة مستمرة يجب أن تتكرر الصور التى تسجلها شبكية العين بنسبة عشرة على الأقل فى الثانية الواحدة .

وفى نهاية عام ١٨٣٢ اخترع بلاتو جهازا خلد اسمه هو « الفيناكيستيسكوب » وقد وصفه بقوله : « يتكون الجهاز من اسطوانة من الكرتون مثقوبة فى اتجاه محيطها بعدد معين من الثقوب الصغيرة ، على وجه من وجهيها صور مرسومة ، وحينما تدار هذه الاسطوانة حول مركزها أمام مرآة ، وينظر المرء بعين واحدة من خلال الثقوب تبدو له الرسوم المعكوسة على المرآة فى حركة » ويقول بلاتو ذلك « إذا عرض عدد من الأشياء المختلفة تدريجيا فى الشكل والوضع ، على التتابع أمام العين على فترات قصيرة جدا ومتقاربة ، فان التأثيرات التى تحدثها على الشبكية تتصل ببعضها دون أن تختلط ، وسيظن المرء أنه يرى شيئا واحدا يتغير تدريجيا فى شكله ووضعه . »

وهكذا توصل العالم البلجيكى الى تكوين حركة ما من سلسلة من الصور الثابتة عام ١٨٣٢ ، وبذلك أعلن وحقق أسس تركيب الحركة ، وهى أصل العرض السينمائى ، وفى نفس الوقت الذى اخترع فيه بلاتو الفيناكيستيسكوب تقريبا اخترع « هورنار » جهازا مشابها سماه « زوتروب » ، واخترع النمساوى « ستامبفير » جهازا آخر هو « الستروبوسكوب » .

ولم تخرج هذه المخترعات من معامل العلماء الا لكى تستغل لعبا للأطفال ، وتصور حركات بسيطة يمكن تكرارها الى مالا نهاية مثل حصان يجرى ، أو راقص على الحبل ، أو رياضى يستعرض عضلاته ، وكانت كلها مرسومة باليد ، اذ أن الفوتوغرافية - وكانت قد اخترعت منذ قليل - لم تكن معروفة لدى الناس .

وفى حوالى عام ١٨٢٠ نجح ضابط قديم من جيوش الجمهورية الفرنسية هو « نيبس » فى ان يثبت على لوح من المعدن أول صورة فوتوغرافية معروفة وهى صورة « مائدة طعام » وقد اشترك نيبس بعد ذلك مع المصور داجير فى العمل ، ولكنه مات قبل ان يكتمل اختراعه ويذاع على الناس . وفى عام ١٨٣٩ اشترت الحكومة الفرنسية ذلك الاختراع الذى سمى داجيروتيب وأعلنته الملأ .

اللمحية الحديثة

فى وقت « نيبس » كان الزمن اللازم للحصول على كليشيه صورة هو ١٤ ساعة ، ومع « داجير » اصبح زمن البوز نصف ساعة .

والذين جاءوا بعده نجحوا فى اختصار هذا الزمن الى بضع دقائق .. ولكنهم كانوا بعيدين كل البعد عن اللمحية الحديثة - أى امكانية التقاط الصورة فى لمح البصر - فى جزء من الثانية .

ومع تقدم التصوير الفوتوغرافى ، وسهولة تسجيل صور فوتوغرافية بأثمان بسيطة ، وفى زمن قصير استبدلت الـ ... التى كانت تستعمل فى أجهزة « بلاتو » وأضرابه بصور فوتوغرافية ، ولكن اللمحية كانت لا تزال فى ذلك الحين تحتاج الى دقة عظيمة لتحقيقها فيما بعد بمخترعى الفوتوغرافية المتحركة الأوائل عند استعمال الكاميرا ، واذا كانت المسألة تتعلق بتسجيل حركة رجل وهو يخفض ذراعه - مثلا - كان يجب تفكيك الحركة الى عدة أوضاع ، وتصوير الرجل جامدا غير متحرك فى كل مرة ، وهذه الطريقة التى عرفت بالأوضاع المتتابعة كانت تسمح فقط بالحصول على حركات بدائية وكان نجاحها محدودا ، وقد عرض البعض هذه الصور الفوتوغرافية على شاشة ، مقلدين بذلك عقيداً فى الجيش النمساوى كان قد عرض عام ١٨٥٣ الرسوم المتحركة لأجهزة « بلاتو » و « ستامفير » وغيرها بواسطة الفانوس السحرى .

وفى عام ١٨٧٨ - وبعد تجارب طويلة باهظة التكاليف - تمكن المصور الأمريكى « مايبريدج » من الحصول لأول مرة فى تاريخ الفوتوغرافية على سلسلة من الصور اللمحية لحصان يركض ، ذلك أن مليونيرا أمريكيا من سان فرانسيسكو لكى يقطع فى مراهنة حول الأوضاع المختلفة التى يكون فيها الحصان أثناء ركضه ، أمد المصور بمال وفير لكى يسجل تلك الأوضاع بالفوتوغرافية ، فأقام المصور فى حلبة سباق ٢٤ كابينة خشبية متلاصقة ، فى داخل كل واحدة آلة فوتوغرافية وضعت خلف ثقب باب الكابينة ، وربطت فتحتها بخيط يمتد الى الطرف الآخر من حلبة السباق ، وفى داخل كل كابينة يوجد كذلك معمل صغير تم اعداد لوح فوتوغرافى فيه ، وفى وقت التقاط الصور يدخل ٢٤ مساعدا فى الـ ٢٤ كابينة ، ويعدون ٢٤ لوحا فوتوغرافيا يضعونها فى الـ ٢٤ آلة ، وحينها يركض الحصان فى الحلبة يقطع أثناء ركضه تلك الخيوط الممتدة الواحد تلو الآخر فتسجل آلة بعد آلة .

وكان العالم الفسيولوجى الفرنسى « ماراى » يدرس منذ سنوات حركات الانسان والحيوان بمساعدة المنهج الجرافيكى ، وبعد نشر النتائج التى وصل اليها « مايبريدج » استعمل « ماراى » الفوتوغرافية فى ابحاثه . وكانت الفوتوغرافية قد دخلت بعد عام ١٨٨٠ فى عمر فنى تكنيكى جديد ، اذ أمكن الحصول بسهولة وبألواح تباع بثمن زهيد على صور فوتوغرافية فى واحد على مائة أو أكثر من الثانية .

كون « ماراى » عام ١٨٨٢ جهازا أسماه « البندقية الفوتوغرافية » ، وهى مستوحاة من المسدس الفوتوغرافى الذى اخترعه العالم النرويجى « جانسين » ١٨٧٣ ، واستطاع ماراى ببندقيته هذه أن يسجل سلسلة الصور اللمحية بمعدل ١٢ صورة فى الثانية الواحدة ، وبعد اختراع أشرطة السليولويد اللينة الشفافة استبدل بها ماراى زجاج الكليشيهات السريع الكسر ، وقدم عام ١٨٨٨ فى أكاديمية العلوم اولى « المناظر السينمائية » مسجلة على شريط فيلم ، وبذلك يعتبر ماراى « أول من حقق علميا كاميرا حديثة ، وهذا ما فعله من بعده - وأحيانا دون علم بأبحاثه - الالمانى أنشوتس) والانجليزى جرين وغيرهما من العلماء والباحثين .

ماريا السوداء

ولم تكن اعمال ماراى وغيره مجهولة من المخترع الأمريكى « أديسون » الذى كان يحاول منذ عام ١٨٨٧ أن يخترع آلة تكون للعين مثل الفونوغراف الذى اخترعه عام ١٨٧٦ للأذن ، وأن يجمع بعد ذلك بين الآلتين فيصل الى تسجيل وعرض الصورة والصوت فى نفس الوقت ، فاخترع آلة للتصوير السينمائى سماها « كينيتوجراف » سجلها عام ١٨٩١ ، وكانت تسجل سبع صور فى الثانية الواحدة على شريط فيلم سيليولويد مثقوب مقاس ٣٥ ملم -

وهو الذى لايزال يستعمل عالميا حتى اليوم ، ولكنه فشل بعد عدة تجارب فى أن يصل الى عرض الحركة والصوت معا - أى السينما الناطقة التى ظهرت بعد ذلك عام ١٩٢٧ .

وبنى أديسون عام ١٨٩٣ أول ستوديو سينمائى وهو المسمى شعبيا « بماريا السوداء » فهو ملون بالأسود من الخارج والداخل ، وله فتحة فى أعلاه ، ومقام فوق قاعدة تدور حول مركز ، وبذلك يمكن تحركه ودخول ضوء الشمس اليه فى أوقات النهار المختلفة .

واخترع أديسون آلة لعرض الأفلام سماها « كينيتوسكوب » ، بدأ فى بيعها للمحلات العامة سنة ١٨٩٤ ، وهى عبارة عن صندوق يرى فيه المتفرج الواحد من خلال عدسة مكبرة ، فيلما يشبه تماما الفيلم الحديث - وان كان صامتا - ولم يكن يرى أديسون أى مستقبل فى عرض الأفلام على شاشة أمام جمهور من النظارة . . غير أن المحاولات استمرت منذ بداية عام ١٨٩٥ فى عرض الأفلام على الجمهور فى الولايات المتحدة أولا ثم فى ألمانيا . . وفى فرنسا حيث اخترع المصور الفوتوغرافى الفرنسى « لوميير » آلة للتصوير والعرض السينمائى معا سماها « سينما توغراف » وسجلها فى بداية عام ١٨٩٥ . . وبدأ فى استغلالها شعبيا فى ٢٨ ديسمبر من نفس العام فى صالة مقهى « لوجران كافيه » فى باريس .

من هذا العرض السريع الموجز لاختراع السينما تبرز حقيقتان مهمتان : الأولى هى أن السينما لم يخترعها مخترع واحد فى بلد واحد ، وانما اشترك فى اختراعها عشرات من العلماء والباحثين والمخترعين فى بلاد متعددة خلال أكثر من نصف قرن من الزمان ، والحقيقة الثانية هى أن السينما وليدة الحضارة الصناعية وابنة التقدم العلمى فى العصر الحديث .

المحاولات الأولى

استعمل المصور لويس لوميير اختراعه الذى سماه السينماتوغراف لكى يصور فى الهواء الطلق مناظر اخبارية وربيورتاجات وأفلام تسجيلية ، كان أغلبها ينم عن احساس مدهش بالتكوين الفنى وبكادرات الصورة وعلى الخصوص فيلم « وصول القطار الى المحطة » (١٨٩٥) ولكنها لم تكن تحوى على سيناريو يضبط حركة « الممثلين »

ولم يكن المخترع يعتقد فى مستقبل اختراعه من الناحية الفنية . كان المخرج المسرحى جورج ميلييس مدير مسرح روبير هودان للألعاب السحرية ، هو الذى أحس بكل ما يستطيع الاختراع الجديد أن يقدم لفن العرض المسرحى . وكون ميلييس أول شركة سينمائية هى « ستار فيلم » وشيد ستوديو فى ضواحى باريس عام ١٨٩٦ وراح يحول مسرحياته بما فيها من حيل مسرحية الى السينما ، وبذلك كان أول من استعان بالسيناريو والممثلين والديكور والملابس وأغنى الحيل السينمائية الخالصة ، وبفضل لوميير وميلييس وجدت السينما قطبيها الرئيسيين اللذين سوف تتطور حولهما فيما بعد وهما : الواقع والمتخيل .

ومن سنة ١٨٩٥ حتى ١٩١٤ أخرج ميلييس حوالى أربعة آلاف فيلم قصير ، كانت أطوال بعضها تصل الى سبعمائة متر (حوالى نصف ساعة) ، وذلك فى فترة كانت غالبية الأفلام يصل طولها الى ثلاثين مترا على الأكثر ، ومن أشهر أفلام ميلييس « رحلة الى القمر » (١٩٠٢) و « رحلة عبر المستحيل » (١٩٠٤) و « غزو القطب الشمالى » (١٩١٢) ، وقد اقتضى انتاج مثل هذه الأفلام الكبيرة أن تصبح السينما تجارة عالمية ، ولم تكن هناك حقوق للمنتجين . . لذلك كانت شركات السينما الأمريكية ، وأديسون على الخصوص ، يستخرج من أفلام ميلييس نسخا سلبية ثم يطبع منها نسخا فلمية يبيعها للعالم أجمع ويمنع بذلك ميلييس من أن يحصل على حقوقه ، ولكى يدافع ميلييس عن تلك الحقوق فتح فرعا لشركته فى نيويورك عام ١٩٠٤ كان يديره أخوه ، واستمر ميلييس على نفس منهجه فى تصوير الأفلام على طريقة مسرحه السحرى الذى نبغ فيه ولم يتغير ، فبدأ نجمه يأفل . وفى عام ١٩٠٦ بدأ منافسة مع شركة باتيه فأنتج أفلاما هزلية تافهة كان يبيعها بخسارة ، مما زاد فى صعوباته المالية . . وانتهى به الأمر الى أن رهن مسرحه والاستوديو الخاص به وشركته بفرعها فى نيويورك لشركة باتيه ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فطردته من الميدان السينمائى ، وباع المئات من أفلامه بالكيلو لتتحول الى سلع مختلفة واختفى نهائيا حتى عثروا عليه عام ١٩٢٨ يبيع لعب

الأطفال في دكان صغير بمحطة مونبارناس (باريس) ومات في أحد ملاجىء العجزة عام ١٩٣٨ .

وبينما نجد الفنان ميليس لم يتعد في عمله الطور الحرفي من ناحية الانتاج ، نجد أن المنتج شارل باتيه بدعمه الممولون ، أنشأ عام ١٩٠٠ شركة رأسمالية ضخمة لانتاج الأفلام . وبدأ مديرها الفني « زيكا » بتقليد أفلام ميليس والسينمائيين الانجليز ، ولكنه كان دونهم موهبة وفنا . ثم راح يخرج أنواعا مختلفة من الأفلام لعل أهمها فيلم « عذاب المسيح » (١٩٠٢ - ١٩٠٥) الذي نال نجاحا شعبيا عظيما .

وفي عام ١٩٠٦ قدم أحد مخرجي شركة باتيه وهو المخرج « هيريه » لأول مرة نوعا جديدا من الأفلام هو الفيلم الروائي تضمنت عرض أفلام عاطفية بنوع خاص .

ولكي يرضى المنتجون جميع الأذواق نوعوا في انتاجهم ، فكانت مشاهد الاعدام تتعاقب مع الحوادث الاخبارية المعاد تكوينها وتصويرها ويختلط ذلك بالدرامات الواقعية وأفلام السباق والمطاردات التي بدأها المخرج « هيريه » ، وكانت له طريقة خاصة في عرضها أخذت عنه فيما بعد في كثير من الأحيان « سباق الحموات ، سباق رجال الشرطة الخ . . » .

وقد احتكر باتيه كل صناعة السينما من الفيلم الخام حتى عرض الأفلام ، وفي عام ١٩٠٧ كانت أرباح شركته ٢٤ مليونا من الفرنكات ، مع العلم بأن رأسمال الشركة الأساسي لم يكن أكثر من مليونين ، وأصبح للشركة فروع في كل العواصم الكبرى ، وكان باتيه يبيع للولايات المتحدة الأمريكية من الأفلام ما يزيد عن ضعف ما تنتجه جميع شركات السينما الأمريكية في ذلك الوقت .

ودفع نجاح شركة باتيه رأسمالي آخر هو « ليون جومون » ، فأنشأ ستوديو سينمائيا ضخما وبدأ في الانتاج . . فأنتج فيلم « حياة المسيح » (١٩٠٦) لينافس فيلم شركة باتيه « عذاب المسيح » ، وكانت الشركة الأخرى التي أنشئت عام ١٩٠٧ لتنافس باتيه هي شركة « ايكلير » ولكن كان على شركة باتيه ان تحسب في القريب العاجل حسابا لمنافسين جدد كانوا يستعدون في الخارج .



المراحل المتتابعة للقطة واحدة .

الانكليز يدخلون الحلبة

تطورت السينما المتنقلة أو سينما الأسواق في انجلترا بسرعة بفضل الرائد الأول ويليام بول الذى بنى عام ١٨٩٩ ستوديو للسينما وأخرج قبل ميلييس ، ولكن بغير اتقان أو كياسة ، فيلم « رحلة الى القطب الشمالى » . وقد استعمل المخرجان ويليامسون وسميث المونتاج واللقطات المتنوعة بموهبة تفوق سابقتها ، وخصوصا في فيلم « هجوم على ارسالية في الصين » وهو حادث اخبارى أعيدت كتابته وتصويره وتمثيله بأسلوب هو مزيج بين الرواية والروح التسجيلية وأخرجه ويليامسون عام ١٩٠٠ اخراجا سينمائيا خالصا ، كان له طابع جديد في ذلك الحين ، انه مقدمة لأفلام الغرب « الويستيون » الأمريكية ومونتاج جريفيث .

ولقد أتقن سميث هذا الأسلوب السينمائى في أفلامه ، وكانت لقطاته متنوعة في الحجم وفي المكان ، على عكس ميلييس الذى كانت وحدة المكان بالنسبة له تؤدى الى وحدة وجهة النظر ، كذلك كان السينمائيون الانجليز ، على عكس ميلييس ، يعملون في الهواء الطلق ، وقد اتاح لهم ذلك فرصة مضاعفة حركة الكاميرا أو اخراج أفلام المطاردة التى بدأت بماس مثل فيلم « الهجوم على عربة المسافرين » وانتهت بأفلام هزلية مثل فيلم « الزواج في السيارة » الذى اخرجه الفريد كولينز عام ١٩٠٣ ويلور فيه كل طرائق المدرسة الانجليزية واساليبها السينمائية في ذلك الحين ، والمعروفة بمدرسة « برايتون » ومن ناحية أخرى نجد ان المضمون نفسه في الأفلام الانجليزية لتلك الفترة كان مضمونا أصيلا يتسم بالجدة ، ويحمل أحيانا شيئا من الطابع الاجتماعى الواقعى . وقد اخرج ويليامسون سلسلة من الأفلام أظهر فيها ـ كما يدل على ذلك اسمها ـ « قطاعات من الحياة الواقعية » .

وقد هددت الريبورتاجات السينمائية التى كان يصورها السينمائيون الانجليز شركة باتيه الفرنسية الكبيرة ، ودفعتها الى أنشاء جريدة سينمائية عام ١٩٠٨ سميت « باتيه جورنال » ، وهى أول جريدة سينمائية في العالم (ولاتزال حتى اليوم توزع في كل مكان) . ومنذ ذلك التاريخ لم تعد المنافسة الانجليزية ذات خطر على شركة باتيه ، وخاصة أن الانتاج السينمائى الانجليزى الذى ظل في المرحلة الحرفية ـ من ناحية الانتاج ـ لم يعش بعد زوال سينما الأسواق المتنقلة .

سوق السينما

لقد تم في انجلترا أولا ، ابتداء من عام ١٩٠٠ ـ تحويل سينما الأسواق المتنقلة الى صالات عرض سينمائية ثابتة ، ومع نمو السينما ازداد عدد دور السينما في كل مكان ، وارتفع عدد هذه الدور في أمريكا من عشر عام ١٩٠٥ الى عشرة آلاف عام ١٩١٠ ، بينما في هذه الفترة ، ورغم جهود شركة باتيه ، لم تكن فرنسا تمتلك أكثر من ثلاثمائة دار سينما ، وبقية العالم ثلاثة آلاف دار . ولقد تطلب هذا الازدياد في عدد دور السينما عددا هائلا من الأفلام ، وكان الفيلم الفرنسى يبيع عشر نسخ في فرنسا ، ويصدر خمسين نسخة الى بقية العالم .. ومائتى نسخة لأمريكا الشمالية وحدها .

لقد أصبح تفوق الانتاج السينمائى الفرنسى مهددا ، ولم تعد له السيادة .. فقد انشئت في مواجهته شركات سينمائية أمريكية ذات رؤوس أموال ضخمة .

كان اديسون في الفترة ما بين ١٨٩٧ حتى ١٩٠٨ يمارس سيطرته على السينما الأمريكية كلها . وكان حتى عام ١٩٠٣ يقلد السينما الفرنسية . وفي ذلك العام أخرج أدوين بورتر وهو مصور سابق أصبح فيما بعد مديرا لاستوديو أديسون ـ أول فيلم أمريكى روائى وهو « سرقة القطار السريع » وكان لنجاحه الضخم أثر كبير في تكوين مدرسة سينمائية كاملة هى أصل أفلام « الغرب الأقصى » .. وفي عام ١٩٠٨ أنتجت شركة فيتاجراف سلسلة من الأفلام الجديدة الأصيلة بعنوان « مشاهد من الحياة الواقعية » .

وقد تكونت شركات سينمائية أخرى مثل البيوجراف في نيويورك . وتلا ذلك اتحاد هذه الشركات قريبا لتشكل تهديدا لأوروبا .. واختفى استقلال كبار السينمائيين الأمريكيين الأوائل ودخل الى الميدان عنصر جديد أصبح فيما بعد بطل السينما الأمريكية الأول . ولم يكن هذا العنصر سوى رأس المال .

مرفأ الحلم

شعر : الدكتور عبدالله العتيبي



ماذا أقولُ .. وأيّامي مضتْ مِزَقا
ومرفأُ الحُلْمِ في عَيْنيَّ قدْ حُرِقا ؟
وَقَدْ قَطعتُ الليالي دونما قمر
لهُ صنعتُ حنايا أضلُعي أُفُقا .
ماذا أقولُ وأشواقي مسافرةٌ
بلا شراعٍ ، تُقاسي الموجَ والغَرَقا ؟
ماذا أقُولُ .. وَحُزني صارَ عاصفةً
مجنونةً تَجْلِدُ الأعصابَ والحَدَقا ؟

***

ماذا جَنَيتُ .. لِكَيْ ألقَى بقاسيةٍ
مِنَ الليالي، أُباري نَجْمَها أرَقا ؟
لاذنبَ لي غيرَ حُبٍّ قدْ خُلِقتُ لهُ
أُرِيدُهُ أبداً كالنورِ مُنْعَتِقا
أُرِيدُهُ أنجُماً في القلبِ أحمِلُها
حتى تَرى في سماءِ الرُّوحِ مُنْطَلِقا
أُرِيدُهُ مِثْلَ سيفِ النارِ مُتَّقِداً
لايعرفُ البُهْرَجَ المصْنُوعَ والمَلَقا
أُرِيدُهُ غايةً في القلبِ مَبْدَؤُها
ولا انتهاءَ لها ما خافِقٌ خَفَقا
أُرِيدُهُ غَيْمَةً بالعِطرِ مُثْقَلَةً
إذا دَعَاهَا رَبيعٌ أمْطَرَتْ عَبَقا

***

لا أفْهَمُ الحُبَّ إلّا أنّهُ قَدَرٌ
يَفْنى المُحِبُّ به شَوْقاً بِمَن عَشِقَا
لاأفْهَمُ الحُبَّ إلّا أنّهُ مَطَرٌ
يُحيي الجذورَ ويُروي الغُصْنَ والوَرَقا
لاأفْهَمُ الحُبَّ إلّا أنّهُ قَمَرٌ
أراهُ رغمَ احْتِشَادِ الليلِ مُؤْتَلِقا
لاأفْهَمُ الحُبَّ إلّا أنّهُ سَفَرٌ
إلى سماءِ لقاءٍ تُمْطِرُ الألَقا

على هامش الطب

الترياق.. أكسير أحيل إلى التقاعد!

بقلم/ الدكتور حسن فريد أبو غزالة

اذا كان الغريق يتشبث بقشة ، فإن المريض لا يتورع عن التشبث بالوهم ، حيث يظن أن فيه أملا في الشفاء ، وقد تجسد هذا الوهم في الترياق على مدى قرون طويلة ، فما هى قصة الانسان مع الوهم الذى سمى بالترياق ، ومتى تم التخلص منه ؟



قارورة الترياق الخزفية ذات الطابع المميز .

كانت بونتوس مملكة يونانية قديمة في أرض آسيا الصغرى ، ولكنها تمكنت من أن تتغلب على بقية الممالك من جيرانها ، بل وقفت ندا عنيدا صعب المراس أمام الامبراطورية الرومانية ، وخصوصا في عهد آخر ملوك بونتوس وهو ميترداتوس السادس (١٣١ - ٦٣ ق . م) الذى عرف باسم ميترداتوس الأكبر أو يوباتور .

وقد قامت بين ميترداتوس السادس وروما ثلاث حروب طاحنة ، عرفت باسمه ، كان النصر فيها سجالا ، ففي الحرب الأولى (٨٨ - ٨٤ ق . م) استولى ميترداتوس على أغلب أنحاء آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه (باستثناء جزيرة رودس وجانب كبير من بلاد الاغريق) ، غير أن الامبراطور الرومانى



تمثال خزفي لاحد دجالي الادوية يبيع الترياق

جولا تمكن من هزيمته واجباره على التنازل عن كل فتوحاته .

ثم نشبت الحرب الثانية فيما بين ٨٣ ـ ٨١ قبل الميلاد ، هزم فيها جيوش الرومان ، الى ان قامت حرب ثالثة أخيرة عام ٧٤ قبل الميلاد حيث أرسل له الامبراطور جولا قائده لوكلوس ، واتبعه عام ٦٦ قبل الميلاد بالقائد بومبي ، وبالرغم من انتصار ميترداتوس ، الا أنه انسحب نحو شبه جزيرة القرم ، حيث واجه من ثورة من أهلها بقيادة ابنه فارناكوس ، وعندها عمد الى الانتحار بالسيف الذى قدمه الى تابعه ، وأمره أن يطعنه به عام ٦٣ ق . م .

دواء ضد السموم

لقد كان ميترداتوس قائدا قويا ذكيا وشجاعا ، الا أنه لم يكن يحسن ادارة الرعية ، ولم يحرص على العلاقات الانسانية ، لهذا اجتمع عليه الأعداء ، وتآمر عليه الغريب والقريب .

ولعل ميترداتوس كان يشعر بهذا ويعلم ، ولهذا طلب من طبيبه الخاص أن يعد له عقارا شافيا مانعا ضد كل السموم المعروفة في زمانه ، مما يحتمل أن يدسها له أحد المتآمرين عليه في طعام أو شراب . .

لقد أعد طبيب الملك وصفة طبية تحوى ٣٦ عقارا مما عرف في زمانه من مضادات السموم ، وأخذ الملك يتناولها صباح كل يوم لتقيه خطر السموم المرتقبة ، ومن هنا عرفت الوصفة باسم دواء ميتردات ، ولهذا يقال ان الملك عندما حاول الانتحار بالسم بعد ثورة ابنه عليه في القرم لم يفده أى سم ، حيث ان جسمه كان قد تحصن ضد كل السموم ، لهذا دفع بالسيف في نهاية الأمر الى تابعه ليطعنه به .

لقد نقل القائد الرومانى بومبى سر عقار الميتردات هذا الى روما ، حيث عرف وشاع وانتشر .

وعندما اعتلى الامبراطور الرومانى نيرون عرش روما عمد طبيبه الخاص اندروماخوس الى عقار الميتردات فعدّل فيه وحوّر ، وأضاف وزاد ، ليصبح أكثر فاعلية وأشمل تأثيرا ، لهذا كان هذا العقار الأسطورى يحوى ٦٤ مادة وتركيبا ، وعندما جاء عهد الطبيب اليونانى جالينوس حوالى ١٥٠ للميلاد ، أطلق عليه اسم ترياق اندروماخوس .

وقد اشتق جالينوس اسم الترياق من قصيدة قديمة نظمها شاعر يونانى قديم اسمه نيكاندور من كولدفون (٢٠٤ ـ ١٣٥ ق . م) تتحدث عن الحيوانات السامة سماها باسم الترياكا .

ثم أتبعها الشاعر بنكاندور هذا بقصيدة أخرى أسماها اليكس فارماكا ، تتحدث عن مضادات السموم ، ومنها اشتق اسم الأكسير الشافى لكل سم وداء ، لقد كان أهم ما أضاف الطبيب اندروماخوس طبيب الامبراطور نيرون الى وصفة « المتردات » هى لحوم الأفاعى ، فقد كانت القناعة السائدة أيام الاغريق ومن بعدهم الرومان ، أن لحم الأفاعى يمنح الصحة والعافية والقوة والحكمة والمناعة ضد السموم والأمراض ، لهذا كان الحكماء والأطباء في ذلك الزمان يقدمون على التهام لحوم الأفاعى طلبا للقوة والحكمة ، كما كانوا يعتقدون بقدسية الأفعى ومكانتها الرفيعة ، ومن هنا صارت الأفعى رمزا للطب ومهنة الطبابة ، فنراها تتصدر شعار منظمة الصحة العالمية والهيئات الطبية الأخرى العالمية منها والمحلية ، كما تتخذ رمزا للفرق الطبية العسكرية في أغلب جيوش العالم ، كما تستعملها كثير من نقابات الأطباء والصيادلة .

لقد سجل جالينوس زعيم الطبابة عبر القرون القديمة والقرون الوسطى تركيب الترياق في كتاباته ، وأخذت رقم الوصفة ٥٤ ، وأوصى باستعمالها لمعالجة سموم الأفاعى والحشرات السامة .

الترياق . . وحجر الفلاسفة

ولما كان دستور الطبابة في القرون الوسطى اجترارا لعلم جالينوس وتوصياته ، فأوصت به الكنيسة وتبنته ، فقد شاع ترياق اندروماخوس الذى عرف باسم الترياق ، في اللغة العربية ، بل أصبح يعتبر البلسم الشافى لكل الأمراض حتى أواخر القرن الثانى عشر ، وأصبح الترياق محورا للتداوى ، كما كان شأن حجر الفلاسفة الذى كان شغل علماء العرب الشاغل في القرون الوسطى ، عندما كانوا يبحثون عن مادة سحرية لها القدرة على تحويل كل المعادن الرخيصة الى معدن الذهب الغالى .

وبالرغم من فشل العلماء العرب في الوصول الى تحقيق حلمهم الاسطورى هذا ، الا أن أبحاثهم في هذا الميدان أغنت علم الكيمياء ، فكانت نواة للاكتشافات العلمية الحديثة في عصرنا الحاضر .

لقد أصبح للترياق أصول وآداب ، وطقوس خاصة معتمدة لدى الأوساط الطبية في ذلك الزمان ، وكان تركيبه يجرى تحت اشراف رسمى معتمد حتى لا يصار الى غشه ، وأصبح هناك مراكز معتمدة لتحضيره ، أشهرها مركز البندقية ومونتبليه وطولوز ، وكان له آنيه فخارية خاصة يحفظ فيها ، تتميز بقاعدتها العريضة ، مقابضها الملتوية على هيئة الثعبان .

وكانوا يكتبون على آنية الترياق تعليمات الاستعمال باللغة الايطالية الملفقة ، حيث لا يعرف أحد قراءة هذه اللغة ، وهذا ما هيأ الفرصة فيما بعد لجيش من الدجالين ، ربما لا يزال بعضهم ، يعيش بيننا في بعض البلدان ممن يبيعون للناس السذج أدوية تشفى كل مرض وكل علة ، أساسها ما يحوى الترياق من عقاقير ، قد يكون أشهرها الأفيون المخدر الذى يقنع الناس بفائدة الترياق ، أو صفات الدجالين ، حيث يسكن الآلام بفعل ما يحويه من مخدر .

لقد شاع الترياق واشتهر في القرون الوسطى ، وأخذ أكثر من اسم ، وأكثر من صفة ، فأهل انجلترا مثلا كانوا يسمونه سكر البندقية ، لأنهم في البندقية ـ حيث أشهر مصانعه ـ يضيفون له العسل الأسود ، حتى يكسبه الطعم الحلو والقوام اللزج .

صحوة الأطباء

وهكذا كان للترياق شأن كبير ، وكان أهم ما حوته دساتير الأدوية (الفارما كوبيا) من عقاقير في فرنسا وانجلترا حتى وصل عدد مكوناته عام ١٨٣٧ الى ٧١ مادة تقريبا في دستور الأدوية الفرنسى . غير أن هذا لم يخدع نفرا من الأطباء تفتحت أذهانهم على الحقيقة ، فأخذوا يهاجمون هذه الأسطورة ، الى أن قال أحد كتاب القرن الثامن عشر عن هذا الترياق « انه يحتوى على قمامة الدكاكين » .

وفي عام ١٧٤٦ قام أحد الأطباء باصدار كتاب باسم « ضد الترياق » نادى فيه بنبذ هذا الأسلوب التقليدى العتيق ، مؤكدا أنه ليس في تركيبه ما يفيد أو ينفع سوى الأفيون المخدر والمسكن للألم ، لقد تنامت القناعة ضد الترياق ، وزاد جيش المعارضين لاستعماله ، حتى تقرر شطبه من دستور الأدوية البريطانى .

ولكن الأمر في فرنسا استمر قرنا من الزمان أو يزيد ، حيث ألغى أيضا من دستور الأدوية الفرنسى عقب إلغائه من دستور الأدوية البريطانى بمائة وعشرين عاما ، وكان أطرف ما كتب عنه في تعليل إلغائه من دستور الأدوية ، ونبذ استعماله وتحريمه الجملة التالية :

« بعد أن احتل الترياق مكانا كبيرا على مدى زمن طويل في عالم العقاقير والأدوية ، فقد آن له أن يرحل من عالم التاريخ الى عالم الأساطير » .

هذه هى قصة الترياق أو الترياكا على حقيقتها ، على خلاف ما يتوهم البعض من أن لفظ الترياق عربى الأصل ، وهو بديل للعقار الشاق والبلسم المعاق .

بل لعلنا لا نزال خير من يؤمن به نقلا عن الكتب القديمة من كتب ابن سينا ووصفات داود الانطاكى ومن اليهما ممن نقلوه عن كتب جالينوس ، ويقوم اليوم على تحضيره عطارون ممن يدعون الطبابة العربية ، أو بيعه عن طريق بعض الدجالين لجمهور السذج والبسطاء من الناس المرضى الذين يبحثون عن الشفاء في كتب الأوراق الصفراء ، أو رقاع المشعوذين ، ويخدعهم ما يحوى من مخدرات تسكن الآلام ، بينما هم يجهلون ما تحوى الوصفة من تراكيب ، ربما كانت تضر بهم أكثر مما تفيد ، فتسوء الحال وتصل الى نقطة اللاعودة ، حيث لا ينفع معها أى علاج فيما بعد . □

■ المثل الأعلى للانسان : انسان عرف كل قوانين الطبيعة وكل قوانين نفسه ، ثم وفق بينهما . ولكن ، أين هو ذلك الانسان ؟ (د . أحمد أمين) .



حضارات .. ثم سادت بادت

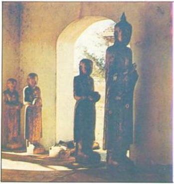
اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة بورما..
خالطتها عناصر بربرية

قصة حضارة باجان في شمال بورما من أغرب قصص الحضارات جميعا .. جمع ملكها أناوارهتا بين الشراسة وبين التقوى ، واسترق شعبه وبنى حضارته بالاكراه .. وانتزع الملك من أخيه الأكبر الذى ورث العرش عن الأب .. وذلك بقتله في المبارزة التى جرت بينهما بناء على تحدى أناوارهتا ..

واعتقد الملك الجديد بوجود أرواح تتحكم بمصائر العباد كما اعتقد الجميع آنذاك .. فالروح (نات) تسيطر على احدى قوى الطبيعة ، وتهيمن هى وزميلاتها على مقدرات الناس جميعا .. حكاما ومحكومين .. وظهرت للملك في أحد أحلامه إحدى تلك الأرواح ، وأمرته بزرع الحقول ، وانشاء شبكات الرى ، وحفر الآبار ، وبناء الأديرة والمحاريب ، وذلك تكفيرا عن مقتل أخيه ..

ونفذ أناوارهتا ما أمر به ، وقد سخر للعمل في المشروعين الزراعي والعمراني آلاف العمال طوال ٣ سنوات .. حتى اذا نهضت السدود وانشقت القنوات ، كان لامفر للملك افتداء فتاة عن كل سد من تلك السدود .. وعز على الملكة أن تزهق أرواح



تماثيل خشبية تمثل بوذا وأتباعه الرهبان ، وهي مقامة في أكبر معابد بورما ـ معبد أناندا الذي احتفلوا بتدشينه سنة ١٠٩٠م ، وذلك بقتل المهندس الذي بناه .



معبد من معابد بورما البوذية .. يعتبر انموذجا لهندسة البناء البورمية .. والنقوش البديعة التي تزدان بها واجهة المعبد يقابلها في الداخل زينة تتحلى بها جدران المعبد .

عدد من الصبايا ، واقترحت أن تكون هى الضحية الوحيدة اذا قبلت بها الأرواح بديلا .. ووافقت الأرواح ، وسعدت الملكة بذلك ، وقد اعتقدت ـ كما اعتقد غيرها ـ أن افتداءها انما ينقلها من هذه الحياة الدنيا ، ويحولها الى روح تواصل حياتها مع سائر الأرواح في عالمهم العلوى غير المرئى .. وذبح الملك زوجته .. وأحرق جثتها في حفل كبير مهيب .

ومأأسرع ماجادت الحقول بالمحاصيل .. محاصيل الأرز بخاصة ، ومأأسرع ماازداد أناوْراهتا قوة وغنى .. ولانقول حضارة .. فالحضارة بحاجة الى مقومات أخرى غير القوة والغنى .. فهى بحاجة الى نزعة دينية أقوى مما أتاحت له معتقداته الوثنية .. وهى بحاجة أيضا الى حضارة أخرى تقتفى أثرها وتنسج على منوالها .. وهى بحاجة كذلك الى غير أبناء الشعب البورمى الأصلى ، فهو بلا فن ولا صنعة ، ولايستطيع القيام ببناء حضارة ، وتوفرت هذه المقومات جميعا في حضارة مجاورة هى حضارة المون .. التى ازدهرت منذ أكثر من ١٠٠٠ عام ، على بعد ٦٥٠ كم الى الجنوب من عاصمته باجان .. التى وقعت على ضفاف نهر أراوادى العظيم .. وكانت بدائية لاسبيل الى مقارنتها بعاصمة المون واسمها ثاتون ...

حصار وتمازج

على أن فكرة اجتياح ثاتون هذه لم تخطر ببال أناوْراهتا ، حتى جاءه الراهب البوذى (شن أراهان) فقد كان هذا من المون ، ولكنه هجر وطنه ، ولجأ الى باجان عندما تعرض مذهبه التقشفى (الثيرافادا) وهو أحد المذاهب البوذية .. الى ضغوط من الهندوس ، لاحتضان عدد من المعتقدات الهندوكية .. وثار أراهان على ذلك العبث ، فيما استسلم له سائر زملائه الرهبان ..

ولما كان أراهان هذا خطيبا .. قوى الحجة ، نفذ أثره الى قلب أناوْراهتا ، فاعتنق الملك مذهب

الراهب ، ووافق على غزو بلاد المون ، والعمل على اعادة توطيد مذهب الثيرافادا من جديد . .

وبدأ الزحف ، وقد حُشدت الجيوش ، وجُهزت الفيلة ، وجمعت القوارب بأسرع مما كان متوقعا . . وكانت ثاتون هي الهدف . . ثاتون عاصمة المون ومركز حضارتهم ، وكانت تقع الى الشرق من موقع عاصمة بورما الحالية : رانجون .

وشاء أناوراهتا الماكر ألا يحارب ، وأن يأخذ ثاتون لقمة سائغة دون عناء ، فحاصرها ، فسقطت عاصمة المون بعد حصار ثلاثة شهور ، وبسقوطها استسلمت سائر مدن المون الأخرى . . وهكذا أسدل الستار على حضارة المون . . ليرفع عن حضارة باجان . . ذلك أن أناوْراهتا نسى أو تناسى الغرض من غزوه لبلاد المون . . وبدا له وكأنه غزاها لكي يعود بالمقومات التى احتاجها لبناء حضارته في باجان .

فقد أسر ٣٠,٠٠٠ من فلاحى المون وصناعهم المهرة ، وأسر جموعا من الرهبان ، وأسر الملك نفسه - مانوها ملك ثاتون . . كما أسر الكثيرين من حاشيته . . وذلك رهينة تكفل رضوخ الأسرى من العمال والمزارعين ، وتضمن قبول المتخلفين في ثاتون بالأمر الواقع واحجامهم عن التفكير في مهاجمة باجان ، وتعريض ملكهم للخطر .

وسارت حشود الأسرى في أحد أيام سنة ١٠٥٧ م تتقدمهم الفيلة البيضاء . . وواصلت سيرها مسافة ٦٥٠ كم حتى وصلت الى باجان . . وماأسرع ماباشر الفلاحون والبناءون وسائر العمال من الأسرى أعمالهم . . وقد شعروا بضرورة الخضوع للأمر الواقع ، كما شعروا بحسن معاملة البورميين لهم ، وبضرورة معاملتهم بالمثل . . ووقع الاندماج وطاب لأسرى المون المقام ، وحلا لهم العمل في باجان ، ولم يعودوا يفكرون في ثاتون ، حتى بعد منحهم الحرية . . ومكافأتهم على أتعابهم نقدا أو عينا . .

الازدهار والسقوط

ولم تكد تمضى سنة على سقوط ثاتون ، ويحل عام ١٠٥٨ ، حتى ظهرت النقوش الكتابية في باجان ، وذلك لأول مرة في تاريخها ، ومن تلك الكتابات تجمعت لدينا المعلومات عن حضارة باجان التى سادت بسرعة مذهلة . . وأصبحت قبلة البوذيين جميعا في تلك المنطقة .

لاعجب اذن أن أصبح الراهب شِنْ أراهان بحكم المستشار الأول لاناوْراهتا وأقرب المقربين منه . . انطلق في طول البلاد وعرضها يبشر كما يشاء ، ويجتذب الى مذهبه من يشاء . . وراح يخطط لمعابد جديدة وأديرة بوذية ، ومدارس يتولاها الرهبان . .

أما الملك أناوْراهتا فلم يعد لديه من الوقت الا مايكفى المقابلات الرسمية ، وتقبل الهدايا أو [illegible] . . ولكنه عنى هو الآخر ببناء الأديرة والمعابد البوذية التى تعلوها الصروح التى تشبه الأقماع ، والتى تحدثنا عنها في حلقة أخرى سابقة . . .

وتوافد البوذيون على باجان من كل حدب وصوب . . جاءوها من الهند وتايلاند وحتى من سيلان . . وأمَّها الكثيرون من العلماء والمهرة من الصناع . . وركب التجار نهر إرّا وادى العريض كما فعل عامة الناس . . فازدهرت التجارة ، وكثرت الملاحة ، وتجلت آثار الغنى في شتى مظاهر الحياة . . .

وجاء ملك سيلان الى باجان سنة ١٠٧٣ - ١٠٧٤ ، ملتمسا مساعدة الملك أناوراهتا في العمل على بعث البوذية في سيلان من جديد ، على أنه لم يقم بتلك الزيارة الملكية صفر اليدين . . فقد أحضر الى ملك بورما هدية قيمة مقدسة . . ولعلها أقدس المقدسات في نظر البوذيين جميعا . . ولم تكن الهدية سوى أحد أسنان بوذا ، بل قل نسخة طبق الأصل عنه . . .



خريطة توضح معالم بورما

ولعل أكثر ماتميزت به حضارة باجان وضع المرأة . . فقد تمتعت نساؤها بالحرية والمساواة التامة ، خلافا لما كانت عليه المرأة في شتى أرجاء العالم في تلك الأيام .

وجاء يوم مات فيه أناوْراهتا سنة ١٠٧٧ فخلفه ابنه ساولو ، ثم جاء كايانزيتا ١٠٨٤ ـ ١١١٢ . . وهو الذى بنى معبد أناندا ، المعبد العملاق الذى طلاه بالفضه والذهب . . حتى اعتبر المعبد عجيبة باجان الكبرى .

ومهما يكن من أمر فقد خالط حضارة باجان ألوان من البربرية يصعب على المرء تفسيرها . . من ذلك أن الملك أناوْراهتا نفسه بقى على ولاء ـ ولو محدودا ـ لمذهبه الوثنى القديم . . مذهب الأرواح . . ويذكر عن الملك كايانزيتا في هذا الصدد أنه دفن طفلا حيا عند مباشرته بناء معبد أناندا . . وذلك ليكفل للمبنى الروح التى تحميه . . وأنه أمر باعدام مهندس المعبد لدى اكتمال بنائه ، وذلك ضمانا لعدم قيام ذلك المهندس ببناء صرح آخر ينافس معبد أناندا . .

وكانت سنة ١١٨٠ بداية العد التنازلى في باجان ، وقد منعت سلطاتها تصدير الفيلة الى سيلان . . وسجنت عددا من التجار السيلانيين . . ضاربة عرض الحائط بالصداقة والحلف اللذين طالما جمعا بين البلدين . . وأعلنت سيلان الحرب ، وتوجه أسطولها الى بورما لتلقين حكامها درسا ، ولتخليص التجار السيلانيين المسجونين ، ولكن الأسطول لم يشن تلك الحرب . . فقد غرق قبل الوصول الى شواطىء بورما .

ولم تكن باجان بحاجة الى مزيد من حروب . . فقد اندلعت هذه على نحو متواصل على طول حدودها الشمالية والشرقية . . وترتب على تلك الحروب تناقص عدد الرجال في باجان . .

وزادها ضعفا هوس البناء . . فقد أقبلوا على بناء المعابد بكثرة ، وأقبلوا على منحها ماتحتاجه من الأراضى الزراعية الممتازة دون قيد أو شرط . . فابتعدت عن العاصمة الحقول التى زرعت بالمواد الغذائية . . وأصبح شحنها من أماكنها البعيدة الى باجان يكلف الكثير ولايخلو من مخاطر . .

أضف الى ذلك أن التربة أرهقت بالزراعة وحلت بها التعرية . . فقد مضت باجان في قطع الأشجار



معبد ضخم بني في باجان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ومازال المكان المفضل لاقامة الطقوس والاعياد البوذية .

واحراقها من أجل شي الطين اللازم لتشييد المعابد . . واستمرت على ذلك حتى تم احراق شجر المملكة كله تقريبا . . فكانت التعرية التى أتلفت التربة . .

وبدأ التجار يهجرون باجان ، ويحملون معهم ثرواتهم ، وظلت أوضاع باجان تتدهور من سيىء الى اسوأ ، حتى قام المغول بمهاجمتها سنة ١٢٧٧ . . وسنة ١٢٨٣ حين اجتاحوا مدينة كوْنجسين ، الواقعة على بعد ٤٤٠ كم الى شمال شرق باجان . . وما ان وصلت هذه الأخبار الى باجان ، حتى هجرها ملكها وحاشيته والكثيرون من أهلها . .

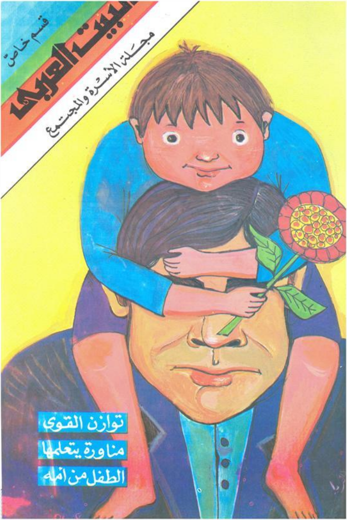
ووصلها المغول بعد ذلك . . فذهلوا لأبراجها الحجرية المطلية بالذهب والفضة التى توجتها الأجراس التى دقت بتأثير حركة الرياح . . وذلك حسب أقوالهم التى أدلوا بها الى ماركوبولو . . وكان في ضيافة ملكهم قبلاى خان آنذاك . □


73D الجديد
VHS
إنه فيديو VHS الجديد الذي يوفر أداء توشيبا ذو الجودة العالية مع وظائف أوتوماتيكية ومنظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي . ولكنه ليس الوحيد ، فإن مجموعة مسجلات فيديو كاسيت VHS وبيتامن توشيبا ستضيف الجودة والبهجة إلى حياتك ، توشيبا تدخل التكنولوجيا إلى حياتك.
صنع باليابان
TOSHIBA
PAL/MESECAM
V-73D
بال / ميسيكام
نظام مزدوج • وظائف أوتوماتيكية (إبتداء التشغيل أوتوماتيكيا ، تشغيل أوتوماتيكي ، ترجيع أوتوماتيكي ، ترجيع وإيقاف التشغيل أوتوماتيكيا) • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • نظام بحث عن الصورة متقدم • حركة تشغيل بطيئة سرعة ١/٥ • تحكم عن بعد لاسلكيا • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.
V-57TR
VHS
بال / ميسيكام / أن في أس سي ٤،٤٣ ميجاهرتز ٣ أنظمة • مؤقت مبرمج لـ ١٤ يوم / برنامج واحد • نظام اختيار الفولت • تحكم عن بعد لاسلكيا بعدة طرق.
V-53TR
Beta
بال / سيكام / أن في أس سي ٤،٤٣ ميجا هرتز ٣ أنظمة • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • تحكم عن بعد لاسلكيا للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد لاسلكيا ١٤ وظيفة • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.
V-51D
Beta
بال / سيكام
نظام مزدوج • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / برنامج واحد • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد ٩ وظائف.
TOSHIBA
TOKYO JAPAN

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

قسم خاص



توازن القوى

مناورة يتعلمها الطفل من أمه

بقلم : راجي عنايت

« عندما يدرك الطفل قوته ، فإنه يبدأ في ممارسة ضغوط مختلفة لتحقيق رغباته وتلبية طلباته .. هنا يجب أن ندرك على الفور أن ثمة خللا في العلاقة بين الطفل وبين الآخرين ، لا بد من تصحيحه ، وإلا كان الثمن فادحا » .

في الأسابيع والشهور الأولى من حياة الطفل ، لا يستطيع الطفل أن يميز بين « أنا » و « الآخرين » و « العالم من حولي » ، انه يعيش في محيط متدفق من الأحاسيس المختلفة المتلاطمة ، ثم يبدأ - بالتدريج - في اكتساب ادراك لنفسه كشخص منفصل عن بيئته .. وأول شخصية تبرز له من وسط الضباب ، هي الأم ، أو الشخص الذي يحل محلها في ذلك الوقت ، وادراك الطفل لأمه ، كمصدر راحة أو ألم ، يؤثر الى حد ما في علاقاته مع البشر الذين يتصل بهم في حياته المقبلة .

واذا كان الشائع أن عنصري الغريزة والوراثة هما أكبر مؤثرين على كيان الطفل ، فالثابت أن أثر خبرات التعامل في الطفولة يكون على درجة من القوة ، مما يتجاوز أثر الغريزة والوراثة .

وسنحاول فيما يلي أن نناقش بعض المناورات الضارة التي يتعلمها الطفل في بداية حياته ، والتي تتحمل الأم مسئوليتها ، وان كان الأمر يمضي بطريقة لا شعورية بالنسبة لطرفي التعامل ، هذه المناورات التي ما ان تبدأ مع الطفل في سنواته الأولى ، حتى تتواصل غالبا خلال طفولته ومراهقته .

وهناك بعض المناورات المقتضبة التي تجري بين الطفل ووالدته ، والتي لا تدوم لأكثر من عدة ساعات أو عدة أيام ، وهذه لا تكون ضارة ، وان كانت تسبب قدرا من التعاسة أثناء ممارستها ، الا أن ما نركز عليه هنا ، هو المناورات الضارة طويلة المدى ، التي تجري بتصميم واصرار وروح قتالية بين الأطراف المعنية ، وهي التي تصوغ شخصية الطفل على مدى حياته .

السيادة لمن ؟

في سن مبكرة ، يعلم الطفل أن لديه قدرا معينا من القوة وامكانية السيطرة . حتى وهو بعد في سنوات الطفولة المبكرة ، يشعر أن البكاء يجلب اليه اهتم



أو يوفر اليه ما يحتاجه من هدهدة وربت وتمسيد ، وان الرفض والصراخ يرغمان الأم على تلبية حاجته ، وهكذا ينمو - ببطء - نوع من توازن القوى بين الأم وطفلها ، ويتواصل خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة .

المفروض في توازن القوى هذا ، ألا تكون السيادة المطلقة للأم أو للطفل ، فالأم التي ترهب طفلها بالصياح أو العبوس غالبا ما تحظى بطفل رعديد أو متمرد ، والطفل المنطلق العفوي الذي لا يشعر بأي قيد ، ويحظى بالسيادة الكاملة في توازن القوى هذا ، يفشل في التعامل مع المحظورات العديدة التي يصنعها المجتمع للناس .

الأم تكون قادرة على ارضاء الطفل وتغذيته ، باطعامه في الوقت المناسب ، وتكون قادرة على عدم القيام بذلك ، وهذا ينعكس بعد سنوات قليلة على الطفل الذي إما ان يحافظ على أثاث البيت ، أو يعمد الى تحطيمه وتخريبه ، المهم أن ذلك يحدث في أغلب الأحيان ، وليس لدى الطفل أو الوالدين ادراك

واضح لسبب هذه التصرفات .

من نماذج المناورات الضارة التي تعلمها الأم لطفلها مناورة « توازن القوى » .

أين الخطأ ؟

بدأ الطفل هشام يمارس هذه المناورة قبل أن يبلغ الثالثة من عمره ، فقد شعر أن الصياح الموقوت من جانبه يربك أمه ويحيرها ، ويضعه في مركز قوة ، ولأن الأم لا تدرك بشكل واع دخولها في هذه المناورة ، فعند كل ثورة يبديها هشام ، تظل تفكر مهمومة « ما هو الخطأ الذي ارتكبته ياترى في حق هذا الطفل ؟ » .

هذا السؤال - في حد ذاته - خطأ ترتكبه الأم ، وكان الأجدر بها أن تسأل نفسها « ما هو الخطأ في العلاقة التي بيني وبين هذا الطفل ؟ » .

التساؤل الأول يستهدف شخص الأم ويركز عليها ، رغم أن الاجابة عنه تكون في يدها وحدها . والتساؤل الثاني ينصب على الهدف السليم ، أي العلاقة بين الأم وهشام ، حيث تكمن المشكلة .

اذا ما واصلت الأم ترديد السؤال الأول ، موجهة اللوم الى نفسها ، شاعرة كل مرة بالفشل ، فسيقود هذا الى استسلامها ، وعندما يبلغ هشام الخامسة من عمره ، يكون قد اكتسب قدرا كبيرا من السيطرة على أمه وممارسة قوته عليها ، وتعتمد مناورته المتكررة مع أمه على حركتين أساسيتين : (١) سلوك عدواني ، لفظي أو مادي ، عندما يسعى للحصول على شيء ، (٢) التوقف عن هذا السلوك عندما يحصل على بغيته .

تهديد مع وقف التنفيذ

عندما يصل هشام الى سن الدراسة ، يتوقف عن الصراخ ، وعن تحطيم أثاث البيت ، وتتحول مناورته الى مناورة كلامية خالصة . . وهي تجري على مثل هذا النمط التالي :



الأم : هشام . . كفاك لهوا في الحديقة . . ادخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : انني ما زلت اريد أن أواصل لعب الكرة .

الأم : سيصل والدك بعد قليل . . أرجوك ادخل .

هشام : ليس الآن . . لم أنته من لعبي بعد .

الأم : (بصوت مرتفع) هيا يا هشام .

هشام : لماذا تصيحين ؟

الأم : أنا لا أصيح . . أنا فقط أطلب منك أن تدخل .

هشام : ها أنت تصيحين مرة ثانية .

الأم : الساعة تقترب من الثانية يا هشام . . أدخل .

هشام : أنت دائما تفسدين متعتي بما أفعله .

الأم : (بتهديد ضعيف ، تعرف هي وهشام مقدما انه لن يوضع موضع التنفيذ) أدخل حالا . . والافسآتي وأدخلك قسرا . .

هشام : (مواجها التهديد الزائف) لن أدخل . . لا يزال هناك بعض الوقت لكي ألعب بالكرة . .

الأم : أرجوك يا هشام . . استجب لكلامي .

هشام : سأنتهي من اللعب بعد ربع ساعة .

الأم : (وهي تعود منهزمة الى داخل البيت) سيكون والدك قد حضر .

ضوابط المجتمع

هذه المناورة تكشف عن تشوه في علاقة الأم بابنها ، فالأم بالاضافة الى الحب والتفهم الذي تبديه نحو طفلها ، يجب أن تكون قادرة على أن تضع له حدودا معقولة ، وتصر على التزامه بها ، وبهذا يشب الطفل قادرا على التكيف بسهولة مع الحدود والضوابط العديدة التي يضعها له المجتمع .

فالمجتمع يطلب من الشخص مثلا ، أن يقف بسيارته عندما تصبح اشارة المرور حمراء ، وأن يدفع الضرائب التي تستحق عليه في مواعيدها المعينة ، وأن يوجد في عمله في أوقات محدودة ، والشخص لن يتمكن من الوفاء بذلك وبغيره ، اذا لم تتم داخل نفسه القدرة على فعل ذلك في علاقات التعامل مع الآخرين في سنوات طفولته ومراهقته .. في المرحلة التي تتشكل فيها شخصيته .

نحن نحبك . . . ولكن

دعنا الآن نتصور الطريقة المثلى التي تواجه بها الأم مناورة توازن القوى عندما يمارسها معها ابنها .

الأم : هشام كفاك لهوا في الحديقة .. أدخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : انني ما زلت أريد أن أواصل اللعب بالكرة .. (وحتى يقول) لماذا تصيحين . ؟ (عند هذه النقطة ، يجب أن تسأل الأم نفسها السؤال الصحيح) ما الخطأ في العلاقة التي بيني وبين هشام ؟ .. ومن ثم تستطيع أن تصل الى الاجابة الصحيحة « انه يحاول أن يستعرض قوته علي » .

الأم : اسمع يا هشام ، لقد حان وقت الغداء ، عليك أن تدخل لتغتسل قبل أن يصل والدك .. هيا .. الآن .

هشام : أنت دائما تفسدين متعتي بما أفعله ..

الأم : جادة هذه المرة ادخل الآن .. والا أدخلتك قسرا ..

هشام : (متحديا) لن أدخل .. ليس الآن .. انا سأستمر ..

(تجذبه الأم من ذراعه ، وتدخل به ، ثم تغسل له وجهه ويديه ، فيبدأ هشام في البكاء والصراخ ..)

الأم : اذهب الى حجرتك حتى تنتهي من هذا البكاء والصراخ .. وأغلق الباب خلفك جيدا ، حتى لا تزعج أحدا بصياحك هذا .. نحن نحبك يا هشام ، لكننا لا نفيدك اذا ما تركناك تفعل ما تريد ، وتبكي وتصرخ عندما تفشل في ذلك ..

هشام : انتظري حتى يأتي أبي ..

الأم : لن يفيدك هذا أيضا .. لقد تحادثنا أنا ووالدك في هذا الشأن ليلة البارحة ، ولن يستجيب أي منا لصياحك هذا ..

هشام : (حائر لافساد مناورته) ماذا تقولين ؟

الأم : (بحزم) لقد سمعت ما قلته .. أدخل الى حجرتك حتى أستدعيك لتناول الغداء .. □

الخيل ثلاثة

● روي الامام أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخيل ثلاثة ، ففرس للرحمن ، وفرس للانسان ، وفرس للشيطان ، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله ، واما فرس الشيطان فالذي يقامرون عليه ويراهنون ، واما فرس الانسان فالفرس يرتبطها الانسان يلتمس بطفلها ، فهي ستر من فقر .

إختيار الزوج حق لمن ؟

بقلم : وفاء طه ناجي

بظل زواج البنت إحدى المشاكل في حياة الأسرة خصوصا اذا تعارضت رغبة الآباء والبنات .

على الرغم مما تتمتع به البنت اليوم من حرية في اقامة علاقات صداقة وزمالة ، سواء في الجامعة او في العمل ، فانها ما ان تصل الى مرحلة الزواج ، حتى يبدأ حوار عائلي عن أهمية اختيار العريس ، وتطرح أسئلة عديدة مثل ، ما هي المواصفات الأساسية التي يجب أن تتوافر في زوج المستقبل ؟ وماذا يكون دور الأب عندما تختار ابنته شريك حياتها ؟ وما موقف البنت اذا رشح لها والدها زوجا ؟

أصحاب العلاقة

تقول سعاد علي : إنني أكنُّ لأبي كل حب واحترام ، وهو الرجل الذي حرص على غرس القيم الأصيلة في نفوسنا ، والذي علمنا أن نحترم الكبير ونأخذ بنصحه . . وكان هو بدوره يحترمنا ويناقشنا في كثير من أمور حياتنا ، ويأخذ برأينا في بعض المواقف ، حتى تقدم لي زميل كنت قد تعرفت عليه أثناء دراستي الجامعية ، ورأيت فيه الشريك المناسب واتفقنا على الزواج ، ولكن ما ان علم أبي أنني على علاقة به قبل زيارته لبيتنا ، حتى أعلن رفضه ، ولم يكلف نفسه عناء السؤال عما اذا كان هذا الشاب مناسبا أم لا ، ولم يقبل مناقشتي في الأمر ، بل انه اعتبر ان هذا الموقف فرصة مناسبة ليسحب مني ثقته ، ويؤكد أن اختيار « العريس » هو حقه وحده ، بحكم التجربة وخبرة الحياة . . .

أما ايمان . . . فتقول : « عشت حياتي في بيت أسرتي أتمتع بحرية واسعة ، وبالطبع كان لي صديقات في الجامعة وفي النادي وفي محيط العائلة ، ورغم هذه الدائرة الواسعة من العلاقات ، لم ارتبط عاطفيا بأي زميل أو قريب ، حتى بعد تخرجي في الجامعة ، الى أن فوجئت بأبي يرشح لي ابن عمي زوجا ، ويخبرني انه اتفق مع أخيه على موعد عقد القران ، وعليّ أن استعد للزفاف ، وعندما أعلنت رفضي لأنني لا أحمل له الا مشاعر الاخوة منذ طفولتنا



المشتركة ، ثارت ثائرة أبي ، وعبثا حاولت أنا وأمي وأخي الأكبر أن نقنع والدي بالعدول عن موقفه ، ولكن بلا جدوى ، فهويقسم انني سوف أنعم بحياتي مع ابن اخيه الذي يحافظ عليّ ويوفر لي من أسباب السعادة ما يجعلني أذكر لأبي موقفه هذا ، وبالعشرة « يولد الحب » !

من يختار : البنت أم الأب ؟

أما أمينة .. فتقول : « الحكاية بدأت عندما تعرفت بأحد الشباب في حفل زفاف احدى صديقاتي .. وشعر كل منا بارتياح للآخر .. وبشكل تقليدي جدا تقدم يطلب يدي من « أسرتي » بعد حوالي شهر من بداية معرفتي به ، واستقبله والدي ، وكان موقفه غريبا .. فهو لم يرفض ولم يوافق ، ولكنه أمهل العريس لأجل غير مسمى ، انني لم أشعر بالحيرة في حياتي كما شعرت بها في ذلك الموقف .. فقد كان العريس يتمتع بمواصفات كثيرة من حسن الخلق والأصل الكريم ، ولكني في الحقيقة لم أعرفه جيدا ، وربما كانت موافقتي مغامرة غير مضمونة النجاح ، وكلما فتحت حوارا مع والدي لاسترشد برأيه لا اسمع الا عبارة واحدة « عليك وحدك أن تقرري ما اذا كان هذا الرجل يصلح لك زوجا أم لا .

وللآباء وجهة نظر . .

هذا جزء من مشاكل البنات عند اختيار الزوج ، فكيف ينظر الآباء الى تلك المرحلة من حياة بناتهم

يقول أمين : « المشكلة التي تؤرقني كأب ،هي ان ابنتي التي بذلت في رعايتها كل جهد حتى تخرجت طبيبة ، ترى نفسها قد كبرت الى حد أن تتخذ قرار الزواج وحدها . . فقد تقدم لابنتي زميل لها في العمل يطلب يدها ، وكانت هي مقتنعة به تماما ، ولكنني عرفت أنه محدود الطموح ، ويرضى باليسير من النجاح ، وابنتي تعرف جيدا انه مكتف بشهادة البكالوريوس ، فهو يرى ان لديه من المال ما يكفيه أن يعيش ميسورا ، ابنتي طموحة جدا ، وهذا ما يخيفني ، وما اعتقد أنه سيخلق مشكلة كبرى في حياتها اذا ما تزوجا ، ولكنها ترى ان مخاوفي ، مجرد وساوس أب يخشى على سعادة ابنته » .

أما عبدالله . . فيقول : « اخترت بنفسي زوج ابنتي ، انه أحد أقاربنا ،وهو شاب ممتاز يشهد له الجميع برجاحة العقل ، ورغم أنه لم يتم دراسته الجامعية ، الا انه يملك تجارة واسعة ورثها عن أبيه ، يديرها بمهارة فائقة ، ويعيش حياة رغدة ناعمة ، أنا لا أرى فيه عيبا واحدا ، فالشهادة ليست كل شيء ، ورغم ذلك فابنتي ترفض الزواج منه ، وتصر على أن يكون شريكها جامعيا مثلها » .

أما عبدالرحمن . . فيقول : « عندما تقدم عريس ابنتي الصغيرة ، تركت لها وحدها حرية الاختيار ، ولم يكن ذلك اسلوبي في تربية بناتي ، ولكن حدث ما دفعني لذلك ، فقد تدخلت في زواج ابنتي الكبرى ، بل أصررت على تزويجها ممن اخترته لها ، ولم امنحها الفرصة الكافية لمعرفته جيدا . . وكانت النتيجة أنها طلقت بعد عام واحد من زواجها ، فقد كان بخيلا الى حد التقتير على نفسه ، وكثيرا ما أجبرها على الاقامة عند أهله بحجة التوفير . . وكان الاستمرار مستحيلا ، ولذلك فأنا أترك لابنتي الحرية في اختيار شريك حياتها » .



الزواج . . علاقة بين جماعتين

أمام علماء الاجتماع ألقينا بهموم الآباء والبنات عند اختيار زوج الابنة . .

يقول : د . أحمد أبوزيد استاذ الانثروبولجيا بجامعة الكويت : « اعتقد ان السبب الرئيسي في حيرة الآباء والبنات هو تصور كل من الطرفين ان حق الاختيار المطلق مقصور عليه دون الآخر . . ولكن الواقع أن حق اختيار الزوج حق مشترك ، للطرفين أن يتبادلا فيه المشورة ، حتى يصلا الى رأى واحد ، فالحق هنا مشروط بحكم الحياة في مجتمع له قواعد وقيم

واذا كان كثير من البنات يعتقد ان حق اختيار الزوج حق مطلق لهن فهذا خطأ كبير ، لأن الزواج ما هو الا علاقة بين جماعتين وليس علاقة بين « فردين » والتاريخ القديم مليء بالحكايات التي تؤكد ذلك ، ففي بعض القبائل القديمة كان منتشرا أن يسهم افراد العائلة (كل حسب وجه قرابته) في المهر الذي يدفعه

أحدهم لعروسه ، ومن ثم يوزع هذا المهر على أهل العروس (كل حسب درجة قرابته) أيضا ، فتدخل الاب في اختيار زوج ابنته هو ترجمة لمبدأ المسئولية الجماعية .

وتتضح الصورة أكثر في حال اخفاق الزواج ، فالجزء الاكبر من المسئولية يتحمله الأهل قبل البنت ، وهذا ما يؤكد مبدأ « التكافل الأسري » في العائلة العربية ، بعكس الحال في بلاد أوروبا وأمريكا » .

ويستمر د . أبوزيد في حديثه قائلا : « ولا يعني كل ما سبق انكار حق الفتاة في ابداء رأيها الصريح في الشريك ، فذلك لايجوز ، وهو حق منحه لها التشريع الاسلامي ، والأمثلة عليه كثيرة ، وكلنا يعرف ان السيدة خديجة هي التي اختارت الرسول عليه الصلاة والسلام للزواج ، ولكن قد يحدث في كثير من العائلات أن يرفض الأب العريس الذي اختارته ابنته ، أو تأبى الفتاة أن تتزوج رجلا يرشحه لها أبوها ، ولكل منهما طبعا مبرراته في الرفض ، ولذلك فمن الضروري في هذه الحالة أن يأخذ برأي العائلة . . خصوصا الأخوال ، فهم دائما أقرب الى قلوب وعقول البنات ، ويبحث الجميع في هدوء نقاط الاختلاف .

فقد يكون الأب على حق في رفضه لانهدام ركن أساسي من أركان العلاقة الزوجية (كأن يكون العريس غير كفء مثلا من الناحية العلمية ، أو المادية ، أو الأجتماعية) ويكون الرفض هنا لصالح البنت ، أو قد تكون للابنة العروس وجهة نظر مقبولة اذا رفضت ابن عمها ، مثلا لأنها تشعر نحوه بمشاعر الأخوة ، وهو أمر يجعل التقارب العاطفي أمرا صعبا ، وأنا شخصيا لا اعتقد أن تدخل الأب يعني فرض قيود على حرية البنت ، ولكن كثيرا من البنات اليوم يتأثرن للاسف بنظرة الغرب الى حرية البنت ، وهذا خطأ كبير ، فالمسئولية الجماعية التي تحدثنا عنها هي حماية جماعية أيضا للبنت ، وعندما جعل الله تعالى في التشريع الاسلامي للذكر مثل حظ الانثيين ، انما جعل ذلك لأن للرجل دورا في حياة الأسرة كلها » . □

أم سلمة

● عرفت أم المؤمنين هند بنت أمية المشهورة بأم سلمة بالرؤيا السياسية الواضحة ، والآراء الصائبة التي تدل على خبرة وحنكة وبصر بالأمور .

فقد روي أنها ذهبت للخليفة عثمان بن عفان حين اعتورته الخطوب ، وتزاحمت حوله الأحداث ، فقالت له يابني : مالي أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جناحك ناقرين ، يابني لاتقف طريقا كان رسول الله يحبها ، ولاتقتدح بزند«ضرب الحجر بجسم صلب فيفرز شررا»كان قد أكباه « لم يصدر شررا » وتوخ حيث توخى صاحباك أبوبكر وعمر ، فانهما ثكما الأمر ثكما « أي أنهما التزما بالحق » ولم يظلما ، وهذا حق أمومتي قضيته اليك ، وان عليك حق الطاعة .

فرد عليها عثمان قائلا : قد والله قلت فوعيت ، وأوصيت فقبلت ، وان لي عليك حق النصيحة .

هو ....

ابنها

خمسة عشر عاما هي عمر زواجي ، ومنذ اليوم الأول وحتى الآن وعـذاب الحياةلاينتهي ، تزوجت وأقمت مع أم زوجي في بيت واحد ، فهو وحيدها الذي وهبته عمرها بعدوفاة زوجها .

وقبلت ورضيت وتقبلت . . . فلم يكن منطقيا ولا انسانيا أن أرفض الحياة مع سيدة تشع الطيبة من قسمات وجهها ، وقدرتها على العطاء لا حدود لها .

ورغم طيبتها المفرطة . . فانها كانت دوما مصدرا لشجار لا ينتهي بيني وبين زوجي ، شجار أدى تراكمه وتكراره الى خلق فجوة بيني وبين زوجي ، فهي سيدة لا تكف عن الحركة ، شديدة الدقة والنظام . . . تحكمها عادات وتقاليد وطريقة حياة لا تتغير ، وتصر على فرض وتطبيق نظامها في البيت وفي تربية الأولاد . . . فالمقاعد لابد أن ترتب بطريقة معينة وطريقة غيرها خطأ ، والملابس تنشر بشكل محدد وخلافه خطأ ، وطهو الطعام يجب أن يكون بطريقة طهو ثابتة ، والأولاد يعاملون بحنان بالغ



وتدليل شديد . . . ومن هنا ثارت وتفجرت كل اختلافاتنا . . . فهي نمطية شديدة التدقيق . . . ولا شيء يشغل فكرها واهتمامها ، ليس في حياتها شيء تحلم به أو تقلق من أجله الا نحن . . . ابنها وبيته . .

وفوق الحب الطاغي الهائل الذي تحبه لابنها فانه صار مع الزمن ، وسير العمر بها محور حياتها ، كل ما يتصل بابنها تهتم به ، وتفكر فيه وتغير وتعدل وترتب . . حاولت مرارا أن أوجه نظرها بلطف بأنه لايليق أن تعيدي شيئا فعلته أنا أمام الأولاد . . ولا يليق أن تصححي أفعالي أمامهم وبحكم سنها وحبها الكبير لابنها يدفعها فضولها الى دس أنفها في كل شيء ، والسؤال عن كل ما يقال أمامها حتى لو لم تسمعه ، ولو حرص أطراف الحديث على التحدث بصوت خافت فتصبح الطامة الكبرى ، اذ تنطلق أسئلتها في تتابع وتوال ماذا تقولون ؟ تكلموا . . قولوا . . ولا يقتصر فضولها على شيء ، فمن مشاركتها في حياتي الزوجية والتنصت على أحاديثي أنا وزوجي . . . وانتهاء بفرض نفسها على كل ما في حياتنا . . تخرج معنا . . . نضطر الى زيارة مجاملة تصر على المجيء . . . حتى لو كان هناك خيار بيني وبينها أينا يمكث في البيت مع الأولاد . . . تجري هي كالأطفال ، وترتدي ملابسها ، وتجلس بجوار الباب ، تحث أبنها على ارتداء ملابسه . . وانتهيت الى أن روضت نفسي . . انني في البيت ضيفة ليس لي شيء لا في منزلي ، ولا أولادي ، ولا زوجي .

هي

هي ....

بين نارين

● بين شقى الرحى أعيش ، عذابي لاينتهي ، أدفع الثمن كل يوم من أعصابي ودمي ، وقائمة أمراض قال عنها الأطباء انها حالات عصبية لا علاج لها الا هدوء الأعصاب وراحة البال ، لا يمر يوم دون خلاف واختلاف ، تقفان معا في المطبخ ، أبدا في سماع أصواتها تختلفان ، أجلس معهما نتحدث أو نتناقش ، أجد نفسي بين طرفين ... ورأيين ... وأعترف أن أمي لظروف كثيرة أصبحت تصرفاتها تثير الأعصاب ، وان زوجتي تتحمل كثيرا ، ولكنها عندما تنفجر يصيب رشاشها الكل ... وحاولت كثيرا أن أقول لزوجتى مزيدا من التحمل وحسن الادراك ... وأقول لأمي أريحي نفسك ولا تشغلي بالك بشيء .. استريحي واستمتعي بأيامك معنا .. لم يطلب منك أحد أن تقومي من مكانك ، ولا أن تسهمي بعمل ما في البيت ، ولا أن تقومي بتربية الأولاد .. ولكن كل نصائحي وأحاديثى تذهب أدراج الرياح .



شرحت لزوجتي كثيرا تفاصيل حياتنا .. وكيف توفي والدي ونحن أطفال صغار ... أنا وشقيقتي ، كان عمري وقتها سبع سنوات ، وعُمر شقيقتي عامين ، وأوقفت أمي عمرها وشبابها علينا . خاضت معارك كثيرة مع أهلها كي لاتتزوج .... وانتصرت في النهاية ... كانت تدللنا وتخاف علينا من لفحة هواء ، لم تسمح لشقيقتي مثلا حتى يوم زواجها بأن تعمل في المنزل ، شأن كل الفتيات ، ولا أن تساعدها على الأقل حتى تتعلم ، وقلت لزوجتى أنا الآن أحصد ثمن وفائي لها ، فلم أغضبها يوما ، وما ان بلغت مبلغ الرجال حتى بحثت عن عمل ووازنت بين عملي ودراستي ، لكي أعينها على الحياة ، خوفا من الا يكفي معاش أبي ... وكانت تودعني صباحا بدموعها .:. وتستقبلني مساء بحنانها ... كبرت معها .. فأصبحت الأب والرجل .:. حتى وصل حبها لي الى درجة المرض تخنقني به .. تقتلني به .. تفسد عليّ حياتي ، أدرك تماما أنها لا تقصد ، ولكن الطريق الى جهنم كما يقولون محفوف بالنوايا الطيبة ، ورغم طول ما شرحت وفسرت لزوجتي ، الا انها تصبر بعض الوقت ثم تنفجر ، وأنا أعذرها والتمس لها الأعذار ، وأتفهم ما تتحمله ، ولكنني لا أستطيع أن أقول لها أبدا انك على صواب ، وان أمي أخطأت .

هو

من الحياة



فنان.. نبت في رمال الصحراء

بقلم : منير نصيف

عشق الصحراء ، فقد نبت في رمالها ، وأحب البادية فقد عاش سنوات حياته الأولى في أحضانها . . انه الفنان مصطفى بكير الذي ولد في مدينة العريش في شمال شبه جزيرة سيناء ، وقضى سنى طفولته الأولى يحبو وسط الطبيعة من حوله بكل ما تحمله من جمال وقسوة . . ولكن تأثره بالجمال كان أقوى من كل شيء ، اصطدم به وهو يخطو أولى خطواته في الحياة ، في تلك الحقبة البعيدة القريبة من الزمن ، في أوائل الأربعينيات ، عندما كانت مدينة العريش مجرد قرية صغيرة ، يعيش أهلها على صيد السمك ورعى الأغنام ، وانتظار شروق شمس يوم جديد . . . . .

كبر الطفل . . وفي رأسه وصدره صور الحياة التي عاشت معه في طفولته . . الصحراء برمالها الناعمة وشمسها الساطعة الدافئة . . البحر بمياهه الفيروزية ، وأشجار النخيل الباسقة تطل عليها اطلالة العاشق المتيم بهذا اللقاء الأبدى ، بين الماء والرمال الساخنة على الشاطىء الذي ترعى فيه الأغنام ، ثم لاتلبث أن تبتعد عنه في رحلة الى بطن الصحراء ، تبحث في الرمال عن غذائها . .

وقوارب صيد السمك تعود مع الغروب محملة بغذاء يوم جديد ، لهؤلاء الذين اتخذوا من الخيام مأوى لهم وبيتا ، يعودون اليه بعد يوم طويل من العمل الشاق من أجل الرزق والحياة . .

وترك « الفنان الصغير » الصور التي أحبها ، وسافر الى المدينة . . الى القاهرة لينهل من مدارسها ومعاهدها أكبر قدر من العلم . . وتخرج في كلية الفنون الجميلة . . وكانت فرحته بالشهادة التي يحملها أهم حدث في حياته ، فقد أسرع عائدا الى



● راعية الغنم .. والبحث عن الطلاء

الأرض التي أحبها والسماء التي افتقدها ، والأهل الذين طال فراقه عنهم ، في رحلة البحث عن العلم والمعرفة .. وكان لقاؤه مرة أخرى بالصور التي لم تفارق مخيلته لحظة واحدة ، على مدى السنوات التي أمضاها بعيدا عنها ..

ومع هذا اللقاء الجديد ، ولد الفنان بكير ، فقد أمسك بفرشاته ، وراح يعبر بها عن كل ما كان يختزنه من صور الحياة في سيناء ..

ثم كانت النكسة !

وفي عام ١٩٦٧ ، عام النكسة ، أقام الفنان الشاب بعد تخرجه في كلية الفنون الجميلة بعام واحد ، أقام أول معرض للوحاته في مدينة العريش .. ثم كان الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ، مع ما احتلته من أراض عربية أخرى .. وبحث العدو الاسرائيلي عن الفنان الصغير الذى كانت لوحاته تعبر عن صمود أهل سيناء في مقاومة الاحتلال وتجسد هذه المقاومة ، حتى قال عنه الفنان الكبير حسين بيكار :

« عجيب أن تنبت مثل هذه الزهور من رمال الصحراء » ..

ولكن بكير اختفى ، ولم يستطع العدو أن يصل اليه ، ليقطع اليد التي كانت تحارب بلا سلاح ، فقد عبر الحدود الى الأردن ، ومن هناك عاد الى القاهرة .. وبقى ينتظر العودة الى الأرض التي أحبها .. ست سنوات كاملة أمضاها في كفاحه الهادىء مع الألوان ، فأقام عدة معارض للوحاته المستوحاة من سيناء وحياة أهلها وكفاحهم .. وكانت تعبر عن الأمل الذي ظل يعيش في قلوب الرجال الذين لم يستسلموا للهزيمة ، وعن التفاؤل بالمستقبل الذي يترقبون مجيئه .. حتى كانت حرب العاشر من

رمضان المبارك التي حطمت اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لايقهر .. وعاد الى لوحاته ليعبر بفرشاته عن تلك الانطلاقة التي نقلت العرب من الهزيمة الى النصر ..

يوم النصر !

وأسرع ينقل أعماله الأخيرة التي رسمت الصورة الجديدة ليوم النصر الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، وفوق أنقاض خط بارليف بمدينة القنطرة شرق أقام معرضه الجديد الذي سجلته الصحافة المحلية والعالمية .. وعاد الفنان الى الرمال التي عشقها في سيناء .. عاد وهو يحمل معه ستين لوحة ، طاف بها بعد ذلك جميع محافظات القطر المصري ، فكانت فيلما تسجيليا ملونا يصور قصة كفاح شعب من أجل الحياة ..

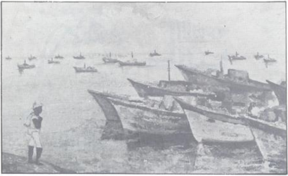
لقد مثل هذا الفنان المتيم في حب سيناء ، بلاده في معارض الفن التشكيلي التي اقيمت في موسكو وصوفيا وتانزانيا ومعظم الأقطار العربية .. وأثارت لوحاته ذات الألوان الحمراء والرمادية والصفراء اعجاب النقاد والمشاهدين الذين وجدوا أروع تعبير عن فترة الكفاح والمعاناة التي عاشتها بلاده ..



● أمومة في البادية . △



● حاملة الجرة ، ورحلة البحث عن الماء . ◁



● قوارب الصيد في بحيرة البردويل .

أطلقوا عليه اسم فنان سيناء . . ومنحوه لقب « فنان الجوائز » فقد كان الفائز دائما بالجائزة أينما حلت رسوماته ولوحاته . . فاز بها في موسكو وصوفيا وفي مصر في أكثر من معرض شارك فيه . . وكانت لوحته « زهور برية » هي الفائزة بالجائزة الأولى في المعرض القومي للشباب الذي شارك فيه الفنانون المصريون والسودانيون ، واستطاع أن ينقل فنه الى أمريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا ، حيث تحتل بعض لوحاته مكان الصدارة في المعارض التشكيلية .

البداوة أصالة !

سألوه يوما : ماسر هذا الحب الكبير بينك وبين حياة البادية ؟ » ، فكتب فنان سيناء مصطفى بكير يقول : « المجتمع البدوي يشدنى دائما لأنه مجتمع أصيل يتميز بالعزة والكرامةوالتماسك التقليدي . . ان هذه الصفات تهز الفنان في داخلى ، فلا أستطيع أن أقاوم تسجيلها بفرشاتى وألوانى التي أحملها معى في حلى وترحالى . . لقد عشت أعواما طويلة وسط البدو في سيناء ، ارتحل معهم وانقل صورا لحياتهم . . وهي صور عاشت معى وبقيت في خاطرى ، ولن تغيب عنى أبدا . . فهى جزء من حياتى . . انها حياتى كلها ! □

■ قبل أن أتزوج كان عندي ست نظريات في تربية الأطفال ، أما الآن فعندي ستة أطفال ، وليس معي لهم نظريات (جان جاك روسو) .

طبيب الأسرة



قضايا منزلية

الطّفل المتشنج

لاشيء يثير الذعر والهلع في قلب الوالدين أكثر من رؤية نوبة تشنج مفاجئة تجتاح طفلهما الصغير .

والواقع أن هذه الصورة التي تبدو مأساوية ، لاتحمل خطرا كبيرا بالحجم الذي يتوهمه والدا الطفل وذووه .

ان الاضطراب الذي ينتاب أهل الطفل قد يؤدي الى سوء التصرف ، مما قد يضر بالطفل أكثر مما تضره نوبة التشنج ذاتها ، وقد يعمد البعض الى سرعة استدعاء الطبيب الذي يحضر عادة بعد انقشاع الغمة ، وانتهاء النوبة التي لاتدوم طويلا على الأغلب ، ودون أن تخلف ضررا أو أذى للطفل .

هناك أكثر من سبب لتشنج الطفل المفاجىء هذا ، والسبب الأهم والأكثر شيوعا هو الحمى ، أو ارتفاع درجة الحرارة ، بما يتعدى ٤٠ درجة مئوية .

ومن المألوف أن يصاحب نوبة التشنج الارتعاشي غياب عن الوعي ، أو غيبوبة تدوم مدة وجيزة لاتتجاوز دقائق معدودة ، ثم يفيق الطفل ويعود الى وعيه ، وتختفي كل مظاهر التشنج ، ويروح في سبات عميق ونوم هادىء وكأن شيئا لم يكن .

في مثل هذه الحال لابأس من استدعاء الطبيب أو استشارته ، مع محاولة تخفيض درجة الحرارة المرتفعة بالوسائل التالية .

(١) حقنة شرجية بالماء البارد (تلافى استعمال الماء المثلج) حيث يخلط ماء الصنبور بقليل من بيكروبونات الصوديوم ، بنسبة ملعقة شاي صغيرة الى ملء كوب من الماء ، ثم حقن المحلول في شرج الطفل ، ويضم فخذيه لمنع الماء من التسرب مدة ثلاث دقائق تقريبا ، ويلاحظ انخفاض درجة الحرارة عقب الحقنة الشرجية بحوالي ١٥ ـ ٢٠ دقيقة

(٢) كمادات الماء البارد : يجرى هذا عن طريق تبليل جسم الطفل ، وبخاصة جبهته ورقبته وذراعاه بمزيج من الماء البارد والكحول ، بنسب متساوية ، ويترك ليتبخر .

(٣) استعمال أكياس الثلج على الرأس والرقبة لمدة دقائق معدودة .

وعلى المسعف خلال هذا مراعاة وضع شيء ما بين أسنان الطفل ، يحول بينه وبين أن يعض لسانه ، حتى لايجرحه أو يقطعه .

ان من الأهمية بمكان تمييز نوبة التشنج الحراري من

نوبة تشنج الصرع ، وهذه لا تصاحبها حمى ، وعادة ما تفاجىء الطفل تكرارا وهو في أتم صحة ، فاذا به يصرخ صرخة مميزة ، يقع بعد هذا مغشيا عليه في حالة تشنج ، دون أي ارتفاع في درجة الحرارة .

وهذا الأمر قد يكون اسعافه بعدم التدخل أثناء النوبة ، اللهم الا الملاحظة والمراقبة ، ومنع عض المريض للسانه ، مع ابعاده عن أي أذى قد يصيبه مما حوله ، الا ان علاج الصرع يكون ضروريا عند الطبيب المختص فيما بين النوبات .

هناك نوبة أخرى من نوبات التشنج ، قد تصيب بعض الأطفال بدرجة محدودة ، عندما يخافون أو يصرخون ، فاذا بتنفسهم يتوقف ، ثم يغلب اللون الأزرق على وجوههم ، مما قد يوحي بالاختناق ، وبعدها يقع الطفل مغشيا عليه في نوبة من التشنج ، وهو ما قد يطلق عليه اصطلاح انحباس الانفاس التشنجي ، وهو أمر عارض مؤقت لا خوف منه ولا أذى ، كما قد يتوهم أهل الطفل ، لأن الصورة تبدو لهم مثيرة للهلع والفزع .

هناك أمراض شتى لا مجال لحصرها تدخل في نطاق المسئولية الطبية ، تؤدى الى تشنجات الأطفال ، مثل الفشل الكلوي أو التسمم بالرصاص ، أو التهابات المخ ، أو النزيف داخل الجمجمة ، وهي جميعا تصحبها أعراض وعلامات مميزة لاتخفى على الطبيب المختص ، وعلاجها يرتكز على علاج المرض المسبب تحت اشراف طبي . □

بريد طبيب الأسرة

مرض رينودز

●أصيبت أخت لى فى أصابع يدها وقدمها بمرض ، قال الأطباء عنه انه مرض يسمى رينودز ، وبالرغم من كل علاج فان حالتها تزداد سوءايومابعد يوم ، مما صرت معه شخصيا أخاف على نفسى من الاصابة به .

لذا أرجو إعطاءنا نبذة عن هذا المرض وأسبابه وعلاجه وطرق الوقاية منه .

ب . ج

حلب ـ سوريا

ـ اسم هذا المرض النادر منسوب الى الطبيب الفرنسي موريس رينودز maurice Rayanods الذى كتب عنه بحثا مطولا عام ١٨٦٢ ، وهو مرض من أمراض الأوعية الدموية التى تضيق فتقصر معه الدورة الدموية عن تغطية حاجة الأنسجة من الدورة الدموية ، بل ربما يؤدى تفاقم المرض الى انسداها كلية .

وعادة ما تكون الأطراف كأصابع القدم ، أو أصابع اليدين ، أو صيوان الأذن أو الأنف ، هى موضع الاصابة المختارة .

والمرض يداهم ضحيته فى نوبات قد تدوم دقائق معدودات ، أو ربما تطول الى ساعات أو أيام ، حيث يعانى المريض من الآم شديدة ، مع مظهر شخصى يصبح معه الجلد أبيض اللون ، أو ربما محتقنا ، ثم يعقب هذا رد فعل يتورم معه مكان الاصابة ، ويميل اللون الى الاحمرار ، والسبب فى الحالة الأولى هو ضيق الأوعية الدموية التى يعقبها اتساع نسبى فى الحالة الثانية .

فى الأحوال الشديدة قد تؤدى الاصابة الى غنغرينا

الجلد ، أو الموات فى مواقع محدودة ، مع تقرحات مؤلمة بسبب عجز التروية الدموية .

لم يتمكن الأطباء حتى يومنا هذا من تحديد هوية هذاالمرض ، أو معرفة أسبابه ، وبالتالى عجزوا عن علاجه علاجا حاسما .

لهذا فهم ينصحون المصاب بتفادى التعرض للبرد أو الصقيع ، كما ينصحونه بتوخى الهدوء النفسى ، وتفادى الاثارة العصبية ، حيث ثبت أن البرد والتوتر العصبى يهيجان نوبات المرض والمعاناة

هذا بالاضافة الى ضرورة الابتعاد عن التدخين كلية ، حيث أن النيكوتين يؤدى الى انقباض العضلات الدقيقة فى جدران الشرايين وبالتالى ضيقها .

وينبغى أن يحرص المريض على الابتعاد عن الماء البارد ، وضرورة استعمال الماء الدافىء فى استحمامه ، أو عند غسل الأيدى والاقدام .

يلجا بعض الأطباء لاستعمال عقاقير تدخل فيها أملاح اليود ، أو مواد موسعة للأوعية الدموية ، ولكن نجاح هذا العلاج محدود وغير مضمون لكل الحالات .

لهذا قد ينصح آخرون باللجوء الى عمليات جراحية ، يتم خلالها قطع الاتصال العصبى العاطفى (السمبائوى) للمنطقة المصابة ، وقد ثبت نجاح هذه العمليةالى حد كبير ، وخصوصاً فى حال اصابة القدم ، أكثر من نجاحها فى اصابة اليد .

بقى أن نشير الى أن المرض يغلب على النساء أكثر مما هو بين الرجال ، بنسبة قد تصل الى خمسة أضعاف ، لذا لا حاجة للسائل الى القلق والتخوف من احتمال الاصابة كما يتوهم ، هذا بالاضافة الى أنه يندر الاصابة قبل سنوات البلوغ ، كما يندر فى سنوات الكهولة والشيخوخة عقب سن الأربعين ، فليطمئن السيد القارىء العزيز .

ردود سريعة :

● **السيد ع . ع ـ درعا ـ سوريا :**

يبدو أنك تعانى من مرض الصرع المعروف قديما باسم المرض « المقدس » ولا نظنه وراثيا ولا هو مرض عقلي ، وانما هو اختلال وظيفي أو عضوي في الجهاز العصبي ، يمكن لأخصائي الأمراض الباطنية علاجه ، ولكن يفضل طبيب مختص في الأمراض العصبية اذا توفر ، وليس طبيب الأمراض النفسية والعقلية ، وعلى أي حال فان الأمل في تخفيف النوبات كبير اذا ما ثابرت على العلاج .

● **السيد خ . س . شمال سيناء ـ مصر :**

ـ يحسن بك مراجعة اخصائي في الأمراض العصبية لأن معاناتك مرتبطة بتقلباتك النفسية وردود فعلك العصبية .

● **السيد/ ع . أ . ر لبنان :**

ـ زيادة الشهية عند الغضب أمر مألوف ومعروف في علم النفس ، ولهذا فان زيادة وزنك تعنى فرط غضبك وتكرار معاناتك ، وهذا هو الأمر الأحق بالعلاج ، حتى لا تزيد الطين بلة باصابتك بقرحة هضمية ، أو ارتفاع ضغط الدم ، أو ربما مرض السكر وما اليه من مشاكل صحية يجرك اليها الغضب ، فلا بأس من استشارة أخصائي الأمراض النفسية ليجد لك حلا .

● **السيد/ أ . ع . ى ـ نجع حمادى ـ جمهورية مصر العربية :**

ـ عليك الالتزام بنظام خاص لانقاص الوزن عامة ، بالاقلال من النشويات والحلويات والفواكه السكرية ، بالأضافة الى رياضة مستمرة خصوصاً للأطراف السفلى كما هي الدراجة ، أو المشى أو الألعاب السويدية .

مساحة وُدّ

الرّحمة والعدل

لاأنسى هذا اليوم أبدا ، ولا أنسى هذه الحادثة .. ومازالت محفورة بالنار في عقلي .. ولم أجد لها الى اليوم حلا ، منذ شهور وفي احدى الصحف العربية ، وفي صفحة داخلية كان الخبر .. موظف باحدى الادارات الحكومية يقتل زوجته وأبناءه الأربعة ويحاول الانتحار ، والسبب .. انه لا يستطيع أن يوفر لهم المأكل والملابس المناسبة والكافية ، وبقيت الليالي الطويلة مؤرقا .. وظل ذهني وعقلي مشغولا .. وأخذت أتابع تفاصيل الحادثة التي اعترف بها صاحبها حتى توفي من جراء محاولته الانتحار ، واعترف رغم قسوة الحادثة وبشاعتها أنني التمست للرجل بعض العذر ، فنحن في زمان ظالم .. وعذاب رؤية أطفال لايشبعون عذاب لايطيقه أحد .. وعذاب النوم جوعا والارتعاش بردا .. ونظرات عيون الأطفال لأب لايملك لهم شيئا .. عذاب لايمكن أن توفيه كلمات ، ولكن المعنى الحقيقي الذي كلما اقتربت منه ازداد عذابي .. انه في اليوم الذي أقدم فيه على ازهاق أرواح أبنائه .. أفطرت أنا وتغديت وتعشيت .. ونمت في دفء الفراش ، وكثيرون مثلي .. بل ملايين آخرون ، والذي يفجر الغيظ في القضية هو أنه يفيض في الكثير من البيوت طعام يكفي لاشباع أسرة وأكثر .. ولاجدال في أن الرجل كان ايمانه ضعيفا ، وكانت المواجهة صعبة وقاسية ومؤلمة بين استسلام الايمان ورضائه وتسليمه ، وبين قسوة المواجهة وصعوبتها.تذكرت حينئذ الحكمة المشهورة للصحابي الجليل أبو ذر الغفاري : « عجبت لمن يبيت جائعا ولا يخرج على الناس شاهرا سيفه » . هكذا ظل عقلي يتساءل أين تكمن الأزمة ؟ هل في قضية التخلف والتنمية ؟ هل في التبعية الاقتصادية ؟ هل في قلة الموارد وكثرة البشر ؟ ولم أستطع الاجابة .. فرغم كل وجاهة الأسباب السابقة ، كونها تمثل مع غيرها أمراضا نعاني منها جميعا في وطننا العربي .. لكنني أتصور أننا لم نصل بعد الى هذا الحد الذي يموت فيه الناس خوفا من الموت جوعا .. وهنا مرت أمام عيني صور أحياء الصفيح والفقر والجوع المنتشرة على خريطة الوطن ، وتذكرت صور البسطاء يقفون أمام مراكز توزيع وبيع المواد التموينية .. ورأيت الأطفال الذين يعانون من الهزال .. والقلة التي تتألق حيوية .. رأيت الصور المتقابلة والمتناقضة حتى على مستوى الحي الواحد .. والمدينة الواحدة ، وأدركت أننا نحتاج قبل أي شيء الى قليل من الرحمة ، وكثير من العدل □

محمود عبدالوهاب

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

مستهتر - إخصائي

يقول شيخنا الحرّ المرتهن أبو العلاء المعري :

« وما أتوقى . والخطوب كثيرة
من الدهر . الا أن يحل بي الهتر »

والهُتر : ذهاب العقل من شيخوخة أو غم أو مرض ، والهتْر : الباطل . والرجل هتْرٌ : أي داهية ، وتهاتر الرجلان : ادّعى كلاهما على الآخر باطلا . وهاتره : شتمه بالباطل ، وتهاترت الأقوال : تساقطت ، اسقط بعضها بعضا . وفي القاموس : « أهتر فهو مُهتَر - بفتح التاء - شاذ ، وقد قيل : اهتر - بالضم - ولم يذكر الجوهري غيره ، واهتر - بالضم - فهو مُهتَر : أُولع بالقول في الشيء ، وهتَرُه الكبر يهتره ، وفيه أيضا : المستهتر بكذا على مالم يسم فاعله » .

واهتر : خرف فهو مهتر وهي مهترة .

وفي لسان العرب « واما الاستهتار فهو الولوع بالشيء والافراط فيه ، حتى كأنه أهتر أي خرف ، وفيه أيضا استهتر فلان فهو مستهتر اذا كان كثير الاباطيل » .

ولم يرد الفعل « استُهتِر ولا مستهتَر في المعاجم التي بين أيدينا الا مبنيين للمجهول[1] . وعدم وجودهما في عند المعاجم هو وحده حجة من يمنعون استعمال هاتين الكلمتين بالبناء للمعلوم ، فلا يجيزون أن يقال كما يقول المحدثون : استهتر فلان ، أو فلان مستهتر .

وهذه الحجة - إن صحت - لا تكفي وحدها لهذا المنع ، لأن المعاجم المتداولة بيننا ليست كل المعاجم ، ولأن المعاجم كلها لم تستوعب كل ألفاظ اللغة كما هو معروف ، والمرجع الاول والأصل هو النصوص المأثورة ، وما يشتق منها ، وما يقاس عليها ، فهل الكلمة التي يمنعونها وردت في نص مأثور ؟ .

والجواب : نعم ، ففي كتاب « المفضليات » للضبي قصيدة للشاعر الجاهلي عبدة بن الطبيب ، منها قوله :

ان الحوادث يخترمن ، وانما
عمر الفتى في أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا
جدًّا ، وليس بآكل مايجمع[2]

وفي شرح ابن الانباري للمفضليات ، يقول معقبا على هذين البيتين : « روى احمد : المرء يجمع ماله مستهترا كدحا ، وقال : مستهترا مولعا بذلك .

كدحا ، كذا ، مستهترا : ذاهب العقل من حرصه عليه وهو الولع بالشيء » .

وفي طبعة مصرية للمفضليات عقب محققاها[3] هنا فقالا : « المستهتر : المولع بالشيء الذاهب العقل فيه من حرصه عليه ، وضبط بكسر التاء على وزن اسم الفاعل في اصول المتن والشرح أربع مرات والذي في المعاجم ضبطه بفتحها بوزن اسم المفعول ، وضبط فعله استهتر بالبناء للمفعول ، فما ثبت هنا لغة لم ينص عليها » .

وهذا يكفي لاثبات صواب استهتَر ومستهتِر ، ولكن لنفرض ان هذا النص لم يرد ، فلا يمنع هذا أن نقول : إن الكلمتين صحيحتان . ويلفت النظر ما نقلنا هنا عن القاموس : اذ يقول « أهتَر (بفتح الهمزة » فهو مهتَر ـ بفتح التاء ـ شاذ » ومسبب شذوذه ان فعله الرباعي مبني للمعلوم ، وكان ينبغي ان نقول قياساً مُهتِر .. اسم فاعل ، كما يقال في كل فعل رباعي مثل احسن فهو محسن ، لا أن يقول : مُهتَر اسم مفعول . وأهتر واستهتر بمعنى .

وقد جاءت كلمة « الاستهتار » في لسان العرب ، وهي مصدر للفعل ، « استهتر » سواء بني الفاعل أو المفعول ، فما الذي يحول دون بناء هذا الفعل للفاعل ؟ يقول لسان العرب ان الاستهتار الولوع بالشيء والافراط فيه ، فاذا تدرجنا في التصريف جاز أن نقول استهتر فلان بالشيء ، أي ولع به ولعا وولوعا واستخف فهو مستهتِر به ، كما جاز ان نقول استهتر به أي أولع به بالبناء للمجهول . ومن هنا يتضح صواب « استهتر » و « مستهتر » .

اختصاصي وإخْصـائي

الى الدكتور أمين موسى جاد . اختصاصي الحشرات ، (الزمالك ـ القاهرة) : تحية وشكرا ، لا حاجة الى الاعتذار عن كلمة « إخصائي » بدلا من « اختصاصي » اذ جاء في القاموس ما نصه « أخصى تعلم علماً واحدا » وفي شرحه « تاج العروس » تعقيب على هذه العبارة نصه : « نقله الصاغاني وهو مجاز ومصدر أخصي هو اخصاء ، والنسبة اليه « اخصائي » . وان كان يبقى سؤال هو : هل يمكن أن نتصور اقتصار انسان على علم واحد ، أو يقتصر علم واحد على انسان ، أم ان الغرض هو التوسع في احد العلوم دون بعض ، ولا شك أن التخصص ـ كما هو شائع بيننا اليوم بحكم كثرة المعارف ـ خير من جانب ، ولكنه شر من جوانب ، لانه يجور على جملة الملكات العقلية والنفسية ، بل يجور على شخصية الانسان وهذا بلاء عظيم . وهو يذكرنا بكلمة للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه يشير فيها إلى انه رأى أذنا تمشي وقد تعلق بها انسان . . ☐

---

(١) نبه الى هذا ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ) في كتابه « تقويم اللسان » ، فقال : « تقول : استهتر فلان بكذا ، بضم التاء الاولى وكسر الثانية ، على ما لم يسم فاعله . والعامة تفتح الثانية ، وهو خطأ » .

(٢) شرح ابن الانباري على المفضليات ص ٣٠٢ (طبع اوربا) ويخرمن : باخلال الاعمار ، وفي رواية : يخرمن .

(٣) تام بتحقيق هذه الطبعة الاستاذان احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون

ش ع ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

التلبية في الحج

لأبي نوّاس

أبو نواس الحسن بن هانىء من مشاهير شعرائنا ، ولد في الأهواز بفارس سنة ١٤٥ هـ (وهي السنة التي أسس فيها أبو جعفر المنصور العباسي مدينة بغداد) وكان أبوه دمشقيا من جنود مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية (ت ١٣٢ هـ) أرسله الى الأهواز فأحب فتاة منها تسمى جلبان ، فتزوجها ، وكان ممن أنجبت له أبو نواس ، وقد انتقل به أبواه إلى البصرة فنشأ بها ، وكانت من أعظم مراكز الفكر والثقافة ، وبسبب فقر أسرته وموت والده دفعته أمه الى عطار ليخرجه في مهنة العطارة ، ولكن نفسه لم تطمئن اليها ، وكان اذا سمع شعرا ارتاح اليه ورغب في نظم مثله ، وقد انتقل الى الكوفة وكانت من أعظم مراكز الفكر والثقافة أيضا ، ثم الى بغداد وكانت قد بدأت تعمر بالعلماء والأدباء وكان شاعرنا - حيثما حل - ولوعا بحضور مجالس الأدب واللغة ومخالطة فصحاء الاعراب ، فكان يعي ويحفظ ما يسمع حتى صار من نوابغ الشعر والأدب واللغة ، كما اطلع على كثير من ثقافات عصره اسلامية وعربية وأجنبية .

وقد رحل الى الشام ومصر ، ولقى فيهما الأدباء والشعراء . ومدح في تنقلاته الملوك والأمراء والوزراء والقواد ، فقربوه اليهم ، وأعانوه بجوائزهم ، فعرف من خلال مخالطتهم مجالس لهوهم وأسرار قصورهم بما فيها من بذخ السلطة وترف الثراء .

وفي عصره بدأ يزهر كل ما استنبت في العصور السابقة له من غروس الحضارة خيرها وشرها ، جدها وهزلها ، يقينها وشكها ، وكان أبو نواس بحكم نشأته ومزاجه وبنيته الدقيقة أميل الى اللهو ، فتغنى في شعره بكل تيارات عصره ولا سيما تياراته اللاهية ، وتطرف في مجونياته ككثير من معاصريه وفي مقدمتهم الشعراء . وكما توسع هؤلاء في اللهو توسع غيرهم في الدعوة الى الزهد كأبي العتاهية ، ولما كانت النفس الانسانية لا تطيق الاستمرار في لذائذها المادية فان أبا نواس كان يستشعر الندم على افراطه في مجونه ، فيعود الى التوبة والاستقامة في فتراته ولا سيما في شيخوخته ، ومن هنا أكثر من النظم في الزهد وزجر نفسه عن المعاصي والتوبة الى الله ، وله في ذلك نحو خمسين قصيدة ومقطوعة لا تقل حرارة عن زهديات أبي العتاهية الذي اشتهر بشعره في الزهد .

وقد حج كثير من الشعراء الى بيت الله ، ولكننا لانعرف أحدا منهم نظم « التلبية » التي يدعو بها الحاج منذ يتحرك للحج حتى ينتهي حجه غير أبي نواس . ومن صيغ « التلبية » « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » وقد توفي أبو نواس بين سنة ١٩٨ و ٢٠٠ هـ عليه رحمة الله .

ونحن ننشر هذه التلبية الشعرية بمناسبة موسم الحج .

أهنـا ، مـا أعـدلَـكْ — مَليـكَ كـلِّ من مَـلَكْ
لبيـكَ ، قـد لبَّيتُ لـكْ — لبيكَ ، إن الحمدَ لـكْ (١)
والملكَ ، لا شريكَ لكْ

مـا خـابَ عبـدٌ أمَّلَكْ — أنـت لـهُ حيـثُ سلَكْ
لـولاكَ يـا ربُّ هَـلَكْ — لبيـكَ ، إن الحمدَ لـكْ
والملكَ ، لا شريكَ لكْ

كـلُّ نـبيٍّ . ومـلَكْ — وكـلُّ من أهَلَّ لَـكْ (٢)
وكـلُّ عـبدٍ سـألَـك — سبَّـحَ ، أو لَبَّى فلكْ (٣)
لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

والـليـلُ لَمـا أن حَـلَك — والسابحاتُ في الفلَكْ (٤)
عـلى مجـارى المُنْسَـلَكْ — لبيـك ان الحمـد لـك (٥)
والملك ، لا شريك لك

يـا خـاطئـاً مـا أغْفَلك — اعمَل ، وبادِر أجلك (٦)
واختـمْ بخـيرِ عمـلك — لبيـك ، ان الحمـد لـك
والملك ، لا شريك لك

□

---

(١) لبيك : اجابة لك بعد اجابة .
(٢) اهل لك : رفع صوته بالتلبية .
(٣) سبح لك : صلى ، أو قال : سبحان الله .
(٤) حلك : اظلم ، أو اشتد ظلامه ، السابحات : النجوم والكواكب ، الفلك : مدار النجم والكواكب .
(٥) المنسلك : الطريق الذي يسار فيه .
(٦) الخاطيء : العاصي ، بادر لأجلك : اسرع بعمل الخير في حياتك .

صدر العدد السابع من

مجلة

العربي الصغير

للفتيان والفتيات العرب

٦٤ صفحة بالألوان

مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار

في الأسواق أول كل شهر

احجز نسختك من الآن لأبنائك

لا تدفع أكثر من ٢٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها للنسخة الواحدة

١٠٠ جائزة قيمة تنتظر طفلك شهرياً في مسابقة العربي الصغير



مكتبة العربي

كتاب الشهر



فضل العرب على الثقافة الأوروبية

تأليف : خوان فيرنيت خنياس

عرض وتقديم : جليل العطية

أثر العرب في الثقافة الأوروبية ، موضوع قديم يتجدد . ورغم أن هذه الحقيقة ثابتة لا جدال فيها ، إلا أن الخلاف يبدأ عند بحث المدى الذي وصل اليه هذا الأثر ، والكتاب التالي يلقى ضوءاً جديداً على هذا الموضوع القديم .

---

* الكتاب صادر باللغة الأسبانية وترجمه الى الفرنسية جبرئيل مارتيني جرو

كتاب الشهر

يقرر المؤلف أن كتابه هذا عبارة عن دراسة للتاريخ الثقافي العربي في اسبانيا، ولذلك فانه لا يتناول التطورات السياسية والدستورية لأنها لا تشكل الهدف الأساسي للبحث، واذا حصل شيء من الاسهاب في فترة سياسية، فمرده الى تميز هذه الفترة ثقافيا أو فكريا.

في الفصل الأول الذي يحمل عنوان «مقدمة تاريخية» يقدم المؤلف لمحة حول بزوغ الاسلام وانتشاره، ثم بدء الفتوحات في زمن الخلفاء الراشدين، فتوسع هذه الفتوحات في العصر الأموي.

يتوقف المؤلف عند فتوحات شمال أفريقية ليتناولها بشيء من التفصيل، ثم يتناول الفتح الاسلامي لاسبانيا.

نلحظ في هذه المقدمة التاريخية تركيزا مكثفا على موضوع الفتوحات أكثر من الاهتمام بالموضوعات الأخرى، كالناحية الادارية والنظام السياسي أو التطورات الاقتصادية والثقافية، وذلك بهدف الوصول مباشرة الى موضوع فتح العرب لاسبانيا واقامة دولتهم فيها.

ولا شك أن هذه المقدمة مفيدة للقاريء الأوروبي الذي يجهل - أو يتجاهل - الكثير من المعلومات الموضوعية الواردة فيها.

وعبر تأريخه للفتوحات يلمس فيرنيت نقطة حساسة في عملية الفتح واتساع الدولة الاسلامية لتشمل أراضي أجنبية ويضعها في صيغة السؤال كما يلي: هل تم الفتوحات لنشر الهيمنة العربية على الشعوب الأخرى، أم لنشر الاسلام كفكرة انسانية شمولية فيها؟

لقد كان الاسلام دافعاً وحافزاً للفتح، فالاسلام عقيدة شاملة بمقدورها تجاوز «العصبية القومية»، ولكن الاسلام في الوقت نفسه كان عاملا أساسيا في انتشار الثقافة العربية في أوروبا وفي العالم الذي عرف فيما بعد بالعالم الاسلامي. فالكثير من الترجمات التي خدمت الفكر الاسلامي تم نقلها من اللاتينية الى العربية، ثم ان الكثير من الكتب الاسلامية التي ترجمت الى اللغات الأجنبية قد تم نقلها من اللغة العربية، وما ان أشرف القرن العاشر الميلادي على نهايته حتى كانت اللغة العربية من اللغات الرئيسية في أوروبا بفضل الهيمنة السياسية للمسلمين في الأندلس، وبفضل التطور المتفوق للثقافة العربية في كل فروعها.

الدولة العباسية

وبشكل مواز لعمليات الفتح يتناول المؤلف أسس تكون الحضارة العربية ونضوج جميع النواحي الفكرية والأدبية فيها، مركزا على الدولة العباسية كمرحلة تاريخية تم خلالها بلوغ الثقافة العربية قمة تطورها وازدهارها. وفي معرض دراسته لهذه الفترة يقوم باعطاء نبذة تاريخية عن العباسيين وأسس شرعيتهم السياسية، التي بنوا عليها حقهم في تولي شؤون المسلمين. ثم تطور العلوم في عصرهم، فالآداب والعلوم كالفلك والرياضيات حيث أقيم مرصد في بغداد لرصد النجوم والكواكب، وقد أُلِّف الكثير من الكتب في هذا المجال منها كتاب لمحمد بن ابراهيم الغزاوي وآخر لمحمد بن موسى الخوارزمي، وأورد صاعد الأندلسي أسماء العديد من هذه المؤلفات في كتابه «طبقات الأمم»، وقد انتقلت بعض هذه المؤلفات الى اسبانيا في أوائل القرن العاشر الميلادي.

ونشطت حركة الترجمة في العصر العباسي كثيراً، وخاصة من اللغتين اليونانية واللاتينية الى اللغة العربية، وقد ساعدت الدولة على تطور حركة الترجمة وخاصة من خلال بيت الحكمة، وذكر حنين بن اسحاق شيخ المترجمين العرب ان الخليفة المأمون كان يدفع ثمنا لكتاب المترجم بما يقابل وزنه نقودا.

وفي معرض حديثه عن الحضارة العربية في العصر العباسي يذكر المؤلف طائفة من الأسماء التي لمعت في الحياة الثقافية والفكرية في جميع مجالات الابداع الثقافي ، كالآداب والفلسفة والعلوم الطبيعية والكيمياء والطب والرياضيات ، كالكندى والفارابي والجاحظ وآل المنجم ، ويؤكد فيرنيت في دراسته على الجانب العلمي في الحضارة العربية مثل علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والنبات ، ثم يركز على النتاج الفلسفي أيضا باعتبار أن هذه الفروع قد كانت المدخل الأكثر تأثيرا للعرب في الحضارة الأوروبية عندما أصبح لهم موطيء قدم في اسبانيا .

تفاعل عربي - أوروبي

ويبرز المستعرب الأسباني الجهود الضخمة في مضمار الترجمة في العصر العباسي ، هذه الجهود التي ستكون القاعدة التاريخية للكتاب ، والتي سيعتمد عليها المؤلف في ابراز المظاهر والمساهمات الحضارية الضخمة لعرب اسبانيا في الفكر والثقافة الأوروبية .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الفتح الاسلامي الجديد لاسبانيا من قبل عبدالرحمن الداخل ، وتاسيس الدولة الأموية في الأندلس والذي أدى الى انبثاق الحضارة العربية في هذه الرقعة من الامبراطورية الاسلامية ، بشكل يتميز عن الحضارة العربية في البقاع الشرقية لدولة الاسلام ، وذلك بفضل التفاعل المباشر مع الحضارة الأوروبية المسيحية .

لقد قصد الأندلس في تلك الفترة الكثير من أدباء ومفكري وفناني المشرق العربي ، وقام عدد من أدباء الأندلس ومفكريه بزيارات مقابلة الى المشرق العربي ومنارته الحضارية بغداد ، ونهض من خلال هذا التفاعل نشاط فكري في الأندلس شمل جميع نواحى الابداع الثقافي ، فقد ألف العديد من الكتب في الأداب والقانون والفقه والفلسفة والطب وغير ذلك ، يضاف إلى ذلك الخبرة التقنية التي أدخلها العرب الى البلدان الأوروبية في المجال الحرفي اليومي مثل طريقة صيد الأسماك ، والطراز المعماري لبناء البيوت والمدن وطريقة إنباط المياه وإيصالها عن طريق قنوات ومجار خاصة . ومن نتائج ذلك دخول مفردات عربية في هذه العلوم،دخلت الى اللغات الأوروبية ومنها كلمة قناة (ganat) وكلمة مجرى التي حرفت في اللاتينية الى (matrice) .

ويتطرق المؤلف الى فترة ملوك الطوائف وضعف السلطة السياسية المركزية ، وما صاحبها من ضعف في النتاج الثقافي والفكري عامة ، غير أن هذه الفترة شهدت - من ناحية أخرى - سمة جديدة في النتاج الأدبي مثل اتصاف الشعر العربي في الأندلس بالرقة ورهافة الحس ، وظهور ألوان أدبية جديدة كالموشح ، وكان ذلك نتيجة البيئة الجديدة وجمال الطبيعة ورقتها ، وللحياة المدنية التي دخلها العرب بعيدا عن البداوة والصحراء وخشونة الطبيعة وصلابتها ، كما ان هذه الفترة شهدت ظهور النزعة الصوفية في الشعر العربي ، وهكذا نرى أن الضعف السياسي لم يمنع قيام أدب أندلسي جديد ، وثقافة عربية لها سماتها المتميزة .

فضل العرب

يحمل الفصل الثاني عنوان « ملامح من الميراث القديم في الوطن العربي » ، وفيه يدرس المؤلف أصول العلوم المادية وسماتها الأولية ثم تطورها التدريجي ، وهو يعود الى الحضارات القديمة التي سبقت الحضارة الاسلامية مثل البابلية والسومرية . والتي وضعت خلالها مبادىء علم الرياضيات ، ثم تطورات هذا العلم على يد علماء عرب ومسلمين منهم الخوارزمي والفارابي وغيرهم ، وانتقلت بدورها الى عرب الأندلس ، ثم الى البلدان الأوروبية التي انتفع رياضيوها من الاضافات والاكتشافات الجديدة التي جاء بها العلماء العرب .

واعتبارا من هذا الفصل يبدأ المؤلف بالتعامل مع فروع الثقافة تعاملا تقنيا ، فيورد الكثير من المعادلات الرياضية أو النصوص العلمية والأدبية راصدا تطورها ، ومتتبعا مسار الابداع والاضافات العربية في هذه المجالات من فروع المعرفة ، فمن الرياضيات ينتقل فيرنيت الى العلول الفلكية ثم الطب حيث قام العرب في زمن الخليفة المتوكل بترجمة الكثير من الكتب الطبية الاغريقية الى اللغة العربية التي شاركت بدورها في تطوير هذا العلم عبر أطباء عرب أخذوا

وبناء نظريات جديدة تسمن اطاره ، مستفيدين من مبادئ العلوم اليونانية . وما لبثت الكتب الطبية العربية التي ألفت في المشرق ان انتقلت الى الأندلس وترجم بعضها الى اللغات الأوروبية مكونة ، باضافاتها العلمية الجديدة ، قواعد يستند اليها الأطباء الأوروبيون في معالجاتهم أو في عملياتهم الجراحية .

ويؤكد المؤلف بأن المشرق العربي ، مركز الخلافة الاسلامية، والمغرب ، بما فيه الدولة العربية في اسبانيا ، كانا يشكلان على الدوام وحدة ثقافية متكاملة على الرغم من الاختلاف القائم بينهما كوحدة سياسية وادارية ، ولذلك نرى أن ما يكتب ويؤلف في المشرق ينتقل بسرعة الى المغرب ويؤخذ بنظر الاعتبار من قبل العلماء والمفكرين العرب في اسبانيا ، وقد أورد أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي أسماء مئات الكتب التي انتقلت من المشرق على يد أبي علي القالي صاحب الأمالي وغيره ، وذلك في كتابه الشهير الفهرست ، ويتناول المؤلف في فصل خاص بعنوان « اللاتينية لغة الثقافة في الغرب » ادراك العرب لأهمية هذه اللغة ، وسعي مثقفيهم الى دراستها واتقانها ، لأنها تمثل المدخل الرئيسي للاطلاع على الفكر الأوروبي عامة ، وترجمة الأعمال التي بامكانها اغناء بعض النواحي في الثقافة العربية ، وبخاصة علوم الطبيعة والعلوم العقلية .

ثم ينتقل الى فصل يحمل عنوان « تقنية الترجمة » ، ويعد هذا الفصل بمثابة العمود الفقري العلمي والمنهجي للكتاب بفضل المعلومات الواسعة التي أوردها عن عملية الترجمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وبالعكس ، والمؤلف عبر رصده التاريخي والتحليلي لنشوء عصر الترجمة وتطوره وازدهاره ، يضع الحجر الأساسي لفهم القاعدة الثقافية التأسيسية للفصول اللاحقة من كتابه ، التي يرصد فيها التأثيرات العلمية والأدبية للثقافة العربية في الفكر الغربي .

يعالج فيرنيت في هذا الفصل كل الاشكاليات التقنية وغير التقنية التي واجهت نقل النصوص الأجنبية الى اللغة العربية ، هذا اضافة الى رصده التاريخي لحركة الترجمة والنواحي العلمية التي توجهت اليها أكثر من غيرها ، وذلك وفق الفترات التاريخية التي اجتازها .

انفتاح ثقافي

ومع نشوء الدولة العباسية ، ولد تيار جديد من الثقافة العربية بعيد عن التيارات التي هيمنت عليها في العصور السابقة . تجسد هذا التيار بالانفتاح على العالم والاتجاه نحو دراسة ثقافات الأمم الأخرى والتفاعل معها .

وقد لعب الاسلام دورا حاسما في خلق الاتجاه الجديد لأنه كعقيدة دينية شارك بتطوير العلوم العقلية والفلسفية بحيث غدا الفكر الديني بحاجة الى مطابقات منهجية تتجاوز حدوده المعرفية المطروحة بهدف تعميق العلوم المنبثقة من العقيدة الاسلامية نفسها .

وقد بدأت الترجمة بنقل النصوص المكتوبة بلغات قديمة الى اللغة العربية ، مثل السنسكريتية والبهلوية والسريانية . وقام بهذه المهمة ، على الأغلب مترجمون وعلماء ينتمون الى عائلة واحدة تأخذ على عاتقها نقل الأعمال المدونة باحدى هذه اللغات دون غيرها الى العربية ، وانتقلت الترجمة بعد ذلك تدريجيا ، من النصوص القديمة الى الكتب اليونانية ثم الى اللغة اللاتينية .

ويقوم المؤلف بالرصد الدقيق لترجمة كل الكتب المهمة وطريقة وصول الكتاب الى الوطن العربي ، ثم المشكلات التي رافقت عملية الترجمة ، وما الى ذلك من تفاصيل أخرى ، ويؤكد فيرنيت بأن الكثير من المثقفين العرب الكبار قد استفادوا في مجال ابداعهم الأدبي من الكتب المترجمة الى اللغة العربية ، فالمتنبي

ـ مثلا ـ استفاد في أشعاره من الحكم والأمثال الاغريقية .

بعد التطور الشمولي للثقافة العربية وانفتاحها على الثقافات الأخرى بدأت حركة معاكسة للترجمة نهض بها الأوروبيون أنفسهم ، حيث شرعوا بنقل المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية أولا ، ثم الى الاسبانية والايطالية ، وتركزت هذه الترجمات في علوم معينة دون غيرها ، كعلم الفلك والقانون الاسلامي ، ثم ترجمت بعض المختارات من نصوص أدبية متميزة ، ومنها الفصل الثاني من كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم .

اتجاه فكري جديد

وشهدت حركة الترجمة ميلاد اتجاه فكري جديد في الوطن العربي ، هو نقد النصوص المترجمة وتقويمها ، وظهرت فئات من المترجمين الجادين والمهمين ، وفئات واسعة من المترجمين الأقل أهمية .

ومن المترجمين الجادين المتميزين بابداعهم ودقتهم لمع اسم : حنين بن اسحاق .

ثم نشأ نمطان من المؤسسات الخاصة بالترجمة : الأول ، مؤسسات رسمية تابعة للدولة ومن هذه : بيت الحكمة الذي أوعز باقامته الخليفة المأمون في بداية القرن التاسع الميلادي .

والثاني : مؤسسات خاصة قامت بانشائها أسر معروفة ببروزها العلمي مثل موسى بن شاكر وأولاده ، محمد وأحمد والحسين وغيرهم . وفي حين لم يكن في اسبانيا مؤسسات خاصة بالترجمة على غرار المشرق الاسلامي،فقد نشأت الترجمة في الأندلس عبر عوائل جعلت عملية نقل النصوص مهنة لها ، وأخذت على عاتقها ترجمة الكثير من المؤلفات المهمة الى اللغات الأوروبية .

لقد خضعت هذه المؤسسات الأهلية والرسمية لأسلوب عمل علمي وأكاديمي في منتهى التنظيم ، الأمر الذي يقدم حوله مؤلف الكتاب صورة مسهبة مقتفيا عمليات الترجمة بشكل زمني متدرج ، ذاكرا أسماء كل المترجمين المشهورين الذين تولوا نقل الكتب والأعمال الهامة في ميادين الفلك والطب والرياضيات والأدب والقانون ، ولا يكتفي المستعرب الأسباني بذلك بل يفرد في الفصل الخاص بالترجمة جزءا مستقلا يناقش فيه تقنية بحثه ، كالأخطاء التي حصلت في نقل بعض العبارات أو بعض المصطلحات من لغة الى أخرى ، ثم الأخطاء في قراءة النص أو عدم الدقة في فهمه ، والأخطاء الناتجة من عملية النسخ فكثيراً ما يقوم الناسخ بتقديم فقرة أو تأخيرها ، دون أن يتلاءم ذلك مع السياق الصحيح للنص . ثم نجد الأخطاء الناتجة عن عدم الدقة في ترجمة بعض الأسماء العربية الى اللغة اللاتينية أو بالعكس .

ان فصل تقنية الترجمة ينم عن براعة المؤلف وقدرته الخارقة على تتبع النصوص وتحليلها والحكم عليها ودراستها ، وهو يعكس ثقافته الهائلة واستيعابه تاريخ العلوم والثقافة ليس للحضارة الأوروبية فحسب ، بل للحضارة العربية الاسلامية أيضا .

ان هذا الفصل من أكثر فصول الكتاب أصالة ، فلم يسبق أن درسه أحد بالعمق نفسه ، والخروج بالنتائج الايجابية للتفاعل الثقافي والحضاري الذي حصل بين العرب وأوروبا،وكل هذه الأمور وفق المؤلف في رصدها وتتبعها بشكل يثير الاكبار !

الجبر . . وروجر بيكون

رصد خوان فيرينت الحالة العلمية والثقافية في أوروبا والعالم الاسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ، ثم انتقل بعدها الى دراسة العلوم في القرن الثاني عشر الميلادي مركزا على الفلسفة والفلك « والحيل » والرياضيات . ويكشف المؤلف عن حقيقة قلما لفتت أنظار الباحثين الاخرين ، هي ان أسماء المترجمين الذين قاموا بنقل الأعمال العربية الى اللاتينية لم تكن معروفة قبل القرن الثاني عشر الميلادي ، فلم يكن النص المترجم يحمل اسم مترجمه مما يشير الى ان عمل المترجم لم يكن يحظى بالاحترام اللائق كما أنه لم يعتبر حتى تلك الفترة عملا ابداعيا ، بينما شهد القرن الثاني عشر الميلادي بروز أسماء هامة تمثل ابداعها في دقة انتقائها الخاص ونقلها للنصوص أو للكتب ذات المكانة العلمية ، والأهمية الثقافية التي تتميز بها عن غيرها .

يذكر المؤلف أسماء الكتب التي ترجمت الى اللاتينية

خلال هذه الفترة ، وأسماء مترجميها ومنها يتبين بأن النصوص الفلسفية العربية قد حظيت بأهمية خاصة من قبل المترجمين الأوروبيين ، وبخاصة كتب وآثار الفارابي والكندي واخوان الصفا وابن سينا ، حيث تولى مترجمون عديدون نقلها من العربية الى اللغات الأوروبية .

كما وجه علماء الرياضيات في أوروبا اهتماما بالغا بمنجزات الرياضيين العرب والمسلمين بفضل الاضافات النوعية التي قدمها هؤلاء لهذا العلم ، فقد قام روبيرت دي شيستر عام ١١٤٥ بترجمة القسم الأول من أعمال الخوارزمي ، وترجمت في الفترة نفسها بعض آثار نصير الدين الطوسي وابن الهيثم ، ثم بعض أعمال عمر الخيام الخاصة بالرياضيات ـ وليس بالأدب أو التصوف .

ودخل في هذه الفترة مصطلح « الجبر » الى اللغة اللاتينية ، ثم الى اللغات الأوروبية الأخرى ، حيث ما زال يستعمل لحد الآن كدلالة على فرع من العلوم الرياضية .

ويقوم المؤلف بتناول الجوانب الفنية بشكل مسهب لابراز المناحي والعلوم التي أبدع فيها العرب ، وما أضافوه في علوم الحساب والرياضيات وغير ذلك .

وندرك عبر الدراسة العلمية للباحث الأسباني مدى تمكنه ودقته في الموضوعات التي يقوم ببحثها ، فيكشف لنا الاضافات التي قدمها العرب الى علم الرياضيات في أوروبا والى العلوم الأخرى كالفلك والحيل والبصريات والكيمياء والطب .

ففي علم البصريات ـ مثلا ـ يثبت لنا المؤلف بأن روجر بيكون قد انتفع من الاختراعات التي قام بها العرب في هذا المضمار ، وذلك عن طريق اطلاعه على الملفات التي ترجمت الى اللغة اللاتينية .

لقد أعانت المصادر العربية ـ بيكون ـ في التوصل الى صنع العدسات المكبرة وذلك عن طريق لصق طرفي زجاجتين وملء الفراغ المتكون في داخلهما .

وساعد اختراع العدسات على تطور العلوم الأخرى مثل علم دراسة الحشرات الصغيرة ، والتعرف على الخلايا النباتية والحيوانية ثم الاطلاع على مكونات التربة وأنواعها وغير ذلك من علوم دقيقة أخرى .

كتابة الأساطير وحكايات الخيال

وقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي توسع حركة الترجمة وبلوغها قمة الازدهار ، فقد شملت مختلف العلوم التي نبغ فيها العرب كالفيزياء والفلسفة وعلوم الدين والتفسير وعلوم البحار والملاحة والفلك والحيوان والنبات والطب ، اضافة الى الآداب والفنون . وشجع الامبراطور الايطالي فريدريك الثاني الترجمة من اللغة العربية لأنه كان مغرما بالثقافة العربية الاسلامية ، فجمع في بلاطه الكثير من العلماء والأدباء والمترجمين العرب والأوروبيين .

وقد واصل خليفة الامبراطور الفونس العاشر الاهتمام بالحركة العلمية وتشجيع الترجمة من العربية الى اللاتينية والاسبانية والايطالية .

ويقوم المؤلف بتتبع تفصيلي لترجمة مئات الكتب الخاصة بكل الفروع العلمية محددا عناوينها وأسماء مؤلفيها ومترجميها ، وسنوات الترجمة في بعض الاحايين ، ثم يعلق على المحتويات العلمية للكتب الهامة ومدى مشاركتها في الثقافة أو الفكر الأوروبيين .

ان البعد التحليلي غائب عن هذا الجزء من الكتاب حيث يحل محله الرصد التاريخي لحركة الترجمة خلال القرن الثالث عشر ففي الكيمياء ـ مثلا ـ ترجمت أعمال أبي مسلمة قبل غيرها ، فقد ترجم كتابه « غاية الحكيم » عام ١٢٥٦ م الى الأسبانية بأمر من الامبراطور الفونس العاشر ، ثم ترجمت بعد ذلك أعمال الرازي في المجال نفسه .

وفي علوم الصناعات الحرفية ترجمت بعض الكتب

الخاصة بالاسلحة والسفن والطواحين الهوائية ، أو نواعير الماء التي تستعمل في الري ، ومن هذه الكتب « فـرحـة الأنفس » لابن غـالب الـذي نقـل الى اللاتينية .

وقد اتجه المترجمون الأوروبيون الى نقل الكثير من الكتب العربية التي تعنى بالملاحة والتي صنفها عدد من الرحالة والبحارة العرب ، والخاصة بمواسم الابحار أو تحديد الاتجاهات والاستفادة من الرياح في سير السفن ، وفي جانب آخر قام العرب باقتباس واستعمال الأشرعة اللاتينية ، التي كان الأوروبيون يستخدمونها وفق شكل خاص من سفنهم الشراعية ، وقدم لنا ابن حوقل أول وصف مكتوب لها .

ويذكر المؤلف ملاحظة هامة ، وهي ان المؤلفين المسلمين الذين كتبوا في علوم الجيولوجيا والنبات والحيوان ، قد تأثروا بشكل ما بأفكار أرسطو الذي نقلت مؤلفاته الى العربية في ذلك الوقت وخاصة نظريته في التواصل الميرفولوجي،وانعكس هذا التأثير بشكل خاص في رسائل اخوان الصفا ، وفي مقدمة ابن خلدون ، وخاصة الجزء الذي يتناول فيه العلوم الطبيعية .

ومن التأثيرات الهامة التي أدخلها العرب الى الثقافة الأوروبية : كتابة الأساطير وحكايات الخيال والسحر والغموض .

ويعد كتاب « ألف ليلة وليلة » من أهم الكتب التي مارست تأثيراً شديداً في الآداب الأوروبية بعد ترجمته عن اللغة العربية .

وانتقل فن الطبخ العربي الشرقي الى اسبانيا ومن ثم الى أوروبا بشكل واسع ، وخاصة من ناحية الاستخدام الكثير للتوابل ولبعض أنواع الخضراوات الشرقية التي لم تكن معروفة في أوروبا . وانتقل هذا التأثير عن طريق الكتب الخاصة بالطعام وآداب المائدة والطبخ الشرقي .

غرباً عبر اسبانيا

ويكشف المؤلف بأن تأثير العرب في العلوم المادية الأوروبية كان متسلسلا وفق الزمن .

أما التأثير في مجال الأدب والفن فقد سار وفق منحى آخر ، هو التداخل الجمالي والانساني للنص الأدبي العربي ، مع أحاسيس وروح ووجدان شعوب أوروبا .

وقد جاء هذا التفاعل في البدء نتيجة للاحتكاك اليومي الطويل الأمد ، ونتيجة ذلك انتشرت الكثير من الكلمات والمفردات العربية في مجال التخاطب اليومي في البلدان الأوروبية منها :

الله Allah والعافية al — afiya والبركة baraka

ثم اتسعت التأثيرات الأدبية والفنية بشكل واسع ومثير ، فقد شارك العرب في ادخال فن الملحمة الى الأدب الأسباني وذلك عن طريق النصوص الشعرية والنثرية العربية الخاصة بحروب الفتوحات ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم . اضافة الى تأثيرات أدبية أخرى كادخال فن الرجز الى الشعر . وقد أثر العرب كذلك في الشعر الغنائي في الأدب الأسباني وتعدى ذلك ليشمل الموسيقا الأسبانية ، ويستشهد المستشـرق الأسباني بتقـطيع لفـظي مـوسيقي للحروف ، ليستعين به في استخراج ايقاع مشترك بين الشعر العربي والشعر والموسيقا الأسبانية .

ويبين المؤلف شدة تأثير العرب على الشعر الروائي أو القصصي الأسباني ، ولم يكن هذا التأثير محصلة للآداب العربية فحسب بل شمل الآداب الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية والهندية ، حيث يضع الباحث عدة تخطيطات لذلك توضح الجذر الشرقي العام لبعض النصوص العربية وانتقال هذا التأثير بالتالي الى الآداب الأوروبية . فعلى سبيل المثال : مرت حكاية « حصان الأبنوس » من ألف ليلة وليلة بأطوار أخرى قبل اعدادها غربياً ، ثم نجد ظلالها الواضحة في أدب الكاتب الأسباني الكبير سرفانتس ، كما أن الكثير من المستشرقين لاحظوا في القرن التاسع عشر ، وجود تأثيرات واضحة للأدب الهندي في الكوميديا الالهية لدانتي ، ثم تأثيرات اسلامية في بعض فصولها » .

وصفوة القول ان مؤلف الكتاب نجح في رصد التأثيرات العربية في الآداب والعلوم الأوروبية ، وبذلك كشف الدور الفعال الذي لعبه العرب في صياغة الفكر والثقافة الأوروبيين ، وهذا ما يسعى المستعمرون والصهاينة إلى طمسه اليوم . □



من المكتبة العربية

قراءة في كتاب

أمريكا بين عصرين

تأليف : زبيغنيو بريجنسكي   عرض : منذر الأسعد*

كثيرة هي التسميات التي أطلقت على عصرنا الراهن : « عصر العلم » ، « عصر ثورة الاتصالات » عصر انفجار المعلومات .. لكن بريجنسكي مستشار الرئيس الامريكي الأسبق لشؤون الأمن القومي - يسميه « العصر التكنتروني » أي العصر الذي تسيطر فيه التكنولوجيا - والالكترونيات بصفة خاصة .. وهي سمة شاملة تطبع الحقبة الزمنية التي تبدأ بنهاية الحرب العالمية ، ولا تزال هيمنتها تشتد وتقوى . بريجنسكي في كتابه الذي بين أيدينا يستقرىء آثار سيادة الالكترونيات على العقائد والقيم وخريطة العالم السياسية . فماذا يقول الكتاب ؟

ان هذا الكتاب - برغم انقضاء زمن طويل نسبيا على صدوره - لا يزال يحتفظ بأهميته . لأنه يناقش قضايا خالدة ، فهو على النقيض من ذلك يغوص في مشكلات عصر أخذ يتشكل ، وليس للبشرية سابق عهد به ، وهذا سر حيوية الكتاب : البحث في عالم لم يفرغ من انجازه بعد : انه عصر التكنولوجيا والالكترون الذي يطلق عليه المؤلف العصر « التكنتروني » لأن الانسانية - خصوصا الولايات المتحدة في رأي بريجنسكي - تدخل عصرا أصبحت فيه التكنولوجيا - والالكترونيات بصفة رئيسية - هي العوامل الأساسية في عملية التغيير الاجتماعي من حيث البنية والقيم .

ذلك هو محور الكتاب المقسم الى خمسة أجزاء أولها يتناول أثر الثورة التقنية في شؤون العالم ، والثاني يفحص آثار تلك الثورة على محتوى وشكل نظرة الانسان السياسية لواقعه العالمي . وخصص الجزء الثالث لعلاقة الشيوعية بالتحديث ، في حين يركز الجزء الرابع على المجتمع الأمريكي الذي يصفه بريجنسكي بأنه ذو طابع ريادي - اجتماعيا - فضلا عن كونه حقل تجارب للانسانية معا . أما الجزء الأخير فهو خلاصة لمرئيات المؤلف لما يتوقع لبلاده أن تتخذ من توجهات عامة كي تواجه بشكل فعال المشكلات الداخلية والخارجية المترتبة على عصر التكنترون وتحولاته .

---

* كاتب وصحفي من القطر السوري ، يقيم حاليا في المملكة العربية السعودية

ان هذا الجزء يجمع بين التنبؤ والنصائح في آن معًا بأن بريجنسكي لا يخفي تفاؤله بقدرة المجتمع الامريكي على تخطي عقبات مرحلة التحول التاريخية ، برغم القائمة الطويلة للمشكلات الحادة التي تعاني منها الولايات المتحدة .

في عصر التكنترون يتم تشغيل الآلات ذاتيا مما يحد من دور الأفراد . وهذا بدوره يفرز متغيرات اجتماعية وقيمية مهمة . كما يفرض ديمومة التدريب مع تدفق المعارف الجديدة .

ان المعرفة تصبح أداة للقوة ، وتتحول الجامعة من برج عاجي منعزل الى شريك للتفكير منغمس في المجتمع بدرجة كبيرة .

ان مجمل ما سبق ذكره يعني انتهاء عصر العزلة . بيد أنه يعني في ذات الوقت أن ازدياد الانغماس في الشؤون العالمية لا يتيح تفهما أكثر لها ، فالتفتت الفكري مرشح للتصاعد ، مما يدفع جانبا وهم العالم الأكثر تجانسا ـ كما يفترض .

الثورة التكنترونية

أن التكنترون يعزز من قدرتنا على الحد من النزاعات الاجتماعية لأنه يجعلها الى أبعاد كمية قابلة للقياس . . بيد أن الثورة التكنترونية التي تنشط الجماهير الباحثة عن مشاركة حقيقية في صنع القرار ، تحمل بذرة معادية لهذا التوجه ، حيث يغدو صنع القرار شديد التعقيد ، وبالتالي بعيدا عن مستوى قدرة المواطن العادي على المشاركة .

فإن الاتجاه في عصرنا أكثر تقاربا وأكثر اتجاها نحو التفتت في الوقت ذاته . فالواقع المادي والمعنوي (ضعف العائلة وزعزعة العلاقات الشخصية) يتبعثر بينما تضطرنا ثورة الاتصالات الى الاهتمام بشؤون بعيدة عن المساس المباشر بالفرد .

وبما أن السلاح النووي يحقق حالة الردع بين العملاقين اللذين يمكنها العلم ـ حتى من التلاعب بالطقس ـ فإن النزاعات بالوكالة ستستمر ، ويرجح المؤلف لاحتمال حيازة بعض الدول النامية أسلحة ذات قدرة تدميرية عالية ، ثم يطمئن القوى العظمى الى أنها ستستخدم في حروب العالم « التحتي » ان الدور الوحيد الذي يرشح المؤلف الدول النامية للعبه

في عصر التكنترون : دور الضحية ، ويتجاهل تحديد الحلاد ! . . فمعدل الدخل الفردي فيها محدود ـ مهما نما ـ وبنيتها الاقتصادية مهترئة ، وخريجو التخصصات النظرية فيها لايجدون أعمالا ملائمة لهم ، فكيف تكون حال هذه الدول اذا ما أدخلت الأتمتة ؟ . وذلك لأن هناك انفصاما شبه كامل بين نظم التعليم واحتياجات التنمية .

ان العالم الثالث لدى المؤلف محكوم عليه بمزيد من التخلف والقلاقل حتى لو اتبع بعض مناهج الغرب (يكفي بعدم استمرار التجربة الديمقراطية في الهند على اعتبار الديمقراطية نتاجا غربيا لا يتطابق الا مع أكثر الأمم الغربية استقرارا وثروة ؟)

نفحات امبريالية

ومع أن المؤلف يصرح بوجود مليون جندي أمريكي ينتشرون في ٤٠٠ قاعدة عسكرية كبيرة و ٣٠٠ قاعدة صغيرة في أرجاء المعمورة . . وبرغم اعترافه بارتباط ٤٢ بلدا بواشنطن من خلال الأحلاف العسكرية ، فضلا عن بعثات التدريب العسكرية الخ . .

إلا أنه لا يرى أن ذلك يكفي لدمغ بلاده بصفة « امبريالية » وان كان يقر من باب بقاء بعض الحياء بأن علاقة أمريكا بالعالم تتضمن نفحات امبريالية . بل يعتقد المؤلف أن المجتمع الامريكي هو الموزع الرئيسي للثورة التكنترونية في العالم .

يطلق بريجنسكي على عصرنا اسم عصر الايمان المتغير « الشك الذي ساهم في نسف المعتقدات » المؤسسية والتحول الى المؤسسة خطر يحيق بأية أيديولوجية ، ويدمغها بالجمود وبامكانية استغلال العقيدة لصالح المؤسسة المهيمنة .

ان العقائد التي تحولت الى مؤسسات كلها اليوم في موضع دفاع . . فالمؤسسات تقاوم الافكار لأن هذه الافكار تهدد بقاء المؤسسات ، ولا يكتمل رد الفعل العكسي حتى العقائد التي أصبحت مؤسسات اذا لم يشتمل على صياغة مبادىء بديلة للعقد الاجتماعي ولدور الفرد . ذلك أن الأديان في رأيه بتركيزها على الروحانيات أفقرت الجانب الاجتماعي للانسان ، وسلكت الايديولوجيات المادية المسلك المعاكس .

بينما المطلوب ملء هذا الفراغ بعقيدة بديلة متنوعة مرنة صيانة للحرية .

يثني بريجنسكي على الماركسية اذ يعتقد انها وفرت أفضل منظور متاح للواقع المعاصر .. لكن هذه الايديولوجية استحالت برأيه الى مذهب محافظ في موسكو وعجزت عن انتشال الصين من تخلفها الصناعي .

وحين يعرض المؤلف لعلاقة الشيوعية بامكانية التلاؤم مع العصر يركز على التجربة السوفياتية ويجعل من الحقبة الستالينية محورا يقاس أي تطور سوفياتي محتمل بمدى الخروج عليه . ان الستالينية ـ في رأي بريجنسكي ـ كانت حتمية ولم تكن ضرورية ومرد حتميتها الى أنها تصلح أساسا لمجتمع صناعي متقدم (بخلاف أوضاع روسيا عام ١٩١٧) مما اضطر لينين ثم ستالين ـ بدرجة أكبر ـ الى « روسنه » الماركسية (أي تكييفها مع الظروف الروسية) » .

نتائج أم آمال

ثم يعرج على ما يسميه محاولة خروتشوف الاصلاحية التي ما لبثت أن انتهت على يدي المؤسسة الحاكمة . لذا تفاقمت الرمزية والكلمات الضخمة الطنانة مع ازدياد الممارسة انحرافا عما هو مكتوب في صلب الايديولوجية على حد قوله .

ويتوقع بريجنسكي أن يشتد التناقض حدة بين الايديولوجيين والتكنوقراط ، وبالذات حول اللامركزية الاقتصادية ، فضلا عن استفحال الضغوط الاجتماعية بغية اعادة تقييم جوهري للطابع الايديولوجي والمؤسس للدولة السوفياتية . ان خلاصة تكهنات بريجنسكي التي هي آمال له كذلك ـ يمكن تلخيصها بأن التغيير في الاتحاد السوفياتي ولو بدأ بداية بطيئة ـ لن يتم الا على يد الجيل الذي لم تتم تربيته في عهد ستالين .

ان أية حركة أيديولوجية ذات طموح عالمي لا يمكن ـ في عصرنا ـ أن تكون حركة غير تعددية .. أي أنها من المفترض أن تتسم بمحتوى أخلاقي أكثر مما هو عملي ، وانساني أكثر مما هو قومي .

ومع أن السوفيات يتحدثون كثيرا عن الطرق المتعددة للاشتراكية الا أن هذا في رأيه غير التعددية التي تعني التنوع ضمن المضمون العام الواحد . ودليل المؤلف على ذلك أن كلا من (موسكو ـ بكين ـ يوغسلافيا ـ رومانيا ..) بالاضافة الى الأحزاب الشيوعية في الغرب التي تتقرب للجمهور الغربي بالتنكر للانموذج السوفياتي تزعم امتلاك المنظور العام الصحيح للاشتراكية .

كما أن أمريكا بالنسبة لبريجنسكي ليست واحدة كذلك فقد منحها زخمها الاقتصادي والاعلامي بريقا يخفي عوراتها وتشويهاتها ، فهنالك أمريكا التكنترونية الآخذة في الظهور تجدها في المختبرات الالكترونية .

والتجمعات الاكاديمية والصناعات الجديدة .. وأمريكا الثانية الصناعية ، وأما الثالثة فهي أمريكا ما قبل الصناعة : حيث التعليم المتدني والتمييز العنصري الذي يمارس علانية .

أمريكا والفقر

وهذا الوضع المفعم بالتناقضات الجذرية ، يتبدى في مخيلة بريجنسكي ميزة حيث ان هذا الوضع جعل أمريكا مختبر العالم للاجابة عن تساؤلات العصر : هل ينجح الانسان في السيطرة على العلم لتسخيره في خدمة غايات انسانية جوهرية ؟ وهل تصبح التقنية خلاقة اجتماعيا بدون اسراف في الاشراف الاجتماعي ؟ ..

غير أن استمرار أمريكا المركبة يهدد ـ في الوقت نفسه القيم والمؤسسات والتقاليد الديمقراطية الليبرالية . لا سيما أن عدد سكان الولايات المتحدة سيقفز الى ٣٠٠ مليون نسمة عام ١٩٩٠ يعيش ٨٠٪ منهم في المدن ، كما سيشكل الشباب (تحت سن العشرين) نصف المجتمع ! .. وهذا من شأنه مع اطراد التقدم العلمي أن يضاعف من حجم القلق الثقافي وصراع الخبرات .

وعلى صعيد الواقع يشير بريجنسكي الى تحسن جيد نحو التغلب على ميراث أمريكا (ما قبل الصناعة) أي الفقر الذي يقض مضاجع ملايين الامريكيين مما جعله يؤمل في القضاء على الفقر كلية خلال خمس الى عشر سنوات بتخصيص ٩,٧ بلايين دولار سنويا .

وبالرغم من ارتفاع نسبة السود بين خريجي

الجامعات وما يقوله عن ميل أوضاعهم المادية الى التحسن ، فانه يبدي تخوفه من أن يؤدي أي ركود اقتصادي الى نتائج مفجعة على استقرار النظام الامريكي ، وأول ضحايا مثل هذا الركود هم الفقراء (والسود أساسا) .

ان الامريكات الثلاث الفرعية تتعايش معا بصعوبة وتعمل كل منها لاسقاط رؤيتها الخاصة على الجميع . ان أمريكا تخصص موارد ضخمة للجوانب الاقتصادية والعلمية وموارد محدودة للاهتمام المنتظم بالمشكلات الاجتماعية . يضيف بريجنسكي - ان التعليم عندنا مهدد لأنه يكاد يركز على التقنيات أكثر من الأساسيات الانسانية ، وعليه فان المهمة الأكثر الحاحا للمجتمع الامريكي هي بلورة اطار للمفاهيم يتيح للتغيير التكنولوجي أن يكون ذا غايات انسانية رفيعة لئلا تصبح الثورة الامريكية الثالثة التكنترونية مدمرة اجتماعيا لأنها بلا اتجاه مع كونها بامكانيات الانجاز العلمي والصرف .

ويمثل تمرد الشباب الامريكي في الستينيات وما بعدها لدى بريجنسكي ثورة الطبقة الوسطى على الطبقة الوسطى ! انها تعبير ايديولوجي عن القلق الكبير بين شباب الجامعات المتحدرين من الطبقة الوسطى الامريكية . . . لكن مأساة ما يسميه اليسار الجديد تكمن في أنه نتاج للثورة التكنترونية ورد فعل غير صحي ضدها معا . لذا جاءت أيديولوجيته فارغة بلا برامج ولا مضامين ، وغرقت ممارساته في الاباحية الجنسية وفي دهاليز علم النفس . . وعليه فان احتمالات تأثير هؤلاء تظل محصورة في أمريكا الاولى . . لا سيما ان روحهم الاستبدادية ومعاداتهم للعقل تحد من قدرتهم على التأثير في الأوساط المتقدمة تعليميا .

لكن مثل هذه الاحتمالات الشديدة التفاؤل ، لا تدعو الى الطمأنينة المطلقة . فان التجديد التقني مع المحافظة السياسية يغذيان الصراعات ويزيدانها ضراما كما يقول .

أمريكا والتمزق القومي

لقد حاول بريجنسكي التهوين من شأن التيارات المتذمرة من بنية النظام الاجتماعي والسياسي في الولايات المتحدة . . لكنه آثر أخيرا ألا يمضي في خداع الذات . . فاذا هو يقر بجلاء بمظاهر النخر في هذا النظام . ان ثلاث شركات أمريكية تحتكر عملية تكوين الذوق العام والقيم وطرائق الحكم على الأحداث ، مع أقل من عشرين وكالة اعلانية اخطبوطية !

كما أن الأيام أثبتت استغلال رجال الكونغرس لمراكزهم في خدمة مصالحهم الخاصة : عن هذه العناوين الفضائحية تسبب سلبية لدى شرائح واسعة من المجتمع تجاه العملية الليبرالية حتى أصبحت انتخابات الرئاسة لدى الكثيرين مجرد احتفال قومي لا ممارسة للاختيارات الرئيسية للأمة .

ان تنامي هذه السلبية واطراد حدة التوترات الاجتماعية والاقتصادية وتفاقم الصدامات العرقية واغتراب الشباب تنطوي على مخاطر جمة يمكن ايجازها بعنوان واحد هو : استفحال التمزق القومي وهذا قد يحرك عملية البحث عن عوامل خارجية للاستقرار ، فتوضع الثقة بشخصية مسيطرة ، ويصبح الزعيم بديلا لدور المجتمع في عملية الدمج والتكامل . بل انه قد يبرز رهان أقصى اليمين أو أقصى اليسار على تفسخ أمريكا سياسيا ، ومن ثم محاولة الاستيلاء على السلطة ولو أن الفرصة ليست سانحة لأي من الطرفين .

وربما يسيطر اليمين المحافظ (التقليدي) فيقمع السود أو ينفصل هؤلاء في كيان مستقل ويكون الثمن ردة تراجيدية في « الديمقراطية الامريكية » .

ان الكتاب يثير قضية كبرى ولو أنه يلج اليها من خلال منظور أمريكي أساسا . . والاختلاف الايديولوجي الشديد بيننا وبين الكاتب ، لا يعني أن نلقي بكتابه في سلة النفايات وان كان المأخذ الجوهري على الكتاب ، غياب الحديث عن أثر الوضع السياسي على التقدم التقني الا في نطاق هامشي ومبتسر .

ان من الضروري أن تنبثق من الكتاب دراسات عربية جدة تتناول قضية التحديث في العالم العربي من منظور جديد يأخذ بعين الاعتبار عوامل التاريخ والجغرافيا والتقدم التقني والمتغيرات الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : براري الحمى .
المؤلف : ابراهيم نصر الله .
الناشر : مؤسسة الأبحاث العربية .
عدد الصفحات : ١٦٢ من القطع الكبير .

الرواية الأولى للشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله ، الذي رسم صورة هذيانية وكابوسية لعالم بدائي بكل مكوناته ، ولا تستثني من ذلك العلاقات الانسانية القاسية ، كقسوة الطبيعة بما فيها من صخر وبحر وصحراء جرداء ، تزحف فوقها الأفاعي والقنافذ ومخلوقات الصحراء الأخرى .

وقد كتب ابراهيم نصر لله روايته هذه التي تجري أحداثها في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، بلغة شعرية موحية ومكثفة ، تجعل من الرواية قطعة نثرية جميلة .

الكتاب : نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة .
المؤلف : د . على خليفة الكوارى .
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت .
عدد الصفحات : ١٩٤ من القطع الكبير .

يصف المؤلف دراسته هذه ، التي استهدفت صياغة استراتيجية شاملة للتنمية في دول مجلس التعاون ، بأنها محاولة لرسم احدى الصور البديلة للمستقبل ، الذي يمكن ان تنجم عنه تجربة مجلس التعاون الخليجي ، وقد حدد المؤلف الملامح العامة لاستراتيجية التنمية والتكامل ، التي حاول المؤلف تقديم صورة لها من خلال تحديد عناصر الاستراتيجية التي حددها بالمنطلق والغايات ، والتحديات ، والامكانات ، والاهداف الاستراتيجية ، ومتطلبات تنفيذ الاستراتيجية .

الكتاب : الاسرائيليون الأوائل .
المؤلف : توم سيغف / ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
الناشر : مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت .
عدد الصفحات : ٤٠٤ من القطع الكبير .

كتاب جديد من سلسلة الكتب التي ترجمتها أو أعدتها عن العبرية مباشرة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، والكتاب يتناول الفترة الفاصلة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ، وهي الفترة التي أعلنت فيها الدولة الصهيونية ، وخروج العرب الفلسطينيين ، وتحول من بقى منهم إلى أقلية داخل تلك الدولة ، ويتناول الكتاب الذي وضعه الصحفي الاسرائيلي توم سيغف - اعتمادا على آلاف الوثائق - أهم الصراعات والتناقضات التي بدأت مع اعلان قيام الدولة الصهيونية ، والتي تساعد على فهم أفضل للتركيبة الاجتماعية لهذه الدولة ، والمشاكل التي تعاني منها ، فآثار تلك الفترة مازالت ذيولها باقية حتى الآن .

الكتاب : سندباد في عُمان .
المؤلف : يوسف الشاروني
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
عدد الصفحات : ٣٢٢ من القطع الكبير .

مجموعة من التأملات والنظرات الذاتية ، يقدمها كاتب القصة والناقد يوسف الشاروني عن سلطنة عمان حيث يقيم منذ سنوات .

وتتناول هذه التأملات ماضي عمان البعيد والقريب ، ويستعرض بعض الأسماء اللامعة في تاريخ عمان القديم الثرى ، ثم يحاول استكشاف الروح الشعبية العمانية من خلال التراث الأدبي والفني في عمان .

الكتاب : في أصول السياسة المصرية .
المؤلف : سعد زهران .
الناشر : دار المستقبل العربي ـ القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٥٣ من القطع الكبير .

السياسي والمفكر المصري سعد زهران ، يعود بهذا الكتاب الى حلبة الفكر السياسي المصري ، ليقدم اعادة تقييم ومراجعة لتجربته السابقة ، وذلك من خلال عرض نقدي للتاريخ السياسي المصري عبر ارتباطاته وتدخلاته العديدة .

ولانجاز هذه المهمة الصعبة والشائكة ، أقام سعد زهران بناء أخذت فيه المفاهيم الطبقية والسياسية والتاريخية أبعادا ومدلولات خاصة ، استعان بها في تقييمه الجديد الخاص .

الكتاب : دفتر البحر ـ شعر .
المؤلف : راسم المدهون .
الناشر : دار الحوار ، بالتعاون مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . سوريا .
عدد الصفحات : ٧٠ من القطع الكبير .

في الكتاب الشعري الأول له ، يقيم راسم المدهون عالمه الخاص المزدحم بعناصر الطبيعة وأشيائها في حركة لاتهدأ وتحول لاينتهي ، وداخل هذا العالم الشاسع تختلط هموم الحاضر بذكرى الماضي ، وتتواصل العلاقات ، وتنتهي بين هاتين الدائرتين .

والشاعر في محاولته لرسم هذا العالم الثري المتداخل ، يؤسس لغته الخاصة ، ومفرداته التي تميزها الغنائية والبساطة ومسحة رومانسية واضحة .

الكتاب / رسوم أطفال الكويت
المؤلف / عبد الله صالح تقي .
الناشر / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت .
عدد الصفحات / ١٦٨ من القطع الكبير .

منذ عام ١٩٧٦ ، أصبح نشاط المرسم الحر للأطفال أحد الاهتمامات الأساسية للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب فى الكويت ، ومنذ ذلك الحين اعتاد المجلس تنظيم معرض سنوى لرسوم الأطفال .

والكتاب يضم مجموعة مختارة من رسوم الأطفال التى عرضت على مدى السنوات الماضية ، والتي تعكس الثراء الذى يميز عالم الطفل ، والسمات الفطرية التى تطبع رسوماته .

وقدم الكتاب الفنان عبد الله تقى الذى كتب دراسة عن رسومات الطفولة منذ تخطيطاته المبكرة فى السنوات الأولى من عمره ، ومقارنتها بالتخطيطات التى رسمها كبار الفنانين مثل بول كلى ,كاندنيسكى □

مسابقة العربي الثقافية



العدد ٣٣٣
اغسطس ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت (مسابقة العربي الثقافية) العدد ٣٣٣ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا - ١٥ سبتمبر ١٩٨٦ .

١ - بناء ضخم ، كان من عجائب الدنيا السبع في نظر القدامى . . ترى هل هو معبد أم مقر هيئة حكومية أو غير حكومية . . ؟ وما اسمه . . ؟

٢ - عنيد لفظ معروف ومألوف . . ترى ماذا يعنى على وجه الدقة ؟

- تشبث برأيه صوابا كان أو خطأ .
- تشبث برأيه على علمه بأنه خطأ .
- خالف الحق وهو عارف به .

٣ - سَعَفَة النخيل . . نخيل البلح . . هل هي أوراق الشجر . . أم أغصانه . . وما هو جمعها ؟

٤ - تاجر أقمشة يريد أن يقص أحد (الأثواب) قطعا صغيرة . . بطول ياردة واحدة لكل قطعة . . فكم استغرق قص الثوب كله ؟ اذا علمنا أن طول الثوب يبلغ (٧٠) ياردة ، وان قص القطعة الواحدة يحتاج الى خمس ثوان . . . .

٥ - نقول في العامية (كِعي) بمعنى جبن أو انهزم . . فهل لهذا الفعل أصل في الفصحى . . وما هو ؟

٦ - لويس كارول صاحب كتاب « أليس في بلد العجائب » وغيره من كتب الأطفال الشهيرة والشائعة في شتى بلدان العالم . . كان لويس مدرسا . . ترى أي المواضيع درّس وأين ؟

- الأدب الانكليزي في احدى مدارس الريف قرب لندن .
- كان محاضرا في الرياضيات في جامعة اكسفورد .
- لم يكن انكليزيا بل فرنسيا قدم الى انجلترا لتدريس اللغة الفرنسية في مدارسها الثانوية .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٣





٧ ـ أنت ترى الطائرة من داخلها ومن الخارج . . . **فهل تستطيع تحديد نوعها وطرازها . . ؟**

٨ ـ أنواء صيغة جمع . . **ما مفردها وما معناها ؟**

٩ ـ لماذا تمطر الدنيا بردا لا ثلجا . . في بعض الأحيان ؟
ولماذا تمطر ثلجا لا بردا في أحيان أخرى . . . ؟
* اذا جمدت قطرات الماء وهى ما تزال في الغيوم أمطرت الدنيا ثلجا .
* واذا جمدت تلك القطرات وهى في الجو وبعد مغادرتها الغيوم أمطرت الدنيا بردا . . . .

١٠ ـ الصواعد والنوازل في الكهوف ، كم تستغرق من الوقت لتكبر ، أو ما هى السرعة التى تكبر بها . . . .

* تحتاج الى ٢٠٠٠ سنة لتكبير سنتمترا واحدا على وجه التقريب .
* تحتاج الى ١٠٠٠ سنة لتكبير سنتمترا واحدا على وجه التقريب .
* تحتاج الى ٥٠٠ سنة لتكبير سنتمترا واحدا على وجه التقريب .

١١ ـ رجل في الصحراء بلغ العطش منه مبلغا عظيما ، عثر على قنينة ماء . . ولكنها كانت مقفلة باحكام وبسدادة من فلين . . ولم يكن لديه موس أو فتاحة ينتزع بها السدادة . . واستبعد كسر القنينة ، ولو بحذر ، خشية أن يفقد أكثر ما فيها من ماء أو كله . . وبعد تفكير قليل حل مشكلته وشرب الماء كله وروى غليله . . **فماذا فعل . . ؟**

١٢ .كانت بومباى تحت الحكم البرتغالى ، ثم انتقلت الى الحكم البريطاني . . **ترى كيف تم ذلك ؟**
* عن طريق الحرب والاحتلال العسكرى .
* عن طريق الشراء بالمال .
* حصلت بريطانيا على بومباى كهدية عرس (دوطة) .

حل مسـ

١ ـ الصينيون هم الذين استعملوا السترة الموشاة بالذهب والأحجار الكريمة .. وقد استعملوها سترة للموت والجنازات .

والجدير بالذكر أن سلالة هان (٢٠٦ق.م ـ ٢٢٠م) أولت سترة الجنازة عظيم اهتمامها .. وقد اكتشف علماء الآثار الصينيون عددا كبيرا منها في حفرياتهم سنة ١٩٦٨ .

٢ ـ القرس .. انه من صغار البعوض الذي تصعب مكافحته نظرا لصغره .

٣ ـ العبارة خطأ .. فالعائل ليس الذي يعيل وإنما الذي يعال ، وحسبك قول الله تعالى مخاطبا الرسول الكريم : (ووجدك عائلا فأغنى) صدق الله العظيم .

٤ ـ حلّ الكوارتس في ساعات الكوارتس محل البندول أو الرقاص في الساعات التقليدية ، فضمن لها دقة وضبطا أكثر بكثير من الساعات القديمة التي اعتمدت على البندول .

٥ ـ هذا هو تمثال بوذا الموجود في أحد المعابد في تايلاند .. واللفظ بوذا ليس اسما وانما هو نعت ومعناه « المستنير » .

٦ ـ الفرق عرضي .. فالزيتون الأخضر هو الذي يقطف وهو أخضر .. أما اذا ترك على الشجر نضج وأصبح أسود اللون .

٧ ـ لأن الجو الذي يأتينا ضوء النجوم عبره يحتوي على طبقات متحركة من الهواء .. ومن شأن هذه الطبقات أن تحدث بعض الانحناء في مسار ضوء النجوم .. فيبدو لك ذلك الضوء متلالئا وهو في الواقع ثابت ...

٨ ـ تكون السيدة أم فؤاد .



٩ ـ ١٦٠ فدانا .

١٠ ـ أخطأ مصطفى في الظن بأن مجموع المسحوبات من البنك يجب أن يكون مساويا لمجموع الأرصدة المتبقية في البنك تبعا لتلك المسحوبات .. لعل هذه الأرصدة التبست عليه فحسبها الدفعات التي يدفعها للبنك ويغذي بها حسابه .. فهذه الدفعات هي التي تساوي المسحوبات باضافة الرصيد اليها .

١١ ـ المرجان واللؤلؤ ... هما الناشزان .. فهما من أصل حيواني ، بينما الخمسة الأخرى أصلها معدني .

١٢ ـ الجواب نعم .. فضوء القمر ، اذا سقط على بعض الماء ، تولد قوس قزح .. الا أن ألوان هذا القوس القمري باهتة ويصعب تمييزها ..

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٠ مايو ١٩٨٦م

الجائزة الاولى : السيدة / فاطمة كمال سويلم / الصفاة ـ الكويت
الجائزة الثانية : صالح عبدالحميد خلف الجنوت / عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية .
الجائزة الثالثة : عاشور السيد محمد / الفيوم ـ جمهورية مصر العربية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عزوق محمد / ولاية بومرداش / الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية .
٢ ـ محمد المبروك بلقاسم / براك الشاطىء / صيدلية الهلال الاحمر الجماهيرية الليبية .
٣ ـ محمد علاء بشير سويد / حلب / الجمهورية العربية السورية .
٤ ـ عبد الوهاب الفقيه رمضان / نهج زويلة / الجمهورية التونسية .
٥ ـ عبدالعزيز عبد علي عبد النبي / المحرق ـ دولة البحرين .
٦ ـ عبد الرؤوف عبدالله ايدام / الرياض / المملكة العربية السعودية .
٧ ـ عبد المجيد آزر علي / الشارقة / دولة الامارات العربية المتحدة .
٨ ـ عبد الغني انحاس / ورزازات / المملكة المغربية .

معركة بلا سلاح

□ التصفيات النهائية لبطولة العالم للسيدات

أقيمت التصفيات النهائية لبطولة العالم للسيدات في مدينة مالمو السويدية فيما بين ١ - ٢٣ فبراير من العام الحالي . وقد جَرَت المنافسة لاختيار المتحدِّية على بطولة العالم للسيدات بين ثمانية من أكبر بطلات العالم للشطرنج خمس منهن سوفييتيات وواحدة سويدية وأخرى بولندية وثالثة صينيّة . وقد احتلت ثلاث من اللاعبات السوفييتيات المراتب الثلاث الأولي وتليهم اللاعبة السويدية « بياكراملبخ » واحتلت اللاعبة البولندية « أجنس برستمان » المرتبة السادسة في حين جاءت اللاعبة الصينيّة « منج كوين وو » في المرتبة الثامنة والأخيرة . والفائزة بالمرتبة الاولى في المباراة الحالية هي اللاعبة السوفييتية « يلينا أخيلوفسكايا » البالغة من العمر ٢٨ عاماً . اما اللاعبة السوفييتية « ليڤيتينا » فقد أصيبت بخيبة بالغة عندما جاء ترتيبها السابعة في هذه المباراة بعد أن كانت المتحدِّية على بطولة العالم في عام ١٩٨٤ .

ويعتقد ان تقام مباراة اللقب بين بطلة العالم الحالية « مايا شيبورداندز » وبين الفائزة في هذه المباراة « يلينا أخيلو فسكايا » في وقت لاحق من العام الحالي ، ولن يكون الفارق الزمني بين انعقاد بطولة العالم للرجال وبطولة العالم للسيدات كبيراً مما يؤدي الى اختلال الفارق الزمني المعتاد بين البطولتين . ومن الجدير بالذكر أن تصنيف بطلة العالم الحالية « مايا شيبورداندز » لا يزيد عن (٢٤٥٥) نقطة وفق آخر تصنيف للاتحاد الدولي للشطرنج في حين أن تصنيف بطل العالم للرجال جاري كاسباروف يبلغ (٢٧٢٠) نقطة والفرق بين التصنيفين شاسع كما نرى .

وقد قَلَبَت نتائج التصفيات النهائية الحالية موازين الاتحاد الدولي راساً على عقب فبعد ان كان ترتيب اللاعبة « بياكراملبخ » الثانية في آخر قوائم تصنيف الاتحاد الدولي للسيدات وتلي بطلة العالم الحالية مباشرة من حيث القوة فقد اصبح ترتيبها الخامسة ، وكان ترتيب « يلينا أخيلو فسكايا » الثامنة بين بطلات العالم واستطاعت الأخيرة ان تقفز لتصبح الثانية ، ومن يدرى لعلها تصبح بطلة العالم في قفزتها العملاقة التالية ومن الجدير بالذكر أن بطولة العالم في الشطرنج للسيدات قد باتت حكراً على اللاعبات السوفييتيات كما هو الحال في بطولة العالم للرجال التي يتوقع ان يحتفظوا بها حتى نهاية هذا القرن على الأقل .

ويعتبر الدور التالي من دفاع جرونفيلد من أجمل أدوار المباراة على الاطلاق لما فيه من تركيبات بديعة وتضحيات باهرة .

□ كراملبخ	■ ليڤيتينا
١ . د ٤	ح - و٦
٢ . جـ ٤	ز٦
٣ . ح - جـ ٣	د٥
٤ . جـ ×د٥	ح×د٥
٥ . هـ ٤	ح×جـ٣



٦ . ب×جـ٣	ف - ز٧
٧ . ف - جـ ٤	ت
٨ . ح - هـ ٢	جـ ٥
٩ . ت	ح - جـ ٦
١٠ . ف - هـ ٣	و - جـ ٧
١١ . ر - جـ ١	ر - د٨
١٢ . و٤	ف - ز ٤
١٣ . و٥	ح - أ٥
١٤ . ف - د٥	هـ ٦

خطأ فاحش ، كان يجب ان تأخذ البيدق و٥ فيرد الابيض حـ ٣

١٥ . و×هـ ٦	و×هـ ٦
١٦ . ح - و ٤ !	

مضحيّة بالوزير بهدف الحصول على كشه مزدوجة بعد أخذ هـ ٦ بالحصان

١٦ . --------- (ترفض التضحية) هـ×د ٥

١٧ . و×ز ٤	و - د٧
١٨ . و - هـ ٦ +	م - حـ ٨
١٩ . هـ×د ٥	ح - جـ ٤
٢٠ . ف - و ٢	جـ×د٤
٢١ . ف×د ٤	ف×د ٤ +
٢٢ . جـ×د ٤	ب ٥ ؟

كان على الأسود ان يحمى الوزير بالحصان

٢٣ . ح×ز ٦ + تستسلم

لو حـ×ز ٦ لفاز الابيض بالوزير

حل المسألة رقم (٤٢)

١ . ف - ب٥	م×ب٥
٢ . ح - هـ ٦	م - أ٥
٣ . ح - د ٤	ب ٥
٤ . ح - جـ ٦	كش مات

الفائزون في المسابقة رقم (٤١)

عدد مايو ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - ايهاب عبدالفتاح - الاسكندرية/ ج . م . ع

٢ - عبدالرزاق الحريشي - فاس/ المغرب

٣ - محمد المغربي - طرابلس/ ليبيا

٤ - محمد أسامة محمد - أم درمان/ السودان

٥ - محمد الصعوب - الكرك/ الأردن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - فاطمة أصغر - الرفاع الشرقي/ البحرين

٢ - فواز حتا - أربد/ الأردن

٣ - محمد مبروك - مسقط/ عمان

٤ - ايهاب لطيف - القاهرة/ ج . م . ع

٥ - الحريشي محمد - الدار البيضاء/ المغرب



مسابقة العدد رقم (٤٤)

الابيض يلعب ويكسب

مهداة من القارىء محمود ابراهيم عمران

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

« المفاعلات النووية » مخاطر . . . ماذا تعرف عنها ؟

● لا شك ان حادث تسرب الاشعاعات الذرية من المفاعل النووي في الاتحاد السوفيتي ، قد أوجد حالة من الرعب والقلق في قلوب الناس ، وخاصة في البلاد الأوروبية ودول اسكندنافيا القريبة من موقع الحادث .

فهل لكم أن تنشروا مقالا في مجلتكم القيمة ، تتطرقون فيه الى هذه المفاعلات الذرية ، وكيف يمكن أن تقع بها مثل هذه الحوادث ! ، ثم ما تأثير هذه الاشعاعات على جسم الانسان في حالة تعرضه لها أو اصابته بها ، وما علاقة هذا كله بانشطار الذرة ؟

لا شك أنكم بهذا العمل ستلقون الضوء على موضوع لا يزال مجهولا للعديد من الناس ، لا في بلادنا العربية وحسب ، وانما في أوروبا ذاتها . . . الخ .

ريان أحمد
آرهوس/ الدانمرك

العربي

نشكر للقارىء الكريم التفاته لهذه القضية المهمة ، ونود أن نؤكد له أن مجلس التحرير بالمجلة كان يناقش الموضوع الذي أثاره في رسالته ، من منطلق الشعور ذاته بخطورة القضية التي كشف عنها هذا الحادث ، وحوادث أخرى مماثلة في غير الاتحاد السوفيتي ، وعن الأسلوب الذي يمكن أن تتناول به مجلة العربي هذه القضية ، ولعل ما يتطلع اليه القارىء الكريم يكون قد تحقق قبل أو أثناء أو بعد نشر هذه الرسالة بالصورة المرجوة .

نصير الدين الطوسي . . الوجه الآخر

● نشرتم في مجلة العربي عدد مايو سنة ١٩٨٦ مقالا للدكتور عبدالعظيم أنيس عن حياة وإنجازات « نصير الدين الطوسي » ونحن مع اعترافنا بكفاية الطوسي العلمية ، كما وردت في مقال الدكتور عبدالعظيم . الا أن لنا ملاحظة على نصير الدين الطوسي هذا وهي : انه كان الساعد الأيمن « لهولاكو » في احتلال بغداد عام ١٢٥٨م ـ ٦٥٦هـ ، وقتل الكثيرين من سكانها ، وفيهم الخليفة المستعصم العباسي وكل كبار رجال دولته ، بالاضافة الى إلقاء الكتب التي تحتوي على حضارة ستة قرون في نهر دجلة . لقد تعاون الثلاثي : الطوسي وابن العلقمي ، وابن أبي حديد في تلك المؤامرة الدنيئة ، حيث كان الطوسي وهو في معسكر « هولاكو » يبعث

بـرسائل سرية الى ابن العلقمي الذي كان وزيرا للمستعصم وهو في قصر الخلافة ، يرسم له فيها كيف يحتال على الخليفة ، وابن العلقمي هو الذي أقنع الخليفة بالخروج الى ظاهر بغداد ، وتسليم المدينة والدولة لهولاكو سلميا ، آملين النجاة بأرواحهم وممتلكاتهم ، الا أن « هولاكو » غدر بهم جميعا ، ولم ينج منهم سوى الخائنين : ابن العلقمي وابن أبي حديد ، فهل يستحق رجل هذا شأنه بأن يوصف : بأنه كان واحدا من أعظم من أنجبتهم الحضارة العربية ؟ كما ورد في مستهل كلمة الدكتور عنه .

داود عبدالغفور سنقرط
موجه بادارة تعليم الكبار ـ الكويت

العربي

ننشر رسالة القارىء الكريم التي تتعرض لجانب من حياة وشخصية نصير الدين الطوسي في مرحلة من حياته ، وبغض النظر عن نتائج أي تقويم لهذا الجانب ، فان مقال الدكتور عبدالعظيم أنيس الذي يركز على القيمة العلمية لانجازات العالم الكبير ، في سياق التطور العام لعلوم الرياضيات والفلك ، يبقى منصفا وعادلا ، أما الجوانب الأخرى من حياة أي عالم فإنها تخضع للتقويم حين نكون بصدد دراسة شاملة لحياة هذا العالم ، أو لمواقفه السياسية والاجتماعية .

اعرف عدوك

● نحن هنا في لبنان احدى دول المواجهة مع الكيان الصهيوني ، والبلد الذي يعاني فيه الشعب الفلسطيني من المؤامرات التي تحاك ضده ، وانطلاقا من قاعدة « اعرف عدوك » فإننا نطالب مجلة العربي باصدار ملفات عن الحياة داخل الكيان الصهيوني ، تكشف عن الصراع بين القوميات المختلفة داخل اسرائيل (اشكنازي سفاردي ، فلاشا) وبين التيارات الثقافية لهذه القومية ، بل بين فلسطيني الداخل واليهود ، وفي الجملة كل ما ينبغي أن يعرفه العرب عن عدوهم ، ويعرفنا به في حجمه الحقيقي ، ويفيد في الاعداد لمواجهته في صراع طويل يفوز في نهايته من يملك المعرفة الدقيقة ويستعد على أساسها .

ونحن نأمل أن تحققوا طلبنا الوطني والقومي ، واذا لم يكن بالامكان نشر هذه الملفات كل شهر ، فإننا نكون من الشاكرين لو قمتم بنشر أسماء الكتب التي تلقي بالضوء على هذه القضايا المهمة ، أو تقديم عرض لها . .

عباس عبود ـ هيثم دياب
لبنان ، بيروت ـ برج البراجنة

العربي

تولي العربي عناية خاصة لكل ما يهم قضية الأمة العربية الأولى ، وهي القضية الفلسطينية وذلك بنشر المقالات التي تزيد من معرفتنا بعدونا الاسرائيلي ، أو تعرفنا بكل العوامل والقوى المؤثرة في هذه القضية ، ولكن فيما يتصل بنشر ملف شهري عن « الحياة داخل اسرائيل » أو عن أي قضية أخرى ، فان التوازن الدقيق الذي تقوم عليه المجلة في تقديم مادتها وتحرص على بقائه ، يجعلنا لا نعتمد فكرة الملف لموضوع بعينه الا في اطار محدود خاص ، لا يخل بهذا التوازن ، ويدخل في هذا الاطار تقديم الكتب التي تتناول القضية الفلسطينية في أي جانب من جوانبها ، وفي اطار تحقيق الهدف الذي تتضمنه رسالتكم فان مجلس التحرير سوف يدرس امكانية نشر مجموعة المقالات والدراسات التي تنشر في مجلة العربي حول القضية الفلسطينية أو بعض جوانبها في أحد اعداد كتاب العربي ، الأمر الذي يتمشى مع سياسة كتاب العربي ، ويحقق في ذات الوقت ما تتطلع اليه رسالتكم .

العربي ص ب ٧٤٨ الصفاة الكويت

حوار القراء

المجاعة في افريقيـــا

● رغم أنه تم إحراز تقدم كبير لتخفيف حدة الأثار الناجمة عن المجاعة بسبب الجفاف في أثيوبيا، ومناطق أخرى في افريقيا، فمازالت هناك مناطق عديدة تعاني من المجاعة.

يقول «جورج جالوي» المدير العام لوكالة «الحرب على الحاجة» الواقع ان هناك أجزاء شاسعة جدا في أثيوبيا تقع خارج نطاق سيطرة قوات الحكومة الأثيوبية، مثل تجراي، وارتيريا، حيث لا يزال الناس يرتمون على قارعة الطريق، ويموتون جوعا في تلك الأنحاء من أثيوبيا، لكن اذا ما اجتاز المرء الحزام الساحلي متجها الى غرب السودان مثلا، أو الى مناطق مثل «مالي» والنيجر و«تشاد»، فسيلاحظ أن الوضع أخذ بالتحسن، وان كان هناك عدد كبير من الناس مازالوا يعانون من آثار المجاعة».

وعن المخاطر الناجمة عن اخلاء مخيمات الاغاثة في أثيوبيا والسودان والساحل، حيث تم ترحيل سكان تلك المخيمات قبل توفير مأوى مناسب لهم فيقول: جورج جالوي ايضا:

«في الواقع انه تم اخلاء عدد كبير من هذه المخيمات دون اعطاء أي اعتبار لما يمكن أن يحدث لهؤلاء حين يعودون الى قراهم، بلا دواب ولا حبوب ولا أدوات لحراثة الأرض أو زرعها، مما يعني أن يعود هؤلاء الى الاستجداء على قارعة الطريق.. ان هؤلاء الناس في حاجة الى مال وخبرة، وامكانات لتوفير استقرارهم، واستمرارهم في بذر الحبوب وزراعة الأرض في القرى التي يعودون اليها. وبهذا وحده يمكن أن تزول المجاعة، أما اذا اعتمدنا على إرسال أكياس من الغذاء من أوروبا الغربية أو شمال أمريكا فإننا سيكون علينا ان نستمر في ارسال هذه المواد كل عام، وحتى نهاية القرن العشرين».

وتحدث خبير آخر هو الدكتور «ريتشارد بانكن» الذي عمل سنوات طويلة مديرا للدراسات الأثيوبية في جامعة أديس أبابا فقال:

«لابد أن يدرك المرء أن اثيوبيا لم تكن قط مستعمرة لدولة أجنبية، باستثناء فترة خضوعها لايطاليا، وقد شهدنا طوال سنوات عديدة ميل الدول الأوروبية الى استثمار أموالها في مستعمراتها السابقة، الأمر الذي أدى إلى إغفال تلك الدول لأمر اثيوبيا.

وكأنه كان على أثيوبيا أن تدفع ثمن استقلالها، والواقع ان أثيوبيا قد تلقت نسبة من المعونات الخارجية، تقل كثيرا عن المعونات التي تلقتها الدول النامية، علما بأن أثيوبيا من أفقر دول العالم، حيث لا يتجاوز دخل الفرد فيها أكثر من ١٧٠ دولارا في السنة، وهذه نسبة تبلغ نصف دخل الفرد في تنزانيا، أو ربع دخل الفرد في جمهورية افريقيا الوسطى».

وهناك خبير آخر هو «مايكل كارتي» نائب مدير المكتب الأوروبي للبنك العالمي: يعتقد أن المجال مايزال مفتوحا لتحسين نوعية وكمية المعونات في افريقيا حيث يقول:

«ينبغي أن يتأكد المتبرعون من أن الاغاثة تساند عملية تنمية حقيقية من حيث ضمان أن تتوجه الجهود الى عمليات الاصلاح الاقتصادية التي تؤدي الى نمو الانتاج بصورة فعالة، والتدخل في تسويق المنتجات وتحديد الأسعار، ان مثل هذا النمو هو المفتاح الذي سيحل مشكلة الفقر في افريقيا.

محمد آدم خميس

جمهورية السودان الديمقراطية ـ الخرطوم

من يكون سعيد باشا ؟

● قرأت في مجلة العربي العدد ٣٢٩ تحت عنوان « الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد » بقلم الدكتور محمد عيسى صالحية ما يلي :

وهناك سأل السلطان : من هو رئيس المجلس الوطني الذي تبنى الفتوى ؟ (فتوى خلع السلطان) فقيل سعيد باشا وعليه أود أن أوضح ما يلي :

تلك الفترة العصبية من حياة السلطان ، لم يكن على المسرح سوى شخص واحد يدعى سعيد باشا الدردري ، وهو من أهالي دمشق ، وكان قائدا لحملة عثمانية على اليونان ، وقد احتل عاصمتها أثينا ، ومعه الكثيرون من أبناء دمشق ، وكان غيورا على دينه ، حريصا بما عرف عنه على مصالح السلطنة ، وكان له الفضل في تعيين أبناء عمومته في مناصب دينية ، ومنهم قاضي الشرع الأول في دمشق وحمص وجبلة ، وكان يحضر الى دمشق يحث أهلها على ارسال أبنائهم الى الكلية العسكرية ، فكيف يكون سعيد باشا رئيس مجلس تآمر على السلطان ؟

أرجو من السيد الكريم الدكتور محمد عيسى صالحية المزيد من القاء الضوء على شخصية سعيد باشا ، لأن أبناء دمشق عرفهم التاريخ بالغيورين على دينهم . شاكرين للدكتور صالحية سلفا جهوده في هذه القضية .

معاوية الدردري
دمشـــق

عهد الأشتــــــــر

● « نشرتم في العدد رقم ٣٢٧ من مجلة العربي فقرة في صفحة ١٠٩ تحت عنوان « وصية خليفة لوال » . وقد أشرتم الى أن الوصية من الامام على بن ابي طالب (كرم الله وجهه) الى أحد ولاته على مصر . . . . . .

وأرغب في أن أوضح للقارىء العزيز ، أن هذه الفقرة جزء من عهد الامام علي لواليه على مصر مالك الأشتر النخعي ، أحد اصحابه الخلص ، ويعرف هذا العهد بعهد الأشتر ، وهو من عيون حكم الامام ، وقد اعتبره الدكتور محمد عمارة في كتابه « الاسلام وحقوق الانسان » من منشورات سلسلة عالم المعرفة بالكويت ، أهم وثيقة سياسية اسلامية ، وأكد المعنى نفسه الاستاذ عبدالرحمن الشرقاوي في كتابه « على امام المتقين» والنص الكامل لهذا السفر الاسلامي السياسي المهم موجود في نهج البلاغة،أرجو أن تنشروا هذه الرسالة في باب حوار القراء استكمالا لفائدة القارىء وشكرا

حسن قبلان /لبنان

الخطوبة والزواج والمهور

● بعد التحية

أقترح أن تشمل استطلاعاتكم عن البلدان العربية أو الاسلامية أو العالمية المعلومات المتصلة بعادات الخطوبة والزواج والمهور ، وكل ما يتعلق بأمور الزفاف والزواج في كل بلد ، لما لها من دلالات اجتماعية وانسانية بالغة ولكم الشكر .

جمال أمين حسون سوريا / اللاذقية

العربي

من المعتاد أن يركز الاستطلاع في أي بلد على جانب من الجوانب في هذا البلد ، أو قضية من القضايا المثارة فيه ، وفي الوقت ذاته يقدم من المعلومات العامة ما يخدم هذا الجانب أوهذه القضية . . اذ محاولة الاستطراد الى كل شيء في الاستطلاع الواحد امر صعب ، فضلا عن أنه يفقد الاستطلاع عنصر المتعة الناجمة عن ابراز قضية واحدة مهمة ، على أن هذا لا يمنع من تعدد الاستطلاعات عن البلد الواحد ، مما يتيح الفرصة للحديث عن الجوانب الاجتماعية ، ومنها ما يتعلق بعادات الزواج . . الخ . □

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت
أغسطس ١٩٨٦ م

العالم الثالث
وتحديات البقاء

تأليف: جاك لوب
ترجمة: د. أحمد فؤاد بلبع

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٠٤

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٣ أول أغسطس ١٩٨٦

من الأعمال المختارة

هنريك إبسن - ٣

أعمدة المجتمع

ترجمة وتقديم : د. أحمد النادي
مراجعة : د طه محمود طه

المبـــادئ الـرّاسخة



تُعتبَر حركة السّاعة إحدى الرّوائع النادرة والدقيقة التي حاول الانسان حمايتها منذ زمن بعيد.

يبدو هنا في الصّورة أحد موديلات السّاعة "التركية" المزوّدة بعلبتين أو بثلاث أو أربع علب والمطليّة بالمينا ذات اللون الفيروزي الأزرق أو اللون الأحمر والتي تعود إلى منتصف القرن الثامن عشر.

كانت هذه السّاعات تُصنع في أوروبا وتصدّر إلى تركيا.

اليوم تتمتّع حركة السّاعة بحماية ممتازة لا مثيل لها بفضل علبة " رولكس أويستر".

وبالفعل، فإن هذه العلبة المصنوعة من المعدن الصّلب قد برهنت بشكل قاطع عن متانتها وقدرتها على مقاومة الماء وذلك خلال تجارب أجريت لها في قاع المحيطات وعبر الصّحاري وعلى قمم الجبال الشاهقة.

علبة " رولكس أويستر" صُمّمت للحياة المعاصرة.



ساعة "تركية" ذات ثلاث علب مزخرفة والتي تعود إلى منتصف القرن الثامن عشر. حركة " [illegible] "

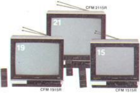


ساعتا رولكس كرونومتر ذاتيّتا الملء من الذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سواري بريزيدانت مزيّنتان بشكل لحاقي ديت جست للسيّدات وداي - ديت للرجال.


العربى
سرواك
الانطلاق من عمق المجهول
البحث العلمى
من أجل غد أفضل



مع فيشر جميع المقاعد محجوزة.



إذا أردت الحصول على أفضل صورة وصوت متوفرين، ضع ثقتك في الشركة التي قدّمت نظام الهاي فاي للعالم. لن تنزعج من التشويه أو عدم الوضوح عند زوايا الشاشة مع تلفزيون فيشر ذو الشاشة المسطّحة المربّعة. لماذا؟ لأن الشاشة مسطّحة ومربّعة ممّا يعطي جميع المشاهدين صورة أفضل وليس فقط مشاهدي المقاعد الأمامية.

أضف إلى ذلك صوت الستيريو، جهاز عملي للتحكّم عن بُعد، قدرة الـ ١٦ نظاماً إلى صورة ممتازة وبذلك يأخذ الإستمتاع السمعي المرئي أبعاداً جديدة. بالإضافة إلى موديل CFM2110SR ٢١ إنشاً فإن فيشر تقدّم لك أيضاً ثلاثة تلفزيونات اخرى ذات الشاشة المسطّحة المربّعة ١٦ نظاماً. حقاً، فيشر يقدّم لك عالماً جديداً مدهشاً.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العدد ٣٣٤ السنة التاسعة والعشرون سبتمبر ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 334 Seb. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد أكتوبر ١٩٨٦

الهنـــد

تجني ثمار بحثها العلمي

استطلاع : منير نصيف

تكفير المسلم	دعوة إلى قراءة في دفاتر مجهولة	الحاسب الالكتروني وتشخيص السرطان
د. محمد عمارة	د. راشد المبارك	سمير صلاح الدين شعبان

- ألذ علاج لمرض الاكتئاب — شريف الراس
- الميكروبات كمصادر لغذاء الإنسان — د. سمير رضوان
- باخ .. من النسيان إلى التكريم — د. سمحة الخولي
- مرض الثعلبة .. يصيب الظفر والعين — د. عبدالله المشاري
- التعريب في الجزائر.. مع مولود قاسم / أبو المعاطي أبو النجا
- إنهم يزرعون الصحراء بالمياه المعالجة / استطلاع صادق يلي
- وجهاً لوجه .. مع د. عبد القادر القط وعلى شلش
- أحمد أمين امتداد لمحمد عبده / حافظ أحمد أمين
- جبرين.. تحفة العمارة العمانية / يوسف الشاروني
- كتاب الشهر : اليمن الديمقراطي / جمال ورده

واقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. نجم عبدالواحد - د. توفيق الفيل - فاروق خورشيد

د. ابراهيم أبوطاحون - د. محمد حسن عبدالله - سهيل أيوب - مؤيد الشيباني

عزيزي القارئ

في هذا العدد تصحبك مجلة العربي في رحلتها الشهرية الى باقة من الموضوعات التي تحاور قضايا الساعة ، دون أن تغفل القضايا الأساسية التي تسعى العربي دائما الى أن تلقى عليها أضواء جديدة ، وتعيد النظر اليها من زوايا مختلفة ، وتتابع ما يحدث فيها من جديد على مستوى الوطن العربي أو العالم .

عن أهم قضايا الساعة يكتب لك الدكتور عدنان شهاب الدين مقالا عن « تشرنوبيل : الحقائق والتوقعات » . . ليضع النقط على الحروف في قضية أثارت قلق الناس في كل العالم ، بين أملهم في توفير مصدر جديد لا ينضب للطاقة ، وبين خوفهم من مخاطر هذا المصدر !

ولعله من أهم قضايا الساعة قضية نفاد الموارد الطبيعية ، الأمر الذي جعل خطط التنمية في العالم المتقدم تتجه بالدرجة الأولى الى تنمية الانسان . . تنمية ذكائه ومعلوماته وشتى قدراته باعتباره موردا متجددا ، لا حدود لامكانات تطوره . . حول هذا الموضوع يكتب لك الدكتور عادل عبدالكريم عن « أول وزير للذكاء في العالم » . . ففي أي البلاد عين هذا الوزير ، وما هي مهام وزارته ؟ وكيف تمارس هذه المهام ؟

من أحدث العلوم الانسانية . . « السيميائية » فهل نجح هذا العلم الجديد في أن يحدد أهدافه ومناهجه ؟ الدكتور كمال أبو ديب يسعى الى تعريف قاريء العربي بهذا العلم الجديد بلغة تجمع بين الدقة والوضوح ، وحتى لا يبقى هذا العلم وقفا على المختصين ، إنه يخوض هذه المغامرة ونحن معه ، فهل ننجح جميعا ؟ هذا ما تقرره أنت عزيزي القاريء ونرحب مسبقا بحكمك .

الله . . والانسان . . والحرية . . قضايا قديمة وجديدة . . وحين يتناول الدكتور حسان حتحوت هذه القضايا فاننا نتوقع دائما أن نقرأ الجديد والمفيد معا !

وحين يكتب لنا المفكر العربي محمد عابد الجابري عن تأثير الفيلسوف العربي ابن رشد في الفكر العربي وفي الفكر الغربي ، فإننا نكون أمام وجبة فكرية ثرية وممتعة في وقت معا ، في موضوع قديم ، ولكنه بنفاذ الكاتب يصبح جديدا للمختص وللقاريء العادي !

في باب وجها لوجه يجرى حوار مع الروائي الكبير فتحي غانم يكشف فيه عن جوانب من أسرار إبداعه ، ويتيح للقارىء أن يضع يده على العديد من مفاتيح كنوز هذا الكاتب .

وتحرص العربي على أن تواصل مسيرتها في متابعة مجالات البحث العلمي من أجل غد أفضل ، فتقدم لك في هذا العدد استطلاعا من معهد الكويت للابحاث العلمية ، وفي الاعداد القادمة سوف تقدم لك استطلاعا في الاتجاه ذاته عن مسيرة البحث العلمي في الهند .

هذه بعض معالم الرحلة التي تصحبك فيها العربي هذا الشهر في دنيا الفكر والثقافة والفن . . . أما بقية المعالم فأنت تعرف طريقك إليها مع الشعر والقصة وبقية الأبواب الثرية والغنية بالمعرفة والمتعة .

المحرر

محتويات العدد



ماذا تعرف عن سرواك ... حيث ديكورات الجماجم .. وموروثات الأجداد .. والطفرة الصناعية التنموية بعد انطلاقها من عمق المجهول ؟ ص ١٣٦

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

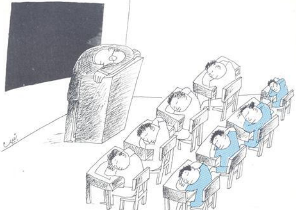
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أسئلة وإجابات .. في المسألة التربوية

- نزع سلاح التعليم أخطر من نزع السلاح التقليدي !
- مدارسنا مسئولة عن صيانة الماضي وتأهيل الناشئة للحاضر والمستقبل.
- اقتصار التعليم في الماضي على القلة سهل انتشاره.
- التربية .. صناعة ثقيلة تحتاج إلى كل جهود الصناعات الثقيلة.

في شهر أغسطس ١٩٨١ شكل وزير التربية والتعليم في الولايات المتحدة لجنة من ثمانية عشر عضوا لدراسة نظم التعليم في الولايات المتحدة وتقديم مقترحات لاصلاحه ، وخرجت اللجنة بعد حين بتقرير يعرفه معظم المشتغلين بالتربية والتعليم في العالم اليوم ، وكان عنوان التقرير « أمة في خطر » ، ولقد لفتت نظرى اللهجة المتشائمة في ذلك التقرير ، بل الادانة الكاملة لنظم التعليم السائدة في الولايات المتحدة ، حتى ان احدى فقرات التقرير تقول : (انه لو قامت أمة معادية بفرض أداء تعليمي قليل الجودة على الشعب الأمريكي - كما هو الحال في النظام التعليمي السائد - لاعتبرنا ذلك مدعاة للحرب ! ولكن كل ذلك يحدث الان ومن خلالنا وقد سمحنا به !)

وفي ابريل سنة ١٩٨٤ أصدرت قيادة الحزب والدولة السوفييتية قرارا موجها للتنفيذ باقامة كليات تقنية وعملية موحدة ، وزيادة سنوات الدراسة العامة من عشر سنوات الى



احدى عشرة سنة ، وتمديد سنوات التعليم المهنى ، على ان يدخل جميع الطلاب سنة تدريبية عملية قبل تخرجهم .

وقد سبق هذا القرار نقاشات وحوارات نشر كثير منها في الصحافة السوفييتية ، والهدف هو « اللحاق بالثورة العلمية والتقنية التي يشهدها العالم » .

ذكرنا هذين المثلين اللذين وقعا في السنوات الأخيرة في أكبر دولتين معاصرتين لنا ، هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على ما بينهما من اختلاف في أمور شتى ، ولكنهما اتفقتا ـ كما هو الحال مع كثير من الدول ـ على النظر الى نظام التعليم والتدريب في مجتمعاتهما نظرة جدية ، فالعلم والمعرفة سلاح يمكن استخدامه بشكل ايجابي ، كما يمكن أيضا نزع هذا السلاح بطريقة جديدة ، أي ليس بالحرمان منه ولكن بتفريغه من داخله ، والابقاء على الشكل وخلخلة المضمون الى درجة أن يرتد الى رقاب منتشيه ويفتك بهم .

ولسنا في الوطن العربي اليوم ممن تنقصهم التقارير الموضوعة في التعليم والتربية العربية ـ فهي كثيرة والحمد لله ـ ولسنا ممن ينقصهم الرجال والنساء لبيان أهمية التعليم على المستوى الدولي والوطني والعربي والانساني ، ولا ممن ينقصهم قبول حقيقة أن التعليم هو سلاحنا للنهضة ، فكل ذلك معروف . . ولكن ما ينقصنا في الحقيقة هو ان نعترف بأن سلاح التعليم العربي منزوع ، فهناك مؤسسات نسميها مدارس وجامعات يذهب إليها أبناؤنا وبناتنا كل صباح ويعودون منها كل مساء ، وهناك كتب توزع وتقرأ وقد تحفظ أيضا ولكنها لا تفى بالغرض المطلوب ، لأن التعليم في تصورى أصبح في وطننا العربي ـ في الأعم الأشمل ـ قضية شكل أكثر منه قضية جوهر ، وقضية مؤسسات أكثر منها قضية محتوى وأهداف واضحة المعالم .

فنحن حتى الآن - اعتمدنا على النقل في الشؤون التربوية والتعليمية دون إعمال العقل بصورة ابتكارية .

العقل الابتكاري والعقل المسالم :

□ وأريد أن أفرق بين مفهومين « لاعمال العقل » أحدهما اعمال العقل ابتكاريا من أجل التغيير والتطوير ، والثاني استعمال « العقل المسالم » الذي يفكر في إطار من المألوف بين الناس ، بحيث لا يصدم عرفا وان كان خاطئا ، ولا يتعارض مع رأي ذاع ، بالغا ما بلغ من الفساد .

يحدثنا أحد مفكري العرب* في هذا الاطار عن جامعاتنا بأنها « تذكرنا بالجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، من حيث أنها كانت تتوخى ما سموه بالتعليم السلمى ، وهو الذي كان دائما يتمشى مع اتجاهات الكنيسة ، أي أنها تقاد ولا تقود ، تساس ولا تسوس » وهنا ربما تكمن احدى أهم معضلات التعليم في بلادنا .. فهو بجانب قصوره من حيث الكم - وذاك موضوع سنعرض له لاحقا - الا أنه يصدم كثيرا منا من حيث الكيف والمستوى والاعداد ، صحيح أن كل ذلك ليس سببه نظام التعليم وحده بل تتداخل معه أسباب أخرى ، الا أنه صحيح أيضا أن نظام التعليم يتحمل الكثير من هذا القصور .

ونعرض هنا لبعض مظاهر القصور .

من أبرز هذه المظاهر مستوى تحصيل الطلاب في المستويات التعليمية المختلفة ، وها هو الخريج الجامعي الذي - في أي تخصص كان - يجد صعوبة في الالمام بالقضايا العامة ، ويسهل كثيرا إقناعه دون نقاش طويل بأن هذا المنطلق أو ذاك هو الصحيح في الحياة ، فيتعصب له دون نقاش ويتبعه دون تساؤل ، ضيق الأفق في الشئون العامة،يرى الأمور سوداء أو بيضاء قبليا أو طائفيا أو قطريا في أحسن الأحوال ، أما مستوى المعارف وقدرات الأداء والمهارات التي كان من الواجب عليه أن يمتلكها فهي في حدودها الدنيا ، سواء كانت مهارات عقلية أو مهارات يدوية .

مستوى التحصيل ، هذا الذي نشكو منه ، هو نتيجة وليس سببا ، نتيجة لاعتمادنا على النقل والاهتمام بالشكل . فنحن نحرص على ما يتم تعلمه - وذاك خطأ - انما يجب أن نحرص على ما يقود الى « التعليم المستمر » . يجب أن ننتقل من التركيز على السرد والتلقين الى الفهم والتحليل وحل المشكلات والتوصل الى استنتاجات فالمعلومات مهما كانت قيمتها الحالية هي معلومات متغيرة متطورة ، وحفظها وكأنها مقدسة خطأ عظيم ، الخيار الأساسي لذلك هو وضع الأسس لتعليم مستمر ، لخلق مجتمع دائم التعليم ، وأن يستمر أبناؤنا في الابحار في رحلة حياتهم مزودين بما تعلموه في بدايتها من أساسيات ، وليس الاكتفاء بنيل الشهادة ، وكأنها تعنى الاكتفاء من التعليم .

من الأخطاء السائدة بين المتخصصين في التعليم عندنا ، النقاش العقيم بين التخصصات العلمية والأدبية ، وما اصطلح عليه في هذا الاتجاه ، وذلك في رأيي إحدى القضايا العالقة بسبب النقل دون تمحيص العقل . فالتعليم شيء متكامل « وأساسي لخلق مواطن يتعايش مع العصر .. والتخصص أمر لاحق للتعليم وليس سابقا له . »

---

* د . توفيق الطويل : في تراثنا العربي الاسلامي - سلسلة عالم المعرفة - عدد ٨٧ - مارس ١٩٨٥ .

موت المدرسة:

□ عندما نتحدث عن التعليم المستمر ، والتعليم من أجل الحياة ، وعن شعارات من هذا القبيل ، فاننا غالبا ما نذكر ما كنا فيه ـ كعرب ومسلمين في صدر الاسلام ـ من حث على التعليم والتعلم ، ذاك هو تراثنا الثقافي العظيم القريب الى قلوبنا ، ولكن الحديث في العموميات مضر أيما ضرر . في ذاك التراث العلمي ـ وفي القرون الأولى من النهضة ـ تكمن كل القيم الايجابية ، ففي القرون الأربعة الأولى من الاسلام تطور التعليم العربي الاسلامي ، ولم يقتصر أمره على العقيدة واللغة ، بل تطور الى ميادين أخرى في الفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب والهندسة والفلسفة ، وترجمت الكتب الاغريقية والفارسية والهندية الى العربية ، كما ترجمت الكتب العربية الى اللغات الأخرى ، وكانت مصدرا من مصادر التعلم ، ولكن في السنوات اللاحقة للقرن الرابع الهجرى بدأ الانحدار ، وتضاءلت المدرسة العربية الاسلامية حتى أوشكت على الزوال بتقاليدها العظيمة . . . فما هو السبب ؟

تختلف في ذلك الاجتهادات ، ولكن النتيجة واحدة وهي أن الركود الاقتصادي والعلمي والثقافي سحب نفسه على الوطن الاسلامي من بعد تفرق السبل ، ويعرف الاستاذ المرحوم عبدالعزيز القوصى فترات الانحطاط بأنها في العد الهجري ، أربعة قرون من التقدم والرقى ، وأربعة أخرى من الخلافات والمنازعات ، وأربعة تالية طويلة ومملة من الركود والتخلف ، وغطيت الثقافة العربية والتعليم والحياة الأدبية العربية فيها بغطاء كثيف من التعصب والخزعبلات ، وفي الوقت الذي كان هناك طلب وحث على البحث العلمي في القرن الثالث والرابع الهجري ، وأصبح متسامحا معه في القرون القليلة التالية ، تحول في عصور الركود والتخلف الى شيء من السحر والهرطقة ، وأصبح محاربا برجاله ونتائجه على حد سواء ، ونما شيء جديد في العقل العربي الاسلامي ، هو وضع العلم كشيء مضاد للعقيدة ، الى درجة أن شخصية مثل الرازي ـ نعتز بها ونفخر اليوم ـ اتهم بالهرطقة والكفر ! !

في هذه العصور المظلمة ، والتي تخلفنا فيها سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعلميا ، تكمن جملة المشكلات التي نواجهها في اطار التعليم والتطور اليوم . فما وصل الينا من بصيص معرفي ومنطلقات علمية من المتقدمين ، ثم نما وتطور في القرن الأخير ، وصل الينا في حقيقة الأمر نتيجة الدفع الذاتي لما عرفه السابقون في العصور الاسلامية الأولى ، وعندما نتغنى اليوم بانجازنا الحضارى ، فانما نتغنى في حقيقة الأمر بتلك العصور الذهبية الأولى ، واذا كان الأمر الايجابي له قوة ذاتية تبسطه على الزمن ، فان الأمر السلبي كذلك أيضا ، ومن هنا فان معوقاتنا اليوم في التعليم العربي ، جذورها ضاربة في عصر التخلف ، وما زالت تطل علينا برأسها في شكل دعاوى ايديولجية تكمن حينا لتظهر من جديد في أشكال أخرى ، وهي من العقل نافرة ، والى المنطق فقيرة ، والى الوراء ناظرة .

لقد ماتت المدرسة العربية الاسلامية وماتت تقاليدها ، وعندما جاء الخيار لمحمد على في مصر في مطلع القرن الماضى لانشاء مدارس على النمط الحديث ، كان أمامه خياران : أحدهما أن يطور ما هو موجود من تعليم تقليدي ، وثانيهما أن يتركه على حاله ويبدأ بالمدارس الحديثة على النمط الغربي كما كان معروفا وقتها ، ولقد اختار محمد على ـ حقا أو باطلا ـ أن يترك القديم على قدمه وأن يعتني بالحديث كما ورد ، وهناك بُذرت بذرة التعددية في التعليم العربي الحديث الذي أكده ـ دانلوب ـ مهندس التعليم الحديث في



مصر بعد الاحتلال البريطاني ، وأخذه الوطن العربي كما هو تقريبا . . تعليم ثنائي غير ممتزج ، وتعليم مفرغ من محتواه يصلح لتخريج الكتبة .

نعم حدثت بعد ذلك محاولات جليلة وعميقة للاصلاح في أقطار عديدة من الوطن العربي ، ولكن انطبق عليها ما ينطبق على شيء يراد اصلاحه ، وهو تعديل لشيء قائم يحتفظ في الغالب بخصوصية المنشأ .

فما زالت الأسئلة التي طرحها التربويون العرب منذ أكثر من نصف قرن قائمة : ماذا نعلّم ومن نعلّم ؟ هل نعلم من أجل الحفاظ على الوضع القائم . . أم نعلم من أجل مجتمع جديد ؟ هل نريد ان يكون متعلمونا طيبعين تابعين ، أم مشاركين متعاونين ، أم عاصين خارجين ؟ ما هي لغة التعليم في العلوم والرياضيات ؟ هل نعلم في المدينة ونهمل الريف والبادية . . أم نهتم بالجميع ؟ هل نعلم المرأة ؟ وماذا عن المعوقين جسديا أو عقليا ؟ وماذا عن المتفوقين ؟ أنعلم للأكثرية العادية أم للفئات الخاصة ؟ أنهتم بتعليم الصغار فقط ؟ وماذا عن الكبار ؟ .

كلها أسئلة تكاد تكون مطروحة تقريبا في كل مطبوعة يدور محتواها حول التعليم العربي . . قطريا كان أم قوميا .

ولعل الاضافة على تلك الأسئلة التقليدية تبرز في أسئلة جديدة نابعة من واقع التشرذم العربي الذي نراه بعيوننا اليوم ، فلكي يستطيع الوطن العربي أن يقوم بوظائفه القومية المرتجاة ، لا بد أن يصل أبناؤه - مهما اختلفت أقطارهم - الى قدر من التفاهم المشترك في التوافق والتفاهم بين أبناء القطر الواحد أو بين العرب في أقطارهم المختلفة .

وواقع الأمر أن التربية العربية - مما هو ظاهر أمامنا - قد فشلت جزئيا في تكوين هذا القدر من التفاهم المشترك ، بل انها قد تخلفت عن مفاهيم تربوية عربية كانت سائدة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، عندما كان الطالب في فاس ، والطالب في بغداد ، والطالب في الكويت ، يغني كل صباح :

« بلاد العرب أوطاني » !!

التربية من أجل التنمية :

□ في عام ١٩٦٦ ، وفي مؤتمر تربوي عربي عقد في طرابلس الغرب ، أوصى المؤتمر بأن يعمم التعليم الابتدائي للطلاب العرب قبل حلول عام ١٩٨٠ ، ويأتي ذلك العام وما بعده من سنوات وحتى اليوم ، فاذ هناك ملايين من الفتيان والفتيات العرب في سن التعليم الابتدائي ولكنهم لا يجدونه ، واذ بالأمية الأبجدية ما تزال مرتفعة في المتوسط بين المواطنين العرب ، وهي في المتوسط أكثر من الثلث ، وترتفع الى حوالى النصف بين الاناث ، صحيح ان بعض الأقطار العربية قد استطاعت ان تحقق شيئا من النجاح في موضوع ادخال أكبر نسبة من مواطنيها الصغار في المدارس الابتدائية على الأقل وفي تخفيف حدة الأمية ، لكن الصورة العامة العربية لا تبشر بخير ، اذا أردنا أن نقول أننا أمة تريد أن تأخذ مكانها في عالم شديد التنافس ، وبدون صياغة لمواردها البشرية وتحديد نوعها ومستواها لن تجد هذه الأمة لها مكانا بين أمم العصر الحديثة ، وبدون التربية لن نحصل على صياغة جديدة لأهم مورد على الاطلاق . . وهو البشر .

فقد أصبحت المعرفة والتعليم والذكاء الذي أحسن تدريبه هي الخامة الحقيقية للتنمية ، وهنا تبدأ العقبة الكبيرة أمام كل ذلك .



فأولا : ليس هناك تمويل مالي متاح لجميع الأقطار العربية كي تقوم بهذه الخطوة .
وثانيا : فان من توفر لهم التمويل المالي نسبيا لم يستطيعوا حتى الآن تحقيق الصياغة المبتغاة لأسباب ذاتية لها علاقة بالكفاءة الداخلية لأنظمة التعليم العربية ، أو لأسباب موضوعية لها علاقة بالكفاءة الخارجية لأنظمة التعليم (العوامل الاجتماعية) .

ولنفصل هذا الايجاز . . فنقول مبتدئين بما سميناه العوامل الخارجية (الاجتماعية) التي تعطل كفاءة التعليم ، منها على سبيل المثال لا الحصر « الموقف الاجتماعي » من تعليم المرأة ومن ثم عملها ، فما زال بين ظهرانينا من يعتقد بأن المرأة مكانها البيت مصحوبة بالجهل ، واذا وافق على مضض على تعليمها فانما على أساس أن تبقى في المنزل دون مشاركة في الحياة العامة ، وهناك أيضا الموقف الاجتماعي من مهنة التدريس ذاتها . . فما زالت هذه المهنة تبدو للكثيرين في ثقافتنا العربية وكأنها امتداد « لمعلم الصبيان » المسكين الذي أمطرته الثقافة العربية سخرية واستهزاء ، ولم ننصفه - في معظم أقطارنا - حتى اليوم .

المعلم والمدرس ، والعامل بالتعليم من ذكر وانثى ، ما زال غير منصف لا ماديا ولا معنويا ، بين وقت وآخر نتحدث عن « دوره الحضاري الكبير » ولكن لا أكثر ولا أقل .

المعلم في وطننا العربي على امتداده أقل الفئات العاملة انصافا . . لذلك فانه ليس من المستغرب أن يغادر المدرسون الأكفاء أعمالهم زرافات بعد زرافات الى أعمال أخرى ويدخل بدلا منهم آخرون تنقصهم الكفاءة والخبرة ، ويؤثر ذلك على كفاءة التعليم في النهاية . فطريقة العرض والتدريس وحب المعلم لها وتفانيه فيها هو المدخل الحقيقي لتعليم أفضل .

تلك بعض العوامل الخارجية ، أما العوامل المعطلة للكفاءة الداخلية لأنظمتنا التعليمية فهي كثيرة أيضا ، منها على سبيل المثال لا الحصر صياغة برامج (مناهج) لها علاقة مباشرة بالتنمية العربية ، والنظر الى المدرسة كإحدى المؤسسات الأساسية للتطوير .

معظم شكوانا من المناهج الحالية أنها تدور في حلقة مفرغة ، فيها من الثوابت أكثر من المتغيرات . . والحياة بطبيعتها متغيرة .

محرك التعليم في بلادنا يجب أن يكون الانتماء الى العصر عن طريق الاشباع الذاتي للحاجات الأساسية ، التي أصبحت سمة عصر الجمهور الكبير الانساني الذي تختفي فيه الجماعات الصغيرة ، وتحترم فيه التعددية ، ولكن ضمن المجموع الحضاري المنسجم .

الحاجات الأساسية في اطارنا العربي تكاد تكون معروفة ، فهي من شقين : مادية ومعنوية .

أما المادية فهي الغذاء والسكن والصحة والعمل . .

وأما المعنوية فهي تحقيق الذات والمشاركة ، وحرية التعبير ، والشعور بالكرامة والاعتزاز بروح المواطنة .

تلك الحاجات الأساسية حلقات متداخلة ، تحتاج الى جهد انساني صبور وطويل ، وهي متكاملة لا يغني بعضها عن البعض الآخر ، ولن تتحقق كلها أو جلها في أمتنا العربية الا بإعداد مواردها البشرية خير اعداد .

كل هذه الحاجات الأساسية تنقصنا بشكل أو بآخر اليوم في الوطن العربي .

دعنا نتحدث عن بعضها .

في الاطار المادي فمن اول هذه الحاجات هو الغـذاء ، ففي وطننا العـربي الذي يتضاعف عدد سكانه كل ربع قرن تقريبا تتناقص قدرته على الوفاء بإحتياجاته الغذائية سنة بعد سنة ، ويقول لنا الخبراء في الموضوع انه دون احداث ثورة حقيقية في برامج الزراعة العربية سوف نظل جميعا عالة على من يزرعون ، ومدخل احداث تلك الثورة الزراعية المبتغاة هو انسان مدرب متعلم ، وفي الاطار المالي نفسه عندما نتحدث عن الصناعة بأشكالها المختلفة ، نجد ان من اهم معوقات التقدم الصناعي العربي ارتفاع مستوى الامية ، والنقص في توفر الكوادر المدربة . . . انه الانسان المتعلم من جديد .

اما اذا تحولنا الى الحاجات المعنوية . . فاننا نجد ان قيمة الانسان المتعلم تأتي في الصدارة من أجل تحقيقها ، فلا حوار ديمقراطياً في مجتمع جاهل ، عندها يختلط ذلك الحوار لينقلب الى فوضى . . ولا تحقيق ذات في مجتمع متعصب ، ولا شعور بالكرامة في مجتمع يحتقر العمل اليدوي مثلا ، ان مدخل التنمية العربية اذن هو انسان متعلم يعرف اولويات العصر . . واداتها هي التعليم والتربية .

التعليم الجامعي:

☐ انكبابنا على الحديث عن التعليم - فيما سبق - يعني في معظمه التعليم العام والتقني ، وحديث الجامعات العربية حديث آخر ذو شجون ، فاذا كانت مناهج التعليم العام قد اصابها التطور بعد فترات لاحقة لنشوئها ، فان مناهج الجامعات العربية اعتمدت - في معظمها على الأقل - على انواع المناهج الاكاديمية المطبقة في الجامعات الغربية ، وعلى الرغم من ان عدد الجامعات العربية اليوم يقدر بأكثر من سبعين جامعة تضم عشرات الآلاف من أعضاء هيئة التدريس ومئات الآلاف من الطلبة ، لكن جهدا حقيقيا لم يبذل لتطوير مناهج التعليم الجامعي ، فهناك على سبيل المثال ثنائية في تركيب المناهج الجامعية منقسمة الى أقلية تعتمد نظام (المقررات) واخرى تعتمد نظام السنوات ، وفي كلا النظامين سلبيات



وايجابيات كان من الممكن تطويعها كي تناسب حاجاتنا ، ولكننا مازلنا في هذا الاطار ناقلين ، وعندما نأتي الى البرامج الاكاديمية فمازالت معظمها في طور الترجمة والنقل وقليل منها في طور الابداع والابتكار ، حتى في العلوم القريبة الى ثقافتنا العربية ، فالمنهج المتبع في الاغلب غربي الجذور .

ولقد قدر لي ان أتولى التدريس في جامعة عربية اختلطت فيها الخبرات العربية ، فعرفت كيف يُدفع الثمن باهظاً في اللعبة السياسية الداخلية للجامعة ، وهي لعبة ليست مقصورة علينا ، فكل الجامعات ـ وربما كل المؤسسات ـ لها تلك السلبية ان شئت القول . . ولكنها معطلة للجهود بشكل اكبر في جامعاتنا ، وربما تنطلق أساسا من عدم تحديد العلاقة بين الجامعة كمؤسسة مستقلة وبين الدولة والتطورات العاصفة في منطقتنا ، وربما ايضا لقرب منشأ الجامعات الحديثة في بلادنا وعدم رسوخ تقاليد جامعية .

بيت القصيد في التعليم الجامعي انه عينه في التعليم العام : المنهج والمدرس ، فالمناهج الجامعية لدى كثير منا امتداد لأسلوب عقيم في التعليم العام . لقد استشرفنا آمالا كبيرة في التعليم الجامعى لذلك فان الفشل في تحقيق غاياته ولو جزئيا يصيبنا باحباط عظيم .

جهور الاساتذة الجامعيين منقسمون على أنفسهم ، تشدهم بجانب كل سلبيات مجتمعنا المعروفة مدارس في التفكير نشأوا عليها في الغرب والشرق وتستعبد كثيرا منهم فكرة ان الاجادة هي نقل ما قاله الغربيون في هذا الموضوع أو ذاك دون ابتكار واضافة خلاقة ، يفتقد بعضهم الى أهم جسر بين الطالب وأستاذه وهو قدرة التواصل والتوصيل ، وتهتم جامعاتنا بالمشكلات العلمية سواء كانت تقنية او اجتماعية ذات منشأ غربي وتضرب صفحا عن مشكلات بيئية قريبة الا فيما ندر ، تلك كلها ظواهر لقضية التبعية العلمية ، فقد دربنا معظم أساتذتنا الجامعيين في جامعات خارجية دون تأهيل كاف ـ قبل ذلك أو بعده ـ لفهم البيئة العربية والتفاعل معها . لذلك فان المنهج والمدرس الجامعي سوف يقصران الى أجل عن أداء مهماتهما ، وتتسع الفجوة بين الطموح المنبثق من الحاجات الحقيقية والواقع . قياسنا للمعلم الجامعي ـ كما هو قياسنا للمعلم بشكل عام ـ درجته العلمية وسنوات دراسته . . وكلاهما ليسا ضمانة لكل الأفراد ، بل لمعظمهم كي يعرفوا ماذا يعلمون وكيف يعلمون .

وبعد . . . .

هموم التعليم والمدارس في الوطن العربي كثيرة ومتعددة نطرحها هنا للقارىء العربي ، لشعورنا العميق بأنها من أولوياتنا الملحة ، فقد أصبح العلم ـ كمنهج وكنشاط اجتماعي ـ بمثابة المحرك الذي لا بد منه لعملية النمو الاقتصادى ، ولم تنجح أمة من الأمم الحديثة في التقدم الا بتطوير وسائل انتاجها . . ولم يتحقق لها ذلك الا من خلال قوة بشرية ، أتاح لها التعليم المنظم الحديث استغلال طاقة أفرادها عن طريق المبادرة والتفكير المستقل واعطاء العقل دوره في الحياة . □

محمد الرميحي

تشرنوبيل
الخلفيّة والحقائق والتوقعات

بقلم : الدكتور عدنان شهاب الدين*

لكل علم وجهه السلبي ، تماما مثلما له وجهه الايجابي ، أو على الأصح وجوهه الايجابية أيضا .

وحريق المفاعل النووي في محطة تشرنوبيل السوفياتية هو أحد الوجوه السلبية في هذا المجال .

فما هي حكاية المفاعلات النووية وكيف قامت ؟ وما هي الحقائق والتوقعات المتعلقة بها ؟ حول هذه القضايا يتحدث هذا المقال . . .

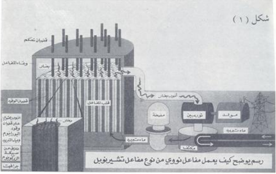
كان حادث انفجار مفاعل في محطة الطاقة النووية ببلدة تشرنوبيل بجمهورية أوكرانيا بالاتحاد السوفييتي أسوأ حادث نووي منذ أن أقام السوفييت أنفسهم ، عام ١٩٥٤ أول محطة لتوليد الطاقة الكهربائية في العالم ، باستخدام الانشطار النووي ، قدرتها ٥,٠٠٠ كيلووات ، فقد فاق هذا الحادث في نتائجه المباشرة والمتوقعة بكثير عواقب حادث آخر مشهور وقع في محطة نووية في « ثرى مايل أيلند » بالولايات المتحدة الأمريكية في مارس عام ١٩٧٩ ، ولقد أثار الحادث اهتمام الرأي العام العالمي ، وامتلأت وسائل الاعلام بالأخبار الصحيحة وغير الصحيحة عن آثار الحادث ، وعما يحمل في طياته من مخاطر حقيقية أو متوهمة ، الأمر الذي يقتضي توضيح الكثير من القضايا والحقائق حول الوضع العالمي في شأن استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ، والأخطار التي قد يأتي بها ، ووسائل درء هذه الأخطار ، والتغلب على آثارها ، وهو ما نحاوله هنا في تبسيط يهدف الى أكبر قدر من الوضوح ، ويتحاشى التجني على الحقائق العلمية أو القفز فوق المهم منها .

البدايات

من نافلة القول هنا التذكير بأن استغلال الطاقة النووية بدأ أول ما بدأ في مجال صنع الأسلحة المدمّرة في سباق بين الطرفين المتحاربين في الحرب العالمية الثانية ، حين كتب أينشتين في مطلعها خطابه الشهير الى الرئيس الأمريكي روزفلت ، لافتا نظره الى اكتشاف العالم الألماني أوتوهان معادلات تتعلق بالانشطار النووي ، وما ينطوي عليه من إمكانيات صنع سلاح رهيب يفوق كل ما عرفه البشر حتى الآن في قدرته التدميرية ، وكان أن تعاون الحليفان ، البريطاني والأمريكي ، في إحراز قصب السبق ، وإنتاج هذا السلاح قبل الألمان ، واستخدامه عام ١٩٤٥ في هيروشيما وناجازاكي ، وكان أول مفاعل نووي بدأ العمل في العالم هو ذلك الذي أشرف على بنائه العالم الأمريكي ، الايطالي الأصل ، إنريكو فيرمي ، الذي بدأ تشغيله عام ١٩٤٢ لانتاج البلوتونيوم الذي تصنع منه الأسلحة النووية .

وما أن وضعت الحرب أوزارها ، حتى انصرفت الدول الصناعية إلى تطوير تقنيات استغلال الطاقة

* مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية .



شكل (١)

رسم يوضح كيف يعمل مفاعل نووي من نوع مفاعل تشيرنوبل

النووية للأغراض السلمية ، وعلى رأسها استخدامها في محطات توليد الطاقة الكهربائية ، باعتبارها بديلا واعدا يكاد أن يكون غير ناضب للوقود الأحفوري - فحما كان أو نفطا أو غازا - الذي استخدم في هذه المحطات ومازال يستخدم في الكثير منها حتى الآن ، ومنذ أن أقام الاتحاد السوفييتي المحطة الأولى في العالم عام ١٩٥٤ وحتى اليوم ، انتشر استخدام الطاقة النووية في محطات توليد الكهرباء ، وإن تباطأت معدلاته ، بل ربما توقفت لبعض الوقت هنا أو هناك . وقد لا يعلم الكثيرون منا أن فرنسا مثلا تعتمد على الطاقة النووية في انتاج زهاء ثلثي الطاقة الكهربائية فيها ، أو أن هذه النسبة هي ٦٠٪ في بلجيكا ، و٥٠٪ في السويد ، و٤٠٪ في سويسرا ، و٣٨٪ في فنلندا ، و٣٢٪ في بلغاريا . الا أنها لم تتجاوز ١٧٪ في الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن وجدت بها حاليا ١٠١ محطة عاملة و ٢٩ محطة تحت الانشاء ، أو ١١٪ في الاتحاد السوفييتي حيث تعمل الآن ٥١ محطة ، من بينها محطة تشرنوبيل ، بينما يجري العمل في إنشاء ٣٤ محطة أخرى .

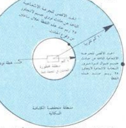
احتياطات ووسائل حماية

ولقد كانت الآثار البشعة لقنبلتي هيروشيما وناجازاكي على الكائنات الحية كفيلة بأن تؤكد ما كان معروفا لدى المشتغلين في هذا المجال عن مخاطر الاشعاعات النووية ، وبأهمية اتخاذ إجراءات وقائية غير مألوفة في صرامتها وتنوعها وتطبيقاتها ، للحماية من هذه الاشعاعات عند تصميم وتشغيل محطات الطاقة النووية ، وانطوى تصميم هذه المحطات منذ البداية على مفاهيم جديدة في نظم مواجهة الأعطال والطوارىء الناجمة عنها ، واتخذت هذه الاجراءات أشكالا عدة من أهمها توفير بدائل للأجهزة التي تؤثر الأعطال فيها على سلامة المحطة ، وإدماج العديد من وسائل الانذار المبكر ، بأية تغيرات في ظروف التشغيل ، قد تؤدي الى أخطار غير محمودة ، وإقامة سلسلة من وسائل الحماية المتعاقبة ، واحدة تلو الاخرى ،لمنع تسرب المواد المشعة من أجزاء المحطة المختلفة ، وضمان التوقف التلقائي لسلسلة التفاعل النووي عند حدوث عطل طارىء .

ومن المفيد هنا أن نتعرف بصورة مبسطة على المكونات الرئيسية لمحطة طاقة نووية من نوع مفاعل تشرنوبيل ، وهو ما يوضحه شكل (١) بطريقة تخطيطية . والاختلاف الرئيسي عن محطة تقليدية تستخدم وقودا أحفوريا لتوليد البخار الذي يحرك التوربينات التي تدير المولد الكهربائي ، في استخدام

مفاعل نووي لتوليد البخار بدلا من المراجل المألوفة في المحطات التقليدية ، وقلب المفاعل يتكون من مجموعات من الأنابيب تحتوي على الوقود النووي (اليورانيوم) الذي يولد انشطار النوى فيه حرارة شديدة ، ويمر حول هذه الأنابيب تيار من الماء على ضغط مرتفع ، فتنتقل إليه حرارة الانشطار ، فيتحول إلى بخار يخرج من قمة المفاعل الى التوربينات ، ليكمل الدورة المألوفة في محطات الطاقة التقليدية ، وتحاط كل مجموعة من أنابيب الوقود بغلاف أسطواني من معدن الزركونيوم ، تحيط به بدوره كتلة من الجرافيت ، تقوم بإبطاء النيوترونات المنبعثة عن انشطار ذرات الوقود ، لتعود فتشطر عددا أكثر من نوى ذرات الوقود ، لتوليد المزيد من الحرارة ومن النيوترونات ، وتتحقق السيطرة في معدلات الانشطار داخل المفاعل عن طريق قضبان تحكم ، تصنع عادة من مادة تمتص النيوترونات مثل معدن الكادميوم ، فتبطىء التفاعل أو توقفه حسب العمق الذي تولج به في قلب المفاعل ، وتتكون شحنة المفاعل من : الوقود النووي من حوالي عشرة ملايين من حبيبات أكسيد اليورانيوم ، تزن الواحدة منها أقل من جرام واحد ، مكدسة داخل أنابيب الوقود ، وقد يصل وزن الشحنة الى حوالي مئة طن ، يجري تبديل ثلثها تقريبا كل عام ، ويحيط بقلب المفاعل درع سميك من الفولاذ عالي المقاومة ، يصل سمك جداره الى حوالي ١٥ سنتيمترا ، هو وعاء الضغط الذي يتولد فيه البخار ، وهذا الوعاء مغلف بدوره تغليفا كاملا بوعاء احتواء آخر للوقاية ، اذا ما تصدع جدار وعاء الضغط ، والمحطات النووية الحالية مصممة في البلدان الغربية ، بحيث يتحمل وعاء الاحتواء الخارجي ارتطام طائرة من طراز بوينج ـ ٧٠٧ بها وتحطمها فوقها ، دون انهيار هذه التحصينات ، ومن ثم تسرب الاشعاع ، وتحيط بالمحطات النووية عادة منطقتا أمان ، تعرف أولاهما بمنطقة الاستبعاد ، وهي عبارة عن دائرة قطرها حوالي كيلومتر لا يسمح فيها بوجود أحد سوى العاملين بالمحطة ، والثانية منطقة منخفضة الكثافة السكانية تتمثل في دائرة أخرى محيطة بالأولى قطرها ١٠ كيلومترات تقريبا ، يمكن إخلاؤها تماما في غضون ساعتين من وقوع أي طارىء في المحطة ينذر بالخطر (شكل ٢) ، وبهذا لا يتعرض

شكل (٢)



اشتراطات السلامة الدولية بالنسبة للمناطق المحيطة بمنشآت الطاقة النووية .

السكان في هذه المنطقة لخطر يذكر من تسرب أية اشعاعات نتيجة لهذا الطارىء .

حقيقة ما حدث

ولم يتمكن العلماء ، سواء في الاتحاد السوفييتي أو خارجه بعد ، من تحديد تسلسل الأحداث الذي أدى الى كارثة تشرنوبيل ، وتتعاون الآن مجموعات منهم في الاتحاد السوفييتي وألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول الغربية في جهود مكثفة للتعرف على حقيقة ما حدث ، وعلى تداعي الأحداث ، وربما كان القول بأن السوفييت قد تكتموا على حقيقة ما حدث يعتبر ضربا من المبالغة الاعلامية ، بينما واقع الحال أن الأمر مازال حتى الآن محوطا بالغموض ، فقد كان الرأي السائد حتى وقوع الحادث أنه يكاد يكون ضربا من المستحيلات في أن يحدث ما حدث ، وعلى ضوء ما توفر حتى الآن من معلومات ، فانه يبدو ان خللا ما وقع في أحد الأنظمة الرئيسية بالمفاعل (نظام التبريد الرئيسي ، قضبان الوقود أو قنواته . . . الخ) تبعه سلسلة من الأعطال أو العطب في أنظمة السلامة ، وأن تقدير القائمين على المحطة لحقيقة الموقف لم يكن سليما ، الأمر الذي أدى الى تفاقم المشكلة ، وانفجار قلب المفاعل ، وتسرب كميات كبيرة من المواد المشعة فيه الى الخارج ، وبغض النظر عن ماهية الخلل أو العطب ، فالأمر الأكثر احتمالا هو أن إحدى

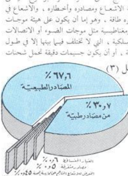
الأنابيب التي تحتوي على وقود اليورانيوم والماء المغلي تحت ضغط مرتفع قد انهارت ، ونتج عن التفاعل الكيماوي بين معدن الزركونيوم والجرافيت تولد غازي الهيدروجين ، وأول أكسيد الكربون القابلين للاشتعال ، ومع اختلاطهما بالهواء وقع الانفجار الذي دمر وعاء الاحتواء الضعيف نسبيا في المفاعلات من هذا الطراز ، وانهار سقف مبنى المفاعل نتيجة للانفجار ، وانطلقت الجسيمات المشعة في الهواء ، ويبدو أن الانفجار قد أعطب أيضا كل أجهزة توليد الطاقة الاحتياطية ، وأصبح من المستحيل على المسئولين عن تشغيل المحطات تبريد المفاعل ، وتوالى بهذا انهيار أنابيب الوقود ، الواحدة تلو الأخرى ، واستمرار توليد كميات أكبر من الهيدروجين الذي أجج النيران المشتعلة ، وأطلق المزيد من المواد المشعة من قلب المفاعل .

وهناك تصورات أخرى لمجريات الأحداث ، يقوم الخبراء السوفييت بدراستها متعاونين مع آخرين في منظمات دولية ودول أخرى .

ماهية الاشعاع وأخطاره

ونحتاج هنا الى استطراد للتعرف بوضوح أكثر على ماهية الاشعاع ومصادره وأخطاره ، والاشعاع في جوهره طاقة ، وهو إما أن يكون على هيئة موجات كهرومغناطيسية مثل موجات الضوء أو الاتصالات اللاسلكية ، التي لا تختلف فيما بينها إلا في طول الموجة ، أو أن يكون جسيمات دقيقة تحمل شحنات

شكل (٣)



رسم تخطيطي لتوزيع متوسط الجرعة الاشعاعية التي يتعرض لها الانسان وفقا لمصادرها .

كهربائية ، ومصادر الاشعاع كثيرة جدا ، منها الطبيعي الذي يأتي من الفضاء الكوني ويتساقط على سطح الأرض باستمرار ، بل إن منها ما يكون في جسم الانسان نفسه ، وإنما يعنينا منها في إطار حادث مثل حادث تشرنوبيل ما يصدر عن **المواد المشعة** ، وقدرة هذه المواد على بث الاشعاع تتناقص مع الزمن ، وبمعدلات تختلف اختلافا بينا من مادة إلى أخرى ، وتقاس هذه الخاصية بما يسمى اصطلاحا « نصف عمر » المادة المشعة ، أي الزمن الذي ينقضي قبل أن ينخفض الاشعاع الصادر عن المادة إلى نصف قيمته الأصلية (شكل ٤) . ويتزايد خطر المادة المشعة كلما ازداد نصف العمر لها ، إذ أنها تظل مصدرا للاشعاع الخطر لفترات زمنية أطول ، وتتفاوت المواد تفاوتات هائلة في هذه الخاصية ، إذ تتراوح ما بين ثوان معدودات وسنوات طوال ، ومن الطريف أن نتذكر هنا أن المواد المشعة تختلف في هذا اختلافا جذريا عن المواد السامة ، فبينما تفقد الأولى خطورتها مع مرور الزمن ، طال أو قصر ، فإن الثانية تبقى إلى الأبد .

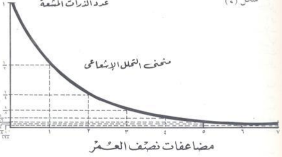
وبعيدا عن تسرب المواد المشعة من مفاعلات أو تفجيرات نووية ، فإننا نتعرض باستمرار لكميات من الاشعاع من مصادر طبيعية وصناعية ، وعلى رأسها الاشعاع من مصادر طبيعية يصل في المتوسط إلى ثلثي اجمالي ما نتعرض له ، ومن وسائل التشخيص والعلاجات الطبية (وعلى رأسها أجهزة الأشعة) ما يقل قليلا عن الثلث الباقي (شكل ٣) ، ويزداد الاشعاع من مصادر طبيعية زيادة كبيرة في المناطق الجبلية ، أو تلك التي تكثر فيها الرمال السوداء ، ونحن نتعرض أيضا لجرعات إشعاعية إضافية عندما نجلس أمام شاشة التلفزيون ، أو عندما نسافر في طائرة ! والانسان من أكثر الكائنات الحية ، نباتا أو حيوانا ، تأثرا بالاشعاع ، وآثار الاشعاع لا تتوقف بداهة على مقداره فقط ، ولكن أيضا على مقدار الكتلة الحية التي تتعرض له ، وهكذا فإن وحدة قياس جرعة الاشعاع ، المسماة « ريم » تساوي مقدارا من الطاقة قيمته ١٠ ـ ١٠ من الجول (وحدة الطاقة) لكل جرام من المادة ، والواحدة الأكثر استخداما هي « الميللي ريم » الذي يساوي جزءا من الألف جزء من « الريم » . وآثار الاشعاع على الانسان إما أن تكون

مباشرة كما في حالة التعرض لجرعات كبيرة جدا من الاشعاع ، كما قد يحدث لأشخاص قريبين جدا من مصدر إشعاع قوي ، مثل انفجار نووي أو تسرب كميات كبيرة من مو'د مشعة من مفاعل نووي ، وهذه آثار واضحة وملموسة ، ولا تختلف في هذا عن آثار الحروق البليغة ، أو التعرض لتهتك في الجسم بسبب حادث مروري ، أو أثناء الحرب ، إلا أنها قد تكون أيضا بعيدة المدى بطيئة الفعل ، لا تظهر إلا بعد فترات زمنية طويلة ، وربما كان هذا هو سبب الذعر الذي يسيطر على الناس عند الحديث عن الاشعاع وأخطاره ، وهذه الآثار البطيئة تنقسم بدورها إلى نوعين : أحدهما مرضيٌ والثاني وراثي ، والأول ينطوي على زيادة استهداف الشخص الذي يتعرض لاشعاع مرتفع ، وإن قل عن حد التلف العضوي المباشر ، للاصابة بالسرطان وللنقص في متوسط العمر ، والثاني يتعلق بآثار تنتقل إلى ذريته عن طريق حدوث « طفرات » في جينات الوراثة في المصاب ، والحقيقة الواقعة هي أن آثار الاشعاع ربما كانت مدروسة ومفهومة فهما مفصلا يفوق ما نعرفه عن بعض الأخطار الأخرى التي يتعر'ض لها الانسان ، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أن علاج هذه الآثار قد حقق تقدما حاسما في جميع الحالات ، والأمر الذي يعنينا هنا هو أن الموضوع الذي مازال يحيط به قدر كبير من الجدل هو الآثار بعيدة المدى للتعرض للاشعاع بجرعات منخفضة جدا لفترات طويلة ، ولا يملك العلماء إلا القياس على ما يعرفونه عن آثار الاشعاع بجرعات كبيرة ، ودون أن تتوفر لهم شواهد مؤكدة من نتائج التجارب الفعلية لوجود آثار سلبية للجرعات الاشعاعية الضعيفة على البشر ، ونورد في الجدول التالي فكرة عامة عن آثار التعرض للاشعاع بناء على أفضل ما يتوفر حاليا من المعلومات وأكثرها تحفظا .

مستويات الأخطار

مستوى الجرعة التي يتعرض لها الانسان دفعة واحدة (مللي ريم)	الآثار البيولوجيـــــة
أقل من ١٠٠٠	لا توجد معلومات مؤكدة والنتائج تحسب استطرادا من المتوفر من معلومات عن الجرعات الأعلى ، وبصرف النظر عن معدلات التعرض للجرعة ، أي زمن التعرض للجرعة الاجمالية
١٠٠٠	١٠٠ حالة لوكيميا (سرطان الدم) لكل مليون ممن يتعرضون لهذه الجرعة ، على المدى الزمني البعيد .
أقل من ٢٥,٠٠٠	لا توجد آثار اكلينيكية ظاهرة لجرعات أقل من ٥٠,٠٠٠ ميللي ريم ، ولا يمكن الكشف عن الآثار إلا بوسائل مختبرية .
أقل من ١٠٠,٠٠٠	لا تأثير يذكر على توقعات العمر .
أقل من ٢٥٠,٠٠٠	حالات وفاة لا تكاد تذكر ، مع نقص واضح في توقعات العمر ، وظهور حالات القيء والاسهال ، وتساقط الشعر والغثيان والنزيف والحمى وفقدان الشهية والهبوط ، والشفاء خلال ثلاثة أشهر .
٤٥٠,٠٠٠	الأعراض السابقة مع وفاة ٥٠٪ من المصابين في ظرف ثلاثين يوما ، واصابة الباقين على قيد الحياة بعجز دائم .
١,٠٠٠,٠٠٠	الأعراض السابقة والوفاة في فترة تقل عن ثلاثين يوما .

شكل (٤)



رسم تخطيطي بين الزمن الذي ينقض قبل ان ينخفض الاشعاع الصادر من المادة الى نصف قيمته الاصلية .

تساؤلات مشروعة

تبقى بعد هذا عدة تساؤلات مشروعة ، أولها عن الجرعة السنوية التي نتعرض لها من مصادر طبيعية ، وهي في المتوسط حوالي ١٢٥ مللي ريم ، ولكنها ترتفع إلى ٥٠٠ ميللي ريم مثلا لمن يسكنون في مناطق جبلية مرتفعة ، أو إلى ٢٠٠٠ ميللي ريم بالقرب من مصادر طبيعية للاشعاع موجودة في التربة ، وهي تزداد كلما تعرضنا للكشف أو العلاج بالأشعة (الذي ينطوي أحيانا على جرعات مرتفعة جدا في تركيز على موقع معين في الجسم بغرض قتل الخلايا كنوع من العلاج !) أو كلما سافرنا بالطائرة ، أو جلسنا أمام شاشة التلفزيون أو حاسب آلي ، ويعني هذا أننا نتعرض في متوسط عدد سنوات عمر الانسان الى حوالي ١٠,٠٠٠ ميللي ريم من المصادر الطبيعية ، وأن هذا قد يزداد عدة أضعاف من مكان إلى مكان أو بسبب التاريخ العلاجي أو المرضي أو حتى تبعا لطبيعة المهنة .

والسؤال الثاني المشروع هو ما هي توقعات الوفيات بالسرطان نتيجة التعرض لمصادر الاشعاع المختلفة ؟ وهناك تقديرات لهذه التوقعات بالنسبة للولايات المتحدة ، نوجزها فيما يلي :

الأسباب	مصادر الاشعاع الطبيعية	المصادر الطبية	السفر بالطائرات	بقايا التفجيرات النووية في الجو(١)	الاجمالي بسبب الاشعاع	الأسباب الأخرى مجتمعة
متوسط عدد الوفيات بالسرطان في العام	٦,٧٠٠	٣,٣٠٠	٢٣٠	٢٣٠	١٠,٤٦٠	٣٨٩,٥٠٠

(١) قبل معاهدة الحد من الانتشار النووي .

تقرير راسموسين

وكان من الطبيعي ، على ضوء هذه المعلومات أن يكون موضوع سلامة المفاعلات النووية ، وتقدير الآثار المحتملة لوقوع حوادث فيها ، محل اهتمام كبير ، ومن ثم ، كلف فريق من العلماء برئاسة أستاذ في معهد ماساشوستس للتقنية في الولايات المتحدة ، عام ١٩٧٢ ، بدراسة سلامة المفاعلات ، وتقييم مخاطر وقوع حوادث فيها ، وصدر في عام ١٩٧٥ تقرير مشهور يعرف باسم تقرير راسموسين ، على اسم ذلك الأستاذ ، وقد طور هذا التقرير مفهوم «المخاطرة» تطويرا مهما يسمح بتقييمها عدديا بدقة أكبر ، وخلص التقرير إلى أن محطات الطاقة النووية قد حققت مستويات منخفضة من المخاطرة مقارنة بالكثير من الأنشطة الأخرى السائدة في المجتمع ، وقد تعرض التقرير للنقد من الكثيرين بعد صدوره ، كان من بينهم علماء وتقنيون من معضدي التوسع في استخدام الطاقة النووية ، إلا أنه عندما وقعت حادثة مفاعل « ثري مايل أيلند » لوحظ أن تسرب المواد المشعة كان أقل بكثير من المتوقع طبقا لتقرير راسموسين في حادث من هذا الحجم ، ودعا هذا الجمعية الأمريكية للفيزياء إلى تشكيل فريق علمي برئاسة الأستاذ ريتشارد ويلسون ، من جامعة هارفارد ، لاجراء دراسة أحدث لتسرب المواد المشعة بسبب حوادث جسيمة في محطات الطاقة النووية ، وتوفرت لهذا الفريق منهجيات علمية وامكانيات للنمذجة باستخدام الحاسب الآلي ، تفوق ما كان متاحا لفريق راسموسين ، وخلصت اللجنة الى أن العواقب الوخيمة لتسرب مواد مشعة إثر حادث جسيم لا تحدث إلا اذا انهار العديد من الحواجز القائمة بين النشاط الاشعاعي والبيئة المحيطة بالمحطة (وهو ما يبدو أنه حدث في تشرنوبيل ولم يحدث في ثرى مايل أيلند) ، وخلصت حسابات الفريق إلى أن تقديرات راسموسين للتسرب الاشعاعي مبالغ فيها في بعض الحالات ، أو أنها لا تتغير كثيرا في حالات أخرى ، كما أن تقديره لاحتمال انهيار الوعاء الحاوي للمفاعل يكاد أن يكون ، طبقا لحساباتهم ، غير وارد في التصميمات الحديثة ، ولكنهم أشاروا إلى احتمالات أخرى ليس هذا مجال الخوض فيها ، وأوضحوا أنها ليست مفهومة فهما كاملا حتى الآن ، وان كانت البحوث تجري في أماكن عديدة لاستجلاء المسائل التي مازالت غامضة .

ومن المفيد أن نحاول شرح مفهوم المخاطرة في هذا السياق ، وهي تعرف بعدد حالات حدوث أمر غير مرغوب فيه (مثل الوفاة) ، ويمكن حسابها عدديا بمعرفة حجم الخسائر (عدد حالات حدوث الأمر غير المرغوب فيه) ومعدلات وقوع حدث يؤدي إلى هذه الحالات على النحو التالي :

المخاطرة (الخسائر في العام) = معدلات الحدوث (عدد المرات في العام) × حجم الخسائر (في كل مرة) .

فلو أن عدد حوادث القطار كان مثلا ١٠ حوادث في العام ، وكان متوسط الوفيات في الحادث الواحد حالتين ، فإن المخاطرة تكون ٢٠ في العام ، وتقدير مخاطرة وقوع حادث يعتمد على احتمالات وقوع الأنواع المختلفة من الحوادث وعلى نتائجها ، واحتمال حدوث سلسلة متعاقبة من الأحداث غير المرغوب فيها ، مثل تلك التي يبدو أنها وقعت في حادثة تشرنوبيل ، يساوي حاصل ضرب احتمالات حدوث كل واحد منها ، أي أنه سيكون أقل بكثير جدا من احتمالات حدوث أي منها منفردا ، ودون الدخول في التفاصيل الفنية الدقيقة . فإن هذا هو جوهر الطريقة التي اتبعت في تقرير راسموسين ، وكان تقديره لاحتمالات انصهار قلب مفاعل هو توقع حدوث مثل هذا الانصهار مرة كل أربعين عاما ، وهو التوقع الذي لا يختلف كثيرا عما حدث لو أخذنا في الاعتبار أن عمر محطات الطاقة النووية في الاتحاد السوفييتي قد تجاوز الثلاثين عاما[٢] . ومن الضروري

(٢) لابد من التأكيد هنا أن انصهار قلب المفاعل لا يؤدي بالضرورة إلى تسرب المواد المشعة ، إذ أن هذا مرتهن بالتحصينات المحيطة به وقدرتها على تحمل الاجهادات الناجمة عن الانصهار دون أن تتداعى وتسمح بانطلاق قدر كبير من هذه المواد . والتقدير السائد حاليا هو أن احتمالات انصهار قلب المفاعل ثم انهيار سلسلة التحصينات المحيطة بالمفاعلات الحديثة المزودة بأوعية احتواء شديدة المقاومة للانفجارات ، واحدة تلو الأخرى ، تكاد أن تصل إلى واحد في البليون !!

أن نؤكد قبل الانتقال إلى موضوع آخر أن هذه معالجة مبتسرة جدا لموضوع حساب الاحتمالات والمخاطرة .

شعاع غير محسوس

أن مثل هذه الحسابات العقلانية للاحتمالات ليست ذات أثر كبير في الرأي العام ، فلا يغني مثلا أن نذكر الناس بأن احتمالات وقوع حوادث سيارات تسبب الوفاة أكبر جدا من احتمالات وقوع حادث لطائرة ، وأن حجم الخسائر في النوع الأول لا يتجاوز عددا محدودا جدا من الأفراد ، بينما قد يصل الى العشرات في النوع الثاني ، ومن ثم ، فإن المخاطر الناجمة عن حوادث السيارات ، والتي تساوي معدلات حدوثها مضروبة في الخسائر ، أعلى بكثير من مخاطر السفر بالطائرات ، ولا يغني بنفس القدر القول بأن المخاطر الناجمة عن حوادث المحطات النووية دون مخاطر النوعين السابقين من الحوادث كثيرا . ولنضف إلى هذا أن الاشعاع أمر يثير الرهبة في النفوس لأنه شيء غير محسوس ، من ناحية ، ولأن آثاره على المدى الزمني البعيد مبعث خوف مفهوم في الانسان ، من ناحية ثانية ، لأنه يتجاوز في الانتشار الجغرافي لآثاره أيا من هذين النوعين .

ولننظر الآن في أبعاد الأضرار التي نجمت عن الحادث الذي وقع في تشرنوبيل ، والذي كان مصدر الخطر الذي امتد ، بدرجات متفاوتة ، شمالا إلى اسكندنافيا ، وغربا إلى أواسط أوروبا ، وجنوبا إلى الشرق الأوسط ، وشرقا داخل الاتحاد السوفييتي نفسه . ولقد جاء الخطر من المواد المشعة التي تطايرت في الجو وحملتها التقلبات الجوية إلى هذه المناطق ، وواضح ، كما سبق أن أوضحنا ، أن الاشعاع الناجم عنها يتوقف على كمية المادة المشعة التي حملتها الرياح إلى أي مكان ، ونصف عمر كل واحدة منها ، والفترة التي انقضت منذ انطلاقها من حطام المفاعل حتى وصولها إلى هذا المكان ، وعلى سبيل المثال ، فإن آثار الحادث الذي وقع بين يومي ٢٥ و ٢٧ ابريل لم تظهر في الكويت إلا يوم ٣ مايو ، حين قفز الاشعاع المقيس في الجو بحدة حتى يوم ٧ ـ ٨ مايو ، ليعود بعد ذلك إلى الانخفاض ، وبحساب الجرعة السنوية الاضافية التي تعرض لها المواطنون لأهم مادتين مشعتين جرى رصدهما ، فقد قدّر تأثير كميات مادة السيزيوم ـ ١٣٧ وهي مادة ذات نصف عمر طويل يصل إلى ٣٠ عاما ، بتأثير الجلوس أمام التلفزيون لمدة ساعة إضافية ، وذلك بافتراض بقاء تأثيرها عند المستوى الأقصى الذي سجل يوم ١٩٨٦/٥/٨ ، ومع أنه انخفض بعد ذلك بحدة كما سبق أن ذكرنا ، أما تأثير مادة اليود ـ ١٣١ ، ونصف عمرها ثمانية أيام فقط ، وبافتراض بقائها عند مستوى الذروة الذي سجل في ذلك اليوم والتغاضي عن الانخفاض الكبير الذي سجل بعد هذا التاريخ ، وعن قصر نصف عمرها الذي يعني أنها ستختفي تماما من الجو بعد بضعة أشهر ، فهو أقل من تأثير سفرة بالطائرة من الكويت إلى لندن ذهابا وايابا ! ويؤكد هذا أنه ليست للحادث أية آثار على جو الكويت تمثل خطورة حقيقية على المواطنين في الكويت ، لا في المدى القصير ولا على المدى البعيد .

آخر البيانات المتاحة

وطبقا لآخر البيانات المتاحة عند الكتابة ، فقد توفي ستة وعشرون شخصا ، بينما أصيب ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ شخص إصابات استدعت بقاءهم في المستشفيات حتى الآن ، بينما أجلي حوالي ١٠٠,٠٠٠ من السكان من المناطق المحيطة بالمفاعل ، ومن المتوقع بالنسبة لهؤلاء أن يكونوا أكثر استهدافا للاصابة بالسرطان في السنوات المقبلة ، ومن ثم ، فإنهم سيخضعون لمتابعة صحية مستمرة بقية حياتهم ، وقد يظهر ما بين عشر حالات ومائة حالة إضافية ـ وربما أكثر من هذا قليلا ـ للاصابة بالسرطان بينهم ، وفقا للجرعات الاشعاعية التي تعرضوا لها ، وتؤكد جميع القياسات ونتائج الرصد إلى أن تأثير الحادث سواء على الجو أو المياه يكاد لا يذكر خارج المنطقة المحيطة مباشرة بالمفاعل .

ولقد ألغت معظم الدول الأوروبية المجاورة الاجراءات الاحترازية للوقاية من الاشعاع التي كانت قد اتخذتها في أعقاب الحادث ، في شأن غسل المواد الغذائية الطازجة ، أو منع تناول الحليب ، أو ابقاء الأطفال داخل المنازل ، أو فرض قيود على السفر ،

ومن المتوقع أن تلغى بقية الدول كل ما اتخذ من إجراءات احترازية خلال فترة قصيرة ، مع استمرارها في عمليات الرصد ودراسة البيانات وتحليلها ، اذ أن ذلك يوفر حصيلة وثروة علمية بالغة الأهمية بالنسبة للمستقبل تساهم في حسم الكثير من القضايا المعلقة في شأن آثار الجرعات الاشعاعية .

خطط واحتمالات مستقبلية

ويبقى أخيرا النظر فيما يمكن أن تكون عليه عواقب هذا الحادث الذي شد انتباه العالم مرة أخرى إلى الأخطار التي تحيط بالطاقة النووية ، وواضح أن ضغط الرأي العام الشعبي سيؤدي إلى توقف ، أو على الأقل تباطؤ العديد من مشروعات إنشاء محطات طاقة نووية جديدة ، وأن هذا سيساعد ، من بين ما سينجم عنه ، الى عودة أسعار النفط الى الارتفاع ، ولا شك أيضا أنه سيحفز العلماء والمهندسين إلى بذل جهود مضاعفة لمزيد من الدراسة المتعمقة لاستجلاء ما بقي من غموض حول الاحتمالات المترتبة على حادث نووي ، من ناحية ، ولاهتمام مركز بزيادة سلامة محطات الطاقة النووية القائمة ، من حيث إجراءات تشغيلها ، ونظم ضبط الجودة فيما يستخدم فيها من المواد والمعدات ، وطرق اختبارها دوريا بأكبر قدر من الدقة والاعتمادية ، وبالذات في تحسين إجراءات مواجهة الطوارىء ، والتدريب المتواصل والفعال لكل الأفراد والهيئات المسئولة عن هذا الأمر ، لضمان عدم تكرار الارتباك والتصرفات غير المناسبة والبطيئة الذي يبدو أنها قد سادت في الساعات الأولى من كارثة تشرنوبيل ، والأهم من هذا كله هو التأكيد على ضرورة التعاون الدولي بلا قيود سياسية أو تنظيمية في تبادل المعلومات والمساعدة في احتواء الأضرار ، وهو ما يبدو أنه قد بدأ بالفعل ، وأنه سيؤدي إلى أنماط جديدة لمثل هذا التعاون .

ومن المتوقع أيضا أن تبذل جهود علمية وتقنية مركزة في اتجاهين مترادفين ، أولهما تطوير محطات أكثر سلامة مما هو متعارف عليه حاليا ، وتسير هذه الجهود في اتجاهين واعدين بتحقيق قفزة نوعية في السلامة ، إما عن طريق استخدام موائع تشغيل (سوائل أو غازات) غير تلك التي استخدمت حتى الآن ، مثل الصوديوم السائل أو غاز الهيليوم ، وإما بتصميم المنشآت النووية بحيث يؤدي الخلل فيها إلى توقفها تلقائيا عن التفاعل النووي ، مثل استخدام شكل من أشكال الوقود يؤدي ارتفاع درجة حرارته أكثر مما هو مسموح به إلى توقف عملية الانشطار النووي فيه ، والاتجاه المرادف هو عودة الاهتمام بدرجات أكبر لتطوير مصادر الطاقة المتجددة التي تباطأ السعي في تطويرها بعد انخفاض أسعار النفط ، ولا شك أن الطاقة الشمسية معين غزير بالطاقة غير الناضبة ما بقيت هناك حياة على سطح الأرض ، إلا أنه لم تظهر بعد على الأفق بشائر طفرة علمية - تقنية توفر طريقة مجدية للاستغلال الاقتصادي للطاقة الشمسية على نطاق كبير ، يقترب من أحجام الطاقة المتولدة في محطات الطاقة الكبرى المنتشرة اليوم في العالم ، ومن السابق لأوانه الجزم بأن الطاقة النووية في طريقها إلى الانحسار الدائم أو الاختفاء ، فالتعامل معها ، كما قال واحد من كبار العلماء الأمريكيين ، يمثل نوعا من الصفقة التي عقدها فاوست مع الشيطان في رواية جوته الشهيرة ، وهو لا يختلف كثيرا عن تعامل الانسان مع النار أو الكيماويات البالغة السمية .

ويبقى بعد هذا وذاك ، أمل كبير يسعى العلماء في كل مكان منذ سنوات عديدة لتحقيقه ، ألا وهو توليد الطاقة عن طريق الانصهار النووي ، وليس الانشطار ، وعندما يتحقق هذا بأسلوب عملي سيتوفر للبشرية مصدر للطاقة لا ينضب ، ولا تنتج عنه إشعاعات خطرة ، ولا مخلفات ذات آثار بيئية مدمرة ، لسنوات طوال ، بل طالما بقي الانسان . □

■ ليست العظمة في ألا تسقط أبدا ، بل في أن تسقط ثم تنهض من جديد .

(كونفوشيوس)

رشدية.. عربية أم لاتينية ؟

بقلم : الدكتور محمد عابد الجابري*

هل لابن رشد أتباع في الفكر الفلسفي العربي ؟ وهل هناك رشدية عربية بالمعنى الاصطلاحي ؟ وماذا عن التيار الذي عرف في الغرب « بالرشدية اللاتينية » ؟ عن هذه التساؤلات وعن غيرها من فلسفة ابن رشد يجيب هذا المقال .

« الرشدية » نسبة الى ابن رشد الفيلسوف « المعروف » ـ ونضع كلمة «معروف » بين مزدوجتين تحفظا ، لأننا لانعتقد أن ابن رشد معروف فعلا بالقدر الكافي ، القدر الذي نعرف به ابن سينا أو الغزالي مثلا ، أو الذي يعرف به الاوروبيون ديكارت أو سبينوزا أو لوك أو روسو .. الخ ـ والمقصود بـ « الرشدية » : مضمون فكر ابن رشد ، مضمونه النسقي العام . وبعبارة أخرى أن المقصود ليس أقوال ابن رشد وآراءه في هذه المسألة الجزئية أو تلك ، في هذا المجال أو ذاك ، ولا حتى مجموع هذه الآراء معروضة عرضا يسوده السرد والانتقال ، من موضوع الى موضوع انتقالا يخضع للاتفاق والمصادفة أو لرغبة الراوي العارض ، بل المقصود من « الرشدية » ، في اصطلاحنا هنا ، هو النظام الفكري العام الذي تندرج تحته جميع القضايا والمسائل التي بحثها ابن رشد ، وأدلى فيها برأي ، وأيضا جميع القضايا والمسائل التي تقبل الاندراج تحت نفس النظام الفكري ، حتى لو لم يبحثها صاحبه او يدل فيها برأي صريح .

تحديد عام

والرشدية في هذا مثلها مثل المذاهب الفلسفية التي من هذا النوع كالسينوية ، نسبة الى ابن سينا ، أو

* أستاذ الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالرباط ، باحث ومفكر ، وله عدد من المؤلفات في الفكر والفلسفة .

الديكارتية نسبة الى ديكارت ، أو الهيجلية نسبة الى هيجل ، بل مثلها مثل المذاهب الفكرية والدينية التي تنطلق من منطلقات معينة ، لتنتهي الى نتائج معينة ، تحدها حدود معينة ، مثل المذهب المعتزلي والمذهب الأشعري . . الخ ، أقول ان الرشدية مثلها مثل هذه المذاهب جميعا ، لا تتحدد بما تقرره أو تصرح به أو تصدره من فتاوى وحسب ، سواء كان ذلك مما يدخل في حيز الفعل ، فعل التقرير والتصريح والافتاء ، أو مما يدخل في حيز الامكان ، بل انها تتحدد كذلك بما تسكت عنه لكونه يقع خارج مجال رؤيتها وبعيدا عن مركز اهتمامها .

قد يتفق معنا القارىء حول هذا التحديد العام - أعني الاجمالي الذي يحتاج الى مزيد دقة - لمعنى النظام الفكري الذي نسميه الرشدية أو السينوية أو الديكارتية . . الخ ، ولكنه قد يعترض ، ومن حقه أن يفعل ، على العبارة التي وضعناها عنوانا لهذه المقالة « العجالة » : عبارة « الرشدية العربية » . ذلك أن من المعروف تاريخيا أن فلسفة ابن رشد لم يكن لها ما بعدها في الثقافة العربية ، وان أي أحد من المفكرين داخل هذه الثقافة لم يستأنف التفكير فيها ، لا اتباعا وتقليدا ولا اعتراضا وتفنيدا ، وانما المعروف تاريخيا هو أن فلسفة ابن رشد قد انتقلت بعد وفاته مباشرة الى أوروبا ، حيث كان لها هناك أتباع وشأن لمدى أربعة قرون على الأقل ، من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، وقد عرف أتباعها في تاريخ الفكر الأوروبي في العصور الوسطى باسم « الرشديين اللاتينيين » ، وعرف التيار الفكري الذي أوجدوه بـ « الرشدية اللاتينية » .

واذن ، هناك رشدية لاتينية معترف بها تاريخيا ، ومعروفة تفاصيلها لدى المختصين في الفلسفة الأوروبية ، فلسفة العصور الوسطى منها خاصة ، وبالمقابل هناك « غياب » لآثار فكر ابن رشد في الثقافة العربية الاسلامية ، فكيف يمكن الحديث اذن عن « رشدية عربية » ؟ .

اعتراض مشروع . . ولكن الجواب عنه غير ممتنع ، وفيما يلي بعض المعطيات التي تجعل الحديث عن « الرشدية العربية » ممكنا بل مبررا .

ان فكر ابن رشد فكر منظومي ، بمعنى أنه يصدر



ابن رشد

في تفكيره عن جملة من المبادىء والأصول ، يلتزم بها التزاما ، فيفهم على ضوئها ما يعترضه أو يعرض عليه من المسائل ، ويقرر بالاستناد عليها وعلى مقتضياتها ما يصدره من أحكام ، ويصل اليه من نتائج ، مما يجعل الحديث عن الرشدية بالمعنى الذي حددناه قبل هذه الصيغة ومثيلاتها ، حديثا مشروعا تماما .

الرشدية اللاتينية

ان ما يسمى بـ « الرشدية اللاتينية » - ويجب أن نضيف أيضا « الرشدية العبرية » كما سنبين فيما بعد - هي قراءة خاصة لبعض جوانب فكر ابن رشد ، وليس لفكره ككل ، وبما أن هذه القراءة قد تمت عبر الترجمة من العربية الى اللاتينية ، أو من العربية الى العبرية ، ومن هذه الى اللاتينية ، من جهة ، وبما أن هذه القراءة قد تمت ، من جهة أخرى ، داخل ثقافة تختلف بمرجعيتها وبمشاكلها وأشكالياتها عن الثقافة التي فكر داخلها ابن رشد وبوحي من قضاياها

الخاصة ، فانه من المنتظر ، وهذا ما حصل فعلا ، أن تتلون الرشدية اللاتينية بأطياف غير عربية وغير اسلامية ، أو على الأقل لم تكن مطروحة في الساحة الثقافية العربية بنفس الصورة التي طرحت بها في الثقافة اللاتينية المسيحية ، والنتيجة هي أن الرشدية اللاتينية هذه لا تعبر عن فكر ابن رشد ، كما يمكن أن يقرأ ويفهم في الثقافة العربية الاسلامية ، وما دام الامر كذلك ، فلماذا سنسمي الرشدية المقروءة والمفهومة داخل الثقافة العربية ، وعلى ضوء معطياتها الخاصة ، اذا لم نسمها : « الرشدية العربية » .

سيقال ان « الرشدية العربية » بهذا المعنى ، هي ما كان سيكون لو أن فلسفة ابن رشد كان لها ما بعدها في الثقافة العربية ، لو أن ابن رشد كان له أتباع وأنصار ، ولو أن الأطروحات التي قال بها قد أعيد فيها التفكير واستؤنف فيها النظر من بعده . أما وأن هذا لم يحدث ، فان « الرشدية العربية » لا تعدو أن تكون مشروعا فكريا بقي في حيز الامكان ، ولم يخرج الى حيز الوجود .

والجواب أن هذا الاعتراض انما يستند الى فهم ضيق لمعنى « الرشدية » ، المعنى المستوحى من مضمون الرشدية اللاتينية ، ذلك أن ما غاب من الرشدية عن الثقافة العربية ، بعد ابن رشد ، هو الجانب الارسطوطاليسي منها : أعني تأويل ابن رشد للمسائل التي تركها أرسطو معلقة ، وبكيفية عامة فهم ابن رشد لأرسطو ككل ، ولكن الرشدية ليست مجرد « شروح ابن رشد على أرسطو » بل هي أيضا ردوده على الغزالي وابن سينا ونقده لمذهب الأشاعرة ، وتحليله لـ « مناهج الأدلة في عقائد الملة » وتقريره لنوع « الاتصال » القائم بين الشريعة والحكمة ، ليس هذا وحسب ، بل ان الرشدية هي أيضا ـ وهذا أهم من وجهة نظرنا ـ منهج ومفاهيم ورؤ ية ، أعني أنها نظام معرفي أطلق عليه ابن رشد اسم « البرهان » ، وهذا النظام المعرفي البرهاني الذي يؤسس الرشدية ، والذي بلغ أوج نضجه في الثقافة العربية الاسلامية من خلالها ، يرجع تاريخ تبلوره في هذه الثقافة الى ما قبل ابن رشد ، وبالتحديد الى ابن حزم وابن باجة ، كما أن « توجيهاته » بقيت حاضرة في هذه الثقافة نفسها الى ما بعد ابن رشد ، اذ نجد بصماتها واضحة في فكر ثلاثة من أكبر مفكري الاسلام بعد ابن رشد هم ابن تيمية والشاطبي وابن خلدون .

واذن فـ « الرشدية العربية » هي النظام الفكري الذي صدر عنه ، بهذه الدرجة أو تلك ، مفكرون مسلمون يحتل ابن رشد واسطة عقدهم ، ليس هذا وحسب بل انها أيضا ما يمكن أن يبعث اليوم من فكر ابن رشد ، أعني ما يشكل استئناف النظر فيه أحد عناصر الأصالة التي ننشدها لفكرنا العربي المعاصر .

الحديث عن « الرشدية العربية » ، اذن ، ليس ممكنا وحسب ، بل هو مطلوب أيضا في زمننا العربي الراهن ، الزمن الذي يحتاج الى روح ابن رشد ، روحه النقدية العقلانية .

شخصية ابن رشد

يقول ارنيست رينان المفكر والباحث الفرنسي المعروف في كتابه « ابن رشد والرشدية » (ظهر هذا الكتاب أول مرة عام ١٨٥٢ ، ونقله عادل زعيتر الى العربية عام ١٩٥٧ ، أي بعد أكثر من قرن من تأليفه . وما زال هذا الكتاب أهم مرجع حول « الرشدية اللاتينية » ، يقول : ان شخصية ابن رشد في الفلسفة السكلائية ، وهي بصورة عامة الفلسفة الاوروبية في القرون الوسطى ، « شخصية مضاعفة » : فمن جهة كان ينظر الى ابن رشد على أنه « الشارح الأكبر » لمؤلفات أرسطو ، الشارح الذي كان يحظى بالتقدير والاحترام ، حتى من أولئك الذين كانوا يناهضونه ويردون عليه من رجال اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى ، ومن جهة أخرى كان ينظر اليه من طرف هؤلاء أنفسهم على أنه « عدو الأديان وأبو الزنادقة والمبشر بالدجال » .

وهذه « الشخصية المضاعفة » ، أو على الأصح هاتان النظرتان المتناقضتان اللتان تقاسمتا رأي رجال الفلسفة واللاهوت في أوروبا القرون الوسطى حول ابن رشد ، نجد ما يشبهها لدى « رجال الفكر » في الثقافة العربية ، سواء أثناء حياة ابن رشد أو بعد مماته .

فابن الأبار يترجم له في كتابه « التكملة لكتاب الصلة » بعبارات كلها اجلال وتقدير ، يقول فيها : « محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا

الوليد ، روى عن أبيه أبي القاسم ، استظهر عليه الموطأ حفظا ، وأخذ يسيرا عن أبي القاسم بن بشكوال ، وأبي مروان بن مسرة ، وأبي بكر بن سمحون ، وأبي جعفر بن عبدالعزيز ، وأجاز له هو وأبو عبدالله المازري ، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن حربول البلنسي ، وكان الدراية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول وعلم الكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا ، وكان على شرفه أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا ، عُني بالعلم من صغره الى كبره ، حتى حكي عنه أنه لم يَدَع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة ، ومال الى علوم الأوائل ، فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره ، وكان يفزع الى فتواه في الطب كما يفزع الى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب ، حكي عنه أبو القاسم بن الطيلسان ، انه كان يحفظ شعري حبيب (أبي تمام) والمتنبي ، ويكثر التمثل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن ايراد ، وله تصانيف جليلة الفائدة ، منها : كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه أعطى فيها أسباب الخلاف ، وعلل فوجّه ، فأفاد وأمتع به ، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقا ، وكتاب « الكليات » في الطب و « مختصر المستصفى » في الأصول وكتابه بالعربية الذي وسمه بـ « الضروري » (= في النحو) وغير ذلك ، وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث ، فحمدت سيرته وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال ، انما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الاندلس عامة .. وامتحن بآخرة من عمره فاعتقله السلطان وأهانه ، ثم عاد فيه الى أجل راية ، واستدعاه السلطان الى حضرة مراكش ، فتوفي بها يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة .. ومولده سنة عشرين وخمسمائة » . واذا كان ابن الأبار يبرز في ثقافة ابن رشد الجانب « البياني » منها ، أعني تضلعه في العلوم العربية الاسلامية ، فان ابن أبي أصيبعة ، الذي استعاد الجوانبُ الأساسية من ترجمة ابن الأبار ، يبرز بصورة خاصة الجانب الآخر من ثقافة صاحبنا ، جانب المعرفة بالطب والفلسفة وعلومها ، فيذكر قائمة بأسماء كتبه في هذه العلوم ، بالاضافة الى مؤلفاته في علوم الدين واللغة ، واصفا اياه بأنه : « مشهور بالفضل ، معتن بتحصيل العلوم ، أوحد في علم الفقه والخلاف » (= بين المذاهب الفقهية) وانه « كان أيضا متميزا في علم الطب .. جيد التصنيف حسن المعاني» كما كان « حسن الرأي ذكيا ، رث البزة ، قوي النفس .... » .

ابن رشد والمحنة

والى جانب هذه الصورة الموضوعية التي يقدمها لنا عن ابن رشد مؤرخو الفكر ورجاله في الثقافة العربية الاسلامية ، هناك صورة أخرى ينقلها هؤلاء أنفسهم ، كما ينقلها غيرهم ، عن خصوم ابن رشد في حياته والشامتين فيه أثناء محنته ، وتتركز خطوط هذه الصورة ، صورة ابن رشد في نظر خصومه ، حول الأسباب التي جعلت الخليفة الموحدي يعقوب المنصور يغضب عليه ويهينه وينفيه الى قرية اليسانة خارج قرطبة ، والتهمة الرسمية التي وجهت الى ابن رشد ، والتي بها حوكم ونفي ، هي اشتغاله بعلوم الأوائل وشرح كتبهم .

ينقل الأنصاري أن ابن رشد « كان من أهل العلم والتفنن ، وأخذ الناس منه واعتمدوه ، الى أن شاع عنه ما كان الغالب عليه في علومه من اختيار العلوم القديمة والركون اليها وصوب عنايته جملة نحوها ، حتى لخص كتب أرسطو الفلسفية والمنطقية واعتمد مذهبه فيما يذكر عنه ويوجد في كتبه ، وأخذ ينحي على من خالفه ، ورام الجمع بين الشريعة والفلسفة ، وحاد عما عليه أهل السنة ، فترك الناس الرواية عنه .. وتكلموا فيه بما هو ظاهر من كتبه » .

ولا يذكر الذين رووا أخبار محنته مسألة معينة خالف فيها الدين ، واستوجبت محاكته وابعاده ، سوى قوله ناقلا عن اليونانيين ان « الزهرة أحد الآلهة » ، يذكر الذهبي « ان قوما ممن يناوئه بقرطبة ويدعي معه الكفاءة في البيت والحشمة ، سعوا به عند أبي يوسف (يعقوب المنصور الموحدي) بأن أخذوا بعض تلك التلاخيص ، فوجدوا فيه بخطه حاكيا عن بعض الفلاسفة : قد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة ،

فأوقفوا أبا يوسف على هذا ، فاستدعاه بمحضر من الكبار بقرطبة ، فقال له : أخطك هذا ؟ فأنكر ، فقال : لعن الله كاتبه ، وأمر الحاضرين بلعنه ، ثم أمر باخراجه مهانا وبابعاده ، وابعاد من تكلم في شيء من هذه العلوم وبالوعيد الشديد ، وكتب الى البلاد بالتقدم الى الناس في تركها ، وباحراق كتب الفلسفة ، سوى الطب والحساب والمواقيت » .

ملك البربر .. أم البرين

ويذكر المؤرخون ، بالاضافة الى ما تقدم ، أن المنصور الموحدي حقد على ابن رشد لكونه قال في شرح كتاب الحيوان لارسطو ، عند ذكره الزرافة : « رأيتها عند ملك البربر » ، يعني المنصور « فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان أحد الأسباب الموجبة في أنه نقم على ابن رشد وأبعده ، ويقال أن مما اعتذر به ابن رشد أنه قال : انما قلت : ملك البرين (بر الأندلس وبر المغرب) وانما تُصُحِّفت على القارىء فقال ملك البربر » . كما يذكرون من أسباب نقمة المنصور عليه أنه كان بينه وبين يحيى أخي المنصور ، ووالي قرطبة ، علاقات صداقة خاصة .

وكان بين المنصور وأخيه يحيى هذا ، حين ذاك ، نفور وجفوة ، كما يذكر المؤرخون من أسباب حقد المنصور على ابن رشد أن هذا الأخير لم يكن يراعي مقام المنصور كخليفة عند الكلام معه في مجالسه ، اذ كان يخاطبه بقوله : « تَسْمَعْ يا أخي » .

والذي يُظْهِر مما يذكره المؤرخون عن أسباب محنة ابن رشد هو أن السبب الحقيقي كان سببا سياسيا ، ذلك أن المحنة التي تعرض لها ابن رشد شملت أيضا « جماعة أخر من الفضلاء الأعيان ، وكان من بينهم فقهاء وقضاة لم يكونوا من الفلاسفة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجمع المؤرخون على أن المنصور عفا فيها بعد عن هؤلاء جميعا ، وأعاد اليهم اعتبارهم ، وردهم الى مكانتهم ، وفي مقدمتهم ابن رشد نفسه الذي استدعاه المنصور الى بلاطه بمراكش فـ « عاد الى أجل راية » كما يقول ابن الآبار ، ليس هذا وحسب ، بل ان المنصور نفسه « لما رجع الى مراكش نزع عن ذلك كله (أي عن غضبه على الفلسفة والفلاسفة) وجنح الى تعلم الفلسفة ، واستدعى ابن رشد للاحسان اليه فحضر » .

لنضف أخيرا أن ابن رشد تعرض لهذه المحنة في أواخر عمره ، قبل وفاته ببضع سنين فقط ، أي بعد أن قضى أكثر من أربعين عاما في الاشتغال بالفلسفة وعلومها ، وبعد أن انصرف الى شرح كتب أرسطو بأمر من الخليفة الموحدي أبي يعقوب والد المنصور .. كل ذلك لايدع مجالا للشك في أن السبب فيها تعرض له ابن رشد و « جماعة الفضلاء الأعيان » من نفي وابعاد ، كان سببا سياسيا ، وانه عندما زال هذا السبب رفعت المحنة عن الضحايا المبعدين ، وأعيدوا الى سابق شأنهم ومكانتهم .

وبعد ، فان المرء لا يملك الا أن يشك شكا لا حدود له في صحة ما ينسب الى ابن رشد من تهم في عقيدته ودينه ، وهي بعد تهم غير محددة ، وانما هي مجرد تأويل عليه من طرف المنافسين له والحاقدين ، هذا عن ابن رشد العربي ، ابن رشد الحقيقي ، أما عن « ابن رشد » الآخر ، إمام « الرشديين اللاتين » فقد اتهمه رجال الدين المسيحي بالالحاد ، ليس فقط لأنه كان يقرر آراء « الوثنيين » بل أيضا لأنه كان عربيا مسلما من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) . □

■ هذه السيدة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت كانت لي حصنا (فريد الدين العطار عن أمه وهو وزير) .

■ العقاب قد يمنع الاندفاع الى الشر ، ولكنه لا يدفع أبدا الى الخير (هوراس مان) .

الله .. والإنسان .. والحرية

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

لن يكون للإنسان شأن إلا بالحرية ، ولن ينهض من كبوته إلا بالحرية ، ولن ينعم بانسانيته إلا بالحرية ، فالحرية هي الحياة ، وهي سر الإنسانية .

اما ان الله موجود فنعم .. الله موجود وغالبية الناس الآن في عالمنا هذا تنكره أو تعرفه ، ولكن تجهل حقه .

فالله موجود تراه البصيرة ، فان عميت البصيرة دل عليه العقل ، فانك ان تصفحت القاموس فرأيت فيه الكلمات مرتبة حسب ترتيبها الأبجدي في نظام لا يختل ، ثم أخبرك صاحب ان هذا نتج عن انفجار قنبلة في مطبعة ، تطايرت به الحروف الى السماء فلما وقعت على الأرض وجدت - هكذا - مرتبة بترتيب القاموس ، لما قبل عقلك العلمي هذا التفسير ، ولما قبلته فطرتك السليمة ... ولو حدثك محدث عن الصحراء وما فيها من صخر ورمل وعيون ماء وواحات ذات أشجار وجبال مختلف ألوانها مما بها من معادن ، ثم سرت في الصحراء فوجدت هذه المكونات ذاتها ، ولكن على هيئة قصر فاخر منمق ومرتب ، لاستحال لديك أن يكون القصر قد تكون عشوائيا أو طبيعيا مادامت مكوناته موجودة ، ولأكدت أن هذا البناء وراءه مهندس حتى ولو لم تشاهد هذا المهندس .. ذلك بأن الصنعة دليل على وجود الصانع ، ويجول خاطرك العلمي في محتويات هذا الكون من الذرة الى المجموعة الشمسية ، ومن كرة الدم الحمراء الى الكبد الذي يعتبر أضخم معمل كيميائي معروف ، الى قوانين الطبيعة والكيمياء والحياة ، فترى في كل منها ماهو أكثر صنعة واحكاما من قاموس مرتب أو قصر مشيد ... ، فالخلق دليل على وجود الخالق ، والله اذن حق .

بين الخير والشر :

وخلق الله الخلق .. أصغر ما فيه الذرة ، وهذه تحكمها قوانين علم الطبيعة . وتلتحم الذرات لتكون جزيئات ، تلتحم فيما بينها كذلك في نطاق قوانين الكيمياء .. وتتعقد الجزيئات حتى تصل الى جزيء حمض النوويك ، ذلك الذي يقدر أن ينشطر الى

نصفين يستطيع كل منهما ان يكمل نفسه الى جزيء كامل جديد ، أي أن له خاصية النماء . . فهي اذن الحياة في أول أدوارها . ثم تتعقد صور الحياة وتتشعب ، ولكن وحدتها دائما جزيء حمض النوويك ، وترتقي الحياة في تراكيبها من المكروب الى الحشرات الى الطير والحيوان الى الانسان . . كل أطوارها تدور حول حامض النوويك ، وكل تركيبها من مادة الأرض وما يصنعها من ذرات ومن جزيئات ، وننظر الى الانسان ما هو وأين هو من ذلك السُلّم ؟ الذرات فيه تحكمها قوانين الذرة ، والجزيئات فيه تحكمها قوانين الجزيئات ، والحياة فيه تحكمها قوانين الحياة . . وليس ذلك قصرا على الانسان ، اذ يشاركه فيه الحمار والحصان والقرد والكلب والجاموس ، التركيب الكيمياتي واحد ، والوظائف الحياتية واحدة ، ولا يكاد الغذاء والنماء والهضم والاخراج ودورة الدم والتنفس والتناسل والتحرك يختلف بين الانسان والحيوان . . فهل الانسان حيوان ؟

الجواب لا . . لأن الانسان صعد على السلم درجة لم يصعدها غيره . . وهي التي ميزت الانسان انسانا ولم تتركه حيوانا . . ارتقى الانسان فوق قوانين الحياة الى دائرة قوانين الأخلاق ، ولو لم يجاوز الانسان حيوانيته الى تلك المنطقة لظل حيوانا ، ولعله لم يكن آنذاك خير حيوان . . فالأسد أقوى منه ، والحمار أصبر منه ، والفهد أسرع منه ، والنمل أدق منه نظاما ، والأرنب أغزر منه ذرية ، ولكن الانسان صاحب الدرجة الرفيعة ، لانه جاوز عالم لحمه ودمه الى عالم الضمير والأخلاق والوجدان ، لم نعرف حماراً جاع فتعفف عن حزمة برسيم حاضرة لأنها لا تخصه ولكن تخص حماراً آخر . . أو عطش والماء أمامه فلم يشرب لأنه يهذب نفسه بالصيام ، أو ناداه الجنس فتعفف لأن الأتان السانحة غير حليلته ، الحيوانات تتصرف بغرائزها المركوزة فيها فقط . . وهكذا أراد لها خالقها ، فهي لم تزود بمفهوم الخير والشر ، وحتى الملائكة التي تفعل الخير ولا تفعل الشر فإنها لا تعرف الشر . . الا الانسان . . . فقد زوده خالقه بمفهوم الخير والشر ، وبالعقل الذي يفرق بينهما ، وبالجهاز الداخلي الذي يقرر ما يختار إنْ تصارع الاغراء مع الواجب ، والحق مع الباطل والحلال مع الحرام . . ومادام الانسان هو الذي يختار ، فهو اذن مسئول عن اختياره ومُحاسب عليه .

الحريـــة والأمانة :

الانسان وحده هو الذي يعيش حياة مستمرة من التحليل واصدار القرار ثم تحمل مسئولية قراره ، ولعل هذا هو معنى الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يَحْمِلْنها وأشفقن منها وحملها الانسان . . . ولعل الله من أجل ذلك أمر الملائكة أن تسجد له رغم علمها أنه يصيب ويخطيء ، ويفسد ويصلح ، ويتبع الحق أو يسفك الدماء ، وتنمو الانسانية وتتعقد الحياة ، فيرسل الله بالرسل والشرائع تبين مواطن الشر ، وتدل الى مواطن الخير ، وتذكر الانسان بمسئولية القرار وعاقبة الاختيار عندما يحين وقت الحساب .

ويقضي العقل والمنطق وعدالة الله انه لا مسئولية على فاقد الاختيار ، ولما كان الله قد أكد للانسان أنه مسئول ، فمعنى ذلك أن الله وهب الانسان الحرية ، بل ان هذه الحرية هي روح انسانية الانسان التي هو بها انسان . . . فإن ضاعت الحرية ضاعت الانسانية . . الفكرة الكامنة وراء خلق الله للجنس البشري هي مشيئته تعالى ان يخلق جنسا يتفرد على غيره من الأجناس بأنه الجنس ذو الحرية . . واذن فهو الجنس ذو المسئولية .

وعندما أنزل الله تعالى دينه الخاتم جعل الدخول فيه عن حرية . . فقال « لا إكراه في الدين » وأمر نبيه عليه السلام أن يدعو الى الحق « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وحدد له مهمته فقال « انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ، وبين له اداة الدعوة فجعلها « بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وحذره من أن يستبد به الحزن ان لم يستجب الناس لدعوته « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تُكْره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » هذه وأمثالها وصايا تحرص كل الحرص على حرية الانسان فيما يختار ، ففي أصل قضاء الله أن الناس أحرار .

الشريعة والأخلاق والضمير :

وليس من تفسير الحرية ان يعيش الناس بغير شرائع أو قوانين .. فهذه من ضرورات الحياة الانسانية ، فلا قيام للمجتمع إلا بها ، وهي تنظم المجتمعات بما يكفل أن تطاق الحياة وتُصان الحقوق وتُمارس الحريات كذلك ، وأصلح الشرائع للانسان ما ارتآه خالق الانسان ، وهو أعلم به من نفسه ..

والشريعة أمر تنظيمي لا يغني عن الأخلاق والضمير ولا هو بديل لها .. والغاية في الشريعة لا تبرر الوسيلة ولو كانت الغاية خيراً .. ففي شريعة الاسلام مثلا أن القاضي لا يحكم بما يعلم ، فإذا كنت أنا قاضيا وتصادف أن شهدت انسانا يسرق آخر ، ثم عُرضت عليّ القضية في المحكمة ، فالواجب أن يبني حكمي على الأدلة القانونية المقدمة ، فاذا لم تتوفر ، حكمت بالبراءة لعدم كفاية الأدلة ، والا تنحيت عن النظر في القضية الى قاضٍ آخر ، وتقدمت أنا كمجرد شاهد .. ونعلم أن عمر ابن الخطاب سمع ان ناسا يسكرون في حوش دارهم ، فارتقى سور البيت وضبطهم ، ولكنهم أفحموه بأن دليله مقيت شرعا فقد تجسس عليهم والله يقول : « ولا تجسسوا » وجاء من على السور والله يقول : « وأتوا البيوت من أبوابها » ولم يستطع عمر أن يصدر عليهم حكم ادانة ... ونعلم ان رجلا ذهب الى النبي (عليه الصلاة والسلام) يقول شاهدت فلانا يزني بفلانة ، فيغضب عليه السلام ويقول : « لو سترتها بطرف ردائك لكان خيرا لك » ، لأن الإدانة الشرعية - لا المعصية - لا تتم الا بشهود أربعة ، فلم يفعل الشاكي اذن الا انه ارتكب اثم التشهير ، أما المعصية خارج طائلة القانون ففي نطاق حريات الناس التي يحاسبهم عليها رب الناس ، والقانون كذلك لا تنفذه الا السلطات القانونية ..

لأنه مادام الانسان لا يملك الأهلية القانونية - فلا يمكن له ان يمارس على الناس سلطانا أو قهرا أو ارهابا أو ضغطا ، حتى ولو كان القصد حملهم على الصواب ، إلا في المَوَاطِنْ التي يبيح القانون فيها التدخل المباشر لتغيير الباطل باليد .

فالأفراد الذين يريدون قسر الناس على سلوك ما ، أو على مظهر معين ، أو قبول أمر أو رفض أمر ، يتجاوزون حدّهم ، ويعتدون على حريات الناس ويجاوزون فطرة الله وتعاليم دينه ، وكان أحرى بهم أن يلجأوا الى الحكمة والموعظة الحسنة ، واستمالة الناس الى الصواب وتألفهم على النهج القويم بالحسنى والمحبة .

والسلطات كذلك ينبغي ان تلتزم بتطبيق القانون بأمانة ، وحيث تنتهي حدود القانون ، فالناس أحرار فيما تفكر وتعتقد وتقول وتعمل ، وكل ما لا يقع تحت منطوق القانون فالعمدة فيه على الضمائر والأخلاق ، وهذه لا تُقوّمها العصا ، ولكن القدوة الطيبة ، والتربية والارشاد .

الاسلام والحرية :

والحكومات التي تصادر حريات الناس مصادرة مباشرة أو غير مباشرة ، ظاهرة أو خفية ، بالصراحة أو التزييف .. حكومات ملعونة ، لأنها باهدار الحرية تهدر انسانية الانسان ، ان النبي عليه الصلاة والسلام في هجرته من مكة الى المدينة لم يكن رجلا خاف على حياته ففر ، بل كانت الرحلة وما سبقها من تخطيط طويل لها نقلا للدعوة من أرض قهر الى أرض حرية ، فما كانت تستظل بالحرية في المدينة المنورة حتى استقرت الأمة والدولة ، وفي أقل من قرن من الزمان أظلّت أكثر من نصف العالم المعروف ، وحققت معجزة عسكرية واجتماعية وحضارية ، ان شجرة الاسلام لا تنمو الا في جو الحرية .. فاذا غابت الحرية ضمرت وذوت ولم تزهر ولم تثمر وان ظلوا أوراقها بالخضرة وعلقوا فيها فاكهة اصطناعية .

ان وقوع أمة الاسلام في قبضة الدكتاتورية بعد الخلفاء الراشدين قد حكم عليها بالشر والوبال وان طال المطال .. لقد كانت الحضارة الاسلامية من صنع أمة الاسلام مندفعة بالانطلاقة الأولى مستمدة من المنبع الصافي .. ولكن الجراثيم الفتاكة عندما تدخل الجسم تستغرق ما يعرفه الأطباء بفترة الحضانة ، وقد طالت ، ولكن الى حين ، ثم غربت شمسها وتكالبت عليها الأمم أو الطواغيت .

ولن تنتعش الشجرة من جديد الا بالحرية . . ولن يكون لنا وزن أو شأن الا بالحرية ، ولن تستكمل عزتنا أو ننهض من كبوتنا الا بالحرية ، ولن ننعم بانسانيتنا الا بالحرية ، فالحرية سر الانسانية وشرط الانسانية .

الحاكم القوي :

ان حاكما وفر للناس مطالبهم الحياتية من طعام ، وشراب ، ومسكن ، ومركب ، ونعمة حسية ، وغنى سابغ ، ولكنه لم يوفر لهم الحرية ، إنما أحال رعيته الى حيوانات مُنَعَّمة ، كما يكرم المرء حصانه أو كلبه ، لأن فرق الانسان من الحيوان كما بيّنا يكمن في الحرية .

وليس مثل هذا الحاكم حرا يستعبد عبيدا بل هو أول العبيد ، لأن شهوة القوة والتسلط والسلطان قد استعبدته . . وخير منه بملايين المرات من ترك للناس أن تختار وان اختارت غيره ، حتى وان اعتقد أنه هو وحده الذي يستطيع أن ينقذ الأمة من الويل والثبور وعظائم الأمور . . فمثل هذا الحاكم هو الحر ، لأنه يُقَدِّر الحرية ، وهو القوي لأنه أقوى من نفسه قبل أن يكون أقوى من الناس .

ان حرمان الناس من الحرية بدعوى ان الناس لا تعرف بعد كيف تستخدمها هو امعان في تجهيل الناس بالحرية والمباعدة بينهم وبينها . وإن الذي يحمل طفله الصغير على كاهله طول الوقت بدعوى ان الطفل لم يتعلم المشي انما يحكم على صغيره بالكساح ، ويحول بينه وبين المشي . . ان دعوى صلاح الحال اذا صلح المستبد الحاكم فردا او نظاما دعوى قصيرة النظر ، لأنها تُعَوِّد الأمة أن تفكر بغير مخها ، وتتحرك على غير قدميها . وملء تاريخنا دروس وعبر ، كان أجدربنا أن نتعلم منها أن صلاح الحال في أن تمارس الأمة سلطتها ، وتحمل مسئوليتها وتقدس حريتها ، فهي السياج والنجاة ان صلح الحاكم أو فسد . وقد تعلمها غيرنا فسبقونا ، واستطالوا علينا ، لأن سقفنا المنخفض منعنا على التاريخ أن نطول .

ان مشاكل أمسنا ويومنا انما نشأت عن السدود والقيود والتعتيم والتكتيم . . ولقد آن ان نستوعب العلاقة بين الله والانسان والحرية . □

عصامى وعظامى

العصامى هو كل من يصل الى مراتب الشرف ، بجده واجتهاده وكرم فعاله ، فيقال له هذا انسان عصامى ، وينسب العصامى الى عصام بن شهير الجرمى ، حاجب النعمان ، وقد نوه به الشاعر الجاهلى النابغة الذبيانى الذى قال :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

اما العظامى فهو نسبة الى عظام الموتى ، وهى كناية عن أن يفتخر الانسان بآبائه وأجداده الذين ماتوا ، بل يجب ان يكون له هو همة واجتهاد في طلب المعالى ، يقول الثعالبى : كان الأمير اسماعيل بن أحمد السامانى يقول : كن عصاميا ولا تكن عظاميا ، أي سد بشرف نفسك ، كما ساد عصام بن شهير الجرمى حاجب النعمان بن المنذر ، ولا تتكل على سؤدد آبائك الذين ماتوا وصاروا عظاما نخرة .

وبالطبع فهذا لا يمنع ان الذى يجمع المجد من أطرافه ، بأن يتفقه في أمور دينه وشئون حياته النافعة ، مع ما له من كرم الآباء والأجداد حينئذ يكون جديرا بالتقدير والاحترام ، وفي الأثر : خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا .

ولقاؤنا كان الأخير

شعر :
الدكتورة عاتكة الخزرجي

ومضيت .. والحسرات أغلبها وتغلبني فأبدأ بل أعيدْ
وتهولني الذكرى وتعصف ثم بالصبر الحديدْ
ويهولني الأمس القريب يلوح كالوهم البعيدْ
وأراك من بين الضباب سراب ظمآن يبيدْ
ياملهمي .. !
ولقاؤنا ياملهمي .. أنى يكون .. ؟ وبيننا دربٌ بعيدْ
ولقاؤنا نجوى الأحبة .. دمعة عبر القصيدْ
ولقاؤنا .. نسمُ الربى أو روحُ أنفاس النخيلْ
ولقاؤنا بين الكواكب في هنيهات الأصيل ..
ولقاؤنا ياملهمي وهْمٌ جميل ..
ولقاؤنا ياملهمي حلمٌ طويل ..

* *

وتلوح لي قبسا على الدرب البعيدْ
وتضيءُ بي فأراك أقرب ثم من حبل الوريدْ
ياملهمي .. !
والود بالقلب الوحيدْ
ويخونني الصّبْرُ الجليدْ
وتقهقه العبرات تخذلني
كقهقهة الوعيدْ
ياملهمي .. !
فمتى أراك .. ؟ متى أراك .. ؟
وبيننا بحر وبيدْ
ياملهمي .. !
ولقاؤنا حلمٌ بعيدْ
حلمٌ كأطياف الوصالْ
وهل لطيْفٍ من مَعيدْ .. ؟



يامُلهمي . . !
فمتى أراك ؟ متى ترانا نلتقى . .
فيكون عيدْ . . ؟!
يامُلهمي . . !
وغدوْت تأريخًا عتيدْ
لخافقي ، وختمت بالنور القصيدْ
وخلدت كالوحي الأصيلْ
فرائداً في كل جيدْ
يامُلهمي . . !
وُطويت في صمت طويل
ودُفنت في شفق الأصيل
وذهبت ما أبقَيت إلّا
همس قيثار عليل
يامُلهمي . . !
وزهدت بالقلب الكبير . .
وكفرت بي . .
والكفر بي أمر خطير . .
أفلا علمت بأني وبأني
يامُلهمي . . أفلا علمت . . ؟
وأضعتنى . . وخلقْتَ أسباب الضّياع . . !
فلالقاء ولا وداع . . يامُلهمي . .
فلقاؤنا وهمٌ جميل
ولقاؤنا حُلمٌ طويل
ولقاؤنا . . لا . . لن يكونْ
لقاؤنا يامُلهمي لا . . لن يكون
فلقاؤنا كان الأخير
لقاؤنا كان الأخير . . !



الطيران

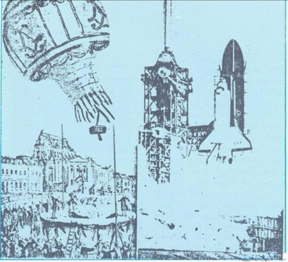
في نهاية القرن العشرين

بقلم : المهندسة ريا عارف الرفاعي*

باكتشاف الطيران ، تحرر الانسان من قوانين الجاذبية التي ربطته بالأرض دهورا ، وفتحت آفاقا جديدة أمام تنقلات الأشخاص والأشياء ، وتحولت الأرض الى مدينة واحدة أحياؤها قارات العالم . وهذا المقال محاولة لكشف الاحتمالات المتعلقة بهذا الحقل في نهاية القرن العشرين !

تعتبر جميع وسائط النقل البري من سيارات وقطارات ، والنقل البحري بالبواخر من الوسائط البطيئة السرعة ، قياسا بالطائرات ومركبات الفضاء ، وقد بقيت امكانياتها محدودة في موقع استعمالها ، في حين تعدت امكانية الطائرات . . البر والبحر والجو ، فبالنقل الجوي بالطائرة يمكن متابعة الرحلات الجوية بدون توقف خلال عبور المحيطات ، وبذلك يختصر الزمن الضائع في وسائط النقل الأخرى ، أثناء تبديل تلك الوسائط ما بين البر والبحر وبالعكس ، وبامكان الطائرات الوصول الى قمم الجبال وعمق الصحاري التي يتعذر الوصول اليها بوسائط النقل الأخرى ، ويقابل هذه المزايا الوفيرة ارتفاع تكلفة وأجور النقل الجوي ، ونقص كفاءة استيعابه في البضائع ونقل الركاب ، اضافة الى شدة ارتباطه بنظم الطيران الدولية ، وخضوعه للقوانين والاتفاقيات العالمية ، أكثر من أي واسطة نقل أخرى .

* مهندسة بدائرة الطيران بدولة الامارات العربية المتحدة أبو ظبي



حدثان هامان في تاريخ الجو - المنطاد - ومركبة الفضاء - كلاهما أطلقا من منصة .. الاول بحضور الملك لويس الرابع عشر والملكة ماري انطوانيت . وما بين هذين الحدثين أكثر من قرن ونصف القرن .

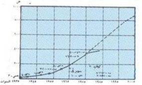
الانسان وحلم الطيران

رافق الانسان حلم الطيران والتشبه بالطيور منذ القدم ، ويحكي الأساطير الاغريقية عن « ايكاروس » الذي قلد أجنحة الطيور ، فوضع أجنحة من الشمع طار بها مقتربا من الشمس فذابت فمات هو ولكن بقيت الأسطورة ، ويحكي تاريخ الطيران عن عباس بن فرناس في عهد الخليفة عبدالرحمن الثاني الاندلسي ، وكيف أن أجنحة الريش لم تمكنه من الطيران ، بالرغم من جميع المحاولات في ذلك الحين .

وقد نجح الانسان في مسعاه بالتحليق في الجو ، مع اختراع المنطاد عام ١٧٨٣ م ، حين حلق به في الفضاء منطلقا من منصة اطلاق عالية أمام قصر فرساي في باريس ، ثم تتابعت المساعي ، فاخترعت الطائرة عام ١٩٠٣ ، وانتقل الحلم بالطيران بواسطة الأجنحة الى حيز الواقع ، وتتابعت البحوث لتحسين خواص الطائرات ، حتى توصل الانسان الى اختراع طائرة تطير بسرعة ١٨٥ كم بالساعة في عام ١٩٣٥ ، ولم تتوقف أبحاث الفضاء في سبيل زيادة سرعة الطائرات التي كانت تتكلل بالنجاح باستمرار ، ومع استخدام النفاثة في الطيران بلغت السرعات الى حدود ٥٠٠ كيلو متر /بالساعة ، كما ازداد مدى الرحلة الى ٧٧٠ كيلو مترا . وما لبثت السرعة أن وصلت الى حدود ٩٠٠ كيلو متر / بالساعة عام ١٩٦٠ ، لكن التطور الحقيقي في الطيران تم مع ادخال الطائرات « الفوق صوتية » و « سوبر سونيك » بالخدمة ، حيث تصل السرعة في هذه الطائرات الى حوالي ٢١٠٠ كيلو متر / بالساعة .

وبذلك يعتبر تاريخ انطلاق أول طائرة كونكورد . الفوق صوتية - في الفضاء عهدا جديدا في الطيران . وبالرغم من التخوف الذي رافق صناعة الطائرات « الفوق صوتية » لكنها تحولت الى واسطة نقل مرغوبة لرجال الأعمال خلال انتقالهم لمسافات بعيدة عبر

الشكل رقم ٢
تطور أوزان الطائرات منذ عام ١٩٣٥ - ١٩٨٥



الوزن الاجمالي للطائرة طن = (الوزن الذاتي + الركاب + الوقود + البضائع)

القارات ، لكن الفوائد الناتجة عن تخفيض زمن النقل بالطائرات ، « الفوق صوتية » تترافق أيضاً مع الضرر الذي تلحقه السرعات الفائقة أحياناً بالحيوانات البحرية ، وبزيادة احتمال الاصابة بسرطان الجلد ، نتيجة نقص أو خلخلة حزام الأوزون الذي تتصفى خلاله الأشعة فوق البنفسجية ، ومع كل تلك المساوىء تسابق الدول الصناعية في مجال الفضاء للسيطرة على الكواكب ، وعلى احتمالات توفر المواد الأولية فيها .

الطائرات وحمولاتها :

بعد أن استخدمت الطائرات في ميدان النقل الجوي كواسطة نقل عام ، أخذت أوزانها بالتزايد باطراد ، وبالتالي تزايدت معها حمولة المسافرين ، والأمتعة والبريد الجوي ووزن الوقود ، وقد كان وزن الطائرة الكلي (الوزن الذاتي وأوزان الحمولات المختلفة من مسافرين وأمتعة ووقود) عام ١٩٣٥ لايتعدى ١٢ طناً ، فأصبح اليوم وزن الطائرة العملاقة بحدود ٣٧٥ طناً (طائرة البوينغ طراز ب - ٧٤٧ - ٢٠٠ ، ب ، جـ ، ف) وتتابع شركات صنع الطائرات سعيها في المخابر وفي الانفاق الهوائية الخاصة ، بتجريب هياكل الطائرات لدراسة تطوير أوزان الطائرات وحمولاتها ، وربما تكللت تلك البحوث في المستقبل ، وربما وضعت في الخدمة في مطلع القرن القادم طائرات تصل أوزانها الى ألف طن أي ثلاثة أضعاف وزن الطائرة الأعظم الحالي ، وليس ذلك بمستبعد ، اذا مالاحظنا منحى تطور أوزان الطائرات خلال الخمسين سنة الماضية .

ويمثل وزن الوقود اللازم لرحلة الطيران نسبة مرتفعة بالنسبة للوزن الاجمالي للطائرة ، فمثلا تتطلب طائرة البوينغ ب - ٧٤٧ التي يبلغ وزنها ٣١٠ أطنان حوالي ١١٠ أطنان من الوقود لتغطية رحلة جوية عادية ، وهذا يشكل نسبة ٣٥٪ من الوزن الاجمالي ، في حين لاتزيد نسبة حمولة المسافرين والأمتعة والبريد الجوي عن ١٤٪ فقط أي ٤٣ طناً . واضافة لهذه الكمية الكبيرة من الوقود هناك كمية أخرى في الخزانات الاحتياطية تقدر بـ ٢٠ طناً لتغطية حالات الطوارىء ، وهذا ما يجعل تكلفة تشغيل الطائرات مرتفعة جدا ، وبالتالي يسبغ على النقل الجوي صفة النقل المرتفع التكلفة .

ومن خلال المناخ الاقتصادي العالمي المسيطر ، يعتبر توفير الطاقة على رأس قائمة الأفضليات في مختلف أنحاء العالم ، لذلك اتجهت صناعة الطائرات الى البحث عن تصاميم للطائرة الاقتصادية التي يتطلب تشغيلها كميات وقود اقتصادية ، ومن ناحية أخرى اتجهت شركات الطيران العالمية الى البحث عن المسارات الجوية الأكثر اقتصادية في مجال طول المسار ، أو ارتفاع التحليق . وتشكل تكلفة اطلاق تصميم جديد لهيكل الطائرة ، أو للمحرك ، عبئاً كبيراً لا تحتمله شركة صانعة واحدة ، وهذا مايدعو لتوزع ذلك بين « كونسورتيوم » من الشركات العالمية المتعددة الجنسية ، ويلاحظ في السنوات الأخيرة تباطؤ هذه الشركات في وضع تصاميم لأجيال جديدة من الطائرات ، تستوعب ١٥٠ راكباً ، بل تعتمد على تطوير الأجيال القائمة ، ويلاحظ ذلك في طائرتي البوينغ الجديدتين من طراز ب - ٧٥٧ ، و ب - ٧٦٧ - اللتين حققتا تخفيضاً ملحوظاً في استهلاك الوقود ، بدأ تشغيلهما مؤخراً في مطلع عام ١٩٨٤ . ويطير يومياً من مختلف مطارات العالم أكثر من ثلاثة ملايين مسافر ، مستخدمين جميع الامكانيات المتطورة في مطارات العالم التي يقدر عددها بحوالي ثلاثة وثلاثين ألف مطار ، منها حوالي ثلاثمائة وخمسين مطاراً في الوطن العربي ، وبذلك يتمتع الانسان في عصرنا الحاضر بحصيلة من التقدم في مجال الطيران الذي يعتبر محصلة لاجتماع علوم متعددة ومعقدة في آن واحد .

التطور والمعوقات

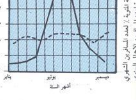
يرتبط تطور النقل الجوي بعدة عوامل منها :

- التطور الاقتصادي المحلي والاقليمي ، ويؤثر على حركة القادمين والمغادرين .
- التطور الاقتصادي العالمي ، ويؤثر على حركة مسافري الترانزيت - المسافرين العابرين .
- توفر وسائط متطورة من مطارات وخطوط جوية .

ويعتبر ارتفاع مستوى الدخل الفردي للانسان من جملة الأسباب الأساسية المؤدية الى تطور حركة النقل الجوي ، فبازدياد الدخل الفردي تزداد رغبات السفر ، ويزداد عدد السفرات والانتقال السنوي بالطائرة ، كما يعتبر أيضا ازدياد عدد السكان سواء بالتزايد الطبيعي أو بفعل الهجرات من جملة أسباب تطور النقل الجوي ، بما فيه نقل الأشخاص ونقل البضائع .

وأما تطور وسائط النقل وتجهيزاتها - من مطارات ومحطات استقبال ، وممرات وغيرها ، فهو مرتبط بمتغيرات متشابكة ، فاستيعاب المطارات وسعة محطة الاستقبال ، وبوابات المغادرة ووسائط التحميل جميعها توابع لمتغير أساسي هو عدد المسافرين الحالي والمستقبلي ، كما ان التصميم تابع لعوامل فنية وهندسية متعددة من أهمها : الوزن الأعظم لأكبر

الشكل رقم ٣ نموذج تغير الحركة الشهري في مطارين أحدهما ذو ذروة موسمية - والثاني ذو وتيرة منتظمة .



طائرة ترسو بالمطار أي ما يعرف بالوزن التصميمي ، وضغط نفخ دواليب هذه الطائرة ، وأشكال ونماذج دواليبها ، وطبيعة المنطقة المحيطة بالمطار والعوائق الطبيعية ، من جبال أو كثبان أو عوائق انشائية ، كالأعمدة الكهربائية والأبنية المرتفعة وغيرها ، وبطبيعة التربة والمياه الجوفية وغيرها وغيرها .

وقد وضعت المنظمة العالمية للطيران الدولي « ايكاو » تصنيفات لأنواع الطائرات ، وفئات المطارات ، استندت فيها الى معايير تصميم المطار الهندسية والانشائية ، والى طريقة تشغيل المطار وأسلوب مراقبة الحركة الجوية فيه .

وتسعى مطارات العالم لرفع مستوي تصنيفاتها باستمرار ، وذلك بتزودها بالمعدات والتجهيزات الحديثة من رادارات وأجهزة انارة ، وأجهزة اتصالات سلكية أو لاسلكية والجسور الناقلة الكهربائية ، والأدراج والسلالم الكهربائية ، لتوفر على المسافر متاعب الانتقال من والى الطائرة ، وتجتذب بهذه الوسائل خطوط الطيران الجوي وحركة الترانزيت الجوي أيضا .

وتتغير وتتأثر الحركة الجوية تبعا للزمن ، فهناك تغيرات سنوية في عدد الرحلات وأعداد المسافرين ، وهناك تغيرات شهرية تبعا لأشهر السنة ، كما أن هناك تغيرات موسمية ويومية ، وساعية ، ولكل مطار من مطارات العالم وتيرته الخاصة ، فمطارات منطقة الخليج تشهد نشاطا موسميا خلال أشهر الصيف ، كما تشهد تراجعا بالحركة خلال أشهر الشتاء ، في حين تشهد مطارات أخرى في العالم ساعات ذروة خلال أيام الأسبوع ، كما تشهد تزايدا ملحوظا في الحركة في عطلة نهاية الأسبوع ، بينما لاتتأثر حركة الطيران في بعض عواصم العالم المهمة بأي تبديل خلال العام . شكل (٣)

ويمكن دراسة تغيرات الحركة من تحديد توقعات مستقبلية على مدى عشرين سنة ، ويشتق من هذه التوقعات آفاق المستقبل وخطط التطوير ، وتشكل هذه المعلومات الركيزة الأساسية في تحديد حاجة التطوير وسعة المنشآت الجديدة ، واستيعاب التجهيزات الميكانيكية وغيرها . □

قصة قصيرة

شارع النخيل الإفرنجي

بقلم : اسماعيل العادلي *

هي ليست صغيرة . تعرف جيدا أن مثل هذه الأمور لايصلح فيها التلميح والكلمات الغامضة ، لابد فيها من التصريح والكلام الواضح . لاينفع فيها التأجيل والانتظار وإضاعة الوقت . بل لابد من حسمها . وطرق الحديد وهو ساخن .

والا فماذا يريد بالضبط ؟

واربت باب « العنبر » المستطيل ، ، المطفأ الأنوار . المفعم بروائح الدواء والطعام والبول ، خرجت قالت ان الليلة يمكن أن تمر بهدوء ، لو استسلم ، ذلك العجوز الذي أجرى جراحة في الظهيرة لحقنة المخدر ، وراح في نوم عميق .

كما توقعت بالضبط ؛ كانت زينب قد نامت ، وراحت تشخر وتزفر . جلست على سريرها المواجه للسرير الذي تنام عليه زينب ، أخذت في تأمل جسدها الأبيض الضخم ، وقد انحسر منديل رأسها عن شعرها الاسود المفروق من الوسط .

منذ أكثر من عامين ، عندما نقلوها الى عنبر الجراحة ، وجدتها قبلها في « وردية الليل » ، في كل ليلة ، ما أن ينتهي مرور الأطباء ، وقبل أن تدخل « الحكيمات » الى حجرتهن ، تكون زينب قد راحت في النوم ، لاتصحوا الا بعد انتصاف الليل .

لاحظت زينب ما جرى بينها وبين فكري عندما كان راقدا في العنبر . ضحكت وأشارت الى الأمر أكثر من مرة ، وعندما سمح له الاطباء بالجلوس على السرير والحركة في « العنبر » ، لاحظت زينب أنها تأتي قبل موعد عملها وتبقى بعد إنتهائه ، في ليلة من تلك الليالي ، وكان صوت التواشيح الذي يسبق آذان الفجر يصل اليها عبر النافذة المفتوحة ، جلست زينب في مواجهتها ، تحدثت اليها ، قالت لها أنك ست الستات ، كريمة ، طيبة ، وما زلت صغيرة ، وقادرة على انجاب جيش من الاطفال ، لأن نسوة أكبر منك ينجبن ، ونصحتها أن تضع حول يديها منذ الغد « الغوايش » الذهبية ، وكذلك السلسلة و (الماشاء الله) حول رقبتها ، لاالشيء ، سوى أن الذهب يظهر المرأة بمظهر المستورة ، المكتفية ، التي لاتحتاج الى أحد .

اليوم تكون قد مرت خمسة أيام ، عدتهم على أصابع يديها ، الاربعاء ، الخميس ، الجمعة ، السبت ، الأحد .

الليلة يكون قد خرج من المستشفى منذ خمسة أيام ، لم تغادر البيت أثناءها الا للعمل وكانت تخرج الى العمل قبل موعده بنصف ساعة ، خوفا من أن يجيء فلا يجدها ، قال لها وهو يركب « التاكسي » عند

* كاتب من القطر المصري ، يعمل في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .



باب المستشفى : سأستريح في البيت اسبوعا ثم أجيء ، هو الذي طلب العنوان ، سألها عن أهلها وأخوتها ، حدثها عن شقته ذات الغرفتين الواقعة في رحبة « المقدم بهادر » بالدراسة ، قال انه وحداني ، ويخاف أن يموت وحيدا في شقته ، تحدث عن قلبه الذي استراح اليها منذ مجيئه الى المستشفى ، وقال ان الله لابد أن يهيء لهما خيرا .

قامت ، أطفأت نور المصباح الكهربائي الكبير ، وأبقت المصباح الصغير مضاء كما تقضي التعليمات ، عادت لتستلقي على السرير ، وتحدق خلال الضوء الخافت في الخزانة الصاج البيضاء الصغيرة الموضوعة بجوار السرير ، ثم في الصينية « الموضوعة » فوقها ، وعليها كوب زجاجي مملوء حتى منتصفه بالماء .

أدركت أن النوم لن يأتي ، قالت كنت قد استرحت من ذلك الهم ، ماشأني أنا بالرجال ؟ أشجار النخيل الافرنجي الممتدة التي تقسم الشارع الى نصفين ، (وكبائن) البحر البيضاء على الجانبين ، هما أول ماتذكره عن تلك الليلة ، والليلة ذاتها تبدو لها الآن وكأنها كانت منذ مائة عام ، في تلك الليلة ، عند واحدة من تلك الاشجار الغريبة وقفت تبكي ، وقد هانت عليها روحها ، والدنيا وكل شيء .

كانت خارجة لتوها من بيت خالتها ، بعد أن أفهمتها الخالة أن مايحتاجه البيت « حرام على الجامع » ، وأن عليها أن تبحث لنفسها عن مكان آخر تقيم فيه ، وقبل ذلك بيومين فقط كانت قد جاءت الى الاسماعيلية ، بعد أن أعطاها أخوها الأصغر (جنيهين) أقسم أنه لايملك غيرهما ، وأشار الى حجرته متسائلا : أين تنامين ؟ أنا والمرأة والأولاد الاربعة نملأ كل ثقب فيها .

وكان أخوها الأكبر قد استمع منها في اليوم السابق الى ما فعله سيد ، وهم يتناولون غذاء مكونا من محشي الكرنب واللفت والمخلل ، ثم غمز لزوجته فأخذت الأولاد وخرجت ، وعندما أصبحا وحدهما قال لها : أنا أعرف زوجتي جيدا ، امرأة صعبة مشاكسة لن تحتملك ، ستثير المشاكل والمشاجرات بلاسبب ، وأنا بصراحة ليس لدي مكان آخر استريح فيه ،

في تلك الليلة كانت على وشك أن تجلس الى جوار تلك النخلة الغريبة السامقة ، وتستغرق في بكاء طويل ممتد ، لكن شيئا ما ، غامضا ، وباردا ، وازليا ، لاتعرف من أي منبع ، أخذ يتصاعد داخلها ، يفرد طولها ، يدفع بالدماء في جسدها ، يقول لها أنه ما زالت لديها ذراعاها وقوتها ، وستة جنيهات وبضعة قروش في منديل تحت ثديها الأيسر ، وأن عليها أن تمسح الدموع ، وتقوم الآن لتبحث عن الطريق ، أما جنس الرجال كله فعليها الا تفكر فيه ثانية .

نعم ، هي قالت ذلك ، ظلت تقوله لنفسها أياما طويلة ، لكن فكرى مختلف ، مختلف عن سيد ، فكري رجل ، وسيد بلطجي ، فكرى يريد أن يعيش ، وسيد لايعمل حسابا لشيء ، فكرى . وأنا بالطبع لست صغيرة ، رأيت كل شيء في هذه الدنيا وأفهمه ، فكرى كفه كبيرة ومبسوطة ، وله ضحكة طيبة تكشف عن أسنان مفلوجة ، يكفي فقط أن يربت على كتفك لتزول همومك ، وتشعر بالسكينة والأمان ، فكري يريد بيتا ، وأنا كذلك ، أما الأولاد فأمرهم موكول الى الله ، هو وحده الذي يعلم .

سمعت صوت الاقدام تقترب من الحجرة ، توقعت أن تكون احدى « الحكيمات » ، أن تكون صفية بالذات قد أصابها الأرق وجاءت لتثرثر ، اعتدلت على السرير وتأهبت للقائها ، لكن الاقدام مرت من أمام الحجرة وتجاوزتها .



قامت واقفة في منتصف الحجرة ، فكرت في إلقاء نظرة على «العنبر» أو الذهاب الى حجرة «الحكيمات» ، كانت بحاجة الى تبادل الحديث مع أحد ، لكنها خافت أن تستدرجها واحدة من «الحكيمات» إلى الحديث عن فكري ، اتجهت الى الخزانة الصغيرة ، أمسكت بالكوب الزجاجي وشربت ما فيه من ماء ، جلست في مواجهة زينب النائمة ، فكرت في ايقاظها والحديث معها ، لكنها تراجعت ، استلقت على جانبها الأيمن في مواجهة الحائط ، قالت أن أجيء الى العمل مجهدة مثل زينب ، أشكو من الغسيل والطبخ ومشاغل البيت التي لا تنتهي ، أن أحكي أنا أيضا عن الولد الكبير الذي فعل كذا ، والبنت الصغيرة التي قالت كيت وكيت وأباهم موأباهم الذي أعيى الأمر «شاخطا زاعقا» . .

هي لم تضع الوقت ، فكرت في كل شيء خلال الايام الخمسة الفائتة .

تخيلت الحجرتين اللتين يعيش فيهما فكري ، عرفت بالضبط ما الذي ستأخذه من حجرتها ، وما الذي ستشتريه ، قررت أن تبيع الذهب اذا اقتضى الأمر . انها تعرف أنه ليس ميسور الحال ، هو لم يقل لها ذلك ، لكن من يجري جراحة في الدرجة الثالثة ، بالمجان ، لا يكون ميسورا في العادة ، وذلك ليس عيبا في الرجل ، فقط عليه أن يأتي ويقول لها : أريد أن أتزوجك يا أنهار .

هو لم يقل ذلك حتى الآن ، قال لها نحن أهل ، تحدث بثقة أكيدة عن أشياء ستحدث لهما في المستقبل ، سألها عن كل أحوالها ، حكى لها عن أحواله ، وعندما صنعت له أرزا ودجاجة بعد أن أجرى الجراحة بثلاثة أيام ، أثنى طويلا على مذاق الطعام ، وقال انه اشتاق لطعام البيوت .

ماذا بالضبط كان يقصد ؟

وهو لم يقل شيئا محددا ، لكن الطريقة التي كان يتحدث بها اليها كانت تقول ذلك انها تعرف الرجال ، تعاملت معهم في العمل والشارع وكل مكان ، الطريقة التي كان فكري يتحدث بها اليها كانت مختلفة . سيد الذي كان زوجا لها لم يتحدث اليها هكذا أبدا ، حتى في أيام زواجهما الأولى ، لكن الم تكن خمسة أيام كافية ؟ الم يكن بوسعه أن يرسل أحدا ؟

تنهدت ، نفخت الهواء في الحائط ، أخيرا سمعت صوت السرير الذي تنام عليه زينب وهو يئن تحت وطأة جسدها ، عرفت أنها قد استيقظت ، التفتت اليها ، كانت زينب جالسة على السرير عارية الرأس ، تهرش شعرها المنفوش ، وتقول لها شيئا لم تتبينه □

اهتمام المسلمين بالمعلم

المستقرئ لتاريخ التربية والتعليم في الاسلام يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون ، في أن يتلقى الطالب العلم من المعلم ، ونبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر لتلقي العلم ، وقد جاء في أقوالهم «من أعظم البلية تشيخ الصحيفة» ، وكذلك قال أحد الكتاب المسلمين القدماء «من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان» وقد قال مصعب بن الزبير : «الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال ، فانك لا تسمع الا مختارا ولؤلؤا منثورا» .

بطاقة تعريف الشعر الحر

بقلم : الدكتورة حياة جاسم محمد

يبدو أن الشعر الحر ، بعد ما يقارب من أربعة عقود على مولده ما زال في حاجة الى بطاقة تعريف تحدد أهم خصائصه ، وتوضح أبرز المعالم في رحلة نشوئه وتطوره ، وتجلو صلته بالتراث الشعري العربي ، فما الذي قالته الكاتبة في هذا المجال ؟ جهرة من القراء توجه للشعر الحر سهام النقد ، لكنه نقد يغض الطرف عن ايجابيات الشعر الحر ، ولا يرى فيه الا سلبياته ، وهل خلا الشعر العربي التقليدي من السلبيات ؟

ان أدبيات الشعر الحر كثيرة كثرة الشعر نفسه ، وهي تؤرخ لهذه الحركة أو تنظر لها ، أو تكشف جمالياتها أو تقومها في صلتها بالشعر التقليدي ، باعتبارها امتدادا متطورا له ، أو تقارنها بحركات مماثلة في الآداب العالمية ، وعلى الرغم من كثرة تلك الأدبيات ، فان واقع الحال يفرض هذه العودة الموجزة الى حركة الشعر الحر ، ولعل في العودة نفعا .

محاولات سابقة

من المعروف أن حركة الشعر الحر بدأت في أواخر الأربعينيات في شعر رائديها بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، لكن هذه الحركة لم تكن أولى المحاولات للتطوير والتجديد في الشعر العربي الحديث ، بل سبقتها محاولات أخرى أهمها .

الشعر المرسل الذي يتخلى عن القافية ، وقد وردت منه أربعة أبيات لأحمد فارس الشدياق في كتابه « الساق على الساق » (١٨٥٥) ، ونظم فيه جميل صدقي الزهاوي (١٩٠٥) ، كذلك جربه عبدالرحمن شكري في ديوانه ضوء الفجر (١٩٠٩) ، ومارسه أحمد زكي أبوشادي ، دعا اليه في مجلته أبولو التي كانت تصدر في الثلاثينيات من هذا القرن ، أما علي أحمد باكثير فقد اعتبره الوسط الملائم للمسرحية ، فنظم مسرحية أخناتون ونفرتيتي (١٩٤٣) ، وترجم مسرحية شكسبير روميو وجوليت (١٩٤٦) ، مستخدما هذا النوع من

الشعر ، لقد ظلت تلك المحاولات في الشعر المرسل محاولات جزئية ، ولم تتطور الى حركة ناضجة شاملة .

الشعر الحر في مدرسة أبولو ، ومنشئها أبو شادي الذي نظم الشعر الحر باعتباره شاعرا ، وكتب عنه بوصفه ناقدا ، وقد حافظ في شعره على الوزن ، لكنه استخدم أبحرا مختلفة في القصيدة الواحدة ، وكان انتقاله من بحر لآخر على غير نظام معين ، وكذلك تخلى عن القافية ، وظهرت أول قصيدة له من الشعر الحر بعنوان « الفنان » في ديوانه « المشفق الباكي » (١٩٢٦) ، لقد أخفقت هذه القصيدة وقصائد أبي شادي الأخرى من الشعر الحر ، لأنها تفتقر الى الموسيقا الداخلية ، على الرغم من وجود الوزن فيها كما جاء الانتقال الاعتباطي السريع من بحر الى آخر صادما للأذن العربية ، لذلك لم يجد هذا الشعر قبولا ، وظل هو الآخر محاولة جانبية لم تنته الى حركة منظمة ناضجة .

وقد أفادت حركة الشعر الحر في أواخر الاربعينيات من نواقص الشعر الحر الذي كان لدى أبي شادي ، وقلة من الشعراء حذت حذوه ، فحرصت الحركة الأخيرة على صلتها بالتراث الشعري العربي ، وعلى أن يكون التطوير تدريجيا ، تمليه ضرورات التجارب الشعرية الجديدة ، لا الرغبة في الخروج على القديم فقط ، لذلك حافظت على الأوزان العربية والتزمت في بدايتها بحرا في القصيدة ، ولم تتخل عن القافية ، بل لجأت الى تنويعها ، لكن شعراء الشعر الحر استخدموا التفعيلة بحرية ، فلم يتقيدوا بالبيت ذي الشطرين المتساويين في عدد تفعيلاتهما ولا الأبيات المتساوية في عدد تفعيلاتها، انما جعلوا البيت شطرا واحدا ، لئلا ينقطع المعنى بالوقفة بين الشطرين ، واستخدموا من التفعيلات ما يقتضيه التعبير عن المعنى ، حتى اذا كانت التفعيلات أقل أو اكثر مما يفرضه العروض الخليلي ، وأهم من ذلك كله أنهم جعلوا البيت متصلا بما قبله وبعده ، فقضوا على استقلال البيت الذي قامت عليه القصيدة العربية في غالب الأحيان ومنحوا القصيدة من الشعر الحر وحدة عضوية ، مكنتهم من متابعة دفق التجربة الشعرية ، كذلك جعلوا القصيدة الجديدة معبرة عن هموم وتطلعات ذاتية وجماعية معاصرة ، عبر تجربة فعلية لاتقليدا لنماذج جاهزة .

الاتجاه المحافظ

يمكن الاشارة الى ثلاثة اتجاهات واضحة في تاريخ حركة الشعر الحر وهي : الاتجاه المحافظ ، والاتجاه المعتدل ، والاتجاه المتطرف .

تمثل الشاعرة نازك الملائكة الاتجاه المحافظ في شعرها وفي تنظيرها للشعر الحر في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ، فهي تعالج الشعر الحر بوصفه ظاهرة عروضية لاغير ، وتجد فيه تطويرا لعروض الخليل، وتدعو الشعراء الجدد الى الالتزام بقوانين العروض التقليدية ، وكأنها لاتريد لهم أن يواصلوا التجريب أبعد من الخطوة الأولى التي خطوها في جعل التفعيل لا البيت أساسا للشعر الجديد ، إن في قصيدة « الكوليرا » وهي القصيدة الأولى من الشعر الحر للشاعرة نازك الملائكة نظاما ثابتا في تنويع التفعيلات والقوافي ، يجعل الباحث العراقي مصطفى جمال الدين يعتبر تلك القصيدة موشحا لا قصيدة من الشعر الحر ، وان التركيز على التغيرات العروضية في الشعر الحر بصرف النظر عن التغيرات التى هي أهم فيه ، وهي اختلاف المضامين وطريقة معالجة هذه المضامين .

الاتجاه المعتدل

أما الاتجاه المعتدل فيندرج تحته الجزء الأكبر من نتاج الشعر الحر منذ نشوئه حتى الوقت الحاضر ، وقد تأثر شعراء هذا الاتجاه في مرحلتة الاولى ، وكذلك نقاده ، بالشاعر ت .س إيليوت ، وتأثر الأداب ببعضها ظاهرة طبيعية ومشروعة ، ويحمل الشاعر إيليوت تقديرا للماضي ، ويرى فيه ظاهرة مستمرة تعيش في الحاضر ، وتتطور في اطاره باتجاه المستقبل ، والتجديد لديه خير من التكرار ، ولكن التقاليد ذات أهمية كبرى ، غير أن التقاليد ليست الا احساسا تاريخيا بالماضي ، لا باعتباره ماضيا فقط ، وانما بوصفه حاضرا أيضا ، ويعتقد إيليوت أن الشاعر يختلف عن أسلافه لكن أسلافه ماثلون في شعره بطريقة أو بأخرى ، ولذلك فمهمة الشاعر أن

يستجيب للمتغيرات ، وفي الوقت نفسه يحترم الماضي ، وينظر إيليوت الى الشعر الحر لا بوصفه متحررا من الشكل ومتطلباته ، وانما بوصفه قائما على حرية تؤدي الى نظام ، وهو يؤمن بضرورة الموسيقا للشعر ، ولكنها ليست الموسيقا الخارجية فقط التي تولد من الوزن والقافية ، وانما أيضا موسيقا الايقاع الجوهرية في الشعر .

وأبرز شعراء هذا الاتجاه بدر شاكر السياب الذي يتميز شعره بالموسيقا العالية والعناية بالعروض ، وقد ظل السياب ينظم قصائد العروض التقليدي حتى نهاية مسيرته الشعرية ، كما جمع العروض التقليدي والعروض الجديد في بعض قصائده ، وكل ذلك يؤكد صلة الشاعر بالتراث ، على الرغم من محاولته تطويره ، وكانت تجاربه في الجمع بين بحرين في القصيدة الواحدة ، أو النظم في الأبحر الممزوجة المتكونة من نوعين مختلفين من التفعيلات - والأخير مما تحظره نازك الملائكة - تجارب رصينة ، ويندرج تحت الاتجاه المعتدل أيضا شعر صلاح عبدالصبور ، وعبدالوهاب البياتي من الجيل الأول ، وشعر أكثر من جيل من الشعراء من بعدهم في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقد ظهرت ضمن أدبيات هذا الاتجاه ، دراسات نقدية ، ناقشت قضايا الشعر الحر بعلميه ، ونظرت له ، وجلت كثيرا من الغموض الذي لابس جمالياته ، ونكتفي الاشارة الى الدراسات التالية على سبيل المثال : قضية الشعر الجديد لمحمد النويهي ، والشعر العربي المعاصر لعزالدين اسماعيل ، وموسيقا الشعر العربي لشكري عياد ، والايقاع في الشعر العربي لمصطفى جمال الدين ، وقد خالف هؤلاء الدارسون وسواهم نازك الملائكة في كثير مما نظرت له من قضايا الشعر الحر .

الاتجاه المتطرف

الاتجاه المتطرف ينحو الى أن يؤسس للشعر العربي عروضا جديدا يحتوي التجارب الجديدة المختلفة للشعراء الجدد ، وقد بدأ مع جماعة مجلة شعر اللبنانية .

ومن أبرز رواده يوسف الخال ، وأدونيس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، ويلاحظ أن الشعراء أنفسهم - في الأغلب - ناقدو هذه الحركة ودارسوها ، وهم يرون الشعر العربي الحديث ثلاثة أنواع :

١ - الشعر الموزون ، وهو الذي يعتمد على التفعيلة ، مع احداث التغييرات في نظامها ، وهم لهذا يشيرون الى الحركة التي بدأت في أواخر الأربعينيات ، وعرفت باسم الشعر الحر ، وسبقت الاشارة اليها في هذا المقال .

٢ - الشعر الحر ، وهو الشعر المتحرر من الوزن والقافية ، ولكنه يحتفظ بنوع من النظام في أبياته ، يولد ايقاعا يعوض عن الوزن والقافية المفقودين ، وهذا النظام قد يقوم على تكرار فكرة سائدة ، أو كلمة أو مجموعة من الكلمات أو صورة من الصور ، بحيث تعود القصيدة دوما الى حيث بدأت ، وتصبح كلا عضويا ناميا ، ويرى جبرا ابراهيم جبرا أن الموسيقا الداخلية للشعر الحر تتحقق باستخدام الفاظ تحتوي على حروف العلة .

٣ - قصيدة النثر : وهي قصيرة ومركزة ، وتختلف عن الشعر الحر - والمقصود به ما سبق لقصيدة النثر في التصنيف - في أنها لا تقوم على نظام الأبيات ، انما تنساب انسياب النثر ، لكنها في الوقت نفسه تختلف عن النثر في أن لها أيقاعا أقوى ، وتأثيرات صوتية ، وكثافة في التعبير ، ويتراوح طولها بين صفحة وثلاث أو أربع صفحات ، وهو طول القصيدة الغنائية .

ويندرج أغلب شعر هؤلاء المتطرفين تحت الشعر الحر - وفق تحديدهم له - وقصيد النثر ، واذا كتبوا شعر التفعيلة أحدثوا فيه الكثير من التغييرات .

رأي العقاد

يتضح من هذا العرض أن تسمية الشعر الحر ، التي تطلق على عموم شعر التفعيلة ، لاتعني افتقار هذا الشعر الى الوزن والقافية ، كما ان الشعر الحر - بالمصطلح الدقيق - عوض عن الوزن والقافية بموسيقا داخلية تقوم على ضوابط مدروسة ، ولذلك جار العقاد على الحقيقة حين حكم على الشعر الجديد بأن يحال الى لجنة النثر ، ولم يحل هذا الحكم دون أن يزدهر هذا الشعر ، ويغدو المعبر عن احتياجات الحاضر وتطلعات المستقبل ، والعقاد الذي ناهض الشعر الجديد كان داعية التجديد في أوائل العشرينيات من هذا القرن ، فيما يتعلق بالوحدة

العضوية للقصيدة العربية الحديثة ، فإن العقاد في كتاب الديوان الذي ألفه مع زميله المازني قد هاجم شوقي هجوما عنيفا ، لان شوقي في رأي العقاد يمثل استمرار القصيدة العربية القديمة القائمة على البيت المستقل ، ورمى العقاد شعر شوقي بالتفكك ، وشبه قصائده بكومة رمل ، اذا وضعت على أي وضع بقيت كومة رمل كما كانت ، وعمد الى ترتيب الأبيات في قصيدة شوقي ترتيبا جديدا ، ولم يجد في ذلك صعوبة ، كما أوضح ، مما يدل - في رأيه - على انعدام الشعور الذي ينتظمها ويؤلف بينها ، وبالتالي على افتقارها الى الوحدة العضوية ، وتحدث العقاد عن الوحدة العضوية للقصيدة ، مستندا الى مفاهيم نقدية غربية ، وكما كان سعي القصيدة العربية الحديثة الى الوحدة العضوية مقبولاً ومحموداً ، كذلك ينبغي أن يكون سعي الشعراء الجدد الى تطوير العروض القديم لتلك القصيدة ، ولانسى أن من أبرز خصائص الشعر الحر حرصه على تحقيق الوحدة العضوية للقصيدة العربية .

أسباب الغموض

أما الغموض الذي يتذرع به البعض لمهاجمة الشعر الجديد ، فهو ظاهرة لاتخص الشعر الحر وحده ، انما هو سمة الكثير من النتاج الشعري في مختلف العصور ، ومن البديهات أن لغة الشعر لغة ايحاء لا تقرير ، ولا يطلب من الشعر أن يكون في وضوح النثر ، والا فقد جوهره الموحي ، وقد عرف شعرنا العربي القديم تيارين بارزين ، اتجه أحدهما الى الوضوح المباشر ، واستخدام لغة الحياة اليومية ، وخير ممثليه أبو العتاهية ، واتجه الثاني الى الصنعة الفنية واللامباشرة واللغة المختارة ، وخير ممثليه أبوتمام الذي سئل مرة : لم لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب : ولم لا تفهم ما يقال ؟ واذا كان أبو تمام قد رمي بأنه يقول مالا يفهم فما بالنا ننكر على الشعراء الجدد هذا الغموض الذي يكافىء غموض وتعقيد الحياة الحاضرة ؟ من صفة الشعر الجيد أن لايقدم للمتلقي كل شيء جاهزا ، انما يترك للمتلقي ان يغني تجربة النص بمخزون تجاربه ، ولكن ينبغي الاحتراز بالاشارة أن الغموض غير الالغاز ، وشتان ما بينهما .

ان قضية الشعر الحر لم تعد موضع جدال ، فقد حسمها الزمن ، وتقبلت جماهير القراء في العربية هذا الشعر ، ووجدت في قصائده مضمونا وشكلا ، تعبيرا عن همومها وتطلعاتها ورغبتها في التطور ، انطلاقا من تحولات العصر ، لقد رسخ الشعر الحر ، وأصبحت له تقاليده وجمالياته ، وغدت قصائد أواخر الأربعينيات والخمسينيات من الموروث الشعري الذي انطلقت وتنطلق منه الأجيال التالية ، برغبة تجاوزه لا الوقوف عنده .

ان القضية ليست قضية شعر تقليدي وشعر حر ، ولكنها قضية شعر جيد وشعر رديء ، ويقع الجيد والرديء في الشعر التقليدي كما يقع في الشعر الحر .

وبعد فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . □

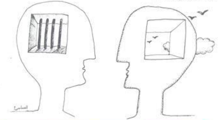
■ ان الأمة لا تكون أمة قوية الا اذا كانت تؤمن بالله (أفلاطون) .

■ أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة ، هي أن تشرك فيها غيرك (بيرون) .

■ ان مؤهلات الحاكم تتلخص في كلمة واحدة : الأمانة (توماس جيفرسون) .

■ ان موقف الحقيقة غالبا ما يكون صعبا ، ولكنها لا يمكن أن تتحطم (شوبنهاور) .

■ قلما تتذوق شيئا صافيا أو لذة خالصة (مونتي) .



أول وزير "للذكاء في العالم"

بقلم : الدكتور عادل عبد الكريم ياسين

الثروة المادية ثروة عابرة ، تخضع لظروف لايمكن التنبؤ بها ، وتبقى ثروة العقول هي الثروة الحقيقية للأمة . . لأي أمة أما كيف تستطيع الأمة أن تصبح أمة مفكرة خلاقة ؟ حول هذا التساؤل يتحدث . المقال .

منذ بضع سنوات خلت ، أو في شهر مايو من عام ١٩٨١ على وجه التحديد ترامي لمسامعي اسم « ماشادو » في حلقة دراسية في جامعة سري في انجلترا ، شارك فيها البروفسور « سكمب » عالم النفس والرياضي المعروف ، حيث تعرض للكتابة عن « الذكاء الانساني » وكان مما قاله :

« هناك رجل يدعى « ماشادو » بدأ عملا فكريا غير مألوف ، ومن السابق لأوانه الحكم على هذا العمل المثير ، فهذا الرجل يزعم بأنه يمكن « تعليم » الذكاء لمجموعة أفراد الأمة ، واقترح على المهتمين في الحقل التربوي أن يتابعوا هذه التجربة بجدية .

وفي فبراير ١٩٨٢ قرع مسامعي نفس هذا الاسم مصحوبا « بالعظيم » في حلقة دراسية في الجامعة المذكورة عن « التعليم الأفضل » وكان المحاضر حادا في نقده للتعليم في بريطانيا خصوصا ان تقرير كوكروفت كان آنذاك يجلجل ، مشيرا الى الضعف في بنية التعليم البريطانية وخصوصا بالنسبة لمادة الرياضيات .

مناهج التعليم

وكان بعض ماقاله المحاضر يتلخص في أنه : « يجب أن نعيد النظر في جميع مناهج التعليم وأساليبه ، ففي عصر تفجرت فيه المعرفة لدرجة تصعب حتى على المتخصص متابعة ميدان تخصصه ، فلا يبقى أمامنا الا أن نتوقف لنختار مانراه أساسيا لتزويد المتعلم به ، اذ لايجب أن نستمر في معاملة العقل كسلة للنفايات ، والحل الوحيد في رأيي يكون في جعل « تعليم التفكير محورا للتعليم الأفضل » !

وتطرق بعد ذلك الى من أسماه « ماشادو العظيم » الذي ينفذ تجربة رائدة في « تعليم الذكاء » لأمة كاملة !!

وفي صيف عام ١٩٨٤ ، وبينما كنت مع وفد في مهمة علمية للولايات المتحدة ، التقيت بالبروفسور « جوزيه جيلومين » البورتوريكي الأصل ، في حلقة دراسية حول « العجز عن التعلم » وأعقب المحاضرة نقاش ثري تحدث فيه « جيلرمين » باعجاب عن التجربة الفنزويلية الرائدة التي يقودها « ماشادو » أول وزير قال بامكان « تعلم الذكاء » . وقد ذكر بأنه عمل مستشارا له خلال السنوات الخمس المنصرمة كما عمل ممثلا لوزارة الذكاء الفنزويلية ، من مارس - ديسمبر ١٩٧٩ ، في الفريق الذي يتعاون مع جامعة هارفارد في الولايات المتحدة لتطوير مقررات تستهدف تعليم مهارات التفكير ، وهو يرى في « ماشادو » رجلا فذا وعالما بارزا يجدر أن تفيد منه دول العالم كافة ، ودول العالم الثالث بالذات بصفة خاصة .

من هو ماشادو ؟

ترى من هو هذا الرجل « ماشادو » ؟

لقد ولد لويس البرتو ماشادو في عائلة فنزويلية ثرية في بداية الثلاثينيات ، ودرس المحاماة في اسبانيا ، وامتهنها لفترة ، وعاد فتحول عنها الى الفلسفة والشعر والسياسة ، وربما كان للظروف المحيطة به تأثير على توجهاته ، فنزويلا تنعم بقدر جيد من الديمقراطية في منطقة تخضع لنظم الحكم العسكرية ، ولو أنها تنعم بثروة نفطية كان مردودها المادي كبيرا في السبعينيات ، رغم أنها مازالت تعج بالفقر والبؤس والشقاء .

وعلى الرغم من الازدهار النفطي آنذاك ، فلقد كان ماشادو يصر على أن « النفط ثروة عابرة تخضع لظروف لايمكن التنبؤ بها وتبقي « ثروة العقول » هي الثروة الحقيقية للأمة ، وهو يرى أن الأمة الذكية هي التي تحافظ على حريتها ولو أنها قد تتعرض لقيام حكم دكتاتوري ، ولكن ذلك حتما سيكون أمرا عابرا ، اذ سرعان مايلفظه هذا الصنف من الأمم الذكية .

ويعتقد « ماشادو » بأنه يمكن تطوير الذكاء الانساني « بمعنى العمل على انمائه » وقد كان هذا أساسا لبرنامج طموح للأمة الفنزويلية بطلة ذلك الرجل الفريد والصلب الذي وصف يوما « كمبعوث مطلق الصلاحية للذكاء الانساني » وفاز البرنامج بدعم الرئيس الفنزويلي « لويس هيريرا كامبنز » الذي أنشأ لأول مرة في تاريخ الانسانية المعروف « وزارة تطوير الذكاء الانساني » في بدايات عام ١٩٧٩ ، ليكون « ماشادو » وزيرا لها ، وليصبح بذلك أول وزير للذكاء في العالم .

أما البرنامج فكان شاملا ، بحيث شمل مستشفيات الولادة والمدارس والجامعات والقوى المسلحة وأفراد الخدمة المدنية بدعم مباشر من الرئيس كامبنز ووزراء الصحة والتربية والتعاون والاعلام ، لكن ماشادو كان وزيرا بلا حقيبة وزارية ، بمعنى أنه لايشرف على ادارة حكومية خاصة ، كما لم تخصص له ميزانية كبيرة .

بعض قناعات الرجل

لم تتغير بنية الدماغ منذ الخليقة .

* التربية وراء نهوض الأمم وتخلفها .

كان « ماشادو » يهوى الحديث في البدء عن المفاهيم العامة ، حيث كان من الصعب تحوير الحديث معه باتجاه التفاصيل ، اذ كان يصر على ترك المجال للتطبيق « العملي ، والبرنامج الفنزويلي لايقوم على نظريات محددة تعود لأية مدرسة أو لأي فرد ، فالمدخل اليه ذو صفة انتقائية عالية ، كما يفيد من منهجيات متعددة ، ومع ذلك فان « ماشادو » يزعم بأنه مبادئه العلمية واضحة ، وقد تجنب هو وأعوانه الخوض في أي نقاش يدور حول الذكاء في الولايات المتحدة ، لينأى عن أي جدل مبكر حول التقليل

(كما يعتقد) من دور الذكاء الموروث ، أو من دور (اختبارات) الذكاء ، التي يختفي خلفها بعض ممن يرون بأن هناك عروقا ذكية وأخرى ليست كذلك !!

العوامل البيئية

وينحو « ماشادو » نحوا آخر ، اذ أنه يعتنق وجهة النظر التي تقول بأنه لم يجر تطوير كاف للطاقات الفكرية للكائنات الانسانية العادية ، « فنحن نتجه لأن » نمنح هؤلاء الفرصة لرفع قدراتهم الفكرية الى أقصى مدى وهو لاينكر الفروق في المواهب الموروثة بين الأفراد ، ولكنه يعتقد بأن العوامل البيئية ذات أثر أعظم وأكثر أهمية اذ يقول :

« كل الأطفال العاديين موهوبون : وواجبنا تطوير طاقاتهم الكامنة الموروثة » .

واحد من المبادىء التي تقود تفكيره ، يؤكد كما أسلفنا على ضرورة أن تصبح « فرص » تطوير الذكاء متاحة للجميع وليس للقلة ، ثم يقول « اذا سمحنا للقلة أن تطور ذكاءها فانها لامناص من احتكار القوة ، بحيث يكون هناك الطغيان الأعظم » .

وواحدة من الفرضيات المهمة التي يعتبرها أساسا لحواره تقول بأنه « **يتضح مما تفيده علوم اليوم ، بأن بنية دماغ الانسان الحالي لاتختلف في الشكل والجوهر عن مثيلتها منذ فجر التاريخ ، فما الذي تغير اذن حتى تنهض أمم وتتخلف أخرى ؟** »

ويجيب : **انها التربية ، وانه التعليم الذي تعاقب على أجيال الأمة** !! كما يرى بأن الاختلاف بين الأذكياء وغيرهم يعود للأساليب التي توصل المعلومات للدماغ « والتربية من أفضل السبل » لتطوير عملية المعالجة هذه لرفع طاقات الأفراد الفكرية ، ولكل انسان الحق في « تطوير هذه الطاقة » فمن واجب الأمة العمل على اتاحة فرصة التطوير هذه للجميع منذ أن يكون الفرد جنينا ، وعلى امتداد حياته على الأرض .

وهكذا فان برنامج تعزيز الذكاء الفنزويلي ينطلق من التأكيد على العناية بالجنين قبل الولادة وبعدها ، وكان أن تم تدريب الأطباء والهيئات التمريضية والمتطوعات في مستشفيات الولادة ، لتزويد الأمهات بالارشاد ، فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة لدى الأطفال



حديثي الولادة ، في محاولة لتحفيز الطفل واثارة فعاليته ، ليكون أكثر استعدادا لاكتساب مهارات التفكير مع نموه ، واضافة الى ذلك فقد تم تسجيل هذه المعلومات على أشرطة الفيديو لعرضها على أجهزة التلفزيون في غرف الولادة ، وهو على قناعة بأن السنوات الست الأولى من عمر الطفل هي أهم فترة في حياته على الاطلاق ، فيما يتصل بتطوره الفكري ، فكانت هذه المرحلة من أهم المجالات الرئيسية للبرنامج من خلال التركيز على الأسرة ، بالاستعانة بوسائل الاعلام الوطنية ، وقد أعدت سلسلة شيقة من النقاط القصيرة ، كان يجري تكرار عرضها في التلفزيون باستمرار ، كما هو الحال في الاعلانات التجارية ، وقد عم البرنامج كل أنحاء فنزويلا ، حيث انهمك طلاب المدارس وموظفو الحكومة وعمال الانتاج والفلاحون والجنود في استيعاب البرنامج الذي أسموه « الذكاء أو تعلم طرائق التفكير » وأصر على أن يخوض كل سكان فنزويلا (١٤ مليونا) التجربة في محاولة جادة لرفع ذكاء الأمة بمجملها .

تعليم التفكير

وهو ينادي بضرورة اجراء جراحة جذرية في بنية مناهج « معاهد وكليات المعلمين والمدرسة والجامعة » واعادة تشكيلها لتصبح قائمة على « تعليم التفكير إذ

أن هذا خير وسيلة لانماء الذكاء « فتعليم التفكير هو تعليم الذكاء » .

وفي السنة الأولى شارك في المشروع أكثر من مليون طفل بين التاسعة والرابعة عشرة « ليتعلموا كيف يفكرون » وكان ذلك في خريف ١٩٨١ .

اذا اخذنا برأي « هب » الذي يقول بأن الـذكاء موروث ومكتسب واستثنينا رأي « فيـرنون » الـذي يربط الذكاء بروائز الذكـاء (وهذه المقولة نـاقدون كثيرون في الغرب وعلى رأسهم « جاردنر » الذي يرى بأن هذه وثيقة الصلة بثقافة الغرب فحسب) ان « ماشادو » يركز كما رأينا سابقا على أهمية الجانب المكتسب ، بل يرى في ذلك أساسا جوهريا لاختلاف الأمم في ذكائها ، فالأمة الذكية ـ كـالفرد الـذكي ـ تكتسب « كما » من الخبرات ، تـوظفها في التقـدم والتفوق ، مما يجعلها جديرة بصفة الذكاء ، وقد يكون السؤال الجوهري ماهي الخبرات التي تساعد على رفع ذكاء الفرد وبـالتالي الأمة ؟ ومانعنيـه بالـذكاء هنا ببساطة هو ما يأخذ به « بركينـز » أحد العـاملين في مشروع الذكاء في هارفارد اذ يرى فيه « كل مايجعل المرء يفكر بصورة أفضل » وهو موقف وظيفي وغائي معا ، وبالتالي فان هذا يشتمل على كل ما نتصور : المهارات الدراسية والقدرة الجيدة على حل المشكلات اليومية ، والمحاكمة العقلية الجيدة ، وقدرة التحكم بالذات وغير ذلك .

دور التربية

وهذه الجوانب تتضمن ما يبحث السؤال السابق عنه ، وبالطبع فان هذه تطرح السؤال المثير للجدل : هل يمكن للمرء ان يكتسب هذه الصفات أو الخبرات عن طريق التعلم ؟ وبمعنى آخر : هل **يمكننا أن نعلم الذكاء ؟ وكيف ؟**

ولايستقيم البحث عن اجابات مناسبة لمثل هذه الأسئلة دون أن نعي بـالمسلمـات التي يـطرحهـا « ماشادو » وهي :

* نعم : يمكن لكل فرد أن يكون ذكيا .
* التفكير مهارة يمكن للمرء ان يتعلمها .
* تعلم التفكير وسيلة لرفع (تعلم) الذكاء .
* التربية أفضل السبل لتعلم الذكاء .

ويتفق « ماشادو » مـع « دي بونـو » الذي يعلم طرائق التفكير في جامعة كمبردج في انجلترا ، والذي ألف كتـابه « آليـة العقل » الـذي يفترض فيه بأن التفكير مهارة لايحتكرها القلة ، وهي بمتنـاول كل انسان ، اذا ما أحسنا اعداده لذلك .

وقد أرسلت الصين ٤٠ مبعوثا رسميا الى فنزويلا برئاسة نائب وزير التربية لدراسة ونقل افكار ماشادو الى بـلادهم ، وهناك نشـاط حـاد في دول أمريكـا اللاتينية لدراسة أبعاد التجربـة ، كما أن اليـونسكو أولت اهتماما بارزا بالمشروع .

واذا كـان « ماشـادو » يهـوي أن يسميـه النـاس « بشاعر الذكاء » فهو يرى بأن أبرز حـدث في هذا القرن سيكون مايسميه « انفجار الذكاء » الذي قادته بلاده ، بل ان عالم النفس « سكنر » يرى بأن عمل « ماشادو » أجرأ ما حدث في هذا القرن .

ويتنبأ « ماشادو » بأنه اذ قدر لرياح المشـروع أن تستمر ، فان بلاده **ستتصدر الذكاء في العالم** .

لا أغـالي اذا قلت بأننـا أمة لاتـواجـه تحـديـات الاستمرار ، فحسب ، بل والوجود أيضا فهل نعي الدرس ؟ وهل نستطيع نحن التربويين أن نتلمس دورا أفضل ؟ □

■ **الانسـان الذي لا يفقـد عقله أمام الاغـراء .. ليس لـديـه مـا يفقـده (ليسنج) .**

■ **الناس نوعان : نوع ينظر الى الطين أو نوع ينظر الى النجوم (فريدريك لانجبريدج) .**

خالد العدساني والعمامة والكتاب غير المنشور !

بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

خالد العدساني ، سياسي وأديب من الكويت ، أدى دوره ، وسجل بعض ما عرفه وعايشه في كتبه وأشعاره .

لكن كتابا من بينها لم ينشر وبقي حبيس الأدراج ، فما هي الأسباب والدواعي ؟ وما هي قصة العدساني .... مع العمامة ؟

العمامة هي اللباس العربي ، والعمائم هي تيجان العرب ، ولعلهااللباس العربي الذي يدل على الجد ، ويدل على العمل ، ويدل على العزم والحزم ، وخوض الحروب ، لأن صاحب لسان العرب يقول في العمامة ، ان الرجل إذا أرخى عمامته فمعناه أنه ، أمن ، وترفه ، لأن الرجل يرخي عمامته عند الرفاه ، ويشدها عند الجد .

يقول الشاعر العربي : -

ألقى عصاه وأرخى من عمامته

وقال : ضيفٌ ، فقلتُ : الشيبُ ؟ قال : أجل

يقول الشاعر ، إنه ألقى عصاه وأمن ، وأرخى من عمامته ، وتمدد قائلاً إنه الضيف ، أعنى الضيف الذي جعله يتمدد ويرخي عمامته ، ويُلقى عصاه ، ويخلد إلى الراحة والهدوء ، فلا حزم ولا عزم ، ولا جد ولا كد ، ولا تعب ولا حروب ، وعندما سأله السائل عن هذا الضيف الذي حلّ به وهل هو الشيب ؟ قال : نعم : إنه الشيب الذي يُلقى العصا ، ويُرخى العمامة ، ويبعث في الانسان الوهن والضعف والفتور ، ويدفعه إلى إلقاء السلاح .

نعم إنه الضَعف والوهن ، وهما الشيب ، لكن ما بال أولئك الذين ألقوا بعصيّهم ، وأرخوا عمائمهم ، واستسلموا دون شيب ، أي دون ضعف في الأبدان ، ودون وهنٍ في الأجسام ؟ وينطلق صوت من وراء الستار مردّداً قول أبي الطيب المتنبي : -

حل كلية الامام الأعظم ، وعمائم هذه الكلية تختلف شيئاً عن عمائم الأزهر الشريف ، ولا ندري متى اتخذت العمامة طابعاً دينياً ؟ ومع ذلك فنحن نرى اليوم بعض الناس في بعض البلدان العربية ما زالوا يستخدمون العمامة غطاء للرأس ، لا سيما في الأرياف والقرى والمناطق النائية عن المدن الكبيرة ، وهؤلاء قد لا يكون لهم علاقة بالدرس والتدريس في علوم الدين ، لكن على العموم فهي طابع يتخذه رجال الدين شعارا لهم هنا في أقطارنا العربية ، وفي بعض البلاد الاسلامية الأخرى .

ولا نريد أن نتحدث عن الذين يتخذون من العمامة ذريعة للتظاهر بالدين مثلاً ، أو ذريعة للغش والخداع ، أو وسيلة للحيلة والمكر بالطيبين من الناس ، فهي على كل حال كانت لباساً عربياً يدل على الجد والمهابة والحزم ، فأصبحت لدى رجال الدين لباساً يُضفي عليهم شيئاً من الوقار ، واتخذها البعض ذريعة لحاجات يقضونها ، ومع ذلك فهي لباس وقور طالما اتخذه حاملو العلم والمتفقهون بالدين شعارا مميزاً يدل على المهابة والوقار ، وطالما لبسه الأفاضل من الرجال العاملين المصلحين ، والمخلصين في عملهم ، الصادقين في أقوالهم .

والعمامة على كل حال مظهر لا جوهر ، ولهذا غدت لباساً يلبسه الصالح والطالح ، ويستعمله العامل والخامل ، ويضعه على رأسه الصادق والكاذب على حد سواء .

العدساني والعمامة

وربما فُرضت العمامة على المرحوم خالد العدساني عندما كان يدرس في بغداد في كلية الامام الأعظم في الجامعة الهاشمية ، وأنت ترى مع هذا الحديث صورته بالعمامة ، وقد علق عليها بخط يده هكذا : - (رسمي أخذ في سوق السراي ببغداد في يوم الخميس ٢٧ جماد الأول سنة ١٣٤٣ ، الموافق ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤) . وكانت هذه الصورة مخفية بين أوراقه ، ونشرت لأول مرة بعد وفاته مع المقال الذي نشرته عنه في مجلة (العربي) من قبل . ولعله كان لا يريد أن ينشرها وقت حياته ، ولما توفي أصبحت ملكاً للناس وللباحثين عن تاريخ حياته .

كان المرحوم قد انتقل إلى عالم الخلود مساء يوم



المرحوم خالد العدساني

وإذا كانت النفوسُ كباراً
تعبت في مُرادِها الأجسامُ

قلت نعم ، فهمت ماذا تعني أيها الصوت ، إنك تعني متسائلاً ، وماذا يحدث إذا كانت النفوس صغاراً ؟ أجل : يحدث الخوَر والوهن والاستسلام ، لكن أهذا ما أردت ؟

من التاج الى الشعار

وتطور وضع العمامة بعد أن كانت تاجاً ، إلى أن أصبحت شعاراً أو شبه شعار يلبسه دارسو الدين ، وها أنت ترى في بلادنا العربية أشكالاً من العمائم على رؤوس دارسي الدين ومعلميهم لا تشدها الشدائد ، ولا يرخيها الرخاء ، وإنما هي عمائم تعلو الرؤوس وقت الدرس ، وتنرخى وقت العرس ، وتُلقى أو ترفع ، أو تُنحّى جانباً وقت النوم ووقت التمدد والاسترخاء .

المرحوم خالد العدساني لبس العمامة أو ألبِسَها يوم

السبت الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٢ ، الموافق ١٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٢ . ووجدنا في بعض أوراقه التي تركها ، تاريخ ميلاده بخط يده يقول فيها : - (ولدت في شهر رجب سنة ١٣٢٣) وهذا التاريخ يوافق شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥ ، أي أنه توفي عن عمر يبلغ تسعة وسبعين عاماً هجرياً .

ترك المرحوم وراءه شيئاً قليلاً من الفكر ، شعراً ونثراً ، طُبع منه كتيبٌ « نصف عام للحكم النيابي في الكويت » وهو ملخص أعمال أركان العهد النيابي الأول في الكويت ، وجاء فيه وعدٌ بكتاب مفصل يصدر في ظروفه وميعاده المقدور ، وصدر له بضع قصائد وقت حياته أسماها « عدسانيات » . أما الكتاب الذي لم يطبع بعد فهو أهم أثر أدبي للمرحوم ، ففيه يسجل بإسهاب حركة المجلس النيابي الأول ، كيف قام ، وكيف عاش ، والأحداث التي مر بها ، والملابسات التي حصلت له ، ثم نهايته السريعة التي عجلت به ، وهو كتاب مهم للذين يرصدون تاريخ الحركة النيابية في الكويت ، بل للذين يرصدون تاريخ الحركة السياسية . صحيح انه يسجل تاريخ فترة قصيرة من حياة الكويت ، لكنها فترة حافلة مليئة بالأحداث ، سواء في الكويت ، أو في المنطقة ، لا سيما بعض البلاد العربية المجاورة ، وبجانب تسجيله لحياة الكويت ، فهو سجل مهم لبعض رجالات الكويت الذين ساهموا في الأحداث من الذين اشتركوا بالمجلس أو الذين لم يشتركوا .

لقد كانت الكويت في تلك الفترة تعيش حياة بسيطة عادية ، بعيدة عن مظاهر الترف ، بل كان معظم أهلها يعيشون عيش الكفاف ، على الغوص والسفر إلى سواحل الخليج وسواحل الهند وسواحل أفريقيا ، وهناك قلة من التجار الذين يتعاملون مع البلدان المجاورة ، وبعضهم مع بعض بلدان العالم في الشرق والغرب ، واستخراج اللؤلؤ جعل هؤلاء القلة من التجار يمدون تجارتهم إلى أوروبا وإلى آسيا ، لا سيما الهند الموحدة في ذلك الوقت ، والى أفريقيا .

وكانت هناك قلة من الشباب تتطلع إلى حياة أفضل ، وكانت هذه القلة على جانب من الثقافة والاطلاع أدى إلى طموحها ورغبتها في تطوير البلاد ، وتنظيم بعض شئونها مثل التعليم وارسال البعثات إلى الخارج ، والعناية بالصحة العامة وجلب الأطباء والأدوية والاهتمام بالنظافة عن طريق البلدية وتطويرها ودعمها بالكفاءات ، وسن القوانين لتنظيم مختلف شئون البلاد ، وكانت الكويت في ذلك الحين صغيرة بعدد سكانها ، لكن كان لأهلها امتداد إلى كثير من بلدان العالم ، لا سيما تلك البلدان التي سبقت الكويت بسن القوانين ، وتنظيم شئون البلاد ، ولا يتم ذلك إلا بالوعي وبالعلم والفهم والادراك .

ملامح وملابسات مرحلة

وكان المرحوم خالد العدساني يعايش هذه الأحوال ، ولهذا سجلها في كتابه المفصل الذي وعد به ، وربما دفعه حرجه من اخوان أعزاء عليه إلى عدم نشره ، لأنه رحمه الله سجل الأحداث بصراحته المعهودة ، وروى الملابسات بكل وضوح ، ورسم تصرفات أبطال هذه الأحداث والذين شاركوا فيها بكل حرية ، ومنهم الصديق ، والقريب ، والعزيز ، لكن التاريخ لا بد أن يأخذ حقه في الصدق والأمانة والاخلاص ، وهذا ما حدث لكتابه ، ولم يغفل الأيدي الأجنبية التي أرادت أن يكون لها دور ، وأن تقوم باللعبة حتى نهايتها ، ولم يغفل أيضاً الذين شاركوا باللعبة . . فقد سجل تصرفات الرجال المخلصين ، وسجل تصرفات غير المخلصين إما جهلاً أو تعمداً ، فهناك بعض الذين أساءوا التصرف ، أساءوا عن جهل وليس تعمداً ، وهؤلاء مخلصون طبعا ، لكن إخلاصهم مشوب بالجهل أو الغفلة لكن هناك بعض الذين أساءوا التصرف عن عمد ، وهؤلاء غير مخلصين للبلاد بلا شك ، والأذكياء المخلصون هم الذين يريدون البناء ، ويريدون الاصلاح ، لكن الخبثاء هم الذين يسعون أبداً إلى الدس والفتن ، وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس ، والناس تختلف طبائعهم ، منهم من يسعى للبغضاء إذا اعتقد أنه يستفيد منها .

إذن فالمرحوم خالد صور بكتابه هذا كل شيء على علاته ، وربما كشف هذا الكتاب لدى بعض الناس من أهل الكويت صوراً مختلفة عما كانت في أذهانهم ، وربما عكس حقائق تغير مفاهيم لبعض الناس مختلفة ، فالمصور لا بد أن يصور الأشياء على حقيقتها ، سواء كانت هذه الأشياء جميلة أو قبيحة ،

والناس من التراب ، والتراب يحتوى على معادن مختلفة منها الثمين ، ومنها الرخيص ، ولهذا فأنت ترى الأجسام عندما تدفن في التراب تتحلل ، وكل عنصر يذهب إلى عنصره ، فالذهب يذهب إلى الذهب ، والحديد إلى الحديد ، والتراب إلى التراب وهكذا بقية العناصر .

خلاصة القول أن كتاب المرحوم هذا الذي وعد به في ظروفه يفيدنا في الاطلاع على الحركة السياسية في الكويت ، ويفيدنا أيضاً في الاطلاع على الحركة الفكرية ، ويفيدنا في معرفة ثقافة الكاتب ، ويعطينا صورة واضحة على مقدرته في الكتابة ، ومدى متانة أسلوبه وسلامته ، فقد وجدنا المرحوم شاعراً ، لكن أشعاره المنشورة وغير المنشورة لا تدل على تمكنه من الشعر ولا على قوة شاعريته ، بل تدل على حبه للشعر ، وحبه لمحاولة كتابة الشعر والتعبير به عن معاناته ، وفعلاً جاءت بعض أبياته موفقة استطاع أن يعبر بها بوضوح عن بعض أفكاره وآرائه السياسية وغير السياسية ، لكن لعل كتاباته النثرية تزيدنا وضوحاً وتعطينا صورة جلية عن آرائه وأفكاره ، زد على ذلك مقدرته على الكتابة النثرية ، ومقدرته على صوغ أفكاره بصورة أكثر قوة ، وأبلغ بياناً .

هذا فيما يتعلق بالأدباء ، وبالنسبة لما يتعلق بأرباب السياسة ، وأهل التاريخ فلا شك أن الكتاب سيعينهم على معرفة تلك الفترة معرفة واضحة ، تلك الفترة التي سجل فيها الكتاب ، وهي وان كانت فترة قصيرة ، إلا أن أحداثها مهمة ، ذلك أن بعض الفترات تكون مليئة بالأحداث ، بعكس تلك التي يخيم عليها الركود والهدوء ، ولا تتمخض عن أحداث ذات بال ، ولا يخفى أن الأحداث التي سجل لها المرحوم في كتابه ، أعني أحداث المجلس الأول لم تتعد نصف العام ، إلا أن لها ذيولاً سابقة وذيولاً لاحقة ، تعين المؤرخين على رصدها وتسجيلها بشكل جيد ، لا لبس فيه ولا ابهام .

ولم نطلع على آثار ذات بال للمرحوم أهم من هذا الكتاب ، لكن هناك رسائل أدبية بينه وبين المرحوم الشاعر خالد الفرج ، تحتوى على صور أدبية جميلة ، وكان المرحوم خالد العدساني يتسمّى باسم « خالد فوزى » ولهذا ترى رسائل خالد الفرج يوجهها إليه بهذا الاسم ، وكان الفرج رحمه الله يتنقل بين أنحاء الجزيرة العربية ، مرة في البحرين ، ومرة في القطيف ، وأخرى في الدمام وهكذا ، وكان يرسل خطاباته من هناك إلى صديقه وسميه خالد العدساني المقيم في الكويت ، والمرحوم خالد العدساني سبق أن عمل خارج الكويت ، وفي هذه البلاد التي ذكرناها ، لا سيما البحرين .

وكان كل من الخالدين يبث شكواه ومشاعره لأخيه ، وهكذا يتبادلان الرسائل ، ويتحاوران في أمور مختلفة ، لا سيما تلك التي يعانيان منها ، وكم كنت أتمنى من المرحوم خالد الفرج قصيدةً يصف بها عمامة زميله المرحوم خالد فوزى كما يسميه ، إذن لكانت قصيدة تضم إلى قصائده التي يداعب فيها زملاءه ، والمرحوم خالد الفرج كان يتحين الفرص ليداعب أصحابه ، وربما أتت مداعباته جارحة ، فهو شاعر والشاعر لا يرد خاطرة شعرية ترد إليه ، بل يلقطها ويضمّها إلى مداعباته حتى لو أتت بشكل قاس شديد ، ومن يدرى لعل المرحوم زميله الفرج لم يطلع على صورة زميله المرحوم خالد العدساني بالعمامة .

نقول إن المرحوم خالد العدساني لبس العمامة ، وان لم يكن شديداً التدين ، مما يدل على أن العمامة مفروضة عليه ، ولم تشع صورته بالعمامة بين الناس ، حتى بين أهله ، وكتب الشعر ، وتغزل به ووصف ، ونظم بالقوميات والاجتماعيات ، وهو شاعر مقل ، وكتب النثر ، أدباً وسياسةً وتاريخاً ، وأهم ما كتب كما ذكرنا ، تاريخه الموعود ، ورسائله مع أصحابه ، ومن المؤسف أن تكون رسائله مع الزملاء والأصدقاء رسائل مبتورة ، فقد يكتب رسالة لزميل لم يحتفظ بصورة منها فتضيع ، ويختلط أمر المناسبة التي كتب فيها فلم تتضح بشكل كاف ، ونقرأ الرد عليها فيعطينا بصيصاً منها ، لكن يبقى الغموض محيطاً بها .

هناك بعض الرسائل التي كان يحتفظ بصورة منها ، لكنها قليلة ، وهناك مع ذلك الكثير من الرسائل التي لم نطلع عليها ، ولا ندرى إن كانت موجودة بين أوراقه ودفاتره ، أم أنها ضاعت فيما ضاع من آثاره الكتابية والأدبية ، ولعل الظروف تسمح في الاطلاع على المزيد من آرائه وأفكاره فيما يوجد من آثاره ، كتابة نثرية أو شعرية ، والله أعلم . □

بقلم : محمود المراغي

أصحاب النفوذ

طبقاً لأوضاع عام ١٩٨٠ ، حاول بعض الاحصائيين القيام بدراسة حول النفوذ الدولي .. من الذي يملكه ؟ .. ما هي الدول التي تملك مقوماته ؟ .. كيف ينتقل التأثير من دولة الى أخرى .. و .. كانت النتائج على غير المتوقع !

تم البحث في ٧٧ دولة تضم (٨٥) بالمائة من سكان العالم ، واتضح أن عوامل النفوذ الدولي تتركز في أربعين فقط .

وبطبيعة الحال كان ، كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في المقدمة .. ولكن بفارق كبير حيث حصل السوفيت على (٤٥٨) نقطة ، بينما لم يحصل الامريكيون الا على (٣٠٤) نقاط .. ثم .. يأتي في الترتيب مع فارق كبير كذلك : البرازيل - المانيا الغربية - اليابان - استراليا - الصين .. وبعدها تأتي اثنتان من الدول الغربية التي تحمل اسم « الكبرى » ، والتي قادت حركة الاستعمار لفترة طويلة من الزمان وهما : فرنسا وبريطانيا .

الترتيب على هذا النحو يعكس ما اعتبره الاحصائيون عناصر قوة .. فضم : القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ، وامتلاك استراتيجية واضحة .. بالاضافة الى عوامل أخرى مثل : المساحة التي تحتلها الدول ، وعدد السكان الذين تضمهم حدودها .

و .. يبدو أن العنصرين الآخرين (المساحة والسكان) من العوامل الحاسمة بالفعل .. فوفقاً لبيانات الأمم المتحدة حول ١٨٨ بلداً ، هناك عشرة بلاد تحتل أحدها أكثر من نصف المساحة .. وبالتحديد (٥٢٪) من مساحة هذه البلدان .. بل ان هناك ثلاث دول تقترب مساحة كل منها من ربع المساحة الكلية وهي : الاتحاد السوفيتي وكندا والصين .. الأولى تحتل وحدها ١٤٪ من مساحة ما أمكن حصره من بلدان(وهي كل العالم المأهول بالسكان) .. أما الثانية والثالثة فتحتلان ٦,٦٪ و ٦,٤٪ من المساحة على التوالي ، وتليهما الولايات المتحدة الامريكية التي تمثل ٦,٢٪ فقط من المساحة

وبكلمات أخرى فان ست دول مما أطلق عليه اسم العشرة الكبار من حيث النفوذ تعتبر من الأكبر حجماً في العالم على الاطلاق .. كذلك فان معظمها يتمتع بتعداد سكاني ضخم ، فالاتحاد السوفيتي طبقاً لاحصاءات البنك الدولي في عام ١٩٨٣ بلغ عدد سكانه (٢٧٢,٥) مليون نسمة .. كما أن الولايات المتحدة الامريكية قد بلغ تعدادها (٢٣٤,٥) مليونا ، والبرازيل (١٣٠) مليونا .. أما الصين (وهي السابعة في النفوذ حسب الدراسة السابقة) فقد بلغ تعدادها ١٠١٩ مليوناً .

.. القاعدة والاستثناء

واذا كانت هذه هي القاعدة ، فإن الاستثناء أمر وارد .. وعلى مجال واسع .

فليس الأكبر .. أكبر قوة أو نفوذاً على الدوام .. وليس الأصغر .. أقل نفوذاً أو قوة في كل الحالات ..

وتسجل الارقام أن دولتين عربيتين هما : السودان والجزائر تقفان بين أكبر عشر دول في العالم من حيث المساحة ، حيث تمثل كل منهما : ١،٧٪ من مساحة الدول التي تم حصرها . . ومع ذلك فان هذه المساحة الضخمة لم تدعم نفوذها الدولي كثيرا . . بل ان دولة أكبر من حيث المساحة والسكان وهي الهند التي تحتل ٢٪ من المساحة ، ويبلغ عدد سكانها عام ١٩٨٣ (٧٣٣) مليونا ، تقف بعيدا في سلم النفوذ الدولي .

الاستثناء اذن قائم ، ولكن تبقى حقيقتان تبرزهما الارقام الأولى ، انه في كل الحالات فان الرباط وثيق بين المساحة والسكان وقوة الدولة ، وليس من بين العشرة الكبار من حيث التأثير والنفوذ دولة صغيرة واحدة ، فالشكل من الحجم العملاق والكبير والمتوسط . .

واذا كانت اليابان لاتحتل مقعدا أول من حيث المساحة والسكان ، فان حجمها يدخل في هذا النطاق الذي نتحدث عنه « الدولة متوسطة الحجم » حيث يبلغ سكانها ٦٢ مليون نسمة (١٩٨٣) ، ومساحتها ٢٤٩ ألف كيلومتر مربع .

أما الحقيقة الثانية ، فانه على العكس من ذلك ، ومن بين الدول ذات الحجم القزمي ، لاتدخل دولة واحدة نادي اصحاب النفوذ .

وطبقا لبيانات البنك الدولي ، فان هناك ٣٥ دولة في العالم تتمتع بعضوية البنك ، كما تتمتع بعضوية الأمم المتحدة ، ويقل عدد سكان كل منها عن المليون نسمة ، وبالتالي فهي لاتظهر في الجداول الاحصائية التي تقدم المؤشرات الاساسية للنمو في العالم . .

و . . بفحص هذه الدول نجد أن أكبرها بوتسوانا التي يقترب سكانها من المليون ، ومساحتها من (٦٠٠) ألف كيلومتر مربع . . أما أصغرها (مثل مالطا وبادوس ومالديف) فان مساحة كل منها يقل عن ألف كيلو متر مربع ، ويتراوح السكان بين ربع المليون وثلث مليون ، وكلها كما قلنا لاتملك عوامل نفوذ دولي .

. . عوامل أساسية

المساحة والسكان اذن من العوامل الاساسية . . لكن تراجع أهميتها النسبية وفقدانها للتأثير في بعض الحالات يجعلنا نقول : ان العبرة بتوظيف ما تملكه الدولة من أرض وموارد مادية وبشرية ، ان حسن استخدام ما هو متاح هو العنصر الحاسم . .

لذا ، وعندما وضع الاحصائيون عوامل للنفوذ الدولي ، اختاروا من بينها كما قلنا .. مدى امتلاك استراتيجية واضحة . . بالاضافة الى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ضمن العوامل الاساسية للنفوذ ، ومن هنا كان من الطبيعي أن نجد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في مقدمة ذوى النفوذ ، بما تملكانه من موارد تحولت بحسن التخطيط والادارة الى قوة عسكرية مؤثرة ، وقوة اقتصادية جبارة .

وقد يكون مفاجئا أن نجد البرازيل الثالثة من حيث امتلاك عوامل النفوذ الدولي ، بينما لاتتمتع في الواقع بمثل هذا النفوذ .

وبقي ذلك أيضا : انه لا يكفي أن تمتلك الدولة عوامل النفوذ حتى تصبح ذات نفوذ . . فالامكانيات شيء ، وتوظيف هذه الامكانيات شيء آخر .

و . . قد يرد السؤال عن الوطن العربي أو الشرق الأوسط ، وتأتي الاجابة : هناك دولة واحدة تقترب من أعلى السلم في امتلاك عوامل النفوذ وهي : مصر التي تسجل ٤٦ نقطة ، ويأتي ترتيبها الرابعة عشرة . . بينما تسجل اسرائيل ٣٩ نقطة ، وتسجل بريطانيا على سبيل المثال ـ ٦٨ نقطة ، ومرة أخرى ، وحين ننتقل للوطن العربي تبرز القضية : كيف يتحول مالدينا من امكانيات الى قوة حقيقية ؟

وقد يكون السؤال أكثر اثارة لو تصورنا الوطن العربي وقد أصبح دولة واحدة . . أو كتلة حقيقية واحدة ، توظف كل ما لديها من امكانات جغرافية ، وبشرية ، واقتصادية وعسكرية .

ألا تصبح احدى القوى العظمى ؟

انه الحلم ! □

■ صنع الله الريف ، وصنع الانسان المدينة (كوير) .

السيمائية

أحدث العلوم الإنسانية

بقلم : كمال أبو ديب

استطاعت «السيمائية» وهي أحدث العلوم الانسانية ، أن تبلور غايات محددة ، وأن تجد مجالا ومناهج عمل خاصة بها خلال العقدين الماضيين ، فما هي السيمائية ؟ وما هي غاياتها ومجالات البحث فيها ؟ .

السيمائية «Semiotics» أحدث العلوم الانسانية ، فقد استطاعت أن تبلور غايات محددة لها ، ومجالا محددا لعملها ، ومناهج عمل خاصة بها ، خلال العقدين الماضيين .

وعلى حداثة هذا العلم ، فان النشاط السيمائي الذي يشكل مادته المعرفية هو أقدم النشاطات الفكرية الانسانية على الاطلاق : فهو النشاط الدال لدى الانسان ، والنشاط المكتشف للدلالات القائمة في الطبيعة ، أو ضمن الوجود الانساني ، أي أنه النشاط الذي يرافق ظهور الكائن الحي ويلازمه ، لايسبقه في تكونه الا النشاط البيولوجي الصرف ، أي فعل الحياة .

وفعل الدلالة والاستدلال (القراءة المفسِّرة للرموز) ، اذن ، وفعل الحياة ، هما الفعلان الجوهريات المتميزان في تلازمهما للوجود الانساني ، وبمعنى من المعاني ، فان تعبير ارسطو عن الانسان بأنه حيوان ناطق يمكن أن ينقلب الآن ليصبح «الانسان حيوان سيمائي» ، أي أنه يخلق الدلالات ويقرأها مترجما الرموز التي تحملها ، وأنا حتى الآن أستخدم المصطلحات الأساسية «الدلالة» ، «القراءة» ، «الرموز» بطريقة فضفاضة شاملة ، لكنني سألجأ الى استخدامها في أبعادها الدقيقة بعد قليل ، ذلك أن طبيعة العلم الذي أتحدث عنه تتحدد أصلا بأنها عملية اكتناه وتمييز وتحديد للاشارات والرموز والعلامات والعلاقات المنتجة للدلالة في النشاط السيمائي بكل أشكاله وفي أبعاده الدقيقة .

أمران مهمان

لكن قبل أن أتابع التقصيّ ، لابد من الاشارة الى أمرين : الأول هو أن المصطلح الذي أستخدمه لترجمة «Semiotics» وهو «السيمائية» ، يبدو لي أفضل ما يوجد في العربية لتأدية هذا الغرض ، وذلك لسببين : الأول هوقربه من الكلمة الأوروبية في لفظه

وتركيبه ، والثاني هو اشتقاقه المباشر من كلمة « سيماء » العربية التي تعني العلامة ، أو الاشارة ، ولقد كنت ، في بداية كتابتي عن « السيميو طيقا » بالعربية أميل الى استخدام « السيميائية » ، لكنني بعد زمن من التأمل والتمحيص ، أميل الآن الى الاستقرار على « السيمائية » ، والأمر الثاني هو أن صيغة المفرد « السيمائية » ينبغي ، في تصوري ، أن تتطور في الاستعمال لتصبح « السيمائيات » ، مجسدة بهذا صيغة الجمع في المصطلح الأوروبي « tics » ومحققة انسجاما مع صيغ مشابهة كالصوتيات ، واللسانيات . والسعي الى ضبط المصطلح العلمي ومنحه درجة عالية من الانسجام في اللغة العربية ، وتطوير قدرات هذه اللغة على تمثل المعارف الحديثة ، أمر جوهري ، وشرط لازم لتحقيق التطور المعرفي - الحضاري الذي نطمح اليه الآن في الحياة العربيةالمعاصرة ، ولذلك أقترح تخصيص صيغة الجمع المؤنثة هذه للتعبير عن مثل هذه المفاهيم ، والعمليات العلمية ، والحقول المعرفية الجديدة ، ولا مسوّغ ، من وجهة نظري ، لاستخدام « اللسانيات » في صيغة الجمع ترجمة لـ « Linguistics » ثم استخدام « الشعرية ترجمة لـ « Poetics » ثم استخدام « السيميائية » ترجمة لـ « Semiotics » و« الاسلوبية » ترجمة لـ « stylistics » ، فمثل هذا السلوك يقضي على فرص تحقيق الاطراد في الاستخدام اللغوي ، ويعمق حالة التشتت والتشرذم الحضارية والثقافية السائدة في العالم العربي الآن . وسعيا الى مقاومة هذا التشتت والتشرذم ، والى تطوير طاقات اللغة على التعبير ، والى تحقيق سلاسة عالية في صياغة المصطلح العلمي ، أود أن ألح على ضرورة المغامرة اللغوية ، والتمسك بدرجة عالية من الانتظام ، ويبدو لي أن شيوع مصطلح « اللسانيات » وانتشاره بهذه السرعة ظاهرة مشجعة جدا في هذا المسار ، فلقد غلب هذا المصطلح على « علم اللغة » و« الألسنية » وغيرهما من مصطلحات اقترحت الى جانبه خلال السنوات العشرين الأخيرة . واذا كنت أستخدم في هذه الدراسة مصطلح « السيمائية » ، وأدعو ، في الوقت نفسه ، الى استخدام « السيمائيات » فان لذلك سببا وجيها يتعلق باستخدام مصطلحين في اللغات الأوروبية نفسها - حيث نشأ هذا العلم - أحدهما « Semiotics » ، والآخر « semiology » وذلك مما سينجلي في الفقرة التالية .

يمكن أن ينسب ابتكار هذا العلم الجديد ، دون تردد ، وفي حدود المعرفة التي نملكها الآن عن تطور الدراسات الأوروبية خلال هذا القرن ، الى اللغوي السويسري فرديناي دوسوسير الذي يعتبره كثير من الباحثين مؤسس اللسانيات الحديثة « linguistics » وليس غرضي الآن مناقشة دور سوسير في تأسيس اللسانيات ، بل الاشارة الى تلك الفقرات من عمله التي يرى فيها الباحثون أول تحديد جلي لمجال معرفي جديد هو « السيمائية » . وأبرز هذه الفقرات المقطع التالي من كتابه التأسيسي المشهور « **منهاج في اللسانيات العامة** » .

« ان اللغة نظام من العلامات يعبر عن أفكار ، ولذلك فانه قابل للمقارنة مع نظام الكتابة ، وأبجدية الصم - البكم ، والطقوس الرمزية ، وأشكال آداب اللياقة ، والاشارات العسكرية .. الخ . ولا تعدو اللغة أن تكون النظام الأكثر أهمية بين هذه الأنظمة » .

ويوسعنا ، لذلك ، أن نتصور علما يقوم بدراسة حياة العلامات ضمن المجتمع ، ونسمي « السيمائية » « Semiology » من الكلمة اليونانية « semion » (علامة) . وسيعلمنا (هذا العلم) ما تتألف منه العلامات والقوانين التي تحكمها ، ولأن هذا العلم غير موجود بعد ، فليس بوسعنا أن نقول ما سيكون ، بيد أنه يملك الحق في الوجود ، وان مكانته لمضمونة سلفا ، واللسانيات ليست الا جزءا من هذا العلم ، وستكون القوانين التي تكتشفها السيمائية ذات انطباق على اللسانيات التي ستجد نفسها ، بذلك ، ملتصقة بمجال من الظواهر الانسانية محدد تحديدا جيدا .

علم جديد

هنا يدعو سوسير الى تأسيس علم جديد يختص بدراسة « حياة العلامات ضمن المجتمع » . وهنا أيضا يعتبر اللغة أهم نظام سيمائي في الوجود ، ويعتبر اللسانيات علما فرعيا منضويا تحت العلم العام الشامل ، علم العلامات ولذلك يمكن ترجمة -semi

ology بـ « علم العلامات » أو « العلاماتية » ، بيد أن خصائص اللفظة الصوتية ، والاشتقاقية ، والاستعمالية تجعلها ، في تقديري ، أقل طواعية وملاءمة من لفظتي « السيمائية » و « السيمائيات » .

وفي أماكن أخرى يشير سوسير الى بعض النتائج الاولية المهمة التي يعتقد أن تأسيس مثل هذا العلم سيولدها في مجال دراسة اللغة ، من جهة ، ودراسة تجليات النشاط السيمائي الأخرى ، من جهة ثانية .

« ان جوانب من اللغة تبدو لأول وهلة على قدر عظيم من الأهمية (كاستخدام الأليات الصوتية) ستبدو اعتبارات ثانوية الأهمية اذا كانت لا تؤدي غرضا سوى تمييز اللغة عن الأنظمة السيمائية الأخرى ، ومثل هذا الاجراء لن يجلو المشكلات المتعلقة باللسانيات فقط ، بل ان الطقوس ، والعادات ، الخ . . ستظهر ، كما نعتقد ، في ضوء جديد اذا درست كعلامات ، وسيدرك المرء أنها ينبغي أن تدرك في مجال السيمائية ، وتوضح تبعا لقوانينها » .

تنطلق السيمائية ، اذن ، من افتراض دقيق : هو أنه ما دامت العلامات ، أية علامات ، تعني ، أي تؤدي معنى ما ، مُشَكِّلةً نظاما متميزا ، فلا بد أن ثمة آلية لأداء المعنى (ما سأسميه منذ الآن ، « آلية العَنْي » ، مشتقا مصدرا من الفعل « عني : يعني » للحاجة الماسة اليه) . ولا بد ، بشكل دقيق ، من أن تستند هذه الآلية الى مجموعة من الأعراف والقوانين ، ومن هنا تحدد وظيفة الدراسة المتأنية العلمية الدقيقة ، بأنها السعي الى تمييز هذه القوانين ، والافصاح عنها وعن آلية العَنْي التي تؤدي اليها .

واذا اتخذنا من اشارات المرور مثلا لجلاء ما يقال هنا ، فان أول ما نلاحظه هو أن هذه الاشارات اعتباطية ، بمعنى أنه **ليس ثمة من علاقة طبيعية أو حتمية** بين ضرورة التوقف عن المسير وبين اللون الأحمر ، فرؤية لون أحمر في مقصف الجامعة ، مثلا ، أو في فستان ترتديه طالبة جميلة ، لا تعني ضرورة التوقف ، (واذا حدث ذلك فسيكون التوقف لأسباب أخرى ، جمالية صرف) . وليس ثمة من علاقة طبيعية بين اللون الأخضر والسماح بالحركة ، وينطبق ذلك على اللون البرتقالي ، لكن الاصطلاح التنظيمي الصرف « بين واضعي أنظمة المرور في العالم) أعطى لكل من هذه الألوان ، من حيث هو علامة ، دلالة محددة ، ثم إننا نلاحظ أيضا أن هذه الاشارات تعني بسبب تمايزها وتشكيلها لنظام كلي (هو نظام اشارات المرور) ووجودها في هذا النظام ، وهي تكتسب معناها من شبكة العلاقات التي تنشأ بينها ضمن هذا النظام : أي من الموقع المكاني لكل منها بالقياس الى الأخريين ، ومن الفواصل الزمنية التي تفصل بين اشتعالاتها وانطفاءاتها ، ومن الترتيب الذي تتم به عملية الاشتعال والانطفاء . (فلو اشتعلت وانطفأت في وقت واحد لما عَنَتْ) ثم اننا بعد ذلك نلاحظ شيئا آخر على قدر كبير من الأهمية ، هو أن شرطا ضروريا يجب أن يتوفر من أجل أن يكون هذا النظام قادرا على العَنْي : هو أن يكون مفهوما مسبقا من قبل المجتمع الحركي (الأفراد الذين يستخدمون هذا النظام) ، والنكات الكثيرة التي تروى حول القرويين ، أو السذج الذين يفدون الى المدينة ، دون أن تكون لديهم معرفة مسبقة بدلالة العلامات ضمن النظام ، وبالمعنى الكلي له ، وما يقعون فيه من متاعب نتيجة الجهل ، هي تعبير عضوي عن لزوم توفر هذا الشرط من أجل أن يكون النظام قادرا على العني ، وهذه نقطة بالغة الأهمية في سياق آخر من هذه المناقشة ، ولذلك سأعود اليها فيما بعد .

ويساعدنا المثل الذي ضربناه على ادراك حقيقة أساسية : ما دام ثمة نظام من العلامات ، فلا بد أن يكون ثمة **أعراف وقواعد تحكم آلية عمل النظام** ، ولا بد أن يكون ثمة معنى ، وهذه الحقيقة هي الشرط المحدد لمجال السيمائية ولطبيعة العمل فيه ، وللمناهج التي لابد أن تتوفر له من أجل أن يتبلور ويكتمل .

واذا انتقلنا من نظام اشارات المرور الى أنظمة سيمائية أخرى ، ودرسنا خصائصها جميعا دراسة مقارنة ، فاننا سنصل بالضرورة الى النتيجة التي قررها سوسير في المقطع الأول المقتبس أعلاه : وهي أن اللغة هي الأهم بين الأنظمة السيمائية في الوجود . فبالمقارنة مع اللغة تبدو جميع الأنظمة الأخرى ، مهما ارتفعت درجة تعقيدها وثرائها عن النموذج الأبسط ـ نظام اشارات المرور ـ بسيطة وفقيرة نسبيا ، ان الطقوس في الحياة الاجتماعية تشكل نظاما

سيميائيا متميزا على درجة عالية من التعقيد ، وكذلك الازياء ، والأطعمة ، والأساطير ، بيد أن كلا من هذه الأنظمة على انفراد أقل تعقيدا وثراء وأهمية ـ على مستوى النشاط الانساني الهادف الى تكوين الحضارة والثقافة والحياة الاجتماعية ـ من اللغة من حيث هي نظام سيميائي .

نموذج الأنظمة السيميائية

وبما أن اللغة هي النظام السيميائي الأكثر أهمية والأبعد غورا وتعقيدا ، فانها تصلح أنموذجا للأنظمة السيميائية كلها ، أو قاعدة لدراسة جميع أوجه النشاط السيميائي التي يمارسها الانسان ـ من حيث هو عضو في بنية اجتماعية ، ومن هنا ، فان الخصائص التي يمتلكها النظام السيميائي اللغوي ستكون قادرة على اضاءة الخصائص التي تتوفر في الأنظمة السيميائية الأخرى ، بابرازها من خفاء أحيانا ، وتحديدها بطريقة دون أخرى أحيانا ، وتأكيد درجة أهميتها أو هامشيتها أحيانا أخرى . وينبغي أن يكون جليا أن هذا الكلام لايعني ، ولا يراد له أن يعني ، أن الخصائص التي يمتلكها النظام اللغوي هي الخصائص التي تملكها الأنظمة السيميائية الأخرى ، فكل نظام يشتق خصائصه من طبيعة العلامات المستخدمة فيه ، ومن نمط العلاقات التي تنشأ بينها ، ومن الوظيفة التي يسعى الى تحقيقها ، والدور الذي يمارسه في الحياة الاجتماعية .

بيد أن ثمة خصيصة أساسية تبدو مشتركة بين جميع الأنظمة السيميائية المجتمعية (تمييزا لها عن الأنظمة التي تقرها فئات فنية صغيرة) والتي تتجاوز النمط البسيط المتمثل في نظام اشارات المرور : هي أن آلية الغنيّ في هذه الأنظمة ، والأعراف والقوانين التي تحكمها تكون ، بشكل طاغ ، لا واعية ، أو تفعل على مستوى اللاوعي في الذات الانسانية ، حتى حين تكون بعض مقوماتها بارزة ومدركة بشكل واع . ان قواعد الأداء اللغوي ، التي تتشكل على صعيد البنية العميقة للغة ، مثلا والتي يستدخلها الفرد في نموه من الطفولة الى المراهقة ، هي قواعد لاواعية ، ولذلك فان المتحدث بلغة ما قادر على انتاج جمل لغوية سليمة نحويا ، وقادر على محاكمة الجمل التي ينتجها الآخرون من حيث سلامتها أو عدم سلامتها ، لكنه لا يكون واعيا بصورة عفوية لقواعد الأداء التي تحكم الجمل التي ينتجها أو التي يتلقاها من الآخرين ، وإدراك هذه القواعد والافصاح عنها بشكل واع لا يأتيان عادة الا نتيجة للدراسة التدريجية والمتخصصة غالبا ، ولقد استند أحد أبرز علماء اللسانيات المعاصرين (تشولسكي) الى هذه المقولة في تأسيس النظام المعروف بالنحو التوليدي ثم التحويلي الذي أصبح ركنا أساسيا من أركان البحث اللساني المعاصر في العالم .

لعل أهم المرتكزات النظرية للسيميائية — أن تكون تلك الخصائص التي سمحت لسوسير بأن يعتبر اللغة « النظام السيميائي الأنموذجي » ، أعني ، أولا ، الطبيعة الاعتباطية للعلامة اللغوية ، فهذه الطبيعة الاعتباطية جلية في حالة اللغة جلاء تاما ، (رغم أننا قد نختلف مع سوسير حول درجة الاعتباطية في العلامة اللغوية ، من جهة ، وحول شمولية المبدأ لكل ألفاظ اللغة ، من جهة أخرى) وهي الخصيصة التي تسمح لنا بتطوير المنهج الكفء لدراسة الأنظمة السيميائية ، ولو اتخذنا من نظام سيميائي آخر أنموذجا للتحليل والتطوير المنهجي ، لبدت الأمور أقل حسما وجلاء ، ففي أنظمة كثيرة تبدو العلامات المكونة للنظام ، لا لأول وهلة فقط ، بل حتى بعد قدر معقول من التأمل ، كأنها غير اعتباطية ، أي كأن ثمة علاقة طبيعية أو حتمية فيها بين تكوين العلامة المادي ودلالتها ، ويحدث هذا في شروط تاريخية كثيرة ، يطغى فيها على وعي الممارسين للنظام السيميائي اعتقاد أنه طبيعي ، لا اعتباطي عرفي اصطلاحي . ان الطقوس ، مثلا ، تبدو لممارسيها طبيعية أو حتمية ، كما تبدو العلامات المكونة لها طبيعية أيضا ، فالتحليل والتحريم المتعلقان ببعض الاطعمة في بعض الديانات لها أصل الهي ، ولذلك فان دلالتها تبدو حتمية طبيعية ، وممارسة أشكال أداء معينة في الصلاة ، مثلا ، هي في جميع الأديان علامات ذات دلالات طبيعية حتمية ، ومن الصعب جدا ابراز طبيعتها الاعتباطية ، من جهة ، كما أن من الصعب اقناع الممارسين لها بهذه الطبيعة الاعتباطية ، من جهة أخرى ، ويصدق ما يقال هنا على الأخلاق والآداب في أبعادها السيميائية ، ذلك أن كون سلوك ما مهذبا

أو بذيئا ، خيرا أو شرا ، هو في معظم الحالات والبيئات خصيصة طبيعية في هذا السلوك ، بمعنى أن ثمة علاقة داخلية تماما ، بالنسبة للجماعة ، بين هذا السلوك وبين كونه شرا أو بذيئا أو مهذبا أو خيرا . وقد يكون من الصعب جدا اظهار كون السلوك المعين ذا دلالة على الشر أو البذاءة أو الخير أو التهذيب لا طبيعيا ، بل بحكم مجموعة قواعد الأداء والتنظيم ، وآلية الدلالة التي تحكم موقعه في نظام أخلاقي سيمائي كامل ، أي كونه ، في الحقيقة ، اصطلاحا خاضعا لأعراف معينة وتقاليد معينة ، ورغم أن هذا الحكم ليس مطلقا ، بمعنى أن من السهل تصور أحداث معينة لا تكون دلالتها اعتباطية تماما ، فان القاعدة تبقى سليمة ، وسلامتها شرط أساسي من شروط تشكل النظام السيمائي ، وتطوير المنهج الملائم لدراسة الأنظمة السيمائية جميعا .

الاعجاز والبيان

لقد دار جدال حاد في الثقافة العربية حول مفهوم الاعجاز القرآني ، ارتبط لزمن طويل بمقولات جاهزة حول قيمة العلامات اللغوية في ذاتها (بمعنى أن بعض العلماء اعتبروا الكلمات جميلة أو قبيحة في ذاتها) ،

ولقد استمر هذا الجدال في العصر العباسي ، مركزا الآن على شعر أبي تمام بشكل خاص ، ولقد شن الآمدي هجوما عنيفا على أبي تمام ، متهما اياه بفساد الذوق ، لاستخدامه كلمات معينة ، مثل « الأخدع » و « الشيء » ، ولم يتطور فهم عميق ينقل كلا من دراسة الاعجاز القرآني وشعر أبي تمام الى مستوى نقدي جديد ، الا حين جاء باحثون كالخطابي ، أولا ، ثم عبدالقاهر الجرجاني ، ممثلا ذروة الموجة ، ليتكروا أن تكون ثمة قيمة للالفاظ المفردة في ذاتها ، ويصروا على أن الجمال والاعجاز والامتياز أشياء كامنة في شبكة العلاقات التي تنشأ بين مكونات التعبير القرآني أو التعبير الأدبي عامة ، وأن الألفاظ المفردة لا قيمة لها في ذاتها ، ولا يمكن أن يحكم عليها بالجمال أو بالقبح ، ولا ينشأ بينها تفاضل من حيث هي مفردات ، وان عمل الجرجاني ليمثل قفزة نوعية هائلة في هذا السياق ، تضعه مباشرة في مصاف أعمال كبار الباحثين لا في مرحلته التاريخية ،

بل في القرن الذي نعيش فيه .

يجدر بنا أن نقرر هنا حقيقة أخرى مهمة تتعلق بدور الباحثين العرب في تأسيس علوم اللغة على أسس نظرية سليمة . هذه الحقيقة هي أن السيمائية ، التي قلت في الفقرة الأولى من هذه الدراسة ، إنها يمكن أن تنسب الى سوسير دونما تردد كبير ، هي في الواقع ، على مستوى تحديدها وابراز بعض أشكالها الأساسية ، علم بَلْوَرَهُ الجاحظ لأول مرة في التاريخ اللغوي مستفيدا ، فيما يحتمل ، من مقولات أرسطية ، فلقد قال الجاحظ في (البيان والتبين) في مقطع له عظيم الأهمية يحدد فيه « البيان » ما يلي :

« . . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو اليه ويحث عليه . .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهَتَكَ الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع ، انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة . . والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف . . ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها . . . . »

ومن الجلي فورا ، ودون أية امكانية للتشكيك أو التردد ، أن ما يسميه الجاحظ هنا « البيان » هو هو العلم الذي سماه سوسير « semiology » والفرق بينهما فرق منظوري تصوري : ففيما ركز الجاحظ على غاية العلم ، وهي الابانة والتعبير والافصاح ، فقد ركز سوسير على مكونه الآلي ، وهو العلامة ، لذلك أسماه الأول « البيان » ، وأسماه الثاني « العلاماتية » أو ما ترجمته « السيمائية » ، ثم ان الفرق بين الباحثين والتسميتين هو فرق بين ثقافتين لا بين عاليين فقط : ثقافة تركز على المعنى ، وثقافة تركز على المكون الشكلي وآليات التشكيل . □



قضيّة

مَفاهِيم تربويّة خاطئة

بقلم : يوسف ميخائيل أسعد

من الأخطاء التي شاعت في مجتمعنا العربي ، الاعتقاد بأن من حصل على مؤهل دراسي مرموق في أي مجال معرفي أو تقني ، يكون بالتالي قد حاز المعرفة ، والقدرة على الاضطلاع بالمهام التربوية على خير وجه ، فالطبيب والمهندس والجيولوجي جديرون بأن يكونوا آباء صالحين لتربية أبنائهم ، وعلى نفس النحو فان الطبيبة والمهندسة والجيولوجية جديرات بأن يكن أمهات صالحات لتربية أبنائهن .

والخطأ البيّن في هذا المفهوم يكمن فيما يسمى بالتعميم ، فنحن نميل بطبيعة تكويننا النفسي الى التعميم على الكل في ضوء ما يتصف به الجزء ، فما دام الشخص قد تمكن فى فنون الطب أو الهندسة أو الجيولوجيا أو اي مجال علمي أو تقني آخر ، فاننا نقرر إذن ونحن مطمئنون الى أنه قد تمكن من كل شيء ، والى أنه بالبديهة يكون والدا حصيفا في شؤون التربية ، والواقع أن الشخصية يمكن ان تنجح وأن تتعمق في قطاع ما من قطاعات الحياة ، بينما تكون متخلفة وسطحية ، بل ضامرة في بعض تلك القطاعات .

أما الخطأ التربوى الثاني فإنه يكمن في الاعتقاد السائد في أن قطاعى العاطفة والارادة من شخصية المربي يخضعان لما يحوزه من معرفة ، وبتعبير آخر فان ما يقتنع به المربي من أفكار ومفاهيم ، لا بد أن يتحكم فيما يحمله المربي - والدا كان أو معلما - من عواطف ، وفيما ينحو اليه من تصرفات ، أو فيما يصدر عنه من سلوك ، والواقع أن الكثير مما نقتنع به لا يجد له رصيدا في وجداننا ، ولا يجد له صدى فيما ننزع إليه ، أو فيما نصدره من قرارات ، وفيما نضطلع به من مهام . ولقد أماط فرويد وغيره اللثام عن أن حياتنا السلوكية محكومة بعوامل لا شعورية معتملة فينا ، وأن خبرات الطفولة ومراحل العمر التالية التي مررنا بها تظل نشيطة في أغوارنا ، حتى وان خبت وتلونت كما تتلون الحرباء ، وحتى وان تمنطقت ووجدت لها ما يبررها ، ويصبغها بصبغات عقلانية تخفى حقيقتها الخبرية اللاشعورية ، أضف الى هذا ما ذهب اليه كارل يونج من أن خبرات أسلافنا البعيدين جدا والقريبين نسبيا ، تنزل الينا وراثيا فيما أسماه « باللاشعور الجمعى » .

ومعنى هذا في الواقع أن لتنقية خبرات المربى التي حصل عليها منذ طفولته الباكرة من جهة ، والضرب على أوتار صحته النفسية من جهة أخرى ، الأولوية على شحن ذاكرته بالمعلومات التربوية ، وبحقائق علم النفس ، ولسنا نقول هنا بعدم أهمية تلك المعلومات وهذه الحقائق ، بل نؤكد اهمية مستوى الصحة الوجدانية للمربى و اعطائها الأولوية .

أما الخطأ التربوى الثالث فانه يتمثل في جعل الطفل أو المراهق أو الشاب بمثابة شريط تسجيل أو فيلم يلتقط الصور ، وبتعبير آخر جعل الطفل

مستقبلا بينما يكون المربي مُرسلا ، ولا يخفى على أحد أن الوالدين والمعلمين يكلفون أشد الكلف بالذاكرة ، وقد أهملوا الى حد بعيد الادراك والتخيل والتصور والتفكير الذي يضطلع بحل المشكلات ، ناهيك عن أن المربين قد أغفلوا تربية التذوق والمشاعر الوجدانية والابداع لدى ناشئتهم ، فالدروس تستذكر لكي تسترجع ، ولكي تُسرد كما وردت الى الذهن بنصها ، وحتى بالترتيب الذي تم استقبالها به . والأحرى بالمربين أن يؤمنوا بمبدأ التفاعل الخبرى الذي يجعل العناصر الخبرية التي يتلقاها المرء أشبه ما تكون بالعناصر الغذائية التي تستقبلها المعدة لتهضمها ، لا لكي تحفظها كما وردت اليها ، فالهضم الخبرى يجب أن يكون الهدف التربوي الذي لا محيص عنه بأي حال .

أما الخطأ التربوى الرابع فانه يتمثل في عدم التمييز بين رغبات الطفل أو المراهق وبين حاجاته ، والواقع أن الرغبة قد تتطابق مع الحاجة ، كرغبة العطشان في شرب الماء ، وحاجة جسمه في نفس الوقت الى استيعابه ، ولكن قد تتضارب الرغبة مع الحاجة ، فالمريض بالكولسترول قد يرغب في تناول المواد الدسمة ، بينما تكون حاجته الصحية متمثلة في العزوف عن تناول تلك المواد التي تهدد حياته ، وقد تتمثل حاجة المرء في تحمله لبعض الآلام ، كما هو الحال في بعض العمليات الجراحية المؤلمة ، وواضح أن المرء لا يرغب في تحمل الألم .

وبالنسبة للتربية فإننا نجد أن بعض رغبات الطفل أو المراهق تكون متمشية مع حاجاته التربوية ، كما هو الحال بصدد الرغبة في الجرى والقفز بالنسبة للطفل العادى ، ولكن قد ينبو الطفل عن اتباع النظام أو عن القواعد الصحية والنظافة ، مع أن حاجته كانسان متحضر تحتم ذلك ، فطبيعي اذن أن يرجح المربي حاجات الطفل على رغباته ، وعلى نفس النحو قد تكون رغبة الطفل في أن يظل نائما بالسرير الدافيء وقد أزف موعد المدرسة ، ولكن حاجته التربوية تحتم حمله على ترك سريره والاستيقاظ بحيث يصل الى مدرسته في الموعد المحدد ، وهكذا نستطيع القول إن عدم التمييز بين الرغبات والحاجات ، أو اعتبار رغبات التلميذ هاديا وحيدا في معاملة الطفل أو المراهق من الأخطاء التربوية الخطيرة .

وأخيرا وليس آخرا هناك خطأ خامس يتمثل في اعتبار مجموعة التلاميذ بالفصل الواحد بمثابة عقلية واحدة ، ثم معاملتهم تعليميا في ضوء ما نسميه بالمفهوم الأحادى ، والواقع أن تلاميذ الفصل الواحد ليسوا في مستوى واحد في أي مادة من المواد الدراسية المقررة ، كما أن مراهب كل منهم تتباين تباينا بعيد المدى عن مواهب الآخرين ، ولقد دأب المدرسون بكل أسف على إعداد درس واحد وكمية واحدة من الخبرات للحصة الواحدة لجميع تلاميذ الفصل ، ولقد توصل الحصيفون من المدرسين الى حل لا نوافق عليه في تدريس وتقييم التلاميذ ، يتمثل في مخاطبة واختبار وقياس مستوى متوسط الفصل ، والواقع أن هذه الفلسفة الأحادية لا تستطيع إبراز المواهب وتشجيعها واستثمارها ، بل على العكس فانها تشد المواهب الفذة ، ولا تجلى عن العبقريات الموجودة بين صفوف الأطفال والمراهقين ، بل هي تؤدى الى تنشئة أمة وسيطة ، لا تبارى الأمم المتفوقة في مجالات الحياة المتباينة .

والمبدأ الذي ترتكز عليه الفلسفة التربوية الفارقية يقول « أعط الضعيف ما يستطيع أن يتفاعل معه ، وأعط المتوسط ما يناسبه ، وقدم أمام المتفوق من التلاميذ ما لا يستطيع الانتهاء منه ، بل قدم له ما يتحدى ذكاءه وقدرته وسرعته كيفا وكما » . □

يناجيني وأناجيه

يقول ابن أبي الحديد المعتزلى : ان عالما فاضلا زاهدا كان يضيق بمجالسة الناس ، فلا يرى إلا معتزلا ، ناظرا في كتاب ، أوقارئا في مصحف ، فقال له قائل : ياهذا ما أصبرك على الوحدة . قال : كلا . . انى أجالس ربي ، فان شئت أن يناجيني قرأت القرآن ، وان شئت أن أناجيه دخلت في الصلاة .



تعقيبات

حول : مشروع المعجم العربي العصري

بقلم : الدكتور علي خليفة الكواري .

أصاب المفكر العربي الاستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله عندما دعا الى اعداد قاموس عصرى عربي (العربي - العدد ٣٢٩ - أبريل ١٩٨٦ م) للحفاظ على اللغة العربية وتيسير تجددها ومتابعتها للتطور ، وكانت حجته راجحة عندما أكد أن أول ما يجمع بين العرب هو وحدة اللغة .

ان هوية الأمة العربية ترتكز أساسا على وحدة الثقافة أكثر من ارتكازها على وحدة السلالة ، انها أمة انصهرت في بوتقة ثقافتها العربية - الاسلامية ، شعوب وسلالات تكونت بهم أمة انسانية غير مسبوقة في التاريخ ، واللغة العربية هي وسيلة ذلك الانصهار الثقافي وأداته الفعالة .

ان الدكتور اسماعيل على حق فيما أشار اليه من افتقار لغتنا العربية الى قاموس عصري يحفظ لغتنا من تشتت ألفاظها وتباعد مدلولاتها ، ويفتح المجال الى تيسير تجددها ومتابعتها للتطور ، في عصر تسارعت فيه ايقاعات الحياة ، وتزايدت فيه الاكتشافات العلمية والتطبيقات التقنية ، وفي وقت ارتبط فيه أغلب الكتاب العرب بمدارس خارج الوطن يستقون ثقافتهم من لغات غير لغاتنا ، ويجتهدون في تعريب ما عرفوا في غياب مرجع لغوي يسترشدون به فيما يترجمون وفيما يكتبون باللغة العربية .

وقد خلص الدكتور اسماعيل الى أن اعداد معجم عصري ، أمر تنوء به « العصبة من الرجال ولو كانوا من أولى العزم . . . » ثم أضاف قائلا « وهكذا تقودنا ضرورة المعجم العربي المعاصر الى بديهية أغفلناها تماما في كل « عملنا العربي المشترك » ألا وهي انشاء مجمع قومي واحد للغة الواحدة ، يكون المرجع الأخير في أمور اللغة ، والمسئول الأول عن اصدار المعجم . . . » .

ولنا على هذا الاقتراح ملاحظتان :

أولاهما : أن المعجم العصري المقترح يتطلب وجود مؤسسة أهلية عربية غير هادفة للربح .

وثانيتهما : أن رعاية هذه المؤسسة يجب أن تكون مهمة ذوي العزم من رجالات العرب المعنيين بالأمر ، بعيدا عن معوقات العمل الرسمي العربي المشترك .

١ - فمن جهة نجد أن « العمل العربي المشترك » لم يهمل هذا الأمر من حيث الشكل على الأقل ، فقد أفادني الدكتور عبدالعزيز الجلال - المدير العام المساعد السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - أن الجامعة العربية أنشأت مكتبا لتنسيق التعريب منذ ما يزيد عن عشرين عاما ، وهذا المكتب موجود في الرباط ، ويتبع في الوقت الحاضر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومهمته تعريب المصطلحات ، والتشاور على ما يعرب مع المجامع المختصة ، ومن ثم اعداد قوائم موحدة تعرض على

مجامع اللغة العربية ، ثم يتم طرحها في مؤتمر قومي للتعريب يعقد دوريا ، حيث يقر ما يمكن اقراره من مصطلحات ، وقد ذكر الدكتور الجلال أن من مهمات المكتب تولى انتاج مراجع لغوية مثل المعجم الذي دعا اليه الدكتور اسماعيل .

وقد أشار الدكتور الجلال في رسالته الى أن مشكلة المكتب هي مشكلة العمل العربي المشترك كله ، أفكار جيدة ، ووسائل مناسبة ، وأهداف راقية ، ولكن تعاني من سوء التنفيذ ، وأن نفذت جيدا تعاني من قلة الاستفادة .

ومن هنا فانني أرى أن إنشاء مجمع قومي واحد للغة العربية من قبل مجامع اللغة العربية لن يحل المشكلة ، وسوف تعوقه محددات العمل العربي الرسمي المشترك عن أداء مهمته ، وأقترح بدلا عن ذلك أن تؤسس هيئة أهلية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها اصدار المعجم في طبعاته الثلاث الكامل والوسيط والموجز ، ولا بأس أن تقوم هذه الهيئة بعد أن تنجح في مهمة اصدار المعجم ، باصدار موسوعات عربية مثل دائرة المعارف العربية وغيرها من الموسوعات الأخرى اللازمة من أجل خلق اتصال حي بين قنوات المعرفة العربية وتعميقها ، وتمكين اللغة العربية من استئناف دورها ، في توثيق وحدة المعرفة العربية ، وتهيئة العرب الى أداء دورهم شركاء في الحضارة الانسانية .

٢ - ومن ناحية أخرى فان رعاية المؤسسة الأهلية تحتاج الى جهود ذوى العزم من رجالات العرب ، ان ايجاد المعجم العربي العصري مهمة استراتيجية لها تأثير مباشر على وحدة أداة الثقافة العربية ، وما تؤدى اليه من تقارب فكري عربي ، واتصال حي بين قنوات المعرفة العربية ، ومثل هذه المهمة - في اعتقادي - فوق طاقة العمل العربي الرسمي المشترك في الوقت الحاضر ، واذا لم يتصد لها فريق من المهتمين فانها مهمة مؤجلة التنفيذ ، الى أن تعود الروح الى العمل العربي المشترك .

وأرى أنه حتى يتغير مسار العمل العربي الرسمي المشترك وتتوفر له الارادة السياسية التي تضمن مصداقيته ، فإن العمل العربي الأهلي المشترك هو المؤهل في الوقت الحاضر لتوفير العديد من مؤسسات العمل المشترك التي تحتاجها الأمة العربية ، باعتبار هذه المؤسسات أداة تشكيل عقل وضمير عربي حي قادر على بلورة منطلقات العمل العربي وترشيد مساراته وضمان فعالية جهوده ، فضلا عن توفيرها متطلبات التكامل الضروري بين جهود العمل الرسمي والشعبي .

نخلص مما سبق الى اقتراح تأسيس هيئة أهلية عربية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها تيسير تجدد اللغة العربية ، وتهيئتها لمتابعة التطور ، تمكينا لها من أداء دورها في توحيد مدلولات لغة العرب وتهيئتهم ، مجتمعين الى مواصلة أداء دورهم في الحضارة الانسانية .

واني أرى أن نقطة البداية في اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود تتطلب في المقام الأول أن يتم تبنى أمر رعايتها من قبل عدد من الاعلام العرب ٢٠ - ٤٠ شخصية عربية من ذوى الاهتمام - ممن يعترف لهم بالفضل ، ويتمتعون بالمصداقية لدى الرأى العام ، متطوعين بالوقت ، ومستعدين لمواجهة المصروفات الشخصية اللازمة ، لحضور اجتماعات تحضيرية ، من أجل بلورة الفكرة ، وارساء أسسها ، واخراجها الى حيز الوجود ، في شكل مؤسسى سليم ، بعد أن يتم ارساء أسس الفكرة يصبح أمر تمويلها - حسب اعتقادى - أمرا ممكنا ، طالما توفرت لها مقومات النجاح من حيث سلامة اطارها المؤسسى ، ومصداقية القائمين عليها .

ان اقتراحى هذا جاء استجابة للفكرة التي طرحها الأستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله للنقاش على صفحات مجلة « العربي » وهو اقتراح أومن أن مقومات تنفيذه متاحة لنا ، وقد لمست ذلك من خلال طرحى للموضوع مع عدد من القادرين على العطاء العلمي ، وعدد من القادرين على الدعم المالي ، من منطلق ايمانهم بأهمية العمل العربي غير المباشر ، من أجل تحقيق وحدة الأمة العربية ، ويبقى بعد ذلك أن نسمع من الراغبين في رعاية هذه الفكرة واخراجها الى حيز الوجود ، فبفضل عزيمة العصبة من الرجال ، تصبح مسألة اخراج فكرة المعجم العربي العصري الى حيز الوجود أمرا يسيرا باذن الله . □

تعقيب على مقال

الأيام الأخيرة للسلطان عبد الحميد

قرأت في العدد ٣٢٩ من مجلة العربي مقالا بعنوان (الأيام الأخيرة للسلطان عبد الحميد) للدكتور محمد عيسى صالحية ، وقد رأيت أن أقول كلمة في هذا الموضوع .

ففي ضوء الأحداث التي جرت في عهد السلطان عبد الحميد ، والتي كنت معاصرا لها أقول :

ان الكتاب الذين يؤرخون للحوادث التي يعاصرونها ، يتأثرون بما يحملونه من مبادىء فلسفية أو سياسية وميول دينية أو اجتماعية .

لذلك ، نجد اختلاف مضمون المصنفات التاريخية باختلاف مؤرخيها .

وكتاب السيدة عائشة عن والدها السلطان عبد الحميد ، واحد من هذه المصنفات المتحيزة ، فالواضح أنها متأثرة فيه برابطة البنوة ، فجاء متضمنا الاشادة بما كان عليه والدها من تمسك بأهداب الدين ، واستقامة في الأخلاق ، واخلاص لوطنيته ووطنه ، وأغفلت ما كان عليه من بطش واستبداد .

فأما عن تقواه ، فقد أظهرته بمظهر المسلم الغيور على الاسلام والعرب ، لكونه خليفة المسلمين ، مع أن غالبية المؤرخين الاتراك العثمانيين أجمعوا على أنه كان يفضل البقاء في الحكم ، ولو على أشلاء الوطنيين الأحرار ، وأن كل ما كان يردده عن العدالة واطلاق الحريات وسيادة الدستور في أنحاء المملكة كان مجرد وعود لم تجد طريقها الى حيز التنفيذ .

وتذكر كتب التاريخ - والوقائع التي عاصرتها - معاملته السيئة لأخيه السلطان مراد الخامس ، بعد خلعه ، واتهامه مدحت باشا الملقب بأبي الدستور بقتل السلطان عبد العزيز ، وخلعه من الصدارة ، ثم نفيه بحجة أنه من خلع عبد العزيز يمكنه خلع عبد الحميد .

أما الرعية ، فمن كان ينجو منها من الاغراق في البوسفور ، فانه لاينجو من الإبعاد الى بنغازي ، أو النقل الى وظيفة في بلد الموت فيه أهون من العيش .

أعود الى ما ذكرته السيدة عائشة في كتابها عن قول والدها أنه يسلم البلاد بمثل ما وجدها عليه ، وانه لم يفرط بشبر واحد من أراضيها لأحد ، مع أن الثابت تاريخيا أن ما سلخ في عهد حكمه بلغ ما مساحته ١٦٦٠٠٠٠ كيلومتر ، يقطنها أربعة ملايين شخص ، عدا جزيرة قبرص التي انتقلت الى السيادة الانجليزية في عهده .

أما عن أفراد الوفد الذي أبلغ والدها السلطان عبد الحميد قرار عزله ، فتذكر أنه كان من بينهم المدعو (ايمانويل قراصو) ، وتقول بأنه يهودي أرمني ، وهذا غير صحيح ، لأنه ليس بين أفراد الأرمن من يدين باليهودية ، فضلا عن أن اسمه يؤكد ذلك .

وبصدد ما ذكرته عن حادث التفجير الذي وقع يوم ٢١ تموز / يوليو ١٩٠٥ وكون الذي قام به هو الأرمني (ادوار جوريه) ، هو أيضا قول بعيد عن الصحة ، لأن المذكور بلجيكي وان الكاتبة ذكرت بنفسها أن والدها السلطان عبد الحميد قد عفا عنه وأعاده الى بلاده بلجيكا .

تبقى علينا الاشارة الى ماذكرته بخصوص حماية عبد الحميد للعرب والعروبة ، وهو ادعاء غريب على العرب أنفسهم ، الذين كانوا - كسائر أبناء السلطنة - يشكون الجور والظلم والاستبداد ، مما دعا الكثيرين الى الهرب نحو أوروبا وخاصة فرنسا ، وكذلك الى مصر ، حيث لاتصل اليهم يد السلطان ، وراحوا من هناك يندون بحكمه وسياسته ، أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، وولي الدين يكن ، ويعقوب صروف ، وسواهم من أحرار العرب . . .

وهكذا نجد أن المؤلفة لم تهدف من وراء كتابها الى كشف الحقائق ، وانما هدفت الى التستر على أخطاء والدها .

ابراهيم كسبو



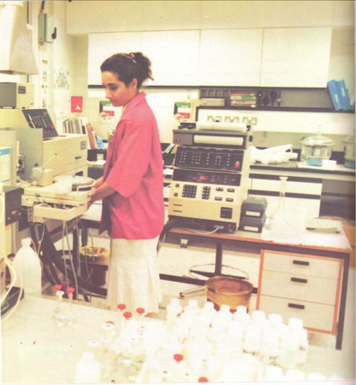
البحث العلمي..
من أجل غد أفضل

استطلاع : منير نصيف
تصوير : طالب الحسيني

« بفضل العلوم تتطلع الدولة . . كل دولة الى تحقيق المزايا التي يمكن التوصل اليها عن طريق اكتساب المعرفة العلمية وتطبيقها . . والهدف مزيد من الرفاهية لشعوبها ، والمكاسب التي تجنى من وراء العلم وتطبيقه ، ليست مادية فحسب ، بل هي قبل ذلك مكاسب ثقافية وروحية ، فهي الجوهر الذي بفضله تتغير صورة المستقبل » .

كلمات قرأتها لوليام جيمس الذي عاش في القرن التاسع عشر ، وامتد به العمر الى مطلع القرن العشرين . . ولم يكن جيمس عالما ، ولكنه كان فيلسوفا ، شهد بداية عصر العلم الذي جاء متأخرا في العالم الجديد . . في أمريكا ، حيث عاش ومات ولمس التغيير الهائل الذي أحدثته الاكتشافات العلمية في حياة البشر .







باحثة في حماية البيئة ، (في مختبر قياس الملوثات المعدنية) « فوق » ، وفي قياسات البيئة الصحراوية (الى اليمين) ، وفي مختبر قياس التلوث النفطي في البيئة البحرية .. (الى اليسار) ..

قال هيروهيتو امبراطور اليابان يوصي ابنه « لا مستقبل لليابان يا بني الا في العلم .. ان معركة الحياة الحقيقية ، هي معركة علمية ، ومن أجل الفوز فيها لابد لنا من تجنيد كل طاقات اليابان ! » .

ووعى الابن الدرس ، ولم يكن وحده الذي نفذ وصية أبيه ، وانما شاركه جميع أبناء اليابان ، وتحققت المعجزة اليابانية فوق قاعدة العلم العريضة ، وصعدت بلادهم الى القمة ..

ماذا نريد أن نبرهن بهذه المقدمة ؟ وهل خفيت هذه الحقيقة عن أذهاننا ، ونحن نعيش فوق الأرض التي أنبتت فحول العلماء العرب ؟.

من الذي صنع ماذا ؟

ان المشتغلين بالبحث العلمي مازالوا عاجزين حتى يومنا هذا عن الوصول الى بداية الطريق الذي سار فيه الأولون ، أو الكشف عن منافذ هذا الطريق وفروعه ، ولعل الشيء الوحيد الثابت الذي توصلوا اليه ، هو كما قال وليام هارفي يوما : « من الذي صنع ماذا ؟ » .

وقد دخل كل هؤلاء التاريخ ... وكان هارفي واحداً منهم ، فهو الذي اكتشف الدورة الدموية الكبرى ، بعد أن التقط الخيط الذي أمسك بطرفه الأول ابن النفيس العالم العربي ، قبل مجيء هارفي ، بقرون طويلة ، عندما أعلن اكتشافه للدورة الدموية الصغرى ..

وغير ابن النفيس كثيرون ، جاءوا بعده ومن قبله ، وساروا في الطريق ، وعندما بلغوا نهايته ، كانوا قد تركوا بصماتهم واضحة راسخة ، ما تزال تعيش بيننا حتى اليوم .. الرازي ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، وابن خلدون ، والخوارزمي وغيرهم .. هذه الحقيقة قد توصلنا الى فهم أوسع لما حدث في تلك الحقبة من الزمن ، منذ أن بدأ العلماء العرب يشتغلون بالبحث العلمي وتطبيقه ، فمازال الكثيرون يعتقدون ان هذه البحوث كانت حكراً على الغرب ابان الثورة الصناعية في أوروبا .. وهو اعتقاد يجافي الواقع ، فقد اهتم العرب بالبحث العلمي ، بينما كانت أوروبا تعيش عصر الظلمات ..

حاملو الشعلة :

لقد سطعت شمس الحضارة العربية قبل الاسلام في عهد الفينيقيين الذين اخترعوا البوصلة ، ثم جاء الاسلام ، وسيطر العرب المسلمون على معارف الشرق والغرب .. وراحوا يحملون شعلة العلوم ، وينهلون من المعرفة ، ويطبقون العلم على العمل ، ولم يجيء هذا كله من فراغ أو عن طريق الصدفة ، وانما جاء حصيلة تعاليم الاسلام ومبادئه ، ولعلنا نجد في سورة الأنعام بعضا منها : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » .

لقد انتشر الاسلام منذ قرونه الأولى في الهند والأندلس ، وتركزت الخلافة ونشاطات البحث العلمي في بغداد وقرطبة ..

واذا كان صحيحا أن المخطوطات الاغريقية القديمة قد حملت بين ثناياها الذخائر الفكرية لرواد العلم الأوائل في الفلك والرياضة والطب والكيمياء ، الا أن نقل هذه الأفكار الى اوروبا تم في أغلبه على يد العلماء والمترجمين المسلمين ، فالترجمات اللاتينية للمخطوطات الاغريقية القديمة كانت في الأصل مبنية على ترجمات عربية لتلك المخطوطات ، ومع ذلك كله فلم تقتصر الخدمة التي قدمها العلماء العرب الى البشرية ، على مجرد نقل ذخائر الحضارة العلمية الاغريقية ، وانما على تطويرها والاضافة اليها .. لقد كانوا هم الذين حملوا شعلة العلم في أكثر حقبات التاريخ تعطشا الى المعرفة ..

والكثير من الخلفاء المسلمين ناصر العلم والعلماء ، ولعلنا نجد في « بيت الحكمة » الذي أسسه الخليفة المأمون ، دليلا على مدى الاهتمام الذي كان يوليه العرب لكل ما يمت الى العلم بصلة ، فقد كان مكتبة جامعة ومجمعاً علمياً متكاملا ، واهتم العرب بالتجارب العلمية الى حد أن جعلوا لها مكانة عظيمة في نهج البحث العلمي ، وتطورت المعارف العربية في علم الكيمياء بالطرق التجريبية العلمية ، وهي أهم

أدوات العلم الحديث ، وقد نقل روجر بيكون هذه الطريقة الى أوروبا ، بعد أن مارسها العربي الكيميائي جابر بن حيان بخمسمائة عام . .

. . ومقدمة ابن خلدون :

ولعلنا نجد في مقدمة ابن خلدون ما يغنينا عن البحث في مدى اهتمام العرب بالبحث العلمي . . لقد كتب العلامة المفكر الذي عاش في القرن الثامن الهجري في الطب والتطبيب يقول : « تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد ان تبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ، مستدلين على ذلك بأمزجية الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في أنسجته والعضلات والنبض ، محاذين لذلك قوة الطبيعة ، فهي المدبرة في حالتي الصحة والمرض » .

ربما نكون قد أطلنا بعض الشيء في هذه المقدمة التي سقناها لتقودنا الى حيث نريد أن نلتقي بكم . . وأما مكان هذا اللقاء فهو معهد الكويت للبحث العلمي . ولكن لماذا الآن ؟.

لأن هناك أكثر من مناسبة نكتفي بذكر اثنتين منها ، الأولى للاستعدادات التي يقوم بها المعهد للاحتفال بذكرى مرور عشرين عاما على مولده ، والثانية ، انتقال المعهد الذي قام ومازال يقوم بدور أساسي في بناء الكويت الحديثة الناهضة الى مبناه الجديد . .

والبحوث ، ليست مبنى ، ولكنها انجاز . . .

انجازات المعهد :

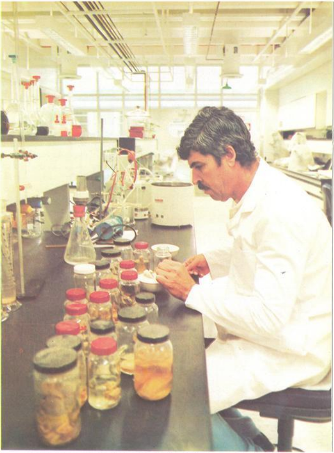
ولعل أهم انجازات المعهد هي تنمية روح البحث العلمي بين المواطنين ، من الشبان المتعلمين الذين يحملون عبء تطوير الحياة في بلدهم ، وخلق كوادر جديدة من الباحثين الذين يلجون اليوم باب البحوث العلمية التي تبنى الأمم مستقبلها على نتائجها وانجازاتها . .

ولقد أنجز المعهد . . فهو لم يعد يتوقف عند بحث معين يبدأ العاملون فيه من حيث ينتهون ، وتدور الساعة وهم بعد في بحوثهم مشغولون ! . ولقد كانت انجازاته خلال تلك المسيرة القصيرة في هذا الاستثمار الطويل الأمد شيئا يستحق كل التشجيع .

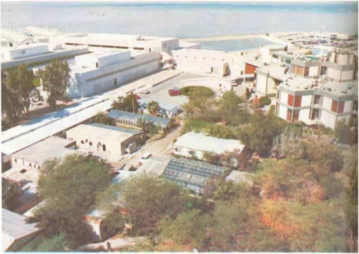
ونترك هذا الجانب من الحديث عن انجازات المعهد للرجل القائم عليه الدكتور عدنان شهاب الدين . . يقول مدير معهد البحوث : « لقد أنجزنا على امتداد سني عمر المعهد ، حوالي ثلاثمائة مشروع بحثي ، أكثر من نصفها بحوث تعاقدية ، قامت بتمويلها ثلاث وخمسون هيئة حكومية ومؤسسة في القطاعين العام والخاص . . بعضها هنا داخل حدود الكويت ، والبعض الآخر خارج الكويت . ومعنى هذا أن أكثر من نصف جهد المعهد كان له مردود مباشر لهيئات ومؤسسات كويتية وأخرى في مختلف أرجاء وطننا العربي . .

وفي هذا المعنى الذي ذهب اليه مدير المعهد ، أكد السيد خالد بوحمزة نائب العضو المنتدب ، ومدير مصفاة الشعيبة بشركة البترول الوطنية الكويتية ، على أهمية البحوث والدراسات العلمية التي قام بها المعهد لحل المشاكل التي تواجه صناعة النفط ، وأشاد بالتعاون القائم بين الشركة ومعهد الكويت للأبحاث العلمية في دراسة هذه المشاكل ، ووضع الحلول المناسبة لها . .

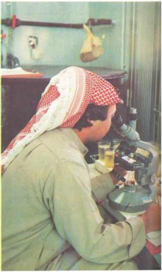
وقال السيد بوحمزة:« إن المعهد قام بتنفيذ دراسة تفصيلية لصالح الشركة حول نوعية العوامل المساعدة المستخدمة في المصافي ، وكذلك نوعية المعادن والملوثات والمواد السمية للعوامل المساعدة ، وقد أسفرت الدراسة عن اقتراحات جيدة تشكل اساسا لقيام مصنع في الكويت لمعالجة هذه العوامل ، والتخلص منها بطريقة تحفظ لهذه الصناعة استمراريتها وتطورها ، وأهم من ذلك أنها تحفظ البيئة من التلوث بهذه المخلفات ، وربما كانت مشكلة تآكل المعدات المستخدمة في مصافي البترول من أهم المشاكل التي استطاع المعهد من خلال دراساته وبحوثه أن يقدم لنا الحلول . . ونحن نطبق الآن نتائج هذه الدراسات ، التي استطعنا بفضلها أن نحقق نتائج طيبة في مواجهة هذه المشكلة » .



في مختبر تقييم المردود البيئي على الكائنات والبيئة البحرية .. وفي الأوعية نوعيات من الكائنات التي جُمعت من ظروف بيئية مختلفة تحت الفحص .







مبنى معهد الكويت للأبحاث العلمية في مختبراته القديمة (الى اليمين) وصرحه الجديد .. (الى اليسار) وباحثان كويتيان في مختبرات العلوم الأرضية اثناء فحص الخصائص الطبيعية والمعدنية لعينات من مصادر الرمل والصلبوخ .



د. عدنان شهاب الدين.
البحث العلمي أساس كل تقدم.



د. نجلاء النصار.
رعاية الشباب وتنمية مواهبهم.



السيد نزار ملا حسين.
مشكلة الغذاء.. أهم مشاكل العالم.

التعاون مستمر :

ويقول الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة العامة ووزير التخطيط بدولة الكويت : « ان هناك علاقات مثمرة وكثيرة بين الوزارتين ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، وأن التعاون بين الطرفين يتركز في النواحي الخاصة بالمحافظة على البيئة في الكويت بشكل عام، والبيئة البحرية بصفة خاصة..

ويشير الوزير الى البحوث التي قام بها المعهد في هذه المجالات، وأذكر منها الدراسات التي أجريت عن الملوثات النفطية في الخليج، ودراساته عن الأحياء البحرية في منطقة المد والجزر، ومدى تأثرها بالمشاريع المقامة على الساحل، كمشروع الواجهة البحرية، والنتائج الناجمة عن حركة العمران بصفة عامة، لما يصاحبها من عمليات الردم الخاطيء»، أو تلويث منطقة المد والجزر، وأثر هذا كله على الحلقة الغذائية التي تعتبر البيئة المائية جزءا منها.

« ان التعاون دائم مع معهد الكويت للأبحاث العلمية. وربما كان أهم مجال لهذا التعاون هو دراسات الأحياء المائية وتأثرها بالملوثات الصناعية، عن طريق المصانع، وكذلك التلوث الناتج عن ناقلات النفط، لما لهذه القضية من تأثير مباشر على صحة الأفراد في الكويت، حيث تعتبر الثروة السمكية من أهم موارد الغذاء في الدولة. وقد كانت نتائج هذه الدراسات مطمئنة الى حد كبير، حيث أثبتت أن نسبة التلوث لا تشكل أية أخطار حقيقية ».

احتياجات المجتمع :

ووزارة التخطيط أيضا، لقد أفادت فائدة كبيرة من النموذج الاقتصادي الذي أعده المعهد، في وضع الخطة الخمسية الحالية، حيث تم تحديد مسارات التنمية والخيارات المختلفة للأولويات والأهداف الرئيسية عن طريق هذا النموذج، وهو مجال آخر استطاع معهد الكويت للأبحاث العلمية أن يثبت جدارته فيه، ويؤكد ارتباطه التام والكامل باحتياجات المجتمع الفعلية.

يقول الدكتور عدنان شهاب الدين : « ان مشاريع البحث التي تتسم بالطابع بعيد المدى، بدأت تؤتي ثمارها، وربما تكفي الاشارة هنا الى مثالين من أمثلة كثيرة بارزة، أولها، ما حققه المعهد من نتائج ايجابية في مجال استزراع الأسماك المحلية والمستوردة، والوصول بها الى مرحلة التطبيقات التجارية، ودوره في تقييم وتطوير تقنية التناضح العكسي لتحلية مياه البحر بتكلفة لا تقارن بما تنفقه



د . محمد العطار .
أينما وجد الماء قامت الزراعة



د . فكري خلف .
المحافظة على البيئة



د . لطيف حمدان .
استقطاب العقول العربية

الدولة الآن من أجل توفير المياه العذبة بطريقة التبخير والتكثيف .

ونبدأ من حيث بدأنا ، أو كما يقول مدير معهد الكويت للبحث العلمي : « من الثروة البشرية التي تتمثل في تلك الأعداد المتزايدة من الشباب الكويتي الذي يقوم اليوم بأهم وأعظم تجربة ساهمت ومازالت تسهم في تقدم المجتمع ورفاهيته . » . .

ولم يكن ممكنا أن تقتحم هذه البراعم الشابة وحدها مجال البحث ، ومن هنا كانت أيضا بداية أخرى ، عندما نجح المعهد الوليد في بداية عهده منذ حوالي عشرين عاما في قلب نظرية هجرة الأدمغة ، أو كما أسماها الانجليز « البالوعة التي تمتص العقول »

وقد كانت انجلترا احدى الدول التي عانت من هجرة علمائها الى الولايات المتحدة الأمريكية ، لا بحثاً عن المادة ، بل بحثاً عن البحث نفسه ، فهناك المجال أوسع ، والامكانات أكبر ، فاذا كان هذا هو حال الانجليز فماذا كان حالنا نحن العرب ؟ لقد امتصت مراكز البحوث في امريكا عددا لا يستهان به من العقول العربية . . ولكن معهد الكويت وهو يضع لبناته الأولى في مجال البحث العلمي ، استطاع أن يستقطب بعض هذه العقول ، ويعيدها الى الأرض التي نبتت فيها . . وجاءوا يحملون خبرتهم ، وهم يرون هذا العمل الجاد الذي أرادوا أن يسهموا في استكمال بنائه العلمي .

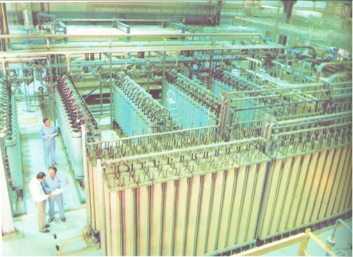
يقول الدكتور عبدالله عيسى الدباغ مدير معهد البحوث بجامعة البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية ، حيث نجح معهد البحوث السعودي في تحقيق انجازات ما كان من الممكن التوصل اليها بعيدا عن البحث العلمي ، ولعل أهمها وأكثرها نفعا وجدوى ، هي تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح ، فالرجل يتحدث اذن من واقع تجربة مماثلة فوق أرضه . . انه يقول : « لقد أخذت الكويت الريادة في حسن استثمار فوائض عوائدها النفطية ، الا ان انشاء معهد الكويت للأبحاث العلمية يعتبر بحق أفضل هذه الاستثمارات التي تستهدف تنويع مصادر الاقتصاد الوطني وتنمية الثروة الحقيقية . . والثروة البشرية بصفة خاصة ، على اساس علمي يحقق للكويت مكانا لائقا بين الأمم ، والعارفون متفقون على ان لا تنمية حقيقية ولا صناعة منافسة دون مراكز بحوث وتطوير ، ولقد حققت دول الخليج العربي استقلالها السياسي ، وها هي الكويت وهي تحتفل بالعيد الفضي لهذا الاستقلال ، تسعى جادة الى تحقيق استقلال آخر يحررها من قيود التبعية التقنية .

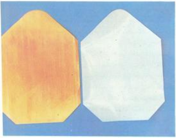


غرفة المراقبة والتحكم في محطة الدوحة للتناضح العكسى .



الدكتور محمود عبدالجواد يراقب عملية أداء وحدات التحلية على شاشة الكومبيوتر .







صورة عامة لقاعة وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي (فوق) وصورتان لنوعين من انواع الأغشية التي تستخدم في الوحدة النمطية لتحلية المياه ، والأغشية الشعرية الدقيقة المجوفه (الى اليمين) والأغشية المسطحة (الى اليسار) مصنوعة من اللدائن .

الثروة البشرية

والتدريب ثم التدريب ، هو أول الخطوات التي يهتم بها المعهد لاعداد جيل جديد من الباحثين ، وتقول الدكتورة نجلاء النصار مديرة ادارة التدريب بالمعهد : ان الدور الرئيسي والمؤثر الذي يقوم به معهد الكويت للبحث العلمي هو اقامة الدورات التي تسهم بصورة فعالة في مساعدة الطالب او الطالبة من ابناء الكويت واشقائهم العرب ، على اختيار الطريق الذي يتفق مع ميولهم ، للسير فيه بعد الالتحاق بالجامعة ، فنحن هنا نقوم بتدريب طلبة وطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية في مجالات الكومبيوتر ، والهندسة ، والفيزياء ، والالكترونات ، والكيمياء بفروعها ، والعلوم الحيوية ، والبيئة البحرية ، والمسح الساحلي .. الخ .. فالطالب في هذه المرحلة من التعليم يكون غير واثق تماما من الفرع الذي اختاره ، لكي يكمل فيه دراسته ، وهذه الدراسات التدريبية في المعهد ، تساعده بصورة فعالة على التعرف على ميوله واتجاهاته واكتشاف نفسه وقدراته .

« ثمة هدف آخر يسعى اليه المعهد من خلال هذه الدورات التدريبية ، وهو تطبيق العلم على العمل ، فنحن نعلم أن النظريات التي تدرس للطلبة في المرحلة الثانوية ، أو في الجامعة فيما بعد ، هي في واقع الأمر نظريات اكاديمية بحتة ، قد تتخللها بعض التطبيقات العملية ، ولكنها ليست بالحجم الذي يكفي لدراسة هذه النظريات عمليا ، وهنا يجد الطالب هذه الفرصة وعلى أوسع نطاق ، وسرعان ما يكتشف أنها ليست نظريات جافة ، وانما هي تطبيقات عملية لهذه النظريات العلمية ، وهذه المرحلة من التدريب تفيد الطالب وتفيد المعهد في الوقت ذاته ، فهي تتيح للطلبة المتدربين فرصة التعرف على مجالات العمل في المعهد ، كما تتيح للمعهد فرصة اكتشاف الكوادر المتميزة التي يمكن الاستعانة بها مستقبلا بعد التخرج ، وعندما يلتحق ابناء الكويت بالعمل في المعهد بعد تخرجهم في الجامعة ، يبدأ برنامج تطوير هؤلاء الخريجين الذي تشرف عليه ادارة التدريب .

« ثم هناك بعد ذلك برنامج التطوير الوظيفي للكوادر الوطنية ، كما ان ادارة التدريب تسهم ايضا في عملية تكويت الوظائف ، ونحن الان بصدد اعداد مشروع لتكويت الوظائف الفنية .. والى جانب ذلك نقوم ايضا بتدريب الكوادر الفنية من مختلف المؤسسات في الدولة ، ومن دول مجلس التعاون الخليجي ، وبقية أقطار الأمة العربية .

وتصل الدكتورة نجلاء الى نهاية حديثها للعربي فتقول : « ونأتي الى الهدف الأخير ، وهو يتصل اتصالا مباشرا بدعم العلاقات بين مختلف الادارات التي تعنى بتنشئة الشباب ورعايتهم ، وأعني بها وزارة التربية ، وجامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي ، ومجلس حماية البيئة ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ثم مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية التي تسهم في تمويل هذا التدريب ، ونختار من بين المتدربين من كان عنده استعداد للعمل في مجال الطيران ، سواء في الجو أو على الأرض ، فالطيران هو المستقبل ، أو قل أحد أوجه المستقبل الذي يمضي في تطوير مستمر ، والذي أصبح العالم بفضله قرية صغيرة » .

* * * *

الواقع أننا توقفنا طويلا ونحن نتجول في أقسام المعهد المختلفة ، ونتنقل بين معامل بحوثه وتجاربه .. فقد كنا في حيرة ونحن نرى هذا الكم الهائل من البحوث التي تجري في شتى مجالات العلوم والحياة التي تتصل اتصالا مباشرا بالبيئة التي قام بها المعهد وبمتطلبات واحتياجات المجتمع الذي ينتمي اليه العاملون فيه ، وكان مبعث حيرتنا ذلك السؤال الذي يتردد في اذهاننا بإلحاح .. من أين نبدأ ؟ وما هي الصورة التي يمكن ان نقدمها من خلال هذا الاستطلاع القصير لهذا العمل الكبير الذي يجري في هدوء بعيدا عن الأضواء ؟ .



نموذج فيزيائي لمنطقة الشعيبة الصناعية البحرية حيث تجري الدراسات في المعهد لايجاد الحلول المناسبة لمنع دورات المياه الساخنة الناتجة عن عمليات التبريد في مصانع الشعيبة من التأثير على محطات تحلية مياه البحر . . .

الغذاء صيحة العصر:

ولم تطل حيرتنا ، فقد أخرجتنا منها بعض كبار الباحثين في المعهد ، ووجدنا أنفسنا خلال الأسبوعين اللذين أمضيناهما بين أقسامه ، نقف حيث يجب أن يكون التوقف ، أمام الغذاء ، وكل ما يتصل به لقد كانت رحلتنا في هذا العرض السريع ، الذي كان ، من وجهة نظرنا على الأقل ، أشبه بمحاولة من أراد أن يجمع ماء البحر في وعاء ! فالعمل الذي يجري امامنا كبير ومتشعب . . أكبر من أن تتسع له هذه الصفحات المعدودة !

وفي حديث السيد نزار ملا حسين ، نائب المدير العام للعلوم البيئية والحيوية ، وجدنا ما يؤكد لنا صحة النتيجة التي توصلنا اليها ، قال : « مشكلة الغذاء هي في واقع الحال ، أهم مشكلة تواجه العالم كله اليوم ، ودول العالم الثالث بصفة خاصة ، حتى تلك التي تملك ثروات تتيح لها شراء ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، ذلك لأنه لابد أن يأتي يوم تغلق فيه أبواب هذه الأسواق ، لعدم وجود فائض عندها للتصدير ، أو لأسباب أخرى سياسية ، وكلنا يذكر ما قاله احد كبار السياسيين المخضرمين : « ان الدولة التي لا تستطيع أن تحقق الاكتفاء الذاتي من الغذاء ، تصبح غير قادرة على تحقيق استقلالها التام » والغذاء ماء وزرع ، ثم هو لحوم وأسماك . .

وبدأنا رحلتنا مع الماء أولا . . الماء الذي بدونه لا تكون هناك حياة . . .



الأسماك .. احدى موارد الغذاء الرئيسية أولاها المعهد اهتماما خاصا .. ونجحت البحوث الخاصة باستزراع الاسماك وأقلمتها في احواض طبيعية وصناعية .







الثروة البشرية وتدريبها وتطوير امكانياتها العلمية والعملية أهم انجازات معهد الكويت . . محاضرة عملية لمجموعة من شباب دول الخليج في المعهد .





تجارب على تحسين الانتاج المحلي للدواجن (الى اليمين) ثم أحدث طريقة للرى المحورى لتحسين كفاءة الاستهلاك في البيئة المحلية ثم تجارب على تهجين انواع من الماشية العربية وتحسين انتاجها وأقلمتها (الى اليسار)

الماء في الصّحراء:

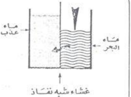
ومنذ أوائل الخمسينيات ، والكويت شأنها في ذلك شأن بلدان الخليج الأخرى ، تعتمد على عملية التقطير لانتاج المياه العذبة لسد احتياجاتها ، حتى أصبح لديها الآن أربع محطات لتقطير مياه البحر او تبخيرها ثم تكثيفها . . ويصل معدل انتاجها الى مائة مليون جالون امبراطوري يوميا في الوقت الحاضر ، الا أن الطاقة الانتاجية لهذه المحطات تصل الى ضعف هذه الكمية اذا عملت المحطات بأقصى قدراتها أي حوالي (٢٠٠ مليون جالون) ، الى جانب كميات المياه الجوفية التي تصل الى ٤٥ مليون جالون يوميا .

وعملية تقطير المياه عملية مكلفة تتحملها الدولة . . صحيح أن الماء العذب يباع للمستهلك ، ولكن بأسعار رمزية لا تقارن بالتكلفة الحقيقية لتحلية المياه .

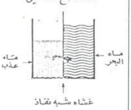
ومن هنا بدأ الاهتمام بايجاد بدائل لمحطات تقطير المياه ، وكانت احدث هذه المحاولات هي تلك التي بدأت منذ عام واحد ، على اثر البحوث التي أجريت ومازالت مستمرة للوصول الى الطريقة المثلى التي تحقق انتاج الماء العذب والارتقاء بنوعيته ، والتقليل من تكلفته .

وفي منطقة الدوحة خارج مدينة الكويت ، كان لنا لقاء بالدكتور محمود عبد الجواد ، القائم على المحطة الجديدة التي تجرى فيها التجارب الآن لانتاج المياه العذبة بطريقة « التناضح* العكسي » وهو نظام تطور تطورا كبيرا خلال العقد الماضي ، فقد تزايد استخدامه حتى أصبحت تلك التقنية تدخل ضمن الأساليب المعتمدة لتحلية المياه الصليبية ومياه الصرف الصناعية ، الا أن تطبيق هذه التقنية ذاتها في تحلية مياه البحر الشديدة الملوحة لا يزال يخطو خطواته الأولى ، ويحتاج الأمر الى مزيد من أعمال البحث والتطوير للارتقاء بأداء وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي ، وزيادة امكانية الاعتماد عليها .

يقول الدكتور عبد الجواد : « ان هذا البرنامج



التناضح العكسي



التناضح الطبيعي

اذا فصل بين ماء البحر والماء العذب بغشاء شبه نفاذ ، وكان الضغط على سطح السائل متساويا على جانبي الغشاء ، فان جزيئات الماء غير المحملة بالأملاح تنتقل عبر الغشاء الى ماء البحر ، وذلك تبعا لظاهرة التناضح الطبيعية . ويستمر انتقال الجزيئات هذا حتى يتعادل فارق الضغط في عمود الماء (الذي تسبب عنه الانتقال) مع الضغط الأسموزي ، او ان يتساوى التركيز على جانبي الغشاء ، وتسمى هذه العملية بالتناضح الطبيعي ، ويمكن عكسها باستحداث ضغط على سطح الماء المالح ، يزيد عن الضغط الأسموزي ، فينعكس بالتالي اتجاه التناضح عبر الغشاء .

الجديد للبحث والتطوير الذي تدعمه حكومة دولة الكويت ، ممثلة في وزارة الكهرباء والماء ومعهد الكويت للأبحاث العلمية ، يجري تنفيذه بالاشتراك مع جمهورية المانيا الاتحادية ، ممثلة في وزارة البحث العلمي والتقنية ، ولقد بلغ انتاج الماء العذب بعد عام واحد من بداية البحوث ثلاثة آلاف متر مكعب يوميا أو ما يعادل مليون متر مكعب سنويا .

والهدف في هذه المرحلة ليس انتاج المياه ، بقدر ما هو جمع وتقييم وتحليل واستخلاص أفضل النتائج التي يمكن الحصول عليها ، لاستخدامها مستقبلا في بناء وحدات أكبر ، تعتمد على طريقة التناضح العكسي في تحلية مياه البحر ، وحل مشكلة توفير المياه العذبة بتكلفة اقل في المناطق الصحراوية الجافة المطلة على البحار .

ثمة حقيقة مزعجة ينقلها الدكتور لطيف حمدان مدير دائرة العلوم الأرضية ، انه يقول : « هل تعلمون كم يبلغ متوسط استهلاك الفرد اليومي من الماء العذب في الكويت ، انها اكبر كمية يستهلكها الفرد في اي بقعة من العالم ، فهي تصل الى ستين جالونا يوميا » . . بينما لا يزيد متوسط استهلاك الفرد في اوروبا او امريكا عن عشرين جالونا ، رغم ان الماء عندهم لا يمثل مشكلة ، فالانهار العذبة تجري في اراضيهم !! » .

ومن أجل هذا يستعد المعهد من الآن لاقامة ندوة عالمية في شهر ابريل من العام المقبل ١٩٨٧ ، لبحث وسائل زيادة مصادر المياه الحلوة ، والتقليل من الاستهلاك في المناطق الصحراوية ، حيث تشتد الحاجة الى المياه ، مع التركيز على منطقة شبه الجزيرة العربية ، وسيشارك في الندوة الادارات التنظيمية والمؤسسات المهتمة بالمياه وتوفيرها في الخليج العربي .

الـــزراعـة ومَواردالغذاء:

« في القرن العشرين ، ومع توفر التقنيات الحديثة ، لا نستطيع القول بأن هناك ارضا صالحة للزراعة واخرى غير صالحة ، وبناء عليه يمكن القول وبكل ثقة بأن كل أراضي الكويت او معظمها صالح للزراعة ، هذا اذا توفرت المياه التي هي أساس كل شيء حي » .

بهذه المقدمة استهل الدكتور محمد العطار مدير ادارة موارد الغذاء حديثه معنا ، ونحن نسأل عن الانجازات التي حققها معهد الكويت للبحث العلمي في مجال تنمية موارد الغذاء في الكويت .

ويمضي الدكتور العطار : « ان مساحة الأرض المزروعة فعلا بالكويت ، مازالت صغيرة ، لأن الأرض التي خصصت للزراعة ليست مستغلة الاستغلال الكامل ، ثم هناك عامل آخر ، وهو أن طريقة الري في هذه المناطق المزروعة ليست هي الطريقة المثلى في منطقة كالكويت ، حيث ترتفع درجة الحرارة في موسم الصيف ارتفاعا كبيرا ، فنحن للأسف ، مازلنا نلجأ الى طريقة الري عبر القنوات المفتوحة ، وهذه الطريقة لا تناسب جو الكويت ، ولا الأرض التي تجري فيها المياه في القنوات ، لأن نسبة البخر تكون عالية في الصيف ، ولأن طبيعة الأرض الرملية تساعد على تسرب المياه بسرعة ، وتكون النتيجة أن ما يصل من المياه الى حيث نريد ان نستفيد به في ري المحاصيل يكون ضئيلا . .

« هذا لا يمنع أن نسجل لبعض الاخوة الكويتيين اتجاههم الى وسائل الري الحديثة توفيرا للماء ، ومن بين هؤلاء المهندس حسين قبازرد أو « أبو الفراولة » الذي يقوم بزراعة مساحة تزيد على المليون متر مربع في منطقة الوفرة من هذه الفاكهة وغيرها من الفواكه والخضروات ، فالمياه في حقوله وبساتينه تجري داخل أنابيب مغلقة ، حتى تصل الى حيث يريد لها الوصول » . .

والحديث عن الزراعة يجرنا الى حديث أشمل وأعم ، وهو تحقيق الاكتفاء الذاتي في المحاصيل الأساسية على الأقل ، وهنا لابد أن نتعرض لبعض العوامل المهمة التي يجب توفرها لتحقيق هذا الهدف الذي تسعى اليه كل الأمم .

ويقول مدير ادارة موارد الغذاء : « نحن نعلم ان الكويت بمساحتها الصغيرة وقلة مواردها البشرية ، وافتقارها الى التقنيات الحديثة في الزراعة ، وفي الأيدي العاملة المدربة على استخدام هذه التقنيات ، لا تستطيع أن تحقق اكتفاء ذاتيا في هذه المرحلة من انطلاقتها . . .



الري بالتنقيط لترشيد استهلاك مياه الري العذبة في احدى المزارع الخاصة .

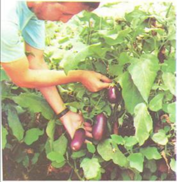




ونجحت التجارب التي اجريت على زراعة الخضراوات بانواعها في الكويت ، وقامت شركات خاصة لزراعة هذه الخضراوات مستعينة في مسيرتها بنتائج البحوث التي توصل اليها المعهد . طماطم وفلفل وخيار وباذنجان .



المبنى الجديد لمعهد الكويت للابحاث العلمية يوم افتتاحه وعلم الكويت يرفرف بجوار علم المعهد ، وفي المدخل زهور ترسم خريطة الكويت بألوان علمها . .





ولذلك فان أية محاولة تقوم بها الكويت منفردة لن تحقق هذا الهدف ، فلابد اذن من قيام تعاون بين الاخوة من أبناء مجلس التعاون الخليجي الذين يستطيعون بفضل مساندة الاخوة العرب من الاقطار العربية الشقيقة ، والزراعية منها بصفة خاصة ، أن يضعوا أقدامهم على الطريق نحو إيجاد نوع من التكامل يقودهم الى تحقيق هذا الاكتفاء في بعض المحاصيل الرئيسية .

وقد ثبت من خلال الدراسات المرجعية التي أجراها المعهد أن مخلفات خزانات النفط يمكن استغلالها في استصلاح الأراضي الصحراوية واعدادها للزراعة . . فاذا ما استطعنا أن نبسط هذه المخلفات فوق رمال الصحراء ، وتركناها لفترة طويلة تتراوح بين ثمانية أشهر وسنة كاملة ، فسوف يؤدي هذا الى نوع من التفاعل بين البكتريا الموجودة في التربة ، وبين مخلفات النفط ، وتكون النتيجة حصولنا في النهاية على تربة أكثر نفعا وصلاحية للزراعة .

ثم لا ننسى بعد هذا أن الكويت كانت دوما غنية بمواردها الطبيعية التي تتمثل في النباتات البرية التي تنمو وتزدهر في موسم الأمطار في الشتاء ، وقد أثبتت التجارب والبحوث التي أجريت عليها أنها غنية بالبروتينات التي تصلح علفا لتربية الأغنام والمواشي وتسمينها ، ولكن الذي حدث بعد اكتشاف النفط في الكويت ، أن أهملت هذه المراعي الطبيعية اهمالا يبعث على الأسف ، وكانت النتيجة أن تضاعفت مساحة الأراضي الصحراوية ، وأعني بها الأرض التي لم تعد تصلح لنمو هذه النباتات التي انقرضت أو كادت .

ومن هنا بدأ المعهد يهتم باحياء هذه النباتات ورعايتها حتى تنمو وتزدهر ، وحتى تتضاعف رقعة الأرض التي تغطيها ، فنترك الأغنام ترعى فيها لفترة محدودة ، حتى لا تأتي على جذورها ، وما يتساقط من بذور ثمارها ، ثم ننقل هذه الحيوانات الى مناطق اخرى مزروعة بأنواع من الأعلاف مثل البرسيم والشعير . . . وفي الحالتين تتم عملية الرعي داخل نطاق سياج حتى نحميها من الرعي الجائر ، او اقتحام السيارات لهذه المناطق الرعوية ، أو أية عوامل أخرى تسهم في تعرية التربة » . .

وكان لابد أن نرى هذا الذي يحدث على الطبيعة فقصدنا الى منطقة الصليبية لنسجل ما يجري فيها بالصورة بعد أن جمعنا كل ما يتصل بها من الرجل الذي يشرف على متابعة كل تفاصيلها ودقائقها حتى يضمن لها الاستمرار والتطور . . .

الثروة الحيوانية :

وفي الصليبية وداخل المنطقة المحمية بهذا السياج التي تزيد مساحتها على عشرين كيلو مترا مربعا ، حيث يجري المعهد تجاربه وبحوثه على الأرض والزرع ، كان لنا لقاء بأحد الشبان الكويتيين الذين تخصصوا في تربية الماشية . . انه المهندس الزراعي محمد البحوه . . ولم يكن وحده ، لقد كان يقف وسط مجموعة من الباحثين الذين تخصصوا في تنمية الثروة الحيوانية . . انهم يقومون باجراء التجارب على الأغنام العربية لتحسين انتاجها من اللحوم ، وقد تم انتاجها جميعا وتربيتها فوق ارض الكويت ، وتمكنت من العيش في جوها الحار خلال موسم الصيف ، وقد كانت هذه هي المشكلة الأولى التي تمكن الباحثون في المعهد من حلها ، بفضل البحوث المثمرة على الطبيعة ، وهكذا لم يعد الجو الحار مشكلة تقف في طريقة تنمية الثروة الحيوانية .

ويقول المهندسون الباحثون أن هناك ثلاثة أنواع من الخراف تجرى عليها التجارب وكلها عربية ، وهي النعيمي والنجدي والعربي ، لمعرفة أفضل هذه الأنواع للعيش والتأقلم في جو الكويت الحار . . وقد أسفرت تجاربهم عن نتائج مشجعة .

وفي الصليبية أيضا تجرى تجارب أخرى على الدواجن ، للوصول الى أنواع الغذاء التي تعطي نتائج أفضل . . ولقد كان للبحوث التي قام بها

المعهد ، ومازال أن تأسست أكثر من شركة لانتاج الدجاج البياض والدجاج اللاحم ، واستطاعت هذه الشركات أن تصل بانتاجها من البيض والدجاج الى مرحلة تقترب من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، اذا وجدت الحماية الكافية من الدولة للحد من الاستيراد ، وما يقال عن الدواجن يمكن أن يقال أيضا عن تربية الأبقار الحلوب . . فقد انتشرت مزراع تربية الأبقار ، ووصل انتاج الكويت من الألبان الى مائة وعشرين طنا يوميا ، أو ما يقرب من ثلاثين مليون لتر من الحليب سنويا . .

الثّروة السّمكيّة:

البحث عن وسائل تنمية الموارد الغذائية هو الشغل الشاغل لمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، فهو يجيء في قمة برامجه منذ انشائه في عام ١٩٦٧ ، ويؤكد السيد نزار ملا حسين نائب المدير العام ، أن دور المعهد كان ملموسا وبارزا في النجاح الذي حققته شركات تربية الدواجن وتسمين العجول ، وشركات صناعة الألبان ، وأخيرا شركة صيد الأسماك ، كما أسلفنا ، وذلك من خلال البحوث التي قام بها في أفضل وأنسب الوسائل لتنمية وتطوير هذه الصناعات والنهوض بها . . صحيح أن بعض هذه الشركات بدأت عملها بعيدا عن أية بحوث ، ولكنها وخلال مسيرتها لتطوير وتنمية انتاجها ، لجأت الى المعهد لدعم هذه المسيرة وتوجيهها على اسس علمية . .

ثم ينتقل السيد نزار الى الحديث عن زراعة الأسماك وتنميتها وتطويرها فيقول : « لقد كانت البداية مع الروبيان منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ونجحت البحوث التي أجراها المعهد في تنمية هذه الثروة الغذائية المائية ، وأصبحت الكويت احدى الدول المصدرة للروبيان .

ثم انتقلت التجربة بعد ذلك الى الأسماك ، وبدأت تجارب استزراعها بشتى أنواعها وبحث سبل تطويرها وتنميتها في اقفاص مائية وأحواض . . ومنذ ثلاث سنوات بدأت تجربة جديدة بتمويل من شركة الأسماك الكويتية المتحدة لزراعة السمك السبيطي ، وقد اوشك المشروع على الانتهاء ، وسوف تساعد النتائج التي توصل اليها الباحثون في المعهد على استزراع هذا النوع من الأسماك التي يعشقها سكان الجزيرة العربية بكميات تجارية ، وسيصل الانتاج الى ما يقرب من خمسمائة طن سنويا من هذا النوع . .

وينطبق هذا أيضا على السمك البلطي ، وهو سمك يعيش في مياه الأنهار الحلوة ، وقد استورد من مصر ، وأمكنه زرعه في مياه البحر المالحة ، وسوف يصل انتاجه الى ما يقرب من مائتي طن سنويا . .

والحديث عن بحوث المعهد لا يمكن ايجازه في هذه الصفحات المعدودة . . ولكننا نكتفي بهذا القدر ، ونترك لغيرنا أن يقول كلمته بعد هذه الرحلة السريعة مع جانب من نشاطات المعهد . .

قالوا :

* ما بين جزيرة فيلكا ، وحقول النفط في الأحمدي ، ومختبرات معهد الكويت للابحاث العلمية ، رأيت كويت الأمس واليوم والمستقبل .

بول لوساكا
رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة

* الخبرة التي اكتسبها معهد الكويت للبحث العلمي ، هي خبرة يمكن توفيرها على نحو مجد للدول الأخرى .

« أحمد مختار أمبو »
منظمة اليونسكو

* ان ما رأيته خلال زيارتي هذا المركز العلمي يجعلني أثق تماما بأننا لا شك قادرون على اللحاق بركب العلم ، ومواكبة الحضارة بعقول عربية نيّرة ، وارادة لا تعرف التراجع .

الدكتور عبد الجبار الضحاك
وزير النفط والثروة المعدنية
سوريا □



عظامنا وسنوات العمر

بقلم الدكتورة : فاطمة الغرباوي

الهيكل العظمي هو ركيزة الجسم الذي يحمي أعضاءه ، ويحفظ شكله ، وهو جهاز عظيم في خلقه وتكوينه .. فما هي قصته مع سنوات العمر ؟

كلمة الهيكل العظمي تعني لغويا كل جزء عظمي في الحيوان ، ولها دلالتان : الاولى وهي العظام الداخلية ، والثانية وهي العظام الخارجية ، وهذه في الانسان تعني الشعر والأظافر والأسنان . .

وكلمة Skeleton تنحدر من الكلمة الاغريقية Skeletos ، بمعنى الشيء الجاف الميت من العظام بعد تحضيرها للدرس بطريقة عشوائية وغير متقنة .

أما الحقيقة ، فهي ان عظام الكائن الحي عبارة عن نسيج بلاستيكي الشكل ذي تركيبين ، أحدهما عضوي ، والآخر غير عضوي ، وهذا النسيج قادر على التغيير الجذري مع التقدم في السن ، وله هذه الخاصية في الشكل والحجم ، وله القدرة أيضا على التكيف شكلا مع الجنس ، وعلاة على كل ذلك - وعلى وظيفته الاساسية التي هي المحافظة على قوام الجسم وتدعيمه - فان له وظائف أخرى مهمة .

تتأثر عظام الجسم بالخواص الوراثية لحاملها ، وبالظروف الداخلية للجسم نفسه ، وبالظروف الخارجية أيضا ، ولذلك فهي لاتتأثر فقط بالآثار المباشرة للأمراض ، ولكنها تتأثر أيضا بالعوامل الفسيولوجية والمرضية لأعضاء الجسم الأخرى .

العظام وعمر الانسان

فاذا فحصنا عظمة واحدة لشخص ما ، فمن الممكن أن تأخذ فكرة عن صاحبها من حيث العمر ، والجنس ، وطول الجسم ، وشكل البنية ، ودرجة تمتعه بالصحة ، وماهو طعامه ، وماهي عناصره ، وكذلك مكوناته الوراثية ، وهل تعمل غدده الصماء بتناسق واتزان أم لا ، ويمكن التنبؤ أيضا بما اذا كان لديه أية خواص شخصية .

٨٨

ولقد مكنتنا الطرق العلمية الحديثة في دراسة علم الانسان على مدى العصور من البحث في العظام الأثرية ، ودراسة أحوالها التاريخية وسلالاتها .

ولايجب أن ننظر الى الهيكل العظمي على أنه مجموعة من عظام ذات أشكال مختلفة فحسب ، ولكن لأن أعضاءه متصلة بعضها ببعض بواسطة المفاصل ، وبطريقة لاتجعله فقط يعمل كجهاز يحمي الأنسجة الرخوة والعضلات ، وانما يعتبر أيضا مجموعة من الروافع لتلك العضلات والانسجة الأخرى والجسم ككل .

وحيثما كان هناك عضو رخو مهم مثل المخ والقلب والرئتين ، فوظيفة العظام هي حماية هذه الأعضاء ، والمحافظة عليها ، أما داخل العظام نفسها ، فيوجد جهاز آخر ذو اهمية قصوى للجسم ، تحميه العظام بداخلها ، الا وهو نخاع العظام ، حيث تتكون خلايا الدم ، وحيث يخزن العظم بنفسه كميات من الكالسيوم والمعادن الاخرى ، تكون تحت الطلب عند حاجة الجسم اليها .

والعظام في الجسم الحي - هي أيضا عضو حي - وهي مزيج ليفي مختلط بمزيج من العناصر المعدنية ، يقاوم الضغط والشد مع الاحتفاظ ببعض المرونة الكافية ، فاذا سحبنا المعادن من عظمة ما ، بوضعها في محلول حامض مخفف ، احتفظت العظمة بشكلها وحجمها ، ولكنها تصبح لينة يمكن ثنيها وليها ، أما اذا احترقت احترق نسيجها الليفي ، واحتفظت بهيكلها العام ، ولكنها تصبح هشة وغير مرنة تنكسر وتتفتت بسهولة وبأقل مجهود .

هدم وبناء العظام

وبقدرة الله وعظمته - سبحانه وتعالى - تتشكل كل عظمة حسب وظيفتها واشتراكها في تحمل ومقاومة الأعباء الميكانيكية ، وهي دائبة التكيف مع هذه الوظيفة حسبما تتغير الظروف وفي جميع سني العمر ، وأثناء النمو وبعد البلوغ ، فمثلا نجد أن عظام الفك الأسفل تتغير كثيرا بتقدم العمر ، بينما لاتتغير معظم العظام الأخرى بعد استقرار تكوينها .

والتغيير في شكل وتكوين العظام يأتي نتيجة لأي تغيير في تراكم النسيج العظمي أو امتصاصه ، وهذا لايعتمد فقط على نشاط الخلايا المختصة في بناء أو

شكل ٢

قطاع طولي في الجنين (١٦ يوما حمل)



الطول الحقيقي = ٠٫٨ ، ١ ملليمتر



قطاع عرضي في الجنين (١٦ يوما حمل)

شكل ٣

قطاع عرضي في جنين عمره ٢٢ يوما





قطاع عرضي في جنين ٢٧ يوما

هدم العظام ، وانما يعتمد على عوامل عامة في الجسم تتعلق بمعدل التمثيل الغذائي ، والتوازن العام بين الهرمونات ، أو اختلال ذلك المعدل لأي سبب من الاسباب .

وتجد أن النسيج العظمي داخل كل عظمة يتخذ اتجاهات محددة حسب ميكانيكية استخدامها ، ولتقريب فهم تلك النقطة نقارن بينها وبين مايتبع في الهندسة الانشائية للمباني ، حيث يتم توزيع أسياخ حديد التسليح في البناء العالي ، وفي القباب بصورة علمية ، لضمان اتزان المبنى ورسوخه على القاعدة الأرضية ، وهناك بعض الأمثلة التوضيحية بالرسم والصورة ، شكل (١)

كيف تتكون العظام ؟

ينقسم الهيكل العظمي الى قسمين : العظام المحورية وهي الفقرات والأضلاع وعظمة القص والجمجمة . والعظام الطرفية وهي عظام الحوض والاكتاف والأطراف المتصلة بها ، ويصعب الدخول في تفاصيل تكوين العظام في الجنين لكن يمكننا القول بأن الجنين يتطور من مرحلة خلايا تتكاثر الى بداية تطورها الى أنسجة مختلفة ، والجنين مازال طوله لايزيد عن ملليمتر واحد ونصف المليمتر شكل (٢) ، وهذه الأنسجة عموما تنقسم الى ثلاثة أنواع : الخارجي والأوسط والداخلي .

أما العظام فأصلها من النسيج الأوسط المسمى بالميزودرم ، حيث ينقسم مبدئيا الى ٤٢ ـ ٤٤ زوجا من الأجزاء التي تنتج عنها الفقرات والأضلاع ، وهذه الخطوة ترى في الجنين بين اليوم التاسع عشر والثاني والثلاثين من الحمل شكل (٣) ، ثم تتحول الخلايا في هذه الأجزاء الى نسيج غضروفي في الأسبوع السابع للحمل ، وبدءا من الفقرات العليا ، وعند الأسبوع التاسع شكل (٤) ، يبدأ ترسيب الكالسيوم ، والتحول الى نسيج عظمي بعد ذلك .

أما عظام الأطراف فتظهر في الأسبوع الرابع للحمل ، على هيئة براعم على جانبي الجسم من نسيج خلوي مغطى بالجلد ، وهما نسيجان يتعاونان بالتبادل ـ كل لتطور الآخر ـ حيث يتحول النسيج الخلوي الى نسيج غضروفي ، وهذا بدوره يتحول الى نسيج عظمي ، كما هو الحال في المواقع الأخرى من الجسم ، شكل (٥) ، الا أنه في بعض الأجزاء الأخرى مثل عظام الجمجمة المحيطة بالمخ والترقوة والفك الاسفل ، يتحول النسيج الخلوي الى عظام مباشرة ، وتسمى عظاما غشائية .

غذاء العظام

وتتغذى العظام بالدم خلال أوعية دموية خاصة ، حيث يتوجه الشريان الخاص من خارج العظمة الى نهاية العظمة ، حيث مركز نموها وهو في طريقه اليها ، يتفرع خلال مروره في نخاع العظم الى فروع كثيرة ، كما أن هناك شرايين كثيرة أخرى تغذيها من خارج العظمة وحول رقبتها ، وتتصل بالغشاء المغلف لها.وتحتوي العظام على النخاع الأحمر الذي يأخذ على عاتقه عملية تكوين خلايا الدم ، وسرعان مايحتل النخاع الابيض مكانه،حتى اذا ماتم نمو العظام ، أصبح النخاع الأحمر ـ فقط ـ في نهايات عظام الذراعين والفخذين ، شكل (٦) .

ما الذي يؤثر في نمو العظام ؟

عندما يتم التحام العظام النامية بعضها ببعض ، ليكتسب الهيكل العظمي للانسان حدا معينا من حيث الطول والسمك والشكل ، تبعا لعوامل خاصة بكل شخص ، تظل تلك الخواص المكتسبة ثابتة الى الى أن تتغير بفعل سنوات العمر ، أو بأي عوامل مرضية أخرى .

وهناك عوامل عديدة تتحكم في نمو العظام : منها العوامل الوراثية ، والهرمونية ، والغذائية والميكانيكية ، والعصبية ، وتأثير هذه العوامل أثناء فترة النمو وقبل البلوغ يكون ظاهرا على مواضع النمو فيها ، حيث النشاط السريع في تحول الخلايا من غضروفية غير مرتبة الى غضروفية مرتبة في صفوف متراصة ، حيث يترسب عليها عنصر الكالسيوم ، وبعد ذلك تنشط الخلايا العظمية لتكوين النسيج المطلوب ، والشكل العام والقياسات والطول النهائي عادة تحددها عوامل الوراثة .

وهرمونات النمو في الغدة النخامية في المخ لها الأثر الفعال على نضج الخلايا الغضروفية ، وبالتالي على معدل النمو في العظام الطويلة التي تبزغ من النسيج



الغضروفي ، فاذا زاد افراز تلك الهرمونات قبل سن البلوغ أصبح المصاب عملاقا ، أما إذا زاد افرازها بعد البلوغ فان هذا يؤدي الى تضخم العظام الأخرى

الطول والقصر

وعلى النقيض من ذلك ، اذا قلت نسبة هرمونات النمو ظل الفرد قزما ، والتحمت عظامه بعضها ببعض قبل الأوان ، واذا قل افراز هرمون التذكير في الخصيتين قبل سن البلوغ زادت العظام الطويلة في الأطراف طولا غير متناسق مع باقي الجسم ، كما يحدث « للأغوات » أو الخصيان ، ولهرمون الغدة الدرقية أثر كبير على تطور الخلايا الغضروفية ، فاستئصالها في صغار الحيوانات يجعلها ذات عظام قصيرة ، وزيادة افراز الغدة فوق الدرقية له أثر عاصف على العظام ، فهو ينشط الخلايا الهادمة للعظام ، ويحرك معدن الكالسيوم والفوسفور من العظام ليزيد معدلها في الدم ، ويعمل أيضا على زيادة امتصاص النسيج الهيكلي الليفي والـ Callogen من العظام

وهناك هرمون آخر تفرزه بعض الخلايا الجانبية في الغدة الدرقية ويسمى Calcitonin ، له خاصية مقاومة هدم العظام ، وربما بتأثير ماعلى البروتين الموجود في نسيج الهيكل نفسه ، وبذا ينخفض معدل نسبة الكالسيوم في الدم .

مرض لين العظام

ويعتمد نمو العظام بصفة عامة على وفرة كافية من عناصر الكالسيوم والفوسفور وفيتامين د . الموجود في الطعام ، شريطة أن تكون في الصورة الكيميائية المناسبة للاستفادة منها . وتلك العناصر يعتمد بعضها على بعض من أجل سلامة العظام طول العمر ، فاذا نقصت قل ترسب الكالسيوم في النسيج العظمي ، فتضعف قوته على تحمل ميكانيكية الحركة ، ونلاحظ ان النسيج الغضروفي يكبر نسبيا ، وهو مستمر في النمو ، وباستمرار نقصان الكالسيوم يصبح تضخم الغضاريف واضحا من نهايات العظام اللينة ، بسبب عدم ترسب الكالسيوم فيها ، وهذا هو مرض لين العظام أو الكساح ، وذلك لأن هذه العظام - وقد أصبحت ذات نوعية رديئة - لاتقدر على تحمل الشد والجذب للحركة اليومية للجسم ، وهنا تكون الحاجة ماسة للفيتامين ج حيث انه هو العامل المنشط لبدء تكوين النسيج الاساسي للعظام السليمة ، ونقص هذا الفيتامين يؤدي الى مرض الاسقربوط ، وحتى في أقل درجاته يسبب تأخيرا في التحام كسور العظام ، أما اذا حرم الانسان من فيتامين (أ) فان نمو العظام يصبح غير طبيعي ، فيزيد سمكها ولاتأخذ شكلها الاسطواني المعروف ، ولكن زيادة فيتامين (أ) عن المطلوب يسبب أيضا تآكلا في العظام من خارج محيطها ، أما بعد تمام النمو والتحام مراكزه مع بعضها البعض ، فتبقى خاصية تجدد نسيج العظام من

خلايا الغشاء المغلف لها من الخارج ومن داخل جدارها عند النخاع، وكذلك تستمر عملية الامتصاص.

كذلك يتغير شكل العظام تبعا للحمل والنشاط



شكل ٥ أ

قطاع في عظمة جنين في عمر ٨ أسابيع

شكل ٤



الجنين في عمر ستة أسابيع تبدأ الاطراف تتجه الى أسفل وتبدأ أيضا في الانثناء عند الكوع والركبة.

الجنين في عمر خمسة أسابيع، الاطراف وقد بزغت مثل الزعانف على جانبي الجسم.



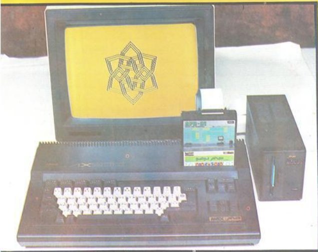
المطلوب منها، وقد تضمر اذا لم تتحرك.

وحين تكسر عظمة ما، فان الكسر يلتئم بفعل نشاط الخلايا البانية للعظام في الغشاء المغلف لها من داخل نخاعها، وامراض العظام كثيرة ومتعددة، فمنها الوراثي، ومنها المكتسب بكافة أنواعه، وهناك أيضا ماكان نتيجة لطول سنوات العمر.

دور العوامل الوراثية

قد يرث الطفل عدم قدرة خلايا العظام على تكوين النسيج، فيولد وعظامه لينة ومشوهة وبها كسور متعددة، وقد يكون الطفل عكس ذلك تماما، فتكون عظامه صماء مليئة بالكالسيوم، هشة قابلة للكسر بدون سبب، وهؤلاء يعانون من الأنيميا الشاملة، لعدم وجود نسيج النخاع في عظامهم، لتكوين خلايا الدم المختلفة، وقد يصابون بنوع من الصمم لخلو عظام آذانهم من التجاويف التي تضخم الصوت المسموع للأذن، وقد يأتون عميانا نتيجة لاختناق عصب البصر في عظام الجمجمة، وهذه بعض الأمثله فقط.

وهناك أمراض عديدة تؤثر على صحة العظام نفسها ويمكن تشخيصها من صور الأشعة، مثل أنيميا تكسر الخلايا الحمراء، والأنيميا المنجلية، والأنيميا البحرية، وكذلك أمراض الخلايا البيضاء في الدم، مثل اللوكيميا وأمراض سرطان العظام نفسها من ورم حميد وورم خبيث وتآكل العظام، والأورام الثانوية في العظام، مثل سرطان البروستاتا، والثدى، والغدة الدرقية، والرئة والشعيبات... وهكذا أما التهاب العظام بسبب الميكروبات الصديدية والدرنية، فهذه وان قل انتشارها نسبيا بفضل المضادات الحيوية في السنوات الأخيرة، الا أنها بدأت في الظهور ثانية، وذلك ربما كان بسبب استعمال المضادات الحيوية بكثرة وبطريقة عشوائية، سواء من قبل المعالِجين أو المعالَجين، مما أكسب الميكروبات مناعة ضد العقاقير، كما يمكن اكتشاف التسمم بالمعادن والسموم من صور أشعة العظام، مثل تسمم الزرنيخ والفوسفور والرصاص وغيرها. □



ـ استخدام لغة لوغو لبرمجة وحدات الزخرفة العربية

الكمبيوتر والزخرفة العربية

بقلم : الدكتور نبيل علي

اقتحمت الثورة العلمية كافة نشاطات الانسان وابداعاته ، وكما أسهم التطور في صنع عدسات التصوير في تكوين لوحات تضارع بعض مدارس الفن التشكيلي فان ثورة الكمبيوتر تحمل داخلها علاقة تبادلية لا نهائية مع الفن .

قال هربرت ريد « يبدأ الفن عندما ينتهي العلم » وربما قصد بذلك قدرة الفن على تجاوز حدود الواقع ، والتحرر من قيود التفكير أو التعبير المنضبط ، والتخلص من دقة الحسابات وشرطية العلاقات المنطقية ، لينطلق إلى اكتشاف آفاق جديدة تلهم خيال العلماء والفنيين ، وتحثهم على مزيد من التحديات العلمية والتقنية ، ومن الجانب الآخر يسعى العلم جاهدا لاخضاع الابداع الفني لوسائل التحليل والتركيب والتنظير ، ليكسب بذلك مناطق جديدة تدين للتقعيد والتقنين والتنميط .

تتجاوز العلاقة بين الفنون والعلوم رابطة النهاية والبداية التي طرحها هربرت ريد ، إلى كونها علاقة تبادلية ، وفي إطار هذه العلاقة يقوم العلم بتوفير وسائل مادية للتعبير الفني وإخراجه ونشره ، في حين يحث الفن العلماء على كسر القيود ، واقتحام الجديد ، ويكفي هنا مثلا ما يقال عن أثر روايات الخيال العلمي على برامج غزو الفضاء والاتصالات والكمبيوتر ، وعلى ما يبدو كلما ارتقى العالم وسما الفنان بدت الصلة بينهما أكثر وضوحا ووثوقا ، فلا تتسع ذروة الابداع الانساني لتقسيمات مفتعلة ، كتلك التي بين الابداع العلمي والابداع الفني ، أو بين العلوم والانسانيات ، أو بين الشكل والمضمون .

بين الفنون والعلوم

تاريخ الانجاز البشري حافل بالأمثلة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين العلوم والفنون ، سنستعرض هنا بعض هذه الأمثلة التي تؤكد الطبيعة التبادلية لهذه العلاقة .

عندما اكتشف نيوتن نظرية الطيف اللوني التي أثبت من خلالها أن اللون الأبيض هو مزيج من ألوان الطيف السبعة ، هلل الفنانون التأثيريون لهذا الاكتشاف ، وجعلوا من مساحاتهم اللونية نسيجا من ألوان الطيف المتداخلة التي تعطى هذا النسيج ملمسا خاصا ، يضيف إلى العمل التشكيلي قيمة جديدة ، وكان أبرز هؤلاء الفنانين هو الفنان الفرنسي « سوراه » الذي صمم على تحويل جميع بقعه ومساحاته اللونية إلى مجموعة نقاط ملونة ، تمثل ألوان الطيف المناظرة التي يتم « عزلها » من آلاف النقاط الملونة والمتجاورة ، وهو الأسلوب الذي عرف « بالتنقيطية » . أعطى أسلوب التنقيطية هذا فكرة تكوين الصور على شاشات التيلفزيون ، حيث تتكون الصورة من نقطة واحدة تمسح الشاشة عرضيا وطوليا ، مع تغيير لونها في المواقع المختلفة ، وفقا لألوان الصورة المراد اظهارها .

ومع انتشار أساليب التحليل والتركيب العلمي ، خرج لنا بيكاسو وبراك بالتجريدية التحليلية التركيبية ، حيث قاموا بتحليل الأشكال إلى عناصر صغيرة ، وأعادوا تركيبها في صيغ جديدة ، وقد كان هذا مدخلا أساسيا للتجريد التشكيلي البحت الذي تخلص تماما من ارتباطه بموضوع معين ، وعندما ظهرت النظرية النسبية ، أثارت فكرة البعد الرابع « البعد الزمني » خيال الفنانين الذين حاولوا التعبير عنه تشكيليا بصور مختلفة ، فها هي متحركات المثّال « كالدر » تخرج النحت من استاتية الكتل الثابتة ، إلى دينامية المكونات التي يتغير شكلها تلقائيا ، تحت فعل الرياح أو تيارات المياه أو حركة الموتورات الكهربية ، أو تحت تأثير الأضواء المسلطة عليها ، حاول مصورون تشكيليون أيضا اضافة بعد الزمن إلى لوحاتهم - رغم التحدى الكبير ، حيث تقيدهم حدود لوحاتهم المسطحة - فنراهم يضحون بالبعد الثالث - فيسقطون المنظور لتصبح أشكالهم مسطحة ، أي ثنائية الأبعاد ، ولكنها تتغير في أوضاعها أو أشكالها ، وفقا لعلاقة منتظمة ومتواترة . يؤدى هذا التغيير المدروس إلى الخداع البصرى ، حيث تبدو الأشكال متحركة ومرتعشة بصورة مستمرة . واللوحة الشهيرة لبيكاسو « عن وجه امرأة » اختلط فيه المنظر الجانبي ومنظر الوجه الأمامي ، مثال آخر لمحاولة الفنان التشكيلي لابراز عنصر الزمن من خلال المزج بين وضعين مختلفين لرؤية الوجه في نفس الوقت .

ومع الثورة الألكترونية المعاصرة ، كان لا بد أن يلتقى الكمبيوتر ، رمز هذه الثورة التقنية ، مع الفن على جبهات مختلفة خاصة ، في مجال الموسيقا

والتشكيل . ففي مجال الموسيقا يستخدم الكمبيوتر لعزف الموسيقا ووضع الألحان ، وقد شهد كاتب هذه السطور في اليابان حفلا موسيقيا للعزف على البيانو بلا عازف ، حيث قام الكمبيوتر بمهمة العزف ، محركا أصابع البيانو ومفاتيحه تلقائيا ، وفقا للبرنامج المخزن في ذاكرته ، وبصورة تتطابق وأداء أمهر العازفين .

أما بالنسبة لعلاقة الكمبيوتر بالفن التشكيلي فتبدو الأمور أكثر تعقيدا وتشابكا ، وسنحاول هنا أن نتناول هذه العلاقة بمزيد من التفصيل ، ومع التركيز على الزخرفة العربية .

الكمبيوتر والفن التشكيلي

تسعى جميع الفنون إلى أن ترقى إلى درجة النقاوة التي حققها فن الموسيقا ، من حيث كونه فنا صرفا ، بالغ الصفاء والتجريد ، قائما بذاته ، لا يستعير من الفنون الأخرى ما يشوب تفرده واستقلاليته .

وقد حاول الفنان المجري الشهير (فازاريللي) أن يضع سلما تشكيليا ، كالسلم الموسيقي ، بحيث يمكن بواسطته تصميم اللوحات التشكيلية بأسلوب يماثل ذلك الذي يضع به الموسيقار سيمفونيته ، وتمادى فازاريللي في خياله وتصوره في إمكانية وضع هذا السلم التشكيلي في ذاكرة الكمبيوتر ، هادفا إلى مزج الفن بإمكانيات الكمبيوتر الهائلة ، وحتى تصبح عملية خلق الأشكال مزيداً من البرمجة الذهنية المحددة ، والاحساس التشكيلي المرهف .

وقبل فازاريللي بقرون عدة قدمت الزخرفة العربية مثالا مثيرا لالتقاء الفن التشكيلي بالمنطق الرياضي والعلاقات الهندسية ، والأهم من ذلك أن الزخرفة العربية اعتمدت في تصميمها على ترديدات نفس الوحدة الأساسية (basic block) وخلق الفنان العربي بذلك أبجدية تشكيلية خاصة به ، أمكن من خلالها صياغة عدد لانهائي من التكوينات الزخرفية .

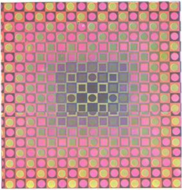
يعد بناء التصميمات من وحدة رئيسية متكررة أحد المفاهيم الأساسية للعلوم الحديثة ، وأساسا مهماً في عملية التحليل والتركيب ، وهو الأسلوب الذي يعرفه البعض بأسلوب التجزيئية (Modularity) . يأتي هذا المفهوم متمشيا مع الخصائص التركيبية لكثير من عناصر الطبيعة ، كتكوين العناصر من ذرات ، والأنسجة من خلايا ، والمركبات من جزيئات وهكذا . وهو يتفق أيضا مع معمارية الكمبيوتر نفسه الذي تتكون ذاكرته من مجموعة من الخلايا ، تحفظ البيانات بها باستخدام عنصرين أساسيين هما الصفر والواحد .

هذا التوافق بين بنية الزخرفة العربية ، ومعمارية الكمبيوتر من جهة ، وإمكانية إخضاع علاقاتها الهندسية للبرمجة الرياضية من جهة أخرى ، جعل منها موضوعا مثاليا لاستخدام الكمبيوتر في مجال الفن التشكيلي .

يوفر الكمبيوتر إمكانيات هائلة في تصميم الخطوط ، واختيار الألوان ومزجها ، ويوفر بآليته ألواناً من ٢٥٦ لوناً ، تغطى جميع الدرجات اللونية الممكنة ، وهو يشترك في ذلك مع الوسائل اليدوية في الرسم والتلوين ، ولكنه ينفرد في المرونة التامة في تصغير الأشكال وتكبيرها ، وتجزيئها وإعادة تجميعها ، وتحريكها ونقلها ، وكذلك دمجها مع أشكال أخرى ، يضيف هذا عنصر الدينامية لعملية الابداع التشكيلي نفسها ، ويحرر العمل من أسر استاتية الأوراق واللوحات ، لقد اكتشف أهل السينما هذه الأمكانات الهائلة ، فنراهم يستخدمون الكمبيوتر ليتحكم في توجيه الكاميرات ، وخلق المؤثرات التصويرية والصوتية ، وبرمجة الرسوم المتحركة .

ربما يرى البعض في ذلك ميكنة لعملية الخلق والابتكار ، وتعارضاً مع أصالة الابداع ، وإخضاع الفن للتقنين والتقعيد ، وفي رأيي ان الموقف هو العكس تماما ، فإن الأدوات والوسائل التي يتيحها الكمبيوتر ستحرر الفنان من كثير من القيود التي تحد إبداعه ، وتحصره في نطاق تجريبي ضيق ، لقد أثبت الكمبيوتر في جميع مجالات الفكر أنه عنصر مؤازر لتعزيز الابتكار والابداع .

أما كيف يتعامل الفنان مع آلته الجديدة ، فهناك عدة طرق لتصميم الأشكال بواسطة الكمبيوتر ،



- نموذج من أعمال الفنان فازريلي يتضح فيه تأثره بالزخرفة العربية





- بعض نماذج لأشكال زخرفية تمت برمجتها بالكمبيوتر

فيمكن للفنان أن يرسم على شاشة الجهاز مباشرة باستخدام ما يعرف بالقلم الضوئي ، أو يرسم بقلمه على لوحة رسم موصلة بالكمبيوتر الذي ينقل كل ما يخطه الفنان على اللوحة إلى شاشة الكمبيوتر مباشرة .

بجانب هذه الأساليب المباشرة هناك أسلوب برمجة الأشكال ، وهو حتما الأسلوب الأعمق والأعقد ، حيث يقوم الفنان بإصدار تعليماته للكمبيوتر ، مستخدما احدى لغات البرمجة ، كلغة (البيسك) على سبيل المثال ، ان دور الفنان هنا هو دور مؤلف الموسيقا الذي يقوم بوضع سيمفونيته في صورة مجموعة من الرموز والارشادات ، يذكرنا هذا بقولة (فازاريللي) الشهيرة : « أنا أضع معادلة اللوحة ولا أرسمها » .

استخدام الكمبيوتر في الزخرفة العربية

أتيح لكاتب هذه السطور معايشة تجربة مثيرة

لاستخدام لغة البرمجة العربية المعروفة بأسم (لوغو) في إنشاء مكتبة للتصميمات الزخرفية بإستخدام الكمبيوتر ، لقد قام فريق البرمجة بتلخيص العلاقات الهندسية في صورة صيغ رياضية ، تتعامل مع عدة متغيرات ، بحيث يمكن تغيير نسب الأشكال وأحجامها وألوانها وعلاقاتها ، بإعطاء قيم مختلفة لهذه المتغيرات ، تقوم لغة (اللوغو) بتنفيذ الأشكال الزخرفية ، من خلال قدرتها الفائقة على تكرار الرسومات ، ومعالجة الألوان ، وتحريك الأشكال والتحكم فيها ، وقد جاءت النتائج مؤكدة للدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به الكمبيوتر في إبراز جماليات الزخرفة العربية ، وسبر أغوارها ، وإكسابها طابع التغير والحركة ، يوفر ذلك مرونة كبيرة للمصممين في صنع تكوينات زخرفية جديدة ، ويعد ترجمة عملية للدعوة التي نادى بها كثيرون لتحديث التراث ، واستخدام التقنيات الحديثة ، في تقديمه لعرب اليوم صغارا وكبارا . □

وجها لوجه



فتحي غانم و أبو المعاطي أبو النجا

* لم تغب المشكلة الاجتماعية عن رواياتي ، ولكني اقترب منها من خلال التركيبة النفسية للشخصية
* تأثر عملي كروائي بعملي كمحقق وصحفي لكن كيف والى أي مدى ؟
* كانت سورة يوسف هي معلمي الاول في بناء الرواية . . . !
* تأثرت بشخصية « هانز كاستروب » في تحديد مصير منصور في الافيال ،
* على الاديب أن يواجه الواقع بدرجة من الحياد ليصل الى الصدق .
* نعم .. لعل البراءة الذكية جزء من ذاتي .... !

الاستاذ فتحي غانم كاتب مصري ، وهو واحد من أهم كتاب الرواية في مصر والوطن العربي ، له بصمة متميزة في أسلوبه ورؤيته الفنية ، عمل في بداية حياته المهنية كمحقق في وزارة التربية والتعليم ، ثم انتقل الى العمل بالصحافة كنائب رئيس تحرير في مجلة آخر ساعة ، ثم شغل عدة مناصب رئيسية كرئيس تحرير ، ورئيس مجلس ادارة لعدد من المؤسسات الصحفية الكبيرة .

من أهم مؤلفاته الروائية والقصصية والأدبية :

تجربة حب ، الجبل ، من أين ؟ ، الساخن والبارد ، الرجل الذي فقد ظله -(رباعية)المطلقة ، تلك الأيام ، الغبي ، الفن في حياتنا ، سور حديد مدبب - مجموعة قصص قصيرة ، زينب والعرش ، حكاية تو ، الافيال ، بنت من شبرا ، قليل من الحب وكثير من العنف .

قدمت ثلاثة من أعماله الروائية في التلفزيون العربي وهي « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » و « الافيال » وحققت زينب والعرش تفوقا كبيرا كعمل تليفزيوني جماهيري متميز .

أما الزميل أبو المعاطي ابو النجا ، فهو احد محرري المجلة ، والقصصي المعروف .

بين الصحافة والادب

● يلاحظ القارىء أن فنك الروائي قد تأثر في اختيار موضوعاته بعملك المهني ، سواء في فترة عملك كمحقق أو عملك في الصحافة ، هل تعتقد أن تأثير العمل المهني في فنك قد توقف عند حد اختيار الموضوع ، أم كانت له تأثيرات أخرى في الاسلوب أو في طريقة بناء الرواية ؟ بشكل عام نود أن تحدثنا عن رؤيتك لتأثير العلاقة بين عملك وفنك ؟

- هذه الملاحظة صحيحة بشكل عام ، فقد كانت رواية « الجبل » نتيجة لعملي كمحقق في الأحداث التي وقعت في قرية القرنة « التي بناها المهندس المعروف « حسن فتحي » ثم تعرضت لحادث حريق ، كما كان عملي في الصحافة هو المحرك الأساسي لروايتين من رواياتي الكبيرة « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » كما أن شخصية الصحفي تكررت في أعمال أخرى منها قصة قصيرة بعنوان « فترة من حياة بهية مسعود » التي أعتقد أنها كانت تحتوي على بذرة من بذور رواية « الرجل الذي فقد ظله » ومنها رواية « من أين » حيث أن بطلها صحفي ، وهي وان لم تتناول مهنة الصحافة ، الا أنها تناولت الموضوع الذي كان يقوم الصحفي بتحقيقه ، فإذا انتقلنا الى الجزء الأخير من السؤال عن تأثير عملي الصحفي أو عملي كمحقق في أسلوب كتابتي للرواية ، أو في طريقة بنائها ، فأعتقد أن هذا الجانب يثير قضية جديرة بالتأمل والمناقشة ، فمن ناحية ربما كان عملي كمحقق له أثره في طريقتي في الاقتراب من الحقيقة في أعمالي الروائية ، حيث يتوجب عليّ أن أبحث عنها عبر قنوات متعددة ، وألا آخذها من مصدر واحد مهما يكن .

وقد ظهر هذا في رواية « الجبل » وفي رواية « الرجل الذي فقد ظله » .

الا أنه من المهم هنا أن أشير إلى أن بذرة هذا الاتجاه قد بدأت عندي في فترة مبكرة في بعض قصصي القصيرة ، كما سبق أن اشرت ، ولكن هذا لا يمنع من أن عملي كمحقق بلور هذا الاتجاه عندي وأنضجه .

ومن ناحية أخرى أرى أن السؤال عن تأثير عملي الصحفي في عملي الأدبي ربما له علاقة بما يقال من أني متأثر في كتابة الرواية بأسلوب الكتابة الصحفية ،

وهذا هو الأمر الذي يحتاج الى شيء من المناقشة ، من وجهة نظري ، هناك أوجه للتشابه وأوجه للاختلاف بين العمل الصحفي والعمل الأدبي ، العمل الصحفي يبدأ بمتابعة حدث يقع في الخارج ، ثم يعبر عنه بالكلمة أو بالصورة ، الأديب أيضا يجب أن يبدأ من ملاحظاته لما يقع حوله من أحداث ، عليه أن يواجه الواقع من حوله بنوع من البراءة الكاملة ، أو من الحياد إذا صح التعبير ، لا بد من درجة من البكارة والعذرية ، وربما دهشة الشاعر ، ليكون قادرا على الوصول إلى ما نسميه الصدق أو الحقيقة ، لا أتصور أن الكاتب الذي يبدأ بمسلمات أو بأحكام جاهزة يمكن أن يوصلنا إلى هذا النوع من الصدق ، فهو في العادة يرى في الواقع أو لعله يساق إلى رؤية ما يؤيد وجهة نظره المسبقة ، أو يبرهنها ، وفي رأيي أن ما يقدمه مثل هذا الكاتب ليس أدبا روائيا بالمعنى الذي أرتضيه ، وليس معنى هذا انني أرفض مثل هذا الأدب ، فمن حق كل كاتب أن يكتب بالمنهج الذي يرتضيه لنفسه ، ولكن طريقي أن ابدأ من خلال التجربة التي تنقلها حواسي ، وهي بعد ذلك توصلني الى نتيجة يمكن أن تكون مختلفة حتى عن توجهاتي المسبقة .

إذا كان العمل الأدبي والعمل الصحفي عندي يتفقان في البدء من ملاحظة الواقع الخارجي ، فان الاختلاف بينهما يبدأ أيضا بعد ذلك . . فالصحفي يسجل انطباعاته عن الحدث الذي رآه في الواقع فورا ، بأسلوب يتسم بالوضوح والبساطة ، أما الأديب فقد يحتاج الى سنوات لتأمل تجربة عاشها في الواقع ، قبل أن يكتبها في عمله الأدبي ، وبالنسبة لي فقد احتجت الى ثماني سنوات لأكتب رواية « الجبل » بعد أن عشت تجربتها في الواقع ، كما أن الأسلوب الأدبي يحتاج الى جهد من نوع خاص في اختيار الكلمات وصياغتها في نسق معين ، قادر على نقل الخبرة التي يتمثلها الكاتب الى القارىء ، والايحاءات التي يريد أن يوحي بها اليه ، هناك تصور أن الأديب الذي يعمل بالصحافة يتأثر أسلوبه الأدبي بالأسلوب الصحفي الذي يؤثر السهولة والوضوح عادة ولكن في الواقع هناك فرق بين السهولة والوضوح اللذين يكتب بهما الصحفي ، واللذين يكتب بهما الأديب ، فقد وصف النقاد أسلوب همنجواي الأدبي ـ وقد عمل أيضا بالصحافة ـ بأنه يكتب « بكلمات كأنها حصى تراه في غدير ماء صافي» وهم يعنون أنه يكتب بكلمات واضحة جدا محددة جدا ، إلا انها في النهاية من خلال هذا الصفاء وهذه الدقة التي ترسم بها الواقع ، تفجر في داخل القارىء المشاعر الجمالية التي يحس بها الكاتب .

هل يكون الكاتب محايداً ؟

●● إذا أذنت لي فلدي تعليق صغير على جزئية في أول حديثك ، ثم توضيح لسؤالي حول النقطة التي تحدثت عنها أخيرا ، فإذا عدنا الى قضية حياد الكاتب بالنسبة للتجربة التي يعايشها ، فلا أظن أن مثل هذا الحياد موجود بالمعني الدقيق ، فلكل كاتب وربما لكل انسان خلفية تؤثر في طريقة رؤيته للتجربة التي يمر بها في الحاضر وتفاعله معها ، ولعلك تقصد أن على الكاتب أن يخوض نوعا من الجهاد في سبيل ألا يبقى أسيرا لهذه الخلفية ، وهو يعيش تجربته الحية الجديدة ، وأن عليه أن يكون متفتح العقل والقلب ليتمكن من رؤية الجديد الذي قد تحمله هذه التجربة ، والذي يمكن أن يسهم في تغيير خلفيته . . فهل توافق على اضافة مثل هذا التوضيح . .

ـ تماما . . وأظن أن هذا ما كنت أقصده ، وان لم يسمح سياق الحديث بتوضيحه بهذه الدرجة .

● أعود اذن الى توضيح آخر لما كان في خاطري حين سألت عن تأثير العمل المهني في أسلوبك في كتابة الرواية وطريقة بنائها ، فقد كان لدى احساس بأن منهجك في بناء العديد من رواياتك أنك تبدأ دائما من لحظة أزمة أو ذروتها ، ثم تقوم بنوع من الرحلة وراء جذور هذه الأزمة في الماضي أو الحاضر متابعا لفروعها في المستقبل ، وان هذه الرحلة تشبه من بعض الوجوه رحلة الصحفي الذي يبدأ تحقيقه من ذروة أزمة ثم يتابع الشخصيات والأحداث في مواقع وأزمنة مختلفة ليصل الى نوع من الحقيقة ، وان مهنة المحقق أيضا ربما كان لها تأثير على طريقتك في عرض موضوع الرواية ، من

خلال شخصيات مختلفة ، على النحو الذي أوضحته في حديثك عن « الرجل الذي فقد ظله » .

سورة يوسف هي البداية

ـ أوافقك الى حد ما على وصف الظاهرة ، ولكني ربما أختلف في تقدير الأسباب والدوافع .. فقد تدهش اذا قلت لك انني لم أمارس العمل الصحفي بالطريقة التي تشير اليها ، فلم أكتب خلال عملي بالصحافة تحقيقات صحفية أو اخبارا صحفية ، لقد كان أول عمل صحفي لي هو العمل كنائب رئيس تحرير ، وفي الواقع أنني دخلت الصحافة من باب الأدب ، ومع ذلك فأنا أوافقك على وصف طريقتي في بناء الرواية ، فأنا أبدأ من لحظة أزمة أو من ذورتها ، واضيف هنا أنني أحرص على الانتقال من ذروة الى ذروة أخرى ، وهذه فرصة لأحدثك عن بدايات هذا التفكير لدي في بناء الرواية .. وأذكر أن هذه النقطة بالتحديد كانت مجال مناقشات طويلة بيني وبين الصديق الناقد والكاتب الأستاذ بدر الديب في الأربعينيات .

لقد قلت له يوما (وبالمناسبة أنا حفظت القرآن الكريم في طفولتي المبكرة) سأقرا عليك سورة « يوسف » كما لو كنت اقرأ قصة ثم قلت له : الا ترى أن القصة تبدأ مباشرة بلحظة أزمة : « أولاد يريدون أن يخرجوا مع أخيهم والأب خائف » وهذه أزمة ثم يسقط يوسف في البئر ، ذروة أخرى ، ثم « يدخل يوسف على امرأة العزيز في مصر ثم همّت به وهمّ بها » ، ذروة أخرى ، ثم دخول السجن ثم الحلم ثم الخروج ثم القحط ... الخ .

اعتقد أنه من هنا ، من تأثير سورة يوسف بدأ الاهتمام عندي بأن تكون مراحل القصة عبارة عن مجموعة من الذرا التي تشد القارىء ، ثم حدث تأثر آخر في حقبة الخمسينيات ، فقد التقيت بمجموعة من كتاب السيناريو الأمريكان ، وطلبوا المساعدة في كتابة سيناريو فيلم اسمه (عبد الله الكبير) عن حياة شخصية تشبه شخصية الملك فاروق مع ثورة يوليو ، في أثناء هذا العمل المشترك كانوا يتحدثون معي عن ضرورة أن تعتمد المعالجة السينمائية على أسلوب الانتقال من ذروة الى ذروة ، بطريقة تحتفظ باهتمام المشاهد ، ومازلت أذكر من أحاديثهم معي :

« أكتب على هذا النحو : شخص يسرق ياقوتة بمليون جنيه ، ثم يضعها في جيب شخص لا يدري عنها شيئا ، ثم اجعل هذا الشخص الذي يحمل الياقوتة في جيبه يفعل أي شيء ، وتأكد آنذاك أن كل الناس سوف يهتمون بما يفعله هذا الشخص ، ومهما يكن ما يفعله ، لأنك وضعت بذرة الاهتمام بسلوكه منذ البداية .

كانت تلك طريقتهم في الحديث عن اهمية المحافظة على اهتمام المشاهد ، وطبعا كل كاتب يسعى الى ذلك بطريقته الخاصة ، وأذكر أيضا في نفس الحقبة أنني نشرت حديثا في آخر ساعة سنة ١٩٥٤ ، أجريته مع الكاتب الروائي الانجليزي « سمرست موم » وكان وقتها في ذروة مجده الأدبي ، ومن كلماته التي لا أزال أذكرها في هذا الحديث : الرواية أولا وثانيا وعاشرا رواية أحداث تشد انتباه القارىء .

هذه بعض المؤثرات البارزة القديمة التي أسهمت في تكوين فكرتي عن طريقة بناء الرواية ، وربما يعد ذلك اثرت المهنة ، سواء في التحقيق أو الصحافة على انضاج هذا الأسلوب أو هذه الطريقة .

بذور الرجل الذي فقد ظله

● قبل أن تترك هذه النقطة تماما دعني أذكرك بما أشرت اليه في بداية هذا الحديث ، من أنه كانت في بعض قصصك القصيرة المبكرة بذور لرواية « الرجل الذي فقد ظله » ، فلقد كنا نظن دائما أنك تأثرت في تقنيتها برباعية الاسكندرية « لداريل » أو أنها مهنة المحقق الذي يرى الواقعة الواحدة دائما من وجهات نظر متعددة بتعدد الشخصيات التي عاشت التجربة الواحدة .

ـ هذه فرصة أيضا لأقول لك انني لم أقرأ رباعية « داريل » الشهيرة عن الاسكندرية ... وان كنت أؤكد هنا ما سبق أن قلته من أن مهنة المحقق بلا شك قد أثرت في طريقة اقترابي من الحقيقة وبلورتها في

مجموعة قصص « سور حديد مدبب » قصة قديمة كتبتها قبل أن أكتب أيا من أعمالي الروائية هي قصة « غروب شمس » وهي تستعرض عدة لقطات لعدة شخصيات ، وهي تمارس حياتها المعتادة في لحظة غروب الشمس التي تشكل الاطار الزماني للقصة ، كما يشكل شاطىء البحر الاطار المكاني لها .

الشخصية الأولى في القصة فتاة انفصل أبوها عن أمها ، وتتعرض حياتها لاضطرابات عاطفية كبيرة ، الفتاة تسبح في مياه البحر في لحظة الغروب ، ومع الوهن تتعرض لمشاعر يائسة ، تجعلها تحس برغبة في الغرق ، وتكاد تستسلم لهذه الرغبة ، في اللحظة ذاتها أستاذ في علم الآثار يتمشى على الشاطىء مع صديق له ، ويحدثه عن معنى غروب الشمس عند قدماء المصريين ، وكيف أنها تقوم بنقل أرواح الموتى الى العالم الآخر .

في الوقت نفسه صاحب مقهى يوناني يقف على باب المقهى ، ينتظر الزبائن الذين يبدأ توافدهم على مقهاه كل ليلة بعد غروب الشمس ، لتدب الحياة في المقهى . . . الخ . . . . . الخ .

والبنت تكاد تغرق ولا أحد من هؤلاء يشعر بها ، واود أن أشير هنا أيضا الى أن هذا النوع من البناء القصصي الذي ظهر عندي في فترة مبكرة ويقوم على النقلات السريعة ، يرتبط تنوع الايقاع فيه في القصة الواحدة مع تنوع الشخصية والموقف . . فمثلا في قصة « خضرة البرسيم » نجد ثلاثة إيقاعات مختلفة مثل الحركات المختلفة في السيمفونية الواحدة ، فهناك الجملة السريعة في بعض أجزاء القصة ، ثم الجملة الطويلة في جزء آخر ، ثم الجملة المركبة في جزء أخير . . وقد تطور هذا الاتجاه بوضوح في « الرجل الذي فقد ظله » فالايقاع في الجزء الثالث الذي بطله ناجي » وتدور أحداثه في باريس ، يتميز بأنه ايقاع سريع حديث ، بخلاف الايقاع مع « مبروكة » الفتاة الريفية الذي يتسم بالبطء والهدوء

البراءة الذكية

● في شخصية « علياء في المدينة » سيناريو تلفزيوني كما في شخصية « يوسف منصور » التي ظهرت في العديد من رواياتك بنفس الاسم ، يلاحظ القارىء سمة نفسية غالبة تتردد كالنغمة الأساسية مع هذه الشخصيات « البراءة الذكية » وأعني بالبراءة شيئا غير السذاجة ، أو قلة الخبرة ، بل أعني درجة من صفاء العقل ونزاهة التفكير ، والقدرة على رؤية الحقائق بعيدا عن تحيزات الأهواء والأوهام الذاتية .

ودائما تستفز هذه البراءة تحيزات الآخرين ، ربما لأنها تكشف هذه التحيزات وتصطدم بها ، فتحارب وتتهم ، وتدخل في صراعات لا تنتهي ، ما معنى وجود سيطرة هذا الجانب في هذه الشخصية التي يرى البعض انها تمثلك شخصيا ؟ أو ربما على الأقل جانبا منك ؟

ـ حقيقة هذه الشخصية فرضت نفسها عليّ فرضا من خلال نوع من التربية المثالية التي تعرضت لها في طفولتي ، لقد فرض عليّ أن أكون الطفل الطيب المثالي ، ولقد صورت جوانب من هذه الشخصية في علاقة « يوسف منصور » بزميل له في المدرسة اسمه « أنفش » ، وقد خرج « أنفش » هذا مع يوسف منصور الى ميدان باب الحديد وعرض عليه أن يدخن أول سيجارة .

ولقد عانيت الكثير في طفولتي وشبابي بسبب هذه التربية ، فلقد كنت أتعرض دائما لسوء الفهم من جانب الأصدقاء ، يفهمون امتناعي عن المشاركة لهم في لهو الشباب وعبثه ، على أنه نوع من التعالي أو العبط أو البلاهة ، أو عدم الرغبة في الانتماء لطبقتهم .

وكان البعض يرى أنه لا سبيل لاثبات صداقتنا الا بأن نتبادل الشتائم ونشترك في نفس السلوك ، ولم يكن من السهل أن أتجاهل تأثير هذه المرحلة ، ولعلها ساعدتني في مراحل تالية على أن أدرك الكثير من أنواع سوء التفاهم البشري الذي ينجم عن تحيز الأفراد والجماعات لأهوائهم أو لأوضاعهم الخاصة .

وضرورة الوصول الى درجة من الموضوعية ، وربما لهذا صلة بالحياد المطلوب للكاتب الذي بدأت بالحديث عنه ، والقدرة والرغبة في ادراك معطيات التجربة الواقعية بشكل موضوعي .

غياب أو شحوب المشكلة الاجتماعية

● الأعمال الأدبية الروائية والقصصية التي ظهرت في الخمسينيات ، مثل روايات نجيب محفوظ والشرقاوي ويوسف ادريس وغيرهم ، تشترك كلها في أنها كانت تنطلق من احساس قوى جارف بضغط المشكلة الاجتماعية ، وبالمقارنة بأعمالك الموازية في المرحلة ذاتها نجد أن المشكلة الاجتماعية في رواياتك لا تكاد تحتل نفس المساحة ، أو تحظى بذات الاهتمام ، فالمشكلات النفسية أو الفكرية هي التي تبرز ، وحتى عندما نجد رواية مثل « الجبل » تقوم على أساس مشكلة اجتماعية ، فإن تكييفك الفني للمشكلة يبرز الجانب الفكري والنفسي لها ، وهو « ضرورة أن يقتنع أولئك الذين يستهدفهم الاصلاح بأهدافه ووسائله . . . ؟

اذا كنت تقر هذه الملاحظة فما تفسيرك لها ؟

- أود أولا أن أشير الى أن المشكلات الاجتماعية في كتاباتي في هذه المرحلة وفيما بعدها كانت موجودة ، وان كانت بدرجة أو بمساحة ترى انت أنها قليلة . . . على كل حال أذكرك بمبروكة في « الرجل الذي فقد ظله » ، وهي الخادمة القادمة من الأرياف ، وتمثل مشكلة الشريحة التي تنتمي إليها ، وعبد الهادي النجار في « زينب والعرش » وتاريخ أسرته ، والعوامل الاجتماعية التي أثرت في تكوين شخصيته . . . الخ .

ومع ذلك فلملاحظتك ما يبررها ، ولعل التفسير الذي أراه هو ان كل العوامل المؤثرة في سلوك أي شخصية ، سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم نفسية . . . هي كلها تصب في تكوين تركيبة نفسية معينة هي التي يتعامل معها الكاتب في النهاية ، وهي التي يقدمها للقارىء ، ليكتشف من خلالها تأثير كل هذه العوامل . . .





واعتقد انه بغض النظر عن أي رؤية سياسية أعتنقها ومع تبين أن هناك قضايا اجتماعية مثارة في الواقع ، ويواجهها الناس ، ولها ملامحها ومظاهرها ، الا أنني باستمرار أبحث عن التأويل النفسي لهذه القضايا ، لدى من يعانون منها ، وأنا أبدأ دائما من هذه المنطقة النفسية،لا أبدأ من أن الظلم الاجتماعي واقع هناك في الخارج ، أو بوصف مظاهر الفقر ، بل أبدأ من الطريقة التي ترى بها الشخصيات ذلك كله ، أو الكيفية التي تحس بها ذلك الفقر أو الظلم . .

مقبرة أم مصحة ؟

● في روايتك « الأفيال » كنت أشعر أن مؤسسة « دس » هي نوع من المصحات النفسية الحديثة التي تلجأ اليها الشخصيات المأزومة للمساعدة في الخروج من الأزمة ، والسيطرة على النفس ، بعد نوع من العلاج الجمعي ، إن أحداث الرواية هي التي شجعتني على هذا التفسير ، فيوسف منصور بطل الرواية يلتقي في هذه المصحة النائية التي يلفها الغموض بالعديد من الشخصيات التي أسهمت في صنع أزمته ، ومع كل آلام المواجهة بينه وبينهم ، ومع تكشف الحقائق حتى ما كان يتصل منها بأجزاء غامضة من ماضيه . . . يبدو أنه قد وصل

أخيرا الى درجة من التحرر والاستعداد للمواجهة ، مع كل القوى التي دفعت به الى حافة الجنون .....

كيف بعد ذلك تفسر استسلامه وبقاءه في المصحة ليلعب الدمينو مع خصومه ....؟

ـ حتى يتحرك القارىء ... قالها ضاحكا : ثم استطرد ....

ومع ذلك دعني أقول لك أنني ربما أكون قد تأثرت في اختيار هذه النهاية بنهاية شخصية « هانز كاستروب » في رواية لتوماس مان ، لقد ذهب « هانز كاستروب » لزيارة ابن عمه المريض بالسل في إحدى المصحات فوق جبال الألب ، وكان السل في ذلك الوقت مرضا خطيرا والزائر سليم قوى ، ولكن تأثره بالجو الذي عاش فيه أياما جعله يتوهم أنه مريض هو الآخر بالسل ، وبقي بالمصحة إلى أن مات .

ومن ناحية أخرى فأنا في الواقع شعرت بأن يوسف منصور قد انتهى دوره بمجرد أن عرف الحقيقة الكاملة وأن عليه أن يدفع حياته ثمنا لهذه المعرفة ، من هنا سميت الرواية بالأفيال ، لأن هذه المجموعة من الرجال انتهت أدوارهم بخيرها وشرها ، ولم يعد أمامهم سوى أن ينتظروا الموت كالأفيال في المقبرة .

● قدمت في الأفيال تشريحا رائعا لبعض الحركات الدينية من وجهة نظر عناصر في السلطة ، ومن وجهة نظر الأب المثقف يوسف منصور ، ولكنك لم تعبر عن هذه الحركات من داخلها ، أو من وجهة نظر أصحابها الا بطريق غير مباشر ، من خلال الضابط الذي دفع به قائده للتجسس عليهم ، فانضم اليهم ، دون أن تعرف دوافع هذا الانضمام ، ولا كيفيته ، وبهذا بقي الغموض يلف موقفها من الداخل ، الا ترى أن هذه الحركات تستحق ولو في رواية أخرى رؤية من الداخل ؟

ـ في الواقع أنا اقتربت من هذا الموضوع بطريق آخر غير مباشر في رواية « بنت من شبرا » ولكن يبدو أنك لا تقتنع الا بدخولي في التجربة فهل تريدني أن ...... و .... و ....

● وكيف يا ترى تكون النهاية ؟

ـ طبعا لا أحد يضمن نهاية ، والا كيف تكون تجربة ؟ وصادقة ؟ □

الرفق

● الرفق مبدأ اسلامي يبنى عليه التشريع الاسلامي قواعده وأصوله ، فالاسلام يعتمد مبدأ الرفق بصورة عامة في جميع شؤون الحياة فيجعل منه سمة تميز المؤمن وعنصرا يقوي الايمان وفضيلة تزين العمل ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى عليه وسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله .. كما يقول ﷺ : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالايعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه ، والرفق لايكون في شيء الا زانه ولاينزع من شيء الا شانه .

وعن جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : ان الله عزوجل ليعطي على الرفق مالايعطي على الخرق ، واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا الخير » ، وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » .

الموسيقا العربية والهارمونيا

بقلم : سليم سحّاب*

تبدو الموسيقا العربية للكثيرين وكأنها نقيض للموسيقا الأوروبية الكلاسيكية . وبأننا أمام أحد طريقين : إما الاتجاه « للعالمية » عبر البوابة الأوروبية ، أو البقاء ضمن الأطر الشرقية المعروفة لدينا منذ زمن بعيد . . فهل من بدائل أخرى ؟

كان يمكن لموضوع علاقة الهارمونيا الأوروبية بالموسيقا العربية أن يظل أسير دوائر المؤتمرات الموسيقية المتخصصة ، والأبحاث الموسيقية الأكاديمية ، لولا أن هذا الموضوع انتقل منذ مدة طويلة من الحيز النظري الى الحيز العملي ، ليس فقط عبر محاولات كثيرة لتطبيق قواعد الهارمونيا الأوروبية (البدائية والمتعمقة) في شتى مجالات الموسيقا العربية ، بل ان المسألة تحولت ، بطروحاتها النظرية وتجاربها العملية على يد عدد كبير من الملحنين أصحاب الألحان الرائجة جماهيريا ، الى مادة متداولة في الثقافة الشعبية ، أبرز ما فيها - للأسف - انتشار ذلك الاعتقاد الخاطىء انتشارا شعبيا واسعا ، بأن الموسيقا العربية التي لا تستعير آفاق الهارمونيا الأوروبية هي موسيقا متخلفة ، بعيدة عن التفكير الموسيقي ، وبالتالي فان معيار التطور العلمي لأي انتاج موسيقي عربي معاصر ، هو مدى اقترابه أو عدم اقترابه من صيغ الهارمونيا الأوروبية .

ان هذا الرأي الشائع خديعة علمية مكشوفة ،

* اختصاصي موسيقا من القطر اللبناني ، حاصل على ماجستير في الموسيقا ويحضر لرسالة الدكتوراة ، رئيس فرقة الموسيقا العربية .

سببها ، بالاضافة الى عقد النقص أمام الغرب ، التي تشمل كثيرا من نواحي حياتنا السياسية والثقافية ، عدم التعمق الكافي في التعرف العلمي بكل الأعماق النظرية للهارمونيا الأوروبية من جهة ، وللمقومات النظرية للمقامات العربية ومكوناتها من جهة أخرى .

ان عقد النقص أمام العلم الأوروبي شوشت كثيرا احتمالات الاستفادة من العلوم الموسيقية الأوروبية ، فأصبح استعمال « الكليشيهات » الهارمونية الطابع المشترك لكل من أراد استعمال الهارمونيا في التوزيع الموسيقي ، دون الأخذ بالحسبان أن الهارمونيا الأوروبية وضعت لتلائم طبيعة اللحن الأوروبي ، البعيد كل البعد عن طبيعة اللحن العربي .

تعدد الأصـــوات

كيف ظهر تعدد الأصوات في الموسيقا ؟ المعروف أن أول نشاط موسيقي قام به الانسان هو الغناء ، فهو النشاط الموسيقي الوحيد الذي لا يحتاج الى تصنيع آلة موسيقية ، فآلة الغناء هي الحنجرة ، والمعروف تاريخيا أن التصنيع ظهر كنشاط انساني بعد مدة طويلة من ظهور المجتمعات الانسانية البدائية ، أما ظهور الغناء المتعدد الأصوات فتقول نظرية موسيقية أوروبية ، ان سببه قد يكون ظهور النشاط الغنائي الجماعي ، واذا لم يكن الغناء الفردي مشكلة لأن المغني كان يختار الطبقة المريحة والمناسبة لصوته ، فان الغناء الجماعي خلق مشكلة كبيرة هي عدم ملاءمة الطبقة الواحدة لجميع الأصوات المشتركة في الغناء ، من هنا ظهر النشاز ، أي الخروج عن اللحن لعدم امكان الغناء الصحيح ، ونلاحظ الظاهرة نفسها حين نسمع غناء مجموعة غير مدربة من الأطفال ، ومع الوقت اتجه النشاط الموسيقي الغنائي نحو تنظيم الأصوات الناشزة في الغناء الجماعي ، الخارجة عن اللحن الأحادي الأساسي ، والاستفادة من اختلاف طبقات الأصوات المؤدية ، وهكذا ظهر حسب هذه النظرية الموسيقية تعدد الأصوات في الغناء الجماعي ، هذه الظاهرة تفشت في الموسيقا الشعبية لدى شعوب أوروبا وافريقيا ، كشعب الكونغو مثلا ، وغيره من الشعوب الافريقية . ويلاحظ عدم انتشارها عند الشعوب الشرقية .

وربما كان السبب في عدم وجود النشاز في الغناء في الشرق هو أن الشعوب الشرقية عرفت الآلات الموسيقية ، وتفننت في صناعتها قبل ظهور هذه الآلات وصناعتها في اوروبا بمدة طويلة جدا تقدر ببضعة آلاف من السنين . فأصبح النشاط الموسيقي عند شعوب الشرق مقسما بين الغناء والعزف ومصاحبة الغناء ، فيما انحصر النشاط الموسيقي في أوروبا القديمة وافريقيا بالغناء فقط لعدم ظهور الآلات الموسيقية لمدة طويلة ، فيما عدا الآلات الايقاعية في افريقية . لذا تطور الغناء عند هذه الشعوب حتى وصل الى تعدد الأصوات .

وهنا لابد من الحديث عن بعض النظريات الموسيقية لتنجلي الرؤية : ان اللغة الجديدة ، الهارمونيا ، التي احتلت مكان « البوليفونيا » ، اخذت مع الوقت تشكل نظاما مستقلا من العلاقات الداخلية بين درجات السلم الموسيقي الواحد « **توناليتي** » وأصبح في وسط محور هذه العلاقات علاقة الدرجة الرابعة بالثالثة هبوطا ، وعلاقة الدرجة السابعة بالثامنة صعودا .

هذه العلاقات أوجدت مع الوقت نظاما صارما للتحرك النغمي . إنّ في اللحن الأساسي أو في التجانسات اللحنية الهارمونية ، وسمي هذا النظام : الوظيفة الهارمونية ، وظهرت الوظيفة الهارمونية الأساسية في النظام الهارموني الكلاسيكي الغربي المبني على التتابع النغمي التالي : الدرجة الأولى ـ الرابعة ـ الخامسة ـ الأولى . وفيما كانت العلاقة مهمة في البدء في التجانسات العمودية فقط ، أصبحت فيما بعد مهمة أيضا في اللحن الأفقي ، فأصبح من الضروري في الغناء أو العزف ، لدى أداء الدرجة الرابعة ، أن تكون متوترة ومشدودة نحو الدرجة الثالثة هبوطا بما يذكرك بهذه العلاقة ، كذلك الدرجة السابعة وأداؤها مشدودة صعودا نحو الدرجة الثامنة ، جواب الدرجة الأساسية في السلم الموسيقي ، وبذلك تأتي السابعة متوترة لتوقها الى الحل ، أي الى الاستراحة على أساس السلم الموسيقي ، لذا صنفت الدرجة الرابعة على رأس الأصوات غير الثابتة ، وسميت السابعة بالحساس حسب النظريات الموسيقية الفرنسية ، وبالصوت الجاذب أو القائد بنظريات موسيقية أخرى .

اذا عدنا الى النظام الهارموني وحللناه ، نرى أهمية

ظهور العلاقة اللحنية بين الدرجة الرابعة والثالثة هبوطا والسابعة والثامنة صعودا ، وهذا ما يثبت ان السلم الموسيقي الأوروبي (تونالیتي) سبك سبكا لكي يتلاءم مع الوظيفة الهارمونية : أولى ـ رابعة ـ خامسة ـ أولى . هذه الوظيفة الهارمونية أصبحت الهيكل الذي قامت عليه المدرسة الأوروبية الكلاسيكية ، وما لحقها حتى القرن العشرين ، وبلغ هذا النظام الوظائفي الهارموني حدا من الصرامة جعل أي خروج على هذا التسلسل التجانسي هرطقة موسيقية ، وأعظم هذه الهرطقات استعمال تجانس الدرجة الرابعة بعد تجانس الدرجة الخامسة بدلا من العكس .

ومع ترسيخ اللغة الموسيقية الجديدة التي استحدثتها الوظائف الهارمونية ، أصبح اللحن القريب من الطابع الشعبي الصرف يتعارض مع اللغة الجديدة ، من هنا أصبحت الحاجة ملحة لاستحداث نظام لحني جديد ، يتناسب مع اللغة الهارمونية الجديدة ، فكان ظهور السلم الموسيقي الأوروبي الحديث • « تونالیتي » ، ولن أسميها مقاما ، وذلك للفارق النظري الكبير بينهما كما سنرى لاحقا .

السلم الشرقي

ماذا عن السلم الموسيقي القديم ؟ هل اختفى من الاستعمال الموسيقي ؟ كلا ! انه السلم الموسيقي للموسيقا الشعبية في كل العالم ، وهو أساس الموسيقا الشرقية وبالذات الموسيقا العربية ، محور اهتمامنا ، فما هو الطابع الأساسي للمقامات الشرقية عموما والعربية خصوصا ، وهل فيها علاقات خاصة بين درجاتها ؟ نعم ، هناك علاقة مهمة تشكل التركيب الأساسي للمقامات الشرقية ، وتتلخص في علاقة جميع درجات المقام من جهة والدرجة الأساسية للمقام من جهة ثانية ، أي أن الدرجة الأساسية تشكل نقطة الثقل والجذب في المقام الذي تؤول اليه كل الدرجات الأخرى ، وهذا ما يفسر أهمية القفلة في الموسيقا العربية . فهي تشكل المحطة الأساسية في صلب التلحين أو الغناء أو التقاسيم ، ولنذكر قفلة « ياريتني عمري ما حبيت » من أغنية أم كلثوم « أنا في انتظارك » أو قفلة موشح « وجهك مشرق بالأنوار » أو قفلة موشح « ملا الكاسات » لمحمد عثمان أو قفلات دور « أحب اشوفك » لمحمد عبدالوهاب .

وتلخيصا للفوارق النظرية بين السلم الموسيقي الغربي والمقام الشرقي نقول ان في السلم الموسيقي الأوروبي درجتين تتقاسمان تجاذب باقي درجات السلم : الثالثة لجذب الدرجات نزولا من خلال الرابعة ، والأولى أو جوابها ، لجذب الدرجات صعودا من خلال السابعة (الحساس) ، وفي المقام الشرقي درجة واحدة تشكل محور التجاذب الوحيد ، وهي الدرجة الأولى الأساسية أو جوابها في المقام .

ولكن هل هذه الفروقات « البسيطة » على ما يبدو تكفي لأن تكون فوارق مبدئية تحول دون استعمال الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية في الموسيقى العربية ؟ أم أنها « حجة » فقط يتخذها « المتعصبون » للموسيقا العربية « ضد » الموسيقا الأوروبية والعلم الأوروبي ؟

السلم الموسيقي والمقام

في سنة ١٩٥٨ ظهر كتاب للموسيقي النمسوي ، اليوغوسلافي المولد والأمريكي الجنسية رودولف ريتي تحت عنوان المقامية ، اللامقامية والمقامية الشاملة وفي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ ظهر تحت عنوان جديد : « السلم الموسيقي في الموسيقا المعاصرة » . وقد ورد في هذا الكتاب مقطع في منتهى الخطورة فيما يتعلق بالفوارق المبدئية بين السلم الموسيقي الأوروبي الكلاسيكي ، وبين السلم الموسيقي الشرقي ، نورده حرفيا نظرا لأهميته ولارتباطه الشديد بموضوعنا :

« . . . . منذ نحو مائة عام اصطدم الموسيقيون الأوروبيون الذين وجهوا اهتمامهم الى الألحان الشرقية « الغريبة » ، بواقع صاعق لا شك فيه : ان هذه الألحان المذكورة لم تكن في غنى عن المصاحبة الهارمونية وحسب ، بل انها كانت تقاوم هذه الهارمونيا . وقد باءت بالفشل الذريع كل المحاولات لجعل هذه الألحان مقبولة للأذن الأوروبية ، أو الباسها هارمونيا جميلة ، أو سكبها في القوالب الهارمونية المستعملة ، وقد ظهرت استحالة ذلك تقنيا بدون تغيير أصوات هذه الألحان ، أو بدون تغيير الجملة اللحنية ، وكان أي تغيير يشوه طبيعة اللحن ، نازعا عنه جماله ولونه الخاص ، ونزيد على ذلك ، كما علمنا تاريخ الموسيقا ، أن الألحان ذات الطابع

الهارموني ، لم تكن تستطيع أن تشارك في صنع الحضارة الموسيقية قبل ظهور التفكير الموسيقي الهارموني (الهارموني بالذات وليس البوليفوني) ، ولذلك سمينا هذا النوع من السلالم الموسيقية : « السلم الموسيقي الهارموني » .

وبالتالي فاذا كانت الألحان الدائرة حول المركز المقامي تقاوم الهارمونيا في حال ، وفي حال آخر لا تنتشر موسيقيا الا اذا اقترنت بالهارمونيا ، فان هذه الظاهرة تشكل دليلا لا يقبل الجدل على وجود نوعين من السلالم الموسيقية ، ومن المنطقي حتما ان الموسيقا ذات الطابع اللحني اختفت من الاستعمال في فترة سيطرة التفكير الهارموني في الموسيقا ، وكان من المحال ظهور هذه الموسيقا اللحنية الطابع قبل « الخلاص » من السلم الموسيقي الهارموني ، وقد حدث هذا في نهاية القرن الماضي مع ظهور الموسيقا المعاصرة ، ومن الطبيعي أن فكرة « السلم الموسيقي اللحني » « ظهرت عندئذ .... » .

وهذا دليل موسيقي من جهة اخرى على الاختلاف الجذري بين طبيعة « السلم الموسيقي الهارموني » في الموسيقا الكلاسيكية الأوروبية ، الذي لا تقوم له قائمة بدون الهارمونيا الكلاسيكية ، وبين « السلم الموسيقي اللحني » في الموسيقا الشعبية أينما وجدت .

اللحني والهارموني

عند تصنيف الموسيقا الأوروبية بين كلاسيكية ورومانسية ومعاصرة ، لم يخطر على بال احد أن يسأل لماذا لم تدخل الى هذه التصنيفات الأسماء التالية : غلينكا ، تشايكوفسكي ، بورودين ، ريمسكي - كورساكوف ، موسورغسكي ورحمانينوف ، وهل هم كلاسيكيون أم رومانسيون ؟ ان هؤلاء العباقرة الذين يشكلون المدرسة القومية الروسية الكلاسيكية لدى استعمالهم الألحان الروسية الشعبية ، أو لدى كتابتهم ألحانا تحتوي على جميع خصائص الموسيقا الشعبية الروسية ، لم يعالجوا هذه الألحان بالهارمونيا الكلاسيكية الأوروبية ، بل أوجدوا لغة هارمونية جديدة تتلاءم مع « السلم الموسيقي اللحني » للموسيقى الروسية ، لذلك لم يضطر الموسيقيون الروس الكبار الى تغيير التركيب اللحني للألحان الشعبية الروسية التي استعملوها في أعمالهم الموسيقية ، بينما اضطر الموسيقيون الأوروبيون الكلاسيكيون الى ذلك ، كي يتلاءم السلم الموسيقي الميلودي للألحان الشعبية المستعملة في موسيقاهم مع النظام الهارموني الكلاسيكي الذي كان سائدا ، وعلى رأس هؤلاء بيتهوفن ، والأمثلة على ذلك بالعشرات ، خصوصا في سمفونيته السادسة المعروفة بالريفية ، حيث تغيرت كل الألحان الشعبية المستعملة فيها على كثرتها ، لتتلاءم مع النظام الهارموني المستعمل لمعالجة هذه الألحان ، واللحن الشعبي الوحيد في هذه السمفونية الذي لم يخضع الى التغيير الميلودي هو لحن رقصة الفلاحين في الحركة الثالثة ، قبل العاصفة وذلك لأنه استعمل بدون أية معالجة هارمونية وقد استخدمه لحنيا فقط . وفي مثال موح آخر فان غلينكا ، مؤسس المدرسة الموسيقية الروسية القومية الكلاسيكية بعد عودته من دراسته في ايطاليا وألمانيا ، وكتابته سمفونيته « تاراس بولبا » وهي السمفونية الروسية الأولى ، على أساس ألحان شعبية روسية جمعها لهذا الهدف ، مزق سمفونيته هذه بالرغم من الألحان الشعبية ، كونه وجد ان الهارمونيا الكلاسيكية الأوروبية ، التي استخدمها ، لم تنسجم مع الألحان الروسية الشعبية التي عالجتها ، كذلك لم يتقيد شوبان ، عبقري الهارمونيا ، بالوظيفة الهارمونية الكلاسيكية في معالجته للألحان الشعبية البولونية التي استعملها في موسيقاه ، وهذا هو السبب الذي جعل عبقريا آخر مثل فرانز ليست لا يفهم عبقرية شوبان .

بكلام آخر : ان الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية التي كانت تستخدم لمعالجة الألحان المبنية على « السلم الموسيقي الهارموني » لم تصلح لمعالجة الألحان ذات الطابع الشعبي الروسي والبولوني المبنية على « السلم الموسيقي اللحني » .

ان اللغة الهارمونية الجديدة لمعالجة المادة الموسيقية ذات الطابع اللحني وصلت الى ذروتها في الموسيقا الروسية مع موسورغسكي ، وقد لفتت لغته الهارمونية الجديدة نظر أهم موسيقيي فرنسا المخضرمين ، كلود ديبوسي الذي ما ان عاد الى فرنسا من روسيا ، بعد ان تعرف الى موسيقا موسورغسكي ، حتى انكب على دراسة الموسيقا الشعبية الفرنسية القديمة ، فوجد الدلائل نفسها : ان الموسيقا الشعبية الفرنسية مبنية على « السلم الموسيقي

اللحني » ، ولا يجوز اطلاقا استعمال الهارمونيا الكلاسيكية في معالجتها . من هنا ظهرت المدرسة الجديدة في الموسيقا الفرنسية : الموسيقا الانطباعية ، وما تبعها ، المبنية أساسا على لغة هارمونية جديدة ، وضعت خصيصا لتتلاءم مع طابع الموسيقا القومية الفرنسية .

الموسيقا العربية والهارمونيا

اين الموسيقا العربية من كل هذه المشكلات ؟ ان الموسيقا العربية موسيقا لحنية قائمة على المقام ، وهذا ما أسماه ريتي « السلم الموسيقي اللحني » . وعليه فان استعمال الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية لا يتناسب مطلقا مع طبيعة هذه الموسيقا اللحنية ، ويشهد على ذلك غلينكا وموسورغسكي وشوبان وديبوسي وبيتهوفن مدعومين بنظرية ريتي في كتابه المذكور ، ان استعمال هذه الهارمونيا بدون تغيير يؤدي حتما ، كما حصل في التجربة التي رواها ريتي ، الى ضرورة تغيير الطبيعة الداخلية للحن العربي ، حتى تتناسب مع التسلسل الهارموني الكلاسيكي . ويلاحظ ذلك في تراث الاخوين رحباني اللذين أخذت الحانهما مع الوقت وبسبب الابتعاد عن الخط اللحني الأصيل تفقد من جمالها وعرض جملها اللحنية ، وأخذت تبتعد شيئا فشيئا عن المقامات العربية لأن هاجسهما الأول وهو الهارمونيا والتوزيع الأوركسترالي لا يلائمها ، إلى أن اختفت من أعمالهما هذه المقامات العربية . . . ومع الوقت أُتبِعَتْ الجملة اللحنية بالتوزيع الغربي ، فراحت تتغرب الى ان فقدت نهائيا صلتها بالتراث العربي ، واتجهت نهائيا الى الغرب . . . . » .

البديل الموسيقي

إن الموسيقا العربية وجدت لنفسها طريقة تطوير لا تقل عن الهارمونيا خلقا وابداعا وتلوينا ، هذه الطريقة هي ما نسميها في التلحين العربي « السكك المقامية » ، المبنية على طبيعة اللحن العربي المرتكز على « السلم المقامي اللحني » . وليس صدفة أن الفارق بين عباقرة التلحين العرب من جهة ، وبين الملحنين العاديين من جهة أخرى هو بشكل أساسي تعمق العباقرة دون سواهم في الامساك بجميع أسرار السكك والتلوينات المقامية ، وطرق العودة الى المقام الأساسي ، وهذه السكك المقامية تقوم بدور التلوين الموسيقي والانفعالي الذي تؤديه الهارمونيا في الموسيقا الاوروبية . اما اذا اردنا استعمال الهارمونيا ، فان ادخال « كليشيهات » هارمونية كلاسيكية أوروبية درسناها في سنة أو سنتين هو استخفاف كبير بالموسيقا العربية ، وبالموسيقا الغربية والهارمونيا الغربية .

ان المدرسة الموسيقية الروسية ابدعت لغة هارمونية جديدة تتناسب مع طبيعة اللحن الروسي ، ولم تلق بالا الى ان هذه اللغة الهارمونية تتناقض مع قواعد الهارمونيا الأوروبية الغربية الكلاسيكية أو لا تتناقض ، فالمهم عندهم كان الا تتناقض مع روح الموسيقا الروسية ، كذلك ديبوسي الذي استنبط بعد دراسته للحن الشعبي الفرنسي هارمونيا جديدة تتناسب مع اللحن الفرنسي ، وشوبان البولوني عند معالجته للحن الشعبي البولوني ، ان الكسل وعدم المعرفة وعقد النقص يجعل بعض موسيقيينا يستعملون القليل الذي تعلموه مفضلين « سكب » ألحان في هذه القوالب الهارمونية الجاهزة ، على الجهد لاستنباط لغة هارمونية جديدة من طبيعة اللحن العربي نفسه .

هذا للاسف ما يحصل ، ولذلك نرى اللحن العربي وبالأخص اللبناني الحالي مشوها ، وفي أحسن أحواله يشبه الألحان الأوروبية في الأغنيات الخفيفة الراقصة . فهل هذه هي طريقة تطوير الموسيقا العربية ؟ وهل هكذا ندخل « التفكير الموسيقي » الى الموسيقا العربية ، كما يحلو لبعض الموسيقيين الجدد أن يقولوا ، وكأنها كانت خلواً من التفكير قبلهم ؟

نحن مع تطوير موسيقانا ، ولكن التطوير يجب أن ينبع من طبيعتها ، فاذا أردناها هارمونيا ، فليكن ! ولكن شرط أن نستنبطها من طبيعة موسيقانا ، فتكون خاضعة لطبيعة اللحن العربي ، وتساعد على تعميقه ، لا أن يخضع اللحن العربي لها فتشوه معالمه . ولنا مثال كبير على الجهد في استنباط الهارمونيا من طبيعة اللحن العربي كتجربتي زكي ناصيف وتوفيق الباشا في لبنان . □

دلالات الرمز في رواية الارض المحتلة

بقلم : وليد أبوبكر

عندما يحكم اغلاق الطوق ويرى الكاتب نفسه وجها لوجه أمام القمع والمصادرة فإنه يلجأ مهتديا بحسه الوطني الثاقب الى طرق وأساليب جديدة في التعبير ـ منها الرمز . فما هي دلالات الرمز في روايات الكتاب الذين دهمتهم هجمة الاحتلال في أرض فلسطين العربية . . وأبوا الا أن يقارعوها بكل ما يستطيعون ؟

في رواية (اخطية) يقول اميل حبيبي ان محامي الشعب حنا نقارةهو الذي علمهم فضل الرمز على المزج ، حين كان يهمس للفلاح المهدّد بمصادرة أرضه بكلمة واحدة : « خشّب » ، فيفهم الفلاح أن عليه أن يصمت ، وأن يترك الحديث للمحامي ، بينما لا يفهم الضباط والضابطون شيئا ، وان تظاهروا بغير ذلك .

واذا كانت للرمز فضيلة في الحياة العامة ، فإن من الطبيعي أن يلجأ اليه الأدب ، حين يكتب في ظل قهر الاحتلال ، وبالرغم من أن الاتجاه الواقعي هو الأسلوب الذي اختارته رواية الأرض المحتلة في معظم انتاجاتها ، الا أن ذلك لم يمنع الكتّاب من اللجوء الى الرمز الجزئي ، أو الشامل ، في بعض الأحيان ، داخل هذا الاطار الواقعي ، ولعل أبسط ما يمكن أن يشار اليه في هذا المجال هو اختيار كثير من الأسماء ، بحيث توحي بسلوكها داخل العمل الروائي ، وقد برع اميل حبيبي في هذا الاختيار وتميز ، فكان سعيد أبوالنحس «المتشائل» في الرواية التي حملت اسمه يتصرف بما يشبه الاسم تفاؤ لا وتشاؤما ، وكذلك كان إسم (يعاد) واسم (باقية) واسم (ولاء) في الرواية ذاتها ، أما في (إخطية) فان اسم عباس يقدم اختصارا لتاريخ حيفا ، المدينة ، وجغرافيتها ، بينما يوحى اسم (سروة) بالارتفاع والقدرة على البقا ويقدم اسم (اخطية) دلالات مركبة .

الايحاء

لكن رواية الأرض المحتلة لم تكتف بالاسم الموحى ـ وانما تجاوزته الى بعض الشخوص الموحية أيضا ، واذا

كان رجل الفضاء في (المتشائل) رمز للقناعات الغيبية مثلا ، يلجأ اليه الانسان حين تضيق به السبل أو يعجز عن مواجهة واقعة ، أو يجبن عن ذلك ، فان رجل الفضاء هذا ، مع المزيد من الوعي ، وتجربة النضال يتحول في (اخطية) الى فلسطيني مسلح ملثم ، ينشر الرعب في كيان العدو ويشل حركته ، حتى وان كان الأمر كله متوهما ، حتى «الرامزور» اشارة المرور ـ التي تقع عندها « جلطة المواصلات » تتحول الى شيء موح ، يشير الى أن حركة العدو لايحكمها ظرف واقعي ، وانما هي طارئة ، قابلة لأن تتوقف في أية لحظة ، رغم استمرار عمل « الرامزور » ـ التقنية .

وحين يتحدث إميل حبيبي عن « الكنز » الذي يملكه بعض الناس ، فيصبحون قادرين على مواجهة العدو ، يكشف بعد ذلك انه كنز من الفكر أو الوعي ، الذي يخلق الثقة في قلوب الناس وينتزع منها الخوف ، أما سميح القاسم في روايته (الى الجحيم أيها الليلك) فقد اختار اللون ليوحي به ، فالليلك ، الذي ارتدته صديقة طفولته (دنيا) ـ وهو اسم موح ـ يوم هاجرت بعد أن هدم العدو بيت أهلها ، صار يعني عدم وضوح أي لون آخر . لأنه يغمر كل الألوان ، وهذا الوضوح لم يعد الى العين الا بعد أن وضح فعل المقاومة في عملياتها ضد العدو ، ودنيا هي ذلك الجزء من شعب فلسطين الذي هاجر تحت ضغط العدو ، وعودة الوضوح الى الألوان تعني عودة دنيا ، وعودة الوحدة الى الشعب العربي الفلسطيني الذي تشتت ، أو عودة الأمل في هذه الوحدة ـ التحرير .

الكسيح ينتفض

والفدائي الذي أعاد وضوح الألوان في الرواية هو (حسن الكسيح) الذي يرمز الى من بقي من شعب فلسطين على أرضها تحت نير الاحتلال ، وهو صبي كسيح ، تركه الراحلون الى الشمال ، بين يدي من لم يرحلوا ، وقد وجد أول الأمر عناية تامة من الكبار ، بردت حتى انتهت ، فأخذ الصغار ، يتلهون به ، تعذيبا الى درجة الموت ، لكن حسن الكسيح ينهض في آخر الرواية لينفذ عملية فدائية في وسط تل أبيب ، وليكشف عن أن كساحه كان مؤقتا ، كما كان موته مؤقتا كذلك ، فهذا الكساح جاء بسبب ضعف الامكانيات ، بعد أن استخدم الناس بنادقهم القديمة في مواجهة القوة الكبيرة للعدو ، فنفذ الرصاص ، ولم يعد بامكانهم أن يقاوموا ، فكان الكساح فترة استعداد للمواجهة القادمة .

والكساح ـ أو العجز ـ ليس غريبا على الرواية في الأرض المحتلة ، عندما نتحدث عن فترة ما بعد الاحتلال ، بالنسبة لمن ظلوا في أراضيهم ، ووجدوا أنفسهم أقلية مسحوقة فيها ، فوالدة (جبنية) التي بقيت في الأرض بعد رحيل ابنتها عجوز ، في (سداسية الأيام الستة) وأم الروبابكيا ، في الرواية نفسها بقيت مع والدتها الكسيح ، وشغلت نفسها بجمع ذكريات من رحلوا والمحافظة عليها ، حتى تظل لها خصوصيتها ، ولا تندمج مع الاحتلال .

وقد جاءت (اخطية) استكمالا لرمز الكساح ، وتعميقا كبيرا للدور الذي قامت به أم الروبابكيا لدى اميل حبيبي في روايته السابقة ، ثم اتسعت دلالات الرمز عبرها ، حتى أصبحت من أبرز الشخصيات الموحية في رواية الأرض المحتلة ، لتؤكد دور العرب هناك ، في الصمود الواعي في مواجهة الاحتلال ، انتظارا للخطوة التالية التي توصلت الى الكفاح المسلح عند حسن الكسيح .

مفاتيح « اخطية »

وتبدو شخصية (اخطية) محيرة في دلالاتها أول الامر ، ولكن الرواية تقدم مفاتيح هذه الشخصية بالتدريج ، حتى تبدو واضحة في النهاية .

اخطية هي سليلة عائلة عبدالكريم ، العائلة الوحيدة التي نجت من مذبحة الصليبيين في حيفا ، فكان سكان حيفا بعد ذلك هم نسلها ، والعائلة من أصول قروية فلاحية ، وقد حافظت على طباعها الأساسية في الجرأة ، كما تعرفت على الفكر الذي يناسبها ، فاتسمت بالوعي .

وكانت (اخطية) ـ الفتاة ـ محبوبة الجميع ، يتذكرها الجميع لأنهم عشقوها حتى التلف ، وتلقوا رسائلها وتمنوا أن يلتقوا بها وجها لوجه ، كما فعل أحدهم ، عندما قفزت من شرفة بيتها فوق صخرة



من صخور الدرجات الصخرية ، قبل نصف قرن من الزمن ، فتلقاها بذراعيه (لتكشف الرواية بعد ذلك أن الذي تلقاها كان أخاها) .

ثم اختفت (اخطية) سنة ، وفجأة عادت ، وظهرت وهي تحمل طفلة بين يديها ، وسحابة من حزن في عينيها ، فقيل انها ارتكبت (الخطيئة) وولدت سفاحا ، (اخطية) اذن هي جزء من حيفا ، من أهل حيفا ، وهي بالتالي جزء من فلسطين وأهل فلسطين ، وكانت قفزتها ـ حين نحسب ـ عام ١٩٣٥ ، فهل عنت تلك القفزة ، ثورة عز الدين القسام ، الريفية التي تشكلت في حيفا ، قبل أن تنفجر وتذوى بسرعة ، في أحراش يعبد ؟ وهل كانت الطفلة ، التي حملتها ، وعادت تنادي الناس بعينيها الحزينتين ، هي ثورة ١٩٣٦ ، التي اجهضت ؟ أم أن كل شيء كان مرتبطا بخشخشة الانتداب ، وعواء ثعالب الهجرة اليهودية المكثفة التي شهدتها حيفا ، كميناء ، والتي تمت عبر « الهبل الشامل » الذي خلق لدى الجميع هما ممضا حط عليهم من « موجة بحر عالية ، طلعت على شارعنا طلوع الموت الفجائي ولم تنحسر ، وذلك حين ترامت الى مسامعنا خشخشة أو عواء عن فضيحة ألمت بالفتاة ـ المليحة ـ التي سطا عليها غول » . ورغم أن جميع من أحبوها ـ وهم الجميع ـ تمنوا أن يعترفوا بأبوة الطفلة ليردوا شرف (اخطية) اليها ، الا انهم جميعا جبنوا عن ذلك .

لكن العائلة كانت تضم من يعرف سر (اخطية) ، وكانت (سروة) نموذجا لشجاعة هذه العائلة وجرأتها ووعيها ، وقد حاولت أن تدفع الناس الى الارتفاع ـ الى قمة شجرة الكينا ، حيث تبلغ ، حتى يعرفوا سر (اخطية) ، لكن أحدا منهم لم يملك الجرأة ليصل ، وحين سقطت (سروة) وهي تحاول أن تحث الناس ، عن الشجرة (في النكبة) ، اقفر من اهله شارع عباس ، وذهبت سروة واخوتها ، كما ذهبت من قبلها ، (اخطية) ولم يبق أمام الناس ، الا ما هو خاص بهم ، خصوصية تأنيب الضمير حين ينادون (اخطية) بصوت يقطع القلوب ، وهو البكاء على ما فات ، بسبب النكبة .

هل ذهبت (اخطية) حقا ؟ هل ماتت مع الموت الجرىء السروة أم هاجرت كما هاجر أحد أخوتها يلف ويدور : شارع عباس طرابلس الشام ، بيروت السعودية ، نيويورك ، ديترويت ، شارع عباس ، حنينا ، في النهاية الى العودة ،ولكن كزائر امريكاني رفض الامريكيتين ـ ابنته وزوجته ـ لأنهما أصرتا على أن اسم فلسطين هو « ازرائيل » ؟ عبدالاله عبدالكريم هو الجزء الذي هاجر من شعب فلسطين ، وحمل فصار الاجانب يعطونه اسم « اباس » . وقد قاده الحنين للزيارة ، لكن عودته

كزائر ، لم تدم ، فقد تم ترحيله ، ومنع من دخوله الى البلاد - زائرا - مرة أخرى ، وان كانت هذه العودة قد كشفت حنينا لايموت - الى الوطن ، والى (اخطية) ، فأين كانت (اخطية) كل هذا الوقت ؟

لقد ظلت (اخطية) في حيفا ، (باقية) في أقدم البيوت في شارع عباس ، أقدم الشوارع ، وكان وجودها واضحا وضوح الشيء الذي يتعود عليه الانسان ، حتى لايعود يراه ، الا اذا وقف وتأمل وانتبه جيدا الى مرور عامل الزمن « وكان فطينا » حتى يستطيع أن « يرى »

هذه الفطنة ، وبعد أن أصبح عامل الزمن هو الحياة كلها ، أوصلت الى التعرف على ما هو واضح أصلا ، وما يراه كل يوم ، ممثلا بواحد من أبناء عبدالكريم ، يسمى بالرجل البندول ، لأنه يرسم خريطة حيفا مرتين كل يوم ، وهو يطوف شوارعها خارجا من منزله عائدا اليه ، لايزار ، ولا يسلم فلا يسلم عليه .

وهو طويل القامة ، منتصب الفرع ، لم يتغير ، ولم يؤثر عليه مرور الزمن . وهو من أب مسلم ، وأم نصرانية ، يرتدي الثياب السوداء الرسمية . . ويستقبل من رأى وهو يقول : ستة وثلاثون عاما وأنا انتظر هذه الصحوة ، هي بالطبع عمر الاحتلال .

الباقي

ان (عبدالرحمن عبدالكريم) هو الجزء الباقي من العائلة ، وهو أكثر أفرادها وعيا ، فقد كان عاملا - كسائق قطار - وكان يتحدث عن ثورات التحرر في العالم ، وتكشف الرواية انه كان يحمل رسائل (اخطية) الى من يحبونها بعد أن ذهبت (سروة) ، قبل ان تبلغ قصر الغول ، وتحرر (اخطية) من سجنها ، وقد أصر على البقاء في الأرض ، بانتظار هذه الصحوة ، وقد امتزجت فيه الأديان ، وتشبع بروح الثورة .

فمن تكون (اخطية) بالنسبة له ؟

أشارت الرواية الى انها كانت « أختا » له يرعاها ، حتى صارت « سمراء ملتهبة » كما النار ، في حلة حمراء ، ثوب من الحرير الأحمر اللعوب ، وقلادة حول عنقها من العقيق الأحمر ، فصارت معشوقة كل انسان ، وصارت ترسل الرسائل الى كل



أميل حبيبي

شاب ، عبر الوسائل السرية المتاحة ، من مشط عظمي أو خشبي يفوح برائحة بيتية ، الى أعشاش برج الحمام الزاجل في صندوق « شوكلاطة » صغير .

واخطية اذن شيء يتوهج ، فكر يتوهج ، حس ثوري مقاوم يتوهج ، فلا تخبو فيه النار ، ويحتاج الى علو في الوعي - حتى يصل الانسان الى سره ، فمن أراد أن يعرف سر (اخطية) عليه ان يرتفع ويعلو ، وهذا الحس الثورى يحمى من الخوف من صياح الثعالب الجائعة في الليل ، وهو الذي يصر على عدم الاندماج مع واقع العدو ، فلا يزور ولا يزار ، ولا يسلّم ولا يسلّم عليه ، ويحافظ على غرفة الجلوس - الوطن - أنيقة نظيفة ، تعبق برائحة الماضي ، كما لو أن نوافذها لم تفتح على الشمس أربعين عاما . وهي مكتظة بالمقاعد ذات الطراز العتيق ، وقد علتها مسحة من غبار ، لو كان النسيان غبارا لكانه .

(اخطية) اذن - كاسم - ليست من الخطأ الذى ارتكبته ولا الخطيئة ، ولكنها اللفظة الشعبية التي تعني (الحرام) ، لأن هذه المرأة قد ظلمت عندما اتهمت بالخطيئة .

ولقد ظلم ذلك الجزء الذي بقى من شعبنا في الأرض ، بعد الاحتلال الأول ، واتهم بانه لم يرفع في وجه العدو صوتا ، ثم ثبت أن هذا الاتهام ظالم ، فمجرد الصمود فوق الأرض الغى حلم الصهيونية « بدولة عبرية نقية » . كما أن هذا الصمود كان يناضل بالوسائل المتاحة ، عبر الأحزاب والنقابات

وما لديها من قدرات على المقاومة ، وما لديها من صحف حافظت على اللغة العربية ، حتى اعترف سميح القاسم في روايته (الصورة الأخيرة في الألبوم) ، بأنه لولا الجيل الطليعي الواعي الذي بقي من شعب فلسطين في الأرض المحتلة لتشرد كل من بقي ، وبأن السلطة غاضبة لأن الناس ، مع هذه الطليعة ، وبها رفضوا الرحيل والمذلة ، وتصدوا لمؤامرات التهديد والتجهيل .

هذه الطليعة ، الفكرية ، التي تمثلها (اخطية) ، لماذا اختفت كل هذا الوقت ؟

تجيب الرواية بوضوح : ولدت اخطية كسيحا . لكن هذا الكساح كان مختلفا عن كساح حسن الكسيح ، الذي تخلى الناس عنه دون مبرر فني أو موضوعي - بينما ظلت سروة عند (اخطية) تحمل صوتها الى الناس - وهي خرساء - وظل عبدالرحمن عبدالكريم يتحرك بدلاً منها ، (اخطية) اذن ، هي ذلك الفكر الثوري الواثق من نفسه الذي لا يخاف من عدوه ، حتى وان خاف بعض الناس من الارتباط به ، من تلك الظواهر الكونية التي وجدت ليعترف الناس بها ، لا ان تعترف بهم .... دغلة في الكرمل ، استعصت على اسفلت عليقة مجدورة في جنينة عباس ، بساحة منسية وراء فرن وادي النسناس .. نصب قبر منسي في حيفا العتيقة .. لاتذهب عنكم ، بل تذهبون عنها ، ولا يأخذونها منكم ، بل يأخذونكم منها ، يرحلون عنها ولا يعودون ، أما هي ، فلا تعود ، لانها لا ترحل .

اخطية هي الثابت من الارض ، الثابت من الفكر ، الذي لايتنازل عن القاعدة ، ويسمح بالاجتهاد ، من خلالها حتى تكون لكل انسان اخطيته التي يسأل عنها كيف تركها ولماذا تركها ، وكيف حالها من بعده ، في وحدة وطنية ، لها ثوابتها الفكرية التي تتفق عليها ، ولها هدفها الذي تعرف طريقه .

تواصل الأجيال

اخطية ، اذن تلخيص لكل الشخصيات الموحية في الروايات التي صدرت من قبل ، توازيا مع هذه الشخصيات ، واستكمالا لها ، أو تناقضا معها ، وهي حسن الكسيح ، محسنا بالوعي ، وهي أم الروبابكيا واعية لما تفعل ، وهي اجمل البنات ، مثل (دنيا) ولكن من موقف نقيض ، فدنيا رحلت واخطية بقيت ، فهما - معا توحيان بالحنين المتبادل بين من هاجر ومن بقي ، لكن (اخطية) ، وهي النقيض التام لشخصية (سعيد أبي النحس المتشائل) موقعا وسلوكا الى الحد الذي يمكن اعتبار رسالة كل منهما واحدة ، حين ندرك أن ما تريد رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل) أن توصله ، هو عكس ما يفعله المتشائل تماما ، وهو يتفق مع رسالة اخطية ، خصوصا وان المتشائل في حقيقة سلوكه قد اختار أن يتكيف مع واقع الاحتلال حتى وان كان « الحمق » قد أوصله الى هذا الاختيار : فهو متسلل الى الوطن بعد هجرة ، ومع عشيق اخته بالتحديد ، وقد تسلل مع توصية من والده للعدو ، حتى يكمل الولد رسالة الوالد في التعاون مع هذا العدو وكل ما واجهه المتشائل بعد ذلك ، كان نتيجة لاختياره الأحمق ، ومحصلته - بالطبع - تدين هذا الاختيار وتدعو الى نقيضه ، فالمتشائل - كشخصية في الرواية ، يشير الى ذلك الجزء الانتهازي والغبي في الوقت ذاته ، من الشعب العربي الذي يعيش تحت الاحتلال ، وهو الجزء الذي يحاول أن يتكيف ، وأن يندمج منطلقا في قناعاته من غياب الوعي ، الذي يظل غائبا حتى يكتشف أن ظروف الاحتلال وممارساته ، لاتسمح حتى لمثل هذه النوعية بأن تبقى ، فان يبقى الانسان في وطنه ، يعني أن يملك الاصرار ، والوعي مثل اخطية وعبدالرحمن عبدالكريم راعيها ومحركها ، وان يعود الانسان الى وطنه ، لا يعني ان يعود متسللا وهو يحمل توصية ، ولا أن يعود زائرا ، وانما ان يعود عبر طريق التحرير ، وقد خطت (اخطية) سطرا أول في صفحة التحرير كان الوعي ملخصه ، كما خطت (الى الجحيم أيها الليلك) سطرا أخيرا ، كان الكفاح المسلح ملخصه ، وهذا ما فعلته سحر خليفة بأسلوب واقعي في روايتيها (الصبار وعباد الشمس) وما فعله سليمان ناطور في روايته (أنت القاتل يا شيخ) وما فعله غريب عسقلاني في (الطوق) وعلى الخليلي في (المفاتيح تدور في الاقفال) وهو ما يفعله كل الأدب ، في الأرض المحتلة شعرا ، وقصة قصيرة ، ومقالة ومسرحية ، سواء واجه العدو بشكل واقعي أو توسل بالرمز الى هذه المواجهة . □

المرآة والقناع

قصة الكاتب الأرجنتيني : خورخي بورخيس

ترجمة : محمود شقير

لمحة عن الكاتب

ولد خورخي لويس بورخيس في بيونس آيرس عام ١٨٩٩ ، وهو من أشهر كتاب أمريكا اللاتينية المعاصرين ، وقد ألف عددا غير قليل من المجموعات الشعرية والقصصية التي نال عليها عدة جوائز أدبية ، وهو معروف بأسلوبه الغرائبي ، ضمن اطار الواقعية السحرية التي يشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية ، والكاتب متأثر بأسلوب ألف ليلة وليلة ، وبالثقافة العربية الاسلامية عموما ، ولعل القصة التالية تفصح عن شيء من هذا التأثر .

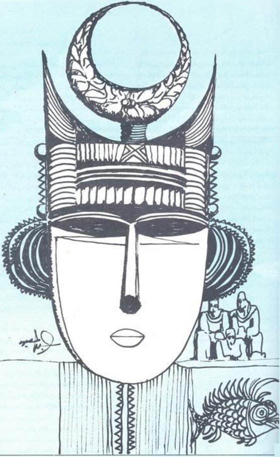
حينما انتهت معركة كلونتارف التي هزم فيها النرويجيون ، قال ملك ايرلندا المبجل لشاعر بلاطه : « ان الأفعال المجيدة تفقد بريقها اذا لم توضع في كلمات ، أريدك أن تتغنى بذكرى وبانتصاري . لنكن أنا إنياس[1] وأنت فيرجيل ،[2] فهل تعتقد أنك قادر على هذه المهمة التي ستجعلنا نحن الاثنين في عداد الخالدين ؟ » .

قال الشاعر : « بلى يامولاي . فطوال اثنى عشر شتاء وأنا أتدرب على قواعد العروض ، أحفظ عن ظهر قلب الأساطير الثلاثمائة والستين التي يتشكل منها أساس الشعر الأصيل ، والقوانين تحولي حق الاسراف في استخدام مفردات لغتنا الموغلة في القدم ، ذات الاستعارات المفرطة في التعقيد ، لقد



(١) انياس : أمير طراودة الذي نجا بعد سقوط مدينته ، واستقر في غربي ايطاليا .

(٢) فيرجيل : كبير شعراء الرومان ، صاحب ملحمة الالياذة .



امتلكت سر الكتابة التي تحمي فنّنا من العيون غير المتبصرة لجمهور الدهماء ، أستطيع أن أمجد الحب ، لصوص الأنعام ، الأسفار والحروب ، أعرف الانساب الأسطورية لكل البيوت الفخمة في ايرلندا ، أستحوذ على معرفة بعلم التنجيم الشرعي ، الرياضيات ، القانون الكنسي ، وآلهة النباتات ، هزمت المنافسين في مباريات عامة ، أصبحت حاذقا في الهجاء الذي يوهن الجلد ، ويؤدي الى الاصابة بالجذام ، اعرف كيف أستخدم السيف ببراعة ، وقد أثبتّ ذلك في معركتك التي خضتها ، أنا أجهل شيئا واحدا فقط : كيف أشكرك على هذا الشرف الذي منحته لي .

والملك الذي يتعب بسهولة من الخطابات الطويلة ، وبخاصة خطابات الآخرين ، قال باختصار : « أعرف هذه الأشياء تماما ، لقد نبئت ان العندليب غنى حديثا في انجلترا ، وحينما ينقضي فصل الأمطار والثلوج ، ويعود العندليب من أصقاعه الجنوبية ، فسوف تغني مدائحك الشعرية أمام رجال البلاط ومدرسة الشعراء ، انى أمنحك سنة كاملة ، عليك أن تهذب كل كلمة وكل حرف ، واعلم منذ الآن ، أن الجائزة لن تكون أقل من مألوف عادتي الملكية ، ولا من ليالي الهامك المسهدة » .

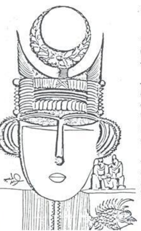
قال الشاعر الذي كان من رجال البلاط أيضا : « يامليكي ، أية جائزة أعظم من رؤية وجهك ؟؟ ثم انحنى وانسحب خارجا وفي ذهنه يتلامح بيت أو بيتان من الشعر .

حينما انتهت السنة - وفي زمن الأوبئة والثورات - جاء الشاعر بقصيدته ، ألقاها ببطء وثقة ، دون أن ينظر الى الورق الذي بين يديه ، أبدى الملك استحسانه للقصيدة بايماءة من رأسه ، والجميع قلدوا الملك ، حتى أولئك الذين احتشدوا على الأبواب ، دون أن يحق لهم التفوه بكلمة واحدة ، أخيرا تكلم الملك وقال :

« انى أقبل صنيعك ، فهو انتصار آخر ، لقد أعطيت لكل كلمة معناها الحقيقي ، ولكل اسم وصفه الذي أسبغه عليه قدامى الشعراء ، وفي قصيدتك كلها لا توجد صورة واحدة لم يطرقها الكلاسيكيون : فالحرب هي الشرك الجذاب للرجال ، والدم هو الماء الذي ينهل منه السيف ، البحر له آلهته ، والسحب تتنبأ بالمستقبل ، لقد جسدت بحذقك : القافية ، الجناس ، السجع ، النسب ، روائع علم البيان ، التنويع الحكيم في بحور الشعر ، واذا كان لأدب ايرلندا كله أن يختفي من الوجود - لا قدر الله - فان بالامكان اعادة بنائه دون خسارة ، انطلاقا من قصيدتك الكلاسيكية هذه ، لذلك سيقوم ثلاثون ناسخا بنسخها اثنتي عشرة مرة لكل واحد منهم .

خيم صمت ، ثم أكمل الملك : « كل هذا حسن ، ومع ذلك فلم يحدث شيء ، فالدم لم يجر سريعا في عروقنا ، لم تبحث ايدينا عن القوس ، ولم يعتر الشحوب أحدا منا ، لم يطلق أحد صيحة حرب ، ولم يعرض أحد صدره لمواجهة القراصنة ، قبل نفاد العام أيها الشاعر ، سوف نصفق لقصيدة أخرى ، وتعبيرا عن استحساننا فاليك هذه المرآة المصنوعة من الفضة » .

قال الشاعر : « انى اتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب » .



مضت نجوم السماء في مدارها المتألق ، غنى العندليب مرة أخرى في غابات سكسونيا ، وعاد الشاعر يتأبط قصيدته التي بدت أقصر من القصيدة السالفة ، لم يرددها من الذاكرة بل انه قرأها ، كان بادى التردد ، وقد حذف بعض المقاطع كما لو أنه هو نفسه لايفهمها تماما ، أو لأنه لم يرغب في انتهاك حرمتها . كانت القصيدة غريبة ، لم تكن وصفا للمعركة ، بل كانت هى المعركة ، ففي تشوشها الشبيه بجو المعركة اصطرع معا : آلهة ايرلندا الوثنية ، واولئك الذين بوسعهم أن يشنوا حربا بعد مئات السنين على بداية (ايدّا) الكبيرة . ولم يكن شكل القصيدة أقل غرابة : فالاسم المفرد فاعل لفعل بصيغة الجمع ، وحروف الجر تستخدم على نحو مبتذل ، الخشونة تتداخل مع العذوبة ، والاستعارات مقحمة أو هكذا هى تبدو .

تبادل الملك كلمات قليلة مع رجال الأدب الذين وقفوا من حوله ، ثم قال للشاعر : « أستطيع القول ان قصيدتك الأولى كانت بجدارة خلاصة وافية لكل الأغاني التي رددتها ايرلندا ، اما هذه القصيدة فهى تفوق بل هى تجعل كل ماسبقها وكأنه لاشيء البتة ، انها مذهلة باهرة تستثير الدهشة ، سوف ينظر اليها الجهلة بدون اكتراث ، اما المتعلمون النخبة فلن يكون موقفهم كذلك ، سوف تحفظ النسخة الوحيدة منها في علبة من العاج ، واليراع الذي دبج عملا متفوقا كهذا ، نتوقع منه عملا أكثر نبلا وشموخا » اضاف وهو يبتسم : « نحن أبناء الأسطورة ، وجدير بنا التذكر أن الرقم ثلاثة ينتصر في الأساطير » .

أكمل الملك : « تعبيرا عن استحساننا ، اليك هذا القناع الذهبي » قال الشاعر : « اني أتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب :

حلت ذكرى المعركة مرة أخرى لاحظ حراس القصر أن الشاعر لايتأبط قصيدته ، نظر اليه الملك في ذهول ، بدا الشاعر كأنه شخص آخر ، فلقد تغضنت ملامحه ، وتبدلت بفعل شيء آخر عدا الزمن ، بدت عيناه محدقتين نحو البعيد كما لو أنه أعمى ، توسل الشاعر أن يسمح له الملك بضع كلمات يقولها له . غادر الخدم الحجرة ، سأل الملك :

- ألم تدون القصيدة ؟

أجاب الشاعر بحزن :

- نعم ، لعله سيدنا المسيح هو الذي منعنى من ذلك .

- هل بوسعك أن ترددها .

- لا أجرؤ .

قال الملك :

- انى امنحك الشجاعة التي تحتاجها لذلك .

تلا الشاعر القصيدة التي تتألف من سطر واحد ، دون أن يجازف في ترديدها بصوت عال ، تمعن الشاعر ومليكه فيها كما لوأنها صلاة سرية ، أو فعل من أفعال التجديف ، امتلأ الملك بالرهبة وخور العزيمة ، كما هو حال الشاعر ، وتبادل الاثنان النظرات وهما شاحبان . قال الملك :

- في شبابي أبحرت نحو مغرب الشمس ، وفي احدى الجزر رأيت كلاب الصيد ذات اللون الفضى تجلب الموت للخنازير البرية ذات اللون الذهبي ، وفي جزيرة أخرى اغتذينا عبير التفاح السحرى ، في جزيرة ثالثة رأيت أسوارا من نار ، وفي الجزيرة الابعد من كل الجزر الأخرى ، ثمة نهر معلق ذو قناطر ، يقطع عرض السماء ، وفي مياهه تعوم الأسماك والقوارب ، هذه كلها عجائب ، لاتقارن بقصيدتك ، فهى على نحو من الانحاء تشتمل على هذه الأشياء جميعا ، أية قوة سحرية وهبتها لك .

قال الشاعر :

- مع الفجر استيقظت وأنا أتلفظ بكلمات لم أفهمها في البدء ، كانت تلك الكلمات قصيدة ، شعرت أنى اقترفت خطيئة ربما لن يغفرها لى الله .

قال الملك هامسا

- الشيء الذي نشترك فيه نحن الاثنان الآن : هو خطيئة إدراكنا للجمال ، وهو الهبة التي يحرم منها الرجال ، الآن يتوجب علينا أن نكفر عن ذلك . أعطيتك مرآة وقناعا ذهبيا . وهذه هي هديتى الثالثة والأخيرة اليك .

وضع الملك في يد الشاعر اليمنى خنجراً .

قتل الشاعر نفسه حالما غادر القصر ، أما الملك فقد أصبح شحاذا يتجول في طول ايرلندا وعرضها ، تلك البلاد التي كانت ذات مرة مملكته ، أما القصيدة فلم يعد الى ترديدها بتاتا . □



كي تتخلص من نظارتك

بقلم : الدكتورة سرى فايز سبع العيش

معظم الانجازات الطبية الرائعة بدأت من ملاحظة بسيطة من عين فاحصة ، أو نظرية صغيرة في عقل مفكر ، فلما جُربَت وُحسِنَت كانت شعلة لحقائق اسدل عليها الستار ، ونافذة على العالم المليء بالاسرار . وهذه احدى القصص الطبية الحديثة لفتح جراحي رائد في معالجة قصر البصر .

كان ذلك عام ١٩٧٢ عندما قدم شاب روسي عمره ستة عشر عاما الى جراح العيون المعروف فيدوروف ، لاسعاف عينيه اللتين أصيبتا بجروح قرنية سطحية متعددة ، نتيجة تهشم زجاج نظارته الطبية وتطايرها على وجهه وعينيه إثر عراك مع أقرانه . وقد لاحظ الطبيب الأستاذ فيدوروف بعد شفاء الجروح أن قصر البصر العالي ، الذي كان عند الفتى قبل اصابته بجروح القرنية ، قد قل كثيرا ، فأصبحت العدسة المصححة أقل قوة واخف سماكة من السابق ، فما كان من فيدوروف الا أن راجع أمهات الكتب ومختلف المجلات والدوريات الطبية ، وتحقق لديه أن العالم الياباني ساتو كان أول من فكر بتخفيف قصر البصر عن طريق اجراء قطوع في القرنية عبر سطحها الخلفي ، ثم زاوج ذلك مع قطوع في سطح القرنية الأمامي ، وكان ذلك عام ١٩٥٠ ، عندما فكر في معالجة القرنية المخروطية جراحيا ، نظرا لصعوبة ترقيع القرنية في اليابان ، لأن الديانة لديهم تحرم نقل الأعضاء والأنسجة الانسانية ، ولأنه لم تكن العدسات اللاصقة قد وصلت في ذلك الحين لدرجة من التقنية بحيث

يستطاع تثبيتها على القرنية المخروطية . ولكن للاسف كانت معظم عمليات قطع القرنية التي أجراها ساتو فاشلة ، وكان نصيب العين العمى . لأن قطع القرنية الخلفي - أي عبر الطبقة البطانية من القرنية - يسبب أذى للطبقة البطانية المرهفة وما يصاحب ذلك من اضطراب وتورم في القرنية ثم تكثف فيها ، وتشوه العروق الدموية عليها ، وزوال بريقها .

تجارب جديدة

والذي قام به فيدوروف هو انه عدل أسلوب ساتو بقصره قطوع القرنية على السطح الأمامي منها ، وقد اجرى لمدة سنتين عمليات قطع القرنية السطحي على عيون الحيوانات ، فاكتسب خبرة جراحية كبرى ، وبدأ عملياته على عيون البشر عام ١٩٧٤ .

ولقد تجلت عبقرية فيدوروف بوضعه أسسا حسابية يعتمد عليها في تقدير واستقراء نتيجة العملية الجراحية ، تعتمد على سماكة القرنية ، وصمل العلبة العينية وقطر التحدب القرني ودرجة حسر البصر . وقد أجرى العملية لعدة آلاف من الناس ، توافدوا عليه ويتوافدون عليه يوميا للتخلص من قصر البصر والاستغناء عن العدسات المصححة ، وقد استطاع أن يحقق نتائج عالية من النجاح كما أبدى في أبحاثه ، بحيث لا تتأثر « فسلجة » القرنية ، ولا يختل تعداد الخلايا في الطبقة البطانية ، ولا تضيق الساحة البصرية ، ولا تتأثر حساسية القرنية ، ولا تنقص شفافيتها ، ولا تقل درجة المطابقة الضوئية فيها ، ولا يختل التخطيط الكهربائي ، ولا يضطرب الوهج كثيرا .

ويفد سنويا الى معهد العيون في موسكو عشرات من اخصائيي العيون من انحاء العالم ، يدفعهم حب الاستطلاع لكشف حقيقة هذه العملية ، وتعلمها رأسا من رئيس المعهد الاستاذ الطبيب فيدوروف ، ثم يعودون الى بلادهم ، وقد اكتسبوا خبرة ومعرفة باجراء تلك العملية .

أما في الغرب فلا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تصنف في قائمة العمليات التجريبية ، التي لم تثبت بعد فوائدها ومضارها ، ويقف الكثير من



- العالم ساتو أول من أدرك ان قطع القرنية الشعاعي يحسن قصر البصر

جراحي العيون ضدها . وترفض شركات التأمين أن تعتبرها عملية ضرورية ، فلا تتكلف بدفع نفقاتها الباهظة .

كيف تجرى العملية

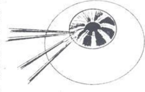
تسمى هذه العملية قطع القرنية الشعاعي لأنه يجرى على القرنية قطوع أو جروح سطحية ، باتجاهات نصف قطرية أي مشععة عن المركز .

انها عملية بسيطة سهلة الاجراء ، لمن اكتسب خبرة بها ولا تتطلب أكثر من تخدير موضعي سطحي للعين ، ويجب اجراؤها تحت المجهر الجراحي لما تتطلبه القطوع من دقة ويمكن اجراؤها في غرفة العمليات في أحد المستشفيات أو حتى في العيادة اذا كانت مجهزة بغرفة عمليات ومجهر جراحي عيني لأن العملية لاتتطلب استشفاء ورقودا في المستشفى .

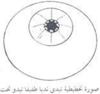
تقطع القرنية اما ٣٢ ، أو ١٦ أو حتى ٨ قطوع مشععة عن منطقة مركزية دائرية حول المحور البصري في القرنية ، تترك دون أن تطالها القطوع بقطر يتراوح بين ٣ - ٤,٥ ملم ، وتمتد القطوع من

محيط المنطقة المركزية ، حتى قبيل منطقة الحوف القرني الصلبي ، أي نهاية القرنية ، بحيث تتجه القطوع باتجاه نصف قطرى ، وبأبعاد منتظمة متساوية فيما بينها ويكون عمق الجرح متناسبا مع كثافة القرنية ، فالعمق الذي يغيض به الجرح القرني يتراوح بين ٨٥٪ ـ ٩٥٪ من كثافة القرنية ، أي أن القطوع لايجوز أن تكون نافذة تخترق كل طبقات القرنية ، والا فان ذلك سوف يخل بفسلجة القرنية وصفاتها ودرجة سماكتها واحتوائها على الماء ويؤدي لفقدها الكثير من البصر .

وكلما كان الجرح أعمق كانت نتيجة التصحيح أكثر ايجابية ، وكلما صغرت المنطقة المركزية البصرية استحصل على عدد أكبر من الكسيرات المصححة ، وقد وجد أيضا أن تجاوز القطوع حد الحوف القرني يقلل من ايجابية التصحيح الانكساري ، لما يرافق ذلك من تليفات ونشوء عروق دموية وحدوث آلام وتحدد في تفلطح القرنية .



ـ صورة تخطيطية تبين شكل القرنية رأسا بعد اجراء ٨ قطوع عليها



ـ صورة تخطيطية تبدى ندبا طفيفا تبدو تحت المجهر

تصحيح قصر البصر

أما كيف تصحح هذه العملية قصر البصر فيفسر كالتالى : أن القرنية أشبه بعدسة مقربة ـ أى محدبة ، فكلما ازداد تحدبها أى صغر نصف قطر انحنائها الخلفى وازداد تكورها كلما كانت قوية الانكسار والتقريب ، وأحدثت خيال الشيء المرئي في منطقة بينها وبين الشبكية ، وكانت العين حسيرة البصر ولذلك فان احداث قطوع سطحية في عمقها يؤدي الى تفلطحها وتمطط سطحها فيقل تحدبها ويزداد نصف قطر انحنائها الخلفي فتقل قدرتها الكاسرة ، ويتشكل الخيال على الشبكية أو قريبا جدا منه فيقل قصر البصر .

هذا ولا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تتراوح بين مؤيدين قلة في العالم يصرون على اجرائها ، ومنتقدين كثر يرون فيها تداخلا غير ضروري على العين الطبيعية ، يمكن الاستغناء عنه بالنظارة أو العدسة اللاصقة ، دون تعريض القرنية للجراحة ، وعلى كل فالكل متفق على عدم اجرائها لمن هم دون العشرين من العمر . ولا يجوز اجراؤها للعيون المريضة المصابة بالتهابات حادة أو مزمنة أو بارتفاع ضغط العين ، أو بتكشف العدسة البلورية ، أو اذا كان هنالك أذى في الشبكية ، وهي لا تفيد في حالة القرنية المخروطية ، ولا تغني عن النظارة في قصر البصر العالي .

تبرير قطع القرنية الشعاعي :

يبرر اجراء هذه العملية للأسباب التالية : أسباب وظيفية ، وبصرية وتجميلية وشخصية نفسية . فالوظيفية تتعلق بطبيعة العمل ، أعمال كثيرة يتعذر فيها قبول النظارات أو لبس العدسات اللاصقة كما عند الطيارين ورجال الشرطة ورجال المطافي والحراس ، وبعض العسكريين والغواصين . وهنالك بعض حسيرى البصر الذين هم في خوف دائم أن يفقدوا نظاراتهم ، لئلا يصيبهم الضياع بدونها في حالات الحريق وحوادث السيارات ، فيمكن لهذه العملية أن تدعهم أقل اعتمادا على النظارة وأقل حسرا للبصر ، لأن هذه العملية للأسف لن تفيد كثيرا في حالات حسر البصر العالي

الدرجات ، لان حسر البصر في تلك الحالات لايعتمد فقط على انحناء القرنية ، وانما على فرط طول المحور الأمامي الخلفي للعين ، ولما كانت درجة التبسط الناتجة عن اجراء قطوع شعاعية في القرنية محدودة بتحدد انحنائها الخلفي وسماكتها ، لذلك تتراوح درجة التصحيح عادة بين ـ ١,٥ الى ـ كسيرات ، وقد تصل الى ـ ٦ كسيرات ، ومع هذا فان المصاب بحسر البصر العالي يجد سعادة في انقاص درجة عجزه البصري . دون عدسات طبية .

ومع أن بعض الناس قد نجح في لبس العدسات اللاصقة التي قل أن يلاحظها الناس من حوله ، ولكن لاعتبارات نفسية شخصية يجب أن يكون حرا بلا قيد نظارة أو عدسات ، فيلجا لطلب تلك العملية .

أما نتائج تلك العملية ففي الواقع الاحصائي العملي تبين أنه كلما كان قصر البصر قليلا كانت نتيجة العملية أفضل ، فمثلا يتوقع أن تكون نسبة النجاح (أي أن يرى المريض ٦/٦ بعد العملية) لدي ٨٥٪ ممن لديهم قصر بصر يتراوح بين ـ ١,٥ الى ٣ كسيرات ، وأن نسبة النجاح ٨٠٪ لمن يتروواح قصر البصر لديهم بين ٣,٢٥ الى ـ ٤,٥ كسيرة ، وأن نسبة النجاح هي ٥٠٪ أو دون ذلك لمن كان حسر البصر لديهم يتراوح بين ـ ٤,٧٥ الى ـ ٦ كسيرات أي كلما ازدادت درجة حسر البصر نقصت نسبة النجاح وزادت خيبة الأمل .

عراقيل العملية واختلاطاتها :

أن أكثر المعالجين بهذه العملية حظا في النجاح هم الذين يتراوح قصر البصر لديهم بين ـ ١,٥ الى ـ ٤,٥ كسيرة ، وكلما ازدادت درجة حسر البصر قلت نسبة النتيجة المتوخاة وهي مخيبة للأمال في الدرجات العالية من حسر البصر .

المزعج في هذه العملية أن المريض يعاني بعد اجرائها من الوهج الضوئي وتبعثر الضياء لفترة قد تتجاوز ستة شهور بعد العملية ، وغالبية الذين تجرى لهم هذه العملية يشكون من تغير الرؤية وتماوجها بين الصباح والمساء ، فهي قد تكون حسنة جدا في الساعات الأولى من الصباح ثم تعود فتتغيم وتخفت عند المساء ، ولعل ذلك راجع لتأرجح وتماوج الضغط



ـ العالم الطبيب السوفياتي الاستاذ فيدروف الذي روج عملية قطع القرنية الشعاعي لمعالجة قصر البصر .

العيني ، ففي الصباح يكون الضغط العيني بحدوده العليا ، فيوتر القرنية ، وتبلغ هذه غايتها من التفلطح ، وفي المساء يكون ضغط العين في حدوده الصغرى ، فتعود القرنية الى تكورها الأول ، وهكذا تصبح أكثر حسرا للبصر .

وعلى كل فتماوج الرؤية وتغيرها اليومي يخف تدريجيا ، وقد يستقر بعد عام أو عامين من اجراء العملية .

اذن فالعملية ليست مضمونة النتائج ، فهناك عدد من المعالجين بها سيعودون لاستعمال نظاراتهم ، حيث أخفقت العملية في تخليصهم منها ، وفي ذلك خيبة أمل كبرى ، ناهيك عما قد تخلفه لهم من اختلاطات حتى لو كانت طفيفة .

وأضافة لما ذكر هنالك حقيقة لا بد من اعتبارها ، وهي أن المصاب بحسر البصر البسيط يحتاج للنظارة عندما ينظر للبعيد ، ولكنه يستطيع أن يقرأ بدون نظارة عندما يقارب الأربعين ويتجاوزها الى الخمسين ، وقد يقرأ طوال حياته بدون نظارة . فاذا أجريت له تلك العملية فقد تغنيه عن لبس النظارة للرؤية البعيدة ، ولكنه سيضطر لاستعمال النظارة عند القراءة . □

قاموس العربي

ض

ضريبة

عرف المجتمع الانساني الضريبة منذ فجر التاريخ ، فمع أول تجمع بشري فرض الأقوى امتيازا ما لصالحه ، ومع تعقد شكل الحياة ونموها تطور شكل الامتياز فأصبح حينا حصصا عينية من الانتاج ، أو ساعات عمل بلا أجر أو نقود ، بعدما عرف المجتمع الانساني النقود وشاع استعمالها ، وبعد أن نشأت الدولة واستقر معناها واستقرت ، استمر فرض الضريبة حقا مطلقا للحاكم . . اذ كانت هذه الضرائب جزءاً من دخل الحاكم ، وكانت سلطة الحاكم مطلقة في تحديد الضريبة زمنا وكما ونوعا ، حتى استطاع البرلمان الانجليزي لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني انتزاع حق فرض الضريبة من الملك ، وقصر هذا الحق على البرلمان (ممثلي الشعب) واستقرت عندئذ قاعدة دستورية ، وهى لاضريبة بلا قانون ، وأصبح فرض الضريبة محكوما بقواعد وقوانين وأسباب .

والضريبة ببساطة هي مبلغ من المال ، محدد سلفا وبشكل معلن وعام ، يسدده الممول الى السلطة العامة ، ممثلة في أحد أجهزتها التي تحددها هي ، وتصبح بذلك هي صاحبة الحق الوحيدة في تحصيل الضريبة ، وتمثل مجموع الضرائب في مجتمع ما مورد من الموارد السيادية للدولة (التي تحصلها إعمالا بسيادتها) ويستخدم هذا المورد في تغطية النفقات العامة للدولة ، ويقوم الممول بسداد الضريبة بصفته عضوا في المجتمع ، وعليه أن يساهم في النفقات العامة ، دون النظر الى حساب مدى الفائدة التي تعود عليه شخصيا .

والضرائب تنقسم الى نوعين أساسيين هما : ضرائب مباشرة أو ضرائب غير مباشرة .

وتفرض الضرائب المباشرة على اجمالى الدخل العام للأفراد ، أو على رأس المال .

أما الضرائب غير المباشرة فتأخذ أشكالا كثيرة ، مثل ضرائب الانتاج ، وهي تمثل نسبة مئوية من تكلفة انتاج سلعة ما (كالسجائر) وهي تحصّل عن كل ما تنتجه المنشأة من هذه السلع التي يتحمل ثمنها دائما المستهلك : اذا أن المنتج يقوم باضافة هذه الضريبة الى ثمن البيع أو رسم ضريبة الاستهلاك ، أو ضريبة البيع ، وهي التي تفرض على بيع السلعة أو شرائها ، وتتمثل في نسبة مئوية من الثمن ، أو في الرسوم الجمركية . . . الخ . .

وتختلف المدارس الاقتصادية والدول بالتالي في كيفية احتساب الضريبة ، ومنشأ هذا الاختلاف هو تباين النظر الى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للضريبة ، فالاقتصاديون الكلاسيكيون يرون أن الضريبة هي اسهام المواطنين في تمويل الخزانة العامة للدولة ، لتمكينها من أداء بعض الخدمات .



والاتجاهات الحديثة ترى أن الضرائب هي واحدة من أدوات الدولة في اعادة توزيع الدخل القومي .. وهكذا تختلف وجهات النظر ، وبالتالي يتباين الأسلوب الضريبي المتبع .

ولكن النظم جميعها تتفق على أنه هناك ـ فيما يتعلق بضريبة الدخل ـ حد للاعفاء وهذا الحد ليس مطلقا ولا موحدا لجميع طبقات وفئات المجتمع ، فالقاعدة أن يكبر حد الاعفاء كلما صغر الدخل .. ويتحدد هذا الحد وفق أسعار تكلفة المعيشة ونفقات الحياة في المتوسط العام للاسعار ، وفي اطار شرائح الدخول .. فيقال مثلا ان ضريبة الدخل تحصل من الدخول التي تتراوح بين ١٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ دينار في العام بنسبة كذا .. فان معنى هذا أن كل الذين يتقاضون راتبا شهريا مائة دينار فأقل ، يتمتعون بإعفاء نهائي من ضريبة الدخل .. ومن هذه القاعدة العامة في الحساب الضريبي تم استخلاص طريقة حساب ما يسمى بالضريبة التصاعدية ، وهي تعني زيادة معدل الضريبة ، كلما ارتفع حجم الدخل الخاضع للضريبة .

ومن الضرائب التي تطبق في معظم دول العالم بالاضافة الى ماسبق ، ما يعرف بضريبة التركات ، وتستند هذه الضريبة الى تبرير قانوني شرعه وزير مالية بريطانيا في عام ١٨٩٤ ، بقوله ان الطبيعة لاتمنح الفرد على امواله الا حقا مؤقتا محدودا بحياته ، وتحصل غالبية النظم الاقتصادية رسما يمثل نسبة مئوية من اجمالي تركة المتوفى ، قبل أن يتم توزيع الأنصبة على الورثة ، ويمثل هذا الخصم دين امتياز ، مثله مثل الضرائب العامة التي يكون المتوفى قد تأخر في سدادها ، فتخصم من اجمالي التركة وفاء لحق الدولة والمجتمع الذي عمل فيه ، وأتاح له الفرصة للغنى والثراء . □

جالسوا العلماء

يقول الشعبي : جالسوا العلماء ، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .

الجديد فى العلم والطب

نحو لقاح فعّال لمرض الأيدز

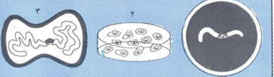
انتشر مرض الايدز فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة ، حتى بلغ عدد المصابين به ١٨٥٠٠ .. مات منهم ١٠,٠٠٠ بنتيجة الاصابة بالمرض ، لا عجب اذن أن كان السؤال المطروح هو كيف تطور فيروس هذا المرض الجديد ، ومن أى ميكروب آخر تطور .. ؟ والا فمن أى بلد جاء ! من افريقيا ومن غربيها بالذات ، حيث السنغال غينيا - بساو ... ؟ هذا على الأقل هو ما أكدته مؤخرا مكتشفات فريقين منفصلين من العلماء ، والغريب أن الاكتشافين وقعا فى نفس الوقت تقريبا (أوائل شهر ابريل الماضى)

أما الاكتشاف الأول فيعزى الى الدكتور مايرون اسكسْ (ماكس اختصارا) البحّاثة فى مدرسة الصحة العامة التابعة لجامعة هارفرد المعروفة ، وقد جاء هذا الاكتشاف بنتيجة التعاون بين الدكتور مايرون وبين زملائه فى البحث ، وهم فئتان ، فئة تعمل فى تورز فى فرنسا ، والفئة الأخرى تعمل فى السنغال بافريقيا .. فقد تسنى للفرقاء الثلاثة عزل فيروس جديد ، وثيق الصلة بفيروس الأيدز ، ولكنه يختلف عنه اختلافا جذريا فى أكثر من ناحية .. وتم العثور على هذا الفيروس فى عينات دم أخذت من بعض النساء



فى هذه القرية من قرى السنغال اكتشف أن لمرض الايدز جذورا .

تخليق فيروس من فيروس آخر



١ ـ فيروس الايدز والجينة الفيروسية فى أوسطه
٢ ـ الكريات البيضاء التي يضاف اليها فيروس الايدز والجينة التي في أوسطه
٣ ـ الفيروس الحيّ . والمأخوذ من جدري القفر . وقد أضيفت اليه الجينة الجديدة التي تكونت في طبق التجارب (٢) وهي جينة DNA لا RNA كما كانت أصلا .

السنغاليات .. وتبين ان هذا الفيروس الوثيق الصلة بفيروس الأيدز هو أوثق صلة بفيروس آخر يصيب بعض القردة الافريقية ، وقال الدكتور (اسكس) الذى أعلن اكتشافه هذا فى اجتماع للجمعية الأمريكية للميكروبيولوجيا فى واشنطن .. قال نعتقد أننا اكتشفنا الحلقة المفقودة التى تسلط الأضواء على ما خفى أو غمض من أصل فيروس الأيدز ..

وأما الاكتشاف الثانى ، وهو يعزى الى باحثين فرنسيين وبرتغاليين ، فيبدو كبير الشبه بالاكتشاف الأول .. فقد أعلن الدكتور لوك مونتاجنير أحد الباحثين فى معهد باستور فى باريس ... أعلنَ فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى لشبونة بالبرتغال انه تسنى له اكتشاف الحلقة المفقودة فى قصة تطور فيروس الأيدز .. وان الفيروس المكتشف أقرب إلى فيروس (سيميان) منه الى فيروس الأيدز البشرى المعروف .... أما عينات الدم التى عثروا فيها على الفيروس الجديد ، فكانت فى دم رجلين من أهالى غينيا ـ بساو فى أواسط افريقيا القريبة من السنغال .

ولعل أهم ما يذكر عن فيروس الأيدز الجديد هو أنه غير فتاك ، فبالرغم من شبهه الكبير بفيروس الأيدز .. شكلا ومسلكا ، فانه لا يبطش بخلايا المناعة (خلايا T المساعدة) كما يفعل نظيره القتّال ....

وتجلت هذه الخاصة فى التجربة التى أجروها على بضع عشرات من الناس ، خمسين على وجه التحديد .. فقد لُقح هؤلاء بالفيروس الجديد .. ولكن اعراض الأيدز لم تظهر على أى منهم ، ومضت سنة أو تزيد والقائمون بالتجربة وهم من الفريق الأول ، يواصلون مراقبة الذين كانوا موضع تلك التجربة .. بل ثلاثين منهم بالتدقيق .. فلم يظهر على أى من هؤلاء أى من أعراض المرض الثالث .

من هنا أصبح لدى العلماء أمل فى أن يطوروا من الفيروس الجديد لقاحا فعالا ، يكسب الانسان مناعة ضد الاصابة بمرض الأيدز الخطير .. وثمة أمل آخر هو أن يتمكنوا بواسطة الهندسة البيولوجية من اكتشاف الجينة (gene) المسؤولة عن أضرار الأيدز ، فيتمكنوا بالتالى من عزل تلك الجينة عن الفيروس ، والقضاء بذلك على مرض الأيدز نهائيا ... □

العربي ـ العدد ٣٣٤ ـ سبتمبر ١٩٨٦ م

مكتشفون ومخترعون

ألفرد نوبل : مخترع الديناميت

١٨٣٣ - ١٨٩٦

كان عالم كيمياء ومهندسا ورجل صناعة .. وكان فوق ذلك كله رجل سلام .. ولعل جوائز نوبل التي توزع على المتفوقين من علماء العالم في أواخر كل عام حققت لمخترع الديناميت من الشهرة مالم يحظ به غيره من العلماء ....

ولد ألفرد في استكهلم في الواحد والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٣٣ ، وكان أبوه (عمانويل نوبل) مهندسا ، وميالا الى الاختراع بالفطرة .. وقد ورث عنه ألفرد النزعة الى الابتكار ، وتشرب الكثير من مبادىء الهندسة .. وقل مثل ذلك في أحد أجداده لأمه ، أولوف رودبك ، مكتشف الأوعية اللمفية ... فقد استلهم الفرد ذكرى ذلك الجد العالم .

ولم يطل بقاء عائلة نوبل في استكهلم ، وقد اضطرت الى التوجه الى ليننجراد (سان بطرسبورغ في تلك الأيام) والاستقرار فيها ، وذلك بسبب أعمال الأب .. كان ذلك سنة ١٨٤٢ ، حين كان الفرد تلميذا صغيرا ، ولم يجاوز التاسعة من العمر ... غير أنه تتلمذ على مدرسين خاصين ، ولم يعتمد على الدراسة النظامية في المدارس .. وبلغ من مواهبه وكفاءاته أن أتقن خمس لغات وأصبح عالم كيمياء وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم توجه الى باريس سنة ١٨٥٠ ، وأمضى فيها سنة كاملة .. قضاها في أحد مختبراتها حيث تابع دراسة الكيمياء ....

وذهب نوبل بعد ذلك الى العالم الجديد ، الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عمل تحت اشراف المهندس الأمريكي ـ السويدي المعروف ، جون أريكسون ، وهو الذي عهد اليه ببناء السفينة الحربية المصفحة بالحديد (مونيتور) .. وعاد بعد أربع سنوات الى بلده ، للعمل في مصنع أبيه حتى سنة ١٨٥٩ ، حين أفلس المصنع وتوقف عن العمل .

وما أسرع ما أسس الفرد مصنعا خاصا به لانتاج النيتروجلسرين ، ذلك المتفجر السائل الخطير ، ولكن مصنعه هذا مالبث أن تفجر سنة ١٨٦٤ ، فأودى بحياة خمس رجال ، كان أحدهم أخوه الأصغر أميل .. وحاول الفرد انشاء مصنع ثان بلا طائل فقد حالت السلطات السويدية دون ذلك ، نظرا لخطورة صنع المتفجر السائل ، وحماية لأرواح المواطنين .. وماكانت تلك الاجراءات لتمنع الفرد عن ممارسة صناعة استأثرت بجوارحه ، حتى أصبح يعرف بالعالم المجنون .. فواصل أعماله وتجاربه على مركب عائم في مياه النهر ، وركز تجاربه تلك على ايجاد طريقة تضمن « ترويض » النيتروجلسرين والتحكم فيه .. فقد كان المادة الخطرة المتمردة التي استعصت على كل محاولات السيطرة ، وتسببت بكثير من القتل والدمار ، منذ أن اكتشفها العالم الايطالي (سوبريرو) سنة ١٨٤٦ ....

ومضت ثلاث سنوات قبل أن ينجح نوبل صدفة بتحويل سيولة النيتروجلسرين الى جفاف ، والحد بذلك من مخاطرها أو القضاء عليها ...

وقد تسنى له ذلك بواسطة مادة تغليف عضوية .. كالفحم النباتي مثلا ، تمتص النيتروجلسرين ولاتسمح بتفجيرها الا بواسطة كبسولة خاصة بتفجيرها ، ورحبت السلطات المعنية في بريطانيا والولايات المتحدة باختراع نوبل ، فسجلته له سنة ١٨٦٧ ، وسنة ١٨٦٨ على التوالي ..

ومضى نوبل في تجاربه حتى طور الجلاتين المتفجر القوي من الديناميت ، ثم صنع البالستايت المسحوق النيتروجلسريني المتفجر الفعال ، الذي لايتصاعد



منه دخان ... وتجدر الاشارة هنا الى مادة الكوردايت البالغة التفجير .. فقد اعتقد نوبل أن اختراعه البالستايت يخوله صنع هذه المادة أيضا .. وعارضته الحكومة البريطانية في ذلك ، فكانت القضية التي نظرت فيها المحاكم سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ والتي خسرها نوبل ....

ولعل أطرف مايذكر عن نوبل اعتقاده بأن نجاحه في التحكم في مادة النيتروجلسرين (الديناميت) والسيطرة على مخاطرها ، يؤدي حتما الى التحكم في الحروب والقضاء على أهوالها .. ولكن نظرته الى الطبيعة البشرية وتقصيه حقيقة سلوك الدول ونواياها ، مالبث أن أشعره بسذاجة معتقداته الأولى وتمنياته .. من هنا كان اقدامه على التوصية بتخصيص مايعادل مليوني جنيه استرليني من ثرواته الكبيرة لتوظف على النحو اللائق وتعود بالمردود اللائق لمكافأة المتفوقين من علماء العالم سنة بعد سنة .. وهكذا ظهرت جوائز نوبل العالمية الشهيرة سنة ١٩٠١ ، وقد كانت في خمسة مجالات في بادىء الأمر : (الفيزياء والكيمياء والأدب والطب أو الفسيولوجيا ..) وأضيف اليها فيما بعد مجالات : السلم العالمي والاقتصاد .

بقي أن نذكر أن نوبل العالم كان ذا ميول أدبية قوية ، وأنه بقي أعزب حتى لاقته المنية سنة ١٨٩٦ ، عن عمر يناهز ٦٣ عاما . □

حرص الاسلام على طلب العلم

حرص القرآن الكريم والرسول ﷺ على حض المسلمين على طلب العلم ، فقال الله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز وجل « وقل ربي زدني علما » وقال رسول الله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما قال : ولأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » وقال : « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة فقيل : يارسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ فقال : وهل ينفع القرآن الا بالعلم » ؟ وكانت فدية أسرى بدر أن يعلموا أطفال المسلمين القراءة والكتابة .



سلامة البشرية في سلامة البيئة



مؤتمر قمة . . للسيدات

كانت مناسبة طيبة لعقد مؤتمر قمة . . حين توافد رؤساءالدول وزوجاتهم على نيويورك ليشاركوا في احتفالات الأمم المتحدة ببلوغها الأربعين . . كان ذلك في أواخر السنة الماضية ، وفي مدينة نيويورك مقر المنظمة الدولية . . .

الا أن القمة التي ارتقت تلك المناسبة كانت قمة فريدة . . . وتختلف عن سائر مؤتمرات القمة التي سبقتها . . ذلك أن المؤتمرين لم يكونوا من رؤساء الدول والملوك . . ولا كان موضوع البحث قضية نزع السلاح أو ما اليها من القضايا السياسية والعسكرية . .

بدأت القصة بالدعوة التي وجهتها نانسي ريجان زوجة الرئيس الامريكي ، الى عدد من السيدات الأوليات . . زوجات الرؤساء اللواتي رافقن أزواجهن لحضور احتفالات المنظمة الدولية . . . دعتهن الى اجتماع يبحثن فيه مشكلة الادمان على المخدرات . . وقد بدت لها فكرة هذا الاجتماع أفضل بكثير من التجول في أسواق نيويورك . . وهو ما تعمد اليه النساء في الغالب . . . سواء كن من السيدات الأوليات أو من عامة الشعب . .

وضم مؤتمر القمة النسائي فيمن ضم سيدة البرتغال الأولى رماهو ايانس . . وقد تحدثت عن رسالة المصحات الخاصة بمكافحة الادمان ، وعن الثمرات الطيبة التي جناها الكثيرون من تلك المصحات .

وتحدثت أيضا سيدة اليونان الأولى مارجريثا باباندريو ، فدعت الى إنشاء برنامج أوروبي لمكافحة الادمان على شتى المستويات ، وتتولى العمل به مجموعة الدول الأوروبية .

وكانت البيجوم شفيق ضياء الحق ـ زوجة الرئيس الباكستاني من بين المتحدثات . . وقد أشارت الى أن عدد المدمنين في الباكستان آخذ في التزايد حتى بلغ في السنوات الأخيرة ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة . . وأكدت البيجوم أن المؤتمر قد فتح عينيها على المخاطر الخلقية والاجتماعية الكبيرة التي تتهدد المجتمعات بسبب الادمان . .

وتجدر الاشارة الى أن مؤتمر القمة هذا تناول موضوع الادمان من أكثر من جانب . . وسلط الضوء على المصحات الخاصة التي تعالج الادمان باعتباره مرضا أو آفة فسيولوجية ونفسية . . والتي غالبا ما تحتاج الى شهور أو أكثر لمساعدة المدمن على التخلص من ادمانه . ☐

أطفال جياع .. ذكاء محدود

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

مشكلات التصحر والجفاف والجوع ليست مشكلات مرحلية تنتهي يوم تخف حدة المأساة ، بل انها تؤثر على البناء العام والمقدرة الذهنية والقدرة الاستيعابية والتعليمية وأجيال قادمة ، وباختصار شديد فالنتيجة أطفال جوعى .. ذكاء محدود ... اليوم وغدا وبعد غد ...

يجمع الناس عموما على الاقرار بأن الجوع وسوء التغذية من المشكلات العويصة التي تواجه الناس في أكثر من ثلثي العالم سكانا ، وأن التصدى لاسبابها الأساسية ، يتطلب تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأشد طبقات المجتمع عوزا ، وعلى الرغم من الجهود الضخمة التي تبذل في البلاد النامية ، وحزام الدول الفقيرة لتنشيط الانتاج الزراعي والتنمية الريفية ، الا أن سوء التغذية ونقص كمياتها لايزال يصيب نسبة عالية من السكان ، ولاسيما الاطفال زهور المستقبل وشبابه وأمله ، وبذا تصاب أجيال المستقبل على مستويين : مستوى البيئة الداخلية التي تتمثل في الصحة البيولوجية وملكة الابداع والنمو العقلي ، والبيئة الخارجية التي تتمثل في الثقافة والاثارة والجمال والتعاطف والأمن الاجتماعي .

وحدة الموضوع وخطورته تستدعي نظرة عامة على نتائج تجارب ودراسات وبحوث متقنة ومؤصلة أجراها العلماء على محورين ، اتخذ الاول حيوانات التجارب من فئران وخنازير حقلا لدراساتهم في محاولة لابعاد الواقع الاجتماعي والسيكولوجي والاقتصادي عن المساس بمحاور التجربة ، فالحيوانات ليس لها عقل يتدبر أو نفسية تتأثر مما يجعلها - أي الحيوانات - اطارا مرجعيا للقياس والخروج من الدراسات بنتائج مؤكدة ، في حين اتخذ الاتجاه الثاني نتائج بحوث علماء الاتجاه الاول لتحرجه القياس على الانسان ذاته في الدول الفقيرة سيان منها ما اصيب بواقع فيزيقي مثل امتناع الامطار وغور الماء ، أو الفقر كمحصلة

سوء الادارة والاقتصاد وهبوط الدافع وانعدام الثقة في كل مايذاع أو ينشر في بلده ، لندرة المثل الأعلى في معظم هذه الدول حيث لايعلن عن المأساة رسميا الا عندما تبلغ من التعقد والحدة مبلغا كبيرا .

في ميدان التجارب

ونلقي دلونا في ميدان تجارب الحيوان علّنا نأتي بشيء نافع ومفيد ، فعلى فئران صغيرة تم فطامها بعد ثلاثة اسابيع من ولادتها جرى تعريضها للجوع لفترة زمنية قصيرة فاذا بخلايا المخ تتقلص بشكل حاد ، كذلك اصيبت صغار الخنازير والعجول ببعض هذه الاعراض ، وحاول العلماء بعدها درء الخطر عنها باعطائها وجبات مكثفة لفترة طويلة ، تحتوي على كل المواد الغذائية والفيتامينات والاملاح ، وتحت اشراف علمي وطبي مكثف . . لكن لقد افلت الزمام ولم تستطع أجسام هذه الحيوانات جميعا تجاوز الخطر ، وظل عقلها اصغر حجما من نظيراتها التي نالت القدر المناسب دون جوع أو شح ، وهنا ظن العلماء أنهم ظلموا الحيوانات فأرادوا أن يروا زيادة النسل فقط دون جوع فوضعت ثمانية عشر فأرا صغيرا سويا في مهد زود بقدر كاف من الغذاء فيما مثل زيادة في عدد الفئران لاتتغذى عشرين بالمائة . . وكانت النتجية مذهلة وان كانت غير محيرة أو مربكة ، فقد اصيبت الفئران بالهزال بنسبة ٢٥٪ من وزن الجسم العادي لذات الفترة الزمنية ، وتحت ذات المؤثرات البيئية وتقلص حجم مخها بنسبة تعدت الخمس عشرة بالمائة .

معنى هذا بوضوح شديد أن المخ أكثر أجزاء جسم الكائن الحي تأثرا بالجوع أو الحرمان ، واخطر من ذلك ماثبت لدى العلماء بالدليل القاطع والبرهان الدامغ والثابت أن الخلل ليس في حجم المخ فقط بقدر ما هو في سوء توزيع الخلايا العصبية في منطقة حساسة منه ، حيث يتكون غلاف ضيق بالخلايا يجعل في حركتها صعوبة ، ويقلل تدفق الدم صوبها وبذا تقل قدرتها على الاستجابة ، وتجد الاشارات العصبية صعوبة عند انطلاقها خلال قنوات الاتصال ، ويستمر الغلاف الضاغط أو هذا الستار الحديدي محيطا بالخلايا حتى لو التهم الجائع الصغير





* عندما سلط الضوء القوي على جمجمة الطفل الهزيل بدت وكأنها فارغة لاتحمل مخا .

كميات هائلة من الأطعمة المتكاملة في الأيام القابلة .

ويحدثنا علماء مركز البحوث الوطني الطبي البريطاني في لندن مؤكدين ما أسلفنا من عرض وقول ، بل ان علماء جامعة كورنل الامريكية ـ من اشهر الجامعات الامريكية في بحوث الكون والخلايا ـ اكدوا أن كمية الحامض الحيوي د . ن . أ . D . N . A ـ الذي يعتبر بمثابة مؤشر علمي مؤكد على عدد الخلايا لكل نوع من الكائنات الحية ـ تقل بشدة اذا تعرض الكائن الحي للجوع ، ويزداد نقصه في خلايا المخ عن باقي اعضاء الكائن الحي مما يؤثر بالضرورة على كفاءة أداء أهم وأخطر قطاع من بين قطاعات الكائن الحي .

وهنا أيضا الأنيميا والهزال وتنجمان عن نقص مركبات خاصة خلال فترة الرضاعة ، والمراحل الاولى من تكوين العظام . فالحيوانات التي شاء لها قدرها ، التعرض للحرمان والجوع القارص ، أصابها الكساح والعرج ، وكانت تمشي باضطراب وارتباك ولاتقوي أرجلها على حملها ، وبقياس طوبوغرافية عقلها كهربيا وجد أن سرعة استجاباتها للاشارات بطيئة كما انها تعاني اضطرابا وتشوشا مما يجعلها تستهلك كميات أكبر من المواد السكرية والنشوية الباعثة للطاقة ، نتيجة سرعة اجهادها وحاجتها الى طاقة تعويضية عن استهلاك كمية من البروتينات المسئولة عن بناء الخلايا .

ولعل أهم مظاهر ما سبق من تجارب،توقف نمو الرضع ، وما ان تمر ثلاثة شهور حتى تبدو رؤوسها ضامرة مهتزة وأرجلها متيبسة وحركتها بطيئة ، ولاتشترك في الحياة الاجتماعية للاصحاء من حركة ولعب ، ومع زيادة نقص البروتينات ابان مرحلة التجريب ازدادت مظاهر رعشة وارتجاف الحركة وعدم ثبات الخطوات ، وشبه استحالة القدرة على القفز أو الجري برغم امدادهم بوجبات متكاملة فيما بعد ولمدد طويلة .

مشكلات الحياة اليومية

يجرنا الحديث الى تجارب مماثلة قام بها علماء من البرازيل والمكسيك وبعض دول امريكا اللاتينية ، على فئران تجارب ، أثبتت أن حرمان الفئران من الغذاء البروتيني المتكامل قد لايؤثر على ذكاء الجيل الأول وقدرته على حل مشكلات حياته اليومية في اطار قدراته كرضيع وذلك باجراء قياسات ذكاء خاصة ، اذ يختفي اثر الجوع فجاة وكأن لم يحدث حرمان أو جوع . لكن يوم تابع العلماء أبناء واحفاد جياع الامس وجدوا هبوطا حادا في نسبة ذكائهم رغم امداد الابناء والاحفاد بوجبات صحية متكاملة من حيث العناصر الغذائية الاساسية مما دعا علماء أكاديمية الغذاء والتغذية في تشيكوسلوفاكيا فور اطلاعهم على بحوث اقرانهم بامريكا اللاتينية الى محاولة فهم التأثير التركيبي والتراكمي للمؤثرات المباشرة على جياع الرضع وآثارها اللاحقة في اطار دراسة تعتبر من أعظم واروع الدراسات التي جرت في الكتلة الشرقية عن اثار الجوع والحرمان .

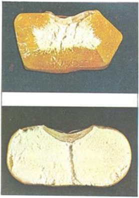
وندع أحد علماء تشيكوسلوفاكيا يحدثنا باختصار عن مخططهم العلمي ـ فاذا بنا امام تجارب مكثفة على فئران عديدة ،وضعت تحت عيون العلماء وفوق مشارح المعامل قرابة سنة كاملة ، جرى خلالها وضع نظام تغذية خاص لبعضها وحرمان الآخر وتنشيط البعض واهمال الاخرى ، ووضع البعض في اطار حياة جماعية وحرمان البعض الاخر من عوامل البيئة الخارجية المناسبة ، تجارب معقدة وطريفة في ذات الوقت اكدت لهم قانونا طبيعيا من أروع القوانين . . ان كلا من البيئة الصالحة والغذاء المتكامل ضروري لنمو كل الاحياء حتى الفئران .

بعد هذه الجولة الاستطلاعية التي امتدت قليلا في عالم الحيوان دعونا نلقي نظرة على دنيا الانسان ـ أثمن واغلى ما خلق الله سبحانه وتعالى ـ والمكرم بتسخير ما في البر والبحر والجو لخدمته ـ وننطلق مع دراسة جادة تمت تحت سقف معامل جامعة شيلي بسنتياجو حيث يلتقي الجوع والشبع حتى التخمة فاذا بالانسان لايختلف في كثير أو قليل عما أثبتته تجارب الفئران . . نفس الظروف ونفس النتائج . . تقلص خلايا المخ وتأثير على القدرة الذهنية والعصبية وشطط وانفعال سريع وعصبية زائدة وضعف بالغ يصل الى حد الهزال والموت .

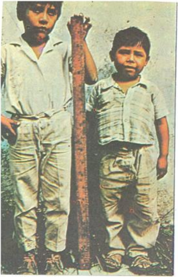
لكن العالم فرناندو مونكبرج أراد ان يقدم للناس اعلاما مباشرا يفهمه المتخصص وغير المتخصص ، حتى القارىء الذي يكتفي من المجلة او الصحيفة



● تجارب مكثفة على تهجين الذرة في محاولة لدرء الجوع العالمي رغم وجود اكثر من ٧٥,٠٠٠ نبات صالح لغذاء الانسان والحيوان .



• مقطع في رغيف خبز عديم البروتين أعلى الصورة ، وآخر في رغيف خبز معدل يوزع على الجوعى وفق برامج المعونة الدولية .



• رغم تساوي السن والظروف البيئية يبدو الطفل يسار الصورة اطول ورأسه اكبر لانه يتناول وجبات متكاملة .



• قياس عملية التمثيل الضوئي على أوراق نبات الذرة في محاولة لزيادة الحاصلات الزراعية .



• فئران تعرضت للجوع والحرمان فبدت هزيلة متعبة مهتزة

بمجرد المرور بعينيه على الصور المنشورة . يومها نشر صورتين تم التقاطهما بآلة تصوير مزودة بباعث ضوئي قوي لطفلين أو بالتحديد لرأسي طفلين ، طفل امده اهله بالغذاء الكافي خلال ايامه الاولى ، وعندما سلط ضوء المصباح على جمجمته لم تتعد المنطقة المضاءة نتيجة تغلغل الضوء وانتشاره اكثر من سنتيمترين ، وصورة اخرى لطفل محروم تعرض لذات الضوء واكدت صورته تغلغل الضوء وانتشاره الى مسافات أبعد غورا وأعمق مسارا ، وكان الرأس أو الجمجمة «أباجورة» مكتب مضاءة .. الى هذا الحد تقلص المخ .

مراحل التطور

ان بناء وتطور مخ الانسان والثدييات يمر بمراحل متشابهة تحت الظروف المتماثلة ، وسرعة هذا النمو تتوقف بدرجة كبيرة على فترة التغذية الاولى للرضع ، فمخ الطفل ينمو الى قرابة ٨٠٪ من وزنه وحجمه الأصلي خلال السنوات الثلاث الاولى ، في حين لايتعدى نمو وزن جسمه خلال نفس الفترة ٢٠٪ من الوزن الكلي النهائي للجسم في مرحلة الرجولة ، وترتيبا على ذلك يمكن مماثلة الثلاث سنوات الاولى من عمر الانسان بالأسابيع الثلاثة الاولى من عمر الفئران ، وعليه يمكن اسقاط نتائج التجارب على الانسان دون خلل كبير ، ومن هذا المنطلق نجد كل رضع دول العالم يتغذون في المرحلة الاولى من اعمارهم ولقرابة ستة شهور على لبن ثدي الامهات ، فان كانت الام لاتعاني من أمراض الهزال والضعف العام ـ وهذا نادر ـ نجد ان الطفل يتناول وجبات تنقص منها كمية حمض الفوليك عن القدر اللازم ، الى جانب نقص وانخفاض نسبة الهيموجلوبين من الدم ، ويظهر ذلك في وقت مبكر قد لايتجاوز الاشهر الثلاثة الاولى من عمر الطفل . وتمضي الستة شهور الاولى وتستعين الامهات باغذية مكملة غالبا يقل محتواها البروتيني عن الحد الملائم ، لذلك ينخفض نمو الطفل عن المعدل الطبيعي مع زيادة استعداد جسمه للاصابة بالأمراض مما تظهر آثاره في نقص محيط رأس الطفل بحوالي ٢/٢ سنتيميتر ، ويقل حجم المخ بحوالي ١٤٪ عن الحجم المعتاد .

فهل يؤثر ما أسلفنا على قدرة التعلم ؟

الاجابة ببساطة تأتينا من دراسة علمية رائدة اجريت في مدينة مكسيكية صغيرة تنحصر في مجتمعها الفروق الاجتماعية والاقتصادية ، بحيث يسهل ارجاع نتائج الدراسة الى اختلاف وتباين وتضاد قدرة الاهل على تزويدهم بالغذاء المناسب .

هنا قد يعترض البعض على منهجية واسلوب البحث ارجاعا بأن الذكاء والقدرة الادراكية والتعلم امور بيولوجية وراثية لايمكن ارجاعها الى التغذية وحدها .

والحق انني مع المعترضين الى حد ما وليس على اطلاق القول فمنذ بداية هذا القرن تعرضت الدراسات والبحوث التي اجراها العلماء على ذكاء الانسان وقدراته لهجوم جارف ، فهناك من اتهم بالسير في طريق النازية والصهيونية والعنصرية ، ومن اتهم بالعبث في قوانين الكون ، مما ادى الى عرقلة تقدم هذه البحوث لسنوات طوال . ولست انكر الاساس البيولوجي والوراثي للذكاء بقدر محدود ، وقد حاول العلماء ـ خلال هذه الدراسة التي تعرض لالقاء الضوء على اطارها العام دون الغوص في تفاصيل ـ لامكان لها هنا ـ الاقلال من تلك التأثيرات باختيار قطاع بشري يتدرج مثلما تتدرج كثافة اللون الرمادي ببطء شديد الى ان تتحول دون طفرة الى اللون الاسود .

المهم .. تشكل فريق البحث من اطباء وعلماء نفس واجتماع ورجال اقتصاد تابعوا أطفال القرية خلال منظومة بحثية معقدة شملت الأمراض التي اصيبوا بها ، السن ، التغذية ، مصادر الدخل ، العمر ، الطول ، الوزن .. الخ،كما وقع الاطفال تحت اختبارات مظهرها بسيط وجوهرها عميق ومعقد افضت الى وجود علاقة طردية مباشرة ـ بين الطول والوزن والقدرة الحركية والادراكية . ويوم فضت أسرار الدخل وقدرة الانفاق للعائلات وجدت علاقة مباشرة بين التغذية وماسبق ذكره من نتائج .

ولم يأخذ العلماء نتيجة البحث قضية مسلما بها ، قاموا بتكرار التجربة في دولة اخرى وعلى قرية هندية لايزيد عدد سكانها عن ١٦٠٠ هندي ، ويموت ١٠٪



● طفل جائع يبدو رأسه أكبر وهي في الواقع اقل ٢،٢/ سم عن رأس نظيره الذي يتناول وجبات متكاملة .

من اطفالها الرضع خلال السنة الاولى من ولادتهم ، ويموت فيما بين سنة واربع سنوات من عمر الاطفال عدد يزيد أربعين مرة (ضعف) المعدل العالمى في الدول المتقدمة ، وأكدت الدراسة التأكيدية صحة نتائج الدراسة التمهيدية .

ومع هذا يبقي الجوع !

خلاصة القول ان التغذية اثناء الرضاعة وخلال فترة تكون العظام ولمدة ثلاث سنوات ذات اثر عظيم على قدرات الاطفال الذهنية والتعليمية والحركية ، وعلى احجام عقولهم مقارنة بأوزان أجسادهم في حين أن تغذية الحوامل الغذاء الصحي المناسب يحمي الاطفال من المرض ، وأي قصور في هذا المصدر معناه انتشار حالة مرضية عامة وموت جماعي مرجعه الجوع .

والواقع أن هذه الدراسات وأمثالها تجرنا صوب تساؤل هام : هل أجدبت الارض الى هذا الحد ، ووقع الناس في مغبة الجوع العالمي ام اننا لاتندبر امورنا بواقعية ؟ اوالاجابة باختصار شديد ان الانسان طوال حياته على الارض لم يستخدم الا ثلاثة آلاف نوع من النبات للحصول على غذائه ، على الرغم من وجود اكثر من ٧٥٠٠٠ (خمسة وسبعين الف) نبات اخر صالح للغذاء الادمي والحيواني ، ثم تقلص الثلاثة آلاف نوع الى ١٥٠ نوعا فقط تنتج حوالي ٩٠٪ من غذاء العالم . .

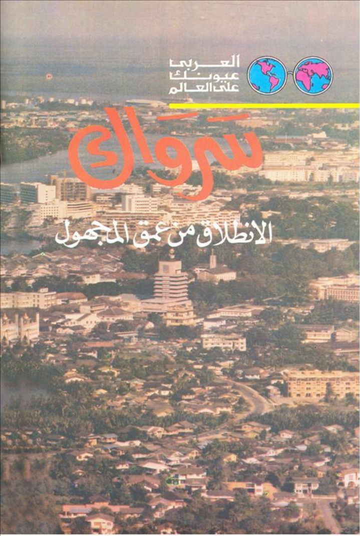
فهناك نباتات تنمو في البلاد الجافة مثل نبات البهيب في الصومال والمفضلة بذوره عن الذرة في صناعة الخبز ، ويمكن زراعة هذا النبات في الصحراء كي يساعد السكان على التغلب على مشاكل الغذاء ، وكذلك تساعد اوراقه في تناول الحيوانات لعليقة خضراء ، ومن ثم تربى لحما وتدر لبنا ، وعلى الساحل الغربي للمكسيك ينمو نبات حشيش ثعبان السمك المنتج للحبوب المنافسة للقمح طعما وغذاء كما تنمو على جبال وهضاب اثيوبيا خضراوات غنية بالبروتين منها اخذ العالم الكرنب ، وينمو قرع العسل وقرع الجاموسي في اواسط آسيا في بلاد الجفاف على شكل نبات متسلق سريع النمو . . الى آخر دراسة رائعة عن النباتات البديلة التي يعرفها العلماء ويعرفون عنها انها تعيش في بيئة تناسب بيئة الدول الفقيرة والمتخلفة والصحراوية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

ومع هذا يبقي الجوع . . وندور في سجن القمح والذرة . . ويموت الاطفال . .

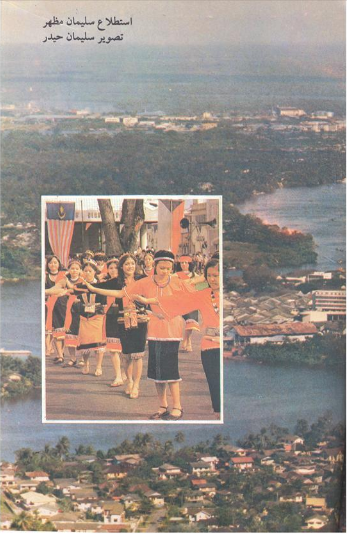
ومن لم يمت عاش هزيلا فاقدا الرغبة في الحياة . .

وننتظر من يغنى لنا . . ويقيم الحفلات ، ويترك الهبات بيمناه ويقبض على اعناقنا بيسراه .

والله في خلقه شئون . . . . □


العربي
عيونك
على العالم
سرواك
الانطلاق من عمق المجهول

استطلاع سليمان مظهر
تصوير سليمان حيدر



هل تصورت نفسك يوما وأنت تتسلق قصبة من « البامبو » طولها سبعون مترا ولا يزيد عرضها عن عشرين سنتيمترا ، لتصل الى سقف كهف ضخم ، عاش فيه الانسان قبل أربعين ألف سنة ، وترك جماجمه وهياكله العظمية مدفونة في أرضه . . كل ذلك لأنك تبغي الاستيلاء على عدد من أعشاش الطيور ، دون أن تعبأ بآلاف الخفافيش وهي تضرب وجهك بأجنحتها ، ودون أن تهتم بما يمكن أن يحدث لو سقطت من هذا الارتفاع الكبير . . ؟ !

اذا لم تكن تجرؤ على ذلك ، وخطر ببالك أن تشهد سواك وهو يفعلها . . فتعال معنا الى « سرواك » . .

قد يكون الاسم غريبا عنك . . ولكن « سرواك » في الحقيقة دولة تشغل مساحة تصل الى ١٢٥ ألف كم٢ وتقع في الثلث الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو ، القابعة في قلب بحر الصين الجنوبي الى الشرق من شبه جزيرة الملايو ، وهي تشكل مع دولة صباح ـ بعد أن تحولتا الى ولايتين في نطاق الاتحاد الفيدرالي الماليزي ـ ما يسمى بماليزيا الشرقية .

وغير بعيد من ركن الساحل الجنوبي لسرواك . . تستطيع أن تجد كهوف « نياه » . .

الكهوف هي أحد أشهر المعالم الأثرية في العالم . وأبرز هذه الكهوف كهف كبير الاتساع تبلغ مساحة فراغه مائة كيلو متر مربع . أما سكانه فعدة ملايين من الخفافيش والطيور الصغيرة التي تترك كميات هائلة من الفضلات التي تستخدم للتسميد (الجوانو) على أرضية الكهف ، كما تترك على حفر السقوف عددا كبيرا آخر من الأعشاش التي تعتبر بمحتوياتها الجيلاتينية حساء وطعاما لذيذا لأهالي بورنيو والصين . . !

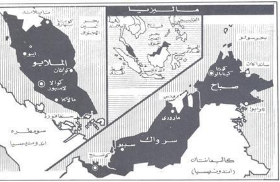
أهل الكهف

مشهد الكهف من الداخل مثير غريب . . خاصة حين تتأمل هؤلاء الرجال الذين يتسلقون أعواد البامبو الخالية من أي نتوءات ، وبدون الاعتماد على أي حبال ، فتجدهم في لحظات قد بلغوا أعلى العود الذي يرتفع الى سبعين مترا ، وبدأوا يجمعون أعشاش الطيور من السقوف في مهارة وحذق يثيران الاستغراب . .

وقفنا ـ أنا وزميلي المصور ـ نتأمل في دهشة ما يحيط بنا . واقترب منا واحد من « أهل الكهف » وسألناه عن مهمة جامعي أعشاش الطيور فقال :

هي مغامرة خطيرة لا يجرؤ على ممارستها الا أفراد معينون تمرسوا على هذا العمل . وهم يتسلقون في فراغ الكهف على أعواد البامبو مع المحافظة خلال التسلق على توازنهم حيث ان السقوط من هذا الارتفاع يعني الموت .

ان جامعي الاعشاش يحافظون على أسرار مهنتهم التجارية في غيرة شديدة ولا يورثونها الا لأبنائهم . ويتوارث هؤلاء الأبناء أيضا المناطق التي يعمل فيها آباؤهم في الكهف ويعتبرونها ملكا خاصا لا يجوز الاعتداء عليه . وقد تمتلىء المنطقة بآلاف الأعشاش في بعض الأيام ، وقد يقل العدد فلا يتجاوز العشرات . . كل ونصيبه . ويعتبر جامعو الاعشاش أنهم « أصحاب الكهف » وحدهم ، وهم يعيشون في قرى قريبة أو في بيوت طويلة . وخلال مواسم جمع الأعشاش التي تتراوح بين مرتين أو ثلاثة في السنة ، يشركون معهم كل أفراد عائلاتهم للمساعدة في جمع ما يحصلون عليه من هذه الثروة المباركة . . كما يجمعون أيضا ما يخصهم من سماد « الجوانو » الذي يحملونه في أكياس على ظهورهم ، تماما كما فعل أجدادهم طوال آلاف ومئات السنين .



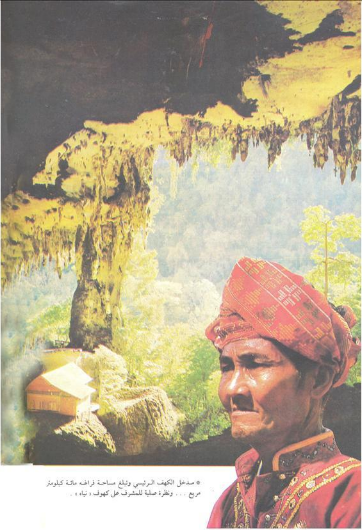
● خريطة تبين موقع سرواك من الاتحاد الفيدرالي الماليزي . . وتبدو العاصمة في أقصى الجنوب .

٤٠ ألف سنة

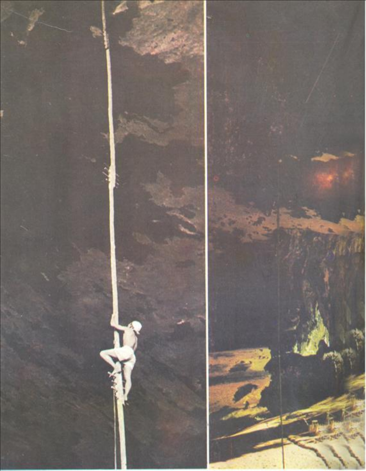
ومنذ عام ١٩٤٧ بدأ المتحف الوطني يجري حفرياته الاثرية في كهوف « نياه » . . وكانت نتائج موسمين من الحفريات بالغة الأهمية ، مما جعل شهرة الكهوف تنتشر في كل مكان بعد أن أمكن العثور على آثار من عصور تمتد الى أكثر من أربعين ألف سنة . ومازالت الحفريات مستمرة وتخرج كل موسم آثارا جديدة تمثل مختلف مراحل التاريخ .

وقد عثر على جمجمة لانسان « الهوموسابيان » الذي عاش في الكهوف منذ ٣٥ ألف سنة ، بالاضافة الى أقدم آثار الانسان الحديث . فمنذ حوالي ٤٠ ألف سنة كان سكان كهوف « نياه » يستخدمون الأدوات الحجرية ، ولكن منذ ١٠ آلاف سنة بدأوا يستخدمون أدوات من العظام أو المحارات والاصداف . . وحتى اربعة آلاف سنة قبل الميلاد كانوا يحفرون القوارب في سيقان الاخشاب ، ثم بدءوا يرسمون على جدران الكهوف نماذج لسفن الموت . وفي القرن السابع أخذ « أهل الكهف » يشتغلون بتجارة عاج رؤوس طائر « أبي منقار » ، وأعشاش الطيور ، فكانوا يقايضون الصينيين بها مقابل أواني البورسلين وعقود الخرز الملون . وبعد القرن الرابع عشر لم يعد التجار الصينيون يأتون لأن بحارتهم كانوا قد اكتشفوا الطرق البحرية على طول شواطىء فيتنام والملايو . ومنذ ذلك الوقت لم تصل أي سفينة الى شواطىء سرواك . وتحت مثل هذه الظروف بدأ السكان يهجرون الكهوف وينطلقون الى أعماق الغابات .

ويبدو أن سكان « كهوف نياه » كانوا هم أجداد قبائل « البونان » الذين مازال أبناؤهم يتبعون عقائد وتقاليد آبائهم الذين وجدت بقاياهم وآثارهم في مقابر الكهوف . وكان « البونان » هم الذين قاموا أخيرا بأعمال الحفريات الأثرية في كهوف « نياه » في القرن التاسع عشر ، وهم الذين قاموا بجمع « أعشاش الطيور والجوانو » من الكهوف . . وهم أيضا الذين عثروا على مجموعات الجماجم والهياكل العظمية والأدوات والآلات الحجرية والأواني البورسلين الصيني من عصور تانج وسونج . . والادوات البرونزية والآلات الحديدية والنقود الصينية وكل ما يربط كهوف « نياه » بالعصور القديمة للتاريخ . . وقد شاهدناها كلها معروضة أو مخزونة في المتحف الوطني . . « بكوتشينج » عاصمة سرواك .



* مدخل الكهف الرئيسي وتبلغ مساحة فراغه مائة كيلومتر مربع . . . ونظرة صلبة للمشرف على كهوف « نياه » .



* جامع أعشاش الطيور يتسلق قصبة البامبو التي يبلغ طولها سبعين مترا ليصل الى سقف الكهف .

قصة سرواك

الآن . . تعال بنا نتعرف على قصة سرواك الحديثة خلال الأعوام المائة والخمسين الأخيرة .

تبدأ القصة مع مغامرة قام بها البحار الانجليزي جيمس بروك ، الذي أرسته مغامرته على سواحل سرواك عام ١٨٣٩ . كانت المنطقة كلها في ذلك الوقت أحد أقاليم سلطنة بروناي العظمى التي كانت تحكم كل جزيرة بورنيو . وكان حاكم الاقليم يسمى « بنجيران ماكوتا » . وكان الاقليم في ذلك الوقت يعاني من حركة معارضة عنيفة قام بها السكان من قبائل الداياك « الايبانز » ضد الحاكم شهبندر محمد صالح . ومن أجل إقرار الأمور أرسل السلطان نائبا عنه عمه « مودا هاشم »للتفاهم مع الثوار ، ولكنه فشل في مهمته وعجز عن اعادة النظام ، مما جعله يلجأ الى دعوة المغامر الانجليزي لمساعدته . وكمكافأة له على تعاونه واسهامه في تهدئة الثوار وعده مودا هاشم بمنحه قطعة من الأرض في سرواك . وحين تم القضاء على حركة التمرد بدأ بروك يطالب الحاكم بالوفاء بوعده . وعندما حاول مودا هاشم التخلي عن الوعد لجأ بروك الى التلويح بقوته العسكرية ، واضطر مودا هاشم نيابة عن السلطان الى تنصيب بروك حاكما على اقليم سرواك بدلا من شهبندر محمد صالح الذي عاد مغضبا الى بروناي . ولم تمض سنوات قليلة حتى كان مودا هاشم قد قتل مع أسرته على يد مجموعة من المناهضين لبروك . . !

وأثار مصرع مودا هاشم غضب حاكم سرواك الانجليزي . وأبحر على رأس مجموعة من سفنه الحربية الى بروناي حيث أنزل الهزيمة بقواتها انتقاما لصديقه . . ثم أعلن انسلاخه عن السلطنة . وهكذا بدأ حكم الراجات البيض لسرواك منذ عهد جيمس بروك ليصبح الأمر إرثا تتولته أسرته من بعده لمدة تقترب من المائة عام . . استطاعت خلالها أن تسلخ مساحات أخرى كبيرة من الاراضي المحيطة التابعة للسلطنة ، حتى استقرت حدودها على مساحة ١٢٥ ألف كيلو متر مربع تشمل المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة بورنيو .

خلال فترة حكم الراجات البيض من عائلة بروك ، استطاعوا الامساك بزمام الأمور في البلاد التي تعرضت أكثر من مرة لاعتداءات القراصنة ، ولحركات المقاومة المسلحة في الداخل ، وخاصة من المواطنين الايبان (الداياك البحريين) الذين رفضوا ترك أراضيهم والنزوح الى الداخل .

استمرت عائلة بروك تحكم سرواك وأقرت مجموعة من القوانين لاجراء الكثير من التغييرات في حياة القبائل وعاداتهم وتطوير أنماط هذه الحياة التي كانوا يعيشونها والتي كان من بينها إبطال تقاليد الأيبان في صيد الرءوس .

وفي عام ١٨٨٠ وضعت سرواك تحت الحماية البريطانية . ولم تتخلص سرواك من التبعية للتاج البريطاني . الا بعد انضمامها الى اتحاد ماليزيا الفيدرالي عام ١٩٦٣ خلال فترة حكم رئيس الوزراء الاتحادي تنكو عبدالرحمن .

القبائل والسكان

يلغ مجموع سكان سرواك حسب اخر احصاء مليون و٣٠٨ آلاف نسمة ، ويتشكلون من مجموعات متباينة من الجماعات العرقية . أغلبية السكان من قبائل الايبان الداياك البحريين (٣٠,٣٪) والصينيين (٢٩,٥٪) والملاويين (١٩,٧٪) والبيدايو (الداياك البريين ٨,٢٪) والميلانو (٥,٧٪) وجماعات بدائية أخرى (٥,٣٪) بالاضافة الى أعراق أخرى تشكل بقية السكان (١,٣٪) .

ويدين السكان بعقائد وديانات متباينة ، وهم يمارسون عباداتهم في حرية كاملة . فالاسلام وهو دين الدولة الرسمي يدين به الملاويون والكيدياك وعدد كبير من الميلانو . أما المسيحية وتشكل أغلبية ثانية فيدين بها أغلب الداياك والصينيون الذين يعتنق عدد كبير منهم البوذية . أما الباقون بعد ذلك فهم بدائيون أولادينيون يعبدون الأوثان ويقدسون الأرواح والاسلاف . وسكان المناطق الداخلية في أدغال سرواك ـ الايبان والداياك البريون ـ يعيشون في البيوت الطويلة بجوار الانهار الكبيرة التي تخترق أراضي الادغال وتشق بداخلها طرقا مائية متعددة لمواصلاتهم . وكثير من هؤلاء قد تركوا الصيد وأزالوا مساحات من الغابات المحيطة بهم ليزرعوا الأرز والفلفل .

أما قبائل البونان الذين يعيشون في أقاصي أدغال سرواك ، فما زالوا يمارسون حياتهم التقليدية البدائية . . ولكن بدلا من الصيد بأنابيب النفخ أصبحوا الآن يمارسون الصيد بالبنادق .

الايبان وبيوتهم الطويلة

الفرصة التي أتيحت لنا لاختراق الادغال بشكل مباشر في سرواك كانت من الجو . . حيث طارت بنا الطائرة الهليكوبتر التي أمر باعدادها لنا رئيس الوزراء داتو عبدالطيب محمود للذهاب الى « بنتالو » . . القلعة الصناعية والبترولية الجديدة ، وهي فرصة كان لابد منها لالقاء نظرة شاملة على سرواك لضيق الوقت المتاح لنا لزيارة معالمها .

وخلال رحلة الهليكوبتر التي استغرقت بنا تسع ساعات على مرحلتين مررنا فوق أكبر مناطق الادغال الداخلية اتساعا في سرواك . ومن الجو وعلى مستوى منخفض يكاد يلامس رؤوس أشجار الغابة ، شاهدنا تفاصيل تلك الحياة الغريبة في الغابات . . الناس . . والحيوانات . . والاشجار الكثيفة . . والأراضي التي أزيلت غاباتها الاستوائية لتتحول الى أرض صالحة لزراعة الارز . . ذلك بالاضافة الى سلاسل الجبال والمنحدرات والوديان الضيقة والسهول الواسعة . . والأنهار التي تجري وهي تتلوى بين السفوح والسهول . . والقرى المائية القائمة فوق الانهار . . والمستنقعات . . والبيوت الطويلة التي تمتد على جانبي النهر أو عند أقرب نقطة اليه . . وكذلك الأكواخ المتناثرة للفلاحين والصيادين ، كلما أتيحت لهم فرصة اقامة كوخ . . ثم الأمطار الموسمية التي تسقط بغزارة وهي تضرب طائرتنا وتضفي جوا نديا رطبا فوق الغابة العذراء .

أما المشاهدة الثانية فكانت مع انطلاقنا لاختراق الغابات نفسها عبر طريق ضيق تحيط به الأشجار الكثيفة من الجانبين حتى لا تكاد أشعة الشمس تخترقها على الاطلاق . . كما يمر الطريق في بعض الأحيان على جانب نهر راجانج أو بجوار مستنقع كبير . . حيث تقوم مجموعات من البيوت الطويلة التي يسكنها الايبان (الداياك النهريون) . . وخلال المسيرة نلمح أنواعا كثيرة من الطيور الاستوائية البديعة الألوان والقرود والثعابين . . والقليل من الحيوانات المتوحشة التي لا تقترب من السيارة خلال انطلاقها .

هنا يكون اللقاء مع جماعة من جماعات الايبان ، وهي قبيلة « بيدايو » . والايبان أو الدايك النهريون يشكلون أغلبية سكان سرواك حيث يتجاوز عددهم ٣٤٠ ألف نسمة بنسبة ٢٩٪ من السكان . وبرغم أن أغلبهم الآن قد دخل الاسلام وانطلق ليعمل في



● مسجد بيسار . . في قلب العاصمة كوتشينج . . بقبابه المطلية بالذهب .

الوظائف الحكومية بالمدينة . . كما اجتذب المبشرون عددا آخر منهم الى المسيحية وفتحوا لهم الكنائس والمدارس . . . الا أن عاداتهم وتقاليدهم مازالت ترتبط بالعقائد والعادات التي توارثوها عن الاسلاف .

ونتوقف عند أحد البيوت الطويلة . .

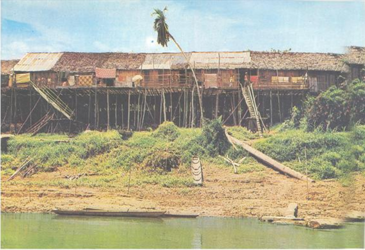
البيت ليس بيتا بالمعنى المعروف ، إنما هو مجموعة متصلة من البيوت أو الأكواخ تضم حوالي ثمانين عائلة . . وهي تقوم الى جانب النهر على مساحة مكشوفة ، حيث تباعدت أشجار الغابة أو أزيلت . الأكواخ مبنية من خشب الأشجار وقصب البامبو ، وتغطي سقوفها بجدائل من سعف أشجار جوز الهند وزيت النخيل . . ويرتفع البيت الطويل عن الأرض على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار تاركة أسفلها مساحات لمرور مياه الفيضانات ولتربية طيورهم الداجنة وكلابهم وقططهم . وتتصل الأكواخ بعضها ببعض بواسطة ممر يمتد بطول المجموعة كلها ، ويشكل مساحة الملتقى الاجتماعي والاحتفالي في أمسيات العائلات التي تقيم فيها . ويهبط عند مدخل الممر ونهايته درج عبارة عن ساق خشبي ضخم حفرت عليه الدرجات باتقان ، والساق مثبت في مكانه ، بحيث يرفع الى أعلى عندما يجيء الليل



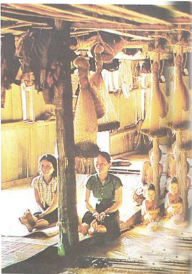
● فرقة موسيقية من عازفي « الداياك » .. والمزامير من قصب البامبو ..



● رقصة شعبية .. وراقصة من فتيات « الايبان » ..







* القرية وبيوتها الطويلة التي تقوم على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار . . . وإلى اليمين مشهد لقطاع داخلي لأحد الأكواخ . . والديكور الغريب يتدلى من سقوفه وأبرز معالمه الجماجم البشرية المعلقة . . . !

ليحول دون صعود الأعداء وغير المرغوب فيهم من البشر والوحوش الى البيوت أو الاضرار بسكانها في الظلام .

ديكور من الجماجم

دعانا شيخ القبيلة الى بيت معد خصيصا لاستقبال الضيوف والزائرين .. المدخل مفتوح الأبواب ، والسقف والجدران تتدلى منها أنواع مثيرة من الديكور ، أبرزها عشرات من الجماجم البشرية هي من آثار ما اصطاده الآباء عندما كانوا من صيادي الرؤوس .. أما بقية القاعة فكأنها متحف يضم آثارا قديمة ، بها الطبول التي كانت تستعملها القبيلة ، والرءوس والسيوف والسهام والجرار الكبيرة ومطحنة الأرز التي كانوا يطحنون بها بعد الحصاد ، بالاضافة الى مجموعات من العقود والأطواق المشكلة من أنياب وبقايا ما كانوا يصطادونه من وحوش الغابة قبل أن يتحولوا الى الزراعة ويعملوا في تربية الماعز والأبقار والدواجن ..

ودعينا الى الطعام .. ومدت الأواني المملوءة بالارز المطبوخ الذي تعلوه قطع من لحم الخنزير ولحوم الثعابين وأوراق خضراوات لا نعرفها وهي كلها لا نستطيع أن نقربها .. ولكن شيخ القبيلة حاول بطريقة لطيفة أن يفهمنا أن لديهم تقليدا يسمى « بولي » يفرض على كل من يجلس الى طعام أو يدعى اليه أو يكون قريبا من قوم يأكلون ، أن يشارك في الطعام ولو بقبضة واحدة حتى لا يتسبب في الضرر للآكلين ، وحتى لا يتعرض لعضة ثعبان .. كما أن ذلك الامتناع قد يتسبب في أن يبتلعه تمساح .. ! وقد كان من عادة الايبان من قبل ، أن يأكلوا لحوم الحيوانات التي يصطادونها بالسهام المسمومة التي ينفخونها من خلال أنبوب البامبو ابتداء من الأرانب البرية حتى الثعالب ..

أما نظام القبيلة فيقوم على أساس ديمقراطي بسيط .. فهم ينتخبون رئيس القبيلة ، ويعرف باسم « توان روما » . كما ان مجموعات الأسر في البيوت الطويلة تنتخب رئيسها ويسمى « بنجولو » ، كما أنهم يختارون حكامها أو طبيبها بالانتخاب حيث يشارك في الاختيار كل سكان البيوت الطويلة . ولا يوجد نظام طبقات ، وكل فرد حر في الزواج من الفتاة التي يقع عليها اختياره .

موروثات الأجداد

قال لنا الزعيم : كان الايبان قديما من المحاربين المتمرسين ، وكان من عاداتهم صيد الرؤوس حتى قضى على هذه العادة في أواسط عام ١٩٤٠ . وكان الهدف الرئيسي لصيد الرؤوس هو تقديم القرابين والاضحيات الى الأرواح للحفاظ على البيوت وسكانها وابعاد الشرور عنهم .. وغالبا ما كان الضحايا من النساء العجائز والاطفال ، وفي بعض الأوقات يكون صيد الرؤوس أحد الرموز التي يأتي بها الفتى فوق سن رمحه لتأكيد شجاعته وبلوغه مبلغ الرجولة .. !

ويتمسك الايبان بموروثات الاجداد في حياة كل يوم .. فصوت طائر مغرد يجب أن يسمع قبل غرس شتلات الأرز في الأرض .. فاذا عز هذا الصوت كان ذلك يعني ضرورة تغيير مكان القرية .. ! والاحلام غير الطيبة ـ كأن يتضمن الحلم مشهد مريض أو ميت أو يسمع خلاله صرخة طائر الموت « سابات » ـ تقتضي تغيير مكان اقامة صاحب الحلم والمشاهد التي تحيط به .. وعندما تكون القرية تحت الانشاء يحرم نسج الملابس الوطنية كما يحرم الدخول في نزاع أو خصام والمشاركة في أي معركة ..

كل هذه المعتقدات التي حدثنا بها زعيم القبيلة وجدناها ما تزال راسخة في أذهان شباب الايبان حتى بعد أن اتجهوا الى المدارس والجامعات وازدادت ثقافتهم وأصبح لهم صوتهم المسموع في مناقشة الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد ..

والميزة الرئيسية التي يتميز بها الايبان (الداياك البحريون) هو لطفهم وكرمهم في تعاملهم مع الغير .. وحياتهم المليئة بمظاهر البهجة والفرح والزينة والرقص الشعبي التقليدي الذي يجتذب كل الأنظار .

وهم لا يختلفون كثيرا عن أقربائهم من البيدايو (الدياك البريين) والذين يوجدون بكثرة في المناطق الداخلية في جنوب غربي سرواك .. فهؤلاء سكان بيوت منفصلة عن بعضها البعض .. وهناك تشابه في الملامح بين الداياك البريين والبحريين برغم أنهم مختلفون في اللغة والعادات .. والداياك البريون ليس لديهم اتجاهات اجتماعية وان كانوا محبين للسلام ويعرف رؤساؤهم باسم « أورانج كايا » .

من هؤلاء جميعا تتشكل الأعراق المختلفة في ولاية سرواك ، التي استطعنا أن نكون فكرة شاملة عن

طبيعة الحياة فيها من خلال مشاهدتنا لها من الجو ونحن في الطائرة الهليكوبتر وهي تطير أقرب ما يكون الى قمم المرتفعات وأشجار الغابات وأسطح البنايات في المدن الحديثة حيث تبدو مظاهر التقدم والتطور والنهضة .. وخاصة في العاصمة .. كوتشينج .

مدينة ذات وجهين

كوتشينج .. مدينة نهرية ذات وجهين متباينين .. قديم موغل في القدم .. وجديد بالغ التحديث .. مدينة صاخبة وساكنة ، ثابتة ومتقلبة ، في آن معا ..

الصخب والحداثة والتقلب يبدو كله في الجانب الأيسر من نهر سرواك ، حيث الحياة بكل تدفقها ، وبكل نوعيات سكانها الذين يبلغ تعدادهم الآن ١٣٠ ألف نسمة ، بينما لم يكن يتجاوز بضع مئات من الملايويين وعشرات من الصينيين عندما رست على شاطئها سفينة المغامر الانجليزي جيمس بروك قبل حوالي ١٥٠ سنة .

على الجانب الشمالي من النهر الذي يفصل العاصمة الى قسمين يربطهما جسر معلق طويل تشهد عالما آخر .. مقر الراجات البيض الذي كان يقوم منعزلا بعيدا عن الصخب والضجيج أصبح صورة من الماضي يجذب مشهده الباحثين عن الهدوء والراحة والاستمتاع . هذا المقر تم بناؤه عام ١٨٧٠ ليضم ثلاثة شاليهات (بانجالو) كبيرة أقيمت فوق قواعد حجرية بارتفاع حوالي عشرة أمتار ، وتظلل أسقفها البارزة المائلة العريضة كل القاعات الداخلية . أما الشاليه الرئيسي فهو يضم قاعة الاستقبال والطعام والرسم والموسيقا . بينما الشاليهان الجانبيان يضمان قاعات النوم . وقد بنى مقر الراجا الابيض شارلز بروك ليقيم فيه مع عروسه الموسيقية مارجريتا . واذا كانت استخداماته قد تغيرت بعد ذلك أكثر من مرة الا أنه يتخذ الآن مقرا رسميا لحاكم الولاية .

وعلى الضفة المقابلة من النهر تصطخب أصوات الباعة والمشترين ومساوماتهم في ساحة السوق الكبير حيث يأتي صيادو الأسماك بصيدهم وروائحهم ليبيعوا حصيلة اليوم فوق الارصفة المزدحمة التي يختلط فيها الحابل بالنابل طوال النهار والليل .

قلعة الحب

في جولة حول كوتشينج شهدنا قلعة مارجريتا أبرز معالم المدينة ، والتي أطلق عليها بروك اسم زوجته الموسيقية الحالمة التي تزوجها وهي تصغره بعشرين عاما .. وكانت هي الفتاة الوحيدة التي قبلت أن تحضر لتعيش بين أدغال سرواك .

القلعة أنشئت عام ١٨٧٩ بتكلفة حوالي ٨ ملايين دولار . واختير موقعها الاستراتيجي بحيث تسيطر على الضفاف الطويلة لمداخل نهر سرواك منذ اقترابه من العاصمة ، فمن هنا دائما كانت توقعات أي هجوم أو غزو تتعرض له المدينة . وفي عام ١٩٧٩ كانت سرواك قد بدأت تمر بفترة من الهدوء والاستقرار حتى ان القلعة لم تستخدم أبدا للهدف الذي أقيمت من أجله .

القلعة بطوابقها الثلاثة تتميز بأنها رباعية الشكل .. وعند مدخلها قاعة كبيرة كانت في الايام الاولى تستخدم مكتبا للقيادة ، بينما الطبقات العليا كانت مقرا للحراس . والى يسار المكتب توجد زنزانتان كانتا تشغلان عادة بالمساجين المحكوم عليهم بالاعدام أثناء انتظارهم لمصيرهم . ويتوازى مع الزنزانتين ممر يقود مباشرة الى خارج الحصن . وينتهي الممر ببوابة حديدية تفصله عن الساحة الخارجية .

وعلى مر الأيام اختلفت استخدامات القلعة . فلفترة قصيرة بعد الحرب الثانية استخدمت كمركز تدريب للشرطة الذين يقومون بمد أسلاك المواصلات التليفونية ثم استخدمت القلعة بعد ذلك لتصبح بمثابة « ميس للضباط » ، وعندما تم انتقاله الى موقعه الحالي أعيد مبنى القلعة لقوات الدفاع المدني لتصبح مقرا لقيادتها .

وانتهى الامر بالقلعة (أخيرا) في عام ١٩٧١ لتصبح متحفا للشرطة ، يضم الاسلحة التي كانت تستخدم في الماضي ، وبينها المدفع الوحيد الضخم الذي دوى صوته ذات يوم في سرواك ، بعد أن دفعه الى أعلى جبال سندوك أكثر من ٥٠٠ رجل من الداياك الاقوياء ، وتمكنوا عن طريقه من انزال الهزيمة بالثائر الشهير المسمى « رينتاب » . وفي أحد أبراج القلعة « المتحف » توجد قاعة أطلق عليها اسم قاعة « الجماجم الضاحكة » ويقولون ان صاحب هذه الجماجم - وعددها مائتان - هو أحد أبطال الداياك الذي باعها للمتحف وهو يقول انها كانت تقلق نومه بضحكاتها الهستيرية التي تطلقها طوال الليل .

المتحف الوطني أحد المعالم الأخرى البارزة في كوتشينج وهو يضم في قاعاته مجموعة من الآثار الاسلامية القديمة الى جانب هياكل المعابد الصينية وجماجم لصيادي الرؤوس كما يضم أيضا كنوز الحرف الاثرية التي تدل على حضارات القبائل المختلفة في







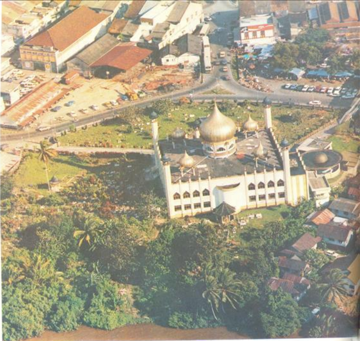
• مصفاة النفط في بنتولو أبرز المراكز الصناعية وأسرعها تطورا في ماليزيا



• مجمعات مساكن الموظفين .. وآلاف البيوت المبنية على أحدث طراز .



• داخل مؤسسة نشر الأخشاب وصناعة الأثاث في سرواك .





● قلب العاصمة «كوتشينج» كما يبدو من طائرة الهلوكيتر . . .
ومسجد الدولة في مركز القلب . .
والى اليمين تبدو حركة المرور فوق الجسر المعلق .

سرواك وفي كل جزيرة بورنيو ، كما تعرض على جدرانه وفي قاعاته مجموعات من الأسلحة القبلية والأدوات المهنية والأعمال الفنية القديمة والحديثة ، ومن حسن الحظ أن المتحف وضع خلال الغزو الياباني تحت امرة أحد الضباط المتنورين فلم تحدث به أي أضرار .

وغير بعيد من المتحف يوجد مسجد بيسار ، المسجد الرئيسي للمسلمين في كوتشينج ، والذي تم بناؤه قبل عشرين عاما ، ويشكل بقبابه المطلية بالذهب صورة رائعة للهندسة المعمارية التي يمتزج فيها القديم بالحديث .

للمعابد الصينية قصة

وتزخر كوتشينج بمجموعة من المعابد الصينية التي تزدهر بألوانها وزخارفها ، وأقدمها معبد « توابيك كونج » الذي أقيم قبل أكثر من مائة عام . . هذا المعبد يعتبر أهم معابد الجماعات الصينية في سرواك . وخلال ضرب كوتشينج بقنابل الطائرات اليابانية لم تلحق به سوى تصدعات في أحد جدرانه . أما معبد « كويك سنج أونج » فقد أعيد بناؤه عام ١٨٩٥ ، وهو يتميز بسقف تبدو ديكوراته رائعة الجمال والألوان ، وهو المعبد الذي تتجه اليه جماعات « الهوكيان » في أداء الصلوات لمعبودهم « كويك سنج أونج » ، كما يأتي اليه أيضا كثير من جماعات الصيادين « الهنجاو » للحصول على البركة من أجل صيد وفير . . وأجمل ما شهدناه في هذا المعبد الاحتفال السنوي الذي يقام في اليوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني ويبدأ من السابعة صباحا حتى العاشرة مساء ، حيث يوضع تمثال الاله على مقعد يحملونه ويطوفون به بين الأغاني والاهازيج حول شوارع المدينة .

طفرة صناعية وتنموية

مظاهر الطفرة السريعة في الانتقال من البداوة الى الحضارة واضحة في كل شيء . . ولا تمنع هذه الطفرة من التأكيد على وجود نهضة حقيقية في كل نواحي الحياة . ولعل أبرز الأمثلة على هذه النهضة التنموية والصناعية ما يجري في منطقة بنتولو . . وحين نهتم بتتبعها واستعراض ما يجري من مظاهر التقدم فيها فانما نقصد من ذلك أن نقدم نموذجا متميزا لكيفية اقامة المناطق الصناعية يمكن أن نستفيد منه في وطننا العربي .

انطلقنا على متن الطائرة الهليكوبتر . . الى بنتولو . . مدينة النفط والغاز الطبيعي في سرواك . وبنتولو تمثل أحد أبرز المراكز الصناعية وأسرعها تطورا في ماليزيا الحديثة . ويتيح لها موقعها في وسط الساحل الغربي المواجه لماليزيا الغربية أن تلعب دورا كبير الأهمية بعد التوسع في كشف كميات ضخمة من الغاز الطبيعي والاحتياطي البترولي بالاضافة الى ما ينتظر الحصول عليه من القوى الهيدروكهربية الضخمة التي ستدفعها الى مقدمة المناطق الصناعية . وهناك أيضا ما يثير الاهتمام وهو أنها غنية بالمنابع والموارد الصناعية حيث تزخر بأنواع الخشب المتميز والأراضي الزراعية الخصبة والسليكون والفحم مع المزيد من الخدمات المتطورة .

ان دخول بنتولو الى الساحة الاقتصادية كان من الظواهر الجديدة . وعندما تم اكتشاف آبار البترول والغاز الطبيعي بدأت المنطقة تشهد تطورا كبيرا منذ عام ١٩٧٩ ، ودخلت في نطاق المجتمع الاقتصادي الدولي . ومع انجاز أول مصنع لتسييل الغاز الطبيعي في ماليزيا وأول عمليات تصديره بالبحر في أول عام ١٩٨٣ ، شهدت بنتولو تغيرا كبيرا من قرية صغيرة الى أكبر مركز صناعي حديث في المنطقة .

ان مشروع ناقلات الغاز والبترول الذي قدرت عائداته بمبلغ اجمالي قدره حوالي سبعة بلايين من الدولارات ، وقيمة أرباح اليوريا امونيا التي تبلغ ٧٣٧ مليون دولار ، بالاضافة الى عائدات قدرها ٥٦٠ مليون دولار نتيجة تعميق الميناء ، كل ذلك حفز على التطور الصناعي لمنطقة بنتولو . .

وتبعا للنهضة السريعة منذ ١٩٧٩ فان التسهيلات والخدمات المميزة في بنتولو قد جعلت منها قاعدة حديثة متطورة ، فقد قامت مئات المحلات التجارية وآلاف المساكن لمواجهة التطور السكاني المتزايد ، كما شقت الطرق الحديثة لربط المدينة بالمناطق والمدن الرئيسية في الولاية ، كما اتسعت حركة الطيران التي تربطها بكوتشينج وكوتاكينا بالو كحلقة اتصال مع سنغافورة وكوالالمبور وهونج كونج .

. . وتتكلم الأرقام

تملك بنتولو من احتياطات الغاز الطبيعي ٥٠٠ مليون متر مكعب . حصة ضخمة من هذه الكميات الكامنة بدأ استغلالها للنهوض بالصناعات البتروكيمائية وصناعات القوى المحركة .

أما النفط الخام فان الصهاريج يمكن أن تستوعب



○ رئيس الوزراء داتو عبدالطيب وحديث حول بنتولو .

مليون وربع مليون برميل في وقت واحد منذ أنشئت عام ١٩٧٩ . ويستخرج النفط الخام من حقول تيمانا على بعد ٣٠ كيلو مترا من سواحل المدينة ، كما أن حقول بايان بدأت انتاجها في منتصف العام الماضي بكميات ضخمة . وتتولى شركة النفط أيضا التسهيلات الخاصة ببيع وتصدير الغاز الطبيعي خاصة مع اقامة مصنع تسييل الغاز الذي يتيح الفرصة لكميات أكبر من الصادرات الى الاسواق الاسيوية .

أما عن الأخشاب فان منطقة بنتولو وحدها تحيط بها غابات على مدى ٣,٥ ملايين هكتار من مجموع الاراضي الغابية في سرواك والتي تبلغ ١٢,٥ مليون هكتار . وفي عام ١٩٨٣ فان متوسط ما تم تصديره من الأخشاب من هذه المنطقة بلغ ٢٢٢ الف متر مكعب شهريا في هيئة كتل خشبية . ويوجد الآن في منطقة بنتولو عشرون مؤسسة لنشر الخشب . وللنهوض بهذه الصناعة فان الحكومة تبذل امكاناتها الآن من أجل مزيد من التطور باقامة مؤسسات أخرى قادرة على مضاعفة الكميات المصدرة .

بالاضافة الى ذلك فان الزراعة يجري تطويرها لامكان استغلال أكبر مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة . ويوجد الآن حوالي ٢٠ ألف هكتار مزروعة بأشجار زيت النخيل وحوالى ٩٠٠ هكتار مزروعة بالكاكاو ، والمساحة التي بدأ استصلاحها في المنطقة لاتقل عن ٥٠٠ ألف هكتار من أجل مزيد من الحاصلات الزراعية .

وهناك مناطق واسعة بها السليكون (الرمل الزجاجي) الغني العالي الجودة في السهول الساحلية ، مما أتاح الفرصة لاقامة مصانع لانتاج الواح الزجاج والأواني الزجاجية والبلورية يتزايد انتاجها مع المزيد من التطوير .

يضاف الى ذلك أنه تم العثور على حقول من الفحم في مناطق كثيرة من بينها حوالي ٢٠ مليون طن من فحم الكوك و ٤٠٠ مليون طن من فحم الليجنايت جنوبي بنتولو .

وقد تم الشروع في اعداد حوالي ١٠٠٠ هكتار من الاراضي للتوسع في اقامة المصانع واستيعاب المنشآت والمساكن للعمال والموظفين ، مما سيجعل المنطقة قاعدة صناعية ضخمة تستوعب المزيد من الطاقات العاملة ، وتتيح لها المزيد من الخبرات في الميدان الصناعي ، ولمواجهة القوى العمالية المتصاعدة فقد أقيمت مدارس للبنين والبنات لمختلف المراحل لتعليم أبناء الموظفين والعاملين ، كما أقيمت مدن اسكانية نموذجية مزودة بجميع أنواع الخدمات .

لقاء مع رئيس الوزراء

من أجل مزيد من دفع عجلة التقدم والتحديث يتولى داتو عبد الطيب محمود رئيس وزراء سرواك رئاسة السلطات التنفيذية للنهضة في بنتولو .

وعندما دعانا رئيس الوزراء للقاء في مقر اقامته عبرنا له عن الاعجاب الكبير بالنهضة الشاملة التي شهدنا أحد أمثلتها في بنتولو . . فقال :

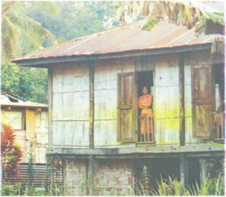
ان الجهود في سرواك مستمرة على جميع المستويات لتطوير المجتمع ، من أجل حياة أفضل للشعب بكل فئاته وجماعاته ، والانتقال بهم الى أعلى درجات التقدم .

وبنتولو أحد الأمثلة لهذه الجهود من أجل أن تصبح قاعدة أساسية صناعية متطورة . وهي تعطي صورة بارزة للتنمية الصناعية والزراعية التي نرحب من أجلها بكل خبرة أو مساهمة أجنبية أو عربية لمواصلة تنفيذ ما خطط لها من برامج نأمل لها المزيد من النجاح ، في ظل التغيير الكبير في توجهات وقدرات مجتمع نفض عن نفسه بقايا البدائية والقبلية ليسير على طريق النهضة والتقدم .

وكان لابد بهذه المناسبة من سؤال نوجهه لرئيس الوزراء عن طبيعة الجهود المبذولة من أجل التغيير الجذري لبنية المجتمع ، وكيف رافقت هذه الجهود محاولات واضحة لاجتذاب أكبر عدد ممكن من







* شموع كثيرة للتعريف بالاسلام بين التلاميذ والتلميذات حيث الاهتمام كبير بمختلف مراحل التعليم (الصورة العليا الى اليمين) . . ثم نظرة الى الغابة . . . من شرفة الكوخ . . . .



● في السوق الشعبي . . . خضراوات وفواكه من جميع الأنواع . . ووجوه من جميع الفئات والأعمار . . لا تترك السوق إلا الى نزهة على شاطىء نهر سرواك



القبائل البدائية الى الاسلام .

قال عبدالطيب محمود :

لا أخفيكم أننا نواجه الكثير من المصاعب المالية مثلنا مثل أغلب دول العالم الثالث . ولكنني أتصور أننا الآن بدأنا نقف على أرض صلبة ، وخاصة بعد أن أتيح مجال العمل والخبرة للكثير من سكان الولاية . لقد أصبحنا قادرين على تنفيذ التنمية الصناعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية في سرواك . وفي كل أنحاء اتحاد ماليزيا تبذل جهود كبيرة من أجل مزيد من الدعوة الى الاسلام وذلك بانشاء الكثير من المراكز الاسلامية ، أولا ـ لاجتذاب المسلمين الى معرفة فضائل دينهم الاسلامي ، وثانيا ـ لاجتذاب غير المسلمين الى هذا الدين القويم ، واعداد معتنقيه الجدد لمعايشة المجتمع الجديد من خلال قناعة شخصية تتسم بالحرية ، وهو أمر بالغ الأهمية ، ليشعروا بأن أمامهم مُثلا جديدة للحياة .

من هنا كان من الضروري بذل المزيد من الاهتمام بالتعليم في جميع المناطق ، بما في ذلك المناطق الداخلية ، ابتداء من رياض الأطفال والتعليم الابتدائي حتى الثانوي . ومن خلال ذلك تضاء شموع كثيرة للتعريف بالاسلام بين التلاميذ بمختلف فئاتهم وعقائدهم . ولكن هنا أيضا تقف مشكلة اللغات .. فلكل جماعة عرقية لغتها ولهجتها التي لا تساعد كثيرا في هذا المجال .. ونتمنى أن نتغلب على هذه المشكلة بتدريس اللغة القومية بالاضافة الى اللغة الانجليزية التي غالبا ما تتفهمها المجتمعات القبلية . وقد طبعنا عددا كبيرا من الكتب التعليمية باللغة الانجليزية ـ للتغلب على تعدد اللغات ـ تشرح مبادىء الاسلام وتاريخه وفضائله وتوجيهاته ، كما أصبح لدينا الآن معلمون لديهم خلفية لغوية ودينية ، بحيث استطاعوا أن يقيموا آفاقا كبيرة أمام التلاميذ وكذلك مع أسرهم وعائلاتهم في كل مكان . ولا شك أن ذلك يحتاج الى وقت طويل ، ولكن الأمور تسير في الاتجاه الصحيح .

ولعلنا لا ننسى أننا منذ بداية الاستقلال عام ١٩٦٣ كانت تواجهنا مشكلة القبائل البدائية والمجتمعات الفقيرة ، حيث المواطن يعيش في كوخه الصغير أو يصطاد السمك أو يزرع الارز في الريف أو يعيش على الصيد في الغابة معزولا عن الحياة والمدنية ، حينما كانت الفئات الوافدة وخاصة أن الصينيين يسيطرون على التجارة والصناعة وينعمون بكل معطيات الحضارة . ولم تكن فرص النمو متاحة لكافة عناصر الأمة بالتساوي ، وكانت هناك فروق شاسعة في امكانات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وكان لابد برغم ضآلة الامكانات من محاربة الفقر والتخلف ووضع برامج التنمية الخمسية ، التي كان هدفها اذابة الفوارق وتطوير المجتمع وخلق توازن اقتصادي بين المدن والريف وسكان المناطق الداخلية . وكان المستقبل مرهونا بمدى القدرة على تطوير امكاناتنا الزراعية وخاصة أنها مورد طبيعي غير قابل للاستنزاف فعملنا على زيادة المساحة المزروعة واستئصال الاشجار من بعض الاراضي الغابية واعدادها للزراعة ، مع تخطيط المشروعات الزراعية بحيث تقدم تسهيلات كبيرة للفلاحين والمزارعين ، مع شق طرق ممهدة بين المدن والمناطق الداخلية واقامة المدارس والعيادات والأسواق . وبدأ المواطنون ـ وخاصة في الأراضي الداخلية ـ يدركون أن وفرة المحصول ليست نتيجة لتدخل القوى الخارقة أو أرواح الاسلاف ولكنها تتحقق نتيجة اتباع الأساليب الحديثة . وهكذا واصلنا العمل على التطور بنفس الطريقة في المجالات الصناعية والثقافية والتجارية .

نشاط الدعوة للاسلام

للتوسع في متابعة نشاطات الدعوة الى الاسلام ومعرفة العقبات على الطريق والى أي مدى استطاعت الهيئات التبشيرية أن تلعب دورا بين المجتمعات الداخلية في أدغال سرواك .. كان لابد من لقاء مع رئاسة المركز الاسلامي للولاية :

قال لنا داتو محمد فوزي أمين المجلس الاسلامي :

« إن استراتيجية الدعوة الى الاسلام بين الشعوب والقبائل تقوم على الدعوة عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة . وقد دخل الاسلام منذ البداية في سرواك وما حولها عن طريق التجار من العرب والاندونيسيين الذين جاءوا للتجارة ، واستطاع بعضهم أن يدعو بعض أبناء القبائل ممن كانوا يتعاملون معهم الى الاسلام . واستمر الأمر يسير بخطوات بطيئة حتى نالت سرواك استقلالها وأعلن الاسلام دينا رسميا في اتحاد ماليزيا كله . وبدأ الاحساس بضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية بعد أن بدا واضحا تأثير قوى التبشير في نشر المسيحية بين أبناء البلاد الاصليين ، وخاصة اللادينيين ، وهي قوى وهيئات كانت تتمتع دائما بدفق من ملايين الدولارات من المنظمات المسيحية من جميع أنحاء العالم ، كما توضع

كثير من طائرات الهلوكوبتر تحت تصرف المبشرين ، وفيهم عدد كبير من القسوس الأجانب ، حيث تنظم العملية كلها تنظيما محكما وتمول تمويلا سخيا ، يفتقر الى مثله الدعاة المسلمون الذين يواجهون الكثير من الصعوبات ، وخاصة أن المبشرين يملكون الأدوات الكاملة التي تسهل لهم القيام بمهمتهم ، ويستخدمون القوارب البخارية ، ويملكون الزوارق التي يتحركون بها بين المستنقعات والمجاري المائية في الادغال حيث يعيش رجال القبائل . . كما ان لديهم ضمانات كاملة للحياة وعندهم امكانية اقامة مدارس تعليم .

● ولكن لماذا لا يتحمل الدعاة المسلمون مثلما يتحمل المبشرون ؟

الاجابة الصريحة أنه منذ أيام الاستعمار الذي كان يسيطر على المنطقة كلها كانت الجهود مستمرة لعزل المسلمين عن المناطق التي يعيش فيها رجال القبائل في الادغال . . والاستعمار ينجح دائما في أن يمسح التاريخ عن بعض البلاد حتى لا يحس أهلها بوجود اخوة لهم . العزلة والتفرقة أحد وسائل المستعمرين وعن طريقها جعلوا البلاد وكأنها جزر منفصلة ومناطق متباعدة لا يقترب منها الأخرون . ونجحوا في ذلك عن طريق عدم اتاحة أي وسيلة من وسائل المواصلات التي تسهل التقارب بين السكان . . طبعا هذا الذي حدث قديما كان له تأثيره في الوقت الحاضر ولكننا الآن ومع احساسنا بالمسؤولية الكاملة نواصل تقدمنا وخطواتنا ، وستظل الجهود مستمرة مع بذل كل الطاقات من أجل تقدم الاسلام ونموه في سرواك .

مطلوب دعاة مجاهدون

● يتحدث المشرف على الدعاة « أوانش بور » فيقول :

ان الصعوبات تتركز في بعد المناطق الداخلية عن المدن ، كما ترجع الى صعوبة المواصلات للوصول الى أماكن اقامة رجال القبائل . كما تفتقر الدعوة الى عدد أكبر من الدعاة المدربين . صحيح ان لدينا مبعوثين من الرابطة الاسلامية ومن دار الافتاء يبلغ عددهم حوالي عشرة . وفي كل سرواك لايتجاوز عدد الدعاة ثلاثين ، غير الخطيب والامام في المسجد . ولكن الدعاة الوطنيين يدرسون عن طريق غير مباشر في المساجد ، مما دعانا الى توجيه عدد يصل الى مائة يدرسون الآن في المعاهد الاسلامية في ماليزيا الغربية ، ويواصل بعضهم التعليم في مصر وعددهم الآن حوالي عشرين ، كما يوجد في الجامعة الوطنية الملاوية في كوالالمبور حوالي خمسين طالبا ، وفي الجامعة الاسلامية الدولية اثنان ، ونأمل أن يزداد عددهم في القريب .

وهؤلاء سيكون لهم دور مباشر في الدعوة لأنهم يعرفون اللغة الوطنية ويستطيع بعضهم أن يتعامل مع رجال القبائل مثل الداياك بلغتهم وهو أمر لا يستطيع أن يقوم به أي دعاة يمكن أن نستقدمهم من البلاد العربية والاسلامية الاخرى . . والذي يمكن أن تقدمه لنا الدول العربية والاسلامية هو مزيد من الدعم المالي والمساعدات المادية والعينية ووسائل المواصلات التي تمكننا من منافسة الهيئات التبشيرية في المناطق الداخلية .

● ويضيف المفتي داتو حاج عبدالقاضي حسن :

المهم هو أن يكون لدى الدعاة امكانية أن يخاطبوا المواطنين بلغاتهم ، لأن المسألة ليست دخول هؤلاء في الاسلام ، ولكن الأهم هو متابعتهم لمواصلة تعليمهم أسس الاسلام وفضائله وقيمه ، حتى يستمروا في الايمان ويؤثروا في غيرهم من الأقارب والجيران . ولا يمكن أن تتم هذه المتابعة بشكل مناسب مع قلة عدد الدعاة وصعوبة الانتقال الى المناطق الداخلية . ولو استطعنا أن نحل هذه المشكلة لتغير وجه حياة هؤلاء المواطنين كثيرا . ان الأمر يحتاج الى انفاق كثير فليس لدينا من المال ما نستطيع أن نمول به الدعوة كما يفعل المبشرون المسيحيون . . فهؤلاء أيضا يمتزجون مع الاهالي ويسكنون معهم ويأكلون ويشربون ويقيمون في بيوتهم ويعطون لهم الدواء والكساء وكل ما يحتاجون اليه . وهناك مسألة أخرى لها أهميتها هي مدى الحماسة عند من يقومون بالدعوة ومدى استعدادهم للتضحية في سبيل نشرها . . اننا نريد دعاة مجاهدين . . هناك دعاة . . ولكنهم لا يجاهدون . . المطلوب دعاة مجاهدون يستطيعون تحمل الذهاب الى أماكن اقامة اللادينيين ويكون لديهم الايمان والصبر على الكفاح وضرورة التغلب على الصعوبات ولا يعتبرون أنفسهم موظفين يحصلون على رواتب مقابل هذا العمل . . يجب أن يكونوا دعاة يسيرون على ما كان يسير عليه الدعاة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم . . فالدعوة جهاد عملي . . جهاد مستمر . . يتولاه مؤمنون يملأ الايمان قلوبهم . . وسنستمر في المحاولة حتى ينتشر الاسلام تماما في هذه البقاع . . وحتى يبقى فيها ما بقيت الحياة . □



حضارات سادت ثم بادت

اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة انيانج

أقدم حضارات أهل الصّين

يندر أن تجد بين حضارات البشرية جميعا حضارة تفوق حضارة الصين ، من حيث غزارة المخترعات التى ابتكرتها أو طورتها ثم جادت بها على الآخرين . . ومع ذلك فان عهد أهل الصين بالحضارة يعتبر حديثا نسبيا . ولعله لم يبدأ الا قبل



خريطة انيانج

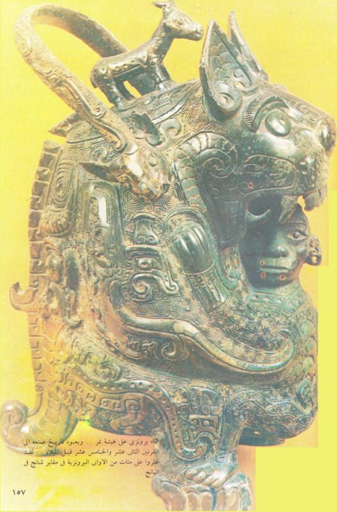
حوالى ٣٦ قرنا ، أى فى سنة ١٧٠٠ ق م على وجه التحديد . .

ففى تلك السنة ظهر (شنج تانج » وهزم غريمه (جي) . . وهكذا انتهى عهد سلالة (كسيا) السلالة الأولى التى حكمت الصين ، وبدأ عهد سلالة (شانج) التى ترعرعت فى زمنها أولى حضارات الصين .

حضارة في الظلام

أما موقع تلك الحضارة فمدينة (ين) التى تقع غير بعيد عن نهر (هوان) التى اتخذت من ذلك النهر حصنا منيعا يقيها شر العدوان من جانب المدن والدويلات الأخرى ، وقد تكاثرت فى ذلك العصر الاقطاعى من تاريخ الصين . .

وأما مولدها فسنة ١٣٠٠ ق م ، حين ظهر الملك المحارب (بان جنج) واحتل تلك المدينة ، واتخذ منها عاصمة له ، وطرد مستوطنيها الأوائل ، وكانوا من أقوام العصور الحجرية . . ليحل محلهم قومه ، قوم شانج الذين اعتمدوا البرونز ، والذين بنوا حضارة



اناء برونزى على هيئة نمر .. ويعود تاريخ صنعه الى القرنين الثانى عشر والخامس عشر قبل الميلاد .. لقد عثروا على مئات من الاوانى البرونزية فى مقابر شانج فى انيانج



خنجر برونزى ، من الاسلحة التى استعملها اهل انيانج فى القرن الثانى عشر . . لاحظ النقوش والصور الدقيقة على مقبض الخنجر .

الصين الأولى فى ذلك العهد الشاننجى (١٣٣٥ - ١١٢٣ م) ، والجدير بالذكر أن الحفريات التى كشفت عن معالم تلك الحضارة لم تبدأ الا سنة ١٩٢٨ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ ، وقد أجريت فى موقع (أنيانج) وهو الاسم الحديث لموقع مدينة (ين) القديم . . .

ولعل أهم وأطرف ما عثرت عليها تلك الحفريات ، مجموعة العظام التى شملت فيها شملت أكتاف الثيران . . وظهور السلاحف ، فقد نقش قوم أسئلة عديدة مختلفة على تلك العظام . . هى الأسئلة التى طرحوها على الآلهة ، أو وجهوها الى الأجداد والأسلاف ، وقد احتلوا المرتبة الثانية التى تلى مرتبة الآلهة فى عرف أهل الصين . . والطريف فى تلك العظام انها ردت على تلك الأسئلة . . اذ عمد المتنبئون الى حفر العظمة ، وادخال قضيب ساخن فى الثقب الذى حفروه فيها ، حتى تتشقق تلك العظمة وتنكسر . . ويتمكنوا من التنبؤ بالمستقبل ، وذلك بالتحديق فى ذلك الكسر وتلك الشقوق . . واستشفاف أجوبة الآلهة والأجداد على تلك الأسئلة . . . .

أما البناء والعمران فى حضارة (إنيانج) فكان من فئتين مختلفتين تمام الاختلاف . . فئة القصور ، قصور الملوك والنبلاء ، وفئة الثقوب المحفورة فى الأرض كالآبار ، وهى البيوت التى سكنها عامة الشعب .

وتنوعت أشكال هذه الثقوب . . فكان بينها المستدير والمربع والمستطيل ، وتراوح عمقها بين ٣ - ٤ أمتار . . وتفرعت الى ثقوب جانبية فرعية أصغر حجما من الثقوب الرئيسية . . وقد استعملت تلك الثقوب كمستودعات ، ولأغراض أخرى مختلفة . .

والغريب أن تلك المنازل حرمت الرحابة وحرمت الضوء أيضا . . وكأن المكان الفسيح المنير كان من حق الأسرة الحاكمة وحاشيتها والنبلاء . . وحدهم دون سواهم . .

ولعل تلك المنازل الشعبية الخفية فى باطن الأض ، أشبه ما تكون بملاجىء الغارات الجوية . . او الأنفاق . . انها مساكن الأنفاق . . وهى ما زالت تبنى وتسكن فى شمال غرب الصين فى الوقت الحاضر . .

ولو انتقلنا من تلك المنازل الشعبية الى منازل الملوك والأمراء ، لشعرنا وكأننا ننتقل من القبور الى القصور . . وحسبك أن القصر الملكى بنى من حجر ، واشتمل على ٢٠ صرحا أو أكثر أقيمت كلها بمحاذاة أحد الشوارع الرئيسية ، ولم تكن تلك الشوارع واسعة ، ولكنها كانت مبلطة بحجارة بحجم بيض الأوز . .

لقد اكتشفوا سبعة قصور - غير القصر الملكى - وخمسة عشر معبدا ، وعددا كبيرا من المبانى ، وقد بلغت مساحة الواحد منها مالايقل عن ٤٠٠ متر مربع (٤٠ × ١٠) وكان أكثرها معدّاً لاقامة الطقوس والشعائر .

دود القز والحرير

وأما الأعمال التى مارسها أهل (انيانج) فكانت الزراعة أهمها بلا نزاع .. لقد زرعوا الذرة بأنواعها ، والقمح ، وزرعوا الأرز فوق هذا أو ذلك .. واعتنوا بتربية الدواجن والمواشى ، وبخاصة الخنازير .... وأتقنوا تربية دودة القز .. وقد صنعوا من غزلها الأنسجة الحريرية الفاخرة ، التى طالما ظفرت باعجاب الشعوب الأخرى جميعا ..

على أن تربية دودة القز لم تكن من مبتكرات حضارة (إنيانج) .. ويرجح المؤرخون ان تأنيس دودة القز فى الصين يعود الى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م.

واحتلت الصناعة المرتبة الثانية فى حياة قوم (شانج) اليومية وقد أكثروا من صنع الأوانى البرونزية ، وخصوصاً تلك التى كانت لصنع النبيذ بالتخمير ولشربه .. وكان النبيذ ضروريا لشعائر التضحية عندهم .. ولطالما رشوا القبور بالنبيذ عقب دفن موتاهم .

ولعل أهم اناء صنعوه من البرونز هو الذى عثروا عليه فى أحد المقابر الملكية ، وقد بلغ طوله « ١,٢ متر » ، ووزنه (١٨٠) كيلو جراما ... وأما الغرض من ذلك الاناء العملاق فكان تقديم الحيوانات قرابين للآلهة .. فقد اتسع الاناء لخروف أو خنزير بكامله .. وغالبا ما غلوه فى الماء قبل تقديمه قربانا .. عثروا عليه كما قلنا فى أحد المقابر الملكية ....

ويعجب المرء للمكانة الرصينة التى تبوأها ملوك (شانج) بالرغم من أنهم لم يكونوا آلهة فى نظر الرعية .. وقد تجلت تلك المكانة فى قصورهم ، كما أسلفنا ، وتجلت أيضا فى تقاليد دفنهم فى القبور ... فقد درج قوم (شانج) عند موت أحد ملوكهم ، على قتل حرس ذلك الملك وخدمه وكلابه .. ودفنهم معه .. وكثيرا ما دفنوهم أحياء .. وذلك بقصد حماية الملك من الأرواح الشريرة .. وقد عثروا فى قبر أحد الملوك على ٥٠٠ رجل ، ضمتهم قبور ملحقة بقبر الملك .. وعثروا فى منطقة أخرى على مفرزة كاملة من الجند .. وأربعة من قواد العربات .. والخيول .. ذبحوا ودفنوا اكراما لمليكهم المتوفى .. ولم يغفل قوم شانج عن ملء قبر الملك بأسلحته الخاصة ، وحاجياته المحببة اليه .. بما فيها الآلات الموسيقية ..

منجزات وملامح

ذلك أن أهل انيانج عرفوا الكثير من الآلات الموسيقية ، وشغفوا بفنون أخرى كانت حياكة الازياء فى طليعتها .... فقد حرصوا على ارتداء السترات المختلفة الأشكال والأحذية الأنيقة .. وعنوا كثيرا بقبعات النساء المزيفة والمرصعة ..

ويظل الدولاب على رأس الخصائص التى تميزت بها حضارة (انيانج) .. من هنا كان انتشار العربات التى جرتها الخيول ، وكانت وسيلة الانتقال الرئيسية للنبلاء .. على أن قوم (شانج) عرفوا كيف يستغلون الدولاب أيضا فى أعمالهم الزراعية ..

ويتساءل المرء بعد ذلك كله : كيف أمكن لأهل إنيانج الحصول على البرونز بكميات كبيرة ، بالرغم من أن هذا المعدن لم يكن له وجود فى أرض تلك المدينة ، ولا بالقرب منها .. لا بد اذن أن يكونوا استوردوه من مكامنه البعيدة ...

وقل مثل ذلك فى الصدف الذى وجدوه بكثرة فى المقابر .. ومن الواضح أنهم استعملوه للزينة .. ولربما كعملة للبيع والشراء ..

والمرجح أن هذه الأشياء التى لا وجود لها فى المنطقة ، انما كانت بحكم الجزية التى قدمتها ممالك بعيدة ، كانت تقع على حدود الصين أو خارجها ، وتدين بالولاء لملوك شانج ...

وجاءت سنة ١٠٥٠ ق م ، واذا بحكام أقاليم الغرب يثورون على ملكهم (زهاو) وينقلبون على حكمه ، وقد أبوا أن يكون الملك مدمنا على الخمرة ، وخاضعا لأفراد حاشيته ، وهكذا بادت حضارة مدينة (ين) بعد أن سادت طوال قرنين من الزمان . □

■ لا القلعة ولا الحسناء تثبت طويلا بعد المفاوضة (بنيامين فرانكلين) .



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع
قسم خاص

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن ألا تلاقيا



الحبّ .. مخاطرة وثقة ومشاركة

الحب

مخاطرة، وثقة، ومشاركة

بقلم : راجي عنايت .

يمنعنا الخوف من أن ندخل في علاقات انسانية ، خشية الفشل أو الرفض أو الألم ، وخوفنا من الألم هذا يحرمنا من أن تنشأ علاقات بيننا وبين الآخرين .

أن تحب ، يعني أن تخاطر .. فأنت عندما تعرض نفسك على شخص آخر ، تكون معرضا الى أن يرفضك الطرف الآخر .. ولكن اذا ما أحكمت حماية نفسك من الام الرفض فأنت بذلك تجعل من المستحيل أن تنشيء علاقة بينك وبين الآخرين ، أو تصل علاقتك بهم الى مستوى التآلف .

في العديد من الحالات ، يعمد الطرفان الى ابقاء العلاقة بينهما عند حدها الأدنى ، تخوفا من الاحساس بالألم اذا ما انفصمت العلاقة ، وهم في الدفاع عن موقفهم هذا يشيرون الى الوقائع المؤلمة من حولهم ، للزيجات الممزقة ، وعلاقات الحب المقطوعة ، ومايسببه هذا للأطراف الداخلة في هذه العلاقات الجادة من معاناة . لكن هؤلاء ينسون أنهم باقامة العوائق في طريق العلاقات الحميمة ، ورفع السواتر التي تحميهم من آلام الحب ، يحرمون أنفسهم من عمق ودفء المشاعر الحقيقية في الحياة، الايجابي منها والسلبي .

ويسلك بعض الأشخاص الطريق المضاد ، فهم ما ان يقعوا في الحب حتى يصعدوا أحلامهم الرومانتيكية الى أقصى مدى لها مما يقود إلى خيبة أمل ، غالبا ما يكون لها أثر سيء على الصحة النفسية للانسان .

ان اختيار الطرف الآخر في أي علاقة أو بمعنى أدق حسن اختياره ، يعتبر الركيزة الأساسية التي تقوم عليها العلاقة الراسخة ، ونحن عندما نحاول انشاء علاقة جديدة بشخص آخر ، أو نحاول تعميق علاقة قائمة ، تتدخل في هذا العديد من العناصر الشعورية واللاشعورية .

ومن التجارب التي تفتقر الى النجاح تلك التي



يختار فيها الانسان شريكه بدافع رغبة ملحة في انقاذه ، أو على العكس من ذلك ، عندما يختار الشريك متوقعا منه أن يلعب دور المنقذ في هذه العلاقة ، ومع أن الرغبة في مساعدة ومساندة الصديق أو الحبيب دافع طبيعي مستحب ، الا أن الشخص الذي يغرق في وهم انقاذ شريكه وحل مشاكله يسعى في واقع الأمر - غالبا - الى تحقيق وتأكيد مجده الشخصي ، وفي هذه الحالة يصبح من حق الطرف الأخر أن يستغل هذا الوضع ، ويوكل اليه حل جميع مشاكله ، مستمرئا الفكاك من وطأتها .

كذلك من عناصر الفشل في علاقة الانسان بالآخرين ، توهمه القدرة على علاج نواقص الأطراف الأخرى ، وتقويم تصرفاتها ، وتغيير أساليبها في الحياة ، وتحويلها - بمعجزة - الى صور يحلم بها .

الثقة قبل الحب

عندما تنشأ بينك وبين طرف آخر علاقة تآلف ، تكون معرضا للآلام النفسية اذا ما حاول الطرف الأخر أن يستغلك ، أو يحقق منفعة عن طريقك ، وهنا ينشأ السؤال .. الى أي مدى يمكن أن تخاطر بوضع ثقتك في الطرف الأخر ؟

الثقة الحقيقية يجب أن تنمو بالتدريج ، أما الثقة المباغتة المباشرة فغالبا ما تنقصها عوامل الثبات والاستمرار ، ذلك لأن الثقة النامية ، تمتحن على مدى الزمن في وجه الضغوط ، يقول الكاتب مارتن روزنمان ان تنمية الثقة تشبه تقشير البصلة ، عندما يتم نزع القشرة الخارجية يصبح من الممكن الانتقال الى عمق أبعد ، وفي الناس كما في البصل تقوم القشرة الخارجية بدور الحماية . !

ومن بين وسائل اختيار ما اذا كان الطرف الأخر موضع ثقة محاولتك التدريجية للكشف عن مناطق ذات حساسية عاطفية خاصة لديك .. مثال ذلك ، بعض الخبرات الخاصة في ماضيك ومشاعرك نحو عجز تشعر به .. اذا ما استغل الطرف الأخر ما يبلغه ضدك ، فهذا يعني صعوبة تحقق المشاركة وتبادل الثقة ، أما اذا احترم الطرف الأخر مشاعرك وحساسياتك الخاصة ، عندئذ يمكنك أن تكشف له نواحي ضعفك الأكثر حساسية وأنت مطمئن .

وكلما نمت الثقة ، وتزايد الاحترام المتبادل ، أمكنك الكشف عن مزيد من خفايا حياتك ، التي

تعمد الى اخفائها في الاحوال العادية ، دون خشية استخدامها ضدك .

والثقة يمكن أن تنشأ عندما يكون البوح بالخصائص متبادلا بين الطرفين ، ذلك لأن تبادل المشاعر يشجع على المشاركة ، ويوفر الحماية ، ويدعم العلاقة ، والملاحظ أن الناس عندما يمرون بمحنة واحدة تجمعهم ، غالبا ما يكشفون عن خصائصهم الشخصية ، فيتحقق بينهم التقارب المباشر والعميق .

وكوسيلة لقياس مدى الثقة في الطرف الآخر ، يمكنك أن تلاحظ مدى التناقض بين مايقوله وما يفعله ، وان تتأمل خبراتك السابقة معه لتتبين اذا ما كان يلتزم بقوله ، واذا ما كانت تصرفاته توحي بالثقة .

الاعتراف . . أم المناورة ؟

والكثير من المحبين والمحبات يتعامون عن المشاكل التي قد تنشأ بينهم وبين الأطراف الأخرى ، ولايهتمون بمناقشة المسائل الحيوية بالنسبة للعلاقة التي يدخلون فيها ، وغالبا ما يتجاهل المحب تحديد مدى ما وصلت اليه العلاقة مع الطرف الآخر . لهذا ، عندما يقوم المحب بمراجعة افتراضاته ، وعندما يكون واعيا بما يفعله ويقوله الطرف الآخر ، يمكنه أن يصل إلى فهم افضل للعلاقة التي بينه وبين الطرف الأخر .

والكثير ممن يدخلون في علاقة حب ، يترددون في مواجهة الطرف الآخر : هل يعترفون بحبهم أم يعمدون الى المناورة ، قبل الاعتراف بالحب ، وفي كتاب « نظرة جديدة على الحب » يناقش المؤلفان الين ووليامز واليستر هذه المسألة فيقولان :

« يتفق سقراط مع أوفيد مع كتاب كاموسوترا مع برتراند راسل ، في أن الحب يشتعل عن طريق الاثارة والتحدى ، والحقيقة انه من النادر أن تجد اتفاقا واسعا مثل هذا حول مسألة كهذه ، الا أن الدراسات أثبتت ـ لسوء الحظ ـ عكس هذا القول ، ففي أوائل السبعينيات ، عندما بدأنا بحثنا الاول ، كنا نؤمن بهذه الحقيقة ، ونرضى بذلك القول الشائع ، لكن البحث العلمي المنظم أثبت عدم صحته .

لقد قام الزوجان واليستر بالاشتراك مع هيئة من المساعدين الباحثين ، بدراسات تواصلت لمدة خمس سنوات ، وأشارت نتيجة هذه الدراسات الى أن الرجال يحبون المرأة الصعبة ، بنفس الدرجة التي يحبون بها المرأة السهلة . . وهما يقولان :

« كيف اذن يجدر بنا أن نتصرف ؟ . . هل نعترف للطرف الاخر بأننا نحبه حتى نوفر له الاطمئنان ؟ . . أم يجب علينا أن نناور في ذلك ؟ . . الاجابة المثلى : تعرف بشكل طبيعي ، فمن المستحيل التنبؤ بما يميل اليه الطرف الآخر ، البعض ينجذب الى النوع الوديع ، والبعض الآخر يفضل الشريك الناقد المنطوى ، لذا فالتصرف الأسلم هو أن نلتزم الأمانة والصراحة ، نعلن اعجابنا بمن نحب ، ونطرح آمالنا في علاقة معهم . .

واذا رجعنا الى الدراسات التي أجريت على أساليب الحب عند البشر ، وجدنا اختلافات في هذا المجال بين مختلف أنماط المحبين ، المحب المناور ، الذي تحمسه الاثارة ويستهويه التحدي ، يستجيب بحماس غالبا للطرف الأخر الذي يصعب الوصول اليه ، أما الذين ينتمون الى نمط الحب الشبقي أو الشهواني ، وكذلك الذين ينتمون الى أنماط الحب العملي أو حب التملك ، فهم عادة يستجيبون لاعتراف الحب المباشر من الطرف الأخر .

وبين هذين الموقفين نجد الذين ينظرون الى الحب كعطاء أو كصداقة .

مواقف أنماط المحبين

عندما يتحقق الحب وتنمو الثقة يبقي السؤال : هل أكشف أسراري الشخصية أمام الطرف الأخر ، أم أكتمها عنه ؟

المعروف أن نمو علاقة الحب يساعد عليه الادراك المتبادل ، والكشف المتبادل لمناطق النفس البشرية ،



الأمر الذي قد لايكون مقبولا بالنسبة للأشخاص الآخرين .

عندما يطرح المتالفان أفكارهما ومشاعرهما ، يحققان فهما أدق لبعضهما ، ويتيحان لحبهما أن ينمو ، ولكن هل يحسن أن يتكتم أحد الطرفين على بعض الأسرار ؟ هل يكون الكتمان أكثر فائدة في بعض الأحيان ؟ هل يؤدي البوح ببعض الأسرار الخاصة للطرف الأخر الى تخريب العلاقة ؟ . . الاجابة الدقيقة عن هذه التساؤلات تختلف باختلاف انماط وأساليب الحب التي يلتزمها ، ويندرج تحتها كل من الطرفين .

الذي ينتمي الى نمط الحب كصداقة ، يفيده البوح الكامل وبكل عناصر القصور والنقص ، ويكون دائما على استعداد للصفح كلما لزم الأمر .

أما الذي ينظر الى الحب كتملك،الذي تستولي على نفسه الغيرة ، فيكون حسّاسا بشدة لاحداث الماضي ، واحتمالات المستقبل التي قد تهدد حبه للطرف الاخر .

المحب العملي ، يحسن تقبل نواقص الطرف الآخر ، ويساعد في حل مشاكله اليومية ، لكنه في نفس الوقت يجري تقييما لما يتجمع لديه من معلومات عن الطرف الآخر من خلال المكاشفة ، ويبدي اهتماما خاصا بتلك الحقائق التي يمكن أن تهدد العلاقة في المستقبل .

ونواقص الطرف الآخر وأسراره الخاصة ، قد تثير المحب المناور في بعض الأحيان ، ولكنها قد تصدمه في أحيان أخرى ، وهو في جميع الأحوال ينظر الى مايصل اليه باعتباره كنزا من المعلومات القيمة الثمينة التي يحتاج اليها ، ويعتمد على تفاصيلها عندما يخطط مناوراته القادمة . وفي أحوال خاصة ، قد لايتورع عن استخدام ما بين يديه من معلومات ضد الطرف الآخر ،

اما المحب من النوع الشبقي أو الشهواني ، فيسعى الى معرفة كل المعلومات الممكنة التي تتصل بالحياة الجنسية للطرف الآخر ، محاولا التعرف على خلفياته ، لكنه غالبا ما يتجنب اثارة الحقائق التي لا تتصف بالرومانتيكية (مثل تفاصيل مرض أصاب الطرف الأخر . .) .

تعلم الرماية

وبصفة عامة يكون هناك تناسب طردي بين مدى المشاركة الانسانية بين الطرفين ، وبين درجة الثقة المتبادلة .

عندما تتحقق الثقة فان الكشف المتبادل لنواحي النقص ومشاعر العجز تزيد من ترابط الطرفين .

والمشاركة الأمينة ، والكشف الصادق الكامل ، قد يكون أكثر صعوبة وتعقيدا في مجال الشئون الجنسية ، ومع ذلك فان الحب الناجح في هذا المجال يعتمد على التفاهم الكامل بين الطرفين ، تقول العالمة النفسية هيلين سنجر كابلان ، الاخصائية في شئون الجنس ، ان الذي يرغب أن ينشىء علاقة حب مؤثرة دون أن يقيم تفاهما متبادلا مع الطرف الأخر ، يكون أشبه بالذي يريد أن يتعلم الرماية وقد عصب عينيه ! وتؤكد ضرورة أن يسعى كل طرف من طرفي العلاقة الى معرفة مايسعد الطرف الأخر ويسره ، فمن خلال المشاركة العقلية الصادقة الأمينة ، يمكنهما أن يحققا أكبر احتمالات الحب الناجح . □

وقفة علمية مع ..

أوّل صرخة للطفل

بقلم : الدكتور ضياء الدين الجماس

صرخة المولود ساعة يولد هي لحظة مصيرية يترتب عليها الكثير من الامور ، وفي كل دقيقة تمر تتردد هذه الصرخة مئات الالوف من المرات في جميع اركان الأرض .. فهي اعلان عن استمرار الحياة .. أفلا تستحق منا هذه اللحظة وقفة علم وجيزة اجلالاً للماخض وما يتمخض عنه ؟.

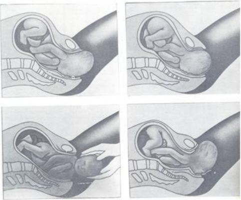
بعد اكتمال اعضاء الجنين ، ونضجها الى درجة تؤهلها للقيام بوظائفها المتكاملة خارج الرحم ، وقبل أن يصبح حجمه كبيراً لا يتناسب مع الطريق المقرر لخروجه ، يقتضي الحال اخراجه في الوقت المناسب ، فيأتي « الأمر » للرحم بالانقباض ، وللطرق الناقلة بالاسترخاء ، فتصبح الرِّحلة سهلة من الظلمات الى النور .

ويطلق على مجمل الأعمال الفيزيولوجية التي تؤدي الى انفتاح عنق الرحم ودفع الجنين وملحقاته للخروج من الرحم الى العالم الخارجي « المخاض » Par-turition ، وأما الولادة Laborفهي حصيلة المخاض وخروج المحصول Delivery ، ويتقبل المولود عالمه الجديد بصرخة مبهمة ، لا تترجم الا بعد سنوات .. فنجدها صرخة طبيب ، أو صرخة عالم ، او صرخة قائد يهز العروش .. !

إنّ العناية بالماخض امر مهم ، وتعلمه واجب على كل فرد من افراد المجتمع المتقدم ، لما فيه من فائدة في ازالة الأوهام والمخاوف التي لها تأثير كبير في سير المخاض وزيادة مخاطره ..

إن معظم الولادات (٩٥٪) هي ذات المجيء الرأسي ، وهي التي تمثل الولادات الطبيعية التي يمكن ان تجري في المنزل في كثير من الاحيان (ما لم يكن هناك عسرة ولادية تحتاج الى نقل الام للمستشفى) ولذلك كان لابد من التدقيق في حساب التاريخ المقرر لحدوث المخاض ، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة قبل وقوعه . ولكن لابد ان نعلم ان هذا الحساب تقريبي ، لأن المخاض يبدأ فجأة ، ولذلك تؤخذ الاحتياطات قبل عشرة ايام من التاريخ المقدر ويكون الحساب سهلاً اذا عدنا لأول يوم من الطمث الاخير . بينما تقل دقة الحساب في الطرق الأخرى التي تعتمد على تقدير حجم الرحم ، او طوله الخ ...

وسأشرح باختصار تفاصيل الحالتين السابقتين :



مراحل تقدم مجيء الجنين (الرأس) عبر المهبل الى خارج الفرج .
لاحظ امساك المولد للرأس بعد تمام خروجه .

١ ـ اذا كان تاريخ أول يوم من آخر طمث معلوما يضاف الرقم (٧) الى تاريخ اليوم ، ثم تضاف تسعة اشهر شمسية (او عشرة اشهر قمرية) فمثلا : اذا كان تاريخ اول يوم من الطمث الاخير هو ١٩٨٥/١/١ ، فإن الولادة المحتملة تقع في ١٩٨٥/١٠/٧ ،او قبل هذا التاريخ او بعده بعشرة ايام .

٢ ـ اذا كان الطمث الأخير مجهولا يمكن تقدير عمر الحمل بجس حافة الرحم بين العانة والرهابة وفق ما يلي :

اذا جُسَّ الرحم فوق العانة كان عمر الحمل تقريباً ١٢ اسبوعا .

واذا جس الرحم بين السرة والعانة كان العمر ١٦ اسبوعا .

واذا جس الرحم عند السرة كان عمر الحمل ٢٠ ـ ٢٢ اسبوعا .

واذا جس بين السرة والرهابة كان عمر الحمل ٣٢ ـ ٣٣ أسبوعا .

ويكاد الرحم ان يلامس الرهابة في الأسبوع السادس والثلاثين من الحمل . ثم ينخفض عن الرهابة بعد ذلك عندما يدخل الرأس في الحوض ، ويتم ذلك في الاسبوع ٣٨ عند (الحوامل للمرة الأولى) ، بينما يتأخر عند الولودات حتى قرب المخاض . والشكل (١) يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر .
وعندما تقترب الايام الاخيرة لتمام الحمل ، قد تشعر الحامل ببعض العلامات والأعراض التي تنذر بقرب المخاض الحقيقي ، وهي :

● **المخاض الكاذب : (false parturition labor)**

وهو شعور الحامل بازدياد شدة التقلصات الرحمية ، وتقاربها ، ولكنها تبقى غير منتظمة وغير مؤلمة غالبا ،

ولا تؤدي الى تغيرات في عنق الرحم . وكثيرا ما تدفع هذه التقلصات الحامل الى الطبيب او القابلة .

● **التخفُّف :**

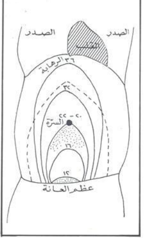
وهو شعور الحامل بهبوط مستوى قعر الرحم ، فتخف لديها الاعراض الناجمة عن ضغط الرحم على المعدة ، والحجاب الحاجز (ضيق النفس ، وثقل الطعام الخ . .) .
وكثيرا ما تعبر الحامل عن هذا الشعور « بسقوط الولد » ، وفي الحقيقة يحدث ذلك نتيجة دخول المجيء في الحوض . .

● **العلامة :**

وهي ما تلاحظه الحامل قبل ١٢ ـ ٢٤ ساعة من بدء المخاض الحقيقي من مواد مخاطية مُدمّاة ، وتمثل في غالب الاحيان مخاط عنق الرحم الممزوج بالدم المرتشح من العنق اثناء امحائه واتساعه .

التصرف السليم في هذه المرحلة :

اذا شعرت الحامل بأحد هذه الأعراض او كلها ، فلتعلم أنّ موعد المخاض الحقيقي قد اقترب وأن هذه الاعراض طبيعية ، ولتكن رابطة الجأش قوية العزيمة ، ولتوكل امرها الى الله . .
وعليها ان تقوم ببعض الاجراءات التي يرشدها اليها الطبيب في زياراتها السابقة تستدعي المولد (الطبيب او القابلة) اذا كانت ترغب بالولادة المنزلية ، اما اذا كانت تلد لأول مرة فيفضل أن تنقل الى المستشفى .
وعلى اية حال يحدد الطبيب المكان الافضل للولادة .
ومع المخاض الحقيقي تصبح التقلصات الرحمية منتظمة ، ومؤلمة ثم تتزايد بالتدريج ، وتؤدي الى امحاء واتساع عنق الرحم ، وتكون حصيلته خروج محتوى الرحم (الجنين وملحقاته ، والصاء او السائل السَّلَى) الى العالم الخارجي عبر القطعة السفلية والمسالك التناسلية . ويعتبر المخاض طبيعيا اذا كان



الشكل يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر .
تمثل الأرقام عمر الحمل مقدراً بالاسابيع .
والخط المنقط يبين حدود وحجم الرحم بعد هبوط قعره دون الرهابة . وذلك في الاسبوع ٣٨ عند الخروج .

المجيء رأسيا قميا ، واستغرق زمنا طبيعيا (٨ ـ ١٠) ساعات عند الولود ، و (١٢ ـ ١٤) ساعة عند من لم تلد من قبل .

أسباب الألم في المخاض :

لم تعرف اسباب الألم في المخاض حتى الوقت الحاضر ، ويعتقد انها تنجم عن احد العوامل التالية او جميعها :





تدخل المولد وتخليص الكتفين وباقي الجسم . لحظات حرجة .. ثم الابتسامة .

● فقر الدم الموضعي ، ونقص الاوكسجين في الليف العضلي الرحمي بسبب التقلصات .

● الضغط على النهايات العصبية في العنق والقطعة السفلية من الرحم .

● التمطط الواقع على الطبقة المصلية الصفاقية المغطية للرحم .

● توسع عنق الرحم .

ومن صفات الألم المخاضي انه يرافق التقلصات الرحمية ، ويزداد شدة ومدة كلما تقاربت الطلقات (التقلصات) ، فيحدث كل ٢٠ دقيقة ثم يتقارب حتى يصبح كل دقيقتين اثناء المرحلة الثانية للمخاض ، ويستمر لمدة ٤٥ ـ ٧٥ ثانية .

مراحل الولادة :

تتم ولادة الجنين وملحقاته وفق ثلاث مراحل (في المدرسة الامريكية) :

١ ـ المرحلة الأولى وتستمر حتى تمام امحاء واتساع العنق ، وذلك نتيجة للتقلصات الفاعلة لجسم الرحم والتي تؤدي الى التمدد المنفعل للقطعة السفلية للرحم فتؤدي بدورها الى امحاء العنق فاتساعه . ويساعد على ذلك ايضا تقدم المجيء .

٢ ـ المرحلة الثانية وتشمل كامل الحوادث التي تؤدي الى اخراج الجنين والسائل الصائي (السَّلَ) الى خارج الرحم .

٣ ـ مرحلة ولادة المشيمة (الخلاص) .

واذكر فيما يلي وصفا مبسطاً لتتابع هذه المراحل عمليا :

تشتد الطلقات الفاعلة وتتقارب فتؤدي الى امحاء العنق وتوسعه ، حتى يبلغ تمام الاتساع (١١ سم) ثم ينثقب جيب المياه (يسمى ماء الرأس عند العامة) اما تلقائيا ، او بتدخل من المولد ، فينفرغ السائل السَّلَ (الصّاء) فينقص حجم الرحم وتزداد الطلقات شدة وتقاربا وعدداً ، وتزيد مقوية الرحم في

الدفع ، فيتقدم رأس الجنين عبر القطعة السفلية ، والمسالك التناسلية ،ويبرز تدريجيا في الفرج حتى يتخلص كاملا ، وعندئذ يقوم المولد بتنظيف المفرزات من أنفه وفمه ، ثم يمسكه بكلتا يديه كالملقط ويجره للاسفل ثم للأعلى فتتخلص الكتفان فباقي الجسم ، يُدَلّىٰ الجنين من قدميه لتنظيف الطرق الهوائية من السوائل المحتملة ، ولدفع الدم باتجاه الرأس فيطلق صرخته الأولى المُبَشِّرة بحياته ، ثم يُلْقَط الحبل السري بملقطي كوشر ، ولا تنسى ادخال كمية من الدم من الحبل الى جسم الجنين ، ثم يقطع الحبل فيما بين الملقطين فينفصل الجنين ، ويوزن بعد ربط السرة بخيط حريري على بعد ١,٥سم من اتصاله ببطن الوليد . وبعد راحة وجيزة (٥ ـ ٢٠ دقيقة) تشتد الطلقات من جديد لخروج المشيمة وتنزل المشيمة وفق احد نموذجين :

١ ـ نموذج شولتز وهو ان تخرج المشيمة بوجهها الجنيني ، من الفرج ، ويحدث ذلك في ٧١٪ من الحالات .

٢ ـ نموذج دونكان وهو خروج المشيمة من حافتها ، وذلك في حالات الارتكاز المعيب ، على القطعة السفلية مثلا ، ويحدث هذا في ٢٩٪ من الحالات . واذا لم تخرج المشيمة بعد ضغط الام ، يمكن جرها بلطف مع دفع خفيف على قعر الرحم بعد التأكد من انفصالها عنه . ولا مجال للتفصيل اكثر من ذلك لأنه يتعلق بالاخصائية ، ويجب التأكد من اكتمال خروج اجزاء المشيمة ، ثم وزنها ايضا .

انذار المخاض :

إنّ أفضل سن للولادات بين سن ٢٠ ـ ٣٥ سنة . والولود اسرع ولادة من اختها التي لم تلد من قبل ، ويعتبر المجيء القمي الايسر الأمامي هو ايسر الولادات .

تتعرض الزوجة التي تلد لاول مرة اذا كانت دون السادسة عشرة للولادات الآلية ، والقيصريات . واذا كانت مسنة (اكبر من ٣٥ سنة) فتضاف للاختلاطات السابقة احتمالات التعرض لفرط التوتر الشرياني ، والبدانة ، والورم الليفي ، والمجيئات المعيبة ، والمنغولية ، وطول المخاض بسبب عدم تناسق العمل الرحمي ، وللقسط المفصلي العجزي العصعصي .

اما كثيرات الولادة فيتعرضن للنزف بسبب كثرة مصادفة الارتكاز المعيب ، والانفكاك الباكر للمشيمة ، ويتعرضن للعطالة الرحمية وتمزقاتها ، ونزوف المرحلة الثالثة من المخاض .

الفترة الفاصلة بين الولادات :

تعتبر مدة الرضاع (سنتان) افضل فاصل بين الحمل فهي كافية لاستعادة قوة ونشاط الجسم وتحمله لحمل جديد ، فاذا تكرر الحمل قبل ذلك التاريخ انهكت الحامل ، واذا طالت عن ذلك اصبح انذار الحمل الجديد يعادل انذار الحمل عند من لم تلد قبل ذلك ، وفي كتاب الله عز وجل نجد الأيتين الكريمتين :

● « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » ، البقرة ٢٣٢ .

● « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا . . » الاحقاف ١٥ .

فنجد ان الأولى تتماشى مع المبدأ الطبي في الرضاع الكامل ، واباحت الثانية مدة اقل فاذا كان الحمل تسعة اشهر ، كان الرضاع واحدا وعشرين شهرا ، والمهم ان اقل مدة ممكنة للحمل المثالي هي ثلاثون شهرا بما فيها مدة الحمل السابق . □

■ ان أقبح رجل في عين المرأة أجمل من جميلات جنسها .
(عباس محمود العقاد)

مساحة وُدّ

أبناء هذا الزمان

لم يعد هذا الجيل مثل أجيال سبقته ، ولم يكن التغيير الحاد في أخلاقه وهواياته واهتماماته فقط ، بل امتد الى عقله وطريقة تفكيره ، كنت في زيارة لأسرة صديقة ، ويبدو أنني ذهبت في وقت غير مناسب ، فالأعصاب كانت مشدودة ، والكلمات حادة ، والتوتر يخيم على البيت كله .

كان حوارا ثلاثيا بين الأبوين وابنهما الطالب بالجامعة الذي فاجأهما بأنه لايستسيغ دراسته الجامعية ولايفهمها ، وانه يريد أن يسافر للخارج ليدرس ما يحب . وبدأ النقاش يدور حول هذا القرار الذي ألقى به بتصميم نهائي ، وعرضت مغريات وامتيازات وتنازلات ، وكثير من الطلبات التي كانت مؤجلة ، أعلن أبواه موافقتهم على تنفيذها الفوري ، ورغم هذا أصر الابن على أن نوعية الدراسة لا تروقه ، ولا يستطيع استساغتها ، ودخلت طرفا في النقاش ، وبدأت أسمع أفكاره وأنظر من خلاله الى جيل بأكمله كيف يفكر . . وينظر للأمور . قال لي ان التعليم لم يعد مجديا ، وعائد التعليم لايصنع حياة ولا يحقق رفاهية ، وكم من أناس متعلمين في دائرة حياته لم يصنع التعليم لهم شيئا ، ولم يرتفع بمستوى حياتهم إلى الحد الذي يعيش فيه صاحب أقل حرفة ومهنة . . ولذا فان كل أحلامه أن يسافر للخارج يدرس لمدة عامين في مجال هندسة الصوتيات ، أو الأجهزة الدقيقة ، ويعودليفتتح مشروعا صغيرا يقوم فيه بالتسجيل الغنائي للشرائط الغنائية و . . و . . وأحلام كثيرة كبيرة ليس للتعليم فيها أي نصيب . . وكل مايريده من الخارج أن يضع بطاقة يقول فيها انه تعلم في بلد كذا . . ولم ينته النقاش الى نتيجة ، ولكن عقلي أخذ يتساءل عن جيل بأكمله يفكر بهذه الطريقة ، لم تعد القيم الاجتماعية التي كانت هي العمود الفقرى للمجتمعات كما هي . . سقطت قيمة العلم والمعرفة ، وتعاظمت قيمة المال . . لم يعد العمل والجهد الانساني هو ملح الحياة . . صارت الرفاهية هي حلمها النهائي وغايتها ، صحيح ليس مرضا ولا عيبا أن يتجه البعض الى العمل المهني ولكن الكارثة أن يتصور البعض أن هذا الاتجاه بديل عن العلم ، الآ يعترف بقيمة العلم والمعرفة . . وليس سهلا أن نضع أصابعنا على سبب الأزمة . . فالتغيير الذي أصاب مجتمعاتنا . . استهدف نخاع العظم . . فتبدلت قيم بدونها لاتحيا المجتمعات ولا تستمر الأمم . . ولكن المتبقي أن هناك جيلا قيمه وأحلامه وأفكاره غير جيلنا . . وهذا الجيل هو كل المستقبل . . فهل نجلس لكي نسمع طويلا له ، ونفكر كيف سيكون شكل الغد ؟!

محمود عبدالوهاب

هو ....
في انتظار الموت

احساس جارف بقرب نهاية رحلتي في هذه الدنيا ، صحيح أنني أعرف وأومن أن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن كل الشواهد والمقدمات والخبرات تقول لي بانه لم يبق لي في هذه الدنيا كثير ، منذ عامين وأنا أعاني من صداع حاد بالراس ، يأتي على شكل نوبات في أسفل الرأس وأعلى العنق ، ولم أترك طبيبا الا وعرضت نفسي عليه ، وأجريت عديدا من التحاليل ، وجربت كل أنواع العلاج حبوبا وحقنا وعلاجا طبيعيا وجلسات علاج بالكهرباء . . وافترض الأطباء كل الأمراض ووصفوا لي كل أنواع العلاج . . من الصداع النصفي الى التهاب الأعصاب الى تآكل فقرات العنق . . الى فحص قاع العين إلى ما يخطر على البال من مسببات .

ولأن زميلة لي وصديقة عمر قد فارقت الدنيا . . بأعراض كهذه . . بعد أن حار الأطباء ورحلات العلاج وعشرات الوصفات ، واذا كان الأحق هو من



لايتعظ بغيره . فقد وعيت تجربة صديقتي الراحلة واتعظت بها ، وبدأت أصفي أوراقي وحساباتي ، وامنح غفراني وحناني لكل من حولي . . . وأوصيت شقيقتي على ابنتي الوحيدة ، ورجوت زوجي الا يدخل بيتي امرأة أخرى قبل عام . . وتمنيت عليه أن يحسن معاملة ابنتنا وأن يذكرني بها ، ويذكر أياما طيبة كثيرة كانت لنا . . وذكريات جميلة رائعة كانت هي العمر . . قلت لأخوتي وأهلي لا أريد دموعكم ولا صراخكم . . أريد منكم حسن رعاية لوحيدتي التي أتركها أمانة للدنيا والناس ، ولا أريد منكم زهورا ولا حداداً، فقط أريد أن تذكروني ولو على البعد بكلمة طيبة ، وقضيت أمسيات كثيرة مع زوجي أفكر معه وأحكي وأقول له أفكاري حول مشاريع مستقبلنا المعلقة التي لم تتم بعد ، وأطلب منه أن يعتاد على التخطيط للحياة وحده ، وعندما يكتمل بناء بيتنا الجديد . . سيذهب اليه وحده . . ويؤثثه وحده . . . ورجوته كثيرا الا يجعل حزنه على سببا في تأخير عمله . . أو معوقا له في العمل . . وقلت له انني أذكر له حسن عشرتي وجميل صحبتي وبره بي وبأهلي ، وانني غفرت له من زمن هفوات صغيرة ، وبعض غضباته ، وسألته أن يسامحني ان كنت قد اسأت له ، وأقسمت له أنني وفيت له بعهده . . وعندما سألني يوما لماذا كل هذا ؟ قلت انني أصفي أوراقي مع الناس في الدنيا في انتظار رحمة ربي ، ومازال الألم يعصف بي .

هي

هي ....
الحُبُّ وَالوهم

يصاحبني الأسى ، يصبح الحزن غيمة مبللة بالدمع تسكن العيون ، يد ثقيلة قاسية تقبض على القلب وتعتصره ، من حكمة الله ـ سبحانه ـ ورحمته اننا لانعرف موعد رحيلنا عن هذه الدنيا ، لأن أقسى مايواجهه انسان ان يظل متوقعا ملاك الموت يأخذ روح أعز الناس لديه بين لحظة واخرى .

يصبح مرور الأيام كئيبا وثقيلا ، أخطو صباح مساء ، وأنا لا أدري هل أعود الى البيت فأجدها كل مساء عند عودتي . . أقف طويلا أمام البيت أصيخ السمع ، اتصنت خشية أن يحدث ما أخشى وأخاف .

اعتذرت عن أعمالي وارتباطاتي في المساء . . صرت أعود من عملي ظهرا ، فأجلس معها لا أغادر البيت حتى صباح اليوم التالي ، لولا بقية جَلد لانهمر



دمعي وهي توصيني ذات مساء وتمنحني سماحها وغفرانها . . وتسألني أن أسامحها ان كانت قد أساءت . . وتختصر العمر في كلمة ولحظة . . وترجوني الا أدخل بيتها امرأة أخرى قبل عام . . ويصبح الحزن شلالا هادرا يفيض من العين والقلب .

جمعت كل صور الأشعة ، ونتائج التحليلات والفحوصات ووصفات الدواء ، وذهبت ـ بناء على مشورة صديق ـ لأول طبيب عالجها منذ عامين ورفض أن يصف لها دواء . . أمام الطبيب وأثناء الحديث معه تفجرت الحقيقة كاملة أمامي . . قال لي الرجل انها سليمة ليس بها أي عارض عضوي ، ولا تشكو من أي شيء ، وعندما حكيت له عن انتظارها للموت ، وان صديقتها قد ماتت بنفس الأعراض . . قال الطبيب هذا هو مرضها . . صديقتها التي ماتت ، والأعراض التي اشتكت منها صديقتها تشكو هي منها وتنتظر من ثم نفس النتائج . . انه نوع من وساوس الوهم . . ينتاب البعض لفرط حبهم للذين رحلوا . . وتحت وطأة الوهم والحب والخوف تتوالد أحاسيس وأوهام الموت . . عدت يومها مسرعا للبيت لم أتسمع أصواتا ، ولم أخش شيئا ، نقلت لها كل ما قاله الطبيب . . وأنا أرقص حولها ايقظت ابنتنا من النوم . . حاولت أن أنقل فرحتي لهما . . ولكنها نظرت الي طويلا وهمست لي شاكرة ، فقد تصورت أنني أخفف عنها وطأة الانتظار .

هـوَ

من الحياة

عندما تجف أيّام العمر !

ثمة شعور غريب احتواه وهو يحزم حقائبه ويستعد للرحيل . كان يحس بالضياع وهو يدور حول نفسه وسط تلك الاكوام من الكتب والملفات التى ازدحمت بها غرفة مكتبه . . مئات من المراجع والملفات التى تراكمت على مدى تلك الرحلة الطويلة التى قضاها بينها فى هذا العمل الذى أحبه وأعطاه أجمل سنى النضج من حياته . . رحلة حفلت بالأحداث التى بقيت ، وسوف تبقى ذكرياتها محفورة فى رأسه . .

ولكن لماذا الآن ؟ ما الذى دفعه الى التفكير فى الرحيل فى هذا الوقت بالذات ؟ هل ملّ الحياة التى اعتاد عليها على مدى تلك السنوات الطويلة التى كانت بدايتها منذ عشرين عاما أو يزيد أم هو الحنين الى الأرض التى انجبته ، وإلى المكان الذى أمضى فيه طفولته وصباه وشبابه . . والى العمل الذى وجد فيه نفسه وهو يحبو وسط جيل من العمالقة ، فى أول واكبر مدرسة من نوعها فى الوطن العربى ؟

كانت كل هذه الخواطر تدور فى رأسه وتلح عليه وهو يجمع أوراقه ويحزم كتبه ، فيتوقف متأملا أحيانا ، أو يبحث لنفسه عن مقعد مريح يغرق فيه جسده المتعب لفترة قصيرة يغفو فيها ويعود معها إلى ذكريات هذه السنين الطويلة التى قضاها فى أحضان هذا البلد الشقيق ، ثم لا يلبث أن يصحو على صوت زوجته التى شاركته رحلته الطويلة . . وهى تسأل فى لهفة : « أليس هناك وسيلة تتيح لنا البقاء ولو لسنة أخرى . . سنة أخرى فقط ؟ . . لقد كان كل شىء يسير سيرا طبيعيا ، اننا لم نستعد لهذه المفاجأة ، ربما استطعنا أن ندبر امورنا خلال هذه السنة . ثم لا تنس يا عزيزى اننا سنترك وراءنا أعز ماتملك . . ابناءنا الذين عشنا لهم ومعهم ، ولم نفترق عنهم لحظة واحدة . . هل يتركون هم أيضا أعمالهم ليلحقوا بنا . . . لقد كبروا وتعلموا وشغلوا مناصب مرموقة واستقلوا بحياتهم ، صحيح أن هذه هى طبيعة الحياة . . ولكن هل نستطيع ان نتصور كيف سيكون طعم هذه الحياة الجديدة ونحن نعيش بعيداً عنهم . . انهم كل حياتنا ودنيانا . . !

وتخرج الزوجة تاركة زوجها مع أوراقه وكتبه وذكرياته . . تخرج مهرولة حتى لا يرى تلك الدمعة الحائرة التى حاولت أن تحبسها حتى اذا ما أحست أنها لم تعد قادرة على الاستمرار فى محاولتها . . سارعت بالابتعاد لتبكى وحدها وهى تحاول أن تريح رأسها المتعب فوق فراشها . !

ويعود هو إلى حيرته . . وإلى ذكرياته . . لقد انتهت رحلته لأنه أصبح عجوزا . صحيح لقد تقدم به العمر ، فقد تجاوز عامه الستين ، ولكنه ما زال يتمتع بصحة طيبة . . ثم أنه قادر على العطاء ، تماما كما كان دائما منذ أن بدأ يعمل فى هذه المهنة التى أعطاها كل عمره . . ولكنها القوانين واللوائح . . ان من يبلغ الستين ويتجاوزها لا بد له أن يتقاعد . . لا بد ان يستريح ولكن أية راحة ! لقد أحب عمله



الجديد وتمنى لو انه يقى فيه حتى اخر أيام عمره . .

وقديما قالوا : سعيد هو الجندى الذى يسقط فى ساحة القتال !

* * *

والتقاعد حكم بالموت . . وكأنهم يقولون لمن يبلغ هذه السن التى ينسى الكثيرون يوم عبور الجسر اليها إذهب واسترح ، فقد يدق الموت بابك ويجب ان يجدك فى انتظاره هناك !!

ولكنها مرة أخرى طبيعة الاشياء . . ولا بد للأجيال الجديد أن تُمنح نفس الفرص التى أتيحت لآبائهم وأجدادهم . . !

القديم يتوارى . . والجدبد يتقدم الصفوف . . ولكن تبقى بعد هذا ، التجربة والخبرة الطويلة ، وهما اكبر مدرسة للشباب وهي دائما هناك على استعداد للعطاء . .

وعاد الى رحلته الجديدة التى ستبدأ بعد أيام قليلة الى عالمه القديم . . ترى كيف ستبدو الصورة التى ابتعد عنها طوال هذه الاعوام ؟ كيف ستكون الحياة مع الخريف ؟

وأحس برعشة تسرى فى جسده . . ! عندما ترك البيت الذى يستعد الان للعودة اليه . . كان كل شيء فيه يبتسم للحياة . . كان سعيدا قانعا بحياته مع رفيقة عمره وابنائه الصغار . . وكانت رائحة الربيع تملأ البيت الصغير السعيد الذى قضوا فيه جانبا من الكفاح الذى يبدأ مع هذه التجربة الجديدة فى حياة كل زوجين شابين ولكنه كان كفاحا لذيذاً ما لبثا أن أحسا بعده بالسعادة والاستقرار ،ولولا ذلك الحدث الكبير الذى ترك فى قلوب أفراد هذه الاسرة الصغيرة جرحا لا يلتئم ، لاستمر قارب الحياة يسير بها وسط

الأمواج حتى يصل الى شاطىء الأمان .. وقرر أن يبتعد هو وأسرته لينسى ، لعله يجد فى البعد سلوى !

* * *

كانت هذه هى الصورة التى ابتعدوا عنها .. أما اليوم فقد تغيرت ملامحها .. انه لن يجد فيها شيئا يمت الى الماضى بصلة .. كانت من قبل ربيعا دائما .. أما الأن فقد اقتربت من الخريف . والرحلة الى خريف العمر مخيفة تمتلىء فيها السماء بالغيوم ، وتعصف خلالها باوراق الشجر فتتساقط امام الأعين جافة ، وهى التى كانت تمتلىء يوما بالحياة .. لقد غربت شمس الربيع الى غير عودة ...

ترى كيف ستكون الحياة فى هذا البيت الكبير الصغير الذى امضى فيه مع اسرته اجمل سنى شبابه ، كيف سيعيشان في هذه الوحدة بعيدا عن أعز الناس الى قلبيهما . لقد وقفا في عناد منذ اكثر من ثلاثين عاما ، يبنيان هذا العش الصغير معاً قطعة بعد قطعة .. إن كل ركن فيه يحمل لهما اجمل الذكريات كل شىء يحدثهما عن الايام الحلوة التى امضياها مع اطفالهما الصغار ..

لقد قضى مع زوجته الايام والشهور والسنين يبنيان ويبنيان حتى استطاعا أن يثبتا اقدامهما على الأرض ، وانتهت المرحلة الاولى من البناء بعد كفاح ومجهود كبيرين ثم بدأ الزوج يشق طريقه فى الحياة بنجاح ، ويصعد الى الادوار العليا درجة من بعد درجة وأن يوفر لعشه الصغير كل مقومات البيت السعيد .. ولم ينس دورها أبدا .. تلك الفتاة الصغيرة التى أحبها وبقيت صورتها عالقة فى ذهنه لسنوات طويلة ، قبل أن يلتقى بها مرة أخرى فيسارع إلى الزواج منها قبل ان تختفى .. لقد وقفت دائما بجانبه تدفعه وتشجعه وتشاركه كل آلامه وأفراحه وهو يصعد سلم الحياة .. كانت دائما قريبة منه وهو يبحث عن مخرج للأزمات المالية التى تصطدم بها حياة كل زوجين شابين بعد وصول الضيوف الصغار ..

ما أسرع ماتمر الأيام .. عشرون عاما أو اكثر انقضت منذ أن اغلق الزوجان باب بيتهما وراءهما حاملين اطفالهما وآمالهما إلى البلد العربى الشقيق الذى تعاقد على العمل فيه .. وها هما يعودان اليه الآن .. يعودان وحدهما .. كل شىء فى البيت كما تركاه ، وربما أصبح اكثر بريقا بعد عملية التجديد التى سبقت عودتهما اليه ، حتى تزول آثار السنين التى صنعت به ما صنعت خلال تلك الغيبة الطويلة .

ولكنه بريق بلا حياة ، فقد غاب عن البيت ذلك الصوت الذى أحباه وعاشا له ومعه .. صوت الاطفال فى لهوهم ، ولعبهم وحتى فى بكائهم .. وصوت الحياة التى اعتادا عليها وألفاها بين أرجاء البيت الذى كان كل شىء فيه يعيد اليهما ذكريات الشباب الذى ولى ولن يعود ..

لم يكن غريبا أن يحدث لهما ما حدث وهما يستعدان لبدء حياتهما الجديدة مع خريف العمر .. يالها من رحلة قصيرة بدت كما لو كانت فصولها الاولى والاخيرة تعيش معهما ، ولا تريد أن تفارقهما لحظة واحدة ..

لقد كانت كل أمنيتهما فى الحياة أن يكونا قريبين من أبنائهما حتى بعد ان يكبروا ويستقلوا بحياتهم .. ولكن هكذا شاء القدر ، أن يفترقا عنهم .

* * *

وتبدأ رحلتهما مع الحياة الجديدة .. الايام تمر عليهما فى رتابة تحمل معها شعورا ثقيلا بالملل .. كل الايام تشابهت .. لم يعد هناك شىء يفرق بين يوم ويوم .. لم تعد عطلة نهاية الاسبوع تعنى شيئا خاصا بالنسبة اليهما ، فكل ايام الاسبوع عطلة .. صحيح انه يحاول أن يعمل فى البيت .. أن يملأ بعض وقت الفراغ الطويل بالقراءة أوالكتابة ، ولكنه عمل غير منتظم عمل يخضع لمزاج صاحبه ولو أنه فى النهاية أفضل من لا عمل على الاطلاق .

ربما كان الشىء الوحيد الذى يعيد الحياة الى هذا البيت الذى يسكنه الهدوء والوحدة والملل هو ذلك الصوت الحنون الجميل الذى يتحرقان شوقا اليه

يحمله الهاتف من حين لآخر . . صوت الابناء الذين تركوهم وراءهم ، يعيشون حياتهم ويبحثون عن مستقبلهم . . هم أيضا بدأوا يشعرون بالوحدة بعد رحيل الابوين . وتسمع الأم صوت ابنتها من البعد فلا تجد غير الصلاة تنفس بها عن صدرها الذى يختزن أجمل المشاعر التى تحملها كل أم لابنائها . . ولكنها لا تلبث أن تتمالك نفسها وتحس بالارتياح . . انهم بخير . . وهذا هو كل ما تتمناه وتدعو ربها من أجله !

وتمر بضعة ايام ، تعود الأم بعدها الى قلقها ، والى شوقها لسماع صوت ابنائها وتسرع الى الهاتف تناديهم مع ساعات الفجر الأولى قبل طلوع الشمس . ويدور الحديث فى لهفة ، ولكنه لا يلبث ان ينتهى وتقضى الأم يوما سعيداً اخر . . ولكنها سعادة مؤقتة لا تلبث أن تخبو تدريجيا فى انتظار غد جديد !

* * *

وتمضى بهما الحياة ثقيلة متباطئة . . الى أن يجىء اليوم الذى تقف فيه الأم وسط غرفتها وقد انتوت أمرا . . ولكن ما هو انها لم تعد تحتمل الحياة بعيدا عن أبنائها وأحفادها الصغار . . انها لا تستطيع أن تمضى ما تبقى لها من عمر تنتظر . . تنتظر رنين جرس الهاتف لتسمع صوتهم وتنتظر ساعى البريد وهو يحمل لها الرسائل التى تمتلىء باخبار صغارها فى وحدتهم تنتظر الموعد الذى حددوه لزيارتهم لها أو زيارتها لهم ثم يعودوا أوتعود ، وتبدأ تعد الايام للقاء جديد . . لا . . انها لا تستطيع أن تمضى فى هذه الحياة طويلا . . انها تحس بأن قطعة منها تنتزع مع كل يوم يمر وتغرب فيه الشمس ، وكأنها تراها فى غروبها لاخر مرة . .

وذات صباح صحا الزوج من نومه . . ولم يجدها . . لقد تركت زوجته وشريكة عمره البيت وذهبت . . حملت حقيبة ملابسها . . واسرعت الى المطار تستقل الطائرة التى ستحملها الى هؤلاء الذين احبتهم واعطتهم عمرها كله . .

وعلى مائدة صغيرة فى غرفة نومها قرأ الرسالة التى كتبتها بدموعها : « انت تعرف مشاعرى نحوك . . فأنت زوجى ووالد أبنائى . . أنت أبى وأمى وكل دنياى ، ولكننى لم اعد احتمل فراقهم . . انى ذاهبة اليهم لاعيش قريبة منهم . . ارجوك الا تغضب منى . . أنا أعلم أنك فى حاجة إلى رعاية بعد ان بلغت هذه السن . . ثق انى سأكون معك بقلبي ، ليتك تفكر باللحاق بهذا القلب الذى خفق دائما بحبك والى لقاء . . . »

وطوى الرسالة ووضعها فى جيبه ، ثم اسرع إلى المطار يستقل أول طائرة تحمله الى البلد الذى يعيش فيه هؤلاء الذين أحبهم وأعطاهم كل عمره ! □

في التربية

حكى الأحمر النحوى عن نفسه قال :

يعث الى الخليفة هارون الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت التفت الى وقال : يا أحمر ، ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه واجبه ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الآثار ، وروه الأشعار و علمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزن فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته ، فيستحل الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقك .



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

كيف نتصرف مع لسع العقرب ؟

يتصدر العقرب طائفة المفصليات التى تضم الحشرات والبق والعناكب فى عداوته للانسان ، وخطره عليه ، ويعتبر أكثرها ارهابا ، وأوسعها انتشارا ، وأفدحها ضررا .

والعقارب أنواع شتى قد تصل الى ٦٥٠ نوعاً ، وتتراوح ما بين ١٥ مليمترا و ٢٠٠ ملمتر طولا ، بعضها مألوف جدا فى بلادنا العربية ، ذات الطبيعة الصحراوية على وجه التحديد ، حيث يألفها الناس ، تسعى ليلا وتختبىء نهارا تحت الحجارة ، أو فى الجحور ، أو ربما تحت قطع الخشب المهجورة ، وربما وجدت لها مخبئا فى دورات المياه والخزائن وداخل الأحذية ، أو بين الصحف المهملة لو وجدت لها سبيلا داخل البيت .

من السهل على الجميع تمييز العقرب بذيلها الطويل ذي العضلات ، أو بابرة متصلة بكيس أو حوصلة خازنة للسم .

ان هناك نوعين من سموم العقارب ، أولهما سم ذو تأثير موضعى محدد الضرر ، وثانيهما سم ذو تأثير عام قاتل يتركز أثره على جهاز الأعصاب .

ان التمييز بين هذا وذاك يكون بردة فعل المصاب تجاه لسعة العقرب .

فالنوع الأول الخفيف الضرر يستجيب له المصاب برد فعل فورى ، يتمثل فى الألم الشديد مكان الوخز ، مع ألم واحرار ، وربما صاحبتها أعراض حساسية عامة .

أما السم الضار القاتل فرد الفعل له على عكس مايتوهم البعض ، ويتوقعون ، أن لا يستجيب المصاب للسع العقرب بأى رد فعل موضعى ، وانماهى ردود فعل عامة ، نتيجة انتشار السم فى الأعصاب ، فلا ألم ولا ورم ولا احمرار فى موضع الوخز ، ولكن المصاب يشعر بالوخز والتنميل فى كافة أنحاء الجسم مع شعور بالدوار .

يعقب هذا أكلان فى الفم والأنف والحلق ، ينتهى الى عجز وشلل فى عضلات اللسان ، يصعب معها الكلام والبلع معا ، هذا بالاضافة الى شعور بالغثيان والقىء ، ورغوة فى الفم ، مع تسيب فى البول ، وتشنجات عامة فى عضلات الجسم ، ثم يبدأ تورم فى انحاء البدن ينتهى بالوفاة خلال يومينْ على الأكثر .

ويرى المختصون أن مرور ثلاث ساعات على المصاب دون أعراض شديدة يعتبر ظاهرة تمثل أملا كبيرا فى النجاة .

علاج واسعاف لسعة العقرب

اذا استجاب الجسم للسع العقرب بردود فعل موضعية على نحو ما وضحنا ، فهذه بارقة أمل توحى بضرر محدد يمكن التغلب عليه ، بوضع كمادات الماء البارد أوالثلج ، مع المراهم والعقاقير المضادة للحساسية والالتهاب ، وأشهرها الكورتيزون ومضادات الهستامين ، ولكن اختفاء رد الفعل الموضعى يثير القلق ، ويدعو الى حسن التصرف وسرعة نقل المصاب الى المستشفى .

وعليه يجب اتباع الخطوات التالية بأقصى سرعة :

١ ـ توضع كمادات الماء البارد أو أكياس الثلج فوق موضع الاصابة ، لتقليل سريان انتشار السم .

٢ ـ يربط الطرف المصاب برباط ضاغط يوقف الدورة الدّموية عن السريان .

٣ ـ يوضع الطرف المصاب فى اناء ماء بارد ، ثم يفك الرباط الضاغط بعد خمس دقائق تحت الماء ، وتجدر الاشارة هنا الى أن الكمادات الباردة يجب أن تكون مستمرة لا متقطعة .

٤ ـ حذار من تعاطى عقار المورفين وأشباهه من المخدرات للتغلب على الألم ، والأفضل استعمال المنومات للتغلب على التشنج .

٥ ـ يعطى المصاب فى المستشفى (حيث لا يتوفر العقار فى صندوق الاسعاف الا نادرا) عقار الانتيفينين المضاد للعقرب فى العضل مع حقن الكالسيوم فى الوريد ، ان نسبة الشفاء تعتمد الى حد كبير على حسن التصرف ، وفورية الاسعاف الأولى ، وسرعة نقل المصاب الى المستشفى . □

بريد طبيب الأسرة

انقطاع الطمث

● أنا فتاة فى الثانية والعشرين من عمرى ، ومع هذا فلم تبدأ دورة الطمث شأن الفتيات الأخريات ، فهل هذا مما يؤدى الى العقم ويحتاج الى علاج .

م . خ . ف ـ دمشق

ـ الطمث هو علامة نشاط الغدد الصم الجنسية عند الأنثى ، ويعبر عن النضوج الجنسى وكفاءة الانجاب ، اذ يقوم أحد المبيضين باطلاق بويضة كل شهر ، يرافقها افراز هرمونى يتولى أمر اعداد بطانة الرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، لاحتضانها وتغذيتها ، فاذا لم يتم تلقيح البويضة فان بطانة الرحم تنطرح تلقائيا ، وهذا ما يعرف بالطمث ، أو الدورة الشهرية ، وان انقطاع هذا الطمث لسبب أو لآخر يتخذ له احدى صورتين هما :

أولا : انقطاع أولى أو مبدئى ، بمعنى أن الطمث لا يظهر اطلاقا بالرغم من بلوغ الفتاة سن النضوج الجنسى أو المراهقة ، وهذا يعنى خللا فى الافراز الهرمونى للغدد ، أو النضوج الجنسى الطبى الذى ينتقل بالفتاة من مرحلة الطفولة الى مرحلة البلوغ ، والكفاءة الانثوية ، وهو أمر يتم فيما بين سن الثانية عشرة وسن الثامنة عشرة على وجه العموم ، مع تفاوت شخصى بين فتاة وأخرى ، لأسباب عدة لامكان لحصرها ، فاذا ما تجاوز الحال هذا المنطق الطبيعى ، فالأمر يصبح بحاجة عاجلة لاستشارة طبيب مختص فى أمراض النساء وربما مختص فى الغدد الصم على وجه السرعة دون ابطاء أو تأخير ، لتقصى أسباب هذا التخلف وعلاجه بما يلزم ، على ضوء التشخيص السريرى والمختبرى والشعاعى .

ثانيا : انقطاع ثانوى ، بمعنى توقف الطمث عقب ظهوره ، وهذا قد يكون طبيعيا كما هوالحال مع الحمل ، وقد يكون مرضيا لخلل هرمونى مثلا ، وهنا يتوجب مراجعة الطبيب المختص .

ومن الطبيعي أن يوضع فى الاعتبار عدد من العوامل التى يتصدرها العامل النفسى من فرح أو اكتئاب ، كما يوضع فى الاعتبار انقطاع الطمث النهائى الذى يعرف باسم سن اليأس الذى يعنى نهاية مرحلة النشاط الجنسى الهرمونى ، وختام فترة القدرة على الانجاب عند المرأة ، وهو ما لا يمكن تحديده بعمر معين ، اذ تقفر المبايض من محتواها من البويضات ، كما يشح افرازها الهرمونى ، ومن المألوف أن يفاجىء سن اليأس فيما بين سن الأربعين والخمسين ، أو ربما زاد قليلا ، وقد يداهم انقطاع الطمث صاحبته فجأة ، أو ربما تسلل تدريجيا ، اذ يقل النزف كما ومدة ، أو يضطرب انتظامه .. وهكذا .

هل يضر شرب الشاي ؟

● سمعت من أحدهم أن الافراط فى شرب الشاى يضر بالذكاء ، ويعطل القدرات العقلية ، ولما كنت أهوى شرب الشاى بافراط ، فقد راعنى أن أسمع مثل هذا الخبر ، ورأيت أن أسألكم النصيحة الخالصة ، فعسى أن تزودون بالحقيقة العلمية .

م . م . ص
اللاذقية - سوريا

الشاى مشروب عالمى معروف منذ أقدم العصور ، وربما عادوا بأصله الى أهل الصين ، اذ يروون عن اكتشافه ومنشأ استعماله قصصا عديدة ، حيث تضيع الحقيقة فى طيات الأساطير .

والتحليل العلمى لتركيب الشاى يؤكد أن أهم عناصره هما حامض التنيك ومادة الشايين التى هى أشبه ما تكون بالكافيين التى فى القهوة ، وهما من المنبهات والمنشطات ، ولكن حامض التنيك مادة قابضة ، يؤدى الافراط فيها الى قبض الأمعاء أو الامساك ، لهذا فقد يوصف الشاى فى أحوال الاسهال بأنه معين على الداء ، ولكن ليس بديلا للعلاج ، وقد يستعمل الشاى أيضا غسولا للجروح على انه يعين على التئامها ، لما يحويه من مادة حامض التنيك ، فلا غرابة اذن أن يشكو بعضهم من امساك وصعوبة فى اخراج الفضلات عند الاسراف فى شرب الشاى .

كما يشكو بعض الناس من الأرق ، بل ربما الصداع بسبب الاسراف فى شرب الشاى ، وان كان البعض الأخر ينكر هذا الزعم ، لأن للشايين أو الكافيين تأثيرا منبها على خلايا المخ ، بينما لا يعانى الآخرون من هذا الأثر ، غير أن الطب لا يعرف تأثيرا للشاى خلاف هذا أو ذاك ، ولم يرد أى رأى علمى ثابت يشير الى تأثير الشاى على الذكاء والقدرات العقلية ، بل ربما نشط خلايا العقل .

ردود سريعة

● السيد حامد السبع - دير الزور - سوريا :

- نأسف اذ لا نعرف عقارا لاطالة القامة ، ولماذا لا تستشير مختصا في الغدد الصم .. ؟

● الاخت المحجبة - فاس - المغرب :

- لا علاقة اطلاقا تربط الحجاب بظهور الشعر على الوجه ، وانما هو خلل هرموني ، ويحسن بك مراجعة طبيب الأمراض الجلدية للتشخيص والعلاج .

● الأخت الحائرة - القاهرة - مصر :

- ألا ترين أن مراسلة انسان مجهول الاسم أمر مستحيل .. ؟!

أما استفسارك عن الأدوية الشعبية ، فخبرتنا بها محدودة ، كما أن الطب الحديث لا يتعامل بها ، وكل ما نعرفه أن شرب الحليب يزيد من ادرار اللبن ليس الا .. □

العهد

شعر : عبدالله السيد شرف*



كان أبي . . . .
إذْ كُنتَ صبياً
يحشــوني بالأوراد
وينذرني لله
ويســـألني
إذْ كنتَ صبياً
في متن الألفيـةِ
وابن شجـــاعٍ
وَيُفَسِّرُ
إذْ كُنتُ صبياً
معنى الأعـــراف
ينهرني إذْ يَنْكَسِرُ المفعول
وأســـأله
ما الـمَـــنُّ . . . .
وما الســـلوى . . ؟!
وتموج الصـــور
حليباً
عســـلاً
نخـــلاً
عنبـــاً
كان يناديني إذْ أشرد
اخلع نعليك !
كانت أمــي
اذ كنت فتيا
ترقوني من عين الناس
ومن شر الوسواسِ

وكانت إذْ ترفو ذيل الجلبابِ
تشاغلني بجنان الارض
المفتوحة للشــرفاء
وأســـعلُ
فتدثرني بالصحف المبتلَّة بالخلِّ
وتسمعني قصص الصبر
وتأمرني بالصـــدق
العفـــو
الطهر
وحين أثور
تَمُدُّ الكَفَّ
وتفقأ عين عرائسها الورقية
كان التوت الصيفي بعينيها يأسرني
والكوثر يشغلني
وأصافيه

من أي جهات العصر أُطلُّ عليك
ياوجه الأمس
ياقلبا أطره الأهل
من أين
الآن . . .
أعفيك من الوقفة تَرْقُبُني
يا أبتي
في ذيل الدرب
واسمح لي
أن أعفي كفي
من قيد العهد

---

* شاعر شاب من القطر المصري

لغة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

لام التقوية

كان السيد مغاولي موسى (العبادلة / الجزائر) قد سألنا أربعة أسئلة ، أحدها عن فصاحة كلمة « التقييم » بمعنى معرفة القيمة ، وقد أجبناه بأنها فصيحة (العدد ٣٣١) وبقيت ثلاثة أسئلة ، وهذا أحدها ، ومعه جوابه .

لام التقوية : ما سر تسميتها كذلك وكيف نعرفها ؟

اللام في لغتنا نوعان : عاملة ، وغير عاملة ، فالعاملة ما كان لها أثر في الاعراب جرًا ، أو نصبا ، أو جزما ، فمن الجارة لام الملك ، مثل : « لله ما في السموات وما في الارض » ، ومن الناصبة لام العاقبة ، مثل « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ، ومن الجازمة لام الأمر ، مثل « لينفق ذو سعة من سعته » . وغير العاملة مثل لام التوكيد ، مثل « وللآخرة خير لك من الأولى »

وتأتي اللام لعدة معان ، أو هي تؤدي عدة معان سواء كانت عاملة أو غير عاملة كما في الأمثلة السابقة ، ويفهم الفرق بين كل معنى وغيره من السياق .

ومن اللامات لام التقوية ، وعملها الجر لما بعدها من اسم أو صفة ، وقد سميت كذلك لأنها - كما يقول النحاة - تقوي عاملا إعرابيا ضعيفا ، وذلك أن الفعل المتعدي عندهم هو العامل في نصب المفعول (به) بعده ، وأظهر ما تكون قوته اذا تقدم عليه ، مثل : « يرعى الحُرّ عهده ، ويحفظ جواره » ، فإذا تأخر الفعل فقد تلحقه اللام لتقوي عمله ، مثل الحر لعهده يرعى ، ولجواره يحفظ » .

ويرى النحاة أن الفعل المتعدي هو الأصل في التعدية ونصب المفعول ، وأن ما ينوب عنه كمصدره فرع له في عمله ، فإذا كان العامل فرعا في عمل الفعل لحقته لام التقوية ، كما إذا كان مصدرا أصليا أو ميميا ، وكما اذا كان صفة [1] دالة على فاعل سواء تقدمت على المفعول أو تأخرت عنه ، مثال المصدر الأصلي متقدما على المفعول قولنا : « من شيم الحر رعايته للعهد ، وحفظه للجوار » ومثاله متأخرا عن المفعول قولنا : « للعهد الرعاية واجبة ، وللجوار الحفظ واجب » .[2]

ومثال المصدر الميمي متقدما على المفعول قولنا : « محبتك لذوي رحمك واجبة » ، ومثاله متأخرا عن المفعول قولنا : « لذى رحمنا المحبة واجبة » ، ومثال الصفة الدالة على الفاعل متقدمة على المفعول قولنا : « هو راع لعهده ، حافظ لجواره » ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا : « الحر لجواره راع ولجاره حافظ » ، وقوله تعالى : « الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

ومثال الصفة الدالة على المبالغة متقدمة على المفعول قولنا : « هم سماعون للكذب ، أكالون للسحت » ، ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا ، هم للكذب سماعون : وللسحت أكّالون » .

واذا كان الفعل ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا أمكن أن تدخل لام التقوية على ما يناسب المعنى منهما وهو الأول غالبا ، كقولنا : « أعطيت للطالب كتابا » ، وكقول شاعرتنا ليلى الأخيلية : (نحو ٨٥ هـ) من قصيدة تمدح بها الحجاج الثقفي :

أحجاج ، لا تعط العصاة مناهم
ولا الله يعطي للعصاة مناها

وأصل الجملتين قبل دخول لام التقوية « أعطيت الطالب كتابا » ثم « ولا الله يعطي العصاة مناها » ، وهذا هو الاستعمال الشائع في لهجتنا الدارجة ، ومثله كثير في اللغات الأخرى في الأفعال التي يتعلق بها مفعولان .

وينبغي في ملاحظة هذين المفعولين مع هذه الأفعال أن المفعول الأول (الطالب) هو الآخذ ، والمفعول الثاني (كتاب) مأخوذ ، فلابد من ملاحظة قرينة الاسناد لنعرف أي المفعولين هو الأول وأيهما هو الثاني سواء تقدم عليه أو تأخر عنه في الكلام ، كما اذا قلنا : « وهبت صديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب صديقي » فإن « صديقيَ » هو الأول لأنه الآخذ والكتاب هو المأخوذ كما تدل علاقة الاسناد بينهما ، ولام التقوية هنا تدخل على الأول فيقال : « وهبت لصديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب لصديقي » . وهي تدخل على المناسب للمعنى من المفعولين .

ويمكن أن نعد « لام تقوية » ما يسميه النحاة « اللام المقحمة » وهي التي تقحم أو تدخل بين المتضايفين : المضاف والمضاف اليه أو شبههما ، لأنها تقوي اختصاص ما قبلها (المضاف) بما بعدها (المضاف اليه) كقول عنترة لصاحبته :

فاقني حياءك - لا أبا لك - واعلمي
أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وقد تحذف هذه اللام كما في قول أبي حية النميري لصاحبته :

أبالموت الذي لا بد أنّي
ملاقٍ - لا أباك - تخوفيني
دَعِي ما قد علمت ، سأتقيه
ولكن بالمغيب خبريني

ومثال اللام الداخلة بين شبه المتضايفين قول علي بن الجهم

وارحمتا للغريب بالبلد النا
زح ، ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا انتفعا

وكقوله تعالى « ويل للمطففين » وقوله « فسحقا لأصحاب السعير »

ويمكن حذف هذه اللام غالبا دون ضعف التركيب أو اختلال المعنى ، كما في الأثر « حُبُّكَ الشيء يعمي ويصِمّ » .

وبدلا من أن نقول كما قال النحاة : ان الفعل هو العامل الأصلي في نصب المفعول به ، وإن كلا من المصدر والصفة عامل فرعي نقول : إن المصدر كالفعل ينصب المفعول به بدلالته على الحدث ، والوصف ينصب المفعول به لدلالته على موصوف بالحدث ، فإن كان لا يدل على موصوف بالحدث لم ينصب مفعولا به كقولنا : « القاضي عادل » ، وهذا ما يسميه النحاة « الصفة الغالبة » أي التي تستعمل اسما ، فإذا شئنا أن نجعلها صفة محضة من فعل متعدٍّ تجري على فعلها وتعمل عمله أمكن أن تنصب مفعولا به كقولنا : « أخوك قاضٍ حاجتك » و « أخوك قاضي حاجتك » ويمكن أنْ تدخل اللام فنقول « أخوك قاضٍ لحاجتك » □

---

(١) يسميها النحاة « اسم الفاعل » مع أنها لا تدل على مسمى ، والصواب أنها صفة للفاعل لأنها تدل على موصوف بالحدث ، ومن هنا تشارك الفعل لدلالته على الحدث (مع دلالته على الزمن) .

(٢) اللام للتعدية في اللغة السريانية (شقيقة العربية)

لقاء ذئب

بين الفرزدق والبحتري

الفرزدق والبحتري شاعران ، كلاهما لقي ذئباً جائعاً في صحراء فكان له معه موقف يختلف عن موقف الآخر ، وكلاهما وصف موقفه معه مفصلاً .

والفرزدق أحد مشاهير الشعراء الأمويين نشأ بين البصرة والبادية المجاورة لها ، ومضى يعالج الشعر ويرويه ، حتى نبغ فيه ، وقد اتصل بملوك الأمويين في الشام وبولاتهم في العراق يمدحهم ويأخذ جوائزهم ، وهو كثير الفخر فاحش الغزل ، جرى بينه وبين معاصره جرير هجاء كثير ، وتوفي عن سن عالية سنة ١١٤ هـ - وله ديوان مطبوع .

لقي ذئباً جائعاً في صحراء الكوفة في أواخر ليلة فعطف عليه فقاسمه زاده .

والبحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) طائي ولد ونشأ في منبج بالشام وتنقل بين عشائر قبيلته طيّء وغيرها من البدو على شواطيء الفرات ، فاكتسب منهم الفصاحة ، وقد وجهه في الشعر شاعر طائي آخر هو أبو تمام ، وشعره رقيق الأسلوب بديع الخيال ، وقد اتصل بكثير من الأمراء والقواد العباسيين ، وكان مقرباً الى المتوكل العباسي ووزيره ابن خاقان ، وكان في مجلسهما حين قتلا فأسرع بالاختفاء والهروب ، وله ديوان مطبوع .

وقد لقي ذئباً أصابه الجوع بالهزال والتقوس - وكان هو جائعاً - فلم يجد بّداً من قتله خوفاً على نفسه ثم شواه وأكل منه ما يسد جوعته .

« قصة الفرزدق »

وأطْلَسَ عسَّالٍ ، وما كان صاحباً ، دعوت بناري موهنا فأتاني[1]
فلما دنا قلت : «ادْنُ ، دونك ، انني وإياكَ في زاد لِمشتركانِ»
فبتّ أسوّى الزادَ بيني وبينه على ضوء نارٍ مرةً ، ودخان . . .

وقلتِ لـه لمـا تكشَّـرَ ضـاحكـاً ... وقـائم سيفي في يـدي بمكـان
«تعشَّ ، فـان عـاهـدتني لاتخونُني ... نكنْ مثلَ منْ - يا ذئبُ - يصطحبان
وأنتَ امرؤٌ - يا ذئبُ - والغدرُ كنتما ... أخيَّـين كـانـا أرضعـا بِلَبـان(٢)
ولـوِ غيرنـا نُبِّهْتَ تلتمس القِرَى ... رمـاكَ بسهم أو شَباةِ سنـانِ(٣)
وكلّ رفيقَيْ كـل رحلٍ - وإنْ هُما ... تعـاطى القنا قومـاهما - أخوانِ(٤)

« قصة البحتري »

وأطلسَ مـلءَ العـينِ يحمِلُ زوره ... وأضـلاعُه من جـانبيه شوى نهدُ(٥)
لـه ذَنَبٌ مثـلِ الـرِّشـاءِ يجـرُّهُ ... ومتْنٌ كمتنِ القوسِ أعوجُ مُنادُّ(٦)
طواه الطَّوى ، حتى استمر مريرُه ... فما فيه الاّ العظمُ والروحُ والجلْدُ
يقضقِضُ عُصْلاً في أسرَّتِها الردى ... كقضْقضةِ المقرورِ أرعده البردُ(٧)
سما لي ، وبي من شدَّةِ الجوع ما بِه ... ببيداء لم تُعرف بهـا عِيشةٌ رَغْـدُ
كـلانا بهـا ذئبٌ ، يحدث نفسَـهُ ... بصاحبِه ، والجَدُّ يُتعسُهُ الجَدُّ(٨)
عوى ، ثم أقْعَى ، فارتجزت ، فهِجْته ... فأقبلَ مثلَ البرقِ يتبعه الرعْـدُ
فأوْجَرْتُـه خرْقـاءَ تحسب ريشَها ... على كوكب ينقض ، والليلُ مسودُّ(٩)
فما ازدادَ إلا جـرأةً وصـرامَـةً ... وأيقنتُ أن الأمـرَ منـهُ هـو الجِـدُّ
فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلَها ... بحيثُ يكونُ اللبُّ والرُّعْبُ والحقدُ(١٠)
فخرَّ ، وقد أوردتُه منهَلَ الـرَّدى ... على ظمأٍ ، لو أنه عـذُبَ الـورْدُ
وقمتُ ، فجمّعت الحصى ، فاشتويته ... عليه ، وللرمضاءِ من تحته وَقْدُ(١١)
ونلتُ خسيساً منه ، ثم تـركتُه ... وأقلعتُ عنه ، وهو مُنعفِرٌ فَـرْدُ

---

(١) أطلس : أغبر : عسل في سيره : اضطرب .
(٢) الغدر من طبيعة الذئب ، فهما كالأخوين اللذين رضعا من صدر واحد .
(٣) القرى : الطعام . شباة : طرف .
(٤) كل رفيقين في طريق يتآخيان ، ولو كان بين قوميهما قتال .
(٥) الشوى : الأطراف (لفظه مفرد ، ومعناه جمع) . نهد : بارز . أي اضلاعه لجوعه بارزة .
(٦) الرشاء : الحبل . المتن : الظهر . منادُّ : معوج .
(٧) يقضقض عصلاً : يصوت بأنياب معوجة . أسرتها : أوساطها . الردى : الموت . المقرور : المصاب بالبرد .
(٨) كلانا يطمع في قتل الأخر . الجد : الحظ .
(٩) أوجرته خرقاء : طعنته بسنان .
(١٠) أدخلت سنانها في قلبه .
(١١) الرمضاء : الأرض الحامية .



في أسفل السلم

تأليف : غونتر فالراف

عرض وتلخيص : محمد حسان عبد الكريم

لم يسبق في تاريخ المانيا الاتحادية لكتاب ، بلوغ هذا العدد من النسخ المبيعة في مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة : (٧ ، ١ مليون) نسخة بعد أربعة شهور من طبعه ، رغم أن موضوع هذا الكتاب ليس بجديد ، بل سبق ان عالجته المئات من الكتب والدراسات الخاصة ، ونعني بذلك (حياة الأجانب في المانيا الاتحادية) ، ولكن الجديد هنا ، هو كيفية خروج هذا الكتاب الى النور ، والطريق الذي سلكه الكاتب للتوصل الى جمع محتوياته .

في المقدمة يذكر الكاتب ، كيف انه كان طوال عشر سنوات يدفع عن نفسه فكرة الاضطلاع بالدور الذي تلبسه أخيرا ، ليتمخض عنه هذا الكتاب ، لمعرفته بما ينتظره : «كنت ببساطة خائفا ، كنت قد كونت فكرة عن حياة الأجانب في المانيا الاتحادية من خلال أحاديث الأصدقاء وعن طريق الصحف ، كنت أعلم بأن نصف الأجانب الأحداث يعانون من أمراض نفسية ، لأنهم لن يطيقوا المضايقات التي يتعرضون لها ، اضافة الى أن فرص العمل تكاد تكون معدومة ، ورجوعهم الى الوطن اصبح متعذرا بعد أن شبوا وترعرعوا هنا ، إنهم عديمو الوطن ، يعانون صرامة قوانين الأجانب ، وتصاعد حملة الكراهية ، وزيادة العزلة ، كنت أعرف ذلك كله ، ومع ذلك لم أكن قد عشته قط .

الهبوط الى الاسفل

في مارس ١٩٨٣ نشرت الاعلان التالي في عدة جرائد :

(أجنبي ، قوي البنية ، يبحث عن عمل ، أعمال ثقيلة وقذرة ، مقابل أجرة منخفضة أيضا ، الاتصال . . . .) .

« خطوة واحدة فقط تكفي للانتماء الى الأقلية المنبوذة والهبوط الى أسفل السلم ، عدسات لاصقة غامقة اللون ، وشعر أسود مستعار ، جعلتني أتحول الى (علي) وأظهر أصغر من سني الحقيقية بكثير ٢٦ - ٣٠ بدلا من ٤٣ عاما ، وبذلك استطعت الالتحاق باعمال ما كنت ساحصل عليها في عمري الحقيقي ، وبكثير من التعثر والغرابة حاولت تلفظ الألمانية كما يستخدمها الأجانب ، وكان من السهل على أي امرىء سبق له الاصغاء الى أحد الأتراك أو اليونانيين ، اكتشاف أن أمري غير طبيعي ، ولكن لدهشتي لم يواجهني أحد بالشك .

هذه التغييرات البسيطة كانت كافية لكي تجعل الآخرين يفصحون عن آرائهم أمامي دون تحرج ، بلاهتي المصطنعة جعلتني أكثر ذكاء ، وأتاحت لي الفرصة للتعرف على ضيق أفق هذا المجتمع وبرودته وهو الذي يعتبر نفسه حاذقا ورفيعا ، متكاملا وعادلا ، كنت كالأحمق الذي تقال له الحقيقة بلا تنميق . بلا ريب ، انا لم أكن تركياً حقا ، ولكن على المرء أن يتنكر قليلا لكي يزيل القناع عن المجتمع ، وأن يتحايل كي يتعرف على الحقيقة .

ما زلت الى اليوم مستغربا ، كيف يتحمل الأجانب هذا الاضطهاد والكراهية اليومية ، ولكني أعلم الآن الى أي مدى يمكن بلوغ احتقار البشر هنا ، فالتجارب التي خضتها تجاوزت كل تصوراتي السابقة ، فالعنصرية توجد هنا في وسط ديمقراطيتنا ، وما واجهته في المجتمع الألماني لا يوجد مثيله الا في بطون كتب تاريخ القرن التاسع عشر .

رغم ذلك ، ومع كل القذارة والمشاق ، في العمل المذل ، ومواجهتي لأشكال الاحتقار البشري ، فقد كسبت أصدقاء ولمست تضامنا حقيقيا . »

وهكذا بدأ (علي) جولته في الحياة والعمل في ربوع ألمانيا الاتحادية ، تلك التجربة التي استغرقت أكثر من سنتين .

في البداية حصل (علي) على اعمال قصيرة الأمد ، تصليح اسطبل خيول في ضواحي احدى المدن الكبيرة ، كان عليه تسلق سلالم شاهقة ، محافظا على توازنه لصبغ سقف الاسطبل ، العمال الآخرون ، ومعظمهم مهاجرون بولنديون كانوا يتجاهلونه ، اما صاحبة العمل فقد كانت لا تجد لعلي سوى كلمات الحث على العمل التي يتعاطاها الألمان في علاقاتهم مع (عمالهم الأجانب) ، وكان يتناول طعامه بمعزل عن الآخرين ، وينام في غرفة تشاركه فيها « معزة » . وعندما تعطل جهاز الانذار في الأسطبل فجأة ، أتهم علي بالقيام بذلك فطرد من العمل .

مكان العمل التالي كان مزرعة تدار من قبل عجوز وابنتها سبق لهما التعامل مع « خادم تركي » . مقابل العمل وعد بالأكل والنوم مجانا ، وتسلم مصروف جيب ، عدا ذلك خيرّ علي بين النوم في عربة عاطلة أمام المزرعة ، أو غرفة اسطبل فارغة كريهة الرائحة ، لكن (علي) فضل حلا ثالثا : غرفة في ورشة بناء مهجورة ، علما بأنه توجد عدة غرف نظيفة ودافئة في المزرعة لم تكن تستعمل من قبل أحد ، وأخفى

(علي) عن الجيران ، وحُرم عليه ارتياد سوق القرية أو البار .

على هذا المنوال حاول (علي) طوال سنة كاملة كسب قوت العيش ، متنقلا من عمل الى آخر .

« لو كنت حقا عليا فقط لما استطعت البقاء على قيد الحياة ، مع أنني كنت على استعداد لتقبل أي عمل مهما كان » .

بعد ذلك جرب حظه كعازف ارغن متجول في مقاطعة بافاريا : « كنت يوميا أدير جهاز الأرغن لعدة ساعات في الشارع دون أن أحصل على مليم واحد ، والغريب أنني بعد أن تعودت على دوري كأجنبي ، كانت تنتابني الدهشة في كل مرة ، لا أقابل فيها بالرفض والجفاء ، الأطفال وحدهم كانوا شديدي الفضول والتودد نحو عازف الأرغن الذي تتصدر جهازه لوحة عليها العبارة التالية : « تركي عاطل عن العمل ، مقيم في ألمانية منذ ١١ عاما ، يريد البقاء هنا » . كان الأطفال يتجمعون حولي حتى ينهرهم آباؤهم عن ذلك » .

مع القسس .. والأموات

يجرب (علي) حظه في الكنيسة الكاثوليكية ، فقد سمع بأن السيد المسيح كان قد طرد من دياره أيضا ، وعاش مع المنبوذين والغرباء ، وتحمل من ذلك الويلات والألم ، لذلك لم يقصد (علي) الكنيسة كمتسول ، كل ما يريده هو التعميد ، اي اعتناق المسيحية ، لايمانه بذلك أولا ، ولأنه يريد الزواج من صديقته الألمانية الكاثوليكية المذهب ثانيا ، ولتجنب طرده من ألمانيا ثالثا ، جميع القسس الذين طرق (علي) بابهم ، طردوه لحجج مختلفة : « اذهب الى مكتب الخدمات الاجتماعية » . « الكنيسة ليست ملجأ للغرباء » . « عليك أولا اعتناق المسيحية بالقلب ، وذلك يستغرق سنوات عديدة » .

واخيرا وبعد أن غمره اليأس من قسس المدن الكبرى ذوي الكروش المترهلة والغنى الفاحش ، متذكراً النص الانجيلي القائل : « ان دخول جمل من ثقب ابرة هو أسهل من دخول غني الى الجنة » ، ووجد بأن ذلك ينطبق حرفيا على هؤلاء القسس ، تحامل (علي) على نفسه وقصد احدى القرى النائية .

فتح شاب بثياب مدنية وقميص مفتوح الكنيسة ، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها (علي) قساً كاثوليكياً بزي غير رسمي ، بدأ يسرد قصته ، وقبل أن يأتي الى نهايتها قاطعة القس قائلا :

ـ انا أفهمك جيدا ، والآن تريد اعتناق المسيحية .

ـ نعم .

ـ بالتأكيد يسعك ذلك ، في الأيام القادمة نقوم بالخطوات اللازمة ، وتتسلم وثيقة الاعتناق ، تستطيع كذلك الرجوع الي في أية قضية أخرى .

تفهم القس الموقف ، وتصرف كرجل دين مؤمن بلا تزييف وادعاء كاذب بالتمسك بتقاليد الدين ، اكتشف (علي) لاحقا بأن هذا القس كان قد نزح من بولندا قبل سنوات ، ومن يدري ، لعله يتحسس لذلك شعور الغرباء ، أو لأنه لم يعش في كنف كنيسة متسلطة ومكتنزة .

وبعد أن أصاب اليأس (علياً) من الأحياء وجفائهم ، بعد الرفض والنبذ الذي جوبه به من الكنيسة ـ قرر أن يجرب حظه هذه المرة مع الأموات مباشرة . دخل (علي) الى احدى مؤسسات الدفن ، مدفوعا على مقعد للعجزة من قبل أحد أصدقائه الأتراك ، استقبلت صاحبة المدفن (علياً) بترحاب ودعته للدخول . شرح (علي) قصته : فنتيجة عمله في مصنع لتصنيع الاسبست ، أصيب بمرض السرطان ، فاتحه الطبيب بأنه سيموت بعد شهرين ، لذا فهو قادم لترتيب أمور الجنازة ونقلها الى تركيا ، تدخل صاحبة المدفن مباشرة الى صلب الموضوع ، دون أن تكلف نفسها حتى عناء السؤال عن مشاعره أو فيما اذا لم تعد هناك بارقة أمل لعلاجه :

ـ النقل الجوي يعتمد على وزنك وجهة الرحلة ، يعتمد السعر كذلك على الضمان الصحي الذي

لديك ، وفيما اذا كنت مسجلاً هناك كعامل أو متقاعد .

وبعد أن بينت له قائمة الاسعار كان على (علي) اختيار التابوت حيث كانت صاحبة المدفن تعرض عليه بحماس التوابيت المختلفة : « هذا مبطن بحرير ، وهذا مصنوع من خشب بلوط ألماني أصيل . . . الخ » ، محاولة بذلك اقناعه بشراء احد الاصناف الراقية ، وأخيرا تم الاختيار ، ويسأل (علي) عن امكانية تخفيض السعر الذي تجاوز العشرين الف مارك جملة وتفصيلا .

البائعة ـ: « نستطيع خصم ٥٪ من السعر اذا تم الدفع نقدا وفورا .

وهنا بادرها علي بسؤال غير متوقع :

ـ وماذا اذا لم امت ، هل أحصل على المبلغ ثانية .

البائعة : لا ، ليست هناك حقوق ارجاع . ثم ترفع بصرها اليه وكأنها تريد مواساته :

ـ ظننت أن الطبيب واثق بأنك بعد شهرين . . .

وهنا لم تستطع اكمال الجملة ، شعرت فجأة بالاحراج وأخذت تتلعثم .

الختم على الرأس

يحاول (علي) العمل في مصنع لليوريد قرب هامبورغ ، أصدقاء اتراك كانوا قد حدثوه عن ظروف العمل الشاقة والخطرة على الصحة بشكل لا يصدق في هذا المصنع الذي يستخدم غالبا عمالاً أتراكا ، المشكلة : ان المصنع توقف عن تعيين عمال جدد ، وبدلا من ذلك يستأجر عمالاً من شركة أخرى ، حيث تحصل الاخيرة على ٣٥ ـ ٨٠ ماركاً مقابل كل ساعة عمل للشخص الواحد ، العامل نفسه يتسلم مبلغاً بخساً يتراوح بين ٣ ـ ١٥ ماركا ، وتتسرب البقية الى جيوب أصحاب الشركة ، يقصد (علي) الشركة الثانية المتخصصة في ازالة الفضلات الصناعية على اختلاف أنواعها : شحوم وزيوت وغازات سامة وغبار دقيق وخشن ، تؤجر هذه الشركة عدا ذلك ٦٠٠ عاملة تنظيف الى مختلف المصانع الكبرى في المانيا .

أثناء النقل الى موقع العمل احتشد ١١ عاملاً اجنبياً على أرض « باص » الشركة الملطخ بالزيت ، أما المقعدان الوحيدان في الباص فقد كانا مشغولين من قبل عاملين المانيين ، عند بوابة موقع العمل وزعت بطاقات تثبيت الوقت . لم يحسن (علي) دفع البطاقة في الاتجاه الصحيح فعلق أحد البوابين قائلا :

« عندكم في افريقيا يختمون على رؤ وسكم » . تدخل عندها أحد الزملاء الاتراك لمساعدة (علي) في ختم البطاقة . ولاحظ (علي) بأن تعليق البواب مس الأجانب جميعا ، ولكنهم كانوا مضطرين الى تغافل الاهانات كما هو عليه في الكثير من الحالات اللاحقة ، ولخوفهم أيضا من فقدان العمل عند حصول مشاجرة ، فالاجنبي هو الذي يفقد عمله عادة في هذه الأحوال .

بدأ العمل : « تحت درجة عشرة تحت الصفر كان علينا ازالة أكوام من الطين والصخور ، يجعلك البرد القارس تعمل بسرعة قاتلة ، بعد بضع ساعات أمرنا بالتوجه الى موقع عمل جديد ، وبعد هبوط العديد من السلالم تحت الأرض تشعر فجأة وكأنك ستختنق من كثرة الغبار ، لنكتشف بعد قليل بأن ذلك لم يكن سوى البداية ، علينا ازالة طبقات التراب المتراكمة على المكائن التي يبلغ ارتفاعها سمك أصابع اليد ، لن تستنشق الغبار فحسب ، بل تبتلعه ابتلاعا ، والألم يعتريك مع كل سحبة هواء ، تحاول إمساك الهواء ولكنك لن تستطع بسبب الحركة المستمرة . يحثنا مراقب العمل الواقف في الخلف : « أسرعوا عندها تنجزون العمل بعد ساعتين أو ثلاث وتعودون الى الهواء الطلق » . ان ذلك يعني ضخ رئتيك بغبار فحم الكوك طوال ثلاث ساعات ، لانحصل على أقنعة لأن العمل معها يتم أبطأ ومراقب العمل يدعي بأنه ليست هناك نقود لذلك .

هلموت ، العامل الألماني الذي لم يتجاوز الثلاثين ، ولكنه يبدو وقد قارب الخمسين ، يتذكر

وهو يحدثنا :

« مات قبل عام ستة زملاء ، أثناء تدفق الغاز فجأة من الأنابيب . فمن رعب الموت تسلقوا الى الأعلى بدل هبوطهم السلالم ، والغاز تسلل معهم الى الأعلى أيضا ، نجا أحد الزملاء من الموت فقط ، لأنه كان ثملا في الليلة السابقة ، ولم يستيقظ للذهاب الى العمل » .

معهد التجارب البشرية

« أوقفوا التجارب على الحيوانات ، استخدموا الأتراك »

جملة مكتوبة في مرافق أحد المعامل .

فقد الزميل التركي عثمان منزله لأن آدلر صاحب الشركة ظل يماطل في دفع أجره ، أخذ عثمان ينام عند المعارف والأصدقاء ، حيث يقضي هنا ليلة وهناك ليلتين ، وينام أحيانا على مقاعد الحدائق في العراء ، وهو مهدد بالطرد من ألمانيا لعدم حيازته على ورقة سكن ، ولتقديمه طلبا للحصول على الخدمة الاجتماعية ، وهو لا يريد العودة الى تركيا . انه يحس بألفة أكثر في غربة ألمانيا الباردة ، مما عليه في ديار الآباء ، حيث قضى السنوات الأولى من عمره فقط ، كان يعاني من سعال خبيث بسبب عمله في معمل الكوك ، قال عثمان ذات مرة أثناء خروجنا الى الهواء الطلق في استراحة قصيرة بعد عملنا معا في احد العنابر المليئة بالغبار واستنشاقنا القذارة بالأرطال :

« أفكر أحيانا بانهاء ذلك كله بقفزة واحدة الى وسط لهيب الفرن العالي ، فحيح واحد ، ثم لا تشعر بعدها بشيء » . حدثني عثمان مرة عن خال له في مدينة أولم يستطيع السكن عنده والحصول على عمل كذلك ، ثم استطرد بشيء من الغموض : « عمل ليس أفضل من هنا ، ولكن المرء على الأقل يحصل على نقوده هناك ، هنا عليك ابتلاع الغبار وتحمل العمل الشاق ، هناك عليك فقط الابتلاع واعطاء دمك » . سألته اذا كان من الممكن أن أحل محله في هذا العمل ووعدته مقابل ذلك باعطائه نصف المبلغ الذي سأحصل عليه هناك .

استجاب عثمان لطلبي ولاءمتني الفكرة كذلك بسبب اكتافي الممزقة والذبحة الصدرية التي أعاني منها نتيجة لعملي في مصنع الكوك .

كان هناك بعض المنتظرين في بهو معهد الفحوص البشرية ، أغلبهم من الأجانب والشباب العاطلين عن العمل . قدمت الورقة التي حصلت عليها من عثمان الى الموظف ، وتساءلت فيما اذا كان بوسعي أن أحصل على تجربة أقل خطورة ، اذ سبق لعثمان أن حذرني من مغبة التجربة التي سأتعرض لها ، قال الموظف وهو يحاول اتخاذ هيئة تدعو الى الطمأنينة : « لا داعي للخوف ، الجميع خرجوا أحياء من هنا حتى اليوم » .

في بادىء الأمر ، تأتي الفحوصات الأولية ، الطبيب الذي يقوم بذلك يطري الاتراك أثناء فحصه لي : « انهم يتحملون الكثير ، ولا يتذمرون من كل صغيرة ، بعد ذلك كان عليّ توقيع عقد التعهد ، يخص الفحص اربعة مستحضرات طبية لعنصرين مختلفين ، وهذه التحضيرات الممزوجة لها غالبا مفعول على جسم المريض .

تستغرق التجارب ١١ اسبوعاً بما في ذلك أربع اقامات اجبارية لمدة ٢٤ ساعة كل مرة . العوارض الجانبية واردة في ورقة الشروحات كالآتي : خمول ، تقلب المزاج وعصبية ، تغير التركيب الدموي ، تغير قرص الوجه ، حساسية وتغير في البشرة . عدا ذلك يعاني قرابة ٢٠٪ من المختبرين بتقيح في لثة الأسنان .

في صباح اليوم التالي كان علينا الاصطفاف عند باب المختبر ، تناولت قرصين ، أحسست فجأة بانقباض في حدقتي عيني . حاولت تحويل بصري الى الممر ، ولكن أشعة الشمس بهرتني ، وشعرت بألم شديد في العين ، في الساعات التالية كنت أجر نفسي الى المختبر كالهائم في سبات ، حيث كانوا يسحبون الدم كل ساعة ، كان الشحوب والاضطراب يغلب

على الجميع بعضهم كانوا يفقدون الوعي فينقلون من الأسرة الى المختبر .

كانت احدى النساء تعاني من تهيج داخلي ، من نوبات غيبوبة واضطراب في الدورة الدموية ، وتصلب وبرودة في الذراع . في اليوم التالي لازمتني جميع العوارض بشدة : شرود وآلام في الرأس ، ضعف الادرك ، ونوبات غيبوبة ، ونزيف شديد في لثة الأسنان ، وفي هذا اليوم سحب دمي سبع مرات ، أحوال الآخرين لم تكن افضل ، وكان الجميع يعاني من صراع شديد ، واتضح لي بأن السكوت الذي كان سائدا يعود الى خوف المختبرين من عدم استخدامهم في تجارب قادمة في حالة تذمرهم .

قررت بعد أربع وعشرين ساعة ايقاف التجارب . كان علي حسب العقد ان اخضع لثلاث اقامات جبرية اخرى . وتزداد العوارض حدة بشكل مطرد حسب اقوال الآخرين ، وعلى المرء ، علاوة على ذلك ، الحضور في الساعة السابعة من صباح كل يوم لسحب الدم كما أن عليه جمع بوله في اكياس نايلون وتسليمه طوال فترة التجربة ومن يقطع التجربة قبل اتمامها لا يتسلم اي قرش .

كان هذا المعهد هو واحدا من المعاهد الخاصة بالتجارب البشرية ويبلغ عدد زبائنه ٢٨٠٠ . ولا تقام التجارب لأسباب طبية كما هو الادعاء ، بل ان هدفها الاوحد هو البحث عن استراتيجية بيع افضل لهذه الأدوية . ولا توجد اية جهات ترعى شؤون الأشخاص المعرضين لهذه التجارب وتخدم نتائج الفحوص الشركات وليس المرضى .

عند مراجعتي لطبيب الأسنان بعد ايام من ذلك لأصابتي بورم في اللثة ، فحصني الطبيب متسائلا : « هل تناولت حبوباً ضد مرض الصرع » .

بقيت مهمة واحدة اراد (علي) الأخذ بها على عاتقه ، العمل في اقدم مفاعل للذرة في المانيا الاتحادية ، والذي بدأ العمل فيه عام ١٩٧١ ، وهو بحاجة شديدة الى التصليح . ولغرض القيام بالفحص السنوي للمفاعلات الذرية يفضل غالبا استخدام العمال الأجانب . لا توجد في المانيا معلومات دقيقة حول نتائج التلوث الذري للعاملين في هذا القطاع ، كما ان فرق العمل الاجنبية التي توظف في مجالات التصليح او التنظيف لا تدرج في الاحصاءات . وغالبا ما يكون الأجنبي قد غادر الى مدينة اخرى او الى وطنه عند اصابته بسرطان في المجاري البولية او الغدة الدرقية ، وذلك بعد سنوات طويلة من عمله في احد المفاعلات الذرية .

لذلك تفضل ادارات المفاعلات استخدام الاجانب لفترة قصيرة ، وذلك لانجاز المهمات الخطيرة ، اذ تستأجرهم عن طريق الشركات التي تتداول بالأيدي العاملة .

موتى بلا شهود

يتم تلوث هؤلاء العمال غالبا ، خلال ايام معدودة ، بل ساعات او دقائق ، بالحد الأقصى من الجرعة الذرية المسموحة للعاملين في هذا المجال خلال سنة كاملة ثم يستبدلون ببساطة بعمال آخرين .

لا يدرك العمال الأجانب غالبا المخاطر التي تحدق بهم عند عملهم في المفاعلات الذرية واسباب انتهاء العمل المفاجىء ، او بعد فترة قصيرة من ابتدائه احيانا . ومن المؤكد اليوم بأن اي تلوث اشعاعي مهما قل حجمه يؤدي اما الى الاصابة بالسرطان او الى مرض وراثي يصيب الأجيال القادمة ، وأخبث ما في عوارض المرض تبدأ بعد فترة طويلة قد تبلغ العشرين او الثلاثين عاما . ومن يا ترى يثبت عندها بأن العامل التركي الذي يذهب ضحية السرطان ، كان قد سبق له العمل في المجال الخطر لأحد المفاعلات الذرية التي تستخدم مئات الالوف من العمال سنويا ، في المانيا نصفهم على الأقل من الأجانب الذي يغادرون الى بلدانهم قبل ظهور نتائج التلوث عليهم ويموتون على دفعات ، بلا شهود او ادلة . □

من المكتبة العربية



الرهينة بين الأسر والحرية

تأليف : زيد مطيع دماج
عرض وتحليل : الدكتور أمين العيوطي

مع « رهينة » زيد مطيع دمّاج أنت لست مع رهينة اختطفتها عصابة من اجل فدية ، ولا أنت مع رهينة في حادث اختطاف طائرة في عالمنا المعاصر ، الذي لم يعد يعرف الأمان وسط كل أشكال الارهاب ، انت مع رهينة من نوع فريد لم يخطر لك على بال ، رهينة ترسف في أغلال القرون الوسطى في ليل الامامة البائد في اليمن ، والفجر يوشك أن يلوح ، والرهينة تدق باب الحرية ركلا بقدمين يدميهما قيد ثقيل ، ودقا بقبضتي يدين مغلولتين من أجل الوثوب بقفزة واحدة الى اعتاب القرن العشرين . .

يسعد المرء حين يضع يده على عمل فني من قطر عربي عزيز ، يتحدى كل محاولات التمزيق والعزل وعدم التواصل ، ويسعد المرء أكثر حين يجد في هذا العمل صدى لآلامه وأحلامه وآماله ، ورواية « الرهينة » التي بين أيدينا الآن تأتينا من اليمن السعيد .

والرهينة هنا ليست سوى صبي هربت به أمه وسط مزارع الذرة والقصب في قرية جبلية ، خوفا عليه من حرس الامام الخاص ، وفرسان ولي العهد سيف الاسلام ، قبل أن يحدقوا بهما وينتزعوه من أحضانها الملتاعة ، وهو ليس الا رهينة من رهائن عديدة ، يساق الى سجن القلعة ، قبل أن يرسل الى قصر من

قصور الامام أو أحد الأمراء أو أحد نواب الامام ، وهو ما يزال بعد صبيا لم يبلغ الحلم ، ليقوم بعمل « الطواشي » في قصره ، يدلك لـه ساقيه أو يجهز المقيل له ولزمرته ، أو ليقوم بخدمة حريم القصر من زوجات وأخوات وبنات وخادمات ، بما في ذلك الممارسة لكل أشكال الجنس الشاذة ، تحت مسمى « دويدار » إما ضمانا لولاء أبيه ، أو كسرا لشوكته ان كان أحد المناضلين ضد نظام الامام .

في غياهب السجون

الى الفئة الأخيرة لا ينتمي فقط والد الصبي الذي « يلهب الدنيا بلسانه الطويل على الامام في الجرائد في عدن » ، بل الاعمام وأفراد الأسرة الآخرون من مشايخ ورؤساء ألقي بهم في غياهب السجون ، بحيث لم يعد في ديار القبيلة الا النساء والرضع ، وأمهات يذرفن الدمع على الصبية الرهائن ، الرواية بلا شك تجربة فريدة في نوعها ، غريبة كل الغرابة على القارىء العربي ، ومن ثم فإن جدتها التي تفتح للخيال والعقل آفاقا جديدة ، لم نحلم بها في تجربتنا العربية ، مع كل أشكال القمع والكبت والقهر التي تناولتها الأقلام العربية في كل الأقطار .

وليس بأقل غرابة من هذه التجربة غرابة البيئة الاجتماعية التاريخية التي يجري فيها الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ، فقصر نائب الامام ليس الا صورة أخرى من قصور الامام والأمراء ، هو قلعة أخرى يحيط سورها العالي بملحقاتها من قصور الآباء والأجداد وقصور الحريم بعنابر الجند النظاميين على يمين البوابة الرئيسة ، وعنابر « الجند البراني » وجنود الاحتياط خارج البوابة على يسارها ، تطل على ميدان فسيح ، يغدو فيه الجند ويروحون حفاة الأقدام بينادقهم « المورز والصابة والبشلى الطويلة » الموشاة بالحلى الفضية والعملات المعدنية الأجنبية ، وحافظة رصاص البنادق تلتف من الكتف الى الخصر ، وتدور حول الصدر والظهر .

واذا كان السور العالي يعزل القصر عن المدينة ، فهناك سور آخر وهمي يعزل اليمن بأسرها عن العالم الخارجي ، فالصلة الوحيدة التي تربط اليمن بالعالم الواسع والقرن العشرين مذياع نائب الامام ، الذي يلتف حوله حشد كبير داخل أسوار القصر وخارجها ، أو حالك قديم باسطواناته الفحمية ، أو تلك السيارة القادمة من عالم مجهول ، يجلبها ابن النائب معه من الخارج ، فتخرج المدينة بشيبها وشبابها ورجالها ونسائها وأطفالها للفرجة عليها ، قبل أن يستولي عليها ولي العهد ، وهذه العزلة لا تفرض فقط انقطاع الصلة بين اليمن والقرن العشرين ، لكنها تفرض كافة أشكال التخلف والفقر والقهر ، فقد تبدو المدينة لعيني الطفل من فوق أسوار القلعة بمآذنها وقبابها ومنازلها وهضابها وسهولها وجبالها الممتدة على مدى البصر جميلة تخلب اللب ، لكنه حين يخبرها عن قرب يجدها « بؤرة للبؤساء » والمرضى والمجانين ، وأصحاب العاهات والمعوقين والحكام الظالمين ، مدينة البؤس والتعاسة » .

المكان اذن ليس مجرد بيئة منظرية ، هي بيئة اجتماعية سياسية تاريخية ، الجانب التاريخي فيها لا تحدده فقط الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث الرواية ، بل يحدده أيضا حديث العسكر الدائم عن معارك ضد الاتراك والوهابيين والبريطانيين ، أو حديث ضارب النفير عن حرب الانسحاب التي جرت في أطراف تهامة بين الوهابيين والسعايدة ، وبين اليمنيين والزيود والمتوكلين وانسحابهم الى عدن ، بل ان صور هتلر وموسيليني وعمر المختار التي يزين بها الدويدار الآخر رفيق الصبي الرهينة جدران غرفته تحدد الزمن الذي تجري فيه الأحداث .

واذا كانت تلك الذكريات والصور مجرد أصداء تاريخية تتردد في جنبات الرواية ، فان الكفاح ضد نظام الامامة يكسب الرواية بعدا تاريخيا حديثا ، فهناك جو التوتر السياسي الذي يضفيه على جو الرواية وجود الأحرار اليمنيين في عدن ، والمؤامرة التي يحيكونها في صنعاء ضد الامام ، وأحاديث المقيل عن قضية الأحرار والدستور ، وولي العهد سيف الاسلام ووالده الامام الهرم ، هذا الاشتغال بالاطار التاريخي السياسي الذى تعرض الرواية في سياقه الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ينطق بلسان فصيح فيما يقوله الراوية من انه :

في سجل تاريخ شعبنا اليماني ـ انه قادر على تنفيذ كل رغبة تجتاح مشاعره ، وهو ينفذها بالفعل ولو بطريقة عشوائية ، ربما يقال انها ليست مثيرة ، ولكني

أوكد أنها مثيرة ، فباستطاعته انهاء الظلم ولو بصبر الجمال وحقدها .

العام والشخصي

هكذا يأتي مقتل الامام في صنعاء وهروب ولي العهد من المدينة ، ثم تجميع صفوف رجاله وانقضاضه على معارضيه ، واستباحة المدينة قتلا وسلبا ونهبا ليضع الحدث الشخصي الخاص بالرهينة في اطار تاريخي عام ، بل ليكسبه دلالات تاريخية وسياسية أعمق ، فالرواية في حقيقة الأمر ، تجدل الخط العام والخط الشخصي في ضفيرة واحدة ، بحيث تصبح هموم الرهينة الشخصية هموما عامة ويرتبط أسرها بمقاومة الأحرار ، بل بالقضية الأساسية التي تتناولها الرواية وهي قضية الحرية .

البيئة اذن ليست مجرد خلفية للزينة ، انها بيئة فعالة تشكل مقومات شخصية الصبي ، وتلعب دورها في توجيه مسار الحدث ، فهي تتحكم في تحديد موقف الصبي الرهينة ومشاعره وعواطفه وأفكاره تجاه ما يحيط به من شخصيات ، وما يدور حوله من أحداث ، وبداية ، فان انتزاعه من بين أحضان أمه وسواعد ذويه هو الذي يحدد موقفه ، إن حنينا أو تمردا أو تعززا أو اشتهاء أو تعاطفا او نفورا أو رغبة في الفرار ، ثم هناك الحزن العميق والاحساس بالدونية الذي يلاحقه ويلاحق صديقه ورفيقه في الأسر ، كلما أنشد الجند لهما ذلك النشيد الجماعي التقليدي الذي يصبح لازمة تتردد من آن لآخر على امتداد الرواية : « يا دويدار .. قد امك .. فاقدة لك .. دمعها كالمطر » وهو نشيد يحرك في الرهينة الحنين الى حضن الأم ، والأمان وسط العشيرة والقبيلة التي ينتمي اليها هذا الحنين الذي يلمع في عيون الرهائن ، وهم جلوس على سطح سور القلعة المطل على المدينة ، يؤرجحون سيقانهم في الهواء ، وينظرون الى الأفق البعيد ، كل يبحث عن قريته وراء الجبال ، أو يحلم ببلدته القابعة في حضن الجبل الأشم المغروسة بين عشرات القرى ومئات الحقول المدرجة وآلاف المزارعين » .

قد يولد هذا في نفس الصبي حلم الفرار ، وهو ما تمكن منه البعض وفشل فيه البعض الأخر ، فعاد الى القرية مكبلا بالقيود الحديدية مدى الحياة ، لكن حلم الحرية لا يغيب عن عينيه أبدا ، وهو في هذا مختلف عن رفيقه الدويدار الأخر الذي يبدو مستسلما لمصيره ، ان لم يكن أيضا مستمتعا بحياة الأسر ، ولعل السر في أن الرواية تقدم دويدارين بدلا من دويدار واحد ، يصبح نمطا يمثل كل الرهائن ، هو أن الكاتب انما يريد في الواقع أن يقدم نموذجين متعارضين وموقفين متناقضين ، يعمق من خلالهما التناقض بينهما ، نلمح التمرد الدائم في الصبي الرهينة فاذا كان « الدويدار الحالي » ، أو الصبي الجميل قد استسلم لتلبية رغبات حريم القصر فان الصبي الرهينة لا يحركه لا شعورة بالتقزز ، وليس التقزز في الحقيقة الا شكلا من أشكال النفور والتمرد والتحدي الذي يضفي على صاحبنا صفة يتميز بها عن الدويدار الأخر .

قيد للجميع

ولعل هذا التناقض بين الاثنين على وجه التحديد هو الذي يتحكم في مسار كل منهما ، فالواقع أن خطيهما يتطوران في اتجاهين معاكسين ، الدويدار « الحالي » يبدأ حياته في قصر النائب ، رشيقا نشيطا ذكيا سريع البديهة حاضر النكتة ، لا يقر له قرار ، يحوم على الدوام في جنبات القصر ، لكن بدنه لا يلبث أن يذبل فيشحب لونه ويتسلل السل الى صدره ، ويشتد في الليل سعاله المبحوح ، وتنبي صفرته عن قرب أجله ، وتتحول عنه النساء اللاتي أوردنه مورد الهلاك ، لكن المصير التعس الذي يلقاه لا يثير فقط أحزان الصبي الرهينة ، بل يثير فيه ادراكا بالمصير الذي ينتظره اذا تبع نفس المسار ، ويصبح هذا الادراك أحد العوامل الحاسمة في تشكيل موقفه النهائي من حياته في القصر ، ومن نسائه ، وعلى الأخص الشريفة حفصة وحتى حين تصدر الأمر بفك قيده ، فانه يقاوم تنفيذ الأمر ، ويشتبك مع الجندي المكلف بتنفيذ الأمر في معركة بالأظافر والأسنان والحصى والركلات واللطمات ، هولن يخضع ، وقد تجد الشريفة حفصة صعوبة في فهم موقفه هذا ، لكن

رفضه ينبع أساسا من موقف ، قد يعذبه الاحساس بالقهر ، وقد يولد فيه الاحساس بالعجز فكرة ان : السجين المقيد مرتاح أكثر ممن هم طلقاء بلا قيود في هذه المدينة ، بل ربما في البلاد كلها ! . . فعذرهم واضح بانهم سجناء مقيدون لا حول لهم ولا قوة .

لكنه في النهاية لن يرضخ للقهر دون تأكيد ارادته وقدرته على المقاومة ، فهو صاحب قضية : قيده هو القيد الذي يكبل الجميع ، وأسرته بعضها مشرد وبعضها في السجون . أو في المهجر ، وهو رهينة ووالده يناضل في عدن ضد الامام وسيوفه ، وهو مشدود بين ما يجري بداخله من غضب عارم لما حل باسرته وبه ، وبين ما يعتمل في أعماقه من رغبة شبقة في المرأة تستبد به ، لكن الغضب والمقاومة هما السبيل الوحيد لتأكيد كرامته كانسان .

ولحظة الادراك الذاتي هذه لا تنفصل أيضا عن لحظة ادراك عامة وسط الصراع المحتدم بين الأحرار الوطنيين وبين نظام الامامة المتخلف ، وهو خط لا يغيب عن وعي الصبي لحظة واحدة . فهو حين يعرب لصديقه عن رغبته في الخروج من القصر الى الميدان والمدينة والشارع والسوق ، فلأنه كما يقول « أريد أن أشم الهواء النقي ، أن اشعر بأنني حر » قضية الحرية لا تغيب عن باله لحظة ، وحين يعرب له صديقه عن رغبته في أن يحمل فراشه الى مكان آخر خارج الغرفة التي تضمهما ، والتي يأنس اليها الصبي رغم فقرها نجده يقول :

ـ هل آخذ أشيائي وأرحل عن رغبة لك ؟

ـ أنت حر .

ـ لم أعد حراً منذ عرفت قلعة الرهائن . . . وقصر مولاك النائب . . . ودار الشريفة حفصة .

ادراكه يصل الى المزاوجة بين الأسر السياسي والأسر الجنسي الذي تريد الشريفة حفصة أن توقعه في حبائله ، والذي كان على الدوام يجاهد ضد الوقوع فيه .

ومرة أخرى تنفصل اللحظة الذاتية عن اللحظة العامة ، لحظة موت صديقه لا تنفصل عن اللحظة التاريخية التي يقتل فيها الامام ، ويهرب فيها ولي العهد ، ثم تحدث المعركة عندئذ :

تـوهجت المدينة والقرى المحيطة بها في الجبال والسهول بأضواء هائلة على أسطح المنازل تدل على وقوع حدث مهم .

وينتصر ولي العهد على الثوريين ، وتبتر رقاب في مدينة حجة ، وتستباح صنعاء ، ويتزامن موت « الدويدار الحالي » وانتصار الامام الجديد . ويصل الحدثان بالصبي الى ادراك جديد بان لا وجود للعاطفة في هذا القصر ، ومن الادراك يتولد قرار بالفرار ، وتحاول الشريفة حفصة ان تحول دون فراره ، وامام اصراره تحاول اغراءه أن يأخذها معه ، انها تحاول في الواقع أن تعرض عليه انقاذها في لحظة تاريخية تدرك فيها انه لم يعد لها ولا للنظام الذي تمثله بقاء ، لكنه يطلق لسياقه العنان ، تاركا وراءه صوتها المبحوح يناديه ، لكنه كان قد قطع « مسافة كافية في طريق جديد مؤد الى المستقبل » .

بهذه النهاية المفتوحة تومىء الرواية الى مستقبل مفتوح ، ربما لم تكن معالمه قد اتضحت بعد ، لكنه مستقبل يوحي بالتفاؤل والأمل ، فقد كانت الرواية تتحرك منذ البداية بين نقطتين ، نقطة انطلاق ونقطة وصول ، بين لحظة الأسر ولحظة الحرية ، وصدقت النبوءة ، وانطلق اليمن . □

في القُبْلَة

قيل : قبلة المؤمن للمؤمن المصافحة ، وقبلة الرجل زوجته الفم ، وقبلة الوالد لولده الرأس ، وقبلة الأم للابن الخد . وقال الامام على بن أبي طالب عليه السلام : قبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الأخ للأخ رقة .

مكتبة العربي

مختارات

من المكتبة العربية

الكتاب : الديون والتنمية .
المؤلف : د . رمزي زكي .
الناشر : دار المستقبل العربي - القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٧٠ صفحة .

في هذه الدراسة المهمة يحاول د . رمزي زكي أن يمسك « بالخيوط المعقدة التي تشابكت في السنوات العشر الأخيرة ، لتنسج مشكلة المديونية الخارجية لبعض الدول العربية » ويضع المؤلف هذه القضية الخطيرة والمعقدة ضمن اطارها الموضوعي ، من ظروف اقليمية وعالمية ، زادت من تفاقم هذه القضية ، والآثار التي حدثت بفعلها في البلدان المعنية .

ولا يكتفي د . رمزي بتقديم صورة واضحة لهذه المشكلة المعقدة للقراء المختصين والمثقفين المهتمين فحسب ، بل يتقدم خطوة أخرى ، ويقدم رؤية عربية لطرق مواجهة هذه المشكلة .

الكتاب : يتشكل الغيم في رحم المدينة - شعر .
المؤلف : هادي دانيال .
الناشر : الشركة التونسية لفنون الرسم - تونس .
عدد الصفحات : ١٠٠ صفحة .

الكتاب الشعري السادس للشاعر السوري هادي دانيال الذي يعكس في كتاباته الشعرية هما قوميا واضحا ، وتعلو فيه نبرة التحريض ضد الواقع الذي تعربد فيه أصوات الشر والقهر ، وتبرز من خلاله صور الاحتلال الصهيوني .

وضمن هذا المناخ المحدد القسمات والملامح يجد الشاعر مفرداته التي تتميز بالمباشرة والوضوح ، والتي لا تخلو من قسوة ، وتكاد لا توحي بأكثر من حروفها المحددة بصرامة ، وعلى مستوى القصيدة ضم الديوان قصائد تتراوح بين القصيدة التقليدية وقصيدة الشعر الحر والقصيدة النثرية ، يجمعها كلها ذلك النفس التحريضي الذي أشرنا اليه .

الكتاب : القراءة والتجربة - حول التجريب - في الخطاب الروائي الجديد في المغرب .
المؤلف : سعيد يقطين .
الناشر : دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب .
عدد الصفحات : ٣٢٠ صفحة .

يبحث هذا الكتاب وهو الرابع في سلسلة الدراسات النقدية قضايا نظرية وتطبيقية في الأدب المغربي المعاصر وخصوصاً في الرواية .

وينطلق من أربعة نماذج روائية ، شهدتها مرحلة الثمانينيات ، وهي المرحلة التي يطلق عليها المؤلف اسم « التجريبية » .

ومهّد الكاتب لهذه الدراسة التطبيقية بمقدمة حول قراءة التجربة وتجربة القراءة ، وختمها بفصل تأليفي يحمل عنوان « اشكالية الخطاب الروائي الجديد بالمغرب » ، أما مفهوم التجريب في هذه الدراسة

فينهض على تكسير البناء الهرمي التقليدي للعمل الأدبي ، فهو بذلك نهج ملائم لمرحلة تاريخية تأتي على سابقتها وتطمح الى انتاج آخر ، ليس له غاية قابلة للتحديد موضوعا ، ومن هذا المنظور تنطلق الدراسة في تحليل التجربة الروائية في مرحلة الثمانينيات ، دون أن تفصلها عن كتابات المديني والتازي وربيع في مرحلة السبعينيات ، وعن محاولات التجريب في الرواية العربية بشكل عام . ويعد هذا الكتاب محاولة تأسيسية في مجال النقد الجديد ، استفاد فيها الكاتب من انجازات المناهج الغربية الحديثة .

الكتاب : درس الابيستيمولوجيا .
المؤلف : عبدالسلام بن عبدالعاطي وسالم يفوت .
الناشر : دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء .
عدد الصفحات : ٢١٠ صفحات .

يحاول مؤلفا الكتاب الوقوف عند بعض المنعطفات الكبرى التي عرفتها بعض المعارف العلمية ، لا من أجل مسحها والتاريخ لها ، وانما بهدف رصد مظاهر التجديد والطرافة فيها ، باعتبار أنها كانت مناسبات لاعادة النظر ، فيما كان ينظر اليه على أنه أولي وضروري .

ويعود المؤلفان الى المنطق الجديد الذي أسسه ديكارت على أنقاض المدارس الفلسفية التقليدية ، وموضوع هذا المنطق الجديد هو علم العلوم ، اي العلم الذي يتخذ موضوعا له العلوم ، ليسجل الطرق التي يتبعها العلماء في ميادينهم المختلفة ، فينتقد تلك الطرق ، ولا تعنى عملية الانتقاد أن هذا المنطق تسجيل تاريخي للمناهج التي اتخذتها العلوم في دراساتها ، فالمنطق علم معياري لا يكتفى بتقرير الواقع أو تسجيله ، وانما يتوق الى ما يتجاوزه .

ويوضحان من خلال الكتاب أن الابيستيمولوجيا ليست نظرية المعرفة التقليدية ، فنظرية المعرفة كما يدل على ذلك اسمها ، تهتم بجميع أنواع المعارف دون تخصيص ، في حين أن الابيستيمولوجيا تتعرض لنوع خاص من المعارف هو المعرفة العلمية .

الكتاب : الخليج العربي والحضارة المعاصرة .
المؤلف : عبدالرزاق البصير .
الناشر : مطبعة حكومة الكويت .
عدد الصفحات : ١٣١ صفحة .

في هذا الكتاب ـ وهو الرابع ـ للمؤلف يجمع عبدالرزاق البصير عددا من المقالات التي كان نشرها على فترات متباعدة في صحف ومجلات عربية

ويجمع بين هذه المقالات المتنوعة قضية مهمة هي قضية عروبة الخليج ، ويلج المؤلف الى هذه القضية من الجانب السياسي والاجتماعي والتاريخي والأدبي ، وعلى مدى هذه الحقول يسير الأستاذ البصير ، فيبحث في اسم الخليج العربي وتاريخه وكُتابه وشعرائه وعلاقاته الثقافية والأدبية ، ويضيء بعض جوانب هذا التاريخ ، وخصوصاً الجانب الأدبي ، ويدخل في نقاش مع كتاب آخرين أثاروا قضية ما حول المنطقة ، ليصل في النهاية الى هدفه المقصود في رسم صورة متكاملة للطابع العربي لمنطقة الخليج .

الكتاب : رحلة جبلية ـ رحلة صعبة ـ سيرة ذاتية .
المؤلفة : فدوى طوقان .
الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمان .
عدد الصفحات : ٢٣٩ صفحة .

في هذه السيرة الذاتية للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، نرى أكثر من هم ، ونخرج بأكثر من سؤال ، ونترك الكتاب ولدينا معرفة بالمناخ الفلسطيني المعقد الذي اكتنف الحياة والمجتمع في فلسطين ما قبل النكبة وقبل النكسة ، وقبل أن يأخذ الصراع العربي الصهيوني شكله الحالي .

وخلال رحلتها الجبلية الصعبة تقتحم فدوى طوقان بجرأة تحسب لها عالم الاعترافات الذاتية التي تعودنا على قراءتها عبر أعمال الرجال من الكتاب . وعبر هذه الاعترافات والذكريات الذاتية نخرج بصورة عن الأجواء الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في التكوين الأدبي للشاعرة الفلسطينية الكبيرة .

مسابقة العربي الثقافية

الـعـدد ٣٣٤
سبتمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اكتوبر ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ ـ ورد في أحد كتب السلف الصالح الفقرة التالية :ـ

« قال بعضهم عن الأرض انها مبسوطة في التسطيح .. وقال بعضهم هي على شكل الترس ، ولولا ذلك لما ثبت عليها بناء ، ولا مشى عليها حيوان .. والذي يعتمد عليه جماهيرهم (بمعنى كثرتهم) أن الأرض مدورة كالكرة .. ومن القدماء من أصحاب فيثاغورس من قال ان الأرض متحركة دائما على الاستدارة ، والذي يُرى من دوران الكواكب انما هو دوران الأرض لا الكواكب .. »

ترى من أي الكتب الثلاثة التالية اقتطفت هذه الفقرة ؟ :

* عجائب الخلق للقزويني .
* المقدمة لابن خلدون .
* كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي .

٢ ـ يقال ان الضفادع السامة هي الأشد فتكا بالانسان .. ويقال ان أشد تلك الضفادع أذى هي التي تعرف باسم ضفادع السهام السامة .. وموطنها أمريكا الجنوبية .. فهي أشد فتكا بالانسان وسائر الحيوان من الوحوش المفترسة والثعابين والعناكب والعقارب والتماسيح ... هذا بالرغم من حجمها الصغير الذي يعادل تقريبا حجم الضفادع العادية ... **صواب أم خطأ** ..... ؟

٣ ـ قوة الجاذبية ليست وقفا على الكرة الأرضية .. فهي موجودة في الكون كله .. وفي كل جرم من أجرامه .. فان كان سقوط الأجسام على سطح الأرض دليلا على الجاذبية الأرضية .. **فما هو الدليل على وجود الجاذبية الكونية** . ؟

* بقاء أجرام الفضاء في مواضعها .
* المذنبات التي تزور المجموعة الشمسية بين حين وحين .

كوبون مسابقة العربي
العـدد ٣٣٢

* زخات الشهب التي تنقض على سطح الارض هنا وهناك .

٤ ـ لن ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

هذا بيت لأبي نواس .. قرأه أحد فحول الشعراء ، فسأل لمن هذا البيت ؟ فقيل لأبي نواس .. فقال وددت انه لي بنصف شعري .. فمن هو هذا الشاعر الفحل الذي قال هذه الكلمات .. ؟

٥ ـ شقائق النعمان .. لم سموها بهذا الاسم ونسبوها الى النعمان ؟

٦ ـ الجنرال سمطس .. واسمه بالكامل جان كريستيان سمطس شغل منصب رئاسة الوزراء في جنوب افريقيا .. وخاض حرب البوير قبل ذلك ..

ترى هل كان سمطس من الانجليز أم من قبائل البوير ؟ .

٧ ـ مجلس العموم البريطاني ، من أقدم البرلمانات في العالم ، وهو بلا ريب الأساس الذي قام عليه الحكم الديمقراطي في بريطانيا .. ترى من الذي دعا هذا المجلس للانعقاد في دورته الأولى .. سنة ١٢٦٥ . ؟

* رجل فرنسي قدم الى بريطانيا سنة (١٢٣٠) واسمه سيمون دي مونتفو

* اوليفر كromويل الزعيم البريطاني المعروف الذي ثار على الملكية وانتصر عليها .

* ريتشارد قلب الأسد الذي اشتهر بخوضه الحروب الصليبية .

٨ ـ الدلتا هي المنطقة التي تتكون عند مصب الأنهار ، حيث تتفرع هذه الأنهار الى فرعين أو أكثر .. وتشق طريقها الى البحر عبر رواسب تلك الأنهار .. ترى لم سموها الدلتا ؟

* اللفظ فرعوني ويعني الطمي .

* اللفظ لاتيني ويعني الخصوبة .

* اللفظ يوناني .. بل انه أحد حروف الهجاء اليونانية ، ويكتب على شكل مثلث ، ولما كانت الدلتا التي تتكون عند مصبات الأنهار مثلثة الشكل .. كحرف الدلتا .. أطلقوا عليها اسم الدلتا ....

٩ ـ املأ الفراغ في الامثال التالية :ـ

أفصح من ....
أبصر من ....
أبلغ من ....

١٠ ـ هناك نوعان من الفيلة .. الفيلة الأسيوية والفيلة الافريقية .. فأى النوعين أكبر آذانا وأيها أكبر أنيابا . ؟

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا والأكبر أنيابا .

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا

* الفيل الأسيوي هو الأكبر أنيابا .

١١ ـ زرع فلاح ١٠٠ شجيرة فريز في حديقته ، وفي خط مستقيم ، وجعل بين كل شجيرة وأخرى مسافة ياردة واحدة ... وأثبت الفلاح غباءه حين اراد قطف محصوله ، فوضع السلة على بعد ياردة واحدة من الخط الذي زرع فيه شجيراته .. فما هي المسافة التي قطعها حتى استكمل قطف كل محصوله ووضعه في السلة . ؟ علما بأن الشجيرة الواحدة لم تحمل سوى ثمرة فريز واحدة .. ؟

١٢ ـ المُلْسون
المُلْسَن
المُلْسِن
المِلْسَن

أي هذه الألفاظ يدل على الكذاب ، حلو اللسان بعيد الفعال ؟

حل مسـ

١ ـ ينبغي للكلب أن يقفز (٦٧٥) قفزة ليتمكن من اللحاق بالثعلب وتجاوزه .

٢ ـ تمثل الصورة احدى اللوحات الرائعة التي عثروا عليها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا . . وعلى روعة الفن التي تتجلى في هذه اللوحات فانها من مخلفات العصور الحجرية . . أي أنها رسمت قبل حوالي ٢٠,٠٠٠ سنة .

٣ ـ في نيوزيلندة . . وتعتبر هذه البحيرة وأمثالها من أعجب ظواهر الطبيعة . . اذ تتدفق منها نوافير الماء وأعمدة البخار ، كل على حدة ، وعلى نحو من التراوح والانتظام يبعث على العجب حقا .

٤ ـ نعم وذلك بفعل التحات الذي يحدثه ماء الشلال في الصخور التي تحته . . فشلالات نياجرا التي تقع على حدود كندا مع الولايات المتحدة ، تتزحزح وتتحرك في اتجاه نبع النهر بمعدل متر واحد في السنة .

٥ ـ كتاب الجاسوس على القاموس ، ألفه أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) ونقد فيه القاموس المحيط للفيروزبادي .

٦ ـ سيدارتا جواتاما هو (بوذا) مؤسس المذهب البوذي (٥٦٣ ـ ٤٨٣ ق م) ولفظ بوذا صفة وتعني « المستنير » وقصة جواتاما الأمير الذي هجر أهله والرفاهية وهو في التاسعة والعشرين قصة معروفة .

٧ ـ جزيرة بومباي تقع في بحر العرب ، وبمحاذاة شاطيء الهند الشمالي . . وتبلغ هذه الجزيرة ١١ ميلا بالطول و١٣ ميلا بالعرض . . وقد أنشئت مدينة بومباي على الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة .
وتجدر الاشارة الى أن بومباي تعتبر حاليا من أكبر مدن العالم وأكثرها سكانا ، وتؤوي جامعة « بومباي » الشهيرة . . فهذه الجامعة التي انشئت سنة ١٨٥٧ تضم ٤٢ كلية .

٨ ـ المخترع الأول هو صانع النظارات الهولندي . . وقد عرف جاليليو عن اختراعه فعمد الى صنع نظيره . . والى تطويره .

٩ ـ سار الرجل ميلا ، وقطع ٧ أميال راكبا .

١٠ ـ البحر الميت هو الأكثر انخفاضا عن سطح البحر . . أما بحيرة بايكال فليست منخفضة عن سطح البحر على الاطلاق . . بل انها تقع في منطقة جبلية يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ١٥٠٠قدم . . الا أن بحيرة بايكال أعمق بحيرات العالم بلا نزاع . . . اذ يبلغ عمقها في أقصاه ٥٣٠٠ قدم .

١١ ـ نرى السماء زرقاء . . بسبب ضوء الشمس . . والأشعة الزرقاء منه بالتحديد . . فهذه الأشعة الزرقاء ـ دون غيرها ـ تتعرض للبعثرة ، وهي آتية الينا عبر الغلاف الجوي . . الهواء يبعثرها بحيث تسقط على أعيننا من كل جانب . . وهذا هو ما يجعل السماء تبدو لنا زرقاء .

١٢ ـ الزاووة أو الزاؤوة هو الزئبق . . .

الفائزون فى مسابقة العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦

الجائزة الأولى : عبدالغني محمد عوض ـ مصر/ قنا/ قوص
الجائزة الثانية : سلمان محمد السادة ـ السعودية/ نادى الخويلدية/ القطيف ـ المنطقة الشرقية .
الجائزة الثالثة : مجد محمد مراد ـ الكويت/ مدرسة النهضة/ ص . ب (١٩٠٢٨)

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ مندومي الحسن بن محمد ـ المغرب/ المحجوب/ رسموكه/ اقليم تزنيت/ المغرب الأقصى .
٢ ـ زكريا كمال الدين محمد ـ مصر/ وجه قبلي/ فرشوط/ الكرنك/ عزبة البوصة
٣ ـ البو حمادى محمد ـ المغرب/ استوديو النجاح رقم ٢١/ زنقة الشامرية/ الحي الحجرى العيون .
٤ ـ كمال أبو بزيد شبارة ـ مصر/ كفر الزيات/ مدرسة الشوربجي .
٥ ـ فاطمة أصغر على ـ البحرين/ الرفاع الشرقي .
٦ ـ جيهان الياس ابراهيم ـ مصر/ القاهرة .
٧ ـ حاتم محمد السيد حسين ـ مصر/ الزقازيق .
٨ ـ يوسف بلال يوسف ـ الصومال/ مقديشو .

معركة بلا سلاح

□ الطفل العربي والشطرنج

من الأحداث الشطرنجية الرائدة التي تبعث على التفاؤل بمستقبل شطرنجي مشرق في وطننا العربي والتي تدل على الاهتمام والرعاية المتزايدة التي توليها الهيئات والمحافل المعنية على الصعيدين الحكومي والأهلي لدعم هذه اللعبة وارساء قواعدها على أسس وطيدة ، تلك المباراة التي نظمتها الجامعة المغربية للشطرنج لبطولة المغرب المفتوحة للناشئين تحت ١٢ عاماً ، والتي أقيمت في قاعة علال الفاسي في مدينة الرباط في مطلع شهر مايو من العام الحالي .

وتعتبر هذه البادرة الطيبة دليلاً أكيداً على اقتناع الهيئات المسئولة عن الحركة الشطرنجية في هذا القطر العربي الناهض بأن التقدم المنشود في هذه اللعبة الذهنية الراقية التي تبذل كبريات الدول في عالمنا اليوم الجهود الجبارة لتحقيق مكانة رفيعة فيها يجب أن يبدأ بالناشئة العربية فالطفل هو دوماً حجر الأساس في بناء الصرح العلمي والثقافي السليم،ودعم شطرنج الطفل خطوة أساسية هامة على الطريق الصحيح .

والاستعراض السريع لكبار أبطال الشطرنج الحاليين في العالم تكفي للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، فمعظم أبطال العالم اليوم قد عايشوا اللعبة ومارسوها ممارسة جادة منذ سنوات طفولتهم المبكرة وقد تفتحت مواهبهم الفذة نتيجة للرعاية الواعية التي تلقوها منذ نعومة أظفارهم على أيدي الأهل والمسئولين عن الحركة الشطرنجية في بلادهم . فبطل العالم السابق كاربوف وبطل العالم الحالي كاسباروف وبطل بريطانيا نايجل شورت وبطلة هنغاريا زوزا بولجار وبطل العرب سعيد أحمد سعيد كلهم رضعوا الشطرنج مع حليب أمهاتهم وحققوا بطولات دولية مرموقة قبل بلوغ الثامنة أو العاشرة من العمر .

وقد اشترك في المباراة المشار اليها ثلاثون طفلاً منهم ثمانية من الإناث ، وقد فاز بالبطولة المطلقة الطفل ميمون لمرابط الذي لا يتجاوز الثامنة والنصف من العمر (انظر الصورة) ، كما فازت الطفلة إكرام الرّغاي البالغة من العمر عشر سنوات بالمرتبة الأولى على الإناث والمرتبة الثامنة في الترتيب العام . وقد حظيت المباراة بتغطية تامة من جميع وسائل الاعلام المغربية من مسموعة ومكتوبة ومرئية ، وما من شك في أن ما لقيته هذه المباراة الرائدة من نجاح ودعم رسمي وشعبي سيكون له شأن في دفع عجلة هذه اللعبة الراقية وتشجيع الأطفال على تعلمها وممارستها أسوة بالبلاد المتقدمة التي أدخلتها حتى في صلب مناهجها المدرسية في مختلف المراحل التعليمية .

الطفل ميمون لمرابط بطل المغرب تحت ١٢ سنة



الطفلة إكرام الرغاى بطلة المغرب للفتيات تحت ١٢ سنة

والدور التالي الذي اخترناه لكم من الأدوار المميزة في شطرنج الأطفال :

☐	■ أسود
١) هـ ٤	هـ ٥
٢) ح - و٣	ح - جـ ٦
٣) ح - جـ ٣	ف - جـ ٥
٤) ح×هـ ٥ تضحية مؤقتة	ح × هـ ٥
٥) د ٤	ف - د ٦
٦) د×هـ ٥ مسترداً القطعة	ف × هـ ٥

٧) و ٤ الأبيض يهاجم باستمرار بهدف الانتشار السريع والسيطرة على وسط الرقعة

٧)	ف × جـ ٣ +
٨) ب × جـ ٣	ح - و٦
٩) هـ ٥	ح - هـ ٤
١٠) و- د ٣ !	ح - جـ ٥

الأبيض لاحظ التهديد و - حـ ٤ +

١١) و - د ٥	ح - هـ ٦
١٢) و ٥	ح - ز ٥ ؟ ؟

يبدو أن الأسود يلعب دون هدى

١٣) حـ ٤ مُقتنِصاً الحصان	و ٦
١٤) حـ × ز ٥	و × ز ٥

١٥) ر × حـ ٧ ! ! نقلة رائعة لاستاذ صَغير فالأسود لا يستطيع الأخذ خشية و - ز ٨ +

١٥)	ر - و٨
١٦) ر × ز ٧	جـ ٦
١٧) و - د ٦	ر×و ٥ ؟ ؟
١٨) ز - ز ٨ +	ر - و ٨
١٩) ر × و ٨ كش مات	

حل المسألة رقم (٣٣٢)

١) ف - ب ٨	هـ ٢
٢) ف - و ٤ مات	

الفائزون بحل المسابقة ٣٣١

عدد يونيو ٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - طارق ارناؤوط - الزقازيق / جمهورية مصر العربية

٢ - عبدالهادى محمد - بغداد / العراق

٣ - ريم علي - صنعاء / اليمن

٤ - بودياب بوجمعة - تازه / المغرب

٥ - باسم عبد الستار - الكويت .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - ابراهيم سامي - دمياط / جمهورية مصر العربية

٢ - وسام هزيم - صافيتا / سوزيا

٣ - حمزة زواوي - بيروت / لبنان

٤ - أحمد المهدى - الاسكندرية / جمهورية مصر العربية

٥ - محمد صالح - درعا / سوريا



مسابقة العدد

٣٣٤

مات ٣

مهداة من القاريء عاطف عبد الغني

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

دور المثقفين العرب

● السيد الدكتور محمد الرميحي ،

أكتب اليك هذه الرسالة ، وان لبست ثوب التعليق على مقالكم « الخطاب العلمي العربي » افتتاحية شهر مايو سنة ١٩٨٦ ، الا أنها في حقيقتها رسالة تقدير واحترام من قارىء لكاتبه .

مطارق أسئلتكم تدق في داخلي بعنف ، فالقضية المطروحة في حديث الشهر هي قضية حياة أو موت ، نكون أو لانكون ، والعالم المتقدم استحوذ على مفاتيح العلم ، وراح يسيطر على دول العالم الثالث ، بما يملكه من قوى اقتصادية وفكرية وعسكرية وفرها له في الأساس التقدم العلمي والحضاري ، والوطن العربي ، رغم مابه من جامعات ومصانع ومزارع ، ومايمتلكه من دولارات وأسلحة وسلع استهلاكية ، لايزال يعيش في اقتصاد التخلف ، بما تعنيه هذه الكلمة من مرارة

وحتى هذا الاقتصاد لم يسلم لنا ، ولم نوفر له أسباب الحماية والصون ، فها هي أسعار البترول تتدهور ، ونخشى أن يصل هذا التدهور الى الحد الذي تصبح فيه تكاليف استخراج البترول عبئا على عرب النفط قبل عرب الماء على حد تعبير الكاتب الصحفي صلاح عيسى .

لقد كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل يقول :

« ان الوطن العربي توفرت له من الأموال مالم يتوفر في الماضي للدولة الأموية ، ولا للدولة العباسية ، ولالبريطانيا العظمى ولالفرنسا » . فماذا فعلنا بهذه الأموال ؟

وكتب الاستاذ غسان حتاحت في مجلة الدوحة عن « لعبة الدولار » التي تهدر ثروات العرب ، وتضعهم تحت رحمة صناع القرار في واشنطن .

لقد حدث كل هذا تحت سمع وبصر كل الأنظمة العربية الحاكمة الآن ، ولذلك فان الخروج من المأزق أصبح من أخص واجبات الصفوة المثقفة التي يجب عليها أن تتكتل داخل الوطن العربي الكبير ، لخلق التيار القائد الذي يمكن أن يكون عامل ضغط وتأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية . .

ان السمة الغالبة للدول القوية والكبرى في عالمنا المعاصر هي التكتل من أجل المزيد من القوة ، وواقع أمتنا العربية هو التشرذم ، فهل نحن نحلم بالمستحيل حين ندعو مثقفي هذه الأمة الى توحيد جهودهم من أجل هذا الهدف ؟ فما السيل الا قطرات ماء نزلت متفرقة ثم تجمعت هادرة !

رجب دهس
ج . م . ع .

العربي

ـ نشكر القارىء الكريم اهتمامه ، ونشاطره الثقة في أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به المثقفون العرب ، سواء في تنوير وتثوير قطاعات كبيرة من الشعب العربي ، أو في التأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية ، واننا اذ ننشر هذه الرسالة ، انما لنعبر عن تفاعل القارىء مع كاتبه ، وهو التفاعل الضروري ليتمكن المثقفون في الوطن العربي من أداء دورهم .

فالقوة التي يمكن أن تكون للمثقفين في الوطن العربي انما هي بحجم تفاعلهم مع القراء في كل مكان ، ومن خلال دور القراء في مواقع العمل وتأثيرهم في مجتمعاتهم .

من الكلمات الأخيرة ..

للدكتور عبد المحسن صالح

● قرأت في عدد يونيو سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب « حوار القراء » رسالة للقارىء مجاهد بن عبد الرحمن ، الدار البيضاء ـ المغرب ، يوجه فيها سؤالا الى المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، كما قرأت تعقيب المجلة على رسالة القارىء .

لقد هزتني كلمات التعقيب التي تطلب من العالم الفاضل أن يواصل كتابة مقالاته في اعداد العربي القادمة ، فرت الدموع من عيني ، وأجبرتني على ان أمسك بالقلم وأخط هذه الكلمات التي كانت آخر ماقاله لي قبل الرحيل بيومين « سأكف عن كتابة المقالات ، وأتفرغ لجمع ماكتبته منها في كتاب أو اثنين ، ولكني أنوي أن أكتب عدة مقالات للعربي ، لأن لها في عنقي دينا .. وسوف تكون الخاتمة بالنسبة لي » .

لكن القدر لم يمهله كي يسدد هذا الدين ، فقد توفى يوم الجمعة ، أول رمضان/ ٩ مايو سنة ١٩٨٦ ، ومن أسف لم نكتشف وفاته غير مساء اليوم التالي السبت بعد أن تغيب عن موعد كنا سنلتقي فيه ، مما جعلنا نتشكك في الأمر ، وبخاصة انه لم يذهب الى عمله كالمعتاد ، فذهبنا اليه في بيته وكانت الفاجعة الكبرى ، حيث وجدناه قد رحل عنا فجأة الى رحاب الله .

والعالم د . عبد المحسن صالح لم يتزوج ، وانما وهب حياته كلها للبحث العلمي والثقافة ، فأثرى المكتبة العربية بعلمه وكتبه ومقالاته التي طافت في معجزات الكون بأسلوب راق ومبدع ، جعل هذه المعجزات في متناول ادراك القارىء العادي ، لذا فاني أرجوكم التفضل بارسال عنوان القارىء السائل الكريم كاملا ، حتى يتسنى لي الحصول على الاجابة الشافية لسؤاله وارسالها اليه ، ولكن أوجه اليه شكرا خاصا على تقديره وكلماته الطيبة التي خص بها العالم الراحل الكبير .

د . نبيل سليم
مدرس بكلية الطب بجامعة الاسكندرية

العربي

ـ لانظن أننا في هذا المكان يمكن أن نوفي العالم الجليل المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح بعض حقه ، ان لهذه المهمة مكانا وزمانا آخرين في هذه المجلة ، وفي كل المجلات التي اختارها العالم الكبير ، ليعبر عن وفائه للعلم وللثقافة ولابناء أمته العربية .

انها مهمة تلاميذه ومحبيه وعارفي قدره ، وهي مهمة كبيرة وممتدة ، قد تتمثل في الكتابة عنه ، والتعريف بمنهجه في البحث وطريقته في الحياة ، وفي العمل ، وفي الكتابة .

وقد تتمثل أكثر من السير على طريقة وخدمة أبناء أمته بنفس الأسلوب السهل الممتنع الذي يجعل من

حوار القراء..

الأسلوب العلمي أسلوب حياة ومتعة حياة .

اننا اذ ننشر هذه الرسالة انما لنشارك أحد تلاميذ الدكتور عبد المحسن صالح أحزانه التي هي أحزاننا وأحزان القراء ، ولنقول للدكتور نبيل سليم يمكنك أن تبعث بردك على سؤال القارىء مجاهد عبد الرحمن بالدار البيضاء - الذي توجه به للمرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، الى مجلة العربي لنشره في هذا الباب ، أو في غيره ، تعميما للفائدة ، وخطوة على طريق الرائد الكبير . . .

عن الجمل أيضا

● قرأت على صفحات مجلة العربي عدد ابريل ٣٢٩ سنة ١٩٨٦ دراسة للأستاذ يوسف زعبلاوي « عن الجمل » ويسرني أن أعلق على هذه الدراسة بما يلي :

- ان الجمل لايتعرق (حول السنام) الا تحت الحمل الثقيل ، وفي الأيام الحارة جدا ، درجة حرارة ٤٦ كما هو مذكور في الدراسة ، وهذا يدل على وجود الماء في دم السنام ، وفي نطاق عدة التحميل وهي : الحداجة ، والشدادة ، والهودج .

- لم يلحظ الاستاذ زعبلاوي طريقة طعام الجمل ، وكيفية تخزينه في جوفه حتى اذا ماتخمر أعاده الى فمه ، واجتر به ، ومن ثم يبتلعه وهو مبلل بالماء الكافي ، وهذا دليل قاطع على وجود خزان للماء في جوفه بالاضافة الى مايحويه الدم من حصته من الماء المخزون .

- ان الجمل عندما يكون متعبا ، وفي الأيام الحارة جدا لايمكنه أن يشرب ١٨٠ لترا من الماء ، أي سعة ٩ (تنكات) من حجم الـ ٢٠ لترا ، والحقيقة ان الجمل لايستطيع أن يشرب أكثر من ٨٠ لترا من الماء أي ٤ (تنكات) من سعة ٢٠ لترا من الماء .

السيد عبد الله السقاف

بيروت / لبنان

عن المرحلة الثالثة . . . لبني هلال

● جاء في عدد ابريل سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي (في باب حوار القراء) أن بني هلال رحلوا رحلتين مشهورتين في التاريخ ، الأولى للجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية تحت قيادة عقبة بن نافع ، على عهد الدولة الأموية نحو شمال افريقيا ، والثانية اتجهت نحو الجزيرة الفراتية ، حيث استقر بهم المقام هناك .

وتعميما للفائدة ، وأمانة للتاريخ ، نذكر هنا المرحلة التالية للهلاليين ابان دخول الفاطميين لمصر حوالي القرن العاشر تقريبا ، حيث شجع الفاطميون قبائل (بنو هلال) و (بنو سليم) الذين كانوا مستقرين بالصعيد المصري على الهجرة لشمال افريقيا .

فهاجر حوالي ٣٥٠ الف بيت منهم ، واستقر بنو سليم بليبيا ، وأما بنو هلال فواصلوا زحفهم الى كل من تونس والجزائر حتى المغرب الأقصى ، وسواحل الاطلس بالساقية الحمراء ووادي الذهب .

ومن قبائل الهلالية التي لاتزال مستقرة ليومنا هذا بالجزائر نذكر منها على سبيل المثال : الدواودة ، وأولاد صول ، ويسكنون بالواحات في بسكرة ، وطولقة ثم أولاد جلال في مدينة سيدي عقبة ، ثم أولاد عدي ، ودراج والخضران ويسكنون بالحضنة ، ثم قبيلة السراجنة وتسكن بجبال الأطلس الصحراوي الأوراس .

أما في تونس فهناك قبائل الهمامة بالقيروان ، والفراشش وأولاد سيدى عبيد فيسكنون بالمناطق الحدودية المشتركة بين تونس والجزائر .

وكل هؤلاء القبائل تتفرع عنهم بطون وأفخاذ عديدة تتوزع هنا وهناك بالمغرب العربي ، ويحافظون لوقتنا الحاضر على أصالتهم ودينهم ولغتهم مع تغير الى حد ما في اللهجة ، ومخارج الحروف العربية .

عمار شعابنة

القبة : الجزائر العاصمة

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٦ م

المسرح والتغير الاجتماعي

في الخليج العربي

تأليف : د. إبراهيم غلوم

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٠٥

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

****

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٤ أول سبتمبر ١٩٨٦

نابولي مليونيرة

تأليف : إدواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان
مراجعة : د. كليليا تشركوا



إسمعها
أكثر نقاءً مع توشيبا
صُنع باليابان
TOSHIBA
RT-SX85
RT-SF75
BOMBEAT SX85
DOUBLE REVERSE
BOMBEAT SF75
DOUBLE REVERSE
RT-SX55
RT-SF55
RT-675S
RT-170S
RT-75S
BOMBEAT SX55
BOMBEAT SF55
BOMBEAT 675
AUTO REVERSE
BOMBEAT 170
AUTO REVERSE
BOMBEAT 75
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

العربى

محرم ١٤٠٧هـ - أكتوبر
(تشرين الأول) ١٩٨٦



الهند تجنى ثمار بحثها العلمى

إنهم يزرعون
الصحراء بالمياه المعالجة

مولود قاسم وقضية التعريب فى الجزائر



مسجل الكاسيت المزدوج الأنيق المدمج MS500K من سانيو له ميّزة جديدة، فهو يعطيك صوتاً ممتازاً من الجهتين، وبذلك يمكّنك من التمتع بالموسيقى مع صديقك، أو بالأوقات السعيدة مع من تحب. الحجم المدمج الأنيق يخوّلك إصطحاب مسجل الكاسيت المزدوج MS500K معك حيثما تذهب. وزيادة على ذلك، يقدّم لك MS500K جودة مميّزة قلّما تجدها في مسجّل كاسيت مزدوج بهذا الحجم الصغير مثل البث المتواصل وكبسة واحدة للتسجيل.

مسجّل الكاسيت المزدوج MS500K، إخترمن بين اللون العاجي، الأسود، الأصفر أو الأحمر، لتحصل على صوت ممتاز في كل اتجاه، ما عليك سوى تشغيله.





مسجّل كاسيت مزدوج ستريو مع راديو ٤ موجات وتسجيل بلمسة واحدة. يعمل بواسطة مهايئ DC أو AC. متوفر باللون الأحمر، الأبيض أو الأصفر MS250K



مسجّل كاسيت مزدوج ستريو مع راديو ٤ موجات، دبلجة سريعة بلمسة واحدة ولعب متواصل. متوفر باللون الأحمر، الزهري، الأبيض أو الأصفر MS450K

العدد ٣٣٥ السنة التاسعة والعشرون اكتوبر ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 335 Seb. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمزالبريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

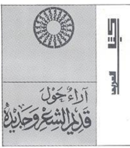
ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

١٥ أكتوبر

موعدك مع

كتاب العربي



• الشعر كأي شيء في الحياة ... قابل للتطوير في أغراضه ومبناه ومنحاه ، هكذا تقول التجربة الشعرية عند كل الأمم .

وشعرنا العربي كان ومازال رفيق درب الحياة ، يعبر عنها ويتفاعل ويفعل معها ، ليس في المضمون فقط ، وإنما في الشكل والتركيب والمبنى . لأن الشكل والمضمون متلازمان ، فإذا لحق تطوير في هذا ... فإن الآخر يتأثر به ويتفاعل معه .

وكتابنا هذا تسجيل للكثير من نواحي التجربة الشعرية العربية عبر تطوراتها وأغراضها .

□□

د. محمد مندور | د. أنيس المقدسي
د. زكي نجيب محمود | د. إبراهيم أنيس
د. عبدالعزيز المقالح | عبدالله زكريا الأنصاري
شوقي بغدادي | طلال سالم الحديثي

وآخرون

عزيزي القارئ

في هذا العدد تصحبك « العربي » كعادتها في كل شهر الى بلاد بعيدة وقريبة ، مع موضوعات متنوعة ومتعددة ، ولعله في هذا التنوع في المكان والزمان والقضايا ، يكمن جزء من سحر العلاقة بينك وبين مجلتك العربي ، وموطن السحر هنا أننا مع تنوع المعرفة نقترب من وحدة المعرفة ، ومع اختلاف المكان والزمان والقضايا - وبخاصة في إطار وطننا العربي وعالمنا الاسلامي - نكتشف وحدة الهموم والمشكلات والتطلعات والآمال ، ونكتشف أننا نرى هذا كله بشكل أفضل كلما اتسعت دائرة الرؤية من المستوى الوطني الى القومي الى الاسلامي الى الانساني بعامة !

هل ثمة تناقض بين العروبة والاسلام ؟ هذه الاشكالية التي تعددت حولها الاجتهادات والرؤى بين المفكرين يناقشها رئيس التحرير في حديث الشهر من خلال مناقشته لكتاب « الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي » للمفكر التونسي « د . هشام جعيط » حيث يرى أن هذا الكتاب يتناول هذه القضية بأسلوب جديد وعميق ، ويلقي عليها أضواء نافذة . . فما هو الجديد الذي يقوله الكتاب وماذا تقول الافتتاحية ؟

وعن قضية « تكفير المسلم » ، يكشف لنا المفكر الاسلامي « د . محمد عمارة » عن مصادر هذا الاتجاه الذي انتشر بين بعض الحركات الاسلامية ، فهل كان النقل عن هذا المصدر صحيحا ودقيقا ؟ أم أنه حدث تجاوز من الناقلين فابتعدوا عن الأصل الواضح القاطع ، وتوقفوا عند بعض الفروع التي تخدم توجهاتهم الى التطرف والعزلة ؟

والى الهند . . ينقلك استطلاع العربي ، لترى كيف أمكن لبلد من العالم الثالث أن يطور جهوده في مجال البحث العلمي ، لمواجهة مشكلات التنمية وتزايد السكان ، وينقل لنا بالكلمة والصورة الكثير والمثير من هذه الجهود . . . !

واذا كانت مشكلة الهند الكبرى التي تهدد جهودها في التنمية هي تزايد السكان ، فان مشكلة دول الخليج العربي هي ندرة المياه اللازمة لزراعة الصحراء وقلة الأيدي العاملة ، فكيف أمكن لدولة من هذه الدول وهي الكويت أن تواجه بالبحث العلمي تلك المشكلة

هذا ما يقدمه لك استطلاع عن « زراعة الصحراء بالمياه المعالجة » .

وفي اطار استخدام الجهود العلمية لمواجهة مشكلة الغذاء ، بوصفها مشكلة عالمية ، يكتب الدكتور سمير رضوان عن « الميكروبات كمصادر لغذاء الانسان » ، فهل ينتقل دور الميكروب من خلال العلم مهدد لحياة الانسان الى مصدر لغذائه وبقائه ؟

وعن دور الحاسب الألكتروني في المبادرة بتشخيص مرض العصر وهو السرطان ، يكتب المهندس سمير صلاح شعبان عن الجديد في هذا الدور ، وهل يمكن لهذا الحاسب الألكتروني في تطوره أن يضع نهاية لهذا المرض الخطير بالكشف المبكر عنه ؟

ان العربي في خدمتك دائما . . . وهي تعمل من أجلك ، لتكون على المستوى الذي تأمله منها دائما . . . مشعلا للثقافة ومنبرا للفكر الحر .

المحرر

العربي ـ العدد ٣٣٥ ـ اكتوبر ١٩٨٦م

محتويات العدد



.. وحققت الهند بعد سنوات من البحث العلمي ، الاكتفاء الذاتي في الغذاء .. وامتلأ الوعاء وفاض .. باحثة مع عيدان القمح « القزمة » . (ص ٦٨)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي

بعض الكتب تجبرك على مطالعتها أكثر من مرة ، قد تتفق معها في كل ما جاء بها أو في جزء منه . . ولكنها تبدو علامة على طريق الفكر . وفي الوطن العربي اليوم مجموعة من هذا النوع من الكتب التي تعالج بشكل مستقل وبمنظور واع مجموعة قضايانا العربية ، التي يتلمس كل مخلص حلولا لها .

أحد تلك الكتب التي قرأتها مؤخرا وأثرت في تفكيري أيما تأثير ، هو كتاب « الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي » الذي ألفه ونشره د . هشام جعيط المفكر التونسي بالفرنسية في عام ١٩٧٤ ، ثم ترجمه ـ بعد ذلك التاريخ بعشر سنوات ـ د . المنجي الصيادي ، وقام المؤلف بتدقيق الترجمة وتنقيحها .

في مقدمة الكتاب يقول المؤلف انه يريد من كتابه أن يكون نداء للضمير العربي الاسلامي . . وأقصى طموحه أن يثير اليقظة .



الشخصية العربية والمصير العربي هما الموضوعان الأساسيان في الكتاب . وحول هذين المحورين تتجمع موضوعات الكتاب الأخرى . ولا يخضع الكتاب لتقسيمه الى فصول وأبواب ـ مثل الكتب التقليدية ـ إنما الى توجهات ستة ، يطرح المؤلف من خلالها وجهة نظره . هذه التوجهات هي على التوالي الشخصية العربية الاسلامية ، نحو مصير مشترك ، الاصلاح والتجديد في الدين ، الانسان العربي المسلم ، تنظيم المجتمع والدولة ، وأخيرا استراتيجية المستقبل .

في المقدمة يعترف المؤلف ان عناصر الكتاب الاساسية كان قد حملها في نفسه منذ فترة زمنية طويلة . ويقول : (ولقد ترددت في اقتحام المغامرة ، وكأنما أصبت بعجز الانجاز . ذلك العجز الذي كان يبدو لي أنه سمة المفكر التونسي ، بل المفكر المغربي بصفة أعم .

لقد عايشت القضايا فجعلتها قضيتي . . ولكني لم أكن مرتاحا الى محيط فكري معين . . ذلك أن الفكر الحر مطوق بشتى أشكال التعصب ، وهو لا يرتاح عندما يقيد في أية أغلال) .

هكذا يضع الكاتب حيرته أمام القاريء لأول وهلة ، وهو يقلب وجهه في المطروح من القضايا العربية الفكرية الشائكة ، فيكتشف أنها تحتاج الى حيوية فكرية بعد ركود ، ويكشف المؤلف عن اقتناعه بعد مناقشته لحال الفكر العربي فيقول (إن تجديد الفكر العربي لن يأتي من المشرق بل من هذا المغرب ـ المغرب العربي ـ فإن أمكن التأسف لكون النهضة الفكرية لم تكن في مستوى النهضة السياسية في الجناح الغربي من العالم العربي * فإن الاتجاه العام لا يمكن أن يتجه إلا الى أعلى ، أما في المشرق فقد توقف التقدم الذي طرأ في الماضي ، بحيث صار يمكن اعتباره تقهقرا أكثر منه ركودا والتواء) .

لذلك يرى المؤلف أن يتصدى المفكر العربي للتفكير في مستقبل مجتمعه ، ومدخل هذا التصدي وصولا الى المصير ، هو فهم الشخصية العربية الاسلامية .

الشخصية العربية الإسلامية

□ يطرح المؤلف هنا قضية ليست جديدة بحد ذاتها ، ولكن تحليله لمعطياتها ووصوله إلى نتائجها هو الجديد . فالقضية القديمة هي العلاقة بين العربي والاسلامي ، أو بين العروبة والاسلام ، وهو موضوع أرّق بعد ذلك الكثير من المفكرين العرب . ولكننا نعترف للمؤلف أن طرحه في باكورة السبعينيات يعني استشعارا لقضية مهمة .

يبدأ المؤلف بطرح تساؤل عريض : ما معنى أن يكون المرء عربيا ؟ وما معنى أن يكون مسلما ؟ وما هي العلاقة بين الشعورين على المستوى الواعي ؟ وهل العرب اليوم هم أنفسهم عرب القرن الأول الهجري الذين أخضعوا العالم القديم ؟ وهل تكون الأسبقية اليوم للقطرية أم للأمة الكبيرة ؟

وبعد تحليل مستفيض يصل المؤلف الى القول بأن الشعور الاسلامي متقدم على الشعور العربي الحديث . وكلما رجعنا الى الأجيال الأقدم ـ في تونس كمثال ـ وجدنا أننا نعجب لقوة الشعور الاسلامي ، وكما يقول المؤلف ان الزيتوني (المتخرج في جامعة الزيتونة) كانت أعز أمنياته أن يموت في المدينة المنورة وأن يدفن في البقيع . وبالعكس كلما سبرنا شعور الجيل الأكثر حداثة وجدنا أن شعوره الاسلامي يتراجع ، في حين أن إيمانه العربي ما انفك يزداد قوة .

يفسر المؤلف تصاعد هذا الشعور بأكثر من سبب . على رأس تلك الأسباب أن الاحتكاك بالمشرق الذي يحمل الآمال العربية هو الذي قوى هذا الشعور ، فقد كان الفهم السابق للعروبة أنها مفهوم للبداوة فقط ، ولكن النهضة العربية الحديثة في المشرق صححت النظرة الى العروبة حين مدت يدها الى مجد العرب والمسلمين في آن معا فأحيته .

ويخلص المؤلف إلى أن الشخصية العربية اليوم في حقيقتها مكونة من الاتجاه الاسلامي ، والاتجاه العربي ، فهما يجمعان معا مشكلة الذات العربية .

المعضلة التي يراها المؤلف هي في إشكالية التعارض المفتعل بين الاسلام والعروبة فحركة العروبة في المشرق العربي استندت عند نشوئها إلى العداء الموجه الى الهيمنة العثمانية التي كانت إسلامية المظهر ، فحدث تجميد للقضايا الدينية وإقصاؤها عن البناء القومي ، في

* يستخدم المؤلف كلمة العالم العربي بينما نستخدم في « العربي » تعبير « الوطن العربي » .

الوقت الذي اندمج فيه الشعور الاسلامي بالعروبة في حركة الجهاد ضد المستعمر في المغرب العربي .

ولكن - يضيف المؤلف - أنه لا يمكن التشكيك على مستوى الضمير الشعبي في وجود الشعور الاسلامي القومي على امتداد الساحة العربية .

ويرجع المؤلف لتفسير علاقة العروبة بالاسلام الى التاريخ ، فيعالج الصعود العربي قبل الاسلام ، فقد كانت الجزيرة العربية مجالا لقوى التوحيد اللغوي والثقافي . . (فجاء الاسلام في الوقت المناسب وانتصر ، ولقد صنع تركيبا بديعا جمع بين الانتماء العربي في أصفى مادته وبين التيارات التي كانت تختمر في البشرية المشرقية في ذلك العصر ، ذلك أن الاسلام لم يقتصر على القيام بدور رئيسي كرائد للعربي يرشده للتمدين مؤكدا مبدأ الدولة وباعثا على ثورة ذهنية ، بل إنه عمل على إبراز « أمة عربية » فقنن لغتها وثبتها ، ومنح في الجملة هيكله الى الانتماء العربي) .

العلاقة الوثيقة بين أن تكون عربيا وأن تكون مسلما ، ظهرت بقوة في مذهب الدولة الاسلامية ، فيعلن القاضي أبو يوسف بن ابراهيم في كتاب « الخراج » ، وفي خضم العصر العباسي (أنه لا يمكن للعربي أن يكون ذميا ، وعليه أن يختار بين اعتناق الاسلام أو الموت) .

هذا الاعلان يستند الى ممارسات وسنن ربما كانت قاعدتها تكمن في خطة عمر بن الخطاب أن لا يسمح إلا للاسلام بالبقاء في جزيرة العرب .

كل هذه الممارسات هي أفضل تأكيد للتماثل التام بين العروبة والاسلام .

ويدلل المؤلف أكثر على هذه النقطة بقوله إن جهابذة العلوم الاسلامية - حتى لو لم يكونوا عربا - قد ألفوا باللغة العربية وقد طبعت تفكيرهم . هذا ويقول المؤلف (ما من مرة أفتح فيها كتاب الطبرى إلا وأعجب للمؤلف الذي عاش النزعات العربية القديمة والأنساب والتحولات الطارئة على القبائل القديمة ، وهو يتمثل تاريخ المدينة أو الكوفة في القرن الأول الهجري - تاريخه الخاص وماضيه حقا - وهو الرجل الذي تعلق به بدقة ومودة وأنس وكذلك بحماس كبير دون شك) .

ويستمر المؤلف بالاستشهاد بالتاريخ على تلازم العروبة والاسلام ، وأن الشعوب التي اعتنقت الاسلام إما تعربت على مر الزمن ، أو تراجعت إلى ثقافتها الأصلية ، ولكنها عندما فعلت ذلك نضب عطاؤها العلمي في إطار العلوم الاسلامية .

يخلص المؤلف في هذا الفصل الى القول (ان العالم العربي سيحسم بمفرده هذه الشخصية المزدوجة ويبقى وفيا للمباديء الاسلامية كما للماضي العربي) .

فرغم الاكتساح الغربي المسيحي للمنطقة العربية - وكان في أوجه في العصر المتقدم ظاهرة الحروب الصليبية ، وفي العصر الحديث ظاهرة الاستعمار - فإنه في كلتا الحالتين حافظ الشرق العربي المسلم على جذوة المقاومة بطرفيها الفاعلين . . عروبته وإسلامه .

هل الأمة العربية حديثة؟

□ يناقش المؤلف هنا فكرة الأمة . والسائد كما عودنا المؤرخون في الغرب أن الأمة الحديثة نشأت فكرتها في أوروبا الغربية في أواخر العصور الوسطى . قد تكون هذه الفكرة صحيحة بالنسبة لنشوء الأمة في الغرب ، ولكن الأمم كانت مسجلة بالتاريخ والجغرافيا أيضا في عصور أكثر قدما من ذلك . والخلط بين مفهومين للأمة جاء من محاولة تطبيق قسرى لنتائج التاريخ الغربي على المسلمين . فالأمة المسيحية في الغرب واجهت التحدى باستمرار بالارادة القومية . وكثيرا ما كان الذي يحرك تاريخ أوروبا الحديث هو التعاون أو

الصراع بين الشخصية السياسية القومية وبين الشخصية التاريخية الأيديولوجية الثقافية .

الخلاف - كما يقول المؤلف - أن السياسة في الغرب لم تخضع لمقاييس التضامن الديني . . هل ذلك مفيد أم مؤسف ؟ يختلف التحليل في ذلك ، ولكن الحقيقة الأخرى أنه في معظم تاريخ العرب والاسلام ، طرح الاسلام نفسه منذ البداية كمملكة كونية قوية التركيز ، ولكن لاخلاف أن الولايات العربية - في ذروة المركزية في العصر الأموي - بدأت تتفرد . هذا التفرد - كما يقول المؤلف - لم يكن بسبب الشعور القومي ، بقدر ما كان يعني تأكيد الاتجاهات الاقليمية العربية الصرفة ، وهكذا ظهرت في العراق ترابطات من النوع السابق للقومية ، وقد برزت بقوة في النزعات التي تواجه فيها أهل العراق وأهل الشام ؛ كما ظهرت هذه النزعات الاقليمية - كما يقول المؤلف - في ميادين أكثر صفاء ، أي في الثقافة الدنيوية والفقه واللغة والنحو والاجتهادات الفقهية التي ظهرت في المدينة والشام والعراق ومصر .

كان هناك خصوصيات إقليمية ، ولكن لم يأخذ أي إقليم بقومية متفردة لأن فكرة الوحدة الاسلامية ذات القاعدة العروبية متينة ودائمة ، بجانب ان اللغة العربية - وهي مكون رئيسي حيث ان القرآن عربي - لم تتح فرصة لظهور لغات مختلفة . ويستطرد المؤلف قائلا : حتى اللهجات التي ظهرت في وقت مبكر جدا بالأقطار المفتوحة ، استمدت أصالتها من اللهجات القبلية العربية القديمة أكثر مما استمدتها من التباين الاقليمي ، وهذا يفسر جيدا المتشابهات الأساسية في مختلف العاميات العربية الراهنة .

محط أنظار الدارسين الغربيين اليوم ودهشتهم هو الفهم المشترك للغة متقاربة بين المغربي واليمني والعراقي والسوداني ، بعكس ما هو الشأن بين الفرنسي والايطالي والأسباني .

إن اللهجة ليست لغة ، كما أن الثقافة الشعبية - وإن اختلفت اللهجات - ليست هي الثقافة الكبرى المكتوبة ، والأقطار العربية تعتز بامتلاكها لغة موحدة فصحى ، يشترك فيها الجميع ، وهي تحرص على فكرة الوحدة العربية .

مجمل التحليل أن الأمة العربية المسلمة تكوين سابق لفكرة القومية كما ظهرت في الغرب ، ولم يحصل هذا الصراع والتناقض بين (الأمة الدينية) وهي الأمة الاسلامية وبين قوميات في الاطار العربي ، كما حصل بين (الأمة المسيحية) في الغرب وبين القوميات الناشئة في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط الأوروبي .

وفي الواقع - كما يقول المؤلف - أن شكل الصراع بين الحكام العرب المسلمين في حالة ظهوره اختلف عن ذاك الصراع بين (القوميات) في أوروبا . . (فالأمراء الحاكمون عندما كانوا يتسابقون وراء غريزة السيطرة والغزو ، ويلحقون الضرر بأراض إسلامية أخرى ، كان يداخلهم أبدا في عملهم هذا الشعور بالذنب . وأكثر من ذلك فإن أمكن أن يشهد ضمير الشعوب عمليات الالحاق والتطاول ، والحروب الداخلية أيضا ، فلم يظهر أبدا شعور عنيد من الحقد الذي يواجه به شعب شعبا آخر ، أو نزاع عميق دائم - وهو شيء وارد في أوروبا - فقد كانت الروح الاسلامية تتجه دائما الى الخارج) .

على الرغم من هذه الجذور التاريخية العميقة التي تؤصل للتآلف العربي الاسلامي ، فقد شهد الوطن العربي في عصر استقلاله الحديث ، نزعات لتوطيد الشخصية الوطنية في الاقليم ، ولا يعتقد المؤلف ان ذلك بحد ذاته سلبي . . ولكن الخطر كما يقول : ان تقف هذه الشخصية عند حدود الدولة ولا يقع تجاوزها الى الاطار الأكبر .

ولعل هذا الموضوع بالذات قد نوقش في أكثر من موقف فكري عربي ، وغلب على

النقاش بعض الشطط بين الاغراق في الاقليمية وتقديس الشخصية الوطنية المستقلة ، وبين التجاوز غير الموضوعي لهذه الشخصية في سبيل « شخصية قومية » لم تظهر إلى الوجود بعد .

في حقيقة الأمر ان ذلك التساؤل شرعي وأساسي في إطار مسيرتنا العربية اليوم . ويعبر المؤلف عن هذه الاشكالية بقوله : (ما هو الاختيار المعروض على العالم العربي ؟ فإما أن نقبل بأن الشخصية العربية الاسلامية ليست سوى « هوية » تاريخية تدخل في صنف الجوهر ولا تقدر على إنشاء مستقبل سياسي ملموس ، وانه يجب لذلك معايشة التجربة « القطرية » المحض الى أن نبلغ أقصى نتائجها . . . وإما أن نعتبر التجارب القطرية حديثة العهد ويمكن الرجوع فيها وأنها غير دائمة ، وان الواقع العميق هو ذاك الشعور بالتضامن العربي الاسلامي وأنه اثر المعارك التي خضناها حديثا ينبغي مواصلة السير في هذا الطريق ومعاكسة « القطرية » وبناء « الأمة العربية ») .

إن هذا النقاش الصريح أو الضمني يوجد في صميم المصير العربي المعاصر . أما الآن ـ ولوجود أشباح جديدة يجب محاربتها ـ فإن العالم العربي يتردد في توخى اتجاه معين والمراهنة تجرى على الاتجاهين . . ! نحن ندعم الهيكل القومي ـ كما يقول المؤلف ـ ولكننا نبحث عن سبل الوحدة السياسية .

وهكذا فإن ما يميز الكائن العربي الحالي هو ثنائية عميقة بين بنية المجتمع والدولة والاقتصاد (السائر في الدوائر القطرية) وبين شعور ثقافي وسياسي وايديولجي (سائر في مستوى الوعي العروبي) ويبقى الضمير الثقافي مركزا على الشخصية العربية الاسلامية لأنه ينجذب الى الماضي بمحتواه وولائه .

المصير المشترك

□ ذلك الكائن العربي المعاصر ـ في رأي الكاتب ـ يواجه مصيرا مشتركا يدفعه الى التوحد وقد ظهر في عدة محاولات حديثة ، بدءا من محاولة ابراهيم باشا بن محمد على نيابة عن والده توحيد الناطقين باللغة العربية ، وانتهاء بالمحاولات الفكرية والسياسية المعاصرة بعد الحرب العالمية الثانية .

ويناقش الكاتب تلك التوجهات الفكرية التي كانت قاعدة لتلك المحاولات وينقدها نقدا علميا . أهم نقاط النقد تلك هي أن المحاولات الفكرية القومية وتطبيقاتها السياسية قد استهانت الى درجة الغفلة بالظاهرة الأقليمية ، فلم تعطها حقها في التحليل والفهم . ثم يأتي بعد ذلك نقد الكاتب للصورة المثالية التي قدمت بها تلك الحركات السياسية والفكرية رؤيتها حول الوحدة العربية . لقد اكتفت الحركات السياسية العربية القومية برفع النداء العاطفي للوحدة العربية ، كما أن هذه الحركات كانت متسمة بفقد التحليل الاقتصادي والاجتماعي الواقعي . نعم . . لقد حققت تلك الحركات القومية من خلال صراعها مع الصهيونية والاستعمار العالمي زخما شعبيا ، ولكنها افتقدت النظرية وطرق العمل لتحويل ذلك الزخم الى واقع مؤثر . ويصف الكاتب تلك الحركات بأنها لعبت دورها القومي فقط ـ فيما قبل النضج ـ إلا أن مرحلة النضج تعنى شكلا من التفكير لم تصل إليه الحركة العربية بعد .

وعندما يتحدث الكاتب عن لحمة التوحيد يقول ان اللغة الانجلوسكسونية دعمت وحدة الولايات المتحدة على نمط حضاري هو الطريقة الأمريكية في الحياة ، وأن تماسك الاتحاد السوفيتي ـ برغم ما به من قوميات ـ يستند الى قوة الايديولجيا الماركسية ، أي الى مشروع رسالة كونية توحيدية والى تحد للتأخر تراكم عدة قرون ، ولكن العرب ـ في رأي

الكاتب ـ ركزوا في تصورهم للوحدة على النموذج الأوروبي ، وبخاصة النموذج الألماني الذي هو « الاقليم القاعدة » الذي تنطلق منه وشائج الوحدة ويتم التوحيد بالعنف ، ويرى الكاتب أن المثال الألماني يختلف اختلافا عميقا عن المثال العربي ، كما أن الزمن اختلف ، فلا يوجد « إقليم قاعدة » يتحمل تبعات الدور القيادي الذي تحملته بروسيا ، ولا استخدام العنف أصبح ممكنا في ظل التطور الدولي المعاش ، لذا (إن أمكن ووجب تحقيق الوحدة فإن احتمالها يكون بالاعتراف المسبق بالوحدات الوطنية الواقعية ، والاعتراف في نفس الوقت بعدم تنافرها . . وتتدخل كذلك بجانب العاطفة المطلوبة والمرغوبة ـ متطلبات اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية) تلك هي الشروط التي يراها الكاتب لتحقيق الوحدة والتي هي ضرورية لامتلاك القدرة التاريخية التي فقدناها .

يناقش الكاتب بعد ذلك مقولة أن الوحدة العربية في شكلها الايجابي المرغوب غير محققة ، ولكن بقاء الأمة العربية ، وبقاء لسانها العربي ، وبقاء هويتها المستديمة ـ بالرغم من عواصف التاريخ التي أطاحت بأعظم الأمم ـ هي في حد ذاتها دليل على قدرتها على البناء في المستقبل .

إلا أن هذا المستقبل ، يجب أن يتمثل في حضارة مكونة من روحية العمل وسيادة الفكر والثقافة . وينعى الكاتب مطولا على واقع الثقافة العربية المعاصرة ؛

(ان الثقافة العربية المعاصرة تتصف بضحالة مؤلمة كما وكيفا ، فهي فاقدة للنفس والتقنية) هكذا يعلق الكاتب على الواقع الثقافي ، ويستطرد (ليس الضمير الثقافي العربي مجدبا فحسب ، بل إنه مفكك وخاضع خضوعا عميقا للحضور المباشر وغير المباشر للغرب) ، ومن المعلوم كما يقول الكاتب أن الدول القطرية العربية عجزت عن النهوض بثقافات رفيعة .

بعد ذلك يعرج الكاتب الى معالجة أدق في موضوع الوحدة ، فهو حينما يعترف أن تجمع طاقات الأمة يمكن أن يجعلها قادرة على ملاقاة التحدى ، إلا أننا ـ كما يقول الكاتب ـ (نغالط أنفسنا مغالطة خطيرة لوظننا أن الوحدة هي الدواء الناجع لأنها تكون قد وضعت اطارا جديدا للعمل الاقتصادي ، ان التخلف الاقتصادي تخلف تقني وبشري يغرس جذوره في أعماق المجتمع وفي الذهنية نفسها) .

ويستمر الكاتب لينقد نقدا موضوعيا نماذج التنمية التي طرحت من مفكرين غربيين لانقاذ العالم الثالث ، كما ينقد الدراسات المتهافتة المقارنة التي تقارن بين الوطن العربي واليابان مثلا أو بعض دول أمريكا اللاتينية .

لذلك فقد بقى الفكر العربي التنموي (حبيس موقف غير واقعي ومتشائم وسلبي) .

الاستمرارية والتغيير

□ المصير المشترك يتطلب ـ بجانب إيقاظ مشروع وحدوى من ثلاث حلقات هي في القلب مصر والسودان ، وفي الطرفين المغرب الكبير والجناح الشرقي للأمة ـ أن يكون منسجما مع نفسه معترفا بالفروقات الاقليمية على أساس تكاملها ، مبنيا على الشخصية العربية الاسلامية كقوة مناضلة ، ويحتاج كل ذلك الى تصور عقلاني يربط الماضى بالحاضر يلخصه الكاتب بقوله (حين نطرح على العالم العربي المفاضلة الرهيبة بين بقاء الاسلام والولاء للماضى من جهة ، وبين الاقدام على طريق المستقبل والتجديد من جهة أخرى ، فإننا نحصره في آن واحد في جدلية البؤس) فما قيمة مجتمع حركي جديد فاقد لروحه (الاسلام) ، فعلينا تحمل تراثنا التاريخي واحياؤه ، ولكن أيضا علينا أن نشعر بأننا

مستمرون من حيث التاريخ في مواصلة عمل كل الذين شيدوا الحضارة العربية الاسلامية ، ولكن المؤسف أن هناك من يطرح علينا فكرة التناقض بين تراثنا وفكرة التجديد والبناء ، إما عن تغريب أو عن جهل . ويرى الكاتب هذه المعضلة في قوله (وهكذا نرى كيف أن جدلية الاستمرار للشخصية العربية الاسلامية أو تحللها ترتسم أمامنا ، بحيث يكون في أقصى القطبين ولاء مطلق مأساوي للسلفية كتحد للزمن التاريخي من جهة ، وخفة لا تقل إطلاقا وشديدة التضارب عند أولئك الذين يربطون ـ لسبب غير واضح ـ الرقي بفقدان الأنا التاريخية) .

ويدعو الكاتب الى غرس الحداثة في مجتمعنا العربي دون أن تفقده تقاليده العربية والاسلامية ، وأن نصوغ تاريخنا حسب رغباتنا ، ويهتف الكاتب بقول واضح (نحن نستنكر كل عمل مخطط يهدف الى إخراج الاسلام من الضمائر والى رفع الصبغة الاسلامية من المجتمع ، وأن على التراث أن يتكيف مع بشرية مغايرة في نفس الوقت) ، من هذا المنطلق الذي يدعو إليه الكاتب معاصرة من خلال التراث وعن طريقه يتابع أسباب الفشل الكبير الذي لحق بالدعوات الايديولجية الجديدة في محيطها العربي الاسلامي التي كانت دائما (تيارات تمثل الأقلية) .

ولا شك ان الكاتب قد وفق تماما في طرح قضية كانت موضع نقد قاس لدى المستشرقين ـ عندما رددوا أن جمود المجتمع الاسلامي قاطبة مصدره ركود الفقه ـ يرد عليهم الكاتب بكلام منطقي فيقول : (وكأن مبادىء العصر الحديث لم تولد في أوروبا مستقلة عن الدين وضده في الغالب) ، ويتابع مناظرته بقوله : انه حتى لو افترضنا أن أبواب الاجتهاد الديني بقيت مغلقة . . فقد كان ممكنا ظهور مبادىء جديدة في دوائر أخرى للعلم والعمل ، ولعل ذلك يكون بسهولة أكبر . .

لقد أسقط من خلال هذا الرد الموقف مقولة تتردد كثيرا في الغرب بأن سبب تخلف المسلمين جمود فكرهم ، وإن كان ذاك الجمود ناجما ـ في بعض الفترات التاريخية ـ عن ضيق في الأفق وقصور عن الاجتهاد ، فإن ذلك لا ينفي أن الأصول مرنة وإنسانية تهدف الى التيسير على المجتمع لا التضييق عليه .

عندما يتحدث الكاتب عن التغيير يرجع إلى مقولة محمد إقبال : لتوجيه البشر الى الرقي هناك طريقتان ممكنتان ، العمل من خلال التنظيم ، والعمل في الضمائر الفردية . من هذا المدخل يوجه الكاتب نقدا الى أساليب تربية الفرد عندنا ، والى أساليب التعامل مع المؤسسة . فتربية الفرد والتعامل مع المؤسسة ما زالا في طور الطفولة . يقول الكاتب (الفلاح عندنا لا يعرف كيف يخدم أرضه ، والمالك الكبير لا يحسن استغلال ضيعته ، وكذلك الصناعي لا ينظم مؤسسته تنظيما منطقيا ، والمفكر لا يحسن التفكير أو الخلق ، وإن رجل الغرب يثبت دراية ومهارة وكفاءة أفضل بكثير عند تماثل الاختصاص) . أما على صعيد العلاقات الاجتماعية فيلاحظ الكاتب (ان الكثيرين منا يشعرون أن الأشياء تسير سيرا معاكسا لطموحاتهم : تتفوق المحسوبية في الدوائر المهنية على القيمة الشخصية ، وتسود الاعتباطية المؤسسة والحقل والمكتب) .

ويحذر الكاتب من أن هذه السمات ليست سمات ثابتة في الشخصية العربية الاسلامية ، وإلا لوقعنا في معضلة (تحقير الذات) ، ولكنها سمات موضوعية عندما تختلف الظروف يمكن معالجتها وتجييرها بشكل إيجابي . ويذكر في هذا المقام التجربة الجزائرية ، فقد كانت هناك نظريات تفسر تصاعد العنف الفردي في الجزائر أثناء ذروة الاستعمار على أن الشمالي الأفريقي عنيف . . عنيف بالوراثة ؛ وقد دحض هذه النظريات

المغرقة في الذاتية فرانز فانون في كتاب (معذبو الأرض) ، وقال : قبل سنة ١٩٥٤ اتفق القضاة وأعوان الشرطة والمحامون والصحفيون بالاجماع على أن قابلية الاجرام عند الجزائري تشكل قضية ، وقد قيل إن الجزائري يقتل باستمرار ويقتل بوحشية .. ولكن فانون وجد أن الوضع الاستعماري الاستلابي يغذي العدائية ويوجهها الى الأخ لا الى العدو التاريخي ، وبعد الثورة الجزائرية قلت ظاهرة العنف الفردي بعد تقنينه في عنف جماعي ضد المستعمر . فإذا كان محيط الهيمنة الاستعماري يفسر كثيرا من الأمور ، فلا شك أن هناك تفسيرا موضوعيا لتقاعسنا في التربية الفردية وفي تعاملنا مع المؤسسات .

استراتيجية المستقبل

□ عندما يوجه الكاتب جهده في الفصول الأخيرة من الكتاب الى استراتيجية المستقبل ، ليستعرض التجارب الرئيسية في الغرب ، ويحاول الاجابة عن سؤال رئيسي هو : لماذا لم تتطور الرأسمالية في المجتمع الاسلامي الوسيط ؟ يقول الكاتب ان النظام الاقطاعي يمهد تمهيدا إيجابيا لنمو الرأسمالية ، وتلك هي تجربة الغرب التاريخية ، ولكن المجتمع الاسلامي الوسيط لم يكن إقطاعيا ، لذلك - يقول الكاتب - (إن كل سياسة ترمى الى إقامة نموذج رأسمالي في هذا المجتمع « العربي الاسلامي » على الطريقة الغربية كتصور فريد ، يبدو لنا أن مصيرها سيكون الفشل) . كما أن المجتمع العربي الاسلامي ليس هو المجتمع الصناعي محدد الطبقات الذي يمكن أن تنمو في داخله حلول اشتراكية جذرية ، وكذلك خصوصية ثالثة هي أنه لا اليابان ولا الصين ولا حتى تركيا وإيران ، عرفت هجمة أوروبية لها مثل هذه القوة ومثل هذا الاستمرار ، كما عرفها جزء كبير من العالم العربي ، لذلك - يقول الكاتب - ان المستقبل هو طريق عربي إسلامي ، وهو ليس عودة الى الماضى بل هو في إعداد نموذج نوعي يمكن أن يقع في اتجاه حركة التاريخ ، بأن تقوم الدولة - كما كانت دائما في التاريخ العربي الاسلامي - بدور رئيسي في النشاط الاقتصادي والاجتماعي غير غامط فرصة الملكية الفردية النشطة والمحررة من سلطة الدولة ، أى توازن اقتصادي يقابله توازن سياسي . والدعوة الى هذا النموذج وتأصيله هي دور المثقفين العرب المستنيرين كما يراه الكاتب (فليست المأساة الكبرى للمفكر العربي أن يشاهد تدهور تيار المعرفة الثقافي الذي كان سبب وجوده وعزته في الماضى .. بل أن يمنع أيضا من ممارسة النقد وروح الفكر الحر . والأغرب ان نلاحظ ان القسم النشيط من الانتلجينسيا العربية قد عبأ كامل قوته النقاشية وقوته في الحكم والمطالبة بمبدأ العدل الاجتماعي ، مغفلا مبدأ يكتسى نفس الجمال ونفس الحقيقة . . الا وهو الحرية . . . .) .

هكذا يطرح الكاتب إشكالية الفكر العربي المعاصر في الدولة والمجتمع طرحا جديدا غير تقليدي ، وهو بتواضع المفكر يقول إن هذا التفكير لا ينبغي أن يكون مذهبا ولكنه يطمع الى فتح الطريق للعمل والتمهيد لوعي من نوع جديد . فهل هو كذلك ؟

ينهي الكاتب ملاحظاته العديدة والعميقة بقوله : إن هناك كثيرا من العلامات المنبئة تبشر بنهضة عظيمة للروح العربية الاسلامية ، فلا يمكن إلا الاعتراف بوجود ضمير لتجديد ممكن في هذه الشخصية . .

بقى أن تقارب هذه الشخصية بين توجهيها المزدوجين ، يؤدى في النهاية الى أن تصبح شخصية واحدة . . حقيقية وعصرية .

تلك أهم مناقشات جعيط في كتابه ، بعض نقاطها قوية ، وبعضها يستحق المراجعة ، ولكن مرتكزاتها الأساسية تستحق الوقوف عندها .

محمد الرميحي

تكفير المسلم

بقلم : الدكتور محمد عمارة

من بين الدعاة الاسلاميين المحدثين انفرد أبو الأعلى المودودي ببعث قضية تكفير المسلم التي ظهرت في الاسلام لأول مرة مع الخوارج .

ولكن ما حقيقة ما قاله المودودي حول هذه القضية الخطيرة والشائكة ؟

في التراث الاسلامي ، انفرد « الخوارج » - دون فرق المسلمين وتياراتهم الفكرية - بالقول بـ « كفر » مرتكب الذنوب الكبائر ، اذا مات دون توبة نصوح . . وبعض هؤلاء الخوارج جعل هذا « الكفر » كفر شرك بالله ، يخرج به العاصي عن اطار الملة ، أما البعض الآخر ، فلقد قل غلوهم فاعتبروه : كفر نعمة . . فهؤلاء العصاة ، بنظرهم ، قد كفروا بأنعم الله ، دون أن يشركوا به أحدا .

والذين يتتبعون مسار الدعوات والحركات الاسلامية الحديثة والمعاصرة ، يلفت انتباههم أن الاستاذ أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) أمير الجماعة الاسلامية بباكستان ، انفرد من بين الدعاة الاسلاميين المحدثين ببعث هذا الشعار والموقف - الذي انفرد به الخوارج - شعار وموقف « تكفير المسلم » - من مرقده القديم !! . . ولم يكن ذلك بسبب انحياز فكري منه الى فكر الخوارج ، فرفضه لأفكارهم الأساسية واضح لا شك فيه واعجابه بابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) يفوق اعجابه بأي من المجددين الذين عرفهم تاريخ الاسلام . . ولابن تيمية موقف صريح وحاد ضد الخوارج ومقولاتهم . .

التكفير والجاهلية

ولهذه الملاحظة أهميتها ، لأن المودودي - كما أشرنا - قد انفرد بين رواد الحركات الاسلامية الحديثة بأن فتح الباب لاستخدام مصطلح « التكفير » وسلاحه في تقييمه وحكمه على المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، وعلى مراحلها التاريخية ، التي وصمها « بالجاهلية » . . . . صنع المودودي ذلك دون أن يكون « خارجي » المذهب . . ذلك أن حديث الخوارج عن كفر مرتكب الذنوب الكبيرة ، وان انطلق من موقف سياسي ، استهدف ادانة الدولة الأموية ومظالمها ، وما أحدثت من انقلاب في فلسفة

الحكم نقلها من الشورى الى الملك العضود ، الا أن هذا الحديث قد عمم الكفر على كل مرتكب للكبيرة ، فشمل به الفرد أيضا .. وفي هذه الجزئية - وهي ليست بالهينة - يختلف موقف الأستاذ المودودي عن موقف الخوارج .. فلقد كان رفض الواقع الحضاري والفكري والسياسي هو منطلق للحكم « بالجاهلية » و« بالكفر » على المجتمعات المسلمة ، حاليا وتاريخيا ، ولقد التزم هذا المنطلق ، فرأينا جرأته في تكفير الدول والمجتمعات التي لا تطبق « الحاكمية الالهية » والشريعة الاسلامية والفروض الاجتماعية - حتى لو كانت « فروعا » في السياسة والاجتماع والاقتصاد .. ووجدنا ، مع هذه الجرأة تحرجا في تكفير الأفراد بارتكاب المعاصي ، كبيرة كانت أو صغيرة ، طالما هم « مؤمنون » يترجم « الاسلام » عن « الايمان » الذي في القلوب .

فالمنطلق السياسي والحضاري لفكرة « التكفير » نقطة اتفاق بين المودودي والخوارج ... وتأسيس « التكفير » على غيبة « الحاكمية الالهية » جامع يجمع بينه وبينهم - وذلك رغم نقده لهم - لكن التحرج من تكفير الافراد العصاة هو الذي يميز موقفه عن موقفهم في هذا الموضع .. وذلك رغم بعض عباراته وصياغاته « القلقة» و« المطاطة » - بخصوص الحكم على عقيدة الفرد - التي تبلغ في قلقها حد امكانية استخدامها دليلا على تكفير الفرد اذا ارتكب معصية في « الفروض الاجتماعية » ! ...

لقد نظر المودودي الى الاسلام تحت هيمنة الحضارة الغربية الجاهلية ، التي خلعت سلطانه القانوني ، وأحلت محله ، فلسفة قانونها الوضعي وتشريعاتها التي لا تتسق مع الشريعة في كثير من المبادىء والأصول .. نظر الى هذا الواقع فرأى « أن دين الله قد رزىء وغلب على أمره بيد الكفر وأهله ، وأن حدود الله ما انتهكت واعتدى عليها فحسب ، بل .. انها تكاد تنعدم من الوجود لاجل غلبة الكفر ، وأن شريعة الله قد أهملت ونبذت وراء الظهور ، لاعملا فقط ، بل بموجب القانون أيضا ، وأن أرض الله قد اعتلت فيها كلمة أعداء الله » ..

فالكفر ، هنا ، هو الحضارة الغربية المادية الالحادية ، غلبت وغلب أهلها - أعداء الله - على الاسلام وشريعته وأمته وحضارته . انه حكم ذو طابع حضاري وسياسي وقومي ووطني ، يواجه به المودودي هيمنة الغرب « الاستعمارية - الحضارية » مواجهة ترفض هذه الهيمنة رفضا جذريا ..

المجتمعات والافراد

والمجتمعات التي استعاضت عن حاكمية الله كما تمثلت في شريعته بفلسفة الغرب القانونية وتشريعاته الوضعية ، لا يمكن ، بنظر الاستاذ المودودي ، أن تكون اسلامية بحال من الاحوال .. « فلعمر الحق ، لا يمكن لانسان - ما لم يكن مصابا في عقله - أن يتصور كون أحد من المجتمعات في الدنيا اسلاميا على الرغم من اختياره منهاجا غير منهاج الاسلام لحياته ... والدول والحكومات التي تقوم على مبادىء غير اسلامية ، لا يمكن تسميتها « حكومات ودولا اسلامية » لمجرد أن حاكمها كان مسلما .. اذ لادخل للاسلام فيها ولا صلة .. فاذا جاء أحد المجتمعات ، على بصيرة منه وبارادته الحرة ، يقرر أن الشريعة لم تعد منهاجا لحياته ، وأنه سوف يضع المنهاج لحياته بنفسه أو يقتبسه من مصدر غير مصدرها ، فليس ثمة سبب لنطلق عليه كلمة « المجتمع الاسلامي » أبدا !

هذا عن « المجتمعات » و« الدول والحكومات » .. أما بخصوص الأفراد ، فان المودودي يتحرج تحرجا شديدا ، ويدعو الى التحرج في الحكم عليهم بالكفر ، حتى لو خرجوا عن اطار الشريعة في ممارساتهم الحياتية .. فيقول : .. « أما أن يأتي فرد من المسلمين بعمل خلاف الشريعة في شأن من شئون حياته ، فهو أمر غير خطير لا ينقض به الميثاق ، وانما يرتكب به جريمة من الجرائم ... »

ومن هذه التفرقة - التي قد لا يستسيغها البعض - بين « الفرد » وبين « المجتمع » نلمح الوزن الذي يعطيه المودودي - بحق - للفروض الاجتماعية الاسلامية . فمثل هذه الفروض - كالجهاد .. واقامة الدولة .. والعدل الاجتماعي .. الخ .. - هي مما لا يستطيع الفرد وحده اقامته ، ومن ثم فان « المعصية الفردية » في الفروض الاجتماعية يلتمس فيها من الاعذار للافراد ما لا يلتمس للأمم والمجتمعات ! ..

ويمضي المودودي ، في نصوص عديدة - من المفيد

ايراد بعضها ـ داعيا الى التحرج في قضية « تكفير المسلم » فيقول : « يجب ملاحظة قضية تكفير المسلم والاحتياط في هذه المسألة احتياطا كاملا ، احتياطا يتساوى مع الاحتياط في اصدار فتوى بقتل شخص ما ، وعلينا أن نلاحظ أن في قلب كل مسلم يؤمن بالتوحيد وأن « لا اله الا الله »ايمانا ، فاذا صدرت عنه شائبة من شوائب الكفر ، فيجب أن نحسن الظن ونعتبر هذا مجرد جهل منه وعدم فهم ، وأنه لا يقصد بهذا التحول عن الايمان الى الكفر ، لانه لا يجب أن تصدر ضده فتوى بالكفر بمجرد أن نستمع قوله ، بل يجب علينا أن نفهمه بطريقة طيبة ، ونشرح له ما أشكل عليه ، ونبين له الصواب من الخطأ ، واذا أصر على ما هو عليه ولم يتقبل ما عرض عليه ، بعد أن نلجأ لكتاب الله ، فنوضح له خطأ ما أصر عليه في ضوء كتاب الله ، ونبين له النصوص الصريحة التي تفرق بين الكفر والايمان . . . وهل هناك مجال لتأويل ما يصر عليه ، أم لا ؟ فاذا لم يكن هذا يخالف مخالفة صريحة النصوص الواضحة فلا يجب أن نتهمه بالكفر ، ويمكن أن نعتبر هذا الشخص من الضالين . . ولكن اذا كان ما يصر عليه يخالف النص صراحة ، ويخالف تعاليم كتاب الله ، وأنه لا يزال رغم هذا يصر على قوله أو فعله ، رغم عدم وجود أي مجال لتأويل قوله أو فعله ، حينئذ يمكن اصدار الحكم بالفسق أو الكفر ، وذلك لأن القضية هنا أصبحت واضحة ، ولها نوعية خاصة تستلزم اصدار هذا الحكم ، ولكن ، رغم هذا كله ، يجب ملاحظة درجات ومراتب مثل هذه القضايا ، اذ لا يستوي الجرم في جميع الحالات ، فيوجد بينها فرق في الدرجات والمراتب ، ويستلزم العدل أن نلاحظ هذه الفروق حين نصدر حكمنا . . . »

الأصول والفروع

وفي نص آخر يدعو المودودي علماء الاسلام للتمييز بين « النص » وبين « التأويل » ومراعاة الفروق بين « الأصول » وبين « الفروع » وهم يحكمون على أفعال الناس . . . كما ينتقد شرعهم وعدم تثبتهم في اصدار أحكام الكفر ، التي هي أشد وأخطر من القتل المادي وازهاق الأرواح . . . ذلك « أن من يلعن مؤمنا كان وكأنه قتله ، وأن من يكفر مؤمنا كان وكأنه قتله » ان التكفير ليس حقا لكل فرد ، والتكفير جرم اجتماعي أيضا ، انه ضد المجتمع الاسلامي كله ، ويضر كثيرا بالمسلمين ككل . . . وللاسف أن علماءنا الكرام ليسوا على استعداد لترك هذا الأسلوب بأي شكل من الأشكال ، لقد أهملوا التفريق بين الأصول والفروع ، وبين النص والتأويل ، فجعلوا من الفروع أصولا ، طبقا لما فهموه أو ما فهمه أسلافهم السابقون عليهم . . . وكان من نتيجة هذا أن كفروا من يقوم برفض فروعهم أو تأويلاتهم الدينية ، ليت العلماء يشعرون بخطئهم ، أو يرحمون الاسلام والمسلمين ، بل يرحمون أنفسهم ، ويتراجعون عن هذا السلوك المشين الذي أخجلوا به أمتهم ، هذه الأمة التي وضعتهم بين رموش عيونها . . . »

وفي نص آخر يقدم المودودي الدليل الشرعي على خطأ ـ بل خطيئة ـ تكفير المسلم . . فالرسول ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله » . ان الرسول ، ﷺ ، انما يبين في هذا الحديث قانون الاسلام الدستوري . وهو أن كل انسان اذا آمن بتوحيد الله ورسالة محمد ، ﷺ ، دخل في دائرة الاسلام ، ويصير مواطنا من مواطني الدولة الاسلامية ، وأما هل هو صادق في ايمانه في حقيقة الأمر ، أم لا ؟ فهذا ما على الله حسابه ، وليس من حقنا أن نشق قلبه ونحكم عليه بشيء ، يقول ، ﷺ ، في حديث آخر : « لم أومر أن أشق على قلوب الناس ولا عن بطونهم » ان الضمان بحفظ النفس والمال والعرض يناله الانسان بمجرد شهادته بالتوحيد واقراره بعقيدة الرسالة ، وليس من حق غيره أبدا بعد هذا يسلبه حقا من حقوق المواطنة في الدولة الاسلامية الا بحق الاسلام ، أي اذا أبى أن يؤدي شيئا مما عليه من الحقوق لله وللخلق ، فيعاقب بحجم جريمته . . . »

لكن الأستاذ المودودي ، بعد هذا الوضوح والتحديد ، اللذين ميز بهما بين « الفرد » و « المجتمع » ، فحكم بكفر المجتمع ان هو خرج عن الشريعة والحاكمية الالهية . . ودعا للتحرج والامتناع عن تكفير الفرد ان هو صنع ذلك ، وطالب العلماء بالتمييز بين « الأصول و « الفروع » بين « النص »

و « التأويل » . . . بعد أن صنع المودودي كل ذلك ، قادته صياغاته ، التي تركز أحيانا على بعض جوانب القضية دون جوانبها الأخرى ، التي تتسم أحيانا بما يمكن تسميته استخدام صيغ « الترغيب والترهيب » في معرض الصياغة للقضايا الفكرية الدقيقة والشائكة ، التي تتطلب دقة في الصياغة والتعبير وانتقاء المصطلحات . . . عاد المودودي فقادته هذه « الخصائص السلبية » الى تقديم صياغات أخرى في ذات القضية ، تعطي مفاهيم مخالفة ، وتبعث ـ وهي قد بعثت بالفعل ـ في صفوف جماعات اسلامية معاصرة الحمية والحماس في اتجاه الحكم بالكفر على الأفراد ؟ ! . . .

فبعد أن رفض المودودي ـ كما قدمنا ـ تكفير الفرد بالخروج على الشريعة ، عاد ليصفه بعدم الايمان ، والنفاق والكذب في دعواه الايمان ، ويحكم بانعدام قيمة ايمانه أصلا ! . . . فقال : « فمن أظهر الرضا والطاعة لحكم الشريعة اذا كان موافقا لما يريد ، ورفضه اذا كان مخالفا لهواه ، وآثر على الشريعة القوانين الأخرى الرائجة في العالم ، فليس بمؤمن ، بل هو منافق وكاذب في دعواه الايمان ، لانه لا يؤمن بالله والرسول وانما يؤمن بهواه ، وهو وان كان يؤمن بجزء من أجزاء الشريعة بهذا السلوك العجيب ، فان ايمانه لا قيمة له أصلا عند الله تعالى . . . » !

تسع وتسعون بالمئة !

وفي نص آخر ـ تلقفته وانتزعته وطبعته مستقلا احدى الجماعات الاسلامية التي حكمت بالكفر على المسلمين أفرادا وجماعات ودولا ومجتمعات وعلوما ومعارف ومؤسسات ـ يقول الاستاذ المودودي ، نافيا الاسلام عن أكثر من تسع وتسعين بالمائة من المسلمين ؟ . . . « ان في المسلمين أنفسهم ـ دع عنك ذكر غير المسلمين ـ تسعا وتسعين في المائة ، بل أكثر من ذلك يدعون أنفسهم « مسلمين » ، ويعبرون عن دينهم بكلمة « الاسلام » . ولكنهم لا يعلمون ما هو « المسلم » وما هو المفهوم الحقيقي لكلمة « الاسلام » . . .

وفي موطن آخر يغض من شأن اسلام الجمهور الأعظم من أمة الاسلام ، فيصفه بأنه لا يعدو أن يكون « اجازة أو تصريحا بالدخول في دائرة الاسلام » ، فهو « اسلام من الناحية القانونية » لكنه « ليس الاسلام عينه . . وليس جوهر الاسلام » . . فاذا ما ذهب ليحدد شرائط الاسلام الحقيقي ، وجدنا هذه الشرائط من علو المقام بحيث لا يبلغها الا خاصة الخاصة من دعاة الاسلام وقديسيه . . « فجوهر الاسلام هو : أن تطوع ذهنك وفق مبادىء الاسلام ، ويصبح أسلوب تفكيرك هو أسلوب القرآن في التفكير ، وتصير نظرتك الى الحياة وأمورها هي نظرة القرآن لها ، وترى الأشياء بالمعيار الذي اختاره القرآن وحدده ، وأن يكون هدفك الشخصي والجماعي هو الهدف الذي بينه القرآن وأقره ، وأن تتخلى عن مختلف طرق الحياة ، وتختار طريقا تحدد اختياره بما تلقاه من قوانين القرآن والسنة المحمدية ، وأن توحد مشاعرك ومشاعر القرآن . . »

ونحن لو شئنا صياغة تكثف هذه الشرائط فسنجدها في حديث أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، عندما وصفت رسول الله ، ﷺ ، فقالت : « كان خلقه القرآن » ؟ ! . . .

ولو كانت شرائط الاسلام الحقيقي ، عند الاستاذ المودودي ، هي التوحد بالقرآن في « الأصول » ، بالتوحيد في الألوهية ، والايمان بالنبوة ، والبعث والجزاء ، والأركان التي تحددت للاسلام والايمان ، لما كان هذا الاسلام معجزا للجمهور العريض ـ لكن الرجل عاد مرة أخرى ـ وبعد أن رأينا دعوته علماء الاسلام للتمييز بين « الأصول » و « الفروع » ـ عاد فوحد بين « الأصول » و « الفروع » ، واعتبر الخروج عن « الفروع الدنيوية » التي أشارت اليها الشريعة بمثابة « الردة الجزئية » التي تفضي الى « الردة الكلية » عن دين الاسلام ؟ عاد ـ مرة أخرى ـ الى هذه الصياغات القلقة والخطرة ـ التي أحدثت وتحدث الجدل واللغط وتزكي نزعة التكفير للمسلمين ، في صفوف الصحوة الاسلامية الجديدة ـ فقال : « انه لا يمكن الفصل بين الفروع « الدينية » و « الدنيوية » . . . فالحياة « الدنيوية » بأكملها حياة « دينية » . . ابتداء من العقائد والعبادات حتى أصول وفروع الحضارة والمجتمع والسياسة والاقتصاد فان سلكت في قضاياك السياسية والاقتصادية مسلكا يتفق وخطة أخرى غير خطة الاسلام المحكمة ، فان صنيعك هذا يعتبر ارتدادا جزئيا يفضي بك الى ارتداد

كلي نهائي . . !

فهو هنا : قد أدخل الخروج عن « الفروع الدنيوية » في « الردة الجزئية » المفضية الى « الردة الكلية والنهائية » عن الاسلام . . . وهو قد عنى « الفرد » بهذا الحديث ، وليس فقط المجتمع والدولة . . بل انه ليذهب على « درب الصياغات الاثارية والقلقة » الى نفي الاسلام عن الذين يطلبون الأدلة العقلية ، حتى تطمئن نفوسهم للطاعة والتنفيذ ، فيقف موقف « السلفية النصوصية » التي ترى الانسان كائنا مطيعا ، حتى لو لم يعقل ما يأمره به الدين ! . فيقول المودودي : « ان من يطلب الدليل العقلي ، ويأبى أن يمتثل أمرا من أوامر الله الا به ، فلا شك أن مقامه الصحيح خارج حدود الاسلام لا داخله . . ! . .

حقيقتان حول المودودي

وهذا الموقف غريب عن النهج العقلاني للاسلام . . فكون « العقل » ـ في الاسلام ـ هو مناط التكليف ، يتجاوز المعنى الشائع الذي يسقط التكاليف عن المجنون ، الى حيث يطلب من المسلم « عقل » و « تعقل » التكاليف . . . وكما يقول الامام محمد عبده : « فان أول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي ، فهو وسيلة الايمان الصحيح . . والاسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ، والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري . . والمرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن رُبي على التسليم بغير عقل ، والعمل ـ ولو صالحا ـ بغير فقه ، فهو غير مؤمن ، لأنه ليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير ، كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكي نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه ، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه ، ويكون فوق هذا ، على بصيرة وعقل في اعتقاده . »

واذا كانت صياغات الأستاذ المودودي قد حوت ـ في هذه القضية ـ قضية « التكفير » ـ هذا التفاوت ـ بل التناقض ـ الذي عرضنا له . . واذا كان البعض يجتزيء نصوصه التي تحكم بالكفر على المسلم ان هو لم يلتزم بـ « الفروع الدنيوية » ، ويبرزها ويقف عندها ويكتفي بها . . فإننا نود أن ننبه الى حقيقتين نختم بهما هذه الفقرة من هذا الحديث . .

الأولى :

ان النصوص التي كتبها المودودي يجب تفسيرها بالمنهج الذي أوصى به هو ذاته . . . تعرض على بعضها ، وتقارن ، ثم تعرض على الادلة الشرعية التي دعمها هو بها . . ولقد أفاض الرجل في الدعوة الى التحرج من تكفير المسلم ، ودعا الى التمييز بين الفروع والأصول والنصوص والتأويل . . ودعم حديثه هذا بالأدلة الشرعية التي استقاها من السنة النبوية ، على وجه الخصوص . . وهذا الموقف هو المتسق مع اجماع تيارات الفكر السني ومذاهبه ، التي قطعت بأن الدولة والسياسة وتنظيم المجتمع هي من الفروع المفوضة الى نظر الخلق ، وأنها ليست من العقائد والأركان والأصول . . ومن ثم فإن معايير الخلاف فيها هي « الضرر » و « المصلحة » و « الخطأ » و « الصواب » وليست « الايمان » و « الكفر » . .

والثانية :

أننا نجد تناقضا ـ لا بد من التنبيه عليه ـ في كلام الأستاذ المودودي ـ بين رفضه تكفير « الفرد » بمعصيته في « الفروع » وبين تكفيره « المجتمع » بعصيانه في ذات الفروع . . فالمجتمع هو مجموع الأفراد ، في طور « كيفي » أرقى وأكثر جدة . . ومن ثم فان معايير « الكفر » و « الايمان » يجب أن تظل مقصورة على تقييم الالتزام ، أو الخروج عن « العقائد والأصول والأركان » الاسلامية ، دون اقحامها في ميدان « الدولة » و « الخلافة والامامة » طالما كان الاجماع السني على أنها من الفروع وليست من أصول الدين . . وليس في هذا تقليل من شأن هذا الميدان ، ولا تهوين من عظم المهام النضالية التي على المسلمين أن يخوضوها لأسلمة دولهم ومجتمعاتهم والواقع الذي يعيشون فيه ، وانما هو الحرص على عدم « خلط الأوراق » ، وحتى لا تنفتح في الفكر الاسلامي ثغرة لـ « الكهانة » ، يميز الاسلام بالبراءة منها ، ومناصبتها شديد العداء . . □

دعــوة إلى قــراءة في :

دفاتر مهجورة

بقلم : الدكتور راشد المبارك

حول هموم وشئون العالم الاسلامي والوطن العربي . . يتخذ كاتب هذا المقال خطا مغايرا مختلفا عن النمط المكرر من التعليل والتحليل فيما يكتب ويشاهد ويذاع . . وهي دعوة لمحاولة فهم بواعث مايعانيه الوطن العربي والاسلامي وتشخيص لسبب ماهو عليه من حال .

يصدم المتأمل لحال العالم الاسلامي ـ ومنه الوطن العربي ، والقارىء لتاريخه في حاضره وماضيه القريب ، ماهو عليه من حالة عجز وتضعضع شديدة الوضوح في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، تظهر في تعامله مع الناس والأشياء ، وموقفه من الناس والأشياء ، وفي معالجته للمشكلات والأحداث ، توازي ذلك حالة مماثلة ومساوية في التعامل مع وحدات المادة فهما لقوانينها وأسرارها ، وتطويعا لها فيما يفيده ويعليه . هذه الحالة على درجة من الوضوح والبروز ، بحيث يكون كل تدليل عليها أو تفصيل لها نوعا من الجهد الذي يسقط من حسابه الحد الأدنى من المعرفة والادراك لدى الفرد العادي ، ذلك الفرد الذي عاش في أكثر حالاته مستثار المشاعر ، والاحساس بما يشاهده من ذلك الواقع الأليم .

كيف حدث ذلك ، ولم حدث ، ولماذا استمر هذه الحقب الطويلة من الزمن ؟ . . ماهو سر استعصاء هذه الحالة على العلاج . . . ، كيف لم يوجد الشعور الحاد بها ، والحديث الدائم عنها ، وماقدم على أنه تشخيص وعلاج شفاء منها أو تقليلا لايغالها وشمولها ؟ . . .

لماذا لم ينفع العالم الاسلامي تداويه بكل الأصناف التي تعرضهاحوانيت الأدوية المصنوعة في أرضه أو المجلوبة اليها . . لماذا لم تنفعه الأدوية المحضرة والموصوفةلعلاج كل الأمراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية . . ؟ ما علة تحول جسم

العالم الاسلامي ـ ذلك الجسم البدين في وزنه الهزيل في قدرته ـ الى مثل حاد الدلالة على فشل كل الأدوية في الشفاء من بعض الأمراض ؟ . . ما الذي جعله في حصانته ضد الشفاء استثناء من القاعدة التي اندرج تحتها كثير من الشعوب والمجتمعات ؟ . . .

هل سبب مايعانيه العالم الاسلامي جزء من الذات أم خارج عنها ، هل هو نابت من أرضه أم وافد اليها ، هل العلة نضوب الطاقة أم مجافاة الظروف ؟ . . .

اتفاق عقيم

ألفت فئات من الناس تقديم التفسير والتبرير ووصف العلاج لكل الأعراض والأمراض الوافدة والمواطنة في ذلك الجزء من الأرض ، واذا كان مقبولا في بواعثه وأسبابه ، وهي الأسباب التي صنعها احساس ملازم لدى هذه الفئات بواقع أمتهم ، والتماس وسائل الخروج منه أو عليه ، فان اجماع هذه الفئات على صيغة واحدة وسبب مفرد تراه علة كل ما واجه العالم الاسلامي من صروف وهزائم ونكبات ، وتقديم هذه الصيغة لباسا لكل حالة مهما كان مقاسها ، وحلا لكل معادلة مهما كانت درجتها ، قد أقاما بالتلقين والمحاكاة حاجزا منيعا سد منافذ الحركة والارتياد ، بحثا عن غير ما قدم من علل وأسباب .

تتفق هذه الفئات على تباين اتجاهاتها ومشاربها على تفسير وحيد ، تراه تعريفا مانعا جامعا لما وصل اليه العالم الاسلامي ، من قدرة انفرد بها على صحبة دائمة للعجز ، وتخلف باعد بينه وبين كثير من شعوب الأرض ، وفرقة تنافس في مافي طبيعة الشحنات المتماثلة من تنافر ، هذا التفسير الوحيد الجامع المانع هو « **الظروف والاستعمار** » . واذا كان من غير المجدي بحث أسباب هذا الاجماع وبواعثه ، فان أول مايجبه المرء في هذا التعليل أمور ثلاثة :

الأول : نظرة تخلط بين النتائج والمقدمات ، وتضع عرض الحدث ومظهره موضع أسبابه وجوهره .

الثاني : الاعلان الضمني لشهادة براءة للذات ترددها كل الألسنة والمنابر والأقلام ، مسقطة ايه تبعة يمكن أن تنسب الى الذات في التسبيب لهذا الواقع ومسئوليتها عنه ، وصادة أية محاولة لاعادة النظر فيما الفناه من المواقف والأفكار وأنماط التعامل مع الظروف والأحداث .

الثالث : اجهاض لأي توجه للبحث أو التفكير في التماس عوامل وأسباب أخرى ، قد تكون أبلغ أثرا وخطرا في صناعة هذا الواقع الكئيب .

ان النظرة السابقة لم تعان الحيرة في تقديم جواب مقنع لكثير من الأسئلة .

هل الظروف والاستعمار ـ على فرض وضوح وتحديد ما تحمله هاتان الكلمتان من مضمون ـ مرض أم عرض لمرض ؟ هل هما نتيجة أم مقدمة ، هل ضعف العالم الاسلامي سبقه استعمار وظروف مجافيه ، أم جاء الاسعمار وجفوة الظروف لأنه سبق ذلك شيء آخر صنع استعدادا للاصابة بهما والتقبل ؟ . . هل انتصر الغزو الغربي على العالم الاسلامي وهو قوي ومتفوق ، واذا كان كذلك فكيف استطاع الغزو التغلب على قوي ومتفوق ، بل كيف ولماذا لم يحدث العكس ؟ . . . .

وهذه الظروف ـ الظالمة المظلومة ـ هل اكتنفت العالم الاسلامي وتآمرت عليه عندما كان قويا ومتفوقا ، أم أنها تداعت عليه عندما لم يعد كذلك ؟

على الاحتمال الأول ، هل يمكن أن يكون قويا ومتفوقا دون أن يملك أسباب القوة والتفوق ، مما دُعيَ بعض تلك الأسباب ظروفا ؟ . . .

وعلى الاحتمال الثاني ـ أي اصطلاح هذه الظروف عليه عندما لم يعد قويا ومتفوقا ـ هل يجوز أن تكون الظروف مسئولة عن صيرورته ضعيفا غير قادر على الابداع ، وقد جاءت لاحقة لضعفه لاسابقة عليه ؟ . . .

هل من المنطق الذي لايضع النتائج موضع المقدمات ، القول أن ظروف أهل مقدونية وبرابرة القوط الذي أسقطوا أثينا وروما صنعوا ذلك لأنهم أطول صحبة لتاريخ عريق ، وأكثر ممارسة لشؤون السياسة والحرب والفلسفة والاجتماع ممن انتصروا عليهم ؟ . . هل يمكن القول أن انتصار العرب المسلمين على ذلك التاريخ الطويل من الظروف المواتية والمحابية لدولتي الفرس والرمان ، هو انتصار صنعته ظروف محابية للمسلمين ومجافية للجانب الاخر ، اليست الشحنة التي جاء بها الاسلام

فأشعلت الطاقة الخابية في الذات ، وصارت جزئا منها ، هي العامل الوحيد الذي رجح بكل ما لدى كلتا الدولتين من أسباب التفوق الصانع للانتصار ؟ . . .

هل هم كثيرون الذين يدركون أن هذه المقولة المبرئة للنفس والملقية بالمسئولية على سواها هي أبلغ هجاء للذات العربية المسْلمة والمجتمعات العربية والمسلمة ، حيث تضعهم في موضع من ينفعل ولايفعل ، ويتأثر ولايؤثر ، اي تضعهم في موضع واحد لم يؤهلوا لسواه ، ولم يجدوا قدرة على الخروج عليه ، هو موضع المادة المطاوعة القابلة للطرق والثني والتشكيل ؟ . . .

اختلاف ممزق

الاتفاق الذي يثير الدهشة في تشخيص الداء تشخيصا يضع النتائج موضع المقدمات ، يناظره انقسام المجتمعات الاسلامية الى قبائل لايفصلها تباين الاعراق واللغات والألوان ، بقدر ماتفصل بينها عوامل شديدة الفتك من مذهبية متعصبة ، ورأي لايعرف الاتفاق ، وتوجه لم ينفع في الرجوع عنه ، أو مراجعته ما أدى ويؤدي اليه من واقع وبيل .

لقد صنع هذا الانقسام ماتقتات به المجتمعات المسلمية من اختلاف صارخ في تحديد مايلائم حالها من علاج ، لعل من أول مظاهر الدمامة فيه هو أن كل قبيلة تملك كل الاقتناع والجزم والتأكيد ، بأنها هي الوحيدة القادرة على الرؤية النافذة والرأي الاقوم ، والتحليل الذي لايخطي للعناصر والمركبات ، وتبلغ هذه الدمامة أوجها ، ليس عندما ترى كل واحدة أن القبائل الأخرى فاقدة لما تدعيه هي ، وتعتقده في نفسها من مواهب وصفات ، بل عندما تشعر بكل الاقتناع والتعبير عنه ، والممارسة له اتهاما لسواها ، بفساد النية وسوء القصد ومرض الاخلاق والطباع ، وعندما تعيش واقعها ـ بناء على ذلك ـ توزعا الى شراذم تتحصن كل واحدة منها وراء أسوار من التوجس ، وسوء النظرة والتربص ، بكل القبائل الأخرى ، مبددة جهدها في انشاء قصائد هجاء ، واعداد حرابها وقسيها لحروب البسوس ، ولايخفي تفوق قبائل الاعراب في هذا الشأن ، كما لايخفي مافي هذا التفوق من مواجهة ذكية ومتحضرة لتحديات الظروف والأحداث .

ترى كم هي حادة وأليمة تلك الفاجعة التي تظهرها المقارنة بين ماتقتات به وتحترقه وسائل الاعلام بين « القبائل المختلفة » من تبادل الطعن والاتهام بكل مافي قواميس اللغات من ألفاظ الهجاء ، وبين ذلك الشعور الذي عبر عنه طبع نبيل تجاه من حمل السلاح في وجوههم وحلوه فلم يزد على أن قال :

ظللت أساقي الموت اخوتي الألي
أبوهم أبي عند الحفيظة أو جدي
كلانا ينادي يا نزار وبيننا
قنا من قنا الخطيّ أو من قنا الهندي
كفى حزنا أن لا أزال أرى القنا
تمج نجيعا من ذراعي ومن عضدي
واني ـ وان حاربتهم وجفوتهم
لتألم مما عض أكبادهم كبدي

لقد تحول العالم الاسلامي ـ والعالم العربي منه بوجه أخص ـ الى مختبر واسع لاجراء تجارب غير ناجحة على كل المذاهب والانتماءات والأفكار ، ثم صار ميدانا لمصارع وفشل هذه المذاهب والنظريات ، لما صاحب ممارسات الأنظمة الحاكمة لهذه المذاهب أو ممارساتها الذاتية باسم هذه المذاهب من اخفاق كان أبلغ هجاء لذلك المستوفد الغريب ، لا لأنه يقوم على فروض ومعطيات لاتتفق مع جذور ومواريث العالم الاسلامي فحسب ، ولكن لأن ممارسات المستوفدين المتوترة وأدت كل ما يحتمل في هذه المذاهب ، من جوانب ذات عطاء ينبغي الاستفادة منه .

قاسم مشترك

اذا كان من الخطأ الاعتقاد بأن هناك سببا واحدا أدى الى مالحق بالعالم الاسلامي من حال ، وأن الأقرب الى الصواب القول أن ذلك جاء نتيجة لتداخل واصطلاح عوامل عدة ، قوي أثرها بالتراكم والتداعي الطويلين ، وأن أول هذه الأسباب وأقواها هو مايتعلق بالذات ، فانه يمكن القول دون خوف من الوقوع في الخطأ ان من العوامل التي ينبغي أن تكون

موضع الدراسة والتحليل ، تلك الظاهرة الفريدة التي طال شقاء العالم الاسلامي باصابته بها وتوطنها فيه ، والتي تستوقف المتأمل محيرة له بشمولها وديمومتها وتعاقبها ، مهما اختلفت في مكانها أو صورتها أو أسلوب ظهورها ، وانه ليحار في تعليل صيرورة الأرض الأسلامية تربة ملائمة لهذه النبتة على تباعد اقطار هذه الأرض واختلاف مناخها الطبيعي والبشري ، تلك هي أنظمة الحكم المطلقة في معظم أجزاء العالم الاسلامي ، وما صاحب ذلك الاطلاق من واقع وبيل .

هل يمكن لمتأمل أن لايشعر بالدهشة والذهول وهو يرى ذلك الجزء من الأرض المختلف في طبيعته الساكنة ، والمتحركة والمتباين في انتماءاته وشعاراته وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، متفقا على شيء واحد فقط مهما بلغ اتساع خلافه ودرجة تباينه في الأشياء الأخرى ، وهو هذا النمط من أنماط الحكم ؟ . . .

أليس من المحير أن يكون ذلك في المجتمعات الاسلامية ، حيث يكون هذا النمط مصادمة لمطلب يوجبه الاسلام الذي تدين به هذه المجتمعات ؟ . .

هل من الممكن أن يصبح العالم الاسلامي الحليف الدائم والوفي لتلك التجزئة التي صارت من سماته وخصائصه ، ولولا وجود الأنظمة المتفردة التي يرى كل نظام أن ذلك الجزء الذي انفرد به نوع من الضياع التي لايجوز أن يفرط في ملكيتها فهو يتعامل بها ولايتعامل معها . يتعامل بها بالرهن والاقطاع والتأجير . ولايتعامل مع من في ذلك الجزء من بشر لهم حقوق ومشاعر ورؤي وأفهام ، كيف حدث أن بقيت الهند ذات السبعمائة مليون نسمة والمئات من اللغات الممثلة لأعلى درجات القدرة على قناعة الانسان بأدنى ماتقدمه الحياة من وسائل العيش ومستوياته موحدة ، ليس ترويع السلطة أكبر هموم الفرد فيها ولابعض هذه الهموم ، على حين لم يحتمل بلد أخرى مجاورة أعباء الوحدة أكثر من عقدين من الزمان ، عرفت قبل تجزئتها وبعدها مايمكن أن يكون تبريرا وتأصيلا لهذه التجزئة ؟ . . . .

من الجائز بل من المؤكد صحة القول ان هذا النمط من أنظمة الحكم هو عرض من أعراض المرض ، ونتيجة من نتائجه ، واذا كان ذلك ظاهر الصحة فانه من المحتم كذلك أن هذا العرض هو أقوى العوامل المسببة لاستمرار مايعانيه العالم الاسلامي من حال ، **انه الحليف الدائم والصديق القادر على اعطاء المواطنة لما يشكو منه العالم الاسلامي من أمراض .**

هل هي مقولة ظالمة ؟

توجد في العالم الاسلامي مقولة تروجها فئات خادعة مستفيدة أو مخدوعة مستثمرة ، هذه المقولة هي أن الشعوب الاسلامية ويشملون بهذا الحكم سواها من المجتمعات المماثلة في لأوائها للمجتمعات الاسلامية من باب العدالة في توزيع الاتهام ـ غير مؤهلة بعد لحكم الجماعة ، ومع مافي هذا القول من حكم مؤبد على هذه المجتمعات بعدم أهليتها لبلوغ سن الرشد ، ووضعها في دائرة الولاية على القاصر ، **فان اطلاق هذه المقولة والتسليم بها لايتطلبان مستوى متفوقا من بلادة الذهن وخمود الوجدان لدى المتقبل لها فحسب ، بل يقتضي كذلك وجود هذه المزايا لدى المطلقين لها عندما يفترضون أن هناك من يقبل ذلك أو يأخذ به .**

من وجهة نظر اسلامية لايخفي مافي هذه المقولة من تعارض مع ما أصله الاسلام ، ومن أي وجه أخر ، **فلم تخلق بعد فئات من البشر مؤهلة منذ البداية لحكم الجماعة ، وفئات أخرى ولدت مشلولة الأعضاء محتاجة الى المعالجة والتدريب والمران ، وعلى فرض ذلك هل يمكن اجادة شيء أو اتقانه ، وحسن التعامل به أو معه دون المعرفة به والممارسة له وتطبيقه ، والاستفادة من التجربة والخطأ بالتطبيق ؟ . . .**

هل يمكن أن يكون التحريم المؤبد لشيء ما ، ومنع تداوله هو الطريقة المثلى لمعرفة ذلك الشيء ، والممارسة الرشيدة له ؟ ثم هل هو من المؤكد أن النظام أو الحزب المتفرد بالسلطة أو الفرد الممارس لها باسمه ، المخول لنفسه حق التفرد بصياغة حاضر أمته ومستقبلها ، المصادر لحق مجتمعه في التفكير والتعبير والمشاركة في صنع واقعه ومصيره ، والمحتمل عنه في فدائية لامثيل لها أعباء التفكير والتغيير والصياغة ، لأماني واحتياج ذلك المجتمع وأشواقه وتطلعاته ورغائبه ، هو الأب الحاني

على الديمقراطية ، الممهد لها الطرق ، المذلل لمسيرتها عسيرة الفجاج ؟ . . .

أليس من طبائع هذه الأنظمة أنها لاتصنع الهوان والتهدم والترويع لمجتمعاتها فحسب ، بل يكون من ضحاياها المتربعون على هذه الأنظمة أنفسهم ، حيث لايعيشون الا داخل أسوار عالية ينعدم داخلها الأمن النفسي والطمأنينة والسلام الداخليان ويعيش فيها نبات شرير من التوجس والحذر والهواجس ؟ . . .

ليس قريبا الى مايعقل ويقبل الافتراض بأن الذين انفردوا بالسلطة تحركوا اليها بدوافع رديئة وشريرة ، منها الرغبة أو القصد في اذلال شعوبهم وترويعها وافقارها واطعامها ما تقتات به من هوان ، ولكنهم في الغالب ـ وباستثناء شواهد شاذة تؤيد القاعدة ولاتنقضها ـ تحركوا في البدء رفضا ودفعا لما تعانيه شعوبهم من هذه الأرزاء واسقاطا لها ، ولكن وصولهم الى ذلك عن طريق المدفع والحراب يحمل في طياته بذور مرض لم تعرف قواميس الطب له تعريفا . . هو مرض التفرد بالسلطان .

ان الطريقة التي وصلوا بها الى الحكم ، تجعل هم الحاكم المتفرد ، وهاجسه الأكبر هو حماية نفسه وسلطانه من مدفع آخر يصل اليه أو يطلق عليه بنفس الطريقة التي وصل بها وأطلق ، وهكذا تكون كل مصالح الأمة ورغباتها وغاياتها الكبرى محكومة بمدى قربها أو بعدها ، وتحقيقها أو تعارضها مع الهاجس الرئيس ، وهو حماية وضمان استقرار واستمرار ماوصل اليه من سلطان .

انه يخاف فيظلم ثم يظلم فيخاف ثم يخاف فيظلم فيستمر هذا التفاعل المتسلسل الذي لم يعرف التفاعل النووي المتسلسل مثل فداحته وتدميره وصنعه لسوء المصير .

ان من المروع في ذلك النمط أنه يخلق بوقوعه ويؤصل بتعاقبه مناخا رديئا تعيش فيه قطعان من الناس تقتات بالمذلة والهوان وفقد الاحساس باحترام الذات ، لذلك فانه لم يوجد نظام مهما كان رديئا أو متوحشا ومفترسا لكرامة مجتمعه وإبائه ، خلا من جيوش عالية الضجيج ، رافعة لاعلام الحكم المتسلط ، صانعة له وباسمه كل مايعانيه مجتمعه من ويلات .

لاحدود لكثرة وتعدد مايبعث على الحزن والألم او الغضب والانفعال في هذا العالم ، ولكن أشد الأشياء اثارة لهذه المشاعر هو تلك المساحة الممتدة الأبعاد من غباء الانسان وضعفه وعشقه الدائم للتبعية ، والانضواء من جانب ، واصابة أفراد منه في الجانب الأخر اصابة متأصلة بحب التسلط والسيطرة والاستبداد .

ما أكثر ماتصاب اجهزة الاتزان والرؤية والاباء لدى الانسان بالشلل الذريع المعطل لكل مناعة ضد مايلوث الذات فينساق مبهورا أو مذعورا أو مندفعا ، هاتفا أو مسحوقا أو داعيا لمذهب أو حزب أو زعيم ، **ان فردا أو أفرادا ، يكونون بمولدهم بعض الوسائل لعقاب البشر ، يستطيع أو يستطيعون بسبب اهوائهم أو مطامحهم أو توتر طباعهم أن يحولوا مجتمعاتهم أو جل هذه المجتمعات الى قطيع بذيء الضجيج ، والهتاف والثناء على عبقرية السائق لهذا القطيع وقدسية مايطرحه من شعارات .**

وان من أكثر الأمور غرابة أنه قل أن يوجد شعب ملك حصانة كافية ضد هذا التحول ، أو لم توجد به فئة أو فئات قادرة على التحرر من احترام الذات ، وما كتبه هذا القطيع أو الممثلون له في فرنسا عن عبقرية نظام الاحتلال النازي الذي أسقط واستباح فيهم مايحرص عليه البشر من حرمات ، بعض الأمثلة الحادة على هذا التحويل .

ان سرعة سقوط الناس أي بعضهم تحت تأثير أي زعامة أو فكرة أو تسلط شخص أو أشخاص ، يتحول الى تقديس لايقابلها في غرابتها ودمامة واقعها الا البطء الشديد الممض والممل لنهضتهم من ذلك السقوط ، أن الشفاء من ذلك الداء قد يستغرق قرونا

ان تعامل أكثر الناس مع الأشياء والمذاهب والأفكار المحدد لموقفهم منها وتقبلهم لها ، ليس تعامل من يحاكمها مشترطا في الشيء ومشترطا له ومشترطا عليه ، ولكنهم يحددون مواقفهم من كل ذلك بالتبعية والتلقين والاندفاع ، وبدافع العجز الذهني أو الاجتماعي أو النفسي عن المساءلة والاستشكال ، وكم البس هذا الواقع تاريخ البشر من ليل بهيم . . □

الأرض متكأ ضيق

"مشاهد"

مشهد ١

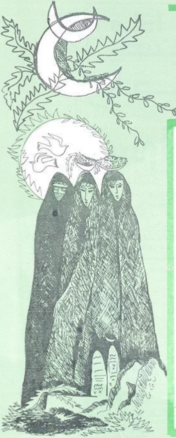
فيِ امتداد الترقب ليس به ما يطالُ
فيِ ضجيج السؤالْ
فيِ السكونِ الذي يبعثُ الخوفَ
منْ حولهِ ويضيعْ
فيِ الذهول المغيّب بينْ الدموع
فيِ الخميس المهيّأ للحزنِ والأتربةْ
فيِ الخطا المتعبةْ
فيِ الشرودِ المباركِ توقظُهُ أنّةٌ من بعيدْ
فيِ امتزاج العباءات بالرملِ . . . .
والصور المستعادة بالصبرِ
اغفاءة الشمس بالنسوة العائداتِ
بقايا وجوه بأشباحها
صوت نائحةٍ بالتوسلِ
هلْ كلما دارت الارضُ دورتَها
خلّفتْ كلَّ هذا الرمادْ ؟

مشهد ٢

كانَ فجر الخميسُ
لَملمتْ بينَ أضلاعها القلبَ
شدّتْ بأسنانها الصوت
واحتضنت ما تبقى .
دارت العربات بها
دارت الأمنيات القديمةْ
دارت سنينَ الطفولةِ
دارتْ جراحٌ
ودارَ نُواحٌ
أمامَ اصطفاف الحجارةِ موحشةٍ
تتحركُ وسطَ ركام السوادْ
بحثتْ عن حجارتِها
- روحها المستكينة فيِ القهرِ - فيِ القبر
واحتضنتْ ظِلّها ثم غابتْ
فموعدُها أن تغيبْ

مشهد ٣

فيِ السؤال الفصيحْ
حينَ يستمطرُ الصبحُ قطرةَ إشراقةٍ
حينَ تسبى المدائنُ عاريةً فيِ ميادينها
حينَ يصدأ نجمُ التذكرِ متبناً فيِ الأفقْ
حينَ مرَّ السحابُ على ضفتيه ولم يستفقْ
حينَ لاشيء تملكه غيرَ خطو



شعر : مؤيد الشيباني

تعثرُ من يأسها في مدىً لايُرى
أين تمضي اذن بالوداع الأخير

وأي احتمال نجا من هلاكِ القُرى
أينَ تمضي وقد أفلتْ نجمةُ العائلةْ

هذه الأرض متكأ ضيقٌ
فاض من حولها زمنُ الأسئلة

مشهد ٤

همست في بقايا الجسدْ :
ـ لاتنم انهم ينثرون عليك الخراب
انهم يسرقون الأبد
لاتنم ، كيف أحتمل الشمس دونك
ولمن أبعث القلب مكتملا بالحنينِ ـ

مشهد ٥

في المساء الأخير
شطرت دورة الروح نصفين :
نصف يحاول بعض استقامة
ونصف علامةٌ !

ماذا يصنع الحديد بجسم الإنسان

الدكتور / ابراهيم فهيم *

كان الاغريق يعتقدون أن « مارس » اله الحرب أودع الحديد سر القوة ولهذا كانوا يصفون الحديد لعلاج الضعف الناشيء عن الأنيميا والذي يعد أهم أعراضها .

أن الدور الذي يقوم به الحديد في جسم الانسان قد تحدد تماما .. ولا سيما بعد اكتشاف الاشعاع الذري للمعادن اذا أمكن تتبع ذرات الحديد المشع ، ومعرفة أجزاء القناة الهضمية التي يمتص منها ، والعوامل التي تهيمن على ذلك الامتصاص ، والطريق الذي يسلكه الى النخاع العظمي - مصنع الكريات الحمراء - حيث يدخل في تركيب الهيموجلوبين ، واماكن اختزان الحديد في الجسم ، والكميات التي تلفظ منه خارجه ، والاحتياجات اليومية منه لمختلف الأعمار والحالات .

وتتلخص النظرية التي قامت عليها هذه البحوث الجليلة النفع ، في أن المعدن المشع تكشفه ، اشعاعاته ، ويمكن تتبعه وتقدير كمياته ، مهما تكن من الضآلة . وذلك بفضل الأجهزة الذرية الشديدة الحساسية .

وهذا في الواقع هو الدور العظيم الذي تقوم به علوم الذرة لخدمة الطب وتقدم فن العلاج .

ان الخامات اللازمة لصنع كرية الدم الحمراء هي : الحديد ، وآثار طفيفة من المعادن الأخرى كالنحاس والكوبلت والمنجنيز ، وفيتامين « ج »

* استاذ الأدوية والعلاج بكلية الطب جامعة عين شمس

وفيتامين « ب » المركب ، وهرمون الثيروكسين ، ومواد بروتينية من الدرجة الأولى .

ويمتص الحديد من المعدة والاثنى عشرى والجزء الأول من الأمعاء الدقيقة عند درجة حموضة مناسبة ، ويقوم حامض الكلورديك الموجود في المعدة بأدوار هامة في عملية امتصاص الحديد .

ويساعد فيتامين « ج » وأملاح الصفراء في عملية الامتصاص . . . على أن لامتصاص الحديد من الأمعاء حدا لا يمكن تجاوزه ، فقد ثبت أخيرا أن خلايا الغشاء المخاطي المبطن للأمعاء تحتوي على مادة كيمائية تسمى « أبوفريتين » ، وهذه المادة تتحد مع الحديد ، ومتى تشبعت به فلا يمكن امتصاص كمية أخرى من الحديد .

وعندما يقل مستوى الأكسيجين في الدم تعطي هذه المادة حديدها ، وبذلك تسمح بامتصاص كميات اخرى من الحديد . . . . . اذ أن ذلك دليل الحاجة اليه .

ويستخدم النخاع العظمي أربعة مليجرامات من الحديد لكي يزيد هيموجلوبين الدم بنسبة ١٪ ويصل امتصاص أصلح المستحضرات الحديدية الى ١٤،٥٪ ، ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض مركبات الحديد المستعملة في العلاج لا تمتص منها سوى ٢،٥٪ وبحساب حاجة النخاع العظمي والحاجز المعوي ، يتضح أنه لا جدوى مطلقا من اعطاء كميات كبيرة من الحديد .

وتحتوي مخازن الجسم في النخاع والطحال والكبد والجهاز الشبكي الدفاعي على ٦٠٠ مليجرام من الحديد ، فاذا علمنا أن هيموجلوبين الدم كله يحتوي على ٢٥٠٠ مليجرام منه ، ادركنا أن نزف ربع الدم في جسم الانسان ، لا يترتب عليه حتما أن يصاب بأنيميا نتيجة لنقص الحديد .

ولو علمنا أن عمر كرة الدم الحمراء ١٢٠ يوما فان مايفقده الانسان من كريات الدم يوميا جزء من ١٢٠ جزءا . وعلى النخاع العظمي أن يعمل بصفة مستمرة على تكوين كريات جديدة . على أن الجسم يحافظ على الحديد ويمتصه ثانية من اشلاء ـ الكريات التالفة ، وقد ثبت أن مايلفظه الجسم من الحديد يوميا لا يزيد على مليجرام واحد ٠،٦ منه في البراز و ٠،٤ في البول .

ومن ذلك يتضح أن احتياجات الجسم للحديد بعد سن النمو هو مليجرام واحد يوميا . ويقدر مايحتويه الغذاء العادي الذي نتناوله يوميا من الحديد بمقدار خمسة مليجرامات يمتص منها الخمس وهو مايحتاج اليه الجسم فعلا .

غير ان الاناث يفقدن في دم الحيض الشهري ٣٠ مليجراما من الحديد ، ومن ذلك يتضح أن الفتاة بعد سن البلوغ تحتاج الى مليجرامين يوميا ، لتعوض مايفقد في البول والبراز يوميا ، ومايفقد في دم الحيض شهريا .

ولحصول الجسم على مليجرامين من الحديد يوميا ، يجب تناول ١٥ مليجراما منه في الغذاء اليومي ، وهو قدر يصعب توافره في الأغذية العادية .

وكذلك يحتاج الطفل للنمو الى مثل هذا القدر . وعلى هذا ، يجب اعطاء الحديد للأطفال والفتيات بعد سن البلوغ .

أما الأغذية الغنية بالحديد فهي : الكبد ، العسل الأسود ، العدس ، والمشمش ، البسلة الجافة . اللوز ، البندق ، القراصيا ، السبانخ ، والبيض . والتين الجاف ، والكاكاو ، والشيكولاته ، وتحتوي اللحوم الحمراء على نسبة ضئيلة من الحديد واقل منها تلك التي توجد في اللبن . □



اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد نوفمبر ١٩٨٦

عندما يتكلم الحجر

عن العرب في الشمال الإسباني

استطلاع: حسين عباس

القرآن وترجماته
د. جابر أبو جابر

تنظيم النسل في المجتمعات القبلية
د. محمود سلام زناتي

القتل بالإشعاع
د. سينوت حليم دوس

- الذكاء الصناعي / د. أنيس فهمي
- اسرائيل واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات / اللواء خضر الهادوي
- الاشجار رفيق الجنس البشري / بدور عبد الكريم
- مجاهد العامري / د. عصام سيالم
- أخطاء لغوية / د. محمد صادق زلزله
- منهج القرآن في تربية العقول / عبد الرزاق البصير
- العقاد .. بين الزمان والمكان / بقلم: سارة
- البرازيل .. عملاق القرن الواحد والعشرين / حسين أحمد أمين
- وجهاً لوجه .. أحمد بن يسف مع علاء الدين محسن
- كتاب الشهر: العرب وديارهم في كتاب صيني / نقولا زيادة

واقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي — د. عيسى درويش — كمال النجمي — د. غسان حتاحت

رجب سعد السيد — محمد سمارة — عبد القادر التلمساني — د. صلاح الهاشم

العرب وأوروبا

فى ثلاث قصص قصيرة

بقلم : محمد بدوى

تكشف قصص بهاء طاهر الأخيرة عن عنصر تكوينى جديد هو علاقة المثقف العربي ، باوروبا ، تلك العلاقة التي طرحها من قبل كتاب كثيرون لكنها عند بهاء طاهر تأتي ضمن عالم يلفه الحصار والاغتراب .

وهذا المقال دراسة للعنصر الجديد في قصص الكاتب الأخيرة .

تصدى كثيرون من كتابنا للكتابة عن هذه العلاقة الاشكالية،عالجها الحكيم في عصفور الشرق ويحيى حقى « في قنديل أم هاشم »من الاجيال التالية لهما ، تصدى لها يوسف ادريس في « البيضاء والسيدة فينا » والطيب صالح في « موسم الهجرة الى الشمال » وسليمان فياض في « اصوات » وغيرهم . وها هو بهاء طاهر ، يتأمل العلاقة المعقدة ، ويكتبها ، عبر قصص قصيرة متميزة ، احتازت رهافة وعمقا ونضجا ، يجعل منها اضافة مهمة .

ليس الحوار مع اوروبا- ترفا فكريا -ينشغل به اناس متعالون عن بقية سكان الوطن ، انما هو فعل ضرورى لمقاومة تحديات جديدة ، فاعلة ، ومنذرة .

لنقل ان اوروبا معطى موضوعى اجتماعي وتاريخي ، اذ شاء التطور التاريخي للبشرية ان تصبح اوروبا مهداً لما اصطلح على تسميته بالرأسمالية أي مهدا لنمط من الانتاج والعلاقات والسلوك ، وانساق القيم والنظرة الى الوجود .

فعلى مستوى من المستويات ، انهارت المصانع اليدوية ونشأت صناعات احدث واعقد ، بفضل ما سمي بثورة البخار ، وتدعمت التجارة البعيدة المدى ، وبدىء في انشاء البنوك وكان ضروريا ان يتجاوب مع هذه التغيرات تغيرات اخرى موازية في السياسة والثقافة ، فظهر الى الوجود ما يسمى « بفرسان القانون » وهم الرجال الذين اعدوا للدفاع عن الطبقة الصاعدة ومصالحها عن طريق القانون ، ونشأ التمثيل النيابي ، متجاوبا مع الصحافة وحرية البحث العلمى وحرية تكوين النقابات المهنية والاحزاب السياسية . ان هذا يعنى أن اوروبا بازاء انتاج موسع ، يفيض عن حاجة اسواقها ، وبازاء حاجة لمعين من المواد الاولية ، ومن هنا نشأت ظاهرة الاستعمار الذي كان مدججا لابالجيوش الجرارة فحسب ، ولكن بالعلماء والمستشرقين والجواسيس ، وبدعاية ضخمة عن تمدين البلاد المتخلفة وتحديثها ، فضلا عن نمط براق ومغو من السلوك وطرائق العيش ، لكن ذلك كله لم يستطع ان يخفى قبح الوجه

الغازي . كانت اوروبا تبدو قوة ضخمة قاهرة قد أتت بخيلها ورجالها لنهب البلاد المتخلفة وتحطيم بناها الذاتية ، وشل قدراتها على النماء والتقدم . وكان سكان هذه البلاد متخلفين ، فقراء لاحول لهم ولا طول .

على ان الأمر كان مختلفا الى حد ما بالنسبة لنا نحن العرب ، فنحن امة ممتدة في الزمان ، تمتلك تراثا شاسعا يجمع كل اشكال المعرفة الانسانية من آداب وفنون وعلوم وايديولوجيات ، ولذلك كانت مدافع نابليون التي ضربت القاهرة اشارة الى الخطر التاريخي الذي يتهدد ذات الامة ، وكان الصراع مع الآخر مزدوجا . لقد اصابنا شيء قريب من الندم ، كنا حملة مشاعل الحضارة يوما ، وها نحن يغار علينا ، وتقتص اطرافنا . ان علينا ان نجابه الآخر بنفس سلاحه : التقدم .

لم يكن الامر سهلا ، فبأن تستورد التقدم ، لا مناص من ان تستورد ايديولوجيته ولذلك حولت تجربه محمد على في مصر التعليم الى تعليمين ، اسلامى عربي خاص بالشرع واللغة ، والاخر خاص بالعلوم الاوروبية . فنشأ في ثقافتنا تياران ، مدنى ودينى . وكان ذلك يعنى ان تزدوج ثقافتنا ، دون ان تدمج هذه الثقافة مايأتيها من الغرب . وعلى مدى الصراع مع اوروبا انقسم مثقفونا الى فريقين : احدهما منبهر بالغرب ، يرى ذاته من خلاله ، والاخر متضاد معه ، رافض له لائذ بتراث الامة وماضيها ولم يستطع الفريق الثالث ان يحسن فهم تراثه وفهم اوروبا الرأسمالية معا ، فعجز عن انتاج وعى حقيقى يدمج التراث مع المعاش مع الاوروبي في بوتقة واحدة .

ومايزال الامر مطروحا ، وما يزال الفرقاء يصطرعون .

في حديقة غير عادية

في القصة التي تحمل هذا الاسم من مجموعة « أنا الملك جئت » نحن مع مفارقة اساسية تشير الى لا عقلانية الحضارة الاوروبية ، أي حضارة اوروبا الرأسمالية المنغلقة على ذاتها ، والتي ترى في نفسها محورا للعالم . يدخل الرواى المصرى حديقة يجدها فجأة ، لكي يجلس في الشمس التي افتقدها وسرعان ما يعرف انها مخصصة للكلاب . في البداية لم ينتبه ، شم رائحة غريبة ، ثم وجد امامه اربعة كلاب ، وحين يدأ في البحث عن مكان آخر ظلت الكلاب تطارده برائحتها حتى اكتشف لافتة تقول : هذه الحديقة من أجل كلبك فحافظ عليها . لكن الوطن البعيد يحضر ، اذ يرى الراوى عظما من البلاستيك وضع لتسلية الكلاب ، فترد على ذهنه الافكار التي تأتيه كلما رأى « كلابهم » السمينة المدللة « هؤلاء القوم يطعمون كلابهم بما يكفى لاشباع الاطفال في بلادنا . ويقوده ذلك الى تذكر العلاقة التاريخية بين وطننا والغرب » هؤلاء الاوروبيون استنزفوا كل ثروتنا لعشرات السنين ، حتى افقرونا وبنوا بلادهم . وها هم يطعمون بثروتنا المسروقة كلابهم . والحق ان مايردده الرواى هنا يتجاوب مع تيار كامل في العلوم الاجتماعية الحديثة ، يتبناه ويؤصله كثيرون من علماء الاقتصاد والاجتماع والفلسفة ، وهو اتجاه يرى ان اوروبا في مرحلة استعمارها للعالم المتخلف قد نهبته بتصدير سلعها ورؤوس اموالها اليه وتحويله الى سوق عمالة رخيصة ، بحيث اصبح تابعا ومنهوبا ، ومن الطبيعى ان يكون المع نجوم هذا التيار من اصول غير اوروبية (كسمير أمين من مصر وحمزة علوي من باكستان واندريه جندر فرانك من امريكا اللاتينية وغيرهم) .

وحين يردد الراوى هذه الكلمات التي ترمي الى موقف معرفى وايديولوجى معين ، فانه يشير بشكل ضمنى الى الاسباب التي جعلته يترك الوطن الى اوروبا ، وحين يستطرد (وتمنيت ان امر بتلك الحديقة فأختق كلابها واحدا واحدا حتى استريح . ولكنني كنت اعلم ان لو خدشت احدها ، فسيقتلني صاحبه) ، نعلم انه مقهور في اوروبا كما كان مقهورا في وطنه .

ويبدأ الراوى في التنبه الى المفارقة بين الاهتمام المفرط بالكلاب وبين وحدة السيدة العجوز ، التي ترعى كلاب الحديقة . كانت عجوزاً نحيلة ومن ملبسها بدا انها فقيرة . كانت ترتدي ثوبا اسود من القماش الصناعى : واضح انها تعانى الوحدة ، والمرض وتتوق الى اي حديث مع انسان حتى ولو دخل حديقتها مصادفة ، وبرغم فقرها ووحدتها وشيخوختها تتبنى ايديولوجيا النظر الى غير الاوروبي



بازدراء .

ـ ماذا تنتظر وقد امتلأت المدنية (بهؤلاء) الاجانب وسياراتهم .

ـ لا انتظر الكثير ، ولكني ايضا اجنبي .

ان عدم انفعال الرواى بما سمعه ، يشير الى انه يسمع هذا القول كثيرا والذي يشير الى تمحور اوروبا على ذاتها واعتبارها الاخرين « اجانب » أي من حضارة اخرى ، لاترقى بالطبع الى حضارتهم . ومن المهم الاشارة الى تكرار هذا المشهد في قصص اخرى للكاتب ، وحين تعرف السيدة العجوز ان محدثها من مصر تخبره انها زارت مصر يوما مع زوجها ونكتشف من لهجتها (مصر . . . مصر الجميلة) كم كانت جميلة مصر ، كم كانت جميلة) ان مصر لاتعدو ان تكون النيل والاهرام والنزهة الليلية ، انها تظن ان المصريين اندثروا .

ويحاول الراوي الانصراف فتتبعه العجوز ، وترغمه على سماعها ، اذ ذاك يكتشف انها وحيدة بلا اصدقاء ، وانها تنتظر الموت وتتحدث عنه كأنه سيدهمها بعد قليل . وبرغم وحدتها وحزنها ، تعجز عن فهم الراوى ، فحين تسأله عن اصدقائه يقول اظن ان الانسان لايكون له بالفعل اصدقاء خارج بلده ، لايكون الانسان هو نفسه خارج بلده ليصادق كما يجب او ليحب كما يجب ، تتغير المشاعر ، تأتي الاحزان ثقيلة وتذهب الافراح بسرعة ، فتردالا افهم ما تقول ياسيدى .

وتنتهي القصة حين يرى الراوي العجوز بعد مغادرته للحديقة وقد سقطت على الارض مجهدة فيتصل برجال الاسعاف لنقلها الى مستشفى ويبقى الراوي وحيدا مع قلب العجوز .

على هذا النحو تبنى قصة (في حديقه غير عادية) وباعتمادها المفارقة الساخرة بين الاهتمام المفرط بالحيوان وترك الانسان وحيدا في انتظار الموت .

حلم الأمس واقع اليوم

بطل قصة « بالأمس حلمت بك » شاب عربي يعمل في الشمال الاوروبي في مؤسسة عربية ، ادارتها اوروبية برغم ان معظم موظفيها من العرب . الراوي آت من مصر ، وله صديقان احدهما زميله في المؤسسة ، وقد تصوف والاخر يعمل في بنك ويقطن بلدة اخرى مع زوجته الاوروبية .

ومنذ السطور الاولى ، يتجلى التضاد بين اوروبا والشرق العربي ، فنحن مع الراوى في اتوبيس وهو يقرأ في كتاب عن التصوف ، هكذا يلتقي في موضع واحد كتاب ينهض على منح القلب الصورة في الحياة ، مع مظاهر تقنية لحضارة تنهض على العقل ، كما يتجلى استعداد الراوي للرد على اي ملاحظة قد تبدو منتقصة منه او من وطنه : (سألنى جاري في الاتوبيس ما هذه اللغة وعندما رددت عليه قال لغة طريفة ، معظم الحروف تكتب تحت السطر . قلت انى لا افهم فأمسك الكتاب وفتحه واشار الى الراء والزاى والى الميم والعين والحاء في اواخر الكلمات ، اشرت بانتصار الى الالف والباء والدال والطاء) .

وتركز القصة كسابقتها على نظرة أوروبا للاخرين ، واعتدادها بالبياض كسمة مميزة للأوروبيين ففى المغسلة تثور مشاجرة بين افريقى وعجوز مسنة . السيدة تريد ان تأخذ دور الافريقى دون وجه حق والافريقى متمسك بحقه وتبدو العجوز الاوروبية متعبة ، خابية النظرة ، مثقلة بحقد غريب ، على حين يبدو الافريقى مرحا ضاحكا قوى البنية وحين تعيره بزنجيته يضحك ، برغم رفضه لاسلوبها .

وعلى النقيض من مرح الافريقى ، يبدو الراوي العربي تعيسا مرهقا . لقد جاء الى اوروبا بعد ان شعر بأن احدا في بلده لايريده ولا يريد افكاره ،وفي اوروبا

يحيا وحيدا دون زواج محجما عن الاقتران بامرأة ، يسير في الطرقات مثقلا بحزن العالم ، لاجئا الى صديقه الذي اختار طريق التصوف فلايجد لديه سوى كتاب التصوف ، وما ان يبدأ في قراءته حتى يتوقف . واذا كان صديق الراوي الاول قد وجد حلا فان صديقه الثانى مايزال حائرا ، يتوجس من عمله في البنك ، ويتساءل عن الربا ويطارده الوطن وتاريخه فيرى في نومه انه توسط بين الحسين وعلى ومعاوية فيأمر الأخير بوضعه في السجن مع طه حسين .

الجانب الأخر من العالم

وفي الجانب الآخر ، ثمة آن مارى ، آنسه تعمل في مكتب بريد البلدة كان ابوها قسا بروتستانتيا ، علمها ان تحب الناس جميعا دون تفريق ، وهى مغتربه عما حولها ، فكل شيء حولها غير انسانى والعالم مليء بالكراهية والغباء والفقر والمرض والكذب والتعاسة ، وقد فكرت يوما ان تتحول الى الكاثوليكية لتترهب وفكرت ان تذهب الى افريقيا لكنها تقف عند التفكير ولا تتجاوزه ،المهم ان مارى ترى الراوي كثيرا بحكم وجودهما معا في بلده صغيرة ، وتنعكس هواجسها على نفسها ، فتتوهم ان هذا الرجل بكتابه المزركش الغريب وملامحه غير الاوروبية وصمته وروحه المنطوية على حزن شفاف يشفى من المرض ، يطاردها ويريد بها شرا وبخاصة انه من مصر أي من بلد يجيد اهلها السحر كما تقول امها .

هل يمكن لنا ان نرى في آن مارى رمزاً لاوروبا بأكملها أم هى مجرد نموذج انساني لاوروبية تعانى صدعا في علاقاتها بالعالم من حولها . مهما يكن من امر ، يمكن لنا القول ان مارى فتاة اوروبية فقدت اشياء حياتها بريقها ، ولم تعد قادرة على العيش في هذه المنظومة التي تنهض على الغرق في الذات الفردية . انها مريضة اذن تناقضت مع مايجرى حولها ، وها هي ترى العالم يغص بالفقر والمرض والجهل والاستغلال ، فتفقد البهجة ، وتغدو فريسة للاوهام . والحال انها تفقد القدرة على التفكير العقلانى ، وترتد لتفكير اسطورى فتفشل في فهم معاناة الراوي العربي ، بل تتهمه بالرغبة في الحاق الاذى بها ، انها برغم تكوينها الاخلاقى ذى الطابع الانسانى ، وبرغم مشاعرها تجاه العالم تتحول الى فريسة لوهم يقتلها في النهاية ، دون ان تكتشف الخيوط التي تربطها بالراوى انها ـ في النهاية ـ متمحورة حول ذاتها .

اما الراوى ، الذي يتحدث بتحفظ عن ماضيه قبل الاوروبى فهو مصرى كان يمتلك فكره واحلامه عن وطنه والعالم ، ثم اكتشف انه غير مرغوب في وجوده فغادر الوطن الى اوروبا لكنه يرحل مثقلا بهموم وطنه في رأسه وقلبه ومشاعره ، ولذلك لاتستطيع اوروبا ان تستغرقه لانها مريضة ، ومرضها مختلف عن امراض غيرها ، برغم اجتهاد الراوى في ان يقيم التشابهات بينها وبين ما يعانيه ، ولذلك ترفض اوروبا ان تقيم معه علاقة صحية . ذلك ان آن مارى تنتحر ، متوهمة انه يطاردها .

وهكذا تبدو العلاقة بأوروبا علاقة انفصال عميق ، ان آن مارى تظن أن العربي يطاردها ، وحين تفشل في فهمه تظن انه يرغب فيها ، في حين يكون هو مهتما بفهمها ، محاولا ان يقيم معها علاقة انسانية مبرأة من التعامل وهكذا تلوذ بالموت منتحرة تاركة اياه في خضم المعاناة وحيدا . ذهب صديقه الى التصوف ولحق الثاني به وظل الراوى وحيدا في مواجهة العالم .

أنا الملك جئت

اذا كنا في القصتين السابقتين مع الراوى العربى المغترب في اوروبا بحثا عن عمل ، فنحن في القصة الاخيرة مع الراوى نفسه في الوطن وفي زمن محدد ـ ١٩٣٢ . واذا كانت القصتان الاولى والثانية تركزان على علاقتنا بأوروبا من خلال مغترب اليها ، هارب من وطنه فنحن هنا مع الراوى الذي يبحث عن هوية .

لقد قرر فريد قوي بك ، اشهر طبيب عيون في مصر ، ان يسافر الى الصحراء كان ممتلئا بشعور يشده للسفر اليها ، وكأنه يحن الى ذلك المكان الذي ظهر فيه معظم الرسل ، والذي انطلق منه اسلافه قديما ليبنوا حضارتهم .

درس الدكتور فريد طبيب العيون في جامعة جرينوبل في سنة ١٩١٤ في فرنسا ، وهناك احب مارتين طالبة الآداب واتفقا على الزواج ، وحين أتت

مارتين الى مصر ، شعرت انها لن تستطيع ان تقضي حياتها بعيدا عن هذا المكان ، والقارىء للقصة يلحظ ان لمارتين قسمات تكاد تكون مناقضة لما عرفت به الاوروبيات ، فهي نقيض لماري بطلة قصة يحيى حقي قنديل « أم هاشم » : كان وجهها بريئا كطفلة يتضرج بحمرة الخجل كلما وجه لها احد سؤالا ، ولذلك يقول ابوها عنها (وداعتها ليست من هذا العالم . كان لابد ان يأتي طالب من مصر ، لكي تجد مارتين السلام .)

لكن مارتين تفقد عقلها ، ويدفن فريد احزانه في العمل وسرعان ما ينبغ في تخصصه ، وتنشر المجلات العالمية بحوثه ، حتى تجيء لحظة يقع تحت وطأة هاجس قوى ، تبدى في بحث رفضت المجلات الطبيه نشره . كان البحث عن الذاكرة البصرية وعلى عكس بحوثه السابقة التي عرفت بدقتها وغزارة مادتها الميدانية ، كان البحث يعتمد على حدس غريب فحسب برغم اعتراض والده واصدقائه يسافر فريد الى الصحراء ، وهناك ، وسيوه من ورائه قال في همس : مارتين ، لم جئت بي الى هنا ؟ فتحقق ان صديقه الذي قال له هذا السفر نداء كان محقا .

فريد بك والفرعون

وفي الصحراء ، تبدو الاشياء جديدة طازجة ، محملة بمعان جليلة ، وازاء ارهاق الرحلة وطولها ، يقل رجاله ويتناقصون حتى يصل عددهم الى اثنين . وبرغم انهما يريان ادميا ناحلا مما يعني ان في انتظارهما ما يستحق الرحلة الشاقة ، يبدأ الرجلان في التفكير في تركه وحيدا . وبعد جهد ، يعثر فريد على معبد فرعوني كشفته الرياح وإذ يهرع رفيقاه الى جمع التماثيل ، يقف فريد محاولا ان يترجم مايراه مكتوبا على الجدار،وفي اليوم التالي يهرب الرفيقان بما معهما من تماثيل ويقرر هو ان يمكث .

تجول في المعبد ، توجه الى الجدار ، وأخذ يتأمل الفرعون بوجهه المستطيل وشفتيه المكتزتين . وضع اصبعه على الكتابة المنقوشة تحت صورته وقال : انا اعرف هذه الحروف ، هاتان العينان المتجاورتان تنطقان الميم في مارتين ، وهذه الريشة القائمة هي الهمزة والالف ذلك ما علمه اياه صديقه عالم الاثار الذي اهداه اللوحة الهيروغليفية المعلقة في عيادته ، « فريد يحب مارتين » نعم نصف الدائرة العلوى هذا هو التاء في مارتين ، وهذا الخط بقمته الملتوية .. تراجع فريد فجأة تطلع الى عيني الفرعون ويده الضارعة ، قال اذن فهذا ما تريد ؟ اهذا هو ؟ ولكن لم يبق وقت لم يبق ماء .

وبعد جهد جهيد ، ينجح في ترجمة النص المنقوش ، لكنه حين يقرأ السطر الاخير . ولما وجدت كل فرحة تلد نهايتها ، وجدت في فرحتك انت المنتهى ، ويصرخ في وجه الملك ايها الكذاب . ويغادر المعبد منطلقا ، واضعا قدمه فوق فوهة بحجم الاصبع ، حيث يلدغه الثعبان آنذاك يكون الاعرابي ـ ذلك النحيل المراوغ الذي كان يظهر ثم يختفي ـ قد اسرع لانقاذه .

على هذا النحو تنتهي القصة ، ويبدو لي انها تقدم بحث فريد عن معنى للحياة ، وتجيء النهاية مشيرة الى صلابة معنى الارتباط بالوطن واهله ، بعد ان تبدد الحب وتجلى قصور العلم . وهكذا يجيء سفر فريد الى الصحراء ، وذهابا الى موضع الارتباط ، ويتحدد له المعنى بعد ان ظن ان هذا المعنى كامن في تاريخ الوطن . وتجيء حركة وقوعه على الارض رمزا واضحا لرفضٌ تعالي التاريخ وتجريده ، وحركة انقاذه على يد الاعرابي اشارة الى صلابة الواقع وكثافته وحضوره .

وتنتهي رحلتنا مع ثلاث من قصص بهاء طاهر الاخيرة ركزنا خلالها على الدلالة العامة لهذه القصص ، ويقيني انها قصص ثريه بالدلالات حاملة لأكثر من تفسير ، وما قمنا به لايعدو ان يكون قراءة اولى تحاول الاشارة السريعة الى اصالة رؤيته لاشكالية العلاقة مع الآخر . ولاشك ان هذه القصص ستحتل مكانها الذي تستحقه بين قصص اخرى تعرضت لهذه الاشكالية . □

■ يصبح الرجل عجوزا حين تحل الأعذار محل الآمال (جون باريمور) .

أحمد أمين

إمتداد لمحمد عبده وطه حسين .. للأفغاني

بقلم : حافظ احمد أمين

تحل في أول الشهر الحالي (اكتوبر ١٩٨٦) الذكرى المئوية لمولد المفكر والأديب والعالم الاسلامي احمد أمين ، وهي مناسبة وجد فيها كاتب المقال فرصة يتحدث فيها عن أبيه ، حديثا يتسم بالود والموضوعية في آن معا .

عندما يعرف القارىء قصة طه حسين مع أحمد أمين ، وقصة جمال الدين الأفغاني مع الشيخ محمد عبده ، سيعجب من أوجه التشابه بينهما : تشابه في كيفية قيام الصداقة وكيفية تطورها ، تشابه في نشأة الخلاف وأسبابه ، تشابه في شخصيتي كل من طه حسين والأفغاني ، وتشابه في شخصيتي كل من أحمد أمين ومحمد عبده ، حتى ليقال بحق ان أحمد أمين كان امتدادا لمحمد عبده ، وطه حسين للأفغاني .

يصف أحمد أمين في كتابه (حياتي) الاختلاف بين شخصيته وشخصية طه حسين فيقول : « هو فنان يَحكُمه الفن ، وأنا عالم يحكمه المنطق ، وهو يحب المجد ويحب الدويّ ، وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء ، هو مغال إذا أحب أو كره وأنا معتدل ، هو نشيط في الحكم على الأشخاص وعلى الأشياء وأنا بطيء ، هو ماهر في الحديث إلى الناس فيجذب الكثير ، وليست عندي هذه المقدرة فلا أجذب إلاّ القليل ، هو في الحياة مقامر ، يكسب الكثير في لعبة ، ويخسر الكثير في لعبة ، وأنا تاجر ، إن كسبت قليلا في بطء ، وإن خسرت خسرت قليلا في بطء ، يحب السياسة لأنها ميدان المقامرة ، وأنا لا احبها إذ لا احب المغامرة . . . . . .

ويظل أحمد أمين يشرح أوجه الاختلاف بين الشخصيتين ، ولكنه يؤكد دائما ان هذا الاختلاف كان سببا في قيام الصداقة بينهما ، إذ كان كلٌ منهما يُكمل بالآخر نقصه،ويستفيد من أوجه القوة في صديقه .

ويكرر أحمد أمين في كتابه (زعماء الاصلاح) هذا المعنى ، ولكنه عندما يعقد المقارنة بين شخصيتي الأفغاني ومحمد عبده يقول : « يكاد يكون في كل جماعة نوعان من القادة : نوع طموح يريد القفز إلى الأمام ، ولا يرضيه السير البطىء ، ولا التفكير الهادىء ، ونوع يرى الخير في الهدوء ، والسير في معالجة الأمور برفق ، والايمان بقانون السبب والمسبب ، فإن أردت النتيجة فكوّن مقدماتها .

وهذا الميل إلى هذا أو ذاك يتبع المزاج الشخصي أولا ، والتربية والظروف ثانيا ، فمن الناس من خُلق

هادىء المزاج يصغي إلى حكم العقل ، ومنهم من خلق ناري المزاج يحكم بعواطفه ويحكمها ، وهذان النوعان يُسميان أسماء مختلفة باختلاف الأمم والأزمنة : أحرار ومحافظون - إشتراكيون وغير اشتراكيين ، أحزاب اليمين وأحزاب اليسار ... الخ ، والمعنى واحد وإنْ تعددت الأسماء » .

مزاج ناري ومزاج هادىء

ويضع أحمد أمين الشيخ محمد عبده في قائمة أصحاب المزاج الذين يصغون إلى حكم العقل ، ويضع الأفغاني في قائمة أصحاب المزاج الناري .

وقد كان تأثير الأفغاني على محمد عبده ، وتأثير طه حسين على أحمد أمين - في بادىء الأمر - تأثيرا ملموسا لا ينكره أحد .

يقول أحمد أمين في فصل (الشيخ محمد عبده) من كتاب (زعماء الاصلاح) : « نلاحظ أن الشيخ متى اتصل بالأستاذ فناري من ناره ، وثائر من ثورانه ، وعاطفي من حرارة وجدانه ، فإذا انفصل عنه عاد إلى حكم العقل والمنطق ، وزالت ثورته ، وخفّت حدّته . »

ويلمع أصحاب المزاج الناري في فترات الحكم الاستبدادي وأثناء ثورة الشعوب على حكامها ، إذ يُهيّج هؤلاء القادة الناس ضد المستبدين ويثيرون فيهم الحماسة للاصلاح . بينما يزدهر أصحاب العقول الهادئة في أوقات البناء البطيء ، لهذا ظهرت أحسن أعمال أحمد أمين ، العلمية والأدبية ، خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ، عقد البناء البطيء ، عندما كتب سلسلة فجر الاسلام وضحاه ، وعندما ساهم في إنشاء مجلة الثقافة ، والجامعة الشعبية ، وكان من أكبر المؤثرين في نشاط المجمع اللغوي وكلية الآداب ، وكتب أحسن مقالاته للمجلات والاذاعة ، ورأس اللجان واشترك في المجالس والمؤتمرات .

كذلك كانت أحسن أعمال الشيخ محمد عبده تلك التي كتبها في (الوقائع) ، وعندما عمل مفتيا للديار المصرية وغيرها من الأعمال ، بعد أن رجع إلى مصر من منفاه ، وبعد أن خمدت الثورة العرابية ، بينما كانت أحسن أعمال طه حسين ما قام به في فترتي قيام ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ ، وكانت أشد الفترات انتعاشا في حياة الأفغاني فترة التمهيد للثورة العرابية

مثال من طه حسين

أما خلال الثلاثينات ، فلم يكن طه حسين في أحسن حالاته ، وقد كتب عنه الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور محمد عوض محمد اثر ظهور كتاب (على هامش السيرة) عام ١٩٣٣ ، يعجبان من التغير العنيف الذي أصاب طه حسين .

يقول هيكل : « يكفي لتبيّن هذا التطور أن نقرأ معا مقدمة (على هامش السيرة) ومقدمة (في الأدب الجاهلي) ، ففي تقديمه لكتاب (الأدب الجاهلي) عام ١٩٢٧ - يقول طه حسين إنه « سيسلك في هذا البحث منهج ديكارت الذي يطالب الباحث بأن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن ينسى عواطفه القومية والدينية ، ولا يتقيد بشيء ولا يذعن لشيء . . . وأنه « لن يحفل بسخط الساخط ولا يكترث بازورار المزور . . . الخ » .

أما كتاب (على هامش السيرة) - عام ١٩٣٣ - فيقدمه طه حسين بقوله « وأنا اعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب ، لأنهم محدثون يُكبرون العقل ولا يثقون إلا به ، وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لايسيغها العقل ولا يرضاها . . . »

ويقول الدكتور هيكل : « لقد خطا طه حسين في هذا الكتاب من تحقيق العلم ، الذي ظل عاكفا من قبل عليه سنين ، إلى أدب الأسطورة الميثولوجية في حياة العرب وفي سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهو إذْ خطا هذه الخطوة يعلم أن كثيرا من هذه الأساطير التي روى إنما هي بعض الاسرائيليات ، التي روّج لها اليهود بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، متأثرين بحقدهم على محمد وحفيظتهم على المسلمين ، حفيظةً جعلتهم يروجون الألوف من الأحاديث المكذوبة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن القصص التي تُنافي تعاليمه . . . . .

والدكتور طه حسين يعلم أكثر مما أعلم أن هذه

الاسرائيليات أنما أريد بها إفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، ولتشكيك المستنيرين ، ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الاسلام ونبيه . . . . ومن أجل هذا ارتفعت صيحة المصلحين الدينية في مختلف العصور ، لتطهير العقائد من هذه الأوهام . »

أما العالم الجليل الدكتور محمد عوض محمد ، فقد قال في نقده لكتاب (على هامش السيرة) : « إن ثقافة طه حسين الحقيقية هي ثقافة أزهرية متينة ، قوية الأسس ، ضخمة الدعائم ، وطيدة الأركان ،

وأن ليست ثقافته الغربية التي نسمع عنها الشيء الكثير ، إلاّ رداء وطلاء ، إنْ بَهر العينَ منظره ، فإنه لا يذهب الى غور بعيد . . . . وقد استطاع ـ على غير عمد ـ أن يصرف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن

اليونان والرومان ، والسكسون واللاتين ، وإثارته هذه الزوابع التي برع في أثارتها أثناء كلامه عن أشخاص مثل ديكارت . . . . ولقد تعجبه هذه

الضجة التي تبعثها كتاباته ، ويغتبط بهذا العثير* الذي يثيره في الفضاء ، يملأ به الجو حينا من الزمان . . . . . الخ . »

اختلاف في المزاج

ويبدو أن خروج أحمد أمين من دائرة نفوذ طه حسين في أواخر الثلاثينيات نتج عن تزايد إحساس أحمد أمين بالاختلاف الكبير بين مزاجه ومزاج صاحبه . وقد فسر الناس غضب طه حسين من ابتعاد

صاحبه عن مجال تأثيره ، تفسيرات مختلفة أشد الاختلاف ، تتناسب مع طبيعة المفسر وتطلعاته ، ومع توقع المفسر لمقدار النفع الذي سيعود عليه من وقوفه مع هذا أو ذاك ، وعلى أي حال فقد كان طه حسين ذا فضل كبير على أصحابه عند حصوله على النفوذ والسلطة ، لهذا وقفت الأغلبية معه .

يقول أحمد أمين في كتاب (حياتي) : « وكانت



أحمد أمين

مأساة العمادة أنى فقدت بها صداقة صديق من أعز الأصدقاء وما أقلهم . . . . . . جاءت العمادة مفسدة لهذه الصداقة ، لأنه ـ بحكم طبيعته ـ اراد أن يسيطر ، وأنا بحكم طبيعتي أردت أن أعمل ما أرى

لأني مسئول عما أعمل ، ثم وُلّى منصبا أكبر من منصبي يستطيع منه أن يسيطر على عملي ، فأراد السيطرة وأبيتها ، وأراد أن يحقق نفسه بأن ينال من

نفسي ، فأبيتُ إلاّ ان احتفظ بنفسي ، فكان من ذلك كله صراع أصيبتْ منه الصداقة ، فحزن لما أصابها وحزنت ، وبكى عليها وبكيت . »

وفي ترجمة أحمد أمين لكل من الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في كتابه (زعماء الاصلاح) نلمس مقدار تعاطفه مع محمد عبده في الصراع الذي نشأ بين الشيخ وأستاذه في آخر أيامهما :

« يظهر من تاريخ الشيخ محمد عبده كله أنه لا يحب السياسة ، بل يلعنها ويلعن مشتقاتها ، ولم يشتغل بالسياسة إلاّ حين دفعه التيار في الثورة العرابية ، أو حين كان تحت تأثير أستاذه السيد جمال الدين الناري المزاج في (العروة الوثقى) ، أما هو فيرى في نفسه أنه مُعلّم منير للعقول ، مُفهم للحقوق

(*) التراب والدخان والصياح الأحمق .

(**) تولى أحمد أمين عمادة كلية الآداب في إبريل عام ١٩٣٩ م


محمد عبده


طه حسين


جمال الدين الأفغاني

والواجبات ، مصلح للعقيدة الاسلامية ، مدافع عن الاسلام ، كان كذلك قبل الثورة ، وكان كذلك في بيروت ، فلم يتنكر لمبادئه حين أفهم اللورد كرومر موقفه بواسطة أصدقائه . ولعل هذا هو سبب ما نلحظه من فتور في العلاقات بين السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده من ذلك الحين ، و (كلٌ ميسرٌ لما خلق له) .

ويقول أحمد أمين في آخر ترجمته للشيخ محمد عبده ، وكأنه يصف نفسه : « سببتْ له دعوته الاصلاحية خصومات ذات ألوان : فدعوته الدينية حركت عداء الجامدين من رجال الدين ، وآخرون رأوا الاصلاح إنما يكون بتقليد أوروبا .

إشترك خصومه الدينيون والسياسيون في تهييج الرأى العام عليه ، فإن مات وفي نفسه غصة من أنه لم ينل ما يريد ، فعزاؤه أن الصالح من أفكاره لم يمت ،

وظل يعمل في موته كما كان يعمل في حياته ؛ رحمه الله » . « لقد كان أحمد أمين راهباً في محراب العلم ، محبا للحق وللبناء ، كارها للسياسة والصَّخب . زعيما من زعماء الاصلاح . رحمه الله رحمة واسعة . □

الموسيقا والفلاسفة

يقول الفيلسوف الألماني هيردر في الموسيقا : إن الأنغام والألحان رسائل كبرى للتعبير عما يختلج في النفس البشرية ، من ضروب الانفعالات التي تعجز عنها اللغة العادية » .

وفي العبارات المأثورة قولهم : « ان الأنغام والألحان فصل من المنطق ، عجز عنه اللسان فأخرجته الطبيعة بالألحان » .

أما الفيلسوف الاسلامي الكبير أبو حامد الغزالي فيقول : « من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج وليس له علاج » .

أما الفيلسوف الاسلامي أبو سليمان السجستاني فيقول : « إن النفس الانسانية فيها الأنغام والألحان ، وهي تظهر وتتجلى في مواقف الحياة ، وتصل الى رقيها بفضل الصناعة والتدريب العملي » .

بقلم : محمود المراغي

جيوش العرب

بَين الحقيقة الجغرافية والحَقيقة السيَاسية

لم يعد ما تمتلكه دولة ما من طائرات ودبابات وصواريخ وسفن حربية . . سرا مطلقا لا يعرفه غير المختصين والجواسيس ، أصبحت المعرفة بالأرقام العسكرية على قدر كبير من الذيوع ، وأصبحت الموسوعات والمجلات المتخصصة ـ بل والصحف العامة ـ تنشر بانتظام أنباء الترسانات العسكرية ، وما تحتفظ به شتى الدول في مخازنها .

الأرقام ـ وجزء كبير منها يدخل في دائرة الصواب ـ أصبحت متداولة . . ولكن المشكلة في تفسير هذه الأرقام . . ليس لأنها تتضمن تفاصيل فنية . . ولكن لأنها ـ وفي نفس الوقت ـ لا يمكن فهمها دون وضعها في الاطار السياسي اللازم .

المليارات تتحدث :

يقول احد هذه الأرقام أن الانفاق على الدفاع قد بلغ عام ١٩٨٥ في الوطن العربي : خمسين ألف مليون دولار .

وتقول التفاصيل ـ التي أذاعها أول تقرير استراتيجي عربي أصدرته مؤسسة الأهرام ـ ان العرب قد امتلكوا بهذه المليارات (ومثلها من اعتمادات سنوية) : (١٦٣٤٠) دبابة رئيسية ، و (١٧١٩٨) قطعة مدفعية ، و (٣١٦٤) طائرة قتال ، و (١١٨) قاعدة صواريخ (سطح ـ سطح) وغير ذلك مما امتلكوه من سفن وغواصات وزوارق للصواريخ وأسلحة خفيفة .

وفي التفاصيل أيضا أن حجم القوات المسلحة العربية قد تجاوز المليونين من الأفراد . .

العرب اذن يملكون الكثير . . ومع ذلك فإن الحكم على ما يمتلكون ، وترجمة المعنى من سلاح الى قوة عسكرية ، ومن قوة عسكرية الى قوة وقدرة سياسية . . هذه الترجمة منقوصة اذا اعتمدنا على الأرقام المجردة على النحو السالف .

هي أرقام ناقصة ، ولا تكتمل الا عندما نضيف الكيف أو النوع الى الكم . . فالعسكريون لا يتحدثون مثلا عن عدد القطع بشكل مجرد . . لكنهم يتحدثون عن قوة النيران . . وعندما يتحدثون عن قوة النيران لا يأتي الحديث مطلقا ، لكنه وفي نفس الوقت يأتي بالمقارنة مع الآخرين . . وبالتحديد مع الأعداء المحتملين .

نحن . . واسرائيل :

بالأرقام المجردة يصبح للعرب التفوق الساحق على اسرائيل .

فهم يقدمون ما يقرب من تسعة أضعاف الانفاق العسكري لاسرائيل ، ويمتلكون تسعة أضعاف ما تمتلكه من مدفعية ، ونحو سبعة أضعاف ما تمتلكه من أسلحة بحرية ، وأربعة أضعاف ونصف الضعف لما تمتلكه من طائرات ودبابات ، وخمسة أضعاف الصواريخ .

أيضا فإن العرب يملكون من السكان ما يعادل (٤٣,٢) ضعفا لما تملكه اسرائيل ، وأكثر من أربعة أضعاف ما تملكه من جنود .

وباستمرار المقارنة يتضح أن المقارنة ما زالت ناقصة ، والأرقام ما زالت عاجزة ، فالأعداء المحتملون لا ينحصرون في اسرائيل ، والتهديدات لا تأتي كلها عبر تل أبيب . . فهناك وبدرجات مختلفة تهديد وصراع مع أربع دول في وقت واحد : اسرائيل ايران - أثيوبيا - تركيا . . وطبقا لتقديرات مركز الدراسات الاستراتيجية في الأهرام ، فان التفوق أيضا - ورغم تجميع التهديدات - يبقى للعرب الذين يمتلكون بالمقارنة مع هؤلاء الخصوم المحتملين :

** ثلاثة أضعاف ونصف الضعف لما يملكه الآخرون من صواريخ .

** ضعفان ونصف الضعف لما تملكه هذه الأطراف من طائرات قتالية .

** (١٧٦) بالمائة مما يملكه الآخرون من خصوم محتملين من دبابات رئيسية .

وبالطبع فإنهم يتفوقون في تعداد السكان ، وتعداد الجيش ، والناتج القومي ، وميزانيات الدفاع .

وما زال النقص مستمرا :

الأرقام إذن كثيرة وواضحة ، ومع ذلك فإن المقارنات بالأرقام وحدها لا تكفي . . والتحليل وفقا لما تظهره الأرقام تحليل ناقص بالضرورة .

نعم . . العرب يملكون بشرية ضخمة .

نعم . . العرب يملكون موارد اقتصادية كبيرة ، ويخصصون منها قدرا كبيرا لما نسميه « الدفاع » .

والعرب يحصلون على أحدث الأسلحة ، ويملأون مخازنهم بما يفوق ما يحوزه الآخرون من خصوم تشتد معهم الخصومة ، أو خصوم محتملين ، وفقا لبعض التقديرات .

و . . مع ذلك فمن الصعب أن نقول : أن العرب هم الأقوى . . .

والسبب بسيط وواضح ، وهو أن الأرقام على هذا النحو تعبر من حقيقة جغرافية ، ولا تعبر من حقيقة سياسية .

الحقيقة الجغرافية - بل والتاريخية - اننا شعب واحد ، تجمعه عناصر القومية المتعارف عليها . . وقد عاش هذا الشعب على أرض ممتدة من المحيط الى الخليج ؛ فأصبح كتلة جغرافية وكتلة بشرية . . لكنه لم يعد - وفي ظل الظروف الراهنة - كتلة سياسية .

العرب موزعون على ٢٢ دولة ، تفصل بينها الحدود السياسية ، وتتوزع بينها عناصر القدرة البشرية والعسكرية التي تحدثت عنها الأرقام . . فهل يمكن ان نتحدث - في ظل هذا الوضع - عن العرب بلغة الجمع ، فنقول انهم يملكون كذا . . ويواجهون كذا ؟ هل يمكننا أن نحسب الميزان العسكري في مواجهة اسرائيل أو غير اسرائيل في ظل قرارات متعددة ومتنافرة لتحريك القوات او حشدها أو دفعها ؟ وهل يمكن أن نحصي تلك القوة ولكل دولة « عدوها » الخاص وخطرها الذي يهددها ؟

القضية هنا . . هي وحدة القرار ، ووحدة الهدف ، ووحدة السياسة ، ووحدة الخصوم القائمين أو المحتملين . . وبدون هذه الوحدة - كما قلت - يصبح الحديث عما تمتلكه من قوات وأسلحة وعتاد حديثا احصائيا ، يعبر عن حقيقة جغرافية ، ولا يعبر عن حقيقة سياسية ، تتجسد في ظلها الارادة العربية كإرادة واحدة .

نحن نملك الكثير . . لكننا لسنا الأقوى . . ومخازننا تضم « الأحدث والأكثر » لكن هذه المخازن لا تحسم قضية ولا تغير واقعا .

لذا ، فانه من الطبيعي أن يطرح بعض الاقتصاديين بل والسياسيين قضية : العائد والتكلفة في التسليح العربي ، وميزانيات الدفاع العربية .

من الطبيعي والوضع كذلك أن يتساءل البعض :

** هل يحصل العرب على أكبر مردود مما ينفقون في مجال التسليح ؟

** وهل ساعد هذا الانفاق على مواجهة اسرائيل واسترداد الأرض المحتلة ؟ أو ساعد على حسم الموقف في حرب الخليج ؟

أكثر من ذلك فانه يمكن طرح السؤال على النحو التالي :

كم ننفق لمواجهة العدو الحقيقي . ؛ وكم ننفق في حروب وصراعات محلية ؟

كم طلقة وكم مدفع وكم طائرة تتوجه الى حدود اسرائيل ؟ وكم طلقة ومدفع وطائرة ترتد الى الداخل حيث يقتتل العرب مع العرب ؟

أرقام الدفاع مأساة أخرى ، تحتاج الى المزيد من التأمل والدراسة والبحث . □

النمو غير الطبيعي للشّعر عند النساء

بقلم : دكتور نجم عبد الله عبد الواحد*

ما هو الجديد في التشخيص والعلاج للنمو غير الطبيعي للشّعر عند بعض النساء . . وهو المرض الذى يسمى « هيرسوتيزم » . ؟ هذا هو الجديد الذي يقدمه هذا المقال ، والذي يستحق أن يعلمه الناس . .

الهيرسوتيزم هو ظهور الشّعر على اللحية والشارب والصدر والبطن وعلى الرجلين والفخذين ، وهو المقصود بالنمو غير الطبيعي للشّعر عند النساء بان يكون مطابقا لنمو الشّعر عند الرجال . . والسر في هذا التطابق هو وجود نسبة عالية من هرمون الرجولة عند النساء ، وذلك لأسباب مرضية ، فان نمو الشعر وتوزيعه على الجسم يعتمد على وجود هرمون الرجولة ،ووجود خلايا تتحسس وتستجيب لهذا الهرمون ، وهذه الخلايا تسمى Receptors ، وموجودة في تلك المناطق من الجسم ، وتواجدها يكون تحت الجلد مع جذور خلايا الشعر .

أما هرمون الرجولة الذي له الفعالية على نمو الشعر فيكون إما Testosterone او احد مشتقاته .

ولمعرفة النمو غير الطبيعي للشعر وعلاجه عند النساء يستلزم ذلك شرحا وافيا ومُختصراً لتواجد هرمون الرجولة عند النساء بالحالة الطبيعية ، ونمو الشعر بالحالة الطبيعية ، ومن ثم دراسة الحالات غير الطبيعية اسباباً وعلاجاً .

تواجد الهرمون بالحالة الطبيعية

مبدأ البلوغ عند النساء في سن ١١ - ١٣ سنة ، ويسبق هذا العمر بسنتين ثلاث سنوات زيادة في نسبة هرمون الرجولة بالدم ، وهذه الزيادة تكون مصادرها الغدة الكظرية ، وهذه المرحلة تسمى adrenarche، وبعد البلوغ تشترك المبايض والغدة الكظرية بنسب متساوية في افراز هرمون الرجولة .

وهناك أنزيم متخصص يسمى 5 Reductase

* دكتوراة في اختصاص هرمونات التناسل من جامعة لندن ، طبيب بقسم الغدد - مستشفى الصباح - الكويت

مهمته تحويل الأنواع المختلفة لهرمون الرجولة الى هرمون شديد الفعالية يسمى (DHT) Dihydrotestosterone يلتحم بسهولة مع الخلايا المتحسسة له Recceptors ، وهذا الأنزيم المتخصص المشار اليه موجود غالبا في المناطق التناسلية تحت الجلد مباشرة .

المصدر المهم لهرمون (DHT) يكون عند النساء من هرمون Androstenedione ، بينما المصدر المهم يكون عند الرجال هو هرمون Testosterone وسنطلق على النوعين تجاوزا وتسهيلا في هذا المقال ـ هرمون الانوثة وهرمون الرجولة .

اما الهرمون الرجالي فيكون عند الرجال بتركيز يصل الى ما بين ١٠ مرات الى ٣٠ مرة أكثر منه عند النساء ، ويكون مصدره عند النساء موزعا على النحو التالي : ٢٥٪ من المبايض ، ٢٥٪ من الغدة الكظرية ، ٥٠٪ من التحويل الذي يتم من الهرمون النسائي ، والذي يتم في الكبد والجلد والرئة ، وعادة تكون نسبة تركيز هذا الهرمون أكثر عند النساء بمرتين عنه عند الرجال .

كذلك فان وجود السمنة وكثرة الخلايا الدهنية تلعب دورا في تحويل الهرمون الأول الى الهرمون الثاني ، وحيث أن المصدر الأساسي للهرمون النسائي من المبايض ، فبذلك تكون النتيجة هي كون المبايض هي المصدر الاساسي للهرمون الثاني عندما توجد السمنة ، وهذا الهرمون ذاته يلعب دورا رئيسيا في نمو الشعر غير الطبيعي عند النساء ، علاوة على كونه يتحول الى هرمون (DHT) تحت تأثير الانزيم المتخصص .

انتقال هرمون الرجولة داخل الجسم يتم بواسطتين ، الأولى بواسطة بروتين خاص يسمى SHBG (Sex Hormone Binding Globulin) حيث يتم التحام هذا البروتين ، وهذه النسبة الغالبة ٧٨٪ والواسطة الثانية بروتين الالبومين Albumin ، ويلتحم معه ٢٠٪ ، لذلك نجد الحالات التي تزيد من نسبة وجود هذه البروتينات مثل تعاطي هرمون الأنوثة ، وهرمون الغدة الدرقية ، وعلى العكس فان نسبة هذه البروتينات تقل في حالات مرضية ، منها السمنة ، أو نقص هرمون الغدة الدرقية ، كل هذه الحالات تلعب دورا في نسبة وجود وفعالية هرمونات الرجولة .

نمو الشعر

عند الولادة نجد نوعين من الشعر ، أحدهما قصير ورقيق ولا يحوى صبغات ملونة ويسمى Vallus ، أما الثاني فطويل وثخين ويحوى صبغات ملونة .

نجد هذين النوعين من الشعر في المناطق الثلاثة من الجسم : **١ ـ المنطقة غير الجنسية**

مثل شعر الرأس والحواجب والرموش ، وينمو هذا الشعر بدون توقف منذ الولادة ، ولا يعتمد هذا النوع على هرمونات الرجولة .

٢ ـ المنطقة الجنسية لدى الجنسين

مثل العانة والابط ، ويبدأ الشعر بالنمو فيها قبل البلوغ ٢ ـ ٣ سنوات ، ويكون هذا النمو بالتساوي عند الرجل والمرأة .

٣ ـ المنطقة الجنسية لدى الرجل

مثل اللحية والشارب وشعر البطن والصدر والفخذين والرجلين ، حيث يبدأ نمو الشعر فيها مع البلوغ .

نجد أن الشعر في المناطق الجنسية عند الجنسين يبدأ بالنوع الأول وهو القصير والرقيق ، ثم يتحول الى النوع الثاني وهو الطويل أو الثخين الذي يحتوى على الصبغة الملونة ، وكل ذلك يتم بواسطة تأثير هرمون الرجولة قبل البلوغ ، ثم يزداد كثافة وتعرجاً مع البلوغ ، ويأخذ الصفة الغالبة له ، وهي توقف نموه لحد معين عند المرأة ، بينما يستمر نموه من العانة الى السرة ، وأعلى الصدر ، بالاضافة الى نمو الشعر على الفخذين واللحية والشارب .

لذلك فاذا لم يتوقف نمو الشعر عند المرأة الى حد معين ، تسمى هذه الحالة بنمو الشعر غير الطبيعي ، ويكون سبب هذا النمو زيادة غير طبيعية في هرمونات الرجولة لدى المرأة لأسباب مرضية .

كذلك نجد مع زيادة نسبة هرمون الرجولة بداية ظهور الافرازات الدهنية التي قد يصاحبها ظهور حب

الشباب ، حيث مشكلة حب الشباب ما هي الا الالتهابات التي تصاحب الافرازات الدهنية في قاعدة بصيلات الشعر تحت الجلد .

كذلك فان الزيادة غير الطبيعية والعالية لهرمون الرجولة تعتبر قليلة ونادرة ، وتسبب فقدان الشعر وتكوين الصلع ، خصوصاً اذا كانت هناك صفات وراثية بالأسرة .

وعند هذه الحالة نجد كذلك اضطرابات في العادة الشهرية ، بالاضافة الى كبر البظر الذي به خلايا تتحسس هرمون الرجولة ، وأيضا نجد تضخما في الصوت ، وزيادة في كثافة العضلات كالرجال تماما ، وهذه الحالات نادرة جدا .

الأسباب المرضية

ان التطور الكبير الذي حدث في السنوات الأخيرة للطب باستعمال الأجهزة الحديثة في التشخيص السريري ، لعب دورا كبيرا فعالا في كشف الغموض الذي كان يحيط لتشخيص هذه الحالات ، فلقد كانت النسبة العالية لهذه الحالات المرضية غير معروفة ، ومع تطور أجهزة الأشعة فوق الصوتية (السونار) أصبح بالامكان تشخيص أكياس المبايض ، في حوالى ٩٠٪ من الحالات السابقة ، هذا علاوة على أن سبب زيادة هرمونات الرجولة في أغلب الحالات الأخرى يعود ايضا الى هذه الأكياس ويمكن معرفة هذا التشخيص بالاضافة الى استعمال السونار ، حيث يتكون عند هؤلاء السيدات اضطرابات في العادة الشهرية ، يصاحبها نزيف غير طبيعي أو سمنة .

يكون هرمون الرجولة هو الهرمون العالي في مثل هذه الحالات ، ويكون ناتجا في الغالب من التحول بواسطة Periphetal conversion وتأتي الغدة الكظرية المسبب الثاني والرئيسي في حالات زيادة هرمون الرجولة لدى المرأة ، وهناك عدة أمراض تصيب الغدة الكظرية لتسبب هذه الزيادة غير الطبيعية في هرمونات الرجولة :

هناك بعض الحالات التي تتضخم فيها الغدة الكظرية خلقيا ، أي قبل الولادة ، ولكن تظهر بوضوح مع الكبر ، ويكون السبب هنا نقص الأنزيمات المكونة للهرمونات ، وعادة يمكن تشخيص هذه الحالة بواسطة قياس هرمون Hydroxy 17 progesterone الذي يكون مرتفعاً بشكل ملحوظ .

وكذلك قد تتضخم الغدة الكظرية لأسباب مرضية أخرى ، ويمكن تشخيصها بواسطة قياس هرمون (DHEAS) مع عمل أشعة (CT) للدماغ ، لمعرفة تضخم الغدة النخامية التي تفرز هرمون (ACTH) بكثرة الذي بدوره يزيد من تضخم الغدة الكظرية .

هناك حالات نادرة وقليلة ، يكون السبب في زيادة افراز هرمون الرجولة الناتج من ورم خبيث في المبايض أو الغدة الكظرية ، وهنا نحتاج الى عمل (CT SCAN) بالاضافة الى الموجات فوق الصوتية للمبايض والغدة الكظرية ، وأحيانا نحتاج الى عمل قسطرة للأوردة الخارجية من المبايض ومن الغدة الكظرية ، وقياس الهرمونات مباشرة في تلك العينات الدموية لمعرفة مكان الورم الخبيث .

وكذلك هناك حالات يكون السبب في زيادة نمو الشعر غير الطبيعي فيها راجع للأدوية الطبية التي تتعاطها المرأة لعلاج حالات طبية اخرى ، وهذه الأدوية تتسبب في زيادة نمو الشعر غير الطبيعي ومن أمثلة هذه الأدوية Phenytoin الذي يستعمل لعلاج الصرع وللامراض النفسية وعقار diazox-ide والذي يستعمل لعلاج حالات ارتفاع ضغط الدم وعقار Danazol والذي يستعمل لحالات Endo metriosis

علاج حالات النمو

يكون عادة بمعرفة السبب وازالته إن أمكن ، كتوقيف الأدوية المسببة ، أو تحديد وتشخيص أكياس المبايض ، أو تضخم الغدة الكظرية ، ومحاولة معرفة المسبب لهذا التضخم للغدة الكظرية إن أمكن ، وذلك بقياس الهرمونات المناسبة لكل حالة .

نستطيع بعد ذلك اعطاء ٣ أنواع من العلاج :

العلاج الاول : يخص السبب المباشر كإزالة الورم الخبيث جراحيا ، أو تخفيف حالات تضخم الغدة

الكظرية باعطاء هرمون الكورتزون .

العلاج الثاني : يخص نمو الشعر غير الطبيعي ، وذلك باعطاء هرمونات حبوب منع الحمل ، وهنا نستعمل نوعين من هذه الهرمونات .

الاول كمضاد هرمون الرجولة واسمه Cyproterone Acetate ولهذا الهرمون فائدة أخرى ، وهي كونه يعمل كنوع من أنواع البروجسترون ، وهو الهرمون الذي يخرج من النصف الثاني للدورة الشهرية ، ومن أجل ذلك صنع هذا الهرمون ، ثم اكتشف بانه يحتوي على مقدرة مضادة لهرمون الرجولة ، ويؤخذ هذا الهرمون على شكل حبوب ، قوتها ٥٠ ـ ١٠٠ ملجم يوميا ، منذ اليوم الخامس لبدء خروج دم الحيض ، ولغاية يوم ١٥ من بدء دم الحيض .

بالاضافة يؤخذ هرمون آخر ، وهو الهرمون الانثوي الذي يمثل الهرمون الطبيعي للنصف الأول للدورة الشهرية ، واسمه Ethinyloestradiol ويؤخذ على شكل حبوب قوتها ٣٠ ـ ٥٠ ميكروغراما ويؤخذ منذ اليوم الخامس لبدء نزول الحيض ولغاية يوم ٢٦ من بدء نزول دم الحيض .

يعتبر هذا العلاج الثاني من افضل العلاجات المتوفرة حاليا ومن الضروري أن تتم تحت اشراف طبيب متخصص لمعرفة المشاكل الناجمة عنها ، وكذلك ليبدأ باعطاء الجرعات القليلة ثم يتدرج بالزيادة في هذه الجرعات ، وهنا تجدر ملاحظة أن التحسن في مثل هذه الحالات لا يظهر بصورة ملحوظة ، الا بعد مدة من الزمن قد تصل الى السنة الكاملة .

العلاج الثالث

لا بأس بالاستعانة بالوسائل التجميلية لازالة الشعر ، وخاصة في بداية العلاج ، حيث يكون الشعر كثيفا وغزيرا ، مثل الحف والحلاقة وازالة الشعر بالوسائل المعروفة . □

« الشرطة . . متى عرفها العرب ؟ »

عرف العرب نظام الشرطة لأول مرة في عهد الخليفة أبي بكر ، وكان يسمى آنذاك « العس » وهو الطوّاف بالليل لتتبع أهل الريب ، ويقال إن الصحابي عبد الله بن مسعود كان أول من عس بالليل بأمر الخليفة ، أما الخليفة عمر بن الخطاب فقد تولى العسّ بنفسه ، وكان يصحبه في ذلك مولاه أسلم .

وقد أطلقت كلمة الشرطة على ذلك النظام لأول مرة ، في عهد الامام علي بن أبي طالب الذي ولى قيس بن سعد الأنصاري شرطة الكوفة ، وكان الخلفاء والولاة يشترطون صفات معينة ، فيمن يختارونه لتولي قيادة الشرطة ، وخير مايعبر عن تلك الصفات رسالة مروان بن محمد الى واليه على مصر عبد الله بن مروان ، التي توضح الأسس والمعايير عند اختيار صاحب شرطته ، والمبادىء التي يتعين على صاحب الشرطة الالتزام بها في أدائه لوظيفته ، يقول مروان بن محمد في رسالته : فَوَلِّ شرطتك ، وأمر عسكرك ، أوثق قوادك عندك ، وأظهرهم نصيحة لك ، وأنفذهم بصيرة في طاعتك ، وأكفاهم أمانة ، وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ، وليكن عالماً بمركز الجنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهة في الذكر ، وصيت في الولاية ، معروف البيت مشهور الحسب .

ويروى أن الحجاج بن يوسف أعلن عندما ولي العراق عن حاجته الى رجل يوليه الشرطة فقال : أريده دائم العبوس ، طويل الجلوس سمين الأمانة ، أعجف الخيانة ، لا يحنق في الحق على جرة (أي لا ينطوي على حقد أو غل) يهون عليه سبال الاشراف في الشفاعة ، (أي لا يستجيب لشفاعة كبار القوم في عمله) فقيل له : « عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي ، فأرسل اليه وولاه شرطته » .

ألـذُّ عـلاج لمـرض الاكتئاب !

بقلم : شريف الراس

بالرغم مما يكتنف الحياة من مصاعب وعقبات ، فان بعض الادباء يجعلون منها مادة للتندر والسخرية .

منهم من يُعرَفُ ويشتهر في هذا المجال ، ومنهم من تبقى أعماله في دائرة محدودة من المعرفة والشهرة .

الكاتب في هذا المقال يلقى الاضواء على شعر شاعر ساخر لم ينل شهرة كافية .

* الزمان : صيفا - قبل ٢٥ سنة .
* المكان : أمام واجهة بيت جميل في مدينة الطائف .
* المشهد : رجل من أهل مكة المكرمة ، معه حقيبة سفر ، واقف أمام الباب ، ينشد شعرا .

هـل غـادر الـشـعـراء مـن مـتـردم ؟
أم هـل عـرفـت الـدار بـعـد تـوهـم ؟

يضع الحقيبة أمام الباب المغلق ، ويوجه حديثه للدار :

يـا دار خـالي بـالحـوِّيـة عـلّمـي
خـالي بـأني قـد وصـلت . . وسـلّمـي
فـاذا تمـحـك في الـسـؤال فـغـمـغـمـي
واذا تـلـكـك في الجـواب فـنـمـنـمـي
مـا جئت من عـنـدي لعـنـدي طـافـشـا
بـل ان أمـي أرسـلـتـني . فـاعـلـمـي

يقرع الباب بلطف ، الباب يفتح ويأتي منه « الخال » .

الشاعر : (للكاميرا) خالي رعاه الله قال مبرجلا
الخال : . . . . يا مرحبا بابن الشقيقة كلثم
الشاعر : قلت الحبيبة أختكم في مكة
تهـدي الـسـلام لكـم بـفـردة مـعـصـم
تـوصـي عـليّ بـخـير مـا يـوصـى بـه
خـال عـلى ابـن الاخـت . . لـمّـا يـنـسـم
فـالجـوُّ يـا خـالي بمـكـة شـعـلـة
بـسـمـومـه المـتـلـهّـب المـتـضـرّم
الـبَـوْخُ فـيـه كـأنـه لـفـح الـلظى
والـصـهـد فـيـه كـقـرمـةٍ بـجـهـنـم

الخال يرميه بنظرة ذات معنى ، كأنه يسأله : ولماذا لم تَلُذْ بمدينة جدة هربا من طقس مكة ؟

الشاعر : (موضحا)

ولـقـد مـررت بـجـدّةٍ فـرأيـتُـهـا
عَـرَقـاً يـشـرشـر كـالـدّلاء بـزمـزم

فعصرت ثوبي واللباس وغترتي
ونشرتها بالسطح فوق السلّم

* الصوت : ضحك مجموعة من الأشخاص لا تراهم

* الصورة : (استرجاع - فلاش باك) مطار جدّة قبل ٢٥ سنة ، مبنى المطار آنذاك ، ؟طائرة مروحية من نوع (كونفير) جهاز « بطبط » وهو عربة صغيرة بخارية لتوزيع الكهرباء .

الكاميرا تعرض لنا المشاهد التي يتحدث عنها الشاعر :

وشردتُ أطلب في المطار سلامتي
وطلبتُ في البوفيه ما لم يُقسَم
فإذا الحسابُ لدى الحساب فضيحةٌ
للجيب .. لم يصرخ .. ولم يتألم
ولقد ركبت على السلالم خاشعاً
أتلو على (الكونفير) سورة مريم
فرصدتها بمكانها فتصلّبت
منها المراوح لم تذرّ أو تبرُم
وجلست والركاب بين جُنوبها
فكأنني وكأنهم في قمقم
حتى استعانوا في الأخير ببطبطٍ
شهم .. كمشطان اللحى متقدم
ان البطابط في مطارات الورى
فن الاعارب لا فنون الأعجمي

* عودة الى مشهد الرجلين أمام باب دار الخال الشاعر (لخاله)

لقد أتيتك في النهاية سالما
حران .. جوعانا .. ولما أُكرم

(للكاميرا) قال :

الخال : .... الفطور مجهزٌ .. ومواتري
بفراشها مرصوصة كالأنجم
وقفاً عليك .. على أبيك ونسله
وابن السبيل وكل شخص مسلم

كتاب المركاز :

والقصيدة طويلة بعد ذلك ، تقرأها وأنت تتمنى أن لا يفاجئك انتهاؤها عندما تقلب صفحات الكتاب ، لما فيها من شعر مرح ضاحك لذيذ ، يصف كرم أهل الطائف ولطفهم ، وجمال الطقس ، وأنواع الفواكه اللذيذة ، والمآكل الشهية ، والخيرات الكثيرة ، حتى أن الشاعر يتساءل في النهاية :

لم لا أعيش بدار خالي دائما
في الصيف ، في المشتى ، وبين بني عمي

غير أنه يضطر للرحيل فيودع الدار قائلا :

يا دار خالي ان رحلتُ فقطّري
واذا جلستُ الى الشتاء ، فبرطمي
وعلى العموم فإنني لك راجع
فعمي مساء دار خالي .. واسلمي

وهذه القصيدة الطويلة والجميلة هي أول قصيدة في كتاب « المركاز » للأديب الحجازي الساخر أحمد قنديل ، الأستاذ في فن الشعر المرح المضحك ، وأستاذ الأساتذة - في الوقت ذاته - في فن النثر الأدبي الجزل البديع ، الذي يرقى في جماله وبلاغته وروعة سبكه الى عالم النثر الجاحظي .

ومع أنني لا أعرف معنى كلمة « المركاز » فانني أحتفظ بهذا الكتاب في رف خاص من مكتبتي ، مكتوب عليه : « رف مضادات الاكتئاب » على طريقة الصيادلة الذين يجعل الواحد منهم في صيدليته رفا خاصا لمضادات السموم .....

وعندي ، في رف مضادات الاكتئاب ، كتب اخرى من نوعية هذا المركاز المريح ، ألوذ بها كلما نشدت راحة الأعصاب والتخلص من التلوث الروحي الذي يكاد يخنق الانسان العربي حنقا وغيظا ، بعد سماعة نشرة أخبار ، أو بعد قراءة صحيفة ، وكلما واتتني حالة الحزن والغضب والاكتئاب ، أسرعُ الى هذا الكتاب لائذا بقراءة قصائده اللطيفة التي - تحت تأثير العادة - ربما تمنحني مشاعر الارتياح والسلوان .

وأحيانا أشعر بأن هذا الشاعر الممتع يحدثني شخصيا حين يقول :

عاش الفراغ وأهله في غفوة
عنه ... فعش بحياته فرفوشا
وزر المعارض في الضحى متفننا
في اللت عجنا فارغا مدشوشا
واطحن بأنواع التلامة كلها
أعصاب بياع أتاك بشوشا
فإذا جرى بقماشة لك سادة
قل : لا .. فاني أرغب المنقوشا

وارم الكواني من يديه وقل له
اني أريد بداها طربوشا
وكمان جب لي شاهيا أو قهوة
أو .. لا .. فهات البارد الرفروشا

ثم يخبرك بأن كلمة الرفروش تعريب عامي للكلمة الانجليزية « الرفريش » ومعناها : المنعش ، ثم يلاحظ بأنك راغب عن قراءة الصحف تحاشيا لما فيها من أخبار تسبب لك الاكتئاب ، فينصحك بأن تعالج الاكتئاب بقراءة الصحف من باب « وداوني بالتي كانت هي الداء » . لكنه يرشدك الى قراءة باب معين في الصحف ، لا علاقة له بالسياسة أو الأدب أو الفن أو « الأوضاع » فيقول لك ناصحا :

واقرا الجرائد في الصباح منقبا
منها مناقصة تجيب قروشا
واختر من الأصناف صنفا قابلا
للغش ان قدمته مغشوشا
وامسح مناظرك التي قد عنكبت
وارم المداس ولمع البرطوشا
وأت الدوائر مسرعا في مشية
واطو البساط الزاهي المنقوشا
واسأل عن الفرّاش قبل مديره
كي تعرف المدسوس والمخشوشا
واسأله عن حال المناقصة التي
رست الصباح على فلانٍ بوشا
وانغش كأنك للوزارة مخبر
وممثل يستكمل التفتيشا

الجاذبية :

ما هو سر الجاذبية في قصائد أحمد قنديل الساخرة ؟

أو ـ حسب تعبير أولاد الصنعة ـ ما هي « اللزمة » التي يلزمك بها حتى يأخذك من حالتك النفسية التي أنت فيها الى عالم المرح والضحك والنقد المريح ؟ . . .

وقد نجد الجواب في البيت الأول من كل قصيدة ، فالشاعر لا يأتيك ببيت من عنده جديد عليك ، بل يذكرك ببيت من محفوظاتك ، انه يستثمر ألفتك النفسية مع المأثور من الأشعار ، ويوظف هذه الألفة لجرك بلطف الى قصيدة تشعر بأنك شريك في صنعها .. ومن منا لا يحفظ قول عنترة :

حصاني كان دلال المنايا
وخاض غمارها وشرى وباعا
وقد حظ الريال مكان قرش
على أيامنا .. ونبي البضاعا
وبطّل في الشعير .. ودقّ كيكا
وبسطرما .. وقاتوها مشاعا
ولفلغ فوقها ببسي وكولا
وبعدهما تكرّع .. ما استطاعا
فذلك مذهب الفرسان تجري
وتلك سجية الناس الشباعى
فما احتكر البضائع غير كرش
تضيع بساحة بطن الجواعى
فمبتدع الغلا منا وفينا
ومحتكر البضائع لن يداعى

فانظر أين كان مطلع القصيدة المأخوذ من محفوظاتك العنترية ، وانظر أين صرت مع الشاعر متبنيا وجهة نظره في انتقاد بعض الظواهر غير السليمة في الحياة . . .

وهذا الأسلوب « الاستجراري » الممتع يتبعه الشاعر أحمد قنديل في قصائده جميعا ، بحيث يندر أن تجد قصيدة الا ومطلعها بيت ذائع من الشعر التراثي الجميل . لكن المفاجأة تظل دائما في « التكويع » بالموضوع . اذ هل يخطر على البال مثلا أن يُستغل مطلع أشهر قصيدة دامغة في الأدب العربي لانتقاد ظاهرة تقليدنا الأوروبيين في مآكلهم ؟ . . . قال :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا
وسيبك من « رجيم » طال حتى
عييت به .. كما أنا عيينا
وهاتي الفول مرشوشا بسمن
ومعصورا به الليمون حينا
وحطي جنبه الدقّا ، وقرنا
رفيعا من فلافلنا .. ثخينا
وشينا من طحينتنا عليه
فإن الفول يلحس بالطحينا
وان قردتْ يداك لنا فطيرا
خبزناه على عجل وجينا
فنظّفنا الصحون بلا كلام
وقمنا حامدين وشاكرينا

أبعد الفول والمعصوب صبحا
وأصناف المطبّق تشتهينا
نفك الريق بسكوتنا وشايا
وحتة جبنة .. لا .. لا .. دعينا
لعمرك أننا ضعنا وجعنا
وقد نشأ الولاد ممصرتينا
كذلك فالبنات معصعصات
كأقلام من الأبواص لينا
فما خلى الأجانب في بلادي
لنا ... ليطوننا .. لحماً سمينا

المفردات العامية

بالاضافة الى براعة الاستهلال في هذا الشعر الموصوف دواء لمعالجة مرض الاكتئاب ، فان الشاعر أحمد قنديل يلجأ ـ لبلوغ غرضه الصعب ـ الى وسائل بديعة أخرى أظن أن القارىء قد أدركها ، منها استغلال طرافة « فصحنة » المفردات العامية ، ومنها أنه ينتقد ظواهر يوافقه الجميع على مشروعية انتقادها ، ومنها أنه عندما ينتقد يجز ولا يجرح ، يوجع ولا يدمي ، ومنها أنه يكتب بريشة رسام أو ـ حسب مشاعل أيامنا ـ يكتب بكاميرا تلفزيون ، وقد عرضنا لذلك نموذجا ، ومنها أنه بارع في التصوير .

خذا مثلا هذه الصورة الوصفية للانسان المتعلق :

واذا قصدت الى المدير مسلما
ان كنت في شيء جرى .. مدغوشا
فالطع كريمته(*) .... وان لم يعطها
لك جُرْها مستبلها موشوشا
واخش أصابعها ودنق فوقها
شغفا بها ... واسترجع التخميشا
واجلس بركنك جنبه متحرمصاً
كالرخ بات ببيدق(**) مكشوشا
وأفضل لدى الصالون فيه متلحما
وانصب هنالك خيمة وعريشا
حتى يصكوا الباب دونك قائما
أو نائما أو خارجا مكروشا

وأبدع من هذا أن الشاعر حين « يرسم » يجعلك تشعر بأنه يصف أناسا من معارفك وأصدقائك ، و « يشخص » حالات طريفة وقعت لك معهم ، خذ مثلا هذا الصديق المدعو « الأستاذ رشاد » الذي ينوء بشيخوخته وضخامة كرشه ، وانظر ماذا فعل عندما عرّجتما معا على شاطىء البحر ، في مكان يعج بالسابحين الأجانب .

ولما التقينا بالاجانب فصّخوا
ودارت رطانات ... رطنا ولا فخرْ
فمن قائل (جود مورننج) قلنا لجاره :
هلا (ثانك يو) والله هلا ولك الشكر
فقشّع مولانا « رشادٌ » ثيابه
وطبّ مكان المدّ يسحبه الجزر
وكانت لنا أمّ الفضائح عندما
تدلدل من (مايوهه) العجز والصدر
فأهدى له من كان بالشط شرشفا
يداريه عن عين لها نظرٌ شزر
فقلنا له : خذ ما جرى من قصيره
تصن سمعة الاعراب يا ابنهمو البكر
فليست متون البحر أستام أبعر
وليس بقعر البحر ذيل ولا بعر

ومنها أيضا هذه الصورة الوصفية البديعة

ولقد نششت الواد حتة علقة
لما أن لبلبت « بعد المغرب »
وشقرت عيني صارخا في أمه
لما جرى نحوي ... بفردة شبشب
لاقول : سيبيني أربّيه كما
رُبّيتُ في الماضي بأسلوب الأب

وبعد ... فان ما دفعني لتسليط الضوء على بعض نتاج هذا الأديب العربي المبدع ، تقصير النقاد والصحفيين عندما يتحدثون عن أقطاب الأدب العربي الساخر في عصرنا ، من غير أن يذكروا اسمه ، مع أن هذا الأديب الحجازي الأستاذ أحمد قنديل « شيخ » في هذا الفن الصعب والجميل .. يكفيه أن قراءة قصيدة من أشعاره الساخرة والطريفة تنتشل الانسان من حالة الاكتئاب : مرض العصر الذي يشكو منه الأجانب ولا يجدون له دواء ، ويشكو منه كثير من العرب وهم يجهلون أن بعض الشعر ـ كالشهد ـ فيه شفاء للناس . □

---

* بده   ** الرخ والبيدق : من قطع الشطرنج .



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم) النور ٦٢ .

في أواخر شوال من العام الخامس الهجري ، خرجت قريش وحلفاؤها الى المدينة في أكبر حشد تجمعه من أجل كسر شوكة المسلمين ، وقد قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مشورة سلمان الفارسي ، بالا يخرج المسلمون من المدينة للقاء العدو خارجها ، وبأن يحفروا خندقا عند المواضع المكشوفة عند حدودها ، بحيث يتعذر على خيل المشركين أن تنفذ منها ، فخطّ النبي (عليه الصلاة والسلام) مواضع الخندق ، ثم قسّمها ، فقطع لكل عشرة من المسلمين أربعين ذراعا ، ووزع العمل على البطون المختلفة ، وكان عليه الصلاة والسلام يعمل مع المسلمين لينشطهم ، يحمل التراب في المكاتل ويطرحه ويضرب بالمعول ويغرف بالمسحاة التراب . .

وكان الرجل من المسلمين اذا أراد قضاء حاجته أو الانصراف لبعض شأنه يذكر ذلك للنبي ويستأذنه ، فاذا قضى حاجته رجع الى الحفر ، ومع ذلك فقد أبطأ عن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين ، كانوا يتسللون الى أهليهم في المدينة بغير علم النبي أو إذنه ، وقد كان هذا الموقف المتذبذب من المنافقين ، بالاضافة الى ما وردت به الأخبار عن ضخامة جيش العدو ، والخشية من حدوث اتفاق بين هذا العدو المهاجم للمدينة من شمالها ، وبين يهود بني قريظة في جنوبها ، من أسباب وَجَل المسلمين ، وشدة خشيتهم من اختراق العدو للخندق .

وبدأ حصار الأحزاب للمدينة في الثامن من ذي القعدة ، وكان المسلمون وأعداؤهم طوال مدة الحصار يُطيفون بالخندق بالليل حتى الصباح يتناوبون ، واذا كان جيش النبي (صلى الله عليه وسلم) يكاد لا يكفي لحماية مثل ذلك الخط

الطويل من الدفاع ، فقد وجد المسلمون صعوبة في ترتيب نوبات للحراسة والراحة ، فلم تتح لهم في الواقع فرصة لراحة حقيقية ، وكان خوفهم على نسائهم وأطفالهم بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفهم من الأحزاب ، فكان بعضهم يستأذنون النبي (صلى الله عليه وسلم) لينصرفوا للاطمئنان على أهليهم في ديارهم بأنصاف النهار ، فينهاهم ، فاذا ألحوا أمرهم أن يأخذوا السلاح معهم خوفا عليهم من بني قريظة ، وقد زاد من محنة المسلمين ما كانوا يعانون من قرّ شديد ومن جوع ، كما أنهكتهم يقظتهم الدائبة ، فلما اشتدت الوطأة عليهم وبلغت القلوب الحناجر (الأحزاب ١٠) تكلم قوم منهم بكلام قبيح ، وبدأ البعض يتسللون الى أهليهم بغير علم النبي (صلى الله عليه وسلم) أو إذنه .

واجتمعت بنو حارثة ، فأرسلوا أوس بن قيظي الى النبي (عليه الصلاة والسلام) يقول له : « ان بيوتنا عورة ، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا ، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا ، فأذن لنا فلنرجع الى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا ، فأذن لهم النبي (عليه الصلاة والسلام) بالانصراف » .

وقد كان هذا هو موقف النبي (عليه الصلاة والسلام) دوما حيال ضعاف النفوس ومن في قلوبهم مرض ، حتى ان كان الموقف العصيب ومواجهة العدو يتطلبان توفر أكبر عدد متاح من المسلمين ، فالسيرة تحدثنا أنه حين أراد الخروج في غزوة تبوك عام ٩هـ ، فكر في أن يستعين بالجدّ بن قيس سيد بني سلمة وأكثرهم مالا ، اذ كان يعلم ما بالجدّ هذا من غرام بالنساء ، فقد قال له مازحا : « أبا وهب ، هل لك أن تخرج معنا لعلك تحتقب (أي تحتمل) من بنات الأصفر (الروميات) ؟ » فرد عليه الجدّ بقوله : « أو تأذن لي ولا تفتنّي ؟ فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجبا بالنساء مني ، واني لاخشى ان رأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن ! » فما كان من النبي (عليه الصلاة والسلام) الا أن أذن له بالتخلف عن الخروج مع المسلمين ، وهو يعلم أن السبب الحقيقي لتقاعسه هو خوفه من لقاء الروم ، وكراهته التعرض للريح والحر ومشقة السفر .

كان عليه الصلاة والسلام يدرك تماما أن النصر ليس مشروطا بالتفوق في العدد والسلاح ، وانما هو معلق على قوة الايمان ، وعلى الصبر الذي هو مقرون بقوة الايمان ، ولو قل العدد ونزر السلاح ، وقد تعجب المسلمين كثرتهم فاذا هذه الكثرة لا تغنيهم شيئا ، متى كان في صفوفهم جمهور كبير من المنافقين ، أو من طلاب الغنيمة وحدها ، ومتى كان عدوهم أصلب عودا وأحرص منهم على التآزر والتآلف والوحدة ، وها نحن نراه حين كان يستعد للخروج في غزوة خيبر ، يستقبل الكثيرين من أهل المدينة والأعراب الذين تخلفوا عنه في غزوة الحديبية ، ولم يستجيبوا لندائه وقتها ، ممن أرادوا الآن الاشتراك في غزوة خيبر « ريف الحجاز أموالا وطعاما وودكا » ، فيرفض مطلبهم الخروج معه رغم حاجته الى النفر والسلاح ، ويبعث مناديه ينادي : « لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا ! » فلم يشترك في هذه الغزوة الجديدة غير من كانوا قد خرجوا معه الى الحديبية .

وقد علمه القرآن وعلم المسلمين في ذلك الزمان أن في القلة الصابرة الغناء ، حيث لا تجدي الكثرة ممن استشرى فيهم النفاق ومرض القلوب ، وأن من شأن وجود ضعيفي الايمان في صفوف القلة الصابرة أن يضعف من عزيمة هذه القلة المؤمنة ذاتها ، ومن فعاليتها وجدواها : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) . . (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) . . (فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ، ولن تقاتلوا معي عدوا ، انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) . □

• قصة قصيرة •

جلسة لتبادل الخبرة

بقلم : الدكتور محمد حسن عبد الله

كعادته . . . أومأ لفرّاش المكتب أن يضع كوب الشاي على حافة المكتب دون تقليب ، لايعرف كيف اكتسب هذه العادة الغريبة التي أصبحت طبعا أصيلا ، يروق له أن يرى قطعتي السكر متعانقتين في قاع الكوب الأحمر ، ويظل يراقبهما وهما تتآكلان بالتدريج عقب كل رشفة شاي يلتذ فيها بالمذاق الطبيعي ، حتى اذا بقيت الرشفة الأخيرة في قاع الكوب صنع من حولها موجات وذبذبات حتى ينمحي فيها السكر الباقي ، ثم امتصها على مهل ، فتستحيل في فمه الى عسل !!

بعد الرشفة الأولى فتح أول دوسية ، وأمسك بالقلم الأحمر ليضع خطوطا تحت الخلاصة ، رمق ساعة المكتب ، ولاحظ أن الساعة العاشرة والنصف الا خمس دقائق . . . لم تكن بين العقربين أية علاقة شكلية . دق جرس التليفون الداخلي ، أطلق نفسا حبيسا ، وأمسك السماعة وبادر :

ـ سعادة المدير نهارك سعيد .

ـ أهلا . . تعال عندى دقيقتين من فضلك .

صدمته طريقة الرد ، فكر بسرعة ، لايستطيع قبول المخاشنة بالتجاهل ، أو بمثلها ، فآثر أن يمسك العصا من الوسط :

ـ في يدي بعض الأوراق ، ربع ساعة أو نصف على الأكثر ، وأكون عند سيادتك . وبسرعة وضع السماعة كي لايسمع تعقيبا ، حاول أن يعود الى الدوسية فلم يجد في نفسه رغبة ، لمح كوب الشاي لم يعبأ بالياقوتة الحبلى باللؤلؤ ، كما يلذ له أن يصف قطعة السكر في الشاي . . أحس بحبات العرق تنبثق حول سالفيه ، كما تطفر الدموع فجأة في عيون مقهورة ، يقول له باسترخاء « أهلا ، تعال » فما الذي يحدث لو أنه لعن الزمن الذي جعل من الغلمان الأغرار رؤساء عليه ، هو صاحب الخبرة الطويلة في هذه الادارة ؟! صعد سلمها الصعب من كاتب في ادارة التدريب الى أن تسلم مقعد رئيس القسم بعد ربع قرن من العناء والانتظار . أما هذا الفتى المدل بشبابه ولقبه ، فيظن نفسه قد أحاط بفنون الادارة علما ، ولكن مهلا لايفل الحديد الا الحديد ، قام على الفور ، وكأنما يتأهب لحمل السلاح ، واندفع الى مكتب المدير لايعرف ماذا يريد أو يراد منه على وجه الدقة ، أخذ نفسا على الباب ودخل دون استئذان

ـ خير يا سيادة المدير

كان لايزال واقفا ، ولم يدعه الآخر الى الجلوس :

ـ اذا كان خيرا فمن حظك ، وان كان غير ذلك فلا مناص من التحقيق !!

ـ تحقيق ؟!

ـ انظر هذا المأزق الذي وقعت فيه وسحبتنا معك .

ـ مأزق . . ؟!



ـ هذا تعبير مخفف عن فشل ذريع واستهانة بالعمل .
ـ ما هذا يا سيادة المدير . . ؟ أعوذ بالله . . .
ـ تعوذ بالله كما تشاء ، ولكن ماذا تسمى هذا ؟
وبسط اعلانا من ادارة التدريب نشرته الصحف منذ بضعة أيام ، حين كان المدير في جولة تفتيشية بالأقاليم .
ـ اعلان ، مثل كل الاعلانات التي اعتدنا عليها . . . .
ـ يبدو أنك لن تستطيع اكتشاف الخلل . . انظر . . تمعن . . . عد على أصابعك الشروط .

أحس باللهب يتصاعد من نافوخه ، وبضيق الحزام على خاصرته ، وقرر أنه بحاجة الى ضبط النفس حتى يرى كل جوانب الموقف . . . ثم . .
وقال المدير :
ـ اعلان عن دورة تدريب في المانيا ، في الصحف دون أن يشترط في المتقدم معرفة اللغة الألمانية ؟ ماذا ستفعل في عشرات أو مئات الطلبات التي ستقدم اليك من أشخاص لايعرفون هذه اللغة ؟ كيف ستحكم عليهم ؟

حدق المدير في الوجه الأشيب باستهانة ساخرة ، حتى انبثق العرق كرؤوس الدبابيس من قمة الجمجمة العارية من الشعر . . ثم أكمل :

قل لي يا رئيس القسم : كيف يمكنك الآن أن تفاضل بين المتقدمين ؟
« يسخر من كفاءتي اللعين . . . احكم عليهم بالشكل ، كما أحكم عليك بأن تلقى بنفسك في مزبلة » .

عز عليه أن يخرج منديله ليمسح صلعته ، تخيل أن العرق يجري في قنوات مع خطوط الأوردة الزرقاء النافرة في رأسه وجبينه ، تحرك الى الجانب الأخر من المكتب . . . تنبه مع الحركة الى أنه لايزال واقفا ، في حين أن مديره الغلام جالس ولم يدعه للجلوس ، المغرور المستعلى بجهله الى موقع الاداري المذعور .
قال :
ـ يا أفندم ، شرط اللغة مفهوم ضمنا . . دورة تدريب في المانيا . . طبعا بالالماني مسألة منطقية !!
قال من أنفه :
ـ وما الذي يجعلها كذلك ؟

قال رئيس القسم :

ـ بديهي . . وقد يكون عدم اشتراط اللغة في مصلحتنا . . .

رمق المدير بنظرة « قارحة » وكأنه ينبهه الى ضرورة أن يفكر قبل أن يتكلم ، ويقلب المعاني حتى يدرك المرمى ، لكن الأخر اندفع بنغمة بين السخرية والتأنيب :

ـ ممكن طبعا على طريقتك في التفكير ، أما طريقتي فلا أرى في ذلك غير اهدار للامكانات .

ـ أوضح لسعادتك .

ـ وضح !!

ـ لنفترض أن عدد المتكلمين بالالمانية لايغطي العدد المطلوب للمنحة .

قال المدير :

ـ محتمل جدا الا تجد خمسين متدربا على المستوى الفني المطلوب يتكلمون الالمانية ، أوحتى يفهمونها .

قال رئيس القسم وقد استخفه الطرب :

ـ آه . . هنا تلعب لعبتك .

ـ ألعب ؟! ما هذه اللغة العجيبة ؟ هل نحن هنا لنلعب ؟

ـ حلمك يا بك ، لاتسيء الظن بي ، قصدت أن تعطي الأولوية للذين تؤهلهم لغتهم ، ثم تكمل العدد بمن ترى أنهم « يستحقون » السفر .

عادت النظرة « القارحة » المخدرة ، ولكن الأخر اندفع من جديد :

ـ وما الذي يجعلهم يستحقون السفر اذا كانوا عاجزين عن الاستفادة ؟

استمرت النظرة ، مع الضغط على مخارج الحروف :

ـ ستجد مائة سبب وسبب !!

ـ ولماذا أبحث عن أسباب ؟ عندي شروط المنحة وفيها كفاية . . .

ـ طبعا ، طبعا والأمر أولا وأخيرا في يد سيادتك ، ولكن يجب أن نحمي أنفسنا .

قال المدير دهشا :

ـ نحمي أنفسنا ؟ ضد من ؟! تحولت النظرة « القارحة » الى اسالة « كهينة » وهو يقول مغمغما :

ـ أنت سيد العارفين ، الصحف كل يوم تهاجم الجهات التي لاتستفيد من المنح أو القروض المقدمة لها ، وتتهمها بأنها تهمل توظيف الامكانات المتاحة لها ، ولا ترغب في تطوير أساليب العمل .

قاطعه المدير :

ـ و هل أخلق لهم ناسا من تحت الأرض ؟

ومضى الأخر كأنه لم يسمعه :

ـ . . . . . ماذا تتوقع أن يحدث لو عرفت احدى الصحف طويلة اللسان أن المانيا قدمت لنا خمسين منحة فأرسلنا عشرين ؟!

قال المدير مغمغما :

ـ وربما أقل اذا تمسكنا بالشروط الدقيقة .

ـ سيقولون : ضاعت فوائد على الدولة ، ويتحدثون عن أعداء التجديد . . والروتين !! حين بدأ عرق رئيس القسم يجف ، ويشعر بالنسمة الطرية المنطلقة من جهاز التكييف تداعب صلعته ، كان وجه المدير بدأ ينضح بفعل الحرارة الحبيسة في دمائه ، عز عليه أن يسلم بوجهه نظر مرؤوسه ، لكن خاطرا عبر برأسه كالشهاب ، غير أنه تراجع عنه وقال بثقة :

ـ مثلي لايعجز عن الدفاع عن الحق .

قال العجوز ، والنظرة « الكهينة » المواربة تفترس جبينه اللامع :

ـ لن تكون المشكلة أبدا في الدفاع عن الحق ، بل في قبول هذا الدفاع ، والعمل بمقتضاه .

ـ يعني ؟

ـ أنا مقتنع بوجهة نظرك ، يمكن أن تقول ببساطة مطلقة : هذا هو العدد الذي ثبت أنه يصلح لاستيعاب التدريب دون قصور أو معوقات ، وسيكون معك كل من يرغب في الابقاء على مودتك انصافا أو طمعا ، أما الذين يريدون غير ذلك فسيبحثون عن ثغرات تنفذ منها السهام المسمومة !!

كان العجوز قد بدأ يتخلى عن مشاعر المرؤوس المتربص دفاعا ، ارتفعت قامته ونبرته ، استعان بكل جوارحه ليصنع منها مؤثرات اضافية للاقناع : يداه تصنعان اشكالا وهمية في الهواء ، تدوران كالمروحة ، أو تنقض احداهما كالساطور ، وتنزلق الأخرى كمطرحة الفران ، وعيناه الغائرتان كحبتي النرد في ساحة الطاولة ، تنطلقان في كل اتجاه : تبتعدان ، تقتربان ، تتنافران ، تتراكبان ، تدوران ، تستقران . . وحاجبه الأيمن يتلوى كالدودة مؤكدا نوايا الشر من الآخرين ، في حين يمط شفته السفلى ، فيصير له فم ضفدعة يؤكد حيرته الغائرة الابعاد .

قال المدير :

ـ استعلم لنا عن العدد الاجمالي ، وما تم بشأن الفرز .

قال رئيس القسم :

ـ كل شيء جاهز ، هنا .

أشار الى صلعته ، هز المدير رأسه موافقا ، استأنف الآخر :

ـ الاجمالي خمسمائة وسبعون ، منها ثلاثة وعشرون يعرفون الألمانية بدرجات متفاوتة . سجل المدير الأرقام على ورقة أمامه بالقلم الأحمر ، أخذ يغمغم : ثلاثة وعشرون . . .

أقل من نصف المطلوب .

ـ ويمكن أن يكونوا أقل ، اذا دققنا في مستوى اللغة .

ـ أ . . . فعلا . . .

تنهد ، استرخى قليلا ، خلع نظارته ، بربش للارقام ، عاد فلبسها :

ـ على خيرة الله .

ـ علام استقر الرأي .

ـ سنختار في حدود الثلاثة والعشرين ، وسنرسل من يصلح فقط .

قال رئيس القسم بعشم ما كان يستطيع ابداءه منذ دقائق :

ـ المنحة لخمسين ياسعادة المدير ، لقد أوضحت لك ما يمكن أن يقال .

ـ تسللت مخاوف غامضة ، قال بحدة من يدافع عن حق :

ـ ماذا أصنع ؟ هل أخلق لهم خمسين يتكلمون الألمانية ؟ ما يقدر على القدرة الا ربنا ، اترك مكتبي وأذهب نيابة عنهم ؟

ـ ولم لا ؟

ـ حتى أنا لاأصلح لهذه المهمة ، فأنا لاأعرف من الالمانية غير صباح الخير مساء النور .

قال متحمسا في مغامرة محسوبة :

ـ يابني !!

توقف قليلا ، كأنما يعتذر عن خطأ مقصود ، رمق رئيسه بنظرة من فوق اطار النظارة ، الزهر الآن خارج الطاولة . لم يكن المدير قد فطن للعبارة ، لكن النظرة ارتفست برأسه فأيقظته تحركت فيه روح العناد ، قال مقاطعا على الفور :

ـ اذهب فافعل ما سمعت مني الآن .

استمات الآخر في موقعه :

ـ معذرة يا سعادة المدير ، لم أقصد ، أنا خائف عليك ، من موقع الحب لك أجادل ، وهدفي حماية الادارة من الشوشرة . . . السهام المسمومة جاهزة .

ـ سهام مسمومة ؟! لماذا ؟!

ـ « ولي فيها مآرب أخرى »

ـ أية مآرب ؟ الذين يمكنهم الافادة أرسلناهم ، ولم نهدر وقت غيرهم ، ولا أضعنا عليهم فائدة محتملة .

استقرت العينان في خانة « البك » زاوية في طرف العين . . . .

ـ بل أضعت كثيرا من الفوائد .

ـ كيف لكي نعرف هذه الفوائد لابد أن نسلم بالأمر الواقع . . . حتى أولئك الذين يعرفون الألمانية يعرفون قبلها أشياء أخرى سيسعون الى تحقيقها ، هناك طبعا ، يعرفون تهريب العملة ، البيع والشراء ، أماكن اللهو . . . قضاء حاجات ذوي السلطات ، متعة السياحة والفرجة ، هذه خمسة أشياء في مقابلة شيء واحد هو التدريب الفني .

ـ حتى ولو . . . التدريب هو الأساس . . .

ـ كلام على الورق لايقوله الا أنت وأنا . .

ـ لا ، لا مبالغة وتشاؤم . . لنفترض أنهم سيشترون ويلعبون متوقع هذا متوقع ـ ولكنهم سيتدربون ويعودون أكثر خبرة في عملهم .

ـ بالتأكيد ياسعادة المدير أكثر خبرة ، ولكن بنسبة واحد الى خمسة ، فعلى أحسن الأحوال سيكون وقتهم موزعا هناك : ساعة تدريب تقابلها خمس ساعات « مآرب أخرى »

ـ ياسلام !!

ـ هذا هو الواقع بكل مرارة .

ـ والنتيجة .

ـ ان الذي سيذهب دون معرفة اللغة الالمانية سيحقق نسبة عالية من الاهداف الحقيقية للسفر .

ـ على قولك لن يضيع منه غير واحد مقابل خمسة .

ـ تمام . . . الله ينور عليك .

ـ ينور !! انني بهذه الطريقة أكون أطفأت جميع الأنوار . . .

ـ خلاص ، متأسف ، اغفر لي تطفلي . . .

صرخ المدير :

ـ لاحجة لأحد في الزامي بارسال من لايستطيع التفاهم هناك .

ـ ومن قال انهم سيهاجمون من هذه الزاوية ؟

ـ وهل هناك زوايا أخرى للموضوع ؟

ـ مالا يحصى من الزوايا ، تخترع خصيصا ، اكتشاف واحد أو أكثر ممن سيتم استبعادهم ويقال انهم حرموا عمدا لأسباب شخصية ، وليس بعيدا أن يكتشف أشخاص لم يتقدموا بطلبات أصلا ، ويؤكدون أنهم تقدموا ، وأسقطت طلباتهم لسبب أو لآخر ، ويمكن أن تناقش أشراط السفر ، ويقال أن المستوى الفني ، وليس اللغوي ، هو الأساس السليم ، وكان على الادارة أن تعين مترجمين ، ونفقة المترجم أقل بكثير من الفوائد التي ضاعت على الدولة بارسال عشرين أو ثلاثين بدلا من خمسين ، ويمكن أن نهاجم بأن الخطأ أصلا في توقيت المنحة ، أو بلد المنحة ، أو نوع المنحة . . الخ ، الخ . . . . ويمكن

صرخ المدير :

ـ كفى ، كفى . . من الذي سيقول كل ذلك ؟

ـ أصحاب المآرب الأخرى . . الرؤساء الذين لايستلطفونك لامؤاخذة ، الزملاء الطامعون في مكانك ، المتدربون الذين حلموا بالفرصة وفاتتهم ، أصحاب النفوذ الذين رغبوا في ارسال معارفهم وأتباعهم لأداء خدمات خاصة بهم ، أو لتنفيع المعارف والاتباع . .

تمتم المدير من رأس ملفع بالضباب :

ـ تنفيع !! خدمات خاصة !!

ـ أخف الضررين ، والا حدثني كيف تظهر المجلات وأشرطة الفيديو المحرمة ؟

ـ ومن أين يتبع المارك في السوق السوداء ؟

ـ لا . لا . . أنت تبالغ . الذي يسمع كلامك يتصور أنه يمكن أن تخرج مظاهرة تهتف ضدي وتحيط بالادارة لأنني تمسكت بشرط لم يرد في الاعلان . . . .

ـ ليس هذا بمستبعد ، القرار في يدك ، وتذكر أن المظاهرة ليست شر أنواع المعارضة ، انها على الأقل معارضة معلنة ، أما أصحاب الأغراض فانهم يتظاهرون ، ولكن بعكس ما يريدون ، أعجبه الجناس اللغوي ، وخشي الا يكون المدير قد أدرك النكتة اللفظية فاكمل :

ـ أيهما تفضل . . المظاهرة أم التظاهر ؟!

اختلطت الافكار ، لم يعد يعرف ماذا يريد ، وهل كان الشرط المهمل في الاعلان عن غفلة أو تدبير ، وهل اهماله ميزة أو مصيبة ؟ عز عليه الصمت ، لكن ما منه بد الآن . . أحس العجوز أن رئيسه الغلام ملقى على ظهره تحت الشبكة ، وهنا تقدم ليفتح له ثغرة كما في قصة الأسد والفأر . . .

ـ ومع هذا . . .

ـ هه . . سيكون هناك دائما : مع هذا !! هات .

ـ ليس مطلوبا منا الآن أكثر من التمهل في الاختيار . . ستبدأ بعد أيام موجات الضغوط في الظهور ، ستعرف وأنت في مكتبك حجمها وأنواعها ، ويمكنك في حينها أن تقرر بوضوح ، وستكون ، وهذا رأيي الخاص ، سعيد الحظ لو وجدت مكانا للثلاثة والعشرين الذين توفر فيهم الشرط اياه

ـ الى هذا الحد ؟

ـ وأكثر . . أخشى أن تضحي بعدد منهم ارضاء وتحببا وتملصا . . . . الخ . . الخ . . .

تمهل المدير ، رأى أن هذا أنسب حل لما هو فيه الآن ، فاذا بدا له أن يتراجع لايكون ذلك في مواجهة مرؤوسه وبتأثيره المباشر .

قال بنغمة هي مزيج من التعالي المصطنع واضفاء الأهمية على محدثه :

ـ فعلا ، نؤجل اعلان النتيجة ، حتى ندرس الأرقام والاحتمالات . . . .

قال الآخر وقد فهم كل شيء :

ـ بالضبط . . .

بعد دقائق من نهاية الحوار كان رئيس القسم يعود الى مكتبه ، لاتزال الدوسية مفتوحة كما تركها ، وكوب الشاي ، وقد اربد لونه ، وراحت تناوشه ذبابة سمجة طردها بالدوسية ، تطلع الى الساعة . . . كان العقربان في حالة عناق مطلق فوق الثانية عشرة . . . .

بعد شهر كان المدير يطير بنفسه على رأس وفد من ثلاثة وسبعين متدربا ، وقد صرح في المطار بأنه تجاوز عدد المنحة حرصا على استيراد التقنية الحديثة ، وتنفيذ الخطة ، وان ادارته ستتحمل نفقات العدد الزائد ، كما أنه قرر أن يصحب الوفد بنفسه ليتابع برنامجهم ، ويرسم مع المسئولين هناك خطة لاستمرار التدريب وتطويره . □

اقوال



شولوخوف



فيديل كاسترو



محمد شكري

□ اني اعترف برغم محاولتي ككاتب وكانسان ان افهم حياة الاسود ، الا انني لا استطيع ان اخرج من جلدي ، لكنني ككاتب ابيض يمكنني ان اقول للبيض مالا يحبون ان يسمعوه عن انفسهم

اندريه برنك

كاتب ابيض من جنوب افريقيا

□ لافرق أن تكون محافظا ، أو واقعيا أو اشتراكيا عندما تعانق امرأة .

شولوخوف

□ أنا أكتب من أجل أن أُمتع ، أنا أومن أن ما أكتبه هو نور ويراه غيري ظلام .

محمد شكري

كاتب عربي من المغرب

□ البلد المستقل هو من كان قادرا على حماية استقلاله بنفسه .

فيديل كاسترو

رئيس وزراء كوبا

□ عندما يغيب الشعر عن عقل السياسي ، يتحول الى طاغية

أوكتافيوبات (شاعر مكسيكي)

□ التمني امر طبيعي بالنسبة للانسان . لا يقل في ضرورته عن التنفس للحياة الطبيعية .

هيلين جاردنر

ناقدة انكليزية

□ أنا مؤمن بالمستقبل العربي وبالوجود العربي رغم كل مايطفو على السطح من قتال وتناحر ظالم .

جاك بيرك

المستشرق الفرنسي

□ الشخصية حسب خبرتي ليست قناعا لأفكار الكاتب .

د . عبد الرحمن منيف

روائي واقتصادي



منتدى العربي

حول «قضية التعريب في الجزائر»

مع المفكر الجزائري مولود قاسم

أجرى الحوار : أبو المعاطي أبو النجا

■ لماذا في الجزائر بالذات تعرضت اللغة العربية لهذه الدرجة من المسخ ؟

■ إدجار فور كان يقول : « الجزائر هي لحمنا وعظمنا ودمنا » .

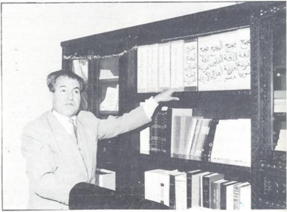
■ معركتنا من أجل التعريب لم تقل ضراوة عن معركتنا من أجل الاستقلال

■ الخوف من تعريب التعليم الجامعي . . . مجرد عقدة !

■ اسرائيل لجأت الى اللغة العربية . . لتنحت مصطلحات علمية جديدة في اللغة العبرية . ؟

■ اسرائيل تدرس علوم الذرة في معهد ويزمان باللغة العبرية . ؟

■ ٩٠٪ من الجزائريين والجزائريات يعرفون اللغة العربية الآن . لأن ٧٥٪ منهم ولدوا بعد الاستقلال .



● قبل أن نتساءل عن قضية التعريب في الجزائر من وجوهها المختلفة أود أن أبدأ بطرح هذا السؤال : لماذا كانت الجزائر ـ دون كل الأقطار العربية التي خضعت للاستعمار الفرنسي ـ هي التي تعرضت فيها اللغة العربية لهذه الدرجة القاسية من « النسخ والمسخ والفسخ » على حد التعبير المشهور عنكم ؟

جذور المشكلة

ـ أشكرك على أنك بدأت بهذا السؤال ، لأنه يتيح لي فرصة كي ألقي بالضوء على جذور هذه القضية المهمة .

في الواقع كانت هناك عوامل كثيرة وراء تركيز فرنسا اثناء احتلالها للجزائر ، على أن تصبح الجزائر جزءا من فرنسا ، وليست مجرد بلد خاضع لنفوذها ، وفي الوقت الذي كانت الصيغة القانونية لسيطرة فرنسا على الأقطار العربية الأخرى هي صيغة الانتداب ، فقد نص في الدستور الفرنسي على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا .

فإذا عدنا لمناقشة العوامل التي تكمن وراء هذه السياسة الفرنسية ، فسنجد أن هناك العامل الديني ، والعامل الاقتصادي ، والعامل الجغرافي ، بالنسبة للعامل الديني ، علينا أن نرجع الى الوراء كثيرا الى ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر في ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ ، أن نعود الى سنة ١٢٧٠ أواخر القرن الثالث عشر ، لنجد أن الملك لويس التاسع (القديس) ، وهو نفس الملك الذي أسر في المنصورة ، إبان حملته الصليبية على مصر ، قد جاء الى المغرب مبتدأ بتونس ، ولكن هذا الملك الفرنسي مات في تونس بالوباء الذي اجتاح المنطقة آنذاك ، هنا نلتقي بشتى دوافع الحروب الصليبية .

ومع أن بلدان المغرب كلها من سبوة الى المحيط الأطلسي وبما يشمل موريتانيا لا يوجد بها

مسيحيون ، فقد كان الهدف وراء هذه الحملات هو هدف صليبي واضح ، وهو نشر المسيحية في تلك البلاد .

ولقد كانت فرنسا تسعى لتحقيق هذا الهدف دائما من خلال المعاهدات التي كانت تنظم علاقاتها بالجزائر ، في الفترة الممتدة من الحملة الفاشلة للملك لويس ، وحتى احتلالها للجزائر سنة ١٨٣٠ ، ولقد أسفرت عن هذا الهدف بوضوح في الرسائل التي بعث بها شارل العاشر ملك فرنسا لملوك أوروبا يقول لهم في الوقت الذي أعلن فيه الحرب رسميا على الجزائر : « ان احتلال الجزائر هو لصالح النصرانية كلها » وقد كانت بريطانيا آنذاك تعارض هذه الحرب لا حبا في الجزائر ولكن جزءا من المنافسة بين الدولتين على استعمار الشعوب كما هو معروف ، هذه مجرد لمحة عن العامل الديني .

أما بالنسبة للعامل الاقتصادي فيكفي أن أشير الى الوقائع التالية ، في الفترة من أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وحتى معاهدة « افيان » عقدت بين فرنسا والجزائر سبعون معاهدة لتنظيم العلاقات، وهذا مؤشر على درجة الاتصال بين البلدين ، يعنينا في هذا المجال أن نشير الى ثلاث معاهدات تخص اعتراف فرنسا بقروضها من الجزائر : المعاهدة الأولى وقعت يوم ٢٨ يونيو سنة ١٧٩٦ بين الداي حسين رئيس الجمهورية ، لأنه كان يتم اختياره بالانتخاب وليس بالتعيين ، وبين القيادة الجماعية للثورة الفرنسية (الديكتوار) ، وتشير المعاهدة الى أن الجزائر قدمت لفرنسا قرضين : الأول قرض اقتصادي هو عبارة عن قمح لم تكن فرنسا تملك تسديد ثمنه آنذاك ، وقد تم تقديم هذا القمح في سنة ١٧٩٣ ، والقرض الثاني نقدا وقيمته ٥ ملايين من الفرنكات الذهبية في سنة ١٧٩٦ بدون فائدة ، وهناك معاهدة ثانية وثالثة تجدد فيهما اعتراف فرنسا بهذه الديون ، كانت الثانية في ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٠١ بين الداي مصطفى باشا ونابليون بونابرت ، وقد صادق عليها البرلمان الفرنسي ، وجدير بالذكر هنا (ان الجزائر كانت قد أعلنت الحرب على نابليون بونابرت حين هاجم مصر ، ثم أعيدت العلاقات بين فرنسا والجزائر بعد أن خرج نابليون من مصر) وكانت المعاهدة الثالثة لتجديد الاعتراف بهذا الدين في ٢٤ يوليو سنة ١٨٢٠ ، بين الداي حسين ولويس الثامن عشر ، معنى هذا ان الجزائر كانت في ذلك الوقت تملك اقتصادا نشيطا يعني الكثير لفرنسا ، واجتزىء هنا أعتراف المؤرخ الفرنسي « أنوري ديجرامو » في كتابه تاريخ الجزائر ص ١٣٣ يقول :

كانت هناك أربع دول انضمت اليها دولة خامسة تتنافس على شراء القمح الجزائري في القرون الثلاثة السابع عشر والثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، هذه الدول هي بريطانيا وهولاندا واسبانيا وايطاليا وانضمت اليها فرنسا .

هذه لمحة أخرى عن أهمية العامل الاقتصادي الذي دفع فرنسا لاعتبار الجزائر جزءا لا يتجزأ منها ، أما العامل الجغرافي فهو واضح ولا يحتاج الى مزيد من التعليق ، فالجزائر تقع هناك في مقابل فرنسا على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط ، وهي مفتاح طريقها الى افريقيا ، ولعله من المفيد هنا أن أشير الى ما قاله « ادجافور » رئيس مجلس الأمة الفرنسي في البرلمان في وقت لاحق ، عندما لامه خصومه على انه منح تونس والمغرب، استقلالهما مما يعرض سيطرة فرنسا على الجزائر للخطر ، قال :

« سلمنا في تونس والمغرب لنركز على الجزائر ، لأنها هي القلب وهي لحمنا وعظمنا ودمنا » .

وكان بذلك يرد على ميشيل دوبريه (رئيس وزراء سابق في فرنسا) الذي كان يقول : لابد من الاحتفاظ بالجناحين يعني تونس والمغرب لنحتفظ بالقلب ، وكان هذا الرد يعني انه لابد من ان نضحي بالجناحين لنحتفظ بالقلب ثم نسترد الجناحين فيما بعد .

إذ من الضروري (الكلام لا يزال للأستاذ مولود قاسم) أن نوضح هنا أن فرنسا ركزت على الجزائر أكثر ، كمنطلق أو قاعدة ، فبعد أن يتم دمج الجزائر يصار الى دمج تونس والمغرب ، تلك كانت استراتيجيتهم ، ولقد ساعد على نجاحهم النسبي في الجزائر في مسخ اللغة العربية ، طول مدة احتلالهم للجزائر ، وفي الواقع انهم لم يستهدفوا مسخ اللغة العربية وحدها ، ولكنهم استهدفوا مسخ اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ ، وكان مسخ اللغة العربية هو البداية لذلك المسخ الشامل ، لأنهم بذلك يجردون الشعب من « إنيته » وذاتيته كما تسمونها



مولود قاسم

في المشرق ، ونحن في المغرب نسميها بطاقة الهوية ، وبذلك يصبح الشعب أعزل ومعرضا للذوبان ، وفي الواقع ان فرنسا أسفرت عن هذا التوجه منذ الأيام الأولى « للاستدمار » الفرنسي ، ولا اقول الاستعمار ، ولقد كان استاذي المرحوم الدكتور عثمان أمين يسميه الاستخراب ، ولكنني اقترحت الاستدمار ووافقني ، أعود فأقول إن فرنسا رغم أنها أمضت معاهدة مع الجزائر عشية احتلالها لها في ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ ، نصت فيها على ضرورة احترام دين البلاد ولغتها وتقاليدها ، الا أنها ذهبت فور هذا الاحتلال الى جامعة « كتشاوا » وحولت مسجدها الى كنيسة ، حيث تم نزع الهلال والنجمة ، ووضع بدلا منها الصليب ، كما كانت تصادر الأموال المخصصة للمدارس الجزائرية التي تعلم اللغة العربية لابناء الشعب وتزج بالمعلمين الأحرار في السجون .

وانتقل ـ تجنبا للغرق في التفاصيل ـ الى الفترة التي سبقت ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤ قبل بدء الكفاح المسلح لجبهة التحرير الجزائرية ، كانت الهيئات السياسية والجمعيات الدينية مختلفة في أشياء كثيرة حول الموقف من الاستعمار الفرنسي ، وأسلوب الكفاح ، ولكنها كانت جميعا متفقة فيما يتصل بضرورة احياء اللغة العربية والتراث الاسلامي باعتبار ذلك خط الدفاع العتيد عن هوية الجزائر ، وكانت جميع هذه الهيئات المختلفة تتعاون وتتنافس حين يتصل الأمر باحياء اللغة العربية والتراث الاسلامي ، ومن ناحية أخرى كان الاستدمار الفرنسي يحارب هذا الاتجاه بعنف وشراسة ، الى حد أن وزير الداخلية الفرنسي « كاميل شوتو » أصدر يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٦ قرارا باسم الحكومة الفرنسية باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ، ولا تعامل حتى على قدم المساواة مع بقية اللغات الأجنبية الأخرى .

ثم بعد أحداث ٨ مايو سنة ١٩٤٥ ، وأمام موجة من العمل الوطني والعمل السياسي الجارف سنة ١٩٤٧ في الجزائر وفي تونس والمغرب ، ولكن بالأخص في الجزائر ، أراد الفرنسيون أن يخدرونا ، فأصدروا دستورا صدّق عليه مجلس الأمة الفرنسي ، يقضي بترسيم اللغة العربية في الجزائر ، ولكن سرعان ما عدلت الحكومة الفرنسية عن هذا القرار سنة ١٩٤٨ ، وأصدرت قرارا آخر يمنع كل جزائري أو جزائرية لا يحمل شهادة جامعية فرنسية من تدريس اللغة العربية ، ولو كانت لديه دكتوراة الدولة من إحدى الجامعات العربية .

وفي ٥ مارس سنة ١٩٥٤ ، أي قبيل شهور من اندلاع الكفاح الثوري المسلح ، اجتمع المفتشون في التعليم الابتدائي على مستوى القطر الجزائري وصادقوا على اللائحة التالية :

« حيث أن اللغة العربية ليست ذات مستوى واحد ، بل هي ثلاثة مستويات ، اللغة العربية الفصحى القديمة ، وهي بصفتها قديمة فهي لغة ميتة مثل اللغة اليونانية واللاتينية ، اذن فهي لا تصلح لا للادارة ولا للتعليم .

والمستوى الثاني هو اللغة العربية الدارجة وهي بحكم كونها دارجة عامية فهي لا تصلح لا للادارة ولا للتعليم ، والمستوى الثالث هو اللغة العربية الفصحى الحديثة ، وهي ليست موجودة الا في المشرق العربي ، اذن فهي لغة أجنبية بالنسبة للجزائر ، وبالتالي فلا تعليم باللغة العربية في الجزائر » .

***

آنذاك جاءت القهوة ، كان اللقاء بمكتب الاستاذ مولود قاسم نائب رئيس الهيئة الوطنية العليا للتعريب التي يرأسها رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد بمقر

الامانة العامة لحزب جبهة التحرير ، ان متعة الاستماع الى الحديث الطلي المتدفق للمفكر الكبير ما كانت تسمح لي بأن افكر في قطعها الا حين جاءت القهوة ، كان هو احيانا يقطع الحديث ليتأكد من بعض التواريخ أو بعض النصوص التي يحفظها جيدا ، قلت للاستاذ مولود قاسم وأنا آخذ فنجان القهوة المصنوعة بالطريقة الفرنسية .

***

● اعتقد أنه يمكننا الآن أن ننتقل الى نقطة تالية في هذا الحوار عن جهود الجزائر في قضية التعريب (لمواجهة هذا النسخ والمسخ والفسخ الذي تم عبر ١٣٠ عاما من الاستدمار الفرنسي) ، سواء في مجال التعليم العام والتقني أو التعليم الجامعي أو الادارة أو الاعلام أو الشارع الجزائري ؟!

تعريب التعليم معركة فاصلة

ـ في الواقع ان معركتنا من أجل التعريب لم تكن تقل ضراوة عن معركتنا من أجل استرجاع الاستقلال ، ولعلها بدأت مع حرب التحرير أو قبلها ، فقد أشرت في حديثي السابق إلى أن الهيئات السياسية قبل انشاء جبهة التحرير كانت تتفق كلها فيما يتصل بقضية إحياء اللغة العربية ، بينما كانت تختلف فيما عدا ذلك ، أثناء الحرب كان المناضلون يحرصون كل الحرص على استخدام اللغة العربية في جميع مجالات العمل بجبهة التحرير ، في اصدار البيانات في كتابة الوثائق في الاعلام والمنشورات الخ .

بعد تحقيق النصر واسترجاع الاستقلال ، يمكن القول بأننا بدأنا من الصفر ، كنا نستعين في مجال تعليم اللغة العربية بمن لديهم شهادات ، بمن لديهم بعض الخبرة ، بشيء من التنظيم بشيء من الارتجال ، وطبعا بالبعثات التي استقدمتها الجزائر في ذلك الحين من جميع البلاد العربية ، وفي مقدمتها مصر التي كانت توفر أكبر عدد من المدرسين .

بالنسبة للتعليم العام والتقني سارت عملية التعريب في خطين متكاملين :

الخط الأول : هو ادخال اللغة العربية في أول عام دراسي بعد الاستقلال في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بعدد معين من الساعات يتراوح ما بين سبع ساعات في الأسبوع في المرحلة الابتدائية ، وما بين أربع الى خمس ساعات في المرحلتين المتوسطة والثانوية ، وطبعا هذا الخط كان يمثل مكسبا رمزيا ، لأنه يمثل أول فرصة لادماج اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية .

أما الخط الثاني : الذي سارت فيه عملية تعريب التعليم العام والتقني ، فقد كان يهدف الى جعل اللغة العربية أداة تدريس لمواد المرحلة التي يدخل فيها ، ويمكن تقسيم هذا الخط بدوره الى عدة مراحل :

المرحلة الأولى من سنة ١٩٦٤ ـ سنة ١٩٧٠

وفي هذه المرحلة تم تعريب السنة الأولى والثانية الابتدائية تعريبا كاملا ، كما عربت السنة الثالثة الابتدائية تعريبا جزئيا .

أما بالنسبة للمرحلة الثانوية فقد أنشئت فيها ثلاث ثانويات ابتداء من العام **١٩٦٣** معربة تعريبا كاملا ، وكانت مدخلات هذه الثانويات من تلاميذ المدارس الحرة المعربة التي انشأتها بعض المنظمات الوطنية في عهد الاحتلال .

المرحلة الثانية من سنة ١٩٧١ ـ سنة ١٩٧٤

وأهم ما في هذه المرحلة أن خطة التعريب فيها ارتبطت بخطة جديدة لاصلاح النظام التعليمي بما يتجاوز مجرد التطوير الجزئي ، وبما يتمشى مع منطق الاستقلال ، وينسجم مع اختيارات الشعب الجزائري وقد سار التعريب في هذه المرحلة بخطى أكثر رسوخا ، من أهم نتائج هذه المرحلة :

التعريب الكامل للسنتين الثالثة والرابعة الابتدائية ، تعريب ثلث المواد للسنتين الخامسة والسادسة الابتدائية .

تعريب ثلث المواد في مستوى السنة الأولى المتوسطة .

تعريب ثلث المواد في مستوى السنة الأولى الثانوية .

المرحلة الثالثة من سنة ١٩٧٥ ـ سنة ١٩٧٩

ومن أهم منجزات هذه المرحلة : انعقاد الندوة الوطنية الأولى للتعريب تحت رئاسة الرئيس الراحل هواري بومدين ، حيث خرجت بمخطط محكم لتحقيق التعريب الشامل في التعليم والادارة والمحيط الاجتماعي والثقافة ووسائل الاعلام .

تعريب معاهد تكوين اعداد المعلمين للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، وذلك بعد أن تعربت لغة التعليم في مراحل التعليم العام .

تكوين ثلاث مدارس عليا تابعة للجامعات لاعداد أساتذة للتعليم الثانوي العام والثانوي التقني في كل من العاصمة ووهران وقسنطينة .

المرحلة الرابعة والأخيرة من سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤

وهي مرحلة بداية تطبيق نظام المدرسة الأساسية المتعددة التقنيات ذات التسع سنوات أو المدرسة للجميع . (دمج المرحلة الابتدائية مع المتوسطة باعتبارهما تعليما الزاميا) وهي معربة تعريبا كاملا بكل سنواتها ، وتهدف الى توحيد التعليم وتعميمه . واستعادة الهوية الوطنية ، وسوف يتم تعميمها في كامل جهات القطر سنة ١٩٨٩ .

لعل هذه اللمحة تكفي عن تطور عملية التعريب في التعليم العام والتقني ، ويكفي أن اقول لك ان اللغة الفرنسية تدرس الآن في مراحل التعليم العام كلغة أجنبية ، الى جوار اللغة العربية ، يخير الطالب بينها وبين اللغة الانجليزية أو الاسبانية أو غيرهما .

تعريب التعليم الجامعي

بالنسبة لتعريب التعليم الجامعي ، فقد سار هو الاخر في محورين :

المحور الأول : هو ادماج اللغة العربية كلغة تلقينية أساسية في كليات الآداب والعلوم الانسانية ، والحقوق ، العلوم الاقتصادية ، وذلك ابتداء من العام ١٩٦٣/٦٢ .

المحور الثاني : هو جعل اللغة العربية أداة تدريس وتحصيل الى جانب اللغة الفرنسية ، وذلك ابتداء من العام سنة ١٩٧١ في علوم التاريخ ، الفلسفة ، الاجتماع ، التربية وعلم النفس والآداب . . . والعلوم الاقتصادية والاعلام والصحافة والعلوم السياسية ، بحيث كان هناك في كل تخصص من هذه التخصصات قسم معرب يدرس فيه الطلبة جميع الفروع باللغة العربية ، الى جوار لغة أجنبية وقسم مفرنس يدرسون فيه جميع فروع التخصص باللغة الفرنسية الى جوار بعض الوحدات باللغة العربية .

وقد استمر هذا الوضع حتى العام الدراسي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ، وابتداء من العام ١٩٨٠/ ١٩٨١ ، ووفقا لقرارات اللجنة المركزية ، وفي ضوء الاستراتيجية الجديدة التي تم وضعها لتعريب التعليم الجامعي ، بدأت عملية تعريب شاملة لجميع معاهد العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية غير المعربة ، وقد انتهى تعريب تلك المعاهد بنهاية العام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ ، بحيث تخرجت أول دفعة منها في مختلف الجامعات الجزائرية بشهادة الليسانس في حزيران ١٩٨٤ باللغة العربية وحدها .

أما بالنسبة لكليات (وهي تسمى عندنا معاهد في اطار الاستراتيجية الجديدة للتطوير) العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية والبيولوجية والطب والصيدلة والفلاحة والصناعة ، والمعاهد العليا للتقنية ، فقد تقرر تدريس اللغة العربية لهم كوحدات لغوية ، حتى يتمكنوا في المستقبل من استعمال اللغة العربية كأداة عمل في مهنهم .

وقد تم الآن تعريب العديد من هذه التخصصات العلمية والعملية ، وتبذل جهود جبارة لاستكمال تعريب بقية التخصصات ، وعلى سبيل المثال اقرأ لك فقرات ـ يمكنك أن تأخذ منها ـ من التقرير الذي قدمته وزارة التعليم العالي الى المجلس الأعلى للغة الوطنية الذي أنوب فيه عن الرئيس .

« فتحت الوزارة عدة فروع علمية جديدة باللغة الوطنية في علم الأحياء والفزيولوجيا النباتية والحيوانية والبيوكيمياء وعلوم الأرض ، في جامعة سطيف والعلوم الدقيقة (الفيزياء والكيمياء المعمارية) في جامعة عنابة ، في وزارة الطاقة والصناعات الكيميائية ، والبتروكيميائية ، تم تعريب كل برامج التكوين (الاعداد) في قطاع المؤسسات الوطنية للكهرباء والغاز والمحروقات الخ .

اذن هناك مواد أو تخصصات تم تعريبها ، وهناك مواد تم تعريب جزء منها ، ويجري تعريب الباقي ، ولكن في كل الحالات ، هناك مصطلحات باللغات الانجليزية والفرنسية تدرس في الكليات التي تم فيها التعريب ، ومصطلحات باللغة العربية في الكليات التي لا تزال فيها مواد تدرس بالفرنسية ، ليتاح للجميع الرجوع للمراجع الأجنبية ، أما في مجال الادارة الحكومية ، فيمكن القول أن أغلب الادارات الحكومية معربة الآن تماما ما عدا بعض الجوانب التقنية المعقدة التي لم يشملها التعريب بعد في الادارات وفي وزارة المالية .

***

محاذير حول تعريب التعليم الجامعي

● وأنتم لا تزالون تخوضون الآن بقوة معركة تعريب التعليم الجامعي ، هناك مخاوف ومحاذير تتردد دائما في كل الأقطار العربية على ألسنة عدد من المفكرين حول هذه القضية . . من أهم هذه المحاذير ان تعريب التعليم الجامعي وبخاصة في الكليات العلمية مثل الطب والهندسة والعلوم الخ دون أن يواكب ذلك حركة بحث علمي متقدم في المجتمع ذاته . . يمكن أن تؤدي الى انقطاع أو تخلف حركة البحث العلمي في الأقطار العربية من مثيلاتها في العالم المتقدم ، وتؤدي الى ضعف مستوى الخريجين .

ان نجاح حركة التعريب في العصر العباسي ، وقدرة اللغة العربية آنذاك على استيعاب ونقل الثقافة والحضارة اليونانية القديمة ، انما تم لأن هذه الثقافة القديمة كانت في حالة ثبات ، أما الان فان حركة التطور العلمي والفكري المتسارعة في العالم لن تنتظرنا حتى نواكبها بمصطلحاتنا العربية .

إن اللغة في نهاية الأمر وبخاصة في العلوم مجرد أداة أو وسيلة محايدة لنقل المعرفة ، فلماذا لا نستخدم أكثر الأدوات ملاءمة ؟

ـ لا أجد ما أقوله ردا على من يرددون هذه المحاذير أو المخاوف سوى ما قاله المتنبي :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

وأبلغ رد على هؤلاء أن أقول هم انظروا الى ما فعلته اسرائيل ، خصومنا الصهاينة عندما احتلوا فلسطين سنة ١٩٤٨ قرروا أن يبعثوا لغتهم العبرية من الموت ، لتكون الرابطة التي تجمع شتات هؤلاء الصهاينة ، اللغة العبرية ماتت في السنة السابعة عشرة بعد الميلاد ، جاء الصهاينة بعد ألفي سنة ليبعثوا الى الحياة بهذه اللغة ، لم تكن لغتهم تساير العلوم أو غيرها . . . ومع ذلك قرروا أن يدرسوا كل شيء وبلغتهم العبرية ، حتى علوم الذرة في معهد ويزمان تدرس بالعبرية .

مؤرخ فرنسي هو نقولا بوديبه يقول في كتابه « معجزة اسرائيل » : « إن معجزة اسرائيل الحقة تكمن في جانب احيائها للغة العبرية ، أكثر مما تكمن في أي جانب آخر » ، ويقول هذا المؤرخ الفرنسي (ما أجدرنا بأن نسمع هذا الجزء من كلامه) « انهم (يعني اسرائيل) بدلا من ان يستخدموا المصطلحات من اللغات المختلفة التي يتحدثونها من البلاد التي جاءوا منها ، فانهم لجأوا الى اللغة العربية (نعم العربية) يأخذون منها جذر الكلمة ويضيفون له سوابق أو لواحق من اللغة العبرية ويصوغون بهذه الطريقة مصطلحات جديدة تساير أحدث العلوم والتقنية » . . . (لماذا لجأوا الى اللغة العربية مع أنها لغة أعدائهم ؟؟ ودون أنفة أو عقد) ! يستطرد الاستاذ مولود قاسم « لان اللغة العربية تتوفر فيها ثلاث مزايا رئيسية ، وهم يدركون ذلك جيدا وبصورة عملية .

أولا : اللغة العربية قريبة من اللغة العبرية أكثر من اللغات الأوروبية وهذا يسهل عملية الأخذ .

ثانيا : اللغة العربية مطواعة وثرية ، وسهلة الاشتقاق .

ثالثا : اللغة العربية لها تقاليد عريقة في مجال الاشتقاق لمتابعة العلوم .

ثم استطرد الاستاذ مولود قاسم :

نأخذ مثالا آخر : فرنسا مثلا انها بلد أوروبي متقدم في مجالات العلوم ربما ليس بدرجة أمريكا أو روسيا أو اليابان أو المانيا ، ولكنه متقدم جدا ، اسمع ما يقوله « فرانسوا ميتران » في اجتماع ترأسه في قصر الاليزيه لرؤساء حكومات البلدان الناطقة باللغة الفرنسية في أوروبا وافريقية : ان الخطر يداهمنا في لغتنا ، وان اللغة الانجلو أمريكية قادمة تهاجمنا وتمسك بتلابيب اللغة الفرنسية ، ولهذا لابد ان نسارع بتحديثها وتلقيحها باصطلاحات جديدة ، تجعل الكمبيوتر (جهاز الاعلام الآلي) يتكلم الفرنسية » ثم عقد مقارنة بين اللغة الفرنسية واللغة الألمانية) وقال : لا نتكلم عن اللغة اليابانية ولا الانجليزية بل نكتفي الآن بالمقارنة بين اللغة الفرنسية واللغة الالمانية ، اللغة الفرنسية تملك في بنك المصطلحات الفرنسي ٤٠٠٠٠ اربعين الف مصطلح فقط ، بينما بنك المصطلحات الالماني يحتوي على المليون مصطلح ثم قال : انظروا الى هذه الهوة السحيقة بين اللغة الفرنسية والألمانية ولنسارع لاجتيازها ...... » .

وتابع الاستاذ مولود قاسم

« حركة البحث العلمي لدينا متخلفة .. هكذا يقولون ... الرد الصحيح ان نعمل لتحديث الحركة العلمية في بلادنا بالجدية اللازمة ، لا ان نواجه المشكلة بمجرد الاعتماد على اللغات الأجنبية ، ومتابعة حركة البحث العلمي في الخارج .. ثم نحن لن نكف عن تدريس اللغات الأجنبية بل ندرسها الى جوار الاهتمام بلغتنا وجعلها لغة للعلوم ، كما هي لغة للآداب والفنون .. وبوضع المصطلحات العلمية اللازمة ، وبذل الجهد المناسب في هذا السبيل .

يقولون ان اللغة مجرد أداة أو وسيلة محايدة .. هذا غير دقيق ، العلاقة بين اللغة والتفكير أعقد من أن تكون مجرد علاقة بين وسيلة وغاية ، اللغة تؤثر في الفكر كما يؤثر الفكر في اللغة ... هذا يحدث في الآداب والفنون وفي العلوم كذلك .. لن يكون لنا ابداع حقيقي في كل هذه المجالات إلا حين نبدع بلغتنا .. القالب يشرك حجمه وشكله على الشيء المقلوب فيه ، المفاهيم تؤثر على التصورات وعلى المشاعر الروحية العميقة ، لعل المشكلة نوع من الخوف المبالغ فيه ، نوع من العقدة ، سوريا تغلبت على هذه العقدة ، وان كانت العقدة عادت وتغلبت عليهم في جامعة حلب ، حيث عادوا يدرسون العلوم باللغة الأجنبية .



أيام بيت الحكمة في عصر المأمون ترجمت المصطلحات العلمية بالفارسية واليونانية والصينية الى العربية ، حتى أصبحت اللغة العربية هي لغة العلم في العالم آنذاك ، حتى ان قياصرة المانيا كانوا يتكلمون بها في قصورهم ! لم تكن لديهم هذه العقدة .

نحن في الجزائر رغم النسخ والمسخ فان أكثر من ٩٠٪ الآن في الجزائر يعرفون العربية ، وقد تم هذا في وقت وجيز نسبيا ، ولكنه تم بالارادة والعزم والتصميم ، وهذه النسبة لا مبالغة فيها ، لأن أكثر من ٧٥٪ من الجزائريين والجزائريات مولودون بعد استرجاع الاستقلال ، وأضيف اليهم من ولدوا قبل ذلك ، وهكذا تكون النسبة أكثر من ٩٠٪ .

***

● **رغم هذه الجهود الجبارة التي تفضلتم بالاشارة اليها ، ورغم أن الفترة التي أمضيتها في الجزائر لا تسمح بتكوين انطباع دقيق ، فقد شعرت أن اللغة الفرنسية لا تزال تزاحم العربية في الشارع وفي بعض ادارات الدولة وفي العديد من مطبوعاتها طبعا .**

ـ لم تكن المعركة سهلة بأي مقياس ، كان لدينا في الجزائر من يقاومون التعريب بنفس المنطق الذي اشرت أنت الى وجوده في المشرق ، بالاضافة الى قوة الوضع الذي كان سائدا قبل ذلك ، لم تكن القرارات والنظم والقوانين وحدها كافية ليسير كل شيء في طريقه المرسوم ، رغم أن هذه القوانين تنص على أنه لا ينتظم في سلك الوظائف في الدولة من لا يعرف

اللغة العربية ، ورغم وجود العديد من الحوافز والزواجر التي تخدم قضية التعريب ، على كل حال بعد انشاء المجلس الأعلى للغة الوطنية سنة ١٩٨٢ ، فإننا نعتقد أن الأمر قد اختلف ، فهذا المجلس ينسق بين الجهود والخطط التي تقوم بها جهات متعددة ، كما أنه يتابع نتائج الجهود التي تحدث في مختلف المواقع ، ويقوم هذه النتائج ، وله سلطة العقاب على مخالفتها .

هناك أمر آخر نعتقد أنه سيكون له تأثير كبير ، وبخاصة في مجال وضع المصطلحات العلمية ، هو أننا بصدد صدور قرار من رئيس الجمهورية لانشاء مجمع للغة العربية في الجزائر ، وتتخذ الآن جميع الاجراءات اللازمة لافتتاحه بعد وقت قريب ، طبعا سوف يستفيد هذا المجمع من جهود المجامع العربية في مختلف الأقطار العربية ، وقد كنت في القاهرة منذ فترة ، وقابلت صديقي الاستاذ ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وتباحثت معه في كل ما يتصل بقضية انشاء مجمع للغة العربية بالجزائر ، وقد تفضل مشكورا بارسال هذه المجموعة الضخمة من الكتب والنظم والمطبوعات التي صدرت عن مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والتي ستفيدنا بلا شك في عملنا ، وحتى تكون جهود مجمع اللغة العربية في الجزائر متكاملة مع جهود بقية مجامع اللغة العربية في مختلف الأقطار العربية . □



منتدى العربي
تعقيبات

الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد

بقلم : الدكتور احسان حقي

منذ مدة واسم السلطان عبد الحميد الثاني يتردد على صفحات بعض المجلات العربية ، ومنها مجلة العربي ، ففي عدد ابريل ١٩٨٦ مقال للدكتور محمد عيسى صالحية تحت عنوان (الأيام الأخيرة للسلطان عبد الحميد) يقول كاتب المقال انه

استقى معلوماته عن السلطان عبد الحميد من كتاب صدر مؤخرا للأميرة عائشة ، اذا كان وجد مثل هذا الكتاب ، كما أشك في صحة أكثر ما نسب للأميرة في هذا المقال ، لقد عرفت الأميرة عائشة معرفة شخصية ، وأعرف جزءا كبيرا من تاريخ حياتها .

فقد تزوجت الأميرة عائشة سنة ١٩٠٧ من أحمد نامي الذي صار يعرف بعد زواجه من الأميرة باسم الداماد أحمد نامي ، وكان هذا اللقب يعطى لمن يتزوج من أميرة من أميرات البيت العثماني ، وحيث ان فخري والد الداماد أحمد نامي كان يقطن بيروت ، وكان رئيسا لبلدتها ، فقد ولد أحمد نامي في بيروت وعاش فيها ، وتربى كما يتربى أولاد الذوات . اذ أنه لم يدرس في مدرسة ، بل درس على أيدي أساتذة خصوصيين ، وكان يتقن التركية والعربية والفرنسية ، ولكن أحمد نامي لم يعش مع الأميرة سوى بضع سنين ، ثم افترقا بعد أن أنجبت له ولدين عمر وعثمان .

وقد عين أحمد نامي سنة ١٩٢٦ رئيسا لدولة

سوريا ، وقد ربطتني به روابط صداقة ، استمرت الى أواخر الخمسينيات ، ومضت أيام الأربعينيات والخمسينيات كان يزور فيها دمشق كثيرا ، وقد سألته مرة عن أسباب افتراقه عن الأميرة ، فقال لي : انه لم يستطع القيام بواجباتها من حيث الخدم والحشم ، لأنها كانت تريد أن تعيش كما كانت تعيش في دار أبيها ، وهو غير قادر على ذلك ، وأنا أعتقد أن هناك سببا غير هذا لا أعرفه .

وحاصل القول ان ما جاء في مقال الدكتور محمد عيسى صالحية نقلا عن الكتاب المنسوب الى الأميرة غير صحيح ، لأن الأميرة لم تعش منفية عن وطنها ٢٨ سنة ، بل خرجت من دار أبيها الى دار زوجها ، ثم ذهبت بعد أن فارقت زوجها وعاشت في باريس .

وحدث أني سنة ١٩٣٦ ذهبت الى باريس لحضور المعرض العالمي ، فلما ودّعني الداماد قال لي : أرجوك أن تزور الأميرة وتسأل عن ابني عثمان ، وأعطاني عنوان الأميرة ، وكانت تسكن في شارع (أوسمن) ، ولم أعد أذكر رقم الدار ، دخلت الى صالون صغير بسيط الأثاث ، ولكن جلب نظري وجود صينية نحاس في وسط الغرفة ، فوقفت أتأملها واذا بالأميرة تأتي .

وعرفت أنه حينما افترقت الأميرة عن زوجها أخذ الداماد ابنه الأكبر وهو عمر ، وأخذت هي الأصغر وهو عثمان ، ولم أسمع من الداماد ولا من غيره أنه كان لها ولد باسم عبد الحميد ، كما أني لم أسمع أنها تزوجت بعد الداماد من غيره ورزقت بهذا الولد ، فقول كاتب الكتاب ان زوجها مات في المنفى غير صحيح ، وانها حارت في تربية أولادها غير صحيح أيضا ، وقصة رسم اللوحات الفنية وبيعها في أسواق باريس غير صحيحة أيضا ، فالأميرة كانت تعيش في منزل صغير بحسب تقديري من مدخله ومن الصالون الذي جلست فيه ، ولكنه منزل في أحسن وأرقى أحياء باريس السكنية ، وعندها خادم ، ولا أعتقد أنها كانت بحاجة أن تمد يدها الى أحد لكي تعيش تلك العيشة التي رأيتها عليها ، ثم ان ابنها عثمان كان يعمل ، ولست أدري فيما اذا كان ابنها عمر يساعدها ، أو كانت بحاجة الى مساعدته .

وحدث سنة ١٩٧٠ وكنت أسكن بيروت ، أن زارني صديق ومعه ابراهيم صبري بك ابن آخر شيخ اسلام في الدولة العثمانية ، وسألني ابراهيم يوما : هل تعرف أحدا من الأسرة العثمانية المالكة ؟ قلت : انني لا أعرف الا ابن الأميرة عائشة عمر بك ، وذلك عن طريق أبيه الداماد أحمد نامي قال : في لبنان بضعة أفراد من الأسرة المالكة ، ومنهم أصغر أنجال السلطان عبد الحميد ، وهو الأمير عابد أفندي ، وهو من مواليد ١٩٠٥ ، وهو أصغر أنجال السلطان عبد الحميد الذي كان له ثلاثة أنجال ، توفي الاثنان وبقي أصغرهم هذا ، وقد علمت من الأمير عابد أنه كان بعد خروجه وأخويه من تركيا اثر استيلاء كمال أتاتورك على السلطة زاروا بعض البلاد العربية ومنها بيروت .

وعند حديثي مع الأمير قلت : ان التاريخ قد ظلم أباك كثيرا ، وأنا أريد أن أكتب تاريخ حياته ، ولكن كثرة أشغالي من جهة ، وعدم وجود الوثائق الصادقة من جهة ثانية أخرتني عن القيام بهذا الواجب حتى الآن ، فقال لي : وأنا أيضا آخذ بكتابة تاريخ والدي ، ولكني لا أعرف العربية ، ولا أعرف التركية اللاتينية ، ولذا فاني أكتبه بالفرنسية ، قلت له : وأنا مستعد أن أتعاون معك وأترجم ما تكتبه الى العربية ، وأضيف اليه ما عندي واتفقنا على ذلك ، ومضت بعد ذلك شهور ، نتذاكر ، وكنت خلالها أعرّفه بوجهاء وعلماء بيروت ، ثم حدث أن دعيت لوضع كتاب عن باكستان ، فأجبت الدعوة في مطلع سنة ١٩٧٢ ، ولما رجعت علمت بوفاة الأمير بسكتة قلبية ، ثم جاءت أحداث لبنان ، وسافر ابراهيم صبري بك الى القاهرة ، وأتيت أنا الى دمشق ، وانقطعت صلتي بالناس ، ولست أدري ماذا فعل الله بمسودة كتاب الأمير عن والده .

وأما ماارواه الكتاب المنسوب الى الأميرة عائشة من أنها كانت في موكب والدها سنة ١٩٠٥ وهو ذاهب لأداء فريضة الجمعة ، فهي على ما أعتقد قضية مختلقة ، اذ أنها ذكرت لتزيين القصة ، فاننا لم نسمع قط أن السلطان كان ينزل الى الصلاة برفقة أفراد أسرته .

وأخيرا أقول حبذا لو كان الدكتور صالحية يعطينا اسم كتاب الأميرة عائشة، الذي أعود وأكرر بأني لا أعتقد نسبته الى الأميرة ، لأن الأميرة قد قاربت المائة من العمر ان كانت حية . □



العربي عيونك على العالم

استطلاع :
منير نصيف
تصوير :
طالب الحسيني



تجني ثمار بحثها العلمي

« كان أبناء الهند لفترة طويلة يقفون موقف المشاهد السلبي ، كان أبناؤها دمى في أيدي الآخرين ، ثم أصبحت المبادرة الآن في أيدي شعبها .. دعونا جميعاً نلحق بهذه المهمة الجبارة ، ونجعل الهند فخر قلوبنا ، نجعلها عظيمة بين الأمم سباقة في فنون التقدم » ..

« نهرو »



● جانب من معهد البحوث الزراعية في دلهي (المبنى الرئيسي) فوق الى اليمين ، انه مدينة متكاملة ، ثم باحثة في معمل التجارب الخاصة بحفظ ثمار الخضراوات والفواكه في المحاليل (فوق) ومجموعة من عيدان القمح التي أجريت عليها التجارب للوصول الى أوفر محصول (تحت) .



ربما كانت اسطورة « سيزيف » الاغريقية هي التي حملت العربي هذه المرة الى الهند ، لترى كيف استطاع شعب هذه القارة أن يجد ـ أخيرا ـ نهاية لمتاعب الرجل الذي حكمت عليه الآلهة ، بأن يحمل الصخرة الكبيرة ، ويصعد بها الى قمة الجبل !

لقد حمل « سيزيف » صخرتـه وراح يتسلق الجبل ، وهو يئن من ثقل ما يحمل ، ويحاول أن يثبت قدميه فوق المنحدر الوعر ، حتى اذا مـا اقترب من القمة أو كاد ، افلتت الصخرة من يديـه ، وعادت لتستقر في السفح مرة أخرى ، ويعود الرجـل يهبط الجبل مسرعا ، ليحملها من جديد ويعاود الكرة . . مرة ومرتين وعشرات المرات . . والصخرة تـأبى أن تصل معه لتستقر حيث يريد لها أن تكون ، هناك فوق قمة الجبل . . .

ثم تحدث المعجزة ، ويستريح الـرجل المسكين الذي هدّه التعب ومزقته الحيرة . . لقد استطاعت الهند أن تضع نهايـة لمتاعب « سيزيف » ونجحت الدولة الكبرى بامكانياتهـا الهائلة في أن تصحـو من رقادها ، وتقلب الأسطورة رأسا على عقب ، فقد بلغ الـرجل القمـة ووضـع الصخـرة فـوقهـا ، وجلس عليها ، وهو لا يكف عن التطلع الى السفح البعيد الذي لا يريد أن يعود اليه مرة أخرى . .

الحلقة المفرغة :

هكذا كان حال الهند . . سعي دائب ، ولكن بلا جدوى ، من أجل توفير الغذاء لملايين البشر الذين يعيشون فوق هـذه الرقعـة من الأرض الشاسعـة ، ويتزايدون بمعدل مخيف في كل عام . . كان قد كتب على الهند أن تعيش في حلقة مفرغـة . . كانت كلما أنتجت مزيدا من الغـذاء ، تزايـد عدد سكـانها ، وتزايدت الأفواه الجائعـة ، وبقي الوعـاء فارغـا أو نصف ممتلىء ، وكان لابد أن تقدمه للآخرين الذين يستطيعون أن يملأوه بما لديهم من فائض !

ومضت الهند في محاولاتها للبحث عن نهاية رحلة العذاب التي تعيشها حتى منتصف الستينيات ، عندما وقف نهرو باني الهند الحديثة يقول :

« أي شيء يمكن أن ينتظر الا الزراعة ! » .

وكان نهرو ، وهو يتحدث عن الزرع والأرض ، يؤمن بأن لا سبيل الى خروج الهند من هذا المأزق الا بـالعلم والبحث العلمي ، فهـو الأسـاس الثـابت الصلب الذي تبني الأمم عليه كل آمالها . . ثم ذهب نهرو وجاءت إبنته انديرا ، لتحاول أن تملأ الفـراغ الكبير الذي تركه والدها . . فلم يكن أحـد داخل الهند أو خارجها يتصور أن هذه البلاد الشاسعة يمكن أن تمضي في مسيـرتها بـدون نهرو . . كان السؤال الذي يتردد دائما على لسان كل زائر للهند هو : « بعد نهرو . . من ؟ » وتصور البعض أن الهند قد ماتت مع نهرو . . !!

مصباح نهرو . .

ولكن الهند استطاعت أن تنفض أحزانها ، وتعود الى الطريق الذي رسمه لها غاندي محررها ، ونهرو بانيها ، وتمضي بعـد ذلك في مسيـرتها . . وعنـدما تـولت انديـرا الحكم بعد فترة قصيرة انتقـل فيهـا لغيرها ، جلست تضع المزيد من الزيت في المصباح الذي أشعله والدها . . .



القمح . . محصول وفير . . وفرحة على الوجوه .

قـال: « العلم وسيلة وآلـة قـويـة للتغيـير الاجتماعي، ان التحديث لا يعني فقط الانتاج عن طريق التقنية المتطورة، ولكن معناه أيضاً احداث تغير في الفكر القديم عن رفاهية الأمة، ان العلم ضروري لتحسين الانتاج، مثلما هو ضـروري لخير المجتمع، وهذا يحتاج الى استخدام الموارد البشرية والمادية والمنظمات الاجتماعية لاشاعة الرفاهية الى أقصى الحدود ».

ولم يكن العلم والبحث العلمي جـديـداً عـلى الهند.. لقد كان هناك، ولكنه لم يكن يوجه دائماً الى حيث يجب أن يكون.. فلما تغير المسار، نجحت الهند أخيراً في أن تجد المكان الذي كانت تبحث عنه تحت الشمس.. وامتـلأ الوعـاء الفـارغ أو نصف الممتلىء.. امتلأ من أرض الهند وفاض، ولم تبخل البلاد بالفائض، فراحت تقدمه هبات للشعوب التي قست عليها ظروف الحياة، وعضها الجوع بأنيابه النافذة!

قصة البحث العلمي:

وقبل أن نخوض في النتائج التي أوصلت الهند الى واحدة من دول العالم الثالث، في الافادة من البحث العلمي والتقنيـة، وتصـديـرهـا الى دول آسيـا وافريقيا.. نعود الى قصة البحث العلمي في القارة الهندية، وكيف بدأت.

والقصة قديمة، بدأت مع بداية هذا القرن الذي أوشك على الرحيل.. في عـام ١٩٠٥ على وجـه التحديد، والهند مازالت ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني، تقـدم رجل أمريكي يـدعى (هنـري فيبس)، وكـان يعشق الهند وتـاريخها وشعبها.. تقدم الرجل عارضا مبلغاً سخيا من المال لبنـاء أول معهد للابحاث الزراعية، في قريـة صغيرة كـانت تسمى (داربـانجا)، ثم أصبحت الآن مقـاطعـة (ساما ستيبور) في شمال (بيهار).

وقام المعهد الجديد، الذي كان بمثابة أول خطوة في سبيل ارساء أساس قوي لتقنية وتطوير الزراعة في الهند، وأطلقوا عليه اسم معهد « بوسا » أما المبنى الرئيسي أو المعمل فقد حمل اسم مؤسسـة « فيبس » إعترافاً من الهند بدور الرجل الذي أسهم في بنائه بماله الخاص.. وبدأت البحوث في تنمية الثروة الزراعية والحيوانية وفي الكيمياء، والاقتصاد الزراعي، وفي مقاومة الحشرات الضارة والفطريات!

ولكن جهود الباحثين في المعهد لم تستمر طويلا، فقد شاء القدر أن تتعرض المنطقة التي قام فوقها هذا الصرح العلمي لزلزال مدمر في عام ١٩٣٤، أسفر عن تصدع المبنى الضخم وانهياره! وبدأت دراسات جادة على الفور تستهدف بناء معهد جديد لاستكمال البحوث التي كانت قد توقفت تماما، بعد الكارثة التي أودت بنتائج البحوث التي استمرت لحوالي ثلاثين عاما.

وعلى الفور قررت الحكومة الهندية في ذلك الوقت بناء معهد جديد في نيودلهي، واستغرقت عملية البناء حوالي عامين كاملين.. وقام المعهد، وقـامت من حوله مدينة كاملة متكاملة، تكلف بناؤها وتزويدها بمعدات البحث الحديثة عدة ملايين من الروبيات.. وأسموها (ايارى)، وهي الأحرف الأولى من اسم المعهد بالانجليزية. Indian Agricultural Research Inst.، وكانت « العربي » على موعد معها ثالث يوم وصولنا الى العاصمة الهندية...

مدينة البحوث:

المباني التي تتألف منها المدينـة كلها من طـابق أو طابقين، تنتشر فوق مسـاحة من الأرض تزيد عـلى الخمسة آلاف كيلومتر مربع.. الطرق مرصوفة، والمباني تصطف على جانبيها في نظام هندسي دقيق، يعبر عما يجري داخلها من عمل جاد لا يهدأ، وبرج الساعة التي تشير ذراعاها الى الوقت بدقة يعلو المبنى الرئيسي.. مبنى المكتبة المركزية التي تحوي أهم ما تـوصل اليـه العلماء والباحثون من نتائج في مجـال الـزراعة، الى جـانب مجموعـة ضخمة من الكتب والمراجع العلمية.. انها المركز الرئيسي الذي تنتشر من حوله جميع المباني الأخرى الفرعيـة.. المعامـل ومساكن الباحثين وبيوت الطلبة الـدارسين، وبيت الضيافة للعلماء الزائرين، ومساكن أخرى للمزارعين العاملين في حقول التجارب الزراعية، وعيادة بيطرية لعلاج الحيوانـات، وحول هـذه المباني كلهـا قامت المزرعة التي تجري فيها جميـع التجارب الـزراعية، وهي تحتـل نصف المسـاحة الكليـة لمـدينة البحـوث

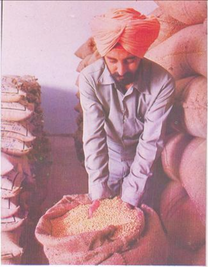






● في جامعة أريانا بمنطقة هيسار .. يعكف الباحثون على دراسة وفحص الحبوب لاكتشاف مدى جودتها ثم تصنيفها في المعمل ، وكلمات نهرو باني الهند الحديثة التي ما زالت ضوءا ينير لهم الطريق : «كل شيء يمكن أن ينتظر الا الزراعة» .. وفرحة بمحصول القمح الوفير على وجه أحد المزارعين ... وجهاز قياس درجة حرارة أوراق الشجر ودرجة الرطوبة ونسبة فقدان المياه من الأوراق .. وفلاحة في طريق العودة حاملة غذاء حيواناتها ..







العلمية . .

كـان (ايـاري) هـو المعهد الأم ، واليـوم تنتشر معـاهـد البحث العلمي في جميـع مـدن الهنـد الرئيسية . . والبحوث فيها ليست قاصرة على تنمية الموارد الزراعية وحدها ، وإن كانت الزراعة وكل ما يتصل بها من صناعات أخرى قائمة عليها ، تحظى بالنصيب الأكبر من اهتمام العلماء الباحثين .

قال لنا أحدهم : « لا تنسوا أن الانسان يستطيع أن يستغني عن أشياء كثيرة في حياته اليومية ، ولكنه لا يستطيع أن يقاوم الجوع . . الغذاء هو أول مطلب للانسان مع بداية كل يوم جديد . . . فإذا توفر الغذاء هانت كل متاعبه الأخرى » .

التحدي الكبير :

ويقول الدكتور « فنكاتارامان » مدير المعهـد : « هنـاك حقائق لابـد من التوقف عنـدها ، لادراك التغيير الذي حدث في البناء السكـاني في الهند ، في البداية - ومنذ سنوات بعيدة مضت - كانت الهند قادرة على انتاج ما يكفي سكانها من غذاء ، مدللة بذلك على أن اتباع الأساليب التقليدية في الزراعة لا يشكل كارثة ، كما يرى بعض خبراء الزراعة المحدثين ، ثم انتزعت الهند استقـلالهـا ، وبـدأ السكـان يتـزايـدون بسرعة كبيـرة نتيجة لعـوامل عـديدة ، في مقـدمتها الرعاية الصحية والخـدمات العـلاجية التي تقـدمها الدولة » .

« وفشلت الهنـد وهي ماضيـة في الأخـذ بـطرق الوقاية من الأمراض ووسـائل العـلاج الحديثـة . . فشلت الهند في اجراء التعديلات التي يتطلبها الموقف في المجالين الثقافي والاجتماعي ، وكذلك الاعتراف بأهمية العمل على تحقيق مبدأ قيام الأسرة الصغيرة ، أو تنـظيم هذه الأسـرة . . وقد كـان هذا الفشـل - ومازال - هو السبب الأسـاسي في مشاكل الغذاء التي طفت على السطح ، وكان لابد من مواجهتها بسرعة - وبأسلوب علمي - حتى يمكن التخلص منها ، وقـد استطاعت الهند أن تتغلب على هذا التحدي بصورة تبعث على الـدهشـة حقـا ، عنـدمـا وقف العلماء والفلاحون والمشتغلون بالتخطيط ، صفـا واحدا ، وراحوا يعملون يدا واحدة ، من أجل زيـادة انتاج الأرض من الحبـوب ، واستـطاع هؤلاء جميعـا أن يحققوا نتائج لم يسبق لها مثيل ، في أي بقعـة من العالم ، خلال العقدين الأخيرين من تاريخ الهند بعد الاستقلال ، فقد انتقلنا من الاناء الفارغ الذي كنا نتسول به ، الى السلة المليئة بالخبز ، حتى بلغ انتاجنا من الحبوب أكثر من مائة وخمسين مليون طن في العام الواحد » !

ويقول مدير المعهد : « لقـد نجح علماؤ نا في تطوير وتحسين برامج المحاصيـل الزراعيـة لمواجهـة احتياجات البلاد ، وفي الوقت نفسه مضاعفـة غلة الأرض ، واذن فقـد كان التـوسع أفقيـا ورأسيا في الوقت نفسه . . ولعل قصة القمح وحدها أكبر دليل على الانجاز الذي حققه البحث العلمي في الهند . . فنحن لم نكتف بتحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح ، ولكننـا مضينا في جهـودنا حتى استـطعنـا أن نحقق فائضا » من إنتاج القمح ، قدمنا منه هبات لاخواننا الذين عضهم الجوع في افريقيا . . في العام المنصرم قدمت الهند مائة ألف طن ، وفي هذا العام ٥٧ ألف طن . . ولن نتقاعس أبدا عن معاونتهم » .

الانفجار السكاني :

ومـا حـدث مـع القمـح ، حـدث مـع الأرز ، ونجحت الهند من خلال البحوث العلمية الدائبة في تطوير زراعة الأرز ، ومضاعفة رقعة الأرض المزروعة في مناطق لم يسبق لها أن عرفت زراعة هـذا الغذاء الذي لا يقل أهمية عن القمح ، وشهـدت ولايات البنجـاب وهاريـانا وراجستـان ودلهي حقـول الأرز الغـارقـة في الميـاه الحلوة ، لأول مـرة منـذ قـرون طويلة . . .

يقول مدير المعهد : « بالرغم من النجاح المذهل الذي حققته الهند في مجال الزراعة ، الا اننا مازلنا نواجه خطر الزيادة الهائلة في عدد السكان . . وهي زيادة مستمرة ، بالرغم من الجهود التي تبذلها الدولة لتوعية جماهير الشعب ، وشرح أبعاد مخاطر الانفجار السكاني على برامج التنمية . . فنحن نبذل كل ما في وسعنا من أجل تنظيم الأسرة في الهند ، ولكن النتائج لا تبدو مشجعة حتى الآن . . يكفي للتدليل على ذلك بأن أسوق اليكم بعض الاحصائيات ، فالهند في عام ١٩١٢ لم يكن يزيد انتاجها من حبـوب الغـذاء عن ٤٨,٦ مليون طن ، واليوم ، أو بعد ما يقـرب من

السبعين عاما ، أو على وجه التحديد في عام ١٩٨١ ، ارتفع الانتاج الى ما يزيد على المائة وثلاثين مليون طن .. وهكذا بقي نصيب الفرد من الحبوب على ماهو عليه في حدود ١٩٤ كيلو جراما في العام » !

والسؤال الآن : « هل تستطيع الهند أن تستمر في توفير الغذاء لسكانها الذين يتزايدون بمعدل اثنين ونصف في المائة سنويا .. ؟ هل يستمر انتاج الحبوب في الارتفاع بحيث يمكن أن يغطي احتياجات الزيادة المرتقبة حتى نهاية هذا القرن ؟ »

ويؤكد مدير المعهد أن هذا ممكن ، ولكن لابد من الوصول الى رقم نتوقف عنده ولا نتجاوزه .. لابد أن تتوقف الزيادة التي تصل اليوم الى ١٥مليون نسمة كل عام ، حتى لا نعود الى الوعاء الفارغ أو النصف ممتلىء ، فتكون بذلك قد أضعنا الثمار التي بدأنا نجنيها ، والتي عملنا طويلا من أجل تحسينها وتطويرها !»

لقد بلغ تعداد سكان الهند اليوم حوالي ٧٥٠ مليون نسمة ، وهي ثاني دولة في العالم من حيث الكثافة السكانية بعد الصين ، وفي عام ٢٠٠٠ قد يصل سكان الهند اذا استمرت هذه الزيادة بالمعدلات الحالية الى بليون نسمة !!

عندنا وعندهم :

قال لنا أحد العلماء الباحثين في المعهد : « ان ظاهرة الزيادة الكبيرة في تعداد السكان تكون أكثر ما تكون في الدول النامية ، ولهذا فهي تزداد فقرا ، بالرغم من الجهود المضنية التي تبذل للنهوض ببرامج التنمية فيها .. فالدول المتقدمة لا تشكو من هذه الظاهرة ، لأن معدل الزيادة السكانية فيها لا يكاد يذكر ، وان وجد فهو لا يتجاوز النصف في المائة ، وهي نسبة ضئيلة كما ترون ، اذا قورنت بمعدلات النمو الهائلة عندهم في الزراعة والصناعة ، بالرغم من موجة البطالة التي تجتاح الدول الغنية في الوقت الحاضر ، لأنها في رأيي ظاهرة موقوتة ، ثم انها لا تشكل عبثا حقيقيا على هذه النظم الرأسمالية ، واذا كان ما يقال فيها غير ذلك ، فالهدف منه هو البحث عن معاذير يتعلق بها الشمال الغني ، مبررا تقاعسه عن مساعدة الجنوب الفقير ! » .

ولا أدري لماذا قفز الى ذهني أثناء حديث العالم الباحث ذلك الخبر الذي قرأته في احدى المجلات العالمية منذ فترة ، ويقول الخبر الذي ساقه الكاتب في معرض تحليله لما أسماه « بظاهرة التقلص السكاني في أوروبا أمام الانفجار السكاني في العالم الثالث » ، وكان هذا هو عنوان المقال الذي اختار أن ينقل في مقدمته الخبر الذي استوحاه من خياله ، وقد جاء فيه : نحن الآن في عام ٢٥٥٠ ، وبين يدي صحيفة « بكينج ديلي » أكبر صحف الصين ، انها توزع اليوم ألف مليون نسخة ، وفي ذيل الصفحة الأولى خبر قصير يقول : أن آخر رجل بقي على قيد الحياة في فرنسا ، قد مات .. مات من الوحدة !! » .

العيدان القزمة :

ونعود الى موضوعنا .. والى الانجازات التي حققها معهد البحوث العلمية في نيودلهي .. وكان لابد لنا من أن نجتاز النطاق الاكاديمي الى الدائرة العملية الواسعة داخل أسوار المعهد ، لنرى بعض هذه المنجزات .. وفي مكتبة المعهد ، أو في المعرض الذي يحوي نماذج لتطور البحوث التي أجريت ، وقفنا ننصت باهتمام الى شرح احد العلماء الباحثين أمام عيدان القمح القزمة DWARF. انها آخر ما توصل اليه العلماء، من أجل انتاج أكثر وفرة من القمح ، عن طريق استخدام النظائر المشعة ، على التقاوي ، والساق قصيرة يصل طولها الى نصف الساق العادية ، ولكنها تحمل ضعف كمية سنابل القمح التي تجود بها النبتة التقليدية المعروفة .. لقد كان هذا التطور العلمي في زراعة القمح من بين العوامل الأساسية التي ساعدت على تحقيق معجزة الاكتفاء الذاتي ، لا في القمح فحسب ، بل وفي المحاصيل الزراعية الأخرى ، والحبوب منها بصفة خاصة ، وحتى الفاكهة ! ففي أرض التجارب الزراعية في المعهد ، شاهدنا شجرة المانجو الصغيرة أيضا التي لا تزيد مساحة الأرض التي تشغلها بفروعها وأغصانها عن ربع مساحة الشجرة التقليدية ، ومع هذا فهي تعطي ثلاثة أو أربعة أضعاف ما تعطيه الشجرة الكبيرة من الثمار ..

وفي أحد المعامل المغلقة التقينا بتجارب من نوع آخر .. كان الباحثون مشغولين عنا عندما اقتحمنا خلوتهم ، وشدنا العمل الذي كانوا يعكفون عليه ،











● الحيوانات في الهند في تزايد مستمر .. وفيها اليوم ٢٠٠ مليون رأس ترعى وتشارك في محصول الأرض من الغذاء .. وباحثة مع ثمار شجرة المانجو الصغيرة (الى اليمين) وبجوارها طالبة بكلية الزراعة تقوم ببحث على محصول الذرة . (والى اليسار فوق) الميكنة في الحقول الواسعة ولكن أساليب الحرث التقليدية القديمة ما زالت تعيش مع الفلاح فوق الأرض الطينية (تحت) ..

ويستحوذ على كل اهتمامهم ، حتى انهم لم يشعروا بنا ونحن نقف ونتأمل الأواني التي امتلأت بها ثمار البطاطا والطماطم والخيار ، وباقي أنواع الخضراوات التي كانت تسبح في محاليل ذات ألوان مختلفة .. وسألنا « ما هذا ؟ »

وتطوع أحد الباحثين الشبان بالاجابة ، قال : « اننا نقوم بتجارب على حفظ الخضراوات بغير الطريقة التقليدية في المعلبات التي تفقدها نكهتها ، الى جانب نسبة كبيرة من الفيتامينات الغنية بها .. وقد نجحنا في التوصل الى نوعيات من المحاليل التي يمكن أن توضع فيها هذه الثمار ، وتبقى تحتفظ بكل عناصرها الغذائية لمدة سنة كاملة ، وبذلك يستطيع المواطن أن يجد حاجته منها في غير مواسم زراعتها ! انها محاليل غير معقدة التركيب يمكن للفلاح نفسه أن يصنعها في بيته الريفي !

والبحوث داخل مدينة البحوث كثيرة ومتشعبة ، وكلها تتركز في الزراعة وتطويرها وتنميتها .. ولكن تبقى بعد هذا قصة هذا الانجاز وكيف بدأت ؟

ولم يكن عسيرا أن نكتشف البداية ، عندما وجدنا أنفسنا نقف وجها لوجه أمام صورة بالحجم الطبيعي (لجواهر لال نهرو) أول رئيس لحكومة الهند بعد الاستقلال في عام ١٩٤٧ .. فقد جاء نهرو الى الحكم وفي رأسه « تحقيق الاعتماد على النفس في الزراعة والصناعة ، عن طريق أفضل الأساليب التي توصل اليها العلم والتقنية الحديثة ... » .

ولم تكن صدفة اذن أن يقف رئيس حكومة الهند المستقلة بعد أشهر قليلة من انتزاع استقلالها على يد (المهاتما غاندي) .. الرجل الذي عاش ومات من أجل تحرير بلاده .. لم تكن صدفة تلك التي وقف العالم كله من حوله يسجلها وهو يفتتح اول سبعة معاهد للبحث العلمي في عام ١٩٤٧ .

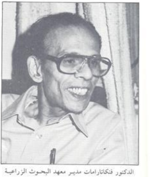
فقد عاش نهرو يرقب الهند وهي تصنع التاريخ الذي شارك هو فيه ، وكان يشعر بسعادة وهو يرى كفاح بلاده امام عينيه .. ولم يكن يعرف وقتها على وجه التحديد الدور الذي سوف يضطلع به وهو جالس عند قدمي الرجل الذي كان يحمل عبء تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني .. ولكنه كان يدرك حقيقة واحدة ، وهي أنه ينتمي الى أمة فقيرة جائعة ، ولا سبيل لاخراجها من هذا الفقر الا بالعلم والبحث العلمي ..

رجل أم امرأة ؟!

وعندما حمل الناخبون في البرلمان ابنته أنديرا الى الحكم بأغلبية ساحقة ، بعد رحيل لال بهادور شاستري الذي خلف نهرو لفترة قصيرة ، وكان يمثل خلالها الرجل الهندي الفقير .. وعندما وقفت رئيسة الحكومة الجديدة تتحدث في البرلمان ، وتعلن برنامجها من أجل حياة أفضل لهذا الشعب الفقير ، لم يجد أحد النواب المتحمسين بعد أن استمع اليها وهي تقول : « ان تفكيري كله في هذه اللحظة يتجه الى الزعماء الكبار الذين كتب التاريخ أسماءهم بأحرف من نور .. الى المهاتما غاندي الذي نشأت وتربيت عند قدميه ، والى والدي نهرو ، والى لال بهادور شاستري .. هؤلاء الزعماء رسموا لي الطريق ، وأنا أريد أن أسير على خطاهم » ..

لم يجد النائب المتحمس الا أن يصيح بصوت عال تحت قبة البرلمان : « قولي لنا يا أنديرا هل أنت رجل مثلهم أم امرأة ؟! » وهنا ضجت القاعة بالتصفيق والهتاف : « أنديرا زنداباد » أو تحيا أنديرا !

وكان الطريق الذي سار فيه الزعماء الثلاثة الذين اختارت رئيسة الهند الجديدة أن تبدأ أول خطاب سياسي لها بتحيتهم والاعتراف بدورهم في تحرير الهند وبنائها ، هو توفير الغذاء لهذا الشعب الجائع الذي كان تعداده في ذلك الوقت في أواخر الستينيات لا يزيد على ٤٨٠ مليون نسمة .. وبالرغم من أن الطريق كان مليئا بالأشواك ، الا أنها استطاعت أن تضع قدميها على البداية التي صنعها والدها نهرو في الخمسينيات ، عندما قام بتنفيذ أول برنامج للاصلاح الزراعي في الهند ، وأصبح الفلاح الذي أمضى حياته كلها يعمل أجيرا في أرض كبار الاقطاعيين ، مالكا للأرض .. كان المهراجات يملكون الأرض وما عليها من بشر وحيوانات .. وحدد نهرو الملكية الزراعية ، وتدخلت الدولة بكل ثقلها ، لتقف بجوار الفلاح الصغير وتدعمه وتشجعه .. ومع مضي السنين بدأ العمال الذين كانوا قد هجروا الأرض



الدكتور فنكاتارامات مدير معهد البحوث الزراعية

هربا من العبودية ، يعودون اليها . . وترك الكثيرون منهم أعمالهم في المصانع الكبيرة في المدن ، واتجهوا الى الريف مرة أخرى . . الى الحقول التي لم تعد أرضا قحلة يابسة . . فقد سبقهم العلماء والباحثون اليها ، ووضعوا لهم أسس العمل المثمر والانتاج الوفير . . انهم هنا فوق الأرض التي أصبحت مصدر رزقهم وعيشهم ، لا يقرأون ولا يكتبون ، ولكنهم مع ذلك أذكياء بالفطرة ، وهم قادرون على استيعاب كل شيء مادي محسوس . .

واهتم العلماء بالأجيال الصاعدة . . فخبرة الفلاح بالأرض وحدها لا تكفي ، حتى وهم يقدمون له كل ما عندهم من علم وتقنية ، من أجل التوسع في الزراعة أفقيا ورأسيا . . ولا بد اذن من خلق جيل جديد متعلم ، وقامت الجامعات الزراعية في كل أنحاء الهند لتخرج أجيالاً من المزارعين المتعلمين ، وفي مدينة « هيسار » التي تبعد عن نيودلهي العاصمة بحوالي مائة وستين كيلو مترا الى الغرب ، كان « للعربي » لقاء باحدى هذه الجامعات . . انها جامعة « هاريانا) التي بدأت الدراسة فيها في اليوم الثاني من شهر فبراير عام ١٩٧٠ ، وهي تضم أربع كليات ، كلية الزراعة ، وكلية العلوم البيطرية ، وكلية العلوم الأساسية ، ثم كلية العلوم الحيوانية . .

مانحة الحياة !

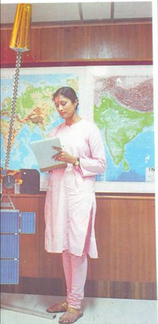
فالحيوانات في الهند تشكل عبئا كبيرا على الفلاح الصغير ، وعلى الدولة ، ويكفي أن نعلم أن عدد الرؤوس قد حقق رقما قياسيا في السنوات الأخيرة ، فقد بلغ مائتي مليون رأس من الأبقار والثيران والأغنام ، وهي في زيادة مستمرة ، ويرجع هذا الى أسباب كثيرة ، في مقدمتها تلك المكانة التي تتمتع بها الأبقار عند الهندوس ، فالبقرة لا تصدر للخارج ، لأنها « مانحة الحياة » عندهم . . انها مصدر الحليب الذي يصنعون منه الجبن والزبدة ، ولعلها الحيوان الوحيد الذي « يعيش في الجنة » كما وصفها أحد الصحفيين الأجانب منذ سنوات بعيدة مضت ، فهي تستطيع أن تسير في أكثر شوارع الهند ازدحاما ، دون أن يفكر أحد في أن يعكر صفو الهدوء والشعور بالطمأنينة اللذين يسيطران عليها . . فلا أحد يضغط على آلة التنبيه في سيارته لكي يدفعها الى أن تفسح له الطريق . . وحتى اذا شاءت أن تخلد الى النوم في أكبر ميدان بالمدينة ، فلن يقلقها أحد حتى تقوم من تلقاء نفسها اذا شاءت ، لتكمل رحلتها الى حيث تريد !

فهي « مانحة الحياة » حقيقة ، ولكنها أيضا في حاجة الى غذاء كثير من أجل أن تستمر في منح هذه الحياة ، حتى يتقدم بها العمر وتنفق !

والحيوانات في زيادة مستمرة أيضا ، لأن نسبة كبيرة من الهندوس الذين يشكلون غالبية سكان الهند ، نباتيين ، لا يأكلون اللحوم . .

لا نريد أن نسترسل ، ولكن ربما كان في حديث أحد كبار أساتذة جامعة هاريانا الزراعية ما يستحق التسجيل ، قال الرجل وهو يستقبل بعثة العربي مرحبا ويدعونا للغداء :

« أريد أن أقول أن عملية التحديث وصلت الى الزراعة ، وهي كما تعلمون عملية تعتمد على المهارة البشرية ، ومن أجل هذا أولينا اهتماما خاصا لمعاهد البحوث والتنمية وهي تضم أكثر من مليون باحث ، الى جانب معاهد التدريب الفني للمهندسين الزراعيين والمشرفين والحرفيين ، وقد أقمنا هذه المعاهد في كل أنحاء البلاد ، وترتب على ذلك أن أصبحت الهند ثالث دولة في العالم ، من حيث توافر القوى العاملة الفنية ، بعد الولايات المتحدة

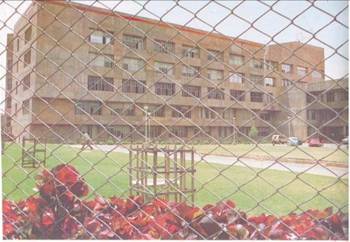


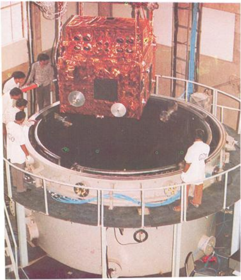






بعض ما توصلت
اليه الهند في
الصناعات
الالكترونية





● في بانجالور مدينة الأقمار الصناعية ، والصناعات الالكترونية .. صاروخان ، الأول الى اليمين يستخدم في اطلاق الأقمار الصناعية الكبيرة والثاني لاطلاق الأقمار الصغيرة .. ثم باحثة مع القمر الصناعي الذي تستعد الهند لاطلاقه في العام المقبل للاستشعار من البعد والكشف عن الموارد الطبيعية وتحديد مكانها ونوعيتها .

(وفوق) جانب من مركز صناعة الأقمار الصناعية في بانجالور وأخيرا (تحت) معمل اختبار الأقمار بعد انتاجها وقبل اطلاقها للتأكد من صلاحيتها ..

الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، وهذه الثروة البشرية في تزايد مستمر . . »

ويمضي الأستاذ الجامعي : « ان هدفنا هو الاعتماد على النفس ، وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الهندي ، وقد استطعنا أن نحقق خطوات كبيرة في هذا الاتجاه ، وبذلك تمكنا من التقليل من اعتمادنا على المساعدات الأجنبية ، وتنويع الانتاج المحلي ، فقد انخفضت الواردات من السلع الأساسية ، وعملنا على تنمية الصادرات ، حتى يمكن أن نغطي ثمن الواردات » .

التقنية الحديثة في الفضاء :

وتنتهي رحلتنا الخاطفة في عاصمة الهند ، وترحل الى مدينة أخرى من المدن التي اشتهرت باطلاق الاقمار الصناعية من فوق أرضها . . انها مدينة بانجالور ، حيث أُنشئت هيئة البحوث الخاصة بالفضاء منذ أكثر من عشر سنوات مضت . . وكانت العربي هي أول مجلة عربية تدخل مركز اطلاق الأقمار الصناعية في بانجالور ، وأول مجلة يسمح لها بالتقاط صور داخل المركز . .

وقبل أن نمضي في رحلتنا الثانية ، نتوقف قليلا لنستمع الى حديث المسؤولين عن الدور الذي لعبته التقنية الحديثة في بناء قاعدة صناعية راسخة ، في هذه البلاد الشاسعة التي تتقدم في ثبات نحو القرن الحادي والعشرين . .

ولعلنا نجد في كلمات راجيف غاندي رئيس وزراء الهند ، المعنى الذي ذهب اليه العلماء والباحثون ، وهم يرسمون لنا صورة لما استطاعت الهند أن تحققه خلال تلك المسيرة القصيرة من عمر الشعوب . . قال راجيف بعد أن تولى أمانة الحكم : « لقد تطورت الهند من دولة لم تكن تنتج ابرة ماكينة الحياكة المستوردة ، الى دولة تستطيع الآن اطلاق الأقمار الصناعية ، وانتاج أسلحتها الدفاعية ، واقامة مشاريعها النووية » .

البناء الصناعي الحديث :

ولم يكن صعبا أن ندرك مدى التقدم الذي حققته الهند من خلال البحث العلمي . . فقد رأينا صورا عديدة تمثل البناء الصناعي الحديث المتنوع الذي



شبه القارة الهندية . .

توصلت اليه البلاد ، واستطاعت بفضله أن تقلب نمط الانتاج الصناعي رأسا على عقب . . فالسلع التقليدية تطورت وأصبحت سلعاً أبعد ما تكون عن التقليد المألوف والمعروف . . . والمصانع الحديثة تقوم اليوم بانتاج أنواع كثيرة من السلع الاستهلاكية والسلع الرأسمالية والوسيطة . . كل ذلك بفضل التقنية التي اكتسبتها الهند ، واستوعبتها وطورتها ، لتفي باحتياجات البلاد ، وتشكل السلع الرأسمالية اليوم ٤٨٪ من اجمالي الانتاج الصناعي في الهند ، بينما تبلغ نسبة السلع الوسيطة ٢١٪ ، والسلع الاستهلاكية ٣١٪ ، وهذه الأخيرة استطاعت أن توفر للهند اعتمادا ذاتيا .

ولقد حققت البلاد أيضا تقدما ملموسا في تطوير قدراتها في التصميم والخبرة الفنية ، كما اهتمت الهند اهتماما خاصا بتطوير العلوم والتقنية ، فقد ساعدت معاهد البحوث والتنمية في الهند في تطويع التقنية المستوردة واستيعابها ، وكذلك في التوصل الى عدد كبير من العمليات الفنية الجديدة ، وهناك أكثر من مائتي مشروع هندي مشترك ، مع أكثر من أربعين دولة افريقية وآسيوية ، وهي جميعا مشروعات صناعية

وهندسية وزراعية . . فقد بدأت الهند منذ سنوات بعيدة في تصدير خبراتها لهذه الدول الصديقة .

ثلاثون عاما من البحث :

وفي الوقت ذاته تقوم الهند الآن باستغلال حوالي ٣٣٠٤ براءات اختراع لعلماء من أبنائها ، استغلالا تجاريا ، وقد أصدرت المؤسسة القومية للبحوث والتنمية أخيرا التراخيص اللازمة لأكثر من ١٦٠٠ عملية من هذه العمليات ، ثم استخدام العديد منها في أماكن أخرى .

إن القفزة العلمية لم تأت وليدة الأمس القريب ، لقد مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما ، تم خلالها انشاء ما يزيد عن المائة وعشرين جامعة ، تضم أكثر من خمسة آلاف كلية ، وخمسة معاهد للتقنية ، و ١٥٠ كلية للهندسة ، و ٣٥٠ معهدا للفنون التطبيقية . . ويصل عدد الخريجين من هذه الكليات والمعاهد سنويا الى ١٥٠ ألف من المؤهلين علميا وفنيا . . وفي احصائية نشرت في العام الماضي ، جاء أن العدد الاجمالي للعمالة المؤهلة علميا وفنيا في جميع أنحاء الهند ، قد تجاوز المليونين ونصف مليون .

انها الثروة البشرية التي تحرص الهند على تطويرها وتنميتها . . ومع هذا الحرص على خلق الكوادر العلمية والفنية ، يعمل المشتغلون بالبحث العلمي على تحديث القاعدة التقنية ، حتى تتمشى مع المستويات الدولية . . وقد لمسنا دفعة قوية في هذا الاتجاه في مجال الالكترونات والاتصالات عبر الأقمار الصناعية ومصادر الطاقة البديلة .



التحذير الذي يطالعك في كل شوارع المدن الرئيسية . « خطر التلوث يهدد حياتك بالموت البطيء »

وفي (بانجالور) كان لقاؤنا باحدى شركات الالكترونات . . انها شركة (كاراناتاكا) ، التي تقوم بانتاج أجهزة الاتصال المتنقلة التي تعمل في دائرة قطرها خمسين كيلومترا ، وقد بدأ العمل في انتاج هذه الأجهزة منذ عام ونصف تقريبا ، بالاشتراك مع شركة (ماركوني) الايطالية ، وبدأ عرض هذه الأجهزة في الأسواق بالفعل ، وبلغت حصيلة عام واحد حوالي عشرة ملايين روبية ، ومن المنتظر أن يصل الرقم الى عشرين مليون روبية هذا العام . .

وفي هذه الشركة أيضا يقومون بتجميع أجهزة التلفزيون ، ويجري البحث لانتاج أجهزة الكومبيوتر بالاشتراك مع الشركات اليابانية خلال العامين القادمين .

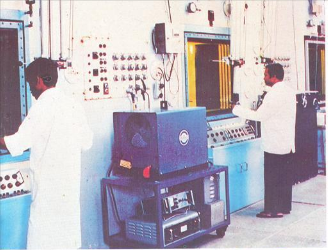
الأقمار الصناعية :

وانطلاقا من ادراك الهند لأهمية علوم وتقنية الفضاء ، لسد احتياجات البلاد في مجال الاتصالات العامة ، ومسح موارد البلاد ، قامت الهند بانشاء مركز الأقمار الصناعية في (بنجالور) .

وفي هذا المركز وقفنا نستمع الى شرح المسؤولين فيه عن أهداف برنامج الفضاء ، وهي الاتصالات البعيدة المدى ، وبث الصور التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية ، الى جانب اطلاق أقمار الاستشعار عن البعد ، لاكتشاف موارد الأرض الطبيعية والمتجددة ، ورصد الأحوال الجوية .

وقد أطلقت الهند بمعاونة الاتحاد السوفيتي ، القمرين الصناعيين « اريابهاتا » و « بهاسكارا » اللذين صنعا بأيدي هندية في عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٩ ، ثم جاء عام ١٩٨٠ عندما أصبحت الهند الدولة السادسة في العالم في مجال اطلاق الأقمار الصناعية في الفضاء ، مستخدمة في ذلك صاروخ اطلاق من صنعها ، فالقمر الصناعي « روهيني » الذي يزن ٣٥ كيلو جراما ، أطلق في مداره بواسطة صاروخ الاطلاق (س . ل . ف ٣) مؤكدا بذلك نجاح الهند في الاعتماد على نفسها في مجال اطلاق الأقمار الصناعية ، وعزمها على تطبيق العلم والتقنية في شتى مجالات التنمية .

وأطلقت الهند بعد ذلك القمر الصناعي









● في مدينة بومباي ، معمل تجهيز النظائر المشعة ISO-TOPES التي تستخدم في كافة المجالات الطبية والزراعية والصناعية والبحوث العلمية وراء أسوار محكمة الاغلاق وتنقل بواسطة « الروبوت » أو الأيدي الآلية . . (وتحت) الفرن النووي من الداخل ، وفوق الى اليسار محطة الطاقة النووية بهابها BHABHA التي شيدت بأيدي هندية وراء تل يحجبها تماما عن المدينة ، و (تحت) صورة من قريب للمفاعل النووي وأجهزة التبريد .



مدينة البحوث في العاصمة دلهي ، يعمل فيها أكثر من عشرة آلاف باحث ومهندس زراعي وعامل ، وتضم كلية لتخريج المهندسين الزراعيين .

« الوطني » الأول انسات « أ » في ابريل من عام ١٩٨١ بواسطة الصاروخ الأمريكي دلتا ، ثم القمر الصناعي انسات « ب » في عام ١٩٨٣ بواسطة الصاروخ الأمريكي « تشالنجر » ، وقد فتح هذا الأخير آفاقا جديدة في مجال الاتصالات العامة ، حيث أنه متعدد الأغراض ، ومصمم لتوفير تسهيلات خاصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية ، والتلفزيون والاذاعة والارصاد الجوية .

ويقول الرجل المسؤول عن المركز : « أما القمر الأول في سلسلة الأقمار الصناعية للاستشعار عن البعد ، فيجري الآن تصنيعه استعدادا لاطلاقه في نهاية هذا العام ١٩٨٦ ، كما يجري العمل أيضا في تصنيع صواريخ أكثر قوة لاطلاق أقمار صناعية يصل وزنها الى أكثر من مائة وخمسين كيلو جراما . . » .

وقال الرجل وهو ينهي حديثه معنا : « لقد قطعتم مسافة طويلة لكي تجيئوا الينا ، وتروا ماذا نصنع في هذا المكان الصغير من هذه القارة الشاسعة ، واذن لا بأس من أن أستجيب الى طلبكم . . تستطيعون أن تلتقطوا ما تشاءون من صور ، خصوصا وأنكم تنتمون الى دولة صديقة ، تربطنا بها علاقات أخوة وصداقة نعتز بها » .

الطاقة النووية من أجل السلام :

وفي مدينة بومباي انتهت رحلتنا الخاطفة في شبه القارة الهندية . . هناك كان لقاؤنا مع وجه حضاري ، برغم ما يحيق به من مخاطر . . انه المفاعل النووي الذي شيدته الهند في ضاحية (ترومباي) التي تبعد حوالي ثلاثين كيلو مترا خارج المدينة . . لقد قصدنا اليه ، وشبح كارثة (تشرنوبيل) في الاتحاد السوفيتي ما زال ماثلا أمامنا ، مع تلك الصيحة التي انطلقت في كثير من المدن الأوروبية في الغرب والشرق على السواء ، بالتخلص من هذه المفاعلات التي تهدد البشرية ، رغم كل ما تحمله لها من خير في مجالات الأغراض السلمية .

والمفاعل النووي الهندي في (ترومباي) كان أول مفاعل من نوعه تبنيه الهند ! بأيدي أبنائها ، ودون أية مساعدة من الخارج ، ولعل هذا هو السبب في اختيارنا له !

شبح مأساة تشرنوبيل :

ولكننا ما كدنا نصل اليه ونجتاز التل الكبير الذي يقع المفاعل وراءه كما لو كان ستارا يحجبه عن العيون ، حتى قلنا نسأل الرجل القائم على هذا العمل الكبير الذي يجري وراء جدران محكمة الاغلاق : « ماذا أعددتم هنا من اجراءات وقائية حتى لا تتكرر مأساة تشرنوبيل ؟ ! » .

وأجاب مبتسما وكأنه كان يتوقع منا أن نوجه اليه مثل هذا السؤال : « لقد وضعنا ألف خبير يعملون طوال الأربع وعشرين ساعة بالتناوب ، لمراقبة كل ما يطرأ من تطورات ، وأود أن أؤكد لكم ، أن الخطر الوحيد الذي نعمل له ألف حساب ، ينجم عن اختلال جهاز التبريد ، فاذا حدث هذا الخلل وقعت الكارثة .

ان الهند تملك اليوم ثلاث محطات للطاقة النووية ، وهي ماضية في بناء محطات جديدة يشرف على تصميمها علماء هنود . . وقد كان للمفاعلات النووية التي تستخدم للأغراض السلمية قصة بدأت مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت النظرة الأولى لهذه القوة ترتبط بالدمار الذي أحدثته القنابل الذرية باليابان . . ولكن الهند ، مثلها في ذلك مثل العديد من الدول الأخرى الآخذة بأسباب التقدم ، كانت لها رؤية أخرى ، فقد كان تفكيرها كله ينصرف الى الاستعانة بالطاقة النووية في تنمية اقتصادها .

ومن هنا بدأ استخدام الطاقة الذرية في الهند ، كما حدده برنامج الطاقة لعام ١٩٤٨ ، وهو التنمية في شتى المجالات السلمية ، واشتمل ذلك على توليد الكهرباء ، وتطويع الاستخدامات النووية في الأبحاث الزراعية والصناعية والطبية وغيرها ، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف قامت الهند بتطوير البنية الأساسية في مجال الأبحاث التي تعتمد اعتمادا كليا على الطاقة النووية .

الرحلة لم تنته :

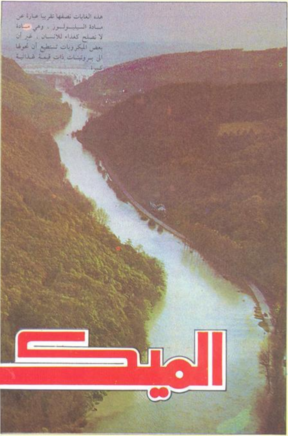
وقامت عقبات عديدة في البداية ، كما يحدث في كل عمل جديد ، ولكن أمكن التغلب عليها ، وطوال المسيرة التي بدأت بعد الاستقلال لم تنحرف الهند يوما عن الطريق الذي اختارته ، والذي أوصلها في النهاية الى انشاء نظام كامل للوقود النووي ، واقامة بنية أساسية سليمة للصناعة ، وخبرة في دعم وتقوية جميع النشاطات التي تشمل دراسات الجدوى والتصميم التفصيلي ، للمشروعات ، والانشاءات ، والتركيبات ، والتشغيل ، وادارة وحدات المصانع المتكاملة التي تنضوي تحت نظام انتاج الوقود النووي .

وهكذا أصبحت الهند واحدة من دول العالم النامي التي استطاعت أن تنشىء نظاما متكاملا للوقود النووي ، بدءا من اكتشاف (اليورانيوم) وتعدينه ، واستخراجه وتحويله ، وانتهاء بتصنيع الوقود النووي وانتاج الماء الثقيل . . واستطاعت الهند بذلك أن تفسح لنفسها مكانا بين الدول الأكثر تقدما في تقنية الطاقة النووية .

وتنتهي رحلتنا مع الهند ، ولكنها لا تنتهي مع البرامج الطموحة التي أخذت الدولة على عاتقها مهمة تنفيذها ، من أجل مستقبل أفضل ، لا فوق أرضها فحسب ، بل وفوق أرض كل الدول الصديقة التي ترغب في الافادة من خبراتها . . فقد وضعت الهند برنامجا للتعاون الفني والاقتصادي ، يشمل توفير التسهيلات التدريبية لمواطني الدول النامية الأخرى ، وايفاد الخبراء الهنود في مهمات قصيرة وطويلة الأمد ، لاجراء الدراسات المناسبة في هذه الدول ، والقيام بأعمال المسح الفني ، وتوفير الخدمات الاستشارية ، وتنفيذ المشاريع الخاصة ، وتقديم الأجهزة الفنية . .

وفي نطاق هذا البرنامج مدت الهند الصديقة يد العون لكثير من البلدان الآسيوية والافريقية ، ودول أمريكا اللاتينية . .

قال لنا مرافقنا وهو يودعنا ، ويتمنى أن يكون لنا لقاء آخر مع وجه الهند الجديد : « لماذا اذن تذهبون بعيدا ! ؟ ان الذي بيننا وبين الأخوة العرب ، أقوى من كل الحدود الجغرافية التي تفصل بيننا . . لا تنسوا أن الشرق سوف يبقى شرقا دائما ! » □



هذه الغابات نصفها تقريبا عبارة عن مادة السيليولوز ، وهي مادة لا تصلح كغذاء للانسان ، غير أن بعض الميكروبات تستطيع أن تحولها الى بروتينات ذات قيمة غذائية كبيرة

روبات

كمصدر لغذاء الانسان

بقلم : الدكتور سمير رضوان

للغذاء وظيفتان لا تستقيم حياة الا بهما ، فالغذاء أولا هو اللبنات التي تبنى منها أجسام الأحياء ، ثم هو ثانيا الوقود الذي تحرقه هذه الأحياء ليزودها بالطاقة الضرورية لشتى الأنشطة،على أن ثمة علاقة بين الميكروبات وغذاء الانسان . . وذلك هو موضوع هذا المقال .

تتكون أغذية الأحياء من مواد غير عضوية بسيطة التركيب ،وهي متوفرة بكثرة على كوكب الارض ، ومواد عضوية معقدة التركيب ، وهي التي يتسم بعضها بالندرة نسبيا ، ولحسن الحظ أن هناك أحياء على الأرض لا تتغذى الا على المواد غير العضوية البسيطة ، ولا يعني ذلك بالطبع أن مثل هذه الأحياء تستغني عن المواد العضوية ، إنما كل ما في الأمر أن لها القدرة على تركيب ما يلزمها من مواد عضوية من المواد غير عضوية ، وتمثل هذه الأحياء في الواقع مصدر المادة العضوية الأولى على الأرض ، وأحسب أن القارىء قد فطن الى أننا نقصد بذلك النباتات الخضر بصفة عامة ، أما الأحياء الأخرى كالحيوانات بما فيها الانسان ومعظم الميكروبات ، فتحتاج - فضلا عن المواد غير العضوية - الى المواد العضوية في غذائها ، وغني عن الذكر أن هذه الأحياء الأخيرة تنقصها القدرة على انتاج المواد العضوية من أخرى غير عضوية ، لذلك فهي تسطو على النباتات من أجل الحصول على المادة العضوية ، وهي تتصارع فيما بينها على هذه المادة ، ويتضح من هذا البيان الموجز أن النباتات الخضر لا بد قد سبقت الحيوانات في الوجود على سطح الأرض ، وقد أيدت الدراسات العلمية صدق ذلك .

« طعامنا من الهواء والتربة والشمس »

والانسان - شأنه شأن شتى الحيوانات الأخرى - يحصل على غذائه العضوي مما تنتجه النباتات الخضر ، وهذه الأخيرة تبني المادة العضوية من ثاني أكسيد الكربون الذي تحصل عليه من الهواء ، ومن الماء والعناصر غير العضوية الأخرى التي تمتصها من التربة ، وتحتاج عملية بناء المادة العضوية الى طاقة ، وقد حبا الله النباتات الخضر - دون الحيوانات - « بيطاريات » هي ما تعرف « بالبلاستيدات الخضراء » يستطيع النبات من خلالها استعمال طاقة الشمس الضوئية في ربط جزئيات ثاني أكسيد الكربون ، بهدف انتاج مادة عضوية منه في النهاية ، وتعرف هذه العملية « بالتمثيل الضوئي » ، وهي أصل المادة العضوية على كوكب الأرض ، والناتج المباشر للتمثيل الضوئي هو سكر الجلوكوز في أوراق النبات ، على أن هذا السكر سرعان ما يتحول الى مواد عضوية أخرى منها المواد الكربوهيدراتية كالنشا والسيليولوز ومنها الدهنية ، ومنها الفيتامينات والأنزيمات ، ومنها مواد ثانوية أخرى قد تستعمل في الطب والصناعة ، عندما نأكل المنتجات النباتية سواء بصورة مباشرة أو من خلال لحم حيوان اغتذى أصلا بالنبات ، فلنذكر دائما أننا انما نأكل ثاني أكسيد

الكربون من الهواء والماء ، والعناصر من التربة ، والطاقة الضوئية من الشمس التي اختزنتها لنا النباتات على هذه الصورة .

الميكروبات منافس قوى للانسان على الطعام

لسنا وحدنا على الأرض الذين نعتمد على المادة العضوية النباتية كغذاء ، بل تحيى معنا ـ فضلا عن الحيوانات الأخرى ـ أعداد لا حصر لها من الميكروبات تغتذي بنفس المواد ، والميكروبات رغم دقة أحجامها حتى أنها لا ترى الا بعد تكبيرها بالمجهر آلاف المرات ، الا أن نشاطها لا يستهان به على الاطلاق ، فهي تعوّض دقة الحجم هذه بمعدلات تكاثر رهيبة السرعة ، وبأنشطة حيوية لا تستطيع أحياء أخرى مجاراتها فيها ، وللتدليل على ذلك نذكر الاحصائية العلمية التالية ، فقد حسب العلماء أن خلية بكتيرية واحدة تستهلك قدرا من السكر يزيد كثيرا عن ١٠,٠٠٠ ضعف لوزنها ، في فترة زمنية لا تتجاوز الساعة الواحدة ، أما الانسان البالغ فهو يستغرق كي ما يهضم قدرا من السكر يساوي ١٠,٠٠٠ ضعف لوزنه زمنا لا يقل عن ربع مليون ساعة ، أي حوالي نصف عمره أو يزيد ، ولو أن سكر الجلوكوز الذي تنتجه جميع النباتات الخضر خلال التمثيل الضوئي قد أتيح لهذه الميكروبات الاستهلاكية في ساعات قليلة ، لما بقيت مادة عضوية متاحة كغذاء لأحياء أخرى على الأرض ، لذلك فان الجلوكوز فور تكوينه يتحول الى مواد أخرى أكثر مقاومة لأنشطة الميكروبات . . فضلا عن أن البيئات التي تحوى الميكروبات جعل الله فيها من الموانع ما يحول بين الميكروبات وبين أن تنشط نشاطا كاملا .

ومن المواد الناتجة من الجلوكوز والتي تتمتع بدرجة من المقاومة لأنشطة الأحياء مادة السيليولوز التي تدخل في تركيب جذر خلايا النباتات ، والتي تمثل ما يزيد عن نصف أوزان جميع النباتات على سطح الأرض ، وواقع الأمر أن السيليولوز مادة خاملة ، نسبيا ، فيما يختص بقيمتها كغذاء للانسان ، ولكنها يمكن أن تمثل المخزون الاستراتيجي للمادة العضوية الكربونية على كوكبنا ونظرة من نافذة طائرة تعبر فوق غابة ضخمة ، تبين مقدار هذا المخزون الاستراتيجي الهائل الذي لم يستغله الانسان حتى الآن ، الا في صناعة الأثاث ، وانتاج الورق وكوقود ، على أن انسان المستقبل سوف يستغل أنشطة الميكروبات في تحويلها الى غذاء وعلف .

وواقع الأمر أن الحيوانات بما فيها الانسان تفتقر الى القدرة على هضم السيليولوز ، ومن ثم فهي لا تستطيع الاغتذاء به ، ولا استثناء في هذا المضمار حتى للحيوانات المجترة التي تأكل العشب أساسا ، لولا أنها تحتوى في أجهزتها الهضمية على أنواع خاصة من الميكروبات هي التي تحلل السيليولوز الى سكر الجلوكوز مرة أخرى ، بل وتنتج من هذا السكر بروتينات تصبح متاحة للحيوان المجتر كغذاء ، ولو استطاع الانسان اختراع أسلوب اقتصادي لتحليل مادة السيليولوز الى جلوكوز أو الى بروتينات ودهون ، لاستطاع أن يجد حلا رائعا لمشكلة غذائه . ولقد شرع العلماء بالفعل في هذه الدراسات مستنيرين بما يجري في كروش الحيوانات المجترة ، أي أنهم يطمعون في تحويل السيليولوز الى مواد غذائية من خلال أنشطة الميكروبات .

غذاء الانسان

وقبل أن ننطرق الى الحديث عن انتاج غذاء الانسان باستخدام الميكروبات فهيا ننظر أولا في ماهية المواد الغذائية . يتغذى الانسان بالعديد من المركبات العضوية التي لا يتسنى له تركيبها بنفسه من مواد بسيطة ، أهم هذه المواد الغذائية هي البروتينات الحيوانية والنباتية والكاربوهيدرات كالنشا والسكر ، وهي نباتية المصدر أساسا ، والزيوت والدهون من النبات أو الحيوان ، ولن نتعرض هنا للفيتامينات التي لا يحتاجها الجسم الا بكميات ضئيلة ، أما البروتينات فتلزم أساسا لبناء الجسم ـ وأما الكربوهيدرات والدهون فهي مهمة أساسا كوقود لانتاج الطاقة ، وهذه المواد توجد في الجسم البشري في صورة ديناميكية ، اذ أن الجسم يحولها بعضها الى البعض الآخر ، وما السمنة مثلا نتيجة لالتهام كميات كبيرة من المواد النشوية والسكرية ، الا أحد الصور الواضحة لمثل هذه التحولات ، وقد أصبح اليوم توفير المواد الغذائية الثلاث : البروتينات في صورة

اللحوم ، والكربوهيدرات في صورة الحبوب والسكر ، والزيوت والدهون ، اصبح توفيرها هو الشغل الشاغل لحكومات معظم العالم ، ولا نغالي حينما نقول ان الخريطة السياسية لعالم اليوم أصبحت تحدد معالمها بصورة جزئية حاجات بعض الدول من ناحية ، وانتاجية بعض الدول من ناحية أخرى للمواد الغذائية ، ولسوف يتكثف هذا الأمر في المستقبل القريب ، لذلك كان مما سيتحق الاعجاب والثناء معا أن تحقق دولة مثل المملكة العربية السعودية اكتفاء بل وفائضا من انتاج الحبوب ، برغم كل التضحيات المادية التي بذلت من أجل تحقيق ذلك .

توفير الغذاء مشكلة المشاكل

يعاني العالم اليوم بالفعل من نقص الغذاء ، ومع المعدلات الفائقة السرعة التي تتزايد بها أعداد البشر ، سيصبح الاسلوب التقليدي لتوفير غذاء الانسان عاجزا عن ملاحقة هذه المعدلات ، والزراعة بمفهومها الواسع هي ما نقصده بالأسلوب التقليدي لتوفير الغذاء ، وشأن الزراعة في الواقع في حياة الانسان أعمق بكثير من مجرد كونها أسلوبا لتوفير غذائه . اذ ما أن تعلم الانسان الزراعة بعد مرحلة الصيد ، حتى عرف حلاوة الاستقرار بعد طول ارتحال خلف الحيوان يصيده تارة ويقع فريسة له تارة أخرى وارتبط استقرار الانسان بإحساسه بالأمان ، فتنبهت ملكاته الخلاقة ونمت ، وبلغ تطوره الحضاري ما بلغه اليوم ، وليس من قبيل المصادفة أن حضارات العالم قد نبتت بذورها على ضفاف الأنهار ، ورغم التطورات المذهلة التي حققها الانسان في شتى المجالات ، الا أنه لم يحدث في الزراعة منذ ابتكرها تطوراً يشبه في عمقه ما أحدثه في الصناعة مثلا . اذ مازال الانسان ـ كما كان قديما ـ يعتمد في انتاج غذائه على عدد جد قليل من النباتات الراقية ، وذلك من بين ما يزيد عن ثلث مليون من أنواع النباتات الراقية التي تعمر الأرض اليوم ، ولا ينكر أحد أن أساليب الزراعة المكثفة واستنباط السلالات النباتية قد زادت من غلة الأرض كثيرا عما كان عليه الأمر قديما ، على أن هذه الانتاجية أوشكت أن تصل الى حدودها القصوى ، ولم تعد قابلة لأية زيادة جدية ، لقد ظل الانسان اذن عبر تاريخه أسيرا في غذائه لأنواع تقليدية جد محدودة العدد من النباتات الراقية ، ووصل بانتاجيتها الى الحد الأقصى ، أو أوشك ، فإذا أضفنا الى ذلك أن جميع الاحصاءات تفيد بأن الرقعة الزراعية على سطح الكرة الأرضية في تناقص بسبب بعض مشاكل مثل التصحر والتوسع المعماري وغيرها ، وأن كمية مياه الرى هي الأخرى محدودة ان لم تكن متناقصة ، لاتضح لنا مدى صدق عنوان هذه الفقرة من المقالة .

الميكروبات هي البديل المتاح

لم ينظر العلماء الى النباتات الدنيا ـ وبخاصة الى الميكروبات ـ كمصادر جادة للغذاء الا في أزمنة الاضطرار ، وعلى سبيل المثال فقد استخدمت بعض الفطريات الخيطية لتغذية الانسان في دول أوروبية إبان الحرب العظمى الثانية ، كما أن الألمان اضطروا إبان الحرب العالمية الأولى الى زراعة الخميرة ، وهي فطريات وحيدة الخلية ، والاعتماد عليها في غذائهم .

وعالم الميكروبات الذي يشمل البكتيريا والفطريات والطحالب الدقيقة عالم رحب غير مرئي ، يعج بشتى الأنواع التي لا تخلو منها بيئة على الأرض .

فهي تعيش وتتكاثر في التربة والمياه ، وفي الأطعمة والألبان ، وفي أجواف الأحياء الأخرى ، بما فيها الانسان ، وهي محمولة على قطرات البخار وأسطح حبات الغبار في الجو ، ومعظم هذه الكائنات مسالم لا يسبب أية أمراض للأحياء الأخرى ، وقد روض الانسان الكثير منها واستخدمه في أغراض صناعية ، مثل انتاج المضادات الحيوية والأحماض العضوية وغيرها .

والاستراتيجية العامة في انتاج الطعام تعتمد على أن الانسان يتعهد برعايته أحياء أخرى من النباتات والحيوانات الراقية ، ويزودها بمواد أولية لا تصلح له هو نفسه كغذاء ، لكي تقوم هذه الأحياء بتحويل هذه المواد الأولية الى بروتينات أو كربوهيدات أو زيوت تصلح كطعام للبشر ، بهذا المفهوم يعتبر العلماء الميكروبات أنسب الأحياء على الاطلاق لانتاج غذاء الانسان ، فهي شأنها شأن الأحياء الأخرى في تصنيع



غذاء الانسان بالبروتينات والكاربوهيدرات من الهواء والماء ، والتربة ، و الشمس

هذه الكتل الفطرية التي تشبه قوالب الحلوى ، زرعها الباحث في أوعية من البلاستيك ، ومحتواها البروتيني مرتفع وتصلح كعلف ممتاز للماشية والدواجن



البروتينات والكربوهيدرات والزيوت ، بل هي أنشط الأحياء جميعا في انتاج البروتينات التي تشبه في نوعيتها بروتينات اللحوم الحيوانية ، وتمتاز هذه الأحياء بمعدلات نمو فائقة السرعة ، لا تدانيها فيها أية أحياء أخرى ، ويستطيع الانسان في ساعات وجيزة أن ينتج أطنانا من البكتيريا مثلا بتكلفه معقولة للغاية ، خصوصاً وأن هذه الكائنات تزرع على مخلفات لا تقبلها الأحياء الأخرى في غذائها ، وتزرع الميكروبات فيما تسمى بالمفاعلات الحيوية ، والمفاعل الحيوي الواحد الذي لا يحتل من الأرض الا مقدار ما يحتله مصنع صغير يمكنه أن يدر من المواد الغذائية ما تنتجه عشرات الألوف من الأفدنة الخصبة خلال الزراعة التقليدية ، وزراعة الميكروبات لا ترتبط بفصول السنة الا بالظروف الجوية ، وقد حثت هذه العوامل



هذه الدجاجة غذيت طوال عمرها بعليقة تحتوي على كتل فطرية

جميعها علماء الأحياء على الاعتقاد بأن الميكروبات هي بالفعل بدائل للنباتات والحيوانات الراقية في مجال انتاج الغذاء في المستقبل غير البعيد .

نحن نأكل الميكروبات بالفعل

ربما انتابت بعض القراء درجات متفاوتة من الغثيان حينما يتخيلون أنفسهم وهم يتناولون كتلة بكتيرية مثلا كطعام ، والمسألة هنا - على جديتها - لا تعدو أن تكون مشكلة نفسية في المقام الاول ، ولا نشك في أن الانسان سوف يتجاوزها حينما تضطره الظروف لذلك ، ولعل كثيرين يعلمون أن الجراد مثلا والضفادع تطهى منها في مطاعم دول متقدمة أطباق شهية لاطاقة بأثمانها الا لميسوري الحال ، بينما نشعر

نحن بالتقزز لمجرد قراءة ذلك ، وبعض فرق الجيوش الخاصة تعود أفرادها على أكل الثعابين والسحالي والفئران نيئة .

ونحن نأكل كل يوم دون وعي منا أعدادا لا حصر لها من الميكروبات ، تماما مثل ما كان يفعل أجدادنا الأولون ، فالانسان طوال تاريخه يأكل الخبز والجبن واللبن والأسماك المملحة وغيرها ، وكلها أغذية تشارك الميكروبات في انتاجها وفي تركيبها ، وتمثل قدرا لا يستهان به من قيمتها الغذائية ، والجرام الواحد من الجبن مثلا يحتوى عادة على ما يربو على بليون خلية بكتيرية ، وما الاختلاف بين أنواع الجبن الا نتيجة لاختلاف الميكروبات المشاركة في تكوينها ، وما الرائحة المميزة للأجبان والأسماك الا بسبب مركبات طيارة ثانوية تنتجها الميكروبات .

وربما قلل من احساس الغثيان لدى البعض معرفتهم ان شريحة اللحم التي يأكلها الانسان ليست في واقع الأمر سوى انتاج مباشر للميكروبات في أجواف الحيوانات المجترة ، فهذه الحيوانات ـ كما ذكرنا ـ تغتذي بالأعشاب الغنية بالسيليولوز الذي لا يستطيع الحيوان نفسه له هضما ، وتنجز هذه المهمة أعداد لانهائية لأنواع معينة من البكتيريا التي تقطن مواطن معينة من جهاز الحيوان الهضمي ، وتحول السيليولوز الى جلوكوز ، ثم تحول معظم الاخير الى بروتينات ، وهي تفعل ذلك بالطبع كأسلوب لاغتذائها لا من أجل الحيوان المجتر ، تماما كما نحول في أجسادنا المواد السكرية الى مواد دهنية مثلا ، والى جوار هذه البكتيريا توجد أيضا أعداد هائلة من الحيوانات الأولية وحيدة الخلية ، وتحتوى معدة البقرة مثلا على حوالي ٢٠٠٠ مليار حيوان أولي ، تعتمد في غذائها على التهام البكتيريا المشار اليها ، وتحول بروتيناتها الى بروتينات حيوانية في خلاياها ، تماما كما نأكل نحن البروتين الحيواني ونشكل منه بروتينات في أجسادنا ، ثم في موضع آخر من جهاز الحيوان الهضمي تهضم الحيوانات الأولية ، وما تبقى من بكتيريا ، وتمتص بروتيناتها ليتشكل منها لحم الحيوان الذي يقدم لنا على الموائد العامرة كشرائح شهية .

تكثفت البحوث العلمية خلال السنوات الأخيرة في مجال انتاج غذاء الانسان وعلف الماشية من الميكروبات ، وقد وجدت نتائج بعض هذه البحوث سبيلها الى التطبيق فعلا .

ومن أمثلة ذلك أن دولا عديدة في الشرق والغرب أصبحت تنتج أنواعا من الفطريات الشبيهة « بعيش الغراب » في مزارع خاصة ، وتطرح هذا الانتاج للاستهلاك الآدمي منذ زمن ليس بالقصير ، وتؤكل من هذه الفطريات ما تعرف بأجسامها الثمرية المتشحمة التي تختزن البروتينات وهي شهية المذاق ، وتزرع هذه الفطريات على روث البهائم خصوصا فشل الخيل ، اذ يعقم الروث تعقيما جزئيا ، ثم تنثر عليه جراثيم الفطر أو خيوطه التي كانت قد زرعت من قبل على حبوب القمح المعقمة وتترك الجراثيم لتنمو في الروث طوال اسبوعين ، يغطي الروث بعدها بطبقة رقيقة من الرمل وأوراق النبات المتحللة ، وتنمو الأجسام الثمرية للفطر خلال هذه الطبقة ، وتجني بعد حوالى ثلاثة أشهر ، وروث البهائم يحتوى على السيليلوز واللجنين(مادة الخشب)التي تمثل غذاء الفطر ، وينتج كل قدر من الروث حوالى ثلثه من الفطر .

كما تزرع الخميرة ـ وهي فطريات ـ وحيدة الخلية ـ في مفاعلات حيوية بهدف استخلاص البروتينات والدهون منها ، وتستخدم في ذلك مخلفات صناعية رخيصة الثمن مثل المولاس ونواتج صناعة الورق والنفايات الصناعية المحتوية على السكر ، ومن خلال التحكم في نسب السكر والاملاح النيتروجينية ، في هذه المخلفات يمكن انتاج خلايا غنية بالبروتينات فقيرة من الدهون أو فقيرة من البروتينات غنية بالدهون ، ثم يمكن استخلاص الدهون بالمذيبات العضوية ، على أننا نشير الى أن الدهون بالذات لم ينجح الانسان بعد في انتاجها من الميكروبات بطريقة اقتصادية ، أما انتاج البروتينات من الخميرة فهو يتم بنجاح ، كما نجح العلماء حديثا في زراعة الخميرة على مخلفات النفط بهدف انتاج خلايا غنية بالبروتينات تصلح كعلف للماشية والدواجن .

اما انتاج البروتينات من البكتريا فقد حظى باهتمام بالغ خلال السنوات العشر الماضية ، ولقد كان من حسن حظ كاتب هذه السطور أن يرى بعينيه تجربه رائدة في هذا المجال ، وأن يشارك فيها بجهد متواضع ، وذلك بأحد مصانع الأدوية الكبيرة في فرانكفورت بالمانيا الغربية ، حيث تزرع انواع من

البكتريا في وسط يحتوى على الميثانول الذي تحوله في وجود مصادر نيتروجينية غير عضوية الى بروتينات ، والميثانول يمكن انتاجه بسهولة من الميثان ، وهو غاز متوفر في الطبيعة ، ويمكن انتاجه أيضا من خلال أنشطة الميكروبات . كما يصاحب النفط أثناء انتاجه ، وقد تمكن الباحثون في هذا المصنع من فصل البروتينات ، ومن خلال اذابتها في محاليل معينة وضغطها في ثقوب دقيقة ، واعادة ترسيبها من تشكيلها على هيئة تشبه ألياف اللحم الحيواني ، واشهد أنني تذوقت هذا المنتج البكتري فلم أتبين فرقا واضحا بين طعمه وطعم اللحم الحيواني .

تجدر الاشارة هنا الى ان البروتين البكترى هو أقرب البروتينات شبها من ناحية التركيب بالبروتينات الحيوانية .

كذلك يدرس العلماء منذ عدة عقود من السنين زراعة الطحالب وحيدة الخلية كمصادر للغذاء والأعلاف وتتشابه هذه الطحالب مع النباتات الراقية في احتوائها على البلاستيدات الخضراء ، ولذلك فهي تستطيع أن تركب المادة العضوية من ثاني أكسيد الكربون الجوي ، لهذا السبب تنخفض تكلفة انتاج المادة العضوية في الطحالب اذا ما قورنت بتكلفة انتاجها في البكتيريا أو الفطريات مثلا . وتزرع الطحالب في أحواض مفتوحة معرضة لضوء الشمس ، مع تقليب الخلايا أثناء نموها ، بهدف تعريضها الى أكبر قدر من الاضاءة ، ثم تجنى الخلايا وتجفف وتطحن ، ويصلح المسحوق الناتج كعلف جيد للماشية ، أو كمادة أولية لاستخلاص البروتينات .

انتاج كتل المكيروبات كأعلاف للماشية والدواجن

اتجه العديد من العلماء الى دراسة انتاج الميكروبات النامية على مواد أولية رخيصة كأعلاف للماشية غنية بالبروتينات ، وقد اختص جانب كبير من هذه الدراسات بمشتقات النفط كمواد أولية ، وزرعت على هذه المشتقات أنواع عديدة من الفطريات والخميرة على وجه الخصوص ، وقام الدارسون بتغذية حيوانات التجارب بالكتل الفطرية الناتجة غير أن نتائج هذه الدراسات ما زالت متناقضة ، بحيث يصعب استخلاص تقويم نهائي لها ، وتجدر الاشارة هنا الى أن معظم التكلفة في زراعة الميكروبات في المفاعلات الحيوية تكمن في ضرورة أن يتم ذلك في ظروف معقمة تماما ، خشية أن تنمو مع الميكروب المطلوب ميكروبات أخرى غير مرغوبة ، وموجودة باستمرار كملوثات في الجو ، ومنها ما ينتج موادا سامة ، لذلك فأقل عمليات الزراعة هذه تكلفة هي التي يمكن فيها الاستغناء تماما عن عمليات التعقيم ، ولا يتسنى ذلك بالطبع الا من خلال توفير ظروف بيئية نوعية للغاية لا تسمح الا بنمو النوع المرغوب من الميكروبات ، وتحقيق ذلك ليس بالأمر الهين على الاطلاق .

وأود أن أشير في هذا المجال الى دراسة حديثة اجراها تحت اشرافي في قسم النبات بكلية العلوم جامعة الزقازيق الدكتور جمال الدين أحمد هلال ، وحصل بمقتضاها على درجة الدكتوراة في مستهل العام الحالي ، واستطاع من خلالها أن يعزل عددا من الفطريات الخيطية التي تفضل النمو عند درجات ملوحة مرتفعة ، وكان قد حصل على هذه الفطريات من تربه ملحية ، ثم زرعها على المولاس (ما يتخلف عن صناعة السكر) المزود باليول الغني باليوريا كمصدر للنتروجين ، كلها مخلوطة في مياه البحر التي ركزت بالبخر ، لتصل نسبة الملح فيها الى ١٠٪ ، وبعد أيام تبخرت كتل فطرية غنية بالروتين من خلال عملية لم يجر فيها تعقيم على الاطلاق اعتمادا على أن الميكروبات الموجودة في الجو تقتلها هذه الملوحة المرتفعة ، وقد وصف الباحث طريقة مبسطة للزراعة في أوعية من البلاستيك قليلة العمق قطر كل منها حوالى متر واحد يستطيع الفلاح في الحقل اجراءها بلا خبرة خاصة ، وبلا حاجة للتقنية المتقدمة ، ومن خلال تجاربه على تغذية الدواجن أمكنه الاستعاضة عما يتراوح بين ربع ونصف العليقة المستوردة لتغذية الدجاج بهذه الكتل الفطرية الغنية بالروتينات ذات التكلفة القليلة ، ولست بعد ذلك أحسبني بحاجة الى التعليق على اهمية مثل هذه الدراسات العلمية في حل مشكلة الغذاء ، وأغلب الظن ان القرن الواحد والعشرين سوف يشهد تطبيقات مكثفة لنتائج مثل هذه البحوث العلمية .

□





منذ حضارة بلاد ما بين النهرين، كانت رياضة الصقور، ولا تزال حتى يومنا هذا، رياضة النبلاء.

الصّقر طائر قويّ، أنيق وسريع الحركة، يُروّض ويُعلّم خصّيصًا فنّ الصّيد. هذا الترويض والتعليم يتمّ على يَديّ أخصائيّين لمدّة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يومًا. العناية عينها هي الّتي بها تصنع كل ساعة رولكس.

حتّى اليوم لا تزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة وتُنحت يدويًا، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو الإثنين معًا.

كل ساعة تمرّ إفراديًا بمجموعة تجارب قاسية قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السويسريّة الرسميّة.

جمال رولكس غنيّ عن التعريف وقيمتها تدوم وتدوم لسنوات وسنوات طويلة جدًا.

مجموعة ساعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحاب الذوق الرفيع.

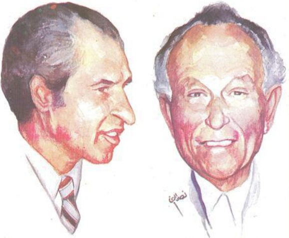
رولكس والصّقر رمز الدقة والأناقة.



ساعة تريدور داي - ديت من الذهب الأبيض والأحمر والأصفر مرصّعة بالماس.

ROLEX　　رولكس

وجهاً لوجه



د. عبد القادر القط و د. علي شلش

- لماذا تجاوزنا الواقعية وعدنا الى الرومانسية ؟
- النقد استعداد طبيعي مثل استعداد الابداع الأدبي .
- محمود سامي البارودي بشير الرومانسية في القصيدة العربية .
- لم يستطع العقاد والمازني وشكرى أن يتخلصوا من انماط الشعر التقليدي .
- كل حاضر من حقه أن تكون له صورته الأدبية والفنية .

الحوار بين اثنين من النقاد المبدعين ، د . علي شلش يحاور الأستاذ الدكتور عبدالقادر القط ، وهو واحد من شيوخ النقد في الأدب العربي. والدكتور القط حائز على جائزة الملك فيصل في الآداب لعام ١٩٨٣ ، وجائزة الدولة التقديرية بمصر ، تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وأشرف على تحرير عدد من المجلات الأدبية مثل (المجلة ، الشعر ، ابداع . . .) ، وهو عضو مجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) ، وعضو مجلس ادارة اتحاد كتاب مصر ، كما أن له عديدا من الكتب النقدية ، بالاضافة الى العديد من ترجماته لعيون الأدب العالمي في القصة والمسرحية .

والدكتور علي شلش من جيل تال لشيخ النقاد ، أعد رسالته للدكتوراه عن المجلات الأدبية وتطورها في مصر ، ودورها في الأدب العربي الحديث « ١٩٣٩ ـ ١٩٥٢ » ، وعمل فترة بالصحافة والنقد الأدبي ، وقام بترجمة عدد من الاثار الأدبية العالمية ، خاصة في الآداب الافريقية ، وهو عضو مجلس ادارة اتحاد كتّاب مصر .

عن الشعر والنقد والاتجاهات الأدبية الحديثة تحدث الدكتور القط الى د . علي شلش . .

عرفت الدكتور عبد القادر القط عام ١٩٥٨ . وكان تعارفنا على يدى المرحوم الناقد أنور المعداوي

وقد كان الدكتور القط ـ وقتها ـ قد تجاوز الأربعين بقليل ، وكنت أنا قد تجاوزت العشرين بقليل أيضا . ومع ذلك أفسح لى الرجل مكانا في نفسه ، وعاملني منذ البداية معاملة الصديق للصديق ، لامعاملة الأستاذ للتلميذ . ومع أن الأدب كان هواية الجميع من المثقفين المتردّدين على المقهى ، فقد جمعتنى والدكتور القط هواية أخرى ، هي لعبة الشطرنج ، التي شجعنا المعداوي على ممارستها كل ليلة ، وسط احتدام المناقشات حول الأدب والنقد .

وماهي الاسنوات قلائل ، حتى انحنى الدهر على المقهى ورواده . فقد سقط المقهى تحت سنابك التنظيمات الجديدة في ميدان الجيزة ، واستأذن في الرحيل أمام زحف البنايات الجديدة ، فانتقلنا الى مقهى آخر حديث . بميدان الدقى ، اختار له المعداوى اسم « انديانا » ونقلنا اليه ، فانتقلنا جميعا بالأراجيل والأدب والشطرنج والصداقة والود . ثم ودع المعداوي نفسه الحياة بعد سنوات ، أو على التحديد عام ١٩٦٥ ، فودعنا نحن المقهى ، وتناثرنا كأوراق الخريف ، وشرق بنا الزمان وغرب ، ولكنا أبقينا على الصداقة والود ، وسقيناهما على مر السنين . ومن حق الدكتور القط على أن أعترف هنا بأنى تعلمت منه الكثير . وربما كان التواضع والموضوعية على رأس الدروس التي أخذتها عنه .

في هذا اللقاء على أىّ حال محاولة من جانبي لوصل ماكنا بدأناه يوما ما ، على موائد مقهى الكمال ، من حوارات متعددة الجوانب والزوايا . ولكني سأركز على ثلاثة محاور لحديث الوجه للوجه هذا ، هي : الشعر ، والنقد ، والمجلات الأدبية . والسبب في هذا التركيز هو أنى أرى في المحاور الثلاثة السابقة ثلاثية يمكن أن تلخص عمل الدكتور القط واهتماماته الأساسية . ولعل من المناسب أن أسجل حوارنا حول هذه المحاور الثلاثة ، كما جرى ، في تدفقه الهادىء وانسيابه التلقائي ، بادئا بسؤال من عندى ، مثنيا بجواب من عنده ، وهكذا .

في البدء كان الشعر

● لاحظت أنك بدأت حياتك الأدبية ، في مجال النشر ، بالقصة القصيرة . فقد نشرت قصتين قصيرتين بمجلة « الثقافة »

عام ١٩٤٣ . وكنت فيهما أقرب الى الشعر ، حتى في التناول والمفردات . ولهذا السبب - كما أوضحت لى ذات مرة - اقتصرت في الأعوام التالية على كتابة الشعر . وأذكر أن أول قصيدة لك تأخر نشرها حتى عام ١٩٤٥ ، وبعدها مضيت مع الشعر ، ولم تعد الى القصة الا ناقدا . ومع أنك حققت في الشعر ماكنت ترمى اليه من كتابة القصة ، وكنت - في رأيي - صوتا متميزا وواعدا من الأصوات التي ازدحمت بها ساحة الشعر خلال النصف الأخير من الأربعينيات . ولكن سفرك الى لندن للدراسة عام ١٩٤٦ ، كان أيذانا بالصمت عن كتابة الشعر ، فلم تعد اليه بعد ذلك الا ناقدا ، ثم جمعت مانشرته عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ وأصدرته عام ١٩٥٨ في ديوان بعنوان متواضع ، هو : « ذكريات شباب » ، كأنك كنت تريد البعد عن الشعر . وأذكر أننى سألتك ذات مرة ، وأنا أعد رسالتى للدكتوراة :

ما سر توقفك بعد تلك البداية الناضجة ؟ فقلت لى بتواضع : لقد شغلتنى الدراسة الجامعية ، ثم شغلنى التدريس بعد عودتى عام ١٩٥٠ . هل لى أن أسالك الآن : ألم تشعر عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ بأن قصائدك لفتت الانتباه ؟

- نعم . حدثنى بذلك البعض وقتها . وكان ما لفت انتباههم الى قصائدى هو مستواها الفنى . وأعتقد أن ماحققته فيها من مفهوم الحداثة ، واستخدام الصور الرومانسية الجديدة ، والسيطرة الكلاسكية على اللغة ، ساهم في تقدير الناس لها .

● ألم يكن على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل - على سبيل المثال - قد حققا في شعرهما شيئا كبيرا من ذلك ؟

- هما متميزان بالطبع من هذه الناحية برغم اختلافهما ، ولكن شعراء آخرين ، مثل ناجي والشابي وايليا أبي ماضى ، كانوا بعيدين الى حد ما عن هذه السيطرة على اللغة ، وهذا التعبير الوجداني بصورة الرومانسية الأصيلة . . .

● ماالذي كان يفرق بين شعرك وشعر محود حسن اسماعيل مثلا في تلك الفترة ؟ أو لأقل : هل كان فخرى أبو السعود صاحب مزاج « رومانسى » بالمعنى الذي تريده وصياغة كلاسكية ؟

- كان فخرى أبو السعود أميل الى البناء الكلاسيكي التقليدى ، هذا صحيح وقد أشرت أنت الى ذلك في تقديمك لديوانه الذي جمعته له أخيرا . ولكن محمود حسن أسماعيل كان مرتبطا بالتراث أيضا ، برغم روحه الرومانسية ، وما كان يشغله من معانى العدالة والحرية الانسانية .

● ومع ذلك كان محمود حسن اسماعيل يفتقر في كثير من الأحيان الى مايمكن أن نسميه عذوبة اللفظ وسلاسة الصورة . .

- ليست العذوبة وحدها ، وانما تركيب اللغة ، والعبارة الشعرية ، والتصور المجازى المركب للأشياء . . .

● وربما أضيف المبالغة أيضا ، اي الاسراف في الخيال الشعرى . وأذكر الآن تعبيرا طريفا للدكتور مندور حيث وصف طاقة محمود حسن اسماعيل الشعرية وقتها بأنها « طاقة وحشية » .

- نعم .

● ينقلنى هذا الحديث الى شوقى ، والبارودي من قبله ، ففيهما « رومانسية » واضحة ، ولاسيما في مسرحيات شوقى . وقد أشرت أنت بنفسك في كتابك « الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر » الى ذلك .

- البارودى واضح التقليد ، ولكن تجربته في الغربة - وهو شيخ - فرضت عليه العودة الى ذاته ، ولذلك أعده بشيرا للحركة الرومانسية في القصيدة العربية . ثم جاء شوقى . ومع أنه تجاوز البارودي

من حيث الصياغة والعبارة ، وأصبح أكثر حداثة وأصالة ، فقد ارتد في قصائده الى ماتجاوزه البارودي نفسه ، فأصبح شاعراً كبيراً مرتبطاً بالأحداث السياسية الكبرى . ومع ذلك ردته المسرحية ، أو الكتابة للمسرح ، الى الذاتية المفقودة ، لأن الموقف المسرحي ألزمه بمثل طبيعة الشخصية ، فحاول الارتداد الى ذاته . وماكان يستطيع ذلك في القصيدة . لأنه كان يستمد فيها الأنماط والصيغ الشعرية من التراث . ولذلك نجد محور نقد العقاد لشوقي غير منصب على الصياغة ولا الصورة الشعرية ، وانما انصب على أن الشعر صورة صادقة لوجدان الشاعر ، فأخذ عليه شعر المناسبات مثلا . ومع ذلك لم يستطع العقاد والمازني وشكري - برغم مآخذهم على شوقي وهي مآخذ فنية - أن يتخلصوا من انماط الشعر التقليدي ، مما يدل على أن دعوتهم الى التجديد كانت دعوة نظرية .

● لقد بحثت أنت ذلك بتفصيل كبير في كتابك الذي أشرت اليه قبل قليل ، وأعتقد أنك كنت على حق في تحليلك لمنجزات جماعة الديوان . ولكن دعوة جماعة الديوان في مجملها بدأت قبل ظهور ثالوثها المعروف .

- نعم .

● بماذا تعلل تخطينا - على أيدي ثالوث هذه الجماعة بالذات - لمنجزات الواقعية في أوروبا ؟ فأنا ألاحظ أنهم أخذوا - باعترافهم - عن كثيرين من شعراء أوروبا . ومع ذلك تجاوزوا الواقعيين ، وعادوا الى الرومانتكيين .

- هذا صحيح . وحتى حين ترجمنا من أوروبا تجاهلنا المرحلة الواقعية ، وعدنا الى الرومانسية ومحورها الذاتي . وأنا أعلل ذلك بأن الاتجاه الرومانسي كان يناسب حاجة المجتمع العربي في ذلك الوقت ، ويتشابه مع بشائر الرواية والأدب القصصي . أضف الى ذلك أن ظهور طائفة من المثقفين العرب تحس بذاتها وعجزها في الوقت ذاته عن الارادة والتنفيذ قد ساهم في سرعة تقبلنا للرومانسية . فالصراع بين الرغبة والعجز عن الوصول الى مايطمح اليه المثقف ، بالاضافة الى الوعي العاطفي بما في المجتمع من تناقضات ومشكلات ، كل ذلك شكل عناصر أساسية في رومانسيتنا ووعينا غير المكتمل بالمجتمع . ولهذا ليس من الغريب أن تترجم قصائد عديدة لبايرون وشيلي وكيتس ولامارتين ، وأن يترجم المنفلوطي بطريقته الخاصة روايات مجدولين والشاعر ، بل أن يعيد المترجمون ترجمة قصائد بعينها أكثر من مرة ، كما حدث مع قصيدة « البحيرة » للامارتين .

● أذكر أيضاً أن قصة قصيرة مثل « في ضوء القمر » للفرنسي جي دي موباسان ترجمت نحو أربع مرات متتالية في الفترة من ١٩٣٥ الى ١٩٤٥ .

- هذا صحيح .

● هل تعتقد أن الواقعية تمكنت من الظهور في أدبنا ، حين بدأ الأدباء العرب يدركون الواقع بالنقد أو بالاستشراف لواقع أفضل ؟

- نعم . والدليل على ذلك أن ادراك مفاسد الواقع بشكل غائم بدأ في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية . وهنا بدأ الواقعيون العرب في الاستفادة مرة أخرى من نظرائهم الاوروبيين . وما أظن نجيب محفوظ ألا متأثراً بديكنز ولاسيما في روايتي : زقاق المدق ، بداية ونهاية .

● هل تعتقد أننا استجبنا للرومانتكية بجميع جوانبها ؟

- أعتقد أنه لابد من ادراك الجانب الايجابي في الرومانسية ، وهو أن الاهتمام الذاتي فيها كان مادة للأديب ، يسقط عليها موقفه من الحياة والمجتمع . وكان الشاعر العربي يجد في تجربة الحب مثلا ، مادة صالحة لتحمل كل الرموز المعبرة عن أشواق الانسان . ولذلك فنحن نظلم الرومانسية دائماً ، حين نتحدث عن جانبها السلبي ، ولكن وجهها الأساسي ، بوصفها مذهباً أدبياً كبيراً يعبر عن مرحلة خاصة ، هو التعبير عن الهموم الاجتماعية من خلال التجربة الذاتية .

● نحن نستخدم هنا مصطلحين مختلفين ، فأنت تقول : الرومانسية ، وأنا أقول : الرومانتكية . وأنت تستخدم المصطلح الشائع حاليا بالطبع ، ولكن هذا المصطلح قد يوقعنا - في رأيي - في سوء فهم معين ، لأن الرومانسية قريبة جدا من مصطلح « الرومانسي Romance » المستخدم في اللغات المتفرعة من اللاتينية بمعنى « رواية الفروسية والغرام والمغامرات » وأخشى أن يوقعنا هذا في مشكلة ، ولذلك اميل الى استخدام مصطلح « الرومانتكية » مع أن صحة النسبة العربية هي « الرومانسية » وهو ماترجم به المصطلح في الثلاثينيات ، ولكن شاع استخدام ترجمة «الرومانسية» ، ولا سيما في دراسات أساتذة أقسام الأدب العربي في الفترة الأخيرة .

- أنا شخصيا أفضل « رومانسية » على « رومانتكية » ، لأن الأخيرة تتضمن نسبتين احداهما للمصطلح الأوروبي والأخرى للبنية العربية .

● أعتقد أنك لو لم تكن ناقداً لكنت شاعرا ، أليس كذلك

- نعم . وحتى حين حاولت أن أجرب بعض الأشكال الفنية الأخرى ، مثل القصة القصيرة ، وجدتها تنتهي الى شبه قصيدة نثرية .

● هل تنطق بهذا الحكم الآن ، أم كنت تعتقد أن ماكتبته من قصص مستوف لشروط القصة النثرية ، أعني هل تقول هذا من موقعك اليوم كناقد ناضج ؟

- هذا صحيح . ولكن المشكلة أنني كنت منذ البداية أملك احساس شاعر . ثم جاءت الدراسة الجامعية فربطتني بالتراث ، وتخصصت في اللغة العربية ، ودرست على أيدي أساتذة كبار : طه حسين ، وأمين الخولي ، ومصطفى عبد الرازق ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الحميد العبادي ، وأحمد أمين وغيرهم . وكانت أعداد الطلاب وقتها في الجامعة قليلة جدا تصل الى ٧ طلاب في الصف الواحد . ولهذا ارتبطنا باساتذتنا ارتباطا شخصيا ، فضلا عن الخدمة المكتبية المتفوقة في ذلك الوقت . ثم عملت بعد تخرجي مباشرة أمينا لمكتبة الجامعة لمدة سبع سنوات ، وشاركت في تأسيس قاعة مطالعة كبيرة . ومما يجدر ذكره هنا أن فترة السنوات السبع هذه شاركت في تكويني الثقافي ، بما يعادل سنوات الدراسة الأربع في قسم اللغة العربية .

● كيف ظهر النقد اذن ؟ من أي قناة ظهر ؟

- الحقيقة أن الانسان حين يديم القراءة يجد نفسه متأملا فيما يقرا ، بحيث يكون فيه رأيا خاصا . وبمداومة النظر والتأمل تتشكل النزعة الى النقد ، ولكنها تظل في تلك المرحلة مرافقة لعملية القراءة . وقد تتحول بعد ذلك الى نشاط أدبي خاص/اذا اتخذت صورة المقال أو الكتاب .

● هل لك رأي معين في عملية الاستعداد للنقد ؟ هل تراه حاسة مثل الحاسة الشعرية أو القصصية ؟

- نعم . النقد عندي استعداد طبيعي يشبه الى حد كبير الاستعداد الفني للابداع . فالأديب يستقي تجربته من الحياة مباشرة ، والناقد يستمد مادته من الصورة الفنية للحياة . ولكنه - أي الناقد - مدفوع الى النقد بسبب الاستعداد الطبيعي ، الذي يدفع الشاعر أو القصاص الى رصد الحياة ونقدها من خلال عمله الابداعي . وغير صحيح مايقوله بعض أدبائنا من أن الناقد أديب فاشل ، لاننا اذا سلمنا بالتصور الذي طرحته فإن الناقد يتساوى مع المبدع في وجود الاستعداد . وهذا الاستعداد تصقله وتنميه الخبرة والممارسة . ولاشك أن دور الموهبة في الابداع أكبر بالضرورة من دور الاستعداد الفطري في النقد .

فالشاعر قد ينبغ وهو مايزال في سن مبكرة جدا ، معتمدا على موهبته أو سيطرته على اللغة . أما الناقد فلابد أن يؤازر فطرته قدر كبير جدا من الاطلاع على النماذج الابداعية من ناحية ، وعلى اعمال كبار النقاد ومذاهب النقد من ناحية أخرى . وقد يضطر الى معرفة كثير من نظريات الفنون الأخرى المتصلة

مثل الرسم والموسيقا .

● هل معنى هذا أن النقد أخذك تماما ، وأقصاك عن الابداع الشعرى مثلا ؟

- نعم .

● ألم تكتب شعرا وأنت تمارس النقد ؟ هل كتبت شيئا ولم تجرؤ على نشره أو جمعه ، مثلما فعلت في ديوانك « ذكريات شباب » ؟

- نعم . عندي بعض القصائد التي لا أرضى عن نشرها . المهم أنني أكتفيت بدوري الجديد كناقد .

● ألهذا السبب وجدت نفسك قريبا من أصحاب المحاولات الأولى في الشعر الحر ؟ لقد كنت من أوائل النقاد الذين وقفوا في صف الشعر الحر واستبسلوا في فهمه والدفاع عنه . هل تغيرت نظرتك الآن بعد التغيرات الكثيرة التي طرأت على القصيدة الحرة في السنين الأخيرة ؟

- نعم . كان الشعر الحر من أسرع ألوان الشعر مقدرة على اكتساب أنماط وصيغ خاصة ، والالتفات الى تجارب معينة ، حتى أصبح انتاج رواده بعد سنوات قلائل متشابها الى حد كبير في طبيعة التجربة والتعبير . وقد أحس رواده بهذه الأزمة ، ولعل أبرزهم صلاح عبد الصبور الذي حاول الخروج من الازمة وطريق القصيدة المسدود ، فاتجه الى كتابة المسرحية . أما اليوم فقد ظهرت طائفة من الشباب تتجه عن قصد الى المبالغة في الرمزية ، والتجريد الى الحد الذى يبلغ مشارف السيريالية . .

● ولكن هذا الاتجاه يلزمه الكثير من الوعى والنضج . أليس كذلك ؟

- بالطبع . فلا ضير فيه اذا كانت تلك هى رؤية الشاعر الفنية ، ولكن المشكلة هى أن ذلك يتطلب وعيا كاملا باسرار اللغة ، وانطلاقا من فلسفة واضحة لدى الشاعر حول معنى الرمزية والتجريد ،

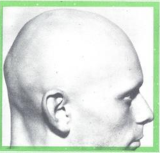
والاحساس بقدرة هذا اللون من الشعر على الوصول الى دائرة معقولة من القراء . ولكن مانقرؤه من نماذج هذا الاتجاه ينبىء في أغلبه عن ضحالة المعرفة اللغوية ، واحتذاء بعض رواد الرمزية المعروفين ، والاعتماد على تراث الشعر الحر ، وهو تراث قصير قليل يتسم بطابع التجربة في النهاية ، ولايمكن أن يتخرج عليه شاعر كبير يتجاهل تراث أمته الشعرى ، أو يقصر في معرفة لغته معرفة كاملة . وأنا لى كلمة مأثورة أقولها كثيرا لأصحاب هذا الاتجاه ، هي : كأنهم يكتبون للأجيال القادمة .

● شىء طبيعي أن يكتب الشاعر أو الأديب بوجه عام ، للأجيال القادمة ، ولكن الشىء غير الطبيعي أن يكتب بلغة قاصرة وأدوات ضعيفة ، وموهبة ضحلة ، ووعى فج . أليس كذلك ؟

- نعم . ولكن كل حاضر من حقه أن تكون له صورته الأدبية والفنية في عصره ، وأن يجد القراء صورة من واقعهم فيما يقرؤ ون من ابداع .

● المشكلة التى ظهرت اليوم هى أن العرب على اتساع رقعتهم وا مكاناتهم ، لم يعودوا يملكون مجلة أدبية قومية مثلما كانت « الرسالة » القاهرية ، أو الآداب « البيروتية » ، وأصبحت المجلات الثقافية - وهي كثيرة اليوم - تتمتع بمكانة المجلة الأدبية القومية من حيث الانتشار ، في حين أن نصيب الأدب فيها محدود جدا .

- ربما كان الكثير من هذه المجلات الثقافية لا يحقق أيضا طابع المجلة الثقافية من حيث التنوع والجودة ، بسبب زحف فنون الاخراج والتصوير على صفحاتها ، ولكن الحلم بمجلة تكون لها شعبية « الرسالة » عسير التحقيق ، لا لضعف الامكانات ، أو قلة الأدباء ، ولكن لطبيعة العصر . فقد توزعت اهتمامات الناس في هذا العصر ، وغلب الاتجاه العلمي ، وشغل الناس بالصحافة والاذاعة والتلفاز . وأصبحت طائفة كبيرة ، مثل الشباب ، تفضل التلفاز على قراءة القصة في مجلة أدبية . ومع ذلك فبرغم الطابع المحدود لقراء المجلة الأدبية المتخصصة ، فإن هؤلاء القراء المحدودين لهم تأثير فكرى واشعاع في المجتمع الذي يعيشون فيه □



الثعلبة الكاملة

مرض الثعلبة

ليس حكراً على الشعر فقد يصيب الظفر والعين أحياناً

بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري *

تبلغ نسبة الاصابة بمرض الثعلبة ٣٪ من اجمالي المترددين على عيادات الأمراض الجلدية في الكويت ، وقد وردت هذه النسبة في دراسة قام بها كاتب هذا المقال ، مع الدكتورة « طيبة المنيس » بمساعدة الدكتور « محمد الشايب » المدرس بقسم الرياضيات بجامعة الكويت .

يعتبر مرض الثعلبة مجهول السبب ، الا ان هناك نظريات كثيرة تتحدث بهذا الصدد ، أهمها نظرية تربط ما بين مرض الثعلبة والعامل النفسي ، حيث تبين أن ٧٢٪ من مرضى الثعلبة قد

* دكتوراة واستشاري الأمراض الجلدية



اظافر مصابة بمرض الثعلبة

تعرضوا الى أزمات نفسية حادة سبقت ظهور أعراض المرض ، هذا ومن الملاحظ بأن المرض يكثر بين الطلاب والطالبات ، خصوصا في فترات الامتحانات ، وذلك لما يصاحب هذه الفترة من ارهاق نفسي وفكري ، وعادة ما تتحسن الحالة باجتياز هذه الفترة النفسية الحرجة .

كما أن هناك نظرية مفادها أنه يوجد نسبة كبيرة من مرضى الثعلبة مصابون كذلك بالتهابات حادة أو مزمنة ، كتسوس الأسنان ، التهابات اللوزتين ، الجيوب الأنفية ، الأذن الوسطى .. الخ ، هذا والغريب أنه قد وجد ان بعض مرضى الثعلبة مصابون كذلك بضعف النظر ، حيث تحسنت حالتهم باستعمال نظارة طبية .

وهناك نظرية تفيد بأن مرض الثعلبة يكثر ما بين المرضى المصابين بأمراض الحساسية ، وخصوصا حساسية الجلد « أكزيما » ، حيث تبين أن ١٨٪ من مرضى الثعلبة مصابون كذلك بأمراض الحساسية .

بينما هناك نظرية مؤداها أن الثعلبة مرض ناتج عن تفاعل مناعي ذاتي ، حيث لسبب أو لآخر تتكون في جسم المريض أجسام مضادة لبويصلات الشعر ، فيحصل نوع من التفاعل بين هذه الأجسام المضادة وبويصلات الشعر ، تؤدى في النهاية الى تساقط الشعر وظهور المرض ، وقد تبين أن ٨٪ من مرضى الثعلبة مصابون كذلك بأمراض الغدد الصماء كالسكر ، البرص ، الغدد الدرقية ، بعض أمراض الدم ، الذئبة الحمراء ، التهابات القولون التقرحي ، الحزاز ، تصلب الجلد المحدود .

ويستفاد من بعض البحوث أن العامل الوراثي ، والاستعداد الشخصي يساعدان على ظهور المرض ، حيث اتضح من دراسة حديثة أن ٢٧٪ من المرضى المصابين بالثعلبة قد أصيب أحد أفراد عائلتهم بهذا المرض .

هذا وهناك نظرية قديمة لا تستند الى أساس علمي ، مفادها أن مرض الثعلبة يكثر بين

الأشخاص ذوي الشعر الأسود أكثر من غيرهم .

كما أن مرض الثعلبة يصيب الرجال والنساء بنسبة متساوية ، ويصيب الأطفال أيضا ، وقد تبين من دراسة احصائية أن نسبة الاصابة بالمرض في ما دون سن العشرين تبلغ ٤٤٪ ، بينما هي ١٩٪ عند المرضى الذين تعدوا سن الأربعين ، أما عن معدل الاصابة عند الأطفال ، فتبين ان ١٪ من الحالات تظهر عند الأطفال في ما دون سن الواحدة من العمر ، بينما نجد أن المرض يكثر بين الأطفال في سن ٤ ـ ٥ سنوات .

من هذا نستنتج أن مرض الثعلبة من الممكن أن يصيب الرجال والنساء ، كبارا كانوا أو صغارا ، ولكن تكثر نسبة الاصابة في ما بين العقد الثاني والثالث .

أعراض المرض

يتميز مرض الثعلبة بتساقط الشعر من منطقة محدودة ، حيث تصبح منطقة الاصابة خالية تماما من الشعر ، ويظهر الجلد ناعما أملس ، وعادة ما تحدث الحالة بصورة مفاجئة وسريعة ، من غير أن يحس بها المريض ، حيث غالبا ما يكون الحلاقون هم الذين ينبهون المرضى بوجود الحالة ، أو قد يستيقظ المريض صباحا ويجد نفسه مصابا بالمرض ، ومن الملاحظ بأن الشعر عند أطراف المنطقة يكون ضعيفا جدا عند ملامسته الجلد ، وهو ما يسمى بعلامة تعجب الشعر .

ومنطقة الاصابة قد تكون واحدة أو في عدة أماكن ، هذا ومن الملاحظ بأن ٦٠٪ من حالات الثعلبة تظهر في منطقة فروة الرأس ، ولكن قد يظهر المرض في أي مكان بالجسم كالذقن ، والشنب ، والحواجب ، والرموش ، والابط ، والصدر ، والعانة ، والرجل ، والساعد ، واليد . وعند تساقط شعر فروة الرأس بكامله يطلق على هذا النوع « الثعلبة الكاملة » بينما تساقط الشعر من كل أجزاء الجسم يسمى بالثعلبة الشاملة ، ولحسن الحظ فان نسبة الاصابة بهذين النوعين قليلة ، حيث لا تتعدى ٥ ـ ١٠٪ من حالات الثعلبة .



مرض الثعلبة

ومرض الثعلبة مثلما يصيب الشعر فانه قد يصيب أعضاء أخرى من الجسم ، كالأظافر مثلا ، حيث كثيرا ما تكون احدى ضحايا المرض ، حيث تبين بأن نسبة اصابة الأظافر عند المرضى المصابين بالثعلبة هي ٣٣٪ ، هذا وقد تبين بأن الأظافر تصاب عندما تكون اصابة الشعر شديدة وسيئة ، وعادة ما تكون اصابة الأظافر على هيئة حفر صغيرة منتشرة على كل أجزاء الظفر ، أو قد تكون الاصابة على هيئة حرف طولي ، أو تلون داكن يظهر على الظفر .

ومن الأعضاء التي قد تصاب عند مرضى الثعلبة هي العين ، حيث تكون الاصابة على هيئة مياه بيضاء في العدسة ، وهو ما يسمى « بالكاتاراكت » واصابة العين عادة ما تظهر عند المرضى المصابين بالثعلبة الشاملة ، ولحسن الحظ فان نسبة الاصابة بهذا النوع من الثعلبة قليلة جدا .

علاج المرض

أما بالنسبة للعلاج ، فقد وجد أحد الباحثين بأنه لو ترك المرض دون علاج فان ثلث الحالات سوف

تتحسن حالتهم بعد خمس أو ست شهور ، بينما الثلث الآخر تتحسن حالتهم بعد مرور خمس سنوات ، أما الثلث الأخير فلا تتحسن حالتهم بتاتا .

هذا وتوجد وسائل عديدة تستعمل في علاج مرض الثعلبة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، استعمال بعض الأدوية المهيجة لمكان الاصابة ، حيث تساعد هذه الأدوية على تنبيه واثارة بويصلات الشعر في منطقة الاصابة ، مما يساعد على نمو الشعر ، حيث ثبت نجاح هذا الأسلوب من العلاج ، وهو كثيرا ما يستعمل في علاج مرض الثعلبة ، خصوصا اذا علمنا أنه لا توجد أعراض جانبية عند استعمال هذا الأسلوب من العلاج . « الكورتيزون » هو أحد الأدوية التي تستعمل في علاج المرض ، فقد يستعمل كدهان موضعي ، أو قد يستعمل بحقن الدواء بواسطة جهاز خاص في مكان الاصابة ، وتستعمل هذه الطريقة اذا كانت منطقة الاصابة محدودة الحجم والعمر ، وقد يستعمل « الكورتيزون » في علاج الحالات الشديدة ، كالثعلبة الكاملة والشاملة ، وذلك باعطاء المريض هذا الدواء بجرعات كبيرة ، ولمدة طويلة قد تصل الى عدة شهور .

وقد تستعمل الأشعة فوق البنفسجية في علاج بعض الحالات ، خصوصا اذا كانت منطقة الاصابة كبيرة وشديدة .

هذا ومن الملاحظ كذلك بأن نسبة نجاح علاج هذا المرض تعتمد على مكان ، وحجم وعدد ، وعمر الاصابة . حيث تكون نسبة النجاح أكبر اذا كانت منطقة الاصابة محدودة الحجم والعدد ، وفرصة نجاح العلاج تكون أكبر اذا كانت منطقة الاصابة بالرأس مثلا ، وكلما طال عمر الاصابة كلما قلت فرصة نجاح العلاج ، ومن الملاحظ كذلك أن فرصة العلاج تكون أكبر اذا كان المريض قد تعدى سن البلوغ ، ومن الجدير بالذكر بأن الحالة قد تعاود المريض من آن الى آخر .

هذا ومن خبرتي في علاج مرض الثعلبة أستطيع أن أقول ان فرصة نجاح العلاج كبيرة حيث قد تصل الى ٨٠ - ٩٠٪ من الحالات ، اذ عادة يبدأ نمو الشعر بعد ثلاثة الى أربعة أسابيع ، حيث ينمو الشعر في البداية ضعيفا وأشقر اللون ، وسرعان ما يبدأ بالتحول الى اللون والشكل الطبيعي خلال خمسة الى ستة أسابيع تقريبا .

ومن الأدوية الحديثة التي تستعمل في علاج مرض الثعلبة ، دواء جديد يستعمل في الأصل لعلاج مرضى إرتفاع ضغط الدم ، ولكن اتضح بالصدفة بأن المرضى الذين يتعاطون هذا الدواء لاحظوا أن نمو شعرهم قد ازداد كثافة ، وحتى المرضى المصابين بالمراحل الأولية للصلع قد لاحظوا بأن الشعر ابتدأ بالنمو ، ومن هذه الملاحظة استعمل هذا الدواء حديثا لعلاج حالات الثعلبة ، وحالات المراحل الأولية لظهور الصلع ، وذلك باستعمال الدواء كسائل أو مرهم يدلك به منطقة الأصابة .

هذا وقد قام أحد الباحثين بعمل دراسة تتعلق بهذا الموضوع ، واتضح أن ٨٠٪ من المرضى المصابين بالثعلبة قد تم علاجهم بنجاح ، ولم يعرف الى الآن سر هذا الدواء ، ولكن يعتقد بأن له دوراً مهبطاً لجهاز المناعة ، والمعروف بأن لجهاز المناعة دور في ظهور المرض ، كذلك يلاحظ بأن هذا الدواء له دور منشط للدورة الدموية في مكان الاصابة ، وذلك مما يساعد على سرعة الشفاء . □

■ غدا أو بعد غد ، يمارس الناس سيئاتك التي كانوا ينهونك عنها ! (برنارد شو) .

■ كن صديقا .. ولا تطمع في أن يكون لك صديق (فكري أباظة) .

■ الذين يقاومون العقل بالترهات ، انما يضربون الهواء النقي الطليق بسيف صديء (ميخائيل نعيمة) .

التندر بالحيوان

بقلم : الدكتور توفيق الفيل

عرف القدماء ان الحياة لا يمكن ان تخلص كلها للجد ، وان للطرفة دورا تقوم به في تنشيط النفس ، ومساعدتها على القيام بدورها الخلاق في شتي مناحي الحياة . وقد روى عن ابي الدرداء رحمه الله قوله : « اني لأستجم قلبي بشيء من اللهو لأقوى به على الحق » .

يجعل الاصمعي الطرفة مكملة لدوره العلمي ، فاذا كان العلم قد اوصله الى مكان الصدارة في مجتمعه ، فان المُلَح قد جلبت اليه العطايا ، وقد روى عنه قولَه : « بالعلم وصلنا وبالمِلَح نلنا » . اما ابن مسعود رحمه الله فقد روى عنه قوله : « القلوب تمل كما تمل الابدان ، فاطلبوا لها طرائف الحكمة » .

ولأهمية النادرة والطرفة وماتجلبانه من الخير لصاحبها جَدَّ الظرفاء في الوقوف عليها . وقد جاء عن احدهم قوله :«اني لأُسمع بالكلمة المليحة ومالي الا قميص واحد ، فأدفعه الى صاحبها ، واستكسى الله عز وجل » وقد كان الشعراء من اكثر الناس تحصيلا للنوادر والطرف وابداعا لها ، وذلك مايكشف عنه قول ابي نواس :-

اني انا الرجل الحكيم بطبعه
ويزيد في علمي حكاية من حكى
أتتبع الظرفاء اكتب عنهم
كيما احدث من احب فيضحكا

ويشير احد الشعراء الى اكتمال ممدوحه ، وصحة نفسه ، وانه يجمع بين الجد والظرف والشدة واللين . فيقول :-

الجدّ شيمته وفيه فكاهة
سمح ولاجدٌّ لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة
لاخير في الصهباء مالم تقطب

ولمعرفة أسلافنا لقيمة الطرف والنوادر ، وظفوا كثيرا من الاشياء في بنائها ، وكان للحيوان نصيب غير قليل من السخرية والاضحاك . ويمكننا ان نرصد ذلك من جهتين :

الاولى : حين تنفق دابة لمن تربطهم به صلة ، فيسارعون الى اتخاذها موضوعا للمداعبة ، واثارة الضحك ، سواء كان ذلك بطريق مباشر ، أو عن طريق ما اطلق عليه البلاغيون « الجد الذي يراد به الهزل » .

ويمثل الظاهرة الاولى تلك المداعبة التي حدثت بين ابي الحسين الجزار واحد اصدقائه فقد نفق حمار لابي الحسين الجزار ، فكتب له صديقه معزيا ومداعبا :

مات حمار الاديب .. قلت لهم
مضى وقد فات ما فاتا
من مات في عزه فاستراح ومن
خلف مثل الاديب ماماتا

ولم يكن الشاعر ليترك صاحبه ، وقد سخر منه ، وجعل الفقيد كأنه والده ، وبأن الاديب قد بقي عوضا عن الفقيد . فأجابه قائلا :

كم من جهول رآني
امشي لأطلب رزقا
فقال لي صرت تمشي
وكل ماشٍ ملقى
فقلت مات حماري
تعيش انت وتبقى

ويمثل الظاهرة الثانية ، وهي التي قلنا أن البلاغيين يعبرون عنها « بالجد الذي يراد به الهزل » ما حدث في حضرة الصاحب بن عباد حين نفق « برذون » ابي

عيسى أحد جلسائه ، فاوعز الى عدد من الشعراء برثاء هذا « البرذون » وأسفر ذلك عن وجود عدد من القصائد التي تستحق وقفة خاصة . ومن بين ما جاء في هذه القصائد ما كتبه القاضي الجرجاني ، حيث يقول :

جل والله ما دهاك وعزا
فعزاء أن الكريم معزى
والحصيف الكريم من إن اصابت
نكبة بعد ما يعز يعزى
هي ماقد علمت احداث دهر
لم تدع عدة تصان وكنزا
قصدت دولة الخلافة جهرا
فأبادت عمادها والمعزا

ويمضي القاضي الجرجاني في بيان عظم النكبة التي اصابت ابا عيسى ، وما يجب عليه من الصبر والتأسي . لكن جهة الملاحة في هذه المرثية تظهر حين يعرف المصاب وانه لا يعدو ان يكون دابة طال عليها الزمن ونفقت ، والمصاب فيها ليس جليلا كما يقول شاعر آخر . هو ابو القاسم بن العلاء :

عزاء وان كان المصاب جليلا
وصبرا وان لم يغن عنك فتيلا
وخفض ابو عيسى عليك . ولا تفض
دموعا، وان كان البكاء جميلا

ولعله مما يكشف عن الغرض في قصيدة ابي القاسم قوله :

بكته جلال الخز، وانتحبت له
مخالي حرير رُحن منه عطولا
اقام عليه آل أعوج مأتما
وأعلى له آل الوجيه عويلا
ففي كل اصطبل أنين وزفرة
تردد فيه بكرة وأصيلا
ولو وفت الجرد العتاق حقوقه
لما رجعت حتى الممات صهيلا
ولو انصفته الخيل ماذقن بعده
شعيرا ولا تبنا ومتن غليلا

ولا يتسع المقام للكشف عن الجوانب المختلفة لما اطلق عليه « البرذونيات » ولهذا أفردناها بدراسة مستقلة ، وحسبنا ما أشرنا اليه هنا .

والجهة الثانية التي اتخذ منها الشعراء الحيوان هدفا لملحهم وطرائفهم كانت سخرية من عجاف « الضأن » وهزاله . وفي هذا الجانب بالغ الشعراء حتى جعلوا الغنم تارة لا تشتمل على غير الاهاب ، واخرى جعلوها تشتمل على العظام ، وأرجعوا سبب ضعفها وهزالها الى حرمانها من الطعام الذي أصبح اغلى أمانيها .

وحتى تكتمل الملاحة والظرف لهذا الشعر ، ويصل الى الغاية التي ارادها اولئك الشعراء ، ضمنوه شعرا لغيرهم من الشعراء ، وجعلوا هذه الأغنام تتغنى به ، يقول أحدهم واصفا لخروف هزيل :

ليت شعري عن الخروف الهزيل
ألك الذنب فيه أم للوكيل
لم أجد فيه غير جلد وعظم
وَذُنَيب له دقيق طويل
ماأراني أراه يصلح اذا أصـ
ـبح رسما على طلول الطلول
لا لشيء ، ولا لطبخ ولا بيع
ولا بر صاحب وخليل
أعجف لو مطفل نال منه
لغدا تائبا عن التطفيل

أما شرف الدين بن عين ، فيعلل لما كان عليه الخروف من الهزال والضعف ، ويرجع ذلك الى حب اصابه ، وهجره الحبيب ومطله ، فأصبح اثرا بعد عين ، ويسأله عن السبب ولو وقف في شمس الظهيرة ما ظهر منه غير خيال .. والشاعر يحاور هذا الخيال الساري ، ويسأله عن السبب الذي جعله يصل الى تلك الحالة . فيجيبه بأن سبب ذلك يعود الى عدم وجود طعام له حتى لقد اصبح هذا الطعام غاية ما يتمنى . يقول الشاعر :

أتاني خروف ما تشككت انه
حليف جوى قد شفه الهجر والمطل
اذا قام في شمس الظهيرة خلته
خيالا سرى في ظلمة ماله ظل
فناشدته: ماتشتهي؟ قال: فتة
وقاسمته: ماشفه؟ قال لي: الاكل
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى
منعمة ما خص اطرافها فتل
وظل يراعيها بعين ضعيفة
وينشدها والدمع في الخد منهل

«انت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل»

وقد كان « للحمدوني » اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه تضمينات حسنة قالها في شاة سعيد بن احمد . ومن بينها قوله :

أسعيد قد اعطيتني أضحية
مكثت زماناً عندكم ماتطعم
نضوا تعاقرت الكلاب بها وقد
شدوا عليها كي تموت فيولموا
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم
لا تهزءوا بي وارحموني ترحموا
مرت على علف فقامت لم ترم
عنه . وغنت والمدامع تسجم
«وقف الهوى بي حيث أنت فليـ
ـس متاخر عنه ولا متقدم»

ويقول عن هذه الشاة في مقطوعة اخرى :

أبا سعيد لنا في شاتك العبر
جاءت وما ان لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت
طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو انها ابصرت في نومها علفا
غنت له ودموع العين تنهمر
ياماني لذة الدنيا بأجمعها
اني ليفتنني من وجهك النظر

ولا يقف الاضحاك من شاة سعيد عند « الحمدوني » على هذا الشعر ، فهو يتناولها في شعر آخر ، يتحدث فيه عن ضعفها وهزالها ، وذلك بسبب حرمانها من « العلف » الذي تتغنى به وتتمناه ، وهو يختم كل مقطوعة من شعره في تلك الشاة ، بتضمين من شعر أحد الشعراء ، وكأن هذا التضمين هو اللمسة الأخيرة التي يضعها الشاعر على هذه الطرفة أو تلك .

وللحمدوني تضمينات اخرى ، لكنها ليست في الشاة ، بل في طيلسان ابن حرب . ولقد كان احمد بن حرب المهلبي « من المنعمين على الشاعر والمحسنين اليه ، وله فيه مدائح كثيرة » وقد وهب له طيلسانا لم يرقه ، فاتخذ منه موضوعا للاضحاك والسخرية وتدور معانيه في هذا الطيلسان على قدمه ، وبعد الزمان به ، وكثرة تردده على الرفاء لاصلاح ما فسد منه .

وينقل صاحب زهر الاداب عن ابي العباس المبرد ، أن الحمدوني انشدهم في هذا الطيلسان عشر مقطوعات ، وأنهم استحلوا مذهبه فيها ، فجعلها فوق الخمسين ؟ فطارت كل مطار وسارت كل مسار ، فمنها :

يابن حرب كسوتني طيلسانا
مل من صحبة الزمان وصدا
فحسبنا نسج العناكب قدحا
ل الى ضعف طيلسانك سدا
طال ترداده الى الرفو حتى
لو بعثناه وحده لتهدى

ويكثر الحمدوني في حديثه عن الطيلسان من التضمين ، وخصوصا من القرآن الكريم وذلك على نحو ما نجد في قوله :

طيلسان لابن حرب جاءني
قد قضى التمزيق منه وطره
انا من خوف عليه أبدا
سامري ليس يألو حذره
يابن حرب خذه.. او قابعث بما
نشتري عجلا بصفر عشره
فلعل الله يحييه لنا
ان ضربناه ببعض البقره
فهو قد ادرك نوحا فعسى
عنده من علم نوح خبره
ابدا يقرأ من أبصره
آئذا كنا عظاما نخره

ويطول بنا المقام اذا نحن تتبعنا ما قال الحمدوني في هذا الطيلسان ، أو في شاه سعيد ، ولعلنا في نهاية هذا الحديث نشير الى ما يتميز به هذا النوع من الشعر ، وأول ما نجد فيه من القيم الفنية اختيار الكلام السهل الذي يقترب من لغة الحديث اليومي ، فالشعراء الذين أسهموا في هذا النوع يبتعدون عن جزالة اللفظ وهندسة العبارة ، فغرضهم الاضحاك ، والالفاظ السهلة تؤدي هذا الغرض ، بل انها الصق به واليق .

كما يتميز هذا الشعر بالمبالغة التي نجدها قاسما مشتركا عند شعراء الاضحاك انهم كرسامي الكاريكاتير في زماننا هذا في ابرازهم لامر من الامور ، والمبالغة فيه حتى يصبح لافتا للنظر . □

قاموس العربي

ح

حرب

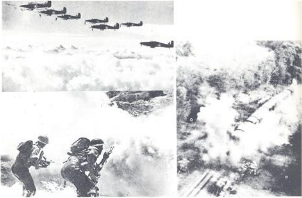
ظاهرة انسانية لازمت الانسان منذ بدء الخليقة ، ويمكن تعريفها ببساطة بأنها استخدام الضعف والقوة والارغام ، لحماية مصالح ، أو تحقيق أطماع ، أو توسيع نفوذ ، أو لحسم خلاف ، ويضع كلاوزفتر المؤلف العسكري الألماني المشهور في كتابه « الحرب » تعريفا محددا للحرب بأنها أداة من أدوات السياسة ، وهي امتداد لها ، مستخدمة وسائل أخرى ، بقصد اجبار الخصوم على الخضوع للارادة .

وتعد الحرب واحدة من أكثر الظواهر الانسانية تعقدا أو تشعبا ، وأكثر الظواهر الانسانية التي كتب عنها ، وطرحت حولها النظريات والأراء ، وهي ظاهرة تخضع لأكثر من زاوية رؤية عند محاولة فهمها .. ففيها وجهات النظر العسكرية الفنية البحتة ، وفيها وجهات النظر والنظريات الاقتصادية والسياسية والقانونية والنفسية والاجتماعية والقانونية .

ولا يختلف تحليل ظاهرة الحرب باختلاف زاوية الرؤية فقط ، بل باختلاف الزمان والمكان ، وبمرور الزمن وتطور الفهم الانساني لحركة المجتمعات وتطورها وصراعاتها ، وفي اطار هذا التصنيف فان الحروب التي تنشأ ـ مثلا ـ لأسباب اقتصادية ، فان حساباتها تتقيد بحسابات الخسائر والأرباح ، وتظل مجرد حرب تقليدية مالم يتسع مداها الجغرافي ، ويمتد شمولها (عدد المقاتلين) وتحسم الحروب الاقتصادية المنشأ بتحقيق هدفها ، أو ادراك طرفيها باستحالة الحسم ، بينما تمتد الحروب التي تخاض على أساس ديني أو عقائدي حتى الاستسلام غير المشروط ، أو نهاية الطرف الأخر ، ومثل هذه الحروب ـ المقدسة ـ يصعب حاليا قيامها على نطاق واسع ، يمتد ليشمل العالم كله ، كما حدث في الحربين العظميين الأولى والثانية .

وتعتبر قاعدة التجنيد الاجباري الذي وضعته الثورة الفرنسية بمثابة مفصل تحول في تاريخ الحرب كظاهرة انسانية ، فقد تحولت من مجرد جيوش صغيرة ـ وفرسان هنا أو هناك محترفي قتال ، أو جيوش نظامية محدودة ، الى ظاهرة تمس المجتمع كله اقتصادا أو حركة انتاج وتركيب سكان وآثارا اجتماعية بخلاف الآثار السياسية والاقتصادية التي تنعكس على الدولة .

وفي سياق تطور تاريخ الحرب فان الثورة الصناعية الكبرى ، وتغير شكل الانتاج في المجتمع الدولي ، والبحث عن تقسيم جديد للعمل ، وترويج للسلع ، وفرص أكبر لاستثمار التراكم النقدي الذي حدث للثروات .. كل هذه العوامل وغيرها جعلت من الحرب أداة ضرورية ـ من وجهة نظر هذه المجتمعات



آنذاك ـ لتحقيق الغزو الاستعماري بحثا عن مواد خام وأسواق لتصريف المنتجات وأيد عاملة رخيصة .

وتختلف المدارس الفكرية في اجتهاداتها لتفسير ظاهرة الحرب ، فالمدارس النفسية تعزوها الى دوافع وغرائز بيولوجية كالخوف والطمع و . . . و . . . بينما ترى المدارس الاجتماعية أن المؤسسات الاجتماعية هي المسؤولة عن نشوء الحرب ، ومن هنا فإن كثيراً من الليبراليين يعتقدون أن التوسع في الحريات المدنية كفيل بايجاد حكومات ترفض الحرب ، وأن التعاون الدولي والتجارة الحرة واسقاط القيود الاقتصادية والسياسية كفيلة بان تجعل المجتمع الدولي يعيش في رفاهية ورخاء ، بينما ترى بعض المدارس السياسية أن فكرة القومية هي سبب الحرب ، فالتعصب والنزعة القومية هما سبب اندفاع الشعوب الى الموت ، وظهرت على مدى التاريخ تيارات وجماعات ضد الحرب ، وأدواتها ، بل وذهب عديد من الحركات الى الغاء الحرب كوسيلة سياسية ، وفي نفس الوقت الذي يطالب فيه « مالتوس » صاحب نظرية السكان المشهورة بتقنين الحرب كوسيلة وحيدة لمنع الانفجار السكاني .

وعلى أية حال فان الحرب ـ كما قلنا ـ ظاهرة انسانية لا تدانيها ظاهرة أخرى في تشعبها وفي ما كتب عنها ، الا أنها تظل وبصدق أسوأ الظواهر الانسانية ، فهي لا تخلف الا الدمار للانسان وللحضارة ، ولكل القيم الانسانية الرفيعة ، ولكل ما أثمر الانسان في مشواره الطويل من خلق وابداع وابتكار . □

بالاجماع

تولى بول هنرى سباك السياسى البلجيكى رئاسة أول جمعية عامة للامم المتحدة ، وعندما انتهت الدورة ، وقف يقول لزملائه ان جدول الاعمال قد أنهك والسكرتير العام ايضا منهك ، وأنا بدورى منهك وهكذا ترون أيها السادة أننا قد وصلنا الى الاجماع فى النهاية !

باخ

من النسيان إلى التكريم

بقلم : الدكتورة سمحه الخولي

في عام ١٦٨٥ ولد ثلاثة موسيقيين عظام هم : باخ وهاندل وسكارلاتي،وكان العام الماضي ١٩٨٥ عام الاحتفال الدولي بالموسيقيين الثلاثة ، ولكن من بين الثلاثة استأثر باخ بالجزء الاعظم من الاحتفال والاحتفاء . وتلك صورة لتكريم الموسيقي الذي كادت اعماله ان تنسى بعد وفاته .

كان عام ١٦٨٥ عاما مثمرا حقا في تاريخ الموسيقا ، فهو الذي شهد مولد اثنين من عباقرة الموسيقا في ألمانيا هما : يوهان سباستيان باخ (الأب) (١٦٨٥ - ١٧٥٠) ، وجورج فردريك هاندل (١٦٨٢ - ١٧٥٩) ، وفي ايطاليا ولد في نفس العام أحد كبار موسيقييها هو دومينيكو سكارلاتي .

وهكذا أعلن عام ١٩٨٥ عاما للاحتفال الدولي بالمؤلفين الثلاثة . الا أن باخ الكبير هو الذي استأثر بأهم وأكبر مظاهر الاحتفالات الدولية ، حتى أن اسمه وموسيقاه قد طغيا تماما على معاصريه هاندل وسكارلاتي . . . وهكذا نال الرجل الذي عاش مكدودا مرهقا ، يعاني من شظف العيش وضعف البصر والموارد ، نال الرجل بعض حقه الطبيعي من التكريم الذي بدأ العالم الموسيقي يحيطه به بعد قرن كامل من وفاته .

رسالة انسانية موجعة

وقد نشطت قبل بداية هذا العام ، أعمال التنقيب الموسيقي عن مؤلفات باخ ، وفعلا عثر أحد كبار الموسيقيين الالمان ، هولموت ريللنج . الذي كرس حياته وخبرته الفذة في قيادة الكورال والاركسترا وخصوصا في مؤلفات باخ . فعلا عثر هذا الفنان العالم على نوتات لبعض غنائيات أي « كانتاتات » باخ ، التي لم تُنشر من قبل ، واستكمل بادائها مجموعة التسجيلات الشاملة لكل مؤلفات باخ الكورالية والتي توفر على اخراجها عبر عدة سنوات استعدادا لهذه المناسبة التاريخية ، وهي تسجيلات « ديها كورال » جيشْنْجرْ » الشهير الذي انشأه ويقوده ريللنج بدقته العلمية وموسيقيته العالية . ولقد كان العثور على هذه النوتات نبأ دوليا حملته وكالات الانباء



يوهان سباستيان باخ

في العالم وأشارت فيه الى انه قد أنجز تسجيل جميع أعمال باخ الكورالية على اسطوانات موثقة بتقديم وشرح علمى .

وقد لمع اسم ريللنج هذا في الاعوام الماضية ، لارتباطه ارتباطا وثيقا باسم وبموسيقا باخ ، فهو ينظم منذ بضعة سنوات مهرجانا سنويا في شتوتجارت يحمل اسم باخ ، وهو الذي يدرب فرق الكورال العديدة التي تشارك فيه ، كما يقود الاركسترا والكورال فيه ، ولكن مهرجان باخ في شتوتجارت هذا العام كان مهرجانا دوليا بحق ، اذا احتشدت فيه عدة كورالات ألمانية مع اركسترا ضخم رفيع المستوى دولى التكوين ضم عازفين شبانا من عدة دول ، من بينها مصر ، وأعد لهذا المهرجان برنامج موسيقي شديد الكثافة والتركيز ، فكانت الحفلات الموسيقية تزيد على ثلاثة في اليوم الواحد ، في أماكن متعددة من المدينة ، ولم تقتصر الاعمال الموسيقية على مؤلفات باخ وحده ، بل اتسعت الى ما اعتبره المنظمون امتدادا لروح باخ واسلوبه في معالجة التأليف الكورالى والارتفاع به الى قمم شامخة من التعبير الملهم عن معانى انسانية ودينية عميقة . ومن هذا المنطلق تُوج مهرجان شتوتجارت في

أغسطس ١٩٨٥ بأداء رائع لقداس الحرب من موسيقا بنجامين بريتن (١٩١٣ - ١٩٧٧) والذي حمله رسالة انسانية موجعة ، وصرخة ضد الحرب والدمار ! وقد شارك في الغناء الفردي في هذا العمل المؤثر ثلاثة مغنين من كندا وبريطانيا ، كانوا جميعا على أعلى مستوى من الكفاءة الصوتية والتعبيرية . وبهذه المعاني والانغام الحزينة تحول مهرجان باخ الدولى الى دعوة للسلام والاخاء وتعاون عالمي وثيق حول موسيقا باخ .

قدر من النشاز

وعلى الصعيد الاعلامى نظم التليفزيون الالماني الغربي ، من برلين ، صورة طريفة للاحتفال بباخ في أطول برنامج ، استغرق عرضه ست ساعات متواصلة ، وأطرف مافيه انه يقدم باخ بملابس عصره ، وقد عاد للحياة في القرن العشرين ليشهد بنفسه اين وكيف تقدم موسيقاه ... فيظهر الممثل القائم بدور باخ بملابس العصور بالباروكة البيضاء وهو مشدوه من مظاهر التقدم التي يراها ، حين يأخذونه في السيارات والطائرات وعلى السلالم المتحركة وفي المصاعد ، لكي يستمع الى عشرات النماذج من أعماله ، وتزداد دهشته كلما اتسع نطاق ترديد العالم لموسيقاه ! فمن ألمانيا قدموا عدة فرق للكورال ، وفتاة في الثانية عشرة حازت على جائزة في مسابقة باخ الدولية ، وهي تعزف احدى مقطوعات المتتالية الفرنسية ، ولكن أغرب فقرة هى التي اخذتنا فيها الكاميرا الى الهند وتحت شمسها الساطعة ، لكي نستمع الى مجموعة من الآلات الهندية تقدم بها عزفا لاحدى مقطوعات موسيقا باخ !! وهى مجموعة تخلل عزفها قدر ملفت من « النشاز » !

واختتم هذا البرنامج الضخم بمسابقة حول اسماء وأعمال مرتبطة بباخ وبمعاصريه ، وكانت جائزتها الاولى رحلة حول العالم بالطائرة !

ومن ألمانيا خرج أيضا اوركسترا وكورال ، يقوده هلموت ريللنغ نفسه ، الى مدن سويسرا وايطاليا ليقدم اداءه النموذجى للقداس الكبير من مقام « سى » الصغير في عشر حفلات ناجحة تماما .

أما المانيا الديمقراطية فقد انتجت فيلما وثائقيا عن حياة باخ ، أبرزت فيه الجانب الانساني من حياة هذا الرجل الصبور المكافح ، الذي كد وجهد حتى نال التعب من نور عينيه ، وكانت حياته حافلة بمشاكل في العمل والمال ... وقد نجح هذا الفيلم ، في تقريب باخ الانسان لمحبى الموسيقا بل ولمشاهدى التليفزيون عامة في عصرنا ، بما لم يحدث من قبل .

وهناك مناسبتان دوريتان تقيمها ألمانيا الشرقية بالتناوب كل عام وهما : مهرجان باخ الموسيقي الدولي ، ومسابقة باخ الموسيقية الدولية .

عيد سعيد يا باخ

وفي بقعة بعيدة تماما عن موطن باخ ، في الطرف الجنوبي للولايات المتحدة وبالذات في ولاية فلوريدا ، كان هناك في شهر اكتوبر ١٩٨٥ احتفال شيق بذكرى مولد باخ يستحق الذكر هنا لطرافته ... فقد قام مدرسو الموسيقا في مدارس تاميا وسانت بطرسبورج بفلوريدا بتكليف تلاميذ المدارس الابتدائية والاعدادية في هذه المنطقة ، بكتابة موضوعات حول ذكرى باخ وحياته وفنه .

وتم انتخاب أفضل هذه الموضوعات ، وفي احدى حفلات الاوركسترا في المدينة اعد قائد أوركسترا الهواة في المدينة ، واسمه لارى كاليسون برنامجا موسيقيا خاصا للاطفال ضم بعض مؤلفات باخ المحبوبة مثل متتالية الرشيقة لآلة الفلوت والوتريات ، ودعى الاطفال الذين اختيرت موضوعاتهم لقراءتها على الحاضرين من زملائهم وأسرهم ، وقام الاطفال أنفسهم بتزيين قاعة المسرح لهذا الاحتفال ، ولعل أجمل ماكتبوه تعبيرا عن براءة الطفولة وعن نجاح فكرة اشراكهم في الاحتفال ، انهم اعدوا لوحة ضخمة كتبوا عليها بالالوان « عيد ميلاد سعيد يا باخ !! »

وبهذه الطريقة المبتكرة نجح الاوركسترا والمدرسون في تقريب الأواصربين الاطفال وبين باخ وموسيقاه ، ونجحوا ايضا في تبديد هالة الرهبة التي كثيرا ما تحيط بموسيقا باخ في اذهان المبتدئين في تعلم عزف الموسيقا .

ولم تخل حفلات أقسام الموسيقا في جامعات امريكا المتعـددة من عمـل مـوسيقي لبـاخ في حفـلات « الاساتذة » ، أو حفلات الكورال والاركسترا ، وهما من الثوابت في كل الجامعات هناك .

باخ في مصر

ورغم أن بـاخ ليس معروفـا في مصـر الا في الاوساط الموسيقية ، الا أن العام لم يمر في القاهرة دون حفـاوة بالفنـان المفكر الـذي تزيـده السنوات رسوخا وانتشارا ، فقد نـظم معهد جوتة معـرضا للصور الموضحة لحياة باخ ومعاصريه في المانيا وغيرها من المراكز الموسيقية ، واستمر هذا المعرض في قاعة مكتبة معهد الكونسرفتوار لمدة تزيد عن شهر ، وقدم أعضاء هيئة التدريس بالمعهد حفلا موسيقيا قيما من مؤلفات للفيولينة والبيانو والغناء والفلوت ، وشارك فيه بعض الخبراء الاجانب بالعزف ، من ألمانيا ومن بولندا بجانب الفنانين المصريين من الخريجين وأعضاء هيئة التدريس .

*****

وليس هذا مجالا لحصر كل مظاهر الاحتفـالات بهذا الفنان العـظيم ، ولكنه محاولة لـرسم صورة لواقع الاحتفالات به ولمدى اتساعها الدولي ، رغم أن هذا الفنان كـاد ينسى تحت ركام الاهمـال عقب وفاته ، وكادت موسيقاه الفنية المتنوعة ، والتي تمثل أعلى مستوى للفكـر والابتكـار المـوسيقي لعصـره والعصور السـابقة ، كادت هذه الموسيقـا أن تندثـر وتتوارى ، الى أن قيض الله له فنانا ألمانيا شابا ، بعد ما يقرب من ثلاثة أجيال من وفاة بـاخ لكي يدرك حقيقة عظمة موسيقاه ، ويبذل جهدا كبيرا في القاء الاضواء عليها ، وكـان هـذا الفنـان هـو فيلكس مندلسون الذي يرجع اليه فضل اكتشاف أحد أعمال بـاخ الكبرى ، كـما ينسب اليه فضـل استعـادة بـاخ لمكانته الفنية الحقيقية الجديرة بهذه العقلية الموسيقية الفريدة .

ولكن من هو يوهان سباستيـان باخ الـذي شغل العالم طوال العام وجعل العالم يتبارى في تكريمه ؟



يوهان كرستيان باخ
أشهر أبناء باخ (١٧٣٥ - ١٧٨٢)

الانسان والفنان

ولد باخ في مدينة آيزيناخ في ٢١ مـارس ١٦٨٥ لاسرة ظلت تنجب موسيقيين محترفين على مدى قرنين أو أكثر ، وعندما توفي والداه وهو في سن العـاشرة كفله أخوه الكبير يوهان كريستوف ، وكان هو الآخر موسيقيا في الكنيسة ، وتولى أخوه تعليمه المـوسيقا تعليما موسيقيـا راسخا ، وفي مطلع القرن أصبـح

الصبي الصغير عضوا في كورال كنيسة القديس مايكل في لونبرج ، وبعد اربع سنوات عمل عازفا للأرغن في كنيسة آرنشتات ، وكان يجيد عزف الارغن إجادة فائقة ، ولم يكن من بين معاصريه في المانيا من يباريه في مقدرته على عزف الارغن والارتجال عليه .

وباخ لم يحقق هذا التفوق بيسر بل انه تكبد في سبيله مشاق تستحق أن تروى ، فقد كان في عصره اثنان من شيوخ موسيقا الارغن هما راينكن وبوكستهوده وقد سعى باخ الى شمال المانيا في رحلة شاقة سيرا علي الاقدام لمجرد ان يستمع الى راينكن ويستفيد من خبرته ، وفي مناسبة أخرى ترك وظيفته طوال اربعة شهور وتوجه الى مدينة لوبيك على بحر البلطيق ، لكى يتتلمذ على يدى بوكستهوده ويستفيد من خبرته الفائقة فى العزف والارتجال على الارغن .

وفي عام ١٧٠٤ عندما شغل باخ وظيفة عازف للارغن في مدينة ارنشتات وجدها مقيدة لخياله الابداعى ، كما أن أجره فيها لم يكن يكفيه للحياة المتواضعه التى كان قانعاً بها ، وعندما انتقل في عام ١٧٠٧ الى وظيفة أخرى في موهاوزن استغرقيها بعض الوقت وتزوج من ابنة عمه ماريا باربارا ـ وكان عمله التالي في مدينة فايمار حيث عمل عازفا للأرغن في الكنيسة ومديرا لموسيقا الحجرة لدي أميرها .

ولقد كانت فترة عمله في فايمار مزدهرة بانتاج رفيع المستوى ، ليس في الموسيقا الدينية الكورالية وحدها بل وفي مؤلفات الارغن الكبيرة ، التي اكسبته مكانة خالدة في تاريخ الموسيقى وعلى رأسها « التوكاتة والفوجة من مقام ري الصغير » والتي نشرها والت ديزنى علي أوسع نطاق في فيلمه المبتكر (فانتازيا) وفي فترة عمله لدي أمير فايمار لم يلق مالقيه في أرنشتات من التزمت الدينى ، ولذلك انطلقت طاقاته الخلاقة بلا قيود ، وأصبح فريدا بين معاصريه من مؤلفى وعازفى الأرغن في انحاء اوروبا كلها .

وبعد عشر سنوات مجيدة في فايمار ، انتقل باخ لوظيفة مدير الموسيقا في بلاط أمير كوتن ، وقضى فيها من ١٧١٧ حتى ١٧٢٣ وكان هذا العمل من أعلى الوظائف التي تقلدها باخ في المركز الاجتماعي ، ورغم أن ما توفر تحت يديه من الموارد الموسيقية كان



محدودا ، الا انه أبدع في هذه الفترة اقوى واروع ما كتب من الموسيقا للآلات ، بعيدا عن المجال الدينى فكتبت متتالياته الجميلة للاركسترا وكتب عددا ضخما من الكونشرتات من النوع السائد في عصر الباروك ، والمسمى « كونشرتو جروسو » لان العزف المنفرد فيه لمجموعة صغيرة من الآلات وليس لعازف واحد . في هذه الفترة الخصبة كتب باخ كذلك مجموعة **كونشرتات براند نبورج الستة** ، والتي اهداها الى دون براند نبورج (الذي لم يعرف قيمتها الحقيقية) ، وكتب مجموعة **الصوناتات والسويتات المنفردة لآلات الفيولينة** والتشللو بدون مصاحبة ، كما كتب عددا كبيرا من الكونشرتات لآلة أو آلتين مع اركسترا صغير ، طبقا للعرف السائد في عصره . وبعض كونشرتات باخ كان في حقيقته اعادة صياغة لاعمال لفيفالدى ، أعاد هو كتابتها مضيفا اليها رونقا هارمونيا لم يتوفر لمؤلفها الاصلى .

ابداع عظيم و ١٣ ابناً

ولا نستطيع أن نمر بابداع باخ في فترة كوتن دون اشارة الى متتالياته الانجليزية والفرنسية « التي حقق

فيها باخ قمة نهائية لاسلوب عصر الباروك في مؤلفات الآلات ، لايباريها الا المجلد الاول من « المقدمات والفوجات » للكلافير المعدل (وهو آلة سابقة للبيانو في سلسلة التطور التاريخي لهذه الآلة) ، وهذا المجلد يعتبر تتويجا حقيقيا لاسلوب « تشابك الالحان » المسمى بالبولفونية ، والذي بلغ فيه باخ منتهاه في الحبكة وجمال الابتكار واتساع الخيال ، حتى اصبحت هذه المؤلفات من الكلاسيكيات الخالدة التي تزيدها السنوات رسوخا .

وفي هذه الفترة ، وعندما توفيت زوجته الاولى ، تزوج باخ في عام ١٧٢١ ثانية من آناماجدالينا ، وأنجب منها ثلاثة عشر من الابناء ، وهي التي ألف لها باخ خصيصا كتاب المقطوعات السهلة للمبتدئين باسمها . . .

وأخيرا استقربه المقام في وظيفة مهمة بمدينة ليزيج ، التي ارتبطت به بعد ذلك عبر تاريخها ، حيث تقلد فيها منصب « كانتور » لكنيسة القديس توماس ، فكان مسئولا عن الموسيقا في كنائس المدينة ، وعن القيادة الموسيقية وتعليم الصبية اللغة اللاتينية والموسيقا ، وظل باخ يشغل هذا المنصب المهم من ١٧٢٣ حتى عام وفاته ١٧٥٠ . وفي هذه الفترة أبدع عددا من اعماله الكبرى وعلى رأسها القداس الكبير من مقام سى الصغير وكذلك عمله المسمى « القربان الموسيقي » ، وتنويعات جولد بيرج « وأعمال الاوراتوريو لعيد الميلاد » ، والآلام المسيح (طبقا لانجيلي يوحنا ومتى) وفي هذه السنوات كذلك كتب مجلده الثاني من « المقدمات والفوجات » التي اصبحت مرجعا في هذا الفن الصعب : من الفوجة ، والذي نقله باخ من المجال المدرسي الجاف الى مجال فني رفيع ، مفعم بالشعور والجمال حتى أصبح فيه حجة الأجيال جميعا .

وبعد حياة من الكد والنصب ، عانى فيها باخ من شظف العيش واعتلال الصحة وسوء العلاقات بينه وبين أغلب رؤسائه ، كما عانى من ضعف البصر ، حتى كل بصره ثم كف تماما لعدة سنوات واستعاده بعدها لفترة قصيرة قبيل وفاته (انتهزها لمراجعة عمله العظيم « فن الفوجة » ولاتمام نسخ نوتاته) ، بعد هذه الحياة التعيسة التي لم يتمتع فيها بالتقدير الحقيقي ، توفى باخ ١٧٥٠ ودفن في قبر مجهول بليبزيج ولقيت موسيقاه من بعده الكثير من الاهمال والنكران ، ولم يشفع له في ذلك ان عددا من ابنائه كانوا هم أيضا مؤلفين موسيقيين حققوا النجاح والشهرة ، مثل كارل فيليب عما نويل ، ويوهان كريستوف ، ويوهان كريستيان المعروف باسم باخ الانجليزى ، وفلهلم فريد يمان ، بل ان ابناءه هم أنفسهم قد لعبوا دورا في إسدال ستار النسيان على موسيقا والدهم العظيم ، ظنا منهم بانه كان صوت عصر سابق ولى وانتهى !

ولكن التاريخ انصف الفنان العبقرى واستعاد له مكانته الحقيقية بين مفكرى الانسانية في مجال الموسيقا ، ولم تمض القرون الثلاثة على مولده ، حتى أصبح متربعا بحق على عرش فريد في الموسيقا ، لا يطاوله فيه أحد من معاصريه ولا من الاجيال التالية وهذا هو المغزى الحقيقي لهذا الاحتفال الدولى العريض بباخ في كل انحاء العالم . □

■ لا تترك الحق . . لانك متى تركت الحق . . فانك لا تتركه الا الى الباطل ، ومهما تترك الصواب ، فانما تتركه الى الخطأ (من نصائح أرسطو للاسكندر) .

■ أعيذها نظرات منك صادقة ، أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم (المتنبي) .

■ رؤية الوجه الجميل تبعث في النفس الرجاء (لامارتين) .

رسالة القاهرة

مناقشات

بقلم : فاروق خورشيد

كان الحديث غريبا ، ولكن الذي أثاره كان أستاذنا الدكتور عبد الحميد يونس حين قال :
في الأدب الشعبي نحن دائما مواجهون بهذا الموقف الغريب بين الخير والشر ، وأين وجود الله بين هذين العنصرين ؟

قال الدكتور أحمد مرسي عميد المعهد العالي للفنون الشعبية .

ـ هذه قضية حيرتني وأنا أكتب بحثا عن شخصية الشرير في الأدب الشعبي ، ففي كل تأمل مستخلص من فهم لشخصية أحد النماذج التي تمثل الشر ، لم أجد أمامي شرا بالمعنى المطلق أبدا .

قلت :

ـ ينبغي لنا أن نفهم العطاء الشعبي العربي وحده ، أي بمعزل عن العطاءات الشعبية الغربية الأخرى التي أثرت في كل مفهوماتنا عن أدبنا الشعبي .

قال الدكتور يونس في صدق وعنف :

ـ هذا كلام غير علمي ، فما نحن الا بمثابة المتابعة للعطاءات العلمية العالمية ، وأي محاولة لاخراجنا من هذه الحدود العلمية ، هي محاولة لافقارنا في الرؤية وفي التوجه على السواء .

وساد بين مجمع المستمع صمت هادىء ، ولكن في آخر الأمر صمت مريب،فمنا من يريد أن يناقش الأستاذ الكبير في رأي توصل اليه بعد جهود السنين وعناد الرؤيا ، ومنا من يحب أستاذه الى درجة الوقوف الصامت أمام مايقول ، حتى لانفاجئه بالمخالفة في الراي والموقف ، ومنامن يريد أن يكون الاستاذ اضافة دائمة لاتهدأ وتخفت أبدا ، ومن هؤلاء كنت أنا فقلت :

ـ فكرة الخير والشر فكرة تؤرق دائما اصحاب الفلسفة ، ولكنها أيضا تؤرق أصحاب الفولكلور ، وخصوصا أصحاب الفولكلور العربي المعاصر .

قال الدكتور يونس :

ـ ـ تماما هذا ما أريد أن أقف عنده ، فللخير رموزه وللشر رموزه ، وعلى طول العمل الشعبي واستمراره هناك باستمرار هذه الأحداث التي تجعل الخير في مواجهة الشر ، وتجعل رموز الخير تتحدى دائما وأبدا رموز الشر .

قال الدكتور أحمد مرسي :

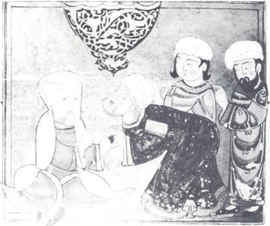
ـ هذا ما أرقني في بحثي ـ اذا كان الخير كله من الله فمن أين الشر ؟ كل الأفعال تصدر من الله ـ فهو الفعل المطلق ، فهل يصدر الشر عن صاحب الفعل المطلق . . فان لم يصدر عنه ، فمن أين يصدر ؟

قلت وقد استفزني الجدل المثار :

ـ في المثولوجيا العالمية كلها ، القدر هو قاهر الانسان ، من هنا بدأت التراجيديا اليونانية ، ومن هنا بدأت فكرة الانسان أمام القدر ، وفكرة قهر الانسان أمام القدر . . فما الانسان أمام القوة القاهرة التي تريد له آخر الامر أن يقهر وأن ينهزم . . ولكن الفعل الاسلامي في الفكر أحدث شيئا جديدا مهما ، وينبغي الوقوف عنده وقفة مهمة وطويلة . . فالاسلام كفلسفة انسانية يرفض في الأساس أن يكون الانسان عرضةً لقدر أعمى أبله ، يحطمه ويدمره ، لمجرد استعراض قوة القدر أمام الانسان ، الاسلام جاء ليؤكد أن الانسان حر مختار ، وأنه ـ على كل وضع ـ يصنع قدره بنفسه .

قال الدكتور يونس :

ـ هذا صحيح ، ولكن الانسان محكوم بارادة الله



الأعلى والأقوى والأعظم .

وقال الدكتور أحمد مرسي :

ـ وهذا ماكان أساسيا في بحثي وتأملي . . قوى الشر كبيرة وعظيمة في الأعمال الشعبية بعامة وفي السير الشعبية بخاصة ، وكلها قوى تقهر قوى الخير ، وتحارب العقل في أي ميدان ، وتصارعه في كل مجال ، ما أن يظهر البطل الخير حتى يظهر أمامه البطل الشرير ، وما أن ينتصر البطل الخير ، حتى يملك البطل الشرير وسائل هزيمته وقهره ، ولكن البطل الخير آخر الأمر ينتصر ويسود .

قلت :

ـ هذه هي القضية ، البطل الخير دائما ينتصر ، والبطل الشرير دائما ينهزم .

قال الدكتور أحمد مرسي :

ـ هي ظاهرة دائما في أبطال الأعمال الشعبية العربية ، لابد من رصدها ، ولابد من الوقوف أمامها . . فالشرير دائما مهزوم ، ، وهذه حقيقة تقررها كل الأعمال الشعبية العربية ، وبخاصة السير الشعبية العربية .

قال الدكتور يونس :

ـ فكرة البطولة في السير الشعبية تركز أساسا على انتصار البطل على أزمته ، ففي الميثولوجيا العالمية البطولة في الفن هي أزمة البطل ، أما الأعمال الشعبية العربية فالبطولة هي انتصار البطل .

قلت :

ـ وهذا هو الفرق الذي جاء به الاسلام كفكر وثقافة ، فالبطل أو الانسان ، قبله ، مخلوق مضيع تلعب به الآلهة كيف شاءت ، أما بعده ، فالانسان قيمة كبيرة ومهمة لأنه حمل الأمانة حين تراجعت عنها كل القوى الأخرى ، والأمانة هنا هي الاكتشاف والمعرفة ، اكتشاف قدرة الله وعظمته ومعرفة جبروت الله وسطوته ، ومنذ خطيئة آدم ومعنى الاكتشاف قد ثبت ، فخطيئته هي حبه لمعرفة ماهو ممنوع وماهو محرم ، ونزوله الى الأرض عقاب له على هذا الشيء الذي أوجده الله فيه ولم يوجده في غيره من المخلوقات النورانية التي هي الملائكة . . الانسان هو المخلوق الوحيد المكتشف ، ولكن اكتشافه لن يمر بسلام ، بل هو نتيجة دائمة لاستفزاز ابليس له ، وابليس هو الملاك الوحيد الذي رفض أن يسجد للانسان حين

أمره الله مع باقي الملائكة أن يسجدوا له ، فهو يرى أن الانسان مخلوق ناقص ، ليس في كمال أهل الجنة ، ولهذا رفض وغواه ، ولهذا أيضا خرج من الجنة هو وآدم وحواء والطاووس والحية ، كل منهم عدو للآخر ، في أرض الله الرحبة ، يمارسون عداواتهم وغواياتهم وأثمهم بعيدا عن الجنة . والانسان مستفز ، والشيطان مستفز وتختفي الحية والطاووس ، حين تصبح الحية جزءا من حواء وحين يصبح الطاووس جزءا من آدم ، وحين تصبح المعركة فوق الأرض ضارية مخيفة بين الثنائيات المطروحة . . الانسان ضد الشيطان والرجل ضد المرأة ، وجزء الأرض في الانسان ضد جزء السماء فيه :

قال الدكتور يونس متأملا :

ـ أنت اختصرت كل الصراعات في هذه الثنائيات الغريبة ، ولكني مع هذا أراها صادقة .

قلت :

ومن خلال هذه الصراعات والتحديات ، يقع الانسان في التجربة أي يقع في الخطأ الناجم عن محدود معرفته ، وعن سابق جهله ، وعن حقيقة تخلفه ، فإذا اجتاز التجربة وتعلم من الخطأ ، فهو أكثر معرفة وأقل جهلا وأكثر تقدما .

قال الدكتور أحمد مرسي :

ـ المعرفة اذن نتيجة حتمية للخطأ ، والخطأ نتيجة حتمية لخروج الانسان من الجنة ، والمفاتيح الى المعرفة هي الأسماء التي علمها الله للانسان ، والتجربة والخطأ هي الرسالة التي حملها الانسان على منكبيه وخشيتها الملائكة وتنوء من حملها الجبال .

قلت :

ـ لقد لخصت الأمر كله أحسن تلخيص ، فالخطيئة هي جريمة الانسان ولكنها ، ايضا طريقة الى الفضيلة . والخطأ هو ضعف الانسان ، ولكنه أيضا طريقة الى المعرفة .

قال الدكتور يونس :

ـ ومع كل خطيئة يزداد الانسان علما ، وعندما يصل الانسان الى الكشف عن حقيقة وجه الله وعظمته يشق طريقه الى الجنة من جديد .

قلت :

ـ من هنا اختلف معنى القدر عند الانسان المسلم



د . عبد الحميد يونس



د . أحمد مرسي

فالقدر رحمة وحكمة ومعرفة ، حتى حين يرى الانسان في عجزه وقلة بصيرته أن ما أصابه شر لايدري له تحليلا ، فهو في ايمانه وقوة حبه لله ، يدرك أن هذا الشر ماكان الا لحكمة لايعرفها . . وانما الحكمة هي التي صنعتها وقدرتها ، وهذه الحكمة لاتريد له على المدى الطويل الا الخير والرحمة .

قال الدكتور يونس :

ـ وما أوتي الانسان من العلم الا قليلا ، وما أوتي من الحكمة الا قليلا .

قال الدكتور أحمد مرسي :

ـ من هذا المنظور ينبغي أن ننظر الى البطل في العمل الشعبي الاسلامي ، فالبطولة هنا بطولة معرفة .

قلت :

ـ وهذا مفتاح أساسي لدراسة البطل ، فليس هو البطل الفائق القدرة الشديد القوة ، وانما هو البطل الفائق الايمان بأن الحق في جانبه ، وأن قوى الخير تسانده وأن انتصاره على الشر حتمي ومؤكد . قال الدكتور عبد الحميد يونس :

ـ نعم القدر اختلف هنا تماما ، فالقدر لم يعد شيئا مجهولا يفترس الانسان ، بل غدا هو الله المعروف الذي يؤمن به الانسان ويعبده ويسلم له أمره ، والذي يحس أن يده معه دائما في كل معارك الخير ، وأنها تنصره دائما على كل قوى الشر .

قلت :

ـ الانسان المؤمن في جانب ترعاه قوى العناية الالهية وتيسر له انتصاره على الشر ، فالانسان اذن ليس وحده ، ولا وجود للمأساة أو الفاجعة،ولاوجود للتراجيديا ، فليس الأمر أن الانسان يواجه حائطا أصم مسدودا ، وانما هو في حالة جدل مستمر ، وهو جدل مثمر وفعال ومنتصر دائما .

قال الدكتور مرسي :

ـ ولاجود اذن للدراما .

قلت :

ـ الدراما بالمعنى الأرسطي لا ، ولكن الدراما بالمعنى الجدلي الدائم بين قوى الخير والشر نعم .

قال الدكتور يونس :

ـ لم يفهم المفكرون العرب ماكتبه أرسطو عن الدراما ، ولذا لم يترجموه ، فتعامل هذا الفن مع الدوافع الانسانية التي تكمن في صراع الانسان ضد الشر لاتتلاءم مع هذا الفهم الانساني الذي ورثوه .

قلت :

ـ والفنانون المسلمون لم يقدموا الدراما بالصيغة الأرسطية لنفس هذا السبب .

قال الدكتور أحمد مرسي :

ـ ومع هذا تقبلنا التراث المسرحي العالمي وقرأناه وفهمناه ودرسناه .

قال الدكتور يونس :

ـ كل عطاء انساني ينبغي أن يدرس ، وأن يترجم ، وأن يتذوق ، وليس الأمر بالضرورة أن يحتذي ، ولو أننا احتذيناه في الكثير من الأعمال الدرامية المسرحية الأولى ، ولو أني أذهب الى أن الكتاب المسرحيين العرب أميل الى الابداع في الفنون المسرحية التي تحطم القالب الأرسطي وتثور عليه ، ومن هنا كان تقبلهم للمسرح الملحمي ، ولمسرح بريخت ، ولمسرح العبث عند يوتسكو وبيكت وغيرهما . .

قلت :

ـ بمعنى أننا نتجه الى الدراما من حيث كونها عطاء فنيا جدليا بين الخير والشر ، دون أن ندخل حتمية النهاية والفاجعة للبطل أو دون أن نبحث عن السقطة والتطهير . . فان وجدت كل هذه العناصر فلا بأس لأنها حصيلة فنية ورثناها عن البشرية كلها في تطورها نحو المعرفة والتعبير الفني ، ولكنها لاتقودنا بالضرورة ولاترغمنا على تقليدها بالحتم .

قال الدكتور يونس :

ـ ونصل الى اجابة لماذا لم يعرف العرب المسرح الأرسطي ؟ .

قلت :

ـ ولماذا استبدلوه بألوان أخرى من العرض المسرحي تتلاءم مع رؤيتهم الفلسفية للبطل ، وللصراع بين الخير والشر ، ولوظيفة الفن ، ولموقع الانسان من الكون ؟

قال الدكتور يونس :

ـ هذا الذي وصلنا اليه يصلح منطلقا للدراسات الجارية ، ووجود المنطلق الواضح لايؤثر على نتائج البحث العلمي ، وانما هو يفيد هذا البحث ويثريه .

وهنا انتهت مناقشتنا ذات ثلاثاء □

■ ان الشر لا يكافح بالشر (تولستوي) .

■ الذئب ما كان ليكون ذئبا لو لم تكن الخراف خرافا (شكسبير) .

■ الرجل الخسيس ينتقم لخسته من الرجل الشريف (ديستوفسكي) .

■ المرء ابن البيئة التي يعيش فيها (جي دي موتسان) .

■ النفس الانسانية مرآة تتراءى فيها مختلف الصور والألوان (جان جاك روسو) .

الجديد في العلم والطب

نهاية مرض الأيدز .. هل باتت قريبة . ؟

تحدثنا في عدد سابق عن مرض الأيدز الفتاك ، وعن اكتشاف مرض أيدز آخر غير فتاك .. وعن المساعى لتطوير فيروس هذا المرض غير الفتاك ، بحيث يصبح لقاح مناعة ضد الاصابة بالمرض .. ولما كان مرض الأيدز الجديد نسبيا (٥ - ٦ سنوات) يستأثر بنصيب الأسد من الأبحاث العلمية الطبية التي تجرى هنا وهناك .. كانت النتائج التي تمخضت عنها تلك الأبحاث كثيرة ، وتكاد تحملها الينا أنباء الطب والعلم يوميا .. وقد وصلت الينا في أواخر شهر ابريل الماضى .. أخبار مساع أخرى غير التي سبق ذكرها .. تستهدف تطوير لقاح ضد المرض اللعين .. من معد آخر بعيد عن مرض الأيدز بعداً يكاد يجعل اللقاح المرتقب ضربا من ضروب الخيال العلمي ...

ذلك أن هذه المساعى الجديدة منصبة على تطوير لقاح الأيدز من مرض الجدرى .. بل قل جدرى البقر على وجه التحديد Compox or Vaccinia Virus .

وهو أخف من مرض الجدرى (smallpox) .. أي أن هذه المساعى تقتفى أثر ادوارد جنر العالم البريطاني الذي استعمل في القرن الثامن عشر (جدرى البقر) لقاحا ضد مرض الجدرى .. فكان له فضل الريادة في الجهود المتواصلة التي نجحت في القضاء على مرض الجدرى أو كادت .. فالفيروس الذي استعمله جنر في الماضى هو نفس الفيروس الذي يبشر بكبح جماح مرض الأيدز في الوقت الحاضر .. وذلك بعد اجراء شيء من التعديل في بنيته .

والغريب هو أن فاعلية هذا الفيروس ضد الأيدز اكتشفها فريقان من العلماء - لا فريق واحد ، والفريقان أمريكيان ... أحدهما حكومي وهو معهد الصحة الوطنى والفريق الآخر أهلى ، وهو عبارة عن شركة تعمل في سياتل ، واختصاصها الهندسة البيولوجية .. وقد توصلا الى نفس الاكتشاف في نفس الوقت تقريبا .. ونشرت نتائج أبحاثهما مجلة ناتشر المعروفة ، ومجلة اتحاد الطب الأمريكي ..

أما التعديل الضروري لتحضير لقاح الأيدز فقوامه جينة DNA يتم ادخالها في لقاح جدرى البقر .. والجينة المذكورة هي حصيلة اصابة كريات الدم البيضاء بمرض الأيدز ، حيث تتحول جينة فيروس الأيدز من RNA الى جينة DNA ..

وهي التي يتم أدخالها في اللقاح ، فهذه الجينة DNA تولد نوعين من البروتين من غلاف فيروس الأيدز .. وهذان

النوعان هما اللذان يضمنان تعبئة أجهزة المناعة للعمل ضد الأصابة بمرض الأيدز .

والجدير بالذكر أن لقاح الأيدز الجديد موضع تجارب مكثفة ومتواصلة ، وقد ثبتت فاعليته على الفئران والقردة ١٠٠٪ . . ويتوقع الكثيرون لذلك اللقاح مثل ذلك النجاح في بني الانسان ،

ويرجح البعض نزول اللقاح الجديد الى الأسواق في غضون سنة واحدة .

المذنبات . . هي مصدر البكتريا على الارض والفيروسات .

تلك هي النتيجة التي توصل اليها العلماء مؤخرا (مطلع شهر ابريل الماضي) وذلك بواسطة التلسكوب البريطاني ـ الاسترالي العملاق (١٥٤ بوصة) الذي أقاموه في ولاية نيوسوث ولز في القارة الصغرى . . ويعود الفضل في هذا الاكتشاف الى الفلكيين المعروفين السير فرد هويل **Hoyle** والبروفسور شاندرا ويكراماسينج . . فهما اللذان قاما بدراسة الصور الأولى الملتقطة بالأشعة تحت الحمراء . . وانتهيا الى تأويلها بالاكتشاف الذي ذكرنا . .

والجدير بالذكر أن الصور تحت الحمراء التى ذكرنا ، والاكتشاف الذي تمخضت عنها لم يكن حصيلة اللقاءات التي جرت في شهر مارس الماضي بين مذنب هالى وبين سفن الفضاء الخمس . . وبخاصة جيونو السفينة الأوروبية التي اقتربت من المذنب كثيرا حتى أصبحت على بعد ٥٠٠ كم من نواته . . أو نحو ذلك ، فقد خطط الفلكيان لصور التلسكوب تحت الحمراء بعد مضى ٣ أسابيع على تلك اللقاءات الفريدة في تاريخ الفلك . . أي ان تلك اللقاءات لم تؤد الى ذلك الاكتشاف ، وان كانت قد مهدت السبيل له . . وقد بينت احدى الصور المرسلة من قبل جيوتو أن لون نواة مذنب هالى هو لون المخمل (أو القطيفة) الأسود . . وأن قوام تلك النواة هو في الغالب مادة الكربون أو مادة أخرى شبيهة بها . . وليس الرصيص الجليدى المغلف بالغبار ، كما أكدت النظرية الأكثر شيوعا منذ منتصف القرن . .

والجدير بالذكر أيضا أن العالمين الفلكيين المذكورين قد رفضا نظرية الرصيص الجليدي ، وأخذا بنظرية النواة العضوية منذ أكثر من عشر سنوات ، فهذه البكتريا والفيروسات التي تجتاح الكرة الأرضية بين حين وآخر ، وتسبب الأوبئة والأمراض الشائعة ـ كالرشوحات والسعال الديكى وشتى الامراض الحيوانية ـ انما تأتي الى الأرض من مصدرها الوحيد . . المذنبات التي تأتي من الفضاء البعيد . . وتخترق المجموعة الشمسية حتى تقترب من الأرض كثيرا أو قليلا . . فتمطرها بتلك الكائنات الحية . . البكتريا والفيروسات ، ولا يخفى أن تلك النظرية التي اثبتتها الصور تحت الحمراء مؤخرا والتي أصبحت النظرية السائدة في الأوساط العلمية في الوقت الحاضر ، تتضمن تأييدا غير مباشر لبعض المعتقدات الخرافية التي شاعت في العصور القديمة والوسيطة . . .

ولم يقف العالمان عند شرح نظريتهما القديمة ـ الجديدة ، بل ذهبا الى اجراء التجارب العملية في المختبرات ، وتخليق مثل المقومات التي تدخل في بناء البكتريا والفيروسات . . وذلك لدى تعريض جزيئات من مادة عضوية لمثل الظروف التي تمر بها وتتعرض لها المذنبات .

ولا يخفى ما تنطوى عليه هذه النظرية الخطيرة من نتائج أبعد أثرا واشد خطرا ، لا عجب اذن أن شغل العالمان الفلكيان في الوقت الحاضر في تأليف كتاب جديد بعنوان « فيروسات من الفضاء » ويعاونهما في وضع هذا الكتاب أحد كبار علماء الجراثيم الدكتور جوب واتكنز . . .

مكتشفون ومخترعون

مخترع المصباح الكهربائي بالاضافة الى ١٠٠٠ اختراع أو تزيد

لقد بلغ عدد اختراعات أديسون ، ان شئت الدقة ، ١٠٩٧ اختراعا أنجزها كلها وسجلها باسمه إبّان حياته . . لا عجب اذن أن سموه الساحر . . ساحر منلو بارك ، مختبره ومصنع اختراعاته في ولاية نيوجرسي . . نقول « مصنع » لأن اختراعات أديسون كانت كالسلع التي تصنعها المصانع ، أوتوماتيكيا وعلى نطاق واسع . . ولم يذكر التاريخ مخترعا تحت الطلب . . كأديسون . وقد شملت اختراعات أديسون فيما شملت جهازا للصور لا غنى للبورصات وبيوت المال عنه ، وكان أول اختراعاته ، وشملت أيضا الفوتوغراف والديكتافون والكاميرا السينمائية وغيرها وهو كثير كثير . . . ويظل المصباح الكهربائي أهم مخترعات أديسون على الاطلاق . . فهو الذي حل محل مصباح الزيت ، ووضع حدا لعصر البخار . . وكان بمثابة الضوء الأخضر لظهور حضارة القرن العشرين ، وهي حضارة تقوم على الكهرباء أولا وآخرا .

ويعجب المرء لأمر هذا المخترع . . فقد انجز من المبتكرات ما لم ينجزه المخترعون من أبناء عصره مجتمعين . . هذا بالرغم من أنه حرم نعمة الدراسة في المدارس والجامعات ، وعاش طفولته في فقر وعذاب . . وحسبك أنه أُصيب بالصمم ، ولقي أسوأ معاملة من أبيه . . ولعلك تظن أن العبقرية التي فطر عليها أديسون هي السر الذي حوله الى ساحر اختراعات . . ويرد عليك اديسون نفسه اذ يقول : أنا مدين للفطرة بنسبة ١٪ ، ومدين للدأب والعمل المتواصل بنسبة ٩٩٪ .

ولد توماس الفا أديسون في ١١ فبراير سنة ١٨٤٧ في مدينة ميلانو في ولاية أوهايو في أمريكا ، وانتقل أهله به وهو في السابعة من العمر الى بلدة هورون في مشيغان . . وهناك ألحقوه باحدى مدارسها ، وفق ما سمحت به مواردهم المتواضعة . . ولكن توماس لم يلبث في تلك المدرسة سوى ٣ شهور . . فقد طرده ناظر المدرسة بحجة أنه كان متخلفا ، وأن مدرسته لم تؤسس للمعوقين .

وتولت الأم (نانسي إليوت) تدريس الفتى طيلة ثلاث سنوات . . وعلى قصر هذه المدة فانها كانت كافية « لأن تغرس أمي في نفسي حب العلم . . وتفهمني غايته » كما قال أديسون فيما بعد ، ولو ذكرنا أنه فطر على حب الاستطلاع لأدركنا سر شغفه بالمطالعة .

أما أبوه (صمويل أوجدن إيدسون) فقد عامله أسوأ معاملة . . وقد درج على ضرب توماس ضربا مبرحا ، وأقدم ذات يوم على جلده بالسوط في احدى الساحات العامة ، وعلى مرأى من الجماهير الذين توافدوا الى تلك الساحة ليروا ذلك المشهد الفريد . . لقد مزق الأب نفسية ابنه الموهوب من حيث لا يدري ، وزاده صمما ، وكان قد أصيب بالصمم بسبب مرض ألمّ به قبل حين .

لا عجب اذن أن خرج أديسون عن أهله واستقل عنهم وهو في الثانية عشرة من عمره . . وكان يبيع الصحف والسكاكر في القطارات وهو أول عمل مارسه طلبا للرزق . . غير ان هذا العمل لم ينسه العلم والاختراع . . فأنشأ في احدى عربات الشحن مختبرا صغيرا واصل فيه تجاربه . . الا أن هذه التجارب ما لبثت أن أفقدته عمله في القطار ، وقد تسببت باشتعال النار في عربة الشحن . . وبالرغم من ذلك فان الأثر الذي تركه الحريق وملابساته في نفس توماس لم يضاه الأثر الذي تركه حادث آخر وقع له أيام عمله في القطار . . فقد تأخر ذات مرة عن

أديسون

(١٨٤٧ - ١٩٣١)



موعد القطار ، فراح يركض في اثره يريد اللحاق به .. حتى بلغه ، ولكنه عجز عن الصعود اليه .. واتفق أن كان في مؤخرة القطار بعض العمال الذين شاهدوا توماس وهو يحاول الصعود الى القطار بلا طائل .. فسارعوا الى مساعدته .. ولكنهم أمسكوا بالفتى من أذنيه ، ثم رفعوه بعنف وقوة .. ويقول أديسون في ذلك : « عندها أحسست بفرقعة داخل أذني ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أعاني من الصمم بالكامل » فقد أدى انتشال العمال له الى تمزق في طبلة الأذنين .. ولكن أديسون وجد في صممه نعمة بالاضافة الى النقمة .. فقد أتاح له ذلك فرصة الابتعاد عن الضوضاء والثرثرة والتفرغ للقراءة والتفكير في اختراعاته .

وكان العمل الثاني الذي مارسه أديسون هو عمل المساعد لأحد المختصين بالتلغراف ، وقد حصل عليه بمساعدة ناظر المحطة مكافأة له على انقاذه ابن الناظر ، ومهما يكن من أمر فقد فتح هذا العمل أعين أديسون على الكهرباء .. التي أصبحت دينه وديدنه منذ ذلك الحين ....

أما العمل الثالث الذي قام به أديسون فكان الاختراع والابتكار .. وقد بنى لنفسه سنة ١٨٧١ ورشة عمل في نيوارك ، يجري فيها تجاربه ، ويستكمل اختراعاته ، لا يقصد الا بيع تلك الاختراعات .. وقبض أثمانها ، وتطورت تلك الدكان مع الأيام ، حتى أصبحت شركة جنرال الكتريك الشهيرة في هذه الأيام .

وتجمع لأديسون عدد من الاختراعات في غضون بضع سنوات .. وبلغ ثمن هذه الاختراعات التي اشترتها منه شركة وسترن يونيون والتلغراف الأوتوماتيكي ٧٠,٠٠٠ دولار .. وهو المبلغ الذي أنفقه على انشاء مختبره الشهير في منلوبارك في نيوجرسي .

ثم جاء اختراع الفوتوغراف سنة ١٨٧٧ ، فذاع صيت أديسون ، وطبقت شهرته الآفاق .. ولكن الشهرة وحدها لا تكفي للمضي في اجراء التجارب في مجال الكهرباء . ويقصد اختراع المصباح الكهربائي العملي الذي طالما حلم به .. وللانفاق على نفسه ومعاونيه ومختبره ...

والتمس المخترع هذا المال من أحد أصحاب البنوك في نيويورك ، المستر مورجان .. ولما أكد له أن باستطاعته استكمال اختراع المصباح في ستة أسابيع ، عمد مدير البنك سنة ١٨٧٨ الى تأسيس شركة خاصة لتمويل أديسون .. وطرحت أسهم تلك الشركة في الأسواق ، وكان عددها ٣٠٠٠ سهم .. ولكنها منيت بالكساد ، ولم يبع منها سهم واحد .. عندئذ لجا أديسون الى الحيلة ، فكذب كذبته البيضاء ، وأكد في تصريحاته الصحفية أنه استكمل وأنجز اختراع المصباح الكهربائي ، ولم تمض أيام على تلك التصريحات حتى بيعت أسهم الشركة الجديدة كلها .. ووضع مبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار في متناول المخترع أديسون ، ولم تمض شهور على ذلك حتى كان المعرض الذي أقامه المخترع ، وعرض فيه مصباحه الكهربائي ، وكان ذلك في ١٨٧٩/١٠/٢١ حين لم يجاوز عمره (٣٢) عاما .. وجاء أديسون الموت . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

مصحات .. في أمريكا تغسل الدماغ وتشفي من الادمان

تحدثنا في العدد السابق عن مؤتمرات السيدات الأوليات .. وعما قالتهبعض المؤتمرات في الادمان وفي المصحات التي تساعد المدمنين على الشفاء من ادمانهم ، بوصفه مرضا فسيولوجيا ذا أبعاد اجتماعية ونفسية خطيرة .. ونتحدث اليوم عن أحد هذه المصحات .. وعن السيدة الأولى التي أقدمت على انشائه .. فقد كانت السيدة بتي فورد زوجة الرئيس الأمريكي الأسبق هنري فورد في عداد المدمنين على الخمور والمخدرات .. حتى اذا التحقت بأحد تلك المصحات وخرجت منه في غضون أسابيع قليلة بصحة سليمة ونفسية سوية عز عليها الا تمد يد المساعدة الى الكثيرين من المدمنين .. وبخاصة مشاهير الممثلين أو السياسيين وسواهم ....

وبدأت قصة السيدة فورد هذه سنة ١٩٧٨ ، حين أعلنت على الملأ أنها كانت مغلوبة على أمرها ، ومدمنة مخدرات وخمور في آن معا وصرحت أيضا أنها التحقت بأحد مصحات الادمان ، بغية الشفاء من ادمانها المزدوج .. وقد شفيت منه في غضون أسابيع قضتها في ذلك المصح .. وشعرت بنعمة كبيرة غمرت حياتها ، وحلت محل النقمة التي طالما غابت فيها وشعرت بالصغار والتفاهة بسببها ..

وشعرت السيدة فورد بدافع الاسهام شخصيا في انقاذ الآخرين ، وتعمل على أن تتيح لغيرها من المدنيين ، مثل النعمة التي أتاحها ذلك المصح لها .. وأن تتيحها بخاصة الى تلك الفئة من الزملاء والمشاهير الذين يتكتمون على ادمانهم خشية تشويه



مركز بتي فورد

سمعتهم والنيل من نجاحهم في أعمالهم .. فهم يولون المسز فورد من الثقة ما قد يدفعهم الى مصارحتها فيما درجوا على التكتم فيه .. من ادمان على الخمور والمخدرات وما قد يحملهم على الالتحاق بمصحها طلبا للمساعدة التي مست حاجتهم اليها وتنكروا لها في آن واحد معا ..

وخرج مركز بتي فورد الى حيز الوجود سنة ١٩٨٢ ، وسارع الى الالتحاق به المدمنون من عامة الشعب ، بالرغم من أن الرسوم التي تعاطاها لم تقل عن - ١٥٥ دولارا أمريكيا .. ومع ان نسبة المشاهير

من مجموع الذين انتسبوا الى ذلك المركز لم تجاوز ٥٪ الا أنهم ضموا فيمن ضموا روبرت ميتشام .. واليزابيث تيلور .. وتوني كورتيس وهم من مشاهير ممثلي هوليود كما هو معروف ....

ويعمل مركز فورد هذا بمبادىء تعرف في الولايات المتحدة باسم (مدمن الأمس) أو المدمن النكرة ، وتهدف هذه المبادىء الى تحييد المدمن ، أو ان شئت ، غسيل دماغه ، أو ما يسمونه في المصح Defoxification .

والمعالجة الجماعية هي الطريقة المعتمدة في هذا الصدد ، ونقطة البدء فيها تكون باعتراف المدمن بأنه مغلوب على أمره وبحاجة الى مساعدة ، أما غرف النوم الخاصة فلا وجود لها في المصح ، وقد حلت محلها قاعات رحبة تتسع الواحدة منها عشرين مدمنا والقصد من ذلك تعويد المدمن على اللجوء الى أخيه الانسان بدلا من الهرب الى المخدرات والخمور ، اذا حلت مصيبة أو اعترضت سبيله مشكلة ..

ويعامل مستشاروا المصح المدمنين بكثير من الحزم ان لم نقل الشدة .. فهم يحرمونهم مشاهدة التلفزيون والفيديو ، ولايسمحون لهم الا بالضروري من المكالمات الهاتفية .. وانتقد بعضهم نظام المصح وشبهه بالانضباط العسكري ، ويؤكد المستشارون بأنها المحبة القاسية ، وانها هي التي تساعد المدمن على الخلاص من محنته أكثر من أي شيء آخر ..

ولقد نجح مركز بتي فورد في تخليص الكثيرين من آفة الادمان المدمرة ......

هل يتم القضاء على شلل الأطفال سنة ١٩٩٠ ؟

يعجب المرء أكثر ما يعجب لانتشار مرض فتاك بالرغم من انتشار علاجه الرخيص الفعال ..

والمرض المقصود هو شلل الأطفال .. الذى مازال يودى بحياة نحو (١٠,٠٠٠) طفل فى العالم كل يوم .. ويشل حوالى ٥٠٠٠ طفل آخر فى شتى بلدان العالم كل أسبوع .. أما العلاج المقصود فهو ، كما لايخفى ، لقاح شلل الأطفال الذى أصبح متاحا على نطاق واسع منذ أكثر من ثلاثين عاما .

ويصدق هذا أيضا على أمراض أخرى فتاكة ، هى الحصبة ، والسعال الديكى ، والدفتريا ، والسل ، والتيتانوس (أو إن شئت الكزاز) ، ويبلغ مجموع من يموتون بسبب هذه الأمراض ٣,٥ ملايين نسمة سنويا .. وفى هذا دليل على مدى التحسن الذى طرأ فى هذا الصدد فى المدة الأخيرة .. وقد بلغ عدد الذين يموتون بسبب هذه الأمراض قبل بضع سنوات ٥ ملايين نسمة .

وتنوى منظمة الصحة العالمية تنفيذ برنامج يكفل اتاحة اللقاحات الواقية من تلك الأمراض جميعا للناس جميعا فى كل مكان .. وذلك قبل حلول سنة ١٩٩٠ ، هذا ماصرح به فى مطلع شهر ابريل الماضى (١٩٨٦) الدكتور وليم فوج ، المدير المسؤول عن فريق أو وحدة العمل المسماة « بقاء الطفل على قيد الحياة » .

■ اذا أفرغ امرؤ حافظة نقوده في رأسه ، فان أحدا في الدنيا لا يستطيع أن يغتصبها منه (بنيامين فرانكلين) .

■ ان الذين يؤمنون بقدرتهم يستطيعون أن يقهروا أي شيء

صفر ١٤٠٧ هـ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٦

العربي



البرازيل .. مارد القرن ٢١



العقاد .. الزمان والمكان



أنغام .. في أعماق المحيطات



عندما يتكلم الحجر


نقل حي من استاد فيشر
STEREO
PAL·MESECAM
FISHER
VHS
FVH-D720
CFM2110SR
CFM2610SR
CFM2115R
VHS FVH-M540
VHS FVH-D620
FVH-M540
FVH-D620
إستمتع بأفضل المقاعد في الإستاد بدون أن تغادر المنزل.
فيشر، أخصائيو نظام الهاي فاي الأصليين، يقدمون الآن أجهزة سمعية مرئية ذات أبعاد جديدة في الترفيه المنزلي.
بما أن تلفزيون فيشر CFM2110SR ١٦ نظامًا ذو شاشة مسطحة مربعة، فباستطاعة كل من في الغرفة الحصول على أفضل صورة حتى آخر زوايا الشاشة، صوت ستيريو ديناميكي وجهاز تحكم عن بُعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء يجعلك تستمتع بالمشاهدة من أي جهة تجلس فيها.
لمباراة مثالية، إختبر مسجل الفيديو FVH-D720 بال/ ميسيكام مع مؤقت مبرمج ٩ أيام لبرنامج واحد وتحكم عن بُعد بالأشعة تحت الحمراء لراحة أكثر.
فيشر- إنه عالم جديد مدهش.
فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العدد ٣٣٦ السنة التاسعة والعشرون نوفمبر ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 336 Nov. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

اقرأ في العدد القادم من العربي

ديسمبر

القوقاز

فسيفساء اللغات والناس!

استطلاع: سليمان الشيخ

الإسلام والعرب ورياح الشمال — د. عبدالعزيز كامل

مؤتمرات القمة الإسلامية بين الفكرة والتحقيق — د. احسان صدقي العمد

مارتن لوثر كنج — د. أحمد البشير

- حقيقة الأقليات اليهودية في العالم .... د. عبدالوهاب المسيري
- الجنس الثالث.. خلل هرموني أم مرض نفسي؟ ..... د. نجم عبدالواحد
- أصل النفط.. عضوي أم كيميائي؟ ..... د. سعود عياش
- وقفة مع المساجد القديمة في الكويت .... عبدالغني عبدالله
- عالم السماد الوحشي .... حسني محمد بدوي
- البحرين.. جسر بين أصالة الأمس وإشراقة الغد.. استطلاع رحيم الكيلاني
- وجهاً لوجه... د. غالي شكري ومحمود الريماوي
- كتاب الشهر.. مصر.. ومحمد علي .... د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - فاروق شوشة - د. محمد عبدالله المشاري

سعيد سالم - رؤوف وصفي - محمد شهود المرسي - علي عبدالقيوم

عزيزي القارئ

في العدد الذي بين يديك ، وفي زاوية « حوار القراء » نطرح قضية ثقافية محزنة ، بل ومشينة ، يقوم بها بعض مدعي الثقافة . والقضية ببساطة أن هناك من ينقل نقلا حرفيا من مجلات قديمة ، وبالنص ، ثم يرسلها للنشر على أنها من انتاجه . . !

المحزن أن هؤلاء الناس ليسوا عاديين ، بمعنى أنه من المفترض فيهم أن يكونوا قادة رأي ، وأن يكونوا مؤتمنين على أمور أخرى . . بجانب ائتمانهم على الثقافة . فإذا كانوا قد خانوا الأمانة فكيف يمكن الوثوق بهم ؟

إنه مرض أصيب به قلة من المفترض أن نعيش معهم ، ولكن ما يعزينا أن هذا المرض محدود في بعض ضعاف النفوس فقط الذين سرعان ما يتكشفون ويستأصلون من الساحة الثقافية .

وهكذا كان ، وفي حوار القراء تفاصيل ذاك المرض ووجهة نظرنا فيه .

ولكن ، بعيدا عن المرضى والأدعياء ، لنستعرض بعض ما نقدمه لك من جديد .

في هذا العدد تطل « العربي » على الشمال الأسباني إطلالة الباحث عن جذور للثقافة تركها أجدادنا هناك . . وقد وجدناها . . وهي هنا بين يديك . .

وتجد أيضا تصورا جديدا تطرحه « العربي » لدارسة بعض الشخصيات الفكرية العربية من خلال المكان الذي عاشوا فيه . . والبداية في هذا العدد مع . . . العقاد .

ولأن العالم يتقدم معتمدا على الذكاء والمبادرة . . فإننا نعرض عليك شيئا من الذكاء الصناعي . .

. . . ويقدم لنا الدكتور نقولا زيادة كتابا صينيا يتناول « العرب » . . ترى ماذا يرى الصينيون فينا ؟

وتنقلك العربي أيضا الى البرازيل . . التي يعتقد الكثير من الخبراء انها ستكون عملاق القرن الواحد والعشرين . . ماذا في البرازيل اليوم ؟

وحول عملية « بلمبات » وحصول الكيان الصهيوني على اليورانيوم تمهيدا لقيام صناعة ذرية فيه ، تنقل لك « العربي » بعض الأسرار والتفاصيل . .

هكذا هو العدد الذي بين يديك . . مترعا بالفكر والثقافة . . كي تمتعك في هذا الشهر . . والى اللقاء في العدد القادم . . □

المحرر

محتويات العدد



● الشمال الاسباني يُعدجديد في المآثر العربية الاسلامية يضاف الى الجنوب . فيا الذي تركه الأجداد هناك وماذا يقول الحجر ؟ [ص٦٨]

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

عيادة.. للمفاوضات!

لا بد أن يكون مؤلف هذا الكتاب اسكتلنديا قحا حتى تخطر بباله مثل هذه الأفكار ، فالاسكتلنديون مشهورون بالبخل الشديد ،والكتاب يتناول قضية لها علاقة بالتوفير واستخدام المال بطريقة أكثر رشدا أو قُل حرصا . . فقط عليك باتقان فن التفاوض . . . التفاوض هنا ليس التفاوض السياسي ، ولكنه التفاوض الاقتصادي الفردي ، والتفاوض على قضايا لا تخطر على بال ، مثل التفاوض مع الزوجة قبل أن تهب معركة كلامية أو مع الحبيب عندما تظهر بوادر الجفوة أو مع الطفل ، ومثله التفاوض لشراء منزل أو سيارة أو التفاوض من أجل الطلاق أو الزواج أو من أجل بناء بيت،حتى التفاوض مع خدمك في المنزل . كل ذلك يقدم بين دفتي كتاب سماه مؤلفه « الصفقة الرابحة » * وجعل عنوانه الفرعي : كيف تتفاوض في كل شيء . . من التفاوض مع طفلك الى التفاوض لقضاء اجازة ممتعة . . وكيف تتفاوض مع جيرانك وشركائك أو مع ابنتك أو ابنك في سن المراهقة . . . ؟

في بعض الأوقات تبدو لك معاني الكاتب حول التفاوض وكأنها تعنى المساومة ،

---

* Gavin Kennedy "Superdeal: How To Negotiate Anything 1986.

ولاسيما في الموضوعات الاقتصادية ، وأحيانا أخرى كأنها تعنى التفاوض غير المنطوق والذي يجرى حواره بدون كلام، وبخاصة في العلاقات العاطفية ولغة العيون .

الكتاب مبنى على مجموعة من القواعد الاجتماعية والنفسية ، وليس بالضرورة أن كل البشر وكل البيئات الاجتماعية تشترك في هذه القواعد ، إلا أنها قواعد قد يشترك فيها معظم الناس ، مع هامش من الاختلاف الثقافي هنا أو هناك .

الكاتب منذ البداية يبدد الرهبة من المساومة وخصوصاً لدى الشخص الغربي - فالبعض يعتقد خطأ - كما يقول الكاتب - أن المساومة أو التفاوض هو طريق للمكر والاحتيال ، والأمر ليس كذلك البتة . فالتفاوض والمساومة طريقة حضارية متقدمة لحل المشكلات بين الأطراف المختلفة ، فأية قضية بين طرفين ربما تكون مشحونة ومفعمة بالخطر ، والتفاوض هو أقصر الطرق وأسلمها لحلها .

الكاتب أيضا يقول ان الكثير من الطرق الموصوفة للتفاوض والمساومة في كتابه هذا ، استخلصها من عمله الطويل في عيادته في اسكتلندا ، وهي عيادة تعنى بتعليم التفاوض والمساومة ، أو « عيادة مفاوضات » . وهو يقول ان الناس الذين يأتون اليه ليسوا جنسا آخر مختلفا عن العالم ، انهم بشر عاديون، ولكنهم يريدون أن يحسنوا قدراتهم التفاوضية حتى يحصلوا على صفقات أكثر ربحا ، سواء كانت مادية أو معنوية .

التفاوض الاقتصادي :

☐ البشر في عالمنا ينقسمون الى قسمين أو الى معسكرين غير متكافئين : مجموعة من الناس تستطيع أن تعيش في حدود دخلها وهي سعيدة بذلك ، ومجموعة لا يؤهلها دخلها لأن تعيش معيشة مستريحة ، وهي تريد أن تفعل شيئا لتغير ذاك الواقع .

إذا كنت محسوبا على المجموعة الثانية ، فلا تعجب كثيرا اذا ما عرفت أنك تنتمي الى المجموع الأكبر ، الأكبر كثيرا في عالم البشر . وان أردت أن تفعل شيئا لتغيير ذاك الواقع ، فما عليك الا أن تتابع القراءة . . .



- [illegible] .. اشتري الهرم الكبير .. فرصة !!

إذا كنت تريد من دخلك الحالي أن يخدمك أكثر لأنك تريد أكثر مما لديك ، أو لأنك تريد أكثر مما تحصل عليه الآن ، فهناك طريقتان فقط لاصلاح الاختلال بين دخلك (المحدود) وحاجاتك الكثيرة :

اما أن تخفض احتياجاتك ، أو أن تستخدم دخلك استخداما أفضل ، فاذا اتجهت الى الخيار الأول - تخفيض الاحتياجات - فإن عليك أن تكون قديسا أو أن تعانى من مستوى متدن من المعيشة وتصبح بذلك مهووسا لأن المهووس هو الذي يقوم بذلك . أما إذا كنت تريد أن تستخدم دخلك بشكل أفضل فلا بد مِنْ أن تتعلم (المفاصلة) أو المساومة وتكتيكاتها . . .

كيف تساوم ؟

□ إن كنت تقبل أول الأسعار التي تعرض عليك عند شرائك لسلعة أو خدمة ما دون نقاش ، فأنت لا تستخدم دخلك استخداما أفضل ، وإن كنت تدفع عادة مقابل أي بضاعة الثمن الذي كتبه البائع على بطاقة السعر فأنت خاضع لما يفرض عليك لا لما تقرره أنت بنفسك ، إذ كيف ترفض أن تشتري بضاعة بأقل من سعرها المعلن بـ ٥٪ أو ١٠٪ أو ٢٠٪ بينما تستطيع ـ لو ساومت ـ أن تحصل على بعض ذلك التخفيض أو كله .

اسأل نفسك : هل هذه البضاعة لا تتوفر بعد فترة من الوقت في موسم التنزيلات ؟ وانها عندئذ ستكون أقل سعرا بكثير مما هي عليه الآن ؟ فلماذا لا أحصل على جزء من التخفيض الآن لكن بعد المساومة ؟ وتذكر أن الناس ليسوا أسهل المخلوقات للتفاوض والمساومة معهم ، فإن لهم أفكارا خاصة بهم ومصالح وطلبات يصممون على الحصول عليها . . . ولكن تذكر أيضا أنهم بشر مثلك ولا ضرر من أن تطلب منهم ما تعتقد أنه حقك . . فقط حطم العزلة وتشجع .

ليس هناك لحظات أكثر ترددا وقلقا من اللحظة التي تكون فيها في محل للبضائع ، وقبل دقائق من قرارك شراء بضاعة ما ، فالبائع لديه هدف واحد هو أن يجعلك تشتري البضاعة وتدفع الثمن الذي قرره سلفا وكتبه على بطاقة الأسعار .

وأنت من جانبك ليس لديك شيء تخافه . . فقط تشجع ، البائع وأنت متساويان ، وبدونك وبدون آخرين مثلك فإن المحل يمكن أن يغلق أبوابه ، تذكر مرة أخرى أن البائع اذا لم يبعك البضاعة الآن فسوف يضطر لبيعها في التنزيلات . . تشجع واطلب تخفيضا . . .

كيف تتفاوض في كل شيء.. حتى في شؤون الزواج والطلاق ؟

□ تذكر القاعدة الاقتصادية التي تقول انه لا يوجد غداء مجاني . . هناك في آخر الأمر من يدفع ثمن ذاك الغداء . ولكن لا توجد قاعدة اقتصادية تقول انك الشخص الذي يجب أن يدفع ثمن الغداء .

تذكر أيضا أنه ليس لديك منجم من المال تنفق منه . . وتذكر انك لا تنفق نفس الدينار مرتين ، لذلك لا تقبل من الآخرين أن يقرروا لك كم تدفع في بضاعة تريد شراءها . من الآن فصاعدا ، تعلم أن تساوم عند شرائك لأي شيء . . فالمساومة هي التي تجعلك تحصل على تخفيض ، وبذلك تستخدم دخلك استخداما أفضل .

لا تتبع القطيع ، فاذا ذهبت الى السوق واشتريت شيئا ودفعت ثمنه كما حدده البائع فأنت تفعل ما يفعله ٩٦٪ من الناس . . ولكن ما الذي يجبرك على فعل ذلك ؟ ، أنك تستطيع أن تخفض السعر الى نسبة قد تصل الى ١٠٠٪ .



ولكن ذلك يحتاج الى قوة حديدية .

فأنت عندما تدخل فخ الشراء تدخله عن طريقين : إما أن تدخله بشكل مزاجي عن طريق مشاهدة إعلان عن بضاعة في « التلفزيون » أو الصحف ، وإما عن طريق تصميم سابق بأنك محتاج الى السلعة التي تريد شراءها . المشتري المزاجي هو المشكلة لأنه يقع في الفخ سريعاً ، ومعظم مشتري المزاج هم صنف معين من الناس .. لاسيما النساء .. هذا فستان جميل أريد أن أجربه .. وما ان تجربه حتى تتعلق به ، وبخاصة إذا وجدت بائعة تقول لها : ما أحلى هذا الفستان على هذا القوام الملفوف ، وقد لا يكون ملفوفاً أبداً .. فانها تقتنع به على الفور .. وتشتريه ..

المشتري الذي يقرر سلفاً ماذا يريد ، يمكنه أن يحصل على تخفيض يصل الى ١٠٠٪ عندما يسأل نفسه : ولماذا أريد هذه السلعة ؟ إن لدى مثلها تماماً في البيت ! بهذا القول العقلاني فانه يحصل على التخفيض الأكبر اذ أنه لن يشتري ، وبالتالي فلن ينفق شيئاً ..

«الطشيش» .. الخُدعة !

□ عندما تكون أسبابك في الشراء موضوعية غير مزاجية ، تكون قوتك التفاوضية مع البائع في ذروتها ، ولكن من الصعب التفاوض عندما تكون أسباب الشراء مزاجية ، وقتها تكون في أضعف نقطة تفاوضية ، فأنت أو زوجتك أو ابنك الكل يريد هذه السلعة .. يريدها فوراً ..

والبائعون يعرفون ذلك .. وكذلك علماء النفس المهتمون بالتسويق ، لذلك طوروا تقنية بارعة في أساليب عرض البضائع والسلع والخدمات للايقاع بك .

يقال في إطار حنكة البيع ، ان البائع الذكي الذي يبيع شرائح اللحم (ستيك) هو الذي يبيع (الطشيش) لا اللحم !

(الطشيش) لا يتوجه الى عقلك ولكن الى خيالك والى عاطفتك ، فعندما تطبخ شرائح اللحم وتشم رائحتها وتسمع (طشيشها) تنفتح شهيتك للطعام ـ لذلك فإن كثيرا من المطاعم الراقية تجهز الطعام قريبا منك . بائع (الطشيش) ليس مقتصرا في بيع شرائح اللحم ، فالمطاعم التي تقدم الوجبات النباتية تتوجه الى رغبة الناس في الصحة الجيدة وليس الى عاطفة الانسان نحو الحيوان المذبوح . إنها حقيقة في عالم التجارة والأعمال ، وقد أثبتها البائعون الذين أصبحوا أغنياء ، إنك تشتري السلع بسبب (الطشيش) ولا تشتريها بسبب حقائق موضوعية لها علاقة بالسلعة نفسها ، وقد يكون هذا (الطشيش) في بعض الأوقات اسما لمصصمم أو بيت أزياء أو مكانا لانتاج السلعة .

بالنسبة لك .. هذا (الطشيش) يجب أن يكون إنذارا مبكرا ، فعندما يكون البائع أو البائعة على أصلب أرض تفاوضية وأنت مبهور (بالطشيش) الذي تسمعه أو تراه أو تشمه أو تلمسه ، فأنت تقف وقتها على أضعف أرض تفاوضية ، عند ذلك تكون كالسمكة التي تكاد أن تلتقط الطعم ، فاحذر انه الوقت المناسب لاغلاق فمك والابتعاد الى أرض أكثر أمانا .

إذا كنت تستطيع أن تحصن نفسك ضد « بيع الطشيش » فأنت تستطيع أن تساوم على سعر أفضل ، أما اذا لم تكن محصنا فكان الله في عونك .

أنت فقط تحتاج الى الشجاعة والثقة بالنفس كي تطلب التخفيض في السعر ، وإن طلبته مرة فسوف تجد أنه سهل ، وتتلذذ بطلبه بعد ذلك وسوف تجد كذلك أنه امتحان لثقتك بنفسك .. وربما أيضا امتحان لقواك العقلية .... !

كيف تشتري أو تبيع أو تصلح منزلك ؟

☐ لا بد أن تبتعد عن المغامرة في تغيير ثلاثة أشياء دفعة واحدة وفي وقت واحد : وظيفتك .. وزوجك .. وبيتك وكذلك موقفك السياسي .. وشريكك .. وجنسك ، ولو غيرت ثلاثة من هذه الأمور في نفس الوقت فلا بد أنك ستصاب بالجنون ....

شراء منزل أو بيعه ليس بالعملية السهلة ، ربما تعتقد ـ اذا كنت مشتريا ـ ان الطرف الذي يملك المال أقوى في موقفه التفاوضي من الطرف الذي لديه حجر (منزل) .. وربما تعتقد ـ اذا كنت بائعا ـ ان من لديه حجر أقوى موقفا تفاوضيا من الشخص الذي لديه مال .. فأنت مخطىء في كلا الحالين .... !



يقول الكاتب بوضوح لا لبس فيه ان معظم بائعي البيوت « لصوص » وكذلك معظم مشتريها !!

الفقراء جدا والأغنياء جدا هم الذين يؤجرون المنازل التي يسكنونها ، أما البقية ـ وهم معظمنا نحن الأغلبية ـ فنشتري المنازل التي نسكنها ، وشراء بيت أو شقة أو

المساومة أصبحت طريقة حضارية متقدمة لزيادة دخلك

بيعها ربما يكون أكبر صفقة نقوم بها لصالحنا الشخصي نحن أبناء الأغلبية ، وشراء منزل أو بيعه هو أيضا امتحان لحبك لزوجتك ، فهو يمكن أن يؤدى الى الفشل في الزواج كما يمكن أن يؤدى الى إنقاذ حياتك الزوجية من كارثة ، ومعظم أسباب الطلاق - كما يقول المؤلف - تنبع من الخلاف بين الزوجين على شراء أو بيع بيت .. وذلك في المجتمع الغربي بالطبع ..

إن كنت مشتريا لمنزل فسوف تسمع من البائع أن هناك ثلاثة على الأقل قد فاتحوه في شراء المنزل قبلك ، وإن كنت بائعا فسوف تسمع من المشتري ان هناك مجموعة من المنازل أفضل من منزلك وأقل سعرا .

بائع المنزل يقول نصف الحقيقة ، وقول نصف الحقيقة أسوأ من الكذب ، فهو يشير الى ايجابيات منزله ويتغافل عن عيوبه .. فالسيدة الكريمة التي تطوف بك حول منزلها تصف لك جماله وما يطل عليه من مناظر خلابة ، هي في حقيقة الأمر ذئب في ملابس إنسان ، لسان حالها يقول : هذه فرصة للتخلص من المنزل بأسرع وقت ممكن . أنت في حقيقة الأمر لا تهمها من قريب أو بعيد ، والابتسامة التي رأيتها منذ أن دخلت هي ابتسامة كاذبة فهي تتمنى ألّا تراك مطلقا بعد إتمام الصفقة ودفع أغلى ثمن في منزلها .

ابتسامة المشتري أيضا يجب ألّا تخدعك . إن كنت بائعا لمنزلك فهو يريد أن يحصل عليه بأقل الأثمان ، لا تهمه ظروفك المالية أو كم دفعت في المنزل عندما اشتريته ؟ أو ما هي الاصلاحات التي قمت بها ؟

والنصائح التي يمكن أن تقدم للبائع والمشتري هي كما يلي : -

لا تقع في خطأ كشف موقفك التفاوضي ، كأن تقول : لقد حصلت على وظيفة في مدينة أخرى وأريد أن أنتقل اليها ، لذلك أنا أعرض منزلي للبيع ، أو أن عليّ ديونا أريد تسديدها ، فأنت بذلك تقع في الفخ . وأيضا ان كنت مشتريا فلا تقل بأن عليك الانتقال الى هذا الجزء من المدينة لأنه أقرب الى عملك أو أن الأولاد وأمهم يفضلون هذا الحي الهاديء .. فأنت إن فعلت ذلك وقعت في الفخ أيضا .... !

والإصلاح :

□ شراء منزل أو بيعه على صعوبته ليس بصعوبة إصلاحه ، فبعض المباني ليست كما خلق الله الأرض - كاملة غير ناقصة - فبعضها لا تكاد تدخلها حتى تلاحظ الشقوق في الجدران وانسداد أنابيب الماء وفيضان المجاري .. وعليك هنا بالاستعانة بمجموعة من الخبرات التي أصبحت نادرة - كالسباك والكهربائي والصباغ والنجار والمقاول - هؤلاء لا يمكن أن (تتشطر عليهم) وتدخل في مفاصلة معهم ، فمهما بدا لك انك ربحت ، فأنت الخاسر - كما يقول الكاتب - ، في إطار اصلاح المنزل أنت فقط تريد أن تخفف الضرر ما أمكن لا أن تطمع في وقفه .

حتى تستطيع أن تتجاوز مشكلات البيع والشراء والاصلاح عليك أن تضبط

عواطفك ، وألا تنساق وراء اقتراحات زوجتك أو أصدقائك ، فأنت الذي سوف تدفع في النهاية من حُرّ مالك ، حدد ما تريد بدقة ووضوح ، في حالة احتياجك لاصلاح المنزل اكتب كل التفاصيل التي تريد تغييرها ومواصفاتها أيضا وحدد برنامجا زمنيا لها ثم اطرح مناقصة صغيرة لمقاولين أو أكثر ، ولا تدفع مقدما ، فالمقاول الذي يريدك أن تدفع له مقدما ربما يكون في طريقه الى الافلاس . . . والأفضل أن يفلس دون أن يأخذ نقودك معه . . . !

كذلك اطلب في منزلك أعلى ثمن عندما تريد بيعه ، واعرض أقل ثمن عندما تريد شراء بيت ، أما كم تدفع أو تقبض فيعتمد ذلك على قوتك التفاوضية وكتمان بعض الأسرار .

قوتك التفاوضية ألا ترتبط عاطفيا بالأشياء التي تريد بيعها أو بالاشياء التي تريد شراءها أو بالناس الذين تتعامل معهم في الحالتين !!

وشراء سيارة :

□ متى كانت آخر مرة اشتريت فيها سيارة ؟ لا بد أنك قابلت السيد (ناقص زايد) فهو ـ لافض فوه ومات حاسدوه ـ . . يقدم لك أقل سعر لسيارتك القديمة وأعلى سعر للسيارة الجديدة ، لذلك سميناه هنا (بالسيد ناقص زايد) .

الفرق بينك وبين بائع السيارات أنه يجرب قدراته التفاوضية أكثر من مرة في اليوم ، وأنت تجربها ـ إذا ما أتيحت لك الفرصة ـ مرة واحدة كل أربع سنوات أو خمس .

عندما تقرأ إعلانا في الصحف عن سيارة جديدة أو تراها في التلفاز تذهب كي تشاهدها في المعرض ، وبمجرد دخولك تقابلك على الأقل عشرون سنة من الخبرة التفاوضية تصاحبها شهية إفطار على زبون مثلك ، دعك من الشخص الأول الذي يقابلك ، فهو هنا في المعرض منذ فترة وجيزة وهو أيضا جسر . فسرعان ما يظهر السيد ناقص زايد ويعرف بطريقته الخاصة أنك زبون ممتاز ، ويبدأ بالتسخين معك .

كيف تواجه مثل هذا الموقف ؟

أولا : يجب أن تعترف بينك وبين نفسك ـ وهذا مهم ـ أن خبرتك في هذا المجال ناقصة ، ثم طـور تكتيـك التفـاوض وإلا فسوف تكون تحت رحمة البائع .

قبل أن تفعل أي شيء اسأل نفسك : لماذا تريد سيارة جديدة ، هناك سببان فقط لشراء سيارة جديدة ، سبب حقيقي لأنك محتاج لها ، وسبب عاطفي أنك تريد مجرد التجديد لأنك ربما لا تستطيع أن تجدد شيئا آخر .

السبب الأول يمكن الدفاع عنه ويجعلك في موقف تفاوضي أقوى لأنه عقلاني ، أما السبب الثاني فان موقفك التفاوضي فيه ضعيف ، وغالبا ما يجعلك تدفع مبلغا أكبر في السيارة التي تريدها .



لذلك نجد أن مروجي بيع السيارات والباعة يتجهون دائما الى عـاطفتك لا إلى عقلك ، وأنت ترى دائما الاعلان عن السيارات في بيئة غير تقليدية ، أمام شاطىء البحر الجميل ، أو أمام قلعة قديمة وتاريخية مصحوبة دائما بامرأة نصف مكتسية ، أو



التفاوض
فـــن
الحيـــاة
ولـــه
تكتيك
لابـــد
مـــن
معرفته

شاب وسيم لاغراء الجنس الآخر . فرجال التسويق يعرفون جيدا أن عليهم أن يخاطبوا العاطفة والولع بالسلع الفاخرة أكثر مما يخاطبون الحاجة . وغالبا ما يتغلب عليك في النهاية السيد (ناقص زايد) عندما يوهمك أن مركزك وسنك لا يسمحان لك بشراء سيارة صغيرة ليس بها من الزيادات الفنية شيء ، وينتهى في الغالب الى أنه لا يبيعك السيارة ولكن يبيعك تصورك لنفسك . . وستجد نفسك في النهاية تحاول اقناع هذا الرجل الوسيم بأنك قادر على شراء مثل هذه السيارة التي يعرضها لأنك ذو شأن في المجتمع . . فأنت تبيع نفسك له ، وهو يبيعك سيارة مرتفعة الثمن ، وتشرب فنجان القهوة وانت لا تعرف انه أغلى فنجان قهوة يمكن ان تشربه . . !

قبل أن تدخل في هذا الفخ فكر هل أنت حقيقة بحاجة الى سيارة جديدة . . أم أن سيارتك الحالية يمكن ان تخدمك لسنوات أخرى قادمة ؟

التفاوضُ مع الآخرين :

□ أليس كل الناس الذين تعرفهم يقنعونك بشكل او بآخر بأنهم يعرفون الحلول لكل مشكلات العالم ، فهم يعرفون حلول مشكلات التضخم ومشكلات المديونية العالمية ومشكلات نزع السلاح ، أي أن لديهم أحكاما جاهزة على كل شيء عدا شيء واحد . . هو حل مشكلاتهم الشخصية . . !!

والمفارقة ليست مغزولة فكل سكان لندن مثلا يحبون الخير للانسانية ولكنهم يكرهون بعضهم بعضا !

والكراهية التي يحملها المتعصبون لمن يخالفونهم الرأي في المذهب او السياسة أو الذوق الفني هي من طبيعة البشر ـ النساك وحدهم لا يكرهون ـ لذلك فإن مهمتك مع الناس ليست مجرد أن تعرف كيف تتعامل معهم ، ولكن ايضا ان تساعدهم في التعامل معك .

خدم المنازل مثلا هم احد القطاعات الهامة التي تتعامل معها جماعة كبيرة من الناس ، ينسى البعض انهم بشر مثلهم ، والظاهرة الملفتة للنظر ان الناس يشكون دائما من خدمهم ولكن يحتفظون بهم سنة بعد سنة ، ومعنى ذلك انهم يؤدون عملهم بشكل جيد . معاملة الخدم تظهر اسوأ ما تكون في سلوك الليبراليين ، فهم انسانيون من الخارج ومفرطون في الانانية في منازلهم .

ويعرض الكتاب مجموعة من الأفكار حول التعامل مع المساعدين في المنزل (الخدم) ، أفعالهم التي تراها من وجهة نظرك سلبية ليست بالضرورة كذلك بالنسبة لهم . . فلعلهم تعلموها من مخدومهم السابق . اشرح لهم عملهم مرة واحدة ودعهم يقومون به وحاسبهم على النتائج ولا تقف خلف ظهورهم تراقب كل حركاتهم ، لاتنههم عن التحدث مع خدم الجيران ، فأنت ان فعلت ذلك فسوف تدفعهم لهذا السلوك ، ولا تعتقد بان الخوف منك هو الذي يجعلهم يقومون بعملهم . تذكر أنهم بشر ، والبشر يستمتعون بالعمل خصوصا اذا كانوا يحصلون على أجر عنه . اذا فشلوا في اداء عملهم من وجهة نظرك فاقترح تعويضا مناسبا يستطيعون القيام به ولا ترفع عقيرتك بالصياح .

الأطفال جنسٌ آخَر :



□ أقدر المخلوقات على التفاوض هم الأطفال ، ويعتقد الأطفال أن أي شيء يريدونه في الدنيا يمكن الحصول عليه بسهولة . . العقبة الوحيدة امامهم هي والداهم ، لذلك فهو يطلبون ويصرون على طلباتهم ، وفي كثير من الأوقات يخضع الوالدان ويوافقان .

وكل الأزواج يعرفون جيدا كيف يربون الاطفال ، ولكن اطفال الآخرين لا اطفالهم ، ومن السهل ان تصادف خبيرا في تربية الاطفال في السوق أو في الحافلة او في حجرة الانتظار لدى الطبيب ، ولكن من الصعب ان تصادف من يستطيعون معالجة مشاكل اطفالهم بنجاح .

في عالم الاطفال ـ يبدو الآباء والأمهات لابنائهم منجما بلا قاع . . فكل احتياجاتهم تقدم لهم بالمجان . . الاكل والشرب والمأوى والترفيه ، والحب . . وكذلك مشاهدة التلفاز ولدى اقل فشل في اداء احدى تلك الخدمات يطلق الاطفال عقيرتهم بالصياح ، نوبات الصياح في بعض الاحيان تطلق عندما تكون الامور سائرة بشكل معقول ولكنها تطلق للانذار فحسب ، والاطفال يصمتون في حالة واحدة فقط . . هي عندما يقومون بعمل ليس من المفروض ان يقوموا به !!

قوة الطفل التفاوضية تكمن في « عدم المساواة » في القيم بين الطفل ووالديه ، ويجد الطفل بسرعة في سنوات نموه الأولى ماذا يحبان فيه وماذا يكرهان ، ويهدد بالاخلال بما يريدان منه حتى يحصل على ما يريد .

الاشياء التي يريدها الآباء من الاطفال قليلة الثمن لدى الطفل ، كبيرة لدى الوالدين ، لذلك فان مركز الوالدين التفاوضي يصبح ضعيفا . . !

والآباء الذين يريدون السلامة يشترون هذه السلامة بالاذعان لطلبات الاطفال ، فالطفل يحرج والديه في اوقات يختارها ، في تجمع كبير ، أو في السوق أو عندما يحضر ضيوف . . باختصار يعرف الاطفال متى يضغطون لتحقيق رغباتهم ، والمشكلة معهم انه ليس هناك حدود قصوى لضغطهم ، انها ظاهرة الارهاب من الصغار تجاه الكبار ، صحيح ان بعض الآباء يجاهدون حتى لا يخضعوا لهذا الارهاب ولكن معظمهم يفشلون ، لماذا ؟

لأن العقوبات التي يهددون بها الطفل اكبر من ان يطبقوها :

ـ اسكت عن الصياح والا حرمتك من الاجازة ؟

ـ ان فعلت ذلك فسوف تذهب الى الحديقة بدونك .

وهي تهديدات سرعان ما يكتشف الصغار انها غير جدية ، لذلك فان اول درس للتفاوض مع ابنك ان تهدده بعقوبة معقولة يمكن ان تفرضها دون ان تتدخل الأم والجد او حتى الجيران والمعارف .

هناك ايضا قضية هامة ، وهي ان بعض الأمور التي تعتبرها تافهة هي هامة جدا للطفل ، فلا تتسرع في الرفض ان كان بامكانك ان تحقق الطلب وهو معقول جدا .

اذا كان لديك الصبر والوقت والاستعداد للدخول في حرب استنزاف مع طفلك ، يمكنك ان تتفاوض معه بشكل معقول ، فان لم يكن لديك الوقت والصبر فلا تدخل في صراع معه ، ان قررت ان ترفض طلبه وبدأ بالصراخ ثم وافقت له على الطلب ، فانت تعطيه الدرس الأول في الضغط عليك .

أثناء صياحه تجد نفسك تراجع الامر وتحدد اهمية ما قلته ، وتحاول ان تربح الجولة ، اما هو فانه يستمر في صراخه مستنجدا بأمه وجده وخالته ـ ان وجدت ـ وبكل الناس ضدك الى ان ترضخ .

> الطفل يستخدم كل أسلحته التفاوضية مع والديه ويكسب المعركة

التفاوض فن الحياة :

☐ حقيقة الأمر ان الكتاب يذهب بعيدا في موضوع المساومة أو التفاوض ، فيتحدث عن التفاوض في المطعم وفي شركات الطيران وفي الفنادق ، وفي الحب وفي الطلاق وفي الزواج وفي كل العلاقات الاجتماعية . . . في كل هذه المجالات هناك تكتيك للتفاوض لابد من معرفته اذا لم تكن الحياة قد علمتك بعد خطواته ، وان قصرت عليك دروس الحياة فالكاتب يطلب منك ان تحضر الى عيادته !

ألم اقل ان الكاتب لابد ان يكون اسكتلنديا ! ☐

محمد الرميحي

«إسرائيل» واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات!

بقلم: اللواء الركن خضر الدهراوي

«بلمبات» هو الاسم الكودي الذي اختارته المخابرات الاسرائيلية «الموساد» لعملية الاستيلاء على صفقة يورانيوم عام ١٩٦٨، فكيف سارت العملية؟ وهل حصل العدو على الصفقة؟

هذا ما يجيب عنه هذا المقال؟

ظلت اسرائيل منذ قيامها تقبل على مضض أن يتم جانب كبير من تجارتها سرا، لأن القائمة السوداء التي وضعها مكتب المقاطعة العربية كان لها دور كبير في هذا المجال، فالشركات العالمية كانت تطلب من اسرائيل، أن تكون المعاملات بينهما سرية، لأنها تخشى من وضعها في القائمة السوداء.

ولذا كان من المحتم أن يتم جانب كبير من معاملات اسرائيل التجارية عن طريق شركات اجنبية خارجها، يديرها أجانب متعاطفون معها، وكان من الضروري أيضا أن تلعب المخابرات الاسرائيلية «الموساد» دورا مهما في البحث عمن يمكن أن يساعدها في الحصول على متطلباتها عن طريق الشركات الأجنبية التي تتم من خلالها المعاملات التجارية.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تمد «اسرائيل» بمعظم احتياجاتها من المعدات العسكرية، الا أنه كان هناك جانب آخر يجب أن تحصل عليه «اسرائيل» من مكان آخر، ففي عام ١٩٦٤ وقع اختيارها على شركة أسمرة كيمي الالمانية للمساعدة في الحصول على اليورانيوم، ولهذه الشركة قصة غريبة نسردها للقارىء.

قصة غريبة!

تأسست أسمرة كيمي في مدينة فيسبادن الالمانية القريبة من فرانكفورت في ابريل ١٩٥٢ كشركة بين هيربرت شولزن وهيربرت سكارى، وكانت الشركة تقوم بصناعة وبيع المنظفات الصناعية، أو بمعنى أدق كانت تشتري مكونات الصابون وتخلطها ثم تعبئها وتبيعها، ولم يكن لدى الشركة مكان لتقوم بأعمال أكثر من هذا، لأن مقرها كان عبارة عن حجرتين تطلان على فناء صغير، وفي أوائل الستينيات، وبمساعدة اثنين من رجال التسويق الممتازين، تمكنت الشركة من الحصول على عقود لتوريد انتاجها الى القواعد العسكرية الامريكية الموجودة في المانيا، كما أصبح للمشتركين علاقات صداقة ممتازة مع المسئولين بمكتب التموين التابع للجيش الألماني.

وفي عام ١٩٦٢ دفع هيربرت سكارى بالشركة الى العمل في مجال انتاج المواد المضادة للتلوث النووي، وحصلت الشركة من المراجع العسكرية السوفيتية على تركيبات مختلف السوائل المضادة لغاز الاعصاب، والغاز الحارق والغبار الذري المشع.

وبحلول عام ١٩٦٤ كان لشركة اسمرة كيمي مركز ممتاز في سوق المستلزمات الدفاعية، الى جانب اتصالاتها الواسعة في المجالات الصناعية والعسكرية.

كان هيربرت شولزن هدفا ممتازا للموساد، وكان يعاني من أثر اصابة قديمة في أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما أصيب في رأسه اصابة خطيرة في احدى المعارك الجوية، وظل اثر الجرح يسبب له آلاما متزايدة على مدى السنين التالية، ونصحه الأطباء عام ١٩٦٤ بضرورة اجراء عملية جراحية.

وبعد العملية تلقى دعوة من مصنع للأثاث في تل أبيب لقضاء فترة النقاهة، و خلال الزيارة نظمت له المخابرات زيارة لمعهد وايزمان للابحاث، وعندما عاد الى فيسبادن كان قد شفى تماما من ذكريات جرحه، حاملا معه ذكريات جديدة حارة، وكتابا مصورا عن «اسرائيل» وضعه أحد معارفه الاسرائيليين الجدد.

ولم يمض وقت طويل حتى أدت زيارة شولزن «لاسرائيل» الى تلقي شركة أسمرة كيمي طلبيات من شركات اسرائيلية، جاء بعضها مباشرة، وبعضها عن طريق شركات المانية أخرى، وكانت هذه عمليات تجارية بحتة، ومن بينها طلبيات تتعلق بمادة كيميائية تستخدم في صناعة المنسوجات.

في يونية ١٩٦٧ حدثت تغييرات في الشركة، حيث سلم هيربرت سكارى البالغ من العمر سبعين عاما السلطة الفعلية في الشركة الى شولزن، وبعدها مباشرة بدأت عمليات الشركة مع «اسرائيل» تأخذ الطابع العسكري الخالص، فقد زودت الشركة الجيش الاسرائيلي بعدد ٣٠٠ جهاز لمقاومة التلوث، وبعدها حاولت الشركة أن تبيع «لاسرائيل» معدات للتصوير من الجو.

حصلت الشركة على أكبر صفقة تم ابرامها مع «اسرائيل» في عملية انتزاع ٢٠٠ طن من اكسيد اليورانيوم من أحد المعامل بأوروبا، فقد وصل أمر توريد اليورانيوم الى مقر الجمعية العامة في بروكسل في مارس ١٩٦٨، وهذه الجمعية تابعة لمنظمة عملاقة أخرى هي الجمعية البلجيكية العامة، ذات المصالح والاهتمامات المتنوعة التي تمتد من الاعمال المصرفية الى الشحن، الى صناعة الورق الى التعدين، وقد ورد الأمر الخاص باليورانيوم الى دينس دويز رئيس قسم اليورانيوم في الجمعية.

وكان من ضمن الشركات القائمة بجانب الجمعية شركة التعدين العملاقة «انيون منيير» التي كانت القوة الكامنة وراءاستعمار بلجيكا للكونغو، وتمكنت من شحن كميات ضخمة من

اكسيد اليورانيوم الى بلجيكا ، وتم تخزين هذه الكميات في مخزن بالقرب من قرية تقع الى الشرق من انتويرت ، وكانت الجمعية العامة للمعادن تجد صعوبة في ايجاد مشترين لتصريف هذه الكمية من اليورانيوم .

وعندما تلقت الجمعية الطلبية التي تتكلف عدة ملايين من الدولارات من شركة أسمرة كيمي ، لم يكن أحد في الجمعية قد سمع بهذه الشركة من قبل ، ومن الطبيعي أن ديويز كان مهتما بالتعرف على مدى قدرة هذه الشركة المجهولة على الدفع وجاء رد الشركة ليؤكد الثقة بها .

فقد كانت المبالغ اللازمة قد أودعت بالفعل في مصرف بزيورخ ، وصدق البنك على ما قالته الشركة ، ولكن أحدا في الجمعية لم يكن قد سمع بهذا البنك . وطلبت الجمعية اجراء تحريات بشأن المركز المالي للبنك ، وعندما جاءت نتيجة التحريات مرضية قالت الجمعية انها سوف يسعدها أن تتعامل مع شركة أسمرة كيمي .

الخديعة

كان شولزن يصرح بأن الهدف من الصفقة هو أن شركته تنوي انتاج البتروكيماويات على نطاق واسع ، وأنها بحاجة الى اليورانيوم لاستخدامه كوسيط في بعض عملياتها الانتاجية ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، فاليورانيوم يتطلب معالجة معينة ، قبل أن يصبح من الممكن استخدامه كوسيط كيميائي ، وقد أخبرت شركة أسمرة مستر ديويز بأنها اتفقت مع شركة « شيماجار » للمواد الكيماوية ، ومقرها الدار البيضاء في المغرب ، على معالجة اليورانيوم ، ثم اعادته بعد المعالجة الى فيسبادان ، لقد كان هناك تعامل بالفعل بين شركة أسمرة وشركة شيمار جار ، الا أن هذا التعامل كان قد توقف منذ فترة طويلة ، وكان اختيار شركة شيماجار فكرة ذكية ، لأنه لو انكشف اختفاء اليورانيوم ، فان مسئولية الحادث تقع على الوطن العربي لا « اسرائيل » .

قال ديويز في هذا الوقت ، ان شركة أسمرة قد تجاهلت بأن المانيا عضو بالسوق الأوروبية المشتركة ، وان أي تحركات أو نقل لليورانيوم بين دول السوق الست كانت تتم تحت رقابة وكالة تابعة للسوق تسمى « يوراتوم » ، كما أن تصدير اليورانيوم ولو بصفة مؤقتة للمعالجة الى دولة خارج السوق كان يستلزم الحصول على اذن من الجهاز التنفيذي الأعلى في السوق (اللجنة الاوروبية) ، ولذا حذر ديويز شركة أسمرة من أن الحصول على اذن بتصدير اليورانيوم الى الدار البيضاء لن يكون مسألة سهلة ، ولن يتم بسرعة ، وأفادت شركة أسمرة بأنها ستبحث عن شركة اخرى داخل السوق الأوربية المشتركة ، وكيفية التسليم وغيرها من المسائل التي سيتم تذليل عقباتها .

كانت المفاوضات حتى صيف ١٩٦٨ تتم بالمراسلة أو عن طريق التليفون ، مما جعل الجمعية العامة للمعادن جاهلة بحقيقة شركة اسمرة ، ولذا اقترح ديويز زيارة شولزن في فيسبادان لاجراء المفاوضات النهائية وجها لوجه ، وكانت الزيارة في مقر شركة أسمرة مشكلة صعبة ، لأن ديويز سيرى بنفسه ذلك الفناء المؤدي الى المدخل الضيق للشركة ، وسيدرك استحالة أن يكون لدى الشركة مكان يكفي لتخزين ٢٠٠ طن من اليورانيوم ، واستخدامها بأي صورة من الصور .

لكن شولزن بخبرته الطويلة كرجل تسويق تصرف باسلوب لبق للغاية ، فدعا ديويز الى منزله الواقع وسط تلال مليئة بأشجار الصنوبر في قرية هتنهاين ، على مسافة عشرة أميال من فيسبادان ، والمجهز على الوجه الأكمل بحمام السباحة الموجود فيه ، والكراج بسياراته

الثلاث ، وتم اللقاء بحضور عدد من الرجال حسبهم ديويز من العاملين بالشركة ، وكانوا يتحدثون بالالمانية فيما بينهم ، بينما المفاوضات كانت بالانجليزية ، وعندما أثيرت مشكلة الشركة المغربية أعلن شولزن أنه وجد شركة أخرى في ميلان يمكن أن تتولى الأمر ، واقترح وسيلة النقل بالبحر ، اذا لم تكن هناك مشكلة بسبب ابتعاد شحنة اليورانيوم عن أراضي السوق الأوروبية المشتركة لفترة من الوقت ، وأفاد ديويز بأنه لاتوجد مشكلة لأن الرحلة لاتمثل تصديرا لليورانيوم خارج دول السوق الأوروبية المشتركة ، وأوضح ديويز أنه عند عودته الى بروكسل ، ستقوم الجمعية العامة للمعادن بصياغة عقد وتحويله الى وكالة « يوراتوم » للتصديق عليه ، وكان لحسن حظ شولزن أن الجمعية العامة للمعادن لم يكن لديها فضول للتحقق من ماهية شركة أسمرة ، كما أنها لم تهتم بالشركة الايطالية « سايكا » التي اختارها شولزن بسبب صداقة قوية عمرها عشرون عاما ، كانت تربطه بصاحبها فرانشيسكو سيتوريو ، ولم تكن شركة « سايكا » ناجحة تماما في بيع الصبغات لشركات صناعة المنسوجات ، وعندما وصل شولزن الى ميلان عام ١٩٦٨ حاملا اقتراحه ، لم يكن فرانشيسكو وشركته في حالة تسمح برفض هذا العرض ، وكانت هناك مخاوف ، لأن شركة سايكا لم يكن لديها معمل لمعالجة اليورانيوم ، كما أن فرانشيسكو لم يكن لديه أدنى فكرة عن العملية المطلوب اجراؤها على اليورانيوم ، لكن شولزن طمأنه بأنه سيبعث بارشادات وتعليمات مكتوبة مع اليورانيوم .

وعند عودة دنيس ديويز من فيسبادن الى بروكسل لتنفيذ الطلبية ، كان هناك فصل آخر من التمثيلية المتقنة تدور أحداثه في زيورخ ، ففي ١٩ أغسطس ١٩٦٨ ، تم تفويض مكتب خاص في زيورخ لمثل هذه العمليات ، وبعد ٢٤ ساعة من تفويض المحامي ، تم تسجيل شركة ملاحية ليبيرية تحت اسم بيسكاين تريدرز كوربوريشن ، ومديرها بورهام ياريسال كما هو مبين في السجلات الليبيرية .

مراحل التنفيذ

في أواخر أغسطس عام ١٩٨٦ ، طلب ياريسال من سمسار البواخر « ميلر » في هامبورج » شراء سفينة حمولة ١٥٠٠ طن ، وبعد ثلاثة أسابيع عرض مولر سفينة الشحن « شيرزبرج » حمولة ٢٦٠٠ طن ، وتم شراؤها بمبلغ ١٦٠ ألف استرليني ، ودفع ثمنها عن طريق بنك هامبورج ، وأصبح لدى شركة بيسكاين تريدرز سفينة بعد خمسة أسابيع من تكوينها ، وتمت الصفقة بسرعة أثارت دهشة مالكي السفينة شيرزبرج ، وهم أصحاب احدى شركات الملاحة في هامبورج ، وقد دار بخلد المسئولين في هامبورج أن شيرزبرج ربما تستخدم في تهريب الاسلحة ، كما تراءى للبعض أنها سوف تستخدم في أي عمل مريب .

ولكي تكتمل التمثيلية المتقنة ، طرد ياريسال بحارة السفينة شيرزبرج في اليوم التالي ، وأحضر مجموعة من البحارة نقلوا من سفن أخرى مملوكة لياريسال ، ولم يصل القبطان الجديد الذي عينه ياريسال الا يوم ٨ اكتوبر ، وفي اليوم التالي ٩ اكتوبر بدأت السفينة شيرزبرج التي سميت شيرزبرج رحلة طويلة الى الجنوب يرفرف عليها العلم الليبيري ، حاملة شحنة توجهت بها الى ميناء نابلي ، ورغم عدم علم البحارة ، فان هذه الرحلة كانت « البروفة » النهائية للعملية ، وبعد اتمام الرحلة الى نابلي تلقى بحارة شيرزبرج - ١ أنباء تفيد بأن ياريسال باع السفينة ، وأن ملاكها الجدد يريدون أن يضعوا عليها بحارة وقبطانا آخر من التابعين لهم ، وتم تنفيذ ذلك بمجرد وصول السفينة الى روتردام يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٨ ، حيث تلقى البحارة أجورهم وتركوها .

تصميم محكم

في ١٥ نوفمبر ١٩٦٨، غادرت السفينة شيرزبرج ـ ١ روتردام في طريقها الى انتويرب لشحن اليورانيوم، وكان الشيء الغريب ظهور هيربرت شولزن فجأة على ظهر السفينة، ودون سابق اعلان، مهتماً بكل شيء يتعلق بالشحنة، حتى أنه كان يقوم بالتتميم على البراميل، والشيء الغريب أيضاً أن عدد البحارة كان محدوداً للغاية، فقد كانوا نصف العدد المعتاد، وبعد دقائق من منتصف ليلة الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ أبحرت شيرزبرج ـ ١ وبداخلها ٢٠٠ طن من أكسيد اليورانيوم المعبأ في براميل مكتوب عليها «بلمبات» وهو الاسم الكودي الذي اختاره الموساد للعملية، وكانت الوجهة المعلنة للسفينة هي جنوة، لكنها لم تصل قط الى هناك، وفي ٢ ديسمبر ١٩٦٨ ظهرت السفينة في ميناء الاسكندرونة التركي، وقال القبطان لسلطات الميناء ان السفينة فارغة، الأمر الذي لم يكن صحيحاً، وبعدها أخذ القبطان وبحارته السفينة الى بالرمو بصقلية واختفوا تماماً.

ومرة أخرى عاد ياريسال ووضع البحارة القدامى على السفينة، وكان هذا الاجراء محيراً، مما أثار فضول البحارة لمعرفة المكان الذي ذهبت اليه السفينة خلال الشهر الذي غابوه عنها، وراجعوا السجلات ووجدوا الصفحتين الأخيرتين منزوعتين.

وفي أواخر ١٩٦٩ اجتمع المسئولون من أعضاء السوق الأوربية سراً لبحث الموضوع وقرروا اغلاق ملف القضية والابقاء على سريتها، وكان لدى البعض الشك في أن اسرائيل هي المسئولة عن العملية، وأن السفينة شيرزبرج ـ ١ قد اتجهت الى مكان بالقرب من قبرص، وأن الشحنة نقلت في البحر الى سفينة أخرى، وأن الوجهة النهائية لشحنة اليورانيوم هي ديمونا، حيث يوجد المفاعل الاسرائيلي في بيرشيا بصحراء النقب، وبواسطة هذا المفاعل يمكن تحويل اليورانيوم الى البلوتونيوم الذي تصنع منه القنابل النووية.

ولكن الحكومة الاسرائيلية تنفي مسئوليتها عن الموضوع باستمرار منذ تسرب هذه القصة، وفي يولية ١٩٧٣ بعد خمس سنوات من حادث شيرزبرج اعترف عميل «اسرائيل» الذي يدعى «دان أربل» بدوره في هذه العملية بعد القاء القبض عليه هو وخمسة اسرائيليين في النرويج، واتهامهم بالتجسس والاغتيال.

وكشف العميل النقاب عن أن السفينة شيرزبرج شاركت في عملية اسرائيلية أخرى بعد عام واحد من عملية اليورانيوم، حيث استخدمت في نقل الوقود لتموين الزوارق الخمسة التي اختطفتها «اسرائيل» من ميناء فرنسي يوم عيد الميلاد عام ١٩٦٩، برغم الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة لها.

وختاماً للحديث عن استحواذ «اسرائيل» على اليورانيوم، من الضروري أن نورد الجملتين الآتيتين في حديث «أربل» للمحقق النرويجي، فقد قال أربل أنني كنت امتلك شيرزبرج ـ ١، فتساءل المحقق ثم ماذا، وكان رد اربل انها قد حملت اليورانيوم الى «اسرائيل».

وهكذا فشل المسئولون في وكالة الرقابة الأوربية «يوراتوم» في ضبط صفقة شركة «أسمرة كيمي» بسبب الانشقاق السياسي داخل السوق الأوروبية المشتركة، وبسبب رفض الحكومات الأوربية الاذعان للضوابط التي وضعتها يوراتوم، كما أن الصفقة اجتازها محام لايفهم في الأمور المتصلة بالطاقة النووية، عندما اكتفى بحديث غير رسمي جرى بينه وبين «ديويز» نائب مدير الجمعية العامة للمعادن.

■ في حياة كل امرأة قصتان . . الأولى ماضيها والثانية مستقبلها مع الزوج والأطفال . . وهي تتطلع دائماً الى هذا المستقبل!

«أندريه موروا»

القرآن وترجماته في روسيا

بقلم: الدكتور جابر ابي جابر*

كان الجهد في بداية انتشار الاسلام ينصب على تعليم لغة القرآن الكريم للشعوب المسلمة ، لكن بعض الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية وقفت اللغة في طريقها للوصول الى معاني القرآن الكريم وتدبرها . فلجأ بعض الدارسين لترجمة الآيات الكريمة الى لغات الأقوام الجديدة .

فما الذي حصل في روسيا القيصرية ، ثم في الاتحاد السوفييتي بالنسبة لترجمات القرآن والمراحل التي مرت بها هذه الترجمات ؟

ترجع أولى المعلومات الكتابية التي استقتها روسيا عن الاسلام وكتابه الى القرن الحادي عشر الميلادي ، وبين أهم المصادر كانت كتب التاريخ والمؤلفات البيزنطية التي تتناول الاسلام من زاوية جدالية فتعطي تصورا مشوها عن جوهره وتعاليمه وتاريخه ، ولذا كانت الأعمال التاريخية والأدبية الصادرة باللغة الروسية تطفح ، طوال قرون عديدة ، بالروايات الخيالية الأسطورية حول الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) وتعاليم الدين الاسلامي .

ولكن مع تنامي الصلات التجارية والدبلوماسية بين روسيا وبلدان الشرق الاسلامي ، أخذت تتكون تدريجيا في أذهان الروس أفكار وتصورات أكثر موضوعية عن المسلمين ، فقد كان التجار والرحالة والحجاج والمبعوثون الدبلوماسيون الروس يعودون الى بلادهم حاملين معهم شهادات صحيحة وواقعية نسبيا عن حياة الشعوب الاسلامية ودينها وتاريخها المعاصر والقديم ، وقد احتوت شهادات هؤلاء ومذكراتهم وصفا مفصلا للمساجد والطقوس والأعياد الاسلامية ، ومعلومات وافية حول الأحكام والمبادىء الأساسية للدين الاسلامي .

* باحث وكاتب عربي ، حاصل على دكتوراة من الاتحاد السوفييتي .

أواخر القرن الخامس عشر

في أواخر القرن الخامس عشر ترجم الى اللغة الروسية كتاب يتضمن وصفا مسهبا للمدينتين الاسلاميتين المقدستين مكة والمدينة ، ومعلومات مستوحاة من سيرة النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) ، وفي القرون ١٥ - ١٧ ازداد - الى حد كبير - عدد المؤلفات الروسية المكرسة للدين الاسلامي التي تعطي تصورا أقرب الى المنطق وأكثر موضوعية عن جوهر الدين الاسلامي وتعاليمه ، كما تناولت هذه الأعمال تاريخ البلدان الاسلامية الواقعة على تخوم روسيا الشرقية والجنوبية .

وقد تركز الاهتمام الرئيسي على ترجمة ودراسة القرآن الكريم باعتباره كتاب المسلمين المقدس ، والمصدر الأعلى للعقيدة والتشريع في الدين الاسلامي ، هذا بالاضافة الى كونه وثيقة تاريخية بالغة الأهمية .

زد على ذلك متطلبات التعامل مع مسلمي البلاد ، الذين يشكلون قطاعا ملحوظا من رعايا الامبراطورية الروسية ، والذين كانوا بحاجة ماسة الى قراءة القرآن بلغتهم الأم .

ففي أوساط التتار بليتوانيا ، الذين كانوا ينسون تدريجيا لغتهم الأصلية ، جرت ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر عدة محاولات لترجمة القرآن الى لغتهم الأم الجديدة - اللغة البيلوروسية ،

وان مخطوطات القرآن الواردة من ليتوانيا ، والمحفوظة حاليا في مكتبة كلية الاستشراق بجامعة لينينغراد ،

تتضمن الى جانب النص العربي ترجمة موازية بين السطور الى اللغة البيلوروسية مكتوبة بأحرف عربية ، وفي أواخر القرن السابع عشر ظهرت أول دراسة باللغة الروسية مكرسة خصيصا للقرآن الكريم ، وقد أعدت للأمير بطرس (الذي أصبح فيما بعد امبراطور روسيا - بطرس الأكبر) ولأخيه الأصغر ايفان ، وجدير بالذكر أن هذه الدراسة بالذات أوحت الى بطرس الأكبر في وقت لاحق ، بضرورة انجاز ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة الروسية .

جهود بطرس الأكبر

والى جانب العوامل الآنفة الذكر جاء التطور الواسع للصلات التجارية والدبلوماسية مع بلدان الشرق في عهد بطرس الأكبر ، والحروب الطويلة التي خاضتها روسيا في أيامه ضد الامبراطورية العثمانية وايران الصفوية ، فأعطت زخما جديدا لدراسة الشرق الاسلامي دراسة منتظمة ، ويساهم بطرس الأكبر شخصيا بقسط وافر في تنظيم مثل هذه الأبحاث ، فقد جهزت ، بمبادرة منه ، بعثات علمية لجمع المخطوطات والنقوش والمسكوكات العربية ،

وجرت في عهده أول محاولة في روسيا لتأسيس مدرسة خاصة لتعليم اللغات الشرقية ، بما في ذلك اللغة العربية ، كما أوعز بطرس الأكبر بانشاء دائرة للاشراف على جمع وحفظ الأعمال والآثار المادية والروحية لحضارات شعوب الشرق ، ظهر على أساسها ، بعد مئة عام « المتحف الآسيوي » الذي أصبح أول مركز للاستشراق العلمي في روسيا ،

وفضلا عن ذلك ، وبامر من هذا القيصر ، انجزت أول ترجمة روسية كاملة للقرآن الكريم ، طبعت في بطرسبورغ (لينينغراد حاليا) عام ١٧١٦ وصدرت بعنوان « قرآن محمد أو القانون التركي » ، وقد قام بالترجمة العالم الروسي المعروف بيوتر بوسنيكوف الذي عاش في أواخر القرن السابع عشر ، وأوائل القرن الثامن عشر ، وتلقى علومه في ايطاليا . وقد اعتمد بوسنيكوف على أول ترجمة فرنسية للقرآن ، التي أنجزها المستشرق والدبلوماسي الفرنسي أندريه دي ريير ، وصدرت في باريس عام ١٦٤٧ . وكانت ترجمة دي ريير هذه تتمتع في حينها بسمعة طيبة وشهرة كبيرة ، فأعيدت طباعتها عدة مرات ، واستند اليها في ترجمة القرآن الى لغات أوروبية أخرى ، وحافظت على مكانتها المرموقة ، الى أن نحتها جانبا ترجمة جديدة ، أدق وأكمل ، قام بها المستشرق نيكولاي سافاري ، ونشرت في باريس عام ١٧٨٣ ، وقد اكتسبت ترجمة دي ريير أهمية إضافية نظرا لأن الترجمتين الروسيتين التاليتين للقرآن الكريم ، اللتين ظهرتا في القرن الثامن عشر ، اعتمدتا عليها بالذات .

ولكن ترجمة بوسنيكوف للقرآن ، على أهميتها ، كانت بعيدة جدا عن روح النص العربي الأصلي ومضمونه ، ولم يقتصر الأمر على تكرار التشويهات الكثيرة ، التي تضمنتها الترجمة الفرنسية ، بل أضيفت اليها أخطاء عديدة ، ناجمة عن عدم استيعاب المترجم للنص الفرنسي الاستيعاب المطلوب ، وضعف اطلاعه على مبادىء الاسلام وتعاليمه .

وجدير بالذكر انه بعد بضعة أشهر فقط من صدور ترجمة بوسنيكوف ، تمت ترجمة روسية ثانية للقرآن ، نقلت عن النص الفرنسي ذاته ، وجاءت أكثر وضوحا ودقة ، ولكنها لم تنشر للأسف وبقي أسم صاحبها مجهولا . أما المخطوطة نفسها فلم يعثر عليها الا في مطلع القرن العشرين ، وذلك في شمال روسيا ، وقد ساهمت ترجمة بوسنيكوف في جذب اهتمام العلماء الروس الى دراسة القرآن ، ومن ذلك أن بطرس الأكبر قد عهد بوضع موجز لمضمون القرآن وكتابة بحث عن سيرة الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) الى صديقه الحميم الكاتب دمتري كانتيمير ، الذي عاش مدة طويلة في تركيا ، فكان حسن الاطلاع على أصول الدين الاسلامي ، وجيد المعرفة بعدة لغات شرقية ، وخاصة اللغتين العربية والتركية ، وخلال القرن الثامن عشر ظهرت مؤلفات عديدة حول الاسلام ، نبيه وكتابه ، ولقيت هذه الأعمال رواجا واسعا في أوساط القراء الروس ، مما انعكس في اعادة طباعتها مرات ومرات ، وتحت تأثيرها بدأت تظهر في المجلات والصحف الروسية لمحات من تاريخ العرب ، ونصوص مترجمة من المؤلفات النثرية والشعرية العربية .

للمرة الاولى

وفي عام ١٧٨٧ ، وللمرة الأولى في روسيا ، نشرت مطبعة اكاديمية العلوم ببطرسبورغ النص العربي الكامل للقرآن ، وكان ذلك بأمر من الامبراطورة كاترين الثانية بمناسبة زيارتها الى شبه جزيرة القرم (وكانت قد ضمتها الى روسيا) أملا في أن تساهم هذه المبادرة في استمالة رعاياها الجدد من التتار المسلمين ، وقد قام الشيخ التتري عثمان



اغناطيوس كراتشكوفسكي

ابراهيم باعداد النص وتزويده بالشروح والتعليقات ، وتمت طباعته بحروف عربية مسكوكة خصيصا لهذا الغرض ، بحيث حافظ النص على الخط الذي كتبت به المخطوطة ، والذي يعود الى واحد من أشهر النساخين المسلمين في ذلك العصر ، ويعتبر أفضل الكتابات العربية الموجودة آنذاك في أوروبا ، وجاءت هذه ثالث طبعة للقرآن باللغة العربية في العالم ، وفاقت في جودة الطبع الطبعتين الأوروبيتين السابقتين ، فاستأثرت بالشهرة .

وأعيدت طبعة القرآن هذه في الأعوام ١٧٨٩ و ١٧٩٠ و ١٧٩٣ و ١٧٩٦ و ١٧٩٨ . وأمكن لها ، بعد وصولها الى أوروبا ، أن تزيح من طريقها ، الى حد ما ، الطبعات القديمة التي قام بها ماراتشي وهنكلمان ولقيت استحسانا كبيرا لدى كبار المستشرقين الغربيين ، مثل سيلفستر دي ساسي وكريستوف شنوربير ، أما في روسيا فقد شكلت أساسا لكافة طبعات القرآن اللاحقة التي ظهرت في القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٨٠٠ صدر قرار بالغاء القيود التي كانت تفرض في السابق على نشر المؤلفات الدينية الاسلامية في روسيا ، وعقب ذلك افتتحت في مدينة قازان أول

مطبعة للكتب الاسلامية ، اعتمدت فيها الحروف العربية التي نقلت من مطبعة أكاديمية العلوم ببطرسبورغ . ونشرت مطبعة قازان خلال السنوات الأولى من تأسيسها (٤١٢٠٠) نسخة من النص الكامل للقرآن ، وفيما بعد وصل عدد النسخ الصادرة خلال الأعوام (١٨٤٣ - ١٨٥٢) فقط الى (٢٣٦٠٠) نسخة ، ثم ان عدد المصاحف التي صدرت ما بين عامي ١٨٥٣ و ١٨٥٩ عن مطبعة قازان الرئيسية وبعض المطابع الخاصة هناك قد بلغ (٨٢٣٠٠) نسخة ، والجدير بالذكر أن جميع هذه الطبعات اعتمدت على طبعة بطرسبورغ الأولى (١٧٨٧) ، وقد لقيت رواجا واسعا لا في أوساط مسلمي روسيا فحسب ، بل في خارج روسيا أيضا .

وفي أواخر القرن التاسع عشر راحت هذه الطبعات تقلد في مختلف أرجاء العالم الاسلامي ، تركيا ومصر والهند ، بالاضافة الى شبه جزيرة القرم « بقجة صراي » في روسيا نفسها .

وعقب ظهور الطبعة الأولى للنص العربي للقرآن صدرت الترجمة الروسية الثالثة (عام ١٧٩٠) التي اعتمدت أيضا على ترجمة دي ريير الفرنسية القديمة ، وقد قام بهذه الترجمة الأديب الروسي المعروف ميخائيل فيريوفكين (١٧٣٢ - ١٧٩٥) الذي عمل في حينه مديرا لمدارس قازان الابتدائية والمتوسطة ، وبفضل جهوده ومساعيه الحثيثة أدخل تعليم اللغات الشرقية في هذه المدارس ، وبعد سنتين صدرت في بطرسبورغ الترجمة الرابعة للقرآن (ثالث ترجمة مطبوعة) التي أنجزها المترجم المحترف الكسي كولماكوف (ت ١٨٠٤) من اللغة الانجليزية اعتمادا على ترجمة المبشر الانجليزي جورج سال التي كانت أكثر كمالا وأدق من الترجمة الفرنسية .

دور مهم

وبين هاتين الترجمتين قدر لترجمة فيريوفكين أن تلعب دورا مهما في تاريخ الأدب الروسي ، اذ استطاع المترجم - الذي كان كاتبا ومؤلفا مسرحيا موهوبا - أن يضفي على ترجمته مزايا وسمات أدبية رفيعة ، جذبت اهتمام العديد من الكتاب الروس نحو القرآن ، وكان بين هؤلاء الشاعر الروسي العظيم الكسندر بوشكين ، الذي أحس احساسا



المستشرق فاسيلي بارتولد

عميقا بشاعرية القرآن البديعة الزاهية وبلاغته الرائعة ، واعترف بان القرآن كان أول كتاب ديني يثير مشاعره ويشحذ خياله ، وفي هذه الفترة كان بوشكين منفيا في جنوب روسيا ، وكان آنذاك متأثرا بالاتجاه الرومانسي ، ولكن اطلاعه على حياة الشعب عن كثب وتعرضه للملاحقة والاضطهاد دفعه الى التوجه نحو الأدبيات الانسانية الرصينة ، يستشف منها الطريق الصحيح للخروج من أزمته الروحية ، وكان القرآن من المصادر الأساسية التي تتبعها ودرسها في تلك الفترة الحرجة من حياته ، والتي توّجت بانتقاله الى المدرسة الواقعية .

ان قراءة القرآن في ترجمته الروسية التي أنجزها فيريوفكين قد ألهمت بوشكين نظم واحدة من أشهر قصائده - « من وحي القرآن » . وقد قام فيها بصياغة شعرية لنص قرآني يضم ٢٣ آية . وتذكرنا هذه القصيدة بسورة النجم وغيرها من السور التي ترد فيها صورة متعددة للقسم ، وقد استطاع الشاعر الروسي الكبير أن يعبر عن المضمون الديني - الفلسفي للقرآن بلغته الشعرية الفنية ، ثم ان هذه القصيدة مهدت الطريق ، وللمرة الأولى في الأدب الروسي ، نحو الفهم الصحيح للقرآن ، وساعدت - الى حد كبير -

على تزايد الاهتمام به في أوسع أوساط القراء الروس .

ولكن الترجمات القديمة لم تعد قادرة على اشباع هذا الاهتمام المتزايد ، ناهيك عن أنها أصبحت في ذلك الوقت تحفة بيبلوغرافية نادرة ، ولذلك فقد صدرت في عام ١٨٦٤ بمدينة موسكو ترجمة جديدة للقرآن قام بها ايفان نيكولاييف ، وقد تمت الترجمة استنادا الى الترجمة الفرنسية المشهورة آنذاك ، التي وضعها المستشرق والدبلوماسي المعروف البولوني الأصل كازيميرسكي ، والتي صدرت بباريس في عام ١٨٤٠ ، وعلى مدى القرن التاسع عشر كله حافظت ترجمة نيكولاييف على رواجها الواسع في روسيا ، كما كانت عليه الحال في فرنسا بالنسبة للنص الفرنسي للقرآن ، فقد أعيدت طباعتها خمس مرات خلال أقل من نصف قرن (١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٨٠ ، ١٩٠١) ، وفي الوقت نفسه كانت هذه آخر ترجمة للقرآن يقوم بها مترجم غير مستعرب .

لقد لعبت الترجمات السابقة ، رغم عيوبها ، دورا ايجابيا ، اذ اتاحت للقارىء الروسي فرصة التعرف عن كثب الى القرآن ، فساعد ذلك في ازالة التصورات الخاطئة والخرافية حول الاسلام وكتابه وشخصية الرسول العربي صلى الله عليه وسلم وسيرته ، وهي التصورات التي جاءت الى روسيا كما ذكرنا آنفا ، عن طريق أسفار التاريخ اليونانية القديمة والمؤلفات المسيحية الجدالية .

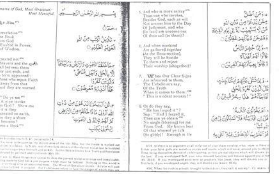
جهود بوغسلافسكي

وفي السبعينيات من القرن التاسع عشر وضعت في آن واحد تقريبا ترجمتان للقرآن تمتا من اللغة العربية مباشرة ، وانجزتا بشكل مستقل احداهما عن الأخرى ، ففي عام ١٨٧١ فرغ الجنرال دمتري بوغسلافسكي (١٨٢٦ ـ ١٨٩٣) من اعداد ترجمة روسية جديدة للقرآن من اللغة العربية مباشرة ، ولكنها لم تنشر ، والمعروف أن بوغسلافسكي حصل على معرفة واسعة في مجال الاستعراب أثناء دراسته في كلية الاستشراق بجامعة بطرسبورغ وعمل سنوات عديدة ملحقا عسكريا بالأستانة ، وكانت له اهتمامات كبيرة ومتعددة الجوانب في قضايا الاستشراق ، كما كانت تربطه علاقات وصلات حميمة مع شخصيات اسلامية وعربية عديدة مثل الأديب السوري رزق الله حسون (الذي قدم له نسخة مطبوعة من ترجمته العربية لحكايات الشاعر الروسي الشهير ايفان كريلوف مع اهداء شعري مكرس له) ، وكان بوغسلافسكي قد عكف على ترجمة القرآن اثناء اقامته في تركيا ، وتميزت ترجمته بدقة متناهية وبحماسة أدبية فائقة ، فنالت في حينها التقدير الرفيع والاستحسان الكبير لدى نقاد صارمين ، مثل فكتور روزين واغناطيوس كراتشكوفسكي ، ولكن بوغسلافسكي علم عقب عودته الى روسيا ، انه صدرت في العام نفسه (١٨٧٨) بقازان ترجمة روسية جديدة للقرآن من اللغة العربية أنجزها غوردي سابلوكوف (١٨٠٤ ـ ١٨٨٠) مما جعله يتخلى عن نشر ترجمته الخاصة التي قضى في اعدادها سنوات كثيرة .

وهكذا فان الفضل في نشر أول ترجمة روسية مباشرة من اللغة العربية للقرآن يعود الى سابلوكوف الذي دفعه ولعه الكبير واهتمامه الواسع بالشرق الى تعلم عدة لغات شرقية بصورة فردية دون معلم ، واستطاع أن يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الاستشراق الروسي ، وبين مؤلفاته وأبحاثه اللغوية والتاريخية والأثرية العديدة تشغل الأعمال المتعلقة بدراسة القرآن مكانا رئيسيا ، اذ كرس سابلوكوف حياته كلها للعمل على ترجمة القرآن ، ففرغ منها في سن الرابعة والسبعين ، واستقبلت هذه الترجمة بارتياح واعجاب من قبل المستعربين في روسيا ، وأعيدت طباعتها بعد وفاته في العامين ١٨٩٤ و١٩٠٧ ، وقد ارفقت الطبعة الأخيرة بالنص العربي للقرآن ، وكتب لهذه الترجمة بالذات أن تلبي حاجات العلم ومتطلبات المجتمع في روسيا آنذاك .

مصحف الخليفة عثمان

وفي عام ١٩٠٥ صدرت ببطرسبورغ طبعة (تصوير) لمصحف الخليفة عثمان المعروف الذي جرى نسخه في مطلع القرن الثامن الميلادي ، وقد أثارت هذه الطبعة اهتماما كبيرا نظرا للقيمة التاريخية التي تتمتع بها تلك النسخة ، وعلى تخوم القرنين



In the name of God, Most Gracious, Most Merciful.

بسم الله الرحمن الرحيم

1. Ha-Mim.

حمٓ

2. The revelation
Of the Book
Is from God
The Exalted in Power,
Full of Wisdom.

تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم

3. We created not
The heavens and the earth
And all between them
But for just ends, and
For a term appointed:
But those who reject Faith
Turn away from that
Whereof they are warned.

ما خلقنا السموت والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون

4. Say: "Do ye see
What it is ye invoke
Besides God? Show me
What it is they
Have created on earth,
Or have they a share
In the heavens?
Bring me a Book

قل أرءيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموت ائتوني بكتب

5. And who is more astray
Than one who invokes,
Besides God, such as will
Not answer him to the Day
Of Judgment, and who
(In fact) are unconscious
Of their call (to them)?

ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غفلون

6. And when mankind
Are gathered together
(At the Resurrection),
They will be hostile
To them and reject
Their worship (altogether)!

وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كفرين

7. When Our Clear Signs
Are rehearsed to them,
The Unbelievers say,
Of the Truth
When it comes to them:
"This is evident sorcery!"

وإذا تتلى عليهم ءايتنا بينت قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين

8. Or do they say,
"He has forged it"?
Say: "Had I forged it,
Then can ye obtain
No single (blessing) for me
From God. He knows best
Of that whereof ye talk
(So glibly)! Enough is He

أم يقولون افتريه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به

التاسع عشر والعشرين بالذات ظهر القسم الأعظم من الأعمال المكرسة لدراسة الاسلام والقرآن باللغة الروسية . فصدرت الدراسات المتخصصة التي قام بها كبار المستعربين الروس مثل فكتور روزين (١٨٤٩ ـ ١٩٠٨) وفيتالي غيرغاس (١٨٣٥ ـ ١٨٨٧) وفاسيلي بارتولد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠) وأغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٤ ـ ١٩٥١) والكسندر شميت (١٨٧١ ـ ١٩٣٩) وأغافانغل كريمسكي (١٨٧١ ـ ١٩٤١) وترجمات أعمال المستشرقين الغربيين الى اللغة الروسية ، ونشر في تلك الفترة عدد ضخم من الدراسات والمقالات التعريفية الاستعراضية عن القرآن والنبي العربي (عليه الصلاة والسلام) والاسلام عموما ، كما اتسع نطاق حركة الطباعة والنشر والصحافة الاسلامية في روسيا خلال السنوات المذكورة فانتشرت المطابع العربية في مدن الامبراطورية الروسية وبخاصة بطرسبورغ وقازان وايرنبورغ وباكو وتفليس وتيميرخان شورا وطشقند ، وجرت آنذاك محاولات لترجمة القرآن الى اللغتين الاذربيجانية والتترية بغية تلبية حاجات مسلمي روسيا القيصرية الذين لا يتقنون اللغة العربية اتقانا كافيا ، ففي عام ١٩١١ أنجز الأديب المعروف موسى بيغيئيف أول ترجمة للقرآن الى اللغة التترية ، ولكن لم

يكمل نشرها نظرا لاحتجاجات رجال الدين الاسلامي ، جريا على العرف الذي يحرم على المسلمين قراءة القرآن مترجما ومع ذلك نشر محمد كامل تحفة الدين في عام ١٩١٤ بقازان ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة التترية مرفقة بالنص الأصلي . أما بالنسبة لعدد الطبعات العربية للقرآن التي أصدرتها المطابع المذكورة فانه غير قابل للحصر ، ولكن كافة هذه الطبعات الى جانب الطبعات اللاحقة (مدينة اوفا ١٩٢٣ و١٩٦٣) ظلت تستند الى نص الطبعة القازانية القديمة التي بقيت معتمدة حتى طبعة طشقند عام ١٩٦٠ (وقد قامت في صلبها الطبعة المصرية المعتمدة ، ١٩١٩ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٨) .

وضمن المؤلفات العديدة حول القرآن التي ظهرت في العهد السوفيتي يمكن أن نذكر أعمال بارتولد «الاسلام» و«مسيلمة» و«القرآن والبحر» و«حول مسألة الرسالة المحمدية» و«محمد» وغيرها وكذلك الدراسات القيمة للمستعربة كسينيا كاشتاليفا (١٨٩٧ ـ ١٩٣٩) المكرسة لشرح المصطلحات القرآنية ولغة وأسلوب القرآن ، بالاضافة الى مقالات البروفسور اسحاق فيلكوف حول رسالة النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) وتفسير بعض الآيات القرآنية .

دور كراتشكوفسكي

وفي عام ١٩٦٣ صدرت بموسكو عن « دار النشر باللغات الأجنبية » الترجمة الروسية للقرآن التي قام بها من اللغة العربية المستشرق الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكي ، وكانت فكرة الاستعاضة عن ترجمة سابلوكوف بترجمة جديدة كاملة تلبي متطلبات العلم المعاصر قد راودت كراتشكوفسكي منذ مطلع القرن العشرين ، فقد نشر في عام ١٩١١ مقالة تتضمن تصحيحات لبعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية الواردة في الطبعة العربية التي أصدرها المستشرق الألماني غوستاف فلوغيل بمدينة لايبزغ عام ١٨٤٢ .

كما القى كراتشكوفسكي في عام ١٩١٥ أول محاضرة له حول القرآن في كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ .

وقد وضع كراتشكوفسكي في عام ١٩١٧ عرضا شاملا لمجموعة مخطوطات القرآن المحفوظة في المتحف الأسيوي (فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية حاليا) ونشر في الاعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ عدة مقالات وأبحاث عن تاريخ ترجمات القرآن في القرون ١٥ ـ ١٧ الى اللغة البيلوروسية في أوساط التتار القاطنين بليتوانيا ، وفي عام ١٩٣٠ صدرت مقالة له حول معنى كلمة « نجم » في القرآن ، وخلال الفترة الواقعة بين العامين ١٩٣٤ و ١٩٤٠ كتب كراتشكوفسكي بعض المقالات حول ترجمتي بوسنيكوف وبوغسلافسكي المذكورتين آنفا .

وكان كراتشكوفسكي قد أعرب في عام ١٩١٩ عن عزمه على وضع ترجمة جديدة للقرآن ونشرها في اطار « مكتبة الأداب العالمية » التي كان يشرف على اصدارها آنذاك الكاتب الشهير مكسيم غوركي . وقد شرع كراتشكوفسكي عام ١٩٢١ بترجمة القرآن من اللغة العربية مباشرة وأخذ في الوقت نفسه بالقاء سلسلة منتظمة من المحاضرات حول القرآن ، استمر فيها حتى الأيام الأخيرة من حياته .

وقد قضى كراتشكوفسكي في ترجمة القرآن الى اللغة الروسية تسع سنوات ، ففرغ من اعداد مسودته في عام ١٩٣٠ ، غير أن ذلك لم يكن سوى المرحلة الأولى من هذا العمل الضخم ، ففي السنوات اللاحقة تابع عمله وهو يدرس بتمعن مجموعة كبيرة من المصادر الأوروبية والعربية حول القرآن ، فان عدد الاستشهادات المستخدمة في الشروح والتعليقات التي زود بها الترجمة الروسية للقرآن قد بلغ حوالي ٤٠٠ مرجع .

لقد استخدم كراتشكوفسكي في ترجمته للقرآن كافة طرق ومناهج العلوم اللغوية المعاصرة ، واتبع في دراسته القرآن اسلوب كبار الفقهاء والمفسرين المسلمين في القرون الهجرية الأولى ، ومن أجل فهم التراكيب اللغوية للقرآن والمفردات والتعابير الواردة فيه لجأ كراتشكوفسكي الى نصوص الشعر الجاهلي وبخاصة دواوين شعراء أواسط وشرق الجزيرة العربية الذين عاصروا الرسول (عليه الصلاة والسلام) وكذلك المجموعات الأولى للأحاديث الشريفة . ولكن المنية وافته قبل أن ينجز عمله كاملا ، ومع ذلك نشرت بعد وفاته ترجمته للقرآن في عام ١٩٦٣ ، وهذه الترجمة من حيث الدقة وطريقة دراسة النص لا تقتصر على كونها أفضل من كافة الترجمات الروسية الأخرى ، بل تفوق بمزاياها العديد من ترجمات القرآن الأوروبية ، القديمة منها والحديثة .

ويرى المستعربون السوفيت أن الأبحاث المتعاقبة التي أجريت في الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الأخيرة حول الاسلام توفر المقدمات الضرورية لتحقيق حلم كراتشكوفسكي في وضع ترجمة أدبية كاملة للقرآن مزودة بالشروح والتعليقات اللازمة .

وعلى هذا الطريق تأتي اعادة طبع ترجمة كراتشكوفسكي مشفوعة بهوامش جديدة خاصة بالتعديلات والتصحيحات المقترحة لبعض أماكن الترجمة ، كما يقوم المستشرق محمد نوري عثمانوف رئيس قسم « الأدبيات والآثار الشرقية » بمعهد الاستشراق في موسكو باعداد ترجمة جديدة للقرآن ويلقي ، في الوقت نفسه ، محاضرات حول القرآن على غرار المحاضرات التي كان يلقيها كراتشكوفسكي في لينينغراد ، خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي ، وطبيعي أن صاحب هذه الترجمة سيستفيد من الخبرة الغنية لترجمة القرآن ودراسته في روسيا . □

بين الهوى والوطن



شعر : الدكتور عيسى درويش

عيناكِ من خُضرِ المروجِ تلوَّنتْ — فرأيتُ في سحرِ العيونِ بلادي

تختالُ في الدوحِ الجميلِ بلابلٌ — مزدانةً بأساورٍ وقلادِ

ترتاحُ في حضن الطبيعة مثلما — يرتاح قلب الأم للأولادِ

تتمايلين وملءُ ثغرك بسمةٌ — تعطي القريضَ عذوبةَ الانشادِ

سحرُ الهوى في مقلتيك ـ كلاهما — شوق المحبِّ وصدُّك المتمادي

والشَّعْرُ يفرقه النسيم ضفائرا — كالصبح يولَدُ بعد ليل سوادِ

مثل السنابلِ توأمان كأنما — جاءا على بشرٍ وفوق جمادِ

تاج الشموخ على جبينك سيرةٌ — تحكي السيوفِ ملاحمَ الأجدادِ

مُر الهوى حلوٌ اذا بذل الفتى — للحب كلَّ عزيمةٍ وجلادِ

صنوُ الورود اذا تزين غصنها — بالشوك صارت حلوة الأورادِ

والناهدان المترفان تسابقا — مثل المها ينزلن نحو الوادي



يـرتاح فيِ الحضن الحنـون مسـافـرٌ   أضنـاه طـول تـغـرُّبٍ وبـعـادِ
والبـاسقـاتُ من الغصـون تـراقصت   لَمـا خـطـرت بـقـدكِ المـيـادِ
تـزهـين مثـلَ الشمس في ألقِ الضحى   فـيـطيـب عـزف الـعـود ـ للعـوّادِ
وتجـود داليـة الكـروم بـخـمـرهـا   امّـا تـرنـم في الخـمـيـلة شـادي
لله مـا أحـلى الـتـفـرّدُ بـالهـوى   ان كـان حـب عـقـيـدة وجـهـادِ
وطنِي الهوي . . والعشْق وجهُ حبيبةٍ   حـبّـانِ قـد جـمـعـا بـلا أضـدادِ
يشقى المحبُّ . . اذا تـواصـل حبُّـهُ   وأراك فـيـه سـعـادتي وسُـعـادي
حمـل الأمـانـة كـالجـبـال ضخـامـةً   وانـا الـضـعـيـف بـقـوتي وعـنـادي
فخذي الأمانةَ . . كم يعذب حملُهـا   ولـيـعـطهـا الابـنـاء لـلأحـفـاد
وطني ويـا عشقي . . فـأنت حبيبتي   فـلـقـد وهـبـتـك مهـجـتي وفـؤادي
ربـاه لم أحـمـل ذنـوبي كـارهـاً   إن المـحـبـة غـايـتي ومـرادي
فـلأجـزيَـنَّ بمـا فـعـلت فـإنـني   في وصـلِ مـن أهـوى عـلى مـيـعـادِ



تنظيم النسل في المجتمعات القبلية

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي*

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن الأزمة السكانية والانفجار السكاني ، وأصبح تزايد السكان مشكلة تؤرق الكثيرين سواء على مستوى الدول أو الأفراد . لكن هذه المشكلة ليست حديثة العهد كما قد يتبادر الى الذهن ، بل انها قديمة قدم المجتمعات البشرية نفسها ، والمقالة التالية تعرض لبعض طرق تنظيم النسل في المجتمعات القبلية .

ان أساس الأزمة السكانية هو عدم تناسب التزايد السكاني مع الامكانيات الاقتصادية المتاحة في مجتمع ما ، وهذه المشكلة لم تظهر للمرة الأولى في وقتنا الحاضر ، بل كانت قائمة أيضا في المراحل الأولى للتطور البشري ، ولعل الجديد فيها هو أنها اكتسبت أبعادا لم تكن لها فيما مضى .

فحتى في أبسط المجتمعات البشرية تطورا ، وهي المجتمعات التي تعتمد في تحصيل قوتها على الجمع والقنص ، تثور مشكلة تحقيق التوازن بين عدد أفراد الجماعة وبين أسباب العيش المتاحة . ونظرا لعدم توافر امكانية زيادة الموارد الاقتصادية في هذه الجماعات ، فقد لجأت الى البديل الحتمي ، وهو عدم السماح بتزايد السكان الا في حدود الامكانات الاقتصادية المتوفرة ، ولذا كان من الطبيعي أن تتجه أعداد السكان في هذه المجتمعات الى الثبات والاستقرار .

ونفس الشيء يصدق بالنسبة للمجتمعات الأكثر تطورا ، وهي المجتمعات التي تمارس الزراعة البسيطة أو الرعي .

* عميد كلية الحقوق بجامعة اسيوط ج . م . ع .

تنظيم الأسرة

وقد نتساءل والحال هذه عن الكيفية التي استطاعت هذه المجتمعات بمقتضاها أن توفق بين الزيادة في عدد السكان وبين الامكانات الاقتصادية المحدودة ، وللاجابة على هذا التساؤل نقول ان هذه المجتمعات تعرف عديدا من الاجراءات والعادات ، تستهدف الحد من تزايد السكان تزايدا كبيرا ، وهو ما جرت العادة ، في الوقت الحاضر ، بتسميته وسائل تنظيم الأسرة أو وسائل ضبط النسل .

ومن الممكن تقسيم هذه الوسائل الى وسائل تستهدف منع الحمل ، وأخرى تستهدف الاقلال من فرص الحمل ، وثالثة تستهدف التخلص من الجنين ، ورابعة تستهدف التخلص من المولود ، وخامسة تستهدف الاقلال من مصادر النسل .

وقد عرفت المجتمعات القبلية بعضا من الوسائل التي تستهدف منع الحمل ، من هذه الوسائل وسائل من الممكن أن نسميها وسائل سحرية ، حيث لا ارتباط بينها وبين منع الحمل في الواقع ، فهي وسائل تستند الى مجرد الخرافة ، ولا أثر لها على الاطلاق في منع الحمل ، والوسائل الخرافية ، في المجتمعات القبلية كثيرة ومتنوعة ، وليس من المستغرب أن نجد بعضا منها بين وسائل منع الحمل .

ويغلب اللجوء الى هذه الوسائل السحرية في حالة الاتصال الجنسي بين أشخاص غير متزوجين ، ويهدف الحؤول دون أن يفضي هذا الاتصال الى حمل .

لكن المجتمعات القبلية تعرف وسائل أخرى ، أكثر فعالية في تحقيق منع الحمل .

وثمة مناسبات معينة يتطلب العرف فيها الحؤول دون حمل المرأة ، وأهم هذه الحالات وأكثرها شيوعا هي حالة كون المرأة مرضعا ، ففي الغالبية العظمى من المجتمعات القبلية ، يتطلب العرف الحؤول دون أن تصبح المرضع حاملا قبل فطام طفلها الرضيع ، ولهذا يتطلب العرف من الزوج ممارسة العزل خلال مدة الرضاع التي تتراوح عادة بين سنتين وثلاث سنين .

فلدى البمبا مثلا يمتنع الزوج عن الاتصال بزوجته بعد الولادة ، والى فطام الطفل ، ومع ذلك يجوز للزوج ، بعد بضعة شهور وبعد القيام بشعيرة خاصة ، أن يستأنف الاتصال الجنسي المقترن بالعزل .

الطوارق ، في الصحراء الكبرى ، مثلا يرون في الحمل تحقيقا لارادة الله وحدها ، بمعنى أن الحمل يحدث عندما يشاء الله له أن يحدث ، ومع ذلك فهم يقرون بعلاقة السببية بين الاتصال الجنسي والحمل ، ولا يشكون مطلقا في أن المرأة لا يمكنها أن تحمل دون اتصالها برجل

ويجري العرف في كثير من المجتمعات القبلية بحظر العلاقات بين الزوجين في مناسبات متعددة ، وتختلف هذه المناسبات من قبيلة الى أخرى ، غير أن منها وسائل على جانب كبير من الشيوع ، ومن الواضح أن الاقلال من فرص الاتصال الجنسي بين الزوجين يقلل بدوره من فرص الحمل ، وليس من الممكن القول ، بطبيعة الحال ، أن حظر الاتصال الجنسي في كل هذه الحالات يستهدف بطريق مباشر الاقلال من فرص الحمل ، ولكننا نقول ان حظر الاتصال الجنسي بين الزوجين ، في بعض المناسبات ، يستند الى اعتبارات متنوعة ، ويستهدف تحقيق غايات متباينة ، غير أن هذا الحظر يترتب عليه عملا الاقلال من فرص الحمل ، فأيا كان الباعث وراء الحظر ، فان نتيجته العملية هي الاقلال من فرص الحمل .

الحداد والاتصال الجنسي

ومن الشائع في الأعراف القبلية حظر الاتصال الجنسي خلال فترة الحداد ، فأقارب الميت يحظر عليهم كل اتصال جنسي خلال فترة معينة هي فترة الحداد التي قد تطول وقد تقصر تبعا للقبائل ، ويقتضي الأمر عادة القيام بشعيرة معينة على سبيل التطهير ، قبل أن يحل للرجل استئناف النشاط الجنسي ، ومن شأن هذه العادة أن تؤدي ، اذا كان الرجل متزوجا ، الى الاقلال من فرص الاتصال بزوجته ، والاقلال بالتالي من فرص حملها .

من ذلك مثلا أن القندا ، في جنوب أفريقيا ، يحظرون على الرجل الذي فقد قريبا ، أو ساعد في

دفن شخص ولو لم يكن قريبا ، الاتصال بأية أنثى مدة شهر أو شهرين ، الى أن تقام شعائر التطهير اللازمة ، والتي تستهدف استبعاد شبح الميت .

يجري العرف ، لدى كثير من القبائل ، بحظر الاتصال الجنسي بين الزوجين اذا كانت الزوجة ما زالت ترضع طفلا ، وتتفاوت فترة الرضاع طولا وقصرا تبعا للقبائل ، وهي تتراوح عادة بين سنتين وثلاث سنين ، ومع ذلك فقد تصل لدى بعض القبائل الى خمس سنين ، والهدف من حظر الاتصال الجنسي بين الزوجين ، خلال فترة الرضاع ، هو تجنب ولادة طفل جديد والطفل السابق ما زال رضيعا ، ويسود الاعتقاد ، لدى القبليين بأن ولادة طفل ، أثناء فترة رضاع طفل سابق ، سوف تؤدي الى اصابة الطفل السابق بالعته أو المرض أو الموت

وفي كثير من المجتمعات القبلية لا يسمح للزوج مطلقا بالاتصال بزوجته المرضع ، وفي البعض منها يسمح له بذلك ، لكن يتطلب العرف منه تجنب التسبب في حمل زوجته المرضع ، عن طريق العزل .

فلدى الفندا ، في جنوب أفريقيا ، لا يعاود الرجل الاتصال بزوجته الا بعد مضي سنة على الأقل على الولادة ، وقد لا يعاود الرجل الاتصال بزوجته قبل فطام وليدها ، أي لمدة قد تصل الى خمس سنين .

ولدى الكيبسجي عندما تلاحظ المرأة انقطاع طمثها ، تبلغ زوجها ، وعندئذ تتوقف العلاقات الجنسية بينهما منذ هذه اللحظة ، وبمجرد أن تشعر الزوجة بآلام المخاض ، يغادر الزوج الكوخ ولا يعود اليه الا بعد انقضاء شهر الولادة ، غير أن الاتصال الجنسي بينهما لا يستأنف قبل مضي عام ، أي بعد فطام الطفل .

وفي داهومي لا يتصل الزوجان جنسيا الا بعد مضي ستة شهور على الأقل على الولادة ، وفي كثير من الحالات لمدة سنة ، وعندما يكون للزوج زوجات أخريات ، لا يتصل بزوجته المرضع طيلة فترة الرضاعة ، وهم يعتقدون أنه اذا حدث حمل عقب الولادة بقليل ، فانّ هذا المولود الجديد سوف يولد مريضا ومصيره الموت .

ولدى البمبا (في زامبيا وزمبابوي) من واجب الزوج الامتناع عن الاتصال الجنسي العادي بزوجته بعد الولادة والى حين فطام الطفل ، ومع ذلك فان من الممكن له أن يستأنف الاتصال بزوجته اتصالا مقترنا بالعزل عقب الولادة ببضعة شهور ، ومخالفة هذا الحظر تهدد ـ في اعتقادهم ـ حياة الطفل الرضيع ، واذا خولف الحظر ومات الطفل عُدَّ الأب مسؤ ولا عن موته ، وحق لأقارب زوجته مطالبته بتعويض .

العزل الجنسي والفروسية

كذلك يجري العرف ، لدى معظم القبائل النيجيرية ، بمنع الزوج من معاشرة زوجته الى حين فطام طفلها ، ويرى ميك أن هذا العرف لا يستهدف تحقيق مصلحة الطفل الرضيع ، بقدر ما يستهدف استمرار البيت في نشاطه ، فاذا عجزت الزوجة ، بسبب وجود طفلين غير مفطومين ، عن القيام بواجباتها المنزلية ، مثل اعداد الطعام لزوجها أصبح الوضع غير محتمل .

ولدى الارابش (في غينيا الجديدة) تنقطع العلاقات بين الزوجين منذ الشهور الأخيرة للحمل ، والى أن يبدأ الطفل في السير على قدميه

كذلك جرت عادة العرب قبل الاسلام بحظر الاتصال الجنسي بين الزوجين أثناء كون الزّوجة مرضعا ، وهو ما يعرف بالغيلة ، فقد كانوا يعتقدون أن اتصال الزوج بزوجته أثناء قيامها بارضاع طفل من شأنه أن يلحق بهذا الطفل الرضيع أبلغ الضرر ، وأن من شأن هذا الضرر أن يلازمه طيلة حياته ، وقد كانوا ينسبون شجاعة الفارس واقدامه الى أن أمه لم تكن لها علاقة جنسية بأبيه أثناء فترة الرضاعة .

وبالاضافة الى هاتين المناسبتين اللتين يحظر العرف فيهما الاتصال بين الزوجين ، واللتين نجدهما لدى كثير من المجتمعات القبلية ، هناك مناسبات أخرى يحظر فيها العرف أيضا الاتصال بين الزوجين ، وان لم يكن لها نفس الشيوع .

فلدى الفندا يحظر العرف على الرجل معاشرة زوجته في حالة وجود حداد في الأسرة ، كما يحظر عليه ذلك أيضا عندما يكون له أبناء في كوخ الختان ، أي أبناء سوف تجري لهم عملية الختان ، وقبيل القيام بحملة قنص قبلية ، وكانوا يعتقدون أن مخالفة الحظر في هذه الحالة الأخيرة تستتبع اتجاه الحيوانات المفترسة اليه بصفة خاصة فتقتله أو تتسبب في اصابته

ولدى الايلا اذا مرض رجل أو امرأة وجب عليه الامتناع عن الاتصال الجنسي والا ازداد المرض سوءا ، كذلك من واجب المرأة التي تقوم بعمل الجعة ، أن تمتنع عن المعاشرة الجنسية والا ما اختمرت الجعة ، كذلك تمتنع المرأة عن كل اتصال جنسي قبل بذر حقولها خشية عدم انبات البذور ، واللاتي يقمن بدق الحنطة من واجبهن الامتناع في الليلة السابقة على بدء العمل ، كذلك على الرجل الذي يزمع القيام بسفرة أن يمتنع عن كل اتصال جنسي في الليلة السابقة ، والا حالفه سوء الحظ ، كذلك على الرجال الذين يزمعون الذهاب الى صيد السمك ، أو نصب الفخاخ ، أو حفر الآبار من أجل الماشية ، أن يمتنعوا عن كل اتصال جنسي في الليلة السابقة ، وعلى الرجال الذاهبين الى الحرب أن يمتنعوا تماما عن الاتصال بالنساء منذ الاعداد للحرب ، وقيام أطباء القبيلة بتحصين المحاربين ، ومخالفة هذا الحظر تعني حتما الموت في الحرب ، وربما تؤدي الى الحاق كارثة بالجيش .

الاجهاض في المجتمعات القبلية

من الوسائل التي يلجأ اليها القبليون للتخلص من حمل غير مرغوب فيه الاجهاض ، وهناك أسباب عديدة تدفع الى الاجهاض في المجتمعات القبلية .

في مقدمة هذه الأسباب الرغبة في التخلص من حمل سابق على الزواج ، ففي بعض المجتمعات القبلية لا يؤثم الرأي العام العلاقات السابقة على الزواج ، ولو أدت الى حمل ، ولا يرى الراغب في الزواج عيبا بالفتاة أن يكون لها ولد أو اثنان من علاقتها بشاب آخر ، بل قد يغبطه ذلك ، باعتبار أنه دليل لا شك فيه على خصوبة الفتاة .

غير أن معظم القبائل تؤثم تقاليدها كل اتصال سابق على الزواج . وبخاصة اذا تمخض عنه حمل ، وفي بعض هذه القبائل الأخيرة تتعرض الفتاة الحامل للقتل ، وحتى اذا لم يجر العرف بقتل الفتاة ، فان وجود ولد لها من علاقة سابقة على الزواج من شأنه أن يقلل فرصتها في زواج مناسب ، أو في الزواج أصلا ، وحتى في حالة زواجها فمثل هذه الفتاة لا يدفع من أجلها عادة سوى مهر قليل القيمة ، ومن هنا نفهم حرص أسرة الفتاة والفتاة نفسها التي تحمل من علاقة سابقة على الزواج على التخلص من هذا الحمل غير المرغوب فيه ، كذلك قد تلجأ الى الاجهاض امرأة متزوجة حملت من علاقة غير مشروعة ، فلكي تتجنب ما قد يؤدي اليه هذا الحمل من تعقيدات ، تعمد الى الاجهاض ، كذلك قد تلجأ الى الاجهاض الزوجة التي تبغض زوجها ، ولا ترغب في الانجاب له ، ويكون ذلك عادة بمثابة تمهيد للانفصال بين الزوجين .

وتتفاوت المجتمعات القبلية في موقفها من الاجهاض ، فمنها ما يحظر الاجهاض مطلقا ، ويعاقب عليه ان حدث ، وسواء وقع من امرأة متزوجة أو غير متزوجة ، ومنها ما يتسامح في شأن اجهاض يقع من فتاة أو امرأة غير متزوجة ، ولا يتسامح في شأن اجهاض يقع من امرأة متزوجة ، وفي هذه المجتمعات يستتبع الاجهاض الذي يقع بارادة الزوجة اعطاء الزوج الحق في تأديبها ، وقد يعطيه الحق في مطالبة أهلها بتعويض عن الضرر الذي لحق به بسبب حرمانه من المولود .

فلدى قبائل الأوقامبو في جنوب أفريقيا كان الحمل السابق على الزواج يعد عارا قوميا ، واذا اكتشف حمل فتاة من علاقة سابقة على الزواج ، كانوا يأخذونها الى الغابة ، حيث يوثقون اليها بعض حزمات من العشب ، ثم يحرقونها وهي حية ، وكان الرجل الذي تسبب في حالتها يعامل بنفس الكيفية .

ولدى الهوتنتوت في جنوب غرب أفريقيا أيضا تتوصل النساء اللاتي لا يرغبن في الحصول على أولاد ، الى تحقيق غايتهن عن طريق الاجهاض الذي يشيع الالتجاء اليه ، ويمارس الاجهاض بصفة خاصة في حالة الحمل غير المشروع ، وعندما يكتشف الاجهاض تقدم المرأة ومن عاونها الى مجلس القبيلة الذي كان يأمر بجلد كل منهن أربعين جلدة . وكانوا يسمحون لعشيق المرأة ـ اذا أراد ـ أن يتحمل منها عشرين .

طرق التخلص من الجنين

وتعرف المجتمعات القبلية وسائل متعددة للتوصل الى الاجهاض ، منها مثلا ما يجري به العرف ، لدى قبائل الاوفامبو من الدق دقا عنيفا أسفل بطن الحامل ، باستخدام مدقات خشبية ثقيلة ، أو بشد

البطن شدا محكما بحبل من الليف .

ومنها ما يجري به العرف ، لدى النيانكولي ، من مد قطعة من القماش فوق اطار كبير من الخشب ، كما لو كان المقصود هو تبخير الفتاة الحامل ، وتدخل الفتاة الحامل تحت هذا الاطار ، حيث وضعت جمرة تحترق فوقها عشب معين ، ويستتبع الدخان الناجم من حرق هذا العشب مرض الفتاة وبالتالي الى اجهاض الفتاة لا محالة بعد زمن قصير

يجري العرف ، في كثير من المجتمعات القبلية ، كما سبق أن رأينا ، بالحؤول دون ولادة طفل قبل فطام طفل سابق ، ويتوصل العرف الى تحقيق هذه النتيجة بحظر العلاقات بين الزوجين حظرا كاملا خلال فترة الرضاع ، أو بحظرها خلال مدة معينة ، والسماح بها بعد ذلك على أن تقترن بالعزل .

ومع ذلك قد يحدث حمل قبل فطام الطفل الرضيع ، وفي هذه الحالة قد يفطم الطفل الرضيع اذا كان قد قارب سن الفطام ، أما اذا كان الوقت ما زال مبكرا على فطامه ، فالعادة تجري بالتخلص من المولود الجديد .

وأوضح مثال لذلك ما تجري به العادة لدى البوشمن (في صحراء كلهاري) ، فالبوشمن من المجتمعات التي تعتمد في معاشها على جمع الأعشاب والثمار وقنص الحيوانات ، ولدى البوشمن تضطر الأمهات الى ارضاع أطفالهن حتى الثالثة أو الرابعة ، لعدم وجود غذاء مناسب لصغار الأطفال ، وبسبب عدم وجود وسائل لمنع الحمل سوى الاجهاض ، كثيرا ما يولد طفل أو اثنان قبل فطام طفل رضيع ، وفي هذه الحالة يتخلصون من المولود الجديد ، ويتخلصون منه ، سواء ولد حيا أم ميتا ، بدفنه في أقرب جحر أو حفرة تعدها لهذا الغرض العجوز التي تعاون الزوجة عند الولادة ، وتنفذ العملية ، غالبا ، ضد رغبات الزوج ، فالنساء عنيدات في رفضهن تربية ولدين في نفس الوقت ، وتصر الزوجة على عدم تربية طفل آخر حتى يصبح الأول في غنى عن اللبن

ولدى سكان استراليا الاصليين كان من النادر أن تحتفظ الأم بأكثر من طفلين ، على أن يكون بينهما فارق ظاهر في السن ، ويرجع ذلك الى استحالة أن تحمل الأم عدة أطفال في نفس الوقت أثناء تجولاتها المستمرة ، وفضلا عن ذلك فان امتداد فترة الرضاعة ، بسبب عدم وجود غذاء آخر للطفل ، يحول دون الأم وأن يكون لها طفلان في سن صغيرة

التوائم والتشاؤم

ينظر الناس ، في كثير من المجتمعات القبلية ، الى التوائم بوصفهم نذير شؤم ومصدر شر ، ولذلك فهم يسارعون الى التخلص منهم ، تخلصا من المصائب التي ترتبط بمقدمهم ، وفي بعض المجتمعات لا يقتصر النحس أو الشؤم على التوائم فحسب ، وانما يمتد الى الأم ، وفي هذه المجتمعات كانوا يقتلون الأم كما كانوا يئدون التوائم ، وفي بعض الأحيان كانوا يئدون التوائم ويكتفون بنفي أمهاتهم الى الغابة ، حيث يعشن بعيدا عن الجماعة .

ويجري العرف في كثير من المجتمعات القبلية بالتخلص من الأطفال المشوهين أو الذين يولدون بصورة شاذة ، بسبب اعتقادهم أن هؤلاء الأولاد نذير شؤم ، وأن التخلص منهم يجنب أهلهم الكوارث المهددة .

فلدى الاقزام ، في غابات الكونغو ، تقتل الأمهات أطفالهن الذين يولدون مشوهين أو عجزة بمجرد ولادتهم ، ولا يسمح للرجال حتى بالقاء نظرة على هؤلاء الأطفال ، كذلك لا يسمح الجوكون في شمال نيجريا للأطفال الممسوخين أو المشوهين بالحياة ، وانما يتركونهم ليلاقوا حتفهم في الغابة أو في كهف .

وفي داهومي كانوا يتخلصون من الأطفال الذين يولدون ولهم ستة أصابع في اليد أو القدم ، ولدى التسوانا كانت العادة تجري بوأد الأطفال الذين يولدون بأقدامهم أولا بدلا من رؤوسهم ، وأولئك الذين تبدو قواطعهم العليا قبل السفلى .

يحظر العرف القبلي كل علاقة جنسية من بعض الأشخاص بصورة مطلقة ، كما يحظر على بعض الأشخاص الاتصال الجنسي في ظروف معينة ، ومخالفة هذا الحظر تستتبع عادة جزاء يتسم بالشدة البالغة ، ولا يقتصر الأمر في مثل هذه الحالات ، على مجازاة الفاعل أو الفاعلين ، بل يسارع القوم الى التخلص من الطفل الذي جاء ثمرة لهذه العلاقة المحظورة .

وفي مقدمة الأطفال الذين يتم التخلص منهم لأنهم جاءوا ثمرة لعلاقة محرمة ، الطفل الذي تلده فتاة لم يتم ختانها بعد ، أو لم تجر لها شعائر الانتقال أو البلوغ .

لدى الايلا مثلا ، اذا حملت فتاة قبل مرورها بشعائر البلوغ ، يقولون عنها أنها حملت بكائن غير طبيعي ، ولا يسمحون لهذا الكائن بالحياة ، بل يسارعون الى قتله بمجرد مولده .

ويحرم العرف القبلي كل علاقة جنسية بين الأقارب الأقربين ، واذا خولف هذا الحظر وتمخضت العلاقة عن حمل ، لم يسمح للمولود بالبقاء على قيد الحياة .

فلدى قبائل الكونجو كانوا ، فيما مضى ، يحرقون الجناة أحياء ، كما كانوا يمحون ثمرة الجريمة دونما رأفة .

وقد يحظر العرف ، في بعض القبائل ، كل حمل سابق على الزواج ، فإذا حملت فتاة قبل زواجها عوقبت ، ولم يسمح لوليدها بالبقاء على قيد الحياة .

فلدى البانيا رواندا والباروندي ، الفتاة التي تحمل قبل الزواج ، تطرد من بيتها ، وأحيانا تغرق أو تنفي الى جزيرة مهجورة ، وكثيرا ما كانت تذهب لتلد طفلها في الغابة حيث تتركه ليلقى حتفه ، ان لم تقتله بمجرد ولادته .

وأد الأطفال . . والنساء

جري العرف ، في بعض المجتمعات القبلية ، بوأد الأطفال الذين يولدون في أزمنة معينة يرونها شؤما .

ففي جزيرة مدغشقر كانت العادة تجري بوأد الأطفال الذين يولدون في شهر مارس أو ابريل ، أو الذين يولدون في الأسبوع الأخير من الشهر ، أو الذين يولدون يوم أربعاء أو يوم جمعة ، وذلك بنبذهم او خنقهم أو حرقهم أحياء .

بالاضافة الى الحالات السابقة هناك حالات أخرى يجري العرف فيها بوأد الأطفال ، من ذلك مثلا ما يجري به العرف في بعض القبائل من دفن الرضيع مع أمه عند وفاتها أثناء الولادة ، أو أثناء الرضاعة ، ومن ذلك أيضا ما جرى به العرف في بعض القبائل من قتل المولود الأول لكل زوجة .

ان الاناث مصدر النسل ، والاقلال منهن يؤدي بالضرورة الى الاقلال من النسل ، وفي الغالبية العظمى من المجتمعات القبلية ، يحدث الوأد بالنسبة للاناث أكثر مما يحدث بالنسبة للذكور ، فالأب يفضل أن يكون له أبناء يحملون اسمه ، ويخلدون نسبه ، ويرثون أمواله ، على أن تكون له بنات ينجبن أبناء لرجال آخرين .

فلدى الكول ، في الهند ، مثلا لا تحتفظ الأسرة في الغالب بغير ابنة أو ابنتين ، أما ما زاد عن ذلك من بنات فيوضعن حين ولادتهن ، في آنية من فخار ويدفن .

ولدى الأرابش ، في غينيا الجديدة ، لا يحتفظ الأب بالمولود الأنثى اذا كان لديه من قبل عدد من الأطفال الاناث ، فالارابش يفضلون الابناء ، فالابن سوف يبقى مع والديه ، وسوف يكون متعة وراحة لهما عندما تتقدم بهما السن ، والاحتفاظ بابنة أخرى بعد ابنة أو ابنتين سابقتين من شأنه أن يؤجل فرصة الحصول على ابن مدة طويلة .

وقد أدت كثرة الالتجاء الى وأد البنات ، في بعض المجتمعات القبلية ، ندرة النساء ندرة بالغة مما أدى الى نشوء نمط للزواج يتمثل في اتخاذ عدد من الرجال زوجة واحدة ، وهو ما يعرف بتعدد الأزواج ، ومن الواضح أن اتباع احدى القبائل هذا النمط من أنماط الزواج سوف يؤدي بالضرورة الى عدم تزايد السكان ، أو عدم تزايدهم بصورة كبيرة .

مما سبق ، يتضح أن المجتمعات القبلية تعرف الكثير من الوسائل التي تؤدى ، سواء كان ذلك مقصودا أم غير مقصود ، الى عدم تزايد السكان أصلا أو الى عدم تزايدهم بصورة ظاهرة ، على أن هذه العادات ليست هي العامل الوحيد في حفظ عدد السكان ضمن أبعاد معقولة ، فهناك عوامل أخرى كثيرة ، منها مثلا أمراض الطفولة التي تؤدي بحياة الكثير من الأطفال ، ومنها الأوبئة والمجاعات ، ومنها الحروب والغزوات ، وعندما تتغير ظروف هذه المجتمعات ، فتختفي هذه التقاليد والعادات ، وتختفي أو يقل مفعول العوامل الأخرى ، يتزايد السكان تزايدا كبيرا ، يدعو الى القلق ، ويتطلب مواجهة حاسمة ، على أسس علمية وفي اطار خطط مدروسة .

□

الذكاء الصناعي

بقلم : الدكتور انيس فهمي

منذ أن توصل الانسان الى اختراع أول كومبيوتر الكتروني قبل أربعين عاما ، انبهر الناس بالامكانيات المستقبلة لهذه الألة السريعة التي لاتكل ولاتمل ولاتخطىء في اجراء الحسابات الرياضية ، وتطلع العلماء الى امكانية أن تقوم هذه الألة بتقليد العمليات العقلية غير الحسابية ، مثل التفكير والادراك والتعلم ، وفهم لغة الانسان اليومية ، والوصول الى التخمين المطلوب عندما لايملك الانسان كل الحقائق بين يديه .

أطلق الناس على الآلات الأولى اسم « العقول الألكترونية » وبعض المخترعين كانوا يطمعون في أن يتوصلوا بأبحاثهم الى تقليد القدرات الانسانية ، مثل تأليف الموسيقا وكتابة الشعر ولعب الشطرنج .

الطريق الى الذكاء الصناعي

في أواخر الخمسينيات من هذا القرن أصبح موضوع تقليد القدرات العقلية البشرية فرعا من علم الكومبيوتر ، أطلق عليه اسم « الذكاء الصناعي » وكانت الابحاث في هذا الميدان قاصرة في البداية على قليل من الجامعات الأمريكية ، ولكنها دخلت في نشاطات مؤسسات كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي دول أخرى من العالم .

والآن يهدف البحث عن الذكاء الصناعي الى تحقيق هدفين أساسين :

الهدف الأول هدف علمي يحاول أن يصل الى فهم أفضل للتفكير الانساني عن طريق تقليده ، والهدف الثاني هدف هندسي يحاول أن يزيد من امكانيات الكومبيوتر ، بأن يجعله مساعدا للذكاء الانساني ، ويحتاج فقط الى معرفة مايراد منه عمله بدون أن يذكر له كيفية القيام بهذا العمل .

وهذا الهدف الثاني يتفق في كثير من النواحي مع مشروع « الجيل الخامس » للكومبيوتر الذي تقوم به اليابان ، وتتبادل فيه الخبرات والمعلومات مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ولاشك ان اختراع « آلات مفكرة » حقيقية تتفوق في ذكائها على الذكاء الانساني ، يتساوى في أهميته مع الثورة الصناعية التي ضاعفت من قوة العضلات البشرية عدة مرات ، دون أن تحسن من قوة العقل

البشري ، الا انه يبدو حتى الآن أنه ليس من السهل تحقيق الهدفين اللذين سبق ذكرهما ، كما كان العلماء يتصورون في البداية .

التطبيقات الحالية

ان نتائج الأبحاث في ميدان الذكاء الصناعي قد بدأت تشق طريقها في الحياة العملية ، وان مايقرب من مائة شركة أمريكية تعمل بلا كلل في تطبيق أبحاث الذكاء الصناعي في مهمات متنوعة ، وهذه التطبيقات على أنواع متعددة من البرامج المتخصصة التي أطلق عليها اسم « اجهزة الخبرات » وهي تقلد أداء الانسان ازاء أنواع معينة من المشكلات ، وبعض هذه الأجهزة تتفوق على علماء الكيمياء في تفسير قراءة الأجهزة التي تستخدم في التعرف على مواد كيميائية غير معروفة ، وبعض الأجهزة الأخرى تستطيع أن تحدد مخزونات المعادن تحت الأرض أو تساعد في تشخيص بعض الأمراض ، أو ترشد على طريقة اصلاح الآلات المعطوبة ، أو تقوم بعملية التدريس للطلبة .

وبالاضافة الى أجهزة الخبرات استطاع الباحثون في ميدان الذكاء الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأوروبا أن يخترعوا آلات لها قدرة محدودة على رؤية العالم من حولها وعلى فهم الأشياء التي تدركها في ذلك العالم والتكيف بالنسبة لها ، ان الانسان الآلي (الروبوت) الذي يعمل في بعض المصانع يستطيع أن يتعرف على الأجزاء المتحركة فوق الحزام الجلدي ويلتقطها ، ويضعها داخل الآلات في مواقعها الصحيحة ، أو يجمعها ليكون منها بعض المنتجات المعينة ، وحتى القدرات المحدودة على رؤية الأشياء أو لمسها مع قليل من الذكاء تستطيع أن تحسن كثيرا من قدرة الانسان الآلي على التصرف في المواقف غير العادية ، مثل التقاط الأشياء التي بها خطأ في تشكيلها ، أو في ترتيبها ، على أن الشيء الذي سيعزز من شان الكومبيوتر بالنسبة للناس العاديين هو مقدرته على فهم اللغة العادية التي يستخدمها الناس في معاملاتهم اليومية ، بدلا من المعلومات الجامدة الصعبة التي تختزن حاليا في أجهزة الكومبيوتر .

ان الخدمات الجليلة التي يقدمها الكومبيوتر للانسان مثل الوصول الى مخزونات المعرفة الموسوعية المختزنة في بنوك الكومبيوتر للمعلومات ، لايستطيع أغلب الناس الاستفادة بها، لأنهم يجدون من الصعب عليهم تعلم مصطلحات الكومبيوتر ، أو يصعب عليهم معرفة كيف يسألون الكومبيوتر عما يريدون معرفته .

ومن الأسباب التي تجعل من الصعب على الكومبيوتر أن يتعامل مع اللغة العادية ، أن الكلمات في جميع اللغات غالبا ماتكون لها عدة معاني تؤدي الى حيرة الكومبيوتر ، ولذلك فان أجهزة اللغة العادية في الوقت الحاضر تقتصر على مجموعات من الكلمات المحددة المعنى ، ولكن الباحثين يبذلون جهدهم لخلق أجهزة تستطيع أن تقلد لغة الاتصال الطبيعية في الحياة اليومية ، وقد توصل العلماء في جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية لتصنيع جهاز يستطيع أن يترجم مقالات صحيفة اسبانية الى اللغة الانجليزية ، كما نجحوا في تصنيع جهاز آخر يستطيع أن يقرأ هذه المقالات ، ثم يجيب على أسئلة بخصوص الموضوعات التي وردت فيها .

تعليم الآلة

ان الباحثين في الذكاء الصناعي ركزوا محاولاتهم في البداية على محاولة جعل الآلة أكثر مهارة ، وكانوا يأملون في اختراع آلات تستطيع أن تقلد الأطفال البشريين في تطورهم من حيث تعلم اللغة والمعرفة ، واكتساب المهارات التي تمكنهم من التعامل مع العالم الخارجي ، أثناء مراحل نموهم ، ولكن هذا الأمل



ثبت انه من الصعب تحقيقه ، واكتشف العلماء ان من الأسهل لهم أن يبرمجوا الكومبيوتر بحيث يصبح قادرا على تقليد مهارات الكبار مثل لعب الشطرنج . . .

وجدوا أن هذا أسهل من برمجة كومبيوتر لتقليد مقدرة طفل في الرابعة من عمره على تعلم كلمات واكتساب مهارات جديدة ، لقد نجح العلماء حتى الآن في برمجة الكومبيوتر بكميات ضخمة من البيانات والتعليمات الدقيقة ، ولكنهم لم يتوصلوا تماما الى برمجة الكومبيوتر بطريقة تجعله قادرا على الشفرات ، والتصرف في المواقف غير العادية وحل المشكلات .

وكما يدل عليها اسمها فان أجهزة الخبرات تحتوي على معارف الخبراء البشريين ، والتي يعبر عنها عادة في شكل قواعد بسيطة مثل : « اذا كان المريض يشكو من ارتفاع في درجة الحرارة ، وزكام وآلام في الجسم وصداع ، فمن المحتمل أن يكون المريض مصابا بالانفلونزا »

أما برامج اللغات فيجب أن تشتمل على كلمات اللغة وقواعدها بالاضافة الى مادة الموضوع المطلوب معرفته .

المشكلات والآمال المتوقعة

يمتاز الكومبيوتر عن الانسان بخاصية الذاكرة ، والاحتفاظ بالكثير من التفاصيل التي قد لايذكرها الانسان أو قد تغيب عنه ، ففي بعض الأنواع من الأعمال الروتينية والمملة ، أو في الأعمال التي تحتاج الى قرارات بسيطة ، ولكن سريعة ودقيقة ، يمكن لجهاز الكومبيوتر أن يحل محل الانسان ، ان الكومبيوتر يستطيع مثلا أن يقوم بكل العمل للاعداد لاحدى الرحلات ، كما يستطيع أن يتحكم في مفاعل ذري وقت الحاجة ، ولكن الكثيرين من خبراء الذكاء الصناعي يعتقدون في الوقت الحاضر أن أفضل استخدام لبرامج الذكاء الصناعي هو في مساعدة الانسان وليس الاحلال محله ، ففي حالات التشخيص الطبي المعقدة تستطيع أجهزة الخبرات مساعدة الأطباء في استبعاد التخمينات الخاطئة ، ولكن التشخيص النهائي يظل من اختصاص الطبيب .

وبالرغم من أن « ثورة المعلومات » قد حولت الذكاء الصناعي من مجرد استكشاف في المعمل الى حقيقة عملية تنمو يوماً بعد يوم ، الا أن اجهزة الذكاء الصناعي تشكل تحديا محيرا اذا استخدمت في ممارسة الذكاء الطبيعي ، فحتى الخبراء البشريين قد يعجزون أحيانا عن التعبير عن المعلومات التي يعرفونها،انهم يعرفون ما يعرفونه ولكنهم لايعرفون كيف يعبرون عنه أو كيف يشرحونه ، لو سألت مثلا سائق سيارة متمرن عن اللحظة التي يجب عليه فيها أن يضغط على الفرامل لكي تقف السيارة قبل اشارة المرور الحمراء ، مع الأخذ في الاعتبار السرعات المختلفة للسيارة وحالة الطريق ، لما استطاع أن يجيبك ، وزيادة على ذلك فإن كل انسان بما في ذلك العلماء يستخدم مايسمى « بالقدرة على التمييز » لكي يتصرف في المواقف المفاجئة وغير المتوقعة ، وهذه القدرة على التمييز تتكون وتنمو وتتطور من الدروس والتجارب التي يمر بها الانسان في الحياة .

لقد اكتشف العلماء أثناء محاولاتهم لبناء آلة للذكاء أن الطريق يعود بهم الى المخ الانساني ، وقد حققت أجهزة الذكاء الصناعي منافع كثيرة في مجال الحياة العملية ، ولكن أعظم ماحققته الأبحاث في ميدان الذكاء الصناعي أنها زودتنا بمفاهيم جديدة عن القدرات المذهلة للعقل البشري ، كما أتاحت لنا الفرصة لمعرفة الكثير عن المواهب المحيرة التي نلجأ اليها في انشطة الحياة اليومية ، مثل المحادثات العارضة ، وادراك العالم من حولنا وممارسة الأعمال المنزلية ، والذهاب الى المدرسة ، أو الى مكان العمل ، وتطبيق الدروس المستفادة من العاب الطفولة على نواحي العمل المختلفة ، ان هذه الأنشطة التي من السهل جدا على الناس أن يقوموا بها ، ليس من السهل على العلماء أن يفهموها وبالتالي من الصعب على أجهزة الكومبيوتر أن تقلدها .

ومع ذلك فمازالت المحاولات مستمرة ، ومازال الكائن البشري يبحث ويواجه التحدي ، لكي يشكل الآلة العقلية بطريقة تحدث تغييرا جذريا في الحياة ، كالتغيير الذي أحدثه اكتشاف الكهرباء واختراع الآلة ذات الاحتراق الداخلي . □

منهج القرآن في تربية العقول

بقلم : عبد الرزاق البصير

مارست دهري وجربت الأنام فلم ... أحمدهمُ قط في جد ولا لعب
وكم تمنيت أن ألقى به أحدا ... يسلي من الهم أو يعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت أحسبني ... أحظى به واذا دائي من السبب

الشاعر الطبيب

قائل هذه الأبيات رجل يتمتع بعديد من المواهب ، فهو طبيب حاذق في الطب ، وهو أديب كاتب متمكن من الكتابة ، وهو شاعر لطيف الشعر ، شاء الله له أن يحلب الدهر أشطره ، فلقد جرب حلو الدنيا ومرها ، كان مقربا من الأفضل ملك مصر ، لكن أحفاد أحد حجابه أصلته بنارها ، فأودت به الى الحبس فيما يقول بعض المؤرخين ، أو انه حاول أن يستخرج سفينة مملوءة بالنحاس ، قد غرقت في البحر أمام الاسكندرية ، لكن محاولته باءت بالفشل في آخر الأمر ، مما أغضب عليه الأفضل ، فأمر بسجنه فيما يقول مؤرخون آخرون ، لأن الخليفة أنفق على تلك المحاولة جمالا من الأموال ، ذلك هو أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الذي جاء من الأندلس الى مصر على أني لا أقصد في هذه الكلمة أن أؤرخ لهذا الطبيب الأديب ـ وانما أردت أن نتعرف عليه بصورة موجزة ، لأني أريد أن أجعل من هذه الأبيات مدخلا لهذه الكلمة ، لهذا يجدر بنا أن نشير الى أن الذي دفعه الى إنشاد تلك الأبيات التي رويتها في صدر هذه الكلمة ، هو أن أحد تلاميذه كان من المقربين الى الأمير الأفضل ، لم يرع حق معلمه ـ صاحبنا الطبيب ـ فبدلا من أن يكون له عونا على نكبات دهره ، أصبح كالسهم يصيب فؤاده ، فقد أخذ يملأ قلب الأمير عليه بغضا وكمدا ، فشق على المعلم الطبيب الأديب أن يبلغ العقوق في بعض الناس الى هذا الحد ، فما هي الا أن نظم ما رويناه من أبيات الشعر ، ثم رفع رأسه الى السماء واغرورقت عيناه دمعا ، ودعا عليه فلم يحل الحول حتى استجيب له .

قليل من الفلسفة :

تعمدت أن أذكر السبب الذي دفع أستاذنا الطبيب الى التعبير عن نفسه بهذه الصورة ، لأني أعتقد أن معرفة سبب الأشياء من الأمور التي تنير العقل ، بل اني أذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، فأنا أزعم أن إهمال الأسباب من العناصر التي ساهمت في تأخير هذه الأمة . فالكثيرون منا يصدقون بما لا يعقل وقوعه ، لأنهم لم يتعودوا على أن يتفهموا علاقة الأسباب بمسبباتها ، في حين أن ثقافتنا الاسلامية تعلمنا أن نهتم بمعرفة أسباب الأحداث ، ففي الحديث الشريف « أبى الله أن يجرى الأشياء الا بالأسباب ، فجعل لكل شيء سببا ، وجعل لكل سبب شرحا ، وجعل لكل شرح علما ، وجعل لكل علم بابا ناطقا ، ولعلي لا أستطيع أن أضرب أمثلة مما يشيع في عصرنا الحاضر تؤيد ما ذكرت ، لأن في ذلك إزعاج بعض الناس ، ولا داعي لازعاج أحد ، فلنضرب أمثلة من قبل عدة قرون تؤيد ما ذهبت اليه :-

زعموا أن أحد الصوفية أراد الحج فأعطاه الشيخ ماجد ركوته « الاناء الذي كان يشرب فيه » فكان ذلك الصوفي منذ غادر العراق الى أن عاد اليه ، يتوضأ من تلك الركوة ماء مالحا ويشرب ماء حلوا ، ويشرب منها أيضا لبنا وعسلا وسويقا « وهو طعام المسافر » أحلى من السكر . وهناك من يزعم أن أحد الصوفية كان يمشي على الماء وعلى رؤوس الناس ، ومن الواضح أن الذي يصدق بهذه الروايات لا يهتم بالتفكير في علل الأشياء ، فكل ما يعجبه هي الأحداث المثيرة بغض النظر عن إمكان وقوعها .

يقول ابن خلدون في مقدمته :- « ان الحوادث في علم الكائنات سواء أكانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية - لا بد لها من أسباب متقدمة عليها ، بها تقع في مستقر العادة ، وعنها يتم كونها (أي تعودنا أن نراها تحدث بهذه الأسباب الظاهرة ، وعلى هذا النمط) . وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضا » . لهذا فان أفضل ما يوجه الى التربية هي الدعوة الى أن نعوّد ناشئتنا على التفكير بعلاقة الأسباب بمسبباتها .

الحافظة أو الفهم

أما حشو العقول بالمحفوظات دون تفسيرها تفسيرا عقليا فانها من الأمور التي لا نفع فيها بطبيعة الحال ، ذلك أن الفرد ينسى أولا ينتفع بما أرغم على حفظه ، قيل ان أحد الحفاظ افتخر بأنه حفظ كتاب الأغاني عن ظهر قلب ، فلما سمع بذلك بعض المفكرين قال :-

ما صنع صاحبنا شيئا أكثر من أنه قد زاد نسخة من الأغاني في البلد ، وقد صدق مفكرنا ، فان الحفظ بدون الفهم لا يعني شيئا لصاحبه أو غيره ، فالفهم هو الذي يحدث التغيير في نفس صاحبه ، وفي نفوس الآخرين ، ولا يأتي الفهم الدقيق عادة الا بعد طول التأمل ، وليس من شك أن قوة الحافظة نعمة من النعم ، وقد رزقها جماعة من الناس بعضهم تكون حافظته مصاحبة للذكاء ، وبعضهم تكون حافظته بمنزلة الآلة لا تفرق بين الخطأ والصواب .

حسن البديهة أو الرؤية

وهنا نصل الى أمر فلسفي أدبي ، وهي أننا دائما نثني على الذين رزقوا سرعة البديهة ، وفي تصوري أن هذه الموهبة قد تكون نعمة بالنسبة للشعر ، فإننا نعجب بالأديب إذا استطاع أن ينظم شعرا بسرعة غير عادية ، كما نعجب بالفرد الذي يتنبه في محاورته لضعف حجة خصمه ، ولكن سرعة البديهة لا تكون صالحة في اتخاذ القرارات المهمة ، يقول عبد الله بن وهب الراسبي :- « دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير في الرأي الفطير والقول القصير » . وقال المنصور لكاتبه : « لا تبرم أمرا حتى تتفكر ، فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبحه » . وما أحسن قول ابن الرومي :-

ان الروية نار الجلد منضجة
وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها
لكن عاجلها يمضي مع الريح

وقد أصبحت سرعة البديهة بابا واسعا تحدث عنه الأدباء القدامى أحاديث مفصلة ، والذي يهمنا هنا أن نؤكد على أن التفكير العميق من أفضل الوسائل للوصول الى النتائج المبتغاة ، ذلك أن طول التفكير يعني التدقيق بعلاقة السبب بالمسبب ، لكي لا تكون الخطوات ناشئة عن شدة الانفعال ، ولو أردت أن أتحدث عن نفع استقصاء الأسباب والمسببات لخرجت عن القصد ، ويكفي أن نتذكر هنا أن أهم العناصر لتقدم الطب إنما يعتمد على تشخيص أسباب الأمراض ، فعندما تتضح معرفة السبب يستطيع الطبيب أن يعالج المريض معالجة مفيدة أو نافعة ، ولعلي لا أبالغ اذا قلت ان معرفة الأسباب هي من أهم العوامل التي أوصلت الانسان الى ما وصل اليه من الناحية المادية والمعنوية ، ولا يفوتنا أن نشير الى أن لكل عصر معرفته وثقافته ، فليس هناك شيء ثابت يتحتم علينا أن نقف عنده ، على أن هناك بعض القيم الانسانية والاجتماعية ما يزال لها تأثيرها ومكانتها عند معظم الأمم ، كالصدق والأمانة ، وما الى ذلك من الأخلاق الثابتة التي لا يستقيم المجتمع إلا بالمحافظة عليها .

التأمل وإنارة العقول

ومهما يكن من أمر فان الفكر ليس له نهاية ، أعني أنه يتجدد مع تجدد الحياة ، على أننا قد نشاهد أحداثا نجهل أسبابها ، فلا يجوز أن نتخذها برهانا . على أن الأمور في هذه الدنيا تجري من غير أسباب ، وانما الذي ينبغي أن نقول عنها بأننا لا نعرف علتها ، وعلينا أن نبحث عن أسبابها قدر المستطاع ، فإن لم نتمكن من ذلك فإنه ينبغي لنا أن نثق بأنه سيأتي يوم من الأيام يتمكن فيه الانسان من أن يفهم سبب وقوعها ، وقد نخطىء في تفسيرنا أو تعليلنا لوقوع بعض الأحداث أو بعض الأمور ، ولكني أعتقد أن حركة العقل أو التساؤل أفضل بكثير من السكون الذي يعني أن نعتقد بأن علينا أن لا نتساءل عن علل الأشياء ، فإن التساؤل هو الذي يوصل الانسان إلى حقائق الأمور في معظم الأحيان . وهذا الذي ندعو اليه منهج قرآني عظيم فصله الكتاب العزيز في آيات كثيرة لكي نتعلم منه بأن ندفع عقولنا الى الحركة المستمرة قال تعالى : « فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين » . الأنعام / ٧٦ الى آخر هذه الآيات الكريمة . □

ايمان قوى وثبات على الحق

كان الصحابي مصعب بن عمير من الشخصيات الاسلامية التي كان لها مواقف تدل على الايمان العميق بالاسلام ، والثبات على المبدأ الذي لا يلين في الدفاع عن الحق ، وكان موقفه في معركة أحد أحد الشواهد التي تدل على هذا الايمان العميق ، يروى أن مصعب بن عمير حمل لواء رسول الله ﷺ يوم أحد ، فلما جال المسلمون «اضطربوا» وثبت مصعب، فأقبل أحد الكفار واسمه ابن قميئة فضربه على يده اليمنى فقطعها ، ومصعب يقول « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » ثم اخذ اللواء بيده اليسرى ، فانحنى ابن قميئة عليه ، فضرب بيده اليسرى فقطعها ، ومصعب يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .... فحنا مصعب بن عمير على اللواء ، وضمه بعضديه الى صدره ، وهو يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .... ثم حمل عليه في الثالثة بالرمح فقتله ، فوقع مصعب وسقط اللواء ، فوقف الرسول ﷺ يلقى نظرة على مصعب ثم قال : لقد رأيتك بمكة وما أرق حلة ولا أحسن لمة منك ، ثم ها أنت ذا شعث الرأس في بردة .

من تراثنا العربي

ابن سينا..

يتحدث عن نفسه

اعداد : جمال الغيطاني

« كنت أرجع بالليل إلى داري ، وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل (التي كنت أقرؤها) بأعيانها حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام » .

ابن سينا

.. تبدو الترجمة الذاتية في أدبنا العربي لغير المدقق الخبير بجوانب هذا التراث نادرة ، بل قد يقول البعض انها منعدمة ، غير أن الواقع لا يؤيد ذلك ، فإلى جانب النصوص التي كتبت كترجمة ذاتية مباشرة - أي أن الكاتب والمكتوب عنه شخص واحد - مثل (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، و (المنقذ من الضلال) للامام الغزالي ، والسيرة المؤيدية للمؤيد الشيرازي ،وهناك نصوص عديدة في بطون الكتب ، إلى جانب الشعر العربي القديم الذي نجده في العديد من القصائد ترجمة ذاتية للشاعر ، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث ودراسة منفصلة ، وبالطبع فإنني أتحدث عن الترجمة الذاتية ، أما عن كتب التراجم فما أغنى الأدب العربي بها ، وكتب الطبقات والتراجم يزخر بها تراثنا في مختلف العصور .

من النصوص المندسة في بطون الكتب ، نص فريد يتحدث فيه ابن سينا عن نشأته ، وتكوينه ، أملاه على أحد المقربين منه ، أبو عبيد الجوزجاني وهذا النص موجود في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، الذي حققه وشرحه الدكتور نزار رضا ، وصدر في بيروت عن منشورات دار مكتبة الحياة منذ عدة سنوات . يقول المحقق في مقدمة الكتاب :

« من أطباء العرب المعروفين ، وأدبائهم المرموقين ، رجل ترجم في كتاب واحد - لم يؤلف غيره - لأطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه ، إنه موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم ، ابن أبي أصيبعة السعدى الخزرجي » .

ولد في دمشق عام ٦٠٠ هجرية « ١٢٠٣ ميلادية » وكان والده طبيبا ، تلقى علم الطب في دمشق ، والقاهرة ، وذاعت شهرته حتى وصلت إلى أمير

صرخد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل بطلبه ، فرحل إليه ، وهناك عاش حتى توفي في ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) ، وضع كتابه هذا لأمين الدولة وزير الملك الصالح ، وقد بدأ فيه بترجمة كبار الأطباء زمن الاغريق ، والرومان ، والهنود ، والعرب ، والعجم .وترجم لأطباء مصر والشام ، كل قطر على حدة . طبع لأول مرة على يد المستشرق الألماني مولر الذي عثر على نسختين مخطوطتين منه عام ١٨٨٤ ، ثم قامت المطابع المصرية بطبعه مرة أخرى نقلا عن طبعة مولر ، إلا أن العثور على طبعاته القديمة بات صعبا ، ولم يصبح متاحا إلا بعد التحقيق الجديد الذي قدمه الدكتور نزار رضا .

تقلبات حياة

ابن سينا ، أو الشيخ الرئيس ، أو إمام العلوم كلها ، ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) قرب بخارى ، كان أبوه من أهل بلخ ، أتم دراسته في اللغة والأدب وهو في سن العاشرة على يد رجل مجهول لم تذكره الترجمة التي نتحدث عنها . ويقول الأستاذ محمد ثابت الفندى في تعليقه على المادة التي كتبها المستشرق « دى بور » لدائرة المعارف الاسلامية ان هذا الرجل من المحتمل أن يكون هو أبو بكر أحمد بن محمد البرقي الخوارزمي (كشف الظنون لحاجي خليفة ، الجزء الثالث ، ص ٣٧٦) ، تقول الترجمة انه درس الطب بمفرده ، ومن جهة أخرى يروي أنه تلقاه على يد أبي سهل المسيحي ، وأبي منصور الحسن بن نوح القمرى عام ٣٩٢ هـ (١٠٠١ م) ، وبعد سقوط عرش السامانيين بين أيدي أمير غزنة السلطان محمود بن سبكتكين ، خرج من كركانج إلى جرجان عام ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فارا من وجه سلطان غزنة أيضا ، ويذكر فريد الدين العطار أنه التقى بالشيخ أبي سعيد بن أبي الخير شيخ متصوفة هذا العصر في نفس هذا العام ، في عام ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) يظهر ابن سينا في المدى ، ثم نجده في همذان حيث تولى الوزارة مرتين ، إلا أنه من المؤكد أنه ترك الوزارة عام ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) ، إذ نجد في أخبار هذا العام عند ابن الأثير ذكرا لوزير آخر ، وبعد تركه الوزارة اضطهد من قبل أمير همذان الجديد ، فبث حوله



الجواسيس ، وسجن لفترة ، وأخيرا . . فر الى أصفهان عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) ، وعاش مقربا من أميرها علاء الدولة بن كاكاويه ، ثم توفى في عام ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) . ويروى ابن خلكان في (وفيات الأعيان) روايات مختلفة عن موضع وفاته ، كما ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأنه توفى بالأندلس اثر دسيسة من ابن رشد ، ولكن هذه أقاويل تفتقر الى أبسط الأدلة ، وحتى الآن فان قبره مازال بهمذان يزار .

ملامح شخصية ونفسية

كان ابن سينا قويا ، جلدا ، وفي نص ترجمته صورة حية بليغة ، تصف مواصلته السهر لتحصيله العلم . وسكبه المياه الباردة على رأسه كلما أوشك على النوم حتى يفيق . في السادسة عشرة كان قد استوعب الطب ، والمنطق ، والالهيات ، وعندما تمكن من علاج سلطان بخارى نوح بن منصور سمح له بدخول دار كتبه ، ولأنه كان يتمتع بقوة ذاكرة مدهشة ، فقد

استطاع في فترة وجيزة أن يحصل الكثير من العلم ، وفي الواحدة والعشرين بدأ يصنف الكتب .

تعرضت حياته لاضطراب بعد وفاة والده ، إلا أنه كتب أهم مؤلفاته خلال فترات الراحة والهدوء التي كان ينعم بها في بلاط همذان ، وأصفهان ، وقد أتم في هذه الفترات دائرة معارفه الفلسفية (الشفاء) ، ومصنفه الطبي الهام (القانون في الطب) ، وقد تركت مؤلفاته الموسوعية أثرا عميقا على الفكر الاسلامي ، في العصور التالية له ، وبعد موته تكونت له في الأذهان ملامح أسطورية . والترجمة التي نورد نصها تلقى الضوء على بعض سيرته ، وخاصة سنوات تكوينه ، إلا أننا ننبه إليها من زاوية محاولة تسليط الضوء على بعض الجوانب المجهولة في الأدب العربي ، وخصوصاً أن كتابا مثل (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) قد لا ينظر إليه دارسو الأدب العربي باهتمام ، وكثير من المصادر التي يمكن أن تثرى أدبنا الحديث في بطون كتب غير مطروقة ، وهذا النص يؤكد وجود شكل السيرة الذاتية في تراثنا العربي والاسلامي .

قال الشيخ الرئيس ابن سينا :

. . إن أبي كان رجلا من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور، واشتغل بالتصوف ، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميثن » من ضياع بخارى ، وهي من أمهات القرى ، ويقربها قرية يقال لها « أفشنة » ، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها ، وولدت بها ، ثم ولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى ، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب ، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من كتب الأدب ، حتى كان يقضى مني العجب ، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني أيضا إليه ، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه ، ثم جاء إلى بخارى أبو عبدالله الناتلي وكان يدعى المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه ، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين ، وقد ألفت « طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب » على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

علم المنطق

ثم ابتدأت بكتاب « أيساغوجي » على الناتلي ، ولما ذكر لي حد الجنس ، أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، أخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل العجب ، وحذر والدي من شغلي بغير العلم . وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيرا منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه . وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق ، وكذلك كتاب أقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره . ثم انتقلت إلى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية ، قال لي الناتلي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرضها عليّ لأبين لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه .

علم الطب

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أنى برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب ، وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره ،

وجمعت بين يدي ظهورا ، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيما عساها تنتج ، وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة .

وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي ، وأشتغل بالقراءة والكتابة . فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى سكب المياه على رأسي . ريثما تعود إليّ قوتي ، ثم أرجع إلى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيرا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه إلى اليوم ، حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت إلى الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه . وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم ، معتقدا أن لا فائدة من هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعه بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج إلى ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرا لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتفق له مرض تحيّر الأطباء فيه وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة ، فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته . فسألته يوما الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعاتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض . في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجب إليه منها . ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضا من بعد ، فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معي أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسن العروضي . فسألني أن أصنف له كتابا جامعا في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به . وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جواري أيضا رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل إلى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتابا سميته كتاب « البر والاثم » ، وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعر أحدا ينسخ منهما ثم مات وتصرفت بي الأحوال . وتقلدت شيئا من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الاحلال ببخاري والانتقال الى كركانج . وكان أبو الحسن السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيرا ، وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان ، وأثبتوا لي مشاهرة داره بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا ، ومنها الى باورد ، ومنها الى طوس ، ومنها الى شقان ، ومنها الى سمنيقان ، ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان ، وكان قصدي الأمير قابوس ، فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضا صعبا وعدت الى جرجان ، فاتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي
لما غلا ثمني عدمت المشتري

الى هنا ينتهي النص الذي ورد في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ويكمل أبو عبيد الجوزجاني قائلا :

هذا ما حكى لي الشيخ من لفظه !□

القتل بالإشعاع

بقلم : الدكتور سينوت حليم دوس*

تبدأ البحوث علمية بحتة نتيجة ظاهرة معينة ، وتتوالى الدراسات عليها ويحاول كل متخصص في فرع من فروع العلم الاستفادة منها في فرعه ليحقق نتائج جديدة ذات قيمة تطبيقية تساهم في التنمية .. فما الذي يحدث بعد ذلك ؟

تأتي ظواهر جديدة وتحاول الربط مع ما هو قائم من نتائج لاحداث طفرات فكرية جديدة ، لها تطبيقات صناعية لم تكن معروفة من قبل .. وهكذا . . .

حتى هنا والأمر يسير في قناته الصحيحة المرسومة له ، بحوث . . . تطبيقات صناعية . . . رفاهية للوطن والمواطنين . . . تخفيف لأمراضهم وآلامهم .. تحقيق أقصى أشباع لهم .

ولكن تأتي يد منحرفة لتختلس التقنية الجديدة لتحقيق أغراض غير مشروعة ، أو أهداف مجرمة قانونا . . . وهنا تصبح الجريمة مرتكبة بيد متخصصة انحرفت عن جادة الصواب . . .

ولعل هذا هو الجانب المظلم في التقنية الحديثة ، ولكن ليس هذا عيبا فيها بقدر ما هو عدم التزام العامل بأخلاقيات المهنة وآدابها وقسمها الذي أقسمه قبل أن يتولى مسئوليتها ، من وجوب استعمال كل معرفة لخير البشرية وأمنها ورفاهيتها . .

وقبل التطرق الى تفاصيل جريمة القتل بالاشعاع ، نعطى مقدمة تاريخية عن الكشف عن النشاط الاشعاعي ، وما يرتبط به من آثار ، وكيفية استخداماته في الطب والصناعة والزراعة .

هنرى بكرل وظاهرة الفلورة :

بدأت بحوث النظائر المشعة منذ تسعين عاما على يد العالم الفرنسي (هنرى بكرل) عندما كان يُجري بعض بحوثه المتعلقة بظاهرة الفلورة لأملاح اليورانيوم ، وقبل ذلك بعام كان العالم الألماني رونتجن قد نشر الخواص المهمة لأشعة اكس ، وبدا واضحا أن هناك علاقة بين الاشعاع وظاهرة الفلورة ، وتركزت بحوث (بكرل) متأخرا على اثبات هذه العلاقة ، وفي يوم ٢٠ فبراير ١٨٩٦ ، أحاط (بكرل) لوحاً فوتوغرافياً بورقتين سميكتين لونهما أسود ، ثم نثر طبقة رقيقة من مادة كبريتات اليورانيوم البلورية ، ثم عرَّض اللوح لأشعة الشمس ، وبعد تحميضه كانت المنطقة التي تغطيها طبقة ملح اليورانيوم منطقة سوداء ، وعند تكرار التجربة بوضع قطعة معدنية بين طبقة الملح اليورانيومي واللوح الفوتوغرافي ، تكونت صورة معتمة للعملة المعدنية ، وكل ذلك تم في وجود أشعة الشمس ، ولكن في يوم ٢٦ فبراير ، وعندما أعاد تجربته رغبة في التأكد من النتائج التي حصل عليها

* استاذ بكلية العلوم الطبية - جامعة الملك سعود ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

سابقا ، كان الجو غيما ، فاحجم عن تكملة تجربته ، ووضع اللوح في مكتبه انتظارا لبزوغ شمس يوم جديد ، وظل الحال كذلك حتى أول مارس ، وعليه قرر أن يبدأ تجربة جديدة خشية أن يكون اللوح الفوتوغرافي قد تأثر لطول الوقت ، ومن باب الاحتياط قام باخراج اللوح من مكتبه وحمضه ، وهنا كانت دهشته ، فلقد ظهر اللوح معتما بدرجة أوضح ، وأحسن من سابقتها ، وكرر تجاربه وفي كل مرة يحصل على نفس النتيجة ، بدون اللجوء الى أشعة الشمس ، حتى مع استخدام أملاح مختلفة لعنصر اليورانيوم ، وليس فقط كبريتاته ، كما اكتشف ان الاشعاعات المنبثقة من اليورانيوم لها القدرة على تفريغ الشحنة الكهربائية من الكشاف الكهربائي واستنتج أنها شبيهة بأشعة اكس ، وحتى هنا يقف دور (بكرل) لتبدأ احدى تلميذاته وهي ماري كوري لمواصلة البحث في خاصية النشاط الاشعاعي ، وتفسيرها لبعض أنواع العناصر ، مثل الراديوم والبولونيوم ، وأكمل العالم الانجليزي آرنست رذرفور المسيرة ، معلنا أن المواد المشعة .. ينبعث منها ثلاثة أنواع هي : جسيمات ألفا ، وجسيمات بيتا ، وأشعة جاما .

انحراف الهدف

والتقطت الدول الأوروبية الخيط الأول للنشاط الاشعاعي ، وبدأت التطورات المتلاحقة في الكشوف العلمية البحتة ، حتى كان البروفسور (هويزنبرجر) الرئيس السابق لمؤسسة الكسندرفون هامبولدث لتشجيع البحث العلمي العالمي ، والعالم (اينشتاين) وظهور فكرة الانشطار النووي الذي حفز بعض السياسيين على تكثيف التطبيق العلمي لهذه الظاهرة في اضفاء القوة العسكرية على الدولة التي برأسها .

وللحقيقة والتاريخ ، فان القنبلتين اللتين ألقيتا على هيروشيما وناجازاكى صنعتا في المانيا النازية ، وبطريق لم يذكره التاريخ حتى الآن نقلتا الى أمريكا ، ثم كان قرار الرئيس روزفلت . . . .

وقد ذكر ذلك صراحة العالم (اوبنهايمر) في مذكراته وكذلك المستر (ساكس) المستشار المالي للرئيس (روزفلت) ، رغم أن اليابان قد بدأت في اعلان استسلامها ولم تكن بحاجة الى هذا الردع .

يذكر ذلك التاريخ . . . ولكن لماذا كان هذا الردع لليابان بالذات وبقنبلتين الماني الصنع ؟

لعل هذه نقطة في التاريخ السياسي وبحاجة الى من يتدارسها .

ومع التركيز الكبير في بحوث الانشطار النووي وتركزه في مجال التخريب والدمار ، أعلن الرئيس الامريكي (ايزنهاور) في خطابه الذي وجهه الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وجوب توجيه الطاقة الذرية نحو الاستخدامات السلمية .

ويعتبر شهر ديسمبر ١٩٥٣ م هو التاريخ الحقيقى للاستخدام السلمي للطاقة النووية ، ومع بداية عام ١٩٥٦ ، بدأ الكوبلت المشع والابر الذهبية المشعة في الاستخدامات الطبية في علاج الانسجة السرطانية .

ورغم ذلك فان مخزون العالم اليوم من الأسلحة النووية يقدر بنحو ٥٠ الف رأس نووي ، وتعادل هذه ١٥ بليون طن من مادة (تي . ان . تي) شديدة الانفجار ، وبمعادلة بسيطة فان الطاقة التدميرية التي يملكها العالم الآن تعادل خمسة آلاف ضعف الطاقة التي استخدمت في الحرب العالمية الأخيرة .

وتكفي الترسانات النووية الحالية الى ابادة ٢٤٠ الف مليون شخص ، وهو ما يعادل تعداد العالم ستين مرة .

الاستخدام السلمي للطاقة :

عندما اكتشف الانشطار النووي ، وبمقارنة الطاقة المتولدة عن الوقود النووي ، وهو عنصر اليورانيوم ٢٣٥ بالطاقة الناجة عن الفحم ، يتبين لنا أن انشطار ذرة يورانيوم٢٣٥ ، ينتج عنها طاقة مقدارها ٢٠٠ مليون الكترون فولت ، بينما احتراق ذرة واحدة من الكربون لا يصاحبه سوى طاقة قدرها أربعة اليكترونات فولت ، فطاقة الذرة الأولى تعادل خمسين مليون ضعف الطاقة المتولدة من الذرة الأخيرة .

وقد أشار أحدث تقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، الى أن الطاقة النووية هى التي احتلت قسما رئيسيا من بدائل البترول خلال عام ١٩٨٤ م ، ١٩٨٥ م حيث ارتفعت نسبة استهلاك الطاقة النووية

الى ١٧,٧٪ كبديل لطاقة البترول ، في حين أن الطاقة الناتجة عن الفحم كانت ٣,٤٪ ، أما الطاقة المتولدة عن الغاز الطبيعي فشكلت ٣,٢٪ ، كبدائل للطاقة الناتجة عن البترول .

أما في المجال الطبي ، فأصبح ميسورا عن طريق التحليل الاشعاعي المناعي تقدير الهرمونات بالجسم بوحدات النانوجرام والبيكوجرام والفمتوجرام ، بدقة وسهولة تفوق أي طريقة كانت معروفة من قبل بحوث العالمين (رزوالين يالو) و (بيرسون) والانجليزي (ايكنز) ، كما أمكن تقدير تركيز الدواء بالدم،وتقدير نسبة جرعة السم التي تحدث الوفاة مما أفاد الكثير في مجال الطب العدلي .

وبعد التقدم الذي عاصرته المواد التشخيصية الاشعاعية ، وصل استخدام الطب النووي في التشخيص الى ٩٩٪ من الأمراض المستعصية ، فأصبح تصوير عضلة القلب سريرياً باستخدام الثاليوم المشع ممكنا وميسورا لتشخيص ضيق الشريان التاجي،ومدى التعرض للذبحة الصدرية ، كما أمكن مراقبة وظيفة القلب باستخدام **الابر المشعة** لكرات الدم الحمراء ، مع مادة التكنشيوم المشع ، وأمكن بذلك علاج أمراض القلب بناء على خلفية سليمة من التشخيص الدقيق .

وعن طريق التصوير الطبقي باستخدام الحاسب الآلي أمكن تصوير الكبد والنخاع الشوكي والكليتين ، ومعرفة القصور الذي يعتريهم ، كما أمكن تصوير الرئتين وتشخيص جلطاتها قبل أن يستفحل أمرها .

كذلك أمكن عن طريق التشخيص الاشعاعي تحديد التهاب المفاصل والأنسجة ، ومعرفة مكان الكسور ومدى التئامها ، وكذلك تحديد مكان الالتهابات داخل البطن ، وخصوصاً بعد إجراء العمليات الجراحية .

كما تدخل التشخيص النووي في الجهاز العصبي ، والمخ ، فأصبح من الميسور معرفة مكان الجلطة ومدى تقبلها للعلاج ، وكيف انتقلت أو زالت عقب فترة العلاج ، أثنائها .

وفي المجال الزراعي استخدمت النظائر المشعة لمعرفة أي العناصر يحتاجها النبات ليزيد المحصول ، وأي الفترات تكون أكثر ملاءمة لزراعته والتغلب على الآفات التي تصيبه ، وكيفية زراعة محصول في غير الفصل المحدد له من السنة .

وفي المجال الصناعي ، تدخلت البحوث الذرية والتطبيقات النووية في معرفة الكثير من أسرار التفاعلات الكيميائية ، وتفسيراتها ، وكيفية اقتصاد بعض الخطوات المكلفة في الانتاج ، والاستعاضة عنها بخطوات أكثر انتاجية ، وكانت قمة الاستخدام النووي في مجال صناعة الصواريخ عابرة القارات ، ومركبات الفضاء ، وأجهزة الدمار في شتى أشكالها .

آثار الاشعاع على الجسم :

الأشعة المؤينة تحمل طاقة تفوق طاقة ربط الألكترونات في الذرات والجزيئات عند امتصاص الألكترونات لهذه الطاقة من الاشعاعات المؤينة الساقطة عليها ، فانها تتأين أي تنقسم الى شقين أحدهما سالب والآخر موجب ، والخطورة التي تصيب جسم الانسان من تعرضه للاشعاعات ، بخاصة أشعة جاما ، ترجع الى تأيين محتويات الجسم ، حيث تتفاعل الأشعة المؤينة مع مكونات الخلية الحية (الأحماض النووية) ويؤدي هذا بدوره الى انفصال الروابط الكيميائية في الخلية ، وهذا بدوره يؤدي الى اضطراب في نشاط الخلية الطبيعي .

والأشعة المؤينة (جاما) لا يشعر الانسان بغزوها لجسمه ، ولا يستطيع ملاحظة آثارها بسرعة ، ذلك أنه يكون في بداية الجرعة فلا يلاحظ الفرد أي تأثير أي على خصائص أعضائه ، ولكن هذه الاشعاعات تتراكم داخل الجسم محدثة تأينا لسوائله .

وكلما زادت الجرعة الاشعاعية وقلت الفترات بين التعرض الاشعاعي ، وقربت المسافة بين الجسم ومصدر الاشعاع ، كلما ظهرت التأثيرات التراكمية الاشعاعية على الجسم بصورة أسرع .

وبصفة عامة فان الاشعاع تظهر آثاره المدمرة على الجلد والجهاز التنفسي والغدة الدرقية والخصيتين والمبيضين وباقي أعضاء الجسم الحيوية ، كما يؤدي الى الاصابة بالسرطان والتشوه الخلقي في الأطفال المولودين لآباء أو أمهات تعرضوا للاشعاع ، أو عملوا في مجاله دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة .

كذلك تتسرب المواد المشعة الى النبات ، وتستقر في ألبان الحيوانات التي تتغذى على النباتات أو

الأعشاب المصابة ، ومن ثم تصيب الانسان بطريق غير مباشر .

حوادث التسرب الاشعاعي :

واذا كانت الانفجارات النووية التي وقعت بمحطة الطاقة النووية في بنسلفانيا عام ١٩٧٩ م ، وبعض حوادث التسرب البسيطة التي وقعت في أوك ردج أو بصفة عامة في ولايات كاليفورنيا وتكساس وبنسلفانيا ، وأمكن احتوائها بسرعة دون تصاعد لمخاطرها ، وكذلك كارثة محطة توليد الطاقة الكهربائية بالقوى النووية في تشرنوبيل بالاتحاد السوفييتي في أبريل ١٩٨٦ م ، فان هذه الأحداث تعتبر ضريبة للتقدم البحثي ، واحتمالات الخطأ التجريبي المعترف بها التي تشكل نسبة ١٠٪ في صحة وصدق النتائج .

وان كان أول حادث نووي جماعي يذكره التاريخ هو حادث مصنع الساعات في عام ١٩٢٠ م ، فقد كان أول الاستعمالات الصناعية للراديوم هو الطلاءات المضيئة ليلا ، فعندما يخلط مسحوق الراديوم مع بلورات كبريتيد الزنك ، فان البلورات الأخيرة تضيء نتيجة لامتصاص الطاقة من جسيمات الفا المنبعثة من الراديوم ، وكان جديراً بهذا الاكتشاف الجديد أن يعم العالم ، لما له من استخدامات حربية مفيدة ، خصوصاً في الحرب العالمية الأولى ، بالاضافة الى صناعة أقراص الساعات بطلاء أرقامها بهذا الطلاء الجديد ، ليمكن قراءة الوقت أثناء الظلام .

ومن أجل رسم خطوط رفيعة لأرقام الساعات بهذا الطلاء ـ كان لا بد من فرشاة تكون قمتها مدببة ورفيعة جدا ـ وكانت العاملات في مصانع الساعات يضعن قمة الفرشاة بين شفاههن من أجل تحقيق ذلك ، وفي كل مرة كانت تلامس قمة الفرشاه مقدمة الفم كانت كميات ضئيلة من الراديوم والميزوثريوم تبتلع ، ومع بداية عام ١٩٢٠ ، كانت بضع من العاملات في مصانع أقراص الساعات قد توفين مصابات بأنيميا حادة ، ونقص حاد في نمو عظام الفكين ، الى أن اكتشف مصادفة أحد أطباء الأسنان علاقة طبيعة العمل بالتأثير الاشعاعي على عظام الفكين .

القتل بالاشعاع :

وتصل المأساة الى قمتها عندما يستغل أحد العاملين في مركز الطاقة النووية ببولندا خبرته التي تراكمت على مدى عشرين عاما ، ليتخلص من رفيقة حياته بعد أن ذكر (أن حياته معها لم تعد تطاق) .

أخبر المهندس (كويتار) زوجته بأنه سيكون في مهمة بالخارج لمدة شهر ، وصدقته زوجته ، وقام بوضع مصدر اشعاعي تنبعث منه أشعة جاما في طرد مغلف تحت سريرها ومن جهة وسادتها .

بدأت أعراض الاشعاع الأولى تظهر عليها بعد أسبوع مباشرة ، ذلك لأن مصدر الاشعاع قريب من جسمها ، فلا يزيد عن ٤٠ سم ، كما أن المصدر كان قويا ، بالاضافة الى أنها تتعرض يوميا قرابة العشر ساعات(فترة بقائها في منزلها أو نومها على الفراش الملوث).

وكانت أهم الأعراض التي ظهرت عليها هي الارتفاع في درجة حرارة الجسم ، والغثيان والقيء المستمر ، والشعور بالخوار والتعب ، مع عدم القدرة على القيام بأي مجهود .

واستشارت الأطباء ، وأجريت التحليلات ، واستخدمت المضادات الحيوية ، وفي الأسبوع التالي بدأت تظهر الأعراض بأكثر حدة .

لاحظ أحد الأطباء الجدد بالمستشفى وظيفة الزوج ترتبط بالطاقة النووية ، كما لاحظ أن الأعراض التي تشكو منها هي أعراض التسمم الاشعاعي ، فما كان منه الا أن استأذن رئيسه في وجوب طلب مركز الوقاية من الاشعاع ببولندا لاجراء مسح اشعاعي بمسكن السيدة يونوش .

وكم كانت دهشتهم عندما أشار عداد (حايجر مولر)ـوهم خارج المنزلـعن وجود مصدر اشعاعي بداخل المنزل . . . ومع تتبع القراءة الاشعاعية التي أخذت تزداد رويدا رويدا أمكن الوصول الى مصدر الاشعاع الموضوع تحت سرير الزوجة ، وعن طريق الاسعاف المركز أمكن انقاذ الزوجة بترياقات الاشعاع ، والبعد عن المصدر المشع ، وما جاء عام ١٩٨٠ م ، حتى كان الزوج يقضى عقوبة السجن مدى الحياة ، لاخلاله أولا بواجبات وظيفته ، وثانيا لشروعه في قتل زوجته . □

عاشوا في هذا المكان

العقّاد

بين أسوان ومصر الجديدة

بقلم : سارة

هناك الكثير من المؤثرات التي تساهم في تشكيل مادة الابداع عند المبدع . . والمكان والزمان هما بعض تلك المؤثرات .

فما هو تأثير هذا العامل عند بعض المبدعين والمشهورين في حياتنا العربية . . وأحد أمثلتهم عباس محمود العقاد ؟

في المدينة التي ذكرها « حزقيال » في نبوءات التوراة والتي جاء اليها « هيرودوت » و « دداسترابون » وأقيمت فيها الصلوات لاله النيل وإيزيس وأوزريس و « يهوا » رب الجنود ، وشيدت فيها أديرة الرهبان وصوامع النساك ، وعرفها الشاعر دعبل كما عرفها رهين المحبسين،ووشمتها الحضارات الفرعونية واليونانية الاسلامية بملامح خلدتها ، وقال عنها كمال الدين جعفر بن ثعلب في القرن الثامن الهجري : « قد خرج من أسوان خلائق كثيرة لا يحصون من أهل العلم والرواية والأدب » .

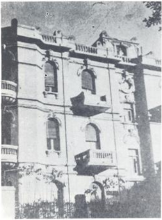
في مدينة المعابد وبئر إراتستين ، الجرانيت ، أحجار الطواحين والصخور النارية والأركية التي يقول الجيولوجيون أنها أول ما تصلب من قشرة الأرض ، مدينة الشلالات والشمس الساطعة ، فيها ولد العقاد ، في ظهر يوم الجمعة ١٨٨٩/٦/٢٨ ، في بيت من بيوتها العريقة ، في العام نفسه الذي ولد فيه : طه حسين ، نهرو ، هتلر ، سالازار ، شارلي شابلن ، أرنولد توينبي ، عبدالرحمن الرافعي ، جان كوكتو ، ومارتن هيدجر .

البيت العتيق

كان ذلك البيت في تقسيم حجراته وردهاته كغيره من بيوت أسوان . . مدخل يفضي الى صحن الدار والحجرات التي كانت سقوفها على نظام الأقبية ، ومن وراء صحن الدار سلم من « الخرخاش » وهو نوع



● أقدم صورة للعقاد وكان عمره ١٣ سنة



● المنزل رقم ١٣ شارع السلطان سليم

رخو من الحجر الرملي مائل الى السمرة ، يصعد الداخل الى قاعة متوسطة السعة ، رصت فيها بعض الأرائك والكراسي لجلوس صاحب الدار مع ضيوفه ، ولذلك كانت تسمى « المقعد » وفي نهايتها حجرة صغيرة مربعة يرتفع سقفها أو قبوها مترا ونصف متر ، سويت أرضها بالبلاط ، وفي مستواها حلق نحاسية صغيرة ، اذا رفعت ارتفع معها بعض البلاط كأنه غطاء تحته مخزن صغير ، كان والده يضع فيه سلاحه الذي كان معدا يومئذ لصد الدراويش الذين كانوا يتهددون أسوان بالغارات ، وبعد انتهاء الخطر صار مخزنا للأواني النحاسية .

كان جده يشتغل بمصنع حرير بدمياط ، فلقب بالعقاد ، وكان أبوه أمينا للمحفوظات بمدينة أسوان ، أما أمّه فكانت حفيدة لأحد رجال الفرق الكردية التي وجهها محمد علي سنة ١٨٢١ الى السودان لتأديب الملك « شندي » وقد ورث عنها حبها للصمت والاعتكاف وصلابة الارادة ، حتى كانوا يلقبونها « بالمشدة » والمشد هو رئيس العمال ، وكان أول ما يستقبله من الدنيا كل صباح صورة والده وهو يقرأ القرآن ، والعقاد ابن الزوجة الثانية ، وأشقاءه هم : فاطمة ، وأحمد ، وياسين ، ومصطفى ، وطاهر ، وجميعهم انتقلوا الى رحمة الله ، وقد ندر بين أقاربه من لا يسمى باسم من أسماء النبي وآله (عليهم الصلاة والسلام) .

كانت مكتبة والده تتكون من كتب الفرائض والعبادات وبعض كتب التاريخ ، لا سيما السيرة النبوية وتراجم الأولياء الصالحين ، وأعداد صحيفة الأستاذ والطائف للنديم ، وصحيفة العروة الوثقى للأفغاني ومحمد عبده ، وكان بيتهم ملتقى لشيوخ يسمرون مع والده ، في « المندرة » وكان حريصا على وجود عباس معهم وهو في السابعة فأكسبه ذلك وقاراً حتى أنه رفض - وهو طفل - لبس البنطلون القصير ،



● العقاد مع سارة وهى لبنانية من أسرة داغر

واصر على رفضه ، وتجلت أهمية هذا المجلس في معرفته بالقاضي أحمد الجداوي ، وكان من أدباء الفقهاء الذين ناصروا الأفغاني وأخذوا عنه لذلك قال العقاد « وقد حببْتْ مجالس الجداوي الأدب الى نفسي لأول مرة ، ورغبت أن اتخذه فنا أضرب فيه بسهم كما ضرب فيه الأستاذ ، وصرت منذ ذلك الحين مهتما بحفظ الشعر ومطالعة كتب الادب »

بقى البيت الذي ولد فيه على حاله بعد وفاة والده عام ١٩٠٧ ، وفي عام ١٩٤٩ فكر العقاد في ازالة البيت القديم ، وبدأ البناء في يوم ١٣ مارس ، وانتهى يوم ٣١ ديسمبر ٤٩ ودخل العقاد بيته الجديد يوم ٩ يناير ١٩٥٠ ، يقع البيت في شارع العقاد « عباس فريد سابقا » ويتكون من ثلاث طبقات ، طليت جدرانه بالطلاء الأبيض ، وأبوابه ونوافذه باللون الجوزي المائل الى الحمرة قليلا ، وأقيمت واجهة البيت على أربعة أعمدة رئيسية ، فيما بينها ثلاثة أبهاء يعلو بعضها بعضا ، ويصعد الداخل اليه ثلاث درجات ، تؤدي به الى بهو مستطيل يبلغ طوله سبعة أمتار تقريبا ، تطل عليه ثلاث نوافذ ، هي نوافذ حجرة الندوة الأسوانية ، وهي حجرة كبيرة طولها طول البهو المجاور لها ، وعرضها يزيد على أربعة أمتار ، وقد حوت ستة وثلاثين مقعدا ، يضاف اليها بضعة عشر كرسيا عند الضرورة ، وعلى الجدار المواجه لباب الحجرة صورة كبيرة للعقاد في شيخوخته ، وعلى الجدران الباقية صور أخرى لمناظر أسوانية ، ومعظم صور البيت للفنان صلاح طاهر ، أهداها اليه بعد بناء البيت ، ومن صور حجرة الاستقبال صورة مقياس النيل والصخور النارية ، وأخرى للخزان والماء يتدفق منه ، ولوحة النيل والجزيرة في أحضانه ، وهناك أيضا لوحتان احداهما لقصر « انس الوجود » وأخرى لفندق كتراكت « الشلال » .

تعقد الندوة الأسوانية مساء كل ثلاثاء وجمعة ، تبدأ في الثامنة مساء ، وتنتهي نحو التاسعة ، ومنذ أول ندوة عقدت في هذا البيت اعتاد العقاد أن يقدم لضيوفه « القرفة الساخنة » التي يغطيها السمسم أو جوز الهند المبشور .

أما في داخل البيت فهناك حجرة المائدة التي تزين جدرانها لوحات منها : لوحة لقطط تلعق اللبن ، وأخرى لطبق يحوى فاكهة ، ولوحات قرآنية ، وقد توسطت الحجرة مائدة كبيرة ، رصت حولها الكراسي ، أما بقية الحجرات فهي لنوم أسرة العقاد ، وفي الطبقة الثانية بهو كبير تتوسطه مائدة حولها ستة كراسي ، تحتها بساط أسواني ، وحول البهو حجرات للنوم احداها للعقاد حين يأتي في الشتاء ، والأخرى لضيوفه ، وفي البهو أريكتان كبيرتان ، وعلى الجدران لوحات منها لوحة تمثل شلالا ، والأخرى لطفلة صغيرة تنام في مهدها ، وفي أحد الأركان مذياع وبضعة كراسي من القش ، وسعف النخيل الأسواني ، وهناك حجرة الاسعافات أسماها العقاد بذلك لاحتوائها على كتب ومراجع تشكل اسعافات معرفية له اذا اراد مرجعا في موضوع يهمه ، ومنها أخرج للناس عدة كتب بينها : فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، عقائد المفكرين في القرن العشرين ، المرأة في القرآن الكريم ، الانسان في القرآن ، وفيها يجلس العقاد في الصباح الباكر للكتابة والاطلاع ، وربما تطول جلسته الى منتصف اليوم ، بعدها يرتاح بعض



● عيد ميلادة الأخير عام ٦٣

الوقت ، ثم يتناول طعامه حوالي الساعة الواحدة ، وينام حتى الرابعة ، ثم يعود الى جلسته في المكتب بعد أن يشرب قدحا من القهوة ، والعقاد يكتب في كل مكان خلا من الضوضاء . أما اذا لم تقيده الضرورة بمكان معين ، فأكثر ما كتب وهو مضطجع على الفراش ، وثلاثة أرباع مقالاته السياسية كتبت كذلك ، وكان ينظم الشعر ـ غالبا ـ وهو يتمشى أو يسير في الخلاء ، واذا شطب كلمة اهتم بطمسها ، ويكثر الشطب اذا كان منحرف المزاج ، أما زمان الكتابة فشرطه الوحيد فيه الا يكون بعد تناول الطعام ، ويفضل الكتابة منفردا ، ولم يتعود أن يستعين بشيء من المنبهات أثناء العمل ، كالتدخين ، وشرب القهوة ، وحتى في الأيام التي كان يدخن فيها ، وقد أتعبته الكتابة بالقلم الرصاص ، فما ان تيسر له ثمن القلم الحبر حتى عاد من جديد للقلم الرصاص ، ثم اكتشف أن المداد الأحمر ، أريح للنظر في ضياء الليل ، فاستخدمه ، و . . في حجرة الاسعافات عدة لوحات ! احداها للنيل في أسوان والأخرى للعقاد بريشة صلاح طاهر رسمها عام ٤٢ ، وخلف المكتب ديباجة من النسيج اهداها اليه أحد الأصدقاء ، في نسيجها مقطوعة شعرية له من ثلاثة ابيات :

قالوا الحياة قشور
قلنا فأين الصميم ؟
قالوا شقاء ، فقلنا
نعم ، فأين النعيم ؟
ان الحياة حباة
ففارقوا أو اقيموا .

وفي المساء ينزل العقاد دائما الى الطابق الأول ،ليكون بين أسرته ، وكانت الجلسة في حجرة والدته ، فلما توفيت عام ١٩٥٦ ، ظلت حجرتها مغلقة طيلة اقامته هناك .

واذا ما صعدنا الى الطابق الثالث وجدنا شمس أسوان تحتل أركانه ، وفي الجهة الجنوبية نرى ثلاث حجرات للنوم ، اثنتين متجاورتين في الزاوية الغربية ، وحجرة منعزلة في الزاوية الشرقية ، وفي الجهة الشمالية حجرة مميزة بجدرانها الزجاجية الملبسة بالخشب ، تحيط بها النباتات المتسلقة ، وفي الجانب الشرقي منها أريكة يتخذ العقاد مجلسه عليها دائما ، وحولها بضعة كراسي منجدة ، وفي وسطها منضدة صغيرة ، تحتها بساط أسواني ، وعلى أحد الجدران صورة كبيرة للعقاد في شبابه ، والجالس فيها يستطيع

أن يرى المدينة والنيل ، وعلى ضفته الغربية معابد الفراعنة ، واعتاد العقاد الجلوس فيها للتأمل في الأيام التي لايخرج فيها من البيت ، أو لايكون مشغولا بالقراءة والكتابة .

ويقيم في هذا البيت حاليا أبناء شقيقه أحمد وهم : عبدالعزيز في الطابق الثالث ، وأسرة الراحل محمود في الطابق الثاني ، أما الطابق الأول - وهو مغلق حاليا - فهو خاص بأسرة الراحل عامر العقاد ، وقد تغيرت ملامح البيت الداخلية كثيرا بعد أن دخلته المكيفات والمراوح وورق الحائط ، وفي الاحتفال بذكراه السنوية الذي تقيمه محافظة أسوان وأسرته ، يستضيف هذا البيت بعض المشاركين في الاحتفال .

المقر الأخير

تخرج العقاد في المدرسة الابتدائية عام ١٩٠٣ ، واستطاع أبوه بماله من صلات طيبة برؤساء الديوان ، أن يوظفه بالقسم المالي في مدينة قنا ، حضر الى القاهرة للكشف الطبي عام ١٩٠٥ ، واستقال من هذه الوظيفة عام ١٩٠٦ ، والتحق بمدرسة الفنون والصنائع ، ثم تركها ، وتوظف في مصلحة البرق ، وبعد ستة أشهر هجرها الى الصحافة ، ومنذ وصوله الى القاهرة تنقل في عدة أماكن للسكن في ضاحية الدمرداش بجوار حدائق القبة ، شارع محمد على ، بنسيون الاهرام في مصر الجديدة ، شبرا ، ثم استقر منذ عام ١٩٢٦ وحتى يوم وفاته ١٢ مارس ١٩٦٤ في المنزل رقم ١٣ شارع السلطان سليم « شفيق غربال حاليا » في مصر الجديدة ، وربما كان سبب اختياره تلك الضاحية شغفه بالخلاء ، وجوها الجاف ، وهو الذي تعرض عام ١٩٢٢ لأزمة صدرية حادة .

وحين كنت أصعد سلالم بيته المتآكلة انتابني تردد حزين واجف ، تذكرت ماقاله : « فهذا البيت قد كتبت فيه خير كتبي، وأحبها الى،هذا المسكن صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ،ثم صعدتها اثنتين اثنتين ، ثم اصعده درجة درجة على غير عجلة ، ولا أكتراث ، وقد استقبلت فيه آمالا واستحييت فيه ذكريات ، ومن غار على ذخيرة آماله وبواطن ذكرياته ، فقد يغار على مواطنها أن تستباح بعده لكل من يشاء » .

قرعت جرس منزله في الطابق الثاني المواجه لمنزل ابن اخيه الراحل عامر أحمد العقاد ، وما أصعب أن نطرق مواطن الذكريات،استقبلني وجه ابراهيم الطنطاوي الأسمر ، الذي تربي بين ايدي العقاد وعامر ، كان أبوه حارسا للمبنى ، وقد مات منذ شهور قليلة ، ويعيش مع أسرة العقاد كواحد منهم ، هو عضو في جمعية العقاد الأدبية ، ويكتب في عدد من المجلات العربية ، ومن أكثر من قابلتهم حماسا لكل مايذكره بالعقاد .

واجهتني ردهة صغيرة لها شرفة أصغر ، كان يحلو للعقاد الجلوس فيها حتى مطلع الفجر ، ردهة عارية الأرض والجدران تفوح منها رائحة عتق واهمال وكآبة ، خالية تماما من خزانات الكتب التي كانت غاصة بالاف المجلدات ، بل ان البيت كله يخلو من اي أثر لكتاب ، وقد أخبرني مرافقي أن الكتب بخزاناتها حجزت عليها الضرائب لمطالبتها ورثة العقاد خمسة الآف جنية ، ونقلت الى دار الكتب ، وقدقررت محافظةأسوان أخيرا دفع هذا المبلغ واسترداد الكتب بعد الفراغ من بناء المكتبة التي تقام حاليا



● في المطبخ مع طاهية

لتضم تراث العقاد .. تتوسط الردهة مائدة صغيرة حولها ستة مقاعد ، وفي أحد الاركان ثلاجة أدميرال صغيرة ، افتقدت « تابوته المقدس » الذي أشار اليه في كتابه « في بيتي » وهو عبارة عن صندوق مربع يشتمل على حاك قديم وبضع مئات من الاسطوانات الموسيقية والغنائية التي عثرت على بعضها ملقاة بإهمال في أحد الأدراج مع بقايا ملابس وصحف .

على يمين الردهة غرفتان متجاورتان ، احداهما صالونه والأخرى حجرة نومه التي يتوسطها سريره الضخم ودولابه ، ومشجب الملابس ، وقد اختفت منها متعلقاته التي تتمثل في تسع عشرة بدلة وعشرين حذاء ، أربعين قميصا واحدى عشرة طاقية ، وأربعين لفاعاً وكوفية « عشرين (روبا) ومئتي ربطة عنق كما اختفت منها أيضا الصور المنسوخة من أصولها كصورة سالومي من تصوير بروسبير ، و « زهرة » للاسباني فيلاسكية ، وتاييس ، واخرى لسوق رقيق في عاصمة شرقية ، أما الصورة الأصلية الوحيدة في الحجرة وكانت معلقة على الجدار المواجه لسريره وقد رسمها صلاح طاهر استجابة لرغبة العقاد وتمثل فطيرة حلوة يشتهيها الجائع والشبع،عليها صرصور وذباب وهي ترمز للمرأة التي أحبها العقاد وأصبحت مشاعا للجميع هذه اللوحة وجدتها ملفوفة بورق الصحف وقد تعرضت للتلف في مكتب عامر العقاد.أما صالونه الذي كانت تعقد فيه ندوته صباح كل جمعة،وكان يستقبل ضيوفه بالبيجاما والطاقية والكوفية ، ويقدم لهم عصير الليمون والقهوة ، الجلوس فيه كان حسب الاقدمية .

فالأقربون اليه هم الأقدمون ، وعندما ينهض الأكبر سنا يكون ذلك اشارة الى ان الساعة اقتربت من الثانية ، موعد غداء العقاد ثم نومه ، وكان يجد متعة في أن يقارن بين الحيوانات وبين تلامذته أو أصدقائه فكل واحد منهم قد وجدله شبها بالحيوانات .

في هذا الصالون اريكتان واربعة مقاعد ومنضدة ، تحتها بساط أسواني،وفي أحد الأركان تمثال نصفي للعقاد بجواره مذياع تعلوه صورة محمد عبده ، وأيضا هناك أربع صور له من رسم صلاح طاهر ، بينما اختفت لوحة الفنان هدايت وشاطىء الزمالك لشعبان زكي ، وترعة المحمودية لصلاح طاهر ، وأبوقير للبيب تادرس ، وكذلك الساعة والبومتان اللتان تحفان بها .

على يسار الردهة ممر ضيق قصير ، في نهايته حجرة مكتبة وقد تحولت الى غرفة نوم بها ثلاثة أسرة ودولابان ، وانتقل مكتبه الى منزل عامر العقاد ، ولم يعد هناك أثر لصور الافغاني وسعد زغلول وبيتهوفن وكارليل ، وكذلك لوحة « زيارة القبر » لمحمد حسن ، وقد خصها بمقاله في « ساعات بين الكتب » و « والينبوع » لانجر أما صورتاه بعد الأربعين وبعد الخمسين فهما معلقتان في شقة عامر ، وبجوار حجرة المكتب حجرة كانت لضيوفه ، ومخزنا لثيابه ، تحولت هي الأخرى الى غرفة نوم ، يواجهها مطبخه وحمامه المتواضعان ، سألت « ابراهيم » بأسى عن ما ضاع من مواطن الذكريات فقال:« لقد فقدنا العدد الأكبر والأندر من صور العقاد وخطاباته لتداولها بين الأصدقاء والصحفيين ، ولم يبق من متعلقاته الا بدلتان وحذاءان وكوفية وطاقية وطربوش وعصاه وبعض مؤلفاته وخطاباته في ركنه الخاص بدار الثقافة بأسوان ، بالاضافة الى طاقية وكوفية احتفظ بهما د . عبداللطيف عبدالحليم رئيس جمعية العقاد الأدبية ، وضاعت منا ساعته واحدى البومتين ، أما جميع اللوحات،التلفزيون ٢٣ بوصة ، احدى البومتين ، الحاكي ، وبقية الاسطوانات فقد احتفظ بها العقاد في صناديق مغلقة في بيته ، خشية الضياع،وخاصة بعد أن تحول بيت العقاد الى مصيف لأسر أشقائه ، بينما يظل طيلة الشتاء مغلقا .

كان البيت يتنفس حرارة ورطوبة ، وكان العقاد يكره الصيف .

صار البيت محاصرا بالضجيج والأبنية الشائهة ، وكان قد اختاره لانه مغروسا كنخلة يتيمة .

كان العقاد يغسل رأسه بالماء الساخن كلما داهمته الكآبة ، فمن لي بماء ساخن يزيل عن نفسي كآبة ما تبدد وما تبعثر من مواطن الذكريات ، ولا ندري ما يفعل الزمن بما حرصنا على أن يستوطن منا العيون وحبات القلوب . □

من قصص الخيال العلمي

الدرس المفيد

تأليف الكاتب الاميريكي : ايزاك ازيموف

ترجمة : الدكتور غسان حتاحت

خمسة أعوام مضت منذ بدأ سور من الكتمان يحيط بأبحاث الدكتور آرون رودمان .

وقد فسروا له ذلك بقولهم : « انه من أجل حمايتك ، فلو وقعت أبحاثك في الأيدي الخاطئة . . » وفكر الدكتور رود مان بأسى : هل الأيدي الصحيحة هي يديه حقا ؟.

ذلك أن اكتشافه كان بالتأكيد أعظم تقدم في المجال الصحي منذ أبحاث باستور على الجراثيم ، وأعظم سبيل الى تفهم آلية الحياة على الاطلاق .

وقد بدأ الصمت يطبق على أبحاثه بعد محاضرته في أكاديمية الطب في نيويورك ، وكانت في أول يوم من القرن الحادي والعشرين . بحيث منع من التحدث عنها الا الى بعض المسؤولين كما منع بالتأكيد من نشرها .

وقد دعمته الحكومة وزودته بكل ما يحتاج اليه من مال ، ووضعت تحت تصرفه كل أجهزة الكمبيوتر التي أرادها . فكان أن تقدمت أبحاثه بسرعة حثيثة . وكان المسؤولون الحكوميون يزورونه باستمرار للاطلاع على أبحاثه ، وقد سأله بعضهم :

- دكتور رود مان كيف يمكن للفيروسات أن تنتشر من خلية لأخرى ضمن جسم ما ومع ذلك لا تكون معدية لجسم آخر ؟.

وكان يضجر من التكرار مرة بعد أخرى ، انه لا يعرف أجوبة كل الأسئلة . كما كان يتضايق من استعمال مصطلح فيروس ، ويقول : انها ليست فيروس ، اذ ليس لها نفس التركيب ، بل هي شيء مختلف هو الليبو بروتين .

وعندما يكون السائلون من غير الأطباء ، كان يجد أن الاجابة أسهل عليه ، اذ يستطيع أن يشرح لهم الأمور بصورة عامة ، عوضا عن الدخول في التفاصيل الدقيقة فيقول :

« ان كل خلية حية ، وكل تركيب صغير ضمن الخلية محاط بغشاء . ويعتمد عمل الخلية على نفوذية هذا الغشاء تجاه المواد المختلفة ، وعلى نسبة هذه النفوذية . وان تغييرا بسيطا في الغشاء يبدل طبيعة العبور من خلاله بصورة كبيرة . ويغير بالتالي الطبيعة الكيميائية للخلية ونشاطاتها .

وتنجم معظم الأمراض عن تغيرات في نشاط هذه

---

* المترجم : الفيروس كائنات حية متناهية فى الدقة ذات تركيب كيميائى معقد . عندما تدخل الى الخلايا تجبرها على أن تشكل التركيب الكيميائى للفيروس فتتكاثر مسببة كثيرا من الأمراض .

الأغشية . بحيث أن كل آلية تسيطر على هذه الأغشية انما تسيطر على الحياة . فالهورمونات تسيطر على الجسم عن طريق تأثيرها على الأغشية . وان مادة الليبوبروتين التي ركبتها هي هورمون صنعي أكثر منها فيروس . وهي تندمج في الأغشية وتحرضها على صنع ذرات مماثلة لها (تماما كما تفعل الفيروسات) وان كنت شخصيا لا أفهم هذه الآلية . وهذه البنية الدقيقة للأغشية ليست واحدة لدي كل الناس ، بل انها تختلف من شخص لآخر ، وبالتالي فان الليبوبروتين لا تؤثر على شخصين نفس التأثير . فلئن سمحت بنفوذ السكر الى الخلية لدي شخص مامصاب بالسكري فقد تشفيه ، بينما يمكن لها أن تغلق الخلية لدي شخص آخر وتمنع عبور مواد ضرورية اليها فتؤدي لقتلها » .

وهذا الأمر الأخير هو مابدا أنه يثير اهتمامهم ، ذلك أن هذه المادة هي سم قاتل . وكان رود مان يقول : « انها سم انتقائي . فلا يمكن التنبؤ مقدما ـ دون دراسات معقدة بالكمبيوتر لبنية الأغشية لدى شخص معين ـ اي نوع من الليبوبروتين سيؤذيه .

ومع مرور الوقت أخذت الحلقة تضيق حول رودمان فتمنعه حريته وان لم تحرمه من الرفاهية ، في وقت أخذت الحرية والرفاهية تختفيان من العالم ، وفتحت الجحيم فاها أمام الانسانية اليائسة .

كان ذلك عام / ٢٠٠٥ / وقد بلغ عدد سكان العالم ستة بلايين . ولولا المجاعات لكان العدد تجاوز السبعة بلايين .

وكان بيتر افار رئيس منظمة الغذاء العالمية يزور مخابر الدكتور رود مان كثيرا . فيقضيان معا بعض الوقت يلعبان الشطرنج ويتناقشان . وكان أفار ـ حسب قوله ـ هو الذي أدرك أهمية محاضرة رود مان في الأكاديمية الطبية ، وبسبب ذلك عين رئيسا لمنظمة الغذاء .

وان كان رود مان يرى أن ادراك هذه الأهمية أمر سهل الا أنه لم يقل له ذلك .

كان أفار كثير الابتسام ، رغم أن موضوع حديثه قل أن يعطي سببا للابتسام . ذلك أن أي رئيس لمنظمة تهتم بغذاء العالم لابد له وأن يتحدث عن المجاعة .

وكان أفار يقول : « لو وزعنا الطعام المتوفر بالتساوي على سكان العالم لمات جميعهم جوعا » فيرد عليه رودمان : لو كان التوزيع بالتساوي لكانت العدالة المثالية قد تحققت وقادت العالم الى خطة عالمية عاقلة . أما والأمر كما هو فإن العالم في بأس وسخط : وفرة أنانية لدي البعض ، وحرمان لدي الآخرين .

وقد سأله أفار : هل ستتطوع لتقدم مايفيض عن حاجتك من طعام .

فرد رودمان : انني بشر وأناني ، ثم ان تصرفي الفردي لن يعني الكثير .

أجاب أفار : انك شاعري ، الا تدرك أن الأرض مثلها كقارب نجاة ، اذا قسم مخزون الطعام بالتساوي بين الجميع سيموت الجميع . بينما اذا طرد قسم من شاغلي القارب فإن الباقين سيعيشون . وليس السؤال ما اذا كان البعض سيموت ، ذلك ان البعض يجب أن يموت ، ولكن السؤال هو ما اذا كان البعض سيعيش ؟

سأل رود مان : هل تطالب رسميا بالقتل الانتقائي . أي تضحية البعض في سبيل الباقين ؟ .

رد أفار : اننا لا نستطيع ذلك . فالناس في قارب النجاة مسلحون ، ومناطق كثيرة من العالم تهدد باستعمال الأسلحة الذرية اذا لم يزودوا بالطعام .

هنا قال رود مان : هل تعني أن الاجابة على المشكلة : يجب أن تموت كي أعيش أنا أو اذا كنت أنا سأموت فستموت معي ؟

قال أفار : ليس تماما . فثمة مناطق في العالم لا يمكن انقاذ سكانها ، فقد تزايدوا بكثرة هائلة وهم يعانون من المجاعة . لنفرض أنه أرسل اليهم طعام . ولنفرض أن هذا الطعام أماتهم . فلن تتطلب تلك المناطق أية شحنات أخرى .

سأل رود مان : وكيف تستطيع قتلهم ؟ .

أجاب أفار : يمكننا معرفة الخصائص البنيوية

للغشاء الخلوى لدي مجموعة معينة من الناس بصورة وسطية . بحيث نستطيع أن نركب ليبو بروتين مصمم خصيصا لهم . يوضع في شحنات الطعام فيصبح قاتلا لهم .

قال رود مان مصعوقا : انه لا يمكن التفكير بذلك .

أجاب أفار : بل يجب التفكير بذلك لن يكون هنالك ألم . فأغشية الخلايا ستتغير .

وسينام المصاب فلا يستيقظ . وذلك لاشك أفضل من الموت جوعا أو من التدمير الذري .

كما أن هذا لن يشمل الجميع ، ففي كل مجموعة سكانية تختلف خصائص الأغشية لديهم ، وعلى أسوأ الاحتمالات فان ٧٠٪ سيموتون .

وسيتم هذا الأمر في مناطق الازدحام السكاني وسيبقى ما يحفظ كل أمة وكل طائفة عرقية وكل ثقافة وحضارة .

رد رودمان : وذلك بقتل البلايين من الناس ؟ .

أجاب أفار : ان الأمر لن يكون قتلا ، بل هو توفير الفرصة للناس كي يموتوا .

أما من هو الفرد الذي سيموت فيعتمد ذلك على الخصائص البنيوية له . وستكون يد الله هي التي اختارته .

سأل رودمان : وعندما يكتشف العالم ذلك ؟ .

رد أفار : سوف لن يحصل هذا في عصرنا ، وعندما سيحصل سيكون العالم مزدهرا وسكانه قلائل . وسوف يشكروننا على العمل البطولي في اماتة البعض لتجنب موت الكل . شعر الدكتور رودمان بالغضب ووجد صعوبة في الكلام وهو يقول : ان أرض الله واسعة ، ومازلنا حتى الآن لم نستغل خيراتها كلها ، ولم نبذل جهدنا في توزيعها بصورة عادلة ، وفي مناطق شتى يهدر الفائض من الطعام . مما يسبب الغضب لدي الجياع .

أجاب أفار ببرود : اني أوافقك . ولكننا لا نستطيع أن نخلق العالم الذي نريده ، بل لابد لنا في العيش في العالم كما هو .

وانتهت المناقشة عند هذا الحد . وكان رودمان يزاريوميا من قبل مسؤولي الحكومة ، وكلهم تبدو عليهم مظاهر التغذية الجيدة .

بحيث أصبح حساسا تجاه مالاحظه من أن جميع من طالب بضرورة قتل الجياع ، هم من الذين يتغذون جيدا .

وقد قال له وزير الزراعة في احدى زياراته : ألا تقبل بقتل قطيع من الغنم مصاب بمرض معد في سبيل تجنب انتشار المرض الى الاغنام السليمة ؟ .

أجابه رود مان : أولا ان البشر ليسواغنما . وثانيا المجاعة ليست مرضا معديا . رد وزير الزراعة . لكنها كذلك ، وهذه هي النقطة المهمة ، فاذا لم نقض على الانفجار السكاني فان المجاعة ستنتشر الى المناطق غير المصابة . لذلك يجب أن تساعدنا . فسأله رودمان : وكيف ستجبرني على ذلك ؟ بالتعذيب ؟ .

رد وزير الزراعة :- اننا لن نمس شعرة من جسمك . فخبرتك في هذا الأمر ثمينة بالنسبة لنا ، ولكننا نستطيع سحب قسائم الطعام .

- ولكن الجوع سيضر بي .

- ليست قسائمك أنت ، لكننا بما أننا مهيئون لقتل بضعة بلايين من الناس في سبيل الجنس البشري فاننا لاشك مهيئون لأمر أبسط كثيرا وهو سحب قسائم الطعام من ابنتك وزوجها وطفلها .

- سكت رود مان بينما تابع الوزير : سوف نترك لك بعض الوقت لتفكر . نحن لا نريد الاساءة الى عائلتك ، لكننا سوف نفعل ذلك اذا اضطررنا . سنمهلك اسبوعا . ويوم الخميس القادم ستجتمع اللجنة كلها هنا . وأعتقد أنك عندها ستكون ملتزما مثلنا بهذا المشروع .

خلال الاسبوع التالي ضوعفت الحراسة على رودمان وغدا كالسجين . ويوم الخميس حضر جميع أعضاء مجلس الغذاء العالمي مع وزير الزراعة وبضعة أعضاء من المجلس التشريعي الى المخبر . وجلسوا حول الطاولة في غرفة الاجتماعات في البناء الفخم الذي بني من أموال الشعب .

وتحادثوا خلال ساعات . ورسموا الخطط ، مسترشدين باجابات رودمان على بعض الاسئلة المحددة . دون أن يسأله أحد ما اذا كان سيتعاون معهم ، ودون أن يتبادر الى ذهنهم أنه لن يفعل ذلك .

وفي النهاية قال رودمان : ان مشروعكم غير عملي . لانه بعد وصول شحنات الحبوب الى المناطق

المعينة من العالم ، سيموت مئات الملايين ، فهل تعتقدون أن الذين سيعيشون سوف لن يعرفوا السبب ، انكم بذلك تخاطرون باحتمال انتقامهم المستميت بالقنابل الذرية ؟.

هنا أجابه أفار لقد درسنا هذا الاحتمال . هل تعتقد أننا قضينا سنوات في التخطيط دون النظر بعين الاعتبار لاحتمال رد فعل المناطق المختارة للقضاء عليها ؟

سوف لن يعلموا أنهم قد اختيروا لذلك . وسوف لن تكون كل شحنات الحبوب موبوءه بالليبو بروتين . وسوف لن نركز على مكان واحد . وسنعمل على نشر الوباء في الحبوب المزروعة محليا هناك . اضافة الى انه لن يموت الجميع . بل ان بعضهم فقط سيموتون وذلك حسب بنية الأغشية في خلاياهم . وسيبدو الأمر وكأن الطاعون قد عاد .

ـ وهل فكرت في الرعب الذي ستخلفه عودة الطاعون ؟

ـ ان ذلك سيكون درسا مفيدا لهم . وسنعلن عن اكتشاف ترياق لهذا المرض ، وسنعمم التلقيح الشامل في المناطق التي نعلم أنها لن تصاب . ان العالم مصاب بمرض يائس ولا بد من الاستماتة في المعالجة . ان العالم على شفا موت مريع من المجاعة . لذلك لا مجال للمناقشة في طريقة انقاذه .

قال رود مان : أود أن أسأل هل هذه هي الطريقة الوحيدة . أم أنها الطريقة السهلة التي لن تتطلب أية تضحية منكم بالذات . . بل بلايين من الآخرين من البشر . وتوقف رودمان عندما جاءت عربة تحمل الطعام الى الغرفة . وقال : لقد أوصيت لكم على بعض الطعام . يمكن أن نتناوله الآن خلال لحظات من الهدنة بيننا ، وأمسك باحدى الشطائر وقال : على الأقل فلنأكل جيدا بينما نناقش اكبر جريمة قتل جماعي في التاريخ نظر أفار الى ماتبقى من شطيرته وقال : هل هذا هو الأكل الجيد ؟ بيض على خبز غير طازج ثم تنهد وهو يقول : لو كنت مكانك لغيرت المطعم الذي أتعامل معه .

راقب رودمان الآخرين وهم يأكلون ، ثم مد يده وتناول الشطيرة الأخيرة وقال :

ـ لقد خطر ببالي أن بعضا منكم سيفقد شهيته بسبب موضوع المناقشة ، لكنني كنت مخطئا . فكلكم قد أكل .

قال أفار : وكذلك أنت . بل انك مازلت تأكل .

رد رودمان بينما كان يمضغ ببطء : نعم وانني أعتذر عن كون الخبز غير طازج ، فقد حضرت الشطائر بنفسي البارحة ، ومضى عليها أكثر من خمس عشرة ساعة .

تساءل أفار : أنت حضرتهم بنفسك ؟.

ـ نعم كان لابد من ذلك . اذ ليست هنالك طريقة استطيع أن أتأكدبها من وضع الكمية المناسبة من الليبو بروتين .

ـ ماذا تقول ؟.

ـ أيها السادة : لقد قلتم لي انه من الضروري أن نقتل البعض لانقاذ الآخرين . ربما تكونون على صواب ، بل انكم أقنعتموني بذلك . ولكن لابد لنعرف تماما ماذا نحن فاعلون من التجربة على أنفسنا . وما الشطائر التي تناولتموها الا تجربة في هذا المجال .

قام بعض المسؤولين من كراسيهم وقالوا : لقد سممتنا .

قال رودمان : ليس ذلك بالأمر الأكيد . فأنا لا اعرف البنية الكيميائية لكل منكم تماما ، لذلك لا استطيع أن أضمن نسبة ٧٠٪ التي تحدثتم عنها .

حدقوا فيه بأعين جمدها الفزع ، بينما تابع رودمان :

ـ على أنه من المرجح أن يموت اثنان أوثلاثة منكم خلال هذا الاسبوع . وماعليكم الآ الانتظار لمعرفة من سيكونون . ليس هنالك دواء أو ترياق ، ولكن لاتقلقوا فهو موت غير مؤلم .

وستكون يد الله هي القاضية ـ كما ذكر أحدكم . . وهو درس مفيد كما ذكر آخر . وفيما يتعلق بالذين سيعيشون منكم فقد تتغير آراؤهم حول الموت الانتقائي .

قال أفار : انك تخادعنا . فقد أكلت من الشطائر مثلنا .

رودمان : نعم لقد حضرت الليبو بروتين بصورة تناسب بنيتي الكيميائية الحيوية بحيث أن موتي سيكون أكيد وسريعا . وأغلق وهو يقول :

عليكم أن تستمروا بدوني . . . أعني أولئك الذين سيعيشون منكم . □

العربي - العدد ٣٣٦ - نوفمبر ١٩٨٦

قضية

عنصرية جديدة!

تحليل في الدوافع والاهداف

بقلم : فارس المنصوري *

في رمضان الماضي نشرت صحيفة « صن » SUN اليومية الواسعة الانتشار«كاريكاتورا» يصور مجموعة من الخنازير وهي تتظاهر بغضب أمام مطابع وابنغ (التي تصدر عنها هذه الصحيفة اللندنية) بينما يقول الشرطي الذي يحرس البناية : « المشكلة هي أن الخنازير تحتج على تسميتها عربا !! »

وفيما يلي قصة هذا الكاريكاتور الذي رسمه فرانكلين : قبل فترة صدرت « الصن » وهي تحمل عنوانا رئيسيا في صفحتها الأولى يقول : « خنزير عربي يتسلل عائدا الى بريطانيا ، اركلوه الى الخارج !» والمقصود مواطن ليبي عاد الى بريطانيا ، فاذا بالصحيفة المذكورة التي توزع حوالي أربعة ملايين نسخة يوميا تتهمه بالانتماء الى مجموعة الليبيين الذين رحلتهم السلطات البريطانية من أراضيها ، اثر حادث مصرع الشرطية ايفون فليتشر أمام السفارة الليبية في ابريل ١٩٨٤ .

على أن أحد المواطنين البريطانيين استاء من العنوان العنصري الذي يشتم العرب دونما تمييز ، وقدم شكوى الى مجلس الصحافة البريطاني الذي يشرف على التزام الصحف بالقواعد الاخلاقية والمهنية .

لكن هذا المجلس بعد البحث والتداول في موضوع الشكوى أصدر حكمه بأن عنوان « الصن » لم يكن عنصريا ، مبررا قراره على النحو التالي : صحيح أن العنوان كان مسيئا ومهينا ، وذلك ما قصد به فعلا ، وصحيح أن الصحيفة اتخذت في هذا

* باحث وكاتب عربي يقيم في اقليم الاندلس الاسباني ، له دراسات وبحوث تتناول الصهيونية والمواقف الغربية من القضايا العربية والاسلامية .

العنوان موقفا بعيدا عن الموضوعية المطلوبة في كتابة العناوين ، الا أن عبارة « خنزير عربي » مع أنها شديدة ، ليست عنصرية في اعتبار المجلس ، وبالتالي لن يصدر حكم زجر بحق الصحيفة .

وكانت نتيجة هذه التبرئة ان عادت « الصن » فأكدت على موقفها العنصري المهين للعرب جميعا وللمسلمين بنشرها ذلك الكاريكاتور الذي لم تعرف الصحافة البريطانية مثيلا له في القسوة المتناهية منذ الحرب العالمية الثانية .

هذا الحادث أثار ثائرة العرب في لندن ، وأعادات إحدى الصحف العربية الصادرة في العاصمة البريطانية نشر كاريكاتور فرانكلن ، واضعة اياه في صدر صفحتها الأولى تحت العنوان : « يا عرب . . الى متى السكوت على الاهانات ! »

وفورا وضع العرب اللوم على اليهود والصهيونية ، مشيرين الى مسؤولية روبرت مردوخ صاحب مجموعة الصحف التي تضم « الصن » « والصنداي تايمز » و « التايمز » وهو يهودي صهيوني ، والواقع أن هذا الملياردير الاسترالي الذي يمتلك عددا كبيرا من الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الانتاج السينمائي والتلفزيوني في مختلف أنحاء العالم ، من استراليا الى بريطانيا وأفريقيا والولايات المتحدة وكندا ، ليس يهوديا ، وانما هو ابن قسيس مسيحي بروتستانتي ، ولا تربطه علاقة دم باليهود ، ولو أن العرب قاموا ببحث تاريخ هذا الرجل وأصله وسيرته ، وهذه المعلومات متوفرة في الكتب والمراجع العامة ، لتيقنوا من مسيحيته الخالصة ، لكنهم افترضوا أن مردوخ اسم يهودي ، وغاب عن ادراكهم أنه اسم اسكتلندي قح وشائع بين الاسكتلنديين ، وبين المشاهير الذين يحملون هذا الاسم في الحاضر الروائية البريطانية المعروفة آيريس مردوخ المرشحة لنيل جائزة نوبل للآداب .

ذكرنا أن مردوخ ابن قسيس بروتستانتي ، اسكتلندي الأصل ، على ان هذا لا يعني مطلقا أن موقف صحفه المناهض للعرب ناجم بالضرورة عن خلفيته المسيحية ، فالواقع أن العداء الغربي للعرب يمكن تشبيهه بالسور الكبير الذي تدخل في بنيانه أحجار ولبنات متعددة النوع والمصدر ، ولدراسة ظاهرة العداء وتحليلها بشكل تشريحي موضوعي يستهدف اكتشاف الاسباب الكامنة وراء هذا الموقف الذي تساهم في تكوينه الأهواء العنصرية والدينية والاجتماعية ، والدوافع السياسية والاقتصادية ، لابد من العودة الى أواخر القرن الماضي لتتبع الخيط الى بدايته .

وفيما كان العرب والمسلمون يظهرون بشكل سلبي في السينما والتلفزيون وحتى المسرح ، كان اليهود يقحمون اقحاما في افلام سينمائية وتلفزيونية تمتلىء بالتمجيد والمديح لهم ، ولدينا نموذج على ذلك في فيلم « غاندي » من اخراج البريطاني (غير اليهودي) رشارد اتنبورو ، ففي هذا الفيلم الذي يسجل سيرة الزعيم الهندي صاحب مذهب المقاومة بلا عنف ، نشاهد مشهدا أقحم اقحاما في القصة ، فان أحد الرجال البيض الذين ينضمون الى صفوف غاندي أثناء مقاومته للتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا في أوائل هذا القرن ، يظهر وهو يرتدي نجمة داود حول عنقه ، لافهام المشاهد أنه يهودي ، اقتنع برسالة غاندي وجاهد معه ، هذا الرجل الذي يظهر مرتين في الفيلم ،دون أن يشكل هذا الظهور أي اضافة للقصة وسياقها ، فضلا عن أن موضة ارتداء نجمة داود لم تنتشر بين اليهود الا ابتداء من الخمسينيات ، بينما يعود المشهدان المذكوران الى فترة تاريخية تسبق ذلك بعشرات السنين . لكن المسألة تتعلق بالتركيز على اليهود ودورهم في صنع الأحداث الكبرى أينما حدثت .

هذه النغمة التمجيدية أصبحت ظاهرة من ظواهر عصرنا ، نسمعها في الاذاعة ، ونشاهدها في التلفزيون والسينما والمسرح ، ونقرأها في الصحف والكتب ، ومؤخرا وجدت هذه الظاهرة واسطة جديدة لها في شكل لعبة منزلية ظهرت مؤخرا واكتسحت العالم وأضحت اليوم اللعبة المنزلية الاولى ، اذ درت على أصحابها الامريكان مئات الملايين من الدولارات ، وفاقت مبيعاتها جميع مبيعات الألعاب المنزلية الأخرى مجتمعة ، وبينها ألعاب كلاسيكية ذات تاريخ طويل وشعبية واسعة ، مثل سكرابل ومونوبولي اخ . . .

وتقوم « انشغالات تافهة » وهذا هو اسم اللعبة على مبدأ بسيط هو : المعلومات العامة ، فاللاعب الذي يمكن أن يتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسبعين

يلعب على لوحة مقسمة الى خانات ملونة عديدة ، وعليه تحريك مركبته عبر هذه الخانات حسب الرقم الوارد في النرد ، وكلما تحط مركبته على خانة يسحب غريمه بطاقة تحمل نفس لون تلك الخانة ، ويطلب منه الاجابة على سؤال وارد في البطاقة ، علما بأن الجواب الصحيح مطبوع فيها الى جانب السؤال ، وتحتوي البطاقات على ستة آلاف سؤال منتقاة من الجغرافيا والتاريخ والسياسة والعلوم والرياضة والفنون والطبيعة وعالم التسلية .

وقد أطلق واضعو اللعبة الامريكان على لعبتهم اسما يوحي بأنها في عداد الهوايات أو الانشغالات التافهة القليلة الأهمية والجدية ، وذلك لتطمين الجمهور وافهامه أن الأسئلة ليست من الوزن الثقيل ، وانما هي خفيفة مسلية .. ومثالية لتمضية أوقات الفراغ مع الاصدقاء .

بيد أن العربي الذي يطلع على الأسئلة في النسخة الاصلية الانجليزية (وهي التي ترجمت عنها النسخ الأخرى) سيجد أن عددا لايستهان به من هذه الاسئلة يتوخى ترويج أفكار مسبقة ذات طابع تلقيني بحت .

وهذه هي الأسئلة المتعلقة بالعرب .. و « اسرائيل » .

فبالنسبة « لاسرائيل » نعثر على الأسئلة التالية :

- ما هي عاصمة « اسرائيل » ؟ الجواب : القدس

ولايذكر واضعو اللعبة أن الدولتين الوحيدتين اللتين اعترفتا بالقدس عاصمة شرعية « لاسرائيل » هما كوستاريكا وليبيريا ، وانهما قد فعلتا ذلك تحت وطأة الضغط الأمريكي الشديد .

- من هو أول رئيس وزراء اسرائيلي ؟ في أي بلاد يقع ميناء حيفا ؟ كم عدد الاشرطة في علم « اسرائيل » ؟

- كم عدد الرهائن الذين قتلوا في غارة عينتيبة ؟ كم عدد الكوماندوس الاسرائيليين الذين قتلوا في غارة عينتيبة ؟

- أين اختطف الكوماندوس الاسرائيليون أدولف ايخمان ؟ على أي عين كان موشي ديان يضع عصابته ؟

- كم عدد الرياضيين الاسرائيليين الذين قتلوا أثناء الألعاب الأولمبية في ميونخ ؟

- مااسم الدولة المتاخمة للبنان وسوريا والأردن ومصر ؟ ما اسم الدولتين المتاخمتين للبحر الميت ؟

- أي زعماء ثلاثة وقعوا على اتفاقية كمب ديفيد ؟

ثم :

- أي رئيس وزراء اسرائيلي قضى سنتين في معسكر اعتقال روسي ؟ الجواب مناحيم بيغن .

وفي مقابل هذه الاسئلة الموجهة التي تدور حول جغرافية « اسرائيل » وتتناول زعماء « اسرائيل » وبطولات « اسرائيل » ، نجد حفنة من الاسئلة تتعلق بالعرب :

- بأي يد لايأكل البدوي الذي يقطن الصحراء ؟

- كم عدد الأنهار الموجودة في العربية السعودية ؟ الجواب : لاتوجد أنهار .

- ما هي الدولة العربية الوحيدة بلا صحراء ؟ الجواب : لبنان .

- أي دولة صحراوية تتاخم السعودية والعراق والخليج العربي ؟ الجواب : الكويت

نرى في هذه الأسئلة عزفا واضحا على الفكرة العنصرية القديمة التي تؤكد على صحراوية الوطن العربي وبداوة الفرد العربي ، واستكمالا لهذه الصورة السلبية التي ترسمها الأسئلة للشخصية العربية ، نجد أسئلة أخرى تضيف تشويها للنضال الفلسطيني الى هذه الملامح الكئيبة .

- من هو الشخص الوحيد الذي ألقى كلمة في منظمة الأمم المتحدة وهو متمنطق بمسدس ؟

وطبعا الجواب معروف سلفا . فالشخص المقصود هو ذلك « الارهابي السيء الصيت » ياسر عرفات ، وهكذا يوضع « الارهابي » عرفات مقابل المناضل في سبيل الحرية والديمقراطية « الذي سجنه الروس في معسكرات الاعتقال القاسية : مناحيم بيغن !

من بين ستة الاف سؤال تتناول شتى المواضيع في التاريخ والجغرافيا والفنون والسياسة والعلوم والرياضة والطبيعة ، الاسئلة التي ذكرناها هي الوحيدة المتعلقة بالعرب والمسلمين .

وليس من باب الصدفة أن يفوز ليون أوريس الكاتب الأمريكي الصهيوني بحصة الأسد بين اسئلة « انشغالات تافهة » ، فانه الكاتب الوحيد الذي يتناوله أكثر من سؤال واحد ، وهو شرف لم ينله أدباء

من وزن تولستوي وبلزاك وغوته وهوميروس وسرفانتس . رغم ما يشبه الاجماع على ضحالة موهبته الأدبية ، وطبعا أهم سؤال يدور حول كتب أوريس هو التالي : ـ

ـ أية رواية من روايات ليون أوريس تناولت مولد « اسرائيل » ؟

والملاحظ أن العرب يركزون ردود فعلهم الارتجالية على مظاهر العداء دون جوهره ، ولا ريب في أن كاريكاتور « الصن » جارح ومهين ، الا أنه في نهاية المطاف مجرد وقاحة وتفاهة .

ان الأخطر بكثير من هذا الكاريكاتور وما شابه ذلك ، هو الاتجاه المعادي المدروس الذي شاهدناه في لعبة « انشغالات تافهة » الذي يرمي الى النيل من سمعة العرب والمسلمين على صعيد العالم .

فاللعبة المذكورة صدرت حتى الآن في نسخ فرنسية واسبانية وألمانية وايطالية وبرتغالية ويابانية وهندية الى جانب النسخة الانجليزية الاصلية ، وفي كل نسخة من هذه النسخ التي تباع بالملايين ، تتكرر الصورة المعيبة للشخصية العربية ، صورة الشخصية الصحراوية التي تحيا وسط اجواء الارهاب والاغتيال والتخلف الحضاري ، ولاشك أن جيلا كاملا سينشأ في العالم ، بشقيه الشرقي والغربي ، وهو على ايمان تام بأن القدس هي العاصمة التاريخية الشرعية المعترف بها دوليا لدولة « اسرائيل » الديمقراطية المحبة للسلام !

والمفارقة المؤلمة أن شركة « تريفيال بيرسيوت » تعمل حاليا بجد ونشاط على تسويق النسخة العربية المعدة خصيصا لنا ، لو أننا لانظن أنها ستذهب الى حد وضع سؤال عن عاصمة فلسطين ، فالقدس لايمكن أن تكون عاصمة « اسرائيل » وفلسطين في آن واحد ، كما أنها ستدرج بين قائمة أسئلتها أسئلة حول المقاومة الفلسطينية وشرعيتها التي لاتقبل الجدل ، ولكنها على الأرجح ستخصص الكثير من الاسئلة عن التراث العربي الاسلامي ، فهي بعد أن حجبت ذكر أية اشارة الى هذا التراث في نسخها الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية واليابانية والهندية والصينية و . . و . . ستتكرم على العرب بتذكيرهم بأمجادهم في التاريخ من أجل وضع اليد على أموالهم .

وهكذا يمكن القول بأن شركة تريفيال بيرسيوت تستحق التهنئة على شطارتها الفائقة ، فهي بعد أن لوثت سمعة العرب ومرغتها في الأوحال ، جاءت الآن لتنال مكافأتها المادية الدسمة منهم !!!! □



منتدى العربي

تعقيبات

تعقيب على مقال :
صور المحاربين من تاريخنا

بقلم : ابراهيم ونوس

عودتنا مجلة العربي منذ صدور أول عدد منها حتى اليوم على دقة المعلومات التي ترد في كتاباتها وبأقلام كتابها المرموقين ، واذا ماحدث خطأ ما فمرده الى السهو من المحرر الذي يراجع المقال قبل اجازته للنشر ، وجل من لا يخطي . . .

أقول هذه الكلمات بعد أن قرأت مقال الدكتور هاشم ياغي بالعدد ٣٣٢ من مجلة العربي بعنوان « صور المحاربين في تاريخنا » . . يستعرض فيه صور

المقاتلين العرب في الجاهلية ، وصدر الاسلام ، وفي مرحلة تمزق الدولة الاسلامية الى إمارات وولايات شبه مستقلة في القرن الرابع الهجري . . وعندما يصل الى رسم الصورة الثالثة للمحاربين ، المتمثلة بجيش الأمير الحمداني سيف الدولة يقول : ص ١١١ من مجلة العربي » :

ـ « أما الصورة الثالثة التي وددت أن أشير اليها من صور المحاربين في تاريخنا فهي صورة جيش الأمير سيف الدولة الحمداني الذي كان يقف رغم صغر امارته على الحدود بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية وقفة شجاعة ، وان كانت تتكيء على جيش يغاير في تركيبه جيش القبائل في الجاهلية ، وجيش المسلمين فى الفتوح . . فقد كان خليطا من أقوام متعددة الجنسيات ، في عصر اقطاعي غرق في أسواق الرقيق الذي أفاد منها سيف الدولة ، فأنشأ ذلك الجيش الذي يصفه الشاعر الكبير المتنبي بقوله :

أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروا بجياد مالهن قوائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة
فما يفهم الحداث الا التراجم

والحقيقة التاريخية تخالف هذا القول تماما ، فجيش سيف الدولة كان بغالبيته من أبناء أفخاذ بكر بن وائل ، عشيرته تغلب ، وشيبان وغيرهما ، وأبناء القبائل العربية الأخرى التي كانت تسكن بوادي ومدن شمال بلاد الشام ، كبني كلاب ، وقشير ، ونمير ، وبلعجلان وتنوخ وغيرهم . . وهذه القبائل كانت تسكن المناطق التي تمتد من الموصل ، وديار بكر شرقا ، الى أنطاكية واللاذقية غربا ، و « من حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية شمالا ، حتى بوادي « سلمية » و « تدمر » و « حسباء » جنوبا . . واذا وجد في جيشه بعض الغلمان والقادة من غير العرب ، فهم قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ، ذكر لنا التاريخ أسماء بعض منهم « يماك » و « قرعويه » و « نجا » . .

والشاعر أبو الطيب المتنبي لم يصف في الأبيات التي أوردها كاتب المقال جيش الأمير سيف الدولة . . بل وصف بها جيش الروم الكبير الذي هزمه سيف الدولة شر هزيمة في معركة « الحدث الكبرى » عام ٣٤٣ هـ . .

والحدث قلعة قديمة على حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية ، خربها وأحرقها القائد البيزنطي «الدمستق فردس فقاس » سنة ٢٣٧ هـ . فقرر الأمير سيف الدولة فى ١٧ جمادى الثانية من عام ٣٤٣ هـ ، احتلالها واعادة ترميم حصونها وجدرانها ، كى يجعل منها قاعدة عسكرية متقدمة لقواته ، ويحرم العدو البيزنطي من الاستفادة منها في عملياته الحربية ، وفيما كان سيف الدولة منهمكا مع قادته وجيشه وعماله في بناء حصون القلعة تقدم القائد البيزنطي نحو القلعة بجيش عرمرم من اليونان والبلغار والخزر والصقالبة والروس والأرمن ، زاد عن خمسين ألفا بين فارس وراجل . . .

وعندما وصل الجيش البيزنطي الى أرض المعركة ، أعطى القائد أوامره بمحاصرة قلعة الحدث . . فتم له هذا . .

تم حصار الروم لجيش سيف الدولة في أصيل أحد أيام أواخر جمادى الثانية من عام ٣٤٣ هـ ، وكان الأمير سيف الدولة قد علم مسبقا ماذا سوف يفعل القائد الرومي ، وقد هيأ نفسه له ، فقرر أن يخوض معركته المريعة في صباح اليوم التالي . . فأمر وحدات الصدمة الرئيسية في جيشه أن تتهيأ خلال الليل ، وعددها حوالى خمسة عشر ألفا بين فارس وراجل ، بقيادة ابن عمه الأمير أبي فراس الحمداني ومحمد وهبة الله ابنى أخي سيف الدولة ، وناصر الدولة أمير مدينة الموصل في تلك المرحلة من التاريخ ، « ونجا » غلام سيف الدولة ، وأبقى الأمير سيف الدولة خمسة آلاف من خيالة البدو الخفيفة بامرته لحسم المعركة في الوقت المناسب . .

مع بزوغ أول ضوء في سلخ جمادى الثانية ، تقدم أبو فراس بقوام جيشه وهاجم جيش الروم بعنف وضراوة ، ومن مكان لم يكن يتوقعه القائد البيزنطي ، وهو اتجاه حصن من حصون القلعة يسمى « الأحيدب » . . دارت معركة رهيبة جدا لم يذكر التاريخ لها مثيلا في تلك الحقبة . . أبدى الأمير سيف الدولة حنكة ، وفنا قياديا عالي المستوى ، وتخطيطا مدهشا ، وشجاعة فائقة . . وبعد مرور بضع

ساعات على بدء المعركة ، والروم يعتقدون أنهم الغالبون ، وفي الوقت المناسب الذي خطط له الأمير سيف الدولة . . بدأ هجومه السريع بخيالته الخفيفة من فرسان البدو المعروفين بخبراتهم القتالية العالية باتجاه قلب الجيش البيزنطي ، وشق طريقه بهم بين صفوف الجيش المعادي ، ومعه أبو الطيب المتنبي ، حتى وصل الى مقر قيادة الجيش البيزنطي فلم ير أمامه سوى الفرار والنجاة من سيف الدولة . . ففر بسرعة ، وترك جيشه طعما لسيوف جنود سيف الدولة . . وقبل غروب شمس ذلك اليوم ، كان جيش حلب يسيطر سيطرة كاملة على الموقف ، بعد ابادة جيش الروم بكامله تقريبا ، وقتل في هذه المعركة ابن وصهره ، وابن عمه ، وزوج أخته . . وانتشرت جثث عشرات آلاف من القتلى من جيش الروم فوق أرض المعركة . . فأهاج هذا المنظر المريع شاعرية أبي الطيب المتنبي ، فنظم قصيدته التي يصف فيها المعركة ذات المطلع :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وأنشدها أمام الأمير سيف الدولة ، وجنده المنتصرين ، والعمال العرب يبنون آخر شرفة في قلعة الحدث . .

وفي هذه القصيدة يصف أبو الطيب الأمير سيف الدولة أثناء المعركة فيقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

ويصف أبو الطيب جيش الروم ، وليس كما ذكر كاتب المقال جيش سيف الدولة . . فيقول :

١٦ ـ أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروا بجياد ما لهن قوائم
١٧ ـ اذا برقوا لم تعرف البيض منهم
ثيابهم من مثلها ، والعمائم
١٨ ـ خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
١٩ ـ تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث الا التراجم

قال أبو البقاء العكبري في شرحه للبيت رقم ١٧ من القصيدة مايلي :

ـ « المعنى : جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ، والبريق اللمعان ، يفرق بين سيوفهم وبينهم ، لأن على رؤسهم البيض والمغافر ، وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف ، وقد فسره بقوله : « من مثلها » . . أي مثل السيوف ، يريد من الحديد وأشار بهذا الوصف ، أعنى كثرة سلاح هذا الجيش الى قوته ، وبما ذكره عن هذه الهيئة الى شدته ، وسمعت بعضهم ، وكان شيخا يقرأ عليه الديوان يقول : « أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمائم ، والعمائم للعرب . . وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ » فضحكت من قوله ، وقلت له : « الضمير في « مثلها الى أين يعود ؟ اليس الى البيض وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت » .

وبذا يتبين لنا أن أبا الطيب المتنبي في الأبيات التي أوردها الكاتب في مقاله ، يصف فيها جيش الروم ، وليس جيش سيف الدولة ، فجيش سيف الدولة كانت وحداته متجانسة تماما ـ كما قلت سابقا ـ ويجمع بين الصورة الاولى التي رسمها الكاتب للمحاربين العرب في العصر الجاهلي ، لأن جيش سيف الدولة بمعظمه كان من أفخاذ قبيلة بكر بن وائل ، والصورة الثانية للمحاربين المسلمين الأوائل ، الذين كانوا يقاتلون لهدف سام ، وتأدية رسالة عظيمة خالدة هي رسالة الاسلام . .

وبعد . . أرجو للدكتور هاشم ياغي كاتب المقال التوفيق . . والى مجلة العربي المزيد من السمو والمجد . . لأنها أتاحت لنا مثل هذا اللقاء على صفحاتها ، والله ولي التوفيق . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . □

■ **على الانسان في سبيل التراحم والحب الا يدع للموت سيطرة على فكره (توماس مان) .**

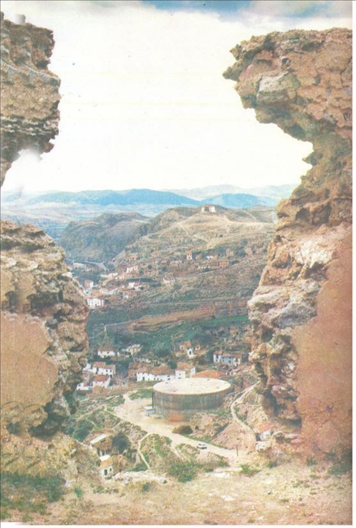
العربي عيونك على العالم

عندما يتكلم الحجر عن العرب.. في الشمال الإسباني

استطلاع : حسن محمود عباس / تصوير : أوسكار متري



فوق/ في هذا الموقع اكتشف العرب المياه المعدنية . وقد شيدت مبان حديثة يؤمها السائحون للاستشفاء .
الى الشمال/ فتحة في أحد جدران قلعة أيوب ، أحدثها الزمن . . .



كثر الحديث عن جنوب أسبانيا وآثار العرب في الأندلس ، وامتشق كتاب كثيرون أقلامهم ، وأطنبوا في الوصف والقول ، ولكن .. ماذا عن وجود العرب وآثارهم في الشمال ؟ ألا يجدر بنا أن نقف وقفة تستطلع وتتأمل .. وتروي ؟

أما عن الوجود العربي في الشمال الأسباني فقد كان قصيراً نسبياً اذا قورن بمئات السنين التي قضاها العرب في الجنوب ، ولكنه كان وجوداً فاعلاً مؤثراً . ترى آثاره ماثلة في أكثر من مجال ، وما أبراج الموحدين في طوريل وقصر الجعفرية في سرقسطة وقلعة أيوب في البلدة التي تحمل الاسم ذاته الا شواهد عدل .

كانت بلنسية وجهتنا ، وهي المدينة الثالثة من حيث الأهمية بين مدن أسبانيا ، وتأتي بعد مدريد وبرشلونة . يبلغ عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة ، وترتبط بمدريد بخط حديدي ، وبطريق بري طوله حوالي ٣٢٠كم ، وهي تبعد عن شاطيء البحر ٤كم .

وبلنسية مدينة تشتهر أرضها بالخصب ، وبكثرة الأشجار والبساتين ، وكان العرب يصفونها بقولهم انها أرض التراب ، لجودة تربتها ، وسعة رقعة الأرض الزراعية فيها ، وهي كثيرة الجنائن ، كانوا - أي العرب - اذا أحبوا بلدا تمنوا له جنائن بلنسية ونخيل البصرة .

فتحها طارق بن زياد في عام ٧١٤ م ، واستردها الاسبان في عام ١٢٣٨ ، وحفلت حياتها - بين هذين التاريخين - بأحداث جسام ، وظهر فيها غير قليل من الأدباء والعلماء والشعراء . ظلت بلنسية - بعد زوال الحكم العربي عنها وعن اسبانيا بعامة - معقلا رئيسيا من معاقل الموريسكيين - وهم العرب المتنصرون - لأكثر من قرن من الزمن ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تحتفظ الا بالقليل النادر من الآثار العربية ، أما العادات والتقاليد فلا تستطيع أن تنسب للعرب منها شيئا يذكر ، ويلفت انتباه المتجول في شوارعها أسماء عربية كشارع الرصافة الذي يؤدي الى حي يعرف بهذا الاسم أيضا ، فهل أن موقعهما الحالي هو ذات الموقع الذي وجدا فيه أيام الحكم العربي للمدينة ؟ توجهنا بهذا السؤال الى السيد (أرتير كلافير) المرافق الذي كلفه بالطواف معنا معهد السياحة التابع لجامعة بلنسية فأجاب :

« نحن نعلم أنه قد كان في بلنسية القديمة (على عهد العرب) شارع وحي يحملان هذا الاسم ، ولكننا الآن ، وبعد مضي ٧٥٠ سنة على زوال الحكم العربي للمدينة ، لا نستطيع أن نحدد المواقع ، وأن نجزم في القول بأن مـ[illegible] الشارع وذلك الحي يقعان في موقع الشارع والحي القديمين ، فليس لدينا مرشد جغرافي يحدد مواقع المدينة القديمة بدقة ، ولكنني أؤكد بأنهما قديمان نسبيا » .

يمتد شارع الرصافة من حلبة مصارعة الثيران ، ثم يتقاطع مع شارع « خوسيه انطونيو) وهو شارع تجاري مهم ، تكثر في وسطه أشجار النخيل ، يقول السيد (كلافير) : « أما عن النخيل فلا أحد يماري في أن العرب قد جاءوا به الى بلنسية ، والى غيرها من المدن الاسبانية ، تماما مثلما جلبوا لنا أشجار البرتقال وزراعة الأرز وصناعة الحلويات ، والعناية بتربية النحل بغية الانتفاع بالعسل » . ويصحبنا مرافقنا الى عدد من الأحياء القديمة في المدينة ويقول : « ان الطابع المميز لهذه الأحياء هو الطابع العربي ،

فالشوارع الضيقة والنوافذ البارزة ، تحمل طابعا عربيا ملحوظا » .

في السوق :

واتجهنا الى ميدان يقال له « ميدان السوق » وهو سوق عربي قـديم ، يقول مـرافقنا : « مـا زال هذا الميدان يعرف بـالسوق العربي ، وقد قلّت أهميته الآن ، ولكنه ظل حتى القرن الثامن عشر مركزا تجاريا مهما ، حيث كان الباعة يـأتون اليـه بما يحملون من بضائع مختلفة ، ويحتشد الناس هنا في أيام محددة من الأسبوع يتبادلون البيع والشراء » .

ولا تبعد كاتدرائية بلنسية ببنائها القديم الضخم عن السوق كثيرا . ويقال في تاريخها أنها كانت كنيسة في عهد الرومان ، ولكن العرب جعلوا منها جامعا كبيرا ، ولما استرد الاسبان المدينة من العرب هدموا الجامع وبقي منه عمود ، وشيدوا الكاتدرائية في مكان الجامع ، وظل العمود الذي لم يهدم يشغل ركنا من أركان الكاتدرائية .

ويشير علينا المرافق بالـذهـاب الى الحمـامـات العربية ، فلما بلغناها وجدنا أنها قد تحولت الى نـادٍ رياضي ، ولم يبق منها الا باب قديم !

وكان يحيط بمدينة بلنسية سور له أبواب عدة ، منها ما يعرف الآن « بالباب العربي » وقد هدم السـور في عام ١٨٧١ ، وزالت الأبواب جميعا ، ما عـدا هذا الباب الذي ظل شاهدا على أن العرب قد مروا من تحت سقفه !

في الملبس والمأكل :

قصدنا بيتا من بيوت الأزياء التراثية ، وسألنا عن امكانية العثور على ملابس أندلسية ، فوجـدنا منهـا نماذج عدة ، وهي نسائية في معظمها ، ولكن أحدا من الناس لا يلبسها ، بل تظهر في المناسبات العامة ، كالاحتفالات بأيام مدينة بلنسية من كل عـام ، كما تظهر على خشبات دور العرض المسرحي اذا كانت الشخصيات ترجع في زمانها الى عهد العرب .

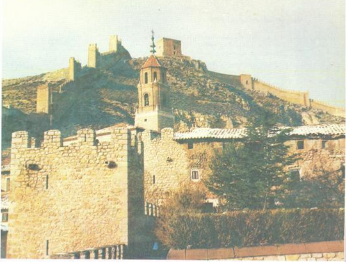
أما في المأكل فهناك « طبخة » عربية تحظى بشعبية واسعة في بلنسية بخاصة وفي اسبانيا بعامة ، يقـول . (البلنسيون) انهم هم الذين ورثوا هذه الوجبة عن



المطبخ العربي القديم ، واحتفوا بها وطوروها ، ثم نقلت عنهم الى مـدن اسبانيا ، انها « البائيـة » كما يلفظها الاسبان أو « البقية » كما يعرفها العرب في بلاد الشام بخاصة ، يقال في أصلها العربي انها تتألف من بقايا بعض الأطعمة كالخضار والدجاج والأسماك والأرانب ، كانوا اذا بقي لديهم كميات قليلة من هذه الأطعمة يحتفظون بها ، ثم تجمع كلها أو بعضها في قدر واحد ، بعـد أن يضاف اليـه الأرز لتقدم مـرة أخرى ، بعـد أن اكتسبت من « جمعهـا » مـذاقـا جديدا . أما التطور الذي لقيته على يد الاسبان فهو يتمثل في اختيار نوع واحد من اللحوم يضاف اليه الخضار والأرز ، يمكنك أن تذهب ـ اذن ـ الى أي من المطاعم المتخصصة بطبخهـا ، لتطلب « بـائيـة » بالأرانب ، أو بالدجاج ، أو بالسمك وهكذا ، ويلح الناس في طلبها في أيام الآحاد وفي الأعياد والمناسبات العـامة . وقـد تذوقنـا هذا الـطبق الشهي في أحـد المطاعم الكبيرة بدعوة من معهد السياحة .

النواعير والبراكات :

ومن آثار العرب الباقية في ريف بلنسية النواعير ، وهي احـدى وسائل الـري التي أخـذ بهـا الـزراع



فوق/ السور الذي بناه العرب حول قرية البراثين وقد بقيت معظم أجزائه.

الى اليمين/ أحد الأزقة في قرية البراثين وقد احتفظ بطابعه العربي القديم.

الى الشمال/ برج من أبراج الموحدين الأربعة التي شيدوها في مدينة طوريل وفيها تبدو دقة الزخارف وتناسق الألوان.





العرب ، والتي ما زالت قيد الاستعمال في كل من مصر وسوريا .

وللري في بلنسية قنوات وسواقي تثير الدهشة في كثرة تفرعاتها وحسن تنظيمها ، ان بساتين الريف المحيط بالمدينة تستقي الماء من النهر الأبيض ، منسابا في جداول عديدة وأقنية لا حصر لها ، نذكر منها قناة (مونكادا وتورموسى وراسكانا ومستالا وكورات وروبيللا ، وغيرها ، أما قناة (كورات) فمنتهاها في البحيرة ، وأما القنوات الأخرى فترجع الى النهر الأبيض مرة أخرى ، ثم تتوزع هذه القنوات في البساتين والأراضي الزراعية التي ترتوي منها في شُعَب ومجارٍ يصعب الوقوف على عددها ، والفلاحون وأصحاب البساتين على دراية تامة بكيفية الانتفاع بمياه الري هذه ، وهم ينتخبون لكل قناة هيئة تشرف على توزيع المياه منها ، ويتألف من الهيئات جميعا ديوان الري .

قال محدثنا ودليلنا السيد (أرتير كلافير) وقد كنا نقف أمام أحد أبواب الكنيسة الكبرى في بلنسية : « في هذا المكان يجتمع ديوان الرى يوم الخميس من كل اسبوع ، هنا يلتقي الفلاحون وأصحاب المزارع والبساتين ، ويعرضون مشكلات الري وسقاية الارض أمام قضاة ثمانية ، كل قاض يمثل ضاحية ، وفي هذه المحكمة العلنية يتم توزيع المياه بالعدل ، وتلك عادة جارية من أيام العرب الذين يرجع اليهم الفضل في تنظيم المياه وتوزيعها على هذا النحو المدهش » .

أما البراكة ويلفظها الاسبان « لابراكا » (وتجمع على براكات) فهي بيت عربي قديم ، كانت المساكن في منطقة « البوفيرة » ـ وهي تحريف لكلمة البحيرة العربية ـ تبنى على غراره ، ثم أخذ هذا الطراز من العمارة يندثر ، ولم يبق الآن الا نماذج قليلة لا تزيد عن عشر براكات ، ولعل الذي أغرى ببناء المساكن على هذا النمط أن أرض المنطقة رخوة ، تكثر فيها المستنقعات ، فهي قريبة من البحر ، ولا تحتمل أبنية كبيرة شاهقة . توجهنا الى احدى البراكات وكانت ـ بالصدفة ـ من أقدم ما تبقى منها ، يسكن البراكة رجل عجوز في التاسعة والسبعين من العمر ، وزوجته البالغة ٧٦ سنة ، سألنا الرجل العجوز واسمه (انطونيو أراندا غارثيا) عما اذا كان قد سبق لوالده أن سكن هذه البراكة فأجاب بنعم ، وعما اذا كانت مساكن البحيرة كلها على غرار براكته فقال : نعم ، كل مساكن البحيرة كانت تتبع هذا النموذج من المساكن ، وقد حدث حريق كبير في منطقتنا أتى على معظم المباني المشيدة على هذا الطراز ، أنتم ترون أن البراكة تأخذ شكل مستطيل ، نقوم نحن بتقطيعه من الداخل الى غرف ومنافع صحية ، أما السقف (وهو على شكل العدد ٨) فيغطى بنوع من العشب يدوم طويلا ، لقد جددت عشب السقف منذ ٥٠ عاما ، أما البراكة المجاورة فقد جدد جارى عشب سقفها منذ ٧٥ عاما ، لقد ورثت هذه البراكة عن والدي ، وأظنها بنيت قبل حوالي ١٥٠ سنة ، لأننا ـ انا واخوتي الكبار ـ ولدنا ونشأنا فيها » .

*** هل هناك أناس مازالوا يحرصون على سكنى هذا النوع من المساكن ؟**

ـ الشباب من الجيل الجديد يعزفون عن سكناها ، ويفضلون البناء على الطراز الأوروبي الحديث ، ولكن السلطات المحلية في بلنسية لا تسمح بهدم ما تبقى من البراكات .

* أين ذهبت البراكات المماثلة اذن ؟

ـ زال كثير منها بفعل الحريق الذي أشرت اليه ، وقام الاهالي بهدم الجزء الأكبر لتحل محله مبان حديثة ، وقد صدر حديثا قانون يحظر على الناس هدمها ، بل ان بلدية بلنسية تدفع مساعدات مالية لاصلاح البراكات الحالية وترميمها وتجديدها .

*** هل يستطيع أحد من أبناء الجيل الجديد بناء براكة ؟**

ـ لايعرفون ، ولا يشغلون أنفسهم بها ، أما أنا ومن بقى من أبناء جيلي على قيد الحياة فنستطيع ذلك ، ولكننا لا نطيق بسبب ما ترى من عجز الشيخوخة .

ثم غادرنا البراكة شاكرين للعجوزين حسن استقبالنا ، واتجهنا الى ناحية السوق ، فدخلنا محلا يبيع عصيرا ، وتناولنا شرابا سائغا ، حلو المذاق ، أبيض اللون ، أشار به علينا رفيق دربنا المهندس (عدنان لبابيدي) وهو عربي الأصل من سوريا ، يحمل الجنسية الاسبانية .

سألنا البائع عن هذا الشراب وعن أصله فأجاب :



حلبة مصارعة الثيران في بلنسيه ، وتبدو عليها آثار العمارة الاسلامية .

« يصنع هذا الشراب ـ ويدعى تشوفا بالاسبانية ـ من حب أشبه بحب الحمص ، تنقع الحبوب بالماء ، ثم تدق في جرن ، ويضاف اليها ماء وسكر وقليل من عصير الليمون ، ويقدم باردا . نحن في بلنسية نعرف بأن العرب هم الذين أتوا بهذه الحبوب الينا . »

ويعقب رفيقنا المهندس العربي قائلا :

هذا الشراب شائع في بعض المدن السورية ، وهو يصنع من نفس الحبوب التي يصنع منها في بلنسية ، والناس هناك يدعونها « حب العزيز » .

في الطريق الى سرقسطة :

وعندما ادركنا الغاية في بلنسية ـ بقدر ما أسعفنا الوقت ـ توجهنا الى سرقسطة ، ولكن الطريق لايخلو من آثار عربية ، والمسافة بين بلنسية وسرقسطة تقرب من ٣٥٠ كم ، الا أن اجتيازها استغرق منا نهارا كاملا وبعضا من الليل .

كانت قرية (خيريكا) أول قرية توقفنا فيها ، وهي قرية جبلية ، وفي أعلى الجبل الذي تقع عليه عثرنا على بقايا قلعة عربية ، وأمامها برج ضخم ، ولكنهما (البرج والقلعة) مهملان تماما ، ولولا أنهما مشيدان من صخور صلدة ، لما صمدا أمام الرياح العاتية التي تكاد ـ من شدتها ـ أن تطرح الرجل أرضا .

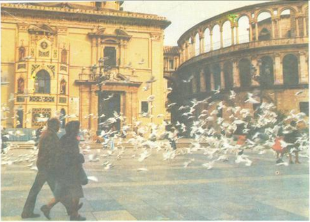
أما البرج فهو على شكل مربع من الخارج ، طول ضلعه ٧م ، وسمك جداره حوالى متر ونصف ، وله نوافذ حربية مربعة من الداخل ، وتظهر له فتحات صغيرة من الخارج ، سقفه قبة نصف دائرية ، تعلوها قبة أخرى بارتفاع ٧م .

أما ارتفاع البرج الكلي فلا يقل عن عشرين مترا ، والبرج والقلعة يشرفان على القرية كلها ، وعلى مساحات شاسعة من الأرض المحيطة ، فهما ـ لذلك ـ يصلحان للمراقبة والدفاع معا .

تتكون القلعة من قطع من الصخور ملتصقة بملاط من الطين والحصى ، وهي جزء من السور الذي



شارع حديث في مدينة
سرقسطة ، تكثر فيه
المتاجر ، ويزدحم
بحركة المرور .



في الساحة الواقعة أمام كنيسة سيدة البيلار في سرقسطة والحمام الآمن ينتشر بين المارة .



جانب من سور قصر الجعفرية في سرقسطة .



لاتزال منه بقية ، قال مرافقنا (خوسيه بيرغنثه) ، وهو عجوز من أهل القرية : « نحن نعلم بأن القلعة عربية ، ولكننا لا نعرف من الذي بناها ، وفي أي قرن ، أما البرج فنظن أنه من عهد الرومان » ، ولم نعثر في جدران القلعة على كتابات تبين لنا شيئا ، ولكننا عثرنا على بعض الكتابات اللاتينية على أحد جدران البرج تبين أن ارتفاعه عن مستوى سطح البحر ١٩٥٠م .

طوريل :

وفي الطريق الى سرقسطة مررنا ببلدة تدعى (طوريل) حيث أجمل الفنون العربية والمدجنة التي ازدهرت طيلة قرون عدة بعد خروج العرب ، وهي تعد من أشهر آثار الثقافة العربية في اسبانيا ، فأبراج الموحدين الأربعة التي شيدت في عهد بني مرين ومن بقي بعدهم من العرب تعطى البلدة أهمية أثرية وتاريخية عظيمة ، و (طوريل) بلدة عربية استردها الاسبان في عهد (الفونس) الثاني سنة ١١٧١ ، ولكن العرب المورسكيين ظلوا يقطنونها قرونا بعد ذلك التاريخ ، وقد بقي آخر مسجد فيها حتى عام



الناعورة التي أدخلها العرب في نظام الري .

١٥٠٢ .

يقع أحد الأبراج بجوار كنيسة (سان مارتين) ، وكان على مقربة من هذا البرج ـ فيما مضى ـ جامع ، ثم أزيل الجامع وبقى البرج لتقام الى جواره كنيسة (سان مارتين).بنى هذا البرج عرب من سلالة الموحدين ، بعد سقوط الحكم العربي في آواخر القرن الثالث عشر أما الكنيسة فقد بنيت في أواخر القرن السابع عشر،والبرج والكنيسة يقعان في شارع يسمى شارع عشاق طوريل (لوس مانتيس) ويدعى (برج النواقيس) حيث أفرغ الجزء العلوي منه ، وأضيفت اليه النواقيس ، بعد أن شيدت الى جواره كنيسة (سان مارتين) تقوم زخرفة البرج كلها على أشكال هندسية من أقواس ومربعات ونجوم ودوائر ، أما قمته العليا فهي مضلع على شكل مثمن ، وأما سقفه فهو قرميد أخضر من النوع العربي ، وهذا القرميد يعرف في اسبانيا « بالقرميد العربي » حتى يومنا هذا . توجد في المستوى الثالث من هذا البرج ساعة حديثة في مكان فجوة قديمة ، والزخارف في معظمها أقواس غير مفتوحة ، وتسمى الأقواس المعمية ، وقد زينت نوافذه بزخارف من السيراميك الزجاجي ، وهو من اللونين الأبيض والأخضر في معظمه .

يلتصق البرج الثاني بكنيسة (سان بيدرو) ، وألوانه وطرازه من ألوان وطراز الأبراج الأخرى ، ولكن أعمدته الأولى عمياء غير مفتوحة ، واذا عقدنا مقارنة بين الأقواس الموجودة في المستوى الأول من هذا البرج ، وبين الأقواس الموجودة في الجامع العربي بطليطلة ، وجدنا ان أقواس البرج دائرية ، ينتج من تشابكها أقواس مدببة كالتي شاهدناها في طليطلة ، وتختلف رؤوس الأعمدة بعضها عن البعض الآخر ، ولكن القاعدة فيها كلها صخرية .

ونجد في المستوى الثاني نوافذ فيها أربعة أقواس متداخلة ، كل قوس يقوم على عمودين ، أما ألوان الأقواس فهي الأخضر والبني ثم الأخضر .

ويوجد فوق هذه الأقواس ثلاثة صفوف من الأعمدة الزخرفية ذات اللون الأخضر ، وهي مزخرفة ـ في مستواها الأعلى ـ بمربعات خضراء من البورصلان ، وفوقها نافذتان ، كل نافذة مؤلفة من قوسين ، يقوم كل قوس منها في واحد من طرفيه على جدار البرج ويقوم القوسان في الوسط على عمود .



أشجار النخيل الباسقة . . من الذي جاء بها الى الشمال الأسباني ؟

وتعود الزخارف المربعة مرة أخرى ، وهي في الصف الأول خضراء اللون ، وفي الصفين الثاني والثالث بنية ، وهي في الصف الرابع خضراء ، وفي أعلى البرج يوجد القرميد ، ويقوم على تشابك من الطوب ، وقد لوحظ على هذا البرج أنه أكثر بساطا من غيره من الأبراج المجاورة ، وهو يقوم على جدارين وليس على أعمدة ، وبين هذين الجدارين بوابة عرضها متران تقريبا ، وسقفها مدبب خال من القناطر .

ويتشابه البرجان الآخران ، فقد شيدهما مهندسان مختلفان ، ولكنهما نفذا مخططا واحدا ، ولقد وجد المهندس الذي نفذ أحدهما ـ وهو برج سان ميجيل ـ أن برجه مائل قليلا ، فانتحر بالقاء نفسه من أعلى البرج ، كما هو شائع في بلدة طوريل .

سور البرائين :

البرائين ، قرية تقع بين الجبال ، وتبعد ٣٩ كم عن (طوريل) في الطريق الى سرقسطة ، ويسير الى جوارها نهر صغير يسمى وادي (الأبيار) وهو اسم عربي ، ويتعرض الى ما يقرب من الجفاف في فصل الصيف ، ولكنه يشتد عند بداية ذوبان الثلوج في الجبال المحيطة ، وقد لاحظنا أن العرب لم يكونوا يهتمون بموقع ما ، الا بعد التأكد من وجود الماء بكميات وفيرة ، ولذلك نجد أن كثيرا من المدن أو القرى التي شيدوها وظلت باقية حتى الآن قريبة من مجاري الأنهار ، وما البرائين الا مثال على ذلك .

تمتاز هذه القرية بمظهرين عربيين ، سورها القديم ، وتخطيطها بوجه عام . أما السور فقد أقيم على جبل ، وهذا يدل على مدى الجهد الذي بذل في بنائه ، وهو يتألف من قاعدة بعرض البرج الذي يتوسط جانبي السور ، يلي القاعدة جدار دفاعي من الناحية الخارجية ، وذلك يتيح للمدافعين الاحتماء خلف أماكن خاصة ، فيها فتحات للمراقبة والدفاع . كان الحصن يتكون من خمسة أبراج ، تهدم برجان منها وبقي ثلاثة ، وفيه ايضا غرفة للحرس مغلقة من كل النواحي ، الا من فتحتين تتخذان شكل بابين صغيرين أحدهما فوق الآخر .

أما المظهر العربي الآخر للقرية فيتمثل في تنظيمها





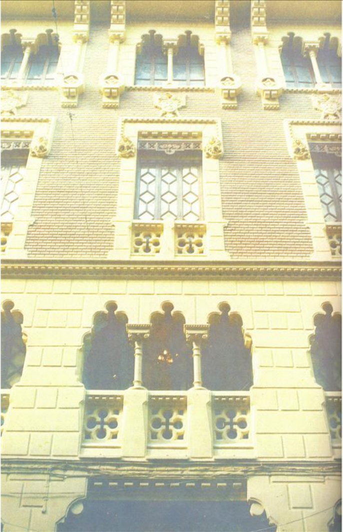


أعلى/ بيت قديم من الداخل مبنى على الطراز العربي في منطقة البحيرات ببلنسيه .

أسفل/ نموذج البيت العربي في بلنسيه ولم يبق من هذا النوع الا أعداد قليلة

الى اليمين/ حسناء من بلنسيه تتناول طعام « البائية » .

الى الشمال/ عمارة حديثة في بلنسيه وقد ظهرت عليها آثار العمارة الاسلامية .



الشرقي للطرقات والأزقة المتعرجة ، وفي بيوتها ذات الطابع العربي ، لقد تقدمت الاشارة الى أنها قرية جبلية ، فهي ترتفع عن مستوى سطح البحر ١١٧١ مترا ، في موقع بديع تطل منه على المنحدرات وعلى نهر وادي الأبيار .

لقد بني سورها فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر ، وكانت عاصمة لامارة عربية ، ثم أقيمت فيها دولة مسيحية صغيرة ، بعد انحسار الوجود العربي ، وانضمت فيما بعد الى مملكة سرقسطة في عام ١٣٠٠ .

تحيط بالبراثين سلسلة من الجبال تصد عنها التيارات الهوائية والرياح ، وفي أعلى جزء منها شيدت « مصطبة » منذ عهد قريب ، يستطيع الزائرون بوقوفهم عليها رؤية القرية كلها والنهر والمنحدر .

قصر الجعفرية :

ثم يفضي بنا الطريق الطويل المتعرج الذي يخترق كثيرا من الجبال والتلال والهضاب الى سرقسطة ، استولى العرب على المدينة في عام ٧١٢ ميلادية ، وكانت الحملة العسكرية التي ظفرت بدخولها بقيادة موسى بن نصير . ظلت في عهدها العربي كثيرة الثورات ، وقد انتقل الحكم فيها من أسرة عربية الى أخرى غير مرة ، فكانت لذلك مسرحا لحروب كثيرة غدت بدورها وبالا على الآثار العربية في المدينة ، فتهدم جزء كبير منها ، وقد استعادها الاسبان من العرب نهائيا في عام ١١١٨ ، بعد أن مكث الحكم العربي فيها أكثر من ٤٠٠ سنة .

ولعل قصر الجعفرية - الذي ماتزال معظم أجزائه قائمة حتى يومنا هذا - هو الأثر العربي المهم الذي تعرفه المدينة وتعرف به ، وهو لايقل في قيمته عن قصور اشبيلية ، كما أن زخارفه العربية شاهد على الصنعة الجميلة والذوق الرفيع . يقع القصر شرقي المدينة ، ولايبعد كثيرا عن ضفة نهر (ايبرو) ، يقال انه نشأ قلعة في عام ٨٦٤م ، وقد بناه أبو جعفر فسمى باسمه ، ولم تحدد المراجع التاريخية من هو ابوجعفر هذا ، ولكن هناك رواية تاريخية تقول بأن القصر قد جدد في القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان المقتدر بالله بن هود - ملك سرقسطة آنذاك - هو الذي أمر بتجديده ، ثم اتخذه مقرا له ، وكان المقتدر يدعى « أبو جعفر » ومن هنا ينشأ احتمال أن يكون القصر



الباب العربي الوحيد الذي بقي من سور بلنسيه .

قد حمل اللقب الذي عرف به هذا الملك من بني هود .

يتكون قصر الجعفرية من سور يبلغ طوله حوالي ١٠٠متر ، وفيه ستة أبراج أسطوانية الشكل ، أربعة منها متساوية الارتفاع ، وأثنان في زاويتي السور اقل ارتفاعا ، بحيث يزيدان قليلا عن ارتفاع السور ذاته ، وفي السور قناطر مقوسة تحيط بدهليز مغطى من داخله بقرميد عربي . وفي السور فتحات عديدة ، وكل برج من أبراجه متوج بحاميات دفاعية ، وقد قام الملوك الاسبان-بعد زوال الحكم العربي - ببناء قصر الى جوار قصر الجعفرية ، بل هو ملتصق به . يحيط بالقصر العربي خندق عميق ، يبلغ عرضه حوالي عشرين مترا ، وعمقه عشرة أمتار ، وعليه جسر متحرك يقطع السير الى الداخل عند استشعار الخطر ، كان الخندق يملأ بالماء من النهر المجاور ، وهو نهر (ايبرو) فيتخذ القصر شكل جزيرة معزولة

عن اليابسة اذا رفع الجسر المتحرك .

مدخل القصر على شكل حدوة حصان ، وهناك برجان على جانبي المدخل ، والى جانب كل منهما قوسان مدببان ، وفيهما فجوتان عمياوان ، وفي الناحية اليسرى برج ثالث دون أقواس ، ثم يأتي برج الزاوية ، وكل من هذه الابراج له ثلاث مستويات ، تظهر فيها النوافذ بحسب مستوى الدرج اللولبي داخل البرج ، أما البرج الأيمن فالي جانبه قوسان مدببا الرأس عمياوان ، وقد شاهدنا القصر وهو في حالة ترميم يحظر معها دخول الزائرين .

قلعة أيوب :

ليس قصر الجعفرية هو الأثر العربي الوحيد في مدينة سرقسطة ، ولكنه أهمها ، وبعد أن غادرنا سرقسطة في اتجاه مدريد مررنا ببلدة ذات أهمية تاريخية ، فيها قلعة عربية مشهورة ، أما القلعة فهي (قلعة أيوب) وأما البلدة فتحمل اسم القلعة ذاته .

يقال في نسبة القلعة أن ابن اخت موسى بن نصير ، وهو ايوب بن حبيب اللخمي ، هو الذي بناها ، فهي لذلك تحمل اسمه ، وتوحي معالم البلدة بأنها قديمة جدا ، وأن يد العمران والتطور لم تمتد اليها .

لم تبن القلعة من الصخر كما هو المألوف في القلاع ، لأن المنطقة ليست صخرية ، لقد بنيت بمزيج من الطين والأحجار الصغيرة المدحرجة ، فالطين يؤدي عمل المادة اللاحمة ، وبالكبس والضغط ومرور السنين تكون للطين نسبة مرتفعة من الصلابة . ان أكثر من ثلثي معالم القلعة قد زالت وتهدمت اجزاء منها ، فهي مرتفعة ، وارتفاعها الشاهق يعرضها الى المزيد من تأثير عوامل التعرية والتآكل ، فاذا أضفنا عامل الزمن وتقادم العهد من ناحية ، وبناءها اللاصخري من ناحية أخرى ، أدركنا سر تهدم أجزاء من القلعة وزوال معالم الأجزاء الأخرى .

تشرف القلعة على وادي كبير متسع في الطول والعرض ، وعلى بلدة قلعة أيوب ذاتها ، وليس في البلدة آثار عربية أخرى تستحق الذكر ، لقد استرد الملك (الفونس) الأول ملك (اراغون) قلعة أيوب في عام ١١١٩ ، وكانت تتبع مملكة سرقسطة .

الحما . . . والمياه المعدنية :

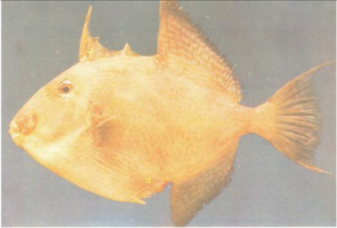
قد تكون الحما تحريفا للكلمة العربية « الحمة » التي يطلقها العرب على ينابيع المياه المعدنية الحارة ، وقد تكون اختصارا لكلمة الحمامات ، والكلمة في كلا الحالين عربية ، تطلق على حمامات المياه المعدنية في منطقة أراغون .

وهذه المياه موجودة قبل العرب ، ولكنهم لفتوا الانتباه الى فائدتها وجدواها ، ودعوا الناس الى التداوي بها ، وأقاموا حولها المنشآت ، ولكن منشآتهم زالت بمرور الزمن ، لتحل محلها منشآت حديثة ، هي فنادق تحيط بالينابيع ، وتوفر سبل الراحة لقاصدي مياه الحمة المعدنية طلبا للاستشفاء .

وقبل دخول مدريد توجد بلدتان كبيرتان تحملان اسمين عربيين ، وهما وادي الحجارة ويدعوها الاسبان (وادي لاخارا) ومدينة سالم وتدعى بالاسبانية مدينة (سالي) .

وبعد ، فلقد شاهدنا في طوافنا بشمال اسبانيا آثارا عربية لا تخطئها العين ، ولكن هناك آثارا أخرى معنوية يعددها المؤرخ والمفكر الاسباني الكبير (منندث بيدال) في حديث له مع محمد عبدالله عنان ، ورد في الآثار الاندلسية الباقية ، يقول بيدال :

« أجل ، لقد تركت الأمة الاندلسية (يعني عرب الأندلس) آثارا واضحة في الحضارة الاسبانية ، وفي الحياة الاسبانية العامة ، وفي تقاليد اسبانيا وعاداتها . . دعك من الآثار اللغوية ، فان هذه معروفة ، وهي مماثلة في كثير من نظمنا . . وفي تقاليد الملوكية الاسبانية يبدو أثر التقاليد الملوكية الاندلسية ، فمثلا يقرن ذكر الملك بعبارة حفظه الله ، وهو اصطلاح عربي . ويبدو هذا الأثر في كثير من العادات والتقاليد الاسبانية في التعامل والاسواق ، وفيها ينادي به الباعة على سلعهم ، وهي نداءات مسجعة ترجع الى أصول اندلسية ، وفي الدعوات الجنائزية حيث يقال عن المتوفي (رحمه الله) وفي مظاهر التحية ، وفي قصة « السيد » ان التحية تكون بتقبيل الكتف ، هي عبارة اندلسية ، وهكذا نجد أثر التقاليد والعادات الأندلسية ماثلا في كثير من مظاهر الحياة الاسبانية » . □



سمكة من نوع الخنزير ذي الثلاث شوكات .

أنغام وأصوات في أعماق المحيطات

بقلم : رجب سعد السيد

البحر عالم يفيض بالحياة في كل قطرة من مياهه . ومظاهر الحياة في البحار والمحيطات شديدة التنوع ، من الكائنات وحيدة الخلية ، الى قمة هرم الحياة : الثدييات البحرية،فكيف تمضي هذه الألوان من الحياة في أعماق البحار ؟

ليست أصوات الكائنات البحرية بغريبة على الانسان ، اذ عرفها منذ عرف طريقه الى البحر ، وسمعها بأذنه المجردة .. فقد كانت بعض هذه الأصوات عالية وواضحة . ويروي (أرسطوطاليس ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م .) في كتابه : تاريخ الحيوانات « كل المخلوقات التي تتنفس الهواء مزودة برئات .. والدلفين ينام ومخاره فوق الماء ، ويغط » . وفي الأربعينيات من هذا القرن ، وبخاصة خلال الحرب العظمى الثانية ، وبعد اختراع أجهزة التقاط الموجات الصوتية من الماء ، تمكن العلماء من التسمع الى الكائنات البحرية ، وتسجيل أصواتها تحت الماء ، وقد أعطانا العلم الحديث والتقدم التقني

* باحث بمعهد علوم البحار والمصايد وعضو اتحاد الكتاب

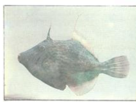
سلسلة من الأجهزة والتقنيات المتطورة أثبتت أن الكائنات البحرية تسمع أو ـ على الأقل ـ لديها قدرات سمعية .

اللافقريات البحرية

ولعل المتوقع لدى القارىء ، ان تكون عملية انتاج الأصوات واستقبالها قاصرة على الكائنات البحرية الراقية ، كالثدييات البحرية والأسماك ، غير أن التجارب والدراسات أثبتت أن بعض اللافقاريات البحرية تصدر أصواتا ، ولديها امكانيات استقبالها أيضا ، ومن أكثر أنواع اللافقاريات البحرية اثارة للضوضاء ، ذلك النوع من الجمبري الذي يسميه الصيادون (العضاض) . وقد أجريت عليه دراسات عديدة ، نظراً لتشابه الموجات الصوتية الصادرة عنه ، والموجات الصوتية التي كانت تبثها الغواصات والسفن الحربية في الحرب العالمية الثانية .

وأصوات اللافقاريات البحرية عبارة عن (تكات) حادة ، وذات ترددات واسعة المدى ، وتستخدم القشريات ، وهي من اللافقاريات ، أجزاء متحركة من هيكلها الخارجي الذي تبنيه من مادة قرنية .. فباصطدام الكلابات ، مثلا تصدر تلك (التكات) ، وتسري في الماء على شكل نبضات يصل ترددها الى ٢٠ كيلو هرتز (الكيلو هرتز ـ ألف سيكل في الثانية) .

وتنفرد الاستاكوزا الأمريكية بين اللافقاريات البحرية بانتاج أصوات تشبه الهمهمة ، نقية النغمات ، منخفضة التردد (١٢٠ ـ ١٥٠ هرتز) ، ويصل زمن النبضة الواحدة الى ثانية كاملة ،



سمكة من نوع الخنزير ذي الشوكة الواحدة .

ولاتصدر هذه الأصوات من الهيكل الخارجي للاستاكوزا ، ولكن نتيجة لتذبذب المعدة المشدودة !! .

ويظن بعض العلماء أن اطراف بعض الكائنات اللافقارية البحرية التي تستخدم في وظائف ميكانيكية مثل التكيف مع الجاذبية وتحقيق التوازن ، يمكن أن تستخدم كمستقبلات للصوت ، ولكن الصورة العامة لكيفية استقبال الصوت في اللافقاريات البحرية لاتزال غير واضحة .

وتتضح الصورة أكثر اذا ارتقينا بضع درجات في سلم التطور ، لنصل الى الأسماك .

وأسماك المياه الضحلة هي أكثر أنواع الأسماك البحرية انتاجاً للصوت، أما في المياه العميقة، فقد أثبتت الدراسات أن وسائل انتاج الأصوات لاتوجد الا في الأسماك التي تعيش في مناطق المنحدرات القاعية . فلهذه الأنواع من الأسماك صفات كل من النوعين : الذي يعيش سابحا في المياه الطليقة ، والذي يعيش على القاع . أي أنها أسماك تسبح بالقرب من القاع شبه المعتم ، ولكنها لاتتخذه بيئة دائمة لها .. وفي هذه المنطقة فوق القاعية ، لاتكون تجمعات الأسماك كثيفة جدا ولكن أعدادها تكون كافية لأن تنشأ بينها علاقات اتصال ، وبذلك يصبح الصوت ضروريا .

المثانة الهوائية

وهناك نوعان من الأصوات يصدران عن الأسماك : الصرير ، والذبذبات الناتجة عن توتر المثانة الهوائية .

والصرير هو صوت احتكاك واصطكاك الأجزاء الصلبة والخشنة مثل الأسنان البلعومية . فلبعض أنواع الأسماك مايشبه الأسنان في منطقة البلعوم ، وهي عبارة عن زوائد أو حبيبات قرنية قوية تطحن الطعام بالقرب من الزور . وفي حالة عدم العمل في طحن الطعام فان هذه الأسنان تصدر أصواتا صريرية نتيجة لانقباض البلعوم ، واحتكاك أسنانه بعضها ببعض .

أما الحوصلة أو المثانة الهوائية ، فهي عبارة عن غشاء رقيق تملأه السمكة بالغازات ، ويحقق لها ثبات تواجدها سابحة في طبقة معينة من الماء . وتتصل هذه

المثانة ببعض الألياف العضلية التي تتحكم في درجة تذبذب المثانة،وتربطها ـ في نفس الوقت ـ بتجويف الجسم .

والأصــوات أو الأنغام التي تصــدر عن ضغط العضلات على المثانة الهوائية وتذبذب غشائها يقــع ترددها تحت ٢٠٠ هرتز،ويختلف نوع النغمة وطولها بين الأنواع المختلفة من الأسماك ، ولكنهما ثابتـان ومحددان تقريبا لكل نوع .

وثمة أنواع مزعجة من الأسماك تصدر النوعين من الأصوات معا : فينبعث صرير أسنانها البلعومية ، وتتبعه نغمات تذبذب المثانة الهوائية ، وقد التقطت الميكروفونات المجهزة تحت الماء هذه الأصوات التي يصل ترددها الى ٨ كيلو هرتز .

واستطاع العلماء تحديد أكثر أنواع الأسماك (ثرثرة) واثارة للضوضاء في مياه البحار والمحيطات ، ومن بينها : الوقار ، والخنزير ، والفرخة ، والقط ، والسمكة الضفدعية .

كيف تسمع الأسماك ؟

واذا كانت الأسماك ـ كما رأينا ـ تصدر أصواتا ، أو (تتحدث) ، فلا بد أنها تسمع فكيف تسمع ؟ .

اذا فحصنا الشكل الخارجي للسمكة ، فاننا لانعثر على عضو يشبه الأذن الخارجية ، وقد أكدت الدراسات التشريحية عدم وجود أذن متوسطة أيضا ، ان الجسم كله يقوم مقام الأذن الداخلية . . فلحم الأسماك يعد موصلا جيدا للموجات الصوتية التي تصطدم به ، وهو ينقلها مباشرة الى الأذن الداخلية .

والأذن الداخلية في الأسماك عبارة عن تكوين غشائي تيهي دقيق ، مملوء بسائل خاص ، وينقسم الى ثلاثة كييسات أو جريبات ، بكل منها حصية كلسية دقيقة تسمى (حصبة الأذن) أو (حصية التوازن) ، وتقف كل حصية عمودية على شعيرات دقيقة هي في حقيقتها أطراف لخلايا عصبية سمعية ، وحين تتحرك هذه الحصيات بتأثير الاشارات الصوتية المستقبلة تزيح الشعيرات السمعية للأمام وللخلف ، وتترجم هذه الازاحات الى ذبذبات تسري في العصب السمعي الى المخ .

وثمة جهاز استقبال آخر في السمكة وهو مايعرف



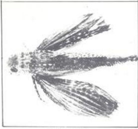
رسم تخطيطي للعضو المسئول عن انتاج الأصوات في الجمبري (العضاض) . . وهو عبارة عن ذراع متحورة على شكل (كلابة) ، وتصدر الأصوات نتيجة لتحرك فكي الكلابة .



رسم تخطيطي لمقطع في رأس حيوان ثديي بحري ، يوضح الممرات والكييسات الهوائية التي تعمل على تضخيم الصوت .

باسم (الخط الجانبي) وهو عبارة عن صف من الخلايا العصبية يمتد على كل من جانبي السمكة من قرب الذيل الى قرب مؤخرة الرأس ويمكن تمييزه ظاهريا ، وتقتصر الوظيفة السمعية للخط الجانبي على استقبال الأصوات ذات التردد المنخفض .

وكما تقوم المثانة الهوائية باصدار الأصوات ، فانها تعمل في نفس الوقت وفي بعض الأنواع كجهاز استقبال فتتذبذب عندما تصطدم بها الموجات الصوتية التي تخترق الجسم في الماء ، وفي بعض الأنواع المتطورة من الأسماك العظمية توجد توصيلات خاصة لنقل هذه الذبذبات الى الأذن الداخلية . وهذه التوصيلات عبارة عن أربع قطع صغيرة من العظام هي في حقيقتها فقرات عظمية متحورة لتقوم بهذه



سمكة الفرخة الطيارة



من أسماك (الوقار) .

الوظيفة الخاصة ، وقد وجد أنه عند ازالة هذه العظيمات بواسطة عملية جراحية فان قدرة السمكة على (السمع) تقل كثيرا .

احاديث الأسماك

وبالرغم من كل الجهود التي بذلت في التسمع الى أحاديث الأسماك ، الا أن مغزى هذه الأصوات لم يتحدد بعد ، وليس معنى هذا أن الاصوات عديمة الجدوى ، والا فما الداعي لتواجد هذه الطرق المتفاوتة التطور لارسال واستقبال الصوت في الأسماك؟

ولدراسة المغزى البيولوجي للأصوات عند الأسماك ، يجري العلماء تجارب لدراسة استجابات السمكة للاشارات الصوتية ، ويستخدمون شرائط بها تسجيلات مسبقة لأصوات أصدرتها الأسماك في ظروف مختلفة ، وأثناء سلوكيات محددة .

وتؤكد دراسات العلماء في هذا المجال على أن السمكة لاتستطيع تحديد موقع مصدر الصوت الذي تستقبله الا في حالة الأصوات ذات الترددات المنخفضة ، والتي يكون مصدرها قريبا من السمكة المستقبلة .

وقد ثبت أن الأسماك تصدر أصواتا معينة عند كل موقف مثل التنافس من أجل الطعام ، أو الدفاع عن الموطن ، أو عند افتراس ضحية ، أو الصياح عند الهرب أو مناجاة الذكر للأنثى في موسم التكاثر ، ولوحظ أن الأسماك تميل الى الاتجاه صوب المنطقة المليئة بالأصوات الكثيفة .

ومن نتائج الدراسات الحديثة ، نجاح عالمين يابانيين في اجتذاب أسماك (المبروك) المستزرعة في بحيرة صناعية ، وذلك بأن أرسلا في الماء ذبذبات صوت السمكة نفسها ، التي كانا قد سجلاها وهي تأكل ، ولوحظت نفس الاستجابة في بعض أنواع الأسماك البحرية .

ومن الاكتشافات المثيرة في هذا المجال ، استجابة أسماك القرش ، بالانجذاب الى مصدر ذبذبات متقطعة على هيئة نبضات منخفضة التردد (٢٠ - ٦٠ هرتز) ، وعدم استجابتها لنفس الأصوات اذا كانت مستمرة .

التشويش على اتصالات الأسماك

وقد نجح العلماء في (التشويش) على اتصالات الأسماك ، بالتداخل في خطوط الاتصال ، وتسريب ذبذبات تؤدي الى احداث تغييرات في سلوك ، السمكة فتخفف من حدة عنفها ، اذا كانت ثائرة ، أو تحيل وداعتها الى هياج وثورة !! .

وتنتقل هذه المعلومات والاستنتاجات من حيزها التجريبي المحدود الى التطبيق العلمي في عدة مجالات ، أهمها مجال الصيد والمصايد . فيمكن ، بواسطة أجهزة التقاط الأصوات من الماء ، رصد مناطق تجمعات الاسماك الاقتصادية المهمة بحيث تعطي عمليات الصيد محصولا وافرا ، كما يمكن ، بواسطة اطلاق ذبذبات صوتية خاصة اجتذاب أو طرد أنواع بعينها من الأسماك ، حسب احتياجات وسياسات ادارة المصايد .

فاذا وصلنا الى قمة هرم الحياة في البحر ، حيث تتربع الثدييات البحرية فاننا نتوقع نظما أكثر تعقيدا وتقدما للاتصالات تحت الماء ، ارسالا ، واستقبالا .

والثابت علميا أن الثدييات البحرية كانت تعيش على اليابسة ، ثم هجرتها الى البحر منذ ملايين السنين ، سعيا وراء ظروف أفضل للحياة ، ولابد أنها - لكي تنجح هجرتها - قد أعدت نفسها للعيش في الوسط الجديد : الماء .



وتتجلى قدرة الخالق العظيم في التحورات التي طرأت على نفس الأجهزة الحيوية لهذه الكائنات ، والتي كانت تعيش بها على الأرض لتناسب الحياة البحرية . (راجع في هذا الموضوع كتابنا : البحر .. أسرار وكنوز ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ المكتبة الثقافية ـ (٣٨٣) ـ ـ ١٩٨٤)

تسجيل اصوات الحيتان

ولدراسة أصوات الثدييات البحرية حصل العلماء على مئات التسجيلات الصوتية للحيتان المسننة ، وحيتان البالين (عديمة الأسنان) ، والفقمات وأفيال البحر .

وتمكن العلماء من تقسيم أصوات هذه الكائنات في مجموعتين :

المجموعة الأولى : الصفّارات : وهي عبارة عن اصوات اتصلات يتراوح ترددها بين واحد ، وأكثر من ١٥ كيلو هرتز .

المجموعة الثانية : (التكات) أو (القرقعات) : وهي عبارة عن أصوات متسعة المدى ، وتستخدم ـ مع انعكاساتها ـ في تحديد موقع الحيوان من الأشياء والكائنات البحرية الأخرى ، ويصل ترددها الى ٢٠٠ كيلو هرتز .

وفي عام ١٩٦٢ ، أصدر بعض العلماء أطلسا يضم رسومات لمنحنيات الصوت المسجلة للعديد من الثدييات البحرية ، ومن هذا الأطلس ، يتضح أن أصوات الحيتان المسننة أكثر وضوحا من أصوات حيتان البالين .

وقد أثبتت الدراسة التشريحية لأحد الحيتان المسننة ، وجود مايشبه الحنجرة ، ولكنها خالية من الأحبال الصوتية ، فكيف اذن تتولد الأصوات ؟ .

قام العلماء بدفع تيار من الهواء ـ في حوت ميت ـ خلال الحلق فوجدوا أن بالحنجرة بروزات وامتدادات رقيقة تتذبذب عندما يمر تيار الهواء ، وتعطي أصواتا مشابهة الى حد كبير للأصوات المسجلة لنفس الحيوان وهو حي تحت الماء . والجدير بالذكر ، أن الأصوات لاتخرج من بروزات الحنجرة مباشرة ، ولكن الهواء الذي يحملها يمر بسلسلة من الممرات والأكياس الهوائية ، دافعا صمامات تتحكم في مداخل ونهايات هذه الأكياس التي تعمل كغرف للرنين .

وتسمع الحيتان الأصوات بحساسية عالية ، وفي مدى واسع من الترددات ، غير أن ميكانيكية السمع ، خصوصا الطريق الموصل الى الأذن الداخلية ، ليست معروفة تماما ، وثمة عدة تصورات في هذا المجال ، منها ، أن ثمة بقايا لقنوات سمعية مندثرة ، وهي آثار لقنوات سمعية كانت تعمل في الأجداد التي عاشت على اليابسة ، ويقول أصحاب هذا الرأي من العلماء ، ان هذه البقايا لاتزال لها بعض القدرات السمعية .

وثمة تصور آخر يعتمد على الصلة الوثيقة بين الفك السفلي للحوت وأذنه الداخلية ، ويؤكد العلماء على قدرة عظام الفك السفلي على توصيل الأصوات للأذن الداخلية ، خصوصا وأن الفك نفسه مجوف ، ومملوء بمادة زيتية .

لغة الثدييات البحرية

وتستخدم الثدييات البحرية الأصوات في محادثاتها ، وفي موقعها من الأهداف والكائنات الأخرى خصوصا في أعماق المحيط ، حيث يقل الضوء أو ينعدم ، وتحل حاسة السمع محل الرؤية .

وقد نجح العلماء في تسجيل ٣٢ شكلا لذبذبات صوت الصفارة لأربعة من الثدييات ، ولاحظوا أن خمسة أشكال تشيع في اتصالات كل الأنواع مما يشير الى وجود مفردات لغة تعرفها وتستخدمها هذه الكائنات ، ومن أكثر الأصوات وضوحا وتميزا ، اشارات الغزل ، ونداءات الحب في موسم التكاثر ، وقد سجلت أصوات تشبه العواء عالي التردد لذكر نوع من أنواع الدلفين ، هجرته أنثاه في بركة صناعية للتجارب !! .

وقد تعددت التطبيقات العملية لهذه الدراسات الشيقة ، ففي عام ١٩٦٥ ، أمكن تدريب دلفين اسمه (توفي) على أن يتحرك الى مكان محدد ، بمجرد أن تصدر اليه في الماء اشارات صوتية معينة ، وبنفس الطريقة تدرب حاليا بعض الدلافين على البحث عن الغواصين المفقودين .. ويتضمن برنامج التدريب الغوص الى أعماق معينة استجابة لأمر يصدر اليها من جهاز كهربائي صغير يحمله الغواص (المفقود) ، ويصدر اشارات صوتية متفق عليها ، كما تم تدريب بعض الدلافين على التقاط خراطيم الهواء وحبال الانقاذ ، والغوص بها الى الغرقى تحت الماء . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الأبناء أسعد حظاً

يشهد العالم تقسيمات مختلفة ، أقدمها ذلك التقسيم الذي يقول إن البشرية تنقسم الى ذكور وإناث .

وقد تبع ذلك التقسيم العديد من التقسيمات التي ساعد عليها الاحصاء الحديث على المستوى الدولي ، فأعاد تقسيم العالم على أساس الديانة ، أو العمر ، أو المهن أو التوزيع الجغرافي ، أو غير ذلك . . . ويبرز بين هذه التقسيمات ما يشير الى البشرية أيضا نوعان : أميّ وغير أميّ . . يجيد القراءة والكتابة أو يجهلها .

ولم يكن ذلك التقسيم الأخير مجرد مؤشر على انتشار التعليم الأساسي ، فالكلمة المكتوبة - رغم منافسة وسائل الاتصال المختلفة - أداة رئيسية لنقل المعرفة ، وأداة تواصل مع العلم والعالم في وقت واحد . . بل انها كثيرا ما تحدد الموقع الثقافي والاجتماعي والمادي والمهني للفرد . . فالصعود في السلم الاجتماعي . واحتلال مكانة في المجتمع ، وتناقل الخبرة ، وتسجيلها لتصبح ملكا للبشر ، وتراكمها لتصنع تطور البشرية . . كل ذلك يتم عبر أدوات مختلفة أبرزها : الكلمة المكتوبة .

خريطة الجهل :

ورغم أن الكلمة المكتوبة وسيلة واحدة ضمن وسائل عدة لنقل المعرفة ، فان اطلاق كلمة الجهل على من لم يحصلوا على حظهم من الالمام بالقراءة والكتابة لايعتبر مبالغة كبيرة . . فهم جاهلون بذلك الفن الذي اخترعه الانسان منذ عدة آلاف من السنين ، وهو فن الكتابة ، وهم جاهلون بذلك العالم المتسع الذي يضم الكتاب ، والصحيفة ، والمجلة ، واللافتة ، والملصق ، وأوراق الحكومات ، والأوراق الشخصية ، وكل ما يعتمد على حرف مكتوب .

كم يبلغ عدد هؤلاء في العالم ؟

تقول منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في احصاء أخير لها اذاعته في أغسطس ١٩٨٦ ، أن عدد الأميين في العالم : تسعمائة مليون أمي . . . أي أن ما يقرب من خمس العالم ما زال يعيش في الظلام .

وبتفصيل أكثر فإن :

(٩٨) بالمائة من هؤلاء الأميين يعيشون في العالم الثالث . . بينما تتوزع بقية النسبة على دول متقدمة بينها : الولايات المتحدة الأمريكية .

بين الأميين تحتل المرأة المقعد الأول ، فتمثل وحدها - في العالم الثالث - (٦٠) بالمائة من العدد الكلي .

وعندما ننتقل من النسب المجردة الى الأحجام الفعلية ، فان الأمر يختلف ، لتقف كبرى القارات (وبسبب عدد سكانها) في المقدمة .

ووفقا لأرقام اليونسكو ، فان عدد الأميين في قارة آسيا (٦٦٦) مليونا . . . وفي افريقيا (١٦٢) مليونا . . . وفي أمريكا اللاتينية (٤٤) مليونا .

الآسيويون اذن في المقدمة ، اذا أخذنا بالأرقام والأحجام الفعلية ، والافريقيون في المقدمة اذا أخذنا بالنسب المئوية بالمقارنة بعدد السكان .

على أي حال ، وأيا كان السبق لهذه القارة أو تلك ، فان تلك الخريطة بما تحمله من ازعاج ومؤشر سلبي تحتاج الى تفسير .. لماذا يبقى ما يقرب من المليار من البشر دون قدرة على القراءة والكتابة ، ودون قدرة على مطالعة صحيفة .. ودون قدرة على اتمام معاملة .. في نهاية القرن العشرين ؟

الحرب والفقر :

الأكيد أن هناك العديد من العوامل ..

فالفقر والحاجة للأطفال ـ كقوة انتاجية في سن مبكرة ـ قد يكونان سببين للابتعاد عن المدرسة .

والعادات الاجتماعية ، وتخلف مكان المرأة ، قد تكون ضمن الأسباب .

كذلك فإن بقاء مجتمعات منعزلة في أطراف الصحارى والغابات ، بل بقاء مجتمعات لها لغات لم يتم تسجيلها حتى الآن ، واقتصرت على مرحلة النطق دون الكتابة .. حدوث ذلك يؤثر ـ رغم تراجع أهميته النسبية ـ على انتشار الأمية في العالم الثالث .

العوامل متعددة ، ولكن عندما نحاول قياسها بالأرقام ، فإننا لانجد غير مؤشرات محدودة .

وطبقا لتقرير التنمية في العالم الذي أصدره البنك الدولي عام ١٩٨٥ ، فان نسبة ما وجهته الدول منخفضة الدخل للتعليم في عام ١٩٨٢ تبلغ (٥,٥) بالمائة عن اجمالي انفاق حكومات هذه الدول .. بينما خصصت الدول متوسطة الدخل ضعف هذه النسبة .

وبنظرة تاريخية للوراء نجد أن مخصص التعليم في الدول منخفضة الدخل تتراجع أهميته النسبية .. فخلال عشر سنوات (٧٢ ـ ٨٢) تراجعت مخصصات التعليم الى ثلث الأهمية النسبية .. كانت تحتل (١٥,٢) بالمائة من انفاق الحكومات المركزية لهذه الدول عام ١٩٧٢ ، وأصبحت تحتل (٥,٥) بالمائة فقط كما سبقت الاشارة .. نفس الشيء حدث في مجال الصحة والخدمات الاجتماعية ، أما التفسير فنجده بشكل جزئي في أرقام الدفاع التي كانت تمثل (١٢,٤) بالمائة عام ١٩٧٢ ، فأصبحت تمثل (١٨,٥) بالمائة بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ .

اذن فالأهمية النسبية للتعليم ـ وهو الأداة الأولى لمحو الأمية ـ تتراجع .. و .. مع ذلك فالحقائق لا تكتمل ، لأن هناك أرقاما أخرى تقول انه بالرغم من تراجع الأهمية النسبية ، فان التعليم الأساسي ـ وبالتحديد التعليم في المدرسة الابتدائية ـ يتزايد باطّراد .

بالامكانيات المحدودة ، في ظل الاستقلال والرغبة في الخروج من أسر التخلف ، أصبح المقيدون في المدرسة الابتدائية بالدول التي تقع في أدنى السلم وهي الدول منخفضة الدخل : (٨٥) بالمائة ممن هم في عمر التعليم بالمدرسة الابتدائية ، صحيح أن هذه النسبة ترتفع لتتجاوز المائة ، وتصل الى (١٠٢) بالمائة في الدول الصناعية ، وهو ما يشير الى أن الملتحقين بالمدرسة يزيدون عمن هم في العمر المفترض ، ويجذبون لهم أطفالا دون السن ..

ولكن .. أليست نسبة (٨٥) بالمائة من أطفال الفقراء داخل المدرسة الابتدائية نسبة تثير التفاؤل ؟

أظن ذلك .. وإن كانت الأرقام تقول : بان افريقيا ونساء الفقراء أقل حظا باستمرار .

ان النسبة ترتفع في الجزء من العالم الأشد فقرا الى (٨٥) بالمائة ، ممن يجب دخولهم للمدرسة الابتدائية .. لكنها تعود وتنخفض الى (٦٩) بالمائة في افريقيا جنوب الصحراء .

أيضا .. وبينما يصل كل الذكور في ذلك العالم الفقير الى المدرسة ، تتخلف الاناث وتلتحق (٧٧) بالمائة منهن فقط بالمدرسة وعالم القراءة والكتابة .

قد تبدو الأرقام متضاربة ، فكيف يتقدم التعليم الابتدائى ، وتبقى نسبة الأمية عالية ؟

والتفسير واضح ، فالمدرسة الابتدائية لجيل جديد يتقدم ، بينما تسجل أرقام الأمية كل الأجيال وكل البشر ، ولذا فقد انتشر ما نسميه : برامج محو أمية الكبار .

الكبار (سنا) هم الذين يزيدون النسبة ، وان بقيت الأرقام ذات دلالة واضحة تتصل بالتقدم والتخلف ، كما تتصل بالحقيقة التي تقول : « ان الأبناء أسعد حظا » □

وجهاً لوجه



أحمد بن يسف و علاء الدين محسن

- الفن موهبة يصقلها البحث والدرس .
- انني أميز بين الأصالة وبين التقنية .
- أحترم الاتجاه التجريدي وفنانيه ، ولكن يجب ألا ننسى أن الفن ليس تعبيرا عن الذات فقط .
- أختلف مع الذين يعدون الزخارف الاسلامية فنا تجريديا .
- الواقعية تثير في نفسي جروحا وأحاسيس صعبة .
- رسالتي رسالة العدالة وحقوق الانسان والمساواة .
- المدرسة الاسبانية أعطتني التقنية فقط ، وما زلت أرسم موضوعات مستقاة من الوطن العربي .

يظهر الرسام المغربي أحمد بن يسف اليوم نغمة غريبة وسط الحركة التشكيلية المغربية المتميزة بطغيان الاتجاه التجريدي من جهة ، والرسم الفطري أو الساذج من جهة أخرى .

فهو التشكيلي المغربي الوحيد الذي استمر محافظا على اختياره الفني الذي يندرج ضمن التشخيصية التعبيرية ، والذي عرف به منذ بداياته المبكرة . فكيف كانت البدايات ؟

يكمن تميز الرسام احمد بن يسف في أن طغيان التجريد من حوله لم يجعله يعيش في عزلة ، أو يظل مجهولا بعيدا عن مواقع المشهورين في الميدان التشكيلي ، أو يتحول الى مجرد رسام واقعي لا أهمية له . اذ هو على العكس من ذلك تماما ، فأعماله تحظى بتقدير عالمي ، ولعله أكثر التشكيليين المغاربة شهرة في أوروبا ، ولوحاته هي الأغلى ثمنا بين الرسامين العرب الذين دخلوا سوق الفن في الغرب .

وهذه المكانة التي وصل اليها بن يسف ، لم يكن طريقه اليها سهلا ، كما أنها لا تقوم على مجرد وهم . فاضافة الى قدراته الفنية ، وموهبته ، درس أحمد بن يسف الفن التشكيلي في المغرب واسبانيا التي يعيش فيها منذ عشرين عاما ، وخلال سنوات دراسته عاش معاناة الغربة والجوع والتشرد ، « الذين يرونني كيف أعيش اليوم في غنى ، وبحبوحة ، قد لا يصدقون أنني عشت سنوات لا عنوان لي غير الحدائق العامة في اسبانيا التي كانت تأويني ليلا ، وفي الصباح كنت أقتات على طعام الكلاب » يقول بن يسف ذلك ولا يخفي أنه اليوم ثرى تتوزع حياته ما بين مراسمه وبيوته في جنوب اسبانيا وشمال المغرب . وهو يختلف مع الذين يعتقدون أن الفن الجيد يصنعه الفقر والمعاناة ، ويقول ان الفنان اليوم لا يمكنه أن يعيش خارج عصره ، وما يدور فيه من تيارات ، اضافة الى ضرورة تمكن المبدع من ثقافة شمولية تعينه على فهم ما يدور حوله وعلى تكوين رأى خاص به ازاء كل ما يجري ، وللأسف فان التمكن من مثل هذه المعرفة ، والاندماج في حياة العصر لا يحصل عليه مجاناً بل يحتاج الى امكانيات مادية اكثر من متوسطة للحصول عليه ، ويقدم أمثلة عن العديد من الرسامين العالميين الذين كانوا أثرياء ، وانتجوا ابداعا لا خلاف حول قيمته ، ويروى أن بيكاسو ذهب يوما لتناول العشاء في أحد المطاعم الراقية ، وفي فترة انتظاره للطعام أخذ يخطط بسرعة بعض الأشكال فوق ورق الخدمة الذي يغطي طاولته ، ثم انتهى من عشائه ودفع ثمنه ، ولما هم بالخروج لحقه أحد خدم المطعم ، راجيا منه أن يضع توقيعه على تلك الخطوط التي خطها فوق الطاولة ، فأجابه بيكاسو معتذرا ، لقد جئت هنا للعشاء وليس لشراء المطعم ، ويعلق بن يسف بأن بيكاسو كان يعرف كم يساوي توقيعه ، أما نحن فلا زلنا نظن أن المعاناة وشظف العيش تصنع المبدع » .

الموضوع . . والشكل

واذا كان هذا الموضوع يشكل أحد مشاغل بن يسف ، فلأنه يريد الرد بشكل غير مباشر على الذين ينتقدون الأثمان الباهظة التي تباع بها أعماله ، وهو يقول بهذا الصدد إنه ليس مسؤولا عن تحديد أثمان أعماله ، فمن يقوم بهذه العملية هو صالة العرض الاسبانية التي تحتكر ترويج انتاجه ، وأن هذا أمر معتاد عليه بالنسبة لجميع فناني الصفوف المتقدمة في أوروبا التي تملك أسواقا فنية لها تقاليدها ، وهو أمر نفتقده في الوطن العربي ، وهذا هو الأمر الذي يشرح أسباب الغياب شبه التام للفنان التشكيلي العربي المحترف .

إن الذي أوصل هذا الفنان التشكيلي المغربي الى مكانته العالية هو ـ بدون شك ـ موهبته التي صقلها بالدراسة والتعليم ، انه رسام أكاديمي من الطراز الأول ، وملون مدهش ، وواقعيته وأكاديميته لم تحولاه الى مجرد مصور فوتغرافي ، فهو يتقن فن التعامل مع الواقع بحيث يخرجه من واقعيته الفوتغرافية ، ليضفي



● الحمائم (مائية)



● السيدة (مائية)

على لوحاته تدفقا شعريا ، يشد المشاهد اليها ويدفعه للتأمل فيها ، وسنوات دراسته ، واقامته الطويلة في اسبانيا لم تنسه ذاكرته المغربية العربية ، فمواضيع لوحاته جميعها تنتمي الى اطار جغرافي ، وتاريخي محدد ، وهو وطنه (المغرب) وبالذات مدينته (تطوان) .

أزقة هذه المدينة وطبقتها وناسها المتعبون ، وبناتها الجميلات وعجائزها وصبيانها مادته ، والرؤية المتأملة لأعماله عبر مراحل عمله الفني المختلفة تكشف عن بعض الثوابت والرموز في مسيرته ولوحاته مثل : بيوت تطوان المصبوغة بالأبيض ، والوجوه التي حفر فيها الزمن أخاديده ، وبصماته ، وعتمة المدينة ، ولحظات توهجها، واستقبالها للضوء الذي غالبا ما ترافقه حمامة بيضاء ، أو سرب من الحمام . ان خيط الحزن الذي يلف مجموعة أعمال بن يسف ينكسر ازاء دلالات هذا الطائر الرمز ، ويتسلل فضاء من الزرقة ، والتطلع نحو الحرية ، والمستقبل الأجمل الى اللوحة مهما كانت شحنة التشاؤم التي تحملها ، بل يمكن أن يقال ان وراء كل لوحة لابن يسف لوحة مضمرة ، هذه القدرة التي تمتلكها اعماله على إثارة المخيلة والتجاوز معها ، وهي سر المهنة في نجاحه ، والباعث على التقدير العلمي الذي يحظى به .

ولد أحمد بن يسف في تطوان عام ١٩٤٥ ، وقدم أول معارضه عام ١٩٦٤ ، ومنذ ذلك التاريخ وأعماله تقدم في المغرب ، واسبانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وانكلترا ، والمكسيك ، والارجنتين . أما على الصعيد العربي فقد سبق له أن عرض في الأردن ، ولبنان ، والعراق ، وخلال وجوده بتطوان التقى به الزميل علاء الدين محسن مراسل « العربي » في المغرب ، ودار بينهما الحوار التالي :



● لاار. تنظر ١٩٧٥



● حمامة



● مائية



● تطوان : أحب هذه المدينة حتى . . الكراهية !



● فتوة ١٩٨٠



(زيتية)

*** بن يسف ، كيف اكتشفت موهبة الرسم فيك ؟**

ـ الفن موهبة تحتاج الى الصقل بالبحث ، لقد احسست بالفن منذ أن احسست بأنني موجود ، انني لا أعرف متى رسمت أول لوحة ، لكنني أعرف أنني عشت صراعا مريرا ازاء المجتمع فموقف المجتمع العربي الاسلامي من الفنون التشكيلية معروف ، وقد كنت الابن الوحيد لعائلتنا (المحافظة) الذي توجه نحو الميدان الفني ، الا أن هذا الصراع لم يثبط همتي ، بل على العكس جعلني أكثر اصرارا على اختياري الفني ، وبعد دراستي الابتدائية والثانوية التحقت بمدرسة الفنون الجميلة بتطوان ، وبعد أن أمضيت ثلاث سنوات في هذه المدرسة انصرفت لمدة عام للعيش في برية تبعد عشرة كيلومترات عن تطوان باحثا عن نفسي وعن الطبيعة ، وهنا بلغت معارضة أهلي لاختياري الفني ذروتها ، وكان واضحا لهم أنني لم أختر ميدانا فنيا لا يعرفون كنهه بالضبط فحسب لكنه رغم ذلك مصنف ضمن المحرمات ، بل انني فوق ذلك مجنون ، والا ما معنى أن أعيش عاما كاملا هائما في البراري ؟ والسلاح الذي كان بيد عائلتي لانقاذي من الجنون « والخطر الفني » الذي يرونه يلف بي كان هو قطع كل شكل من أشكال المساعدة عني . ومما زاد من احساس عائلتي بهول فجيعتها بي أنها كانت ترى جميع أصدقائي قد توجهوا للدراسات العلمية ، ومما ساعدني على الصمود وسط وضع عائلي متوتر كهذا هو ثقتي بنفسي .

بعد عام البحث عن النفس في سنة ١٩٦٦ قدمت عدة معارض ، كان همي فيها البحث عن مدى تجاوب الجمهور معها لأرى اذا كنت مصيبا في ثقتي بنفسي ، وبصحة اختياري . وكانت نتيجة هذا الامتحان لصالحي . وفي العام التالي بحثت عن منحة من جهة ما ، تكفل لي مصاريف دراستي للفن خارج المغرب ، ولكن دون جدوى ، ولكن سرعان ما أصبح هذا الحلم بين يدي عندما بعت عدة لوحات في معرض لي بتطوان ، جمعت ثمنها وحزمت أمتعتي وتوجهت إلى المدرسة العليا للفنون الجميلة باشبيلية .

تقدمت للامتحان ونجحت ، ثم غادرت هذه المدرسة بعد انتهائي من الدراسة ، وقد حصلت على جميع جوائزها ؛ فقد كنت الأول في الرسم والتصوير والمناظر الطبيعية ، ومنذ ذلك التاريخ لم يمر بهذه المدرسة طالب آخر حصل على هذه الجوائز مجتمعة .

تفوقي هذا ساعدني على حضور في الوسط الفني التشكيلي بخاصة ، وعلى بناء نفسي كفنان محترف . ومباشرة العمل أثناء دراستي .

وأتذكر الآن بصدد دراستي الفنية الأولى بتطوان أن مدرسة الفنون بهذه المدينة كانت مأوى للطلبة الكسالى الذين يفشلون في المدارس والاختصاصات الأخرى ، وعندما تقدمت للالتحاق بها استغرب جميع أساتذتها ، وسألني أحدهم وهو الفنان المغربي المكي مغارة عن سبب توجهي لدراسة الفن في هذه المدرسة فاجبته : بأنني أحس أني أمتلك مقدرة على الرسم ، وأريد أن أدرس تقنية الرسم ، فقال لي : ولكن لا أحد يستطيع العيش من الرسم غير بيكاسو ودالي فاجبته : وسأكون ثالثهما .

إلى هذه الدرجة كانت تضطرم في داخلي رغبات التحدي ، والآن عندما أنظر الى تلك السنوات أجد أن رغبة التحدى القوية التي اشتعلت في نفسي آنذاك كان سببها عدم المعرفة ، واندفاع الشباب ، ولكن لحسن الحظ أصبح هذا التحدى القاعدة التي استندت عليها كل مسيرتي الفنية ، وبعد ذلك ازدادت رغبات التحدى في داخلي ، لكنها هذه المرة تمثل تحديا من نوع آخر لا ينحو نحو المحافظة على نجاحي فحسب بل على تعزيزه..

بعد السنوات الخمس التي قضيتها في المدرسة العليا للفنون الجميلة باشبيلية أمضيت ثلاث سنوات أخرى في دراسة فن الحفر ، وأثناء دراستي قدمت العديد من المعارض ، وحصلت على العديد من الجوائز ، وتوالت المعارض والجوائز حتى اليوم .

بين الأصالة والتقنية

*** رغم توجه التشكيليين المغاربة نحو الاتجاهات المعتمدة على اللعب البصري في الفن التشكيلي المعاصر ، وانبهارهم بها ، استمر بن يسف ملتزما بالواقعية التشخيصية . فبماذا تفسر اختيارك الفني هذا ؟**

ـ أكاد أعتبر هذا السؤال اعادة صياغة لسؤال مطروح على نطاق واسع عربيا حول الأصالة في الفن التشكيلي العربي ، وما يمكنني قوله بهذا الصدد ان الأصالة سواء بالنسبة للأفراد ، أو الشعوب لا يمكن



● فنت (زيتية)

أن تكون بأي حال من الأحوال غائبة ، اذ هي في حقيقة الأمر مغيّبة وينبغي البحث عنها ، لذا ففيما يخصني فانني أعتمد على ما أحسه من عناصر الأصالة فيّ ثقافيا واجتماعيا وحتى دينيا ، وأقدمه بلغة تقنية أحاول أن تكون عالمية ، ويمكنك أن تلاحظ هنا أنني أميز بين الأصالة وبين التقنية ، وهما شيئان متمايزان بداهة ، ولكن من الضروري التذكير بهذه البدهية ، لأن الجميع يتناسونها في العالم العربي ، ونحن - تشكيليا - قد نقلنا من الغرب تقنيته وأصالته معا ، بدل أن نوظف هذه التقنية - ان كنا في حاجة لها - في خدمة أصالتنا ،وهكذا صار المشاهد يمد بصره على طول المساحة العربية ، فلا يرى غير الرسامين التجريديين .

أخلص من هذا الى القول بان بحثي قد أوصلني الى أن الأصالة توجد في التشخيص ، وأعني هنا التشخيص بالمفهوم الواسع ؛ أي الانطباعي ، والواقعي ، والرمزي ، والسريالي .

انني أحترم الاتجاه التجريدي وفنانيه كل الاحترام ، ولكن يجب أن لا ننسى أن الفن ليس تعبيرا عن الذات التي أنتجته فقط ؛ فاللوحة صلة بين الفنان والجمهور ، ومتى ما توفرت عناصر الفهم ، والتفاهم المتبادل بين هذه الأطراف ، كانت اللوحة في نظري أفضل .

اضافة الى ذلك أعتبر أن اختيار التجريد هو الاختيار السهل ، ويمارس اليوم الكثير من الدجل الفني باسم التجريد ، وقد أصبح هذا الاتجاه مأوى للعديد من الفنانين المزيفين ، والعاجزين ، والباحثين عن شهرة وأضواء سهلة .

التجريد والحضارة الاسلامية

*** ألا ترى أن التجريد ليس منقطعا عن الحضارة الاسلامية التي خلّفت بسبب موقف الاسلام من التشخيصية تراكما لا يستهان به في الفنون الزخرفية التي هي في النهاية فن تجريدي ؟**

- انني أختلف مع الذين يعتبرون الزخارف الاسلامية فنا تجريديا ، وأعتبرها رسوما خاضعة



● سيدة

لتقنية علمية محسوبة بدقة ، أي أنه تشخيص ، انني أقيم في جنوب اسبانيا كما تعلم ، وكلما جلت ببصرى في أنحاء آثار غرناطة وجدت أن المسلمين قد تركوا تراثا هائلا من الرسوم والنحوت التشخيصية ، بل أكاد أقول من الواقعية المحكومة بتصميم وتفكير ومنطق ، والتجريد عكس ذلك تماما ، فهو يعتمد على التلقائية المطلقة أحيانا .

● بعض من كتبوا عنك قالوا ان اختيارك للتشخيصية جاء بسبب تأثرك بالمدرسة الاسبانية ، ماذا تقول حول هذاالرأي ؟

- انني أحترم هذا الرأي ، وأقول بكل صراحة ان مثل هذا التأثير يمكن أن يكون موجودا ، فمن خصائص الفنان حساسيته ، وأنا قد درست في أسبانيا ، وفي جوّها الفني وعشت فيها مدة طويلة ، اضافة الى العلاقة التاريخية الاستعمارية بين اسبانيا وشمال المغرب الذي يشمل مدينتي (تطوان) ، وسأكون بليدا حتما اذا لم أتأثر بهذا الاحتكاك العميق مع اسبانيا .

ان الحديث عن هذا التأثر لا يخيفني ، ولا أعتبر ذلك ينقص من قيمتي أو قيمة أعمالي ، لأنني لم أفقد هويتي بسببه ، ولم يقتلعني من جذوري ، فأعمالي عندما تعرض اليوم في أي مكان من العالم يعرف مشاهدها بسرعة أنها لفنان مغربي . حتى إن لم يعرف أنها لابن يسف ودون حاجة الى البحث عن توقيع الرسام ، والتحديق فيه لمعرفة هويته ، ولعل السبب في هذا يعود الى أسلوبي الواقعي في عملي الفني ، ولعلك ترى الآن أنني واقعي وصريح حتى في حياتي وحديثي وأنني غير مبالغ ولست مغرورا كما يظن البعض ، وأعتبر صراحتي من جوانب النقص والسلبيات في شخصيتي ، فليس أصعب في هذا الزمن من أن تكون صريحا ، وواقعيا .

الواقعية تثير فيّ جروحا وأحاسيس صعبة كثيرة ، ويهمني الآن أن أقول شيئا فاتني أن أذكره في جوابي على سؤالك السابق ، وهو إنني أعتبر الواقعية الطريق الوحيد الصالح لتبليغ الرسالة .

● أية رسالة ؟ وما رسالتك أنت ؟

- رسالة الانسان ، والعدالة ، وحقوق الانسان ، والمساواة ، ولفت النظر الى العالم الذي يحيط بنا ، لأنني أعتقد أن جزءاً من وظيفة اللوحة أن تكون وثيقة عن الحياة التي يعيشها الرسام ، ان لوحات القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر تعطى صورة واضحة عن عصرها على مختلف الأصعدة ، اضافة الى قيمتها الفنية .

لقد أنجزت في بداياتي - وكنت صغير السن آنذاك - لوحات لمشاهد عن المغرب ، وطبيعته ، وقد اندثرت اليوم هذه المشاهد ، لكن لوحاتي لا تزال حية توثق لها ، وتؤرخها ، بل يمكن اعتبارها مرجعا .

● هل تعتقد أن الفن التجريدي ليست له هذه القدرة ؟

- انه يمتلكها ولكن بشكل أقل ، فقيمة اللوحة التجريدية أقل من اللوحة الواقعية .

● حسنا ، ما دمت تعترف بتأثير المدرسة الاسبانية عليك ، ماذا أعطتك هذه المدرسة باعتقادك ؟

- أعطتني التقنية فقط ، لأن المدرسة كما قلت سابقا لم تغيرني ، فما زلت رغم أنني أعيش في اسبانيا منذ

عشرين عاما أرسم مواضيع مستقاة من الوطن العربي - المغربي - التطواني .

* **وماذا أعطتك مدينتك (تطوان) ؟**

- لم تعطني شيئا !

* **ألم تعطك الذاكرة ؟**

- الذاكرة أعطاني اياها أبي وأمي ، لأن تطوان مجرد صدفة في حياتي ، أعني أنني ولدت بتطوان بالصدفة ، اذ كان يمكن أن أولد في أي مدينة مغربية أخرى ، وأنا في النهاية مغربي عربي مسلم ، لكن الثابت في حياتي وذاكرتي هو عائلتي ، والوسط الذي عشت فيه وتأثيرهما العميق فيّ .

* **ماذا تفسر اذن حضور تطوان في العديد من أعمالك ؟**

- لأنني أحبها ، وهذا أمر آخر يختلف عما يمكن أن تكون قد أعطتني اياه هذه المدينة ، ويمكنك أن تقول أنه حب من طرف واحد ، ما دامت هي لم تعطني شيئا بالمقابل أكثر من ذلك ، أعتقد أن تطوان هي المدينة الوحيدة في العالم التي لا تعطي شيئا لأبنائها ، بل هي تمتلك على العكس من ذلك « تقنية » عالية لتحطيم هؤلاء الأبناء .

* **بالرغم من قولك أنك تحب تطوان ، الا أنني أحس من جوابك بكراهيتك لها ، وأجد في في ذلك بعض التناقض ؟**

* لأنه ثمة من فرق بين الحب والكراهية ، هناك ما يسمى بحب الكراهية ، وأنا أؤمن بمثل هذا الحب ، وأنا من قوة حبي لهذه المدينة أجد فيها أشياء تؤلمني ، وهو ما يجعلني بحسب وصفك أمقتها .

* **لماذا اخترت العيش في اسبانيا ؟**

- لست أنا من أختار اسبانيا ، هي التي اختارتني للعيش فيها .

* **أعيد سؤالي بصيغة أخرى أكثر تواضعا : كيف اخترتما بعضكما ؟**

- كان هناك تجاوب متبادل ، فعندما أنهيت دراستي هناك ، وبدأت بالعمل كفنان محترف في اسبانيا ، وجدت نفسي ، وتجاوبا ، أضف الى ذلك أنني لم أعش في اسبانيا بل في جنوبها ، في اشبيلية التي أحس فيها وكأنني أعيش أيام المعتمد ، ومرسمي في حي عربي بهذه المدينة ، كما أن عيشي في هذه المدينة التي لا تزال تنبض فيها الروح العربية ، جعلني أكتشف أجدادي وقيمة العرب وعظمتهم ، وأكثر من ذلك اشبيلية جعلتني أحب بلادي وأصالتي ، ولا يخامرني شك في أنني لو كنت أعيش في ألمانيا مثلا لما حدث كل ذلك ، ولكنت غادرت دون وداع أو عودة .

- **أعمالك الأكثر انتشارا تصور فيها وجوه نساء عجائز عامرة بأخاديد الزمن ، لماذا لا ترسم نساء جميلات ؟**

- رسمت مختلف أشكال النساء ، وفي شتى مراحل حياتهن ، ولحسن الحظ زوجتي تتفهم ذلك ، فالمرأة مهمة في حياتي ، وقد رسمتها في مختلف مراحلي ، لأنني لا أستطيع العيش بدونها مثلما لا أستطيع العيش معها ، واللوحات التي أشرت اليها في سؤالك عرفت في الوطن العربي أكثر من غيرها بسبب الصحافة التي لا يمكنها أن تنشر صورا للوحاتي الأخرى عن المرأة .

* **هل لك طقوس خاصة في الرسم ؟ نريدك أن تتكلم لنا عن علاقتك باللوحة ؟**

- حياتي مع اللوحة محكومة بعلاقة صراع ، أحيانا أرسم شهرا كاملا ثم لا ترضيني النتيجة ، وكأنني لست الرسام الذي رسم تلك اللوحات التي أبهرتني قبل أن يعجب بها الآخرون ، إني أعيش تقلبات صعبة في حياتي مع الرسم ، وهو أمر يعطيني راحة نفسية كبيرة ، لأنه يشعرني باستمرار أنني لست آلة تنسخ دون توقف وتنتج دائما لوحات جيدة ، وأتوقع دائما من لوحتي الأخيرة أن تكون أجمل من التي سبقتها لكن هذا لا يتحقق بسهولة ، فالحظ والظروف والمشاكل التي يعيشها الانسان كيفما كانت تؤثر فيه ، فكيف اذن بالفنان ؟ لا تنس أنني أب لثلاثة أولاد ، لدى معهم مشاكل كالتي تحدث لأي أب .

* **ماذا يصلح للنشر من نقاط ضعفك ونواقصك ؟**

- إنها كثيرة ، لكنها لا تصلح للنشر لئلا تؤثر على سعري في سوق الفن التشكيلي .

* **ألم تفكر بعد اقامة عشرين عاما في أسبانيا بالحصول على الجنسية الأسبانية ؟**

- أبدا . وليس هذا ادعاء ، فأنا أتمتع باسبانيا بكامل حريتي ، وبجواز سفري المغربي هذا أولا ، وثانيا لو غيرت جنسيتي لما أصبح لكل أعمالي أية قيمة . □

حكايات شرق وغرب



أحب أغنامه حتى الموت !

كان يحب أغنامه ، ويعيش معها ، وينام بجوارها ، ويرعاها وهي تبحث عن غذائها ، وكانت أغنامه هي كل حياته ، وكان هو شابا وسيما في الثانية والثلاثين من عمره ، صحيح أنه كان فلاحا ، لكنه (جنتلمان) هادىء الطباع ، حسن السيرة ، وكل أهل القرية الصغيرة - قرية ديهيمارو في شمال اليونان - يحبونه ، ويحترمونه ، ويخرجون للقائه في المساء عندما كان يجلس وسط أغنامه ، يغني لها ، ويعزف موسيقاه الريفية على قيثارته .

لكن الراعي الشاب « ماركوس » كان يبتعد دائما عن الزخرف الزائف لحياة الحضر ، وكانت أسعد حياته هي تلك التى يقضيها بين أغنامه وهو يسوقها أمامه إلى القناة الصغيرة لتشرب ، أو عندما يرقد على مقربة منها لينام ، فلا تلبث هى الأخرى أن ترقد بجوار صاحبها في انتظار قدوم يوم جديد .

ولكن القدر يتدخل ، فيرسل إلى ماركوس فتاة جميلة اسمها « ديمترا » ، ويهيم الشاب بها ، ويعرض عليها الزواج ، وتقبل لكن بشرط أن ينسى ماركوس حياة الريف ، ويبيع أغنامه ، ويتبعها إلى المدينة التي ولدت وعاشت فيها - مدينة سالونيك ، ثاني أكبر مدن اليونان - وقال ماركوس لخطيبته : امنحيني فرصة للتفكير ، وتركته ليختار بينها وبين أغنامه ، وكانت أقسى وأصعب تجربة يمر بها في حياته .

لم تطل المهلة التي أعطتها الفتاة لخطيبها ، فقد وصل ماركوس إلى قرار بعد ليل طويل جلس فيه



وسط أغنامه يفكر في المصير الذي ينتظرها إن هو باعها ، وتخلى عنها ، وهو لم يفرط في واحدة منها في يوم من الأيام . كان يبيع صوف جلدها ويبيع لبنها ، أما هي فقد كانت تعيش معه حتى يصيبها الهرم ، وتنفق

ماذا يفعل إذن ؟ وكيف ينقل قراره إلى ديمترا ؟ ولم تطل حيرته . . وذهب إلى صديق له واقترض منه مسدسا زاعماً أن هناك ذئبا خطيرا يهدد أغنامه . وحمل المسدس وراح يطلق الرصاص على الأغنام التي بدأت تتساقط أمامه الواحدة بعد الأخرى ، ثم بقيت رصاصة ، وفي سرعة ، وبلا تردد صوب فوهة المسدس إلى رأسه هو وضغط على الزناد وسقط على الأرض ميتا . .

وعندما تجمع أهل القرية ليروا ما حدث للراعى

الشاب الذي أحبوه ، وجدوه جثة هامدة بين جثث الأغنام التي كان منذ ساعات قليلة يرعاها ، ويغني لها ، وعلى مقربة منه وجدوا رسالة صغيرة موجهة إلى الفتاة التي أحبها ، وقرأوها : « عزيزتي .. أنا الآن أرقد بين أغنامي التي أحببتها ، أرقد مستريحا لأنني أعلم أنها لن تشقى وتتعذب بعد اليوم ، لقد كانت أغنامي هي أسرتي التي عرفتها ، وعشت معها ولها ، ولن أفترق عنها أبدا .

السحب القاتلة

هل يمكن أن تحمل السحب الموت ؟ هذا هو السؤال الذي مازال يحير العلماء في مدينة جنوا بايطاليا ، فقد حدث أن مرت سحابة في سماء إحدى المدن الصغيرة القريبة من جنوا وتسببت في قتل عشرات الألوف من النحل الذي تشتهر هذه المنطقة بتربيته . وقد اتضح من الاحصائيات التي أجريت ان تسعين في المائة من النحل الذي يعيش في هذه الضاحية الصغيرة التي تعرف باسم « ليفرنو » قد مات مسموماً ، على إثر مرور السحابة القاتلة مباشرة .

ويقول المزارعون أن السحابة لم تقتل النحل فحسب ، بل قتلت عشرات الألوف من الطيور الصغيرة ، وبخاصة العصافير التي كانت تتساقط ميتة من أغصان الأشجار ، حتى امتلأت الحقول الخضراء بالطيور الميتة . وحمل العلماء النحل والطيور التي ذهبت ضحية السحابة الغامضة لتحليلها ، وكانت مفاجأة عندما اكتشفوا السبب . لقد كانت تحوي في دمائها نوعا من الغازات التي تستخدم في قتل الحشرات .

كيف وصلت هذه الغازات إلى السحابة المحملة ببخار الماء ؟ لا أحد يدري ، لكن البعض يعتقد أنه ربما تكون هذه المواد الكيماوية الفعالة قد تسربت من أحد المصانع المنتجة لها ، وغطت مساحات من الماء ، في البحار أو الأنهار .

المهم كما قال الدكتور جيورجيو ، أحد العلماء الذين شاركوا في تحليل الطيور والنحل ـ أن خطر هذه السحابة كان من الممكن أن يمتد إلى الانسان نفسه لو أنها بقيت فترة أطول .

موظفو الدولة يصطادون السحالي والتماسيح



حار مدير مصلحة الضرائب في جاوا الغربية « تادجوج سويبرين » في البحث عن وسيلة لمنع مموّلي الضرائب من التهرب من دفع ما عليهم من مستحقات ، لكن الرجل مالبث أن اكتشف أن المسؤول عن انخفاض إيرادات الدولة من الضرائب ليس المموّلين ، بل المحصلين ، وقرر بينه وبين نفسه أن يلقنهم درسا .

وفي إحدى الحفلات العامة وقف الرجل المسؤول عن جمع الضرائب من الموسرين المتهربين ، وألقى كلمة وجّه فيها اللوم الشديد إلى محصلي الضرائب ، ثم ختمها بأمر إداري يتلخص في خروج المحصلين لصيد السحالي بدلا من « صيد » المموّلين ، وأعطاهم مهلة أقصاها أربعة أيام يعودون بعدها بحصيلة

صيدهم ، وقال : « إن الممول المتهرب من دفع الضرائب كبير الشبه بالسحلية التي تجيد الهرب والاختفاء ، فهي لاتكاد تظهر حتى تختفي ».

وخرج المحصلون في أكبر حملة من نوعها لاصطياد السحالي ، ومرت أربعة أيام ، وعندما عادوا إلى مكاتبهم كان كل حصيلتهم من السحالي التي تمكنوا من اصطيادها سبعا فقط ! وجن سوبيرين ، فقد كانت السحالي صغيرة هزيلة ، وقد كان يتوقع أن يأتيه موظفوه بسحالي سمينة منتفخة تمثل الممولين الأثرياء المتهربين .

قال وهو يستقبلهم في مكتبه ، وكانوا أكثر من مائة محصل : « على أية حال ، لقد عدتم بشيء ، وهو أفضل من لا شيء ، وإذا كنتم قد نجحتم في صيد السحالي ، وهو أمر أصعب بكثير من صيد الممولين ، فلا شك أنكم قادرون على تأدية واجبكم ، لقد قررت أن أمنحكم فرصة أخرى ، فاذا فشلتم ، فستكون رحلتكم القادمة مع صيد التماسيح ، وهي مهمة قد لاتعودون منها أبدا ».

للنساء فقط !



اكتشف الاكاديميون في الصين لغة جديدة غريبة في وادي يانجتسي . ويقول أحد علماء اللغات ان هذه اللغة المكتوبة كانت « للنساء فقط » ! كيف حدث هذا ؟ ومن الذي كتبها ؟

تقول مجموعة من النساء اللواتي نجحن في قراءة هذه المخطوطات أن صاحبتها فتاة ، كانت تعيش منذ عشرة قرون ، وأن اسمها هيواكسيونج ، وأنها كانت إحدى محظيات الامبراطور كينزون ، وكانت تعيش حياة تعسة مليئة بالألم والشقاء وراء جدران قصره الكبير .

وقد أرادت أن تنقل لبنات جنسها صورة للمشاعر التي كانت في صدرها ، خلال هذه الفترة من حياتها ، لكن بلغة جديدة لايفهمها أهل الصين ، واستطاعت في النهاية أن تبتكر هذه اللغة التي راحت تصف فيها حياة الوحدة والعذاب التي كانت تعيشها في البلاط الامبراطوري .

وعندما سألوهن : « كيف أمكنكن الاهتداء إلى تفسير هذه الرموز ؟ قلن : « إن سر المرأة لايمكن أن يخفى على امرأة مثلها »

المهم أن الفتاة المسكينة كانت تحذر في هذه الرسائل التي كتبتها بخط يدها كل امرأة من الاقتراب من قصر الامبراطور ، أو الظهور في مكان عام ينتشر فيه رجاله .

ومازال العلماء الرجال يحاولون فك رموز هذه اللغة السرية الجديدة التي اختارت لها صاحبتها هذا العنوان « للنساء فقط » .

وحوش ما قبل التاريخ !

أحدث اكتشاف بيض متحجر اهتماما علميا كبيرا ، بالغموض الذى يحيط بانقراض الوحوش التى كانت تعيش على الارض قبل التاريخ . فقد ثبت أن هذا البيض الذى عثر عليه بعض المشتغلين بالاثار لأنثى ، الديناصور ، ذلك الوحش الهائل الذى عرفوه من خلال الهياكل العظيمة المتحجرة في المناطق الباردة ، والذى يؤكد العلماء انه انقرض منذ اكثر من سبعين مليون سنة .

وقد تم العثور على بيض الديناصور المتحجر وسط جبال فيرجانا بآسيا الوسطى ، ولكن الغموض الذى

يكتنف انقراض هذا الوحش مازال يحير المشتغلين بعلم الاحياء . . فهناك من يعتقد أن الديناصور لم يستطع أن يتكيف مع التغيرات التى طرأت على القشرة الارضية والاجواء المحيطة بها ، بينما يرى فريق آخر بأن الجفاف الذى أصاب المستنقعات والبحار الضحلة ، قضى على نوع معين من الاعشاب التى كانت تنمو ويتغذى بها الديناصور .

وثمة نظرية ظهرت أخيرا تقول ان الاشعاعات التى نجمت عن انفجار كوكب في الفضاء هي التى قضت على هذا الوحش بسبب عجزه عن الاختباء نتيجة لضخامته ، بينما استطاعت الوحوش الأصغر حجما وكذلك الحيوانات التى كانت تعيش في تلك الفترة من عمر الارض أن تبحث لنفسها عن مخبأ يقيها خطر هذه الاشعاعات الخارقة .

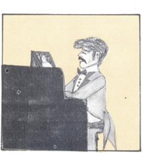
ولكن يبدو أن هناك رأيا جديدا قد يصبح بدوره موضوعا للدراسة من جانب العلماء ، يؤكد أن الديناصورمات وانقرض نتيجة لامتصاص الاعشاب والنباتات البرية التى كان يتغذى عليها ، لكميات كبيرة من اليورانيوم الموجود في باطن الارض الجليدية .

وصاحب هذا الرأى الجديد هو العالم السوفيتى سيرجى نيروشيف وقد ضمنه كتابه الجديد الذى صدر اخيرا بعنوان « اليورانيوم والحياة في تاريخ الارض » .

ذكريات في المزاد

كانت الأغنية التي أهداها لأمه هي التي وضعته فوق أول درجات السلم إلى الشهرة والمجد ، فقد كان شابا صغيرا عندما افترق عنها ليذهب إلى الجامعة ، وهناك في مدينة روما ـ العاصمة الأيطالية ـ افتقد الشاب الصغير أمه ، واشتد به الحنين إليها ، فجلس يغني لها أغنيته المشهورة التي كان مطلعها « أمي حبيبتي تعيش بعيدا عني ! » .

إنه مغني الاوبرا الايطالي بنامينو جيلي الذي رحل



منذ سنوات بعيدة ، لكنه فجأة عاد إلى الأذهان من جديد عندما قرأ الايطاليون في الصحف ان البيانو الذي كان يعزف عليه جيلي سوف يباع بالمزاد العلني ، في إحدى قاعات الموسيقا في روما التي شهدت مولد مغني الاوبرا الكبير .

وقد تم بيع البيانو بالفعل بمبلغ يساوي خمسين ألف جنيه استرليني ، لكن المشرفين على المزاد حاروا في أمر هذا المبلغ الكبير ، فهم لايعرفون أحدا من ذويه يمكنه أن يتقدم لتسلمه . وفجأة تقدمت سيدة عجوز جاوزت الستين وقالت : « أنا ريتا جيلي ، ابنته ، ثم أخرجت من حقيبة يدها صورة لها معه ، وأوراقا تثبت صحة نسبها إليه . وتسلمت المبلغ ، وقالت وهي تضعه في كيس نقودها وهي تبكي : « كنت أفضل لو أنكم أعدتم لي البيانو ، فهو الشيء الوحيد الذي يحمل ذكرى أبي ، لكنني أجد نفسي مضطرة لان أقبل المبلغ بدلا منه ، لأنني أعيش على الكفاف ، وقد تقدم بي العمر كما ترون .

وبكى الحاضرون معها ، ثم تقدم أحدهم وجلس يعزف على البيانو الأغنية التي أهداها جيلي لأمه ، ولكن بعد أن حرص على أن يغير كلماتها : « أبي حبيبي الذي أعيش بعيداً عنه وحيداً ، مع ذكراه » □

مجاهد العامري

أمير البر والبحر..!

بقلم الدكتور عصام سيسالم

طمحت نفسه الى الملك بعد أن تحرر من اسار العبودية ، وأضفى الخيال على اسمه هالة من البطولة والمجد ، وظل اسمه اسطورة من الأساطير ، تناقلها سكان الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط لعدة قرون !

يحيط الغموض بأصل مجاهد ، والأرجح أنه اسباني الأصل عامري الولاء ، نشأ في رحاب الاسلام في قرطبة الزاهرة تحت رعاية الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي اعتنى بتربيته وتعليمه . وبرع في علوم القرآن والحديث واللغة العربية كما برع بالفروسية ، وجمع بين رفقة العلم ومجد الفروسية . وكان مجاهد العامري قبل نشوب الفتنة في بلاد الاندلس كبير فتيان الحاجب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بشنجول ، وقد تخلى مجاهد كبقية كبار قادة الجيش الاندلسي عن « شنجول » عند نشوب الفتنة في قرطبة بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي لسوء تصرفات شنجول وحماقته . وظل في قرطبة يتابع الأحداث الدامية في عاصمة الخلافة ، ويتحين الفرص لتحقيق طموحه الى المجد والسؤدد . ولاحت الفرصة المواتية بعد مقتل الخليفة الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي على يد الموالي العامرية ، وعودة الخليفة هشام المؤيد الى سدة الخلافة في « ذي الحجة » ٤٠٠ هـ / ٢٤ يوليو ١٠١٠ . وفي نفس اليوم الذي قتل فيه الخليفة المهدي غادر مجاهد العامري قرطبة على رأس جماعة من اتباعه الى شرق الاندلس لتحقيق طموحاته في ارساء صرح مملكة له ولأعقابه .

نواة المملكة

وبعد جهود مضنية نجح مجاهد في الاستيلاء على ثغر دانية وما حولها في شرق الاندلس ، وكون نواة

مملكة في هذا الاقليم الاستراتيجي المطل على الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحاذي لجزائر شرق الاندلس « البليار » التي كان يحكمها آنذاك القائد البحري مقاتل الصقلبي. وقد جذبت شهرة مجاهد العلمية اعداداً كبيرة من العلماء الأندلسيين الى دانية ، خاصة من العاصمة قرطبة التي تعلم مجاهد في معاهدها العلمية مع أعرق فتيان قرطبة أصالة ومكانة ، وليس أدل على ذلك من رسالة ابي عامر عبد الملك بن شهيد - وهو من أعرق الأسر القرطبية ومن الأدباء البلغاء - التي يقول فيها مخاطبا مجاهد العامري : « كنا تربي صحبة ، وحليفي صبوة ، قد تخلينا عن الانساب وانتسبنا الى الآداب » كما جذبت فروسية مجاهد فرسان الاندلس الذين يتوافدون على دانية زرافات ووحدانا ، فكان مجاهد يختار منهم من اشتهر بالشجاعة والفروسية ويضمهم الى جيشه الذي أصبح بفضل براعته العسكرية من أقوى الجيوش في بلاد الاندلس وأكثرها عددا وعدة .

كما دفعته همته الى انشاء اسطول بحري في دار الصناعة في دانية عاصمة مملكته ، ويعود الفضل في ذلك الى عراقة سكان ساحل الاندلس الشرقي في البحرية ، وتوفر غابات الصنوبر الجيد الصالح لصناعة السفن في المناطق المحيطة بدانية ، خاصة في الجبال المحيطة بحصن قلصة ، وما كانت تدره الزراعة والتجارة عليه من ثروات وافرة .

وأصبح مرسى « السمان » المنيع في دانية الحصينة قاعدة كبرى لاساطيل مجاهد العامري الذي كان يتطلع الى تأسيس مملكة مترامية الأطراف تشمل شرق الاندلس وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط . ومن أجل اضفاء الشرعية على حكمه اعلن بيعته للخليفة هشام المؤيد الذي أقره على ولايته ، وقام مجاهد بصك عملة في « الوطة » على الطريق الساحلي بعد دانية وسرقسطة ، تحمل اسمه واسم الخليفة هشام المؤيد ، وبعد اختفاء هذا الخليفة للمرة الثانية قام مجاهد العامري بمبايعة أمير أموي من الوافدين الى مملكته هربا من الفتنة يدعى عبد الله المعيطي ولقبه بالمنتصر بالله . وبعد خمسة أشهر من مبايعة المعيطي خليفة في مملكته أبحر مجاهد العامري على رأس اسطوله وبصحبته الخليفة المعيطي الى جزر البليار ، وتمكن من الاستيلاء عليها في ذي القعدة ٤٠٥هـ / مايو ١٠١٥م . واتخذ مجاهد من هذه الجزر الاستراتيجية في شرق الاندلس قواعد بحرية لاساطيله . ومنذ ذلك الحين ازدادت غاراته البحرية عنفا على سردانية وقرشعة وثغور ساحل ايطاليا الغربي ، وجنوب بلاد الفرنجة ، وامارة قطلونية الاسبانية ، وأصبح اسمه يثير الرعب في الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتطلعت نفسه الطموحة الى تكوين مملكة كبرى تشمل جزر وسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط ، في وقت اختلفت فيه موازين القوى بعد انهيار الامارة الاسلامية في جبل القلال ، وسقوط قاعدتها الكبرى فرخشنيط في يد حلف صليبي (٣٦٥هـ /٩٧٥م) فقد أدى انهيار هذا السد المنيع الذي استمر شامخا قرابة المائة عام في أعماق بلاد الفرنجة وايطاليا وسويسرة حتى نهر الراين ، الى تعاظم القوة البحرية بنيرة وجنوه ، مما مكنها منذ ٣٩١هـ / ١٠٠٠م من تزعم حملات بحرية صليبية ، كان هدفها الاستيلاء على جزر شرق الاندلس « البليار » ومهاجمة السواحل الاسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

وكان لظهور أساطيل مجاهد العامري ومجابهتها لاساطيل نيرة وجنوة والبروفانس وقطلونية أكبر الأثر على تراجع تلك الأساطيل الى قواعدها ، وتوقفها عن الاغارة على الثغور الاسلامية* المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وكانت الخطوة الرئيسية التي أقدم عليها مجاهد العامري دون تبصر لتحقيق تطلعاته الى المملكة الكبرى التي يطمح اليها ، اعداده لحملة بحرية كبرى الى جزيرة سردانية ، لفتحها والاستقرار فيها ، واتخاذها قاعدة لمملكته ، ويشير أبو طالب عبد الجبار ، المعروف بالمتنبي الاندلسي ، في ارجوزته الشهيرة عن ملوك الطوائف في هذه الحملة وكان الاسطول الذي قاده مجاهد العامري لفتح سردانية من أكبر الاساطيل البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط آنذاك ، وكان على متن سفنه خيرة فرسان الأندلس والغزاة المتطوعة والبحارة الأشداء من شرق الأندلس وجزر البليار الذين تمرسوا في البحر وعبروا مسالكه وخاضوا حروبه . وكان يقود سفينته « أبو

خروب » القائد البحري الكبير ، وتحققت الخطوة الأولى من طموحات مجاهد بفتح جزيرة سردانية ، بعد معارك طاحنة ومقاومة ضارية ، تحت قيادة القائد السرداني الشجاع « مالوت » الذي قتل دفاعا عن وطنه على مقربة من (كلياري) عاصمة الجزيرة في معركة من أعنف المعارك ، التي خاضها السردانيون ، واستكان أهل جزيرة سردانية ، وأعلنوا طاعتهم لمجاهد العامري الذي قام بتنظيم شئون الجزيرة ، واتخذ عاصمة له في مكان احدى المدن القديمة المندثرة ، بعد أن قام بتجديدها وتحصينها على يد الأسرى من السردانيين ، وبعد أن اطمأن مجاهد العامري على استقرار دعائم حكمه في جزيرة سردانية ، أبحر على رأس اسطوله العتيد الى ساحل ايطاليا الغربي ، وتمكن من فتح ثغر لوني بسهولة ، واتخذ من هذا الثغر الاستراتيجي في شمال غرب ايطاليا قاعدة للعمليات الحربية في ايطاليا ، وعندما علم من عيونه وارصاده بتوجه أسطول نيرة الى اقليم قلورية « كلابريه » في جنوب ايطاليا للاغارة على ثغر « ريو » التابع للكلبيين امراء صقلية الاسلامية ، قام مجاهد على رأس اسطوله بعبور نهر الارنو ومباغتة نيره بهجوم ليلي ،وبينما كان جنوده يتسللون عبر دروب احياء نيرة الغربية ، تنبهت احدى النساء الى الخطر الداهم ، واسرعت الى قصر حاكم المدينة ، وأبلغته بالنبأ ، ودوي النفير في شتى أنحاء المدينة ، وتتابعت الامدادات من المدن المجاورة ، مما اضطر مجاهد الى الانسحاب من نيرة للمقاومة الضارية التي أبداها السكان من جهة ، وللحرائق الهائلة التي شبت في المدينة من جهة ثانية ، وعمت أنحاء ايطاليا موجة عارمة من الحماس ، استغلها البابا (بندكت) الثامن في تكوين حلف صليبي لمواجهة قوات مجاهد العامري ، ولبت الجمهوريات البحرية الايطالية على رأسها نيرة وجنوة نداء البابا ، وحاصرت القوات المتحالفة ثغرلوني ، مما اضطر مجاهدي العامري الى الانسحاب على رأس أسطوله الى سردانية .

الحشد الكبير

ولم يكتف البابا بهذا النجاح وقام باصدار مرسوم بابوي الى الجمهوريات البحرية الايطالية والفرنجية والجرمان بحشد القوى المسيحية لطرد قوات مجاهد العامري من جزيرة سردانية وفي الوقت الذي كانت تحتشد فيه الاساطيل المسيحية المتحالفة لمهاجمة القوات الاسلامية في جزيرة سردانية ، كان عملاء البابا يحثون اهل سردانية على الثورة ومقاومة الغزاة ويعدونهم بالقوت العاجل . واستجاب السردانيون وانقضوا على الحاميات الاسلامية في المناطق الجبلية ـ ولم يتمكن مجاهد من التصدي لهذه الثورة المفاجئة ، وزاد من صعوبة موقفه وقوع تمرد غامض في صفوف قواته كما يقول الحميدي الميورقي « واختلف عليه اهواء الجند . . . » .

وبينما كان مجاهد العامري يحاول جاهدا قمع مقاومة اهل سردانية ومعالجة التمرد الذي وقع بين صفوف قواته وصلت اليه أنباء الحشود البحرية الهائلة التي كانت في طريقها الى جزيرة سردانية من ايطاليا وبلاد الفرنجة ويقول ابن الاثير بهذا الصدد : « فسار اليه الفرنج والروم . . . » ويذكر ابن الخطيب « بان ملوك الارض الكبيرة تداعوا على مجاهد وبلغه من أمرهم ما لايطيقه »فوقع في حيرة من أمره ، وقرر بعد تردد مغادرة سردانية على أمل أن يعود اليها ثانية .

(بعد تفرق من يشغب عليه) وبعد تغير الأوضاع في الجزيرة وزوال الوباء الذي تفشى في المدينة التي اختطها . وكان ابحار اسطول مجاهد من سردانية في ظروف غير مواتية في شهر ابريل الذي تهب فيه على شواطىء الجزيرة الرياح الشمالية الغربية الصيفية المعاكسة لتحريك الاسطول المتجه غربا الى جزر البليار . وفي الوقت الذي كان فيه « ابو خروب ، قائد الاسطول يحاول جاهدا الانسحاب عبر مضيق بونيفاشيو الضيق في طريقه الى ميورقة فوجىء بالاساطيل المسيحية المتحالفة تقطع عليه الطريق ، « وجاءت امداد الروم وقد عزم على الخروج . . » كما يقول الحميدي الميورقي ويؤكد نفس الرواية ابن حيان حيث يقول : « فاعجله العدو عن القفول واللحاق بدار ملكه في ميورقة وقطع به . . . » .

ولم يجد مجاهد العامري مخرجا سوى اللجوء الى ثغر احدى الجزر الصغيرة في مضيق بونيفاشيو والتحصن فيه حتى تهدأ العاصفة ، وأمر « أبو خروب » قائد البحريين باللجوء الى ذلك المرسى ، ولكن « أبو

خروب » القائد البحري المجرب نصحه بعدم اللجوء الى ذلك المرسى المكشوف وأصر مجاهد على رأيه مما أدى الى تحطيم معظم سفن الاسطول وأسر وقتل من فيها .

وقد أطلق المسلمون على تلك الجزيرة المشئومة اسم « جزيرة الشهداء » .

وهكذا تعاونت الطبيعة القاسية والقوات المسيحية المتحالفة على تدمير اسطول مجاهد . ويصف أبو الفتوح الجرجاني اثر الفاجعة على نفس مجاهد بقوله « وكلما سقط مركب في أيدي الروم جعل مجاهد يبكي من القهر . . وكان أبو خروب رئيس البحريين يردد قائلا : قد كنت حذرته من الدخول الى هنا فلم يقبل . . » ولم يبق من ذلك الاسطول العتيد بعد تلك الفاجعة المروعة سوى خمسة مراكب واربعة قوارب ،

أما بقية قطع الاسطول فقد دمرت وقتل من فيها أو أسر ، وكان من بين الأسرى زوجات مجاهد وبناته وأمه واحدى خالاته واحد أخوته وبعض أخواته وولده علي وكان وحيدا آنذاك . وعاد مجاهد الى ميورقة يجر أذيال الهزيمة ووصل الى شواطئها في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ / ابريل ١٠١٦م بعد ثمانية أيام من انسحابه من المعركة البحرية الدامية . وعندما اقترب من ساحل جزيرة ميورقة علم من بعض أنصاره بان الخليفة عبد الله المعيطي قد استبد بالحكم وأعلن عزل مجاهد وقرر قتله اذا ما عاد سالما من حملته على سردانية . واستعمل مجاهد العامري الحيلة « وبادر المعيطي عند وصوله الى الساحل وهو ذاهل عنه وهجم عليه وأقامه من مجلسه وقبض عليه وعلى من شايعه من أنصاره وتسلم منه سلطانه وعاقبه على سوء ما كافأه به . » وخلعه ونفاه في سفينته الى ثغر بجاية في المغرب الأوسط حيث عاش هناك بقية عمره مغمورا يتقوت من تعليم صبيان كتامه البربرية الى أن توفي في ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م .

وقد تمكن مجاهد العامري بعد عودته الى ميورقة من « افتكاك من أسر له من بناته ونسائه وأخواته في مدة قريبة الا والدته جود النصرانية فقد اختارت أهل ملتها وتبعتها اختها فأعرض عنهما . . » أما ابنه علي الذي كان في السابعة من عمره حين أكره فقد أعياه فداؤه بالرغم من أنه عرض على الوسطاء عشرة آلاف دينار مقابل اطلاق سراحه ، وكان قد أهدي الى الامبراطور هنري الثاني اعترافا بفضل الامبراطورية الرومانية المقدسة وعرفانا بجميل الامبراطور الالماني لما قدمه لهم من عون عسكري ومالي في مجابهة مجاهد العامري في البر الايطالي وجزيرة سردانية .

العامري في أعين الشعراء

وقد استطاع مجاهد العامري بما عرف عنه من صبر وجلد بناء اسطول جديد انطلق عبر البحر المتوسط في غارات متلاحقة على جزر سردانية وقرشعة وثغور ساحل ايطاليا الغربي وجنوب بلاد الفرنجة ، وكان يقود هذه الاساطيل قادة البحر في ثغور دانية وجزر البليار وعلى رأسهم الاغلب عامل جزر البليار .

وتنسب المدونة البيزية هذه الغارات البحرية الواسعة النطاق الى مجاهد العامري الذي أصبح اسمه اسطورة لدى سكان الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط . وقضى مجاهد بقية عمره في حروب متواصلة في البر والبحر واشُغِلَ في الصراعات الدامية بين ملوك الطوائف ، وتمكن في احدى حملاته من الاستيلاء على قرطبة ، ولكنه أخفق في تثبيت دعائم حكمه هناك ، وعاد الى دانية ليثير حربا أخرى على جيرانه من ملوك الطوائف . لقد كان مزيجا فريدا يجمع شتى التناقضات . ويصف ابن بسام الشنتريني شخصية مجاهد العامري نقلا عن ابن حيان قائلا :

أكثر مجاهد التخليط في أمره ، فطورا ناسكا متعبدا متبرئا من الباطل يعكف على دفاتر يقرؤها ، وتارة خليعا فاتكا لايساتر بلهو ولا لذة ولا يستفيق من شراب وبطالة ولا يأنس بشيء من الجد والحقيقة وله ولغيره من ملوك الطوائف في هذا الباب أخبار مأثورة » .

لقد عاش مجاهد العامري حياة حافلة وكانت جزر البليار ودانية من المراكز العلمية الهامة في غرب العالم الاسلامي ، وكان بلاطه يضم نخبة من العلماء والادباء والفقهاء والشعراء من شرق العالم الاسلامي

ومغربه وكان من بينهم الشاعر المشرقي الفتح بن أفلح الذي مدح مجاهد في قصيدة هذا مطلعها :

غرائب مما أغرب الدهر أطلعت
عليك هلال العلم من أفق المغرب

ومنهم أبو الفتوح ثابت الجرجاني العالم اللغوي والفيلسوف الذي صحبه في حملة سردانية وكان من كبار رجال بلاطه وفي دانية شرح الجرجاني كتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي وقد سأله مجاهد عن شخص رآه معه فأجابه الجرجاني على الفور :

رفيقان شتى ألّف الدهر بيننا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

كما كان من رجال بلاطه « ابو العلاء صاعد الربعي البغدادي » العالم اللغوي الأديب صاحب كتاب « العصوص » ألفه للمنصور محمد بن أبي عامر يعارض كتاب الأمالي لأبي على القالي وقد مدح أبو العلاء البغدادي مجاهدا بقصيدة يشكره فيها على عطائه منها :

اتتني الخريطة والمركب
كما اقترن السعد والكوكب
مجاهد رضت اباء الشموس
فأصحبت ما لم يكن يصحب
فقالوا من الواجب المستقل
عقائل يعيا بها الحسب
فقلت فتى اصغري النجاد
يروع به الشرق والمغرب

كما ضم بلاط مجاهد العامري ابن سيده اللغوي المشهور وعبد الله بن يوسف بن عبد البر النمري الوزير الكاتب العالم وأبو حفص بن برد الشاعر الأديب الذي مدح مجاهدا في رسالته المشهورة « برسالة السيف والقلم » يقول فيها مخاطبا مجاهدا :

يا أيها الملك السامي بهمته
الى سماء علا قد أعيت الهمما
لولا طلابي غربت المدح فيك لما
وصفت قبل علاك السيف والقلما
وانما كان تعريضا كشفت به
من البلاغة وجها كان ملتثما

كما وفد الى بلاطه ابو بكر محمد بن قاسم الشاعر الاندلسي المعروف باشكهباط ومدحه بقصيدة مطلعها :

وكم ذا لقيت الجهد قبل مجاهد
وكم أبصرت عيني وكم سمعت اذني

وكان أحد أعلام مجالسه وندمائه الشاعر الاندلسي ابن سقانا الاشبوني ، ومن غرر قصائده القصيدة التالية يصف فيها أحد مجالس مجاهد حيث يقول :

ولما سقتنا بابريقها
لثمنا يديها وخلخالها
وَتِبْنَا وباتت على ساقها
تصفق للشرب جربا لها
كأن نجوم الدجى روضة
تجر بها السحب أذيالها
كأن الثريا بها راية
يقود الموفق أبطالها

وكان المعتضد بن عباد أمير اشبيلية وملحقاتها زوجا لاحدى بنات مجاهد العامري . كتب اليه يخاطبه في البيتين التاليين بلسان شاعره المشهور « ابن زيدون » :

خِلي،أبا الجيش هل يُقضى اللقاءَ غداً
فيشتفى منك طرف أنت ناظره
شط المزار بنا والدار « دانية »
يا حبذا الفأل لو صحت زواجره

لقد كان مجاهد العامري فريدا في عصره في كل ناحية ، في شكله وشجاعته وفروسيته وفي علمه وأدبه في تدينه واستهتاره أحيانا أخرى ، في ميزاته وسلبياته .

حقا لقد جمع شتى التناقضات في شخص واحد ، فكان عظيما رغم سلبياته ، عالما وأديبا رغم هفواته قائدا باسلا رغم نزواته ، لقد كان بحق صورة صادقة عن العصر الذي عاش فيه ، ودخل التاريخ من أوسع أبوابه وأضفى الخيال على اسمه هالة من البطولة والمجد وتناقل سكان الثغور المسيحية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط أخبار حملاته جيلا بعد جيل وأصبح اسمه اسطورة من الاساطير لعدة قرون . □

أخطاء لغويــــة طبيّة وعلميّة

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

إن كثيرا من المصطلحات العلمية ، والطبية العربية ، المعربة والعربية أصلا ، لا تزال تنطق ، أو تلفظ ، بصورة خاطئة ، وكأن ذلك النطق ، وهذا التلفظ ، أصبح هو اللفظ الصحيح ، وأصبح ما عداه ثقيلا على الأسماع ، يثير الدهشة ، ويسبب العجب .

وفيما يلي بعض هذه الكلمات والمصطلحات العربية والمعربة الخاطئة .

بتقدم العلوم الطبية ، والتقنية ، الحديثة ، ظهرت للوجود مصطلحات ، ومسميات ، كثيرة اقتضتها الضرورة لتسمية ما يستجد في تلك العلوم من أمراض ، وعقاقير ، ومسببات مرضية ، وفحوص تقنية ، ونحو ذلك . وهذا مما أدى الى دخول كثير من تلك المصطلحات الحديثة الى الأكاديمية الطبية العربية ، بألفاظها الغربية كما وضعها علماء الغرب المكتشفون والباحثون . وهذا جاء بسبب تقاعس العلماء واللغويين العرب عن الاسراع في تعريب تلك المصطلحات ، قبل أن تدخل اللغة العربية ـ بلفظها الغريب ـ وتفرض وجودها فيه ، ذلك أن لغة الضاد لا تعجز عن ايجاد ما يقابل تلك المصطلحات من كلمات تعطي معناها ، أو تكون تضميناً أمينا لها ، وليس هذا كل ما في الأمر ، بل ان أمر اهمال المصطلحات والمسميات الطبية ، والعلمية العربية ، وعدم الاهتمام بنطقها نطقا سليما ، بات أمرا اعتياديا ، حتى أن النطق ببعض الكلمات العربية العريقة يأتي خاطئا من غير أن ينتبه اليها أحد حتى من الكتاب ، والمؤلفين ، والمتحدثين ، والأطباء ، ومن غير أن يكلف أحد نفسه عناء تصحيح تلفظ تلك الكلمات ، أو البحث عن أصولها ومعناها السوي .

اللِّثة :

تلفظ على الغالب بفتح اللام المشددة ، وفتح الثاء المشددة . وهذا خطأ . أما الصواب فهو : اللِّثَةَ ، بكسر اللام المشددة ، وفتح الثاء . من اللَّثْي ،

ويعنى بها : الريق . وأصل اللّثة : اللّثِيَةُ ، فخفف لفظها . واللّثة هي مغرز الأسنان . وفيها العُمُور ، وهو ما تصعد بين الأسنان من اللثة .

العَقَّار :

تنطق كلمة العِقار ـ بالكسر ـ أو العَقار ـ بالفتح ـ بمعنى الدواء . وهذا وهم ، فالعَقار ، بالفتح مخففا ، هو ما يملكه المرء من منزل ، وبستان ، وأرض ، وضيعة ، ونحو ذلك . أما العُقار ـ بالضم ـ فهي : الخمرة ، سميت كذلك لأنها عقرت العقل ، وعاقرت الدن ، أي لازمته . وفي الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة معاقر خمر » . وهو الذي يدمن شربها . أما الصواب فهو : العَقّار بوزن عطّار وجبّار . وهو ما يتداوى به من دواء . وجمعه : العقاقير ، وهي أصول الأدوية .

النزيف :

كثيرا ما يقال : النّزيف من الأنف ، والنزيف من الجرح . وهذا خطأ يقع فيه كثير من الأطباء ، والكتاب ، والمتكلمين . والصواب : النّزْف . فيقال : النّزْف الدموي من الأنف ، والنزف من الجرح مثلا . أما النزيف فهو الشخص الذي نزف دمه ، أو أصيب بالنّزْف . فيقال : شخص نزيف على وزن جريح وصريع .

الجُلْطة :

كثيرا ما تلفظ هذه الكلمة بفتح الجيم المعجمة . ويراد بها : الجُلطة الدموية في الشرايين والأوردة . وهذا خطأ . لأن الجَلطة ـ بالفتح ـ لها معان أخرى غير هذا المعنى . فيقال : جلط الرجل رأسه اذا حلقه . وجلط الرجل جَلْطة اذا كذب ، أو خرج بكلامه عما يراد به . أما الصواب فهو : الجُلطة ، بضم الجيم المعجمة . فيقال : الجُلطة التاجيةُ في القلب مثلا .

الكُلية ، والكُليتان ، والكُليتين ، والكلى :

تلفظ كلها بكسر الكاف خطأ ، والصواب أن تلفظ بالضم . فيقال : كُلية ، وكُليتان ، وكُليتين وكُلى . والعربية لا تعرف هذه الكلمات بالكسر وانما تعرفها بالضم وحسب .

الصَّرْع :

تلفظ بفتح الراء المهملة خطأ . والصواب : الصَّرْع ، بسكون الراء . وأصل الصَّرْع : الطرح على الأرض . يقال : يصرعه صَرعا وصِرعا ، فهو مصروع ، وصريع . والجمع صرعى . والصَّرْع : علة معروفة .

السُّعرة ، والسُّعرة الحرارية ، والسُّعر :

يطلق هذا الاسم على الوحدة المستعملة لقياس الطاقة الحرارية في الجسم . وهو تعبير خاطىء . لأن معنى السُّعْرة ـ بالضم ـ لون يضرب الى السواد فُوَيق الأدمة . ومعنى السَّعر ـ بالفتح ـ السعال الحاد ، وتصغيرها : السُّعَيرة . أما الصواب فهو : السُّعر ، بضم السين المهملة المشددة . وجمعه : سُعْرات . يقال : سعر النار سعرا ، أي : أوقدها وهيّجها . وقوله تعالى ـ عز من قائل ـ « واذا الجحيم سُعّرَتْ » ، أي أوقدت وأُجّجت . كذلك قوله تعالى : وكفى بجهنم سعيرا . والسّعير : النار . والسُّعْر : حرها .

المُبْتَسَر :

تطلق عبارة الطفل المبتسر على الوليد الذي يولد ناقص الخَلْق ، أو قبل اتمام أيامه . وقد أخذ ذلك من البَسْر ، وهو الاعجال . يقال : بَسَرَ الرجل حاجته ، يَبْسُرُها بَسْرا ، وبسارا ، وابتسرها ، وتبسرها : أي طلبها في غير أوانها ، أو في غير موضعها . فأخذت كلمة « المبتسر » فأطلقت على الوليد الذي يولد قبل تمام أيامه داخل الرحم ، وكأنه مستعجل في الخروج الى الدنيا ولا ندري كيف عثر الباحث على هذه الكلمة فاستعارها لهذا المعنى ، ولم يعثر على كلمة : الخديج وهي نص مؤكد لهذه الحالة ، وليست استعارة لها . تقول العرب : خدجت الناقة تخدج وتخدُج خِداجا : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام

الأيام ، وان كان تامّ الخلْق . فهي : مُخْدِجٌ وخادِج . ويقـال للولـد : خـدُوج ، وخِـدج ، ومُخْـدَج ، ومخدوج ، وخديج ـ والخُداج : الاسم من ذلك وبعد هذا كله فلِم تستعمل عبارة الطفل المبتسر .

السُّخْد :

تستعملها بعض الجهات العلمية والأكاديمية على أنها تقابل كلمة Placenta ، وهي العضو اللاصق في جدار الرحم ومنه يتغذى الجنين ، أو الحميل ، بواسطة الحبل السُّري . وهذا وهم كذلـك . يقول « ابن منظور » في « لسان العرب » : السُّخْدُ : هو الماء الذي يكون على رأس الولد . والسخد ماء أصفر ثخين ينزل مـع الولـد . وقيل هـو ماء يخـرج مـع المَشيمة ، قيل : هـو للانسـان خاصة ، وقيل هـو لـلانسان والماشية . ومنـه قيل : رجـل مُسخَـد . والرجل المسخد : هو الرجل المورّم المُصْفَرُّ ، الثقيل من المـرض . فيقال : أصبـح فلان مُسَخَّـداً ، اذا أصبح وهو مصفر الوجه مورم . والسُّخْدُ : الرهل والصفرة في الوجه . كما ذكـر « الفيروزابـادي » في « القـاموس المحيط » معنى السخـد بمـا يشبـه هـذا المعنى .

أما الصواب ، فهو أن توضع في هذا المقام كلمة المشيمة . يقال : المشيمة للمرأة هي التي فيها الولد . والجمع : مشايم ، ومشيم .

الرَّخَد ، والكُسَاح :

تستعملها بعض الجهات العلمية الأكاديمية بمعنى Rickets ، وهو مرض يصيب عظام الطفل الصغير فيسبب ضعفها ولينها ، ومن ثم تقوسها وتشوهها ، استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى وهمٌ كذلك . ذلك أن الرَّخْوَد من الرجال ـ وهو المصاب بالرَّخَد ـ هو الرجل اللين العظام ، الكثير اللحم . فيقال : رجل رِخْوَدُّ الشباب ناعمه ، وامرأة رَخْوَدة ناعمة ، يقول الشاعر :

عـرفت من هـنـد أطـلالا بـذي البيـد
قـفـرا وجـاراتهـا البيض الـرخـاويـد

ولعل الدافع لوضـع كلمة الـرخد مقـابل كلمـة Rickets هي عبارة لين العـظام المذكـورة آنفا . ولكن لين العظام هنا لا يعني لين مادة العظام بمعناه الحقيقي ، وانما لين الأعطاف ونعومـة الخلقة ثم ان كلمـة Rickets مشتقة من الكلمـة اللاتينيـة Rhachitis بمعنى : الشكوى الشوكيـة نسبة الى القنـاة الشوكيـة في العمـود الفقـري ، وليست من الكلمة العربية « الرَّخد » كما قد يتبادر الى الاذهان .

أما الصواب ، فهو : الكساح ، وهي الكلمـة التي ينبغي أن توضع في هذا المقام . والكُسـاح الزَّمـانة (أي المـرض) في اليـدين والـرجْلين ، وأكـثر مـا تستعمل في الرِّجلين . فيقال : كَسِـحَ الرجـل كَسَحاً : اذا ثقلت احدى رجليه فراح يجرها جرا في المشي . والأكسح : المُقعد .

الفَيْرس ، والفايروس ، والفيروس :

في سنة ١٨٩٢ ميلادية ، قام العالم « إيوانُوسكي Iwanoski » بوصف حالة خَمَج (التهاب) انتقل بواسطة عامل غير مرئي استطاع المرور خلال مصفاة جرثومية ، ولم يستطع العـالم المذكـور آنذاك تحـديد ماهية هذا العامل ، أو معرفة هيئته وتركيبه وكيانه ، فـأطلق عليـه اسم Virus . ومعنى هـذه الكلمـة باللاتينية : السُّم . وفي أوائل الأربعينيات اكتشف المجهر الألكتروني ، واستطاع العلماء بواسطته أن يروا هذه العوامـل رأي العين ، وأن يحددوا أشكالهـا ، وهيئاتها . ثم أخذوا يطلقون عليها أسماء مختلفة ، ولكن اسم « الفايرس » ـ أي السُّم ـ بقي لاصقا بها منذ أن سماها به العالم « ايوانوسكي » قبل حوّالي مائة عـام . وقد أخـذ الكتّـاب العـرب ، والمؤلفـون ، والمتحدثون في الاذاعة والتلفزة وغيرهما هذه الكلمة فـاستعملوهـا كـما هي : الفـايـرس ، وفي بعض الأحيان : الفايروس ، والفيروس ، ونحـو ذلك .

وكـأن لغة الضـاد تعجز عن الاتيـان بمسمى لكلمة أجنبية تعني : السُّم . والصواب أن يذكر اسمها في العـربيـة ، وهـو : الحُمَـةُ . ذلـك أن معنى كلتـا الكلمتين : الفايـرس والسُّم هو : الحُمَـة . وهي ترجمة أمينة دقيقة لكلمة Virus كما أشار الى ذلك علماء الطب العرب .

البيولوجيا ، والبسيكولوجيا ، والفسيولوجيا :

كلمات لاتينية يستعملها بعض الأطباء ، وضعاف الكتاب ، كما هي ، مع اضافة ألف لينة في آخر الكلمة ، من غير أن يكلف بعضهم نفسه عناء البحث عن معناها في العربية . وكأن لغة الضاد تعجز عن ترجمة هذه الكلمات ، أو ايجاد معنى لها .

ان كل كلمة من هذه الكلمات ، تتركب من كلمتين ، الثانية منهما : Logy ، أو « لوجيا » كما تُلفظ بالعربية من قبل البعض ، ومعناها : علْمٌ .

والـ Bio ومعناها : الحياة . فيكون معنى المصطلح : علم الحياة . والثانية تتكون من كلمة Logy بمعنى علم ، و Psycho ، ومعناها :

النفساني أو ما يتعلق بالنفس ، وهي مشتقة من كلمة Psyche اللاتينية التي تعني : النّفس . فيكون تمام المعنى : علم النفس . وكذلك الكلمة الثالثة فانها تعني : علم وظائف الأعضاء . ومن الغريب أن « مترجم » كلمة Psychology يصر على وضع الحرف P ، الذي يكتب في أول الكلمة اللاتينية ولا يلفظ ، فيكتبها : بسيكولوجيا .. فتأمل !

البُلعوم :

تلفظ بفتح الباء خطأ ، والصواب : البُلعوم - بالضم - وهو مجرى الطعام من الفم الى المعدة . ويقال له أيضا : البُلْعُمُ ، والمَبْلع ، والبلعوم . أما البلعوم - بالفتح - فهو خطأ شائع .

الصّمام :

تلفظ بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . وهذا خطأ . والصواب : الصِّمام ، بكسر الصاد المهملة وتشديدها . يقال : أصْمَمْتُ القارورة : أي سددتها ، وأصْمَمْتُها : أي جعلت لها صماما ، وجمع الصِّمام أصمة . وكذلك يقال صِمامة ، وجمعها : صمامات .

الحَنْجرة :

تلفظ بضم الحاء المهملة خطأ . وأحيانا بضم الجيم المعجمة . فيقال : الحُنْجَرة ، والحَنْجُرة . والصواب : الحَنْجَرة ، بفتح الحاء المهملة .

والجمع : حناجر . ومنه قوله تعالى : وبلغت القلوب الحناجر . أي صعدت من مواضعها ، من الخوف ، الى بارئها .

المتوفى :

بمعنى الميت . تلفظ بكسر الفاء المشددة خطأ . والصواب : المتوفَّى - مبني للمجهول - ذلك أن المتوفي (بكسر الفاء المشددة) هو الله سبحانه وتعالى ، لقوله - عز من قائل - « الله يتوفى الأنفس حين موتها » . أما الميت فهو المتوفَّى ، أي الذي حلت به الوفاة ، والذي توفاه الله - سبحانه - بأجله الموعود .

يقول أحد اللغويين : مررتُ في طريق فرأيت جنازة تشيع . وسمعت رجلا يسأل : « من المتوفي ؟ . . . » - بكسر الفاء المشددة - فقلت له :

« الله تعالى » . فضّربت حتى كدت أموت وتدل هذه الطُرفة على أن الخطأ ، في لفظ هذه الكلمة قديم عند العامة من الناس . ولكن مابالك بالمثقفين ، والمتعلمين ، والمتأدبين ، في عصرنا هذا .

رموش العين :

لا توجد في الفصيحة كلمة رَمْش ، أو رَمْشٌ أو رموش . وانما هي جميعها كلمات عامية كان الفضل في نشرها وتعميمها يعود لبعض ضعاف الكتاب والمترجمين ، حتى رسخت هذه الكلمات في الأذهان وكأنها من الفصيحة . والصواب : أهداب العين .

وكذلك عبارة في رَمْشة عين . فانها عبارة عامية كذلك . والصواب : في طَرْفَة عين . والطَّرْفَةُ - على وزن الطَّلْعَة - هي حركة الطَّرْف . والطَّرْف : العين .

فَرَمَ ، وفَرَمتْ ، والفَرْمُ ، والفِرامُ :

كثيرا ما يستعمل الأطباء كلمة « فَرَم » ـ من الفَرم ـ بمعنى تقطيع الشيء الى قطع صغيرة غاية في الصغر . فيقال ، فَرَم اللحم فرما ، واللحم المفروم ـ أي المقطع قطعا صغيرة متماثلة . . وهكذا . وهذا خطأ كبير . ذلك أن الفَرم ، والفِرامَ ، له معنى بعيد كل البعد عن ذلك ، ليس هنا مجال شرحه أو بحثه .

ومن شاء الاطلاع على ذلك فليراجع لسان العرب لابن منظور (الجزء الثاني عشر ، صفحة ٤٥١ في طبعته التي تضم خمسة عشر مجلدا ، أو الجزء الثاني ، صفحة ١٠٨٩ في طبعته التي تضم أربعة مجلدات كبار) . كما تستعمل كلمة « ثَرَم » ـ وهي عامية ـ للمعنى نفسه ، أي تقطيع الشيء الى قطع صغيرة ـ وهو خطأ كذلك . اذ أن معنى الثرم : انكسار السن من أصلها . واستعمال هذه الكلمة بمعنى تقطيع الشيء الى قطع صغيرة ، عاميا ، أخف وطأة من استعمال كلمة « فَرَم » التي نأمل أن يطَّلع عليها القارىء الفاضل في المظانّ المذكورة .

شُفِيَ من مرضه :

تلفظ كلمة شَفَى بالفتح ، وهذا خطأ . والصواب أن يقال : شُفِيَ من مرضه . لأن الانسان لا يشفى من عنده ، وانما يشفيه الله تعالى ويبِلُّهُ من مرضه ـ فهو الذي شفاه فَشُفِيَ . فالله تعالى هو الرزاق في حالة الصحة ، والمشافي في حالة المرض ، لقوله تعالى ـ عز من قائل : « هو الذي يطعمني ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين » . □

الاصطياف

هل عرفه

العرب ؟

بالرغم من ان الاصطياف ظاهرة حضارية ، الا أن العرب عرفوا الاصطياف منذ عصور سحيقة ، وفقا لدواعيه ، وبحسب مواطنهم الجغرافية ، ومستوياتهم الحضارية من جهة أخرى .

فكان حسان بن أسعد أبو كرب الحميري أعظم تبابعة اليمن يصطاف في ظفار ويشتو في مأرب ، وكانت رصافة الشام مصطاف النعمان بن ثابت بن الأيهم من ملوك الغساسنة ، وقد جدد الخليفة هشام بن عبدالملك ذلك المصطاف ، وظل يتردد عليه .

وكانت الطائف من أجمل المصايف العربية ، واشتهرت بطيب هوائها ، وروعة مناظرها ، وكثرة ثمارها في فصل الصيف ، وقد ذكر البكرى أن بني عامر بن صعصعة كانوا يصطاقون فيها ، وقد عبر الاصمعى عن انطباعه بزيارة الطائف بقوله : دخلت الطائف فكأني أبشر ، وقلبى ينضح بالسرور ، ولم أجد سببا لذلك الا لانفساح جوها وطيب نسيمها .

وكان الاصطياف في الطائف من مظاهر الترف ، يفخر به السراة ، وفي ذلك يقول محمد ابن عبدالله المنيرى في زينب اخت الحجاج بن يوسف تشتو بمكه نعمة ومصيفها بالطائف .

كما كانت الشاش من البلدان التي اشتهرت برقة جوها صيفا ، وشدة برودتها في الشتاء ، فقد قال فيها أبو ربيع البلخى :

الشاش في الصيف جنة ومن أذى الحرجْنة
لكنه يعتريني بها لدى البرد جِنَّة

كما كانت همدان يستحب الاقامة بها صيفا ولا تحتمل في الشتاء ، يقول ياقوت الحموى انه كان يصطاف في الجبال ليسلم من سمائم العراق ، ويشتو في العراق ليسلم من زمهرير الجبال وثلوجها ، كما كانت بساتين الشام وجبالها مصايف خاصة للأعيان من السراة ، يقضون فيها أمتع أيام العمر .

العصر الذهبي للسينما الصامتة

بقلم : عبدالقادر التلمساني

في الثلاثينيات من هذا القرن نطقت السينما ، وكان هذا إيذانا بنهاية حقبة سينمائية كاملة وبداية حقبة أخرى .

لكن هذه النقلة النوعية في الفن السينمائي لم تأت من فراغ ، فعلى مدى عقد من الزمن تكونت الملامح الأساسية للسينما كفن ، وتبلورت المدارس الرئيسية في العالم ، وعاشت السينما الصامتة عصرها الذهبي ، وفي هذا المقال رصد للانجازات الرئيسية في حقل السينما في ذلك العصر .

كان الاتجاه المسيطر على الانتاج السينمائي الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى هو تملق أذواق الجماهير ، بتقديم أفلام روائية ذات طابع تقليدي ، وجملة من الحوادث مثل فيلم « الفرسان الثلاثة » (١٩٢١) ، وفيلم « المعركة » ومع ذلك فمنذ عام ١٩١٩ بدأ تيار جديد يظهر في السينما الفرنسية ، كرد فعل لهذا الاتجاه السائد ، بقيادة (لويس ديلوك) ، وهو روائي ورجل مسرح جاء الى السينما ، و (كانودو) وهو روائي أيضا ، وأول من كتب بحثا في السينما عام ١٩١١ ، وقد جمعا حولهما بعض المخرجين من أمثال السيدة (جيرمين ديلاك) و (مارسيل ليربيه) و (آبيل جانس) ، وذلك بقصد تأكيد القيمة الفنية للسينما وتطويرها وتحسينها ، وبدأ (ديلوك) و (ليون موسيناك) كتابة النقد السينمائي في عديد من الجرائد والمجلات ، كما أنشأ (ديلوك) عام ١٩٢٠ أول نادى سينما ، وكون (كانود) عام ١٩٢١ « نادى أصدقاء الفن السابع » وذلك بقصد تربية ذوق فني للجماهير ، انها الفترة التي اكتشف فيها المثقفون السينما ، وقد كتب الأديب (جول رومان) في تلك الفترة كتابا هو « دونوجو » استعمل

فيه وقوع حدثين مختلفين في نفس اللحظة ، وهي طريقة سينمائية خاصة تأثر بها الأدب .

لغة السينما

وقد أنتجت تلك المدرسة ـ التي كان ديلوك منظرها ورائدها الأول ـ أفلاما فنية عديدة نخص بالذكر منها « نفوس المجانين » ١٩١٨ ، و « العيد الأسباني » ١٩١٩ ، و « مدام بوديه المبتسمة » ١٩٢٣ ، وهي من اخراج (جيرمين ديلاك) ، وأفلام « حمى » ١٩٢١ ، و « امرأة من لا مكان » ١٩٢٢ من اخراج (ديلوك) ، وتمتاز بأسلوبها البديع الموجز . وأفلام « الرجل الكريم » ١٩٢٠ ، و« الدورادو » ١٩٢٢ ، و « المتوحشة » ١٩٢٣ من اخراج (مارسيل ليربييه) وتمتاز بديكوراتها الباردة الشبيهة بديكورات المدرسة التعبيرية الألمانية ، وأفلام « اني أتهم » ١٩١٩ عن قصة (اميل زولا) ، و « العجلة » ١٩٢٣ ، و « نابليون » ١٩٢٧ وهي من اخراج (آبيل جانس) وتمتاز بالمبالغة المفرطة في التعبير الفني الخالص .

واذا كانت بعض الأبحاث الفنية « التقنية » « والجمالية » التي تضمنتها هذه الأفلام تبدو لنا اليوم شكلية بحتة ، بل وعقيمة الى حد كبير ، فانها مع ذلك تدل على مجهود واضح لخلق لغة خاصة بالفن السينمائي ، وقد أعطت للسينما الفرنسية في ذلك الحين طابعا فيه الكثير من الجدة والأصالة ، رغم ضيق حدودها من الناحية المادية .

وقد تأثرت المدرسة الفرنسية في بعض جوانبها بتيار فني آخر جاء من ألمانيا ، كان يستخدم أسلوبا جديدا في التعبير السينمائي ، وهذا التيار الذي سمى بالمدرسة التعبيرية الألمانية ، يتميز بتشويه معين للعالم الخارجي ، ويقدم من هذا العالم الرؤية الذاتية للمخرج الفنان ، وأكثر الأفلام تمثيلا لتلك المدرسة هو فيلم « عيادة الدكتور كاليجارى » ١٩٢٠ وقد أخضع مخرج الفيلم (روبيرت واين) الممثلين والملابس لديكورات ذات أسلوب فني أعدت خصيصا لكي تتلاءم مع سيناريو يعالج موضوعا مرضيا شاذا يرويه مجنون .

وسوف يعاود الألمان تناول هذا اللون من الموضوعات بعد ذلك مرات عديدة ، وقد اتخذ



شارلى شابلن

(فريتز لانج) ـ هو الآخر ـ الأسلوب التعبيري ، وأخرج فيلم « الأنوار الثلاثة » (١٩٢١) ، ولم يعد الديكور يتكون فقط من لوحات مرسومة ـ كما هو الحال في فيلم كاليجارى ـ ولكنه مع ذلك ظل محتفظا بطابعه التعبيري العميق ، وفي عام ١٩٢٢ بدأ (فريتز لانج) في اخراج ثلاثيته الشهيرة المعروفة « بالنيبانجين » وهي أفلام مستوحاة من الأساطير التي تعبر عن الروح الجرمانية ، وتسيطر عليها ديكورات

هرقلية ضخمة ، ويبدو فيها بوضوح وامتياز الحس التشكيلي .

ومن كبار الممثلين للمدرسة التعبيرية الألمانية المخرج (ميرناو) الذي قدم عام ١٩٢١ فيلم « نوسفيراتو مصاص الدماء » . ومن أروع أفلامه كذلك فيلم « آخر الرجال » ١٩٢٤ الذي لمع فيه الممثل الكبير (اميل جانينجز) . . وقد استخدم في هذا الفيلم كل امكانيات الكاميرا في الحركة . . كما طور سيناريست الفيلم (كارل ماير) مضمون مدرسة مسرح الحجرة الى أقصى مداها ، و (ماير) هو مبدع نظريتها التي تتميز بوحدة المكان وبساطة الموضوع ، والتمثيل والوسط الذي تدور فيه الحوادث ، وقد وجهت نظرية « مسرح الحجرة » جزءا من السينما الألمانية نحو الواقعية ، ولنذكر فيلم « ليلة عيد الميلاد » للمخرج (لوبي بيك) وفيلم « شارع بلا مرح » للمخرج (بابست) .

ولقد كان للأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ١٩٢٤ آثار بالغة الخطورة على السينما الألمانية ، فقد أقفلت ستوديوهاتها ، وذهب خير نجومها وفنييها من أمثال (بولانيجرى) و (اميل جانينجز) ، و (ايرنست لوبيتش) ، و (كارل ماير) و (ميرناو) وغيرهم للعمل في هوليوود .

أوروبيون في السينما الأمريكية

لكي تحتفظ أمريكا بتفوقها الذي هدده أفول نجم (جريفيث) و (ماك سينيت) وموت (توماس اينس) وهم مخرجوها الثلاثة الكبار ـ راحت تدعو الفنانين الأجانب للعمل لديها ، ومن بين هؤلاء الأجانب كان النمساوي (اريك فون ستروبم) وهو واحد من أقوى الشخصيات السينمائية التي ظهرت في العالم ، عمل مساعدا (لجريفيث) ثم أخرج عام ١٩٢٢ فيلما كبيرا يتسم بالجرأة الشديدة ، والواقعية الصارخة ، والصراحة العارية من الحياء ، هو فيلم « جنون النساء » . . ثم أخرج عام ١٩٢٣ فيلم « الجشعون » وهو أشد عنفا في واقعيته من سابقه ، بل هو يصل أحيانا الى حد الافراط في تصوير الواقع . وقد اختصر المنتجون فيلم جريفيث « التعصب » فأصبح مثله عسير الفهم وفشل تجاريا ، وقد رفض



سلفادور دالي

(ستروبم) الاعتراف بالفيلم بعد اختصاره ، وأصبح المخرج ـ بسبب سخريته الاجتماعية العنيفة التي تعبر عنها أفلامه ـ من المشكوك في ولائهم لأمريكا ، لذلك فبعد أن أخرج فيلما آخر قويا هو « لحن الزفاف » ١٩٢٧ اضطر أن يترك الاخراج ويكتفي بالتمثيل .

وقدم مخرج نمساوي آخر هو (جوزيف فون ستيرنبيرج) بفيلم « ليالي شيكاغو » ١٩٢٧ نموذجا جديدا من الأفلام الأمريكية هو فيلم العصابات « الجانجستر » وسوف يجد هذا النوع من الأفلام نجاحا كبيرا فيما بعد .

وقد استطاع الفنانون السويديون الذين جذبتهم أمريكا أن يفلتوا بصعوبة شديدة من سيطرة الأفلام التجارية التي تنتجها هوليوود بالعشرات ، فأخرج (سجوستروم) عام ١٩٢٤ فيلم « الرجل الذي يستقبل الصفعات » وهو من أفضل الأفلام في هذه الفترة .

وهكذا نجد أن أمريكا تدين للأوروبيين بغالبية أفلامها القيمة في ذلك الحين ، ومع ذلك فهناك ميدانان لأمريكا فيهما كل الفضل :

أولا الفيلم التسجيلي ـ فقد أعطى (روبرت فلاهرتي) بفيلمه « نانوك الأسكيمو » ١٩٢١ هذا

النوع من الأفلام معنى جديدا ، وذلك بأن تناول موضوع الفيلم بأسلوب اجتماعي وانساني له مسحة من الروح الروائية الشاعرية ، والميدان الثاني الذي تفوقت فيه أمريكا هو ميدان الفيلم الكوميدي ، ويعود الفضل الأكبر في ذلك الى العبقري (شارلي شابلن) الذي استمرت موهبته في النمو والازدهار في أفلامه فترة طويلة ، مزج فيها السخرية الاجتماعية بالضحك الخالص ، ومن روائع أفلامه في تلك الفترة فيلم « الصبي » ١٩٢٠ ، وفيلم « الحاج » ١٩٢٣ . ولكن (شابلن) لم يلبث أن أصبح مثل (ايريك فون سترويم) مريباً في نظر المنظمات الدينية المتعصبة (البيوريتانية) في أمريكا .. غير أن نجاحه الشعبي الرائع واقبال الجماهير على أفلامه قد ضمن له الاستمرار في العمل والانتاج .

علم النحو السينمائي

في منتصف العشرينيات ظهرت في فرنسا حركة فنية جديدة استوحت النظريات الجمالية للدادية والسريالية . وقد ساند هذه الحركة جمهور نوادي السينما وصالات العرض المتخصصة من المثقفين ، وراحت تبحث عن وسائل تعبير سينمائية مختلفة ومتنوعة ، والأعمال المهمة التي أنتجتها هذه المدرسة كلها تقريبا من الأفلام القصيرة المليئة بالصور العجيبة المذهلة ، وهي تشبه في الغالب تلك الصور التي يمكن أن نراها في أحلام اليقظة ، وأهم هذه الأعمال :

« الباليه الميكانيكي » للفنان التكعيبي فرنان ليجيه (١٩٢٤) و « المحارة والقسيس » (١٩٢٨) من اخراج (جيرمين ديلاك) عن سيناريو للشاعر (أنطونان أرتو) ، و « نجمة البحر » (١٩٢٨) للمصور (مان راي) و « الكلب الأندلسي » وهو الفيلم النموذجي للسينما السيريالية أخرجه (لوي بونويل) عن سيناريو (لسلفادور دالي) ولا شك أن كثيرا من هذه الأفلام التجريبية قد تجاوز كل حد ـ من الناحية الفنية ـ وان لم يتجاوز دائرة محدودة من المتفرجين ، ومع ذلك فقد أثرت هذه الحركة في أولئك الذين سوف يعطون للسينما الفرنسية وجها جديدا .

ومن بين الذين جاءوا حديثا الى السينما في تلك الفترة المؤلف المخرج (رينيه كلير) . وهو أول من نجح في أن يخاطب بأفلامه الصفوة المختارة والجمهور الكبير من المتفرجين .. ذلك الجمهور الذي لا تستطيع السينما أن تعيش بدونه ، فقد تجاوز (رينيه كلير) أبحاث الطبيعة ، وربطها بتقاليد المدرسة الكوميدية الفرنسية فيما قبل الحرب العالمية الأولى ، في أفلامه « باريس النائمة » (١٩٢٣) و « استراحة » (١٩٢٤) ، وقد اعتبر النقاد هذا الفيلم نموذجا لعلم النحو السينمائي ، ثم في فيلم « الرحلة الخيالية » (١٩٢٦) وفيلم « قبعة القش الايطالية » (١٩٢٧) عن مسرحية الكاتب المسرحي الفرنسي (يوجين لابيش) ـ ويعتبر هذا الفيلم نموذجا للروح الخفيفة وللرقة في التعبير الفني .

وأخرج (جاك فيدير) ، بعد فيلم « أتلانتيد » (١٩٢١) وفيلم « وجوه الأطفال » (١٩٢٤) ، فيلمه المثير الرائع « كرانكيبيل » (١٩٢٣) عن قصة الروائي الفرنسي الكبير (أناتول فرانس) ثم ترجم بالصورة قصة اميل زولا « تيريز راكان» (١٩٢٨) .

وأخرج (جان رينوار) ابن الفنان التأثيري الكبير (أوجيست رينوار) فيلما جميلا هو « ابنة الماء » (١٩٢٤) ثم قصة (اميل زولا) الشهيرة « نانا » (١٩٢٦) ثم « بائعة الكبريت الصغيرة » (١٩٢٨) للكاتب الدانمركي الشهير (هانزكريستيان أندرسون) وقدم أحد السينمائيين الهواة في ذلك الحين وهو (مارسيل كارنيه) فيلما أثار الانتباه اليه هو « الدوراد والأحد » (١٩٢٠) وأخرج (جان جريميون) أولى أفلامه عام ١٩٢٧ وهو « في الهواء الطلق » كما أخرج (ابيشتين) فيلما تسجيليا ذا طابع روائي عن مقاطعة بريتانيا عام ١٩٢٩ . وقد أفسحت الأفلام التسجيلية الخالصة المجال لظهور أفلام قصيرة ذات قيمة فنية ، مثل فيلم « الكونغو » اخراج (مارك اليجريه) ، وأفلام (جان بانليفيه) (المولود عام ١٩٠٢) مثل « الاخطبوط » و « حصان البحر » وغيرها ، حيث امتزج الشعر بالأهمية العلمية للفيلم .

ومن الضروري أن نفرد مكانا على حدة لفيلم عظيم أخرجه في فرنسا المخرج الدانمركي (دريار) وهو فيلم « عذاب جان دارك » (١٩٢٨) حيث جعلت الممثلة (فالكونيتي) من دور (جان دارك) مثالاً لروعة التعبير والأداء .

ان هـذا الفيلم دراسـة عميقـة وأصيلة للقيمـة التعبيرية للوجوه الانسانية ، وقد صورت كلها تقريبا في لقطات كبيرة ودون أي مكياج ، على أن كل هذه الأفلام تعتبر استثناء في الانتاج الفرنسي الذي ظل في مجموعه ضئيل القيمة وتافها ، والذي ظل مستواه في هبوط عاما بعد عام حتى مجيء الفيلم الناطق .

أما المخرجون الألمان الـذين بقوا في المانيا ولم يهاجروا الى أوروبا وأمريكا فقدموا بضعة أفلام نالت نجاحا كبيرا ، وكان لبعضهـا قيمة فنية مثل فيلم « منـوعـات » (١٩٢٥) للمخـرج (ديبـون) و « الشـارع الخالي من المـرح » (١٩٢٥) اخـراج (بـابست) وبـطولـة (جريتا جاربـو) ، وفيلم « متروبوليس » (١٩٢٦) وقد استخدم فيه مخرجه (فريتزلانـج) من جديـد الديكـورات الضخمة ، ويعتبر هذا الفيلم نهاية السينما الالمانية الصامتة .

السيطرة التجارية الأمريكية :

أما في أمريكا فاستمرت هوليوود في تأكيد سيطرتها التجارية بانتاج أفلام ناجحة ، ولكنها أنتجت أيضا بضعة أفلام ذات قيمة فنية حقيقية .

وقد أكد المخرج (كينج فيدور)-الذي يعمل في الميدان السينمائي منذ عام ١٩١٨ - أكد براعته الفنية في فيلم من أفلام الحرب هو « الاستعراض الكبير » (١٩٢٥) ، وفي فيلم طبيعي هـو « الجماهـير » (١٩٢٨) ، وأخرج المجري (بول نيجوس) فيلما حـساسا وجـذابا هـو « الوحـدة » (١٩٢٨) ، كما .ستعاد السويدي (ستيلار) موهبته القديمة في فيلم « الريح » (١٩٢٧) ، وقـدم (جون فـورد) أول أفلامه عام ١٩٢٤ « الحصان الحديدي » ، وهو قصة قاطرة بأسلوب أفلام الغرب (الويستيرن) . وأكد (روبيرت فلاهيرتي) ميله للفيلم التسجيلي بفيلم « موانا » (١٩٢٦) ثم بفيلم « تابو » (١٩٢٨) .

واستمر شارلي شابلن بمفرده تقريبا في الحفاظ على الفن الكوميدي الأمريكي في أعمال مدروسة بـدقة مـثـل : « البحث عـن الـذهـب » (١٩٢٥) و « السيرك » (١٩٢٨) ، ومن ناحية أخرى ظهر في أمريكا فـنانون كبـار للرسوم المتحـركة مثـل (بات سوليفان) خالق شخصية القط فيلبكس (١٩٢٨) ووالت ديـزني الذي راح يقـدم سلسلة أفلامـه عن ميكي ماوس عام ١٩٢٧ .

المدرسة السوفيتية :

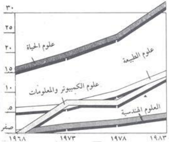
أهم أحداث هذه الفترة ظهور السينما السوفيتية ، خاصة ابتداء من عام ١٩٢٥ ، فمنـذ ثورة ١٩١٧ حتى عـام ١٩٢٢ كان الانتـاج السينمائي الـروسي ضئيـل القيمة ، ولكن بمساعدة الحكـومة تكـونت مدرسة سينمائية جديدة سوف تخرج شخصيات فنية قوية ، ويعتبر (دزيجافيرتوف) أول من عبر عن نظرية (أورجينـال) وهي نظريـة « السينـما الحقيقيـة » أو « السينما ـ العين » ، وكان يصور بموجبها الحقيقة البسيطة العارية ويلتقطها من الحياة ، كما كان يفعل (لوميير) فيما مضى ، ولكن مع استخدام فن المونتاج وترتيب اللقطات واستخراج المعاني من ذلك ، وقد استوحى (أيزنشتين) نظرية (فيرتوف) ، وظهرت بـراعتـه الفنيـة في فيلمـه الأول « الاضـراب » (١٩٢٤) ، ثم أكـدها في فيلمـه الثاني « المدرسة بوتمكين » (١٩٢٥) وقـد نال هـذا الفيلم الرائـع اعجابا عظيما في شتى أنحاء العالم ، كنمـوذج فريـد لبراعة المونتاج وقوة التعبير في التكوين السينمائي .

كما أكد (أيزنشتين) موهبته في فيلم « أكتوبر » (١٩٢٨) وفيلم الخط العام (١٩٢٩) . وبينما برع (أيزنشتين) في اخراج الجماهير على الشاشة ، نجد أن (بودوفكين) اهتم بابراز الشخصية الخاصة لكل فرد ، باعتباره نموذجا للملايين ، كما هو الحال في فيلم « الأم » (١٩٢٦) المأخوذ عن قصة (جوركي) الشهيرة ، وفيلم « نهاية سان بيتر سبورج » (١٩٢٧) وفيلم « عـاصفـة عـلى آسيـا » (١٩٢٨) . وظهـر المخرج (الأوكراني دو فجينكو) بمزاج مختلف تماما عن زميليه ، فبنى على تيمات خالدة أناشيد غنائية عظيمة ، مثـل فيلم « الترسـانة » (١٩٢٩) وعـلى الخصوص فيلم « الأرض » (١٩٣٠) .

وسوف يصبح لهذه الأفلام دوي كبير وتأثير حقيقي في العـالم كله لشخصيتهـا الاجتمـاعيـة البـارزة ، ولاستعمالها الذكي لطرائق التعبير المرئية الخالصة ، وقد شاركت هذه الأفلام في بلوغ الفن السينمائي مرتبة الكمال ، في اللحظة التي أوشك فيها هذا الفن أن ينقلب رأسا على عقب من جراء ثورة تكنيكية جديدة هي ثورة الفيلم الناطق . □

الجديد في العلم والطب





حصة النساء الأمريكيات من مجموع شهادات الدكتوراه التي تمنحها الجامعات الأمريكية ، خلال ١٥ عاما (١٩٦٨ - ١٩٨٣) ، وذلك في مجالات علمية أربعة ، اعتبرت حتى الآن مجالات أكثر صعوبة

بين الذكور و الاناث من العلماء

كادت دراسة العلوم ان تكون وقفا على الرجال في الماضي القريب .. ولكن تلك الظاهرة تعرضت لتغير جذري منذ السبعينيات في شتى الدول المتقدمة الراقية .. بما فيها الولايات المتحدة الامريكية .. فقد بلغ من اقبال النساء على طلب العلوم أن تضاعفت نسبة حملة شهادات الدكتوراه منهن سواء في علوم الحياة او علوم الطبيعة .. أو علوم الكمبيوتر والمعلومات .. فقد ارتفعت تلك النسبة في تلك المجالات الثلاثة وفي غضون ١٥ سنة (١٩٦٨ - ١٩٨٣) على النحو التالي (انظر الرسم)

علوم الحياة / كانت النسبة ١٥٪ .. واصبحت ٣٢٪

علوم الكمبيوتر والمعلومات / كانت النسبة صفرا ثم اصبحت ١٣٪

علوم الطبيعة / كانت النسبة ٥٪ ثم اصبحت ١٥٪

حتى العلوم الهندسية وهي علوم رجال بحكم طبيعتها ، ارتفعت نسبة حملة الدكتوراه فيها من النساء من صفر الى ٤٪ تقريبا ..

على أن طغيان الذكور في الماضي يستأثر باهتمام العلماء بل العالمات في الوقت الحاضر من نواح لا تخطر ببال .. فالعالمة (شيرلي مالكولم) وهي احدى المسؤولات في مؤسسة التقدم العلمي الامريكية تتساءل عن اثار ذلك الطغيان في حصيلة العلوم الموضوعية بالذات ..

فالآثار قائمة لاشك فيها وقد أثبت وجودها كثير من العلماء منذ مطلع الستينيات ، ونخص بالذكر منهم توماس كوهن في كتابه بنية الثوارث العلمية (١٩٦٢) وقد بين فيه ان معتقدات العلماء لها اثر كبير في الحقائق الموضوعية التي تتمخض عنها المشاهدات الموضوعية ، وتجارب المختبرات .. وقل مثل ذلك في الفوارق الجنسية .. الفوارق بين العلماء والعالمات .. فهي الاخرى ذات اثر بالغ في الحقائق العلمية .. كما اثبتت ذلك العالمة ايفلين فوكس كلر في كتابها الجديد الذي صدر في اواخر سنة ١٩٨٥ . بعنوان : « نظرات حول العلم والجنس » .

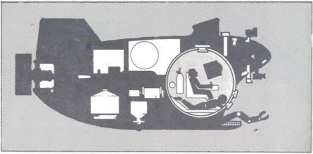
وتذهب العالمة كلر في كتابها هذا الى ان الحقائق العلمية ومنها قوانين الطبيعة نفسها لم تصور لنا شفافية موضوعية ١٠٠٪ فقد شابها طابع شخصي .. هو طابع العلماء الذكور الذين اكتشفوها ولطالما انحرف العالم في تفسير تلك الحقائق ـ ان لم نقل في رؤيتها بالذات ـ تبعا لكونه ذكرا .. وتجلى ذلك الانحراف اكثر ما تجلى في دراسة القردة .. وقد ركز العلماء الذكور على دور الذكور من القرود وكأنه الدور القيادي بالفعل فالذكر هو الذي يحارب .. ويختار انثاه .. وينجب حين يقرر الانجاب .. هكذا صوروا حياة القردة أو تصوروها ...

وما اسرع ما انقلبت الصورة رأسا على عقب وذلك على يد العالمات الباحثات اللواتي درسن حياة القردة دراسة ميدانية واسعة .. ونخص بالذكر منهن العالمة سارة هاردى من جامعة كاليفورنيا وقد أثبتت أن دور الانثى من القردة هو الدور القيادي .. فيما يختص بالتزاوج والانجاب على أقل تقدير .

القمر .. وكيف انبثق من الكرة الأرضية

كان العلماء الفلكيون وما زالوا على خلاف حول مولد القمر .. وكثرت النظريات التي تعلل ظهوره كتابع للكرة الأرضية .. وجاء الفلكي ريتشارد دوريسن dwrisen بآخر تلك النظريات التي تقول بأن القمر انبثق عن الكرة الأرضية في الماضي السحيق حين كانت الأرض كتلة من مادة ذائبة سائلة غير ثابتة .. ولكنها كانت دوارة .. بحيث انسلخت أو انسكبت كمية من تلك المادة الى خارجها .. وراحت تدور هي الأخرى ولكن في فلك حول الكرة الأم .. وفقدت الكتلة المتسلخة الكثير من بنيتها ثم استقرت على مضي الزمن فكان القمر ..





الغاطسة الأولى في العالم

■ هذه هي الغاطسة المأهولة التي تعمل على تطورها (وزارة العلم والتكنولوجيا في اليابان ، اسمها (شنكاي ٦٠٠٠) ، وتستطيع الغوص إلى عمق ٢١٠٠٠ قدم ، أي أعمق من أي غاطسة أخرى في العالم ، سيكتمل بناؤها سنة ١٩٨٩ ، وسوف تكون تكاليفها قد بلغت (٧١) مليون دولار ، أما الأغراض التي طورت هذه الغاطسة من أجلها فهي :

١ ـ جمع المعلومات عن الثروات المعدنية في البحار والمحيطات .

٢ ـ دراسة الزلازل ، والشقوق الأرضية الناتجة عنها .

٣ ـ دراسة الكائنات البحرية .

وحجرة القيادة في (شنكاي) مصنوعة من خليط معدني خاص ، قوامه التيتانيوم الذي يتميز بمقاومته للضغوط الهائلة التي يتعرض المرء لها في الأعماق ، والغاطسة ذات محرك كهربائي ، يعمل بالبطارية ،

ويستطيع السير بالغاطسة في باطن البحار لمدة تسع ساعات . وهي مجهزة بآلات تلتقط الصور الملونة بأنواعها ، بما في ذلك صور الفيديو المتحركة ، وآلات تسجيل ، وأذرع ضخمة ، تعمل تلقائيا ، كأذرع الانسان الآلي .

مياه البحر الأسود للتدفئة ، والتبريد

● دشن العلماء السوفييت في يالطا (جزيرة القرم) أول جهاز حراري يستثمر طاقة البحر ، وهو بقوة ٢ مليون ميغاواط ، ويستخدم الطاقة الحرارية للبحر الأسود بواسطة مضختين تبلغ طاقة ضخ الواحدة منها ٥٠٠ متر مكعب في الساعة ، وتوجهان مياه البحر عبر الأنابيب حيث يكمن لها غاز « الفريون » ، فتبدأ بالغليان ، وعند ذلك يصار إلى ضغط أبخرة غاز الفريون بما يرفع حرارته إلى ما بين ١٠٠ ـ ١١٠ درجات ، لاستخدام الحرارة المنتجة لسد احتياجات تمديدات التدفئة في فندق « دروجبا » خلال الشتاء ، بينما يمد تمديدات التبريد بالهواء المكيف المبرد في فصل الصيف . وفي ضوء نجاح هذه التجربة سيعمم هذا الجهاز لتدفئة وتبريد فنادق أخرى في جزيرة القرم ، المنطقة السياحية الأولى في الاتحاد السوفيتي .

مكتشفون ومخترعون



تعتبر سفينة التيتانيك وشقيقاتها في طليعة السفن الحديثة ، سفن القرن العشرين . . ويعتبر السير شارلز بارسونز ، مخترع الطوربين البخاري صاحب أكبر فضل في تطوير تلك السفن حتى بلغت المستوى الرفيع الذي بلغته في الوقت الحاضر ، ومهما يكن من أمر فإن بارسونز هذا لم يكن مخترع السفينة الحديثة الوحيد ، فقد في أسهم اختراعها عدد كبير من العلماء كل في مجال اختصاصه ، لذا وجب التنويه بجهود هؤلاء أثناء سردنا قصة السفينة الحديثة ككل ، والتركيز في النهاية على جهود السير شارلز بارسونز باعتبارها الجهود الحاسمة في تطوير السفينة الحديثة ، كما أشرنا .

عرف الانسان السفن منذ فجر التاريخ ، ولكنه عرفها شراعية خشبية حتى أواخر القرن الماضي ، وتجدر الاشارة إلى سفن القلبر **Clipper** التي نجح الأمريكيون في صنعها في أواسط القرن التاسع عشر ، والتي اقتفى أثرهم في صنعها الانجليز والألمان وسواهم . وقد كانت تلك السفن الشراعية الخشبية متوسطة الحجم (٢٠٠ قدم طولا و ٧٠٠ طن وزنا بالمتوسط) وتميزت بكثرة أشرعتها وقد بلغ عددها نحو عشرين شراعا وبلغت مساحتها الاجمالية ($1\frac{1}{2}$) فدان في بعض الأحيان . وتميزت كذلك بسرعتها التي بلغت (٢٠) عقدة بالمتوسط (أي ٢٣ ميلا في الساعة)

وكانت القفزة الأولى في تطوير السفينة الحديثة ابتكار المحرك البخاري في تسيير السفينة واعتماد قوة البخار في ذلك بدلا من قوة الريح . . ولكن المحرك ـ أي محرك ـ يولد القوة للسفينة دون أن يضمن لها الاندفاع . . والسير في البحار . . فهي اذن بحاجة إلى معدات الدفع أو الدوسرة التي بدونها لا تسير السفينة أبدا .

وظهرت السفن التي تعتمد على البخار ـ أي البواخر ـ أول ما ظهرت في فرنسا ثم في أمريكا . . وذلك في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٣ ـ ١٨٠٢) ، وكانت معدات الدفع في تلك السفن دواليب التجديف الضخمة التي ركبوها على جانبي السفينة . .

وكانت القفزة الثانية في استبدال الخشب بالحديد والفولاذ في صنع هيكل السفينة . وقد ظهرت السفينة الأولى التي جمعت بين المحرك البخاري والهيكل الحديدي سنة ١٨٢٩ . . ومع أن مزايا الحديد عن الخشب جلية واضحة وتشمل فيما تشمل المتانة والضخامة فان الاعتقاد الشائع بأن الحديد أثقل من الماء بحيث لا يمكن لسفينة مصنوعة من الحديد أن

السير شارلز بارسونز (١٨٥٤ - ١٩٣١)
اختراع وتطوير السفينة الحديثة



سفينة التيتانيك

تعوم على سطح البحر حال دون الاقبال على صنع السفن الحديدية ، هذا بالرغم من أن الاعتقاد المذكور اعتقاد خاطىء ولا يأخذ بعين الاعتبار قوانين أرخميدس المعروفة .

ثم جاءت القفزة الثالثة في مروحة الدفع اللولبية التي حلت محل دواليب التجديف السابق الاشارة اليها . . وكانت المروحة الجديدة تركب في أسفل السفينة بحيث تغمرها مياه البحر فلا ترى ولا تتعرض لمثل المخاطر التي تعرضت لها الدواليب ، وقد صنعت على مبدأ لولب أرخميدس لرفع الماء وأثبتت من الفاعلية والكفاءة ما وضع حدا لدواليب التجديف ، وذلك خلافا للمحرك البخاري والهيكل الحديدي فهذان الابتكاران لم يلغيا السفن الشراعية الخشبية اذ ظلت تصنع وتستعمل حتى يومنا هذا .

ثم كانت القفزة الرابعة . . قفزة الطوربين البخاري الذي اخترعه شارلز بارسونز كما أسلفنا وكانت هذه القفزة هي الأكثر حسما في تطوير السفينة . . وقد ضمنت لها مضاعفة قوتها أضعافا ، وبالتالي مضاعفة سرعتها وحمولتها . .

كان شارلز مهندسا إنكليزيا التحق سنة ١٨٨٤ بشركة دورهام التي صنعت الدينامو الكهربائي وما أسرع ما أدخل المهندس الموهوب تحسينات أساسية على ذلك الدينامو ثم مالبث أن اخترع الطوربين البخاري في نفس السنة التي ذكرنا ١٨٨٤ إلا انه قصر استعمال ذلك الطوربين الأول من أجل إضاءة السفن لا من أجل تسييرها .

وأقدم بارسونز على استعمال طوربينه كمحرك للسفينة سنة ١٨٩٥ وقد جهز به إحدى السفن على سبيل التجربة وسمى تلك السفينة الصغيرة نسبيا (٢٤ طنا) طوربينا ، ولم يتردد في تأسيس شركة صناعية لانتاج طوربينه البخاري على نطاق واسع .

ومن طريف ما يذكر هنا أن الاميرالية البريطانية التي رفضت عروض طوربينات بارسونز الأولى مالبثت أن سارعت سنة ١٩٠٥ إلى استبدال محركات سفن الأسطول كلها بطوربينات بارسونز البخارية ، وقد جاء ذلك في أعقاب العرض العام الذي أقامه بارسونز بمناسبة اليوبيل الفضي للملكة فكتوريا والذي سجل طوربينه فيه سرعة خارقة بلغت ٣٤,٥ عقدة . . أي بزيادة سبع عقد على سرعة أسرع المدمرات البريطانية اطلاقا .

وحذت شركة كونارد حذو الاميرالية البريطانية فعمدت الى بناء سفنها الجديدة الضخمة التي تليق بمحرك بارسونز الطوربيني البخاري . . وقد شملت تلك السفن سفينة التيتانيك السفينة التي لا تغرق . . والتي غرقت لدى اصطدامها بجبل جليدي سنة ١٩١٢ .

ومهما يكن فإن التيتانيك هذه تعتبر مفخرة السفن الحديثة سفن القرن العشرين ، وقد جاوز وزنها ٤٥٠٠٠ طن وحمولتها آلاف الأطنان وآلاف الركاب وجعلوا سرعتها ٢٢,٥ عقدة فقط وذلك حرصا على الابقاء على مزاياها الأخرى . . وما كان ذلك ممكنا لولا محركات الطوربين البخاري . . محركات شارلز بارسونز التي جهزت بها السفينة .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

عودة الى الثوم

تحدثنا من قبل عن الثوم وفوائده ، ونعود الى الحديث عنه اليوم

١ ـ مستحضرات الثوم الموجودة حاليا

تجدر الاشارة أولا الى كبسولات زيت الثوم وهي تستعمل على نطاق واسع في بريطانيا . . حتى قدروا ما يبتلعه الانجليز من هذه الكبسولات بحوالى ٣٠٠ مليون كبسولة سنويا ، ولا يخفى ما في هذه الكبسولات من فوائد . . ذلك أن أكثر منافع الثوم إنما توجد في زيته الطيار . . أضف الى ذلك أن تناوله ضمن كبسولات يخفف من رائحة الثوم القوية والمنفرة بالنسبة الى الكثيرين . . وفي طليعتهم الانجليز . . الذين ما كانوا ليلجئوا الى تعبئته على هذا النحو لولا حرصهم الشديد على الحصول على فوائد الثوم مع تجنب رائحته ما أمكن . .

ويصدق هذا أيضا على مستحضر الثوم الياباني المجرد من الرائحة على الطريقة الامريكية . . ويبدو ان اليابان قد صنعت هذا المستحضر خصيصا للأمريكيين . . وقد نزل الأسواق في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٢ وبلغت مبيعاته فيها نحو ٢٠ مليون دولار سنويا .

وتظل عشبة الثوم هي الأصل على كل حال . . وقد ضاعفت أمريكا محصولها من الثوم (٣) اضعاف ، فيما بين سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ ، وبلغت محاصيل الثوم العالمية ٢٠٠٠ مليون كيلو سنويا ، أي ما يقدر بحوالى نصف فص من الثوم يوميا لكل فرد من سكان العالم ، البالغ مجموعهم حوالى ٤٨٠٠ مليون نسمة .

٢ ـ مادة الثوم الفعالة

على أن عقار الثوم مازال فيه تطوير . . في أمريكا وفي غيرها . . وهو يختلف عن المستحضرات الموجودة في الأسواق حاليا بان هذه تغلف الثوم أو زيته لتفادي رائحته ، بخلاف العقار الذي يستهدف تقديم المادة الفعالة في الثوم دون غيرها . . . .

وتعرف هذه المادة باسم الين (alliin) وهي من الأحماض الأمينية الغنية بالكبريت . . والغريب أن هذه المادة بلا رائحة وبلا طعم . . أصلا ولكنها لا تلبث ان تتحول الى مادة اليسين allicin لدى دق فصوص الثوم وهرسها فتكتسب رائحة الثوم المميزة ونكهته . . وتجود بمنافعه ، ومعنى هذا ان رائحة الثوم وفائدته مرتبطتان ارتباطا وثيقا ، وكأن رائحة الثوم المنفرة هي الثمن الذي لا مفر من دفعه للحصول على منافعه ، ويعني هذا ايضا ان هرسه او طحنه نيئا هو خير وسيلة لتناوله بقدر ما هو خير وسيلة لتحويل مادة الأليين فيه الى مادة الأليسين . . وجعل الفوائد الكامنة في الأولى منافع مؤثرة وفعالة في الثانية . . . .

على أن هذه المنافع لاتزداد بازدياد كمية الثوم التي يتناولها المرء . . كما يظن الكثيرون . . بل انها تقل أو تنقلب الى ضدها اذا أفرطنا في تناول الثوم . . وتقدر بعض الشركات الصناعية المعنية جرعة الثوم المناسبة بنحو ٢,٥ ملغرام من المادة الفعالة ، ولطالما حذرنا أطباء الاعشاب من تناول أكثر من أربعة فصوص من الثوم في اليوم (٢٤ ساعة) ، وهم يؤكدون ان زيادة هذه الجرعة قد تعرض المرء لاضطرابات في الجهاز الهضمي ، فقد تصاب المعدة أو الامعاء بالقرحات

نيلز بور
عملاق النظرية الذرّيّة

بقلم : صلاح الدين هاشم

في اكتوبر١٩٨٥احتفلت الأوساط العلمية في العالم كله بالذكرى المئوية لمولد العالم الدنماركي الكبير (نيلز بور) ، ولم يكن بور واحدا من كبار علماء الفيزياء ، وعملاقا من عمالقة النظرية الذرية فحسب ، بل كان شخصية انسانية فذة ،كسب احترام الغرب والشرق على حد سواء ، ووصل في وطنه الدنمارك منزلة البطل القومي .

ولد (نيلز هندريك دافيد بور) في السابع من اكتوبر عام١٨٨٥ ،بمدينة كوبنهاجن في أسرة مرموقة ، فقد كان والده (كريستيان بور) استاذا للفسيولوجيا بجامعة كوبنهاجن ، كما أن جده وخالته كسبا سمعة عريضة في ميدان التعليم بالدنمارك ، ونشأ (نيلز) مع أخيه وأخته في محيط مثقف يفيض بالحيوية ، مما مهد الفرصة لنبوغه أن ينتعش ويبلغ أقصى الحدود ، فقد استمع الاطفال منذ سني حياتهم الأولى للمناقشات العلمية ، في جو من العقلانية المشوب بحسن النية ، وتولد لديهم احترام عميق نحو الفكر والمعرفة .

وكانت العلاقة بين (نيلز) وشقيقه (هارالد) شيئا غير عادي ، حتى تركت أثرا كبيرا على منهج (نيلز) في العمل ، فقد تعلم الاثنان منذ أيام الصبا كيف يعبران عن أفكارهما بالدخول في مناقشات حارة ، ونشأت بينهما علاقة (ديالكتيكية) في اسلوب التفكير ، بحيث أسهم كل منهما في تطوير وتنمية فكر الآخر ، وكان من أثر ذلك أن تكونت لدى (نيلز) المهارة في منافسة أفكاره مع الغير ، واستشعر بالتالي ضرورة الدخول في الجدل من أجل التوضيح والاستيضاح .

كذلك تركت العلاقة مع شقيقه أثرها في مجال آخر ، فقد اجتذب (هارالد) شقيقه الى كرة القدم التي كان (هارالد) من أبطالها ، ومعشوق الجماهير

بـلاده التي مثلها في الألعاب الأولمبية ، أما مجال دراسته فكان الرياضيات ، فساعد أخوه (نيلز) منذ البداية في هذا الميدان الذي كان ضروريا لـدراسة الفيـزياء ، وعلى مـدى طفـولتهـما وصبـاهمـا كـان (هارالد) ألمع الطفلين ، فقد انتهى من الماجستير قبـل (نيلز) وارتحل الى جامعة جوتنجن لاكمال دراسته ، وكانت آنذاك مركزدراسة الرياضيات العليا في العالم ، وعاد (هارالد) منها ليصبح فيها بعد مديرا لمعهد الرياضيات بكوبنهاجن . ورغم ذلك فقد تميز نيلز منـذ البدايـة بعمق الفكـر ، وبمنهجـه العلمي الصـارم ، ومثابرته واصـراره على تـوضيح أصعب المشاكل العلمية .

أحداث فيزيائية

منذ أيام دراسته الأولى اتضح ميـل (نيلز) الى الفيزياء ، التي لم تلبث ان غلبت عليه تماما في سني



بور مع اينشتين بروكسل ١٩٣٠

دراسته الجامعية ، وكان (نيلز) محظوظا أن بدأ حياته في لحظة تميزت بأحداث كبرى في تاريخ الفيزياء ، فقـد صاغ (أينشتين) آنـذاك نـظريتـه في النسبية الخـاصة ، وحـدث ذلك بعـد أعـوام من صيـاغـة (بلانك) لنظرية (الكوانتا) وخلال ذلك كله كانت المدرسة البـريـطانيـة للفيـزيـاء بقيـادة (ج . ج . تومسون) و (ارنست رذرفـورد) توالي بحـوثها في كشف أسرار الذرة ، وكان (بور) يتابع البحوث من الجانبين، فـاختار كمـوضوع للمـاجستير البحث في الخصائص الفيزيائية للمعادن ، وقابليتهـا لتوصيـل الكهرباء والحرارة والمغناطيسية

وبعـد حصـولـه عـلى المـاجستير أخـذ يحضـر الـدكتوراة ، فقـرر الاستمرار في دراسـة المعـادن ، واختار موضـوعا لأطـروحته « النظرية الالكترونية للمعادن » التي نال عليها درجة الدكتوراه بجدارة عام ١٩١١ ، غير أن (بـور) منـذ تلك اللحظة بـدأ يستشعر العوائق التي تمثلها الفيزياء الكلاسيكيـة في وصف سلوك الالكترون ، والحاجة الماسة الى منهج جديد لوصف العمليات الذرية ، ولقد كان عمله في هذه الاطروحه بمثابة ارهاص لأعماله التالية في نظرية الكوانتا ، كما حفزه في ذات الوقت للاهتمام بالفلسفة والابستمولوجيا (نظرية المعرفة) ، وهو اهتمام دعمه بقراءاته في ميداني الفلسفة واللاهوت الى محاضرات استاذ الفلسفة الدنماركي المشهور (هرالد هفرنـج) كذلك أخذ يحس من البداية بقصور اللغة في وصف الظواهر والحاجة الى صياغة مفاهيم شاملة ، ساقته بـالتـالي الى اسهـامـه الأكـبر في مجـالي الفلسفـة والأبستمولوجيا ، عندما وضع نظريته في التكاملية .

وبعد فراغه من العمل في اطروحة الـدكتوراة ، قرر (بور) الـذهـاب الى كمبـردج للعمل بمعمل كافندش المشهور مع (ج . ج . تومسون) مكتشف الألكترون ، فوصل الى تلك المدينة الجامعية العريقة في خريف عام ١٩١١ ، ولكن يبدو أنه لم يوفق كثيرا في عمله مع (تومسون) الـذي كـان فقد آنـذاك الاهتمام بالموضوع الذي يشغل بال (بور) ، أضف الى هذا أنه لم يكن يتحدث الانجليزية بطلاقة في ذلك الوقت ، على أية حال فقد اجتذبه نشاط (تومسون) الجديد الى البحث في مجال الذرة ، وهو الأمر الذي غلب على نشاط (بور) حتى أصبح من كبار العلماء في

مجال الفيزياء النووية ، وقام في هذا الميدان بمنجزات كبرى .

ذلك أنه عندما بدأ (بور) عمله في فيزياء الذرة ، لم يكن تركيب الذرة قد عرف بعد ، ولما ودع هذه الحياة كانت الطاقة النووية قد أصبحت العامل الأول في مستقبل البشرية ، وذلك عندما جرى استعمالها لانتاج القوة الكهربائية ، وفي علاج الأمراض المستعصية ، بل وأيضا في المجالين العسكري والسياسي ، كأخطر سلاح مدمر تفتق عنه ذهن الانسان .

النواة والنظام الشمسي

في بداية عام ١٩١٢ قدم آرنست رذرفورد من مانشستر لالقاء كلمة بمعمل كافندش بكمبردج ، وكان (رذفورد) قد نجح في مايو عام ٩١١ ، في الكشف عن نواة الذرة ، وساقه هذا الى تصور الذرة على هيئة نظام شمسي يتكون من نواة في المركز أشبه بالشمس ، وتحيط بها الالكترونات أشبه بالكواكب ، وكان كشفا مدهشا في تاريخ العلم ، لأن أحدا لم يتصور أن أصغر أجزاء المادة سيكرر أضخم أجزائها ، وقد ترك (رذرفورد) أثرا كبيرا على (بور) فقرر مغادرة كمبردج في ابريل ١٩١٢ للعمل مع (رذفورد) بمانشستر ، ولقد وضح لرذرفورد منذ اللحظة الاولى أن الشاب الدنماركي الذي لايحسن الحديث بالانجليزية يحمل فوق كتفيه عقلا ممتازا ، حتى صرح لأحد مستمعيه ذات مرة « ان هذا الشاب الدنماركي يتمتع بذكاء قل أن إلتقيته » .

ونشأت بين العلامة الكبير الذي كان يقف على رأس الفيزيائيين التجريبيين في العالم آنذاك وبين الشاب الدنماركي عاطفة عميقة ، تمت على مدى ربع قرن من الزمان ، في جو من الصداقة والتعاون ، وكانت خير مثال للعلاقة بين الأب وابنه الروحي ، ولقد وجد (بور) منذ البداية بمانشستر جوا ملائما وروحا طيبة ، وكان من عادة البرفوسور (رذفورد) أن يجمع مساعديه لتناول الشاي مرة في الأسبوع ، يمهد لهم فيه الجو لمناقشة الموضوعات التي تهمهم ، والتي تنتهي بطبيعة الحال بالتركيز على المنجزات التي تمت في ميدان الفيزياء ، ومما لاشك فيه أن وجود (بور) في هذا المحيط الذي خلقه (رذر فورد)



نيلز بور وزوجه مارجريت في سن الشيخوخة

بمانشستر (وطبقه بالتالي عقب انتقاله الى كمبردج مديرا لمعهد كافندش) قد ترك أثره على (بور) فتأسى خطاه في معهده بكوبنهاجن .

وبعد عمل متواصل بمانشستر خلال ربيع وصيف عام ١٩١٢ ، تبين للشاب الدنماركي الذي لم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره ، أن كشف (رذفورد) لنواة الذرة ، وان ظل بالضرورة حجر الأساس في أي نموذج جديد للذرة ، الا ان الفيزياء الكلاسيكية لم تعد تكفي لتطوير البحث في جوف الذرة ، وانه يجب في هذه الحال تطبيق « كوانتم » العمل الذي تفتق عنه ذهن (بلانك) ففي عام ١٩١٣ نشر (بور) أفكاره هذه في ثلاث مقالات متتابعة « بالمجلة الفلسفية » البريطانية ، وضح فيها محاولته الغريبة للمصالحة بين الفيزياء الكلاسيكية وتصوره لكوانتم العمل ، هذه المقالات الثلاث لم تلبث أن وضعت الأساس لشهرة (بور) المبكرة ، فبدأ الكلام في الدوائر العلمية عن « نموذج بور »

للذرة ، وبطبيعة الحال فان الفكرة قوبلت في البداية بمعارضة شديدة ، شأنها شأن جميع الافكار العلمية عند ميلادها ، رغم اعتراف الجميع آنذاك بمسيس الحاجة الى منهج جديد لوصف تركيب الذرة ، حقا ان ذرة (بور) قد تجاوزها العلم الآن ، ولكنها لاتزال الى اليوم أصدق صورة في أذهان الناس لما يجب أن تكون عليه بُنْيَةُ الذرة .

الثلاثية الفيزيائية :

هذه المقالات الثلاث التي عرفت باسم الثلاثة ، قال بصددها (فكتور فايسكويف) انه لا يوجد بحث في تاريخ الفيزياء نتج عنه مثل ذلك القدر من الاكتشافات التي أدت ـ على مدى فترة امتدت الى عام ١٩٢٢ ـ الى بحوث عميقة على يد (بور) مست موضوعات معقدة ، مثل تركيب أطياف العناصر المختلفة ، وعملية امتصاص الضوء أو اطلاقه ، والعلة في وجود نظام دوري للعناصر ، والتتابع المدهش للعناصر الاثنين والتسعين وكان في هذه الفترة أيضا أن تحولت المواد الكيماوية على يده من كيفيات الى كميات ، اي الى أشياء يتحكم فيها عدد الالكترونات الموجود في كل ذرة ، ورغم كل هذه الأعمال والكشوفات ، فقد حذر (بور) الباحثين المعاصرين له من أن ينساقوا تلقائيا وراء تفسيراته ، وأن الأمر لايزال في حاجة الى متابعة البحث في هذا الميدان .

وفي صيف عام ١٩١٢ قام (بور) بزيارة سريعة الى وطنه ، ليعقد قرانه بالفتاة التي أحبها وهي (مارغريت نورلند) ، وكانت فتاة جميلة متزنة ، لم تلبث أن أصبحت خير عون له في المستقبل ، ورزق منها بستة أولاد ،ثم عاد الى مانشستر ،حيث عرض عليه (رذرفورد) وظيفة محاضر بالجامعة ، شغلها الى عام ١٩١٦ ، وفي ذلك العام والحرب العالمية لايزال يتاجج أوارها ، رجع (بور) نهائيا الى الدنمارك ، ليشغل وظيفة استاذ الفيزياء بجامعة كوبنهاجن .

وفي نفس ذلك العام انضم اليه بصفة مساعد فيزيائي شاب هولندي الجنسية يدعى (هندريك كرامرز) وظل يعمل معه بكوبنهاجن حتى عام ١٩٢٦ ، فصار ساعده الأيمن ، كذلك أصبح (أوسكار كلاين) في عام ١٩١٨ تلميذه ومعاونه الثاني ، وفي عام ١٩١٧ دخل في مباحثات بالدنمارك من أجل بناء مختبر يكون الأساس لمعهد جديد للنظرية الفيزيائية ، ولكن احتاج الأمر الى أربعة أعوام ليفتح المعهد أبوابه ، ولم يلبث أن أصبح واحدا من أكبر مراكز الدراسات الفيزيائية في العالم ، واشتهر باسم « معهد بور » ، فأمّه عدد من العلماء النابهين ، بصفة طلبة وزملاء وضيوف ، وأدت المناقشات والبحوث التي انبعثت بين جدرانه الى تطوير الفيزياء النظرية بخطوات هائلة وسريعة وكان اعترافا بما قدم للعلم أن منح جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٢٢ .

أسس الميكانيكا الكوانتية :

وبعام ١٩٢٢ تبدأ الفترة الثانية من نشاطه العلمي التي تميزت بمحاولة متشعبة الجوانب ، شارك فيها عدد من نوابغ العلماء ، بخاصة من بين الألمان ، في وضع أسس الميكانيكا الكوانتية ، ولقد كانت هذه فترة في تاريخ الفيزياء لم يشهد مثيل لها من حيث الابتكار والانتاج .

ولقد ظل (بور) على مدار العشرينيات يشغل بنشاط دوره كمدير للمعهد الذي كان ينمو شيئا فشيئا ، حتى أصبح أشبه بموضع لتصفية البحوث الفيزيائية في العالم أجمع ، وهنا لمعت عبقرية (بور) ومقدرته في التعاون مع مختلف العلماء من مختلف الأقطار ، ممن كانوا في العادة يصغرونه سنا ، ولكن اندفعوا وراء النظريات الجديدة في مجال الفيزياء النظرية فأتوا الأعاجيب ، ذلك أن (بور) استطاع أن يجمع حوله بكوبنهاجن كوكبة من الشباب اللامع في مجال الفيزياء آنذاك ، فالى جانب (كرامرز) و (كلاين) ، جاء ليعمل معه اثنان من العباقرة في تاريخ الفيزياء النظرية ، هما (وولفجاج باولي)(فرنر هيزنبرج) من المانيا ، كما قدم اليه (جورج جاموف) وليف لاندو من روسيا الخ ، وهكذا استطاع بمعاونة هؤلاء الشبان اللامعين من تقعيد أسس الميكانيكا الكوانتية ، ولم يكن غريبا أن مبدأ « اللايقين » الذي تفتق عنه ذهن هيزنبرج ، قد انبعث ، وجرت مناقشته بمعهد (بور) بكوبنهاجن .

وفي هذه الأعوام كان (بور) يضع الأسس لنظريته التكاملية التي جهد فيها ليجمع بين الفيزياء التقليدية والميكانيكا الكوانتية في نظرية شمولية ،

واحتاج الأمر الى أعوام عديدة من العمل المضني والمعاناة النفسانية ، التي انعكست في جداله المستمر مع واضعي أسس الميكانيكا الكوانتية ، وهم ، (هيزنبرج) و (شرودنجر) و(ديراك) وقد كشف (بور) النقاب عن نظريته لأول مرة في سبتمبر ١٩٢٧ ، وذلك بمؤتمر ذكرى فولتا الذي عقد بمدينة كومو بشمالي ايطاليا ، في عرضه لنظريته تحدث بور عن المسائل الابستولوجية للميكانيكا الكوانتية ، ثم شرح حججه في التكاملية ، ولكن معظم الحضور لم يستطيعوا متابعته .

غير أن أفكاره هذه لم تلبث أن وضعت سريعا على محك الاختبار في المناقشات مع (اينشتين) التي حدثت بمؤتمر سولفاي الخامس الذي عقد بعد أسابيع قليلة من اجتماع كومو ببلجيكا ، وكان الاختلاف بين وجهتي نظر الاثنين جوهريا ، وامتد لأعوام طويلة ، وشمل أشياء عديدة ، مثل السببية ومعنى الحقيقة ، ولكنه كان دائما مشوبا بالاحترام والتقدير المتبادل ، وفي الواقع فان (بور) احتاج لسنين عديدة ليبسط بوضوح القواعد العامة لنظريته ويطبقها في ميادين الفسيولوجيا والبسيكولوجيا وغيرها من فروع العلم .

انشطار اليورانيوم وبداية الحرب :

لعلّ من أغرب اتفاقات التاريخ أن تحدث عملية انشطار اليورانيوم على يد (أوتوهان) و (فريتس استراسمان) وتفسير تلك الظاهرة بواسطة (ليزا مايتنر) و (أوتوفريش) في بداية العام نفسه الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الثانية ، كذلك حدث في ابريل من عام ١٩٣٩ نفسه أن أثبتت مجموعة (فردريك جوليو ـ كورى) بباريس انطلاق نيوترونات فائضة أثناء حدوث الانشطار ، وبهذا انفتح الباب لامكانية حدوث تفاعل متتابع ، وبالتالي صنع قنبلة ذرية ، وفي أول سبتمبر من ذلك العام ـ وهواليوم الذي اقتحم فيه الألمان حدود بولندا ، وبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية ـ ظهر مقال « بالمجلة الفيزيائية » يحمل توقيع (نيلز بور) و جون ويلر) معا ، يعرضان فيه التعليل العملي لعملية الانشطار ، ويؤكدان أن ذرة اليورانيوم ـ ٢٣٥ هي التي انشطرت ، وليست ذرة اليورانيوم ـ ٢٣٨ ، لذا فان الانشطار أكثر احتمالا للحدوث في النيوترونات البطيئة دون النيوترونات السريعة .

وفي العامين التاليين كان العلماء في الأقطار المشتبكة في الحرب ، وأيضا بأمريكا ، ينظمون صفوفهم للبحث في امكانيات صنع القنبلة الذرية ، ففي بريطانيا أثبت (فريش)و (بيرايلز) بجامعة برمنجهام أن كمية ضئيلة من اليورانيوم ـ ٢٣٥ من شأنها أن تسبب التفاعل الضروري السريع من أجل القنبلة ، بل واقترحا طريقة صناعية لفصله عن بقية كتلة اليورانيوم ، وبعد استسلام فرنسا للألمان هرب اثنان من العلماء الفرنسيين من مجموعة (جوليو ـ كوري) الى بريطانيا ، وهناك اقترحا أن العنصر ٩٤ (أي البلوتونيوم) بامكانه أيضا أن يحدث انفجارا عاليا بواسطة كتلة حاسمة صغيرة ، وفي تلك الأثناء كان العلماء الألمان يفكرون أيضا في استغلال الانشطار من أجل صنع قنبلة ذرية ، ولكن مشروعهم لم يتقدم كثيرا حتى وضعت الحرب أوزارها .

وأعقب ذلك غزو الألمان للدنمارك ، فوجد (بور) نفسه محصورا في وطنه الذي يحتله العدو ، وكان عقب المقال الذي دبجه بالاشتراك مع (ويلر) يعتقد أنه من الممكن احداث انفجار ذري بواسطة اليورانيوم ـ ٢٣٥ ، وان كان من رأيه أن الوسائل التقنية لم تتوفر لفصل كيمة كافية من اليورانيوم ـ ٢٣٥ ، وفي أكتوبر ١٩٤١ زاره (فرنز هيزنبرج) واقترح عليه عمل اتفاق بين العلماء من الطرفين المتقاتلين للوقوف في وجه انتاج سلاح خطير من هذا النوع ، وبعض المصادر ينفي هذا ، وان لم يتشكك في حدوث الزيارة .

وفي بدايةعام ١٩٤٣ تسلم (بور) رسالة سرية من الفيزيائي البريطاني (جيمس تشادويك) يدعوه الى المجيء الى انجلترا للمشاركة في البحث العلمي ، غير أن (بور) كان يؤثر البقاء مع بني وطنه في ظروف الحرب ، ولكنه لما علم في سبتمبر من ذلك العام أن السلطات النازية تدبر لالقاء القبض عليه ، هربته المخابرات البريطانية الى السويد ، من حيث بلغ انجلترا في صحبة ابنه (آجا) ، (وكان فيزيائيا بدوره يعمل في مساعدة أبيه) .

ولدى وصوله الى انجلترا قوبل بالترحاب ، وأطلعوه على كل شيء ، وأنه من المتوقع الآن أن يستطيع الأمريكيون انتاج سلاح ذري خلال عام أو

اثنين ، وقد وصل (بور) في لحظة مهمة ، هي التي أعلن فيها البريطانيون تعاونهم التام في مجال الذرة مع الأمريكيين ، وكان هذا في مصلحة البريطانيين ، لأنه لم توجد لديهم الامكانيات المادية والمالية لتحقيق مشروع من هذا القبيل ، ولقد تردد الأمريكيون بعض الشيء في قبول الشراكة البريطانية ، غير أن (ونستون تشرشل) استطاع بمجهود كبير في أغسطس ١٩٤٣ من اقناع (روزفلت) بتوقيع اتفاقية (كويبك) التي مكنت العلماء البريطانيين من القدوم الى لوس آلاموس التي كان يجري فيها صنع القنبلة الذرية .

وكان (بور) ضمن مجموعة العلماء البريطانيين التي انتقلت الى الولايات المتحدة للعمل في مشروع القنبلة ، وذلك بعد أن وعد بالاستمرار ضمن الوفد البريطاني ، فوصل هو وابنه (آجا) الى الولايات المتحدة في أوائل ديسمبر ١٩٤٣ ، وارتحلا الى لوس آلاموس للمعاونة في عملية صنع القنبلة ، وهناك التقى (بور) بعدد كبير من تلامذته السابقين ، وقد شارك مشاركة فعالة في كل المسائل المتعلقة بصنع القنبلة ، وتأكد له أنهم بسبيل تحقيقها .

بين أمريكا والسوفييت :

غير أنه منذ تلك اللحظة بدأ يفكر في العواقب المترتبة على صنع السلاح الذري بالنسبة لمستقبل العلاقات الدولية ، فقد وضح له أن مشروع (مانهاتان) ليس سوى البداية في سلسلة من الامكانيات الرهيبة التي سيكشف عنها المستقبل ، خصوصا وأن بعض العلماء بلوس آلاموس كان يفكر منذ ذلك الوقت في صنع القنبلة الهيدروجينية ، وواقع الأمر أن بور لم تشغله آنذاك مسألة استعمال القنبلة في الحرب العالمية الثانية ، بل كان يمد ببصره الى مبنى ما بعد الحرب ، واحتمالات التنافس في صنع الأسلحة الذرية ، فأخذ منذ تلك اللحظة يفكر في المشكلة المتعلقة بالسيطرة عليها ، وأهمية تبادل المعلومات بين الأطراف المتنافسة ، وجميع هذه تطورات جديدة في العلاقات الدولية ، من العسير تصورها قبل الحرب العالمية الثانية .

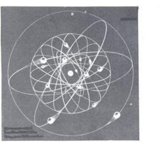
ولم يمض وقت طويل حتى تبلورت أفكاره في اقتراح محدد ، ذلك أن (بور) كان مقتنعا بأنه عندما تضع الحرب العالمية أوزارها ستتزايد حدة التوتر بين الغرب والاتحاد السوفييتي ، وأنه من الممكن احلال الثقة والتعاون اذا ما أطلعت أمريكا الاتحاد السوفييتي على سر القنبلة الذرية قبل استعمالها ، حتى لا يعرفونها بوسائلهم الخاصة ، فتفقد الثقة بين الطرفين ، وتتعقد العلاقات بينهما ، وبمعرفته الجيدة بخبرة العلماء السوفيت ، فقد كان على يقين من أنه لن يمضي وقت طويل حتى يصنع الروس قنبلتهم الخاصة بهم ، وكان مما قوى هذا اليقين في نفسه أنه تسلم في ابريل ١٩٤٤ خطابا من صديقه العالم السوفييتي المشهور (بيوتر كابيتسا) كان كتبه اليه قبل ستة أشهر من ذلك ، يدعوه الى الالتجاء الى الاتحاد السوفيتي ، وقد دعم هذا من اعتقاد (بور) أن السوفييت كانوا على علم بالمشروع الامريكي ، على أية حال فقد أرسل اليه بخطاب يشكره فيه على اهتمامه ، وأطلع السلطات البريطانية على المكاتبات المتبادلة بينهما .

ولقد أصبحت العواقب السياسية للقنبلة الذرية شغله الشاغل ، فأمضى الكثير من وقته يدون المذكرات السياسية ، ويزور المسؤولين والمقربين من أهل العقد والحل ، واستطاع (بور) أن يقنع عددا من الشخصيات المهمة بوجهة نظره ، مثل (لورد هاليفاكس) السفير البريطاني بواشنطن ، و (سير جون أندرسون) الذي ربطته به صداقة عميقة ، و (لورد تشورول) المستشار العلمي لتشرشل ، و (الفيلد مارشال سمائس) وقد شرح له (هاليفاكس) أنه نظرا لأن أمريكا هي التي لها نصيب الأسد في المشروع ، فان أية مبادرة يجب أن تأتي من الرئيس (روزفلت) ، وكان من حظ (بور) أن ربطته رابطة الصداقة (بفلكس فرانكفورتر) أحد قضاة المحكمة العليا بالولايات المتحدة الذي كان صديقا شخصيا (لروزفلت) ، وكان (فرانكفورتر) على علم بمشروع القنبلة ، فنقل وجهة نظر (بور) الى الرئيس الأمريكي الذي رد بأن المسألة فعلا تشغل باله كثيرا ، وأنه سيبحثها مع (تشرشل) .

وفي مارس ١٩٤٩ دون (أندرسون) مذكرة طويلة لتشرشل عرض فيها الوضع ، فبين أنه وقد أضحى من المؤكد أن أمريكا ستحوز قصب السبق في صنع القنبلة الذرية ، الا أنه من خطل الرأي الافتراض بأن الاتحاد السوفييتي لن يلج هذا الميدان ، بعد انتصاره



نيلز بور (١٨٨٥ - ١٩٦٢)



نموذج الذرة الذي تفتق عنه ذهن بور

على ألمانيا ، وأضاف أن سر القنبلة والصعوبات المحيطة بصنعها ستزول بالتدريج ، بحيث يستطيع عدد من الدول الاضطلاع بذلك ، وسيسوق هذا الى احدى حالتين ، اما سباق ضار في التسلح ، أوضرب من السيطرة الدولية على الأسلحة الذرية ، فان كان الحل الثاني ، فمن الأفضل اذن اطلاع السوفييت في المستقبل القريب بأن أميريكا بسبيل صنع ذلك السلاح الرهيب ، مع تقديم الدعوة لهم للمشاركة في تحضير مشروع لخلق سيطرة من هذا الضرب ، ذلك أنه اذ لم يطلع السوفييت على هذا فسيبلغ علمهم عاجلا أو آجلا سر القنبلة الذرية ، فتقل قابليتهم للتعاون ، غير أن (تشرشل) ظل مصرا على رأيه في أن يظل مشروع صنع القنبلة محاطا بالاسرار ما أمكن ذلك .

لقاء فاشل مع (تشيرشل):

وبعد ضغط من (سماتس) (وتشرويل) و (سير هنري ديل) رئيس الجمعية الملكية ، وافق (تشرشل) على مقابلة (بور) لنصف ساعة في ١٦ مايو ١٩٤٤ ، وكان اجتماعا فاشلا بمعنى الكلمة ، لأن (تشرشل) كان مشغولا للغاية ، بحيث لم يمس النقطة المهمة في الحديث ، كما تكون لديه منذ اللحظة الأولى شعور من النفور نحو (بور) بشعره المشوش وصوته غير المسموع .

غير أنه تحقق خلال ذلك الصيف ان أقتنع تشرشل بضرورة الحديث مع روزفلت حول مستقبل القنبلة عند أول مقابلة بينهما ، وهي تلك التي جرت في سبتمبر ١٩٤٤ ، وقبل حدوث هذه المقابلة كان القاضي (فرانكفورتر) قد أرسل مذكرة مع سبع صفحات كتبها (بور) الى روزفلت حول موضوع القنبلة ومستقبل الطاقة الذرية ، وتخوفه من حدوث سباق التسلح النووي بين الاتحاد السوفيتي والغرب ، وفي ٢٦ أغسطس زار بور روزفلت وتحادث معه لمدة ساعة ونصف .

في هذه المحادثةمع الرئيس الاميركي كرر (بور) اعتقاده بأنه توجد الآن فرصة جيدة لقيام علاقات دولية أفضل ، وأنه ينبغي اغتنامها الآن وليس بعد ، ثم وضح الأسباب التي جعلته يرى من اللازم مفاتحة الاتحاد السوفيتي الآن ، ودحض الحجج المضادة ، وأضاف بأنه من الضروري الافتراض بأن السوفييت يعلمون بأن ثمة مجهودات كبرى تجري بالولايات المتحدة لصنع القنبلة ، وأنهم يدرسون المسألة الآن ، وسيتمكنون من صنع القنبلة بمجرد الانتهاء من الحرب مع ألمانيا ، ومن المؤكد أنهم سيضعون أيديهم على أعمال العلماء الألمان في هذا الميدان ، فاذا التزمت الولايات المتحدة وبريطانيا الصمت قبل استعمال القنبلة فستثيران ارتياب السوفييت ، وتخلقان مخاطر أكبر عن طريق التنافس في صنع الأسلحة الذرية ، بل وستفقدان ثقة السوفييت حول أي تقارب في المستقبل بين الطرفين ، ثم أكد ضرورة الأخذ بزمام المبادرة باعطاء السوفييت معلومات مفصلة عن القنبلة ، وأنه من الممكن الشروع في هذا فورا ، بتسهيل الاتصال بين العلماء من الجانبين .

وكانت المقابلة - على نقيض ما حدث مع تشرشل - ودية للغاية ، وفهم روزفلت تماما الحجج التي أدلى بها بور ، وقد رفعت المقابلة من الحالة المعنوية لبور ، بل راودته الفكرة بأن يكون هو العالم الذي سيكلف بالذهاب الى الاتحاد السوفيتي ، ليشرح لهم الموضوع ، غير أن آماله سرعان ما انهارت ، ففي اجتماع تشرشل بروزفلت في سبتمبر ١٩٤٤ بكويبك للمرة الثانية ، ثم بمنزل روزفلت بالولايات المتحدة ، تحادث الزعيمان حول القنبلة الذرية ، وخرجا بنتائج تناقضت تماما مع نتائج مقابلة بور مع روزفلت ، وفي

١٨ سبتمبر وقع الاثنان على مذكرة ، وردت بها فقرة تشير الى لزوم اجراء تحقيق حول نشاطات بور ، واتخاذ الاجراءات لعدم تسرب أية معلومات من جانبه خصوصاً الى السوفييت ، وفي حديث خاص مع مستشاره العلمي ، أعرب تشرشل عن رأيه في أنه يجب التحفظ على بور ، أو التوضيح له أنه بسبيل ارتكاب جرائم أخلاقية .

غير أن أصدقاء بور مثل تشرويل واندرسون وهالفاكس انبروا للدفاع عنه ، وبينوا لرئيس وزراء بريطانيا أنه أخطأ في حق بور ، ثم شرحوا له بالتفصيل الجوانب العلمية لصنع القنبلة الذرية ، وأنها لم تعد ذلك السر الذي يعتقل الناس من أجله ، وواقع الأمر أن تشرشل كان غيورا جدا على سر القنبلة الذرية ، وأهمية حفظها في يد الأميريكان والبريطانيين وحدهم ، كذلك أقنع (بوش) مستشار الرئيس الاميريكي للشئون العلمية ، روزفلت باخلاص بور وأنه لا خطر من تصرفاته .

وبعد أن فشل بور مع الزعماء السياسيين حوّل نشاطه الى جهات أخرى ، وكان قد تسلم خطابا في ديسمبر ١٩٤٤ ، من (أينشتين) يعرب فيه الأخير عن تخوفه من حدوث سباق للتسلح بعد انتهاء الحرب ، وأن الزعماء السياسيين يفتقرون الى الدربة لمعالجة المسائل النووية ، واقترح عليه أن يجتمعا معا للقيام بمحاولة للضغط على القادة السياسيين لتعميم الاستفادة من الطاقة الذرية في أعمال السلم ، وايقاف سباق التسلح الذي قد يحدث في هذا الميدان ، عند ذلك ذهب بور لزيارة (أينشتين) ووضح له ما قام به في هذا الصدد ، وكيف كان مصير محاولاته الفشل التام ، وكان بور قد اقتنع تمام الاقتناع بأن الوقت قد ضاع عبثا ، وأن تأجيل أية محادثة مع السوفييت قبل تجربة القنبلة سيبدو وكأنه محاولة لارهابهم ، وأنهم لن يقبلوا ذلك ، كما أكد له مرة أخرى أن السوفييت لا بد وأن يكتشفوا سر القنبلة وكيفية صناعتها ، ولو من خلال نشاط العلماء بألمانيا التي كانت في طريقها الى الهزيمة .

سلاح مدمر للغاية :

في تلك الأثناء توفي روزفلت ، وفي مايو ١٩٤٥ عقد وزير الدفاع الأميريكي (هنري ستمسون) اجتماعا لبحث مسألة اطلاع السوفييت ، ومستقبل السيطرة الدولية على الأسلحة الذرية ، غير أن غالبية المجتمعين أعربوا عن ارتيابهم من السوفييت ، وبذا تقرر عدم كشف السر لهم الى ما بعد استعمال القنبلة الذرية ضد اليابان . وبعد ايام من نجاح القنبلة الذرية (بالاموجودرو) صرح الرئيس ترومان لستالين بتاريخ ٢٤ يوليو ببوتسدام أن الولايات المتحدة تمتلك الآن سلاحا جديدا ذا قوة مدمرة للغاية ، ويبدو أن السوفييت كانوا على علم بمشروع (مانهاتان) من جواسيسهم ، وأنهم شرعوا في الاستعداد لصنع قنبلتهم ، وكان من نتيجة صمت حلفائهم هذه المدة الطويلة أن زاد في شكوكهم ، ومهد السبيل للحرب الباردة فيما بعد ، كما توقع بور من قبل .

عند ذلك تحول بور الى مخاطبة الرأي العام الدولي ، ففي أغسطس ١٩٤٥ بعد خمسة أيام من تدمير هيروشيما نشر بور أفكاره تلك في مقال بصحيفة « التايمز » اللندنية بعنوان « العلم والحضارة » وكانت الحرب الكورية قد اندلعت عندما أرسل « خطابه المفتوح » المشهور الى الأمم المتحدة في عام ١٩٥٠ ، لذا فان ذلك الخطاب أيضا لم يجد صدى الا في الدول الاسكندنافية وحدها ، وكل هذا المجهود الشخصي من طرفه ان دل على شيء فانما يدل على أن (نيلز بور) قد سبق زمانه بكثير .

لقد أصبح بور بعد الحرب العالمية الثانية المتحدث الأول باسم الفيزيائيين العالميين ، بيد أن الفيزياء نفسها تعرضت خلال ذلك لتغيير جذري ، فقد أصبحت من مهمة الحكومات والشركات الكبرى ، ولم تعد تقبع في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية ، ذلك أن تكاليف البحث العلمي أخذت أبعادا هائلة لم يعد بالوسع الاضطلاع بها دون عون الحكومات أو القطاعات الخاصة ، لذا فان معهد بور لم يعد ذلك المركز الاساسي للبحث العلمي كما كان عليه الحال قبل الحرب ، فقد انتقل هذا الشرف الى أمريكا والاتحاد السوفيتي والمركز الأوروبي للبحوث العلمية بجنيف .

أما العلامة الكبير فقد فارق الحياة عصر يوم الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٦٢ ، تاركا وراءه سمعة علمية خالدة ، وذكرى عاطرة على مر الأيام . □

البرازيل:
مارد القرن الحادي والعشرين

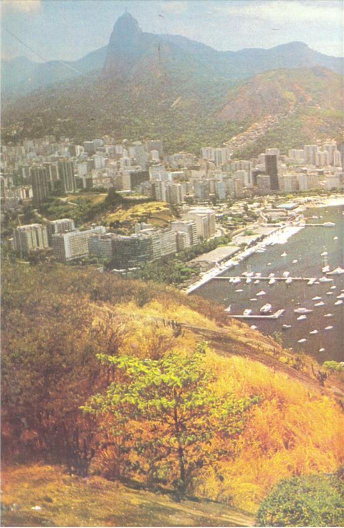
استطلاع : حسين احمد أمين



الابيض والاسمر في الكرنفال البرازيلي



منظر لاحدى المدن الساحلية بالبرازيل



« ان الله خلق جمال الطبيعة في سائر أنحاء الدنيا من أجل البشر ، وخلق جمال البرازيل لنفسه » . « مثل شعبي برازيلي »

أول سؤال يفرض نفسه على زائر هذا البلد هو ما إذا كانت البرازيل تنتمي الى مجموعة الدول النامية أم المتقدمة . ؟ فالنظرة الأولى وخاصة الى مدن الساحل الشرقي والى العاصمة « برازيليا » توحي برخاء جم ، وتقدم في التقنية والصناعة ليسا دون الرخاء والتقدم في دول أوروبا الغربية ، مع امكانيات وثروات لا حدود لها ، وحديث دائم عن أوجه النشاط الانتاجي وغيرها بصيغة أفعل التفضيل ، وهي الصيغة المفضلة في حديث البرازيليين عن بلادهم وعن أنفسهم .

هنا دولة تبلغ مساحتها أكثر من مساحة أوروبا الغربية والشرقية معا (اذا استبعدنا الاتحاد السوفيتي) ولا يفوقها في الاتساع غير الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والصين وكندا ، وقد اكتشفوا منذ أشهر قلائل أن نهر الامازون أطول من نهر النيل ببضعة أميال ، فبات نهرها أطول أنهار العالم . والعاصمة « برازيليا » هي أحدث مدن العالم تخطيطا ومعمارا ، كما أن العاصمة السابقة « ريودوجانيرو » بشهادة الكثيرين ممن يعتد برأيهم ، وعلى رأسهم الكاتب النمساوي الشهير ستيفان تساقايج ، هي أجمل مدن الدنيا قاطبة . والشعب البرازيلي هو أكبر أمة كاثوليكية في العالم ، ولا يفوق تعداده (١٣٥ مليون نسمة) غير تعداد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة واندونيسيا . ولا يفوق البرازيليين في فن الطهي غير الفرنسيين والصينيين .

اما في مجال الاقتصاد فان الناتج القومي الاجمالي الذي يقدر بنحو ٢٣٠ بليون دولار ، يحتل المرتبة الثامنة بالنسبة لاقتصاد دول العالم ، وهي الدولة الأولى في انتاج البن والسكر والبرتقال وفي احتياطي الذهب ، والثانية (بعد ساحل العاج) في انتاج الكاكاو ، وبعد الولايات المتحدة في انتاج فول الصويا ، والحديد الخام ، ومن حيث قيمة الصادرات الزراعية والسلع المشتقة من الانتاج الزراعي ، والثالثة في انتاج الذرة (بعد الاتحاد السوفيتي والصين) ، واللحوم (بعد الولايات المتحدة وروسيا) والرابعة في انتاج المنجنيز ، والخامسة في انتاج القطن والدبابات ، والسابعة في انتاج الألمنيوم والنحاس ، والتاسعة في انتاج الصلب ، والعاشرة في انتاج السيارات والاسمنت وتوليد الكهرباء .

فان كان هذا هو الوضع ، فما بال البرازيل صاحبة أكبر دَيْن خارجي من بين دول العالم (١٠٤ر٤ بليون دولار) ورابعة أكبر معدل للتضخم (٢٢٥٪ سنويا) بعد « اسرائيل » وبوليفيا والأرجنتين ؟ وما سر هذه المشكلات الاقتصادية الرهيبة التي تركت بصماتها على الكيان الاجتماعي والسياسي للدولة ، وهذا الفقر الذي تعيش في ظله غالبية السكان ، وحياة الفطرة التي يحياها سكان البلاد الأصليون من الهنود الحمر ، وارتفاع نسبة البطالة الى أكثر من ٧٪ ، ثم ماترتب على الفقر والبطالة من انتشار جرائم السطو المسلح والسرقة والاعتداء على المتاجر ، مما رفع البرازيل الى المرتبة الثانية من بين دول العالم (بعد كولومبيا) في عدد السرقات بالاكراه ، مما كان له تأثيره الضار في قطاع السياحة الذي كان يحتل حتى عام ١٩٨٣ المرتبة الثالثة في الأهمية بالنسبة للاقتصاد البرازيلي ؟

ابن اللورد !

ان مما يساعدنا على فهم طبيعة هذه المشكلات ، تشبيه سلوك البرازيل بسلوك ولد لأحد أثريا اللوردات ، لايزال أبوه على قيد الحياة ، والولد مع قلة ما في يده من مال ، لا يرى وسيلة لتحقيق مراده غير الاستدانة من هنا وهناك ومن كل من هب ودب ، والدائنون يقدمون له القروض عن طيب خاطر ، لاطمئنانهم الى قدرته على سدادها حين ينتقل والده المسن الى رحمة الله .

يقول المثل العربي : « على قدر لحافك مدّ رجليك » وهذا بالضبط هو ما تأبى البرازيل أن تفعله . فهنا اطمئنان كامل الى المستقبل ، الى ما سيأتي به الغد من رخاء عميم ، بالنظر الى الامكانيات الهائلة ومصادر الثروة التي لم تستغل بعد ، وهي ما يؤكد عليه الجميع ـ في الداخل والخارج ـ انها ستجعل من البرازيل في المستقبل القريب احدى الدول العظمى في العالم ، بل مارد القرن الحادي والعشرين ، وعلى أساس هذا الاطمئنان الى المستقبل (رغم ضخامة المشكلات الراهنة وفداحة الدين الخارجي) يتصرف البرازيليون . .

أراد حكامها منذ عام ١٩٥٦ أن يدفعوا عجلة التقدم في البلاد ، بحيث ينجزون خلال خمس سنوات ما لا ينجزه غيرهم خلال خمسين . وهو ما تم لهم فعلا بفضل ترسيخ دعائم الانتاج الصناعي ، خاصة صناعة الحديد والصلب والصناعات الثقيلة ،

وقد كان سبيلهم الى ذلك هو اللجوء الى طلب القروض من الخارج ، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية من أجل استغلال المناطق الداخلية وتعميرها ، بعد أن كانت العناية منصبة في الماضي على المناطق الساحلية في الشرق ، وقد شجعتهم صورة المستقبل المضيء على تجاهل القيود التي يفرضها حجم الموارد الراهنة ، فهم لا يريدون أن ينشئوا مدنا ، أو يؤسسوا صناعات ، أو يضعوا برامج لا تليق بمستقبلهم كدولة عظمى . . فحين شرعوا عام ١٩٥٧ في بناء عاصمة جديدة في الداخل تكون أقرب الى المناطق المراد تعميرها ، من ريودوجانيرو

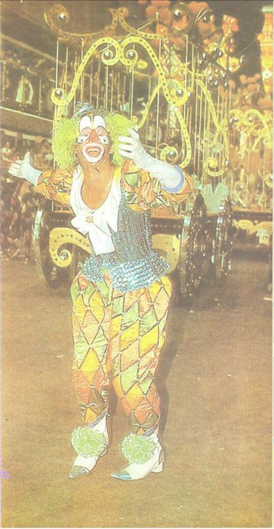


البرازيل : نصف مساحة أمريكا اللاتينية

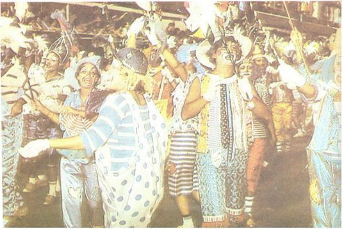
الساحلية ، انفقوا على بنائها البلايين من الدولارات ، وكانوا ينقلون الى موقعها أكياس الاسمنت وقضبان الصلب ومعدات البناء الثقيلة بالطائرات عبر مئات الأميال . وكانت النتيجة والثمرة « برازيليا » مدينة المستقبل ، مدينة القرن الحادي والعشرين ، لا يفوقها في جمال معمارها أي من عواصم العالم . وهم حين قرروا انشاء مترو الانفاق في ثلاث من المدن الكبرى ، جعلوا منه أكثر نظم مترو الانفاق تقدما في العالم .

وقد اطلقت البرازيل أقمارها الصناعية وأدخلت الكمبيوتر في كافة مجالات نشاطها الاقتصادي ، وطورت صناعتها الالكترونية ، بحيث لم يعد لها في ميدانها غير القليل من المنافسين ، وحفرت مئات ومئات من الانفاق في بطون الجبال ، وشقت أكثر من مليون ونصف مليون كيلومتر من الطرق المرصوفة حتى عبر الجبال الصخرية الشاهقة ، وأقامت ناطحات السحاب من المباني في المدن الرئيسية .

الكرنفال
موسيقا وغناء
ورقص
دون توقف ، أيام
السنة الاربعة
التي يعيش
البرازيليون من
أجلها







غير أن الأهم من ذلك كله هو العناية الفائقة بالصناعة ، فقد تمكنت البرازيل خلال ربع القرن الماضي فقط من تصنيع كل ما تحتاج اليه ، وكل ما يغنيها عن الاستيراد من العالم الخارجي ، من الكمبيوتر إلى السفن ، والطائرات ، والسيارات ، والملابس ، وأجهزة التليفزيون ، والفيديو ، والالات الحاسبة ، والأسلحة والذخيرة ، والأدوية ، والورق ، والصناعات البتروكيمائية ، والميكانيكية ، والمعدنية . وكانت رغبتها الملحة في تصدير فائق انتاجها الى العالم حافزا لها على استخدام أحدث وسائل التقنية من أجل انتاج سلع تفي بمتطلبات السوق الدولية ، وتنافس منتجات الدول المتقدمة .

كل هذا كان له الفضل في تقريب البرازيل من مستوى الدول الصناعية الغنية . لقد ظلت أمدا طويلا ، وحتى الماضي القريب ، دولة زراعية ، وكان العالم الخارجي لا يكاد يعرف عنها غير انتاجها للبن ، وراقصة السامبا الشهيرة) كارمن ميراندا) تماما كما كان لا يعرف عن اليابان غير انتاج الراديو ترانزيستور ولعب الأطفال . أما اليوم فقد بلغت قيمة صادراتها نحو ٢٦ بليون دولار سنويا ، أربعة أخماسها من السلع الصناعية .

ايلول الاسود :

ولأجل تحقيق هذه الطفرة الهائلة ، كان على البرازيل أن تدفع الثمن ، وهو ثمن باهظ نجده اليوم يرهق كاهلها ويؤرق حكومتها ، دون أن يفقد شعبها ثقته في المستقبل .. قلنا إنه كان عليها من أجل الانفاق على كل هذه المشروعات الطموحة ، ان تلجأ الى الاقتراض من الحكومات والبنوك الأجنبية ، ومن صندوق النقد الدولي . وكانت معظم هذه القروض قصيرة الأجل ، وذات فوائد بلغت حوالى ١١ر٥٪ .

وكان سبيل البرازيل الى دفع قيمة الفوائد المستحقة ، الى جانب زيادة صادراتها ، هو طلب المزيد من القروض قصيرة الأجل وذات الفوائد الباهظة ، وقد عرفت البرازيل هي الأخرى « ايلول الأسود » وكان أيلولها الأسود (سبتمبر ١٩٨٢) حين وجدت لزاما عليها سداد عشرين بليون دولار من الاقساط والفوائد واجبة الاداء ، منها ١١ بليون دولار فوائد على أصل الدين ، فلم تتمكن من ان تسدد غير ثلث هذا المبلغ ، وكان أن أسفر الوضع عن ظهور أزمة ثقة لدى البنوك العالمية والحكومات الأجنبية في قدرة البرازيل على سداد ديونها ، بل على مجرد سداد فوائد هذه الديون . عندئذ تراجع الدائنون عن منح تسهيلات ائتمانية جديدة لها ، مالم يثبت اقتصادها جدارته بالثقة ، وانبرى صندوق النقد الدولي يحاول أن يفرض على البرازيل شرط اتخاذ اجراءات تقشف واصلاح تمكنها من تسديد الديون ، كخفض الانفاق الحكومي ، وتجميد الأجور والمرتبات ، وتخفيض قيمة العملة ، ورفع الضرائب ، والتركيز على الاستثمار في مجالي الزراعة والطاقة دون الصناعة ، والا امتنع عن تقديم قروض جديدة . غير أن البرازيل ردت غاضبة بأنها ترفض مثل هذه الوصاية ، وهذا التدخل الأجنبي في سيادتها الوطنية ، والحد من حريتها في انتهاج السياسة التي تريد ، وبأن من حقها أن تطلب إعادة جدولة تواريخ استحقاق الديون ، خاصة وأن جزءا كبيرا منها كان في صورة أجور للخبراء الأجانب .

ومع ذلك فلاشك في أن البرازيل تحرص أشد الحرص على تهدئة مخاوف الممولين الدوليين ، وإقناعهم بتقديم قروض جديدة ، الى حين « وفاة الأب العجوز » ! لذا فقد اتجهت بكل طاقاتها الى زيادة صادراتها الى أقصى حد ممكن ، وتقليل وارداتها الى أدنى مستوى ، حتى توفر فائضا في الميزان التجاري يمكنها من سداد فوائد ديونها على الأقل . ولا نعدو الحقيقة إن قلنا أن هذا الهدف الأسمى هو أهم عامل - ان لم يكن العامل الأوحد - الذي يصوغ سياسات البرازيل الداخلية والخارجية ، فالدولة ذات الحاجة الملحة الى زيادة صادراتها ، تحاول دوما أن تكون على علاقة طيبة وثيقة بالجميع ، وان تبادر الى تسوية أية خلافات تدب بينها وبين غيرها من الدول ، فإن اضطرتها ظروف دولية خارجة عن إرادتها الى التظاهر بالانحياز الى جانب دون آخر ، في نزاع

لاشأن لها به . حدّدت لها حساباتُها وعلاقاتها الاقتصادية ومصالحُها التجارية أيَّ الاطراف تؤيده في المحافل الدولية . وهو تأييد نادرا ما يأخذ عدالة القضية بعين الاعتبار .

فن الاستمتاع بالحياة :

غير أن الذي يبدو واضحا جليا للأجنبي الزائر لهذا البلد ، هو أن الشعب البرازيلي قد ترك لحكومته وسياسييه مهمة القلق ازاء كيفية التخلص من هذه الورطة الاقتصادية ، وانصرف هو بكليته الى ممارسة فن الاستمتاع بالحياة . ولا أعني بقولي هذا عزوفا عن الانتاج والعمل ، والا لما حقق الشعب خلال سنوات قلائل هذه النهضة الاقتصادية الرائعة ، التي لا يكاد يكون لها نظير سوى تلك التي شهدتها المانيا الاتحادية بعد الحرب العالمية الثانية . وإنما أعنى تلك القدرة المذهلة على الجمع بين الانتاج واللهو ، مع عشق للحياة وإقبال نهم على الاغتراف من مباهجها ، ومرح زائد ونفور طبيعي من كل ما من شأنه تنغيص المتعة ، وتكدير المزاج .

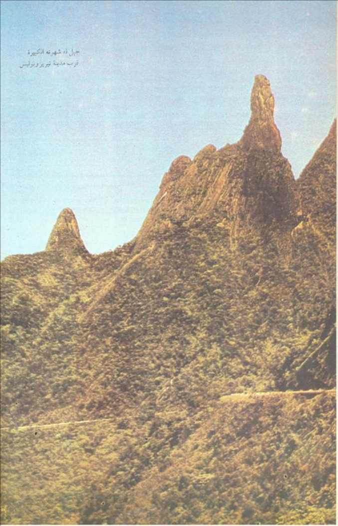
تحدث عن جمال الطبيعة في البرازيل ماشئت ، أو عن سحر ريودو جانيرو . غير أن أجمل مافي البرازيل في اعتقادي هو طبيعة شعبها . وقد كان أول ماذكره لي القنصل البريطاني في ريو خلال الاسبوع الأول من اقامتي ، انني لن أقدرّ حق التقدير مدى سماحة هذا الشعب وطبيعته ، واستعداده المطلق لمعاونة الغير وخدمته دون انتظار مقابل ، الا حين أترك البرازيل الى بلد آخر ، صحيح أن الأزمة الاقتصادية الراهنة ، والتضخم الرهيب ، وسوء أحوال الأمن ، قد حدّت بعض الشيء مما عرفوا به من كرم الضيافة والترحيب بالغرباء . غير أنهم لايزالون مع هذا أكرم شعوب الأرض وألطفها عشرة ، وقد مرت بي الآن هنا بضعة أشهر زرت خلالها عشر مدن ، لم يطرق سمعي خلالها صوت غاضب ، ولا رأت عيني شجارا في طريق أو مظاهر انفعال ، الا اثناء مباريات كرة القدم . لاأدخل مع عائلتي مطعما الا وجدنا مائدة على الاقل قد أتى الجالسون اليها بآلات موسيقية يعزفون عليها ويغنون على أنغامها قبل الأكل وأثناءه وبعده . ونذهب الى شاطىء البحر المزدحم دائما طوال أيام الأسبوع ، فإذا العزف والغناء والرقص على قدم وساق ، ولعب الكرة والضحك والغزل ، وليس أمرا نادرا أن تبادرك عائلة برازيلية تجلس على مقربة منك وعائلتك بالحديث ، ثم تبادر بعد الحديث الى دعوتكم لزيارتها في دارها وتناول وجبة طعام معها .

وبوسعنا أن نقول في ثقة ان الرقص والبحر وكرة القدم وكارنفال شهر فبراير هي أهم ما يشغل بال البرازيليين ، أما الاهتمام بالسياسة فلا يكاد يخطر بذهن أحد غير من اختار « لسوء حظه ونكد طالعه » أن يشتغل بها . وقد قابلت هنا من الشباب البرازيلي من لا يعرف اسم رئيس جمهوريته ، ناهيك عن اسم رئيس جمهوريتي .

واهتمامهم بشؤ ون العالم الخارجي ضئيل للغاية ، أو قل هو غير قائم أصلا ، كما أن الصحف ووسائل الاعلام الأخرى لا تخصص لهذه الشؤ ون من المساحة أو الوقت الا قدرا يفرضه الواجب وتحتمه اللباقة .

فان ذكروا الولايات المتحدة ، فانما يجيء ذكرها بمناسبة قرار مجلس الشيوخ الأمريكي بفرض قيود على استيراد الأحذية أو عصير البرتقال من البرازيل . وهو الأمر الوحيد الكفيل بإغضابهم .

وهم علي عكس الكثير من شعوب أمريكا اللاتينية الأخرى ، فهم شديدو الكراهية للحروب وكل مظاهر الارهاب والعنف .. شعب وديع يفضل الغناء علي الشكوى ، والرقص على الشجار ، خاصة أهل ريودو جانيرو المعروفين باسم « كاريوكا » الذين لا يرون شيئا أهم وأخطر من أن يكون مثارا للمرح ومدارا للضحك . ولم تعرف البرازيل في تاريخها ثورة دموية واحدة ، أو اغتيالا لزعيم سياسي ، أو ارهابا أو حرب عصابات ، رغم حدوث بعض المواجهات في مناسبات معينة ، بين وحدات من الجيش وجماعات من المتظاهرين ، كانت دائما تنتهي بتبادل القبلات والنكات ، قبل أن ينصرف كل من الفريقين الى شأنه ، ودون اطلاق رصاصة واحدة .



جبل له شهرته الكبيرة
قرب مدينة تيريزوبوليس



الشاطىء ، ازدحام طوال أيام الاسبوع



أحد مراعي البرازيل

كرنفال ـ سامبا ـ ماكومبا

فاما عن (الكرنفال) الأكبر في شهر (فبراير) فهو حدث تفوق اهميته عندهم اهمية عيد الميلاد المجيد ، وعيد الفصح ورأس السنة . والبرازيليون يعيشون سائر عامهم على ذكرى (الكرنفال) المنصرم ، واستعدادا (للكرنفال) التالي ، وهو لا يقتصر على حي من أحياء المدينة ، أو على طبقة اجتماعية من الطبقات ، وانما هو بمثابة احتفال صاخب يشارك فيه الكافة في مختلف أنحاء البلاد ، وإنك لواجد أفقر الفقراء هنا ، ومامن هم عنده غير أن يكسب خلال العام ، ويدخر مايمكنه من شراء زي تنكري باهر لهذه المناسبة المجنونة ، التي يظل الناس فيها على مدى أربعة أيام وخمس ليال متتالية لا يعرفون النوم ، ولا يتوقفون عن رقص السامبا ، والغناء ، وعزف الموسيقا ، وقرع الطبول ، والطواف بالشوارع لعرض ازيائهم العجيبة بهيجة الالوان .

وأما شاطىء البحر فيلعب هو الآخر دورا رئيسيا في حياة البرازيليين ، من سكن منهم على الساحل أو في مدينة بالداخل . وقد لجأت الحكومة الفيدرالية الى عشرات الوسائل من أجل تشجيع البرازيليين على استيطان المناطق الداخلية ، والسكن في العاصمة الجديدة ، كمضاعفة الاجور فيها ، والاعفاء من الضرائب ، وتخفيض ايجارات المساكن .

غير أن البحر ظل دائما عامل جذب يحول دون الابتعاد عنه لمسافة طويلة ، أولمدة طويلة ، والحياة على شاطئه تبدأ في ساعة جدّ مبكرة من اليوم ، فمنذ الخامسة صباحا تجد الشباب يلعبون (الفولي) أو كرة القدم ، والكبار يؤدون تمرينات الصباح الرياضيّة قبل توجههم الى مكاتبهم ، ورجال الأعمال يبرمون الصفقات التجارية ويوقعون العقود ، وهم مسترخون على الرمال في ملابس البحر ، والباعة المتجولون يمرون وعلى رؤوسهم (صواني) نحاسية كبيرة ، تحمل جوز الهند والأناناس والبرتقال وعصير الفاكهة ، ورجال الشرطة يراقبون ملابس السابحين في البحر خشية أن يخطفها اللصوص ، والنساء وقد ارتدين (البيكيني) ـ وهو من اختراع البرازيليين ـ يأتين بأطفالهن الرضع في سلال من القش ، للاستمتاع بالشمس ونسيم البحر ، والمربيات يراقبن الصبية والصبايا يمرحون بين الأمواج العالية ، أو يذاكرون في كتبهم المدرسية ، والفتيات يقابلن أصدقاءهن أو يفرجن صديقاتهن على خاتم الخطوبة ، حتى إذا ما اكتملت الدورة ، إذا بصبيّة الأمس قد جاءت بوليدها الى الشاطىء في سلة من القش للاستمتاع بالشمس ونسيم البحر .

غير أن أغرب المناظر طرا وأحفلها بمظاهر الوثنية ورواسبها ، ذلك الذي تراه على الشاطىء ليلة رأس السنة من كل عام .. آلاف مؤلفة من وثنيي البرازيل ومسيحييها على سواء ، تتوجه في حوالي العاشرة من مساء ٣١ ديسمبر الى شاطىء المحيط في ملابس بيضاء ، يحملون الشموع البيضاء الموقدة في يد ، والقرابين في الأخرى .. أناس من مختلف الأعمار والأجناس والألوان والطبقات ، قد تبنّي المسيحيون منهم هذا الجانب من عقيدة الوثنيين المسمين (بالماكومبا) ، المتأثرة بدورها بديانات الأفارقة والهنود الحمر .. حتى إذا ماوصلوا الى الشاطىء شرعوا يرسمون علامات غريبة على الرمال ، ويفرشون المفارش البيضاء ، ليضعوا عليها القرابين التي سيقدمونها لالهة البحر (بيمانيا) ، من زهور وعطور ونبيذ ودجاج وأمشاط ومرايا ، وحولها سياج من الشموع المضاءة .. ثم يشرعون في الترنم بترانيم خاصة ، ثم في الرقص وقرع الطبول ، حتى إذا ما أعلنت دقات الساعة منتصف الليل ، فوجئت بالصواريخ الملونة تنطلق ، والأجراس تدق ، والصرخات تعلو ، وإذا هؤلاء القوم جميعا وقد نزلوا الى البحر بهداياهم وأزهارهم ، فلا يخرجون حتى تأخذها الأمواج بعيدة عن أنظارهم ، حينئذ يطمئنون إلى أن إلهة البحر قد قبلت قرابينهم قبولا حسنا ، وانها ستحقق لهم أمانيهم وأحلامهم خلال العام الجديد .. !

هنا إذن ، وعلى نحو شبيه الى حد ما بما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية ، قد امتزجت الأجناس والأديان والعادات والتقاليد في بوتقة واحدة ، بعد موجات متعاقبة من الهجرات من مختلف بقاع العالم .. فهنا سلالات السكان الأصليين من الهنود الحمر ، وسلالات البرتغاليين المستعمرين الأول للبلاد ، والأفارقة الذين أتى بهم البرتغاليون قسرا لفلاحة الأرض ، والمهاجرون الايطاليون والألمان والبولنديون واليابانيون والانجليز والأسبان واليهود ، بالاضافة الى ستة ملايين من اللبنانيين والسوريين ، من نسل أولئك الذين تركوا وطنهم في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن فرارا من سطوة الحكم العثماني ، أو طلبا للرزق في الدنيا الجديدة ..وتقدر نسبة البيض هنا بأكثر من ٥٤ ٪ ، يتركزون في المنطقة الجنوبية المماثلة في مناخها لمناخ أوروبا ، أما الزنوج فتقدر نسبتهم بحوالي ٦ ٪ ، يتركزون في منطقة الجنوب الشرقي ،ويعملون في مصانعها ، أما الهنود الحمر فلا يتجاوز عددهم ٢٣٠ الف نسمة ، يعيشون حياة بدائية في الولايات المتحدة الشمالية عند حوض نهر الأمازون ، وأما باقي السكان (أي نحو ٣٩ ٪) فيعرفون باسم « المولاتو » وهي كلمة مشتقة من الكلمة العربية « مولّدون » إذ هم ثمرة التزاوج بين البيض والزنوج والهنود الحمر ، لون بشرتهم أقرب ما يكون الى لون بشرة العرب ، ويسكن معظمهم في المنطقتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية .

فإن كنا قد قارنا وضع الأجناس هنا بوضعها في الولايات المتحدة ، فإن هناك فارقا ضخما يتعلق بالتعايش بينها ، إذ ليس ثمة في البرازيل ما يوحي بوجود تفرقة عنصرية بين أجناسها ، فهنا العشرة الطيبة بين الأبيض والأسود والأسمر والاحترام المتبادل ، والتزاوج غير المقيد أو المنهى عنه ، وغير المغضوب عليه ، مما يجعل من المحال التفرقة بين البرازيلي والأجنبي ، إلا حين يشرع الأجنبي في الحديث بلغة برتغالية ركيكة ، وقد كان للزنوج تأثير عظيم في الحياة البرازيلية ، خاصة في العقيدة والعادات ، والموسيقا والرقص ، وفن التصوير والرياضة ، والاعتقاد في السحر .

كما استفاد اقتصاد البلاد استفادة عظمى من النشاط التقليدي المشهود لليابانيين والألمان الذين توافدت أعداد كبيرة منهم على البرازيل ، في السنوات السابقة على الحرب العالمية الثانية والتالية لها . وقد أبدى هؤلاء جميعا ـ عدا الألمان ـ استعدادا كاملا للانخراط في البوتقة البرازيلية الكبرى ، وهجر لغاتهم الأصلية الى اللغة البرتغالية ، فمن النادر مثلا هنا أن تصادف برازيليا من أصل لبناني أو سوري يعرف العربية ، أو شديد الاهتمام بالأوضاع الراهنة في لبنان وغيره من الأقطار العربية . كذلك فان المسلمين البالغ عددهم حوالي مائتي الف نسمة ، لم يعودوا يعرفون الكثير عن دينهم ، والبعض من شبابهم يلبس حول عنقه سلسلة ذهبية تحمل علامة الصليب ، دون أدنى إدراك منه لوجود تناقض . ثم من يدري لعل بعضهم يقدم أيضا القرابين في ليلة رأس السنة لإلهة البحر « بيمانيا » .

نعم قد لانجد الا القليلين من السود البرازيليين في مناصب القضاة ، أو الدبلوماسيين ، أو الوزراء وكبار رجال الدولة ، أو حتى من الأطباء والأساتذة والمحامين وقادة الجيش . غير أن هذا يرجع الى المستوى الاقتصادي الناجم عن تباين الحظوظ من التعليم والثقافة ، (وهو تباين من ثمار الماضي) ، والناجم أيضا عن تفضيل الزنوج عادة الاستمتاع بالحياة على العمل الشاق ، وقلة حاجاتهم وتطلعاتهم .

غير أن الظاهرة الهامة في الأمر كله هي ماذكره لي أحد كبار رجال الحكومة هنا ، من انه في حين كان الرجل البرازيلي الأبيض في الماضي القريب يحاول جاهدا إنكار سريان دم زنجي أو هندي في عرقه ، لم يعد هناك اليوم الا من يصرح علنا وعن طيب خاطر ، بانه رغم بياض بشرته من المولدين ،بل ويفخر بأنه منهم ، وهي دلالة طيبة علي أن مابقى من آثار ضئيلة للتفرقة العنصرية هو في طريقه الى الاندثار .

يقول بريستلي :

« من حق المرء أن يتحدث عن دولة أجنبية ، بعد إقامته بها ، إما لمدة اثنى عشر يوما ، أو اثنى عشر عاماً ، وفيما بين هاتين المدتين لا يجوز له الحديث عنها » .

فهل نعاود الحديث في استطلاع جديد عن البرازيل بعد اثنى عشر عاما حديثا أعمق وأشمل . ! لعل وعسى

□

العربي - العدد ٣٣٦ - نوفمبر ١٩٨٦

الأشجار
رفيق الجنس البشري

اعداد : بدور عبدالكريم *

بعد أطفال الأنابيب ، اتجه العلماء بابحاثهم الى أعرق رفاق الجنس البشري الأشجار ، وفي هذا الحقل الجديد تحقق الكثير ، وفتحت آفاق لمستقبل يختلط فيه العلم بالخيال ، والمقال التالي عن الأشجار ، ذلك العلم الواسع الذي اقتحمه علم الهندسة الوراثية .

هل حقا أن الدنيا مقامات حتى في رحاب العلم ؟

فالضجة الاعلامية التي أحاطت بتجارب « أطفال الأنابيب » و « أجنة المختبرات » في طول العالم وعرضه ، لم تتح لتقدم تقني متزامن ، ومثير ، ومن شأنه أن يؤدي عبر تطوير تقنيته ، الى تغيير الملامح المناخية والجغرافية في كثير من بقاع العالم ، وذلك أن هذه التقنيات من شأنها أن تحقق الحلم الانساني ، بتحويل الأراضي اليباب الى غابات ، وزرع الصحراء بالأشجار التي لا تحتاج الى ري وسقاية ، أو الأشجار القابلة للري بالمياه البحرية المالحة ، وبما يشكل اذا سلمنا بمعطيات علم الأحوال الجوية ، بداية تحكم فعلي ، من قبل الانسان بالمناخ ، وبالمقدار الذي يتيح تغييره جذريا ، لما فيه مصلحة التنمية الزراعية ، وبخاصة وقف زحف الصحراء على الأراضي الزراعية ، في البلاد ذات الطابع الصحراوي ، ولتلطيف الأجواء عبر الاستخدام المكثف لعمليات التشجير ، ومن ثم استغلال الشجرة من أجل تنقية الجو ، وتأمين الرطوبة اللازمة للمزروعات ، واستجلاب واستقطاب غيوم المطر .

أعرق رفيق

من المسلم به ، أن الأشجار هي أعرق رفيق للجنس البشري ، وأنها استطاعت بسبب انشغال العلوم الانسانية ، بمواضيع أخرى ، على أساس تقديم الأهم على المهم ، أن تحتفظ بكثير من أسرارها طويلا ، ولكنها لم تستطع أن تصمد حتى النهاية أمام

* كاتبة وباحثة فلسطينية عملت وكتبت في أجهزة الاعلام وصحافة القطر السوري . قدمت رسالة دكتوراه في الاعلام في فرنسا

تقدم التقنية البيولوجية الحديثة ، التي بدأت تسمح بتوليد ما يمكن أن نسميه « غابات الأنابيب » وبما يتيح لعلماء البيولوجيا الزراعية ، وضمن المختبر ، توليد وتحسين أفضل وأجمل وأنفع أنواع الأشجار ، ومن ثم مضاعفتها الى أعداد لا نهاية لها .

على هذا الصعيد ، يقول لاري توميوف ، العالم الاخصائي في اقتصاد التشجير والتحريش بجامعة ميتشيجان في الولايات المتحدة أن التقنية البيولوجية الزراعية هي منطلق تجربة « غابات الانابيب » أي تربية نواة الغابة في المختبرات ، وأن هذه التقنية مرشحة لبلوغ أقصى درجات التقدم والنجاح ، وتحقيق ثورة علمية جديدة في الميدان الزراعي عبر التحكم في نمو الخلايا الانباتية بما يحقق هدف استنبات غابات اصطناعية ضمن أنابيب المختبرات .

وربما كانت الشجرة هي الضحية الأولى ، لحاجات التقدم العلمي وارتفاع مستويات المعيشة والرفاهية ، ذلك أن للأشجار دورها الكبير في سد نهم صناعة الورق والموبيليا والبناء ، وبشكل اختفى معه ما يمكن أن يدعى بالغابات العذراء ، باستثناء القليل من الغابات النائية في حوض الأمازون وأفريقيا الاستوائية .

ومن هنا فان تقنية « غابات أنابيب المختبرات » قد تكون البشرى بقدرة الانسان على تغيير معالم وخصائص الكثير من الأشجار ، المثمرة وغير المثمرة ، ومن نباتات الخضراوات ، مع تكييفها بما يتيح لها النمو في أي مناخ .

ثمار بعد ٢٢ شهرا :

يتركز اتجاه التقنية الزراعية العضوية اليوم على استفراد خلايا بعض النباتات والأشجار ، وزرع كل خلية في أنبوب اختبار ، لمحاولة الحصول على كيان وتكوين كاملين من هذه الخلية ، التي تؤلف بتكوينها وتوالدها وتجمعاتها الكيانية الأشكال التي نرى بها مختلف الأشجار ، على صعيد استنبات نباتات وأشجار كاملة التكوين ، انطلاقا من خلية واحدة ، أو من تجمع خلايا قليلة معدودات ، فإن الباحثين في هذا الميدان ، يستندون كثيرا الى تقنية استنبطها عالمان فرنسيان من علماء « المعهد الوطني الفرنسي للأبحاث الزراعية » وهما : ر . موريل وكلود مارتان اللذان كانا قد باشرا منذ ١٩٥٢ ، تجاربهما على أنسجة العقد والبراعم الانمائية التي نراها في تفرعات عساليج النباتات .

وتقضي هذه الطريقة باقتطاع جزء من منطقة النمو الانباتي ، وزرعها في بيئة ملائمة ، بحيث يؤدي ذلك ، الى نشوء فسائل وعساليج وبراعم فتية ، تتحول الى تكوينات وكيانات نباتية كاملة .

ويبدو أن الغاية الرئيسية لتجارب هذين العالمين الفرنسيين ، كانت تستهدف استحداث نباتات مقاومة للآفات والطفيليات التي تهاجم النباتات والأشجار ، وتعرقل نموها ، ومن ثم تحسين أنواع ونوعيات الأشجار المثمرة .

وقد بدأت هذه الأبحاث والتجارب تعطي ثمراتها في عام ١٩٨٠ ، حين استطاع البروفسور مارتان ومساعدوه أن يستنبتوا ثلاثة عشر نوعا محسنا من أنواع الخوخ والدراق ذات الرحيق الحلو السكري الأحمر .

وقد أنتجت أول ـ ١٣ ـ شجرة دراق من هذه الأشجار المستحدثة ـ ١٠ ـ كغ من الثمار بعد ـ ٢٢ ـ شهرا من زرعها في التربة ، وبديهي أن هذه النتيجة تعد تقدما ملحوظا ومهما ، ذلك أنه من المعروف أن شتلة الخوخ أو الدراق لاتبدأ بالاثمار الا بعد مرور أربع سنوات على زرعها في التربة .

وقد علق على ذلك نيل نيلسون رئيس مصلحة أحراش وغابات الراين ، وهو من العلماء الزراعيين المرموقين ، قائلا :

« ان أهم ما يمكن أن تحققه التقنيات البيولوجية الزراعية هو تقصير واختصار المدد الطويلة اللازمة لتحسين أنواع ونوعيات الأشجار عبر التقنيات التقليدية ، وبالتالي فان تحسين النوعية بالاضافة الى كسب الوقت ، يؤثر تأثيرا ايجابيا في استثمار الغابات لسد الاحتياجات المتصاعدة ، لصناعة النجارة والورق ، وتحقيق المردود الأفضل ، ذلك أن أثمان الاخشاب والمنتجات الحرشية تتراوح بحسب أنواع ونوعيات الأشجار والنباتات التي أتت منها . »

وقد كان من الطبيعي أن تتجه التقنيات الحديثة للبيولوجيا الزراعية ، الى انتخاب واستنبات الجذور الأكثر صمودا للآفات والأمراض التي تسببها الفيروسات والبكتريات والفطريات المجهرية .



بالاضافة الى هجمات الحشرات القارضة .

ثمة هدف بعيد من هذه التقنيات الحديثة ، يكمن في استخدام زراعة الخلايا النباتية من أجل استخلاص المواد اللازمة للطب الحديث ، وبالطبع فان الأمر يتطلب ، كما يقول الخبير الأميركي « توميوف » ، التعمق في معرفة الخلايا النباتية ، وبيولوجية الجزئيات الانباتية لأشجار الغابات ، حتى نستطيع الانتفاع بكل الطاقات الكامنة التي بدأت التقنيات البيولوجية الحديثة تبشر بمولدها .

ويشدد « توميوف » على وجوب التعمق في معرفة العمليات التي تستطيع فيها البكتريا ، وغيرها من الكائنات المجهرية ، أن تخترق النسيج الداخلي للنباتات ، كما تستطيع اختراق لحاء الأشجار .

وفي هذا الصدد ، وباتجاه مماثل ، يقوم الباحثون باستنباط واستنبات جذور وشتلات أشجار صنوبرية ، تقاوم أكثر أنواع الآفات الزراعية .

والواقع أن الحلم الذي يبدو أنه قد أصبح قريب المنال ، ليس حلم خلق غابة اصطناعية في المختبرات ، انما خلق غابة مزروعة بفصائل وأنواع جديدة ، استنبتتها الأبحاث العلمية .

أشجار مراهقة :

قلنا ان الشجرة هي الرفيق الأعرق الذي صاحب الانسان منذ نشوء الحياة وارتقائها ، ولهذا فان بعض أنواع الأشجار تتجاوز بحجمها وعمرها ، جميع الأرقام القياسية ، التي سجلتها مختلف الكائنات الحية .

مثلا ، شجرة ـ السيكا ـ الاسترالية ، التي تعتبر من المتحجرات الحية ، قد تكون صاحبة الرقم القياسي في طول العمر ، وذلك ان عمرها التقديري الذي توصلت اليه الأبحاث العلمية يتراوح بين ١٢ ـ ١٥ ألف سنة .

والمعروف أن هذه الأشجار تنمو ببطء قياسي بالغ ، بحيث لا تكاد تحقق نموا بطول متر واحد خلال قرن كامل !

على أن بعض علماء النبات الأميركيين ، ينسب الى « صنوبر كاليفورنيا » الرقم القياسي في طول العمر ، ومن خصائص هذه الأشجار ، أنها تنمو على علو مرتفع ، يتراوح بين ٣٠٠٠ ـ ٣٦٠٠ م في جبال « هوايت ماونتنز » في كاليفورنيا ، وتتميز أضخم هذه الأشجار ، ويطلق عليها لقب « الطربرك » بقطر يبلغ ١٢ مترا عند القاعدة ، ومع ذلك فانها تعتبر « مراهقة » لأن عمرها لايزيد على ١٥٠٠ سنة .

أما أعرق هذه الأشجار قدما في الحياة ، فيبلغ عمرها حاليا ٤٩٠٠ عام ، وقد قدر بأنها كانت قد بلغت أول ألف عام من عمرها في العهد الذي عاصر حياة النبي ابراهيم الخليل ، ثم ما لبثت أن دخلت مرحلة الشيخوخة في زمن المسيح .

على أنه قد ظهر لهذه الشجرة ، شجرة يابانية منافسة ، هي شجرة أرز تم تقدير عمرها بـ ٥٢٠٠ سنة ، بالاعتماد على معطيات القياس بعنصر الكربون ١٤ .

ثمة ظاهرة مناقضة ومعروفة ، وهي أن نباتات مناطق اليباب القاحلة ، تضرب الرقم القياسي في بطء النمو ، فأشجار الكاكتوس (الشوكيات)التشيلية المعروفة باسم « كوبيابوا » تؤلف دغلة كثيفة ضخمة عندما تبلغ ٥٠٠ سنة من العمر ، ومع ذلك ، فان قطرها في هذه الحالة لايزيد على ٦٠ سم .

وثمة أشجار في أميركا اللاتينية ، تدعى أشجار « آنا كانتيروبوس » لا تنمو أكثر من ١٠ سم في القرن الواحد .

على أن الرقم القياسي في الطول والحجم ربما كان يعود الى شجرة « الزنزلخت » الاسترالية التي يزيد ارتفاعها الوسطي على ١٠٠ م٢ ، ويزيد محيطها عند قاعدة الساق على ٢٠ مترا ، وقد وقعت في القرن الماضي احدي هذه الأشجار العملاقة ، وكان يبلغ طولها ١١٤.٣٠م٢ .

أما الرقم القياسي في طول محيط القاعدة ، فتضربه شجرة من الفصيلة الصنوبرية يمكن مشاهدتها في مدينة « سانتا ماريا دي توليه » في المكسيك اذ يبلغ طول محيطها ٥٠ مترا عند القاعدة ، و ٣٤ مترا على ارتفاع متر ونصف من القاعدة ، وهي ولاشك أضخم شجرة في العالم ، وتلي هذه الشجرة في ضخامة الجذع والقاعدة شجرة من نوع « سكوايا » في حديقة سكوايا العامة في كاليفورنيا ، وتلقب هذه الشجرة باسم « الجنرال شيرمان » اذ يبلغ طول محيطها ٢٣.٣٠ مترا على ارتفاع متر ونصف من القاعدة .

شجرة تبيض :

وفي سياق ولع الأمريكيين بايجاد معادلات احصائية لكل شيء ، قال الاحصائيون إن هذه الشجرة تستطيع أن تنتج ٥ مليارات عود ثقاب .

وتتميز هذه الشجرة بلحاء بني قاتم وكثيف ولين ، وهي بالتالي أول شجرة ، منذ نشوء الحياة على الأرض ، لا تؤلم من يضربها بقبضته ، ويقدر وزنها حاليا بأكثر من ٢٠٠٠ طن !

والغريب أن البذرة التي تنبت مثل هذه الفصيلة العملاقة ، لايزيد وزنها الوسطي على ٤.٧ ملغ ، وبالتالي فان البذرة الواحدة تضاعف وزنها ٢٥٠ مليار مرة من أجل أن تقدم لنا شجرة « راشدة » .

وتجدر الاشارة الى شجرة تين من فصيلة ضخمة جدا ، تستأثر بانتباه الباحثين البيولوجيين ، انها شجرة « تين البنغال » التي تمتد جذورها أفقيا في التربة ، وتحتل مساحات شاسعة ، لتنبت من الفسائل التوائم عددا كبيرا ، وقد بلغت مساحة امتداد جذور احدى هذه الأشجار ٦٠٠ م٢ ، نبتت فيها من جذور الشجرة الأصلية ٣٢٠ فسيلة وشتلة تدعم بانتاجها ونموها مردود الشجرة الأم . ولعل من المفارقات أن ثمار هذه الشجرة العملاقة تضرب الرقم القياسي في ضآلة حجم التين الذي تنتجه .

ثمة شجرة هي موضع عناية ودراسة كثيفة من العلماء الزراعيين في مختلف بلاد العالم ، انها شجرة يابانية تدعى « جينكو بيلوبا » وقد تميزت بكونها الشجرة الوحيدة التي صمدت لجحيم القنبلة الذرية التي ألقيت على مدينة هيروشيما ، انها من أقدم أشجار هيروشيما عمرا ، ويبدو أنها تتحدى مرور الزمن ففي معركة « البقاء للاقوى » صمد هذا النوع زهاء ثلاثة ملايين سنة منذ نشوئه وبقي حيا حتى الآن ، وقد احتلت اهتماما خاصا لدى داروين الذي قال عنها : انها تشبه « متحجرة حية » وانها عايشت عصور الديناصور ، واجتازت بنجاح الأزمات الجيولوجية العظمى ، وشهدت بلاشك مولد الجنس البشري .

يتميز هذا النوع المرشح للتوليد في أنابيب المختبرات بأنه يقاوم بنجاح التلوث الصناعي ، والتلوث الناجم عن التكاثف السكاني ، وبالتالي فهي أفضل شجرة لتزيين أرصفة الشوارع في المدن التي تعاني من أزمة تلوث الجو والهواء ، وقد ثبت أنها تتكيف بسرعة مع مختلف أنواع المناخ ، فقد نجحت تجربة زراعتها في نيويورك ، وأصبحت تؤلف النسبة الكبرى من الأشجار التزيينية المزروعة على أرصفة وجادات مانهاتن ، يضاف الى ذلك أنها تتمتع بحصانة مدهشة ضد الطفيليات المألوفة ، ونادرا ما تستسيغها وتقطنها الحشرات والفطريات ، وثمة جانب فريد فيها ، يكمن في أنها تخلو من البراعم أو البذور ، وان كانت تنتج شيئا ما بين البرعم والبذرة ، يدعوه علماء النبات « بويضة » ، وانطلاقا من ذلك ، يقول العالم الزراعي جان ماري بيلت : « الجينكو » هي ، فعلا ، شجرة تبيض » □

قصة

العجوز.. والكلب..

بقلم : محمد سمارة

كنت أرى الرجل صاحب الكلب كل يوم ، يخرج من غرفته التي تقابل غرفتي ، معتمرا قبعته الرمادية الباهتة ، يتبعه كلبه الأبيض ذو الرجل الأرنبية القصيرة ، حيث يختفيان في شارع يؤدي الى خارج المدينة .

في البدء كانت المعرفة فيما بيننا فاترة ، تحية مقتضبة ، ابتسامة عابرة ، ويمضي الرجل دون أن يعيرني انتباها ، وكنت أراه وحيدا دائما ، لا زوجة له ولا ولد ، هو والكلب الأبيض دائما ، واذ يخرجان يتأكد الرجل أولا من إغلاق الباب جيدا ، يهز القفل مرتين ، ثم يبتسم للكلب . علامة ان كل شيء على مايرام ، ويمضيان خارج المدينة ، نقطتان من الماء تذوبان ، واذ يصدف أن يلتفت الرجل ويرى الكلب يتشمم قذارة ما ، ينهره بصوت أجش : تعال هنا يا بوبي ، هل عدت الى قذارتك ؟ يتوقف الكلب مرهفا السمع ، ثم ينتبه الى صاحبه الغاضب ، فيعدو اليه مسرعا ، متعثرا .

في الأيام الأخيرة دفعني فضول غامض الى التعرف الى الرجل ، ثمة رغبة سرية لم أكن لأقدر لها دفعا ، رأيت الرجل يخرج من غرفته يوما ، وكنت أنا أهم بمغادرة غرفتي ، فالتقينا لدى بسطة السلم ، قلت له صباح الخير .. أراك اليوم وحيدا ، وقبل أن يفتح فمه أردفت : ربما كان بوبي يرغب في التنزه هذا اليوم ، تأملني الرجل كما لودهش لوجودي ، آه .. كلا .. بل هو هناك ، وابتسم ورفع قبعته وهم بمغادرتي ، غير انه توقف قليلا . قال :

ـ وهل انت الشرقي الذي يعشق المطر ؟

ـ أجل

ـ وهل تعجبك غرفتك التي لاتتسع لأرنب صغير ؟

ـ قلت بدهشة : يبدو أنك تعرف كل شيء .

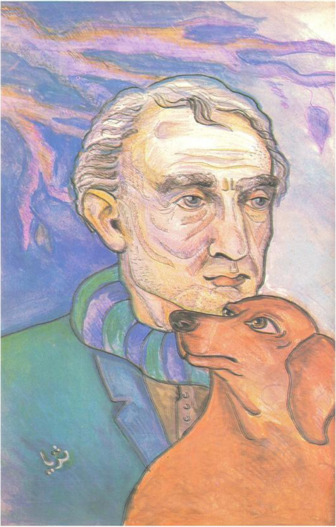
تهلل وجه الرجل لاندهاشي . قال : آوه .. كيف لا أعرف ، وقد شهدت ولادة البيت قبل ثلاثين عاما ، بل قبل اني توسطت في عملية شرائه ، تردد قليلا وأضاف : هل انت تسكن هنا منذ زمن بعيد ؟

ـ هنا منذ شهور .. وفي مكان اخر بضع سنوات ..

ـ آه .. انت متنقل كالأرانب . اذن .

وابتسم من جديد ، ووضع يده على كتفي : الا تشعر بالغربة ؟ اعني الا [illegible] كالوحـ





يهدرك في لحظة خاطفة ، فلا تشعر الا وانت تستيقظ من اغفاءة وهمية ، كما لو أنك كنت تحت وطأة كابوس ؟

في أيام الشباب سكنت لدى امرأة باريسية خمس سنوات ، تصور خمس سنوات في غرفة كجحر الفئران كنت خلالها اشعر أني سأموت ، وعندما حملت امتعتي لأغادر الغرفة ، اكتشف ان الفئران والعناكب قد اكلت أرجل السرير الخشبي الذي كنت ارقد عليه ، فقالت لي المرأة مداعبة ما هذا .. هل كنت تخبىء الفئران في جيبك يا رجل ؟

وقهقه العجوز ، وطبطب على كتفي بيد حانية ، وقال وأنت .. ماذا تحوي غرفتك ايها الشرقي ؟

قلت : كتبا ومعطفا ثلجيا ومظلة .

يا إلهي .. وهل تعشق المطر الى هذا الحد ؟

ـ وربما أخشاه ايضا .

وجم الرجل كما لو يهضم كلماتي ، قال :

رأيتك مرة من النافذة وانت تدرج تحت المطر بلا معطف .. بلا مظلة فأدهشني عشقك الغريب للمطر ، وقلت امجنون هذا الرجل ؟ ومرة رأيتك تقف تحت شجرة يقطر منها المطر كالميازيب ، فخيل الى انك في حالة من النشوة ، فخطر لي أنك ثمل ـ بل كنت في أشد حالات اليقظة .

ابتسم الرجل : هل هو جنون من نوع جديد ؟

وتمعن في وجهي كما لو كان يبحث عن موضوع جديد ، ثم تنبه الى الكلب ، الذي كان قد اختفى ، تلفت حوله وأشار الى موضع مهجور أسفل السلم قال : ربما كان هذا الشيطان هنا ، انه سيتسخ بالبراميل القذرة حتما .. معذرة .

وهرول بحركات بطيئة ، قلقة ، وجاءني صوته من أسفل السلم زاجرا الكلب مؤنبا .

سمعت نباح الكلب كما لوانه يعتذر .

* * *

بعد هذا اللقاء دعاني الرجل ذات نهار الى غرفته ، وصار يجد بي ـ كما أخبرني ـ وجه ابنه الذي قتل في حرب قديمة ، وقال : لولا سمرتك وشاربك لأقسمت أنك هو ، ولكن كيف لم أرك يا رجل ؟

ونهض متأملا صورة ابنه المعلقة على الجدار ، ومالبث أن خطا نحو النافذة هاتفا بانبهار الصغار :

انظر أشجار شابة ، وعروق تمتلىء بأنفاس الحياة ، طيور ترفرف راقصة ، في حركتها عزف الخلود ، فهل يصمت العزف ويسود الوجع القاتل ؟ وطأطأ رأسه كما لو أخذته نوبة بكاء ، رفع رأسه آه .. لابأس ، لقد شغلتك بأمور خاصة أيها الصديق ، لا أعرف لماذا تأخذنا حالات من الضعف ، فندفن رؤوسنا في الثلج ، ونترك شمس الله تذهب هباء ، لقد كتب لي ولدي ذات يوم : انك يا ابتي شجرة تنبت في صحراء ، غير انك تملك أغصانا وارفة .

اني أفكر أحيانا في ما تعنيه تلك الكلمات الجميلة ، وأقول ان الولد يكتب أشياء عميقة ، أعمق من تجربة أبيه في كهف الحياة ، كنت أقول إن الله يمنح الصغار أحيانا رؤوسا ناضجة ، والا كيف يصغي ولدى لصوت البوق الذي أعلن الحرب ؟ كيف أفكر وأنا أقرأ رسائله أنه كتب السطور على ضوء شمعة أو وهج سيجارة ، فلقد تعلم التدخين في الجبهة ، ولم أشأ أن أخبره في أولى اجازاته أن أسنانه صارت بلون الرماد ، أفلا يكفيه وجع التفكير بأبويه وهو في صحراء الموت ، حيث حرائق الروح ورماد القلب ؟ كان المسكين يحمل عذابات قلبين ، حتى وهو تحت اضراس الحرب ، وصار بوبي ـ الذي كان جرواً آنذاك ـ يستقبله على عتبة البيت ، نابحا بصوت كالنحيب ، كما لو أنه يعرف أن ثمة سكينا تختبىء وراء الباب ، ونهرت بوبي مرة ، لكن نباحه ظل كالورم في الخاصرة ، وصار ولدي اذ يدخل البيت يهش للجرو ويبش ، وأغرم به بشكل جنوني حتى انه كان يحتفظ له بقطع البسكويت المملح الذى يجلبه من الجبهة .

توقف الرجل ريثما يلتقط انفاسه ، تأمل الكلب الذي أقعى في زاوية الغرفة ، قال : لا أخفي عليك أني اذ أجلس في الغرفة وحيدا ، وأنظر في عيني الكلب ، ينتابني هاجس بأن في عينيه كلاما ، أشعر أنه يقول بعينيه الصامتتين أشياء بليغة ، فما أبلغ ما ينطق به الصمت أحيانا ، ولولا بقية عقل في رأسي لقلت أنه كان يتحدث فعلا ، وصرت أحادثه كما لوكان انسانا ، أقول له أين ذهب صديقك أيها الكلب المتسكع ؟ فيرمقني بذات النظرات ، وترمش عيناه فيخيل الى انه يجيبني ، وأروح أنسج ما يصوره

لي الوهم أنه كلام الكلب ، وكانت المسكينة ـ زوجتي ـ تفاجئني وأنا على هذه الحالة ، فتزجرني كطفل ، وتقول : أجننت يارجل ؟ فأصرخ : لكن ولدي مات يا ماري .

فتقول : لكنه ولدي أيضا .

وماتت المسكينة بعد شهور ، فأدركت كم كانت محزونة تلك المخلوقة الرائعة ، لقد كان في أعماقها ظلام أشد من ظلمة أعماقي ، لكنها كانت مقفلة الصدر كصندوق ، وفي المقبرة دفنتها ، ووضعت باقة من الورد ، وكان بوبي يرقب ذلك بعينين صامتتين ناطقتين ، تماما كما فعل أول مرة اذ دفنت ولدي ، اني اتساءل أحيانا من يضع الورد على قبري حين يداهمني الموت ؟ ومن سيزورني كما أفعل أنا الآن ؟ اني أغادر غرفتي ـ كما ترى ـ وأقطع مسافة ثلاثة أميال لكي أصل الى المقبرة ، وهناك أجلس والكلب نرقب القبرين المتجاورين ، قبر ولدي وقبر زوجتي ، واتخيلهما يرقدان باطمئنان ، وأكاد ارى زوجتي ترمقني باشفاق وتقول : عد الى غرفتك ايها الرجل العجوز ، الثلج لا يرحم العظام الهرمة ، فأكاد انتفض معاتبا : كفى يا ماري ، انها الراحة ، اذ اقطع كل هذه المسافة وأراك الى جوار ولدك ، لا حاجز بينكما الا الورد ، ألا يسعدك ذلك يا ماري ؟

وفي الغرفة أروح أردد مع نفسي مفجوعا : لم يعد ثمة أحد ينتظر عودتي .. لم يعد ثمة من يطرق على الباب متفقدا ، أنا والكلب وحيدان ، شجرتان في صحراء الحياة ، وأنظر الى الكلب وأقول : لم يبق إلاك أيها الكلب الطيب ، فيرمقني بنظراته الناطقة ، كما لو يؤيدني في ما أقول ، فيسعدني ذلك ، وأغيب في خدر نشوة سرية .

والتفت الرجل ، ونظر في وجهي ، وعاد يقول : وأنا من سيزور قبري ايها الرجل الشرقي ؟

* * *

بعد هذا اللقاء مات الرجل العجوز فجأة ، وجدناه محتضنا صورة ابنه ، بينما الكلب في فراغ الغرفة نابحا كما لو يستغيث ، وخرج نزلاء البيت صفا واحدا يمتص سحناتهم شحوب داكن ، وتبرعت صاحبة البيت ـ التي لم أرها الا بضع مرات ـ بكامل مصروفات الدفن ، وكانت تقول : كان المرحوم طيبا ، وقف الى جانبي ايام وفاة زوجي حين كان الآخرون يتفرجون .

وغطى ندف الثلج الوجوه والأرض المعشوشبة ، وذوائب الأشجار ، ووقف الكلب على مسافة يرمق الجسد الهابط الى الظلام بسكون .

وفي اليوم التالي رأيت الكلب ـ من النافذة ـ يتحرك متعثرا برجليه القصيرتين ، مخترقا الشارع المؤدي الى خارج المدينة ، قاطعا ثلاثة أميال ـ قطرة ماء تذوب ، وكان المطر يتساقط . □

عندما تتحدث المرأة

التقت إحدى السيدات بالكاتب والمؤلف الانجليزى الساخر برناردشو فى حفل خاص ، وما كادت تجلس معه حتى انطلقت تروى له حكاية طويلة بلا نهاية .. ولكنها ما لبثت أن توقفت فجأة عن الحديث وقالت : « أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك ، فما زال للقصة بقية ! » .

وقال شو مبتسما : أبدا يا سيدتى استمرى فى حديثك ، فأنا مشغول فى التفكير فى القصة الجديدة التى سأكتبها ! هل تعرفين ماذا سيكون عنوانها ؟ إنها قصة من وحى التجربة التى أعيشها هذه اللحظة « عندما تتحدث المرأة الى رجل أصم ! » .



حضارات سادت ثم بادت

اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة نمرود داج في الأناضول

الاسم هنا لا يدل على شخص بل على جبل .. هو ذلك الجبل المقدس الذي يقع في منطقة كوماجين في الأناضول .. بالقرب من الحدود بين سوريا وتركيا .. ومن مجرى نهر الفرات المحاذى لتلك الحدود .

ومنطقة كوماجين منطقة جبلية يتجلى فيها عنفوان الطبيعة وتكثر فيها الجبال الشاهقة الكثيبة ، فهي جبال عارية ترتفع وسط صحراء مقفرة فهي بالتالي قليلة السكان وتكاد ان تكون غير مأهولة . هذا بخلاف ما كانت عليه المنطقة في الماضي ، فقد غطتها الغابات وازدحمت بالسكان ، واثرت من موقعها على مفترق الطرق التجارية ومن ثرواتها المعدنية التي شملت الفضة والنحاس والرصاص ..

والجبل المقدس أو نمرود داج هو أعلى جبال المنطقة . ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠٠ متر ، وهو أشهرها بلا جدال ، وقد استأثر بعدد كبير من التماثيل التي تناثرت على سفوحه وفوق قمته ، والتي لا مثيل لها في العالم أجمع ، فهي تماثيل عملاقة تفوق في ضخامتها تماثيل اليونان والرومان ، وتماثيل القمة منها أضخم من تماثيل السفوح اذ يبلغ طول الواحد منها ٩ ـ ١٢ مترا ولا يقل طول الوجه وحده عن مترين أو يزيد . وهي خمسة نحتت في الصخور .. بينها تمثال الملك وتحيط بها تماثيل الأسود والنسور .

ويتوج قمة الجبل المقدس بناء هرمي الشكل من حجارة مطحونة لايواء جثمان ملك كوماجين الملك انطيوخوس الأول وذلك وفق وصية هذا الملك الذي اختار تلك البقعة لدفنه نظرا لتعلقه بالخلود ولاعتقاده بأن الذرا الشامخة أوثق صلة بالخلود وأضمن سبيلا اليه ..

والعجيب في أمر منطقة كوماجين هذه ، أن تاريخها يعود الى القرن السادس أو السابع قبل الميلاد ، وكان المفروض ان تظهر على مسرح التاريخ ، في ذلك الماضي السحيق نظرا لثرواتها



ـ رؤوس التماثيل المنثورة على سفوح الجبل الشرقية والغربية ، والغريب ان هذه الرؤوس تمثل في الغالب آلهة اغريقية ولكن غطاء الرأس الذي ترتديه ليس اغريقيا بل انه شرقي ، وهو نفس الغطاء الذي يظهر على تماثيل الاله ميثراس .

المعدنية وموقعها التجاري الممتاز . . ولكن موقعها السياسي غير الممتاز هو الذي أبقاها طي الكتمان طوال تلك القرون .

ذلك ان كوماجين وقعت بين امبراطوريتين عظيمتين هما امبراطورية فارس التي ازدهرت في القرن السادس ق . م وامبراطورية الاسكندر الأكبر التي امتدت عبر القارات في القرن الرابع ق . م ، وقد خضعت كوماجين لكلتا القوتين ولم تملك الا أن تكيف نفسها وفق رغباتها في فترة



خريطة نمرود داج

الفراغ النسبي ، فترة القرن الخامس قبل الميلاد . . .

وبدأت كوماجين الخروج من مجاهل التاريخ والتحرر من نفوذ امبراطورية الاسكندر عندما بدأت تلك الامبراطورية في الانحلال ، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد ، وشاءت الأقدار أن تكون الامبراطورية الرومانية قد أخذت في الظهور والخروج على مسرح الأحداث لا بوصفها دولة بين الدول ، وانما باعتبارها امبراطورية العالم الوحيدة التي لا ينافسها على حكمه منافس . . .
وما أسرع ما احتلت جيوش الرومان أقاليم آسيا الصغرى الواحدة بعد الأخرى . . حتى اذا ما وصلت تلك الجيوش الى منطقة كوماجين توقفت . . غير ان توقفها لم يكن بسبب حصون كوماجين وقلاعها ، ولا بسبب جيوشها وأسلحتها . . وانما كان تبعا للحكمة أو الديلوماسية التي تحلى بها ملكها الملك انطيوخوس الأول (سنة ٦٩ ـ سنة ٣٤ ق . م)

ولا يعرف بالضبط ، ولا بالتفصيل الكيفية التي حافظ بها هذا الملك على سفينته وحال دون غرقها في البحار العاصفة التي غالبا ما رافقت



ـ رأس (تيخه) الهة الحظ .. وهو رأس عملاق يبلغ ارتفاعه مترين .. وتجتمع فيه انماط الفن الاغريقي والفن الفارسي كما اجتمعت دائما في تماثيل نمرود داغ التي تعود الى القرن الاول قبل الميلاد .

١

حكم الرومان . وثمة دليلان قاطعان على أنه أدى المهمة خير أداء . أولهما خزينة المملكة التي تركها مليئة بالكنوز والأموال عند موته ، والثاني بلدة ارساميا التي أقامها في بطن الوادي الذي يطل عليه الجبل المقدس نمرود داج . أقامها وأقام فيها ـ كما يقول الملك نفسه ـ القصور الجديدة والأسوار . . بقصد تجميلها وتحصينها ، وأقام خزانات للماء جديدة بالقرب من المنازل بحيث تصل الأنابيب بين هذه وتلك ، فينعم السكان بماء الفرات القادم من الينابيع . .

ومن أطرف معالم هذه البلدة المندثرة العمود الذي توّجهُ نسر سموه قرقوش (أي العصفور الأسود) ، وقد دلت النقوش والكتابات على ان العمود يمثل ضريحا دفنت فيه ثلاث نساء من دماء ملكية . .

وغني عن البيان ان المعتقدات الوثنية هي التي طغت على حضارة كوماجين فالاله ميثراس إله نور الشمس هو إلهُهُمْ المفضل ، وهو من آلهة الفرس القديمة . . وقصة هذا الاله باختصار هي أنه لاحق الثور وواصل ملاحقته حتى تمكن منه وذبحه ، وعندها كانت عربة الشمس المضيئة في انتظاره فركبها ميثراس وارتفع بها الى السماء . .

وانتقلت عبادة ميثراس من كوماجين الى روما ، واكتسحت شتى أرجاء الامبراطورية ، وكان ذلك في الأثناء التي انتشرت فيها تعاليم المسيحية في تلك الامبراطورية ، ولطالما قامت المقارنة أو المفارقة بين السيد المسيح وميثراس في مجالس الرومان ، فهما نظيران في اجتهادهم ، وقد ارتفعا في النهاية الى السموات العُلا . .

ولكن الرومان عبدوا الها آخر ذا صلة بكوماجين هو الاله جوبيتر دوليشوس الذي جاء في دوليش ، وهي الأقليم الواسع الذي يضم كوماجين . واشتهرت دوليش هذه بنوع من الحديد درجوا على استخراجه منها . . فالاله المذكور انما جاء من دوليش هذه وقد امتطى ظهر ثور كما تصوره الرومان وصوروه .

بيد ان استقلال كوماجين انهار سنة ٧٢ م . . حين ضمتها روما الى امبراطوريتها واعتبرتها جزءا من مستعمرتها آنذاك ، سوريا . وقل مثل ذلك في الجبل المقدس وآثاره ، فقد اعتراها الاهمال ولم يغفل عنها جنود الرومان أو لصوصهم .

بقي ان نذكر ان المنطقة مهددة بخطر جديد من نوع آخر . انه خطر السد المزمع انشاؤه فيها ، فهو كفيل بالقضاء على آثار المنطقة ما لم تبذل الجهود الفعالة من أجل انقاذها على نحو ما بذلت لانقاذ آثار معابد أبي سنبل حين هددتها مياه السد العالي . . على أن آثار الجبل المقدس جبل نمرود داج وبخاصة تلك التي تعلو قمته فى مأمن من السد الجديد ومياهه ، فمهما بلغ ارتفاع هذه المياه فانها لن تغمر الجبل الشامخ الذي لا يقل ارتفاعه عن ٢٠٠٠ متر . . □

■ كل ما حققه الانسان اليوم ، لم يكن بالأمس أكثر من مجرد خيال .

« وليم بليك »

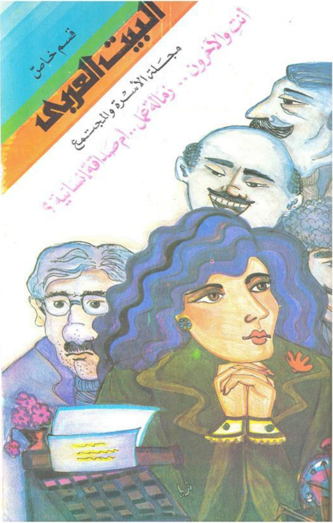
■ العلم هو العلاج الوحيد الذي يمكن أن يقضي على الخرافات .

« آدم شميث »

■ الرأي العام قوة خفية لا يمكن مقاومتها .

« نابليون »


73D الجديد
VHS
إنه فيديو VHS الجديد
الذي يوفر أداء توشيبا
ذو الجودة العالية مع
وظائف أوتوماتيكية ومنظم أوتوماتيكي
للتيار الكهربائي. ولكنه ليس
الوحيد، فإن مجموعة مسجلات
فيديو كاسيت VHS وبيتا من توشيبا
ستضيف الجودة والبهجة إلى
حياتك، توشيبا تدخل
التكنولوجيا إلى حياتك.
صنع باليابان
TOSHIBA
PAL/MESECAM
V-73D
بال / مسيكام
نظام مزدوج • وظائف أوتوماتيكية (إبتداء
التشغيل أوتوماتيكيا، تشغيل أوتوماتيكي، ترجيع
أوتوماتيكي، ترجيع وإيقاف التشغيل أوتوماتيكيا)
• موقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • نظام بحث عن الصورة
متقدم • حركة تشغيل بطيئة سرعة ١/١٠ • تحكم عن
بعد لاسلكيا • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.
V-57TR
VHS
بال / ميسيكام / أن تي أس
سي ٤٫٤٣ ميجاهرتز
٣ أنظمة • موقت مبرمج لـ ١٤
يوم / برنامج واحد • نظام
اختيار الڤولت • تحكم عن
بعد لاسلكيا بعدة
طرق.
V-53TR
Beta
بال / سيكام / أن تي أس
سي ٤٫٤٣ ميجا هرتز
٣ أنظمة • موقت مبرمج لـ ٧ أيام /
٤ برامج • تحكم عن بعد لاسلكيا
للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد
لاسلكيا ١٤ وظيفة • منظم
أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.
V-51D
Beta
بال / سيكام
نظام مزدوج • موقت
مبرمج لـ ٧ أيام / برنامج
واحد • منظم أوتوماتيكي
للتيار الكهربائي • تحكم
عن بعد ٩ وظائف.
TOSHIBA
TOKYO JAPAN



البيت العربي
قسم خاص
مجلة الأسرة والمجتمع
أنت والآخرون.. زمالة عمل.. أم صداقة إنسانية؟؟

أنتِ والآخرون

زمالة عمل.. أم صداقة إنسانية..

بقلم زينب الكردي

« رغم ان المرأة قد خرجت الى العمل منذ زمن طويل ، الا أنَّ علاقتها بزملائها ما زالت قضية ساخنة ، يدور حولها حديث ونقاش واجتهاد لا ينتهى » .

حتى مرحلة زمنية قريبة ، لا تتجاوز الربع قرن ، كانت علاقات المرأة الاجتماعية ضيقة جدا ، ومحصورة داخل نطاق أسرى محدود ، لا يتجاوز دائرة أقاربها من الدرجة الأولى أو الثانية ، على أكثر تقدير .. أما الآن ، بعد أن اتيحت فرص التعليم بجميع مستوياته أمام المرأة ، وبعد أن ساعدها هذا التعليم على اقتحام كل مجالات الحياة العلمية والعملية ، انقلب الوضع وأصبحت علاقات المرأة الاجتماعية تشكل حجر الزاوية فى بناء شخصيتها ومستقبلها مهنيا واجتماعيا ، لذا كان من الطبيعى أن يشكل هاجس احتمال الفشل فى تكوين علاقات قوية ومتوازنة مصدر قلق لايستهان به بالنسبة لأى خريجة حديثة تقف على أعتاب حياتها العملية لأول مرة . وقد يفسر هذا القلق على أنه دليل ادانة ضد المرأة ، يثبت عدم نضجها وقلة خبرتها بالحياة والناس ، أو عدم أهليتها لتحمل مسئولياتها خارج نطاق البيت ، الا أنه فى تصورى يثبت العكس تماما ، إذ يدل على حدة شعور المرأة بالمسئولية تجاه ما ينبغى أن تكون عليه صورتها فى عيون الآخرين ، كما يعنى وجود رغبة حقيقية لديها فى السعى لتحقيق الأفضل دائما على المستويين المهنى ، والاجتماعى ، خصوصا فى زمن تكلست فيه قيم الماضى الجميلة .. زمن أصبحت فيه الازدواجية فكرا وسلوكا ، هى الأصل وما عداه استثناء ، ما يقال فى العلن يختلف - ربما الى حد النقيض - عما تضمره النوايا ، ولم يعد الانسان يأمن ان تأتيه طعنة الغدر حتى من أقرب الناس اليه . . .

مقاييس وحدود

هل يعنى هذا الكلام أن نجاح المرأة العاملة فى تكوين علاقات زمالة سوية تُجنبها ألسنة السوء،أو سوء الفهم مسألة مستحيلة ؟ .. طبعا لا .. فالنجاح ممكن بشرط أن تفرقى - عزيزتى المرأة - منذ البداية بين الصداقة وبين الزمالة ..

فى الزمالة أنت لا تختارين زميلك أو زميلتك ، فالظروف المهنية وحدها هى التى فرضتها عليك ، وأيًا كانت شخصية هذا الزميل أو ذاك .. مهما كان التباين بين تركيبتك الشخصية وتركيبتهم ، لا مفر

أمامك من التعامل معهم وفى داخلك حد أدنى من الرغبة فى التكيف معهم وقبولهم بما هم عليه .

الزمالة تتطلب منكِ أن تكونى بسيطة فى تعاملك ، بمعنى أن لا تتعاملى من منطلق سوء النية .. وتذكرى أن أبسط قواعد العدالة تقرر أن الانسان برىء حتى تثبت ادانتـه ، وهـذا لا يعنى أن تمنحى ثقتـك المطلقة .. الاعتدال هوالمطلوب ، الاعتدال هنا لا يعنى الا شيئا واحدا ، هو أن تلتزمى فقط بالأصول فى كل شىء ، وأن تبتعدى عن كل ما يمكن أن يثير ريب الآخرين أو حنقهم عليك،كأن تتعاملى مع زميل من منطلق الشك ، فتثيري غيظه وحنقه عليك ، وربما دفعـه هذا الغيظ الى ايذائـك فعـلا عنـدمـا تحين الفرصة .

أيضا فى محيط زمالات العمل لا ينبغي أن يكون هناك أى مجال للانفعال المفاجىء أو المبالـغ فيه .. مثلا لا داعي لأن تحتدى وترفعى صوتـك عاليـا اذا أخـطأ أحد الـزملاء أو الـزميلات .. ضبط النفس لحظة الانفعال مسـألة ضـرورية،ومـطلوب أيضا أن تؤجلى النقاش فى الأمـر برمتـه لليوم التـالى ، حتى تعـطى لزميلك ولنفسـك فرصـة مراجعـة الذات ، وعندما تقررين مناقشة الأمر ، فليكن ، بشرط أن لا يكون داخلك رأى مسبق أو اتهام داخلى بأن الخـطأ كان متعمدا ، أو أن ثمة من حرّض عليه .. الحوار فى هذه الحالة لن يجدى ، لأن ما يبنى على افتراضات خاطئة لن يؤدى الا لمزيد من الأخطاء ، لذا ينبغى أن تناقشى الأمـر بشكـل هـادىء ومحـايـد .. ومن يدرى .. قد تكتشفين أنكِ أنت التى دفعتِ زميلك للخطأ بحسن نية .. أو ربما كنتِ أنت المخطئة وليس هو ، وفى هذه الحالة لا أعتقد أنك بحاجة لمن يطالبك بالاعتذار وتوضيح حسن نيتك ، حتى لا تتركى فى أعماق الطرف الآخر أى رواسب نفسية قـد تتراكم داخله مع الوقت ، وربما أدى هذا الى تعاطف باقى الزملاء معه وينتهى الأمر بك لأن تجدى نفسك محاطة بدائرة من الأعداء الذين سيتربصون بك .

معاملة زملاء العمل :

كيف تتعاملين مع زملائك من الرجال ؟ سؤال قد يبدو من السهل الاجابة عليه ، وقد تكابر الفتـاة ، وترد قائلة بثقة : ليست هناك مشكلة ، لقد التقيت بهم فى محيط الأسرة .. وفى الجامعـة ، وكنت دائما أتصرف بشكل ممتاز ، إلّا أنه رغم هذه الثقة الظاهرية فإن هذه النقطة بالذات تؤرق الفتاة الى حد كبير ، ففى الســابق كان من السهـل على الفتـاة أن تحسم المشكلة بأن ترفض التعامل نهائيا مع الشـاب الذى يضايقها ، أما فى حالة زميل العمـل فالأمـر يختلف تماما .. هنا هي مجبرة على التعامل معه والاحتكاك به يوميا ، وهذا يعنى أنه لا بد من وضع أسس ثابتة تحدد طبيعة هذه العلاقة منذ اللحظة الأولى ......

وبداية علينا أن نعترف بواقع مؤلم ، لكنه حقيقة واقعة للأسف .. تلك الحقيقـة تقول أن ٧٠٪ من شباب مجتمعاتناالعربيـة يرددون ـ فى وجـود الفتاة ـ شعارات براقة وجميلة جدا عن قدسيه الـزمالـة .. وأخوة العمل .. وجـو الأسرة الـواحد و .. و .. و .. الـخ،مجرد كلمـات لا تطبقهـا الا قلة بسيـطة جدا ، وحتى هذه القلة عادة ما تكون من فئة كبـار السن ، ممن تجاوزوا الأربعين ، أو من الآباء الذين لديهم بنات فى طور البلوغ ، وما يحدث هو أنه بمجرد أن تختفى الفتـاة من أمامهم حتى تصبـح لكلمـاتهم التقدمية هذه طعم ، ومضمون آخر ، ولو أتيح لأى فتاة أن تحضر جلسة رجالية خاصة ومغلقة لأصيبت بالجنون ، مما ستسمعه من تعليقات ونكات و ... و ....

لكنك فى النهاية ـ ومهما كانت مرارة هذا الواقع ـ جزء من النسيج الاجتماعى العام ، وليس أمـامك لتحمى نفســك من سلبيات هـذه الازدواجيـة ، وسياسة هذه « نقرة » وتلك « نقرة » أخرى ، الا أن تلتزمى بقوانينـك الخاصـة التى هى فى نفس الوقت انعكاس لما يـدين به العـرف والمجتمع ، .. مثلا لاتنفتحى تماما على مجتمع زملاء العمل الرجال ، ولا تهدمى الحواجزبينك وبينهم ، ودعى حاستك كأنثى تساعدك على ايقاف كل من يحاول أن يتجاوز حدوده معـك عند حـده .. لا تدعى لحظة صفاء عـابـرة تستخفك ، فتمزحين مع هذا ، وتبادلين النكات مع ذاك ، ففى محيط العمـل لامجال لأى حـوار ، إن لم يتحول الى شريحة انتاجية ، والأهم من هذا كله هو أن لا تحتمى فى أنوثتك مهما كانت المبررات .

أوقات الراحة

بعض الموظفات لا يحتملن تأجيل العمل أو التباطوء فى انجازه ، وبالتالى كثيرا ما تجد الموظفة نفسها فى حالة راحة مؤقتة ، مما يدفعها الى ترك مكتبهاوالتجول هنا وهناك ، تسأل هذه عن آخر الأخبار ، وتلك عن آخر خطوط الموضة ، وتنسى أن هناك عملاء لا يمكنهم أن يستوعبوا الا ما يرونه بأعينهم ولا يعلمون انها انجزت عملها الخاص بها ، وبالتالى قد يفسرون سلوكها هذا على أنه استخفاف بوقتهم وبمصالحهم .. تنسى أيضا أنها قد تكون الوحيدة التى لديها ماتفعله ، وأن تجولها هذا هنا وهناك يكون على حساب زميلاتها ، ويتسبب فى تعطيلهن ، وبالتالى تعطيل مصالح الناس . . .

وبالمناسبة أحب أن ألفت انتباهك لأهم عيب تعانى منه التجمعات النسائية ، الا وهو النميمة ، . . ابتعدى تماما عن هذا الفخ ، ولا تشجعى أى زميلة لك على الخوض فى سير الآخرين ، ولا تستسلمى لاغراء الاصغاء بدافع خفى من حب الفضول والرغبة فى معرفة أسرار الناس ، وتذكرى حقيقة مهمة جدا ، وهى من تتناول الآخرين فى غيبتهم لن تستثنيك أنت أيضاً فى لحظة ما ، ومن يدري لربما خشيت مغبة أن تنقل أنت ما سمعته لصاحبة الشأن ، فسارعت الى إلصاق تهمة القيل والقال بك ، واتهمتك بكل كلمة قالتها هى لتنجو على الأقل ، لتحمى نفسها فى حالة ما اذا تناثر الكلام هنا أو هناك .. لاتأمنى لهذه النوعية ، وضيقى نطاق معاملاتك معها قدر الامكان ، وحتى لو كانت هناك زميلة تثقين فيها ، تجنبى أن تذكرى أمامها مايمكن أن يسيء لزميل أو زميلة ثالثة ، لأن هذا السلوك غير اخلاقى أولا ، ولأن أصدقاء الأمس قد تتحول مواقفهم وعواطفهم لسبب ما .. أيضا لا تجرحى شعور الآخرين بدعوى أنك صريحة و « دوغرى » . .

هناك دائماخيط رفيع بين الصراحة وقلة الذوق ، ولا أعتقد أن انسانة ذكية مثلك لا يمكنها التفريق بينهما،ثم ان الصمت أحيانا يكون أبلغ من أى كلام . . .

أنتِ ورؤساؤك

معظم الموظفات - وبخاصة الحديثات منهم - يشعرن بالارتباك فى مواجهة رئيس العمل ، الا أنهن مع تعدد التجارب والاحتكاك اليومى يكتشفن أن نجاح الموظفة فى علاقتها برئيسها مرهون بمدى ثقتها فى نفسها وفى قدراتها ، كموظفة تستوعب كل تفاصيل العمل ، وكلما توفرت هذه الثقة كلما أصبحت علاقاتها بالرؤساء جيدة ومتوازنة ويسودها الاحترام . . .

الا أن بعض الموظفات يتبعن - أحيانا - أسلوبا ملتويا فى علاقاتهن برؤساء العمل ، ويعتمدن على أشياء كثيرة ليس من بينها الكفاءة المهنية للأسف . . هل تريدين أمثلة . ؟

مثلا هناك موظفة تفوز بوظيفة معينة نتيجة للواسطة ، أو لأنها ابنة فلان أو علان .. هذه الموظفة تنسى أن الواسطة ، وان ساعدتها فى الحصول على وظيفتها ، الا أنها لن تثبت ابدا بعد ذلك أحقيتها فى الاستمرار فيها ، أو حتى فى اكتساب احترام رئيسها بل وزملائها . . .

هناك نوع آخر من الموظفات ، تختار الواحدة منهن أسلوب التبعية الكامل ، كى تحظى بمجرد نظرة رضى من رئيسها ، وما يستتبع ذلك طبعا من علاوات ومكافآت .. الخ ، وقد تصل هذه التبعية الى درجة تجد فيها الموظفة نفسها مضطرة لموافقة رئيسها على كل ما يقوله أو يفعله ، حتى لو كان منافيا لأبسط حقوق العدالة والقانون ، ومع الوقت تتحول الى أداة طيعة فى يد الرئيس الذى عادة ما يستغل هذا لتحقيق مآربه ومصالحه الخاصة ،وبغض النظر عن الضرر الذي يمكن أن يعود عليها ، وما اكثر المآسى التى نسمع عنها ، والتى تدور معظمها عن رجال فى مواقع المسئولية اختلسوا .. وارتشوا وفى النهاية حملوا كل آثامهم وأوزارهم لموظف مسكين ، كان كل ذنبه أنه صمت فى اللحظة التى كان ينبغى فيها أن يتلكم . .

هذا لا يعني أن تناصبي مديرك العداء ، بالعكس .. مطلوب أن تكسبي ثقته وتقديره بشرط أن لا تخسري نفسك .. دعي عملك وحده وانضباطك في كل ما يصدر عنك يفرضك على رئيسك .. قد لا تكونين ذات حظوة كتلك التي اختارت وسائلها الخاصة في الاقتراب منه .. وقد يستثقل ظلك ، لكنه سيحترمك قطعا أكثر منها بينه وبين نفسه .. لا تتعجلي النجاح ، وخففي من صوت طموحك الجامح ، فما يأتي بسرعة يذهب بسرعة .. لكن خطواتك متأنية راسخة ، لكنها في الوقت نفسه قائمة على أساس متين وقوي من التقدير الاحترام .... عزيزتي العاملة ..

ما العمل اذا كان رئيسك يمت اليك بصلة قرابة أو نسب أو ما إلى ذلك .. هل تتصرفين بشكل عادي دون الاشارة لهذا الموضوع وتبذلين جهدا يفوق جهد الآخرين ، أو على الأقل مساوياً لهم ، أم أنك ستجدينها فرصة وتتباهين أمام الكل بهذه الصلة ، ليخافوا منك ويعملوا لك ألف حساب ....

أعتقد أنك ستتصرفين بالطريقة الأولى ، لأنك لو تفاخرت وتباهيت أمام زملائك ستدفعينهم دفعا الى النيل منك ، مهما كانت درجة كفاءتك عالية ، ومهما بذلت من جهد ، وحتى العلاوات والترقيات التي ستنالينها ، لأنك تستحقينها فعلا ستثيرهم ضدك وسيحاولون الايحاء بأنها نوع من المحسوبية،وتذكري انك بالنسبة لهم قريبة « البيك » المدير .. أي أنك في نظرهم عينه التي ترى وأذنه التي تسمع ، وضميره الذي يحكم ويقيم ، وهذا معناه أنهم سيتعاملون معك بحذر شديد ، وسيحاولون اخفاء أي حدث يمكن أن يسيء لواحد منهم ، تحسبا من وشاية مفترضة أو متوقعة ، .. وربما عمد كل منهم الى التقرب منك ، وكسب ودك وثقتك ، لمجرد أن تنقل انطباعك الطيب عنه للسيد « المدير » مع أنك لست من هذا النوع الذي يقوم بنقل الأخبار والوشاية بزملاء العمل .. فكرة ظالمة ، لكنك مجبرة على معايشة هذا الوضع ، وتلك الفكرة حتى تبرهني لهم بالتدريج أنك موظفة لا تختلف عنهم في أي شيء ..

لا تحاولي الدفاع عن نفسك بالكلام ، لأنه لن يجدي ، بل دعي الواقع والتجربة تبرأ ساحتك

المدير .. إمرأة

ثمة نقطة شبه أخيرة في هذا الموضوع ، وأعني بها تلك الحساسية المفرطة اذا كانت الرئيسة امرأة ...

المرأة « المديرة » موضع سخط الجميع ، فالرجال لا يقبلون برئاستها الا كارهين ، لأن القوامة في نظرهم يجب أن تكون للرجل وليس للمرأة .. والنساء أيضا يتضايقن منها ، ربما لشعور داخلي في أعماقهن بأنها - بحكم المنصب - في موقف الأعلى والأكثر تميزا ... وهي حساسية ليس لها ما يبررها بالنسبة للمرأة العاملة بالذات ، لأن السلم الوظيفي مجموعة من الدرجات تسلم كل منها للأخرى ، ورئيستك تلك التي تتهمينها بأنها لا تجيد الا فن الأوامر والنواهي والحركات الاستعراضية - هي نفسها مرؤوسة من موظف أو موظفة أخرى .. وهكذا ... وهذا التسلسل الوظيفي ضروري لانضباط العمل وتوزيع الاختصاصات والمسئولية لضمان حد أدنى من الأخطاء ، وللحد من الفوضى التي تؤدي لانهيار كيان الدولة وضياع مصالح الناس .. أنت اذن لبنة في صرح عظيم ، وهي أيضا مثلك لبنة في نفس الصرح ، كل ما هنالك أن مكانها جاء بحكم تجاربها وخبرتها في منزلة أعلى قليلا منك .

والآن دعينا نتكلم عنك أنت .. عن مظهرك الخارجي وما يجب أن يكون عليه ...

ان الكلمة الوحيدة التي يمكن أن تشمل كل ما يمكن أن يقال هي : البساطة .

البساطة في كل شيء ، في المكياج ، تسريحة الشعر ، الزي ، طريقة الكلام .. لا تقعي في الخطأ الذي تقع فيه الكثيرات عندما يذهبن الى مكاتبهن وكأنهن ذاهبات الى عرض أزياء .. كل يوم فستان وكل يوم تسريحة جديدة .. هذه الحركات الاستعراضية تثير سخرية زملائك وتعليقاتهم لا لن ترحم ، والتي - وهذا هو الأهم - لن تسمعيها أبدا . □

العناية بأقدام الأطفال تجنبهم آلاماً كثيرة

إعداد : على حسين فياض

« كلنا قد عانى من آلام الأقدام ، وآثارها ، لكن القليل منا من يعرف أن الآلام سببها عدم الاهتمام بالقدم منذ الصغر » .

لصغار السن أقدام مرنة ، وطرية جدا ، وأرجل قابلة للتشوه بسهولة من خلال عادات النوم غير السليمة ، إذ ليس من الصحيح ترك الطفل نائما على ظهره وهو مرتد ملابس مشدودة حول قدميه . إضافة إلى ذلك يجب ألا يرتدي الأطفال أية أحذية الى أن يبدأوا المشي دون مساعدة ، فقد تكون الأحذية التي يرتديها الأطفال وهم في عرباتهم عائقا أمام النمو الطبيعي لأقدامهم . لذلك فمن الأفضل إرتداء الجوارب ، أو الملابس ذات القطعة الواحدة التي تغطي القدمين أيضاً ، شريطة أن يتم فحصها بصورة منتظمة . للتأكد من كونها مازالت كبيرة الحجم وواسعة . وعند الحاجة لابأس من ارتداء البدلة الكاملة مع قص الأجزاء الخاصة وارتداء الجوارب تعويضاً عنها .

ويفضل عدم تشجيع الطفل على المشى بصورة مبكرة ، لأن الطفل بفطرته يدرك الوقت الذي تكون فيه قدماه ورجلاه قويتين بصورة كافية . إن خطوات الطفل الأولى هي خطوات قصيرة وقلقة ، فهو يمشي وقدماه مبتعدتان عن بعضهما بصورة ملحوظة ، وعادة ما تنتهي محاولاته الأولى بالاستناد على الأرض بمقدمة قدميه . إن مجرد التفكير في هذا الأمر يقود إلى الاستنتاج بأنها طريقة معقولة جدا تلك التي يتبعها الطفل لحفظ توازنه ، وبأنه ليس هناك مايبرر القلق بشأنها . وعندما يصير الطفل في حالة ثقة تامة بقدرته على المشي يبدأ بتقريب قدميه لبعضهما لتاخذا وتيرة المشي الطبيعي .

إن قدمي الطفل الناشيء لينتان ومفعمتان بالنشاط لذلك باستطاعته تحريكهما باتجاهات لايستطيع أن يوجهها إليها الأطفال الأكبر سنا ، أو الناس الناضجون ، إن هذا المدى من الحركة طبيعي ، والمحافظة على نشاط العضلات بهذه الحيوية مسألة هامة لحفظ القدم قوية وصحيحة ، لذلك يجب تشجيع ضروب نشاط القدم الحافية .

أقدام الأطفال القادرين على المشي

عندما يحاول الطفل المشي لأول مرة تبدأ عظام قدميه بالتكون بشكل جزئي فقط ، ولكون قدميه ناعمتين جدا ، وطريتين للغاية ، فإنهما يمكن أن تتشوها بواسطة الأحذية المعوقة للحركة ، والثقيلة ، وغير الملائمة ، كما يمكن أن تتشوها بواسطة الجوارب الضيقة .



جرت العادة على بذل الجهود الحثيثة للفت الانتباه إلى ما يرتكب من أخطاء عند العناية بأقدام الأطفال . إذ يبدو للعيان - على سبيل المثال - أن غالبية الأطفال لهم أقدام مسطحة مسحاء ، وذلك لأن قدم الرضيع تبدو ممتلئة لكونها ملبدة بالشحوم لدرجة لايظهر معها قوس القدم ، مع ذلك نلاحظ أن قوس القدم تبرز بوضوح عندما يقف الطفل على أصابع قدميه للحصول على شيء ما . فاذا ظهرت على عظم الكاحل علامات الانحدار نحو الداخل بدرجة حادة ، وبدت على الطفل علامات الصكك (أي التواء الرجلين نحو الباطن بحيث تتدانى الركبتان) ، عند ذلك يستوجب الأمر استشارة الطبيب ، لكن بصورة عامة ينمو الطفل الطبيعي دون وجود هذه الأعراض .

يجب غسل أقدام الأطفال كجزء من الاغتسال (الروتيني) اليومي باستخدام الماء والصابون العادي ، واستعمال مسحوق الأطفال (البودرة) بين أصابع القدمين ، مع ضرورة التأكد من ارتداء الجوارب النظيفة يوميا ، كما يجب تقليم أظافر القدمين بصورة منتظمة ، على ألا يتم قطعها بصورة قصيرة جدا ، بل يجب أن تستند الأظافر على حاشية لب الأصبع ، ويجب ألا تقطع زوايا الأظافر مطلقا ، والاتستخدم آلة حادة أبدا في تنظيف جوانب الأظافر ، فاذا تجمعت الأوساخ على جوانب الظفر أمكن تنظيفها باستخدام فرشاة ناعمة .

وقد تستدعي حالات ظهور مسامير القدم ، والتصلبات الموضعية الأخرى في بشرة أصبع القدم استشارة اختصاصي لمعالجتها . ومن المهم معرفة سبب المشكلة ومعالجته .

فاذا ساورت المرء الشكوك في أن طفله يعاني من وجود نتوء صغير (ثؤلول أو مايصطلح على تسميته باسم فيروكا) ، عندذلك يتطلب الأمر تغطية ذلك

النتوء باللدائن (البلاستيك) اللاصقة ، مع عدم السماح للطفل بالقيام بأية حركة وهو حافي القدمين ، إلى أن تتم معالجة هذه الحالة بنجاح ، فإذا اتبع كل فرد هذه الطريقة سيتم حينئذ التقليل من انتشار عدوى هذه الحالة بصورة كبيرة ، وكلما تمت معالجة النتوء بصورة مبكرة كانت المعالجة أكثر يسرا وسهولة .

الاهتمام بالجوارب

يساعد تنظيف الجوارب يوميا على حفظ الجلد سليما ، وتؤدي الجوارب الضيقة المنكمشة إلى نمو عظام الطفل بصورة ملتوية ، لذلك يقتضي أن تكون مختلف أنواع الجوارب التي يرتديها الطفل واسعة بما فيه الكفاية ، كي يتمكن من سحبها لافساح المجال المطلوب لنهايات أصابع القدمين .

إن هذا ينطبق بصورة خاصة على الجوارب المطاطة المرنة التي يتوجب أن تكون مناسبة الطول ، بحيث تلائم القدم دون أن تكون هناك حاجة لأن يمط الجورب نفسه بنفسه . وعندما تغسل الجوارب يجب سحبها ومطها كي تأخذ شكلها الصحيح . كما أن الغسل الدائم الذي تبذل فيه العناية اللازمة يطيل في عمر الجوارب .

ما الذي يتوجب أن تبحث عنه ؟

تساعد الأحذية المرنة التي تنطوي بسهولة مع القدم على الخطوة الطبيعية الخفيفة ، فالأحذية يجب أن تكون لينة مطواعة على الأخص لمناطق القدم التي تنحني فيها مفاصل الأصابع ، لكنها يجب أن تكون صلبة عند الساق وقوس القدم ، وتفضل الأحذية ذات المشد (الرباط) ، أو ذات الشريط الذي يمكن تعديله ، وذلك لأنها تحتضن القدم بثبات إلى مؤخرة الحذاء ، وتمنعها من الانزلاق الى الأمام بصورة تؤدى إلى تقييد أصابع القدمين في مقدمة الحذاء .

تصنع جميع الأحذية بقياسات مختلفة ، وبوحدة نصف الحجم لكل قياس ، كي تلائم القدم العنيفة أو العادية أو العريضة . وعندما يتم قياس حجم قدم الطفل يتوجب أن يكون واقفاً ، لأن القدمين يجب أن تقاسا دائما وهما محملتان بوزن الطفل نفسه .

أين يجب أن تبحث عن الأحذية ؟

يجب قياس أقدام الأطفال ، وتحديد حجمها بصورة ملائمة من قبل شخص مدرب في هذا المجال ، وعلى الفرد أن يأخذ طفله معه دوما ، ولا يشتري له الأحذية بمفرده ، وإذا كان بالامكان يفضل اختيار محل الأحذية خلال الأوقات غير المزدحمة حيث يكون الشخص المؤهل للقياس قادرا على تخصيص الاهتمام المطلوب لذلك .

متى تبحث عن الأحذية ؟

يجب أن يتم فحص القدم النامية بصورة منتظمة ، لغرض معرفة مقدار الزيادة في الحجم ، وللتثبت من أن الحذاء مازال كبيرا بما فيه الكفاية ، لكن يفضل عند شراء الأحذية أن يؤخذ بعين الاعتبار حجم الزيادة المقرر ، وهو $\frac{3}{4}$ انج (١٨ ملم) ، كي تبقى ملائمة لفترة أطول ، ولحين نمو القدم ، بحيث تملأ المجال المذكور أعلاه .

إن الفكرة القديمة القائلة بارتداء الأحذية خلال أيام العطل والمناسبات فقط هي فكرة مغلوطة كليا ، إذ يجب ارتدا الحذاء بصورة منتظمة .

وفي الحقيقة تحوز أحذية القدم المخصصة للرياضة ، و (الجزامي) (أي الأحذية التي يتخطى أعلاها الركبة) التي تستخدم في مناسبات قليلة على أهمية خاصة ، فهي تتطلب تدقيق حجمها بصورة منتظمة .

قدم المرأة خلال فترة الحمل

عندما تكون المرأة حاملا فإن قدميها ورجليها تتحملان عبء الوزن الاضافي للطفل ، وإن من الأهمية بمكان - خلال هذه الفترة - ارتداء حذاء ذي رباط أو شريط لمنع تألم القدمين ، كما أنه من الواجب أيضا ارتداء أحذية ذات قياسات ملائمة جدا ، وذات كعوب واسعة الاسناد ، وليست عالية جدا ، على الأخص خلال الشهرين الأخيرين من الحمل ، حيث تكون وقفة المرأة متأثرة بشكل سلبي بسبب الوزن المتزايد للطفل .

إن عناية المرأة بقدميها ورجليها في هذا الوقت تقلل من التعب قبل ولادة الطفل ، كما يضعها في موقع قوي لمسايرة الأشهر اللاحقة .

ومن المفيد جدا استشارة الاختصاصي بصورة دورية ، وبخاصة قبل ثلاثة أشهر من التاريخ المتوقع لولادة الطفل ، إذ أنه أمر يجعل هذه الفترة أكثر راحة لامحالة .

كيف تعتنين بقدميك ؟

أولا : الراحة

يجب أن تخلد الأم للراحة بعد إرضاع طفلها ، وتضع قدميها عاليا ، إذ أنه أنسب الأوقات للتمتع ببعض الاسترخاء ، وعلى المرأة أن تخصص عشر دقائق مرتين يوميا من أجل راحتها ، وعندما تحين فترة الراحة تقوم المرأة بإسناد قدميها على وسادة ، وترفعهما إلى أعلى بقدر استطاعتها ، على أن تتمتع خلال ذلك بقراءة كتاب ، أو بالحياكة ، الخ .

ثانيا : تقليم الأظافر

تقص المرأة أظافرها بمستوى حدود أصابع القدمين ، على ألا تتعمق في الزوايا .

ثالثا : العادات الصحية

يجب غسل القدمين يوميا ، ورشهما بعد ذلك بالمسحوق ، وتجنب ارتداء الجوارب لفترة طويلة ، شريطة ألا تضيف خلال غسلها لقدميها الملح أو أية مساحيق أخرى إلى الماء .

رابعا : الأحذية

يجب أن ترتدي الأم الأحذية المناسبة للعمل ، وتترك أحذية (الموضة) للمناسبات الخاصة والحفلات فقط ، ويجب ألا يتم ارتداؤها خلال العمل الاعتيادي اليومي في البيت ، كما يجب أن تحاول المرأة الاستمرار بارتداء الأحذية مع نوع ما من المشد أو الرباط حول جزء الحذاء الملامس لمشط القدم ، وذي كعب يقل ارتفاعه عن ½ بوصة . □

احفظوا عني ثلاثا

● لما احتضر قيس بن عاصم المنقري حكيم العرب قال لبنيه : يا بني احفظوا عني ثلاثا ، فلا أحد أفصح لكم مني : إذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم ، وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة شهرة الكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجال .

هو .... أناقتي !

لاأدري ماذا أصابه ، فجأة أصبح شديد الحرص على المال ، وأمنياتي ورغباتي التي كان يبادر الى تحقيقها ، أصبح يضرب بها عرض الحائط ، ويفكر أكثر من مرة قبل أن يشتري لي شيئا ، أيام خطوبتنا كان هو الذي يبادر ويصحبني الى السوق ، وينتقي لي من الفساتين والملابس أحدثها موضة وأغلاها ثمنا ، وأشهد أنه استمر لفترة طويلة بعد زواجنا ، وحتى انجابي لطفلنا الثاني ، يتعامل معي بنفس الطريقة ، أذهب الى السوق أشتري ما أريد وأعود ويدفع الثمن كاملا دون أن تبدو حتى في عينيه علامة ضيق ، وكثيرا ما كنت أخرج مع بعض الصديقات لمجرد التريض أو لرغبة احداهن في شراء شيء ويحدث أن أرى ما يعجبني ، أو يروق لي فأشتريه وآخذ ثمنه من صديقاتي وأعود ويدفع فورا وعن طيب خاطر .

واليوم وأنا أفكر في الحالة التي أصابته أتذكر كل ما اشتراه لي ، وأصاب صديقاتي وأقاربي يومها بالدهشة والعجب .. عدد من الفساتين لاأستطيع أن أحصره ، لم تظهر موضة جديدة ولم أجاريها ، أطقم من الذهب واللؤلؤ وعديد من المجوهرات ، لم أترك شيئا عجيبا أو غريبا الا واشتريته ، والآن فجأة أصبح يدقق في كل شيء ، بدأها بأنه لم يترك في يدي فائض نقود .. مجرد مصروف البيت الذي يكفي الطعام والشراب ، ومصروف يدي ، وكل ما أطلب منه شيئا جديدا يراوغني ، فهو حينا ليس معه نقود ، وحينا آخر يقول اليس كل ما لديك يكفي ؟ ويبدأ في مناقشتي عن الثياب التي عندي ، ومن من زميلاتي وصديقاتي لديها مثل مالدي ؟ ويبدأ في طرح أفكار بلهاء ، مثل ماذا لو وضعت لك ضعف ثمن هذا الفستان في بنك ، على كل وديعة بنكية أو أي قناة من قنوات الادخار ؟ أصرخ فيه ، مالي أنا ومال هذه الأفكار الخائبة ، بنك واستثمار ووديعة ، أنا أريد هذا الفستان فقط ، ولا دخل لي بكل ما تقوله ، وذات مرة خرجت الى السوق مع بعض الصديقات ، واشتريت عددا من الفساتين ، صحيح أن ثمنها عدة مئات لكنه ليس فوق امكانياته ، فهكذا اعتدت أن أشتري وهكذا عودني ، أخذت النقود يومها من صديقاتي ، على وعد بسدادها في نفس الليلة ، أو في الغد على أكثر تقدير .. لقد رفض تماما سداد هذه النقود .. وظللت أسبوعا كاملا لاأجرؤ على رؤية صديقاتي الى أن سددت لهن أخيرا بعد مشاجرة كبيرة ، هددته فيها بترك البيت والأولاد .

هي



هي ....

الاسْتثْناءُ قاعِدَة

قالها أحدهم قديما .. ومازالت مقولة صحيحة الى اليوم « حتى لو كانت في طريقها الى حبل المشنقة فانها ستطلب‌ﺃحمر شفاه » هذه هي باختصار حالة زوجتي مهما مرت علينا السنوات ، ومر العصر .. ونضجنا وازدادت المسئوليات ، ولكنها لم تتغير ، كنا في زمن مضى لا هم وراءنا ولا مسئوليات ، وكنا وقتئذ نبدأ حياتنا معا ، فليس أجمل من أن تحقق لها أمانيها ورغباتها ، ومهما كان ثمن هذه الأماني غاليا ، فأنا أحسب الأمر على النحو التالي .. كل ما له ثمن نقدي فهو مقدور عليه ، لأن النقود في النهاية أداة لاسعادنا ، وظللت سنوات طويلة لا أحسب للدنيا حساباً .. أكسب كثيرا وأنفق أكثر ، وهي تقتلها « الموديلات » الحديثة والأزياء الغالية والذهب .. وأنا أشتري .. ويكفي لحظة سعادة على وجهها وابتسامة تضيء عينيها .

ولكن بعد عشر سنوات من الزواج .. وطفلين .. صارت نظرتي للأمور غير ما كانت عليه ، وظلت عندها لاتتغير ، أصبحت أحسب للغد وما يخبئه ، وللابناء واحتياجاتهم ، ولظروف العمل والصحة والعمر . . . وهي كلها متغيرات لاشيء ثابت فيها ، حاولت أن أشرح لها وجهة نظري ، وأن أغريها لكي تغير سلوكها وتتعلم الادخار ، ولكن دون فائدة ، لاشيء يعنيها أكثر من أناقتها ، ومستوى ملابسها .. وارتفاع ثمنها . . . ومنظرها العام .. وصيحات الاعجاب ونظرات الحسد من صديقاتها .. صارت مفتونة بهذا .. لاترى أبعد من قدميها .. وكل يوم تزداد حالتها سوءاً ، فما كانت تفعله من قبل على سبيل الاستثناء أصبح قاعدة ، فلم يكن معقولا أن تستدين من صديقاتها لكي تشتري كل ما يعجبها ، ولكن اذا حدث هذا مرة أو مرتين فهي ظروف استثنائية ، ولكنها أصبحت الآن لاتخرج الى السوق أو تذهب الى زيارة صديقة الا تعود وقد اشترت الكثير وبمبالغ تقدر بالمئات . . .

لفت نظرها ، وحدثتها .. وقلت لها ان هذا يسيء اليها أمام صديقاتها . . . ويورطني في التزامات خارج حساباتي .. لكن عبثا كل ما قلت .. حتى كانت آخر مرة عادت الى البيت وقد اشترت ثيابا بعدة مئات ، صرخت في وجهها ، وتوعدتها بأنني لن أدفع .. على أمل احراجها فلا تعود لهذا السلوك .. وبدلا من أن نتناقش جمعت ثيابها وهددت بترك البيت .. ألم أقل ان الاستثناء في السلوك أصبح قاعدة .



هو

من الحياة

الطفلة التي عزفت لحن الحياة !

بقلم/ منير نصيف

هذه قصة فتاة تعيش بيننا . عشقت النغم قبل أن تتعلم الكلام . فلما كبرت وقفت تعزف لحن الحياة .

شعور غريب كان يسيطر عليها ويحتويها كلما وصل إلى أذنيها الصغيرتين صوت الموسيقا الذي ينساب في هدوء مع غروب الشمس في السماء ، وكانت الطفلة الصغيرة التي لم تتجاوز عامها السابع تعيش مع النغم الذي يحمله لها الهدوء الدافىء بضع دقائق ، ثم لا تلبث أن تغمض عينيها وتنام .

وصحت الأم على هذه الهواية ، وأحست بهذا الحب الغريب الذي يربط بين طفلتها وبين الموسيقا التي يعزفها جارهم العجوز على البيانو مساء كل يوم ، فتسرع الطفلة إلى النافذة ، وتجلس وراءها لتملأ أذنيها الأنغام الجميلة ، حتى إذا غلبها النعاس ، قامت من مقعدها ، وألقت بجسمها الصغير على فراشها وهي تحتضن عروستها ، ثم لاتلبث أن تذهب في نوم عميق ، بعد حديث قصير مع « صاحبتها » ، تناجيها وتسألها ، وتتفق معها على الموعد الجديد الذي سيلتقيان فيه مع أنغام البيانو في مساء اليوم التالي .

* *

كانت وحيدة أبويها ، وكانت هي كل شيء في حياتها ودنياها الصغيرة التي امتلأت بها وحدها ، وكانت الأم تدرك مدى تأثير الموسيقا على صغيرتها ، فقد كانت تحملها - وهي مازالت في المهد - إلى أقرب مكان من جهاز الراديو ، وتبدأ في البحث عن الموسيقا من أي مكان ، حتى إذا وجدتها تركتها معه للحظات ، فلا تلبث الصغيرة أن تغمض عينيها بعد فترة قصيرة ، وتذهب في نوم عميق ، لقد كانت الأم تعرف أن طفلتها كانت دائما على موعد مع النغم قبل النوم ، لكنها لم تتصور أن هذه الصداقة الغريبة سوف تعيش معها وتكبر .

ولم يكن غريبا أن تكتشف مدرسة الموسيقا هذه الهواية ، فألحقتها بفرقة الموسيقا المخصصة للأطفال في المدرسة التي انتظمت فيها منذ ثلاث سنوات ، واختارت الطفلة البيانو ، وفوجئت المدرسة بالتقدم الكبير الذي حققته تلميذتها الصغيرة خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن .

وفي مساء أحد الأيام جاءت الأم كعادتها لتصحب طفلتها عائدة إلى البيت ، ولكنها ما كادت تصل إلى باب المدرسة الخارجي حتى وجدت مدّرسة ابنتها في



انتظارها . قالت المدرسة وهي تقترب منها : « تعالى معي ، أريدك أن تلقي نظرة على ابنتك وهي تعزف على البيانو .

وذهبت الأم ، ووقفت وراء الباب تنصت ، ولم تصدق أذنيها ، هذا النغم الجميل تعزفه طفلتها بهذه المهارة ، وشيئا فشيئا أحست بقدميها تقتربان إلى حيث كانت تجلس الطفلة أمام البيانو ، ووقفت ترقب في هدوء تلك الأصابع الصغيرة وهي تتحرك في رشاقة . لم تكن الأم وحدها ، لقد كانت القاعة كلها قد ازدحمت بأعضاء هيئة التدريس ، وزملاء طفلتها في المدرسة وزميلاتها ، وكان الجميع يجلسون على مقاعدهم ، وقد خيم السكون على المكان ، ولم يعد يرتفع فيه صوت غير صوت هذا النغم الجميل الذي كانت تعزفه طفلتها ، حتى إذا ما انتهت منه دوت القاعة بالتصفيق ، وقامت الطفلة من مكانها ترد التحية ، لكنها ما كادت ترى أمها بين الحاضرين حتى أسرعت إليها وألقت بنفسها بين ذراعيها ، وراحت الصغيرة تبكي ، وهي تضحك ودموع الأم تغرق وجنتيها ، وهي تمطرها بالقبلات . !

قالت تحدث أمها : « لماذا لم تحضريها معك يا أمي ؟ »

أحضر من ياحبيبتي ؟

عروستي الصغيرة ! كنت أريد أن أسمع رأيها في هذه الموسيقا التي عزفتها ، لقد سمعنا جارنا العجوز يعزفها مرات عديدة ، كنت أريد أن اعرف رأيها .

واقتربت مدرسة الموسيقا من الأم وقالت وهي تدعوها لمرافقتها إلى مكتبها : « ابنتك ياسيدتي موهوبة ، ولابد من تنمية هذه الموهبة فيها ، إنني أقترح أن تلحقيها بالمعهد المسائي للموسيقا .

وانقضت بضعة أيام ، لكن قبل أن يمضي الأسبوع كانت الطفلة الصغيرة تجلس أمام البيانو في المعهد ، وأستاذ الموسيقا يقف على مقربة منها يرقب

تلك الأصابع الصغيرة وهي تعزف بلا توقف ، وبلا تردد ، كما لو كانت أصابع موسيقار محترف ، أمضى سنوات طويلة يمارس العزف على البيانو .

ومضت السنوات ، وكبرت الطفلة الصغيرة . كانت تعيش مع النغم ، ومع أصابع البيانو في البيت وفي المعهد ، بعد أن اشترى لها والدها بيانو خاصا بها . كان أستاذها دائما قريبا منها ، يشجعها ، ويدفعها لبذل المزيد من الجهد ، ويشركها في كل الحفلات التي كانت تقام في المعهد ، وأصبحت الفتاة حديث الصحف والناس في كل مكان .

ثمة إحساس غريب كان يحتويها كلما التقت عيناها بعيني الأستاذ الذي وقف بجانبها طوال هذه الرحلة التي دامت لأكثر من تسع سنوات ، كانت تشعر دائما - كلما جلست تعزف على البيانو - أنها تعزف له وحده ، وكانت كلما انتهت من العزف ، أسرعت إليه لتسمع رأيه هو ، وكان الرجل يجد حرجا شديدا وهو يراها تترك المسرح الذي ازدحم بجمهور المستمعين وتجري إليه مهرولة ، تسأله في لهفة : « قل لي مارأيك ؟ »

وكان يرجوها أن تعود لترد تحية الجمهور ، فتفعل على مضض ، ولكن ما أكثر المرات التي كانت تختفي فيها وراء الستار لتبحث لنفسها عن مكان بعيد عن العيون ، تمضي فيه لحظات مع دموعها . كانت هي نفسها في حيرة ، فهي لا تعرف إذا كانت هذه الدموع دموع فرحتها بالنجاح ، أم هي دموع تسيل بالرغم منها ، لأن أستاذها كان يرفض أن يجيبها عن سؤالها ، ويقول لها رأيه في عزفها قبل أن ترد تحية جمهور المستمعين . حتى عندما فازت بجائزة الدولة التي قدمت لأصغر وأعظم عازفة بيانو ، نسيت أن تصافح اليد التي قدمت لها الجائزة ، وأسرعت تقدمها بدورها إلى الأستاذ الذي أحس بحرج شديد ، وأسرع عائدا يحمل الجائزة ويقوم بتأدية الواجب الذي كان يجب أن تقوم به صاحبة الجائزة !

وتمضي الأيام ، والفتاة الصغيرة تنتقل من نجاح إلى نجاح أكبر ، حتى لم يعد باقيا على تخرجها في المعهد سوى بضعة أشهر ، ثم تحدث المفاجأة التي لم تكن أبدا تتوقعها . .

إذ يختفي الأستاذ من المعهد ، بعد أن وقع عليه الاختيار ليسافر مع الفرقة الموسيقية التي ستجوب أقطار العالم في شرقه وغربه لعزف أحدث ألوان الموسيقا العربية ، وتسأل في لهفة : « ومتى يعود ؟» ويجيبها الجواب : « لاندري ، ولكنها رحلة طويلة » ،

ويستبد بها قلق هائل ، وتعود إلى بيتها وقد احتواها حزن شديد ، وتلقي برأسها الصغير على صدر أمها وتقول في صوت هامس : « لقد اكتشفت يا أمي أنني أحب أستاذي ، نعم أحبه . اليوم فقط احسست أنني أقف وحدي في المعهد . انا أعرف أن الجميع يحبونني ، كل المدرسين والمدرسات في المعهد يساعدونني ويحبونني ، لكنني لا أشعر بوجودهم ، لقد كان هو وحده الرجل الذي أعزف له ومن أجله ، كان هو وحده الذي أنتظر أن أسمع رأيه في كل ما أكتب وأؤلف من موسيقا ، وقد ذهب الآن ، ولا أدري ماذا سأفعل وهو بعيد عني ؟ إنني أحبه يا أمي ، أحبه . ارجوك أن تساعديني .

وأجفلت الأم وهي تسمع من ابنتها آخر ما كانت تتوقعه ، إنه يكبرها بأكثر من عشرين عاما ، وإنها مازالت طفلة ، إنها مازالت تذكر كيف جاءت إليها يوما منذ فترة قريبة لتقول لها : « سأبوح لك بسر كبير يا أمي ، أتذكرين عروستي الصغيرة التي كنت أسألها رأيها في كل ما أعزف من موسيقا ؟ لقد كبرت يا أمي ، ولم تعد لي عروسة ألهو بها ، إنني أرى في أستاذ الموسيقا في المعهد صورة عروستي التي كانت ترافقني دائما في كل رحلاتي . » وقالت الأم تحدث نفسها : « ربما يكون إعجابها به قد صور لها أنها تحبه ، لكن أليس الحب حصيلة لهذا الاعجاب ؟ !

ولم تنم الفتاة في تلك الليلة ، وعندما جاء الصباح ، لم تشعر برغبة في ترك فراشها ، لكنها لم

تلبث أن قامت في النهاية أمام إلحاح أمها ، ووضعت جسمها الصغير في ثوبها الذي تعودت أن ترتديه كل يوم ، وخرجت تجر قدميها جرا في الطريق الى المعهد .

وحيوها ، لكنها لم ترد التحية ، فقد كان فكرها في رحلة بعيدة مع أستاذها الغائب الذي اكتشفت فجأة أن قلبها الصغير يخفق بحبه ، وتوجهت فورا إلى البيانو ، وجلست أمامه ، ووضعت أصابعها استعدادا لعزف آخر ما كتبته قبل رحيل أستاذها ، وفجأة أفلتت منها صرخة ، وأسرع الجميع إليها وقد استبد بهم الهلع : « ماذا حدث ؟ ماذا دهاك ؟ » ولم تتكلم ، كانت عيناها قد تسمرتا فوق اليدين اللتين بقيتا هناك على أصابع البيانو بلا حراك ، لقد تيبست الأنامل التي طالما عزفت لهم أجمل الألحان ، ولم تعد الفتاه المسكينة قادرة على أن تحرك أصابعها ، وانفجرت تبكي كما لم تبك من قبل في حياتها . نقلوها إلى البيت ، وعرضوها على أشهر أطباء الأعصاب ، ولكنهم حاروا جميعا في تفسير أسباب هذه العلة المفاجئة .

ومضت أيام وأيام والفتاة الصغيرة لاتبرح فراشها ، حتى الطعام لم تكن تتناول منه إلا القدر اليسير إرضاء لأمها المسكينة ، واستجابة لتوسلاتها . وفي إحدى الليالي ، حاولت أن تضع نهاية لحياتها عن طريق ابتلاع كمية كبيرة من الأقراص المهدئة التي نصحها الطبيب بتناولها ، ولكنهم أسعفوها بالعلاج في الوقت المناسب ، ونجت من موت محقق .

كتبت تصف هذه التجربة المريرة التي مرت بها : « حتى الموت الذي سعيت إليه لأضع حدا لعذابي ، أنقذوني منه ، ونسوا أنهم بهذا قد أعادوني لآلامي مرة أخرى ، إنني لا أكره الحياة ، لكنني أكره نفسي ، لقد أصبحت إنسانة عاجزة ، لقد حاولت أن أمضي في الكتابة والتأليف والعزف ، ولكن أصابعي ترفض أن تتحرك ، فلما تملكني اليأس ، عدت إلى نافذة غرفة نومي أستمتع بالأنغام العذبة التي يعزفها جارنا العجوز ، لكنها لم تكن من تأليفه هو هذه المرة ، فقد كان يعزف الأنغام التي كتبتها أنا ، وبكيت وأنا أرى الناس يعزفون موسيقاي .

ويعود الأستاذ من رحلته الطويلة ، ويزور تلميذته الصغيرة في بيتها ، وتمد إليه يدها التي تصلبت منها الأصابع ، ويشد عليها مصافحا ، وتقول هي وقد علت وجهها ابتسامة مشرقة تحمل كل معاني الحب والوفاء : « أرجو أن تكون قد وفقت في رحلتك . لماذا لم تقل لي انك سترحل ؟ ! ويقول الأستاذ : لم أعرف باختياري عضوا في الفرقة إلا قبل سفري ببضع ساعات . أرجوك أن تصفحي عني . هل ألقاك غدا في المعهد ؟ لاأظن ، فقد ضاع كل شيء ، لم تعد أصابع يدي قادرتين على الحركة .

وانصرف الأستاذ ، وانقضى الليل ، وجاء الصباح ، وسمعت الأم ابنتها تناديها لتساعدها على ارتداء ملابسها فجاءت مسرعة ! !

إنها أول مرة تغادر فيها فراشها منذ أكثر من ستة أشهر . قالت الأم تسأل ابنتها : « إلى أين ياحبيبتي ؟ ! » إلى المعهد يا أمي !

وأمام البيانو الذي عزفت عليه أجمل الألحان ، كان الأستاذ هناك يقف في انتظارها ، كأنه كان يتوقع مجيئها . قال وهو يمد اليها يده مصافحا :

« أنا سعيد بلقائك ، وسعيد بعودتك إلى المعهد » .

وتركها جالسة على مقعد قريب ، ومن حولها الأساتذة ، والزملاء ، والزميلات ، واتجه هو إلى البيانو ، وجلس يعزف مقطوعة من تأليفها ، هي ، وفجأة وجدها قادمة نحوه ، فترك مقعده ، وجلست هي ، ورفعت يديها ووضعتها فوق البيانو ،وحدثت المفاجأة ، لقد تحركت الأصابع التي بقيت جافة متيبسة شهورا طويلة ، وعندما انتهت من عزف موسيقاها ، كانت عيناها الجميلتان غارقتين في الدموع . قالت وهي تقترب منه كما تعودت أن تفعل دائما : مارأيك ؟ !

قال : هل تقبلينني زوجا ؟ □

طبيب الأسرة

قضايا منزلية

طفل يبلل الفراش.. البوال الليلى

من المألوف أن يبلل الطفل الصغير فراشه ليلا دون أن يدرى ، وهذا ما يعرف بسلس البول الليلى ، أو البوال الليلى ، أو التبول اللاارادى ليلا .

ولكن الأمر دائما يتوقف عند سن معينة ، فما هى هذه السن ، ولماذا يتعداها بعض الأطفال ؟ هذا ما يشغل فكر الآباء والأمهات .

لقد أجريت الكثير من الدراسات الطبية والاجتماعية والنفسية على هذه القضية ، وانتهت الى الاحصائية التالية : ان ٥٠ بالمائة من الأطفال فى عمر السنتين يتوقفون عن بلل الفراش ، وان ٧٥ بالمائة من الأطفال فى عمر الثلاث سنوات لا يتبولون لا اراديا فى الليل ، فيما تصل النسبة المئوية الى ما بين ٨٥ الى ٩٠ من الأطفال الذين لا يعانون من مشكلة البوال الليلى ، ومن هنا يمكن اعتبار سن الخمس سنوات بالنسبة للطفل هو أقصى ما يمكن اعتباره السن الموافق لتبول الأطفال اللاارادى ليلا (البول أو المتن) وبعدها يمكن اعتبار الأمر ظاهرة مرضية ، اذا ما تجاوز الطفل عمر الخمس سنوات مع استمراره فى حالة التبول اللاارادى .

كما قد يتوقف بعض الأطفال عن ظاهرة التبول اللاارادي هذه فترة طويلة ، ثم يعود الطفل الى البلل ثانية ، وهذا ما يسمى بالتبول اللاارادى الثانوى لسبب طارىء ، أو لآخر يكون قد استجد فى حياة الطفل .

لقد لوحظ أن ظاهرة البلل الليلى تشيع بين الأطفال الذكور عنها بين الأطفال الاناث ، بقدر يزيد عن الضعفين ، لأسباب لم تتضح بعد للأطباء .

ولكن الأسباب عامة قد تعزى لمصدرين رئيسيين ، الأول عضوى يمثل ١٠ بالمائة من الأسباب تقريبا ، بمعنى وجود خلل أو مرض أو إصابة أو تخلف في نضوج أحد أعضاء الجهاز البولى ، أو فى الجهاز العصبى المتحكم فى نظام الجهاز البولى ، والذى منه :

١ ـ التهابات فى الكلى أو فى المثانة أو المجارى البولية .

٢ ـ ضيق حجم المثانة وعدم نموها ، الى درجة لا تستوعب معه كمية البول المتجمع .

٣ ـ خلل فى الجهاز العصبى المتحكم فى ردود فعل المثانة التى هي الامتلاء والتفريغ ، وغالبا ما يكون إثر اصابة للجزء الأسفل من النخاع الشوكى ، أو تخلف فى نموه ونضوج تطوره .

٤ ـ أمراض عامة تصيب الطفل ، ترتبط بالتبول ، مثل البول السكرى ، أما التسعين بالمائة من باقى أسباب المتن فهى غالبا ما تكون نفسية الجذور ، أو عقلية ، لهذا يشيع التبول اللارادى عند كبار الأطفال ..

١ ـ المتخلفين عقليا

٢ ـ الأطفال المتميزين بالنوم العميق .

٣ ـ الأطفال الذين يعانون من عدم استقرار نفسى أو اجتماعى ، سواء فى البيت أو المدرسة ، والشعور بالاضطهاد والحرمان .

٤ ـ عند ولادة طفل جديد أو الأزمات الاجتماعية والنفسية فى المجتمع .

هذا وقد لوحظ شيوع ظاهرة المتن وانتشارها عند بعض العائلات ، مما يوحى بوجود عامل وراثى فى الأمر ، ولكن لم تتضح صورته حتى الآن .

علاج البوا الليلى :

١ ـ يجب تقصى الأسباب العضوية أولا ، ثم النفسية ثانيا وعلاجها .

٢ ـ اذا ثبت صغر حجم المثانة عن ما يجب أن تكون عليه ، فيجرى تدريب الطفل على حبس البول نهارا أكبر قدر ممكن ، أملا فى تمدد جدران المثانة . واتساع حجمها .

٣ ـ يراعى الحد من شرب السوائل مساء وخاصة قبل النوم .

٤ ـ ملاحظة موعد التبول اللاارادى ، وايقاظ الطفل قبل الموعد بقليل لافراغ المثانة .

٥ ـ عدم زيادة نسبة ملح الطعام فى أطعمة المساء .

٦ ـ استعمال جهاز التنبيه الكهربائى الذى يثبت فى الفراش ليوقظ الطفل مع أول بادرة لانطلاق البول .

٧ ـ العلاج بالعقاقير

لقد استعمل عقار البلادونا زمنا طويلا ، وحاليا يستعملون المهدئات والمسكنات النفسية ، قناعة من الاطباء أن الأمر يعود الى أسباب نفسية يعانى منها الطفل ، وهى أحق بالعلاج.

بريد طبيب الأسرة

الهرمونات الكظرية

● هل لى أن أعرف شيئا عن مجموعة هرمونات (الجلوكوكورتيدات) وفى أي موضع يفرزها الجسم ؟

شريف ع . م . ـ سلطنة عمان

تقع فوق كل كلية غدة صماء تدعى غدة الكظر ، أو الغدة فوق الكلية ، وهى تفرز افرازاتها المعروفة بالهرمونات-شأن كل الغدد الصم الأخرى- فى مجرى الدم مباشرة .

وتتكون هذه الغدة الصماء من جزئين رئيسين ، لكل منها مهمة مستقلة هى : ١ ـ لب الكظر ، ويفرز هرمون (الادرنالين) المعروف بهرمون الغضب ، وشقيقه (النورادرنالين) بكميات قليلة ، ولكنهما يزدادان عند التوتر والانفعال ، فينشط القلب ويرتفع ضغط الدم ويتهيأ الجسم للطوارىء .

٢ ـ قشرة الكظر وهو جزء حيوى وضرورى ، لأنه يفرز هرمونات ضرورية للاستقلاب والتمثيل الغذائى ، وهذه الهرمونات تنتمى الى مواد كيميائية تعرف (بالستيرويدات) تكون على ثلاثة أشكال :

أ ـ الهرمونات القشرية السكرية : او الجلوكوكورتيدات ، وفعلها الأساسى هو استقلاب السكريات أو تمثيلها الغذائى ، والبروتينيات ، كما تتولى تكييف الجسم لمواجهة الاصابة ، فتقوى المناعة ، وتكافح الالتهابات ، والضعف العام .

ب ـ الهرمونات القشرية المعدنية : ومفعولها الأساسى هو التمثيل الغذائى لما يعرف بالشوارد

الكهربائية ، أو الاليكترولايتز والماء في الجسم .

ج - الهرمونات القشرية الجنسية : وتشمل الاستروجينات أو الهرمونات الأنثوية ، والاندروجينات أو الهرمونات الذكرية ، وقد تم تخليق وصناعة الكثير من هذه الهرمونات للاستعمالات الطبية .

وهذه الهرمونات تقوم على تحويل البروتينات أو الزلاليات الى سكريات ، لهذا تعتبر عاملا مهدما ومقوضا لبناء الجسم ، كما أنها تزيد من احتباس الملح والماء مما يؤدي الى التورم مع ارتفاع ضغط الدم .

ان هذه الهرمونات تثبط عمليات الالتهاب ، وتهبط الحمى ، وتزيل التوعك ، ولكنها تزيد حموضة المعدة ، مما يخاف معه من قرحة المعدة مع طول الاستعمال .

وقد لوحظ أنها تثبط تفاعل الأجسام المضادة مع مثيلاتها ، وهذا هوسر فعلها في حالات الحساسية والصدمات .

وفي الطب تستعمل هذه الهرمونات في مجالات عدة أهمها أمراض الروماتيزم وأمراض الحساسية وأمراض قصور الكظر ، ولكن الاشراف الطبي ضرورة تحتمها الأصول الطبية لتفادي المضاعفات الخطيرة لاستعمال هذه الهرمونات عشوائيا .

ردود سريعة

● الأخت ن . ى . أ . - درعا !

- علاج الصدفية يعتمد على مراهم يدخل في تركيبها القار والكورتيزون ، ولكن الأمر يحتاج الى صبر واحتمال لأنه علاج طويل يريح المريض من المعاناة والتشوه وتراكم القشور ، ولكنه ليس شافيا لأسباب المرض المجهولة ، ولكن المرض يختفي أحيانا تلقائيا دون سبب ظاهر ، والأمر يحتاج الى اشراف طبي من مختص في الأمراض الجلدية .

● السيد ن . ع . م - جرش - الاردن :

- يصعب تشخيص الحبوب على الجبهة على ضوء ما توفر من معلومات في رسالتك ، والأمر يحتاج الى فحص طبي من قبل اخصائي الأمراض الجلدية إذ هو أفضل من تستشير .

● السيد نظيف محمد - ليبيا :

- عقار المينو كسديل يفترض فيه انه علاج لارتفاع ضغط الدم ، ولوحظ أن له تأثيرات جانبية تسبب نمو الشعر ، لهذا تجرى الدراسات لاستعماله في هذا الغرض ، ولكنه لم يطرح في السوق التجاري حتى الآن .

● السيد جمال محمد مصطفى - أسيوط - مصر :

من الطبيعي أن يتوقف نمو طول الانسان بعد سن العشرين ، ولكنه لا يعقل أن يقصر اطلاقا ، أما أمر الساق القصيرة فيحتاج الى فحص اخصائي جراحة العظام ، لتقرير سبب هذه العاهة فهذا أفضل طريق للعلاج ، فكل مريض يعتبر حالة مستقلة لا يسرى عليها حكم الآخرين .

● محمد . ح . تطوان - المغرب :

- الوراثة والاستعداد الشخصي لهما دور كبير في قضية الصلع ، ويساعد عليها الجلد الدهني .

وانتا إذ ننصح بمواجهة الأمر بقناعة وهدوء ، اذ لا يعتبر الصلع مرضا بالمعنى المفهوم ، ولكن طبيب الأمراض الجلدية المختص ربما يعينك على التخفيف من هذه المشكلة .

● السيد محمد راعي - اللاذقية - سوريا :

- حامض الليمون هو (سيتريك أسيد) وهو المتوفر في الحمضيات ، وبخاصة الليمون الحامض والبرتقال ، ولا نعلم له ضررا محددا سوى أن الاسراف فيه دائما ضرر ، عملا بالحكمة الالهية « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » صدق الله العظيم .

أما فوائده فهي عديدة ، أهمها معادلته لحموضة الدم .

مساحة وُدّ

بلاوطن

التقيت بها في قلب أفريقيا . . عجوز في السبعين ، كانت صاحبة الفندق الصغير الذي أقمت به ، يونانية ، لاتكف عن الحركة ولا عن الحديث ، وفي ليلة رطبة ، وقطرات المطر تتساقط فوق الأشجار الافريقية الكثيفة ، والليل يلف الدنيا . . جلسنا نقطع صمت الليل بكلمات من هنا وهناك . . وفي وسط الحديث سألتها فجأة كيف جاءت الى أفريقيا ؟ وحكت لي وسمعت منها :

في أواسط الثلاثينيات كانت أوروبا كلها تعاني من آثار الأزمة الاقتصادية ، والكساد يمتد فيشمل كل شيء ، حتى المطعم الصغير الذي كان يمتلكه زوجها ، وذات يوم قرر زوجها أن يبيع المطعم والبيت ويسافر الى عالم المستعمرات ، حيث ما زال للعملة الأوربية بريقها وللرجل الابيض قوته ، وحزما حقائبهما وذهبا الى أفريقيا . . أقاما الفندق وأدارا به مطعما يونانيا يقدم أشهر الأكلات اليونانية ، وكان روادهما من كبار الضباط الأوربيين الذين يمارسون عملية النهب المنظم لمستعمرات أفريقيا ، واتسع الفندق وزادت ايراداتهما ، واشتريا مزرعة للبن وأخرى للشاي . . وازدهرت بهما الأيام . . وكل عام كانا يحلمان بالسفر الى موطنهما ، ويخططان لذلك ، ولكنه ظل حلما طيلة عشرين عاما . . سافرا بعدها لأول مرة الى بلدهما ، وهما يملكان كثيرا من المال وكثيرا من الشوق . . ولكن صدمتهما كانت كبيرة . . لم يكن الوطن كما كان حلما في الذاكرة ، ولم تكن الأماكن والطرقات كما كانت محفورة في الذهن في مشهدها الأخير يوم ودعا الوطن ، لا الناس ولا الاصدقاء . . . لا الأهل . . عالم جديد . . غريب . . غريب . .

أحسا فيه بالغربة والوحشة وأنهما أصبحا جسما غريبا وسط عالم متجانس . . . حققت لهما نقودهما كل شيء الا الالتحام والتوافق مع البشر والمكان . . وعادا مرة أخرى ، على أمل العودة في عام قادم . . ولكن العام القادم تأخر عشر سنوات . . واستقل البلد الذي هاجرا اليه ، وتغيرت أمور كثيرة . . وفقد الأبيض جزءا كبيرا من سطوته ، ولكن المال الذي جمعاه عوض ما افتقداه من سطوة وقوة ، أصبح رواد المطعم كثيرين من الأفارقة ، وقليلين من البيض ، وأصبحت المشروعات مع بعض الأفارقة ، واثنين أو ثلاثة من البيض . . تغير المجتمع من حولهما ، وأصبحا فيه أيضا غرباء . . سافرا مرة أخرى للوطن . . ازداد التغير وضوحا ، وتكثف احساس الغربة منذ الأسبوع الأول ، لم يكملا اجازتهما . . عادا . . مات الزوج ودفنته بجوارها في أفريقيا . . وورثت منه المزيد من الغربة والادراك بأنها صارت بلا وطن . . الا حقيبة ثيابها ورصيدها بالبنوك . . فالوطن الذي حلمت به ذكريات وطرقات وأمكنة وأحلاما وعمرا . . ضاع في سنوات السفر الطويل والغربة التي لاتنتهي .

محمود عبدالوهاب

قاموس العربي

ب

بلفور ,, وعد ..!

أكثر التصريحات السياسية شيوعاً في الأدبيات العربية، وأخطرها تأثيرا في التاريخ العربي الحديث ، هو نص التصريح الذي أعلنته الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في رسالة شهيرة الى اللورد روتشيلد يقول نصها : « عزيزي اللورد روتشيلد . . يسعدني كثيرا أن أنص اليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي : تعاطفا مع أماني اليهود والصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء ، فان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم بوضوح أنه لن يسمح بأي اجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الجماعات غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

وقد صدر هذا التصريح في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ ، وكان وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت هو جيمس أرثر بلفور (١٨٤٨ ـ ١٩٣٠) الذي نسب التصريح اليه ، ليس فقط لكونه هو الذي أعلنه ، ولكن لاسهامه في الحصول على موافقة مجلس الوزراء البريطاني على المبدأ ، الى درجة أن أدرج التصريح في وثيقة صك الانتداب البريطاني على فلسطين .

ولقد بدأت اهتمامات بلفور بالحركة الصهيونية منذ الصغر ، فقد تلقى تعليما مشبعا بتعاليم العهد القديم ، وهو من المسيحيين الصهاينة الذين يؤمنون ـ نتيجة لمعتقدات دينية ـ بضرورة عودة اليهود الى فلسطين وجبل صهيون ، تمهيدا لهدايتهم الى المسيحية ، وللخلاص النهائي لهم ، وبالتالي للبشرية جمعاء ، بعد أن يكونوا قد كفروا عن ذنبهم بصلب المسيح ، وفكرة الخلاص النهائي هذه هي التي منحت هذا الفريق من المسيحيين هذا القدر من التعصب للحركة الصهيونية ، وقد أثرت هذه التعاليم والثقافة في (ج. بلفور) طوال حياته ، واهتم بعد ذلك بالحركة اليهودية في الفترة من (١٩٠٢ ـ ١٩٠٥) . أثناء توليه منصب رئيس الوزراء ، وعندما بدأت موجات هجرة يهود شرق أوروبا تجتاح أوروبا الغربية ، وبخاصة بريطانيا ، عارضها بشدة ، واتخذ من موجات الهجرة موقفا حادا .

ثم التقى بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمن ، ونشأت بينهما علاقة طيبة ، ولعب دورا مهماً في



استصدار الوعد ، متصورا إنه يحقق واجبا دينيا وأهدافا سياسية ، تتمثل في ضغط اليهود على الرئيس الأمريكي ولسون لادخال الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى بجانب الحلفاء ، ومن ناحية أخرى تحقيق سيطرة بريطانيا على فلسطين ، كثمن لرعايتها للحركة الصهيونية فيها ، ثم ساعد بلفور الحركة الصهيونية في مؤتمرات السلم والصلح عقب الحرب العالمية ، حتى اشتملت معاهدات ١٩١٩ التي تم توزيع العالم فيها بين القوى المنتصرة ، على ضمان للصهاينة بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وذلك ـ كما أسلفنا ـ بالنص في وثيقة صك الانتداب البريطاني ، وللحقيقة فان صدور الوعد المشئوم ليس انجازًا لوزير الخارجية ، بقدر ما كان تتويجا لسياسات البرجوازية العالمية ، ورغبتها بزرع كيان استيطاني في فلسطين ، وهي الفكرة التي دعا اليها بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني عام (١٨٣٩) ، بعد أن أحست أوروبا بتهديد الجيوش العربية لعواصم أوروبا ، بقيادة محمد علي والي مصر الذي نجح في اقامة مشروع للدولة « العربية » القوية في التاريخ الحديث .

في ذلك الوقت كانت البرجوازية العالمية وكبار الرأسماليين لهم مصالح في دفع اليهود ـ سواء المقيمين أو المهاجرين من أوروبا الشرقية الى أوروبا الغربية ـ الى خارج أوروبا لتجنب منافسة اليهود الوافدين للبرجوازية الصغيرة في أوروبا الغربية ، خصوصاً أن اليهود ـ لظروف تاريخية كثيرة ـ كانوا يسيطرون على مقاليد التجارة وأعمال الصيرفة في أوروبا ، الأمر الذي لمس عصب الحركة الرأسمالية في مرحلة التحول الاقتصادي في أخريات القرن التاسع عشر ، أو أوائل القرن العشرين ، وقد حاولت الثورة البرجوازية الأوروبية كثيرا أن تحمل اليهود على الاندماج في الدولة الرأسمالية القوية ، والتخلي عن الاحتكارات المصرفية والتجارية ، والانتماء الى مجتمع رأسمالي كبير ، يكون نصيب اليهود فيه وفق قواعد اللعبة الاقتصادية ، وعندما فشلت محاولة البرجوازية مع اليهود ، كان البديل هو دفع اليهود لترك أوروبا الى فلسطين ، ليتحقق بذلك أكثر من هدف سياسي واقتصادي ، وقد توحدت هذه السياسات بهذا الوعد الذي أسهم في اصداره وزير خارجية محافظ متعصب صهيوني !

من شابه أباه !

كان ابراهام لنكولن محرر العبيد فى امريكا يسير فى الحديقة العامة كما تعود أن يفعل مساء كل يوم ومعه ولداه الصغيران ولكنهما كانا يبكيان في هذه المرة .

واقترب منه مواطن وسأله : « ماذا حدث لهما ؟ لماذا البكاء ؟

فقال لنكولن : « معى ثلاث قطع من الحلوى ، كل منهما يريد اثنين منها ! »

وفى هذه اللحظة مر صبى زنجى فأسرع الطفل الاصغر يقدم احدى قطع الحلوى الثلاث اليه ! واخذها ووقف الاثنان يرقبانه وهو يأكلها وقد توقفا تماما عن البكاء !

وقال الأب : « هل تعلمان ما الذى أنوى أن افعله الآن . . سأشترى لكما صندوقا مليئا بهذه الحلوى !! »

ل غ ة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

بين البدل وعطف البيان

السؤال الرابع والأخير من اسئلة السيد معاوني موسى (العبادلة . الجزائر) هو : «كل بدل يكون عطف بيان الا في حالتين . فما هما ؟ والصواب ان يقال : «كل عطف بيان يكون بدلا الا في حالتين . فما هما» ؟

ومعلوم أن التوابع في النحو العربي أربعة : النعت والتوكيد والبدل والعطف . ولا يعنينا منها هنا الا نوع من أنواع البدل ونوع من نوعي العطف . وانواع البدل اربعة : بدل كل من كل كقولنا : «اشتهر الامام علي بغزارة علمه» . وبدل بعض من كل كقولنا «تلألأت السماء نجومها» . وبدل اشتمال كقولنا «تعجبني الفتاة اخلاقها» . وبدل مباين كقولنا : «كتبت بالعصا القلم» . والعطف نوعان :

«عطف نسق» . ويكون بحروف العطف ملفوظة أو ملحوظة . فالملفوظة كقولنا : «من عبقريات العقاد عبقرية محمد ، وعبقرية الصديق ، وعبقرية عمر ،

وعبقرية الامام» والملحوظة كقولنا مع التنغيم والتقطيع بين المفردات : «من عبقريات العقاد .

عبقرية محمد . عبقرية الصديق . عبقرية عمر . عبقرية الامام .

واما عطف البيان فكقولنا «العباس بن الأحنف شاعر عباسي» ولا يعنينا من كل ذلك الا «بدل الكل من الكل» لأن البدل فيه يطابق المبدل منه . ولذلك يسمى «البدل المطابق» . أو «بدل المطابقة» ، ثم عطف البيان . وفيه يوضح العطف المعطوف عليه ويطابقه ايضا . ومن هنا تقارب هذان التابعان وتشابها معنى واعرابا . ولذلك يرى جمهور النحاة ان كل ما يعرب عطف بيان يمكن ان يعرب بدلا . ماعدا حالتين .

(١) ان يكون التابع مفردا . والمتبوع منادى مبنيا على الضم كقولنا «ياأستاذ محمودا» فكلمة محمودا لابد ان تعرب عندهم عطف بيان . ولا يجوز اعرابها بدلا . لأن البدل لابد ان يراعى معه تقدير تكرار العامل في متبوعه . بحيث يصح ان يوضع العامل قبل البدل ايضا دون ان يختل المعنى أو الاعراب . ولو كررنا هنا العامل «يا» مع التابع فقلنا «يا محمودا» لاختل الاعراب . لأن محمودا علم مفرد يجب ان يبنى على الضم فنقول «يامحمودُ» .

(٢) ان يكون التابع مجردا من «أل» والمتبوع مقترنا بها . مع اعرابه مضافا اليه . والمضاف اسم مشتق اضافته غير محضة كقولنا «أنا المكرم الضيف

سعد » ، فلابد عندهم من اعراب « سعد » عطف بيان ، لاننا لو اعربناه بدلاً لاختل الاعراب ، اذ لا يجوز ان نقول « أنا المكرم سعد » لأن المضاف في هذه الحالة وهو المكرم مقترن بأل فلا تجوز اضافته الى « سعد » ، لتجرده من أل .

واشتراط صلاحية تكرار العامل مع البدل في هاتين الحالتين تعسف لا مسوغ له ، بل هو فرض وهمي محض لا جدوى منه ، ولو كجدوى خطوط الطول والعرض الوهمية على الارض أو البروج في السماء وهذا الوهم وامثاله مما زاد النحو عندنا طولا وتعقيدا وتصعيبا .

ولم يتورط نحاتنا فيه الا لاغراقهم في الاعراب والعامل والاكثار من الشروط والقيود ، وصدق الله العظيم « كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه » .

ورأيي اخيرا في المسألتين السابقتين كرأي العلامة الرضي ، اذ يقول : « أنا إلى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل ، وعطف البيان ، بل ما أرى عطف البيان الا البدل » .

واضع كلمة « التقييم »

كنا قد نشرنا صفحة لغوية تحت هذا العنوان (العدد ٣٣١) وضحنا فيها ان كلمة « التقييم » فصيحة ، وقلنا « لا ندري اول من اجتهد فاستعمل كلمة « التقييم » في عصرنا الحاضر ، أخذا من كلمة « قيمة » على ما هي عليه فهي أفضل ترجمة متميزة لكلمة EVALUATION لبيان القيمة ، ونحن نبارك هذا الاجتهاد ونستكثر منه » .

وقد جاءتنا رسالة من الاستاذ الدكتور علي الراعي (الدقي / الجيزة/ مصر) يذكر فيها أنه هو اول من استخدم هذه الكلمة في أوائل الاربعينيات ، في بدء اشتغاله بالكتابة الأدبية ، فشكرا له أولا وأخيرا .

المرء بأصغريه

كان الصقب النهدي سيد بني نهد ومن أشرافهم ، قيل انه دخل يوما على النعمان بن المنذر ، فلما رآه ازدراه ونبت عينه عنه ، فقال : أأنت الصقب ؟ قال : نعم ، قال تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقال أبيت اللعن ، انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، اذا نطق ، نطق ببيان وان قاتل ، قاتل بجنان .

قال النعمان أخبرني يا أخا بني نهد عن السوءة السوءاء والداء العياء ؟ قال : السوءة السوءاء المرأة السليطة اللسان السلفع « الصخابة البذيئة » القصيرة ، التي تغضب من غير غضب ، وتعجب من غير عجب ، فصاحبها لا ينعم باله ، ولا يصلح حاله ، وان كان مقلا عيَّرته ، وان كان ذا مال لم ينفعه ماله ، فتلك التي لا أراح الله منها بعلها ولا متع بها أهلها .

واما الداء العياء-فجار السوء ، الذي ان خالطته ظلمك ، وان غبت عنه سبعك « شتمك » وان قاولته بهتك « كذبك » فاذا كان ذلك جارك فاخل له دارك ، وعجل منه فرارك ، فإن ضننت بالدار كنت كالكلب الهرار « كثير النباح » فأقمت بذل وصغار .

شعر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

رحلة إلى ليلى السماوية

للشهرزوري

ولد الشهرزوري (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) هو أبو محمد، عبدالله بن القاسم بن المظفر بن علي بن الشهرزوري، اشتهر بلقبه المرتضي، وهو بنسبته الشهرزوري أشهر، وشهرزور سهل كبير في منطقة كردستان، في شمالي العراق، وقد اشتهر كثير من أعلامنا بنسبهم اليها، ولكن شاعرنا أشهرهم بها، فهو المقصود بها حين تطلق، وهو من الموصل، وقد عرف كثير من أسرته - لا سيما أولاده وأحفاده - بالفقه والحديث والقضاء والوعظ والشعر، ترجم لبعضهم العماد الاصفهاني في كتابه «خريدة القصر»(١) وذكر نماذج من أشعارهم، فيها تصنع وضعف. كما ذكر لشاعرنا نحو ثلاثين مقطوعة لا تخلو من التكلف كمعظم الشعر في عصره، وقد أقام شاعرنا في بغداد مدة يشتغل بالفقه والحديث ثم رجع الى الموصل وتولى فيها القضاء، ورواية الحديث، الى جانب ما كان له من مواعظ رقيقة مليحة، وخير ما وجدنا من شعره هذه القصيدة (نقلناها من ترجمته في وفيات الأعيان)(٢) وهي أشهر قصائده، والصوفيون مولعون بحفظها والتغني بها في مجالسهم، ولا سيما حلقات الذكر، فينتشون بها وجدا، ولا تظهر قوتها الا مع هذا الانشاد.

قال الشهرزوري:

لمعتْ نارُهم، وقد عَسْعَسَ اللّيـ ... لُ ومَلَّ الحادي، وحارَ الدليلُ

فتأمّلتُها، وفكري من البَيْنِ ... عليلٌ، ولحظُ عيني كليلُ

وفؤادي ذاك الفؤادُ المُعنّى ... وغرامي ذاك الغرامُ الدخيلُ(٣)

ثم قابلتُها، وقلت لصحبي: ... «هذه النارُ نارُ ليلى فميلوا»

فرمَوْا نحوها لحاظاً صحيحا ... تٍ، فعادت خَواسئاً وهي حُولُ(٤)

ثم مالوا الى الملام، وقالوا: ... «خُلَّبٌ ما رأيتَ، أم تخييلُ»(٥)

فتجنَّبتُهم، ومِلْتُ اليها، ... والهوى مركبي، وشوقي الزميلُ

ومَعي صاحبٌ أتى يقتفي الآ ... ثارَ، والحب شرطُه التطفيلُ

وهْيَ تعلو، ونحن ندنو إلى أن ... حجزتْ دونها طلولٌ محولُ

فدنونا من الطُّلولِ ، فحالَتْ   زفراتٌ من دونها ، وغليلُ
قلت :« مَنْ بالديارُ؟ » قالوا : « جريحٌ »   وأسيرٌ مكبَّلٌ ، وقتيلُ
ما الذي جئت تبتغي" قلت : « ضَيْفٌ   جاء يبغي القِرَى ، فأين النزولُ ؟ »
فأشارتْ بالرحْب :"دونَك ، فاعقرْ   هَا ، فما عندنا لضيفٍ رحيلُ
من أتانا ألقى عصا السيرِ عنهُ   قلت : « من لي بها ؟ وأين السبيلُ ؟ »
فخَطْطنا الى منازلِ قومٍ   صرعتْهُم قبلَ المذاقِ الشَّمولُ(٦)
درسَ الوجدُ منهمُ كلَّ رسمٍ   فهْو رسمٌ ، والقومُ فيه حلولُ
منهمُ من عَفَى ، ولم يبقَ للشـ   ـكوى ولا للدموعِ فيه مَقيلُ
ليس إلا الأنفاسُ تُخبِر عنه   وهْو عنها مُبرَّأً معزولُ
ومن القومِ مَن يشيرُ الى وجـ   ـد تبقَّى عليه منه القليلُ
ولكلٍّ منهمْ رأيت مَقاماً   شرحُه في الكتابِ مما يطولُ
قلتُ : « أهلَ الهوى سلامٌ عليكمْ   لي فؤادٌ عنكمْ بكمْ مشغولُ
وجفونٌ قد قَرَّحَتْها مع الدمـ   ـع حنيناً الى لقاكم ـ سُيولُ
لم يزل حافزٌ من الشوقِ يحدو   ني إليكم ، والحادثاتُ تحولُ
واعتذاري ذنبٌ ، فهل عندَ من يعـ   ـلمُ عذري في ترك عُذري ـ قبولُ
جئتُ كي أصطلي ، فهل لي إلى نا   ركمُ هذه الغداةَ ـ سبيلُ ؟ »
فأجابت شواهدُ الحال عنهمْ :   كلُّ حدٍّ من دونها مغلولُ
لا تروقنْك الرياضُ الأنيقا   تُ فمن دونها زُبىً ودُحولُ(٧)
كم أتاها قوم على غرَّةٍ منـ   ـها ، وراموا أمراً فعزَّ الوصولُ
وقفوا شاخصينَ حتى اذا ما   لاح للوصلِ غُرَّةٌ وحجولُ
وبدت رايةُ الوفا بيد الوجـ   ـد،ونادى أهلُ الحقائق : « جُولوا
أين مَنْ كان يدَّعينا فهذا اليو   مُ فيه صِبغُ الدعاوي يحولُ »
حملوا حملةَ الفُحول ، ولا يصد   عُ يوم اللقاء إلا الفحولُ
بذلوا أنفساً سخَتْ حين شحَّت   بوصالٍ ، واستُصغِر المبذولُ
ثم غابوا من بعدما اقتحموها   بين أمواجها ، وجاءت سُيولُ
قذفتْهمْ الى الرُّسوم ، فكلٌّ   دمُه في طُلولها مطلولُ(٨)
نارُنا هذه تضيءُ لمن يسـ   ـري بليلٍ ، لكنها لا تُنيلُ
مُنتهى الحظِّ ما تزوَّد منه الـ   لحظُ والمدركونَ ذاك قليلُ
جاءها من عرفتُ يبغي اقتباساً   وله البَسْطُ عندنا والسُّولُ(٩)
فتعالت عن المنالِ وعزَّتْ   عن دنوٍّ اليه ، وهو رسولُ
فوقفنا كما عهدتُ حيارى   كلُّ عزمٍ من دونها مخذولُ
ندفع الوقت بالرجاء ، وناهيك   بقلبٍ غذاؤه التعليلُ
كلما ذاق كأس يأسٍ مريرٍ   جاء كأسٌ من الرجا معسولُ
فاذا سوَّلت له النفسُ أمراً   حيدَ عنه ، وقيل : « صبرٌ جميلُ »
هذه حالنُا ، وما وصل العلـ   ـمُ إليه وكلُّ حالٍ تحولُ

---

(١) انظر خريدة القصر/ قسم شعراء الشام   (٢) وفيات الاعيان لابن خلكان
(٣) الدخيل : العميق   (٤) خواسىء : ضعيفة   (٥) الخلب : الخادع
(٦) الشمول : الخمر ذات الرائحة القوية   (٧) دحول : حفر مائية ، المفرد دحْل
(٨) دم مطلول : مُهدر لا يؤخذ ثاره   (٩) البسط : السعة ، والسول : المطلوب

درس في القراءة

شعر : الياس لحود

في ذات يوم
ذاتِ صُبحٍ لمْ تُعكِّرْهُ القذائفُ
بعدَ الدُّخولِ إلى الصفوف
وبعدَ ترتيب الكُتُبْ
عَبرتْ مُناظِرةُ الدّروس من الزُّجاجِ
وأومأت بكتاب جبرانَ « العواصفْ »
أنْ حانَ وقتُ الابتداء

.. بدأتْ مراجعةُ القراءةِ / والقراءةُ كلُّ درسِ الأمسِ
عن « لبنانَ في تاريخهِ » والأسئلة

قالتْ مُعلّمتي قفي
فوقفتُ بينَ الطاولاتِ كأنّني بينَ السُّحُبْ
وبدأتُ أقرأُ :

.. قطعة من قلب هذا الشرقِ
.. منْ شَمْسِ العَرَبْ
.. أمّ اللغاتِ هنا وأوّلُ مدرسة »
حتى وصلتُ الى : « السّنين المُقبلة »
وعلا انفجارٌ حول مدرستي
سقطتُ مع الكتابِ معَ « السنينِ المقبلة
وخريطةٍ وقعتْ عليَّ من الكلامْ
قالت معلمتي : قفي
ووقفتُ تحت الدَّرسِ أبحث عن رُكامْ
حتى علوْتُ على السُّطور إلى « السنين .. المقبلة »
ورأيتُ في العنوان بركاناً من النّحل الضرير
صرختُ : منْ ؟





وركضتُ نحو البابِ أفتحُهُ فلا أجدُ « الوطنْ »
لأعودَ وجهي دمعتانِ من الشِّفاهِ الى الحروف
صاحت معلمتي : إلى اللّوح . اكتبي لي جملةً اسميةً مستعمله
كلمات هذا الدرس . قلت : كما أريدُ ؟؟ فردَّدتْ .
اسميَّةً . . وكتبتُ فوقَ اللَّوحِ بالطبشور أحرقهُ الزَّمن
« أمي معلمتـ(ي) الوطن»
وعلا انفجارٌ قربَ مدرستي
سقطتُ مع الطباشيرِ الصغيرة
صرخت معلمتي : قفي حالاً : لماذا الياء في
« أمي معلمتـ(ي) الوطن »
فنهضتُ جمعت ارتجافاتي ولملمت الحكايا
ووقفتُ تحتَ اللَّوح أكتبُ بالبقايا
أمي معلَمةُ الوطن

وعلا انفجار قربَ مدخلِ بيتنا
ورأيتُ أمّي في الدُّخانِ على ارتجافاتِ المدينة
وبكيت تحت اللوح . صلَّينا ولكني بكيْتُ بكيتُ
صلَّينا ولكني سقطتُ مع البكاءِ على الوطنْ

وكتبتُ بالدَّمعِ المُنشَّفِ فوق تربتِهِ الحزينة :
« أمي معلِّمةُ الربيع إليكَ في هذا العذاب »

ووقفتُ

علَّقتُ الخريطةَ فوق بابِ الصفِّ أمسكتُ الكتاب
وَمَسَحْتُ دمعي بالوطنْ

أقوال

■ مهمة الكاتب أن يكتب فقط ، أما حياته الخاصة فهي ملك له وحده ، إلا إذا وجد فيها شيئا يهم الناس !

« **صموئيل بيكيت** »

■ الرجل العظيم يحب البطء في أقواله والسرعة في أعماله .

« **كونفوشيوس** »

■ العمر لا يقاس بعدد السنين ، ولكن بما تحفل به هذه السنين من عطاء يثريها وينميها .

« **حكمة هندية** »

■ دول الخليج رفضت أي وجود عسكري للقوتين العظميين ، لأنها لا تريد أن تكون رهينة في يد أي منهما .

« **كلود شيسون** »

■ إذا أردت أن تعرف ما يحدث في بلدك فارحل بعيدا عنه !

« **ديجول** »

■ ريجان يعتمد على التجربة والخطأ ، وجوربا تشوف يستفيد من اضطراب التفكير الأمريكي .

« **لوس انجلوس تايمز** »

■ تسلق الجبال الوعرة يحتاج الى خطى حذرة متمهلة .

« **شكسبير** »

■ الدول الفقيرة تزداد فقرا، والدول الغنية تقف متفرجة . . إن الجنوب يغرق وإذا ابتلعته أمواج الفقر ، فسوف ينتهي العالم !

« **كورت فالدهايم** »

■ أجود أنواع المساحيق التي يمكن أن تستخدمها المرأة في تجميل وجهها ، هي شعورها بالسعادة .

« **كاترين العظمى** »

■ عندما كنت صغيرا ، تمنيت أن أكون كبيرا ، فلما كبرت عاودني الحنين الى شبابي .

« **هوجو** »

■ الغضب ريح عاتية تعصف بالعقل .

« **صموئيل جونسون** »

■ إننا نحب الورد رغم الأشواك التي تعانقه . . وهكذا الحياة !

« **لامارتين** »



كلود شيسون



ديجول



كورت فالدهايم

للفتيات
والفتيان
العرب

صدر العدد العاشر من

مجلة

العربي الصغير

صفحة ٦٤ بالألوان

مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار

في الأسواق أول كل شهر

احجز نسختك من الآن لأبنائك



لا تدفع أكثر من



٢٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها للنسخة الواحدة

جائزة قيمة تنتظر طفلك
شهرياً في مسابقة



العربي الصغير

مكتبة العربي



العرب و ديارهم
في كتاب صيني من العصور الوسطى

بقلم : الدكتور نقولا زيادة

في عام ١٩١١ نقل رجلان انكليزيان كتابا من الصينية الى الانكليزية ، وطبع الكتاب في مدينة بطرسبورغ التي أصبحت فيما بعد ليننغراد ، وفي الكتاب وصف لديار العرب ، استقاه مؤلفه الصيني من التجار العرب الذين كانوا يصلون الى الميناء الذي يعمل فيه ، كان ذلك في القرن الثالث عشر ، أما اسم الكتاب فهو « وصف الشعوب الأجنبية » .

نشطت العلاقات التجارية بين الصين وديار العرب بدءا من القرن السادس للميلاد بشكل خاص ، وكانت جزيرة سرنديب (سيلان ، سري لانكا) هي مركز التجمع للتجار العرب من جهة ، والتجار الذين كانوا يحملون المتاجر الصينية (بحرا) من الجهة الأخرى . وقد تنوعت السلع المحمولة من الفريقين ، وكان أهمها - من المشرق - : الحرير الصيني خيوطا ونسيجا ، والخزف الصيني ، والقيشاني ، والتوابل الآتية من جزر الهند الشرقية « اندونيسيا » ، أما من الغرب فقد كان البخور العربي والافريقي والذبل وقرن وحيد القرن والعاج في مقدمة مايحمل ، وكانت سلع الشرق على العموم أكبر قيمة - يومها - على نحو ماكانت عليه أيام الرومان ، وكان الغرب - على ايدي التجار العرب - يدفع الفرق بالفضة ، كما كان يدفعها قبلا (أيام الرومان) بالذهب والفضة .

وبالرغم مما كان هناك من نشاط تجاري ، فاننا لانعرف أن الصينيين خرجوا من ديارهم ليتعرفوا حتى على الأقطار القريبة منهم ، بله ديار العرب ، على

نحو مانعرف من وصول سليمان التاجر الى كنتون (خانفو أو كوانغ تشو) ووصفه للطريق البحري وللميناء . وذلك في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

وصف الشعوب الأجنبية

ولذلك فاننا نسر عندما نعثر على كتاب يتحدث عن ديار العرب والمتاجر التي تحمل منها الى الصين . والكتاب اسمه بالصينية (تشو - فان تشي) ومعناه وصف الشعوب الأجنبية . أما مؤلفه فهو (تشو جو كوا) . ويعود وضع الكتاب الى القرن الثالث عشر .

وهذا الكتاب استقى مؤلفه مادته من التجار الذين كانوا يحملون بضائعهم الى الميناء الذي كان هو يعمل فيه . وهو ميناء زيتون (تسبوان - تشو) . وكان (جو - كوا) يشغل منصب مراقب التجارة البحرية هناك . وقد كانت ثمة موانىء أخرى فيها مثل هذا المنصب . لكن مؤلفنا حصل على مالديه من المعلومات والأخبار من التجار الذين هبطوا ميناءه . فقد كان على التجار الذين يصلون الميناء أن يبادروا الى تسجيل مالديهم من بضائع . وكان عليهم أن ينتظروا حتى تصل آخر السفن في الموسم التجاري المعين . كان مراقب التجارة يقتطع ٣٠٪ من المتاجر عينا هي رسوم الميناء . ويعطي لممثل الامبراطور الحق في أن يختار ما يراه مناسبا لسيده من المتاجر . وكان يدفع ثمنها . قبل أن تعرض للبيع . وعندما ينوي التجار الخروج من الميناء ومعهم ما ابتاعوه من السلع . كان عليهم أن يقدموا البيانات اللازمة للمراقب . ثم يترتب عليهم أن يدفعوا رسوم التصدير . قبل أن يؤذن لهم بالسفر .

وفي هاتين الحالتين كان المؤلف يتعرف على التجار ويدون أسماء بلادهم ومايحملون معهم من السلع . وهذه المعلومات هي التي دونها في كتابه .

والكتاب قسمان : يتناول المؤلف في الأول منهما الأقطار والشعوب التي تحمل متاجرها الى زيتون . والثاني يتحدث عن المتاجر نفسها .

وفيما يتعلق بالاقطار والشعوب . فان (جو - كو) يبدأ بأقطار آسيا القريبة من جنوب الصين . ثم يتحدث عن كمبوديا فالملايو وسيلان والهند . ثم ينتقل الى البلاد العربية معددا الموانىء والمدن المهمة . وهي صحار وعمان ومخا وبغداد والموصل ومصر والاسكندرية . ويشير الى المغرب الأقصى . وتشغل أخبار هذه المدن (مع جزيرة قيس في الخليج العربي والصومال وآسيا الصغرى) أكثر من ربع القسم الأول .

أما فيما يتعلق بالقسم الثاني - أي المتاجر - فان المؤلف يذكر ثلاثة عشر نوعا من البخور تنقل الى الصين . وفضلا عن تعداد هذه المتاجر وذكرها منفردة . فانه يعطينا وصفا لطبيعتها وسبل استخدامها ان كانت طبيعية أو مركبة أو عقاقير أو طيوبا .

اضطراب الجغرافيا والتاريخ

بلاد العرب والعرب وديار الاسلام والمسلمين يشير المؤلف اليها باسم (تا - شي) (وهو يستعمل هذه التسمية أحيانا للجاليات العربية والاسلامية المقيمة في جاوة وسومطرة) ويقول عن تلك الديار . « وانها بعيدة عن الصين مسافة كبيرة » ويدلك على ذلك بالاشارة الى أن السفن تحتاج الى مدة تتراوح بين

كتاب الشهر

١٢٠ و ١٣٠ يوما كي تصل الى سيلان (من زيتون) .

ومن الطبيعي أن تكون معلومات (جو - كوا) مضطربة من حيث الجغرافية ، فهو ينقل معلوماته عن بحارة وتجار لم يكن دوما باستطاعتهم أن يزودوه بالأخبار الدقيقة ، لكنها أشد اضطرابا واختلاطا من حيث التاريخ ، ولعل الحدث التاريخي الوحيد الذي لم يخطيء فيه جو - كوا ، أو لعله لم يخطيء في نقله هو أن النبي (ﷺ) ولد في مكة ، وأن الكعبة فيها ، وأنها تكسى بالديباج مرة في السنة .

يحدثنا المؤلف عن مرباط (في الجنوب العربي) ويقول ان بعض بيوتها يتكون من خمسة أدوار ، ويؤكد (جو - كوا) على نشاط التجارة بين عمان والبصرة ، ويتحدث عن قوة العرب ونشاطهم .

ومن البضائع التي يذكرها المؤلف نشير الى البخور بأصنافه وأجودها ما حمل من ظفار والشمر ، ودم الأخوين والذبل (من سوقطرى) ، والزبد (من الحبشة وجنوب الجزيرة) والعاج (من افريقيا) واللؤلؤ ، والجيد منه كان الغواصون يستخرجونه من جزيرة أوال (البحرين) .

ويبين المؤلف المتاجر التي كان التجار العرب ينقلونها من الموانىء العربية (في الخليج العربي وخليج عمان والبحر الأحمر) ولكنها أصلا آتية من الداخل أو من بلاد بعيدة مثل المرجان المحمول من البحر المتوسط ، والبلور الذي كان يصنع - حسب روايته - في بغداد والشام ، وهذا البلور أفضل مما يصنع في الصين ، لأن الصناع في (تارشي) يضيفون (البوراكس) الى المواد الخام ، لذلك يكون أنقى وأنصع من البلور الصيني .

هذا الكتاب نقله الى اللغة الانجليزية (مع هوامش مفصلة فردرك هيرث وزميله و . و . ريكهل وطبع سنة ١٩١١ في سان بطرسبورغ (لينغراد اليوم) .

على أن هذا الموقف من الأقطار الخارجية تبدل الى درجة كبيرة أيام أسرة (منغ) التي حكمت الصين من سنة ١٣٦٨ الى سنة ١٦٤٤ .

الكونفوشية والتجارة

ولابد لنا ان نشير هنا الى موقف الصين الرسمي ، أي موقف الامبراطور والحاشية من التجارة ، ذلك بأن النظرية الكونفوشية كانت تعتبر العمل بالتجارة محطا ولايليق بابن ماء السماء ، ومع ذلك فان العمل بالتجارة في البلاد كان يتطلب اذنا من الامبراطور ، والامبراطور كان شديد الحرص على هذه السلع الكمالية التي كان البلاط والحاشية والأمراء وكبار التجار يتشوقون اليها ، وهنا جاء الحل - العملي في نظرهم - وهو أن هؤلاء التجار الذين بدأوا يحملون المتاجر من الصين واليها ، في القرن الأول للميلاد ، انما كانوا يحملون ضرائب للامبراطور ، واذن فزياراتهم كانت لتقديم الطاعة واظهار الخضوع ، وعندها كان الامبراطور يتلطف ويسمح لهم بالاتجار في بلاده ، أي بالاستمرار في حمل الضرائب الى البلاط الامبراطوري !

ولذلك لما خرج الصينيون - أخيرا - الى البلاد المختلفة ، القريبة أولا ثم النائية ، فانهم خرجوا لييسروا الحماية للبلاد التي أظهرت الخضوع للصين ، ولعل هذا مايفسر هذا الظهور ، أو الخروج بشكل ضخم .

ذلك أن الصين أرسلت في الثلث الأول من القرن الخامس عشر ، سبع حملات بحرية لتفقد هذه الأماكن التي كانت تتاجر ، أو يمكن أن تتاجر مع الصين ، وقد كانت بعض الأساطيل (في الحملة الواحدة) تتكون من اثنين وستين مركبا مختلفة الحجوم والأصناف ، وقد اشترك فيها سبعة وثلاثون ألف رجل بين مقاتل وبحار ، وقد وصلت ثلاث من

هذه الحملات السبع الى غرب المحيط الهندي ، وألقت مراسيها في هرمز وفي عدن وفي مخا (على البحر الأحمر) .

وقد وضعت هذه الأساطيل في الحملات بأجمعها تحت قيادة صيني مسلم من ولاية يونان ، كان خصيا في بلاط الامبراطور ، وكان اسمه (تشنغ هو) وقد دون هو أخبار الحملات جميعها في تقارير رفعت الى الامبراطور ، ثم وضعت في الارشيف الرسمي ، لكن هذه اختفت فيما بعد ، وقد يكون الأمر متعمدا ، فقد لاحظ الذين درسوا الأرشيف الصيني تكرار مثل هذه الحوادث في دور المحفوظات (حتى الملكية منها) ، ذلك أن الغيرة والحسد يحملان رجلا فاشلا في محاولاته ، على اتلاف تقارير الناجحين ، وهكذا فان ما دونه (تشنغ هو) ، فقد بأكمله ، الا أن نقشا طويلا نسبيا وضع في الميناء الذي كان نقطة انطلاق للحملات البحرية ، وهذا النقش يحوي خلاصة للحملات من حيث اعداد السفن وعدد الرجال والأماكن التي تمت زيارتها ، وبعض المعلومات عن تلك الأماكن ، هذا كل مالدينا من معلومات مباشرة عن هذه الحملات .

ففيه نقرأ : « أن البلاد التي تقع خلف الأفق ، وفي أطراف الأرض ، قد قبلت جميعها أن تكون تابعة للامبراطور (وذلك لأن تجارها حملوا الضرائب الى البلاط) ولأن الامبراطور كان راضيا عن ولائهم قابلا باخلاصهم ، فانه أمر (تشنغ هو) وغيره بان يتولوا قيادة عشرات الألاف من الضباط والجنود ، وأن يكونوا في سفن القيادة ، وأن يتجهوا الى تلك البلاد حاملين لها هدايا من الامبراطور . »

في استقبال الزرافة

ولو أننا كنا نملك التقارير الأصلية ، لكنا حصلنا على الكثير من المعلومات ، لكن مالدينا قليل ، الا أن التقارير التي كتبها أربعة من الخصيان الذين كانوا في حاشية القائد تعوض علينا قسما لايستهان به من الخسارة ، وبعض هذه المدونات تحوي خرائط للمناطق التي زارتها الأساطيل .

هناك أمر مهم ترتب على ارسال هذه الحملات ، وفي الواقع فقد حدث هذا بعد عودة الحملة الأولى ، يومها فتحت مدرسة خاصة لتعلم اللغات التي يستعملها سكان البلاد التي زارتها الحملة ، والمزمع زيارتها فيما بعد ، وقد استمرت هذه المؤسسة في عملها قرونا طويلة ، ولاتزال بعض خزائن الكتب الصينية تحتفظ ببعض الكتب الثنائية اللغة (الصينية مع لغة أخرى) ، لكن لم يعثر بعد على كتب ثنائية اللغة بالنسبة للغة العربية .

وقد كان للزرافة دور خاص في ذلك ، فالزرافة تسمى بلغة الصومال جرين ، وهذا الكلمة تلفظ بالصينية جلين أو شيلن (لأن اللغة الصينية لم تعرف حرف الراء ، ويستبدل دوما حرف اللام به) ، وكلمة جلين أو شيلن الصينية تعني الحيوان الخرافي الذي له جسم حصان ورأسه ، وخلفيتا وعل ، ويتوسط جبهته قرن واحد . (يسمى باللغة الانجليزية يونيكورن **unicorn**) وهذا هو حيوان الحظ عند الصينيين ، فوصوله الى مكان ما في الصين كان دليلا على أن الحظ سيطل على البلاد ، فضلا عن أنه يعني أن الامبراطور هو (يومها) رمز الفضيلة ، وهذا أيضا علامة خير للبلاد والعباد .

وبسبب من هذا الالتباس في اللفظ والتسمية اعتبرت الزرافة التي حملت الى الصين من « ملندة » في شرق افريقية حدثا خاصا في تاريخ الصين يومها .

فلما وصلت الزرافة (سنة ١٤١٤) خرج الامبراطور الى الباب الرئيس لاستقبالها ، وخرج رجال الدولة معه .

وهل ثمة هدية أكبر من هذه يبعث بها أولئك الذين كانوا يريدون توثيق العلاقات التجارية مع الصين فيما كان القصر يرى في تقربهم منه رغبة في اظهار الولاء والاخلاص له ! □

العلاقات الدولية بعيون عربية

أول تقرير استراتيجي عربي

عرض / نجاح عمر

لفترة طويلة . . ومنذ أن انتبه الوطن العربي الى الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية . . ومراكز الابحاث والمعاهد الأجنبية المتخصصة تركز كل جهدها لرصد مايجرى على هذه البقعة المهمة من العالم الثالث .

عشرات بل مئات الدراسات والأبحاث والتقارير التي صدرت مستترة وراء قناع من موضوعية البحث والحياد العلمي . . . كانت جميعها ـ وعلى اختلاف مصادرها ـ قد وضعت لخدمة إدارة الصراع في العالم الثالث والمنطقة العربية ، كجزء متميز من هذا العالم لصالح القوى الأجنبية .

لهذا السبب . . ولأسباب أخرى تدخل في منهجية النموذج الغربي للدراسات الاستراتيجية ، تصاعدت الدعوة لصياغة مفهوم جديد للاستراتيجية والدراسات الاستراتيجية ، يعتمد في الأساس على الملامح المميزة لمشاكل العالم النامي ، ذلك العالم الذي مازالت تشغله قضايا السيادة الشرعية ، وأزمة المشاركة السياسية ، والافتقار الى الموارد ومشاكل بناء الدولة بشكل عام .

من هنا كانت الحاجة الملحة الى صياغة نموذج جديد للتفكير الاستراتيجي .

ويمكن القول أن تباشير ذلك قد بدأت بانشاء المراكز الجديدة في اطار بعض الجامعات العربية .

في عمان أنشىء مركز للدراسات الاستراتيجية بالجامعة الاردنية . وفي بغداد يوجد مشروع إنشاء مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة المستنصرية بالعراق . وفي القاهرة . . يواصل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام دوره في تقديم بحوث علمية للتطورات والصراعات ذات التأثير في الشرق الأوسط عامة . . وعلى الصراع العربي الاسرائيلي بصفة خاصة .

الاستراتيجية والصراع

على الرغم من أهمية القضايا والموضوعات التي طرحها التقرير الاستراتيجي العربي الأول . . الا أن المدقق في خريطة الواقع العربي ـ كما رسمها التقرير ـ

سوف يقف طويلا أمام تلك المساحة الشاسعة التي يحتلها الصراع في هذه البؤرة المتوترة من العالم الثالث .

مبررات ذلك . . قد ترجع الى الهدف المحدد من التقرير وهو « محاولة إبراز الجوانب التي تستحق التأمل والتحليل لدى الحكم على الاوضاع العربية الراهنة التي لايصح ان يصور رأي أو برنامج . . أو توجيه بدون وضعها في الاعتبار » .

و . . ربما لأن هذا هو الواقع الفعلي للوطن العربي ، التفتت والتجزئة التي امتدت طوال السنوات الماضية التي كانت سمة مميزة من سمات المجتمع العربي .

والذي لاشك فيه أن الصراع العربي الاسرائيلي هو الصراع الأساسي في المنطقة العربية . لكن ذلك وتلك من نقاط الضعف التي لم تمنع وجود صراعات أخرى بعضها داخلي ، أي بين أبناء الوطن الواحد ، وبعضها خارجي . . أي بين قطر ما وجيرانه . لكنها على اختلافها تعكس نفسها بصورة سلبية على الصراع « الأم » . . العربي الاسرائيلي . فكل نقص في القدرات العربية هو بالضرورة إضافة الى قدرات وامكانيات الطرف الآخر . لذلك لم يغفل التقرير الاسرائيلي في رؤيته لهذه الصراعات أن يسجل تأثيرها على الصراع العربي الاسرائيلي .

أما الملاحظات الأساسية على هذه النزاعات العربية / العربية هي أنها تزول تماما في حالة توحيد الدول العربية .

وانها في معظمها اما نزاعات طائفية أو نزاعات حدود . مما يؤكد أن الصراع العربي الاسرائيلي ليس فقط مواجهة عسكرية . . لكنه أيضا مواجهة داخل البلدان العربية ، بخلق أنواع متعددة من الصراعات الداخلية ، تضاف في النهاية الى القدرات الاسرائيلية ، عند حسابات استراتيجية الصراع العربي الاسرائيلي .

الجانب الآخر من الصورة

الصورة ليست قاتمة تماما ، وكما توجد مواطن ضعف . . توجد أيضا هياكل قوة في الوطن العربي ، وهي كما جاءت في التقرير الاستراتيجي العربي الأول يمكن تلخيصها في : -

درجة متوسطة من الانتشار المكافىء والنوعي لموارد القوة ، مما يعطي أساسا لتكون نظام توازن القوى أو تعددية الأقطاب . فمن ناحية عدد السكان نجد أن ٧٢.٥٪ منهم يعيشون في خمس دول فقط من اجمالي ١٨ دولة عربية . وسبع دول تشتمل على ٩٠.٦٪ من اجمالي عدد السكان في الدول الثماني عشرة ، وترتيب هذه الدول هي : مصر ٢٥.٧٪ من سكان الوطن العربي ، ثم المغرب والجزائر والسودان بنسبة ١١.٧ بكل منها ، ثم تأتي بعد ذلك العراق ٨.٢٪ ثم سوريا والسعودية .

ومهما يكن من أمر فلو نظرنا إلى حجم الجيوش العاملة حتى اول يولية **١٩٨٥** لوجدناها موزعة بين ثلاث دول فقط تحتفظ بـ ٦٣.٦٪ من اجمالي حجم القوات المسلحة في ١٨ دولة عربية . وهذه الدول هي . . العراق ٢٤٪ ، مصر ٢٠.٧٪ ، سوريا ١٨.٧٪ فاذا أضفنا المغرب والجزائر لأصبح نصيب خمس دول نحو ٧٨.٤٪ من اجمالي حجم القوات العسكرية المتواجدة في الوطن العربي .

ويلاحظ أن ترتيب الدول يختلف كثيرا بين نصيبها في عدد السكان وحجم الجيوش العاملة فيها وذلك نتيجة لمستوى التعبئة الكبير في كل من سوريا والعراق .

ويعطينا حجم أنظمة التسليح الحديثة مؤشرا آخر للقوة العسكرية . فاذا اعتمدنا على عدد الدبابات وطائرات القتال ، فاننا نحصل على ترتيب آخر . . فهناك خمس دول عربية تحتفظ بنحو ٨٣.٨٪ من حيازة الوطن العربي للدبابات ، وهي سوريا ٢٥.٧٪ ، العراق ـ ٢٢.٩٪ ، ليبيا ١٧.١٪ ، مصر ١٣.٢٪ الأردن ٤.٩٪ . أما من حيث عدد طائرات القتال فان الدول العربية الخمس الأولى تمتلك نحو ٧٢.٦ من اجمالي ماتملكه الوطن العربي .

وخلاصة القول أن البلدان العربية الأكثر تمتعا بموارد القوة العسكرية في الوطن العربي هي على الترتيب . . العراق ، مصر ، سوريا . . ليبيا . الجزائر ثم السعودية والمغرب والأردن .

وبالطبع سوف نجد أنفسنا أمام توزيع مختلف اذا ما تطرقنا الى الناحية الاقتصادية . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة
(مساهمة نحو فهم أفضل)
المؤلف / الدكتور رمزي زكي .
الناشر / دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات / ١٣٠ من القطع الكبير

يضم هذا الكتاب ثلاثة أبحاث قدمها الدكتور رمزي زكي في الحلقة النقاشية للمعهد العربي للتخطيط بالكويت عام ١٩٨٤/ ٨٥

ينطلق الدكتور رمزي زكي من حقيقة أن العالم الرأسمالي يعيش منذ السبعينيات من هذا القرن أزمة طاحنة تعيد للأذهان أزمة الكساد الكبير في بداية الثلاثينيات ، وما تلا ذلك من هزيمة للمدرسة الكينزية التي ساعدت العالم الرأسمالي على تجاوز ازمته من الثلاثينيات وحتى نهاية الستينيات ، ثم يستعرض المدارس الاقتصادية الرأسمالية التي جاءت على انقاض الكينزية لتفسير ما عجزت عنه هذه المدرسة ، ويلقي ضوءا على كل من المدرسة النقدية والاصلاحية والراديكالية ، مع تركيز على الأولى باعتبارها الأهم والأخطر من بين هذه المدارس الثلاث . ولا ينسى أن يربط الدكتور رمزي كل ذلك بالتغيرات السياسية على الصعيد العالمي ، ليقدم شرحا مبسطا لواحدة من أهم الأزمات التي تؤثر بشكل مباشر على الأوضاع الاقتصادية في وطننا العربي .

الكتاب / في الرواية الفلسطينية .
المؤلف / فخرى صالح .
الناشر / مؤسسة دار الكتاب الحديث ـ بيروت .

عدد الصفحات / ١٥٨ من القطع الصغير .

يطمح هذا الكتاب الى الاجابة عن سؤالين حدد الكاتب أولهما بالتساؤل حول وجود رواية فلسطينية تمتلك خصوصيتها وشكلها الخاص بها . والثاني حول موضع الرواية الفلسطينية من الرواية العربية عموما ، وللاجابة عن هذين السؤالين ، يبدأ فخرى صالح رحلته مع الروايات الفلسطينية التي درسها باعتبارها أيديولوجيا كما هي لدى غسان كنفاني ، ونوعا من كتابة الجراح كما هي عند أميل حبيبي ،ثم كتابة الحدث التاريخي ، كما هي عند رشاد أبو شاور ، وينتقل الى دراسة روايات كتبتها لبانة بدر وسحر خليفة والكاتبة السورية حميدة نعنع .

وخلال جولته في عوالم الرواية الفلسطينية لا ينسى الكاتب أن يفرد فصلا تحت عنوان اشكالية الرواية الفلسطينية تحت الاحتلال ، ويختار ثلاث روايات لسميح القاسم وعلى الخليلي وغريب عسقلاني .

الكتاب / ١٠٠ يوم في معتقل أنصار .
المؤلف / سعدون حسين .
الناشر / مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .
عدد الصفحات / ٢٠٦ من القطع المتوسط

مع دخول القوات الصهيونية الغازية الى بيروت ، دخل العدو الصهيوني أطول حروبه وأكثرها تكلفة ، ومثلما فعل اسلافهم النازيون اثناء الحرب العالمية الثانية ، قام الغزاة بجمع الأسرى في معسكرات اعتقال كبيرة كان أكثرها « شهرة » معتقل انصار .

عن فترة الاعتقال التي امتزجت فيها البطولة والاصرار على التحدي بمواقف الضعف الانساني التي تنتاب هؤلاء الساكنين وراء الأسلاك الشائكة ، كتب سعدون حسين الذي كان واحدا من آلاف ضمهم المعتقل الكبير .

وربما كانت ميزة هذا الكتاب الذي قدم له المفكر اللبناني المعروف حسين مرة ، هو انه رسم صورة الانسان العادي في مواجهة سلطة غاشمة ، لم تستطع بما تملكه من آلة قهرية أن تقضي على ارادة النصر في هذا الانسان .

الكتاب / مبادىء في علم الأدلة .
المؤلف / رولان بارث .
ترجمة / محمد البكري .
الناشر / دار قرطبة للطباعة والنشر ـ الدار البيضاء .
عدد الصفحات / ١٨٠ من القطع الصغير .

يحاول المترجم في مقدمته لهذا الكتاب الذي صدر أول مرة في باريس عام ١٩٦٤ ، أن يجيب عن سؤال يطرح نفسه بداهة حول أهمية ترجمة كتاب مضى على صدوره أكثر من عشرين سنة ، رغم كل ما طرأ على موضوع علم الأدلة وعلى المدرسة البنيوية في الوطن العربي والعالم من تطورات ، وينفي ان يكون هدفه احياء للبنيوية في صورتها المستهلكة كما قدمتها النماذج المشوهة للبنيوية في وطننا العربي .

ومهما يكن من أمر فان هذا الكتاب لواحد من أبرز البنيويين الفرنسيين ، يأتي ليسد فراغا في المكتبة العربية التي مازالت تفتقر الى كتب تأسيسية في هذا المجال ، وقد تنبه المترجم الى صعوبة فهم النص من خلال الترجمة العربية فقط ، فأضاف ثبتا للمصطلحات الفرنسية ومرادفاتها العربية ، لتشكل بالاضافة الى المقدمة والشروح في الهوامش عونا على فهم هذا النص الصعب .

الكتاب / رعاة العزلة ـ شعر .
المؤلف / أمجد ناصر .
الناشر / دار منارات للنشر ـ عمان .
عدد الصفحات / ١٥٦ من القطع الكبير .

في كتابه الشعري الثالث يصبح عالم أمجد ناصر الشعري أكثر تعقيدا ، وتستقر مفرداته الشعرية ولغته المقتصرة لتشكل الشخصية الشعرية لأمجد البدوي القادم من الشمال ، المصطدم ببنية مجتمعية وانسانية أكثر تعقيدا ، وأقل احتراما للقيم البدوية التي غادرها .

في عالم أمجد الشعري لا يكف البدوي عن الحنين الى عالم مفتقد ، ولا عن المحاولات القوية لاستيعاب العالم الجديد والقيم الجديدة ، فيدخل في حوار لا ينتهي معها ، مسلحا بمفردات شعرية صارمة ومحددة ، ترسم عالما يقارب الحدود السريالية في بعض الأحيان ، لكن مادته اللغوية تبقى على الدوام قوية وباترة .

الكتاب / فضاء المعرفة .
تأليف / الدكتور عادل عبدالكريم ياسين .
الناشر / مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .
عدد الصفحات / ٢٦٠ من القطع الكبير .

مادة هذا الكتاب ليست المعرفة من وجهة نظر فلسفية ، بل تمثل وجهة نظر تربوية تتعلق بتدريس مادة الرياضيات الحديثة في المدارس العربية ، ويقول العنوان الفرعي للكتاب الذي هو في الأصل رسالة دكتوراة للمؤلف ، ان الكتاب بحث عن منهجية خوارزمية لتطوير تعليم وتعلم الرياضيات .

ويناقش المؤلف مادة الرياضيات الحديثة ، كما جرى تدريسها للطلاب ، ويتصدى مدافعا عنها باعتبارها تمثل مواكبة لهذا العصر الذي يشهد اكتشافات واختراعات هائلة في العلوم والرياضيات .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٦
نوفمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ ديسمبر ١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ ـ كانت العرب اذا سمعت حديثا لا أصل له قالت : « حديث خرافة » ، فما الذي قصدوه بقولهم أو مثلهم هذا . . ؟

* قصدوا التشبيه بين ذلك الحديث وبين حديث رجل من بني عذرة اسمه خرافة . . ادعى مصاحبته للجن ، وأكثر من الحديث عن أعاجيبه .
* قصدوا مايدل عليه لفظ (خرف خرفاً) . . أي أن الحديث باطل .
* نسبوا ذلك الحديث الى فصل الخريف .

٢ ـ ثمة منطقة من الكرة الأرضية تسمى « سطح العالم » ترى أي منطقة تلك ؟

* القطب الشمالي .
* القطب الجنوبي .
* بلاد التبت الواقعة في أواسط آسيا بمحاذاة جبال همالايا .

٣ ـ أين ينتهي الغلاف الجوي ويبدأ الفضاء . . ؟

* على ارتفاع ١٦٠ كيلو مترا .
* على ارتفاع ٢٥٠ كيلو مترا .
* على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متر .

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٦



٤ ـ من اخترع أول ميزان حرارة في التاريخ ؟ .
* العالم الألماني فهرنهايت .
* العالم السويدي سلسيوس .
* الملك فرديناند الثالث ملك بوهيما والمجر ، وذلك في القرن السابع عشر ، قبل اختراع الميزانين المعروفين (فهرنهايت وسلسيوس) بعشرات السنين .

٥ ـ لفظ (حِرِّيف) ماذا تعني على وجه الدقة . . ؟
* ذو حرافة ، أو طعم يلذع اللسان .
* الرجل الحريف هو الذي يحرف القول ويغيره عن مواضعه .
* هو الرجل الذي يتقن حرفته .

٦ ـ هل يوجد ذهب ذائب في مياه المحيطات ؟

٧ ـ ما هي أقدام الزنبقة وما العامل المشترك بينها وبين أهل الصين ؟

٨ ـ ثمة جامعة واحدة في العالم كله متخصصة في تعليم الصم . . أين توجد هذه الجامعة ؟

٩ ـ طالما تمثل العرب بمناعة حصن تَيْماء . . فأين تقع تَيْماء هذه ، ومن بنى حصنها ؟

١٠ ـ ما هي سرعة نمو شعر الانسان . . بالمتوسط . . ؟
* نصف بوصة في الشهر .
* نصف سنتمتر في الشهر .

١١ ـ لاحظت الفتاة أن الساعة استغرقت (٣٠) ثانية لكي تدق الساعة السادسة فسألت أخاها عن الوقت الذي تستغرقه الساعة لكي تدق الساعة ١٢ . . فأجاب ٦٠ ثانية فهل أصاب أم اخطأ . . وان كان قد أخطأ فما هو الصواب ؟

١٢ ـ أيها الفصيح الثرثار وأيها الفصيح البليغ ، أَلْمَلِسِنُ والألْسَن (أو اللَّسِن) .

لحل مس

١ ـ معبد ديانا . . أو أرتيمس في أفسوس . . وهو المعبد الذي بناه قورش ملك ليديا الشهير بغناه . . وكان المعبد عجيبا في نظر القدامى ، وقد اعتبروه في عداد عجائب الدنيا السبع .

٢ ـ لفظ عنيد يعني في اللغة خالف الحق وهو عارف به .

٣ ـ سعفة جمعها سعوف ، والسعفة الواحدة هي ورقة النخيل لا غصنه .

٤ ـ طول الثوب (٧٠) يردة ولكن عدد القصات التي يحتاجها للحصول على ٧٠ قطعة هو ٦٩ قصة . . الجواب اذن ٦٩ × ٥ = ٣٤٥ ثانية = ٦٠ دقيقة و ٤٥ ثانية .

٥ ـ نعم ، فأصل اللفظ في الفحص هو :
كعا يكعو كعوا . . وهو يؤدي معنى جبن أو انهزم .

٦ ـ كان اسمه الحقيقي شارلز لوتودج دودجسون . . أما (لويس كارول) فكان اسمه المستعار الذي اشتهر به . .
حقا ، اشتهر كارول بكتابة قصص الأطفال ولكنه كان عالم رياضيات في الوقت نفسه ، وقد عمل محاضرا في الرياضيات في جامعة اكسفورد وعاش نحو ٦٦ عاما (١٨٣٢ ـ ١٨٩٨) .

٧ ـ حصلت عليها هدية عرس (دوطة) ، وقد كانت جزءا من الدوطة التي حملتها العروس كاترين رجانزا الى عريسها الملك شارلز سنة ١٦٦٢ . . وكانت بومباي قد سقطت في أيدي البرتغاليين سنة ١٥٣٠ . .

٨ ـ مفردها النوء ، ومعناها المطر .

٩ ـ كلا ، الثلج والبَرد ماء مطر متجمد . . فقطرات الماء الصغيرة تتجمد وتتحول الى ثلج اذا كان الطقس شديد البرودة . . أما إذا حل التجمد بقطرات المطر الكبيرة تكوّن البَرد .
وتجدر الاشارة الى أن مطر الصيف قد يرافقه البرد دون الثلج ، وسبب ذلك أن الثلج يذوب بتأثير حرارة الصيف ، وقبل أن يصل الى سطح الأرض ، أما البرد وهو كما لا يخفى كبير الحجم نسبيا ، فيصمد ويصل بَردا الى سطح الأرض ، ومن طريف ما يذكر أن حجم البرد يكبر أحيانا حتى يبلغ وزن الحبة الواحدة منه كيلو جراما أو يزيد ويسبب في تلك الحال أضرارا كثيرة . .

١٠ ـ تحتاج الى ٢٠٠٠ سنة بالمتوسط لكي يزداد طولها سنتيمترا واحدا !

١١ ـ دفع السدادة الى داخل القنينة .

١٢ ـ بوينج ٧٤٧ ، وتستطيع حمل حوالي ٤٠٠ راكب أو يزيد .

بقة العدد ٣٣٣ أغسطس ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٣ أغسطس ١٩٨٦

الجائزة الأولى : عبده فاطمة ـ الرباط ـ المغرب
الجائزة الثانية : محمود عبدالحميد سليمان ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية
الجائزة الثالثة : خافية التومي ـ نهج الأخوة ـ الجمهورية التونسية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ سلمى على محمد الملايين ـ دولة الكويت
٢ ـ عوض الجيد المجتبي محمد آدم/ بريد الخرطوم/ السودان
٣ ـ أسامة الطاهر الزنتاني ـ طرابلس الغرب ـ المدينة القديمة ـ الجماهيرية الليبية
٤ ـ سهيل موسى السكر ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية
٥ ـ مأمون عبدالله مطر ـ بشاور ـ جامعة بشاور ـ باكستان
٦ ـ يحيى ناصر حسن الشتوى ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ فيصل عبدالغني عبدالوهاب ـ بغداد ـ وزارة المالية ـ دائرة المحاسبة ـ الجمهورية العراقية
٨ ـ فخرية محمود نصار ـ الأردن جبل عمان ـ الدوار الثاني ـ المملكة الأردنية الهاشمية

معركة بلا سلاح

□ الشطرنج والسياسة

تقضي التقاليد السوفييتية العريقة برعاية لعبة الشطرنج ودعمها في جميع الأوقات وكل الظروف من حرب وسلم وشدة ورخاء . فهي تحظى باهتمام الدولة وحمايتها منذ مطالع هذا القرن وحتى قبل قيام الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ . فقد كان كارل ماركس مُنظّر الثورة وفيلسوفها من فحول اللاعبين وكذلك لينين الذي لم تكن حماسته للعبة لتقل عن حماسة أستاذه . أما ستالين فبالرغم من أنه لم يكن لاعبا بارزا فان نائبه كريلنكو كان من كبار منظمي اللعبة ومديريها ، وقد ازدهرت اللعبة في عهده.

وقد برزت أهمية اللعبة كسلاح دعائي فعال في نهاية الثلاثينيّات من هذا القرن عندما تألّق نجم اللاعب السوفييتي ميخائيل بوتفينيك وأصبح من أول المنافسين على بطولة العالم للشطرنج التي لم يسبق أن احتلّها لاعب سوفييتي من قبل . وقد عض الاتحاد السوفييتي على بطولة العالم للشطرنج بالنواجذ منذ ذلك الحين عام ١٩٤٨ ، وظل محتفظا بها حتى يومنا هذا ، ولم يتمكن من اختراق صفوف الأبطال السوفييت سوى اللاعب الامريكي الأعجوبة بوبي فيشر الذي انتزع بطولة العالم من البطل السوفييتي بوريس سباسكي عام ١٩٧٢ ، واحتفظ بها حتى عام ١٩٧٥ عندما خسرها أمام منافسه السوفييتي أناتولي كاربوف بسبب رفضه للدفاع عن اللقب .

وكثيرا ما كان الزعيم السوفييتي بريجينيف يظهر على صفحات المجلات وهو ينحني على رقعة الشطرنج ، وكان لاستقباله الرسمي لأناتولي كاربوف بعد فوزه في البطولة عام ١٩٧٨ ، والصورة التي ظهرت لهما على صفحات كبريات المجلات صدى دعائي كبير يحمل دلالة واضحة على المكانة الرفيعة التي تحتلها اللعبة في روسيا السوفييتية .

والدور التالي هو بين ميخائيل بوتفينيك أول بطل سوفياتي للعالم وبين ماكس يو الهولندي بطل العالم بين (١٩٣٥ - ١٩٣٧) وهو من دفاع جامبيت الوزير المرفوض .

□ بوتفينيك	■ ماكس يو
١ - د ٤	د ٥
٢ - جـ ٤	هـ ٦
٣ - ح - و ٣	ح - و ٦
٤ - ح - جـ ٣	جـ ٦
٥ - هـ ٣	ح (ب) - د ٧
٦ - ف - د ٣	ف - ب ٤
٧ - أ ٣	ف - أ ٥
٨ - و - جـ ٢	و - هـ ٧

كان التبييت أفضل للأسود

٩ - ف - د ٢	د × جـ ٤
١٠ - ف × جـ ٤	هـ ٥
١١ - ت	ت

وليس هـ ٤ لأنها خاسرة

١٢ - ر (أ) - هـ ١	ف - جـ ٧



١٣ ـ ح ـ هـ ٤	ح × هـ ٤
١٤ ـ و × هـ ٤	أ ٥
١٥ ـ ف ـ أ ٢	ح ـ و ٦
١٦ ـ و ـ حـ ٤	هـ ٤
١٧ ـ ح ـ هـ ٥	ف × هـ ٥
١٨ ـ د × هـ ٥	و × هـ ٥

تضحية البيدق مهدت لسيطرة الفيلين على جناح الملك

١٩ ـ ف ـ جـ ٣	و ـ هـ ٧
٢٠ ـ و ٣	ح ـ د ٥ (الشكل)
٢١ ـ و × هـ ٧	ح × هـ ٧
٢٢ ـ و × هـ ٤	ب ٦

٢٣ ـ ر ـ د١ مهدّدا بكش مات

٢٣ ـ	ح ـ ز ٦
٢٤ ـ ر ـ د ٦	ف ـ أ ٦
٢٥ ـ ر ـ و ٢	ف ـ ب ٥
٢٦ ـ هـ ٥	ح ـ هـ ٧

أملاً بالوصول الى (د ٥) وشلّ حركة الفيلين

٢٧ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢٨ ـ هـ ٦	و ٦
٢٩ ـ ر × ب ٦	ف ـ جـ ٦
٣٠ ـ ر × جـ ٦	ح × جـ ٦
٣١ ـ هـ ٧ + بالكشف	ر ـ و ٧
٣٢ ـ ف ـ د ٥	يستسلم .

حل مسألة العدد رقم ٣٣٤
سبتمبر ١٩٨٦

١ ـ و × ب ٧	٢ × ب ٧
٢ ـ ر ـ ب ٣ +	م ـ أ ٦

٣ ـ ف ـ و ١ كش مات

الفائزون بحل مسابقة العدد ٣٣٣
اغسطس ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ سلوى زقوت / الباحة / السعودية
٢ ـ د . مدحت حامد / دقهليه / ج م ع
٣ ـ عصمت محمد / السودان
٤ ـ غزلان الزروالي / البيضاء / المغرب
٥ ـ مأمون عوير / الفحيحيل / الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عزّي أحمد / البليده / الجزائر
٢ ـ طارق ابو الهول / طرابلس / ليبيا
٣ ـ عادل باقادر / أبين / اليمن
٤ ـ التابعي بن صالح / قفصه / تونس
٥ ـ عبد الرحيم عبد الكريم / القاهرة / ج م ع



مسألة العدد رقم ٣٣٦
نوفمبر ١٩٨٦
مات ٢

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

المسئولية الثقافية

● طالعت في العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦ مقالة طبية للدكتور نبيل سليم علي بعنوان « جلدك هو كنزك » فوجدتها منقولة عن موضوع طبي بعنوان:

« ان لجلدك عليك حقا » والمنشور في مجلة « طبيبك » التي كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور صبري القباني العدد ١٦٣ الصادر في مارس ١٩٧٠ .

واني لأتمنى صادقا أن يعمل كتاب مجلتنا على تفادي هذه الاعمال السلبية لأنها تسيء الى الفكر العربي واخلاقيات الكتاب العرب .

درار مولاي علي
حي الخيام - اغادير - المغرب

العربي

- تلقينا رسالتك باهتمام شديد وقمنا بمقارنة الموضوع المنشور بالمقال المشار اليه في مجلة « طبيبك » ، وقد فوجئنا مثلك بأن المقال منقول بشكل يكاد يكون حرفيا من المجلة المشار اليها ، وقد أردنا أن نتابع الموضوع أكثر فوجدنا أن هناك مقالات أخرى لنفس الكاتب مع الاسف .

ونحن اذ نشكر للقارىء اهتمامه بلفت انتباهنا الى هذا التصرف غير العلمي الذي يسيء لصاحبه قبل أن يسيء للآخرين حيث لا تملك أي مجلة أن تتابع كل ما ينشر في الحاضر فضلا عن الماضي ، وانما تعتمد المجلة أساسا على شعور الكاتب بالمسئولية ، ولذلك فاننا نشعر بالاسف على ما حدث وهو أمر يدفعنا الى إعادة النظر في تعاملنا مع الكاتب في ظل مسئوليتنا الثقافية ، ونحن عادة نتوقف كلياً عن نشر أي موضوع لمثل هؤلاء الكتاب .. لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

رسالة من د . عبد المحسن صالح لطالب ثانوي

● كان مفاجأة اليمة ... ذلك الخبر الذي تناقلته الصحف عن وفاة الدكتور عبد المحسن صالح في شهر مايو الماضي ، اثر نوبة قلبية ألمت به ، وهو ما يزال في السابعة والخمسين من عمره ، موفور العطاء ، عظيم الأثر . والحقيقة أن ما كتبته المجلات عن د . عبد المحسن صالح ، ذلك العالم الذي وهب حياته لعلمه وعمله ، ولم يشغله عنه شاغل من أي نوع ، ما يزال دون ما يستحق الرجل ، فهو لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذي يثير ضجة في حياته أو في مماته ، فقد كان رحمه الله غاية في التواضع ، جهده كله موجه الى ما ينفع الناس لا الى ما ينفعه ، ويهمني في هذه الرسالة أن اكشف عن جانب من الجوانب الخفية في عظمة الرجل وفي شخصيته ، فأرفق مع خطابي هذا خطابين بخطه موجهين لى شخصيا ، ولست سوى تلميذ في المرحلة الثانوية من اليمن الديمقراطية ، وقد كنت مفتونا بعلمه ، أتابع كل ما يكتبه وأناقشه فيه ، فلا يبخل علي بالحوار والمناقشة والتشجيع ، رغم شغله الكثيف وضيق وقته في البحث والكتابة والدرس ، وهذا جانب هام في شخصية الرجل الذي كان يراسل كل من يتوسم فيهم الجدية والخير ، في الوقت الذي يضن فيه بوقته عن ان يضيع مع رجال العلاقات العامة أو في المجتمعات التي يمكن أن تحيطه بضجيج اعلامي ، في حياته أو بعد موته ، أو تحقق له مصلحة أو فائدة ، فقد كان رحمه الله يؤمن بأن الخير الحقيقي في العمل الدءوب من اجل ما ينفع الناس ، ويرتقى بحياتهم وفكرهم وحث الشباب على الاخذ بالاسلوب العلمي في حياته وفي درسه .

واني بهذه المناسبة اقترح على مجلة العربي أن تقوم بجمع مقالاته التي تم نشرها في العربي لتنشر في سلسلة كتاب العربي الفصلية ، مع الصور الملونة التي تستهوى القارىء ، وتساعد على تبسيط الموضوع ، ولعل ذلك « الكتاب » الى جوار ما يحققه للقارىء من فائدة ، أن يوفي الكاتب الكبير بعض حقه . رحم الله الدكتور عبد المحسن صالح ، وجزاه خير الجزاء على ما قدمه لمجتمعه وأمته .

عبد السلام سالم عبد الله

اليمن الديمقراطي ـ حيّ الرشيد

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم حرصه على ابراز هذا الجانب الهام من شخصية الدكتور عبد المحسن صالح ، ونود أن نطمئنه على أن فكرة نشر مقالات الفقيد الكبير في كتاب العربي ، كانت من أول ما فكرنا فيه عقب وفاته ، وأدرجت ضمن خطة النشر في القريب ان شاء الله ، ولشعورنا العميق بأهمية التأثير الذي يمكن ان تحدثه رسالة يكتبها عالم كبير كالدكتور عبد المحسن صالح لتلميذ جاد ومهتم فانه يسرنا أن ننشر هنا فقرات من هذه الرسالة لتكون رسالة لمن يهمه الامر من العلماء والشباب معا .

صورة طبق الاصل من الرسالة الخطية المرفقة الاسكندرية في ١٢/ ٢/ ١٩٨٥

ابنتا العزيز الطالب النابه عبد السلام سالم

تحية مودة ومحبة واعزاز

تلقيت بمزيد من السرور رسالتك الطويلة الرقيقة وكم كانت دهشتي بالغة ، وفرحتي غامرة أنك ما زلت طالبا بالمدارس الثانوية ولك كل هذه الاهتمامات العلمية ، والقراءات المتشعبة ، والاستيعاب المثمر مما يؤكد لي أن مستقبلا عظيما ينتظرك ، ويسعدني ان تكون احد ابنائي الذين أفخر

حوار القراء..

بهم . فكثيرون ممن قرءوا لي . وهم في سنك . قد انهوا دراستهم الجامعية بتفوق . اذ ان الاطلاع الواسع ينير العقل . ويوسع المدارك . وأنا ما زلت رغم بلوغي سن الـ ٥٧ عاما أقرأ وأتعلم وأستفيد وتزيد حصيلتي من المعلومات . وكل ما أرجوه الا تستنزف قراءاتك الكثيرة كل وقتك بحيث يشغلك ذلك عن دروسك . بل أعط لدروسك حقها . ولقراءاتك حقها .

المخلص

عبد المحسن صالح

من هم اللاجئون في السودان ؟

● في عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة العربي قرأت استطلاعا عن السودان تحت عنوان « صبحة أم صحوة في السودان » وقد تحدث كاتب الاستطلاع الأستاذ سليمان الشيخ عن اللاجئين الذين تدفقوا على السودان من « اريتريا وأثيوبيا وأوغندة وزائير وتشاد » .

ويبدو أن الكاتب قد استخدم كلمة « لاجئين » نتيجة لأن المسئولين عن شئون اللاجئين قد استخدموا تلك الكلمة .

ويجب أن نوضح أن كلمة السودان كانت تعني عندنا قبل الاستعمار الفرنسي الانجليزي الساحل الممتد من بلاد النوبة جنوب مصر الى السنغال . وبالتالي فان التنقل بين مناطق هذا الساحل أمر مألوف ولاغرابة فيه . ولو عرف الأخ المستطلع هذه الحقيقة لما استغرب وجود تشاديين أو نيجيريين في المناطق الشرقية . أو الوسطى من السودان . هؤلاء يمكن أن نسميهم مستوطنين أو مهاجرين وليسوا لاجئين .

أما كلمة « لاجئين » فلعلها تصدق على هؤلاء الفارين من ضغط سياسي أو كارثة طبيعية كما هو مشاهد في معسكرات اللاجئين في السودان وغيرها .

على كل حال نقدر جهود مجلة العربي وندعوها الى التوجه غربا من السودان بمعناه الواسع للاطلاع على حقائق الأمور . لا أن تيمم وجهها شرقا دائما . وسوف تجد الأصول السكانية المشتركة .

حامد هارون محمد

تشادي مقيم بليبيا / بنغازي

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم توضيحه ونود أن نشير الى أن ماتحدث عنه المحرر في استطلاعه انما هو عن واقع السودان حسب الواقع السياسي الآن . وليس كما كان من قبل .

أما بالنسبة لتنقل القبائل بين حدود هذه الدولة أو تلك فان معلومات الكاتب عن هذا الجانب انما استندت كما لاحظ كاتب الرسالة الى معلومات المسئولين المختصين . وفيما يتصل بزيارة العربي لمناطق أخرى من السودان فان « العربي » زارت من قبل بعض هذه المناطق . وهي لاتألو جهدا في زيارة بقية المناطق في اطار تخطيطها لزيارة الوطن العربي والاسلامي والعالم .

مرض عربي . . اسمه الطاعة

● وصلتنا رسائل عديدة تعلق على مقال الدكتور فؤاد زكريا المنشور في مجلة العربي العدد رقم ٣٣٢ (يوليو سنة ١٩٨٦) بعنوان « مرض عربي اسمه الطاعة » .

من اهم هذه الرسائل ما كتبه عبد الرحمن الحسين ـ

بلدية القريات - بالمملكة العربية السعودية ، وعبد المناف المحمود من سوريا ، حماة ، و أ . ف من الاردن .

ولتعذر نشر هذه الرسائل كلها ، ولتشابه أكثر ما ورد فيها ، نكتفي بعرض الافكار الاساسية المشتركة بينها فيما يلي :

يفهم من المقال أن الطاعة بجميع انواعها رذيلة ، وان التمرد بجميع أنواعه فضيلة .. ولو كان الأمر كذلك فتلك كارثة .

كان من الضروري أن يوضح المقال الفروق اهامة بين انواع من الطاعة وانواع من التمرد ، ومتى تكون الطاعة واجبا وضرورة ؟ ومتى تكون خضوعا واستسلاما وضعفا ؟

ومتى يكون التمرد شجاعة وقوة ؟ ومتى يكون فوضى واختلالا ؟ وان يحدد المصطلح المناسب لكل حالة من هذه الحالات .

اذ يجب ان نعرف متى وكيف نطيع ؟ ومتى وكيف نتمرد ؟ ورحم الله « ابوبكر الصديق » حين خطب في الناس عند توليه الخلافة قائلا : لقد وليت عليكم ولست بخيركم ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله .

بهذه الكلمات القليلة عبر سيدنا أبو بكر تعبيرا دقيقا وصادقا بأن الطاعة بالأساس لله ولرسوله وثم لأولي الامر ما داموا مطيعين لله ولرسوله ، وثم للوالدين ما داما مطيعين لله ولرسوله حيث قال سبحانه وتعالى : « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما » .

الدكتور فؤاد الى العودة الى تناول هذا الموضوع الدقيق بالمزيد من التفصيل والتحديد .

المحتالان « من اليونان أم من اليمن »

● لقد فوجئت بعد قراءتي لقصة « المحتالان » للأديب اليوناني ستراتيس ميريفليس المنشورة في العدد رقم ٣٣٣ من مجلة « العربي » بتاريخ أغسطس سنة ١٩٨٦ بأن ثلاثة ارباع احداث هذه القصة معروفة لدينا باعتبارها جزءا من التراث اليمني ، وأنا شخصيا استمعت اليها من رجال كبير السن . إن بطلي القصة ليسا محتالين ، بل أحدهما فقير (هو مانويلي في القصة اليونانية) والآخر غني بخيل (هو تيودوروس) وأيضا ان الجثة المزعومة لمانويلي لم تنقل الى الكنيسة بل الى احد الكهوف .

كيف انتقلت هذه الحكاية من اليمن الى اليونان ؟ أو العكس ، وأنا لا اعتقد انها من تأليف اليوناني « ستراتيس ميريفليس » بل من التراث اليوناني ، والدليل انه بدأ القصة بأسلوب رواية الحكايات القديمة يحكي انه في قديم الزمان ... الخ

هل بامكان علمائنا المتخصصين في التراث والفلكلور تنويرنا في مجلة العربي حول هذا الموضوع .

احمد محمد حسين

صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية

العربي

- نشكر للقراء اهتمامهم ومتابعتهم ، وننشر ملاحظاتهم لتكون تحت نظر الدكتور فؤاد زكريا الذي لا نشك ان مثل هذه الملاحظات كانت في اعتباره وهو يكتب مقاله ، حيث اشار في بداية مقاله الى ان هناك نوعين من القيم : قيم تعزز من ثبات وتماسك الاوضاع في المجتمع ، وقيم تدعو الى التغيير ، وان المناخ العام في مجتمعنا العربي يعزز من قيم الثبات ، فلعله اراد ان يكون مقاله صرخة حادة من اجل هز هذا المناخ الراكد ، ومن اجل دعم قيم التغيير الى الافضل .. ولعل هذه الملاحظات تدعو

العربي

- من الطبيعي ان الادباء في كل بلاد العالم يستوحون قصصهم احيانا من القصص الشعبي في تراث بلادهم ، وهذا لا ينفي عنهم صفة تأليف هذه القصص ، لانهم لا يقدمون صورة طبق الاصل من القصة الشعبية بل تكون هناك اضافة ما تفصح عن هدف الكاتب من عملية استيحاء القصة من التراث . والعربي اذ تنشر رسالة القارىء الكريم تود ان تتيح الفرصة لاحد الدارسين المختصين ان يجد في هذا التشابه ما يمكن ان يثري الدراسة المقارنة في مجال التراث الشعبي بين الشعوب . □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٦ م

الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية

تأليف: د. محمد السيد سعيد

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٠٧

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

★★★

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٦ أول نوفمبر ١٩٨٦

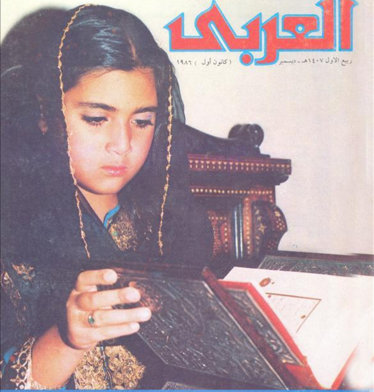
الحبل المتهدل
أو
أغنية القطار الشبح

تأليف : فرناندو أرابال
ترجمة وتقديم : د. محمد السرغيني
مراجعة : أ. د. يوسف الشاروني


صباح الخير!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ..١ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .

العربى

ربيع الاول ١٤٠٧هـ - ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٦



المساجد القديمة..
فى الكويت

■ العربى .. فى بلاد القوقاز

■ البحرين .. وإشراقة الغد




SANYO سانيو
إحصل على صورة أكثر نقاءً
مسجلنا الفيديوكاسيت الجديد VHS لا يفوته أي شيء. فهو يعتمد الصورة HQ لأكثر نقاء ويستخدم نظاماً متطوراً لرفع إستقبال اللون الأبيض بمعدل ٢٠٪ فتصبح أطراف الأشياء أكثر صفاء على الشاشة ويخف التشويش. اللون الأبيض تراه حقاً أكثر
بياضاً. أما معزّز التفاصيل فيظهر أدق التفاصيل كفراء الأرنب أو شعرة نقية واضحة. بالفعل، التفاصيل والألوان الواقعية ستوفر صورة طبيعية لم تعهدها من قبل. إختبرها بنفسك. مسجل الفيديوكاسيت العالي الجودة VHS من سانيو.
MULTI SYSTEM
VHS HQ
VHR-1700M
تعدد الإستعمال يقبل ٧ أنظمة عالمية.
VHR-1200PS نظام بال / ميسيكام
VHR-1300M نظام بال / ميسكام

العدد ٣٣٧ السنة التاسعة والعشرون ديسمبر ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 337 Dec. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

هدية العدد
خريطة بالألوان
"المسلمون في العالم"

أول يناير ١٩٨٧

عدد ممتاز من العربي

بمناسبة انعقاد

مؤتمر القمة الإسلامي في الكويت

العلوم وطموحات المستقبل في الأقطار العربية	الوحدة والتنوع في العالم الإسلامي	الإسلام والتراث الإسلامي
د. محمد عبدالسلام	د. عبدالعزيز كامل	د. محمد أحمد خلف الله

- مفهوم غريب للجهاد في الإسلام — د. محمد عمارة
- ديون دول العالم الإسلامي — د. رمزي زكي
- للمناقشة .. الشريعة والناس — فهمي هويدي
- وجهاً لوجه .. د. فؤاد زكريا و د. إمام عبدالفتاح

استطلاعات ملونة :

إندونيسيا "سلاملك مكة"	الجزائر وتجربة ربع قرن	الرياض مدينة زرقاء اليمامة
سليمان مظهر	أبو المعاطي أبو النجا	صادق يلي

- الشرقاوي .. ورؤية جديدة عن خامس الخلفاء — فاروق خورشيد
- ملاحظات حول أدب الرحلات — د. سيد حامد النساج
- أيها المرضى : لا مبرر للخوف — د. إبراهيم أبوطاحون
- القتلة البيض — د. محمد نبهان سويلم

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. عبدالسلام العجيلي - د. عبده بدوي - بدور عبدالكريم
د. محمود الشالبي - د. فهمي جدعان - د. محمود الزوادي - د. فهد الفانك

عزيزي القارئ

بهذا العدد الذي بين يديك نودع سنة من العمل ، ونستقبل أخرى ، وننتهز هذه المناسبة لنشركك فى بعض أفكارنا للأعداد القادمة ، فبهذا العدد تستكمل « العربي » سنتها التاسعة والعشرين ، ثم تبدأ عامها الثلاثين فى خدمة الثقافة العربية ، ولعل من الفأل الحسن أن يعقد مؤتمر القمة الاسلامي الخامس على أرض الكويت في يناير القادم ، مع بداية دخول « العربي » فى عامها الجديد ، وهي مناسبة عظيمة إذا ذكرنا أهمية التضامن ، والتعاضد الاسلامي ، في عالم يميل إلى التكتلات بأشكالها المختلفة ، ولعلها فرصة للمسلمين ، وقادتهم ، أن يتدارسوا مشكلاتهم ، ومواقفهم من العالم الخارجي الذي يزداد عنفه ضراوة تجاه أبناء هذه الأمة .

ونحن نقدم لك فى هذا العدد ، وفي عدد يناير الممتاز ، وعدد فبراير « الخاص » ، باذن الله ، سلسلة من التحقيقات ، والدراسات التي تدور كلها حول العالم الاسلامي اليوم ، واقعه ، وظروفه ، وتمنياته لمستقبله ، هذه المواد نقدمها ليس فى « العربي » وحدها ، ولكن فى كتاب « العربي » الذي سيصدر في منتصف يناير القادم خاصا بالقضايا الاسلامية ، كما نقدمها أيضا لأطفالنا في « العربي الصغير » ، ويشاركنا فيها نخبة من كبار الكتاب ، والمهتمين بالشأن العربى والاسلامي .

وجهودنا لتطوير العمل فى مطبوعات « العربي » للسنة القادمة قائمة على قدم وساق ، فهناك تطوير فى الاخراج ، والمادة ، والتحرير ، عملنا ـ نحن أسرة العربى ـ على دراستها ، ومناقشتها بالشكل العلمي ، وأشركنا فيها قطاعا كبيرا من القراء ، حتى يجيء التطوير مناسبا لحاجات المثقف العربي ، وقاريء العربية في كل مكان . وسوف تكون هناك أبواب جديدة ، وسيشترك معنا كتاب يأخذون مكانهم من جديد ، أو يساهمون لأول مرة في مطبوعات « العربي » ، كل ذلك يظهر مدى حرصنا الشديد على تقديم المفيد ، والجوهري الذى يضيف جديدا إلى ثقافة القاريء .

وعلى مشارف سنتنا الثلاثين ، وعلى الرغم من الظروف الاقتصادية التى تحيط بالمنطقة العربية ، والظروف الأخرى غير المواتية ، مازال ولاة الأمر في هذا البلد الطيب يعضدون الجهود الثقافية ويدعمونها عن إيمان قوى بأهميتها للانسان العربي في أي بقعة وجد .

ومازلنا نذكر ذاك الموقف الأصيل الطيب ، ونشكر القائمين عليه ، وجزى الله الخيرين خيرا مضاعفا .

المحرر

محتويات العدد

عدسة وتعليق : عبدالله عيسى صالح



دلال عبدالله عيسى الصالح .. وجه يغمره الايمان .. ووقفة تأملية مع المساجد القديمة في الكويت . « طالع ص ١٤٧ »

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

اللاّسامية الجديدة

ماهي ... وما مقصدها؟

كل عام - وفي الاسبوع الثالث من اكتوبر - تنشط الصحافة العالمية لمتابعة موضوع هام على المستوى العالمي ، وهو الاعلان عن أسماء الفائزين في جائزة نوبل ، وتوالي الصحافة العالمية متابعة أخبار الفائزين حتى العاشر من شهر ديسمبر ، ذكرى وفاة الفرد نوبل - العالم السويدي المشهور مؤسس الجائزة منذ حوالي تسعين عاما - وموعد تسليم الجوائز الست في قلب استكهولم عاصمة السويد باحتفال مهيب .

الترشيح لهذه الجوائز التي كانت خمسا حتى سنوات متأخرة في الأدب والطبيعة والطب والكيمياء والسلام ، ثم أضيفت لها جائزة سادسة في الاقتصاد ، هذا الترشيح يتم لعشرات المبرزين الذين تقدم أسماءهم اما مؤسسات دولية أو اقليمية أو وطنية ، أو أشخاص سبق أن نالوا الجائزة في وقت سابق .

واذا كانت اللجان السويدية هي التي تقرر من يفوز بالجوائز الأولى الاساسية ، فان جائزة نوبل للسلام تقررها مجموعة من أعضاء البرلمان النرويجي ، فقد كانت السويد

والنرويج تحت علم واحد عند إنشاء الجائزة في بداية هذا القرن ، وتم الانفصال عام ١٩٠٦ ، ولكن لسبب ما أوصى نوبل أن تكون لجنة جائزة السلام من النرويجيين .

الظاهرة الجديدة هذا العام في هذه التظاهرة العالمية أن الجائزة في مجال الأدب حصل عليها أديب افريقي من نيجيريا هو (وول سونيكا) وهذه هي المرة الأولى خلال هذا التاريخ الطويل التي يحصل فيها شخص من العالم الثالث على جائزة نوبل في الأدب .

وان كانت جائزة الأدب مثار كثير من الاختلاف شأنها شأن جوائز الطبيعة والكيمياء والطب الا أنه يمكن تحديد ضوابط علمية يختار الفائز على أساسها بشكل موضوعي الى حد ما .

أما جائزة السلام فقد كانت ـ ومازالت ـ محط خلاف ووجهات نظر متباينة ، وفي بعض الاوقات يصل هذا التباين الى درجة اعلان البعض أن الفائز لا يستحق أي جائزة كانت ، فما بالك بجائزة تعني في مضمونها مساهمة الفائز بها مساهمة ايجابية في خدمة السلام العالمي ؟

لقد ظهر هذا التباين أكثر من مرة ، فقد حصل على هذه الجائزة شخص مثل « لخ فاليسا » رئيس حركة التضامن في بولندا ، وكذلك شخص مثل مناحيم بيجن رئيس وزراء « اسرائيل » الأسبق وآخرون مثله . ولبعض الاوساط اعتراض أساسي على أحقيتهم في نيل مثل هذه الجائزة .

السياسة وجائزة السلام :

☐ الواقع يقول لنا أن جوائز نوبل العالمية تتدخل فيها السياسة كما تتدخل في أي شيء آخر ، ولعل السياسة تتدخل بشكل أقوى في تحديد الفائز بجائزة السلام .

هذا العام تخطت جائزة السلام شخصا مثل « نلسون ماندلا » المناضل الافريقي رئيس حزب المؤتمر الأفريقي في جنوب أفريقيا ، الذي قضى في سجونها اكثر من خمسة وعشرين عاما وحتى اليوم مطالبا بتحرير أهله ومواطنيه من ظلم الرجل الأبيض ، كما تخطت الجائزة أيضا ـ على سبيل المثال ـ بوب جلدوف ، المغني الايرلندي الشهير الذي نظم منذ سنتين أكبر مهرجان غنائي فولكلوري في قارات ثلاث مستهدفا جمع ما يمكنه من أموال لانقاذ الجياع في افريقيا ، مثل هذه الاسماء ـ وكانت مرشحة ـ لم تفز بالجائزة التي ذهبت الى الكاتب الأمريكي الصهيوني ايلي فايزل . . !



وليس هناك ما يثير دهشتنا كعرب في هذه القضية ، فقد تعودنا في السنوات الأخيرة على عدم الاستغراب تجاه الحملة المنظمة الظالمة فيما يخص قضايانا العربية وبخاصة قضية القضايا فلسطين شعبا وأرضا ، ما يدهشنا حقيقة أن الصحافة العالمية كتبت بايجاز شديد وبشيء من العجالة ، عن الفائز الأفريقي ـ وكان ظاهرة جديدة ـ بينما ركزت جل تعليقها على ايلي فايزل . . !

تقول الصحف في تقريظ الفائز الصهيوني ان كتاباته الكثيرة (كتب خمسة وعشرين كتابا بعضها تحول الى أفلام سينمائية) قد جندها كلها لاظهار ما حل باليهود في معسكرات

النازية ابان الحرب العالمية الثانية ، فهو لذلك « داعية لحقوق الانسان » ومبعوث لانقاذ الانسانية من التعصب والكراهية . . ! ذلك بعض ما قالته الصحافة الغربية عن الفائز ، وأحسب أنها ستقول أكثر خلال هذا الشهر عند تسليمه الجائزة .

ايلي فايزل ولد من عائلة يهودية في قرية على الحدود الهنجارية الرومانية ، لذلك تتضارب المراجع حول أصل جنسيته ، أهو هنجاري أم روماني ، ولكنه دخل مع عائلته معسكرات الاعتقال الالمانية وخرج منها عندما كان في السادسة عشرة ، وانتقل الى فرنسا وعاش فيها فترة عمل خلالها بالصحافة ، ثم ذهب الى « اسرائيل » ولم يطب لـه المقام فهاجر منها - كما هو التوجه العام لعشرات الآلاف من اليهود - الى الولايات المتحدة في سنة ١٩٥٨ واستقر في مدينة نيويورك يكتب بالفرنسية وتقوم زوجته بترجمة ما يكتبه الى

□ أيهما أحق بجائزة السلام العالمي .. نلسون ماندلا .. أم إيلي فايزل ؟

الانجليزية ، وكل كتاباته تدور حول معاناة اليهود في معسكرات الاعتقال النازية ، وبعضها يصف الحياة في « اسرائيل » . وعلى سبيل المثال فانه في احدى رواياته (شحاذ مدينة القدس) الصادرة عام ١٩٦٨ يتناول عدوان ١٩٦٧ على العرب ويمجد (بطولة) الجنود الاسرائيليين . !

عند اعلان الجائزة قال رئيس اللجنة المنظمة فيما قاله عن ايلي فايزل انه استاذ وقائد روحي وداعية لحقوق الانسان في عصر يتزايد فيه العنف والاضطهاد والعنصرية ! وعندما ظهر فايزل على شاشات التلفاز في الغرب قال بانجليزية مثقلة بلكنة اجنبية : ان حياتي كلها مخصصة لليهود الذين ماتوا في « الهلوكوست » !!

ولكن ما هو ملفت لانظارنا - ونحن نعرف أن الجوائز لها علاقة بالمواقف السياسية - هو أنه في الوقت الذي يسعى فيه العرب جاهدين لاقناع الرأي العام العالمي بالظلم الذي وقع على بني جلدتهم في فلسطين وهم الذين قدموا ومازالوا يقدمون الكثير من أجل السلام ، نجد الاعداء « يسترجعون » بكل قوة وبطريقة ذكية جزءا من التاريخ الماضي لاستثارة العطف على اليهود مما فعلته بهم بعض الشعوب الاوروبية ، وذلك من أجل هدف واحد هو تبرير استمرار احتلالهم للأرض وصلفهم في رفض محاولات السلام العربية .

والسؤال : ماذا قدم ايلي فايزل للسلام العالمي ؟ لقد كتب عن ضحايا الابادة النازية وهذا أمر معروف ومكتوب ، ولكن ماذا قدم لضحايا الابادة الاسرائيلية وما موقفه منها ؟ ذلك سؤال معلق بلا جواب .



السـاميّـون واللاسـاميّون :

□ ظاهرة ايلي فايزل واحدة من ظواهر عديدة لعل أهمها ما أخرجته المطابع أخيرا ، وعلى رأسها كتاب برنارد لويس الذي وضع له عنوان « الساميين واللاساميين » . وبرنارد لويس* هو استاذ دراسات الشرق الاوسط في جامعة برنستون ، احدى أكبر الجامعات الامريكية ، ومؤلف لمجموعة كتب يدور معظمها حول العرب والاسلام ، منها « العرب في التاريخ » و « يهود الاسلام » . . فهو بذلك شخص أكاديمي مسموع الكلمة في أوساط غربية كثيرة ، وهو بريطاني هاجر في الخمسينيات الى الولايات المتحدة واستقر فيها للتدريس والتأليف .

كتابه عن « الساميين واللاساميين » يحمل نفس التوجه في الهجوم على الموقف العربي الذي يعتبره موقفا غير عقلاني في رفض العرب اسرائيل بعد اربعين سنة من وجودها ، ويتهم العرب باللاسامية الجديدة . . !

* Bernard Lewis, "SEMITES AND ANTISEMITES", Seidenfeld and Nicolson London 1986.

عندما تحدثت جريدة نيويورك تايمز عن الكتاب في ملحقها الاسبوعي الذي تستعرض فيه الكتب الجديدة ، وصفته بأنه رسالة بالغة الاهمية تحدد (لنا) مصدر العداء السامي الجديد .

برنارد لويس له مفاهيم خاصة - وقد تكون غريبة بالنسبة لنا نحن العرب - حول قضايا عديدة منها : من هم الساميون ؟

لكن دعونا نبدأ من البداية .

في المقدمة يشير الكاتب الى الحوادث الاخيرة - في السنوات الخمس الماضية - ضد اليهود خاصة ضد « أماكن العبادة اليهودية » ، ويقول باستهزاء ظاهر ان إحدى الحوادث التي وقعت في فرنسا ضد معبد يهودي جعلت (ريموند بار) رئيس الوزراء السابق يقول : أنهم يستهدفون اليهود ولكنهم يقتلون فرنسيين أبرياء ، ويسخر الكاتب قائلا : ان كلام رئيس الوزراء يعني ان المصلين في الحقيقة لاهم فرنسيون ولاهم ابرياء !

يضيف الكاتب أنه بعد مذبحة صبرا وشاتيلا في ٢١ سبتمبر ١٩٨٢ أضرب مجموعة من الاساتذة في مدرسة فرنسية هي ليسيه فولتير في باريس عن العمل ووجهوا خطابين احدهما لرئيس الجمهورية الفرنسية يطالبون فيه بقطع العلاقات مع اسرائيل والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ووجهوا الخطاب الآخر الى السفارة الاسرائيلية في باريس يطالبون فيه بسحب القوات الاسرائيلية من لبنان . . . ثم يقول الكاتب : ولكن لا يوجد أي شيء يدل على أن هؤلاء الاساتذة اتخذوا نفس الموقف في حوادث بولندا أو أوغندا أو أمريكا الوسطى أو افغانستان أو جنوب افريقيا !

ومما يذكره الكاتب حادث آخر وقع في مطار روما عندما قاطع عمال الشحن الايطاليون طائرات العال الاسرائيلية ، احتجاجا على الاجتياح الاسرائيلي للبنان . مثل هذه الحوادث - كما يقول الكاتب - « هي بالتأكيد عداء لاسرائيل وربما لليهود أيضا . . انها اللاسامية الجديدة » .

مـن هـو اليهـودي ؟

□ حتى يتشرب القاريء وجهة النظر تلك التي قد تبدو علمية ومنطقية على أعلى مستوى ، يناقش برنارد لويس ثلاثة مفاهيم هي : اليهود ، واسرائيل ، والصهيونية .

وهو يذهب الى حد بعيد في خلط الأوراق ، فيقول ان رأي العرب هو أن كل من لايشاركهم فكرة تحطيم اسرائيل وازالتها من الوجود . . انما هو صهيوني . ويستمر في الخلط قائلا ان العرب يرون أن شخصا مثل ديجول - برغم انه كان معارضا صلبا لاسرائيل - لابد أن يكون صهيونيا ، وحتى الاتحاد السوفيتي يرى فيه نفس الرأي ، فكل من ديجول والاتحاد السوفيتي لم يقرا بازالة اسرائيل من الوجود « كما يريد العرب » !

ويضيف الكاتب « أن الصهيوني في نظر كثير من العرب أيضا يعني ببساطة اليهودي . . فمن هو اليهودي ؟ هناك أكثر من جواب عن هذا السؤال بالنسبة لليهود ولأعدائهم ولأصدقائهم » .

موجة من الافتراءات تتهم الكتاب العرب "باللاسامية الجديدة"

ويستطرد الكاتب قائلا : هناك جواب واحد يمكن اعتباره صحيحا . فاليهودي بالنسبة للقانون التلمودي هو الذي يولد لأم يهودية أو الذي اعتنق الديانة اليهودية (تهوّد) ، ومهما كان موقفه من الممارسة الدينية فانه يبقى يهوديا ، وبالنسبة للقانون التلمودي يظل يهوديا حتى لو تحول الى دين آخر . في هذه النقطة-يشرح الكاتب ـ أن القانون الاسرائيلي يختلف مع القانون التلمودي ويعتبر المتحول عن الديانة اليهودية غير يهودي .

يبرر الكاتب هذا التحديد بأنه ليس تحديدا عرقيا ، لأن الأب في التحديد العرقي اكثر أهمية من الأم ؟

لذلك كله فان طبيعة العداء لاسرائيل والصهيونية تخفي تحتها ـ كما يعتقد الكاتب ـ موقفا لاساميا .

يرجع الكاتب في فصل كامل الى « الهلوكوست » أو اضطهاد اليهود على يد الحزب النازي في المانيا قُبَيْل الحرب العظمى الثانية وابانها . ويقرر أن هذا الموقف قد تم اتخاذه على أساس تفوق العرق الآري على العرق السامي ، لقد اختار الالمان قتل اليهود في شرق اوروبا وفي الأراضي التي احتلوها ، لا من أجل أن يحصلوا على منازلهم ، ولا من أجل أن يساعد ذلك في المجهود الحربي ، بل أنهم اختاروهم للموت لمجرد انهم يهود ـ فقد كان الالمان فخورين باللاسامية .

لقد قفز الكاتب بسرعة عن حقيقة اضطهاد الغجر من قبل النازيين ، وعن موقف النازيين العرقي من الافارقة والآسيويين ، وبخاصة العرب . . الذين ذهب بعض منظري النازية الى حد تقرير أن ألف ليلة وليلة ليست أدبا عربيا ولكنه أدب آري . . !!

الكاتب عندما يتحدث عن (الارهاب) الذي قامت به العصابات الصهيونية في فلسطين في الاربعينيات ـ وبعضه موجه الى الجنود والضباط البريطانيين ـ يبرره بأنه كان يهدف الى مجرد لفت نظر الصحافة ! ففي ٣٠ يوليو ١٩٤٧ قتل اليهود جنديين بريطانيين





كانا أسيرين في حوزة عصابة اريجون ، وأخذت جثتاهما الى غابة قريبة ثم علقا بين شجرتين وفخخت الجثتان ، وعندما جاء البريطانيون لانتشال الجثث انفجرت الجثتان وقتلتا آخرين . هذه الحادثة الارهابية يبررها الكاتب بأنها تمت بسبب شنق اثنين من عصابة اريجون - قبل ذلك - في سجن بريطاني ، ولم يقل ان هؤلاء أصلا كانا مجرمين .

السائد في السرد أن الكاتب يحمل دول شرق أوروبا مسئولية اضطهاد اليهود ، ويعود مرة تلو مرة الى موقف الاتحاد السوفيتي الذي يصفه بمعاداة اليهود ويجرده تماما من الاعتبارات السياسية ، فهو يتجاهل مثلا أن الاتحاد السوفيتي قد ترك لليهود حرية تطوير ثقافتهم ولغتهم ، كما أنهم كانوا ممثلين في الطبقة الحاكمة السوفيتية بعد الثورة ، بل ان اسرائيل في أيامها الأولى قد مد لها حبل الحياة من خلال صفقة السلاح التشيكية التي ما كانت لتتم لولا موافقة الاتحاد السوفيتي .

يشير الكاتب الى أن ما أخاف موسكو من اليهود ، هو تلك المظاهرة الترحيبية التي واجهت أول سفير اسرائيلي هناك وكانت كلها من اليهود الروس .

الاتحاد السوفيتي قطع علاقته باسرائيل مرتين ، الأولى في يناير سنة ١٩٥٣ بعد اكتشاف مؤامرة على ستالين رئيس الدولة السوفيتية آنذاك واتهم بها مجموعة من الأطباء معظمهم يهود ، وعرفت بمؤامرة الأطباء . وعندما عرفت القضية فجرت قنابل في السفارة السوفيتية في تل أبيب فقطعت موسكو علاقتها الدبلوماسية باسرائيل ، أما المرة الثانية فقد كانت عام ١٩٦٧ بعد الحرب العربية الاسرائيلية التي كان الاعتداء الاسرائيلي فيها واضحا لا لبس فيه ، مثل هذه القطيعة يعتبرها الكاتب لاسامية موجهة ضد اليهود بخاصة اذا أضيف اليها حركة هجرة اليهود السوفيت .

العجيب أن الكاتب يبرر اعتراف السوفيت باسرائيل في الأشهر الأولى من قيامها بأنه محاولة لاضعاف الموقف البريطاني في الشرق الاوسط !

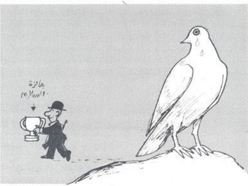
تحوير الحقائق :

□ عندما يتعرض الكاتب في فصل كامل لشرح (السامية) يضرب بعيدا في تاريخ الاديان واللغات والشعوب ، ويصل الى نتيجة أن (الساميين) ليسوا عرقا بل أعراقا متعددة ، وانما الذي تصوره بعض الدارسين من أن السامية عرق هو خلط بين اللغة والثقافة من جهة وبين العرق من جهة اخرى .

هذا النوع من التبريرات التي يسوقها الكاتب مطولا تلوح لمن يمحص النظر فيها أنها تحقق اكثر من غرض ، أول الاغراض فك الارتباط العرقي بين اليهود والعرب على أساس أنهم ليسوا جميعا (ساميين) ، وثانيها ربط اليهود أو فئات منهم بالشعوب الأوروبية ، وفي ذلك يذهب الكاتب الى النقل من كتاب اوروبيين آخرين في القرن الماضي قالوا بأن يهود أوروبا أصبحوا أوروبيين !

وكي يستقيم المعنى في ذهن الكاتب أو ليبلغ أثره في ذهن القاريء يقول برنارد لويس : (أما الفلسطينيون فقد جاءوا من جزر في البحر الابيض المتوسط واستعمروا





الساحل ثم سموه باسمهم . . حتى هزمهم ملك عبري !!).

لا يستطيع شخص يحترم ذكاءه العلمي الا أن يلاحظ تشوش المعنى لدى برنارد لويس - في هذه النقطة - رغم مستواه العلمي المفترض ، وهي فهم الساميين ، فمن الواضح أنه يحور الحقائق حتى تناسب غرضه .

في ثلاثة فصول متتالية يتحدث الكاتب عن اليهود ، واللاسامية ، والمسلمين واليهود .

مناصرو الصهيونية يلوون ذراع الحقيقة لتتناسب مع أهدافهم

في الفصل الأخير لا يستطيع أن يتجاوز الحقائق التاريخية ، فهو لا يشير من قريب أو بعيد الى أي اضطهاد لليهود من قبل المسلمين خلال اربعة عشر قرنا عاشوا فيها متجاورين سواء في الأندلس أو في بلاد المسلمين الأخرى ، ولكنه يصف اضطهاد اليهود في اوروبا بدءا بطردهم من أسبانيا أو اجبارهم على ترك دينهم ، أما في اوروبا الشرقية فكثيرا ما تعرضوا للمذابح المتكررة ، واضطروا الى الهجرة في فترات متتالية من اوروبا الشرقية الى اوروبا الغربية وبالعكس ، ومن فر منهم من مذابح بولندا والمانيا وروسيا القيصرية وجد له مكانا آمنا تحت الحكم الاسلامي ، فقط في المائتي سنة الأخيرة عندما أصبحت القومية هي الصيحة الأيديولوجية في اوروبا أصبح لليهود متنفسا ، ولكن حتى ذلك لم يمر دون اضطهاد جديد كما حدث في المانيا النازية .

حول ظهور فكرة (الصهيونية) يشير الكاتب الى حادثة تاريخية هامة هي حادثة الكابتن « الفرد درايفوس » وهو ضابط يهودي ملحق بهيئة الاركان الفرنسية ، اتهم درايفوس ببيع اسرار عسكرية لالمانيا في أواخر القرن التاسع عشر ، وقدم لمحاكمة

عسكرية (١٨٩٤) . وحضر المحاكمة صحفي نمساوي يهودي ، ولكنه مندمج في الحياة الغربية لا يكترث كثيرا بالتقاليد اليهودية هو « تيودور هرتزل » .

قضية (درايفوس) أثارت ضجة كبرى في الصحافة الفرنسية والغربية استمرت أربع عشرة سنة بين اخذ ورد ، واصبح الـرأي العام منقسما ، بعضهم مع درايفوس وآخرون ضده . ورغم انه قد حكم ببراءته في النهاية واطلق سراحه في سنة ١٩٠٦ الا أن تيودور هرتزل قد اقتنع نتيجة تلك المحاكمة بأن الذوبان اليهودي في الحياة الأوروبية غير مجد ، فلا بد من التفكير في وطن لليهود ، دون انتظار « المسيح المنتظر » الذي يتوقعه اليهود الاكثر تدينا .

إنهم يتساءلون : لماذا لا ينسى العرب فلسطين .. كما نسوا الأندلس ؟!

في الوقت الذي نادى فيه هرتزل بفكرته كان اضطهاد اليهود في شرق اوروبا في قمته ، فتلقفوا الفكرة ، كان بعضهم قد هاجر الى ارض فلسطين هربا من الاضطهاد الأوروبي ، فأصبحت فلسطين العربية المسلمة هي ملاذهم من الاضطهاد الأوروبي الذي يعتقد الكاتب أن له جذورا عميقة متأصلة في الاجابة عن سؤال : من قتل المسيح ؟

الاضطهاد الطويل الذي عانى منه اليهود في اوروبا شرقها وغربها ، قابله تسامح طويل أيضا في الأرض الاسلامية رغم محاولة الكاتب « ثني ذراع » بعض الحقائق ، الا انه اعترف في اكثر من مكان بمظاهر هذا التسامح : من ذلك قوله : (انهم لم يكونوا بعيدين عن التفرقة ولكن نادرا ماكان يتم اضطهادهم) .

(كما أن المسلمين لم يكن لـديهم تخوف من اليهـود مثل ماكـان لـدى الغـربي المسيحي) .

قضية (درايفوس) التي حركت هرتزل للدعوة الى قيام دولة يهودية كان لها صداها في الصحافة العربية ، فقد نقلت بعضها الموقف المتشدد ضد درايفوس ، الا أننا نجد داعية كبيرا مثل رشيد رضا - وهو المثقف والقائد المسلم - يقف ناقدا في (المنار) الموقف المهين في اضطهاد اليهود في فرنسا ، ويرى أنه ليس بسبب تعصب ديني - ففرنسا بعيدة عن الايمان الديني - ولكنه موقف عرقي وحسد لنجاح اليهود . وذهب رشيد رضا الى حد ادانة بعض الصحفيين لسيرهم خلف الفرنسيين ومهاجمتهم لليهود .

لماذا لا ينسى العرب فلسطين ؟

حتى ذلك الوقت والى وقت متأخر لم يكن للعرب والمسلمين موقف عرقي او ديني مضاد لليهود ، ماحدث بعد ذلك هو الذي جعل الصراع أمرا لابد منه ، فاحتلال الارض وتشريد الشعب الفلسطيني واقتلاعه من جذوره والمذابح التي ارتكبت بحقه ، كل ذلك

هي صرخة تحذير ولكن لمن ؟

الواقع الأليم ، هو الذي دفع بالعرب والمسلمين لاتخاذ موقف دفاعي ضد الصهيونية .

الكاتب هنا يقفز على المشكلة الرئيسية ليحلل الكثير من الأدبيات العربية ، ويذكر الكثير من الاسماء التي لها موقف في الصحافة والسياسة العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي ، ويعتبر أن ذلك مظهر من مظاهر اللاسامية .

قبل ذلك يعترف الكاتب أن الكتابات الأولى ضد الاستيطان الصهيوني في فلسطين ماهي الا (نقل من المصادر الاوروبية اللاسامية) . ويدعي بعد ذلك مباشرة ان العداء الجديد للسامية ينبع من العرب ! وهو يشير في هذا المقام الى عشرات الكتب والمؤتمرات كما يشير الى اسماء الكتاب العرب وعناوين مقالاتهم أو محاضراتهم ـ ينسب اليهم الموجة الجديدة للاسامية الموجهة ضد اليهود ، يختلط في ذلك ـ كما يقول ـ الشعور القومي بالديني ، وحتى كتب المدارس العربية لا تخلو ـ كما يقول ـ من اشارات سلبية لاسرائيل والصهيونية ويتساءل الكاتب لماذا يرفض العرب الاعتراف باسرائيل ، ولماذا تظل قضية اللاجئين قائمة في الوقت الذي تحتاج فيه بعض الدول العربية الى ايد عاملة ، ولم لا ينسى العرب فلسطين كما نسوا الاندلس او بعض المناطق العربية الاخرى !!

برنارد لويس في كتابه هذا يتابع بدقة شديدة ماسماه « العداء للسامية » الذي يظهر وينتشر الحديث عنه بين الكتاب العرب . ورغم اعترافه ان هذه « ظاهرة جديدة » قادمة أساسا من الغرب المسيحي الا انه لا يترك شاردة ولا واردة مما كتب في الاربعين سنة الاخيرة ، ويذكرها بأسماء كتابها ومكان نشرها ـ وذلك لمجرد أن أحدهم ذكر (اليهود) بدلا من (اسرائيل) .. وهذا مؤشر كاف لـديه لأن يكـون الكاتب عنصريا ومعـاديا للسامية .. !

بيت القصيد هنا هو الاشارة الى ان هناك نموا في العداء (العرقي) يجب الالتفات اليه في اوروبا وفي الوطن العربي يذكر اليهود بما حدث لهم على أيدي النازية !

لقد أشارت نيويورك تايمز الى هذا الكتاب بأنه صرخة تحذير ـ يقصد بها تحذير الصهاينة ودعوتهم للالتفات الى ماسمته باللاسامية الجديـدة .. ونحن أيضا نقـول انها صيحة تحذير .. تحذير لنا ، لأنه يجري تطويقنا اعلاميا ـ نحن العرب ـ والمسلمين بطرق جديدة وذكية ، ففي طرف من الخيط هناك احتفال عالمي « برجل سلام » حصل على اكبر جائزة هي جائزة نوبل للسلام ، يذكر العالم « بالهلكوست » وفي الطرف الآخر يبرز أحد كبار الاكاديميين في كتاب متكامل خطر اللاسامية الجديدة ، مرتكبا من الاخطاء العلمية مايريد في سبيل ذلك .

في الوقت الذي تبقى فيه محاصرين يضيق الخناق علينا .. متفرقين فيما بيننا .

لقد قال وول سونيكا اول أفريقي يحصل على جائزة نوبل للادب وعندما عرف بفوزه بها (انني آمل في افريقيا أن نستحدث جائزة أدبية كبيرة من وزن جوائز نوبل .. ثم ننتظر خمسة وثمانين عاما لنعطيها لأول أوروبي) .

ونقول ـ نحن العرب ـ اننا في سبيل تحقيق هـدف أكثر تـواضعا علينـا أن نقاوم عدونا .. بالعلم .. فهل نحن فاعلون ! ☐

محمد الرميحي

الاسلام والعرب

ورياح الشمال

بقلم / الدكتور عبدالعزيز كامل

من الاتجاهات التي زادت عناية المؤرخين المحدثين بها ، ما يسمونه صورة الآخرين . . ويقصدون به : كيف ينظر أصحاب حضارة إلى حضارة أخرى أو إلى أبنائها إذا كانوا في قطر آخر يعيشون غرباء ، أو أقليات أو يسكنون منطقة هامشية ؟

كان هذا من الموضوعات الرئيسية في المؤتمر العالمي السادس عشر للعلوم التاريخية الذي عقد في مدينة شتوتجارت في ألمانيا في خريف ١٩٨٥ ، ونوقش في هذا الموضوع سبعة وعشرون بحثا ، كان أغلبها عن آسيا وأوروبا وأجزاء من العالم الجديد ، وتناولت بعض الدراسات العالم الاسلامي والوطن العربي في ماضيهما وحاضرهما ، بالاضافة إلى دراسات في مناهج البحث .

ومن هذا اللقاء الذي يجمع مؤرخين على الصعيد العالمي ننتقل إلى دائرة أضيق :

لقاء في اليونسكو في صيف ١٩٨٦ : تتابع فيه لجنة علمية إعادة كتابة تاريخ العالم العلمي والثقافي ، وهو مقسم إلى سبعة أقسام تبدأ من فجر التاريخ وتنتهي إلى القرن العشرين . وكان اللقاء عن الجزء الرابع الذي يتناول تاريخ العالم ما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلادي . وهذا الجزء قسمان : أولهما موضوعي يتناول قضايا البيئة الجغرافية والسكان ومظاهر الحضارة ، وثانيهما إقليمي يتناول الحضارات وتوزيعها .

في القسم الموضوعي نستطيع أن نتخذ الانسان مركزا وندرس آفاقا تاريخية : كالدين وعلاقاته ، والكون ، والدولة ، والأسرة والمجتمع ، وجوانب المعرفة العلمية والتقنية ، والابداع الفني .

وأنت في هذا تستطيع أن تدرس علاقاتهما الداخلية ، ثم التأثيرات المتبادلة موضوعيا ومكانيا وزمانيا .

ولكن عندما تتناول التقسيم الاقليمي ستجد أمامك اختيارات وبدائل كان فيها بعض الحوار - أو قل الصدام - بين « صور الآخرين » .

من أين نبدأ وما أساس التقسيم ؟

نستطيع أن نبدأ من أقصى الشرق . من اليابان ونتخذ مسارا نحو الغرب . وقد يكون هذا - من

الناحية الجغرافية البحتة - مقبولا . فآسيا هي القارة الأم ، ولا تزيد أوروبا وأفريقيا - إذا نظرت إلى نصف الكرة الشرقي أو العالم القديم - عن أشباه جزر .

وأنت بهذا تتجنب النظرة التي انتقدتها كثير من شعوب العالم الثالث ، وعلماء منصفون من العالم المتقدم ، وهي البدء بأوروبا التي كانوا يعتبرونها حضاريا هي القارة المتصدرة ، فالقريب منها قريب . والبعيد عنها بعيد ، وهم الذين أطلقوا أسماء : الشرق الأدنى ، والشرق الأوسط ، والشرق الأقصى . وكان التاريخ الأوروبي يحتل - ولا يزال إلى حدٍّ ما - مكانا أكبر عند دراسة التاريخ العالمي .

والآن بدا اتجاه الى تنحية المركزية الأوروبية عند دراسة التاريخ ، وكتابة التاريخ العالمي المتوازن الذي يعطي لحضارات العالم الثالث والحضارات الآسيوية والحضارات العريقة التي استطاع أبناؤها أن يكشفوا الجديد من مصادر المعرفة عنها : أن يعطي هؤلاء جميعا مكانا أوسع وضوءا أقوى .

فلنبدأ من اليابان إقليميا ، ولنتجه إلى الصين وإلى الهند ووسط آسيا . هنا إلى حد كبير لقاء بين الحدود الجغرافية والطبيعية والحدود الحضارية ، ولكن إذا جئت إلى جنوب غرب القارة - حيث مهد الاسلام وامتداده بجناحيه الآسيوي والافريقي - ستجد نفسك - علميا وعمليا - مضطرا إلى الانتقال من الاسم الجغرافي إلى الاسم الحضاري وستتكلم عن « العالم الاسلامي » . وهنا اشتد الحوار ، ورأينا صورة عملية وحية من مشكلة : صورة الآخرين .

العالم الاسلامي ، وحوار حول المفهوم

قال قائل منهم :

لقد كان الحديث عن أقاليم جغرافية حضارية ، لكن عند الحديث عن العالم برز المفهوم الحضاري متخطيا حدود القارات ، ومعالم الجغرافيا الطبيعية . ألا ترون في هذا تناقضا في الأساس العلمي الذي يقوم عليه التقسيم ؟ ثم إذا تحدثتم عن العالم الاسلامي فلماذا لا يتحدث غيركم عن العالم المسيحي والبوذي والهندوكي ؟

ألا ترون الحديث عن (الاسلام) و (العالم الاسلامي) يثير حساسية أهل الحضارات والديانات الأخرى ، بل كثيرين ممن لا يؤمنون بدين ويعيشون حياتهم علمانيين لا علاقة لهم بالأديان ؟ واستمعت واستمع معي آخرون ، وقلبت أوراقي وقلت لصاحبي الذي اعترض : هناك حقيقة أولى أود أن تتذكرها : إن التقسيم الذي تقدمت أنت به « وضعت العالم الاسلامي على رأس القائمة ، ثم تابعت بعد هذا عرض الأقاليم الأخرى .

فقال : كان هذا قولي وقد رجعت عنه .

قلت : وهذا تقريرك المقدم ؟

قال : رجعت عنه !!

وتحدث أكثر من زميل فكان مما قالوا : معنا هنا علماء متخصصون في أقاليم محددة من العالم الاسلامي ، وعلماء يتعاونون معنا - وإن لم يحضروا الاجتماع - هم مؤلفات تحمل اسم العالم الاسلامي والحضارة الاسلامية . وهنا في جامعة باريس معهد للدراسات العربية الاسلامية ، وأساتذة أمضوا أعمارهم في هذه الدراسات ، وأطالس عن العالم الاسلامي ودائرة معارف إسلامية ، إن العالم الاسلامي حقيقة قائمة ، إنه ليس أمرا مخترعا،أهله يقولون عنه « العالم الاسلامي » ولهم منظمة المؤتمر الاسلامي ، والعالم العربي له جامعة الدول العربية ، والأفارقة لهم منظمة الوحدة الافريقية . هناك إطار واسع يجمع العالم الاسلامي ، وهو إطار مرن يتسع ويضيق ، وفي داخل هذا الاطار وحدات إقليمية بعضها يستغرقها العالم الاسلامي كالوطن العربي ، والبعض الآخر له روابطه بوحدات أخرى صديقة كمسلمي افريقية .

ولا مانع من تعدد الأسس المتخذة في التقسيم ، لتجمع بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية معا ، حسب أهميتها؛فقد تكون اللغة - كالعربية - أو اللون كمسلمي افريقية وجنوب الصحراء - أو السلالة والعرق - كالأتراك . ومع هذا التميّز هناك إطار شامل هو العقيدة في أوسع مدلولاتها - يجمع المسلمين جميعا .

الوحدة والتنوع والصراع

وقال قائل :

وهذه الحروب التي بينكم كالحرب الدائرة بين العراق وايران وأنتم جميعا مسلمون ؟ ثم إن الدعوة

إلى التمييز بين الاسلام العربي والاسلام الافريقي ليست نابعة من عندنا . إن علماء غرب افريقية لهم تصورهم التطبيقي في الاسلام الذي يجمع بين العقيدة الاسلامية والمواريث القديمة ، أو على الأقل الصالح منها، لكي يتكون منه مع الاسلام نسيج يستطيع أن يستجيب لحاجات الحياة المتجددة عندهم . ثم النزعات العرقية العنيفة والمذهبية في أكثر من قطر . من الأفضل أن يتحدث كل إقليم عن نفسه ، أما البدء بعالم إسلامي فأمر لا يحظى بقبول من الجميع ، وهو محل حوار ينبغي أن نبحث معه عن صيغة جديدة ، قد تكون تحديد أقاليم جغرافية في العالم الاسلامي ، ثم فصلاً ختامياً عن الوحدة والتنوع في أرض الاسلام أو بين الأقاليم الاسلامية . وتواعدنا على لقاء نحاول فيه الالتقاء .

مرصد لرياح الشمال

جاءت عطلة نهاية الأسبوع بعد هذا اللقاء ، وخرجت في الصباح وخلوت إلى نفسي في مكان هادىء من حديقة عامة .

لماذا هذا العنف الذي بدا من بعض أعضاء اللجنة عند ذكر الاسلام ؟ ولماذا كان القبول من قبل والهجوم من بعد ؟ إنهم علماء لا يتحركون من فراغ ، وهم مكانتهم في ديارهم ، وهم اتجاهاتهم،فهل هذا التحول جزء من تحول أكبر كانت تستره أهداف ، ثم أبرزته أهداف أخرى ؟ حتى العلم فيه (الاستراتيجية والتكتيك) ، وفيه تغيير المواقف بهذه السرعة .

ووجدت ذهني يتحرك بين منظورين،أولهما تاريخي والثاني معاصر ، والاثنان متكاملان . قد يغلب على المنظور التاريخي العناية بموجات التاريخ الكبرى ، وعلى المعاصر العناية بالحوادث الفردية القريبة . هما مستويان أو أكثر من الدراسة وليسا وجهين متقابلين لحقيقة واحدة .

ووجدت نفسي أستعيد تقسيم المؤرخ الكبير فرنانـد بـرودل الـذي أقـام عليه كتابـه « البحـر المتوسط » ، هو من أعمق الكتب التي أثرت في مناهج البحث التاريخي المعاصر ، فلقد وضع لكتابه - وللزمان - تقسيماً ثلاثياً :

الزمان الجغرافي : عن علاقـة الانسان بالبيئة ، وهو تاريخ بطيء التغيرات ، متكرر الدورات .

الزمان الاجتماعي وتغيراته أسرع : وهو تاريخ الجماعات والتجمعات . هذا يدرس النظم الاقتصادية ، والدول والمجتمعات والحضارات ، وكيف أثرت هذه القوى العميقة في الحروب ..ذلك لأن الحروب لا تحكمها فقط مسئوليات الأفراد .

الزمان الفردي أو زمن الأحداث والتغيرات السطحية : وهي غشاء من الزبد يحمله مد التاريخ فوق ظهره القوى . إنه تاريخ قصير سريع ، عصبي الذبذبات ، شديد الحساسية . ومع هذا هو أشدها روعة ، وأكثرها اجتذابا للنظر ، وأكثرها خطورة .

(مقدمة من الترجمة الانجليزية ص ٢٠ ، ٢١ من الجزء الاول ، ط . كولنز ١٩٧٢)

وعدت إلى موقف بعض الزملاء في لقائنا العلمي فوجدته من « الزمان الفردي » وإن كان يحمل جذورا من الزمان الاجتماعي والجغرافي معا . فأين أضع مرصدي لأسجل قوة رياح الشمال واتجاه الهبوب ؟ من أين ؟ وإلى أين ؟ وماذا تحمل من مكونات ؟ ولأنظر إلى سلاسلها الزمنية لأرى عمقها الزماني فهي مما أطلق عليه برودل اسم الظاهرات الطويلة الأمد ، وهذا أيضاً من التعبيرات التي انتشرت مع تقسيمه الثلاثي أيضا .

من المدينة المنورة إلى القسطنطينية

ووضعت المرصد في المدينة المنورة ، وعدت إلى عهد النبوة . هذه رسالة من الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هرقل عظيم الروم ، ومن قبل هذا أقرأ قول الله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير . (الاسراء : ١) ، فالأمر أقدم من المدينة ، وقد كانت القدس وقتئذ تحت سيطرة الروم ، وكان من الروم من يحاول الاتصال بالمنافقين في قاعدة الاسلام . هل نعود الى أبي عامر الراهب والى مسجد الضرار . وإلى دسائس الروم ؟ لذا كان على الاسلام أن يحمي نفسه ، وخرجت الغزوات على المحور الشمالي : غزوة مؤتة عام ٨ هـ ، غزوة تبوك عام ٩ هـ . بعثة أسامة بن زيد عام ١١ هـ ، وهو أول الأعمال التي قام بها أبوبكر عند توليه الخلافة وذلك

إنقاذاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته . وتوالت بعد هذا الانتصارات : أجنادين واليرموك عام ١٣ هـ ، بيسان وطبرية وفتح دمشق ١٤ هـ وفتح بيت المقدس صلحا عام ١٥ هـ . واستمر الفتح والتقدم . ولنتقل الآن مرصدنا من المدينة المنورة وتمر على العواصم الدينية والسياسية في الشام ، ونركز المرصد عند جبال طوروس حيث جبهة اللقاء الجديدة بين الاسلام والروم ، أو بين الاسلام والعرب من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى ، وسيظل المرصد هنا - غير بعيد عن جبال طوروس - طوال العهد الأموي والعباسي ، نتوغل به أحياناً في الأناضول ونتراجع أحياناً .

ولكن بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر ستهب علينا من الشمال والغرب عواصف عنيفة : إنها الحـروب الصليبيـة . هبت بـرا وبحـرا ، واستطاعت أولاها الوصول الى بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وتتابعت الحملات ، وامتدت على الجبهة الاسلامية من الأناضول إلى شمال افريقية ، ولم تستطع الحملة الثامنة على تونس أن تحقق شيئاً .

وخلّفت الحـروب الصليبية وراءهـا نظما من الفرسان المحاربين ، وكانت عواصف محلية ضمن رياح الشمال .

سننقل مرصدنا الآن في الأناضول متحركين به ، وبعد السلاجقة ، ومع العثمانيين وأملهم الكبير في الاستيلاء على القسطنطينية ، ذلك الأمل الذي استمر في نفوس المسلمين ثمانية قرون . منذ الحصار الأول عام ٥٢ هـ ٦٧٢م في عهد معاوية بن أبي سفيان . وإذا كان محمد الفاتح قد استطاع ان يضع نهاية لهذا الصراع الطويل بالفتح عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، فان هذا لايرجع فقط إلى بسالة الجند وحسن القيادة وعمق الايمان ، فهذه قوة مشتركة بينه وبين المحاولات السابقة ، وقد كان في أولاها بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن الذي حسم الأمر بالاضافة الى قوة العقيدة هو المستوى العلمي للاستعداد العسكري،خاصة في المدفعية التي أشرف السلطان بنفسه على صناعتها بحيث يكون لها التأثير الفعال على أسوار المدينة ، فضلا عن قوة السلاح البحري والبري وتهيئة الجو السياسي الملائم .

لقد كانت المعركة عنيفة ، خاضها الطرفان ببسالة ، وانتصر فيها الاسلام وركز اعلامه ، وأصبحت استامبول عاصمة الخلافة العثمانية . واذا كانت العاصمة التركية تراجعت بعدما يقرب من خمسة قرون إلى أنقرة قبيل إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ ، الا أن صورة الاسلام في استامبول بعمارتها ومساجدها وقصورها وطابعها تمثل نقطة أمامية حاول العثمانيون التوغل منها إلى شرق أوروبا ووسطها .

ووصل المد ألى فيينا ، وكان الانسحاب من حصارها الأخير عام ١٦٨٣م ، وبقيت جزائر إسلامية في المحيط الأوروبي ، وأضيفت إليها جزر جديدة مع اشتداد الهجرة إلى أوروبا .

من استامبول إلى جبل طارق

سننقل مرصدنا الآن إلى أقصى الغرب : إلى جبل طارق وهو بعد المد والجزر شمالا وجنوبا يمثل حدا بين الحضارتين . كان التقدم منه نحو الشمال عام ٩٢هـ / ٧١١م ، وتوغل المسلمون - من العرب والبربر - حتى عبروا جبال البرانس وسجلوا انتصارات ، ثم كانت هزيمة في معركة بواتييه عام ١١٤هـ / ٧٣٢م واستشهاد القائد عبدالرحمن الغافقي ، لكن بقي الاسلام بعدها في الأندلس حتى سقوط غرناطة - آخر معاقل الاسلام - في عام (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) .

ولنا هنا وقفة ننقل فيها سطورا ذكرها جفري باركر في فصل عن الحرب (تاريخ كمبردج الحديث ، الطبعة الجديدة ، مجلد ١٣ ص ٢٠١ عام ١٩٨٠) .

في هذا الفصل عالج تطور الحرب في أوروبا منذ القرن الخامس عشر حتى الآن ، والتحسينات التي أدخلت على الحصون ، ومنها تطوير مدافع الحصار ، وصناعتها من البرونز بعد ان كانت تصنع من الحديد الزهر ، ثم يقول : « إن السبب في سقوط غرناطة بسهولة أمام المسيحيين - بعد أن ظلت تقاوم بنجاح سبعة قرون - يرجع إلى أن فرديناند وايزابيلا ، استطاعا إحضار قوة تتكون من مائة وثمانية مدافع من مدافع الحصار لمقاومة حصون غرناطة » ، وضرب بعد هذا أمثلة أخرى من التاريخ الأوروبي استطاع تفوق المدفعية فيها أن يحسم الهجوم على الحصون القديمة حول المدن .

ألم يكن هذا هو الدرس الذي وعاه محمد الفاتح وغفل عنه أصحاب غرناطة ، وبين المعركتين نحو أربعين عاما ؟ وكان هبوب رياح الشمال في اسبانيا عاصفا ، فيه قصف المدافع ، وقوة التقدم العلمي ، والهزيمة المحتومة .

والآن : ماذا علينا ؟

لايزال في الموضوع قول كثير : القطاع الممتد من الوطن العربي شرقا إلى المحيط الهادي حتى الفلبين . هنا أيضا تهب رياح الشمال.العاصفة المغولية من وسط آسيا وآثارها المدمرة ، ثم تقبل جزء من المغول الاسلام ديناً .

ماذا حدث بعد انسحاب المسلمين من الأندلس ؟ وكيف بدأ ـ في نفس العام ـ نشاط في الالتفاف حول العالم الاسلامي ، ومحاولة الوصول إلى جزر التوابل ؟ إما عن طريق الجنوب وإما عن طريق الغرب ، وأدى هذا إلى الدوران حول افريقيا وكشف العالم الجديد ، وعالم المحيط الهادي ؟ وحدث بهذا تطور من أكبر ما مر على الانسانية ، وانفتح امام أوروبا أكثر من مجال أدى إلى تقدم وتراكم وانفجار في المعرفة ،فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، وهو القرن الذي شهد غارة أوروبا على الوطن العربي والاسلامي واستعمار الكثير من أجزائه . واشتد هبوب رياح الشمال إلى منتصف القرن العشرين عندما حصل كثير من الاقطار العربية والاسلامية على استقلالها أو استكملت الحصول عليه ، وهدأت رياح الشمال قليلا ، ثم عادت لتشتد في أيامنا هذه .

وجود الحضارتين : العربية الاسلامية ، والأوروبية المسيحية ، حقيقة تاريخية ممتدة ، ونظرة الأجناس الأوروبية البيضاء إلى غيرها من الألوان قائمة ، وإن اختفت أحيانا تحت ستار من المجاملة ، ونظرة العالم المتقدم إلى العالم النامي ووجود الفجوة الحضارية والاقتصادية والعسكرية حقائق موجودة . رياح الشمال مستمرة ولكن بعض الدول الأسيوية استطاعت أن تحطم الطوق ، ومن هذه الدول دول كبيرة كاليابان ، وصغيرة كسنغافورة . إن تغير قوة الرياح حقيقة قائمة ، يدخل فيها مستوانا العلمي ، ومدى قبولنا التحدى الحضارى ، وتكوين القواعد العلمية ، ومكانتنا لن تستطيع أيد غير أيدينا أن تحصل عليها .

ولا طريق سوى اكتساب المعرفة والمشاركة فيها ، ثم الابداع والتفوق . هذا لمن اراد الحياة .

فبهذا تقل فروق الضغط الحضاري بين مناطق الهبوب ومناطق الاستقبال . ومع قلة الفروق بين خطوط الضغط الحضاري ستهدأ الرياح ، وتقل حدة العواصف.ولا أريد أن يجمح بنا الأمل لنتصور تغيرا في اتجاه الهبوب ـ وان حدث هذا في أقصى الشرق حيث تهب الرياح من اليابان نحو غرب أوروبا وتهب منها على امريكا عبر المحيط الهادي . هذه أوائل خريطة جديدة تتكون فلا أقل من أن تمنع هبوب العواصف على ديارنا،بأن يرتفع عندنا المستوى الحضارى ، فلا تستطيع أيدي الآخرين أن تحجب عنا شمس المعرفة ، ولا أن تحدد صورتنا ، وترسمها كما تشاء ، وتكون حمايتنا بالعلم والابداع ، مع فتح النوافذ على منجزات الانسانية دون انطواء ولا ذوبان . □

متحف

علمي

فريد

● اشترت إحدى شركات المنتجات الصيدلية من ورثة الدكتور « سبيتزنر » المتحف الفريد الذي كان قد أمضى عمره في جمعه ، وصب تماثيله الشمعية لتجسيم غرائب المخلوقات الانسانية والحيوانية . وقد كان ذلك في منتصف القرن الماضي . وبالاضافة إلى الدمى الشمعية التي تمثل مختلف الأوبئة الفتاكة ، ومفعولها في الجسم الانساني ، كالسرطان والكوليرا والطاعون ، ومراحل الأمراض التناسلية التي كانت شديدة الفتك في أوروبا حتى أوائل هذا القرن ، فإن محتويات المتحف تضم عددا من المومياءات ، والرؤوس البشرية التي برعت بعض قبائل الهنود الحمر في أمريكا الوسطى في تجهيزها ، كما تضم هياكل عظيمة لأجنة مشوهة التكوين ، بالاضافة إلى جلود بشرية مدبوغة ومنقوشة . وتمثل الصورة المرفقة تمثالا من الشمع لتوأمين سياميين ، وللطريقة التي أمكن بها الحفاظ على حياتهما بعض الوقت .

اقوال



جمال عبدالناصر



آسيا جبار



يوسف القعيد

■ « ليس لي حلم شخصي ، ليس لي حياة شخصية ، وليس هناك شيء شخصي » .

جمال عبدالناصر

■ « من شاء أن يهاجر ، ثم لمس صعوبة الحياة في الخارج ، وأراد العودة ، عليه أن يفهم ، أن الوطن ليس باحة مرور مفتوحة له في كل وقت » .

الجنرال ديفيد دارغونسكي
رئيس اللجنة السوفياتية لمناهضة الصهيونية

■ « هل تتوقع من صحفي مستقيم ، حسن الأخلاق ، ابن ناس ، وناجح في عمله ، أن يكتب تقارير للمباحث نظير أجر ؟ » .

ممدوح سالم
رئيس وزراء مصر الأسبق

■ « يفعل الساسة في بعض الأحيان عكس ما كان يقصده المقاتل في ميدان القتال » .

يوسف القعيد

■ ان أغلب الافلام المسماة عربية ترضى عن نفسها كونها عربية باستعمالها اللغة العربية ، ومن جانبي لي طموح آخر يقوم على التجديد في الاسلوب ، والبحث عن شكل لايستنسخ تجربة الاميريكيين أو أية مدرسة سينمائية اخرى .

آسيا جبار
روائية وسينمائية جزائرية

■ ان الشجاعة في نظري ليست مجرد ميزة انسانية ، بل حاجة ضرورية .

قسطنطين سيمونوف
شاعر سوفيتي



حقيقة الأقليات اليهودية في العالم

د. عبدالوهاب محمد المسيري

يدعي الصهاينة أن فلسطين التي يطلقون عليها اصطلاح «آرتس يسرائيل» أو أرض الميعاد هي مركز الوجدان اليهودي، وهي النقطة التي يتوجه نحوها اليهود معنويا حينما تعوزهم الطريقة للاستيطان فيها، وهي الأرض التي يتجهون لها فعليا حينما تفتح أبوابها لهم، ويحاول الصهاينة أن يجدوا تبريرا دينيا أو إثنيا لرؤيتهم هذه، كما يقدمون رؤية للتاريخ تساند هذه الرؤية، فإلى أي مدى نجحوا في تبريراتهم هذه؟

لو نظرنا للرؤية الصهيونية من الناحية الدينية اليهودية لوجدنا انها تمثل تزييفا للعقيدة اليهودية الحقة، فاليهودية تحرم على اليهودي العودة الى فلسطين، اذ عليه الانتظار الى أن يأذن الله له بذلك، وأي محاولة للعودة هي بمثابة الهرطقة، ولذلك لا يوجد في يهودية العصور الوسطى (أي معظم تاريخ اليهودية الديني) أي حديث عن العودة الا باعتبارها حدثا دينيا يتم باذن الله. أما تعلق اليهودي بصهيون فهو تعلق ديني وحسب، يشبه من بعض النواحي تعلق المسلم بالأرض المقدسة ولا شك أن هذا التشبيه فيه شيء من التبسيط، اذ أن الاسلام خلص فكرة الأمة الاسلامية من أي شوائب عرقية أو اثنية،وهو الأمر الذي لم تنجزه اليهودية تماما كنسق ديني الا في صياغتها الاصلاحية التي لم تظهر الا في القرن التاسع عشر بتأثير من المسيحية.

الدين والتاريخ

هذا من الناحية الدينية. أما من الناحية التاريخية فالأمر أكثر تحددا وتعيينا، اذ يدل تاريخ العبرانيين وتواريخ الأقليات اليهودية، على أن المسرح الذي دارت عليه أحداث هذه التواريخ لم يكن فلسطين الا

في فترة قصيرة للغاية ، وحتى حينها كان يوجد فيها حكم يهودي مستقل ، فهي لم تكن دائما مركزهم واطارهم المرجعي ، اذ أن كل أقلية كان لها ديناميتها المستقلة ، وتوجهاتها التي يحتمها عليها وضعها الاجتماعي والثقافي المرتبط بوضع البلد التي توجد فيه ، ولذا يمكن القول أن الحقيقة الأساسية في تاريخ أعضاء الأقليات اليهودية هو انتشارها في كل أنحاء الأرض ، وليس تمركزها في فلسطين ، وأن القراءة الصهيونية لتواريخ الأقليات اليهودية التي ترى أن اليهود قد تم « تشتيتهم » قسرا من فلسطين ، وأنهم لو تركوا وشأنهم لعادوا تلقائيا وبشكل طوعي اليها ، هي قراءة ايديولوجية بالمعنى السلبي للكلمة . فتاريخ العبرانيين الأسطوري يبدأ بهجرة ابراهيم من أور الى أرض كنعان ومنها الى مصر ، كما هاجر يعقوب ويوسف من بعدهما الى مصر أيضا ، والهجرة من مكان لآخر نمط أساسي في حياة العبرانيين في فترة الآباء (٢٠٠٠ق.م) التي تنتهي « بخروج » أي هجرة موسى وقومه من مصر (وقد آثر بعضهم - حسب الرواية التوراتية - الاستمرار في الحياة في مصر بينما خرج مع موسى « اللفيف » أي مجموعات عرقية أخرى غير عبرية وغير متجانسة) . وبعد التسلل العبراني الى أرض كنعان ، واتحاد القبائل (فيما يعرف باسم مملكة داود وسليمان والدويلتين اليهوديتين) ثم تهجير أعداد كبيرة من اليهود الى آشور (٧٢٠ق.م) ثم الى بابل (٥٩٠ - ٥٨٠ق.م) ولكن غالبيتهم العظمى آثرت البقاء خارج فلسطين حتى بعد أن أصدر قورش الأخميني مرسومه الذي سمح بعودة اليهود الى فلسطين ، ويبدو أنه لم يعد سوى الفقراء .

خارج فلسطين

وعلى الرغم من اعادة بناء الهيكل وقيام السلطة الكهنوتية في فلسطين (تحت رعاية الفرس أول الأمر ثم اليونان) فقد بدأت هجرة يهودية تلقائية كبيرة في عهد البطالمة من فلسطين ، اذ استعان هؤلاء بالجنود اليهود المرتزقة الذين استقروا في مصر هم وأسرهم ، كما هاجرت أعداد أخرى من اليهود لأسباب اقتصادية - فكان منهم الفقراء والأغنياء والفلاحون والرعاة والجنود المرتزقة والقادة العسكريون . وقد أسس البطالمة مستعمرات في برقة كان يوجد فيها يهود ، كما ظهرت جماعات من اليهود في مدن آسيا الصغرى بعد أن استولى السلوقيون على فلسطين بعد عام ٢٠٠ق.م . فقام انطيوخوس الثالث بنقل عدة آلاف من الجنود اليهود هم وأسرهم من بابل الى آسيا الصغرى ، وكانت توجد جماعات يهودية في اليونان ومقدونيا على شواطىء البحر الأسود والبلقان وبلغاريا وأرمينيا وقبرص وقرطاجة وبرقة ، ويلاحظ أن قيام الأسرة الحشمونية اليهودية في فلسطين - التي تمتعت بقدر من الاستقلال السياسي في بعض مراحلها - لم يغير من هذه الصورة العامة لانتشار أعضاء الاقليات اليهودية خارج فلسطين .

وحينما ظهرت روما كقوة عظمى ، وفرضت اطارا سياسيا موحدا على منطقة البحر الأبيض المتوسط ، يسّر ذلك انتشار اليهود ، فظهروا أولا كعبيد في العاصمة ، ثم هاجرت أعداد منهم وأصبحت مدن جنوب ايطاليا مراكز يهودية مهمة ، بل كانت توجد جماعات يهودية في الغال (فرنسا) وفي المدن الرومانية العسكرية على نهر الراين .

وكانت الاسكندرية تضم جماعة يهودية كبيرة في العصر الهليني ثم الروماني ، يتحدث غالبية أعضائها اليونانية أو اللاتينية . وكانت والنقوش التي على قبورهم أساسا يونانية ولاتينية ونادرا ما تكون عبرية ، أما وثائق الزواج والدفن الخاصة بهم فكانت لا تختلف عن الوثائق الخاصة ببقية المواطنين ، وكان لليهود معبدهم القومي الخاص في ليتنوبوليس، وكانت جماعتهم الدينية والفكرية مستقلة الى حد كبير عن الهيكل ، ولذا استمرت هذه الجماعات اليهودية في حياتها الدينية والثقافية المستقلة بعد تحطيمه ، ولعل أكبر دليل على أن الاسكندرية كانت مركز جذب أقوى من فلسطين ذاتها انه حينما وقعت بعض الاشتباكات في الاسكندرية بين اليهود والمواطنين الهيلينيين أصدر الامبراطور الروماني قرارا يحذر فيه اليهود من تشجيع هجرة اخوانهم من فلسطين .

أرقام وحقائق

وقد قدر فيلون الفيلسوف السكندري اليهودي أن

عدد يهود مصر في القرن الأول الميلادي كان مليوناً ، وكان يقدر عدد اليهود في الأماكن الاخرى بمليونين ونصف . وقد لا تتسم هذه الأرقام بالدقة البالغة (فهي في معظمها تستند الى التقديرات التخمينية) ، وثمة احصائيات أخرى ترى أن عدد اليهود في سوريا ومصر وآسيا الصغرى كان ٣ ملايين ، وأن مليونا رابعاً كان يوجد في مناطق متفرقة أخرى داخل الامبراطورية الرومانية ، ومليونا في بابل ، أما في فلسطين فيقال انها كانت تضم مليونين فقط ، باعتبار أن من تبقى منهم من سكان فلسطين كانوا مواطنين يونانيين وعناصر بشرية أخرى غير يهودية ، وتذكر الموسوعة اليهودية أن عدد يهود العالم في تلك الفترة كان ثمانية ملايين ولم يكن منهم سوى « $٢\frac{١}{٢}$ مليون » في فلسطين . ولكن مهما كان الأمر ، فثمة اجماع على أن عدد الأقليات اليهودية خارج فلسطين كان يفوق عدد اليهود داخلها ، وذلك قبل تحطيم الهيكل ، وأن عدد يهود الاسكندرية كان يفوق عدد يهود أورشليم ، وبذا تكون محاولة ربط انتشار الأقليات اليهودية في العالم بواقعة تحطيم الهيكل وسقوط اورشليم واعتباره تشتيتا قسريا هو من قبيل التفكير الأسطوري .

وقد استمر وجود الأقليات اليهودية في كل أنحاء العالم مزدهرا بعد ذبول الحياة اليهودية في فلسطين ، بل ان هذا الوضع تدعم وتكرس نظرا لاشتغال أعضاء الأقليات اليهودية بالتجارة في العصر الوسيط ، في كل من العالمين الاسلامي والمسيحي ، فكانت توجد مراكز لهم في الغرب في اسبانيا وغيرها من الدول ، وكذلك في معظم ربوع العالم الاسلامي .

وقد ظل هذا الوضع قائما عبر العصور الوسطى ، ولا نسمع عن أية محاولات يهودية للعودة الى فلسطين ، ومع طرد اليهود من اسبانيا وجد يهود المارانوس ملجأ لهم في الامبراطورية العثمانية أساسا ، وفي بعض الدول الأوروبية مثل هولندا . وكان اليهود من رعايا السلطان العثماني ، لهم مطلق الحرية في الهجرة الى فلسطين أو منها ، الا أن اللاجئين الأوربيين والرعايا اليهود كانوا ينجذبون الى استنبول والقاهرة ودمشق وغيرها من مناطق الامبراطورية التي كانت تتمتع باوضاع اقتصادية وسياسية أفضل مما كانت في فلسطين ، أما بالنسبة ليهود الخزر فقد اتجهوا نحو شرق أوروبا الى المجر فبولندا ، بعد تحطيم امبراطوريتهم الصغيرة على يد الروس أولا ، ثم على يد المغول في القرن الثاني عشر ، ولا نعرف أن أي جماعات منهم اتجهت الى فلسطين .

الفكر الاسترجاعي

وقد بدأت في أوروبا المسيحية ارهاصات الفكر الاسترجاعي (أي اعادة توطين اليهود في فلسطين باعتبار أن عودتهم هي التمهيد لعودة المسيح) مع عصر النهضة . وعصر الاكتشافات والاصلاح الديني ، ولكنه لم يؤثر في الأقليات اليهودية بتاتا ، سواء في الشرق أو في الغرب ، وظل تفكيرا مسيحيا (بروتستانتيا) بالدرجة الأولى ، ولا نسمع عن دعوات يهودية للعودة الى فلسطين والاستيطان فيها الا مع الانفجارات الماشيحانية مثل حركة الماشيح اليهودي الدجال شبتاي تسفي في القرن السابع عشر ، وهي الانفجارات التي وقف ضدها حاخامات اليهود ، ثم يظهر فكر صهيوني يهودي لأول مرة في منتصف القرن التاسع عشر ، وحتى بعد أن ظهرت الحركة الصهيونية (اليهودية) في أواخر القرن التاسع عشر ، عارضتها كل المنظمات اليهودية المعروفة في ذلك الوقت ، ولم تتمكن من عقد مؤتمرها في ميونخ بسبب احتجاج الحاخامات ، واضطرت الى نقله الى بازل .

ومن المفارقات التي تحرص الصهيونية على اخفائها ، انه حتى بعد أن احكمت قبضتها على الأقليات اليهودية في العالم ، فان الانتشار اليهودي بعيدا عن فلسطين لا يزال قائما ، وغالبية اليهود التي هاجرت في أواخر القرن التاسع عشر (وهو عصر الهجرة اليهودية الكبرى) وأوائل القرن العشرين ، هاجرت أساسا الى الولايات المتحدة ، ويمكن القول ان هذا لا يزال هو النمط السائد ـ للهجرة من شرق أوروبا أو أي مكان آخر في العالم الى الولايات المتحدة (واستراليا وجنوب افريقيا وفرنسا وانجلترا) أي أنها

هجرة من مناطق متخلفة اقتصاديا نسبيا الى مناطق متقدمة ومجتمعات ذات وفرة واقتصاد حر .

العاطفة والايديولوجيا

وبدلا من تسمية الظواهر بأسمائها في اسرائيل ، والحديث عن الهجرة اليهودية الى الولايات المتحدة (أو العالم المتقدم) فإنهم يتحدثون عما يسمونه « بالشتات الجديد » ، وهو رفض جماعات المهاجرين اليهود الاستقرار في فلسطين المحتلة ، وتفضيلهم الانتشار والاستقرار خارجها ، فيهود الجزائر (عام ١٩٦٥) استقر معظمهم في فرنسا ، ويهود أمريكا اللاتينية (منذ الستينيات وحتى الآن) يستوطنون أساسا في الولايات المتحدة ، ويهود ايران (١٩٨٠) لم تستوطن منهم في اسرائيل الا قلة نادرة ، ولكن أكثر الأمثلة أهمية ودرامية الهجرة السوفيتية التي يوجهها الصهاينة ، ويحاولون التحكم فيها دون جدوى ، فهي تأخذ شكلا مغايرا تماما لطموحاتهم الأيديولوجية . ويمكن القول أن معظم أعضاء التجمع الصهيوني قد استوطنوا فلسطين لا بسبب أي روابط عاطفية / ازلية ، وانما بسبب عناصر خارجية ، مثل وجود فرص للحراك الاجتماعي غير متوفرة في أوطانهم ، أو وجود حالة من الارهاب السياسي كما حدث في ألمانيا النازية ، مع عدم وجود منافذ أخرى (اذ أن أبواب الهجرة للولايات المتحدة كانت مغلقة) ، مع العلم بان أعداداً كبيرة من ضحايا العنف النازي لم تهاجر الى فلسطين ، وانما استقروا أساسا في الولايات المتحدة .

ومن الطريف أن بإمكاننا الآن أن نتحدث عن الشتات الطوعي أو التلقائي أو الانتشار اليهودي الى المكان الذي توجد فيه فرصة اقتصادية لا عن الهجرة القسرية أو التهجير الى الوطن اليهودي،فهذه هجرة لا تتم إلا في ظروف الكارثة أو في ظروف تفرضها المنظمة الصهيونية ، ويمكننا في هذا الاطار أن نفهم هجرة الاسرائيليين بأعداد كبيرة بل هائلة بالنسبة لعدد السكان ، الى الولايات المتحدة . □

دور الأصوات الموجهة إلى الجنين في تقرير مدى لزوم العملية القيصرية

● توصل فريقان مستقلان من الباحثين الفرنسيين أحدهما برئاسة البرفسور كلود سورو ، والآخر برئاسة البروفسور جيل كريبان إلى نتائج مثيرة لتبين حالة الجنين في المرحلة الأخيرة التي تسبق ولادته ، أي من الأسبوع السابع والثلاثين إلى الأسبوع الحادي والأربعين ، وذلك عبر استقصاء رد فعل الجنين على الأصوات . وقد تبين أن الجنين صحيح البنية يتفاعل مع الأصوات الخارجية عندما تنطلق من مصدر قريب من بطن الأم . وإذا لم يتفاعل فإن ذلك يؤلف مؤشرا إلى وجوب توليده بعملية قيصرية .

هذا ويتجلى رد فعل الجنين على الأصوات الخارجية بتعديل سريع وقصير الأمد على نبضات قلبه . وقد يرافق ذلك حركة من الجنين في بطن الحامل . وقد ذكرت الباحثة السيدة ماري كلير موزنيل أن الأبحاث تستهدف تعيين ما يسمعه الجنين بالضبط ، وتعيين السن التي يبدأ فيها بسماع الأصوات الخارجية . ولمعرفة ما إذا كانت ذاكرته تستوعب بعض الأصوات الخاصة وتختزنها . وما إذا كان الضجيج يزعجه ويؤلف إرهاقا له . ومن أجل ذلك يستخدم الباحثون مكبرا للأصوات يضعونه على بطن الحامل . وعبر هذا المكبر يوجهون نغما أو ضجيجا لمدة خمس ثوان فقط . وأثناء ذلك تقوم آلة حس خاصة بتسجيل ما يطرأ على نبض قلب الجنين من تعديلات .

مدن.. للرحيل

شعر : فاروق شوشة

مدن للرحيل ،
الطيورُ تغادرُ أعشاشها ،
والغيومُ التي تتجمعُ تعلنُ عن زمنٍ للعواصف ،

عن مدنٍ لاختلاط الفصول ،
أفتح نافذتي ، عبرَ النيل ، يباغتني وجهُ عدوي ،
يترصدني ويمدّ ذراعيه تطولاني حيثُ أكون ،
وحيث تغيبُ الشمس ،
مُحالٌ أن أتحول عن خنجره ،
وهو يغوص وئيدا فيّ ،
بعضي صار يناجزني ،
يتنكرُ لي ويُباعدني ،
وأنا المذبوح على الحدّين ،

أرد الطعنة . . كيف ؟
أصُوبُ ، حين أصوبُ ، للمجهول
وجهُ عدوي في نافذتي
في مرآتي ،
في داخل سمي وطعامي
يترصدني ،
لا أتساءل كيف انسل وخيم ثم أقام
لا أتساءل كيف تسور أفقي
أصبح كابوسي ،
قلقي ،
صحوي ، هربي حين أنام
وأنا المنتظر لحظة تنفيذ الإعدام
لو أملكُ أغلقُ نافذتي في وجه الخوف
لو أملك صوتي : أصرخ في البرية
ها ، تقترب الساعة

حين يجف العمر ،
وحين يشيخ النهر ،
وحين يطول القهر ،
وحين . . .
ولكنني ، خلفَ كلّ الدروب ، ولا من سبيلْ
مُدن للرحيل .
والذي قد تناثر عبر الرياح
وطنٌ مُستباح !

* * *

مدنٌ للرحيل
المدافن شاخصةٌ ،
والغبار الذي قد تكاثف موتٌ ،
والذي قد تكشف فوتٌ ،
وهذي العمائر تزحف في كل صوب ،
تباغتنا مشرعات الأسنة ،
غائصة في قرار الحلوق .
والذي نبتني ،
مدنٌ للبكاء .

وأقبية للعواء .
وفي باطنِ الأرض زلزلةٌ ،
تنشق عنها الوجوهُ ،
وترتجُّ منها القلوبُ ،
ولكننا لا نفيق
مدنٌ في انتظار الرحيل .
والمشانقُ تمنعنا أن نجاوز حدَّ البكاء
وحدَّ العزاء
وأن نتصاعد في درجاتِ العويل
نستأذن حتى في الأحزان
ونفرق من غضب السجان ،
فنعلن أن المضيق اتساعٌ
وأن القفارَ جنانٌ
وأن الزمانَ زمانٌ . .
وأن الهسيسَ الجبانَ . . . صهيل . . !

* * *

مدنٌ لاختبار النوايا
ومهما تصورت أنك جاوزتهم ،
ونجوتَ بجلدك ،
أنك مؤتمنٌ وسميع مُطيع
فهم مُوقفوك
فهم سائلوك :
ومن أنت ؟
ماذا تكون ؟
وما تبتغي ؟

* * *

من أنا . . ؟
من أكون . . ؟
وما أبتغي . . ؟
آه للوهم ،
كان يُزَين لي أنني قد عبرتُ الحدودَ
وحلّقت فوقَ الحواجز ،
شارفتُ كلَّ التخوم ،
وأظللتُ مثلَ انعقادِ السَّماءِ
على وطن منْ نُجوم
وأن الأثير الذي كان يوماً بضاعتنا
لم يضع في السَّديم
ولكنه واقف ، كالردى شاخصٌ ، في عُتُو دميم
يُباغتني بالسؤال العقيم :
ومن أنت ؟ ما تبتغي ؟
عدوٌ هناك تسللَ فيَّ
وآخر عندي عدوٌ مقيم
وبين عدوَّين :
ماذا أكون ؟
وما أبتغي ؟
وطنٌ واحدٌ لا يباعُ
وعمرٌ جميلٌ قديم !

* * *

مدنٌ للرحيل
مدن للبكاءِ الطويل
مدنٌ لاختلاط الفصول
فمَن يُمسك الأرضَ ،
من يستميتُ على حدِّ خارطةٍ في الحدودِ
وخارطةٍ في الدماءِ ،
ليُعلنها وطناً لا يضيعُ
ولا يتراجع ،
لا يتقلّص يوماً فيوما ،
وشبراً فشبْرا
وتطفو بقاياهُ فوق الدموع
فمن يُمسكُ الأرضَ ؟
من يتجاسرُ أن يزرع القدمين
ويثبت للمدِّ
يُقْسِمُ :
هذي نهاية موتي
وهذي بداية صوتي
وهذا طريقي الى المستحيل !

فكرة انعقاد مؤتمر يبحث قضايا العالم الاسلامي ، والنهوض بواقعه الى آفاق أفضل وأرحب مرت بمراحل ، وتطورت من تصور يشغل بال المفكر عبدالرحمن الكواكبي الى لقاءات حية .

بدأت بمؤتمرات تحضرها ، وفود ، وتطورت الى لقاءات يؤمها القادة ، صناع القرار .

مؤتمرات القمة الإسلامية

بين الفكرة والتحقيق

بقلم : الدكتور احسان صدقي العمد

ترتبط فكرة المؤتمرات الاسلامية في جوهرها بمبادىء الاسلام ، وروحه ، وتعاليمه المفصلة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، فقد دعت الآيات والأحاديث الى التماسك ، والترابط ، والتعاون بين جميع المسلمين ، ومن الآيات الكريمة في هذا المعنى قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » (١٠/ الحجرات) ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » (١٠٣/ آل عمران) ، « وان هذه أمتكم أمة واحدة » (٥٢/ المؤمنون) ، « وتعاونوا على البر والتقوى » (٢/ المائدة)

وهناك أحاديث شريفة كثيرة في هذا الصدد من بينها : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، كونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى . (مختصر صحيح مسلم/ ١٧٧٣ - ١٧٧٥) .

وموسم الحج مؤتمر اسلامي سنوي كريم ، يهدف الى صلاح المسلمين في الدنيا والآخرة ، فما أحرى أن يتجه اليه كل عام رجال العلم والاجتهاد ، والراي والحزم والسياسة ، ليتدارسوا حاضر المسلمين ومستقبلهم ويعملوا على النهوض باخوتهم في الاسلام ، ويؤمنوا ديارهم التي يتهددها المعتدون .

أهداف الفكرة

كان من الطبيعي أن يشتد شعور المسلمين بهذه المبادىء ، والدعوة لها في الأوقات التي يتعرض لها العالم الاسلامي لأخطار خارجية ، كما حدث ابان الغزو الصليبي والمغولي للديار الاسلامية ، فقد نادى

نورالدين محمود بمثل هذه الفكرة في المشرق الاسلامي ، وذهب خليفته صلاح الدين الأيوبي الى أبعد من ذلك عندما حاول جمع كلمة المسلمين في المشرق مع كلمة المسلمين في المغرب ، للوقوف في وجه المد الاستعماري الصليبي الاوروبي ، الا أن محاولته الرائدة لم يقدر لها النجاح ، كما صدرت دعوات مماثلة عن مسلمي الأندلس للتوحيد ، والوقوف في وجه القوى الاسبانية البرتغالية ، مما دفع العثمانيين الى التصدي لذلك الخطر الداهم ، والحيلولة دون امتداده الى المغرب الاسلامي .

حتى اذا تكالبت القوى الاستعمارية في القرن التاسع عشر على بلاد المسلمين من جديد ، تعالت الدعوات الى التضامن الاسلامي لوقف زحف الخطر الجديد الذي تمثل باحتلال أجزاء من العالم الاسلامي في المغرب والمشرق ، وطالبت هذه الدعوات بادخال اصلاحات جذرية في المجتمعات الاسلامية على أساس من العلم والتقنية والتقدم حتى تتوفر لها القوة التي تحافظ عليها ، وتعيد أمجادها الغابرة .

الجامعة الاسلامية :

وقد عرفت هذه الدعوة آنذاك بالجامعة الاسلامية ، وكان جمال الدين الأفغاني من أبرز مفكريها ، والداعين الى توحيد كلمة المسلمين وصفوفهم في كل مكان ، كما دعا الدولة العثمانية الى اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية وحيدة لجميع رعاياها ، حتى تجمع شعوبها الاسلامية رابطتان ، هما رابطة العقيدة ، ورابطة اللغة والثقافة ، وطالب بتحويل تلك الدولة الى دولة اتحادية لامركزية ـ اذا جاز التعبير ـ لايمانه أن ذلك يؤدي الى قوة العالم الاسلامي وتماسكه .

وقد أيد هذه الفكرة وعمل لها عدد آخر من المفكرين ، وزعماء الاصلاح في بلاد الشام ، ومصر ، وأقطار المغرب العربي ، أمثال محمد عبده ، ومصطفى كامل ، وعبد العزيز الثعالبي ، وعبدالرحمن الكواكبي ، وعبدالله السهروردي ، وغيرهم . وما زالت دعوة تبني المسلمين جميعا لغة الوحي والقرآن أمنية تراود كل عربي ومسلم مخلص ، حتى يتأصل توحيد الشعوب الاسلامية وتقاربها .

دعوات للفكرة

لكن أول دعوة صريحة لعقد مؤتمر اسلامي كبير يشترك فيه ممثلون عن جميع الدول والشعوب الاسلامية ، جاءت على يد عبدالرحمن الكواكبي ، عام ١٨٩٨ ، أي قبيل نهاية القرن الماضي ، فقد وضع فى تلك السنة مشروعا متكاملا لمؤتمر اسلامي عالمي يعقد في مكة المكرمة ، ويحضره نخبة من رجال الفكر في جميع أقطار العالم الاسلامي ، وذلك لاستعراض أوضاع الشعوب الاسلامية ، ومعالجة أسباب تأخرها ، مع التأكيد على أن الجهل هو مصدر الخلل الذي نزل بهم ، والتحذير من سوء العاقبة اذا ترك المسلمون أمورهم تجري على ما كانت عليه .

وبالفعل فقد تخيل الكواكبي عقد المؤتمر الاسلامي المقترح ، وأدار بين وفوده حوارا يوضح الأفكار الاصلاحية التي دعا اليها هذا المفكر ، وقد طبع المشروع فيما بعد في كتاب « أم القرى » ، فكان هذا الكتاب أول مؤلف سياسي لمفكر عربي من المشرق الاسلامي في العصر الحديث ، يدعو الى مؤتمر اسلامي للنهوض بالشعوب الاسلامية ، على قواعد وافكار اسلامية ، واخرى غربية حديثة .

ولم تمض بضع سنوات على صدور مشروع الكواكبي عن المؤتمر الاسلامي ، حتى أسس عبدالله السهروردي في عام ١٩٠٣ « جمعية الجامعة الاسلامية » في لندن التي أصدرت مجلة تحمل أفكارها ودعوتها باسم (مجلة الجامعة الاسلامية) . وفي عام ١٩٠٧ دعا الكاتب والمفكر الاسلامي اسماعيل جاسبرالي الذي ترجع أصوله الى شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود ، دعا هذا المفكر الى انعقاد مؤتمر اسلامي عالمي حقيقي ، وقام من أجل ذلك برحلة الى مصر والهند للدعوة الى فكرته ، كما أصدر في القاهرة صحيفة « النهضة » لهذا الغرض ، الا أن دعوته لم يقدر لها أن تخرج الى حيز التنفيذ .

مراحل التنفيذ ودواعيه

وكان العاهل السعودي الأسبق الملك عبدالعزيز آل سعود ، أول من دعا الى عقد مؤتمر اسلامي

تحضره وفود عن الحكومات والدول الاسلامية ، وقد عقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة في عام ١٩٢٥ ، بحضور وفود تمثل مصر ، وتركيا ، وجمعية الخلافة الاسلامية في الهند ، وعدد كبير من علماء المسلمين ، كما عقد المؤتمر دورة ثانية له في العام التالي .

لكن ازدياد الخطر الصهيوني على فلسطين بعد صدور وعد بلفور ، وبدء الحركة الصهيونية في اتخاذ خطوات عملية لتهويد القدس ، والأماكن الاسلامية فيها ، جعل قادة الحركة الوطنية في فلسطين يبادرون الى الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي في مدينة القدس ، للبحث في درء هذا الخطر . وبالفعل فقد عقد أول مؤتمر اسلامي في القدس عام ١٩٢٨ ، حضرته وفود من فلسطين وسوريا ولبنان ، والأردن .

فلسطين محور المؤتمرات :

وازاء استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين وتفاقم الأطماع الصهيونية فيها ، تنادى المسلمون الى عقد مؤتمر اسلامي كبير في مدينة القدس في عام ١٩٣١ ، شاركت فيه وفود من فلسطين والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، ومصر ، والسعودية ، واليمن ، وتونس ، وليبيا ، والجزائر ، والمغرب ، والهند ، والقفقاس ، والتركستان الصينية ، ويوغسلافيا ، ونيجيريا ، واندونيسيا ، وسريلانكا .

وقرر المؤتمر ايجاد كتلة عربية اسلامية تقف في وجه مطامع اليهود في فلسطين وأماكنها المقدسة ، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية من قبل جميع الأقطار الاسلامية ، وتنبيه العالم الاسلامي الى خطورة الهجرة اليهودية ، ومؤامرات الصهيونية والاستعمار على فلسطين ، باعتبارها - أي فلسطين - جزءا لايتجزأ من عالم الاسلام .

وبعد اغتصاب فلسطين في عام ١٩٤٨ بضع سنوات ، عقد مؤتمران اسلاميان ، أحدهما في كراتشي في عام ١٩٥٢ ، والآخر في مكة المكرمة عام ١٩٥٤ ، كما أنشئت في ذلك العام أي عام ١٩٥٤ هيئة في القاهرة أطلق عليها اسم « المؤتمر الاسلامي » ، بهدف تكوين وعي اسلامي مشترك بين شعوب العالم الاسلامي ودوله ، والتعريف برسالة الاسلام في العالم المعاصر .

وشهدت الخمسينيات والستينيات تصعيدا في سياسة اسرائيل العدوانية في المنطقة ، حيث شنت على الدول العربية المجاورة سلسلة من الحروب ، استكملت خلالها احتلال باقي فلسطين ، وبعض الأراضي العربية المجاورة . وبدأت اسرائيل تنفذ سياستها في تهويد باقي فلسطين ، وطمس معالم المقدسات الاسلامية فيها ، وتمثلت أولى الخطوات في الاقدام على حرق المسجد الأقصى في الحادي والعشرين من اغسطس عام ١٩٦٩ .

مؤتمر القمة الاسلامي الأول :

وعلى اثر ذلك عقد أول مؤتمر اسلامي على مستوى القمة في الرباط في رجب عام ١٣٨٩هـ/ سبتمبر عام ١٩٦٩ ، بحضور رؤساء وممثلين عن ست وعشرين دولة اسلامية . وفي محرم ١٣٩٢ هـ/ مارس ١٩٧٢ أعلن ميثاق المؤتمر الاسلامي ، وقيام منظمة المؤتمر الاسلامي ، وقد حدد الميثاق أهداف المؤتمر الاسلامي من حيث تعزيز التضامن بين الدول الأعضاء ، ودعم التعاون الاقتصادي ، والاجتماعي والثقافي ، والعلمي بينها ، وتنسيق العمل للحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة ، وتحريرها ، ومساندة كفاح الشعوب الاسلامية ، ودعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل .

مؤتمر القمة الثاني :

واستضافت جمهورية باكستان الاسلامية بعد ذلك مؤتمر القمة الاسلامي الثاني في لاهور في فبراير عام ١٩٧٤ ، واشتركت في هذا المؤتمر سبع وثلاثون دولة اسلامية ، وساهمت الكويت في هذا المؤتمر بدور كبير خصوصا في التقريب والتوفيق بين باكستان وبنغلاديش ، كما قرر مؤتمر لاهور - بين أمور أخرى - انشاء صندوق للتضامن الاسلامي .

المؤتمر الثالث :

وتفاقمت المشاكل التي يواجهها العالم الاسلامي بعد ذلك اثر اندلاع الحرب الأهلية في لبنان ، ونشوب الحرب العراقية الايرانية ، وتدخل القوات السوفيتية في أفغانستان ، وغير ذلك من القضايا التي كانت موضع بحث في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في مكة والطائف في ربيع الأول عام ١٤٠١هـ/ يناير عام ١٩٨١ ، وقد وافق هذا المؤتمر - بين موضوعات أخرى - على مشروع حيوي تقدمت به الكويت لانشاء محكمة عدل اسلامية ، كما اعتمد انشاء مجمع الفقه الاسلامي .

المؤتمر الرابع :

وبعد ذلك بثلاث سنوات ، أي في يناير ١٩٨٤ ، التأمت في المغرب القمة الاسلامية الرابعة التي انعقدت في الدار البيضاء ، في وقت كان العالم الاسلامي يواجه فيه مشاكل وتحديات عديدة في مختلف أقطاره ، وقد تم في هذا المؤتمر الذي شاركت فيه اثنتان وأربعون دولة اسلامية ، بحث القضايا السياسية التي مازال العالم الاسلامي يواجهها ، كما وافق على توجيه دعوة الى جمهورية مصر العربية للعودة الى شغل مقعدها في منظمة المؤتمر الاسلامي ، اضافة الى بحث موضوعات حيوية أخرى تهدف الى النهوض بالعالم الاسلامي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعلميا .

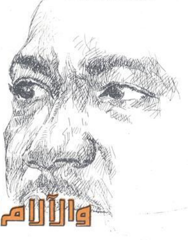
وقد أعرب سمو الشيخ جابر الأحمد أمير دولة الكويت في مؤتمر القمة الاسلامي الرابع عن أمله في أن يكون لمثل هذا المؤتمر تأثيره الكبير في المحافل الدولية على الأخص اذا ماتوحدت صفوف المسلمين ، واجتمعت كلمتهم ، فمنظمة المؤتمر الاسلامي تضم اليوم خمسا وأربعين دولة ، تمثل أكثر من ألف مليون نسمة ، مما يجعل لهذه المنظمة الأهمية والتأثير في الكيان الدولي .

وايمانا من الكويت بواجبها تجاه أشقائها في الدين ، وهو ما حرصت على التمسك به ، والعمل من أجله خلال سنوات طويلة ، فقد دعت الى انعقاد الدورة الخامسة لمؤتمر القمة الاسلامي عام ١٩٨٧ على أراضيها ، مستلهمة بذلك رغبات شعبها لتوحيد كلمة الاسلام ، وتقوية الروابط بين شعوب الأمة الاسلامية ، والأمل كبير في أن تحقق القمة الاسلامية الخامسة في الكويت كل الآمال والأماني المعقودة عليها لخير العالم الاسلامي بدوله وشعوبه . □

أبوة الرسول

● كان النبي صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال في حبه لأولاده وأحفاده ، فيروى أن الأقرع بن حابس زار النبي صلى الله عليه وسلم يوما ، فلما أخذ مجلسه واستقر به المقام ، أقبل الحسن بن عليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به النبي وضمه إلى صدره ، وقبله بين عينيه ، فتعجب الأقرع من فعل الرسول وعطفه الغامر وحنانه الدافق ، ولم يقدر أن يستر دهشته ، فقال للنبي متعجبا : أتقبِّل الأطفال ؟ فقال له النبي : نعم وأية غرابة في هذا ؟ فقال الأقرع : والله إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحدا منهم قط .

وعندئذ قال رسول الله : وما أفعل لك إذا كان الله تعالى قد نزع الرحمة من قلبك ؟ إن الله رحيم يحب الرحماء ، ومن لا يرحم لا يُرحم .



مارتن لوثر كنج.. والآلام المضيئة

بقلم : د . أحمد الأمين البشير

بعد خمسة عشر عاما على اغتياله ، قرر الكونجرس الأمريكي اعتبار يوم مولده عيدا وطنيا ، تعطل فيه كل المصالح في جميع أنحاء البلاد . واحتفال يناير المقبل هو ثاني احتفال بهذه المناسبه التي تساوت مع كل المناسبات القومية والوطنية في أمريكا احتفالا بعظمائها .

يزخر التاريخ الانساني بشخصيات وأبطال تجاوزوا حدود وطنهم ، وتاريخ بلادهم ، وتعدّوا نطاق الانتماء الضيق لبني جنسهم وشعوبهم ، وصاروا ملكا للتاريخ الانساني كله ، ومنتمين للانسانية جمعاء ، وبني البشر كلهم .

ومهما كانت عذابات هؤلاء البشر وآلامهم واضطهادهم ، وقسوة المعاناة التي يتعرضون لها . . الا ان آلامهم تصبح كالنور أو النار تمنح للانسان ضوءا . . وتهديه طريقا ، وتنقل المجتمع الانساني من حالة الى حالة . . ويحدد بهم التاريخ الانساني مراحله - فيقول ما قبل ، وما بعد !

و د . مارتن لوثر كنج واحد من هؤلاء ، كان يؤمن ايمانا عميقا لا يتطرق اليه شك أن قوة الحق هي الطريق الوحيد المؤدي الى الحرية ، وتجاوز في نضاله المستميت الدفاع عن عنصرية اللون . . فانطلق في حركة شاملة هزت المجتمع الانساني كله دفاعا عن عنصرية اللون وعن الفقراء والحرية ، والمستضعفين في العالم مبشرا بعالم يسوده الحب والسلام والعدل .

ولد د . مارتن لوثر كنج في ١٥ يناير عام ١٩٢٩ في مدينة اتلانتا عاصمة ولاية جورجيا ، والتحق بجامعة مورهاوس وعمره لم يتجاوز الخمسة عشر عاما ، بسبب تفوقه واختزاله للصفين التاسع والثاني عشر من المدرسة الثانوية ، وأكمل الجامعة وهو دون العشرين ، بعد تخصصه في علم الاجتماع ، التحق بعد ذلك بكلية كروزر للدراسات اللاهوتية العليا عام ١٩٥١ ، وأصبح قسيسا في مدينة اتلانتا ، وفي عام ١٩٥٥ حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت (P H D) من جامعة بوسطن ، وكان قد تزوج قبل ذلك بعامين من كورتا اسكوت زميلته بالجامعة .

ولقد تضافرت عوامل شخصية واجتماعية وسياسية عديدة لتجعل من د . مارتن لوثر كنج ، جونير القائد المناسب في اللحظة المناسبة للأقلية السوداء في الولايات المتحدة (حوالى ١٢٪) من السكان .

شب د . كنج في بيت والده القسيس، في الوقت الذي كان يلعب فيه رجل الدين الأسود دورا قياديا مهماً في حياة المجتمع الأسود ، مما أعطاه منذ طفولته حساسية خاصة تجاه مشاكل أبناء جلدته ، وتفهما وتعاطفا معهم من منطلق ديني ، يقوم على ثوابت أهمها التسامح والالتزام بمبادىء العدالة ، والايمان العميق الراسخ بالمساواة بين البشر ، بغض النظر عن اللون أو الدين أو القومية .

وكانت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وبداية الحرب الكورية في مطلع الخمسينيات ، قد شهدت اشتراك الرجل الأسود على قدم المساواة في الواجبات الوطنية ، كالتجنيد في الجيش ، مما عمق من وعيه الوطني ، واصراره على الحصول على حقوق المواطنة كاملة ، في عهد بدأت فيه الحركات القومية في دول العالم الثالث ، وبخاصة أفريقيا ، تطالب بالحكم الذاتي والاستقلال .

وقد واكب هذا الوعي من جانب الأقلية السوداء وعي متزايد من جانب صفوات مهمة في الأغلبية البيضاء ، بأن ثمة تغييرات جوهرية في القيم والبنيات الأساسية للمجتمع قد بدأت تتكون ، مما زاد من جرأة وتطرف العناصر المؤمنة بالتغيير ، وتلك التي ترفضه على السواء ، وكان نتيجة ذلك قيام تحالف مع العناصر الليبرالية التي تؤمن بالتغيير ، وبين زعماء الأقلية السوداء ، مما خلق هامشا عريضا يموج بالحيوية والأمل ، والتطلع الى قيام مجتمع جديد تسوده العدالة والمساواة للجميع ، في هذه البيئة وجد د . مارتن مجالا للازدهار ، وتفجرت « كارزميته » وتوهجت ، وبدأت شخصيته تنمو وتنضج مع دوره المتزايد الفريد ، لأنه يؤمن بأن الحق الى جانبه ، وان رسالته لا تناقض مبادىء الدين المسيحي ، فقد نبذ العنف كسلاح للنضال ، واستعاض عنه بالصلابة والاصرار على المضى في طريق الكفاح ، مهما لاقى من المصاعب والأهوال ، وهكذا أصبح اللاعنف هو الوسيلة والغاية في الوقت نفسه ، ويمكن تقسيم نضال د . كنج الى قسمين غير متساويين ، الأول والأهم يختص بتوفير الحقوق المدنية للسود من خلال تطبيق القانون ، ويمتد من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ ، والثاني يبدأ من أوائل عام ١٩٦٦ وحتى اغتياله ، وفيه يتسع نطاق نضاله ليشمل الفقراء من بيض وسود ومعارضة الحرب الفيتنامية .

لن أبدل مقعدي

ويبدأ نضال د . كنج ضد التفرقة العنصرية بحادثة صغيرة ، رفضت السيدة السوداء روزا باركر التنازل عن مقعدها لرجل أبيض ، والعودة الى مؤخرة الحافلة ، حيث الجزء المخصص للسود ، واعتقلت السيدة يوم ١ ديسمبر ١٩٥٥ ، ووجد د . كنج في ذلك الفرصة المواتية للهجوم على قوانين العنصرية في مدينة مونتوقومرى عاصمة ولاية الباما .

ابتدأ مارتن لوثر أولا بتنظيم مقاطعة السود للحافلات العامة في تلك المدينة ، مما أدى الى اعتقاله في أول فبراير ١٩٥٦ ، وهكذا انتقل الصراع الى ساحة المحاكم التي لم تجد مفرا ، في يوم ٤ يونيو ١٩٥٦ ، من اعلان قوانين التفرقة العنصرية في مدينة مونتوقومرى ، غير دستورية ، مما يعنى بطلانها في الحال ، فالدستور هو الأساس .

وما كان لقاضى المحكمة الأبيض أن يأخذ ذلك الموقف ، لولا توفر الجو المناسب ، كذلك وجد د . كنج وأنصاره من الأقلية السوداء وحلفائهم من البيض الليبراليين في ذلك حافزا لهم لمواصلة الضغط على النظام القائم على مستوى المحاكم المحلية

والفدرالية ، وعلى مستوى وسائل الاعلام مع تنظيم المواكب والاضرابات ، ولكنهم تعرض د . كنج وأنصاره للاهانات والضرب والسجن ولكنهم تحملوا ذلك في صبر وشموخ واصرار ، من غير أن يلجأوا للمقاومة أو العنف ، مما أكسبهم احترام ومساندة قطاعات متزايدة من الرأى العام الأمريكي والعالمي ، في وقت بدأت فيه المستعمرات ، وبخاصة الأفريقية ، تزيد من ضغوطها للحصول على الاستقلال .

وفي فبراير ١٩٥٩ زار د . كنج الهند بدعوة من رئيس وزرائها جواهر لال نهرو ، حيث أمضى شهرا كاملا يتعمق في دراسة فلسفة ومنهج نضال المهاتما غاندي في اللاعنف ، وفي اكتوبر ١٩٦٢ التقى مارتن لوثر بالرئيس كيندي في البيت الأبيض للتكريم والتفاوض ، فلم يعد من الممكن تجاهله ، واحياء السود في المدن الشمالية ومناطق تكدسهم في الولايات الجنوبية قد بدأت تموج بالحركة والحماس ، وقد نفد صبر ساكنيها ، مما بدأ يهدد بانفجار وشيك ، وكانت منظمة المسلمين السود بقيادة اليجا محمد قد بدأت تستقطب اليها العناصر الشابة ، وتنظمهم في ميليشيات ، وتلقنهم رفض الحضارة الغربية جملة وتفصيلا .

خوفا من الحرب

لم تكن الحكومة الأمريكية ترغب في انفجار حرب أهلية داخلية ، وحرب فيتنام تزداد أوارا وتعقيدا مع اتساع المعارضة لها .

لذلك استجاب الرئيس لندون جونسون لمطالب حركة الحقوق المدنية ، بقيادة د . كنج ، وفي عام ١٩٦٤ أجيز قانون الحقوق المدنية ، وبعد ذلك بعام أجيز قانون حقوق الانتخاب ، الذي جعلها حقوقا عامة لكل المواطنين ، ويعتبر هذا القانون أهم قوانين الحقوق المدنية على الاطلاق ، ولقد دعي د . كنج الى البيت الأبيض لحضور الاحتفال بتوقيع الرئيس جونسون للقانونين ، وكان ذلك بمثابة اعتراف رسمي به زعيماً أوحداً للسود في أمريكا .

وفي سبتمبر ١٩٦٤ قابل مارتن لوثر البابا بول السادس في الفاتيكان ، وحصل بعد ذلك بشهر على جائزة نوبل للسلام ، وكان أول رجل أسود من أصل أفريقي يحصل على تلك الجائزة الرفيعة ، مما يعتبر اعترافا عالميا بدوره وانجازاته في مجال تكريس القانون القائم الى أقصى حد ممكن ، وهكذا انتهت المرحلة الأولى من نضال د . كنج ، وبدأت المرحلة الثانية .

وكان مطلع الستينيات قد شهد نمواً وازدهاراً لمراكز التطرف في اليمين واليسار ، بين البيض والسود على السواء ، نتيجة نجاح حركة اللاعنف ضد التفرقة العنصرية ، في مجال تغيير القوانين ، وتمهيد الطريق للتغيير السلمي المتدرج داخل المؤسسات ، كان اليمين الأبيض غير سعيد بالتغيير بأي شكل ، وكان اليسار الأسود غير مقتنع بالتدرج البطيء ، ولذلك لجأ الطرفان الى استعمال العنف والمواجهة ، واللجوء الى سلاح الاغتيال السياسي ، وكانت الضحية الأولى الرئيس جون كيندي ، اغتيل يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ ، ولم يكن من أنصار الحقوق المدنية ، وكان الضحية الثانية الزعيم الأسود للمسلمين المستر مالكولم اكس الذي اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥ .

وبقي د . مارتن لوثر كنج يعيش في خطر داهم ، ويواصل كفاحه السلمي ، بعد أن برزت الى الساحة مجموعات سوداء متطرفة ، مثل أنصار مجموعة القوة السوداء التي رفضت كل ما هو أبيض ، وحزب الفهود « السود » الذي كان ينادي بالثورة المسلحة لانهاء كل المظاهر العنصرية ، ووجدت المجموعتان ضالتهما في نظرية العنف التي كان ينادي بها طبيب علم النفس المارتنيكي فرانتز فانون ، الذي كان يناضل ويمارس الطب في صفوف الثورة الجزائرية ، وتقول تلك الفلسفة بأن العنف النضالي ما هو الا عملية تطهير للمناضلين ، اذ أنها تخلصهم بشكل نهائي من الاستكانة والانكسار ، وتحيلهم الى رجال أسوياء ، بمعنى أن المناضل عندما يحمل السلاح ويقتل ظالمه المستبد فهو يقتل في الوقت ذاته المقهور المستكين في أعماقه ، واعتبرت هاتان المجموعتان رجل البوليس خنزيرا ، يمثل النظام العنصري الرأسمالي ، وقامت حرب غير معلنة بين الفريقين ، واجتاح الرعب المجتمع الأمريكي ، وضعف نفوذ حركة الحقوق المدنية من خلال اللاعنف . وكان د . كنج قد بدأ يوجه طاقاته الضخمة الى مجالين مهمين أولهما : تنظيم الفقراء من بيض وسود للضغط على النظام القائم ، لتحقيق الحد الأدنى من الحياة الكريمة

للمواطن الأمريكي ، وثانيهما التأثير على سياسة أمريكا الخارجية ، بهدف تنقيتها من الارهاب والعنف ، وكان طبيعيا أن يبدأ بالحرب الضروس الدائرة في فيتنام التي بدأ يفضح عنفها ولا أخلاقيتها وآثارها المدمرة على المجتمع الأمريكي .

وكان عدد الجنود الأمريكيين في فيتنام قد جاوز نصف المليون ، بينما تجاوز عدد القتلى من الجنود الأمريكيين الخمسين ألفا ، والجرحى مئات الآلاف .

يساورني حلم

وفي ٣ ابريل ١٩٦٨ ألقى د . مارتن لوثر كنج خطبته المشهورة ، وهي خطبة ترتفع الى مصاف النبوّة من ناحية المحتوى ، والى مصاف الشعر البليغ من ناحية الشكل ، وفيها ينعى د . كنج نفسه في تحد وشموخ ، ويوصى المجتمع الأمريكي ككل بمواصلة الكفاح ، وفي اليوم التالي اغتيل د . مارتن لوثر كنج ، ولم يكن قد بلغ الأربعين من عمره بعد . .

ويربط أغلب المعلقين والدارسين بين اغتياله وحملته لتنظيم الفقراء من السود والبيض ، لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وهجومه على حرب فيتنام التي كان يدفع الأمريكيون العاديون ثمنها من النفس والنفيس ، بينما يزداد الأثرياء ثراء وقوة ونفوذا ، وهكذا أصبح نضال د . كنج يتناقض تناقضا كاملا مع المبادىء الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الرأسمالي ، وبدأت وكالة الاستخبارات الأمريكية (F B I) تحت قيادة جي . ادجار هوفر تلاحقه وتسرب الى الصحف ما أسمته « خيانته لزوجته » ، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعته مع الرئيس كيندي .

وتعتبر خطبة د . مارتن لوثر كنج التي ألقاها في يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٣ على أكثر من ربع مليون متظاهر من السود والبيض الذين تقاطروا على العاصمة واشنطن أهم خطبة على الاطلاق لاحتوائها على خلاصة وافية وجيزة لفلسفته وهي في عنفوان وقمة فعاليتها . قال مارتن لوثر : -

كم أنا سعيد بمشاركتكم اليوم ، فيما سيعرف على مدى الأيام بأعظم تظاهرة من أجل الحرية في تاريخ شعبنا .



قبل مائة عام وقع أحد عظماء شعبنا (ابراهام لنكولن الرئيس الأمريكي ١٨٠٩ - ١٨٦٥) الذي نقف تحت ظل تمثاله ، اعلان تحرير الرقيق (١٩٦٣) ، لقد صار ذلك المرسوم الخطير منارة عظمى من الأمل للملايين من الرقيق الزنوج * الذين ظلوا يتضورون في نيران الظلم المشتعلة ، لقد انبثق ذلك المرسوم مثل فلق الصبح لينهي ليل عبوديتهم الطويل .

ولكن بعد كل هذه السنين مازال الزنجي غير طليق ، بعد مائة عام مازالت حياة الزنجي ترسف في أغلال التفرقة والتمييز العنصري ، بعد مائة عام مازال الزنجي حبيس جزيرة الفقر ، في محيط واسع من الرخاء المادى ، بعد مائة عام مازال الزنجي يعانى في زاويا المجتمع الأمريكي ، ويجد نفسه في المنفى رغم أنه في أرضه .

لذلك فقد جئنا اليوم هنا لنضع في قالب درامي هذه الحالة المخزية ، بمعنى آخر لقد جئنا الى عاصمة بلدنا لنصرف شيكا ، فعندما خط مهندسو جمهوريتنا الكلمات الرائعة في الدستور ، وفي اعلان الاستقلال كانوا يوقعون على كمبيالة ، أصبح كل أمريكي وريثا لها ، كمبيالة تقول ان كل المواطنين ، السود كما البيض ، سيكون من حقوقهم الثابتة حق الحياة ،

* استعملنا كلمة زنوج لترجمة كلمة **NEGROES** هنا رغم اختلاف الأصلين ، كلمة **NEGRO** لم تعد مقبولة والبديل عنها كلمة أسود أو أفريقي - أمريكي .

وحق الحرية ، وحق السعي لتحقيق السعادة .

انه لمن الواضح اليوم أن أمريكا قد فشلت في الوفاء لمواطنيها السود بحقوقهم المنصوص عليها في تلك الكمبيالة ، وبدلا من أن توفى بالتزامها المقدس ذاك ، أصدرت أمريكا شيكا بلا رصيد ، اننا نرفض أن نصدق أنه لا يوجد رصيد كاف في خزائن الفرص لهذا الشعب ، لذلك فقد جئنا لصرف الشيك الذي سيعطينا عند الطلب ثروات الحرية والأمان والعدل .

وقت للحرية لا الرفاهية

لقد جئنا الى هذا الموقع المقدس ، لنذكّر أمريكا بالأهمية القصوى للحاضر ، ليس هذا وقت الانغماس في رفاهية التريث أو خدر التدرج .

لقد آن أوان تحقيق وعود الديمقراطية ، لقد آن أوان الخروج من ظلام ووحشة نفق التفرقة ، الى ضوء طريق العدالة لمختلف العناصر . لقد آن أوان الارتفاع بشعبنا من وعث الظلم العنصري الى هضبة الاخاء الصلبة ، لقد آن أوان أن نجعل العدالة حقيقة لكل أبناء البشر ، ان تجاهل أهمية هذه اللحظة سيكون خطأ فادحا مميتا ، ان هذا الصيف القائظ بسبب السخط المشروع للزنوج ، لن يمضي قبل أن يتمخض عن خريف منعش بالحرية والمساواة .

إن عام ١٩٦٣ ليس هو النهاية ، وانما هو البداية ، أما هؤلاء الذين يظنون أن كل ما يحتاج اليه الزنجي هو أن ينفس عن نفسه بالتخلص من بخار الغضب ، ليعود الى الاستكانة ... هؤلاء مخطئون ، وهم لا شك سيوقظون من غفوتهم الوقحة ، حينما يحاول هذا الشعب أن يعود لممارسة حياته كالعادة ، لن تكون هنالك راحة أو هدوء في أمريكا حتى يحصل الزنجي على حقوق المواطنة ، ان زوابع التمرد ستستمر في زلزلة أركان شعبنا ، حتى تشرق شمس العدالة .

ولتكن وسائلنا عادلة

لكن لا بد من أن أقول شيئا لأبناء جلدتي الذين يقفون على مشارف الطريق الذي سيقودهم الى قلعة العدالة ، لا بد أن نحرص ، ونحن بصدد استعادة مكانتنا المشروع ، على أن لا نأتي أعمالا غير مشروعة ، ويجب أن لا نسعى الى ري ظمئنا للحرية بالشرب من كأس المرارة والكراهية ، يجب أن نقود نضالنا من منطلق الكراهية والانضباط ، يجب أن لا نسمح لاحتجاجنا الخلاق أن يتحول الى عنف جسدي ، يجب علينا الفينة بعد الأخرى أن نرتفع الى الذروة ، بمقابلة العنف الجسدي بالقوة الروحية ، وأن لا نجعل روح النضال الرائعة التي تجتاح مجتمع الزنوج . تقودنا الى عدم الثقة في كل البيض ، فمن الواضح أن الكثير من اخواننا البيض ، كما يدل حضورهم اليوم هنا ، قد بدأوا يقتنعون أن أقدارهم مرتبطة بأقدارنا ، وأن حريتهم لا فكاك لها من حريتنا ، اننا لا نستطيع السير بمفردنا ، وعندما نمضي في سيرنا علينا أن نتذكر بأننا سنمضي قدما ، وان لا ننكص على أعقابنا .

هنالك من يسأل المخلصين في حقل الحقوق المدنية : « متى تبلغون مرحلة الرضا والقناعة ؟ » ونجيب إننا لن نبلغ تلك المرحلة طالما كان هنالك زنجي ضحية ذلك الرعب الفظيع ، الناجم عن وحشية وفظاظة رجل البوليس ، إننا لن نبلغ تلك المرحلة طالما أن أجسامنا المرهقة من السفر الطويل لا تتاح لها فرصة الاسترخاء في النزل المتناثرة في الطريق العام أو فنادق المدن ، اننا لن نقتنع أبدا طالما ظلت حركة الزنجي محصورة بين الغيتو الصغرى والغيتو الكبرى ، اننا لن نقتنع أبدا طالما انتزعت عن أطفالنا ذواتهم ، وسلبت عنهم كرامتهم بلافتات تقول « للبيض فقط * » إننا لن نقتنع أبدا طالما ظل الزنجي في ولاية مسيسبي لا يستطيع أن يمارس حقوقه الانتخابية ، وطالما ظل زنجي في نيويورك يعتقد بأنه ليس ثمة شيء يصوت من أجله . لا . لا ، اننا غير مقتنعين ، ولن نقتنع أبدا حتى تتدفق العدالة مثل الماء ، والفضيلة مثل سيل جارف .

أنا أعرف أن بعضكم قد جاء هنا من محن ورزايا شديدة ، وان بعضكم قد خرج لتوه من زنزانة ضيقة في السجن ، وأن بعضكم قد جاء من أماكن أصابكم فيها بلاء عظيم ، من عواصف العنف الجسدي

* لم تعد هذه اللافتات تعلق نتيجة لصدور قوانين الحقوق المدنية ونتيجة لنضال كنج ورفاقه ، وان كان ذلك لا يعني اختفاء العنصرية بأشكالها المختلفة غير المباشرة .

ووحشية رجال البوليس ، أنتم أيها المتمرسون في المعاناة الخلاقة ، واصلوا عملكم ، وتيقنوا بأن المعاناة دون ذنب ستؤدي الى الخلاص ، عودوا الى ولاية مسيسبي ، عودوا الى ولاية ألباما ، عودوا الى ولاية كارولينا الجنوبية ، عودوا الى ولاية جورجيا ، عودوا الى ولاية لويزيانا ، عودوا الى أحيائكم الفقيرة ، والغيتو في مدن الشمال ، وأنتم مقتنعون أن هذا الوضع بشكل أو بآخر ، من الممكن تغييره ، ولا بد من تغييره ، لذلك يتعين علينا أن لا نتردى في وهاد اليأس .

لقد خلق الله البشر متساوين

أقول لكم أيها الأصدقاء اليوم ، انه يراودني حلم رغم ما يلاقينا من صعاب ، وهو حلم يضرب بجدارة في الحلم الأمريكي ، وهذا الحلم مفاده أن هذا الشعب سينهض ذات يوم ويرتفع الى مستوى عقيدته القائلة « اننا نتمسك بأن هذه الحقائق واضحة لا تحتاج الى برهان : ان البشر قد خلقوا متساوين » لذلك يساورني حلم بأنه ذات يوم ، فوق تلال ولاية جورجيا القرمزية ، سيكون في مقدور أبناء الرقيق السابقين ، وأبناء سادة الرقيق السابقين ، الجلوس جنبا الى جنب حول مائدة الاخاء ، كما أنه يساورني حلم بأنه ذات يوم ، حتى ولاية مسيسبي ، تلك الولاية التي تتلظى بلهيب الظلم والاضطهاد ، ستتحول الى واحة للحرية والعدالة ، وأنا أحلم أن أطفالي الصغار الأربعة ، سوف يعيشون بين شعب لا يحكم عليهم بلون بشرتهم ، وانما بمحتوى شخصياتهم .

نعم يساوني حلم اليوم أنه هناك في ولاية الباما ـ حيث العنصريون الأشرار ، وحيث حاكمها صاحب الشفتين اللتين تقطران بكلمات المعارضة والازدراء لقوانين البلاد ـ سيأتي وقت يستطيع فيه الأولاد والبنات من السود أن يتصافحوا مع الأولاد والبنات من البيض ، كاخوان وأخوات .

يساورني حلم الليلة ، بأن كل واد سيرتفع ، وان كل تل وكل جبل سينخفض ، وان كل موقع ذي أطراف ناتئة سيصبح سهلا ، وان كل الأمكنة غير المستقيمة ستقوم ، وان بهاء الرب سيتجلى ، وأن الجسد سيشهد ذلك مجتمعا .

هذا هو أملنا ، هذا هو الايمان الذي سأعود الى الجنوب به ، بهذا الايمان سنستطيع أن ننحت في جبل اليأس صخرة من أمل ، بهذا الايمان سنجعل تلك الأصوات النشاز في شعبنا تنسجم في سيمفونية رائعة من الاخاء ، بهذا الأخاء سنستطيع أن نعمل معا ، وأن نصلي معا ، وان نناضل معا ، وان ندخل السجن معا ، وأن نتلاحم من أجل الحرية معا ، ونحن على يقين ، من أننا سنصبح أحرارا ذات يوم ، وسيكون ذلك هو اليوم الموعود ، سيكون ذلك هو اليوم الذي سيستطيع فيه كل أبناء البشر أن يغنوا بمعنى جديد « بلادي . . من أجلك . . يا أرض الحرية الحلوة . . من أجلك أغني يا أيتها الأرض التي من أجلها مات أبي . . يا أيتها الأرض التي هي مصدر كبرياء المهاجر . . لتدق أجراس الحرية من كل صوب ، لتدق أجراس الحرية من جانب كل الجبال الشاهقة في ولاية نيوهامشير ، لتدق أجراس الحرية من جبال ولاية نيويورك السامقة

ولتدق أجراس الحرية من قمم جبال ولاية كولارادو المكسوة بالجليد . . ولتدق أجراس الحرية من سهول ولاية كلفورنيا المتناسقة الممتلئة ، ليس ذلك فقط ، بل دع الأجراس تدق من جبل لوك أوت في ولاية تنسي . . . ومن كل تل وجبل في ولاية مسيسبي ، لتدق أجراس الحرية من كل جانب جبل ، عندما يحدث ذلك . . . عندما نسمح لأجراس الحرية أن تدق في كل قرية وكل دسكرة ، في كل ولاية ، وفي كل مدينة ، سنستطيع أن نسرع بخطا ذلك اليوم ، حيث يستطيع كل أبناء البشر من سود وبيض ، ويهود وسواهم من بروتستانت وكاثوليك ، أن يعقدوا الأيادي ، وأن يرددوا مع الزنوج أنشودتهم الدينية « نحن أحرار أخيرا . . أحرار أخيرا . . الشكر والحمد للرب سبحانه وتعالى . . . . اننا أصبحنا أحرارا في نهاية المطاف . . . »

وفي يوم ٢ نوفمبر ١٩٨٣ وافق الكونجرس الأمريكي على اعتبار مارتن لوثر كنج واحدا من زعماء التاريخ الأمريكي كجورج واشنطن ولنكولن ، ووضع تمثاله النصفي مع تماثيل عظماء أمريكا في « روتندا » الكونجرس . . اعترافا بفضل رجل ناضل من أجل الانسان،وحاول أن يزيل بعض العار من وجه امريكا . □

الجنس الثالث

مرض نفسي أم خلل هرموني؟

بقلم : الدكتور نجم عبدالله عبدالواحد

منذ القدم ، عرفت الذكورة والأنوثة ، وعرفت الخنوثة وهي حالة بين الذكورة والأنوثة . لكننا أخيرا بدأنا نشاهد أو نقرأ عن رجال ونساء شاءوا التحول عن جنسهم ، واختيار جنس آخر ، مستعينين بتقدم الطب والعلم ، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم الجنس الثالث ، وهم جنس ثالث فعلا . فهل هم مصابون بمرض نفسي ؟ أم يعانون من خلل هرموني ؟ في هذا المقال محاولة للاجابة عن هذا السؤال .

كثيرا مانشاهد أو نقرأ عن استرجال النساء ، أو استخناث الرجال ، وهي ظاهرة خاصة بمن يعرفون أحيانا بالجنس الثالث . لا نراها فقط في بلاد الغرب كبريطانيا وأمريكا،بل أصبحنا نشاهدها في بلادنا ، بالاضافة إلى أنحاء المعمورة،واشتد الهوس والجنون عند بعض هؤلاء، لدرجة أن أجروا عمليات جراحية كبيرة ، وحولوا جنسهم من ذكر الى أنثى أو العكس ، وكل ذلك انسياقا وراء الشهوة والمتعة ، وبرع الأطباء النفسانيون ، والجراحون ، وأطباء هرمونات التناسل ، وقدموا لهؤلاء مهارات عجيبة تحقق لهم بها ما يشتهون .

وهناك حالات طبية يرجع سببها الى خلل هرموني ، يضطر الطبيب المختص الى اتخاذ قرار حاسم في تحويل جنس الفرد من ذكر الى أنثى أو العكس ، مستعينا بالله وبالمهارات العالية للجراحة التناسلية ، وللعلوم الطبية المتطورة في اختصاص هرمونات التناسل .

وسنحاول هنا أن نلقي ضوءا على هذه الحالات ، وعلى موضوع التخنث عموما .

هناك عاملان مهمان يلعبان الدور الرئيسي في تكوين سلوك الفرد الجنسي هما : الهرمونات التناسلية والدماغ .

أولا : الهرمونات التناسلية وأثرها على خلايا المخ (الدماغ) :

ان تعرض خلايا المخ لهرمونات التناسل (وهي التي تصدر من خصية الذكر أو مبيض الانثى) بالذات في الفترة الاولى من بداية الحمل ، عندما تكون هذه الخلايا في أول مرحلة للنمو والتكون عند الجنين ، سوف تلعب دورا كبيرا في المستقبل في سلوك الفرد الجنسي ، سواء في مرحلة الطفولة أو بعد اكتمال البلوغ ، لذلك نشاهد اختلاف ألعاب الاطفال الذكور عن ألعاب الاطفال الاناث ، وبالمقابل نشاهد ميل الرجل البالغ الى استعمال الشراسة والقوة البدنية أكثر من الاناث البالغات ، وهناك صفات يتميز بها الذكر عن الانثى البالغة ، وهي التي توضح سبب اختلاف التصرفات الجنسية عند الاناث عن الذكور ، وهذه الصفات تجعل من ميل الذكر الى الانثى ، وميل الانثى للذكر أمرا طبيعيا .

وأثبتت الدراسات على بني الانسان ، بأن نسبة وجود الهرمونات التناسلية (التستوستيرون) عند الذكر و (الاستروجين) عند الانثى ، تبدأ في الظهور في دم الجنين منذ الاسبوع الثاني عشر للحمل ، وتصل الى ذروتها في منتصف الحمل (الاسبوع العشرين) ، والجدير بالذكر أنه وجد أن نسبة وجود هذه الهرمونات وهي في ذروتها عند الجنين تساوي وجودها عند البالغ من ذكر أو أنثى ، وأن هذه الهرمونات تلعب دورا كبيرا في تكوين قوابل تتحسس وجود هذه الهرمونات في خلايا المخ في المستقبل ، وأثبتت التجارب على الحيوانات صحة هذه المعلومات ، علاوة على المشاهدات السريرية للحالات الكثيرة والمختلفة للخنثى من البشر .

ثانيا : البيئة وأثرها على سلوك الفرد الجنسي :

هنا نجد عاملين للبيئة ، فتنشئة الفرد على كونه انثى أو كونه ذكرا له أهمية في غاية الدقة ، وكذلك تلعب البيئة دورا آخر في التربية الجنسية للفرد ، فنجد بيئة الانحلال الاخلاقي تلعب دورا مهما في اشباع الشهوة ، بينما البيئة الصحية ـ ومن بينها الاسلامية ـ تلعب دورا في تحقيق العفة .

خصائص الخنثى :

هناك أسباب متعددة تساهم في ابراز خصائص الخنثى من بينها :

١ ـ يحدث أن يتعرض الجنين الانثى لنسبة عالية من هرمون الذكورة بسبب زيادة افراز هرمون الذكورة من الغدة الكظرية ، وذلك نتيجة لخلل في نقص أحد الانزيمات الذي يتسبب في توقف انتاج هرمون الكورتيزون الذي هو النتيجة الفعلية لسلسلة من التفاعلات الكيماوية بوجود هذه الانزيمات ، وعند نقص أحد هذه الانزيمات ينتج بدلا عن هرمون الكورتيزون زيادة في انتاج هرمون الذكورة ، لذلك سوف تتعرض خلايا مخ الجنين الانثى لنسبة عالية من هرمون الذكورة ، علاوة على زيادة كبر البظر الذي قد يوهم الجاهلين بأن المولود ذكر ، وهنا مربط الفرس ، فاذا حدث خلل بأن يربي الطفل كولد ، ويتسبب الجهل بعدم أخذ العلاج اللازم لمثل هذه الحالات وهو الكورتيزون ، ستصل الى مرحلة البلوغ خصوصا بعد عمر ١٨ سنة ، حيث سنحتار في تحديد جنس هذه الخنثى ، فان قلنا انها ذكر فليس هناك ما يثبت ذلك لوجود الكروموسومات الانثوية ولوجود المبيض والرحم في أحشائها ، ولكن اذا نظرنا الى سلوك هذا الفرد الجنسي فاننا نجده يميل الى الاناث ، وشكله الخارجي ممتلىء بالعضلات ، والشعر قد غطى جسمه ، وعنده من الشراسة والقوة البدنية ما يفوق أي رجل ، وقد نشأ على أنه رجل ، فأصبح الامر حقيقة لا مهرب منها ، لذلك من الممكن في مثل هذا العمر وهذه الحالة أن تجرى له عملية لازالة المبيض والرحم ، واعطائه هرمون الكورتيزون كعلاج لحالته ، بالاضافة الى اعطائه هرمون الرجولة (التستوستيرون) مدى الحياة ، وبذلك يستطيع أن يتزوج كرجل ، وان كان العضو التناسلي الذكري صغيرا لانه البظر أصلا ، ولكن يستطيع يجامع به امرأة بلذة جنسية كاملة له ولها ، ولكنه غير صالح للانجاب .

أما نفس هذه الحالة إن شخصت مبكرا ، وربيت المولودة على أنها بنت ، وأخذت العلاج اللازم وهو

الكورتيزون ، بذلك يصبح من الممكن السيطرة على زيادة افراز هرمون الذكورة ، لأن الامر قد استتب منذ الطفولة على كون جنس المولودة أنثى ، وسوف يصبح سلوكها الجنسي صحيحا وسليما ، حتى وان كانت خلايا المخ عندها في الحياة الجنينية الرحمية قد تعرضت الى نسبة عالية من هرمون الذكورة ، وهنا تلعب البيئة دورا مهما في التنشئة الصحيحة ، ولا خوف على هذه البنت ، وتستطيع أن تتزوج وتنجب كأي امرأة ، وقد يحتاج علاجها الى إجراء عملية جراحية صغيرة للبظر اذا كان حجمه كبيرا ، وتعتبر هذه العملية من العمليات التجميلية .

٢ - عند تعرض الجنين الذكر لنسبة عالية من هرمون الانوثة (الاستروجين) - وهذا يحدث في حالة نقص (القابل) الذي يتحسس وجود هرمون الذكورة - نجد أن هرمون الذكورة موجود ، وبنسبة عالية وطبيعية ، لكن بدون فائدة ، فنسبة قليلة من هرمون الذكورة تتحول الى هرمون الانوثة بواسطة الاروميتيز ، ونظرا لوجود هرمون الانوثة هذا نجد أن السلوك الجنسي لهذا الفرد بالمستقبل سوف يكون أنثويا هذا فضلا عن غياب مفعول هرمون الذكورة ، وان كان وجوده عاليا ، بالاضافة الى ظهور الصفات الجنسية الخارجية الانثوية عند البلوغ ، وذلك بظهور الاثداء ، والتشكل العام المظهري الانثوي ، مع غياب ظهور الشعر ، لانه يعتمد على هرمون الذكورة ، فبذلك تكون الحيرة لهذه الخنثى ، فان قلنا عنها أنها أنثى غاب الدليل على جنسها نظرا لوجود الكروموسومات الذكرية ، ونظرا لوجود الخصية بدلا من المبيض بداخل أحشائها ، ولكن بالنظر الى مظهرها الخارجي ، لا يختلف اثنان على انها أنثى بكل معنى الكلمة ، واذا نظرنا الى سلوكها الجنسي فلا غرابة أن نجدها حواء في كل تصرفاتها وسلوكها .

جيلات ولكن

الجدير بالذكر أن هذا النوع من النساء يكون على قدر كبير من الجمال ، وكذلك نجد عاطفة الواحدة منهن نحو زوجها طبيعية جدا كأنثى ، وكذلك فيما اذا تبنت طفلا تكون عاطفتها نحو الاطفال كعاطفة أية أم .

والافضل عند تشخيص مثل هذه الحالات أن تجري لها عملية جراحية لازالة الخصية ، وتعطى هرمونات التناسل على شكل حبوب منع الحمل للمحافظة على أنوثتها ، حتى تم ولو التشخيص قبل البلوغ .

٣ - عند وجود خلل بالكروموسومات فان الخصية والمبيض يتكونان عند نفس الشخص ، وبذلك يظهر البلوغ على شكل ازدواجية الجنس ، فنشاهد بروز الثديين كعلامة لوجود هرمون الانوثة الخارج من المبيض ، وتنمو العضلات كعلامة ذكرية لوجود هرمون الذكورة الخارج من الخصية ، هذا بالاضافة الى وجود ازدواجية الاجهزة التناسلية الداخلية الذكرية والانثوية في وقت واحد ، مع وجود جهاز تناسلي خارجي واحد مبهم كدلالة على كون الشخص خنثى ، واذا نظرنا الى ازدواجية المبايض نجد أحد ثلاثة احتمالات ، اما أن تكون الخصية بجانب والمبيض بالجانب الآخر ، وهذه تحدث في حوالي ٣٠٪ من الحالات ، والطريف في الامر أن المبيض غالباما يكون على الجانب الأيسر ، والاحتمال الثاني أن تكون الخصية والمبيض في جانب واحد ، وهذه تحدث في ٥٠٪ من الحالات ، أما الاحتمال الثالث فيكون هناك مبيضان ، واحد على كل جانب ، يحتويان على نوعين من الخلايا ، فهما الخصية والمبيض في وقت واحد وهذه تحدث في ٢٠٪ من الحالات .

أما خلل الكروموسومات الذي يتسبب في تكوين الخنثى ، فوجوده يرجع الى أحد أسباب أربعة :

١ - وجود مجموعتين من الكروموسومات الجنسية عند نفس الشخص ، وبذلك كل مجموعة جنسية تكون ازدواجية المبايض (الخصية والمبيض) .

٢ - وجود مجموعة واحدة من الكروموسومات الجنسية ، ولكن توجد على غير العادي من هذه المجموعة صفتان من الصفات الوراثية الذكرية والانثوية .

٣ - انتقال أحد الكروموسومات الجنسية ليستقر على الكروموسوم الجنسي الآخر .

٤ - حصول الطفرة من كروموسوم غير جنسي (أوتوسوم) الى كروموسوم جنسي .

لاشك أن الحيرة في اتخاذ القرار بشأن خنثى من هذا النوع سوف يكون صعبا ، وعلى العموم فان

المبدأ هو أن يتم اختيار الجنس الذي يتناسب مع الشخص والبيئة التي نشأ بها ، فاذا نشأ على أساس أنه بنت فالأفضل أن تزال الخصية بعملية جراحية ، أو اذا نشأ على أساس أنه ولد فالأفضل أن تزال المبايض والرحم وتجرى له جراحة تجميلية في كل هذه الاحوال للمنطقة التناسلية الخارجية لتتناسب وجنس الشخص المطلوب .

رجال تحولوا . . . وأنجبوا :

ومن أمثال هذه الحالات التي نسمع عنها ، أو نقرأ عنها في الصحف ، بعض الرجال الذين تحولوا الى نساء ، وتزوجوا وأنجبوا ، وكذلك بعض النساء اللواتي تحولن الى رجال ، وأنجبن ، فالحقيقة موجودة في تحقيق التناسل والانجاب ، لان هذا النوع من الخنثى يحتفظ بفرصته في التناسل لاستبقاء الخصية أو المبيض ، وهو بحالة طبيعية وفعالة ، وبذلك تكون الفرصة للتناسل والانجاب موجودة ، والاخبار عن هذه الحالات صحيحة . ولكن تكون المشكلة صعبة عندما نجد أن المبايض هي من النوع المزدوج ، لوجود خلايا الخصية والمبيض في مبيض واحد ، وهنا يصبح القرار في الغالب بازالة المبيض كليا ، واستبقاء الجهاز التناسلي الذكري أو الانثوي حسب كل حالة وطبعا هنا تفقد القدرة على الانجاب .

أما موضوع المرض النفسي كسبب للخنوثة فنجده في الغالب في البلاد التي تنتشر فيها الاباحية ، لما عندهم من تشجيع للشهوات والميول الجنسية المتطرفة ، والاباحية الجنسية ، ولان الانسان ميال بطبعه الى البحث عن كل ماييثر شهوته ، بأي طريقة وبأي ثمن .

لـذلـك فمن الـرجـال الـذين أثبت الـزواج رجولتهم ، وأثبت الاطفال الذين هم من أصلابهم أبوتهم ، نجد من هؤلاء وبدون وجود خلل هرموني من يتخذون قرارا خطيرا بتحويل جنسه من ذكر الى أنثى ، فقط ليستلذ بطعم الجماع كأنثى . ولقد رأيت بأم عيني من أمثال هؤلاء عندما كنت أعمل في أحد مستشفيات بريطانيا ، فمن هؤلاء المخنثين من الرجال من لا يستطيع الاستمرار الا باستعمال هرمونات التناسل وبصورة منتظمة . ومن هذا نجد أن المرض النفسي للخنثى ماهو الا اطلاق العنان للشهوة وبذلك يكون قد اختار لنفسه جنسا لم يكتب له ، وعبث بما لا يجوز أن يعبث به . □

معالم الاسلام

● من خطبة للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت :

إن الله فرض عليكم الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة تزييدا في الرزق ، والصيام إثباتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والعدل تسكينا للقلوب ، وتمكينا للدين ، وطاعتنا نظاما للملة ، وإمامتنا لمّا للفرقة ، والجهاد عزاً للاسلام ، والصبر معونة على الاستجابة ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، والنهي عن المنكر تنزيها للدين ، والبر بالوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منماة للعدد ، وزيادة في العمر ، والقصاص حقنا للدماء ، والوفاء بالعهود تعرضا للمغفرة ، ووفاء المكيال والميزان تغييرا للبخس والتطفيف ، واجتناب قذف المحصنة حجابا عن اللعنة ، والتناهي عن شرب الخمور تنزيها عن الرجس ، ومجانبة السرقة إيجابا للعفة ، وأكل مال اليتيم والاستيثار به إجازة من الظلم ، والنهي عن الزنا تحصنا عن المقت ، والعدل في الأحكام إيناسا للرعية ، وترك الجور في الحكم إثباتا للوعيد ، والنهي عن الشرك إخلاصا له تعالى بالربوبية .

بقلم : محمود المراغي

تحت المليون !

تتمتع الصين الشعبية بمقعد واحد في الامم المتحدة رغم أن سكانها يزيدون عن ألف وخمسين مليون نسمة . . وتتمتع الولايات المتحدة الامريكية بمقعد آخر رغم أنها احدى الدولتين العظميين ، ولا يزيد نصيب أي دولة كبرى عن مقعد ، فتلك هي القاعدة .

ولكن . . الى جوار هذه الدول هناك دولة لايتخطى تعدادها (٥٥) الف نسمة ، ودولة ثانية لايزيد فيها السكان عن (٦٥) الفا ، وتتمتع الدولتان بنفس المكانة التي للدول العظمى وسائر الدول ذات الاعداد الضخمة والمساحات الجغرافية الشاسعة !

وقد قام البنك الدولي في تقرير عن التنمية عام ١٩٨٦ بحصر الدول التي يقل عدد سكانها عن المليون نسمة ، وتتمتع بعضوية الامم المتحدة والبنك الدولي ، فجاء الرقم يقول ان هناك (٣٤) دولة على هذا النحو ، صغراها يبلغ عدد سكانها (٥٥) الفا ، وهي « سانت كريستوفر ونيفسي . . واكبرها : (٨٧٠) الف نسمة وهي غينيا بيساو . . وبين الاثنتين تقف مجموعة من ٢٦ بلدا . . كلها تحت نصف المليون .

واذا تأملنا اسماء الدول وجدنا أن بينها ما ملأ السمع والابصار من خلال ازمات دولية مشهورة ، فهاهي قبرص ذات الـ (٦٥٤) الف نسمة تقف في هذا الطابور . . وهاهي لكسمبرج ذات الـ (٣٦٦) الف نسمة ، والموقع المتميز في اوروبا بين فرنسا والمانيا وبلجيكا ، وها هي جرينادا التي شغلت الانباء لفترة ، ويبلغ عدد سكانها (٩٤) الف نسمة ، وهاهي سيشل تقع في المحيط الهندي - واستخدمها الاستعمار البريطاني لنفي الزعماء الوطنين العرب- لايزيد عدد سكانها عن (٦٥) الفا . . ايضا : هناك ثلاث دول عربية هي البحرين وقطر وجيبوتي .

ولكن ، الى جوار هذه الاسماء الذائعة هناك من الدول ما قد يتردد اسمها مرة واحدة كل عام، حين يتحدث مندوبها في الجمعية العامة للامم المتحدة . . ومن هذه الدول/ ساوتومي وبرنسيبي ، بليز سورنيام ، تونجا ، فانواتو ، سانت فينسنتي وجرينادين ، وسانت كريستوفر ونيفسي . .و . . الاخيرة هي اصغر دولة في العالم اذ بلغ تعدادها (عام ٨٤) بـ (٥٥) الف نسمة . . ومساحتها اقل من الف كيلو متر مربع ، وتقع ضمن مجموعة جزر مستقلة ايضا في امريكا الوسطى بين البحر الكاريبي والمحيط الاطلنطي .

كل هذه الدول يقل عدد سكانها عن المليون . . ولكن يبدو أن العدد يقل عاما بعد عام ، ففي حصر اخر قامت به **منظمات الامم المتحدة سنة ١٩٧٩** كان هناك ثمانية وخمسون بلدا تحت المليون . . وبينما تخطى بعضها حاجز المليون مما ساعد على هبوط عدد الدول التي تتحدث عنها الى ٣٤ دولة ، فان بعضها قد تراجع عدد سكانه مثل جرينادا والدومنيكان في امريكا الوسطى .

بقراءة الأرقام والخرائط نلاحظ :

أولا ، انها دول في معظمها على حافة العالم . . جزر أو بقع متناثرة في البحار والمحيطات،والقليل منها يلتصق بالقارات المعروفة ، والأقل يقفز الى البحر لتحتضنه دول اكبر مثل :

لكسمبرج في اوروبا وغينيا بيساو والجابون وغينيا الاستوائية وجامبيا في افريقيا .

ثانيا ، إن معظمها خاضع لنفوذ الدول الكبرى وفي مقدمتها : الولايات المتحدة الامريكية التي تبسط نفوذهاعلى منطقتين اساسيتين: امريكا الوسطى وجزر الباسفيك في الشرق والشمال الشرقي من استراليا

ثالثا : فان معظم هذه الدول واستثناءات محدودة ضئيلة في مساحتها حتى أن بعضها لا تصل مساحتها الى الف كيلو متر مربع . . وبين ٣٤ دولة توجد دول اربع فقط تزيد مساحتها عن المائة الف كيلو متر مربع . . وهي غانا وجابون وسورينام وايسلاند .

رابعا ، يمكن تصنيف معظم هـذه الـدول أو الدويلات في مجموعة الدخل المتوسط ، وان كان بعضهـا يهبط فيه متوسط نصيب الفرد من النـاتج القـومي الاجمالي الى (١٩٠) دولارا في السنـة . . وبعضها يرتفع فيه متـوسط الدخـل (طبقا لارقـام ١٩٨٤) الى (١٩٨١٠) دولارات (قطر)

ويلي غينيا بيسـاو في الدخـل المنخفض : جامبيا والـرأس الاخضـر وعـدة دول تنتمي كلهـا الى افريقيا . . بينها تأتي الدول مرتفعة الدخل في قارات اخرى حيث تقف لكسمبرج وايسلندا الاوروبيتان في المرتبتين التاليتين لقطر .

هل يمكن أن يكون لهذه الدول ذات الموقع المتميز في معظمهـا ، والمستوى الاقتصـادي المتـوسط ، مؤشـراتها الخـاصة من حيث مستـوى صحة الفـرد وقدرته على ان يعيش اكثر ؟

تقول الارقام ان العمر المتوقع منذ الولادة للدول الاكثر فقرا منخفض بالضرورة . . فمتوسط العمر المتوقع في غينيـا بيساو ذات الـدخل السنـوي للفرد (١٩٠) دولارا هو : ٣٨ عاما فقط،وفي جامبيـا : (٤٢) عـاما وفي جيبـوتي (٤٨) عاما . . وغينيا الاستوائية (٤٤) عاما . . ولكن هنـاك عشر دول يزيد فيها متوسط العمر عن سبعين عاما . . ايسلندا في شمال الاطلنطي تسجل اعلى متوسط عمر في العالم وهو (٧٧) عاما والذي تتمتع به دول اوروبية فقط . ويلي ايسلندا عـدد من الدول مثـل : قبرص وقـطر وبروني وبربادوس ومالطة .

ويطرح السؤال نفسه : هل هناك علاقة بين طول العمر وحياة الجزر وشبه الجزر ؟ . . وهل يمكن القول ان هذه الدويلات بموقعهـا المتميز اقـل تلوثا واكـثر ابتعادا عما يعانيه العالم من أزمات،رغم ان بعضا منها قـد تحول الى قـاعدة لـدول اجنبية ، واصبـح مجرد معسكر أو مخزن للسلاح أو مكان للتجارب ؟

الأسئلة تحتاج الى جـواب ، وظـاهـرة الـدول الصغرى التي ينطبق عليها مفهوم « الدول القزمة » تحتاج الى دراسة . . فالمقارنة واضحة بين بلاد ضخمة حاربت عشرات السنوات لتحصل عـلى الاستقلال ومقعد الامم المتحدة ، وجزر لايساوي عدد سكانها عدد سكان شارع فسيح في مدينة عصرية ، لكنهـا رفعت العلم واحتلت مقعد اكبر منظمة دولية .

وبـالطبـع فاننـا لانعترض ، لكننـا نحـاول فهم الامر ، فأكثر من عشرين بالمائة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة : تحت المليون .

■ أي محاولة للتشكيك في حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره لن تؤدي إلا الى انهيار العلاقات الدولية .

« كلود شيسون »

■ إنني أفكر كثيرا ، لا لأنني فقير فحسب ، بل لأنني عاجز عن مساعدة جاري الفقير .

« مارك توين »

نظرية جديدة



أصل النفط.. عضوي أم كيميائي

د. سعود عياش*

يثور خلاف الآن في الأوساط العلمية والجيولوجية حول أبحاث جديدة تناقض الفكرة السائدة والمستقرة عن أصل الذهب الأسود ، ولم يحسم العلماء حتى الآن أي الآراء أكثر دقة وصوابا عن كيفية تكوين النفط .

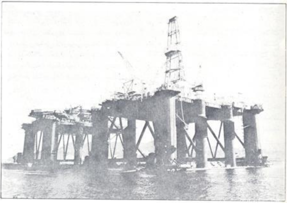
ترسخت في ذهن العامة ، النظرية الشائعة والأكثر قبولا في مجال تفسير أصل البترول والغاز الطبيعي ، أنهما تكونا من مواد عضوية . وتذهب هذه النظرية إلى أن المواد الهيدروكربونية الموجودة في القشرة الأرضية نشأت من مخلفات نباتية وحيوانية دفنت في الأرض عصورا طويلة ، تعرضت خلالها لتأثيرات الحرارة العالية والضغط المرتفع ، وتحت هذه الظروف حصلت سلسلة تفاعلات كيماوية ، كان من نتيجتها تحول المخلفات العضوية الى مواد هيدروكربونية من ضمنها البترول والغاز .

ولقد بدا هذا التفسير معقولا ومقبولا حين طرح قبل حوالي قرن ، في محاولة لتفسير ظهور الموائع الهيدروكربونية من باطن الأرض - ومن وجهة نظر كيميائية اندرجت المركبات الجديدة تحت علم الكيمياء العضوية ، وهو المصطلح الذي استخدم للاشارة إلى ذلك الفرع من الكيمياء الخاص بالكربون غير المؤكسد . ولم يتخيل كيمائيو ذلك العصر إمكانية أن تكون المركبات الهيدروكربونية في البترول والغاز قد تكونت من مصادر غير عضوية .

كرة المواد المنصهرة

ومن الأمور التي وفرت سندا ودعما لنظرية الأصل العضوي للبترول والغاز الطبيعي - الذي يتكون أساسا من الميثان - ، أن العلماء في أواخر القرن الماضي كانوا يعتقدون أن الأرض في بداية نشوئها كانت عبارة عن كرة من المواد المنصهرة ، وأنها أخذت

* باحث علمي بمعهد الكويت للابحاث العلمية .



تبرد تدريجيا مكونة قشرة رقيقة . وحسب هذه النظرية فان ظروف نشأة القشرة الأرضية وتكونها لا تسمح بتكون المواد الهيدروكربونية . وعلى ذلك لم يكن هناك بديل - كما يبدو - لنظرية الأصل العضوي التي قبلت بشكل واسع ، ومازالت سائدة في الأوساط العلمية .

كانت هناك أصوات معارضة لنظرية الأصل العضوي . فقد كتب الكيميائي الروسي الشهير ديمتري ماندليف أطروحة حول أصل البترول ، توصل فيها إلى نتيجة مفادها أن البترول يأتي من أعماق الأرض ، وأنه ليس نتاج مصادر عضوية . ويبدو أن نظرية الأصل غير العضوي للبترول وجدت قبولا لدى قطاع من الكيميائيين على الأخص في الاتحاد السوفيتي ، فقد أكد أحد العلماء السوفيت مؤخرا أن الخزانات الأصلية للبترول والغاز موجودة على عمق عشرات الكيلومترات في باطن الأرض ، وأن البترول والغاز يصعدان من هذه الخزانات إلى المكامن الموجودة على أعماق قليلة تحت سطح الأرض حيث تستخرج من هناك . ومعروف أن نظرية الأصل العضوي للبترول تفترض أنه تكون من المكامن الموجودة في القشرة الأرضية ، ومن الصعب على هذه النظرية تفسير وجود النفط على عمق يبلغ عشرات الكيلومترات في باطن الأرض .

استمر الخلاف في وجهات النظر بين أتباع النظريتين فترة طويلة ، ومع تطور علم الكيمياء ظهرت شواهد جديدة ، تتعلق بخصائص التركيب الكيميائي للبترول ، وفرت دعما لنظرية الأصل العضوي ، بحيث أصبحت هذه النظرية أكثر قبولا وأوسع انتشارا في الأوساط العلمية ، ورغم الاسناد الذي اكتسبته نظرية الأصل العضوي للبترول فقد بقيت هناك أسئلة بحاجة إلى إجابات ، وشواهد ، وملاحظات بحاجة إلى تفسير ، وعلى سبيل المثال اكتشف الجيولوجيون بمرور الوقت كميات من البترول والغاز ، أكبر بمئات المرات من التقديرات الأولية القائمة على فرضية الأصل العضوي . إذن ، من أين أتى هذا المخزون الهائل من البترول والغاز ، والمواد الهيدروكربونية الأخرى ؟ .

شواهد واثباتات

هناك جملة من الشواهد التي توفر سندا لنظرية الأصل غير العضوي للبترول والغاز ، بمعنى أنها لم

يتكونا من تحلل مخلفات نباتية وحيوانية ، بل من مصادر أخرى غير عضوية .

اكتشف الفلكيون أن المواد الهيدروكربونية موجودة في معظم كواكب المجموعة الشمسية ، فقد وجدوا أن أجواء المشترى وزحل واورانوس ونبتون تحتوي على كميات ضخمة من الميثان ، ومواد هيدروكربونية أخرى ، واكتشف الفلكيون وجود غيوم كثيفة من الميثان في الجو المحيط بأحد أقمار زحل ، ومعروف أن الميثان يشكل المركب الأساسي للغاز الطبيعي .

وجد الفلكيون أيضا أن المذنبات والكويكبات السيارة تحتوي على أنواع مختلفة من المواد الهيدروكربونية ، وأثناء متابعتهم رحلة المذنب هالي حصل الفلكيون على أدلة تشير إلى أن نواة المذنب تحتوي على مادة سوداء كالقار .

من جانب آخر ، ترك العلماء جانبا فكرة أن الأرض تكونت في البداية بشكل كرة من الصخور المنصهرة ، وهم الآن يعتقدون ـ إن لم يكونوا متأكدين ـ أن الأرض تكونت من مواد صلبة ، وقد تكونت قشرة أرضية من الصخور الخفيفة نتيجة انصهار جزئي ، وتميزت هذه القشرة عن الطبقة الصلبة التي تقع تحتها ، وتعرف بالوشاح ، وتشكل أكثر من ٨٠٪ من حجم الأرض .

لاحظ العلماء أن مكامن الهيليوم على الأرض ترتبط عادة بوجود خزانات الميثان أو البترول ، فمعظم مناطق الأرض الغنية بالغاز غنية أيضا بالهيليوم ، وهناك مناطق قليلة على الأرض ذات تركيز مرتفع من الهيليوم بمعزل عن وجود الميثان . ومن الصعوبة تفسير اقتران الهيليوم بالميثان لو أن الأخير تكون من أصل عضوي ، ذلك أنه لا توجد علاقة للعمليات البيولوجية بعملية تركيز الهيليوم ، ومن المعروف أن الهيليوم غاز خامل ، وأنه يتكون بشكل أساسي نتيجة للنشاطات الاشعاعية في الصخور ، ويوجد في الطبيعة بتركيز قليل جدا .

ومن جملة المشاهدات الأخرى أن بعض الانفجارات البركانية تحمل معها حجارة من الماس ، والماس ـ كما نعلم ـ أحد أشكال الكربون النقي ، ويتكون تحت ضغط هائل يحصل على عمق ١٥٠ كيلو متراً أو أكثر في باطن الأرض ، ويشكل هذا دليلا على وجود الكربون النقي غير المؤكسد في باطن الأرض ، ويمكن لذلك توقع وجود أشكال أخرى من الكربون غير المؤكسد .

جملة الشواهد السالفة ، وغيرها ، تشكل تحديات لنظرية الأصل العضوي للبترول والغاز ، وتفسح المجال أمام نظرية أخرى تقوم على فرضية الأصل غير العضوي . فكيف ترى النظرية الجديدة أصل البترول والغاز ؟

الأصل غير العضوي

ترى نظرية الأصل غير العضوي أن الكميات الضخمة من الكربون ومركباته الموجودة في القشرة الأرضية لابد أن تكون قد أتت من باطن الأرض . لكن ، كيف تكونت مكامن الكربون في باطن الأرض ؟

تبحث النظرية عن الاجابة في الشهب والنيازك التي تشكل المخلفات التي بقيت منذ تشكلت الأجرام السماوية ، ومن بين هذه الشهب هناك صنف غني بالصخور الكربونية ترى النظرية أنه المسؤول عن جلب القسم الأوفر من الكربون الى الأرض ، وحين تتعرض الصخور الكربونية لظروف الضغط والحرارة في باطن الأرض تنتج الهيدروكربونات المائعة كالميثان ، وكميات قليلة من ثاني أكسيد الكربون ، وتفترض النظرية أن الأرض في بداية نشوئها احتوت على صخور كربونية ، كتلك الموجودة في الشهب والنيازك المشار إليها .

تتكون الموائع الهيدروكربونية على أعماق بعيدة في باطن الأرض ، ثم تبدأ رحلة الصعود إلى الأعلى بتأثير ضغطها المرتفع ، وإذا صادفت في طريقها صخورا منصهرة فسوف تتأكسد بفعل الاوكسجين الموجود في الصخور ، وينتج عن عملية الأكسدة تكون الماء ، وثاني أكسيد الكربون . وترى نظرية الأصل غير العضوي أن الماء الموجود على سطح الأرض تكون ـ جزئيا على الأقل ـ بهذه الطريقة .

من جانب آخر ، إذا صادفت الموائع الهيدروكربونية شقوقا في صخور صلبة فسوف تندفع خلالها إلى أن تصل إلى المكامن الموجودة في القشرة

الأرضية ، سواء بشكل خزانات ، أو صخور رسوبية كثيرة المسام ، حيث تملؤها ، ومن المعروف أن مكامن البترول والغاز عادة ما توجد في مناطق الصخور الرسوبية .

واعتمادا على طبيعة التركيب الجيولوجي للمنطقة يمكن للهيدروكربونات المنبعثة أن تتجمع في أكثر من طبقة أرضية ، وتتكدس بشكل رأسي في مكامن وخزانات تفصلها طبقات صخرية ، ويبدو أن هذا هو ما يدفع أصحاب نظرية الأصل غير العضوي إلى القول بأن حقول النفط والغاز تتجدد كالخلايا ، وأن بالامكان الوصول إلى مكامن جديدة إذا تعمقنا بالحفر .

ترى النظرية أن هذا التصور عن طريقة تكون حقول الغاز والبترول وتجمعها يقدم حلا لظاهرة اقتران مصادر الهيليوم بحقول الميثان ، فحين يندفع الميثان من باطن الأرض يحمل معه الهيليوم المتكون في الصخور ، ويدفعه إلى الأعلى إلى مكامن في القشرة الأرضية .

دليل مادي

من الواضح أنه لا يمكن إثبات نظرية الأصل غير العضوي مختبريا ، بسبب تعذر إمكانية توفير ظروف الضغط والحرارة الموجودة في أعماق الأرض البعيدة ، غير أن إثبات صحة النظرية يحتاج إلى دليل مادي ،

ويرى المختصون أن الدليل يكمن في العثور على مكامن للغاز والبترول في مناطق من غير المحتمل أن تكون الترسبات العضوية فيها قد ساهمت في تشكيل الهيدروكربونات . وتبدو بعض مناطق السويد ذات التركيب الغرانيتي مرشحة لاختبار النظرية الجديدة ،

وبالفعل بدأت أعمال الحفر الصيف الماضي بحثا عن الغاز أو البترول تحت صخور اسكندنافيا الغرانيتية .

على أية حال ، إذا ثبتت صحة الأصل غير العضوي للبترول والغاز فقد يغير ذلك من تصوراتنا الحالية عن المخزون العالمي من هاتين المادتين ، وربما يكون لذلك تأثير على مستقبل الطاقة في العالم .

بقي أن نقول إن أصحاب نظرية الأصل غير العضوي يرون أن المركبات البيولوجية الأصل ، الموجودة في البترول ليست دليلا على الأصل العضوي للمواد الهيدروكربونية بقدر ما هي دليل على تلوث بيولوجي ، وقد نشأ هذا التلوث كما تقول النظرية عن البكتريا التي تتغذى على البترول ، أو عن المخلفات العضوية في باطن الصخور الرسوبية . □

أرنب في القمر

● ظل الاعتقاد بوجود أرنب في القمر من المعتقدات الصينية التي سادت عشرات القرون ، وتمخضت عن رسومات تعبيرية طريفة وشاعرية . ولكن علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان البشرية) لا ينظرون إلى هذه الناحية ، إنما إلى ناحية ارتباطها بظاهرة المعالم المغولية الصينية لبعض قبائل الهنود الحمر في أمريكا الوسطى ، وهي قبائل ازدهرت قبل العصر الكولومبي ، وتركت الكثير من الأساطير ، ومنها أساطير تتحدث عن وجود أرنب في القمر ، وعززوها بمنحوتات تجسد هذه الأساطير .

وإذا كانت هذه المنحوتات المتوائمة مع الأساطير الصينية التي تسبقها بزهاء ألفي عام لا تؤلف دليلا قاطعا على الأصل الصيني المغولي لبعض قبائل الهنود الحمر في المكسيك فإنها تعزز الرأي القائل بأن أمريكا الوسطى شهدت هجرة من القبائل المغولية عبر سيبيريا ثم الاسكا ، انحدارا إلى كندا ، ثم التماسا للدفء والمراعي الخصبة في أمريكا الوسطى .

قصة قصيرة

غرفة المحفوظات

بقلم : سعيد سالم

في لحظة من الزمان غائمة ، ساقتني قدماي الى غرفة منكورة من غرف الأرشيف . لم يخطر ببالي يوما أنني قد أتوقف أمام هذه الغرفة ، رغم أنني عبرت العمر المؤدي اليها مرارا من قبل ، لاتستدعي أحوال العمل بشركتنا الكبرى أن تفتح غرفة المحفوظات أكثر من مرة أو مرتين كل عام ، فمن النادر أن يتطلب الأمر رجوعا الى ملف وظيفي مضى على دفنه بها خمسون عاما أويزيد ، ومن النادر أيضا أن ترفع عن الموتى أكفان النسيان الأبدي .

وقفت وحيدا أمام الباب ، تهزني رجفة غامضة ، وتشغلني هموم متراكمة عجز الزمان عن ازالتها ، وعجزت عن مواصلة احالتها اليه ، يتجاذبني حنين الى أغوار الماضي ، وجرأة الى استشفاف ماوراء الغيب ، لابد أن أفعل شيئا أو أموت ، فكل ما بالدنيا قد تغير ، وكل الناس تحركت ، وأنا مازلت سجينا مخلصا للصمت والسكون .

دفعت الباب في حرص وتوجس ، أصابني صوت صريره بقشعريرة ضاعف من حدتها رؤيتي للخيوط العنكبوتية المتشابكة في مدخله بكثافة هائلة ، منذ طفولتي لم تبارح ذهني صورة مدرس الدين وهو يحكي لنا بحب شديد وحماس أشد كيف أنقذ العنكبوت سيدنا محمداً (ﷺ) ورفيقه أبابكر من براثن الكفار ، انتشى قلبي بنفحة من الحب خالصة ، وخطوت بحذر وحياء ، كمن يلتمس طريقه الى قدس الأقداس .

كانت الرائحة المنبعثة من مدخل الغرفة كفيلة بدفعي الى التراجع ، ولكني تحاملت على نفسي ودخلت . للرهبة على القلب سلطان ، تتتابع أنفاسي بلهفة المكتشف ، وتغوص مشاعري في قلب الأسرار ، مئات الملفات المتربة ، وقد اصفرت





أغلقتها وتآكل البعض منها بفعل التقادم ، والبعض الآخر بأسنان الفئران .

أستطيع أن أؤكد بلا تردد أنني رأيت الزمن يقف أمامي وجها لوجه ، أستطيع أن ألمسه وأشم رائحته ، وأسمع أنفاسه العميقة الواهنة . وكأنه كائن حي متجسد يتسرب الى روحي وأنفذ الى أغواره ، توحدنا معا في لحظة حقيقية من الجنون انكارها . . وقالت لي زوجتي

- كانت غلطة العمر .

- لكنك كنت تحبينني منذ ثلاثين عاما .

- طيش وحمق ونقص تجربة .

كان لابد أن أدبر لنفسي مكانا حتى أستطيع الجلوس ، فقد قررت البقاء بالغرفة ، بانتقاء عشوائي مددت يدا مرتعشة ، وسحبت ملفا يفوق في سمكه ما جاوره من ملفات ، أزحت الأتربة عنه بمنديل ورقي في رفق بالغ وخشوع شديد . وضعته أمامي وأشعلت سيجارة ، تسللت الى نفسي طمأنينة عجيبة ، أحببت المكان ، ووددت ألا أتركه ، ثم همت في صمت طويل ، تذكرت أن نظارتي بالمكتب ، لو رحت لاحضارها فقد لا أعود ، أنا واثق من هذا ، لأنني أعرف نفسي جيدا . . فتحت الملف .

- هف . . لقد مللت حياة الفقر معك .

- معقول ؟ . . أنت التي تقولين ذلك ؟

- نعم أنا . . لقد خاب أملي فيك منذ زمن بعيد .

- وأين ذهبت كلماتك عن الحياة معي . . ولو على حصيرة (ولمبة) غاز ؟

- وأين راح طموحك الجنوني وتبددت طاقتك الجهنمية ؟ . . أنت الآن رجل ميت .

على الصفحة الأولى صورة متفجرة بالحيوية لشاب وسيم، تتصدر وثيقة تعاقده مع الشركة للعمل كمحاسب بالادارة المالية ، الراتب يقل عن خمسة عشر جنيها ، في ابتسامته شيء من الثقة ، ودليل على حسن النوايا تجاه المستقبل . منذ عشرات السنين تعجبت كثيرا عندما نصحني أبي يوما ألا أضحك بثقة في كل الأحوال .

بلا تردد وجدت نفسي أتجاوز صفحات الملف السميك لأصل الى صفحته الأخيرة ، مات الأستاذ اسماعيل متولي رئيس القطاع المالي بالسكتة القلبية . آه . هذا هو أنت اذن ، سقطت على مكتبك مودعا الحياة في لمح البصر ، لم تفرح بتسلم أول راتب لك بعد ترقيتك ، كان منافسوك يتحاورون في سرادق العزاء حول الدرجة التي أصبحت شاغرة بوفاتك ، والتي قاتلوك لأجلها من قبل ، يهزون رؤوسهم مع تلاوة القرآن فتحسبهم حزانى على فراقك ، أو متفكرين في فلسفة الحياة وحكمة الموت ، ومغزى ما بينهما من تيه ، لكنها اهتزازات التأرجح بين فكرة وأخرى ، للتوصل الى أسرع وأضمن وسيلة للحصول على درجتك .

- التصاقك بالوظيفة حطم حياتي .

- ماذا كان بمقدوري أن أفعل غير أن أكون موظفا ؟

- كانت الأيام بين يديك ، لكنك تركتها تفلت منك ببلادتك واستكانتك .

- ستظلين عاجزة الى الأبد عن حمد الله .

صفحة في منتصف الملف ، تحقيق بالنيابة الادارية في الشكوى رقم . . . . بتاريخ . . . الواردة من أحد الزملاء . اتهام بالتلاعب في أموال الشركة واستغلال الوظيفة ، ثبت براءتك وحفظ التحقيق ، صفحة عشوائية بالملف ، ادارة الشئون القانونية بالشركة ، الاعتداء عليك بالسب والضرب لرفضك التوقيع على اذن صرف مالي بمستحقات وهمية لأحد المديرين ، الكبار يتدخلون لتهدئة الموقف ، الصغار يثرثرون في سعادة كما النساء ، شكوى كيدية ، اخطار بميلاد طفلة ، صورة من القرار الوزاري بترقيتك الى درجة مدير عام ، اخطار بوفاة طفل ، صورة من شهادة جامعية تشير الى حصولك على دبلوم الدراسات العليا في المحاسبة ، طلب ذليل بالحصول على سلفة ، طلب آخر باستبدال جزء من المعاش لتزويج احدى البنات ، خطاب شكر من الجهاز المركزي للمحاسبات يشهد بكفاءتك وحسن تنظيمك للعمل ، ثم انكفاءة على المكتب فموت فوري ، أمي تجاوزت السبعين من العمر ، عاشت زمنا عسيرا ، لكنها صمدت أمامه في عزم يفوق عزم الرجال .

- المنزل لا تحتمل معيشة أمك بيننا .

- وهل ألقي بها الى الشارع ؟

- . . . . .

- تعلمين أنه لم يعد لها مكان تقيم به بعد انهيار مسكنها القديم .

- وما ذنبي في ذلك ؟
- ماذنبك ؟

انتابني حزن عميق على الأستاذ اسماعيل متولي ، وحين أغلقت ملفه طاف بي خاطر غريب ألهمني صبرا عظيما ، وامتدت يدي الى ملف آخر .

على الصفحة الأولى صورة لفتاة جميلة ذات نظرة ثاقبة أخاذة ، الصفحة الأخيرة خطاب بانهاء الخدمة بسبب الوفاة ، أمضت بالشركة عشرين عاما . دهسها القطار ، كانت جالسة بجوار صديق زوجها في عربته الخاصة ، تناثرت الأقاويل والشائعات ، قال البعض انها كانت ذاهبة الى العمل ، فدعاها للركوب معه ليجنبها مشقة المواصلات العامة ، ناريمان الجندي . تعاملت معها مرات قلائل ، كان الاحترام بيننا متبادلا ، قال آخرون انهما كانا ذاهبين في طريق لايؤدي الى الشركة ، لم يعرف أحد الحقيقة . لم يلتفت نظري اليها الا بعد أن تزوجت واستدار جسمها ، عاشت مع زوجها في اوروبا بضع سنوات ثم عادت الى عملها،حاول .,زوجها خنق صديقه في المستشفى ، اعترضه الزملاء ، مات الصديق متأثرا بجراحه بعد ساعات قليلة ، لم تأبه بانتقاد زميلاتها العوانس أو الجميلات أو القبيحات أو المحجبات لها ، لأنها لا تتعامل مع الرجال بتحفظ كما يفعلن . كانت شديدة الثقة بنفسها ، ورغم جرأتها الشديدة فلم يجرؤ ذئب آدمي على الاقتراب منها ، حين ذاع نبأها بكاها الرجال والنساء بنفس الحرقة ، بصقت بمرارة على الأرض لأتخلص مما علق بفمي من تراب طال زمنه .

- طلقني
- يبدو أن مرور السنوات قد أصابك بالجنون .
- كان لابد أن أتزوج مقتدرا .
- حاولي أن تتذكري أيام الحلم .
- حاول أنت ألا تتشبث بما مضى ولن يعود .

حسنين السيد درويش . ملاحظ عمال فئة ثالثة ، الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة والزمان الفاصل بينهما والعبث الذي يقود المعاني الى جب الأسرار الأبدية ، لحظة سهو أسقطته بين تروس الماكينة الضخمة ، تناثرت أشلاؤه أمام العمال ، قبل زواله بيوم كان يدعو الزملاء لحضور حفل زواج ابنته من ميكانيكي سيارات ، سعيد تغمره النشوة ، كلماته فواحة برائحة الأمل والتفاؤل بالحياة القادمة ورؤية الأحفاد ، يعلم الجميع أنه رفض محاميا بالشركة تقدم لابنته من قبل ، وكان ابني قد فاجأني بقوله :

- بصراحة أنا لا أريد ولا أنوي أن أكمل تعليمي .
- وماذا ستعمل اذن ؟
- أي عمل الا أن أكون موظفا .
- لاتتسرع .
- معذرة يا أبي . . أنا أدرى منك بزماني وأحواله .

الزمان موقوت ، والأحوال موقوتة ، وباب السكينة مغلق على أسراره ، ولكل زمان باب ، ولكل مكان باب ، وهذا هو ملف السيد النجار ، أحيل الى التقاعد وهو بصحة جيدة ، لص كبير لم يقع في فخ القانون ، أمضي ستين عاما بنفس الابتسامة الواثقة الساخرة ، أنيق دائما ، صفحات ملفه روتينية ، ليس بها ما يلفت النظر ، أول زمانه كآخره .

مازال تلامذته بالادارة يرتعون في فضاء مبادئه الواسع ، بي فضول شديد لرؤيته ، أريد ان أقرأ في عينيه ما لم أستطع قراءته في ملفه النظيف القذر ، نجح في الانفلات من قبضة القدر ، ثلاث عمارات ضخمة ، وفيلا أنيقة بمرسى مطروح ، ورصيد كبير بالبنك وصحة يحسد عليها . . ومن الأدهى والأمر أنه يقرض الشعر أحيانا ، أما أنا فلم أكن أتوقع أن يأتي على يوم بعد هذا العمر الطويل لأرى أمي تبحث في رجاء عن مأوى ثم أعجز عن تدبيره لها ، تراقصت الأحرف أمام عيني ، ولم أعد قادرا على استبيانها بوضوح ، كان لابد أن أحضر النظارة .

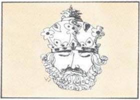
تركت الملفات جانبا وجلست صامتا ، كانت ذرات التراب سابحة في فضاء الغرفة ، لم تبددها سحب الدخان المنبعثة من فمي ، بل التحمت بها ، وتشكل في الفراغ من هذا الالتحام ما يشبه الهرم الفرعوني الكبير ، ظل الهرم يتحرك ببطء شديد حتى اقترب من النسيج العنكبوتي المهلهل على حافة الباب ، فتشتت معالمه وتاه في الفراغ ، تبدد احساسي الواهم بالفناء في الزمن ، فما عدت أراه أو أشم رائحته أو أسمع صوت أنفاسه . وجدت نفسي أضحك فجاة ، فألقيت بنظرة تعسة الى الملفات التي فتحتها ، ثم الى بقية الملفات الأخرى . . . . . وبعزم شديد فتحت الباب وغادرت غرفة المحفوظات .

□

حكايات شرق وغرب



سرقة مجوهرات تاج القياصرة



أثار التاج الذي كان يضعه قياصرة روسيا قبل الثورة اهتمام عالم الآثار الروسي فيدروف عندما ذهب في زيارة لاول مرة لمتحف كالجسين المطل على نهر الفولجا . .

وكان من الممكن ان يمر العالم بسرعة على التاج لينتقل الى غيره من الآثار التي امتلأ بها المتحف ، ولكنه وقف مكانه ولم يتحرك ، ثم راح يقترب اكثر فأكثر من «الدولاب» الزجاجي الذي اغلق باحكام حرصا على الكنوز الاثرية التي يحتويها . فجأة صاح في ثورة : « لقد سرقوا جواهر التاج » ، واسرع المسؤولون عن المتحف اليه ، ووقف فيدروف يقول لهم : « ان بعض المجوهرات التي ترصع التاج قد سرقت ووضع بدلا منها مجوهرات زائفة مصنوعة من الزجاج !

وبدأ التحقيق على الفور ، وما لبث أن اتضح أن ثمن المجوهرات المسروقة يقدر بمبلغ يساوي نصف مليون دولار أمريكي .

وحامت الشبهات حول مديرة المتحف وهي سيدة شابة تدعى جالينا ديدروفا ، ولكن أحدا من الذين تولوا التحقيق لم يستطيع ان يجد دليلا يدينها . ونشرت المجلة الثقافية السوفيتية « سوفستكا كولتورا » تفاصيل سرقة مجوهرات التاج ، وكيف اضطرت الشرطة الى تفتيش بيت مديرة المتحف ومكتبها تفتيشا دقيقا ، حتى انهم ازالوا ارضية غرفة نومها ، ولكنهم لم يعثروا على اثر للمجوهرات المسروقة .

وفي النهاية صدرت الاوامر ، كما ذكرت المجلة بحفر حديقة البيت الذي تسكنه جالينا ، وكانت المفاجأة عندما عثروا على صناديق صغيرة من المعدن مدفونة فيها ، وبداخلها مجوهرات التاج المسروقة ! ولكن كان واضحا انها لم تكن كاملة ، فقد اتضح انها باعت بعضها للسفارات الاجنبية في موسكو !

وبدأت وزارة الثقافة السوفيتية اتصالات على نطاق واسع بجميع السفارات في موسكو،ولايزال البحث جاريا لاستعادة ودفع أي مبلغ يطلبونه مقابل اعادة المجوهرات الى مكانها في تاج القياصرة .

عندما يتحول السجن الى فندق !

هل يمكن ان تصبح الحياة لذيذة وراء القضبان ؟ يقول رافاييل بارسيلا حاكم مقاطعة « رجيو كلابريا » في جنوب ايطاليا : « نعم ممكن ! ولم لا ؟

فقد قرر الحاكم ان يحول السجن الوحيد في المقاطعة الى فندق من الدرجة الاولى ، يجد فيه النزلاء السعداء كل ما ينعم به اخوانهم خارج السجن !

ترى ماذا فعل ؟ لقد زود عنابر المسجونين باجهزة التلفزيون الملون ، والغى وجبات الطعام الردىء الذي كان يقدم لهم في الافطار والغداء والعشاء ، وراح يقدم لهم الوجبات الشهية التي كان يأمر بشرائها من الخارج . . حتى النبيذ الايطالي الفاخر كان يوفره للمسجونين بشرط ان يدفعوا ثمنه لانه من الكماليات التي تدخل ضمن برنامج « اصلاح المسجونين » كما شاء ان يسميه ! !

ولم يقتصر البرنامج على الوجبات اللذيذة ، والمعاملة الطيبة التي كان المسجونون يلقونها في زنزاناتهم ، وانما امتد ليشمل كل نشاطات الحياة العادية التي كانوا يمارسونها قبل دخولهم السجن ، فقد كان يوفد الحرفيين منهم الى كل بيت يحتاج اصحابه الى اعمال السباكة والنجارة بدون مقابل !

ولكن يبدو ان برنامج الاصلاح الذي وضعه الحاكم واشرف على تنفيذه بنفسه دون الرجوع الى احد من المسؤولين في الدولة قد اصيب بنكسة ، فقد حدث ان دعا الحاكم مجموعة من ضيوفه النزلاء الى حفل عشاء في احد المطاعم الفاخرة ، واكل الجميع وشربوا النبيذ ، ولعبت الخمر برؤ وسهم ، واشتبكوا في معركة حامية مع رواد المطعم ، انتهت بتدخل رجال الشرطة الذين القوا القبض على الحاكم واصدقائه ، ونقلوهم جميعا الى السجن في انتظار تقديمهم الى المحاكمة . .

وفي السجن ، ولاول مرة ، شاهد مدير الشرطة النزلاء يأكلون « الديوك الرومي » ! وأذهلته المفاجأة . . وفي صباح اليوم التالي كان المساجين يجمعون حاجياتهم في انتظار نقلهم الى سجن جديد خارج المقاطعة لقضاء باقي مدد العقوبة المحكوم عليهم بها . .

واما الحاكم فقد وجهت إليه تهمة افساد المجتمع ، وتبديد اموال الدولة ، وخاصة بعد ان اطلع المسؤولون على سجلات السجن التي اظهرت ان عدد المسجونين تضاعف عشر مرات منذ بدء « برنامج الاصلاح » الذي ابتكره رافاييل بارسيلا ! !

حياة جديدة

في مطار هيثرو بلندن شاهد رجال الجمارك سيدة عجوز تجلس بين القادمين على الطائرة الامريكية التي اقلتهم من الولايات المتحدة في انتظار وصول حقائبها !



كان الاعياء يبدو واضحا عليها بعد تلك الرحلة الطويلة التي قطعتها الطائرة عبر الاطلنطي ، وكان وجهها الذي تركت السنون آثارها واضحة عليه يحكي اكثر من قصة ، وربما كان هذا هو السبب الذي دفع احد المسؤولين في المطار الى التوجه اليها والحديث معها . . قال وهو يحييها :

« هل استطيع مساعدتك ياسيدتي ؟ !

واجابت على الفور وهي تبتسم : « نعم . ان لدي خمس حقائب . لا اعتقد انني سأكون قادرة على نقلها الى العربة الصغيرة التي سأقوم بعد ذلك بدفعها الى الخارج . . اكون شاكرة لو استطعت ان تعاونني على حملها ! »

قال : « ارجو ان تكوني قد استمتعت برحلة طيبة ! » قالت : « لقد كانت اجمل رحلة قمت بها في حياتي . . كان مجرد شعوري بأني عائدة الى بلدي في انجلترا بعد كل هذه الاعوام التي امضيتها بعيدا

عنها ، ينسيني كل المتاعب التي صادفتها في حياتي ! وهل طالت غيبتك عن بلدك ياسيدتي ؟

وقالت السيدة ماري أرمسترونغ ، وهذا اسمها : عشت في امريكا ٦٥ عاما ثم اكتشفت انني لا احب هذا البلد ؟ لقد هاجرت اليها عندما كنت شابة في مقتبل العمر ، واصبحت أما وجدة لأكثر من ثلاثين ابنا وحفيدا ، أبنائي تزوجوا ورحلوا جميعا عني وبدأت اعاني من الوحدة التي تركني فيها زوجي بعد رحيله . . ثم جاء اليوم الذي كان لابد ان ارحل فيه بدوري ، ولكن الى « بيت العجائز » الذي قرر ابنائي ان يحملوني اليه . . ان احداً منهم لم يتذكر يوما في ان يأتي لزيارتي ولم اعد اراهم ، عندئذ فقد قررت ان اعود الى بلدي فأنا لست عجوزا كما ترى . . ومن يدري فقد اعثر على بعض اقاربي هنا وابدأ معهم حياة جديدة . . انني اريد ان احتفل بعيد ميلادي المئوي بين اهلي واصدقائي . . من يدري فقد اجدهم حيث تركتهم منذ خمسة وستين عاما ! !

قصة اليابان في بيت نايري

وضع ستين مؤلفا ، سجلت كلها ارقاما قياسية في التوزيع ، ومع هذا كان يقول دائما ان تسعين في المائة من الكتب التي وضعتها والمؤلفات التي كتبتها لاقيمة لها . !

انه موريو كيتا ، الكاتب والمؤلف الياباني الساخر الذي يعود الحديث عنه الآن بمناسبة صدور ترجمة كاملة لواحد من اول مؤلفاته الذي اختار له اسم « بيت نايري » فقد صدر الكتاب منذ اكثر من عشرين عاما في عام ١٩٦٤ على وجه التحديد ، ثم رأت احدى دور النشر الانجليزية أن تترجمه كاملا بعد هذه الفترة الطويلة التي انقضت على صدوره باللغة اليابانية ، ويروي الكاتب فيه فصلا من التاريخ الاجتماعي لليابان من عام ١٩١٨ ، أي بعد نهاية الحرب العالمية الاولى حتى عام ١٩٤٦ بعد الاحتلال الامريكي لبلاده التي منيت بالهزيمة في الحرب العالمية الثانية .

ويحكي « بيت نايري » قصة اسرة يابانية من خلال ثلاثة اجيال ، تمتد جذورها الى فلاح فقير في عهد الامبراطور ميجي ، وكيف كانت هذه الاسرة تدير مستشفى للامراض العقلية مع وصف دقيق لذلك الخليط من البشر الذي كان يعمل في المستشفى ، أو ينزل به للعلاج ، وهذا الخليط في رأيه يمثل نموذجا لاهل اليابان . . ولكنه ينفي تلك النتيجة التي توصل اليها المترجمون ويقول : « لا » . . لم اقصد ذلك . . انما الذي قصدته هو « اسرتي » فقط التي اصيب افرادها بالجنون ، وليس اهل اليابان « وهو يقصد



بهذا افراد الاسرة التي تحدث عنها في كتابه . . افراد اسرته هو ! !

وهو يلخص نظريته حول الشخصية وكيف تتأثر بالتاريخ . . . وهو كطبيب متخصص في الامراض النفسية لايرى ان التاريخ هو الذي يخلق الشخصية ، ولكنه يؤمن بأن الاحداث تؤثر تأثيرا قويا في الرجال ، وأن هذا التأثير هو الذي يشكل طبيعة شخصيتهم ! لقد كان ابوه ايضا طبيبا للامراض النفسية ، ولكنه كان شاعرا في الوقت نفسه . . وسار في الطريق ذاته فتخرج في كلية الطب في عام ١٩٥٣ ، واختار الطب النفسي وتخصص في دراسة انفصام الشخصية ، أو الشيزوفرينيا وكان يمارس مهنته في المستشفى الذي افتتحه شقيقه . . ولكن الكتابة كانت دائما تأتي قبل علاج المرضى . . وكان يقول : « لكي اعالج مرضاي فلابد ان اقرأ . . واذا قرأت ،

لا اكتفي بالاستفادة بما تعلمته في العلاج ، وانما ايضا نقل ما تعلمت الى القراء ! ولكنه في النهاية مالبث ان هجر الطب ، وتفرغ للكتابة وحدها ، وكان وقتها في الثلاثين من عمره . .

ان « بيت نايري » هي قصة حياة اسرته هو ، أو « سيرة ذاتية » بلغ عدد النسخ التي بيعت منها باليابانية اكثر من مليون ونصف مليون نسخة ، وقال عنها كاتب اليابان الكبير « يوكيو ميشيما » انها من اهم المؤلفات التي ظهرت في اليابان بعد الحرب . وكانت اهم الشخصيات التي نالت الجزء الاكبر من تحليله في كتابه والده ووالدته . . أما الاب فقد كتب عنه يقول : « لقد اعاد بناء المستشفى الذي دمرته القنابل بعد الحرب ، ثم اشرف اخي على ادارته ، تماما كما اعادت اليابان بناء نفسها من جديد !

واما عن امه فقد قال : « لقد كانت امرأة قوية لا ترضخ للاستسلام . . وكانت تعشق الرحلات ، لقد سافرت الى المنطقة القطبية الشمالية وكانت امنيتها ان تسافر الى القمر ! . .

ولكن العمر لم يمتد بها ، فقد رحلت في بداية العام الماضي . . رحلت عن تسعين عاما فقط

لم تشك خلالها من مرض واحد الم بها ! !

ان «بيت نايري » هي قصة كل بيت في اليابان ! . .

الرسالة الأخيرة



تقدم به العمر ، فقد بلغ التسعين ، واقتربت رحلة حياته على الأرض من نهايتها ، ولكنه كان سعيدا دائما ، ولم يكن من الصعب على أصدقائه أن يكتشفوا سر سعادة هذا المعمر الذي كانوا يلقونه وابتسامة الرضا تملأ وجهه العجوز ، فقد كانوا إذا سألوه عن سر هذه السعادة التي يعيشها ، قال في هدوء « لأنني لم أتسبب في الحاق الأذى بأي إنسان عرفته من قريب أو من بعيد . . هذا الشعور يملؤني بالراحة كلما خلوت الى نفسي ، وأنا اقترب من نهاية الطريق التي ملأتها بشموع الحب لكل الناس »

وكان الرجل ثريا ، يملك الملايين ، فقد كان يعمل مقاولا في مدينة فلورنسا بايطاليا ، وكان جميع سكان المدينة يعرفون الرجل الذي شيد نصف مباني المدينة « جاليانو بولدريني » . . وكانوا يسمونه بالرجل الذي لم يفكر يوما في ايذاء ذبابة !

ولكن جاليانو ، بالرغم من هذا لم يكن واثقا تماما من نفسه . . وكان يقول انه يخشى أن تكون ذاكرته قد خانته ، وأنه ربما يكون قد ألحق الأذى بأناس عن غير قصد . .

وعندما وقف يحتفل بعيد ميلاده التسعين ، منذ بضعة أشهر ، فاجأ أصدقاءه باعلان كبير نشرته صحف المدينة . . وأمسك الرجل بالصحيفة وراح يقرأ :

« أنا جاليانو بولدريني ، أعد بدفع أيّ تعويض يطلبه منى أي شخص يكون قد تضرر من أي تصرف صدر منى ، على مدى السنوات التي قضيتها في بناء هذه المدينة الجميلة . . انني لا أريد أن أواجه ربي وقد تركت من ورائي نفوسا تعذبت بسببي . . فقد عشت حياتي أحب الناس ، فأحبني الناس ، ولا أريد لهذا الحب أن يموت بعد رحيلي !

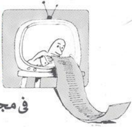
وراح الرجل ينتظر . . ومرت الأسابيع والأشهر ، ولم يتلق جاليانو رسالة واحدة . . فلما رحل خرجت المدينة كلها تودعه ! □

العربي - العدد ٣٣٧ - ديسمبر ١٩٨٦



قضية

نحو دستور أخلاقى عربى موحد



فى مجال أخبار التلفزيون

بقلم : محمد محمود المرسي *

إن العمل فى مجال أخبار التلفزيون كالعمل فى أى مجال آخر يحكمه العديد من الجوانب الأخلاقية التى يجب أن تراعى ، سواء فى اختيار هذه الأخبار والتأكد من صحتها ودقتها ، أو عند تحريرها وعرضها .

تهدف الاذاعة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية فى مقدمتها « الاعلام »، والمقصود بالاعلام « الإخبار » ، أى تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة ، التى تساعدهم على تكوين رأى فى مشكلة من المشاكل ، أو واقعة من الوقائع ، بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير ، واتجاهاتها ، وميولها .

ووظيفة الأخبار من الوظائف الأساسية للصحافة ، سواء كانت مطبوعة ، أو مسموعة ، أو مرئية ، ويمكن القول ان الإخبار هو الدعامة الأساسية للعمل الاذاعى ، وأحد الأهداف الرئيسية التى يسعى الراديو والتلفزيون إلى تحقيقها بأفضل الوسائل والامكانيات .

ونظرا لأهمية وظيفة الاخبار فى التلفزيون فقد حرص كثير من المحطات التلفزيونية فى العالم على إصدار مواثيق شرف ، ودساتير أخلاقية ، للعمل الاخباري بها ، ذلك بهدف تنظيم هذا العمل ، وللحفاظ على بعض القيم والمبادىء والأخلاقيات السائدة فيها . كذلك فإن كثيرا من الاتحادات

* مدرس مساعد بقسم الاذاعة - كلية الاعلام ، جامعة القاهرة .

الاذاعية التي تضم عدداً من المحطات التلفزيونية ، حرصت هي الأخرى على إصدار مثل هذه الدساتير والمواثيق .

وقبل أن نتطرق إلى المواثيق والدساتير في تلفزيونات الأقطار العربية ، يجدر بنا أن نشير إلى أهم المبادىء الأخلاقية في مجال أخبار التلفزيون ، التي تأخذ بها معظم الاذاعات العالمية ، كي تحكم نشاطها الاخباري .

في مجال التلفزيون

تنص غالبية الدساتير والمواثيق الأخلاقية في مجال أخبار التلفزيون على ضرورة الاهتمام بدقة الخبر ، وصحته ، أكثر من الاهتمام بالسبق الصحفي . على أساس أن الاولوية لا يجب أن تأتي على حساب الحقيقة ، وذلك بالتأكد من أن مصدر القصة الخبرية هو المصدر المناسب لروايتها ، والتأكد أيضا مما يقوله هذا المصدر ، ومن العناصر اللازمة لدقة الخبر ، وصحته .

إن لدقة الخبر قيمة مطلوبة في العمل الاخباري بوجه عام ، سواء كان ذلك في الصحافة ، أو الاذاعة المسموعة ، أو المرئية ، لكن أهميتها تزيد كثيرا في الاذاعة ، ليس فقط بالنظر إلى حجم جمهور المستقبلين ، وولائهم للخدمات الاذاعية المختلفة ، لكن لأن ما يصدر عن الاذاعة من أنباء غير دقيقة يصعب تصحيحها . إذ أن جمهور المستقبلين يتغير في حالة الاذاعة ، وهو ليس كجمهور الصحيفة الذي يعتاد قراءتها ، وبالتالي يصبح وصول التصحيح إلى جمهور الصحيفة أكبر احتمالا من وصوله إلى نفس جمهور الاذاعة ، بل إن تصحيح الخبر الخاطىء عن طريق الاذاعة قد يؤدي إلى نتائج أكثر ضررا من إذاعة الخبر الخاطىء نفسه ، لذلك فإن دقة الخبر تعتبر أيضا من أهم القيم الاخبارية بالاذاعة المسموعة أو المرئية .

وبالاضافة إلى أهمية التأكد من دقة الخبر وصحته ، هناك بعض المبادىء الأخلاقية العامة التي تأخذ بها معظم الاذاعات العالمية ، أهمها :-

- تحاشي إذاعة أخبار الجرائم والفضائح الجنسية ، إلا إذا كانت لها أهمية قومية خاصة .
- عدم إذاعة الأخبار بطريقة تؤدي إلى احداث ذعر أو فوضى ، وعدم إذاعة أخبار الحوادث أو الكوارث إلا بعد الحصول على كل التفصيلات المناسبة .
- عدم إذاعة أخبار حوادث الانتحار إلا إذا كانت متعلقة بشخصية معروفة على المستوى القومي .
- عدم إذاعة أخبار اليانصيب أو المقامرة ، أو أية معلومات عن أنشطة مماثلة قد تؤدي إلى دخول الجمهور في عمليات المقامرة حول نتائج حدث ما .
- يجب ألا تقدم الأخبار الخيالية والخرافية بطريقة توحي بأنها واقعية .
- يجب ألا تتضمن نشرات الاخبار أية نصائح قانونية أو طبية ، إلا إذا كانت جزءاً مكملا للخبر المستقى من المصادر الرسمية .
- يجب ألا يقوم مذيع الأخبار بأية حركات متعمدة في صورة تؤدي إلى تغيير معنى الخبر .

الخصوصية والتشهير :

بينما تتناول الصحف والمجلات الاخبارية والراديو والتلفزيون الاخبار ذات الاهتمام العام ، فان كل مواطن لديه الحق أن يعيش حياته الخاصة . وإذا كانت كاميرا التلفزيون تستطيع أن تذهب الى أماكن كثيرة ، وتلتقط العديد من الصور فانه يجب ألا تنتهك حق المواطن في الخصوصية .

كذلك إذا أذاعت المحطة التلفزيونية قصة إخبارية غير حقيقية من شأنها أن تعرض شخصا أو مجموعة من الأشخاص للكراهية العامة ، أو السخرية ، أو تؤذي أعمالهم وتضرها ، فان هذه القصة الاخبارية تعد تشهيرا ، وغالبا ماتقود إلى ساحة المحكمة .

إن القذف وتشويه السمعة نتيجة قصة إخبارية يعتبر تشهيرا ، وغالبية حالات التشهير هذه تحدث عند تغطية أخبار المحاكم والقضاء ، وبخاصة أخبار الجرائم ، وهذا يدعو إلى أن يكون كاتب الأخبار حذرا في تناول أسماء المشتبه بهم في قصص الجرائم ، والتأكد من أن الشخص قد تم القبض عليه قبل إذاعة اسمه على الهواء .

رؤية عربية للمبادىء الأخلاقية :

إن المبادىء الأخلاقية العامة السابق ذكرها ، تأخذ بها غالبية محطات الاذاعة (راديو وتليفزيون) فى العالم . فاذا ما انتقلنا إلى المبادىء الأخلاقية للعمل الاخبارى بتليفزيونات الوطن العرّبي ، فإننا نجد أنه لا يوجد في غالبية تليفزيونات الوطن العربي ميثاق أو دستور أخلاقي خاص بالعمل الاخبارى بها ، رغم وجود هذه المواثيق فى غالبية تلفزيونات الدول المتقدمة ، وانما توجد مواثيق للعمل الاذاعى بصفة عامة متضمنة فى داخلها النشاط الاخبارى .

وأعرض هنا بعض نماذج من مواثيق الشرف الاذاعية فى الوطن العربي مستخلصا منها ما يختص بالعمل الاخبارى فقط .

١ ـ الميثاق الاذاعى العربى :

ينص الميثاق الاذاعى العربى الذى أقر فى الدورة العادية الثانية للجمعية العامة لاتحاد إذاعات الدول العربية ، التى انعقدت فى عمان ما بين ١٩٧٠/١/٢٨ الى ١٩٧٠/٢/٣ فى بنده الخامس على ما يلى :ـ

ـ تلتزم الاذاعة بتوفير خدمة إخبارية وافية .
ـ تنشر الأخبار والمعلومات المطابقة للحقيقة ، وتتوخى الدقة فى اختيار مصادرها ، وأن تكون عادلة وغير متحيزة .
ـ أن تتجنب إذاعة التفصيلات المثيرة أو المزعجة غير الضرورية ، للسرد الواقعى للأخبار .
ـ تقدم الايضاح والتفسير القائمين على أسس واضحة، وتقدم برامج تحليل الأخبار بوضوح تام ، تميزا لها عن الأخبار المباشرة .

٢ ـ ميثاق العمل التلفزيونى فى دول الخليج :

ينص ميثاق العمل التلفزيونى فى دول الخليج فى بنده الرابع على أهم المبادىء الأخلاقية الخاصة بالأخبار والبرامج الأخبارية ، ومن هذه المبادىء :ـ
ـ أن يشعر القائمون بالعمل الاخبارى بمسئوليتهم عن إعلام المشاهد بكل ما يهمه من أخبار بلده ومنطقته ، والأخبار العربية والعالمية بأسرع وقت ممكن ، دون أن يخل الاسراع بالدقة اللازمة للخبر التليفزيونى ، وتتصل بهذا ضرورة الحرص على عدم حجب الأخبار التى لها أهمية من وجهة نظر الجمهور ، ويصرف النظر عن درجة وقعها عليه .

ـ أن يلتزم العاملون فى الأخبار فى اختيارهم لها ، وفى تحريرها وتقديمها الموضوعية والصدق ، وعدم الانحياز إلا فى الموضوعات التى اتخذت فيها دول المنطقة فى اطار المواقف العربية المشتركة موقفا محددا من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الانسانية .
ـ تقدم أخبار رؤساء الدول الخليجية العربية بكل ما يليق بهم من احترام .

ـ اذا اختلفت وجهات النظر السياسية العربية حول موضوع ما ، فعلى التليفزيونات الخليجية أن تلتزم الموضوعية العامة فى عرضها للأخبار أو التعليقات المتصلة بهذا الموضوع ، بعيدا عن الاثارة والانفعال ، وأن تحرص على عدم المساس بروح الانتماء العربى لأي قطر .

ـ الحرص على روابط التضامن والأخوة الاسلامية بين مختلف الأقطار العربية والاسلامية وشعوبها .
ـ الحرص على ألا يظهر فى اللقطات الاخبارية المصورة ما من شأنه أن يجرح المشاعر الدينية أوالاجتماعية أو الوطنية أو الانسانية للجمهور .

٣ ـ ميثاق الشرف الاذاعى المصرى :

لا يوجد فى جمهورية مصر العربية دستور أخلاقى خاص بالعمل فى مجال أخبار التليفزيون ، وإنما يوجد ميثاق الشرف الاذاعى الذى يتضمن مجموعة من المبادىء الأخلاقية والاذاعية ، التى يجب أن يلتزم بها كل من يمارس العمل الاذاعى (راديو تليفزيون) وذلك بهدف وضع أسس أخلاقية للعمل الاذاعى ، ومراعاة تقاليد المجتمع وأخلاقياته ، ويحظر هذا الميثاق على الاذاعيين ما يلى :ـ
ـ أى مساس بالعقائد والقيم ، وأى تعرض لما فيه إثارة بين الطوائف .
ـ أى مساس بالأهداف القومية والتراث القومى .

- أي مساس بنظام المجتمع ، وأي مساس بقيمة العمل والعاملين .
- أي استغلال لغرائز الجماهير ، وأي تجاوز على الحريات المكفولة للغير بالقانون .
- إذاعة اسرار الأمن القومي ، وإذاعة ما يدعو إلى الانحلال أو يدعو إلى الاحباط .
- إذاعة ما يدعو إلى استخدام العنف أونشر الجريمة أو الاثارة الجنسية .

اقتراح لدستور أخلاقي عربي

بعد هذا الاستعراض الموجز لأهم المبادىء الأخلاقية للعمل الاخباري بالتليفزيون ، وبعد استعراض نماذج من مواثيق الشرف الاذاعية العربية ، يتضح لنا أن الاهتمام قائم على مستوى الاقطار العربية لوضع أسس ومبادىء ومعايير أخلاقية للعمل الاذاعي بشكل عام ، ولكن نظرا لأهمية التليفزيون كوسيلة إخبارية ، وكمصدر من مصادر حصول الأفراد على الأخبار والمعلومات ، ونظرا لأهمية الوظيفة الاخبارية ذاتها ، فانه من الأفضل وضع دستور أخلاقي خاص بالنشاط الاخباري بتليفزيونات الاقطار العربية ، يلتزم به جميع العاملين ، ويكون بمثابة المرشد لهم في هذا المجال وخاصة للمبتدئين منهم ، ولا شك أن القيام بهذه الخطوة لا بد أن تتلوها خطوات ، في سبيل وضع دستور أخلاقي عربي موحد ، يلتزم به جميع العاملين في مجال الاخبار بتليفزيونات الاقطار العربية ، ويمكن القول ان هذه الخطوة بادر بها اتحاد إذاعات الدول العربية وجهاز تليفزيون الخليج ، لكنها خاصة بالنشاط الاذاعي المسموع والمرئي بوجه عام ، ويمكن وضع مثل هذا الدستور الأخلاقي العربي الموحد عن طريق اتباع عدد من الخطوات الهامة منها على سبيل المثال :-

- عقد ندوات علمية موسعة لبحث موضوع « أخلاقيات العمل الاخباري بالتليفزيون » يشارك فيها الأساتذة والمتخصصون في هذا المجال من أقطار الوطن العربي ، ويكون من نتائجها التوصل إلى مجموعة من المقترحات حول صيغة مثل هذا الدستور .
- تشكيل لجنة خاصة من أساتذة الاعلام بالجامعات العربية ، والقيادات المسئولة عن العمل الاخباري والتليفزيوني بالاقطار العربية ، لبحث بنود هذا الدستور .
- الاسترشاد بما ورد في المواثيق والدساتير الأخلاقية للعمل الاخباري بتليفزيونات الدول الأجنبية ، على أن توضع في الاعتبار الأخلاقيات العربية ، والقيم والمثل التي يجب أن نحافظ عليها .

كيف تستدل على عقل الرجل ؟

● يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها : ميله إلى محاسن الأخلاق ، وإعراضه عن رذائل الأعمال ، ورغبته في إسداء صنائع المعروف ، وتجنبه ما يكسبه عارا ، ويورثه سوء السمعة . وقد قيل لأحد الحكماء : كيف يعرف عقل الرجل ؟ فقال : بقلة سقطه في الكلام ، وكثرة إصابته فيه ، فقيل له : فإن كان غائبا ؟ قال : بإحدى ثلاث : إما برسوله ، وإما بكتابه ، وإما بهديته ، فإن رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه يصف نطق لسانه ، وهديته عنوان همته ، فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها .



منتدى العربي

تعقيبات

السّلطان عبدالحميد الثاني

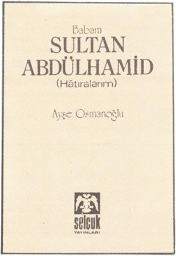
مــرةً أخــرى..

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

شدني تعليق د . إحسان حقي المنشور في مجلة العربي ، العدد رقم ٣٣٥ ، السنة التاسعة والعشرون ، أكتوبر ١٩٨٦م ، تعقيبا على مقالي (الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد) المنشور في العدد رقم ٣٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ ، ولفت انتباهي شك الدكتور إحسان حقي ، حول صدور كتاب بقلم عائشة بنت السلطان عبدالحميد الثاني ، وتكراره لعبارتي « غيرصحيح » و « أشك في صحة » سبع مرات ، وجعله ذاكرته ، ومعرفته ، هي الفيصل ، والحكم ، ولا أراني بحاجة لارهاق القارىء العربي بالتنويه على أنه ليس من منهجية البحث التاريخي الجاد اللجوء للاحكام القاسية ، والاعتماد على الذاكرة ، فإن الوثائق هي الفيصل ، وكان من الأفضل ، وحفاظا على منهج الدكتور إحسان حقي نفسه ، أن يقول : « لم يتناه الى علم الباحث » أو « لا علم لكاتب هذه السطور بذلك » ، واني أرفق صورة من غلاف الكتاب واسمه

Babam Sultan Abdulhamid, (Hatiralarim), Ayse Osmanoglu, Selcuk Yayinlari.

وترجمته : (والدي السلطان عبدالحميد . خواطري . عائشة بنت عثمان أوغلو دار سلجوق)



ونسبة عثمان تعود الى عثمان مؤسس الدولة العثمانية .

وفي ص ٩ من الكتاب تقول عائشة : « أنا عائشة عثمان أوغلو ، عاشرة أولاد السلطان عبدالحميد الثاني ، وسادسة بناته ، ولدت عام ١٨٨٧م في سراي يلدز باستانبول ، ووالدتي هي مشفقة قادين أفندي ، رابعة زوجاته » .

وأما زوجها الثاني الذي اقترنت به ، بعد طلاقها من أحد نامي ، فهو محمد علي رءوف بك ، وقد عقد قرانها في استانبول شيخ الاسلام نوري أفندي ، وزوجها الثاني هو الذي اقترح عليها الاقامة في باريس ، وقد توفي في الغربة . انظر صفحتي ٢٤٠ ، ٢٤١ من الكتاب .

أما ولدها عبدالحميد ، فانظر ما كتب عنه في صفحتي (٢٤٣ ، ٢٥٥) وخلاصة ما جاء فيها أنها حين غادرت الى باريس كان سن ابنها (عمر نامي) ١٢ سنة ، وعمر ولدها عثمان ٦ سنوات ، أما ولدها عبدالحميد وهو من زوجها محمد علي رؤوف فكان عمره سنتين ، ناهيك عن ابنة توفيت قبل ذلك ، ويبدو أن ولدها عبدالحميد كان معوقا إذ تقول في ص ٢٥٥ : « أما ولدي المسكين عبدالحميد فسيظل طوال حياته محتاجا لرعايتي ، لقد حكم القدر علي أن أعمل ماحييت لراحته ، وستظل نفسي يعذبها حنان الأمومة بسببه » .

كلمة أخيرة :

كتبت عائشة قصة نفيها خلال الفترة (١٩٢٤ - ١٩٥٢م) على حلقات ، في مجلة (الحياة) ، ثم صدرت القصة في كتاب سنة ١٩٦٠ ، ثم أعادت دار سلجوق للنشر - بأنقرة - طبعه ثانية سنة ١٩٨٤ ، والآن يعد الكتاب للطبع بالعربية ، وسيصدر قريبا . □

القانون الانساني

● إن فكرة إدخال الروح الانسانية في الحرب راودت ضمائر المشرعين والقادة المحاربين وعواطفهم منذ قديم الزمان .

وقد جاء الاسلام سواء في القرآن أو السنة الشريفة أو تصرفات الخلفاء بمبادىء كثيرة تتعلق بالقانون الانساني ، وكيفية معاملة مواطني العدو بشكل عام ، وأسرى الحرب بشكل خاص ، وقد تقيد قادة الحروب بهذه الأحكام الواردة في القرآن والسنة ، فمارسوا قواعد القانون الانساني ، ووضعوها موضع التنفيذ قبل أن يعرفها العالم .

فقد أمر الخليفة أبو بكر رضي الله عنه عندما وجه جند المسلمين لفتح بلاد الشام قائده يزيد بن أبي سفيان قائلا : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا شيخا كبيرا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيرا إلا للمأكلة ، ولا تغدروا إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

قاموس العربي

أ

إرهــــــاب

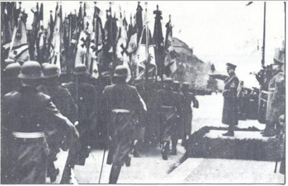
هو استخدام العنف ، أو التلويح به لتحقيق هدف محدد ، أو مصالح معينة ، وبمعنى عام هو استخدام الاكراه لاخضاع طرف آخر (أفرادا أو مؤسسات أو دولا) لمشيئة الجهة الارهابية . وتجدر التفرقة بين الكفاح الشعبي المسلح ضد الاستعمار ، والاحتلال الأجنبي ، كوسيلة مشروعة لمقاومة الاغتصاب ، وبين الارهاب الذي يمارسه خصوم الرأي ، أو المصالح .

وأبرز الأمثلة التاريخية على حالات الارهاب فرق الفاشيين بايطاليا التي اغتالت عددا من المعارضين ، والصحفيين ، واغتيالات النازيين بألمانيا قبل وصول هتلر إلى الحكم ، وعمليات التصفية الجسدية التي تمارسها أجهزة الاستخبارات ضد المعارضين ، أو زعماء أو قادة في بلدان أخرى .

وقد شهدت الخمسة والعشرون عاما الماضية ظهور عديد من الحركات الارهابية في العالم ، مثل جماعة (بادر ماينهوف) ، والجيش الأحمر الياباني ، والألوية الحمراء ، وهي جماعات تشترك كلها في صفة أساسية هي أنها رافضة لمجتمعاتها ، ويائسة من إمكانية التغيير ، عبر القنوات السلمية . والشرعية المتفق عليها مجتمعيا ، فجماعة الألوية الحمراء هي عبارة عن تنظيم متطرف ، يمارس العمل المسلح السري ، كوسيلة للاستيلاء على السلطة ، وقد أسسه (ريناتوكورشيو) وهو من مواليد (١٩٤٣) ، وكان عضوا نشطا في الحزب الشيوعي الماركسي الايطالي ، وكان أحد قادة حركة ١٩٦٨ الطلابية . في جامعة (ترانتا) ، وفي تقدير (كورشيو) أن مواقف حزبه غير جذرية ، وغير مجدية ، ولذا فقد انسحب من الحزب ، وتوجه إلى ميلانو عام ١٩٧٠ ، حيث أسس حركته التي قال عنها إنها رد فعل للارهاب الذي تمارسه قوى اليمينيين المحافظين (الفاشيون الجدد) الذين مارسوا عمليات ارهابية في ميلانو ، في ديسمبر ١٩٦٩ ، وأدت إلى مقتل ١٦ شخصا ، وجرح مئة .

ورسم كورشيو (استراتيجية) حركته على أنها موجهة إلى « صميم مصالح الدولة البرجوازية » ، لاجبارها على ممارسة دور فعال في توعيةالعمال ، ليتفهموا مصالحهم ، وكانت أول عملية للألوية الحمراء في ٣ مارس ١٩٧٢ ، حيث خطفوا رئيس مجمع « سيت - سيانس » الصناعي ، وهي العملية التي اعتبرت وقتئذ أول عملية اختطاف سياسي في إيطاليا ، عقب الحرب العالمية الثانية ، ثم توالت العمليات ، فاختطفوا مديري شركتي فيات والفا روميو ، ثم اختطفوا قاضي محكمة جنوا « ماريو سوسي » ، وأخضعوه للمحاكمة ، لمدة ٣٦ ساعة ، في أحد مخابئهم ، ثم اختطفوا « الدو مورو » رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي ، ثم أعدموه ، بالاضافة الى عدد من العمليات الارهابية .

أما منظمة (بادر ماينهوف) الارهابية الالمانية



هتلر .. أيام مجده

فتؤمن بالنضال المسلح ضد الامبريالية الامريكية والالمانية التي لا مجال للتعامل معها أو للنقاش إلا بضربها في الصميم ، وقد أسس المنظمة (اندرياس بادر ، واولريك ماينهوف) وباسميهما عرفت الحركة ، رغم ان اسمها الرسمي هو « الجيش المسلح الأحمر » ، وقد تمثلت عمليات المنظمة في عديد من الاغتيالات السياسية ، وبعض الهجمات على القواعد الامريكية في المانيا ، ونسف المؤسسات الرأسمالية الكبرى ، والسطو على المصارف ، وكانت أبرز عملياتهم هي خطف « هانز مارتان شلاير » ، رئيس اتحاد الصناعيين الألمان ، وقد ولدت فكرة المنظمة في رأس الآنسة (اولريك ماينهوف) التي تعد عقل المنظمة ، ومخطط عملياتها ، عقب مقتل زعيم الطلبة في مظاهرات ١٩٦٨ برصاص الشرطة .

فقد كتبت تقول « إن الرصاصات التي أطلقت على (رودي) قد وضعت حدا لحلم اللاعنف ،من لا يحمل السلاح يمت ، ومن لا يمت يدفن في السجون ، والاصلاحيات ، وفي المدن الصناعية ، وفي أسمنت الأبراج السكنية » .

وكانت (استراتيجية) المنظمة قائمة على فكرة الرغبة في تدمير المجتمع الاستهلاكي ، والرد على عنف السلطة بعنف ثوري ، وقد أعلن عن انتحار قادة المنظمة باور ، وماينهوف ، والآنسة جوروون انسلين ، ويان كارل راسبي في عام ١٩٧٧ ، عقب فشل محاولة اختطاف طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا ، وإجبارها على الهبوط في مطار مقديشو ، وقد اتهم محامي ا [illegible]طفين السلطات الالمانية بقتل زعماء المنظمة داخل السجن ، ثم الاعلان عن انتحارهم .

أشهر التنظيمات الارهابية العالمية الثلاثة هو الجيش الأحمر الياباني الذي تأسس عام ١٩٦٩ ، على يد (تاكايا شيومي) الأستاذ المساعد في جامعة (كيوتو) ، وقد تأسس في مناخ عام ساد اليابان وقتئذ ، مناهض للحرب الامريكية الفيتنامية ، وقد رأى (تاكيا) أنه لا فائدة ترجى من المظاهرات السلمية التي تتعرض لقمع رجال مكافحة الشغب فوجه الدعوة إلى شن حرب عصابات داخل المدن ، وتوجيه ضربات مركزة ضد أهداف معينة ، فقام أفراد المنظمة بإلقاء قنابل (مولوتوف) على سفارتي الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، ثم القيام باختطاف طائرة ركاب الى كوريا الشمالية ، ثم القيام بعملية مطار اللد التي نفذها عدد من القوات الخاصة التابعين للمنظمة ، والقيام باحتلال السفارة الفرنسية بلاهاي ، ثم اختطاف طائرة ركاب يابانية ، متوجهة إلى (دكا) ، ولم يفرجوا عنها إلا بعد أن حصلوا على فدية مقدارها ٦ ملايين دولار ، وإفراج السلطات اليابانية عن بعض المعتقلين السياسيين .

وهكذا نجد أن حركات الارهاب ومنظماته نشأت للصدام مع مجتمعاتها ، بعد أن فشل جيل كامل في أن يجد وسيلة للتعبير عن سخطه ، وتمرده ، وقسوة حياة مجتمعات الأسمنت والآلة . □



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بايمانهن ، فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن) الممتحنة - ١٠

حدثت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (وكانت رغم أمر النبي (ﷺ) بقتل أبيها بعد أسره في وقعة بدر قد دخلت في الاسلام سرا وهي بمكة) قالت : « كنت أخرج الى بادية لنا بها أهل ، فأقيم فيهم الثلاث والأربع ، ثم أرجع الى أهلي بمكة ، فلاينكرون ذهابي ، فلما أجمعت السير الى المدينة ، خرجت يوما من مكة كأني أريد البادية ، وانتهيت الى الطريق ، فاذا رجل من خزاعة : يسألني : « أين تريدين ؟ » قلت : « حاجتي ، فما مسألتك ، ومن أنت ؟ »قال: « رجل من خزاعة » . فلما ذكر خزاعة اطمأننت اليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله وعقده . فقلت : اني امرأة من قريش أريد اللحوق برسول الله ، ولاعلم لي بالطريق ، قال أنا صاحبك حتى أوردك المدينة ، ثم جاءني ببعير ، فركبته .. وسرنا حتى قدمنا المدينة ، ودخلت على أم سلمة زوج رسول الله ، فلما عرفتني قالت : هاجرت الى الله ورسوله ؟ قلت : نعم ، وأنا أخاف أن يردني رسول الله الى المشركين كما رد غيري من الرجال ، وحال الرجال ياأم سلمة ليس كحال النساء ، وقد طالت غيبتي عن أهلي،اليوم ثمانية أيام منذ فارقتهم ، فهم يبحثون قدر ماكنت أغيب ثم يطلبونني ، فان لم يجدوني رحلوا إلي فساروا ثلاثا» .

ودخل النبي عليه الصلاة والسلام على أم سلمة ، فأخبرته خبر أم كلثوم ، فلما رحب بها النبي ﷺ قالت له : يارسول الله ، اني فررت بديني اليك ، فامنعني ولاتردني اليهم يفتنوني ويعذبوني ، فلا صبر لي على العذاب ، انما انا امرأة وضعف النساء الى ماتعرف .

وقدم المدينة من الغد أخواها الوليد وعمارة ، فقالا للنبي : يامحمد فِ لنا بشرطنا وماعاهدتنا عليه

في الحديبية »

فقال : ان الله نقض العهد في النساء . ثم تلا « يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات . . . الى آخر الآية .

ولتفسير طلب الوليد وعمارة من النبي ، نذكر أنه كان قد ورد في صلح الحديبية أن من أتى محمدا من الناس بغير إذن وليه رده اليه ، وان من أتى قريشا من أصحاب محمد لم ترده ، وكان عمر بن الخطاب قد غضب عند كتابة هذا الشرط في الصحيفة وصاح : أترضى بهذا الشرط يارسول الله ؟ ! فقال عليه الصلاة والسلام : من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ، ومن أعرض عنا وذهب اليهم ليس منا بل هو أولى بهم .

وقد حدث بعد عدة أيام من عودة المسلمين من الحديبية أن أتى النبي (ﷺ) في المدينة رجل من مسلمي مكة يقال له أبو بصير ، كان حليفا لبني زهرة ، فلما عرف خبر فراره كتبت بنو زهرة الى النبي ﷺ كتابا يطلبون فيه أن يرد اليهم أبا بصير ، وبعثت الكتاب مع رجل من بني عامر بن لؤي . فلما قرىء على النبي ﷺ ، امر ابا بصير بأن يرجع مع رسول بني زهرة ودفعه اليه ، فقال أبو بصير : تردني يارسول الله الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال رسول الله : يا أبا بصير،انا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ، ولايصلح لنا في ديننا الغدر ، فجعل أبو بصير يردد : تردوني الى المشركين ؟ والنبي ﷺ يقول له : انطلق يا أبا بصير فان الله سيجعل لك مخرجا ، ثم دفعه الى العامري فخرج معه .

هذا عن موقف رسول الله ﷺ من شرط رد الميلمين الوافدين اليه من مكة بغير إذن أوليائهم ، غير أن الآية نزلت بعد ذلك تنقض العهد في المسلمات ، بعد فرار أم كلثوم بنت عقبة من أوليائها ، فلما أبى النبي ﷺ ان يردها الى أخويها رجعا الى مكة فأخبرا قريشا ، فلم تبعث قريش في ذلك أحدا ، فما مضى بعض الوقت حتى تزوج زيد بن حارثة من أم كلثوم هذه ، ثم أقبلت الى المدينة سبيعة بنت الحارث الأسلمية ، وهي متزوجة من مشرك من بني مخزوم ، فلما أقبل زوجها المخزومي طالبا ردها اليه ، استحلفها النبي عليه الصلاة والسلام فحلفت انها انما أرادت الاسلام ، فأعطى النبي زوجها ما أنفق عليها ، وتزوجها عمر بن الخطاب . ذلك أن الآية نصت على أن كفر الأزواج يفسخ الزواج ويسمح للمسلمات بالزواج من مسلمين ، شريطة تعويض الزوج المشرك عن المهر الذي دفعه ، كذلك نصت على فسخ الزواج بين رجال المسلمين وزوجاتهم المشركات ، مع خصم المهور التي كانوا قد دفعوها من المبالغ المستحقة لقريش عن نسائها المهاجرات الى المدينة ، فما نزلت الآية وفيها « ولاتمسكوا بعصم الكوافر » الممتحنة (١٠) حتى طلق عمر بن الخطاب زوجتين مشركتين من زوجاته ، هما قريبة بنت ابي امية بن المغيرة ، فخلفه عليها معاوية بن ابي سفيان ، وام كلثوم بنت عمرو بن جرول (وهي ام عبيد الله بن عمر) فخلفه عليها ابو جهم بن حذيفة .

ومع ذلك فقد اشترطت الآية المذكورة امتحان المهاجرات الى المدينة لتبين صدق اسلامهن . . فقد ذكر الطبري في تفسيره أن البعض منهن انما هاجرن لمجرد خلاف مع أزواجهن أو أسرهن ، بينما جاء بعضهن يهبن أنفسهن للنبي (ﷺ) وقد ذاع صيته بين قبائل العرب ، وأخريات هاجرن طلبا للمغامرة ، غير ان الكثيرات منهن كن صادقات في رغبتهن في الدخول في الاسلام ، وكثيرة هي الحالات التي أثبتت فيها المرأة العربية - في ذلك الوقت - ان لها من الرأي ما يخالف رأي الزوج كسبيعة بنت الحارث ، أو الأب (كام حبيبة بنت ابي سفيان) ، وأثبتت ان لديها من قوة الارادة وصدق العزيمة مامكنها من مواجهة التحدي ، والتشبث والتمسك بما ترى انه الحق . □

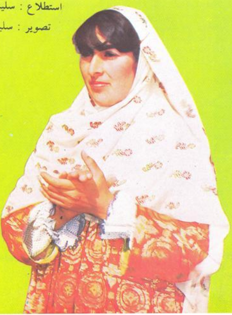
العربي
عيونك على العالم

فسيفساء اللغات والناس في بلاد القفقاس !

داغستان

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : سليمان حيدر





هذه البلاد نعرفها وتعرفنا منذ مئات السنين ، فخيول الفتح وصلتها منذ السنوات الأولى للدعوة الاسلامية ، وحصل الامتزاج وانساح الناس من هنا إلى هناك ، ومن هناك إلى هنا ، وتشابكت حروف اللغة والأسماء ، وأصبحنا أجزاء من عالم موحد كبير مترامي الأطراف ، تجمعه الوحدة الثقافية المشتركة ، ذلك هو العالم الاسلامي ، اما تلك البلاد فهي بلاد شمال القفقاس . . . فما هي حكاية « فسيفساء » اللغات والناس فيها ؟

ليس سهلا أبدا أن يتعلم الانسان من تلقاء نفسه لغةأخرى ، لكن - فرحات - دليل قلعة مدينة دربند ، المدينة الثانية في جمهورية داغستان السوفيتية ومعناها « باب الأبواب » بالعربية ، و « الباب المغلق » بالفارسية ، استطاع هذا الرجل تعليم نفسه اللغة العربية ، وتولى شرح الكثير من الأمور حول معالم القلعة والمدينة بواسطتها ، فقد كنا نعاين صخورها ودهاليزها وحفائرها ومعالمها ، وهو يستفيض في الشرح ، وتتلجلج بعض الكلمات على لسانه ، فيتوقف صامتا لحظة يحك رأسه ، ويحاول أن يتذكر ، ثم يلجأ إلى المستشرق كوديف الكسندر الذي يشرف على حفريات القلعة ، أو يلجأ إلى مرافقنا الذي يعرف العربية ، وبعد ذلك تعود اللغة إلى انسيابها .

فرحات لم يأت بمعجزة خارقة ، لأن اللغة العربية لم تطو صفحتها من بلاد القفقاس إلا منذ عقود قليلة من السنين ، فلجأ إلى مكنون ماتكون في ذهنه ، وذاكرته ، مما سمعه من جده أو ربما من أبيه ، وما قرأه من القرآن الكريم ، ومن خلال الاجتهاد النابه تشكلت على لسانه الحروف والكلمات .

يشير فرحات إلى شواهد القبور المنصوبة على التلة التي تشرف على المدينة ، ويحكي لنا حكاية القادة العرب الأربعين الذين دفنوا في المقبرة فسميت (مقبرة الأربعين) . لقد خاض هؤلاء حربهم مع دولة الخزرالبهودية التي كانت قائمة في المنطقة واستشهدوا ، نغادر نارين قلعة أي « القلعة الصغيرة » ، ونارين كلمة فارسية تعني الصغيرة - وندقق في شواهد القبور وفي الحجارة . ونستنطق الصخور ، علها تبوح لنا بشيء عن ملامح الماضي .

إغريق ، وروماًن ، وبيزنطيون ، وهون ، وبلغار ، ولان ، وفرس ، وخزر ، وروس ، وأتراك ، وعرب ، وتتار ، وغيرهم ، كلهم مروا من هنا وتركوا بعض الآثار .

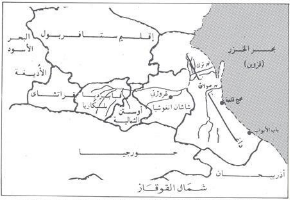
يأتي صوت فرحات : لاتنسوا أن الحفريات تشير إلى أن المدينة ربما سكنها الانسان قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

ذكريات التاريخ

يؤكد المستشرق كوديف أن مدينة دربند سكنها الانسان منذ قديم الزمان ربما منذ عهد السومريين ، وأنها بقيت مأهولة بالسكان منذ تلك العهود ، إنها « باب الأبواب » كما قال عنها العرب ، وهي بوابة اوروبا على آسيا وبوابة آسيا على اوروبا ، وموقعها فرض عليها أن تلعب دور البوابة ، فجبال القفقاس تطل عليها وتحاذيها ، وهي تغسل أرجلها في مياه بحر قزوين أو بحر الخزر كما كان يطلق عليه في السابق ، ومن أراد الانتقال من هذه الجهة إلى تلك فما عليه إلا أن يمر بها .

ومرت بها ومن خلالها خيول كثيرة ، وعربات ، وناس من شتى الأجناس لم يكفوا عن المد والجزر ، وحمحمات الخيول لم تهدأ ، ولم تسكن في هذه المنطقة ، وصوان الجبال كان يقدح نارا تحت سنابكها .

وشعب المكان يرتبك ، ويرتعد ، ويقاوم ، ويتجاوب ، أو يستسلم إلى حين ثم يثور ، ويحتج ، ويحتمي بجباله ، ووراء صخوره ، موجة يقاومها وأخرى يحاول أن يتعايش معها أو يخضع لها إلى حين ، ثم تثور زوابعه وبراكينه ، ويتقافز بين



● خريطة الجمهوريات الجنوبية السوفيتيه من بينها داغستان عن كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ »

الصخور والوديان ، وتصهل خيوله في المنحدرات وتتفرق ، فيتشتت قسم منه وتبقى أقسام ، ويهجر أمكنة ، ويتأقلم بغيرها ويتواءم ، الى أن تثور زوبعة شعب آخر ، فيحصل افتراق جديد مع المكان ، هكذا ضربت دوامة الحروب تلك البلاد ، وهكذا كانت تتفرق الكثير من الشعوب التي سكنت المكان .

قبل أن تصل إلى مدينة ماختشكلا « محج قلعة » عاصمة جمهورية داغستان بحوالى ٥٠ كيلومترا من الجهة الشمالية الغربية يستوقفك منظر غريب ، تلال من الرمال تكونت وتكومت وراء الجبال المنخفضة ، وعندما تسأل عن الظاهرة يأتيك الجواب : هي رمال قذفت بها العواصف ، والأعاصير ، والرياح ، من شاطىء بحر قزوين ، وساقتها إلى ماوراء التلال ، فتكونت منها تلال رمل صفراء خلف المرتفعات الجبلية التي تراها . هززت رأسى إعجابا واندهاشا ، ثم هلت في الذهن المقارنة ، فحتى الطبيعة هنا فعلت مافعلته عواصف الشعوب الغازية التي كانت تهب على المنطقة فتذرى ناس هذا المكان وتفرقهم أشتاتا .

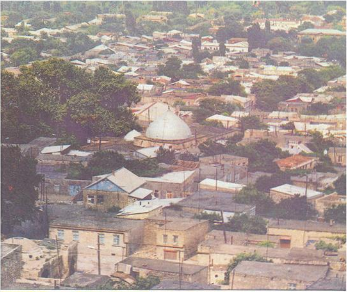
محاولة تفسير :

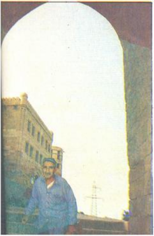
هل هى محاولة لتفسير وجود عشرات اللغات ، وعشرات الشعوب المتوطنة في بلاد القفقاس ؟

نعم ذلك صحيح ، فقد ذكر المؤرخ الرومانى بلينى في القرن الأول الميلادي أن ١٣٠ لغة كانت موجودة في بلاد القفقاس ، وذكر ابن الفقيه المؤرخ العربي أن في بلاد القفقاس حوالى ٧٢ لسانا لا يعرف كل إنسان لغة صاحبه الا بترجمان ، وذكر شاعر داغستان الكبير رسول حمزاتوف تفسيرا مشبعا بالخيال الشعرى حيث يقول في كتابه « داغستان بلدى » المملوء إبداعا ، والغني بحكمة وتاريخ سكان تلك الجبال مايلى :

كان والدى يروى القصة التالية :

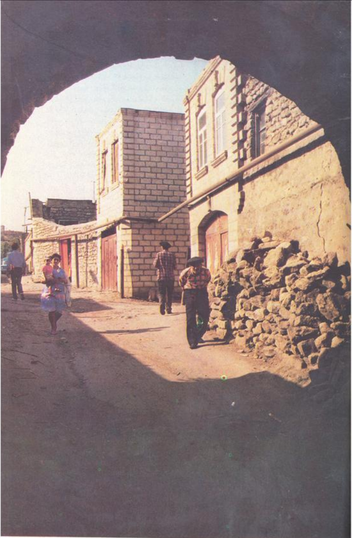
(أخذ موزع اللغات يجوب الأرض على بغله ، ويوزع على الشعوب لغاتها من خرج ضخم ، فزار الصينيين وأعطاهم اللغة الصينية ، وزار العرب







● دربند ـ باب الابواب ـ عراقة وقدم (أعلى)
ـ شواهد وقبور . . بعض علامات التاريخ (يمين)
القلعة الصغيرة ـ نارين ـ في دربند . (الى اليسار)
حجارة التاريخ ترتصف في الاحياء القديمة .
(الصفحة المقابلة)



وأعطاهم اللغة العربية ، وأعطى اليونانين اليونانية والروس الروسية ، الخ ، وأخيرا وصل موزع اللغات إلى داغستاننا ، لكنه عندما وصل هبت عليه عاصفة ثلجية ، وكان الثلج يدوم في السفوح ثم يرتفع في الجو ، فلم يكن يرى شيئا ، لاطرقا ولاسكنا ، ولم يكن يسمع إلا الريح وهي تصفر في العتمة ، والصخور وهى تنهار بين الحين والآخر .

قال موزع اللغات ـ وقد بدأ شارباه يتجمدان ـ : لا ، لن أتسلق هذه الصخور في مثل هذا الطقس ، وبقى في خرجه مقدار حفنتين من اللغات التي لم يتم توزيعها ، ثم أخذ ينثرها على الجبال قائلا : ليأخذ كل منكم اللغة التي يريد .

وهكذا ظهر منذ ذلك الوقت الأفاريون ، الليزكينيون ، والدرغينيون ، والكوميكيون ، والتاتيون ، واللاكيون (قسم من شعوب داغستان) .

في المصادر التاريخية :

القفقاس ، هكذا يسميها بعض سكانها الآن ، وتسميها بعض المصادر جبال القوقاز ايضا ، إلا أن المصادر العربية وبخاصة ياقوت الحموى في معجم البلدان يطلق اسم « القبق » على تلك الجبال ، وقد جاء في تعريفه :

« قبق » : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره أيضا قاف ، كلمة أعجمية ، وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان ، وهو آخر حدود أرمينية ، وقال الشاعر البحترى عنها :

معُلق بابه ، على جبل القبق ،
إلى دارتى خلاط ومُكسُ*
حُلَلٌ لم تكن كأطلال سعدى
في قفار من البسابس فلس .

وتعد جبال القفقاس حدا فاصلا بين آسيا واوروبا ، فما يقع منها إلى الشمال يدخل ضمن اوروبا ، وما يقع جنوبا يدخل ضمن آسيا . وتمتد هذه الجبال بين البحر الأسود وبحر قزوين ، ويصل أعلى ارتفاع فيها إلى حوالى ٥٦٣٧ مترا في جبال البروز . وفي جنوب الجبال جمهوريتان اتحاديتان من جمهوريات الاتحاد السوفيتي هما جورجيا وأرمينيا ، تتبع الأولى بعض الجمهوريات والمناطق التي تتمتع بحكم ذاتي ، وفي الشرق جمهورية أذربيجان الاتحادية ، يتبعها عدة جمهوريات ومناطق ذات حكم ذاتي أيضا ، أما في شمال هذه الجبال فإن مناطقها تشمل عدة جمهوريات ذات حكم ذاتي أيضا هي : داغستان موضوع استطلاعنا ، وشاشان ـ انغوشيا ، وكبارديا ـ بلكاريا ، واوسيتا الشمالية ، وولاية قرتشاى الشركسية ، وولاية الأديجا وكلها في الاتحاد السوفيتي الآن .

ولتوضيح هذه التقسيمات فإن الاتحاد السوفيتي يشمل ١٥ جمهورية اتحادية ، و ٢٠ جمهورية ذات حكم ذاتي ، وعدة مناطق ودوائر قومية أخرى .

جاء في كتاب جغرافية الاتحاد السوفيتي



● الشاعر رسول حمزاتوف .

● اسماء قديمة لمناطق في الجبال .



● السيدة ايفا .

« لستروييف » الصادر عن دار التقدم في موسكو : « إن كل جمهورية دولة سوفيتية مستقلة ، بيد أن الجمهوريات جميعها تشكل معا دولة اتحادية واحدة ، ذات هيئات اتحادية عامة للسلطة ، وجنسية اتحادية واحدة ، ويعتبر كل شخص سوفيتي مواطنا في الاتحاد السوفيتي بغض النظر عن مكان ولادته ، أو اقامته في أية جمهورية متحدة .

ينتخب الشعب « سوفيتيات » أو (مجالس) نواب من أجل إدارة الدولة ، و « السوفييت » الأعلى للاتحاد الذي يتألف من مجلس الاتحاد ، ومجلس القوميات هو الهيئة العليا التشريعية لسلطة الدولة . وتتمتع الجمهوريات المتحدة قاطبة بتمثيل متساو في مجلس القوميات الذي توفد إليه كل جمهورية متحدة عددا متكافئا من النواب بغض النظر عن عدد السكان ، أما في مجلس الاتحاد فان كل ٣٠٠ الف نسمة من السكان ينتخبون ممثلا واحدا عنهم .

تعيش في حدود بعض الجمهوريات المتحدة - ماعدا القومية الاساسية - مجموعات - كبيرة نسبيا ، من الشعوب الأخرى ، وفي الرقعة التي ترتبط بها حياة هذه الشعوب وتاريخها ، أنشئت جمهوريات اشتراكية ذات حكم ذاتي ، وتؤلف القوميات غير الكبيرة مقاطعات ذات حكم ذاتي ودوائر قومية ، وتتمتع الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي بحقوق الادارة الذاتية لشؤون الحياة الداخلية ، والبناء الثقافي والقومي » .

وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين - المجلد السابع عن بلاد القوقاز : « القوقاز مأهول بأقوام مختلفي الأجناس ، منهم أقوام يسكنون الجبال وهم الجركس في جهة الشمال من تلك الجبال ، وقوم يقال لهم الليوغيس والتشيتشين والجيورجيان والاوسيت ، والأقوام الذين يسكنون الجهات المجاورة لجبال القوقاز وهم من الروس والترك والكالموك والكرد والأرمن » ، وتفيد بعض المصادر التاريخية بأن سكان شمال القفقاس ينتمون في أصولهم إلى قبائل الشركس ، وهذا الأمر يختلف عليه المؤرخون والباحثون حتى الآن .

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد السادس :

« الجركس : اسم عام يطلق على الأقوام التي كانت تسكن فيما مضى القسم الشمالي الغربي من القوقاز ، وقسما من الشاطىء الشرقي للبحر الأسود ، ولم يبق من هذه القبائل التي كانت أكثر عددا قبل الاحتلال الروسى لهذه المنطقة إلابقايا لايعتد بها ، اذ هاجر أغلبها إلى تركيا » .

ضحية موقع :

وحقيقة هجرة بعض هذه القبائل هي حقيقة مؤكدة في التاريخ ، إذ أن الكثير من الشركس أو الجركس ذكروا في تاريخ الدويلات التي قامت على أنقاض الدولة العباسية ، ومنهم الجراكسة الذين حكموا باسم دولة المماليك في مصر بعد سقوط دولة الأيوبيين ، وبعضهم ذكر في تاريخ الدولة العثمانية وتهجيرهم اليها ، ويعود سبب ذلك إلى أن بلادهم تقع بين دول قوية متنازعة وطامعة كروسيا



القيصرية ، والامبراطورية العثمانية ، والدولة الفارسية ، مما حتم عليهم دفع ثمن الحروب التي كانت تقوم بين هذه الامبراطوريات ، وقد كانوا في بعض الأحيان يناصرون هذا الطرف على ذاك ، أو يشقون عصا الطاعة على الدولة الحاكمة مما جعل هجراتهم تتوالى إلى مناطق الدولة العثمانية ، فتوطن بعضهم في تركيا الحديثة ، وآخرون وصلوا إلى بلاد الشام ، والعراق ، وغيرها . وكانت أكبر تلك الهجرات هي هجرة سنة ١٨٦٤م ، ويُحمِّل بعض الشركس الدولة العثمانية المسؤولية عن نكبتهم نظرا لسياستها في تهجيرهم من مواطنهم الأولى إلى أماكن أخرى ليكونوا حاجزا أمام روسيا القيصرية .

كما أن بقية العناصر المحسوبة في بعض المصادر على الشركس كالشيشان ، والداغستانيين ، أصابها أيضا بعض ما أصاب الشركس من تهجير ، وخاصة أن الداغستانيين كثيرا ماكانوا يثورون مع جيرانهم - الشيشان - على السلطات الحاكمة من قياصرة الروس وأكاسرة الفرس ، وسلاطين العثمانيين . وأشهر ثورة في داغستان هي ثورة الشيخ شامل ضد السلطة القيصرية الروسية التي استمرت حوالي ٢٥ سنة ، وانتهت مهزومة سنة ١٨٥٩ م ، فتوزع بعدها بعض الداغستانيين على مناطق الدولة العثمانية أيضا ، وبعضهم وصل إلى بلاد الشام ، والعراق .

وقد أكد هذا الأمر الأساتذة والباحثون في معهد التاريخ واللغة والأدب في ماختشكلا وهم د . حجي حمزاتوف مدير المعهد ، ود . أمري شيخ سعيدوف ، ود . تيمور ايدييروف ، ود . أمير خان ايساييف ، ومحمد حيف (نائب مدير المعهد) ، عندما قالوا : إن الاكتشافات تشير حتى الآن إلى أنه في قديم الزمان - ولسنا ندرى في أية مرحلة - كانت هناك لغة واحدة للشعب القفقاسي ، ثم حصل الافتراق ولانعرف - إلى الآن - متى تم ذلك ، ولكنه يمكن القول بأنه يوجد في القفقاس حوالي ٥٠ لغة تعود - في جذورها - إلى جذر واحد ، إضافة إلى أن أية لغة من تلك اللغات لانجدها نقية تماما ، بل يوجد فيها تأثيرات تركية ، وإيرانية ، وعربية ، وتترية ، وروسية ، الخ ، ويمكن القول أيضا بأن هناك صلة قرابة بين لغاتنا وبين اللغة التركية .

سجل الحاضر

(داغستان) هو اسم مستحدث (أطلق على منطقة بعينها في القرن السادس عشر الميلادي) ، وهو مؤلف من مقطعين ، (داغ) وهي لفظة تركية ومعناها جبال ، و (ستان) لفظة فارسية تعني بلاد ، فيكون معنى الاسم هو بلاد الجبال .



بعض هدايا الاعراس .. صناعة ايديهم وايديهن



حي من احياء ماختشكلا .



● الثائر ماختش - ادى دوره فخلدوه في تمثال .

هذه الثنائية في إطلاق الأسماء أو التي تزيد على ذلك في تركيبها ما هي - حسب اجتهادي - إلا من باب إقرار حقيقة التعددية القائمة في بلاد الداغستان ، وقد أشرت إلى ماذكره المؤرخون من تعدد الشعوب واللغات قديما في تلك البلاد ، فهل مازال الامر كما كان ؟

نعم إن الامر مازال كما كان . . من حيث التعددية ، هكذا قالت لنا السيدة (ايفا) رئيسة القسم الاداري والتنظيمي في هيئة الرئاسة العليا في مدينة ماختشكلا « محج قلعة » عاصمة داغستان ، وهكذا أكد لنا الدكتور حجي حمزاتوف مدير معهد التاريخ واللغة والأدب - معهد الاستشراق سابقا - ومجموعة من الاساتذة المستشرقين الذين التقينا بهم في المعهد .

لكن الامر تجاوز تعددية الشعوب والقبائل ليدخل في تنظيم وحدوي جديد ، هو الجمهورية السوفيتية الداغستانية ذات الحكم الذاتي التي أعلن عن قيامها سنة ١٩٢١م . ومازالت إلى الآن قائمة كجزء من الجمهوريات ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفيتي .

أما قبل هذا التاريخ فإن داغستان - كما اشرنا من قبل - تم غزوها من قبل كثير من القوى ، وقد تم فتح بعض مناطقها من قبل العرب سنة ٢٢هـ - ٦٤٢م - زمن الخليفة عمر بن الخطاب - ، وتمت السيطرة على مدينة دربند الساحلية بعد ذلك ، ثم انتزاع بعض المناطق من الدول التي كانت قائمة آنذاك - اي من دولة الفرس ومن دولة الخزر اليهودية ايضا - وقد اسقط الروس دولة الخزر اليهودية التي كانت قائمة في المنطقة واتخذت من مدينة اتل - بالقرب من مدينة استراخان الحديثة على نهر الفولغا عاصمة لها - وكان ذلك في سنة ٩٦٥م ، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك التاريخ ، ويمكن تفسير وجود عدة آلاف من اليهود حتى الآن في بعض مناطق داغستان الى كونهم من بقايا يهود ذلك الزمان ، وخصوصا ان بعضهم يطلق عليهم اسم يهود الجبال .

وبعد ذلك - أي بعد سقوط دولة الخزر - استمرت المنطقة موزعة على عدة قوى ، كالعباسيين والفرس ، والروس ، وبعض الامارات المحلية ، ثم الدولة العثمانية ، ثم التتار والمغول ، إلى أن أخضعت

روسيا القيصرية المنطقة بأكملها اعتبارا من سنة ١٨٥٩ م بعد إخماد ثورة (الشيخ شامل) ، تذكر دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع ، مايلي :

« ولم يحدث قط أن توحدت النجاد ، والوهاد ـ في داغستان ـ التي على الساحل مدة ما في ظل شعب واحد ، أو تحت إمرة أسرة واحدة حتى كان الاحتلال الروسي »

داغستان الحديثة :

تبلغ مساحة الجمهورية ٥٠,٣٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها حوالى مليون و ٧٠٠ ألف نسمة ، عاصمتها مدينة « ماختشكلا » أو « محج قلعة » وعدد سكان العاصمة حوالى ٣٠٠ ألف نسمة ، والاسم محج أو ماختش يعود إلى أحد الثوار الوطنيين الذين حاربوا الروس البيض فقتلوه سنة ١٩٢٢ عندما كان يدافع عن السلطة السوفيتية ، وبعدها أطلق اسمه على المدينة ، وكانت تعرف بيورت بتروفسك منذ بداية القرن الثامن عشر وحملت اسم القيصر الروسي بيتر .

تؤلف الجبال حوالى ثلاثة أرباع مساحة الجمهورية ، ومع ذلك فهي مشهورة بالزراعة ، وأهم محصولاتها القمح ، والكرمة ، والذرة ، والخضر ، والفواكه ، وكثير من تلال جبالها تم استصلاحه حديثا ، وتزرع بها الفواكه والحبوب ، وتسقى أراضيها عشرات الأنهار ، ومن أهمها تيرك وصولاق وسومار .

كانت تنتشر فيها زمن الفتح العربي اليهودية ، والمسيحية ، والوثنية ، والزرادشتية ـ عبدة النار ـ وقد وجدنا بعض رموزهم في قلعة دربند . واستمر الأمر كذلك بعد الفتح إلى أن دان كثير من السكان بالاسلام ، وخاصة بعد السيطرة العثمانية على بعض المناطق ، ثم سيطرة التتار المسلمين على مناطق أخرى . وبعد سيطرة روسيا القيصرية بدأت محاولات نشر المسيحية الارثوذكسية بين السكان ، إلا أن أكثرهم استمر محافظا على دينه الاسلامي ، وبعضهم هاجر إلى تركيا وبلاد الشام والعراق وغيرها من البلاد كما ذكرنا .

وبعد قيام الحكم السوفيتي بعد ثورة سنة ١٩١٧ ، جاءت المادة ٥٢ من الدستور السوفيتي الذي صدر سنة ١٩٢١ بالنص الآتي :

« تضمن الدولة لمواطني الاتحاد السوفيتي حرية العقيدة ، أي الحق في اعتناق أي دين ، وأداء الشعائر الدينية ، أو القيام بالدعاية الالحادية ، وعدم اتباع أي دين ، وتمنع إثارة العداوات ، والأحقاد بسبب المعتقدات الدينية . والدين في الاتحاد السوفيتي مفصول عن الدولة ، والمدرسة مفصولة عن الدين » .

السيد عبدالوهاب نورلييف ـ نور الله ـ رئيس قسم الأديان الشرقية التابع لمجلس الشؤون الدينية التابع بدوره لمجلس الوزراء السوفيتي قال لنا عندما التقيناه في موسكو مايلي : « يوجد في الاتحاد السوفيتي حوالى ٤٠ دينا او اتجاهاً دينيا ، فحرية الاعتقاد مكفولة حسب نص المادة ٥٢ من الدستور ، وقد شاركت لجنة الشؤون الدينية في وضع الدستور ، وقد كان الدين الرسمي للدولة قبل الثورة هو الدين المسيحي الارثوذكسي ، وكانت بقية الأديان تعامل معاملة لاترقى إلى ما يعامل به الدين الرسمي . وعلى سبيل المثال ، فإن بناء المساجد في بعض الحقب القيصرية كان يجب أن يتم من تراب وليس من حجارة ، أما الآن فإن جميع الأديان متساوية ، وممثلو المجموعات الدينية هم الذين يقررون بناء أماكن العبادة بعد موافقة السلطات الرسمية طبعا ، وإذا ما تقدم عشرون شخصا بطلب لانشاء مكان للعبادة ، ووجدت السلطات أنهم جادون في ذلك وقادرون ماديا على الانشاء والتعمير والصرف على الشؤون الأخرى ، فانها توافق على منحهم الأرض تمهيدا للبناء » .

القضاء على الأمية :

في مبنى هيئة الرئاسة العليا في مدينة مختشكلا . . قالت لنا السيدة ايفا رئيسة القسم الاداري والتنظيمي في الهيئة :

« أنا من قرية جبلية اسمها اوسيشا وقد كنت المعلمة الوحيدة فيها في أربعينات هذا القرن ، والآن يوجد فيها ثلاث مدارس ، ويعمل فيها ٨٠ معلما ومعلمة من أبناء المنطقة ، لقد كانت نسبة المتعلمين في البلاد تصل إلى ١٢ ٪ سنة ١٩٢٦ ، وارتفعت بعد حملة محو الأمية إلى نسبة ٨٠ ٪ سنة ١٩٣٩ لتختفي



● قروية مع أوعية الماء التقليدية.



● نساء ومناجل واغمار حصاد القمح بالقرب من قرية شيشيلي .





● قرية كوباتشي . . وشم الانسان والزمان في قلب الجبال - يسار -
ما الذي توشوشه هذه البائعة للورود في ماخشكلا ؟ يمين .

الأمية تماما في أربعينات هذا القرن ، والآن يوجد في ماختشكلا جامعة فيها ١١ كلية ، ويوجد فيها فرع لأكاديمية العلوم السوفيتية و ٥ معاهد عليا و ٢٨ معهدا تقنيا في مستوى الثانوية ، ويبلغ عدد طلاب الجامعة ٢٦ ألف طالب ، ويبلغ عدد طلاب المعاهد ٢٧ ألف طالب .

عدد السكان سنة ١٩٧٩ م وصل إلى مليون و ٦٢٧ ألفا من بينهم ٦٣٩ ألفا يسكنون المدن ، و٩٨٨ ألفا يسكنون الريف .

أسأل : كيف استطعتم القضاء على الأمية بالرغم من وجود عشرات اللغات المختلفة في بلادكم ؟

استخدمنا اللغة الروسية في البداية وهي اللغة الرسمية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ، ثم بدأنا باستعمال اللغة القومية لكل منطقة وشعب بعد ذلك مع اللغة الروسية طبعا ، هكذا أجابت السيدة ايفا .

وأضافت : تصدر القوانين والقرارات الرسمية بـ ١١ لغة في داغستان ، وتبث أجهزة الراديو بـ ١١ لغة أيضا ، وتصدر الكتب الأدبية بعشر لغات ، ويتم تدريس الصفوف الابتدائية من الأول إلى الثالث باللغات القومية ، ثم بعد ذلك يتم تعليم بعض المواد بالروسية ، وتصبح اللغة القومية إحدى المواد الدراسية فقط . ويتم التدريس في المعاهد والكليات والجامعات باللغة الروسية ، وفي كل منطقة تصدر صحف باللغة القومية اضافة إلى صحف أخرى باللغة الروسية .

وأضاف السيد حجي أرابوف - العربي - رئيس تحرير صحيفة العلم الأحمر في ماختشكلا إلى معلومات السيدة ايفا معلومات أخرى عندما قدم إحصاء بعدد الجماعات القومية المتوطنة في جمهورية داغستان حسب إحصاء سنة ١٩٧٩ وجاء فيه :

الافاريون وعددهم ٤١٨,٦٣٤ نسمة

يليهم الدارغينيون وعددهم ٢٤٦,٨٥٤ نسمة

ثم الكوميكيون - الغوميق وعددهم ٢٠٢,٢٩٣ نسمة

والروس وعددهم ١٨٩,٤٨٤ نسمة

والليزكينيون وعددهم ١٨٨,٨٠٤ نسمة

واللاكيون وعددهم ٨٣,٤٥٧ نسمة

يليهم التاباساريون والأذربيجانيون والشيشانيون والنوغائيون والروتوليون واليهود ، ثم الاغووليون ، والتساخوريون والتاتيون ويهود الجبال وغيرهم .

من على قمة جبل :

كنا نعتلي جبل تاركي تاو الذي يشرف على ماختشكلا عاصمة داغستان ، فالمدينة تؤاخي البحر ، وتنقل رسائل الجبليين وتحياتهم إليه وإلى جانبه الآخر . تلمع من بعيد نار غازات البترول المشتعلة ، فيقول حسين موظف السياحة في المدينة : ذلك بعض غازنا المحروق ، وتلك في البعيد آبار بترولنا ، تم إغلاق بعض آبار البترول البحرية نظرا للحاجة إلى تعميقها بأضعاف أضعاف ما هي عليه ، والمعروف أن داغستان مشهورة بوجود مكامن بترولية فيها منذ قديم الزمان والبترول المستخرج منها هو من النوع الخفيف المستعمل في الطائرات .

ويضيف : انظروا إلى المدينة . . إن القسم الذي ترونه في شمالها ويظهر كأنه بحيرة انشقت عن البحر ستتحول إلى حديقة عامة ، وأتمعن جيدا في المدينة فأجد أنها كلها حديقة خضراء لايبرز منها إلا بعض المباني العالية .

وتنحدر بنا الطريق إلى الاحياء ، ويهدر حسين بصوته العجول : هذا الحي بناه رجال من جمهورية اوزبكستان ، وذاك بناه الكازخستانيون ، وهذا المستشفى بناه الاوكرانيون ، وهذا الفندق بناه اللينينغراديون . . وهذا . . وذاك . . وذلك . .

* وأسأله لماذا ياحسين تم ذلك ؟

- في سنة ١٩٧٠ حدث زلزال في المدينة أودى بالكثير من معالمها ، فجاء الاخوة والرفاق من جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي بامكاناتهم ومساعداتهم التي جمعوها من شعوبهم وأعادوا بناء المدينة . أنظر فلا أرى أثرا لزلزال ، بل مدينة حديثة ، مرتبة ونظيفة ، ليس فيها ازدحام ، تظهر بعض الاشارات على المباني تشير إلى أن سكانها شرقيون ، وذلك من خلال تكرار بعض الأشكال الهندسية على الحوائط والنوافذ والشرفات ، ويظهر أيضا غسيل الناس المنشور (يظهر أن هذه العادة هي عادة شرقية أيضا) لأنني قلما رأيت غسيلا منشورا في المدن الاوروبية السوفيتية .

وماذا بعد ياحسين ؟

- هذا تمثال ماختش الذي أخذت مدينتنا اسمها



● السيد باشا بيكوف اديسون .



● السيد يوسف احمد يوسف .



● السيد عبدالوهاب نور الله .

من اسمه ، وذاك تمثال محمد حادجييف البطل السوفيتي الذي أغرق كثيراً من سفن الأعداء ، وهذه حديقة الأبطال الستة الذين أعدمهم أعداء الثورة سنة ١٩١٩ وهذه هى تماثيلهم ، وهاهي تماثيل الشاعرين المبدعين حمزة تسادسا ، وسليمان ستالسكى وغيرهم ، وغيرهم .

وعلى ذكر البطولات . . لقد قدم شعبنا الداغستاني مائة ألف إنسان في الحرب العالمية الثانية في ساحات الوغى ، صحيح إن رقمنا متواضع إذا ماقيس بالعشرين مليون إنسان الذين دفعتهم شعوب الاتحاد السوفيتي وقومياته في هذه الحرب ، لكن شعبنا صغير ودم الأبطال غال دائما وأبدا على قلوب الأمهات ، وعلى قلوب الشعوب (الأمهات) أيضا .

ثورة (شامل) :

إذا ذكرت داغستان فإن (شامل) أيضا يذكر معها ، لا لأنه الثائر الوحيد الذي كان فيها ، بل لأنه قاد ثورة الجبال لتحرير كامل داغستان ضد القيصر الروسى ، وقد استمرت الثورة لمدة خمسة وعشرين عاما طوالا اختلط فيها الدم بمياه الأنهار ، وتلاحمت أجساد الرجال بالصخور ، وتعفرت الجبال بالبارود ، ولمعت السيوف في القيافي والقفار ، وطال الزمان ، وشاب شعر الرؤوس . .

قيل كلام كثير حول الثورة ، بعضهم جعل منها ثورة اسلامية أساسها المريدون الصوفية ، والبعض الأخر جعل منها ثورة وطنية همها كان استقلال داغستان واخراج الغزاة الأجانب ، وآخرون قالوا انها ثورة رجعية سيطر عليها دعاة مسلمون متعصبون ، فما هي حقيقة هذه الثورة ؟

جاء في دائرة معارف بطرس البستاني ، في المجلد العاشر ، ما يلي :

« شامل : زعيم طائفة من القوقاس ولد في مدينة اول حمرى « غمرا ـ الآن ـ » في شمالي داغستان نحو سنة ١٧٩٧ م ، توفى في المدينة المنورة سنة ١٨٧١ م ، مال في صباه الى طريقة قاضي ملا الصوفي ، وحدث في سنة ١٨٢٣ أن عدة قبائل من داغستان انضمت تحت لواء قاضي ملا المذكور ، وجاهدت في سبيل مذهبه ، فتوفي وخلفه أحد مريديه ، فادركته الوفاة سنة ١٨٣٤ م ، فولت القبائل شاملا ، فاصلح الشؤون ، وشكل حكومة دينية ، وأصل على الروس حربا عوانا ، فضعضع جيشهم سنة ١٨٤٤م ، وأكمل تشكيل حكومته ، فجمع شتات القبائل ، وسن لهم النظامات والقوانين ، وقرر المكوس والضرائب ، وجعل مدينة دارغو قاعدة لحكومته ، وفيما هو كذلك زحف الامبراطور نقولا بجيشه الى القوقاس ، فجرت بينهما عدة مواقع ، وخرجت عليه ـ على شامل ـ سنة ١٨٥٣م عدة قبائل فاضعفت من أمره ، ولما انعقد الصلح في باريس بعد حرب القرم (التي قامت بين روسيا والامبراطورية العثمانية) عاد الروس الى اخضاع القوقاس ، فدافعهم شامل عنها ثلاث سنين متواليات ، ثم أسروه سنة ١٨٥٩م ، فاخذ الى



● المصلون يدخلون باب مسجد مدينة باب الابواب

العجوز وسبحتها ولبسها وتمتمات ودعوات



بطرسبرج ووضع في كلجا ، ثم زايل كلجا الى مدينةكباف سنة ١٨٦٨م وذهب منها الى مكة المكرمة سنة ١٨٧٠ » .

ينقل الشاعر حمزاتوف هذا الحوار بين الأمير الروسي بارياتنسكي - الذي قاد حملة اخضاع الثورة - وشامل في كتابه « بلدي »

- « عبثا كانت كل جهودك ، كل جهادك !

وأجابه شامل :

- كلا ، لم تكن عبثا ، وستبقى ذكراها في قلب الشعب ، لقد جعل جهادي من أعداء كثيرين أخوة ، ووحد قرى كثيرة كانت تتنازع فيما بينها ، وصب شعوب داغستان الكثيرة التي كانت تتعادى فيما بينها ويردد كل منها « شعبي » « امتي » شعبا داغستانيا واحدا ، لقد غرست الشعور بالوطن ، والشعور بداغستان الواحدة ، وهذا الشعور أخلفه لأحفادي ، فهل هذا شيء قليل ؟ »

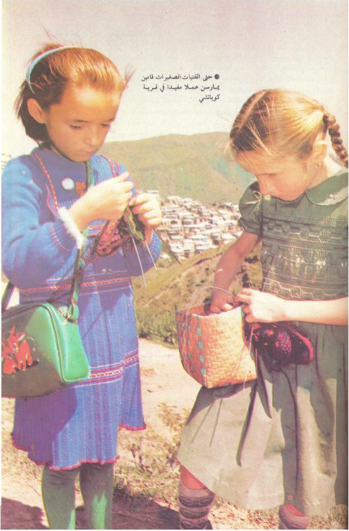
لسنا ندري ان كان الكلام السابق هو كلام شامل حقيقة ، لكن يمكن القول بأن الكلام السابق هو كلام حمزاتوف نفسه ، ووجهة نظره في الثورة ، وما تمنى أن تقوله ، وتحققه .

وقد قال لنا عندما التقينا به في ماختشكلا « ان ثورة شامل ثورة وطنية ديموقراطية ، ولو جاء الفرس أو الاتراك المسلمون فانهم كانوا سيلاقون نفس المواجهة من شامل وأتباعه » . وعندما طرحنا الأمر على المسؤولين في هيئة الرئاسة العليا .. تصدى للحديث حجي أرابوف رئيس تحرير صحيفة العلم الأحمر وقال :

« الأدبيات الماركسية تثمن ثورة شامل وتعتبرها ثورة شعب مضطهد ضد السلطة القيصرية . وباعتقادي فان الهدف الرئيسي كان تحقيق حرية الشعب الداغستاني وليس اقامة حكومة دينية .

- لكن في تفكير الشيخ شامل وتصرفاته ما كان يفيد بأن منطلقاته اسلامية ؟

باعتقادي أن حلم الحرية والاستقلال هو ما كان يحرك الشعب ، وقد اختلط الوطني بالديني في تفكير الشيخ شامل .



● حتى الفتيات الصغيرات فانهن يمارسن عملا مفيدا في قرية كوباتشي

باب الأبواب :

تبعد مدينة دربند أو (باب الأبواب) عن العاصمة مختشكلا حوالي ١٧٠ كيلو مترا من ناحية الجنوب ، الطريق اليها تحفه منشآت النفط وبعض المصانع ، تليها حقول الكرمة والقمح والذرة وبعض حقول الخضار والفواكه ، وكما أن هناك قزوين الايرانية ، فان هناك مدينة قزوين داغستانية أيضا ، وهي مدينة على الساحل تماما ، وتقع بين ماختشكلا ودربند حقول النفط المغلقة في البحر ثم تلال تحف بالسهول ، وغابات ، وحقول أزيل حصادها تظهر من بعيد من خلال ثغرات بعض التلال القصيرة . .

تلوح دربند من بعيد ، تغسل ساقيها في البحر ، وتحرسها الجبال . اللغة الثانية في المدينة بعد الروسية هي لغة أذربيجانية ، ودربند ليست بعيدة عن أذربيجان السوفييتية والأيرانية أيضا .

مبانيها قديمة ، وآثارها كثيرة ، ولباس بعض الناس وهيئاتهم لاتختلف كثيرا عن لباس الاذربيجانيين وهيئاتهم ، وقد أفاضت المصادر التاريخية بذكر المدينة ، حتى قبل الميلاد ، واسمها كان كذلك ، ومعلومات هيرودوت تفيد بأن المدينة كانت موجودة منذ ٧آلاف سنة قبل الميلاد .

مرت منها واحتلتها شعوب كثيرة ، وقلعتها بنيت كما ذكر المستشرق الدكتور كودييف الكسندر في القرن الخامس بعد الميلاد ، وهي تشبه في تصميمها قلعة حلب كما ذكر الدكتور حجي حمزاتوف شقيق الشاعر رسول حمزاتوف الذي ورد ذكره من قبل . وقد فتحها العرب وجعلوها حصنا ، واختط فيها مسلمة بن عبد الملك كثيرا من المساكن ، وتنازع عليها العرب مع دولة الخزر التي كانت قائمة في شمال بلاد القفقاس واستعادها هارون الرشيد العباسي بنفسه سنة ٧٨٩ م وبقي فيها سبعة أشهر .

* ومن التاريخ القديم الى أيامنا الحاضرة . . قال لنا باشايكوف اديسون رئيس اللجنة التنفيذية للسلطات المحلية في المدينة : انها الثانية بعد ماختشكلا في عدد السكان ، فيها ما يزيد على ٩٠ الف نسمة ، وهي مدينة تجارية وصناعية ، تصنع فيها الكثير من المصنوعات كالزجاج والسجاد ومواد البناء والملابس ، وفيها ٢١ مدرسة ثانوية تستوعب حوالي ١٨ ألف تلميذ ، يدرس فيها حوالي الف مدرس ومدرسة ، وفي المدينة ٥٠٠ طبيب و ١٥٠٠ مساعد وممرضة ، ويعمل في المدينة عمال من حوالي ٤٠ قومية من قوميات الاتحاد السوفيتي (توجد هذه النسبة في معظم مدن الاتحاد السوفيتي) .

يتعايش في المدينة كثير من القوميات الداغستانية من بينهم :

٢٢ ألف أذربيجاني ، ١٨ الف ليزغيني ، ١٤ الفا من اليهود والتاتيون ، ١٦ ألفا من الروس ، ٩ آلاف من التبصاريين و ٤ آلاف من الدارغينيين ، وغيرهم . وفي المدينة ثلاثة مسارح قومية : ليزغيني ، وأذر بيجاني ، ويهودي ، ومسرحان شعبيان ، و ٤ دور سينما ، وكثير من النوادي السينمائية في الأحياء ، وفي المدينة مسجد ، وكنيسة وكنيس .

وتشتهر دربند بالمصنوعات الشعبية ، والصناعة التقليدية منتشرة في البيوت ، وأشهرها صناعة السجاد

مسلم وكفى :

اليوم هو يوم جمعة (١٩٨٦/٨/٨) قلنا لنذهب الى المسجد ونصلي مع المسلمين فيه ، فوجدنا أن المسجد قديم ، بني في القرن الثامن (بناه مسلمة بن عبد الملك في سنة ٧٣٤م) ، وقد تم تجديده عدة مرات فيما بعد ، وعلى بابه الرئيسي كتب « حب الوطن من الايمان » بالعربية ، وأمامه شجرات معمرة عمر احداها ٧٠٠ سنة ، وهي تحت رعاية الحكومة ـ أي أصبحت أثرا تاريخيا ـ . إمام هذا المسجد هو اسماعيل بن عطا ، رجل شاخت به الأيام وتقصف الكثير من أوراق عمره، تكلم في خطبة الجمعة القصيرة جدا بتؤدة عن الخير والشر ، بالعربية أولا ثم بالاذربيجانية . وقد أم المسجد حوالي ٧٠٠ مصل ، معظمهم رجال كبار في السن ، الشباب من بينهم قليلون . وفي المسجد حاجز يفصل مصلى النساء عن الرجال . وصلت قبل دخول المصلين الى المسجد سيارة اسعاف نزلت منها ممرضتان أو ربما طبيبة وممرضة ، قيل انهما تحضران كل اسبوع ، احتياطا لئلا يحصل أي مكروه لأحد المصلين . والمسجد مفروش بالسجاد وتزينه الآيات القرآنية والمصاحف موجودة ، لكن بعضها متآكل من كثرة الاستعمال . بعض

المصلين طلبوا بعض المصاحف للكهم الخاص . أدى الجميع الصلاة كما هي العادة . قيل لي ان الصلاة في المسجد تجمع المسلمين الشيعة والسنة ، لذلك قلت لمن سألني هل أنت : شافعي ، أم حنفي ؟ أنا مسلم ، وكفى ، واذا ماكنتم شيعة وسنة تصلون مع بعضكم البعض ، فلماذا تسأل عن المذاهب ؟ بعد انتهاء الصلاة وخروجنا الى باحة المسجد ، كانت امرأة كبيرة في السن تحوم حول السيارة التي أتينا بها ، سحنتها طويلة وملابسها لاتفرقها عن أية بدوية في بلادنا وكانت تردد كلاما هامسا ثم تأخذ بلمس السيارة من عدة جهات . . . ربما كانت تدعو لنا بالسلامة والبركة . . !

كوباتشي

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع أن كوبه معناها الزرد في التركية وچي أوشي قد يكون معناها صانعا ، فيكون معنى المقطعين :

صانع الزرد ، وقد أكد هذا المعنى أهل كوباتشي أنفسهم .

وكوباتشي ، أو كوبه چي هي قرية معلقة في أعالي جبال القفقاس على ارتفاع ١٥٠٠ متر عن سطح البحر في الجنوب الغربي من مدينة ماختشكلا على بعد حوالي ١٦٠ كيلو مترا تقريبا . والطريق طريق جبال ، من يصعده عليه أن يأخذ حذره ، يلتوي هنا ثم هناك ، وترتج بك السيارة ، فالمطب يلحق بالآخر ، والنهر الذي كان يرافقنا الطريق أصبح تحت أنظارنا الآن ، انه نهر أولوتشاي ، وقد حملت القرية التي يخترقها اسمه .

لاتستطيع السيارة أن تتجاوز سرعة معينة ، فالاستدارات واللفات كثيرة ، والارتجاجات تتوالى على اجسادنا ، الا أن منظر غابات الجبال وحقولها وزراعاتها كانت تخفف من بعض معاناتنا ، والاخضرار سابغ ، وأشجار جوز وشربين وسرو وأرز وصنوبر ، وأسماء أخرى غير معروفة ، العليق على غدران الماء ، والتوت البري تلمع حمرته كأنه القطوف الدانية ، وأشجار كرمة ، وقطيع بقر ، يتلوه قطيع ماعز ، وعين ماء وسيارات قليلة أخرى ، ورعاة . قليلة هي الصخور التي رأيناها ، وكان معظمها مكسوا بالاعشاب والمزروعات ، والقرى قليلة ومتباعدة ، والغيوم لم تعد بعيدة ، والسماء تطل علينا من بين الغيوم البيضاء زرقاء صافية . وأصوات رخيمة كانت تتوالى في الغناء ، أصوات أنثوية كان ينقل صداها ريح الجبال الخفيف الناعم ، ونحدق النظر فلا أحد ، لكن الاصوات كانت تدندن أغانيها . فجأة التمعت المناجل ، وظهرت النسوة ، والغمار قمح كانت تتكون والمناجل تحصد ، وأغاني الحصاد يشتعل حماسها ، وضربة المنجل كانت تعني أن كوما من الحصاد قد أنجز .

قال سليمان مسؤول العاملات اللواتي بلغ عددهن حوالي ٥٠ ، انهن من قرية شيشلي القريبة ، وهن ينتمين الى القومية الدارغونية ـ وأضاف : من الصعب استعمال الحاصدات الآلية في طبيعة كطبيعتنا ، كما ترى ، فالتلة فوق الأخرى ، والمسافات والمساحات بينها قصيرة وصغيرة ، لذلك فاننا نعتمد على العمل اليدوي في الحصاد .

لقد حان وقت الحصاد ولابد من أياد تحمل المناجل ، والا فالطيور جاهزة لالتهام السنابل .

جاء وقت الانحدار فانحدرنا ، ثم الصعود فصعدنا ، جبال ووهاد ووديان وطرق ممهدة لكنها غير « مسفلتة » وتسأل السائق : ألا يمكن « سفلتة » الطريق ؟ فيجيب : لقد حاولوا ذلك عدة مرات الا ان الثلج عندما يذوب فانه يأخذ معه الاسفلت لتبقى الأرض عارية كما هي .

نقوش الناس والزمان

عندنا في القرية مصنع واحد يعمل به حوالي ٦٥٠عاملا وعاملة . هكذا قال لنا السيد أحمد يوسف أحمد مدير المصنع الوحيد في قرية كوباتشي

*** وكم عدد سكان القرية ؟**

عدد السكان يصل الى حوالي ألفي انسان .

*** الى أية قومية ينتمون ؟**

ـ الى القومية الدارغونية ، لكننا عندما نتكلم بلغتنا الكوباتشية فانهم لايفهمون علينا .

*** وهل تفهمون لغتهم ؟**

ـ نعم نحن نفهم لغتهم .

حيرني الحال .. فصمت للحظة أسترجع ما سمعت متمعنا في هذه الأحجية .

* قالوا لاتستغرب هذا هو الحال كما سمعت !

تواترت الأسئلة في نفسي : هل هي العزلة وعدم الاختلاط بالآخرين لمدة طويلة ، هي التي ولدت هذه الحالة المتفردة ؟

جاءني الجواب من معلومات الكتب : القفقاس ، وخاصة داغستان مجمع لشعوب وقوميات كثيرة !

* وكيف تتفاهمون مع غيركم ؟

ـ بالروسية

* وقبل الروسية ؟

ـ كانت العربية ، والفارسية والتركية .

* دائما يوجد وسيط ؟

ـ لكننا دائما مع مصلحة داغستان الوطن .

صمت واسترجعت معلومات الكتب : لم تعرف داغستان وحدة سياسية الا بعد احتلال الروس لكامل منطقة القفقاس والكيان السياسي لم يتم توحيده حقيقة الا بعد قيام ثورة١٩١٧ .

* أعدت الحديث عن المصنع فقلت : هذا يعني أن كل من هو قادر على العمل فانه يعمل في المصنع ؟

ـ أجاب المدير : يوجد آخرون يعملون في الخدمات الأخرى بالقرية .

* وما هي مصنوعات المصنع ؟

ـ ان كوباتشي مشهورة منذ القديم بالصناعة وبنقشها الخاص وانطلاقا من هذه النقطة فقد تم التركيز على استمرار تقاليد الصناعة الكوباتشية ، وقد تم توجيهها في المصنع لتتخصص في النقش على النحاس ، والخشب ، والتطريز على الملابس ، ان نقشنا معروف في كل أنحاء العالم ، ندخله على السجاد والملابس والصحون ، وغلايات القهوة ، والفناجين والاطباق ، والصواني والجرار والطناجر وغيرها .

* هل تصدرون من ذلك شيئا الى الخارج ؟

ـ زارتنا قبل أيام قليلة بعثة ايطالية تعاقدنا معها على كثير مما ينتجه المصنع .

* وهل يتم التصدير مباشرة من القرية الى البلد المستورد ؟

ـ الاتفاقات أصبحت تعقد الآن مباشرة مع المستورد ، لكن التصدير يجب أن يتم عبر موسكو .



● النقش على النحاس في قرية كوباتشي .

* وكيف يتوارث الابناء هذا الفن ؟

ـ هناك مادة أساسية ضمن مواد الدراسة في كل المراحل الدراسية حتى الثانوية في قريتنا هي مادة الفن الكوباتشي ، وبعد التخرج من الثانوية هناك دراسة متخصصة لهذا الفن فقط ، وقد نال مصنعنا العديد من الجوائز وشهادات التقدير في الكثير من المعارض الدولية ، كما أن صانعنا حجي محمود نال الكثير من الشهادات والجوائز كعامل فني ممتاز . وعندنا روضة أطفال تابعة للمصنع تتسع لحوالي مائة طفل ، ويوجد في القرية مدرسة ثانوية تستوعب ٥٠٠ طالب وطالبة .

ما رأته العيون وسمعته الآذان :

من خلال جولتنا في القرية شاهدنا بيوتا واسعة مؤلفة من طابق واحد أو طابقين ، وأغلبها بطابقين ، احدى الغرف يجب أن تخصص



● حجي محمود والغرفة المتحف في بيته وبيت كل مواطن

كمتحف ، وهذه عادة داغستانية منتشرة في معظم المناطق ، يحتفظ فيها صاحب البيت بالكثير من التحف والصناعات التقليدية التي ورثها والتي جاءت ببعضها زوجته عند زواجها ، فعلى الأب أن يجهز ابنته بالكثير من الملابس والمصنوعات التقليدية عند انتقالها الى بيت زوجها .

*** سألنا السيد أحمد يوسف مدير المصنع .. كم كلفك بناء بيتك ؟**

ـ أجاب : حوالي ٢٥ الف روبل ـ البيت بطابقين من الحجارة والخشب ـ وعلق موسى مسؤول النقابة في المصنع قائلا : « يمكن لأي أمرىء أن يتقدم بطلب بناء بيت ، مع أن الدولة مكلفة بتأمين السكن للعاملين فيها ، لكن القرويين يفضلون أن تكون البيوت ملكية خاصة بهم ، وفعلا فان أغلب البيوت في القرية هي ملك خاص لأصحابها ، وصحيح أن الأرض كل الأرض ملك الدولة ، الا أن كثيرا من البيوت هي لأصحابها ويمكن توريثها للأبناء والأقارب .

*** ان من يصرف ٢٥ ألف روبل على بناء بيت ، فانه يملك أضعاف هذا المبلغ .. هكذا علقت . . .**

سمعت جوابا اشترك فيه عدة أطراف منها مدير المصنع ، ومسؤول النقابة ، ورئيس الادارة في القرية (رئيس الحكومة) والمسؤول الحزبي في المصنع وغيرهم :

من يعتقد أننا لا نملك مالا فهو مخطىء ، نعم اننا نملك مالا ، لكن مجال استغلاله في مشروعات فردية تقوم على استغلال جهود الآخرين فهو محظور .

*** الاحظ انكم في عطلة هذا اليوم (الخميس) ، مع أنني أعرف ، أن العطلة الرسمية في الاتحاد السوفيتي هي يوما السبت والأحد ؟**

ـ لذلك قصة يجدر بك أن تسجلها ، عندنا في القرية سوق اسمه سوق يوم الجمعة ، وهو أحد تقاليدنا القديمة وفيه يحضر الصُناع ما صنعوه وما يريدون بيعه ، وربما أتى البائعون والمشترون من قرى أخرى ، وقد رأى مجلس القرية الابقاء على هذا التقليد ، لذلك فاننا رفعنا مطالبنا الى السلطات ، بجعل يوم الخميس عطلة أي اليوم الذي يسبق يوم السوق ، وأن يستمر العمل يومي السبت والأحد كأيام عمل عادية .

وبدلا من أن تكون ساعات العمل ٨ساعات وهي ساعات العمل الرسمية ، فانها تصبح ٧ساعات لاننا نأخذ يوم اجازة واحدا بدلا من يومين . وقد تمت الموافقة على ما اقترحنا .

*** والصلاة يوم الجمعة ؟**

ـ من يريد أن يصلي فهو حر .

*** والمسجد ؟**

ـ لا يوجد عندنا امام ، وقد تهدم المسجد ولم يتقدم أحد بالصرف عليه واعادة ترميمه .

*** هل أفهم أن المصلين أقلية ؟**

ـ لايتدخل أحد في هذا الأمر ، ولم يتم احصاء في هذا المجال ، ومن يريد الصلاة فانه يصلي في بيته .

*** لكنني لاحظت أنكم لاتشربون المسكر ، وها أنتم تصرحون بأنكم لاتأكلون لحم الخنزير ، كما أن كثيرا من تقاليدكم هي تقاليد اسلامية .**

ـ هي عاداتنا ونحن نحافظ على العادات كثيرا الى

درجة أن كثيرا منا لايدخنون أمام آبائهم أو الكبار في السن .

* لكنها عادات اسلامية ؟

- الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه وهو أي الدين لايتدخل في تسيير حياتنا .

* أرى أن المرأة تلبس « نقابا » لايختلف كثيرا عما هو سائد في بعض البلاد الاسلامية ؟

- هو أحد تقاليد لباس المرأة في قريتنا ، والمرأة في قريتنا قلما تخرج خارج بيتها دون أن تضع النقاب على رأسها (حاول زميلي المصور تصوير امرأة في ساحة بيتها كانت بدون غطاء رأس لكنها طلبت منه التريث ، ثم أحضرت غطاء رأسها) .

* لكنها لاتغطيه كله ، ان مقدمة الرأس مكشوفة ؟

- هكذا درجت المرأة على هذا النوع من اللباس منذ القديم .

كنا في بيت العامل الفني الممتاز الحاج محمود محمد الذي كان يطلعنا على بعض أعماله الفنية النادرة ، فاذا بنا نسمع طبلا وزمرا ، قلنا انه العرس ، ان اليوم يوم خميس (عادة موجودة في كثير من البلاد العربية والاسلامية بأن يتم الزواج يوم الخميس) ، فسألنا هل يمكن أن نشاهد هذا العرس ؟

أخذت الاصوات تخفت تدريجيا وأصبحنا نسمعها كأنها صدى .

لقد تحرك الموكب الى بيت العروس

تابعنا الموكب ، نساء ورجال يغنون على توقيعات مزمار وطبول ، كل فرد من بين الجمع كان يحمل هدية ما ، صحون مليئة بالمأكولات ، وصحون مشغولة بشكل فني فارغة ، وأطباق مليئة بالسكر والارز ، وجوارب ، وملابس ، وتحف فنية مصنوعة من البورسلان ، أو النحاس ، أو مطلية بالفضة والذهب .

علقت : هي عادة قديمة في قرانا فمن يتذكرها ؟

سرنا مع الموكب .. عدة دقائق ثم كان لابد من مغادرة القرية .

الحان وانغام

بعد حوالي كيلو مترين من القرية .. لم تسر السيارة في طريقها العادي ، بل أخذت تسير على تلة كأن العشب قد زرع فيها وتم تمهيده ، ثم واجهتنا فرقة فنية بأزيائها وأدواتها ، كانت فرقة القرية الفنية ترتدي ملابسها التقليدية ومعها مزمار وطبل «دوأورغ» صغير وأرجل النساء والرجال توقع على الأرض دقاتها ، وشيخ كبير كان من بينهم وامرأة كبيرة في السن ، مزين ثوبها بعشرات العملات النحاسية والحديدية ، وقليل منها فضي أو ذهبي ، يعود زمان بعضها الى بداية هذا القرن ، أو قبله ، عليها كلمات من لغات متعددة ، وتتوالى الالحان ويتوالى الرقص والدبك ، فهذه الرقصة داغستانية وتلك شيشانية ، وأخرى أوستية ، أو روسية ، وعلى رؤوس الاصابع يقف الشيخ ، وتدور حوله المرأة العجوز ثم يليه شاب تدور حوله صبية شابة ، الالحان شجية واللحظة مشبعة بغنى الالوان والالحان ، نسمة الهواء النقية تتسلل بوداعة وتضفي رونقها على بهجة الحالة .

قال رمضان : مسؤول فرقة الفن في القرية : تم تأسيس الفرقة منذ بداية الستينيات ، وهي تتغير في عناصرها بين فترة وأخرى ، والالحان والكلمات قد نطورها ونغير فيها ، لكن الطابع الشعبي يجب أن يبقى سمة أساسية فيها ، وقد اشتركت الفرقة في كثير من العروض داخل داغستان وخارجها ، وأحيانا خارج الاتحاد السوفيتي ، ونلنا جوائز وشهادات تقديرية كثيرة .

صوت الالحان وتوقيعات الأرجل ، والغناء الشجي ، يطغى على ماعداه . أوقفنا هدير أصواتنا .. وبقينا مع تجليات اندماج الكلمات باللحن وبحركات الجسد ، وكان لابد من أن ينال الاجهاد الافراد ، وكان لابد من وداع .

العلاقات مع العرب :

أشرنا الى أن العرب فتحوا قسما من داغستان في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، واستمر وجودهم بين مد وجزر ، فما هي التأثيرات التي تركوها في هذه البلاد ؟

يقول وليم البربكي الذي زار الاقليم في نوفمبر - تشرين الثاني من عام ١٢٥٤ م حسب ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع مايلي :

« اللان النصارى يسكنون الجبال ، ويسكن بين الجبال والبحر الاعراب ، أي الليزك المسلمون ، والليزك اسم كان يطلق على كامل بلاد داغستان من

قبل » .

وتجدر الاشارة الى أن معظم أقاليم داغستان قد انتشر الاسلام فيها بعد ذلك التاريخ من خلال تأثيرات العرب والفرس والاتراك ، ثم التتار ، قبل أن يسيطر الروس على البلاد اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر . أما بالنسبة لانتشار اللغة العربية فانه من المرجح أن الأمر سار مع انتشار الدين الاسلامي ، وان كان الأمر قد سار ببطء لا يتساوى بطبيعة الحال مع سرعة انتشار الدين .

يقول المستشرق بارتولد في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع : « ان معرفة العربية شائعة في هذه الربوع « الداغستانية » أكثر منها في أي بلد اسلامي آخر ليست العربية لغته الاصلية ، وذلك بفضل ما يبديه أبناء الطريقة النقشبندية - طريقة صوفية زاد انتشارها في داغستان في منتصف القرن التاسع عشر - من نشاط ، كما أن عددا من العلماء الذين درسوا في الكعبة شتاء عام ١٨٨٤-١٨٨٥ م ، وذكرهم سنوك هرجرونية قد ولدوا في داغستان » .

أما المؤرخ الروسي الشهير كراتشكوفسكي فقد نشر مقالا ضمن مقالات اللغة العربية في شمال القوقاز سنة ١٩٣٦ ، وترجمه د . قائد محمد طربوش ، ونشره في مجلة الحكمة اليمانية العدد١١١- ابريل - مايو١٩٨٤م جاء فيه :-

« تعزز الاهتمام بظاهرة العلاقات اللغوية والأدبية بداغستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بالاستخدام الحي لوجود وتعايش عدد كبير من اللغات المحلية المختلفة ، التي لم تملك حروفا كتابية ، ولم تنل معالجة أدبية ، وكانت اللغة المكتوبة الاساسية المتبعة والوحيدة على ما يبدو هي اللغة العربية بشكلها الأدبي الكلاسيكي في الغالب ، وقد أخذ بها كل تعداد اداري عملي ، ودعمتها التقاليد المدرسية ، ومنها نشأت الكتابة المحلية بشكلها النثري والشعري»

وقد ذكر الاساتذة العلماء في معهد التاريخ واللغة والأدب في ماختشكلا . . مايلي :

لقد تم تحقيق كثير من الكتب العربية في داغستان بواسطة علماء داغستانيين ، منها على سبيل المثال :

كتاب للادريسي تم تحقيقه في القرن السادس عشر الميلادي ، ووجدنا قرآنا كريما يعود تاريخ طباعته الى القرن الثاني عشر ، وتم تحقيق كتاب « برهان الحقائق » - وهو كتاب صوفي - في القرن الرابع عشر ، وكتاب المراد الذي تم تحقيقه في القرن الخامس عشر وغير ذلك كثير .

● وسألت : ما هي حقيقة القول بأن هناك أقلية عربية مازالت تعيش بين قبائل اللزكي ؟

- الليزك هو شعب داغستاني ، وعاش معه كثير من العرب وتعايشوا معه ، وكان هؤلاء يتكلمون العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد ذلك آل حالهم الى مآل أهل البلاد .

هذا ولابد ان نشير هنا الى أن علماء عربا كثيرين وخاصة من رجال الدين كانوا يأتون الى داغستان ويعيشون بين شعوبها يعلمون الناس مما لديهم من العلوم ، وقد نشر بعضهم بعض الطرق الصوفية ، كما أن علماء من داغستان كانوا يشدون رحالهم الى البلاد الاسلامية والعربية على الأخص لتلقي العلم ، وها هي بعض القرى تحمل أسماء عربية كقرية عريب على سبيل المثال في غرب داغستان .

وبعد : . . . قلنا ان هذه البلاد نعرفها ، وتعرفنا منذ مئات السنين ، المصادر التاريخية قالت ذلك ، وديننا ، ولغتنا ، وكثير من عاداتنا ، وتقاليدنا التي انتشرت هناك تقول ذلك ، وكثير من الآثار الموجودة في متحف مدينة ماختشكلا ومتحف مصنع قرية كوباتشي وكثير من الآثار التي ما زالت قائمة في مدينة دربند ، وشواهد القبور تقول ذلك ، وأشعار حمزة تسادسا والد الشاعر رسول حمزاتوف الذي كتب بعض أشعاره بالعربية تقول ذلك أيضا ، نعم هذه البلاد تعرفنا ونعرفها تماما ، وكثير من أبنائها أصبحوا مواطنين في بلادنا وكثير منا أصبحوا مواطنين فيها لكن ربما بألسنة أخرى ؟ وحتى لا نبقى مع ذكريات الماضي فقط ، ومع آثاره الدارسة ، فان الحاضر يمكن أن يكون لنا فيه حضور ، قال لنا موسى مسؤول النقابة في مصنع كوباتشي ، عندما سألناه عن انطباعاته عنا نحن العرب : قد لا أجيد الحديث عن الماضي ، لكنني أعرف انه يجمعنا واياكم الكثير من الاهداف المشتركة في الحاضر والمستقبل أيضا ، ونحن مع أهدافكم المشروعة ، ومع أمانيكم ، لاستعادة حقوقكم وتحقيق وحدتكم ، وتوفير كل سبل التقدم لشعبكم . على هذه الارضية نتعاون ، وفي سبيل السلام وتقدم البشرية نضع أيدينا بأيديكم □



تتغذى كائنات السباخ على نفايات المطبخ وفضلات موائدنا وأوراق الأشجار .. بلايين من الكائنات والحشرات الميكروبية المجهرية تتراكم على الوليمة .. كوم من السباخ ، يخصب التربة الزراعية .

عالم السماد الوحشى

اعداد : حسنى محمد بدوى

« برغم الانتشار الكبير للمواد الكيميائية ، الا أن الأسمدة العضوية ما زالت مادة مستخدمة كما كان الأمر منذ ملايين السنين ، وبين وجود المواد الطبيعية فى حالتها الأولى ، وحتى تحولها الى مادة كيميائية ، تحدث ملايين العمليات الدقيقة ، وهذا المقال يحكى عن هذه العمليات الطويلة المعقدة » .

حين نمشى فوق أكوام من النفايات أو على أرض زراعية مفروشة بالسماد ، هل يخطر ببالنا أن تحت أقدامنا يكمن عالم زاخر بالكائنات ، عالم يموج بمخلوقات دقيقة ، تتفاعل تفاعلات كيميائية عجيبة ، تنجم عنها تحولات باهرة ، إذ سرعان ما تخصب الأرض فتنبت نباتاتها الخضراء الغضة وتثمر ثمارها اليانعة المتنوعة ، وتتفتح الأزهار ذات الألوان البهية البديعة ، فتتحول روائح النفايات العفنة الكريهة الى طيب يفوح بعطر الياسمين والفل والسوسن والريحان ، وهاهى البساتين والحقول الشاسعة ، زاخرة بأنواع شتى من الورود والفاكهة والخضر ، وبمحاصيل القمح والذرة والقطن الخ .. فكيف أينعت الأرض ونضرت وأزهرت بعد ان كانت أكواما من بقايا وفضلات موائدنا ، وركاما من نفايات

وقاذورات الصرف والمراحيض ؟

والتربة الزراعية كما تحتاج الى الماء والهواء والشمس ، لا تستغنى عن التسميد « والتسبيخ » ونعرف ان السباخ يتركب من عدة أشياء ، لكن العلماء اكتشفوا أن هذه (الأشياء) انما تمثل عالما صغيرا عجيبا يموج بكائنات كثيرة ، تقوم بدورها الفعال في « تكوين » طبيعة الخصوبة وخصائصها التي تكتسبها التربة ، فتعطي عطاءها الجيد الوفير من الثمار والأزهار والخضر والمحاصيل ..

ومقالنا اليوم هو دعوة لنا من العلماء للهبوط معا الى باطن أكوام السباخ ، حيث النفايات والفضلات ، حيث نتعرف على عالم صغير يحوى كل غريب وعجيب .. وسنعرف طريقة « تكوين » أو صنع السماد من أجل تخصيب التربة ، وهذا هدف زراعي اقتصادي جوهري ، واذا كان العلماء في عصرنا الحديث ، يصحبوننا في جولاتهم واستكشافاتهم العلمية الى أرجاء الأرض وأطرافها .. من السفوح الى قمم الجبال ، ومن الغوص في أعماق البحار الى الانطلاق بالصواريخ صوب كواكب الفضاء ، فلا بأس أن نسبر اليوم معا أغوار ذلك العالم الصغير الغامض ، عالم السباخ ! فلنتحمل معا مشقة هذه الجولة التي نخوض خلالها بيئة من مواد عفنة عطنة ، ذات روائح كريهة ، لكننا سرعان ما ننسى ذلك كله ، ونتغاضى عنه ، وسط غرائب هذا العالم السفلي العجيب !

كائنات مجهرية وطبائخ كيميائية

لنبدأ جولتنا بدعوتك الى غمس يدك ثم ذراعك - حتى مرفقك - في كوم من السباخ ، أنت بذلك تكون قد مسست حلقة جوهرية من حلقات الحياة ودورتها ، فان تحتك يكمن كون مصغر ، مسكون بكائنات كثيرة لا تحصى .. صغيرة .. صغيرة جدا ، ومع ذلك ، فهي أكثر شراسة ووحشية من الأسود والنمور والضباع .

انه عالم مظلم رطب مشحون بكائنات ذات حركة ناعمة ، تتخالط وتتفاعل في هدوء وسكون ، وستشعر من خلال يدك وذراعك ان هذا العالم يتميز بارتفاع درجة حرارته ، وكائناته غزيرة ، تقوم « بطبائخ ميكروبية » تسمى



دودة خيطية تشابك جسمها بنسيج الفطريات

« البكتيريا الهوائية » (أى تلك التي تنمو في الهواء وتستهلك الأوكسجين) ترتفع حرارتها الى درجة ٥٥ مئوية أو أعلى ، خلال الأيام الأولى من وضع الفضلات العضوية ، في سلال أو أحواض السباخ التي نعدها لتخصيب مساحة من التربة الزراعية ، وهذه الفضلات تتخالط « فتطبخ طبائخها » في صمت بباطن التربة المظلمة ، وتأخذ دورها في التحول الكيميائي .. تتعطن وتتعفن بسهولة ، فهي مواد تحوى بقايا موائدنا وثفل (رواسب) القهوة ، ورماد الحرائق ، وأوراق الأشجار المتساقطة ، وجزازات الأعشاب .. ويمكن أن نرى فطريات السباخ بعيوننا المجردة ، بعد عشرة أيام من القاء الفضلات العضوية في سلال السباخ ، وهي تستمد غذاءها من المواد المتحللة ، ولأنها لا تستطيع تحمل درجات الحرارة المرتفعة التي تنبعث من النباتات والكائنات المجهرية المنحشرة

فى باطن أكوام الفضلات ، فهى تعيش بالقرب من سطح السباخ ، فى نطاق لا يتجاوز سمكه خمس بوصات ، كما أن المواد المتأثرة بالاشعاع (النباتات) هى التى تظهر أخيرا على هذا السطح ، وهذه البكتريا السطحية تختلف من حيث تحمل الحرارة المرتفعة ، عن الكائنات الأخرى التى توجد وسط كوم السباخ ، فالفطريات لا تستطيع تحمل درجات الحرارة المرتفعة ، ماعدا تلك الطبقة التى تأخذ شكل الهَبْوة أو الغُبَيْرة ، وتستكن فى نطاق الدفء الوسيط (فى دفء المحلقة) ، والفطريات والمواد المتأثرة بالاشعاع ، تتراكم فوق مواد السباخ المتحللة ، وتعطيها مظهرا أشبه بحلوى غزل البنات ، وهى تساعد على مزيد من التعفن والتحلل بشكل حيوى ، ونحن نرى أثرها الكيميائى فى نخر سيقان الأشجار والحائها .

وفى أكوام السباخ ، ترعى الديدان الخيطية الدقيقة ، والديدان الاسطوانية الشفافة ، وهى منتشرة بكثافة طاغية ، ان حفنة واحدة من السباخ المتحلل ، فى يدك ، تحوى ملايين عديدة منها ، ومنظرها العام - تحت المجهر - أشبه بخصلات صغيرة من الشعر الناعم فى رأس الانسان ، ان مستعمرة الديدان الخيطية داخل تفاحة واحدة عطنة ، يعد تعدادها ، بـ ٩٠,٠٠٠ دودة تقريبا ، وهى تتغذى على البكتيريا والفطريات ، وهناك كائنات بباطن التربة ، تتغذى على خلايا جذور النبات ، اذ تخترمها وتمتص عصائرها .

اعداد السماد

والطريقة المجربة علميا لاعداد السماد ، هى أن نضع فضلات فى حفرة ونغطيها بتراب الأرض ، وبعد مضى فترة (تمتد من سنة شهور الى عام) ، ننبش هذه الحفرة ونستخرج محتواها وننثره على حقولنا ، وهى طريقة بطيئة (بسبب نقص الأوكسجين) ، ولكنها طريقة مفضلة عند خبراء الزراعة ، اذ يرى الباحث « سيسيل جونسون » لاعداد صوامع السماد أوسلاله ، ضرورة أن تترك فاصلا بين سلة وأخرى ، بمسافة تتراوح بين ست وثمانية أقدام ، ولا يزيد عمقها عن ثلاث أو أربع أقدام ، لأن الفضلات لا تتدامج بسهولة ، ولا بد أن تعرض سطوحها للأوكسجين ، (فى الهواء الطلق) حتى يصل الى البكتريا ذات الحرارة المرتفعة والكائنات الأخرى .

ولا تكف كائنات السباخ عن التغذى ، وحفر سراديب صغيرة طوال ساعات النهار ، حتى تصل الى القمة خلال الليل لتتزاوج ، وهى تجعل التربة والسباخ أشبه بالاسفنج المهْوى (المتجدد الهواء) ، وتمكّن تقوبُها على السطح،الماء والموادَ المغذية والاكسيجينَ من الترشيح ، كما تتساقط ركائز صغيرة من مواد الثفل أوالبراز الغنية بالنتروجين .

العالم الخفى ، حيوية ونشاط

ان البكتيريا والمواد المتأثرة بالاشعاع والديدان الخيطية والديدان الحمراء ، ليست وحدها العوامل الأساسية التى يتكون منها غذاء التربة (السباخ) ، فهناك « مستودع » خصب لأنواع أخرى من الكائنات ، كتلك الديدان الصغيرة ذات السيقان المفصلية ، تتميز بطباع عجيبة ، وتلتزم بنظام غريب ، كماتوجد فى السباخ « العقارب الكاذبة » فى حجم دبوس بالغ الصغر ، لا تكاد ترى الا بمعرفة الباحثين المتخصصين فى دراسة الكائنات اللافقارية ، وهى منتشرة فى أغلب بقاع العالم ، وقام العلماء بوصف وشرح ٥٠,٠٠٠ نوع منها ، وبوقوفك على احدى هجماتها أو غاراتها ، تستطيع أن ترى كيف تجفل وترفع مخالبها فى تحد ، وهى مؤذية ماكرة ، تختفى فى طوايا أوراق الشجر ، تنقض على فريستها بمخالبها الأمامية الشبيهة بالمناجل ، ثم لا تلبث ان تحقنها بسم غددها التى توجد فى أطراف مخالبها ، وهى تفترس الديدان الخيطية وحشرة العثة والبرقات أو سروة الجراد ، وتبيض من اثنتين الى ثلاثين بيضة ، وتبلغ نضجها خلال عام ، لكنها لا تعمر أكثر من عامين .

وقد أحصى البروفيسور « كينيث أكريستايترن » (استاذ علم الحشرات بكلية

« جربنيل ») عددا كبيرا من هذه العقارب الكاذبة ، حوالى مائة مليون ، وذلك من متر مربع واحد من تربة أحد حقول « ايوا » ، ويقول العالم « هوارد اينساين ايفانز » (استاذ علم الحشرات بجامعة « كلورادو » ، والأمين السابق لمتحف « علم الحيوان المقارن » فى جامعة « هارفارد ») يقول « ان هذا النوع من الحشرات يثرى التركيب الكيميائى للسماد بدرجة لم تكن متوقعة ! والعقارب الكاذبة تمرح هنا وهناك بين ذرات التربة والمواد المتحللة ، ولا تكف عن التوائب والتقافز ، انها تمتاز بكيان صغير أشبه بالزنبرك » .

وقد لاحظ العلماء أن الذكر عند بعض أنواعها يغازل الأنثى بالملاطفة والمداعبة وقت التزاوج .

كما يوجد نوع من العثة فى باطن السباخ ، يتغذى على أوراق الشجر والخشب العطن والأزهار الذابلة ، وبعضها يأكل اللحوم والديدان الخيطية ، وبيض ويرقات الحشرات . ان ثلاثين نوعا من العثة قد تم تصنيفها بواسطة العلماء ، ومع ذلك فان ماتم للباحثين المتخصصين احصاؤه منها لا يمثل الا عشر العدد الكلى لأنواعها ، وعثة السباخ أصغر من حبة الرمل وهى كروية الشكل ، ذات شعر خشن ينمو فوق ظهرها ، لها أربع أرجل على كل جانب من جانبيها ، كما توجد فى عالم السماد حشرة البق التى لها جهاز تنفسى رقيق ، يشبه الخياشيم ، يقيها من الرطوبة ، وتتغذى على المواد المتحللة .

وأنت ترى أعضاء أجسام هذه الكائنات ، تلتف وتنطوى باحكام بغرض حماية نفسها . . . وهناك كائنات أخرى شائعة فى أكوام السماد ، مثل الحشرة المسماة « دَخّالة الأذن » ويمكن أن نراها بالعين المجردة بسهولة ، وهى لا تظهر الا فى الليل (ليلية ، مثل البومة فى الغابات) ، وتقضى ساعات النهار فى باطن السباخ حيث الرطوبة والظلمة . وبعض أنواعها مفترس ، غذاؤ ها الرئيسى الخضر المتعفنة ، والأنثى ترعى صغارها لمدة أربعة أسابيع ، تحتضنها تماما كما تحتضن الدجاجة فراخها ، وهى تأخذها فى حضنها وتهرب بها عند أقل بادرة للخطر ، ولها

مخالب تشبه الكماشات ، توجد على طرف ذيلها . . تقرص بها من يلمسها قرصات مؤلمة !

أما حشرة « أم أربعة وأربعين » التى توجد أيضا ضمن مواد السماد ، فهى صغيرة ، لكنها قوية مفترسة ، متحرك غالبا على سمك بضع بوصات من سطح كوم السماد ، تتميز مخالبها الرهيبة بغدد سامة تشل بها حركة فريستها من الديدان الحمراء . . ويتكون جسمها من فلقات أو فصوص كثيرة ، توجد ساقان على كل فص ، ومثل أغلب الكائنات التى تعيش فى السماد ، تفرز حشرة « أم اربعة واربعين » مواد نيتروجينية .

وبمشاهدتنا لدودة النبات الخضراء (الدودة الألفية الأرجل) داخل عالم السماد ، نستطيع أن نراها بوضوح وهى تزحف ببطء وبنعومة ، فوق رغام المواد العضوية المتحللة ، ولو وقع بصرك على مجموعة منها وهى تتحرك حركاتها المتناسقة ، فكأنك تشاهد فرقة « الموسيقا السيمفونية » فى أدائها « الهارمونى » قد يأخذك العجب عندما ترى هذه الحشرة وهى تزحف « بألف رجل » فى اتساق عجيب ، دون أن تتشابك أو تتعقد أرجلها الكثيرة هذه ، ومع أنها تتمتع بأرجل أكثر من أرجل حشرة أم أربعة وأربعين ، الا أنها أشد بطئا منها ، وتتغذى على نسيج أوراق الشجر الجافة ، كما أننا لا ننسى أن بعض الطيور تغذى أكوام السماد بافرازاتها المخصبة ، وفى الظلام تمرح جرذان الحقل فوق السباخ لتتغذى على نفايات وليمة المساء .

ومثل حركة المد والجزر فى البحر فان « التركيبات العضوية » للسماد تعلو وتنخفض فى نظام غريب ، فى تفاعل كيميائى غير ملحوظ ، ان هذا العالم الصغير المحدود . . عالم السماد المكتظ بكائناته الغريبة ، يقوم باعادة تكويناته فى صمت تام ، منطويا على مايشيد من أكوام ، هى غذاء جيد نافع لحقولنا وبساتيننا .

ومن النفايات العطنة والفضلات العفنة ، تنمو الأعواد الخضراء النضرة ، والمحاصيل الزراعية ، والثمار الشهية ، والأزهار الجميلة . □

وجها لوجه



د. غالى شكرى و محمود الريماوى

- عند نقطة زمنية معينة تصبح الغربة ضد الإبداع !
- حين تطول غربة المثقف يتحول الى خبير في شؤون بلاده .
- فوضى ترجمة المصطلحات تسبب عجز بعض تيارات نقدنا المعاصر .
- ازدهرت البنيوية عندنا بينما يحتضر كيانها المنهجي في الغرب .
- كما أن هناك أساتذة في تزييف النقود واللوحات ، هناك أساتذة في تزييف الحداثة .
- تفاوت مستوى مؤلفاتي يعود للفرق بين مؤلفات حول موضوع معين وبين جمع المختارات من كتاباتي الصحفية في كتب .
- اعتاد نقادنا « المحترمون » ألا يتناولوا كتّاباً متوسطي الموهبة .

في « وجهاً لوجه » ، هذه المرة تلتقي « العربي » ناقداً ينتمي إلى جيل عرف يوماً بأنه جيل الستينيات ، وهو العقد الذي يشار إليه في تاريخنا الأدبي المعاصر بأنه عقد ازدهار الفن والأدب والثقافة بمختلف فروعها .

لقد تغير الكثير منذ بدأ غالي شكري الكتابة ناشئاً في الخمسينيات ، ثم ناقداً لامعاً في الستينيات ، فمثقفاً يجمع بين العمل الثقافي العام ، والعمل الأكاديمي في جامعات أوروبا ، وعلى مدى مراحله تلك ، وعلى مدى التغيرات التي شهدتها ساحة النقد الأدبي ، يجري اللقاء مع د. غالي شكري ، القاص والصحفي الفلسطيني المعروف محمود الريماوي الذي برز اسمه ككاتب قصة قصيرة متميزة في الستينيات وما زال يواصل عطاءه في حقلي الأدب والصحافة .

دعنا نبدأ من النهاية ، أعني من اللحظة الحاضرة ، لقد عشت عشرة أعوام حتى الآن في فرنسا . والملاحظ أن اللجوء الاختياري أو الاضطراري إلى أوروبا شكل ما يشبه الظاهرة ، منذ مطلع السبعينيات حتى أيامنا هذه ، فقد نزح عدد كبير من الكتاب والمفكرين المصريين إلى أوروبا ، ولم يقتصر الأمر على المثقفين من مصر بل إن الأمر شمل مثقفين عرباً من سائر الأقطار ، إذا استثنينا هجرة المثقفين العرب المنتمين إلى شمال أفريقيا وإقامتهم بحكم الصلات الثقافية واللغوية التي ما زالت قائمة بين أقطارهم وبين فرنسا .

والسؤال هو : هل هذه الهجرة هي أحد أشكال التحرك الذي يتوخى منه تحسين شروط الأداء الثقافي ولو من الخارج ؟ . أم أنها مجرد تعبير عن المأزق الذي واجهه المثقف والمفكر في مجتمعه ؟ . أم كانت هروباً وتراجعاً منظماً ؟

د. غالي شكري : هناك ظاهرة عامة وهناك ظواهر فردية ، ويجب التمييز داخل الظاهرة العامة بين العلاقات الفردية . إنني مثلاً أرفض تسمية التجمع الثقافي العربي في الغرب بأنه هجرة . إنني وغيري لم نهاجر وإنما نفينا ، وفرق كبير بين المهجر والمنفى ، فالمهجر هو مكان يختاره الانسان بوعيه بقصد الاقامة الدائمة فيه ، أما المنفى فهو المكان الذي يضطر إنسان ما إلى اللجوء إليه بصفة مؤقتة . ليس من شك أن هناك شريحة كبرى من المثقفين العرب كأساتذة الجامعة وكالصحفيين ، قد هاجروا سواء إلى بلاد النفط العربية ، أو إلى أوروبا والولايات المتحدة . وهذه فئة دفعتها ظروف عديدة إلى اختيار الرحيل من الوطن الأصلي ، واختيار المهجر كمكان للاقامة سواء لأسباب اقتصادية ، أو لأسباب (اثنولوجية) تخص بعض الطوائف والأقليات التي لم تشعر بالأمان الاجتماعي ، ويئست من أقطارها الأصلية . لكن الشريحة الأخرى التي اضطرت اضطراراً إلى مغادرة أوطانها ـ من المثقفين العرب ـ هي فئة السياسيين والكتاب ذوي الموقف الذي يتناقض تناقضاً أساسياً مع الأنظمة السائدة في بلدانها ، وأظن أني أنتمي إلى الفئة الأخيرة مع ملاحظة أن هناك دائماً فروقاً دقيقة بين الحالات الفردية المختلفة التي تجمعت على نحو من الأنحاء في حفز بعضها على الرحيل .

في البداية توقفت قليلاً في لبنان لاستطلاع الموقف العربي العام عن كثب ، وقد تفضل بعض الزملاء اللبنانيين مشكورين بإتاحة فرصة التعبير لي أثناء وجودي هناك . وتداعت الحوادث فبقيت في لبنان عدة أشهر ، قدم خلالها زملاء آخرون من مصر ، وفجأة وقعت حرب أكتوبر ومضاعفاتها المعروفة ، مما

جعلني أقرر البقاء في هذه البوتقة العربية ـ لبنان ـ للتفاعل مع الأحداث والتعبير عنها بعيداً عن أية ضغوط ، أعني إن تجربتي اللبنانية لم تكن من باب الهجرة والاغتراب وإنما من باب المواطنة القومية الصحيحة . كانت هناك الحركة الوطنية اللبنانية ذات البعد القومي العربي الحاسم ، وكانت هناك منظمة التحرير الفلسطينية بوجهها العربي الناصع ، وكان هناك اللاجئون السياسيون العرب ، وكذلك الذين جاءوا اضطراراً أو اختياراً ، وكان هناك النشاط الثقافي الذي لا مثيل له في أية عاصمة عربية أخرى ليس على صعيد النشر فقط ، وإنما على صعيد الانتاج والإبداع والحوار الخلاق الذي حرص عليه اللبنانيون ، وحرصوا على أن يكون باستمرار نشاطاً عربياً وليس نشاطاً محلياً فقط . في هذه البيئة عشت حياتي الشخصية والفكرية كما لم أعشها من قبل ، وكما لم أعشها بعد رحيلي من لبنان . وانتهت تجربتي في لبنان عام ١٩٧٦ عندما أصبح مستحيلاً استمرار المناخ اللبناني كما كان .

وكانت فرنسا هي البديل ، لكنها كانت (المنفى) .

فرق شاسع بين رحلتي الفرنسية وتجربتي اللبنانية ، في لبنان كنت في وطني ، أما في فرنسا فكنت ضيفاً ، ومع ذلك فإني أريد أن أقول إن السنوات العشر التي أمضيتها في باريس خففت منها رحلاتي المستمرة إلى مختلف أجزاء الوطن العربي ، وأظن أن المرحلة كلها ـ سواء في شقها الفرنسي أو اللبناني ـ هي مرحلة خصبة بكل المعايير مع ما فيها من أحزان ، وبكل ما فيها من انجازات ، لقد تعمق انتمائي العربي وترسخ في هذه الرحلة الطويلة ، وتعلمت من المناهج الجديدة في الغرب كيف أتفاعل معها ، وماذا آخذ وماذا أرفض .

« غربة ضد الإبـــداع »

* يبدو من حديثك حتى الآن أن هذه التجربة التي سميناها ظاهرة ـ في بداية هذا اللقاء ـ كانت مسألة طبيعية ، أو نتيجة شبه حتمية لطبيعة الظروف العامة في الأقطار العربية .

هل هذا الاستخلاص صحيح ؟

* د. غالي شكري : ستلاحظ في ضوء هذه التجربة أنني وغيري لم نكن بمعزل عن سياق تاريخي بدأ في القرن التاسع عشر . لن ننسى الرحلات العديدة لرواد النهضة العربية الحديثة ، من أمثال رفاعة الطهطاوي ، وخير الدين التونسي ، ولن ننسى أيضاً الرحلات الأخرى التي قام بها أمثال أحمد فارس الشدياق ، وكذلك التجربة الهامة لجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده والعروة الوثقى . . صف طويل من السوريين واللبنانيين والمصريين وغيرهم ارتادوا طريق الهجرة كجبران خليل جبران ، وإيليا أبو ماضي ، وبقية شعراء المهجر وكتابه ، وصحافتهم المعروفة ، وهناك من تعلم وعاد كالطهطاوي ، وطه حسين ، والحكيم ، ومحمد مندور ، ولكن الفرق دائماً بين الكاتب والخبير ان الكاتب له دور داخل وطنه ولا يمكن أن يحقق ذاته من خلال هذا الدور إلا في وطنه ، ومن ثم فإن الهدف المستمر أمام أي كاتب في المنفى أن يجعل من رحلة الغربة فرصة استثنائية للتعلم ، وأن يجعلها قصيرة إلى أقل زمن ممكن ، وإلا فسيتحول الوطن إلى ارشيف ، ويصبح الكاتب خبيراً في شؤون بلاده لدى الوطن الجديد وليس كاتباً .

* إلى أي حد تعتقد أن وجودكم في فرنسا ساهم بالتعريف بالأدب العربي المعاصر ، وفك العزلة « العالمية » حول هذا الأدب ؟

* د. غالي شكري : إنني وغيري ممن أتيحت لهم فرص الاحتكاك بالمؤسسات الغربية كالجامعات أو دور النشر قد يسرنا ومهدنا بقدر ما نستطيع بعض الطرق للأدب العربي ، فمثلاً كنت شخصياً أعمل في إحدى الجامعات ، وكان أحمد. ع. حجازي ، ومحمود. أ. العالم ، يعملان في جامعة أخرى ، وكانت الثقافة العربية هي المادة الرئيسية التي نقوم بتدريسها لطلاب هذه الجامعات من الفرنسيين والعرب ، وقد كان لذلك أثره في تعريف دوائر الثقافة الفرنسية بثقافتنا عن طريق مباشر لا بواسطة المستشرقين ، لقد كان شيئاً جديدا ، مثلاً شاعر عربي كحجازي يقوم ـ بنفسه ـ بتدريس مادة الشعر العربي ، بينما كان محمود. أ. العالم كمفكر وناقد للأدب يقوم ـ بنفسه ـ بتدريس الفكر والأدب العربيين ، ولذلك أصبح من الممكن أن يدعى بعض

الأدباء العرب كأدونيس ، وعبد السلام العجيلي ، ومحمود درويش ، والبياتي ، ويوسف إدريس ، وآخرون إلى قاعات المحاضرات الكبرى في السوربون ، فيدخلون في حوارات مع المثقفين الفرنسيين ، كما أصبح من الممكن أن تترجم أعمالهم ، وأعمال غيرهم إلى الفرنسية في أكبر دور النشر ، بل إن بعض النصوص العربية الحديثة تدرس الآن في مرحلة ما بعد الدكتوراة .

وأود أن أنبه في هذا المجال إلى نقطة مهمة ، فمن أهم إيجابيات المنفى الأوروبي ذلك التعارف والتفاعل بين أدباء المشرق وأدباء المغرب العربيين .

المناهج الغربية والعرب

* .. ولكن كيف تفسر استمرار حضور ونفوذ المناهج الفكرية الغربية الحديثة في بيئتها الأصلية ؟ وما موقع الألسنية والبنيوية بالذات ؟

* د. غالي شكري :

كان أول ما استرعى انتباهي أننا وصلنا إلى فرنسا (١٩٧٦) في وقت كانت المناهج الحديثة فيه في مرحلة الاحتضار ، وأقصد في مجال النقد الأدبي كالبنيوية ، وكنت مندهشاً من ازدهار هذه المناهج الآفلة في الكتابات العربية ، ويبدو لي أن الترجمات التي قام بها المغاربة أساساً وبعض اللبنانيين والمصريين هي التي روجت هذه المناهج ترويجاً ينقصه الفهم والإدراك والاستيعاب والتمثل ، سواء كان ذلك تمثيلاً للسياق التاريخي الثقافي في الغرب ، أو في الوطن العربي ، ونادرا ما كنت أجد نصاً نقدياً بنيوياً مترجماً ترجمة صحيحة ، ونادراً جداً ما كنت أقرأ نصاً نقدياً عربياً ، وقد فهم كاتبه البنيوية فهماً صحيحاً ، إن فوضى ترجمة المصطلحات وتوخي نقد آدابنا المحلية هما اللذان تسببا في فشل بعض تيارات نقدنا المعاصر وعجزها . إن الكثيرين من النقاد والمنظرين العرب لا يعرفون مثلاً أن (غريمس) قد تراجع عن كثير من عناصر منهجه البنيوي ، وهناك من توقف تماماً عن تطبيق هذه النظرية في النقد ، ومع ذلك نجد أحدهم وقد جمع مصطلحات شتى من مظانها وكأنها ضمن سياق واحد ، وهي في الحقيقة تنتمي إلى تيارات مختلفة ، ومدارس مختلفة ، وعصور مختلفة ، قد تجاوزها البنيويون منذ سنين طويلة .

كيف تفسر كون أكثر التيارات مثاراً للاهتمام هي تلك التي تأخذ بالبنيوية التي وصفتها أنت بأنها تحتضر في منبتها الأصلي ؟ . وهل هذا وحده يكفي لعدم الأخذ بها وخاصة أن المسألة تتعلق بمعضلة أعم ، وهي ما يسمونه المسافة الحضارية بيننا وبين الغرب ؟ ، إن كثيراً من الأدوات التي نستخدمها في حياتنا وفي تفكيرنا قد توقف استخدامها في الغرب ، لكننا بشكل أو بآخر لا نجد مفراً من استخدامها ، أعني التعامل معها ، ناهيك عن أي تيار كالبنيوية من شأنه الحد من بعض آفات النقد عندنا : كالانطباعية المفرطة أو الهوس بالمضمون على حساب القيمة الفنية ، وهل تعتقد أن الجهد النقدي العربي الذي يعتمد البنيوية في المشرق والمغرب هو جهد بلا طائل ؟ .

* د. غالي شكري : إن تيارات البنيوية ، وكذلك الألسنية تفيد الناقد بلا شك قبل قيامه بعملية النقد ، أي أنها مرحلة سابقة على التواصل بين الناقد والجمهور ، وهذه المدارس أشبه ما تكون بمعمل أو مختبر لذبذبات الكلمات وجذورها ، وتركيب البناء من المواد الأسطورية ، واللاواعية ، وأسلوب استخدام المعجم وطريقة اختيار التعامل مع اللغة ، وهذه كلها عناصر تفيد الناقد بنتائجها لكنها لا تصلح - بذاتها - أن تكون نسيجاً للنقد - أي نقد هو علاقة بين الأثر الأدبي والجمهور ، ولا شأن للمختبر الصوتي أو اللغوي أو (الأنثروبولوجي) بالجمهور ، وعندما يقتصر الأمر - بشأن هذه المدارس - على أن تكون مجرد عناصر معملية فإن الناقد يختار من بينها ما يخدم منهجه وليس مضطراً للأخذ بها ككل لأنها تصبح حينئذ هي المنهج .

ولذلك عندما نقول انها تحتضر في الغرب ، فالمقصود هو كيانها المنهجي وليس عناصرها المعملية .

في النقد العربي الحديث هناك لا شك محاولات تنظيرية كالتي قام بها د. عبد السلام المسدي في

تونس ، وهناك محاولات تطبيقية كالتي قام بها د.كمال أبوديب ، لكن أنجح هذه المحاولات في تقديري هي تلك التي حاولها د. جابر عصفور خصوصا في كتابه القيم عن طه حسين « المرايا المتجاورة » . لكن هناك نقاداً يستفيدون فقط من هذه الاتجاهات كخالدة سعيد ، ويمنى العيد ، والياس خوري ، و محمد برادة ، لكننا لا نستطيع أن نطلق على هؤلاء أنهم نقاد بنيويون أو ألسنيون فهم حداثيون دون الحاجة إلى تلبس الأشكال الأدبية الجاهزة في الحداثة .

* استكمالاً لهذا المحور أود أن أسأل : إذا كانت هذه المناهج في حالة احتضار ، فما الجديد والماثل في الحقبة الراهنة ؟

* د. غالي شكري : هناك عودة إلى تعميق الماركسية الأدبية وتطويرها ، حيث نشهد إضافات مغايرة لاتجاه لوسيان غولدمان ، وتبتعد كثيراً عن المضمون الرئيسي في نقد جورج لوكاش . حيث يتم تجاوز الستالينية تجاوزاً جذرياً للمرة الأولى ، وليس هناك عمليات (ماكياج) كتلك التي قام بها غارودي في الستينيات ، وإنما هناك إبداع منهجي جديد .

« تزوير الحداثـــــة »

* لو انتقلنا الى محور آخر هو محور الحداثة في الأدب العربي لوجدنا أن حركة الحداثة كانت طوال العقود الثلاثة الماضية حركة صاخبة،وربما نستثني العقد الأخير من هذا الصخب . وقد جنت تلك الحركة ثماراً بعضها ناضجة أثبتت السنوات قيمتها الفنية الرفيعة ، وانطوت آثار أخرى في النسيان ، بينما ما زالت بعض الأعمال تبحث عن هوية لها ومستقر . ألا يعتقد الآن د. غالي شكري أن هذه الحركة وخاصة في الشعر . قد وقعت في أحيان كثيرة في شكل جديد وخطير من التقليد يقوم على تقديس الأشكال ، ومجانية اللغة ، واضمحلال التجربة ، وأن هناك في المقابل وعياً طيباً لدى قطاعات كبيرة من المبدعين العرب ممن ينحون نحو تأصيل هذه الحداثة ، ومحاولة استلهام التراث الحي في استنباط أشكال أكثر ملاءمة لمضامين واقعية جديدة ؟

* د. غالي شكري : بادىء ذي بدء نجدني أفرق بين مصطلحات التجريبية والطليعية من ناحية ، وبين مفهوم الحداثة من ناحية أخرى ، فالحداثة هي رؤيا جذرية للكون الفني ، وهذه الرؤيا ليست من قوانين النقد الأدبي ، ولا هي من معايير الأدب ، وإنما نطالب بوجودها ، كالموهبة تماماً ، سواء كانت حاضرة أو غائبة ، ولا نملك أن نسأل أديباً ما : لماذا كانت لديه هذه الموهبة ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .

فرؤيا الحداثة تنعكس على البنى الفكرية والجمالية للعمل الأدبي ، وهي تختلف في هذا الانعكاس من حضارة إلى أخرى ، ومن بيئة إلى أخرى ، ومن فن إلى آخر . ولعلي أجرؤ على القول انها تختلف من كاتب إلى آخر ، ولذلك فإن برج بابل النقدي الذي يدعى في كل لسان أنه حديث ، وأنه يدعو إلى الحداثة هو السبب في اضطراب الموازين القادرة على فرز الجيد من الرديء ، والموهوب من العقيم . إن أغلب النقد العربي الذي ينادي بالحداثة ليس نقداً حديثاً ـ وأرجو أن أكون واضحاً ـ فالحداثة عندي لا علاقة لها من قريب أو بعيد بنقل المصطلحات الغربية المعاصرة وانتظار آخر كلمة قالها بارت أو غريمس ، الحداثة كما قلت رؤيا جذرية للكون الفني . ومعنى ذلك أن التحديث الحقيقي في النقد هو اكتشاف القانون الأساسي لمسار حياتنا الأدبية ، واكتشاف القوانين النوعية لفنوننا الأدبية ، وهذا المفهوم للنقد هو الذي يخلق نقداً روائياً ، وآخر مسرحياً ، وثالثاً للشعر ، لا نقداً عاماً للأدب ككل . هذا المفهوم للنقد أيضاً هو الذي يقودنا إلى إلغاء التصورات القديمة كالشكل والمضمون ، والداخل والخارج في العمل الأدبي ، وهو الأمر الذي لا يتم إلا بالحصول على القيمة المطلقة للعمل الفني بتحليله أو بتحليل عناصره الأولية ، واعادة تركيبها ، ثم بالحصول على القيمة النسبية للعمل الأدبي بمقارنته بغيره من الأعمال المماثلة ، سواء في انتاج الكاتب نفسه ، أو في انتاج زملائه ، أو

في إنتاج الآداب الأجنبية ، هذا وإذا حصلنا على القانون الأساسي لمسار أدبنا العربي الحديث ، وإذا حصلنا على القوانين النوعية لفنوننا الأدبية المختلفة ، وإذا حصلنا على القيمتين المطلقة والنسبية للتجربة الأدبية المحلية ، في هذه الحالة نكون قد وصلنا إلى أبواب الحداثة في النقد ، وبهذا النقد الحديث سوف نكتشف حداثة كل فن أدبي عندنا أو عند الآخرين ، وكذلك حداثة كل كاتب ، وكل عمل . والأهم أننا سوف نكتشف الأصيل من المزيف في هذه الحداثة ، فكما أن هناك أساتذة في تزييف النقود ، وتزوير اللوحات العالمية ، كذلك هناك أساتذة في تزوير الحداثة العربية والأجنبية . ولا يجوز ـ بأية حال ـ أن نستخلص من حداثة شاعر كأدونيس مثلاً قواعد وتحولها إلى معيار عام نستخدمه للحكم بقرب الشعر من الحداثة أو بعده عنها ، فهناك مفهوم للحداثة عند أدونيس يغاير مفهومه عند البياتي ، أو درويش ، أو عبد الصبور ، أو حجازي ، أو سعدي يوسف مثلاً ، والحداثة ليست اتجاهاً ، أو مدرسة بعينها ، وإنما هي رؤ يا تتعدد فيها المدارس والتيارات ، بل إننا قد نكتشف أن تحديث المسرح العربي يحتاج إلى أدوات تعبيرية لو أنها وجدت في الشعر لاعتبرنا هذا الشعر تقليدياً ، مثلاً فكرة (السامر الشعبي) التي دعا إليها ـ ذات يوم ـ يوسف إدريس لو أنها طبقت في مجال الشعر لأدى ذلك إلى إنتاج شعر بالغ التقليدية ، وكذلك الأمر في القصة والرواية ، فإن حداثة كل منها تختلف عن حداثة أي فن أدبي آخر . وأيضاً حداثة سان جون بيرس في الشعر ، وصمويل بيكيت في المسرح ، وناتالي ساروت في الرواية تختلف عن حداثة أي أدب آخر خارج الثقافة الفرنسية .

. . هل ينطبق هذا الأمر على القصة القصيرة ، والرواية ، التي شهدت تقدماً ملحوظاً في الستينيات والسبعينيات ؟

* د. غالي شكري : الأمر هنا يختلف دون شك ، إننا نشهد منذ منتصف الستينيات إلى اليوم جيلاً أو أكثر في الوطن العربي كله يكتب الرواية والقصة القصيرة بمفاهيم حديثة متقدمة على تجربة الجيل السابق ، لقد بنى نجيب محفوظ مثلاً هرماً في تاريخ الرواية العربية ، وكذلك يوسف إدريس في مجال القصة ، لكن هذا الهرم أصبح قاعدة صلبة لبناء رؤى جديدة كلياً لا تخطر على بال هؤلاء . إن ما يكتبه زكريا تامر ، وادوار الخراط ، والطاهر ، وغير هؤلاء في القصة والرواية العربية يحمل تجديداً نوعياً لا ينفصل مطلقاً عن منجزات الأجيال السابقة ، ولكنهم يضيفون ألواناً عديدة من ألوان الحداثة التي أرجو أن يكون واضحاً أنها صنو الأصالة ، ففي جانب من التحديث تأصيل . إن الرواية والقصة تشهدان نمواً متعاظماً في الوطن العربي ، وهناك فوضى إلى حد ما في النقد ، أما الرواية والقصة القصيرة فإنهما في تقديري يتقدمان خطوات واسعة إلى الأمام .

في تصنيف النقـــاد

* د. غـالي أنتم أبعـد النقـاد عن الخضوع للتصنيفات الرائجة . لكن فئة من النقاد « الاجتماعيين » لا يضعون جهدكم النقدي الكبير في هذا الاتجاه ، بينما يوجه لكم السلفيون اتهامات متناقضة تحيلكم إلى صف الاتجاه الأول « الاجتماعي » ، في حين لا يعتبركم التغريبيون واحداً منهم ، وينعت البعض منهم جهدكم بـ « الانتقائي » ، وانعدام الروح السجالية . . . الخ ، فما هو منهجكم النقدي ؟

* د. غالي شكري : أعتقد أن هؤلاء السادة لهم الحق في عدم قدرتهم على تصنيفي منهجياً في إحدى الخانات التقليدية ، وذلك لأن إسهامي الرئيسي هو محاولة التأصيل أكثر من محاولة النقل عن الغرب أو السلف ، والتأصيل هو استكشاف القوانين الداخلية في الأدب العربي من خلال التفاعل بين مادته الإنسانية والفنية وبين مفهومي للحداثة كما شرحته سابقاً ، ولذلك ستجد أن الغالبية العظمى من أعمالي النقدية هي في التطبيق وليس التنظير . حتى في كتابي « الماركسية والأدب » كنت أبحث الجانب التطبيقي وليس النظري ، وهذا يعني أنني لست مولعاً بنقل المصطلحات وإنما بالبحث عنها في تضاعيف التجربة المحلية ، وهذا لا يتأتى إلا بالتطبيق الذي يمكن أن تكتشف من خلاله العناصر النظرية التي أحصل عليها بالعمل المستمر ، ولا يعني ذلك أني أتناول العمل

الأدبي دون بوصلة هادية ، لكن هذه البوصلة تزداد غنى مع الأيام بكل ما أحصل عليه من نتائج في التطبيق . وقد تسألني : ما هي هذه البوصلة فأقول إن شغلي الشاغل هو تحليل العمل الأدبي من داخله ومن خارجه ، ولعلي أكرر القول بأنه ليس هناك داخل وخارج في العملية الابداعية ، ونتيجة هذا التحليل ستكشف القيمتين المطلقة والنسبية في العمل الأدبي كتجربة إنسانية خالصة ، وكرؤ يا فنية للعالم ، ذات استقلال نسبي عن الواقع المحيط ، ولكن دون أن تنفصل عنه لحظة واحدة .

* ثمة ملاحظة أخرى أرجو أن نناقشها بصراحة وهي أن هناك تفاوتاً كبيراً بين مستوى كتبكم ، رغم أن كتبكم الأولى تشهد ببداية جادة وخصبة ، إلا أن زخم هذه البداية أخذ يتفاوت بين كتاب وآخر .

د. غالي شكري : هذه ملاحظة صحيحة . لكن يجب أن تفرق بين مؤلفاتي التي أكتبها حول موضوع واحد في بحوث علمية مستقلة يشكل محتواها اتساقا منهجياً وموضوعياً في كتاب ، وبين الكتب التي أجمع فيها بعض المختارات من كتاباتي في الصحافة . إنني مدين للصحافة بالوصول إلى قاعدة عريضة من القراء ، كما أنني مدين للصحافة لأنها دربت قلمي على لغة لا تنخفض عن مستوى العلم ، ولا ترتفع عن إدراك القارىء العام . وهذه المختارات تفيد القارىء العام الذي لا يجوز تجاهله ، كما أنها مادة أولية لمؤرخي الثقافة في المستقبل ، حيث ان الأحداث الثقافية سرعان ما تنسى إذا لم تضمنها هذه الكتب التي يختلف مستواها عن مستوى المؤلفات الكبيرة والأساسية . وبالنسبة لي فإن الجمهور بالنسبة للنقد هو الطرف الذي بدونه لا يكون هناك نقد ، وقد اعتاد النقاد « المحترمون » أن لا يتناولوا كتابًا متوسطي الموهبة ، أو يختلفون مع الناقد سياسياً ، لكنهم رائجون في صفوف القراء ، وبالتالي فإنهم يمارسون نفوذاً فكرياً واضحاً خاصة على الأجيال الجديدة . بعض النقاد - كما أقول - يتجاهل هؤلاء بحجة أنهم تحت مستوى النقد . أقول في المقابل : إنه ليس هناك أديب له قاعدة واسعة من القراء ولا يستحق النقد ، بل العكس تماماً ، أنني يجب أن أبحث عن أسرار هذه الظاهرة الاجتماعية ، ويجب أن أحترم الجمهور إن لم أحترم الكاتب وأعتقد أن من واجبي أن أتدخل بين الكاتب من هؤلاء وقرائه تدخلاً لمصلحة الأدب والجمهور على السواء ، ولعلك تلاحظ منذ بداية عملي وأنا أحرص على الكتابة عن الأدباء الموهوبين والذين قد يصلون إلى الجمهور بغير موهبة كبيرة على السواء .

* لعلك تقصد بعض الكتاب محدودي الموهبة أو متوسطيها ، لقد خفت تأثير هؤلاء إلى حد كبير وخاصة على الأجيال الجديدة .

* د. غالي شكري : دون التوقف عند أسماء محددة فإن تأثير متوسطي الموهبة قد خفت كما تقول ، ويعود الفضل في بعض جوانبه إلى إسهامات النقاد الجادين الذين لم يأنفوا من تداول هذه الظواهر التي نتركها في العادة فريسة للنقد الصحفي المتعجل أو الذي يجامل . □

من كتب غالي شكري

١٩٦٢ / سلامة موسى وأزمة الضمير العربي .
١٩٦٢ / أزمة الجنس في القصة العربية .
١٩٦٤ / المنتمى : دراسة في أدب نجيب محفوظ .
١٩٦٦ / ثورة المعتزل : دراسة في أدب توفيق الحكيم .
١٩٦٨ / شعرنا الحديث .. الى أين ؟
١٩٦٩ / أدب المقاومة .
١٩٧٠ / ذكريات الجيل الضائع .
١٩٧١ / مذكرات ثقافة تحتضر .
١٩٧٣ / التراث والثورة .
١٩٧٤ / ماذا يبقى من طه حسين ؟
١٩٧٥ / من الأرشيف السري للثقافة المصرية .
١٩٧٨ / الثورة المضادة في مصر (ثلاث طبعات بالعربية وواحدة بالانجليزية) .
١٩٧٩ / غادة السمان بلا أجنحة .
١٩٨٠ / سوسيولوجيا النقد العربي .
١٩٨١ / الماركسية والأدب .
محمد مندور : الناقد والمنهج .
١٩٨٥ / مواويل الليلة الكبيرة (رواية) .
١٩٨٦ / دكتاتورية التخلف العربي (المجلد الأول : مقدمة في تأصيل سوسيولوجيا المعرفة) .

الجرب

تنقله حشرة تبحث عن الدفء..

بقلم / الدكتور محمد عبدالله المشاري

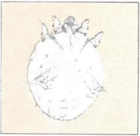
الجرب من أقدم الأمراض الجلدية المعدية التي عرفها الانسان ، وهو ينقل العدوى من الانسان المريض ، وحتى من الحيوان ، وبرغم قدم معرفة المرض إلا أن له قصة، ومازال حوله جديد .

تنتقل الاصابة بالمرض بواسطة أنثى حشرة « سركوبتس سكيبياى » التي تقوم بشق نفق في الطبقة القريبة من الجلد ، حيث تضع بيضها بمعدل ٢ - ٣ بيضات في اليوم داخل النفق ، ولا يفقس من البيض إلا ما يوازي ١٠ بالمائة فقط وذلك خلال ٣ - ٧ أيام حيث تظهر اليرقة التي تعيش على سطح الجلد بالقرب من بصيلات الشعر ، وبعدها تتحول اليرقة إلى حوار ، ثم الى حشرة كاملة ، وتتم هذه العملية (من وضع البيض الى تكوين حشرة كاملة) خلال ١٤ - ١٧ يوما .

ونجد أن دور الذكر هو القيام بعملية التلقيح والتكاثر فقط ، وعادة ما يموت بعد ذلك ، حيث ان معدل عمر الذكر هو ٤٠ - ٥٠ يوماً ، بينما أنثى الحشرة تعيش إلى فترة قد تصل إلى ثلاثة شهور . ويبلغ حجم الذكر ملليمترا ، بينما يبلغ حجم الأنثى ٤ ر ٠ ملليمتر . ويلاحظ أن الحشرة لها قدرة سريعة على المشي على سطح الجلد،فقد تصل سرعتها إلى ٢ - ٣ سم في الدقيقة،بينما قدرتها على الحفر لتكوين النفق في الطبقة القريبة من الجلد هي ٢ - ٣ ملليمترات في اليوم . وتبلغ نسبة الإصابة بمرض الجرب ١٪ من إجمالي المترددين على عيادات الأمراض الجلدية في الكويت ، وقد وردت هذه النسبة في دراسة قام بها كاتب هذا المقال مع الدكتورة طيبة المنيس بمساعدة الدكتور محمد الشايب المدرس بقسم الرياضيات بجامعة الكويت . ومن هذه الدراسة تبين أن ٨١٪ من حالات مرض الجرب تنتشر بين غير الكويتيين ، بينما ١٩٪ من الحالات بين الكويتيين ، وأن معظم هذه الحالات تظهر في السنوات الثلاثين الأولى من العمر خصوصا في العقد الأول ، والثالث .

حشرة تفضل الدفء :

ويزداد نشاط هذه الحشرة أثناء نوم المريض ، حيث إن الدفء يساعد على سرعة عملها،لكن ارتفاع



الحشرة المسببة لمرض الجرب

درجة الحرارة أو هبوطها لا يناسب الحشرة ، فقد تموت عندما تتعرض الى درجة حرارة تفوق ٥٠ درجة مئوية ، وكذلك عندما تنخفض درجة الحرارة الى مادون ١٢ درجة مئوية . والملاحظ ان عدد الحشرات لا يتعدى العشرين حشرة على جسم المريض .

لقد تبين ان نسبة الاصابة بمرض الجرب بازدياد مستمر في جميع أنحاء العالم ، حيث اتضح أنه عند مرور عدة سنوات يحصل نوع من الانتشار الوبائي لهذا المرض ، آخره كان سنة ١٩٤٥ ، عندما انتشر المرض في أوروبا ، حيث بدأ في فرنسا وبريطانيا ومنها إلى باقي دول أوروبا . ومن أسباب انتشار المرض أيضاً الحروب والمجاعات ، والفقر ، وسوء التغذية ، والظروف الصحية المتدنية ، وسهولة التنقل وانتشار الاباحية الجنسية التي تساعد على انتشار المرض كثيراً . وتحدث العدوى عادة نتيجة للملاصقة الجسدية الطويلة ، كاستعمال ملابس شخص مصاب بالمرض أو استخدام سريره ، أو الممارسة الجنسية مع المصابين به .

أعراض المرض

من أهم أعراض المرض الحكة الشديدة ، التي تزداد سوءا في الليل عند النوم . وعادة ما تكون الاصابة منتشرة ما بين أفراد العائلة . وتبدأ أعراض المرض بالظهور بعد مرور حوالي أسبوعين من الاختلاط بالأشخاص المصابين ، حيث تظهر على هيئة نفق متعرج الشكل ، بطول ٣ ـ ٣٠ ملليمترا ، وبعمق عدة ملليمترات ، ينتهي بحويصلة صغيرة ، هي مكان تواجد البيض وأنثى الحشرة . ومن الجدير بالذكر أن نسبة تواجد هذا النفق عند مرضى الجرب لا يتعدى ٧ ـ ١٣٪ من الحالات ، وذلك نظرا للحكة الشديدة التي تصاحب المرض ، والتي تؤدي الى تلف هذه الأنفاق وتمزقها ، أو قد يصاب المريض بمضاعفات على هيئة التهاب بكتيري ثانوي نتيجة تجريح الجلد من الحكة الشديدة ، وقد يصاحب ذلك حساسية شديدة .

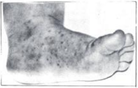
اما أماكن الاصابة ،فنجد ان الحشرة تفضل أماكن معينة من الجسم دون غيرها ، ففي ٧٠٪ من الحالات نجد أن اليد والرسغ من أكثر أعضاء الجسم عرضة للاصابة ، على الأخص ما بين الأصابع ، ومن الأماكن المعرضة للاصابة كذلك الكوع ، والابط ، والثدي ، والبطن وخاصة حول السرة ، والاليتين ، والأعضاء التناسلية ، وأعلى الفخذ . ويلاحظ بأن اليد هي أول أجزاء الجسم عرضة للاصابة بالمرض .

يصيب المرض الرجال والنساء ، أطفالاً كانوا أو كباراً ، ولكن تبين أن أماكن الاصابة بالمرض تختلف عند الأطفال عنها لدى الكبار ، حيث تختار حشرة الجرب الأماكن التي تحتوي على تركيز أقل من بصيلات الشعر والغدد الدهنية ، لذا نجد أن الحشرة تتحاشى الوجه والرأس عند الكبار ، وذلك لأن بصيلات الشعر في الوجه تزيد بمقدار ١٦ مرة عن الأطراف ، وهذا مما يعوق عملية الحفر لتكوين الأنفاق . لذا نرى أن باطن اليد والرجل ، والوجه والرقبة من الأماكن التي تتعرض للمرض عند الأطفال دون الكبار .

أنواع الجرب .

هناك أنواع عديدة من مرض الجرب أهمها :

● الجرب العقدي الذي يظهر على هيئة عقدة بحجم حبة بازلاء ، حمراء أو بنية اللون ، وقد توجد حفرة في وسطها ، قطرها ٦ ـ ١٢ ملليمترا،أما مكان الاصابة فهو الابط والبطن ، والصدر ، والظهر ، والإليتين ، وكيس الصفن . وتصاحب الحالة حكة شديدة . وقد تستمر الحالة لعدة شهور . وقد تبين أن ٧٪ م



مرض اجرب

مرضى الجرب مصابون به .

● - الجرب الحطاطي : - تكثر الاصابة بهذا النوع من مرض الجرب في العقد الأول والثاني من العمر ، فمن دراسة قام بها أحد الباحثين اتضح أن ٦٧٪ من الحالات تظهر في سن ما دون ١٥ سنة ، بينما ٣٪ من الحالات تظهر عند المرضى في سن ما فوق ٣٠ سنة . أما أعراض هذا النوع من الجرب . فهي بثور حمراء أو بنية اللون ، تظهر في منطقة العانة ، والأعضاء التناسلية ، والبطن وخاصة حول السرة ، والصدر ، ولكن لا تظهر هذه الأعراض على اليد أو الرسغ ، وتصاحبها حكة شديدة .

● الجرب الفقاعي : - ليس من المألوف أن توجد فقاعة كأحد أعراض مرض الجرب ، ولكن قد توجد هذه الفقاعة كمضاعفات للمرض ، على الأخص عند الأطفال ، وهو ما يسمى بالقوباء الفقاعية ، وهي ناتجة عن التهاب بكتيري ثانوي ، لوجود خدوش بالجلد ناتجة عن الحكة الشديدة .

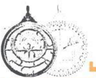
● - جرب الحيوانات : - في هذا النوع من الجرب تنتقل العدوى من الحيوانات إلى الانسان ، كالكلب ، والقطة ، والجمل ، والحصان ، والحمار ، والأرنب ، والطيور .... الخ .

ومما يلاحظ في هذا النوع من الجرب أن الحشرة المسببة للمرض تعيش على جلد الانسان ، ولكن لا تستطيع أن تتكاثر ، حيث يشفى المريض من غير علاج بعد ٧ - ١٤ يوما من عزل الحيوان المصاب بالمرض . ومن دراسة إحصائية تبين أن ١٪ من الكلاب الموجودة في بريطانيا مصابة بمرض الجرب . والحشرة المسببة لهذا النوع من الجرب لها قدرة على اختراق الملابس ، والوصول إلى جلد الانسان ، لهذا نرى أن أماكن الاصابة بهذا النوع من المرض تختلف عن الأماكن الأخرى ، حيث عادة ما تكون منطقة الاصابة هي الصدر ، البطن ، الفخذ ، الساق ، الساعد ، والوجه . وهي الأماكن التي لها اتصال مباشر مع الحيوان . ومن الجدير بالذكر أن الصفة المميزة لمرض الجرب وهي تكوين الانفاق لا توجد في هذا النوع من المرض .

● الجرب النرويجي : - تكثر الاصابة بهذا النوع من مرض الجرب بين المرضى المصابين بالتخلف العقلي ، والمصابين كذلك ببعض الأمراض المزمنة كالدرن ، وسرطان الدم ، ومرض البرى برى ، والتهاب المفاصل المزمن ، وكذلك قد يظهر المرض بين المصابين بفقد حساسية الجلد كمرضى الجذام ، وتكهف النخاع ، وقد يظهر المرض بين المصابين بضعف جهاز المناعة ، والذين يتعاطون أدوية الكورتيزون ، والأدوية المهبطة لجهاز المناعة . ومن أعراض هذا النوع من مرض الجرب أن الحكة عادة ما تكون غير شديدة ، مع وجود زيادة بالتقرن في باطن اليد والرجل ، على الأخص فوق مفاصل الأصابع ، مع تضخم في الغدد اللمفاوية . ويتميز هذا النوع من المرض بوجود أعداد هائلة من الحشرة المسببة للمرض ، قد تصل إلى المئات أو الآلاف مما يجعل هذا النوع شديد القدرة على العدوى .

● الجرب المتستر : - وفي هذا النوع من الجرب ، نرى أن أعراض المرض قد تغيرت ، وذلك لعدم تشخيص الحالة ، مع استعمال أدوية الكورتيزون ، مما يساعد على طمس هذه الأعراض ، فنتيجة لاستعمال هذه الادوية تنتشر الأعراض إلى أجزاء واسعة من الجسم ، حيث قد تظهر الأعراض في أماكن غير مألوفة ، ويفسر ذلك نتيجة لهبوط في جهاز المناعة وذلك من استعمال أدوية الكورتيزون التي استعملت لعلاج المريض نتيجة لسوء التشخيص .

في الماضي كان علاج مرض الجرب من الأمور المستعصية ، لهذا ما ان تذكر اسم المرض لأي شخص حتى يصاب بالخوف والفزع ، ولكن حديثا يعتبر علاج هذا المرض من أبسط الأمور ، ومن الأدوية التي تستعمل في العلاج : - الكبريت ، وجاما بنزين هكساكلورايد ، وبنزيل بنزويت ، وكروتاميتون .... الخ . □



الجديد في العلم والطب

برنامج (يوركا) مبادرة أوروبية طموحة

شهدت لندن في الصيف الماضي مؤتمرا اوروبيا فريدا ، فقد استهدف وضع الأسس التي تضمن لدول غرب اوروبا مجاراة الولايات المتحدة في (التكنولوجيا) الرفيعة ، ذلك أن مضي إدارة الرئيس ريجان في تطوير الأسلحة التي تتطلبها حرب النجوم كفيل بإحراز الولايات المتحدة المزيد من التفوق على اوروبا فيما يتصل بالالكترونيات وأشعة الليزر والألياف البصرية ، وما إلى ذلك . لاعجب إذن ان ظهر برنامج (يوركا) السالف الذكر في أوائل سنة ١٩٨٥ .

والجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي ميتران كان صاحب الفضل في وضع حجر الأساس لبرنامج (يوركا) ، وأن ١٩ دولة اوروبية (غربية) قد انضمت إلى البرنامج حتى الآن ، ، وأن سكرتارية خاصة قد أنشئت لتصريف أعمال البرنامج ، ولاقرار المشاريع والصناعات التي تحقق لأوروبا المبادرة (التكنولوجية) المرجوة ، غير أن هذه المشاريع والصناعات لاتقدمها الدول الأعضاء في البرنامج ، وإنما الشركات المتخصصة العاملة في تلك الدول ، حتى إذا أقرتها سكرتارية البرنامج رجعت تلك الشركات إلى حكوماتها بغية المساهمة في تمويل تلك المشاريع ، وذلك وفق الصيغة الخاصة التي تحددها تلك الحكومة ، ونذكر - على سبيل المثال - أن الحكومة البريطانية قررت المساهمة في تمويل مثل تلك المشاريع بنسبة ٥٠٪ إذا كانت مشاريع بحوث ، وبنسبة ٢٥٪ إذا كانت مشاريع تطوير .

أما المؤتمر الذي عقد في العاصمة البريطانية في مطلع شهر يوليو الماضي ، والذي كان على مستوى الوزراء ، فقد كشف النقاب فيه عن ٧٢ مشروعا صناعيا بقيمة ٢٠٠٠ مليون دولار أو يزيد ، استكملت السكرتارية دراستها وإقرارها في الشهور الماضية .

نذكر من تلك المشاريع على سبيل المثال مشروع (بروميثيوس) الذي يرمي إلى تجهيز السيارات بمجسات وأجهزة كمبيوتر دقيقة بحيث تتمكن السيارات من تحسس الخطر على الطريق مسبقا فتتفاداه تلقائياً ، وتتجنب بذلك حوادث الاصطدام . ويحتاج هذا المشروع إلى ٨ سنوات لاستكمال أغراضه ، وتبلغ نفقاته (١٥) مليون دولار في السنة الأولى ، و (٥٥) مليون دولار في كل سنة من السنوات السبع التي تليها .

ونذكر أيضا مشروع تطوير Chips a lasers وذلك من أجل جعل شبكات الهاتف القائمة حاليا أكثر فاعلية ، بحيث تتضاعف سرعة نقل المعلومات بواسطتها إلى ٢٠٠٠ ضعف . ويعتمد هذا المشروع على الألياف البصرية التي تمكن شبكات الهاتف من نقل الصور ، بالاضافة إلى نقل الكلام ، وتبلغ تكاليف هذا المشروع ١٦٠ مليون دولار ، وقد تقدمت به شركات فرنسية وإيطالية وبريطانية ولن يتأخر إنجازه عن مطلع التسعينيات .

مكتشفون ومخترعون

اشتهر باختراع مصباح المناجم الآمن .. ولكن أفضاله العلمية تجلت في مجالات اخرى عديدة في الزراعة والدباغة والكهرباء والجيولوجيا ، وخاصة في الكيمياء ، فهو الذي اكتشف عنصري الصوديوم والبوتاسيوم . ويعجب المرء لعالم الكيمياء الذي اتسع وقته للرسم ونظم الشعر والصيد والقنص وهوايات اخرى عديدة،ضمت فيا ضمت صنع الألعاب النارية .

ولد همفري ديفي في احدى مدن كورنوول في بريطانيا سنة ١٧٧٨م ودخل المدارس العامة في بلدته ، وفي ترورو ايضا . ثم التحق بخدمة أحد الجراحين،وقد اتجه طموحه الى أن يصبح طبيبا أو شاعرا .. ولكن احلامه هذه مالبثت ان تلاشت سنة ١٧٩٧ ، حين بدأ دراسة العلم دراسة جادة ، « فتطايرت احلامي على صوت الحقيقة » على حد تعبيره . وواصل همفري تجاربه الكيماوية في احد المختبرات حسنة التجهيز ثم في مختبره الخاص المتواضع ، حتى عين المشرف الكيماوي المسؤول في مؤسسة نيوماتيك في كلفتون سنة ١٧٩٨ .

وحفلت السنتان اللتان أمضاهما في المدينة البعيدة عن لندن بانجازات علمية فذة أشهرته ووطدت مكانته ، ومهدت السبيل أمامه للانتقال الى العاصمة البريطانية . وشملت الأبحاث التي اجراها آنذاك بحث استعمالات بعض الغازات العلاجية ، وبحث تركيب أكاسيد وأحماض النيتروجين والأمونيا ، ولم يتردد في استنشاق غاز اكسيد النيتروز ، او الازوتوز (الغاز المضحك) حتى كاد أن يموت .. ثم نشر الكتاب الذي ضمنه تلك الأبحاث وغيرها بعنوان « ابحاث كيماوية وفلسفية » وما ان ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٠٠ حتى دعي ديفي لالقاء المحاضرات في المعهد الملكي في لندن .. وكان هذا المعهد حديث عهد حينئذ ، وانتقل ديفي الى لندن سنة ١٨٠١ ، وهناك تألق العالم ، وتقلب بين المناصب العلمية المرموقة ، وتوصل الى مكتشفات ومخترعات قلما اجتمعت لعالم واحد ، ناهيك عن الأمجاد التي احرزها ديفي داخل بريطانيا وخارجها .

فقد عين استاذاً في الكيمياء في المعهد السالف الذكر سنة ١٨٠٢ ، وانتخب سكرتيرا للجمعية الملكية سنة ١٨٠٧ ، وذلك بعد أربع سنوات من التحاقه بها عضوا ، ثم مالبث أن عين رئيسا للجمعية (١٨٢٠ - ١٨٢٧) ، واجرى أبحاثا في الدباغة ، واثبت أن عصارة الكارتشو خير للدباغة ، واقل ثمنا من شتى عصارات البلوط المعروفة آنذاك ، ونشر كتابا في الدباغة أصبح بحكم المرجع المعتمد لها مدة طويلة .. وقل مثل ذلك في الزراعة . وقد أصبح كتابه فيها حجة العلماء والمزارعين على حد سواء .

وركز ديفي بعد ذلك على بحث العلاقة بين التيارات الكهربائية والمركبات الكيماوية ، واثبت أن التفاعل بين هذه وتلك هو خير الوسائط لتحلل المواد ورجوعها الى عناصرها ، وترتب على ذلك عزل الصوديوم والبوتاسيوم عن مركباتهما ، ثم بين العلاقة الحقيقية بين الكلورين وحمض الهيدروكلوريك ، وكشف عن الخطأ الشائع في اعتبار الكلورين حامضا ، بل في تسميته Oxymuratic acid وبذلك يكون قد نفى ماقاله لافوازييه - عالم الكيمياء الشهير - من أن الاحماض جميعا تحتوي على

السير همفري ديفي
١٧٧٨ - ١٨٢٩



الأوكسجين . ولعل اغرب مايذكر عن هذه البحوث التي شرحها ديفي في محاضرات تعرف باسم Bakerian انها ظفرت بجائزة نابليون ، فقد قرر معهد فرنسا الانعام على العالم الانجليزي بتلك الجائزة الرفيعة سنة ١٨٠٧ ، هذا بالرغم من الحرب القائمة بين انكلترا وفرنسا آنذاك .

وذهب نابليون الى أبعد من ذلك ، حين اذن لديفي وعائلته بالتجول في فرنسا ، والاجتماع بعلمائها كما يشاء ، واستقبلته الامبراطورة ماري لويز في تلك الزيارة اعرابا عن تقديرها للعالم ومنجزاته ، وذلك في منأى عن السياسة واحقادها . ومن طريف مايذكر هنا أن ميشيل فرادي ، احد كبار علماء الكيمياء الانكليز قاطبة (١٧٩١ - ١٨٦٧) ، كان في مطلع العشرينيات من عمره في تلك الايام ، وقد قربه ديفي منه وسمح له بمرافقته وعائلته في جولته الاوروبية تلك ، وقد امتدت سنتين (١٨١٣ - ١٨١٥) ويذكر أن فرادي اصبح مساعد مختبر في المؤسسة سنة ١٨١٣ وذلك عقب المقابلة التي اجراها معه همفري ديفي .

بقي ان نشير الى الاختراع الذي اشتهر به عالم الكيمياء الانكليزي وهو مصباح المناجم الامن .. ذلك ان العمل في المناجم كان خطرا جدا في تلك الايام ، وسبب ذلك أن غاز الميثين والهواء اختلطا في جو المناجم ، وتحولا الى مزيج خطير قابل للانفجار . وماكثر ماتفجر المزيج بسبب المصابيح التي درجوا على استعمالها في المناجم ، وكلف همفري ديفي بدراسة المشكلة ومحاولة حلها،فكان مصباحه الآمن ، بل قل الشبكة الفولاذية التي غلف بها شعلة المصباح .. مصباح الزيت القديم نفسه ، فكان من شأن هذه الشبكة الدقيقة ان امتصت الكثير من حرارة المصباح قبل خروجها الى الخليط المتفجر ، فحدت كثيرا من الانفجارات التي طالما فتكت بعمال المناجم .

والجدير بالذكر أن المحاضرات التي ألقاها ديفي في دبلن سنة ١٨١٠ ، ١٨١١ ، وتناول فيها الكيمياء الزراعية والفلسفة الكيماوية والجيولوجيا قد اكسبته رسوما بلغت ١٢٧٥ جنيها وشهادة E.S.D الفخرية وقد انعموا عليه بوسام الفروسية في السنة التالية ١٨١٢ واصبح يلقب (سير) منذ ذلك الحين .

يقول احد علماء الكيمياء السويديين « ان كتاب ديفي في الكيمياء وعنوانه عناصر الفلسفة الكيماوية - دفع علم الكيمياء قرنا كاملا الى الامام ، ولكن اهتمامات ديفي لم تقف عند حدود الكيمياء ، وقد شملت فيما شملت فاعلية البراكين التي زار ايطاليا من اجل دراستها .

وشملت ايضا انشطة اخرى تبدو بعيدة عن الكيمياء ، فقد ساهم السير همفري ديفي في تأسيس جمعية الرفق بالحيوان ، وحديقة الحيوان في لندن ، وشارك في انشاء نادي الاثيوم في العاصمة البريطانية .

واستقر العالم الانجليزي في روما في أواخر ايامه ، فقد تحطمت صحته ، وأصبحت العاصمة الايطالية باثارها وحطامها هي المكان الذي يليق بحطام مثله - حسب قوله - ومات ديفي في جنيف سنة ١٨٢٩ عن عمر يناهز ٥١ عاما .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

محاولة لتزييف العلم والتاريخ في الفلبين !

هل تذكر قبيلة (تاساداي) ؟ تلك القبيلة التي اكتشفت في جزيرة (مندناو) في الفلبين سنة ١٩٧١ ، وقيل عنها انها ماتزال تعيش في العصور الحجرية الأولى ، فتتخذ من الكهوف مسكنا ، وتستعمل الثمار والجذور طعاما ، ولا تعرف من الثياب شيئا ، إلا مايستر العورات من أغصان الشجر وأوراقها . وهللت الصحافة الامريكية لذلك الاكتشاف ، واعتبره الكثيرون أهم اكتشاف (انثروبولوجي) في القرن العشرين ، وظهرت الاستطلاعات والكتب المصورة والمقابلات واللقاءات ، وراح الجميع يرثون لحالة أجدادنا الأوائل ، سكان الكهوف ، فقد عاشوا حياة حرمان ، وتعرضوا لشتى ضروب الفتك من جانب نمر الكهوف وسائر الحيوان ، ذلك أن حياة قبيلة (تاساداي) في القرن العشرين تكاد تكون نسخة طبق الأصل لحياة سكان الكهوف في الألف العشرين قبل الميلاد .

هل تصدق أن الاكتشاف لم يكن سوى كذبة أو خدعة ، افتعلتها حكومة الرئيس فرديناند ماركوس بقصد الدعاية ، وتصيد المكاسب المادية وغير المادية ، فقد بلغ من جشع هذا الرجل أنه لم ير أية غضاضة في تزييف العلم والتاريخ من أجل الحصول على مزيد من الكسب مهما كان قليلا ، ليضيفه إلى ما كنزه من ملايين . !

وذهب ماركوس ، وذهب قبله سنة ١٩٨٣ وزيره لشؤون القبائل (عمانويل اليز الدي) ، ومعتمده في أعمال التزييف ، تزييف العلم والتاريخ .

فقد تبين أن أفراد قبيلة (تاساداي) لم يكونوا سوى أفراد قبيلة (مانوبه) Manube وهي قبيلة معروفة ، يتقن أفرادها الصيد والزراعة (البدائية) ، وثبت أيضا أن الأوامر التي صدرت إليهم سنة ١٩٧٠/١٩٧١ اقتضت عيشهم بلا ثياب ، وسكنهم في الكهوف ، وذلك لمدة محدودة ، يعودون بعدها إلى أسلوبهم المألوف في الحياة ، ولما انقضت تلك المدة ، وتحققت الأهداف التي توخاها ماركوس من تلك التمثيلية أصدر تعليماته بحظر زيارة كهوف قبيلة (تاساداي) على كافة الصحفيين ، والعلماء الذين قدموا إلى الفلبين من شتى أقطار العالم ، وذلك لسبب بسيط جدا هو أن الكهوف عادت كما كانت مهجورة ، وأن قبيلة (تاساداي) اختفت ، وعادت إلى مواطنها الأولى ، وأصبحت كما كانت قبيلة (مانوبه) التي تزرع ، وتصيد ، وتعيش في أكواخ لا كهوف .

ويعود الفضل في الكشف عن هذه الأضاليل إلى صحفي سويسري اسمه (اوزوالد اين) زار الفلبين بعد فرار ماركوس منها ، وكذلك إلى صحفيين المانيين في مجلة (شترن) زارا المنطقة في شهر مارس (٨٦) ، فوجدا سكان الكهوف العراة قد ارتدوا ثيابا حديثة (انظر الصورة) .

وعادوا يقومون بشتى أعمالهم الزراعية كالعادة ، وهم لم يعرفوا السكن في الكهوف إلا في تلك الأسابيع القليلة تنفيذا لأمر حكومة ماركوس .

الأيل حيوان وحشي يستأنسه العلماء السوفيات

يذكر التاريخ فضلا كبيرا للأقوام البدائية ، ذلك هو استئناس الحيوان . فمع أن هذه المهمة لم تكن شاملة ، بل اقتصرت على نحو ستين فصيلة من مجموع الفصائل الثديية البالغ عددها ٨٠٠٠ فصيلة ، إلا أنها كانت ناجحة ، فقد ألفت الحيوانات المستأنسة بني الانسان ، ولم تعد تخافهم كما فعلت أيام كانت وحشية ، كذلك تخطت تلك الحيوانات القيود الفصلية التي قصرت تناسلها على مرة واحدة في السنة الواحدة ، وأصبحت قادرة على الانجاب في أي فصل ، وبالتالي على تكرار الانجاب وكثرته .

ويتساءل العالم عن العوامل التي أدت إلى تلك التغيرات ، وقد رسخت في شتى الفصائل المستأنسة حتى أصبحت وراثية ، تنتقل من السلف إلى الخلف ، فمن شأن تلك العوامل ـ لو عرفت ـ أن تمكن العلماء والمختصين بتربية الحيوان من إعادة تلك التجربة (البيولوجية) الهائلة ، ومن إنجازها لا في عشرات القرون وإنما في حفنة قليلة من السنين ، تتناسب والتقدم العلمي الكبير الذي حققه الانسان في العصر الحديث .

ذلك هو التساؤل الذي طرحه العلماء في شتى البلدان ، فكانت محاولة السوفيات لاستئناس الجواميس البرية ، والوعول ، والنعام ، ومحاولة الامريكان لاستئناس ثيران المسك ، وغير ذلك من محاولات قام بها العلماء في النرويج ، وافريقيا ، واليابان ، ولعل التجارب التي قام بها العلماء السوفيات في محطة التجارب الزراعية في (كوستروما) والتي استهدفوا فيها استئناس حيوان الايل الوحشي جديرة بكل اهتمام .

أما اختيارهم الايل بالذات فيعزى للفوائد الكثيرة التي يتيحها هذا الحيوان لبني الانسان ، ففي الامكان دبغ جلده ، وتجهيز صنوف ممتازة منه لصناعة الأحذية ، ثم إن لحمه لاتخالطه عروق الشحم كلحم البقر ، بحيث لاتزيد نسبة الدهن إلى الهبر في لحمه على ٠,٨ ـ ١,٧٪ وزنا ، وهي تصل إلى ١٠٪ في لحم



البقر ، أضف إلى ذلك أن البروتينات في لحم الايل تزيد بنسبة ٥٪ عما هي عليه في لحم البقر ، وقل مثل ذلك في الفيتامينات ، إذ يبلغ مايحتويه من فتامين أ وفيتامين ب[٢] خمسة أضعاف مايحتويه لحم البقر منهما ، وتتضاعف هذه الزيادة لتصبح ٨ ـ ١٠ أضعاف في حالة فيتامين ب[١] .

ويتميز الايل فوق ذلك بلبنه ، إذ يبلغ مايحتويه حليبه من دهنيات ١٢,٣٪ ، وبروتينات ٨,٧٥٪ ، وسكريات ٤ ـ ٤,٥٪ فضلا عن الفيتامينات ، والأحماض الأمينية الكثيرة التي نجدها في حليب الايل ، وقد لانجدها في كثير سواه ، هذا إلى جانب الفوائد العلاجية التي اكتشفها البروفسور بروباستين في لبن الايل ، فهو كفيل بالشفاء من القرحة ، إذا تناول المريض جرعاته على مدى ٣ ـ ٤ أسابيع ، والغريب أن في الامكان تركه أياما في جو الغرفة دون أن يفسد .

ولكن ماالذي نجح العلماء السوفيات في تحقيقه حتى الآن ؟

لقد نجحوا في استئناس حيوان الأيل بقدر سمح لهم بإنشاء مزرعة خاصة بهذا الحيوان ، ملحقة بمحطة (كوستروما) الزراعية السالفة الذكر ، يتم استكثار هذا الحيوان المستأنس في هذه المحطة حسب الحاجة ، منه مايصلح للحم ، ومنه ماهو أصلح للبن ، ومنه ماهو أجود جلدا ، وهكذا . □

قصة من

الخيال العلمي

الاعتراف الأخير

بقلم /رؤوف وصفي

« هل قرارك نهائي ؟

كانت اللوحة التي تتضمن هذه الكلمات الثلاث .. مضيئة بعرض الجدار الرمادي

الضخم الذي يمثل المدخل الرئيسي للمبنى .. كانت الحروف تتألف باللون الفضي ثم

تتحول ببطء شديد الى اللون الذهبي ..

كان باب الدخول الخشبي السميك مغطى بالاسماء والتعليقات والتواريخ التي حفرها الذين دخلوا المبنى .. ولم يعودوا أبدا .....

« هل قرارك نهائي ؟ »

وقف مترددا .. فقد كان عليه أن يجيب عن السؤال التقليدي ولو بمجرد كلمة واحدة .. حاول جاهدا أن يهدىء من ضربات قلبه المتلاحقة .. ثم تنفس بعمق .. وسيطر على انفعالاته لعدة ثوان ... وقال بصوت هامس مرتعش - « أجل » .

استمر الباب مغلقا .. فقد أخذت عين الكترونية متألقة باللون الأخضر .. مثبتة في طرفه الأعلى .. ترقب كل حركة يقوم بها ..

كان يتمنى في قرارة نفسه أن يهرب بعيدا عن هذا المبنى الذي يطلق عليه (بيت الموت) .. ولكن الحياة أصبحت شاقة ، وكل هذه الآلات بمختلف أنواعها واستخداماتها تسيطر تماما على كل نواحي الحياة في القرن الحادي والعشرين .. لقد أصبح العالم .. عالم آلات صماء .. لم يعد للعواطف والأحاسيس البشرية أي مكان في عالم اليوم ..

وبعد أن مات ابنه الوحيد أثناء اجراء تجربة على سلاح جديد ، يستخدم أشعة الليزر في اطار المناورات على حروب الفضاء .. وهو يكره الآلات .. والحياة .. فتح الباب ببطء شديد .. دون أدنى صوت ......

تردد للحظات ثم دخل بخطوات متثاقلة الى بيت الموت .. وأغلق الباب من خلفه ، كان من الصعب تحديد أبعاد الغرفة المضيئة التي أصبح في منتصفها .. فقد رآها لانهائية المساحة .. وهذا التأثير أحدثته مئات المرايا المثبتة فوق كل الجدران ، وعلى السقف والأرضية .. وأصبح الأمر كله يبدو ككابوس قاس .. وتأكد لديه بأنه حتى الزمن .. توقف ...

نظرا الى المرايا ، فشاهد صورة تنعكس اليه بآلاف الأشكال من مختلف الزوايا ، وبأوضاع متباينة .. شعر بأنه وحيد مع نفسه .. وحدة مخيفة مستحيلة ..

كانت كل صورة تنعكس اليه من المرايا تسلبه لحظة من لحظات حياته ، تنتزع منه آماله وأحلامه ..





ولكن لم يعد في أعماقه أي احساس بالخوف أو الأسى . . . واستطاع بالهدوء واللامبالاة التغلب على الشعور المفاجيء بالفراغ . . والوحدة . . تحرك في بطء وكأنه يسير في حلم . . الى مقعد وثير بأحد أركان الغرفة ، وتهالك فوقه . . فشعر بالراحة . .

نظر أمامه . . كان يواجهه كمبيوتر معدني صغير رمادي اللون . . مكتوب على شاشته الخضراء بحروف كبيرة متألقة (الاعتراف الأخير . .)

مرت ثوان . . سمع بعدها صوتا آليا أجش ينطلق من الكمبيوتر . .

- من أنت ؟

خيل اليه أن الصوت مألوف . . نظر حوله ليعرف مصدره . . لقد خدعته أحاسيسه ، فالغرفة خالية تماما . . الا من الكمبيوتر . . وآلاف الصور التي تنعكس من المرايا التي تغطي كل المساحات . . والمقعد الذي يجلس عليه .

استند على ظهر مقعده . . وأغمض عينيه . . وغرق في أعماق ذاكرته . . تلاشت المرئيات من أمامه . . ورأى نفسه وهو ما يزال طفلا يجري في الحقول الخضراء تحت سماء زرقاء صافية . . كانت الحياة جميلة في ذلك الوقت . . قبل أن تسيطر الآلات . . . .

- « من أنت ؟ »

(كان خياله بعيدا يستعيد ذكريات الماضي . . أمه في وسط الحقل الأخضر ، تفتح ذراعيها له وهو يأتي راكضا من بعيد . . وصل اليها ودفن رأسه في ملابسها الدافئة . . ابتسمت له وتحدثت اليه . . انه لايذكر كلماتها بالتحديد . . ولكنه على يقين أن الكلمات كانت رقيقة مفعمة بالحزن . .)

- « من أنت ؟ »

بذل جهدا خارقا حتى يبعد الذكريات من ذهنه المكدود . . فذابت الأشباح التي تشده للماضي . . واختفت . . . .

وضاعت طفولته في هوة الزمن السحيقة . .

أجاب بصوت هامس وكأنه يتحدث لنفسه :

- « أنا رقم ٨٩١٥ مصنف أ . . عضو اتحاد علماء الالكترونيات » .

صمت الكمبيوتر للحظات . . ربما ليراجع ذاكرته الالكترونية ، ويتأكد من المعلومات . . عاد الصوت الأجش الآلي العميق . . يقول بتلك النبرة المميزة القاسية - « هل ودعت عائلتك وأصدقاءك ؟ »

لم يستطع أن يجيب . . ارتعشت شفتاه . . وشعر باختناق مباغت .

خفض عينيه وابتلع ريقه

- « ليست لي عائلة » .

- . . وأصدقاءك ؟! .

- « فقدت أصدقائي منذ زمن طويل »

صمت الكمبيوتر لأقل من لحظة .

- « اذن من أبلغ عن موتك ؟ »

أجاب بصوت مفعم بالسخرية

- بلغ رئيس علماء الالكترونيات . . سيكون سعيدا بهذا الخبر . . فقد سببت له الكثير من المتاعب » .

- « أتريد أن تقول شيئا آخر » ؟

تردد قليلا ثم قال بلا اكتراث

- أنا الذي صممت أجهزتك . . وكذلك كل بيت الموت » .

ساد صمت ثقيل فرض نفسه

« أتقول الحقيقة ؟ »

« لاأحد يكذب في الاعتراف الأخير . . »

قال الكمبيوتر بسرعة مؤكدا .

- أحيانا يكذبون .

- ولكني أقول الحقيقة . . أنا رقم ٨٩١٥ مصنف أ . . قد صممت بيت الموت » .

أحس فجأة بالاغتراب . . وبأنه لاينتمي الى هذا المكان المروع .

- « اذن أنت تعرف ما الذي ينتظرك » .

- « أجل »

- « أخبرني »

ابتسم في تهكم . . الكمبيوتر يختبر معلوماته

- « بعد انتهاء الاعتراف الأخير . . تفتح الباب الذي يفضي الى الدرج . . اثنتين وأربعين درجة . . إحداها عليها شحنة كهربائية صاعقة . . ثم ينتهي كل شيء في ثوان » .

- فوق أي درجة ؟ » .

- أنت تغيرها كل مرة

صمت الكمبيوتر قليلا ثم قال

- هل تركت اثما في حياتك ؟

أجاب بسرعة

ـ أكبر خطيئة أنني صممت بيت الموت . . »
ـ ماذا ؟! اني لاأستطيع أن أفهمك . . لقد أصابني الملل . . ان كل عالم الكترونيات يأتي الى بيت الموت يمثل مشكلة لي . . . وبسببهم فقدت اثنتين من خلايا وحدة اتخاذ الرأي في أجهزتي » .
ـ لن تفهم أبداً . .
ـ حقا ان ذكائي صناعي . . ولكني أريد أن أفهم » .
ـ أيها الكمبيوتر الغبي . . ماذا تريد أن تفهم ؟ الخبتاة التي هي فوق كل منطق . . الحب والكراهية . . السعادة والألم . . أيمكن وضع هذه المشاعر الانسانية في معادلات رياضية ليفهمها الكمبيوتر ؟ »
ـ هل جعلت الناس أكثر سعادة بتصميمك لبيت الموت ؟ »
بوغت تماما . . فقد استغرقه التفكير . . ونسي وجود الكمبيوتر وسبب دخوله الى هذا المكان . .
فكر قليلا . .
ـ « في البداية صممت بيت الموت لهذا الغرض . . ولكن الأمور تغيرت ، وأصبح بيت الموت رمزا للهزيمة . . كما أنه أصاب الارادة بالشلل ، وسلب القدرة على الصـراع من أجل البحث عن معنى الحياة . . ولم يجلب الحرية للحياة . . بل للموت . . انه شيء محزن ومروع أن يفقد الانسان ثقته بنفسه . . فقد أصبح يسير للهوة السحيقة ، مغمض العينين مسلوب الارادة » .
ساد صمت ثقيل
ـ « أتريد مشروبا منعشا ؟ »
وفي ثوان كان كوب العصير على منضدة ظهرت فجأة . . أخذ يشرب عصير الفواكه المثلج ببطء . . ويتذكر تلك المرأة العجوز التي استوقفته يوما وهو في طريقه الى مختبر الالكترونيات . . لمست يده وسألته بصوت ضعيف خافت
ـ أخبرني . . . هل يشعر الانسان بالخوف هناك ؟
لم يفهم السؤال
ـ « ماذا ؟ »
ـ « أقصدت هناك في بيت الموت »
حاول أن يبتعد عنها . . ولكنها تعلقت بملابسه . وتطلعت اليه بعينين حزينتين تحوطهما التجاعيد . . وتحدثت بسرعة . .

. لم يستطع أن يسمع المزيد . . فاندفع بعيدا . . ومرة أخرى ذابت الأشباح في ضباب السنوات المتكاثف . .
انتهى من شرب عصير الفواكه . . ووضع الكوب بعناية شديدة على المنضدة التي اختفت فجأة . . كما ظهرت . .
ردد بصوت هامس . . مفعم بالحزن .
ـ « حان وقت النهاية » .
قال الكمبيوتر بصوته الأجش :
« ما يزال أمامك أربع دقائق »
قال لنفسه :
ـ يمكن أن ينتظرني الموت لعدة دقائق أخرى . . فالأبدية قادمة لاريب فيها » .
ـ هل نتعجل الموت ؟
نظر الى الكمبيوتر في تحد سافر
. بل أتعجل تدميرك .
ـ « تدمرني ؟! » .
ـ أنسيت ؟! أنا الذي صممتك ؟ » .
ـ ولكنك لا تملك أسلحة .
ابتسم في تهكم . . وقال في هدوء شديد :
ثبت مجموعة من القنابل البلاستيكية الدقيقة في أجزاء متفرقة من جسمي ، سوف تنفجر بمجرد أن ألمس الشحنة الكهربائية الصاعقة فوق الدرج . . وهكذا يفنى بيت الموت . .
ـ لن أدعك تصل للدرج » ،
ـ كل شخص يأتي الى داخل بيت الموت يجب أن ينزل الدرج ، ولا تستطيع أن تمنعه
اقترب من الكمبيوتر وقال بصوت مرتفع .
« اني مستعد »
تباعدت المرايا في الجهة المقابلة ، وظهر ممر ضيق مضيء . . ينتهي ببداية الدرج .
تحرك ببطء شديد نحو الممر . . قال الكمبيوتر بصوت بدا وكأنه مفعم بالحزن .
ـ هي النهاية لي ولك . وداعا » .
ـ « وداعا . . » .
استدار لينظر للكمبيوتر للمرة الأخيرة . . رفع يده ليلوح بها . . فردت عليه الآف من صوره التي تنعكس على كل المرايا . . وتبدو وكأن لانهاية لها . .

□

العربي - العدد ٣٣٧ - ديسمبر ١٩٨٦

بقلم : محمد خليفة التونسي

الضوضاء مُذكرٌ ومؤنث

يسر مجلة العربي أن يراجعها كتّابها وقرّاؤها فيما يرونه مآخذ على ما ينشر فيها . ومنها مآخذهم اللغوية التي تدل على عنايتهم بتفصيح لغتنا سواء كانت هذه المآخذ صائبة أو غير صائبة .

ومن هذه المراجعات رسالة من الدكتور فاضل حسن أحمد (كلية الهندسة / جامعة صلاح الدين / اربيل / العراق) اذ نشرت له المجلة مقالة في العدد (٣٣١) عنوانها « الضوضاء مرض العصر » وبعد اطلاعه عليها منشورة لاحظ أن مصحح المجلة أجرى قلمه على ما يتعلق بكلمة « ضوضاء » ، واعتدها مؤنثة ، وهي في نظره « مذكرة » وقد طلب الدكتور أن تنبه المجلة إلى أن الكلمة مذكرة ، وأن تأنيثها خطأ .

ونحن إذ نشكر الدكتور على هذه العناية نشير أن كلمة ضوضاء تؤنث وتذكر ، وشاهدنا على تأنيثها قول ابن حلزة في بعض أبيات معلقته يصف اتفاق قوم في ليلة على الرحيل صباحاً ، ويصف رحيلهم ، فيجمع ذلك في بيتين يعدّان آية في بلاغة التصوير الحركي مع الإيجاز ، كأنها فِلْمٌ سينمائي سريع شامل ، فيقول :

أجمعوا أمرهم عشاءً ، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ
من منادٍ ، ومن مُجيب ، ومن تَصْ هالِ خيلٍ ، خلال ذاك رُغاءُ

والشاهد قوله : أصبحت لهم ضوضاءُ فأنث « ضوضاء » .

وفي لسان العرب لابن منظور « الضوضاة والضوضاء : أصوات الناس وجلبتهم » وفيه - نقلاً عن ابن سيده - قوله : « وعندي أن ضوضاء - هنا - فعلاء ، ضوضيت ضوضاء وضيضاء » وفيه - نقلاً عن التهذيب - قوله « الضوضاء صوت الناس ، وهو الضوضاء ويقال : ضَوْضَوا - بلا همز - وضوضَيْت » ، وفي القاموس للفيروزابادي قوله . « الضوْضى - مقصورة : الجلبة وأصوات الناس لغةً في المهموز ، ورجل مُضَوْضٍ : مصوِّت » .

وقد يكون هذا كافياً ، ولكن لنا عليه تعقيبات نرجو الله أن نكون فيها موفقين ، اذ نلاحظ أن لسان العرب أورد كلمة « ضوضاء » في مادة « ضوا » وأوردها القاموس في مادة « ضوض » كأن جذر الكلمة ثلاثي ثالث حروفه معتل عند اللسان ، وضاد عند القاموس .

ورأينا أن جذر الكلمة ثنائي (ضو) ثم تكرر ، كما في أمثاله : وسوس ، وسوسة فهو وَسْواس والجذر (وس) وهكذا : ثرثر ثرثرة فهو ثَرْثار ، وقَعْقَع قعْقَعة فهو قَعْقاع ، وخَشْخش خَشْخشة فهو خَشْخاش ، وجَعْجع جَعْجعة فهو جَعْجاع ، فوزن ضوضاء هو فَعْفاع ، وليس فَعْلاء كما نقل عن علامتنا اللغوي ابن سيده ، والهمزة في ضوضاء منقلبة عن حرف علة (الواو) كما في سماء ورجاء وليست للتأنيث ، وإن

عوملت الكلمة معاملة المؤنث كما في سماء لتشابه المفهومين . ومع هذا يلاحظ أن شبيهتها « سماء » مع ورودها مؤنثة عدة مرّات في القرآن الكريم - قد وردت مذكرة فيه مرة واحدة « السماء منفطر به كان وعده مفعولا » وقد علّل بعض المفسّرين هنا تذكير لفظ السماء بأن معناها المطر . وهذا التعليل مع وجاهته لا ضرورة اليه ، لأن الهمزة الممدودة في السماء منقلبة وليست للتأنيث، والعلة الصحيحة أن العرب ذكّروا السماء قليلاً ، وأنّثوها كثيراً لأسباب أسطورية .

وكما أن الضوضاء على وزن « فعْلال » تكون « ضيضاء » على وزن « فِعْلال » و « ضَوْضَيْت » على وزن « فَعْفَعْت » و « ضوْضى » على وزن « فَعْفَع » و « مُضَوْضٍ » منقوصاً على وزن « مُفَعْفِ » . و « ضَوْضَوْا » على وزن « فَعْفَوْا » لسقوط حرف العلة قبل واو الجماعة منعاً لالتقائهما ساكنين .

و « ضوْضاء » مذكّر مجازيّ لفظاً ولكنه عومل كسماء مؤنثاً مجازياً وهكذا عُومل في شعر « الحارث بن حلّزة » كما ذكرنا قبل .

ولكن ينبغي أن نلاحظ :

أولاً : أن أسلافنا العرب الفصحاء عدّوا بعض الأشياء مذكرة وبعضها مؤنثة لأسبابهم الأسطورية التي لا نتحققها اليوم ، مع أن هذه الأشياء ليست في الحقيقة مذكرة ولا مؤنثة ، لخلوها من أعضاء الذكورة وأعضاء الأنوثة معاً ، ولكنهم أطلقوا عليها من وجهة نظرهم كلمات عدّوها مذكرة أو مؤنثة كما تراءت لهم . وهي الكلمات التي عدّها علماؤنا مجازية التأنيث (أو التذكير) .

ثانياً : ان الضوضاء تطلق على صوت مختلط من عدة أصوات ، وهذا فسرتها بعض المعاجم بأنها صوت (فتذكّر) ، وفسّرتها بعضها بأنها أصوات لاختلاطها (فتؤنث) .

ثالثاً : « ولننتقل إلى مجال أوسع في أمر التذكير والتأنيث فيما نسميه مؤنثاً مجازياً أو مذكراً مجازياً ، أو مؤنثاً أو مذكراً اعتبارياً ، فقد نظر أسلافنا إلى الموجودات الخالية من علامات الذكورة وعلامات الأنوثة - كغيرهم من الجماعات البشرية - فاعتبروا بعضها مذكراً وبعضها مؤنثاً ، ولا ندري على أي أساس بنوا هذه النظرة الاعتبارية أو الاعتباطية ، ولا شك أن هذه النظرة ناشئة عن ملكة « التشخيص » - « الاستحياء ANEMISM أي اعتبار الأشياء أشخاصاً أو أحياء » وهي ملكة بشرية عامة عند كل الشعوب ، ولها آثارها في كل اللغات ومن أظهر مظاهرها الأساطير .

وقد أتعب علماؤنا أنفسهم في تقسيم الكلمات إلى مذكرة ومؤنثة اعتبارياً ، وحاولوا حصرها في المفاهيم الخاصة بالمذكر والمؤنث ، كما حاولوا وضع قواعد لها فقالوا مثلاً في أعضاء الانسان : إن كل عضو مفرد كالرأس والبطن والعنق - مذكر ، وكل عضو مزدوج أو متعدد مؤنث كالعين والقدم والرجل والاصبع والضلع ، وإن كانت تخلو من علامات التأنيث فهي مؤنثات معنويات ، لأن العرب نظروا إليها كأنثيات حقيقيات .

ورأيي في أمثال هذه الأسماء والصفات المعنوية الخالية من علامات التأنيث أن تذكّرها أو نؤنّثها (انظر مجلة العربي العدد ٢٦٨) .

وبهذا نستريح ونريح فلا نكلف أنفسنا عناء حفظ القوائم التي تحوي مئات ومئات من هذا النوع ، وإني أعتمد في ذلك على مرجع هو أشد أصالة من المعاجم جميعاً ، وهو كلام العرب الفصحاء . فلفظ الصوت مثلاً مذكّر ولكن رويشد بن كثير الطائي يقول :

يا أيها الرّاكب المزجي مطيّته
سائل بني أسد : ما هذه الصوت ؟

فأنث الصوت باعتباره « صيحة » و « العذر » مذكر ، ولكن حاتماً الطائي يقول في صاحبته ماوية في مطلع إحدى قصائده :

أماويّ قد طال التجنّب والهجر
وقد عذرتني في طلابكم العُذْرُ

فأنث العذر باعتباره « المعذرة » .

وحكى عن عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول : « جاءته كتابي فاحتقرها » . . قال أبو عمرو « أتقول : جاءته كتابي ؟ » قال : « نعم ، أليست صحيفة » .

أليس من الأيسر أن نُعدّ هذا النوع مذكراً أو مؤنثاً ما دام يمكن تأويله على هذه الطريقة السهلة ، فنقول مثلاً « الذراع قصير » باعتبار أنه عضو ، ونقول أيضاً « العربي » رائج باعتبار اللفظ أو « العربي رائجة » باعتبار أنه مجلة . □

ش ع ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

عواقب الهجر

لكثير عزة

تشبيب الرجل بالمرأة - شعراً ونثراً - موضوع قديم قدم الجنسين،ولكن آداب الأمم حفظت من قصائد الشعراء في التشبيب ما لم تحفظه من نثر المتكلمين ، وهذا الشعر في كل أمة - سواء كان صادقاً أو متكلفا - أقوى عون على فهم آدابها الاجتماعية ، وفهم نظرة كل من الجنسين للآخر ، وما يعجب كلاهما من محاسنه خَلْقاً وخُلُقاً ، وقد راج التشبيب في شعرنا العربي في الحجاز خلال القرن الهجري الأول ، وكان رواجه لأسباب لا يعنينا هنا بيانها ، ولكن يعنينا أن نميز بين نوعين منه ، أولهما ما اقتصر فيه الشاعر على التشبيب بامرأة واحدة ، كمجنون ليلى ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وقد اشتهر كل من هؤلاء بالانتساب الى صاحبته أكثر من شهرته بالانتساب الى آبائه وعشيرته ، وجدير بهذا النوع أن نصطلح على تسميته « النسيب » أو « شعر الحب » ، ويغلب فيه حديث الشاعر بعواطفه نحو محبوبته المعينة كأنه متصوف ، وقلما ينزع الى وصف محاسنها الجسدية .

والنوع الثاني ما تعددت فيه النساء اللاتي يشبب بهن الشاعر ، فهو كالنحلة في التنقل من زهرة الى زهرة بلا ألم ولا حرج ، ويبرز في هذا النوع وصف الجواذب الجسدية ، وجدير بهذا النوع أن يسمى « الغزل » لأن صاحبه أشبه بصياد الغزلان ، فهو يغزل أو يفتل ليمسك بما يسنح له منها دون تعيين ، ومن هؤلاء عندنا عمر بن أبي ربيعة ، وعبد الله بن قيس الرقيات ، والأحوص ، وهناك نوع ثالث هو التشبيب التمهيدي أو الافتتاحي الذي يقدمه الشاعر في مطلع قصيدته للتوصل الى موضوع آخر كالمدح أو الوصف أو الهجاء ، بل الرثاء . وكل هذه الأنواع الثلاثة تدخل في التشبيب ، أي التنويه بمحاسن امرأة شبّ الاهتمام بها في نفس الشاعر وكلها تتداخل حتى تبلغ الغموض ، ويعز التمييز بين أمثلتها .

وشاعرنا هنا هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن من شعراء الحب وإن اتهم بأنه كانَ دعياً فيه ، وكان قزماً نافر الصورة ، وهذا لا يمنع من أن يكون مخلصاً فيه ، وإن كان غير مقبول عند النساء ، وكان راوية للشاعر « جميل بثينة » ولهما معاً أخبار طوال . وصاحبته هي عزة بنت حميد الضمْري ، وكانت تتابع أخباره وأشعاره فيها ، لأن المرأة تهتم بمن ينوه بمحاسنها ويحبه إياها ، ولو لم تحبه . ولشاعرنا شعر كثير في مدح آل البيت وإن كان قد مدح خصومهم الأمويين أصحاب السلطان يومئذ ، توفي سنة ١٠٥هـ .

خليليَّ ، هذا ربعُ عَزَّةَ فاعْقِلا ... قَلوصيكما ، ثم ابْكيا حيث حَلَّتِ[1]
وما كنتُ أدري قبلَ عزةَ ما الهوى ... ولا مُوجِباتِ الحزنِ حتى تَولَّتِ
وكانتْ بقطعِ الحَبلِ بيني وبينها ... كَناذرةٍ نَذْراً فأوْفَت وحَلَّتِ[2]
فَقُلتُ لها : يا عَز كلّ مصيبةٍ ... اذا وُطِّنت يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ
ولم يَلقَ انسانٌ من الحُبِّ مَيْعَةً ... تَعُمُّ ولا غَمَّاءَ إلا تجلَّتِ[3]
كأنّي أنادي صَخْرةً حينَ أعرَضَتْ ... من الصُّمِّ لو تَمشي بها العُصمُ زَلَّتِ[4]
صَفوحاً فما تلقاكَ الا بَخيلةً ... فمَن مَلَّ منها ذلكَ الوصلَ مَلَّتِ[5]
أباحَتْ حِمىً لم يَرْعَهُ الناسُ قبلَها ... وحَلَّتْ تِلاعاً لم تكنْ قبلُ حُلَّتِ[6]
فليتَ قَلوصي عندَ عَزةَ قُيِّدتْ ... بحَبْلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فَضَلَّتِ[7]
وغُودِرَ في الحيِّ المقيمينَ رَحلُها ... وكانَ لها باغٍ سِوايَ فَبَلَّتِ[8]
وكنتُ كذي رِجلَينِ رجلٍ صَحيحةٍ ... ورجلٍ رَمَى فيها الزمانُ فَشُلَّتِ
وكنتُ كذاتِ الظَّلْعِ لمّا تحامَلتْ ... على ظَلْعِها بعدَ العِثارِ اسْتَقَلَّتِ[9]
اريدُ الثواءَ عِندَها ، وأظنُّها ... إذا ما أطلْنا عِندها المكثَ مَلَّتِ[10]
فما أنصفتْ : أما النساءُ فَبَغَّضتْ ... إليَّ ، وأمّا بالنوالِ فَضَنَّتِ
فإن تَكنِ العُتبى فأهلاً ومرحباً ! ... وحُقَّت لها العُتبى لدينا ، وقَلَّتِ
وان تكُنِ الأُخرى فإنَّ وراءَنا ... مَنادِحَ لو سارتْ بها العيسُ كَلَّتِ[11]
خليليَّ إنّ الحاجبيّةَ طلَّحَتْ ... قَلوصيكما وناقتي قد أكلَّتِ[12]
فواللهِ ثم اللهِ ، ما حَلَّ قبلَها ... ولا بعدَها من خُلَّةٍ حيث حَلَّتِ
وما مرَّ من يومٍ عليَّ كيومِها ... وان عَظُمت أيامُ أخرى وجَلَّتِ
وأضحتْ بأعلى شاهقٍ من فؤادهِ ... فلا القلبُ يسلاها ، ولا العينُ مَلَّتِ
فَيا عجباً للقلب ، كيفَ اعترافُه ... وللنفسِ لَما وُطِّنت ، كيفَ ذَلَّتِ[13]
وإنّي وتَهيامي بِعزةَ بعدَما ... تَخلَّيتُ مما بيننا وتَخلَّتِ[14]
لكالمرتجي ظِلَّ الغَمامةِ كلّما ... تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلَّتِ[15]

---

(١) الربع : الدار ، اعقلا : اربطا ، القلوص : الناقة .
(٢) الحبل : الوصل ، فأوفت وحلت : أدت النذر وتخلصت منه .
(٣) الميعة : الشدة ، الغماء : الكرب ، تجلت : زالت .
(٤) أنادي : أجالس ، الصم : الصلبة ، العصم : الوعول ، ازلت : سقطت .
(٥) صفوح : هاجرة . (٦) تلاع : أماكن مرتفعة . (٧) غر : قطع . (٨) بلت : نجت .
(٩) الظلع : العرج ، استقلت : اعتدلت .
(١٠) الثواء : الاقامة ، المكث : البقاء .
(١١) الأخرى : القطيعة ، منادح : أماكن واسعة ، العيس : الإبل ، كلت : تعبت .
(١٢) طلحت ، وأكلت : أتعبت .
(١٣) اعترافه : صبره ، وطنت : سكنت .
(١٤) الهيام : شبه الجنون ، تخلى : ترك .
(١٥) تبوأ : نزل ، المقيل : نوم نصف النهار .

مكتبة العربي



مصر في عصر محمد علي

تأليف : عفاف لطفي السيد
(مطبعة جامعة كمبردج ، ١٩٨٤)
عرض وتعليق : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

هناك شبه اجماع على أن محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة ، الا أن الحكم عليه ، وعلى الفترة التي حكم فيها مصر (١٨٠٥ - ١٨٤٨) ، قد اختلف فيه اختلافا كبيرا ، باختلاف النظرة التي كانت توجه المؤلفين ، حقيقة أن الكثيرين من الاوروبيين قد كتبوا عن محمد علي ، سواء في حياته أو بعد وفاته ، الا أن جانبا كبيرا مما كتبوه كان يرتبط بنوعية علاقاتهم بسلالته التي حكمت مصر حتى عام ١٩٥٢ . فكيف نظرت المؤلفة لمحمد علي وعصره وماهو الجديد ؟

كتاب الشهر

ان الملك فؤاد الذي ـ لاشك ـ كان يدرك أهمية الكتابة التاريخية في تدعيم أركان حكم أسرته ، قد رعى كثيرا من الكتاب الفرنسيين ، والانجليز ، والايطاليين ، والأمريكان وغيرهم . ممن ركزوا على ايجابيات محمد على واسماعيل ، وبرروا سلبياتهما . أما الكتاب المصريون . فان الكثيرين منهم قد ركبوا موجة ارضاء الحكام من أسرة محمد على ، حرصا منهم على شغل بعض المناصب القيادية . أو الحصول على بعض المكافآت المادية .

ثم انعكست الآية بعد سقوط النظام الملكي ، بحيث تعرض حكم محمد على وأسرته لتجريح منتظم ، لم يكن له أحيانا ما يبرره . على الأخص أن العهد الجديد الذي بدأ باستيلاء الضباط على الحكم في عام ١٩٥٢ قد تبنى وجهات نظر دعائية . تشيد بالانجازات « الثورية » . وتسلب كل حكام مصر السابقين أي ميزة ، ولو كانت حقيقية ، مما أدى الى نوع من البلبلة التي عاناها الجيل المخضرم الذي شهد العهدين ، وبدأ يشك في الكثير مما كتب . ان مدحا أو قدحا .

وبعد سكون حدة هذه العاصفة ، تخرج علينا الدكتورة عفاف لطفي السيد ، المصرية الأصل ، الأستاذة بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية ، بهذا الكتاب العلمي المتزن الذي سعى الى اعادة تقديم عصر محمد على ، بالاستناد الى المادة الوثائقية المصرية التي جرى تجاهلها في الماضي ، لحساب الآراء التي كانت تتضمنها المصادر الأجنبية ، وذلك دون اهمال الوثائق البريطانية ، والفرنسية ، وغيرها من المصادر الأصلية ، وقد ركزت المؤلفة في الكتاب الذي تعرض له على تحليل تاريخ مصر في عصر محمد على ، وحاولت البحث عن الأسباب الكامنة وراء الأحداث ، والنتائج التي تمخضت عنها ، كما أنها لم تصطنع التفصيل حين عرضت لادارة البلاد والتعليم والبعثات الخارجية ، على اعتبار أن مصادر أخرى سبق أن تعرضت لها . وآثرت ربط عصر محمد على بالتطورات التي حدثت قبل توليه الحكم ، واهتمت الى حد كبير بالنواحي الاقتصادية والمالية ، وبينت أهميتها بالنسبة الى بعض قراراته .

ليس الأول

وقد أشارت المؤلفة في الفصل الأول الى أن محمد على لم يفرض على مصر نظاما اقتصاديا جديدا تماما ، بل انه أصلح النظام القائم ، ووسع نطاقه ، كما أبرزت أن نظام حكمه كان بمثابة استجابة لمتطلبات هذا النظام الاقتصادي ، وأن تحويل مصر الى دولة حديثة لم يبدأ من فراغ ، بل كانت له سوابق رسمت الطريق الذي يجب السير فيه ، فخلال القرن الثامن عشر كان يحكم البلاد الحلف القائم بين المماليك والتجار الذين كانوا يستقون دخوهم الرئيسية من التجارة الخارجية مع أراضي الدولة العثمانية ، ومن وضع أيديهم على مساحات واسعة من الأراضي ، في الوقت الذي ازدادت فيه العلاقات الاقتصادية بين مصر وبقية العالم العثماني وبين أوروبا ، ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) ، وتفند المؤلفة ماقيل ـ وبخاصة من جانب الكتاب الفرنسيين ـ من أن هذه الحملة قد حولت أوضاع مصر الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، هذا برغم ما أدت اليه من ضعضعة قوة المماليك وهيبتهم ، تمهيدا للصراع الدولي على البلاد ، وتدفق الفنيين الفرنسيين عليها .

وتربط المؤلفة في هذا الفصل التجديدات التي شهدها عصر محمد على ، مما بدأ تنفيذه بالفعل في العهود السابقة ، فعلي بك (المعروف بالكبير) كان قد سعى الى اقامة حكومة مركزية ، والى فرض القانون والنظام ، مما أدى الى أمن البلاد ،

كتاب الشهر

واستقرارها الداخلي ، والى التوسع في سوريا والحجاز ، وتكوين جيش من المرتزقة يستعمل الأسلحة النارية كالمدفعية ، كما أن الحملة الفرنسية قد أجرت اصلاحات في حيازة الأرض ، وتنظيم الضرائب ، وضمان جبايتها على أحسن وجه ، الا أن عبقرية محمد على تكمن في تعلمه من أخطاء من سبقوه ، وتنسيقه لأهدافهم ، فيما تطور الى برنامج مترابط ، قطع تنفيذه شوطا طيبا في تغيير القاعدة الاجتماعية - والاقتصادية للمجتمع المحلي - فهو في رأي المؤلفة مجدد ، ومقلد في نفس الوقت ، بحيث اعتبرته « آخر المماليك » ، وسجلت أنه مهد الطريق للتغييرات التي تمت فيما بعد ، حين قضى على النظام المملوكي ، واتجه الى التصنيع ، وتوسع في مشروعات الري ، وضاعف انتاج محصولات التصدير ، ومصّر الجهاز الحكومي ، وتخلص من ذلك كله الى أنه وضع أساس الدولة القومية في مصر .

وفي الفصل الثاني (وعنوانه محمد على الرجل) ناقشت المؤلفة نشأة محمد على في مدينة قولة ، الواقعة في اقليم مقدونيا (في اليونان الحالية) ، ومحصت تاريخ ميلاده ، ورجحت أنه ولد في عام ١٧٧٠ ، وأنه من أصل ألباني ، ونفت ما ادعاه من أنه نشأ يتيما ، ثم تذكر أنه عمل مع والده في تجارة الدخان منذ بلوغه سن العاشرة ، وأنه حل محله في قيادة القوات العثمانية غير النظامية الموجودة في قولة ، وتعرض لزوجته أمينة وأولاده وبناته ، وتشير الى ميله المبكر الى الاجانب من يونانيين وأرمن وفرنسيين مخالفا بذلك العثمانيين الذين كانوا أميل الى قصر علاقاتهم على بني جنسهم ، وتخلص من ذلك الى استعراض أهم صفاته ، فهو رجل عملي ، يفيد من أية كفاءة متاحة ، كما أنه لايبدي أي تعصب عرقي أو ديني ، هذا بالاضافة الى عبقريته ومكره وقوة عزيمته ، ومتابعته لأهدافه أيا كانت الظروف ،وثقته الشديدة بنفسه ، وايمانه بكفاءته ، وطموحه الى العظمة ، وهدوئه حين يخطط لتحقيق أهدافه ، وعدم لجوئه الى العقوبات الا بعد استهلاكه لجميع الوسائل الاخرى ، لهذا كله كان نظامه موضعا لحب الصفوة ، ومقبولا من جانب الجماهير على الأخص لانه كان يهتم باستطلاع اتجاهات الرأي العام .

وفي الفصل الثالث (وعنوانه بلد بلا سيد) تستعرض المؤلفة الأحداث العاصفة التي شهدتها مصر مابين عامي ١٨٠١ و ١٨٠٥ ، وتلقي الأضواء على إفادة محمد علي من الظروف ، الى أن استطاعت الثورة الشعبية ضد مفاسد الحكم العثمانى أن توصله الى حكم البلاد . .

سيد في بيته

وفي الفصل الرابع (وعنوانه سيد في بيته) أشارت الى الوسائل التي تخلص بها من جميع خصومه ، ثم الى سعيه الى السيطرة على موارد مصر المالية المستمدة من الأرض في المحل الأول ، ومن ثم تحالفه مع التجار في مواجهة الزعماء الدينيين ، والملتزمين ، الى أن قضى على أهم معارضيه ، وعلى الحلف القديم القائم بين المماليك والزعماء الدينيين والتجار ، ثم استندت سلطته الى حلف جديد يضم الضباط ، والبيروقراطيين ، ومجموعة منتقاة من التجار ، بالاضافة الى بعض المشايخ الدينيين .

وفي الفصل الخامس (وعنوانه : الأسرة والأصدقاء والأقارب) تعرض المؤلفة لما اتصف به محمد علي من هدوء وبطء في التخطيط وحرص على الاستنارة بآراء مستشاريه ، وايمانه بالتخصص ، مع الاستعانة بالفنيين الأوروبيين ، والانفتاح على الغرب - وكل ذلك بالرغم من أن ادارة البلاد الفعلية كانت في أيدي أسرته ، وأعوانه الذين كان عدد كبير منهم من قولة ومن العثمانيين الآخرين - أما المؤسسة العسكرية فقد وقعت في أيدي المماليك (الذين كان بعضهم أبناء للمماليك القدامى الذين جرى التخلص منهم في عام ١٨١١ ، في مذبحة القلعة ، وبعضهم الآخر كان يشترى من أسواق الرقيق الأبيض)وبالاضافة الى ذلك فقد استعان محمد علي

بكبار رجال الدين ، والاداريين من الأقباط ، وبكبار التجار القدامى الذين واصلوا نشاطاتهم السابقة ، فضلا عن تجار الشام ، وما أن تمكن من السيطرة على البلاد بيد من حديد ، حتى اتجه الى مجموعة ثالثة من التجار ، والفنيين الأوروبيين الذين كانوا على صلة بالأسواق الغربية ، وكانت صلاتهم وخبراتهم تتيح لهم توجيه الانتاج المحلي الى المجالات العالمية ، وتؤكد المؤلفة أن محمد علي كان يهدف من كل نشاطاته الى تحقيق الاستقلال .

وأما عن علاقته بأبنائه فانه اتجه الى اشراكهم في الادارة منذ شبابهم المبكر ، وكان يبدي لهم عواطفه نحوهم ، مع تأنيبهم اذا مادعت الظروف ، دون أن يصطنع القسوة في معاقبتهم ، كما كان حريصا على أن يتلقوا أكبر قسط من التعليم ، وأن يلتزموا بالسلوك السوي ، ورغم أن الاتجاه الى تعليم الفتاة لم يكن قد تبلور بعد في المجتمعات الاسلامية ، فانه اتجه الى تعليم بناته .

وتنفي المؤلفة مايقال من أن محمد علي قد استرشد بنمط اصلاحي واحد ، بل تؤكد أنه كان رجلا عمليا ، يتصدى للمشاكل التي تواجهه بوحي الساعة لاحسب خطة موضوعة سلفا ، ومن ذلك أنه وجد نفسه ينساق في مجال النشاط الاقتصادي ، وراء الاتجاه (المركنتيلي) الذي كانت أوروبا في سبيلها الى تخطيه ، نتيجة للثورة الصناعية ، وهكذا نجد أن حكومة محمد علي تتجه منذ عام ١٨٠٧ الى تصدير السلع الزراعية ، الأمر الذي أغراه بالسيطرة على الموارد الزراعية اللازمة للتصديرواوغام الفلاحين على زراعة محاصيل لازمة للتصدير لا للاستهلاك المحلي ، وقد أدى نجاح سياسة التصدير الى أوروبا التي شغلت خلال الفترة الأولى من حكم محمد علي بالحروب (النابليونية) ، الى التوسع في التجارة ، والحصول على مزيد من السلع اللازمة التصدير ، وهذا بدوره أدى الى اجراء تعديل على حيازة الأراضي وتقدير الضرائب ، وتحصيلها ، ثم استثمار الأموال المتحصلة من التجارة والسلع الزراعية في تطوير أساليب الري ، مما أدى الى زيادة مساحة الأراضي ، وادخال مشروعات الري الدائم في بعض أجزاء البلاد ، مما ساعد على ادخال محصولات جديدة ، كما تم استثمار الأموال التي أمكن تحصيلها من التجارة الخارجية في الصناعة التي بدأت بالصناعات الحربية ، ثم تطرقت الى السلع المصنعة ، وقد وفرت الصناعة بديلا للاستيراد وساعدت على تطوير سلع جديدة ، كانت تعتمد على المواد الخام المحلية لكي يمكن بيعها في الداخل والخارج ، بهدف تحقيق ميزان تجاري مناسب ، ونادرا ما كانت الحكومة تصدر أكثر مما تستورد لأن الآلات اللازمة للصناعة كانت تقتضي زيادة الاستيراد .

وتختم على محمد علي بعد كل هذه النشاطات أن يعمد الى التوسع العسكري ، بهدف توفير أسواق للصناعات التي أقامها ، وضمان مصادر للمواد الخام التي لم تكن توجد في مصر ، وحتى لاتحد التبعية للدولة العثمانية من نشاطه ، وتعرقل مشروعاته ، فانه وضع نصب عينيه تحقيق استقلال مصر

العقل التجريبي

في الفصل السادس (وعنوانه السياسات الداخلية) تتعرض المؤلفة للادارة المركزية ، مبينة أن قرارات محمد علي لم تتعد كونها رد فعل للظروف ، ولو أنها أدت الى اقامة دولة حديثة ، سيطرت على التجارة ، وطورت الزراعة ، وأنشأت الصناعات الحديثة ، ثم توسعت خارج حدود مصر ، وتشير الى تنظيمه للادارة واختياره للكفاءات لتولي مناصبها ، وايجاد الهيئات والمجالس الاستشارية ، برغم بقاء كل السلطة في يده ، كما تشير الى زحف اللغة العربية بالتدريج على الادارة ، وبدء حلولها محل اللغة التركية ، وذلك برغم بقاء الادارة العليا في أيدي الاتراك والشراكسة والالبانيين الذين كانوا يحتقرون المصريين ، ويعتبرونهم جنسا أدنى من الفلاحين الذين تقتصر مهمتهم على العمل تحقيقا لمصلحة سادتهم الحكام،خصوصا أن محمد علي ورجال جهازه البيروقراطي من الاجانب الذين كانوا يعتبرون مصر ملكا خاصا لهم ، وليس معنى هذا أن محمد علي كان متحيزاضد المصريين ، بل انه كان حريصا على حسن معاملتهم ، والاستماع الى شكاواهم ، والاستجابة للمعقول منها ، كما أنه شجع المخلصين والنابهين منهم ، ونتيجة لجهود محمد علي توطد الامن العام ، وازدادت أعداد المصريين برغم الأوبئة والحروب ، بحيث بلغ تعداد السكان عام ١٨٤٠

أكثر من أربعة ملايين نسمة ، وان ظلت مصر تشكو من نقص الأيدي العاملة اللازمة لتنفيذ مشروعات الوالي .

وحين تعرض المؤلفة لتشكيل الجيش الحديث ، تنفي الفرية التي ألصقت بالمصريين من حيث عدم صلاحيتهم للجندية،مستشهدة بما قاله ابراهيم باشا لوالده من أن الفلاحين المصريين أشجع من الأتراك .
كما تلقي الأضواء على الثورات التي قام بها الفلاحون وبخاصة في إسنا والشرقية والمنوفية ، كرد فعل للارهاق الـذي عـانـوه من التشدد في فـرض الضـرائب وتحصيلهـا ، ومن كثرة الحروب في شبه الجزيرة العربية ، والسودان ، وبلاد اليونان ، والشام .

وفي الفصل السابع (وعنوانه التغييرات الزراعية) تتناول المؤلفة سياسة محمد علي الزراعية ، فلقد أدرك منذ بداية حكمه أن الأرض هي مصدر ثروة مصر ، ولهذا أشرف على الأوقاف التي كانت تشغل حوالي خمس الأراضي ، وألغي نظام الالتزام ، ووحد كل الضرائب السابقة في ضريبة واحدة هي الخراج ، وحين أعاد توزيع الأراضي استولى على مساحات واسعة منها ، ووزع مساحات أخرى على أسرته وحاشيته ، وبذلك وضع أساس الملكيات الزراعية الـواسعـة التي أطلق عليهـا اسم « الاقـطـاع » في الكتابات المصرية المعاصرة

في الصناعة والتجارة

وفي الفصل الثامن (وعنوانه التجارة والصناعة) تتناول المؤلفة نشاطات محمـد علي التجـاريـة والصنـاعية ، فلقـد كان مـدركا لـطبيعـة الأوضـاع التجارية في شرق البحر المتوسط . ومن ثم سعى الى الى الاتجار بمنتجات مصر ، وركز السلطة في يديه .

ثم اتجه الى التصنيع،وقد ارتبطت مشـروعـاتـه الصناعية الأولى بالحرب،فبنى أسطولا حربيا أردفه بأسطول تجاري ، أملا في الحصول على نصيب الأسد من تجارة شرق البحر المتوسط . ثم تحول الى صناعة الذخائر والبارود والأسلحة . ولم يمض وقت طويل حتى توفرت له مجموعة كبيرة متكاملة من الصناعات الجديدة المتصلة بالجيش مثل ترسـانات السفن وأحواضها الى المستشفيات والمصانع والمدارس ، وكل ذلك برغم عدم توفر الفحم والحديد . وقد أدت الحاجة الى الأسلحة ، والآلات المستوردة ، الى تطورات جديـدة ، منها التوسع في التجـارة والاستيراد ، وصناعة الغزل والنسيج ، والاستعانة بالأوروبيين والمشارقة ، وإرسال البعثات،ثم اتسع نطاق الصناعة ، وبخاصة صناعة الغزل والنسيج ، وأدخلت الآلات التجارية اللازمة لنسـيج القطن وغيره من الصناعات ، وحدث كل ذلك في الوقت الذي اشتد فيه ساعد الثورة الصناعية في بريطانيا ، الأمر الذي أدى الى البحث عن أسواق للمنسوجات البريطانية التي كانت حينئذ تشكل نصف صادرات بريطانيا ، في الوقت الذي شكل فيه القطن الخام خمس وارداتها . وقد أدى احتكار محمد علي للتجارة الى شكوى التجار الأجانب الذين حرموا من المكاسب التي كانوا يجنونها في السابق ، وهذا برغم أن بريطانيا وفرنسا كـانتا تحميـان صناعـاتهـا بفرض الرسوم الجمركية .

أهداف التوسع

وفي الفصل التاسع (وعنوانه أهداف التوسع) تشير المؤلفة الى أنه بامكان مصر أن تتحول الى سوق محتمل ، فيما لو جرى توزيع ثروة البلاد بصورة أكثر عدالة ، بحيث يتوفر للسكان سوق لتوزيع منتجاتهم ، وهو ما نادى به بعض الاقتصاديين السياسيين في ذلك الوقت . الا أن النخبة السياسية لم تبد استعدادا للموافقة على هذا الخيار الذي من شأنه أن يقلل من ثروات أفرادها ، لهذا أصبح الخيار الوحيد المتاح هو السير في طريق التوسع الامبريالي ، المتمشي مع الفكر المركنتيلي ، وهكـذا رأى محمـد علي أن التـوسـع العسكري ، والنهج الامبريالي أمران لازمان لنشاطه الاقتصادي الذي ربط به تحقيق الاستقلال ، ولو أن هذا الخيار قد أدى إلى دماره ، لأنه عرضة للاصطدام

بالخطط الامبريالية البريطانية التي لم تكن قد وصلت بعد الى حد التوسع الاقليمي بل كانت لاتزال تركز على التوسع التجاري

وفي الفصل العاشر (وعنوانه الدمار) تعرض المؤلفة لسياسة (لورد بالمرستون) وزير الخارجية البريطانية الذي كان شديد التنبه الى أهمية الاقتصاد بالنسبة الى الدول ، ومن ثم مناصبته لمحمد علي العداء،وذلك لاعتقاده أن نشاطات حاكم مصر تضر بالمصالح البريطانية . لهذا عقد مع الدولة العثمانية في عام ١٨٣٨ معاهدة (بالطة ليمان) التي كانت بنودها تسري على أملاك الدولة بما فيها مصر ، ولقد نصت هذه الاتفاقية على حرية التجارة ، والغاء الضرائب الداخلية المفروضة على السلع التي يستوردها الأجانب ، وبالتالي فانها وجهت ضربة قاضية الى احتكارات محمد علي في الوقت الذي شكلت فيه كارثة بالنسبة الى الامبراطورية العثمانية ، لأنها ضيقت نطاق حق الحكومة في فرض الضرائب ، وحين بدأ تطبيق المعاهدة على مصر بعد عام ١٨٤١ ، حصل التجار على حرية الحركة في الاسواق المحلية التي مالبثوا أن سيطروا عليها . وبالتالي تحولت مصر بمرور الزمن إلى مساهم فقير في السوق العالمية الأوربية وأصبحت مرتبطة بتقلبات الاقتصاد الأوروبي .

الفشل والعوامل الخارجية

وفي الخاتمة تناقش المؤلفة ماقيل عن حتمية فشل الصناعة المصرية ، مشيرة الى أن الخبرة أمر مكتسب ، والى أن اليابان قد تقدمت في المجال الصناعي برغم عدم وجود المواد الخام فيها ، بعكس مصر ، كما تؤكد أن فشل الصناعة المصرية ارتبط بعوامل خارجية لاداخلية

وهي ترد على انتقادات الأوروبيين لمحمد علي بسبب اقامته جيشا كبيرا ، مشيرة الى أن الجيش كان حافزا للحراك الاجتماعي ، مما ساعد على تمصير البلاد اذ لولاه لظلت مصر باستمرار تحت رحمة المرتزقة والقوات الأجنبية ، ولما تسنى ارسال البعثات الدراسية ، أو انشاء المدارس التقنية اللازمة لتدريب الرجال الذين كانت تحتاجهم شتى فروع القوات المسلحة ، بالاضافة الى الأطباء والفنيين ، وبفضل الجيش تحول الفلاحون الى مواطنين يرتبطون ببلادهم ، كما وفرت الانتصارات التي أحرزها الجيش على القوات العثمانية مجالا للفخر والاعتزاز بالانتساب الى البلاد ، كما ساعدت على المضي قدما في خطة التمصير . بالاضافة الى ذلك فقد أدت رغبة محمد علي في الاستقلال عن الدولة العثمانية الى بناء دولته هو ، وانشاء الجهاز اللازم لادارتها ، مما ادى إلى نمو الوعي الوطني ، واشتداد ساعد الحركة الوطنية ، وبخاصة في عام ١٨٨٢ الذي شهد الثورة المصرية ضد التدخل الأجنبي والاستبداد الخديوي

البحث عن الجديد

وملحوظتنا على هذا الكتاب تتركز على صعوبة التطرق الى موضوع سبقت دراسته بوجه عام ، في حين تفرغ بعض الكتاب المصريين ، والأجانب لدراسة ناحية أو أخرى من النشاطات التي شهدتها مصر في عصر محمد علي . فحكم محمد علي الطويل تناوله كثير من الكتاب في الشرق والغرب . ولاحساس الدكتورة عفاف لطفي السيد بأن مهمتها ليست بالسهلة ، فانها طفقت تبحث في الوثائق عن كل ماهو جديد ، لكي تؤكد حقيقة أو تنفي أخرى ، ولهذا نجدها تفصل في بعض المواضع ، وتجمل في بعضها الآخر . بحيث ان كتابها يفتقر الى التناسق والوحدة الموضوعية المترابطة .

الا إن أهم مايضيفه الى تاريخ عصر محمد علي هو اهتمامها بالنواحي الاقتصادية التي جعلت منها محورا لدراستها . وتفسيرها الجديد لأثر هذه الناحية في عداء (لورد بالمرستون) لمحمد علي برغم التقارير التي وصلته عن استقرار حكمه ، وسيادة الأمن في أملاكه ، وحسن معاملته للرعايا والتجار الانجليز ، ومزايا الاصلاحات التي قام بها ، وهي تساعدنا على فهم أن عداء (بالمرستون) لمحمد علي لم يكن راجعا في المحل الأول الى تهديده للمواصلات الامبراطورية البريطانية ، ولبقاء الامبراطورية العثمانية الذي اعتبره بالمرستون ضمانا لعدم تهديد روسيا للمصالح البريطانية في الهند ، وسائر الشرق الأوسط . بل انها تركز الأضواء على أن نشاطات محمد علي كانت تهدد التوسع الاقتصادي البريطاني في الشرق الأوسط ، في الوقت الذي اشتد فيه ساعد الثورة الصناعية التي أحرزت فيها بريطانيا قصب السبق . □

من المكتبة العربية



الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي الصهيوني

تأليف : توفيق أبوبكر / عرض : ماجد الشيخ

من نافلة القول أن الاستعمار البريطاني هو الذي وضع اللبنة الاولى في المستوطنة اليهودية الكبرى المسماة « اسرائيل » .

لكن ما هو غير معروف هو خلفيات العلاقة الوثيقة التي تربط الكيان الصهيوني بالولايات المتحدة . وان كان من المعروف أن اسرائيل هي حجر الزاوية في الاستراتيجية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط ، فان الخفي هو بدايات وخصوصيات تلك العلاقة التي استمرت بقوة متزايدة عبر عهود كل الرؤساء الامريكيين من ويلسون الى ريغان كما يقول الكتاب الذي بين أيدينا .

إن « اسرائيل » هي الوليد الشرعي للنزعة الاستعمارية لدول الغرب الأوروبي والولايات المتحدة فيما بعد ، وتلك حقيقة لاجدال فيها بالنسبة لنا ، فمنذ إنشاء أول مستوطنة صهيونية في عام ١٨٨٢ في فلسطين ، وحتى الاعلان عن إنشاء الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ ، وحقائق الارتباط العضوي واعتماد « إسرائيل » على أمريكا والغرب ، واعتماد الغرب وامريكا بالمقابل على هذا الكيان

العسكري المدجج بالأسلحة وما تعتبره الولايات المتحدة - وما اعتبرته اوروبا قبلها - مصالحها الحيوية والاستراتيجية ، حقائق دامغة لايمكن القفز عنها ، ونحن بصدد الحديث عن « اسرائيل » ذلك الكيان الاستيطاني الاستعماري المزروع في قلب الوطن العربي .

الدولة البارجة

العلاقة الامريكية الصهيونية في هذا السياق علاقة دولة كبرى بقاعدة إقليمية رئيسية أو ببارجة حربية متقدمة في الدفاع عن مصالح هذه الدولة الكبرى ، فهي في تحالفها الوثيق مع الكيان الصهيوني في بلادنا أكدت وجود علاقة بالغة الخصوصية بينهما ، ومازالت تؤكدها شراكتها التاريخية في اقتسام غنائم الحراسة من خلال دور الدولة الصهيونية كبديل أوتائب عن وجود القوات الامريكية المباشر في بلادناوهو الأمر الذي جعل كيان العدو الصهيوني في فلسطين وكيان العنصريين البيض في جنوب افريقيا في مقدمة الأدوات المباشرة التي تعتمدهاأمريكا كقوى امبريالية إقليمية ، سواء كان في الوطن العربي أو في افريقيا ، لتمثيل ماتزعمه الولايات المتحدة وحلفاؤ ها الأطلسيون في الحفاظ على « مصالحهم الاستراتيجية » التي يقصدون بها أسواقهم ودولهم التابعة .

من هنا يمكن الولوج لفهم حقيقة العلاقة الاستعمارية التي دشنها عهد الاستعمار الأوروبي ، وتابعها - فيما بعد - الاستعمار الامريكي ، تلك العلاقة التي تربط بين دولة كبرى كالولايات المتحدة وكيانات استعمارية استيطانية كالكيان الصهيوني وجنوب افريقيا . وللبحث في هذه البدهية يأتي كتاب توفيق أبوبكر « الولايات المتحدة الامريكية والصراع العربي - الصهيوني » كدراسة توثيقية تستهدف - كما يقول الكاتب - مواكبة المسيرة الامريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني منذ مطلع هذا القرن وحتى توقيع اتفاقات كامب ديفيد التي تمت باشراف امريكي ، للتعرف من خلال المصادر الامريكية ذاتها ، ومن خلال الحقائق المنشورة التي لم تعد محل اجتهادات ونقاشات نظرية ، على حقائق الموقف الامريكي ومكونات هذا الموقف وأسبابه .

وتعود حقيقة الموقف الامريكي من الحركة الصهيونية إلى بداية هذا القرن ، حين وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور ، وعلى تغيير تعبير « العرق اليهودي » - الذي ورد في مسودة الوعد - إلى تعبير « الشعب اليهودي » وهذا تغيير كبير بالطبع ، لكونه اعترافاً باليهود كشعب وليس كجماعة دينية ، وفي عام ١٩٢٢ عقد اجتماع مشترك لمجلس النواب والشيوخ للمصادقة على وعد بلفور الذي ووفق عليه رغم اعتراضات بعض النواب والشيوخ عليه ، في حين بدأت في أوائل الأربعينيات عملية تشكيل منظمات مؤ ازرة للنشاط الصهيوني ، إذ تشكلت لجنة فلسطين الامريكية التي ضمت ٦٨ عضوا من مجلس الشيوخ ، وعددا كبيرا من أعضاء مجلس النواب (٢٠٠)،و ١٢ من حكام الولايات ، ودعت اللجنة لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، كما أن روزفلت نفسه - وعلى أبواب ترشيحه لفترة ولاية رئاسية ثانية - وعد الحركة الصهيونية بتحقيق أحلامها في إقامة « الكومنولث اليهودي » إذا أعيد انتخابه ، ومن أجل خداع العرب كما جرت العادة،صدرت الأوامر للممثلين الدبلوماسيين الامريكيين في الوطن العربي بضرورة اطلاع الحكام العرب على أن ماورد في بيان الرئيس هو تعبير « الوطن القومي » وليس تعبير « الكومونولث اليهودي » ، وأن الحكومة الامريكية لن تجري أي تغيير في الوضع في فلسطين ، دون التشاور الكامل مع العرب واليهود !! إلا أن ذلك لم يغير من الحقيقة شيئا .

كلب الحراسة :

وحين فاز ترومان في انتخابات الرئاسة الامريكية ، بدأ عهدا مكشوفا من التأييد للصهيونية على أساس من مبدئه الاستعماري ، وقد ذهب بعيدا في حملته المؤيدة للصهيونية ، وذلك عبر بيانه الذي حدد فيه خدمات حكومته من أجل الصهاينة ، وتحدث فيه عن ضغوطه على بريطانيا من أجل تهجير مائة ألف يهودي إلى فلسطين .

ولم يتوان ترومان عن الاعتراف « باسرائيل » بعد الاعلان عن قيام كيانها بخمس دقائق ، كما يقول ابا ايبان وزير خارجية العدو الأسبق - وليس بعد إحدى عشرة دقيقة كما تقول روايات أخرى ، وقد نفى ترومان أن يكون لاعترافه « باسرائيل » علاقة

بأصوات اليهود ، أو أن يكون موقفه المفاجىء الصارخ في ١٤ اكتوبر ١٩٤٦ الذي دعا فيه لهجرة يهودية مفتوحة ، مسألة انتخابية ، بل قال إنها مسألة اقتناع ، فيما أعرب صراحة في حكمه عن رغبته في إقامة حلف للدفاع في الشرق الأوسط ، يضم الدول العربية ، « واسرائيل » ، ودول الشرق الأوسط الأخرى للدفاع ضد الشيوعيين ، وخاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، وظهور حكومة مصدق وتأميم النفط الايراني عام ١٩٥١ ، وهي نفس السياسة التي أكملها خلف ترومان ، الرئيس ايزنهاور .

وعلى هذا الطريق وقعت امريكا « واسرائيل » اتفاقية سرية بشأن الأمن المتبادل في عام ١٩٥٢ ، حيث أظهر الدعم الامريكي غير المحدود ومجموع المساعدات المختلفة ، أهمية اسرائيل في الاستراتيجية الامريكية،وقد كتب أحد الاستراتيجيين الغربيين عام ١٩٥١ حول الدور المميز الذي يجب إعطاؤه لاسرائيل فقال : « إن تقوية اسرائيل يساعد الدول الغربية على المحافظة على التوازن والاستقرار في الشرق الأوسط ، وأن على اسرائيل أن تلعب دور كلب الحراسة ، وليس هناك خوف أن تمارس اسرائيل سياسة عدوانية تجاه الدول العربية ، ولأى سبب كان ، فإن الدول الغربية فضلت أن تغلق عيونها ، فبالامكان الاعتماد على اسرائيل لمعاقبة واحدة أو أكثر من الدول المجاورة ، التي تجاوزت تصرفاتها تجاه الغرب ، حدود اللياقة المسموح بها . »

وهكذا تنبأ هذا الاستراتيجي الغربي ، بالدور الذي مارسته اسرائيل فعليا بنجاح طوال العقود الماضية ، مما رفعها إلى مرتبة الشريك الأصغر في بعض الحالات .

اتجاهان ومبدأ واحد

فيما بعد تابع ايزنهاور سياسة سلفه ، يقول الكاتب : إن الدارس لسياسة ايزنهاور الشرق أوسطية في المرحلة الأولى من حكمه ، قبل حرب السويس وقبل إعلان « مبدئه » يكتشف أن سياسته آنذاك قد سارت في اتجاهين :

الاتجاه الأول : دفع العرب والاسرائيليين لحل مشكلاتهم والانخراط معا في تحالف واسع ضد الشيوعية .

والاتجاه الثاني : العمل على توطين « اللاجئين » ، وتحسين ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة ، كاسلوب لزرع الاستقرار ، ومنع الطبقات المسحوقة من التمرد .

يلاحظ هنا أن اتجاهي « مبدأ » ايزنهاور هذين مازالا يشكلان محور العمل الذي تبنته الحكومات الامريكية اللاحقة جميعها ، حتى عهد ريغان الحالي ، وهو ماتبلور مؤخراً على شكل « مشروع مارشال الشرق الأوسط » الذي طرحه رئيس وزراء العدو شمعون بيريز .

في أواخر أيام ايزنهاور ترك خليفته ـ جون كيندي ـ الوصية التالية : « لقد تبلور في ذهني اعتقاد جازم ، نتيجة اتصالي الوثيق بأن شخصية « اسرائيل » القومية ، هي عصارة نقية للقوة والعظمة ، وهذا مايحفزني على تتبع شؤون « اسرائيل » ، ويحدوني عطف نحو رعاية شؤونها . . . »

وقد وصل هذا العطف إلى حد أن تكون اسرائيل دولة وكيلة على أساس من توصل الولايات المتحدة الى استنتاج أنه ليس في وسعها بعد الآن الاستجابة لكل حادثة في أنحاء العالم ، وأن عليها ـ تبعا لذلك ـ الاعتماد على قوة محلية صديقة كخط أول ، وذلك لتجنب التورط الامريكي المباشر ، وإن اسرائيل تشعر أنها ملائمة لهذا التعريف حسب تصريح الناطق بلسان الخارجية الاسرائيلية آنذاك .

وهكذا تشهد وقائع حرب يونيو ـ حزيران ١٩٦٧ ، وما أورده الكاتب من شواهد التدخل الامريكي في هذه الحرب ، على مدى ملاءمة اسرائيل لتعريف (الوكالة) أو القيام بالنيابة عن الولايات المتحدة ، أو بمشاركتها بالمهام الموكولة لها ، إلى حد اعتبار الأخيرة نتائج حرب حزيران انتصاراً لها ، لأنها سددت ضربة قاصمة لحركة التحرر العربية ، مع العلم أن خطة الحرب دخلت البيت الأبيض في اجتماعات رأسها جونسون ، واشترك فيها قائد القوات المسلحة ، ورئيس وكالة المخابرات المركزية . والخطة كما أوضحها رئيس هيئة الأركان قبل العمليات بأسبوعين هي أن تبدأ اسرائيل بالعمليات العسكرية الجوية ، وأن القوى التي وضعت لمساندة

اسرائيل كفيلة بانهاء المعركة بعد أربعة أيام شرط أن يبدأ العدوان .

« اسرائيل » . في الاستراتيجية الامريكية :

لقد كان نجاح اسرائيل في حرب يونيو - حزيران الدافع الاكبر للولايات المتحدة للقبول بالمهمة التي تترع اسرائيل بالقيام بها كشريك للولايات المتحدة ، مقابل تسليحها القوي والسريع،وعلى الأخص ان الولايات المتحدة كانت إذ ذاك تعاني مأزقا صعبا في جنوب شرق آسيا ، تمثل في فشل حلفائها المحليين في الدفاع عن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة ، مما استدعى تورطا عسكريا امريكيا هائلا .

وبعد انتخاب نيكسون ذكر معلق صحيفة هآرتس الاسرائيلية في واشنطن مايـلي : « إن نيكسون سيساعد اسرائيل متى ما كان ذلك ضروريا في الصراع الشامل ضد الشيوعيين . وتوجد لدينا إمكانيات قوية جدا كبرهان على أن اسرائيل قوية ضرورية لصد التوسع السوفييتي في البحر الأبيض وفي هذه المنطقة ، وعلى الدبلوماسية الاسرائيلية أن تثبت وجود تماثل حاسم بين المصالح الامريكية والاسرائيلية في الشرق الأوسط . وإن الموقف الصلب ضد السوفييت من جانب القدس وواشنطن سيعود بالخير على امريكا واسرائيل على حد سواء . »

هكذا .. وعلى هذا المنوال ، وطوال كل عهود الرؤساء الامريكيين بقيت اسرائيل الوكيل أو الشريك للولايات المتحدة ، ذلك الدور الذي لايمكن التخلي عنه لأي سبب من الأسباب ،خاصة أن واشنطن تربط ذلك بمواجهة الاتحاد السوفييتي ، أو ماتسميه - ويسميه حلفاؤ ها - « الخطر الشيوعي » وتجدر الملاحظة إلى ان واشنطن لم تفوت فرصة بروز أي تعارض أو نشوئه مهما كان تافها مع اسرائيل إلا واستثمرته ، وصورته على أنه تناقضات في مواقف الطرفين ، وذلك بهدف تقريب العرب من الموقف الامريكي ، وهو الأمر الذي مازال مستمرا حتى اليوم ، ويجد من يصدقه ليضفي طابع الحيادية الخادعة على الموقف الامريكي . وهنا على وجه التحديد تكمن أسباب عدم الاعتراف بمنظمة التحرير ، أو حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، لأنها تريد « اسرائيل » قوية ،

ليس بدافع ماتسميه هي مصالحها الاستراتيجية فحسب ، بل لأن وجود كيان اسرائيل ووظيفته أصبحا محور هذه المصالح الاستراتيجية في هذه المنطقة من العالم ، والاعتراف بمنظمة التحرير ، وحقوق الشعب الفلسطيني يخل بهذه المصالح وبمحورها .

وقف تـوفيق أبوبكر في كتابـه هذا عند المرحلة الريغانية ، الأمر الذي يستلزم متابعة التوثيق للعلاقة التي تربط الولايات المتحدة والكيان الصهيوني عبر المزيد من الدراسة والتمحيص ، وتـوثيق مالم يوثق حتى الآن وبخاصة قضايا التحالف الاستراتيجي ، والاجماع الاستراتيجي التي دشنتها الولايات المتحدة في عـام ١٩٨١ ، وكان تتـويجها الأساسي في غـزو ١٩٨٢ للاراضي اللبنانية □

إنها النخلة

● يروى أن أحد ملوك الروم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رسالة يقول فيها : قد بلغني أن في بلادكم شجرا يخرج ثمرا كأنه آذان الحمر ، تنشق عن أحسن من اللؤلؤ المنظوم ، ثم تخضر فتكون كالزمرد ، فتصفر فتكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ، ثم تينع فتكون كأطيب من الفالوذج ، ثم تجف فتكون قوتا ، وتدخر مؤونة ، فلله درّها من شجرة ، وإن صدق الخبر فانها من شجر الجنة .

فكتب إليه عمر بن الخطاب : صدقت رسلك ، فإنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عليه السلام ، وقال إني عبد الله ، فلا تدع مع الله إلها آخر .

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / (خمسة أصوات) - رواية
المؤلف / غائب طعمة فرمان
الناشر / دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت
عدد الصفحات / ٣٠٢ من القطع الكبير

الطبعة الجديدة للرواية الشهيرة للروائي العراقي غائب طعمة فرمان الذي قدم لنا قبل هذه الرواية رواية (النخلة والجيران) ، وقدم لنا بعدها عددا من أهم الروايات العربية .

و (خمسة أصوات) هي قصة خمسة رجال ، لكل منهم شخصيته ، وطموحه ، وهمومه ، وعالمه الخاص ، لكن هذه الهموم ، والطموحات ، والعوالم الخاصة ، تتداخل ، وتتقاطع ، كاشفة بذلك الاضطراب الاجتماعي الذي كان يمور به المجتمع العراقي ، في مرحلة ما قبل ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ، يقدم لنا هذا الكتاب واحد من أساتذة الكتابة الروائية في الوطن العربي .

الكتاب / (حرب فلسطين ١٩٤٨) - رؤية مصرية
المؤلف / اللواء الدكتور ابراهيم شكيب
الناشر / دار الزهراء للاعلام العربي - القاهرة
عدد الصفحات / ٥٣٠ من القطع الكبير

هذا الكتاب واحد من الكتب الموثقة بشكل جيد ، المكتوبة بأسلوب يغلب عليه الطابع العلمي الموضوعي ، بدل العاطفة التي تتغلغل في ثنايا كثير من الكتب العربية حول حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

وإن ركز الكتاب على الجبهة المصرية ، خلال هذه الحرب التي اشتركت فيها ست دول عربية ، فإنه لم يغفل أهمية الجبهات الأخرى ، وما دار فيها ، وأثر ذلك كله على مجرى الحرب .

وقد أعان المؤلف على إنجاز هذا العمل الكبير خدمته كعسكري ، الى جانب كونه أستاذا في التاريخ ، وقد استفاد من عدد كبير من المراجع العربية ، والانجليزية ، بما فيها المراجع الاسرائيلية ، التي تلقي ضوءا على هذه الوقائع غير المعروفة جيدا في تاريخنا الحديث .

الكتاب / (تطور المكتبات الجامعية بالجزائر)
المؤلفة / بهجة بومعرافي
الناشر / مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات - تونس
عدد الصفحات / ٨٠ صفحة من القطع المتوسط

تحاول رئيسة قسم المكتبات والمعلومات في جامعة قسنطينة الجزائرية اعطاء فكرة مفصلة عن تطور المؤسسة الجامعية في الجزائر ، والمكتبات جزء منها ، وقد استندت في تحليلها لهذه الظاهرة العلمية على الكثير من المصادر والمراجع الأجنبية ، لأنه لم يكتب شيء في هذا الموضوع باللغة العربية الى الآن ، وتخص الباحثة فصلا كاملا للتأكيد على أن انصراف الجزائر المستقلة الى مهمات البناء الاقتصادي والاجتماعي قد شغلها مرحليا عن العناية

بالمكتبات ، الا أن إرساء شبكة مكتبات متطورة وعلمية صار اليوم أحد الشواغل الكبيرة ، ونبهت الكاتبة في هذا الصدد الى ضرورة الاهتمام بإعداد الاختصاصيين ، ودعم حركة التعارف بين المكتبات ، وإنشاء اللجان الوطنية ، ووضع سياسات لتزويد المكتبات بالمطبوعات على نحو منتظم .

الكتاب : (حقول النفط في غرب الكويت)
المؤلف : محمود العدساني
الناشر : مطبعة حكومة الكويت
عدد الصفحات : ٦٩ من القطع الكبير

يقول المؤلف في المقدمة التي صدر بها كتابه انه وضع هذا الكتاب استكمالا لدراسة متعددة الأجزاء ، سبق أن وضعها هو نفسه حول الحقول النفطية المهمة في الكويت .

ويرى المؤلف أن الكويت يمكن تقسيمها ـ نفطيا ـ الى أربعة أقاليم ، ذكر في الدراستين السابقتين كل ما يتعلق بالاقليمين الجنوبي والشمالي . وفي هذا الكتاب يذكر كل ما يتعلق بحقول النفط في غربي الكويت .

ويجمع الكتاب بين المعلومة التاريخية حول تاريخ المسوح الجغرافية ، وبين المعلومات الجغرافية الخاصة بتكوين الأرض ، وطبيعتها ، وتربتها ، الى جانب الدراسة الاحصائية التي دعمت بالجداول ، والرسوم البيانية ، والايضاحية الأخرى .

الكتاب : (اقتصاديات تنمية الطاقة في المملكة العربية السعودية)
المؤلف : د . فاروق صالح الخطيب
الناشر : مركز النشر العلمي جامعة الملك عبدالعزيز ـ الرياض
عدد الصفحات : ٢٠٤ من القطع الكبير .

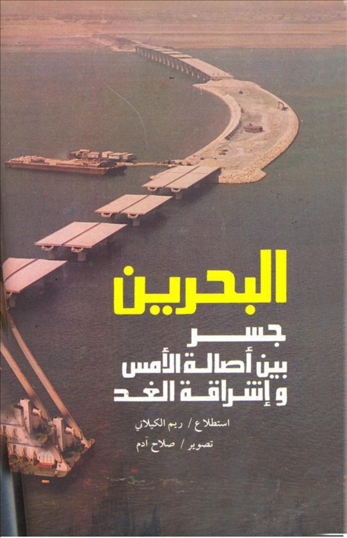
ينطلق د . الخطيب في كتابه هذا من حقيقة ازدياد الاقبال على استهلاك الطاقة في الدول النامية ، لأسباب تتعلق بالتقدم الذي وصلت إليه ، وبارتفاع مستوى الدخل فيها ، مما جعل استهلاك الطاقة يرتبط ـ بشكل أو بآخر ـ بالتخطيط الاقتصادي العام لتلك الدول .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى التفصيل عن الطاقة في المملكة العربية السعودية ، فيتتبع جهود تنمية الطاقة الكهربائية فيها ، وعلاقة ذلك كله بالمستويات المعيشية والثقافية في المملكة .

الكتاب : (العرب في أمريكا)
المؤلفان : سمير ابراهيم ، ونبيل ابراهيم
ترجمة : سنية الجلالي
الناشر : مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة .
عدد الصفحات : ٣٣٠ من القطع الكبير .

يضم هذا الكتاب عددا كبيرا من الدراسات حول الجاليات العربية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدايات هجراتهم ، وأسبابها ، والمناطق التي سكنوها ، والمشاكل التي واجهتهم في بدايات هجراتهم ، والمشاكل التي ما زالوا يواجهونها ، أو التي استجدت عليهم أثناء وجودهم في تلك البلاد .

وقد قام اثنان من المغتربين العرب هما سمير ابراهيم ونبيل ابراهيم بتأليف الكتاب ، وتزويده بالمصنفات ، والجداول الضرورية ، ليجعلا منه مرجعا مهما ، لازما لكل من يرغب في الاطلاع على أوضاع الجالية العربية هناك ، حيث يشمل الكتاب بدراساته المتعددة المعلومات الأساسية حول العرب في أمريكا .

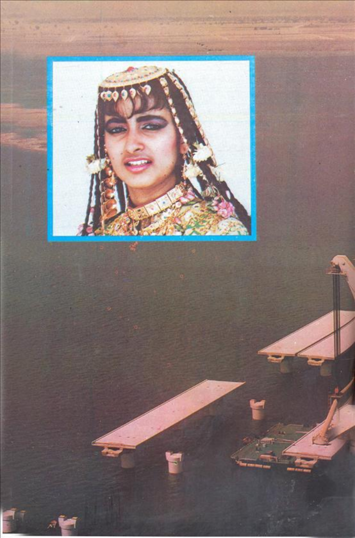


البحرين

جسر بين أصالة الأمس وإشراقة الغد

استطلاع / ريم الكيلاني

تصوير / صلاح آدم



قد تطبع في ذهنك أحيانا فكرة ما عن بلدما ، وقد تُكوِّن تبعا لقراءاتك واطلاعاتك الشخصية انطباعا خاصا عن احدى بقاع العالم ، ولكن ماذا يحدث حين تتاح لك الفرصة لزيارة بلد له في مخيلتك اكثر من صورة ؟ ماذا يحدث حين تعرف أنك ستزور بلدا أول ما يلفت النظر فيه اسمه ؟ بل قد تزداد دهشتك حين تعرف أنك ستحط على أرض قيل عنها ذات يوم إنها أرض الخلود .

مارأيك في أن تصحبنا في رحلتنا هذه لتتعرف على سر الخلود ؟

نوع من الوجل انتابني وأنا أضع قَدَمَيّ لأول مرة على أرض البحرين،لا أدري سببا لهذا الخوف ، ولا أعرف له مصدرا ، فقد يكون السفر في حد ذاته أمرا يثير القلق والخوف في النفوس ، فضلا عما يثيره من فضول وحب استطلاع ، ولكن . . أفكارا كثيرة غريبة بدأت تتزاحم في ذهني ، ولم يمض على وصولي الا عشر دقائق ، كنت أفكر بكل شيء يحيط بي ، كنت أفكر بالأحداث المتعددة والكثيرة التي وقعت فوق أرض البحرين والتي كان احدثها واكثرها أهمية جسر السعودية / البحرين الذي سيكون شريان البحرين النابض والعرق المتدفق بالحياة .

جسر المحبة

عرفت البحرين منذ القدم كمركز مالي كبير في وسط الخليج ، وقد كانت التجارة - ولاتزال - عصب الحياة في البحرين وشريانها المتدفق .

وتسعى البحرين اليوم لتحقيق استقرار المعاملات التجارية وتوطيدها مع الأقطار المجاورة خصوصا وأنها تتمتع بسمعة طيبة في السوق التجاري العالمي

ولكن . . لم تعد البحرين كما كانت مجرد جزيرة تتلاطم حولها الأمواج وتتهددها الرياح والعواصف بين الأونة والأخرى ، ولم تعد البحرين مجرد نقطة صغيرة في بحر واسع،لقد استطاعت البحرين أن تعبر كل الأزمات بقوة أكثر ، فمن يعرف تاريخها وأصالة شعبها يدرك لماذا يعتز أهلها بكل حبة رمل فوق أرضها ، وهي تتصل اليوم بالعالم عن طريق موانىء بحرية وجوية .



البحرين

ولكن . . هل يكفى ذلك ؟

لقد طرأت على التخوم الشرقية للوطن العربي أحداث مهمة ، كان انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية من أبرزها ، بل لقد كان خطوة ذات مغزى عميق ، فلأول مرة منذ عهد الاستقلال تظهر منظمة اقليمية تجعل من الوحدة هدفا ، تسعى لبلوغه بصبر وروية وحكمة ، والوحدة تعني توثيق عرى المحبة ، واقامة جسور الوئام بين الأشقاء على كل صعيد،التماسا لقوة الامة العربية ومنعتها وعزتها .

ولقد ارتبطت البحرين بشواطىء الجزيرة العربية بأكثر من سبب،لعل رباطي العروبة والدين الحنيف في مقدمتها،ولكن هناك روابط اخرى عائلية واقتصادية تشد الناس في البحرين الى الشاطىء الشرقي للجزيرة وتجعل من اللقاء اليومي للاهل والأصدقاء أمنية عذبة .

ضرب من العشق
« في الجسر بين المملكة والبحرين »

ضَربٌ مِنَ العِشقِ .. لا دَربٌ مِنَ الحجرِ
سَاقَ الخيامَ إلى الشطآن فانزلَقتْ
ماذا أرى ؟ زَورقاً في اليَمّ مُندفعاً ؟
وَهذه أغنياتُ الغَوْصِ في أذُني ؟
واستيقظت نخلةٌ وسْنى توشوشني
نَسِيتُ أينَ أنا ... إنّ الرِّياضَ هُنا
وَهذِه جَدّةٌ جاءتْ بأنجُمِها ؟

هذا الذي طارَ بالواحاتِ للجزرِ
عَبرَ المياهِ شراعاً أبيضَ الخفَرِ
أمْ أنّه جَمَلٌ ما مَلّ مِن سَفَرِ ؟
أم الحُداة شدَوا بالشعر في السَّحَرِ ؟
مَن طوّقَ النخلَ بالأصدافِ والدُّرَرِ ؟
مَعَ المنامةِ مشغولان بالسَّمَرِ
أم المحرّقِ جاءتْنا مَعَ القَمَرِ ؟

للشاعر : غازي القصيبي

فكيف السبيل الى تحقيقها ومياه البحر تفصل بينها فيتعذر اللقاء أو يصعب على الكثيرين ؟ لقد ظلت فكرة اقامة طريق بري يربط بين الشاطئين حلما يداعب خيال الناس سنين طوال ، فهل جاء الجسر الذي يربط بين البحرين والمملكة العربية السعودية ليجعل من الحلم حقيقة يلمسها العابرون الى الضفاف في كل يوم ؟!

لقد ظل الجسر مجرد فكرة طرحت للتداول والنقاش، ولكنها ظهرت الى حيز الوجود عام ١٩٧٥ ، حيث تقدم البنك الدولي بدراسة اقتصادية وهندسية وافية للمشروع مستعرضا في هذه الدراسة العوامل الجغرافية والبيئية والتيارات البحرية ، وبعد الموافقة عليه مبدئيا طرح كمناقصة عالمية ، اشترك فيها عدد من الشركات العالمية الكبرى .

وقد فازت بالمناقصة شركة هولندية بدأت العمل فورا بكل همة ونشاط ، وتم تسليم مشروع الجسر منتهيا تماما في نوفمبر من عام ١٩٨٦ ، وهو يوصل بين العزيزية في السعودية وجسرة في البحرين وهذا المشروع ضخم جدا ، بل هو من أضخم المشاريع في المنطقة العربية ، حيث يبلغ طول الجسر ٢٥ كم ، ويستفيد الجسر من بعض الجزر التي في مساره ومن ضحالة المياه في الكثير من أجزائها ، وهو عبارة عن طريق بحرى يتكون من خمسة جسور ، تتفاوت في عرضها من ٥ م الى ٩ م ، وقد شيدت جميعها فوق مناطق المياه العميقة ، اما الردميات فهى سبعة ، وقد أقيمت حيث مناطق المياه الضحلة ، كما تم بناء جزيرتين صناعيتين كبيرتين ، لجعلهما مركزي حدود للسعودية والبحرين ، واماكن لاستراحة المسافرين ومطاعم لتقديم الوجبات الخفيفة .

أما أطول جسر فهو الجسر الثالث ويرتفع بمعدل ٢٨½ م عن سطح البحر وعرضه ٢٥ م ، قد أنشىء خصيصا ليسهل حركة السفن والمراكب في المنطقة .

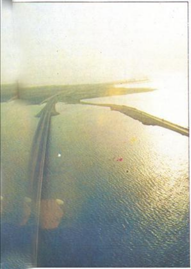
ولما كان البناء والتشييد بحاجة لمعدات وآلات متعددة الأشكال والانواع فقد آثرت الشركة ايجاد مصنع كامل بكل محتوياته لتسهيل عملية الانشاء وتقليل التكلفة ، وتوفير الوقت .

بدأت في البداية عملية بناء الأجزاء الرئيسية ، وهي عبارة عن ركائز اسمنتية مجوفة ، يصل طولها الى حوالى ٤٠ م قطرها ٣,٥ م ، وتستقر هذه الركائز فوق شريط مطاطى ضخم جدا ، صمم خصيصا لمقاومة الزلازل والهزات الأرضية الخفيفة .

ويتكون الجسر من خطى مرور في اتجاهين مختلفين مع خط مرور ثالث للتوقف الاضطرارى بعرض اجمالى ٢٥,٤م .

وقد قامت السعودية بتمويل المشروع الذي وصلت تكاليفه الى ١٠٠٠ مليون دولار شاركت في تشييده وبنائه الى جانب الشركة الهولندية شركات محلية للرصف ، وشركة لنقل الأحجار من المحاجر السعودية ، أما الشركة السعودية الدانمركية فقد أخذت على عاتقها عمليات المتابعة المستمرة













● جسر (السعودية ـ البحرين) وجد لكي يكون رباطا قويا بين الجزيرة الصغيرة والأراضي المقدسة ، وقد بني الجسر على أحدث الطرق الهندسية ، والمعمارية ، وزود بخرائط ، ولوحات ، مرورية لتسهيل مهمة المسافر .

للمشروع .

وبانشاء هذا الجسر يتعزز ارتباط أهل البحرين باخوانهم على الشاطىء الشرقي من الجزيرة العربية ، ويسهل الانتقال والسفر من البحرين واليها .

رحلة الشتاء والصيف

لاشك أن الجسر الى جانب تأثيراته الايجابية في النواحي الاجتماعية فانه سيحقق تطورات في الصناعة والتجارة ، وسيعزز النواحي المالية والاقتصادية بشكل ملموس ، وقد التقينا بالسيد خالد عاشور مدير ادارة الصناعة بوزارة التنمية ، ورئيس وحدة التنمية والتخطيط في دولة البحرين والذي كان له رأي حول مشروع انشاء جسر السعودية-البحرين،يقول السيد عاشور : لقد انطلقت النظرة الاستراتيجية للتنمية الصناعية في البحرين من زاوية بعيدة المدى ، فلو أخذنا بعين الاعتبار الناحية الواقعية؛فانها متعلقة بمساحة المنطقة وعدد سكانها خصوصا وانه من البديهي وجود أسواق وطاقة وحجم من الاستهلاك لقيام أي صناعة ، أما البحرين فهي سوق محدودة من ناحيتي المساحة وعدد السكان،فكان التوجه في البداية لعمل صناعة ليست لخدمة البحرين فحسب ، بل لخدمة سوق الخليج أولا والسوق العربي والدولي ثانيا ، ولكن تنفيذ مثل هذه السياسة يحتاج الى عدد من الوسائل والمعدات والتقنيات،ومن أهم هذه الوسائل شبكة من المواصلات القليلة التكلفة ، ونحن في البحرين نجد صعوبة في نقل وتحميل ومناولة المعدات والأدوات سواء كان النقل جوا أو بحرا ، وقد كان لابد من وجود شريان حي متدفق أو خط بري يربط الجزيرة بالعالم ويخدم البحرين من ناحيتين ، فهو سيسهل عملية الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة،ويسهم في تصدير انتاجنا المصنع وشبه المصنع عن طريق هذا الخط البري ، كما سيزيد من الترابط بين الفعاليات الاقتصادية البحرانية والخليجية والعربية .

فمن المعروف في العرف التجاري أن الحركة الناتجة عن سرعة الاتصال وسرعة الانتقال وسهولته ستوفر بلا أدنى شك المناخ المناسب لهذه الفعاليات فيما بينها من اجل تبادل الأفكار والخبرات والترويج للمشاريع الصناعية ، كما سيزيد الجسر من زخم الاستثمار الصناعي المشترك والخاص باعتباره وسيلة انتقال سهلة ومتاحة للجميع ، وذلك يزيد بالطبع من ثقة المتعاملين بالسوق المالي والتجاري ، وقد أدرك المسئولون ماهذه النقلة من تغيرات في المجتمع البحراني .

وقد وضعنا كثيرا من الخطط التي ترمي الى تعميق الاستفادة من مشروع جسر السعودية - البحرين ولدينا توقعات ايجابية بتحقيق نهضة صناعية واقتصادية عالية وخصوصا أن ماتم انجازه في الفترة الزمنية قبل انشاء الجسر ونسبته الى عدد السكان يعد عاليا طبقا للمقاييس العالمية .

ويستطرد السيد عاشور : تكون الهيمنة للنفط في أي اقتصاد نفطي أكثر من أي مادة أخرى ، ولكننا عملنا على تشجيع اقامة الصناعات الكبيرة والمتوسطة التي تتمتع البحرين بامتلاك نسبة منها مثل الألمنيوم والبتروكيماويات وصناعة تكرير الزيت وصناعة الحديد والصلب،وهذه كلها صناعات قامت في بداية التفكير بصناعات تصديرية ، وجاءت هذه الصناعات في الدرجة الثانية من الأهمية فهي تل بناء المرافق العامة ، والاهتمام بالنهضة العمرانية ، وانشاء مطار البحرين الدولي .

نحو تكامل اقتصادي عربي

وقد اتجهت خطط التنمية نحو بلورة ودعم اقامة مشاريع صناعية مكملة ومرتبطة بالمشاريع الصناعية السابقة،واستطعنا ايجاد عدة مصانع،ونجحنا في القيام بعدة صناعات،وخصوصا وأننا نؤمن بأن التنمية الصناعية - بخلاف الاستثمار التجاري - ذات حركة متأنية ، وتحتاج الى جهد كبير وصبر ، أما الاستثمار التجاري فهو سريع ومتحرك دائما . وفي البحرين عرفنا هذه الحقيقة وأدركناها منذ البداية ، فكان لابد من اعطاء وقت كاف لأي تجربة صناعية لضمان نجاحها .

ولكن . . دور الجسر لايقف عند هذه الحدود ، فقد علقت عليه آمال كثيرة ، فهو سيعطي دفعة قوية للاقتصاد وللسوق المالي .

ان الاقتصاد في البحرين منذ القدم متنوع البنية منفتح على العالم،وذلك بسبب موقعها الجغرافي ووجودها في منتصف الطريق بين الهند والشرق

الأدنى ، وفي منتصف الوقت الزمني بين أوروبا وجنوب شرق آسيا ، وهذا كله ساعد على تعزيز دور البحرين كمركز تجاري وبخصوصا أنها لم تعتمد - وحتى اليوم - على البترول كمصدر رئيسي للدخل،ولاتزال نسبة الاعتماد عليه لاتزيد عن ٢٠٪ .

ان مشروع بناء الجسر يدعو للتفاؤل، فهو نموذج واضح لتعزيز الوحدة الاقتصادية العربية : فسوف تنتقل البضائع والأفراد بحرية ويسر وسهولة وبدون أي عراقيل ادارية أو جمركية .

وفي لقاء لنا مع السيد عيسى بورشيد - وكيل وزارة المالية والاقتصاد - قال : « كثير من الأمور الاقتصادية والمالية سيحقق نجاحا ورواجا واسعا بعد انتهاء مشروع الجسر ، فوجود سبيل للانتقال البري يعني رفع الجودة والكفاءة الانتاجية لكل من البلدين في المجالات الصناعية ، وان وجود سبيل للانتقال البري من شأنه تسهيل انتقال المستثمرين ورؤ وس الاموال مما يعطي فرصة جيدة للتعرف على الامكانيات المتاحة في كل من البلدين،كما انه سيساعد على بلورة فكرة المشاريع المستثمرة بين القطرين ، وهذا بدوره يؤدي الى رفع الجودة والكفاءة الانتاجية في المجالات الصناعية نتيجة لتبادل الخبرات .

ان قيام مشروع جسر السعودية-البحرين جاء كسبا للسوقين السعودي والبحراني ، فهو سيساعد على انسياب البضائع على الطريق البري وخاصة في شمال الوطن العربي، وبالتالي سيعزز من انسياب البضائع للبحرين من الاردن وسوريا ولبنان بدلا من الاعتماد على الدول الغربية ، وهذا ينطبق كذلك على السلع المنتجة والمصدرة من الامارات والكويت ، وكذلك صادرات البحرين لهذه الدول .

للعائلات فقط

لقد ذكرنا فيما سبق - عزيزي القارىء - أن البحرين كانت مركزا تجاريا مهما ومحطة وصل وراحة بين بلاد السند وبلاد ما بين النهرين حيث كانت تنقل عن طريقها التوابل والعطور والأحجار الكريمة والأخشاب من مصدرها في الشرق بواسطة السفن ، ولقد تركت الحضارات المختلفة التي عبرت البحرين من خلال التاريخ التسميات المختلفة « تدوكي » « دلمون »،« تايلوس » أرادوس « أوال » وأخيرا البحرين .

كما خلفت وراءها ثروة كبيرة من الآثار العريقة ، مثل معبد باربارة وموقع الحجر ، وقلعة عراد ، وقلعة بوماهر حتى سماها الكثيرون عروس الخليج أو لؤلؤة الخليج .

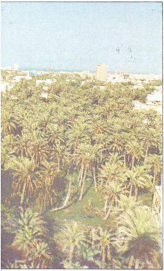
وتثير مثل هذه الآثار فضول السائح بل تخلق في نفسه رغبة جامحة لزيارة البحرين للتعرف على معالمها السياحية .

وقد جاء اهتمام البحرين الأساسي بالسياحة لتكملة الاهتمام العام بالمنطقة وخاصة في عمان والسعودية والامارات،ولزيادة الترابط الاجتماعي وتدعيم العلاقات الأسرية ، ومن هذا المنطلق كان اهتمام البحرين بالسياحة الترفيهية للبحرانيين ولأهل الخليج ولم تتوسع البحرين كثيرا في المجال السياحي بعد،خاصة وأن السياحة لاتزال صناعة وليدة برغم ما تحتويه من عناصر مشجعة .

ان اتفاق وتماثل العادات والتقاليد والنظم جعل من اهل الخليج أسرة واحدة،والبحرين - على وجه الخصوص - مازال تحافظ على ملامح الماضي ، وتتمسك بأصالة الأجداد ، وتهتم بكل قديم،وهذا في حد ذاته يستهوي أهل المنطقة،ويثير في نفوسهم أنغام الماضي ، فتراهم يرددون أهازيج الطفولة وألحان الصبا ، ويئنسون عالمهم ، ويعودون وكلهم فرح ، ليقضوا لحظات في المنازل الطينية،وليتنقلوا بين الدواعيس (الأزقة) لزيارة الأقارب ، وليتجولوا في الاسواق الشعبية ليقتنوا ما لا يمكن اقتناؤه الا من البحرين .

يقول السيد طارق المؤيد وزير الاعلام البحراني : تعتبر البحرين من أقدم الدول حضاريا ، وهي تنعم بتاريخ حافل من واجبنا المحافظة عليه،ومن حق الناس علينا التعرف على هذه الحضارة وهذا التاريخ ، نحن في البحرين نسعى أولا الى تكوين هيكل عام للسياحة ، بداية من ادارة السياحة والآثار كجهة تنفيذية ، وهي أول نقطة أو خطوة نخطوها لتطوير السياحة ، وبعد انشاء المجلس الأعلى للسياحة في عام ١٩٨٥ فاننا نسعى لانشاء شركة للمشاريع السياحية،ووضع قانون خاص بتنظيم السياحة .

ومن أهم المشاريع السياحية التي تم انشاؤها

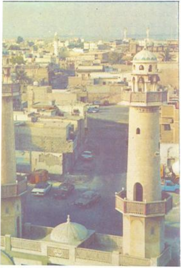




● البحرين ، جزيرة المليون نخلة ، تسعى لتعزيز السياحة ، وزيادة الاقبال عليها ، وتنشىء المدن الترفيهية ، والأماكن التي يقبل عليها السائح ، كما تعتني بكل ما يمت للماضي بصلة . والزائر للبحرين ستدهشه معالم النهضة والرقي الممزوجة بعطر الماضي الفواح .






والانتهاء من العمل بها مشروع «البلاج» (تحسين الشواطىء) الذي لايبعد اكثر من ٤ كم عن العاصمة المنامة،وهو يعتبر من أكبر الشواطىء في المنطقة الشمالية من البحرين، هذا الى جانب المتنزهات والأماكن الترفيهية، مثل عين عذارى التي ستجد نفسك عندها مشدوها بالخضرة الموجودة حول العين، وقد فكرت ادارة السياحة بتوسيعها وانشاء مدن ترفيهية مشابهة لها، مثل واحة المحرق قرب مدينة عيسى،وقمنا فعلا باعداد خرائط ولوحات تفصيلية للبحرين، لتوفر للسائح سهولة الانتقال وسرعة الوصول للمكان المطلوب،خصوصا واننا نتوقع اليوم وبعد انشاء جسر السعودية-البحرين زيادة عدد الزائرين للبحرين وخاصة من دول الخليج.

والحقيقة أن عملية خروج العائلة مجتمعة في رحلة قصيرة قد لاتزيد عن بضع ساعات في نزهة برية لدولة مجاورة سيكون له عظيم الأثر في تعزيز السياحة وزيادة الاقبال على البحرين ذلك ان الاختلاف في العادات والتقاليد يكاد يكون معدوما فالسياحة الخليجية ليست بدعة فإن أغلبية العائلات تفتقد القدرة على السفر الى بلاد بعيدة، مما يفرض على الدولة ايجاد سبل ترفيهية بديلة لهم،وقد استطعنا بتكاتف الأجهزة المختصة أن نعمل مشاريع مصغرة، وصفها البعض بأنها ستكون شيئا عظيما في المستقبل.

ولكن.. هل اكتفيت عزيزي القارىء بهذا الوصف السريع لأرض الخلود؟ أعتقد أن القراءة وحدها لن تكون كافية، فبلد يجمع أصالة الماضي ويتطلع الى مستقبل مشرق تتحقق فيه نهضة كبرى ويسعى بخطوات سريعة واسعة للحاق بركب الحضارة والتقدم يستحق منك الزيارة.

دلمون والخلود الأبدى

لقد كان التاريخ خير شاهد على احداث كثيرة وقعت فوق ارض البحرين، وطالما نقل هذا التاريخ على ألسنة المعمرين والمسنين، ولكن حضارة دلمون اصبحت اليوم حقيقة من حقائق التاريخ التي لا يرقى اليها الشك.

ويعتبر اسم البحرين بالنسبة لكثير من الناس مرادفا لدلمون بينما يميل الأخرون الى الاعتقاد بأنها ربما كانت مهدا لجنة عدن.

ويورد السومريون في حكاياتهم الدينية أسطورة زهرة الخلود أو أسطورة الأرض المشرقة التي تقع وراء الأفق البعيد، والتي تتحدث عن الاله إنكى ـ اله الماء ـ وكيف نجا من الفيضان الذي عم الكون،وكيف توجه الى أرض الخلود فسكنها، والأرض التي سكنها كما تقول الأسطورة هى (دلمون) وتوضح الأسطورة كذلك كيف جاء (جلجامش) بطل السومريين الى (دلمون) ليلتقى (بانكى) فيتعرف منه على سر الخلود، وأسرار الحياة، وأخبر (انكى) (جلجامش) عن قاع البحر الذي يمتزج فيه الماء المالح بعيون الماء العذب،وفي احدى هذه العيون زهرة بيضاء هي زهرة الخلود،ولو أمسك بها البطل السومري لكتب له الخلود الأبدي، وألقى البطل (جلجامش) بنفسه في الماء، وغاص إلى الأعماق بحثا عن زهرة الخلود في إحدى عيون الماء العذب، وبعد صراع مرير استطاع (جلجامش) أن يحصل على الزهرة، غير أن الحية كانت له بالمرصاد فالتهمت الزهرة البيضاء، وكتب لها الخلود، وربما تكون هذه الأسطورة مفتاحا للغز قرابين الأفاعى التي وجدت داخل آنية فخارية مغطاة في دلمون،وكانت تلقى تقديسا واحتراما كبيرين، وهى تحفظ اليوم في متحف البحرين.

وكما تروى الكتب فان البحرين هى الأرض المقدسة، فالحفريات التي أجريت منذ عام ١٩٥٣ أثبتت بدون شك أن البحرين كانت المركز والعاصمة لأرض (دلمون) وسكان دلمون هم الذين بنوا المدينة «دلمون» الكبيرة والمسورة، والثاوية تحت وحول قلعة البحرين، وهم الذين عبدوا آلهتها في معبد بربارة والقبور المقبية الضخمة في قرية عالى، وهي قبور ملوك دلمون ومواطنيهم الذين دفنوا فيما يزيد على مائة ألف قبر، وقد كانت دلمون معروفة لدى شعوب ميزوبوتا (وادى الرافدين) من السومريين والبابليين والأشوريين، وذلك لمدة تزيد عن ألفي سنة، تمتد من ٢٦٠٠ الى ٥٠٠ ق. م،وقد يتحدث العالم عادة عن عجائب الدنيا السبع فتشتهر بابل بحدائقها المعلقة، والهند بتاج محل كأجمل مقبرة، ومصر بأهراماتها الشامخة، أما جزيرة البحرين فتشتهر بأكبر مقبرة تاريخية في العالم كله، وقد تم الكشف عن هذه الحقيقة منذ بضع سنوات وهذه

المقبرة الكبيرة عبارة عن مجموعة عديدة من التلال المقبية المتجانسة التي تنتشر في مساحات واسعة في وسط الجزيرة ، وفي الجزء الشمالي منها ، ويتمركز أغلبها حول قرية (عالى) التي بها المقبرة الملكية لسكان البحرين قديما .

انه لغريب حقا وجود أكبر مقبرة تاريخية على أصغر رقعة أرضية في العالم ، وقد علّل العلماء والخبراء ذلك بقولهم ان جزر البحرين كانت أرضا مقدسة لساكني المنطقة الذين كانوا يدفنون موتاهم في الجزء الشمالي من وسط الجزيرة . وقد عثر فيها على أوان مطلية بلون أصفر بينما استعمل اللون الأخضر في تلوين حواف الأواني ، ووضعت كلها على شكل مقلوب،وثبتت على ظهر القبر وبداخلها رماد ، كما وجدت أطباق بداخلها أطعمة ووضعت بجوار الميت ، مما يدل على اعتقاد الناس في ذلك العهد أيضا بوجود حياة أخرى بعد الموت .

وهكذا اتضحت معالم حضارة دلمون القديمة في أرض البحرين التي كان الناس لايعلمون عنها شيئا ، وأصبحت اليوم حقيقة واضحة ، تبرز الشواهد عليها في كل مكان من البحرين ، وتتضح معالمها يوما بعد يوم مع اتساع أعمال البحث والتنقيب عن الآثار .

أرض المليون نخلة

والبحرين مجموعة جزر منخفضة السطح في معظم أجزائها ، وبعض الأجزاء أعلى من مستوى سطح البحر بحوالي ٦٠ م بينما يبلغ ارتفاع أعلى نقطة رئيسية في البحرين - وهي جبل الدخان الذي يرتفع من نقطة منخفضة كبيرة في وسط الجزيرة - حوالى ١٢٠م فوق مستوى سطح البحر ، ويمتد على طول الشريط الساحلي الشمالي لجزيرة البحرين حتى قلب منطقة المنامة شريط ضيق من الاراضى الخصبة المخصصة للزراعة ، ويضم معظمها حتى الآن العديد من مزارع النخيل والخضراوات . وقد اشتهرت البحرين بشكل خاص كطريق مواصلات ومركز تجاري مهم وممتاز منذ القدم ، وكذلك اشتهرت بثرواتها من السمك واللؤلؤ والنخيل ، حيث يوجد فيها مالايقل عن مليون نخلة ، وظلت كذلك الى أن جاء عصر الكشوف الجغرافية ، واشتداد التنافس الأوروبي على المستعمرات ، وأصبحت البحرين ساحة قتال بين البرتغاليين الذين احتلوها عام ١٥٠٧ وبين البريطانيين .

ان موقع البحرين كجزيرة في وسط الخليج جعلها أكثر انفتاحا على العالم،ومما زاد من أهمية موقعها أنها طريق مواصلات جيد بين الهند من جهة وأقطار الشرق الادنى من جهة أخرى .

ان أي زائر للبحرين اليوم قد تدهشه مظاهر التقدم والعمران ، فبعد أن أصبح النفط من الموارد الرئيسية توالت عمليات البناء والعمران وتعددت ، فأنشيء جسر المحرق الذي يربط بين المنامة العاصمة

والمحرق ، ثاني المدن الرئيسية ، وقد ذكر الرحالة والأديب أمين الريحاني عندما زار البحرين وصفا لطريقة التنقل بين المنامة والمحرق سنة ١٩٤٥ جاء فيه :

كان أكثر النساء والرجال اذا ما أرادوا الانتقال من المنامة الى المحرق وبالعكس يشمرون عن سيقانهم ويخوضون في المياه للانتقال من الشاطيء الى السفن التي تقوم بهذه المهمة الصعبة .

« أمين الريحاني من كتاب ملوك العرب » .

كما بنيت المستشفيات والمدارس والمناطق السكنية النموذجية ، وما زالت معالم النهضة والتقدم تتضح يوما بعد يوم .

يعود تاريخ اكتشاف النفط في البحرين الى سنة ١٩٣١ عندما بدأ حفر أول بئر للنفط وسط الجزيرة ، في وقت كان الخبراء لايعتقدون بوجود تجمعات نفطية كافية ، ومنذ اكتشاف أول بئر للنفط في جبل دخان تتابعت عمليات الحفر والتنقيب ، في الوقت الذي

كان فيه اهتمام آخر مواز بتطوير الوسائل التقنية الخاصة بضخ النفط واستغلال مخزون الأبار ، وعندما بدات شركة نفط البحرين في الانتاج بادرت ببناء خزانات لتجميع النفط ومحطة لتزويد السفن بالنفط الخام وعملت على بناء مصفاة صغيرة .

ومع زيادة كميات النفط المستخرجة بدأ الاهتمام يبرز بصناعات جديدة ، غير تلك التي كانت تعتمد عليها من كاستخراج اللؤلؤ وصناعة السفن

القديمة والزراعة والتجارة .

ان اكتشاف النفط في البحرين كان نقطة تحول جذرية في الاقتصاد البحريني ، فقد أخذت الصناعات الحديثة تجذب اليها العاملين في القطاعات التقليدية ، وبازدياد الحاجة للتصنيع في الستينيات ولتنويع مصادر رقعة القاعدة الانتاجية وتوسيعها كان التوجه لصناعات الألمنيوم والصناعات الأخرى المتفرعة كصناعة رذاذ الألمنيوم التي تقوم بتحويل الألمنيوم المصهور الى مسحوق حيث يستخدم في صناعة الأصباغ والمتفجرات وكذلك صناعات كابلات وسحب ودرفلة الألمنيوم .

ومع نمو الحركة الصناعية في البحرين ، وادراكا من الدولة لما للتنمية الصناعية من دور فعال في عملية التنمية وخطتها الشاملة ، فقد برزت فكرة تخصيص منطقة تقع بالقرب من ميناء سلمان تكون مقرا للصناعات المتوسطة والخفيفة ، ومركزا للشركات التي تتخذ من البلاد منطلقا لخدماتها في مختلف مناطق الخليج ، ومن أهم هذه الصناعات صناعة الورق وصناعة الصابون ، وصناعة طحن الدقيق ، وصناعة الليف المعدني والمسامير والرخام والمفارش وغيرها .

ويبذل في التجارة والزراعة مجهود مماثل لهذا الذي يبذل في الصناعة،فالبحرين كانت ومازالت-بموقعها الاستراتيجي في وسط الخليج العربي ـ محطة تجارية مهمة ، ومركزا رئيسيا للخدمات الدولية ، وكان مازاد من أهمية هذا الموقع الاستقرار الذي حرصت البحرين على توفيره باتباع النظام الاقتصادي الحر ، والتسهيلات التي أتاحتها لبعث النشاط التجاري والاقتصادي لدعم مركزها المالي ، وقد تمتعت البحرين برواج تجارى وازدهار اقتصادي ، فتدفقت عليها رؤوس الأموال ، وترتب على ذلك قيام علاقات تجارية أوسع مع بلدان مختلفة من العالم وكانت كثير من الدول ـ والى عهد قريب ـ تستورد بضائعها عن طريق البحرين ، حيث يعاد تصديرها الى أقطار الخليج،ولكن الوضع تغير اليوم لعدة أسباب أهمها حاجة سوق البحرين لكثير من البضائع التي كانت تعد قديما فائضة ويعود ذلك بالطبع لتغير طرأ على عادات الناس الاستهلاكية ، وتطلب ذلك انشاء موانىء ومرافق تجارية جديدة تواجه هذا الطلب المتزايد على مختلف السلع المستوردة ، وكان أول ميناء أنشىء لهذه الغاية هو ميناء سلمان البحرى ، في عام ١٩٦٢ ويعد منفذ البحرين الى العالم وثغرها الرئيسى ، ولما كان ازدياد البواخر مطردا فقد ازدحم بها الميناء ، واكتظت مستودعاته بالبضائع والسلع ، فكان لابد من توسعته بما يتلاءم مع مقتضيات العصر لكى يكون قادرا على استقبال المزيد من البواخر والناقلات،ويعد ميناء سلمان اليوم من أحدث موانىء الخليج وأكثرها كفاءة .

هنا . . ترسو السفن بأمان

إن احاطة مياه الخليج لجزيرة البحرين احاطة السوار بالمعصم خلقت نوعا من الصلة القوية بين الأرض والانسان والبحر .

وهذه العلاقة أوجدت اهتماما من نوع خاص بكل مايمت للبحر بصلة ، لقد احتضنت البحرين بخليجها الدافىء عبر القرون سفنا وبواخر وأساطيل وناقلات مختلفة الاجناس والأحجام .

لقد كان لهذا التاريخ دور بارز حفر في أذهان المهتمين بتطوير البحرين وتعزيز دورها الملاحى في المنطقة ، فكانت فكرة انشاء أكبر حوض جاف لاصلاح السفن يتخذ من الجزيرة مقرا .

إن صاحبة هذه الفكرة هي الشركة العربية لبناء واصلاح السفن (اسري) وهى شركة تملكها الاقطار السبعة الأعضاء في منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول وهي الامارات ، والسعودية ، وقطر والعراق والكويت ، وليبيا والبحرين .

وقد كان لنا لقاء مع السيد أحمد عبدالله ، مدير العلاقات العامة بمشروع الحوض الجاف ، حيث تحدث الى « العربي » عن نشأة الفكرة وتطورها ، يقول :

كان الحوض الجاف في عام ١٩٦٨ مجرد فكرة ، فقد فكرت (أسري) بانشاء وتشغيل حوض لاصلاح السفن مجهز بجميع المعدات اللازمة ، تتوفر فيه الكفاءة الفنية والسعة اللازمة لارساء ناقلات النفط العملاقة التي تؤم موانىء النفط في الخليج العربي .

ونظرا لما للبحرين من قاعدة صناعية متينة ، ولما فيها من أيد عاملة ماهرة ، اضافة الى موقعها الملائم



● الحوض الجاف أحد الدعائم الأساسية للتعاون الاقتصادي بين الأقطار العربية .

بعيدا عن الأمواج القوية والرياح الشديدة ، ووجود غاطس مناسب ، وحوض كبير يسمح للسفن الضخمة بالحركة ،فقد عهد لشركة«لزناف»البرتغالية في عام ١٩٧٤ بتقديم تصميم شامل لمشروع الحوض الجاف«وللاشراف على الأعمال الانشائية«وتوفير الخبرة اللازمة للادارة ولاعمال اصلاح السفن ، وقد استغرق بناؤه ٤ سنوات بين عمليات ردم الموقع وانشاء جسر ردمي يصل بين المنامة وجزيرة الحوض الجاف وبناء مدارس للتدريب المهنى والاكاديمى ، وافتتح الحوض الجاف وبدأ العمل به رسميا في ديسمبر من عام ١٩٧٧ .

وقد بلغت مساحة المشروع ٥٠٠٠٠ م٢ وطول الحوض الواحد ٣٧٥ م بعرض ٧٥ م وعمق ١٢ م ، ويتسع الحوض لناقلات نفط تبلغ حمولتها الساكنة ½ مليون طن الى جانب رصيفين للشحن ، وورش صناعية لصيانة الناقلات ولاعمال الصباغة والكهرباء«ومخزن كبير لقطع غيار محركات الناقلات ، ويضم ٢٥٠٠ قطعة .

نشأ مشروع الحوض الجاف برأسمال بلغ ٣٤٠ مليون دولار ،وهو اليوم أحدى الدعائم الأساسية للتعاون الاقتصادي بين الدول العربية .

«أسري» تعدّ عمالة عربية

لم تتوقف الجهود عند الحوض الجاف بل استمرت في العمل من أجل اعداد أيد عاملة وطنية«ذات خبرات واسعة في مجال اصلاح السفن على أعلى المستويات ، لذلك خصصت أحد المواقع في الحوض الجاف ليكون مدرسة تدريبية لكل من يرغب في العمل في مجال السفن واصلاحها ، وتولى تعليم الراغبين وتدريبهم مدرسون عالميون في هذا المجال ، وقد لوحظ بعد فترة وجيزة زيادة ملحوظة في عدد الموظفين الذين يداومون في المدارس والكليات والمراكز المحلية تحت رعاية (أسري) لدراسة مواضيع متعددة مثل الهندسة التقنية ، وأجهزة الكمبيوتر والاسعافات الأولية ، بينما أمضى آخرون منهم دورات تدريبية في الخارج ، شملت حقول

الهندسة والادارة والانشاءات في النرويج ، والعراق ، وأبوظبي ، والمملكة المتحدة ، وفي الوقت ذاته فان مزيدا من متخصصي اللحام عندنا أضافوا الى فعالياتهم صفة اللحامين المتخصصين القادرين على انجاز مهمات على اعلى درجة من الدقة ، كما تم تدريب عدد كبير من العرب والبحرانيين للقيام بعمليات ادخال واخراج الناقلة من والى الحوض الجاف ، وهذه العملية قد تبدو سهلة بسيطة للوهلة الأولى ، ولكنها في حقيقة الأمر بحاجة لمناورات دقيقة جدا لكي تتم بنجاح .

وقد ارتفعت شركة (أسري) بمستوى خدماتها ، بعدما أثرت السير قدما في سياسة التعريب في المناصب الادارية بتعيين موظفين من العرب في مراكز شملت رئاسة الخدمات والأقسام،ونحن بانتظار برنامج عمل تعاوني مكثف يصبو الى إيجاد مهارات تخصصية عالية ، والعمل على رفع كفاءة الموظفين على جميع الأصعدة والمستويات ، ولدينا أكثر من تجربة ناجحة في مجال اصلاح السفن ، فقد كانت السفينة (اميروزيانا) الايطالية أول سفينة تلجأ الى الحوض الجاف في البحرين لاصلاحها،أما السفينة (دايفيد باكارد) الامريكية التي بلغ وزنها ½ مليون طن فقد استطاع ملاح بحراني تنفيذ عمليات المناورة وادخالها الى رصيف الاصلاح بمهارة ودقة ، وتمكن من ارسائها بأمان دون أي خدش ، لتستقر فوق قوالب الخرسانة .

كما تم في عام ١٩٨٣ تغيير خمسة رفاصات لناقلة نفط وعابرة محيطات نرويجية ، وصل وزن الرفاص الواحد الى مايقرب من ٧٠ طناً،وعملية الاستبدال هذه غاية في التعقيد والأهمية ، وتتطلب مهارة وصبراً لاينفدان ، ونحن هنا لانعير اهمية للوقت والزمن ، بقدر ما نتفانى في انجاز العمل واعطاء كل سفينة حقها كاملا من الدقة والاتقان .

ويجرى العاملون في الحوض الجاف فحصا كاملا ودقيقا على أي ناقلة قبل دخولها مكان العمل ، وذلك للتأكد من خلوها من المواد النفطية ليتم بعد ذلك اجراء كل مايلزم لها من اصلاحات بأمان تام ولا تزيد مدة اصلاح السفينة وطلائها واجراء الميزانية لها في العادة عن اسبوع واحد ، وتخرج بعدها لتخوض عباب البحار وتتحدى أمواج المحيطات بقوة وصلابة شديدتين .

ويستطرد السيد أحمد عبدالله قائلا : بدأ العمل في الحوض في فترة عانت فيهاصناعة بناء السفن واصلاحها في العالم من الكساد ، وعدم تشغيل كل امكانيات الاصلاح المتاحة ، مما أدى الى زيادة المنافسة ولكن استطاعت (أسري) أن تنجح ، بحيث ظل الحوض الجاف مشغولا بالسفن بشكل شبه مستمر ، وقد تمكنت الشركة من تنظيم طرق عملها بسرعة ، حتى بلغت معدلاتها الانتاجية أرفع المستويات مقارنة بالشركات الكبرى المنافسة والعاملة في مجال اصلاح السفن .

ان ماحققته الشركة من نجاح في مجالات اصلاح السفن خلال الثماني سنوات الأولى أكسب الشركة ثقة أصحاب السفن في جميع أنحاء العالم ، أما اليوم ، وبعد نشوب الحرب العراقية الايرانية ، وزيادة احتمال اصابة السفن ، فقد قل اقبال السفن العالمية على الحوض الجاف ، واقتصرت عمليات الاصلاح على السفن العربية ، والجدير بالذكر ان ٦٠٪ تقريبا من تشغيل الحوض الجاف في (أسري) يعود الفضل فيه الى دعم ومساندة شركات الملاحة العربية .

وقد كان لابد من الاتجاه لصناعة خزانات المياه الضخمة لتغطي احتياجات البحرين ، وليصدر الفائض منها الى أقطار الخليج العربي ، وذلك لتقليل تكاليف استيرادها طالما أن المعدات والآلات اللازمة لهذه الصناعة متوفرة ونحن قادرون على صناعتها محليا بكفاءة واتقان ، ولدينا اليوم مشاريع متعددة مثل مشروع تطوير وتحديث مصافي ميناء الأحمدي وميناء عبدالله في الكويت وبناء صهاريج تخزين ارضية لوزارتي الاشغال ، والماء والكهرباء .

والحقيقة أن مشروع الحوض الجاف لم يعد مربحا اليوم ، ولكننا نستطيع ان نقول أن الربح الحقيقي الذي حققناه فعلا هو تكوين كادر عربي متخصص في صناعة واصلاح السفن .

قد يظن الزائر للبحرين في المرة الاولى انها دولة تتكون من جزيرة صغيرة واحدة ، ولكن بعد يوم واحد على الاكثر تزول هذه الفكرة ليحل محلها افكار كثيرة جديدة خاصة بعد التجول في المدينة والوقوف على أبرز معالمها الحضارية ، فما رأيك بزيارة تصل بها البحرين من فوق جسر المحبة . . جسر المستقبل . □



وقفة تأملية مع
المساجد القديمة في الكويت

إعداد : عبد الغني محمد عبد الله

بعدسة وتعليق : عبد الله عيسى الصالح

المساجد والجوامع هي العمائر التي شيدها المسلمون لأداء بعض شعائر الإسلام ، ورغم أنها من أحجار مرصوصة ، إلا أنها ذات همس وحس ، قديماً وحديثاً ، ومع امتداد العمران في الكويت كان المسجد والجامع والمئذنة ، فذكر الله دائم .

القديم من المساجد كالحديث ، له همس جمالي ، وحس معماري ، أراد بناؤوه أن يتركوا للأجيال التالية تعبيراً معمارياً ، دالاً على أنهم أقاموا عمارة يعبدون فيها الله ، ويسبحون فيها بحمده . وفي الكويت مع امتداد العمران قديماً وحديثاً ، كان المسجد ، والجامع ، والمئذنة ، وكان المصلون ، فذكر الله دائم في القديم والحديث .

الجديد له سحره ، ومعناه ، وقد يأخذنا شكله ، وأساليبه وأنماطه إلى مرحلة الإعجاب ، إلا أن القديم له أيضاً نفس السحر ، والمعنى ، بشرط أن نؤرخ له من خلال الحياة في زمنه ، ونخضع تقييم عناصره للأساليب السائدة وقت إنشائه .

المهتمون بالقديم قلائل ، يستهويهم ، ويشغلون به لاتصافهم بذوق خاص ، يبحث عن عناصر الجمال في القديم ، ومن خلال تقصي الحقيقة والإصرار على الوصول إليها ، بالصبر دون الاهتمام بالشكل الخارجي ، ودائماً لهم حديثهم وذكرياتهم عنه .

المهندس عبد الله عيسى الصالح أحد أبناء الكويت ، يهوى القديم ، ويعطيه وقته واهتماماته ،



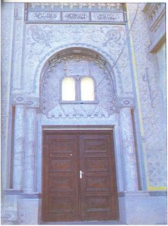
مسجد المطران ـ المئذنة



مسجد القطامي ـ المئذنة

وماله ، فداره في ضاحية عبد الله السالم بالكويت تضم بعض التحف الإسلامية ، بعضها من الخشب المطعم بالصدف ، وبعضها من المعدن . ومن بين ما جمعه صور المساجد القديمة ، وأخبارها ، وتاريخ عمارتها ، وهو من خلال هذه الهواية ينظر إلى المساجد القديمة نظرة خاصة ، ويخشى هدمها أو استبدال عمارتها ، ويرى في عمارتها فلسفة معمارية

ولذا انكب في صبر وتؤدة ، يحفظ هذا القديم بالوصف والصورة ، حتى صار لديه مجموعة كبيرة من صور المساجد القديمة ، وأخبارها ، وذلك بالرغم من قلة شهرة المساجد القديمة في الكويت ، ولهذا لم يتعرف الباحثون على وسائل بنائها ، وأساليب بنائها ، ولم يستطيعوا تقديم ما يشبع رغبة الاختصاصيين في عالم عمارة المساجد ، وطرزها ، ولم يستطيعوا أن يتبينوا تاريخ عمارتها ، ولذلك يكون حديث المهندس عبد الله الصالح حديثاً جديداً ، نتعرف به على وسائل بنائها وأساليب بنائها .





مسجد
السوق
الكبير



مسجد ناهض - المئذنة والليوان

حول قصر السيف

إن مساجد الكويت قديماً بدأت حول قصر السيف ، بجوار البحر ، ثم امتدت العمارة - ومعها المساجد بطبيعة الحال - إلى عمق البر ، وتأسيساً على ذلك الاستنتاج فإن الأقدم هو ما كان بجوار البحر ، والأحدث هو ما ابتعد عنه .

ومساجد الكويت القديمة كانت تبنى بوسائل وأساليب غاية في البساطة ، وإن كان بناؤها لم يخل من فن معماري له قواعده وأصوله ، يرتفع السقف على حوائط بنيت من صخور خاصة ، جلبت من سواحل الكويت ، وأشهر هذه المناطق التي تجلب منها الصخور منطقة « عشيرج » .

وانكب الكويتي على تكسير هذه الصخور الصلبة ، بطرق يدوية خاصة ، ثم تحمل إلى موقع بناء المسجد ، حيث تستخدم في البناء ، وإقامة الحوائط التي تشكل من « مداميك » بهذه الصخور التي تتماسك ببعضها بالطين المستخرج من الأرض الذي تم عجنه بالماء .

والأسلوب الكويتي القديم في تحميل السقف يعتمد على الحوائط ، وتساعدها أعمدة هي عبارة عن كتل ضخمة ، قوية التحمل ، من خشب السندبان الذي كان يجلب من الهند .

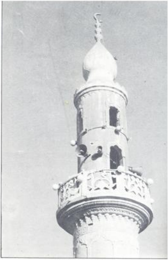
ويجدر بنا أن نلاحظ أن السقف قد بني على عدة خطوات ، أولها مد جسور من الخشب فوق الأعمدة والحوائط ، لتشكل فيما بينها عقوداً مسطحة ، مستقيمة ، تقوم بدور الأقواس في العمارة العادية ، والخطوة الثانية تتمثل في الأعمدة الخشبية ، الاسطوانية الطويلة « الجندل » ذات أقطار في حدود ١٥ سم ، وكانت تجلب في الغالب من أفريقيا . والخطوة الثالثة تتمثل في تعامد أعواد « الباسجيل » فوق « الجندل » ، وهي وصلات من خشب « البامبو » ، وفوق ذلك كله يتم فرش حصيرة « المنقور » لتغطي السقف كله ، وتأتي الخطوة الأخيرة وهي تغطية كل ذلك بالطين ، حيث يتم سد كل الثغرات ، ويراعى الميل لناحية الميزاب لتصريف مياه الأمطار .

أسلوب خاص

هذا الأسلوب المعماري تميز به أهل الكويت القدامى في عمارتهم ، فقد استغلت خامات البيئة المحلية بقدر الاستطاعة ، واستخدمت الطريقة المناسبة للتعامل مع ظروف المناخ السائد فيها .

أما الحوائط فقد كسيت من الداخل والخارج (بالجص) الأبيض ، ومع البساطة في البناء ، وعناصره المعمارية ، لم يخل البناء من بعض الزخارف البسيطة ، وبخاصة على المدخل ، أو في منطقة المحراب ، وأبرز الأمثلة على ذلك هو مسجد (السوق الكبير) الذي كان يمثل المسجد الرسمي للدولة قبل إنشاء المسجد الحالي ، حيث نرى تلك الزخارف النباتية والهندسية والكتابية ، البسيطة التكوين ، الرائعة الجمال .

إن المهندس الصالح من دعاة المحافظة على التراث القديم ، وبأي ثمن ، فهو تراث يجب المحافظة عليه ، وعدم التفريط فيه ، وهو يرى فيما يقوم به من جهد لتسجيل تاريخ هذه المساجد نوعاً من السعي للابقاء على البقية الباقية من القديم ، والحث على ذلك وسط التحديث المعماري في الكويت ، وقد بلغ



مسجد السرحان - المئذنة .



مسجد الخالد - مئذنة ذات قمة كمثرية .

من فرط اهتمامه بالقديم أنه سعى للحصول على نوافذ مسجد المطوع وأبوابه ، بعد أن تقرر هدمه بسبب سوء حالته المعمارية ، وذلك في رأيه خطوة على نفس الطريق للمحافظة على القديم ، ومن رأيه أيضاً أننا فقدنا كثيراً من التراث خلال المرحلة السابقة ، في كل مقتنياتنا رغم بساطتها ، ولم نعرف قيمتها إلا بعد مضي الزمن ، حتى أصبحنا نتمنى لو كنا قد احتفظنا بها كلها أو بعضها .

إن ترك تلك العمائر تندثر بهذه الصورة ، أو تخفى تلك المعالم القديمة بإعادة بنائها ، فيه ظلم للقديم ، وظلم لبنائيه ، ومعظم المساجد القديمة أو كلها كانت تبنى على نفقة بعض العائلات الميسورة الحال آنذاك ، وغالباً ما كان يتم بناء المسجد بالقرب من منطقة سكن هذه العائلة أو تلك ، ومع مرور الأيام يشتهر المسجد باسم الأسرة أو العائلة التي أقامته ، وبعض العائلات أضافت الجهد إلى جانب بذل المال في بناء المساجد ، حيث عملوا بأيديهم في البناء ، وحمل أدوات البناء ، وخاماته ، وساعدوا في عملية الإنشاء بجد وجهد كبيرين ، تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، وتبركاً بتلك المساهمة في بناء بيوت العبادة .

وكما يقول تعالى :

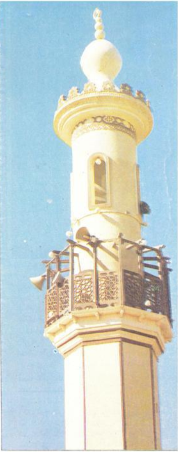
« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

التوبة (١٨)

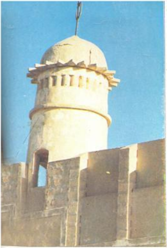
العمارة من الداخل

وكان المسجد يتكون من حوش ينتهي بـ « الليوان » الذي كان عبارة عن ظلة تتقدم بيت الصلاة ، والحوش هو الاسم الذي يطلقه أهل الكويت على ساحة المسجد أو المنزل ، وفي أحد جوانب الحوش تقوم المئذنة .

والخلوة هي الاسم الذي أطلق على بيت الصلاة أو رواق القبلة ، والخلوة حرم مغلق ، يضم المحراب ، وتتخلل حوائطه الخارجية نوافذ متسعة للتهوية



مسجد الخليفة ـ المئذنة .



مسجد سعيد ـ مئذنة ببدن قصير .

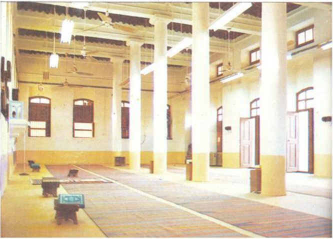
مسجد براك الدماك ـ الليوان .





القرو . لوحة بريشة الفنان أيوب حسين .

مسجد ابن خميس ـ الحلوة .





المهندس عبد الله عيسى الصالح .

والاضاءة ، وبسبب اتساع هذه النوافذ فقد تم إضافة أعمدة من الحديد إلى فتحاتها لتمنع استعمال النوافذ للدخول أو الخروج .

وغلبت البساطة على المحراب القديم في الكويت ، وكان عبارة عن فتحة في حائط القبلة ، يغلق عليها حائط من الخلف ليكون فراغاً هو المحراب ، ويكون مكان المحراب بروزاً في الحائط الغربي للمسجد ، وهو أمر أعطى للمعماري الكويتي الحرية الكاملة في إضفاء السعة والعمق على المحراب .

و « القرو » عند أهل الكويت هو الميضأة ـ وتنطق القاف كالجيم المصرية ـ وقد أبرز المهندس الصالح ذلك خلال وصفه للميضأة التي كانت تلحق بكل مسجد ، وكان « القرو » عبارة عن غرفة صغيرة ملحقة بالمسجد ، بها بئر ماء مالح في أغلب الأحوال ، مثبت فوق فوهته بكرة تتصل بدلو بواسطة حبل يسمح بوصول الدلو إلى مستوى سطح ماء البئر ، ويمكن عن طريق لف البكرة سحب الحبل ، ليأتي الدلو مملوءاً بالماء .

ويرفع الماء إلى خوان علوي صغير ، اسمنتي حيث يمكن تخزين كمية من الماء تكفي لاستحمام شخص واحد ، وللخزان عند قاعدته فتحة صغيرة لها سدادة من الخشب تسمح بمرور الماء ، وتقوم مقام الصنبور ، ويمكن التحكم فيها بواسطة تلك القطعة الخشبية .

وفي وسط غرفة الميضأة (القرو) وبطولها تقريباً ، قناة اسمنتية ترتفع عن الأرض ، ولها فتحات من الجانبين تقوم كل فتحة مقام الصنبور ، ويمكن التحكم فيها أيضاً مثل الخزان ، وبالماء المنسكب من خلال هذه الفتحات يتم الوضوء . وقد أبرز الفنان أيوب حسين صورة « القرو » في لوحة فنية من بين لوحاته عن الحياة في الكويت .

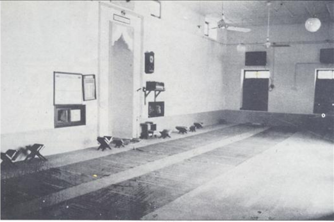
ويلحق بالمسجد دورة مياه ، ومخازن هي عبارة عن عدة غرف صغيرة ، وغالباً ما تكون دورة المياه ، والميضأة « القرو » عند مدخل المسجد ، حتى يكون الداخل للمسجد قد توضأ ، وتطهر .

المئذنة

المآذن القديمة في الكويت كانت ذات نمط معماري مميز ، قد بنيت من الحجر والطين ، معظمها ذات بدن قصير نسبياً ، وإن كانت عناصرها متكاملة (البدن ـ الشرفة ـ القمة) إضافة إلى نوافذ للتهوية والإضاءة ، ودرج للصعود ، ويمكن التعرف على نوعين من المآذن من خلال رأس المئذنة وشكلها العام ، وإن كانت تميزها البساطة والبعد عن التعقيدات ، والنوع الأول منها عبارة عن بدن تغطيه قبة مخروطية ، بقمة ذات زاوية حادة وجوانب متسعة ، بشكل مخروطي لتشكل قبة جالسة فوق البدن (قاعدة متسعة وقمة مدببة) . أما النوع الثاني من المآذن فعبارة عن بدن يحمل قبة ذات قطاع نصف دائري ، أو مدبب ، أو بصلي ، أو بشكل كمثري مضلعة من الخارج في شكل فصوص طولية أو ملساء ، وفوق قبة المئذنة ـ أياً كان طرازها ـ هلال من المعدن فوق عمود معدني قصير ، تزينه بعض الأشكال الكروية أو الكمثرية ، (وقد كان هذا الهلال يصنع محلياً) .

مساجد ومساجد

الحديث طويل ومشوق ، ويعطي الكثير من التفصيل عن المسجد القديم في الكويت ، وما زال هناك الكثير عن تاريخ المساجد ، وعمارتها ، وزخرفتها ، ووسائل إنشائها ، وأساليب بنائها ، وهي معلومات لا يتسع الحيز المتاح لسردها جميعاً ، وقد قدم لنا بعض أسماء تلك المساجد نختار منها الآتي ذكره ، وقد كانت جميعها تقع داخل سور العاصمة .



مسجد ناهض - الحلوة .

اسم المسجد	اسم الشهرة	تاريخ التأسيس	المكان
محمد الجلاهمة	ابن لحيس	١١٨٦هـ	الشرق
بطي بطي الجلاهمة	النصف	١١٩٠هـ	الشرق
صالح الحديثي	الحداد	١١٩٠هـ	وسط المدينة
مبارك « هدم »	مبارك	١١٩٧هـ	وسط المدينة
ياسين القناعي	سرحان	١١٩٩هـ	وسط المدينة
محمد حسين رزق	السوق الكبير	١٢٠٩هـ	وسط المدينة
عبد الرزاق		١٢١٢هـ	وسط المدينة
حنيف التومان	التومان	١٢٢٢هـ	وسط المدينة
مرزوق البدر		١٢٢٥هـ	القبلة
خليفة بن دعيج الخليفة	الخليفة	١٢٢٦هـ	وسط المدينة
يعقوب يوسف الغانم	الخالد	١٢٣٥هـ	القبلة
ملكة محمد الغانم	القطامي	١٢٥٠هـ	الشرق
محمد الحمـدان	حمدان	١٢٦٠هـ	وسط المدينة

إن معظم هذه المساجد ما زالت قائمة تؤدي دورها حتى الآن ، بعضها رمّم ، وبعضها هدم وأعيد بناؤه بشكل حديث ، الكثير الكثير ما زال كما هو ، يحكي قصة هؤلاء الرجال الذين جلبوا صخر البحر ، وقاموا بتكسيره ، وبنوا به بيوتاً للعبادة ، والأسماء كثيرة وعديدة ، مسجد (الناهض) ، ومسجد براك الدماك ، ومسجد هلال ، ومسجد المطوع ، ومسجد سعيد ، ومسجد المطران ، ومسجد الساير ، وغير ذلك كثير ، وما زالت تلك العمائر باقية تثبت لنا أن الأباء والأجداد قد تركوا لنا تعبيراً معمارياً دالاً على أنهم أقاموا عمارة عبدوا فيها الله ، وسبحوا بين حوائطها بحمده . □



حضارات سادت ثم بادت

اعداد : يوسف زعبلاوي

حضارة نارا..

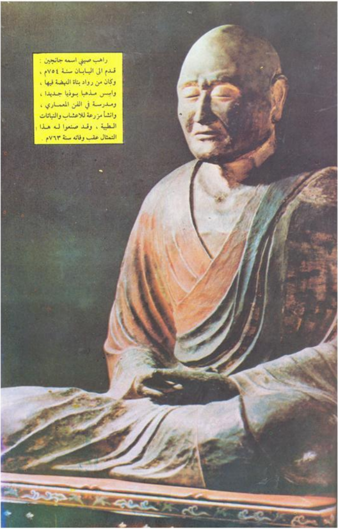
أولى حضـــارات اليـــابان

لعل اليابان هي الظاهرة العجيبة الفريدة بين الدول جميعا ، ولعل الحديث عن حضارتها كيف نشأت ؟ وأين نبتت ؟ ليس حديثا ثابتا في هذا الباب ، ولعل السؤال الذي يطرح دائما ويلح في طلب جوابه هو : هل كانت حضارة اليابان أصيلة أم مقتبسة ؟ ثم كيف نجحت اليابان في تأصيلها ان كانت مقتبسة ؟

من المعتقدات الاسطورية الشائعة في بلاد اليابان أن السماء هي التي خلقت جزر اليابان دون غيرها ، وأنزلتها الى سطح الكرة الأرضية ، ونثرتها في البحر ، بالقرب من ساحل الصين ، والحقيقة هي أن الصين هي التي صنعت اليابان ، صنعتها سكانا وقد كانت جزرا ، غير مأهولة منذ القدم ، حتى استوطنها القادمون من البر الأسيوي ، في الألف الأولى قبل الميلاد ، والصين هي صانعة اليابان حضارة ، وقد بدأ أثرها منذ سنة (١٠٠ ق . م) ، وبقي أثرا محدودا ، وصل الى اليابان عبر كوريا ، ودلت عليه قطع النقود ، والمرايا ، والمصنوعات الخزفية ، والبرونزية التي عثروا عليها في اليابان ، حتى اذا حل القرن السابع الميلادي تحول التعامل التجاري الى استيراد حضاري محكم ومنظم ، وسرعان ما أعقبه اجتياح الصين لليابان اجتياحا حضاريا شاملا ، وهكذا عمد أهل اليابان الى نحت حضارتهم الخاصة نحتا ، وقد توافرت لهم الخامات كلها ، حتى اذا اكتملت أعمال النحت والبناء كانت الحصيلة صرحا يشبه صرح الصين ، ولكنه مختلف شكلا ولونا وصيغة ، انه صرح اليابان الذي ليس كمثله صرح .

في سنة ٦٠٧م ظهرت بعثة اليابان الأولى على عتبات قصر الامبراطور ، (ينجدي) وهو من سلالة (سوى) في الصين . وأراد رئيس البعثة (أونو ـ نو ـ أيموكو) اطراء الامبراطور فقال : « أطيب التحية يزجيها امبراطور البلاد التي تشرق فيها الشمس الى امبراطور البلاد التي تغرب فيها الشمس » وغفل عن القدح الذي انطوى عليه مديحه ، وكادت أن تحل القطيعة بين الدولتين من قبل أن يلتقيا ، خصوصا أن اليابان كانت بمثابة بلد الأقزام في نظر أهل الصين ، ولكن الروية والمرونة حالتا دون تفاقم الموقف ، فنجحت البعثة ، وعاد رئيسها (ايموكو) ، وبصحبته مبعوثان من البلاط الصيني .

وأوفد (أيموكو) ثانية الى الصين ، في السنة الثالثة (٦٠٨م) ، وكان يرافقه هذه المرة جمع غفير من رجال الدين والموظفين والطلاب ، ذلك أن البعثة الثانية لم



راهب صيني اسمه جانجين :
قدم الى اليابان سنة ٧٥٤م ،
وكان من رواد بناة النهضة فيها ،
وابس مذهبا بوذيا جديدا ،
ومدرسة في الفن المعماري ،
وانشأ مزرعة للاعشاب والنباتات
الطبية ، وقد صنعوا له هذا
التمثال عقب وفاته سنة ٧٦٣م .

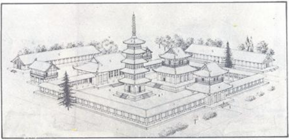


ـ لوحة لأحدى الاميرات ووصيفاتها تعود الى عصر تانج (٦١٨ـ٩٠٢) ،وقد عثروا على هذه اللوحة في أحد القبور الموجودة في ضواحي نارا .

تكن بعثة استطلاع كـالأولى ، وانما بعثـة نقـل واقتباس ، وقد أمر أعضاؤها جميعا بأخذ كل ما يمكن أخذه عن حضارة الصين ، وما أن عـاد هؤلاء بما سجلوه ودونوه حتى ظهرت في اليابان بـوادر نهضتها الأولى ، فقد أعيد تنظيم البلاط الياباني عـلى غرار بلاط الصين ، وسنت الشريعة المكتوبة الأولى التي عرفها تاريخ اليابان ، وقد اقتصرت على (١٧) بندا ، وكانت أقرب الى التعاليم والمواعظ منها الى القوانين ، وغلب عـلى تلك التعاليم والمـواعظ طابـع المذاهب البـوذية والكـونفوشيـة ، الى جانب طـابع مـذهب الشنطوية ، دين اليابان القديم ، والاعتقاد بالارواح المتجسدة في شتى قوى الـطبيعة (كـامى) هو قـوام الشنطوية ، وهـو الاعتقاد الـذي غالبـا ما تجده في الأقـوام البدائيـة ، كالقبـائل التي تختفي في أدغـال (الأمزون)أو مجاهل إفريقيا ، وشتان مـا بين هـذا المذهب البدائي وبين مذاهب البوذية والكونفوشيـة التي جاءت الى اليابـان من الصين ، وقـد نضجت وتشعبت وبلغت ذرى مرموقة في الاخـلاق وسلوك الانسـان .

وتكررت بـعـد ذلـك بـعثـات اليابـان الى الصين ، وبعثات الصين الى اليابـان ، وقد كـانت أضخم وأكبر عددا وأكثر شمولا ، ويذكر أن احدى تلك البعثات الصينية ضمت بين أعضائها الأطباء ، ورجـال الـديـن ، والمنجمـين ، والنحـاتـين ، والرسامين ، والنجارين ، والحدادين ، والخزافين ، الخ ، حتى بلغ عددهم ٥٠٠ رجل ، أو يزيد ، وقد استقر الكثيرون من هؤلاء في اليابان ، وقـرر أهل اليابان أن يكون لهم عاصمة كأهـل الصين ، حقـا كـانت (اسـوكـا) مقـرا لابـاطـرتهم في أكـثر الأحيان ،ولكنها لم تكن العاصمة الثـابتة الـلائقة ، فوقع الاختيار على موقع منـاسب للعاصمـة ، ابان حكم الامبـراطور (جميـو) ٧٠٧ـ٧١٥م، وكـانت الرسوم والمخططات للعاصمة (نارا) بحيث تصبح نظيرة (تانج) عاصمة الصين آنذاك ومـا أسرع أن وضعت المخـططات مـوضـع التنفيـذ ، فكـانت القصور ، والأديرة ، ومسـاكن النبلاء الضخمـة ، وغير ذلك .

وتجلت الانماط الصينية في هنـدسـة (نـارا) العمرانية ، وبلطت أرض الغـرف في المباني العـامة والمنـازل بالحجـارة ، وأقيمت السقوف عـلى أعمدة



- دير (هوريوجي) : دير بوذي بني سنة ٦٠٧م ، على بعد ١٨ كم من مدينة نارا ، ويعتبر هذا الدير أقدم صرح خشبي في العالم .

خشبية مدهونة ، ورصفت ببلاط على غرار ما كانت عليه الصين ، وانشئت الأسواق ، والمستودعات في (نارا) عاصمة اليابان وبدت وكأنها (تانج) أو غيرها من المدن الصينية العريقة .

ثم قرر أهل اليابان أن يكون لهم تاريخ ، فجمعوا أشتات المعلومات القديمة ، وكتبوها بلغة يابانية ، الا انهم دونوها بحروف أهل الصين ، وأدى ظهور ذلك السجل الى قيام حركة أدبية نشطة ، فظهرت مجموعة (مونيوشو) الشعرية وكان قوامها ٤٠٠٠ بيت شعر .

واقتبس أهل اليابان بعد ذلك صناعة الورق والأحبار ، فساعدت على ظهور فن الخطوط اليدوية التي طالما اشتهر بها أهل اليابان .

صادف أن تفشى وباء الجدري في اليابان سنة ٧٣٥ فقضى على أفراد من الأسرة الحاكمة ، فكان لابد من العمل لاسترضاء الآلهة ، بل قل بوذا وقديسيه ، وهم الذين حلوا محل الأرواح الشنطوية القديمة وأدخلوها في معتقدات اليابان البوذية .

وهكذا قرر الامبراطور شومو (٧٢٤-٧٤٩) اقامة تمثال لبوذا ، يكون من البرونز عملاقا ، يرتفع في الهواء١٨مترا ، وقد اكتمل بناء التمثال ، وأحيط بقاعة رحبة.

وفكر أهل اليابان فيما عساهم أن يفعلوا ليستكملوا بناء حضارتهم الجديدة ، فكان متحف (شوسوين) الذي شيدوه سنة ٧٥٦ ، والذي كان من أقدم متاحف العالم جميعا ، ان لم نقل أقدمها اطلاقا ، وقد ضم فيما ضم الأعشاب الطبية ، والمخطوطات المقدسة ، والبحوث التقنية ، واللوحات البوذية ، والآلات الموسيقية ، والأسلحة ، فضلا عن الأواني العديدة .

ويعجب المرء لاصول تلك المحتويات ، فبعضها كان فارسيا ، وبعضها الآخر بيزنطيا أو أوروبيا ، ولكن أكثرها كان صينيا .

بقي أن نشير الى عامة الشعب من أهل اليابان ، مجموعة من السكان يقدر تعدادها بستة ملايين نسمة ، لا يمكن أن تكون كلها أباطرة ، ونبلاء ، ولا بد أن يكون أكثرها من الفلاحين ، والبسطاء ، وهذا صحيح ، وان لم يرد ذكر هذه الكثرة في وثائق ذلك الماضي البعيد ، ولا في شعره وأدبه ، فالنظام الارستقراطي طغى في اليابان ، بحيث بدت الاكثرية وكأنها بهيمية لابشرية ، هذا بالرغم من أن الأباطرة ، النبلاء اعتمدوا اعتمادا كليا على ما زرعه الفلاحون ، وما أنتجه العمال الصانعون .

ونعود مرة ثانية الى السؤال الذي كان يطرح ، ويلح في طلب الجواب عنه ، كيف نجح أهل اليابان في تأصيل الحضارة التي اقتبسوها من أهل الصين ؟!

□



إسمعها
أكثر نقاءً مع توشيبا
صنع باليابان
TOSHIBA
RT-SX85
RT-SF75
BOMBEAT SX85
BOMBEAT SF75
RT-SX55
RT-SF55
RT-675S
RT-170S
RT-75S
BOMBEAT SX55
BOMBEAT SF55
BOMBEAT 675
AUTO REVERSE
BOMBEAT 170
AUTO REVERSE
BOMBEAT 75
MW/SW1/SW2/FM
TOSHIBA

البيت العربي
قسم خاص
مجلة الأسرة والمجتمع

الإحساس بالذنب أو مناورة "التلطيخ بالوحل"



الإحساس بالذنب

أو مناورة «التلطيخ بالوحل»

بقلم : راجي عنايت

من بين المناورات الضارة التي قد تفرضها الأم ـ دون أن تدري ـ على طفلها الصغير ، فتصبح خطة ثابتة في تعامله مع افراد العائلة ، ثم تصبح بعد ذلك خطة للتعامل في حياته المقبلة ، مناورة « التلطيخ بالوحل » وهي تعتبر ـ شأنها شأن غيرها من المناورات الضارة ـ شكلا فاشلا من اشكال التعامل لابد من الانتباه لها والاسراع بالتخلص منها .

الاحساس بالذنب يزرع في نفس الشخص احساسا دائما بالقلق ، وهو احساس موحش مصحوب بمشاعر الفشل وفقدان أي قيمة للحياة . والآلام الناشئة عن الاحساس بالذنب تؤثر على العديد من التصرفات البشرية .

وقد يستخدم الشخص احساسه بالذنب كأداة للتحكم في الآخرين ، وتلجأ الأم في بعض الأحيان الى استخدام الاحساس بالذنب لافزاع طفلها ، وإرغامه على الخضوع لها ، والامتثال لأوامرها . وهكذا يشب الطفل وسط عاصفة من عبارات التأنيب . . « افعالك هذه تصيبني بالصداع » . . او « هل تريدين ان تهدمي هذا البيت بالمشاكل التي تثيرينها بيني وبين والدك ؟ . . او « احترس . . انت ستصيب اختك بعاهة مستديمة اذا ما مضيت تضربها بهذه الطريقة » ، « أنت ولد شرير ، وسيعاقبك الله على ما تسببه لي من معاناة » . . الى آخر هذه الاتهامات المؤلمة .

مناورة تلطيخ الطفل بالوحل واشعاره بالذنب عن طريق القاء اللوم عليه ، غالبا ما تحقق غرضها ، وترغم الطفل على انماط السلوك التي تطلبها منه والدته . ومع ذلك فان استخدام هذا التكتيك كل ساعة وكل يوم في تربية الطفل ، غالبا ما يصيبه بالقلق ، ويجعله رازحا تحت اعباء الذنب ، مما يعرضه لأنواع متعددة من المشاكل العاطفية ، التي تلاحقه حتى بعد بلوغه .

ظاهرة تعاملية :

والاحساس بالذنب ، ظاهرة تعاملية ، اي انه لايحدث للشخص فيما بينه وبين نفسه ، لكن الشخص ينميه في نفسه لأن شخصا آخر يفرضه عليه .

وبمجرد أن يتأسس الاحساس بالذنب في شخص ما ، فمن الممكن ان يصبح صفة لصيقة بشخصيته . فالاحساس بالذنب الذي ينشأ نتيجة للتعامل مع شخص آخر او مع اشخاص آخرين ، يمكن ان يصبح صفة خاصة ثابتة ، بحيث يحمل الشخص ذنبه هذا ، وهمومه من جراء ذلك الاحساس بالذنب ، الى كل علاقة بشرية جديدة يمر بها . فالشخص الذي زرعت في نفسه مشاعر الاحساس بالذنب خلال سنوات طفولته ، يميل الى الاحساس بالذنب عندما تنشأ مشاكل في حياته الزوجية ، او في عمله ، أو بين اصدقائه ، او غير ذلك من احتكاكاته بالآخرين .

وهو في كل مرة يسأل نفسه السؤال الخاطىء « ما



هو يا ترى الخطأ الذي ارتكبته ؟ » بدلا من أن يسأل نفسه « ما هو الخطأ في العلاقة التي بيني وبينه ؟ والسؤال الاول خاطيء لأنه عادة ما يمنع الانسان من حل مشاكل تعامله مع الآخرين باعتبار أنه مصدر الخطأ المجهول . فالمشاكل غالبا ما يكون مصدرها كل طرف من طرفي العلاقة ، وربما يكون مصدرها الطرف الاخر بشكل أساسي .

أداة تحكم :

وقد يستخدم الطفل زرع الاحساس بالذنب كأداة للتحكم في والديه . ويغلب ان يحدث هذا عندما يكون الوالدان معرضين للاحساس بالذنب ، نتيجة خلل عاطفي يحملان جذوره منذ طفولتهما . يساعد على هذا ان الأب والأم في الوقت الحاضر ، على عكس الاب والام في الجيل الاسبق ، يكون لديهما الاستعداد للاحساس بالذنب تجاه اطفالهما عندما تنشأ أي مشكلة . . ثورة غضب لطفل في الثانية من عمره ، او تصرف جنسي غير لائق من ابن السابعة عشرة من عمره . . عادة ما يسأل الوالد نفسه هذه الايام « ما هو الخطأ الذي ارتكبته ؟ » . . كيف أسأت تربية ابني ؟ » أما الوالد منذ ثلاثين او اربعين سنة ، فقد كان غالبا ما يسأل نفسه » ماذا سأفعل لكي أعيد هذا الابن ثانية الى سواء السبيل ؟ . . كيف اقنعه بأن تصرفه هذا معيب ؟ . . » هذا التغير في تفكير الآباء ، يكون له تأثيره الكبير على تكوين شخصية الطفل .

النجاة من المحاسبة :

وبصرف النظر عن سلامة هذا الموقف من الناحية النظرية ، فان استعداد الأباء المعاصرين للاحساس بالذنب نحو مشاكل ابنائهم قد اشاع بين الابناء ممارسة مناورة « التلطيخ بالوحل » . ما أسرع ما يتشمم الطفل قدرته على التحكم في والديه بالقاء تبعه أخطائه عليهما . ويتدرب على اعذار من قبيل« لقدفعلت ذلك لاني كنت خائفا منك » . . أو « انت الذي دفعتني لفعل ذلك » . . تلك الاعذار التي غالبا ما تشيع الشلل في ارادة الوالدين ، وتمنعهما من اتخاذ الاجراء المناسب .

وهكذا يتحول انتباه الوالدين ـ قسرا ـ من التركيز على ذلك التصرف المعيب الذي ارتكبه الطفل ، الى البحث في سلامة موقفهما ، بوحي من احساسهما بالذنب . ونتيجة لذلك ، ينجو الابن من محاسبته على فعلته . وعندما يتكرر هذا الموقف في تربية الطفل ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، يتأسس لديه بشكل ثابت في شخصيته استخدام الاحساس بالذنب كنمط في تعامله مع الناس .

أنت كذاب :

دعنا الآن نوضح طبيعة هذه المناورة من خلال المشهد التالي الذي يدور بين الأب والأم وابنهما سعيد الذي بلغ الرابعة من عمره ، والذي أصبح غالبا ما يمارس مناورة « التلطيخ بالوحل » .

سعيد : (لابيه) انت كذاب !

الأم : سعيد . . لا يليق ان تقول مثل هذا لابيك .

سعيد : انتما تقولان ذلك لبعضكما .

الام : اننا نادرا ما نفعل ذلك . . لكنك اصبحت تردد مثل هذه الاقوال طوال الوقت .

سعيد : اذا كنتما تقولان ذلك . . لماذا لا أفعل مثلكما ؟

الأب : (للام) لابد لنا أن نكون اكثر حرصا فيما نقوله امام الاولاد .

الام : (للاب) فعلا . . لابد ان نكون نموذجا طيبا لهم .

لاحظ في هذا المشهد ، كيف انه سرعان ما غابت تماما المشكلة الرئيسية وهي سب سعيد لأبيه ، عندما تمكن سعيد بمهارة من تحويل الاحساس بالذنب الى والديه ، ومن صرف انتباههما عن سلوكه السيىء الأخير ، الى سقطاتهماالعارضة القديمة . وفي اغلب الأحوال ، سيواصل سعيد ارتكاب نفس الخطأ في المستقبل ، ناجيا من العقاب بنفس المناورة .

الفاصوليا المؤلمة :

في المشهد التالي نرى كيف استطاع سعيد أن يقوم بمناورته على صورة أخرى :

الأم : سعيد . . كل ما في طبقك من فاصوليا .

سعيد : انها تسبب لي ألما في بطني .. لماذا ترغمينني على أكل أشياء تؤلم معدتي ؟
الأم : الفاصوليا لا تؤلم المعدة .
سعيد : لماذا اذن أذهب الى دورة المياه كثيرا اذا اكلتها .. بل انني أتقيؤها في بعض الأحيان ؟
الأب : (للأم) انواع الاكل على المائدة كثيرة يا عزيزتي .. ربما كان الولد لديه حساسية خاصة بالنسبة للفاصوليا .
سعيد : (منتصرا) لا افهم لماذا ترغمينني على أكل الفاصوليا .
الام : هل تحب ان تأخذ بعض السلطة الخضراء ؟
سعيد : اعتقد ذلك ..

ليس عدلا :

وتنويعات مناورة « التلطيخ بالوحل » تأخذ اشكالا متنوعة ، احدها يمضي هكذا :
الأم : سعيد .. كفاك تحطيماً للأشياء .. آنية الزهور هي ثالث شيء تحطمه هذا الاسبوع .
سعيد : لم اقصد ذلك .. لقد حدث رغما عني .
الأم : على أى حال يجب أن تكون حذرا .. وعقابا لك ستحرم من مشاهدة التلفاز هذا المساء .
سعيد : هذا ظلم .. اتعاقبينني على شيء حدث رغما عني ؟ أمن العدل أن اعاقب على شيء لم اقصده ؟ ..
الأب : (للأم) عزيزتي .. انه مجرد طفل في الرابعة .. فالذين في مثل عمره يكسرون الاشياء عادة ..
سعيد : وانتما تعاقبانني دائما على أشياء صدرت رغما عني .
الأم : (للأب) فعلا ، ليس من المناسب ان نعاقبه على أشياء طبيعية تحدث لمن هم في عمره ...
سعيد : (منتصرا) هذا ليس عدلا .. لايجوز ان اعاقب على شيء لم اقصده ..
الأم : ربما تكون على حق ...
الأب : ولكن يجب أن تكون اكثر حرصا يا سعيد .
سعيد : ساحاول يا أبي .
الأم : لن نعاقبك هذه المرة .. لكن اذا كسرت شيئا آخر ، فسأحرمك من مشاهدة التلفاز لمدة يومين .

ويعلم سعيد ان هذا مجرد تهديد فارغ .. لانه تعود على ممارسة مناورة « التلطيخ بالوحل » على مدى عامين ، بنجاح كبير ..

نعم .. نتآمر :

والآن سنطرح نفس المشهد بافتراض أن والدَيْ سعيد قد ادركا المناورة التي يقوم بها .. سيمضي الحوار كما في المشهد السابق حتى يقول سعيد :
سعيد : هذا ظلم .. اتعاقبينني على شيء حدث رغما عني ؟ أمن العدل أن اعاقب على شيء لم اقصده ؟ .
الأم : اسمع ياسعيد هذه الطريقة التي تتبعها بالقاء اللوم علينا كلما ارتكبت خطأ لن تستمر بعد اليوم .
سعيد : (مبهوتا) هيه ؟!
الأم : ألاحظ أنك تعودت على لومي ولوم والدك على ما تخطيء فيه .. لقد انتهى ذلك .
سعيد : أنتما معا تعاقبانني دائما على أشياء لا أملك فيها شيئا .
الأم : لن يفيدك هذا بعد الأن .. لن نسمح لك بأن تمضي في القاء الوحل علينا ، كلما ارتكبت خطأ .. حتى اذا حاولت ذلك ، فلن يجديك نفعا .
سعيد : انتما تظلمانني .. انتما تعاملانني بقسوة .. انتما ..
الأم : (مقاطعة) ها أنت تعود ثانية الى القاء الوحل .. أنا لست كاملة ، ولا أحد يكون كاملا .. بل ربما اكون مخطئة في بعض الاحيان ، لكن القاء تبعة كل خطأ ترتكبه علي والديك لن يستمر بعد ذلك .. هذا لن يفيدك .. ولن يفيدنا .
سعيد : (وقد بدأ يبكي عاليا) .. أبي .
الأم : ولا فائدة من التجائك اليه .. لقد ناقشنا هذا الموضوع معا ، واتفقنا على ذلك . لن نسمح لك بعد ذلك بالقاء اللوم علينا .
الأب : والآن اذهب الى حجرتك لمدة نصف ساعة يا سعيد .. وفكر جيدا فيما قالته والدتك ..
سعيد : أنتما تتآمران علي ..
الام : نعم : لكي نساعدك ...

وبهذا تصل أيام ممارسة سعيد للمناورة الضارة الى نهايتها .. مما يعود بالفائدة عليه وعلى والديه . □

هو ....

تطور

لايريد أن يتطور ، سيظل حبيس أفكاره وتقاليده وعاداته ، وكثيرا ما حاولت أن أغير منه وأطوره .. واقول كيف يجب أن يتصرف ويرتدي ويتحرك ، ولكنه يصر على الا يغير عاداته الموروثة من أيام الفقر .

عندما تزوجنا كانت مواردنا محدودة ، وكنا ضمن رقم كبير يطلقون عليه الأسر المستورة الحال ، التي لا تملك في الحياة الا عائد عملها ، وساعدتنا الظروف . سافر زوجي وعمل بالخارج سنوات طويلة ، اجتنى فيها اموالا كثيرة وعاد الى الوطن ليتاجر في الطعام والسلع الغذائية ، وتوالدت الاموال بسرعة ، بدلنا السكن الذي كنا نقطن فيه الى سكن آخر في حي ارقى ، وجيران أكثر ثراء ، وحديقة حول المنزل بدلا من منزلنا القديم الذي كان الاولاد يلعبون فوق درجاته فيزعجوننا دائما . وجاراتي لايثرن اعصابي مثل جارات الزمن الماضي ، فلا يتحدثن عن تربية الاولاد ولا عن الطهو ، ولا عن مصروف البيت ، ولا يأتين لاقتراض ثمرتي بندورة أو ملعقة سمن . صارت ايام حياتي أكثر رخاء ، وصارت احلام الأمس قابلة للتحقيق .. كل ما كنت أراه وأحلم به ، وما كان يفتنني الى حد الهوس ، صار ممكن التحقيق ، سهل



المنال ، ولكنه لايشعر بهذا التغير الذي حدث في حياتنا ، ولا بهذه النقلة التي انتقلناها ، ولا بهذا المجتمع الجديد الذي اصبحنا ننتمي اليه ، صحيح انه قد عدّل من مظهره كثيرا ، ولكن ليس الى درجة الاناقة الكافية ، ورغم ان اوضاعه المالية قد تحسنت كثيرا الا انه لا يعطي لكثير من المظاهر الضرورية حقها . اقول انه ينبغي ان يكون لديه عدد مناسب من البدل والقمصان واربطة العنق بحيث يرتدي مساء مالم يرتده في الصباح ، كما ينبغي أن يكون لدي من الفساتين والحلي ما يسمح لي بالا اكرر نفس الملابس في فترة قصيرة ، واعترف بانه قد اطاعني في تحقيق افكاري هذه ، وساعدني على ذلك ، انه لم يكن يسألني كثيرا عما افعل بالنقود التي أطلبها ، الى أن كان خلاف بيننا ، طلبت منه نقودا لأشتري ثلاثة فساتين جديدة ، وعندما احتد بسبب طلبي (المتواضع) هذا ، اوضحت له أن لدينا ثلاث مناسبات اجتماعية ، وانا لا استطيع ان اظهر في أي منها الا بفستان جديد ، ثار وهاج .. واسمعني كلاما جارحا ، واخذ يترحم على ايام مضت .. وتحدث عن السفه والتبذير وعدم دوام النعم ، وقال أشياء كثيرة تنم عن عقله الذي لم يتطور وعاداته التي لم تتغير .. ادركت ان اي محاولة لتطويره ستضيع عبثا ، وانه سيظل حبيسا للافكار التي ترعرعت أيام فقره .. تركته وأدرت رقم هاتف محل الازياء وطلبت من البائع ان يرسل لي الفساتين على البيت ويرسل الفاتورة اليه بالمكتب .

هي

هي....

هوس

كأنها فقدت ذاكرتها ، فانقطعت صلتها بكل ما كان في حياتها من قبل ، وانطلقت في هوس محموم تشتري كل ما يلزمها وما لايلزمها ، لم تعد أبدا كما كانت ، وكأن تغير حالنا ونعمة الله التي غمرتنا بها اصابتها بمس من الجنون . كانت ايامنا التي مضت رغم قسوتها حينا ، فيها احساس لا يعوض . . كنا نشعر اننا بشر ، لنا مشاعر وعلاقات حميمة . . في أمسيات الصيف او الشتاء . كنا نجتمع نحن سكان البناية في منزل واحد منا ، نحكي ونتسامر ونتعاطف ويحمل كل منا هم الآخر وحلمه ، وكنا ايامها قادرين على الحلم ، فقد كان هناك دوما شيء لا تستطيع الحصول عليه ، وشيء تحلم به ، وتغير الحال ، نسيت ايامنا الماضية ، تنكرت لجيراننا الذين كانوا في مكانة الاهل ، ارتبطت بصداقات جديدة تتحدث عن (الموضة) ، وانتقاء اماكن الاصطياف ، عن المجوهرات والحلي ، حتى حياتنا الخاصة امتدت اليها يد غريبة ، فقد اصرت ان ينام كل منا في غرفة ، فقد رأت بعض صديقاتها الجدد يفعلن هذا ، واصبح حديثي معها يجب ان يكون وفق قواعد ومواعيد ، ففي الافطار لايتناول حديثي هموم الاولاد ومشاكلهم ، فقط تخبرني عن برنامجها الصباحي ، وماذا ستعد على الغداء ، ويجب بعد ذلك أن اقرأ الجريدة وانا اتناول افطاري . . حاولت ان افهمها انني لا اعرف الجمع بين القراءة والطعام ، ولكن دون جدوى . . وبدأت المشاجرات تزداد حدة بيننا ، حاولت ان اضع في رأسها بأن نعمة الله علينا يجب ألا تنسينا ماضينا واهلنا وأصدقاءنا . . وان الاغراق في التقليد الغبي لطبقة اخرى كفيل بأن يجعل منا مادة تندر لأبناء هذه الطبقة ، واقول لها ان صديقاتها يبتسمن اثناء محاولتها الساذجة استخدام مصطلحات اجنبية ، وان طريقة نطقها للكلمات تنبىء بعدم معرفة لأية لغة ، ولكنها تتهمني بالتخلف والغيرة ، وانني أغار منها لأنني غير قادر على أن اطور نفسي مثلها ، واصبح الحوار بيننا مستحيلا ، وخاصة ان هوس الشراء يزداد عندها يوما بعد يوم ، وانبهارها بالمجتمع الجديد الثري يزيد من تصرفاتها حماقة ورعونة ، ومنذ يومين ثارت واحتجت لأنني اعترضت على رغبتها في شراء ثلاثة فساتين جديدة لكي تحضر ثلاث مناسبات متتالية . . فهي ـ حفظها الله ـ لا تريد ان يراها الناس بفساتين سبق أن رأوها بها . . وكل مناسبة تأتي تشتري لها فستانا خاصا ، وعندما ازدادت ثورتي اتصلت بالمحل طالبة منه ان يرسل لها الفساتين ويرسل لي الفاتورة ، ولكنني لن ادفع الا بعد أن أجعل البائع يكره اليوم الذي باع لها فيه ، فلا يرسل لها شيئا بعد الآن .



هو

من الحياة

"بين الآباء والأبناء" الصّداقة أقوى وأبقى

بقلم : منير نصيف

لماذا نصطدم بهذا الجدار العالي الذي يقوم بيننا وبين أبنائنا في سن المراهقة ؟ هل نستطيع الوصول الى قلوبهم . وكيف نصل ؟

كانت تشعر بفشل كل محاولة تقوم بها لاسعاد ابنائها . . وكان هذا الشعور يتزايد يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى ، فقد كان الابناء يكبرون . . كانوا يمرون بأحرج مرحلة في حياتهم . . فقد بلغ أكبرهم سِنّ المراهقة ، وبدأ أخواه الصغيران يقتربان منها بخطا سريعة . . لقد تغيروا ، انهم لم يعودوا أطفالا كما كانوا بالامس القريب . . انها تعرف ذلك . وتدرك تماما ماذا يعني بلوغ الطفل هذا السن ، ولكنها لاتدري لماذا يبتعدون عنها . . ؟ لماذا لايستمعون اليها . . ؟ انها تريد أن تمد اليهم يدها . . تريد أن تساعدهم ولكنهم يعرضون عنها ، وكأنهم لايرون تلك اليد الحانية الممدودة اليهم . .

ولم يكن الاب دائما هناك ، فقد كان مشغولا عن بيته وأسرته بعمله الذي يستغرق كل نهاره وجزءا كبيرا من الليل . . كان بعيدا عنهُم وعن مشاكلهم ، الا لانه يريد أن يبتعد ، ولكن لأنه لم يكن يجد الوقت الذي يستطيع أن يعطيه لهم . . حتى عطلة نهاية الاسبوع التي تنتظرها الأسرة ، كل أسرة ، لم يكن ينعم بها مثل بقية الآباء . . فقد كان واجبه يدعوه الى الذهاب الى المستشفى الذي يعمل فيه لعيادة مرضاه . . كان طبيبا ناجحا ، وكانت هذه هي بعض ضريبة النجاح .

ولم تشأ الأم أن تثقل على زوجها ووالد ابنائها . . كانت تشفق عليه وهي تراه عائداً من عيادة متعبا ، فلا تلبث أن تنسى كل متاعبها هي . . وكانت النتيجة أن ظل الاب بعيدا عن هموم اسرته ومشاكل أبنائه .

ولكن الام مالبثت أن احست بأنها غير قادرة على الاستمرار في تحمل المسؤولية وحدها . . فقد كانت تشعر انها تفني شبابها وصحتها وحياتها من أجل ابنائها ، فهي ماضية في السهر على راحتهم وتربيتهم واعدادهم للمستقبل ، ومع هذا فهي تشعر أن كل الجهود التي تبذلها من أجل اسعادهم لا تلبث أن تصطدم بهذا الجدار الذي كانت تراه . ويعلو ويعلو كل يوم حتى أصبح حاجزا يفصل بينها وبين عالمهم الجديد الذي يخطون فيه وحدهم ، في قلق وثورة على البيت وعلى المجتمع الصغير والكبير الذي يعيشون فيه .



وانتوت الام امرا ، حملت متاعبها وذهبت تطرق باب احد اصدقاء زوجها ، وهو زميل له في المستشفى الذي يعمل به ، وقد تخصص في علاج الامراض النفسية ، وخاصة تلك التي يعاني منها الشباب في هذه السن المضطربة .. سن المراهقة . وجلست الام تروى له متاعبها : « انني في حيرة ياسيدي ، لا ادري ماذا افعل .. انهم يرفضون نصائحي .. انهم يعيشون في عالم آخر لا يمت الى عالمنا بصلة .. انني قلقة مضطربة لا اعرف من أين ابدأ،ولا كيف امضي في هذا الطريق الذي امتلأ بالشوك الذي أدمى قلبي . انني أشعر في بعض الأحيان انني غريبة عنهم ، أو هم غرباء عني .. حديثي اليهم اصبح شيئا مملا لايريدون أن امضي فيه .. حتى الطعام الذي اقدمه لهم اصبحوا يعرضون عنه .. لم اعد اعرف شيئا عن حياتهم خارج البيت،وفي المدرسة أو حتى في نزهاتهم ولهوهم .. التقارير التي تصل من المدرسة تقول ان مستواهم في هبوط مستمر .. أنت ادرى بظروف والدهم،وعمله الذي يأخذ كل وقته .. قل لي ماذا افعل،فقد بدأت اعصابي تنهار،وأنا ارى ابنائي يسقطون في هذه البئر السحيقة ، وأنا عاجزة عن انقاذهم !

***

وتكلم الطبيب : « ان ما يقع فيه الشباب يا سيدتي من اخطاء في هذه السن ، هي في واقع الحال ، ليست باخطاء كما تتصورين ، وانما هي نتائج لأعمال وتصرفات جاءت حصيلة لتفكير سريع متهور،بعيد عن النضج والروية ..

لابد لنا أن ندرك حقيقة هامة ، وهي انه يجب الا نتوقع ان يأتي الينا أبناؤنا بمتاعبهم ، فقد اثبتت الدراسات التي اجريت على الشباب والفتيات في هذه السن التي تضطرب فيها المفاهيم عندهم أن نسبة ضئيلة لا تتجاوز العشرين في المائة منهم ، يلجاون الى الأباء طالبين الصفح ، ساعين وراء التوجيه والارشاد .

« واذن فالاغلبية يا سيدتي تتصرف وفقا لما يمليه عليها تفكيرها .. أو لما يقدمه اليها غيرها من

الاصدقاء والزملاء .. وتكون النتيجة أن يجد الآباء انفسهم وجها لوجه امام الاخطاء التي يرتكبها الابناء ، وقد استبد بهم القلق،وهم يرون ابناءهم يسيرون في طريق الألم والدموع !

ويكمل الطبيب حديثه ، والام جالسة امامه تستمع في صمت واهتمام : « ولكن حتى في هذه المحنة ، يجب الا نفقد الامل ، فالتسليم بالامر الواقع ، والخضوع للهزيمة يقتل الامل في نفوسنا ، ويقضي على كل رغبة لنا في الاستمرار في الحياة .. وقد لاتعلمين ياسيدتي ان كثيرين من هؤلاء الذين ضلوا الطريق في صباهم دخلوا التاريخ بعد ذلك من ابوابه الواسعة !

« السؤال الآن هو ماذا يفعل الآباء ليجنبوا ابناءهم طريق الضلال ، ويحولوا بينهم وبين الانحراف والفشل ؟

« ان الوقاية لا تأتي الا عن طريق العلم .. وعلى عاتق الآباء وحدهم تبصير الابناء بحقائق الحياة وامورها في مرحلة المراهقة .. ولكن كيف ؟ وما هو الاسلوب الذي يجب ان نلجأ اليه في نقل تجاربنا وخبرتنا الى رؤوسهم المضطربة التي تزدحم بكل المتناقضات ؟

ان اكثر ما يكرهه الشاب في هذه السن هو أن يشعر بأنه يقف أمام شخص نصب نفسه وصيا عليه .. فهو لا يريد هذه الوصاية ، لانه يشعر في داخله انه اصبح رجلا .. وحتى الفتاة المراهقة تريد بدورها ان تسمع دائما ما يؤكد لها انها قد اصبحت امرأة مكتملة النضج والانوثة ..

« ومن هنا يبدأ دور الابوين .. فأي تصرف من جانبهما يجعل الابناء يشعرون انهم يعيشون في عالم آخر لايمت الى العالم الذي يعيش فيه الكبار بصلة ، يدفعهم الى التمرد والثورة .. فنحن الذين نخلق عندهم هذا الشعور ، ولذلك فلابد ان نساعد ابناءنا على الاحساس دائما بأن مشاكل الحياة واحدة ، وكما ان لهم مشاكلهم فللآباء ايضا مشاكل ربما تختلف في طبيعتها وتفاصيلها ، ولكنها في النهاية مشاكل لاتقل خطورة ولا اهمية عن المشاكل التي تعترض حياتهم ..

المهم في هذا كله أن يعمل الآباء على تنمية الشعور بالثقة في نفوس ابنائهم ، وان يعاملوهم كما يعامل الكبار وان يشجعوهم على التفكير حتى ولوجاء خاطئا غير متزن ، فاذا بدأنا في تصحيحه لهم ، حرصنا على صياغته في شكل اقتراح ، لا امر يجب أن ينفذ ويطاع !

* * *

« وهل استطاع الكبار أن يخلصوا انفسهم من مشاكل الحياة ؟ ان الشباب اذا اخطأ ، فهو خطأ ناتج عن تفكير غير ناضج ، وهو امر يختلف اختلافا تاما عن اخطاء الكبار واسبابها ودوافعها .. ثم أليست الحياة بعد هذا مجموعة من العقد والمشاكل والازمات ؟ وان متاعب الانسان هي أول مظهر من مظاهر وجوده وانفعالاته ، واكبر دليل على انه حي ؟

ولم ينته الطبيب من حديثه بعد ، فقد قال : « ثم لا تنسى أن المبالغة في الشعور بالقلق لأي شيء ، ولابسط شيء يصيب الشاب يجعله في هذه السن يشعر بأنه قد عاد طفلا من جديد .

ويروي الطبيب قصة أم جاءته يوما يصحبها ابنها الذي لم يكمل بعد عامه الرابع عشر ، وكانت تبدو قلقة مضطربة وهي تتحدث اليه في عصبية ظاهرة ، وتشكو من سوء تصرفات ابنها ومعاملته لها ، فهو يرفض نصائحها ويهرب منها ، ويهرب من نفسه ومن الناس ، وهي في حيرة من امرها،لا تدري ماذا حل بهذا الصبي الذي بدا وكأنه يريد أن يتحدى العالم كله !

ثم يقول : « وتطلعت الى الابن ورحت ارقبه دون ان يلحظ نظراتي اليه ، فوجدته يجلس في هدوء على مقعده ، وكأن شيئا مما تقوله الام لايعنيه من قريب أو من بعيد .. ولكن ما حدث في الدقائق القليلة التالية ، كان كافيا لان يفسر لي سر المشكلة القائمة

بين الام وابنها .. فقد سعل الصبي فجأة ، وهبت الام واقفة وأمرت يدها الى رأسه تداعب شعره ، وانحنت تطبع قبلة على جبينه في محاولة لمعرفة ما اذا كان يشكو من ارتفاع درجة حرارته ، ثم قالت تسأله في لهفة : هل اصبت بالبرد يا عزيزي ؟ دعني اتطلع الى وجهك وعينيك .. يجب ان نعود حالا الى البيت لاوفر لك الدفء ، لابد ان تستريح في الفراش !

ولكن الابن بقي جالسا صامتا في مقعده لم ينطق بكلمة ، وكان كل ما فعله هو ان رفع يده في هدوء ليبعد يد أمه عنه ، واخيرا تكلم ، قال : « لست مريضا يا امي . ولست في حاجة الى الراحة كما تقولين ، ارجوك ان تتركيني وشأني ! وانهى الطبيب قصته : « ولم اكن في حاجة بعد ذلك لادرك الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء تصرفات الابن ومعاملته لامه .. ان لهفتها عليه هي السبب .. انه يكره أن يرى امه تعامله كما كانت تفعل وهو طفل صغير .. انه يريد ان يقول لها انه كبر ، وانه اصبح رجلا .. وهو يريد ان يسعل دون ان يقدم لامه تفسيرا لما فعل .. ولكنها ترفض ان تتركه يغيب عن عينيها لحظة واحدة ، فهي تريد ان تعرف اين يذهب ، وماذا يفعل ، وكيف يقضي وقت فراغه .. ؟ انها ترقب كل تصرفاته منذ اللحظة التي يصحو فيها من نومه في الصباح حتى يعود لفراشه بالليل لينام .. فهي امه ، وهي مربيته ، وهي معلمته وطبيبه الخاص » ولايمكن لاحد ان يلوم الأم على مشاعرها نحو ابنائها ، ولهفتها عليهم ، ولكن الذي يجب ان تتعلمه كل ام هو ان تفعل كل هذا دون ان تجعل ابناءها يشعرون بأنهم قد اصبحوا ملكا لها .. انهم اشبه ما يكونون بالشعوب الصغيرة التي تسعى الى الاستقلال والحرية ..

ان الابناء في هذا السن المضطربة الحرجة يتغيرون تغيرا جذريا وهو تغيير ذهني وعاطفي ونفسي .. انهم يتحولون الى نماذج أخرى من البشر لا تمت الى النماذج الصغيرة التي عرفها آباؤهم في طفولتهم بصلة .. وفي هذه القفزة الى مرحلة المراهقة لا يكفون عن محاولاتهم للتخلص من تلك الصورة الماثلة امامهم .. صورة طفولتهم بين احضان آبائهم ..

ان الابناء في مراهقتهم يعتبرون المساعدة تدخلا في شئونهم،وينظرون الى اهتمام آبائهم بهم وبحياتهم الخاصة على انه عودة الى سني الطفولة ، أما النصيحة ، مهما اختلفت المناسبة التي تقوم فيها ، فهي في رأيهم ، محاولة من جانب الأباء للسيطرة عليهم من جديد !

* * *

كيف يكون التعامل مع الابناء اذن في هذه السن المضطربة ؟

يجيب علماء النفس : « اذا كنا حقيقة نريد أن نجنب انفسنا الدخول في معارك مع هؤلاء الذين نحبهم،ونعمل ونعيش من اجلهم،فلا بد لنا من ان نكون اصدقاء لابنائنا .. لابد لنا ان نعاملهم كما نعامل اصدقاءنا خارج البيت .. فاذا قامت هذه العلاقة بين الآباء والابناء ، استطعنا أن نفعل معهم كل ما نريد ان نفعله دون أن ندعهم يشعرون للحظة واحدة أننا نفرض عليهم آراءنا .. تماما كما يفعل الطبيب الذي يقدم لمريضه حبة الدواء المر في غلاف من السكر !

الصداقة بين الآباء والابناء أقوى وابقى من كل علاقة أو رباط . □

■ العالم صغير ... مهما كانت مساحته كبيرة .
اذن ... لماذا لانعيش فيه بسلام ؟

من أغنية تترية قديمة

بين عامين

عام بأكمله أوشك أن ينصرم ، زاد عمرنا عاما ، ونقصت أعمارنا عاما ، بأيهما نبتهج : بالعام الذي زاد ومر ، وأضاف إلى رصيد سِنيّ حياتنا رقما ، أم بالعام الذي نقص وخصم من المتبقي لنا رقما ؟

عام يرحل بكل خيباته ، وهزائمه ، وأفراحه ، وأحزانه ، ليفسح مكانا لعام جديد ، لاندري ماذا ينتظرنا فيه ؟ وماذا يحمل لنا ؟ أكثر من جيل في وطننا العربي الواحد يحمل ذات الهم ، ونفس القلق ، والاحباط ، فمازالت الهموم كما هي ، والتطلعات كما هي ، والأحلام كما هي ، حتى أحلامنا الصغيرة تتآكل ، بفضل قسوة الأيام وحدتها ، ولم تعد الأيام عظيمة ، ثائرة ، هادرة كما كانت ، ومع مرور الأعوام تنتهي أحلام ، ورموز ، لم يعد حلمنا القومي كما كان ، ولم يعد مبدعونا كما كانوا ، ولا كتابنا ، ولا قادة الرأي ، ولا حتى ظروف حياتنا اليومية بأسعارها ، وأخلاقها ، وتعاملها .

ثمة تغير حاد يحدث في وطننا العربي كله ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وهو تغير يمس عصب حياتنا ، وأطرافها . قيم تتبدل ، وتعقيدات حياة تتراكم ، وأزمات تحتدم ، ونزاعات تتوسع ، ولايبدو في الأفق حلم واضح بالخلاص،إلا أمل واحد لاطريق غيره، هو أن يستمر جيل كامل في التضحية ، وينسى أحلامه ، وأمانيه ، ويهب عمره لجيل فتيان وفتيات قادم ، ويعصر جيلنا عمره كي يعلم هذا الجيل القادم ، ويوسع مداركه ، وآفاقه ، ويرقى بذوقه ، ووجدانه .

فليتعلم الجيل القادم أن الاقتصاد هو مخ السياسة ، وأن من يطعمك يمكنه أن يقهرك ، وليعرف أن الفن هو ارتقاء ، وثقافة ، والثقافة هي التي تمنح الانسان قدرة على فهم أوسع ، وأعمق ، لحركة الحياة حوله . جيل بأكمله عليه أن يعوض عن قصور مؤسسات التربية والتعليم التي تكتظ بالطلاب ، وعن نقص المدرسين المؤهلين ، فيجعل من المنازل قاعات تعليم مستمر ، مدركا خطورة ترك جيلنا القادم فريسة لأجهزة التلفاز ، ووسائل الاعلام اليومية ، تأكل عقله ، وتشكل ثقافته ، ورؤيته . جيل بأكمله مطلوب منه أن يفتح حوارا ، ونقاشا ، مع الجيل القادم ، ويعلمه ، أن الحوار هو جسر انتقال الأفكار بين العقول الناضجة المتحضرة ، وأن الاقناع العقلي هو الفارق الحقيقي بين عقل الانسان وقوة الحيوان . على جيل بأكمله أن يهب عمره ، وخبرات حياته ، وفشل احلامه ، إلى الجيل القادم ، كي لا نتحسر بعد ذلك على أعوام مضت .

محمود عبدالوهاب

طبيب الأسرة



قضايا منزلية

المسهّلات والمليّنات

لقد احتلت قضية الامساك ركنا مهما من أركان الطب القديم ، حينما كان الأطباء القدامى يرون في الامساك مرضا تصدر قوائم الأمراض ، غير أن الطب في هذا الزمان قد عزل الامساك عن زعامة الأمراض ، اذ اعتبره عرضا لأمراض لا مرضا قائما بذاته .

ومن هنا أقفل الطب الحديث خزانة المسهلات والملينات ، ولم يعد لها موضع في علاج الامساك ، بل اتجه أطباء اليوم الى معالجة السبب ، لامعالجة العرض .

والمسهلات تستعمل أصلا للتخلص من الكتلة البرازية المستعصية على الخروج ، سواء لصلابتها ، أو لوجود عائق مؤلم ، أو ربما لوجود آفة ما في المستقيم أو الشرج .

وربما استعملت الملينات في أعراض شتى ، خلاف ما ذهبنا اليه ، مثل منع الزحار ، أو في أحوال فتق البطن ، تلافيا لزيادة الضغط المصاحب للاخراج المعتاد .

كما انها قد تستعمل عند ارتفاع ضغط الدم العالي ، وفي الفترة الأخيرة للحمل ، وقبل العمليات ، أو مع مرض انسداد الشرايين التاجية للقلب ، هذا بالاضافة الى عادة استعمال المسهلات عند بعض الناس ، الذين يعتقدون بصحة غسيل الأمعاء بين حين وآخر .

والمسهلات يقسمونها حسب تأثيرها الى ثلاثة أنواع رئيسية هي : :

أولا المسهلات المريحة ، وهي التي يكون تأثيرها من خلال « تحرش » القناة الهضمية ، وزيادة حركتها ، مما يؤدي الى سرعة دفع محتويات الأمعاء .

هذه المسهلات قد يصاحبها مغص شديد ، وتؤدي عادة الى اسهال حاد ، وهي انواع شتى منها : أ ـ المسهلات الغلوكوسيدية : وأهمها السنامكة والصبر والكاسكارا .

ب ـ المسهلات الراتينية : واشهر ما يعرف منها هو الحنظل .

ج ـ المسهلات الزيتية : التي يشتهر منها زيت الخروع .

د ـ المسهلات الأخرى التي تضم الفينوفثالتين والبسكوديل .

ثانيا : المسهلات الحجمية التي يعتمد تأثيرها على زيادة حجم محتويات القناة الهضمية .

ومن أشهر أنواعها ما يلي

(أ) المسهلات الملحية : وهي أملاح غير عضوية لاتمتصها الأمعاء ، لهذا فهي تمتص الماء من الأمعاء ، مما يسبب اسهالا مائيا ، وأشهر هذه المسهلات ما يعرف باسم الملح الانجليزي ، أو ملح ابسوم الذي يتركب من كبريتات المغنيسيوم ، وأكسيد المغنيسيوم .

(ب) المسهلات الغروية : وهي مواد تمتص الماء وتنتفخ ، فتملأ تجويف الأمعاء ، وأشهر ما عرف من هذا النوع من المسهلات هو الاغار والسليلولوز (الخشب) .

ثالثا : المسهلات الملينة المطرّية : وهي التي تعمل من خلال تزييت القناة الهضمية ، فتلين محتوياتها ، ومن ثم يسهل مرور الكتلة البرازية ، كما هو الحال مع زيت البرافين وزيت الزيتون أو زيت القطن .

ومع توفر المسهلات والملينات وتعدد الأنواع ، فإن الطب الحديث عزف عن استعمال تلك المواد الا عند الضرورة القصوى ، وهي غير مستحبة ، لما لها من تأثيرات جانبية ضارة ، هذا الى أنها تعالج القضية شكلا لا موضوعا ، ويمكن طرح حجة الطب الحديث في إعراضه عن المسهلات والملينات في النقاط التالية .

أولا : يمكن احلال وسائل طبيعية تعالج السبب ، بدلا من هذه المسهلات الضارة التي تعالج الأعراض فقط .

ثانيا : ان أغلب المسهلات تؤدي الى التعود والادمان ، لأنها تضعف عضلات الأمعاء التي تتواكل على المسهلات في عملها .

ثالثا : المسهلات تمنع امتصاص المواد الغذائية المهمة ، مثل الفيتامينات والأملاح المعدنية .

رابعا : المسهلات تضر بالتوازن الحيوي في الأمعاء .

خامسا : المسهلات تؤدي عقب استعمالها الى حالة من الامساك (امساك لاحق) ، ويمكن في هذا المقام عرض خصائص بعض أنواع المسهلات الشائعة الاستعمال في البيئة العربية .

الصبر

عصارة جافة لنوع من نبات الصبر الذي ينمو في افريقيا وجزر الهند الغربية ، وهي تلون البول بلون أحمر ، يبدأ تأثيرها بعد ٨ - ١٢ ساعة من تناولها ، ولكنها قد تلهب الأمعاء والكلى ، كما لا ينصح باستعمالها عند الحمل أو مع الرضاعة ، أو الاصابة بالبواسير ، أو تضخم البروستاتا .

السنامكة

هي اوراق جافة ، أو ثمار نبات يسمى خيار شنبر ، وهو مسهل شائع في الأقطار العربية ، وله تأثير حاد يفرغ الأمعاء دفعة واحدة ، لهذا فان مغصا شديدا يصاحب استعماله ، وجرعته المعتادة ما بين نصف غرام وغرامين فقط .

الحنظل

هو اللب الجاف لنبات الحنظل . . مسهل « مخرش » يسبب مغصا وقيئا واسهالا مائيا شديدا ، ولكنه نادر الاستعمال ، لأنه قد يؤدي الى الهذيان والاعياء الشديد .

زيت الخروع

هو زيت بذور الخروع الذي ينحل في الأمعاء ، فينطلق منه حامض اسمه الريسونوليك المهيج ، فيحدث الاسهال فيما بين ساعتين الى ثماني ساعات ، وجرعته مابين خمسة الى عشرين سنتيمترا مكعبا ، ولكن الزيادة منه لاتزيد من قدرة الاسهال أبدا ، هذا الى انه محظور على مرضى قرحة المعدة ، لضرره بسبب تأثيره المهيج على غشاء الأمعاء المخاطيء .

الملح الانجليزي

انه ملح شائع الاستعمال ، ولا تمتصه الأمعاء ، لهذا فانه يحتفظ بالماء ، كما يمتص الماء من جدار الأمعاء ، وبهذا يملأ البطن وينشط الحركة الدودية ، ومن هنا يجب شرب كميات كبيرة من الماء لتعويض الجسم ما ينقصه منه ، ولما كان هذا الملح شديد المرارة والملوحة ، فقد تضاف اليه بعض الملحيات ، ولكنه أقل المسهلات ضررا على أية حال .

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة

● خ . أ . م . الجيزة ـ القاهرة :
ـ عمليات تجميل الأنف يفتي فيها جراح التجميل ، ولا نظن أنها تتعارض مع التعاليم الاسلامية ، فالله سبحانه جميل يحب الجمال .

● السيد الفاضل محمد ـ المغرب :
ـ أنت شاب غزير الشعر على ما يبدو (مشعراني) ولا حيلة لك الا حلاقة شعر الرقبة كما تحلق ذقنك ، فليس هناك ما ينفع لازالته على الصورة التي تنشدها .

● السيد محمد ابراهيم محمد علي/ فاقوس ـ مصر :
ـ يحسن بك استشارة أخصائي في الأنف والأذن والحنجرة ، فربما كان هناك التهاب في الأنف ، وخصوصا في جيوبك الأنفية .

● الانسة ر . ر . ت . أ . ـ الجماهيرية الليبية :
ـ لسقوط الشعر أسباب متعددة لا يمكن الحكم عليها الا بالكشف الطبي ، وربما تكون المعاناة وهما لا حقيقة ، لهذا يجب استشارة اخصائي الأمراض الجلدية .

● السيد م . م . م . ـ القاهرة :
ـ من الأفضل أن تشاور طبيبا مختصا في الأنف والأذن والحنجرة من المشهود لهم بالمهارة والخبرة من أساتذة كلية الطب ، والأمر أهون مما تتصور .

● الأخت فاطمة ابراهيم ـ عمان ـ الأردن :
ـ من الأفضل أن تستشيري طبيبا آخر لاجراء اختبار جديد ، فلم تقتنع بنتائج الاختبار الأول .

● السيد/ م . ل . فاس ـ المغرب :
ـ علاج اثار حب الشباب (حب الصبا) التي تشوه الوجه قد يفيدها عمليات صنفرة الجلد أو كشطه ، يتولاها جراح تجميل مختص ، وقد حققت درجات عالية من نسبة النجاح .

● الأخت أ . أ . ـ مراكش ـ المغرب :
ـ ألم الأسنان عند شرب الماء البارد دليل على تلف الأسنان دون جدال ، وهذا يتطلب استشارة طبيب الأسنان للكشف وعمل اللازم .

● السيد محمد بن حسن العمر ـ معرة النعمان ـ سوريا :
ـ نأسف اذ نقول أنه لا يوجد مفصل صناعي دائم على الصورة التي تشتهيها . □

البحث عن الزمن .. سيظل دائما محور حياة الانسان .. فكل شيء في هذه الحياة له حساب وتوقيت .. وفي هذا المقال رأي جديد حول الزمن .. صورته .. وطبيعته .. وفلسفته.

الزمن.. ذلك اللغز الغامض

بقلم : عبد الأمير المؤمن

البحث في مسألة الزمن أمر شاق ، لأنه لا يخضع للمقاييس العلمية التجريبية ، شأنه شأن القضايا الميتافيزيقية الأخرى التي تقع في الجانب المظلم من الوجود . فكما لم يستطع الباحثون الاجماع على أصل الجاذبية،وكنه الكهرباء،ومسألة الروح وغيرها من القضايا التي تقع فيما وراء الحس ، لم يستطع الفلاسفة والعلماء أن يقدموا صورة واضحة عن حقيقة أو طبيعة الزمن ، بل كل الذي استطاعوه أن أثاروا نقاطا غامضة تراكمت أمام الباحثين ، لتولد تعقيدات أكثر للأجيال اللاحقة من العلماء والمفكرين .

كلنا يعيش الزمن ويحس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والسنين ، وخصوصا عندما تكون حاسمة ، أي متميزة بحدث مسر أو محزن ، فالمسر قصير والمحزن طويل ، وهما نقطتان زمنيتان واضحتان في الخط الزمني الذي يعيشه الانسان .

وكلنا يحس به من خلال التتابع والتغيرات الطبيعية التي تتحرك حوله ، البناء ، الهدم ، النمو وغيرها .

وكلنا يحسب حساباته بالزمن ويبني آماله على المستقبل .

وكلنا يدركه بالفطرة والحدس ....

ولكن .. لا أحد يستطيع أن يحدد طبيعته ، ويحدد الفواصل التي تربط بين نقطة وأخرى من نقاط الزمن المتسلسلة ، الماضي والحاضر والمستقبل ، وهل تختلف مكونات هذه النقاط الثلاث عن بعضها ؟ وأين الماضي ، وما هو الحاضر ، وما معنى المستقبل الذي لم يقع بعد ؟ وما هي أصغر نقطة من نقاطه المتسلسلة ؟ وكم تستوعب منه ، وهل تتحد به ؟ وتتعقد الأسئلة لتصبح أكثر عسرا على العقل عندما تثير أمورا من قبيل : هل للزمن وجود حقيقي أم أنه مجرد فرض ؟ وإذا كان وجوده حقيقيا ، فمتى كانت البداية ومتى ستكون النهاية ؟ وماذا قبلها ، وماذا بعدها ، أي هل هناك زمن قبل الزمن ، وزمن بعد الزمن ؟

الحركة والزمن

لقد وقف الانسان ضعيفا أمام هذه التساؤلات منذ القدم ، منذ أن بدأ يفكر ويتفلسف ، لاحساسه بغموض طبيعة الزمن من جهة ، ووقوعه تحت تأثيره هو وماشيته ومزرعته وكل ممتلكاته من جهة أخرى . فبدأ يفلسف هذه الظاهرة . فالفلاسفة الطبيعيون

الذين سبقوا سقراط ، ربطوا بين الحركة والزمن ، ورأوا أن ماهيته تقوم في الحركة . وهي نظرة سليمة بالرغم من بساطتها ، أما أرسطوطاليس ، فقد توسع في هذا المفهوم ، فلاحظ أن الأجزاء التي يتألف منها الزمن : أحدها كان ولم يعد الآن موجودا ، والثاني لم يأت بعد ، والثالث لا يمكن الأمساك به ، فأجزاؤه أعدام ثلاثة ، وما يتألف من أعدام يبدو من المستحيل أن يشارك في الوجود . والمراد من الأجزاء الثلاثة - كما هو واضح - الماضي والمستقبل والحاضر . وقد وصفها بالأعدام لأنها غير واضحة لديه ، وبالتالي من الأمور المستحيلة . هذا وقد تأثر بفكرة الحركة وعلاقتها بماهية الزمن ، ففي تعريفه له ، جاء مقدار عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر . وبهذا ربط بين الحركة والزمن باعتباره عددا للحركة ، لأن في الحركة تقدما وتأخرا ، وهو تعريف غير دقيق ، لأن التقدم والتأخر لا يكونان الا بافتراض وجود الزمان مسبقا .

وعلى هذا فالمعلم الأول(أرسطو)وهو أشهر اسم في تاريخ الفلسفة اليونانية،لم يستطع ان يقدم لنا صورة واضحة لطبيعة الزمن ، ولو انتقلنا الى الفلاسفة الاسلاميين لوجدنا صورا أخرى من الاجابات نتيجة للتطور الحضاري الذي عاشوا في ظله . فمحمد بن زكريا الرازي وهو فيلسوف وطبيب اسلامي (٨٦٤-٩٢٣م) يصف الزمان بأنه جوهر يجري ، وفرّق بين نوعين من الزمان ، المطلق وسماه « الدهر » ، وهو أزلي وفي حركة دائبة ، والثاني « المحصور » وهو زمان حركات الأفلاك والشمس والنجوم ، وقد أراد بهذا التمييز أن يبين أن حركة الكواكب والنجوم هي المظهر الخارجي والواضح للزمن ، بينما حقيقته أعمق من هذه المظاهر بكثير . أما ابن رشد الفيلسوف العربي الأندلسي (١١٢٦-١١٩٨م) فيرى أن الزمان ليس عرضا لأية حركة وانما عرض لحركة السماء الأولى فقط .

وفي العصر الحديث كرس هنري برجسون الفيلسوف الفرنسي (١٨٥٩-١٩٤١) - وهو أشهر من بحث هذه المشكلة حديثا - جهودا كبيرة لهذه المسألة،فلا يخلو كتاب من كتبه من البحث في مسألة الزمن . وقد ميز بين نوعين من الزمن : الزمن الحيوي ويسميه « المدة » وهو المدة الحقيقية ، كيفي لا متجانس ينفذ بعضه في بعض ، والثاني « الزمن



الفيزياوي » وهو مقياس للطول على غرار المكان ويتسم بالكم والتجانس وعدم النفوذ.

الغموض واحد

هذه نماذج قليلة من الأجابات الكثيرة التي قدمها الفلاسفة كتفسير لمسألة الزمن ، وهي مقتطفة من العصر اليوناني والاسلامي والحديث ، كأمثلة لحضارات مختلفة . وقد اتفقت جميعها على أن الغموض واحد رغم المئات من السنين الفاصلة بين عصر وآخر ، وكأنهم اتفقوا على النتيجة رغم اختلاف التفاصيل ، فالمتأخرون كرروا ذات المشاكل الرئيسية التي طرحها المتقدمون ، الا أن نتائجهم خلقت مشاكل أعقد ، وأسئلة أكبر ، مما جعل الجميع يشتركون في العجز ، والوقوف صفا واحدا أمام هذا السر الغامض . ولقد ربط جلهم الزمن بالحركة وعدّوها عنصرا هاما وأساسا متينا لبحث هذه المسألة . ولكن هذا الربط لم يستطع إسعافهم بإجابات شافية ، ووضع حلول للمعضلات التي أثاروها ، فكان على العلماء أن يقوموا بالمهمة لما حقق العلم من إنجازات عظيمة في الفترة الأخيرة ، وبالرغم من أن العلم لم يكن يملك إجابات شافية ، الا أن نيوتن - العالم الفيزيائي الانجليزي - استطاع أن يضع مفهوم الزمن في قالب علمي واضح في هذا النص : « ان الزمن الرياضي الحقيقي المطلق ،

بنفسه وبطبيعته الذاتية ، يجرى بالتساوى دون أية علاقة بأى شىء خارجى » . في هذا النص لم يأت نيوتن بجديد يقلب به المفاهيم التقليدية ، فهو كمن سبقه من العلماء والفلاسفة ، يؤمن بأن الزمن وحدة مطلقة ، يجرى بالتساوى في جميع أرجاء الكون .

وفي أوائل القرن العشرين ، بدأت ثورة على المفاهيم الفيزيائية القديمة . فبعد أن ساد الاعتقاد أن الكون تحكمه أبعاد ثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) طلع علينا البرت اينشتاين العالم الفيزيائى الألمانى (١٨٧٩ـ١٩٥٥) ليقول : « ان هناك بعدا آخر ، بعدا يختلف لونه عن الأبعاد التقليدية الثلاثة ، هو الزمن ، وقد تداخل في الكون بشكل غامض ليكون بعدا رابعا مع أبعاده الثلاثة » وقد اعتبر هذا الزمن نسبيا ، وليس مطلقا ، كما كان معروفا . وبهذا قلب كل النظريات والأراء التى وضعها الفلاسفة والعلماء في هذا الصدد .

ومعنى نسبية الزمن ، هو عدم جريانه بالتساوى في الأماكن المختلفة فلكل مكان زمانه الخاص ، الذى يختلف به عن غيره ، فنكون أمام عدة أزمنة في هذا الكون . ونحن لم نشعر به لولا حركة الأرض حول نفسها ، وحركتها حول الشمس ، وقد اصطلحنا على الحركة الأولى ، باليوم ، وقسمناه الى اجزائه (الساعة ، الدقيقة ، الثانية) والحركة الثانية اصطلحنا على تسميتها بالسنة (ومقدارها ٣٦٥ يوما وربع اليوم) وهذه المقادير الزمنية تختص بالأرض ولا تنطبق على سواها . فلكل كوكب من مجموعتنا الشمسية يومه الخاص وسنته الخاصة ، ففي عطارد يصبح اليوم (وهو دورته حول نفسه) ١٨٠ يوما ، وسنته (وهى دورته حول الشمس) ٨٨ يوما من ايامنا . وفي زحل يصبح اليوم عشر ساعات ، و ١٢ دقيقة ، وسنته ٢٩,٥ عاما من أعوامنا ، وهكذا في بقية كواكب هذه المجموعة ، والأجرام السماوية الأخرى .

الماضى عبر الحاضر

كل شىء في الكون ، في حركة دائبة ، ومع حركته يحمل زمنه ، وكلما كانت الحركة أسرع كان الزمن أبطأ ، وعندما تصل الى سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية) يتوقف الزمن ويصبح صفراً ، فلو افترضنا ان المستقبل أسعفنا بصاروخ تقترب سرعته من سرعة الضوء ، واتجه به رواده نحو (الفا قنطورس) وهو نجم يبعد عنا حوالى ٤,٥ سنة ضوئية ، فان سريان الزمن يكاد يتوقف بالنسبة لهم ، فاذا عادوا الى الأرض ، اكتشف أهلها ان أعمار الرواد لم تزد شيئا يذكر ، قياسا الى الأرض التى سجلت حوالى ٩ سنوات من عمرها . فأين اذن الثمانى سنوات في عمر هؤلاء ؟ لقد اختزلتها السرعة .

ولو افترضنا ان الصاروخ انطلق بسرعة الضوء (وهى فرضية غير ممكنة لأن الجسم يتلاشى في هذه السرعة) لما ازدادت أعمار الرواد لحظة ، ولأصبح زمنهم صفرا في أثنائها ، وهو أمر غريب ، لم تقبله عقولنا التى اعتادت على الزمن الأرضى . ليست السرعة وحدها تبطىء الزمن ، بل تشاركها الكتل الكبيرة . ففي المشترى ـ مثلا ـ يجرى الزمن أبطأ مما يجرى على الأرض ، وفي جرم أكبر منه يصبح الزمن أكثر بُطْئاً وهكذا .

أما الماضى والمستقبل فلم يعدا حالتين ، حالة مضت وانتهت ، وحالة لم تأت بعد ، بل حالتين يمكن أن تتداخلا مع الحاضر . فالأحداث التى تقع في الأجرام السماوية لا نستطيع أن نراها حين وقوعها ، وانما بعد أن يصل الضوء بسرعته الهائلة الى الراصد الأرضى ، وحينئذ يرى هذا الراصد الماضى ، وهو في الحاضر ، فاذا حدث حادث في القمر ، فلا يعلم بوقوعه إلا بعد ثانية وثلث الثانية ، وفي الشمس بعد ٨ دقائق ، وفي نجم (الفاقنطورس) بعد أربع سنوات ونصف السنة ، وفي نجم يبعد عنا مليون سنة ضوئية ، لا نرى الحادث الا بعد مليون سنة وهكذا . وبهذا سيرى الراصد من الأرض ، حال هذه الأجرام المرصودة ، لحظة انطلاق الضوء منها لا اللحظة التى وصل منها الينا ، ومعنى هذا انه يرى الماضى عبر الحاضر الذى هو فيه .

ولو تصورنا أن راصدا رصد أرضنا من منطقة قريبة من نجم الفاقنطورس فسيرى ماضينا (قبل أربع سنوات ونصف) وليس الحاضر الذى نحن فيه ، فالحاضر بالنسبة لنا ولشمسنا لا يعنى الحاضر بالنسبة له ، وانما هو مستقبل .

وبهذا ارتبكت النظرة التى قدمتها الفلسفة والعلم ، وبات على المعنيين بمسألة الزمن أن يعيدوا النظر في كثير من الاجابات التى سبقت النظرية

النسبية . لقد طرقت هذه النظرية أمورا غريبة على عقل الانسان ، وغيرت كثيرا من المفاهيم الثابتة ، عن الكون وظواهر الكون ، فبعد السنين الطويلة من القناعة الراسخة بمطلقية الزمن . . . طلع علينا اينشتين ليقول انه نسبي ولا وجود للزمن المطلق .

ولكن هل أجاب على كل الأسئلة المطروحة ؟ بالطبع لم يجب ، ولكن قدم لنا شيئا مهما ، ومهما جدا ، فتح به بابا من الممكن أن يفتح أبوابا أكثر إثارة . فبعد أن كانت الفيزياء الكلاسيكية مقتصرة على الأبعاد الثلاثة ، أدخل بعدا جديدا يختلف نوعا عن تلك الثلاثة ، وهو بعد لا يخضع للمختبر والأدوات العلمية التقليدية ، فكان لزاما على العلم أن يضيف هذا العنصر رغم غموضه كأداة ضرورية ، في سبيل الوصول الى نتائج دقيقة . وبهذا اقترب العلم في بعض جوانبه من الفلسفة .

قبل اكتشاف البعد الرابع ، كانت الابعاد التقليدية الثلاثة هي المرتكزات الأساسية لكل التطورات العلمية منذ الخليقة ، وهذه التطورات كانت بطيئة جدا قياسا للزمن الهائل الذي استغرقته ، بينما بلغ التطور العلمي رقما قياسيا بعد اكتشاف هذا البعد الجديد ، قياسا الى ثلاثة ارباع القرون التي مضت عليه . مما يدل على أننا في أول الطريق ، وامامنا - على مايبدو - أبعاد اخرى تنتظر عقلا كبيرا يحل بها المعضلات التي لم تحل بعد . وفي هذا الصدد وجد علماء الرياضة ان بعض الحقائق لايمكن شرحها الا بعد افتراض سبعة ابعاد أو أكثر .

القرآن والزمن

مما سبق يتضح أن طبيعة الزمن سر يلفه الغموض ، أثارته الفلسفة قديما ووضع العلم له في أوائل القرن العشرين اللمسات الأولى ، ولكننا كمسلمين لا بد أن نشير - ولو اشارة مجملة - لما يقوله القرآن الكريم في هذه المسألة .

من المعلوم أن القرآن قد اشار الى عدد كبير من المسائل التي لا تدخل المختبر ، أشار اشارات مجملة دون أن يدخل في التفاصيل ، وقد يصل الاجمال الى حد يقف الباحث معه أمام بحر لا محدود من الاحتمالات والتصورات ، فالآية الشريفة « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » لم تكشف ماهية الرؤية ، ومدى عمقها ليصبح البصر إزاءها حديدا ، ولم تحدد أي بعد هذا الذي يكمن وراء الانكشاف . ولكن لا شك أن عالما جديدا ، عالما أوضح ينتظر الانسان بعد أن ينبثق من أسار الجسد ، ليدخل عمقا كونيا جديدا يرى ما لا عين رأت ، ويسمع ما لا أذن سمعت ، يختلف في كل شيء عما ألفه ، فالأرض غير الأرض ، والسماء غير السماء ، والنجوم غير النجوم ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في الآية الشريفة في سورة إبراهيم « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » وبتفصيل أكثر في سورة التكوير « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت » .

وطبيعي أن يتبع هذا التغير تغير في الزمن لأننا نستنتج أن تلك الحياة لا تمت الى الحياة الأرضية بصلة ، فلا نعرف أين مكانها ، وكم من السنين الضوئية تبعد عنا ، وما هي طبيعة وحجم وسرعة الكتلة المكانية التي تحتضنها . وهي أمور - كما عرفنا - تحدد هوية الزمن وتميزه عن الأزمنة التي تنتسب لأماكن أخرى .

اذن لا بد أن يكون هناك زمنان ، لاختلاف طبيعة الحياتين ، وقد جاء في القرآن الكريم في وصف يوم القيامة من حيث طوله في سورة السجدة « ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » أي أن ٢٤ ساعة في مكان ما تعادل ألف سنة أرضية ، وهذا الفرق الهائل بين مقدار ذلك اليوم واليوم الأرضي ، يتفق والنظرية النسبية التي قالت بوجوده في كوننا الواسع ، فالظروف المختلفة بين جرم وآخر تحمل أزمنة مختلفة أيضا . اذن كيف بنا بعالم نجهله تمام الجهل ؟

لكي نقترب من فهم الفرق بين المقدارين الزمنيين ، لا بد من فرض بعد او ابعاد جديدة تضعنا على عتبة الطريق . فاذا كان اكتشافنا للبعد الرابع قد هتك بعضاً من أسرار الكون ، فلا بد من اكتشاف أبعاد اخرى لكشف الأسرار الأكثر عمقاً والأكثر غموضاً . لكننا مازلنا في بداية الطريق ، وما قاله العلم في أوائل القرن العشرين أشار اليه القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي يوم نزل على صدر محمد ﷺ مما يدل على أن الانسان رغم انجازاته الكبيرة مازال بطيئاً جداً في مسيرته العلمية إزاء أسرار الكون اللامحدودة والبحر المتلاطم من الألغاز المتداخلة . □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٧
ديسمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي ١٣٠٠٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٧ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يناير ١٩٨٧ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٧

١ - « حكاية مملة » قصة شهيرة ، قديمة ، ، ظهرت في روسيا سنة ١٨٨٩ . ترى من هو كاتبها ؟
* تولستوي ؟
* دوستويفسكي ؟
* انطون تشيكوف ؟

٢ - أين يعيش إنسان الثلج الوحشي ، أو الجيتي ، كما يسميه أهل المنطقة التي يعيش فيها ؟
* في كينيا على سفوح جبل كليمنجارو ؟
* في سويسره على سفوح جبال الآلب ؟
* في نيبال على سفوح جبال هملايا ؟

٣ - اشتهر ابن خلدون بكتابه « المقدمة » ، كما هو معروف ، وقد سماه بهذا الاسم لأنه كان بالفعل مقدمة لكتاب آخر ، وإن كانت مقدمة طويلة ، تملأ مئات الصفحات . فما اسم الكتاب الذي قدم له ابن خلدون « بمقدمته » « تلك ؟

٤ - رتب الدول التالية من حيث اعتمادها على الطاقة النووية في محطات توليد الكهرباء :
الولايات المتحدة الامريكية .
الاتحاد السوفيتي .
بلجيكا .
السويد .

« تستطيع الاجابة عن هذه الأسئلة بالرجوع إلى أعداد العربي الصادرة في سنة ١٩٨٦ »

٥ - (لابو لابو) : هو اسم البطل الذي خاض معركة حامية في مياه شواطيء بلاده ، وذلك في ٢٧ ابريل سنة ١٥٢١ ، وقد نجح (لابو لابو) هذا في قتل أحد كبار المستكشفين الاوروبيين في تلك المعركة . فمن هو هذا المستكشف ؟ وأين قامت تلك المعركة ؟

٦ - الأخوان رايت ، مخترعا الطائرة ، الامريكيان ، المعروفان ، كانا مدينين بفضل كبير لأحد الطيور في تطوير اختراع الطائرة . ترى أي الطيور هذا ؟

* الحمام الزاجل ؟
* الوطواط ؟
* الصقر ؟

٧ - من القائل :

« حكم الشعب لصالح الشعب من أجل الشعب » ذلك هو الديمقراطية ؟

٨ - من المعروف أن الحمام الزاجل يستطيع الاهتداء إلى وطنه والعودة إليه مهما كانت الطريق طويلة ، ومجهولة . ترى أي الكائنات التالية تشبه الحمام في ذلك ؟

* الدب الأبيض ؟
* البطريق ؟
* النحل ؟
* الدولفين ؟

٩ - اسماعيل بن يوسف ، الطلاء ، المنجم ، شيخ الكيماويين في القيروان في زمن مضى ، لقبوه بالمنجم لاشتغاله بعلم التنجيم . لكن لم لقبوه بالطلاء ؟

* لاتقانه تحضير الطلاء (الدهان) الذي تحتاجه جدران المنازل ؟
* لاتقانه تحضير الصباغ الذي تحتاجه الأقمشة ؟
* لاتقانه فن التجميل ، وتحضير مايتطلبه من مساحيق ، ودهون ، وعقاقير ؟

١٠ - أين يوجد نفق الشهيد أحمد حمدي ؟ علما بأن إنشاءه استغرق خمس سنوات ، واكتمل سنة ١٩٨٢ ، بكلفة ١٢٠ مليون جنيه .

١١ - أي المحطات الاذاعية في العالم كانت الأولى في الاعتماد على الطاقة الشمسية على نحو مباشر ؟

* محطة الاذاعة التي أقيمت في جنوب ايطاليا ؟
* محطة الاذاعة التي أقيمت في الصحراء الاسبانية ؟
* محطة إذاعة بريان في ولاية اوهايو الامريكية ؟

١٢ - ثمة كتابان شهيران من كتب تراثنا الفكري ، أحدهما هو « تهافت الفلاسفة » ، والثاني هو « تهافت التهافت » . ترى من هو مؤلف كل من هذين الكتابين ؟

حل مس

١ ـ الفقرة المذكورة مقتطفة من كتاب عجائب المخلوقات للقزويني .

٢ ـ صواب ، إنها ضفادع « السهام السامة » كما سماها الهنود الحمر ، سكان امريكا الجنوبية الأصليون ، وقد درجوا على غمس سهامهم في سم هذه الضفادع لتصبح سهاما قتالة ، فتاكة . ويقدر الخبراء أن مقدار السم الذي يوجد في جسم واحدة من تلك الضفادع يكفي لقتل (٢٢٠٠) رجل .

٣ ـ الدليل على وجود الجاذبية الكونية هو بقاء أجرام الفضاء في مواضعها ، فهذه الأجرام تتجاذب ويشد بعضها بعضا ، ولولا هذا التجاذب لاختلطت الكواكب والنجوم ، وآل الكون إلى انهيار .

٤ ـ أبو العتاهية هو الشاعر الفحل الذي قال : (وددت أنه لي بنصف شعري) حين قرأ بيتا لأبي نواس هو :

لن ترجع الأنفس عن غيها
مالم يكن منها لها زاجر

٥ ـ شقائق النعمان : نسبوها إلى النعمان بن المنذر ، نظرا لما يروى عنه من أنه خرج ذات يوم وقد اعتم نبتة بين أخضر وأصفر واحمر ، فقال : ماأحسنها ، احموها ، فحموها ، فسميت شقائق النعمان .

٦ ـ الجنرال سماتس (١٨٧٠ ـ ١٩٥٠) : كان من البوير ، ومن مواليد مقاطعة الكاب موطن البوير الأصلي ، درس الحقوق ، وتخرج في جامعة كامبردج ، وتقلب في مناصب مختلفة ، حتى شغل منصب رئيس الوزراء في أنحاء جنوب افريقيا ، وذلك منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٨ .

٧ ـ الرجل الفرنسي سيمون دي مونتفورت : هو الذي دعا لانعقاد مجلس العموم البريطاني في دورته الأولى ، وشارك في الحروب الصليبية ، ثم جاء إلى بريطانيا سنة ١٢٣٠ حيث منح ولاية ليستر ، وبدأ مقاومته لحكم الملك هنري الثالث ـ وكان حكما فاسدا ـ حتى هزم الملك ، وأسره سنة ١٢٦٤ ، وفي سنة ١٢٦٥ دعا مجلس العموم الأول لعقد جلسته الأولى .

٨ ـ التسمية يونانية ، أي أن لفظ دلتا يوناني ، وهو الاسم الذي يطلق على أحد حروف الهجاء اليونانية ، يرسم على شكل مثلث ، ولما كانت الدلتا التي تتكون عادة عند مصب الأنهار مثلثة الشكل كحرف الدلتا أطلقوا عليها اسم الدلتا .

٩ ـ أفصح من سحبان وائل
أبصر من زرقاء اليمامة
أبلغ من قس (قس بن ساعدة ، أسقف نجران) .

١٠ ـ الفيل الافريقي هو الاكبر آذانا ، والأكبر أنيابا أيضا .

١١ ـ المسافة التي قطعها الفلاح حتى استكمل قطف كل محصوله ، ووضعه في السلة هي (٥) أميال و (١٣٠٠) ياردة .

١٢ ـ الملسون هو الكذاب حلو اللسان بعيد الفعال .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٤
سبتمبر ١٩٨٦

الجائزة الاولى : انور يوسف محمد حماد/ عمان ـ مخيم الوحدات ـ الاردن .
الجائزة الثانية : انتصار كامل محمد على/ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية .
الجائزة الثالثة : محمد سعيد عبدالحميد/ طرابلس ـ الجماهيرية الليبية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ هشام بن حسن بن سعيد/ سوسة ٤٠٠٠ ـ الجمهورية التونسية .
٢ ـ روضة ذياب محميد/ خيطان الجديدة ـ دولة الكويت .
٣ ـ يوسف عبدالله سعد عبدالله/ المحرق ـ دولة البحرين .
٤ ـ صالحة أحمد سالم/ كريتر / عدن ـ اليمن الجنوبية .
٥ ـ سعيد ابراهيم العابد/ صور ـ لبنان .
٦ ـ عاطف عبدالله فرهاد/ اربيل / محلة زانياري ـ الجمهورية العراقية .
٧ ـ مرح مروان جبل/ جامعة دمشق / كلية الآداب / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .
٨ ـ فاطمة شلبي عبده خشبة/ بور سعيد ـ جمهورية مصر العربية .

معركة بلا سلاح

□ مباراة الثأر

لا يزال الصراع على بطولة العالم للشطرنج محتدما حتى كتابة هذه السطور بين بطل العالم جاري كاسباروف الروسي (٢٢ سنة) ومواطنه أناتولي كاربوف (٣٣ سنة) بطل العالم السابق . وقد جرى الجزء الأول من هذه المباراة والذي يشتمل على اثني عشر دوراً في فندق بارك لين الفخم في العاصمة البريطانية فيما بين الثامن والعشرين من شهر يوليو الحالي والأسبوع الأخير من شهر أغسطس ، أما الجزء الثاني من المباراة الذي ابتدأ منذ مطلع شهر سبتمبر فيجري حالياً في مدينة لينغراد السوفيتية ، وقد انتهت الجولة الاولى من المباراة لصالح بطل العالم الحالي بفارق نقطة واحدة فقط (٦ ½ ، ٥ ½) .

وتتميّز المباراة الحالية بالتجديد والتنوّع والاثارة على العكس من مباراة البطولة الاولى التي كانت تبعث على الملل في رأي الكثيرين . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد عشية المباراة أعرب رئيس الوفد الصحفي المرافق للمتحدي وهو يوغوسلافي الجنسية عن استيائه من تحيّز الصحافة البريطانية والغربية عامة لكاسباروف بالرغم من أن كاربوف قد اثبت جدارته بالفوز بثماني جوائز كبرى في العقد الذي تربع فيه على عرش الشطرنج (١٩٧٥ - ١٩٨٥) . وقد ألقت السيدة تاتشر رئيسة الوزارة البريطانية كلمة طيبة في حفل الافتتاح اثنت فيها على البطلين وأشادت بالمستوى الرفيع الذي حققه الابطال البريطانيون الذين يحتلون المرتبة الثانية في العالم بعد اللاعبين الروس، كما أفرد البرلمان البريطاني جلسة ناقش فيها أوضاع الشطرنج في البلاد والخطوات الواجب اتخاذها لتقديم المزيد من الدعم المادي والمعنوي لهذه اللعبة النبيلة .

والدور التالي الذي اخترناه لكم هو الدور الرابع من الجزء الاول من مباراة الثأر وهو من دفاع نيمزو الهندي Nimzoindian

□ كاسباروف	■ كاربوف
١ . د ٤	ح - و ٦
٢ . جـ ٤	هـ ٦
٣ . ح - جـ ٣	ف - ب ٤
٤ . ح - و ٣	جـ ٥
٥ . ز ٣	جـ × د ٤
٦ . ح × د ٤	ث
٧ . ف - ز ٢	د ٥
٨ . و - ب ٣	ف × جـ ٣
٩ . ب × جـ ٣	ح - جـ ٦
١٠ . جـ × د ٥	ح أ ٥ !
لاحتلال جـ ٤ وعزل البيدق جـ	
١١ . و - جـ ٢	ح × د ٥
١٢ . و - د ٣	ف - د ٧
١٣ . جـ ٤	ح - هـ ٧ (الشكل)
١٤ . ث	ر - جـ ٨
١٥ . ح - ب ٣ !	ح × جـ ٤
١٦ . ف × ب ٧	ر - جـ ٧



. التبادل الذي تم في صالح الأبيض كما سنرى

	الأبيض	الأسود
١٧	ف ـ أ ٦	ح ـ هـ ٥
١٨	و ـ هـ ٣	ح ـ جـ ٤
١٩	و ـ هـ ٤ رافضاً البيدق	ح ـ د ٦
٢٠	و ـ د ٣	ر ـ جـ ٦
٢١	ف ـ أ ٣	ف ـ جـ ٨
٢٢	ف × جـ ٨	ح د × جـ ٨
٢٣	ر و ـ د ١	و × د ٣
٢٤	ر × د ٣	ر ـ هـ ٨
٢٥	ر أ ـ د ١	و ٦
٢٦	ح ـ د ٤	ر ـ ب ٦
٢٧	ف ـ جـ ٥	ر ـ أ ٦
٢٨	ح ـ ب ٥	ر ـ جـ ٦
٢٩	ف × هـ ٧ !	ح × هـ ٧

لو أخذ بالرخ لوقع ضحية كشه مزدوجة

٣٠	ر ـ د ٧	ح ـ ز ٦
١٣	ر × أ ٧	ح ـ و ٨

لمنع الرخين من احتلال السطر السابع

٣٢	أ ٤	ر ـ ب ٨
٣٣	هـ ٣	حـ ٥
٣٤	م ـ ز ٢	هـ ٥
٣٥	ر ـ د ٣	م ـ حـ ٧
٣٦	ر ـ جـ ٣	ر ب ـ جـ ٨
٣٧	ر × جـ ٦	ر × جـ ٦
٣٨	ح ـ جـ ٧	ح ـ هـ ٦
٣٩	ح ـ د ٥ !	م ـ حـ ٦
٤٠	أ ٥	هـ ٤
١٤	أ ٦	(ح ـ جـ ٥) يستسلم

حل مسألة العدد رقم ٣٣٥

اكتوبر ١٩٨٦

مفتاح الحل ١ . م × د ٤
ثم كش مات بالكشف

الفائزون بحل مسابقة العدد ٣٣٤

سبتمبر ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . فاطمة طهماز ـ عنيزة/ السعودية
٢ . محمد شحده ـ صويلح/ الاردن
٣ . سلامة لوندي ـ الميناء/ ج م ع
٤ . د . محمود زايد ـ الكويت
٥ . ليلى المسعودي ـ باردو/ تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . تامر عبدالستار ـ الكويت
٢ . علي صالح ـ الانبار/ العراق
٣ . أيوب المصطفى ـ الدار البيضاء/ المغرب
٤ . عبدالرحمن زواوي ـ بيروت/ لبنان
٥ . ابو بكر محمد ـ مصراته/ ليبيا



مسألة العدد رقم ٣٣٧

ديسمبر ١٩٨٦

ما هي نقلة الابيض التي وجد كاربوف نفسه بعدها مضطراً للاستسلام ولماذا ؟

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

حول قضية تعريب التعليم الجامعي

● تشغل قضية تعريب التعليم الجامعي بال كثير من المفكرين، وأساتذة الجامعات في الدول العربية. وتتفاوت درجة الاستجابة من الجهات المعنية، بين دولة عربية وأخرى، وحتى هذه اللحظة لم تظهر أية بوادر للبدء بهذا المشروع القومي الهام.

إن قضية التعريب هي قضية هوية ومصير، وتأجيل اتخاذ قرار بشأنها على مستوى الأمة العربية هو تصديق لدعاوى المستشرقين، بأن اللغة العربية ليست أداة صالحة للدراسات العلمية. فهل نحكم على لغتنا بالعجز؟ وعلى هويتنا بالضمور؟

إننا ندرك أن من يضطلع بدور تعريب التعليم الجامعي يواجه مشكلة صعبة، نتيجة للشتات العربي، والخلاف العربي، في كل مجال، وإلا فماذا يعني وجود مجمع للغة العربية في كل قطر عربي؟ وما المانع من دمج هذه المجامع في مجمع واحد يتصدى لهذه المهمة القومية الكبيرة؟ وهل يقدم لنا أحد تفسيرا معقولا؟

سلطان عبده سيف الشيباني - الجيزة/ مصر

العربي

لعل القارىء الكريم يلاحظ أن هذه القضية من أهم القضايا التي توليها مجلة (العربي) اهتماما خاصا، ففي الأعداد الأخيرة نشرت (العربي) العديد من التعليقات حول هذه القضية، في باب (منتدى العربي)، كان آخرها حوارا مع المفكر الجزائري «مولود قاسم»، حول قضية التعريب في الجزائر، ومن خلال الحوار ناقش المفكر الجزائري قضية تعريب التعليم الجامعي بتمعن، ونأمل مع القارىء أن تتجاوز الأمة العربية خلافاتها، وأن تبدأ - على الأقل - بتوحيد جهودها في مثل هذه المجالات الثقافية، كخطوة أولى نحو مجالات أكثر في المستقبل.

مختارات من قارىء

* الزوج الجيد يستحق الثناء أكثر من عضو في مجلس الشيوخ.
* لا نستطيع ان نحب من نخافه ولا من يخافنا.
* عند النجاح لا يعرف الانسان متى يحصل على الكفاية.
* حياة الانسان كالحديد، يتآكل اذا استعملته، ويصدأ اذا لم تستعمله.
* الحب ينشأ من الأشياء الصغيرة، منها وبها يعيش وكذلك يموت.
* قمت بترجمة هذه الفقرات القصيرة وتقديمها للمجلة.

قاسم عياش
براغ - تشيكوسلوفاكيا

اعرف عدوك

● قرأت في العدد ٣٣٤ من مجلة العربي سبتمبر سنة ١٩٨٦ مقال الكاتب محمود المراغي «أصحاب النفوذ» وقد ورد في آخر المقال «أن اسرائيل تسجل ٣٩ نقطة من عوامل النفوذ في الوطن العربي»، وقد ساءني جدا أن قرأتها على صفحات مجلتكم الغراء، وكأني بالكاتب يطلق صفة الشرعية على دولة الكيان الصهيوني التي تغتصب أرض فلسطين، ويريد لنا أن ننسى أو نتناسى فلسطين، وأن نقبل بالوضع القائم، لأن دولة العدو قد أصبح لها هذا النفوذ في الوطن العربي.

عمر قاسم - الاردن

العربي

- كان على القارىء الكريم أن يلاحظ ان ما ورد في مقال الكاتب محمود المراغي عن اسرائيل هو تقدير احد الاخصائيين في اطار دراسة قام بها، وفق معايير محددة حول مقومات النفوذ الدولي، ومن يملك هذه المقومات من دول العالم؟ وبغض النظر عن مدى دقة هذه الدراسة او صوابها فإن عرضها لا يعني - بأي حال - اعطاء صفة الشرعية لاسرائيل، وانما هو توفير نوع من المعرفة القابلة للمناقشة عن عدونا، وهذه خطوة ضرورية، لازمة في صراعنا الطويل مع هذا العدو، والحشد الاستعداد المناسب في هذا الصراع المرير، وقد علمتنا التجربة اننا نكون اقدر على مواجهته كلما كانت معرفتنا الموضوعية به أدق.

تجاهل أم خوف؟

● أبدأ بتسجيل اعجابي بالاستطلاعات المصورة التي تقوم بها مجلة العربي، حيث تعرفنا بجوانب عديدة في حياة الدول والشعوب، لكن تبقى لدينا تساؤلات عن الاعتبارات التي تلعب دورها في تحديد الدول والشعوب التي تستهدفها هذه الاستطلاعات، فعلى سبيل المثال لا الحصر قمتم بعمل استطلاعات لبعض الدول السوفياتية كأذربيجان، وجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية وبلاد البلطيق، لكن فيما يبدو تتجاهلون دولا اخرى مجاورة تستحق الاهتمام، مثل بلاد الشركس التي هي الآن مجموعة من الجمهوريات والمناطق، التي تتمتع بالحكم الذاتي ضمن جمهورية روسيا الفدرالية. لماذا تجاهلتم جيورجيا وارمينيا التي كانت ذات يوم أحد اقاليم الدولة العربية؟ والتي كان لها مع العرب تفاعل قومي واجتماعي كبير لا يزال مستمرا حتى الآن؟

لا ادري هل بالامكان العودة الى الاتحاد السوفيتي ثانية لتحقيق ما ارجو، أم انكم حذرون من التعرض للاشعاع الناتج من كارثة المحطة الذرية التي وقعت هناك مؤخرا.

هراج ساهاكيان

حلب - سوريا

العربي

- ما زالت الاستطلاعات في مناطق وجمهوريات الاتحاد السوفيتي مستمرة (لاعتبارات تتصل فقط بتوفير افضل خدمة ثقافية للقارىء) عن الوطن العربي والعالم الاسلامي والعالم.

والاقتراحات التي يقدمها القارىء الكريم قريبة تماما مما تخطط له العربي، والجهات المسئولة في الاتحاد السوفيتي. هذا وقد زارت العربي في هذا العام ١٩٨٦ الجمهوريات التالية ذات الحكم الذاتي داغستان وشيشان - انغوش، والتتار، وستقرأ استطلاعات عنها في اعداد العربي القادمة.

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

السيد الرئيس .... من أين ؟

● قرأت في عدد مارس ١٩٨٦ من مجلة العربي تحت عنوان « مساحة ود » للاستاذ محمود عبدالوهاب عن رواية « السيد الرئيس » للأديب ميغيل انخل استورياس أرجو تزويدي بنبذة عن دار النشر التي أصدرت هذه الرواية أو عنوانها ، حتى يمكنني الاطلاع على هذه الرواية مترجمة الى اللغة العربية مع تحياتي وتقديري .

أحمد محمد علي
ج . م . ع القاهرة .

العربي

- يمكن للقارىء الكريم الحصول على نسخة من الرواية من الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير ص . ب (٥٤٦٠ / ١١) بيروت .

النهر الصناعي العظيم في ليبيا

● تعليقا على ما ورد في باب « وجها لوجه » في العدد ٣٣٣ من مجلة العربي أغسطس سنة ١٩٨٦ من ملاحظات للدكتور فاروق الباز على مشروع « النهر الصناعي العظيم » الذي تقوم به ليبيا ، ومع احترامنا وتقديرنا للدكتور فاروق الباز ، فإن بعض ملاحظاته يفهم منها أن الغرض من المشروع هو نقل المياه من جوف الأرض في جنوب ليبيا إلى الشمال ، لتستخدم في الفنادق على ساحل البحر المتوسط ، ليستحم بها السيّاح ، وإنه من المهم هنا أن تسمحوا لنا بتوضيح الأهداف الحقيقية للمشروع .

يهدف المشروع في مرحلته الأولى إلى تحقيق الآتي :
- « تخصيص ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه لاقامة مشروع انتاجي ، لزراعة محاصيل الحبوب ، والأعلاف المروية ، على مساحة تقدر بحوالي ٥٠ ألف هكتار ، بمنطقة جنوب غرب بنغازي التي أوضحت دراسات التربة ملاءمتها لتلك المحاصيل ، كما يتم إنشاء مشروع انتاجي آخر ، لتربية قطعان من الأبقار ، والأغنام ، يعتمد في تغذيتها على إنتاج المشروع الزراعي من الأعلاف » .
- « توفير ٢٠٠ مليون متر مكعب من المياه لري مشاريع الوديان الزراعية بالمنطقة الوسطى .
- استخدام مائة مليون متر مكعب من المياه المتبقية في تزويد المدن الساحلية القائمة ، والمخطط لاقامتها ، في المنطقة الوسطى ، بمياه للشرب وللأغراض الصناعية .

بعد إنجاز المشروع نهائيا يتحقق الآتي :
- ري ٨٥ ألف هكتار في فصل الشتاء والربيع ، وري مائة ألف هكتار في فصل الصيف .
- تربية مليوني رأس من الغنم ، على المساحات التي ترويها هذه المياه ، وكذلك تربية ٢٠٠ ألف رأس من البقر .
- إنتاج حوالي ٧٥٠ ألف طن من الحبوب سنويا .
- إقامة ٣٧ ألف مزرعة في حدود ٥ هكتارات مروية للزراعة .

ومن المعروف أن منطقة الكفرة ، وتازربو ، والسرير ، تمثل ٨٠٪ من إمكانات المياه بالجماهيرية .

الشريف عبدالله عمر - سرت/ ليبيا

العربي

تشكر للقارىء الكريم اهتمامه بإيراد هذه الصورة الواضحة عن مشروع النهر العظيم في ليبيا ، وما ورد ضمن ملاحظات الدكتور فاروق الباز إنما يمثل رأيه ، لا رأي مجلة (العربي) التي يهمها أن توفر الفرصة لكل الآراء والملاحظات .

العربي

فهرس سنة

١٩٨٦

من العدد ٣٢٦ إلى العدد ٣٣٧

السنة التاسعة والعشرون

حديث الشهر — بقلم : رئيس التحرير / دكتور محمد الرميحي

ديـن

سياسة واقتصاد

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الارهاب الدولي .. وارهاب الدولة !	وحيد عبدالمجيد	٧	٨٦	٣٣٢	٥٨
أضواء على اتفاقية التبادل التجاري الحر بين امريكا و « اسرائيل »	د . فضل النقيب	٨	٨٦	٣٣٣	١٨
مشاكل العمالة والاجور بالقطاع الحكومي في البلاد النامية	د . رمزي زكي	٨	٨٦	٣٣٣	٣٥
الأزمة المالية العالمية ومشكلة الديون	د. يوسف سليمان الفاضل	٨	٨٦	٣٣٣	٤٦
«اسرائيل» واليورانيوم واسرار عملية «بلمبات»	خضر الدهراوي	١١	٨٦	٣٣٦	١٨
حقيقة الأقليات اليهودية في العالم	د.عبد الوهاب محمد المسيري	١٢	٨٦	٣٣٧	٢٤

عروبــة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
كويت .. الكلمة الطيبة	عبدالرحمن سالم العتيقي	٢	٨٦	٣٢٧	١٦
الكويت .. والبعد العربي السياسي	عبدالعزيز حسين	٢	٨٦	٣٢٧	٢٢
دوافع ومعوقات الحوار العربي الاوروبي	د . يوسف صايغ	٣	٨٦	٣٢٨	٢٤
تغيير نظام الاعلام في الوطن العربي .. قضية الحريات الصحفية	حمدي قنديل	٣	٨٦	٣٢٨	٦٢
عربسات في عيده الأول	طاهر سكر القيسي	٤	٨٦	٣٢٩	٩٠
الحوار الثقافي العربي الأوروبي : وحوار حول الحوار	د . حسام الخطيب	٥	٨٦	٣٣٠	٦٣
مرض عربي اسمه الطاعة !	د . فؤاد زكريا	٧	٨٦	٣٣٢	١٨
البحر الميت يموت !	د . عبد الاله ابو عياش	٧	٨٦	٣٣٢	٤٤
من اجل سلامة الوطن		٨•	٨٦	٣٣٣	٤
عنصرية جديدة ! تحليل في الدوافع والاهداف	فارس المنصوري	١١	٨٦	٣٣٦	٦٢

استطلاعات الكويت المصورة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مهرجان العلم في الكويت	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٢	٨٦	٣٢٧	٣٦
ثلاثون عاما من التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت	ابو المعاطي ابو النجا تصوير : سليمان حيدر	٢	٨٦	٣٢٧	٧٦

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نفوس لاتعرف الحزن وقلوب لايقهرها اليأس	ريم الكيلاني تصوير : سليمان حيدر	٤	٨٦	٣٢٩	١٤٨
البحث العلمي من اجل غد افضل	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٩	٨٦	٣٣٤	٦٨
انهم يزرعون الصحراء بالمياه المعالجة	صادق يلي تصوير : حسن الصفار	١٠	٨٦	٣٣٥	١٤٠
وقفة تأملية مع المساجد القديمة في الكويت	عبد الغني محمد عبد الله عدسة : عبدالله عيسى صالح	١٢	٨٦	٣٣٧	١٤٧

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نيبال سقف العالم ومجمع المعابد والاساطير	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	١	٨٦	٣٢٦	٣٦
صيدا .. بعد عام على التحرير	سليمان الشيخ	١	٨٦	٣٢٦	١٦٨
اطفال العالم يغنون للسلام	حسن محمود عباس تصوير : فهد الكوح	٢	٨٦	٣٢٧	١٣٢
تحت مظلة الحرية والسلام .. شعب يعيش المستقبل	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٣	٨٦	٣٢٨	٦٨
حول الندوة الدولية لموسيقا عُمان التقليدية	ابو المعاطي ابوالنجا تصوير : طالب الحسيني	٣	٨٦	٣٢٨	١٣٢
الفلبين .. على مفترق الطرق	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	٤	٨٦	٣٢٩	٦٨
في مهرجان المربد السادس كيف غنى الشعراء لماضيهم واطلقوا الكلمات للمستقبل ؟	سليمان الشيخ	٤	٨٦	٣٢٩	١٣٢
صيحة ام صحوة في السودان ؟	سليمان الشيخ تصوير : طالب الحسيني	٥	٨٦	٣٣٠	٦٨
مهرجان الشبيبة العالمي وحلم السلام المتجدد !	ثريا البقصمي	٥	٨٦	٣٣٠	١٤٨
سيناء جنة بلا ناس	منير نصيف تصوير : سليمان حيدر	٦	٨٦	٣٣١	٦٨
المورو .. ثورة في اعماق الادغال	سليمان مظهر	٦	٨٦	٣٣١	١٣٢
عسير : الحياة وسط السحاب وتحدي المستحيل	محمود عبدالوهاب تصوير : طالب الحسيني	٧	٨٦	٣٣٢	٦٨

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المخترعون الشباب في المدينة القديمة	صلاح حزين تصوير : اوسكار متري	٧	٨٦	٣٣٢	١٤٤
الاناضول . . متحف لكل العصور	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	٨	٨٦	٣٣٣	٦٨
سرواك . . الانطلاق من عمق المجهول	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	٩	٨٦	٣٣٤	١٣٦
الهند تجني ثمار بحثها العلمي	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	١٠	٨٦	٣٣٥	٦٨
عندما يتكلم الحجر عن العرب في الشمال الاسباني	حسن محمود عباس تصوير : اوسكار متري	١١	٨٦	٣٣٦	٦٨
البرازيل : مارد القرن الحادي والعشرين	حسين احمد امين	١١	٨٦	٣٣٦	١٣٦
فسيفساء اللغات والناس في بلاد القفقاس (داغستان)	سليمان الشيخ تصوير : سليمان حيدر	١٢	٨٦	٣٣٧	٦٨
البحرين جسر بين أصالة الأمس وإشراقة الغد	ريم الكيلاني تصوير : صلاح آدم	١٢	٨٦	٣٣٧	١٣٢

أدب ولغة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
أصوات روائية مغربية جديدة	علاء الدين محسن	١	٨٦	٣٢٦	١٤٨
الكتابة فن ولكنها أنبل الفنون وأخطرها	د . اديب نصور	١	٨٦	٣٢٦	١٥٣
انهم يخطفون الادباء !	عبدالقادر عقيل	١	٨٦	٣٢٦	٢١٦
تجربة ثقافية فريدة في الكويت	د . فؤاد زكريا	٢	٨٦	٣٢٧	٢٨
الناقد العربي الحديث في مفترق الطرق !	د . محمود الربيعي	٢	٨٦	٣٢٧	١١٩
احباط الكلمات	فاروق خورشيد	٤	٨٦	٣٢٩	١٠٣
دبروط الشريف . . ذلك العالم القاسي العنيف	ابو المعاطي ابو النجا	٧	٨٦	٣٣٢	٤٩
الآثار الأدبية والترجمة	عبدالرزاق البصير	٨	٨٦	٣٣٣	٦٥
السيميائية احدث العلوم الانسانية	د . كمال ابو ديب	٩	٨٦	٣٣٤	٥٨
دلالات الرمز في رواية الارض المحتلة	وليد ابوبكر	٩	٨٦	٣٣٤	١٠٩
العرب واوروبا في ثلاث قصص قصيرة	محمد بدوي	١٠	٨٦	٣٣٥	٣١
مناقشات	فاروق خورشيد	١٠	٨٦	٣٣٥	١١٨
منهج القرآن في تربية العقول	عبدالرزاق البصير	١١	٨٦	٣٣٦	٤١
أخطاء لغوية طبية وعلمية	د . محمد صادق زلزلة	١١	٨٦	٣٣٦	١١١

جمال العربية : صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
تمييز الفاعل من المفعول	١	٨٦	٣٢٦	٢١٢
حروف لغتنا . . الاعراب على الحكاية .	٢	٨٦	٣٢٧	١٩٤
القناعة والاقناع . . تصحيح بيت	٣	٨٦	٣٢٨	١٩٤
البعضُ والكُلّ والكُلّي	٤	٨٦	٣٢٩	١٩٤
أيما وأيُّها	٥	٨٦	٣٣٠	١٩٤
التقويم والتقييم	٦	٨٦	٣٣١	١٨٠
الاشتقاق من المشتق	٧	٨٦	٣٣٢	١٨٢
مستهتر - إخصَائي	٨	٨٦	٣٣٣	١٨٠
لام التقوية	٩	٨٦	٣٣٤	١٨٢
« أل » معرفة وموصولة	١٠	٨٦	٣٣٥	١٨٠
بين البدل وعطف البيان	١١	٨٦	٣٣٦	١٨٢
الضوضاء مذكر ومؤنث	١٢	٨٦	٣٣٧	١١٦

جمال العربية : صفحة شعر

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
رثاء الأندلس « لأبي البقاء الرندي »	١	٨٦	٣٢٦	٢١٤
في وصف جمال مغنية« لابن الرومي »	٢	٨٦	٣٢٧	١٩٦
مبارزة أسد « من شعر بديع الزمان الهمذاني »	٣	٨٦	٣٢٨	١٩٦
رثاء صديق « لأبي العلاء المعري »	٤	٨٦	٣٢٩	١٩٦
شكوى الزمان « لأبي الطيب المتنبي »	٥	٨٦	٣٣٠	١٩٦
حرب أم سلام ؟ « للأستاذ عباس محمود العقاد »	٦	٨٦	٣٣١	١٨٢
أم كلثوم « للشاعر جميل صدقي الزهاوي »	٧	٨٦	٣٣٢	١٨٤
التلبية في الحج « لأبي نوّاس »	٨	٨٦	٣٣٣	١٨٢
لقاء ذئب بين الفرزدق والبحتري	٩	٨٦	٣٣٤	١٨٤
الخمر السماوية « لابن الفارض »	١٠	٨٦	٣٣٥	١٨٢
رحلة الى ليل السماوية « للشهرزوري »	١١	٨٦	٣٣٦	١٨٤
عواقب الهجر لكثير عزة	١٢	٨٦	٣٣٧	١١٨

شعر وشعراء

قصص

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الحصيات الكلوية . .	د . غسان حتاحت	١	٨٦	٣٢٦	٦٠
المعادن والاحجار الكريمة وخاماتها الصناعية	يوسف زعبلاوي	١	٨٦	٣٢٦	٦٣
الثروة السمكية وقانون البحار	علي عبدالامير	١	٨٦	٣٢٦	١٠٨
أسلحة الفضاء رعب القرن الحادي والعشرين	رؤوف وصفي	١	٨٦	٣٢٦	١٢٤
الاسنان . . والتجميل	د . حكم المأمون	٢	٨٦	٣٢٧	٧٢
ولهم « بالبوصلة » في حياتهم مهتدون	د . عبدالمحسن صالح	٢	٨٦	٣٢٧	١٤٨
نمط جديد من التهاب الكبد	د . عبدالرؤوف لولو	٢	٨٦	٣٢٧	١٧٦
أول محطة اذاعة تعمل بالطاقة الشمسية	د . مظفر صلاح الدين شعبان	٣	٨٦	٣٢٨	٥٢
مفاهيم جديدة في امراض الحساسية	د . انيس فهمي	٣	٨٦	٣٢٨	٥٥
مصير العالم بعد الحرب النووية الشاملة	د . سمير رضوان	٣	٨٦	٣٢٨	٩٠
الجديد في شيخوخة الدماغ والخرف المبكر	د . فريد زيد الكيلاني	٣	٨٦	٣٢٨	١١١
ومن بعض الغذاء داء !	د . رياض العلمي	٣	٨٦	٣٢٨	١٦٢
البراكين اشد قوى الطبيعة تدميراً	د . محمد علي الفرا	٤	٨٦	٣٢٩	٤٥
معدل الاصابة بحالات الامراض الجلدية	د . محمد عبدالله المشاري	٤	٨٦	٣٢٩	١١٩
الصراع بين الطب والامراض الوراثية !	د . فاطمة الغرباوي	٥	٨٦	٣٣٠	٤٤
رحلة الى قلب « الكازار » أضخم مولد سماوي للطاقة	سمير صلاح الدين شعبان	٥	٨٦	٣٣٠	٨٨
القتل بالهرمون	د . سينوت حليم دوس	٥	٨٦	٣٣٠	١٠٦
من ملوثات البيئة . . الغبار الطائر	د . رياض العلمي	٥	٨٦	٣٣٠	١٢٢
قصة كشف طبي جديد ومن الرقص ماقتل !	د . عماد شمسي باشا	٦	٨٦	٣٣٠	٢٨
بداية عصر استعمار المجرات الفضائية	د . مازن المغربي	٦	٨٦	٣٣١	٤٤
الضوضاء مرض العصر !	د . فاضل حسن احمد	٦	٨٦	٣٣١	١٠٣
العلاج الجماعي . . اتجاه جديد في الطب	د . منصف المرزوقي	٦	٨٦	٣٣١	١١٥
جلدك هو كنزك	د . نبيل سليم علي	٦	٨٦	٣٣١	١٦٦
كلاب تساوي وزنها ذهبا	د . عبد المحسن صالح	٧	٨٦	٣٣٢	٨٥
انتصارات جديدة في معارك الطب من أجل الحياة	د . عماد شمسي باشا	٧	٨٦	٣٣٢	٩١
سرطان الفم بين المرأة والرجل	د . ابراهيم ابو طاحون	٧	٨٦	٣٣٢	١٠٣
وباء جديد اسمه البوليميا . . أو مرض النهم	د . عبدالكريم ابوشويرب	٧	٨٦	٣٣٢	١٦٦
المتحدي تتحداه الاقدار !	طاهر سكر القيسي	٨	٨٦	٣٣٣	٩٦
نباتات الانابيب بعد اطفال الانابيب	عبدالرحمن حريتاني	٨	٨٦	٣٣٣	١٣٢
الترياق اكسير احيل الى التقاعد !	د . حسن فريد ابوغزالة	٨	٨٦	٣٣٣	١٥٢
تشرنوبيل : الخلفية والحقائق والتوقعات	د . عدنان شهاب الدين	٩	٨٦	٣٣٤	١٦
الطيران في نهاية القرن العشرين	ريا عارف الرفاعي	٩	٨٦	٣٣٤	٣٦
عظامنا وسنوات العمر	د . فاطمة الغرباوي	٩	٨٦	٣٣٤	٨٨
كي تتخلص من نظارتك	د . سري فايز سبع العيش	٩	٨٦	٣٣٤	١١٨
وقفة علمية مع أول صرخة للطفل	د . ضياء الدين الجماس	٩	٨٦	٣٣٤	١٦٦
ماذا يصنع الحديد بجسم الانسان ؟	د . ابراهيم فهيم	١٠	٨٦	٣٣٥	٢٨
النمو غير الطبيعي للشعر عند النساء	د . نجم عبدالله عبدالواحد	١٠	٨٦	٣٣٥	٤٢

الجديد في الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوي

سلامة البشرية في سلامة البيئة

طبيب الأسرة

الموضــوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
تسخين الطعام هل يضمن السلامة	٦	٨٦	٣٣١	١٧٦
أقراص الاسبرين مالها وما عليها	٧	٨٦	٣٣٢	١٧٦
الطفل المتشنج	٨	٨٦	٣٣٣	١٧٦
كيف تتصرف مع لسع العقرب ؟	٩	٨٦	٣٣٤	١٧٨
الطباخ الآمن	١٠	٨٦	٣٣٥	١٧٦
طفل يبلّل الفراش . . البوال الليلي	١١	٨٦	٣٣٦	١٧٦
المسهلات والملينات .	١٢	٨٦	٣٣٧	١٧٣

مخترعون ومكتشفون

الموضــوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الاخوان رايت . . واختراع الطائرة .	١	٨٦	٣٢٦	١٤٤
ايجور سيكورسكي مخترع الهليكوبتر	٢	٨٦	٣٢٧	١٢٨
ادموند هالي .	٣	٨٦	٣٢٨	١٢٨
كارل بنز ـ جوتليت ديملر	٤	٨٦	٣٢٩	١٢٨
روبرت هاتشنج جودارد رائد صواريخ الفضاء	٥	٨٦	٣٣٠	١٢٩
ماركوني مخترع التلغراف اللاسلكي	٦	٨٦	٣٣١	١٢٨
وفلم رونتجن	٧	٨٦	٣٣٢	١٢٢
جورج ستيفنسون	٨	٨٦	٣٣٣	١٢٩
الفرد نوبل : مخترع الديناميت	٩	٨٦	٣٣٤	١٢٦
اديسون مخترع المصباح الكهربائي	١٠	٨٦	٣٣٥	١٢٤
السير شارلز بارسونز .	١١	٨٦	٣٣٦	١٢٤
السير هنري ديفي	١٢	٨٦	٣٣٧	١٠٨

تاريخ وتراث

الموضــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المستشار مؤتمن	د. عبدالوهاب حومد	١	٨٦	٣٢٦	٢٤
طقوس بيع وزير سابق	د. محمدالمنسي قنديل	١	٨٦	٣٢٦	١٣٢
قسطنطين الافريقي (تعقيب) .	د. صفاء خلوصي	١	٨٦	٣٢٦	١٠٦
تعقيب على مقال عبدالرحمن الداخل	عبدالله محمدحاج عبدو	٢	٨٦	٣٢٧	١٢٣

تاريخ أشخاص

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
عن محدث الديار الشامية الأكبر العلامة : الشيخ بدر الدين الحسيني (تعقيب) .	شوقي ابوخليل	٦	٨٦	٣٣١	٦٧
تشيخوف والضحك من خلال الدموع	د. احمدالنعمان	٦	٨٦	٣٣١	١٢٠
سيمون دوبوفوار والسارترية	د. احمدأبوزيد	٧	٨٦	٣٣٢	٣٠
خالدالعدساني والعمامة والكتاب غير المنشور	عبدالله زكريا الانصاري	٩	٨٦	٣٣٤	٥٢
الايام الاخيرة للسلطان عبدالحميد «تعقيب»	ابراهيم كسبو	٩	٨٦	٣٣٤	٦٧
احد امين امتداد لمحمد عبده وطه حسين	حافظ احمدأمين	١٠	٨٦	٣٣٥	٣٦
الايام الاخيرة للسلطان عبدالحميد «تعقيب»	د. احسان حقي	١٠	٨٦	٣٣٥	٦٦
باخ من النسيان الى التكريم	د. سمحةالخولي	١٠	٨٦	٣٣٥	١١٢
العقاد بين اسوان ومصر الجديدة	سارة	١١	٨٦	٣٣٦	٥٢
مجاهد العامري امير البر والبحر	د. عصام سيسالم	١١	٨٦	٣٣٦	١٠٦
نيلز بور عملاق النظرية الذرية	صلاح الدين هاشم	١١	٨٦	٣٣٦	١٢٧
الزعيم الأمريكي الأسود: مارتن لوثر كنج	د . أحمد الأمين البشير	١٢	٨٦	٣٣٧	٣٤
السلطان عبد الحميد الثاني مرة أخرى (تعقيب)	د . محمد عيسى صالحية	١٢	٨٦	٣٣٧	٦٢

وجها لوجه

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
محمد حسنين هيكل	محمود المراغي	١	٨٦	٣٢٦	٦٤
الفريد فرج	عبدالعزيزالسريع	٢	٨٦	٣٢٧	٩٧
د . عز الدين اسماعيل	حسن محمودعباس	٣	٨٦	٣٢٨	٩٧
د . علي الراعي	د. امين العيوطي	٤	٨٦	٣٢٩	٩٧
الفريق أول محمد فوزي واللواء طلعت مسلم	نجاح عمر	٥	٨٦	٣٣٠	٩٧
عبد الرحمن منيف	جليل العطية	٦	٨٦	٣٣١	٩٧
د . المهدي المنجرة	علاءالدين محسن	٧	٨٦	٣٣٢	٩٧
د . فاروق الباز	طارق حسني	٨	٨٦	٣٣٣	١٠٣
فتحي غانم	ابوالمعاطي أبوالنجا	٩	٨٦	٣٣٤	٩٧
د . عبدالقادر القط	د. علي شلش	١٠	٨٦	٣٣٥	٩٧
أحمد بن يسف	علاءالدين محسن	١١	٨٦	٣٣٦	٩٧
د . غالي شكري	محمود الريماوي	١٢	٨٦	٣٣٧	٩٧

تربية وعلم نفس

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
قياس الشخصية بين التسلية والعلم	د. كاظم ولي أغا	١	٨٦	٣٢٦	٧٤
العلم والتعليم في الأرض المحتلة	توفيق أبوبكر	١	٨٦	٣٢٦	٨٧

اجتمــاع

فلسفــة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الجامعات العربية والفلسفات المعاصرة	د. عبدالقادر الشيخلي	٧	٨٦	٣٣٢	٦٢
رشدية عربية ام لاتينية ؟	د. محمد عابد الجابري	٩	٨٦	٣٣٤	٢٥
الزمن ذلك السر الغامض	عبد الا[illegible] الموس	١٢	٨٦	٣٣٧	١٧٦

كتاب الشهر

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مفاهيم الحرب	بيومي قنديل	١	٨٦	٣٢٦	٢١٨
السياسة الخضراء	جمال ورده	٢	٨٦	٣٢٧	١٨١
الطاقة والاقتصاد والبيئة	ياسر الفهد	٣	٨٦	٣٢٨	١٨٣
معضلات اسلامية	د. ابراهيم ابوربيع	٤	٨٦	٣٢٩	١٨١
الحركة الطلابية والسياسة الوطنية في مصر	جمال ورده	٥	٨٦	٣٣٠	١٨١
امير بين الأرقاء	عثمان احمد حسن	٦	٨٦	٣٣١	١٨٥
نحو فهم للمستقبلية مدخل الى دراسة علوم المستقبل	نهلة حمصي	٧	٨٦	٣٣٢	١٨٧
فضل العرب على الثقافة الاوروبية	جليل العطية	٨	٨٦	٣٣٣	١٨٥
في اسفل السلم	محمد حسان عبدالكريم	٩	٨٦	٣٣٤	١٨٦
اليمن الديمقراطي	جمال ورده	١٠	٨٦	٣٣٥	١٨٥
العرب وديارهم في كتاب صيني من العصور الوسطى	د. نقولا زياده	١١	٨٦	٣٣٦	١٩٠
مصر في عصر محمد علي .	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى	١٢	٨٦	٣٣٧	١٢٠

من المكتبة العربية

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حكايات من مصر	عبدالرحمن ابوعوف	١	٨٦	٣٢٦	٢٢٥
حياة محمد	فاروق خورشيد	٢	٨٦	٣٢٧	١٨٧
أضواء على شعر البحتري	عبدالرزاق البصير	٣	٨٦	٣٢٨	١٨٨
جزء من حلم	د. عبدالعزيز المقالح	٤	٨٦	٣٢٩	١٨٧
ضرورة النقد الذاتي للحركات الاسلامية	د. احمد محمد كنعان	٥	٨٦	٣٣٠	١٨٨
القدس الشريف . . في تاريخ العرب والاسلام	محمود بيومي	٦	٨٦	٣٣١	١٩١
السّوق الدّاخلي رواية جديدة لمحمد شكري	علاء الدين محسن	٧	٨٦	٣٣٢	١٩٣
قراءة في كتاب : امريكا بين عصرين	منذر الاسعد	٨	٨٦	٣٣٣	١٩٢
الرهبنة بين الاسر والحرية	د. امين العيوطي	٩	٨٦	٣٣٤	١٩٢
كتاب التيسير في المداواة والتدبير للطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر	فاضل السباعي	١٠	٨٦	٣٣٥	١٩١

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
العلاقات الدولية بعيون عربية	نجاح عمر	١١	٨٦	٣٣٦	١٩٤
الولايات المتحدة والصراع العربي الصهيوني	ماجد الشيخ	١٢	٨٦	٣٣٧	١٢٦

الفنون واللوحات الفنية

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
العرب والبترول . . . والسينما	احمدرأفت بهجت	١	٨٦	٣٢٦	٨١
عام الفنون والحضارة الاسلامية في السويد	د. عفيف بهنسي	١	٨٦	٣٢٦	١١٦
منى السعودي : الفنانة التي كشفت سر الحجر	صلاح حزين	١	٨٦	٣٢٦	١٨٩
اندريه مالرو والسينما	د. زينب عبدالعزيز	٣	٨٦	٣٢٨	٤٢
دور الموسيقا في تطور الشباب	د. سمبحةالخولي	٣	٨٦	٣٢٨	٤٦
الأصول المعمارية للاعمدة عند المسلمين	عبدالغني محمدعبدالله	٦	٨٦	٣٣١	٨٨
كرة القدم هذا الهوس العالمي	عادل شريف	٧	٨٥	٣٣٢	١١٤
بدايات المسرح في الكويت	د. محمد مبارك الصوري	٧	٨٦	٣٣٢	١٢٦
هموم وراء قناع ضاحك	خالد القشطيني	٧	٨٦	٣٣٢	٣٠
سقف التجديد	شوقي بغدادي	٨	٨٦	٣٣٣	٥٩
رحلة السينما من الفن الى رأس المال	عبدالقادر التلمساني	٨	٨٦	٣٣٣	١٤٤
فنان نبت في رمال الصحراء	منير نصيف	٨	٨٦	٣٣٣	١٧٢
الكمبيوتر والزخرفة العربية	د. نبيل علي	٦	٨٦	٣٣٤	٩٣
الموسيقا العربية والهارمونيا	سليم سحاب	٩	٨٦	٣٣٤	١٠٤
جبرين تحفة العمارة العُمانية	يوسف الشاروني	١٠	٨٦	٣٣٥	١٥٠
العصر الذهبي للسينما الصامتة	عبدالقادر التلمساني	١١	٨٦	٣٣٦	١١٦
نحو دستور أخلاقي عربي موحد في مجال أخبار التلفزيون	محمد محمود المرسي	١٢	٨٦	٣٣٧	٥٨

البيت العربي (الأسرة والمرأة)

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
التدخين اختراع نسائي	د. ابراهيم ابوطاحون	١	٨٦	٣٢٦	١٩٤
البدانة صحة . . أم مرض ؟	د. سامي محمودعلي	١	٨٦	٣٢٦	١٩٧
رحلة الامومة . . كيف نحميها ؟	د. ضياء الدين الجماس	٢	٨٦	٣٢٧	١٥٨
المدارس الاجنبية هل هي خطر على ابنائنا ؟	ريم الكيلاني	٢	٨٦	٣٢٧	١٦٣
علمي ابنك القراءة واقتناء الكتب	ريم الكيلاني	٣	٨٦	٣٢٨	١٦٧
الكهرمان حجر أم شجر ؟	سليمان الشيخ	٤	٨٦	٣٢٩	١٥٨

أرقـــام

بقلم / محمود المراغي

قاموس العربي — اعداد / محمود عبدالوهاب

نذكر فيما يلي الأبواب التي أغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها
ونذكر الى جانبها أسماء محرريها :

الباب	المحرر
■ أقوال ..	ـ سليمان الشيخ
■ من مكتبة العربي (مختارات)	ـ صلاح حزين
■ هو . . . هي	ـ محمود عبدالوهاب
■ مساحة ود	ـ محمود عبدالوهاب
■ حكايات شرق وغرب + من الحياة	ـ منير نصيف
■ الشطرنج (معركة بلا سلاح)	ـ د . محمد حسن التيتي
■ حوار القراء	ـ أبو المعاطي أبوالنجا

الفهرس العام — اعداد : صلاح صادق

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
ديسمبر ١٩٨٦ م

نظريات التعلم

"دراسة مقارنة"

الجزء الثاني

تحرير: جورج ام غازدا
ريموند كورسيني
ترجمة: د. علي حسين حجاج
مراجعة: أ.د. عطية محمود هنا

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٠٨

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص. ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٧ أول ديسمبر ١٩٨٦

ماريوس

تأليف : مارسيل بانيول
ترجمة وتقديم : محمود زمزم
مراجعة : د. علي درويش



نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و«د»
نيدو الأفضل طعماً، الأسرعُ
ذوباناً، الأضمن نتيجةً و
الأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان:
ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله